



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

نَفْحُ الطَّيِّبِ

مِنْ غُضُّفِ الْأَشْدَّاءِ مِنَ الرَّحْمِطِ

مَذْكُورٌ فِيهَا تَسْمَاةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّيِّبِ

لِلشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُرْبِيِّ التَّمَنِيَّانِيِّ

الجزء ٣-١

تحقيق

بِإِذْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْبَقَّامِيِّ

إشراف

مَكْتَبَةُ الْبَحْثِ وَالنِّدْوَةِ السَّائِرَةِ

بِ

دار المنصور

الطبعة الأولى سنة ١٣٤٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

كاتب:

مقرى، احمد بن محمد

نشرت فى الطباعة:

دارالفكر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩٢	نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب
٩٢	اشارة
٩٢	[الجزء الاول]
٩٢	اشارة
٩٢	مقدمة الناشر المقرى
٩٢	نسبه:
٩٢	مولده و نشأته:
٩٣	حياته و رحلاته.
٩٦	أسلوب المقرى و مكانته:
٩٦	مؤلفات المقرى:
٩٧	كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب
٩٨	تحقيق الكتاب و شرحه:
٩٨	وصف النسخ التى اعتمدنا عليها:
٩٩	خطة التحقيق و الشرح
٩٩	خطبة الكتاب
٩٩	اشارة
١٠٥	[حديث المؤلف عن وطنه و حنينه إليه ٢٧]
١١٠	و أردد قول الذى سحر الألباب،
١١٠	و قول المجد بن شمس الخلافة
١١٠	و قول أبى طاهر الخطيب الموصلى: [الخفيف]
١١١	و قول بعضهم: [الطويل]
١١١	و قول الجرجانى: [الخفيف]

- ١١١ [البيسط] و قول الخطيب الحصكفي الشافعي: [البيسط]
- ١١٦ [وصف أهوال البحر]
- ١١٩ [حج المؤلف و زيارته المدينة و وصفه المشاهد المباركة]
- ١٢٨ [عودة المؤلف إلى مصر و زيارته بين المقدس]
- ١٢٩ [عودة المؤلف إلى مصر و خدمته العلم بالأزهر]
- ١٣٠ [ثم زيارة إلى دمشق و وصفها]
- ١٣٣ [وصف دمشق و ذكر محاسنها]
- ١٣٥ [فضل دمشق]
- ١٣٦ [اقتراح ابن شاهين على المؤلف تأليف كتاب عن لسان الدين بن الخطيب، و اعتذاره]
- ١٣٨ [إصرار ابن شاهين و عدم قبوله عذر المؤلف]
- ١٤٠ [وصف داريا]
- ١٤١ [المؤلف يصف موقف الوداع]
- ١٤٨ [عودة المؤلف إلى مصر و شوقه إلى دمشق]
- ١٥٠ [شروع المؤلف في التصنيف، و رسالة من الشاهين يحثه على ذلك]
- ١٥٠ [المؤلف يصف رسالة ابن شاهين]
- ١٥٢ [مقتطفات من رسالة الشاهيني]
- ١٥٤ [تصميم المؤلف على استئناف التصنيف و بدء التأليف]
- ١٥٥ [تقدير المؤلف للسان الدين بن الخطيب]
- ١٥٦ [تقدير المؤلف للسان الدين بن الخطيب، و مدحه النبي و الصحابة]
- ١٥٧ [تقسيم الكتاب و تبويبه]
- ١٥٩ [خاتمة المقدمة و ذم الدنيا]
- ١٦١ [القسم الأول فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار المترعة الأكواب، و الأنباء المنتحية صوب الصواب، الرافلة من الإفادة في سوابغ الأتواب،
- ١٦١ [إشارة]
- ١٦١ [الباب الأول وصف الأندلس]

- ١٦١ [أقوال فى مزايا الأندلس]
- ١٦٢ [مساحة الأندلس و أبعادها و مناخها]
- ١٦٤ [أول من استوطن الأندلس]
- ١٦٥ [غرائب ما أصيب بالأندلس عند الفتح الإسلامى]
- ١٦٥ [موقع الأندلس من الأقاليم]
- ١٦٦ [إشبان و الخصر عليه السلام]
- ١٦٦ [دخول عجم رومة و القوط الأندلس، و دخول النصرانية إليها]
- ١٦٧ [حكم القوط فى الأندلس و مناخها و خيراتها و معادنها]
- ١٦٨ [أوصاف طليطلة و بعض حاصلات الأندلس و معادنها، و وصف أهلها]
- ١٦٨ [الأندلسيون و الأمم المجاورة و نبذة عن خراج الأندلس]
- ١٦٩ [أخبار ابن خلدون عن الأمم التى استوطنت الأندلس، و وصف غرناطة]
- ١٧٠ [غرناطة و أعمالها]
- ١٧٠ [شهرة غرناطة و سرقسطة و برجة]
- ١٧١ [شهرة برجة و مالقة و وصف مالقة و أشبونة و قرطبة]
- ١٧٢ [نبذة من قرطبة و شهرتها]
- ١٧٣ [إشبيلية و إقليمها]
- ١٧٤ [باجة و جبل طارق]
- ١٧٥ [كورة طليطلة و ما اشتهرت به]
- ١٧٦ [مدينة المرية، و ما اشتهرت به]
- ١٧٦ [شنتره و خصائصها]
- ١٧٧ [الجزر البحرية بالأندلس]
- ١٧٨ [أخطاب يتضمن المناظرة بين بلاد الأندلس]
- ١٨٠ [أعود إلى ذكر غرناطة]
- ١٨١ [أبن جزى يصف غرناطة]

- ١٨١ [وصف قرية نارجة]
- ١٨٣ [وصف بلنسية]
- ١٨٣ [بعض أعمال بلنسية و بعض متفرجات إشبيلية]
- ١٨٤ [اموسى بن سعيد يعتذر عن مفارقة الأندلس]
- ١٨٥ [وصف شريش و شلب و كورة اشكونية]
- ١٨٦ [فى بطليوس و شاطبة]
- ١٨٦ [كتاب لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه فى تفضيل الجهاد]
- ١٨٧ [ابن تاشفين يصف الأندلس و يشبهها بالعقاب]
- ١٨٨ [أبو بكر المخزومى الهجاء و الوزير أبو بكر بن سعيد]
- ١٨٨ [أبو بكر المخزومى و الشاعر نزهون الغرناطية]
- ١٨٩ [عبد الوهاب بن الحسين الحاجب المغنى الشاعر]
- ١٩١ [بعض عجائب سرقسطة]
- ١٩١ [السمور بالأندلس]
- ١٩٢ [بعض وحش الأندلس و حيوانها و طيورها]
- ١٩٢ [ثمار الأندلس و معادنها]
- ١٩٣ [بعض مصنوعات الأندلس]
- ١٩٣ [الآلات الحربية و الآثار الأولية بالأندلس]
- ١٩٤ [ابن سعيد يذكر بعض عجائب الأندلس]
- ١٩٤ [وصف ابن سعيد للأندلس]
- ١٩٥ [بيلتا طليطلة]
- ١٩٦ [عود إلى ذكر إشبيلية]
- ١٩٦ [ابن سعيد يقارن بين الأندلس و غيرها]
- ١٩٧ [وصف ابن حوقل لرخاء الأندلس و ردّ ابن سعيد على ابن حوقل]
- ١٩٨ [لمحة من تاريخ الحكم فى الأندلس منذ الفتح]

- ٢٠٠ [الوزارة في الأندلس]
- ٢٠٠ [الكتابة، و الخراج في الأندلس، القضاء، و الشرطة]
- ٢٠٠ [الحسبة في الأندلس، الطواف بالليل، و التدين في الأندلس]
- ٢٠١ [التسول، و العلوم و الآداب في الأندلس]
- ٢٠٢ [زى أهل الأندلس]
- ٢٠٢ [نظافة الأندلسيين، و احتياطهم، و تدبيرهم، و مروءاتهم]
- ٢٠٣ [منهج كتاب المغرب لابن سعيد]
- ٢٠٣ [وصف بعض المؤرخين للأندلس]
- ٢٠٤ [مقطعات في وصف الأندلس]
- ٢٠٥ [من خصائص الأندلس]
- ٢٠٥ [الباب الثاني فتح الأندلس]
- ٢٠٥ [فتح الأندلس و أسبابه]
- ٢٠٧ [رواية ابن خلدون في فتح الأندلس و بعض أمراؤها]
- ٢٠٨ [ولاة الأمراء و أمراؤها]
- ٢٠٩ [رواية الحميدى للفتح]
- ٢١٠ [ارجع إلى حديث طارق بن زياد]
- ٢١١ [خبر بيت الحكمة الذي كان بالأندلس]
- ٢١٢ [حكايه ابنة ملك قادس و عمل الرحي و اتخاذ الطلسم]
- ٢١٣ [فتح لذريق بيت الحكمة، و ما وجد فيه]
- ٢١٤ [ابن حيان يتحدث عن فتح الأندلس و يذكر أمراءها]
- ٢١٤ [ملخص خبر الفتح من الكتاب الخزانى]
- ٢١٨ [رواية الرازى في شأن الفتح]
- ٢٢٠ [رواية ابن حيان في فتح طليطلة]
- ٢٢١ [شأن أولاد غيطسة، و خبر سارة بنت ألمند القوطية]

- ٢٢٢ [بعض أخبار القوطية سارة بنت ألمند]
- ٢٢٢ [احسد موسى بن نصير طارفا و اشتراكه في فتح الأندلس]
- ٢٢٣ [فتح موسى للأندلس، ثم نكبته، و مائده سليمان]
- ٢٢٤ [مائده سليمان، ثم رجع إلى رواية ابن حيان في الفتح]
- ٢٢٥ [انتصارات موسى و ابنه عبد الأعلى]
- ٢٢٥ [انتصارات موسى، ثم عودته إلى المشرق]
- ٢٢٦ [اسماء من دخل الأندلس من الصحابة و التابعين]
- ٢٢٧ [عودة موسى إلى الشام و تنكيل سليمان بن عبد الملك به و مقتل عبد العزيز بن موسى]
- ٢٢٨ [لمحة عن عبد الرحمن الداخل، و عود إلى قصة التنكيل بموسى بن نصير و نهايته، و شيء من صفاته]
- ٢٣٠ [ذكر بعض من دخل الأندلس من التابعين]
- ٢٣١ [غنائم الأندلس، و الحديث عن مائده سليمان]
- ٢٣١ [القبائل العربية التي نزحت إلى الأندلس و استوطنتها]
- ٢٣٥ [أسماء من حكم الأندلس من العرب]
- ٢٣٦ [الوزير أبو الحزم بن جهور]
- ٢٣٧ [كتاب أبي مطرف بن عميرة لأبي جعفر بن أمية]
- ٢٣٩ [كتاب أبي المطرف إلى سلطان أفريقية]
- ٢٤٠ [من خطاب لأبي المطرف إلى بعض ذوى الألباب]
- ٢٤١ [رسالة من أبي المطرف إلى أبي الحسن الرعيني]
- ٢٤١ [رسالة أبي المطرف إلى صاحبين له]
- ٢٤٢ [ترجمة أبي المطرف بن عميرة]
- ٢٤٤ [رسالة لأبي المطرف]
- ٢٤٤ [رسالة أبي المطرف إلى ابن هود]
- ٢٤٥ [رسالة صاحب الأندلس إلى أحمد بن قلاوون بقلم لسان الدين بن الخطيب]
- ٢٤٧ [الباب الثالث الدولة الإسلامية في الأندلس]

- ٢٤٨ اشارة
- ٢٤٨ [عبد الرحمن الداخل]
- ٢٤٩ [وصف أبي جعفر المنصور لعبد الرحمن الداخل]
- ٢٥٠ [المنصور يبعث العلاء بن مغيث اليحصبى ليدعو للمنصور فينتصر عليه عبد الرحمن و يقتله]
- ٢٥٠ [هرب عبد الرحمن من الشام و وصوله إلى الأندلس]
- ٢٥١ [هشام بن عبد الرحمن الداخل]
- ٢٥٢ [الحكم بن هشام و حروبه و فتوحه و صفاته و اثاره فى الدولة]
- ٢٥٥ [عبد الرحمن بن الحكم]
- ٢٥٧ [محمد عبد الرحمن]
- ٢٥٨ [ولاية المنذر بن محمد، ثم عبد الله بن محمد]
- ٢٥٩ [عبد الرحمن الناصر]
- ٢٦٠ [هدية ابن شهيد للناصر]
- ٢٦٣ [غزوات الناصر و وفود دول النصرانية عليه]
- ٢٦٦ [ترجمة منذر بن سعيد البلوطى (عن المغرب)]
- ٢٦٨ [ترجمة منذر بن سعيد (فى المطمح)]
- ٢٦٨ [رجع لأخبار الناصر لدين الله]
- ٢٧٠ [و مما ينسب للناصر من الشعر، و قيل: لابنه الحكم، قوله]
- ٢٧١ [الحكم المستنصر بالله]
- ٢٧٦ [صفات المستنصر، و غايته بالكتب و وفاته]
- ٢٧٧ [ولاية هشام بن الحكم و تسلط ابن أبى عام]
- ٢٧٨ [ترجمة المنصور بن أبى عامر من كلام ابن سعيد]
- ٢٨٠ [ترجمة الحاجب المصحفى (عن المطمح)]
- ٢٨٠ [ترجمة ابن أبى عامر المنصور (عن المطمح)]
- ٢٨٢ [أخبار فى سيرة المنصور]

- ٢٨٢ [أمثلة من عدل المنصور بن أبي عامر]
- ٢٨٤ [دهاء المنصور بن أبي عامر]
- ٢٨٥ [غزو المنصور لمدينة شنت ياقب]
- ٢٨٦ [أخبار المنصور (من كتاب الأزهار المنثورة)]
- ٢٨٨ [عود إلى أخبار المنصور (من المطمح)]
- ٢٨٩ [ولاية عبد الملك المظفر بن المنصور، ثم ولاية عبد الرحمن الناصر لدين الله]
- ٢٩٠ [خلع هشام المؤيد وبيعه محمد بن هشام المهدي بالله]
- ٢٩١ [شعر للمستعين]
- ٢٩٢ [بنو حمود]
- ٢٩٤ [خلافة المستظهر عبد الرحمن بن هشام الأموي]
- ٢٩٥ [انقطاع الدولة الأموية و ظهور ملوك الطوائف]
- ٢٩٥ [بنو عباد، و بنو جهور و بنو ذى النون]
- ٢٩٧ [من ملوك الطوائف بالأندلس بنو هود]
- ٢٩٧ [من مشاهير ملوك الطوائف بنو الأفتس]
- ٢٩٧ [يعقوب المنصور بن يوسف ملك الموحدين و غزو الأرك]
- ٢٩٨ [ابن صلاح الدين الأيوبي و يعقوب الموحدي و ابنه الناصر]
- ٢٩٩ [دولة بني الأحمر]
- ٣٠١ [شيخ الغزاة أيام بني الأحمر]
- ٣٠٢ [فهرس الرسائل و الخطيب و الظهائر للجزء الأول من كتاب نفح الطيب]
- ٣٠٢ [فهرس موضوعات الجزء الأول من كتاب نفح الطيب]
- ٣٠٨ [الجزء الثاني]
- ٣٠٨ [اتمة القسم الاول]
- ٣٠٨ [الباب الرابع فى وصف الأندلس]
- ٣٠٩ [إشارة]

- ٣٠٩ [وصف قرطبة لابن سعيد]
- ٣١٠ [وصف قرطبة لبعض العلماء]
- ٣١١ [وصف قرطبة للحجارى]
- ٣١٢ [من محاسن قرطبة و عناية القرطبيين بالكتب]
- ٣١٢ [قصور قرطبة و أبواب تلك القصور]
- ٣١٣ [أبواب قرطبة و أرباضها]
- ٣١٣ [متنزهات قرطبة]
- ٣١٤ [الرمان السفرى فى قرطبة]
- ٣١٥ [متنزهات قرطبة و قصورها]
- ٣٢٠ [نهر قرطبة و قنطرتها و نشأتها و اسباب دثورها]
- ٣٢٥ [وصف المبانى العظيمة]
- ٣٢٩ [من وصف الأنهار و البرك و وصف الديار الدائرة]
- ٣٣٢ [من رسائل لسان الدين بن الخطيب]
- ٣٣٨ [جامع قرطبة]
- ٣٣٨ [ارجع إلى أخبار البنيان]
- ٣٣٩ [ابن فرفور يشكو الدهر]
- ٣٤٠ [ارجع إلى أخبار البنيان - مدينة الزهراء]
- ٣٤٢ [أخبار البنيان - قصر المأمون بن ذى النون]
- ٣٤٣ [وصف المجالس و القصور]
- ٣٤٤ [من نثر ابن خفاجة]
- ٣٤٧ [من نظم ابن خفاجة]
- ٣٤٧ [عود إلى وصف قرطبة و مشاهدها و مساجدها]
- ٣٥٧ [الزهراء و مسجدها]
- ٣٦٠ [بين المنذر بن سعيد و الناصر]

- ٣٦٣ [دثور الزهراء]
- ٣٦٣ [الزاهرة]
- ٣٦٥ [المنية العامرية]
- ٣٦٦ [كثره المنى فى الأندلس]
- ٣٦٧ [بين المنصور و ابن شهيد]
- ٣٦٨ [من أخبار المنصور بن أبى عامر]
- ٣٦٩ [دثور الزاهرة]
- ٣٦٩ [طرف من أخبار المنصور]
- ٣٧٠ [ترجمة المصحفى فى المطمح]
- ٣٧١ [من أخبار المنصور]
- ٣٧٢ [رسالة ابن عبد البر إلى المنصور الصغير]
- ٣٧٣ [من أخبار المنصور الكبير محمد بن أبى عامر و المصحفى]
- ٣٧٦ [مال مصحف عثمان الذى كان بالأندلس و بناء مسجد مراکش]
- ٣٨١ [من أخبار الوزير أبى المغيرة بن حزم]
- ٣٨٢ [بين الرشيد و المأمون و جارية]
- ٣٨٣ [ترجمة الوزير أبى المغيرة بن حزم]
- ٣٨٣ [ترجمة أبى عامر بن شهيد]
- ٣٨٤ [استيلاء المعتمد بن عباد على قرطبة]
- ٣٨٦ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن زيدون (فى القلائد)]
- ٣٨٨ [وصف المتنزهات من موشحة ابن الوكيل]
- ٣٨٩ [وصف المتنزهات من رجع إلى ما يتعلق بقرطبة]
- ٣٩٠ [وصف حير الزجالى بقرطبة]
- ٣٩٠ [وصف المتنزهات من ترجمة بنى القبطنة]
- ٣٩١ [بين أبى بكر بن القبطنة و الوزير ابن اليسع]

- ٣٩٢ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن حسداى]
- ٣٩٢ [وصف المتنزهات من ترجمة المستعين ابن هود]
- ٣٩٣ [وصف المتنزهات من ترجمة عبد الله ابن السيد البطليوسى]
- ٣٩٧ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن العطار]
- ٣٩٨ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن عمار]
- ٤٠٠ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن وهبون]
- ٤٠٠ [وصف الفتح لمجلس أنس بمنية المنصور]
- ٤٠١ [كتاب من الفتح إلى بعض الملوك يصف متنزها]
- ٤٠٢ [وصف المتنزهات من ترجمة الراضى بالله بن عباد]
- ٤٠٣ [وصف المتنزهات من ترجمة المتوكل على الله بن الأفتس]
- ٤٠٤ [وصف المتنزهات من ترجمة المعتصم ابن صمادح]
- ٤٠٤ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن رزين]
- ٤٠٦ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن طاهر]
- ٤٠٦ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن عمار]
- ٤٠٧ [وصف المتنزهات من ترجمة أبى عيسى بن لبون]
- ٤٠٧ [و ترجمة أبى بكر بن رحيم]
- ٤٠٧ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن عبدون]
- ٤٠٨ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن مالك]
- ٤٠٨ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن السقاط]
- ٤٠٩ [و من ترجمة ابن أضحى]
- ٤٠٩ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن خفاجة]
- ٤١٠ [وصف المتنزهات من رساله للفتح]
- ٤١٠ [وصف المتنزهات من ترجمة ابن عطية]
- ٤١١ [وصف المتنزهات من شعر ابن خفاجة]

- ٤١٧ [وصف المتنزهات من شعر ابن سعيد]
- ٤١٩ الباب الخامس [فيمن رحل من الأندلسيين إلى المشرق]
- ٤١٩ إشارة
- ٤١٩ ١- منهم عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب السلمى:
- ٤٢١ ٢- و من الراحلين من الأندلس الفقيه المحدث يحيى بن يحيى الليثى
- ٤٢٢ ٣- و منهم القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى
- ٤٢٣ ٤- و منهم عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسى،
- ٤٢٤ ٥- و منهم أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن يوسف،
- ٤٢٤ ٦- و منهم القاضى منذر بن سعيد البلوطى،
- ٤٢٧ [٧- ترجمة أبي القاسم الشاطبى الرعينى المقرئ]
- ٤٢٨ [٨- ترجمة القاضى أبى بكر بن العربى المعافى]
- ٤٣٦ ٩- و منهم أبو بكر محمد بن أبى عامر بن حجاج، الغافقى، الإشبلى.
- ٤٣٦ [١٠- ترجمة جمال الدين بن ذى النون]
- ٤٣٧ ١١- و منهم زياد بن عبد الرحمن بن زيادة اللخمى، المعروف بشبطون،
- ٤٣٧ ١٢- و منهم سوار بن طارق
- ٤٣٨ ١٣- و منهم بقى بن مخلد،
- ٤٣٨ ١٤- و منهم قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف، أبو محمد، البيانى، و بيتانة:
- ٤٣٩ ١٥- و منهم قاسم بن ثابت، أبو محمد، العوفى، السرقسطى،
- ٤٣٩ ١٦- و منهم علم الدين أبو محمد المرسى اللورى
- ٤٣٩ ١٧- و منهم قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار،
- ٤٤٠ ١٨- و منهم أبو بكر الغسانى،
- ٤٤٠ ١٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن حيون،
- ٤٤٠ ٢٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن غالب، الملقى
- ٤٤٠ ٢١- و منهم اليقورى، و هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم مصنف كتاب «إكمال الإكمال»

- ٢٢- و منهم أبو عبد الله الأنصاري، و هو محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام، ٤٤١
- ٢٣- و منهم الشيخ الإمام الشهير الكبير الولي العارف بالله ٤٤١
- ٢٤- و منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسين ٤٤٢
- ٢٥- و منهم أبو بكر الجتاني محمد بن علي بن خلف التجيبي الإشبيلي، ٤٤٣
- ٢٦- و منهم أبو بكر الأندلسي الجتاني محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن ياسر، ٤٤٣
- ٢٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي الدهان الغرناطي، ٤٤٣
- ٢٨- و منهم أبو عمر محمد بن علي بن محمد بن أبي الربيع القرشي العثماني الأندلسي الإشبيلي النحوي، ٤٤٣
- ٢٩- و منهم أبو بكر أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن هذيل. البلنسي ٤٤٣
- ٣٠- و منهم أبو عبد الله، و يقال: أبو سلمة، محمد بن علي البياسي الغرناطي ٤٤٣
- ٣١- و منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي بن الشامي الأندلسي، ٤٤٤
- ٣٢- و منهم أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعي الميورقي ٤٤٤
- ٣٣- و منهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار القرطبي الحافظ ٤٤٤
- ٣٤- و منهم أبو عبد الله محمد بن عمروس القرطبي ٤٤٥
- ٣٥- و منهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيج، المعافري ٤٤٥
- ٣٦- و منهم أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي، الإلبيري ٤٤٥
- ٣٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار، القرطبي ٤٤٥
- ٣٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم القرشي الفهري ٤٤٥
- ٣٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن لب الشاطبي ٤٤٦
- ٤٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن سراقفة الشاطبي ٤٤٦
- ٤١- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الفزيشي ٤٤٧
- ٤٢- و منهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن خيرون، ٤٤٧
- ٤٣- و منهم ضياء الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن صابر بن بندار، القيسي، الأندلسي، المالقي. ٤٤٧
- ٤٤- و منهم أبو بكر محمد الزهري، المعروف بابن محرز، البلنسي ٤٤٧
- ٤٥- و من الراحلين من الأندلس إلى المشرق القاضي أبو الوليد الباجي صاحب التصانيف المشهورة. ٤٤٨

- ٤٥٦ [٤٦- أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى]
- ٤٥٩ ٤٧- و منهم محمد بن عبد الجبار الطرطوشى
- ٤٥٩ ٤٨- و منهم القاضى الشهير الشهيد أبو على الصيرفى
- ٤٦٠ ٤٩- و منهم ابن أبى روح الجزيرى
- ٤٦٠ ٥٠- و منهم العالم أبو حفص عمر بن حسن الهوزنى
- ٤٦٠ ٥١- و منهم أبو عمرو عثمان بن الحسين
- ٤٦١ ٥٢- و منهم الكاتب أبو بكر محمد بن القاسم
- ٤٦٢ ٥٣- و منهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد ربه الملقى
- ٤٦٢ ٥٤- و منهم الشاعر الأديب أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان، الملقى.
- ٤٦٣ ٥٥- و منهم الحافظ أبو الخطاب بن دحية
- ٤٦٦ ٥٦- و منهم: خلف بن القاسم بن سهل بن الدباع
- ٤٦٦ ٥٧- و منهم: خلف بن سعيد بن عبد الله بن زرارة أبو القاسم بن المرابط، الكلبى،
- ٤٦٦ ٥٨- و منهم: سابق فضلاء زمانه، أبو الضلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الضلت الإشبلى.
- ٤٦٨ ٥٩- و منهم الفقيه أبو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطى.
- ٤٦٩ ٦٠- و منهم الفقيه المقرئ أبو عامر التيارى
- ٤٦٩ ٦١- و منهم الأديب الطبيب أبو الحجاج يوسف بن عتبة الإشبلى.
- ٤٦٩ [٦٢- أبو بكر محمد بن يوسف المعروف (بابن مسدى)]
- ٤٧٠ ٦٣- و منهم الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدى الحميدى
- ٤٧١ ٦٤- و منهم الكمال أبو العباس أحمد الشريشى
- ٤٧٢ ٦٥- و منهم أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد، الأزدى، القرطبى
- ٤٧٢ ٦٦- و منهم الوزير أبو عبد الله محمد، ابن الشيخ الأجل أبى الحسن بن عبد ربه
- ٤٧٣ ٦٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن الصفار، القرطبى
- ٤٧٣ [أبو الوليد بن الجنان الكنانى الشاطبى]
- ٤٧٥ ٦٩- و منهم أبو محمد القرطبى

- ٧٠- و منهم على بن أحمد، القادسي، الكناني ٤٧٥
- ٧١- و منهم أبو عبد الله بن العطار، القرطبي ٤٧٦
- [٧٢- أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي، القرطبي، (ابن الفرضي)،] ٤٧٨
- ٧٣- و منهم الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، البكري، الشريشي، المالكي ٤٧٩
- ٧٤- و منهم أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن المغلس، القيسي، الأندلسي، البنسي ٤٧٩
- ٧٥- و منهم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله، الحكيم، الأديب، المعروف بالمغربي ٤٨٠
- ٧٦- و من الراحلين من الأندلس إلى المشرق: ٤٨١
- ٧٧- و منهم أبو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد بن أبي حبيب، الأندلسي. ٤٨٢
- ٧٨- و منهم أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن علي بن شكر، الأندلسي، المقرئ. ٤٨٢
- ٧٩- و منهم العلامة ذو الفنون علم الدين القاسم بن أحمد المريني، اللورقي، المقرئ، النحوي. ٤٨٢
- ٨٠- و منهم أبو عبد الله بن أبي الربيع، القيسي، الأندلسي، الغرناطي. ٤٨٢
- ٨١- و منهم الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجي، القرشي، العبدري ٤٨٢
- ٨٢- و منهم أبو عبد الله محمد بن سعدون، الباجي ٤٨٣
- ٨٣- و منهم أبو بكر محمد بن سعدون، التميمي، الجزيري، المتعبد. ٤٨٣
- ٨٤- و منهم أبو عبد الله محمد بن سعد الأعرج، الطليلي الخطيب. ٤٨٣
- ٨٥- و منهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن إسحاق بن يوسف، الأموي، القرطبي. ٤٨٣
- ٨٦- و منهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام، القرطبي. ٤٨٤
- ٨٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان، المعافري، الشاطبي ٤٨٤
- ٨٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن شريح، الرعيني، الإشبيلي. ٤٨٤
- ٨٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن صالح الأنصاري، المالقي. ٤٨٤
- ٩٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن صالح، القحطاني، المعافري، الأندلسي، المالكي. ٤٨٥
- ٩١- و منهم أبو عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى، الخزرجي، الداني، النحوي، ٤٨٥
- ٩٢- و منهم القاضي الشهير محمد بن بشير، و هو محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل، المعافري ٤٨٥
- ٩٣- و منهم محمد بن عيسى بن دينار، العافقي. ٤٨٨

- ٩٤- و منهم محمد بن يحيى بن يحيى الليثى. ----- ٤٨٨
- ٩٥- و منهم محمد بن مروان بن خطاب، المعروف بابن أبي جمرة. ----- ٤٨٨
- ٩٦- و منهم محمد بن أبي علاقة، البواب، من أهل قرطبة. ----- ٤٨٨
- ٩٧- و منهم محمد بن حزم بن بكر، التنوخي. ----- ٤٨٨
- ٩٨- و منهم محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائد. ----- ٤٨٩
- ٩٩- و منهم محمد بن عبدون الجبلي، العدوي، من أهل قرطبة. ----- ٤٨٩
- ١٠٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، الأزدي، الفراء، القرطبي. ----- ٤٨٩
- ١٠١- و منهم أبو عبد الله محمد بن صالح، المعافري، الأندلسي. ----- ٤٨٩
- ١٠٢- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الشرقسطي. ----- ٤٩٠
- ١٠٣- و منهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن بقاء، الأنصاري. ----- ٤٩٠
- ١٠٤- و منهم أبو عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى، الأنصاري، الخزرجي. ----- ٤٩٠
- ١٠٥- و منهم محمد بن أبي سعيد الفرج بن عبد الله، البزار. ----- ٤٩١
- ١٠٦- و منهم أبو بكر محمد بن الحسين، الشهير بالميورقي، ----- ٤٩١
- ١٠٧- و منهم أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل. ----- ٤٩١
- ١٠٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح، الخزرجي. ----- ٤٩٢
- ١٠٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن ياسر، الأنصاري، الجيتاني. ----- ٤٩٢
- ١١٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة. ----- ٤٩٢
- ١١١- و منهم محمد بن إبراهيم بن وضاح، اللخمي. ----- ٤٩٣
- ١١٢- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، التجيبي، نزيل تلمسان. ----- ٤٩٣
- ١١٣- و منهم الشيخ الأكبر، ذو المحاسن التي تبهر، سيدي محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الحاتمي، ٩٤: ----- ٥٠٦
- ١١٤- و منهم الصوفي الشهير أبو الحسن علي الششتري. ----- ٥٠٦
- ١١٥- و منهم سيدي أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الأندلسي. ----- ٥٠٨
- ١١٦- و منهم ولي الله العارف به الشيخ الشهير الكرامات، الكبير المقامات، سيدي أبو العباس المرسي. ----- ٥٠٩
- ١١٧- و منهم أبو إسحاق الساحلي، المعروف بالطويجن. ----- ٥١١

- ١١٨- و منهم الشيخ الأديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن على بن محمد بن يوسف بن عفيف، الخزرجي، الساعدي. ----- ٥١١
- ١١٩- و منهم الفقيه الجليل، العارف النبيل، الحاذق الفصيح البارع أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر، الشهير بابن سبعين، ٥١٢
- ١٢٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، الشهير بابن غصن، الإشبيلي ----- ٥١٧
- ١٢١- و منهم الشيخ الفقيه، الأستاذ، النحوي، التاريخي، اللغوي، أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري، اللبلي ----- ٥١٧
- ١٢٢- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي. ----- ٥١٨
- ١٢٣- و منهم أبو القاسم بن حاضر، الجزيري، الخزرجي، محمد بن أحمد. ----- ٥١٩
- ١٢٤- و منهم أبو القاسم التجيبي، محمد بن أحمد التجيبي. ----- ٥١٩
- ١٢٥- و منهم أبو بكر الخزرجي، محمد بن أحمد بن حسن، و قيل: محمد بن عيسى، المالقّي، المالكي. ----- ٥١٩
- ١٢٦- و منهم أبو بكر محمد بن أحمد بن خليل بن فرج الهاشمي، مولاهم، لأن ولاءه لبني العباس من أهل قرطبة. ----- ٥١٩
- ١٢٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سلمان بن أحمد بن إبراهيم، الزهري، الأندلسي، الإشبيلي. ----- ٥٢٠
- ١٢٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الأعلى بن القاسم، القرطبي، المقرئ المعروف بالورشي ----- ٥٢٠
- ١٢٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الباجي، اللخمي. ----- ٥٢٠
- ١٣٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز، العتيبي، الأندلسي، القرطبي ----- ٥٢١
- ١٣١- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا المعافري، المقرئ، الفرضي، الأديب. ----- ٥٢١
- ١٣٢- و منهم محمد بن أحمد بن محمد بن سهل، أبو عبد الله، الأموي، الأندلسي، الطليطلي، المعروف بالنقاش. ----- ٥٢١
- ١٣٣- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، القبري، القرطبي، المؤدب. ----- ٥٢١
- ١٣٤- و منهم جمال الدين أبو بكر الوائلي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سجمان، الشريشي، المالكي. ----- ٥٢٢
- ١٣٥- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرّج، القرطبي، المعروف والده بالقتوري. ----- ٥٢٢
- ١٣٦- و منهم أبو عبد الله القيسي، الواحلي، محمد بن أحمد بن موسى. ----- ٥٢٢
- ١٣٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل، العبدري، البلنسي. ----- ٥٢٣
- ١٣٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نوح، الإشبيلي. ----- ٥٢٣
- ١٣٩- و منهم محمد بن أسباط، المخزومي، القرطبي. ----- ٥٢٣
- ١٤٠- و منهم أبو بكر محمد بن إسحاق، الشهير بابن التسليم، قاضي الجماعة بقرطبة. ----- ٥٢٣
- ١٤١- و منهم موسى بن بهيچ، المغربي، الأندلسي، الواعظ، الفقيه العالم. ----- ٥٢٣

- ١٤٢- و منهم أبو عمران موسى بن سعادة، مولى سعيد بن نصر. ----- ٥٢٣
- ١٤٣- و منهم أبو محمد عبد الله بن طاهر، الأزدي. ----- ٥٢٤
- ١٤٤- و من الراحلين من الأندلس إلى المشرق أبو عبد الله بن مالك. ----- ٥٢٤
- ١٤٥- و منهم أبو عبد الله محمد بن طاهر القيسي التدميري، و يعرف بالشهيد. ----- ٥٣٠
- ١٤٦- و منهم أبو عبد الله القيجاطي محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جهور. ----- ٥٣٠
- ١٤٧- و منهم أبو عبد الله- و يقال: أبو حامد- محمد بن عبد الرحيم، المازني، القيسي، الغرناطي. ----- ٥٣١
- ١٤٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام، القرطبي، ----- ٥٣١
- ١٤٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج، القرطبي. ----- ٥٣١
- ١٥٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون [بن مروان]، اللخمي، الرصافي، القرطبي، الحداد. ----- ٥٣٢
- ١٥١- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك، الخزرجي، السعدي، القرطبي. ----- ٥٣٢
- ١٥٢- و منهم أبو بكر بن السراج، النحوي، بتشديد الراء. ----- ٥٣٢
- ١٥٣- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن سعيد العنسي. ----- ٥٣٢
- ١٥٤- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الدفاع. ----- ٥٣٢
- ١٥٥- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد، المعافري، القرطبي. ----- ٥٣٣
- ١٥٦- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجد، الأنصاري البلنسي. ----- ٥٣٣
- ١٥٧- و منهم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة، القرطبي، المالكي، الحافظ. ----- ٥٣٣
- ١٥٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل، السلمى، المرسي. ----- ٥٣٣
- ١٥٩- و قال الجمال الينمورى ----- ٥٣٤
- ١٥٩- و منهم أبو بكر محمد بن عبد الله، البنتي، الأندلسي، الأنصاري. ----- ٥٣٤
- ١٦٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله، الخولاني، الباجي، ثم الإشبيلي، المعروف بابن القوق. ----- ٥٣٥
- ١٦١- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله، اللوشي، الطبيب. ----- ٥٣٥
- ١٦٢- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبدون، العذري، القرطبي. ----- ٥٣٥
- ١٦٣- و من الراحلين إلى المشرق من أهل الأندلس أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر، الإيادي، الأندلسي. ----- ٥٣٥
- ١٦٤- و منهم أبو الحجاج الساحلي، يوسف بن إبراهيم بن محمد بن قاسم بن علي، الفهري، الغرناطي. ----- ٥٣٩

- ١٦٥- و ممن ارتحل من الأندلس إلى المشرق شاعر الأندلس يحيى بن الحكم، البكرى الجيانى الملقب بالغزال لجماله ٥٤٠
- ١٦٦- و منهم الشهير بالمغرب و المشارق، المحلى بجواهره صدور المهارق، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسى. ٥٤٤
- فهرس الرسائل و الخطب و التنويهات للجزء الثانى من كتاب نفح الطيب ٦٠٠
- فهرس موضوعات الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى ٦٠١
- الباب الرابع فى وصف الأندلس ٦٠١
- الباب الخامس فىمن رحل من الأندلسيين إلى المشرق ٦٠٤
- [الجزء الثالث] ٦١٠
- إشارة ٦١٠
- [تتمة القسم الاول] ٦١٠
- صلة الباب الخامس ٦١٠
- إشارة ٦١٠
- [١٦٧- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد]. ٦١٠
- [١٦٨- على بن عبد الله الأنصارى القرطبى (ابن العابد)]. ٦١٢
- [١٦٩- محمد بن على بن يوسف بن محمد بن يوسف، الأنصارى، الشاطبى]. ٦١٢
- [١٧٠- الزاهد أبو بكر بن عبد الله الأنصارى القرطبى]. ٦١٤
- ١٧١- و منهم اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله الغافقى. ٦١٥
- ١٧٢- و منهم محمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد التجيبى، يكنى أبا عبد الله، من أهل إشبيلية. ٦١٥
- ١٧٣- و منهم أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمى، الباجى. ٦١٥
- ١٧٤- و منهم وليد بن بكر بن مخلد بن زياد العمرى. ٦١٥
- ١٧٥- و منهم عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الزعيني الزندى، يكنى أبا محمد. ٦١٥
- ١٧٦- و منهم أبو الربيع سليمان بن أحمد، البينى. ٦١٥
- ١٧٧- و منهم أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبى. ٦١٦
- ١٧٨- و منهم أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير، الكنانى، صاحب الرحلة. ٦١٦
- ١٧٩- و رافق ابن جبير فى هذه الرحلة أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعى ٦١٦

- ٦١٧ اشارة
- ٦١٨ [ابن جبير يصف دمشق]
- ٦١٩ [ابن جبير يصف جامع دمشق]
- ٦٢٠ [أقوال الشعراء فى دمشق]
- ٦٣٢ [بعض ما دار بين المؤلف و أهل الشام]
- ٦٦٧ [رسائل من المغرب إلى المؤلف]
- ٦٧٤ [عود إلى ابن جبير]
- ٦٧٩ ١٨٠- و من الراحلين إلى المشرق من الأندلس الأديب أبو عامر بن عيشون.
- ٦٨٠ ١٨١- و من الراحلين من الأندلس إلى المشرق أبو مروان الطنبى، و هو عبد الملك بن زيادة الله.
- ٦٨٣ [١٨٢- حبيب بن الوليد بن حبيب المعروف بدخون]
- ٦٨٣ ١٨٣- و منهم بهلول بن فتح من أهل أقليمش
- ٦٨٤ ١٨٤- و منهم أبو الحسن ثابت بن أحمد بن عبد الولى، الشاطبى.
- ٦٨٤ ١٨٥- و منهم أبو أحمد جعفر بن لب بن محمد بن عبد الرحمن بن يونس بن ميمون، اليحصبى.
- ٦٨٤ ١٨٦- و منهم أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونه، الخزاعى، العابد.
- ٦٨٤ ١٨٧- و منهم أبو جعفر النحوى.
- ٦٨٥ ١٨٨- و منهم أبو الحسن جابر بن أحمد بن عبد الله، الخزرجى، القرطبى، و كناه بعضهم أبا الفضل.
- ٦٨٥ ١٨٩- و منهم أبو الحسن جهور بن خلف بن أبى عمر بن قاسم بن ثابت المعافرى.
- ٦٨٥ ١٩٠- و منهم أبو على الحسن بن حفص بن الحسن، البهرانى، الأندلسى.
- ٦٨٥ ١٩١- و منهم أبو على الحسن بن خلف بن يحيى بن إبراهيم بن محمد، الأموى.
- ٦٨٥ ١٩٢- و منهم أبو على الحسن بن إبراهيم بن محمد بن تقى، الجذامى، المالقى.
- ٦٨٦ ١٩٣- و منهم أبو على الحسن بن على بن الحسن بن عمر، الأنصارى، البطليوسى.
- ٦٨٦ ١٩٤- و منهم أبو على الحسن بن محمد بن الحسن الأنصارى.
- ٦٨٦ ١٩٥- و منهم الحسين بن أحمد بن الحسين بن حى، التجيبى، القرطبى.
- ٦٨٧ ١٩٦- و منهم أبو يوسف حماد بن الوليد، الكلاعى.

- ١٩٧- و منهم أبو القاسم خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير. ----- ٦٨٧
- ١٩٨- و منهم أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف، الغرناطى. ----- ٦٨٧
- ١٩٩- و منهم أبو القاسم خلف بن فرج بن خلف بن عامر بن فحلون، القنطرى. ----- ٦٨٧
- ٢٠٠- و منهم زرارة بن محمد بن زرارة الأندلسى. ----- ٦٨٨
- ٢٠١- و منهم طاهر الأندلسى، من أهل مالقة، يكنى أبا الحسن. ----- ٦٨٨
- ٢٠٢- و منهم أبو الطاهر الأندلسى، من أهل لبللة. ----- ٦٨٨
- ٢٠٣- و منهم أبو محمد طارق بن موسى بن يعيش، المنصفى، المخزومى. ----- ٦٨٨
- ٢٠٤- و منهم محمد بن إبراهيم بن مزين الأودى. ----- ٦٨٨
- ٢٠٥- و منهم أبو عبدالله محمد بن أحمد حيازة، الشاطبى، الأوسى. ----- ٦٨٩
- ٢٠٦- محمد بن أحمد بن عبدالملك بن عبد العزيز بن عبد الملك (ابن سماعه). ----- ٦٨٩
- ٢٠٧- و منهم أبو العباس أحمد بن محمد، الواعظ، الإشبلى، ثم المصرى. ----- ٦٩٠
- ٢٠٨- إبراهيم الإشبلى المالكى، و بقى الدين بن مخلد. ----- ٦٩٠
- ٢٠٩- بقى بن مخلد بن يزيد، أبو عبد الرحمن، القرطبى، الأندلسى، الحافظ،. ----- ٦٩٠
- ٢١٠- و من الراحلين من الأندلس إلى المشرق يوسف بن يحيى بن يوسف الأندلسى الأزدي، المعروف بالمغامى. ----- ٦٩١
- ٢١١- و من الراحلين من الأندلس الإمام الحافظ أبو بكر بن عطية، رحمه الله تعالى! ----- ٦٩٣
- ٢١٢- أحمد بن فرح اللخمى، الإشبلى، الشافعى. ----- ٦٩٥
- ٢١٣- و منهم عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر، أبو الأصبع، الأموى، الأندلسى. ----- ٦٩٧
- ٢١٤- و منهم القاضى أبو البقاء خالد، البلوى، الأندلسى، رحمه الله تعالى. ----- ٦٩٧
- ٢١٥- و منهم برهان الدين أبو إسحاق بن الحاج إبراهيم، النميرى، الغرناطى. ----- ٦٩٨
- ٢١٦- أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف النفزى الأثرى الغرناطى. ----- ٦٩٩
- ٢١٧- أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجنى. ----- ٧٢٦
- ٢١٨- أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى (ابن الأبار). ----- ٧٣٠
- ٢١٩- و منهم الحافظ أبو المكارم جمال الدين بن مسدى. ----- ٧٣٢
- ٢٢٠- أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتورى. ----- ٧٣٣

- ٢٢١- و منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل، الأموى، الإشبيلي، النباتي، المعروف بابن الرومية. ----- ٧٣٣
- ٢٢٢- و منهم أبو العباس أحمد بن عبد السلام، الغافقي، الإشبيلي، الشهير بالمسيلي. ----- ٧٣٤
- ٢٢٣- و منهم أبو العباس- و يقال: أبو جعفر- أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل، التجيبي، الزاهد، و يعرف بابن الأقبليشي. ----- ٧٣٤
- ٢٢٤- و منهم أبو العباس أحمد بن عمر، المعافري، المرسي. ----- ٧٣٥
- ٢٢٥- و منهم أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى، الضبي. ----- ٧٣٥
- ٢٢٦- و منهم أبو عمر بن عات، و هو أحمد بن هارون بن أحمد بن جعفر بن عات النفزي. ----- ٧٣٥
- ٢٢٧- و منهم أبو العباس أحمد بن تميم بن هشام بن أحمد بن حنون، البهراني. ----- ٧٣٦
- ٢٢٨- و منهم أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد، المخزومي. ----- ٧٣٦
- ٢٢٩- و منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن عياش، الكناني، المرسي. ----- ٧٣٧
- ٢٣٠- و منهم أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حصن بن أحمد بن حزم، الغافقي. ----- ٧٣٧
- ٢٣١- و منهم أبو أمية إبراهيم بن منبه بن عمر بن أحمد، الغافقي. ----- ٧٣٧
- ٢٣٢- ٢٣٣- و منهم أبو القاسم بن فورثش، و هو إسماعيل بن يحيى بن عبد الرحمن، الشترقسطي، و أخوه القاضي محمد بن يحيى. ----- ٧٣٨
- ٢٣٤- و منهم أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن عمر، القرشي، العلوي، الإشبيلي. ----- ٧٣٨
- ٢٣٥] عيسى بن عبد الله النفزي الحميري التاكرني]. ----- ٧٣٨
- [٢٣٦- علي بن أحمد بن محمد بن حمدون المالقي النحوي]. ----- ٧٤٠
- ٢٣٧- و منهم عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الرحمن، الغساني، الوادي أشي، أبو محمد. ----- ٧٤١
- ٢٣٨- و منهم عبد المنعم بن عمر الغساني، الوادي أشي. ----- ٧٤٣
- ٢٣٩- و منهم أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد، القرطبي، الخزرجي. ----- ٧٤٣
- [٢٤٠- عبد المنعم الوادي أشي، و أحمد الخزرجي، و أحمد بن عمر]. ----- ٧٤٣
- ٢٤١- و منهم العارف الكبير، الولي الصالح الشهير، أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونه، الخزاعي، الأندلسي. ----- ٧٤٣
- ٢٤٢- و منهم محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب، الخزرجي، الأنصاري، الشاطبي، الفقيه، القاضي، الصدر، المتفنن، المحصل، المجيد. ----- ٧٤٤
- [٢٤٣- محمد بن يحيى اللبسي قاضي القضاء]. ----- ٧٤٤
- ٢٤٤- و منهم الوزير الشهير أبو عبد الله بن الحكيم، الرندي، ذو الوزارتين. ----- ٧٤٥
- [٢٤٥ نجيب الدين عبد العزيز اللخمي]. ----- ٧٤٩

- ٢٤٦- و منهم محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد، أبو بكر بن العربي الإشبيلي، حفيد القاضي الحافظ الكبير أبو بكر بن العربي. ----- ٧٤٩
- ٢٤٧- و من المرتحلين من الأندلس يحيى بن عبد العزيز، المعروف بابن الخزاز أبو زكريا، القرطبي. ----- ٧٤٩
- [٢٤٨ محمد بن أحمد الشريشي] ----- ٧٤٩
- ٢٤٩- و من الراحلين من الأندلس الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر، الجتاني، المحدث الشهير. ----- ٧٥٠
- ٢٥٠- و منهم أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم، الأندلسي، المري. ----- ٧٥٠
- ٢٥١- و منهم العالم الحسيب أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني. ----- ٧٥١
- ٢٥٢- و منهم أبو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال، القرطبي، الفقيه المالكي. ----- ٧٥١
- ٢٥٣- و منهم أبو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانة، الفزاري، الإلبيري، الزاهد. ----- ٧٥٢
- ٢٥٤- و منهم أبو بكر محمد بن أحمد بن إبراهيم، الصدي، الإشبيلي، الأديب البارع. ----- ٧٥٢
- ٢٥٥- و منهم أبو يحيى زكريا بن خطاب، الكلبي، التّطيلي. ----- ٧٥٢
- ٢٥٦- و منهم سعد الخير بن محمد بن سعد، أبو الحسن، الأنصاري، البلسني، المحدث. ----- ٧٥٢
- ٢٥٧- و منهم أبو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون، الإستجي. ----- ٧٥٣
- ٢٥٨- و منهم أبو عثمان سعيد الأعناقى، و يقال: العناقى، القرطبي. ----- ٧٥٣
- ٢٥٩- و منهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف، التجيبي، الإقليشي. ----- ٧٥٣
- ٢٦٠- و منهم أبو الأصبع عبد العزيز بن علي، المعروف بابن الطحان، الإشبيلي، المقرئ. ----- ٧٥٣
- ٢٦١- و منهم أبو الأصبع عبد العزيز بن خلف، المعافري. ----- ٧٥٤
- ٢٦٢- و منهم أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة، السعدي، الشاطبي. ----- ٧٥٤
- ٢٦٣- و منهم الحكيم الطبيب أبو الفضل محمد بن عبد المنعم، الغساني، الجلياني. ----- ٧٥٤
- [٢٦٤ عبد الوهاب بن محمد القرطبي،] ----- ٧٥٥
- [٢٦٥- عبید الله بن المظفر الباهلي] ----- ٧٥٥
- ٢٦٦- و منهم أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن صافي، الغرناطي، القيساني. ----- ٧٥٦
- ٢٦٧- و منهم طالوت بن عبد الجبار، المعافري، الأندلسي. ----- ٧٥٦
- [٢٦٨ ابن خروف علي بن محمد (ابن خروف) القيسي] ----- ٧٥٧
- [٢٦٩- مالك بن مالك الجياني] ----- ٧٥٧

- ٢٧٠- و منهم أبو على بن خميس، و هو منصور بن خميس بن محمد بن إبراهيم، اللخمى من أهل المرية.----- ٧٥٨
- ٢٧١- و منهم منصور بن لب بن عيسى، الأنصارى.----- ٧٥٨
- ٢٧٢- و منهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج، المعافرى.----- ٧٥٨
- ٢٧٣- و منهم محب بن الحسين، من أهل الثغر الشرقى.----- ٧٥٨
- ٢٧٤- و منهم مساعد بن أحمد بن مساعد، الأصبجى.----- ٧٥٨
- ٢٧٥- و منهم أبو حبيب نصر بن القاسم.----- ٧٥٩
- ٢٧٦- و منهم النعمان بن النعمان، المعافرى.----- ٧٥٩
- ٢٧٧- و منهم نعم الخلف بن عبد الله بن أبى ثور، الحضرمى.----- ٧٥٩
- ٢٧٨- و منهم نابت- بالنون- ابن المفرج بن يوسف، الخثعمى.----- ٧٥٩
- ٢٧٩- و منهم ضمام بن عبد الله، الأندلسى.----- ٧٥٩
- [٢٨٠- زرغام بن عروة بن حجاج بن أبى فريعة]----- ٧٦٠
- ٢٨١- و منهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر، المعافرى.----- ٧٦٠
- ٢٨٢- و منهم أبو محمد عبد الله بن حمود، الزبيدى، الإشبلى، ابن عم أبى بكر محمد بن الحسن، الزبيدى، اللغوى.----- ٧٦٠
- ٢٨٣- و منهم عبد الله بن رشيق، القرطبى.----- ٧٦٠
- ٢٨٤- و منهم أبو بكر اليابرى، و يكنى أيضا أبا محمد، و هو عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله.----- ٧٦١
- ٢٨٥- و منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق، اليعصبى، الأندلسى.----- ٧٦١
- ٢٨٦- و منهم أبو محمد عبد الله بن محمد، الصريحى، المرسى، و يعرف بابن مطحنة.----- ٧٦١
- ٢٨٧- و منهم أبو محمد عبد الله بن عيسى، الشلبى.----- ٧٦٢
- ٢٨٨- و منهم أبو محمد عبد الله بن موسى، الأزدى، المرسى، و يعرف بابن برطله.----- ٧٦٢
- ٢٨٩- و منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة، الدانى، الأصبجى.----- ٧٦٣
- ٢٩٠- و منهم أبو محمد عبد الله بن يوسف، القضاعى، المرى.----- ٧٦٣
- ٢٩١- و منهم شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر، الوادى آشى، الحنفى.----- ٧٦٣
- ٢٩٢- و منهم أبو جعفر أحمد بن صابر، القيسى.----- ٧٦٤
- ٢٩٣- و منهم الأستاذ أبو القاسم ابن الإمام القاضى أبى الوليد الباجى.----- ٧٦٥

- ٢٩٤- و منهم الإمام الفاضل الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الساحلي، الغرناطي. ----- ٧٦٥
- ٢٩٥- و من الراحلين من الأندلس الوليد بن هشام، من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين. ----- ٧٦٦
- ٢٩٦- و منهم أبو زكريا الطليطلي، يحيى بن سليمان. ----- ٧٦٧
- ٢٩٧- و منهم أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد، القرطبي، المعروف بالمغيلي. ----- ٧٦٧
- ٢٩٨- و منهم الإمام المحدث أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن سلمة، الأنصاري، الغرناطي. ----- ٧٦٨
- ٢٩٩- و منهم الفاضل الأديب أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي، الغرناطي. ----- ٧٦٨
- ٣٠٠- و منهم الشيخ نور الدين أبو الحسن، المايرقي. ----- ٧٦٩
- ٣٠١- و من الراحلين من أهل الأندلس إلى المشرق ابن عتبة الإشبيلي. ----- ٧٦٩
- ٣٠٢- و من المرتحلين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي، الهراوي. ----- ٧٧٠
- ٣٠٣- و منهم الأديب أبو جعفر الإلبيري. ----- ٧٧٥
- ٣٠٤- و من الراحلين الولي الصالح أبو مروان عبد الملك بن إبراهيم بن بشر، القيسي. ----- ٧٨٤
- ٣٠٥- و منهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار، المالقي، نزيل القاهرة. ----- ٧٨٤
- ٣٠٦- و منهم الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي، القرشي، البسطي، الشهير بالقلصادي. ----- ٧٨٥
- ٣٠٧- و منهم أبو عبد الله الراعي، و هو شمس الدين محمد بن إسماعيل، الأندلسي، الغرناطي. ----- ٧٨٦
- [٣٠٨ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الأزرق] ----- ٧٨٨
- الباب السادس الباب [في ذكر بعض الوافدين على الأندلس من الشرق] ----- ٧٩١
- إشارة ----- ٧٩١
- ١- فمن الداخلين إلى الأندلس المنبذ الذي يقال إنه صحابي رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم. ----- ٧٩١
- [٢-٣ و من التابعين الداخلين الأندلس أميرها موسى بن نصير و حنش الصنعاني] ----- ٧٩٢
- ٤- و من التابعين الداخلين للأندلس أبو عبد الله علي بن رباح، اللخمي. ----- ٧٩٣
- ٥- و من التابعين الداخلين أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الحلبّي. ----- ٧٩٣
- ٦- و من الداخلين من التابعين حبان بن أبي جبله. ----- ٧٩٣
- ٧- و من الداخلين من التابعين فيما ذكر: المغيرة بن أبي بردة نشيط بن كنانة العذري. ----- ٧٩٣
- ٨- و من التابعين حيوة بن رجاء التميمي. ----- ٧٩٤

- ٩- و منهم عياض بن عقبه الفهرى. ----- ٧٩٤
- ١٠- و منهم عبد الله بن شماسه الفهرى. ----- ٧٩٤
- ١١- و منهم عبد الجبار بن أبى سلمه بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى. ----- ٧٩٤
- ١٢- و منهم منصور بن خزامه فيما يذكر. ----- ٧٩٤
- ١٣- و من الداخلين إلى الأندلس مغيث فاتح قرطبه. ----- ٧٩٥
- ١٤- ١٥- و من الداخلين أيوب بن حبيب اللخمى. ----- ٧٩٦
- ١٦- ٢٦- و من الداخلين السّمح بن مالك الخولانى. ----- ٧٩٦
- ٢٧- ٣١- و من الداخلين إلى الأندلس بلج بن بشر بن عياض القشبرى. ----- ٧٩٨
- ٣٢- عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك المعروف بالداخل. ----- ٨٠٢
- ٣٣- و من الوافدين على الأندلس أبو الأشعث الكلبى. ----- ٨١٤
- ٣٤- و من الداخلين إلى الأندلس جزى بن عبدالعزيز، أخو عمر بن عبد العزيز، رضى الله تعالى عنه! ----- ٨١٤
- ٣٥- و منهم بكر بن سواده بن ثمامه، الجذامى. ----- ٨١٥
- ٣٦- و منهم زريق بن حكيم، أحد المعدودين فى الداخلين إلى الأندلس. ----- ٨١٥
- ٣٧- و منهم زيد بن قاصد السكسكى. ----- ٨١٥
- ٣٨- و منهم زرعه بن روح الشامى. ----- ٨١٦
- ٣٩- و منهم محمد بن أوس بن ثابت، الأنصارى. ----- ٨١٦
- ٤٠- و منهم عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم، الأموى. ----- ٨١٦
- ٤١- و من الداخلين من المشرق إلى الأندلس هاشم بن الحسين بن إبراهيم. ----- ٨١٧
- ٤٢- و من الداخلين إلى الأندلس عبد الله بن المغيرة، الكنانى، حليف بنى عبد الدار. ----- ٨١٧
- ٤٣- و منهم عبد الله المعمر الذى طراً على الأندلس فى آخر الزمان. ----- ٨١٧
- ٤٤- و منهم أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسه بن ذئب، المهبرى. ----- ٨١٧
- ٤٥- و من الداخلين إلى الأندلس من المشرق عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسر. ----- ٨١٧
- ٤٦- أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخارى الحافظ. ----- ٨١٨
- ٤٧- و مّتن دخل الأندلس من المشرق عبد الجبار بن أبى سلمه الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف، القرشى، الزهرى. ----- ٨١٩

- ٤٨- و من الداخلين إلى الأندلس من المشرق أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب. ----- ٨١٩
- ٤٩- و منهم عبد الخالق بن إبراهيم الخطيب، يكنى أبا القاسم. ----- ٨١٩
- ٥٠- و منهم أبو محمد عبد اللطيف بن أبي الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله، الهاشمي، الصدفي. ----- ٨١٩
- ٥١- و منهم أبو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن أحمد، الخراساني، الباخري، الماليني. ----- ٨٢٠
- ٥٢- و من الوافدين على الأندلس من أهل المشرق على بن بندار بن إسماعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك، البرمكي، من أهل بغداد. ----- ٨٢٠
- ٥٣- و منهم أبو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد، أبو العلاء، النيسابوري. ----- ٨٢٠
- ٥٤- و منهم سهل بن علي بن عثمان، التاجر، النيسابوري، يكنى أبا نصر. ----- ٨٢٠
- ٥٥- و منهم أبو المكارم هبة الله بن الحسين، المصري. ----- ٨٢١
- ٥٦- و منهم يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله، القيسي، الدمشقي. ----- ٨٢١
- ٥٧- و من الوافدين من المشرق إلى الأندلس إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي، القرشي. ----- ٨٢٢
- ٥٨- و منهم أبو علي القالي، صاحب الأمالي و النوادر. ----- ٨٢٢
- ٥٩- و من الوافدين إلى الأندلس من المشرق أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي، اللغوي. ----- ٨٢٥
- ٦٠- و من الوافدين على الأندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي. ----- ٨٣٥
- ٦١- و من الوافدين على الأندلس ظفر البغدادي. ----- ٨٤١
- ٦٢- و منهم الرازي، و هو محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط، الكناني، الرازي. ----- ٨٤١
- ٦٣- أبو الفضل محمد بن عبد الواحد التميمي الدارمي الوزير] ----- ٨٤١
- ٦٤- و من الوافدين على الأندلس أشهب بن العضد الخراساني. ----- ٨٤٥
- ٦٥- و من الوافدين على الأندلس من المشرق أبو الحسن البغدادي الفكيك. ----- ٨٤٥
- ٦٦- و منهم إبراهيم بن سليمان الشامي. ----- ٨٤٦
- ٦٧- و منهم أبو بكر محمد بن أحمد بن الأزرق] ----- ٨٤٧
- ٦٨- و من الوافدين أبو الحسن علي بن نافع (زرياب) المغني] ----- ٨٤٧
- ٦٩- و من الوافدين من المشرق الأمير شعبان بن كوجبا. ----- ٨٥٢
- ٧٠- و من الوافدين من المشرق على الأندلس أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني. ----- ٨٥٢
- ٧١- و منهم أبو إسحاق إبراهيم بن خلف بن منصور، الغساني، الدمشقي، المعروف بالسهنوري ----- ٨٥٣

- ٧٢- و منهم عبد الله بن محمد بن آدم، القارى، الخراسانى.----- ٨٥٥
- ٧٣- و منهم عبد الرحمن بن داود بن على، الواعظ.----- ٨٥٥
- ٧٤- من النساء الداخلات الأندلس من المشرق عابدة المدنية، أم ولد حبيب بن الوليد المروانى، المعروف بدحون.----- ٨٥٥
- ٧٥- و منهم فضل المدنية.----- ٨٥٦
- ٧٦- و من النساء الداخلات إلى الأندلس من المشرق قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي، صاحب إشبيلية.----- ٨٥٦
- ٧٧- و منهن الجارية العجفاء.----- ٨٥٦
- ٧٨- و من القادمين على الأندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن، الموصلى.----- ٨٥٧
- ٧٩- و منهم أحمد بن الحسن بن الحارث بن عمرو بن جرير بن إبراهيم بن مالك، المعروف بالأشتر، بن الحارث، النخعي.----- ٨٥٧
- ٨٠- و منهم أحمد بن أبى عبد الرحمن، و اسمه يزيد بن أحمد بن عبد الرحمن، القرشى، الزهرى، من ولد عبد الرحمن بن عوف.----- ٨٥٧
- ٨١- و منهم أبو الطاهر إسماعيل بن الإسكندراني.----- ٨٥٧
- ٨٢- و منهم أبو الحسن على بن محمد بن إسماعيل بن بشر، الأنطاكي، الإمام، أبو الحسن، التميمي.----- ٨٥٨
- ٨٣- و منهم عمر بن مودود بن عمر، الفارسى، البخارى، يكنى أبا البركات.----- ٨٥٨
- ٨٤- و منهم الشريف الأجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين.----- ٨٥٨
- ٨٥- و منهم تقى الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أبى العباس أحمد بن الغرس، الحنفى، المصرى.----- ٨٥٩
- ٨٦- و منهم الولى الصالح العارف بالله سيدى يوسف الدمشقى،----- ٨٦٠
- فهرس الرسائل و الخطب و الإجازات للجزء الثالث من كتاب نفع الطيب.----- ٨٦٠
- فهرس الجزء الثالث.----- ٨٦١
- [الجزء الرابع]----- ٨٦٨
- إشارة.----- ٨٦٨
- [تتمة القسم الاول]----- ٨٦٨
- الباب السابع [فى نبذة مما من الله به على أهل الأندلس]----- ٨٦٨
- إشارة.----- ٨٦٨
- [ابن غالب يذكر فضائل الأندلس و الأندلسيين فى كتابه «فرحة الأنفس»].----- ٨٦٨
- [ابن سعيد يذكر محاسن الأندلس و الأندلسيين]----- ٨٦٩

- ٨٧٠ [الحميدى يذكر محاسن الأندلس و الأندلسيين]
- ٨٧٠ [ابن بسام و الحجارى يذكران محاسن الأندلس و الأندلسيين]
- ٨٧١ [رسالة ابن حزم فى فضائل الأندلسيين]
- ٨٧٩ [تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم]
- ٨٨٢ [رسالة الشقندى فى فضل الأندلس و الأندلسيين]
- ٨٩٣ [شمائل أهل الأندلس]
- ٨٩٤ [فضائل البلاد]
- ٨٩٤ [اشارة]
- ٨٩٤ [محاسن إشبيليته]
- ٨٩٥ [قرطبة]
- ٨٩٦ [جيان]
- ٨٩٦ [غرناطة]
- ٨٩٧ [المرية]
- ٨٩٨ [مرسية]
- ٨٩٨ [بلنسية]
- ٨٩٨ [جزيرة ميورقة]
- ٩٠٠ [بعض حكايات و أشعار الأندلسيين]
- ٩٠٠ [اشارة]
- ٩٠٣ [مذهب الأندلسيين]
- ٩٠٣ [من شعر ابن يغمور]
- ٩٠٤ [الوزير أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافى]
- ٩٠٥ [بين المعتمد و البطليوسى النحلى]
- ٩٠٦ [ابن عبد البر يفتى بجواز أكل طعام الأمراء]
- ٩٠٧ [أبو بكر يحيى بن مجير الفهرى]

- ٩٠٨ [من شعر الأندلسيين]
- ٩٠٩ [سرعة ارتجال الأندلسيين]
- ٩١٠ [بين ابن شهيد و ابن أبي عامر]
- ٩١٠ [ابن شهيد عند القاضي ابن ذكوان]
- ٩١١ [بين ابن شهيد و جماعة من أصحابه]
- ٩١٢ [بين أبي العلاء بن زهر و ابن رزين]
- ٩١٢ [عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة في قرطبة]
- ٩١٣ [بين ابن ظافر و الملك الأشرف الأيوبي]
- ٩١٤ [بعض بدائع ابن ظافر]
- ٩١٦ [من ارتجال ابن قلاش الاسكندري]
- ٩١٨ [عود إلى كلام أهل الأندلس]
- ٩٣٣ [البطليوسي و أولاد ابن الحاج]
- ٩٣٤ [من ملح ابن الرقاق]
- ٩٣٦ [من ملح السميصر و لابن رزين و لسلطان بلنسية]
- ٩٣٦ [من ملح البطليوسي المتمس و لابن غالب و لابن فرج السميصر]
- ٩٣٧ [من ملح ابن برد و لابن عبدون و لأبي الفضل بن حسداي]
- ٩٣٨ [بين ابن عبد ربه و يحيى القلفاط]
- ٩٣٨ [من مروءة ابن جبير الرحالة]
- ٩٣٨ [من شعر أبي عمران المارتلي الزاهد]
- ٩٣٩ [من شعر أبي الصلب أمية بن عبد العزيز]
- ٩٤٠ [من شعر ابن خفاجة]
- ٩٤٠ [من مجون أهل الأندلس]
- ٩٤٣ [من شعر ابن الأبار و ترجمة ابن الأبار]
- ٩٤٤ [لجماعة من شعراء الأندلس]

- ٩٤٥ [أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير]
- ٩٤٧ [عود إلى ملح أهل الأندلس]
- ٩٤٨ [أبو أمية بن عفيرة قاضي إشبيلية]
- ٩٤٨ [علي بن ظافر و يعقوب]
- ٩٥١ [من محاسن أبي الحجاج البياسي]
- ٩٥١ [ابن صارة و إخوان له]
- ٩٥٢ [بين ابن خفاجة و ابن وهبون و ابن خفاجة و أصحاب له]
- ٩٥٣ [بين السميسر و بعض رؤساء المرية]
- ٩٥٣ [عباد بن الحريش و رجال من سراة أصفهان]
- ٩٥٤ [أبو الصلت و إخوان له]
- ٩٥٤ [للوزير الوقشي في غلام أسود]
- ٩٥٤ [أبو يحيى اليكى]
- ٩٥٥ [من شعر ابن مفيد و جماعة من أهل الأندلس]
- ٩٥٦ [ابن عمار و غلامان من بنى جهورا]
- ٩٥٦ [ابن عمار و ابن معيشة الكنانى و ايضا ابن عمار و غلام لابن هود]
- ٩٥٧ [المعتصم بن صمادح]
- ٩٥٧ [بعض ما قيل في البعوض]
- ٩٥٨ [عود إلى أهل الأندلس]
- ٩٥٩ [في وصف الأهرام و في وصف فرس]
- ٩٦١ [بكار المروانى]
- ٩٦٣ [محمد بن أيوب المروانى]
- ٩٦٤ [للمطرف بن عمر المروانى]
- ٩٦٥ [بين الأمير هشام بن عبد الرحمن و أخيه]
- ٩٦٥ [بين سعيد بن اضحى و بعض الشعراء]

- ٩٦٧ [ابن الحجارى و القاضى اللوشى]
- ٩٦٧ [ابن ابن بقى و التطيلى الأعمى]
- ٩٦٨ [بدر الدين الحسن بن زفير يصف حماما ببغداد]
- ٩٦٩ [وصف دار جمال الملك البغدادى]
- ٩٧٠ [بعض ما قيل فى الحمام]
- ٩٧٠ [عود إلى ملح أهل الأندلس]
- ٩٧٣ [من شعر ابن شهيد]
- ٩٧٦ [ابن ابن غصن و ابن ذى النون و ابن هود]
- ٩٧٧ [ابن أبى عامر و الرمادى]
- ٩٧٨ [من عدل المعتصم بن صمادح]
- ٩٧٨ [عز الدولة بن المعتصم بن صمادح]
- ٩٧٩ [ابن ابن اللبائى و عز الدولة بن المعتصم]
- ٩٧٩ [من شعر عز الدولة بن المعتصم و رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح]
- ٩٨٠ [من شعر أبى جعفر بن المعتصم و لابن زهر و لابن شرف و لابن خفاجة]
- ٩٨١ [من شعر البياسى و لابن حريق و لأبى الحسن بن الفضل]
- ٩٨١ [قصة فى الوفاء و القيام بحق الإخاء]
- ٩٨٢ [قصة فى علو الهمة]
- ٩٨٢ [عباس بن فرناس حكيم الأندلس]
- ٩٨٣ [أول من اشتهر فى الأندلس بالحساب و النجوم]
- ٩٨٤ [مثل من حفظ أهل الأندلس]
- ٩٨٥ [ابن سيده و شىء من شعره]
- ٩٨٥ [المظفر بن الأفطس و حبه للعلم]
- ٩٨٦ [من كبار مؤلفات أهل الأندلس و من دعايات أهل الأندلس]
- ٩٨٧ [من ملح الزهرى خطيب إشبيلية]

- ٩٨٧ [ابن ورد و أحد الأعيان]
- ٩٨٨ [من ملح ابن الطراوة نحوى المرية]
- ٩٨٨ [مدغليس صاحب الموشحات و الأزجال]
- ٩٨٩ [لابن الفراء و ترجمته و جده]
- ٩٨٩ [ابن الفراء الأخفش بن ميمون]
- ٩٩٠ [ابن مسعود و الطليق القرشى]
- ٩٩١ [ابن جارية و شاعر من المرية و بين البياسى و شيخ ثقليل]
- ٩٩١ [أبو على بن حسون قاضى مالقة]
- ٩٩٢ [موقف لابن الفخار]
- ٩٩٣ [لابن شرف]
- ٩٩٤ [من شعر الحكيم الفيلسوف أبى الفضل الجذامى]
- ٩٩٥ [أبو عبد الله محمد بن معمر ابن أخت غانم]
- ٩٩٦ [ابن أبى عبدون و ابن ضابط]
- ٩٩٦ [ابن الغليظ و ابن السراج]
- ٩٩٧ [العطاء الملقى فى وصف غادة]
- ٩٩٧ [أبو القاسم السهيلي]
- ٩٩٨ [ابن السهيلي و الرصافى]
- ٩٩٨ [أبو الفضل بن حسداى الوزير الكاتب]
- ٩٩٩ [أبو الربيع السرقسطى و بين على بن خير و ابن عبد الصمد السرقسطى]
- ٩٩٩ [قصة من رقة طباع الأندلسيين]
- ١٠٠٠ [ابن ابن خفاجة و ابن عنق الفضة]
- ١٠٠١ [من شعر أبى بكر بن سدرى الوزير]
- ١٠٠٢ [من شعر مروان بن عبد العزيز ملك بلنسية]
- ١٠٠٢ [من شعر أبى عامر بن الفرج الوزير]

- ١٠٠٣-----[من شعر أبي الحسن علي بن حريق]
- ١٠٠٤-----[لأبي جعفر بن الذهبي]
- ١٠٠٤-----[بين المعتصم بن صمادح و خلف السمسير]
- ١٠٠٥-----[من شعر صارة و من شعر ابن الزقاق]
- ١٠٠٦-----[من شعر أبي تمام غالب بن رباح الحجام]
- ١٠٠٨-----[من شعر ابن زقاق و ابن مسعدة]
- ١٠٠٩-----[من شعر أبي بكر محمد بن أرزق و أبي جعفر بن أرزق و أبي القاسم بن أرزق و راشد بن عريف]
- ١٠٠٩-----[من شعر ابن عائش]
- ١٠١٠-----[من شعر أبي الحسن بن شعيب و أبي حامد بن شعيب و أبي الحسن بن رجاء و أبي محمد بن الفتاح]
- ١٠١١-----[من شعر أبي مروان عبد الملك بن غصن]
- ١٠١٢-----[من شعر إبراهيم الحجاري]
- ١٠١٢-----[من شعر ابن خيرة الاشبيلي و أبي جعفر الاشبيلي و الوزير أبي الوليد إسماعيل]
- ١٠١٤-----[للوزير أبي الحسن بن حصن]
- ١٠١٤-----[للوزير ابن طريف]
- ١٠١٥-----[من شعر أبي العباس الخزرجي و أبي سليمان بن أبي أمية و أبي علي عمر بن أبي خالد]
- ١٠١٥-----[من شعر عبد الله المهيريس]
- ١٠١٥-----[من شعر أبي بكر بن البناء]
- ١٠١٦-----[حديث عن بني زهر]
- ١٠١٧-----[من شعر أبي الوليد بن حزم]
- ١٠١٨-----[من شعر ابن عبد ربه و أبي عبد الله الرندي]
- ١٠١٩-----[من شعر المعتمد بن عباد و ابن الفرغ الجياني]
- ١٠١٩-----[من شعر الرصافي و ابن عبد ربه و ابن صارة و الغزال و أبي حيان]
- ١٠٢٠-----[من شعر ابن شهيد]
- ١٠٢٠-----[من شعر أبي بكر بن بقي]

- ١٠٢١ ----- [فى لبس الأندلسيين البياض فى الحزن]
- ١٠٢١ ----- [من شعر أبى جعفر بن خاتمة]
- ١٠٢١ ----- [من شعر القسطلّى يصف هول البحر]
- ١٠٢٢ ----- [من شعر الرمادى و ابن صارة يصف النار]
- ١٠٢٢ ----- [من شعر ابن لبال و ابن شهيد و محمد بن هانى]
- ١٠٢٣ ----- [من ابن عمار إلى ابن رزين]
- ١٠٢٣ ----- [من شعر ابن الجد و ابن عبد ربه و النحلى و ابن شهيد]
- ١٠٢٤ ----- [أبى عمر بن أبى محمد الوزير]
- ١٠٢٥ ----- [بين ابن عياش و ابن زرقون]
- ١٠٢٥ ----- [بين ابن عبد ربه و فتى يهواه]
- ١٠٢٥ ----- [من شعر غانم الملقى و ابن بقى و الأبيض و ابن صارة و ابن عبدون البنسى]
- ١٠٢٦ ----- [من شعر الوزير ابن الحكيم و أبى جعفر بن برطال و ابن خفاجة و أبى الوليد بن الحضرمى]
- ١٠٢٧ ----- [من شعر أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطلال البطليوسى]
- ١٠٢٨ ----- [من شعر إبراهيم البطليوسى و شعر القلندر البطليوسى]
- ١٠٢٨ ----- [من شعر ابن جاح الصباغ و الكميت البطليوسى]
- ١٠٢٩ ----- [من شعر محمد بن البين البطليوسى]
- ١٠٢٩ ----- [بين المتوكل و مضحك يدعى «الخطارة»]
- ١٠٢٩ ----- [من شعر أبى زيد بن مولود الوزير و عبد المجيد بن عبدون الفهرى البابرى]
- ١٠٣٠ ----- [ضوابط لحروف الزيادة]
- ١٠٣١ ----- [من شعر عبد الله بن الليث و أبى القاسم بن الأبرشى]
- ١٠٣١ ----- [من شعر أبى الحسين على بن بسام الشنترينى و أبى عمر بن كوثر]
- ١٠٣٢ ----- [من شعر أبى محمد بن سارة و منذر الأشبونى و خلف القطينى و أبى محمد بن السيد النحوى]
- ١٠٣٢ ----- [من شعر ابن خفاجة و الرصافى و أبى بكر بن حبيش]
- ١٠٣٣ ----- [من شعر أبى الحسن بن جابر و أبى بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبلى]

- ١٠٣٤ [من شعر صفوان و من شعر أبي بكر بن يوسف و أبي القاسم القبتورى]
- ١٠٣٤ [من شعر أبي الحسن بن الحاج و أحمد بن أمية البلنسى و ابن برطله و ابن خروف]
- ١٠٣٥ [من شعر أبي بكر بن مالك و أبي الحسن بن حريق و أبي الحسن بن زقاق]
- ١٠٣٥ [من شعر أبي بكر بن الجزار السرقسطى و أبي عبد الله الجذامى]
- ١٠٣٦ [من شعر سلمة بن أحمد و أبي الحسن بن حزمون]
- ١٠٣٦ [من شعر أبي بكر بن مالك و أبي بكر بن مالك و القاضى ابن السليم]
- ١٠٣٧ [من شعر الوزير ابن أبي الخصال و الرصافى]
- ١٠٣٧ [من شعر ابن باجة و ابن الابار و أبي العباس أحمد الإشبلى]
- ١٠٣٨ [من شعر ابن زهر الحفيد و أبي بكر بن زهر الأصغر]
- ١٠٣٨ [من شعر أبي جعفر عمر ابن صاحب الصلاة و أبي بكر محمد ابن صاحب الصلاة فى عمرو بن مذحج]
- ١٠٣٩ [من شعر ابن السيد البطليوسى فى عمرو بن مذحج و ابن عبدون و جواب عمرو بن مذحج]
- ١٠٤٠ [العمرو بن مذحج فى أبي العلاء بن زهر و محمد بن مذحج]
- ١٠٤٠ [من شعر أبي الوليد بن مذحج]
- ١٠٤١ [من شعر أبي الحسين بن فندله و أبي العباس بن سيد فى ابن فندله و أبي القاسم بن حسان]
- ١٠٤١ [من شعر أبي بكر بن مرتين و القاضى ابن زرقون]
- ١٠٤٢ [من شعر أبي عبد الله محمد بن عمر الإشبلى و أبي بكر الزبيدى و أبي بكر بن طلحة الإشبلى]
- ١٠٤٣ [من شعر أبي جعفر بن الأبار الإشبلى و أبي القاسم العطار الإشبلى]
- ١٠٤٤ [من شعر أبي عمرو الإشبلى و أبو الحسن على بن جابر الدباج الإشبلى]
- ١٠٤٤ [من شعر مالك بن وهيب الإشبلى]
- ١٠٤٥ [من شعر أبي الصلت أمية بن عبد العزيز]
- ١٠٤٧ [من شعر عبد الرحمن بن سبلاق و أبي بكر محمد بن نصر الإشبلى و أحمد بن محمد الإشبلى]
- ١٠٤٨ [من شعر ابن الأصغ بن سيد و إبراهيم بن خيرة الصباغ و أبي بكر بن حجاج]
- ١٠٤٨ [من شعر أبي عبد الله الرصافى و أبي جعفر بن الجزار و أبي جعفر بن البنى]
- ١٠٤٩ [من شعر أبي المطرف أحمد بن عميرة و أبي جعفر أحمد بن طلحة]

- ١٠٥٠ [من شعر أبي إسحاق بن خفاجة و أبي بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأبيض]
- ١٠٥١ [من شعر أبي علي عمر الشلوبين النحوي و أبي إسحاق إبراهيم الإلبيري و أبي بكر بن عبادة القزاز]
- ١٠٥٢ [من شعر أبي الحسن بن نزار و خبره]
- ١٠٥٣ [بين ابن نزار و أبي جعفر بن سعيد]
- ١٠٥٤ [بين ابن نزار و ابن سعيد و الكتندی]
- ١٠٥٥ [من شعر أبي الأصبع عبد العزيز بن الأرقم و أبي عامر بن أبي الأصبع]
- ١٠٥٦ [من شعر أبي محمد عبد البر بن فرسان و حاتم بن حاتم العنسي]
- ١٠٥٦ [من شعر التطيلي الأعمى]
- ١٠٥٦ [ابن ظافر و القاضي المؤيد]
- ١٠٥٧ [من شعر ابن شعبة الوادي آشي و ابن الحداد الوادي آشي]
- ١٠٥٩ [الوزير الفقيه أبو بلال و من شعر ابن البراق]
- ١٠٦٠ [من شعر أبي محمد عبد الله و علي بن مهلهل الجلياني و يحيى بن مطروح]
- ١٠٦٠ [من شعر أبي بكر محمد بن نصر الأوسي و أبي عبد الله محمد بن علي اللوشي]
- ١٠٦١ [من شعر أبي محمد عبد المولى اللوشي و أخباره]
- ١٠٦٣ [من شعر حاتم بن سعيد و مالك بن محمد بن سعيد]
- ١٠٦٤ [بين محمد بن غالب و الكتندی و أبي جعفر بن سعيد]
- ١٠٦٥ [من شعر أبي جعفر بن سعيد]
- ١٠٦٦ [بين ابن الصابوني و أحد الأدباء و من شعر ابن الصابوني و بعض أخباره]
- ١٠٦٧ [بين ابن الخصال و القاضي ابن مالك]
- ١٠٦٨ [بين أبي بكر بن المنخل و ابنه]
- ١٠٦٨ [من شعر ابن المرغوي]
- ١٠٦٩ [من شعر نسيم الإسرائيلي و إبراهيم بن سهل الإسرائيلي و ترجمته]
- ١٠٧١ [من توجيهات ابن سهل باصطلاحات النحاة]
- ١٠٧٢ [إبراهيم بن الفخار اليهودي]

- ١٠٧٣ [ابن الياس بن المدور اليهودى و طبيب آخر]
- ١٠٧٣ [قسمونة بنت إسماعيل الشاعرة]
- ١٠٧٤ [من شعر أبى عبد الله بن رشيق القلعى و حديث عن ابن رشيق القلعى]
- ١٠٧٤ [من شعر أبى عيسى لب بن عبد الوارث القلعى]
- ١٠٧٥ [من شعر جابر بن خلف الفحصى]
- ١٠٧٥ [من شعر أبى يحيى بن الرميمى]
- ١٠٧٦ [من شعر أبى بحر يوسف بن عبد الصمد و أبى جعفر أحمد بن عباس الوزير]
- ١٠٧٧ [من شعر أبى بكر التطيلى الأعمى و أبى جعفر أحمد بن الخيال الإستبى]
- ١٠٧٧ [من شعر عبد الملك بن سعيد الخازن و محمد بن الأستجى (زحكون)]
- ١٠٧٨ [من شعر المقدم بن المعافى و عبد الملك بن نظيف]
- ١٠٧٨ [من شعر هلال البيانى بن حمدين]
- ١٠٧٩ [ابن الزجالى و الاسكندرانى الوزير و بين الزجالى و ابنه حامد]
- ١٠٨٠ [من شعر الوزير أبى عبد الله بن عبد العزيز و ترجمته]
- ١٠٨٠ [من شعر الوزير أبى الفرج و ترجمته]
- ١٠٨١ [من شعر الوزير أبى عامر بن مسلمة و ترجمته]
- ١٠٨٢ [من شعر الوزير أبى حفص أحمد بن برد و ترجمته]
- ١٠٨٣ [من شعر الوزير أبى جعفر اللمائى و ترجمة الوزير حسان بن مالك و بعض شعره]
- ١٠٨٤ [ترجمة الوزير أبى أيوب بن أبى أمية]
- ١٠٨٥ [ترجمة الوزير أبى القاسم بن عبد الغفور]
- ١٠٨٦ [من شعر الوزير أبى الوليد بن حزم]
- ١٠٨٧ [من شعر ابن أبى زمنين و ترجمته]
- ١٠٨٧ [من شعر خلف بن هارون يمدح بن حزم]
- ١٠٨٧ [ترجمة الحافظ ابن حزم]
- ١٠٨٨ [ترجمة أبى عبد الله بن مسرة]

- ١٠٨٨ [فرار أبي عبد الله الخشني من المناصب]
- ١٠٨٨ [من دعايات أهل الأندلس]
- ١٠٨٩ [من أجوبة ملوك الأندلس و من شجاعه الأندلسيين]
- ١٠٨٩ [ترجمة حريز بن عكاشة]
- ١٠٩١ [ابن المقندر و غلام نشأ عنده]
- ١٠٩٢ [الأمير أبو عبد الله بن مردنيش]
- ١٠٩٢ [من ظرف أهل الأندلس]
- ١٠٩٣ [من شعر ابن عبد ربه و من سعة اطلاع ابن زيدون]
- ١٠٩٣ [من شعر أبي الربيع سليمان بن علي الشلبي و ابن مهران و ابن السيد البطليوسي و ابن صارة]
- ١٠٩٤ [من شعر عبد الملك بن رزين و ابن عبد ربه]
- ١٠٩٤ [من أنفة الأندلسيين]
- ١٠٩٥ [من كرم الأندلسيين و من شعر أبي العرب الصقلي]
- ١٠٩٦ [من كرم الوزير أبي بكر بن عبد العزيز و كرم المعتمد بن عباد]
- ١٠٩٧ [من شعر الحجارى]
- ١٠٩٧ [من شعر أبي العلاء إدريس بن أزرق و محمد بن هشام المروانى]
- ١٠٩٨ [من شعر أحمد بن هشام المروانى و علو همته]
- ١٠٩٨ [المنذر بن عبد الرحمن الأوسط]
- ١٠٩٩ [من شعر المنذر بن عبد الرحمن و من كرم نفس المنذر بن عبد الرحمن]
- ١١٠٠ [المطرف بن عبد الرحمن الأوسط]
- ١١٠٠ [من شعر هشام بن عبد الرحمن الأوسط و يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط]
- ١١٠١ [ابن الأميرين محمد و أبان ابني عبد الرحمن الأسط أبنائه و شيء من شعرهم]
- ١١٠٢ [من شعر محمد بن المنذر بن محمد و عبد الله بن الناصر]
- ١١٠٢ [من جود بعض ملوك إفريقية و بين عبد الله المروانى و صديق و مقتل عبد الله بن الناصر و]
- ١١٠٣ [من شعر عبد العزيز بن الناصر و محمد بن الناصر]

- ١١٠٣-----[من شعر محمد بن عبد الملك بن الناصر]
- ١١٠٤-----[من شعر مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك]
- ١١٠٦-----[من شعر أحمد بن سليمان بن أحمد]
- ١١٠٦-----[من شعر أبي عبد الله محمد بن محمد بن الناصر و عبد الله بن محمد المهدي (الأقرع)]
- ١١٠٧-----[من شعر سليمان بن المرتضى بن محمد (الغزال)]
- ١١٠٧-----[من شعر سعيد بن محمد المرواني]
- ١١٠٨-----[من شعر القاسم بن محمد المرواني و الأصم المرواني و أحمد المرواني]
- ١١٠٩-----[من شعر الأصغ القرشي و سليمان بن عبد الملك الأموي و أبي يزيد بن العاصي]
- ١١١٠-----[من شعر أبي الحجاج المنصفي]
- ١١١٠-----[بين ابن مرج الكحل و طبيب]
- ١١١٠-----[من شعر أبي محمد غانم بن وليد و أبي جعفر اللمائي و أبي عامر بن نيق]
- ١١١١-----[من شعر أبي الحسن اللورقي و أبي عيسى بن لبون و أبي عامر بن الحماره و أبي العباس بن السعود]
- ١١١١-----[من شعر الحكم بن علندة و القاضي أبي موسى بن عمران و أبي بكر بن الجزار السرقسطي]
- ١١١٢-----[من شعر أبي محمد بن حزم و ابن صارة و أبي القاسم بن العطار]
- ١١١٣-----[من شعر سهل بن مالك و ابن صارة و صفوان بن إدريس و أبي جعفر بن وضاح]
- ١١١٣-----[من شعر الوزير ابن عمار و أبي الحسن بن سعد الخير و ابن أبي الخصال]
- ١١١٤-----[من شعر ابن صارة و الخفاجي و ابن وضاح]
- ١١١٤-----[من شعر ابي اسحاق خولاني و ابن الابار و حازم]
- ١١١٥-----[من شعر ابن سعد الخير و ابن نزار الوادي أشي و بعضهم في القراسيا و بعضهم يصف معاهد أنسه]
- ١١١٦-----[من شعر الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانيء]
- ١١١٦-----[كتاب شذور الذهب لعلی بن موسى]
- ١١١٦-----[مثل من سرعه بديهه الأندلسيين]
- ١١١٧-----[بين المعتمد بن عباد و ابن جاح الصباغ و بين الوزير ابن عمار و ابن جاح الصباغ]
- ١١١٨-----[بين الوزير ابن عمار و يحيى القصاب]

- ١١١٨ [ابن المتوكل و ابن عبدون و بين ابن الغليظ و ابن السراج]
- ١١١٨ [بين ابن عبادة و ابن القابلة]
- ١١١٩ [بين ابن شهيد و أبي جعفر وزير الصقلي]
- ١١١٩ [بين ابن عباد و ابنه الرشيد و بين الفقيه على بن القاسم و جماعة من أصحابه]
- ١١٢٠ [بين الأمير عبد الرحمن و عبد الله بن الشمير و بين الأمير عبد الرحمن و محمد بن سعيد الزجالي]
- ١١٢١ [بين ابن عباد و ابن المرزبان]
- ١١٢١ [ابن الصيرفي يزيد على بيت لابن السمط]
- ١١٢١ [في حضرة العالي بالله الإدريسي]
- ١١٢١ [في حضرة عبد الرحمن بن الحكم و في حضرة المعتمد بن عباد]
- ١١٢٢ [بين المعتمد و الوزير ابن عمار و بين المعتمد بن عباد و ابن حمديس الصقلي]
- ١١٢٣ [بين عبد الرحمن الناصر و جماعة من خواصه]
- ١١٢٣ [بين ابن صارة و ابن القبطرنة]
- ١١٢٤ [بين أبي بكر بن الزبيدي و أبي الحسن المصحفي و من شعر أبي بكر بن الزبيدي]
- ١١٢٥ [بين سهل بن مالك و جماعة من الأدباء]
- ١١٢٥ [بين ابن مطروح البلنسي و أبي الربيع الكلاعي]
- ١١٢٦ [بين ابن حمدون و الشلوبين]
- ١١٢٦ [من عفو المعتصم بن صمادح و من شعر أبي عبد الله الرصافي]
- ١١٢٦ [من شعر أبي بكر محمد بن يحيى الشلطي و أبي بكر بن العطار اليايسي و محمد بن الحسن الجيلي]
- ١١٢٧ [من شعر محمد بن حرب و محمد بن اليسع]
- ١١٢٧ [من شعر أحمد بن أفلح و أحمد بن تليد و إسحاق بن المنادي]
- ١١٢٨ [من شعر غالب بن عبد الله الثغري و الوزير أبي الحسن الغرناطي]
- ١١٢٨ [من شعر الوزير أبي عامر بن الحمارة و ابن بقي]
- ١١٢٩ [بين ابن عبادة و ابن القابلة]
- ١١٢٩ [من شعر ابن خروف]

- ١١٢٩ [بين ابن خفاجة و ابن عائشة و ابن الزقاق]
- ١١٣٠ [من شعر الحسين بن الضحاك:]
- ١١٣٠ [من شعر أبي بكر بن حبيش و أبي بكر اللخمي]
- ١١٣١ [بين أبي زيد بن أبي العافية و ابن العطار]
- ١١٣٢ [بين ثلاثة أدباء]
- ١١٣٢ [من شعر أبي إسحاق بن خفيف و أبي الصلت و بعض المغاربة ٣٩١]
- ١١٣٢ [من شعر عبد الله القرطبي و ابن هذيل الفزاري و ابن الزقاق]
- ١١٣٣ [من شعر أبي حيان و أبي العباس بن سعيد و السميسر]
- ١١٣٣ [من شعر ابن خفاجة و بعض الأندلسيين و يحيى بن هشام القرطبي]
- ١١٣٤ [من شعر أبي جعفر البلنسي و أبي العباس القيجاطي و أبي العباس المالقي]
- ١١٣٤ [جازه بين أبي القاسم بن عبد المنعم و أبي عبد الله الشاطبي و أبي بكر بن طاهر]
- ١١٣٥ [من شعر أبي بكر بن عباد و أبي بكر بن قزمان و ترجمته]
- ١١٣٦ [من شعر أبي بكر بن القوطية و من شرع القاضي يونس بن عبد الله بن مغيث ترجمته]
- ١١٣٧ [من شعر ابن سيده و ترجمته:]
- ١١٣٧ [من شعر أبي محمد غانم بن الوليد المالقي]
- ١١٣٨ [ابن عبد البر- ترجمته و شعره]
- ١١٣٩ [من شعر أبي بكر بن أبي الدوس و أخباره و أبي الفضل بن الأعلم و أخباره]
- ١١٤١ [الرمادي: ترجمته و بعض شعره]
- ١١٤٤ [ابن هانئ: ترجمته و بعض شعره]
- ١١٤٨ [أبو أحمد بن فرج الجياني: ترجمته و بعض شعره]
- ١١٤٩ [أبو عبد الله محمد بن الحداد: ترجمته و بعض شعره]
- ١١٥٠ [الأسعد بن بليطه: ترجمته و بعض شعره]
- ١١٥١ فهرس الرسائل و الخطب و المراجعات للجزء الرابع من كتاب نفح الطيب
- ١١٥٢ فهرس موضوعات الجزء الرابع

- ١١٦٩ [الجزء الخامس]
- ١١٦٩ [تتمة القسم الاول]
- ١١٦٩ صلة الباب السابع
- ١١٦٩ اشارة
- ١١٦٩ [أبو عبد الله بن عائشة: ترجمته و بعض شعره]
- ١١٧٠ [من شعر أبي عمرو يزيد بن عبد الله اللخمي الإشبيلي]
- ١١٧١ [من شعر ابن الحداد و أبي الحسن بن حريق]
- ١١٧١ [من شعر علي بن محمد الإيادي التونسي]
- ١١٧٢ [من شعر أبي عمر القسطلي و ابن خفاجة و ابن الأبار]
- ١١٧٣ [من شعر أبي العباس الأعمى و عبيد الجليل بن وهبون]
- ١١٧٣ [من شعر ابن خفاجة و عبيد الله بن جعفر الإشبيلي و أبي الحسن علي بن جدر الزجال]
- ١١٧٤ [من شعر أحمد المعروف بالكساد و أبي القاسم الحضرمي المنيشي و أبي زيد عبد الرحمن العثماني]
- ١١٧٤ [من شعر أبي زكريا يحيى بن محمد الأركشي و أبي عمران الطرياني و أبي عمرو بن الحكم و أبي الحسن علي بن الجعدى القرموني]
- ١١٧٥ [من شعر أبي الحسن بن لبال و أبي العباس الشريشي و أبي جعفر الشريشي و عمرو بن غياث]
- ١١٧٦ [من شعر الوزير أبي بكر بن أبي مروان و أبي القاسم بن أبي بكر و عبد الله الجزيري]
- ١١٧٧ [من شعر عبد الملك الجزيري]
- ١١٧٧ [من شعر أبي الحسن علي بن حفص الجزيري]
- ١١٧٨ [من شعر أبي الحسن بن سعيد و أحمد بن بلال]
- ١١٧٨ [من شعر أبي الوليد القسطلي و أبي كثير الطريفي و أبي عامر بن الجد]
- ١١٧٩ [من شعر أبي عبد الله الشلبي و أبي بكر محمد بن الملح]
- ١١٨٠ [من شعر أبي بكر محمد بن عبد القادر الشلبي و أبي الحسن علي ابن السيد البطليوسي]
- ١١٨٠ [من شعر أبي بكر محمد بن الروح الشلبي و أبي بكر بن المنخل]
- ١١٨١ [من شعر ابن صارة في ابن الأعلم]
- ١١٨١ [من شعر الرمادي و أبي الفضل بن الأعلم و ترجمته و ترجمة أبيه]

- ١١٨٢ [من شعر أبي علي إدريس بن اليماني العبدري]
- ١١٨٢ [مهاجة بين ابن طيفور و الحافظ الهيثم]
- ١١٨٣ [من شعر الحجاري صاحب المسهب و بحث في ضبط كلمة المسهب]
- ١١٨٤ [أخبار تتعلق بسبويه و كتابه في النحو]
- ١١٨٤ اشارة
- ١١٨٧ [نسب سبويه و تفسير لقبه]
- ١١٨٨ [من شعر الإلبيري و ابن صارة و ابن هانيء الأندلسي]
- ١١٨٨ [من شعر القسطلي و أبي العباس الجراوي و أبي بحر صفوان بن إدريس]
- ١١٨٩ [من شعر أبي بكر بن مجبر و بعضهم في الباذنجان و ابن خروف في وصف دمشق]
- ١١٩٠ [من شعر أبي القاسم بن هشام و أبي الوليد الوقشي]
- ١١٩٠ [من شعر أبي الحسن بن عيسى و أبي ذر الخشني]
- ١١٩١ [من شعر محمد بن أبي خالص الرندي و عبد الملك بن مفوز و ابن زيدون]
- ١١٩١ [من شعر الهيثم فيمن أصابه جرب و أبي الحسين النفزي]
- ١١٩١ [من شعر ابن صارة و المعتمد بن عباد]
- ١١٩٣ [من شعر ابن زيدون و المعتمد بن عباد]
- ١١٩٣ [أو من تطير الرشيد بن المعتمد]
- ١١٩٤ [من شعر المعتمد]
- ١١٩٤ [بين المعتمد و ابن اللبائنة و من شعر ابن اللبائنة]
- ١١٩٥ [من شعر لسان الدين بن الخطيب]
- ١١٩٦ [ابن زيدون يمدح المعتمد بن عباد]
- ١١٩٧ [من شعر أبي القاسم أسعد يمدح المعتمد و من شعر ابن خلسة المكفوف]
- ١١٩٧ [من شعر ابن الحداد]
- ١١٩٨ [من شعر ابن وهبون و ابن أبي وهب و ابن اللبائنة]
- ١١٩٨ [من شعر القزاز و أبي الحسن بن الحاج]

- ١٢٠٠ [من شعر ابن خفاجة]
- ١٢٠١ [من شعر ابن الرفاء و أبي محمد بن عبد البر و أبي القاسم السمسير]
- ١٢٠٢ [من شعر ابن شاطر السرقسطى و الحصرى و عبد الصمد]
- ١٢٠٣ [من شعر ابن عبد الحميد البرجى و عبادة و ابن المطرف المنجم]
- ١٢٠٣ [من شعر أبى الحسن بن اليسع و بين المستنصر و ابن سيد الناس و من شعر أبى العباس الرصافى]
- ١٢٠٤ [من شعر أبى الربيع بن سالم و أبى القاسم بن الأبرش و أبى الحسن بن حريق]
- ١٢٠٤ [من شعر أبى القاسم بن العطار الإشبلى و أبى العباس اللص و أبى إسحاق الإلبيرى]
- ١٢٠٥ [من شعر الوزير أبى الوليد بن مسلمه و أبى الطاهر إسماعيل الخشنى و أبى المعالى الإشبلى]
- ١٢٠٥ [من شعر أبى القاسم بن الأتقر السرقسطى و أبى وهب الزاهد و أبى عبد الله بن محمد بن فتح و أبى القاسم محمد بن نصير]
- ١٢٠٦ [بين محمد بن ميمون و أبيه فى جارية]
- ١٢٠٧ [من شعر المعتمد بن عباد و أبى عامر البريانى]
- ١٢٠٧ [من شعر السمسير و أبى بكر بن منخل]
- ١٢٠٧ [من شعر محمد بن عبد الحق الإشبلى و أبى محمد بن صارة و أبى محمد الطائى]
- ١٢٠٨ [من شعر الحافظ ابن حزم و أبى عبد الله الجبلى الطيب و محمد بن عبد الله الحضرمى]
- ١٢٠٨ [من شعر ابن الأبار و جوابه على استدعاء و من شعر التجانى]
- ١٢١٠ [من شعر أبى الحسين بن مفوز و أبى العباس بن مكنون]
- ١٢١١ [أول اتصال الحجارى بابن سعيد]
- ١٢١١ [من شعر ابن مرزقان فى وصف شمعة]
- ١٢١٢ [من شعر ابن الأصبغ الإشبلى و ابن حجاج الغافقى]
- ١٢١٣ [من شعر أبى وهب النحوى و محمد بن يحيى القلقاط و أحمد بن المبارك الحبيبى]
- ١٢١٣ [من شعر أبى محمد المروانى و إبراهيم بن إدريس العلوى]
- ١٢١٤ [البازى الأشهب أحد اللصوص فى عصر المعتمد بن عباد]
- ١٢١٤ [منصور بن عبد المؤمن و شيخ مغفل بناء]
- ١٢١٤ [أحمد المقرينى المعروف بالكساد]

- ١٢١٥ [محمد بن أحمد القرموطى المرسى]
- ١٢١٥ [من شعر أبى عبد الله محمد بن سالم القيسى و أبى عبد الله الإشبلى الخطيب و أبى زيد العثمانى]
- ١٢١٦ [من صاحب دانية إلى المنصور بن أبى عامر الأصغر]
- ١٢١٦ [من شعر بعض الهجائين فى رندة و حبلاص الشاعر الرندى]
- ١٢١٧ [من شعر أبى بكر الرندى و أرقم أحد بنى ذى النون و أبى محمد بن سفيان]
- ١٢١٧ [من شعر ابن أرفع رأسه و أحمد عبد المؤمن الطليطلى و أبى محمد عبد الله بن العسال]
- ١٢١٨ [من شعر الوزير أبى جعفر الوقشى]
- ١٢١٩ [من شعر أبى الوليد هشام الوقشى و أبى الحسين بن أبى جعفر الوزير]
- ١٢٢٠ [من شعر أبى الحسين على بن الحمارة]
- ١٢٢١ [تبحر اهل الاندلس فى العلوم]
- ١٢٢١ [بين ابن حبيش و اليفرنى فى استعمال ما ذا]
- ١٢٢٣ [أبو زكريا يحيى بن على بن سلطان اليفرنى]
- ١٢٢٤ [من شعر صالح بن شريف الرندى]
- ١٢٢٤ [نقد جماعة لكتاب المقرب لابن عصفور]
- ١٢٢٥ [من شعر أبى جعفر بن صفوان الملقى و محمد بن إدريس الأصبهونى]
- ١٢٢٦ [من شعر محمد التطيلى الهدلى]
- ١٢٢٧ [بين يحيى السرقسطى و ابن حسداى الوزير]
- ١٢٢٨ [من شعر أبى الحسن بن الحداد و أبى زكريا بن مطروح]
- ١٢٢٨ [من شعر أبى البركات بن الحاج البلفيقى و أبى الحجاج يوسف الفهرى]
- ١٢٢٨ [من شعر بعضهم فى الرثاء و أبى جعفر البغيل]
- ١٢٢٩ [من شعر أبى جعفر أحمد بن أيوب الملقى و أبى جعفر أحمد بن طلحة]
- ١٢٢٩ [من شعر أبى جعفر الغسانى و أبى بكر يحيى بن بقى و المتوكل بن الأفتس]
- ١٢٣٠ [من شعر أبى عبد الله بن خلسة و ابن اللبانه و أبى على بن اليمانى]
- ١٢٣٠ [من شعر أبى جعفر بن الدودى و ابن أبى الخصال و غالب الحجام و ابن عائشة]

- ١٢٣١ [من شعر أبي محمد بن سفيان و ابن الزرقاني و يحيى السرقسطى]
- ١٢٣٢ [من شعر الرصافى و أبى بكر الصابونى و ابن أبى ركب]
- ١٢٣٣ [من شعر الرصافى و بين ابن حزم و بعض الأدباء]
- ١٢٣٣ [من شعر أبى بكر بن مجبر]
- ١٢٣٤ [ابن الوقشى و ابن سراج]
- ١٢٣٤ [من شعر أبى الحسن بن أضحى و الوزير أبو الحسن بن أضحى و بعض أخباره]
- ١٢٣٤ [فمن النساء المشهورات بالأندلس: أم السعد بنت عصام الحميرى]
- ١٢٣٤ [و منهن حسانة التميمية بنت أبى المخشى الشاعر.]
- ١٢٣٧ [و منهنّ أم العلاء بنت يوسف الحجارية.]
- ١٢٣٨ [و منهنّ أمّة العزيز.]
- ١٢٣٨ [و منهنّ أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المريّة.]
- ١٢٣٨ [و منهنّ الشاعرة الغسانية البجانية.]
- ١٢٣٩ [و منهنّ حفصة بنت الحاج الركونية.]
- ١٢٤٣ [أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى]
- ١٢٥١ [ابن أبى جعفر و ابن سيد المعروف باللص]
- ١٢٥٦ [من شعر ابن سيد المعروف باللص]
- ١٢٥٦ [ابن أبى الحكم بن هرودس و أبى جعفر و من نظم أبى الحكم بن هرودس]
- ١٢٥٧ [من نظم أخيل بن إدريس]
- ١٢٥٧ [عود إلى أخبار أبى جعفر بن سعيد]
- ١٢٥٨ [رجع إلى أخبار النساء.]
- ١٢٥٨ [ولادة بنت المستكفى]
- ١٢٦١ [اعتماد جارية المعتمد بن عباد]
- ١٢٦٣ [حديث عن المعتمد بن عباد عن الفتح]

- ١٢٦٤ [حديث آخر عن المعتمد]
- ١٢٦٥ [ثورة عبد الجبار بن المعتمد بن عباد]
- ١٢٦٩ [زيارة لسان الدين لقبر المعتمد]
- ١٢٦٩ [من شعر ابن عبدون و من شعر اللورقي يهجو آل عباد]
- ١٢٧٠ [الفتح يتحدث عن أولية بني عباد]
- ١٢٧١ [الأديب أبو جعفر بن البني]
- ١٢٧٣ [أبو الحسن بن لسان]
- ١٢٧٤ [الأديب أبو بكر عبد المعطى]
- ١٢٧٦ [أبو بكر يحيى بن بقى]
- ١٢٧٨ [الأبى عبد الله الحوضى يمدح سلطان تلمسان]
- ١٢٧٩ [عود إلى بني عباد]
- ١٢٧٩ [وصف ابن اللبائنة للمعتضد]
- ١٢٨٠ [ابن جاح يرد على المعتضد]
- ١٢٨١ [المعتمد على الله بن المعتضد بن عباد]
- ١٢٨٣ [ترجمة الفتح للراضى بالله بن المعتمد]
- ١٢٨٦ [أولاد المعتمد و من مدائح الدانى فى بنى عباد مقتل بنى المعتمد و رثاء ابن حمديس]
- ١٢٨٧ [من شعر الدانى فى المعتمد]
- ١٢٨٨ [رثاء أبى بحر عبد الصمد للمعتمد]
- ١٢٨٩ [بين الدانى و ابن عمار و امرأة تلقى المعتمد و ابن عمار بغير حياء]
- ١٢٨٩ [ابن وهبون و المعتمد]
- ١٢٨٩ [أبو العرب الصقلى و المعتمد]
- ١٢٩٠ [بحث المعتمد فى بيت للمتنبى]
- ١٢٩٠ [كلام للصفدى فى بيت المتنبى]
- ١٢٩٠ [المعتمد و جارية من جواريه]

- ١٢٩١ [الابن وهبون في وصف فيل من الفضة في قصر المعتمد و من شعر العزيز ابن الملح]
- ١٢٩١ [الابن زيدون يرثي المعتضد و يمدح المعتمد]
- ١٢٩٣ [امن ابن زيدون إلى المعتمد بن عباد]
- ١٢٩٣ [أهدى ابن زيدون تفاحا إلى المعتمد و كتب معه و و كتب إلى المعتمد أيضا]
- ١٢٩٤ [ابن زيدون يعنى بيت فيفكه المعتمد]
- ١٢٩٤ [مما كتب به ابن زيدون إلى المعتمد]
- ١٢٩٥ [بين ابن حمديس و المعتمد بن عباد و من شعر ابن حمديس]
- ١٢٩٦ [عود إلى ذكر اعتماد الرميكية حظية المعتمد]
- ١٢٩٧ [بنات المعتمد يزرنه في سجنه بأغامت يوم عيد، كاسفات البال، فيقول فيهن شعرا]
- ١٢٩٧ [المعتمد يحمل في السفين من الأندلس إلى العدو، و شعر له في ذلك و في هذا يقول ابن اللبائنة]
- ١٢٩٨ [القصر الزاهي من قصور المعتمد، و شعر له يشتاقه فيه و هو أسير بسجن أغامت]
- ١٢٩٨ [الحجاري يحدث عن جارية أهداها ابن تاشفين إلى المعتمد بن عباد]
- ١٢٩٩ [الفتح بن خاقان يتحدث عن حصار المعتمد]
- ١٢٩٩ [امن حكايات مجالس أنس المعتمد ما حدث به الفتح بن خاقان عن ذخر الدولة]
- ١٣٠٠ [و منها ما حكاه الفتح أيضا عن ابن اللبائنة]
- ١٣٠٠ [حديث مجلس آخر يحكيه الفتح عن ذخر الدولة]
- ١٣٠١ [حديث مجلس آخر بالسند السابق]
- ١٣٠١ [حديث مجلس آخر يحكيه الفتح عن إقبال الدولة بن مجاهد]
- ١٣٠٢ [للمعتمد في غلام رآه طالعا من ثنيات الوغى]
- ١٣٠٢ [رجع إلى أخبار النساء]
- ١٣٠٢ [و منهن العبادية جارية المعتضد عباد]
- ١٣٠٣ [و منهن: بثينة بنت المعتمد بن عباد]
- ١٣٠٤ [و منهن حفصة بنت حمدون]
- ١٣٠٤ [و منهن زينب المرية]

- ١٣٠٤ و منهن غاية المنى
- ١٣٠٥ و منهن حمدة، و يقال حمدونة بنت زياد المؤدب من وادي آش
- ١٣٠٦ و منهن عائشة بنت أحمد القرطبية.
- ١٣٠٧ و منهن مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري
- ١٣٠٧ و منهن أسماء العامرية
- ١٣٠٨ و منهن أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية،
- ١٣٠٨ و منهن مهجة القرطبية صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى
- ١٣٠٩ و منهن هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي،
- ١٣٠٩ و منهن الشلبية،
- ١٣١٠ و منهن زهون الغرناطية
- ١٣١١ رجع إلى أخبار زهون [بنت القليعي]
- ١٣١٢ [من شعر ابن الزقاق]
- ١٣١٣ [من شعر الخفاجي و ابن صارة]
- ١٣١٣ [للأديب أبي القاسم بن العطار]
- ١٣١٤ [من شعر ابي جعفر بن خاتمة و الوزير ابن جزى و أبي الحجاج النصري (السلطان)]
- ١٣١٥ [من شعر ابي القاسم بن حاتم و الفقيه ابن سعيد يخاطب الفقيه الفخار و ابن جبير اليحصبي]
- ١٣١٥ [من شعر إبراهيم البدوي]
- ١٣١٥ [حديث عن مصحف بجامع العدبس بإشبيلية]
- ١٣١٦ [من شعر ابن عبدون و ابي عبد الله بن المناصف قاضي بلنسية]
- ١٣١٦ [للوزير ابن عمار ردا على أبي المطرف بن الدباغ و قد شفع عنده في غلام طر عذاره]
- ١٣١٦ [من شعر ابي الوليد الوقشي و ابن الصفار]
- ١٣١٧ [من شعر ابي مروان الجزيري و ابن المصيبي]
- ١٣١٧ [أبيات لأبي عمرو بن مهيب و أبيات لعبد الله الجذامي]
- ١٣١٨ [لعبد الله بن أحمد المالقي، أبيات كتبها إلى أبي نصر الفتح بن خاقان صاحب «قلائد العقيان» و «مطمح الأنفس»]

- ١٣١٨ [من شعر محمد بن الحسن المذحجي و محمد بن عبد الرحمن الغرناطي]
- ١٣١٨ [من شعر ابي محمد الكلاعي الجياني و قد دخل على القاضي ابن رشد فقام له]
- ١٣١٩ [من شعر ابي عبد الرحمن بن حجاج البلنسي و ابي محمد بن برطله و ابن وضاح، و أنشده أبو بكر بن حبيش]
- ١٣٢٠ [للوزير الكاتب ابي بكر بن القبطرنة يستجدي باريا من المنصور بن الأفطس]
- ١٣٢١ [ابن ابن عمار و المعتمد بن عباد و قد أهديت للمعتمد باكورة نرجس، فكتب يستدعي حضوره لمجلس أنس]
- ١٣٢١ [ابن عمار يكتب للمعتمد و قد أصطحب مع أم الربيع في يوم غيم و احتجب عن الندماء]
- ١٣٢١ [ابن ابن عمار و بعض إخوانه، و قد كتبوا له يستدعون منه شرابا و بين ذى الوزارتين القائد ابي عيسى بن لبون، و ابن اليسع]
- ١٣٢٢ [من شعر الحجارى في وصف زيه البدوى و ابي العباس بن خليل]
- ١٣٢٢ [من شعر ابي محمد عبد الحق الإشبيلي و محمد بن صالح الكنانى و ابن الغماز البلنسي]
- ١٣٢٣ [من شعر ابي إسحاق الإلبيري الغرناطي]
- ١٣٢٤ [من شعر ابي عبد الله بن العريف و ابي القاسم بن الأبرش و ابي العباس بن صقر الغرناطي]
- ١٣٢٤ [من شعر ابن الأبار القضاعي و من ترجمة ابن الأبار عن الغبريني في كتابه «عنوان الدراية»]
- ١٣٢٥ [ابن علوان يحدث عن اتصال سنده به و المؤلف يحدث عن اتصال سنده به]
- ١٣٢٥ [من شعر ابن عبد ربه و ابي العلاء بن قاسم القيسي و الاعمى التطيلي]
- ١٣٢٥ [من شعر ابي العباس التطيلي و القاضي ابي العباس بن الغماز البلنسي]
- ١٣٢٦ [من شعر ابي إسحاق الإلبيري و ابي الطاهر الجياني المعروف بابن ابي ركب]
- ١٣٢٧ [ابن ابن ركب و ابن زرقون]
- ١٣٢٧ [من شعر ابي عبد الله بن خميس الجزائري]
- ١٣٢٧ [من شعر ابي محمد بن هارون القرطبي و ابن صارة]
- ١٣٢٨ [من شعر ابي عبد الله بن الحاج البكري الغرناطي و ابي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي]
- ١٣٢٨ [من شعر ابي بكر يحيى التطيلي]
- ١٣٢٩ [ابن بعض المغاربة و الملك الكامل بن العادل بن أيوب]
- ١٣٢٩ [من شعر بن عبد البر النمري الحافظ]
- ١٣٢٩ [من شعر ابن عياش الأزدي و ابن خفاجة]

- ١٣٣٠ [من شعر عبد الوهاب القيسي الملقى و عبد الحق الإشبيلي الأزدي و أبي الفضل عبد المنعم]
- ١٣٣٠ [من شعر عبد العليم بن عبد الملك بن حبيب القضاعي الطرطوشي و أبي الحكم عبد المحسن البلنسي]
- ١٣٣٠ [من شعر أبي حاتم عمر بن محمد بن فرج و غانم بن الوليد المخزومي الملقى]
- ١٣٣١ [من شعر أبي العباس أحمد بن العريف و أبي محمد المحاربي]
- ١٣٣١ [من شعر غريب الثقفي القرطبي و ابن الطراوة النحوي الملقى]
- ١٣٣٢ [من شعر أبي الربيع بن سالم و أبي الحسن الباهلي الإشبيلي]
- ١٣٣٢ [من شعر أبي بكر الزبيدي اللغوي و أبي الوليد هشام بن محمد، القيسي، الشلبي، المعروف بابن الطلاء]
- ١٣٣٣ [من شعر ابن حوط الله ترجمته عن «الإحاطة»]
- ١٣٣٣ [من شعر أبي المتوكل الهيثم بن أحمد السكوتي الإشبيلي]
- ١٣٣٣ [من شعر ابن أفيولة و أبي بكر يحيى ابن مجبر أبي الحجاج يوسف بن أحمد الأنصاري المنصفي البلنسي]
- ١٣٣٤ [من شعر ابن الصائغ القرشي الأموي و أبي عبد الله الحميدي]
- ١٣٣٥ [ابن الحميدي و من ذم أهل الحديث]
- ١٣٣٦ [من شعر ابن محرز الزهري البلنسي و أحمد بن سعيد بن حزم و أبي العباس أحمد بن الغماز]
- ١٣٣٧ [من شعر ابن الزقاق و أبي عبد الله الكنانى الشاطبي]
- ١٣٣٧ [من شعر أيمن به محمد الغرناطي و أبي بكر الزبيدي اللغوي]
- ١٣٣٨ [من شعر بعض فقهاء طليبرة و أبي بكر بن مفاوز و ابن صفوان الخطيب و بعض قدماء الأندلس]
- ١٣٣٩ [من شعر أبي جعفر أحمد السياسي القيسي المرى و أبي إسحاق بن أبي العاصي و أحمد بن الزيات الملقى]
- ١٣٣٩ [من شعر ابن صارة و أبي محمد بن صاحب الصلاة، الداني]
- ١٣٤٠ [من شعر أبي الحكم عبيد الله الأموي مولاهم و أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري و أبي جعفر بن خاتمة]
- ١٣٤١ [من شعر حافظ أبي عبد الله الحميدي و أبي بكر مالك بن جبير و أبي عبد الله محمد بن جبير اليعصبى]
- ١٣٤٢ [من شعر أبي زكريا يحيى بن سعد بن مسعود القلنى]
- ١٣٤٢ الباب الثامن ذكر تغلب العدو النصراني على الأندلس
- ١٣٤٢ اشارة
- ١٣٤٣ [أول من جمع فلول النصرارى]

- ١٣٤٣ [رواية عيسى بن أحمد الرازي]
- ١٣٤٣ [رواية المسعودى صاحب مروج الذهب]
- ١٣٤٣ [أول ما استرد الفرنج من بلادهم، و ما قيل فى ذلك من الشعر]
- ١٣٤٤ [وصف طليطلة]
- ١٣٤٤ [وصف قصر بناه يحيى بن ذى النون فى طليطلة، عن ابن بدرون]
- ١٣٤٤ [تاريخ أخذ طليطلة، عن ابن خلكان و غيره و وقعة الزلافة التى نشأت عن أخذ طليطلة]
- ١٣٤٤ [رواية ابن الأثير فى كتابه «الكامل»]
- ١٣٤٤ [رواية أبى عبد الله الحميرى فى «الروض المعطار»]
- ١٣٤٨ [رواية ابن خلكان]
- ١٣٤٨ [عود إلى رواية صاحب «الروض المعطار»]
- ١٣٥١ [كتاب من ابن عباد إلى ابنه بإشيلية]
- ١٣٥٣ [بعض أخبار المعتمد بن عباد، عن ابن القطاع]
- ١٣٥٣ [و عن ابن بسام فى «الذخيرة»]
- ١٣٥٤ [من غدر ابن تاشفين]
- ١٣٥٤ [ابن تاشفين فى ضيافة ابن عباد]
- ١٣٥٤ [ملك على بن يوسف بن تاشفين، و الثورة عليه]
- ١٣٥٤ [ملك عبد المؤمن بن على بالأندلس]
- ١٣٥٤ [يوسف بن عبد المؤمن بن على]
- ١٣٥٧ [ملك يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن]
- ١٣٥٨ [ملك محمد الناصر بن يعقوب]
- ١٣٥٩ [المستنصر بن الناصر]
- ١٣٥٩ [عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن و العادل ابن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، و من بعده من بنى تاشفين]
- ١٣٥٩ [بنو الأحمر]
- ١٣٦٠ [بنو مرين]

- أو كتاب من السلطان أبي الحسن المريني إلى الملك الصالح بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر]----- ١٣٦٠
- [جواب سلطان مصر على هذا الكتاب من إنشاء خليل بن أبيك]----- ١٣٦٤
- [السلطان أبو الحسن المريني يكتب بيده ثلاثة مصاحف و يهديها للمساجد الثلاثة و وصف بعض المشاركة للسلطان أبي الحسن المريني] ١٣٦٦
- [هدية من السلطان أبي الحسن إلى السلطان الملك الناصر برواية الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق]----- ١٣٦٧
- [رواية المقریزی مؤرخ مصر لهذه الهدية]----- ١٣٦٨
- [و من إنشاء لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه إلى أحد السلاطين من بني السلطان أبي الحسن المريني]----- ١٣٦٩
- [من إنشاء لسان الدين لاستنهاض صاحب فاس لنصرة الأندلس]----- ١٣٧٢
- [و من إنشاء لسان الدين في مخاطبة سلطان فاس أيضا، في المعنى السابق]----- ١٣٧٤
- [كتاب آخر من سلطان الاندلس إلى سلطان فارس (إنشاء لسان الدين)]----- ١٣٧٥
- [و من إنشاء لسان الدين على لسان الفتى مخاطبا لسلطان فاس و المغرب أبي عنان]----- ١٣٧٧
- و من إنشاء لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى على لسان سلطانه ما خاطب به الأمير السعيد المذكور إذ قلده والده جيل الفتح، و هو: ٨٠
- [و من إنشاء لسان الدين على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان المغرب]----- ١٣٨١
- [و من إنشاء لسان الدين على لسان سلطانه أمير المسلمين عبد الله يوسف بن أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر إلى سلطان المغرب] ١٣٨٣
- [و من إنشاء لسان الدين فيما يتعلق بالأندلس و انقطاعها، و أنها لا غنى لها عن بر العدو]----- ١٣٨٤
- [و من إنشاء لسان الدين من جملة رسالة على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب الرعايا]----- ١٣٨٥
- [و من إنشاء لسان الدين فيما يتعلق بضيق حال المسلمين ببلاد الأندلس]----- ١٣٨٦
- [و من رسالة أخرى من إنشاء لسان الدين في المعنى السابق]----- ١٣٨٧
- [أخذ الكفار قواعد بلاد الأندلس و أخذهم طليطلة و أخذهم بلنسية]----- ١٣٨٨
- [أخذهم بربشتر قصبه بلد برطانية]----- ١٣٨٩
- [ذكر بعض فظائع الإفرنج التي كانوا يعملونها حين يستولون على البلاد]----- ١٣٨٩
- [أخذ الإفرنج مدينتي تطيلة و طرشونة]----- ١٣٩١
- [القصيد السينية التي ألهاها ابن الأبار القضاي بين يدي أبي زكريا بن أبي حفص سلطان إفريقية و قد أقبل عليه يستغيثه]----- ١٣٩٢
- [تغلب الإفرنج على بلنسية و وقعة كتندة]----- ١٣٩٥
- [استيلاء العدو على لوشة و المرية]----- ١٣٩٥

- ١٣٩٦ [عودة المرية إلى المسلمين ثم فقدانها]
- ١٣٩٧ [أخذ الإفرنج كورة ماردة و الملك المظفر محمد بن المنصور بن الأفتس ملك بطليوس و ماردة]
- ١٣٩٨ [أبو عبد الله محمد الفاززى (ترجمة)]
- ١٣٩٨ [أخذ الإفرنج جزيرة ميورقة]
- ١٣٩٩ [شعر بعض أهل جزيرة ميورقة]
- ١٤٠٠ [أخذ العدو جزيرة شقر و أخذ مدينة سرقسطة]
- ١٤٠٠ [أخذ شرق الأندلس شاطبة و غيرها و أخذ مدينة قرطبة و أخذ مدينة مرسية و حصار إشبيلية]
- ١٤٠٠ [واقعة أنيجه و لابن الأبار يرثى شيخه أبا الربيع الكلاعى، و قدم مات فى حصار أنيجه]
- ١٤٠١ [من شعر الحافظ أبا الربيع الكلاعى]
- ١٤٠١ [ترجمة الحافظ الكلاعى و ذكر تصانيفه]
- ١٤٠٢ [عبارة للقاضى أبا بكر بن العربى عن نزول العدو الكافر بلاد الأندلس]
- ١٤٠٣ [قصيدة لأبى جعفر الوقشى البلنسى يمدح يوسف بن تاشفين و يصف حال الأندلس و يحث على الجهاد]
- ١٤٠٤ [من القصائد الموجهة إلى أبا زكريا عبد الواحد بن أبا حفص ليغيث بلاد الأندلس من الإفرنج]
- ١٤٠٧ [قصيدة لبعض الشعراء يندب طليطلة]
- ١٤٠٩ [القصيدة أبا البقاء صالح بن شريف الرندى فى رثاء الأندلس]
- ١٤١١ [من بديع نظم صالح بن شريف الرندى]
- ١٤١٢ [رسالة أبا المطرف بن عميرة المخزومى إلى ابن الأبار، فى أخذ الفرنج بلنسية]
- ١٤١٣ [قصيدة ختم بها أبا المطرف رسالته لابن الأبار]
- ١٤١٤ [عود إلى الحديث عن تبدد شمل الجيرة، و طى بساط الجزيرة (الأندلس)]
- ١٤١٥ [لابن رشيد فى رحلته يصف أبا المطرف]
- ١٤١٥ [رسالة الحافظ ابن الأبار التى أجاهه عنها القاضى أبا المطرف برسالته السابقة]
- ١٤١٧ [من إنشاء ابن الأبار فى كتابه المسمى «درر السمط، فى خبر السبط»]
- ١٤٢٠ [للأديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبا عبد الله محمد بن الحداد الوادى أشى نزيل تلمسان، فى ضياع بلاد الأندلس]
- ١٤٢١ [وصف ابن الحداد لخزانة الدار النصرية و ما كان فيها من المتاع و التحف]

- ١٤٢١ [انحياز المسلمين إلى غرناطة بعد استيلاء الفرنج على قواعد بلاد الأندلس]
- ١٤٢٢ [قصد ملوك الإفرنج غرناطة]
- ١٤٢٢ [بنو الأحمرء و حروبهم و جهادهم إلى نهاية ملك المسلمين بالأندلس]
- ١٤٢٣ [موقعة «الحامة» و «لوشة» و «مالقة و بلش» و «رندة» و حصار «مالقة»]
- ١٤٢٤ [اشتداد المعارك بين الإفرنج و المسلمين و موقعة «البيرة» و عود إلى «مالقة و بلش»]
- ١٤٢٧ [سقوط «بسطة» و غيرها]
- ١٤٢٨ [موقعة «شلوبانية» و موقعة مرج غرناطة]
- ١٤٢٩ [استيلاء النصارى على الحمراء و صورة من شروط الصلح]
- ١٤٣٠ [نقض النصارى للعهد]
- ١٤٣٠ [ذكر السلطان الذى ضاعت على عهده بلاد الأندلس]
- ١٤٣١ [رسالة سلطان الأندلس المخلوع إلى سلطان فاس، (إنشاء العقيلي)]
- ١٤٤١ [كلمة عن أبى عبد الله العقيلي، منشئ الرسالة المذكورة و من شعره]
- ١٤٤٤ [فهرس الرسائل و الخطب و الاجازات للجزء الخامس من كتاب نفح الطيب]
- ١٤٤٥ [فهرس موضوعات الجزء الخامس]
- ١٤٤٥ [اشارة]
- ١٤٥٧ [الباب الثامن من القسم الأول فى خروج الأندلس عن يد المسلمين]
- ١٤٦١ [الجزء السادس]
- ١٤٦١ [القسم الثانى فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب]
- ١٤٦١ [الباب الأول فى أولية لسان الدين و ذكر أسلافه]
- ١٤٦١ [اشارة]
- ١٤٦١ [منزلته فى الكتابة]
- ١٤٦٢ [للأمير إسماعيل بن يوسف بن الأحمر فى شأن لسان الدين، من كتاب له يسمى «فرائد الجمان، فيمن نظمى و إياه الزمان»]
- ١٤٦٢ [لابن خلدون فى شأن لسان الدين]
- ١٤٦٢ [لغير هذين فى سلف لسان الدين]

- ١٤٦٢ [تعقيب للمؤلف]-----
- ١٤٦٢ [تعريف لسان الدين بنفسه فى آخر كتابه «الإحاطة» و نسب لسان الدين]-----
- ١٤٦٣ [سعيد جد لسان الدين الأعلى]-----
- ١٤٦٣ [عبد الله بن سعيد]-----
- ١٤٦٣ [سعيد بن عبد الله الجد الأقرب للسان الدين و والده]-----
- ١٤٦٤ [بعض ما رثى به والد لسان الدين و قد استشهد فى موقعة طريف، لأبى محمد عبد الله الأزدي]-----
- ١٤٦٥ [قصيدة لسان الدين يجيب بها أبا محمد الأزدي الذى رثى والده]-----
- ١٤٦٥ [ذكر موقعة طريف التى استشهد فيها والد لسان الدين]-----
- ١٤٦٦ [ترجمة لسان الدين لوالده عبد الله بن سعيد، و ذكر نماذج من شعره]-----
- ١٤٦٧ [رثاء لسان الدين لوالده]-----
- ١٤٦٧ [رثاء أبى زكريا بن هذيل لوالد لسان الدين عبد الله بن سعيد]-----
- ١٤٦٨ [ترجمة أبى بكر بن عاصم، بقلم ابنه الوزير أبى يحيى بن عاصم القيسى]-----
- ١٤٦٩ [عود إلى ترجمة لسان الدين و ذكر سلفه و ذكر نسبتهم «السلماني» و أنهم من حى من مراد من عرب اليمن القطحانيين]-----
- ١٤٦٩ [بين لسان الدين و شيخه أبى الحسن بن الجياب]-----
- ١٤٧٠ [نونية للوزير أبى فارس عبد العزيز الفشتالى]-----
- ١٤٧٤ [نونية أخرى لأبى الفتح محمد بن عبد السلام المغربى التونسى نزيل دمشق]-----
- ١٤٧٦ [نونية لسان الدين بن الخطيب فى فتح تلمسان]-----
- ١٤٧٩ [كتاب من لسان الدين يخاطب به السلطان أبا سالم بعد فتح تلمسان، و قد جعله مقدمة لنونيته السابقة]-----
- ١٤٨١ [نونية الفقيه الزجال عمر التى سماها «تسريح النصال، إلى مقاتل الفصال»]-----
- ١٤٨٤ [نونية للوزير أبى عبد الله بن زمرك أنشدها سلطان الأندلس يوم عيد]-----
- ١٤٨٦ [كلمة عن ابن زمرك الوزير]-----
- ١٤٨٧ [«لوشة» التى ينسب إليها لسان الدين بن الخطيب]-----
- ١٤٨٧ [ترجمة أبى عبد الله محمد بن إدريس المعروف بابن مرج الكحل]-----
- ١٤٨٧ [نماذج من شعر ابن مرج الكحل]-----

- ١٤٩٠ [وفاة ابن مرج الكحل]
- ١٤٩٠ [رائية لشمس الدين الكوفى الواعظ]
- ١٤٩١ [امن نظم ابن مرج الكحل]
- ١٤٩١ [بين ابن مرج الكحل و الأديب أبى بحر صفوان بن إدريس]
- ١٤٩٢ [خطبة نكاح من إنشاء أبى بحر صفوان بن إدريس]
- ١٤٩٣ [رسالة عتاب من إنشاء صفوان بن إدريس]
- ١٤٩٣ [ترجمة صفوان بن إدريس عن «الإحاطة» للسان الدين بن الخطيب]
- ١٤٩٤ [قصيدة لصفوان بن إدريس فى تقديم مرسية على غيرها من البلدان]
- ١٤٩٥ [قصيدة لصفوان يراجع فيها أبى الربيع بن سالم عن أبيات مثلها]
- ١٤٩٧ [امن رسال لصفوان بن إدريس يهنئ فيها قاضى الجماعة أبى القاسم بن بقى]
- ١٤٩٧ [رحلة صفوان إلى مراكش]
- ١٤٩٨ [ترجمة صفوان بن إدريس، عن ابن سعيد و ابن الأبار]
- ١٤٩٨ [امن رثاء الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه لناهض بن محمد الوادى آشى]
- ١٤٩٩ [امن شعر صفوان بن إدريس أيضا]
- ١٤٩٩ [بين صفوان بن إدريس و الوزير الكاتب أبى محمد بن حامد (إجازة)]
- ١٥٠٠ [بين صفوان و الوزير أبى إسحاق و قد رآه يقيد أشعارا من ظهر دفتر (إجازة)]
- ١٥٠٠ [بين صفوان و الوزير أبى محمد بن حامد أيضا و من شعر صفوان]
- ١٥٠١ [الباب الثانى فى نشأة لسان الدين و ترقيه و وزارته]
- ١٥٠١ [اشارة]
- ١٥٠١ [مولد لسان الدين، نقلا عن «الإحاطة» و نشأته نقلا عن ابن الأحرمر]
- ١٥٠١ [لبعضهم فى ذكر منزلة لسان الدين]
- ١٥٠٢ [امن ترجمة لسان الدين بقلمه فى كتابه «الإحاطة، فى أخبار غرناطة»]
- ١٥٠٤ [تعريف لسان الدين بالسلطان أبى الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج، أحد ملوك بنى نصر]
- ١٥٠٤ [قصيدة للسان الدين فى رثاء السلطان أبى الحجاج]

- ١٥٠٦----- ذكر خلع سلطان لسان الدين و قيام أخيه مقامه، عن لسان الدين في «اللمحة البدرية»
- ١٥٠٧----- [لسان الدين ينشد بين يدي سلطان فاس و قد التجأ هو و سلطانه إليه]
- ١٥٠٩----- [من خطاب من إنشاء لسان الدين عن سلطانه إلى سلطان مصر المنصور بن أحمد بن الناصر بن قلاوون]
- ١٥١١----- [رواية ابن خلدون في خلع ابن الأحمر سلطان لسان الدين]
- ١٥١٣----- [رواية أخرى لابن خلدون في خلع ابن الأحمر تتضمن نشأة لسان الدين و نهايته]
- ١٥١٨----- [ابن خلدون يتحدث عن مقتل لسان الدين]
- ١٥١٩----- [أبيات لسان الدين قالها و هو سجين]
- ١٥١٩----- [حديث للحافظ ابن حجر عن مقتل لسان الدين]
- ١٥٢٠----- [تخميس بعض بني الصباغ لأبيات لسان الدين التي قالها و هو في السجن]
- ١٥٢١----- [أبيات لبعض الشاميين في معنى بعض أبيات لسان الدين]
- ١٥٢١----- [كلام لأبي الخطاب بن دحية في التسلي عن كوارث الزمان]
- ١٥٢٣----- [أبيات في الاعتبار- و ذكر الموت]
- ١٥٢٣----- [من أعداء لسان الدين القاضي أبو الحسن النباهي، و ما يتصل بذلك]
- ١٥٢٤----- [حكايه لسان الدين مع رسول ملك النصارى تدل على علو همته]
- ١٥٢٤----- [مدح لسان الدين للقاضي النباهي و ذم لسان الدين للقاضي النباهي بعد أن أظهر له العداوة]
- ١٥٢٥----- [خطاب تقرير من القاضي النباهي إلى لسان الدين]
- ١٩----- [صورة مرسوم من إنشاء لسان الدين بتولي القاضي أبي الحسن النباهي القضاء، و فيه من الثناء على القاضي ما يدل على أنه لم يشكر النعمة]
- ١٥٣٠----- [مرسوم من إنشاء لسان الدين أيضا بتولي ابن زمرك كتابة السر]
- ١٥٣١----- [مقارنة من المؤلف بين خلق لسان الدين و خلق القاضي النباهي و الكاتب ابن زمرك]
- ١٥٣١----- [و من إنشاء لسان الدين في حق القاضي ابن الحسن أيضا- حين أضيفت إليه الخطابة إلى القضاء- على لسان سلطانه:
- ١٥٣٢----- [مرسوم من إنشاء لسان الدين أيضا بتولي القاضي النباهي الخطابة مع القضاء]
- ١٥٣٢----- [من هجو لسان الدين في الوزير إبراهيم بن أبي الفتح الأصلع الغوى و في ابن عمه محمد بن إبراهيم العقرب الردي]
- ١٥٣٥----- [من هجوه في قاض من قضاة دولة السلطان إسماعيل بن الأحمر]
- ١٥٣٥----- [من هجوه في وزير المغرب محمد بن علي بن مسعود]

- ١٥٣٥ [كتاب عتاب من لسان الدين بعث به إلى قاضي مكناسة الزيتون و قد تأخر عن لقائه يوم قدومه عليهم]
- ١٥٣٦ [رسالة لسان الدين في أحوال خدمة الدولة، و مصايرهم، و ما يجب عليهم، و كتب بها إلى ابن مرزوق]
- ١٥٣٩ [تعليق لابن مرزوق على بعض ما جاء في رسالة لسان الدين]
- ١٥٤٠ [تعليق لابن لسان الدين على تعليق ابن مرزوق]
- ١٥٤٠ [تعليق للمؤلف على كلام ابن مرزوق]
- ١٥٤٠ [مرثية من شعر ابن صابر المنجنيقي]
- ١٥٤١ [إشارة و نماذج من مرث أخرى]
- ١٥٤٢ [زيارة المؤلف لقبر لسان الدين]
- ١٥٤٢ [رسالة لبعض أهالي المغرب في العزاء بأبي جعفر بن جبير]
- ١٥٤٣ [مقطوعات في الزهد]
- ١٥٤٤ [من شعر ابن الجوزي في المعنى]
- ١٥٤٥ [كلمة عن أبي الفرج بن الجوزي و مجالس وعظه، عن الذهبي و غيره]
- ١٥٤٧ [ارجع إلى أخبار لسان الدين]
- ١٥٤٧ [من شعر لسان الدين و أخباره]
- ١٥٤٨ [تحقيق في شأن بيتين يقال إنهما قبلا في لسان الدين]
- ١٥٤٩ [عود إلى أخبار لسان الدين]
- ١٥٤٩ [من قصيدة لابن زمرك يعرض فيها بلسان الدين]
- ١٥٥١ [قصيدة أخرى لابن زمرك يهنئ فيها سلطانه الغنى بالله بفتح بلاد المغرب و ظفره بابن كاس مجير لسان الدين]
- ١٥٥٤ [قصيدة ثالثة لابن زمرك يهنئ بها سلطانه، قالها بعد مقتل لسان الدين]
- ١٥٥٧ [ارجع إلى أخبار لسان الدين]
- ١٥٥٧ [استعطاف الوزير أبي بكر بن عمار إلى المعتمد بن عباد حين قبض عليه]
- ١٥٥٨ [نكبة عبد المؤمن بن علي للوزير أبي جعفر بن عطية]
- ١٥٥٩ [من اعتذارات ابن عطية لعبد المؤمن بن علي]
- ١٥٦٠ [ذكر بعض الأدباء من آل عطية و إجازة بين عبد المؤمن بن علي و وزيره أبي جعفر بن عطية]

- ١٥٦٠ [من رساله لأبى جعفر بن عطية كانت السبب فى ظهور تفوقه]
- ١٥٦١ الباب الثالث فى ذكر مشايخ لسان الدين الجلة هداة الناس و نجوم الملة
- ١٥٦١ اشارة
- ١٥٦١ [محمد بن أحمد، الحسين، السبتي، قاضى الجماعة]
- ١٥٦٤ [مرثية الوزير ابن زمرك لشيخه قاضى الجماعة الحسنى، المذكور]
- ١٥٦٦ [أبناء القاضى الحسين المذكور]
- ١٥٦٧ [من شيوخ لسان الدين أبو عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى]
- ١٥٦٨ [بعض ما أنشده لسان الدين من شعر شيوخه، و لم يسمهم]
- ١٥٦٩ [من شيوخ لسان الدين قاضى قضاء فاس أبو عبد الله المقرئ جد المؤلف (ترجمة مستفيضة)]
- ١٥٧٨ [ترجمة أبى موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالى (من شيوخ المقرئ الكبير)]
- ١٥٧٨ [ترجمة أبى إسحاق إبراهيم بن حكم السلوى]
- ١٥٨١ [ترجمة أبى محمد عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم بن الناصر، المجاصى]
- ١٥٨٢ [ترجمة الشريف القاضى أبى على حسن بن يوسف بن يحيى، الحسينى السبتي]
- ١٥٨٣ [ترجمة قاضى الجماعة أبى عبد الله محمد بن منصور بن على بن هديئة، القرشى]
- ١٥٨٣ [ترجمة لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن على التميمى]
- ١٥٨٤ [ترجمة لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور]
- ١٥٨٤ [ترجمة لأبى عبد الله محمد بن الحسين البرونى]
- ١٥٨٤ [ترجمة لأبى عمران موسى المصمودى الشهير بالبخارى]
- ١٥٨٤ [ترجمة لأبى عبد الله محمد بن يحيى بن على بن النجار]
- ١٥٨٥ [ترجمة لأبى الحسن على بن أبى بكر بن سبع بن مزاحم، المكناسى]
- ١٥٨٥ [ترجمة لأبى عبد الله محمد بن حسين، القرشى، الزبيدى، التونسى]
- ١٥٨٦ [ترجمة لإمام أهل الحديث فى عصره أبى محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمى]
- ١٥٨٦ [ترجمة أبى عبد الله محمد بن سليمان السطى]
- ١٥٨٦ [ترجمة أبى عثمان سعيد بن إبراهيم بن على الخياط]

- ١٧ [ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن الجمال و ابنا أبي عبد الله محمد بن مرزوق العجيسى، و هما أبو عبد الله محمد، و أبو العباس أحمد] ١٥٨٧
- [أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب الصنهاجى و أبو عبد الله محمد بن محمد الغزمنى] ١٥٨٧
- [أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العدرى] ١٥٨٧
- [أبو عبد الله بن أحمد بن شاطر الجمحى] ١٥٨٩
- [ذكر جماعة من شيوخ المقرى الكبير بتلمسان] ١٥٩٠
- [ذكر شيوخه فى تونس] ١٥٩١
- [شيوخه فى فاس، و فى أغمات] ١٥٩٢
- [شيوخه فى مكة، و فى المدينة، و فى الشام] ١٥٩٢
- [رواية ابن خلدون عن شيخه أبي عبد الله المقرى الكبير] ١٥٩٢
- [من فوائد المقرى الكبير فى مواضع مختلفة] ١٥٩٣
- [من فوائده التى ذكرها تلميذه النظار أبو إسحاق الشاطبى فى كتابه «الإنشاءات و الإفادات»] ١٥٩٧
- [من فوائد المقرى الكبير مما لم يذكر سابقا] ١٦٠٠
- [ترجمات قصار للمقرى الكبير عن صاحب كتاب «نيل الابتهاج» و عن المرزوقى، و عن الوانشريسى] ١٦٠٣
- [مؤلفات المقرى الكبير] ١٦٠٥
- [بعض فوائد المقرى الكبير التى أودعها كتابه «المحاضرات»] ١٦٠٦
- [ارجع إلى سرد مؤلفات المقرى الكبير] ١٦١٨
- [من فوائد المقرى الكبير التى أودعها فى كتابه «الحقائق و الرقائق»] ١٦١٨
- [من شعر المقرى الكبير و لمحّة العارض لتكملة تائبة ابن الفارض] ١٦٢٧
- [من شعره الذى رواه لسان الدين فى الإحاطة] ١٦٣٣
- [و من شعره الذى لم يذكره فى الإحاطة] ١٦٣٣
- [تلامذة المقرى الكبير] ١٦٣٤
- [ترجمة ابن عباد الرندى شارح حكم ابن عطاء الله الإسكندرى] ١٦٣٥
- [عود إلى شيوخ لسان الدين و ترجمة أبي محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد] ١٦٣٩
- [ترجمة الفقيه يونس بن عطية (ابن أبي عفيف) الوانشريسى] ١٦٣٩

- ١٦٣٩ [أبو على عمر بن عثمان الوانشريسى]
- ١٦٣٩ [أبو جعفر أحمد بن محمد، الجنان، الأوسى]
- ١٦٤٠ [أبو عبد الله بن أبى رمانه]
- ١٦٤٠ [أبو على الحسن بن عثمان بن عطية الوانشريسى]
- ١٦٤١ [أبو العباس أحمد بن عاشر]
- ١٦٤١ [أبو عبد الله محمد بن على الفخار البيرى]
- ١٦٤١ [و لنورد بعض فوائد ابن الفخار فنقول]
- ١٦٤٣ [أبو عبد الله محمد بن خميس التلمسانى]
- ١٦٥٤ [عود إلى ترجمه ابن الفخار، و ذكر فوائده]
- ١٦٥٥ [أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حذلم، و ذكر نموذج من شعره]
- ١٦٥٦ [وفاة ابن الفخار]
- ١٦٥٦ [من مشايخ لسان الدين أبو عبد الله بن عبد الولى العواد]
- ١٦٥٦ [و منهم أبو عبد الله بن بيش]
- ١٦٥٧ [و منهم قاضى الجماعة أبو عبد الله بن أبى بكر، الأشعري، الملقى]
- ١٦٥٨ [و من أهل إفريقية المعمر أبو محمد بن هارون و محمد بن سيد الناس]
- ١٦٥٨ [و منهم ابن أبى يحيى، و اسمه إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر، التسولى]
- ١٦٥٩ [و منهم محمد بن أحمد الطنجالى الهاشمى]
- ١٦٦٠ [و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق (ترجمته باستفاضة عن لسان الدين)]
- ١٦٦٢ [و من النساء الشيخة المسنده ست الفقهاء فاطمة بنت محمد الفيومى البكرى]
- ١٦٦٣ [نماذج من شعر ابن مرزوق]
- ١٦٦٨ [خطاب من لسان الدين إلى ابن مرزوق حين قدم على بنى مرين مفلتا من الأندلس]
- ١٦٦٩ [نكبة ابن مرزوق و خلاصه منها]
- ١٦٧٢ [ترجمه أبى عبد الله بن مرزوق عن المؤرخ ابن خلدون]
- ١٦٧٢ [ترجمه ابن مرزوق عن الحافظ ابن حجر]

- ١٦٧٣ [ترجمته عن الخطيب القسطنطيني]
- ١٦٧٣ [ترجمة ابن مرزوق (و يعرف بابن مرزوق الكفيف، و هو والد أم جد المؤلف) و ترجمة عالم الدنيا أبي عبد الله محمد بن مرزوق (المعروف بابن مرز
- ١٦٨١ [و من شيوخ لسان الدين أبو الحسن على بن الجياب، الأنصاري، الغرناطي]
- ١٦٨٩ [رثاء لسان الدين لشيخه ابن الجياب]
- ١٦٩٠ [رثاء الفقيه أبي عبد الله بن جزى لأبي الحسن بن الجياب]
- ١٦٩٢ [مطالع ثلاث مرات في ابن الجياب]
- ١٦٩٢ [من شعر ابن الجياب في الأغاز]
- ١٦٩٥ [من نظم ابن الجياب في رثاء عمر بن علي بن عتيق القرشي الغرناطي]
- ١٦٩٦ [بين ابن الجياب و ابن شيرين و ابن أبي العافية و غيرهم]
- ١٦٩٦ [بين ابن الجياب و أبي محمد بن أبي المجد]
- ١٦٩٦ [ترجمة عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان الرعيني (المعروف بابن أبي المجد)]
- ١٦٩٧ فهرس الرسائل و الخطب و المراسيم للجزء السادس من كتاب نفع الطيب
- ١٦٩٨ فهرس الجزء السادس من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرئ التلمساني
- ١٧٠٤ [الجزء السابع]
- ١٧٠٤ [تتمة القسم الثاني]
- ١٧٠٤ صلة الباب الثالث من القسم الثاني شيوخ لسان الدين بن الخطيب
- ١٧٠٤ [عود إلى ذكر نماذج من نظم ابن الجياب]
- ١٧٠٥ [ذكر نماذج من نثر ابن الجياب]
- ١٧٠٨ [من أشياخ لسان الدين أبو محمد عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم الحضرمي]
- ١٧١١ [أبو سعيد بن عبد المهيم الحضرمي]
- ١٧١١ [و من أشياخ لسان الدين قاضي الجماعة أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلقي]
- ١٧٢٠ [من أشياخ لسان الدين أبو زكريا يحيى بن هذيل (ترجمة)]
- ١٧٢٦ [و منهم الوزير أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي]
- ١٧٢٧ [مما مدح به أبو الحسن بن الجياب الوزير أبا بكر بن الحكيم]

- ١٧٢٨ [من نثر ذى الوزارتين ابن الحكيم و من شعره]
- ١٧٣٠ [ترجمة ذى الوزارتين ابن الحكيم (عن عائذ الصلة) لابن الخطيب]
- ١٧٣٠ [رحلة ابن الحكيم (عن الإحاطة) للسان الدين]
- ١٧٣٠ [شئ من ترجمة ذى الوزارتين ابن الحكيم، و عن الإحاطة]
- ١٧٣١ [ترجمة أبى الحسن على بن عمر القيجاطى]
- ١٧٣٣ [ترجمة أبى سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب]
- ١٧٣٥ [ترجمة أبى القاسم محمد بن أحمد بن جزى، الكلبى]
- ١٧٣٧ [أربعة أبيات على روى الغين لابن لؤلؤة]
- ١٧٣٧ [من نظم ابن جزى فى التبليغ]
- ١٧٣٧ [ترجمة أبى بكر أحمد بن محمد بن جزى]
- ١٧٣٨ [قصيدة له صدر بها أعجاز لامية امرئ القيس «ألا عم صباحا»]
- ١٧٣٩ [قصيدة لحازم صاحب المقصورة صدر بها أعجاز معلقة امرئ القيس (قفا نبك)]
- ١٧٤٢ [جيمية بارعة لحازم صاحب المقصورة]
- ١٧٤٣ [جيمية لابن قلاقس]
- ١٧٤٣ [عود لترجمة أبى بكر أحمد بن محمد بن جزى الكلبى]
- ١٧٤٣ [ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد بن جزى الكلبى]
- ١٧٤٤ [قصيدة من نظمه يمدح بها أمير المسلمين أبا الحجاج و حذف منها الراء]
- ١٧٤٥ [قصيدة له يمدح فيها أبا عنان ملك المغرب]
- ١٧٤٦ [مقطعات من نظمه فى أغراض شتى]
- ١٧٤٨ [من شعر ابن الجزى الذى ورى به]
- ١٧٤٩ [عدة مقطعات من نظمه يورى فيها بأسماء كتب]
- ١٧٩٠ [الباب الرابع (من القسم الثانى) فى مخاطبات الملوك و الأكابر]
- ١٧٩٠ [اشارة]
- ١٧٩٠ [من السلطان أبى زيان المرينى إلى لسان الدين و ترجمة السلطان أبى زيان المرينى عن «الإحاطة» للسان الدين]

- ١٧٩٤ تعقيب لابن مرزوق على كلام لسان الدين في «الإحاطة»
- ١٧٩٤ من السلطان أبي سالم المريني إلى لسان الدين
- ١٧٩٥ من لسان الدين إلى السلطان أبي سالم المريني
- ١٧٩٦ من لسان الدين إلى السلطان أبي سالم
- ١٧٩٩ تعريف لسان الدين في «الإحاطة» بالسلطان أبي سالم المريني، و ذكر مقتله
- ١٨٠٠ ترجمة لسان الدين من إنشاء الأمير أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر
- ١٨٠٠ رد اعتراض أورده ابن الأحمر على لسان الدين
- ١٨٠١ ثناء قاضي القضاة برهان الدين الباعوني على لسان الدين بن الخطيب اتهم لسان الدين بالإطتاب
- ١٨٠١ الرد على هذا الاتهام
- ١٨٠١ بين لسان الدين و السلطان الغني بالله سلطانه
- ١٨٠٣ جواب لسان الدين على أبي جعفر بن خاتمة
- ١٨٠٤ من أبي جعفر بن خاتمة إلى ابن جزى
- ١٨٠٥ ترجمة أبي جعفر بن خاتمة من إنشاء لسان الدين
- ١٨٠٦ من أبي جعفر بن خاتمة إلى لسان الدين
- ١٨٠٧ من نظم ابن خاتمة
- ١٨٠٧ قصيدة من أحمد بن صفوان إلى لسان الدين ضمنها غرضاً تعجل له قضاءه
- ١٨٠٨ إجازة من ابن صفوان للسان الدين و ولده عبد الله
- ١٨٠٨ من أبي جعفر العذري إلى لسان الدين
- ١٨٠٨ من لسان الدين إلى ابن نفيس
- ١٨٠٩ من لسان الدين إلى أبي القاسم بن رضوان
- ١٨١٠ من ابن رضوان إلى لسان الدين
- ١٨١٠ من لسان الدين إلى الشيخ الجنان
- ١٨١٠ من الشيخ الجنان إلى لسان الدين
- ١٨١١ ترجمة الشيخ أحمد بن محمد الجنان الأوسى

- ١٨١١ ----- أبيات رآها المؤلف على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها ابن تاشفين]
- ١٨١١ ----- أبيات كتبت على القبة التي أنشأها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسن]
- ١٨١٢ ----- أبيات للفقير أبي محمد المسفيومي المراكشي مما كتب على أحد مباني الوزير عبد العزيز الفشتالي]
- ١٨١٣ ----- أبيات للوزير أبي فارس عبد العزيز الفشتالي تبت في المباني المنصورية بمراكش]
- ١٨١٤ ----- أبيات للوزير الفشتالي مما كتب بهو المبنى المنصوري بمرمر أسود في أبيض]
- ١٨١٥ ----- أبيات له كتبت بداخل القبة]
- ١٨١٦ ----- أبيات له في بعض المباني المنصورية]
- ١٨١٦ ----- أبيات له مما كتب في المصرية المطللة على الرياض]
- ١٨١٧ ----- من الوزير عبد العزيز الفشتالي إلى مؤلف هذا الكتاب]
- ١٨١٩ ----- لابن الصباغ العقيلي في لسان الدين و اختصاصه بابن الجياب]
- ١٨١٩ ----- إجازة بين ابن الجياب و لسان الدين]
- ١٨١٩ ----- من أبي يحيى البلوى لسان الدين]
- ١٨٢٠ ----- تهنية من أبي يحيى البلوى لسان الدين في إعداره أولاده]
- ١٨٢١ ----- ترجمة أبي يحيى البلوى من إنشاء لسان الدين في «الإحاطة»]
- ١٨٢٢ ----- من أبي عبد الله بن مرزوق إلى لسان الدين و منه إلى ابن مرزوق]
- ١٨٢٤ ----- من أبي القاسم البرجي إلى لسان الدين، في شفاعته]
- ١٨٢٤ ----- ترجمة أبي القاسم محمد بن يحيى البرجي، عن «الإحاطة» لسان الدين]
- ١٨٢٨ ----- من الوزير ابن زمرك إلى لسان الدين]
- ١٨٢٩ ----- تعليق للمؤلف على قصيدة ابن زمرك]
- ١٨٣٠ ----- من الوزير ابن زمرك إلى لسان الدين أيضاً]
- ١٨٣١ ----- من مخاطبات ابن زمرك لسان الدين]
- ١٨٣٢ ----- من ابن سلبطور إلى لسان الدين]
- ١٨٣٣ ----- ترجمة أبي عبد الله بن سلبطور، عن «الإحاطة» لسان الدين]
- ١٨٣٤ ----- من أبي عبد الله بن راجح التونسي إلى لسان الدين]

- ١٨٣٤ ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن راجح [
- ١٨٣٤ من لسان الدين إلى ابن راجح (قصيدة) [
- ١٨٣٥ من ابن راجح إلى لسان الدين (قصيدة) [
- ١٨٣٦ من أبي عبد الله العشاب التونسي إلى لسان الدين في بعض الأعياد [
- ١٨٣٧ من ابن عبد الملك المراكشي إلى لسان الدين [
- ١٨٣٧ ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملك، الأنصاري، الأوسي، عن «الإحاطة» لسان الدين [
- ١٨٣٧ من أبي عبد الله محمد المكودي الفاسي إلى لسان الدين [
- ١٨٣٨ من أبي عبد الله اليتيم إلى لسان الدين [
- ١٨٣٩ رسالة من لسان الدين إلى أبي عبد الله اليتيم جوابا عن قصيدته [
- ١٨٣٩ بين أبي عبد السلام و أبي عبد الله اليتيم (مداعبة) [
- ١٨٤٠ ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي العبدري، المالقي، المعروف باليتيم [
- ١٨٤٠ من أبي عبد الله الكرسوطي لسان الدين [
- ١٨٤١ ترجمة أبي عبد الله الكرسوطي من أبي عمرو بن الزبير إلى لسان الدين [
- ١٨٤١ ترجمة أبي عمرو محمد بن أحمد بن الزبير [
- ١٨٤٢ من ترجمة أبي يحيى محمد بن أحمد بن الأكل [
- ١٨٤٣ من أبي عبد الله محمد بن علي بن عياش إلى لسان الدين [
- ١٨٤٣ من محمد بن محمد الوادي أشي إلى لسان الدين [
- ١٨٤٤ من أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأزدي إلى لسان الدين و من شعر أبي محمد الأزدي [
- ١٨٤٤ من لسان الدين إلى أبي قاسم بن رضوان، النجاري [
- ١٨٤٤ من ابن رضوان إلى لسان الدين [
- ١٨٤٧ ترجمة أبي القاسم بن رضوان [
- ١٨٥٠ بين أبي بكر عبد الرحمن بن عبد الملك و لسان الدين بن الخطيب [
- ١٨٥٠ ترجمة أبي بكر عبد الرحمن بن عبد الملك [
- ١٨٥٠ من أبي سلطان عبد العزيز بن علي بن يشث الغرناطي إلى لسان الدين [

- ١٨٥١ ترجمة أبي سلطان بن يشث]
- ١٨٥٣ من أبي الحسن النباهى إلى لسان الدين]
- ١٨٥٤ ترجمة القاضى أبى الحسن النباهى]
- ١٨٥٧ [بين لسان الدين و أبى الحسن بن الجياب]
- ١٨٦٠ [من سعيد بن محمد الغرناطى إلى لسان الدين على ظهر كتاب استعاره منه]
- ١٨٦٠ [بين أبى الحسن على بن محمد بن البناء الوادى آشى و لسان الدين]
- ١٨٦١ [ترجمة أبى الحسن على بن محمد بن البناء]
- ١٨٦٢ [من لسان الدين إلى سلطان تونس]
- ١٨٦٣ [من أبى الحسن على بن يحيى الفزارى الملقى المعروف بابن البرزى، إلى لسان الدين]
- ١٨٦٤ [من أبى القاسم قاسم بن محمد الحرالى الملقى إلى لسان الدين و ترجمته]
- ١٨٦٤ [من أبى الحجاج يوسف بن موسى الجذامى الرندى، إلى لسان الدين]
- ١٨٦٥ [من لسان الدين إلى أبى الحجاج الجذامى]
- ١٨٦٦ [ترجمة أبى الحجاج الجذامى]
- ١٨٧٠ [ثناء ابن عاصم على لسان الدين]
- ١٨٧١ [ترجمة الوزير أبى يحيى محمد بن محمد بن عاصم]
- ١٨٧٥ [ظهير بتعيين ابن عاصم للقضاء]
- ١٨٧٨ [الباب الخامس [من القسم الثانى] فى إيراد جملة من نثر لسان الدين]
- ١٨٧٨ [اشارة]
- ١٨٧٨ [وصف نثر لسان الدين تحميد من إنشاء لسان الدين]
- ١٨٧٩ [من نثره فى الحض فى الجهاد]
- ١٨٧٩ [من إنشائه فى ذكر أولية شريف فاس]
- ١٨٨٠ [من إنشاء لسان الدين فى ترجمة أبى عبد الله الشديد و كتب له و قد ولى الحسبة]
- ١٨٨١ [مما كتب به لسان الدين إلى على بن بدر الدين بن موسى بن عبد الحق من مدينة سلا]
- ١٨٨٢ [ترجمة ابن خلدون من إنشاء لسان الدين]

- ١٨٩٢-----[تعلق للمؤلف على ترجمة لسان الدين لابن خلدون]
- ١٨٩٣-----[من كلام الشيخ إبراهيم الباعوني في حق لسان الدين]
- ١٨٩٣-----[ترجمة يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطي، من إنشاء لسان الدين]
- ١٨٩٤-----[من لسان الدين إلى السلطان بن يغمراسن]
- ١٨٩٩-----[من إنشاء لسان الدين ما كتب به إلى شيخه أبي عبد الله بن مرزوق]
- ١٩٠٠-----[من إنشائه تهنئة إلى أبي عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين]
- ١٩٠٠-----[من إنشائه ما كتب به إلى قاضي الجماعة، و قد نالته مشقة]
- ١٩٠١-----[و كتب إلى بعض الفضلاء]
- ١٩٠١-----[و كتب إلى السلطان أبي عبد الله بن نصر، و قد عاد ولده من الأندلس]
- ١٩٠٢-----[و كتب إلى محمد بن نوار، و قد أعرس ببنت مزوار الدار السلطانية]
- ١٩٠٢-----[و كتب إلى عامر بن محمد بن علي الهنتاني]
- ١٩٠٣-----[من إنشائه في وصف البلاد الأندلسية (مقامة)]
- ١٩٠٣-----[كلام له مرسل في وصف البلاد و وصف مكناسة الزيتون]
- ١٩٠٤-----[المؤلف يدخل مكناسة و يصفها]
- ١٩٠٥-----[شيء عن السلطان أبي الحسن المريني]
- ١٩٠٥-----[نظم لابن الصباغ يحصر فيه علاقات المجاز]
- ١٩٠٦-----[حكاية عن رجل عائن]
- ١٩٠٦-----[زيارة لسان الدين لقبر السلطان أبي الحسن، و قصيدة له فيه]
- ١٩٠٨-----[من كلام لسان الدين يعد فيه بتصنيف كتاب كبير في التاريخ]
- ١٩٠٨-----[أمثلة من إنشاء لسان الدين في التراجم، على طريقة الفتح بن خاقان]
- ١٩١١-----[من ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب، بقلم لسان الدين في كتابه «التاج المحلي»]
- ١٩١٣-----[من إنشاء لسان الدين في ترجمة محمد بن عبد الرحيم الوادي أشي]
- ١٩١٤-----[من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله بن العطار المزني]
- ١٩١٤-----[من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن خاتمة]

- ١٩١٥ ----- [من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد المالقى]
- ١٩١٧ ----- [من إنشائه في ترجمة أبي بكر محمد بن مقاتل المالقى]
- ١٩١٧ ----- [من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن الشديد المالقى]
- ١٩١٩ ----- [من إنشائه في ترجمة محمد بن الحسن العمرانى، الفاسى]
- ١٩١٩ ----- [من إنشائه في ترجمة محمد بن محمد، المرادى، العشاب]
- ١٩١٩ ----- [من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر، المليكى]
- ١٩٢١ ----- [من إنشائه في ترجمة محمد بن على، العبدرى، التونسى]
- ١٩٢١ ----- [من إنشائه في ترجمة محمد بن يحيى العزفى، السبتى]
- ١٩٢١ ----- [من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن المكودى، الفاسى]
- ١٩٢٢ ----- [من إنشائه في ترجمة محمد بن محمد بن بيش، العبدرى]
- ١٩٢٣ ----- [من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن هانىء، اللخمى]
- ١٩٢٧ ----- [همزية لصفوان بن إدريس مشهورة بين أدباء المغرب]
- ١٩٢٩ ----- [من إنشاء لسان الدين في ترجمة أبي محمد عبد الله الأزدى]
- ١٩٢٩ ----- [و في ترجمة أبي الحسن على بن إبراهيم السكاك، الغرناطى]
- ١٩٣٠ ----- [و في ترجمة أبي الحسن على بن محمد بن الصباغ، العقيلى، الغرناطى]
- ١٩٣١ ----- [و في ترجمة شيخه أبي الحسن بن الجياب]
- ١٩٣٢ ----- [و من إنشائه في ترجمة عمر بن على، المنتقربرى]
- ١٩٣٢ ----- [من إنشائه في ترجمة قاسم بن محمد بن الجدى، الفهري]
- ١٩٣٢ ----- [من إنشائه في ترجمة أبي عثمان سعيد، الغسانى]
- ١٩٣٢ ----- [و في ترجمة الطرطوشى]
- ١٩٣٣ ----- [و في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد العذرى، الوادى آشى]
- ١٩٣٣ ----- [و في ترجمة أبي عبد الله بن باقى]
- ١٩٣٤ ----- [و في ترجمة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة، المعافرى، المرى]
- ١٩٣٦ ----- [و في ترجمة أبي العباس المليانى من نثره في كتاب «الروض» في ترجمة عنوانها «ضخام الغصون من شجرة السر المصون»]

- ١٩٣٨ [من إنشائه إلى الأمير يلبغا]
- ١٩٣٩ [كتاب أرسله لسان الدين لرجل من الموثقين امتنع عن تناول طعامه]
- ١٩٤١ فهرس الرسائل و الخطب و المراسيم للجزء السابع من كتاب نفح الطيب
- ١٩٤٣ فهرس الجزء السابع من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
- ١٩٤٩ [الجزء الثامن]
- ١٩٤٩ [تتمة القسم الثاني]
- ١٩٤٩ [صلة الباب الخامس من القسم الثاني في إيراد جملة من نثر لسان الدين]
- ١٩٤٩ إشارة
- ١٩٤٩ [خطبة كتاب في المحبة للسان الدين]
- ١٩٥٦ خطبة الأعراس، و توطئة الغراس، و تنحصر في جملتين:
- ١٩٥٩ [خاتمة خطبة كتاب المحبة]
- ١٩٦٣ [من كلام لسان الدين في عدد فرق الاعتزال]
- ١٩٦٨ [موعظة من إنشاء لسان الدين]
- ١٩٧١ [من إنشاء لسان الدين يخاطب طالب موعظة]
- ١٩٧٦ [رسالة منه إلى شيخ الموحدين بتونس]
- ١٩٧٨ [خطبة له يبشر فيها بالفتح]
- ١٩٧٩ [خطابه إلى سلطان فاس]
- ١٩٨١ [من إنشائه على لسان ابن سلطانه]
- ١٩٨٢ [ظهير من إنشائه بتولية ابن سلطانه مشيخة الغزاة]
- ١٩٨٣ [ظهير من إنشائه في تقليد الأمير سعد]
- ١٩٨٤ [من إنشائه إلى سلطانه و قد عاد لملكه]
- ١٩٨٥ [و من إنشائه ما خاطب به عبد الله التونسي]
- ١٩٨٦ [من إنشائه على لسان سلطانه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم]
- ١٩٩٨ [خطبة للمقرى على منوال لسان الدين]

- ١٩٩٩ [من كلام لسان الدين يخاطب السلطان أبا زيان]
- ٢٠٠١ [من كلامه يخاطب شيخ الدولة يحيى بن رحو]
- ٢٠٠١ [من كلامه يخاطب شيخه ابن مرزوق في شفاعه]
- ٢٠٠٢ [من كلامه يخاطب أبا زيد بن خلدون الرئيس]
- ٢٠٠٥ [من رساله له كتب بها إلى الفقيه أبي زكريا بن خلدون لما ولى الكتابه عند أبي حمو سلطان تلمسان]
- ٢٠٠٧ [من مخاطباته ما كتب به إلى صاحبه العلامة أبي القاسم بن رضوان]
- ٢٠٠٧ [من كلامه يخاطب شيخ العرب المبارك بن إبراهيم]
- ٢٠٠٩ [من كلامه يخاطب شيخه أبا عبد الله بن مرزوق]
- ٢٠١٠ [من إنشائه ظهر كتابه على لسان سلطانه لأحد الفقهاء و قد ولاه استكشاف أحوال الرعيه]
- ٢٠١١ [من إنشائه عند قبر السلطان أبي الحسن المديني و قد لجأ إلى ولده]
- ٢٠١٢ [من إنشائه يخاطب الوزير المتغلب على بلاد المغرب]
- ٢٠١٣ [من إنشائه أيضا إلى وزير المغرب على أثر الفتح الذى تكيف له]
- ٢٠١٣ [من إنشائه إلى وزير المغرب بسلا]
- ٢٠١٤ [من إنشائه معزيا الرئيس عامر بن محمد الهنتاني]
- ٢٠١٥ [من إنشائه يخاطب الرئيس عامر بن محمد الهنتاني]
- ٢٠١٦ [من إنشائه يخاطب شيخ الدولة و قد أبل من مرضه]
- ٢٠١٦ [من إنشائه يخاطب شيخه ابن مرزوق جوابا عن كتاب منه]
- ٢٠٢٠ [من إنشائه جواب عن كتاب ورد إليه من الفقيه الكاتب ابن الثغرى على لسان سلطان تلمسان]
- ٢٠٢٢ [من إنشائه فى السياسة، قصه عن الرشيد]
- ٢٠٢٩ [نماذج قصار من نثر لسان الدين فى عليه أهل زمانه و فى وصف بعض البلدان]
- ٢٠٢٩ [وصف بسطة للقصادى و لابن مرزوق]
- ٢٠٣٠ [من إنشاء لسان الدين ما خاطب به السلطان على لسان جدته]
- ٢٠٣٠ [من شعر لسان الدين فى مدح الرسول صلى الله عليه و سلم]
- ٢٠٣٢ [قصيدة له فى يوم ميلاد الرسول صلى الله عليه و سلم عام ٧٦٢]

- ٢٠٣٤ [من نظم لسان الدين يخاطب السلطان أبا عنان على أثر انصرافه من بابه]
- ٢٠٣٨ [قصيدة له يهنئ بها السلطان و قد أذر أولاده]
- ٢٠٤٠ [من نظمه عن كتاب أبيات الأبيات و الكتاب المسمى: الصيب و الجهام]
- ٢٠٤٧ [من شعره يتشوق إلى قصر باديس]
- ٢٠٤٩ [من لاميته المسماء، المنح الغريب في الفتح القريب، التي خاطب بها سلطانه حين عاد لملكه من المغرب]
- ٢٠٥٠ [من نظمه يخاطب عبد الواحد بن زكريا ابن سلطان إفريقية]
- ٢٠٥١ [من نظمه ما كتب على مدرسة بناها السلطان أبو الحجاج و إجازة بينه و بين ابن الحجاج و قد مرا ببعض مسالك غرناطة]
- ٢٠٥١ [من نظمه في تورية طيبة، و يخاطب ابن مرزوق، و يخاطب أحد الشرفاء]
- ٢٠٥٢ [من نظمه: و قد مر بدار أحد الأغنياء، و في الشيخ ابن بطان]
- ٢٠٥٣ [و من نظمه عند ما انتابه برغوث و يخاطب ابن حسون في صدر رسالة]
- ٢٠٥٣ [من نظمه في عثمان بن يحيى و من نظمه و قد وقف على مراکش من نظمه يخاطب أحمد بن يوسف]
- ٢٠٥٤ [و من نظمه نماذج صغار شتى]
- ٢٠٥٧ [ترجمة العارف بالله أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر، الأندلسي، نزيل سلا]
- ٢٠٥٨ [ارجع إلى نظم لسان الدين: مداعباته و من شعره عند ما وقف على قبر المعتمد بالله في مدينة أغمات]
- ٢٠٥٩ [من نظمه: يخاطب ضريح السلطان أبا الحسن بشالة لاستنهاض عزمته في قضاء غرضه]
- ٢٠٦٠ [من نظمه: يخاطب السلطان أبي الحجاج و في التورية]
- ٢٠٦٠ [من نظمه في التورية و التجنيس]
- ٢٠٦٢ [من نظمه: يهنئ سلطان تلمسان أبا حم]
- ٢٠٦٣ [بين أبي عبد الله بن جزى و بعض أهل فاس]
- ٢٠٦٧ [قصيدة لأبي زكريا يحيى بن خلدون يحذو فيها حذو لسان الدين]
- ٢٠٦٩ [حديث عن احتفال السلطان أبي حمو بالمولد النبوى الشريف]
- ٢٠٧٠ [مقطوعات لأبي زكريا يحيى بن خلدون]
- ٢٠٧٢ [حديث عن الموشحات و الأزجال: نشأتها، تدرجها، أنواعها]
- ٢٠٧٢ [من اشتهر من الوشاحين]

- ٢٠٧٥ [موشحة ابن سهل التي عارضها لسان الدين و موشحة لسان الدين التي يعارض بها ابن سهل]
- ٢٠٧٧ [استحداث العامة فن الزجل]
- ٢٠٧٨ [ترجمة أبي بكر بن باجة آخر فلاسفة الإسلام ببلاد الأندلس (ابن الصائغ)]
- ٢٠٨٢ [ترجمة أبي بكر بن باجة آخر فلاسفة الإسلام ببلاد الأندلس (ابن الصائغ)]
- ٢٠٨٣ [من نظم ابن باجة الصائغ الفيلسوف]
- ٢٠٨٤ [ترجمة الفتح بن خاقان و فيها ذكر سبب العداوة التي كانت بينه و بين ابن باجة]
- ٢٠٨٥ [من نشر الفتح بن خاقان]
- ٢٠٨٦ [ترجمة الفتح بن خاقان عن المغرب و من شعره]
- ٢٠٨٧ [من بديع إنشاء ابن خاقان]
- ٢٠٨٨ [من ترجمة أبي بكر الزبيدي اللغوي]
- ٢٠٨٩ [من ترجمة أبي مروان عبد الله بن المعتصم بن صمادح]
- ٢٠٩٠ [من ترجمة أبي يحيى بن المعتصم، رفيع الدولة ابن صمادح]
- ٢٠٩٢ [من ترجمة الوزير أبي الوليد بن حزم]
- ٢٠٩٢ [من ترجمة أبي بكر الغساني و أبي عامر بن عقال]
- ٢٠٩٣ [من ترجمة أبي مروان الطنبلي]
- ٢٠٩٤ [من ترجمة الفقيه أبي عمر أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد]
- ٢٠٩٦ [من ترجمة أبي القاسم المنيشي]
- ٢٠٩٧ [من ترجمة أبي الحسن البرقي]
- ٢٠٩٨ [من ترجمة أبي الحسن علي بن جودي]
- ٢٠٩٩ [نماذج من شعر الفتح بن خاقان]
- ٢١٠٠ [نماذج من نشر الفتح بن خاقان]
- ٢١٠٠ [نماذج من نشر الفتح بن خاقان]
- ٢١٠١ [بعض أهل المغرب يعارض موشحة ابن سهل]
- ٢١٠٣ [موشحة لسان الدين بن الخطيب]

- لسان الدين يؤلف كتاب: جيش التوشيح، ثم يذيل عليه وزير القلم بالمغرب عبد العزيز القشتالي و موشحة أبي العقاد]----- ٢١٠٥
- موشحة لبعض أهل مراکش]----- ٢١٠٥
- موشحة للسلطان منصور و مقطوعات أخرى من نظمه]----- ٢١٠٦
- موشحة بعض أدكياء الأصحاب في مديح المقرئ]----- ٢١١٢
- من موشحات لسان الدين]----- ٢١١٤
- موشحة لعثمان الملطي في مدح القاضي الفاضل]----- ٢١١٥
- موشحة للشهاب العزازی]----- ٢١١٦
- موشحة الموصلي التي عارضها الشهاب العزازی]----- ٢١١٩
- الباب السادس من القسم الثاني من الكتاب في مصنفات لسان الدين]----- ٢١٢٠
- لسان الدين يذكر مؤلفاته في الترجمة التي عقدها لنفسه في الإحاطة]----- ٢١٢٠
- استدراك للمؤلف بذكر مؤلفات لسان الدين بعد كتابته ترجمته و ابن الأحمر يتحدث عن مصنفات لسان الدين]----- ٢١٢١
- حديث عن روضة التعريف، أحد مؤلفات لسان الدين و بقیة مؤلفاته]----- ٢١٢٢
- حديث عن كتاب الإحاطة أحد تأليفه، و مختصره: مركز الإحاطة في أدباء غرناطة، للبدر اليشتكي]----- ٢١٢٣
- حجة سلطانية بوقف كتاب الإحاطة]----- ٢١٢٣
- لسان الدين يقف نسخة من كتاب الإحاطة بخانقاه سعيد السعداء بمصر]----- ٢١٢٤
- المؤلف يرى خطوط جماعة من العلماء على نسخة الإحاطة بمصر]----- ٢١٢٥
- ابن الأحمر يبين أصول ابن الخطيب في كتابه الإحاطة]----- ٢١٢٥
- ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الحاج الغرناطي (عن الإحاطة)]----- ٢١٢٦
- قصيدة لمحمد بن الثغري يمدح فيها أبا حمو سلطان تلمسان]----- ٢١٣٣
- قصيدة أبي المكارم قنديل ابن صاحب المقدمة الأجرومية في فاس]----- ٢١٣٥
- قصيدة أخرى للثغري يمدح تلمسان و سلطانها]----- ٢١٣٦
- القاضي المزدغی يمدح فاس، و لسان الدين يمدح تلمسان]----- ٢١٣٨
- لأبي عبد الله التلايسی في تلمسان]----- ٢١٣٩
- قصيدة ابن خميس في مدح تلمسان]----- ٢١٤٠

- ٢١٤٢ [حديث عن تلمسان لأبي زكريا يحيى بن خلدون في كتابه: بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد، و أيام أبي حمو الشامخة الأطواد]
- ٢١٤٢ [وصف لسان الدين لمدينة تلمسان]
- ٢١٤٣ [المقرى مؤلف الكتاب يتحدث عن تقلباته في البلاد و تواريخها و ترجمة أبي مدين]
- ٢١٤٧ [فهرس الرسائل و الخطب و الظهائر للجزء الثامن من كتاب نفع الطيب]
- ٢١٤٨ [فهرس موضوعات الجزء الثامن من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى]
- ٢١٤٨ [صلة الباب الخامس من القسم الثاني]
- ٢١٥١ [الباب السادس من القسم الثاني من الكتاب]
- ٢١٥٢ [الجزء التاسع]
- ٢١٥٢ [تتمة القسم الثاني]
- ٢١٥٢ [الباب السابع في ذكر تلامذة لسان الدين]
- ٢١٥٢ [إشارة]
- ٢١٥٢ [الوزير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرک، الصريحى، ترجمة عن «الإحاطة»]
- ٢١٥٣ [نماذج من قصائد ابن زمرک المطولة]
- ٢١٥٦ [قصيدة له يصف فيها «الزرافة» و قد وفد بها الأحاديش على أبي سالم ملك المغرب]
- ٢١٥٨ [قصيدة أخرى لابن زمرک أنشدها السلطان]
- ٢١٦٠ [من شعره في غير المطولات]
- ٢١٦١ [تقريظ لكتاب الشفاء عند ما شرحه ابن مرزوق]
- ٢١٦٢ [تعليقات من كلام على بن لسان الدين على ما كتبه أبوه في ترجمة الوزير ابن زمرک]
- ٢١٦٣ [ترجمة ابن زمرک عن الأمير ابن الأحمر]
- ٢١٦٧ [قصيدة لابن زمرک في التهنتة بالعيد]
- ٢١٧٠ [لابن زمرک في الشكر]
- ٢١٧١ [مقطوعات لابن زمرک في وصف زهر القرنفل]
- ٢١٧٢ [قصيدة له يمدح فيها ابن الأحمر و يهنئه]
- ٢١٧٣ [قصيدة له في المولد النبوى]

- ٢١٧٥ [قصيدة له في التهئة، و فيها يصف الجند]
- ٢١٧٨ [قصيدة أخرى في التهئة، و فيها يصف دار الملك]
- ٢١٨٣ [تخميس له بهنى فيه ابن الأحمر بعوده من سبتة]
- ٢١٩٢ [قصيدة لابن زمرك يهنى فيها بالعيد]
- ٢١٩٥ [قصيدة له في التهئة أيضا]
- ٢١٩٨ [قصيدة له يصف فيها زهة لابن الأحمر]
- ٢٢٠٠ [مقطوعات له في الشكر]
- ٢٢٠٣ [مقطوعات في معان مختلفه]
- ٢٢١٠ [مما أنشده على لحد ابن الأحمر]
- ٢٢١١ [له يستعطف السلطان أبا الحجاج]
- ٢٢١١ [من شعره في أبا الحجاج]
- ٢٢١٢ [له يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبا دلامة]
- ٢٢١٣ [موشحة لابن زمرك، يتشوق فيها إلى غرناطة]
- ٢٢١٤ [موشحة أخرى لابن زمرك]
- ٢٢١٦ [موشحة كتب بها إلى الغنى بالله]
- ٢٢١٧ [موشحة أخرى عارض بها موشحة ابن سهل]
- ٢٢١٨ [من موشحات ابن زمرك في الصبوحيات]
- ٢٢٢٣ [موشحة لابن زمرك في مالمقة]
- ٢٢٢٤ [موشحة أخرى لابن زمرك في مالمقة]
- ٢٢٢٥ [موشحة لابن زمرك في الشفاء]
- ٢٢٢٧ [موشحة لابن زمرك يهنى فيها السلطان موسى بن أبا عنان]
- ٢٢٢٨ [موشحة لابن زمرك أخرى في وصف غرناطة]
- ٢٢٢٩ [ترجمة أبا العباس أحمد بن جعفر، السبتي، الخزرجي، و ذكر بعض أحواله]
- ٢٢٣٥ [ارجع إلى ترجمة ابن زمرك و بعض فوائده، عن الشاطبي]

- ٢٢٣٥ [موشحة لابن زمرك في مدح الرسول]
- ٢٢٣٦ [من تلامذة لسان الدين الطبيب ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا و الأديب أبو بكر بن جزى الكلبي]
- ٢٢٣٦ [من تلامذة لسان الدين أبو عبد الله الشريشي]
- و من تلامذة لسان الدين: القاضى الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى
- ٢٢٤٠ [من تلامذة لسان الدين الكاتب أحمد بن سليمان بن فركون]
- ٢٢٤٠ [الباب الثامن [من القسم الثانى] فى ذكر أولاد لسان الدين]
- ٢٢٤٠ [اشارة]
- ٢٢٤٠ [عدة أولاد لسان الدين و ترجمتهم بقلمه]
- ٢٢٤١ [قصيدة فى مدح الرسول من شعر عبدالله بن لسان الدين]
- ٢٢٤٢ [و منه قصيدة يمدح بها السلطان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر]
- ٢٢٤٤ [لعبد الله ابن لسان الدين فى إغذار ابن السلطان]
- ٢٢٤٦ [و له، و أنشده السلطان ليلة الميلاد فى سنة ٧٦٥]
- ٢٢٤٧ [بين لسان الدين و ابنه عبد الله]
- ٢٢٤٨ [على بن لسان الدين]
- ٢٢٤٨ [تذييلات له على كتاب «الإحاطة» لأبيه]
- ٢٢٤٩ [فى ترجمة محمد بن أحمد الهوارى، الشهير بابن جابر]
- ٢٢٤٩ [من شعر ابن جابر الذى لم يذكره لسان الدين]
- ٢٢٥١ [مقصورة عجيبة من شعر ابن جابر رتبها على حروف المعجم فيما قبل الألف المقصورة، و أتى من كل حرف بعشرة أبيات]
- ٢٢٤١ [قصيدة لابن جابر تتضمن التورية بأسماء سورة القرآن الكريم]
- ٢٢٤٣ [معارضة لقصيدة ابن جابر، على وزنها و رويها]
- ٢٢٤٤ [قصيدة للشيخ القلقشندى جرى فيها مجرى ابن جابر]
- ٢٢٤٦ [معارضة أخرى لقصيدة ابن جابر]
- ٢٢٤٧ [خطبة نثرية للقاضى عياض تتضمن التورية بأسماء السور]
- ٢٢٤٨ [خطبة لسعيد بن أحمد المقرئ عم المؤلف عارض بها خطبة القاضى عياض]

- ٢٢٦٩ [من نظم ابن جابر و فى معناه لشمس الدين الدمشقى]
- ٢٢٧٠ [من شعر ابن جابر أيضا]
- ٢٢٧٠ [ارجع لأولاد لسان الدين، من ترجمة على بن لسان الدين]
- ٢٢٧١ [خطبة الكفعمى فى التوریه بسور القرآن الكريم]
- ٢٢٧٢ [قصيدة فى نسق سور القرآن للكفعمى أيضا]
- ٢٢٧٣ [ترجمة إبراهيم بن على الكفعمى]
- ٢٢٧٥ [ارجع إلى نظم ابن جابر]
- ٢٢٧٥ [من شعر أبى جعفر، رفيق ابن جابر]
- ٢٢٧٦ [بين ابن عنين و الملك المعظم و مقطعات من شعر ابن جابر أيضا]
- ٢٢٨٢ [قصيدة لابن جابر فى فضائل الصحابة]
- ٢٢٨٦ [مقطوعات من شعر ابن جابر أيضا]
- ٢٢٨٩ [من شعر أبى جعفر، رفيق ابن جابر]
- ٢٢٩٢ [عود إلى ذكر على بن لسان الدين]
- ٢٢٩٢ [نصيحة من إنشائه كتبها على لسان السلطان، و فيها عجائب مما أوصى به الولاية]
- ٢٢٩٥ [من انشاء على بن لسان الدين أيضا على لسان السلطان]
- ٢٢٩٨ [كتاب من إنشائه على بن لسان الدين عن لسان السلطان الغنى بالله]
- ٢٢٩٨ [وصية لسان الدين لأولاده]
- ٢٣٠٤ [وصية من إنشائه ابن الجيان المرسى، كتبها عن ابن هود ملك الأندلس إلى أخيه]
- ٢٣٠٨ [من شعر ابن الجيان المرسى]
- ٢٣٠٩ [من ترجمة ابن الجيان عن «الإحاطة»]
- ٢٣١٢ [من نشر ابن الجيان رسالة كتب بها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم]
- ٢٣١٥ [ترجمة ابن الجيان عن «عنوان الدراية»]
- ٢٣١٦ [من بديع نظم ابن الجيان تخميس فى مديح النبى صلى الله عليه و سلم]
- ٢٣١٩ [قصيدة مخمسة لبعض أهل المغرب]

- ٢٣١٩ [قصيدة مخمسة لمؤلف هذا الكتاب]
- ٢٣٢٠ [قصيدة في مدح الرسول الأكرم لابن الجيان المرسى]
- ٢٣٢١ [قصيدة مخمسة في المدح لإدريس بن موسى القرطبي]
- ٢٣٢٢ [تقريظ لابن الجيان على قصيدة إدريس بن موسى السابقة]
- ٢٣٢٣ [قصيدة مخمسة لابن سهل الإشبيلي]
- ٢٣٢٥ [قصيدة مخمسة لبعض الوعاظ]
- ٢٣٢٦ [قصيدة مخمسة لبعض أهل المغرب]
- ٢٣٢٧ [قصيدة مخمسة لمالك بن المرحل المالقي السبتي]
- ٢٣٣٠ [قصيدة مخمسة في مدح النبي، لأبي العباس أحمد بن محمد المغربي]
- ٢٣٣٤ [قصيدة مخمسة في مدح الرسول الأكرم، لابن القصير]
- ٢٣٣٥ [الجمال الدين بن جلال الدين الجوزي في مدح النبي]
- ٢٣٣٦ [تسديس في مدح الرسول، لمحمد بن العفيف، الحسنى، الصفوى]
- ٢٣٣٨ [تسديس آخر في مدح النبي لمحمد ابن العفيف الحسنى الصفوى]
- ٢٣٤٢ [تسديس آخر في مدح النبي المصطفى لأبي عبد الله بن العطار، الجزائري]
- ٢٣٤٥ [تسديس آخر في مدح الرسول]
- ٢٣٤٧ [قصيدة في مدح الرسول لابن العطار]
- ٢٣٤٧ [حديث عن كتاب لابن العطار في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم]
- ٢٣٤٩ [من قصائد كتاب ابن العطار في المدح]
- ٢٣٥٣ [لابن العريف، في مدح الرسول]
- ٢٣٥٤ [لأبي عبد الله بن عمران، في مدح الرسول]
- ٢٣٥٥ [مدائح في رسول الله صلى الله عليه و سلم مما نظمه ابن الجيان المرسى]
- ٢٣٥٧ [من شعر أبي القاسم سعد بن محمد و أبي اليمن بن عساكر]
- ٢٣٥٨ [قصيدة أخرى لأبي اليمن بن عساكر]
- ٢٣٥٩ [مقطوعات لابن الجيان المرسى]

- ٢٣٦٠ [مقطوعات للإمام أبي زيد الفازازى]
- ٢٣٦٣ [تسديس فى مدح الرسول من نظم أبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقرى الأندلسى]
- ٢٣٦٦ [خاتمة الكتاب للمقرى]
- ٢٣٦٧ فهرس الرسائل و الخطب و الوصايا للجزء التاسع من كتاب نفع الطيب
- ٢٣٦٧ فهرس الجزء التاسع من كتاب نفع الطيب، من غصن الأندلس الرطيب» للمقرى التلمسانى و هو آخر جزء من أجزاء الكتاب
- ٢٣٧١ [الجزء العاشر]
- ٢٣٧١ [فهارس]
- ٢٣٧١ ١- فهرس الأعلام
- ٢٣٧١ حرف الألف
- ٢٣٩١ حرف الباء
- ٢٣٩٩ حرف التاء
- ٢٤٠١ حرف الثاء
- ٢٤٠١ حرف الجيم
- ٢٤٠٧ حرف الحاء
- ٢٤١٩ حرف الخاء
- ٢٤٢٣ حرف الدال
- ٢٤٢٥ حرف الذال
- ٢٤٢٦ حرف الراء
- ٢٤٣٠ حرف الزاى
- ٢٤٣٦ حرف السين
- ٢٤٤٥ حرف الشين
- ٢٤٥٠ حرف الصاد
- ٢٤٥٣ حرف الضاد
- ٢٤٥٤ حرف الطاء

٢٤٥٧ حرف الظاء

٢٤٥٧ حرف العين

٢٤٩٢ حرف الغين

٢٤٩٤ حرف الفاء

٢٤٩٩ حرف القاف

٢٥٠٥ حرف الكاف

٢٥٠٧ حرف اللام

٢٥٠٨ حرف الميم

٢٥٤٤ حرف النون

٢٥٤٨ حرف الهاء

٢٥٥٢ حرف الواو

٢٥٥٥ حرف الياء

٢٥٦٢ ٢- فهرست الأماكن و المدن

٢٥٦٢ حرف الألف

٢٥٦٦ حرف الباء

٢٥٧٢ حرف التاء

٢٥٧٣ حرف الثاء

٢٥٧٤ حرف الجيم

٢٥٧٦ حرف الحاء

٢٥٧٩ حرف الخاء

٢٥٧٩ حرف الدال

٢٥٨١ حرف الذال

٢٥٨١ حرف الراء

٢٥٨٤ حرف الزاي

- ٢٥٨٤ حرف السين
- ٢٥٨٤ حرف الشين
- ٢٥٨٧ حرف الصاد
- ٢٥٨٨ حرف الطاء
- ٢٥٨٩ حرف الظاء
- ٢٥٨٩ حرف العين
- ٢٥٩١ حرف الغين
- ٢٥٩٢ حرف الفاء
- ٢٥٩٢ حرف القاف
- ٢٥٩٤ حرف الكاف
- ٢٥٩٧ حرف اللام
- ٢٥٩٨ حرف الميم
- ٢٦٠٤ حرف النون
- ٢٦٠٥ حرف الهاء
- ٢٦٠٥ حرف الواو
- ٢٦٠٧ حرف الياء
- ٢٦٠٨ ٣- فهرست القبائل و الشعوب و الأديان و المذاهب
- ٢٦٠٨ حرف الألف
- ٢٦٠٩ حرف الباء
- ٢٦١٠ حرف التاء
- ٢٦١٠ حرف الثاء
- ٢٦١٠ حرف الجيم
- ٢٦١١ حرف الحاء
- ٢٦١٢ حرف الخاء

- ٢٦١٢ حرف الدال
- ٢٦١٢ حرف الذال
- ٢٦١٣ حرف الراء
- ٢٦١٣ حرف الزاى
- ٢٦١٣ حرف السين
- ٢٦١٤ حرف الشين
- ٢٦١٤ حرف الصاد
- ٢٦١٤ حرف الضاد
- ٢٦١٥ حرف الطاء
- ٢٦١٥ حرف الظاء
- ٢٦١٥ حرف العين
- ٢٦١٧ حرف الغين
- ٢٦١٧ حرف الفاء
- ٢٦١٧ حرف القاف
- ٢٦١٨ حرف الكاف
- ٢٦١٨ حرف اللام
- ٢٦١٩ حرف الميم
- ٢٦٢٠ حرف النون
- ٢٦٢١ حرف الهاء
- ٢٦٢١ حرف الواو
- ٢٦٢١ حرف الياء
- ٢٦٢٢ ٤- فهرس القوافى
- ٢٦٢٢ اشارة
- ٢٦٢٢ الألف المقصورة (ى)

- ٢٦٢٢ قافية الهمزة (ء)
- ٢٦٢٦ قافية الباء (ب)
- ٢٦٤٣ قافية التاء (ت)
- ٢٦٤٤ قافية الثاء (ث)
- ٢٦٤٧ قافية الجيم (ج)
- ٢٦٤٨ قافية الحاء (ح)
- ٢٦٥٣ قافية الخاء (خ)
- ٢٦٥٣ قافية الدال (د)
- ٢٦٧٠ قافية الذال (ذ)
- ٢٦٧١ قافية الراء (ر)
- ٢٦٩٨ قافية الزاي (ز)
- ٢٦٩٩ قافية السين (س)
- ٢٧٠٤ قافية الشين (ش)
- ٢٧٠٥ قافية الصاد (ص)
- ٢٧٠٦ قافية الضاد (ض)
- ٢٧٠٨ قافية الطاء (ط)
- ٢٧٠٩ قافية الظاء (ظ)
- ٢٧٠٩ قافية العين (ع)
- ٢٧١٦ قافية الغين (غ)
- ٢٧١٦ قافية الفاء (ف)
- ٢٧٢١ قافية القاف (ق)
- ٢٧٢٩ قافية الكاف (ك)
- ٢٧٣٢ قافية اللام (ل)
- ٢٧٥١ قافية الميم (م)

- ٢٧٦٦ قافية النون (ن) -----
- ٢٧٨٢ قافية الهاء (ه) -----
- ٢٧٨٧ قافية الواو (و) -----
- ٢٧٨٧ قافية الياء (ى) -----
- ٢٧٩١ ٥- فهرس الرجز -----
- ٢٧٩٤ ٦- فهرس الموشحات و الرزل و المسمطات -----
- ٢٧٩٤ اشارة -----
- ٢٧٩٤ ١- الموشحات -----
- ٢٧٩٧ ٢- الأزجال -----
- ٢٧٩٧ ٣- الدوبيت -----
- ٢٧٩٧ ٤- أراجيز مزدوجة -----
- ٢٧٩٨ ٥- المربعات -----
- ٢٧٩٨ ٦- المخمسات -----
- ٢٧٩٩ ٧- المسدسات -----
- ٢٧٩٩ ٨- المسبعات -----
- ٢٧٩٩ ٧- فهرس التنويهات و المراسيم و الخطب و الرسائل و التوقيعات و الإجازات و الوصايا -----
- ٢٨٠٧ تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريات الكمبيوترية -----

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب

إشارة

نام كتاب: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب
 نویسنده: مقرئ، احمد بن محمد
 تاریخ وفات مؤلف: ١٠٤١ هـ. ق
 محقق / مصحح: بقاعی، یوسف
 موضوع: جغرافیای شهرها
 زبان: عربی
 تعداد جلد: ١٠
 ناشر: دار الفکر
 مکان چاپ: بیروت
 سال چاپ: ١٤١٩ هـ. ق

[الجزء الاول]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر المقرئ

نسبه:

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد، المقرئ التلمساني المولد، نزيل فاس، ثم القاهرة.

مولده ونشأته:

ولد بمدينة تلمسان الجزائرية، وأصل أسرته من قرية مقرة - بفتح الميم و تشديد القاف و فتحها و فتح الراء - و إليها ينتسب بعض علماء المغرب.
 و قد تحدث المقرئ عن مولده بمدينة تلمسان، و ذكر لنا أنها من أحاسن بلاد المغرب، و بين حال أسرته بتفصيل حين تحدث عن جده الأعلى أحمد المقرئ في كتابه نفع الطيب الذي نقدم له.
 و يظهر أن أسرته انتقلت إلى تلمسان قبل ولادته بزمان بعيد، فإنه يقول في النفع مشيراً إلى ذلك: «و بها ولدت أنا و أبى وجدى وجد جدى».

و قد قرأ و حصل ببلده على عمه الشيخ الجليل العالم أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرئ مفتى تلمسان، و من جملة ما قرأ عليه القرآن

الكريم، و صحيح البخارى، و روى عنه الكتب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٦

السنّة بسنده عن أبي عبد الله التنسي، عن والده محمد بن عبد الله التنسي، عن عبد الله بن مرزوق، عن أبي حيان، عن أبي جعفر بن الزبير، عن أبي الربيع، عن القاضي عياض بأسانيده المذكورة في كتابه «الشفافى فى التعريف بحق المصطفى»، و درس أيضا الأدب و الفقه المالكي.

حياته و رحلاته.

ثم رحل إلى فاس رحلتين، كانت المرة الأولى سنة ١٠٠٩ هـ، و أمضى فيها بعض الوقت فى التحصيل و الدرس، و كانت الثانية سنة ١٠١٣ هـ، و قد هيأت له الإقامة فى فاس التبحر بالعلم و الاستزادة من التحصيل.

و لم يذكر لنا المقرئ السبب الذى دعاه إلى ترك بلده و الانتقال إلى فاس حيث استقر به المقام، و مهما يكن من أمر فإنه مضى فى فاس يطلب العلم على شيوخها و يزيد من تحصيله و يلتقى أكبر العلماء فيها، و أخذ يشتغل بالفتوى و الخطابة، و أصبح من صدور العلماء المرموقين، و اتصل بالسلطان زيدان السعدى، و تولى الإمامة و الخطابة فى جامع القرويين. ثم تولى الإفتاء سنة ١٠٢٧ هـ.

و برغم هذه المكانة العالية التى حصّلها فإنه قرّر أن يترك المغرب فى أواخر سنة ١٠٢٧ هـ، و كعادته لم يذكر السبب الذى جعله يزعم على الرحلة، و كل ما قاله: «ثم ارتحلت بتيّة الحجاز، و جعلت إلى الحقيقة المجاز» فما السبب المباشر و الرئيس الذى حدا به إلى هجر هذه البلد التى وطأت له أسباب المجد، و رفعته إلى سنام السؤدد؟.

يقول الأستاذ محمد حجي متابعا السيد الجحناي: «و كان خروج المقرئ من فاس بسبب اتهامه بالميل إلى قبيلة شراكة (شراقة) فى فسادها و بغياها أيام السلطان محمد الشيخ السعدى، فارتحل إلى الشرق» و يمكن الاستنتاج- رغم أن المصادر لم تذكر شيئا مما أورده الأستاذ محمد حجي- أن ذلك قد كان، فقد كان المقرئ عالما طارئا على فاس، و كانت قبيلة شراقة تلمسانية الموطن، و كانت تنصر عبد الله بن شيخ على أهل فاس، فعمل الحسد للمكانة التى بلغها المقرئ عند هذا السلطان جعلت الكثيرين يكيلون التهم له و يزعمون أنه ضالع مع السلطان و قبيلة شراقة ضد الفاسيين، و هذه التهمة قد جعلت المؤلف يقرّر ترك فاس إلى المشرق.

و لقي المقرئ فى مراكش صاحبها فأنشده متمثلا بقول ابن عبد العزيز الحضرمي:

محبتى تقتضى مقامى و حالتى تقتضى الرحيل

هذان خصمان لست أقضى بينهما خوف أن أميلا

فلا يزالان فى خصام حتى أرى رأيك الجميلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٧

فأجابه صاحب مراكش بقوله:

لا أوحش الله منك قوما تعودوا صنعك الجميلا

و ذكر المقرئ أن أبا الحسن عليا الخزرجي الفاسي الشهير بالشاحي لما سمع بعزمه على الارتحال عن الوطن كتب إليه بما كتبه أبو

جعفر أحمد بن خاتمة المغربي إلى بعض أشياخه و هو:

أشمس الغرب حقا ما سمعنا بأنك قد سئمت من الإقامة

و أنك قد عزمت على طلوع إلى شرق سموت به علامه

لقد زلزلت منا كل قلب بحق الله لا تقم القيامه

و يشير المقرئ إلى سبب ارتحاله إشارة خفيفة فى مقدمه النفع قائلا: «إنه لما قضى الملك الذى ليس لعبيده فى أحكامه تعقب أو

ردّ، ولا- محيد عما شاءه سواء كره ذلك المرء أو ردّ، برحلتى من بلادى، و نقلتى عن محل طارفى و تلالدى بقطر المغرب الأقصى الذى تمت محاسنه، لو لا- أن سماسرة الفتن سامت بضائع أمنه نقصا، و طما به بحر الأهوال.. و ذلك أواخر رمضان من عام سبعة و عشرين بعد الألف، تاركا المنصب و الأهل و الوطن و الإلف».

و غادر مدينة فاس متوجها إلى المشرق، فوصل تطواف فى ذى القعدة من ذلك العام، و من تطواف ركب سفينة أوصلته إلى الاسكندرية، و منها إلى القاهرة فالحجاز بحرا، فوصل مكة المكرمة فى ذى القعدة من العام التالى، و اعتمر، و بقى بعد العمرة فى مكة ينتظر الحج، و منها توجه إلى المدينة الشريفة لزيارة قبر الرسول الأعظم صلى الله عليه و سلم، ثم عاد إلى مصر فى محرم سنة ١٠٢٩ هـ. و يظهر أنه لم يلق فى مصر ما كان يؤمل من طيب الإقامة و حسن الحفاوة و التقدير، و قد سئل عن مصر و حظه فيها فأجاب: قد دخلها قبلنا ابن الحاجب و أنشد فيها قوله:

يا أهل مصر وجدت أيديكم فى بذلها بالسخاء منقبضه
لما عدت القرى بأرضكم أكلت كتبي كأننى أرضه
و أنشد لنفسه:

تركت رسوم عزى فى بلادى و صرت بمصر منسى الرسوم
و نفسى عفتها بالذل فيها و قلت لها: عن العلياء صومى
ولى عزم كحدّ السيف ماض و لكنّ الليالى من خصومى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٨

ثم رحل لزيارة بيت المقدس فى شهر ربيع الأول سنة ١٠٢٩ هـ و أخذ يتردد إلى مكة و المدينة، حتى كان فى عام ١٠٣٧ قد زار مكة خمس مرات و المدينة المنورة سبع مرات و أملى فيهما دروسا عديدة، كما أملى الحديث النبوى بجوار مقام الرسول صلى الله عليه و سلم. و قد و فى هذا الجانب تفصيلا فى كتابه (نفع الطيب) فقال: «و حصلت لى المجاورة فيها (فى مكة) المسرات، و أمليت فيها على قصد التبرك دروسا عديدة، و الله يحيل أيام العمر بالعود إليها مديدة، و وفدت على طيبة المعظمة ميمما مناهجها السديدة سبع مرار، و أطفأت بالعود إليها ما بالأكباد الحرار، و استضأت بتلك الأنوار، و ألفت بحضرته صلى الله عليه و سلم بعض ما منّ الله به علىّ فى ذلك الجوار، و أمليت الحديث النبوى بمرأى منه عليه الصلاة و السلام و مسمع».

و رجع إلى مصر بعد حجته الخامسة فى سنة ١٠٣٧ هـ ثم رحل إلى القدس فى شهر رجب من ذلك العام، و أقام فيها خمسة و عشرين يوما، و ألقى عدة دروس بالمسجد الأقصى و الصخرة، و زار مقام إبراهيم الخليل عليه السلام و مزارات أخرى. و فى منتصف شعبان عزم على التوجه إلى دمشق، و هناك تلقاه المغاربة و أنزلوه فى مكان لا يليق به، فأرسل إليه أحد أدباء دمشق البارزين أحمد بن شاهين مفتاح المدرسة الجقمقية، و كتب مع المفتاح هذه الأبيات:

كنف المقرى شيخى مقرى و إليه من الزمان مقرى
كنف مثل صدره فى اتساع و علوم كالبحر فى ضمن بحر
أى بدر قد أطلع الدهر منه ملاً الشرق نوره؟ أى بدر
أحمد سيدى و شيخى و ذخرى و سمى و ذاك أشرف فخر
لو بغير الأقدام يسعى مشوق جثته زائرا على وجه شكرى
فأجابه المقرى بقوله:

أى نظم فى حسنه حار فكرى و تحلى بدره صدر ذكرى
طائر الصيت لابن شاهين ينمى من بروض الندى له خير ذكر

أحمد الممتطين ذروة مجد لعوان من المعانى و بكر

حل مفتاح وصله باب وصل من معانى تعريفه دون نكر

يا بديع الزمان دم فى ازدياد بالعلا و ازدياد تجنيس شكرى

و راقى المقرئ دمشق، فبقى فيها عدة أسابيع و أملئ بها صحيح البخارى فى الجامع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٩

الأهمى، و لم يتفق لغيره من العلماء الذين أموا دمشق ما اتفق له من الحظوة و الإقبال، و جرت بينه و بين علمائها و أدبائها مطارحات شتى، و كان أكثر أدبائها إقبالا عليه و تعظيما له و إعجابا به الأديب الكبير أحمد شاهين القبرصى الأصل.

و يصف لنا المحببى إقبال الدمشقيين على المقرئ بقوله:

«و أملئ صحيح البخارى بالجامع تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح، و لما كثر الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع تجاه القبة

المعروفة بالباعونية و حضره غالب أعيان علماء دمشق، و أما الطلبة فلم يتخلف منهم أحد، و كان يوم ختمه حافلا جدا، اجتمع فيه

الألوف من الناس، و علت الأصوات بالبكاء، فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن إلى الباب الذى يوضع فيه العلم النبوى فى

الجمعات من رجب و شعبان و رمضان، و أتى له بكرسى الوعظ، فصعد عليه، و تكلم بكلام فى العقائد و الحديث لم يسمع نظيره قط،

و تكلم على ترجمة البخارى، و أنشد له بيتين، و أفاد أنه ليس للبخارى غيرهما، و هما:

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغيته

كم صحيح قد مات قبل سقيم ذهبت نفسه النفيسة فلتة

و نزل عن الكرسي، فازدحم الناس على تقبيل يده، و كان ذلك نهار الأربعاء سابع عشر شهر رمضان سنة سبع و ثلاثين و ألف».

و قد تركت هذه الزيارة لدمشق فى نفس المقرئ أجمل الأثر و أبقاه فكان يكثر من مدحها، و من محاسن شعره فيها قوله:

محاسن الشام جلّت عن أن تقاس بحدّ

لولا حمى الشرع قلنا و لم نقف عند حدّ

كأنها معجزات مقرونة بالتحديّ

و قوله:

قال لى: ما تقول فى الشام حبر شام من بارق العلا ما شامه

قلت: ما ذا أقول فى وصف أرض هى فى جنه المحاسن شامه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٠

و قوله:

قل لمن رام النوى عن وطن قوله ليس بها من حرج

فرج الهم بسكنى جلق إن فى جلق باب الفرّج

و له غير هذه الأبيات الكثير من المقطوعات الشعرية الدالّة على حبه لها و إعجابها بأهلها، كما أن له الكثير من النثر الدالّ على ذلك و

منه قوله:

«لو تعرضت لأسمائهم- أسماء أهلها- و حلاهم أدام الله تعالى سؤددهم و علاهم، لضاق عن ذلك النطاق، و كان من شبه التكليف

بما لا يطاق، فليت شعرى بأى أسلوب أؤدى بعض حقهم المطلوب، أم بأى لسان أثنى على مزاياهم الحسان، و ما عسى أن أقول فى

قوم نسقوا الفضائل ولاء، و تعاطوا أكواب المحامد ملاء، و سحّبوا من المجد مطارف و ملاء، و حازوا المكارم، و بذوا الموادد و

المصارم، سؤددا و علاء، فهم الذين نوهوا بقدرى الخامل، و ظنوا مع نقصى أن بحر معرفتى وافر كامل حسبما اقتضاه طبعهم العالى».

و مما زاده تعلقا بالشام أنها ذكرته ببلاده التي ارتحل عنها مرغما و هو يقول: «و قد تذكرت بلادي النائبة بذلك المرأى الشامى الذى يبهر رائيه، فما شئت من أنهار ذات انسجام، و أزهار متوجهة للأرواح، مروحةً للنفوس بعاطر الأرواح، و حدائق تغشى أنوارها الأحداق، و جنان أفنانها فى الحسن ذوات أفنان.. و عند رؤيتى لتلك الأقطار الجلييلة الأوصاف، العظيمة الأخطار، تفاعلت بالعودة إلى أوطان لى بها أوطار، إذ التشابه بينهما قريب فى الأنهار و الأزهار ذات العرف المعطار، و كنت قبل حلولى بالبقاع الشامية مولعا بالوطن لا سواه، فصار القلب بعد ذلك مقسما بهواه، و محاسن الشام، و أهله طويله عريضه، و هو مقر الأولياء و الأنبياء، و لا يجهل فضله إلا الأعمار الأغبياء».

و عرج فى عودته إلى مصر من الشام على غزة، فنزل فيها ضيفا على الشيخ غصين، و توسّط مع أمير غزة فى بناء مدرسه لابن الشيخ غصين، فكان له ما أراد.

ثم مضى إلى مصر، و أكب على التأليف، و لكن جو مصر لم يرقه، و وجد الحسد و النفاق غالبين على أهلها، بينما الآداب تجارة ليس لها بسوقها نفاق، فزار دمشق ثانية فى سنة ١٠٤٠ هـ كما يروى صاحب خلاصة الأثر، و لقي من الإكرام مثل ما لقيه فى قدمته الأولى، و عاد إلى مصر، و استقر بها مدة يسيرة، ثم طلق زوجته الوفاية و اعترم بالعودة إلى دمشق للاستقرار بها فعاجلته المنية فى جمادى الآخرة عام ١٠٤١ هـ و دفن رحمه الله بمقبرة المجاورين.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١١

أسلوب المقرئ و مكانته:

المقرئ إضافة إلى صبره و جلدته على التأليف و التنسيق، و علاوة على حافظه قادرة لديه، و ذكاء فذ، شاعر مجيد، قد لا يرتفع شعره إلى مستوى شعر فحول الشعراء، و لكنه لا ينزل إلى الحضيض، فهو إن لم يكن سمينا فليس بالغث الركيك. أما نثره فيمتاز بإشراق الديباجة، و متانة المبنى، و القدرة على التصرف فى استعمال اللفظ. و قد عرف له قدره و مكانته علماء عصره و ما بعد عصره. فالمحبي صاحب خلاصة الأثر يقول عنه: «حافظ المغرب، لم ير نظيره فى جودة القريحة و صفاء الذهن و قوة البديهة، و كان آية باهرة فى علم الكلام و التفسير و الحديث، و معجزا باهرا فى الأدب و المحاضرات، و له المؤلفات الشائعة». و الشهاب الخفاجى فى «ريحانة الألباء و زهرة الحياة الدنيا» يقول عنه: «فاضل لغز المناقب مشرق، و بدر لعلو همته سار من المغرب للمشرق، و هو رفيق السداد، و بيت مجده منتظم الأسباب ثابت الأوتاد... و هو لفته مالك أكرم سيد مالك.. أما الشعر فهو أصمعى باديته و حسن فصاحته».

مؤلفات المقرئ:

لقد ترك المقرئ لنا عددا كبيرا من المؤلفات تمتاز بصفاء العبارة و نقاء الديباجة و وضوح المعنى و إشراقه، و بالاستطراد الذى جعل النقاد يعدونه جاحظ المغرب، و هذه بعض أسماء كتبه مرتبة على أحرف الهجاء:

- ١- إتحاف المغرم المغربى فى شرح السنوسية الصغرى، و هو تكميل لشرح السنوسية فى علم التوحيد.
- ٢- أزهار الرياض فى أخبار عياض، و هو أشبه كتبه بكتاب نفع الطيب الذى نقدم له و نحققه. و قد ألفه أثناء إقامته بفاس سنة ١٠١٣-١٠٢٧، و قد طبع منه ثلاثة أجزاء بتحقيق الأساتذة مصطفى السقا و إبراهيم الأبيارى و عبد الحفيظ الشلبى، و لم يكمل العمل حتى الآن.

٣- أزهار الكمامة. ذكره صاحب خلاصة الأثر، و لم نعر عليه، و لا نعلم عنه إلا ما ذكره صاحب خلاصة الأثر فحسب.

٤- إضاءة الدجنة فى عقائد أهل السنة، و هو منظومة بدأ تأليفها أثناء زيارته للحجاز سنة ١٠٢٧ و درسها فى الحرمين الشريفين، و

- أتمها في القاهرة سنة ١٠٣٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٢
- ٥- حاشية على شرح أم البراهين للسوسى.
- ٦- البداية و النشأة: ذكره فى الخلاصة: وقال: «كله أدب و نظم».
- ٧- الدر الثمين فى أسماء الهادى الأمين (ذكره فى اليواقيت).
- ٨- روض الآس، العاطر الأنفاس فى ذكر من لقيته من علماء مراکش و فاس. ألفه حوالى ١٠١١-١٠١٢ ليقدمه إلى المنصور أحمد الذهبى. و قد طبع الكتاب بالمطبعة الملكية بالرباط عام ١٩٦٤ بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور.
- ٩- عرف النشق فى أخبار دمشق: ذكره المحبى و اليواقيت، و لم نجده، و لعله كان مشروعاً لم يتم.
- ١٠- الغث و السمين، و الرث و الثمين: ذكره فى اليواقيت.
- ١١- فتح المتعال فى مدح النعال، و هو كتاب صنفه فى وصف نعال الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم.
- ١٢- قطف المهتصر فى شرح المختصر، و هو شرح على حاشية مختصر خليل. ذكره المحبى.
- ١٣- أراجيز منها: «أزهار الكمامة فى شرح العمامة» (مخطوط).
- ١٤- رجز «نيل المرام المغتبط لطالب الخمس الخالى الوسط» (مخطوط).
- ١٥- حسن الثنا فى العفو عن جنى (طبع بمصر).
- ١٦- أنواء النسيان فى أبناء تلمسان (ذكره فى كشف الظنون).
- ١٧- الجمان فى أخبار الزمان (ذكره فى كشف الظنون).
- ١٨- و أخيراً كتاب نفع الطيب.

كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

قدم المقرئ لكتابه هذا بمقدمة وافية ذكر فيها أسباب تأليفه الكتاب، فقال: «و كنا فى خلال الإقامة بدمشق المحوطة، و أثناء التأمل فى محاسن الجامع و المنازل و القصور و الغوطة، كثيراً ما نظم فى سلك المذاكرة درر الأخبار الملقوطة، و تنفياً من ظلال التبيان مع أولئك الأعيان فى مجالس مغبوطة، نتجاذب فيها أهذاب الآداب، و نشرب من سلسال و نتهادى لباب الألباب، و نمد بساط الانبساط، و نسدل أطناب الإطناب! و نقضى أوطار الأقطار، و نستدعى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٣

أعلام الأعلام، فينجز بنا الكلام، و الحديث شجون، و بالتفنن يبلغ المستفيدون ما يرجون إلى ذكر البلاد الأندلسية، و وصف رياضها السندسية التى هى بالحسن منوطة.. فصرت أورد من بدائع بلغائها ما يجرى على لسانى، و أسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب ما تشيره المناسبة و تقتضيه من النظم الجزل، و الإنشاء الذى يدهش به ذاكرة الألباب، و تعرفه فى فنون البلاغة حالى الولاية و العزل، إذ هو فارس النظم و النثر فى ذلك العصر، فلما تكرر ذلك غير مرة على أسماعهم لهجوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة إجماعهم، و علق بقلوبهم، و أضحى منتهى مطلوبهم».

ثم ذكر فى المقدمة أسباب إقدامه على تأليف الكتاب، و لعل أهمها إصرار المولى أحمد الشاهينى على تأليف هذا الكتاب فى بديع ما أنتجته قريحته لسان الدين بن الخطيب، و لكن المؤلف اعتذر و قدم بين يدي اعتذاره الأسباب، غير أن الشاهينى أصر على طلبه، و لم يقبل منه عذراً حتى وعد بالعمل على التأليف.

و بعد أن وصل المقرئ إلى القاهرة و استقر بمصر وضع تصميم الكتاب و كتب منه نبذة، غير أن أحوال الدهر و تقلباته جعلته يضرب

عن إكمال ما بدأ، لكن الشاهيني عاد يذكره من جديد بما وعد، و يستنجز وعده راجيا إكماله مما شجعه على العودة إلى إتمام الكتاب. و حدث له حين الشروع بالتأليف عزم على زيادة ذكر الأندلس جملة قبل الحديث عن لسان الدين، و ساعده على ذلك افتتاحه بها حتى ليظن قارئ النفع أنه أندلسي الأصل و المولد و النشأة، إضافة إلى سبق اهتمامه بالأدب و التاريخ الأندلسيين، و اقتنائه في المغرب كثيرا من هذه الكتب، و قد ذكر ذلك فقال: «و لو حضرني ما خلفته مما جمعت في ذلك الغرض و أفته لقرت به عيون و سرّت به ألباب». و لعل هذه النقطة بالذات تجعلنا نرجح أن زيارته دمشق و طلب الشاهيني منه تأليف كتاب عن لسان الدين بن الخطيب لم يكونا إلا إزالة الستار عن أشياء في ذهن أدينا، و أنه كان في ذهنه، و منذ زمن بعيد، أن يكتب في هذا الموضوع، و لكن كانت تؤخره ظروف و أحوال، حتى كان القرار النهائي بعد زيارة دمشق.

و الجدير بالذكر هنا أن المقرئ لم يكن يهدف من تأليف الكتاب ربحا ماديا، أو مصلحة عاجلة «لم يكن جمعي - علم الله - هذا التأليف لرفد استهديه، أو عرض نائل أستجديه، بل لحق و دّ أؤديه، و دين وعد أقدمه و أبدية، و تلبية داع أحييه و أفديه». و يتحدث المقرئ عن تنسيق الكتاب فيقول: «بعد أن ضمنت تمام هذا التصنيف، و أمعنت النظر فيما حصل التقريظ لسامعه و التشنيف قسمته قسمين: القسم الأول فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار. و القسم الثاني في التعريف بلسان الدين بن الخطيب».

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٤

و الحقيقة أننا لا بد من الاعتراف للمؤلف بالتواضع بقيمة هذا الكتاب، فهو رغم استطراداته الكثيرة و انتقاله من موضوع إلى آخر، و عودته مرات إلى موضوع سبق له بحثه، قادر على تصوير الحياة السياسية و الاجتماعية و الأدبية بالأندلس فجاء كتابه شافيا في موضوعه، منتشلا من برائن الضياع كثيرا من المادة التي لولاها لضاعت، و لقد ساعد على ذلك هذا الطابع الموسوعي الذي اتخذته الكتاب، فكان مغنيا عن عشرات الكتب.

تحقيق الكتاب و شرحه:

يعتبر نفع الطيب أقدم الكتب الأندلسية التي رأت النور و عرفت المطبعة العربية، و يعد مصدرا لأكثر ما عرفه المشاركة عن الأندلس، و هذا ما حدا بنا إلى إعادة تحقيقه رغم أن الكتاب قد طبع طبعات متعددة لا تخلو من دقة و عناية إلا أننا حاولنا أن نستفيد من اجتهادات السابقين، و ضبط الكتاب ضبطا دقيقا بحيث تكون هذه الطبعة الجديدة قريبة من الكمال، ترضى المقرئ، رحمه الله. إضافة إلى أننا وجدنا أن بعض الطبعات و التحقيقات قد أغفلت شرح كثير من الكلمات التي يجب شرحها ليتسنى لمن يريد الاستفادة من الكتاب أن يصل إلى بغيته دون كثير عناء، كذلك فإن وجود طبعات متعددة للكتاب الواحد لا ينقص من قيمته، و إخراج طبعة جديدة يعتبر بعثا جديدا للكتاب بحلة جديدة و إغناء للمكتبة العربية بهذا التراث الخالد. و دار الفكر التي حرصت منذ تأسيسها على تعميم هذا التراث و توفيره للقارئ العربي بأبسط السبل تقدم اليوم هذه الموسوعة، نفع الطيب بطبعة جديدة و تحقيق جديد.

فقد أوكلنا للأستاذ يوسف الشيخ محمد البقاعي النهوض بهذا العمل الشاق و الدقيق فحمل الأمانة و أداها بجلد و صبر و مسؤولية و قام بتحقيق الكتاب، و ضبط ما يحتاج إلى الضبط منه، و التعريف بما رأى التعريف به من أعلام رجالاته و بلدانه، و شرح غريب كلماته. و قد اعتمد في تحقيقه و شرحه، على جميع الطبعات التي ظهرت للكتاب حتى يومنا هذا. و بعد أن تأكد أن محقق الكتاب قد بذلوا كل جهد يشكرون عليه.

وصف النسخ التي اعتمدنا عليها:

١- طبعة بولاق في عام ١٢٧٩ هـ، و هي طبعة جيدة إلا أنها لا تخلو من تصحيف و قد اعتمدت للمقارنة و رمزنا إليها بحرف ج.

٢- طبعة ليدن عام ١٨٥٥ م هي طبعة جيدة تولّاهها بالعناية المستشرقون دوزي و دوجا و كريل و رايت. و قد اعتمد هؤلاء على نسخ خطية توفرت لهم من لندن و باريس و أكسفورد و برلين و بطرسبرج و كوبنهاجن. و مع أن هذه الطبعة لم تشمل إلا القسم نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٥

الأول من النسخ إلا أنه يمكن الاعتماد عليها في المقارنة و التصويب، و ذلك لأن محققها عملوا ما في وسعهم في سبيل الوصول إلى الأصوب، و قد اعتمداها في المقارنة و رمزنا إليها بحرف ه.

٣- الطبعة التي حققها المرحوم محيي الدين عبد الحميد، و هي طبعة أنيقة خالية إلى حد كبير من الأخطاء، و مقارنته على النسخ المطبوعة السابقة. و قد رمزنا إليها بحرف «أ» و اعتمداها أساسا، إلا ما وجدنا أن الأستاذ محيي الدين رحمه الله قد أخفق فيه فاعتمدا بقية النسخ لتصحيح ما وقع في «أ» من خطأ.

٤- طبعة صادرة بتحقيق الدكتور إحسان عباس و هي طبعة حققت بشكل علمي، و استفاد المحقق من طبعات الكتاب السابقة، و من مخطوطات متعددة مما يجعلها أقرب الطبعات للصواب. إلا أن المحقق استغنى عن شرح الكلمات، و أشار في مقدمته إلى ذلك. و قد رمزنا لهذه الطبعة بحرف «ب» و نظرا إلى أن هذه الطبعات رغم الميزات التي لكل واحدة منها، و رغم أنه لا بد أن نجزل الشكر لجميع من عمل بها، و قدم لهذه الأمة جهودهم و سهرهم و ضنهم، رغم ذلك فإن هذه الطبعات قد جاءت كل واحدة تخلو من شيء ينبغي أن يوجد فيها ليستفيد منها القارئ كما الباحث و الدارس.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٦

خطبة التحقيق و الشرح

- شكّلنا الكتاب شكلا يكاد يكون كاملا ليتسنى للقارئ فهم النصوص فهما تاما.
- خلصنا الكتاب من الأخطاء الناتجة عن التصحيح و التحريف.
- شرحنا المفردات الواجبة الشرح ليستطيع أي قارئ الإفادة من الكتاب و لا سيما أن المقرئ رحمه الله من الكلمات الغريبة في كثير من الأحيان مما يجعل قراءته دون شرح مفرداته صعبة و على وجه الخصوص المفردات الواردة في الشعر.
- وضعنا ملخص محتوى كل صفحة من الكتاب برأسها و بذلك نبهنا القارئ إلى استطرادات المؤلف و انتقالاته من موضوع إلى آخر، و يشرنا عليه إيجاد الموضوع الذي يحتاجه من الكتاب. و بهذا تكون هذه الملخصات- الترويسات- مساعدة للفهارس.
- أعددنا فهرسا للأعلام و الأنساب و الأماكن الواردة في الكتاب، و كذلك للقوافي و التنويهاات و الرسائل و جعلنا كل ذلك في مجلد خاص.

- هذه الطبعة الجديدة من الكتاب- نفع الطيب- نضعها بين أيدي القراء في تسعة مجلدات غير مدّعين الكمال آملين أن يجدوا فيها ما يتوخون و يبتغون، و الحمد لله و نسأل الله التوفيق.

بيروت في يوم الاثنين السابع من رجب ١٤١٧ هـ الموافق الثامن عشر من شهر تشرين الثاني ١٩٩٦ م

الناشر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

يقول العبد الفقير، الذليل المضطرّ الحقيّر، من هو من صالح الأعمال عرّي:

أحمد بن محمد الشهير بالمقرّي، المغربي المالكي الأشعريّ، أصلح الله تعالى حاله، وجعل في مرضاته حلّه و ترحاله! و محا بغيث الطاعة و الرّضوان أمحاله! و أنجح ببلوغ آماله انتحاءه و انتحاله:

أحمد من عزّف من حلى الأمصار و على الأعيان على تداول الأعصار و تناول الأحيان، ما فيه ذكرى لأولى الأبصار و إرشاد إلى معرفة الديان، و اعتبار بأخبار راع و صفها أو راق، و شرف من صرف المطامح و المطامع، إلى تفصيل ما أفاد لسان الدين من كلم جوامع، و تحصيل ما أجاد من حكم بوالغ سحب بلاغتها هوامع، و اقتناء ذخائر المهتدين التي تشنفت بدررها اللوامع الآذان و المسامع، من كل منحطّ عن رتبة البراعة أو راق، حتى توجّ الخطيب المجيد رؤوس المنابر بفرائد الكلام، و حلّى الكاتب الأديب المجيد صدور المزابر من فوائد الأعلام، و كحل الحكيم الطيب الأريب المفيد من إثم المحابر بمراد الأقلام، عيون أوراق.

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي ابتداء الخلق من غير مثال و براء، و قسم العباد إلى حاضر و باد و ظاهر و خامل و قاصر و كامل تشير إليه بالأنامل أيدي الكبرا، و أبدى في اختلاف ذواتهم و أعراضهم و تباين أدواتهم و أغراضهم و تغاير ألسنتهم و أمكنتهم و أزمنتهم و ألوانهم و أكوانهم و مناصبهم و مناسبهم عبرا، و جعل الدنيا لمن أتى صغرا أو كبرا، و لبس منهم مسوحا أو حبرا، و أدخل إلى الأرض أو صعد منبرا، جسرا إلى الآخرة و معبرا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٨

و حكم- و هو الفاعل المختار- على الجميع بالموت فكان لمبتدئهم خبرا، فيا له من داء أعيا كلّ معالج أو راق.

فسبحانه من إله انفراد بوجوب القدم و البقا، و اختصّ بفضله من شاء فارتقى، و عمّ تعالى ذوى السعادة و الشقا، بالحدوث و الفناء، و أذاق من فراق الدنيا كل من فيها بلا ثنيا فمن وفق فنفي عن جفنه و سنا، أو خذل فجرّ في ميدان الاغترار رسنا، و زين له عياذا بالله سوء عمله فرآه حسنا، طعم شعوب المرّ الجنى، فلم يغن منه عن ذوى الغنى و الغنا، و أهل السناء و السننا من استظهروا به من أرباب الصّوارم و القنا، و أصحاب النظم و النثر و الجدال و الفخر و المدح و الثنا، فأولئك ألقوا السيّاح مدعنين، مستبصرين موقنين، إذ جاء الحق و زهق الباطل و ولى الامترا و هؤلاء تركوا الاصطلاح معلنين، عالمين أنهم لم يكونوا في التمويه محسنين، و كيف لا وقد اضمحلّ الغرور و الاجترا، و ذهب و الله الجور و الافتراء، و بدّل مذاق الإطراء بصدق الإطراق.

و أشكره جلّ و علا على أن علّم بالقلم ما لم نعلم، و تبه بآثاره الدالّة على اقتداره إلى سلوك الطريق الأقوم، الواضح المعلم، و أرشد من أشرق فكره و أضأ، إلى التفويض لأحكام القضا، و من ذا يرّد ما أمضى أو ينقض ما أبرم، و التسليم على كل حال أسلم، و أمر جلّ اسمه بالتدبّر في أبناء من مضى، و النظر في عواقب أحوال الذين زال أمرهم و انقضى، من صنوف الأمم، و ويخ من دجا قلبه بالإعراض عن ذلك و أظلم، و شتان ما بين اللاهى و المتذكر، و الساهى و المتفكر، و الناجى و الهالك المتحير، و الداجى الحالِك و المشرق التّير، و ما يستوى الظلّ و الحرور، و الحزن و السرور، و الظلمات و النور، ذو البهجة و الإشراق.

و أصلى أزكى الصلاة و السلام، هديّة لحضرة سيد الأنام، و لبنه التمام، من زويت له

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٩

من الأرض المغارب و المشارق، و تمّ به نظام أنبياء الله و رسله العظام، و أزاح نوره الضلال و الظلام، حتى أضاءت بوسمه المساجد و ازدانت باسمه المهارق، و ألقى الموفق الموافق لدعوته بيد الاستسلام، و ذلك شأن ذوى العقول الراجحة و الأحلام، غير خائف من عتب و لا مترقب لملام، فأمن من الطواريء و الطوارق، و تمت كلمة الإسلام الذي اتّضح برهانه لدى بصر و بصيرة لا يحتاج إلى زيادة الإعلام، و علت سيوف توحيد الملك العلام، من المعاند المفارق المفارق و خضبتها بحناء النجيع الرقراق: النبيّ الأمّيّ الأمين، الداعى جميع العالمين، إلى سلوك منهاج ما له من هاج ذى أضواء شوارق، سيد الرّسل الغرّ الميامين، ملجأ الأمة، جعلنا الله ممن نجا باللّجاء إليه آمين، الذي أنزل عليه القرآن، هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان، و انشقّ له الزبرقان و نبع الماء من بين أصابعه

زيادة في الإيقان، و سلمت عليه الأحجار، و انقادت لأمره الأشجار، متفتيةً ظلالة الشريفة و خطت في الأرض أسطرا مبدعة الإيقان، إلى غير ذلك من معجزاته الخوارق، فهو صاحب الدعوة الجامعة، و البراهين اللامعة، و الأدلة التي سقت الشجرة الطيبة غيوثها النافعة، الصبية الهامية الهامعة، الصادقة البوارق. فأثمرت النجاة و الفوز و الفلاح و أوقرت بالهدى أحسن إيرا، أسنى رسول بعث إلى الأرض و أعظمهم جلاله، و أكثرهم تابعا في الطول منها و العرض، و لم لا وقد ظهر به الحق لمن أمه مسترشدا و جلاله؟ و أسمى من جاء بتبيين السبب و الفرض و أعمهم دلالة، منقذ البرايا في الدنيا و يوم العرض، الآخذ بحجزهم عن النار و الضلالة، الداعي إلى تقديم الخير و حسن القرض، الحريص على هداية الخلق، المبلغ لهم أحكام الحق من غير ضجر و لا- ملالة، ذو الفضل العظيم الذي لم يختلف فيه من أهل العقول اثنان، و المجد الصميم الثابت الأصول الباسق الأفنان، المنتقى من محتد معد بن عدنان، المنتخب من خير عنصر و أطر سلاله، شفيقنا و ملاذنا و عصمتنا و معاذنا و ثماننا الذي نجحت به آمالنا، و زكت أقوالنا و أعمالنا، و وسيلتنا الكبرى، و عمدتنا العظمى في الأولى و الأخرى، و كثرنا الذي أعددناه لإزاحة الغوم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٠

ذخرا، و غيثنا و غوثنا و سيدنا و نبينا و مولانا محمد الطيب المنابت و الأعراق.

صلى الله عليه و سلم، و وجه وفود التعظيم إليه، من مفرد في جماله صار لجمع الأنبياء تماما، و فد في كماله تقدم في حضرة التقديس التي أسست على التشريف أعظم تأسيس فضلى بالمرسلين إماما، و صدر تحلى بجميل الأوصاف، كالوفاء و العفاف، و الصدق و الإنصاف، فزكا في أعماله، و بلغ الراجى منتهى آماله، و لم يخلف وعدا و لم يخفر ذماما، و سيد كسى حلل العصمة، من كل مخالفة و ذنب و وصمة، فلم يصرف لغير طاعة مولا، الذي أولاه من التفضيل ما أولاه اهتبالا و اهتماما.

و على آله و عترته، الفائزين بأثرته، أنصار الدين، و المهاجرين المهتدين، و أشياعه و ذريته، الطالعين نجوما في سماء شهرته، و أتباعهم القائمين بحقوق نصرته، أرباب العقل الرّصين، الفاتحين بسيف دعوته أبواب المعقل الحصين، حتى بلغت أحكام ملته، و أعلام بعثته، من بالأندلس و الصين، فضلا عن الشام و العراق.

و رضى الله تعالى عن علماء أمته المصنّفين في جميع العلوم و الفنون، و عظماء سنته الموفين للطلاب بالآراب، المحققين لهم الظنون، و حكماء شرعته المتبصرين بحدوث من مّرت عليه الأيام و الشهور، و كرت عليه الآناء و الدهور و الأعوام و السنون، المتدبرين في عواقب من كان بهذه البسيطة من السكان المتذكرين على قدر الإمكان بمن طحنته رحي المنون، من أملاك العصور الخالية، و ملاك القصور العالية، و ذوى الأحوال التي هي بسلوك الاختلاف حالية، من بصير و أعمى، و فقير و ذى نعمى، و مختال تردى بكبريائه، و مختال على ما بأيدي الناس بسمعته و ريائه، و عاقل أحسن العمل، و غافل افتتن بالأمل، و كارع في حياض الشريعة، و راتع برياض الآداب المريعة، و ذى ورع سدّ عمّا رابه الذريعة، و أخى طمع في أن يدرك آرابه من الدنيا الوشيكة الزوال السريعة، و مقتبس من نبراس الرواية، و ملتبس بأدناس الغواية، و شاعر هام في كل واد، و قال ما لم يفعل، فكان للغاوين من الرّواد، و جاهل عمر الخراب، و خدع بالسيراب، عن أعذب الشّراب، و محقق علم أنه إذا جاء القدر عمى البصر ممن كان أحذر من غراب، و موفق تيقن أن غير الله فإن، و كل الذى فوق التراب تراب،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢١

و من متخلّق متجرّد تصوّف، و متعلّق متفرّد تشوّق إلى ما فيه رضا الربّ و تشوّف، و ناه ذكر بأيام الله، و وعظ و خوّف، و لاه اغترّ بالباطل، فهو بالحق مماطل، و طالما أخره و سوّف، و أبعد الانتجاع، ثم أوى من باطنه إلى بيت قعيدته لكاع نفس أمارة بعدما طوّف، و من مادح نظم الآلاء نظم اللال، و كادح طمس لألاء العز بظلمة ذلّ السؤال، فجعل القصائد مصايد، و الرسائل وسائل، و المقطعات مرقعات، قال أمره إلى ما آل، و من مخبر بما سمع و رأى، حين اغترّب عن مكانه و نأى، أو أقام في أوطانه فبلغ ما قدر و أوى و من مجازف لا يفرق بين الغتّ و السمين و الإمرار و الإحلاء، و عارف ثقة أمين نظم درّ الصدف الثمين في أسلاك الكتابة و الإملاء، و

عاشق خنساء فكره ذات الصّيدار من الشجون و الشعار تبكى على صخر قلب المحبوب، و تذكره كلما طلعت شمس أو كان للصّيبا هبوب، فتأتى بما يطفى وقود الجوى المشبوب من بحار الأشعار، و ليلى شوقه العفيفه عن العار ترفل فى ثوب من التصبر معار، و قيس توفه من ثوب السلو عار، قد تولّه و اشتاق خصوصا عند انتشاق البشام و العرار و قلق لما أرق فلم يقرّ به قرار، فاعتراه ما براه و ألف البكاء بحكم الاضطرار، و لبس ثياب النحول و الاصفرار، و أسر لما هزمت جيوش صبره و أزمعت الفرار، فتحير مما شجاه و سأل النجاه من أسر الفراق. [مجزوء الكامل]

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب و لا ملامه

أعمى و أعشى ثم ذو بصر و زرقاء اليمامة

و مسدد أو جائر أو حائر يشكو ظلامه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٢

لو لا استقامه من هدا ه لما تبينت العلامه

و مجاور الغرر المخيف له البشارة بالسلامه

و أخو الحجا فى سائر الأنفاس مرتقب حمامه

و كما مضى المغتر من لم يجعل التقوى اغتنامه

فليرفض العصيان من يخشى من الله انتقامه

و ليعتبر بسواه من لصلاحه صرف اهتمامه

فالعيش فى الدنيا الدنيه غير مرجو الإدامه

من أرضعته ثديها فى سرعه تبدا فطامه

من عزّ جانبه بها تنوى على الفور اهتضامه

و إذا نظرت فأين من منعه أو منحت مرامه

و من الذى وهبته وصلا ثم لم يخش انصرامه

و من الذى مدّت له حبال فلم يخف انفصامه

كم واحد عزّته إذ سرّته مخفيه الدمامه

قعدت به من حيث لم يعلم فلم يملك قيامه

أين الذين قلوبهم كانت بها ذات استهامه

أين الذين تفيؤوا ظلّ السيادة و الزعامه

أين الملوك ذوو الرياسه و السياسه و الصرامه

و بنو أميه حين جمّع عصرهم لهم فتامه

و تمكنوا ممن يحا ول نقض ما شاؤوا انبرامه

و تعشقوا لما بدا لهم محيا الأرض شامه

و تأملوا وجه البسيطة فانتنوا يهوون شامه

حتى تقلص ظلهم و أراهم الدهر اخترامه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٣

أين الخلائف من بنى العباس و البر القسامه

أين الرشيد و أهله و بنوه أصحاب الشَّهامه
 و وزيره يحيى و جعفر ابنه الراوى احتشامه
 و الفضل مدنى من يقول لمن يلوم على الندى مه
 أم أين عترة الشجاع و ذو الجدا كعب بن مامه
 و الزاعمون بجهلهم أن القبور صدى و هامه
 و المكثرون من المجون إذا شكا الفكر اغتمامه
 أين الغريض و معبد أو أشعب و أبو دلامه
 أين الألى هاموا بسع دى أو بثينه أو أمامه
 و بكوا لفرط جواهم و الليل قد أرخى ظلامه
 و تتبعوا آثار من عشقوا بنجد أو تهامه
 و تعللوا، و الشوق يغ لب، بالأراكة و البشامه
 أضنى النوى قيسا فقا سى لاجعا أغرى غرامه
 و غوى هوى غيلان مذ أبدى بميته هيامه
 أين الأكاسر و القيا صرة المجلون الغمامه
 أين الذى الهرمان من بنيانه الحاكي اعترامه
 أم أين غمدان و سى ف و الوفود به أمامه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٤
 أين الخورنق و السدى ر و من شفى بهما أوامه
 و مدائن الإسكندر ال لاتي لها أعلى دعامه
 أين الحصون و من يصون بها من الأعدا حطامه
 أين المراكب و المواكب و العصائب و العمامه
 أين العساكر و الدساكر و التدامى فى المدامه
 و سقاتها المتلاعبون بلب من أعطوه جامه
 من كل أهيف يزدري بالغصن إن يهزز قوامه
 ذى غرة لأؤها تمحو عن النادى ظلامه
 فالشمس فى أزواره و البدر فى يده قلامه
 يصمى القلوب إذا رمى عن قوس حاجبه سهامه
 و يروق حسنا إن رنا و يفوق آراما برامه
 أنى لها ثغر حلا ذوقا لمن رام التثامه
 أنى لها وجه يشب بقلب مبصره ضرامه
 أستغفر الله للغ و لا يرى الشرع اعتيامه
 بل أين أرباب العلوم أولو التصدر و الإمامه
 و ذوو الوزارة و الحجابه و الكتابه و العلامه

كأئمة سكنوا بأن دلس فلم يشكوا سآمه
هي جنّة الدنيا التي قد أذكرت دار المقامه
لا سيّما غرناطة ال غزاء رائقة الوسامه
و هي التي دعيت دمشق ق و حسبها هذا فخامه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٥
لنزول أهلها بها إذ أظهر الكفر انهمامه
و أتت جيوش الشام من باب نفى الفتح انبهامه
فسلوا بها عن جلق إذ أشبهتها في الضخامه
و بدا لهم وجه المنى و أراهم الثغر ابتسامه
و تبوء أواها حضرة تبرى من المضىنى سقامه
بروائها و بمائها و هوائها النافى الوخامه
و رياضها المهترّة ال أعطاف من شدو الحمامه
و بمرجها النضر الذى قد زين الله ارتسامه
و قصورها الزهر التي يأبى بها الحسن انقسامه
يا ليت شعرى أين من أمضى بها الملك احتكامه
و أتيح فى حمرائها عزّا به زان اتسامه
أين الوزير ابن الخطى ب بها فما أحلى كلامه
فلكم أبان العدل فى أرجائها و بها أقامه
و لكم أجار عدا و كم أجرى ندى و الى انسجامه
راعت صروف الدهر دو لته و ما راعت ذمامه
حتى ثوى إثر التوى فى حفرة نثرت نظامه
من زارها فى أرض فاس أذهبت شجوا منامه
إذ تبهته لكلّ شم ل شتت الموت التثامه
هذا لسان الدين أس كتته و أسكنه رجامه
و محا عبارته فمن حياه لم يردد سلامه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٦
فكأنه ما أمسك ال قلم المطاع و لا حسامه
و كأنه لم يعل مت ن مطهم بارى التّعامه
و كأنه لم يرق غا رب الاعتزاز و لا سنامه
و كأنه لم يجبل وجها حاز من بشر تمامه
و كأنه ما جال فى أمر و لا نهى و سامه
و كأنه ما نال من ملك جباه و لا احترامه
و كأنه لم يلق فى يده لتدبير زمامه

مد فارق الدنيا وقو ض عن منازلها خيامه
 أمسى بقبر مفردا و الترب قد جمعت عظامه
 من بعد تثنية الوزا ره جاده صوب الغمامه
 لم يبق إلّا ذكره كالزهر مفتّر الكمامه
 و العمر مثل الضيف أو كالطيف ليس له إقامه
 و الموت حتم ثم بع د الموت أهوال القيامه
 و الناس مجزيون عن أعمال ميل و استقامه
 فذوو السعادة يضحكون و غيرهم يبكي ندامه
 و الله يفعل فيهم ما شاء ذلّا أو كرامه
 و يشفع المختار فى هم حين يبعثه مقامه
 و عليه خير صلاته مع صحبه تتلو سلامه
 و التابعين و من بدا برق الرّشاد له فشامه
 ما فاز بالرّضوان عب د كانت الحسنى ختامه
 و الله سبحانه المسؤول فى الفوز و النجاة كرما منه و حلما، فييده الخير لا إله إلّا هو العليّ الكبير العليم الخبير الذى أحاط بكل شىء
 علما، فلا يعزب عنه مثقال ذرّة فى الأرض و لا فى السماء من مخلوقاته على الشمول و الاستغراق.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٧

[حديث المؤلف عن وطنه و حنينه إليه ٢٧]

أما بعد حمد الله مالك الملك، و الصلاة على رسوله المنجى من الهلك، و الرضا عن آله و صحبه الذين تجلّت بأنوارهم الظلم
 الحلك، و عن العلماء الأعلام، الخائضين بحار الكلام، المستوين من البلاغة على الفلك - فيقول العبد الحقير المذنب، الذى هو إلى
 رحمة ربّه الغنى فقير، المقصّر المتبرىء من الحول و القوة، المتمسك بأذيال الخدمة للسنة و النبوة، و ذلك بفضل الله أمان و براءة،
 الضعيف الفانى، الخطّاء الجانى، من هو من لباس التقوى عرى، أحمد بن محمد بن أحمد، الشهير بالمقرى، المغربى المالكي
 الأشعري، التلمسانى المولد و المنشأ و القراءة، نزيل فاس الباهرة ثم مصر القاهرة، أصلح الله أحواله الباطنة و الظاهرة، و جعله من ذوى
 الأوصاف الزكية و الخلال الطاهرة، و سدّد فى كل قصد أنجاه و آراءه و وقفه بمنّه و كرمه للأعمال الصالحة، و الطاعات الناجحة و
 الرّاجحة، و المتاجر المغبوطة الرابحة، و المساعى الغادية بالخير الرائحة، و وقاه ما بين يده و وراءه، و كفاه مكر الكائد و افتراءه، و
 جدال الحاسد المستأسد و مرآه، و جعل فيما يرضيه سومه و شراءه! آمين: إنه لما قضى الملك الذى ليس لعبيده فى أحكامه تعقّب
 أو ردّ، و لا- محيد عمّا شاءه سواء كره ذلك المرء أو ردّ، برحلتى من بلادى، و نقلتى عن محلّ طارفى و تلالدى، بقطر المغرب
 الأقصى، الذى تمّت محاسنه لو لا أنّ سماسرة الفتن سامت بضائع أمنه نقصا، و طما به بحر الأهوال فاستعملت شعراء العيث فى كامل
 رونقه من الزحاف إضمارا و قطعا و وقصا: [مجزوء الكامل]

قطر كأنّ نسيمه نفحات كافور و مسك

و كأنّ زهر رياضه درّ هوى من نظم سلك

و ذلك أواخر رمضان من عام سبعة و عشرين بعد الألف، تاركا المنصب و الأهل و الوطن و الإلف: [الخفيف]

بلد طاب لى به الأنس حيننا وصفا العود فيه و الإبداء

فسقت عهده العهد و روت منه تلك النوادي الأنداء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٨

و ما عسى أن أذكر في إقليم، تعين لحجة فضله التسليم: [الكامل]

أضواؤه طبق المنى، و هواؤه يشتاقه الولهان في الأسحار

و الطبع معتدل فقل ما شئت في الظلّ و الأزهار و الأنهار

محلّ فتح الكمام، و مسقط الرأس و قطع التمام: [الوافر]

به كان الشباب اللدن غصا و دهرى كله زمن الربيع

ففرق بينا زمن خؤون له شغف بتفريق الجميع

لم أنس تلك التواسم، التي أيامها للعمر مواسم، و ثغورها بالسرور بواسم، فصرت أشير إليها و قد زمت للرحيل القلص الرواسم:

[الكامل]

و لنا بهاتيک الديار مواسم كانت تقام لطيبها الأسواق

فأباننا عنها الزمان بسرعة و غدت تعلقنا بها الأشواق

و أنشد قول غيلان: [الطويل]

أ منزلتي مئى سلام عليكما هل الأزمن اللائي مضمين رواجع

و أتمثل في تلك الحدائق التي حمائمها سواجع، بقول من جفونه من الهوى غير هواجع:

[الكامل]

تشدو بعيدان الرياض حمائم شدو القيان عزفن بالأعواد

ماد النسيم بقضيبها فتمايلت مهترّة الأعطاف و الأجياد

هذى تودّع تلك توديع التي قد آذنت منها بوشك بعد

و استعبرت لفراقها عين الندى فابتلّ مثرر عطفها المياد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٩

و أحدق النظر إلى روض، لإنسان العين من فراقه في بحر الدموع سبح و خوض:

[مجزوء الكامل]

روض به أشياء لى ست فى سواة تؤلف

فمن الهزار ترنم و من القضيب تقطف

و من التسيم تلطف و من الغدير تعطف

و ألتفت كالمستريب، و الحى إذ ذاك قريب، و حديث العهد ليس بمنكر و لا غريب:

[الطويل]

أهذا و لما تمض للبين ساعة فكيف إذا مرّت عليه شهور

و الآثار لائحة، و الشمال غادية و رائحة: [الوافر]

أرى آثارهم فأذوب شوقا و أسكب من تذكرهم دموعى

و أسأل من قضى بفراق حبي يمنّ علىّ منهم بالرجوع

و النفس متعللة ببعض الأنس، و المشاهد الحميدة لم تنس: [الكامل]

تلك العهود بشدّها مختومة عندي كما هي عقدها لم يحل
غير أنّ الرّحيل، عن الرّبع المحيل، فصل به بين الشائق والمشوق و حيل: [الطويل]
وقفنا بربيع الحبّ و الحبّ راحل نحاول رجعاها لنا و يحاول
و ألقّت دموع العين فيه مسائلها لها عن عبارات الغرام دلائل
و بالسّفح منها كم سقيت لبانها فمئلته و السّفح للبان مائل
إذا نسمة الأحياب منها تنسّمت تطيب بها أسحارنا و الأصائل
تثير شجونى ساجعات غصونها فمنها على الحالين هاجت بلابل
مرايع ليلي في مراتع لذتى مطالع أقمارى بها و المنازل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٠
فحيّاها الله من منازل ذات أقمار سائرة فيها، و منازة لا يحصى الواصف محاسنها و أمداح أهلها و لا يستوفيتها: [البسيط]
حلّوا عقود اصطبارى عندما رحلوا و فى الخمائيل حلّوا مثل أمطار
إنّ المنازل قد كانت منازة إذ باتوا بها و هى أوطانى و أوطارى
ورعى الله من بان، و شاق حتى الرّند و البان: [البسيط]
بانوا لعينى أقمارا تقلّهم لدن الغصون فلما آنسوا بانوا
عهودهم لست أنساها، و كيف و قد رثى لبنى عنها الرّند و البان
و فى مثل هذا الموطن تذوب القلوب الرّفاق، كما قال حائر قصب السبق بالاستحقاق، الأديب الأندلسى الشهير ببن الرّفاق: [الوافر]
وقفت على الربوع ولى حنين لساكنهنّ ليس إلى الرّبوع
و لو أنّى حننت إلى مغانى أحبّائى حننت على ضلوعى
و كما قال بعض من له فى هذه الفجاج مسير: [الطويل]
دخولك من باب الهوى إن أردته يسير، و لكنّ الخروج عسير
و أين من له صفاة لا يطمع الدهر القويّ فى نحتها، و جنّات دنيوية لا تجرى أنهار الفراق من تحتها: [الكامل]
فسقى رضيع الثّبت من ذاك الحمى بريا تدور على الرّبا كاساته
سفع سفحت عليه دمعى فى ثرى كالمسك ضاع من الفتاة فتاته
و لم أزل بعد انفصالى عن الغرب بقصد الشرق، و اتّصافى فى أثر ذلك الجمع بالفرق:
[الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣١
أحنّ إذا خلوت إلى زمان تقضى لى بأفنية الرّبوع
و أذكر طيب أيام تولّت لنا فتفيض من أسف دموعى
و أتوق و قد اتّسع من البعد الخرق، و خصوصا إذا شدا صادح أو أومض برق، إلى ديار لا يعدوها اختيار: [الطويل]
و أربع أحباب إذا ما ذكرتها بكيت، و قد يبكيك ما أنت ذاكر
بطاح و أدواح يروكك حسنهما بكلّ خليج نممته الأزاهر
فما هو إلّا فضة فى زبرجد تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر
بحيث الصّبا و التّرب و الماء و الهوى عبير و كافور و راح و عاطر

و ما جنة الدنيا سوى ما وصفته و ما ضمّ منه الحسن نجد و حاجر
بلادى التى أهلى بها و أحبّتى و روحى و قلبى و المنى و الخواطر
تذكّرنى أنجادهما و وهادهما عهدودا مضت لى و هى خضر نواضر
إذ العيش صاف و الزمان مساعد فلا العيش مملول و لا الدهر جائر
بحيث ليالينا كغصّ شبابنا و أيامنا سلك و نحن جواهر
ليالى كانت للشيبه دولة بها ملك اللذات ناه و أمر
سلام على تلك العهود فإنها موارد أفرح تلتها مصادر
و أتذكّر تلك الأيام، التى مرّت كالأحلام، فأتمثل بقول بعض الأكابر الأعلام: [الخفيف]
يا ديار السرور، لا زال يبكى فيك، إذ تضحك الرياض، غمام
ربّ عيش صحبته فيك غصّ و عيون الفراق عنّا نيام
فى ليال كأنهنّ أمان فى زمان كأنه أحلام
و كأنّ الأوقات فيك كؤوس دائرات و أنسهنّ مدام
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٢
زمن مسعد و إلف وصول و منى تستلذّها الأوهام
و بقول الحائك الأمي، عندما يكثر شجوى و غمّي: [الكامل]
لم أنس أياما مضت و لياليا سلفت و عيشا بالصّريم تصرّما
إذ نحن لا نخشى الرقيب و لم نخف صرف الزمان و لا نطيع اللّوما
و العيش غصّ و الحواسد نؤم عنّا و عين البين قد كحلت عمى
فى روضة أبدت ثغور زهورها لئما بكى فيها الغمام تبسّما
مدّ الربيع على الخمائل نوره فيها فأصبح كالخيام مخيما
تبدو الأفاحى مثل ثغر أشنب أضحى المحبّ به كئيبا مغرما
و عيون نرجسها كأعين غادة ترنو فترمى باللّواحظ أسهما
و كذلك المنتور منتور بها لئما رأى ورد الخدود منظّما
و الطير تصدح فى فروع فنونها سحرا فتوقظ بالهديل النّوما
و أميل، إلى بلاد محيّاتها جميل: [الطويل]
كساها الحيا برد الشباب فإنها بلاد بها عقّ الشباب تماثمي
ذكرت بها عهد الصّبا فكأنما قدحت بنار الشوق بين الحيازم
ليالى لا ألوى على رشد ناصح عنانى، و لا أثنيه عن غيّ لائم
أنال سهادى من عيون نواعس و أجنى مرادى من غصون نواعم
و ليل لنا بالسّد بين معاطف من النهر ينساب انسياب الأرقام
تمرّ إلينا ثم عنّا كأنها حواسد تمشى بيننا بالنمائم
و بتنا و لا واش نخاف كأنما حللنا مكان السرّ من صدر كاتم
و أهفو إلى قصور ذات بهجة، و صروح توضح معالمها للرائد نهجه: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٣
 و رياض تختال منها غصون في برود من زهرها و عقود
 فكأنّ الأدواح فيها غوان تنبارى زهوا بحسن القدود
 و كأنّ الأطيّار فيها قيان تتغنى في كلّ عود بعود
 و كأنّ الأزهار في حومة الرّوض سيوف تسلّ تحت بنود
 و أصبو إلى بطاح و أدواح، تروّح النفوس و الأرواح: [المنسرح]
 سقيا لها من بطاح خزّ و دوح زهر بها مطلّ
 إذ لا ترى غير وجه شمس أطلّ فيه عذار ظلّ
 و أنهار جارية، و أزهار نواسمها سارية، و أربع و ملاعب، تريح عن مبصرها المتاعب:
 [مجزوء الكامل]

تلك المنازل و الملاعب لا أراها الله محلا
 أوطنتها زمن الصبا و جعلت فيها لى محلا
 حيث التفت رأيت ماء سائحا و رأيت ظلا
 و النهر يفصل بين زه ر الروض فى الشّطين فصلا
 كبساط و شى جرّدت أيدى القيون عليه نصلا
 و إلى منازل، يستفرّ حسنها الرائق الجادّ و الهازل، و يشفى منظرها عليلًا، و يكفى مخبرها للمستفهم دليلا: [الخفيف]
 و جنان ألفتها حين غنت حولها الورق بكره و أصيلا
 نهرها مسرعا جرى و تمشت فى رباها الصبا قليلا قليلا
 و أتمثل إن ذكرت حال وداعى، بقول الشاعر الأديب الوداعى: [المنسرح]
 الغرب خير و عند ساكنه أمانه أوجبت تقدّمه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٤
 فالشرق من تيريه عندهم يودع ديناره و درهمه
 و بقول غيره، إشارة لفضل الغرب و خيره: [السريع]
 أشتاق للغرب و أصبو إلى معاهد فيه و عصر الصبا
 يا صاحبى نجواى و اللّيل قد أرخى جلايب الدّجى و اختبا
 لا تعجبا من ناظر ساهر بات يراعى أنجما غيبا
 القلب فى آثارها طائر لما رآها تقصد المغربا
 و أهيم كلّما حللت من غيران أرضى بمكان، و قد صير السائق جدّ السّير معمولال «ما انفك» كما جعله خبال «كان»، بقول قاضى
 القضاء العالم الكبير الشمس ابن خلّكان:
 [الخفيف]

أى ليل على المحبّ أطاله سائق الظنّ يوم زمّ جماله
 يزجر العيس طاويا يقطع المه مه عسفا سهوله و رماله
 أيها السائق المجدّ، ترقّق بالمطايا فقد سئمن الرّحاله

و أنخها هنيهةً و أرحها إذ براها السرى و فرط الكلاله
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١؛ ص ٣٤
 لا تطل سيرها العنيف فقد بر رح بالصَّب في سراها الإطاله
 وارث للنازح الذى إن رأى رب عا ثوى فيه نادبا أطلاله
 يسأل الزَّبع عن ظباء المصلَّى ما على الزَّبع لو أجاب سؤاله
 و محال من المحيل جواب غير أن الوقوف فيه علاله
 هذه سنه المحبين يكون على كل منزل لا محاله
 يا ديار الأحباب لا زالت الأعين فى ترب ساحتك مذاله
 و تمشى التَّسيم و هو عليل فى مغانيك ساحبا أذيله
 أين عيش مضى لنا فيك؟ ما أس رع عنا ذهابه و زواله!
 حيث وجه الزمان طلق نضير و التَّدانى غصونه مياله
 و لنا فيك طيب أوقات أنس ليتنا فى المنام نلقى مثاله
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٥

و أردد قول الذى سحر الألباب،

مناديا من له من الأحباب: [البسيط]
 أحبابنا، لو لقيتم فى إقامتكم من الصَّباة ما لاقيت فى الطَّعن
 لأصبح البحر من أنفاسكم يبسا كالبر من أدمعى ينشقَّ بالسفن
 و قوله:

[البسيط]

و ما تغيرت عن ذاك الوداد، و لا حالت بى الحال فى عهدى و ميثاقى
 درسى غرامى بكم دهرى أكرره و قد نفقت فى وجدى و أشواقى

و قول المجد بن شمس الخلافة

، معلما أنه لا يريد بدل معهده و خلافه: [الخفيف]
 يا زمان الهوى، عليك السلام و على السِّلْو عنك حرام
 أى عيش قطعته فيك لو دام و هل يرتجى لظلّ دوام
 كنت حلما و العيش فيك خيالا و سريعا ما تنقضى الأحلام
 لهف نفسى على ليال تقصت سلبتى برودها الأيام
 فطمنتى الأقدار عنها وليدا و شديد على الوليد الفطام
 لا تلمنى على البكاء عليها من بكى شجوه فليس يلام

و قول أبى طاهر الخطيب الموصلى: [الخفيف]

حَيَّ نَجْدَا عَنِّي وَ مِنْ حَلِّ نَجْدَا أَرْبَعَا هَجْن لِي غَرَامَا وَ وَجْدَا
 وَ اقر عَنِّي السَّلَامَ آرَامَ ذَاكَ ال شُعْبَ وَ الْأَجْرَعُ الْخَصِيْبَ الْمَفْدَى
 وَ ابْك عَنِّي حَتَّى تَرْنَحَ بِالْوَجْدِ أَرَاكَ بِهِ وَ بَانَا وَ رَنْدَا
 فَلَكُمْ وَقْفَةً أَطَلَّتْ عَلَى الضَّالِّ بِدَمْعِ أَذَاعِ سَرَى وَ أَبْدَى
 وَ عَلَى الْبَانِ كَمْ مِنَ الْبَيْنِ أَذْرَى تَلَاكِي لِلدَّمْعِ مَثْنَى وَ وَحْدَا
 آه وَ الْهَفْتَى عَلَى طَيْبِ عَيْشٍ كُنْتُ قَطَعْتَهُ وَ صَالَا وَ وَدَا
 حَيْثُ عَوْدِ الشَّبَابِ غَضَّ نَضِيرٍ وَيَدِ الْمَكْرَمَاتِ بِالْجُودِ تَنْدَى
 نَفْحِ الطَّيْبِ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ١، ص: ٣٦
 وَ الْخَلِيلِ الْوَدُودِ يَنْعَمُ إِسْعَافَا وَ صَرَفِ الزَّمَانِ يَزْدَادُ بَعْدَا
 وَ اللَّيَالِي مَسَاعِدَاتِ عَلَى الْوَصْلِ وَ عَيْنِ الرَّقِيبِ إِذْ ذَاكَ رَمْدَا
 كَمْ بِهَا مِنْ لِبَانَةٍ لِي وَ أَوْطَارٍ تَقْضَتْ وَ جَازَتْ الْحَدَّ جَدَا
 فَاسْتِعَادَ الزَّمَانُ مَا كَانَ أُعْطِيَ خَلْسُهُ لِي بِبِخْلِهِ وَ اسْتَرْدَا

و قول بعضهم: [الطويل]

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ، إِنَّهَا شَرِيعَةٌ وَرَدَى أَوْ مَهَبٌ شِمَالِي
 لِيَالِي لَمْ نَحْذَرْ حَزُونَ قَطِيعَةً وَ لَمْ نَمَشْ إِلَّا فِي سَهُولٍ وَ صَالٍ
 فَفَقَدَ صَرَتْ أَرْضِي مِنْ نَوَاحِي جَنَابِهَا بِخَلْبِ بَرْقٍ أَوْ بِطَيْفِ خِيَالٍ

و قول الجرجاني: [الخفيف]

لِلْمَحْبِينَ مِنْ حَذَارِ الْفِرَاقِ عِبْرَاتٍ تَجُولُ بَيْنَ الْمَاقِي
 فَإِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ الْعَيْسُ لِلْبِيْنِ وَ سَارَتْ حَدَاتِهَا بِالرَّفَاقِ
 اسْتَهَلَّتْ عَلَى الْخُدُودِ انْحِدَارَا كَانْحِدَارِ الْجِمَانِ فِي الْإِتْسَاقِ
 كَمْ مَحَبِّ يَرَى التَّجَلُّدَ دِينَا فَهُوَ يَخْفَى مِنَ الْهُوَى مَا يَلَاقِي
 اَزْدَاهَا النَّوَى فَأَعْرَبَ بِالْوَجْدِ لِسَانَ عَنِ دَمْعِهِ الْمَهْرَاقِ
 وَ انْحِدَارِ الدَّمُوعِ فِي مَوْقِفِ الْبِيْنِ عَلَى الْخَدِّ آيَةُ الْعَشَاقِ
 هُوْنَ الْخَطْبِ لَسْتُ أَوَّلَ صَبِّ فَضَحْتِهِ الدَّمُوعِ يَوْمَ الْفِرَاقِ

و قول الخطيب الحصكفي الشافعي: [البسيط]

سَارُوا وَ أَكْبَادَنَا جَرَحِي وَ أَعَيْنَا قَرَحِي وَ أَنْفُسَنَا سَكْرِي مِنْ الْقَلْقِ
 تَشْكُو بُوَاطِنَا مِنْ بَعْدِهِمْ حَرَقًا لَكِنْ ظَوَاهِرُنَا تَشْكُو مِنَ الْغُرْقِ
 كَأَنَّهُمْ فَوْقَ أَكْوَارِ الْمَطْيِ وَ قَدْ سَارَتْ مَقْطَرَةٌ فِي حَالِكِ الْغَسَقِ
 دَرَارِيءُ الزَّهْرِ فِي الْأَبْرَاجِ زَاهِرَةٌ تَسِيرُ فِي الْفَلَكَ الْجَارِي عَلَى نَسَقِ
 يَا مَوْحَشِي الدَّارِ مَذْ بَانُوا كَمَا أَنْسَتْ بِقُرْبِهِمْ لَا خَلَّتْ مِنْ صَيْبِ غَدَقِ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٧
 إن غبتم لم تغيبوا عن ضمائرنا و إن حضرتم حملناكم على الحدق
 و ما أحسن قول بعضهم فى هذا المعنى، الذى كررنا ذكره و به ألمعنا: [الطويل]
 سلام على أهل الوداد و عهدهم إذ الأنس روض و السرور فنون
 رحلنا فشرقتنا و راحوا فغزبوا ففاضت لروعات الفراق عيون
 و كم أنشدت و ليالى النوى عاتمة، قول الأندلسى ابن خاتمة: [من المخمسات]
 أيا منى بالحمى ما كان أحلاك كم بت أرعاه إجلالا و أركاك
 لا تنكرى و قفتى ذلًا بمغناك يا دار لو لا أحبائى و لولاك
 لما وفتت و قوف الهائم الباكى
 فهل لهم عطفة من بعد دلهم تالله ما تسمح الدنيا بمثلهم
 آها لقلبى على تبيد شملهم ما كان أحلاك يا أيام وصلهم
 و يا ليالى الرضا ما كان أضواك
 يا بدر تم تناءت عنه أربعنا و لم تزل تحتويه الدهر أضلعنا
 ما للنوى بضروب البين يوجعنا إذا تذكرت دهرا كان يجمعنا
 تفتطرت كبدى شوقا لمراك
 أحباب أنفسنا كم ذا النوى و كم و يا معاهد نجوانا بذى سلم
 تالله ما شبت دمعاً للأسى بدم و لا لثمت تراب الأرض من كرم
 إلّا مراعاة خلّ ظلّ يركاك
 علّ التعلل يدنى منهم و عسى فيعمر القرب ما بالبين قد درسا
 كم ذا أنادى بربيع بالنوى طمسا يا قلب صبرا فإنّ الصبر عاد أسى
 و يا منازل سلمى أين سلماك
 و قول بعض من اشتدّ به الهيام، فخاطب جبرته مادحا ليالى القرب و ذامًا تقلّب الأيام:

[البسيط]

أيام أنسى قد كانت بقربكم بيضا، فحين نأيتم أصبحت سودا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٨
 ذممت عيشى مذ فارقت أرضكم من بعد ما كان مغبوطا و محسودا
 و قول صاحب مصارع العشاق، و قد شاقه من الهوى ما شاق: [مجزوء الكامل]
 بانوا فأدمع مقلتى و جدا عليهم تستهل
 وحدا بهم حادى الفراق عن المنازل فاستقلوا
 قل للذين ترخلوا عن ناظرى و القلب حلوا
 ما ضرهم لو أنهلوا من ماء وصلهم و علوا
 و قوله حين زحزحته يد الفراق، عن أوطان العراق: [مجزوء الكامل]
 قد قلت و العبرات تس فحها على الخد المآقى

حين انحدرت إلى الجزى رةً و انقطعت عن العراق

و تخبّطت أيدي الرفاق مهامه البيد الرقاق

يا بؤس من سلّ الزمان عليه سيفاً للفراق

و قوله أيضاً: [السريع]

يا منزل الحى بذات النقا سقاك دمع مذناً وما رقا

هل سلوة؟ هيهات! لا سلوة قد بلغ السيل الزبى و ارتقى

و أنت يا يوم التوى عاجلاً أدال منك الله يوم اللقا

و قولى موطناً للثالث، و قد تغير لى فيمن تغير حارث: [البسيط]

لم أنس معهدنا و الشمل مجتمع و العيش غصّ و روض الأنس معطار

فها أنا بعد بعد عنه فى قلق و قد نبت بى أرجاء و أقطار

تمضى الليالى و أشواقى مجدّدة و ما انقضت لى من الأحباب أوطار

و كلما مررت بمرأى يروق، لمعت لى من ناحيه المغنى بالمنى يروق، فتذكرت قول بعض من له على غير من يهوى طروق: [الرجز]

ما نظرت عينى سواك منظراً مستحسناً إلّا عرضت دونه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٩

و ما تمنيت لقاء غائب إلّا سألت الله أن تكونه

و ربما رمت انتحائى مذهب السلو و انتحالى، خلال أحوال إقامتى و ارتحالى، فلم ينتقل عن تلك الصفات حالى، و أتى و جىدى

بقلائد البتات حالى؟: [الكامل]

و الشوق أعظم أن يحيط بوصفه قلم و أن يطوى عليه كتاب

و الله ما أنا منصف إن كان لى عيش يطيب و جيرتى غياب

و كيف و لآماقى صبّ، و لأتواقى زيادة إذا سرى نسيم أو هبّ؟: [الطويل]

شربت حمياً البين صرفاً، و طالما جلوت محيّا الوصل و هو و سيم

فميعاد دمعى أن تنوح حمامه و ميقات شوقى أن يهبّ نسيم

فإن لاح سنا بارق شاقنى، أو ترنم شاد حدا بى إلى الهيام و ساقنى، أو رنا ظبى فلاة راعنى و راقنى: [الطويل]

و إنى ليصينى سنا كلّ بارق و كلّ حمام فى الأراك ينوح

و أرتاع من ظبى الفلاة إذا رنا و أرتاح للتذكار و هو سنوح

و لم يك ذاك الأمر من حيث ذاته و لكن لمعنى فى الحبيب يلوح

و لا أستطيع الإعراب عن أمرى العجيب، لما بى من النوى المذهل و الجوى المدهش و الوجيب: [الطويل]

و لا تسألوا عمّا أجنّ فليس لى لسان يؤدّى ما الغرام يقول

يطارحنى البرق الأحاديث كلّما أضاء كأنّ البرق منه رسول

و ما بال خفاق النسيم يمينى هل الريح راح و الشمال شمول

إذ دموع شؤونى عند الذكري لا ترقا، و جفونى ليس لها عن الأرق مرقى، و شجونى تنمو إذا صدحت بفننها ورقا: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٤٠

ربّ ورقاء فى الدياتجى تنادى إلفها فى غصونها المياده

فتثير الهوى بلحن عجيب يشهد السمع أنها عوادة
كلما رجعت توجعت حزنا فكأنا في وجدنا نتباده
فيا لها من ذات طوق، مثيرة لكامن شوق، جالبة له من يمين و شمال و فوق: [الخفيف]
ذكرتني الورقاء أيام أنس سالفات فبت أذرى الدموعا
و وصلت السهاد شوقا لحبي و غراما و قد هجرت الهجوعا
كيف يخلو قلبي من الذكر يوما و على حبه حنيت الضلوعا
كلما أولع العذول بعتي في هواهم يزداد قلبي ولوعا
و ربما أتخيل قول من قال إنها بالحزن بائحة، و على فقد الإلف نائحة، فأنشد قول خليل، و هو بالحب مدنف و عليل: [الوافر]
و رب حمامة في الدوح باتت تجيد النوح فنا بعد فن
أقاسمها الهوى مهما اجتمعنا فمنها النوح و العبرات منى
و لا غرو إن ظهر سرّ بائح، فباك مثلى من الشجو نائح: [الكامل]
فرجعت بعد فراق أيام الهوى أصف الصباة للمحب المولع
دامى الجفون إذا الحمامة غردت من فوق حوط البانة المترعرع
أسقى الديار. و قد تباعد أهلها عنها. عزالى الدموع الهمع
و نواعب الأطلال ليس يجينى ما بينهن سوى الصدى بتوجع
و هواتف فوق الغصون يجينى منهن تغريد الحمام السجع
ناحت على عذب الفروع و إلفها منها برأى فوقها و بمسمع
ما فارقت إلفا كما فارقتة كلاً و لا أجرت سواكب أدمعى
على أوان عيون سعوده روان، و زمان معمور بأمانى و أمان، و آمال دوان، و تهان ما بين بكر و عوان، و فى عذر من طال ليله
فاضطرب فيه لولوعه، و سكن جواه بجوانحه و ضلوعه:
[الكامل]

نغم الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٤١
إن طال ليلي بعدهم فلطوله عذر، و ذاك لما أقاسى منهم
لم تسر فيه نجومه لكنّها وقفت لتسمع ما أحدث عنهم
فأرقى، الزائد فى حرقى، أظهر المكنون و أبان، و وجدى بمن نأى و بان، لم يجد فيه تعلل برند و بان: [الرجز]
تتبهى، يا عذبات الرند، كم ذا الكرى؟ هب نسيم نجد
فلمست مثلى فى جوى أو أرق و حرقه من فرقه أو صد
عوفيت ممّا حلّ بى من جيرة فى الغرب لم يرثوا لفرط وجدى
أعلل القلب بيان عنهم و هل ينوب غصن عن قد
بانوا فلا مغنى السرور بعدهم مغنى، و لا عهد الرضا بعهد
آها من البعد و من لم يدره لم يشجه تأوهى للبعد
و فى شغل من أبكته الربوع و الطلول، و ذهبت برهه من زمانه بين الترحل و الحلول، فركب من الأخطار الصيب و الدلول، و حافظ
على العهود و لم يسلك سبيل الغادر الملول:

[الطويل]

سقاها الحيا من أربع و طول حكت دنفى من بعدهم و نحولى
ضمنت لها أجفان عين قريحه من الدمع مدرار الشؤون همول

و من الغريب، الذى ينكره غير الأريب، أن الحادى إن سرّ القلب بكشف رين، فقد تسبّب فى اجتماع أمرين متنافيين متنافرين:

[الطويل]

ترنم حاد بالصريم فشاقتنى إلى ذكر من باتت ضلوعى تضمه
فسرّ و ساء النفس شجوا فر بما كلفت به من حيث صرت أذمه
و ارتجلت حين مللت من طول السرى، مضمنا ذكر ما أروم له تيسرا، و قد أكثر الرفاق عند رؤيه ما لم يالفوه من الآفاق تلهفا و تحسرا:

[الخفيف]

قلت لَمَا طال التوى عن بلادى و لأهل النوى جوى و عويل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٤٢

هل أرى للفراق آخر عهد إن عمر الفراق عمر طويل

ثم قلت مضمنا: [الرمل]

لائمى فى ذكر أحباب ناوا لا تلم من أضعف الشوق قواه

إن يوما جامعا شملى بهم ذاك عيذى، ليس لى عيد سواه

ثم قلت مضمنا أيضا [الطويل]

لك الله من صبّ أضرب به التوى و ليس له غير اللقاء طيب

و إن صباحا نلتقى بمسائه صباح إلى قلبى المشوق حبيب

ثم عدت إلى التصبر، بعد إمعان النظر و التدبّر: [الطويل]

و إنى لأدرى أن فى الصبر راحة و لكنّ إنفاقى على الصبر من عمرى

فلا تطف نار الشوق بالشوق طالبا سلوا، فإنّ الجمر يسعر بالجمر

ثم سلكت منهج التفويض و التسليم، منشدا قول ابن قطرال المغربى فى مقام النصح و التعليم، و وجهت القصد إلى سكان الضمير

بذلك التكليم: [الرمل]

إن أيام الرضا معدودة و الرضا أجمل شىء بالعبيد

لا تظنوا عنكم لى سلوة ما على شوقى إليكم من مزيد

راجعوا أنفسكم تستيقنوا أنكم فى الوقت أقصى ما أريد

إن يوما يجمع الله بكم فيه شملى ذاك عندى يوم عيد

و قول بعض من ندم على البعد عن المعاهد، و أمل العود- و العود أحمد- إلى المشاهد، و غفر للدهر ذنبه إن عاد، و تلهف أن لم

يعامله بغير الإبعاد: [الطويل]

لئن عاد جمع الشمل فى ذلك الحمى غفرت لدهرى كلّ ذنب تقدما

و إن لم يعد منيت نفسى بعوده و ما ذا عسى تجدى الأمانى و قلما

يحقّ لقلبى أن يذوب صبا به و للعين أن تجرى مدامعها دما

على زمن ماض بهم قد قطعت له لبت به ثوب المسرة معلما

و قول آخر يخاطب أحبابه، و يذكر فواصل بحر النوى الطويل و أسبابه: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٤٣

أعيدكم من لوعتي و شجوني و نار جوى تذكى بماء شؤوني

و برح أسي لم يبق في بقيته سوى حركات تارة و سكون

أرى القلب أضحي بعد طارقة الأسي أسير صبايات رهين شجون

و كيف سبيل القرب منكم و دونكم رمال زرود و الأجارع دوني؟

سلوا مضجعي هل قرّ من بعد بعدكم و هل عرفت طعم الرقاد جفوني

سهرنا بنعمان، و نتمم ببابل، فيا لعيون ما وقت لعيون

و في بعض الأحيان، أتسلى بقول بعض الأندلسيين الأعيان: [الكامل]

لا تكثرث بفراق أوطان الصبا فعسى تنال بغيرهنّ سعودا

فالدّر ينظم عند فقد بحاره بجميل أجياد الحسان عقودا

و قول غيره: [الكامل]

فعسى الليالي أن تمنّ بنظمنا عقدا كما كنّا عليه و أكملنا

فلربّما نثر الجمان تعمّدا ليعاد أحسن في النظام و أجملنا

و أرغب لمن أطال ذبول الغربة أن يقلّصها، و أطلب ممّن أجال النفوس في سيول الكربة أن يخلّصها: [البسيط]

فالتقى و عوادى الدهر غافله عمّا نروم و عقد البين محلول

و الدار آنسة، و الشّمل مجتمع، و الطير صادحة، و الروض مطلول

و أضرع إليه- سبحانه!- في تيسير العود إلى أوطاني، و معهدى الذى مطايا العزّ أوطاني، و أن يلحقنى بذلك الأفق الذى خيره موفور،

و حقّ من فيه معروف لا منكر و لا مكفور: [البسيط]

إذا ظفرت من الدنيا بقربهم فكلّ ذنب جناه الدّهر مغفور

و كأنى بعاتب يقول: ما هذا التطويل؟ فأقول له: جوابى قول ابن أبى الإصبع الذى عليه التعويل: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٤٤

أكثرت عدلى كأنى كنت أول من بكى على مسكن أو حنّ للسكن

لا تلح إن من الإيمان عند ذوى ال إيمان منّا حين النفس للوطن

[وصف أهوال البحر]

على أننى أقول: اللهم يسّر لى ما فيه الخيرة لى بالمشارك أو بالمغارب، وجد لى من فضلك حيث حلت بجميع ما فيه رضاك من

المآرب، بجاه نبينا و شفيعنا المبعوث رحمة للأحمر و الأسود و الأعاجم و الأعراب، عليه أفضل صلاة و أزكى سلام، و على آله و

أصحابه الأعلام، و التابعين لهم بإحسان ما ذرّ شارق، و تعاقب طالع و غارب.

ثم جدّ بنا السّير فى البرّ أياما، و نأينا عن الأوطان التى أطبنا فى الحديث حبّا لها و هياما، و كنّا عن تفاعيل فضلها نياما، إلى أن ركبنا

البحر، و حللنا منه بين السّحر و النّحر، و شاهدنا من أهواله، و تنافى أحواله، ما لا يعبر عنه، و لا يبلغ له كنه: [مخلع البسيط]

البحر صعب المرام جدّا لا جعلت حاجتى إليه

أليس ماء و نحن طين فما عسى صبرنا عليه

فكم استقبلنا أمواجه بوجوه بواسر، و طارت إلينا من شراعه عقبان كواسر، قد أزعتها أكفّ الزريح من وكرها، كما تبّته اللجج من سكرها، فلم تبق شيئا من قوتها و مكرها، فسمعنا للجمال صفيرا، و للرياح دويّا عظيما و زفيرا، و تيقنا أنّا لا نجد من ذلك إلّا فضل الله مجيرا و خفيرا، و إذا مسككم الضّر في البخرِ ضلّ من تدعون إلّا إيّاه [الإسراء: ٦٧]. و أيسنا من الحياه، لصوت تلك العواصف و المياه، فلا حيا الله ذلك الهول المزعج و لا يباه، و الموج يصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل و يضطرب، فكأنه من كأس الجنون يشرب أو شرب، فيبتعد و يقترب، و فرقه تلتطم و تصطفق، و تختلف و لا- تكاد تتفق، فتخال الجوّ يأخذ بنواصيها، و تجذبها أيديه من قواصيها، حتى كاد سطح الأرض يكشف من خلالها، و عنان السّحب يخطف في استقلالها، و قد أشرفت النفوس على التّلف من خوفها و اعتلالها، و آذنت الأحوال بعد انتظامها باختلالها، و ساءت الظنون، و تراءت في صورها المنون، و الشّراع في قراع مع جيوش الأمواج، التي أمّدت منها الأفواج بالأفواج، و نحن قعود، كدود على عود، ما بين فرادى و أزواج، و قد نبت بنا من القلق أمكنتنا، و خرسنا من الفرق ألسنتنا، و توهمنا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٤٥

أنه ليس في الوجود، أغوار و لا وجود، إلّا السماء و الماء و ذلك السّيفين، و من في قبر جوفه دفين، مع ترقّب هجوم العدو، في الرواح و الغدوّ، لاجتيازه على عدّه من بلاد الحرب، دمر الله سبحانه من فيها و أذهب بفتحها عن المسلمين الكرب، لا سيما مالطه الملعونه، التي يتحقّق من خلص من معزتها أنه أمّد بتأييد إلهي و معونه، فقد اعترضت في لهوات البحر الشامي شجا، و قلّ من ركبها فأفلت من كيدها و نجا، فرادنا ذلك الحذر، الذي لم يبق و لم يذر، على ما وصفناه من هول البحر قلّقا، و أجرينا إذ ذاك في ميدان الإلقاء باليد إلى التهلكة طلقا، و تشتّت أفكارنا فرقا، و ذبنا أسي و ندما و فرقا، إذ البحر وحده لا كمّي يقارعه، و لا قوّي يصارعه، و لا شكل يصارعه، لا يؤمن على كل حال، يفرّق بين عاطل و حال، و لا بين أعزل و شاك، و متباك و باك: [الرجز]

ثلاثة ليس لها أمان البحر و السّلطان و الزّمان

فكيف و قد انضمّ إليه خوف العدو الغادر الخائن و الكافر الحائن، إلى أن قضى الله بالنجاء و كلّ ما أراد فهو الكائن، و إن نهى عنه و أخطأ المائن، فرأينا البرّ و كأننا قبل لم نره، و شفيت به أعيننا من المره، و حصل بعد الشدّة الفرج، و شممنا من السلامة أطيب الأرج، فيا لها من نعمه كشفت عن وجهها التّقاب، يقلّ شكرا لها صوم الأحقاب و عتق الرقاب، جعلنا الله بآياته معتبرين، و على طاعته مصطبرين، و لم نخل في البرّ من معاناه خطوب، و مداراه و جوه للمتاعب ذات تجهم و قطوب، فكم جبننا منه مهامه فيحا، و مسحنا بالخطا منها أثيرا و صفيحا، و فلينا الفجاج، و قرأنا من الطرق خطوطا ذات استقامه و اعوجاج، و قلوب الرفقه من الفرقة في اضطراب و ارتجاج، و ربما عميت على المجتهد الأدلمة التي يحصل بها على المذهب الاحتجاج، فترى الأنفاس تعثر في زفرة الأشواق، و الأجسام قد زرت عليها من التعب الأطواق، هذا و اللّيل بصفحة البدر مراتب، و قد شدّت رحال و أقتاب، و زمّت ركاب و رفعت أحداج، و فريت من الدّعة بمديّة النّصب أوداج، و تساوى في السير نهار مشرق و ليل مقمر أو داج، و أديم التأويب و الإسآد، و حمل الغرّبه قد أثقل و آد، ثم وصلنا بعد خوض بحار، يدهش فيها الفكر و يحار، و جوب فياف مجاهل، يصلّ فيها القطا عن المناهل، إلى مصر المحروسه فشفينا برؤيتها من الأوجاع، و شاهدنا كثيرا من محاسنها التي تعجز عن وصفها القوافي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٤٦

و الأسجاع، و تمثّلنا في بدائعها التي لا نستوفيهها، بقول ابن ناهض فيها: [مجزوء الرجز]

شاطيء مصر جنّه ما مثلها في بلد

لا سيّما مذ زخرفت بنيلها المطرد

و للرياح فوفه سوابع من زرد

مسروده ما مسّها داودها بمبرد

سائلةً و هو بها يرعد عارى الجسد
و الفلك كالأفلاك بى ن حادر و مصعد
و بقول آخر: [مجزوء الكامل]
انظر إلى النيل الذى ظهرت به آيات ربى
فكأنه فى فيضه دمعى و فى الخفقان قلبى
و بقول أبى المكارم بن الخطير، المعروف بابن ممتى، فى جزيرتها: [الطويل]
جزيرة مصر، لا عدتك مسرةً و لا زالت اللذات فيك اتصالتها
فكم فيك من شمس على غصن قامه يميم و يحيى هجرها و وصالها
مغانيك فوق النيل أضححت هوادجا و مختلفات الموج فيك حبالها
و من أعجب الأشياء أنك جنه تمد على أهل الضلال ظلالها
لعله أراد بأهل الضلال اليهود و النصارى المستولين إذ ذاك على الدولة. و تذكرت فى مصر قول القاضى الفاضل: [الكامل]
بالله قل للنيل عنى إننى لم أشف من ماء الفرات غليلا
و سل الفؤاد فإنه لى شاهد إن كان طرفى بالبكاء بخيلا
يا قلب، كم خلقت ثم بثينه و أظن صبرك أن يكون جميلا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٤٧
و قول أحمد بن فضل الله العمرى: [مجزوء الرجز]
لمصر فضل باهر بعيشها الرغد النضر
فى سفح روض يلتقى ماء الحياة و الخضر
و قول آخر: [الوافر]
كأن النيل ذو فهم و لب لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم إليه و يمضى حين يستغنون عنه
و قول آخر: [الطويل]
و لله مجرى النيل منه إذا الصبا أرتنا به من مرها عسكريا مجرا
بشط يهز السمهرية ذبلا و موج يهز البيض هندية بترا
إذا مد حاكى الورد لونا، و إن صفا حكى ماءه لونا و لم يحكه مرًا
و قول آخر: [الكامل]
واها لهذا النيل! أى عجيبة بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى فى الماء و هو مسلم حتى إذا ما مال عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره أبدا يزيد كما يزيد و يرجع
و قول ابن النقيب: [السريع]
الصّب من بعدهم مفرد و دمعه النيل و تعليقه
و خده لما بكاهم دما مقياسه، و الدمع تخليقه
و قول الصفدى: [مجزوء الكامل]

سقىا لمصر و ما حوت من أنسها و أناسها
و محاسن فى مقسها تبدو و فى مقياسها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٤٨
و مسرة كاساتها تجلى على أكياسها
و سطور قرط خطها ال بارى على قرطاسها
و دمی كنائسها، و لا تنسى ظباء كناسها
و لطافة بجلالة تبدو على جلاسها
و نواسم كل المنى للنفس فى أنفاسها
و مراكب لعبت بها ال أمواج فى وسواسها
و قول ابن جابر الأندلسى: [الكامل]
ما زلت أسند من محاسن أرضها خيرا صحيحا ليس بالمقطوع
كم مرسل من نيلها و مسلسل و مدبج من هضبها المرفوع
و قول إبراهيم بن عبدون: [الكامل]
و النيل بين الجانبين كأنما صدت بصفحته صفيحة صيقل
يأتيك من كدر الزواجر مده بممشك من مائه و مصندل
فكأن ضوء البدر فى تمويجه برق تموج فى سحاب مسبل
و كأن نور السرج من جنباته زهر الكواكب تحت ليل أليل
مثل الرياض مفتقا أنواره تبدو لعين مشبه و ممثل
و قول ابن الصاحب: [مجزوء الكامل]
فرح الأنام بنيلهم إذ صار أحمر كالشقيق
و تبركوا بشروقه فكأنه وادى العقيق
و قول آخر: [المجتث]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٤٩
أحمر للنيل خد حتى غدا كالشقيق
و قد ترنمت فيه إذ صار وادى العقيق

[حج المؤلف و زيارته المدينة و وصفه المشاهد المباركة]

ثم شمّرت عن ساعد العزم بعد الإقامة بمصر مدة قليلة، إلى المهّم الأعظم و المقصد الأكبر الذى هو سرّ المطالب الجليله، و هو رؤية
الحرمين الشريفين، و العلمين المنيفين، زادهما الله تنويها، و بلغ النفوس ببركة من شرفا به مآرب لم تزل تنويها، فسافرت فى البحر إلى
الحجاز، راجيا من الله سبحانه فى الأجر الانتجاز، إلى أن بلغت جدة، بعد مكابدة خطوب اتّخذت لها من الصبر عدّة، فحين حصل
القرب، و اكتحلت العين يا ثمّد تلك التّرب، ت رنمت بقول من قال، محرّضا على الوخذ و الإرقال: [البيسط]
بدا لك الحقّ فاقطع ظهر بيداء و اهجر مقالة أحباب و أعداء
و اقصد على عزمة أرض الحجاز تجد بعدا عن السّخط فى نزل الأوداء

و قل إذا نلت من أمّ القرى أربا و هو الوصول بإسرار و إبداء
يا مكة الله، قد مكنت لي حرما مؤمنا لست أشكو فيه من داء
فمذ رأى النازح المسكين مسكنه فى قطر ك الزحب لم ينكب بأرزاء
شوق الفؤاد إلى مغناك متصل شوق الرياض إلى طلّ و أنداء
ثم أنشدت، عندما بدت أعلام البيت الحرام، قول بعض من غلب عليه الشوق و الغرام، و قد بلغ من أمانيه الموجهة بشائره و تهانيه
المرام: [البسيط]

وافى الحجيج إلى البيت العتيق و قد سجا الدجى فرأوا نورا به بزغا
عجّوا عجيجا و قالوا: الله أكبر ما للجوّ مؤتلقا بالنور قد صبغا
قال الدليل: ألا هاتوا بشارتكم فمن نوى كعبة الرحمن قد بلغا
نادوا على العيس بالأشواق و انتحبوا و حنّ كلّ فؤاد نحوها و صغا
و كلّ من ذمّ فعلا نال محمده فى مكة و محا ما قد جنى و بغى
و لما وقع بصرى على البيت الشريف كدت أغيب عن الوجود، و استشعرت قول العارف
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٥٠

بالله الشبلى لما وفد إلى حضرة الجود: [الخفيف]
قلت للقلب إذ تراءى لعينى رسم دار لهم فهاج اشتياقى
هذه دارهم و أنت محبّ ما احتباس الدموع فى الآماق
و المغانى للصبّ فيها معانى فهى تدعى مصارع العشاق
حلّ عقد الدموع و احلل رباها و اهجر الصبر و اراع حقّ الفراق
ثم أكملت العمرة، و دعوت الله أن أكون ممّن عمر بطاعه ربّه عمره، و ذلك أوائل ذى القعدة من عام ثمانية و عشرين و ألف من
الهجرة السبئية، و أقمت هنالك منتظرا وقت الحجّ الشريف، و متفينا ذلك الظلّ الورىف، و مقتظفا ثمار القرب الجتية، إلى أن جاء
الأوان، فأحرمت بالحجّ من غير توان، و حين حللت مما به أحرمت، نويت الإقامة هنالك و أبرمت، فحال من دون ذلك حائل، و
كنت حريا بأن أنشد قول القائل: [الكامل]

هذى أباطح مكة حولى و ما جمعت مشاعرها من الحرمات
أدعو بها لبيك تلبية امرئ يرجو الخلاص بها من الأزمات
نلت المنى بمنى لأنى لم أخف بالخيف من ذنب أحال سماتى
و عرفت فى عرفات أنى ناشق للعفو عرفا عاطر التسمات

و أن أتمثل فى المطاف، إذ حفّتنى الألفاف، بقول من ربه بالتقوى مشيد، البغدادى الشهير بابن رشيد: [الطويل]
على ربعم لله بيت مبارك إليه قلوب الناس تهوى و تهواه
يطوف به الجانى فيغفر ذنبه و يسقط عنه جرمه و خطاياها
و كم لذة أو فرحة لطوافه فله ما أحلى الطواف و أهناه
ثم قصدنا بعد قضاء تلك الأوطار، طيبة الشريفة التى لها الفضل على الأقطار، و استشعرت قول من أنشد و طير عزمه عن أوكاره قد
طار: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٥١

حمدت مرادى إذ بلغت مرادى بأم القرى مستمسكا بعمادى

و مذ رويت من ماء زمزم غلّتى فلست بمحتاج لماء ثماد

فلله سبحانه الحمد على نعمه التى جلّت، و منته التى نزلت بها النفوس مواطن التشریف و حلّت: [الكامل]

من يهده الرحمن خير هداية يحلل بمكة كى يتاح المقصدا

و إذا قضى من حجه الفرض انثنى يشفى برؤيه طيبة داء الصدى

و كان حظى فى هذه الحال تذكّر قول بعض الوشّاحين من الأندلسيين الذين كان لهم ارتحال إلى تلك المعاهد الطاهرة، و المشاهد

الزاهرة، التى تشدّ إليها الرحال:

يا من لعبد له افتقار إلى أياذ له جسام

فضلك مدن لخير مدن حلّ بها سيد الأنام

لم يهف قلبى لحبّ ليلى و لا سعاد و لا الرّباب

لاقى شجوننا و نال و يلا من هام فى ذلك الجنب

بل مال منى الفؤاد ميلا لمن له الحبّ لا يعاب

قلبى و الله مستطار مذ حلّ فى بيته الحرام

ذى الحجر و الرّكن خير ركن و زمزم الخير و المقام

ذابت قلوب المطىّ عشقا و ركبها و استوى المراد

إلى حبيب القلوب حقّا الحىّ و الميت و الجماد

إلى الذى ليس فيه يشقى من حبه داخل الفؤاد

شكوا، و قد طالت السفار هم و مطاياهم، السقام

فهى قسىّ من التثنىّ و القوم من فوقها سهام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٥٢

و لست من سكرتى مفيقا حتى أرى حجرة الرسول

فإن يسهّل لى الطريقا فذاك أقصى منى و سول

متى ترى عيني العقيقا و يفرح القلب بالوصول

كم قلت و الصبر مستعار للرّكب إذ غادروا المنام

و نسمة الشوق حرّكتنى و زاد بى الوجد و الغرام

قوموا فقد طال ذا الجلوس و بادروا زورة الحبيب

تاقت إلى طيبة النفوس لا عيش من دونها يطيب

لا حبّذا دونها الغروس و الماء و الشادن الرّيب

و حبذا الرّمل و القفار و العرب فى تلكم الخيام

و أمّ غيلان ظلّلتنى و الأيك و الأثل و الثمام

يا طيبة، حزت كلّ طيب بسيد فيك ذى حلول

نداء مستضعف غريب فى غرّ أمداحه يقول

و هو من السامع المجيب لمدحه يسأل القبول

أنت الغنى لى فلا افتقار و أنت عزى فلا أضام
 مستمسك منك حسن ظنى بعروء ما لها انفصام
 بسيد العالمين أجمع بأحمد المجتبي الرسول
 و من هو الشافع المشفع فى موقف المحشر المهول
 إذ لا كلام هناك يسمع للغير و الناس فى ذهول
 إذ السماء لها انقطاع و الشهب منثورة النظام
 كذا الجبال انثت كعهن سريعة المر كالعمام
 يا أول الرسل فى الفضيله و إن تأخرت فى الزمن
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٥٣
 شفاعه نلت مع وسيله فمن يضاهى علاك من
 علت بك الرتبة الجليله و طبت فى السر و العلن
 فأنت من خيرهم خيار فمن يضاهيك فى المقام
 و الرسل نالت بك التمنى و أنت بدر لهم تمام
 الوجد قد قر فى فؤادى فما لصبر به قرار
 و لا عجبى صاعد اتقاد و دمع عينى له انهمار
 وها أنا جئت من بلادى لطيبه أبتغى الجوار
 فحبذا تلکم الديار و المصطفى مسكه الختام
 عليه أزكى الصلاة منى و صحبه الغر و السلام

و قول أبى جعفر الرعيني الغرناطى. رحمه الله تعالى- و هو من التشريع، أحد أنواع البديع: [الكامل]

يا راحلا يبغى زيارة طيبة نلت المنى: بزيارة الأخيار
 حى العقيق إذا وصلت وصف لنا وادى منى: يا طيب الأخبار
 و إذا وقفت لدى المعرف داعيا زال العنا: و ظفرت بالأوطار

و لما من الله تعالى علينا بالحلول فى المشاهد التى قام الدين بها و ظهر، و المعاهد التى بان الحق فيها و اشتهر، و المواطن التى هزم
 الله تعالى حزب الشيطان فيها و قهر، و نصرت النبوة و عضدت، و قطعت غصون الكفر و حصدت، و رصت قواعد التوحيد و نصدت،
 و قرت العيون، و قضيت الديون، أنشد لسان الحال، قول بعض من جیده بمحاسن طيبة حال: [البسيط]

يا من له طيبة طابت حلى و على و من بتشريفه قد شرف العرب
 يا أحمد المصطفى، قد جئت من بلد قاص ولى خلد قاس ولى أرب
 و قد دهنتى ذنوب قلت إذ عظمت لله منها و طه المرتجى الهرب

و نسينا بمشاهدة ذلك الجناب ما كنا فيه، و سبق الدمع الذى لا يعارض الفرح و لا ينافيه: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٥٤
 أيها المغرم المشوق، هنيئا ما أنالوك من لذيد التلاقى
 قل لعينيك تهملان سرورا طالما أسعداك يوم الفراق
 و اجمع الوجد و السرور ابتهاجا و جميع الأشجان و الأشواق

و أمر العين أن تفيض انهمالا و توالى بدمعها المهراق

هذه دارهم و أنت محب ما بقاء الدموع فى الآماق

و ملنا عن الأكوار، و ثملنا من عرف تلك الأنجاد و الأغوار، و تملينا من هاتيک الأنوار، و تخلينا عن الأغيار، و تخلينا بحلى الأخيار، و

كيف لا و طيبة مركز للزوار: [الطويل]

إذا لم تطب فى طيبة عند طيب به طيبة طابت فأين تطيب؟

و إن لم يجب فى أرضها ربنا الدعا ففى أى أرض للدعاء يجب؟

أيا ساكنى أكناف طيبة، كلکم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

و ما أحسن قول عالم الأندلس المالکى اللیب، عبد الملك السلى المشهور بابن حبيب: [الكامل]

لله درّ عصابة صاحبته نحو المدينة تقطع الفلوات

و مهامه قد جبتها و مفاوز ما زلت أذكرها بطول حياتى

حتى أتينا القبر قبر محمد خصّ الإله محمدا بصلات

خير البرية و النبى المصطفى هادى الورى لطرائق لنجاء

لما وقفت بقربه لسلامه جادت دموعى واكف العبرات

و رأيت حجرته و موضعه الذى قد كان يدعو فيه فى الخلوات

مع روضة قد قال فيها: إنها مشتقة من روضة الجنات

و بمنزل الأنصار وسط قبابهم بيت الهداية كاشف الغمرات

و بطيبة طابوا و نالوا رحمة مغنى الكتاب و محكم الآيات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٥٥

و بقبر حمزة و الصحابة حوله فاضت دموع العين منهمرات

سقى لتلك معاهدا شاهدها و شهدتها بالخطو و اللحظات

لا زلت زوارا لقبر نبينا و مدينة زهراء بالبركات

صلّى الإله على النبى المصطفى هادى البرية كاشف الكربات

و على ضجيعه السلام مرددا ما لاح نور الحق فى الظلمات

و قول كمال الدين ناظر قوص: [الطويل]

أنخ، هذه و الحمد لله يثرب فبشراك قد نلت الذى كنت تطلب

فعفر بهذا الترب و جهك، إنه أحق به من كل طيب و أطيب

و قبل ربوعا حولها قد تشرفت بمن جاورت، و الشىء بالشىء يجب

و سکن فؤادا لم يزل باشتياقه إليها على جمر الغضى يتقلب

و كفكف دموعا طالما قد سفحتها و برد جوى نيرانه تتلهب

و قول الرعنى الغرناطى: [الخفيف]

هذه روضة الرسول فدعنى أبذل الدمع فى الصعيد السعيد

لا تلمنى على انسكاب دموعى إنما صنتها لهذا الصعيد

و لما سلمت على سيد الأنام، عليه من الله أفضل الصلاة و أزكى السلام، ذبت حياء و خجلا، لما أنا عليه من ارتكاب ما يقتضى وجلا،

غير أنى توصلت بجاهه صلى الله عليه وسلم فى أن أكون مّمن وضح له وجه الصفح وجلا: [مجزوء الوافر]
إليك أفرّ من زلى فرار الخائف الوجل
و كان مزار قبرك بال مدينة منتهى أملى
فوفى الله ما طمحت له نفسى بلا خلل
فخذ بيدى غريق فى بحار القول والعمل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٥٦
وهب لى منك عارفة تعرّف ما تنكر لى
و تهدينى إلى رشدى و تمنعنى من الزلل
و تحملنى على سنن يؤمّنى من الوجل
فأنت دليل من عميت عليه مسالك السبل
و إنك شافع برّ و موئلنا من الوهل
و إنك خير مبتعث و إنك خاتم الرسل
فيا أزكى الورى شرفا و شافيهم من العلل
و يا أندى الأنام يدا و أكرم ناصر و ولى
نداء مقصّر و جل بثوب الفقر مشتمل
على جدواك معتمدى فأنقذنى من الدّخل
و ألحقنى بجنّات لى درجاتها الأول
بصدّيق و فاروق و عثمان الرضى و على
فأنت ملاذ معتصم و أنت عماد متكل
عليك صلاة ربك ج لّ فى الغدوات و الأصل
و منذ شممنا من أرج تلك الأرجاء الذاكية، و استضأنا بسرج تلك الأضواء الزاكية، ظهر من الشوق ما كان بطن، و لم يخطر ببالنا
سكن و لا وطن، و يا سعادة من أقام بتلك البقاع الشريفة و قطن: [الكامل]
مرّ النسيم بربعهم فتلذّذا حتى كأنّ النّشر صار له غذا
فصحا و صحّ و صاح لا أشكو أذى قل للّصبا ما ذا حملت من الشّذا
أمسست طيبا أم علاك عبير
يا أيها الحادى الذى من وسمه قصد الحبيب و أن يلّم برسمه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١؛ ص ٥٦
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٥٧
هدى منازلهم فزمرم باسمه بأبى الذى لم تذو زهرة جسمه
لكنه غصّ الجمال نصير
لله شوق قد تجاوز حدّه أوفى على الصّبر المشيد فهده
يا ناشق الكافور لا تتعدّه طوبى لمشتاق يعفّر خده
فى روضة الهادى إليه يشير.

فهناك يبذل في التوسّل وسعه و يصيخ نحو خطيب طيبة سمعه
و يريق فوق حصى المصلّى دمه و يرى معالم من يحبّ و ربه
و محمد للعالمين بشير

صلى عليه الله خير صلّاته و حبا معاليه جليل صلّاته
ما حنّ ذو الأشواق في حالاته و أتى مغانيه على علّاته
فأتيح حسن الختم و هو قرير

و وقفنا بباب طلب الآمال خاشعين، و توسّلنا إلى الله بذلك المقام العلى خاضعين، و غبطنا قوما سكنوا هنالك فكانوا لخدودهم متى
شاؤوا على تلك الأعتاب واضعين: [من المحمّسات]
أكرم بعبد نحو طيبة منتد متوسّل مستشفع مسترشد
يفلى الفلاة لها بعزم أيد وافي إلى قبر النبيّ محمد
و لربه الأسمى يروح و يغتدى
أزجاه صادق حبه المتمكّن و حداه سائق عزمه المتعيّن
فحكى لدى شجو حمام الأغصن هزجا يردّد فيه صوت ملحن
و يمدّ للإطراب صوت المنشد

و يقول جئت بعزمه نزاعه و نهضت و الدنيا تمرّ كساعة
لمحلّ أحمد قائلا بإذاعه هذا النبيّ المرتجى لشفاعة
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٥٨
يوم القيامة بين ذاك المشهد

هذا الرؤوف بجاره و نزيله هذا سراج الله في تنزيله
هذا الذي لا ريب في تفضيله هذا حبيب الله و ابن خليله
هذا ابن باني البيت أوّل مسجد

هذا الذي اصطفت النبوة خيمه هذا الذي اعتم الهدى تقديمه
هذا الذي نسقى غدا تسنيمه هذا الذي جبريل كان خديمه
في حضرة التشريف أزكى مصعد

هذا الذي شهد الوجود بخصه بمزية التفضيل من مختصه
و أبانه من وحيه في نصه هذا الذي ارتفع البراق بشخصه
في ليلة الإسراء أشرف مشهد

هذا الذي غدت الطلول حديقه بجواره و غدت تروق أنيقه
هذا المكمل خلقه و خليقه هذا الذي سمع النداء حقيقه
و دنا و لم يك قبل ذاك بمبعد

فهناك كم رسل به تتوسّل و على حماه لدى المعاد يعول
يا أرحم الرّحماء أنت الموثل يا خاتم الإرسال أنت الأول
فترقّ في أعلى المكارم و اصعد

الله رَفَع في سراه مناره و أبان في السَّبع العلا أنواره
 فقفت ملائكة السما آثاره و أراه جنته هناك و ناره
 فمؤبَد و مخلد لمخلد
 كم زاد من وجل و جلى ظلمة و امتن بالرحمى و متن حرمة
 لما دجا أفق الضلالة دهمه بعث الإله به ليرحم أمه
 لولاه كانت بالضلالة ترتدى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٥٩
 حاز الشَّفوف فكلَّ خلق دونه فالغيث يسأل إذ يسيل يمينه
 و الشمس تستهدى الشروق جبينه و الله فضله و أظهر دينه
 و وفى لنا فيه بصدق الموعد
 نطقى يغادى ذكره و يراوح و به ينافح مسكة و ينافح
 تعبى اللسان محامد و ممداح طوبى لمن قد عاش و هو يكافح
 عنه يناضل باللسان و باليد
 هو صفوة العرب الألى أحسابهم أسيافهم قرنت بها أسبابهم
 فهم لباب المجد و هو لبابهم من آل بيت لم تزل أنسابهم
 تنبى لهم عن طيب عنصر مولد
 شرف التبوّة قد رسا فى أهلها و سما على الزهر العلا بمحلها
 ساق السوابق للفخار برسلها نطق الكتاب كما علمت بفضلها
 و قضى به نصّ الحديث المسند
 فوق السماك توطنت و توطنت و تفرّدت بالمصطفى و توحدت
 فهى الخلاصة صفيت فتجردت من معدن فيه الرسالة قد بدت
 من عصر آدمنا لعصر محمد
 طالوا فلم يبقوا لمجد مصعدا صالوا ففى أيمانهم حتف العدا
 سئلوا فهم لعفاتهم غيث الجدا أهل السقاية و الرفادة و الندى
 و الكعبة البيت الحرام المقصد
 المطعمون و قد طوى ألم الطوى الناهضون إذا الصريخ لهم نوى
 العاطفون إذا الطريق بهم لوى أهل الشدانة و الحجابة و اللوى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٦٠
 أهل المقام و زمزم و المسجد
 المصلحون إذا الجموع تخاذعت المنجحون إذا المساعى دافعت
 الدافعون إذا الأعدى قارعت المؤثرون إذا السنون تتابعت
 وفد الحجيج بنيل كلّ تفقد
 لا يقرب الخطب الملمّ منيعهم لا يطرق الكرب المخيف قريعهم

والله شرف بالنبى جميعهم من نال رتبتهم و حاز صنيعهم

نال الشفوف و حاز معنى السؤدد

حلوا من الطود الأشم بمنعه فى خير معتصم و أسمى رفعة

فهم بمنه أمنه فى هجعه الله خصصهم بأشرف بقعه

محجوجه محفوفة بالأسعد

لما أتيت لرامه أصل السرى من بعد قصدى مكة أم القرى

أنشدت جهرا فيه أنثر جوهرها وإليكمها يا خير من وطئ الثرى

عذراء ترزى بالعذارى الخرد

كل الحسان لحسناها قد أدهشا ما مثلها فى تربها شاد نشا

سفرت بعزم ما أجد و أطيشا نشأت بطى القلب و ارتوت الحشا

زهراء من يرها يهلهل و يسجد

أمتك تشؤ فى مداها الألسنا و ترى إجادتها المجيد المحسنا

تغدو و لا تشى العنان عن الثنا و أتتك تمرح كالقضيب إذا انثنى

مترنحا بين الغصون الميّد

قد أعملت فى المدح ثاقب ذهنها ترجو الحلول لدى قراره أمنها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٦١

و عسى إذا غذيت بتربه عدنها يجلو لك الإحسان بارع حسنها

و الحسن يجلوها و إن لم تنشد

مدحى لخير العالمين عقيدتى و مطيتى بل طيبتى و نشيدتى

و نتيجتى و هدى اليقين مفيدتى و لئن مدحت محمدا بقصيدتى

فلقد مدحت قصيدتى بمحمد

يا خير خلق الله دعوة حائر يشكو إليك صروف دهر جائر

والله يعلم فى هواك سرائرى و هو الذى أرجو لعفو جرائرى

متوسلا بجنابك المتأطد

لولا حقوق عينت بمغارب لمكثت عندك كى تتاح مآربى

و يكون فى الزرقاء عذب مشاربى حتى أحلى من تراك ترائبى

و أنال دفنا فى بقيق الغرقد

و عليك من رب حباك صلته و سلامه و هباته و صلته

ما أم بابك من هدته فلاته لعلاك حتى زحزحت علته

فأتيح حسن الختم دون تردد

ثم ودّعه صلى الله عليه و سلم و القلب من فراقه سقيم، و وقعت من البعد عن تلك المعاهد فى المقعد المقيم، و أنا أرجو أن يكون

شكل منطقى غير عقيم، و أن أحشر فى زمرة من سلك الصراط المستقيم: [الخفيف]

يا شفيع العصاة أنت رجائى كيف يخشى الرجاء عندك خييه

و إذا كنت حاضرا بفؤادى غيبة الجسم عنك ليست بغيه
ليس بالعيش فى البلاد انتفاع أطيب العيش ما يكون بطيه

[عودة المؤلف إلى مصر و زيارته بين المقدس]

ثم عدت إلى مصر، و قد زال عنى ببركته صلى الله عليه و سلم الإصر، و ذلك فى محرم سنة ١٠٢٩، ثم قصدت زيارة بيت المقدس فى شهر ربيع من هذا العام، و قد شملتني بفضل الله جوائز نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٦٢
الإنعام، و تذكّرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة قول حافظ الحفّاظ ابن حجر العسقلانى - رحمه الله تعالى - و هو ممّا زادني فى هذه الزيارة رغبةً: [الوافر]

إلى البيت المقدس جئت أرجو جنان الخلد نزلا من كريم
قطعنا فى مسافته عقابا و ما بعد العقاب سوى النعيم

فلما دخلت المسجد الأقصى، و أبصرت بدائعہ التي لا تستقصى، بهرنى جماله الذى تجلّى الله به عليه، و سألت عن محلّ المعراج الشريف فأرشدت إليه، و شاهدت محلاً أمّ فيه صلى الله عليه و سلم الرّسل الكرام الهداء، و كان حقّى أن أنشد هنالك ما قاله بعض الموفقين و هو مما ينبغى أن ترمزم به الحداة: [مجزوء الكامل]

إن كنت تسأل أين قد ر محمد بين الأنام
فأصخ إلى آياته تظفر برّيك فى الأوام
أكرم بعبد سلّمت تقديمه الرّسل الكرام
فى حضرة للقدس و افاها بعزّ و احترام
صفّوا و صلّوا خلفه إنّ الجماعة بالإمام
للشّهب نور بين و الفضل للقمر التّمام
سلك النّبوة باهر و بأحمد ختم النظام
هذا الكتاب دلالة تبقى إلى يوم القيام
شهدت له من بعد عج ز ألسن اللّد الخصام
خير الورى و أجلّ آيات له خير الكلام
فعليه من ربّ الورى أزكى صلاة مع سلام

و ربما يقول من يقف على سرد هذه الأمداح النبوية: إلى متى و هذا الميدان تكلّ فيه فرسان البديهة و الرّؤية؟ فأنشده فى الجواب، قول بعض من أمّ نهج الصّواب: [الرمل]

لأديمنّ مديح المصطفى فعل من فى الله قوى طمعه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٦٣

فعسى أنعم فى الدنيا به و عسى يحشرني الله معه

و إذا كان القريض فى بعض الأحيان كذبا صراحا، و الموقّق من تركه و الحالة هذه رغبة عنه و له أطراحا، فخيره ما كان حقّا و هو مدح الله و رسوله، و بذلك يحصل للعبد منتهى سوله:

[الخفيف]

ليس كلّ القريض يقبله السّم ع و تصغى لذكره الأفهام
 إنّ بعض القريض ما كان هزءاً ليس شيئاً، و بعضه أحكام
 و أجلّ الكلام ما كان فى مدح شفيح الورى عليه السلام
 طيب العرف دائم الذكر لا تأتى الليالى عليه و الأيام
 مثل زهر قد شقّ عنه كمام أو كمسك قد فضّ عنه ختام
 ليس تحصى صفات أحمد بالعدّ كما لم تحط به الأوهام
 و لو أنّ البحار حبر و ما فى ال أرض من كلّ نابت أقلام
 فطويل المديح فيه قصير و حسام ماض لديه كهام
 و لسان البلغ للعنى ينمى و كذا صيّب الفصيح جهام
 كيف يحصى مديح مولى عليه ال له أثنى و ذكره مستدام
 و له المعجزات و الآى تبدو لا يغطى و جوهنّ لثام
 فمن المعجزات أن سار ليلا و جميع الأنام فيه نيام
 راكبا للبراق حتى أتى القدس و فيه رسل الإله الكرام
 فاستووا خلفه صفوفاً و قالوا صلّ يا أحمد فأنت الإمام
 فعليه من ربّه صلوات زاكيات مع صحبه و سلام

[عودة المؤلف إلى مصر و خدمته العلم بالأزهر]

ثم رجعت إلى القاهرة، و كزرت منها الذهاب إلى البقاع الطاهرة، فدخلت لهذا التاريخ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٦٤

الذى هو عام تسعة و ثلاثين و ألف مئة خمس مرات، حصلت لى بالمجاورة فيها المسرات، و أمليت فيها على قصد التبرك دروسا
 عديدة، و الله يجعل أيام العمر بالعود إليها مديدة، و وفدت على طيبة المعظمة ميمما مناهجها السديدة، سبع مرار، و أطفأت بالعود
 إليها ما بالأكباد الحرار، و استضأت بتلك الأنوار، و ألفت بحضرته صلى الله عليه و سلم بعض ما من الله به على فى ذلك الجوار، و
 أمليت الحديث النبوى بمرأى منه عليه الصلاة و السلام و مسمع، و نلت بذلك و غيره- و لله المنّة- ما لم يكن لى فيه مطمح و لا
 مطمع، ثم أبت إلى مصر مفوضاً لله جميع الأمور، ملازماً خدمة العلم الشريف بالأزهر المعمور، و كان عودى من الحجة الخامسة
 بصفر سنة سبع و ثلاثين و ألف للهجرة، فتحرّكت همتى أوائل رجب هذه السنة للعود للبيت المقدس، و تجديد العهد بالمحلّ الذى
 هو على التقوى مؤسس، فوصلت أواسط رجب، و أقمت فيه نحو خمسة و عشرين يوماً بدا لى فيها بفضل الله وجه الرشد و ما
 احتجب. و ألقى عدة دروس بالأقصى و الصخرة المنيفة، و زرت مقام الخليل و من معه من الأنبياء ذوى المقامات الشريفه، و كنت
 حقيقاً بأن أنشد قول ابن مطروح، فى ذلك المقام الذى فضله معروف و أمره مشروح: [الوافر]

خليل الله، قد جنناك نرجو شفاعتك التى ليست تردّ

أنلنا دعوة و اشفع تشفع إلى من لا يخيب لديه قصد

و قل يا ربّ أضياف و وفد لهم بمحمد صلّه و عهد

أتوا يستغفرونك من ذنوب عظام لا تعدّ و لا تحدّ

إذا وزنت ببذبل أو شمام رجحن و دونها رضوى و أحد

و لكن لا يضيق العفو عنهم و كيف يضيق و هو لهم معدّ
و قد سألو رضائك على لسانى إلهى ما أجيب و ما أردّ
فيا مولا هم عطفًا عليهم فهم جمع أتوك و أنت فرد

[ثم زيارة إلى دمشق و وصفها]

ثم استوعبت أكثر تلك المزارات المباركة كمزار موسى الكليم، على نبينا و عليهم و على سائر المرسلين و الأنبياء أجمعين أفضل الصلاة و التسليم، ثم حدث لى منتصف شعبان، عزم على الرحلة إلى المدينة التى ظهر فضلها و بان، دمشق الشام ذات الحسن و البهاء و الحياء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٦٥

و الاحتشام، و الأدواح المتنوعة، و الأرواح المتضوّعة، حيث المشاهد المكرّمة، و المعاهد المحترمة، و الغوطة الغناء و الحديقة، و المكارم التى يبارى فيها المرء شانه و صديقه، و الأطلال الوريفة و الأفنان الوريقة، و الزهر الذى تخاله مبسما و التدى ريقه، و القضبان الملد، التى تشوّق رائيتها بجنة الخلد: [الوافر]

بحيث الروض و ضاح الثنايا أنيق الحسن مصقول الأديم

و هى المدينة المستولىة على الطّباع، المعمورة البقاع، بالفضل و الرباع: [الطويل]

تزيد على مّر الزمان طلاوة دمشق التى راقق بحلو المشارب

لها فى أقاليم البلاد مشارق منزّهة أقمارها عن مغارب

و دخلتها أواخر شعبان المذكور، و حمدت الرحلة إليها و جعلها الله من السعى المشكور:

[الطويل]

وجدت بها ما يملأ العين قرّة و يسلى عن الأوطان كلّ غريب

و شاهدت بعض مغانيها الحسنة، و مبانيتها المستحسنة: [الطويل]

نزلنا بها نوى المقام ثلاثة فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا

و رأينا من محاسنها ما لا- يستوفيه من تأتق فى الخطاب، و أطال فى الوصف و أطاب، و إن ملأ- من البلاغة الوطاب، كما قلت:

[المجتث]

محاسن الشام أجلى من أن تحاط بحدّ

لولا حمى الشّرع قلنا و لم نقف عند حدّ:

كأنها معجزات مقرونة بالتحدى

فالجامع الجامع للبدائع يبهر الفكر، و الغوطة المنوطة بالحسن تسحر الأبواب لا سيما إذا حيّاها النسيم و ابتكر: [الطويل]

أحبّ الحمى من أجل من سكن الحمى حديث حديث فى الهوى و قديم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٦٦

فله مرآها الجميل الجليل، و بيوتها التى لم تخرج عن عروض الخليل، و مخبرها الذى هو على فضلها و فضل أهلها أدلّ دليل، و

منظرها الذى ينقلب البصر عن بهجته و هو كليل: [الكامل]

و الروض قد راق العيون بحلّة قد حاكها بسحابه آذار

و على غصون الدّوح خضر غلائل و الزّهر فى أكمامه أزرار

فكم لها من حسن ظاهر و كامن، كما قلت موطنًا للبيت الثامن: [مجزوء الكامل]

أما دمشق فجنته لعبت بألباب الخلائق

هي بهجة الدنيا التي منها بديع الحسن فاتق

لله منها الصالحى يه فاخرت بدوى الحقائق

و الغوطة الغناء حيت بالورود و بالشقائق

و النهر صاف و النسيم اللدن للأشواق سائق

و الطير بالعيدان أب دت فى الغنا أحلى الطرائق

و لآلىء الأزهار حلّت جيد غصن فهو رائق

و مراود الأمطار قد كحلت بها حدق الحدائق

لا زال مغناها مصونا آمننا كلّ البوائق

و كما قلت مرتجلا أيضا مضمنا الرابع و الخامس: [المجتث]

دمشق راقه رواء و بهجة و غضاره

فيها نسيم عليل صح فوافه بشاره

و غوطة كعروس تزهى بأعجب شاره

يا حسنها من رياض مثل النضار نضاره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٦٧

كالزهر زهرا و عنها عرف العبير عباره

و الجامع الفرد منها أعلى الإله مناره

و حاصل القول فيها لمن أراد اختصاره

تذكيرها من رآها عدنا و حسبي إشاره

دامت تفوق سواها إنالته و إناره

و كما ارتجلت فيها أيضا: [الخفيف]

قال لى ما تقول فى الشام حبر كلما لاح بارق الحسن شامه

قلت ما ذا أقول فى وصف قطر هو فى و جنه المحاسن شامه

و قلت أيضا: [الخفيف]

قال لى صف دمشق مولى رئيس جمل الله خلقه و احتشامه

قلت كل اللسان فى وصف قطر هو فى و جنه البسيطة شامه

و قلت أيضا: [الكامل]

و إذا وصف محاسن الدنيا فلا تبدأ بغير دمشق فيها أولا

بلد إذا أرسلت طرفك نحوه لم تلق إلّا جنه أو جدولا

ذا وصف بعض صفاتها و هى التى تعيب البليغ و إن أجاد و طولا

و الغاية فى هذا الباب، من الوصف لبعض محاسنها الفاتنة الأبواب، قول أبى الوحش سبع بن خلف الأسدى يصف أرضها المشرقة، و

رياضها المورقة، و نسيما العليل، و زهرها البليل: [الرجز]

سقى دمشق الشام غيث ممرع من مستهلّ ديمه دفاقها
مدينة ليس يضاهاى حسنها فى سائر الدنيا ولا آفاقها
تودّ زوراء العراق أنها تعزى إليها لا إلى عراقها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٦٨
فأرضها مثل السماء بهجةً و زهرها كالزهر فى إشراقها
نسيم رياً روضها متى سرى فكك أخوا الهموم من وثاقها
قد ربع الربيع فى ربوعها و سقت الدنيا إلى أسواقها
لا تسأم العيون والأنوف من رؤيتها يوماً ولا انتشاقها
وقول شمس الدين الأسدى الطيبى: [الوافر]

إذا ذكرت بقاع الأرض يوماً فقل سقيا لجلق ثم رعيًا
وقل فى وصفها لا فى سواها: بها ما شئت من دين و دنيا

و كأنّ لسان الدين ذا الوزارتين ابن الخطيب، عناها بقوله المصيب: [الكامل]
بلد تحفّ به الرياض كأنه وجه جميل و الرياض عذاره
و كأنما واديه معصم غادة و من الجسور المحكمات سواره

و كنت قبل رحلتى إليها، و وفادتى عليها، كثيرا ما أسمع عن أهلها زاد الله فى ارتقائهم، ما يشوقنى إلى رؤيتها و لقائهم، و ينشقنى
على البعد أريج الأدب الفائق من تلقائهم، حتى لقيت بمكة المعظمة، أوحد كبرائها الذين فرائدهم بلبة الدهر منظمه، عين الأعيان، و
صدر أرباب التفسير بها و البيان، صاحب القلم الذى طبّق الكلى و المفاصل، و الفتاوى التى حكمها بين الحق و الباطل فاصل، و
التأليف التى وصفها بالإجادة من باب تحصيل الحاصل، وارث العلم عن غير كلاله، ذو الحسب المشرق بدره فى سماء الجلاله،
صاحب المعارف التى زانت خلاله، و ساحب أذيال العوارف التى أبانت عن فضله دلالة، مفتى السلطان فى تلك الأوطان، على
مذهب الإمام التّعمان، مولانا الشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام عماد الدين، لا زال سالكا سبيل المهتمدين، فكان جمل الله به عصرًا
و أوانًا، لقضية هذا القياس عنوانًا، فلما حللت بدارهم، و رأيت ما أذهلنى من سبقهم للفضل و بدارهم، صدق الخبر،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٦٩
و تمثلت فيهم بقول بعض من غير: [الطويل]

ألّمت بنا أوصافهم فامتلاً الفضا عبيرا و أضحى نوره متألقا
وقد كان هذا من سماع حديثهم بلاغا فصّح النّقل إذ حصل اللّقا
و قابلونى - أسماهم الله - بالاحتفال و الاحتفاء، و عرّفنى بديع برّهم فنّ الاكتفاء:
[الخفيف]

غمرتنى المكارم الغرّ منهم و توالى علىّ منها فنون
شرط إحسانهم تحقّق عندى ليت شعرى الجزاء كيف يكون
و قابلونى بالقبول مغضين عن جهلى: [الطويل]
و ما زال بى إحسانهم و جميلهم و برّهم حتى حسبتهم أهلى
بل الأولى أن أتمثّل فيهم بما هو أبلغ من هذا المقول فى آل المهلب، و هو قول بعض من نزل بقوم برق قصدهم غير خلّب، فى زمن
به تقلّب: [الطويل]

و لما نزلنا فى ظلال بيوتهم أمنا و نلنا الخصب فى زمن المحل
 و لو لم يزد إحسانهم و جميلهم على البر من أهلى حسبتهم أهلى
 لا سيما المولى الذى أمداحه تحلى أجياد الطروس العاطلة، و سماحه يخجل أنواء الغيوث الهاطلة، صدر الأكاير الأعظم، الحائر قصب
 السبق فى ميدان الإجادة بشهادة كل نائر و ناظم، الصديق الذى بوّده أعتبط، و الصديق الذى بأسباب عهده أرتبط، الأوحى الذى
 ضربت البراعة رواقها بناديه، و الماجد الذى لم يزل بديع البلاغة من كتب يناديه، السرى الحائر من خلال ما أبان تفضيله، اللوذعى
 الذى لم تزل أوصافه تحكم له بالسؤدد و تقضى له، و الحق أبلج لا يحتاج إلى زيادة براهين، الأجل المولى أحمد أفندى بن شاهين،
 لا زالت العزة مقيمة بواديه، و لا برحت حضرته جامعة لبواطن الفخر و بواديه، و السعد يراوح مقامه و يغاديه، و المجد يترنم بذكره
 حاديه، فكم له- أسماه الله- و لغيره من أعيان دمشق لدى من أيا، يعجز عن الإبانة عنها لو أراد وصفها قس إيا، و لو تعرّضت
 لأسمائهم و حلاهم، أدام الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٧٠

تعالى سؤددهم و علاهم، لضاق عن ذلك هذا التطاق، و كان من شبه التكليف بما لا يطاق، فليت شعرى بأى أسلوب، أودى بعض
 حقهم المطلوب؟ أم بأى لسان، أثنى على مزاياهم الحسان؟ و ما عسى أن أقول فى قوم نسقوا الفضائل ولاء، و تعاطوا أكواب المحامد
 ملاء؟

و سحبوا من المجد مطارف و ملاء، و حازوا المكارم، و بدّوا الموادد و المصارم، سؤددا و علاء؟: [الرجز]

فما رياض زهر الزبيح إذا بدت فى وشيها البديع
 ضاحكة عن شنب الأفاح عند سفور طلعة الصباح
 غنى بها مطوق الحمام و صافحتها راحة الغمام
 و باكرتها نسمة من الصبا فأصبحت كأنها عهد الصبا
 نضارة و رونقا و بهجة تفدى بكل ناظر و مهجة
 أطيب من ثنائهم عييرا بين الورى فاسأل به خيرا
 دامت معاليهم على طول الزمن يروى حديث الفضل عنها عن حسن
 و ثابت و قره و سعد و أسعفوا بنيل كل وعد

فهم الذين نوهوا بقدرى الخامل، و ظنوا مع نقصى أن بحر معرفتى وافر كامل، حسبما اقتضاه طبعهم العالى:

فلو شريت بعمري ساعة ذهبت من عيشتى معهم ما كان بالعالى

فمتعين حقهم لا يترك، و حبههم لا يخالط غيره و لا يشرك، و إن أطلت الوصف فالغاية فى ذلك لا تدرك: [البسيط]

يزداد فى مسمعى تردد ذكرهم طيبا و يحسن فى عيني مكرره

و إذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعة قدر، فهم كما قال الأعرابى الذى ضلت ناقته فى مدح البدر، و البليغ و ذو الحصر فى ذلك

سيان، و الحق أبلج و الباطل لجلج و ليس الخبر كالعيان: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٧١

هب الزروض لا يثنى على الغيث نشره أ تحسبه تخفى مآثره الحسنى

[وصف دمشق و ذكر محاسنها]

و قد تذكرت بلادى النائبة، بذلك المرأى الشامى الذى يبهر رائيه، فلما شئت من أنهار ذات انسجام، أترع فيها من جريال الأنس جام،

و أزهار متوجّه للأدواح، مروّحة للنفوس بعاطر الأرواح، و حدائق تعشى أنوارها الأحداق، و عيانها للخبر عنها مصداق و أى مصداق:
[الكامل]

فهى التى ضحكك النهار صباحها و بكت عشيتها عيون الترجس
و اخضرّ جانب نهرها فكأنه سيف يسلّ و غمده من سندس
و جنان، أفنانها فى الحسن ذوات افتنان: [الخفيف]
صافحتها الرياح فاعتنق السرّ و و مالت طواله للقصار
لائذ بعضه ببعض كقوم فى عتاب مكرّر و اعتذار

و بطاح راق سناها، و كمل حسنها و تناهى، كما قلت مضمّنا فى ذلك المنحى، لقول بعض من نال فى البلاغة منى و منحنا: [الوافر]
دمشق لا يقاس بها سواها و يمتنع القياس مع النصوص
حلاها راق الأبخار حسنا على حكم العموم أو الخصوص
بساط زمرد نثرت عليه من الياقوت ألوان الفصوص
و لله درّ القائل، فى وصف تلك الفضائل: [الخفيف]
إن تكن جنّة الخلود بأرض فدمشق، و لا يكون سواها
أو تكن فى السماء فهى عليها قد أمّدت هواءها و هواها
بلد طيب و ربّ غفور فاغتمها عشية أو ضحاها

و عند رؤيتي لتلك الأقطار، الجليّة الأوصاف العظيمة الأخطار، تفاءلت بالعود إلى أوطان لى بها أوطار، إذ التشابه بينهما قريب فى
الأنهار و الأزهار، ذات العرف المعطار، و زادت هذه بالتقديس الذى همعت عليها منه الأمطار، و تمثّلت بقول الأصفهاني، و إن غيرت
يسيرا منه لما أسفرت وجوه التهاني: [مجزوء الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٧٢

لما وردت الصالحى يه حيث مجتمع الرفاق

و شممت من أرض الشّام نسيم أنفاس العراق

أيقنت لى و لمن أحب بجمع شمل و اتّفاق

و ضحكت من فرح اللقاء كما بكيت من الفراق

لم يبق لى إلّا تجشّ شم أزمّن السفر البواقى

حتى يطول حديثنا بصفات ما كنّا نلاقى

و كنت قبل حلولى بالباق الشامية مولعا بالوطن لا سواه، فصار القلب بعد ذلك مقسّما بهواه: [الطويل]

ولى بالحمى أهل و بالشعب جيرة و فى حاجر خلّ و فى المنحنى صحب

تقسّم ذا القلب المتيم بينهم سألتكم بالله هل يقسم القلب؟

فيا لك من صبّ مراغ للذمام، منقاد لشوقه بزمام، يخيل له أنه سمع صوت قيان، بقول الأول: [الطويل]

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة و بالشام أخرى كيف يلتقيان

و فرد تعدّدت جموعه، و وشت بما أكنت ضلوعه دموعه، فأنشد و قد تحير، ما بدّل فيه من عظم ما به و غير: [البسيط]

كنمت شأن الهوى يوم التوى فوشى بسرّه من جفونى أى نّمّام

كانت ليالى بيضا فى دنوّهم فلا تسل بعدهم عن حال أيامى

ضنيت وجدا بهم و الناس تحسب بي سقما فأبهم حالي عند لؤامي
و ليس أصل ضنى جسمى النحيل سوى فرط اشتياقى لأهل الغرب و الشام
و حصل التحير، حيث لم يمكن الجمع و لا الخلو عند التخير، كما قال ابن دقيق العيد، فى مثل هذا الغرض البعيد: [الطويل]
إذا كنت فى نجد و طيب نعيمه تذكرت أهلى باللوى فمحسّر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٧٣

و إن كنت فيهم زدت شوقا و لوعة إلى ساكنى نجد و عيل تصبرى
فقد طال ما بين الفريقين موقفى فمن لى بنجد بين أهلى و معشرى

[فضل دمشق]

و بالجملة فالاعتراف بالحق فريضة، و محاسن الشام و أهله طويلة عريضة، و رياضه بالمفاخر و الكمالات أريضة، و هو مقرّ الأولياء و
الأنبياء، و لا يجهل فضله إلا الأغمار الأغبياء، الذين قلوبهم مريضة: [البيسط]
أتى يرى الشمس خفاش يلاحظها و الشمس تبهر أبصار الخفافيش
و لله درّ من قال فى مثل هذا من الأرضياء: [الوافر]

و هبنى قلت هذا الصبح ليل أ يعمى العالمون عن الضياء

و قال آخر فيمن عن الحق ينفر: [الطويل]

إذا لم يكن للمرء عين بصيرة فلا غرو أن يرتاب و الصبح مسفر

و حسب الفاضل اللبيب، أن يروى قول البدر بن حبيب: [السرير]

عزّج إذا ما شمت برق الشّام و حىّ أهل الحىّ و اقر السلام

و انزل يا قليم جزيل الحيا بارك فيه الله ربّ الأنام

العزّ و النصّر لديه، و ما لعروة الإسلام عنه انفصام

من أولياء الله كم قد حوى ركنا بمرآه يطيب المقام

و هو مقرّ الأنبياء الألى و الأصفياء الأتقياء الكرام

كم من شهيد فى حماه و كم من عالم فرد و كم من إمام

و لذلك اعتنت الجهابذة بتخليد أخباره فى الدواوين، و ابتنت الأساتذة بيوت افتخاره المنيفة الأواوين، و تناقلت أنباءه البديعة ألسن

الراوين، و هامت بأماكنه المريعة هداة الشريعة فضلا عن الشعراء الغاوين، و مع ذلك فهم فى التعبير عن عجائبه غير متساوين، أولا

يرى أنهم يأتون من مقولهم، على قدر رأيهم و عقولهم، و لم يبلغ جمع منهم ما كانوا له ناوين: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٧٤

على قدرك الصّهباء توليك نشوة بها سىء أعداء و سرّ صحاب

و لو أنها تعطيك منها بقدرها لصاقت بك الأكوان و هى رحاب

و كتبنا فى خلال الإقامة بدمشق المحوطة، و أثناء التأمل فى محاسن الجامع و المنازل و القصور و الغوطة، كثيرا ما ننظم فى سلك

المذاكرة درر الأخبار الملقوطة، و نتفياً من ظلال التبيان مع أولئك الأعيان فى مجالس مغبوطة، نتجاذب فيها أهداب الآداب، و نشرب

من سلسال الاسترسال و نتهادى لباب الأبواب، و نمّد بساط الانبساط و نسدل أطناب الإطناب، و نقضى أوطار الأقطار، و نستدعى

أعلام الأعلام، فينجز بنا الكلام و الحديث شجون، و بالتفنّن يبلغ المستفيدون ما يرجون، إلى ذكر البلاد الأندلسية، و وصف رياضها

السندسية، التي هي بالحسن منوطه، وقضاياها الموجهة التي لا يستوفيه المنطق مع أنها ضرورية و ممكنة و مشروطة، و الفطر السليمة، و الأفهام المستقيمة، بتسليم براهينها قاضية لا سيما إن كانت بالإنصاف مربوطة، فصرت أورد من بدائع بلغائها ما يجرى على لساني، من الفيض الرحمانى، و أسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السيلمانى، صبّ الله عليه شآبيب رحماه و بلغه من رضوانه الأمانى! ما تثيره المناسبة و تقتضيه، و تميل إليه الطباع السليمة و ترضيه، من النظم الجزل، فى الجذّ و الهزل، و الإنشاء، الذى يدهش به ذاكره الأبواب إن شاء، و تصرّفه فى فنون البلاغة حالى الولاية و العزل، إذ هو- أعنى لسان الدين- فارس النظم و النثر فى ذلك العصر، و المنفرد بالسبق فى تلك الميادين بأداة الحصر، و كيف لا و نظمه لم تستول على مثله أيدي الهصر، و نثره تزرى صورته بالخريفة و دمية القصر.

[اقتراح ابن شاهين على المؤلف تأليف كتاب عن لسان الدين بن الخطيب، و اعتذاره]

فلما تكرر ذلك غير مرة على أسماعهم، لهجوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة إجماعهم، و علق بقلوبهم، و أضحى منتهى مطلوبهم، و منية آمالهم و أطماعهم، و صاروا يقطفون بيد الرغبة فنونه، و يعترفون ببراعته و يستحسنونه، و يستنشقون من أزهاره كلّ ذاك، فطلب منى المولى أحمد الشاهينى إذ ذاك، و هو الماجد المذكور، ذو السعى المشكور، أن أتصدى للتعريف بلسان الدين فى مصنّف يعرب عن بعض أحواله و أنبائه، و بدائعه و صنائعه و وقائعه مع ملوك عصره و علمائه و أدبائه، و مفاخره التى قلّدها بها جيد الزمان و لبته، و ما أثره التى أرج بها مسرى الشمال و هتته، و بعض ما له من الثنار و النظام، و المؤلفات الكبار العظام، الرائقة للأبصار، الفائقة على كلام كثير من أهل الأمصار، السائرة مسير القمر و الشمس،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٧٥

المعقودة عليها بالخصائص بل الخمس، كى ما يكون ذلك لهذه الأغراض مشيعا، و يخلع على مطالعه بهذه البلاد المشرقية من أغراضه البديعة و منازعه و شيعا.

فأجبتة أسمى الله قدره الكبير، و أدام عرف فضائله المزرى بالعبر و العبير، بأن هذا الغرض غير سهل، و لست علم الله له بأهل، من جهات عديدة، أولها قصورى عن تحمّل تلك الأعباء الشديدة، إذ لا يوفى بهذا الغرض إلّا الماهر بطرق المعارف السديدة، و ثانيها عدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام لأنى خلّفها بالمغرب، و أكثرها فى المشرق كعقلاء مغرب، و ثالثها شغل الخاطر بأشجان الغربية، الجالبة للفكر غايه الكربة، و تقسم البال، بين شغل عائق و بلبال، و أنى يطيق، سلوك هذا المضيق، من اكتحلت جفونه بالسهاد، و نبت جنوبه عن المهاد، و سدّد نحوه الأسف سهمه، و شغل باله و وهمه، و بتّ فى قلبه تريحا، و عناء لم يجد منه إلّا أن يلفظ الله تسريحا، فما شام بارقه أمل إلّا فى النادر، و لا ورد منهل صفاء إلّا و كدّره مكر غادر، و قد كثر الجفاء، و برح بلا شكّ الخفاء، و استوخمت الموارد و المصادر، و القلب مكلوم، و ذو اللب غير ملوم، إذا كان على تليفق ما يليق غير قادر، و لا مؤنس إلا شاكى دهر بلسان صريح، أو باكى قاصمة ظهر بجفن قريح، أو مناصل فى معترك العجز طريح، أو فاضل دفن من الخمول فى ضريح، إذ رمته سهام الأوهام الصوائب، و عصّت منه إبهام الإبهام بنابها النوى و النوائب، فقلوبه من تقلبات أحواله ذوائب، و كم شابت من أمثاله بصروف الدهر و أهواله ذوائب: [الطويل]

على أنها الأيام قد صرن كلّها عجائب حتى ليس فيها عجائب

و أدمع أحجارها، تسلّط فجّارها، فكم من عدوّ منهم فى ثياب صديق، و حسود لنظره إلى نعم الله على عباده تحديق، لا- تخدعه المداراة، و لا تردعه المماراة، يتتبع العثرات، و يقنع بألم البثرات، و يتبسم، و قلبه من الغلّ يتقسّم، و يتودّد، و مكايده تتجدّد فتتعدّد: [الخفيف]

لا ترم من ممّاذق الودّ خيرا فبعيد من السراب الشراب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٧٦
 رونق كالحباب يعلو على الماء و لكن تحت الحباب الحباب
 عظمت في التفاق ألسنة القوم و في الألسن العذاب العذاب
 و الصديق الصدوق في هذا الزمن قليل، و قد أَلَفَ بعض العلماء «شفاء الغليل، في ذمّ الصاحب و الخليل». و هو غير محمول على
 الإطلاق، و إن قال به بعض من رهنه من أبناء عصره ذو إغلاق: [مجزوء الكامل]

أبناء دهر ك فالفهم مثل العدا بسلاحكا
 لا تغترر بتبسم فالسيف يقتل ضاحكا
 و داء الحسد أعياء الأيول و الآخر، و قد عظم الأمر في هذا الأوان و كثر المزدري و الساخر، مع أن أسواق الدفاتر كاسدة، و أمزجة
 المحابر فاسدة: [مجزوء الكامل]

و الدهر دهر الجاهلي ن و أمر أهل العلم فاتر
 لا سوق أكسد فيه من سوق المحابر و الدفاتر
 فالمنسوب للعلم في هذا الزمن زمن، و هو بأن ينشد قول الأول قمن: [الوافر]

لأى و ميص بارقة أشيم ورعى الفضل عندهم هشيم
 و ليت شعري علام يحسد من أبدل الاغتراب شارته، و أضعف الاضطراب إشارته، و أنهل بالدموع أنواءه، و قلل أضواءه، و كثر علله و
 أدواءه، و غير عند التأمل رواءه، و ثنى عن المأمول عنانه، و أرهف بالخموم سنانه، حتى قدح الذكر حنانه، و ملأ الفكر جأشه و جنانه،
 فهو في ميدان النزوح مستبق، و من راحه التعب مصطبج و مغتبق: [الطويل]

له أته المشتاق في كل ساعة تمرّ و ما للثاكلات من الحزن
 و من مرسلات الدمع واقعة الأسي و من عاديات البين قارعة السنّ
 تثير الذكري منه كوامن الشجون، و تدير عليه جام الهيام و لو كان بين الصفا و الحجون:
 [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٧٧
 و تحت ضلوع المستهام كآبه يخاف على الأحشاء منها التفطرا
 و لو أن أحشاء تبوح بما حوت لتمتلئ الأرض كتباً و أسطرا
 و شتان ما بين الاقتراب و الاغتراب، و السكون في الركون و النبؤ عنها و الاضطراب، فذاك تسهل غالباً فيه الأغراض و المآرب، و هذا
 تتعقر فيه المقاصد و تتكدر المشارب: [الطويل]

و ما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز و لكن أرى تحصيلها بالدنيّة
 و إن طاوعتني رقة الحال مرّة أبت فعلها أخلاق نفس أبيّة
 و كما قلت، عندما صرت إلى الاغتراب و ألت: [الوافر]

تركت رسوم عزى في بلادى و صرت بمصر منسى الرسوم
 و رضت النفس بالتجريد زهدا و قلت لها عن العلياء صومى
 مخافة أن أرى بالحرص مّمن يكون زمانه أحد الخصوم
 و كما قال بعض الأكابر، من أهل الزمان الغابر: [الكامل]

لا عار إن عطلت يداى من الغنى كم سابق في الخيل غير محجل

صان اللثيم، و سنت وجهي، ماله دوني، فلم يبذل و لم أتبدل
أبكي لهمّ ضافني متأوبا إنّ الدموع قرى الهموم التزل
لا تنكروا شيئا ألم بمفرقي عجلا كأنّ سناه سلّة منصل
فلقد دفعت إلى الهموم تنوبني منها ثلاث شدائد جمّعن لي
أسف على ماضى الزمان، و حيرة في الحال منه، و وحشة المستقبل
ما إن وصلت إلى زمان آخر إلا بكيت على الزمان الأوّل
لله عهد بالحمى لم أنسه أيام أعصى في الصباة عدلي
و يرحم الله ابن قلاقس الإسكندري، إذ قال في معنى التمني المصدرى: [الطويل]
لعلّ زمانى بالعذيب يعود فيقرب قرب أو يصدّد صدود
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٧٨
و أبصر كئيبانا و هزّ روادف عليهنّ أغصان و هنّ قدود
و أقطف ورد الخدّ و هو مضرج و أجنى أقاح الثغر و هو برود
و أدنى ذراعى للعناق ذريعة فتنهى عن الإفراط فيه نهود
و يسرى إلى البدر و هو ممّنع و يغدو إلى الطّبي و هو شرود
و نكرع في شكوى الفراق كأننا فوارط هيم راقهنّ ورود
و أكبر مقدار الهوى عن كبيرة و أحمى عفاى دونه و أذود

[إصرار ابن شاهين و عدم قبوله عذر المؤلف]

و فرق ما بين الجوهر و العرض، و الصّيحة البيّنة و المرض، و الدّرّ و الحصى، و الحسام و العصا، و الرجوع إلى التفويض للأقدار، في
أمر هذه الدار، الكثيرة الأكدار، هو المطلوب، و المرجو من الله سبحانه جبر القلوب: [المجتث]
يا ربّ نفس همومى و اكشف كروبي جميعا
فقد رجوت كريما و قد دعوت سميعا

و لم يجعل لي المذكور. حفظه الله!. فسحة و لا مندوحة، بعد هذه الأعذار المحمودّة في الصدق الممدوحة، و لسان حالى و قالى،
يثبتان عجزى عن أداء هذا الحقّ بشهادة من هو وادّ و قالى، إذ من كان بصفه، غير متمكّنه مما تكون به متّصفه، و اتّسم بنعوت
مختلفه، و ارتسم في غير ذوى الأحوال المؤتلفه، كيف يحير في التصنيف جوابا، أو ينتحى من التأليف صوابا؟ و من جفنه هام هامل،
و قصوره عامّ شامل، كيف يقبض بالأنامل، على ماء البحر الوافر الكامل؟ و من لبس من العيّ ملاه، لا يعبر عمّن طبّق مفاصل الكلام و
كلامه، و قصّيرت ألسن البلغاء عن علاه، و زانت صدور الدواوين حلاه، و جمّع خلاصا حسانا، و كان للدين لسانا، و زاحمت مفاخره
بالمناكب الكواكب، و ازدانت بمرآه النوادى و المواكب، و نفحات الأزهار من آدابه، و نسيمات الأسحار عطر أذياله و أهدايه، و
السّحر من كتابته، و السّحر من كنيته، و روح النسيم من تعريضه، و الثّرة من نثره، و السّعرى من شعره و قريضه، و حلل المجد لباسه،
و أنوار العلم اقتباسه: [الوافر]

له ذهن يغوص ببحر علم فيأتى منه بالدّرّ التنظيم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٧٩

معانيه الرياض، لأجل هذا سرت ألفاظه مثل النسيم

و مباهيه النجوم، و مضاهيه الغيث السَّجُوم، إلى آباء يحسدهم القمر و الشمس، و إباء لو كان للمشرفي لما تحيفه لمس، و شرف لا مدعى و لا منتحل، و همّة لو نالها البدر لاستخذى له زحل، و براعة أرهفت سنان قلمه، و براعة سارت أمراؤها تحت علمه، فكم فتح بفكره أفعالها، و وسم بذهنه الثاقب أغفالهها، و سبك معانيها في قالب قلبه إبريزا و رقم بيان لسانه برود إحسانه بلفظه البديع تطريزا، فرفع في ميدان الإجادة لواءه، و أتيح من أنهار البراعة العذبة إرواؤه، و نال سبقا و تبريزا: [الوافر]

و ما زمن الشَّباب و أنت تجرى مع الأحباب في لهو و طيب

و وصل من حبيب بعد هجر بأحلى من كلام ابن الخطيب

فقصائده أرخصت جواهر البحور، المنظومة في قلائد اللُّبَّتات و النحور، من حسان العقائل الحور: [الطويل]

معان و ألفاظ تنظّم منهما عقود لآل في نحور السمائل

و زهر كلام كالحدائق نسجه غنينا به عن حسن زهر الخمائيل

و كلماته غدت للإبداع إقليدا، و جمعت طريفا من البلاغة و تليدا: [المتقارب]

كسون عبيدا ثياب العبيد و أضحى ليبد لديها بليدا

و مقطعاته ألد في الأسماع، من مطرب السماع، و أبهى في الأحداق و النواظر، من الحدائق ذوات الأغصان الملد التواضر، يعترف

بفضلها من انتحل الإنصاف دينا، و انتحل الأوصاف فاختر العدل منها خدينا: [الوافر]

رقيقات المقاطع محكمات لو ان الشَّعر يلبس لارتدينا

و رسائله كنعق العروس اللائححة في البياض، أو كوشى الربيع أو قطع الرياض، برزت أغصانها الحالية و تبرجت، و تضوّعت أفنانها

العالية و تارّجت، و قد ألبسها القطر زهرا، و فجّر خلالها نهرا، فأخذت زخرفها و ازَّينت، و لاحت محاسنها غير محتجبة و تبينت،

فبهرت من لها قابل، أستغفر الله لا بل: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٨٠

هي الحديقة إلّا أنّ صيبيها صوب النهى و جناها زهرة الكلم

و قوافيه، ريشت بها قوادم الإلتقان و خوافيه، بنان مجاريها يستدثر الحصر، و باع مباريها يستشعر القصر: [الخفيف]

خطها روضة، و ألفاظها الأزهار يضحكن، و المعاني ثمار

تبدى لمبصرها و ترى، ما قاله أبو عبادة البحرى: [الخفيف]

و كلام كأنه الزهر الناظر في رونق الربيع الجديد

مشرق في جوانب السَّمع ما يخ لقه عوده على المستعيد

و معان لو فصلتها القوافي هجنت ما لجرول من نشيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا و تجنّب ظلمة التعقيد

بل هي أجلّ مما وصف عند التحقيق، و إمعان النظر الصحيح و التدقيق: [الخفيف]

أين زهر الرياض و هو إذا ما طال عهدا بالغيث عاد هشيمًا

من قواف كأنها الأنجم الرّه ر سناها زان الظلام البهيمًا

و ناهيك بمن أطلعت العلوم على جلائلها و دقائقها، و أرتته الفنون ما شاء من يانعات حدائقها، و حبته الحكم الرياضية بأزاهرها، و

شقائقها، و أرضعته الوزارة من ثديها، و حلّت به الإمارة صدر نديها، و جعلته المرجوع إليه في تمييز جيّد الأمور و رديها، فغرس في

أرض الرياسة من نخل السياسة و وديها، و أعلى علم العدل و أعمد سيف الانتقام، و دفع تين الفتنة الذى فغرفاه للالتقام، و العهد إذ

ذاك قريب، في وطن الأندلس الغريب، باختلال الحال، و توالى الإمحال، و التجرّى على قتل الملوك، و التحرّى لقطع الطرق و منع

السلوك، حيث أهواء المارقين ذات افتراق، و ضلوع الصادقين في قلق و احتراق، و أيدى الإحن باطشة، و سيوف المحن إلى الدماء عاطشة، و عرش الحماية مثلول، و صارم الكفاية مفلول، و نطاق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٨١

الرعاية مطلول، و جيب النصيحة مملول، و التثور السلطاني بنار اختلاف الكلمة ملتهب، و العدو ينتهز الفرصة و يستلب الأنفس الأموال و ينتهب، و ليس له في غير قطع شأفة المسلمين ابتغاء، و إن عقد المهادنة في بعض الأحيان فهو يسرّ حسوا في ارتغاء، و كلاب الباطل في دماء أهل الحق و الغة و لله سبحانه و تعالى في خلقه إرادة نافذة و حكمه بالغه، فرقع لسان الدين ثوب الأندلس و رفاه، و أرغم- رحمه الله!- الكفر الذي فغرفاه، و شمّر عن ساعد اجتهاده، و حصّ باللسان و باليد على دفاعه و جهاده، حتى لاحت للنصر بوارق، و أمّنت بالحزم الطوارىء و الطوارق، ثم ضرب الدهر ضربانه، و أحرق الحاسد بنار أحقادته أنضر بانه، و أظهر ما في قلبه على لسان الدين و أبانه، و تقربّ الوشاة، و هم ممّن كان يخدمه و يغشاه، إلى سلطانه الذي كان عزّة أوطانه الذي كان يأمنه و لا يخشاه، حتى فسد عليه ضميره، و تكذّر و من يسمع يخل نميره، فأحسّ بظاهر التغير، و صار في الباطن من أهل التحير، و أجال قداح آرائه، و التفت إلى جهة العدو من ورائه، ففرّ مشمرا عن ذيله في لمة من خيله، إلى أسد العرين، سلطان بنى مرين، و كان إذ ذاك بتلمسان، و هو من أهل العلم و العدل و الإحسان، فاهترّ لمقدمه، و لقيه بخاصيته و خدمه، و أكرم مثواه، و جعله صاحب نجواه، ثم أدرك السلطان الحمام، و كسف بدره وقت التمام، فرجع لسان الدين إلى فاس، و استنشق بها أطيّب الأنفاس، و كثرت بعد ذلك الأهوال، و تغيّرت بسببه بين رؤساء العدو و الأندلس الأحوال، فما نجا من مكر العدا و لا سلم، و آل أمره من الاغتيال و ما نفع الاحتيال إلى ما علم، على يدى بعض أعدائه، الذين كانوا يتربصون الدوائر لإردائه، فأصبح كأمس الذاهب، و صارت أمواله و ضياعه عرضة للنهاب، و غصّ بذلك من كان من أودائه، و أخذ الله ثاره، من بعض من حرّك عليه المكر و آثاره، و تسبب في هلاكه، حتى انتشرت جواهر أسلاكه، و مات بدائه. فالعيون إلى هذا الوقت على لسان الدين باكية، و نفوس الأكابر و غيرهم مما فعل به شاكية، و الألسنة و الأقلام لمقاماته في الإسلام حاكية.

فمن كان بهذه السيمات و أكثر منها موصوفا، لا يقدر مثلى على تحبير التعبير عنه و يخشى أن تكون فكرته كخرقاء نقضت قطنا أو صوفا.

ثم إنى لَمّا تكرر على في هذا الغرض الإلحاح، و لم تقبل أعذارى التي زندها شحاح، عزمت على الإجابة لما للمذكور على من الحقوق، و كيف أقابل برّه حفظه الله بالعقوق؟ و هو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٨٢

الذى يروى من أحاديث الفضل الحسان و الصحاح، فوعدته بالشروع في المطلب عند الوصول إلى القاهرة المعزّية، و أزمعت السير عن دمشق المعروفة المزّية، و ألبسنى السفر منها من الخلع زيّه، و رحلنا عن تلك الأرجاء المتألّقة، و القلوب بها و بمن فيها متعلّقة: [الطويل]

حللنا ديارا للغرام سرت بها إلينا صبا نجد بطيب نسيم
و بان ردا الأشجان لَمّا تجاذبت أكفّ المنى فيها رداء نعيم
فما أنشبتنا العيس أن قذفت بنا إلى فرقة و العهد غير قديم
فإن نك و دَعنا الديار و أهلها فما عهد نجد عندنا بديم

[وصف داريا]

فخرج معنا. أسماء الله. مع جملة من الأعيان إلى داريا، المضاهية لدارين فى رباها و حبنا ربا، فألفيناها: [مجزوء الكامل]

رِيًّا من الأنداء طى يبة لها القدر الجليل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١؛ ص ٨٢
 تهدي لنا أرجاؤها أرجا من الزهر البليل
 و بها الغصون تمايلت ميل الخليل على الخليل
 و وصلنا عند الظهيرة، و سرّحنا العيون فى محاسنها الشهيرة: [الخفيف]
 منزل كالزبيح حلّت عليه حالات السحاب عقد النطاق
 يمتع العين من طرائق حسن تتجافى بها عن الإطراق
 و قلنا بها، لَمَّا نزلنا بجانبها: [الوافر]
 و بتنا و السرور لنا نديم و ماء عيون الصافي مدام
 يسايره النسيم إذا تعتّ حمامه و يسقيه الغمام
 فيا لك من ليلة أربت فى طيب النفع، على ليلة الشريف الرضى بالسفح: [المنسرح]
 و نحن فى روضة مرفوفة قد وشيت بالغمائم الوكف
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٨٣
 نغفى على زهرها فيوقظنا وهنا هدير الحمام الهتف
 و دوحها من نداء فى وشح و من لآلى الأزهار فى شنف
 و الغصن من فوقه حمامته كأنها همزة على ألف
 و ما أقرب قول الوزير ابن عمّار، من وصف ذلك المضمار، الجامع للأقمار: [مجزوء الكامل]
 يا ليلة بتنا بها فى ظل أكناف النعيم
 من فوق أكمام الزياض و تحت أذيال النسيم
 و ناهيك بمحلّ قرب من دمشق الغراء، فخلعت عليه حلال الحبور و السراء، و أمّدت به بضياؤها، و أودعته برق حياها و ماء حياؤها، فصار
 ناضر الدّوحات، عاطر الغدوات و الرّوحات، موق الأنفاس و النفحات، مشرق الأسرّة و الصفحات، هذا و القلوب من الفراق فى قلق، و
 لسان الحال ينشد: [البيسط]
 و بى علاقة وجد ليس يعلمها إلّا الذى خلق الإنسان من علق
 و يحثّ على انتهاز فرصة اللقاء إذ هى غنيمه، و يذكر بقول من قال و أكفّ الدهر موقظة و منيمه: [الوافر]
 تمتّع بالزّقاد على شمال فسوف يطول نومك باليمين
 و متّع من يحبّك باجتماع فأنت من الفراق على يقين

[المؤلف يصف موقف الوداع]

ثم حضر بعد تلك الليلة موقف الوداع، و الكلّ ما بين واجم و باك و داع، فتمتلت بقول من قلبه لفراق الأحباب فى انصداع: [المجتث]
 ودّعتهم و دموعى على الخدود غزار
 فاستكثروا دمع عيني لَمَّا استقلّوا و ساروا
 و قول آخر: [السريع]
 يا وحشة من جيرة قد نأوا علوّ قدرى فى الهوى انحطّا

حكّت دموعى البحر من بعدهم لَمَّا رأت منزلهم شَطًّا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٨٤
و حقّ لى أن أتمثّل فى ذلك بقول العزازى: [الخفيف]

لا تسلنى عمّا جناه الفراق حمّلتنى يداه ما لا يطاق
أين صبرى أم كيف أملك دمعى و المطايا بالظاعنين تساق
قف معى نندب الطلّول فهذى سنّة قبل سنّها العشاق
و أعد لى ذكر الغوير فكم ما ل يعطفى نسيمه الخفّاق
فى سبيل الغرام ما فعلت بال عاشقين القدود و الأحداق
يوم ولّت طلائع الصّبر منّا ثم شنت غاراتها الأشواق
و بقول غيره: [البيسط]

كنا جميعا و الدار تجمعنا مثل حروف للجمع ملتصقه
و اليوم صار الوداع يجعلنا مثل حروف الوداع مفترقه
و قول آخر: [الخفيف]

حين همّ الحبيب بالتّوديع عيرونى أنى سفحت دموعى
لم يذوقوا طعم الفراق و لا ما أحرقت لوعه الأسى من ضلوعى
كيف لا أسفح الدموع على رب ع حوى خير ساكن و جموع
هيبك أنى كتمت حالى أتخفى زفرات المتيّم المصدوع
إنما يعرف الغرام بمن لاح عليه الغرام بين الربوع
و قول من قال: [المتقارب]

أقول له عند توديعه و كلّ بعبرته مبلس
لئن قعدت عنك أجسادنا لقد سافرت معك الأنفس
و قول الصابى: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٨٥
و لَمَّا حضرت لتوديعه و طرف النوى نحونا أشوس
عكست له بيت شعر مضى يليق به الحال إذ يعكس
لئن سافرت عنك أجسادنا لقد قعدت معك الأنفس
و قول المهذب بن أسعد الموصلى: [الكامل]

دعنى و ما شاء التفرّق و الأسى و اقصد بلومك من يطيعك أو يعى
لا قلب لى فأعى الملام فإننى أودعته بالأمس عند مودّعى
هل يعلم المتحمّلون لنجعه أنّ المنازل أخضبت من أدمعى
كم غادروا حرّضا و كم لوداعهم بين الجوانح من غرام مودع
و السقم آية ما أجنّ من الجوى و الدّمع بينه على ما أذعى
و قول الكمال التّونخى: [الكامل]

كم ليلة قد بئها أرى السها جزعا لفرقتهم بمقلة أرمد
 قضيتها ما بين نوم نافر و زفير مهجور و قلب مكمد
 لم أنس أيام السرور و طيبها بين السدير و بين برقة تهمد
 و الروض قد أبدى بدائع نوره من أزرق و مفضض و مورّد
 و الماء يبدو كالصوارم ساريا فيعيده مرّ الصبا كالمبرد
 و الطير بين مسجّع و مرجع و مغرّد و معدّد و مردّد
 و قول القاضي بهاء الدين السنجاري: [الكامل]

أحبابنا ما لي على بعد المدى جلد و من بعد النوى يتجلّد
 لله أوقات الوصال و منظر نضر و غصن الوصل غصّ أملد
 أنى يطيق أخو الهوى كتمانته و الخدّ بالدمع المصون مخدّد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٨٦
 ما بعد مفترق الركاب تصبّر عمّن أحبّ فهل خليل يسعد
 يا سعد، ساعد بالبكاء أخوا هوى يوم الوداع بكى عليه الحسد
 و قول ابن الأثير: [مجزوء الكامل]

لم أنس ليلة ودّعوا صبا و ساروا بالحمول
 و الدمع من فرط الأسى يجرى فيعثر بالذيول
 و قول الأرجاني: [الطويل]

و لما وقفنا للوداع عشية و طرفى و قلبى هامع و خفوق
 بكيت فأضحكت الوشاة شماتة كأنى سحاب و الوشاة بروق
 و قول ابن نباتة السعدي: [الطويل]

و لما وقفنا للوداع عشية و لم يبق إلّا شامت و غيور
 وقفنا فمّن باكّ يكفكف دمعته و ملتزم قلبا يكاد يطير
 و قول بعضهم: [السريع]

لما حدا الحادي بترحالهم هيج أشواقى و أشجاني
 و راح يثنى القلب عن غيرهم فهو لهم حاد ولى ثاني
 و قول الصفدي: [السريع]

لما اعتنقنا لوداع النوى و كدت من حرّ الجوى أحرق
 رأيت قلبى سار قدّامهم و أدمعى تجرى و لا تلحق
 و قوله أيضا: [الطويل]

تذكرت عيشا مرّ حلوا بقربكم فهل لليالينا الذواهب و اهاب
 و ما انصرفت آمال نفسى لغيركم و لا أنا عن هذى الرغائب غائب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٨٧
 سأصبر كرها فى الهوى غير طائع لعلّ زمانى بالحبائب آتب

و قول ابن نباتة المصري: [السريع]

فى كنف الله و فى حفظه مسراك و العود بعزم صريح

لو جاز أن تسلك أجفاننا كنا فرشنا كل جفن قريح

لكنها بالبعد معتلة و أنت لا تسلك إلا الصحيح

و قول الحافظ أبى الحسن على بن الفضل: [الطويل]

عجبت لنفسى بعدهم ما بقاؤها و لم أحظ من لقياهم بمرادى

لعمرك ما فارقتهم منذ ودعوا و لكننا فارقت طيب رقادى

و قد منعوا منى زيارة طيفهم و كيف يزور الطيف حلف سهاد

و أعجب ما فى الأمر شوقى إليهم و هم فى سوادى ناظرى و فؤادى

و قوله رحمه الله تعالى: [الطويل]

رعى الله أيام المقام بروضة تروح علينا بالسرور و تغتدى

كأن الشقيق الغص بين بطاحها نجوم عقيق فى سماء زبرجد

و قول القاضى الرشيد الأسوانى: [الكامل]

رحلوا فلا خلت المنازل منهم و نأوا فلا سلت الجوانح عنهم

و سروا و قد كتموا الغداة مسيرهم و ضياء نور الشمس ما لا يكتم

و تبدلوا أرض العقيق عن الحمى روت جفونى أى أرض يمموا

نزلوا العذيب و إنما هو مهجتى رحلوا و فى قلب المتيم خيموا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٨٨

ما ضرهم لو ودعوا من أودعوا نار الغرام و سلموا من أسلموا

هم فى الحشا إن أعرقوا أو أيمنوا أو أشأموا أو أنجدوا أو أتهموا

و قول الشاعر أبى طاهر الأصفهاني، المعروف بالوثابي: [الطويل]

أشاعوا فقالوا وقفه و وداع و زمت مطايا للرحيل سراع

فقلت وداع لا أطيق عيانه كفانى من البين المشت سماع

و لم يملك الكتمان قلب ملكته و عند التوى سر الكتوم مذاع

و قول أبى المجد قاضى ماردين: [الطويل]

رعى الله ربعا أنتم فيه أهله و جاد عليه هاطل و هتون

و لا زال مخضّر الجوانب مترع ال حياض و فيه للتنعيم فنون

لئن قدر الله اللقاء و أينعت غصون التدانى فالبعاد يهون

و إن حكمت أيدى الفراق بعسرة فكم قضيت للمعسرين ديون

و قول آخر: [الكامل]

غبتم فما لى فى التصبر مطمع عظم الجوى و اشتدت الأشواق

لا الدار بعدكم كما كانت و لا ذاك البهاء بها و لا الإشراق

أشتاقكم، و كذا المحب إذا نأى عنه أحنه قلبه يشناق

و قول أبي الحسن الهمذاني: [الوافر]

و يوم تولّت الأظعان عنا و قوض حاضر و أرنّ بادي
مددت إلى الوداع يدا و أخرى حبست بها الحياة على فؤادي
و قول ابن الصائغ: [البسيط]

قد أودعوا القلب لئما و دّعوا حرقا فظلّ في الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم فقال: إنني استعرت اليوم نيرانا
و قول الصدر بن الأدمي مكتفيا: [الرملة]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٨٩
يوم توديعي لأحبابي غدا ذكر مئ شاعلي عن كلّ شئ
فرنت نحوى و قالت: يا ترى أنت حيّ في هوانا؟ قلت: مي
و قول غيره: [السريع]

ولى فؤاد مذ نأى شخصهم ظلّ كئيبا مدنفا موجعا
و مقلّة مهما تذكّرتهم تذرف دمعا أربعا أربعا
و ليس لى من حيلة كلما لجت بي الأشواق إلّا الدعا
أسأل من ألف ما بيننا و قدر الفرقة أن يجمعا
و قول الرّعينى الغرناطى: [الطويل]

محاسن ربع قد محاهنّ ما جرى من الدمع لئما قيل قد رحل الرّكب
تناقض حالى مذ شجانى فراقهم فمن أضلعي نار و من أدمعى سكب
و فى معناه قوله أيضا: [الطويل]

و قائله: ما هذه الدّرر التى تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت لها: هذا الذى قد حشا به أبو مضر أذنى تساقط من عيني
و قول الزمخشري: [الكامل]

لم يبكنى إلّا حديث فراقهم لئما أسرّ به إلىّ مودعى
هو ذلك الدّر الذى أودعتم فى مسعى أجريته من مدمعى
و قول الرّغارى: [الرجز]

قد بعثهم قلبى يوم بينهم بنظرة التوديع و هو يحترق
و لم أجد من بعدها لرده وجهها و كان الرّد لو لم نفترق
و قول بعض الأندلسيين: [البسيط]

ساروا فودّعهم طرفى و أودعهم قلبى فما بعدوا عنى و لا قربوا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٩٠
هم الشمسوس ففى عيني إذا طلّعا فى القادمين و فى قلبى إذا غربوا
و قلت أنا مضمّنا بديهة: [المجتث]
لا كان يوم فراق ساق الشجون إلينا

فكم أذلّ نفوسا يا من يعزّ علينا

و قلت أيضا مضمّنا: [البسيط]

سلا أحبته من لم يذب كمدا يوم الوداع و إن أجرى الدموع دما

يا من يعزّ علينا أن نفارقهم من بعدكم هدّ ركن الصبر و انههدما

و إن نأى الجسم كرها عن منازلكم فالقلب ثاو بها لم يصحب القدا

و ما نسينا عهدا للهوى كرمت نعم قرعنا عليها سنّنا ندما

و أظلمت بالنوى أرجاء مقصدنا و صار وجدان إلف غيركم عدما

و قلت أيضا مضمّنا: [البسيط]

لم أنس بالشام أنسا شمت بارقه جادت معاهده أنواء نيسان

لهفى لعيش قضينا فى مشاهدها ما بين حسن من الدنيا و إحسان

و قلت كذلك: [الكامل]

يا جيرة بانوا و أبقوا حسرة تجرى دموى بعدهم وفق القضا

كم قلت إذ ودّعتهم و الأنس لا ينسى و عهد و داهم لن يرفض

يا موقف التوديع إن مدامعى فضّت و فاضت فى ثرى ذاك الفضا

و كما تفاءلت بقول الأول، مع علمى بأن على الله المعول: [البسيط المخلع]

إذا رأيت الوداع فاصبر و لا يهمنك البعاد

و انتظر العود عن قريب فإنّ قلب الوداع عادوا

و ضاقت بى الرّحاب، عند مفارقة أعيان الأحباب و الصّحاب، و كاثرت دموى من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٩١

بينهم السحاب، و زند التذكّر يقدهح الأسف فيهيج الانتحاب، و قد تمثّلنا إذ ذاك و الجوانح من الجوى فى التهاب، و ذخائر الصبر

ذات التهاب، بقول بعض من مرّق البعد منه الإهاب: [الطويل]

و لما نزلنا منزلا طلّه التدى أنيقا و بستانا من التور حاليا

أجدّ لنا طيب المكان و حسنه منى فتمنينا فكنت الأمانيا

و قد طفت فى شرق البلاد و غربها و سّيرت خيلى بينها و ركابيا

فلم أر منها مثل بغداد منزلا و لم أر فيها مثل دجلة واديا

و لا مثل أهليها أرقّ شمائللا و أعذب أفاظا و أحلى معانيا

و بقول من تأسّف على مغانى التدانى، و هو أبو الحجاج الأندلسى الدانى: [الطويل]

أبى الله إلّا أن أفارق منزلا يطالعنى وجه المنى فيه سافرا

كأنّ على الأيام حين غشيته يمينا فلم أحلله إلّا مسافرا

و تخيلنا أن إقامتنا بدمشق وقاها الله كل صرف، ما كانت إلّا خطرة طيف ملمّ أو لمحّة طرف: [الوافر]

وقفنا ساعة ثم ارتحلنا و ما يغنى المشوق و قوف ساعه

كأنّ الشّمل لم يك فى اجتماع إذا ما شتت البين اجتماعه

و طالما علّت النفس بالعود إليها ثم إلى بقاعى، منشدا قول الأديب الشهير بابن الفقاعى: [الطويل]

متى عاينت عيناى أعلام حاجر جعلت مواطى العيس فوق محاجرى
و إن لاح من أرض العواصم بارق رجعت بأحشاء صواد صواد
سقى الله هاتيك المواطن و الرّبا مواطر أجفان هوام هوامر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٩٢
و حيا الحيا من ساكنى الحى أوجها سفرن بأنوار زواه زواهر
بحيث زمان الوصل غصّ و روضه أريض بأزهار بواه بواهر
و حيث جفون الحاسدين غضيضة رمقن بآماق سواه سواهر

ثم حاولت خاطرى الكليل، فيما يشفى بعض الغليل، فقال على طريق التضمين، و قد غلب عليه الشوق و التخمين: [الرمل]
بأبى من أودعوا مذ و دّعوا قلبى الشوق و للعيس ذميل

جيرة غزّ كرام خيرة كلّ شىء منهم يبدو جميل
و على الجملة ما لى غيرهم لو أرادوا أن يملّوا أو يميلوا
ثم قلت و قد سدّ التنائى إلى نبله، موطنًا للبيت الثالث كما فى الآيات قبله: [الخفيف]

يا دمشقاً حياك غيث غزير و وقاك الإله ممّا يضير
حسنك الفرد و البدائع جمع متناه فيه فعزّ النظر
أين أيامنا بظلك و الشّم ل جميع، و العيش غصّ نصير

ثم أكثرت الالتفات عن اليمين و عن الشمال، و قد شبّهت البيداء و الشوق ببدل الكل و الاشمال، و تنسّم من نواحي تلك الأرجاء
أريج الشّمال، و ضمّنت فى المعنى قول بعض من ثنى الحبّ عطفه و أمال: [الطويل]

تنسّم أرواحا سرت من ديار من بهم كان جمع الشّم لمحة حالم
و جاوبت من يلحى على ذاك جاهلا بقول لبيب بالعواقب عالم
و ما أنشق الأرواح إلّا لأنّها تمرّ على تلك الرّبا و المعالم
و ما أحسن قول الآخر: [الطويل]

سرت من نواحي الشام لى نسمة الصّبا و قد أصبحت حسرى من السّير ظالعه
و من عرق مبلولة الجيب بالندى و من تعب أنفاسها متابعه
و قلت أنا: [الطويل]

حمدت و حقّ الله للشام رحلة أتاحت لعينى اجتلاء محياه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٩٣
و بعد التنائى صرت أرتاح للصّبا لأنّ الصّبا تسرى بعاطر رياه
فلله عهد قد أتاح بجلق سرورا فحيّاه الإله و حيّاه

و استحضرت عند جدّ السّير، قول صفوان بن إدريس المرسيّ ذكره الله تعالى بالخير:
[الخفيف]

أين أيامنا اللواتى تقصّت إذ زجرنا للوصل أيمن طير
ثم قول غيره ممّن حنّ و أنّ، و قلق قلبه و ما اطمأنّ: [الوافر]
أحنّ إلى مشاهد أنس إلفى و عهدى من زيارته قريب

و كنت أظنّ قرب العهد يطفى لهيب الشوق فازداد اللهب
و ربما تجلّدت مغالطا، متعلّلا بقول من كان لآلفه مخالطا: [الوافر]
حضرت فكنت في بصرى مقيما و غبت فكنت في وسط الفؤاد
و ما شطت بنا دار و لكن نقلت من السواد إلى السواد
و قول غيره: [البيسط]
و كن كما شئت من قرب و من بعد فالقلب يركاك إن لم يركك البصر
و بقول الوداعي: [السريع]
يا عاذلى فى وحدتى بعدهم و أن ربعى ما به من جليس
و كيف يشكو وحده من له دمع حميم و أنين أنيس

[عودة المؤلف إلى مصر و شوقه إلى دمشق]

ثم ردّدت هذه الطريقة، بقول بعض من لم يبلعه السلو ريقه: [الخفيف]
لا رعى الله عزمه ضمنت لى سلوة القلب و التصبر عنهم
ما وقت غير ساعه ثم عادت مثل قلبى تقول لا بدّ منهم
و يقول ابن آجروم، فى مثل هذا الغرض المروم: [البيسط]
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٩٤
يا غائبا كان أنسى رهن طلعتة كيف اصطبارى و قد كابدت بينهما
دعواى أنك فى قلبى يعارضها شوقى إليك، فكيف الجمع بينهما
ثم جدّ بى السير إلى مصر و استمرّ، فتذكّرت قول الصفدى و قد اشتدّ بالرمل الحرّ:
[الطويل]

أقول و حرّ الرمل قد زاد وقده و ما لى إلى شمّ النسيم سبيل
أظنّ نسيم الجوّ قد مات و انقضى فعهدى به فى الشام و هو عليل
و قول ابن الخياط: [السريع]
قصدت مصرا من ربا جلق بهمة تجرى بتجريبى
فلم أر الطرّة حتى جرت دموع عيني بالمرزيب
و حين وصلت مصر لم أنس عهد الشام المرعى، و أنشدت قول الشهاب الحنبلى الزرعى:
[الطويل]

أحببتنا، و الله مذ غبت عنكم سهادى سميرى و المدامع مدرار
و و الله ما اخترت الفراق، و إنه برغمى، ولى فى ذلك الأمر أعدار
إذا شام برق الشام طرفى تتابعت سحائب جفنى و الفؤاد به نار
ألا ليت شعرى هل يعودنّ شملنا جميعا و تحوينا ربوع و أقطار
و قول ابن عنين: [الطويل]

دمشق، بنا شوق إليك مبرّح و إن لجّ واش أو ألحّ عدول

بلاد بها الحصباء درّ، و تربها عبير، و أنفاس الرياح شمول
تسلسل منها ماؤها و هو مطلق و صحّ نسيم الروض و هو عليل
و قول آخر: [البسيط]

نفسى الفداء لأنس كنت أعهدده و طيب عيش تقضى كله كرم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٩٥

و جيرة كان لى إلف بوصلهم و الأنس أفضل ما بالوصل يغتنم
بالشام خلقتهم ثم انصرفت إلى سواهم فاعترانى بعدهم ألم
كانوا نعيم فؤادى و الحياة له و الآن كلّ وجود بعدهم عدم
فإن أنشد لسان الحال فيما اقتضاه معنى البعد عنها و الارتحال: [الكامل]

يا غائبا قد كنت أحسب قلبه بسوى دمشق و أهلها لا يعلق
إن كان صدك نيل مصر عنهم لا غرو فهو لنا العدو الأزرق
أتيت فى جوابه، بقول بعض من برح الجوى به: [البسيط]

لله دهر جمعنا شمل لذته بالشام أعذب من أمن على فرق
مرت لياليه و الأيام فى خلس كأنما سلبته كفّ مسترق
ما كان أحسنها لو لا تنقلها من النعيم إلى ذاك من الحرق

رقّ العذول لحالى بعدها ورثى لى فى الجوى و التوى و الشجو و الأرق

و بالجملة فتلك الأيام من مواسم العمر محسوبة، و السعود إلى طوالها منسوبة: [الوافر]

و كانت فى دمشق لنا ليال سرقناهنّ من ريب الزمان

جعلناهنّ تاريخ الليالى و عنوان المسرة و الأمانى

و هى مغانى التهانى التى ما نسيناها، و أمانى زمانى التى نعمت بطور سيناها، عليها و على وطنى مقصورة، و القلب فى المعنى مقيم
بهما و إن كان فى غيرهما بالصورة، و الأشواق إليهما قضاياها موجهة و إن كانت غير محصورة: [الطويل]

و لله عهد قد تقضى و إن يعد فإنى عن الأيام أعفو و أصفح

بقلبي من ذكرها ما ليس ينقضى و من برحاء الشوق ما ليس يبرح

إذا مسحت كفى الدموع تسترا بدت زفرة بين الجوانح تقدح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٩٦

فإن جمعت شملى الليالى بقربهم تجمع غيلان و مئى و صيدح

على أنها الأيام جدّ مزاحها و ربّ مجدّ فى الأذى و هو يمزح

و كثيرا ما يلهج اللسان بقول من قال: [الطويل]

و ما تفضل الأوقات أخرى لذاتها و لكنّ أوقات الحسان حسان

و يردّد قول من شوقه متجدّد: [الطويل]

سقى معهد الأحباب ناقع صيب من المزن عن مغناه ليس يريم

و إن لم أكن من ساكنيه فإنه يحلّ به خلّ على كريم

و ينشد من يلوم، قول من فى حشاه و له و فى قلبه كلوم: [الدوبيت]

قد أصبح آخر الهوى أوله فالعاذل في هواك ما لي وله
بالله عليك خلّ ما أوله و ارحم دنفا لدى حشاه و له

[شروع المؤلف في التصنيف، ورسالة من الشاهين يحنه على ذلك]

و قد امتدّ بنا الكلام، و ربّما يجعله اللاحي ذريعة لزيادة الملام، فلنرجع إلى ما كنّا بصدده، من إجابة المولى الشاهيني، أمده الله سبحانه بمدده، فأقول، مستمداً من واهب العقول:

إنى شرعت بعد الاستقرار بمصر في المطلوب، و كتبت منه نبذة تستحسنها من المحبين الأسماع و القلوب، و سلكت في ترتيبه أحسن أسلوب، و عرضت في سوقه كلّ نفيس غريب من الغرب إلى الشرق مجلوب، تستحسن الأبصار ما عليه احتوى، و تعرف الأفكار أنه غير مجتوى، ثم وقف بي مركب العزم عن التمام و استوى، فأخرته تأخير الغريم لدين الكريم، و صدّتنى أعراض، عن تكميل ما يشتمل عليه من أعراض، و أضربت برهه عمياً له من منحي، لاختلاف أحوال الدهر نفعاً و دفعاً و منعا و منحا، و مرقت عن هدف الإصابة نبال، و طرقت في سدف ليالي الكتابة أمور لم تكن تخطر ببال. فجاءتنى من المولى المذكور آنفاً، رسالة دلّت على أنه لم يكن عن انتجاز الوعد متجانفاً، فعدت لقضاء الوطر مستقبلاً و للجمله مستأنفاً،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٩٧

وحدا بي خطابه الجسيم للإتمام و ساقنى، و راقنى كتابه الكريم لتلك الأيام و شاقنى، و ذكرنى تلك الليالى التى لم أنسها، و حرّكنى لتلك المعاهد التى لم أزل أذكر أنسها: [السريع]
الإلف لا يصبر عن إلفه إلّا كما يطرف بالعين
و قد صبرنا عنهم مدّة ما هكذا شأن المحبين

[المؤلف يصف رسالة ابن شاهين]

فيا له من كتاب كريم، أعرب عن ودّ صميم، و ذكر بعهد غير ذميم، و ودّ طيب العرف و الشميم، يخجل ابن المعتر لبلاغته و ابن المعز تميم: [المتقارب]

و لم تر عيناى من قبله كتابا حوى بعض ما قد حوى

كأنّ المباسم ميماته و لا ماته الصّدغ لّمّا التوى

و أعينه كعيون الحسان تغازلنا عند ذكر الهوى

كتاب ذكرنا بألفاظه عهدودا زكت بالحمى و اللوى

فكأنه الرّوض المطرد الأنهار، و الدّوح المدبّج الأزهار: [الطويل]

رأينا به روضاً تدبّج وشيه إذا جاد من تلك الأيادى غمائم

به ألفات كالغصون و قد علا عليها من الهمز المطلّ حمائم

و قد سقيت بأنهار البراعة السلسالة، حداثق حلّت بها غانية تلك الرسالة، لتشفى صبّها بالزيارة، و تشرف بدنوّها دياره: [الخفيف]

زارت الصّبّ فى ليال من البع د فلّمّا دنت رأى الصّبّح يلمح

قلّدت بالعقيان جيد بيان ليس فيه للفتح من بعد مطمح

فشفت النفس من آلامها، و أحييت ميت الهوى مذحيّت بعذب كلامها: [الوافر]

كلام كالجواهر حين يبدو و كالنّد المعنبر إذ يفوح

له في ظاهر الألفاظ جسم و لكن المعانى فيه روح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٩٨
فصيرت لى ذلك الكتاب سميرا، و وردت من السرور مشرعا نميرا، و تمثلت بقول بعض من أخلص فى الودّ ضميرا: [الكامل]
يا مفردا أهدي إلى كتابه جملا يحار الذهن فى أثائها
كالدرّ أشرق فى سموط عقوده و الزهر و الأنوار غبّ سمائها
فأفادنى جدلا و بالى كاسد و أجار نفسى من جوى برحائها
و حسبت أيام الشباب رجعت لى فلبست حلى جمالها و بهائها
لا يعدم الإخوان منك محاسنا كلّ المفآخر قطرة من مائها
فأكرم به من كتاب جاء من السرى العلى، و الماجد الأخ الولى: [الوافر]
فضضت ختامه فتبينت لى معانيه عن الخبر الجلى
و كان ألدّ فى عيني و أندى على كبدى من الزهر الجنى
و ضمّن صدره ما لم تضمّن صدور الغانيات من الحلى
و أعرب عن اعتماد متماد، و و داد مزداد، و أطاب حين أطال، و أدّى دين الفصاحة دون مطال، و اشتمل من فصول العبارة على أحسن
من الحدق المراض، و أتى من أصول البراعة براهيم ابن شاهين التى لا- خلف فيها و لا- اعتراض، و رويانا من غيث أنامله الهتون، و
رويانا عنه مسند أحمد حسن الأسانيد و المتون، و حثنا على العود و الرجوع، و كان أجدى من الماء الزلال لذى ظمّا و المشتهى من
الطعام لذى سغب و جوع: [الوافر]
و أشهى فى القلوب من الأمانى و أحلى فى العيون من الهجوع
و جلا بنوره ظلام استيحاشى، و حشر إلى أشتات المسرات دون أن يحاشى، و وجدنى فى مكابدة شغوب، و أشغال أشربت الكسل و
اللغوب، و حيرت الخواطر، و صيرت سحب الأقلام غير مواطر، فزحزح عنى الغوم و سلانى، و أولانى. شكر الله صنيعه!. من المسرات
ما أولانى: [البسيط]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٩٩
حديثه أو حديث عنه يطربنى هذا إذا غاب أو هذا إذا حضرا
كلاهما حسن عندى أسرّ به لكنّ أحلاهما ما وافق النظرا
و قال آخر: [الخفيف]
لست مستأنسا بشيء إذا غبت سوى ذكرك الذى لا يغيب
أنت دون الجلّاس عندى و إن كنت بعيدا فالأنس منك قريب
و ضمّنت فيه لى ورد مع جملة كتب من تلك الناحية، و أنوار أهلها ذوى الفضائل الشهيرة أظهر من شمس الظهرية فى السماء
الصاحية: [الخفيف]
قلت لى ما أتت من الشام كتب من أجلاء نورهم يتألق
مرحبا مرحبا و أهلا و سهلا بعيون رأّت محاسن جلق
و قلت أيضا: [الخفيف]
قلت لى ما وافت من الشام كتب و الليالى تتيح قربا و بعدا
مرحبا مرحبا و أهلا و سهلا بعيون رأّت محاسن سعدى

[مقتطفات من رسالة الشاهيني]

و كان من فصول هذا الكتاب الوارد من المولى الشاهيني الذي اقتنص بفضله كل شارد ما نصّه: «و مما استخلص قلبي من يدي ترحي، و جدّد سروري و تبه فرحي، حديث الكتاب و ما حديث الكتاب، حديث نسخ بحلاوته مرارة العتاب، و أنساني حرارة المصاب، في الأنسال و الأعقاب، و قضى به من حق لسان الدين، دينه الذي تبرّع به غريم ملء من البلاغ و هو غير مدين، حتى كآني يا سيدي بهذه البشرية، أحرزت سواري كسرى، و كان في مسمعي كل حرف إليها منسوب، قميص يوسف في أجفان يعقوب، و حتى كدت أهجر أهلي و بيتي، و أسرج لاستقبال هذه البشرية أشهبي و كميتي، و حتى أنني حاربت نومي و قومي، و عزمت على أن أرحل ناقتي في وقتي و يومي، و إن ذلك التغليس و التهجير في جنب ما بشرت به لحقير، و إن موقعها لدى هذا العبد الحقير لخطير. و قد كنت سألت شيخى حين ورد دمشق الشام، و اشتتم منها العرار و البشام، و شرفني فعرفني، و شاهدني فعاهدني، على أن يجرى ما دار بيننا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٠٠

لدى المجاورة، من المسامرة و المحاوره، في ديباجه ذلك الكتاب، الذي فتن العقول خبره و سحر الألباب، و ما قصدت إلا أن يجرى اسمي على قلمه، و يرقم رسمي في مطاوي تحريره و رقمه، و يكون ذكرى مختلطا بذكره، كما أن سرى مرتبط في المحبة بسرّه، فرأيت شيخى لم يتصدّ في أثناء هذه البشرية، لما يفهمنى بالذكرى، لأنظر النجاح في الأخرى، و لم يساعدني على ذلك الملمس، و حبس عنان القلم فاحتبس، فانكسرت سورة سروري بفتوري، و تبين لنفسى عن بلوغ ذلك الأمل تخلفى و قصورى» انتهى.

ثم قال بعد كلام طويل لم نذكره لعدم تعلّقه بهذا الغرض، ما صورته: «و حسبت أن سيدي و حاشاه، نسي من ليس ينسأه، و ظننت به الظنون، لأمر تكون أو لا تكون، و هل يكره سيدي و شيخى أن يهدى الدنيا في طبق؟ ثم الأخرى على ذلك النسق، و لا شك أن خطّه هو الروضة الغنّاء، لا بل جنّه المأوى، فطوبى لنفسى إن جنت ثمرته طوبى، و لعمر شيخى إنى بذلك لجدير، و إنى كنت أملك به الخورنق و السدير». انتهى ما يتعلّق بالغرض من ذلك الرقيم، الذي شكل منطقه غير عقيم، سلك الله تعالى بى و بمن وجهه الصراط المستقيم.

و أتى في المكتوب بأنواع من البلاغ، مما تركت ذكره هنا لعدم تعلّقه بهذا الأمر الخاص الذى يبسّر لكارع الأدب مساعّه، و ختمه بقصيدة نفيسة من نظمه يستنجز فيها ذلك الوعد، و أشهد أنه قد حاز فيها قصب السبق و المجد، و ما قلت إلا بالذى علمت سعد، و هذه صورتها: [السريع]

يا سيّدا أفديه بالأكثر من أصغر العالم و الأكبر
و يا وحيدا قلّ قولى له عطارد أنت مع المشتري
و يا مجيدا ليس عندي له إلا مقال المادح المكثّر
أقسمت بالبيت العتيق الذى حجّت إليه الناس و المشعر
ما للعلا و العلم إلا أبو ال عباس شيخى أحمد المقرى
ذاك الذى آثرنى منه بال علم الذى للغير لم يؤثر
و خصنى منه بأشياء لم يفز بها غيرى و لم يعثر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٠١
فرحت عبدا ذا وفاء له معترفا بالرق لا أمتري
فيا أبا العباس يا من غدا أعظم فى نفسى من معشرى

و من إذا ما غاب عن ناظري كان سمير القلب للمحضر
 هات أفدنى سيدى عن علا ال مولى لسان الدين ذاك السرى
 ذاك الوحيد الفدّ فى عصره بل أوحده الأدهر و الأعصر
 ذاك الذى أخبرنى سيدى عنه مزايا بعد لم تحصر
 ذاك الذى العيوق لا يعتلى إلى معاليه و لا يجترى
 ما قد وعدت العبد فى جمعه من خبر عن فضله مسفر
 بخطك الوضاح و هو الذى مخبره يربى على المنظر
 و الشىء لا يرجى إذا ما غدا منظره يربى على المخبر
 نقش على طرس بياض كما لاحت عيون الرشا الأهور
 و أسطر قد سلسلت مثل ما لاح عذار الشادن الأخر
 و نزهة الأنفس معنى غدا ما بينها ينساب كالكوثر
 عذب رقيق مثل ظبى غدا يلوح طاوى الكشح أو جؤذر
 آثار أقلامك و هى التى أغنت عن الأبيض و الأسمر
 يراعك الجامع راو، غدا يروى اللغى عن لفظك الجوهرى
 ينثر مسكا تارة ناظما و ينظم الجوهر بالعنبر
 هذا ابن شاهين الفتى أحمد عن ذكرك المأنوس لم يفتر
 فاجعل له ذكرا كريما به يزدان مغبوطا إلى المحشر
 و اذكر بيوتاتى و كل الذى كتبتة نحوك فى دفترى
 أنت جدير بمدىحى فكن ذاكر عبد بالوفا أجدر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٠٢
 و هاكها سيارة أعنت على جواد كان للبحترى
 طرف كريم سابق صافن مطهم ذى أدب أوفر
 ورثته منه و لكنما من شاعر وافى إلى أشعر
 ما للفتى الطائى شوط امرئ يصطاد نسر الجؤ بالمنسر
 و اسلم لعبد لا يرى سيذا سوى الذى فى ثوبك الأطهر
 فى كرم العنصر فردا غدا طبعك فاشكر كرم العنصر
 ما حنّ مشتاق أخو صبوة إلى خليل فى الهوى مفكر
 انتهت.

فلما وصلنى هذا الخطاب، الذى ملأ من الفصاحة الوطاب، و حلّى فى عيني و قلبى و طاب، تحرّكت دواعى الوجد، لذلك المجد،
 الذى ولعت به ولوع ابن الدّمينه بصبا نجد، و آثار من الهيام و الأوار، ما يزيد على ما حصل للفرزدق لما فارق النّوار، و تضاعف
 الشوق إلى تلك الأنجاد و الأغوار، منشدا قول الأول «لعلّ أبى المغوار» و تذكرت و الذكرى شجون و أطوار، تلك الأضواء و الأنوار،
 المشرقة بقطر أزهر بالمحاسن، و جرى نهره غير آسن، فلم يذم فيه الجوار: [الطويل]
 و إنّ اصطبارى عن معاهد جلق غريب فما أجفى الفراق و أجفانى

سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها كحلت بها من شدة الشوق أجفاني

[تصميم المؤلف على استئناف التصنيف و بدء التأليف]

و حصل التصميم، على التكميل للتأليف و التتميم، رعيًا لهذا الوليِّ الحميم، أفاض الله تعالى عليه غيث البرِّ العميم، و أبقى ظلَّ عزه ممدودا، و حلّى سؤدده مودودا، و أناله من الخيرات ما ليس محصورا و لا معدودا، و جمعنى و إياه، و أطلع لى بشر محيّا، و أنشقنى عرف اجتماعه و رياه، و كيف لا أستديم أمد بقياه، و أعتقد البشائر فى لقياه، و أسقى غروس الودّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٠٣

بسقياه، و هو الصدر الذى أصفى لى الوداد، و الركن الذى لى بثوته اعتماد و اعتداد:

[الكامل]

فعليه من مصفى هواه تحيئة كالمسك لما فضّ عنه ختام

تترى بساحته السئية ما دعت فوق الغصون هديلهنّ حمام

و دامت فضائله ظاهرة كالشمس، محروسه بالسبع المثانى معوّذة بالخمس: [الطويل]

و لا انفكّ ما يرجوه أقرب من غد و لا زال ما يخشاه أبعد من أمس

و بقى من العناية فى حرم أمين، أمين.

و لما حصل لى كمال الاغتباط، بما دلّ على صحة حال الارتباط، نشر بساط الانبساط، و حدث لى قوة النشاط، و انقشعت عنى سحائب الكسل و انجابت، و ناديت فكرتى فلبت مع ضعفها و أجابت، فاقترحت من القريحة زندا كان شحاحا، و جمعت من مقيداتى حسانا و صحاحا، و كنت كتبت شطره، و ملأت بما تيسّر هامشه و سطره، و رقمت من أبناء لسان الدين بن الخطيب حللا لا تخلق جدّتها الأعصر، و سلكت من التعريف به، رحمه الله، مهامه تكلّ فيها و اسعات الخطا و تقصر، فحدث لى بعد ذلك عزم على زيادة ذكر الأندلس جملة و من كان يعضد به الإسلام و ينصر، و بعض مفاخرها الباسقة، و ماثر أهلها المتناسقة؛ لأنّ كل ذلك لا يستوفيه القلم و لا يحصر، و جئت من النظم و النثر بنبذة توضح للطالب سبله، و تظهر علمه و نبهه، و تترع كأس محاسنه من راح المذاكرة و إناؤه، حتى يرى حسن التأليف أبناء هذا التصنيف و أدباؤه، و كنت فى المغرب و ظلال الشباب ضافية، و سماء الأفكار من قرع الأكدار صافية، معتنيا بالفحص عن أبناء أبناء الأندلس، و أخبار أهلها التى تنشرح لها الصدور و الأنفس، و ما لهم من سبق فى ميدان العلوم، و التقدّم فى جهاد العدو الظلوم، و محاسن بلادهم، و مواطن جدالهم و جلادهم، حتى اقتنيت منها ذخائر يرغب فيها الأفاضل الأخابر، و انتقيت جواهر فرائدها للعقول بواهر، و اقتطفت أزاهر أنجمها فى أفق المحاضرة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٠٤

زواهر، و حصّلت فوائد بواطن و ظواهر، طالما كانت أعين الألباء لنبيلها سواهر، و جمعت من ذلك كلما عالية، لو خاطب بها الداعى صمّ الجلامد لانبجس حجرها، و حكما غالية، لو عامل بها الأيام ربح متجرها، و أسجاعا تهتّر لها الأعطاف، و مواعظ يعمل بمقتضاها من حفّت به الألطاف، و قوافى موقورة القوادم و الخوافى، يثنى عليها من سلم من الغباوة و الصيمم، و يعترف ببراعتها من لا يعتريه اللّم، و طالما أعرض الجاهل الغمر بوجهه عن مثلها و أشاح، و أنصت لها الحبر إنصات السوار لجرس الحلى و نغم الوشاح، و فرح إن ظفر بشيء منها فرح الصائد بالقنيص، و السارى العارى ذى البطن الخميص، بالزاد و القميص و تركت الجميع بالمغرب، و لم أستصحب معى منه ما يبيّن عن المقصود و يعرب، إلّا نزا يسيرا علق بحفظى، و حلّيت بجواهره جيد لفظى، و بعض أوراق سعد فى جواب السؤال بها حظى، و لو حضرنى الآن ما خلّفته، ممّا جمعت فى ذلك الغرض و ألّفته، لقرّت به عيون و سرّت ألباب، إذ هو، و الله، الغاية فى هذا الباب، و لكن المرء ابن وقته و ساعته، و كلّ ينفق على قدر وسعه و استطاعته، و عذر مثلى باد، للمنصفين من

العباد، إن قصيرت فيما تبصيرت، أو تخلّفت في الذي تكلفت، أو أضعفت تحرير ما وضعت، و التقت ثدى التقصير و رضعت، أو أطعت داعى التوانى فتأخّرت عمّن سبق و انقطعت، إن أريدُ إلّا الأَصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ [هود: ٨٨]، و من كانت بضاعته مزجاةً، فهو من الإنصاف بمنحاةً، إذا أتى بالمقدور، و تبرّأ من الدّعى فى الورود و الصدور، و عين الرّضا عن كل عيب كليله، و السلامة من الملامه متعذّرة أو قليله، و قد قال إمامنا مالك صاحب المناقب الجليله: «كلّ كلام يؤخذ منه و يردّ إلّا كلام صاحب هذا القبر» صلى الله عليه و سلّم أركى صلاة و أتمّ سلام و شفى بجاهه من الآلام قلوبنا العليله، و جعلنا ممّن كان أتباع سنّته رائده و دليله! آمين.

[تقدير المؤلف لسان الدين بن الخطيب]

و الحمد لله الذى يسيّر لى هذا القدر، مع ضيق الصدر، و قلّه بضاعتي، و كثرة إضاعتي، فإنّ حمده جلّ جلاله تتصوّع به المطالب طيبا، و تقضى بركته المآرب فيرقى صاحبها على منبر القبول خطيبا، و تعذب به المشارب فتنتب فى أرض القرطاس، من زاكى الغراس، ما يروق منظرا نصيرا و يورق غصنا رطيبا، و قد أتيت من المقال، بما يقرّ إن شاء الله تعالى عين وامق و يرغم أنف قال، و إن كنت ممّن هو فى ثوب العيّ رافل، و عن نسبته للقصور غير غافل، و ممّن جعل النفس هدفا، و صير مكان الدّرّ صدفا، إذ لسان الدين بن الخطيب إمام هذه الفنون، المحقّق لذوى الآمال الظنون، المستخرج من بحار البلاغه درّها المكنون، و له اليد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٠٥

الطولى فى العلوم على اختلاف أجناسها، و الألفاظ الرائقة التى تزيج وحشّه الأنفس بإيناسها:

[الكامل]

ناهيك من فرد أغزّ ممدّح رحب الدّرا حرّ الكام محسّد
بهر الأنام رياسه و سياسه و جلاله فى الممتى و المحتد
و أتى بكلّ بديعه فى نوعها لم تخترع و غريبه لم تعهد
ما شئت من شعر أرقّ من الصّبا و كتابه أزهى من الزّهر النّدى
و بديع قرطاس توشّح متنه بمنمنم من رقمه و منجد
بهج كأنّ الحسن حلّ أديمه فكساه ريعان الشباب الأغد
و كأنما سال العذار عليه أو خطّته أيدى الغايات يآتمد
يختال بين موصل و مفصل و مطرّز و منظم و منصد
كالبرد فى توشيعه، و السلك فى ترصيعه، و الوشى نمق باليد
قد قيد الأبصار و الأفكار من ألفاظه بمنقف و مقيد
ما فيه مغرز إصبع إلّا و فى ه نتيجة لمفرّع و مولد
و لكلّ جزء حكمه أو ملحّه أو بدعه لمرسّل و مقصد
أو ليس مثلى قاصرا عن وصفه و الحقّ نور واضح للمهتدى

و كما قلت و قد عجزت عن أداء الواجب و حاولت المسنون، و فضل الله سبحانه على من يشاء من عباده ليس بممنوع و لا ممنون:

[الخفيف]

ليت شعرى أىّ العبارات توفى واجب ابن الخطيب ممّا أروم
و أنا عاجز عن البعض منها لقصورى و ما العيى ملوم
و هو يدعى لسان دين و ناهى ك افتخارا به تتمّ الرّسوم

فبأى الحلّى أحلّى علا من نال فضلا روته عرب و روم
و على الفرض ما الذى أنتحى من ه لى الوصف أن يخصّ العموم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١؛ ص ١٠٥
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٠٦
أ لحفظ قد ارتوى من معين لصواب عليه كلّ يحوم
أم لفهم يستخرج الدّرّ غوصا من بحار يخشى بها من يعوم
أم لفكر مؤلف فى فنون عن دهاء به تداوى الكلوم
أم لنظم كأنه جوهر السّل ك غلا قدره على من يسوم
تباهى به الصّدور حلّيا و تروق العيون منه نجوم
أم لشر وافى بسحر بيان فهو كالرّوح و المعانى جسوم
و أظلمته للبديع سماء تتلالا فى جانبيها العلوم
فاستزادت منه النفوس رشادا و استرانت منه النّهى و الحلوم
أم لحظّ منمنم فاق حسنا مثل وشى تلوح منه الرّقوم
أو كزهر فى بهجة ورواء و أريج به تراح الغموم
و الغصون الأقلام، و الطرس روض ناضر، و المداد غيث سجوم
تلك ستّ أعجزن وصفى فإنى بسواها مما يجللّ أقوم

[تقدير المؤلف للسان الدين بن الخطيب، ومدحه النبى و الصحابة]

و لم يكن جمعى. علم الله. هذا التأليف لرفد أستهديه، أو عرض نائل أستجديه، بل لحقّ ودّ أوّديه، و دين وعد أقدمه و أبديه، و
وقوف عند حدّ لا يجوز تعدّيه، و تلبية داع أحّيه و أفديه: [الرمل]
إنّ من يرجو نوالا و ندى من بنى الدنيا لذو حظّ غيبين
فلقد كان على غير الهدى من يسوّيهم ربّ العالمين
و يرجى منهم الرزق فهل خالق الكلّ فقير أو ضنين
أ نخلّى قصد ربّ مالك و نرى للخلق جهلا قاصدين
ما لنا من مخلص نأتى به غير جاه المصطفى الهادى الأمين
سيّد الخلق العماد المرتجى للملّمات شفيح المذنبين
فعليه صلوات تنتحى حضرة حلّ بها فى كلّ حين
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٠٧
و الرضا من بعد عن أربعة هم بحقّ أمراء المؤمنين
فيمينا إنّ من يهواهم ليكوننّ من اصحاب اليمين
وسط جنّات تحيّيه بها آنسات قاصرات الطّرف عين
بقوارير لجين شربه و أباريق و كأس من معين
و الذى شرفهم يمنحنا حبّهم و الكون معهم أجمعين

فدونك أيها الناظر في هذا الكتاب، المتجافى عن مذهب النقد و العتاب، كلمات سوانح، اختلست مع اشتعال الجوانح، و تضاد الأمور الموانع و الموانح، و ألفاظا بوارح، اقتنصت بين أشغال الجوارح، و طرفا أسمت الطرف في مرعاها و كانت هملا غير سوارح، و تحفا يحصل بها لناظره الإمتاع، و لا يعدّها من سقط المتاع المبتاع، و يلهج بها المرتاح، و يستأنس المستوحش المرتاع.

[تقسيم الكتاب و تبويه]

و بعد أن حَمَت تمام هذا التصنيف، و أمعنت النظر فيما يحصل به التقرير لسامعه و التشنيف، قَسَمته قسمين، و كلّ منهما مستقلّ بالمطلوب فيصحّ أن يسمّيا باسمين:

القسم الأول: فيما يتعلّق بالأندلس من الأخبار المترعة الأكوام و الأنباء المنتحية صوب الصواب، الرافلة من الإفادة في سوانح الأثواب، و فيه بحسب القصد و الاقتصار، و تحرّى التوسّط في بعض المواضع دون الاختصار، ثمانية من الأبواب:

الباب الأول: في وصف جزيرة الأندلس و حسن هوائها، و اعتدال مزاجها و وفور خيرها و كمالها و استوائها، و اشتغالها على كثير من المنافع و المحاسن و احتوائها، و كرم نباتها الذى سقته سماء البركات من جنباتها بنافع أنوائها، و ذكر بعض مآثرها المجلوة الصور، و تعداد كثير مما لها من البلدان و الكور، المستمّدة من أضوائها.

الباب الثانى: في إلقاء بلد الأندلس للمسلمين بالقياد، و فتحها على يد موسى بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٠٨

نصير و مولاه طارق بن زياد، و صيرورتها ميدانا لسبق الجياد، و محطّ رحال الارتياح و الارتياح، و ما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه زياد، و نيا وصل إليه اعتيام و تقرر بمثله اعتياد.

الباب الثالث: في سرد بعض ما كان للدين بالأندلس من العزّ السامى العماد، و القهر للعدوّ فى الرواح و الغدوّ و التحرّك للهدوّ البالغ غاية الآماد، و إعمال أهلها للجهد، بالجّد و الاجتهاد، فى الجبال و الوهاد، بالأسنة المشرعة و السيوف المستلّة من الأغماد.

الباب الرابع: فى ذكر قرطبة التى كانت الخلافة بمصرها للأعداء قاهرة، و جامعها الأموى ذى البدائع الباهية الباهرة، و الإلماع بحضرتى الملك؛ الزهراء الناصرية و العامرية الزاهرة، و وصف جملة من متنزهات تلك الأقطار و مصانعها ذات المحاسن الباطنة و الظاهرة، و ما يجزّ إليه شجون الحديث من أمور تقضى بحسن إيرادها القرائح الوقّادة و الأفكار الماهرة.

الباب الخامس: فى التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق الداكية العرار و البشام، و مدح جماعة من أولئك الأعلام، ذوى الألباب الراجحة و الأحلام، لشامة و جنّة الأرض دمشق الشام، و ما اقتضته المناسبة من كلام أعيانها و أرباب بيانها ذوى السؤدد و الاحتشام، و مخاطباتهم للمؤلّف الفقير حين حلّها عام سبعة و ثلاثين و ألف و شاهد برق فضلها المبين و شام.

الباب السادس: فى ذكر بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق، المهتدين فى قصدهم إليها بنور الهداية المضىء المشرق، و الأكابر الذين حلّوا منها بحلولهم فيها الجيد و المفرق، و افتخروا برؤية قطرها المونق على المشتم و المعرق.

الباب السابع: فى نبذة مما منّ الله تعالى به على أهل الأندلس من توقّد الأذهان، و بذلهم فى اكتساب المعارف و المعالى ما عزّ أو هان، و حوزهم فى ميدان البراعة من قصب السبق خصل الرهان، و جملة من أجوبتهم الدالّة على لودعيتهم، و أوصافهم المؤذنة بألمعيتهم، و غير ذلك من أحوالهم التى لها على فضلهم أوضح برهان.

الباب الثامن: فى ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه الكيد إليها، و تضريبه بين ملوكها و رؤسائها بمكره و استعماله فى أمرها حيل فكره حتى استولى - دمره الله -

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٠٩

عليها، و محا منها التوحيد واسمه، و كتب على مشاهدتها و معاهدها و سمه، و قرّر مذهب التلث و الرأى الخبيث لديها، و استغاثة من

بها بالنظم والنثر، أهل ذلك العصر، من سائر الأقطار، حين تعذرت بحصارها، مع قلّة حمايتها وأنصارها، المآرب والأوطار، وجاءها الأعداء من خلفها ومن بين يديها، أعاد الله تعالى إليها كلمة الإسلام، وأقام فيها شريعة سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، ورفع يد الكفر عنها وعمّا حوالها، آمين.

ولم أخلّ بابا في هذا القسم من كلام لسان الدين بن الخطيب وإن قلّ، مع أن القسم الثاني بذلك كما ستقف عليه قد استقلّ، وهذا آخر ما تعلق بالقسم الأول، وعلى الله سبحانه المتكّل والمعول.

القسم الثاني: في التعريف بلسان الدين بن الخطيب، وذكر أنبائه التي يروق سماعها، ويتأرجح نفعها ويطيب، وما يناسبها من أحوال العلماء الأفراد، والأعلام الذين اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد، وفيه أيضا من الأبواب ثمانية، موصلة إلى جنّات أدب قطفها دانية، وكلّ غصن منها رطيب:

الباب الأول: في ذكر أولية لسان الدين و ذكر أسلافه، الذين ورث عنهم المجد و ارتضع درّ أخلافه، وما يناسب ذلك مما لا يذهب المنصف إلى خلافه.

الباب الثاني: في نشأته و ترقّيه و وزارته و سعادته، و مساعدة الدهر له ثم قلبه له ظهر المجنّ على عادته، في مصافاته، و منافاته، و ارتبائه، في شبابه، و ما لقي من إحن الحاسد، ذى المذهب الفاسد، و محن الكائد المستأسد و آفاته، و ذكر قصوره و أمواله، و غير ذلك من أحواله، في تقلّباته عندما قابله الزمان بأهواله، في بدئه و إعادته إلى وفاته.

الباب الثالث: في ذكر مشايخه الجلّة، هداة الناس و نجوم الملمّة، و ما يتصل بذلك من الأخبار الشافية للعلّة، و المواعظ المنجية من الأهواء المضلّة، و المناسبات الواضحة البراهين و الأدلّة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١١٠

الباب الرابع: في مخاطبات الملوك و الأكابر الموجهة إلى حضرته العليّة، و ثناء غير واحد من أهل عصره عليه، و صرف القاصدين و جوه التأميل إليه، و اجتلائهم أنوار رياسته الجلّيّة.

الباب الخامس: في إيراد جملة من نثره الذي عقب أريج البلاغة من نفاحاته، و نظمه الذي تألّق نور البراعة من لمحاته و صفحاته، و ما يتصل بذلك من بعض أزجاله و موشحاته، و مناسبات رائقة من فنون الأدب و مصطلحاته.

الباب السادس: في مصنّفاته في الفنون، و مؤلّفاته المحقّقة للواقف عليها الآمال و الظنون، و ما كمل منها أو اخترمته دون إتمامه المنون.

الباب السابع: في ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه، المستدلّين به على المنهاج، المتلقّين أنواع العلوم منه، و المقتبسّين أنوار الفهوم من سراج الوهاج.

الباب الثامن: في ذكر أولاده الرافلين في حلل الجلالة، المقتفين أوصافه الحميدة و خلاله، الوارثين العلم و الحلم و الرياسة و المجد عن غير كلاله، و وصيّة لهم الجامعة لأداب الدين و الدنيا، المشتملة على النصائح الكافية، و الحكم الشافية، من كل مرض بلا ثنيا، المنقّدة من أنواع الضلالة، و ما يتبع ذلك من المناسبات القويّة، و الأمداح النبويّة، التي لها على حسن الختام أظهر دلالة.

و قد كنت أولا سمّيته ب «عرف الطيب، في التعريف بالوزير ابن الخطيب» ثم وسمته حين ألحقت أخبار الأندلس به ب «نفع الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب».

و له بالشام تعلق من وجوه عديدة، هادية لمتأمله إلى الطرق السديدة:

أولها: أنّ الداعي لتأليفه أهل الشام. أبقى الله ما أثرهم و جعلها على مرّ الزمان مديدة.

ثانيها: أنّ الفاتحين للأندلس هم أهل الشام ذوو النجدة و الشوكة الحديدية.

ثالثها: أنّ غالب أهل الأندلس من عرب الشام الذين اتّخذوا بالأندلس و طنا مستأنفا و حضرة جديدة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١١١

و رابعها: أن غرناطة نزل بها أهل دمشق، و سمّوها باسمها لشبهها بها في القصر و النهر، و الدّوح و الزّهر، و الغوطة الفيحاء، و هذه مناسبة قوية العرا شديدة.

هذا، و إنى أسأل ممّن وقف عليه، أن ينظر بعين الإغضاء إليه، كما أطلب ممّن كان السبب في تصنيفه، و الداعي إلى تأليفه و ترصيفه، استنادا لركن الثقة، و اعتمادا على الودّ و المقة، أن يصفح عمّا فيه من قصور و يسمح، و يلاحظه بعين الرضا الكليّة و يلمح، إذ ركبت شكل منطقته و الأشجان غالبه، و قضية الغربه، موجبه للكربة، و لبعض الآمال سالبه، و هو. و إن لم يوف بكل الغرض. فلا يخلو من فائدة، و قد يستدلّ على الجوهر بالعرض، فإن أذيت المفترض، و ذاك المرام الذي أرتضيه، و يوجب الودّ و يقتضيه: [الطويل]

و إلّا فحسبى أن بذلت به جهدى و أنفقت من وجدى على قدر ما عندى
و قد توهمت أنى لم أسبق إلى مثله فى بابه، إذ لم أف له على نظير أتعلّق بأسبابه، و رجوت أن يكون هديّة مستملحة مستعذبه، و طرفه مقبولة مستغربة: [السريع]

هديتى تقصر عن همّتى و همّتى أكثر من مالى
و خالص الودّ و محض الإخا أكثر ما يهديه أمثالى

خاتمة المقدمة و ذم الدنيا

و أوردت فيه من نظم و إنشاء، ما يكفى المقتصر عليه إن شاء، و من أخبار ملوك و رؤساء، و طبقات من أحسن أو أساء، ما فيه اعتبار للمتأمل، و اذكار للراحل المتحمّل، و زينة للذاكر المتجمل، و تنكيت على أهل البطر، و تبكيت لمن خرج من دنياه و لم يقض من الطاعة الوطر: [الوافر]

أرى أولاد آدم أبطرتهم حظوظهم من الدنيا الدّنية
فلم بطروا و أولهم منى إذا نسبوا و آخرهم منى
و فيه إيقاظ لمثلى من سنه الغفلة، و حتّ على عدم الاغترار بالمهله، و تنبيه للابس برد الشباب القشيب، أنّه لا بدّ من حادث الموت قبل أو بعد المشيب: [السريع]

لله درّ الشيب من واعظ و ناصح منهاجه واضح
كلّ امرئ يعجبه شأنه و حادث الدهر له فاضح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١١٢

فكم باك على عصر الشباب، و شاك لفراق عهد الصّبا و الأحباب، أنساه طارق الزمان سليمى و الزّباب: [الوافر]
مضى عصر الشباب كلمح برق و عصر الشيب بالأكدار شيبا
و ما أعددت قبل الموت زادا ليوم يجعل الولدان شيبا
و ما أحسن قول بعض الأعلام: [الطويل]

مضى ما مضى من حلو عيش و مرّه كأن لم يكن إلّا كأضغاث أحلام
و قول من أرشد سفيها: [الخفيف]

إنما هذه الحياة متاع فالجهول الجهول من يصطفياها
ما مضى فات و المؤمل غيب و لك الساعة التى أنت فيها
و فى معناه لغيره: [المجتث]

ديناك شيان فانظر ما ذانك الشيطان

ما فات منها فحلم و ما بقى فأمانى

و ما أحكم قول ابن حطّان، مع وقوعه من البدعة فى أشطان: [الرملة]

يأسف المرء على ما فاته من لباتات إذا لم يقضها

و تراه ضاحكا مستبشرا بالتي أمضى كأن لم يمضها

إنها عندى كأحلام الكرى لقريب بعضها من بعضها

و لغيره: [البسيط]

و الله لو كانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا و يأتى رزقها رغدا

ما كان من حقّ حرّ أن يذلّ لها فكيف و هى متاع يضمحلّ غدا

و لآخر: [السريع]

لا حظّ فى الدنيا لمستبصر يلمحها بالفكرة الباصره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١١٣

إن كدّرت مشربه ملّها و إن صفت كدّرت الآخره

و يعجبني قول الوزير ابن المغربي: [مجزوء الكامل]

إنى أبثّك من حدى نى و الحديث له شجون

فارقت موضع مرقدى ليلا ففارقتى السكون

قل لى فأول ليلة للقبر كيف ترى أكون

و قول ماميه: [الوافر]

تأمل فى الوجود بعين فكر تر الدنيا الدنيّة كالخيال

و من فيها جميعا سوف يفنى و يبقى وجه ربك ذو الجلال

و قول بعض العارفين: [الخفيف]

استعدّى يا نفس للموت واسعى لِنجاة فالحازم المستعدّ

قد تبينت أنه ليس للحىّ خلود و ما من الموت بدّ

إنما أنت مستعيرة ما سوف تردّين و العوارى تردّ

أنت تسهين و الحوادث لا تس هو و تلهين و المنايا تجدّ

أى ملك فى الأرض أو أى حظّ لامرئ حظّه من الأرض لحد

لا ترجى البقاء فى معدن الموت و دار حتوفها لك ورد

كيف يرجو امرؤ لذاذة أيا م عليه الأنفاس فيها تعدّ

و أسأل من مبلغ السائلين ما يرجون: أن يصفح عن زلاتى و يسامحنى فيما أوردت فى هذا الكتاب من الهزل و المجون، الذى جرّت

المناسبة إليه و الحديث شجون، و ما القصد منه إلّا ترويح قلوب الذين يسوقون عيس الأسمار و يزجون، و فيما أوردت من المواعظ و

النصائح،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١١٤

و حكايات الأولياء الذين طيب زهر مناقبهم فائح، و التوسّل بمحاسن الأمداح النبوية أن يستر بفضلته سبحانه القبائح، و يرينا وجه

القبول بلا اكتتام، و يمنحنا الرّلقى و حسن الختام: [الطويل]
 و من يتوسّل بالنبيّ محمّد شفيع البرايا السيّد السند الأسنى
 فذاك جدير أن يكفّر ذنبه و يمنح نيل القصد و الختم بالحسنى
 و هذا أوان الشروع، فى الأصول من هذا الكتاب و الفروع، و على الله سبحانه أعتمد، و من معونته أستمدّ.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١١٥

القسم الأول فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار المترعة الأكواب، و الأنباء المنتحبة صوب الصواب، الرافلة من الإفاده فى سوانج الأتواب،

إشارة

و فيه بحسب القصد و الاختصار، و تحزى التوسّط فى بعض المواضع دون الاختصار، ثمانية من الأبواب هى:
 الباب الأول: فى وصف جزيرة الأندلس.
 الباب الثانى: فى فتح الأندلس.
 الباب الثالث: فى سرد ما كان للدين الإسلامى بالأندلس من العزّة و المكانة.
 الباب الرابع: فى ذكر قرطبة و جامعها الأموىّ و وصف الزهراء.
 الباب الخامس: فى التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى المشرق.
 الباب السادس: فى ذكر الوافدين من المشرق إلى الأندلس.
 الباب السابع: فيما امتاز به الأندلسيون من توقّد الأذهان.
 الباب الثامن: فى تغلّب العدو على الأندلس، و استغائته الأندلسيين بالنظم و الشعر.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١١٧

الباب الأوّل وصف الأندلس

[أقوال فى مزايا الأندلس]

فى وصف جزيرة الأندلس و حسن هوائها، و اعتدال مزاجها و وفور خيراتها و استوائها، و اشتمالها على كثير من المحاسن و احتوائها،
 و كرم بقعتها التى سقتها سماء البركات بنافع أنوائها، و ذكر بعض مآثرها المجلوة الصّور، و تعداد كثير مما لها من البلدان و الكور،
 المستمّدة من أضوائها، فأقول:

محاسن الأندلس لا- تستوفى بعبارة، و مجارى فضلها لا- يشقّ غباره، و أتى تجارى و هى الحائزة قصب السبق، فى أقطار الغرب و الشرق؟.

قال ابن سعيد: إنما سمّيت بالأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح؛ لأنه نزلها، كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدوّة المقابلة لها، و إليه تنسب سبتة.

قال: و أهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربى؛ لأنهم إمّا عرب أو متعربون، انتهى.

و قال ابن غالب: إنه أندلس بن يافث، و الله تعالى أعلم.

و قال الوزير لسان الدين بن الخطيب- رحمه الله!- فى بعض كلام له أجرى فيه ذكر البلاد الأندلسية، أعادها الله تعالى للإسلام!
 ببركة المصطفى عليه من الله أفضل الصلاة و أزكى السلام، ما نصّه: خصّ الله تعالى بلاد الأندلس من الرّيع و غدق السّيقيا، و لذادة

الأقوات، و فراهة الحيوان، و درور الفواكه، و كثرة المياه، و تبخر العمران، و جودة اللباس، و شرف الآنية، و كثرة السلاح، و صحة الهواء، و ابيضاض ألوان الإنسان، و نبل الأذهان، و فنون نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١١٨

الصنائع، و شهامة الطباع، و نفوذ الإدراك، و إحكام التمدن و الاعتماد، بما حرمه الكثير من الأقطار مما سواها، انتهى.

قال أبو عامر السالمي، في كتابه المسمى ب «درر القلائد و غرر الفوائد»: الأندلس من الإقليم الشامي، و هو خير الأقاليم، و أعدلها هواء و ترابا، و أعذبها ماء، و أطيبها هواء و حيوانا و نباتا، و هو أوسط الأقاليم، و خير الأمور أوسطها، انتهى.

قال أبو عبيد البكري: الأندلس شامية في طبيها و هوائها، يمانية في اعتدالها و استوائها، هندية في عطرها و ذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها، فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة و حاملي الفلسفة، و كان من ملوكهم الذين أثروا الآثار بالأندلس هرقلس، و له الأثر في الصنم بجزيرة قادس و صنم جليقية، و الأثر في مدينة طركونة، الذي لا نظير له.

[مساحة الأندلس و أبعادها و مناخها]

قال المسعودي: بلاد الأندلس تكون مسيرة عماتها و مدنها نحو شهرين، و لهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة، انتهى باختصار.

و نحوه لابن اليسع، إذ قال: طولها من أربونة إلى أشبونة و هو قطع ستين يوما للفراس المجدد، و انتقد بأمرين: أحدهما أنه يقتضى أن أربونة داخله في جزيرة الأندلس، و الصحيح أنها خارجة عنها، و الثاني أن قوله: «ستين يوما للفراس المجدد» إعياء و إفراط، و قد قال جماعة: إنها شهر و نصف.

قال ابن سعيد: و هذا يقرب إذا لم يكن للفراس المجدد، و الصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر، و كذا قال الحجارى، و قد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حسابا بالمراحل الجيدة أفضى إلى نحو شهر بتيف قليل.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١١٩

قال الحجارى في موضع من كتابه: إن طول الأندلس من الحاجز إلى أشبونة ألف ميل و نيف. انتهى.

و بالجملة، فالمراد التقريب من غير مشاحنة، كما قاله ابن سعيد، و أطال في ذلك، ثم قال بعد كلام: و مسافة الحاجز الذى بين بحر الزقاق و البحر المحيط أربعون ميلا، و هذا عرض الأندلس عند رأسها من جهة الشرق، و لقلته سميت جزيرة، و إلبا فليست بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا القدر بالأرض الكبيرة، و عرض جزيرة الأندلس فى موسطها عند طليطلة ستة عشر يوما. و اتفقوا على أن جزيرة الأندلس مثلثة الشكل، و اختلفوا فى الركن الذى فى الشرق و الجنوب فى حيز أربونة، فممن قال إنه فى أربونة و إن هذه المدينة تقابلها مدينة برذيل التى فى الركن الشرقى الشمالى أحمد بن محمد الرازى و ابن حيان، و فى كلام غيرهما أنه فى جهة أربونة، و حقق الأمر الشريف، و هو أعرف بتلك الجهة لتردده فى الأسفار بزا و بحرا إليها و تفرغه لهذا الفن.

قال ابن سعيد: و سألت جماعة من علماء هذا الشأن فأخبرونى أن الصحيح ما ذهب إليه الشريف، و أن أربونة و برشلونه غير داخلتين فى أرض الأندلس، و أن الركن الموفى على بحر الزقاق بالمشرق بين برشلونه و طركونة فى موضع يعرف بوادى زنلقطو، و هنالك الحاجز الذى يفصل بين الأندلس و الأرض الكبيرة ذات الألسن الكثيرة، و فى هذا المكان جبل ألبرت الفاصل فى الحاجز المذكور و فيه الأبواب التى فتحها ملك اليونانيين بالحديد و النار و الخل، و لم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة قبل ذلك طريق فى البر. و ذكر الشريف أن هذه الأبواب يقع فى مقابلتها فى بحر الزقاق البحر الذى بين جزيرتى ميورقة و منورقة، و قد أخبر بذلك جمهور

المسافرين لتلك الناحية، و مسافة هذا الجبل الحاجز بين الركن الجنوبي و الركن الشمالى أربعون ميلا.

قال: و شمال الركن المذكور عند مدينة برديل، و هى من مدن الإفرنجة، مطة على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٢٠

البحر المحيط فى شمال الأندلس، قال: و يتفهم البر بعد تميز هذا الركن إلى الشمال فى بلاد الفرنجة، و لهم به جزائر كثيرة. و دوكر الركن الشمالى عند شنت ياقوه من ساحل الجلالة فى شمال الأندلس، حيث تبتدىء جزيرة برطانية الكبيرة فيتصور هنالك بحر داخل بين أرضين، من الناس من يجعله بحرا منفردا خارجا من البحر المحيط لطوله إلى الركن المتقدم الذكر عند مدينة برديل و ذكر الشريف أن عند شنت ياقوه فى هذا الركن المذكور على جبل بمجمع البحرين صنما مطلا مشها بصنم قادس. و الركن الثالث بمقربة من جبل الأغن حيث صنم قادس، و الجبل المذكور يدخل من غربه مع جنوبه بحر الزقاق من البحر المحيط مارا مع ساحل الأندلس الجنوبى إلى جبل ألبرت المذكور، انتهى، و الكلام فى مثل هذا طويل الذيل.

قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازى: بلد الأندلس هو آخر الإقليم الرابع إلى المغرب، و هو عند الحكماء بلد كريم البقعة، طيب التربة، خصب الجناب، منبجس الأنهار الغزار و العيون العذاب، قليل الهوام ذوات السموم، معتدل الهواء و الجو و النسيم، ربيعه و خريفه و مشته و مصيفه على قدر من الاعتدال، وسطه من الحال، لا يتولد فى أحدها فصل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص، تتصل فواكهه أكثر الأزمنة و تدوم متلاحقة غير مفقودة، أميا الساحل منه و نواحيه، فيبادر بياكوره، و أما الثغر وجهاته و الجبال المخصوصة ببرد الهواء، فيتأخر بالكثير من ثمره، فمادة الخيرات بالبلد متمادية فى كل الأحيان، و فواكهه على الجملة غير معدومة فى كل أوان. و له خواص فى كرم النبات توافق فى بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات و جواهره: منها أن المحلب- و هو المقدم فى الأفويه و المفضل فى أنواع الأشنان- لا ينبت بشىء من الأرض إلّا بالهند و الأندلس.

و للأندلس المدن الحصينة، و المعازل المنيعه، و القلاع الحريزة، و المصانع الجليده،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٢١

و لها البر و البحر، و السهل و الوعر، و شكلها مثلث، و هى معتمده على ثلاثة أركان؛ الأول هو الموضع الذى فيه صنم قادس المشهور بالأندلس، و منه مخرج البحر المتوسط الشامى الآخذ بقبلى الأندلس، و الركن الثانى هو بشرقى الأندلس بين مدينة بربونه و مدينة برديل مما بأيدى الفرنجة اليوم بإزاء جزيرتى ميورقة و منورقة بمجاورة من البحرين؛ البحر المحيط و البحر المتوسط، و بينهما البر الذى يعرف بالأبواب، و هو المدخل إلى بلاد الأندلس من الأرض الكبيرة على بلد إفرنجة، و مسافته بين البحرين مسيرة يومين، و مدينة بربونه تقابل البحر المحيط، و الركن الثالث منها هو ما بين الجوف و الغرب من حيز جليقيه، حيث الجبل الموفى على البحر، و فيها الصنم العالى المشبه بصنم قادس، و هو الطالع على بلد برطانية.

قال: الأندلس أندلسان فى اختلاف هبوب أرياحها و مواقع أمطارها و جريان أنهارها:

أندلس غربى، و أندلس شرقى، فالغربى منهما ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربى، و تمطر بالرياح الغربية، و مبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف إلى بلد شتريه طالعا إلى حوز إغريطة المجاورة لطليلطة مائلا إلى الغرب و مجاورا للبحر المتوسط الموازى لقرطاجنة الخلفاء التى من بلد لورقة. و الحوز الشرقى المعروف بالأندلس الأقصى، و تجرى أوديته إلى الشرق، و أمطاره بالرياح الشرقية، و هو من حدّ جبل البشكنش، هابطا مع وادى إبره إلى بلد شنت مريه، و من جوف هذا البحر و غربه المحيط، و فى القبلة منه البحر الغربى الذى منه يجرى البحر المتوسط الخارج إلى بلد الشام، و هو البحر المسمى ببحر تيران، و معناه الذى يشق دائرة الأرض، و يسمى البحر الكبير.

قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام: بلد الأندلس عند علماء أهله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٢٢

أندلسان، فالأندلس الشرقي منه ما صبّت أوديته إلى البحر الرومي المتوسط المتصاعد من أسفل أرض الأندلس إلى المشرق، وذلك ما بين مدينة تدمير إلى سرقسطة، والأندلس الغربي ما صبّت أوديته إلى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل ذلك الحدّ إلى ساحل المغرب، فالشرقي منهما يمطر بالرياح الشرقية، ويصلح عليها، والغربي يمطر بالرياح الغربية وبها صلاحه، وجماله هابطة إلى الغرب جبلا بعد جبل. وإنما قسّمته الأوائل جزأين؛ لاختلافهما في حال أمطارهما، وذلك أنه مهما استحكمت الرياح الغربية كثر مطر الأندلس الغربي وقط الأندلس الشرقي، ومتى استحكمت الرياح الشرقية كثر مطر الأندلس الشرقي وقط الغربي، وأودية هذا القسم تجرى من الشرق إلى الغرب بين هذه الجبال. وجبال الأندلس الغربي تمتدّ إلى الشرق جبلا بعد جبل. تقطع من الجوف إلى القبلة، والأودية التي تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها إلى القبلة وبعضها إلى الشرق، وتنصبّ كلّها إلى البحر المحيط بالأندلس القاطع إلى الشام، وهو البحر الرومي، وما كان من بلاد جوفى الأندلس من بلاد جليقية وما يليها فإنّ أوديته تنصبّ إلى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف.

وصف الأندلس شكل مرّكن على مثال الشكل المثلث: ركنها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب حيث اجتماع البحرين عند صنم قادس، وركنهما الثاني في بلد جليقية حيث الصنم المشبه صنم قادس مقابل جزيرة برطانية، وركنهما الثالث بين مدينة بربونة ومدينة برذيل من بلد الفرنجة بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط، فيكادان يجتمعان في ذلك الموضع، فيصير بلد الأندلس جزيرة بينهما في الحقيقة، لو لا أنه يبقى بينهما برزخ بريّة صحراء وعمارّة مسافة مسيرة يوم للراكب، منه المدخل إلى الأرض الكبيرة التي يقال لها الأبواب، ومن قبله يتصل بلد الأندلس بتلك البلاد المعروفة بالأرض الكبيرة ذات الألسن المختلفة.

[أول من استوطن الأندلس]

قال: و أول من سكن بالأندلس على قديم الأيام فيما نقله الأخباريون من بعد عهد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قوم يعرفون ب «الأندلس» - معجمة الشين - بهم سمي المكان، فعزّب فيما بعد بالسين غير المعجمة، كانوا الذين عمروها وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها دهرا، على دين التمجس والإهمال والإفساد في الأرض، ثم أخذهم الله بذنوبهم، فحبس المطر عنهم، وإلى القحط عليهم، وأعطس بلادهم حتى نضبت مياهها، وغارت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٢٣

عيونها، ويست أنهارها، وبادت أشجارها، فهلك أكثرهم، وفرّ من قدر على الفرار منهم، فأفقرت الأندلس منهم، وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة و بضع عشرة سنة، وذلك من حدّ بلد الفرنجة إلى حدّ بحر الغرب الأخضر، وكان عدّة ما عمرتها هذه الأمة البائدة مائة عام و بضع عشرة سنة. ثم ابتعث الله لعمارّتها الأفارقة، فدخل إليها بعد إفقارها تلك المدّة الطويلة قوم منهم أجلاهم ملك إفريقية تخفّفا منهم لإمحال توالى على أهل مملكته، وتردّد عليهم حتى كاد يفنيهم، فحمل منهم خلقا في السفن مع قائد من قبله يدعى «أبتريقس» فأرسوا بريف الأندلس الغربي، واحتلّوا «جزيرة قادس»، فأصابوا الأندلس قد أمطرت وأخصبت، فجرت أنهارها، وانفجرت عيونها، وحييت أشجارها، فنزلوا الأندلس مغتربين، وسكنوها معتمرين، وتوالدوا فيها فكثروا واستوسعوا في عمارّة الأرض ما بين الساحل الذي أرسوا فيه بغربها إلى بلد الإفرنجة من شرقها، ونصّبوا من أنفسهم ملوكا عليهم ضبطوا أمرهم وتوالوا على إقامة دولتهم، وهم - مع ذلك - على ديانة من قبلهم من الجاهلية، وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب اليوم من أرض إشبيلية، اخترعها ملوكهم وسكنوها، فاتّسق ملكهم بالأندلس مائة و سبعة وخمسين عاما إلى أن أهلكهم الله تعالى، ونسخهم بعجم رومة، بعد أن ملك من هؤلاء الأفارقة في مدّتهم تلك أحد عشر ملكا. ثم صار ملك الأندلس بعدهم إلى عجم رومة و ملكهم «إشبان بن طيطش»، وباسمه سميت: الأندلس «إشبانية»، وذكر بعضهم أن اسمه: «أصبهان» فأحيل بلسان العجم، وقيل: بل كان مولده «بأصبهان» فغلب اسمها عليه، وهو الذي بنى إشبيلية، وكان «إشبانية» اسما خالصا لبلد «إشبيلية» الذي كان ينزله «إشبان» هذا، ثم غلب الاسم بعده على

الأندلس كله، فالعجم الآن يسمونه إشبانية لآثار إشبان هذا فيه، و كان أحد الملوك الذين ملكوا أقطار الدنيا فيما زعموا، و كان غزا الأفرقة عندما سلطه الله عليهم في جموعه، ففضّ عساكرهم، و أثنخ فيهم، و نزل عليهم بقاعدتهم «طالقة» و قد تحصّوا فيها منه، فابنتى عليهم مدينة «إشبيلية» اليوم، و اتصل حصره و قتاله لهم حتى فتحها الله عليه، و غلبهم، و استوت له مملكة الأندلس بأسرها، و دان له من كان فيها، فهدم مدينة طالقة، و نقل رخامها و آلتها إلى مدينة إشبيلية، فاستتم بناءها، و اتخذها دار مملكته، و استغلظ سلطانه فى الأرض، و كثرت جموعه، فعلا و عظم عتوه، ثم غزا «إيليا» - و هى «القدس الشريف» - من إشبيلية بعد سنتين من ملكه، خرج إليها فى السفن فغنمها و هدمها، و قتل فيها من اليهود مائة ألف، و استرقّ مائة ألف، و نقل رخام «إيليا» و آلتها إلى الأندلس، و قهر الأعداء، و اشتدّ سلطانه، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٢٤

[غرائب ما أصيب بالأندلس عند الفتح الإسلامى]

و ذكر بعض المؤرخين أن الغرائب التى أصيبت فى مغنم الأندلس أيام فتحها كمائدة سليمان عليه الصلاة و السلام التى ألفاها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة و قليلة الدرّ التى ألفاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة و غيرهما من طرائف الذخائر، إنما كانت ممّا صار لصاحب الأندلس من غنيمه بيت المقدس، إذ حضر فتحها مع «بخت نصر»، و كان اسم ذلك الملك «بريان»، و فى سهمه وقع ذلك و مثله ممّا كانت الجنّ تأتى به نبيّ الله سليمان، على نبينا و عليه و على جميع الأنبياء الصلاة و السلام! انتهى.

و قال غير واحد من المؤرخين: كان أهل المغرب الأقصى يضرون بأهل الأندلس؛ لاتصال الأرض، و يلقون منهم الجهد الجهيد فى كل وقت، إلى أن اجتاز بهم الإسكندر، فشكوا حالهم إليه، فأحضر المهندسين، و حضر إلى الزقاق، فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط و البحر الشامى، فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامى بشيء يسير، فأمر برفع البلاد التى على ساحل البحر الشامى، و نقلها من الحضيض إلى الأعلى، ثم أمر بحفر ما بين طنجة و بلاد الأندلس من الأرض، فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية، و بنى عليها رصيفا بالحجر و الجيار بناء محكما و جعل طوله اثنى عشر ميلا، و هى المسافة التى كانت بين البحرين، و بنى رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة، و جعل بين الرصيفين سعة ستة أميال، فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الأعظم، و أطلق فم الماء بين الرصيفين، فدخل فى البحر الشامى، ثم فاض ماؤه، فأغرق مدنا كثيرة، و أهلك أمما عظيمة كانت على الشطين، و طفا الماء على الرصيفين إحدى عشرة قامه، فأما الرصيف الذى يلي بلاد الأندلس، فإنه يظهر فى بعض الأوقات إذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد، و أهل الجزيرتين يسمونه القنطرة، و أما الرصيف الذى من جهة العدو، فإن الماء حملته فى صدره، و احتفر ما خلفه من الأرض اثنى عشر ميلا، و على طرفه من جهة المغرب قصر الجواز و سبتة و طنجة، و على طرفه من الناحية الأخرى جبل طارق بن زياد و جزيرة طريف و غيرهما و الجزيرة الخضراء، و بين سبتة و الجزيرة الخضراء عرض البحر. انتهى ملخصا، و قد تكرّر بعضه مع ما جلبناه، و العذر بين لارتباط الكلام بعضه ببعض.

[موقع الأندلس من الأقاليم]

و قال ابن سعيد: ذكر الشريف أن لا حظّ لأرض الأندلس فى الإقليم الثالث، قال: و يمرّ بجزيرة الأندلس الإقليم الرابع على ساحلها الجنوبي و ما قاربه من قرطبة و إشبيلية و مرسية

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٢٥

و بلنسية، ثم يمرّ على جزيرة صقلية و على ما فى سمتها من الجزائر، و الشمس مدبرة له.

و الإقليم الخامس يمرّ على طليطلة و سرقسطة و ما في سمتهما إلى بلاد أرغون التي في جنوبيها برشلونه، ثم يمرّ على رومية و بلادها، و يشقّ بحر البنادق، ثم يمرّ على القسطنطينية، و مدبرته الزهرة.

و السادس يمرّ على ساحل الأندلس الشمالي الذي على البحر المحيط و ما قاربه و بعض البلاد الداخلة في قشتالة و برتقال و ما في سمتها، و على بلاد برجان و الصقالبة و الروس، و مدبره عطار.

و يمرّ الإقليم السابع في البحر المحيط الذي في شمالي الأندلس إلى جزيرة أنقلطرة و غيرها من الجزائر و ما في سمتها من بلاد الصقالبة و برجان.

قال البيهقي: و فيه تقع جزيرة تولى و جزيرتا أجمال و النساء و بعض بلاد الروس الداخلة في الشمال و البلغار، و مدبره القمر، انتهى. و قال بعض العلماء: إنّ النصراني حرّموا جنة الآخرة فأعطاهم الله جنة الدنيا بستانا متصلا من البحر المحيط بالأندلس إلى خليج القسطنطينية، و عندهم عموم شاه بلوط و البندق و الجوز و الفستق و غير ذلك مما يكون أكثر و أمكن في الأقاليم الباردة، و التمر عندهم معدوم، و كذا الموز و قصب السكر، و ربما يكون شيء من ذلك في الساحل؛ لأنّ هواء البحر يدفي، انتهى.

[إشبان و الخضر عليه السلام]

قال ابن حبان في المقتبس: ذكر رواء العجم أن الخضر، عليه السلام، وقف على إشبان المذكور و هو يحرق الأرض بفدن له أيام حراثته، فقال له: يا إشبان، إنك لذو شأن، و سوف يحظيك زمان، و يعليك سلطان، فإذا أنت غلبت على إيليا فارق بذرية الأنبياء، فقال له إشبان: أسأخري رحمتك الله؟! أتى يكون هذا مني و أنا ضعيف ممتحن حقير فقير ليس مثلي ينال السلطان؟ فقال له: قد قدر ذلك فيك من قدر في عصاك اليابسة ما تراه، فنظر إشبان إلى عصاه، فإذا بها قد أورت، فريح لما رأى من الآية، و ذهب الخضر عنه، و قد وقع الكلام بخلده، و وفرت في نفسه الثقة بكونه، فترك الامتحان من وقته، و داخل الناس، و صحب أهل البأس منهم، و سما به جدّه فارتقى في طلب السلطان حتى أدرك منه عظيما، و كان منه ما كان.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٢٦

ثم أتى عليه ما أتى على القرون قبله، و كان ملكه كله عشرين سنة، و تمادى ملك الإشبانيين بعده إلى أن ملك منهم الأندلس خمسة و خمسون ملكا.

[دخول عجم رومة و القوط الأندلس، و دخول النصرانية إليها]

ثم دخل على هؤلاء الإشبانيين من عجم رومة أمة يدعون البشتولقات، و ملكهم طلويش بن بيطة، و ذلك زمن بعث المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام! أتوا الأندلس من قبل رومة، و كانوا يملكون إفرنجة معها، و يبعثون عمالهم إليها، فاتخذوا دار مملكتهم بالأندلس مدينة ماردة، و استولوا على مملكة الأندلس، و اتصل ملكهم بها مدة إلى أن ملك منهم سبعة و عشرون ملكا.

ثم دخل على هؤلاء البشتولقات أمة القوط مع ملك لهم، فغلبوا على الأندلس، و اقتطعوها من يومئذ من صاحب رومة، و تفردوا بسلطانهم، و اتخذوا مدينة طليطلة دار مملكتهم، و أقروا بها سرير ملكهم، فبقى بإشبيلية علم الإشبانيين و رياسة أوليتهم.

و قد كان عيسى المسيح عليه السلام، بعث الحواريين في الأرض يدعون الخلق إلى ديانته، فاختلف الناس عليهم، و قتلوا بعضهم، و استجاب لهم كثير منهم، و كان من أسرعهم إجابة لمن جاءه من هؤلاء الحواريين خشنده ملك القوط، فتنصّر، و دعا قومه إلى النصرانية، و كان من صميم أعاضمهم و خير من تنصّر من ملوكهم، و أجمعوا على أنه لم يكن فيهم أعدل منه حكما، و لا أرشد رأيا، و لا أحسن سيرة، و لا أجود تدبيرا، فكان الذي أصّل النصرانية في مملكته، و مضى أهلها على سنته إلى اليوم، و حكموا بها، و

الإنجيليات في المصاحف الأربعة التي يختلفون فيها من انتساحه و جمعه و تثقيفه، فتناسقت ملوك القوط بالأندلس بعده إلى أن غلبتهم العرب عليها، و أظهر الله تعالى دين الإسلام على جميع الأديان.

فوقع في تواريخ العجم القديمة أن عدّة ملوك هؤلاء القوط بالأندلس من عهد أتاناوينوس الذي ملك في السنة الخامسة من مملكة فلبش القيصرى لمضى أربعمائة و سبع من تاريخ الصفر المشهور عند العجم إلى عهد لذريق آخرهم الذي ملك في السنة التاسعة و الأربعين و سبعمائة من تاريخ الصفر، و هو الذي دخلت عليه العرب فأزالت دولة القوط، ستة و ثلاثون ملكا، و أن مدّة أيام ملكهم بالأندلس ثلاثمائة و اثنتان و أربعون سنة، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٢٧

[حكم القوط في الأندلس و مناخها و خيراتها و معادنها]

و قال جماعة: إن القوط غير البشتولقات، و إن البشتولقات من عجم رومة، و إنهم جعلوا دار ملكهم مارده، و اتصل ملكهم إلى أن ملك منهم سبعة و عشرون ملكا، ثم دخل عليهم القوط، و اتخذوا طليطلة دار مملكة، ثم ذكر تنصّر ملكهم خشندهش مثل ما تقدّم، ثم ذكر أن عدّة ملوك القوط ستة و ثلاثون ملكا.

و ذكر الرازى أن القوط من ولد يأجوج بن يافث بن نوح، و قيل غير ذلك، انتهى.

و ذكر الرازى في موضع آخر نحو ما تقدّم و زيادة، و نصّه: أن الأندلس في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة التي تقدّم ذكرها التي هي ربع معمور الدنيا فهي موسطة من البلدان، كريمة البقعة، بطبع الخلقة، طيبة التربة، مخصبة القاعة، منجسة العيون الثرار منفجرة الأنهار الغزار، قليلة الهوام ذوات السموم، معتدلة الهواء أكثر الأزمان لا يزيد قيطها زيادة منكرة تضرّ بالأبدان و كذا سائر فصولها في أعمّ سنيها تأتي على قدر من الاعتدال، و توسّط من الحال، و فواكهها تتصل طول الزمان، فلا تكاد تعدم لأن الساحل و نواحيه يبادر بباكوره، كما أن الثغر و جهاته و الجبال التي يخصّ بها برد الهواء و كثافة الجوّ تستأخر بما فيها من ذلك، حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان، فمادّة الخيرات فيها متصلة كلّ أوان. و من بحرها بجهة الغرب يخرج العنبر الجيد المقدم على أجناسه في الطيب و الصبر على النار، و بها شجر المحلب المعدود في الأفاويه المقدم في أنواع الأشنان كثير واسع، و قد زعموا أنه لا يكون إلّا بالهند و بها فقط، و لها خواصّ نباتية يكثر تعدادها. انتهى.

و قد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال: يوجد في ناحية دلانية من إقليم البشرة عود الألنجوج، لا يفوقه العود الهندي ذكاء و عطر رائحه، و قد سيق منه إلى خيران الصقلبي صاحب المريّة، و أن أصل منبته كان بين أحجار هنالك. و بأكشونبة جبل كثيرا ما يتصوّع، ريحه ريح العود الذكي إذا أرسلت فيه النار، و ببحر شذونة يوجد العنبر الطيب الغربى، و في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٢٨

جبل منت ليون المحلب، و يوجد بالأندلس القسط الطيب، و السنبل الطيب، و الجنطيانة تحمل من الأندلس إلى جميع الآفاق، و هو عقار رفيع، و المرّ الطيب بقلعة أيوب، و أطيب كهرياء الأرض بشذونة، درهم منها يعدل دراهم من المجلوبة، و أطيب القرمز قرمز الأندلس، و أكثر ما يكون بنواحي إشبيلية و لبلّة و شذونة و بلنسية، و من الأندلس يحمل إلى الآفاق. و بناحية لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد، و قد يوجد في غيرها. و على مقربة من حضرة لورقة من عمل قرطبة معدن البلور، و قد يوجد بجبل شحيران و هو شرقى بيرة. و حجر النجادي يوجد بناحية مدينة الأشبونة في جبل هنالك يتلأأ فيه ليلا كالسراج. و الياقوت الأحمر يوجد بناحية حصن منت ميور من كورة مالقة إلّا أنه دقيق جدّا لا يصلح للاستعمال لصغره. و يوجد حجر يشبه الياقوت الأحمر بناحية بجّانة في خندق يعرف بقريّة ناشرة أشكالا مختلفه كأنه مصبوغ، حسن اللون، صبور على النار. و حجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تدمير. و حجر الشادنة بجبال قرطبة كثير، و يستعمل ذلك في التذهيب. و حجر اليهودى في ناحية حصن البونت، و

هو أنفع شيء للحصاة. و حجر المرقيشينا الذهبية في جبال أبدة لا نظير لها في الدنيا، و من الأندلس تحمل إلى جميع الآفاق لفضلها. و المغنيسيا بالأندلس كثير، و كذلك حجر الطلق. و يوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونه إلا أنه جامد اللون. و يوجد المرجان بساحل بيرة من عمل المريء، ما لقط منه في أقل من شهر نحو ثمانين ربحاً. و معدن الذهب بنهر لاردة يجمع منه كثير، و يجمع أيضاً في ساحل الأشبونة. و معادن الفضة في الأندلس كثيرة في كورة تدمير و جبال حمية بجانية. و بإقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل. و بأكشونية معدن القصدير الذي لا مثيل له يشبه الفضة، و له معادن بناحية إفرنجة و ليون. و معدن الزئبق في جبل البرانس، و من هنالك يتجهز به إلى الآفاق. و معادن الكبريت الأحمر و الأصفر بالأندلس كثيرة، و معدن التوتيا الطيبة بساحل البيرة بقرية تسمى بطرنة، و هي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٢٩

أزكى توتيا و أقواها في صبغ النحاس، و بجبال قرطبة توتيا، و ليست كالبطرنية. و معدن الكحل المشبه بالأصفهاني بناحية مدينة طرطوشة يحمل منها إلى جميع البلاد. و معادن الشوب و الحديد و النحاس بالأندلس أكثر من أن تحصى. و ما ذكرت هنا و إن تكرر بعضه مع ما سبق أو يأتي فهو لجمع النظائر، و ما لم نذكره أكثر، و الله تعالى أعلم.

[خواص طليطلة و بعض حاصلات الأندلس و معادنها، و وصف أهلها]

و من خواص طليطلة أن حنطتها لا تتغير و لا تسوس على طول السنين، يتوارثها الخلف عن السلف، و زعفران طليطلة هو الذي يعم البلاد و يتجهز به الرفاق إلى الآفاق، و كذلك الصبغ السماوي، انتهى.

و قال المسعودي في «مروج الذهب» بعد كلام ما نصه: و العنبر كثير ببحر الأندلس، يجهز إلى مصر و غيرها، و يحمل إلى قرطبة من ساحل لها يقال له شنترين و شذونة، تبلغ الأوقية منه بالأندلس ثلاثة مثاقيل ذهاباً، و الأوقية بالبغدادى، و تباع بمصر أوقيته بعشرين ديناراً، و هو عنبر جيد، و يمكن أن يكون هذا العنبر الواقع إلى بحر الروم ضربته الأمواج من بحر الأندلس إلى هذا البحر لاتصال الماء. و بالأندلس معدن عظيم للفضة، و معدن للزئبق ليس بالجيد يجهز إلى سائر بلاد الإسلام و الكفر، و كذلك يحمل من بلاد الأندلس الزعفران و عروق الزنجبيل.

و أصول الطيب خمسة أصناف: المسك، و الكافور، و العود، و العنبر، و الزعفران، و كلها تحمل من أرض الهند و ما اتصل بها إلا الزعفران و العنبر. انتهى. و هو و إن تكرر مع ما ذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة، و الله تعالى أعلم.

و ذكر البعض أن في بلاد الأندلس جميع المعادن الكائنات عن النيرات السبعة و هي:

الرصاص من زحل، و القصدير الأبيض من المشتري، و الحديد من قسم المريخ، و الذهب من قسم الشمس، و النحاس من الزهرة، و الزئبق من عطارد، و الفضة من القمر.

[الأندلسيون و الأمم المجاورة و نبذة عن خراج الأندلس]

و ذكر الكاتب إبراهيم بن القاسم القروى المعروف بالرقيق بلد الأندلس، فقال: أهله أصحاب جهاد متصل يحاربون من أهل الشرك المحيطين بهم أمة يدعون الجلالقة، يتاخمون حوزهم ما بين غرب إلى شرق، قوم لهم شدة و لهم جمال و حسن وجوه، فأكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال و الفراهة منهم ليس بينهم و بينهم درب، فالحرب متصله بينهم، ما لم تقع هدنة، و يحاربون بالأفق الشرقى أمة يقال لهم الفرنجة هم أشد عليهم من جميع من يحاربونه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٣٠

من عدوهم، إذ كانوا خلقا عظيما في بلاد كثيرة واسعة جليلة متصلة العمارة أهله تدعى الأرض الكبيرة، هم أكثر عددا من الجليقيين و أشد بأسا و أحد شوكة و أعظم أمدادا. و هذه الأمة يحاربون أمة الصقالبة المتصلين بأرضهم لمخالفتهم إياهم في الديانة فيسبونهم و يبيعون رقيقهم بأرض الأندلس، فلهم هنالك كثرة، و تخصيهم للفرنجة يهود ذمتهم الذين بأرضهم، و في ثغر المسلمين المتصل بهم، فيحمل خصيانهم من هنالك إلى سائر البلاد، و قد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك، فصاروا يخصون و يستحلون المثلة.

قال ابن سعيد: و مخرج بحر الروم المتصاعد إلى الشام هو بساحل الأندلس الغربي بمكان يقال له الخضراء ما بين طنجة من أرض المغرب و بين الأندلس، فيكون مقدار عرضه هناك كما زعموا ثمانية عشر ميلا، و هذا عرض جزيرة طريف إلى قصر مصمودة بالقرب من سبتة، و هناك كانت القنطرة التي يزعم الناس أن الإسكندر بناها ليعبر عليها من بر الأندلس إلى بر العدو، و يعرف هذا الموضع بالزقاق، و هو صعب المجاز؛ لأنه مجمع البحرين لا تزال الأمواج تتناول فيه و الماء يدور، و طول هذا الزقاق الذي عرضه ثمانية عشر ميلا مضاعف ذلك إلى ميناء سبتة، و من هناك يأخذ البحر في الاتساع إلى ثمانمائة ميل و أزيد، و منتهاه مدينة صور من الشام، و فيه عدد عظيم من الجزائر.

قال بعضهم: إنها ثمان و عشرون جزيرة منها صقلية و مالطة و غيرها، انتهى، و بعضه بالمعنى.

و قال بعضهم: عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبتة، ما صورته: ثم يتسع كلما امتد حتى يسير إلى ما لا ذرع له و لا نهاية. و قال بعضهم: و كان مبلغ خراج الأندلس الذي كان يؤدي إلى ملوك بني أمية قديما ثلاثمائة ألف دينار دراهم أندلسية كل سنة قوانين، و على كل مدينة من مدائنهم مال معلوم، فكانوا يعطون جندهم و رجالهم الثلث من ذلك مائة ألف دينار، و ينفقون في أمورهم و نوابئهم و مؤن أهلهم مائة ألف دينار، و يدخرون لحادث أيامهم مائة ألف دينار، انتهى. و ذكر غيره أن الجباية كانت بالأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ألف دينار في السنة، و كانت قبل ذلك لا تزيد على ستمائة ألف، حكاه ابن سعيد، و قال: إن الأندلس مسيرة شهر مدن و عمائر.

[خبر ابن خلدون عن الأمم التي استوطنت الأندلس، و وصف غرناطة]

و قال قاضى القضاء ابن خلدون الحضرمي في تاريخه الكبير، ما صورته: كان هذا القطر الأندلسي من العدو الشمالية من عدوتى البحر الرومي و بالجانب الغربي منها يسمى عند العجم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٣١

الأندلوش، و تسكنه أمم من إفرنجة المغرب أشدهم و أكثرهم الجلالقة. و كان القوط قد تملكوه و غلبوا على أهله لمئين من السنين قبل الإسلام، بعد حروب كانت لهم مع اللطيين حاصروا فيها رومة. ثم عقدوا معهم السلم على أن ينصرف القوط إلى الأندلس، فصاروا إليها و ملكوها. و لما أخذ الروم و اللطينيون بملمة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من أمم الفرنجة و القوط عليها فدانوا بها، و كان ملوك القوط ينزلون طليطلة، و كانت دار ملكهم. و ربما تنقلوا ما بينها و بين قرطبة و إشبيلية و ماردة، و أقاموا كذلك نحو من أربعمائة سنة إلى أن جاء الله بالإسلام و الفتح. و كان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق، و هو سمى لملوكهم، كما أن جرجير سمى لملوك صقلية، انتهى.

و من أشهر بلاد الأندلس غرناطة، و قيل: إن الصواب إغرناطة - بالهمز - و معناه بلغتهم الزمان، و كفاها شرفا و ولادة لسان الدين بها. و قال الشقندي: أما غرناطة فإنها دمشق بلاد الأندلس، و مسرح الأبصار، و مطمح الأنفس، و لم تخل من أشرف أمثال، و علماء أكابر، و شعراء أفضل، و لو لم يكن لها ما خصها الله تعالى به من المرج الطويل العريض و نهر شليل لكفاها.

و فى بعض كلام لسان الدين ما صورته: و ما لمصر تفخر بنبيلها و ألف منه فى شيلها؟

يعنى أن الشين عند أهل المغرب عددها ألف، فقولنا شليل إذا اعتبرنا عدد شينه كان ألف نيل.

و فيها قيل: [مخلع البسيط]

غرناطة ما لها نظير ما مصر؟ ما الشام؟ ما العراق؟

ما هي إلا العروس تجلى و تلك من جملة الصّداق

و تسمى كورة البيرة التي منها غرناطة دمشق لأنّ جند دمشق نزلوها عند الفتح، و قيل:

إنما سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الأنهار، و كثرة الأشجار، حكاة صاحب مناهج الفكر، قال: و لما استولى الفرنج على معظم بلاد الأندلس انتقل أهلها إليها فصارت المصر المقصود، و المعقل الذي تنضوي إليه العساكر و الجنود. و يشقّها نهر عليه قناطر يجاز عليها، و في قبليها جبل شلير، و هو جبل لا يفارقه الثلج صيفا و لا شتاء، و فيه سائر النبات الهندي، لكن ليس فيه خصائصه، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٣٢

[غرناطة و أعمالها]

و من أعمال غرناطة قطر لوشة، و بها معدن للفضة جيّد، و منها أعنى لوشة، أصل لسان الدين بن الخطيب. و هذا القطر ضخّم ينضاف إليه من الحصون و القرى كثير، و قاعدته لوشة، بينها و بين غرناطة مرحلة، و هي ذات أنهار و أشجار، و هي على نهر غرناطة الشهير بشنيل.

و من أعمال غرناطة الكبار عمل باغة، و العامّة يقولون بيغه، و إذا نسبوا إليه قالوا بيغي، و قاعدته باغيه طيبة الزرع، كثيرة الثمار، غزيرة المياه، و يوجد فيها الزعفران.

و من أعمال غرناطة وادي آش، و يقال: وادي الأشات. و هي مدينة جليّة قد أهدت بها البساتين و الأنهار، و قد خصّ الله أهلها بالأدب و حبّ الشعر، و فيها يقول أبو الحسن بن نزار:

[الكامل]

وادي الأشات يهيج و جدى كلّما أذكرت ما أفضت بك النعماء

لله ظلك و الهجير مسلط قد برّدت لفحاته الأنداء

و الشمس ترغب أن تفوز بلحظة منه فتطرف طرفها الأفياء

و النهر يبسم بالحباب كأنه سلخ نضته حينه رقصاء

فلذاك تحذره الغصون فميلها أبدا على جنباته إيماء

و من أعمال وادي آش حصن جليانة، و هو كبير يضاهاى المدن، و به التفاح الجليانى الذى خصّ الله به ذلك الموضع، يجمع عظم الحجم و كرم الجوهر و حلاوة الطعم و ذكاء الرائحة و النقاء، و بين الحصن المذكور و وادي آش اثنا عشر ميلا.

و من غرائب الأندلس أنّ به شجرتين من شجر القسطل، و هما عظيमतان جدّا إحداهما بسند وادي آش و الأخرى ببشرّة غرناطة، فى جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب، و هذا أمر مشهور قاله أبو عبد الله بن جزى و غيره.

و كانت البيرة هي المدينة قبل غرناطة، فلما بنى الصّنهاجى مدينة غرناطة و قصبتها و أسوارها انتقل الناس إليها، ثم زاد فى عمارتها ابنه باديس بعده.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٣٣

[شهرة غرناطة و سرقسطة و برجة]

و ذكر غير واحد أن في كورة سرقسطة الملح الأندرانى الأبيض الصافى الأملس الخالص، و ليس فى الأندلس موضع فيه مثل هذا الملح.

قال: و سرقسطة بناها قيصر ملك رومة الذى تورخ من مدته مدّة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا و عليه و على سائر الأنبياء الصلاة و السلام، و تفسير اسمها قصر السيد، لأنه اختار ذلك المكان بالأندلس.

وقيل: إن موسى بن نصير شرب من ماء نهر جلق بسرقسطة فاستعذبه، و حكم أنه لم يشرب بالأندلس أعذب منه، و سأل عن اسمه، فقيل: جلق، و نظر إلى ما عليه من البساتين فشبهها بغوطه جلق الشام، و قيل: إنها من بناء الإسكندر، و الله أعلم.

و بمدينة برجة - و هى من أعمال المريّة - معدن الرصاص، و هى على واد مبهج يعرف بوادى عذراء، و هو محدد بالأزهار و الأشجار. و تسمى برجة بهجة لهجة منظرها، و فيها يقول أبو الفضل بن شرف القيروانى رحمه الله تعالى: [المتقارب]

رياض تعشقها سندس توشت معاطفها بالزهر

مدامعها فوق خدى ربا لها نظرة فنتت من نظر

و كل مكان بها جنة و كل طريق إليها سقر

و فيها أيضا قوله: [المجتث]

حطّ الرحال ببرجه و ارتد لنفسك بهجه

فى قلعة كسلاح و دوحه مثل لجه

فحصنها لك أمن و روضها لك فرجه

كلّ البلاد سواها كعمرة و هى حجه

و بمالقة التين الذى يضرب المثل بحسنه، و يجلب حتى الهند و الصين، و قيل: إنه ليس فى الدنيا مثله، و فيه يقول أبو الحجاج يوسف

ابن الشيخ البلوى الملقى حسبما أنشده غير واحد، منهم ابن سعيد: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٣٤

مالقة، حيت يا تينها الفلك من أجلك يا تينها

نهى طبيبي عنه فى علتى ما لطيبى عن حياتى نهى

و ذيل عليه الإمام الخطيب أبو محمد عبد الوهاب المنشى بقوله: [السريع]

و حمص لا تنس لها تينها و اذكر مع التين زياتينها

و فى بعض النسخ: [السريع]

لا تنس لإشبيلية تينها و اذكر مع التين زياتينها

و هو نحو الأول؛ لأن حمص هى إشبيلية، لنزول أهل حمص من المشرق بها، حسبما سندكره.

و نسب ابن جزى فى ترتيبه لرحله ابن بطوطه البيتين الأولين للخطيب أبى محمد عبد الوهاب الملقى، و التذييل لقاضى الجماعة أبى عبد الله بن عبد الملك، فالله أعلم.

[شهره برجة و مالقة و وصف مالقة و أشبونة و قرطبة]

و قال ابن بطوطه: و بمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب، و يجلب منها إلى أقاصى البلاد، و مسجدها كبير الساحة، كثير البركة شهيرها، و صحنه لا نظير له فى الحسن، و فيه أشجار النارج البديعة، انتهى.

و قال قبله: إن مالقة إحدى قواعد الأندلس، و بلادها الحسان، جامعة بين مرافق البرّ و البحر، كثيرة الخيرات و الفواكه، رأيت العنب

يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرتال بدرهم صغير، ورماتها المرسى الياقوتى لا نظير له في الدنيا، و أما التين و اللوز فيجلبان منها و من أحوازها إلى بلاد المشرق و المغرب، انتهى.

و بكورة أشبونة المتصلة بشترين معدن التبر، و فيها غسل يجعل في كيس كتان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر، و يوجد في ريفها العنبر الذى لا يشبهه إلا الشحري.

و من أشهر مدن الأندلس مدينة قرطبة- أعادها الله تعالى للإسلام!- و بها الجامع المشهور، و القنطرة المعروفة بالجسر.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٣٥

و قد ذكر ابن حيان أنه بنى على أمر عمر بن عبد العزيز، رضى الله عنه، و نصه: و قام فيها بأمره على النهر الأعظم بدار مملكتها قرطبة الجسر الأكبر الذى ما يعرف في الدنيا مثله، انتهى.

و فيها يقول بعض علماء الأندلس: [البيسط]

بأربع فاقت الأمصار قرطبة منهن قنطرة الوادى، و جامعها

هاتان ثنتان، و الزهراء ثلثة، و العلم أعظم شىء، و هو رابعها

[نبذة من قرطبة و شهرتها]

و قال الحجارى في «المسهب»: كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الإسلام، و مجتمع أعلام الأنام، بها استقرّ سرير الخلافة المروانية، و فيها تمحّضت خلاصة القبائل المعدية و اليمانية، و إليها كانت الرّحلة في الرواية إذ كانت مركز الكرماء، و معدن العلماء، و هى من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد، و نهرها من أحسن الأنهار، مكنتف بديباج المروج مطرّز بالأزهار، تصدح في جنباته الأطيّار، و تنعر النواير و يبسم التّوار، و قرطاهما الزاهرة و الزهراء، حاضرتا الملك و أفقاه النعماء و السّراء. و إن كان قد أخنى عليها الزمان، و غير بهجة أوجهها الحسان، فتلك عادته و سل الخورنق و السدير و غمدان، و قد أعذر بإنذاره إذ لم يزل ينادى بصروفه لا أمان لا أمان، و قد قال الشاعر: [المتقارب]

و ما زلت أسمع أن الملو ك تبني على قدر أخطارها

و قال السلطان يعقوب المنصور ابن السلطان يوسف ابن السلطان عبد المؤمن بن على لأحد رؤساء أجنادها: ما تقول في قرطبة؟ فخاطبه على ما يقتضيه كلام عامّة الأندلس بقوله:

جوفها شمام، و غريبها قمام، و قبلتها مدام، و الجنة هى و السلام.

يعنى بالشّمام جبال الورد، و يعنى بالقمام ما يؤكل إشارة إلى محرث الكنبائية، و يعنى بالمدام النهر.

و لما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لأبى عمران موسى بن سعيد العنسى:

ما عندك في قرطبة؟ قال له: ما كان لى أن أتكلّم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها، فقال السلطان: إن ملوك بنى أمية حين اتّخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة، الديار المنفسحة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٣٦

الكبيرة، و الشوارع المتّسعة، و المبانى الضخمة المشيدة، و النهر الجارى، و الهواء المعتدل، و الخارج الناضر، و المحرث العظيم، و الشّعاء الكافية، و التوسّط بين شرق الأندلس و غربها، قال: فقلت: ما أبقى لى أمير المؤمنين ما أقول.

قال ابن سعيد: و لأهلها رياسة و وقار، لا تزال سمة العلم و الملك متوارثة فيهم، إلّا أنّ عامّتها أكثر الناس فضولا، و أشدهم تشغيبا، و يضرب بهم المثل ما بين أهل الأندلس فى القيام على الملوك، و التشنيع على الولاة، و قلّمه الرضا بأموهم، حتى إنّ السيد أبا يحيى أخوا السلطان يعقوب المنصور قيل له لِمَا انفصل عن ولايتها: كيف وجدت أهل قرطبة؟ فقال: مثل الجمل، إن خفّفت عنه الحمل

صاح، و إن أثقلته صاح، ما ندرى أين رضاهم فنقصده، و لا أين سخطهم فنجتنبه، و ما سلط الله عليهم حجّاج الفتنة حتى كان عامتها شراً من عامية العراق، و إن العزل عنها لما قاسيته من أهلها عندى ولاية، إني و إن كلفت العود إليها لقائل: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، انتهى.

و قال أبو الفضل التيفاشى: جرت مناظرة بين يدى ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه أبى الوليد بن رشد و الرئيس أبى بكر بن زهر، فقال ابن رشد لابن زهر فى تفضيل قرطبة: ما أدري ما تقول، غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، و إن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية، قال: و قرطبة أكثر بلاد الله كتباً، انتهى.

و حكى الإمام ابن بشكوال عن الشيخ أبى بكر بن سعادة أنه دخل مدينة طليطلة مع أخيه على الشيخ الأستاذ أبى بكر المخزومى، قال: فسألنا: من أين؟ فقلنا: من قرطبة، فقال: متى عهدكما بها؟ فقلنا: الآن وصلنا منها، فقال: اقربا إلى أشم نسيم قرطبة، فقرنا منه، فشم رأسى و قبله، و قال لى: اكتب: [الطويل]

أقرطبة الغراء هل لى أوبه إليك؟ و هل يدنو لنا ذلك العهد

سقى الجانب الغربى منك غمامة و وقع فى ساحات دوحاتك الرعد

لياليك أسحار، و أرضك روضة، و تربك فى استنشاقها عنبر ورد

و كتب الرئيس الكاتب أبو بكر بن القبطرنة للعالم أبى الحسين بن سراج بقوله: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٣٧

يا سيدى و أبى هوى و جلاله و رسول و دى إن طلبت رسولا

عزج بقرطبة إذا بلغتها بأبى الحسين و ناده تمويلا

و إذا سعدت بنظرة من وجهه أهد السلام لكفه تقييلا

و اذكر له شوقى و شكرى مجملا و لو استطعت شرحته تفصيلا

بتحية تهدي إليه كأنما جرّت على زهر الرياض ذيولا

و فى باب اليهود بقرطبة يقول أبو عامر بن شهيد: [المتقارب]

لقد أطلعوا عند باب اليهود بدرا أبى الحسن أن يكسفا

تراه اليهود على بابها أميرا فتحسبه يوسفنا

و استقبحو قولهم «باب اليهود» فقالوا «باب الهدى» و سنذكر قرطبة و الزهراء و الزاهرة و مسجدتها فى الباب المنفرد بها إن شاء الله تعالى، و كذلك القنطرة.

[إشبيلية و إقليمها]

و من أعظم مدن الأندلس إشبيلية - قال الشقندى: من محاسنها اعتدال الهواء، و حسن المبانى، و نهرها الأعظم الذى يصعد المدّ فيه اثنين و سبعين ميلا ثم يحسر، و فيه يقول ابن سافر: [الكامل]

شقّ النسيم عليه جيب قميصه فانساب من شطيه يطلب ثاره

فتضاحكت ورق الحمام بدوحها هزاً فضمّ من الحياء إزاره

و قيل لأحد من رأى مصر و الشام: أيهما رأيت أحسن؟ أهذان أم إشبيلية؟ فقال بعد تفضيل إشبيلية: شرفها غابة بلا أسد، و نهرها نيل بلا تمساح، انتهى.

و يقال: إن الذى بنى إشبيلية اسمه يوليس، و إنه أول من سمى قيصر، و إنه لما دخل الأندلس أعجب بساحاتها و طيب أرضها و جبلها

المعروف بالشرف، فقدم على النهر الأعظم مكانا، وأقام فيه المدينة، وأحرق عليها بأسوار من صخر صلد، وبنى في وسط المدينة قصبين بديعتي الشأن تعرفان بالأخوين، وجعلها أم قواعد الأندلس، واشتق لها اسما من رومية، ومن اسمه، فسماها رومية يوليس، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٣٨

وقد تقدّم شيء من هذا.

وكان الأولون من ملوك الأعاجم يتداولون بسكناهم أربعة بلاد من بلاد الأندلس:

إشبيلية، وقرطبة، وقرمونة، وطليلة، ويقسمون أزمانهم على الكينونة بها.

وأما شرف إشبيلية، فهو شريف البقعة، كريم التربة، دائم الخضرة، فرسخ في فرسخ طولاً وعرضاً، لا تكاد تشمس فيه بقعة لالتفاف زيتونه.

واعلم أن إشبيلية لها كور جليل، ومدن كثيرة، وحصون شريفة، وهي من الكور المجندة، نزلها جند حمص ولواؤهم في الميمنة بعد لواء جند دمشق. وانتهت جباية إشبيلية أيام الحكم بن هشام إلى خمسة وثلاثين ألف دينار ومائة دينار.

وفي إقليم طالق من أقاليم إشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر معها صبي، وكان حية تريده، لم يسمع في الأخبار ولا رأى في الآثار صورة أبدع منها، جعلت في بعض الحمامات وتعشقها جماعة من العوام.

وفي كورة ماردة حصن شنت أفرج في غاية الارتفاع، لا يعلوه طائر البتة لا نسر ولا غيره.

ومن عجائب الأندلس البلاط الأوسط من مسجد جامع أقليش، فإن طول كل جائرة منه مائة شبر وأحد عشر شبرا، وهي مربعة منحوتة مستوية الأطراف.

وقال بعض من وصف إشبيلية: إنها مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة، وعليه جسر مربوط بالسفن، وبها أسواق قائمة، وتجارات رابحة، وأهلها ذوو أموال عظيمة، وأكثر متاجرهم الزيت، وهو يشتمل على كثير من إقليم الشرف، وإقليم الشرف على تل عال من تراب أحمر مسافته أربعون ميلا في مثلها، يمشى به السائر في ظل الزيتون والتين، ولها - فيما ذكر بعض الناس - قرى كثيرة، وكل قرية عامرة بالأسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٣٩

وقال صاحب مناهج الفكر، عند ذكر إشبيلية: وهذه المدينة من أحسن مدن الدنيا، وأهلها يضرب المثل في الخلاعة، وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة، ويعينهم على ذلك واديها الفرج، وناديها البهج، وهذا الوادي يأتيها من قرطبة، ويجزر في كل يوم، ولها جبل الشرف، وهو تراب أحمر طوله من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلا، وعرضه من المشرق إلى المغرب اثنا عشر ميلا، يشتمل على مائتين وعشرين قرية، قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت، انتهى.

[باجة وجبل طارق]

ولكورة باجة من الكور الغربية التي كانت من أعمال إشبيلية أيام بني عبّاد خاصية في دباغة الأديم وصناعة الكتان، وفيها معدن فضة، وبها ولد المعتمد بن عبّاد، وهي متصلة بكورة ماردة.

ولجبل طارق حوز قصب السبق بنسبته إلى طارق مولى موسى بن نصير، إذ كان أول ما حلّ به مع المسلمين من بلاد الأندلس عند الفتح، ولذا شهر بجبل الفتح وهو مقابل الجزيرة الخضراء، وقد تجوّن البحر هنالك مستديرا حتى صار مكان هذا الجبل كالناظر

للجزيرة الخضراء، وفيه يقول مطّرف شاعر غرناطة: [الطويل]

وأقود قد ألقى على البحر متنه فأصبح عن قود الجبال بمعزل

يعرض نحو الأفق وجها كأنما تراقب عيناه كواكب منزل

و إذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر بان كأنه سرج، قال أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد: أقبلت عليه مرة مع والدي فنظرنا إليه على تلك الصفة، فقال والدي: أجز: [المجتث]

انظر إلى جبل الفت ح راكبا متن ليج

فقلت: [المجتث]

و قد تفتّح مثل ال أفنان في شكل سرج

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٤٠

و أما جزيرة طريف فليست بجزيرة، و إنما سميت بذلك الجزيرة التي أمامها في البحر مثل الجزيرة الخضراء، و طريف المنسوبة إليه بربرى من موالى موسى بن نصير، و يقال: إن موسى بعثه قبل طارق في أربعمائه رجل، فنزل بهذه الجزيرة في رمضان سنة إحدى و تسعين، و بعده دخل طارق، و الله أعلم.

[كورة طليطلة و ما اشتهرت به]

و من أعظم كور الأندلس كورة طليطلة، و هى من متوسط الأندلس، و كانت دار مملكة بنى ذى التون من ملوك الطوائف، و كان ابتداء ملكهم صدر المائة الخامسة، و سماها قيصر بلسانه بزليطلة، و تأويل ذلك: أنت فارح، فعزبتها العرب و قالت: طليطلة، و كانوا يسمونها و جهاتها فى دولة بنى أمية بالثغر الأدنى، و يسمون سرقسطة و جهاتها بالثغر الأعلى، و تسمى طليطلة مدينة الأملاك؛ لأنها فيما يقال ملكها اثنان و سبعون إنسانا، و دخلها سليمان بن داود، عليهما السلام، و عيسى ابن مريم، و ذو القرنين، و فيها وجد طارق مائدة سليمان، و كانت من ذخائر إشبان ملك الروم الذى بنى إشبيلية، أخذها من بيت المقدس كما مرّ، و قومت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار، و قيل: إنها كانت من زمرد أخضر، و يقال: إنها الآن بروم، و الله أعلم بذلك.

و وجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة، منها مائة و سبعون تاجا من الدرّ و الياقوت و الأحجار النفيسة، و إيوان ممتلئ من أوانى الذهب و الفضة، و هو كبير، حتى قيل: إن الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه، و قد قيل: إن أوانى المائدة من الذهب و صحافها من اليشم و الجزع، و ذكروا فيها غير هذا ممّا لا يكاد يصدّقه الناظر فيه.

و بطليطلة بساتين محدقة، و أنهار مخترقة، و رياض و جنان، و فواكه حسان، مختلفه الطعوم و الألوان، و لها من جميع جهاتها أقاليم ريفية، و رساتيق مريعه، و ضياع بديعه، و قلاع منيعه، و بالجمله فمحاسنها كثيرة، و لعلنا نلّم ببعض منتزهاتها فيما يأتى من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

و طليطلة قاعدة ملك القوطيين، و هى مطلة على نهر تاجه، و عليه كانت القنطرة التى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٤١

يعجز الواصفون عن وصفها، و كانت على قوس واحد تكنفه فرجتان من كل جانب، و طول القنطرة ثلاثمائة باع، و عرضها ثمانون باعا، و خربت أيام الأمير محمد لما عصى عليه أهلها فغزاهم، و احتال فى هدمها، و فى ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس: [الكامل]

أضحت طليطلة معطلة من أهلها فى قبضة الصقر

تركت بلا أهل تؤهلها مهجورة الأكناف كالقبر

ما كان يبقى الله قنطرة نصبت لحمل كتائب الكفر

و سيأتى بعض أخبار طليطلة.

[مدينة المريّة، و ما اشتهرت به]

و من مشهور مدن الأندلس المريّة، و هي على ساحل البحر، و لها القلعة المنيعه المعروفة بقلعة خيران، بناها عبد الرحمن الناصر، و عظمت في دولة المنصور بن أبي عامر، و ولّى عليها مولاه خيران، فنسبت القلعة إليه، و بها من صنعه الديباج ما تفوق به على سائر البلاد، و فيها دار الصناعة، و تشتمل كورتها على معدن الحديد و الرخام، و من أبوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر.

و قال بعضهم: كان بالمريّة لسيج طرز الحرير ثمانمائة نول، و للحلل النفيسه و الديباج الفاخر ألف نول، و للأسقلاطون كذلك، و للثياب الجرجانية كذلك، و للأصفهانية مثل ذلك، و للعنابي و المعاجر المدهشه و الستور المكّلة. و يصنع بها من صنوف آلات الحديد و النحاس و الزجاج ما لا يوصف. و فاكهة المريّة يقصر عنها الوصف حسنا، و ساحلها أفضل السواحل، و بها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة، و قد أُلّف فيها أبو جعفر بن حاتم تاريخا حافلا سمّاه ب «مزيّة المريّة، على غيرها من البلاد الأندلسية» في مجلد ضخّم تركته من جملة كتبي بالمغرب، و الله سبحانه المسؤول في جمع الشمل، فله الأمر من بعد و من قبل.

و وادي المريّة طوله أربعون ميلا في مثلها كلها بساتين بهجه، و جنات نضرة، و أنهار مطّردة، و طيور مغرّدة. قال بعضهم: و لم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهل المريّة، و لا أعظم متاجر و ذخائر، و كان بها من الحمامات و الفنادق نحو الألف، و هي بين الجبلين بينهما خندق معمور،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٤٢

و على الجبل الواحد قصبته المشهورة بالحصانة، و على الآخر ربضها، و السور محيط بالمدينة و الربض، و غربيها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق و حمامات و صناعات، و قد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة، و أحجار أولية، و كأنما غربلت أرضها من التراب، و لها مدن و ضياع عامرة متصلة الأنهار، انتهى.

[شتره و خصائصها]

و قال ابن اليسع، عند ذكره مدينة شتره: إن من خواصّها أنّ القمح و الشعير يزرعان فيها و يحصدان عند مضي أربعين يوما من زراعته، و إن التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار و أكثر، قال لي أبو عبد الله الباكوري، و كان ثقة: أبصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من أهل شتره أهدى إليه أربعة من التفاح ما يقلّ الحامل على رأسه غيرها، دور كل واحدة خمسة أشبار، و ذكر الرجل بحضرة ابن عباد أن المعتاد عندهم أقلّ من هذا، فإذا أرادوا أن يجيء بهذا العظم و هذا القدر قطعوا أصلها و أبقوا منه عشرا أو أقلّ و جعلوا تحتها دعائم من الخشب، انتهى.

و بحصن شنش على مرحلة من المريّة الثوت الكثير، و فيها الحرير و القرمز، و يعرف واديها بوادي طبرنش. و بغربي مالقة عمل سهيل، و هو عمل عظيم كثير الضياع، و فيه جبل سهيل لا يرى نجم سهيل بالأندلس إلّا منه. و من كور الأندلس الشرقية تدمير، و تسمى مصر أيضا لكثرة شهبها بها؛ لأنّ لها أرضا يسبح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة، ثم ينضب عنها، فتزرع كما تزرع أرض مصر، و صارت القصبه بعد تدمير مرسية، و تسمى البستان؛ لكثرة جنّاتها المحيطة بها، و لها نهر يصبّ في قبليتها.

و اعلم أنّ جزيرة الأندلس - أعادها الله للإسلام! - مشتملة على موسطه، و شرق، و غرب.

فالموسطه فيها من القواعد الممصرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة لها أعمال ضخام و أقطار متّسعة: قرطبه، و طليطلة، و جيّان، و

غرناطة، و المريء، و مالقة. فمن أعمال قرطبة إستجة و بلكونة و قبرة و رنده و غافق و المدور و أسطبة و بيانة و السانة و القصير و غيرها. و من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٤٣

أعمال طليطلة وادى الحجارة و قلعة رباح و طلمنكة و غيرها. و من أعمال جيان أيدة و تياسة و قسطلة و غيرها. و من أعمال غرناطة وادى آش و المنكب و لوشة و غيرها. و من أعمال المريء أندرش و غيرها. و من أعمال مالقة بلش و الحامة و غيرها. و بلش من الفواكه ما بمالقة، و بالحامة العين الحارة على ضفة واديهما.

و أما شرق الأندلس ففيه من القواعد: مرسية، و بلنسية، و دانية، و السهلة، و الثغر الأعلى. فمن أعمال مرسية أوريولة و القنت و لورقة و غير ذلك. و من أعمال بلنسية شاطبة التي يضرب بحسنها المثل و يعمل بها الورق الذي لا نظير له و جزيرة شقر و غير ذلك. و أما دانية فهي شهيرة و لها أعمال. و أما السهلة فإنها متوسطة بين بلنسية و سرقسطة و لذا عدّها بعضهم من كور الثغر الأعلى و لها مدن و حصون. و من أعمال الثغر الأعلى: سرقسطة و هي أم ذلك الثغر، و كورة لاردة، و قلعة رباح، و تسمى بالبيضاء، و كورة تطيلة، و مدينتها طرسونة، و كورة وشقة، و مدينتها تمريط، و كورة مدينه سالم، و كورة قلعة أيوب، و مدينتها بليانة، و كورة برطانية، و كورة باروشة.

و أما غرب الأندلس ففيه: إشبيلية، و ماردة، و أشبونة، و شلب. فمن أعمال إشبيلية شريش و الخضراء و لبله و غيرها. و من أعمال ماردة بطليوس و بابر و غيرها. و من أعمال أشبونة شترين و غيرها. و من أعمال شلب شنت رية و غيرها.

[الجزر البحرية بالأندلس]

و أما الجزر البحرية بالأندلس فمنها جزيرة قادس، و هي من أعمال إشبيلية، و قال ابن سعيد: إنها من كورة شريش، و لا منافاة لأن شريشا من أعمال إشبيلية كما مرّ، قال: و بيد صنم قادس مفتاح، و لما ثار بقادس ابن أخت القائد أبي عبد الله بن ميمون - و هو على بن عيسى قائد البحر بها - ظنّ أنّ تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيئا، انتهى. و هي - أعنى جزيرة قادس - فى البحر المحيط؛ و فى البحر المحيط الجزائر الخالدات السبع، و هي غربى مدينه سلا تلوح للناظر فى اليوم الصاحى الخالى الجوّ من الأبخرة الغليظة، و فيها سبعة أصنام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٤٤

على أمثال الأدميين، تشير أن لا عبور و لا مسلك وراءها. و فيه بجهة الشمال جزائر السعادات، و فيها من المدن و القرى ما لا يحصى، و منها يخرج قوم يقال لهم المجوس على دين النصارى: أولها جزيرة برطانية، و هي بوسط البحر المحيط بأقصى شمال الأندلس، و لا جبال فيها، و لا عيون، و إنما يشربون من ماء المطر، و يزرعون عليه.

قال ابن سعيد: و فيه جزيرة شلطيش، و هي آهلة و فيها مدينه، و بحرها كثير السمك، و منها يحمل مملحا إلى إشبيلية، و هي من كورة لبله مضافة إلى عمل أونبة، انتهى.

و قال بعضهم، لما أجرى ذكر قرطاجنة من بلاد الأندلس: إن الزرع فى بعض أقطارها يكتفى بمطره واحدة، و بها أقواس من الحجارة المقربصة، و فيها من التصاوير و التماثيل و أشكال الناس و صور الحيوانات ما يحير البصر و البصيرة، و من أعجب بنائها الدواميس، و هي أربعة و عشرون على صف واحد من حجارة مقربصة، طول كل داموس مائة و ثلاثون خطوة فى عرض ستين خطوة، و ارتفاع كل واحد أكثر من مائتى ذراع، بين كل داموسين أنقاب محكمة تتصل فيها المياه من بعضها إلى بعض فى العلو الشاهق بهندسة عجيبة و إحكام بديع، انتهى.

قلت: أظن هذا غلطا؛ فإن قرطاجنة التي بهذه الصفة قرطاجنة إفريقية، لا قرطاجنة الأندلس، و الله أعلم.

وقال صاحب مناهج الفكر، عندما ذكر قرطاجنة: وهى على البحر الرومى مدينة قديمة بقى منها آثار، لها فحص طوله ستة أيام و عرضه يومان معمور بالقرى، انتهى.

و ذكر قبل ذلك فى لورقة أن بناحيها يوجد حجر اللازورد. وفى البحر الشامى الخارج من المحيط جزيرتى ميورقة و منورقة، و بينهما خمسون ميلا، و جزيرة ميورقة مسافة يوم، بها مدينة حسنة، و تدخلها ساقية جارية على الدوام، و فيها يقول ابن اللبانه: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٤٥

بلد أعارته الحمامة طوقها و كساه حلّة ريشه الطاووس

فكأنما الأنهار فيه مدامه و كأنّ ساحات الديار كؤوس

و قال يخاطب ملكها ذلك الوقت: [الكامل]

و غمرت بالإحسان أرض ميورقة و بنيت ما لم يبنه الإسكندر
و جزيرة يابسة.

و استقصاء ما يتعلّق بهذا الفصل يطول، و لو تتبع لكان تأليفا مستقلا، و ما أحسن قول ابن خفاجة: [الكامل]

إنّ للجنة بالأندلس مجتلى حسن وريّا نفس

فسنا صبحتها من شنب و دجى ليلتها من لعس

و إذا ما هبت الريح صبا صحت و اشوقى إلى الأندلس

و قال بعضهم فى طليطلة: [الكامل]

زادت طليطلة على ما حدّثوا بلد عليه نضرة و نعيم

اللّه زينه فوشح خصره نهر المجزة و الغصون نجوم

[خطاب يتضمن المناظرة بين بلاد الأندلس]

ولا- حرج إن أردنا هنا ما خاطب به أديب الأندلس أبو بحر صفوان بن إدريس الأمير عبد الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن على، فإنه مناسب، و نصّه: مولاي، أمتع الله ببقائك الزمان و أبناءه، كما ضمّ على حبّك أحناءهم و أحناءه، و أوصل لك ما شئت من المنّ و الأمان، كما نظم قلائد فخرك على لثية الدهر نظم الجمان، فإنك الملك الهمام، و القمر التمام، أيامك غرر و حجول، و فرند بهائها فى صفحات الدهر يجول، ألبست الرعية برود التامين، فتنافست فيك من نفيس ثمين، و تلقّت دعوات خلدك لها باليمين، فكم للناس، من أمن بك و إيناس، و للأيام، من لوعة فيك و هيام، و للأقطار، من لبانات لديك و أوطار، و للبلاد، من قراع على تملكك لها و جلاد، يتمنون شخصك الكريم على الله و يقترحون، و يغبقون فى رياض ذكرك العاطر بمدام حبك و يصطبحون، كلّ حزب بما لدهم فرحون [الروم: ٣٠]، محبة من الله ألقاها لك حتى على الجماد، و نصرا مؤزرا تنطق به ألسنة السيوف
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٤٦

على أفواه الأغماد، و من أسر سريرة ألبسه الله رداءها، و من طوى حسن نية ختم الله له بالجميل إعادتها و إبداءها، و من قدّم صالحا فلا بد أن يوازيه، و من يفعل الخير لا- يعدم جوازيه. و لما تخصصت فيك من الأندلس الأمصار، و طال بها الوقوف على حبك و الاقتصار، كلّها يفصح قولاً، و يقول: أنا أحقّ و أولى، و يصيخ إلى إجابة دعوته و يصغى، و يتلو إذا بشر بك ذلك ما كُنّا نبتغ [الكهف: ٦٤]، تنمّرت حمص غيظا، و كادت تفيظ فيظا و قالت: ما لهم يزيدون و ينقصون، و يطمعون و يحرصون، إن يتبعون إلّا الظنّ و إن هم إلّا يخزّصون [يونس: ٦٦].

ألهم السهم الأسد، و الساعد الأشدّ، و النهر، الذى يتعاقب عليه الجزر و المدّ، أنا مصر الأندلس و النيل نهري، و سمائي التأس و

النجوم زهرى، إن تجاريتم في ذلك الشرف، فحسبى أن أفيض في ذلك الشرف، و إن تبجحتم بأشرف اللبوس، فأى إزار اشتملتموه كشتنبوس، لى ما شئت من أبنية رحاب، و روض يستغنى بنضرته عن السحاب، قد ملأت زهراتى وهادا و نجادا، و توشح سيد نهري بحدائقى نجادا، فأنا أولاكم بسيدنا الهمام و أحق، الآن حَصَّصَ الْحَقُّ [يوسف: ٥١].

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١؛ ص ١٤٦

ظرتها قرطبة شزرا، و قالت: لقد كثرت نزرا. و بذرت فى الصخر الأصم بزرا، كلام العدى ضرب من الهذيان، و أتى للإيضاح و البيان، متى استحال المستقبح مستحسنا، و من أودع أجفان المهجور و سنا، أ فَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَهُ حَسِينًا [فاطر: ٨]. يا عجباً للمراكز يقدم على الأسنه، و للأثفار تفضل على الأعنة، إن ادعيتم سبقا، فما عند الله خير و أبقى، لى البيت المطهر الشريف، و الاسم الذى ضرب عليه رواقه التعريف، فى بقيعى محل الرجال الأفاضل، فليرغم أنف المناضل، و فى جامعى مشاهد ليله القدر، فحسبى من نباهة القدر، فما لأحد أن يستأثر على بهذا السيد الأعلى، و لا أرضى له أن يوطئ غير ترابى نعلا، فأقروا لى بالأبوة، و انقادوا لى على حكم النبوة، و لا تكونوا كالتى نقصت عز لها من بعد قوه [النحل: ٩٢]، و كفوا عن تباريكم، ذلكم خير لكم عند بارئكم [البقرة: ٥٤].

فقال غرناطه: لى المعقل الذى يمتنع ساكنه من النجوم، و لا تجرى إلّا تحته جياذ الغيث السجوم، فلا يلحقنى من معاند ضرر و لا حيف، و لا يهتدى إلى خيال طارق و لا طيف، فاستسلموا قولاً و فعلاً، فقد أفلح اليوم من استعلى، لى بطاح تقلدت من جداولها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٤٧

أسلاكها، و أطلعت كواكب زهرها فعاتت أفلاكها، و مياه تسيل على أعطافى كأدمع العشاق، و برد نسيم يردد ماء المستجير بالانتشاق، فحسنى لا يطمع فيه و لا يحتال، فدعونى فكل ذات ذيل تختال، فأنا أولى بهذا السيد الأعدل، و ما لى به من عوض و لا بدل، و لم لا يعطف على عنان مجده و يثنى، و إن أنشد يوما فيأى يعنى: [الطويل]

بلاد بها عتق الشباب تمانى و أول أرض مسّ جلدى ترابها

فما لكم تعتزون لفخرى و تتمون، و تتأخرون فى ميدانى و تتقدمون، تبرءوا إلى مما تزعمون، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون [التوبة: ٤١].

فقال مالقة: أ تتركونى بينكم هملا و لم تعطونى فى سيدنا أملا، و لم ولى البحر العجاج، و السبل الفجاج، و الجنات الأثيرة، و الفواكه الكثيرة، لدى من البهجة ما تستغنى به الحمام عن الهديل، و لا تجنح الأنفس الرقاق الحواشى إلى تعويض عنه و لا تبديل، فما لى لا أعطى فى نادىكم كلاما، و لا أنشر فى جيش فخاركم أعلاما؟

فكان الأمصار نظرتها ازدراء، فلم تر لحديثها فى ميدان الذكر إجراء، لأنها موطن لا يحلى منه بطائل، و نظن البلاد تأولت فيها قول القائل: [الوافر]

إذا نطق السفية فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

فقال مرسية: أماى تتعاطون الفخر، و بحضرة الدر تنفقون الصخر؟ إن عدت المفاخر، فلى منها الأول و الآخر، أين أو شالكم من بحرى، و خرزكم من لؤلؤ نحرى، و جمعجتكم من نفثات سحرى؟ فلى الروض النصير، و المرأى الذى ما له من نظير، و رتقاتى التى سار مثلها فى الآفاق، و تبرقع وجه جمالها بعرّة الإصفاق، فمن دوحات، كم لها من بكور و روحات، و من أرجاء، إليها تمد أيدى الرجاء، فأبناى فيه فى الجنة الدنيوية مودعون، يتنعمون فيما يأخذون و يدعون، و لهم فيها ما تشتهى أنفسهم و لهم فيها ما يدعون. فانقادوا لأمرى، و حاذروا اصطلاء جمرى، و خلّوا بينى و بين سيدنا أبى زيد، و إلّا ضربتكم ضرب زيد، فأنا أولاكم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم، و ما يلقاها إلّا الذين صبروا و ما يلقاها إلّا ذو حظ عظيم [فصلت: ٣٥].

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٤٨

فقال بلنسية: فيم الجدل و القراع؟ و علام الاستهام و الاقتراع؟ و إلام التعريض و التصريح؟ و تحت الرغوة اللبن الصريح، أنا أحوزه

من دونكم، فأحمدوا نارى تحرككم وهدوئكم، فلى المحاسن الشامخة الأعلام، و الجنات التى تلقى إليها الآفاق يد الاستسلام، و برصافتى و جسرى أعارض مدينة السلام، فأجمعوا على الانقياد لى و السلام، و إلّا فعصّوا بنا، و اقرعوا أسنانا، فأنا حيث لا تدركون و أنى، و مولانا لا يهلكنا بما فعل السفهاء منا.

فعد ذلك ارتمت جمره تدمير بالشّرار، و اشتدت أسهمها لنحور الشّرار، و قالت: عش رجا، ترعجا، أبعده العصيان و العقوق، تتهيان لرتب ذوى الحقوق؟ هذه سماء الفخر فمن ضمّنك أن تعرجى، ليس بعشك فادرجى، لك الوصب و الخبل، آلآن و قد عصيت [يونس: ٩١].

أيتها الصانعة الفاعلة، من أدراك أن تضربى و ما أنت فاعلة؟ ما الذى يجديك الروض و الزهر؟ أم ما يفيدك الجدول و النهر؟ و هل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟ هل أنت إلّا محطّ رحل النفاق، و منزل ما لسوق الخصب فيه من نفاق؟ ذراك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع، و قراك لا يسمن و لا يغنى من جوع، فالام تبرز الإمام فى منصبة العقائل؟ و لكن اذكرى قول القائل: [الطويل]

بلنسية بينى عن القلب سلوة فإنك روض لا أحزّ لزهرك

و كيف يحبّ المرء دارا تقسمت على صارمى جوع و فتنة مشرك؟

بيد أنى أسأل الله تعالى أن يوقد من توفيقك ما خمد، و يسهل من تسديدك ما جمد، و لا يطيل عليك فى الجهالة الأمد، و إياه سبحانه نسأل أن يردّ سيدنا و مولانا إلى أفضل عوائده، و يجعل مصائب أعدائه من فوائده، و يمكن حسامه من رقاب المشغيين، و يقيه وجيها فى الدنيا و الآخرة و من المقرّبين، و يصل له تأييدا و تأييدا، و يمهد له الأيام حتى تكون الأحرار لعبيده عبيدا، و يمدّ على الدنيا سعده، و يهبه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده: [البيسط]

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

ثم السلام الذى يتأقّ عبقا و نشرا، و يتألق رونقا و بشرا، على حضرتهم العلية، و مطالع أنوارهم السنية الجليلة، و رحمة الله تعالى و بركاته، انتهى.

و لما ألم الرحالة ابن بطوطة فى رحلته بدخوله بلاد الأندلس - أعادها الله تعالى للإسلام! - قال: فوصلت إلى بلاد الأندلس - حرسها الله تعالى! - حيث الأجر موفور

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٤٩

للساكن، و الثواب مذخور للمقيم و الطاعن، إلى أن قال عند ذكره غرناطة ما نصّه: قاعدة بلاد الأندلس، و عروس مدنها، و خارجها لا نظير له فى الدنيا، و هو مسيرة أربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور، و سواه من الأنهار الكثيرة، و البساتين الجليلة، و الجنات و الرياضات و القصور، و الكروم محدقة بها من كل جهة، و من عجيب مواضعها عين الدمع، و هو جبل فيه الرياضات و البساتين، لا مثل له بسواها، انتهى.

[عود إلى ذكر غرناطة]

و قال الشقندى: غرناطة دمشق بلاد الأندلس، و مسرح الأبصار، و مطمح الأنفس، و لم تخل من أشرف أمثال، و علماء أكابر، و شعراء أفاضل، و لو لم يكن بها إلّا ما خصّ بها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر كنزهون القلعية و الركونية و غيرهما، و ناهيك بهما فى الظرف و الأدب، انتهى.

و لبعضهم يتشوق إلى غرناطة فيما ذكره بعض المؤرخين، و الصواب أن الأبيات قيلت فى قرطبة كما مرّ، و الله أعلم. [الطويل]

أغرناطة الغراء هل لى أوبة إليك؟ و هل يدنو لنا ذلك العهد؟

سقى الجانب الغربي منك غمامة وقعقع في ساحات روضتك الرعد؟

لياليك أسحار، و أرضك جنّة، و تربك في استنشاقها عنبر ورد

و قال ابن مالك الرعيني: [الطويل]

رعى الله بالحمراء عيشا قطعته ذهب به للأنس، و الليل قد ذهب

ترى الأرض منها فضة فإذا اكتست بشمس الضحى عادت سيكتها ذهب

و هو القائل: [الرمل]

لا تظنوا أنّ شوقي خمدا بعدكم أو أنّ دمعى جمدا

كيف أسلو عن أناس مثلهم قلّ أن تبصر عيني أحدا

و غرناطة من أحسن بلاد الأندلس، و تسمى بدمشق الأندلس؛ لأنها أشبه شيء بها، و يشقها نهر حدره، و يطل عليها الجبل المسمى

بشليز الذي لا يزول الثلج عنه شتاء و صيفا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٥٠

و يجمد عليه حتى يصير كالحجر الصلد، و في أعلاه الأزاهر الكثيرة، و أجناس الأفايه الرفيعة، و نزل بها أهل دمشق لما جاؤوا إلى

الأندلس لأجل الشبه المذكور، و قرى غرناطة- فيما ذكر بعض المتأخرين- مائتان و سبعون قرية.

[ابن جزى يصف غرناطة]

و قال ابن جزى مرتب رحلة ابن بطوطة، بعد ذكر كلامه، ما نصّه: قال ابن جزى:

لو لا خشية أن أنسب إلى العصبية لأطلت القول في وصف غرناطة، فقد وجدت مكانه، و لكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لإطالة

القول فيه. و الله درّ شيخنا أبي بكر بن محمد بن شيرين السبتى نزيل غرناطة حيث يقول: [الطويل]

رعى الله من غرناطة متبواً يسرّ حزينا أو يجير طريدا

تبرّم منها صاحبي عندما رأى مسارحها بالثلج عدن جليدا

هي الثغر صان الله من أهلت به و ما خير ثغر لا يكون برودا؟

[وصف قرية نارجه]

و قال ابن سعيد عندما أجرى ذكر قرية نارجه- و هي قرية كبيرة تضاهاى المدن، قد أحذقت بها البساتين، و لها نهر يفتن الناظرين، و

هي من أعمال مالقة-: إنه اجتاز مرة عليها مع والده أبي عمران موسى، و كان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم، و قد ضربوا في بطن

الوادى بين مقطعاته خيما، و بعضهم يغنى و يطرب، و سألوا: بم يعرف ذلك الموضع؟ فقالوا:

الطراز، فقال والدى: اسم طابق مسماه، و لفظ وافق معناه: [البسيط]

و قد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لسانا قائلا فقل

ثم قال أجز: [الطويل]

بنارجه حيث الطراز المنمنم

فقلت:

أقم فوق نهر ثغره يتبسّم

فقال:

و سمعك نحو الهاتفات فإنها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٥١

فقلت:

لما أبصرت من بهجة تترتم

فقال:

أيا جنة الفردوس لست بآدم

فقلت:

فلا يك حظي من جناك التندم

فقال:

يعز علينا أن نزورك مثل ما

فقلت:

يزول خيال من سليمي مسلم

فقال:

فلو أنني أعطى الخيار لما عدت

فقلت:

محلّك لى عين بمرآك تنعم

فقال:

بحيث الصبا و الطل من نفثاتها

فقلت:

وقت لسع روض فيه للنهر أرقم

فقال:

فوا أسفى إن لم تكن لى عودة

فقلت:

فكن مالكا إنى عليك متمم

فقال:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٥٢

فأحسب هذا آخر العهد بيننا

فقلت:

وقد يلحظ الرحمن شوقى فيرحم

فقال:

سلام سلام لا يزال مرددا

فقلت:

عليك و لا زالت بك الشحب تسجم

[وصف بلنسية]

وقال ابن سعيد: إن كورة بلنسية من شرق الأندلس يبت بها الزعفران، و تعرف بمدينة التراب، و بها كمثرى تسمى الأرزة في قدر حبة العنب، قد جمع مع حلاوة الطعم ذكاء الرائحة، إذا دخل دارا عرف بريحه، و يقال: إن ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس، و بها منارة و مسارج، و من أبداعها و أشهرها الرصافة و منية ابن أبي عامر.

وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الغرناطى من أبيات فيها: [الوافر]

هى الفردوس فى الدنيا جمالا لساكنها و كارها البعوض

وقال بعضهم فيها: [المجتث]

ضاقت بلنسية بى و ذاد عنى غموضى

رقص البراغيث فيها على غناء البعوض

و فيها لابن الزقاق البلنسى: [الوافر]

بلنسية- إذا فكّرت فيها و فى آياتها- أسنى البلاد

و أعظم شاهدى منها عليها و أن جمالها للعين بادي

كساها ربّها ديباج حسن لها علما من بحر و وادى

وقال ابن سعيد أيضا: أنشدنى والدى قال: أنشدنى مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بمراكش قوله: [المتقارب]

كأن بلنسية كاعب و ملبسها سندس أخضر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٥٣

إذا جنتها سترت نفسها بأكامها فهى لا تظهر

و أما قول أبى عبد الله بن عياش «بلنسية بينى - البيتين» و قد سبقا، فقال ابن سعيد: إن ذلك حيث صارت ثغرا يصاحبها العدو و يماسيها، انتهى.

وقال أبو الحسن بن حريق يجاوب ابن عياش: [الكامل]

بلنسية قرارة كلّ حسن حديث صحّ فى شرق و غرب

فإن قالوا: محلّ غلاء سعر و مسقط ديمتى طعن و ضرب

فقل هى جنة حفّت رباها بمكروهين من جوع و حرب

وقال الرصافى فى رصافتها: [المتقارب]

و لا كالرصافة من منزل سقته السحائب صوب الولي

أحنّ إليها و من لى بها و أين السرى من الموصلى

وقال ابن سعيد: و برصافة بلنسية مناظر و بساتين و مياه، و لا نعلم فى الأندلس ما يسمى بهذا الاسم إلا هذه و رصافة قرطبة، انتهى.

[بعض أعمال بلنسية و بعض متفرجات إشبيلية]

و من أعمال بلنسية قرية المنصف التى منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفى و قبره كان بسبته يزار، رحمه الله تعالى! و من نظمه:

[السريع]

قالت لى النفس أتاك الردى و أنت فى بحر الخطايا مقيم
فما اذخرت الزاد، قلت: اقصرى هل يحمل الزاد لدار الكريم
و من عمل بلنسية قرية بطرنة، و هى التى كانت فيها الوقعة المشهورة للنصارى على المسلمين، و فيها يقول أبو إسحاق بن يعلى
الطرسونى: [الطويل]

لبسوا الحديد إلى الوغى و لبستم حلل الحرير عليكم ألوانا

ما كان أقبحهم و أحسنكم بها لو لم يكن ببطرنة ما كانا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٥٤

و من عمل بلنسية ميطه التى نسب إليها جماعة من العلماء و الأدباء.

و من عمل بلنسية مدينة أندة التى فى جبلها معدن الحديد، و أما رندة- بالراء- فهى فى متوسط الأندلس، و لها حصن يعرف بأندة
أيضا.

و فى إشبيلية- أعادها الله!- من المتفرجات و المتزهات كثير، و من ذلك مدينة طريانه، فإنها من مدن إشبيلية و متزهاتها، و كذلك
تيطل، فقد ذكر ابن سعيد جزيرة تيطل فى المتفرجات.

[موسى بن سعيد يعتذر عن مفارقة الأندلس]

و قال أبو عمران موسى بن سعيد فى جوابه لأبى يحيى صاحب سبته لما استوزره مستنصر بنى عبد المؤمن، و كتب إلى المذكور يرغبه
فى النقلة عن الأندلس إلى مراكش، ما نصّ محلّ الحاجة منه: و أما ما ذكر سيدى من التخيير بين ترك الأندلس و بين الوصول إلى
حضرة مراكش، فكفى الفهم العالى من الإشارة قول القائل: [الكامل]

و العزّ محمود و ملتمس و ألدّه ما كان فى الوطن

فإذا نلت بك السماء فى تلك الحضرة، فعلى من أسود فيها؟ و من ذا أضاهاى بها؟:

[الرمل]

لا رقت بى همّة إن لم أكن فيك قد أمّلت كلّ الأمل

و بعد هذا، فكيف أفارق الأندلس و قد علم سيدى أنها جنة الدنيا بما جباها الله به من اعتدال الهواء، و عذوبة الماء، و كثافة الأفياء، و
أن الإنسان لا يبرح فيها بين قرّة عين و قرار نفس: [الطويل]

هى الأرض لا ورد لديها مكدر و لا ظلّ مقصور و لا روض مجذب

أفق صقيل، و بساط مدبّج، و ماء سائح، و طائر مترنم بليل، و كيف يعدل الأديب عن أرض على هذه الصفة؟ فيا سموأل الوفاء، و يا
حاتم السماح، و يا جذيمة الصفاء،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٥٥

كتمل لمن أمّلك النعمة بتركه فى موطنه، غير مكدر لخطره بالتحرك من معدنه، متلفتا إلى قول القائل: [البسيط]

و سؤلت لى نفسى أن أفارقها و الماء فى المزن أصفى منه فى الغدر

فإن أغناه اهتمام مؤمله عن ارتياد المراد، و بلغه دون أن يشدّ قنبا و لا أن ينضى عيسا غاية المراد، أنشد ناجح المرغوب، بالغ المطلوب:

[الطويل]

و ليس الذى يتبع الوبل رائدا كمن جاءه فى داره رائد الوبل

و ربّ قائل إذا سمع هذا التبسيط على الأمانى: ما له تشطط، و عدل عن سبيل التأدب و تبسط؟ و لا جواب عندي إلّا قول القائل:
[البسيط]

فهذه خطّة ما زلت أرقبها فاليوم أبسط آمالي و أحتكم
و ما لى لا أنشد ما قاله المتنبي فى سيف الدولة: [المتقارب]
و من كنت بحرا له يا على لم يقبل الدرّ إلّا كبارا
انتهى المقصود منه.

[وصف شريش و شلب و كورة اشكونية]

و قال الحجارى: إن مدينة شريش بنت إشبيلية، و واديهما ابن واديهما، ما أشبه سعدى بسعيد، و هى مدينة جليّة ضخمة الأسواق، لأهلها همم، و ظرف فى اللباس، و إظهار الرفاهية، و تخلّق بالأدب، و لا تكاد ترى بها إلّا عاشقا أو معشوقا، و لها من الفواكه ما يعمّ و يفضل، و ممّا اختصّت به إحسان الصنعة فى المجنّبات، و طيب جنبها يعين على ذلك، و يقول أهل الأندلس: من دخل شريش و لم يأكل بها المجنّبات فهو محروم، انتهى.

و المجنّبات: نوع من القطائف يضاف إليها الجبن فى عجينها، و تولى بالزيت الطيب.

و فى شلب يقول الفاضل الكاتب أبو عمرو بن مالك بن سبدمير: [الخفيف]

أشجاك النسيم حين يهبّ أم سنى البرق إذ يخبّ و يخبو
أم هتوف على الأراكة تشدو أم هتون من الغمامة سكب
كلّ هذاك للصبابة داع أى صبّ دموعه لا تصبّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٥٦

أنا لو لا النسيم و البرق و الورق و صوب الغمام ما كنت أصبو

ذكرتنى شلبا، و هيهات منى بعدما استحکم التباعد، شلب

و تسمى أعمال شلب كورة أشكونية، و هى متصلة بكورة أشبونة، و هى - أعنى أشكبونة - قاعدة جليّة، لها مدن و معاقل، و دار ملكها قاعدة شلب، و بينها و بين قرطبة سبعة أيام، و لما صارت لبنى عبد المؤمن ملوك مراكش أضافوها إلى كورة إشبيلية، و تفتخر شلب بكون ذى الوزارتين ابن عمّار منها، سامحه الله!

و منها القائد أبو مروان عبد الملك بن بدران، و ربما قيل «ابن بدران» الأديب المشهور، شارح قصيدة ابن عبدون التى أولها: [البسيط]

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح و الصّور

و هذا الشرح شهير بهذه البلاد المشرقية، و من نظم ابن بدران المذكور قوله: [البسيط]

العشق لذّته التّعنيق و القبل كما منغّصه التثريب و العذل

يا ليت شعرى هل يقضى وصالكم لو لا المنى لم يكن ذا العمر يتّصل

و منها نحوى زمانه و علامته أبو محمد عبد الله بن السّيد البطليوسى، فإنّ شلبا بيضته، و منها كانت حرّته و نهضته، كما فى الذخيرة،

و هو القائل: [المتقارب]

إذا سألوني عن حالتى و حاولت عذرا فلم يمكن

أقول: بخير، و لكنّه كلام يدور على الألسن

و ربّك يعلم ما فى الصّدر و يعلم خائنة الأعين

[في بطليوس و شاطبة]

وقال الوزير أبو عمرو بن الغلاس يمدح بطليوس بقوله: [الطويل]
 بطليوس لا أنساك ما أتصل البعد فلله غور في جنابك أو نجد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٥٧
 ولله دوحات تحفك يتعا تفجر واديها كما شقق البرد
 و بنو الغلاس من أعيان حضرة بطليوس، و أبو عمرو المذكور أشهرهم، و هو من رجال الذخيرة و المسهب، رحمه الله تعالى!
 و في شاطبة يقول بعضهم: [المديد]
 نعم ملقى الرّحل شاطبة لفتى طالت به الرّحل
 بلدة أوقاتنا سحر و صبا في ذيله بلل
 و نسيم عرفه أرج و رياض غصنها ثمل
 و وجوه كلّها غرر و كلام كلّه مثل
 و في برجة يقول بعضهم: [المتقارب]
 إذا جئت برجة مستوفرا فخذ في المقام و خلّ السّفر
 فكلّ مكان بها جنّة و كلّ طريق إليها سقر

[كتاب لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه في تفضيل الجهاد]

و اعلم أنه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد لكان كافياً، و يرحم الله لسان الدين بن الخطيب حيث كتب على لسان سلطانه إلى بعض العلماء العاملين ما فيه إشارة إلى بعض ذلك، ما نصّه: من أمير المسلمين فلان، إلى الشيخ كذا ابن الشيخ كذا، وصل الله له سعادة تجذبه، و عناية إليه تقربه، و قبولاً منه يدعوه إلى خير ما عند الله و يندبه! سلام كريم عليكم و رحمة الله و بركاته، أما بعد حمد الله المرشد المثيب، السميع المجيب، معوّد اللطف الخفى و الصنع العجيب، المتكفل بإنجاز وعد النصر العزيز و الفتح القريب، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله ذى القدر الرفيع و العزّ المنيع و الجناب الرحيب، الذى به نرجو ظهور عبدة الله على عبدة الصليب، و نستظهر منه على العدوّ بالحبيب، و نعدّه عدّتنا لليوم العصيب، و الرضا عن آله و صحبه الذين فازوا من مشاهدته بأوفى النصيب، و رموا إلى هدف مرضاته بالسهم المصيب، فإننا كتبناهم إليكم - كتب الله تعالى لكم عملاً صالحاً يختم الجهاد صحائف برّه، و تتمخض لأن تكون كلمة الله هى العليا جوامع أمره! و جعلكم ممن تهنى فى الأرض التى فيها أبواب الجنّة مدة عمره! - من حمراء غرناطة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٥٨

- حرسها الله تعالى! - و لطف الله هامى السحاب، و صنعه رائق الجناب، و الله يصل لنا و لكم ما عودّه من صلّة لطفه عند انبئات الأسباب، و إلى هذا أيها المولى الذى هو بركة المغرب المشار إليه بالبنان، و واحده فى رفعة الشأن، المؤثر ما عند الله على الزخرف الفتيان، المتقلل من المتاع الفان، المستشرف إلى مقام العرفان، من درج الإسلام و الإيمان و الإحسان، فإننا لما نؤثره من بركم الذى نعدّه من الأمر الأكيد، و نضمه من وذكّم الذى نحلّه محلّ الكثر العتيد، و نلتمسه من دعائكم التماس العدة و العديد، لا نزال نسأل عن أحوالكم التى ترقّت فى أطوار السعادة، و وصلت جناب الحقّ بهجر العادة، و ألقّت إلى يد التسليم لله و التوكّل عليه بالمقادة،

ففسر بما هَيَّأَ اللهُ تعالى لكم من القبول، وبلغكم من المأمول، و أَلْهَمَكُمْ من الكلف بالقرب إليه و الوصول، و الفوز بما لديه و الحصول. و عندما رَدَّ اللهُ علينا ملكنا الرَدَّ الجميل، و أنالنا فضله الجزيل، و كان لعتارنا المقييل، خاطبناكم بذلك لمكانكم من و دادنا، و محلِّكم من حسن اعتقادنا، و وَّجَّهنا إلى وجهه دعائكم وجه اعتقادنا، و اللهُ ينفَعنا بجميل الظنِّ في دينكم المتين، و فضلكم المبين، و يجمع الشَّمْل بكم في الجهاد عن الدين. و تعرَّفنا الآن بمن له بأبائكم اعتناء، و على جلالكم حمد و ثناء، و لجناب و دِّكم اعتزاء و انتماء، بتجاول عزمكم بين حجِّ مبرور ترغبون من أجره في ازدياد، و تجددون العهد منه بأليف اعتياد، و بين رباط في سبيل الله و جهاد، و توثير مهاد بين ربا أثيره عند الله و وهاد، يحشر يوم القيامة شهداؤها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين، فرحين بما آتاهم الله من فضله، و الله أصدق القائلين الصادقين، حيث لا غارة لغير عدوِّ الإسلام تتقى، إلا لا بتغاء ما لدى الله ترتقى، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها، و حور الجنان قد زينت أترابها، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح، و فازوا بجزيل المنح، و خلدوا الآثار، و أرغموا الكفار، و أقالوا العتار، و أخذوا الثار، و أمنوا من لفتح جهنم بما علا على وجوههم من ذلك الغبار، فكتبنا إليكم هذا نقوى بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين، و نهب بكم إلى إحدى الحسينين، و الصبح غير خاف على ذى عينين، و الفضل ظاهر لإحدى المنزلتين، فإنكم إن حججتم أهدتم فرضا أدبتموه، و فضلا ارتديتموه، فائدته عليكم مقصورة، و قضيته فيكم محصورة، و إذا أقمتم الجهاد جلبتم إلى حسناتكم عملا- غريبا، و استأنفتم سعيًا من الله قريبا، و تعدت المنفعة إلى ألوف من النفوس، المستشعرة لباس البوس، و لو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأطبنا، و أعنته الاستدلال أرسلنا، هذا لو قدمتم على هذا الوطن و فضلكم غفل من الاشتهار، و من به لا يوجب لكم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٥٩

ترفع المقدار، فكيف و فضلكم أشهر من محيا النهار؟ و لقاؤكم أشهى الآمال و أثر الأوطار، فإن قوى عزمكم و الله يقويه، و يعيننا من بركم على ما نويه، فالبلاد بلادكم، و ما فيها طريفكم و تلاحكم، و كهولها إخوانكم، و أحداثها أولادكم، و نرجو أن تجدوا لذكركم الله في رباها حلاوة زائدة، و لا تعدموا من روح الله فيها فائدة، و تتكيف نفسكم فيها تكيفات تقصر عنها خلوات السلوك، إلى ملك الملوك، حتى تغتبطوا بفضل الله الذى يوليكم، و تروا أثر رحمته فيكم، و تخلفوا فخر هذا الانقطاع إلى الله فى قبيلكم و بنيكم، و تختموا العمر الطيب بالجهاد الذى يعليكم، و من الله تعالى يدينكم، فبنيكم العربى صلوات الله عليه و سلامه نبى الرحمة و الملاحم، و معمل الصوارم، و بجهاد الفرنج ختم عمل جهاده و الأعمال بالخواتم، هذا على بعد بلادهم من بلاده، و أنتم أحق الناس باقتفاء جهاده، و الاستباق إلى آماده، هذا ما عندنا حثناكم عليه، و ندبناكم إليه، و أنتم فى إيتار هذا الجوار، و مقارضة ما عندنا بقدمكم على بلادنا من الاستبشار، بحسب ما يخلق عنكم من بيده مقادة الاختيار، و تصريف الليل و النهار، و تقليب القلوب و إجاله الأفكار، و إذا تعارضت الحظوظ فما عند الله خير للأبرار، و الدار الآخرة دار القرار، و خير الأعمال عمل أوصل إلى الجنة و باعد من النار، و لتعلموا أن نفوس أهل الكشف و الأطلاع، بهذه الأرجاء و الأصقاع، قد اتفقت أخبارها، و اتحدت أسرارها، على البشارة بفتح قرب أوانه، و أظل زمانه، فزجو الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه، و يكرم فيه مسعاه، و يسلف فيه العمل الذى يشكره الله و يرعاه، و السلام الكريم يخصكم و رحمة الله و بركاته، انتهى.

[ابن تاشفين يصف الأندلس و يشبهها بالعقاب]

و لما دخل الأندلس أمير المسلمين على بن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني ملك المغرب و الأندلس، و أمعن النظر فيها، و تأمل وصفها و حالها، قال: إنها تشبه عقابا مخالبه طليطلة، و صدره قلعة رباح، و رأسه جيان، و منقاره غرناطة، و جناحه الأيمن باسط إلى المغرب، و جناحه الأيسر باسط إلى المشرق، فى خبر طويل لم يحضرنى الآن، إذ تركته مع كتبى بالمغرب، جمعنى الله بها على أحسن الأحوال!.

و مع كون أهل الأندلس سبّاق حلبة الجهاد، مهطعين إلى داعيه من الجبال و الوهاد، فكان لهم فى الترف و النعيم و المجون و مداراة الشعراء خوف الهجاء محلّ و ثير المهاد، و سيأتى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٦٠
فى الباب السابع من هذا القسم من ذلك و غيره ما يشفى و يكفى،

[أبو بكر المخزومى الهجاء و الوزير أبو بكر بن سعيد]

و لكن سنح لى أن أذكر هنا حكاية أبى بكر المخزومى الهجاء المشهور الذى قال فيه لسان الدين بن الخطيب فى الإحاطة: إنه كان أعمى شديد الشّرّ، معروفًا بالهجاء، مسلّطًا على الأعراض، سريع الجواب، ذكّى الذهن، فطنا للمعاريض، سابقًا فى ميدان الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره.

و الحكاية هى ما حكاها أبو الحسن بن سعيد فى الطالع السعيد، إذ قال حكاية عن أبيه فيما أظن: قدم المذكور- يعنى المخزومى - على غرناطة أيام ولاية أبى بكر بن سعيد، و نزل قريبا منى، و كنت أسمع به بنار صاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده، ثم رأيت أن أبدأه بالتأنيس و الإحسان، فاستدعيته بهذه الأبيات: [المجتث]

يا ثانيا للمعزى فى حسن نظم و نثر
و فرط ظرف و نبل و غوص فهم و فكر
صل ثم واصل حقيًا بكلّ برّ و شكر
و ليس إلّا حديث كما زها عقد درّ
و شادن يتغنى على رباب و زمر
و ما يسامح فيه ال غفور من كأس خمر
و بيننا عهد حلف لياسر حلف كفر
نعم فجده عهدا بطيب شكر و يسر
و الكأس مثل رضاع و من كمثلك يدرى

و وجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبدا صغيرا قاده، فلما استقرّ به المجلس، و أفعمته روائح النّدّ و العود و الأزهار، و هزّت عطفه الأوتار، قال: [البسيط]

دار السّعيدى ذى أم دار رضوان ما تشتهى النّفس فيها حاضر داني
سقت أباريقها للنّدّ سحب ندى تحدى برعد لأوتار و عيدان
و البرق من كلّ دنّ ساكب مطرا يحيى به ميت أفكار و أشجان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٦١
هذا النّعيم الذى كنّا نحدّثه و لا سبيل له إلّا بأذان

[أبو بكر المخزومى و الشاعرة نزهون الغرناطية]

فقال له أبو بكر بن سعيد: و إلى الآن لا سبيل له إلّا بأذان؟ فقال: حتى يبعث الله ولد زنى كلما أنشدت هذه الأبيات قال: إنها لأعمى، فقال: أمّا أنا، فلا أنطق بحرف، فقال:

من صمت نجا. و كانت نزهون بنت القلاعى حاضرة فقالت: و تراك يا أستاذ، قديم النعمة بمجمر نذ و غناء و شراب، فتعجب من تأتیه و تشبهه بنعيم الجنة، و تقول: ما كان يعلم إلّا بالسماع، و لا يبلغ إليه بالعيان؟ و لكن من يجيء من حصن المدور، و ينشأ بين تيوس و بقر، من أين له معرفة بمجالس النعيم؟ فلما استوفت كلامها تنحج الأعمى، فقالت له: ذبحه، فقال:

من هذه الفاضلة؟ فقالت: عجوز مقام أمك، فقال: كذبت، ما هذا صوت عجوز، إنما هذه نعمة قحبه محترقه تشم روائح منها على فراسخ، فقال له أبو بكر: يا أستاذ، هذه نزهون بنت القلاعى الشاعرة الأديبة، فقال: سمعت بها، لا أسمعها الله خيرا! و لا أراها إلّا أيرا! فقالت له: يا شيخ سوء تناقضت، و أى خير للمرأة مثل ما ذكرت؟ ففكر ساعة ثم قال: [الطويل]

على وجه نزهون من الحسن مسحة و إن كان قد أمسى من الضوء عاريا

قواصد نزهون توارك غيرها و من قصد البحر استقل السواقيا

فأعملت فكرها ثم قالت: [المجتث]

قل للوضع مقالا يتلى إلى حين يحشر

من المدور أنشئت و الخرا منه أطر

حيث البداوة أمست فى مشيها تتبختر

لذاك أمسيت صبا بكل شىء مدور

خلقت أعمى و لكن تهيم فى كل أعور

جازيت شعرا بشعر فقل لعمرى من اشعر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٦٢

إن كنت فى الخلق أنثى فإن شعرى مذكر

فقال لها اسمعى: [المتقارب]

ألا قل لنزهونة ما لها تجر من التيه أذيالها

و لو أبصرت فيشئ شممت - كما عودتنى - سربالها

فحلف أبو بكر بن سعيد أن لا يزيد أحدهما على الآخر فى هجو كلمه، فقال المخزومى: أكون هجاء الأندلس و أكف عنها دون شىء؟ فقال: أنا أشتري منك عرضها فاطلب، فقال: بالعبد الذى أرسلته فقادنى إلى منزلك، فإنه لئن اليد رقيق المشى، فقال أبو بكر:

لو لا- كونه صغيرا كنت أبلغك به مرادك، و أهبه لك، ففهم قصده و قال: أصبر عليه حتى يكبر، و لو كان كبيرا ما آثرتنى به على

نفسك، فضحك أبو بكر، و قال: إن لم تهج نظما هجوت نثرا، فقال: أيها الوزير، لا تبديل لخلق الله. و انفصل المخزومى بالعبد بعد

ما أصلح الوزير بينه و بين نزهون، انتهى.

و فى كتاب «الدر المنضد، فى وفيات أعيان أمه محمد» تأليف الإمام صارم الدين إبراهيم بن دقماق، قال أبو القاسم بن خلف: كان-

يعنى المخزومى المذكور- حيا بعد الأربعين و خمسمائة، انتهى.

[عبد الوهاب بن الحسين الحاجب المغنى الشاعر]

و نقلت من كتاب «قطب السرور» لابن الرقيق المغربى، ما ملخصه: و ممن أدركته و عاشرتة عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب،

و ذكرته هنا؛ لأنه ملحق بالأمرء المتقدمين غير خارج منهم و لا مقصير عنهم، بل كان واحد عصره فى الغناء الرائق، و الأدب الرائع، و

الشعر الرقيق، و اللفظ الأنيق، و رقة الطبع، و إصابة النادر، و التشبيه المصيب، و البديهة التى لا يلحق فيها، مع شرف النفس، و علو

الهمة، و كان قد قطع عمره، و أفنى دهره، فى اللهو و اللعب، و الفكاهة و الطرب، و كان أعلم الناس بضرب العود، و اختلاف طرائقه،

وصنعة اللحن، و كثيرا ما يقول المعاني اللطيفة في الأبيات الحسنة، و يصوغ عليها الألحان المطربة البديعة المعجبة، اختراعا منه و حذقا، و كانت له في ذلك قريحة و طبع، و كان إذا لم يزره أحد من إخوانه أحضر مائدته و شرابه عشرة من أهل بيته، منهم ولده و عبد الله ابن أخيه و بعض غلمانه، و كلهم يغنى فيجيد، فلا يزالون يغنون بين يديه حتى يطرب، فيدعو بالعود و يغنى لنفسه و لهم، و كان بشارة الزامر الذي يزمر عليه من حذاق زمرة المشرق، و كان بعيد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٦٣

الهيئة سمحا بما يجد، تغلّ عليه ضياعه كلّ عام أموالا جليئة، فلا تحول السنة حتى ينفد جميع ذلك و يستسلف غيره، فكان لا يطرأ من المشرق مغنّ إلا سأل من يقصد بهذا الشأن، فيدلّ عليه، فمن وصله منهم استقبله بصنوف البرّ و الإكرام، و كساه و خلطه بنفسه و لم يدعه إلى أحد من الناس، فلا يزال معه في صبوح و غبوق، و هو مجدّد له كل يوم كرامة، حتى يأخذ جميع ما معه من صوت مطرب أو حكاية نادرة.

و جلس يوما و قد زاره رجلان من إخوانه، و حضر أقرباؤه، فطعموا و شربوا و أخذوا في الغناء، فارتجّ المجلس، إذ دخل عليه بعض غلمانه فقال: بالباب رجل غريب عليه ثياب السفر، ذكر أنّه ضيف، فأمر بإدخاله، فإذا رجل أسمر سناط، رثّ الهيئة، فسلم عليه، قال: أين بلد الرجل؟ قال: البصرة، فرحّب به، و أمره بالجلوس، فجلس مع الغلمان في صفّة، و أتى بطعام فأكل و سقى أقداحا، و دار الغناء في المجلس، حتى انتهى إلى آخرهم، فلما سكتوا اندفع يغنى بصوت ندىّ و طبع حسن: [الهجج]

ألا يا دار ما الهجر لسكانك من شاني

سقيت الغيث من دار و إن هيجت أشجاني

و لو شئت لما استسقى ت غيثا غير أجفاني

بنفسي حلّ أهلوك و إن بانوا بسلواني

و ما الدهر بمأمون على تشيت خلّاني

فطرب عبد الوهاب و صاح، و تبيّن الحذق في إشارته، و الطيب في طبعه، و قال: يا غلام، خذ بيده إلى الحمام، و عجل علىّ به، فأدخل الحمام، و نظف، ثم دعا عبد الوهاب بخلعة من ثيابه فألقيت عليه، و رفعه فأجلسه عن يساره، و أقبل عليه و بسطه، فغنى له: [مخلع البسيط]

قومي امزجى التبر باللجين و احتملى الرطل باليدين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٦٤

و اغتنمى غفلة الليالي فرّما أيقظت لحين

فقد لعمري أقرّ منا هلال شوّال كلّ عين

ذات الخلاخيل أبصرته كنصف خلخالها اللجين

فطرب و شرب، و استزاده، فعنّاه: [الكامل]

من لى على رغم الحسود بقهوة بكر ربيبة حانّة عذراء

موج من الذهب المذاب تضمّه كأس كقشر الدرّة البيضاء

و النجم في أفق السماء كأنه عين تخالس غفلة الرّقباء

فشرب عبد الوهاب ثم قال: زدني، فعنّاه: [الطويل]

و أنت الذي أشرقت عيني بمائها و علّمتها بالهجر أن تهجر الغمضا

و أغرقتها بالدّم حتى جفونها لينكر من فقد الكرى بعضها بعضا

فمرّ يوم من أحسن الأيام وأطيبها، ووصله وأحسن إليه، و لم يزل عنده مقرباً مكرّماً، و كان خليعاً ماجناً مشتتاً بالنيبذ، فخلّاه و ما أحبّ، ثمّ وصف له الأندلس و طيبها، و كثرة خمورها، فمضى إليها و مات بها، و على نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ من المشرق، و لو ذكرتهم لطلال بهم الكتاب، انتهى.

و غرضي من إيراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للمشرقى الأندلس و طيبها، و ذلك أمر لا يشكّ فيه و لا يرتاب، و الله المسؤول في حسن المتاب.

و رأيت في بعض كتب تاريخ الأندلس في ترجمة السلطان باديس الصنهاجى صاحب غرناطة، ما نصّه: و هو الذى أكمل ترتيب قصبة مالقة، و كان أفرس الناس، و أنبلهم، ذا مروءة و نجدة، و قصره بغرناطة ليس ببلاد الإسلام و الكفر مثله، فيما قيل، انتهى. و هذا القصر هو الذى عناه لسان الدين بن الخطيب في قصيدته السينية المذكورة في الباب الخامس من القسم الثانى من هذا الكتاب فلترجع ثمّة.

[بعض عجائب سرقسطة]

و ذكر غير واحد من المحدّثين و المؤرّخين أن مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبان من قبل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٦٥

نفسه، و إذا أدخله أحد لم يتحرّك، و نظير هذا المعنى في بعض الحيوانات بالنسبة إلى بعض البلاد كثير، و ذلك برصد أو طلّسم، و قد استطرد بعض علماء أصول الدين ذلك عندما تكلموا على السحر حسبما قرّر في محله، و الله أعلم.

هكذا رأيت في كلام بعض علماء المشاركة، و الذى رأيت له لبعض مؤرّخى المغرب في سرقسطة أنها لا تدخلها عقرب و لا حية إلّا ماتت من ساعتها، و يؤتى بالحيات و العقارب إليها حية فبنفس ما تدخل إلى جوف البلد تموت، قال: و لا يتسوّس فيها شىء من الطعام، و لا يعفن، و يوجد فيها القمح من مائة سنة، و العنب المعلق من ستة أعوام، و التين و الخوخ و حب الملوكة و التفاح و الإجاجص اليابسة من أربعة أعوام، و الفول و الحمص من عشرين سنة، و لا يسوّس فيها خشب و لا ثوب كان صوفاً أو حريراً أو كتّاناً، و ليس في بلاد الأندلس أكثر فاكهة منها، و لا أطيب طعاماً، و لا أكبر جرماً، و البساتين محدقة بها من كل ناحية ثمانية أميال، و لها أعمال كثيرة: مدن و حصون و قرى مسافة أربعين ميلاً، و هى تضاهى مدن العراق في كثرة الأشجار و الأنهار، و بالجملة فأمرها عظيم، و قد أسلفنا ذكرها.

[السمور بالأندلس]

و اعلم أن بأرض الأندلس من الخصب و النضرة و عجائب الصنائع و غرائب الدّنيا ما لا يوجد مجموعة غالباً في غيرها، فمن ذلك ما ذكره الحجارى في المسهب: أن السّمور الذى يعمل من وبره الفراء الرفيعة يوجد في البحر المحيط بالأندلس من جهة جزيرة برطانية، و يجلب إلى سرقسطة و يصنع بها. و لما ذكر ابن غالب و بر السّمور الذى يصنع بقرطبة قال:

هذا السّمور المذكور هنا لم أتحقّق ما هو، و لا ما عنى به، إن كان هو نباتا عندهم أو وبر الدابة المعروفة، فإن كانت الدابة المعروفة فهى دابة تكون في البحر، و تخرج إلى البرّ، و عندها قوّة ميز. و قال حامد بن سمحون الطيب صاحب كتاب الأدوية المفردة: هو حيوان يكون في بحر الروم، و لا يحتاج منه إلّا إلى خصاه، فيخرج الحيوان من البحر في البرّ، فيؤخذ و تقطع خصاه، و يطلق، فرّما عرض للقناصين مرة أخرى، فإذا أحسّ بهم و خشى أن لا يفوتهم استلقى على ظهره و فرج بين فخذه ليرى موضع خصيه خالياً، فإذا رآه القناصون كذلك تركوه. قال ابن غالب: و يسمّى هذا الحيوان أيضاً الجندبادستر، و الدواء الذى يصنع من خصيه من الأدوية

الرفيعة، و منافعه كثيرة، و خاصيته في العلل الباردة، و هو حارّ يابس في الدرجة الرابعة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٦٦

[بعض وحش الأندلس و حيوانها و طيورها]

و القنليّة حيوان أدقّ من الأرنب و أطيب في الطعم و أحسن وبرا، و كثيرا ما يلبس فراؤها، و يستعملها أهل الأندلس من المسلمين و النصرى، و لا- توجد في برّ البربر إلّا ما جلب منها إلى سبتة فنشأ في جوانبها. قال ابن سعيد: و قد جلبت في هذه المدّة إلى تونس حضرة إفريقية.

و يكون بالأندلس من الغزال و الأيّل و حمار الوحش و بقره و غير ذلك ممّا لا يوجد في غيرها كثيرا. و أما الأسد، فلا يوجد فيها البتّة، و لا الفيل و الزرافة و غير ذلك ممّا يكون في أقاليم الحرارة، و لها سبع يعرف باللبّ أكبر بقليل من الذئب في نهاية من القحّة، و قد يفترس الرجل إذا كان جائعا.

و بغال الأندلس فارهة، و خيلها ضخمة الأجسام، حصون للقتال لحملها الدروع و ثقال السلاح و العدو في خيل البرّ الجنوبيّ. و لها من الطيور الجوارح و غيرها ما يكثر ذكره و يطول، و كذلك حيوان البحر، و دوابّ بحرها المحيط في نهاية من الطول و العرض.

قال ابن سعيد: عاينت من ذلك العجب، و المسافرين في البحر يخافون منها لثقلها المراكب، فيقطعون الكلام، و لها نفخ بالماء من فيها يقوم في الجو إذا ارتفاح مفرط.

و قال ابن سعيد: قال المسعودى في «مروج الذهب»: في الأندلس من أنواع الأفاويه خمسة و عشرون صنفا: منها السنبل، و القرنفل، و الصندل، و القرفة، و قصب الذريرة، و غير ذلك.

و ذكر ابن غالب أنّ المسعودى قال: أصول الطيب خمسة أصناف: المسك، و الكافور، و العود، و العنبر، و الزعفران، و كلها من أرض الهند، إلّا الزعفران و العنبر، فإنهما موجودان في أرض الأندلس، و يوجد العنبر في أرض الشّحر.

قال ابن سعيد: و قد تكلموا في أصل العنبر، فذكر بعضهم أنه عيون تنبع في قعر البحر يصير منها ما تلبعه الدواب و تقذفه. قال الحجاري: و منهم من قال: إنه نبات في قعر البحر.

و قد تقدّم قول الرازى أن المحلب- و هو المقدّم في الأفاويه، و المفضّل في أنواع الأشنان- لا يوجد في شيء من الأرض إلّا بالهند و الأندلس.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٦٧

قال ابن سعيد: و في الأندلس مواضع ذكروا أن النار إذا أطلقت فيها فاحت بروائح العود و ما أشبهه، و في جبل شلير أفاويه هندية.

[ثمار الأندلس و معادنها]

قال: و أمّا الثمار و أصناف الفواكه، فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها، و يوجد في سواحلها قصب السكر و الموز، و يوجدان في الأقاليم الباردة، و لا يعدم منها إلّا التمر، و لها من أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقلّ، كالتين القوطيّ و التين السفرىّ ياشبيلية.

قال ابن سعيد: و هذان صنفتان لم تر عيني و لم أذق لهما منذ خرجت من الأندلس ما يفضلهما، و كذلك التين المالقىّ و الزبيب المنكبيّ و الزبيب العسليّ و الرمان السفرىّ و الخوخ و الجوز و اللوز، و غير ذلك مما يطول ذكره.

و قد ذكر ابن سعيد أيضا أن الأرض الشماليّة المغربيّة فيها المعادن السبعة، و أنها في الأندلس التي هي بعض تلك الأرض، و أعظم

معدن للذهب بالأندلس في جهة شنت ياقور قاعدة الجلالة على البحر المحيط، و في جهة قرطبة الفضة و الزئبق، و النحاس في شمال الأندلس كثير، و الصفر الذي يكاد يشبه الذهب، و غير ذلك من المعادن المتفرقة في أماكنها.

و العين التي يخرج منها الزجاج في لبله مشهورة، و هو كثير مفضل في البلاد منسوب لجبل طليطلة جبل الطفل الذي يجهز إلى البلاد و يفضل على كل طفل بالشرق و المغرب.

و بالأندلس عدة مقاطع للرخام، و ذكر الرازي أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الأبيض الناصع اللون و الخمرى، و في ناشرة مقطع عجيب للعمد، و بياغه من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة موشاة في حمرة و صفرة، و غير ذلك من المقاطع التي بالأندلس من الرخام الحالك و المجزء.

و حصي المريئة يحمل إلى البلاد فإنه كالدّر في رونقه، و له ألوان عجيبة، و من عادتهم أن يضعوه في كيزان الماء. و في الأندلس من الأمان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجرة البلوط فيجمعه الناس زمن الشعري و يصبغون به، فيخرج منه اللون الأحمر الذي لا تفوقه حمرة.

[بعض مصنوعات الأندلس]

قال ابن سعيد: و إلى مصنوعات الأندلس ينتهي التفضيل، و للمتصّبين لها في ذلك كلام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٦٨

كثير، فقد اختصت المريئة و مالقة و مرسية بالموشى المذهب، يتعجب من حسن صنعة أهل المشرق إذا رأوا منه شيئاً، و في نتاله من عمل مرسية تعمل البسط التي يغالى في ثمنها بالمشرق، و يصنع في غرناطة و بسطة من ثياب اللباس المحرّرة الصنف الذي يعرف بالملبد المختم ذو الألوان العجيبة، و يصنع في مرسية من الأسرة المرصعة و الحصر الفتانة الصنعة و آلات الصّيف و الحديد من السكاكين و الأمقاص المذهبة و غير ذلك من آلات العروس و الجندى ما يبهر العقل، و منها تجهز هذه الأصناف إلى بلاد إفريقية و غيرها. و يصنع بها و بالمريئة و مالقة الزجاج الغريب العجيب و فخار مزجج مذهب، و يصنع بالأندلس نوع من المفضض المعروف في المشرق بالفيسفاء و نوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجي يشبه المفضض، و هو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم كالشاذروان، و ما يجرى مجراه.

[الآلات الحربية و الآثار الأولية بالأندلس]

و أما آلات الحرب من التراس و الرّماح و السّروج و الألجم و الدروع و المغافر فأكثر همم أهل الأندلس - فيما حكى ابن سعيد - كانت مصروفة إلى هذا الشأن، و يصنع فيها في بلاد الكفر ما يبهر العقول، قال: و السيوف البرذليات مشهورة بالجودة، و برذيل: آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال و المشرق، و الفولاذ الذي ياشبيلية إليه النهاية، و في إشبيلية من دقائق الصنائع ما يطول ذكره.

و قد أفرد ابن غالب في «فرحة الأنفس» للآثار الأولية التي بالأندلس من كتابه مكانا، فقال: منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح إلى الأرحى التي بطرّكونه على وزن لطيف و تدبير محكم حتى طحت به، و ذلك من أعجب ما صنع. و من ذلك ما صنعه الأول أيضا من جلب الماء من البحر المحيط إلى جزيرة قادس من العين التي في إقليم الأصنام، جلبوه في جوف البحر في الصخر المجوّف ذكرا في أنثى و شقوا به الجبال، فإذا وصلوا به إلى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا، فإذا جاوزها و اتّصل بالأرض المعتدلة رجعوا إلى البنيان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٦٩

المذكور، فإذا صادف سبخة بنى له رصيف و أجرى عليه، هكذا إلى أن انتهى به إلى البحر، ثم دخل به في البحر، و أخرج في جزيرة قادس، و البنيان الذي عليه الماء في البحر ظاهر بين، قال ابن سعيد: إلى وقتنا هذا.

و منها الرصيف المشهور بالأندلس، قال في بعض أخبار رومية: إنه لمّا ولي بوليش المعروف بجاشر، و ابتدأ بتدريج الأرض و تكسيها، كان ابتداءه بذلك من مدينة رومية إلى المشرق منها و إلى المغرب و إلى الشمال و إلى الجنوب، ثم بدأ بفرش المبلطة، و أقبل بها على وسط دائرة الأرض إلى أن بلغ بها أرض الأندلس و ركزها شرقي قرطبة بابها المتطامن المعروف باب عبد الجبار، ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلي قرطبة إلى شقندة إلى إستجة إلى قرمونة إلى البحر، و أقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه من مدينة رومية، و ذكر أنه أراد تسقيها في بعض الأماكن راحة للخاطرين من وهج الصيف و هول الشتاء، ثم توقع أن يكون ذلك فسادا في الأرض و تغييرا للطرق عند انتشار اللصوص و أهل الشرّ فيها في المواضع المنقطعة النائية عن العمران، فتركها على ما هي عليه. و ذكر في هذه الآثار صنم قادس الذي ليس له نظير إلّا الصنم الذي بطرف جليقية، و ذكر قنطرة طليطلة، و قنطرة السيف و قنطرة ماردة، و ملعب مريبط.

[ابن سعيد يذكر بعض عجائب الأندلس]

قال ابن سعيد: و في الأندلس عجائب، منها الشجرة التي لو لا كثرة ذكر العامه لها بالأندلس ما ذكرتها، فإنّ خبرها عندهم شائع متواتر، و قد رأيت من يشهد بخبرها و رؤيتها، و هم جمّ غفير، و هي شجرة زيتون تصنع الورق و الثور و الثمر من يوم واحد معلوم عندهم من أيام السنة الشمسية.

و من العجائب: السارية التي بغرب الأندلس، يزعم الجمهور أنّ أهل ذلك المكان إذا أحبوا المطر أقاموها فيمطر الله جهتهم.

و منها صنم قادس، طول ما كان قائما كان يمنع الريح أن تهبّ في البحر المحيط فلا تستطيع المراكب الكبار على الجرى فيه، فلما هدم في أول دولة بنى عبد المؤمن صارت السفن تجرى فيه.

و بكورة قبرة مغارة ذكرها الرازي و حكى أنه يقال: إنها باب من أبواب الريح لا يدرك لها قعر.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٧٠

و ذكر الرازي أنّ في جهة قلعة ورد جبلا فيه شقّ في صخرة داخل كهف فيه فأس حديد متعلّق من الشق الذي في الصخرة، تراه العيون و تلمسه اليد، و من رام إخراجه لم يطق ذلك، و إذا رفعته اليد ارتفع و غاب في شق الصخرة ثم يعود إلى حالته.

و أمّا ما أورده ابن بشكوال من الأحاديث و الآثار في شأن فضل الأندلس و المغرب فقد ذكرها ابن سعيد في كتابه المغرب، و لم أذكرها أنا، و الله أعلم بحقيقه أمرها، و كذلك ما ذكره ابن بشكوال من أنّ فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس، قال: و ذكره سيف عن عثمان بن عفان، رضی الله تعالى عنه، - و الله أعلم بصحة ذلك - و لعل المراد بالقسطنطينية رومية، و الله أعلم.

قال سيف: و ذلك أنّ عثمان ندب جيشا من القيروان إلى الأندلس، و كتب لهم: أمّا بعد، فإنّ فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس، فإنكم إن فتحتموها كنتم الشركاء في الأجر، و السلام، انتهى.

قلت: عهدة هذه الأمور على ناقلها، و أنا برىء من عهدتها، و إن ذكرها ابن بشكوال و صاحب المغرب و غير واحد فإنها عندي لا أصل لها، و أيّ وقت بعث عثمان إلى الأندلس؟

مع أنّ فتحها بالاتفاق إنما كان زمان الوليد، و إنما ذكرت هذا للتنبيه عليه، و الله أعلم.

[وصف ابن سعيد للأندلس]

قال ابن سعيد: و ميزان وصف الأندلس أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار، فأكثر فيها الخصب و العمارة من كل جهة، فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى و مياه و مزارع، و الصحارى فيها معدومة. و مما اختصت به أن قراها فى نهاية من الجمال لتصنع أهلها فى أوضاعها و تبييضها، لثلاثون العيون عنها، فهى كما قال الوزير ابن الحمارة فيها: [الكامل]

لاحت قراها بين خضرة أيكها كالدّر بين زبرجد مكنون

و لقد تعجبت لما دخلت الديار المصريّة من أوضاع قراها التى تكدر العين بسوادها، و يضيق الصدر بضيق أوضاعها. و فى الأندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة الممضيرة من مثلها، و المثال فى ذلك أنك إذا توجهت من إشبيلية فعلى مسيرة يوم و بعض آخر مدينة شريش، و هى فى نهاية من الحضارة و النضارة، ثم يليها الجزيرة الخضراء كذلك، ثم مالقة، و هذا كثير فى الأندلس، و لهذا كثرت مدنها و أكثرها مسور من أجل الاستعداد للعدو، فحصل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٧١

لها بذلك التشديد و التزين، و فى حصونها ما يبقى فى محاربة العدو ما يتيف على عشرين سنة لامتناع معاقبتها، و دربه أهلها على الحرب، و اعتيادهم لمجاورة العدو بالطعن و الضرب، و كثرة ما تنخرن الغلة فى مطاميرها، فمنها ما يطول صبره عليها نحو من مائة سنة. قال ابن سعيد:

و لذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح إلى الآن، و إن كان العدو قد نقصها من أطرافها، و شارك فى أوساطها فى البقية منعة عظيمة، فأرض بقى فيها مثل إشبيلية و غرناطة و مالقة و المرية و ما ينضاف إلى هذه الحواضر العظيمة الممضيرة، الرجاء فيها قوى بحول الله و قوته، انتهى.

قلت: قد خاب ذلك الرجاء، و صارت تلك الأرجاء للكفر معرجا، و نسأل الله تعالى الذى جعل اللهم فرجا، و للضيق مخرجا، أن يعيد إليها كلمة الإسلام حتى يستنشق أهله منه فيها أرجا! آمين.

[بيتنا طليطلة]

و من غرائب الأندلس: البيتان اللتان بطليطلة، صنعهما عبد الرحمن لما سمع بخبر الطلسم الذى بمدينة أرين من أرض الهند، و قد ذكره المسعودى، و أنه يدور بإصبعه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فصنع هو هاتين البيتين خارج طليطلة فى بيت مجوف فى جوف النهر الأعظم فى الموضع المعروف بباب الدباغين، و من عجبهما أنهما يمثلان و ينحسران مع زيادة القمر و نقصانه، و ذلك أن أول انهلال الهلال يخرج فيهما يسير ماء، فإذا أصبح كان فيهما ربع سبعهما من الماء، فإذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع، و لا يزال كذلك بين اليوم و الليلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة أيام و سبع ليال، فيكون فيهما نصفهما، و لا تزال كذلك الزيادة نصف سبع فى اليوم و الليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر، فإذا كان فى ليلة خمسة عشر و أخذ القمر فى النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم و ليلة نصف سبع، فإذا كان تسعة و عشرون من الشهر لا يبقى فيهما شئ من الماء، و إذا تكلف أحد حين تنقصان أن يملأهما و جلب لهما الماء ابتلعا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما إلّا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٧٢

ما كان فيهما فى تلك الساعة، و كذا لو تكلف عند امتلائهما إفراغهما و لم يبق منهما شيئاً ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملؤهما فى الحين. و هما أعجب من طلسم الهند؛ لأن ذلك فى نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار، و أما هاتان فليستا فى مكان الاعتدال، و لم تزالا فى بيت واحد حتى ملك النصارى - دمرهم الله! - طليطلة، فأراد الفنش أن يعلم حر كاتهما، فأمر أن تعلق الواحدة منهما لينظر من أين يأتى إليها الماء، و كيف الحركة فيهما، فقلعت، فبطلت حر كتهما، و ذلك سنة ٥٢٨. و قيل: إن سبب فسادهما حين اليهودى الذى جلب حمام الأندلس كلها إلى طليطلة فى يوم واحد، و ذلك سنة ٥٢٧، و هو الذى أعلم الفنش أن ولده

سيدخل قرطبةً و يملكها، فأراد أن يكشف حركة البيتين فقال له: أيها الملك، أنا أقلعهما وأردّهما أحسن ممّا كانتا، وذلك أنى أجعلهما تمتلئان بالنهار و تحسران في الليل، فلما قلعت لم يقدر على ردّها، وقيل: إنه قلع واحدة ليسرق منها الصنعة فبطلت، و لم تزل الأخرى تعطى حركتها، والله أعلم بحقيقة الحال.

[عود إلى ذكر إشبيلية]

و قال بعضهم في إشبيلية: إنها قاعدة بلاد الأندلس و حاضرتها، و مدينة الأدب و اللهو و الطرب، و هي على ضفة النهر الكبير، عظيمة الشأن، طيبة المكان، لها البرّ المديد، و البحر الساكن، و الوادى العظيم، و هي قريبة من البحر المحيط، إلى أن قال: و لو لم يكن لها من الشرف إلّا موضع الشرف المقابل لها المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتدّ فراسخ في فراسخ لكفى، و بها منارة في جامعها بناها يعقوب المنصور، ليس في بلاد الإسلام أعظم بناء منها. و غسل الشرف يبقى حيناً لا يترمل و لا يتبدّل، و كذلك الزيت و التين. و قال ابن مفلح: إن إشبيلية عروس بلاد الأندلس؛ لأنّ تاجها الشرف، و في عنقها سمط النهر الأعظم، و ليس في الأرض أتمّ حسناً من هذا النهر، يضاهى دجلة و الفرات و النيل، تسير القوارب فيه للنزهة و السير و الصيد تحت ظلال الثمار، و تغريد الأطيّار، أربعة و عشرين ميلاً، و يتعاطى الناس السير من جانبه عشرة فراسخ في عمارة متصلة و منارات مرتفعة و أبراج مشيدة، و فيه من أنواع السمك ما لا يحصى. و بالجملة فهي قد حازت البرّ و البحر، و الزرع و الصرع، و كثرة الثمار من كل جنس، و قصب السكر، و يجمع منها القرمز الذى هو أجلّ من اللّكّ الهندى، و زيتونها يخزّن تحت الأرض أكثر من ثلاثين سنة، ثم يعتصر فيخرج منه أكثر ممّا يخرج منه و هو طرى، انتهى ملخصاً.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٧٣

و لما ذكر ابن اليسع الأندلس قال: لا- يتزوّد فيها أحد ماء حيث سلك؛ لكثرة أنهارها و عيونها، و ربما لقي المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مدائن، و من المعافل و القرى ما لا يحصى، و هي بطاح خضر، و قصور بيض. انتهى.

[ابن سعيد يقارن بين الأندلس و غيرها]

قال ابن سعيد: و أنا أقول كلاماً فيه كفاية: منذ خرجت من جزيرة الأندلس و طفت في برّ العدو، و رأيت مدنها العظيمة كمراكش و فاس و سلا و سبتة، ثم طفت في إفريقية و ما جاورها من المغرب الأوسط فرأيت بجاية و تونس، ثم دخلت الديار المصرية فرأيت الإسكندرية و القاهرة و الفسطاط، ثم دخلت الشام فرأيت دمشق و حلب و ما بينهما- لم أر ما يشبه رونق الأندلس في مياهها و أشجارها إلّا مدينة فاس بالمغرب الأقصى، و مدينة دمشق بالشام، و في حماة مسحة أندلسية، و لم أر ما يشبهها في حسن المباني و التشييد و التصنيع، إلّا ما شيّد بمراكش في دولة بنى عبد المؤمن، و بعض أماكن في تونس، و إن كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كالإسكندرية، و لكن الإسكندرية أفسح شوارع و أبسط و أبداع، و مباني حلب داخله فيما يستحسن؛ لأنها من حجارة صلبة، و في وضعها و ترتيبها إتقان، انتهى.

و من أحسن ما جاء من النظم في الأندلس قول ابن سفر المريني، و الإحسان له عادة:

[البسيط]

في أرض أندلس تلتدّ نعماء و لا يفارق فيها القلب سراء
و ليس في غيرها بالعيش منتفع و لا تقوم بحقّ الأنس صهباء
و أين يعدل عن أرض تحضّ بها على المدامة أمواه و أفياء

و كيف لا يبهج الأبصار رؤيتها و كلّ روض بها في الوشى صنعاء
 أنهارها فضّة، و المسك ترتبها و الخرز روضتها، و الدرّ حصباء
 و للهواء بها لطف يرقّ به من لا يرقّ، و تبدو منه أهواء
 ليس النسيم الذى يهفو بها سحرا و لا انتشار لآلى الطلّ أنداء
 و إنما أرج التّد استثار بها في ماء ورد فطابت منه أرجاء
 و أين يبلغ منها ما أصنّفه و كيف يحوى الذى حازته إحصاء
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٧٤
 قد ميّزت من جهات الأرض حين بدت فريدة و تولّى ميزها الماء
 دارت عليها نطاقا أبحر خفقت وجدا بها إذ تبدّت و هى حسناء
 لذاك يبسم فيها الزّهر من طرب و الطير يشدو و للأغصان إصغاء
 فيها خلعت عذارى ما بها عوض فهى الزّياض، و كلّ الأرض صحراء
 و لله درّ ابن خفاجة حيث يقول: [الرمّل]
 إنّ للجنة بالأندلس مجتلى مرأى و ربّنا نفس
 فسنى صبحتها من شنب و دجى ظلمتها من لعس
 فإذا ما هبت الرّيح صبا صحت و ا شوقى إلى الأندلس
 و قد تقدمت هذه الأبيات.

قال ابن سعيد: قال ابن خفاجة هذه الأبيات و هو بالمغرب الأقصى فى بزّ العدو، و منزله فى شرق الأندلس بجزيرة شقر.

[وصف ابن حوقل لرخاء الأندلس و ردّ ابن سعيد على ابن حوقل]

و قال ابن سعيد فى المغرب ما نصه: قواعد من كتاب «الشهب الثاقبة، فى الإنصاف بين المشارقة و المغاربة» أول ما تقدّم الكلام على
 قاعدة السلطنة بالأندلس، فنقول: إنها مع ما بأيدي عبّاد الصّليب منها أعظم سلطنة كثرت ممالكها، و تشعبت فى وجوه الاستظهار
 للسلطان إعاتتها. و ندع كلامنا فى هذا الشأن، و نقل ما قاله ابن حوقل النصيبى فى كتابه لما دخلها فى مدة خلافة بنى مروان بها فى
 المائة الرابعة، و ذلك أنه لما وصفها قال: و أما جزيرة الأندلس، فجزيرة كبيرة، طولها دون الشهر فى عرض ثيف و عشرين مرحلة،
 تغلب عليها المياه الجارية و الشجر و الثمر، و الرخص و السعة فى الأحوال من الرقيق الفاخر و الخصب الظاهر، إلى أسباب التملك
 الفاشية فيها، و لما هى به من أسباب رغد العيش وسعته و كثرته، يملك ذلك منهم مهينهم و أرباب صنائعهم لقلّة مؤنهم و صلاح
 معاشهم و بلادهم. ثم أخذ فى عظم سلطانها و وصف وفور جباياته و عظم مرافقه، و قال فى أثناء ذلك: و ممّا يدلّ بالقليل منه على
 كثيره أنّ سكة دار ضربه على الدراهم و الدنانير دخلها فى كل سنة مائتا ألف دينار، و صرف الدينار سبعة عشر درهما، هذا إلى
 صدقات البلد و جباياته و خراجاته و أعشاره و ضماناته و الأموال المرسومة على المراكب الواردة و الصادرة و غير ذلك.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٧٥

و ذكر ابن بشكوال أن جباية الأندلس بلغت فى مدّة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف دينار و أربعمائة ألف و ثمانين ألفا، من
 السوق، و المستخلص سبعمائة ألف و خمسة و ستون ألف دينار.

ثم قال ابن حوقل: و من أعجب ما فى هذه الجزيرة بقاؤها على من هى فى يده مع صغر أحلام أهلها، وضعه نفوسهم، و نقص
 عقولهم، و بعدهم من البأس و الشجاعة و الفروسية و البسالة، و لقاء الرجال، و مراس الأنجاد و الأبطال، مع علم أمير المؤمنين بمحلّها

فى نفسها و مقدار جباياتها و مواقع نعمها و لذاتها. قال على بن سعيد مكمل هذا الكتاب: لم أر بدا من إثبات هذا الفصل و إن كان على أهل بلدى فيه من الظلم و التعصب ما لا يخفى، و لسان الحال فى الرد أنطق من لسان البلاغ، و ليت شعرى إذا سلب أهل هذه الجزيرة العقول و الآراء و الهمم و الشجاعة فمن الذين دبروها بأرائهم و عقولهم مع مراصده أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة و تيف؟ و من الذين حموها ببسالتهم من الأمم المتصلة بهم فى داخلها و خارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة فى نصره الصليب؟ و إنى لأعجب منه إذ كان فى زمان قد دلفت فيه عباء الصليب إلى الشام و الجزيرة و عاشوا كل العيث فى بلاد الشام، حيث الجمهور و القبة العظمى، حتى أنهم دخلوا مدينة حلب، و ما أدراك؟ و فعلوا فيها ما فعلوا، و بلاد الإسلام متصلة بها من كل جهة، إلى غير ذلك مما هو مسطور فى كتب التواريخ، و من أعظم ذلك و أشده أنهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الإسلام التى يتمكّنون بها من بسائط بلادهم، فيسبون و يأسرون، فلا تجتمع همم الملوك المجاورة على حسم الداء فى ذلك، و قد يستعين به بعضهم على بعض، فيتمكّن من ذلك الداء الذى لا يبط، و قد كانت جزيرة الأندلس فى ذلك الزمان بالصد من البلاد التى ترك وراء ظهره، و ذلك موجود فى تاريخ ابن حبان و غيره، و إنما كانت الفتنة بعد ذلك، الأعلام بينه، و الطريق واضح.

[لمحة من تاريخ الحكم فى الأندلس منذ الفتح]

فلنرجع إلى ما نحن بسبيله: كانت سلطنة الأندلس فى صدر الفتح على ما تقدّم من اختلاف الولاة عليها من سلاطين إفريقية، و اختلاف الولاة داع إلى الاضطراب، و عدم تأثر نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٧٦

الأحوال و تربية الضخامة فى الدولة، و لَمّا صارت الأندلس لبنى أمية و توارثوا ممالكها و انقاد إليهم كل أبى فيها و أطاعهم كل عصى عظمت الدولة بالأندلس، و كبرت الهمم و ترّبت الأحوال، و ترّبت القواعد، و كانوا صدرا من دولتهم يخطبون لأنفسهم بأبناء الخلائف، ثم خطبوا لأنفسهم بالخلافة، و ملكوا من برّ العدو و ما ضخمت به دولتهم، و كانت قواعدهم إظهار الهيبة، و تمكّن الناموس من قلوب العالم، و مراعاة أحوال الشرع فى كل الأمور، و تعظيم العلماء، و العمل بأقوالهم، و إحضارهم فى مجالسهم، و استشارتهم، و لهم حكايات فى تاريخ ابن حبان: منها ما هو مذكور من توجه الحكم على خليفتهم أو على ابنه أو أحد حاشيته المختصين، و أنهم كانوا فى نهاية من الانقياد إلى الحق لهم أو عليهم، و بذلك انضبط لهم أمر الجزيرة. و لما خرقوا هذا الناموس كان أول ما تهتك أمرهم، ثم اضمحل، و كانت ألقاب الأول منهم الأمراء أبناء الخلائف، ثم الخلفاء أمراء المؤمنين، إلى أن وقعت الفتنة بحسد بعضهم لبعض، و ابتغاء الخلافة من غير وجهها الذى رتب عليه، فاستبدت ملوك الممالك الأندلسية ببلادها، و سموا بملوك الطوائف، و كان فيهم من خطب للخلفاء المروانيين و إن لم يبق لهم خلافة، و منهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع على إمامتهم، و صار ملوك الطوائف يتباهون فى أحوال الملك، حتى فى الألقاب، قال أمرهم إلى أن تلقّبوا بنوع الخلفاء، و ترفعوا إلى طبقات السلطنة العظمى، و ذلك بما فى جزيرتهم من أسباب الترفّ و الضخامة التى توزّع على ملوك شتى، فتكفيهم، و تنهض بهم للمباهاة. و لأجل توثيهم على النعوت العباسية قال ابن رشيق القيروانى: [البسيط]

مما يهدنى فى أرض أندلس تلقب معتضد فيها و معتمد

ألقاب مملكة فى غير موضعها كالهزّ يحكى انتفاخا صولة الأسد

و كان عبّاد بن محمد بن عبّاد قد تلقّب بالمعتضد، و اقتفى سيرة المعتضد العباسى أمير المؤمنين، و تلقّب ابنه محمد بن عبّاد بالمعتمد، و كانت لبنى عبّاد مملكة إشبيلية ثم انضاف إليها غيرها.

و كان خلفاء بنى أمية يظهرون للناس فى الأحيان على أبهة الخلافة، و قانون لهم فى ذلك معروف، إلى أن كانت الفتنة، فازدرت

العيون ذلك الناموس، واستخفت به.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٧٧

وقد كان بنو حمّود من ولد إدريس العلوي الذين توثّبوا على الخلافة في أثناء الدولة المرانية بالأندلس يتعاضمون، و يأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بنى العباس، و كانوا إذا حضرهم منشد لمدح أو من يحتاج إلى الكلام بين أيديهم يتكلم من وراء حجاب، و الحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة، و لَمَّا حضر ابن مقانا الأشبونيّ أمام حاجب إدريس بن يحيى الحمودي الذي خطب له بالخلافة في مالقة، و أنشده قصيدته المشهورة النونية التي منها قوله: [الرملة]

و كأنّ الشمس لَمَّا أشرقت فانثت عنها عيون الناظرين

وجه إدريس بن يحيى بن عليّ بن حمّود أمير المؤمنين

و بلغ فيها إلى قوله:

انظرونا نقتبس من نوركم إنه من نور ربّ العالمين

رفع الخليفة الستر بنفسه، و قال: انظر كيف شئت؛ و انبسط مع الشاعر، و أحسن إليه.

و لما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسّطون للخاصّة و كثير من العامّة، و يظهرون مداراة الجند و عوام البلاد، و كان أكثرهم يحاضر العلماء و الأدباء، و يحبّ أن يشهر عنه ذلك عند مباديه في الرياسة.

و مذ وقعت الفتنة بالأندلس اعتاد أهل الممالك المتفرقة الاستبداد عن إمام الجماعة، و صار في كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة كما يتوارث ملوكها الملك، و مرونا على ذلك، فصعب ضبطهم إلى نظام واحد، و تمكّن العدو منهم بالتفرّق و عداوة بعضهم لبعض بقبيح المنافسة و الطمع، إلى أن انقادوا إلى عبد المؤمن و بنيه، و تلك القواعد في رؤوسهم كامنة، و الثوار في المعامل تثور، و تروم الكثرة، إلى أن ثار ابن هود، و تلقّب بالمتوكّل، و وجد القلوب منحرفة عن دولة برّ العدو، مهياً للاستبداد، فملكها بأيسر محاولة، مع الجهل المفرط و ضعف الرأي، و كان مع العامّة كأنه صاحب شعوذة، يمشى في الأسواق و يضحك في وجوههم و يبادرهم بالسؤال. و جاء للناس منه ما لم يعتادوه من سلطان، فأعجب ذلك سفهاء الناس و عامتهم العمياء، و كان كما قيل: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٧٨

أمور يضحك السفهاء منها و يبكي من عواقبها الحليم

فأل ذلك إلى تلف القواعد العظيمة، و تملك الأمصار الجليّة، و خروجها من يد الإسلام و الضابط فيما يقال في شأن أهل الأندلس في السلطان أنهم إذا وجدوا فارسا يبرع الفرسان أو جوادا يبرع الأجواد تهافتوا في نصرته، و نصبوه ملكا من غير تدبير في عاقبة الأمر إلام يؤول، و بعد أن يكون الملك في مملكة قد توورثت و تدوولت، و يكون في تلك المملكة قائد من قوادها قد شهرت عنه وقائع في العدو و ظهر منه كرم نفس للأجناد و مراعاة، قدّموه ملكا في حصن من الحصون، و رفضوا عيالهم و أولادهم - إن كان لهم ذلك - بكرسى الملك، و لم يزالوا في جهاد و إتلاف أنفس حتى يظفر صاحبهم بطلبته. و أهل المشرق أصوب رأيا منهم في مراعاة نظام الملك، و المحافظة على نصابه، لئلا يدخل الخلل الذي يقضى باختلال القواعد و فساد التربية و حلّ الأوضاع.

و نحن نمثّل في ذلك بما شاهدناه: لَمَّا كانت هذه الفتنة الأخيرة بالأندلس تمخّضت عن رجل من حصن يقال له أرجونه، و يعرف الرجل بابن الأحمر، كان يكثر مغاورة العدو من حصنه، و ظهرت له مخايل و شواهد على الشجاعة، إلى أن طار اسمه في الأندلس، و آل ذلك إلى أن قدّمه أهل حصنه على أنفسهم، ثم نهض فملك قرطبة العظمى، و ملك إشبيلية، و قتل ملكها الباجي، و ملك جيان أحسن بلد بالأندلس و أجله قدرا في الامتاع، و ملك غرناطة و مالقة، و سمّوه بأمير المسلمين، فهو الآن المشار إليه بالأندلس و المعتمد عليه.

[الوزارة في الأندلس]

و أما قاعدة الوزارة بالأندلس، فإنها كانت في مدة بنى أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للإعانة و المشاورة، و يخصهم بالمجالسة، و يختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب، و كانت هذه المراتب لضبطها عندهم كالمتوارثة في البيوت المعلومه لذلك، إلى أن كانت ملوك الطوائف، فكان الملك منهم - لعظم اسم الحاجب في الدولة المروانية، و أنه كان نائبا عن خليفتهم - يسمي بالحاجب، و يرى أن هذه السمة أعظم ما تنوفس فيه و ظفر به، و هي موجودة في أمداح شعرائهم و توارىخهم. و صار اسم الوزارة عامًا لكل من يجالس الملوك و يختص بهم، و صار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بذي نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٧٩

الوزارتين، و أكثر ما يكون فاضلا في علم الأدب، و قد لا يكون كذلك، بل عالما بأمر الملك خاصة.

[الكتابة، و الخراج في الأندلس، القضاء، و الشرطة]

و أما الكتابة فهي على ضربين: أعلاهنا: كاتب الرسائل، و له حظ في القلوب و العيون عند أهل الأندلس، و أشرف أسمائه الكاتب، و بهذه السمة يخصه من يعظمه في رسالة.

و أهل الأندلس كثير و الانتقاد على صاحب هذه السمة، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة، فإن كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه و لا - مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل و الطعن عليه و على صاحبه و الكاتب الآخر كاتب الزمام، هكذا يعرفون كاتب الجهبذة، و لا يكون بالأندلس و برّ العدو لا نصرانيا و لا يهوديا البتة، إذا هذا الشغل نبيه يحتاج إلى صاحبه عظماء الناس و وجوههم.

و صاحب الأشغال الخراجية في الأندلس أعظم من الوزير، و أكثر أتباعا و أصحابا و أجدى منفعة، فإنه تميل الأعناق، و نحوه تمد الأكف، و الأعمال مضبوطة بالشهود و النظار، و مع هذا إن تأثلت حالته و اغترت بكثرة البناء و الاكتساب نكب و صودر، و هذا راجع إلى تقلب الأحوال و كيفية السلطان.

و أما خطة القضاء بالأندلس فهي أعظم الخطط عند الخاصة و العامة، لتعلقها بأمر الدين، و كون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي، هذا وصفها في زمان بنى أمية، و من سلك مسلكهم، و لا سبيل أن يتسم بهذه السمة إلا من هو وال للحكم الشرعي في مدينه جليله، و إن كانت صغيرة فلا - يطلق على حاكمها إلا مسدد، خاصة، و قاضي القضاء يقال له: قاضي القضاء، و قاضي الجماعة.

و أما خطة الشرطة بالأندلس، فإنها مضبوطة إلى الآن، معروفة بهذه السمة، و يعرف صاحبها في ألسن العامة بصاحب المدينه و صاحب الليل، و إذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان، و ذلك قليل، و لا يكون إلا في حضرة السلطان الأعظم، و هو الذي يحد على الزنى و شرب الخمر، و كثير من الأمور الشرعية راجع إليه، قد صارت تلك عادة تقر عليها رضا القاضي، و كانت خطة القاضي أوقر و أتقى عندهم من ذلك.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٨٠

[الحسبة في الأندلس، الطواف بالليل، و التدين في الأندلس]

و أما خطة الاحتساب، فإنها عندهم موضوعة في أهل العلم و الفطن، و كأن صاحبها قاض، و العادة فيه أن يمشى بنفسه راكبا على الأسواق، و أعوانه معه، و ميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان؛ لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان للربع من الدرهم رغيف على

وزن معلوم، وكذلك للثمن، وفي ذلك من المصلحة أن يرسل المبتاع الصبي الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق في معرفة الأوزان، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حد له المحتسب في الورقة، ولا يكاد تخفى خيانتها، فإن المحتسب يدس عليه صبيًا أو جارية يبتاع أحدهما منه، ثم يختبر الوزن المحتسب، فإن وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس، فلا تسأل عمًا يلقى، وإن كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الأسواق نفى من البلد. ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تدارس أحكام الفقه؛ لأنها عندهم تدخل في جميع المبتاعات وتفرع إلى ما يطول ذكره.

وأما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب أصحاب أرباع في المشرق، فإنهم يعرفون في الأندلس بالدرابين؛ لأن بلاد الأندلس لها دروب بأغلاق تغلق بعد العتمة، ولكل زقاق بائث فيه، له سراج معلق و كلب يسهر و سلاح معد، وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم، وإعيائهم في أمور التلصيص، إلى أن يظهروا على المباني المشيدة، ويفتحوا الأغلاق الصعبة، ويقتلوا صاحب الدار خوف أن يقر عليهم أو يطالبهم بعد ذلك، ولا تكاد في الأندلس تخلو من سماع «دار فلان دخلت البارحة» و «فلان ذبحه اللصوص على فراشه» وهذا يرجع الكثير منه والتقليل إلى شدة الوالي و لينه، ومع إفراطه في الشدة و كون سيفه يقطر دما فإن ذلك لا يعدم، وقد آل الحال عندهم إلى أن قتلوا على عنقود سرقة شخص من كرم و ما أشبه ذلك، ولم ينته اللصوص.

وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم، فإنها تختلف بحسب الأوقات والنظر إلى السلاطين، ولكن الأغلب عندهم إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها، وقيام العامة في ذلك وإنكاره إن تهاون فيه أصحاب السلطان، وقد يلج السلطان في شيء من ذلك ولا ينكره، فيدخلون عليه قصره المشيد ولا يعبؤون بخيله ورجله حتى يخرجوه من بلدهم، وهذا كثير في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٨١

أخبارهم. و أما الرجم بالحجر للقضاء والولاء للأعمال إذا لم يعدلوا فكل يوم.

[التسول، والعلوم والآداب في الأندلس]

وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدورة التي تكسل عن الكد وتخرج الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبحة عندهم إلى النهاية، وإذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه، فضلا عن أن يتصدقوا عليه، فلا تجد بالأندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر.

وأما حال أهل الأندلس في فنون العلوم، فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعه، ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالء على الناس؛ لأن هذا عندهم في نهاية القبح، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، يشار إليه، ويحال عليه، وينبه قدره و ذكره عند الناس، و يكرم في جوار أو ابتياع حاجة، و ما أشبه ذلك. ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فهم يقرءون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا، فالعالم منهم بارع؛ لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه، و ينفق من عنده حتى يعلم، و كل العلوم لها عندهم حظ و اعتناء، إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم، و لا يتظاهر بها خوف العامة، فإنه كلما قيل «فلان يقرأ الفلسفة» أو «يشغل بالتنجيم» أطلقت عليه العامة اسم زنديق، و قيدت عليه أنفاسه، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة، و كثيرا ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت، و بذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه و إن كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن على ما ذكره الحجارى والله أعلم. و قراءة القرآن بالسبع و رواية الحديث عندهم رفيعة، و للفقه رونق و جاهة، و لا مذهب لهم إلا مذهب مالك، و خواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوى الهمم في العلوم. و سمة الفقيه

عندهم جليلة، حتى إن المسلمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه، و هي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق، و قد يقولون للكاتب و النحوى و اللغوى فقيه؛ لأنها عندهم أرفع السمات.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٨٢

و علم الأصول عندهم متوسط الحال، و النحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة، حتى إنهم فى هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل و سيبويه، لا- يزداد مع هرم الزمان إلما جدّه، و هم كثير و البحث فيه و حفظ مذاهبه كمذاهب الفقه، و كل عالم فى أى علم لا يكون متمكنا من علم النحو- بحيث لا تخفى عليه الدقائق- فليس عندهم بمستحق للتميز، و لا سالم من الازدراء، مع أن كلام أهل الأندلس الشائع فى الخواصّ و العوامّ كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية، حتى لو أن شخصا من العرب سمع كلام الشلوينى أبى على المشار إليه بعلم النحو فى عصرنا الذى غرّبت تصانيفه و شرقت و هو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدّة التحريف الذى فى لسانه، و الخاصّ منهم إذا تكلم بالإعراب و أخذ يجرى على قوانين النحو استقلوه و استبردوه، و لكن ذلك مراعى عندهم فى القراءات و المخاطبات بالرسائل. و علم الأدب المنثور من حفظ التاريخ و النظم و النثر و مستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم، و به يتقرّب من مجالس ملوكهم و أعلامهم، و من لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستقل.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١؛ ص ١٨٢

الشعر عندهم له حظّ عظيم، و للشعراء من ملوكهم و جاهة، و لهم عليهم حظّ و وظائف، و المجيدون منهم ينشدون فى مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، و يوقع لهم بالصلّات على أقدارهم، إلّا أن يختلّ الوقت و يغلب الجهل فى حين ما، و لكن هذا الغالب. و إذا كان الشخص بالأندلس نحويًا أو شاعرا فإنه يعظم فى نفسه لا محالة و يسخف و يظهر العجب، عادة قد جبلوا عليها.

[زى أهل الأندلس]

و أما زى أهل الأندلس، فالغالب عليهم ترك العمائم، لا سيما فى شرق الأندلس، فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضيا و لا فقيها مشارا إليه إلّا و هو بعمامة، و قد تسامحوا بشرقها فى ذلك، و لقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية حضره السلطان فى ذلك الأوان، و إليه الإشارة، و قد خطب له بالملك فى تلك الجهة، و هو حاسر الرأس، و شبيه قد غلب على سواد شعره. و أما الأجناد و سائر الناس، فقليل منهم من تراه بعمامة فى شرق منها أو فى غرب، و ابن هود الذى ملك الأندلس فى عصرنا رأيت فى جميع أحواله ببلاد الأندلس و هو دون عمامة، و كذلك ابن الأحمر الذى معظم الأندلس الآن فى يده، و كثيرا ما يترّيا سلاطينهم و أجنادهم بزى النصارى المجاورين لهم، فسلّاحهم كسلّاحهم، و أقيبتهم من الإشكرلاط و غيره كأقيبتهم، و كذلك أعلامهم و سروجهم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٨٣

و محاربتهم بالتراس و الرّماح الطويلة للطنع، و لا يعرفون الدبابيس، و لا قسى العرب، بل يعدون قسى الإفرنج للمحاصرات فى البلاد، أو تكون للرجال عند المصاففة للحرب، و كثيرا ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم لأن يؤثروها و لا تجد فى خواصّ الأندلس و أكثر عوامّهم من يمشى دون طيلسان، إلّا أنه لا- يضعه على رأسه منهم إلّا الأشياخ المعظمون، و غفائر الصوف كثيرا ما يلبسونها حمرا و خضرا؛ و الصيفر مخصوصة باليهود، و لا سبيل ليهودى أن يتعمّم البتّة، و الذؤابة لا يرخيها إلّا العالم، و لا يصرفونها بين الأكتاف، و إنّما يسدلونها من تحت الأذن اليسرى. و هذه الأوضاع التى بالمشرق فى العمائم لا يعرفها أهل الأندلس، و إن رأوا فى رأس مشرقى داخل إلى بلادهم شكلا منها أظهروا التعجب و الاستظراف، و لا- يأخذون أنفسهم بتعليمها؛ لأنهم لم يعتادوا و لم يستحسنوا غير أوضاعهم، و كذلك فى تفصيل الثياب.

[نظافة الأندلسيين، و احتياطهم، و تدبيرهم، و مروءاتهم]

و أهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافته ما يلبسون و ما يفرشون، و غير ذلك مما يتعلّق بهم، و فيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائما و يتتاع صابونا يغسل به ثيابه، و لا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها.

و هم أهل احتياط و تدبير في المعاش و حفظ لما في أيديهم خوف ذلّ السؤال، فلذلك قد ينسبون للبخل، و لهم مروءات على عادة بلادهم، لو فطن لها حاتم لفصل دقائقها على عظائمه؛ و لقد اجترت مع والدي على قرية من قراها، و قد نال منا البرد و المطر أشدّ التيل، فأوينا إليها، و كنا على حال ترقّب من السلطان و خلوّ من الرفاهية، فنزلنا في بيت شيخ من أهلها، من غير معرفة متقدّمة، فقال لنا: إن كان عندكم ما اشتري لكم فحما تسخنون به فياني أمضى في حوائجكم، و أجعل عيالي يقومون بشأنكم، فأعطيناه ما اشتري به فحما، فأضرم نارا، فجاء ابن له صغير ليصطلي، فضربه، فقال له والدي: لم ضربته؟ فقال: يتعلّم استغنام أموال الناس و الضجر للبرد من الصغر، ثم لما جاء النوم قال لابنه: أعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيداها على ثيابه، فدفع كساءه إليّ، ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبيّ منتبها و يده في الكساء، فقلت ذلك لوالدي، فقال: هذه مروءات أهل الأندلس، و هذا احتياطهم، أعطاك الكساء و فضلك على نفسه، ثم أفكر في أنك غريب لا يعرف هل أنت ثقة أو لصّ، فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه خوفا من انفصالك بها و هو نائم، و على هذا الشيء الحقير فقس الشيء الجليل؛ انتهى كلام ابن سعيد في «المغرب» باختصار يسير.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٨٤

[منهج كتاب المغرب لابن سعيد]

و لله درّه! فإنه أبدع في هذا الكتاب ما شاء، و قسمه إلى أقسام: منها كتاب «وشى الطرس، في حلى جزيرة الأندلس» و هو ينقسم إلى أربعة كتب: الكتاب الأول كتاب «حلى العرس، في حلى غرب الأندلس». الكتاب الثاني «كتاب الشفاه اللّمس، في حلى موسطة الأندلس». الكتاب الثالث كتاب «الأنس في حلى شرق الأندلس». الكتاب الرابع كتاب «لحظات المريب، في ذكر ما حماه من الأندلس عيّاد الصليب». و القسم الثاني كتاب «الألحان المسلية، في حلى جزيرة صقلية» و هو أيضا ذو أنواع. و القسم الثالث كتاب «الغاية الأخيرة، في حلى الأرض الكبيرة» و هو أيضا ذو أقسام. و صوّر - رحمه الله تعالى! - أجزاء الأندلس في كتاب «وشى الطرس». و قال أيضا؛ إن كلّا من شرق الأندلس و غربها و وسطها يقرب في قدر المساحة بعضه من بعض، و ليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام، ليصدق التثليث في القسمة، و هذا دون ما بقى بأيدي النصارى. و قدّم - رحمه الله! - كتاب «حلى العرس، في حلى غرب الأندلس»؛ لكون قرطبة قطب الخلافة المروانية و إشبيلية التي ما في الأندلس أجمل منها فيه، و قسمه إلى سبعة كتب، كل كتاب منها يحتوى على مملكة منحازة عن الأخرى: الكتاب الأول كتاب «الحلمة المذهبة، في حلى مملكة قرطبة». الكتاب الثاني كتاب «الذهبية الأصيلية، في حلى المملكة الإشبيلية». الكتاب الثالث كتاب «خدع الممالقة، في حلى مملكة مالقة». الكتاب الرابع كتاب «الفردوس، في حلى مملكة بطليوس». الكتاب الخامس كتاب «الخلب، في حلى مملكة شلب». الكتاب السادس كتاب «الديباجة، في حلى مملكة باجة». الكتاب السابع كتاب «الرياض المصونة، في حلى مملكة أشبونة». و قد ذكر - رحمه الله تعالى! - في كل قسم ما يليق به، و صوّر أجزاءه على ما ينبغي، فالله يجازيه خيرا! و الكلام في الأندلس طويل عريض.

[وصف بعض المؤرخين للأندلس]

و قال بعض المؤرخين: طول الأندلس ثلاثون يوما، و عرضها تسعة أيام، و يشقّها أربعون نهرا كبارا، و بها من العيون و الحمّامات و المعادن ما لا يحصى، و بها ثمانون مدينة من القواعد الكبار، و أزيد من ثلاثمائة من المتوسطة، و فيها من الحصون و القرى و البروج ما لا يحصى كثرة، حتى قيل: إن عدد القرى التي على نهر إشبيلية اثنا عشر ألف قرية، و ليس في معمر الأرض صقع يجد المسافر فيه

ثلاث مدن و أربعة من يومه إلّا بالأندلس، و من بركتها أنّ المسافر لا يسافر فيها فرسخين دون ماء أصلاً، و حيثما سار من الأقطار يجد الحوانيت في الفلوات و الصحارى و الأودية و رؤوس الجبال لبيع الخبز و الفواكه و الجبن و اللحم و الحوت و غير ذلك من ضرور الأطمعة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٨٥

و ذكر صاحب الجغرافيا أنّ جزيرة الأندلس مسيرة أربعين يوماً طويلاً في ثمانية عشر يوماً عرضاً، و هو مخالف لما سبق. و قال ابن سيده: أخذت الأندلس في عرض الإقليمين الخامس و السادس من البحر الشامي في الجنوب إلى البحر المحيط في الشمال، و بها من الجبال سبعة و ثمانون جبلاً، انتهى.

[مقطعات في وصف الأندلس]

و لبعضهم: [الكامل]

لله أندلس و ما جمعت بها من كلّ ما ضمت لها الأهواء
فكأنما تلك الديار كواكب و كأنما تلك البقاع سماء
و بكلّ قطر جدول في جنّه و لعت بها الأفياء و الأنداء

و قال غيره: [البسيط]

في أرض أندلس تلتدّ نعماء و لا يفارق فيها القلب سراء
و ليس في غيرها بالعيش منتفع و لا تقوم بحقّ الأنس صهباء
و أين يعدل عن أرض يحضّ بها على الشهادة أزواج و أبناء
و أين يعدل عن أرض تحثّ بها على المدامة أمواه و أفياء
و كيف لا تبهج الأبصار رؤيتها و كلّ أرض بها في الوشى صنعاء
أنهارها فضّة، و المسك تربتها و الخزّ روضتها، و الدّر حصباء
و للهواء بها لطف يرقّ به من لا يرقّ، و تبدو منه أهواء
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرا و لا انتشار لآلى الطلّ أنداء
و إنّما أرج الندّ استثار بها في ماء ورد فطابت منه أرجاء
و أين يبلع منها ما أصنّفه و كيف يحوى الذي حازته إحصاء
قد ميّزت من جهات الأرض ثم بدت فريده، و تولّى ميزها الماء
دارت عليها نطاقا أبحر خفقت و جدا بها إذ تبدّت و هي حسناء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٨٦

لذاك ييسم فيها الزّهر من طرب و الطّير يشدو، و للأغصان إصغاء
فيها خلعت عذارى ما بها عوض فهي الرياض، و كلّ الأرض صحراء
و قد تقدمت هذه القصيدة.

و قال آخر: [الرمّل]

حبّذا أندلس من بلد لم تزل تنتج لي كلّ سرور
طائر شاد، و ظلّ وارف و مياه سائحات و قصور

و قال آخر: [الكامل]

يا حسن أندلس و ما جمعت لنا فيها من الأوطار و الأوطان
تلك الجزيرة لست أنسى حسنها بتعاقب الأحيان و الأزمان
نسج الربيع نباتها من سندس موشيةً ببدائع الألوان
و غدا النسيم بها عليلاً هائماً بربوعها و تلاطم البحران
يا حسنها و الطلّ ينثر فوقها دررا خلال الورد و الزّيحان
و سواعد الأنهار قد مدّت إلى ندمائها بشقائق النّعمان
و تجاوزت فيها شواذى طيرها و التفتّ الأغصان بالأغصان
ما زرتها إلّا و حيانى بها حدق البهار و أنمل السّوسان
من بعدها ما أعجبتنى بلدة مع ما حللت به من البلدان

[من خصائص الأندلس]

و حكى بعضهم أنّ بالجامع من مدينة أقليم بلاطاً فيه جوائز منشورةً مربعهً مستويةً الأطراف، طول الجائزة منها مائة شبر و أحد عشر شبراً.

و فى الأندلس جبل، من شرب من مائه كثر عليه الاحتلام، من غير إرادة و لا تفكّر، و فيها غير ذلك مما يطول ذكره، و الله أعلم.
و لنمسك العنان فى هذا الباب، فإنّ بحر الأندلس طويل مديد، و ربما كررنا الكلام لارتباط بعضه ببعض، أو لنقل صاحبه المروى عنه، أو لاختلاف ما، أو غير ذلك من غرض سديد.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٨٧

الباب الثانى فتح الأندلس

[فتح الأندلس و أسبابه]

فى إلقاء الأندلس للمسلمين بالقياد، و فتحها على يد موسى بن نصير و مولاة طارق بن زياد، و صيرورتها ميداناً لسبق الجياد، و محطّ رحل الارتياء و الارتياح، و ما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه ازدياد، و نيا وصل إليه اعتمام و تقرّر بمثله اعتياد.
اعلم أنه لما قضى الله سبحانه بتحقيق قول رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم: «زويت لى مشارق الأرض و مغاربها، و سيبلغ ملكك أمتى ما زوى لى منها» وقع الخلاف بين لذريق ملك القوط و بين ملك سبتة الذى على مجاز الرّفاق، فكان ما يذكر من فتح الأندلس على يد طارق و طريف و مولاها الأمير موسى بن نصير، رحم الله الجميع!

و ذكر الحجارى و ابن حيان و غيرهما أن أوّل من دخل جزيرة الأندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربرى مولى موسى بن نصير الذى تنسب إليه جزيرة طريف التى على المجاز، غزاها بمعونة صاحب سبتة يليان النصرانى، لحقده على لذريق صاحب الأندلس، و كان فى مائة فارس و أربعمائة راجل، جاز البحر فى أربعة مراكب، فى شهر رمضان سنة إحدى و تسعين، و انصرف بغنيمه جليله، فعقد موسى بن نصير صاحب المغرب لمولاة طارق بن زياد على الأندلس، و وجهه مع يليان صاحب سبتة، انتهى.

و سيأتى فى أمر طريف و غيره ما يخالف هذا السياق، و هى أقوال.

و قال ابن حيان: إن أول أسباب فتح الأندلس كان أن ولّى الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز على إفريقية و

ما خلفها سنة ثمان وثمانين فخرج في نفر قليل من المطوّعة، فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا، و فعل ذلك في إفريقية،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٨٨

و جعل على مقدّمته مولاه طارقا، فلم يزل يقاتل البربر و يفتح مدائنهم، حتى بلغ مدينة طنجة، و هي قصبه بلادهم و أم مدائنهم، فحصرها حتى فتحها، و أسلم أهلها، و لم تكن فتحت قبله، و قيل: بل فتحت ثم استغلت.

و ذكر ابن حيان أيضا استصعاب سبته على موسى بتدبير صاحبها الداهية الشجاع يليان النصراني، و أنه في أثناء ذلك وقع بينه و بين لذريق صاحب الأندلس، ثم سرد ما يأتي ذكره.

و قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله: و حديث الفتح، و ما منّ الله به على الإسلام من المنح، و أخبار ما أفاء الله من الخير، على موسى بن نصير، و كتب من جهاد، لطارق بن زياد، مملول قصصا و أوراق، و حديث أفلو و إشراق، و إرعاد و إبراق، و عظم امتشاش، و آلة معلقة في دكان قشاش، انتهى.

و قال في المغرب: طارق بن زياد من إفريقية.

و قال ابن بشكوال: إنه طارق بن عمرو، فتح جزيرة الأندلس و دوّخها، و إليه ينسب جبل طارق الذي يعرفه العامّة بجبل الفتح، في قبلة الجزيرة الخضراء، و رحل مع سيده بعد فتح الأندلس إلى الشام و انقطع خبره، انتهى.

و قال أيضا: إن طارقا كان حسن الكلام ينظم ما يجوز كتبه، و أما المعارف السلطانية فيكفيه ولاية سلطنة الأندلس و ما فتح فيها من البلاد إلى أن وصل سيده موسى بن نصير.

و من تاريخ ابن بشكوال: احتل طارق بالجبل المنسوب إليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين و تسعين في اثني عشر ألفا غير اثني عشر رجلا من البربر، و لم يكن فيهم من العرب إلا شيء يسير، و إنه لما ركب البحر رأى، و هو نائم، النبي، صلى الله عليه و سلم، و حوله المهاجرون و الأنصار قد تقلدوا السيوف و تنكبوا القسي، فيقول له رسول الله، صلى الله عليه و سلم: «يا طارق، تقدّم لشأنك»، و نظر إليه و إلى أصحابه قد دخلوا الأندلس قدامه، فهبّ من نومه مستبشرا، و بشر أصحابه، و ثابت نفسه ببشراه، و لم يشكّ في الظفر، فخرج من الجبل، و اقتحم بسيط البلد شائنا للغارة، و أصاب عجوزا من أهل الجزيرة فقالت له في بعض قولها: إنه كان لها زوج عالم بالحدثان، فكان يحدّثهم عن أمير يدخل إلى بلادهم هذا فيغلب عليه، و يصف من نعته أنه ضخم الهامة، فأنت كذلك، و منها أن في كتفه الأيسر شامة عليها شعر، فإن كانت فيك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٨٩

فأنت هو، فكشف ثوبه فإذا بالشامة في كتفه على ما ذكرت، فاستبشر بذلك و من معه.

و من تاريخ ابن حيان: لما حرّض يليان النصراني صاحب سبته للأمر الذي وقع بينه و بين صاحب الأندلس موسى بن نصير على غزو الأندلس جهّز لها مولاه طارقا المذكور في سبعة آلاف من المسلمين، جلّهم البربر، في أربع سفن، و حطّ بجبل طارق المنسوب إليه يوم السبت في شعبان سنة اثنتين و تسعين، و لم تزل المراكب تعود حتى توافي جميع أصحابه عنده بالجبل، قال: و وقع على لذريق صاحب الأندلس الخبر، و أنّ يليان السبب فيه، و كان يومئذ غازيا في جهة البشكنس، فبادر في جموعه و هم نحو مائة ألف ذوى عدّة و عدد، و كتب طارق إلى موسى بأنه قد زحف عليه لذريق بما لا طاقة له به، و كان عمل من السفن عدّة، فجهّز له فيها خمسة آلاف من المسلمين، فكمّلوا بمن تقدّم اثني عشر ألفا، و معهم يليان صاحب سبته في حشده يدلّهم على العورات، و يتجسّس لهم الأخبار، و أقبل نحوهم لذريق و معه خيار العجم و أملاكها و فرسانها، و قلوبهم عليه، فتلاقوا فيما بينهم، و قالوا: إن هذا الخبيث غلب على سلطانتنا، و ليس من بيت الملك، و إنّما كان من أتباعنا، و لسنا نعدم من سيرته خبالا و اضطرابا، و هؤلاء القوم الذين طرّقوا لا حاجة لهم في إبطان بلدنا، و إنّما مرادهم أن يملثوا أيديهم من الغنائم و يخرجوا عنّا، فهلمّ فلننهزم بآبن الخبيثة إذا نحن لقينا القوم، فلعلّهم يكفوننا أمره، فإذا هم انصرفوا عنّا أقدنا في ملكنا من يستحقه، فأجمعوا على ذلك، انتهى.

[رواية ابن خلدون في فتح الأندلس وبعض أمراؤها]

وقال ابن خلدون: بعد ذكره أن القوطيين كان لهم ملك الأندلس، وأن ملكهم لعهد الفتح يسمّى لذريق. ما نصّه: «و كانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدوّة الجنوبيّة خطوها من فرضة المجاز بطنجة، و من زقاق البحر إلى بلاد البربر، و استعبدوهم. و كان ملك البربر بذلك القطر الذي هو اليوم جبال غمارة يسمّى يليان، فكان يدين بطاعتهم و بملّتهم، و موسى بن نصير أمير المغرب إذ ذاك عامل على إفريقية من قبل الوليد بن عبد الملك، و منزله بالقيروان. و كان قد أغزى لذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الأقصى، و دوّخ أقطاره، و أثنى في جبال طنجة هذه حتى وصل خليج الرّقاق، و استنزل يليان لطاعة الإسلام، و خلّف مولاه طارق بن زياد الليثي واليا بطنجة، و كان يليان ينقم على لذريق ملك القوط لعده بالأندلس فعلة فعلها زعموا بانبته الناشئة في داره على عادتهم في بنات بطارقتهم، فغضب لذلك، و أجاز إلى لذريق، و أخذ ابنته منه. ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط و دلّهم على عورة فيهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٩٠

أمكنت طارقا فيها الفرصة فانتهازها لوقته، و أجاز البحر سنة اثنتين و تسعين من الهجرة بإذن أميره موسى بن نصير في نحو ثلاثمائة من العرب، و احتشد معهم من البربر زهاء عشرة آلاف، فصيرهما عسكريين؛ أحدهما على نفسه و نزل به جبل الفتح، فسمّى جبل طارق به، و الآخر على طريف بن مالك النخعي، و نزل بمكان مدينة طريف، فسمّى به، و أداروا الأسوار على أنفسهم للتحصن. و بلغ الخبر إلى لذريق فنهض إليهم يجرّ أمم الأعاجم و أهل ملّة النصرانية في زهاء أربعين ألفا، و زحفوا إليه، فالتقوا بفحص شريش، فهزمه الله و نفلهم أموال أهل الكفر و رقابهم. و كتب طارق إلى موسى بن نصير بالفتح و بالغنائم، فحرّكته الغيرة، و كتب إلى طارق يتوعّده إن توغّل بغير إذنه، و يأمره أن لا- يتجاوز مكانه حتى يلحق به، و استخلف على القيروان ولده عبد الله، و خرج معه حبيب بن منده الفهرى. و نهض من القيروان سنة ثلاث و تسعين من الهجرة في عسكر ضخم من وجوه العرب الموالي و عرفاء البربر، و وافى خليج الرّقاق ما بين طنجة و الجزيرة الخضراء، فأجاز إلى الأندلس، و تلقاه طارق فانقاد و اتبع، و أتمّ موسى الفتح، و توغّل في الأندلس إلى برشلونه في جهة الشرق و أربونة في الجوف، و صنم قادس في الغرب، و دوّخ أقطارها، و جمع غنائمها. و أجمع أن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية، و يتجاوز إلى الشام دروبه و دروب الأندلس، و يخوض بينهما من أمم الأعاجم النصرانية، مجاهدا فيهم، مستلحما لهم، إلى أن يلحق بدار الخلافة. و نعى الخبر إلى الوليد فاشتدّ قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب، و رأى أن ما همّ به موسى غرر بالمسلمين، فبعث إليه بالتوبيخ و الانصراف. و أسرّ إلى سفيره أن يرجع بالمسلمين إن لم يرجع، و كتب له بذلك عهده، ففتّ ذلك في عزم موسى، و قفل عن الأندلس بعد أن أنزل الرابطة و الحامية بثغورها، و أنزل ابنه عبد العزيز لسدّها و جهاد عدوّها، و أنزله بقرطبة فاتخذها دار إمارة، و احتلّ موسى بالقيروان سنة خمس و تسعين، و ارتحل إلى المشرق سنة ستّ بعدها بما كان معه من الغنائم و الذخائر و الأموال على العجل و الظهر. يقال: إن من جملتها ثلاثين ألف رأس من السبي، و ولى على إفريقية ابنه عبد الله، و قدم على سليمان بن عبد الملك فسخطه و نكبه. و ثارت عساكر الأندلس بابنه عبد العزيز بإغراء سليمان فقتلوه لستين من ولايته، و كان خيرا فاضلا، و افتتح في ولايته مدائن كثيرة. و ولى من بعده أيوب بن حبيب اللخمي، و هو ابن أخت موسى بن نصير، فولى عليها ستة أشهر. ثم تابعت ولاة العرب على الأندلس؛ تارة من قبل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٩١

الخليفة، و تارة من قبل عامله بالقيروان، و أثنوا في أمم الكفر، و افتتحوا برشلونه من جهة المشرق، و حصون قشتالة و بساطها من جهة الجوف، و انقرضت أمم القوط، و أوى الجلالقة و من بقى من أمم العجم إلى جبال قشتالة و أربونة و أفواه الدروب فتحصّينوا بها، و أجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونه من دروب الجزيرة حتى احتلّوا البساط وراءها، و توغّلوا في بلاد الفرنجة، و عصفت

ريح الإسلام بأمر الكفر من كل جهة، وربما كان بين جنود الأندلس من العرب اختلاف و تنازع أو وجد للعدو بعض الكثرة، فرجع الإفرنج ما كانوا غلبوهم عليه من بلاد برشلونة لعهد ثمانين سنة من لدن فتحها، واستمر الأمر على ذلك». و كان محمد بن يزيد عامل إفريقية لسليمان بن عبد الملك - لما بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير - بعث إلى الأندلس الحر بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، فقدم الأندلس، و عزل أيوب بن حبيب، و ولي ستين و ثمانية أشهر. ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الأندلس السيمح بن مالك الخولاني على رأس المائة من الهجرة، و أمره أن يخمس أرض الأندلس، فخمسها، و بنى قنطرة قرطبة، و استشهد غازيا بأرض الفرنجة سنة اثنتين و مائة، فقدم أهل الأندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي إلى أن قدم عنبسة بن سحيم الكلبي من قبل يزيد بن أبي مسلم عامل إفريقية، فقدمها في صفر سنة ثلاث و مائة، فاستقام أمر الأندلس، و غزا الفرنجة، و توغل في بلادهم، و استشهد سنة سبع و مائة لأربع سنين و أربعة أشهر.

[ولاء الأمراء و أمراؤها]

ثم تابعت ولاء الأندلس من قبل أمراء إفريقية، فكان أولهم يحيى بن سلمة الكلبي، أنفذه بشر بن صفوان الكلبي والي إفريقية، لما استدعى منه أهل الأندلس واليا بعد مقتل عنبسة، فقدمها آخر سنة سبع، و أقام في ولايتها ستين و نصفاً، و لم يغز، و قدم إليها عثمان بن أبي نسعة اللخمي واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب إفريقية، و عزله لخمس أشهر بحذيفة بن الأحوص القيسي فوافها سنة عشر، و عزل قريبا يقال: لسنة من ولايته، و اختلف: هل تقدمه عثمان أو هو تقدم عثمان؟ ثم ولي بعده الهيثم بن عبيد الكلابي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن أيضا، قدم في المحرم سنة إحدى عشرة، و غزا أرض مقوشة فافتتحها. و توفي سنة ثلاث عشرة و مائة لستين من ولايته، و قدم بعده محمد بن عبد الله الأشجعي،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٩٢

فولى شهرين، ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب إفريقية، فدخلها سنة ثلاث عشرة، و غزا الإفرنج، و كانت له فيهم وقائع، و أصيب عسكره في رمضان سنة أربع عشرة، في موضع يعرف ببلاط الشهداء، و به عرفت الغزوة، و كانت ولايته سنة و ثمانية أشهر، ثم ولي عبد الملك بن قطن الفهري، و قدم في رمضان سنة أربع عشرة فولى ستين. - و قال الواقدي: أربع سنين - و كان ظلوما جائرا في حكومته، و غزا أرض البشكنس سنة خمس عشرة و مائة، فأوقع بهم و غنم، ثم عزل في رمضان سنة ست عشرة، و ولي عقبه بن الحجاج السلولي من قبل عبيد الله بن الحبحاب، فأقام خمس سنين محمود السيرة مجاهدا مظفرا، حتى بلغ سكنى المسلمين أربونته، و صار رباطهم على نهر ردونة. ثم وثب عليه عبد الملك بن قطن الفهري سنة إحدى و عشرين، فخلعه و قتله. و يقال: أخرجه من الأندلس و ولي مكانه إلى أن دخل بلج بن بشر بأهل الشام سنة أربع و عشرين، فغلب عليه، و ولي الأندلس سنة أو نحوها..

و قال الرازي: ثار أهل الأندلس بأمرهم عقبه في صفر سنة ثلاث و عشرين في خلافة هشام بن عبد الملك، و ولوا عليهم عبد الملك بن قطن ولايته الثانية، فكانت ولاية عقبه ستة أعوام و أربعة أشهر. و توفي بقرمونه في صفر سنة ثلاث و عشرين، و استقام الأمر لعبد الملك.

ثم دخل بلج بن بشر القشيري بجند الشام ناجيا من وقعة كلثوم بن عياض مع البربر بملوية، فثار على عبد الملك، و قتله و هو ابن سبعين سنة، و استوثق له الأمر بعد مقتل عبد الملك، و انحاز الفهريون إلى جانب، فامتنعوا عليه، و كاشفوه، و اجتمع إليهم من أنكر فعلته بابن قطن، و قام بأمرهم قطن و أمية ابنا عبد الملك بن قطن، و التقوا، فكانت الدائرة على الفهريين، و هلك بلج من الجراح التي نالته في حربهم، و ذلك سنة أربع و عشرين لسنة أو نحوها من إمارته، ثم ولي ثعلبة بن سلامة الجذامي، و غلب على إمارة الأندلس بعد مهلك بلج، و انحاز عنه الفهريون فلم يطيعوه، و ولي ستين أظهر فيهما العدل و دانت له الأندلس عشرة أشهر، إلى أن مالت به

العصبيّة في يمانيته، ففسد أمره، وهاجت الفتنة. وقدم أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى من قبل حنظلة بن صفوان عامل إفريقية؛ ركب إليها البحر من تونس سنة خمس وعشرين، فدان له أهل الأندلس وأقبل إليه ثعلبة و ابن أبى نسة و ابنا عبد الملك، فلقاهم وأحسن إليهم، واستقام أمره. وكان شجاعاً كريماً ذا رأى وحزم، وكثر أهل الشام عنده، ولم تحملهم قرطبة، ففرّقهم في البلاد، وأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها، وسماها دمشق، وأنزل أهل حمص إشبيلية، وسماها حمص، وأهل قنسرين جيان، وسماها قنسرين، وأهل الأردن رية

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٩٣

ومالقة، وسماها الأردن، وأهل فلسطين شذونة- وهى شريش- وسماها فلسطين، وأهل مصر تدمير، وسماها مصر. وقفل ثعلبة إلى المشرق، ولحق بمروان بن محمد، وحضر حروبه، وكان أبو الخطار أعرابياً عصبياً أفرط عند ولايته فى التعصب لقومه من اليمانية، وتحامل على المضريّة، وأسخط قيساً، وأمر فى بعض الأيام بالصّميل بن حاتم كبير القيسية- وكان من طوابع بلج، وهو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن، وأمر على المضريّة- فأقيم من مجلسه، وتفتح، فقال له بعض الحجاب وهو خارج من القصر: أقم عمامتك يا أبا الجوشن، فقال: إن كان لى قوم فسيقمونها، فسار الصميل بن حاتم أميرهم يومئذ وزعيمهم، وألب عليه قومه، واستعان بالمنحرفين عنه من اليمانية، فخلع أبو الخطار سنة ثمان وعشرين لأربع سنين وتسعة أشهر من ولايته، وقدم مكانه ثوابه بن سلامة الجذامى، وهاجت الحرب المشهورة. وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب إفريقية، فكتب إلى ثوابه بعهدده على الأندلس، منسلخ رجب سنة تسع وعشرين، فضبط الأندلس، وقام بأمره الصّميل، واجتمع عليه الفريقان. وهلك لسنة من ولايته. وقع الخلاف بإفريقية، والتاث أمر بنى أمية بالمشرق، وشغلوا عن قاصية الثغور بكثرة الخوارج، وعظم أمر المسوودة فبقى أهل الأندلس فوضى، ونصبوا للأحكام خاصية عبد الرحمن بن كثير. ثم اتفق جند الأندلس على اقتسام الإمارة بين المضريّة واليمانية وإدلتها بين الجندين سنة لكل دولة. وقدم المضريّة على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سنة تسع وعشرين، واستتم سنة ولايته بقرطبة دار الإمارة. ثم وافته اليمانية لميعاد إدلتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيههم واتفاقهم، فبيّتهم يوسف بمكان نزولهم من شقندة فى قرى قرطبة بممالة من الصّميل بن حاتم والقيسية وسائر المضريّة، فاستلحموهم، وثار أبو الخطار فقاتله الصّميل وهزمه وقتله سنة تسع وعشرين، واستبدّ يوسف بما وراء البحر من عدوة الأندلس، وغلب اليمانية على أمرهم، فاستكانوا لغبه، وتربصوا الدوائر إلى أن جاء عبد الرحمن الداخل. وكان يوسف ولّى الصّميل سرقسطة، فلما ظهر أمر المسوودة بالمشرق ثار الحجاب الزهرى بالأندلس داعياً لهم، وحاصر الصّميل بسرقسطة، واستمدّ يوسف، فلم يمده رجاء هلاكه لما كان يغصّ به. وأمدته القيسية،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٩٤

فأفرج عنه الحجاب، وفارق الصّميل سرقسطة فملكها الحجاب، ولّى يوسف الصّميل على طليطلة إلى أن كان من عبد الرحمن الداخل ما كان. انتهى كلام ولّى الدين بن خلدون ببعض اختصار وقال بعض المؤرخين: إن عبد الله بن مروان أخا عبد الملك كان والياً على مصر وإفريقية، فبعث إليه ابن أخيه الوليد الخليفة يأمره بإرسال موسى بن نصير إلى إفريقية، وذلك سنة سبع وثمانين للهجرة، فامتثل أمره فى ذلك.

[رواية الحميدى للفتح]

وقال الحميدى فى «جذوة المقتبس»: إن موسى بن نصير ولّى إفريقية والمغرب سنة سبع وسبعين فقدمها ومعها جماعة من الجند، فبلغه أن بأطراف البلاد من هو خارج عن الطاعة، فوجه ولده عبد الله، فأتاه بمائة ألف رأس من السبایا، ثم ولده مروان إلى جهة أخرى، فأتاه بمائة ألف رأس. وقال الليث بن سعد: بلغ الخمس ستين ألف رأس. وقال الصّيدفى: لم يسمع فى الإسلام بمثل سبایا موسى بن نصير. ووجد أكثر مدن إفريقية خالية لاختلاف أيدي البربر عليها، وكانت البلاد فى قحط شديد، فأمر الناس بالصوم و

الصلاة وإصلاح ذات البين، وخرج بهم إلى الصحراء ومعهم سائر الحيوانات، وفرق بينها وبين أولادها، فوقع البكاء والصراخ والضجيج، وأقام على ذلك إلى منتصف النهار، ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك، فقيل له: ألا تدعو لأمر المؤمنين؟ فقال: هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله تعالى، فسقوا حتى رءوا. ثم خرج موسى غازيا، وتبع البربر، وقتل فيهم قتلا ذريعا، وسبى سببا عظيما، وسار حتى انتهى إلى السوس الأدنى لا يدافعه أحد. فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا، وبدلوا له الطاعة، فقبل منهم، وولى عليهم واليا، واستعمل على طنجة وأعمالها مولاة طارق بن زياد البربري، ويقال: إنه من الصيدف، وترك عنده تسعة عشر ألفا من البربر بالأسلحة والعدّة الكاملة، وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم، وترك موسى عندهم خلقا يسيرا من العرب ليعلّموا البربر القرآن وفرائض الإسلام، ورجع إلى إفريقية، ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم. ولما استقرت له القواعد كتب إلى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الأندلس فغزاها في اثني عشر ألفا من البربر خلا اثني عشر رجلا، وصعد على الجبل المنسوب إليه يوم الاثنين خامس رجب سنة اثنتين وتسعين، وذكر عن طارق أنه كان نائما في المركب وقت التعديّة، فرأى النبيّ، صلى الله عليه وسلم، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد، هكذا ذكر ابن بشكوال. وقيل: إن موسى ندم على تأخّره، وعلم أنّ طارقا إن فتح شيئا نسب الفتح إليه دونه، فأخذ في جمع العساكر، وولى على القيروان ابنه عبد الله، وتبع طارق فلم يدركه إلّا بعد الفتح، وقال بعض العلماء: إن موسى بن نصير كان عاقلا شجاعا كريما تقيا لله تعالى، ولم يهزم له قطّ جيش، وكان والده نصير على جيوش معاوية، ومنزلته لديه مكينة، ولما خرج معاوية لصفين لم يخرج معه، فقال له: ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٩٥

عليها؟ فقال: لم يمكّني أن أشكرك بكفري من هو أولى بشكري منك، فقال: من هو؟ فقال: الله عزّ وجلّ، فأطرق مليا ثم قال: أستغفر الله، ورضى عنه.

[رجع إلى حديث طارق بن زياد]

رجع إلى حديث طارق - قال بعض المؤرخين: كان لذريق ملك الأندلس استخلف عليها شخصا يقال له تدمير، وإليه تنسب تدمير بالأندلس، فلما نزل طارق من الجبل كتب تدمير إلى لذريق: إنه قد نزل بأرضنا قوم لا ندرى أمن السماء هم أم من الأرض، فلما بلغ لذريق ذلك - وكان قصد بعض الجهات البعيدة لغزو له في بعض أعدائه - رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس، ومعهم العجل تحمل الأموال والمتاع، وهو على سريره بين دابّتين، وعليه مظلمة مكلّلة بالدّرّ والياقوت والزبرجد. فلما بلغ طارقا دنوّه قام في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم حثّ المسلمين على الجهاد، ورغبهم ثم قال: أيها الناس، أين المفرّ؟ البحر من ورائكم والعدوّ أمامكم، وليس لكم والله إلّا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام، في مأدبة اللثام، وقد استقبلكم عدوّكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا - وذر لكم إلّا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلّا ما تستخلصونه من أيدي عدوّكم، وإن امتدّت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمرا، ذهبت ريحكم، وتعوّضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقّت به إليكم مدينته الحصينة، وإنّ انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت. وإنّي لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطئه أرخص متاع فيها النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشقّ قليلا، استمتعتم بالأرفه الألدّ طويلا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفى من حظي، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدّرّ والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوى التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان،

ليكون حظّه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، و ليكون مغنمها خالصة لكم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٩٦

من دونه و من دون المؤمنين سواكم، و الله تعالى ولىّ إنيجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين، و اعلموا أنى أولّ مجيب إلى ما دعوتكم إليه، و إنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معى، فإن هلكت بعده فقد كفتكم أمره، و لم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه، و إن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه، و احملوا بأنفسكم عليه، و اكتفوا بهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يخذلون».

«فلما فرغ من تحريض أصحابه على الصبر فى قتال لذريق و أصحابه و ما وعدهم من الخير الجزيل انبسط نفوسهم، و تحققت آمالهم، و هبت رياح النصر عليهم، و قالوا له: قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه، فاحضر إليه فإننا معك و بين يديك. فركب و أصحابه فباتوا ليلتهم فى حرس إلى الصبح. فلما أصبح الفريقان تكتبوا و عتبا جيوشهم، و حمل لذريق و هو على سريره؛ و قد حمل على رأسه رواق ديباج يظلمه، و هو مقبل فى غابه من البنود و الأعلام، و بين يديه المقاتلة و السلاح، و أقبل طارق فى أصحابه عليهم الرّرد، من فوق رؤوسهم العمام البيضاء، و بأيديهم القسيّ العريية، و قد تقلدوا السيوف، و اعتقلوا الرماح، فلما نظر إليهم لذريق حلف و قال: إن هذه الصور هى التى رأيناها بيت الحكمة ببلدنا، فداخله منهم الرّعب. فلما رأى طارق لذريق قال: هذا طاغية القوم، فحمل و حمل أصحابه معه، فتفرقت المقاتلة من بيد يدي لذريق، فخلص إليه طارق، فضربه بالسيف على رأسه، فقتله على سريره، فلما رأى أصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان، و كان النصر للمسلمين، و لم تقف هزيمة العدو على موضع، بل كانوا يسلمون بلدا بلدا و معقلا معقلا».

«و لمّا سمع موسى بن نصير بما حصل من النصر لطارق عبر الجزيرة بمن معه، و لحق بمولاه طارق، فقال له: يا طارق، إنه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يمنحك الأندلس، فاستبحه هنيئا مريئا، فقال له طارق: أيها الأمير، و الله لا أرجع عن قصدى هذا، ما لم أنته إلى البحر المحيط أخوض فيه بفرسى، يعنى البحر الشمالى الذى تحت بنات نعش، و لم يزل طارق يفتح و موسى معه إلى أن بلغ إلى جليقية و هى ساحل البحر المحيط»، انتهى.

و قال الحافظ الحميدى فى كتابه «جذوة المقتبس»: «إن موسى بن نصير نغم على مولاه طارق إذ غزا بغير إذنه، و همّ بقتله، ثم ورد عليه كتاب الوليد بإطلاقه، فأطلقه و خرج معه إلى الشام»، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٩٧

[خبر بيت الحكمة الذى كان بالأندلس]

و قول لذريق: «إن هذه الصور هى التى رأيناها فى بيت الحكمة إلخ» أشار به إلى بيت حكمه اليونان، و كان من خبره- فيما حكى بعض علماء التاريخ- أن اليونان، و هم الطائفة المشهورة بالحكم، كانوا يسكنون بلاد الشرق قبل عهد الإسكندر، فلما ظهرت الفرس، و استولت على البلاد، و زاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك، انتقل اليونان إلى جزيرة الأندلس، لكونها طرفا فى آخر العمارة، و لم يكن لها ذكر إذ ذاك، و لا ملكها أحد من الملوك المعترية و لم تك عامرة، و كان أولّ من عمّر فيها و اختطها أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام، فسُميت باسمه، و لما عمرت الأرض بعد الطوفان كانت الصورة المعمورة منها عندهم على شكر طائر رأسه المشرق، و الجنوب و الشمال رجلاه، و ما بينهما بطنه، و المغرب ذنبه، و كانوا يزدرون المغرب لنسبته إلى أخصّ أجزاء الطير. و كانت اليونان لا ترى فناء الأمم إلّا بالحروب لما فيها من الإضرار و الاشتغال عن العلوم التى كان الاشتغال بها عندهم من أهمّ الأمور، فلذلك انحازوا من بين يدي الفرس إلى الأندلس. فلما صاروا إليها أقبلوا على عمارتها، فشقوا الأنهار، و بنوا المعامل، و غرسوا الجنات و الكروم، و شيّدوا الأمصار. و ملؤوها حرثا و نسلا و بنيانا، فعظمت و طابت، حتى قال قائلمهم لمّا رأى بهجتها: إن الطائر الذى صوّرت

هذه العمارة على شكله، و كان المغرب ذنبه، كان طاووسا معظم جماله في ذنبه.

و حكى أن الرشيد هارون- رحمه الله!- لما حضر بين يديه بعض أهل المغرب قال الرشيد: يقال: إن الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب، فقال الرجل: صدقوا يا أمير المؤمنين، و إنه طاووس، فضحك أمير المؤمنين الرشيد، و تعجب من سرعة جواب الرجل و انتصاره لقطره.

رجع- قال: فاغتبط اليونان بالأندلس أتم اغتباط، و اتخذوا دار الحكمة و الملك بها طليطلة؛ لأنها أوسط البلاد، و كان أهم الأمور عندهم تحصينها عمّن يتصل به خبرها من الأمم، فنظروا فإذا هو أنه لا يحسدهم على رغد العيش إلّا أرباب الشظف و الشقاء و التعب، و هو يومئذ طائفتان: العرب، و البربر، فخافوهم على جزيرتهم العامرة، فعزموا على أن يتخذوا لهذين الجنسيتين من الناس طلسما، فرصدوا لذلك أرسادا. و لما كان البربر بالقرب منهم، و ليس بينهم سوى تعديّة البحر، و يرد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع، خارجة عن الأوضاع، ازدادوا منهم نفورا، و أكثر تحذرهم من نسب أو مجاورة، حتى ثبت ذلك في طبائعهم، و صار بعضه مركبا في غرائزهم، فلما علم البربر عداوة أهل الأندلس و بعضهم لهم، أبغضوهم و حسدوهم، فلم تجد أندلسيا إلّا مبغضا بربريا، و بالعكس، إلّا أن البربر أوحج إلى أهل الأندلس؛ لوجود بعض الأشياء عندهم و فقدها ببلاد البربر.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٩٨

[حكاية ابنة ملك قادس و عمل الرحي و اتخاذ الطلسم]

و كان بنواحي غرب الأندلس ملك يوناني بجزيرة يقال لها «قادس» و كانت له ابنة في غاية الجمال، فتسامع بها ملوك الأندلس، و كانت الأندلس، كثيرة الملوك، لكل بلدة أو بلدتين ملك، فخطبوها، و خشى أبوها إن زوجها من واحد أسخط الباقين، فتخيّر، و أحضر ابنته، و كانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكورهم و إناثهم، و لذا قيل؛ إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الأرض: أدمغة اليونان، و أيدي أهل الصين، و ألسنة العرب؛ فقال لها: يا بنتي، إنني أصبحت على حيرة في أمرك ممّن يخطبك من الملوك، و ما أرضيت واحدا إلّا أسخطت الباقين، فقالت له: اجعل الأمر إليّ تخلص، فقال: و ما تقترحين؟ فقالت: أن يكون ملكا حكيما، فقال: نعم ما اخترته لنفسك، فكتب في أجوبة الملوك الخطاب، أنها اختارت من الأرواح الملك الحكيم. فلما وقفوا على الجواب سكن من لم يكن حكيما. و كان في الملوك الخاطبين حكيما، فكتب كل واحد منهما: أنا الملك الحكيم. فلما وقف على كتابيهما قال لها: يا بنتي، بقي الأمر على إشكال، و هذان ملكان حكيما، أيهما أرضيت أسخطت الآخر، فقالت: سأقترح على كل واحد منهما أمرا يأتي به، بأيهما سبق إلى الفراغ مما التمس كنت زوجته، قال: و ما الذي تقترحين عليهما؟ قالت: إننا ساكنون بهذه الجزيرة، و محتاجون إلى رحيّ تدور بها، و إنني مقترحة على أحدهما إدارتها بالماء العذب الجاري إليها من ذلك البرّ، و مقترحة على الآخر أن يتخذ لي طلسما نحصن به جزيرة الأندلس من البربر، فاستظرف أبوها ذلك، و كتب إلى الملكين بما قالت ابنته، فأجاباه إلى ذلك، و تقاسماه على ما اختارا، و شرع كل واحد منهما في عمل ما أسند إليه من ذلك.

فأما صاحب الرحيّ، فإنه عمد إلى أشكال اتخذها من الحجارة، نضد بعضها إلى بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الأندلس و البرّ الكبير في الموضع المعروف بزقاق سبتة، و سدّد الفرج التي بين الحجارة بما اقتضت حكمته، و أوصل تلك الحجارة من البرّ إلى الجزيرة، و آثاره باقية إلى اليوم في الزقاق الذي بين سبتة و الجزيرة الخضراء، و أكثر أهل الأندلس يزعمون أنّ هذا أثر قنطرة كان الإسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس من سبتة إلى الجزيرة، و الله أعلم أيّ القولين أصحّ. غير أن الشائع إلى الآن عند الناس هو الثاني. فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم، جلب الماء العذب من جبل عال في البر الكبير، و سلّطه من ساقية محكمة، و بنى بجزيرة الأندلس رحي على هذه الساقية.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ١٩٩

«و أما صاحب الطَّلسم، فإنه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله، غير أنه عمل أمره، و أحكمه، و ابنتي بنيانا مربعا من حجر أبيض على ساحل البحر في رمل عالج حفر أساسه إلى أن جعله تحت الأرض بمقدار ارتفاعه فوق الأرض ليثبت، فلما انتهى البناء المربع إلى حيث صوّر من النحاس الأحمر و الحديد المصقّى المخلوطين بأحكام الخلط صورة رجل بربرى، و له لحيه، و فى رأسه ذؤابه من شعر جعد قائمه فى رأسه لجعودتها، و هو متأبط بصوره كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بألطف تصوير و أحكمه، فى رجله نعل، و هو قائم من رأس البناء على مستهدف بمقدار رجله فقط، و هو شاهق فى الهواء، طوله يئف عن ستين أو سبعين ذراعا، و هو محدودب الأعلى، إلى أن ينتهى ما سعته قدر ذراع، و قد مدّ يده اليمنى بمفتاح قفل قابضا عليه مشيرا إلى البحر كأنه يقول: لا عبور. و كان من تأثير هذا الطَّلسم فى البحر الذى تجاهه أنه لم يرقّ ساكنا و لا كانت تجرى فيه قَطّ سفينه بربر حتى سقط المفتاح من يده. و كان الملكان اللذان عملا الرّحى و الطَّلسم يتسابقان إلى فراغ العمل، إذ بالسّيق يستحقّ زواج المرأة، و كان صاحب الرّحى فرغ أولا- لكنه أخفى أمره من صاحب الطَّلسم لئلا يترك عمله فيبطل الطَّلسم، لتحظى المرأة بالرحى و الطَّلسم. فلما علم باليوم الذى يفرغ صاحب الطلسم فى آخره أجرى الماء فى الجزيرة من أوله و أدار الرّحى، و اشتهر ذلك، فاتصل الخبر بصاحب الطَّلسم و هو فى أعلى القبة يصقل وجهه، و كان الطَّلسم مذهبا فلما تحقّق أنه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتا، و حصل صاحب الرّحى على المرأة و الرّحى و الطَّلسم. و كان من تقدّم من ملوك اليونان يخشى على الأندلس من البربر للسبب الذى قدّمنا ذكره، فاتفقوا و جعلوا الطَّلسمات فى أوقات اختاروا أرسادها، و أودعوا تلك الطَّلسمات تابوتا من الرخام، و تركوه فى بيت بطليطة و ركّبوا على ذلك الباب قفلا، تأكيدا لحفظ ذلك البيت، فاستمرّ أمرهم على ذلك.

[فتح لذريق بيت الحكمة، و ما وجد فيه]

و لما حان وقت انقراض دوله من كان بالأندلس و دخول العرب و البربر إليها، و ذلك بعد مضيّ ستّ و عشرين ملكا من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات بطليطة، و كان لذريق المذكور آنفا هو تمام السابع و العشرين من ملوكهم، فلما اقتعد أريكه الملك قال لوزرائه و خواصّ دولته و أهل الرأى منهم: قد وقع فى نفسى من أمر هذا البيت الذى عليه ستّ و عشرون قفلا شىء، و أريد أن أفتحه لأنظر ما فيه؛ لأنه لم يعمل عبثا، فقالوا: أيها الملك، صدقت، إنه لم يصنع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٠٠

عبثا، و لم يقفل سدى، و الرأى و المصلحه أن تلقى أنت أيضا عليه قفلا أسوء بمن تقدّمك من الملوك، و كان آباؤك و أجدادك لم يهملوا هذا، فلا تهمله، و سر سيرهم، فقال لهم: إن نفسى تنازعى إلى فتحه، و لا بدّ لى منه، فقالوا له: إن كنت تظن أن فيه مالا فقدّره و نحن نجتمع لك من أموالنا نظيره، و لا تحدث علينا بفتحه حادثا لا نعرف عاقبته، فأصرّ على ذلك، و كان رجلا مهيبا، فلم يقدروا على مراجعته، و أمر بفتح الأقفال، و كان على كل قفل مفتاحه معلقا. فلما فتح الباب لم ير فى البيت شيئا إلّا مائدة عظيمة من ذهب و فضة مكلّلة بالجواهر، و عليها مكتوب: هذه مائدة سليمان بن داود عليهما الصلاة و السلام، و رأى فى البيت ذلك التابوت، و عليه قفل، و مفتاحه معلق، ففتحه، فلم يجد فيه سوى رقّ، و فى جوانب التابوت صور فرسان مصوّرة بأصابع محكمة التصوير على أشكال العرب، و عليهم الفراء، و هم معّمون على ذؤائب جعد، و من تحتهم الخيل العربية، و هم متقلّدون السيوف المحلّاة، معتقلون الرماح، فأمر بنشر ذلك الرقّ، فإذا فيه: متى فتح هذا البيت و هذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم فى التابوت إلى جزيرة الأندلس، و ذهب ملكك من فيها من أيديهم، و بطلت حكمتهم؛ فلما سمع لذريق ما فى الرقّ ندم على ما فعل، و تحقّق انقراض دولتهم، فلم يلبث إلّا قليلا حتى سمع أن جيشا وصل من المشرق جهّزه ملك العرب ليفتح بلاد الأندلس، انتهى.

فهذا هو بيت الحكمة الذى أشار إليه لذريق، و الله أعلم بحقيقه الأمر فى ذلك كله.

على أن فى هذا السياق مخالفة لما سنذكره عن بعض ثقافت مؤرخى الأندلس و غيرهم فى شأن المائدة و غيرها، و ما ذكر فى هذه

القصّة من جلب الماء من برّ العدوّة إلخ فيه بعد عندي؛ لأن بلاد الأندلس أكثر بلاد الله مياها وأنهارا، فأئى تحتاج إلى جلب الماء إليها من العدوّة الأخرى؟ إلا أن يقال: إن المرأة أرادت تعجيز الرجل بذلك، أو اختبار حكمته حتى يفعل هذا الأمر الغريب، و علم الله من وراء ذلك كله، و فوق كل ذى علم عليهم، و منتهى العلم إلى الله الحكيم.

[ابن حيان يتحدث عن فتح الأندلس و يذكر أمراءها]

و قال ابن حيان فى «المقتبس»: «ذكروا أن لذريق لم يكن من أبناء الملوك، و لا بصحيح النسب فى القوط، و أنه إنما نال الملك من طريق الغصب و التسوّر عندما مات غيطشّة الملك الذى كان قبله، و كان أثيرا لديه، مكينا، فاستصغر أولاده لمكانه، و استمال طائفة من الرجال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٠١

مالوا معه، فانترع الملك من أولاد غيطشّة و استبقاهم، فكانوا هم الذين دبروا عليه- فيما ذكر- عندما لقي رجال العرب المقتحمين عليه بالأندلس من تلقاء بحر الرّقاق و عليهم طارق بن زياد مولى موسى بن نصير طماعه منهم فى أن يودى و يخلص إليهم ملك أبيهم، فالتقوا بموضع يدعى وادى لكّه من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الأندلس القبلى مكان عبورهم، و ذلك لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين و تسعين من الهجرة، فانهمز القوط أعظم هزيمة، و قتل ملكهم لذريق، و غلبت العرب على الأندلس، فصارت أقصى فتوحهم من أرض المغرب، و مصداق موعد نبيهم، صلى الله عليه و سلم، الكفيل بفتح ما بين المشرق و المغرب عليهم بوحى الله تعالى إليه أنجزه لهم بفتح الأندلس، و لله القوّة».

قال: «و قام بأمر العرب بالأندلس منذ فتحت الأمراء المرسلون منهم عليها من قبل أئمة المسلمين بالمشرق طوال دولة بنى أمية، رضى الله تعالى عنهم، إلى أن طرأ إليها فلهم عند غلبة بنى العباس عليهم، و دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، فملكها و أعاد إليها الدولة الأموية التى أورثها عقبه حقه. فكانت عدّه هؤلاء الأمراء من لدن أولهم طارق بن زياد إلى آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى عشرين عاملا، و عدّه سنهم بالشمسى خمس و أربعون سنة، و بالقمرى سبع و أربعون سنة غير أشهر»، انتهى.

و قال فى موضع آخر، نقلا- عن الرازى: «و افتتحت الأندلس فى أيام الوليد بن عبد الملك، فكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت فى ظهور الملمّة الحنيفة، و كان عمر بن عبد العزيز- رضوان الله عليه!- متهمّا بها، معتنيا بشأنها، و قد حوّلها عن نظر والى إفريقية و جرّد إليها عاملا من قبله اختاره لها، دلالة على معنيته بها، و وقعت المقاسم فيها عن أمره و بفضل رأيه»، انتهى.

[ملخص خبر الفتح من الكتاب الخزانى]

و فى الكتاب الخزانى و غيره سياقه فتح الأندلس على أتمّ الوجوه، فلنذكر ملخصه، قالوا: استعمل أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك- رحمه الله تعالى!- موسى بن نصير مولى عمّه عبد العزيز بن مروان، و يقال: بل هو بكرى، و ذلك أن أباه نصيرا أصله من عروج

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٠٢

أصابهم خالد بن الوليد- رضى الله عنه!- فى عين التمر، فادّعوا أنهم رهن و أنهم من بكر بن وائل، فصار نصير و صيفا لعبد العزيز بن مروان، فأعتقه، فمن هذا يختلف فيه، و قيل: إنه لخمى، و عقد له على إفريقية و ما خلفها فى سنة ثمان و ثمانين، فخرج إلى ذلك الوجه فى نفر قليل من المطّوعة، فلمّا ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا، و أتى إفريقية عمله، فأخرج من أهلها معه ذوى القوّة و

الجلد، و صير على مقدمته طارق بن زياد، فلم يزل يقاتل البربر و يفضّ جموعهم، و يفتح بلادهم و مدائنهم، حتى بلغ طنجة، و هي قسبة ملك البربر و أمّ مدائنهم، فحصرها حتى افتتحها، و قيل: إنها لم تكن افتتحت قبله، و قيل: افتتحت ثم ارتجعت، فأسلم أهلها، و خطّها قيروانا للمسلمين. ثم ساروا إلى مدائن على شطّ البحر فيها عمال لصاحب الأندلس قد غلبوا عليها و على ما حولها، و رأس تلك المدائن سبتة، و عليها عالج يسمى يليان، قاتله موسى فألفاه في نجدة و قوّة و عدة فلم يطقه، فرجع إلى مدينة طنجة فأقام بمن معه، و أخذ في الغارات على ما حولهم و التضييق عليهم، و السفن تختلف إليهم بالميرة و الأمداد من الأندلس من قبل ملكها غيطش، فهم يذبون عن حريمهم ذباً شديداً، و يحمون بلادهم حمايةً تامّة، إلى أن هلك غيطش ملك الأندلس، و ترك أولاداً لم يرضهم أهلها للملك، فاضطرب حبل أهل الأندلس، ثم تراضوا بعلي من كبارهم يقال له لذريق، مجرب شجاع بطل، ليس من بيت أهل الملك، إلّا أنه من قوادهم و فرسانهم، فولّوه أمرهم، و كانت طليطلة دار الملك بالأندلس حينئذ، و كان بها بيت مغلق متحامى الفتح على الأيام، عليه عدّة من الأقبال يلزمه قوم من ثقات القوط، قد وكّلوا به لئلا يفتح، و قد عهد الأول في ذلك إلى الآخر، فكلّموا قعد منهم ملك أتاه أولئك الموكّلون بالبيت فأخذوا منه قفلاً و صيروه على ذلك الباب من غير أن يزيلوا قفل من تقدّمه، فلما قعد لذريق هذا، و كان متهمّاً يقظاً ذا فكر، أتاه الحرّاس يسألونه أن يقفل على الباب، فقال لهم: لا أفعل أو أعلم ما فيه، و لا بدّ لي من فتحه، فقالوا له: أيها الملك، إنه لم يفعل هذا أحد ممّن قبلك، و تناهوا عن فتحه، فلم يلتفت إليهم، و مشى إلى البيت، فأعظمت ذلك العجم و ضرع إليه أكابره في الكفّ، فلم يفعل، و ظنّ أنه بيت مال، ففضّ الأقبال عنه، و دخل، فأصابه فارغاً لا شيء فيه، إلّا تابوتا عليه قفل، فأمر بفتحه يحسب أن مضمونه يقنعه نفاساً، فألفاه أيضاً فارغاً ليس فيه إلّا شقّة مدرجة قد صوّرت فيها صور العرب عليهم العمام و تحتهم الخيول العرب متقلّدى السيوف متنكبي القسي رافعي الرايات على الرماح، و في أعلاها أسطر مكتوبة بالعجمية، فقرئت فإذا فيها: إذا كسرت الأقبال عن هذا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٠٣

البيت و فتح هذا التابوت فظهر ما فيه من هذه الصور فإن هذه الأمّة المصوّرة في هذه الشقّة تدخل الأندلس، فتغلب عليها و تملكها، فوجم لذريق و ندم على ما فعل، و عظم غمّه و غمّ العجم بذلك، و أمر بردّ الأقبال و إقرار الحرس على حالهم، و أخذ في تدبير الملك، و ذهل عمّا أنذر به.

و كان من سير أكابر العجم بالأندلس و قوادهم أن يبعثوا أولادهم الذين يريدون منفعتهم و التنويه بهم إلى بلاد الملك الأكبر بطليطلة ليصيروا في خدمته، و يتأدّبوا بأدبه، و ينالوا من كرامته، حتى إذا بلغوا أنكح بعضهم بعضاً استئلافاً لأبائهم، و حمل صدقاتهم، و تولّى تجهيز إناثهم إلى أزواجهنّ. فاتفق أن فعل ذلك يليان عامل لذريق على سبتة، و كانت يومئذ في يد صاحب الأندلس، و أهلها على النصرانية، ركب الطريقة بانبه له بارعة في الجمال تكرم عليه، فلما صارت عند لذريق وقعت عينه عليها، فأعجبت، و أحبّها حبّاً شديداً، و لم يملك نفسه حتى استكرهها و افتضّها، فاحتالت حتى أعلمت أباهاً بذلك سرّاً، بمكاتبة خفيّة، فأحفظه شأنها جدّاً، و اشتدّت حميتّه، و قال: و دين المسيح لأزيلنّ ملكه و سلطانه، و لأحفرنّ تحت قدميه، فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب في فتح الأندلس بالذي سبق من قدر الله تعالى.

ثم إن يليان ركب بحر الزقاق من سبتة في أصعب الأوقات في ينير قلب الشتاء، فصار بالأندلس، و أقبل إلى طليطلة نحو الملك لذريق، فأنكر عليه مجيئه في مثل ذلك الوقت، و سأله عمّاً لديه، و ما جاء فيه، و لم جاء في مثل وقته؟ فذكر خيراً، و اعتلّ بذكر زوجته، و شدّة شوقها إلى رؤية بنتها التي عنده، و تمنّيها لقاءها قبل الموت، و إلحاحها عليه في إحضارها، و أنه أحبّ إسعافها، و رجا بلوغها أمنيته منها، و سأل الملك إخراجها إليه، و تعجيل إطلاقه للمبادرة بها، ففعل، و أجاز الجارية، و توثّق منها بالكتمان عليه، و أفضل على أبيها، فانقلب عنه، و ذكروا أنه لما ودّعه قال له لذريق: إذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشّدائقات التي لم تزل تطرفنا بها فإنها آثر جوارحنا لدينا، فقال له: أيها الملك، و حقّ المسيح لئن بقيت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٠٤

لأدخلنّ عليك شذائقات ما دخل عليك مثلها قطّ، عرض له بالذى أضمره من السعى فى إدخال رجال العرب عليه، و هو لا يفتن، فلم يتنهه يليان عندما استقرّ بسبته عمله أن تهياً للمسير نحو موسى بن نصير الأمير، فمضى نحوه بإفريقية، و كلمه فى غزو الأندلس، و وصف له حسنها و فضلها، و ما جمعت من أشتات المنافع، و أنواع المرافق، و طيب المزارع، و كثرة الثمار، و ثرارة المياه و عذوبتها، و هوّن عليه مع ذلك حال رجالها، و وصفهم بضعف البأس و قلّة الغناء، فشوّق موسى إلى ما هناك، و أخذ بالحزم فيما دعاه إليه يليان، فعاقده على الانحراف إلى المسلمين، و استظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل ملّته من الأندلس المشركين و الاستخراج إليهم بالدخول إليها و شنّ الغارة فيها، ففعل يليان ذلك، و جمع جمعا من أهل عمله، فدخل بهم فى مركبين و حلّ بساحل الجزيرة الخضراء، فأغار و قتل و سبى و غنم، و أقام بها أياما، ثم رجع بمن معه سالمين، و شاع الخبر عند المسلمين، فأنسوا بيليان و اطمأنوا إليه، و كان ذلك عقب سنة تسعين، فكتب موسى بن نصير إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك يخبره بالذى دعاه إليه يليان من أمر الأندلس، و يستأذنه فى اقتحامها، فكتب إليه الوليد: أن خضها بالسرايا حتى ترى و تختبر شأنها، و لا- تغرّ بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال، فراجع أنه ليس ببحر زخار، و إنما هو خليج منه يبيّن لناظر ما خلفه، فكتب إليه: و إن كان فلا بدّ من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه. فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من البرابرة اسمه طريف يكنى أبا زرعة فى أربعمئة رجل معهم مائة فرس سار بهم فى أربعة مراكب، فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الأندلس المعروفة بالخضراء التى هى اليوم معبر سفائنهم و دار صناعتهم، و يقال لها اليوم «جزيرة طريف» لنزوله بها، و أقام بها أياما حتى التأم إليه أصحابه، ثم مضى حتى أغار على الجزيرة فأصاب سببا لم ير موسى و لا أصحابه مثله حسنا، و مالا جسيما، و أمتعة، و ذلك فى شهر رمضان سنة إحدى و تسعين. فلما رأى الناس ذلك تسرّعوا إلى الدخول، و قيل: دخل طريف فى ألف رجل، فأصاب غنائم و سببا، و دخل بعده أبو زرعة من البرابرة، و ليس بطريف، فى ألف رجل منهم أيضا فأصابوا أهل الجزيرة قد تفرّقوا عنها، فضرّموا عامتها بالنار، و حرّقوا كنيسته بها كانت عندهم معظّمة، و أصابوا سببا يسيرا، و قتلوا و انصرفوا سالمين.

و قال الرازى: هو أبو زرعة طريف بن مالك المعافى، الاسم طبق الكنية.

قالوا: ثم عاود يليان القدوم على موسى بن نصير محرّكا فى الاقتحام على أهل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٠٥

الأندلس، و خبره بما كان منه و من طريف أبى زرعة، و ما نالوه من أهلها، و باشروه من طيها، فحمد الله على ذلك، و استجدّ عرما فى إقحام المسلمين فيها، فدعا مولى له كان على مقدّمته يسمّى طارق بن زياد بن عبد الله فارسيا همذانيّا، و قيل: إنه ليس بمولى لموسى، و إنما هو رجل من صدف، و قيل: مولى لهم، و قد كان بعض عقبه بالأندلس ينكرون ولاء موسى إنكارا شديدا، و قيل: إنه بربرى من نفرة، ففقد له موسى، و بعثه فى سبعة آلاف من المسلمين جلّهم البربر و الموالى، و ليس فيهم عرب إلّا قليل، و وجهه معه يليان، فهيا له يليان المراكب، فركب فى أربعة سفن لا صناعة له غيرها، و حطّ بجبل طارق المنسوب إليه يوم سبت فى شعبان سنة اثنتين و تسعين، فى شهر أغسطس، ثم صرف المراكب إلى من خلفه من أصحابه، فركب من بقى من الناس، و لم تزل السفائن تختلف إليهم حتى توافى جميعهم عنده بالجبل، و قيل: حلّ طارق بجبله يوم الاثنين لخمسة خلون من رجب من السنة فى اثنى عشر ألفا غير ستة عشر رجلا من البرابرة، و لم يكن فيهم من العرب إلّا يسير، أجازهم يليان إلى ساحل الأندلس فى مراكب التجار من حيث لم يعلم بهم، أوّلا أوّلا، و ركب أميرهم طارق آخرهم.

قيل: و أصاب طارق عجوزا من أهل الجزيرة، فقالت له فى بعض قولها: إنه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل إلى بلدهم هذا، و يغلب عليه، و يصف من نعتة أنه ضخم الهامة، فأنت كذلك، و منها أن فى كتفه الأيسر شامة عليها شعر، فإن كانت بك هذه العلامة فأنت هو، فكشف طارق ثوبه فإذا بالشامة فى كتفه على ما ذكرته العجوز، فاستبشر بذلك هو و من معه.

و ذكر عن طارق أنه كان نائما في المركب فرأى في منامه النبي، صلى الله عليه و سلم، و الخلفاء الأربعة أصحابه عليهم الصلاة و السلام يمشون على الماء حتى مروا به، فبشّره النبي، صلى الله عليه و سلم، بالفتح، و أمره بالرفق بالمسلمين، و الوفاء بالعهد. و قيل: إنه لما ركب البحر غلبته عينه فكان يرى النبي، صلى الله عليه و سلم، و حوله المهاجرون و الأنصار قد تقلدوا السيوف و تنكبوا القسي، فيقول له رسول الله، صلى الله عليه و سلم: يا طارق، تقدّم لشأنك، و نظر إليه و إلى أصحابه قد دخلوا الأندلس قدامه، فهبّ من نومه مستبشرا، و بشّر أصحابه، و ثابت إليه نفسه ثقةً ببشراه، فقويت نفسه، و لم يشكّ في الظفر، فخرج من البلد، و اقتحم بسيط البلاد شائنا للغارة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٠٦

قالوا: و وقع على لذريق الملك خبر اقتحام العرب ساحل الأندلس، و توالى غاراتهم على بلد الجزيرة، و أنّ يليان السبب فيها، و كان يومئذ غائبا بأرض بنبلونة في غزاة له إلى البشكنس لأمر كان استصعب عليه بناحتهم، فعظم عليه، و فهم الأمر الذي منه أتى، و أقبل مبادرا الفتق في جموعه، حتى احتلّ بمدينة قرطبة من المتوسطة و نزل القصر المدعوّ بها ببلاط لذريق المنسوب إليه، و ليس لأنه بناه أو اخترعه - و هو بناء من تقدّمه من الملوك اتّخذوه لمنزلهم في قرطبة إذا أتوها - إلّا أن العرب لما غلبوا لذريق و هذا القصر من مواطنه نسبوه إليه، إذ لم يعرفوا من بناه، و يزعم العجم أنّ الذي بناه ملك منهم كان ساكنا بحصن المدور أسفل قرطبة، و خرج يوما يتصيد حتى انتهى إلى مكان قرطبة، و هى يومئذ خراب، و كان فى موضع قصرها غيضةً عليق ملتفة أشبه، فأرسل الملك بازيا له يكرم عليه على حجله عنّت له من ناحية الكدية المنسوبة بعد إلى أبي عبيدة، فتخبّت فى ذلك العليق، و لجّ البازى فى الانقضاض عليها، فركض الملك خلفه حتى وقف على مكانه ليخرجه، فأمر بقطعها لاستنقاذ بازيه ضنا منه به، فقطعت، و بدا له تحتها أساس قصر عظيم راقه رصه، و قد كان ذا همّة، فأمر بالكشف عنه، و تقصّى حدوده طولاً و عرضاً، و تتبع أشه و أصله، فوجده مبثيا من وجه الماء بصمّ الحجارة فوق زرجون وضع بينها و بين الماء بأحكام صناعة، فقال: هذا أثر ملك كريم، و أنا أولى من جدّده، فأمر بإعادته إلى هيئته، و اتّخذه منزلا من منازل راحاته، فكان إذا طاف بعمله أو مضى فى متصيده نزل فيه، و صار السبب فى بناء قرطبة إلى جنبه، و نزل الناس فيها، و توارث الملوك قصرها من بعد، و نزل لذريق فى زحفه إلى العرب أياما، و الحشود من أعماله تتوافى إليه، ثم مضى نحو كورة شذونة يبغى لقاءهم فى حشوده الكثيرة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٠٧

و قيل: إن آخر ملوك الأندلس الذين تلتهم العرب غيظشّة، و إنه هلك عن أولاد ثلاثة صغار لم يصلحوا للملك، فضبطت أمهم عليهم ملك و الدهم بطليطلة، و انحرف لذريق قائد الخيل لوالدهم فيمن تبعه عنهم، فصار بقرطبة، فلما اقتحم طارق الأندلس نفر إليه لذريق و استنفر إليه أجناد أهل الأندلس، و كتب إلى أولاد غيظشّة - و قد ترعرعوا، و ركبوا الخيل، و اتّخذوا الرجال - يدعوهم إلى الاجتماع معه على حرب العرب، و يحذّرهم من القعود عنه، و يحضّهم على أن يكونوا على عدوّهم يدا واحدة، فلم يجدوا بدّا، و حشدوا، و قدموا عليه بقرطبة، فنزلوا أكناف قرية شقندة بعدوة نهرها قبالة القصر، و لم يطمئنا إلى الدخول على لذريق أخذا بالحزم، إلى أن استتبّ جهاز لذريق و خرج، فانضمّوا إليه، و مضوا معه و هم مرصدون لمكروهه. و الأصح - و الله أعلم - ما سبق أن ملك القوط اجتمع للذريق، و اختلف فى اسمه: فقيل رذريق - بالراء أوله - و قيل باللام لذريق و هو الأشهر، و قيل: إن أصله من أصبهان و يسمّى الأشبان، و الله أعلم.

قالوا: و عسكر لذريق فى نحو مائة ألف ذوى عدد و عدّة، فكتب طارق إلى موسى يستمدّه و يعرفه أنه فتح الجزيرة الخضراء فرضة الأندلس، و ملك المجاز إليها، و استولى على أعمالها إلى البحيرة، و أنّ لذريق زحف إليه بما لا قبل له به، إلّا أن يشاء الله، و كان موسى منذ وجّه طارقا لوجهه، قد أخذ فى عمل السفن حتى صار عنده منها عدّة كثيرة، فحمل إلى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مددا كملت بهم عدّة من معه اثنى عشر ألفا أقوياء على المغانم، حراسا على اللقاء، و معهم يليان المستأمن إليهم فى رجاله

و أهل عمله يدلّهم على العورات، و يتجسّس الأخبار، و أقبل نحوهم لذريق في جموع العجم و ملوكها و فرسانها، فتلاقوا فيما بينهم، و قال بعضهم لبعض: إن هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا، و ليس من أهله، و إنما كان من أتباعنا، فلسنا نعدم من سيرته خبالا في أمرنا، و هؤلاء القوم الطارقون لا- حاجة لهم في استيطان بلدنا، و إنما مرادهم أن يملثوا أيديهم من الغنائم، ثم يخرجوا عنّا، فهلم فلننهزم بآبن الخبيثة إذا نحن لقينا القوم لعلهم يكفوننا إياه، فإذا انصرفوا عنّا أقعدنا في ملكنا من يستحقّه، فأجمعوا على ذلك، و القضاء يبرم ما ارتثوه.

و كان لذريق ولى ميمته أحد ابني غبطشه، و ميسرته الآخر، فكانا رأسى الذين أداروا عليه الهزيمة. و أذاهما إلى ذلك طمع رجوع ملكك والدهما إليهما.

و قيل: لما تقابل الجيشان أجمع أولاد غيطشه على الغدر بلذريق، و أرسلوا إلى طارق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٠٨

يعلمونه أنّ لذريق كان تابعا و خادما لأبيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه و أنهم غير تاركى حقهم لديه، و يسألونه الأمان على أن يميلوا إليه عند اللقاء فيمن يتبعهم، و أن يسلم إليهم إذا ظفر ضياع و الدهم بالأندلس كلها، و كانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة، و هى التى سميت بعد ذلك صفايا الملوك، فأجابهم إلى ذلك، و عاقدهم عليه، فالتقى الفريقان من الغد، فانحاز الأولاد إلى طارق، فكان ذلك أقوى أسباب الفتح. و كان الالتقاء على وادى لكّة من كورة شذونة، فهزم الله الطاغية لذريق و جموعه، و نصر المسلمين نصرا لا كفاء له، و رمى لذريق نفسه فى وادى لكّة و قد أثقلته الجراح، فلم يعلم له خبر و لم يوجد.

و قيل: نزل طارق بالمسلمين قريبا من عسكر لذريق منسلخ شهر رمضان سنة ٩٢، فوجد لذريق علجا من أصحابه قد عرف نجاته و وثق بياسه ليشرف على عسكر طارق فيحزر عددهم و يعاين هياتهم و مراكبهم، فأقبل ذلك العليج حتى طلع على العسكر، ثم شدّ فى وجوه من استشرفه من المسلمين، فوثبوا إليه، فولّى منصرفا راكضا، وفاتهم بسبق فرسه، فقال العليج للذريق أتتك الصور التى كشف لك عنها التابوت، فخذ على نفسك، فقد جاءك منهم من لا يريد إلّا الموت أو إصابه ما تحت قدميك، قد حرقوا مراكبهم إياسا لأنفسهم من التعلّق بها، و صفوا فى السهل موطنين أنفسهم على الثبات، إذ ليس لهم فى أرضنا مكان مهرب، فرعب و تضاعف جزعه، و التقى العسكران بالبحيرة، و اقتتلوا قتالا شديدا، إلى أن انهزمت ميمنة لذريق و ميسرته، انهزم بهما أبناء غيطشه، و ثبت القلب بعدهما قليلا و فيه لذريق، فعذّر أهله بشيء من قتال، ثم انهزموا، و لذريق أمامهم، فاستمرت هزيمتهم، و أذرع المسلمون القتل فيهم، و خفى أثر لذريق فلا يدرى أمره، إلّا أن المسلمين وجدوا فرسه الأشهب الذى فقد و هو راكبه، و عليه سرج له من ذهب مكلّل بالياقوت و الزبرجد، و وجدوا أحد خفيه و كان من ذهب مكلّل بالدّرّ و الياقوت و الزبرجد، و قد ساخ الفرس فى طين و حمأة، و غرق العليج، فثبت أحد خفيه فى الطين فأخذ، و خفى الآخر، و غاب شخص العليج و لم يوجد حيّا و لا ميتا، و الله أعلم بشأنه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٠٩

[رواية الرازى فى شأن الفتح]

و قال الرازى: كانت الملاقاة يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد خمس خلون من شوال بعد تمّة ثمانية أيام، ثم هزم الله المشركين، فقتل منهم خلق عظيم، أقامت عظامهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بتلك الأرض. قالوا: و حاز المسلمون من عسكرهم ما يجلّ قدره، فكانوا يعرفون كبار العجم و ملوكهم بخواتم الذهب يجدونها فى أصابعهم و يعرفون من دونهم بخواتم الفضة، و يميزون عبيدهم بخواتم النحاس، فجمع طارق الفىء و خمسة، ثم اقتسمه أهله على تسعة آلاف من المسلمين سوى العبيد و الأتباع، و تسمع الناس من أهل برّ العدوّة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغانم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه، و خرّقوا البحر على كل ما قدروا عليه من و ركب و قشر، فلققوا بطارق، و ارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون و القلاع، و

تهاربوا من السهل، و لحقوا بالجبال، ثم أقبل طارق حتى نزل بأهل مدينة شذونة، فامتنعوا عليه، فشدّ الحصر عليهم حتى نهكهم و أضربهم، فتهتياً له فتحها عنوة، فحاز منها غنائم، ثم مضى منها إلى مدور، ثم عطف على قرمونة فمّر بعينه المنسوبة إليه، ثم مال على إشبيلية فصالحه أهلها على الجزية، ثم نازل أهل إستجة و هم في قوّة و معهم فلّ عسكر لذريق، فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل و الجراح بالمسلمين، ثم إن الله تعالى أظهر المسلمين عليهم، فانكسروا، و لم يلق المسلمون فيما بعد ذلك حربا مثلها، و أقاموا على الامتناع إلى أن ظفر طارق بالعلاج صاحبها، و كان مغتراً سييء التدبير، فخرج إلى النهر لبعض حاجاته وحده، فصادف طارقا هناك قد أتى لمثل ذلك، و طارق لا يعرفه، فوثب عليه طارق في الماء، فأخذه و جاء به إلى العسكر، فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة، فصالحه طارق على ما أحبّ، و ضرب عليه الجزية، و خلّى سبيله، فوفى بما عاهد عليه، و قذف الله الرعب في قلوب الكفرة لما رأوا طارقا يوغل في البلاد. و كانوا يحسبونه راغبا في المغنم عاملا على القفول، فسقط في أيديهم، و تطايروا عن السهول إلى المعقل، و صعد ذوو القوّة منهم إلى دار مملكتهم طليطلة، قيل: و كان من إرهاب طارق لنصارى الأندلس و حيله أن تقدّم إلى أصحابه في تفصيل لحوم القتلى بحضرة أسراهم و طبخها في القدور، يرونهم أنهم يأكلونها، فجعل من انطلق من الأسرى يحدّثون من وراءهم بذلك فتمتلىء منه قلوبهم رعبا و يجفلون فرارا، قالوا: و قال يليان لطارق: قد فضضت جيوش القوم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢١٠

و رعبوا، فاصمد لبيضتهم، و هؤلاء أدلاء من أصحابي مهرة، ففرّق جيوشك معهم في جهات البلاد، و اعمد أنت إلى طليطلة حيث معظمهم، فاشغل القوم عن النظر في أمرهم و الاجتماع إلى أولى رأيهم، ففرّق طارق جيوشه معهم من إستجة، فبعث مغيثا الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة، و كانت من أعظم مدائنهم، في سبعمائة فارس؛ لأنّ المسلمين ركبوا جميعا خيل العجم، و لم يبق فيهم راجل، و فضلت عنهم الخيل، و بعث جيشا آخر إلى مالقة، و آخر إلى غرناطة مدينة إلبيرة، و سار هو في معظم الناس إلى كورة جيان يريد طليطلة، و قد قيل: إن الذي سار لقرطبة طارق بنفسه، لا مغيث، قالوا: فكمنوا بعدوة نهر شقندة في غيضة أرز شامخة، و أرسلت الأدلاء فأمسكوا راعي غنم فسئل عن قرطبة فقال: رحل عنها عظماء أهلها إلى طليطلة، و بقي فيها أميرها في أربعمائة فارس من حماتهم مع ضعفاء أهلها، و سئل عن سورها فأخبر أنه حصين عال فوق أرضها إلّا أنه فيه ثغرة و وصفها لهم، فلما أجنّهم الليل أقبلوا نحو المدينة و وطأ الله لهم أسباب الفتح بأن أرسل السماء برداذا أخفى دقدقه حوافر الخيل، و أقبل المسلمون رويدا حتى عبروا نهر قرطبة ليلا، و قد أغفل حرس المدينة احتراس السور، فلم يظهروا عليه ضيقا بالذي نالهم من المطر و البرد، فترجّل القوم حتى عبروا النهر، و ليس بين النهر و السور إلّا مقدار ثلاثين ذراعا أو أقلّ، و راموا التعلّق بالسور فلم يجدوا متعلّقا، و رجعوا إلى الراعي في دلالتهم على الثغرة التي ذكرها، فأراهم إياها. فإذا بها غير متسهلة التسنّم، إلّا أنه كانت في أسفلها شجرة تين مكنت أفنانها من التعلّق، بها. فصعد رجل من أشداء المسلمين في أعلاها، و نزع مغيث عمامته فناوله طرفها، و أعان بعض الناس بعضا حتى كثروا على السور، و ركب مغيث و وقف من خارج، و أمر أصحابه المرتقين للسور بالهجوم على الحرس، ففعلوا، و قتلوا نفرا منهم، و كسروا أقفال الباب، و فتحوه، فدخل مغيث و من معه و ملكوا المدينة عنوة، فصعد إلى البلاط منزل الملك و معه أدلاؤه، و قد بلغ الملك دخولهم المدينة. فبادر بالفرار عن البلاد في أصحابه، و هم زهاء أربعمائة، و خرج إلى كنيسة بغيري المدينة، و تحصّن بها، و كان الماء يأتيها تحت الأرض من عين في سفح جبل، و دافعوا عن أنفسهم. و ملك مغيث المدينة و ما حولها، و قال من ذهب إلى أن طارقا لم يحضر فتح قرطبة و أنّ فاتحها مغيث: إنه كتب إلى طارق بالفتح، و أقام على محاصرة العليج بالكنيسة ثلاثة أشهر، حتى ضاق من ذلك و طال عليه، فتقدّم إلى أسود من عبيده اسمه رباح،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢١١

و كان ذا بأس و نجدة، بالكمون في جنان إلى جانب الكنيسة ملتفّة الأشجار، لعله أن يظفر له بعليج يقف به على خبر القوم، ففعل، و دعاه ضعف عقله إلى أن صعد في بعض تلك الأشجار، و ذلك أيام الثمر، ليحجنى ما يأكله، فبصر به أهل الكنيسة، و شدّوا عليه،

فأخذوه فملكوه، وهم في ذلك هائبون له منكرون لخلقهم، إذ لم يكونوا عاينوا أسود قبله، فاجتمعوا عليه، وكثر لغظهم وتعجبهم من خلقه، وحسبوا أنه مصبوغ أو مطلي ببعض الأشياء التي تسود، فجزّده وسط جماعتهم، وأدناه إلى القناة التي منها كان يأتيهم الماء، وأخذوا في غسله وتدليكه بالجبال الحرش، حتى أدموه وأعتوه، فاستغاثهم، وأشار إلى أن الذي به خلقه من بارئهم، عزّ وجلّ، ففهموا إشارته، وكفّوا عنه وعن غسله واشتدّ فزعهم منه، ومكث في إسارهم سبعة أيام لا يتركون التجمّع عليه والنظر إليه إلى أن يسّر الله الخلاص ليلا، ففرّ وأتى الأمير مغيثا فخبّره بشأنه وعرفه بالذي أطلع عليه من شأنهم، وموضع الماء الذي يتتابونه، ومن أيّ ناحية يأتيهم، فأمر أهل المعرفة بطلب تلك القناة في الجهة التي أشار إليها الأسود حتى أصابوها، فقطعوها عن جريتها إلى الكنيسة، وسدّوا منافذها، فأيقنوا بالهلاك حينئذ، فدعاهم مغيث إلى الإسلام أو الجزية، فأبوا عليه، فأوقد النار عليهم حتى أحرقتهم فسميت كنيسة الحرقى، والنصارى تعظّمها لصبر من كان فيها على دينهم من شدّة البلاء، غير أنّ العليج أميرهم رغب بنفسه عن بليتهم عند إيقان الهلاك، ففرّ عنهم وحده، وقد استغفلهم ورام اللحاق بطليطلة، فبلغ خبره إلى مغيث، فبادر الرخص خلفه وحده، فلحقه بقرب قرية تطليطلة هاربا وحده، وتحتة فرس أصفر ذريع الخطو، وحرك مغيث خلفه، فالتفت العليج ودهش لما رأى مغيثا قد رهقه، وزاد في حثّ فرسه فقصر به، فسقط عن الفرس واندقّ عنقه، فقع على ترسه مستأسرا قد هاضته السقطة، فقبض عليه مغيث، وسلبه سلاحه، وحسبه عنده ليقدم به على أمير المؤمنين الوليد، ولم يؤسر من ملوك الأندلس غيره؛ لأنّ بعضهم استأمن وبعضهم هرب إلى جليقيته، وفي رواية أنّ مغيثا استنزل أهل الكنيسة بعد أسره لملكهم، فضرب أعناقهم جميعا، فمن أجل ذلك عرفت بكنيسة الأسرى وأنّ مغيثا جمع يهود قرطبة فضمهم إلى مدينتها استنامة إليهم، دون النصارى، للعداوة بينهم، وأنه اختار القصر لنفسه، والمدينة لأصحابه.

و أما من وجّه إلى مالقة ففتحوها، ولجأ علوجها إلى جبال هنالك ممتنعاً، ثم لحق ذلك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢١٢

الجيش بالجيش المتوجّه إلى إلبيرة، فحاصروا مدينتها غرناطة، فافتتحوها عنوة، وضمّوا اليهود إلى قصبه غرناطة، و صار ذلك لهم سنّة في كل بلد يفتحونه أن يضمّوا يهوده إلى القصبه مع قطعته من المسلمين لحفظها، ويمضى معظم الناس لغيرها، وإذا لم يجدوا يهودا وقرّوا عدد المسلمين المخلفين لحفظ ما فتح، ثم صنعوا عند فتح كورة ريّة التي منها مالقة مثل ذلك.

ومضى الجيش إلى تدمير، وتدمير: اسم العليج صاحبها، سميت به، واسم قصبته أريولة، ولها شأن في المنعة، وكان ملكها عليجا داهية، وقاتلهم مضحيا، ثم استمرت عليه الهزيمة في فحصها، فبلغ السيف في أهلها مبلغا عظيما أفنى أكثرهم ولجأ العليج إلى أريولة في يسير من أصحابه لا يغنون شيئا، فأمر النساء بنشر الشعور وحمل القصب والظهور على السور في زى القتال متشبّهات بالرجال، وتصدّر قدامهنّ في بقية أصحابه يغالط المسلمين في قوته على الدفاع عن نفسه، فكره المسلمون مراسه لكثرة من عاينوه على السور، و عرضوا عليه الصلح، فأظهر الميل إليه، ونكر زيّه، فنزل إليهم بأمان على أنه رسول، فصالحهم على أهل بلده، ثم على نفسه، وتوثق منهم، فلما تمّ له من ذلك ما أراد عرفهم بنفسه، واعتذر إليهم بالإبقاء على قومه، وأخذهم بالوفاء بعهدته، وأدخلهم المدينة، فلم يجدوا فيها إلّا العيال والدّريّة، فندموا على الذي أعطوه من الأمان، واسترجحوه فيما احتال به، ومضوا على الوفاء له، وكان الوفاء عادتهم، فسلمت كورة تدمير من معرّة المسلمين بتدبير تدمير، وصارت كلّها صلحا ليس فيها عنوة، وكتبوا إلى أميرهم طارق بالفتح، وخلفوا بقصبه البلد رجالا منهم، ومضى معظمهم إلى أميرهم لفتح طليطلة.

[رواية ابن حيان في فتح طليطلة]

قال ابن حيان: و انتهى طارق إلى طليطلة دار مملكة القوط، فألفاها خالية قد فرّ عنها أهلها ولجّوا إلى مدينة بها خلف الجبل، فضمّ اليهود إلى طليطلة، وخلف بها رجالا من أصحابه، ومضى خلف من فرّ من أهل طليطلة فسلك وادي الحجارة، ثم استقبل الجبل فقطعه من فجاج سمي به بعد، فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل، وهي المنسوبة لسليمان بن داود، عليهما الصلاة والسلام، وهي خضراء

من زبرجد، حافاتهما منها و أرجلها، و كان لها ثلاثمائة و خمسة و ستون رجلا، فأحرزها عنده، ثم مضى إلى المدينة التي تحصّوا بها خلف الجبل، فأصاب بها حليا و مالا، و رجع و لم يتجاوزها إلى طليطلة سنة ثلاث و تسعين. و قيل:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢١٣

إنه لم يرجع، بل اقتحم أرض جليقية و اخترقها حتى انتهى إلى مدينة أسترقة، فدوّخ الجهة، و انصرف إلى طليطلة، و الله أعلم. و قيل: إن طارقا دخل الأندلس بغير أمر مولاه موسى بن نصير، فالله أعلم. قال بعضهم: و كانت إقامته في الفتوح و تدويخ البلاد إلى أن وصل سيده موسى بن نصير سنة، و كان ما سيذكر.

و أنشد في المسهب و ابن اليسع في «المغرب» لطارق من قصيدة قالها في الفتح: [الطويل]

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا عسى أن يكون الله مئا قد اشترى

نفوسا و أموالا و أهلا بجنة إذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا

و لسنا نبالي كيف سالت نفوسنا إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرنا

قال ابن سعيد: و هذه الأبيات مئا يكتب لمراعاة قائلها و مكانته، لا لعلو طبقتها، انتهى.

[شأن أولاد غيطسة، و خير سارة بنت ألمند القوطية]

و أما أولاد غيطسة فإنهم لما صاروا إلى طارق بالأمان، و كانوا سبب الفتح حسبما تقدّم، قالوا لطارق: أنت أمير نفسك أم فوقك أمير؟ فقال: بل على رأسى أمير، و فوق ذلك الأمير أمير عظيم، فاستأذنه في اللحاق بموسى بن نصير بإفريقية ليؤكّد سببهم به، و سألوه الكتاب إليه بشأنهم معه، و ما أعطاهم من عهده، ففعل. و ساروا نحو موسى فتلقّوه في انحداره إلى الأندلس بالقرب من بلاد البربر و عرّفوه بشأنهم، و وقف على ما خاطبه به طارق في ذمتهم و سابقتهم، فأنفذهم إلى أمير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق، و كتب إليه بما عرّفه به طارق من جميل أثرهم، فلما وصلوا إلى الوليد أكرمهم و أنفذ لهم عهد طارق في ضياع والدهم، و عقد لكل واحد منهم سجلا، و جعل لهم أن لا يقوموا لداخل عليهم. فقدموا الأندلس، و حازوا ضياع والدهم أجمع، و اقتسموها على موافقة منهم، فصار منها لكبيرهم ألمند ألف ضيعة في غرب الأندلس، فسكن من أجلها إشبيلية مقربا منها، و صار لأرطباش ألف ضيعة، و هو تلوه في السن، و ضياعه في موشطة الأندلس، فسكن من أجلها قرطبة، و صار لثالثهم و قلّة ألف ضيعة في شرقي الأندلس و جهة الثغر، فسكن من أجلها مدينة طليطلة، فكانوا على هذه الحال صدر الدولة العربية، إلى أن هلك ألمند كبيرهم، و خلف ابنته سارة المعروفة بالقوطية و ابنين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢١٤

صغيرين، فبسط يده أرطباش على ضياعهم، و ضمّها إلى ضياعه، و ذلك في خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، فأنشأت سارة بنت ألمند مركبا بإشبيلية حصينا كامل العدة، و ركبت فيه مع أخويها الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بعسقلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره بدمشق، فأنهت خبرها، و شكت ظلامتها من عمّها و تعدّيه عليها، و احتجّت بالعهد المنعقد لأبيها و أخويه على الخليفة الوليد بن عبد الملك، فأوصلها إلى هشام نفسه، و أعجبه صورتها و حزمها. و كتب إلى حنظلة بن صفوان عامله بإفريقية بإنصافها من عمّها أرطباش و إمضائها و أخويها على سنّة الميراث فيما كان في يد والدها مئا قاسم فيه أخويه، فأنفذ لها الكتاب بذلك إلى عامله بالأندلس أبى الخطار ابن عمّه، فتمّ لها ذلك، و أنكحها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم، فابتنى بها بالشام، ثم قدم بها إلى الأندلس، و قام لها في دفاع عمّها أرطباش عن ضياعها، فنال بها نعمة عظيمة، و ولد له منها ولداه إبراهيم و إسحاق فأدركا الشرف المؤثّل و الرياسة بإشبيلية، و شهرا و نسلهما بالنسبة إلى أمهما سارة القوطية. و كانت أيام وفادتها على الخليفة هشام رأّت عنده حفيده عبد الرحمن بن معاوية الداخل بعد إلى الأندلس، و عرفها، فتوصّلت إليه لئلا ملك الأندلس و وفدت إليه، فاعترف

بذمامها و أكرمها، و أذن لها في الدخول إلى قصره متى جاءت إلى قرطبة فيجدد تكرمتها و لا يحجب عياله منها. و توفي زوجها عيسى في السنة التي ملك فيها عبد الرحمن الأندلس، فزوجها عبد الرحمن من عمير بن سعيد.

[بعض أخبار القوطية سارة بنت ألمند]

و كان لها و لأبيها ألمند و عمها أرتباش في صدر الدولة العربية بالأندلس أخبار ملوكية: فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي أنه قصد أرتباش يوما إلى منزله عشرة من رؤساء رجال الشاميين فيهم الصمّيل و ابن الطفيل و أبو عبدة و غيرهم، فأجلسهم على الكراسي، و بالغ في تكريمهم، و دخل على أثرهم ميمون العابد جدّ بني حزم، و كان في عداد الشاميين، إلّا أنه كان شديد الانقباض عنهم لزهده و ورعه، فلما بصر به أرتباش قام إليه دونهم إعظاما، و رقاها إلى كرسيه الذي كان يجلس عليه، و كان ملبسا صفائح الذهب، و جذبه ليجلسه مكانه، فامتنع عليه ميمون، و قعد على الأرض، فقعد أرتباش معه عليها، و أقبل عليه قبلهم، فقال له: يا سيدي، ما الذي جاء بك إلى مثلي؟ فقال له: ما تسمعه، إنّنا قدمنا إلى هذا البلد غزاة نحسب أن مقامنا فيه لا يطول، فلم نستعدّ للمقام و لا كثرنا من العدة ثم حدثت بعدنا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢١٥

على موالينا و في أجداننا ما قد أيسنا معه من الرجوع إلى أوطاننا، و قد وسّع الله عليك، فأحبّ أن تدفع إلّي ضياعا من ضياعك أعتمرها بيدي، و أودى إليك الحقّ منها، و أخذ الفضل لي طيبا أعتيش منه، فقال: لا أرضى لك بالمساهمة، بل أهب لك هبة مسوغة، ثم دعا بوكيل له فقال له: سلّم إليه المجشر الذي لنا على وادي شوش بما لنا فيه من العبيد و الدواب و البقر و غير ذلك، و ادفع إليه الضيعة التي بجيان، فتسلّم ميمون الضيعتين و ورثهما ولده، و إليهم نسبت قلعة حزم، فشكره ميمون و أثني عليه، و قام عنه. و قد أنف الصمّيل من قيامه إليه، فأقبل على أرتباش و قال له: كنت أظنك أرجح وزنا، أدخل عليك و أنا سيد العرب بالأندلس في أصحابي هؤلاء، و هم سادة الموالى، فلا تزيدنا من الكرامة على الإقعاد على أعوادك هذه، و يدخل هذا الصّعلوك فتصير من إكرامه إلى حيث صرت؟ فقال له: يا أبا جوشن، إنّ أهل دينك يخبروننا أن أديهم لم يرهفك و لو كان لم تنكر على ما فعلته، إنكم، أكرمكم الله، إنّما تكرمون لديناكم و سلطانكم، و هذا إنّما أكرمته لله تعالى: فقد روينا عن المسيح، عليه السلام، أنه قال: من أكرمه الله تعالى من عباده بالطاعة له و جبت كرامته على خلقه، فكأنما ألقمه حجرا. و كان الصمّيل أمّيا، فلذلك عرض به، فقال له القوم: دعنا من هذا، و انظر فيما قصدنا له، فحاجتنا حاجة الرجل الذي قصدك فأكرمته، فانظر في شأننا، فقال له: أنتم ملوك الناس، و ليس يرضيكم إلّا الكثير، وها أنا أهب لكم مائة ضيعة تقتسمونها عشرا عشرا، و كتب لهم بها، و أمر و كلاءه بتسليمها إليهم، فكان القوم يرونها من أطيب أملاكهم، انتهى.

[حسد موسى بن نصير طارقا و اشتراكه في فتح الأندلس]

قال ابن حيان و غيره: و لما بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق بن زياد و ما أتيح له من الفتوح حسده، و تهيأ للمسير إلى الأندلس فعسكر و أقبل نحوها و معه جماعة الناس و أعلامهم، و قيل: إنهم كانوا ثمانية عشر ألفا، و قيل: أكثر، فكان دخوله إلى الأندلس في شهر رمضان سنة ثلاث و تسعين، و تنكب الجبل الذي حلّه طارق، و دخل على الموضع المنسوب إليه المعروف الآن بجبل موسى، فلما احتل الجزيرة الخضراء قال: ما كنت لأسلك طريق طارق، و لا أقفو أثره، فقال له العلوج الأدلاء أصحاب يليان: نحن نسلكك طريقا هو أشرف من طريقه، و ندلك على مدائن هي أعظم خطرا و أعظم خطبا و أوسع غنما من مدائنه، لم تفتح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢١٦

بعد، يفتحها الله عليك، إن شاء الله تعالى، فملىء سرورا. و كان شفوف طارق قد غمّه، فساروا به في جانب ساحل شذونة، فافتحتها عنوة، و ألقوا بأيديهم إليه، ثم سار إلى مدينة قرمونه، و ليس بالأندلس أحصن منها، و لا أبعد على من يرومها بحصار أو قتال، فدخلها بحيلة توجهت بأصحاب يليان، دخلوا إليهم كأنهم قلال و طرقهم موسى بخيله ليلا- ففتحوا لهم الباب، و أوقعوا بالأحراس، فملكتم المدينة. و مضى موسى إلى إشبيلية جارتها فحاصرها، و هي أعظم مدائن الأندلس شأنا، و أعجبها بنيانا، و أكثرها آثارا، و كانت دار الملك قبل القوطيين، فلما غلب القوطيون على ملك الأندلس حوّلوا السلطان إلى طليطلة، و بقى رؤساء الدين فيها أعنى إشبيلية، فامتنعت أشهرها على موسى، ثم فتحها الله عليه، فهرب العلوج عنها إلى مدينة باجة، فضمّ موسى يهودها إلى القصبه، و خلّف بها رجالا، و مضى من إشبيلية إلى لقتن إلى مدينة ماردة، و كانت أيضا دار مملكة لبعض ملوك الأندلس في سالف الدهر، و هي ذات عزّ و منعة، و فيها آثار و قصور و مصانع و كنائس جليلة القدر فائقة الوصف، فحاصرها أيضا، و كان في أهلها منعة شديدة و بأس عظيم، فنالوا من المسلمين دفعات، و آذوهم، و عمل موسى دبابة دبّ المسلمون تحتها إلى برج من أبراج سورها جعلوا ينقبونه، فلما قلعوا الصخر أفضوا بعده إلى العمل المدعو بلسان العجم ألأشه ماشه، فنبت عنه معاولهم و عدّتهم، و ثار بهم العدو على غفلة، فاستشهد بأيديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة، فسمّى ذلك الموضع برج الشهداء، ثم دعا القوم إلى السلم، فترسل إليه في تقريره قوم من أمثالهم أعطاهم الأمان و احتال في توهيمهم في نفسه، فدخلوا عليه أول يوم، فإذا هو أبيض الرأس و اللحية كما نصل خضابه، فلم يتفق لهم معه أمر، و عاودوه قبل الفطر بيوم، فإذا هو قد قنأ لحيته بالحناء فجاءت كضرام عرفج، فعجبوا من ذلك، و عاودوه يوم الفطر، فإذا هو قد سوّد لحيته، فزاد تعجّبهم منه، و كانوا لا يعرفون الخضاب و لا استعماله، فقالوا لقومهم: إننا نقاتل أنبياء يتخلّقون كيف شاؤوا، و يتصوّرون في كل صورة أحبوا؛ كان ملكهم شيخا فقد صار شابا، و رأى أن نقاربه و نعطيه ما يسأله، فما لنا به طاقة، فأذعنوا عند ذلك، و أكملوا صلحهم مع موسى على أن أموال القتلى يوم الكمين، و أموال الهارين إلى جليقية، و أموال الكنائس و حليتها للمسلمين.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢١٧

ثم فتحوا له المدينة يوم الفطر سنة أربع و تسعين فملكها. ثم إن عجم إشبيلية انتقضوا على المسلمين، و اجتمعوا من مدينتي باجة و لبله إليهم، فأوقعوا بالمسلمين، و قتلوا منهم نحو ثمانين رجلا، و أتى فلهم الأمير موسى و هو بماردة، فلما أن فتحها وجه ابنه عبد العزيز بن موسى في جيش إليهم ففتح إشبيلية و قتل أهلها، و نهض إلى لبله ففتحها، و استقامت الأمور فيما هنالك، و علا الإسلام، و أقام عبد العزيز بإشبيلية، و توجه الأمير موسى من ماردة في عقب شوال من العام المؤرخ يريد طليطلة، و بلغ طارقا خبره، فاستقبله في وجوه الناس، فلقه في موضع من كورة طليبره، و قيل: إن موسى تقدّم من ماردة فدخل جليقية من فجّ نسب إليه، فخرقها حتى وافى طارق بن زياد صاحب مقدمته بمدينة أسترقة، فغضّ منه علانية، و أظهر ما بنفسه عليه من حقد، و الله أعلم؛ و قيل: لما وقعت عينه عليه نزل إليه إعظاما له، فقنعه موسى بالسوط، و وبّخه على استبداده عليه و مخالفته لرأيه. و ساروا إلى طليطلة، فطالبه موسى بأداء ما عنده من مال الفىء و ذخائر الملوك، و استعجله بالمائدة، فأتاه بها و قد خلع من أرجلها رجلا و خبأه عنده، فسأله موسى عنه، فقال: لا علم لى به، و هكذا أصبتها، فأمر موسى فجعل لها رجل من ذهب جاء بعيد الشبه من أرجلها يظهر عليه التعمّل، و لم يقدر على أحسن منه، فأخلّ بها.

[فتح موسى للأندلس، ثم نكبته، و مائدة سليمان]

و قال ابن الفرضى: موسى بن نصير صاحب فتح الأندلس لخمى يكنى أبا عبد الرحمن، يروى عن تميم الدارى، و روى عنه يزيد بن مسروق اليحصبي.

و قيل: غزا موسى بن نصير في المحرم سنة ثلاث و تسعين، فأتى طنجة، ثم عبر على الأندلس، فأداها، لا يأتى على مدينة إلّا فتحها و

نزل أهلها على حكمه، و سار إلى قرطبة، ثم قفل على الأندلس سنة أربع و تسعين، فأتى إفريقية، و سار عنها سنة خمس و تسعين إلى الشام يؤم الوليد بن عبد الملك يجز الدنيا بما احتمله من غنائم الأندلس من الأموال و الأمتعة يحملها على العجل و الظهر، و معه ثلاثون ألف رأس من السبي، فلم يلبث أن هلك الوليد بن عبد الملك و ولي سليمان، فنكب موسى نكبا أذاه إلى المتربة، فهلك في نكبته تلك بوادي القرى سنة سبع و تسعين.

[مائدة سليمان، ثم رجع إلى رواية ابن حبان في الفتح]

قال ابن حبان: و هذه المائدة المنوّه باسمها المنسوبة إلى سليمان النبي، عليه الصلاة و السلام، لم تكن له فيما يزعم رواة العجم، و إنما أصلها أن العجم في أيام ملكهم كان أهل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢١٨

الحسبة منهم إذا مات أحدهم أوصى بمال للكنايس، فإذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد و الكراسي و أشباهها من الذهب و الفضة، تحمل الشمامسة و القسوس فوقها مصاحف الأناجيل إذا أبرزت في أيام المناسك، و يضعونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزيتها، فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ في هذه السبيل، و تأثقت الأملاك في تفخيمها، يزيد الآخر منهم على الأول، حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات، و طار الذكر مطاره عنها، و كانت مصوغة من خالص الذهب، مرضية بفاخر الدرّ و الياقوت و الزمرد، لم تر العين مثلها، و بولغ في تفخيمها من أجل دار المملكة، و أنه لا ينبغي أن تكون بموضع آله جمال أو متاع مباهاة إلا دون ما يكون فيها، و كانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة، فأصابها المسلمون هنالك، و طار النبا الفخم عنها. و قد كان طارق ظنّ بموسى أميره مثل الذي فعله من غيرته على ما تهياً له و مطالبته له بتسليم ما في يده إليه، فاستظهر بانتزاع رجل من أرجل هذه المائدة خبأه عنده، فكان من فلجه به على موسى عدوه عند الخليفة إذ تنازعا عنده بعد الأثر في جهادهما ما هو مشهور، انتهى.

و قال بعض المؤرخين: إن المائدة كانت مصنوعة من الذهب و الفضة، و كان عليها طوق لؤلؤ و طوق ياقوت و طوق زمرد، و كلّها مكلّلة بالجواهر، انتهى.

و ما ذكره ابن حبان من أن الذي نكب موسى بن نصير هو سليمان بن عبد الملك صواب، و أمّا ما حكاه ابن خلكان من أن المنكب له الوليد فليس بصحيح، و الله أعلم.

رجع إلى كلام ابن حبان - قالوا: ثم إن موسى اصطلاح مع طارق، و أظهر الرضا عنه، و أقره على مقدمته على رسمه، و أمره بالتقدم أمامه في أصحابه، و سار موسى خلفه في جيوشه، فارتقى إلى الثغر الأعلى، و افتتح سرقسطة و أعمالها، و أوغل في البلاد، و طارق أمامه، لا يمران بموضع إلا فتح عليهما، و غنمهما الله تعالى ما فيه. و قد ألقى الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يعارضهما أحد إلا بطلب صلح، و موسى يجيء على أثر طارق في ذلك كله، و يكمل ابتداءه، و يوثق للناس ما عاهدوه عليه، فلما صفا القطر كله و طامن نفوس من أقام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢١٩

على سلمه، و وطأ لأقدام المسلمين في الحلول به، أقام لتمييز ذلك وقتا، و أمضى المسلمين إلى إفرنجة ففتحوها و غنموا و سلموا و علوا و أوغلوا، حتى انتهوا إلى وادي رودنة، فكان أقصى أثر العرب و منتهى موطنهم من أرض العجم. و قد دوخت بعوث طارق و سراياه بلد إفرنجة فملك مدينة برشلونة و أربونة و صخرة أبنيون و حصن لودون على وادي رودنة، فبعدوا عن الساحل الذي منه دخلوا جدّا، و ذكر أن مسافة ما بين قرطبة و أربونة من بلاد إفرنجة ثلاثمائة فرسخ و خمسة و ثلاثون فرسخا، و قيل: ثلاثمائة فرسخ و خمسون فرسخا، و لما أوغل المسلمون إلى أربونة ارتاع لهم قارله ملك الإفرنجة بالأرض الكبيرة، و انزعج لانبساطهم، فحشد لهم، و

خرج عليهم في جمع عظيم، فلما انتهى إلى حصن لودون و علمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه، و أقبل حتى انتهى إلى صخرة أبنون، فلم يجد بها أحدا، و قد عسكر المسلمون قدامه فيما بين الأجل المجاورة لمدينة أربونة، و هم بحال غرة لا عيون لهم و لا طلائع، فما شعروا حتى أحاط بهم عدو الله قارله، فاقتطعهم عن اللجا إلى مدينة أربونة، و واضعهم الحرب، فقاتلوا قتالا شديدا استشهد فيه جماعة منهم، و حمل جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها، و دخلوا المدينة، و لاذوا بحصانتها، فنازلهم بها أياما أصيب له فيها رجال، و تعذر عليه المقام، و خامره ذعر و خوف مدد للمسلمين، فزال عنهم راحلا إلى بلده، و قد نصب في وجوه المسلمين حصونا على وادي ردونة شكها بالرجال فصيرها ثغرا بين بلده و المسلمين، و ذلك بالأرض الكبيرة خلف الأندلس.

[انتصارات موسى و ابنه عبد الأعلى]

و قال الحجاري في المسهب: إن موسى بن نصير نصره الله نصرا ما عليه مزيد، و أجفلت ملوك النصارى بين يديه، حتى خرج على باب الأندلس الذي في الجبل الحاجز بينها و بين الأرض الكبيرة، فاجتمعت الإفرنج إلى ملكها الأعظم قارله، و هذه سمه لملكهم، فقالت له:

ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب؟ كئنا نسمع بالعرب و نخافهم من جهة مطلع الشمس، حتى أتوا من مغربها، و استولوا على بلاد الأندلس و عظيم ما فيها من العدة و العدد بجمعهم القليل، و قلّة عدّتهم، و كونهم لا دروع لهم، فقال لهم ما معناه: الرأي عندي أن لا تعترضوهم في خرجتهم هذه، فإنهم كالسبيل يحمل من يصادره، و هم في إقبال أمرهم، و لهم نيات تغني عن كثرة العدد، و قلوب تغني عن حصانة الدروع، و لكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم، و يتخذوا المساكن، و يتنافسوا في الرياسة، و يستعين بعضهم ببعض، فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر أمر، قال: فكان و الله كذلك بالفتنة التي طرأت بين الشاميين و البلديين و البربر و العرب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٢٠

و المضرية و اليمانية، و صار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن يجاورهم من الأعداء، انتهى.

و قيل: إن موسى بن نصير أخرج ابنه عبد الأعلى إلى تدمير ففتحها، و إلى غرناطة و مالقة و كورة رية ففتح الكل، و قيل: إنه لما حاصر مالقة- و كان ملكها ضعيف الرأي قليل التحفظ- كان يخرج إلى جنان له بجانب المدينة طلبا للراحة من غمة الحصار من غير نصب عين و تقديم طليعة، و عرف عبد الأعلى بأمره فأكمن له في جنبات الجنة التي كان ينتابها، قوما من وجوه فرسانه ذوى رأى و حزم، أرسدوا له ليلا فظفروا به، و ملكوه، فأخذ المسلمون البلد عنوة، و ملؤوا أيديهم غنيمة.

[انتصارات موسى، ثم عودته إلى المشرق]

و قيل: كانت نفس موسى بن نصير في ذلك كله تنزعج إلى دخول دار الكفر جليقية، فبينما هو يعمل في ذلك و يعد له إذ أتاه مغيث الرومي رسول الوليد بن عبد الملك و مولاه يأمره بالخروج عن الأندلس و الإضراب عن الوغول فيها، و يأخذه بالقول إليه، فساءه ذلك، و قطع به عن إرادته؛ إذ لم يكن في الأندلس بلد لم تدخله العرب إلى وقته ذلك غير جليقية، فكان شديد الحرص على اقتحامها، فإلطف موسى مغيثا رسول الخليفة، و سأله إنظاره إلى أن ينفذ عزمه في الدخول إليها و المسير معه في البلاد أياما، و يكون شريكه في الأجر و الغنيمة، ففعل، و مشى معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن بارو و حصن لك، فأقام هناك، و بثّ السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي على البحر الأخضر، فلم تبقى كنيسة إلا هدمت، و لا ناقوس إلا كسر، و طاعت الأعاجم فلاذوا بالسلم و بذل الجزية، و سكنت العرب المفاز، و كان العرب و البربر كلما مرقوم منهم بموضع استحسونه حطوا به و نزلوه قاطنين، فأتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس، و خذل الشرك، و بينما موسى كذلك في اشتداد الظهور و قوة الأمل إذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى أبا نصر

أردف به الوليد مغيثاً لما استبطاً موسى في القفول، و كتب إليه يوبّخه، و يأمره بالخروج، و أئزم رسوله إزعاجه، فانقلع حينئذ من مدينه لكّ بجليقيه، و خرج على الفج المعروف بفتح موسى، و وافاه طارق في الطريق منصرفاً من الثغر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٢١

الأعلى، فأقفله مع نفسه و مضياً جميعاً و معهما من الناس من اختار القفول. و أقام من آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطّوها و استوطنوها، و قفل معهم الرسولان مغيث و أبو نصر حتى احتلوا بإشبيلية، فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على إمارة الأندلس، و أقره بمدينه إشبيلية لآصالها بالبحر نظراً لقربه من مكاره المجاز، و ركب موسى البحر إلى المشرق بذى الحجة سنة خمس و تسعين و طارق معه، و كان مقام طارق بالأندلس قبل دخول موسى سنة و بعد دخوله سنتين و أربعة أشهر، و حمل موسى الغنائم و السبي، و هو ثلاثون ألف رأس و المائدة منوّها بها و معها من الذخائر و الجواهر و نفيس الأمتعة ما لا يقدر قدره، و هو مع ذلك متلهّف على الجهاد الذي فاته، أسف على ما لحقه من الإزعاج، و كان يؤمل أن يخترق ما بقى عليه من بلاد إفريقية، و يقتحم الأرض الكبيرة حتى يتصل بالناس إلى الشام مؤملاً أن يتخذ مخترقه بتلك الأرض طريقاً مهيباً يسلكه أهل الأندلس في مسيرهم و مجيئهم من المشرق و إليه على البرّ لا- يركبون بحراً، و قيل: إنه أوغل في أرض الفرنجة حتى انتهى إلى مفازة كبيرة و أرض سهلة ذات آثار، فأصاب فيها صنماً عظيماً قائماً كالسارية مكتوباً فيه بالنقر كتابة عريية قرئت، فإذا هي: يا بنى إسماعيل، انتهيتم فارجعوا، فهاله ذلك، و قال: ما كتب هذا إلّا لمعنى كبير، فشاور أصحابه في الإعراض عنه و جوازه إلى ما وراءه، فاختلفوا عليه، فأخذ برأى جمهورهم و انصرف بالناس، و قد أشرفوا على قطع البلاد و تقصّى الغاية.

و حكى الرازي: أن موسى خرج من إفريقية إلى الأندلس في رجب سنة ثلاث و تسعين، و استخلف على إفريقية أسنّ ولده عبد الله بن موسى، و كان موسى في عشرة آلاف، قال:

و كان عبد الملك بن مروان هو الذي أغزى موسى المغرب في خلافته، ففتح له في أهله البرابرة فتوح كبار، حتى لقد بعث إلى عبد الملك في الخمس بعشرين ألف سيّئه، ثم أردفها بعشرين ألفاً أخرى، كل ذلك من البربر، فعجب عبد الملك يومئذ من كثرة ذلك.

[اسماء من دخل الأندلس من الصحابة و التابعين]

و زعم ابن حبيب: أنه دخل الأندلس رجل واحد من أصاغر الصحابة، و هو المنذر، قال: و دخلها من التابعين ثلاثة: موسى الأمير، و على بن رباح اللخمي، و حيوة بن رجاء التميمي، و قيل: إن ثالثهم إنما هو حنش بن عبد الله الصنعاني، صنعاء الشام، و إنهم قفلوا عنها بقفول موسى، و أهل سرقسطة يزعمون أن حنشا مات عندهم و لم يقفل للمشرق، و قبره لديهم مشهور يتبركون به و لا يختلفون فيه، فالله أعلم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٢٢

و قيل: إن التابعين أربعة أبى عبد الرحمن الحبلي الأنصاري، و اسمه عبد الله بن يزيد، و الله أعلم، و خمسهم بعضهم بحبان بن أبى جيلة مولى بنى عبد الدار و كان في ديوان مصر، فبعث به عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية في جماعة من الفقهاء ليفقهوا أهلها، و كان روى عن عمرو بن العاص و ابن عباس و ابن عمر، و حدّث عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم و غيره، و غزا مع موسى حين افتتح الأندلس، و انتهى معه إلى حصن من حصون العدو يقال له قرقشونة، و قيل: بل قفل إلى إفريقية فتوفى بها بعد العشرين و مائة.

و قال بعضهم: إن بين قرقشونة هذه و بين برشلونة مسافة خمسة و عشرين يوماً، و فيها الكنيسة المعظمة عند الفرنج المسماة شنت مريّة، و قد حكى ابن حبان أن فيها سبع سوار من فضة خالصة لم ير الرءون مثلها لا يحيط الإنسان بذراعيه على واحدة منها مع طول مفرط. و حنش الصنعاني المذكور تابعي جليل، كان مع على، رضى الله عنه، بالكوفة، و قدم مصر بعد قتله، فصار عداة في المصريين، و كان فيمن قام مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فعفا عنه، و كفى الأندلس شرفاً دخوله لها.

و على بن رباح بصرى تابعى، يكتنى أبا عبد الله، و هو لخمى، ولد عام اليرموك سنة خمس عشرة، قال ابن معين: أهل مصر يقولونه بفتح العين، و أهل العراق يقولونه بضمها، و روى الليث عن ابنه موسى بن على، و كانت لعلّى بن رباح عند عبد العزيز بن مروان مكانه، و هو الذى زفّ ابنته أمّ البنين لزوجها الوليد، ثم عتب عليه عبد العزيز فأغراه إفريقية.

و أما المنيزر الصحابى فلم ينسبه ابن حبيب، و ذكره ابن عبد البرّ فى الصحابة و قال: إنه المنيزر الإفريقى، و روى عنه أبو عبد الرحمن الحبلى، قال: حدّثنا المنيزر الإفريقى، و كان سكن إفريقية، و كان صحب رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، أنه سمعه، صلّى الله عليه و سلّم، يقول: «من قال: رضيت بالله ربّا، و بالإسلام ديناً، و بمحمد، صلّى الله عليه و سلّم، نبياً، فأنا الزعيم له، فلاخذنّ بيده، فلادخلنّه الجنة» و رواه عنه ابن عبد البرّ بسنده إليه، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى حق المنيزر مزيد بيان.

[عودة موسى إلى الشام و تنكيل سليمان بن عبد الملك به و مقتل عبد العزيز بن موسى]

و لما قفل موسى بن نصير إلى المشرق و أصحابه سأل مغيثاً أن يسلم إليه العليج صاحب قرطبة الذى كان فى إيساره، فامتنع عليه، و قال: لا يؤدّيه للخليفة سوى، و كان يدلّ بولائه من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٢٣

الوليد، فهجم عليه موسى فانترعه منه، فقيل له: إن سرت به حيّا معك ادّعاه مغيث، و العليج لا ينكر قوله، و لكن اضرب عنقه، ففعل، فاضطغنها عليه مغيث، و صار ألبا مع طارق الساعى عليه، و استخلف موسى على طنجة و ما يليها من المغرب ابنه الآخر عبد الملك، و قد كان- كما مرّ- استخلف بإفريقية أكبر أولاده عبد الله، فصار جميع الأندلس و المغرب بيد أولاده، و ابنه عبد الله الذى خلفه بإفريقية هو الفاتح لجزيرة ميورقة. و سار موسى فورد الشام، و اختلف الناس: هل كان وروده قبل موت الوليد أو بعده؟ فمن يقول بالثانى قال: قدم على سليمان حين استخلف، و كان منحرفاً عليه، فسبق إليه طارق و مغيث بالشكوى منه، و رمياه بالخيانة، و أخبراه بما صنع بهما من خبر المائدة و العليج صاحب قرطبة، و قالوا له: إنه قد غلّ جوهرًا عظيم القدر أصابه و لم تحو الملوك من بعد فتح فارس مثله، فلما وافى سليمان وجده ضغينا عليه، فأغلظ له، و استقبله بالتأنيب و التوبيخ، فاعتذر له ببعض العذر، و سأله عن المائدة، فأحضرها، فقال له: زعم طارق أنه الذى أصابها دونك، قال: لا، و ما رآها قطّ إلّا عندى، فقال طارق: فليسأله أمير المؤمنين عن الرجل التى تنقصها، فسأله، فقال: هكذا أصبتها، و عوّضتها رجلاً صنعتها لها، فحوّل طارق يده إلى قبائه فأخرج الرجل، فعلم سليمان صدقه و كذب موسى، فحقّق جميع ما رمى به عنده، و عزله عن جميع أعماله، و أقصاه، و حبسه، و أمر بتقصيى حسابه، فأغرمه غراماً عظيماً كشفه فيه، حتى اضطر إلى أن سأل العرب معونته، فيقال: إنّ لخمًا حملت عنه فى أعطيها تسعين ألفاً ذهباً، و قيل: حملة سليمان غرام مائتى ألف، فأدّى مائة ألف، و عجز، فاستجار بيزيد بن المهلب أسير سليمان، فاستوهبه من سليمان، فوهبه إياه، إلّا أنه عزل ابنه عبد الله عن إفريقية.

و قال الرازى: إن الذى أزعج موسى عن الأندلس أبو نصر رسول الوليد، فقبض على عنانه و ثناه قافلاً، و قفل معه من أحبّ المشرق، و كان أكثر الناس قطنوا ببلاد الأندلس لطبيها، فأقاموا فيها.

و ذهب جماعة من أهل التاريخ إلى أن موسى إنما قدم على الوليد، و أن سليمان وليّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٢٤

العهد لئلاّ سمع بقرب موسى بن نصير من دمشق- و كان الوليد مريضاً- كتب- أى سليمان- إلى موسى يأمره بالتربّص، رجاء أن يموت الوليد قبل قدوم موسى فيقدم موسى على سليمان فى أول خلافته بتلك الغنائم الكثيرة التى ما رثى و لا سمع مثلها، فيعظم بذلك مقام سليمان عند الناس، فأبى موسى من ذلك، و منعه دينه منه، وجدّ فى السير حتى قدم و الوليد حيّ، فسلم له الأخماس و المغانم و التحف و الذخائر، فلم يمكث الوليد إلّا يسيراً بعد قدوم موسى، و توفى، و استخلف سليمان، فحقد عليه، و أهانه، و أمر

بإقامته في الشمس حتى كاد يهلك، وأغرمه أموالاً عظيمة، ودسّ إلى أهل الأندلس بقتل ابنه الذي استخلفه على الأندلس، وهو عبد العزيز بن موسى، وكان تولّى الأندلس بعد قفول أبيه عنها باستخلافه إياه كما سبق، فضبط سلطانها، وضمّ نشرها، وصدّ ثغورها، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة ممّا كان قد بقي على أبيه موسى منها، وكان من خير الولاة، إلّا أن مدته لم تطل لوثوب الجند به و قتلهم إياه عقب سنة خمس و تسعين في خلافة سليمان الموقع بأبيه موسى لأشياء نغموها عليه: منها زعموا تزوّجه لزوجته لذريق المكتناه أمّ عاصم وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح، وبأت بالجزية، وأقامت على دينها في ظل نعمتها إلى أن نكحها الأمير عبد العزيز، فحظيت عنده، ويقال: إنه سكن بها في كنيسة ياشبيلية، وإنها قالت له: لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للذريق - زوجها الأول - أهل مملكته؟ فقال لها: إن هذا حرام في ديننا، فلم تقنع منه بذلك، وفهم لكثرة شغفه بها أن عدم ذلك مما يزرى بقدره عندها، فاتخذ باباً صغيراً قبالة مجلسه يدخل عليه الناس منه، فينحنون، وأفهمها أن ذلك الفعل منهم تحية له، فرضيت بذلك، فسمى الخبر إلى الجند، مع ما انضم إلى ذلك من دسيسه سليمان لهم في قتله، فقتلوه، سامحه الله تعالى!.

و ذكر بعض المؤرخين أنهم وجدوا في الحجر بعد ما تقدّم من الكتابة التي هي «ارجعوا يا بنى إسماعيل إلخ» ما معناه: وإن سألتكم لم ترجعوا فاعلموا أنكم ترجعون ليضرب بعضكم رقاب بعض، انتهى.

قال ابن حيان: وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الأندلس، أرجوزة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٢٥

حسنه مطوّلة ذكر فيها السبب في غزوها نظماً، و تفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها، و عداد الأمراء عليها و أسماءهم، فأجاد و تقصّى، و هي بأيدي الناس موجودة انتهى.

و قد عرفت بما سبق تفصيل ما أجمله ابن خلدون، و الروايات في فتح الأندلس مختلفة، و قد ذكرنا نحن بحسب ما اقتضاه الوقت ما فيه كفاية، و أشرنا إلى بعض الاختلاف في ذلك، و لو بسطنا العبارة في الفتح لكان وحده في مجلد أو أكثر.

[لمحة عن عبد الرحمن الداخل، و عود إلى قصة التنكيل بموسى بن نصير و نهايته، و شيء من صفاته]

و علم مما ألمعنا به من كلام ابن خلدون السابق ذكر الولاة للأندلس من لدن الفتح، و هم من قبل بنى مروان بالمشرق المنفردين بإمامة المسلمين أجمعين قبل تفرّقهم، إلى أن انقرضت دولتهم العظيمة التي هي ألف شهر، فافتتح الأندلس عن بنى العباس الدائنين على بنى مروان الناصخين لهم فلّ المروانيين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، و اقتعدا دار مملكة مستقلة لنفسه و لأعقابهم، و جمع بها شمل بنى أمية و مواليهم، و أورثها بنيه حقبه من الدهر، بعد أن قاسى في ذلك خطوباً، و اجتمع عليه ثم على ذريته من بعده أهل الأندلس أجمعون رضا بهم دون بنى العباس، بعد أن حاول بنو العباس ملكها بأن ولّوا بعض رؤساء العرب، و أمرهم بالقيام على عبد الرحمن و الدعاء للعباسيين القاطعين جرتومه دولة بنى مروان، فلم يتيسّر ذلك، و ظفر عبد الرحمن بمن نصب له الحرب في ذلك، و قتل منهم آلافاً، و ذلك في مدة المنصور كما سيأتى إن شاء الله تعالى عند ذكر عبد الرحمن الداخل في موضع آخر، و سند ذكر قريبا ولاة الأندلس من حين الفتح إلى إمارة الداخل، و إن سبق في كلام ابن خلدون.

و قال بعضهم: كانت ولادة موسى بن نصير في خلافة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، سنة تسع عشرة من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة و أجلّ السلام، و على آله و صحبه أجمعين! انتهى.

و قال الحجارى في «المسهب»: يحكى أنّ موسى بن نصير ألقى بنفسه على يزيد بن المهلب لمكانه من أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك، و طلب منه أن يكلمه في أن يخفف عنه؛ فقال له يزيد: أريد أن أسألك فأصغ إليّ؛ قال: سل عمّا بدا لك، فقال له: لم أزل أسمع عنك أنك من أعقل الناس، و أعرفهم بمكايد الحروب و مداراة الدنيا، فقل لى: كيف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٢٦

حصلت في يد هذا الرجل بعدما ملكت الأندلس، وألقيت بينك وبين هؤلاء القوم البحر الزخار، وتيقنت بعد المرام واستصعابه، واستخلصت بلاداً أنت افترعتها، واستملكتم رجالاً لا يعرفون غير خيرك وشركك، وحصل في يدك من الذخائر والأموال والمعاقل والرجال ما لو أظهرت به الامتناع ما ألقىت عنقك في يد من لا يرحمك، ثم إنك علمت أن سليمان ولي عهد، وأنه المولى بعد أخيه، وقد أشرف على الهلاك لا محالة، وبعد ذلك خالفته، وألقىت بيدك إلى التهلكة، وأحقدت مالكك ومملوكك، قال: يعني سليمان وطارقا، وما رضا هذا الرجل عنك إلا بعيد، ولكن لا آلو جهداً، فقال موسى: يا ابن الكرام، ليس هذا وقت تعديد، أما سمعت «إذا جاء الحين، غطى على العين» فقال: ما قصدت بما قلت لك تعديداً ولا تبكيتاً، وإنما قصدت تلقيح العقل، وتنبيه الرأي، وأن أرى ما عندك؟ فقال موسى: أما رأيت الهدهد يرى الماء تحت الأرض عن بعد، ويقع في الفخ وهو بمراى عينه؟ ثم كلم فيه سليمان، فكان من جوابه «إنه قد اشتمل رأسه بما تمكّن له من الظهور، وانقياد الجمهور، والتحكّم في الأموال والأبشار، على ما لا يمحوه إلا السيف، ولكن قد وهبت لك دمه، وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يردّ ما غلّ من مال الله». قال: وآلت حاله إلى أن كان يطاف به ليسأل من أحياء العرب ما يفتكّ به نفسه، وفي تلك الحال مات، وهو من أفقر الناس وأذلهم، بوادى القرى، سائلاً من كان نازلاً به.

وقال أحد غلمانه ممن وفى له في حال الفقر والخمول: لقد رأيتنا نطوف مع الأمير موسى بن نصير على أحياء العرب، فواحد يجيبنا، وآخر يحتجب عنا، وربما دفع إلينا على جهة الرحمة الدرهم والدرهمين، فيفرح بذلك الأمير ليدفعه إلى الموكلين به، فيخففون عنه من العذاب، ولقد رأيتنا أيام الفتوح العظام بالأندلس نأخذ السيّلوب من قصور النصارى، فنفضل منها ما يكون من الذهب وغير ذلك ونرمي به، ولا نأخذ إلا الدرّ الفاخر، فسبحان الذى بيده العزّ والذلّ والغنى والفقر.

قال: وكان له مولى قد وفى له وصبر عليه إلى أن ضاق ذرعه بامتداد الحال، فعزم على أن يسلمه وهو بوادى القرى فى أسوأ حال، و شعر بذلك موسى، فخضع للمولى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٢٧

المذكور، وقال له: يا فلان، أتسلمنى فى هذه الحالة؟ فقال له المولى، من شدّة ما كان فيه من الضجر: قد أسلمك خالقك و مالكك الذى هو أرحم الراحمين، فدمعت عيناه، وجعل يرفعهما إلى السماء خاضعاً مهيناً بشفتيه، فما سمرت تلك الليلة إلا عن قبض روحه، رحمه الله عليه! فقد كان له من الأثر ما يوجب أن يترحم عليه، وإن فعل سليمان به وبولده وكونه طرح رأس ابنه عبد العزيز الذى تركه نائباً عنه بالأندلس وقد جرى به من أقصى المغرب بين يديه من وصماته التى تعدّ عليه طول الدهر، لا جرم أن الله تعالى لم يمتعه بعده بملكه وشبابه.

وذكر ابن حيان أن موسى كان عربياً فصيحاً، وقد سبق من مراجعة يزيد بن المهلب ما يدلّ على بلاغته، ويكفى منها ما ذكره ابن حيان أنه كتب إلى الوليد بن عبد الملك فيما هاله من فتوح الأندلس وغنائمها «إنها ليست الفتوح، ولكنها الحشر».

وقال الحجارى: إن منازعة جرت بينه وبين عبد الله بن يزيد بن أسيد بمحضر عبد الملك بن مروان ألجأته إلى أن قال شعراً منه:

[البسيط]

جارت غير سؤوم فى مطاوله لو نازع الحقل لم ينزع إلى حصر

وتقدّم ما ذكره غير واحد كابن حيان أن موسى مولى عبد العزيز بن مروان، وكذا ذكره الحجارى، ثم تجهّز مع أم البنين بنت عبد العزيز حين ابنتى بها الوليد بن عبد الملك، فكانت تنمى مكاتته عند الوليد إلى أن بلغ ما بلغ. وأشهر من كان فى صحبة موسى بن نصير من مواليه طارق المشهور بالفتوح العظيمة، وطريف، وقد جرى ذكرهما فى كتابنا هذا بما اقتضاه الاختصار.

وقال ابن سعيد، بعد ذكره الخلاف فى أن موسى هل هو لخمى صريح أو بالولاء، أو بربرى، أو مولى لعبد العزيز بن مروان، ما صورته: وكان فى عقبه نباهة فى السلطنة، ولّى ابنه عبد العزيز سلطنة الأندلس، وعبد الملك سلطنة المغرب الأقصى، وعبد الله سلطنة

إفريقية.

و ذكر الحجارى أن أصله من وادى القرى بالحجاز، و أنه خدم بنى مروان بدمشق، و تنبه شأنه، فصرّفوه فى ممالكهم إلى أن ولى إفريقية و ما وراءها من المغرب فى زمن الوليد بن عبد الملك، فدوّخ أفاصى المغرب، و دخل الأندلس من جبل موسى المنسوب إليه المجاور لسبتة، و دوّخ بلاد الأندلس، ثم أوفده الوليد إلى الشام، فوافق مرضه، ثم موته و خلافة أخيه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٢٨

سليمان فعذبّه و استصفى أمواله، و آل أمره إلى أن وّجهه إلى قومه بوادى القرى لعلهم يعطفون عليه و يؤدّون عنه، فمات بها، و قد نصّ ابن بشكوال على أنه مات بوادى القرى.

أما معارفه السلطانية فيكفيه ولاية ما خلف مصر إلى البحر المحيط بين برى البربر و الأندلس.

و أما الأديبة فقد جاءت عنه بلاغة فى النثر و النظم تدخله- مع نزارتها- فى أصحاب درّ الكلام. و ذكر ابن بشكوال أنه من التابعين الذين رووا الحديث، و أن روايته عن تميم الدارى، و ذكره فى كتب الأئمة من المصنّفين أنه و أوعب من أن يخصّص بذكره واحد منهم، و هو غزّة التواريخ الأندلسية، و ذكره إلى الآن جديد فى ألسن الخاصّة و العامّة من أهلها.

و من مسهب الحجارى: كان قد جمع- رحمه الله!- من خلال الخير ما أعانه الله سبحانه به على ما بنى له من المعجد المشيد، و الذكر الشهير المخلد، الذى لا يبليه الليل و النهار، و لا يعفّى جديده بلى الأعصار، إلّا أنه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يسلم منه، و هو الحقد و الحسد، و المنافسة لا تخلو من ذلك، و أنشد بعض الرؤساء: [الطويل]

و ليس رئيس القوم من يحمل الحقد فقلبه الرئيس و قال: «من يترك الحقد»، ثم قال: إن السيد إذا ترك إضمار الخير و الشّرّ و المجازاة عليهما اجترئ عليه، و نسب للضعف و الغفلة، و هل رأيت صفقة أخسر من غفلة رئيس أحقده غيره فنسى ذلك أو تناساه، و عدوّه لا يغفل عنه، و حاسده لا ينفعه عنده إلّا الراحة منه، و هو فى واد آخر عنه، و لله درّ القائل: [الطويل]

و وضع الندى فى موضع السيف بالعلام مضرّ، كوضع السيف فى موضع الندى

و لكن الأصوب أن يكون الرأى ميزانا: لا يزن الوافى لناقص، و لا يزن الناقص لواف، و يدبّر أمره على ما يقتضيه الزمان، و يقدر فيه حسن العاقبة.

و نصّ ابن بشكوال على أن موسى بن نصير مات بوادى القرى سنة سبع و تسعين، و غزا الأندلس سنة إحدى و تسعين، و دخلها سنة ثلاث و تسعين، و قفل عنها إلى الوليد بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٢٩

عبد الملك بالغنائم سنة أربع و تسعين، و ذكر أن ولايته على الأندلس بالمباشرة- مذ دخلها إلى حين خروجه منها- سنة واحدة، و مكث فيها مولاه طارق سنة، انتهى.

و قد تقدّم شىء من ذلك.

و ذكر ابن بشكوال أيضا أن ابن حبيب قال عن ربيعة: غلّ الناس كلّهم يوم فتح الأندلس، إلّا أربعة نفر فقط كانوا من التابعين: حنش الصنعانى، و أبو عبد الرحمن الحبلى، و ابن شماسه، و عياض بن عقبه، انتهى.

[ذكر بعض من دخل الأندلس من التابعين]

قال ابن سعيد: و ممّن دخل الأندلس من غير هؤلاء الأربعة من التابعين على بن رباح اللخمى، و موسى بن نصير فاتح الأندلس، و حبان بن أبى جبلة القرشى مولاهم، و عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى صاحب الأندلس المذكور فى سلاطينها، و محمد بن أوس بن ثابت الأنصارى، و زيد بن قاصد السكسكى، و المغيرة بن أبى بردة الكناني، و عبد الله بن المغيرة الكناني، و حيوة بن رجاء التميمى،

و عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، و منصور بن خزامه، و على بن عثمان بن خطاب. و ذكر ابن حبيب أن عدة من دخل الأندلس من التابعين سوى من لا- يعرف نحو عشرين رجلا. و في كتاب ابن بشكوال أنه دخل الأندلس من التابعين ثمانية و عشرون رجلا، و هم أسسوا قبله المسجد الجامع بقرطبة، و سُمى الحجاري في المسهب هؤلاء المتقدمين.

و ذكر ابن سعيد أنه لم يتحقق المواضع التي تختصّ بهؤلاء التابعين من بلاد الأندلس، مع جزمه بأنهم دخلوا الأندلس و سكنوا بها، و سيأتي ذكر التابعين الداخلين الأندلس بما هو أشمل من هذا، و قد تقدّم غلول من عدا التابعين من الغنائم. و قال الليث بن سعد، بعد ذكره أن طارقا أصاب بالأندلس مغنم كثيرة من الذهب و الفضة: إن كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب، و تنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ و الياقوت و الزبرجد، و كان البربر ربما و جدوها فلا يستطيعون حملها حتى يأتوا بالفأس فيضربون به وسطها فيأخذ أحدهم نصفها و الآخر النصف الآخر لنفسه، و يسير معهم جماعة و الناس مشتغلون بغير ذلك. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٣٠

[غنائم الأندلس، و الحديث عن مائدة سليمان]

و عن يحيى بن سعيد: لما افتتحت الأندلس أصاب الناس فيها غنائم، فغلوا منها غلولا كثيرا حملوه في المراكب و ركبوا البحر، فسمعوا مناديا يقول: الله مغرّق بهم، و تقلّدوا المصاحف، فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصف، و ضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسّرت، و غرق بهم. و أهل مصر ينكرون ذلك، و يقولون: أهل الأندلس ليس هم الذين غرقوا، و إنما هم أهل سردانية، فالله أعلم بحقيقة الحال.

و رأيت في بعض كتب التاريخ أنه وجد في طليطلة حين فتحت من الذخائر و الأموال ما لا يحصى، فمن ذلك مائة و سبعون تاجا من الذهب الأحمر مرصّعة بالدرّ و أصناف الحجارة الثمينة، و وجد فيها ألف سيف ملوكي، و وجد فيها من الدرّ و الياقوت أكيال، و من أواني الذهب و الفضة ما لا يحيط به وصف، و مائدة سليمان، و كانت- فيما يذكر- من زمردة خضراء، و زعم بعض العجم أنها لم تكن لسليمان، و إنّما أصلها أن العجم أيام ملكهم كان أهل الحسنه في دينهم إذا مات أحد منهم أوصى بمال للكنائس، فإذا اجتمع عندهم مال له قدر صاغوا منه الآلة من الموائد العجيبة، و الكراسي من الذهب و الفضة، تحمل الشماسة و القسوس فوقها الأناجيل في أيام المناسك، و يضعونها في الأعياد للمباهاة، فكانت تلك المائدة بطليطلة ممّا صنع في هذا السيل، و تأتق الملوك في تحسينها، يزيد الآخر منهم فيها على الأول، حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات، و طار الذكر بها كلّ مطار، و كانت مصوغه من الذهب الخالص مرصّعة بفخار الدرّ و الياقوت و الزبرجد، و قيل: إنها من زبرجدة خضراء حافاتها و أرجلها منها، و كان لها ثلاثمائة و خمس و ستون رجلا، و كانت توضع في كنيسة طليطلة، فأصابها طارق، انتهى.

و قد ذكرنا فيما مرّ عن ابن حبان ما فيه نظير هذا، و ذكرنا فيما مضى من أمر المائدة و غيرها ما فيه بعض تخالف، و ما ذلك إلّا لأننا نقلنا كلام المؤرّخين، و إن خالف بعضهم بعضا، و مرادنا تكثير الفائدة، و بالجملة فالمائدة جليلة المقدار، و إن حصل الخلاف في صفتها و جنسها و عدد أرجلها، و هي من أجلّ ما غنم بالأندلس، على كثرة ما حصل فيها من الغنائم المتنوعة الأجناس التي ذكرها إلى الآن شائع بين الناس.

[القبائل العربية التي نزلت إلى الأندلس و استوطنتها]

فاعلم أنه لما استقرّ قدم أهل الإسلام بالأندلس و تنامّ فتحها صرف أهل الشام و غيرهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٣١

من العرب هممهم إلى الحلول بها، فنزل بها من جرائم العرب و ساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم إلى أن كان من أمرهم ما كان. فأما العدنانيون فمنهم خندف، ومنهم قريش، و أما بنو هاشم من قريش فقال ابن غالب في «فرحة الأنفس»: بالأندلس منهم جماعة كلهم من ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، و من هؤلاء بنو حمود ملوك الأندلس بعد انتشار سلك بني أمية، و أما بنو أمية فمنهم خلفاء الأندلس، قال ابن سعيد:

و يعرفون هنالك إلى الآن بالقرشيين، و إنما عموا نسبهم إلى أمية في الآخر لما انحرف الناس عنهم، و ذكروا أفعالهم في الحسين رضى الله عنه، و أما بنو زهرة فمنهم ياشيلية أعيان متميزون، و أما المخزوميون فمنهم أبو بكر المخزومي الأعمى الشاعر المشهور من أهل حصن المدور، و منهم الوزير الفاضل في النظم و النثر و أبو بكر بن زيدون و والده الذي هو أعظم منه أبو الوليد بن زيدون وزير معتضد بني عباد.

و قال ابن غالب: و فى الأندلس من ينسب إلى جمح، و إلى بنى عبد الدار، و كثير من قريش المعروفون بالفهريين من بنى محارب بن فهر، و هم من قريش الظواهر، و منهم عبد الملك بن قطن سلطان الأندلس، و من ولده بنو القاسم الأمراء الفضلاء، و بنو الجد الأعيان العلماء، و من بنى الحارث بن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سلطان الأندلس الذى غلبه عليها عبد الرحمن الأموى الداخل، و جد يوسف عقبه بن نافع الفهرى صاحب الفتوح بإفريقية، قال ابن حزم: و لهم بالأندلس عدد و ثروة. و أما المنتسبون إلى عموم كنانة فكثير، و جلهم فى طليطلة و أعمالها، و لهم ينسب الوقشيون الكنانيون الأعيان الفضلاء الذين منهم القاضى أبو الوليد و الوزير أبو جعفر، و منهم أبو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة، و قد ذكرناه فى محله. و أما هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، فذكر ابن غالب أن منزلهم بجهة أريولة من كورة تدمير. و أما تميم بن مّر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، فذكر ابن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٣٢

غالب أيضا أنهم خلق كثير بالأندلس، و منهم أبو الطاهر صاحب المقامات اللزومية. و أما ضبة بن أد بن طابخة، فذكر أنهم قليلون بالأندلس، فهؤلاء خندف من العدنانية.

و أما قيس عيلان بن إلياس بن مضر من العدنانية، ففى الأندلس كثير منهم ينتسبون إلى العموم، و منهم من ينتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، كعبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه صاحب الإمام مالك رضى الله عنه، و كالقاضى أبى حفص بن عمر قاضى قرطبة. و من قيس من ينتسب إلى هوازن بن منصور بن عكرمة، قال ابن غالب: و هم ياشيلية خلق كثير، و منهم من ينتسب إلى بكر بن هوازن، قال ابن غالب: و لهم منزل بجوفى بلنسية على ثلاثة أميال منها، و ياشيلية و غيرها منهم خلق كثير، و منهم بنو حزم، و هم بيت غير البيت الذى منه أبو محمد بن حزم الحافظ الظاهرى، و هو فارسى الأصل.

و منهم من ينتسب إلى سعد بن بكر بن هوازن، و ذكر ابن غالب أن منهم بغرناطة كثيرا، كبنى جودى، و قد رأس بعض بنى جودى. و منهم من ينتسب إلى سلول امرأة نسب إليها بنوها، و أبوهم مزة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. و منهم من ينتسب إلى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. و منهم من ينتسب إلى نمير بن عامر بن صعصعة، قال ابن غالب: و هم بغرناطة كثير. و منهم من ينتسب إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، و منهم بلج بن بشر صاحب الأندلس و آله، و بنو رشيق. و منهم من ينتسب إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان. و منهم من ينتسب إلى أشجع بن ريث بن غطفان، و من هؤلاء محمد بن عبد الله الأشجعي سلطان الأندلس. و فى ثقيف اختلاف؛ فمنهم من قال: إنها قيسية، و إن ثقيفا هو قسى بن متبه بن بكر بن هوازن، و منهم بالأندلس جماعة، و إليهم ينتسب الحر بن عبد الرحمن الثقفى صاحب الأندلس، و قيل: إنها من بقايا ثمود، انتهى قيس بن عيلان و جميع مضر.

و أما ربيعة بن نزار، فمنهم من ينتسب إلى أسد بن ربيعة بن نزار، قال فى «فرحة الأنفس»: إن إقليم هؤلاء مشهور باسمهم بجوفى مدينة

وادي آش، انتهى، و الأشهر بالنسبة إلى أسد أبدا بنو أسد بن خزيمه بن مدركه بن إلياس بن مضر. و منهم من ينتسب إلى محارب بن عمرو بن وديعه بن لكيز بن أقصى بن دعمي بن جديله بن أسد بن ربيعه، قال ابن غالب في «فرحة الأنفس»: و منهم بنو عطية أعيان غرناطة. و منهم من ينتسب إلى التمر بن قاسط بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٣٣

هنب بن أقصى بن دعمي بن جديله بن أسد، كبنى عبد البر الذين منهم الحافظ أبو عمر بن عبد البر. و منهم من ينتسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب، كبنى حمديس أعيان قرطبة، و منهم من ينتسب إلى بكر بن وائل، كالبكرين أصحاب أونبة و شلطيش الذين منهم أبو عبيد البكري صاحب التصانيف؛ انتهت ربيعه.

و أما إياد بن نزار، و قد يقال: إنه ابن معد، و الصحيح الأول، فينتسب إليهم بنو زهر المشهورون بإشبيلية؛ انتهت العدنانية، و هم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام.

و اختلف في القحطانية: هل هم من ولد إسماعيل أو من ولد هود، على ما هو معروف، و ظاهر صنيع البخاري الأول، و الأكثر على خلافه، و القحطانية هم المعروفون باليمانية، و كثيرا ما يقع بينهم و بين المضريه و سائر العدنانية الحروب بالأندلس، كما كان يقع بالمشرق، و هم بالأكثر بالأندلس، و الملك فيهم أرسخ، إلّا ما كان من خلفاء بني أمية، فإن القرشية قدمتهم على الفرقتين، و اسم الخلافة لهم بالمشرق، و كان عرب الأندلس يتميزون بالعمائر و القبائل و البطون و الأفخاذ، إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس، و قصد بذلك تشييتهم و قطع التحامهم و تعصّبهم في الاعتزاء، و قدّم القواد على الأجناد، فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيل، فانحسمت مادة الفتن و الاعتزاء بالأندلس، إلّا ما جاءت على غير هذه الجهة.

قال ابن حزم: جماع أنساب اليمن من جذمين: كهلان و حمير ابني سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، و قيل: قحطان بن الهميسع بن تيهان بن نابت بن إسماعيل، و قيل: قحطان بن هود بن عبد الله بن رباح بن حارث بن عاد بن عوص بن إرم بن سام، و الخلف في ذلك مشهور. فمنهم كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، و منهم الأزدي بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، و إليهم ينتسب محمد بن هانيء الشاعر المشهور الإلبيري، و هو من بني المهلب، و من الأزدي من ينتسب إلى غسان، و هم بنو مازن بن الأزدي، و غسان: ماء شربوا منه،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٣٤

و ذكر ابن غالب أن منهم بنو القليعي من أعيان غرناطة، و كثير منهم بصالحه، قرية على طريق مالقة، و من الأزدي من ينتسب إلى الأنصار على العموم، و هم الجمّ الغفير بالأندلس.

قال ابن سعيد: و العجب أنك تعدم هذا النسب بالمدينة و تجد منه بالأندلس في أكثر بلدانها ما يشدّ عن العدد كثرة، و لقد أخبرني من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد إلّا شيخا من الخزرج و عجوزا من الأوس.

قال ابن غالب: و كان جزء الأنصار بناحية طليطلة، و هم أكثر القبائل بالأندلس في شرقها و مغربها، انتهى.

و من الخزرج بالأندلس أبو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و هو المشهور بالموشحات، و إلى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الأحمر سلاطين غرناطة الذين كان لسان الدين بن الخطيب أحد وزرائهم، و عليهم انقرض ملك الأندلس من المسلمين، و استولى العدو على الجزيرة جميعا كما يذكر.

و من أهل الأندلس من ينتسب إلى الأوس أخى الخزرج، و منهم من ينتسب إلى غافق بن عكّ بن عدنان بن أزان بن الأزدي، و قد يقال عكّ بن عدنان - بالنون - فيكون أخا معدّ بن عدنان، و ليس بصحيح؛ قال ابن غالب: من غافق أبو عبد الله بن أبي الخصال الكاتب، و أكثر جهات شقورة ينتسبون إلى غافق. و من كهلان من ينتسب إلى همدان، و هو أوسله بن مالك بن زيد بن أوسله بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان، و منزل همدان مشهور على سته أميال من غرناطة، و منهم أصحاب غرناطة بنو أضحى. و من

كهلان من ينتسب إلى مذحج، و مذحج: اسم أكمة حمراء باليمن، وقيل: اسم أم مالك وطيبى بن أدد بن زيد بن كهلان، قال ابن غالب: بنو سراج الأعيان من أهل قرطبة ينتسبون إلى مذحج. و منزل طيء بقبلى مرسية. و منهم من ينتسب إلى مراد بن مالك بن أدد، و حصن مراد بين إشبيلية و قرطبة مشهور، قال ابن غالب: و أعرف بمراد منهم خلقا كثيرا. و منهم من ينتسب إلى عنس بن مالك بن أدد، و منهم بنو سعيد مصنفو كتاب «المغرب» و قلعة بنى سعيد مشهورة فى مملكة غرناطة. و من مذحج من ينتسب إلى زيد، قال ابن غالب: و هو متبه بن سعد العشيرة بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٣٥

مالك بن أدد. و من كهلان من ينتسب إلى مزة بن أدد بن زيد بن كهلان، قال ابن غالب:

منهم بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة. و منهم من ينتسب إلى عامله، و هى امرأة من قضاة ولدت للحارث بن عدى بن الحارث بن مزة بن أدد، فنسب ولدها منه إليها، قال ابن غالب:

منهم بنو سماك القضاء من أهل غرناطة، و قوم زعموا أن عامله هو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، و قيل: هم من قضاة. و من كهلان خولان بن عمرو بن الحارث بن مرة، و قلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء و إشبيلية، و منهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة.

و منهم من ينتسب إلى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مزة، و منهم المنصور بن أبى عامر صاحب الأندلس. و منهم من ينتسب إلى لحم بن عدى بن الحارث بن مزة، و منهم بنو عبيد أصحاب إشبيلية و غيرها، و هم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة، و منهم بنو الباجى أعيان إشبيلية، و بنو وafd الأعيان. و منهم من ينتسب إلى جذام مثل ثوبان بن سلامة صاحب الأندلس، و بنى هود ملوك شرقى الأندلس، و منهم المتوكل بن هود الذى صحت له سلطنة الأندلس بعد الموحدين، و منهم بنو مردنيش أصحاب شرقى الأندلس، قال ابن غالب:

و كان لجذام جزء من قلعة رباح، و اسم جذام عامر، و اسم لحم مالك، و هما ابنا عدى.

و من كهلان من ينتسب إلى كنده، و هو ثور بن عفير بن عدى بن الحارث بن مزة بن أدد، و منهم يوسف بن هارون الرمادى الشاعر. و منهم من ينتسب إلى تجيب و هى امرأة أشرس بن السكون بن أشرس بن كنده. و من كهلان من ينتسب إلى خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، و منهم عثمان بن أبى نسعة سلطان الأندلس، و قد قيل: أنمار بن نزار بن معد بن عدنان، انتهت كهلان.

و أميا حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فمنهم من ينتسب إلى ذى رعين، قال ابن غالب: و ذو رعين هم ولد عمرو بن حمير فى بعض الأقوال، و قيل: هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير، قال: و منهم أبو عبد الله الحنيط الأعمى الشاعر، قال الحازمى فى «كتاب النسب»: و اسم ذى رعين عريم بن زيد بن سهل، و وصل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٣٦

النسب، و منهم من ينتسب إلى ذى أصبح، قال ابن حزم: هو ذو أصبح بن مالك بن زيد من ولد سبأ الأصغر بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس، و وصل النسب. و ذكر الحازمى أن ذا أصبح من كهلان، و أخبر أن منهم مالك بن أنس الإمام، و المشهور أنهم من حمير، و الأصبحيون من أعيان قرطبة، و منهم من ينتسب إلى يحصب. قال ابن حزم: إنه أخو ذى أصبح، و هم كثير بقلعة بنى سعيد، و قد تعرف من أجلهم فى التواريخ الأندلسية بقلعة يحصب، و منهم من ينتسب إلى هوازن بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن الغوث، قال ابن غالب: و منزلهم بشرقى إشبيلية، و الهوازيون من أعيان إشبيلية. و منهم من ينتسب إلى قضاة بن مالك بن حمير، و قد قيل: إنه قضاة بن معد بن عدنان، و ليس بمرضى، و من قضاة من ينتسب إلى مهرة كالوزير أبى بكر بن عمارة الذى وثب على ملك

مرسية، و هو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة، و منهم من ينتسب إلى خشين بن نمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة، و منهم من ينتسب إلى تنوخ، قال ابن غالب: و هو ابن مالك بن فهم بن نمر بن وبرة بن تغلب، قال الحازمي: تنوخ هو مالك بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة. و منهم من ينتسب إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة، و منهم البلويون بإشبيلية. و منهم من ينتسب إلى جهينة بن أسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة، قال ابن غالب: و بقرطبة منهم جماعة. و منهم من ينتسب إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان كبنى أبي عبدة الذين منهم بنو جهور ملوك قرطبة و وزراؤها. و منهم من ينتسب إلى عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن أسود بن عمرو بن الحاف بن قضاة، و منهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة. و من أهل الأندلس من ينتسب إلى حضرموت، منهم الحضرميون بمرسية و غرناطة و إشبيلية و بطليوس و قرطبة؛ قال ابن غالب: و هم كثير بالأندلس، و فيه خلاف، قيل: إن حضرموت هو ابن قحطان، و قيل: هو حضرموت بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان - بالجيم - بن قطن بن العريب بن الغرز بن نبت بن أيمن بن الهميسع بن حمير، كذا نسق النسب الحازمي. و من أهل الأندلس من ينتسب إلى سلامان، و منهم الوزير لسان الدين بن الخطيب حسبما ذكر في محله.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٣٧

[أسماء من حكم الأندلس من العرب]

و قد رأيت أن أسرد هنا أسماء ملوك الأندلس من لدن الفتح إلى آخر ملوك بني أمية، و إن تقدّم و يأتي ذكر جملة منهم بما هو أتمّ ممّا هنا: فنقول: طارق بن زياد مولى موسى بن نصير، ثم الأمير موسى بن نصير، و كلاهما لم يتخذ سريرا للسلطنة. ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير، و سريره إشبيلية. ثم أيوب بن حبيب اللخمي، و سريره قرطبة، و كلّ من يأتي بعده فسريه قرطبة و الزهراء و الزاهرة بجانبيها إلى أن انقضت دولة بني مروان على ما يتبّه عليه. ثم الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي. ثم السيمح بن مالك الخولاني. ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي. ثم عنبسة بن سحيم الكلبى. ثم عذرة بن عبد الله الفهري. ثم يحيى بن سلمة الكلبى. ثم عثمان بن أبي نسة الخثعمي. ثم حذيفة بن الأحوص القيسي. ثم الهيثم بن عبيد الكلابى. ثم محمد بن عبد الله الأشجعي. ثم عبد الملك بن قطن الفهري. ثم بلج بن بشر بن عياض القشيري. ثم ثعلبة بن سلامة العاملي. ثم أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى. ثم ثوبان بن سلامة الجذامي. ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري. و ههنا انتهى الولاة الذين ملكوا الأندلس من غير موارثه، أفرادا، عددهم عشرون فيما ذكر ابن سعيد، و لم يتعدوا في السمة لفظ الأمير.

قال ابن حيان: مدّتهم منذ تاريخ الفتح من لذريق سلطان الأندلس النصراني - و هو يوم الأحد لخمس خلون من شوال سنة اثنتين و تسعين - إلى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهري، و تغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير الملك قرطبة - و هو يوم الأضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان و ثلاثين و مائة - ست و أربعون سنة و خمسة أيام، انتهى.

ثم كانت دولة بني أمية، أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك. ثم ابنه هشام الرضى. ثم ابنه الحكم بن هشام. ثم ابنه عبد الرحمن الأوسط. ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن. ثم ابنه المنذر بن محمد. ثم أخوه عبد الله بن محمد. ثم ابن ابنه عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله. ثم ابنه الحكم المستنصر، و كرسيهما الزهراء. ثم هشام بن الحكم، و فى أيامه بنى حاجبه المنصور بن أبي عامر الزاهرة. ثم المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر، و هو أول خلفاء الفتنة، و هدمت فى أيامه الزهراء و الزاهرة، و عاد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٣٨

السريير إلى قرطبة. ثم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر.

ثم تخلّلت دولة بنى حمّود العلويين، و أولهم الناصر على بن حمّود العلوى الإدريسي. ثم أخوه المأمون القاسم بن حمّود.

ثم كانت دولة بني أمية الثانية، وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر. ثم المستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله. ثم المعتمد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر، وهو آخر خلفاء الجماعة بالأندلس، وحين خلع أسقط ملوك الأندلس الدعوة للخلافة المروانية.

و استبدت ملوك الطوائف كابن جهور في قرطبة، وابن عباد بإشبيلية، وغيرهما، ولم يعد نظام الأندلس إلى شخص واحد، إلى أن ملكها يوسف بن تاشفين الملقب من بَرّ العدو، وفتك في ملوك الطوائف، وبعد ذلك ما خلصت له ولا لولده علي بن يوسف؛ لأن بني هود نازعوه في شرقها بالثغر، إلى أن جاءت دولة عبد المؤمن وبنيه، فما صفت لعبد المؤمن بمحمد بن مردنيش الذي كان ينازعه في شرق الأندلس، ثم صفت ليوسف بن عبد المؤمن بموت ابن مردنيش، ثم لمن بعده من بنيه، و حضرتهم مراكش، وكانت ولايتهم تتردد على الأندلس وممالكها، ولم يولوا على جميعها شخصا واحدا لعظم ممالكها، إلى أن انقرضت منها دولتهم بالمتوكل محمد بن هود من بني هود ملوك سرقسطة وجهاتها، فملك معظم الأندلس بحيث يطلق عليه اسم السلطان، ولم ينازعه فيها إلّا زياد بن مردنيش في بلنسية من شرق الأندلس، وابن هلاله في طيبة من غرب الأندلس، ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته، ولما قتله وزيره ابن الرمي بالمرية زاد الأمر إلى أن ملك بنو الأحمر. وكانت غرب أهل الأندلس في المائة السابعة يخطبون لصاحب إفريقية السلطان أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٣٩

عبد الواحد بن أبي حفص، ثم تقلصت تلك الظلال، ودخل الجزيرة الانحلال، إلى أن استولى عليها حزب الضلال، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وقد ذكرت في هذا الكتاب جملة من أخبار ملوك الأندلس مما يصلح للمذاكرة، وربما سرحت طرف القلم في بعضهم. و بنو جهور المشار إليهم قريبا كانوا وزراء الأمويين، ثم إنه لما انتشر سلك الخلافة استبدت بقرطبة الوزير أبو الحزم بن جهور من غير أن يتعدى اسم الوزارة.

[الوزير أبو الحزم بن جهور]

قال في «المطمح»: الوزير الأجل جهور بن محمد بن جهور، أهل بيت وزارة، اشتهروا كاشتهار ابن هبيرة في فزاره، وأبو الحزم أمجدهم في المكرمات، وأنجدهم في الملمات، ركب متون الفنون فراضها، و وقع في بحور المحن فخاضها، منبسط غير منكمش، لا طائش اللسان ولا رعش، وقد كان وزر في الدولة العامرية فشرفت بجلاله، واعترفت باستقلاله، فلما انقرضت وعافت الفتن و اعترضت، تحيز عن التدبير مدتها، و خلّى لخلافه أعباء الخلافة و شدتها، وجعل يقبل مع أولئك الوزراء و يدبر، و يدير الأمر معهم و يدبر، غير مظهر للانفراد، و لا متصرف في ميدان ذلك الطراد، إلى أن بلغت الفتنة مداها، و سوغت ما شاءت رداها، ذهب من كان يخذ في الرياسة و يخب، و يسعى في الفتنة و يدب، و لما ارتفع الوبال، و أدبر ذلك الإقبال، راسل أهل التقوى مستمدا بهم، و معتمدا على بعضهم تخيلا منه و تمويها، و تداهايا، على أهل الخلافة و ذويها، و عرض عليهم تقديم المعتمد هشام، و أومض منه لأهل قرطبة برق خلب يشام، بعد سرعة التياثها، و تعجيل انتكاثها، فأجابوا إلى الإجابة، و أجابوا إلى استرعاثه الوزارة و الحجابة، و توجهوا مع ذلك الإمام، و ألموا بقرطبة أحسن إمام، فدخلوها بعد فتن كثيرة، و اضطرابات مستثيرة، و البلد مقفر، و الجلد مسفر، فلم يبق غير يسير حتى جبد و اضطرب أمره فخلع، و اختطف من الملك و انتزع، و انقرضت الدولة الأموية، و ارتفعت الدولة العلوية، و استولى على قرطبة عند ذلك أبو الحزم، و دبّر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٤٠

أمرها بالجد و العزم، و ضبطها ضبطا أمن خائفها، و رفع طارق تلك الفتنة و طائفها، و خلا له الجو فطار، و قضى اللبانات و الأوطار،

فعدت له قرطبة إلى أكمل حالتها، وانجلى به نور جلالتها، ولم تنزل به مشرقه، و غصون الآمال فيها مورقة، إلى أن توفي سنة ٤٣٥ فانتقل الأمر إلى ابنه أبي الوليد، واشتمل منه على طارف و تليد. و كان لأبي الحزم أدب و وقار و حلم سارت به الأمثال، و عدم فيها المثال، و قد أثبت من شعره ما هو لائق، و في سماء الحسن رائق، و ذلك قوله في تفضيل الورد: [الكامل]

الورد أحسن ما رأيت عيني و أزكى ما سقى ماء السحاب الجائد
خضعت نواوير الرياض لحسنه فتدلت تنقاد و هي شوارد
و إذا تبدى الورد في أغصانه يزهو، فذا ميت و هذا حاسد
و إذا أتى وفد الربيع مبشرا بطلوع وفدته فنعم الوافد
ليس المبشر كالمبشر باسمه خبر عليه من النبوة شاهد
و إذا تعزى الورد من أوراقه بقيت عوارفه فهنّ خوالد
انتهى المقصود منه.

و كأنه عارض بهذه الأبيات في تفضيل الورد قول ابن الرومي في تفضيل النرجس عليه من قصيدة: [الكامل]
للنرجس الفضل المبين و إن أبي آب و حاد عن الحقيقة حائد
و هي مشهورة.

و ردّ على ابن الرومي بعضهم بقوله: [الكامل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١؛ ص ٢٤٠
يا من يشبه نرجسا بنواظر دعج تتبه إن فهمك فاسد
إلخ، و هي أيضا مشهورة.

[كتاب أبي مطرف بن عميرة لأبي جعفر بن أمية]

رجع إلى ما كتنا فيه: و كانت لأهل الأندلس بين زمان الفتح و ما بعده وقائع في الكفار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٤١
شفت الصدور من أمراضها، و وفّت النفوس بأغراضها، و استولت على ما كان لملّة الكفر من جواهرها و أعراضها، ثم وقع الاختلاف،
بعد ذلك الائتلاف، فعصفت ريح العدوّ و الحروب سجال، و أعيأ العلاج حكماء الرجال، فصار أهل الأندلس يتذكرون موسى بن
نصير و طارق، و من بعدهما من ملوك الأندلس الذين راعت العدوّ الكافر منهم طوارق.

و ما أحسن ما أعرب الإمام الكاتب القاضي أبو المطرف بن عميرة، عمّا يشمل هذا المعنى و غيره، في كتاب بعث به إلى الشيخ أبي
جعفر بن أمية، حين حلّ الرّزء ببلنسية، و هو: [الطويل]

ألا أيها القلب المصرّح بالوجد أما لك من بادي الصّباية من بدّ
و هل من سلو يرتجى لمّيتم له لوعه الصّادى و روعه ذى الصّدّ
يحنّ إلى نجد، و هيهات! حرّمت صروف الليالى أن يعود إلى نجد
فيا جبل الريان، لا رىّ بعدما عدت غير الأيام عن ذلك الورد
و يا أهل ودّى و الحوادث تقتضى خلوى عن أهل يضاف إلى الودّ
ألا متعه يوما بعاريه المنى فإنّا نراها كلّ حين إلى الرّدّ
أمن بعد رزء فى بلنسية ثوى بأحنائنا كالنّار مضمرة الوقد

يرجى أناس جنّة من مصائب تطاعن فيهم بالمتقفّة الملد
الآليت شعري هل لها من مطالع معاد إلى ما كان فيها من السعد
و هل أذنب الأبناء ذنب أبيهم فصاروا إلى الإخراج من جنّة الخلد

مرحبا بالسّحابة، و ما أعارت أفقى من الإضاءة، وردت تسحر التّهي، و تسحب ذيلا على السّها، و تهزّ من المسرّة أعطافا، و تردّ من
نجوم المجرّة نطافا، عامت من الظلمة فى موجهها، ثم غلبت الشهب على أوجهها، فقلب العقرب يجب، و سهيل بداره يحتجب، و الطّرف
غضيض، و جناح الطائر مهيض، و صاحب الأخبية يقرض، و الذابح عن ذبيحته يعرض، و رامح السماكين تخونه السلاح، و واقع
التّسرين يودّ لو أنه يخفيه الصباح، بلاغة تفتن كلّ لبيب،
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٤٢

و ترعى روض كلّ أديب، و تغضّ على رغم العدو من حبيب، إنّ من البيان لسحرا، و يا أيها الجواد وجدناك بحرا، أدريت، أى برى
بريت، و بأى قمر اهتديت، ليله سرّيت، افتتحت بأبياتك الحسان، و نظمتها نظم الجمان، فعوذت سبعتها بالسّبع، و عرفت منها براءة
ذلك الطبع، ثم نثرت على القرطاس شذور النثور، بل من جواهر النحور، ما استوقف التّظار، و بهرج اللّجين و التّضار، و رأيتك
استمددت و لك الباع الأمد، و أعرت محاسنك و العارية تردّ، و جئت باللائاة تروق أربعتها، و تخرس بها قعقعة الأشعار و
جمععتها، فأدت من حسنها ما يسرّ، و اجتمع لمن روى القطعتين ما نظم فيها و هو الدّر. و أجريت خبر الحادثة التى محقت بدر التمام،
و ذهبت بنضارة الأيام، فيا من حضر يوم البطشة، و عزّى فى أنسه بعد تلك الوحشة، أحقّا أنه دكّت الأرض، و نرف المعين و البرض،
و صوّح روض المنى، و صرّح الخطب و ما كنى؟ ابن لى كيف فقدت رجاحة الأحلام، و عقدت مناحة الإسلام، و جاء اليوم العسر، و
أوقدت نار الحزن فلا تزال تستعر؟ حلم ما نرى؟ بل ما رأى ذا حاله، طوفان يقال عنده لا عاصم، من ينصفنا من الزمان الظالم؟ الله بما
يلقى الفؤاد عالم. بالله أى نحو تنحو، و مسطور تثبت و تمحو، و قد حذف الأصلى و الزائد، و ذهبت الصّيلة و العائد، و باب التعجب
طال، و حال البائس لا- تخشى الانتقال، و ذهبت علامة الرفع، و فقدت سلامة الجمع، و المعتلّ أعدى الصحيح، و المثلث أردى
الفصيح، و امتنعت العجمة من الصّيرف، و أمنت زيادتها من الحذف. و مالت قواعد الملة، و صرنا إلى جمع القلة، و للشّرك صيال و
تخمّط، و لقرنه فى شركه تخبّط، و قد عاد الدين إلى غربته، و شرق الإسلام بكربته، كأن لم يسمع بنصر بن نصير، و طرق طارق بكل
خير، و نهشات حنش و كيف أعيت الرّقى، و أذالت بليل السّليم يوم الملتقى، و لم تخبر عن المروانية و صوائفها، و فتى معاف و تعفيره
للأوثان و طوائفها، لله ذلك السلف، لقد طال الأسى عليهم و الأسف. و بقى الحكم العدل، و الربّ الذى قوله الفصل، و بيده الفضل،
ربّنا أمرت فعصينا، و نهيت فما انتهينا، و ما كان ذلك جزاء إحسانك إلينا، أنت العليم بما أعلنّا و ما أخفينا، و المحيط بما لم نأت و ما
أتينا، لو أننا فيك أحبينا و قلينا، لم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٤٣

ترنا من الفرقة ما رأينا، و لم تسلّط عدوك و عدونا علينا، لكن أنت أرحم من أن تؤاخذنا بما جنينا، و أكرم من أن لا تهب حقوقك
إلينا.

و أشرت أيها الأخ الكريم إلى استراحة إلى، و تنسّم بما لدى، لتبرّد- كما زعمت- حرّ نفس، و تقدح زناد قبس، و هيهات صلد الزند،
و ذوى العرار و الرّند، و أقشع الشّوبوب، و ركذ ما كان يظنّ به الهبوب، فالقلم دفين لا- يحشر، و ميّت لا ينشر، و الطبع قد نكص
القهقري، و قلّ منزله أن يدعى له التّقرى، فها هو لا يملك مبيتا، و لا يجد لقلمه تبيتا، و أنت- أبقاك الله عزّ و جلّ!- بمقتبل الآداب،
طائر هيعه الشباب، و أين سنّ السّيمو من سنّ الانحطاط، و وقت الكسل من وقت النشاط، و قد راجعتك لا داخلا فى حلبتك، بل
قاضيا حقّ رغبتك، و الله تعالى يجعلك بوسيلة العلم مترقيا، و بجنّة الطاعة متوقّيا، و لهناء الأنفس مستقبلا و متلقيا! بمنّه، و السلام،
انتهى.

[كتاب أبي المطرف إلى سلطان إفريقية]

و كتب، رحمه الله، إلى سلطان إفريقية الوارث ملك بني عبد المؤمن بتلك النواحي، المستولى على البلدان و الضواحي، و قد كان لأهل الأندلس أمل في أخذه بثأرهم، و ضمّ انتشارهم، ما صورته: [الرمل]

شاقة غبّ الخيال الوارد بارق هاج غرام الهاجد
 صدق وعد للتلاقي ثم ما طرقا إلّا بخلف الواعد
 و كلا الزورين من طيف و من وافد تحت الدياتي وارد
 لم يكن بعد السرى مستمتع فيه للزائي و لا للرائد
 و شديد بثّ قلب هائم يشتكيه عند ربع هامد
 بالأمر المرتضى عزّ الهدى و ثنى عطف الملى الواجد
 و به أصحب ما كان يرى حاملا أنف الأبي الشارد
 إنّما الفخر لمولانا أبي زكرياء بن عبد الواحد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٤٤
 ملك لو لا حلاه الغرّ لم يجر بالحمد لسان الحامد
 و لو انّ العذب أبدى رغبة عنه لم يشف غليل الوارد
 فضله مثل سنى الشمس، و هل لسنى الشمس يرى من جاحد
 قهر البغي بجدّ صادع ما تعدّاه وجدّ صاعد
 إنّما آل أبي حفص هدى للورى من غائب أو شاهد
 قعدوا فوق النجوم الزهر عن همم تبهن عزم القاعد
 و عن الإسلام زادوا عندما فلّ طول العهد غرب الذائد
 أى فخر عمرى المنتمى ورثوه ماجدا عن ماجد
 ما الفتوح الغرّ إلّا لهم بين ماض بادئ أو عائد
 فى محيا لاحق من سابق و على المولود سيما الوالد
 و ليحى راجح الحلم الذى ترك الطود بعطفى مائد
 عقد أحسابهم تمّ به مثل ما تمّ حساب العاقد
 أيها الجامع ما قد أحرزوا جمع من همته فى الزائد
 هذه الأمة قد أوسعتها نظرا يكلا ليل الراقد
 لم تزل منك بخير طارف ريشه تال قدامى تالد
 و لهم منك ليوم حاضر و غد رأى البصير الناقد
 أرشد الله لأولى نظر بالورى رأى الإمام الراشد
 و تولاه بتوفيق الألى سعدوا من عاقد أو عاهد
 و له فى الله أوفى كافل بالذى يبقى و أكفى عاضد
 نصر الله تعالى مولانا و أيده، و شدّ ملكه و سيّده، و أبقى للفضل أيامه، و للفصل أحكامه! و أظفر بأعناق الأشقياء حسامه! و وفر من

اتّساق النعم والآلاء حظوظه وأقسامه! والحمد لله ثم الحمد لله على أن جعل به حرم الأمة آمناً، ووهج الفتنة ساكناً، وأبواب الصلّة والمعروف لا- تعرف إلّا واصلاً أو آذناً، وتلافى فلّ الإسلام منه بفيثاته التي منها ينتظرون الكرز، وبها يواعدون الفتح الأعزّ والنصر الأغرّ! فهم بين جده قبضوها، وعدة رضوها، وارتقاب للفتح أكبر همهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٤٥

منه درك الثار، وانتصاف لأهل الجبّة من أهل النار، فأما الأوطان فقد أسلتهم عنها جهةً تبت العزّ فيما تبتته، وتنفى من الضيم ما تلك تبتته، وما ذكر الساخط، على المحل الساقط، منازل عادت على مبانها أطلالا، ومغانها أمحالا، وللعبد حال يستقبل بها من النظر الكريم- أدامه الله تعالى!- ما أعين الآمال إليه صور، ورجاء الجميع عليه مقصور، انتهى.

[من خطاب لأبي المطرف إلى بعض ذوى الألباب]

والغاية في هذا الباب ما كتب به- رحمه الله!- من جملة كتاب لبعض ذوى الألباب، ونصّ محل الحاجة منه: نخصّ الجهة البعيدة الصيّت والاسم، الشهيرة العمل والعلم، درّة تاجنا، وضوء سراجنا، ونكتة احتجاجنا، أبقاها الله تعالى في أعيننا منارا، ولأندلسنا فخارا، على أنه وإن بقيت المفاخر، فقد أودى المفاخر، وإن أضاء الطالع، فقد درجت المطالع، وغلب عليها عداة زووا عنها وجوهنا، وأروا فيها مكروهنا، حتى أنى أتيت بشعر فيه استسقاء للديار، على عادة الأشعار، فقلت: [الكامل]

زدنا على النائين عن أوطانهم وإن اشركنا في الصّابئة والجوى

إنّا وجدناهم قد استسقوا لها من بعد أن شطت بهم عنها النوى

ويصدّنا عن ذاك في أوطاننا مع حبّها الشّرك الذى فيها ثوى

حسنا طاعتها استقامت بعدنا لعدونا، أفيستقيم لها الهوى

قلت: ما رأيت ولا سمعت مثل هذه الأبيات في معناها، العالية في مبناها، فإنّ فيها الإشارة إلى استيلاء النصارى- دمرهم الله!- على تلك الديار، وثبت قدمهم فيها على طبق ما حصل لهم فيه اختيار، مع إدماج حبّه لها الذى لا يشكّ فيه ولا يرتاب، واشتمالها على المحاسن التى هى بغية الرائد ونجعة المنتاب، وكلّ أجل كتاب، وإذا نفذ سهم المقدور فلا عتاب.

ومما يستولى على الخواطر، ويروى رياض الأفكار بسحب بلاغته المواطر، قوله- رحمه الله تعالى!- يخاطب أبا الحسن الرّعيني سنة (٦٣٤): [الكامل]

يا صاحبى و الدهر- لو لا كزّة منه على حفظ الدّمام- ذميم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٤٦

أ منازعى أنت الحديث؟ فإنه ما فيه لا لغو ولا تأثيم

ومروّض مرعى منى فنته من طول إخلاف الغيوم هشيم

طال اعتبارى بالزمان، وإنما داء الزمان كما علمت قديم

مجفوّ حظّ لا ينادى ثم لا ينفكّ عنه الحذف والترخيم

وأرى إمالته تدوم وقصره فعلام يلغى المدد والتفخيم

وعلام أدعو والجواب كأنما فيه بنصّ قد أتى التحريم

لم ألق إلّا مقعدا، غير الأسى فلدىّ منه مقعد ومقيم

و شرابى الهمّ المعتق خالصا فمتى يساعدنى عليه نديم

غارات أيام على جوارح قعديّها فى طبعه التحكيم

و لواعج يحتاج صالى حزها أمرا به قد خصّ إبراهيم
و لقد أقول لصاحب هو بالذى أدركت من علم الزمان عليم
لا يأس من روح الإله و إن قست يوما قلوب الخلق فهو رحيم

[رسالة من أبي المطرف إلى أبي الحسن الرعيني]

و يهزني، و يستفزني، ما كتبه- رحمه الله تعالى!- من رسالة: كتبتة إلى سيدى و هو السيد حقيقه، و أخى و قد كتب الدهر بذلك
وثيقه، أبقى الله تعالى جلاله محروسا، و ربع وفائه لا يخشى دروسا، من رباط الفتح و أنا بحقه عليم، و على عهده مقيم، و شأنى توقيب
له و تعظيم، و حبّ فيه خالص كريم، و وصلنى خطابه الخطير المبرور، فكنت به كالصائم رأى الهلال، و الهائم عين ماء الزلال، علق
ليس يوازيه علق، و سحر لكنه حلال طلق، و نظم لذكر الطائى طاو، و صنعة و لم يروها راء و لا راو، رمت ابن الرومى بالخمول، و
بشرت اسم بشار من الفحول، و حكمت بأن التمرى فى نمره الهوان مدرج، و السرى عن سراوة الإحسان مخرج. فأما النثر فصهيل لا
يجاوبه الرغاء، و طراز لا يحسنه البلغاء، و نقد تزييف معه النقود، و مدى تنقطع دونه الضمير القود، و غادر الصابى و صباه غير ذات
هبوب، و الصاحب و هو من العجز مع شر مصحوب، و الميكالى و ميكاله مرفوض، و الحريرى و حريرة فى سوق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٤٧

الكساد معروض، فأما بحر رئيس أركان، فقد استخرج منه اللؤلؤ و المرجان، و أبقاه فى ضحضاح، بل تركه يمشى بأذرح ضاح، فمن
ذا يجارى فارس الصيغين و إمام الصنفين؟ أبلغ من خطّ بقلم، و أشهر من نار على علم، و ما ذا يقال فى أنامل تطرز بها الصحف، و
خمائل تفخر بها الروضة الأنف، و اسم فى شرق البلاد و غربها ظاهر، و وسم بالكتابة و النجابه لم يكن لبنى وهب و آل طاهر، فالزمان
يأثر، ما ينثر، و يعظم، ما ينظم، و لو أن الأزمنة قبله غمرت المحاضر بكل ناظم، و نشرت المقابر عن الصيغونبرى و كشاجم، و جاءت
بالكتاب من كل جيل، و الشعراء رعيلا بعد رعيلا، لطلال هذا العصر بواحدة آلافها، و أنسى بخلفه أسلافها، انتهى.

[رسالة أبي المطرف إلى صاحبين له]

و كتب- رحمه الله تعالى!- إلى صاحبين له فى معنى ما ألمعنا به آنفا، ما صورته: [مخلع البسيط]

تحية منكما أتتى طابت كما طاب مرسلاها

و يا لها أذكرت عهدا قلبى و الله ما سلاها

حللتما فى البلاد أرضا ريح صباها عنى سلاها

لم يصب قلبى إلى سواها يوما و لم يسئل عن سلاها

كتابى أيها الأخوان اللذان بودهما أقول، و عن عهدهما لا- أحول، أنزلكما الله تعالى خير منزل! و جعلكما من النوائب و الشوائب
بمعزل! من رباط الفتح و لئبى قديما ملكتما رقه، و قلبى تعلما و تعليما عرفتما صدقه، كيف حالكما من سفر طويتما خبره، حين
تجشمتما غرره؟ و كيف سمحت نفوسكما بأم الحصون، و ذات الظلال و العيون؟ تربة الآباء، و منزلة الجمحين النجباء، حتى صرمتما
جلها، و هجرتما حزنها و سهلها، و خضتما غير الفجاج، و خضر الأمواج؟ و ما ذاك إلا لتغلب الحادث التكر، و تألب المعشر الغدر، و
من أجل الداهية النكاد، و الحادثة الشنيعة على البلاد، أزعجتكم حين أزعجتنا، و أخرجتكم كما أخرجتنا، و طوّحت بنا طوائحها، و
اجتاحت ثمرنا و شجرنا جوائحها، فشكرا لله تعالى على قضائه، و تضرعا فيما نرفعه من دعائه، و هنيئا لنا و لكم معشر الشرداء،
المنطوين من الشجن على شرّ داء، ذلك الطود

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٤٨

الذى إليه أويتما، و فى ظلّه ثويتما، و عن رأيه تريان، و بسعيه تسعيان، فوجهه المبارك لا يعدم رأيه نجحا، و لا يعدو لصبحه إذا دجا ليل الهمّ صباحا، انتهى.

[ترجمة أبي المطرف بن عميرة]

و كان أبو المطرف بن عميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب: قدوة البلغاء، و عمدة العلماء، و صدر الجلّة الفضلاء، و هو أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي؛ و نكتة البلاغة التى قد أحرزها و أودعها، و شمسها التى أخفت ثواقب كواكبها حين أبداعها، مبدع البدائع التى لم يحظ بها قبله إنسان، و لا ينطق عن تلاوتها لسان؛ إذ كان ينطق عن قريحة صحيحة، و رويّة بدرر العلم فصيحة، ذلكت له صعب الكلام، و صدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين، صلى الله عليه و سلم، و هو الذى أوتى جوامع الكلم فى يديه الأقلام، و أصل سلفه من جزيرة شقر، و ولد بمدينة بننسية، و روى عن أبى الخطاب بن واجب و أبى الربيع بن سالم و ابن نوح و الشلوبينى النحوى و ابن عات و ابن حوط الله، و غيرهم من الحفاظ، و أجازه من أهل المشرق جماعة، و كان شديد العناية بشأن الرواية فأكثر من سماع الحديث، و أخذه عن مشايخ أهله، ثم تفنّن فى العلوم، و نظر فى المعقولات و أصول الفقه، و مال إلى الأدب، فبرع براعة عدّ فيها من مجيدى النظم، فأما الكتابه فهو فارسها الذى لا يجارى، و صاحب عينها الذى لا يبارى، و له و عظ على طريقة ابن الجوزى، و رسائل خاطب بها الملوك و غيرهم من الموحدين و الحفصيين، و له تأليف فى كائنه ميورقة و تغلب الروم عليها، نحا فى الخبر عنها منحه الإمام الأصبهاني فى «الفتح القدسى» و له كتاب تعقب فيه على الفخر الرازى فى كتاب «المعالم» و له كتاب ردّ به على كمال الدين الأنصارى فى كتابه المسمى «بالتبيان»، فى علم البيان، المطلع على «إعجاز القرآن» و سماه «بالتبنيها»، على ما فى البيان من التموهيات»، و له اختصار نبيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة، و غير ذلك.

ورد- رحمه الله!- حضرة الإمامة مراكش صحبة أمير المؤمنين الرشيد حين قفوله من مدينة سلا، و استكتبه مدّة يسيرة، ثم صرفه عن الكتابه، و قلده قضاء هيلانه، ثم نقله إلى قضاء سلا، ثم نقله السعيد إلى قضاء مكناسة الزيتون، ثم قصد سبتة، و أخذ ماله فى قافلة بنى مرين، ثم توجه إلى بلاد إفريقية، و وصف حاله فى رساله خاطب بها ابن السلطان أبا زكريا الحفصى، و هو أبو زكريا ابن السلطان أبى زكريا، و كان صاحب بجايه لأبيه، و لم يزل- رحمه الله تعالى- مذ فارق الأندلس متطلعا لسكنى إفريقية، معمور القلب بسكناها، و لما قدم تونس مال إلى صحبة الصالحين و الزهاد و أهل الخير برهه من الزمان، ثم استقضى بالأربس من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٤٩

إفريقية، ثم بقابس مدّة طويلة، ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصى، و أحضره مجالس أنسه، و داخله مداخلة شديدة، حتى تغلب على أكثر أمره.

و مولده بجزائر شقر فى شهر رمضان المعظم سنه ٥٨٠، و توفى ليلة الجمعة الموفيه عشرين من ذى الحجة سنه ٦٥٨، ألحفه الله رضوانه، و جدّد عليه غفرانه!.

قال ابن الأبار فى «تحفة القادم» فى حق أبى المطرف المذكور: فائدة هذه المائة، و الواحد يفى بالفئة، الذى اعترف باتحاده الجميع، و اتصف بالإبداع فماذا يتّصف به البديع، و معاذ الله أن أحاييه بالتقديم، لما له من حقّ التعليم، كيف و سبقه الأشهر، و نطقه الياقوت و الجواهر، تحلّت به الصحائف و المهارق، و ما تخلّت عنه المغارب و المشارق، فحسبى أن أجهد فى أوصافه، ثم أشهد بعدم إنصافه، هذا على تناول الخصوص و العموم لذكره، و تناوب المتشور و المنظوم على شكره، ثم أورد له جملة منها قوله: [الكامل]

و أجلت فكرى فى و شاحك فانشى شوقا إليك يجول فى جوال

أنصفت غصن البان إذ لم تدعه لتأودّ مع عطفك الميال

و رحمت درّ العقد حين وضعته متواريا عن ثغرك المتلالي
كيف اللقاء و فعل وعدك سينه أبدا تخلصه للاستقبال
و كماء قومك نارهم و وقيدها للطارقين أسنّه و عوالي
و له مما يكتب على قوس قوله: [الكامل]

ما انآد معتقل القنا إلا لأن يحكى تأطر قامتى العوجاء
تحنو الضلوع على القلوب و إننى ضلع ثوى فيها بأعضل داء
و له و قد أهدى وردا: [البسيط]

خذها إليك أبا عبد الإله فقد جاءتك مثل حدود زانها الخفر
أتتك تحكى سجايا منك قد عذبت لكن تغير هذا دونه الغير
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٥٠

إن شمت منها بروق الغيث لامعه فسوف يأتيك من ماء لها مطر
قال: و كتب إليّ مع تحفه أهداها مكافئا عن مثلها: [الكامل]
يا واحد الأدب الذى قد زانه بمناقب جعلته فارس منصبه

بالفضل فى الهبة ابتدأت فإن تعر طرف القبول لما وهبت ختمت به
قال: و له ارتجالا بقصر الإمارة من بلنسية و أنا حاضر فى صبيحة بعض الجمع، و قد حجم صاحب لنا من أهل النظم و الشعر، و أحسن
إلى الحجاج بالمخصوص: [الوافر]

أرى من جاء بالموسى موسى و راحة ذى القريض تعود صفرا
فهذا مخفق إن قص شعرا و هذا منجح إن قص صفرا
و له أيضا: [الكامل]

هو ما علمت من الأمير، فما الذى تزداد منه و فيه لا يرتاب
لا تتقى الأجناد فى أيامه فقرا، و لا يرجوا الغنى الكتّاب

و له بعد انفصاله من بلنسية عن وحشّه فى ذى القعدة سنة (٦٢٨): [الطويل]

أسير بأرجاء الرجاء، و إنما حديث طريقي طارق الحدثان
و أحضر نفسى إن تقدّمت خيفه لغصّ عنان أو لعصّ زمان
أ يترك حظى للحضيض و قد سرى لإمكانه فوق الذرا جبلان
و أخبط فى ليل الحوادث بعد ما أضاء لعينى منهما القمران
فيحبنى لآمالى حياة معاده و إنّ عزيزا عزة لمكانى

و قالوا: اقترح إن الأمانى منهما و إن كنّ فوق النجم تحت ضمان
فقلت: إذا ناجاهما بقضيتى ضميرى لم أحفل بشرح لسانى
و له أيضا: [الكامل]

سلب الكرى من مقلتي فلم يجيء منه على نأى خيال يطرق
أهفو ارتياحا للنسيم إذا سرى إن الغريق بما يرى يتعلّق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٥١

انتهى ما تلخص من «تحفة القادم» في ذكر ابن عميرة أبي المطرف.

[رسالة لأبي المطرف]

ومما كتب أبو المطرف - رحمه الله! - وفي أثنائه إشارة إلى الكفار الغالبيين على بلاد الأندلس، ما نصّه: [الطويل]

إلا إن شخصينا على القطع واحد و جاحد هذا للضرورة جاحد

فإن لم تصدق ما نطقت بصدقه فإنك لى لاح و للودّ لاحد

ومعاذ الله، عزّ وجلّ، أن تلحاني، أو تمنع أنفك ريح ريحاني، وكيف تصدّ عني بوجهك، أو تشخذ لي غرب نجهك، وأنا على غيبك أمين، ولشمالك يمين، ولكم دعوت بي فأجبت، واستغيت عني فحجبت، وأردت الاستبداد فما استطعت، ونعت الوداد فما أحسنت النعت، وإنما تحمد فراهة الأعوجي إن جرى، وتذكر فضيلة ابن السري إذا سري، فأما الاقتصار على عظم باد، والانتظار لعين عدمت السواد، فخطأ من القائل، وخطل عند العاقل، ولله درّ أخيك من مغمض طرف التطرف، قارئ أدب الصحبة على السبعة الأحراف، كرع في أعزّ مورد، وتواضع في شرف مولد، وسما بنفسه عن أن يستخفه نسب يرفعه، وحسب ما منّا أحد يدفعه، وكذلك الكرام يرون عليهم حقاً، ويتوقون من لم يكن من الكبر موقى، ولعهدي به وظلّ الثروة بارد، وشيطان الشيبه مارد، وبشره في الملمات يرف، وقدمه إلى الحاجات تخف، يصون عرضه بماله، ويخفي صدقه يمينه عن شماله، ويقسم جسمه في جوسم، ويقوم بالحقوق غير ملول ولا ملوم، تلك المكارم لا قعبان، وما تستوى البدنة المهيضه مع غيرها في القربان، وعرضت بذكر العصر الخالي، والقصر العالي، وظل من فنن وريق، وعيش مع أكرم فريق، وما تذكر من زمن تولّى؟ وعهد على أن لا يعود تألى، فارقناه أحسن ما كان، وودعنا به الأطينين الزمان والمكان، فعفت الرسوم، وأفلت تلك النجوم، ورمنا عن قوسها الروم، ثم خلفتنا في المغاني، وقسمتنا بين الأسير والعاني، فأودى القلّ والكثر، واشتفى من الإسلام الكفر، فكم كأس أنس أرقناه، ومنزل فرقة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٥٢

الأبد فارقناه، و ذكرت اجتيازك بين العلمين، وقطعك متن اليم في يومين، وأنك انتقلت من ذوات الألواح، إلى عذبات الأدواح، ومن متهافت الشراع، إلى منابت اليراع، ومن سكنى بيت السكان، إلى منزل به الفلاح والملاح يشتركان، حيث اجتمع الضبّ والنون، وأينع التين والزيتون، وظللت الساحات، وذلت الثمار المباحات، فلا تشرقنا يا أصيل، ولأمّ تلك الأرض الويل، انتهى. و وصل هذا الكلام بالأبيات التي تقدّمت قريباً، وهي قوله «زدنا على النائين عن أوطانهم إلخ».

[رسالة أبي المطرف إلى ابن هود]

و كتب رحمه الله عن أهل شاطبة أيام كان قاضياً بها، مهناً أمير المسلمين ابن هود المستولى على الأندلس آخر دولة الموحّدين بوصول الكتاب العباسي الكريم إليه من بغداد بولاية الأندلس، إذ كان ابن هود حين ثار على الموحّدين يدعو إلى الخليفة العباسي الذي كان أكثر الملوك في ذلك الزمان يدينون بطاعته، بما نصّه بعد الصدر:

أمّا بعد، فكتب العبيد - كتب الله تعالى إلى المقام العلى المجاهدى المتوكلى سعادة لا تبلغ أمدا إلّا تخطّته! ويدا علوها أثبتته أيدي الأقدار وخطّته - من شاطبة و بركات الأمر المجاهدى المتوكلى، والعهد الوثاقى المعتمضى، تنسكب كالمطر، وتنسحب على البشر، وتقضى بعادة النصر والظفر، وسعادة الورد والصيدر، والحمد لله، وعند العبيد من أداء فروض الخدم، والقيام بحقوق النعم، ما عقدت عليه ضمائرهم، وسمت إليه نواظرهم، واشترك فيه بادبهم وحاضرهم، فجناب أملهم فسيح، ومتجر خدمتهم ربيح، وحديث طاعتهم حسن صحيح، وبسنى النظر العلى اهتداؤهم، وفي الباب الكريم رجاؤهم، وبصدق العبودية اعتزازهم وإليها اعتراؤهم، والله

تعالى ينهضهم بوظائف المثابة العلية، و يحملهم على المناهج السوية، و وصل الكتاب الكريم متحلياً برواء الحق، ناطقاً بلسان الصدق، واصفاً من التشريف و الفخار المنيف، ما صدر عن إمام الخلق، فلا بيان أعجب من ذلك البيان، و لا يوم كذلك اليوم تبدى نظره للعيان، أو تأدى خبره في أخبار الزمان، نثرت فيه الخلع العباسية في أعلى الصور، و برز منها للعيون ما يعثر البليغ عند وصفه في ذيل الحصر، و يهدى سواده سواد القلب و البصر، فيا لمشهداها ما أعجب ما كان، و مرآها الذي راع الكفر و راق الإيمان، و أشبه نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٥٣

يومه بالأندلس يوم خرجت الرايات السود من خراسان، و كفى بهذا فخارا لا يحتاج ثابته مثبتا، أن باشرت بردا باشر البدن الذي طاب حيا و ميتا، فهو على في الإسناد و لا نظير له في العوالي، و فخار ضلت عن مثله العصور الخوالي، و جلت بهجته أن تخلق جدتها الأيام و الليالي، و دل الكتاب العزيز على التسمية المشتقة من الجهاد، و السمعة من سيف أمير المؤمنين بما لا يدخل في جنس ذوات الأعماد، و خير الأوصاف ما صدقه الموصوف، و الكريم النسب نسبتته يباهى بها الدين و تزهى السيوف: [الطويل]

فإن نحن سميناك خلنا سيوفنا من التيه في أعمادها تتبسم

و مميأ أفاده الكتاب المبهج بطيب أنبائه، نص علامه سيدنا، صلوات الله عليه و على آبائه، فإنها تضمنت صفة لله، عز و جل، من صفات الكمال، و دلت على مذهب أهل السنة في خلق الله، عز و جل، الأعمال، و أشعرتنا معشر العبيد بعناية سبقت بالمقام المجاهدى المتوكلى - أحسن الله تعالى إليه! - حين تولى خلافة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فإنه لما شايعه بعزيمة مساعده، و نية في مشاريع الصفاء و الإخلاص واردة، ألهم زيادة في العلامة شاركت الإمامة في صفة واحدة، فهذه كرامه في العلامة، هي علامة الكرامة، و هبة من مواهب الكشف يجدها من امتثل قوله: فاستقيم كما أمرت [هود: ١١٢] فكان من أهل الاستقامة، و تضمن الكتاب الكريم بيعه أهل جيان و ما معها، و إن هذه البشائر و ما تبعها، لفروع عن هذا الأصل الصحيح، و أقيسه من هذا النص الصريح، بأدلة الخلاف قد استقلت، و شبهة الخلاف قد بطلت و اضمحلت، و الحمد لله على أن منح جزيل النعماء، و شرح باليقين صدور الأولياء، و شرف هذه الأمة بإمامة نجل الأئمة الخلفاء، و ابن عم سيد الرسل و خاتم الأنبياء، و العبيد يهتئون بهذه النعم، التي لا يستقل بذكرها قلم، و لا يقطع علم من وصفها إلا بدا علم، و بهم من الأشواق إلى مشاهدة المعالم السنية، و لثم اليمين الطاهرة العلية، ما أكدده دنو الدار، و جدده ما تجدد للمقام العالى المتوكلى من نعم الله تعالى الجليلة المقدار، و الشاهدة له بإسعاد الأيام و إسعاف الأقدار، فلو أمكنهم الإقدام لأقدموا، و لو وجدوا رخصة في المسير لعزموا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٥٤

و هم يستلمون البساط الأشرفى توهموا و من أملهم أنهم فى الحقيقة قد استلموا، انتهى.

و به تعلم أن الدولة العباسية خطب لها ببلاد الأندلس - أعادها الله للإسلام! - و لا يخفاك أن ما جلبناه من ذلك و غيره مناسب للمقام، فلا انتقاد و لا ملام.

[رسالة صاحب الأندلس إلى أحمد بن قلاوون بقلم لسان الدين بن الخطيب]

و قد رأيت أن أذكر هنا مخاطبة صدرت من الغنى بالله صاحب الأندلس إلى السلطان المنصور أحمد ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، من إنشاء الوزير الكبير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله، لما اشتملت عليه من أحوال الأندلس، و نصيها: الأبواب التي تفتح لنصرها أبواب السماء، و تستدر من آفاقها سحائب النعماء، و تجلى بأنوار سعداها دياجى الظلماء، و تعرف نكرة البلاد، و العباد بالانتساب إلى محبتها و الانتماء، على اختلاف العروض و تباين الحدود و تعدد الأسماء، و يجترأ من صلوات صلاتها عند الموانع من كمال حالات صفاتها بالإيماء، و تحمل لها التحية ذوات الدسر و الألواح طاعنة نحر الصباح على كتف الماء، أبواب السلطان الكبير، الجليل الشهير، الطاهر الظاهر، الأوحى الأسعد، الأصعد الأمجد، الأعلى العادل، العالم الفاضل الكامل، سلطان الإسلام و المسلمين،

عماد الدنيا والدين، رافع ظلال العدل على العالمين، جمال الإسلام، علم الأعلام، فخر الليالي والأيام، ملك البرّين والبحرين، إمام الحرمين، مؤمن الأمصار والأقطار، عاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والترك والتتار، الملك المنصور ابن الأمير الرفيع الجادة، الكريم الولادة، الطاهر الظاهر، الكبير الشهير، المعظم الممجد الأسمى، الموقر الأعلى، فخر الجبهة، سيف الملهة، تاج الإمارة، عز الإسلام، مستظل الأنام، قمر الميدان، أسد الحرب العوان، المقدس المطهر، الأمير أحمد ابن والد السلاطين، وملك المسلمين، وسيف خلافة الله على العالمين، وولي المؤمنين، سلطان الجهاد والحج، ومقيم رأس الحج والتمج، محيي معالم الدين، قانع المعتدين، قاهر الخوارج والتمرددين، ناصر السنة، محيي الملهة، ملك البرّين والبحرين، سلطان الحرمين، الملك العادل، العالم العامل، المنصور المؤيد المعان المرفع المعظم المبجل المؤمل، المجاهد المرابط المغايز الممجد المكمل، المطهر الكبير الشهير، المقدس الملك الناصر أبي عبد الله محمد بن قلاوون الصالحى، جعل الله فسطاط دعوته معمودا بعمود الصبح، وحركات عزمه مبنية على الفتح، ومجمل سعادته غتيا عن الشرح،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٥٥

وجياد أوصافه متبارية في ميدان المدح، وزناد رأيه واريه على القدح، من موجب حقه وجوب الشعائر الخمس، المرحب لأجل أفقه الشرقي بوفادة الشمس، المجدد في اليوم حكم ما تقرر بين السلف رحمهم الله بالأمس، أمير المسلمين بالأندلس عبد الله الغنى بالله الغالب به محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر. سلام كريم كما زحفت راية الصبح تقدمها طلائع مبشرات الرياح، يفواح أرجه أزاهير الأدواح، ويحاسن طرر الوجوه الملاح، يخصّ أبوتكم التي رتب العزّ فصولها، وعضدت نصوص النصر نصولها، ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله الذى جعله فاتحة القرآن، وخاتمة دعاء أهل الجنان، وشكره على ما أولى من مواهب الإحسان، حمدا وشكرا يستخدمان من الإنسان، ملكتى القلب واللسان. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله زهرة كامامة الأكوان، وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والألوان، الذى أذلّ بعزة الله نفوس أهل الطغيان، وغطى بدينه الحق على الأديان، وزويت له الأرض فرأى ملك أمته يبلغ ما زوى له فكان الخبر وفق العيان، والرضا عمّن له من الأصحاب والأحباب والأعمام والأخوال والإخوان، صلاة يجدها الجديدان، ويمليها الملوان وتتراحم على تربته المقدسة مع الأحيان، ما سجعت طيور البراعة من أعواد البراعة على الأفنان، والتفتت عيون المعانى ما بين أجفان البيان، والدعاء لأبوابكم الشريفة جعل الله تعالى عصمته تقيم بها وظيفتى الحجابة والاستئذان، وضرب بدعوتها التى هى لذة الإقامة والأذان على الأذان، واستخدام بروج الفلك الدوار فى أمرها العزيز استخدام الأنصار والأعوان، حتى يعلم ما فى المدافعة عن حماها مخالبا السرحان، وفى الإشادة بعديها كفتى الميزان، ويهدى لها من الزهرة كرة الميدان، ومن الهلال عوض الصولجان، وأبقى فى عواملها ضمير الأمر والشان، إلى يوم تنعو وجوه الملوك إلى الملك الديان، فإننا كتبناه إلى تلك الأبواب، كتب الله لعنتها النصر الداخلة، كما أحجل بمكارمها السحب الداخلة، وجعل مفارق مناصلها المختضبة من نجيع عداها غير ناصلة، وقرن بكل سبب عن أضدادها فاصلة، من دار ملك الإسلام بالأندلس حمراء غرناطة- وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن أرجائها! شدّ بأيدي اليقين عرى أملها فى الله ورجائها!- حيث المصاف المعقود، وثمر النفوس المنقود، و نار الحرب ذات الوقود، حيث الأفق قد تردى بالقتام وتعّم، والسيف قد تجرد وتيمّم، وغبار الجهاد يقول: أنا الأمان من دخان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٥٦

جهنّم، حيث الإسلام من عدوّه كالشامة من جلد البعير، والتمرة من أوسق العير، حيث المصارع تتراحم الحور على شهدائها، والأبطال يعلو بالتكبير مسمع ندائها، حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زينتها الكلوم بدمائها، وإنّ هذا القطر الذى مهدت لسياستنا أكوار مطاياها، وجعلت بيدنا- والمنّة لله- عياب عطاياها، قطر مستقلّ بنفسه، مرب يومه فى البرّ على أمسه، زكى المنابت عذب المشارب، متمم المآمل مكمل المآرب، فاره الحيوان، معتدل السّحن والألوان، وسيطة فى الأقاليم السبعة، شاهدة لله بإحكام الصنعة، أما خيله

ففارهة، و إلى الرّكض شارهة، و أما سيوفه فلمواطن الغمود كارهة، و أما أسله فمتداركة الخطف، و أما عوامله فيبنة الحذف، و أما نباله فمحدورة القذف، إلّا أنّ الإسلام به في سفظ مع الحيات، و ذريعة للميتات الوحيات، و هدف للنبال، و أكلة للشبال، تطوهم الغارات المتعاقبة، و تخيفهم الحدود المصاقبة، و تجوس خلالها العيون المراقبة، و تريب من أشكال مختطهم إلّا أن يفضل الله بحسن العاقبة، فليس إلّا الصبر، و الضرب الهبر، و الهمز و النبر، و المقابلة و الجبر، و قد حال البحر بينهم و بين إخوان ملتهم، و أساء علتهم، يقومون بهذا الفرض، عن أهل الأرض، و يقرضون ملك يوم العرض، أحسن القرض، فلو لا بعد المدى، و غول الرّدى، و لفظ العدا، و ما عدا ممّا بدا، لسمعتم تكبير الحملات، و زئير تلك القلّات، و دوى الحوافر، و صليل السيوف من فوق المغافر، و صراخ الثكالي، و ارتفاع الأدعية إلى الله تعالى، و لو ارتفع هذا المكان، و هو للأولياء مثلكم من حيز الإمكان، لمقلتم مقل الأسنّة الرّوق، حالة من أطراف قصب الرماح محالّ الورق، و أبصرتم القنا الخطار قد عاد أخلّته، و السيوف قد صارت فوق بدور الخوذ أهله، و عقود الشهادة عند قاضي السعادة مستقلة، و كان كما تحصره علومكم الشريفة حدق سور الفتح، و آخر ولاء ذلك المنح، عرض على الفاروق فاحتاط، و أغرى به من بعده فاشتاط، و سرحت خيال ابن أبي سرح، في خبر يدعو إلى شرح، حتى إذا ولد مروان تقلّدوا كرتها التي هوت، و قضموا ما أنضجت ورثة الحق و شوت، و يدهم على الأمر احتوت، و فازت منه بما نوت، نفل و لائده الوليد، و جلب له الطريف و التليد، و طرقت خيل طارق، و ضاقت عن أخباره المهارق، و جلّت الفائدة، و ظهر على الذخيرة التي منها المائدة، ثم استرسل المهبّ، و نصر الربّ، و يكثر الطير

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٥٧

حين ينتشر الحبّ، و صرفت أشرف الشام أعنتها إلى التماس خيره، و طارت بأجنحة العزائم تيمنا بطيره، و قصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر و غيره، ففتحت الأقفال، و نفلت الأنفال، و نجح الفال، و وسمت الأعفال، و افتتحت البلاد الشهيرة، و انتقيت العذارى الخيرة، و اقتنيت الذخيرة، و تجاوز الإسلام الدروب و تخطّى، و خضد الأرقى، و أركب و أمطى، و استوثق و استوطا، و تئاب و تمطّى، حتى تعدّدت مراحل البريد، و سخنت عين الشيطان المريد، و استوسق للإسلام ملك ضخم السرادق، مرهوب البوارق، رفيع العمدة، بعيد الأمد، تشهد بذلك الآثار و الأخبار، و الوقائع الكبار، و الأوداق و الأمطار، و هل يخفى النهار؟ و لكل هبوب ركود، و الدهر حسود لمن يسود، فراجعت الفرنج كرتها، و استدركت معزتها، فدومت جوارحها و حلّقت، و أومضت بوارقها و تألّقت، و تشبّثت و تعلّقت، و أرسلت الأعنة و أطلقت، و راجعت العقائل التي طلّقت، حتى لم يبق من الكتاب إلّا الحاشية، و لا من الليل إلّا الناشية، و سقطت الغاشية، و أدخلت الفئة المتلاشية، و تقلّصت الظلال الفاشية، إلّا أنّ الله تدارك بقوم رجيح من سلفنا أثبتوا في مستنقع الموت أقدامهم، و أخلصوا لله بأسهم و إقدامهم، و وصلوا سيوفهم البارقة بخطاهم، و أعطاهم منشور العز من أعطاهم، حين تعين الدين و تحيّر، و اشتدّ بالمدافعة و تميّز، و عادت الحروب سجالا، و علم الروم أنّ لله رجالا، و قد أوفد جدنا -رضى الله عنه!- على أبواب سلفكم من وقائعه في العدو كلّ مبشرة، و وجوه به مستبشرة، ضحكت لها ثغور الثغور، و سرت بها في الأعطاف حميا السرور، و كانت المراجعة عنها شفاء للصدور، و توائم في درر النحور، و خفرا في وجوه البدور، فإن ذمام الإسلام موصول، و فروعه تجمعها في الله أصول، و ما أقرب الحزن ممّن داره صول، و الملمة -و المنة لله- واحدة، و النفوس لا منكرا للحقّ و لا جاحدة، و الأقدار معروفة، و الآمال إلى ما يوصل إلى الله مصروفة، فإذا لم يكن الاستدعاء، أمكن الدعاء، و الخواطر فعالة، و الكلّ على الله عالة، و الدين غريب و الغريب يحنّ إلى أهله، و المرء كثير بأخيه على بعد محله.

انتهى المقصود من المخاطبة مما يتعلّق بهذا الباب، و الله سبحانه و تعالى الموقّق للصواب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٥٨

إشارة

فى سرد بعض ما كان للدين بالأندلس من العز السامى العمام، و القهر للعدو فى الرواح و الغدو و التحرك و الهدو و الارتياح البالغ غاية الآماد، و أعمال أهلها للجهد، بالجد و الاجتهاد، فى الجبال و الوهاد، بالأسنة المشرعة و السيوف المستلّة من الأعماد. أقول: قدّمنا فى الباب قبل هذا ما كان من نصر المسلمين، و فتحهم الأندلس، و ما حصل لهم من سلطان بها إلى مجيء الداخل، فتقررت القواعد السلطانية، و علت الكلمة الإيمانية، كما نسرده هنا إن شاء الله تعالى.

[عبد الرحمن الداخل]

و ذكر غير واحد- منهم ابن حزم- أن دولة بنى أمية بالأندلس كانت أنبل دول الإسلام، و أنكاهها فى العدو، و قد بلغت من العزّ و النصر ما لا مزيد عليه، كما سترى بعضه.

و أصل هذه الدولة- كما قال ابن خلدون و غير واحد- أن بنى أمية لما نزل بهم بالمشرق ما نزل، و غلبهم بنو العباس على الخلافة، و أزالوهم عن كرسيها، و قتل عبد الله بن على مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفائهم سنة ثنتين و ثلاثين و مائة، و تتبع بنى مروان بالقتل، فطلبوا بطن الأرض من بعد ظهرها. و كان ممن أفلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، و كان قومه يتخيتون له ملكا بالمغرب، و يرون فيه علامات لذلك يأترونها عن مسلمة بن عبد الملك، و كان هو قد سمعها منه مشافهة، فكان يحدث نفسه بذلك، فخلص إلى المغرب، و نزل على أخواله نفزة من برابرة طرابلس. و شعر به عبد الرحمن بن حبيب، و كان قد قتل ابنى الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما دخلا إفريقية، فلاحق بمغيلة، و قيل بمكناسة، و قيل: بقوم من زناته، فأحسنوا قبوله، و اطمأنّ فيهم. ثم لحق بمليّة، و بعث بدرا مولاه إلى من بالأندلس من موالى المروانيين و أشياعهم، فاجتمع بهم، و بثوا له فى الأندلس دعوة، و نشرها له ذكرا. و وافق قدومه ما كان من الإحن بين اليمانية

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٥٩

و المضريّة، فأصفت اليمانية على أمره؛ لكون الأمر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهرى و صاحبه الصّميل، و رجع بدر مولاه إليه بالخبر، فأجاز البحر سنة ثمان و ثلاثين و مائة فى خلافة أبى جعفر المنصور، و نزل بساحل المنكب، و أتاه قوم من أهل إشبيلية فبايعوه. ثم انتقل إلى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور، ثم إلى شذونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي. ثم إلى مورور فبايعه ابن الصباح، و نهد إلى قرطبة فاجتمعت إليه اليمانية. و نعى خبره إلى و الى الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهرى، و كان غازيا بجليقية، فانفضّ عسكريه، و رجع إلى قرطبة، و أشار عليه وزيره الصّميل بن حاتم بالتطف له، و المكر به، لكونه صغير السنّ، حديث عهد بنعمة، فلم يتمّ ما أراد. و ارتحل عبد الرحمن من المنكب، فاحتلّ بمالقة فبايعه جندها، ثم برنده، ثم بشريش كذلك، ثم بإشبيلية، فتوافت إليه جنود الأمصار، و تساليت المضريّة إليه، حتى إذا لم يبق مع يوسف بن عبد الرحمن غير الفهرية و القيسية لمكان الصّميل منه زحف حينئذ عبد الرحمن الداخل، و ناجزهم الحرب بظاهر قرطبة، فانكشف يوسف، و لجأ إلى غرناطة فتحصّن بها، و أتبعه الأمير عبد الرحمن فنازله. ثم رغب إليه يوسف فى الصلح، فعقد له على أن يسكن قرطبة، ثم أقفله معه، ثم نقض يوسف عهده، و خرج سنة إحدى و أربعين و مائة، و لحق بطليطلة، و اجتمع إليه زهاء عشرين ألفا من البربر، و قدّم الأمير عبد الرحمن للقائه عبد الملك بن عمر المروانى، و كان وفد عليه من المشرق، و كان أبوه عمر بن مروان بن الحكم فى كفالة أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر، فلما دخلت المسودة أرض مصر خرج عبد الملك يؤمّ الأندلس فى عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس و النجدة، حتى نزل على عبد الرحمن سنة أربعين، فعقد له على إشبيلية، و لابنه عمر بن عبد الملك على مورور. و سار يوسف إليهما، و خرجا إليه و لقياه، و تناجز الفريقان، فكانت الدائرة على يوسف، و أبعد المفزّ، و اغتاله بعض أصحابه بناحية طليطلة، و احتزّ رأسه، و تقدّم به إلى الأمير عبد

الرحمن، فاستقام أمره، واستقر بقرطبة، و ثبت قدمه في الملك، و بنى المسجد الجامع و القصر بقرطبة، و أنفق فيه ثمانين ألف دينار، و مات قبل تمامه. و بنى مساجد، و وفد عليه جماعة من أهل بيته من المشرق، و كان يدعو للمنصور، ثم قطع دعوته، و مهّد الدولة بالأندلس، و أثل بها الملك العظيم لبنى مروان و السلطان العزيز، و جدّد ما طمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة و آثارها، و استلحم الثّوار عليه على كثرتهم في التّواحي، و قطع دعوة آل العباس من منابر الأندلس، و سدّ المذاهب منهم دونها، و هلك سنة ثنتين و سبعين و مائة، و كان يعرف بعبد الرحمن الداخل؛ لأنه أول داخل من ملوك بني مروان إلى الأندلس، و كان أبو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٦٠

جعفر المنصور يسميه «صقر قريش» لَمَّا رأى أنه فعل بالأندلس ما فعل، و ما ركب إليها من الأخطار، و أنه نهد إليها من أنأى ديار المشرق من غير عصابة و لا أنصار، فغلب أهلها على أمرهم، و تناول الملك من أيديهم بقوة شكيمة، و مضاء عزم حتى انقاد له الأمر، و جرى على اختياره، و أورثه عقبه، و كان يسمّى بالأمير، و عليه جرى بنوه من بعده، فلم يدع أحد منهم بأمر المؤمنين تأدبا مع الخلافة بمقرّ الإسلام و منتدى العرب، حتى كان من عقبه عبد الرحمن الناصر، و هو ثامن بنى أمية بالأندلس، فتسمّى بأمر المؤمنين على ما سنذكره، لَمَّا رأى من ضعف خلفاء بنى العباس بعد الثلاثمائة، و غلبة الأعاجم عليهم، و كونهم لم يتركوا لهم غير الاسم، و توارث التلقب بأمر المؤمنين بنو عبد الرحمن الناصر واحدا بعد واحد.

قال ابن حيان: و كان لبنى عبد الرحمن الداخل بالعدوة الأندلسية ملك ضخم و دوله متسعة اتصلت إلى ما بعد المائة الرابعة، و عند ما شغل المسلمون بعبد الرحمن و تمهيد أمره قوى أمر الجلائقة، و استفحل سلطانهم، و عمد فرويله بن أذفونش ملكهم إلى ثغور البلاد فأخرج المسلمين منها، و ملكها من أيديهم، فملك مدينة لكّ و برتقال و سمورة و قشتالة و شقوبية، و صارت للجلائقة حتى افتتحها المنصور ابن أبي عامر آخر الدولة، ثم استعادوها بعده فيما استعادوه من بلاد الأندلس، و استولوا على جميعها حسبما يذكر، و لله سبحانه الأمر، انتهى.

و خاطب عبد الرحمن قارله ملك الإفرنج، و كان من طغاة الإفرنج، بعد أن تمرّس به مدّة، فأصابه صلب المكسر، تامّ الرجولية، فمال معه إلى المداراة، و دعاه إلى المصاهرة و السلم، فأجابه للسلم، و لم تتمّ المصاهرة.

قال ابن حيان: و لما ألقى الداخل الأندلس ثغرا قاصيا غفلا من حلية الملك عاطلا أرهف أهلها بالطاعة السلطانية، و حنكهم بالسيّرة الملوكية، و أخذهم بالآداب فأكسبهم عمّا قليل المروءة، و أقامهم على الطريقة، و بدأ فدوّن الدواوين، و رفع الأواوين، و فرض الأعطية، و عقد الأولوية، و جند الأجناد، و رفع العماد، و أوثق الأوتاد، فأقام للملك آتته، و أخذ للسلطان عدّته، فاعترف له بذلك أكابر الملوك و حذروا جانبه، و تحاموا حوزته، و لم يلبث أن دانت له بلاد الأندلس، و استقلّ له الأمر فيها.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٦١

[وصف أبي جعفر المنصور لعبد الرحمن الداخل]

فلذلك ما ظلّ عدوّه أبو جعفر المنصور- بصدق حسّه، و بعد غوره، و سعة إحاطته- يسترجح عبد الرحمن كثيرا، و يعدله بنفسه، و يكثر ذكره، و يقول: لا تعجبوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه و قوة أسبابه، فالشأن في أمر فتى قريش الأحوذى الفدّ في جميع شؤونه، و عدمه لأهله و نشبه، و تسلّيه عن جميع ذلك ببعده مرقى همّته، و مضاء عزيمته، حتى قذف نفسه في لجج المهالك لابتداء مجده، فاقتحم جزيرة شاسعة المحل، نائية المطمع، عصبية الجند، ضرب بين جندها بخصوصيته، و قمع بعضهم ببعض بقوة حيلته، و استعمال قلوب رعيتها بقضية سياسته، حتى انقاد له عصيهم، و ذلّ له أبيهم، فاستولى فيها على أريكته، ملكا على قطيعته، قاهرا لأعدائه، حاميا لذماره، مانعا لحوزته، خالطا الرغبة إليه بالرهبة منه، إنّ ذلك لهو الفتى كلّ الفتى لا يكذب مادحه.

و جعل ابن حيان من النوادر العجيبة موافقة عبد الرحمن هذا لأبي جعفر المنصور في الرجولية و الاستيلاء و الصّرامة، و الاجترأ على

الكبائر والقساوة، فإن أم كل واحد منهما بربرية. وكان الداخل يقعد للعامّة، و يسمع منهم، و ينظر بنفسه فيما بينهم، و يتوصّل إليه من أرادته من الناس، فيصل الضعيف منهم إلى رفع ظلامته إليه دون مشقّة، و كان من عادته أن يأكل معه من أصحابه من أدرك وقت طعامه، و من وافق ذلك من طلاب الحوائج أكل معه.

و في كتاب ابن زيدون أنه كان أصهب، خفيف العارضين، بوجهه خال، طويل القامة، نحيف الجسم، له ضفيران، أعور، أخشم؛ و الأخشم: الذي لا يشمّ، و كان يلقّب «بصقر قريش» لكونه تغزّب و قطع البرّ و البحر، و أقام ملكا قد أدبر وحده.

و لما ذكر الحجارى أنه أعور قال: ما أشد فيه إلّا قول امرئ القيس: [المنسرح]

لكن عوير وفي بذمته لا عور شانه و لا قصر

[المنصور يبعث العلاء بن مغيث اليحصبي ليدعو للمنصور فينتصر عليه عبد الرحمن و يقتله]

و قال ابن خلدون: و في سنة ست و أربعين سار العلاء بن مغيث اليحصبي من إفريقية إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٦٢

الأندلس، و نزل بباجة الأندلس داعيا لأبي جعفر المنصور، و اجتمع إليه خلق، فسار عبد الرحمن إليه و لقيه بنواحي إشبيلية، فقاتله أياما. ثم انهزم العلاء، و قتل في سبعة آلاف من أصحابه، و بعث عبد الرحمن برءوس كثير منهم إلى القيروان و مكّة، فألقيت في أسواقها سرًا، و معها اللواء الأسود، و كتاب المنصور للعلاء، فارتاع المنصور لذلك و قال: ما هذا إلّا شيطان، و الحمد لله الذي جعل بيننا و بينه البحر، أو كلاما هذا معناه، و قد مرّ ذكر ذلك.

و كثرت ثورة رؤساء العرب بالأندلس على عبد الرحمن الداخل، و نافسوه ملكه، و لقي منهم خطوبا عظيمة، و كانت العاقبة له، و استراب في آخر أمره بالعرب، لكثرة من قام عليه منهم، فرجع إلى اصطناع القبائل من سواهم، و اتخذ الموالى، ثم غزا بلاد الإفرنج و البشكنس و من وراءهم، و رجع بالظفر، و كان في نيته أن يجدد دولة بني مروان بالمشرق، فمات دون ذلك الأمل، و كانت مدة ملكه ثلاثا و ثلاثين سنة و أربعة أشهر، إذ دخل الأندلس سنة ثمان و ثلاثين و مائة، و مات سنة اثنتين و سبعين، و قيل: إحدى و سبعين و مائة، في خلافة الرشيد، و أمّه أم ولد بربرية اسمها راح، و مولده سنة ثلاث عشرة و مائة، بدير حنا من أرض دمشق، و قيل:

بالعليا من تدمر، و مات أبوه في أيام أبيه هشام سنة ثمانى عشرة عن إحدى و عشرين سنة، و كفله و إخوته جدّهم هشام، و وهب لعبد الرحمن هذا جميع الأحماس التي اجتمعت للخلفاء بالأندلس، و أقطعه إيّاها، و وجه لحيازتها من الشام سعيد بن أبى ليلى، و قيل: إنه لما قصد المغرب من فلسطين خرج معه أربعة: بدر مولى أبيه، و أبو شجاع، و زياد، و عمرو، و قيل:

إنّ بدرا لحقه و لم يخرج معه، فالله أعلم، و خلف من الولد عشرين، منهم أحد عشر رجلا و تسع إناث.

[هرب عبد الرحمن من الشام و وصوله إلى الأندلس]

و حكى غير واحد أنه لما هرب من الشام إلى إفريقية قاصدا الأندلس نزل بمغيلة، فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى و انسوس، و يكنى أبا قرّة، فاستتر عنده وقتا، و لحق به بدر مولى أبيه بجوهر و ذهب أنفذته أخته إليه، فلما دخل الأندلس و استتب أمره به سار إليه أبو قرّة و انسوس البربرى، فأحسن إليه، و حظى عنده، و أكرم زوجته تكفات البربرية التي خبأته تحت ثيابها عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه، فقال لها عبد الرحمن مداعبا حين استظلت بظله في الأندلس: لقد عدّبتنى بريح إبطيك يا تكفات على ما كان بى من الخوف، و سطعتنى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٦٣

بأنتن من ريح الجيف، فكان جوابها له مسرعة: بل ذلك كان والله يا سيدي منك، خرج ولم تشعر به من فرط فزعك، فاستظرف جوابها، وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك، وهذا من آفات المزاح. ومن محاسنه أنه أدار السور بقرطبة، رحمه الله!

[هشام بن عبد الرحمن الداخل]

وتولى الملك بعده ابنه هشام بعهد منه إليه، وأمه أم ولد اسمها حلال، وأفضى إليه الملك وهو بماردة وال عليها، وكان أبوه يوليه في صباه ويرشحه للأمر، وكان الداخل كثيرا ما يسأل عن ابنه سليمان وهشام، فيذكر له أن هشاما إذا حضر مجلسا امتلا أدبا و تاريخا و ذكرا لأمر الحرب و مواقف الأبطال، و ما أشبه ذلك، و إذا حضر سليمان مجلسا امتلا سخفا و هديانا، فيكبر هشام في عينه بمقدار ما يصغر سليمان، و قال يوما لهشام: لمن هذا الشعر: [الطويل]

و تعرف فيه من أبيه شماتلا و من خاله أو من يزيد و من حجر

سماحة ذا، مع بزّ ذا، و وفاء ذا، و نائل ذا، إذا صحا و إذا سكر

فقال له: يا سيدي، لا مرى القيس ملك كنده، و كأنه قاله في الأمير أعزه الله! فضمه إليه استحسانا بما سمع منه، و أمر له بإحسان كثير، و زاد في عينه. ثم قال لسليمان على انفراد:

لمن هذا الشعر؟ و أنشده البيتين، فقال: لعلهما لأحد أجلاف العرب، أما لي شغل غير حفظ أقوال بعض الأعراب؟ فأطرق عبد الرحمن، و علم قدر ما بين الاثنين من المزية.

ولما ولي هشام أشخص المنجم المعروف بالصبي من وطنه الجزيرة الخضراء إلى قرطبة، و كان في علم النجوم و المعرفة بالحركات العلوية بطليموس زمانه حذقا و إصابة، فلما أتاه خلا به و قال له: يا صبي، لست أشك أنه قد عناك من أمرنا إذ بلغك ما لم ندع تحديد النظر فيه، فأنشدك الله إلاما تبتأنا بما ظهر لك فيه، فلجلج و قال: أعفني أيها الأمير، فإني

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٦٤

ألمت به، و لم أحقق النظر فيه لجلالته في نفسي، فقال له: قد أجلتك لذلك، فتفرغ للنظر فيما بقى عليك منه، ثم أحضره بعد أيام، فقال: إن الذي سألتك عنه جد مني، مع أني و الله ما أتق بحقيقته، إذ كان من غيب الله الذي استأثر به، و لكنني أحب أن أسمع ما عندك فيه، فالنفس طلعة، و أزمه الصيلة أو العقوبة، فقال: اعلم أيها الأمير أنه سوف يستقر ملكك، سعيدا جدك، قاهرا لمن عاداك، إلاما أن مدتك فيه فيما دل عليه النظر تكون ثمانية أعوام أو نحوها، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه و قال: يا صبي، ما أخوفني أن يكون النذير كلمني بلسانك، و الله لو أن هذه المدّة كانت في سجدة لله تعالى لقلّت طاعة له، و وصله و خلع عليه، و زهد في الدنيا، و لزم أفعال الخير و البرّ.

و من حكاياته في الجود أنه كان قاعدا لراحته في عليّة على النهر في حياة والده، فنظر إلى رجل من قدماء صنائعه من أهل جيان قد أقبل يوضع السير في الهاجرة، فأنكر ذلك، و قدر شرا وقع به من قبل أخيه سليمان، و كان واليا على جيان، فأمر بإدخاله عليه، فقال له: مهيم يا كناني، فلأمر ما، و ما أحسبك إلاما مزعجا لشيء دهمك، فقال: نعم يا سيدي، قتل رجل من قومي رجلا خطأ، فحملت الدية على العاقلة، فأخذ بها من كنانة عامّة، و حمل عليّ من بينهم خاصّة، و قصدني أخوك بالاعتداء إذ عرف مكاني منك، فمدّ هشام يده إلى جارية كانت وراء الستر، و قطع قلادة عقد نفيس كان في نحرها، و قال له: دونك هذا العقد يا كناني، و شراؤه عليّ ثلاثة آلاف دينار، فلا تخدعنّ عنه، و بعه، و أدّ عن نفسك و عن قومك، و لا تمكّن الرجل من اهتصامك، فقال: يا سيدي، لم آتكم مستجديا و لا لضيق المال عمّا حملته، و لكنني لما اعتمدت بظلم صراح أحببت أن يظهر على عزّ نصرك، و أثر ذبيك و امتعاضك، فأتمجد بذلك عند من يحسدني على الانتماء إليك، فقال هشام: فما وجه ذلك؟ فقال: أن تكتب إلى أخيك في الإمساك عني، و القيام

بذمتك لي، فقال: أمسك العقد، وركب من حينه إلى والده الداخل، واستأذن عليه في وقت أنكره، فانزعج، وقال: ما أتى بأبي الوليد في هذا الوقت إلّا أمر مقلق، ائذنوا له، فلمّا دخل سلّم عليه، ومثل قائما بين يديه، فقال له: اجلس يا هشام، فقال: أصلح الله الأمير سيدي، وكيف جلوسى بهمّ وذلّ مزعج، وحقّ لمن قام مقامى أن لا يجلس إلّا مطمئنا، ولن يقعدنى إلّا طيب نفسى بإسعاف الأمير لحاجتى، و إلّا رجعت على عقبى، فقال له: حاش لك من انقلابك خائبا، فاقعد مجابا مشفعا، فجلس، فقال له نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٦٥

أبوه: فما الحدث المقلق؟ فأعلمه، فأمر بحمل الدية عنه وعن عشيرته من بيت المال، فسّر هشام وأطب في الشكر، وكتب الأمير إلى ولده سليمان في ترك التعرّض لهذا الكنانى لما لم يدر فى خلده. ولما دخل الكنانى لوداع هشام قال له: يا سيدي، قد تجاوزت بك حدّ الأمانة، وبلغت غاية النصر، وقد أغنى الله عن العقد المبدول بين يدي العناية الكريمة، فتعيده إلى صاحبه، فأبى من ذلك، وقال: لا سبيل إلى رجوعه إلينا.

وكان هشام يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز، وكان يبعث بقوم من ثقافته إلى الكور فيسألون الناس عن سير عماله، ويخبرونه بحقائقها، فإذا انتهى إليه حيف من أحدهم أوقع به وأسقطه وأنصف منه، ولم يستعمله بعد. ولما وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أنس قال: نسال الله تعالى أن يزيّن موسمنا بمثل هذا. وفى أيامه فتحت أربونة الشهيرة، واشترط على المعاهدين من أهل جليقية من صعاب شروطه انتقال عدد من أحمال التراب من سور أربونة المفتحة يحملونها إلى باب قصره بقرطبة، وبنى منه المسجد الذى قدّام باب الجنان، وفضلت منه فضله بقيت مكومة. وقاسى مع المخالفين له من أهل بيته وغيرهم حروبا، ثم كانت الدائرة له.

وقصد إلى بلاد الحرب غازيا، وقصد ألبه والقلاع، فلقى العدو وظفر بهم، وفتح الله عليه سنة خمس وسبعين. وبعث العساكر إلى جليقية مع يوسف بن نجية، فلقى ملكها ابن منده، وهزمه، وأثنى فى العدو.

وفى سنة ست وسبعين بعث وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة العدو، فبلغ ألبه والقلاع، فأثنى فى نواحيها، ثم بعثه فى العساكر سنة سبع وسبعين إلى أربونة وجريدة فأثنى فيها، ووطئ أرض برطانية، وتوغل عبد الملك فى بلاد الكفار وهزمهم، ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد إلى ألبه والقلاع سنة ثمان وسبعين، ومع أخيه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٦٦

عبد الملك بن عبد الواحد إلى بلاد جليقية، فانتهى إلى أسترقة، فجمع له ملك الجلالقة واستمدّ بملك البشكنس، ثم خام عن اللقاء. ورجع أدراجه، وأتبعه عبد الملك، وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية أخرى، فالتقوا بعبد الملك، وأثنوا فى البلاد، واعترضهم عساكر الفرنج فنالوا منهم بعض الشىء، ثم خرجوا سالمين ظافرين.

ومن محاسنه أنه جدّد القنطرة التى يضرب بها المثل بقرطبة كما سبق، وكان بناها السّمح الخولانى عامل عمر بن عبد العزيز، رضى الله عنه، فأحكم هشام بناءها إلى الغاية، وقال يوما لأحد وزرائه: ما يقول أهل قرطبة؟ فقال: يقولون: ما بناها الأمير إلّا ليمضى عليها إلى صيده وقنصه، فألى هشام على نفسه أن لا يسلك عليها، فلم يمرّ عليها بعد، وفى بما حلف عليه.

ومن محاسنه أيضا إكمال بناء الجامع بقرطبة، وكان أبوه قد شرع فيه؛ ومن محاسنه أنه أخرج المصدّق لأخذ الزكاة على الكتاب والسنة، رحمه الله.

[الحكم بن هشام وحروبه وفتوحه وصفاته وأثاره فى الدولة]

ثم توفى سنة ثمانين ومائة، لسبع سنين وتسعة أشهر من إمارته، وقيل: لثمان- وكان من أهل الخير والصلاح، كثير الغزو والجهاد- وعمره أربعون سنة وأربعون أشهر، وولد فى شوال سنة ١٣٧. وولى بعده ابنه الحكم بعهد منه إليه، فاستكثر من المماليك، وارتبط

الخييل، واستفحل ملكه، و باشر الأمور بنفسه. و في خلال فتنه كانت بينه و بين عميه اغتنم العدو الكافر الفرصة في بلاد المسلمين، و قصدوا برشلونة فملكوها سنة خمس و ثمانين، و تأخرت عساكر المسلمين إلى ما دونها، و بعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الجلالقة، فأثخنوا فيها، و خالفهم العدو إلى المضائق، فرجع على التعيية، و ظفر بهم، و خرج إلى بلاد الإسلام ظافرا. و كانت له الواقعة الشهيرة مع أهل الرّبض من قرطبة لأنه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذاته، فاجتمع أهل العلم و الورع بقرطبة، مثل يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالك و أحد رواة الموطأ عنه و طالوت الفقيه و غيرهما، فثاروا به، و خلعوه، و بايعوا بعض قرابته، و كانوا بالرّبض الغربي من قرطبة، و كان محلّه متّصلا بقصره، فقَاتلهم الحكم، فغلبهم، و افترقوا، و هدم دورهم و مساجدهم، و لحقوا بفاس من أرض العدو،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٦٧

و بالإسكندرية من أرض المشرق، و نزل بها جمع منهم، ثم ثاروا بها، فزحف إليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمأمون بن الرشيد، و غلبهم، و أجازهم إلى جزيرة أقيطش، فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الإفرنج من أيديهم بعد مدّة. و كانت في أيام الحكم حروب و فتن مع الثوار المخالفين له من أهل طليطلة و غيرهم. و في سنة ثنتين و تسعين جمع لذريق بن قارله ملك الفرنج جموعه، و سار إلى حصار طرسونة، فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن في العساكر، فهزمه، ففتح الله على المسلمين، و عاد ظافرا.

و لمّا كثر عيث الفرنج في الثغور بسبب اشتغال الحكم بالخارجين عليه سار بنفسه إلى الفرنج سنة ست و تسعين، فافتتح الثغور و الحصون، و خرّب النواحي، و أثخن في القتل و السبي و النهب، و عاد إلى قرطبة ظافرا.

و في سنة مائتين بعث العساكر مع ابن مغيث إلى بلاد الفرنج فخرّب و هدم عدّة حصون، و أقبل عليه أليط ملك الجلالقة في جموع عظيمة، و تنازلوا على نهر، و اقتتلوا عليه أياما، و نال المسلمون منهم أعظم التّيل، و أقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة، ثم كثرت الأمطار، و مدّ النهر، و قفل المسلمون ظافرين ظاهرين.

و هو أول من جنّد الأجناد، و اتخذ العدة، و كان أفحل بنى أمية بالأندلس، و أشدّهم إقداما و نجدة، و كان يشبه بأبي جعفر المنصور من خلفاء بنى العباس في شدة الملك و توطيد الدولة و قمع الأعداء. و كان يؤثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن. و حضر يوما عنده، و قد غضب فيه على خادم له لإيصاله إليه كتابا كره وصوله، فأمر بقطع يده، فقال له زياد: أصلح الله الأمير! فإن مالك بن أنس حدّثني في خبر رفعه أن «من كظم غيظا يقدر على إنفاذه ملاءه الله تعالى أمنا و إيمانا يوم القيامة» فأمر أن يمسك عن الخادم، و يعفى عنه، فسكن غضبه، و قال:

الله إن مالكا حدّثك بهذا؟ فقال زياد: الله إن مالكا حدّثني بهذا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٦٨

و كانت المجاعة الشديدة سنة سبع و تسعين و مائة، فأكثر فيها مواساة أهل الحاجات، و في ذلك يقول عباس بن ناصح الجزيري فيه:

[الكامل]

نكد الزمان فأمنت أيامه من أن يكون بعصره عسر

ظلع الزمان بأزمة فجلا له تلك الكريهة جوده الغمر

و كان نقش خاتمه «بالله يثق الحكم و يعتصم».

و ذكور ولده عشرون، و إناثهم عشرون، و أمه جارية اسمها زخرف.

و كان أسمر، طوالا، أشمّ، نحيفا.

و مدّة ملكه ستّ و عشرون سنة، سامحه الله!

وقال غير واحد: إنه أول من جعل للملك بأرض الأندلس أئمة، واستعدّ بالماليك حتى بلغوا خمسة آلاف: منهم ثلاثة آلاف فارس، و ألفا راجل.

ثم توفي الحكم بن هشام آخر سنة ست و مائتين لسبع و عشرين سنة من ولايته، و مولده سنة ١٥٤.

وقال ابن خلدون و غير واحد: إنه أول من جتد بالأندلس الأجناد و المرتزقة، و جمع الأسلحة و العدد، و استكثر من الخدم و الحواشي و الحشم، و ارتبط الخيول على بابه، و اتخذ المماليك، و كان يسميهم الخرس لعجمتهم، و حكى فى عدتهم ما تقدم. ثم قال: و كانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس، و كان يباشر الأمور بنفسه، و يقرب الفقهاء و العلماء و الصالحين، و هو الذى وطأ الملك لعقبه بالأندلس، انتهى.

و كان له- فيما حكى غير واحد- ألفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر بقبلى قصره يجمعها داران. و هو القائل لما قتل أهل الرض و هدم ديارهم و حرثها: [الطويل]

رأبت صدوع الأرض بالسيف راقعا و قدما لأمت الشعب مذ كنت يافعا

فسائل ثغورى هل بها اليوم ثغرة أبادرها مستنضى السيف دارعا

تبيك أنى لم أكن فى قراعهم بوان، و قدما كنت بالسيف قارعا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٦٩

و هل زدت إذ وقيتهم صاع قرصهم فوافوا منايا قدرت و مصارعا

فهذى بلادى، إننى قد تركتها مهادا، و لم أترك عليها منازعا

و قال ابن حزم فى حقه: إنه كان من المجاهرين بالمعاصى، السافكين للدماء، و لذلك قام عليه الفقهاء و الصلحاء.

و قال غير واحد: إنه تنصل أخيرا، و تاب، سامحه الله!

و من نظمه قوله متغزلا: [البسيط]

قضب من البان ماست فوق كثمان و لىن عنى و قد أزمعن هجرانى

و منها:

من لى بمقتضبات الروح من بدنى يغصبنى فى الهوى عرى و سلطانى

و قيل: إنه كان يمسك أولاد الناس و يخصيهم، و نقلت عنه أمور، و لعله تاب منها كما قدمنا، و الله أعلم بحقيقته أمره.

و من بديع أخبار الحكم أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر، فلمّا نزل بوادى الحجاره سمع امرأه تقول: وا غوثاه بك يا حكم، لقد

أهملتنا حتى كلب العدو علينا، فأيمنا و أيمنا، فسألها عن شأنها، فقالت: كنت مقبله من البادية فى رفقه، فخرجت علينا خيل عدو،

فقتلت و أسرت، فصنع قصيدته التى أولها: [الطويل]

تململت فى وادى الحجاره مسندا أراعى نجوما ما يرون تغيرا

إليك أبا العاصى نضيت مطيتى تسير بهم ساريا و مهجرا

تدارك نساء العالمين بنصرة فإنك أحرى أن تغيث و تنصرا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة، و وصف له خوف الثغر، و استصراخ المرأة باسمه، فأنف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٧٠

و نادى فى الحين بالجهاد و الاستعداد، فخرج بعد ثلاث إلى وادى الحجاره و معه الشاعر، و سأل عن الخيل التى أغارت من أى أرض

العدو كانت، فأعلم بذلك، فغزا تلك الناحية و أثنخ فيها، و فتح الحصون، و خرّب الديار، و قتل عددا كثيرا، و جاء إلى وادى

الحجاره فأمر بإحضار المرأة و جميع من أسر له أحد فى تلك البلاد، فأحضر، فأمر بضرب رقاب الأسرى بحضرتها، و قال للعباس:

سلها: هل أغاثها الحكم؟ فقالت المرأة، و كانت نبيلة: و الله لقد شفى الصدور، و أنكى العدو، و أغاث الملهوف، فأغاثه الله، و أعز نصره! فارتاح لقولها، و بدا السرور فى وجهه و قال: [الطويل]
 ألم تر يا عباس، أنى أحببتها على البعد أقتاد الخميس المظفرا
 فأدرت أوطارا و بردت غلة و نقت مكروبا و أغنيت معسرا
 فقال عباس: نعم، جزاك الله خيرا عن المسلمين! و قبل يده.

و مما عيب به أنه قتل الفقيه أبا زكريا يحيى بن مضر القيسى، و كان قدوة فى الدين و الورع، سمع من سفيان و مالك بن أنس، و روى عنه مالك و قال: حدثنا يحيى بن مضر عن سفيان الثورى أن الطلح المنضود هو الموز، و كان قتل المذكور مع جماعة من العلماء و غيرهم.

[عبد الرحمن بن الحكم]

و قال بأمره من بعده ابنه عبد الرحمن، بعهد منه إليه، ثم لأخيه المغيرة بعده، فغزا عبد الرحمن لأول ولايته إلى جليقية و أبعد، و أطال المغيب، و أثنى فى أمم النصرانية هنالك، و رجع.

و قدم عليه سنة ست و مائتين زرياب المغنى من العراق، و هو مولى المهدي و متعلم إبراهيم الموصلى، و اسمه على بن نافع، فركب بنفسه لتلقيه، على ما حكاه ابن خلدون، و بالغ فى إكرامه، و أقام عنده بخير حال، و أورث صناعة الغناء بالأندلس و خلف أولادا فخلفه كبيرهم عبد الرحمن فى صناعته و حظوته.

و فى سنة ثمان أغزى حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد إلى ألبه و القلاع، فخرّب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٧١

كثيرا من البلاد و انتسفها، و فتح كثيرا من حصونهم، و صالح بعضها على الجزية و إطلاق أسرى المسلمين، و انصرف ظافرا. و فى سنة أربع و عشرين بعث قريبه عبيد الله بن البلنسى فى العساكر لغزو ألبه و القلاع، فسار و لقي العدو فهزمهم و أكثر القتل و السبى، ثم خرج لذريق ملك الجلالقة، و أغار على مدينه سالم بالثغر، فسار إليه فرتون بن موسى، و قاتله، فهزمه و أكثر القتل و السبى فى العدو و الأسر، ثم سار إلى الحصن الذى بناه أهل ألبه بالثغر نكاية للمسلمين، فافتتحه و هدمه، ثم سار عبد الرحمن فى الجيوش إلى بلاد جليقية، فدوخها و افتتح عدّة حصون منها، و جال فى أرضهم، و رجع بعد طول المقام بالسبى و الغنائم.

و فى سنة ست و عشرين بعث عبد الرحمن العساكر إلى أرض الفرنجة، و انتهوا إلى أرض برطانية، و كان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تطيلة، و لقيهم العدو، فصبر حتى هزم الله عدوهم، و كان لموسى فى هذه الغزاة مقام محمود. و فى سنة تسع و عشرين بعث ابنه محمدا بالعساكر، و تقدّم إلى ينلون، فأوقع بالمشركين عندها، و قتل غرسيه صاحبها، و هو من أكبر ملوك النصارى.

و فى أيامه ظهر المجوس، و دخلوا إشبيلية، فأرسل إليهم عبد الرحمن العساكر مع القواد من قرطبة، فنزل المجوس من مراكبهم، و قاتلهم المسلمون، فهزموهم بعد مقام صعب، ثم جاءت العساكر مددا من قرطبة فقاتلهم المجوس، فهزمهم المسلمون و غنموا بعض مراكبهم و أحرقوها، و رحل المجوس إلى شذونة فأقاموا عليها يومين، و غنموا بعض الشىء، و وصلت مراكب عبد الرحمن إلى إشبيلية فأقلع المجوس إلى لبله، و أغاروا و سبوا، ثم إلى باجة ثم أشبونة، ثم انقطع خبرهم حين أقلعوا من أشبونة، و سكنت البلاد، و ذلك سنة ثلاثين، و تقدّم عبد الرحمن بإصلاح ما خرّبوه من البلاد، و أكثف حاميتها.

و فى سنة إحدى و ثلاثين بعث العساكر إلى جليقية فدوخوها، و حاصروا مدينه ليون و رموها بالمجانيق، و هرب أهلها عنها و تركوها، فغنم المسلمون ما فيها و أحرقوها، و أرادوا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٧٢

هدم سورها فلم يقدروا عليه؛ لأنّ عرضه كان سبعة عشر ذراعاً، فثلّموا فيه ثلّمة و رجعوا.

ثم أغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم في العساكر إلى بلاد برشلونة، فعاث في نواحيها و أجاز الدروب التي تسمى البرت إلى بلاد الفرنجة فدوّخها قتلاً و أسرا و سبياً، و حاصر مدينتها العظمى جرنده، و عاث في نواحيها، و قفل. و قد كان ملك القسطنطينية من ورائهم نوفلس بعث إلى الأمير عبد الرحمن سنة خمس و عشرين بهدية يطلب مواصلته و يرغبه في ملك سلفه بالمشرق من أجل ما ضيق به المأمون و المعتصم حتى إنه ذكرهما له في كتابه له و عبّر عنهما بابني مراجل و ماردة، فكافأه الأمير عبد الرحمن عن الهدية، و بعث إليه يحيى الغزال من كبار أهل الدولة، و كان مشهوراً في الشعر و الحكمة، فأحكم بينهما الوصلة، و ارتفع لعبد الرحمن ذكر عند منازعيه من بني العباس.

و يعرف الأمير عبد الرحمن بالأوسط؛ لأنّ الأول عبد الرحمن الداخل، و الثالث عبد الرحمن الناصر.

ثم توفي عبد الرحمن الأوسط سنة ثمان و ثلاثين و مائتين، بربيع الآخر، لإحدى و ثلاثين سنة من إمارته.

و مولده بطليطلة في شعبان سنة ست و سبعين و مائة.

و كان عالماً بعلوم الشريعة و الفلسفة، و كانت أيامه أيام هدوء و سكون، و كثرت الأموال عنده، و اتخذ القصور و المتزهات، و جلب إليها المياه من الجبال، و جعل لقصره مصنعا اتخذه الناس شريعة، و أقام الجسور، و بنيت في أيامه الجوامع بكور الأندلس، و زاد في جامع قرطبة رواقين، و مات قبل أن يستتمه، فأتمه ابنه محمد بعده، و بنى بالأندلس جوامع كثيرة، و رتب رسوم المملكة، و احتجب عن العامة.

و عدد ولده مائة و خمسون من الذكور، و خمسون من الإناث، و نقش خاتمه «عابد الرحمن بقضاء الله راض» و في ذلك قيل:

[مجزوء الكامل]

خاتم للملك أضحي حكمه في الناس ماضي

عابد الرحمن فيه بقضاء الله راضي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٧٣

و هو أول من أحدث هذا النقش، و بقي ورائه لمن بعده من ولده.

قال ابن سعيد: و في أيامه انتهى مال الجباية إلى ألف ألف دينار في السنة، و كان قبل لا يزيد على ستمائة ألف، و قد ذكرنا في غير

هذا الموضوع ما يخالف هذا فليراجع، و الله أعلم.

و من توقيعاته: من لم يعرف وجه طلبه، فالحرمان أولى به.

و من شعر عبد الرحمن المذكور قوله: [الكامل]

و لقد تعارض أوجه لأوامر فيقودها التوفيق نحو صوابها

و الشيخ إن يحو النهي بتجارب فشاب رأى القوم عند شبابها

و في زيادته في جامع قرطبة يقول ابن المثنى رحمه الله تعالى: [البسيط المخلع]

بنيت لله خير بيت يخرس عن وصفه الأنام

حج إليه بكل أوب كأنه المسجد الحرام

كأن محرابه إذا ما خفّ به الركن و المقام

و قال آخر: [الطويل]

بنى مسجدا لله لم يك مثله و لا مثله لله في الأرض مسجدا

سوى ما ابتنى الرحمن و المسجد الذى بناه نبى المسلمين محمّد

له عمد حمر و خضر كأنما تلوح يواقيت بها و زبرجد

ألا يا أمين الله، لا زلت سالما و لا زلت فى كل الأمور تسدّد

فيا ليتنا نفديك من كلّ حادث و أنك للدين و للدين تخلد

و كان كثير الميل للنساء، و ولع بجاريته طروب، و كلف بها كلفا شديدا، و هى التى بنى عليها الباب بيدر المال حين تجتت عليه، و

أعطاه حليا قيمته مائة ألف دينار، فليل له: إن مثل هذا لا ينبغى أن يخرج من خزائن الملك، فقال: إن لابسه أنفس منه خطرا، و أرفع

قدرا، و أكرم جوهرها، و أشرف عنصرها، و فيها يقول: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٧٤

إذا ما بدت لى شمس الثها ر طالعة ذكرتنى طروبا

أنا ابن الميامين من غالب أشبّ حروبا و أطفى حروبا

و خرج غازيا إلى جليقية فطالت غيبته فكتب إليها: [المتقارب]

عدانى عنك مزار العدا و قودى إليهم سهاما مصيا

فكم قد تخطيت من سبب و لاقيت بعد دروب دروبا

الأقى بوجهى سموم الهجى ر إذ كاد منه الحصى أن يذوبا

تدارك بى الله دين الهدى فأحيته و أمّت الصليبا

و سرت إلى الشّرك فى جحفل ملأت الحزون به و السّهوبا

و ساق بعض المؤرخين قضية طروب هذه بقوله: إنّ السلطان المذكور أغضبها فهجرته، و صدّت عنه، و أبت أن تأتية، و لزمت

مقصورتها، فاشتدّ قلقه لهجرها، و ضاق ذرعه من شوقها، و جهد أن يترضاها بكل وجه فأعياه ذلك، فأرسل من خصيانه من يكرهها

على الوصول إليه، فأغلقت باب مجلسها فى وجوههم، و آلت أن لا تخرج إليهم طائعة، و لو انتهى الأمر إلى القتل، فانصرفوا إليه و

أعلموه بقولها، و استأذنوه فى كسر الباب عليها، فنهاهم و أمرهم بسدّ الباب عليها من خارجه بيدر الدراهم، ففعلوا، و بنوا عليها بالبدر،

و أقبل حتى وقف بالباب و كلمها مسترضيا راغبا فى المراجعة على أن لها جميع ما سدّ به الباب، فأجابت و فتحت الباب، فانهاالت

البدر فى بيتها، فأكبت على رجله تقبلها، و حازت المال، و كانت تبرم الأمور مع مضر الخصى فلا يردّ شيئا ممّا تبرمه.

و أحبّ أخرى اسمها مدثره فأعتقها و تزوّجها، و أخرى كذلك اسمها الشفاء، و أمّا جاريته قلم فكانت أديبة، حسنة الخط، راوية

للشعر، حافظة للأخبار، عالمة بضروب الأدب. و كان مولعا بالسّماع، مؤثرا له على جميع لذاته، و له أخبار كثيرة، رحمه الله!

[محمد عبد الرحمن]

و لما مات ولى ابنه محمد، فبعث لأول ولايته عساكر مع موسى بن موسى صاحب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٧٥

طليطلة، فعاث فى نواحي ألبه و القلاع، و فتح بعض حصونها، و رجع. و بعث عساكر أخرى إلى نواحي برشلونه و ما وراءها، فعاثوا

فيها و فتحوا حصونا من برشلونه و رجعوا.

و لما استمدّ أهل طليطلة المخالفون من أهل بلاد الأمير محمد عليه بملكى جليقية و البشكنس لقيهم الأمير محمد على وادى سليطة، و

قد أكن لهم، فأوقع بهم، و بلغت عدّة القتلى من أهل طليطلة و المشركين عشرين ألفا.

و فى سنة خمس و أربعين ظهرت مراكب المجوس، و عاثوا فى الأندلس، فلقيهم مراكب الأمير محمد، فقاتلوهم و غنموا منهم

مركبين، واستشهد جماعة من المسلمين.
 و في سنة سبع و أربعين أغزى محمد إلى نواحي يبلونه، و صاحبها حينئذ غرسيه بن وبقه، و كان يظاهر أردن بن أذفنش، فعاث في نواحي يبلونه، و رجع و قد دوّخها و فتح كثيرا من حصونها، و أسر فرتون ابن صاحبها، فبقى أسيرا بقرطبة عشرين سنة.
 ثم بعث سنة إحدى و خمسين أخاه المنذر في العساكر إلى نواحي ألبه و القلاع فعاثوا فيها، و جمع لذريق للقائهم، فلقبهم و انهزم، و أثنى المسلمون في المشركين بالقتل و الأسر، فكان فتحا لا كفاء له.
 ثم غزا الأمير محمد بنفسه سنة إحدى و خمسين بلاد الجلالقة، فأثنى و خرب.
 و في سنة ثلاث و ستين أغزى الأمير محمد ابنه المنذر إلى دار الحرب، و في السنة التي بعدها إلى بلاد يبلونه فدوّخها و رجع.
 و في سنة ثمان و ستين أغزاه أيضا إلى دار الحرب، فعاث في نواحيها و فتح حصونا.
 و في أيام الأمير محمد خربت ماردة و هدمت و لم يبق لها أثر.
 و ذكر بعضهم أنه رأى بالمشرق هذه الأبيات قبل أن تخرب ماردة بأعوام، و لم يعلم قائلها، و ذلك سنة ٢٥٤: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٧٦

و يل لماردة التي مردت و تكبرت عن عدوة النهر

كانت ترى لهم بها زهر فخلت من الزهرات كالقفر

فالويل ثم الويح حين غزا بجميعهم من صاحب الأمر

ثم توفي الأمير محمد في شهر صفر سنة ثلاث و سبعين و مائتين، لخمس و ثلاثين سنة من إمارته، و مولده سنة سبع و مائتين.

[ولاية المنذر بن محمد، ثم عبد الله بن محمد]

و ولي بعده ابنه المنذر، و لم تطل مدّته، و أقام في الملك سنتين إلّا نصف شهر، و توفي منتصف صفر سنة خمس و سبعين و مائتين، و فيه قيل: [مجزوء الكامل]

بالمنذر بن محمد صلجت بلاد الأندلس

ثم ولي أخوه عبد الله، قال ابن خلدون: كان خراج الأندلس قبله ثلاثمائة ألف دينار:

مائة ألف للجيش، و مائة ألف للنفقة في النواحي و ما يعرض، و مائة ألف ذخيرة و وفرا، فأنفق الوفرا حين اضطربت عليه نواحي الأندلس بالثور و المتغلبين في تلك السنين، و قلّ الخراج، انتهى.

و من نظم الأمير عبد الله قوله: [السريع]

يا مهجة المشتاق ما أوجعك و يا أسير الحب ما أخشعك

و يا رسول العين من لحظها بالردّ و التبليغ ما أسرعك

تذهب بالسّر فتأتي به في مجلس يخفى على من معك

كم حاجة أنجزت إبرازها تبارك الرحمن ما أطوعك

و هذه الأبيات عنوان فضله، و براعة استهلال نبه.

و كان الوزراء يطالعون بأرائهم، الخليفة في بطاقه، فطالعه و زيره النضر بن سلمة برأيه في أمر في ورقه، فلما وقف عليها لم يعجبه ذلك الرأي، فكتب: [مجزوء الخفيف]

أنت يا نضر أبده ليس ترجى لفائدة

إنما أنت عدّة لكيف و مائدة

و توفي الأمير عبد الله سنة ثلاثمائة، و مدة ملكة نحو من خمس و عشرين سنة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٧٧

[عبد الرحمن الناصر]

و ولي حافده عبد الرحمن الناصر ابن ابنه محمد قتيل أخيه المطرف، و كانت ولايته من الغريب؛ لأنه كان شاباً، و أعمامه و أعمام أبيه حاضرون، فتصدى إليها و احتازها دونهم، و وجد الأندلس مضطربة بالمخالفين، مضطربة بنيران المتغلبين، فأطفا تلك النيران، و استنزل أهل العصيان، و استقامت له الأندلس في سائر جهاتها بعد تيف و عشرين سنة من أيامه، و دامت أيامه نحو خمسين سنة استفحل فيها ملك بنى أمية بتلك الناحية، و هو أول من تسمى منهم بالأندلس بأمر المؤمنين، عندما التاأ أمر الخلافة بالمشرق، و استبد موالى الترك على بنى العباس، و بلغه أن المقدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة و ثلاثمائة فتلقب بألقاب الخلافة، و كان كثير الجهاد بنفسه و الغزو إلى دار الحرب، إلى أن هزم عام الخندق سنة ثلاث و عشرين، و محص الله فيها المسلمين، فقعد عن الغزو بنفسه و صار يردد الصوائف في كل سنة، فأوطأ عساكر المسلمين، من بلاد الإفرنج ما لم يطؤوه قبل في أيام سلفه، و مدت إليه أمم النصرانية من وراء الدروب يد الإذعان، و أوفدوا عليه رسلهم و هداياهم من رومة و القسطنطينية في سبيل المهادنة و السلم و الاعتمال فيما يعن في مرضاته، و وصل إلى سدته الملوك من أهل جزيرة الأندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة و ينبلونة و ما ينسب إليها من الثغور الجوفية، فقبلوا يده، و التمسوا رضاه، و احتقبوا جوائزه، و امتطوا مراكبه، ثم سما إلى ملك العدو فتناول سبته و نقل الفرضة من أيدي أهلها سنة سبع عشرة و ثلاثمائة، و أطاعه بنو إدريس أمراء العدو و ملوك زناته و البربر، و أجاز إليه الكثير منهم كما يعلم من أخباره، و بدأ أمره أول ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا، انتهى كلام ابن خلدون.

و فيه يقول ابن عبد ربه صاحب «العقد» يوم تولى الملك: [المجتث]

بدا الهلال جديدا و الملك غضّ جديد

يا نعمه الله زيدي إن كان فيك مزيد

إن كان للصوم فطر فأنت للدهر عيد

و أراد بأول الأبيات أنه ولي مستهل ربيع الأول كما علم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٧٨

و ما أشار إليه ابن خلدون في غزوة الخندق فضيله المسعودي فقال، بعد أن أجرى ذكر مخالفة أمية بن إسحاق على الناصر و دخوله أرض النصرارى و دلالاته إياهم على عورات المسلمين، ما ملخصه: و غزا عبد الرحمن صاحب الأندلس سمورة دار الجلالقة، و كان عبد الرحمن في مائة ألف أو يزيدون، و كانت الوقعة بينه و بين ردمير ملك الجلالقة في شوال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذى كان في هذا الشهر بثلاثة أيام، فكانت للمسلمين عليهم، ثم تابوا بعد أن حوصروا و ألجئوا إلى المدينة، فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا. و قيل: إن الذى منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين أمية بن إسحاق، و خوفه الكمين، و رغبه فيما كان في عسكر المسلمين من الأموال و العدة و الخزائن، و لولا ذلك لأتى على جميع المسلمين، ثم إن أمية استأمن بعد ذلك إلى عبد الرحمن و تخلص من ردمير، و قبله عبد الرحمن أحسن قبول. و قد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عده من قواده إلى الجلالقة، فكانت لهم عده حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين في الوقعة الأولى، و كانت للمسلمين عليهم إلى هذه الغاية، و ردمير ملك الجلالقة إلى هذا الوقت و هو سنة ٣٣٢، انتهى.

و قال في موضع آخر ما ملخصه: إن عبد الرحمن غزا في أزيد من مائة ألف فارس من الناس، فنزل على دار مملكة الجلالقة، و هى مدينة سمورة، و عليها سبعة أسوار من أعجب البنيان قد أحكمته الملوك السالفة، و بين الأسوار فضلا ن و خنادق و مياه واسعة، و

افتتح منها سورين، ثم إن أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم - مَمَّن أدركه الإحصاء و مَمَّن عرف - أربعين ألفاً، وقيل: خمسين ألفاً، وكانت للجلالفة و البشكنس على المسلمين، انتهى كلام المسعودي.

رجع إلى أخبار الناصر - فنقول: إن الناصر - رحمه الله! - كان له نظم، و مما نسب إليه بعضهم قوله: [الخفيف]

لا يضِرَّ الصغير حدثان سنَّ إنما الشأن في سعود الصغير

كم مقيم فازت يداه بغنم لم تنله بالركض كف مغير

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٧٩

هكذا ألفت البيتين منسويين إليه بخط بعض الأكابر، ثم كتب بأثره ما نصّه: الصحيح أنهما لغيره، و الله أعلم، انتهى.

[هدية ابن شهيد للناصر]

و كان الناصر - رحمه الله - قد استحجب موسى بن محمد بن حدير، و استوزر عبد الملك بن جهور. و أحمد بن عبد الملك بن شهيد، و أهدى له ابن شهيد هديته المشهورة المتعددة الأصناف، و قد ذكرها ابن حيان و ابن خلدون و غيرهما من المؤرخين. قال ابن خلدون: و هي مما يدل على ضخامة الدولة الأموية، و اتساع أحوالها، و كان ذلك سنة سبع و عشرين و ثلاثمائة، لثمان خلون من شهر جمادى الأولى، و هي هدية عظيمة الشأن، اشتهر ذكرها إلى الآن، و اتفق على أنه لم يهاد أحد من ملوك الأندلس بمثلها، و قد أعجبت الناصر و أهل مملكته جميعاً، و أقروا أن نفساً لم تسمح بإخراج مثلها ضربه عن يدها، و كتب معها رسالة حسنة بالاعتراف للناصر بالنعمة و الشكر عليها، فاستحسنها الناس و كتبوها، و زاد الناصر وزيره هذا حظوة و اختصاصاً، و أسمى منزلته على سائر الوزراء جميعاً و أضعف له رزق الوزارة، و بلغه ثمانين ألف دينار أندلسية، و بلغ معروفه إلى ألف دينار، و ثنى له العظمة لتثنيته له الرزق، فسمّاه «ذا الوزارتين» لذلك، و كان أول من تسمّى بذلك بالأندلس امتثالاً لاسم صاعد بن مخلد وزير بنى العباس ببغداد، و أمر بتصدير فراشه في البيت، و تقديم اسمه في دفتر الارتزاق أول التسمية، فعظم مقداره في الدولة جداً.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١؛ ص ٢٧٩

تفسير هديته المذكورة على ما ثبت في كتاب ابن خلدون على ما يفسّر: خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين، و أربعمائة رطل من التبر، و مصارفة خمسة و أربعون ألف دينار، و من سبائك الفضة مائتا بدره. و اقتصر ابن الفرضي على خمسمائة ألف دينار فقط، و اثنا عشر رطلاً من العود الهندي الذي يختم عليه كالشمع، و مائة و ثمانون رطلاً من العود المتخير، و مائة رطل من العود الشبه المنتقى، هكذا ذكره ابن خلدون.

و قال ابن الفرضي مستنداً إلى الكتاب الذي وجهه ابن شهيد مع الهدية: إن العود العالي من ذلك أربعمائة رطل، منها قطعة واحدة مائة و ثمانون رطلاً.

و قال ابن خلدون: و مائة أوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٨٠

و قال ابن الفرضي، نقلاً عن الكتاب المصحوب مع الهدية: إن المسك مائتا أوقية، و اثنتا عشرة أوقية، و من العنبر الأشهب الباقي على خلقته بغير صناعة خمسمائة أوقية، منها قطعة عجيبة ململمة الشلّ وزن مائة أوقية، هكذا في تاريخ ابن خلدون.

و في ابن الفرضي أن الكلّ مائة أوقية، و أن هذه القطعة أربعون أوقية.

و من الكافور المرتفع النقى الذكي ثلاثمائة أوقية.

قال ابن خلدون: و من اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم المرقوم بالذهب كلباس الخلفاء المختلف الألوان و الصنائع، و عشرة أفريه من عالي جلود الفنك الخراسانية.

و خالفه ابن الفرضى، إذ قال: و من أنواع الثياب ثلاثون شقّة خلع خاصية للباسه بيضاء و ملوّنة، و خمس ظهائر شعيبية خاصية له، و عشر فراء من على الفنك منها سبعة بيض خراسانية و ثلاث ملوّنة، و ستة مطارف عراقية خاصية له، و ثمان و أربعون ملحفة زهرية لكسوته، و مائة ملحفة زهرية لرقاده.

و لم يذكر ابن خلدون ذلك، و ابن الفرضى أعرف، لا سيما و قد استند إلى كتاب المهدي و صاحب البيت أدري. قال ابن خلدون: و عشرة قناطير شدّ فيها مائة جلد سمور، و قاله ابن الفرضى أيضا. و زاد ابن خلدون: و ستة من السراقات العراقية، و ثمانية و أربعون من الملاحف البغدادية لزينه الخيل من الحرير و الذهب، ثم قال معا: و أربعة آلاف رطل من الحرير المغزول، و ألف رطل من لون الحرير المنتقى للاستغزال، و زاد ابن خلدون: و ثلاثون شقّة من الفربون لسروج الهبات، و زاد ابن الفرضى فى الحرير المذكور: قيل: إنه قبضه منه صاحب الطراز و لم يأت به مع الهدية، و إنما دفعه لصاحب الطراز، و أثبتته فى الدفتر. قالوا: و ثلاثون بساطا من الصوف مختلفة الصناعات طول كل بساط منها عشرون ذراعا، و قال ابن خلدون: متتقاء مختلفة الألوان، قالوا:

و مائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة، زاد ابن الفرضى: الصناعات من جنى البسط، قالوا: و خمسة عشر نوخا من عمل الخزّ المقطوع شطرها، قال ابن الفرضى: و سائرها من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٨١

جنس البسط، قال ابن خلدون: و من السلاح و العدة ثمانمائة من التجافيف المزينة أيام البروز و المواكب، و قال ابن الفرضى: مائة تجفاف بأبدع الصناعات و أغربها و أكملها، قالوا: و ألف ترس سلطانية، و مائة ألف سهم، زاد ابن خلدون: من التبال البارعة الصنعة، قال ابن خلدون:

و من الظهر خمسة عشر فرسا من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت، و قال ابن الفرضى: و من الخيل مائة فرس منها من الخيل العراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا، و خمس من عرض هذه الخيل مسرجه ملجمة لمرابك الخلافة مجالس سروجها خزّ عراقى، و ثمانون فرسا ممّا يصلح للوصفاء و الحشم، و قال ابن خلدون: مائة فرس من الخيل التى تصلح للركوب فى التصرف و الغزوات، و قال ابن الفرضى: و خمسة أبغل عالية الركاب، و قال ابن خلدون: و عشرون من بغال الركاب مسرجه ملجمة لمرابك الخلافة مجالس سروجها خزّ جعفرى عراقى، قالوا: و من الرقيق أربعون و صيفا و عشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهم و جميع آلاتهم. و قال ابن خلدون فى الجوارى: متخيرات بكسوتهنّ و زينتهنّ، و قال ابن خلدون: و من سائر الاصناف قرية تغلّ آلافا من أمداد الزرع، و من الصخر للبيان ما أنفق عليه فى عام واحد ثمانون ألف دينار، و عشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب و أصلبه و أقومه قيمتها خمسون ألف دينار، انتهى.

و قال ابن الفرضى نقلا عن كتاب ابن شهيد المصحوب مع الهدية عندما ذكر الرقيق ما صورته: و كان قد أربى - أيده الله! - بابتاعهم من مال الأحماس، فابتعتهم من نعمته عندي، و صيرتهم من بعثى، و مع ذلك عشر قناطير سكر طبرزد لا سحاق فيه.

و فى آخر الكتاب: و لما علمت تطلع مولاي - أيده الله تعالى! - إلى قرية كذا بالقنانية المنقطعة الغرس شرفها، و ترداده - أيده الله تعالى! - لذكرها لم أنها بعيش حتى أعملت الحيلة فى ابتاعها بأحوازها، و أكتبت و كيله ابن بقيه الوثيقة فيها باسمه، و ضمها إلى ضياعه، و كذلك صنعت فى قرية شيرة من نظر جيان عندما اتصل بى من وصفه لها و تطلّعه إليها، فما زلت أتصدى لمسرتة بها حتى ابتعتها الآن بأحوازها و جميع منازلها و ربوعها، و احتاز ذلك كله الوكيل ابن بقيه، و صار فى يده له أبقاه الله سبحانه، و أرجو أنه سيرفع فيها فى هذه السنة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٨٢

آلاف أمداد من الأطعمة إن شاء الله تعالى. و لمّا علمت نافذ عزمه - أبقاه الله تعالى! - فى البيان، و كلفه به، و فكّرت فى عدد الأماكن التى تطلع نفسه الكريمة إلى تخليد آثاره فى بنائها - مدّ الله تعالى فى عمره، و أوفى بها على أقصى أمله! - علمت أنّ أسه و

قوامه الصخر والاستكثار منه، فأثارت لى همّتى ونصيحتى حكمة حيلة أحكمها سعدك و جدك اللذان يبعثان ما لا يتوهم عليه، حيلة أقيم لك فيها بعام واحد عدد ما كان يقوم على يدى عبدك ابن عاصم فى عشرين عامًا، وينتهى تحصيل النفقة فيه إلى نحو الثمانين ألفًا أعجل شأنه فى عام، سوى التوفير العظيم الذى يبيده العيان قبلًا إن شاء الله تعالى، وكذلك ما تاب إلى فى أمر الخشب لهذه المنية المكرمة، فإن ابن خليل عبدك المجتهد الدؤوب انتهى فى تحصيل عدد ما تحتاج إليه إلى ثلاثمائة ألف عود و يئف على عشرين ألف عود، على أنه لا يدخل منه فى السنة إلا نحو الألفى عود، ففتح لى سعدك رأيا أقيم له بتمامه جميع هذا الخشب العام على كماله بورود الجلية لوقتها، و قيمته على الرخص ما بين الخمسين ألفًا و الستين ألفًا، انتهى.

و من غريب ما يحكى عن أمير المؤمنين الناصر المذكور أنه أراد الفصد، فقعد بالبهو فى المجلس الكبير المشرف بأعلى مدينته بالزهراء، و استدعى الطبيب لذلك، و أخذ الطبيب الآلة و جس يد الناصر، فبينما هو إذ أطل زرزور فصد على إناء ذهب بالمجلس، و أنشد:

[مجزوء الكامل]

أيها الفاصد رفقا بأمر المؤمنين

إنما تفصد عرفا فيه محيا العالمينا

و جعل يكرّر ذلك المرة بعد المرة، فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف، و سرّ به غاية السرور، و سأل عمّن اهتدى إلى ذلك و علم الزرزور، فذكر له أن السيدة الكبرى مرجانة أمّ ولده وليّ عهده الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك، و أعدته لذلك الأمر، فوهب لها ما يئف على ثلاثين ألف دينار.

و ذكر ابن بسام أن أبا عامر بن شهيد أحمد بن عبد الملك الوزير أهدى له غلام من النصارى لم تقع العيون على شبهه، فلمحه الناصر فقال لابن شهيد: أتى لك هذا؟ قال: هو من عند الله، فقال له الناصر: تتحفوننا بالنجوم و تستأثرون بالقمر، فاستعذر و احتفل فى هدية نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٨٣

بعثها مع الغلام، و قال: يا بنى، كن مع جملة ما بعثت به، و لو لا الضرورة ما سمحت بك نفسى، و كتب معه هذين البيتين: [الطويل]
أمولاي هذا البدر سار لأفككم و للأفق أولى بالبدور من الأرض
أرضيكم بالنفس و هى نفيسه و لم أرقبلى من بمهجته يرضى
فحسن ذلك عند الناصر، و أتخفه بمال جليل، و تمكنت عنده مكانته، ثم إنه بعد ذلك أهديت إليه جارية من أجمل نساء الدنيا، فخاف أن ينتهى ذلك إلى الناصر فيطلبها فتكون كقصه الغلام، فاحتفل فى هدية أعظم من الأولى، و بعثها معها، و كتب له: [الطويل]
أمولاي، هذى الشمس و البدر أوّلا تقدّم كيما يلتقى القمران
قران لعمري بالسعادة قد أتى فدم منهما فى كوثر و جنان
فما لهما و الله فى الحسن ثالث و ما لك فى ملك البرية ثانى
فتضاعفت مكانته عنده.

ثم إن أحد الوشاة رفع للملك أنه بقى فى نفسه من الغلام حرارة، و أنه لا يزال يذكره حين تحرّكه الشمول، و يقرع السنّ على تعذر الوصول، فقال للوشاى: لا- تحرّك به لسانك، و إلما طار رأسك، و أعمل الناصر حيلة فى أن كتب على لسان الغلام رقعة منها: «يا مولاي، تعلم أنك كنت لى على انفرادى، و لم أزل معك فى نعيم، و إنى و إن كنت عند الخليفة مشارك فى المنزلة، محاذر ما يبدو من سطوة الملك، فتحيل فى استدعائى منه»، و بعثها مع غلام صغير السنّ، و أوصاه أن يقول: من عند فلان، و إن الملك لم يكلمه قطّ، إن سأله عن ذلك، فلمّا وقف أبو عامر على تلك الرسالة و استخبر الخادم علم من سؤاله ما كان فى نفسه من الغلام، و ما تكلم به فى مجالس المدام، فكتب على ظهر الرقعة و لم يزد حرفًا:

[الطويل]

أمن بعد إحكام التجارب ينبغي لدى سقوط الطير في غابة الأسد
و ما أنا ممن يغلب الحب قلبه و لا جاهل ما يدعيه أولو الحسد
فإن كنت روحى قد وهبتك طائعا و كيف يردّ الزوج إن فارق الجسد؟
فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته، و لم يعد إلى استماع واش به.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٨٤

و دخل عليه بعد ذلك فقال له: كيف خلصت من الشرك؟ فقال: لأنّ عقلى بالهوى غير مشترك، فأنعم عليه، و زادت محبته عنده، و ممن ذكر هذه الحكاية صاحب «مطالع البدور، فى منازل السرور».

[غزوات الناصر و وفود دول النصرانية عليه]

و أخبار الناصر طويلاً جداً، و قد منح الظفر على الثوار، و استنزلهم من معاقلمهم، حتى صفا له الوقت، و كانت له فى جهاد العدو اليد البيضاء، فمن غزواته أنه غزا سنة ثمان و ثلاثمائة إلى جليقية و ملكها أردون بن أذفونش، فاستنجد بالبشكنس و الإفرنجة و ظاهر شانجه بن فريلى صاحب ينبلونه أمير البشكنس، فهزمهم، و وطى بلادهم، و دوخ أرضهم، و فتح معاقلمهم، و خرب حصونهم، ثم غزا ينبلونه سنة ثنتى عشرة، و دخل دار الحرب، و دوخ البسائط، و فتح المعاقل، و خرب الحصون، و أفسد العمائر، و جال فيها، و توغل فى قاصيتها، و العدو يحاذيه فى الجبال و الأوعار، و لم يظفر منه بشيء، ثم بعد مدة ظفر ببعض الثوار عليه، و كان استمد بالنصارى فقتل الناصر من كان مع الثائر من النصارى أهل ألبه، و فتح ثلاثين من حصونهم، و بلغه انتفاض طوطه ملكة البشكنس فغزاها فى ينبلونه و دوخ أرضها و استباحها، و رجع إلى قرطبة، ثم غزا غزوة الخندق سنة سبع و عشرين إلى جليقية فانهزم و أصيب فيها المسلمون، و قعد بعدها عن الغزو بنفسه، و صار يردّد البعوث و الصوائف إلى الجهاد، و بعث جيوشه إلى المغرب فملك سبتة و فاسا و غيرهما من بلاد المغرب، و طار صيته و انتشر ذكره كما سبق. و لما هلك شانجه بن فرويله ملك البشكنس قام بأمرهم بعده أمه طوطه، و كفلت ولده، ثم انتقضت على الناصر سنة خمس و عشرين، فغزا الناصر بلادها، و خرب نواحي ينبلونه و ردّد عليها، كما مرّ، الغزوات. و كان قبل ذلك سنة ثنتين و عشرين غزا إلى وخشمه، ثم رحل إلى ينبلونه، فجاءته طوطه بطاعتها و عقد لابنها غرسية على ينبلونه، ثم عدل إلى ألبه و بسائطها فدوّخها و خرب حصونها، ثم اقتحم جليقية و ملكها يومئذ ردمير بن أردون، فخام عن لقائه، و دخل و خشمه، فنازله الناصر فيها، و هدم برغش و كثيرا من معاقلمهم، و هزمهم مرارا، و رجع، ثم كانت بعدها غزوة الخندق السابقة، و هابته أمم النصرانية. ثم وفدت عليه سنة ست و ثلاثين رسل صاحب قسطنطينية و هديته، و هو يومئذ قسطنطين، و احتفل الناصر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٨٥

لقدومهم فى يوم مشهود، و قال ابن خلدون: ركبت فى ذلك اليوم العساكر بالسلح فى أكمل شكّة، و زين القصر الخلافي بأنواع الزينة و أصناف الستور، و حمل السرير الخلافي بمقاعد الأبناء و الإخوة و الأعمام و القرابة، و رتب الوزراء و الخدمه فى مواقفهم، و دخل الرسل فهاهم ما رأوه، و قربوا حتى أدوا رسالتهم. و أمر يومئذ الأعلام أن يخطبوا فى ذلك المحفل، و يعظّموا من أمر الإسلام و الخلافة، و يشكروا نعمة الله على ظهور دينه و إعزازه، و ذلّة عدوّه، فاستعدّوا لذلك. ثم بهرهم هول المجلس فوجموا، و شرعوا فى القول فأرتج عليهم، و كان فيهم أبو على القالى و افند العراق، كان فى جملة الحكم ولى العهد و ندبه لذلك استثناء، فعجز، فلما و جموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطى من غير استعداد و لا روية و لا تقدّم له أحد بشيء من ذلك، فخطب و استحضر و جلى فى ذلك القصد، و أنشد شعرا طويلا ارتجله فى ذلك الغرض، ففاز بفخر ذلك المجلس، و عجب الناس من شأنه أكثر من كل ما وقع، و أعجب به الناصر، و ولّاه القضاء بعدها، و أصبح من رجال المعالم، و أخباره مشهورة، و خطبته فى ذلك اليوم منقولة فى كتب ابن

حيان وغيره. ثم انصرف هؤلاء الرّسل، و بعث الناصر معهم هشام بن هذيل بهديّة حافلة ليؤكّد المودّة و يحسن الإجابة، و رجع بعد سنتين و قد أحكم من ذلك ما شاء و جاءت معه رسل قسطنطين. ثم جاء رسول من ملك الصقالبة- و هو يومئذ دوقوه- و رسول آخر من ملك الألمان، و رسول آخر من ملك الإفرنجة وراء البرت- و هو يومئذ أوفه- و رسول آخر من ملك الإفرنجة بقاصية المشرق- و هو يومئذ كلده- و احتفل الناصر لقدمهم، و بعث مع رسول الصقالبة ربيعا الأسقف إلى ملكهم دوقوه و رجع بعد سنتين.

و في سنة أربع و أربعين جاء رسول أردون يطلب السلم، فعقد له، ثم بعث في سنة خمس و أربعين يطلب إدخال فردلند قومس قشتيلة في عهده فأذن له في ذلك، و أدخل في عهده، و كان غرسيه بن شانجه قد استولى على جليقيّة بعد أبيه شانجه بن فرويله ثم انتقض

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٨٦

عليه أهل جليقيّة، و تولّى كبرهم قومس قشتيلة فردلند المذكور، و مال إلى أردون بن ردمير، و كان غرسيه بن شانجه حافدا لطوطة ملكة البشكنس، فامتعضت لحافدها غرسيه، و وفدت على الناصر سنة سبع و أربعين ملقية بنفسها في عقد السلم لها و لولدها شانجه بن ردمير الملك، و إعانة حافدها غرسيه بن شانجه على ملكه، و نصره من عدوّه، و جاء الملكان معها، فاحتفل الناصر لقدمهم، و عقد الصلح لشانجه و أمه، و بعث العساكر مع غرسيه ملك جليقيّة فردّ عليه ملكه، و خلع الجلالقة طاعة أردون إليه، و بعث إلى الناصر يشكره على فعلته، و كتب إلى الأعم في النواحي بذلك، و بما ارتكبه فردلند قومس قشتيلة في نكته و وثوبه، و يعيره بذلك عند الأعم، و لم يزل الناصر على موالاته و إعانته إلى أن هلك، و لما وصل رسول كلده ملك الإفرنجة بالشرق، كما تقدّم، وصل معه رسول ملك برشلونه و طرّكونه راغبا في الصلح، فأجابه الناصر، و وصل بعده رسول صاحب رومة يخطب المودّة فأجيب؛ انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار.

و لنفصل بعض ما أجمله فنقول: ذكر ابن حيان و غير واحد أنّ ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الضخامة و رفعة الشأن، و هادته الروم، و ازدلفت إليه تطلب مهادنته و متاحفته بعضيم الذخائر، و لم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم و الإفرنجة و المجوس و سائر الأمم إلّا وفدت عليه خاضعة راغبة، و انصرفت عنه راضية، و من جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى، فإنه هاداه، و رغب في موادعته، و كان وصول أرساله في صفر سنة ثمان و ثلاثين و ثلاثمائة، و تقدّم في كلام ابن خلدون أنها ستّ و ثلاثون، فالله أعلم أيهما أصحّ، و تأهب الناصر لورودهم و أمر أن يتلقوا أعظم تلقّ و أفخمه، و أحسن قبول و أكرمه، و أخرج إلى لقائهم ببجاية يحيى بن محمد بن الليث و غيره لخدمة أسباب الطريق، فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة خرج إلى لقائهم القواد في العدد و العدة و التعبية، فتلقوهم قائدا بعد قائد، و كمل اختصاصهم بعد ذلك، بأن أخرج إليهم الفتيين الكبيرين الخصيين ياسرا و تماما، إبلاغا في الاحتفال بهم، فلقياهم بعد القواد، فاستبان لهم بخروج الفتيين إليهم بسط الناصر و إكرامه؛ لأنّ الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة، لأنهم أصحاب الخلوة مع الناصر و حرمة و بيدهم القصر السلطاني، و أنزلوا بمنية وليّ العهد الحكم المنسوبة إلى نصير بعدوة قرطبة في الرّبض، و منعوا من لقاء الخاصية و العامية جملة، و من ملابسة الناس طرّا، و ربّ لحجابتهم رجال تخيروا من الموالى و وجوه الحشم فصيروا على باب قصر هذه المنية ستّة عشر رجلا لأربع دول، لكل دولة أربع منهم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٨٧

و رحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء إلى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه، فعقد لهم يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من السنة المذكورة في بهو المجلس الزاهر قعودا حسنا نبيلًا، و قعد عن يمينه وليّ العهد من بنيه الحكم ثم عبد الله ثم عبد العزيز ثم الأصغ ثم مروان، و قعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان، و تخلّف عبد الملك؛ لأنه كان عليلا لم يطق الحضور، و حضر الوزراء على مراتبهم يمينا و شمالا، و وقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء و الموالى و الوكلاء و غيرهم، و قد بسط صحن الدار أجمع بعناق البسط و كرائم الدرانك، و ظلّت أبواب الدار و حناياها بظلل الديباج و رفيع الستور، فوصل رسل ملك الروم حائرين ممّا رأوه من بهجة الملك و فخامة السلطان، و دفعوا كتاب ملكهم صاحب القسطنطينية العظمى قسطنطين بن

ليون، و هو في رقّ مصبوغ لونا سماويا مكتوب بالذهب بالخط الإغريقي، و داخل الكتاب مدرجة مصبوغة أيضا مكتوبة بفضة بخط إغريقي أيضا فيها وصف هديته التي أرسل بها و عددها، و على الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل، على الوجه الواحد منه صورة المسيح، و على الآخر صورة قسطنطين الملك و صورة ولده، و كان الكتاب بداخل درج فضة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معموله من الزجاج الملون البديع، و كان الدرّج داخل جعبة ملبسة بالديباج، و كان في ترجمه عنوان الكتاب في سطر منه: قسطنطين و رومانين المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم، و في سطر آخر: إلى العظيم الاستحقاق الفخر الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس، أطال الله بقاءه. و لما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحبّ أن يقوم الخطباء و الشعراء بين يديه، لتذكر جلاله مقعده و عظيم سلطانه، و تصف ما تهيأ من توطيد الخلافة في دولته. و تقدّم إلى الأمير الحكم ابنه وليّ عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء، و يقدّمه أمام نشيد الشعراء، فأمر الحكم صنيعة الفقيه محمد بن عبد البرّ الكسنياني بالتأهب لذلك، و إعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة، و كان يدعى من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره، و حضر المجلس السلطاني، فلما قام يحاول التكلّم بما رأى هاله و بهره هول المقام و أبهت الخلافة، فلم يهتد إلى لفظه، بل غشى عليه و سقط إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٨٨

الأرض، فقيل لأبي على البغدادي إسماعيل بن القاسم القالي صاحب الأمالي و النوادر، و هو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق و أمير الكلام و بحر اللغة: قم فارفع هذا الوهي، فقام فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله، و صلى على نبيّه صلى الله عليه و سلّم، هكذا ذكر ابن حبان و غيره، و كلام ابن خلدون السابق يقتضي أن القالي هو المأمور بالكلام أولا و المعدّ لذلك، و نحوه في المطمح، و الخطب سهل، ثم انقطع القول بالقالي، فوقف ساكتا مفكرا في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه، و قال في المطمح: إن أبا على القالي انقطع و بهت، و ما وصل إلّا قطع، و وقف ساكتا متفكرا، لا ناسيا و لا متذكرا، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد- و كان ممّن حضر في زمرة الفقهاء- قام من ذاته، بدرجه من مرقاته، فوصل افتتاح أبي على لأوّل خطبته بكلام عجيب، و نادى من الإحسان في ذلك المقام كلّ مجيب، يسّحه سحا كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدّة، و بدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو على البغدادي، فقال: أما بعد حمد الله و الثناء عليه، و التعداد لآلائه، و الشكر لنعمائه، و الصلاة و السلام على محمد صفيه و خاتم أنبيائه، فإن لكلّ حادثه مقاما، و لكلّ مقام مقال، و ليس بعد الحق إلّا الضلال. و إنّي قد قمت في مقام كريم، بين يدي ملك عظيم؛ فأصغوا إليّ معشر الملا- بأسماعكم، و أتقنوا عني بأفئدتكم، إن من الحق أن يقال للمحقّ صدقت، و للمبطل كذبت، و إنّ الجليل تعالى في سمائه، و تقدّس بصفاته و أسمائه، أمر كليمه موسى صلى الله على نبيّنا و عليه و على جميع أنبيائه، أن يذكر قومه بأيام الله، عزّ و جلّ، عندهم، و فيه و في رسول الله، صلى الله عليه و سلّم، أسوء حسنة، و إنّي أذكركم بأيام الله عندكم، و تلافيه لكم بخلافه أمير المؤمنين التي لمّت شعثكم، و أمّنت سربكم، و رفعت قوتكم، بعد أن كنتم قليلا- فكثركم، و مستضعفين فقواكم، و مستذلّين فنصركم، و لّما الله رعايتكم، و أسند إليه إمامتكم، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق، و أحاطت بكم شعل النفاق، حتى صرتم في مثل حدقة البعير، من ضيق الحال و نكد العيش و التغيير، فاستبدلتم بخلافته من الشدّة بالرخاء، و انتقلتم بيمن سياسته إلى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء، أنشدكم بالله معاشر الملا: ألم تكن الدماء مسفوكه فحقنها، و السبل مخوفة فأمنها، و الأموال منتهبة فأحرزها و حصّنها؟ ألم تكن البلاد خرابا فعمرها، و ثغور المسلمين مهتزمة فحماها و نصرها؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته، و تلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته، حتى أذهب الله عنكم غيظكم، و شفى صدوركم، و صرتم يدا على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٨٩

عدوّكم، بعد أن كان بأسكم بينكم، فأنشدكم الله ألم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها؟ ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها و لم يكل ذلك إلى القوّد و الأجناد، حتى باشره بالقوّة و المهجّة و الأولاد، و

اعتزل النسوان، و هجر الأوطان، و رفض الدعة و هي محبوبة، و ترك الركون إلى الراحة و هي مطلوبة، بطويته صحيحة، و عزيمة صريحة، و بصيرة ثابتة نافذة ثاقبة، و ريح هابة غالبة، و نصره من الله واقعه واجبه، و سلطان قاهر، و جد ظاهر، و سيف منصور، تحت عدل مشهور، متحملاً للنصب، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب، حتى لانت الأحوال بعد شدتها، و انكسرت شوكة الفتنة عند حدتها، و لم يبق لها غارب إلا جنبه، و لا نجم لأهلها قرن إلا جدّه فأصبحتم بنعمة الله إخوانا، و بلم أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعوانا، حتى تواترت لديكم الفتوحات، و فتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات و البركات، و صارت وفود الروم وافدة عليه و عليكم، و آمال الأقصين و الأذنين مستخدمة إليه و إليكم، يأتون من كل فج عميق، و بلد سحيق، لأخذ جبل بينه و بينكم جملة و تفصيلاً، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، و لن يخلف الله وعده، و لهذا الأمر ما بعده، و تلك أسباب ظاهرة بادية، تدل على أمور باطنة خافية، دليلها قائم، و جفنها غير نائم وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [النور: ٥٥] الآية، و ليس في تصديق ما وعد الله ارتياب، و لكل نيا مستقر و لكل أجل كتاب، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه، و اسألوه المزيد من نعمائه، فقد أصبحتم بخلافه أمير المؤمنين أيده الله بالعصمة و السداد، و ألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد، أحسن الناس حالاً، و أنعمهم بالآ، و أعزهم قراراً، و أمنهم داراً، و أكثفهم جمعاً، و أجملهم صنعا، لا تهاجون و لا تذادون، و أنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون، فاستعينوا على صلاح أحوالكم، بالمناصحة لإمامكم، و التزام الطاعة لخليفتم و ابن عم نبيكم، صلى الله عليه و سلم، فإن من نزع يدا من الطاعة، و سعى في تفريق الجماعة، و مرق من الدين، فقد خسر الدنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين [الحج: ١١] و قد علمتم أن في التعلق بعصمتها، و التمسك بعروتها، حفظ الأموال و حقن الدماء، و صلاح الخاصة و الدهماء، و أن بقوام الطاعة تقام الحدود، و توفى العهود، و بها وصلت الأرحام، و وضحت الأحكام، و بها سد الله الخلل، و أمن السبل، و وطأ الأكناف، و رفع الاختلاف، و بها طاب لكم القرار، و اطمأنت بكم الدار، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به، فإنه تبارك و تعالی يقول: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: ٥٩]، و قد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين، و صنوف الملحدين، الساعين في شق عصاكم، و تفريق ملاكم، الآخذين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٩٠

في مخاذلة دينكم، و هتك حریمكم، و توهين دعوة نبيكم، صلوات الله و سلامه عليه و على جميع النبيين و المرسلين، أقول قولی هذا و أختم بالحمد لله رب العالمين. مستغفراً الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين.

[ترجمة منذر بن سعيد البلوطي (عن المغرب)]

و ساق ابن سعيد في «المغرب» هذه الحكاية فقال ما صورته: منذر بن سعيد البلوطي، قاضي الجماعة بقرطبة، خطيب مصقع، و له كتب مؤلفة في القرآن و السنة و الورع، و الرد على أهل الأهواء و البدع، شاعر بليغ، ولد سنة خمس و ستين و مائتين، و أول سببه في التعلق بعد الرحمن الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره، أحب أن يقوم الخطباء و الشعراء بين يديه، لذكر جلاله مقعده، و وصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة، و رمى ملوك الأمم بسهام بأسه و نجدته، و تقدّم إلى الأمير الحكم ابنه و وليّ عهده بإعداد من يقوم لذلك من الخطباء، و يقدمه أمام إنشاد الشعراء، فتقدّم الحكم إلى أبي عليّ البغدادي ضيف الخليفة، و أمير الكلام و بحر اللغة، أن يقوم، فقام و حمد الله و أثنى عليه و صلى على نبيه محمد، صلى الله عليه و سلم، ثم انقطع، و بهت فما وصل و لا قطع، و وقف ساكتاً مفكراً، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام قائماً بدرجة من مرقاة أبي علي، و وصل افتتاحه بكلام عجب بهر العقول جزالة، و ملأ الأسماع جلاله، ثم ذكر الخطبة كما سبق، و قال بعد إيرادها ما صورته: فصلب العليج و غلب على قلبه، و قال: هذا كبير القوم، أو كبش القوم، و خرج الناس يتحدّثون عن حسن مقامه، و ثبات جناحه، و بلاغة لسانه، و كان الناصر أشدهم تعجباً منه، و أقبل على ابنه الحكم - و لم يكن يثبت معرفته - فسأله عنه، فقال له: هذا منذر بن سعيد البلوطي،

فقال: و الله لقد أحسن ما شاء، و لئن أخرني الله بعد لأرفعن من ذكره، فضع يدك يا حكم عليه، و استخلصه، و ذكرني بشأنه، فما للصنيعه مذهب عنه، ثم ولاه الصلاة و الخطابة في المسجد الجامع بالزهراء، ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بقرطبة، و أقره على الصلاة بالزهراء.

و من شعره في هذه الواقعة قوله: [الطويل]

مقالى كحدّ السيف وسط المحافل فرقت به ما بين حقّ و باطل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٩١

بقلب ذكّي ترتمي جمراته كبارق رعد عند رعرش الأنامل

فما دحضت رجلى و لا زلّ مقولى و لا طاش عقلى يوم تلك الزلازل

و قد حدّقت حولى عيون إخالها كمثل سهام أثبتت فى المقاتل

لخير إمام كان أو هو كائن لمقتبل أو فى العصور الأوائل

ترى الناس أفواجا يؤمّون بابه و كلّهم ما بين راج و أمل

وفود ملوك الروم وسط فنائه مخافة بأس أو رجاء لنائل

فعرش سالما أقصى حياة مؤمّلا فانت رجاء الكلّ حاف و ناعل

ستملكها ما بين شرق و مغرب إلى درب قسطنطين أو أرض بابل

انتهى كلام ابن سعيد، و هو يؤيد كلام ابن خلدون أن المأمور بالخطبة هو القالى.

و ذكر أن الناصر قال لابنه الحكم بعد أن سأله عنه: لقد حسن ما شاء، فلئن كان حبر خطبته هذه و أعدّها مخافة أن يدور ما دار

فيتلافى الوهى فإنه لبديع من قدرته و احتياطه، و لئن كان أتى بها على البديهة لوقته فإنه لأعجب و أغرب.

قال ابن سعيد: و لَمَّا فرغ منذر من خطبته أنشد: [البسيط]

هذا المقام الذى ما عابه فند لكنّ قائله أزرى به البلد

لو كنت فيهم غريبا كنت مطّرفا لكننى منهم فاغتالنى التّكد

و يروى بدل هذا الشطر:

و لا دهانى لهم بغى و لا حسد

لو لا الخلافة أبقى الله حرمتها ما كنت أراضى بأرض ما بها أحد

قلت: كأنه عرّض بأبى على القالى، و تقدّمهم إياه فى هذا المقام، و الله أعلم.

و من نظم منذر بن سعيد قوله: [المنسرح]

الموت حوض و كلنا نرد لم ينج مما يخافه أحد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٩٢

فلا تكن مغرما برزق غد فلست تدرى بما يجىء غد

و خذ من الدهر ما أتاك به و يسلم الروح منك و الجسد

و الخير و الشّرّ لا تدعه فما فى الناس إلّا التشيع و الحسد

و له و قد آذاه شخص فخاطبه بالكنية، فقيل له: أ يؤذيك و أنت تخاطبه بالكنية؟ فقال:

[الكامل]

لا تعجبوا من أنّى كنيته من بعد ما قد سبنا و أذانا

فأله قد كنتى أبا لهب و ما كناه إلاً خزياً و هوأنا

[ترجمة منذر بن سعيد (في المطمح)]

و قال فى المطمح: منذر بن سعيد البلوطى، آية حركة و سكون، و بركة لم تكن معدة و لا تكون، و آية سفاهة فى تحلم، و جهامة و ورع فى طى تبسم، إذا جدّ وجد، و إذا هزل نزل، و فى كلتا الحالتين لم ينزل للورع من مرقب، و لا- اكتسب إثما و لا احتقّب، و لى قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن، و ناهيك من عدل أظهر، و من فضل أشهر، و من جور قبض، و من حقّ رفع و من باطل خفض، و كان مهيبا صليبا صارما غير جبان و لا عاجز و لا مراقب لأحد من خلق الله فى استخراج حقّ و رفع ظلم، و استمرّ فى القضاء إلى أن مات الناصر لدين الله ثم ولى ابنه الحكم فأقرّه، و فى خلافته استعفى مرارا فما أعفى، و توفى بعد ذلك لم يحفظ عنه مدة ولايته قضيه جور، و لا عدت عليه فى حكومته زلته، و كان غزير العلم، كثير الأدب، متكلم بالحق، متين بالصدق، له كتب مؤلفه فى السنة و القرآن و الورع، و الردّ على أهل الأهواء و البدع، و كان خطيبا بليغا و شاعرا محسنا، ولد عند ولاية المنذر بن محمد، و توفى سنة ٣٥٥، و من شعره فى الزهد قوله: [الخفيف]

كم تصابى و قد علاك المشيب و تعامى عمدا و أنت اللييب؟
كيف تلهو و قد أتاك نذير أن سيأتى الحمام منك قريب
يا سفيها قد حان منه رحيل بعد ذاك الرحيل يوم عصب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٩٣
إنّ للموت سكرة فارتقبها لا يداوى، إذا أتتك، طيب
كم توانى حتى تصير رهينا ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم فاعملن جاهدا له يا ريب
و تذكر يوما تحاسب فيه إن من يدكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر إلاً للمنايا بها عليك رقيب
و لعلنا نذكر شيئا من أحوال منذر فى غير هذا الموضوع.

[رجع لأخبار الناصر لدين الله]

رجع لأخبار الناصر لدين الله- حكى أنه لما أعذر لأولاد ابنه أبى مروان عبيد الله اتّخذ لذلك صنيعا عظيما بقصر الزهراء لم يتخلف أحد عنه من أهل مملكته و أمر أن ينذر لشهوده الفقهاء المشاورون و من يليهم من العلماء و العدول و وجوه الناس، فتخلف من بينهم المشاور أبو إبراهيم، و افتقد مكانه لارتفاع منزلته، فسأل فى ذلك الخليفة الناصر، إذ أبو إبراهيم من أكابر علماء المالكية الذين عليهم المدار، و وجد الناصر بسبب ذلك على أبى إبراهيم، و أمر ابنه و لى العهد الحكم بالكتاب إليه، و التنفيذ له، فكتب إليه الحكم رقعة نسختها: «بسم الله الرحمن الرحيم، حفظك الله و تولّاك! و سدّدك و رعاك! لَمَّا امتحن أمير المؤمنين مولاي و سيدى- أبقاه الله!- الأولياء الذين يستعدّ بهم و جدك متقدّما فى الولاية، متأخرا عن الصلّة، على أنه قد أنذرك- أبقاه الله!- خصوصا للمشاركة فى السرور الذى كان عنده، لا أعدمه الله توالى المسرة، ثم أنذرت من قبل إبلاغا فى التكرمة، فكان منك على ذلك كله من التخلف ما ضاقت عليك فى المعذرة، و استبلغ أمير المؤمنين فى إنكاره و معاتبتك عليه، فأعيت عليك عنك الحجة، فعرفنى- أكرمك الله!- ما العذر الذى أوجب توقفك عن إجابة دعوته، و مشاهدة السرور الذى سرّ به و رغب المشاركة فيه، لنعرفه- أبقاه الله!- بذلك، فتسكن

نفسه العزيزة إليه إن شاء الله تعالى». فأجابه أبو إبراهيم: «سلام على الأمير سيدى و رحمه الله، قرأت - أبقى الله الأمير سيدى! - هذا الكتاب و فهمته، و لم يكن توفقى لنفسى، إنما كان لأمر المؤمنين سيدنا أبقى الله سلطانه، لعلمى بمذهبه، و سكونى إلى تقواه، و اقتفائه لأثر سلفه الطيب رضوان الله عليهم، فإنهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنونها بما يشينها، و لا بما يغض منها و يطرق إلى تنقيصها، يستعدون بها لدينهم، و يتزينون بها عند رعاياهم و من يفد عليهم من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٩٤

قصادهم، فهذا تخلفت، و لعلمى بمذهبه توقفت، إن شاء الله تعالى». فلما أقرأ الحكم أباه الناصر لدين الله جواب أبى إبراهيم إسحاق أعجبه، و استحسنت اعتذاره، و زال ما بنفسه عليه.

و كان الفقيه أبو إبراهيم المذكور معظمًا عند الناصر و ابنه الحكم، و حقّ لهما أن يعظّماه، و قد حكى الفقيه أبو القاسم بن مفرّج قال: كنت أختلف إلى الفقيه أبى إبراهيم - رحمه الله تعالى! - فيمن يختلف إليه للتفقه و الرواية، فإنى لعنده فى بعض الأيام فى مجلسه بالمسجد المنسوب لأبى عثمان الذى كان يصلّى به قرب داره بجوفى قصر قرطبة، و مجلسه حافل بجماعة الطلبة، و ذلك بين الصلاتين، إذ دخل عليه خصى من أصحاب الرسائل، جاء من عند الخليفة الحكم، فوقف و سلم، و قال له: يا فقيه، أجب أمير المؤمنين أبقاه الله، فإنّ الأمر خرج فيك، وها هو قاعد ينتظر، و قد أمرت بإعجالك، فالله الله، فقال له: سمعا و طاعة لأمر المؤمنين، و لا عجلة، فارجع إليه و عرفه و فقهه الله عنى أنك و جدتنى فى بيت من بيوت الله تعالى معى طلاب العلم أسمعهم حديث ابن عمه رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فهم يقيّدونه عنى، و ليس يمكننى ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المعهود لهم فى رضا الله و طاعته، فذلك أوكد من مسيرى إليه الساعة، فإذا انقضى أمر من اجتمع إلى من هؤلاء المحتسبين فى ذات الله الساعين لمرضاته مشيت إليه إن شاء الله تعالى. ثم أقبل على شأنه، و مضى الخصى يهين متضاجرا من توقّفه، فلم يك إلّا ريشما أدى جوابه، و انصرف سريعا ساكن الطيش، فقال له: يا فقيه، أنهيت قولك على نصّه إلى أمير المؤمنين أبقاه الله، فأصغى إليه، و هو يقول لك:

جزاك الله خيرا عن الدين و عن أمير المؤمنين و جماعة المسلمين! و أمتعهم بك! و إذا أنت أوعيت فامض إليه راشدا إن شاء الله تعالى، و قد أمرت أن أبقى معك حتى ينقضى شغلك و تمضى معى، فقال له: حسن جميل، و لكنى أضعف عن المشى إلى باب السّدة، و يصعب على ركوب دابة لشيخوختى و ضعف أعضائى، و باب الصناعة الذى يقرب إلى من أبواب القصر المكرّم أحوط لى و أقرب، و أرفق بى، فإن رأى أمير المؤمنين - أيدّه الله تعالى! - أن يأمر بفتحه لأدخل إليه منه هون على المشى، و ودع جسمى، و أحبّ أن تعود و تنهى إليه ذلك عنى حتى تعرف رأيه فيه، و كذلك تعود إلى فى أراك فتى سديدا، فكن على الخير معينا. و مضى عنه الفتى، ثم رجع بعد حين و قال: يا فقيه، قد أجابك أمير المؤمنين إلى ما سألت، و أمر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٩٥

بفتح باب الصناعة و انتظارك من قبله، و منه خرجت إليك، و أمرت بملازمتك مذكرا بالنهوض عند فراغك، و قال: افعل راشدا. و جلس الخصى جانبا حتى أكمل أبو إبراهيم مجلسه بأكمل و أفسح ما جرت به عادته غير مترعج و لا قلق، فلما انفضضنا عنه قام إلى داره فأصلح من شأنه ثم مضى إلى الخليفة الحكم فوصل إليه من ذلك الباب، و قضى حاجته من لقائه، ثم صرفه على ذلك الباب، فأعيد إغلاقه على إثر خروجه. قال ابن مفرّج: و لقد تعمدنا فى تلك العشيّة إثر قيامنا عن الشيخ أبى إبراهيم المرور بهذا الباب المعهود إغلاقه بدبر القصر لئرى تجسّم الخليفة له، فوجدناه مفتوحا كما وصف الخصى، و قد حفّه الخدم و الأعوان مترعجين ما بين كئاس و فزاش متأهبين لانتظار أبى إبراهيم، فاشتدّ عجبنا لذلك، و طال تحدّثنا عنه، انتهى. فهكذا تكون العلماء مع الملوك و الملوك مع العلماء، قدس الله تلك الأرواح!

ثم توفى الناصر لدين الله ثانى - أو ثالث - شهر رمضان، من عام خمسين و ثلاثمائة، أعظم ما كان سلطانه، و أعزّ ما كان الإسلام بملكه.

قال ابن خلدون: خلف الناصر في بيوت الأموال خمسة آلاف ألف ألف ثلاث مرات، انتهى.

وقال غير واحد: إنه كان يقسم الجباية أثلاثاً: ثلث للجند، وثلث للبناء، وثلث مدّخر، وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكور و القرى خمسة آلاف ألف و أربعمئة ألف و ثمانين ألف دينار، و من السوق و المستخلص سبعمائة ألف و خمسة و ستين ألف دينار، و أما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان.

و حكى أنه وجد بخط الناصر- رحمه الله!- أيام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا و يوم كذا من كذا، و عدت تلك الأيام فكانت أربعة عشر يوماً، فاعجب أيها العاقل لهذه الدنيا و عدم صفائها، و بخلها بكمال الأحوال لأولياها، هذا الخليفة الناصر حلف السعود، المضروب به المثل في الارتقاء في الدنيا و الصعود، ملكها خمسين سنة و ستة- أو سبعة- أشهر و ثلاثة أيام، و لم تصف له إلا أربعة عشر يوماً، فسبحان ذى العزة القائمية، و المملكة الدائمة لا إله إلا هو.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٩٦

و مما ينسب للناصر من الشعر، و قيل: لابنه الحكيم، قوله

[مخلع البسيط]:

ما كلّ شيء فقدت إلاّ عوّضني الله عنه شيئا

إني إذا ما منعت خيري تباعد الخير من يديا

من كان لي نعمة عليه فإنها نعمة عليا

و ممّا زين الله به دولة الناصر و زراؤه الذين من جملتهم ابن شهيد، قال في المطمح:

أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد، مفخر الإمامة، و زهر تلك الكمامة، و صاحب الناصر عبد الرحمن، و حامل الوزارتين على سموها في ذلك الزمان، استقلّ بالوزارة على ثقلها، و تصرّف فيها كيف شاء على حدّ نظرها و التفات مقلها، فظهر على أولئك الوزراء، و اشتهر مع كثرة النظراء، و كانت إمارة عبد الرحمن أسعد إمارة، بعد عنها كلّ نفس بالسوء أماره، فلم يطرقها صرف، و لم يرمقها محذور بطرف، ففرغ الناس فيها هضاب الأمانى و رباها، و رعت ظباؤها في ظلال ظباها، و هو أسد على برائنه رابض، و بطل أبدا على قائم سيفه قابض، يروع الروم طيفه، و يجوس خلال تلك الديار خوفه، و يروى بل يحسم كلّ آونه سيفه، و ابن شهيد ينتج الآراء و يلقحها، و ينقد تلك الأنحاء و ينقحها، و الدولة مشتملة بغنائها، متجمّلة بسنائها، و كرمه منتشر على الآمال، و يكسو الأولياء بذلك الإجمال، و كان له أدب تزخر لججه، و تبهر حججه، و شعره رقيق لا ينقد، و يكاد من اللطافة يعقد، فمن ذلك قوله:

[الطويل]

ترى البدر منها طالعا فكأتما يجول و شاحاها على لؤلؤ رطب

بعيدة مهوى القرط مخطفه الحشا و مفعمة الخلخال مفعمة القلب

من اللآء لم يرحلن فوق رواحل و لا سرن يوما في ركاب و لا ركب

و لا أبرزتهن المدام لنشوة و شدو كما تشدو القيان على الشرب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٩٧

و كان بينه و بين الوزير عبد الملك بن جمهور متولّى الأمر معه، و مشاركته في التدبير إذا حضر مجتمعه، منافسة، لم تنفصل لهما بها مداخلة و لا ملابسة، و كلاهما يتربّص بصاحبه دائرة السوء، و يغصّ به غصص الأفق بالتوء، فاجتاز يوما على ربه، و مال إلى زيارته و لم تكن من غرضه، فلما استأمر عليه، تأخر خروج الإذن إليه، فثنى عنانه حنقا من حجابها، و ضجرا من حجابه، و كتب إليه معرضا، و

كان يلقّب بالحمار: [الطويل]

أتيانك لا عن حاجة عرضت لنا إليك و لا قلب إليك مشوق
و لكننا زرنا بفضل حلومنا فكيف تلاقى بزنا بعقوق
فراجعه ابن جمهور يغض منه، بما كان يشيع عنه، بأن جدّه أبا هشام، كان يطارا بالشام، بقوله: [الطويل]
حجبتناك لما زرتنا غير تائق بقلب عدوّ في ثياب صديق
و ما كان يطار الشّام بموضع يباشر فيه بزنا بخليق
و من شعره قوله يتغزل: [الوافر]
حلفت بمن رمى فأصاب قلبي و قلبه على جمر الصّدود
لقد أودى تذكّره بقلبي و لست أشكّ أنّ النّفس تودى
فقيد و هو موجود بقلبي فوا عجباً لموجود فقيد
و قد تقدّم الكلام على هديّة ابن شهيد و بعض أخباره، رحمه الله عليه!

[الحكم المستنصر بالله]

و لما توفي الناصر لدين الله تولّى الخلافة بعده ولّى عهده الحكم المستنصر بالله فجرى على رسمه، و لم يفقد من ترتيبه إلّا شخصه، و
ولى حجابته جعفر المصحفى.

و أهدى له يوم ولايته هديّة كان فيها من الأصناف ما ذكره ابن حيان فى «المقتبس» و هى:
مائة مملوك من الإفرنج ناشبه على خيول صافئه كاملو الشّكّة و الأسلحة من السيوف و الرماح و الدّرق و التّراس و القلانس الهندية،
و ثلاثمائة و نيف و عشرون درعا مختلفة الأجناس، و ثلاثمائة
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٩٨

خوذة كذلك، و مائة بيضة هندية، و خمسون خشبية من بيضات الفرنجة من غير الخشب يسمونها الطاشانية، و ثلاثمائة حربة إفرنجية،
و مائة ترس سلطانية، و عشرة جواشن فضة مذهبة، و خمسة و عشرون قرنا مذهبة من قرون الجاموس، انتهى.

قال ابن خلدون: و لأوّل وفاة الناصر طمع الجلالقة فى الثغور، فغزا الحكم المستنصر بنفسه، و اقتحم بلد فرلند بن غندشلب، فنازل شنت
إشتين و فتحها عنوة و استباحها، و قفل، فبادروا إلى عقد السلم معه و انقبضوا عمّا كانوا فيه. ثم أغزى غالبا مولاه بلاد جليقية و سار
إلى مدينة سالم لدخول دار الحرب، فجمع له الجلالقة، و لقيهم، فهزمهم و استباحهم و أوطأ العساكر بلد فرلند و دوّخها، و كان
شانجه بن رذمير ملك البشكنس قد انتقض، فأغزاه الحكم التجيبى صاحب سرقسطة فى العساكر. و جاء ملك الجلالقة لنصره،
فهزمهم، و امتنعوا بقوريّة، و عاثوا فى نواحيها، و قفل، ثم أغزى الحكم أحمد بن يعلى و يحيى بن محمد التجيبى إلى بلاد برشلونه،
فعاثت العساكر فى نواحيها، و أغزى هذيل بن هاشم و مولاه غالبا إلى بلاد القومس، فعاثا فيها، و قفلا، و عظمت فتوحات الحكم و
قوّد الثغور فى كل ناحية، و كان من أعظمها فتح قلمرية من بلاد البشكنس على يد غالب، فعمرها الحكم، و اعتنى بها، ثم فتح قطوبية
على يد قائد و شقة و غنم فيها من الأموال و السلاح و الأقوات و الأثاث و فى بسيتها من الغنم و البقر و الرّمك و الأطعمة و السبى ما
لا يحصى.

و فى سنة أربع و خمسين سار غالب إلى بلد ألبه، و معه يحيى بن محمد التجيبى و قاسم بن مطرف بن ذى النون، فابتنى حصن غرماج
و دوّخ بلادهم، و انصرف. و ظهرت فى هذه السنة مراكب المجوس فى البحر الكبير، و أفسدوا بسائط أشبونه و ناشبهم الناس القتال،
فرجعوا إلى مراكبهم، و أخرج الحكم القوّد لاحتراس السواحل، و أمر قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بتعجيل حركة الأسطول. ثم
وردت الأخبار بأن العساكر نالت منهم فى كل جهة من السواحل.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٢٩٩

ثم كانت وفاة أردون بن أذفونش ملك الجلائقة، وذلك أن الناصر لما أعان عليه شانجه بن ردمير - وهو ابن عمه، وهو الملك من قبل أردون- وحمل النصرانية على طاعته. واستظهر أردون بصهره فردلند قومس قشتيلة، توقع مظاهره الحكم لشانجه كما ظاهره أبوه الناصر، فبادر إلى الوفاة على الحكم مستجيرا به، فاحتفل لقدمه، وعبى العساكر ليوم وفادته، وكان يوما مشهودا وصفه ابن خيآن كما وصف أيام الوفادات قبله. ووصل إلى الحكم، وأجلسه، ووعده بالنصر من عدوه، وخلع عليه، وكتب بوصوله ملقيا بنفسه، وعاقده على موالاته الإسلام، ومقاطعة فردلند القومس وأعطى على ذلك صفقة يمينه، ورهن ولده غرسيه، ودفعت الصيالات والحملان له ولأصحابه. وانصرف معه وجوه نصارى الذمة ليوطدوا له الطاعة عند رعيتته، ويقبضوا رهنه.

وعند ذلك بعث ابن عمه شانجه بن ردمير ببيعته وطاعته مع قواميس أهل جليقية وسمورة وأساقفتهم، يرغب في قبوله، ويمت بما فعل أبوه الناصر معه، فتقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والأبراج القريبة من ثغور المسلمين.

ثم بعث ملكا برشلونه وطركونه وغيرهما يسألان تجديد الصلح وإقرارهما على ما كانا عليه، وبعثا بهديته، وهي: عشرون صبيًا من الخصيان الصقالبة، وعشرون قطارا من صوف السمور، وخمسة قناطير من القصدير، وعشرة أدرع صقليية، ومائتا سيف فرنجية، فتقبل الهدية وعقد على أن يهدموا الحصون التي تضر بالثغور، وأن لا يظاهروا عليه أهل ملتهم، وأن يندروا بما يكون من النصارى في الإجلاب على المسلمين.

ثم وصلت رسل غرسيه بن شانجه ملك البشكنس في جماعة من الأساقفة والقواميس يسألون الصلح، بعد أن كان توقّف وأظهر المكر، فقعد لهم الحكم، فاغبتوا ورجعوا.

ثم وفدت على الحكم أم لذريرق بن بلاشك القومس بالقرب من جليقية، وهو القومس الأكبر، فأخرج الحكم لتلقيها أهل دولته، واحتفل لقدمها في يوم مشهود مشهور، فوصلت وأسعت، وعقد السلم لابنها كما رغبت، ودفع لها مالا تقسمه بين وفدها، دون ما وصلت به هي، وحملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفة ديباج. ثم عاودت مجلس الحكم للوداع، فعاودها بالصلوات لسفرها، وانطلقت.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٠٠

ثم أوطأ عساكره أرض العدو من المغرب الأقصى والأوسط، وتلقى دعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة، فبثوها في أعمالهم، وخطبوا بها على منابهم، وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم. ووفد عليه من بني خزر وبني أبي العافية، فأجزل صلحتهم، وأكرم وفادتهم، وأحسن منصرفهم، واستنزل بني إدريس من ملكهم بالعدوة في ناحية الزيف. وأجازهم البحر إلى قرطبة، ثم أجلاهم إلى الإسكندرية.

وكان محبا للعلوم، مكرما لأهلها، جماعا للكتب في أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله، قال أبو محمد بن حزم: أخبرني تليد الخصى - وكان على خزانه العلوم والكتب بدار بني مروان - أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفي كل فهرسة عشرون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير، وأقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت إليها بضائعه من كل قطر. قال أبو محمد بن خلدون: ولما وفد على أبيه أبو علي القالى صاحب كتاب «الأمالي» من بغداد أكرم مثواه، وحسنت منزلته عنده، وأورث أهل الأندلس علمه، واختص بالحكم المستنصر، واستفاد علمه.

وكان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار، ويرسل إليهم الأموال لشرائها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه. وبعث في كتاب «الأغاني» إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني، وكان نسبه في بني أمية، وأرسل إليه ألف دينار من الذهب العين، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرج إلى العراق. وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم، وأمثال ذلك. وجمع بداره الحدائق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد، فأوعى من ذلك كله، و

اجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده، إلا ما يذكر عن الناصر العباسي بن المستضىء. ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها في حصار البربر، وأمر بإخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالى المنصور بن أبي عامر. ونهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم إياها عنوة، انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٠١

و لنسب الكلام على الحكم فنقول: إن الحكم المستنصر اعتلى سرير الملك ثاني يوم وفاة أبيه يوم الخميس، وقام بأعباء الملك أتم قيام، وأنفذ الكتب إلى الآفاق بتمام الأمر له، ودعا الناس إلى بيعته، واستقبل من يومه النظر في تمهيد سلطانه، و تثقيف مملكته، و ضبط قصوره، و ترتيب أجناده، و أول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره الفتیان المعروفين بالخلفاء الأكابر، كجعفر صاحب الخيل و الطراز و غيره من عظمائهم، و تكفلوا بأخذها على من وراءهم و تحت أيديهم من طبقتهم و غيرهم، و أوصل إلى نفسه في الليل دون هؤلاء الأكابر من الكتّاب و الوصفاء و المقدمين و العرفاء، فبايعوه، فلما كملت بيعة أهل القصر تقدّم إلى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض إلى أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله المتخلف بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة، و تقدّم إلى موسى بن أحمد بن حدير بالنهوض أيضا إلى أبي الأصبح عبد العزيز شقيقه الثاني، فمضى إليهما كل واحد منهما في قطيع من الجند، و أتيا بهما إلى قصر مدينة الزهراء، و نفذ غيرهما من وجوه الرجال في الخيل لإتيان غيرهما من الإخوة، و كانوا يومئذ ثمانين، فوافي جميعهم الزهراء في الليل، فنزلوا في مراتبهم بفصلان دار الملك، و قعدوا في المجلسين الشرقي و الغربي، و قعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الأوسط من الأبهاء المذهبة القبلية التي في السطح الممرد، فأول من وصل إليه الإخوة فبايعوه، و أنصتوا لصحيفة البيعة، و التزموا الأيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها، ثم بايع بعدهم الوزراء و أولادهم و إخوتهم، ثم أصحاب الشرطة و طبقات أهل الخدمة، و قعد الإخوة و الوزراء و الوجوه عن يمينه و شماله، إلا عيسى بن فطيس فإنه كان قائما يأخذ البيعة على الناس، و قام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة، فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتیان يمينا و شمالا إلى آخر البهو كل منهم على قدره في المنزلة، عليهم الظهائر البيض شعار الحزن، قد تقلدوا فوقها السيوف، ثم تلاهم الفتیان الوصفاء، عليهم الدروع السابغة و السيوف الحالية صفين منتظمين في السطح، و في الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتیان الصقالبة الخصيان لابسين البياض، بأيديهم السيوف، يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة، ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم و جعابهم، ثم وصلت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٠٢

صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين في الأسلحة الرائقة و العدة الكاملة، و قامت التعبية في دار الجند و الترتيب من رجاله العبيد عليهم الجواشن و الأقبية البيض، و على رؤوسهم البيضات الصقلية، و بأيديهم التراس الملونة و الأسلحة المزيّنة، انتظموا صفين إلى آخر الفصل، و على باب السدة الأعظم البوابون و أعوانهم، و من خارج باب السدة فرسان العبيد إلى باب الأقباء، و اتصل بهم فرسان الحشم و طبقات الجند و العبيد و الرماة، موكبا إثر موكب، إلى باب المدينة الشارع إلى الصحراء، فلما تمت البيعة أذن للناس بالانفضاض، إلا الإخوة و الوزراء و أهل الخدمة فإنهم مكثوا بقصر الزهراء إلى أن احتفل جسد الناصر - رحمه الله! - إلى قصر قرطبة للدفن هنالك في تربة الخلفاء.

و في ذى الحجة من سنة خمسين تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد للبيعة و التماس المطالب، من أهل طليطلة و غيرها من قواعد الأندلس و أصقاعها، فتوصلوا إلى مجلس الخليفة بمحضر جميع الوزراء و القاضي منذر بن سعيد و الملاء، فأخذت عليهم البيعة، و وقعت الشهادات في نسخها.

و في آخر صفر من سنة إحدى و خمسين أخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله موليه محمدا و زيادا ابني أفلح الناصري بكتيبة من الحشم لتلقى غالب الناصر بالذي خرجوا إليه صاحب مدينة سالم المورد للطاغية أردون بن أذفونش الخبيث في الدولة المتملكة على طوائف من أمم الجلالقة و المنازع لابن عمه المملوك قبله شانجه بن ردمير، و تبرع هذا اللعين أردون بالمسير إلى باب المستنصر بالله

من ذاته، غير طالب إذن ولا مستظهر بعهد، وذلك عندما بلغه اعتزام الحكم المستنصر بالله في عامه ذلك على الغزو إليه، وأخذه في التأهب له، فاحتال في تأميل المستنصر بالله والارتماء عليه، وخرج قبل أمان يفقد له أو ذميمة تعصمه في عشرين رجلا من وجوه أصحابه، تكتفهم غالب الناصري الذي خرجوا إليه، فجاء به نحو مولاة الحكم، و تلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور فأنزلهم، ثم تحرّكا بهم ثانی يوم نزولهم إلى قرطبة، فأخرج المستنصر بالله إليهم هشاما المصحفي في جيش عظيم كامل التعبية، وتقدّموا إلى باب قرطبة، فمروا بباب قصرها، فلما انتهى أردون إلى ما بين باب السدة و باب الجنان سأل عن مكان رمس الناصر لدين الله فأشير إلى ما يوازي موضعه من داخل القصر في الروضة، فخلع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٠٣

قلنسوته، و خضع نحو مكان القبر، و دعا، ثم ردّ قلنسوته إلى رأسه. و أمر المستنصر بإنزال أردون في دار الناعورة، و قد كان تقدّم في فرشها بضروب الغطاء و الوطاء، و انتهى من ذلك إلى الغاية، و توسّع له في الكرامة و لأصحابه، فأقام بها الخميس و الجمعة، فلما كان يوم السبت تقدّم المستنصر بالله باستدعاء أردون و من معه بعد إقامة الترتيب و تعبئة الجيوش و الاحتفال في ذلك من العدد و الأسلحة و الزينة، و قعد المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من مجالس السطح، و قعد الإخوة و بنوهم و الوزراء و نظراؤهم صفّا في المجلس، فيهم القاضي منذر بن سعيد و الحكّام و الفقهاء، فأتى محمد بن القاسم بن طملس بالملك أردون و أصحابه و عالي لبوسه ثوب ديباجي روميّ أبيض و يلبوال من جنسه و في لونه، و على رأسه قلنسوة رومية منظومة بجوهر، و قد حفته جماعة من نصارى و جوه الذميمة بالأندلس يؤنسونه و يبصرونه، فيهم وليد بن حيزون قاضي النصاري بقرطبة و عبيد الله بن قاسم مطران طليطلة و غيرهما، فدخل بين صفّي الترتيب يقبّل الطرف في نظم الصفوف، و يجيل الفكر في كثرتها و تظاهر أسلحتها و رائق حليتها، فراعهم ما أبصروه، و صلّبوا على وجوههم، و تأملوا ناكسي رؤوسهم غاضين من أجفانهم قد سكرت أبصارهم حتى وصلوا إلى باب الأقباء أوّل باب قصر الزهراء، فترجّل جميع من كان خرج إلى لقائه، و تقدّم الملك أردون و خاصية قوامسه على دوابهم، حتى انتهوا إلى باب السدة، فأمر القوامس بالترجّل هنالك و المشى على الأقدام، فترجّلوا.

و دخل الملك أردون وحده راكبا مع محمد بن طملس، فأنزل في برطل البهو الأوسط من الأبهاء القبليّة التي بدار الجند على كرسي مرتفع مكسوّ الأوصال بالفضة، و في هذا المكان بعينه نزل قبله عدوّه و مناوئه شانجه بن ردمير الوافد على الناصر لدين الله - رحمه الله تعالى! - فقعد أردون على الكرسي، و قعد أصحابه بين يديه، و خرج الإذن لأردون الملك من المستنصر بالله بالدخول عليه، فتقدّم يمشى و أصحابه يتبعونه إلى أن وصل إلى السطح، فلما قابل المجلس الشرقي الذي فيه المستنصر بالله وقف و كشف رأسه و خلع برنسه، و بقى حاسرا إعظاما لما بان له من الدنو إلى السرير، و استنهض، فمضى بين الصّفين المرتبين في ساحة السطح،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٠٤

إلى أن قطع السطح و انتهى إلى باب البهو، فلما قابل السرير خرّ ساجدا سويعة، ثم استوى قائما، ثم نهض خطوات، و عاد إلى السجود، و والى ذلك مرارا إلى أن قدم بين يدي الخليفة و أهوى إلى يده فناوله إياها و كثر راعها مقهقرا على عقبه إلى و ساد ديباج مثقل بالذهب، جعل له هنالك، و وضع على قدر عشرة أذرع من السرير، فجلس عليه، و البهر قد علاه، و أنهض خلفه من استدنى من قوامسه و أتباعه، فدنا ممتلين في تكرير الخنوع، و ناولهم الخليفة يده فقبلوها و انصرفوا مقهقرين فوقفوا على رأس ملكهم، و وصل بوصولهم وليد بن حيزون قاضي النصاري بقرطبة، فكان الترجمان عن الملك أردون ذلك اليوم، فأطرق الحكم عن تكليم الملك أردون إثر قعوده أمامه وقتا كيما يفرخ روعه. فلما رأى أن قد خفّض عليه افتتح تكليمه فقال: ليسرّك إقبالك و يغبطك تأميلك، فلدينا لك من حسن رأينا و رحب قبولنا فوق ما قد طلبته، فلما ترجم له كلامه إياه تطلق وجه أردون، و انحطّ عن مرتبته، فقبل البساط، و قال: أنا عبد أمير المؤمنين، مولاي، المتورّك على فضله، القاصد إلى مجده، المحكم في نفسه و رجاله، فحيث وضعني من فضله و عوّضني من خدمته رجوت أن أتقدّم فيه بتيّة صادقة، و نصيحة خالصة، فقال له الخليفة: أنت عندنا بمحلّ من يستحقّ حسن

رأينا، و سينالك من تقديمنا لك و تفضيلنا إياك على أهل ملتك ما يغبطك، و تتعرف به فضل جنوحك إلينا، و استظلالك بظل سلطاننا، فعاد أردون إلى السجود عند فهمه مقالة الخليفة، و ابتهل داعيا، و قال: إن شانجه ابن عمي تقدم إلى الخليفة الماضي مستجيرا به مني، فكان من إغرازه إياه ما يكون من مثله من أعظم الملوك و أكارم الخلفاء لمن قصدهم و أملمهم، و كان قصده قصد مضطر قد شأته رعيتته، و أنكرت سيرته، و اختارتني لمكانه من غير سعي مني علم الله ذلك، و لا دعاء إليه، فخلعته و أخرجته عن ملكه مضطرا مضطهدا، فتطول عليه - رحمه الله! - بأن صرفه إلى ملكه، و قوى سلطانه، و أعز نصره، و مع ذلك فلم يقيم بفرض النعمة التي أسديت إليه، و قصر في أداء المفروض عليه و حقه و حق مولاي أمير المؤمنين من بعده، و أنا قد قصدت باب أمير المؤمنين لغير ضرورة من قرارة سلطاني و موضع أحكامي، محكما له في نفسي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٠٥

و رجالي و معاقلي و من تحويه من رعيتي، فشتان ما بيننا بقوة الثقة و مطرح الهمة، فقال الخليفة: قد سمعنا قولك، و فهمنا مغزاك، و سوف يظهر من إقراضنا إياك على الخصوصي شأنه، و يترادف من إحساننا إليك أضعاف ما كان من أينا - رضى الله تعالى عنه! - إلى نذك، و إن كان له فضل التقدم بالجنوح إلينا و القصد إلى سلطاننا، فليس ذلك مما يؤخرك عنه، و لا ينقصك مما أئناك، و سنصرفك مغبوطا إلى بلدك، و نشد أوأخي ملكك و نملكك جميع من انحاش إليك من أمتك و نعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك نقر به حد ما بينك و بين ابن عمك، و نقبضه عن كل ما بتصرفه من البلاد إلى يدك، و سترادف عليك من إفضالنا فوق ما احتسبته، و الله على ما نقول و كيل. فكرر أردون الخضوع، و أسهب في الشكر، و قام للانصراف مقهقرا لا يولى الخليفة ظهره، و قد تكلفه الفتیان [من جملة الفتیان]، فأخرجوه إلى المجلس الغربي في السطح، و قد علاه البهر و أذهله الزرع، من هول ما باشره، و جلاله ما عاينه من فخامة الخليفة و بهاء العزة، فلما أن دخل المجلس و وقعت عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه انحط ساجدا إعظاما له، ثم تقدم الفتیان به إلى البهو الذي بجوفى هذا المجلس، فأجلسوه هنالك على و ساد مثقل بالذهب، و أقبل نحوه الحاجب جعفر، فلما بصر به قام إليه و خضع له، و أوأ إلى تقبيل يده، فقبضها الحاجب عنه، و انحنى إليه فعانقه، و جلس معه، فغبطه، و وعده من إنجاز عادات الخليفة له بما ضاعف سروره، ثم أمر الحاجب جعفر فصبت عليه الخلع التي أمر له بها الخليفة، و كانت دراعة منسوجة بالذهب، و برنسا مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجواهر و الياقوت ملأت عين العليج تجلة، فخر ساجدا، و أعلن بالدعاء، ثم دعا الحاجب أصحابه رجلا- رجلا- فخلع عليهم على قدر استحقاقهم، فكمل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم، و خر جميعهم خاضعين شاكرين، ثم انطلق الملك أردون و أصحابه، و قدم لركابه في أول البهو الأوسط فرس من عتاق خيل الركاب عليه سرج حلبي و لجام حلبي مفرغ، و انصرف مع ابن طملس إلى قصر الرصافة مكان تضييفه،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٠٦

و قد أعد له فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة و الفرش و الماعون، و استقر أصحابه فيما لا كفاء له من سعة التضييف و إرغاد المعاش. و استشعر الناس من مسرة هذا اليوم و عزة الإسلام فيه ما أفاضوا في التبجح به و التحدث عنه أياما، و كانت للخطباء و الشعراء بمجلس الخليفة في هذا اليوم مقامات حسان، و إنشادات لأشعار محكمة متان، يطول القول في اختيارها، فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المرادى من قصيدة حيث يقول: [الكامل]

ملك الخليفة آية الإقبال و سعوده موصوله بنوال
و المسلمون بعزة و برفعة و المشركون بذلة و سفال
ألتق بأيديها الأعاجم نحوه متوقعين لصوله الرئبال
هذا أميرهم أتاه آخذا منه أواصر ذمة و حبال
متواضعا لجلاله متخشعا متبرعا لما يرع بقتال

سينال بالتأميل للملك الرضا عزا يعمّ عداه بالإذلال
لا يوم أعظم للولاء مسرّة و أشدّه غيظا على الأقبال
من يوم أردون الذي إقباله أمل المدى و نهاية الإقبال
ملك الأعاجم كلّها ابن ملوكها والى الرّعاء إلى الأعاجم والى
إن كان جاء ضرورة فلقد أتى عن عزّ مملكه وطوع رجال
فالحمد لله المنيل إمامنا حظّ الملوك بقدره المتعالى
هو يوم حشر الناس إلّا أنهم لم يسألوا فيه عن الأعمال
أضحى الفضاء مفعّما بجيوشه و الأفق أقتم أغبر السربال
لا يهتدى السارى لليل قتامه إلّا بضوء صوارم و عوالى
و كأن أجسام الكماء تسرّبت مذ عزّيت عنه جسوم صلال
و كأنما العقبان عقبان الفلا منقّضه لتخطّف الضلال
و كأن مقتضب القنا مهترّة أشطان نازحه بعيدة جال
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٠٧
و كأنما قبل التجافيف اكتست نارا تؤجّجها بلا إشعال

[صفات المستنصر، و غايته بالكتب و وفاته]

و قال بعض المؤرخين فى حق الحكم المستنصر عن فتاه تليد صاحب خزائنه العلميه فيما حدّث عنه الحافظ أبو محمد بن حزم: إنّ
عدّه الفهارس التى فيها تسميه الكتب أربع و أربعون فهرسه فى كل فهرسه عشرون ورقه ليس فيها إلّا ذكر الدواوين فقط، انتهى. و قد
قدّمناه عن ابن خلدون، و نقله ابن الأبار فى التكملة.

و قال بعض المؤرخين فى حق الحكم: إنه كان حسن السيره، مكرّما للقادمين عليه، جمع من الكتب ما لا يحّد و لا يوصف كثرة و
نفاسه، حتى قيل: إنها كانت أربعمائنه ألف مجلد، و إنّهم لما نقلوها أقاموا ستّه أشهر فى نقلها، و كان عالما نبيها، صافى السيره، و
سمع من قاسم بن أصبغ و أحمد بن دحيم و محمد بن عبد السلام الخشنى و زكريا بن خطاب و أكثر عنه، و أجاز له ثابت بن قاسم، و
كتب عن خلق كثير سوى هؤلاء. و كان يستجلب المصنّفات من الأقاليم و النواحي باذلا فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها
خزائنه، و كان ذا غرام بها، قد أثر ذلك على لذات الملوك، فاستوسع علمه، و دقّ نظره، و جمّت استفادته، و كان فى المعرفة
بالرجال و الأخبار و الأنساب أحوذيا نسيج وحده، و كان ثقة فيما ينقله، بهذا وصفه ابن الأبار و بأضعافه، و قال: عجبا لابن الفرضى و
ابن بشكوال كيف لم يذكره و قلّما يوجد كتاب من خزائنه إلّا و له فيه قراءة أو نظر فى أى فنّ كان و يكتب فيه نسب المؤلف و
مولده و وفاته و يأتى من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلّا عنده لعنايته بهذا الشأن.

و مما ينسب إليه من النظم قوله: [الطويل]

إلى الله أشكو من شمائل مسرف على ظلوم لا يدين بما دنت
نأت عنه دارى فاستزاد صدوده و إنّى على وجدى القديم كما كنت
و لو كنت أدرى أنّ شوقى بالغ من الوجد ما بلغته لم أكن بنت

و قوله: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٠٨

عجبت، وقد ودعتها، كيف لم أمت و كيف انثت بعد الوداع يدى معى
 فىا مقلتى العبرى، عليها اسكىبى دما و يا كبدى الحرى، عليها تقطعى
 و توفى - رحمه الله تعالى! - بقصر قرطبة ثانى صفر سنة ست و ستين و ثلاثمائة، لست عشرة سنة من خلافته، و كان أصابه الفالج، فلزم
 الفراش إلى أن هلك - رحمه الله تعالى! - و كان قد شدّد فى إبطال الخمر فى مملكته تشديدا عظيما.
 و لى بعده ابنه هشام صغيرا سنّه تسع سنين، و لا ينافيه قول ابن خلدون: «قد ناهز الحلم» و كان الحكم قد استوزر له محمد بن أبى
 عامر، و نقله من خطه القضاء إلى وزارته، و فوض إليه أموره، فاستقل.

[ولاية هشام بن الحكم و تسلط ابن أبى عامر]

قال ابن خلدون: و ترقّت حال ابن أبى عامر عند الحكم، فلما توفى الحكم و بويع هشام و لقب المؤيد بعد أن قتل ليلتذ المغيرة أخو
 الحكم المرشح لأمره تناول الفتك به محمد بن أبى عامر هذا بممالة من جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أبيه، و غالب مولى
 الحكم صاحب مدينة سالم، و من خصيان القصر يومئذ و رؤسائهم فاتن و جؤذر، فقتل ابن أبى عامر المغيرة بممالة من ذكر، و تمت
 البيعة لهشام. ثم سما لابن أبى عامر أمل فى التغلب على هشام لمكانه فى السن، و تاب له رأى فى الاستبداد، فمكر بأهل الدولة، و
 ضرب بين رجالها، و قتل بعضا ببعض. و كان من رجال اليمينية من معافر، دخل جدّه عبد الملك على طارق، و كان عظيما فى قومه، و
 كان له فى الفتح أثر، و عظم ابن أبى عامر هذا، و غلب على المؤيد، و منع الوزراء من الوصول إليه إلّا فى النادر من الأيام يسلمون و
 ينصرفون. و أرضخ للجند فى العطاء، و أعلى مراتب العلماء، و قمع أهل البدع، و كان ذا عقل و رأى و شجاعة و بصر بالحروب و دين
 متين. ثم تجرّد لرؤساء الدولة ممّن عانده و زاحمه، فمال عليهم، و حطّهم عن مراتبهم، و قتل بعضا ببعض، كلّ ذلك عن هشام و خطّه
 و توقيعه حتى استأصلهم و فرق جموعهم. و أول ما بدأ بالصقالبه الخصيان الخدام بالقصر، فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم،
 فنكبهم و أخرجهم من القصر، و كانوا ثمانمائة أو يزيدون، ثم أصره إلى غالب مولى الحكم، و بالغ فى خدمته و التّصّح له، و استعان
 به على المصحفي فنكبه و محأثره من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٠٩

الدولة، ثم استعان على غالب بجعفر بن أحمد بن على بن حمدون صاحب المسيلة و قائد الشيعة ممدوح بن هانىء بالفائيه المشهورة
 و غيرها، و هو النازع إلى الحكم أول الدولة بمن كان معه من زناته و البربر. ثم قتل جعفرًا بممالة ابن عبد الودود و ابن جهور و ابن
 ذى النون و أمثالهم من أولياء الدولة من العرب و غيرهم. ثم لما خلا الجوّ من أولياء الخلافة و المرشحين للرياسة رجع إلى الجند،
 فاستدعى أهل العدو من رجال زناته و البرابرة فرتبّ منهم جندا، و اصطنع أولياء، و عرّف عرفاء من صنهاعة و مغراوة و بنى يفرن و
 بنى برزال و مكناسة و غيرهم، فتغلب على هشام و حجره، و استولى على الدولة، و ملأ الدنيا و هو فى جوف بيته؛ من تعظيم الخلافة،
 و الخضوع لها، و ردّ الأمور إليها، و ترديد الغزو و الجهاد، و قدّم رجال البرابرة و زناته، و أخر رجال العرب و أسقطهم عن مراتبهم،
 فتّم له ما أراد من الاستقلال بالملك و الاستبداد بالأمر، و بنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة. و نقل إليها خزائن الأموال و الأسلحة،
 و قعد على سرير الملك، و أمر أن يحيّا بتحية الملوك، و تسمى بالحاجب المنصور، و نفذت الكتب و المخاطبات و الأوامر باسمه، و
 أمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقد الدعاء للخليفة، و محا رسم الخلافة بالجملة، و لم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من
 الدعاء على المنابر و كتب اسمه فى السكة و الطرز، و أغفل ديوانه ممّا سوى ذلك. و جند البرابرة و المماليك، و استكثر من العبيد و
 العلوج للاستيلاء على تلك الرتبة، و قهر من تناول إليها من العلية، فظفر من ذلك بما أراد، و ردّد الغزو بنفسه إلى دار الحرب، فغزا
 سّيا و خمسين غزوة فى سائر أيام ملكه لم تنتكس له فيها رايه، و لا فلّ له جيش، و ما أصيب له بعث، و ما هلكت له سرية، و أجاز
 عساكره إلى العدو، و ضرب بين ملوك البرابرة، و ضرب بعضهم.

بعض، فاستوثق له ملك المغرب، وأخبت له ملوك زناتة، و انقادوا لحكمه، و أطاعوا سلطانه، و أجاز ابنه عبد الملك إلى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر، و لَمَّا سخط زيرى بن عطية ملكهم لَمَّا بلغه ما بلغه من إعلانه بالنيل منه و الغص من منصبه و التأفف لحجر الخليفة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣١٠

هشام أوقع به عبد الملك سنة ست و ثمانين، و نزل بفاس و ملكها، و عقد لملوك زناتة على ممالك المغرب و أعماله من سجالماسه و غيرها، و شرد زيرى بن عطية إلى تاهرت، فأبعد المفز، و هلك في مفزه ذلك. ثم قفل عبد الملك إلى قرطبة، و استعمل واضحا على المغرب. و هلك المنصور أعظم ما كان ملكا، و أشد استيلاء، سنة أربع و تسعين و ثلاثمائة، بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته، و دفن هنالك، و ذلك لسبع و عشرين سنة من ملكه، انتهى كلام ابن خلدون، و بعضه بالمعنى و زيادة يسيرة.

و لا بأس أن نزيد عليه فنقول: ممّا حكى أنه مكتوب على قبر المنصور رحمه الله تعالى: [الكامل]

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله أبدا، و لا يحمي الثغور سواه

و عن شجاع مولى المستعين بن هود: لَمَّا توجّهت إلى أذفونش وجدته في مدينة سالم، و قد نصب على قبر المنصور بن أبي عامر سريره، و امرأته متكئة إلى جانبه، فقال لى: يا شجاع، أما ترانى قد ملكت بلاد المسلمين، و جلست على قبر ملكهم؟ قال: فحملتنى الغيرة أن قلت له: لو تنفس صاحب هذا القبر و أنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه، و لا استقرّ بك قرار، فهم بي، فحالت امرأته بينى و بينه، و قالت: صدقك فيما قال، أ يفخر مثلك بمثل هذا؟.

[ترجمة المنصور بن أبي عامر من كلام ابن سعيد]

و هذا تلخيص ترجمة المنصور من كلام ابن سعيد: قال رحمه الله: ترجمة الملك الأعظم المنصور أبى عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، المعافى، من قرية تركش، و عبد الملك جدّه هو الوافد على الأندلس مع طارق فى أول الداخلين من العرب، و أمّا المنصور فقد ذكره ابن حيان فى كتابه المخصوص

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣١١

بالدولة العامرية، و الفتح فى المطمح، و الحجارى فى المسهب، و الشقندى فى الطرف، و ذكر الجميع أن أصله من قریش تركش، و أنه رحل إلى قرطبة، و تأدّب بها، ثم اقتعد دكانا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعن له كتب من الخدم و المرافقين للسلطان، إلى أن طلبت السيدة صبح أم المؤيد من يكتب عنها، فعرفها به من كان يأنس إليه بالجلوس من فتیان القصر، فترقى إلى أن كتب عنها، فاستحسنته، و نبهت عليه الحكم، و رغبت فى تشريفه بالخدمة، فولّاه قضاء بعض المواضع، فظهرت منه نجابة، فترقى إلى الزكاه و المواردى بإشبيلية و تمكّن فى قلب السيدة بما استمالها به من التحف و الخدمة ما لم يتمكّن لغيره، و لم يقصر - مع ذلك - فى خدمة المصحفى الحاجب، إلى أن توفى الحكم و ولى ابنه هشام المؤيد، و هو ابن اثنتى عشرة سنة، فجاشت الروم، فجهّز المصحفى ابن أبى عامر لدفاعهم، فنصره الله عليهم، و تمكّن حبه من قلوب الناس.

و كان جوادا عاقلا ذكيا، استعان بالمصحفى على الصقالبه، ثم بغالب على المصحفى، و كان غالب صاحب مدينة سالم - و تزوج ابن أبى عامر ابنته أسماء، و كان أعظم عرس بالأندلس - ثم بجعفر بن على الأندلسى ممدوح ابن هانىء على غالب، ثم بعبد الرحمن بن محمد بن هشام التجيبى على جعفر، و له فى الحزم و الكيد و الجلد ما أفرد له ابن حيان تأليفا، و عدد غزواته المنشأة من قرطبة يئف و خمسون غزوة، و لم تهزم له رايه، و قبره بمدينة سالم فى أقصى شرق الأندلس.

و من شعره: [الطويل]

رميت بنفسى هول كلّ عظيمة و خاطرتة و الحرّ الكريم يخاطر
و ما صاحبي إلّا جنان مشيع و أسمر خطّي و أبيض باثر
فسدت بنفسى أهل كلّ سيادة و فاخرت حتى لم أجد من أفاخر
و ما شدت بنيانا و لكن زيادة على ما بنى عبد المليك و عامر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣١٢
رفعنا العوالى بالعوالى مثلها و أورثناها فى القديم معافر
وجوده مع صاعد البغدادى اللغوى مشهور.

و صدر عن بعض غزواته فكتب إليه عبد الملك ابن شهيد، و كان قد تخلّف عنه:

[الخفيف]

أنا شيخ و الشيخ يهوى الصبايا يا بنفسى أقيك كلّ الزايا
و رسول الإله أسهم فى الفى ء لمن لم يخبّ فيه المطايا
فبعث إليه بثلاث جوار من أجمل السبى، و كتب معهنّ، و كانت واحدة أجملهنّ، قوله:

[الخفيف]

قد بعثنا بها كشمس النهار فى ثلاث من المها أبكار
و امتحنّا بعدرة البكر إن كنت ترجى بوادر الإعدار
فاجتهد و ابتدر فإنّك شيخ قد جلا ليله بياض النهار
صانك الله من كلالك فيها فمن العار كلّ المسمار
فافتضهنّ من ليلته، و كتب له بكرة: [الخفيف]

قد فضضنا ختام ذاك السوار و اصطبغنا من النّجيع الجارى
و صبرنا على دفاع و حرب فلعبنا بالدرّ أو بالدرارى
و قضى الشيخ ما قضى بحسام ذى مضاء غضب الطّبّا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا و اتّخذة فحلا على الكفّار

و قدم بعض التجّار و معه كيس فيه ياقوت نفيس، فتجرّد ليسبح فى النهر، و ترك الكيس، و كان أحمر، على ثيابه، فرفعته حدأة فى
مخالبها، فجرى تابعا لها و قد ذهل، فتغلّغت فى البساتين، و انقطعت عن عينه، فرجع متحيرا، فشكا ذلك إلى بعض من يأنس به، فقال
له:

صف حالك لابن أبى عامر، فتلطّف فى وصف ذلك بين يديه، فقال: ننظر إن شاء الله تعالى فى شأنك، و جعل يستدعى أصحاب
تلك البساتين، و يسأل خدامها عمّن ظهر عليه تبديل حال، فأخبروه أن شخصا ينقل الزبل اشترى حمارا، و ظهر من حاله ما لم يكن
قبل ذلك، فأمر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣١٣

بمجيئه، فلمّا وقعت عينه عليه قال له: أحضر الكيس الأحمر، فتملّك الرعب قلبه و ارتعش، و قال: دعنى آتى به من منزلى، فوكل به
من حملة إلى منزله. و جاء بالكيس، و قد نقص منه ما لا يقدر فى مسرّة صاحبه، فجبّره، و دفعه إلى صاحبه، فقال: و الله لأحدثنّ فى
مشارك الأَرْض و مغاربها أن ابن أبى عامر يحكم على الطيور و ينصف منها، و التفت ابن أبى عامر إلى الزبّال فقال له: لو أتيت به
أغنياك، لكن تخرج كفافا لا عقابا و لا ثوابا.

و توفي، رحمه الله، في غزاته للإفرنج بصفر سنة اثنتين و تسعين و ثلاثمائة، و حمل في سريره على أعناق الرجال، و عسكره يحفّ به، و بين يديه، إلى أن وصل إلى مدينة سالم.

و دامت دولته ستًا و عشرين سنة، غزا فيها اثنتين و خمسين غزوة واحدة في الشتاء و أخرى في الصيف، انتهى كلام ابن سعيد، و في بعضه مخالفة لبعض كلام ابن خلدون.

[ترجمة الحاجب المصحفي (عن المطمح)]

و قال الفتح في «المطمح» في حق المصحفي الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، ما صورته: تجرد للعليا، و تمرّد في طلب الدنيا، حتى بلغ المنى، و تسوّغ ذلك الجنى، و وصل إلى المنتهى، و حصل على ما اشتهى، دون مجد تفرّج من دوحته، و لا فخر نشأ بين مغداه و روحته، فسمّا دون سابقه، و رمى إلى رتبة لم تكن لنفسه مطابقة، فبلغ نفسه، و نزع عن جنسه، و لم يزل يستقلّ و يضطلع، و ينتقل من مطلع إلى مطلع، حتى التاح في أفق الخلافة، و ارتاح إليها بعطفه كنشوان السّلافه، و استوزره المستنصر، و عنه كان يسمع و يبصر، و حجب الإمام، و أسكب برأيه ذلك الغمام، فأدرك لذلك ما أدرك، و نصب لأمانيه الجبال و الشرك، فاقتنى اقتناء مدّخر، و أزرى بمن سواه و سخر، و استعطفه ابن أبي عامر و نجمه غائر لم يلح، و سرّه مكتوم لم يبح، فما عطف، و لا جنى من روضة دنياه و لا قطف، و أقام في تدبير الأندلس ما أقام و برهانه مستقيم، و من الفتن عقيم، و هو يجرى من السعد في ميدان رحب، و يكرع من العزّ في مشرب عذب، و يفضّ ختام السرور، و ينهض بملكك على لبته مزورور، و كان له أدب بارع، و خاطر إلى نظم القريض مسارع، فمن محاسنه التي بعثها إيناس دهره و إسعاده، و قاله حين ألهمته سلماه و سعاده، قوله: [الطويل]

لعينيك في قلبي على عيون و بين ضلوعى للشجون فنون

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣١٤

نصيبى من الدنيا هواك، و إنه غذائى، و لكنتى عليه ضنين

و ستأتى هذه الترجمة من المطمح الصغير إن شاء الله تعالى بما فيه بعض زيادة و نقصان في الباب الرابع.

[ترجمة ابن أبي عامر المنصور (عن المطمح)]

و قال في المطمح في حق ابن أبي عامر: إنه تمرّس ببلاد الشرك أعظم تمرّس، و محا من طواغيتها كلّ تعجرف و تغطرس، و غادرهم صرعى البقاع، و تركهم أذلّ من و تد بقاع، و والى على بلادهم الوقائع، و سدّد إلى أكبادهم سهام الفجائع، و أغصّ بالحمام أرواحهم، و نغصّ بتلك الآلام بكورهم و رواحهم، و من أوضح الأمور هنالك؛ و أفصح الأخبار في ذلك، أن أحد رسله كان كثير الانتياب، لذلك الجناب؛ فسار في بعض مسيراته إلى غرسيه صاحب البشكنس فوالى في إكرامه، و تناهى في برّه و احترامه، فطالت مدّته فلا متزّه إلّا مرّ عليه متفرّجا، و لا- منزل إلّا سار عليه معرّجا، فحلّ في ذلك، أكثر الكنائس هنالك، فبينما هو يجول في ساحتها، و يجيل العين في مساحتها، إذ عرضت له امرأة قديمة الأسر، قويمه على طول الكسر، فكلمته و عرفته بنفسها و أعلمته، و قالت له: أيرضى المنصور أن ينسى بتنعّمه بوسها، و يتمتّع بلبوس العافية و قد نضت لبوسها، و زعمت أن لها عدّة سنين بتلك الكنيسة محبسه، و بكلّ ذلّ و صغار ملبسه، و ناشدته الله في إنهاء قصتها، و إبراء غصّتها، و استحلفتها بأعظ الأيمان، و أخذت عليه في ذلك أوكد موثيق الرحمن، فلمّا وصل إلى المنصور عرفه بما يجب تعريفه به و إعلامه، و هو مصغ إليه حتى تمّ كلامه، فلما فرغ قال له المنصور: هل وقفت هناك على أمر أنكرته، أم لم تقف على غير ما ذكرته؟ فأعلمه بقصة المرأة و ما خرجت عنه إليه، و بالمواثيق التي أخذت عليه، فعتبه و لامه، على أن لم يبدأ بها كلامه، ثم أخذ للجهاد من فوره و عرض من من الأجناد في نجده و غوره، و أصبح غازيا على

سرجه، مباحيا مروان بن الحكم يوم مرجه، حتى وافى ابن شانجه في جمعه، فأخذت مهابته ببصره و سمعه، فبادر بالكتاب إليه يتعزف ما الجلتيّة، و يحلف له بأعظم أليّة، أنه ما جنى ذنبا، و لا جفا عن مضجع الطاعة جنبا، فعنف أرساله و قال لهم: كان قد عاقدني أن لا يبقى ببلاده مأسورة و لا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣١٥

مأسور، و لو حملته في حواصلها النّسور، و قد بلغني بعد بقاء المسلمة في تلك الكنيسة، و والله لا أنتهي عن أرضه حتى أكتسحها، فأرسل إليه المرأة في اثنتين معها، و أقسم أنه ما أبصرهنّ و لا سمع بهنّ و أعلمه أن الكنيسة التي أشار بعلمها، قد بالغ في هدمها، تحقيقا لقوله، و تضرّع إليه في الأخذ فيه بطوله، فاستحيا منه، و صرف الجيش عنه، و أوصل المرأة إلى نفسه، و ألحف توخّشها بأنسه، و غير من حالها، و عاد بسواكب نعماه على جديها و إمحالها، و حملها إلى قومها، و كحلها بما كان شرد من نومها، انتهى.

و قال في المطمح أيضا في حقه ما نصه: فرد نابه على من تقدّمه، و صوّبه و استحزمه، فإنه كان أمضاهم سنانا، و أذكاهم جنانا، و أتمهم جلالا، و أعظمهم استقلالاً، قال أمره إلى ما آل، و أوهم العقول بذلك المآل، فإنه كان آية الله في اتفاق سعده، و قربه من الملك بعد بعده، بهر برفعة القدر، و استظهر بالأناة و سعة الصدر، و تحرّك فلاح نجم الهدو، و تملكّك فما خفق بأرضه لواء عدو، بعد خمول كابد منه غصصا و شرقا، و تعذّر مأمول طارد فيه سهرا و أرقا، حتى أنجز له الموعود، و فرّ نحسه أمام تلك السعود، فقام بتدبير الخلافة، و أقعد من كان له فيها إنافه، و ساس الأمور أحسن سياسة، و داس الخطوب بأخشن دياسة، فانتظمت له الممالك، و اتّضحت به المسالك، و انتشر الأمن في كل طريق، و استشعر اليمن كلّ فريق، و ملك الأندلس بضعا و عشرين حجّة، لم تدحض لسعادتها حجّة، و لم تزخر لمكروه بها لحيّة، لبست فيه البهاء و الإشراق، و تنفّست عن مثل أنفاس العراق، و كانت أيامه أحمد أيام، و سهام بأسه أسدّ سهام، غزا الروم شاتيا و صائفا، و مضى فيما يروم زاجرا و عائفا، فما مرّ له غير سنيح، و لا فاز إلّا بالمعلّى لا بالمنيح، فأوغل في تلك الشّعاب، و تغلغل حتى راع ليث الغاب، و مشى تحت ألوّيته صيد القبائل، و استجرت في ظلّها بيض الظّبا و سمر الذوابل، و هو يقتضى الأرواح بغير سوم، و ينتضى الصفاح على كل روم، و يتلف من لا ينساق للخلافة و ينقاد، و يخطف منهم كلّ كوكب وقاد، حتى استبدّ و انفرد، و أنس إليه من الطاعة ما نفر و شرد، و انتظمت له الأندلس بالغدوة، و اجتمعت في ملكه اجتماع قریش بدار التّدوة، و مع هذا لم يخلع اسم الحجابة، و لم يدع السمع لخليفته و الإجابة، ظاهر يخالفه الباطن، و اسم تنافره مواقع الحكم و المواطن، و أذلّ قبائل الأندلس بإجازة البرابر، و أخمل بهم أولئك الأعلام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣١٦

الأكابر، فإنه قاومهم بأضدادهم، و استكثر من أعدادهم، حتى تغلبوا على الجمهور، و سلبوا عنهم الظهور، و وثبوا عليهم الوثوب المشهور، الذي أعاد أكثر الأندلس قفرا يبابا، و ملأها وحشا و ذئابا، و أعراها عن الأمان، برهه من الزمان، و على هذه الهيئة فهو و ابنه المظفر كانا آخر سعد الأندلس، و حدّ السرور بها و التأنس، و غزواته فيها شائعة الأثر، رائعة كالسيف ذى الأثر، و حسبه وافر، و نسبه معافر، و لذا قال يفتخر:

رमित بنفسى ...

الآبيات، و زاد هنا بعد قوله «أبيض باتر» بيتا، و هو: [الطويل]

و إنى لزجاء الجيوش إلى الوغى أسود تلاقيها أسود خواد

و كانت أمّه تميمية، فحاز الشرف بطرفيه، و التفّ بمطرفيه، و لذا قال القسطلّي فيه:

[الطويل]

تلاقت عليه من تميم و يعرب شمس تلالا في العلا و بدور

من الحميريّين الذين أكفهم سحائب تهمة بالندی و بحور

و تصرّف قبل ولايته في شتى الولايات، و جاء من التحدّث بمنتهى أمره بآيات، حتى صحّ زجره، و جاء بصبحه فجره، تؤثر عنه في ذلك أخبار، فيها عجب و اعتبار، و كان أديبا محسنا، و عالما متفننا، فمن ذلك قوله يمّنى نفسه بملك مصر و الحجاز، و يستدعى صدور تلك الأعجاز: [الخفيف]

منع العين أن تذوق المناما حبّها أن ترى الصّفا و المقاما
لى ديون بالشرق عند أناس قد أحلّوا بالمشعرين الحراما
إن قضوها نالوا الأمانى، و إلّا جعلوا دونها رقابا و هاما
عن قريب ترى خيول هشام يبلغ التّيل خطوها و الشّاما
انتهى ما نقله من المطمح.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣١٧

[أخبار في سيرة المنصور]

و فى المنصور المذكور أيضا قال بعض مؤرّخى المغرب، مازجا كلامه ببعض كلام الفتح، بعد ذكر استعانتة ببعض الناس على بعض، و ذكر قتله لجعفر بن على، فقال بعده ما صورته: ثم انفرد بنفسه و صار ينادى صروف الدهر هل من مبارز، فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه، فانقاد له و ساعده، فاستقام أمره منفردا بمملكته لا سلف له فيها، و من أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قطّ فى حرب شهدها، و ما توجّهت عليه هزيمة، و ما انصرف عن موطن إلّا قاهرا غالبا، على كثرة ما زاوّل من الحروب و مارس من الأعداء و واجه من الأمم، و إنها لخاصية ما أحسب أحدا من الملوك الإسلامية شاركه فيها، و من أعظم ما أعين به مع قوة سعده و تمكّن جدّه سعة جوده، و كثرة بذله، فقد كان فى ذلك أعجوبة الزمان، و أول ما اتكأ على أرائك الملوك و ارتفق، و انتشر عليه لواء السعد و خفق، حط صاحبه المصحفى، و أثار له كامن حقه الخفى، حتى أصاره للهموم ليسا، و فى غيابات السجن حبسا، فكتب إليه يستعطفه بقوله: [البيسط]

هبنى أسأت فأين العفو و الكرم إذ قادنى نحوك الإذعان و الندم

يا خير من مدّت الأيدى إليه أما ترثى لشيخ رماه عندك القلم

بالغت فى السّخط فاصفح صفح مقتدر إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

فما زاده ذلك إلّا حنقا و حقداء، و ما أفادته الآيات إلّا تضرّما و وقدا، فراجعه بما أياسه، و أراه مرمسه، و أطبق عليه محبسه، و ضيق تروّحه من المحنة و تنفّسه: [البيسط]

الآن يا جاهلا زلت بك القدم تبغى التّكرم لما فاتك الكرم

أعريت بى ملكا لولا تثبته تبغى التّكرم لما فاتك الكرم

أعريت بى ملكا لو لا تثبته ما جاز لى عنده نطق و لا كلم

فاياس من العيش إذ قد صرت فى طبق إنّ الملوك إذا ما استنقموا نقموا

نفسى إذا سخطت ليست براضية و لو تشفّع فيك العرب و العجم

و كان من أخباره الداخلة فى أبواب البرّ و القربة ببيان المسجد الجامع، إلى أن قال:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣١٨

[أمثلة من عدل المنصور بن أبى عامر]

و من ذلك بناؤه قنطرة على نهر قرطبة الأعظم، ابتدأ بناءها المنصور سنة ثمان و سبعين و ثلاثمائة، و فرغ منها في النصف من سنة تسع و سبعين، و انتهت النفقة عليها إلى مائة ألف دينار و أربعين ألف دينار، فعظمت بها المنفعة، و صارت صدرا في مناقبه الجليلة. و كانت هنالك قطعة أرض لشيخ من العامة، و لم يكن للقنطرة عدول عنها؛ فأمر المنصور أمناه بإرضائه فيها، فحضر الشيخ عندهم، فسأموه بالقطعة، و عزّفوه وجه الحاجة إليها و أنّ المنصور لا يريد إلّا إنصافه فيها، فرامهم الشيخ بالعرض الأقصى عنده فيما ظنّه أنها لا تخرج عنه بأقلّ من عشرة دنانير ذهباً، كانت عنده أقصى الأميّة، و شرطها صحاحا. فاغتنم الأمناء غفلته، و نقدوه الثمن، و أشهدوا عليه، ثم أخبروا المنصور بخبره، فضحك من جهالته، و أنف من غبنه، و أمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل، و تدفع له صحاحا كما قال، فقبض الشيخ مائة دينار ذهباً؛ فكاد أن يخرج من عقله، و أن يجنّ عند قبضها من الفرح، و جاء محتفلاً في شكر المنصور، و صارت قصّته خيراً سائراً.

و من ذلك أيضاً بناء قنطرة على نهر إستجة، و هو نهر شليل، و تجشم لها أعظم مؤنة، و سهّل الطريق الوعرة و الشّعب الصعبة. و من ذلك أيضاً أنه خطّ بيده مصحفاً كان يحمله معه في أسفاره و غزواته. يدرس فيه، و يتبرّك به.

و من قوة رجائه أنه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته و مواطن جهاده، فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازلهم، حتى اجتمع له منه صرّة ضخمة، عهد بتصويره في حنوطه، و كان يحملها حيث سار مع أكفانه، توقّعا لحلول متيّته، و قد كان اتّخذ الأكفان من أطيب مكسبه من الصّيع الموروثة عن أبيه، و غزل بناته. و كان يسأل الله تعالى أن يتوفّاه في طريق الجهاد؛ فكان كذلك.

و كان متّسماً بصحّة باطنه، و اعترافه بذنبه، و خوفه من ربّه، و كثرة جهاده. و إذا ذكر بالله ذكر، و إذا خوّف من عقابه ازدجر، و لم يزل متنزّها عن كل ما يفتتن به الملوك سوى الخمر، لكنه أقلع عنها قبل موته بسنتين. و كان عدله في الخاصيّة و العاميّة و بسط الحقّ على الأقرب فالأقرب من خاصّته و حاشيته أمراً مضروباً به المثل.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣١٩

و من عدله أنه وقف عليه رجل من العامة بمجلسه، فنأدى: «يا ناصر الحق، إنّ لى مظلمة عند ذلك الوصيف الذى على رأسك»، و أشار إلى الفتى صاحب الدّرقة، و كان له فضل محلّ عنده، ثم قال: و قد دعوته إلى الحاكم، فلم يأت، فقال له المنصور: «أو عبد الرحمن بن فطيس بهذا العجز و المهانة، و كنا نظنّه أمضى من ذلك؟ اذكر مظلمتك يا هذا»، فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما فقطعها من غير نصف، فقال المنصور: «ما أعظم بليّتنا بهذه الحاشية!» ثم نظر إلى الصّقلبي و قد ذهل عقله، فقال له: «ادفع الدّرقة إلى فلان، و انزل صاغراً، و ساو خصمك فى مقامه حتى يرفعك الحقّ أو يضعك»، ففعل، و مثل بين يديه، ثم قال لصاحب شرطته الخاصّ به: «خذ بيد هذا الفاسق الظالم و قدّمه مع خصمه إلى صاحب المظالم لينفّذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجب الحقّ من سجن أو غيره»، ففعل ذلك، و عاد الرجل إليه شاكراً، فقال له المنصور: «قد انتصفت أنت»، اذهب لسيلك. و بقى انتصافى أنا ممّن تهاون بمنزلتى». فتناول الصّقلبي بأنواع من المذلة، و أبعده عن الخدمة.

و من ذلك قصة فتاه الكبير المعروف بالبورقى مع التاجر المغربى؛ فإنهما تنازعا فى خصومه توجّهت فيها اليمين على الفتى المذكور، و هو يومئذ أكبر خدم المنصور، و إليه أمر داره و حرمة، فدافع الحاكم، و ظنّ أنّ جاهه يمنع من إحلافه. فصرخ التاجر بالمنصور فى طريقه إلى الجامع متظلماً من الفتى، فوكّل به فى الوقت من حمله إلى الحاكم، فأنصفه منه، و سخط عليه المنصور، و قبض نعمته منه، و نفاه. و من ذلك قصة محمد فصاد المنصور و خادمه و أمينه على نفسه، فإنّ المنصور احتاجه يوماً إلى الفصد، و كان كثير التّعهد له، فأنفذ رسوله إلى محمد، فألفاه الرسول محبوساً فى سجن القاضى محمد بن زرب لحيف ظهر منه على امرأته قدر أنّ سبيله من الخدمة يحميه من العقوبة. فلما عاد الرسول إلى المنصور بقصّته، أمر بإخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يلزمه إلى أن

يفرغ من عمله عنده، ثم يرده إلى محبسه. ففعل ذلك على ما رسمه، وذهب الفاسد إلى شكوى ما ناله، فقطع عليه المنصور، وقال له: «يا محمد، إنّه القاضى، و هو فى عدله، و لو أخذنى الحقّ ما أطقّ الامتناع منه، عد إلى محبّسك أو اعترف بالحقّ فهو الذى يطلقك». فانكسر الحاجم، و زالت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٢٠

عنه ريح العناية. و بلغت قصته للقاضى، فصالحه مع زوجته، و زاد القاضى شدّة فى أحكامه.

[دهاء المنصور بن أبى عامر]

و قال ابن حيان: إنه كان جالسا فى بعض الليالى، و كانت ليله شديدة البرد و الريح و المطر، فدعا بأحد الفرسان و قال له: «انهض الآن إلى فج طليارش، و أقم فيه، فأول خاطر يخطر عليك سقه إلى». قال: فنهض الفارس و بقى فى الفجّ فى البرد و الريح و المطر واقفا على فرسه، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له، و معه آلة الحطب، فقال له الفارس:

«إلى أين تريد يا شيخ؟» فقال: «وراء حطب»، فقال الفارس فى نفسه: «هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل يسوق حطبا، فما عسى أن يريد المنصور منه؟» قال: فتركته، فسار عني قليلا، ثم فكّرت فى قول المنصور، و خفت سطوته، فنهضت إلى الشيخ و قلت له: «ارجع إلى مولانا المنصور». فقال له: و ما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلى؟ سألتك بالله أن تتركنى أذهب لطلب معيشتى، فقال له الفارس: لا أفعل، ثم قدم به على المنصور، و مثله بين يديه و هو جالس لم ينم ليلته تلك، فقال المنصور للصقالبة: فثشوه، فثشوه فلم يجدوا معه شيئا، فقال: فثشوا برذعة حماره، فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا إلى المنصور، و يخدمون عنده إلى أصحابهم من النصارى ليقبلوا و يضربوا فى إحدى النواحي المرطومة.

فلما انبلج الصبح أمر بإخراج أولئك النصارى إلى باب الزاهرة، فضربت أعناقهم، و ضربت رقبة الشيخ معهم.

ثم ذكر هذا المؤرّخ قصة الجوهرى التى قدّمنا نقلها من مغرب ابن سعيد، و لكننا رأينا إعادتها بلفظ هذا المؤرّخ؛ لأنه أتم مساقا إذ قال عطا على دهائه: و من ذلك قصة الجوهرى التاجر، و ذلك أن رجلا جوهريا من تجار المشرق قصد المنصور من مدينه عدن بجوهر كثير و أحجار نفيسة، فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه، و دفع إلى التاجر الجوهرى صرّته، و كانت قطعة يمانية، فأخذ التاجر فى انصرافه طريق الرملة على شطّ النهر، فلمّا توسّطها و اليوم قانظ، و عرقه منصبّ دعتة نفسه إلى التبرّد فى النهر، فوضع ثيابه و تلك الصرّة على الشطّ، فمرّت حدأة فاخطفت الصرّة، تحسبها لحما، و صارت فى الأفق بها ذاهبة، فقطعت الأفق الذى تنظر إليه عين التاجر، فقامت قيامته، و علم أنّه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة، فأسرّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٢١

الحزن فى نفسه، و لحقه لأجل ذلك علمه اضطرب فيها. و حضر الدفع إلى التجار، فحضر الرجل لذلك بنفسه، فاستبان للمنصور ما بالرجل من المهانة و الكآبة، و فقد ما كان عنده من النشاط و شدّة العارضة، فسأله المنصور عن شأنه، فأعلمه بقصته، فقال له: هلّا أتيت إلينا بحدثان وقوع الأمر؟ فكنا نستظهر على الحيلة، فهل هديت إلى الناحية التى أخذ الطائر إليها؟

قال: مرّ مشرفا على سمت هذا الجبل الذى يلى قصر ك، يعنى الرملة، فدعا المنصور شرطيه الخاصّ به، فقال له: جئنى بمشيخة أهل الرملة الساعة، فمضى و جاء بهم سريعا، فأمرهم بالبحث عن غير حال الإقلال منهم سريعا، و انتقل عن الإضافة دون تدرّيج، فتناظروا فى ذلك ثم قالوا: يا مولانا، ما نعلم إلّا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو و أولاده بأيديهم و يتناولون السيّبق بأقدامهم عجزا عن شراء دابّة، فابتاع اليوم دابّة، و اكتسى هو و ولده كسوة متوسّطة، فأمر بإحضاره من الغد، و أمر التاجر بالغدو إلى الباب، فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور، فاستدناه و التاجر حاضر، و قال له: سبب ضاع منّا و سقط إليك، ما فعلت به؟ قال: هو ذا يا مولاي، و ضرب بيده إلى حجرة سراويله فأخرج الصرّة بعينها، فصاح التاجر طربا، و كاد يطير فرحا، فقال له المنصور: صف لى حديثها، فقال: بينا أنا أعمل

في جناني تحت نخلة إذ سقطت أمامي، فأخذتها وراقني منظرها، فقلت: إن الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار، فاحترزت بها، و دعنتي فاقتني إلى أخذ عشرة مثاقيل عيوننا كانت معها مصرورة، و قلت: أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها، فأعجب المنصور ما كان منه، و قال للتاجر: خذ صرّتك و انظرها، و اصدقني عن عددها، ففعل و قال و حقّ رأسك يا مولاي، ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها، و قد وهبتها له، فقال له المنصور: نحن أولى بذلك منك و لا تنغص عليك فرحك. و لو لا جمعه بين الإصرار و الإقرار لكان ثوابه موفورا عليه، ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضا من دنانيره، و للجانّ بعشرة دنانير ثوابا لتأنيه عن فساد ما وقع بيده، و قال: لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناه جزاء، قال: فأخذ التاجر في الشاء على المنصور، و قد عاوده نشاطه و قال: و الله لأبشّن في الأقطار عظيم ملكك، و لأبيّن أنّك تملك طير أعمالك كما تملك إنسها، فلا تعتصم منك و لا تمتنع، و لا تؤذى جارك، فضحك المنصور و قال: اقصد في قولك يغفر الله لك، فعجب الناس من تلطف المنصور في أمره و حيلته في تفريج كربته.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٢٢

[غزو المنصور لمدينة شنت ياقب]

و من ذلك غزوة المنصور لمدينة شنت ياقب قاصية غليسية، و أعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الأندلس، و ما يتصل بها من الأرض الكبيرة. و كانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا، و للكعبة المثل الأعلى، فيها يحلفون، و إليها يحجون من أقصى بلاد روم و ما وراءها، و يزعمون أنّ القبر المزور فيها قبر ياقب الحواريّ أحد الاثني عشر، و كان أخصهم بعيسى، على نبينا و عليه الصلاة و السلام! و هم يستمنونه أخاه للزومه إياه. و ياقب بلسانهم يعقوب، و كان أسقفا بيت المقدس، فجعل يستقرى الأرضين داعيا لمن فيها حتى انتهى إلى هذه القاصية، ثم عاد إلى أرض الشام فمات بها، و له مائة و عشرون سنة شمسية، فاحتمل أصحابه رمته، فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره. و لم يطمع أحد من ملوك الإسلام في قصدها و لا الوصول إليها، لصعوبة مدخلها، و خشونة مكانها. و بعد شققتها. فخرج المنصور إليها من قرطبة غازيا بالصائفة يوم السبت لسبب بقين من جمادى الآخرة سنة سبع و ثمانين و ثلاثمائة، و هي غزوته الثامنة و الأربعون. و دخل على مدينة قورية، فلما وصل إلى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمسكين بالطاعة في رجالهم، و على أتم احتفالهم، فصاروا في عسكر المسلمين، و ركبوا في المغاورة سيبلهم. و كان المنصور تقدّم في إنشاء أسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل غرب الأندلس، و جهزه برجاله البحرّيين و صنوف المترجلين، و حمل الأقوات و الأطعمة و العدد و الأسلحة، استظهارا على نفوذ العزيمة إلى أن خرج بموضع يرتقال على نهر دويرة، فدخل في النهر إلى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه، فعقد هنالك من هذا الأسطول جسرا بقرب الحصن الذي هنالك، و وجّه المنصور ما كان فيه من الميرة إلى الجند، فتوسّعوا في التزوّد منه إلى أرض العدو. ثم نهض منه يريد شنت ياقب، فقطع أرضين متباعدة الأقطار، و قطع بالعبور عدة أنهار كبار و خلجان يمدّها البحر الأخضر. ثم أفضى العسكر بعد ذلك إلى بسائط جليلة من بلاد فرطارش و ما يتصل بها، ثم أفضى إلى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه و لا طريق، لم يهتد الأدلاء إلى سواه. فقدّم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعه شعابه و تسهيل مسالكه، فقطعه العسكر، و عبروا بعده وادي منية، و انبسط المسلمون بعد ذلك في بسائط عريضة و أرضين أريضة، و انتهت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٢٣

مغيرتهم إلى دير قسطن و بسيط بلبنو على البحر المحيط، و فتحوا حصن شنت بلاية، و غنموه، و عبروا سباحة إلى جزيرة من البحر المحيط لجأ إليها خلق عظيم من أهل تلك النواحي، فسبوا من فيها مّمن لجأ إليها. و انتهى العسكر إلى جبل مراسية المتّصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط. فتخلّوا أقطاره، و استخرجوا من كان فيه، و حازوا غنائمه. ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجا في معبرين أرشد الأدلاء إليهما، ثم نهر أيل، ثم أفضوا إلى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة، ثم انتهوا إلى موضع من مشاهد ياقب صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى في الفضل، يقصد نساكهم له من أقصى بلادهم و من بلاد القبط و التوبة و غيرهما، فغادره المسلمون قاعا. و

كان النزول بعده على مدينة شنت ياقب البائسة، و ذلك يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شعبان، فوجدها المسلمون خالية من أهلها، فحاز المسلمون غنائمها، و هدموا مصانعها و أسوارها و كنيستها، و عقّوا آثارها. و وكل المنصور بقبر ياقب من يحفظه و يدفع الأذى عنه، و كانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيما كأن لم تغن بالأمس، و انتسفت بعوثة بعد ذلك سائر البسائط، و انتهت الجيوش إلى مدينة شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط، و هى غاية لم يبلغها قبلهم مسلم، و لا وطنها لغير أهلها قدم، فلم يكن بعدها للخيل مجال، و لا وراءها انتقال. و انكفأ المنصور عن باب شنت ياقب و قد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله، فجعل فى طريقه القصد على عمل برمند بن أردون ليستقرّ به عائثا و مفسدا، حتى وقع فى عمل القوامس المعاهدين الذين فى عسكره، فأمر بالكف عنها، و مرّ مجتازا حتى خرج إلى حصن بليقية من افتتاحه، فأجاز هنالك القوامس بجملتهم على أقدارهم، و كساهم و كسا رجالهم، و صرفهم إلى بلادهم، و كتب بالفتح من بليقية. و كان مبلغ ما كساه فى غزاته هذه لملوك الروم و لمن حسن غناؤه من المسلمين ألفين و مائتين و خمسا و ثمانين شقّة من صنوف الخزّ الطرازي، و أحدا و عشرين كساء من صوف البحر، و كساءين عبريين، و أحد عشر سقلاطونا، و خمس عشرة مريّشات، و سبعة أنماط ديباج، و ثوبى ديباج رومى، و فروى فنك، و وافى جميع العسكر قرطبة غانما، و عظمت النعمة و المتّة على المسلمين. و لم يجد المنصور بشنت ياقب إلّا شيئا من الرهبان جالسا على القبر، فسأله عن مقامه، فقال: «أونس يعقوب»، فأمر بالكف عنه.

قال: و حدّث شعله، قال: قلت للمنصور ليلة طال سهره فيها: «قد أفرط مولانا فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٢٤

السهر، و بدنه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم، و هو أعلم بما يحركه عدم النوم من علّة العصب، فقال: يا شعله، الملك لا ينام إذا نامت الرعية، و لو استوفيت نومى لما كان فى دور هذا البلد العظيم عين نائمة». انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور.

[أخبار المنصور (من كتاب الأزهار المنثورة)]

و قد رأيت أن أذكر هنا أخبارا، نقلتها من كتاب «الأزهار المنثورة، فى الأخبار المأثورة»:

قال فى الزهرة التاسعة و العشرين: تقدّم إلى المنصور و انزمار بن أبى بكر البرزالي أحد جنود المغاربة، و قد جلس للعرض و التمييز، و الميدان غاصّ بالناس، فقال له بكلام يضحك الثكلى: يا مولاي، ما لى ولك، أسكننى فإنى فى الفحص، فقال: و ما ذاك يا و انزمار؟ و أين دارك الواسعة الأقطار؟ فقال: أخرجتنى عنها و الله نعمتك، أعطيتنى من الضياع ما انصبّ علىّ منها من الأطعمة ما ملأ بيوتى و أخرجنى عنها، و أنا بربرى مجوّع حديث عهد بالبؤس، أترانى أبعد القمح عنى؟ ليس ذلك من رأى. فتطلق المنصور و قال: لله درك من فدّ عيى، لعيك فى شكر النعمة أبلغ عندنا، و آخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد و بليغ متفنّن، و أقبل المنصور على من حوله من أهل الأندلس فقال: يا أصحابنا، هكذا فلتشكر الأيادى و تستدام النعم، لا ما أنتم عليه من الجحد اللازم، و التشكى المبرح، و أمر له بأفضل المنازل الخالية.

و فى الموفية ثلاثين ما نصّه: أصبح المنصور صبيحة أحد، و كان يوم راحة للخدمة الذى أعفوا فيه من قصد الخدمة، فى مطر و ابل غبّ أيام مثله، فقال: هذا يوم لا عهد بمثله، و لا حيلة للمواطنين لقصدنا فى مكابדתه، فليت شعرى هل شدّد أحد منهم عن التقرير فأغرب فى البكور؟ اخرج و تأمّل، يقوله لحاجبه، فخرج و عاد إليه ضاحكا، و قال: يا مولاي، على الباب ثلاثة من البرابرة: أبو الناس بن صالح و اثنان معه، و هم بحال من البلبل إنّما توصف بالمشاهدة، فقال: أوصلهم إلىّ و عجل. فدخلوا عليه فى حال الملاح بللا و نداوة، فضحك إليهم و أدنى مجلسهم، و قال خبرونى كيف جئتم؟ و على أىّ حال و صلتم؟ و قد استكان كل ذى روح فى كنه، و لاذ كل طائر بوكره، فقال له أبو الناس بكلامه: يا مولانا، ليس كل التّجار قعد عن سوقه، و إذا عذر التّجار على طلب الربح بالفلوس فنحن أعذر بإدراكها بالبدر و من غير رؤوس الأموال، و هم يتناوبون الأسواق على أقدامهم و يذيلون فى قصدها ثيابهم، و نحن

نأتيك على خيلك، و نذيل على صهواتها ملابسك، و نجعل الفضل في قصدك مضمونا إذا جعله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٢٥

أولئك طمعا و رجاء، فترى لنا أن نجلس عن سوقنا هذا؟ فضحك المنصور و دعا بالكسا و الصّيلات، فدفعت لهم، و انصرفوا مسرورين بغدوتهم.

و في الزهرة الرابعة و الأربعين ما نصّه: كان بقرطبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر فتى من أهل الأدب قد رقت حاله في الطلب، فتعلق بكتاب العمل، و اختلف إلى الخزانة مدّة، حتى قلّد بعض الأعمال، فاستهلك كثيرا من المال، فلما ضمّ إلى الحساب أبرز عليه ثلاثة آلاف دينار، فرفع خبره إلى المنصور، فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه و لزم الإقرار بما برز عليه قال له: يا فاسق، ما الذى جرّأك على مال السلطان تنتهبه؟ فقال: قضاء غلب الرأى، و فقر أفسد الأمانة، فقال المنصور: و الله لأجعلنك نكالا لغيرك، ليحضر كبل و حدّاد، فأحضرا، فكبل الفتى و قال: احموه إلى السجن، و أمر الضابط بامتحانه و الشدّة عليه، فلما قام أنشأ يقول:

[السريع]

أواه أوّاه و كم ذا أرى أكثر من تكرار أوّاه

ما لأمريء حول و لا قوّة الحول و القوّة لله

فقال المنصور: ردّوه، فلما ردّ قال: أتمثلت أم قلت؟ قال: بل قلت، فقال: حلّوا عنه كبله، فلما حلّ عنه أنشأ يقول: [السريع]

أما ترى عفو أبى عامر لا بدّ أن تتبعه منه

كذلك الله إذا ما عفا عن عبده أدخله الجنّة

فأمر بإطلاقه، و سوّغه ذلك المال، و أبرأه من التبعة فيه.

و في الخامسة و الأربعين: عرض على المنصور بن أبى عامر اسم أحد خدمه في جملة من طال سجنه، و كان شديد الحقد عليه، فوقع على اسمه بأن لا سبيل إلى إطلاقه حتى يلحق بأمه الهاوية، و عزّف الرجل بتوقيعه، فاهتمّ و اغتمّ و أجهد نفسه فى الدعاء و المناجاة، فأرق المنصور إثر ذلك، و استدعى النوم فلم يقدر عليه، و كان يأتيه عند تنويمه آت كرية الشخص عنيف الأخذ يأمره بإطلاق الرجل، و يتوعّده على حبسه، فاستدفع شأنه مرارا إلى أن علم أنّه نذير من ربّه، فانقاد لأمره، و دعا بالدواة فى مرقده فكتب بإطلاقه، و قال فى كتابه: هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبى عامر، و تحدّث الناس زمانا بما كان منه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١؛ ص ٣٢٥

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٢٦

و فى السادسة و الأربعين ما نصّه: انتهت هيبه المنصور بن أبى عامر و ضبطه للجند و استخدام ذكور الرجال و قوام الملك إلى غاية لم يصلها ملك قبله، فكانت مواقفهم فى الميدان على احتفاله مثلا فى الإطراق، حتى إنّ الخيل لتمثّل إطراق فرسانها فلا تكثر الصهيل و الحمحمه، و لقد وقعت عينه على بارقه سيف قد سلّه بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو جدّ بحيث ظنّ أنّ لحظ المنصور لا يناله، فقال: علىّ بشاهر السيف، فمثل بين يديه لوقته، فقال: ما حملك على أن شهرت سيفك فى مكان لا يشهر فيه إلّا عن إذن؟ فقال: إننى أشرت به إلى صاحبى مغمدا فذلق من غمده، فقال: إن مثل هذا لا يسوغ بالدعوى، و أمر به فضربت عنقه بسيفه، و طيف برأسه، و نودى عليه بذنبه انتهى.

و فى السابعة و الأربعين: أن المنصور كان به داء فى رجله، و احتاج إلى الكى فأمّر الذى يكويه بذلك و هو قاعد فى موضع مشرف على أهل مملكته، فجعل يأمر و ينهى و يفرى الفرى فى أموره، و رجله تكوى و الناس لا يشعرون، حتى شمّوا رائحة الجلد و اللحم، فتعجبوا من ذلك و هو غير مكثرث.

و أخباره - رحمه الله تعالى! - تحتل مجلّدات، فلنمسك العنان، على أنّا ذكرنا فى الباب الرابع و السادس من هذا الكتاب جملة من

أخباره، رحمه الله تعالى! فلتراجع إلى آخره.

[عود إلى أخبار المنصور (من المطمح)]

وقال الفتح في المطمح: و كان ممّا أعين به المنصور على المصحفَى ميل الوزراء إليه، و إيثارهم له عليه، و سعيهم في ترقّيه، و أخذهم بالعصبيّة فيه، فإنها و إن لم تكن حميّة أعرابيّة، فقد كانت سلفيّة سلطانيّة، يقتفى القوم فيها سبيل سلفهم، و يمنعون بها ابتدال شرفهم، غادروها سيرة، و خلّفوها عادةً أثيرة، تشاخ الخلف فيها تشاخ سلفهم أهل الديانة، و صانوا بها مراتبهم أعظم صيانته، و رأوا أنّ أحدا لا يلحق فيها غايّة، و لا يتعاقد لها رايّة. فلمّا اصطفى الحكم المستنصر بالله جعفر بن عثمان و اصطنعه، و وضعه من أثرته حيث وضعه، و هو نزيح بينهم و نابغ فيهم، حسدوه و ذمّوه، و خصّوه بالمطالبة و عمّوه. و كان أسرع صنف الطائفة من أعالى الوزراء و أعظم الدولة إلى مهاودة المنصور عليه، و الانحراف عنه إليه، آل أبى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٢٧

عبيده و آل شهيد و آل فطيس من الخلفاء و أصحاب الرّدافّة، من أولى الشرف و الإنافة و كانوا فى الوقت أزميّة الملك و قوّام الخدمة، و مصاييح الأمّة، و أغير الخلق على جاه و حرمة، فأحظوا محمد بن أبى عامر مشايعة، و لبعض أسبابه الجامعة متابعه، و شادوا بناءه، و قادوا إلى عنصره سناءه، حتى بلغ الأمل، و التحف بمناه و اكتحل، و عند التثام هذه الأمور لابن أبى عامر استكان، جعفر بن عثمان، للحادثه، و أيقن بالنكبة، و زوال الحال و انتقال الرتبة، و كفّ عن اعتراض محمد و شركته فى التدبير، و انقبض الناس من الرواح إليه و التبكير. و انشالوا على ابن أبى عامر فخفّ موكبه، و غار من سماء العزّ كوكبه، و توالى عليه سعى ابن أبى عامر و طلبه، إلى أن صار يغدو إلى قرطبة و يروح و ليس بيده من الحجابة إلّا اسمها، و ابن أبى عامر مشتمل على رسمها، حتى محاه، و هتك ظلّه و أضحاه. قال محمد بن إسماعيل: رأيته يساق إلى مجلس الوزارة للمحاسبة راجلا فأقبل يدرم، و جوارحه باللواعج تضطرم، و واثق الضاغط ينهره، و الزمّع يقهره، و البهر و السنّ قد هاضاه، و قصّيرا خطاه، فسمعتة يقول: رفقا بى فستدرك ما تحبّه و تشتهيّه، و ترى ما كنت ترتجيه، و ياليت أنّ الموت يباع فأعلى سومه، حتى يردّه من أطال عليه حومه، ثم قال: [الكامل]

لا تأمننّ من الزمان تقلّبا إنّ الزمان بأهله يتقلّب

و لقد أرانى و اللبوث تخافنى فأخافنى من بعد ذاك الثعلب

حسب الكريم مذلّة و مهانة أن لا يزال إلى لثيم يطلب

فلمّا بلغ المجلس جلس فى آخره دون أن يسلم على أحد، أو يومئ إليه بعين أو يد، فلمّا أخذ مجلسه تسرّع إليه الوزير محمد بن حفص بن جابر فعنّفه و استجفاه، و أنكر عليه ترك السلام و جفاه، و جعفر معرض عنه، إلى أن كثر القول منه، فقال له: يا هذا، جهلت المبرّة فاستجهلت معلّمها، و كفرت النعم فقصدت بالأذى و لم ترهب مقدّمها، و لو أتيت نكرا، لكان غيرك أدرى، و قد وقعت فى أمر ما أظنّك تخلص منه، و لا يسعك السكوت عنه، و نسيت الأيادى الجميلة، و المبرّات الجليّة، فلمّا سمع محمد بن حفص ذلك من قوله قال: هذا البهت بعينه، و أىّ أياديك الغرّ التى مننت بها و عيّنت أداء واجبها؟ أيد كذا أم يد كذا؟ و عدّد أشياء أنكرها منه أيام إمارته، و تصرّف الدهر طوع إشارته، فقال جعفر: هذا ما لا يعرف، و الحق الذى لا يردّ و لا يصرف، دفعى القطع عن يمينك، و تبليغى لك إلى مناك، فأصّر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٢٨

محمد بن حفص على الجحد، فقال جعفر: أنشد الله من له علم بما أذكره، إلّا اعترف به فلا ينكره، و أنا أحوج إلى السكوت، و لا تحجب دعوتى فيه عن الملكوت، فقال الوزير أحمد بن عباس: قد كان بعض ما ذكرته يا أبا الحسن، و غير هذا أولى بك، و أنت فيما أنت فيه من محتك و طلبك، فقال: أخرجنى الرجل، فنكلمت، و أحوجنى إلى ما به أعلمت، فأقبل الوزير ابن جهور على محمد

بن حفص وقال: أسأت إلى الحاجب، و أوجبت عليه غير الواجب، أو ما علمت أن منكوب السلطان لا يسلم على أوليائه لأنه إن فعل ألزمهم الرد لقوله تعالى: وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها [النساء: ٨٦] فإن فعلوا طاف بهم من إنكار السلطان ما يخشى و يخاف؛ لأنه تأنيس لمن أوحش و تأمين لمن أخاف، و إن تركوا الرد أسخطوا الله، فصار الإمساك أحسن، و مثل هذا لا يخفى على أبي الحسن، فانكسر ابن حفص، و خجل مما أتى به من النقص. و بلغه أن قوما توجعوا له، و تفجعوا ممّا وصله، فكتب إليهم: [الطويل] أحنّ إلى أنفاسكم فأظنّها بواعث أنفاس الحياة إلى نفسى و إن زمانا صرت فيه مقيدا لأثقل من رضوى و أضيق من رسم انتهى ما ترجم به المنصور بن أبي عامر.

[ولاية عبد الملك المظفر بن المنصور، ثم ولاية عبد الرحمن الناصر لدين الله]

و لنرجع فنقول: و لمّا توفي المنصور قام بالأمر بعده ابنه عبد الملك المظفر أبو مروان فجرى على سنن أبيه فى السياسة و الغزو، و كانت أيامه أعيادا دامت مدّة سبع سنين و كانت تسمى بالسابع، تشبيها بسابع العروس، و لم يزل مثل اسمه مظفرا إلى أن مات سنة تسع و تسعين و ثلاثمائة فى المحرم، و قيل: سنة ثمان و تسعين.

و كاتبه المعزّ بن زيرى ملك مغراوة بعد أن استرجع فاسا و المغرب إثر موت أبيه، فكتب له العهد على المغرب، و ثارت الطوائف فى ممالكهم، و تحرّكت الجلائقة لاسترجاع معاقلهم و حصونهم.

قال ابن خلدون: ثم قام بالأمر بعده أخوه عبد الرحمن، و تلقّب بالناصر لدين الله، و قيل: بالمأمون، و جرى على سنن أبيه و أخيه فى الحجر على الخليفة هشام، و الاستبداد عليه، و الاستقلال بالملك دونه. ثم تاب له رأى فى الاستئثار بما بقى من رسوم الخلافة، فطلب من هشام المؤيد أن يوليّه عهده، فأجاب، و أحضر لذلك الملاء من أرباب الشورى و أهل الحلّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٢٩

و العقد، فكان يوما مشهودا، فكتب عهده من إنشاء أبى حفص بن برد بما نصّه: «هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامّة، و عاهد الله عليه من نفسه خاصّة، و أعطى به صفقه يمينه بيعه تامّة، بعد أن أمعن النظر و أطال الاستخارة، و أهّمه ما جعل الله إليه من الإمامة، و عصب به من أمر المؤمنين، و اتقى حلول القدر بما لا يؤمن، و خاف نزول القضاء بما لا يصرف، و خشى إن هجم محتوم ذلك عليه و نزل مقدوره به و لم يرفع لهذه الأمة علما تأوى إليه، و ملجأ تنعطف عليه، أن يكون يلقي ربّه تبارك و تعالى مفزّطا ساهيا عن أداء الحق إليها، و نقص عند ذلك من إحياء قريش و غيرها من يستحقّ أن يسند هذا الأمر إليه، و يعول فى القيام به عليه، ممّن يستوجه بدينه و أمانته، و هديه و صيانتها، بعد أطراح الهوى، و التحرّى للحق، و الرّقى إلى الله جلّ جلاله بما يرضيه. و بعد أن قطع الأواصر، و أسخط الأرقاب، فلم يجد أحدا أجدر أن يوليّه عهده، و يفوض إليه الخلافة بعده، لفضل نفسه و كرم خيمه و شرف مرتبته و علو منصبه، مع تقاه و عفافه و معرفته و حزمه، من المأمون الغيب، الناصح الجيب، أبى المظرف عبد الرحمن بن المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر، و فقه الله! إذ كان أمير المؤمنين - أيده الله تعالى! - قد ابتلاه و اختبره، و نظر فى شأنه و اعتبره، فرآه مسارعا فى الخيرات، سابقا فى الحلبات، مستوليا على الغايات، جامعا للمأثرات. و من كان المنصور أباه، و المظفر أخاه، فلا غرو أن يبلغ من سبل البرّ مداه، و يحوى من خلال الخير ما حواه، مع أن أمير المؤمنين - أيده الله! - بما طالع من مكنون العلم، و وعاه من مخزون الأثر، يرى أن يكون وليّ عهده القحطانى الذى حدّث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص و أبو هريرة أن النبى صلّى الله عليه و سلم قال: «لا تقوم الساعة حتّى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه». فلما استوى له الاختبار، و تقابلت عنده فيه الآثار، و لم يجد عنه مذهبا، و لا إلى غيره معدلا، خرج إليه من تدبير الأمور فى حياته، و فوّض إليه الخلافة بعد وفاته، طائعا راضيا مجتهدا، و أمضى أمير المؤمنين هذا و أجازته، و أنجزه و أنفذه، و لم يشترط فيه مثوية

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٣٠

ولا خيارا، وأعطى على الوفاء به في سرّه و جهره و قوله و فعله عهد الله و ميثاقه، و ذمّة نبيّه محمد صلّى الله عليه و سلّم، و ذمّ الخلفاء الراشدين من آباءه، و ذمّة نفسه، أن لا يبدّل و لا يغيّر و لا يحوّل و لا يزول. و أشهد الله على ذلك و الملائكة، و كفى بالله شهيدا، و أشهد من أوقع اسمه في هذا و هو جائر الأمر ماضى القول و الفعل بمحضر من ولى عهده المأمون أبى المطرف عبد الرحمن بن المنصور و فقه الله تعالى، و قبوله ما قلده، و إلزامه نفسه ما ألزمه، و ذلك في شهر ربيع الأوّل سنة ثمان و تسعين و ثلاثمائة. و كتب الوزراء و القضاة و سائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم، و تسمى بعدها بوليّ العهد.

[خلع هشام المؤيد و بيعه محمد بن هشام المهدي بالله]

و نقم عليه أهل الدولة ذلك، فكان فيه حتفه، و انقراض دولته و دولة قومه، و كان أسرع الناس كراهة لذلك الأمويون و القرشيون، فغصوا بأمره، و أسفوا من تحويل الأمر جملة من المضرية إلى اليمينية، فاجتمعوا لشأنهم، و تمشت من بعض إلى بعض رجالاتهم، و أجمعوا أمرهم في غيبة من المذكور ببلاد الجلالة في غزاة من صوائفه، و وثبوا بصاحب الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع و تسعين و ثلاثمائة، و خلعوا هشاما المؤيد.

و بايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله من أعقاب الخلفاء، و لقبوه المهدي بالله، و طار الخبر إلى عبد الرحمن الحاجب بن المنصور بمكانه من الثغر، فانفضّ جمعه، و قفل إلى الحضرة مدلاً بمكانه، زعيماً بنفسه، حتى إذا قرب من الحضرة تسلّل عنه الناس من الجند و وجوه البربر، و لحقوا بقرطبة، و بايعوا المهدي القائم بالأمر، و أغروه بعبد الرحمن الحاجب، لكونه ماجنا مستهترا غير صالح للأمر، فاعترضه منهم من قبض عليه، و احتزّ رأسه، و حمله إلى المهدي والي الجماعة. و ذهبت دولة العامريين كأن لم تكن، و لله عاقبة الأمور.

و في المهدي يقول بعضهم: [مخلع البسيط]

قد قام مهدينا و لكن بملّة الفسق و المجون

و شارك الناس في حريم لولاه ما زال بالمصون

من كان من قبل ذا أجما فاليوم قد صار ذا قرون

و كان رؤساء البربر و زناته لحقوا بالمهديّ لما رأوا من سوء تدبير عبد الرحمن و انتقاض أمره. و كانت الأموية تعتدّ عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين، و تنسب تغلب المنصور

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٣١

و بنه على الدولة إليهم، فسخطتهم القلوب، و خزرتهم العيون، و لولا ما لهم من العصبية لاستأصلهم الناس، و لغت ألسنة الدهماء من أهل المدينة بكرهتهم. و أمر المهدي أن لا يركبوا و لا يتسلّحوا، و ردّ بعض رؤسائهم في بعض الأيام من باب القصر، فانتهبت العافية دورهم، و شكوا بعضهم إلى المهدي ما أصابهم، فاعتذر إليهم و قتل من اتّهم من العافية في أمرهم، و هو مع ذلك مظهر لبغضهم، مجاهر بسوء الثناء عليهم. و بلغهم أنه يريد الفتك بهم، فتمشت رجالاتهم، و أسروا نجواهم، و اشتوروا في تقديم هشام بن سليمان ابن أمير المؤمنين الناصر، و فشا في الخاصية حديثهم، فعوجلوا عن مرامهم ذلك، و أغرى بهم السواد الأعظم، فناروا بهم، و أزغجواهم عن المدينة. و تقبض على هشام و أخيه أبى بكر، و أحضرا بين يدي المهدي، فضرب أعناقهما. و لحق سليمان ابن أخيها الحكم بجنود البربر، و قد اجتمعوا بظاهر قرطبة و توامروا، فبايعوه و لقبوه المستعين بالله، و نهضوا به إلى ثغر طليطلة، فاستجاش بابن أذفونش، ثم نهض في جموع البرابرة و النصرانية إلى قرطبة، و برز إليه المهدي في كافّة أهل البلد و خاصية الدولة، فكانت الدائرة عليهم، و استلحم منهم ما يزيد على عشرين ألفاً، و هلك من خيار الناس و أئمة المساجد و سدنتها و مؤذنيها عالم. و دخل المستعين

قرطبة ختام المائة الرابعة. و لحق المهدي بطليطلة. و استجاش باين أذفونش ثانية، فنهض معه إلى قرطبة، و هزم المستعين و البرابرة بعقبه البقر من ظاهر قرطبة، و دخل قرطبة- أعنى المهدي- و ملكها.

و خرج المستعين مع البربر، و تفرقوا في البسائط يهبون و لا يبقون على أحد. ثم ارتحلوا إلى الجزيرة الخضراء، فخرج المهدي و معه ابن أذفونش لاتباعهم، فكروا عليهم، فانهزم المهدي و ابن أذفونش و من معه من المسلمين و النصارى، و أتبعهم المستعين إلى قرطبة، فأخرج المهدي هشاما المؤيد للناس، و بايع له، و قام بأمر حجابته، ظلنا منه أن ذلك ينفعه، و هيهات! و حاصرهم المستعين و البربر، فخشى أهل قرطبة من اقتحامهم عليهم، فأغروا أهل القصر و حاشية المؤيد بالمهدي و أن الفتنة إنما جاءت من قبله، و تولى كبر ذلك واضح العامرى، فقتلوا المهدي، و اجتمع الكافة على المؤيد، و قام واضح بحجابته. و استمر الحصار، و لم يغن عن أهل قرطبة ما فعلوه شيئا، إلى أن هلكت القرى و البسائط بقرطبة، و عدت المرافق، و جهدهم الحصار. و بعث المستعين إلى أهل ابن أذفونش يستقدمهم لمظاهرة، فبعث إليهم هشام و حاجبه واضح يكفونهم عن ذلك، بأن ينزلوا لهم عن ثغور قشتالة التي كان المنصور

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٣٢

افتتحها، فسكن عن مظاهرتهم عزم أذفونش، و لم يزل الأمر حتى دخل المستعين قرطبة و من معه من البربر عنوة سنة ثلاث و أربعمائه، و قتل هشام سرا. و لحق بيوتات قرطبة معزة في نسائهم و أبنائهم. و ظن المستعين أن قد استحکم أمره، و توثبت البرابرة و العبيد على الأعمال، فولوا المدن العظيمة، و تقلدوا البلاد الواسعة، مثل باديس بن حبوس في غرناطة، و البرزالي في قرمونة، و اليفرنى في رندة، و خزرون في شريش، و افترق شمل الجماعة بالأندلس، و صار الملك طوائف في آخرين من أهل الدولة، مثل ابن عبّاد ياشبيلية، و ابن الأفسس ببطليوس، و ابن ذى النون بطليطلة، و ابن أبى عامر ببلنسية، و ابن هود بسرقسطة، و مجاهد العامرى بدانية و الجزائر.

[شعر للمستعين]

قال ابن خلدون و كان مائلا لبني حمّود يهجو سليمان المستعين: [السريع]

لا رحم الله سليمانكم فإنه ضدّ سليمان

ذاك به غلت شياطينها و حلّ هذا كلّ شيطان

فباسمه ساحت على أرضنا لهلك سكان و أوطان

و كان من أعظم الأسباب فى فساد دولة المستعين أنه قال هذه الأبيات مستريحا بها إلى خواصّه، و هى قوله: [الطويل]

حلفت بمن صلّى و صام و كبرا لأعمدها فيمن طغى و تجبرا

و أبصر دين الله تحيا رسومه فبدل ما قد كان منه و غيرا

فواعجبا من عبشمى مملك برغم العوالى و المعالى تبربرا

فلو أن أمرى بالخيار نبذتهم و حاكمتهم للسيف حكما محررا

فإما حياة تستلذ بفقدهم و إما حمام لا نرى فيه ما زرى

و قد سلك هذا المسلك المرتضى المروانى فقال: [السريع]

قد بلغ البربر فينا بنا ما أفسد الأحوال و النّظما

كالسهم للطائر لو لا الذى فيه من الرّيش لما أصمى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٣٣

قوموا بنا فى شأنهم قومه تزيل عنا العار و الرّغما

إما بها نملك، أو لا نرى ما يرجع الطرف به أعمى

[بنو حمود]

و كان على بن حمّود الحسنى و أخوه قاسم من عقب إدريس ملك فاس و بانيها قد أجازوا مع البربر من العدوّة إلى الأندلس، فدعوا لأنفسهم، و اعصوب عليهم البربر، فملكوا قرطبة سنة سبع و أربعمائه، و قتلوا المستعين، و محوا ملك بنى أمية، و اتّصل ذلك فى خلف منهم سبع سنين، ثم رجع الملك إلى بنى أمية.

و كان المستعين المذكور أدبيا بليغا، و من شعره يعارض هارون الرشيد فى قوله: [الكامل]
ملك الثلاث الأنسات عنانى

الأيّيات - قوله: [الكامل]

عجبا يهاب الليث حدّ سنانى و أهاب لحظ فواتر الأجفان
و أقارع الأهوال لا متهيبا منها سوى الإعراض و الهجران
و تملكّت نفسى ثلاث كالدمى زهر الرجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظرى من فوق أغصان على كثنان
حاكمت فيهنّ السلوّ إلى الهوى فقضى بسطان على سلطانى
هذى الهلال، و تلك بنت المشتري حسنا، و هذى أخت غصن البان
فأبحن من قلبى الحمى و تركنى فى عزّ ملكى كالأسير العانى
لا تعذلوا ملكا تذللّ فى الهوى ذلّ الهوى عزّ و ملك ثانى
ما صرّ أتى عبدهنّ صبابه و بنو الزمان و هنّ من عبدانى
إن لم أطمع فيهنّ سلطان الهوى كلفا بهنّ فلسّ من مروان
و ولى الأمر بعده على بن حمّود الحسنى؛ تلقّب بالناصر، و خرج عليه العبيد و بعض

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٣٤

المغاربه، و بايعوا المرتضى أخا المهدي، ثم اغتيل المرتضى، و استقام الملك لعلى بن حمّود نحو عامين، إلى أن قتله صقالبته بالحمام سنة ثمان و أربعمائه، فولى مكانه أخوه القاسم، و تلقّب بالمأمون، و نازعه الأمر بعد أربع سنين من خلافته يحيى ابن أخيه، و كان على سبته، فأجاز إلى الأندلس سنة عشر، و احتلّ بمالقه و كان أخوه إدريس بها منذ عهد أبيهما، فبعثه إلى سبته، ثم زحف يحيى إلى قرطبة فملكها سنة ثنتى عشرة و أربعمائه، و تلقّب المعتلى، و فرّ عمّه المأمون إلى إشبيلية و بايع له القاضى ابن عباد، و استعجاش بعض البرابرة، ثم رجع إلى قرطبة سنة ثلاث عشرة و ملكها، ثم لحق المعتلى بمكانه من مالقه، و تغلّب على الجزيرة الخضراء، و تغلّب أخوه إدريس على طنجة من وراء البحر، و كان المأمون يعتدّها حصنا لنفسه، و فيها ذخائره، فلما بلغه الخبر اضطرب، و ثار عليه أهل قرطبة، و نقضوا طاعته، و خرج فحاصرهم فدافعوه، و لحق بإشبيلية فمنعوه، و كان بها ابنه فأخرجوه إليه، و ضبطوا بلدهم، و استبدّ ابن عباد بملكها، و لحق المأمون بشريش، و رجع عنه البربر إلى يحيى المعتلى ابن أخيه، فبايعوه سنة خمس عشرة، و زحف إلى عمّه المأمون فتغلّب عليه و لم يزل عنده أسيرا و عند أخيه إدريس بمالقه إلى أن هلك بمحبسه سنة سبع و عشرين، و قيل: إنه خنق كما سيأتى، و استقلّ المعتلى بالأمر، و اعتقل بنى عمّه القاسم. و كان المستكفى من الأمويين استولى على قرطبة فى هذه المدّة عندما أخرج أهلها العلوية، ثم خلع أهل قرطبة المستكفى الأموى سنة ست عشرة، و صاروا إلى طاعة المعتلى، و استعمل عليهم ابن عطف من قبله، ثم نقضوا سنة سبع عشرة، و صرفوا عاملهم، و بايعوا للمعتدّ بالله الأموى أخى المرتضى، و بقى المعتلى يردّد لحصارهم العساكر إلى أن اتفقت الكلمة على إسلام الحصون و المدائن له، فعلا سلطانه، و اشتدّ أمره إلى أن هلك سنة تسع و عشرين؛ اغتاله

أصحابه بدسيسة ابن عبّاد الثائر ياشبيلية، فاستدعى أصحابه أخاه إدريس بن علي [بن حمّود] من سبتة، وملكوه، ولقبوه المتأيد، و بايعته رندة و أعمالها و ألمريّة و الجزيرة الخضراء، و بعث عساكره لحرب أبي القاسم إسماعيل بن عبّاد والد المعتضد بن عبّاد، فجاؤوه برأسه بعد حروب، و هلك ليومين بعد ذلك سنة إحدى و ثلاثين، و بويغ ابنه يحيى، و لم يتم له أمر، و بويغ حسن المستنصر بن المعتلى، و فرّ يحيى إلى قمارش فهلك بها سنة أربع و ثلاثين، و يقال: إنه قتله نجا، و هلك حسن مسموما بيد ابنة عمه إدريس، ثارت منه بأخيها، و كان إدريس بن يحيى المعتلى معتقلا بمالقة فأخرج بعد خطوب و بويغ بها، فأطاعته غرناطة و قرمونة، و لقب العالى، و هو الممدوح بالقصيدة المشهورة بالمغرب التى قالها فيه أبو زيد عبد الرحمن بن مقانا القبذاقى الأشبونى من شعراء الذخيرة، و هى: [الرمل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٣٥
ألبرق لائح من أندرين ذرفت عيناك بالماء المعين
لعبت أسيافه عارية كمخاريق بأيدي اللّاعبين
و لصوت الرّعد زجر و حنين و لقلبي زفرات و أنين
و أناجى فى الدّجى عادلتى ويك لا أسمع قول العاذلين
عيرتنى بسقام و ضنى إن هذين لدين العاشقين
قد بدا لى وضح الصّبح المبين فاسقنيها قبل تكبير الأذنين
اسقنيها مزّة مشمولة لبثت فى دنّها بضع سنين
نثر المزج على مفرقتها دررا عامت فعادت كالبرين
مع فتیان كرام نجب يتهادون رياحين المجون
شربوا الراح على خدّ رشا نور الورد به و الياسمين
و جلت آياته عامده سيج الشّعر على عاج الجبين
لوت الصّدغ على جاجبه ضمة اللّام على عطفة نون
فترى غصنا على دعص نقا و ترى ليلا على صبح ميين
و سيسقون إذا ما شربوا بأباريق و كأس من معين
و مصاييح الدّجى قد طفئت فى بقايا من سواد الليل جون
و كأنّ الظّل مسك فى الثرى و كأنّ الطلّ درّ فى الغصون
و الندى يقطر من نرجسه كدموع أسبلتهنّ الجفون
و الثريا قد هوت من أفقها كقضيب زاهر من ياسمين
و انبرى جنح الدّجى عن صبحه كغراب طار عن بيض كنين
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٣٦
و كأنّ الشّمس لما أشرقت فانشت عنها عيون الناظرين
وجه إدريس بن يحيى بن عليّ ابن حمّود أمير المؤمنين
ملك ذو هيبه لكنّه خاشع لله ربّ العالمين
خطّ بالمسك على أبوابه: ادخلوها بسلام آمنين
فإذا ما رفعت راياته خفقت بين جناحي جبرئيل

و إذا أشكل خطب معضل صدع الشك بمصباح اليقين
 فيسراه يسار المعسرين و ييمناه لواء السابقين
 يا بنى أحمد، يا خير الورى لأبيكم كان وفد المسلمين
 نزل الوحي عليه فاحتبى فى الدجى فوقهم الزوح الأمين
 خلقوا من ماء عدل و تقى و جميع الناس من ماء وطين
 انظرونا نقتبس من نوركم إنه من نور رب العالمين

و قيل: إنه أنشده إياها من وراء حجاب اقتفاء لطريقة خلفاء بنى العباس، فلما بلغ إلى قوله:

انظرونا نقتبس من نوركم إنه من نور رب العالمين

أمر حاجبه أن يرفع الحجاب، و قابل وجهه وجه الشاعر دون حجاب، و أمر له بإحسان جزيل، فكان هذا من أنبل ما يحكى عنه.
 و خلع العالى سنة ثمان و ثلاثين، و ولى ابن عمه محمد بن إدريس بن على، و تلقب بالمهدى، و توفى سنة أربع و أربعين.
 و بويح إدريس بن يحيى بن إدريس، و لقب الموفق، و لم يخطب له بالخلافة و زحف إليه العالى إدريس المخلوع الممدوح بالقصيدة
 السابقة، و كان بقمارش، فدخل عليه مالقة، و أطلق أيدي عبيده عليها لحقده عليهم، ففر كثير منهم، و توفى العالى سنة ست أو سبع و
 أربعين.

و بويح محمد بن إدريس، و لقب المستعلى، ثم سار إليه باديس بن حبوس سنة تسع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٣٧

و أربعين و أربعمائه، فتغلب على مالقة، و سار محمد إلى ألمرية مخلوعا، ثم استدعاه أهل المغرب إلى مليلة فأجاز إليهم و بايعوه سنة
 ست و خمسين، و توفى سنة ستين.

و كان محمد بن القاسم بن حمود لما اعتقل أبوه القاسم بمالقة سنة أربع عشرة فر من الاعتقال و لحق بالجزيرة الخضراء و ملكها، و
 تلقب بالمعتصم، إلى أن هلك سنة أربعين. ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواثق، إلى أن هلك سنة خمسين، و صارت الجزيرة للمعتضد
 بن عباد، و مالقة لابن حبوس مزاحما لابن عباد.

و انقرضت دولة الأشراف الحموديين من الأندلس، بعد أن كانوا يدعون الخلافة.

[خلافة المستظهر عبد الرحمن بن هشام الأموي]

و أما قرطبة فإن أهلها لما قطعوا دعوة الحموديين بعد سبع سنين من ملكهم و زحف إليهم القاسم بن حمود فى البربر، فهزمهم أهل
 قرطبة، ثم اجتمعوا و اتفقوا على رد الأمر لبنى أمية، و اختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخا المهدى، و بايعوه فى
 رمضان سنة أربع عشرة و أربعمائه، و لقبوه المستظهر و قاموا بأمره، و من شعره قوله: [مجزوء الرمل]

طال عمر الليل عندي مذ تولعت بصدى

يا غزالا نقض العه د و لم يوف بوعد

أنسيت العهد إذ بت نا على مفرش ورد

و اجتمعنا فى وشاح و انتظمتنا نظم عقد

و نجوم الليل تحكى ذها فى لازورد

قال الحجارى: لو قال «لؤلؤا فى لازورد» لكان أحسن تشبيها، و أنشد متمثلا: [مجزوء الكامل]

إنّا عصابتك الألى كئنا نكابد ما تكابد

هذا أوان بلوغنا الن عمى و إنجاز المواعيد

و كان حسان بن أبى عبده من وزراء المستظهر، و لما أكثر المستظهر دونه الاستبداد كتب إليه بقوله: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٣٨

إذا غبت لم أحضر، و إن جئت لم أسل فسيان متى مشهد و مغيب

فأصبحت تيمنا، و ما كنت قبلها لتيم، و لكن الشبيه نسيب

يشير إلى قول الأول: [الوافر]

و يقضى الأمر حين تغيب تيم و لا يستأذنون و هم شهود

و عاتبه أيضا بقوله: [الطويل]

إذا كان مثلى لا يجازى بصبره فمن ذا الذى بعدى يجازى على الصبر

و كم مشهد حاربت فيه عدوكم و أملت فى حربى له راحة الدهر

أخوض إلى أعدائكم لجج الوغى و أسرى إليهم حيث لا أحد يسرى

و قد نام عنهم كل مستبطن الحشا أكل إلى الممسى نؤوم إلى الظهر

فما بال هذا الأمر أصبح ضائعا و أنت أمين الله تحكم فى الأمر

و سيأتى إن شاء الله تعالى من كلام الوزير المذكور ما يدل على عظيم قدره، و هناك نذكر تحلية الفتح له.

ثم ثار عليه لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، فاتبعه الغوغاء، و فتك

بالمستظهر، و تلقب بالمستكفى، و استقل بأمر قرطبة، و هو والد الأديبة الشهيرة ولادة، و لعنا نلم ببعض أخبارها إن شاء الله تعالى فيما

بعد، و كان أبوه عبد الرحمن قتله المنصور بن أبى عامر لسعيه فى الخلافة.

[انقطاع الدولة الأموية و ظهور ملوك الطوائف]

ثم بعد ستة عشر شهرا من بيعه المستكفى رجع الأمر إلى المعتلى يحيى بن على بن حمود سنة ست عشرة، و خلع أهل قرطبة

المستكفى، و ولى عليهم المعتلى من قبله، و فرّ المستكفى إلى ناحية الثغر، و مات فى مفرّه، ثم بدا لأهل قرطبة فخلعوا المعتلى بن

حمود سنة سبع عشرة، و بايع الوزير أبو محمد جهور بن محمد بن جهور عميد الجماعة و كبير قرطبة لهشام بن محمد أخى المرتضى،

و كان بالثغر فى لاردة عند ابن هود، و ذلك سنة ثمانى عشرة، و تلقب المعتد بالله، و أقام مترددا فى الثغر ثلاثة أعوام، و اشتدت الفتن

بين رؤساء الطوائف، و اتفقوا على أن ينزل دار الخلافة بقرطبة، فاستقدمه ابن جهور و الجماعة، و نزلها آخر سنة عشرين، و أقام بها

يسيرا، ثم خلعه الجند سنة ثنتين و عشرين، و فرّ إلى لاردة فهلك بها سنة ثمان و عشرين.

و انقطعت الدولة الأموية من الأرض، و انتشر سلك الخلافة بالمغرب، و قام الطوائف بعد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٣٩

انقراض الخلائف، و انتزى الأمراء و الرؤساء من البربر و العرب و الموالى بالجهات، و اقتسموا خطتها، و تغلب بعض على بعض، و

استقل أخيرا بأمرها منهم ملوك استفحل أمرهم و عظم شأنهم، و لاذوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم أو يبتزهم ملكهم، و أقاموا

على ذلك برهه من الزمان، حتى قطع إليهم البحر ملك العدو و صاحب مراکش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتونى،

فخلعهم، و أدخل منهم الأرض.

[بنو عباد، و بنو جهور و بنو ذى النون]

فمن أشهرهم بنو عبّاد ملوك إشبيلية و غرب الأندلس الذين منهم المعتمد بن عباد الشهير الذكر بالمغرب و المشرق، و في الذخيرة و القلائد من أخباره ما هو كاف شاف.

و منهم بنو جمهور، كانوا بقرطبة في صورة الوزارة، حتى استولى عليهم المعتمد بن عبّاد، و أخذ قرطبة، و جعل عليها ولده، ثم كانت له و عليه حروب و خطوط، و فرق أبناءه على قواعد الملك، و أنزلهم بها، و استفحل أمره بغرب الأندلس، و علت يده على من كان هنالك من ملوك الطوائف، مثل ابن حبّوس بغرناطة، و ابن الأفضس ببليوس، و ابن صمادح بالمرية، و غيرهم، فكانوا يخطبون سلمه، و يغلون في مرضاته، و كلهم يدارون الطاغية و يتقونه بالجزى، إلى أن ظهر يوسف بن تاشفين، و استفحل ملكه، فتعلقت آمال الأندلس بإعانتها، و ضايقهم الطاغية في طلب الجزية، فقتل المعتمد اليهودي الذي جاء في طلب الجزية للطاغية، بسبب كلمة قالها آسفه بها. ثم أجاز البحر صريخا إلى يوسف بن تاشفين، فأجاز معه البحر، و التقوا مع الطاغية في الزلّاقه، فكانت الهزيمة المشهورة على النصاري، و نصر الله تعالى الإسلام نصرا لا كفاء له، حتى قال بعض المؤرخين: إنه كان عدد النصاري ثلاثمائة ألف، و لم ينج منهم إلّا القليل، و صبر فيها المعتمد صبر الكرام، و كان قد أعطى يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء ليتمكّن من الجواز متى شاء، ثم طلب الفقهاء بالأندلس من يوسف بن تاشفين رفع المكوس و الظلامات عنهم، فتقدّم بذلك إلى ملوك الطوائف، فأجابوه بالامتنال، حتى إذا رجع من بلادهم رجعوا إلى حالهم، و هو خلال ذلك يردّد عساكره للجهاد، ثم أجاز إليهم و خلع جميعهم، و نازلت عساكره جميع بلادهم، و استولى على قرطبة و إشبيلية و بطليوس و غرناطة و غيرها، و صار المعتمد بن عباد كبير ملوك الأندلس في قبضته أسيرا بعد حروب، و نقله إلى أغمات قرب مراکش سنة أربع و ثمانين و أربعمائه، و اعتقله هنالك إلى أن مات سنة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٤٠

ثمان و ثمانين. و سنّم بما قاله الوزير لسان الدين بن الخطيب فيه لَمّا زار قبره.

و للمعتمد هذا أخبار مأثورة خصوصا مع زوجته أمّ أولاده الرميكية الملقبة باعتماد، و قد روى أنها رأت ذات يوم بإشبيلية نساء البادية يبعن اللبن في القرب و هنّ رافعات عن سوقهنّ في الطين، فقالت له: [يا سيدي] أشتهى أن أفعل أنا و جوارى مثل هؤلاء النساء، فأمر المعتمد بالعنبر و المسك و الكافور و ماء الورد، و صيّر الجميع طينا في القصر، و جعل لها قبرا و حبّالا من إبريسم، و خرجت هي و جواريتها تخوض في ذلك الطين، فيقال: إنه لَمّا خلع و كانت تتكلّم معه مزة فجرى بينهما ما يجري بين الزوجين، فقالت له: و الله ما رأيت منك خيرا، فقال لها: و لا- يوم الطين؟ تذكرها لها بهذا اليوم الذي أباد فيه من الأموال ما لا يعلمه إلّا الله تعالى، فاستحيت و سكتت.

و ولي بعده غير من تقدّم بنو رزين أصحاب السهله، و بنو الفهري أصحاب البونت، و تغلب عليهما أخيرا يوسف بن تاشفين.

و من أعظم ملوك الطوائف بنو ذى النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفى، و كانت لهم دولة كبيرة، و بلغوا في البذخ و الترف إلى الغاية، و لهم الإعذار المشهور الذي يقال له «الإعذار الدّونى» و به يضرب المثل عند أهل المغرب، و هو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق، و المأمون من بنى ذى النون هو صاحب ذلك، و هو الذى عظم بين ملوك الطوائف سلطانه، و كان بينه و بين الطاغية مواقف مشهورة، و غلب على قرطبة، و ملكها من يد ابن عبّاد المعتمد، و قتل ابنه أبا عمرو، و غلب أيضا على بلنسية و أخذها من يد بنى ابن أبى عامر.

و فى أيام حافد المأمون- و هو القادر بن ذى النون- كان الطاغية ابن أذفونش قد استفحل أمره، لَمّا خلا الجوّ من مكان الدولة الخلافية، و خفّ ما كان على كاهله من إصر العرب، فاكتسح البساط، و ضايق ابن ذى النون، حتى أخذ من يده طليطلة، فخرج له عنها سنة ثمان و سبعين و أربعمائه كما سبق، و شرط عليه أن يظاها على أهل بلنسية، فقبل شرطه، و تسلّمها ابن أذفونش، و لا حول و لا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

و من أعظم ملوك الأندلس الموالى العامريون مثل خيران و زهير و أشباههما. و أخبار الجميع تطول.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٤١

[من ملوك الطوائف بالأندلس بنو هود]

و من ملوك الطوائف بالأندلس بنو هود ملوك سرقسطة و ما إليها، و من أشهرهم المقتدر بالله، و ابنه يوسف المؤمن، و كان المؤمن قائما على العلوم الرياضية، و له فيها تآليف، و منها كتاب الاستكمال و المناظر، و ولى بعده ابنه المستعين أحمد سنة أخذ طليطلة، و على يده كانت وقعة وشقة - زحف سنة تسع و ثمانين فى آلاف لا تحصى من المسلمين ليدافع الطاغية عن وشقة، و كان محاصرا لها، فلقى الطاغية و هزمه، و هلك من المسلمين نحو عشرة آلاف، و هلك هو شهيدا سنة ثلاث و خمسمائة، بظاهر سرقسطة فى زحف الطاغية إليها. و ولى ابنه عبد الملك عماد الدولة، و أخرجه الطاغية من سرقسطة سنة ثنتى عشرة، و تولى ابنه سيف الدولة، و بالغ فى النكاية بالطاغية، ثم اتفق معه، و انتقل بحشمه إلى طليطلة، فكان فيها حمامه.

و من شعر المقتدر بن هود قوله رحمه الله فى مبانیه: [الكامل]

قصر السرور و مجلس الذهب بكما بلغت نهاية الأرب

لو لم يحز ملكى خلافكما كانت لى كفاية الطلب

[من مشاهير ملوك الطوائف بنو الأفضس]

و من مشاهير ملوك الطوائف بنو الأفضس أصحاب بطليوس و ما إليها، و المظفر منهم هو صاحب التأليف المسمى بالمظفرى فى نحو الخمسين مجلدا، و المتوكل منهم قتل على يد جيش يوسف بن تاشفين، و فيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة: [البيط]

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح و الصور
و هى من غرر القصائد الأندلسية.

و لما استولى ملوك لمتونة على بلاد الأندلس و أزالوا ملوك الطوائف منها، و بقيت عمالهم تتردد إليها و بنوهم حتى فشلت ريحهم، و هبت ريح الموحدين، أعنى عبد المؤمن بن على و بنيه، فحاربوا لمتونة، و استولوا على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة، ثم أجازوا البحر إلى الأندلس، و ملكوا أكثر بلاد الأندلس، و ملك بنو مردنيش شرق الأندلس، و ملخص ذلك أن الأندلس كان ملكها مجموعا لمتونة بعد خلعهم ملوك الطوائف، فلما اشتغل لمتونة فى العدو بحرب الموحدين اضطرت عليهم الأندلس، و عادت إلى الفرقة بعض الشيء، ثم خلص أكثرها لعبد المؤمن و بنيه بعد حروب منها ما حصل بين عبد المؤمن و بين ابن مردنيش

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٤٢

و قائده ابن همشك بفحص غرناطة، و قد استعان ابن مردنيش بالنصارى على الموحدين، فهزمهم عبد المؤمن، و قتلهم أبرح قتل، و استخلص غرناطة سنة سبع و خمسين و خمسمائة من يد ابن مردنيش. و ولى الأمر بعد عبد المؤمن ابنه يوسف، و أجاز إلى الأندلس، و كانت له مواقف فى جهاد العدو،

[يعقوب المنصور بن يوسف ملك الموحدين و غزو الأرك]

و ولى بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت، و كانت له فى النصارى بالأندلس نكاية كبيرة، و من أعظمها غزوة الأرك التى تضاهى وقعة الزلاقة أو تزيد، و الأرك: موضع بنواحي بطليوس، و كانت سنة إحدى و تسعين و خمسمائة، و غنم فيها المسلمون ما عظم قدره، و كان عدده من قتل من الفرنج - فيما قيل - مائة ألف و ستّة و أربعين ألفا، و عدّة الأسارى ثلاثين ألفا، و عدّة الخيام مائة

ألف و خمسين ألف خيمة، و الخيل ثمانين ألفا، و البغال مائة ألف، و الحمير أربعمائة ألف، جاء بها الكفار لحمل أثقالهم لأنهم لا إبل لهم، و أما الجواهر و الأموال فلا تحصى، و بيع الأسير بدرهم، و السيف بنصف درهم، و الفرس بخمسة دراهم، و الحمار بدرهم، و قسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع، و نجا ألفنش ملك النصارى إلى طليطلة فى أسوأ حال، فحلق رأسه و لحيته، و نكس صليبه، و آلى أن لا ينام على فراش، و لا يقرب النساء، و لا يركب فرسا و لا دابة، حتى يأخذ بالتأثر، و صار يجمع من الجزائر و البلاد البعيدة و يستعد، ثم لقيه يعقوب و هزمه و ساق خلفه إلى طليطلة و حاصره و رمى عليها بالمجانيق و ضيق عليها، و لم يبق إلا فتحها، فخرجت إليه والده الأذفونش و بناته و نساؤه و بكين بين يديه، و سأله إبقاء البلد عليهن، فرق لهن، و من عليهن بها، و هب لهن من الأموال و الجواهر ما جل، و ردهن مكرمات، و عنا بعد القدرة، و عاد إلى قرطبة، فأقام شهرا يقسم الغنائم، و جاءته رسل ألفنش بطلب الصلح، فصالحه، و أمن الناس مدته، و فيه يقول بعض شعراء عصره: [الكامل]

أهل بأن يسعى إليه و يرتجى و يزار من أقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالمكرمات مقلدا و موشحا و مختما و متوجا
عمرت مقامات الملوك بذكره و تعطرت منه الرياح تأرجا

و لما أرسل له السلطان صلاح الدين بن أيوب شمس الدين بن منقذ يستنجد به على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدسة، و لم يخاطبه بأمر المؤمنين، لم يجبه إلى ما طلبه، و كل ذلك فى سنة ٥٨٧، و مدحه ابن منقذ بقوله من قصيدة: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٤٣

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته إلى بحر جود ما لأخراه ساحل
إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى إلى من سمت بالذكر منه الأوائل
إليك أمير المؤمنين و لم تزل إلى بابك المأمول تزجى الزواحل
قطعت إليك البرّ و البحر موقنا بأن نداك الغمر بالنجح كافل
و حزت بقصديك العلا فبلغتها و أدنى عطاياك العلا و الفواضل
فلا زلت للعلياء و الجود بانبا تبلغك الآمال ما أنت آمل
و عدتها أربعون بيتا، فأعطاه بكل بيت ألفا، و قال له: إنما أعطيناك لفضلك و لبيتك.

[بين صلاح الدين الأيوبي و يعقوب الموحدى و ابنه الناصر]

و كان عنوان الكتاب الذى أرسله صلاح الدين «إلى أمير المسلمين» و فى أوّله «الفقير إلى الله تعالى يوسف بن أيوب» و بعده من إنشاء الفاضل «الحمد لله الذى استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الأرض، و أغنى من أهلها من سأله القرض، و أجرى من أجرى على يده النافلة و القرض، و زين سماء الملة بدرارى الذرارى التى بعضها من بعض» و هو كتاب طويل سأله فيه أن يقطع عنه مادة البحر، و استنجده على الإفرنج إذ كانت له اليد عليهم، و عاد ابن منقذ من هذه الرسالة سنة ٥٨٨ بغير فائدة، و بعث معه هدية حقيرة، و أما ابن منقذ فإنه أحسن إليه و أغناه، لا لأجل صلاح الدين، بل لبيته و فضله كما مرّ، و ما وقع من يعقوب فى صلاح الدين إنما هو لأجل أنه لم يوفّه حقه فى الخطاب.

رجع - و لما استفحل أمر الموحدين بالأندلس استعملوا القرابة على الأندلس و كانوا يسمونهم السادة، و اقتسموا ولايتها بينهم. و لهم مواقف فى جهاد العدو مذكورة، و كان صاحب الأمر بمراكش يأتى الأندلس للجهاد، و هزم يعقوب المنصور كما سبق قريبا بالأرك ابن أذفونش ملك الجلالقة الهزيمة الشنعاء.

و أجاز ابنه الناصر الوالى بعده البحر إلى الأندلس من المغرب سنة تسع و ستمائة و معه من الجنود ما لا يحصى، حتى حكى بعض

الثقات من مؤرخي المغرب أنه اجتمع معه من أهل الأندلس و المغرب ستمائة ألف مقاتل، فمحص الله المسلمين بالموضع المعروف بالعقاب، و استشهد منهم عدّة. و كانت سبب ضعف المغرب و الأندلس، أما المغرب فبخلاء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٤٤

كثير من قراه و أقطاره، و أما الأندلس فبطلب العدو عليها؛ لأنه لما التاث أمر الموحدين بعد الناصر ابن المنصور انتزى السادة بناوحي الأندلس كل في عمله، و ضعف ملكهم بمراكش، فصاروا إلى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض، و إسلام حصون المسلمين إليه في ذلك، فمشت رجالات الأندلس و أعقاب العرب منذ الدولة الأموية، و أجمعوا على إخراجهم، فثاروا به لحين واحد، و أخرجوهم. و تولى كبير ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي الثائر بالأندلس و ابن مردنيش و ثوار آخرون.

و قال ابن خلدون: ثم خرج على ابن هود في دولته من أعقاب دولة العرب أيضا و أهل نسيهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، و تلقب محمد هذا بالشيخ، فجاذبه الحبل، و كانت لكل واحد منهما دولة أورثها بنيه، انتهى.

و كان ابن هود يخطب للعباسي صاحب بغداد، ثم حصلت لابن هود و أعقابه حروب و خطوب إلى أن كان آخرهم الواثق بن المتوكل، فضايقه ألفنش و البرشلوني فبعث بالطاعة لابن الأحمر، فبعث إليه ابن أشقيلولة، و تسلّم مرسية منه، و خطب لابن الأحمر بها، ثم خرج منها راجعا إلى ابن الأحمر، فأوقع به النصاري في طريقه، ثم رجع الواثق إلى مرسية ثالثه، فلم يزل إلى أن ملكها العدو من يده سنة ثمان و ستين و ستمائة، و عوّضه عنها حصنا يسمّى يسر، و هو من عملها، فبقى فيه إلى أن هلك. و انقرضت دولة ابن هود، و الله وارث الأرض و من عليها.

[دولة بني الأحمر]

رجع إلى ذكر دولة أولاد الأحمر؛ لأن لسان الدين وزير أحدهم، و لأنهم آخر ملوك الأندلس، و من يدهم استولى النصاري على جميعها كما سنذكره. قال ابن خلدون: أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة، و لهم فيها سلف من أبناء الجند، و يعرفون ببني نصر، و ينتسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج. و كان كبيرهم لآخر دولة الموحدين محمد بن يوسف بن نصر، و يعرف بالشيخ، و أخوه إسماعيل. و كانت له و جاهه في ناحيتهم.

و لما فشلت ربح الموحدين، و انتزى الثوار بالأندلس، و أعطى السادة حصونها للطاغية، استقل بأمر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية بدعوة العباسية، و تغلب على شرق الأندلس أجمع، فتصدى الشيخ هذا للثورة عليه و بويع له سنة تسع و عشرين و ستمائة، و دعا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٤٥

لأبي زكرياء صاحب إفريقية، و أطاعته جيان و شريش سنة ثلاثين بعدها، و استظهر على أمره بقرابته من بني نصر و أصهاره بني أشقيلولة. ثم بايع لبني هود سنة إحدى و ثلاثين، عند ما بلغه خطاب الخليفة من بغداد. ثم ثار بإشبيلية أبو مروان الباجي عند خروج ابن هود عنها و رجوعه إلى مرسية، فداخله محمد بن الأحمر في الصلح على أن يزوجه ابنته، فأطاعه، و دخل إشبيلية سنة اثنتين و ثلاثين. ثم فتك بابن الباجي فقتله، و تناول البطش به على بن أشقيلولة. ثم راجع أهل إشبيلية بعدها بشهر دعوة ابن هود، و أخرج ابن الأحمر. ثم تغلب على غرناطة سنة خمس و ثلاثين بمدخله أهلها حين ثار ابن أبي خالد بدعوته فيها، و وصلته بيعتها و هو بجيان، فقدم إليها على بن أشقيلولة. ثم جاء على أثره، و نزلها، و ابنتى بها حصن الحمراء لتزوله. ثم تغلب على مالقة، ثم تناول المريّة من يد ابن الرميى وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث و أربعين، ثم بايعه أهل لورقة سنة ثلاث و ستين، و كان ابن الأحمر أول أمره وصل يده بالطاغية استظهارا على أمره، فعضده و أعطاه ابن هود ثلاثين حصنا في كف غربه بسبب ابن الأحمر، و ليعينه على ملك قرطبة، فتمسّمها، ثم تغلب على قرطبة سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة، أعادها الله! ثم نازل إشبيلية سنة ست و أربعين و ابن الأحمر معه، ثم

دخلها صلحا، وملك أعمالها. ثم ملك مرسية سنة خمس و ستين. و لم يزل الطاغية يقتطع ممالك المسلمين كورة كورة و ثغرا ثغرا إلى أن ألجأ المسلمين إلى سيف البحر ما بين رندة من الغرب و البيرة من شرق الأندلس نحو عشر مراحل من الغرب إلى الشرق، و في قدر مرحلة أو دونها في العرض ما بين البحر و الجوف. ثم سخط ابن الأحمر و طمع في الاستيلاء على سائر الجزيرة فامتنت عليه، و تلاحق بالأندلس الغزاة من بنى مرين و غيرهم، و عقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق لنحو الثلاثة آلاف منهم، فأجازوا في حدود الستين و ستمائة، و تقبل ابن الأحمر إجازتهم، و دفع بهم في نحر عدوة، و رجعوا. ثم تناسلوا إليه بعد ذلك، و لم يزل الأمر على ذلك إلى أن هلك الشيخ ابن الأحمر سنة إحدى و سبعين و ستمائة، و ولى بعده ابنه محمد الفقيه، و أوصاه باستصراخ بنى مرين، ملوك المغرب بعد الموحدين، إن طرقة أمر أن يعتضد بهم، فأجازه الفقيه إلى يعقوب بن عبد الحق سلطان فاس و المغرب سنة ثنتين و سبعين، فأجاب صريخه، و أرسل ابنه و عساكره معه. ثم أجاز على أثره و تسلّم الجزيرة الخضراء من تاجر كان بها و جعلها ركابا لجهاده، و نزل إليه ابن الأحمر عن طريف و ما إليها من الحصون، و هزم هو و ابن الأحمر زعيم النصرانية دنة و فرق جمعه، و أوقع بجموع الطاغية من كل جهة، و بث سراياه و بعوثه في أرض النصرانية، ثم خاف ابن الأحمر على ملكه، و صالح الطاغية ثم عاد، انتهى كلام ابن خلدون ملخصا.

و ثبتت قدم عقب ابن الأحمر بالأندلس، و استولوا على جميع ما بأيدي المسلمين من ملكها مثل الجزيرة و طريف و رندة التي كانت بيد بنى مرين.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٤٦

و بعد مدة ألب ملوك النصارى سنة تسع عشرة و سبعمائة على غرناطة، و جاءها الطاغية دون بطره في جيش لا يحصى و معه خمسة و عشرون ملكا، و كان من خبر هذه الوقعة أن الإفرنج حشدوا و جمعوا و ذهب سلطانهم دون بطره إلى طليطلة، و دخل على مرجعهم الذي يقال له البابا، و سجد له، و تضرع، و طلب منه استئصال ما بقى من المسلمين بالأندلس، و أكد عزمه، فقلق المسلمون بغرناطة و غيرها، و عزموا على الاستنجاد بالمريني أبى سعيد صاحب فاس، و أنفذوا إليه رسلا، فلم ينجع ذلك الدواء، فرجعوا إلى أعظم الأدوية و هو اللجأ إلى الله تعالى، و أخلصوا التيات، و أقبل الإفرنج في جموع لا تحصى، ففضى ناصر من لا ناصر له سواه بهزم أمم النصرانية، و قتل طاغيتهم دون بطره، و من معه، و كان نصرا عزيزا و يوما مشهورا مشهودا.

و كان السلطان إذ ذاك بالأندلس الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن الرئيس أبى سعيد فرج بن نصر المعروف بابن الأحمر رغب أن يحصن البلاد و الثغور، فلما بلغ النصارى ذلك عزموا على منازل الجزيرة الخضراء، فانتدب السلطان ابن الأحمر لردهم، و جهّز الأساطيل و الرجال، فلما رأوا ذلك طلبوا إلى طليطلة، و عزموا على استئصال المسلمين و بلادهم و تأهبوا لذلك غاية الأبهة، و وصلت الأثقال و المجانيق و آلات الحصار و الأقوات في المراكب، و وصل العدو إلى غرناطة، و امتلأت الأرض بهم، فتقدم السلطان إلى شيخ الغزاة الشيخ العالم أبى سعيد عثمان بن أبى العلاء المريني بالخروج إلى لقائهم بأنجاد المسلمين و شجعانهم، فخرج إليهم يوم الخميس الموفى عشرين لربيع الأول.

و لما كانت ليلة الأحد أغارت سرية من العدو على ضيعة من المسلمين، فخرجت إليهم جماعة من فرسان الأندلس الرماة، فقطعوه عن الجيش، و فرّت تلك السرية أمامهم إلى جهة سلطانهم، فتبعهم المسلمون إلى الصبح، فاستأصلوهم و كان هذا أول النصر.

و لما كان يوم الأحد ركب الشيخ أبو سعيد لقتال العدو في خمسة آلاف من أبطال المسلمين المشهورين، فلما شاهدتهم الفرنج عجبوا من إقدامهم مع قتلهم في تلك الجيوش العظيمة، فركبوا و حملوا بجملتهم عليهم، فانهمز الفرنج أقيح هزيمة، و أخذتهم السيوف، و تبعهم المسلمون يقتلون و يأسرون ثلاثة أيام، و خرج أهل غرناطة لجمع الأموال، و أخذ الأسرى، فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب - فيما قيل - ثلاثة و أربعون قنطارا، و من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٤٧

الفضة مائة وأربعون قنطارا، و من السبى سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطين إلى الديار المصرية، و كان من جملة الأسارى امرأة الطاغية و أولاده، فبذلت فى نفسها مدينة طريف و جبل الفتح و ثمانية عشر حصنا فيما حكى بعض المؤرخين، فلم يقبل المسلمون ذلك، و زادت عدّة القتلى فى هذه الغزوة على خمسين ألفا، و يقال: إنه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد، لعدم معرفتهم بالطريق، و أما الذين هلكوا بالجبال و الشّعاب فلا يحصون، و قتل الملوكة الخمسة و العشرون جميعهم، و استمرّ البيع فى الأسرى و الأسلاب و الدوابّ سنّة أشهر، و وردت البشائر بهذا النصر العظيم إلى سائر البلاد.

و من العجب أنه لم يقتل من المسلمين و الأجناد سوى ثلاثة عشر فارسا، و قيل: عشرة أنفس، و قيل: كان عسكر الإسلام نحو ألف و خمسمائة فارس، و الرّجاله نحو من أربعة آلاف راجل، و قيل دون ذلك.

و كانت الغنيمه تفوق الوصف، و سلخ الطاغية دون بطره و حشى جلده قطنا، و علّق على باب غرناطة، و بقى معلّقا سنوات، و طلبت النصارى الهدنة، ففقدت لهم بعد أن ملكوا جبل الفتح الذى كان من أعمال سلطان فاس و المغرب، و هو جبل طارق، و لم يزل بأيديهم إلى أن ارتجعه أمير المسلمين أبو الحسن المرينى صاحب فاس و المغرب، بعد أن أنفق عليه الأموال، و صرف إليه الجنود و الحشود، و نازلته جيوشه مع ولده و خواصّه، و ضيقوا به، إلى أن استرجعوه ليد المسلمين، و اهتمّ ببنائه و تحصينه، و أنفق عليه أحمال مال فى بنائه و حصنه و سوره و أبراجه و جامعهم و دورهم، و مخازنهم، و لمّا كاد يتمّ ذلك نازله العدو بّرا و بحرا، فصبر المسلمون، و خيب الله سعى الكافرين، فأراد السلطان المذكور أن يحصّن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدوّ فى منازلته، و لا- يجد سيلا للتضييق عند محاصرته، و رأى الناس ذلك من المحال، فأنفق الأموال، و أنصف العمّال، فأحاط بمجموعه إحاطة الهاله بالهلال، و كان بقاء هذا الجبل بيد العدوّ نيفا و عشرين سنه، و حاصره السلطان أبو الحسن سنّه أشهر، و زاد فى تحصينه ابنه السلطان أبو عنان، و لمّا أجاز السلطان أبو الحسن المذكور إلى الأندلس، و اجتمع عليه ابن الأحمر، و قاتلهم الطاغية. هزمهم فى وقعة طريف، و استولى على الجزيرة الخضراء، حتى قيض الله من بنى الأحمر الغنى بالله محمدا الذى كان لسان الدين بن الخطيب وزيره، فاسترجعها و جملة بلاد كجيان و غيرها.

و كانت له فى الجهاد مواقف مشهورة، و امتدّ ملكه و اشتدّ حتى محا دولة سلاطين فاس ممّا وراء البحر، و ملك جبل الفتح، و نصر الله الإسلام على يده، كما ستقف عليه فى بعض مكاتبات لسان الدين - رحمه الله! - فى مواضع من هذا الكتاب، و سعد هذا الغنى بالله من العجائب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٤٨

و بقى ملك الأندلس فى عقبه إلى أن أخذ ما بقى من الأندلس العدوّ الكافر و استولى على حضرة الملك غرناطة أعادها الله للإسلام، كما نبين ذلك إن شاء الله، و خلت جزيرة الأندلس من أهل الإسلام، فأبدلت من النور بالظلام، حسبما اقتضته الأقدار النافذة و الأحكام، و الله وارث الأرض و من عليها و هو خير الوارثين.

[شيخ الغزاة أيام بنى الأحمر]

قال ابن خلدون: و اتفق بنو الأحمر سلاطين غرناطة أن يجعلوا مشيخة الغزاة لواحد يكون من أقارب بنى مرين سلاطين المغرب؛ لأنهم أوّل من ولى الأندلس عند استيلاء بنى عمّهم على ملك المغرب لما بينهم من المنافسة، و كان لهؤلاء فى الجهاد مواقف مشهورة، منها ما كتب على قبر شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلاء لتستدلّ عند ذلك على ما ذكرناه «بحمد الله تعالى، هذا قبر شيخ الحماء و صدر الأبطال و الكمّاء، واحد الجلاله، ليث الإقدام و البساله، علم الأعلام، حامى ذمار الإسلام، صاحب الكتائب المنصورة، و الأفعال المشهورة، و المغازى المسطورة، و إمام الصفوف، القائم بباب «الجنة تحت ظلال السيوف»، سيف الجهاد، و قاصم الأعداء، و أسد الآساد، العالى الهمم، الثابت القدم، الهمام المجاهد الأرضى، البطل الباسل الأمضى، المقدّس، المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ

الجليل الهمام الكبير، الأصيل الشهير، المقدّس المرحوم أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق، كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفق ما بين روحه في سبيل الله و غدوة، حتى استوفى في المشهور سبعمائة و اثنتين و ثلاثين غزوة، و قطع عمره جاهدا مجتهدا في طاعة الرب، محتسبا في إدارة الحرب، ماضى العزائم في جهاد الكفار، مصادما بين جموعهم تدفق التيارات، و صنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار، ما سار ذكره في الأقطار، أشهر من المثل السيار، حتى توفى رحمه الله و غبار الجهاد طي أثوابه، و هو مراقب لطاغية الكفار و أحزابه، فمات على ما عاش عليه، و في ملحمة الجهاد قبضه الله تعالى إليه، و استأثر به سعيدا مرتضى، و سيفه على رأس ملك الروم منتضى، مقدّمة قبول و إسعاد، و نتيجة جهاد و جلال، و دليلا على نيته الصالحة، و تجارته الرابحة، فارتجت الأندلس لبعده، أتحفه الله تعالى رحمة من عنده! توفى يوم الأحد الثاني لذي الحجة من عام ثلاثين و سبعمائة» انتهى.

و منها ما كتب به لسان الدين بن الخطيب- رحمه الله!- في تولية علي بن بدر الدين مشيخة الغزاة ما نصّه: «هذا شيخ الغزاة الذي فتح على الإسلام أبواب السراء، وراق طرازا مذهبا على عاتق الدولة الغزاة، و أعمل عوامل الجهاد، في طاعة ربّ العباد شارعة لأهل الكفر و العناد، من باب الأعمال و الإغراء، أمر به فلان صدر صدور أودائه، و حسامه المشهور على أعدائه، و وليه الذي خبر صدق وفائه، و جلى في مضمار الخلوص له مغبرا في وجوه أكفائه،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٤٩

شيخ شيوخ المجاهدين و قائد كتائبه المنصورة إلى غزو الكافرين و المعتدين، و عترته التي يدافع بها عن الدين، و سابق وده المبرز في الميادين، الشيخ الأجل» إلى آخر ما وصفه به مما ضاق الوقت عن مثله، و الله وليّ التوفيق.

[تم بحمد الله الجزء الأول من نفع الطيب و يليه الجزء الثاني مفتتحا بالباب الرابع في ذكر قرطبة نساء الله أن يعيننا على إكماله].

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٥٠

فهرس الرسائل و الخطيب و الظاهر للجزء الأول من كتاب نفع الطيب

* ابن برد الأكبر: عهد أنشأ لعبد الرحمن شنجول على لسان المؤيد ٣٢٩* ابن شهيد الوزير: رسالته إلى الناصر في ذكر هديته ٢٨١* ابن عقال: رسالة إلى الحفصى سلطان إفريقية ٢٤٨ قطعة من رسالته له ٢٥١ قطعة أخرى ٢٥٢ من رسالة إلى صاحبين له ٢٤٧ رسالة في ضياع بعض المدن الأندلسية ٢٥١ رسالة عن أهل شاطبة في تهنئة ابن هود ٢٥٢* أبو إبراهيم الفقيه: رده على رسالته وصلتته من الحكم المستنصر ٢٩٣* أحمد بن شاهين: مقتطفات من رسالته إلى المؤلف ٩٦* الحكم المستنصر: رسالته إلى الفقيه أبي إبراهيم لتخلفه عن إعدار ٢٩٣* صفوان بن إدريس، أبو البحر: رسالته في تنافس مدن الأندلس على أمير موحدى ١٤٥* طارق بن زياد: خطبته عند دخول الأندلس ١٩٥* لسان الدين بن الخطيب: رسالة على لسان السلطان في تفضيل الجهاد على الحج ١٥٧ رسالته عن الغنى بالله إلى المنصور بن قلاوون ٢٥٤ ظهير في تولية علي بن بدر مشيخة الغزاة ٣٤٨* منذر بن سعيد: خطبته في استقبال وفد الروم ٢٩٠

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٥١

فهرس موضوعات الجزء الأول من كتاب نفع الطيب

مقدمة الناشر ٥

خطبة الكتاب للمؤلف ١٧

حديث المؤلف عن وطنه و حنينه إليه ٢٧

وصف أهوال البحر ٤٤

وصف مصر و التمدح بها ٤٥

- وصف مصر و نيلها ٤٦
- حج المؤلف و زيارته المدينة و وصفه المشاهد المباركة ٤٩
- عودة المؤلف إلى مصر و زيارته بين المقدس ٦١
- زيارة المؤلف بيت المقدس ٦٣
- عودة المؤلف إلى مصر و خدمته العلم بالأزهر ٦٣
- زيارة ثانية إلى القدس، ثم زيارة إلى دمشق ٦٤
- وصف دمشق ٦٥
- ذكر أهل دمشق و مدحهم ٦٨
- وصف دمشق و ذكر محاسنها ٧١
- تتيم المؤلف بالشام و بوطنه ٧٢
- فضل دمشق ٧٣
- ذكر المؤلف الأندلس و وصف محاسنها ٧٤
- اقتراح ابن شاهين على المؤلف تأليف كتاب عن لسان الدين بن الخطيب، و اعتذاره ٧٤
- إصرار ابن شاهين و عدم قبوله عذر المؤلف ٧٨
- اعتذار المؤلف عن الكتابة عن لسان الدين بن الخطيب و أسبابه ٧٨
- اعتزام المؤلف إجابة طلب ابن شاهين و توديعه الشام و وصفه داريا ٨١
- وصف داريا ٨٢
- المؤلف يصف موقف الوداع ٨٣
- عودة المؤلف إلى مصر و شوقه إلى دمشق ٩٤
- شوق المؤلف إلى دمشق ٩٥
- شروع المؤلف في التصنيف، و رسالة من الشاهين يحثه على ذلك ٩٦
- المؤلف يصف رسالة ابن شاهين ٩٧
- مقتطفات من رسالة الشاهيني ٩٩
- قصيدة للشاهيني ١٠٠
- تصميم المؤلف على استئناف التصنيف ١٠٢
- بدء التأليف ١٠٣
- تقدير المؤلف لسان الدين بن الخطيب ١٠٤
- تقدير المؤلف لسان الدين بن الخطيب، و مدحه النبي و الصحابة ١٠٦
- تقسيم الكتاب و تبويبه ١٠٧
- خاتمة المقدمة و ذم الدنيا ١١١
- القسم الأول ١١٥
- الباب الأول ١١٧
- أقوال في مزايا الأندلس ١١٧

- مساحة الأندلس و أبعادها ١١٨
- مساحة الأندلس و أبعادها و مناخها ١٢١
- أول من استوطن الأندلس ١٢٢
- غرائب ما أصيب بالأندلس عند الفتح الإسلامي ١٢٣
- موقع الأندلس من الأقاليم ١٢٤
- إشبان و الخصر عليه السلام ١٢٥
- دخول عجم رومة و القوط الأندلس، و دخول النصرانية إليها ١٢٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٥٢
- حكم القوط في الأندلس ١٢٧
- مناخ الأندلس و خيراتها و معادنها ١٢٧
- خواص طليطله و بعض حاصلات الأندلس و معادنها، و وصف أهلها ١٢٩
- الأندلسيون و الأمم المجاورة و نبذة عن خراج الأندلس ١٢٩
- خير ابن خلدون عن الأمم التي استوطنت الأندلس، و وصف غرناطة ١٣٠
- غرناطة و أعمالها ١٣٢
- شهره غرناطة و سرقسطه و برجه ١٣٣
- شهره برجه و مالقه ١٣٤
- وصف مالقه و أشبونه و قرطبه ١٣٤
- نبذة من قرطبه و شهرتها ١٣٥
- إشبيلية و إقليمها ١٣٧
- باجه و جبل طارق ١٣٩
- كوره طليطله و ما اشتهرت به ١٤٠
- مدينة المريه، و ما اشتهرت به ١٤١
- شتره و خصائصها ١٤٢
- أقاليم الأندلس، و كور كل إقليم ١٤٢
- الجزر البحرية بالأندلس ١٤٢
- خطاب يتضمن المناظره بين بلاد الأندلس ١٤٥
- عود إلى ذكر غرناطة ١٤٩
- ابن جزى يصف غرناطة ١٥٠
- وصف قرية نارجة ١٥٠
- وصف بلنسية ١٥٢
- بعض أعمال بلنسية و بعض متفرجات إشبيلية ١٥٣
- موسى بن سعيد يعتذر عن مفارقة الأندلس ١٥٤
- وصف شريش و شلب و كوره اشكونيه ١٥٥

- في بطيوس و شاطبة ١٥٦
- كتاب لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه في تفضيل الجهاد ١٥٧
- ابن تاشفين يصف الأندلس و يشبهها بالعقاب ١٥٩
- أبو بكر المخزومي الهجاء و الوزير أبو بكر بن سعيد ١٦٠
- أبو بكر المخزومي و الشاعرة نزهون الغرناطية ١٦١
- عبد الوهاب بن الحسين الحاجب المغنى الشاعر ١٦٢
- بعض عجائب سرقسطة ١٦٤
- السمور بالأندلس ١٦٥
- بعض وحش الأندلس و حيوانها و طيورها ١٦٦
- ثمار الأندلس و معادنها ١٦٧
- بعض مصنوعات الأندلس ١٦٨
- الآلات الحربية و الآثار الأولى بالأندلس ١٦٨
- ابن سعيد يذكر بعض عجائب الأندلس ١٦٩
- وصف ابن سعيد للأندلس ١٦٩
- بيلتا طليطلة ١٧١
- عود إلى ذكر إشبيلية ١٧٢
- ابن سعيد يقارن بين الأندلس و غيرها ١٧٣
- وصف ابن حوقل لرخاء الأندلس ١٧٤
- ردّ ابن سعيد على ابن حوقل ١٧٥
- لمحة من تاريخ الحكم في الأندلس منذ الفتح ١٧٦
- الوزارة في الأندلس ١٧٨
- الكتابة، و الخراج في الأندلس، القضاء، و الشرطة ١٧٩
- الحسبة في الأندلس، الطواف بالليل، و التدنن في الأندلس ١٨٠
- التسول، و العلوم و الآداب في الأندلس ١٨١
- زى أهل الأندلس ١٨٢
- نظافة الأندلسيين، و احتياطهم، و تدبيرهم، و مروءاتهم ١٨٣
- منهج كتاب المغرب لابن سعيد ١٨٤
- وصف بعض المؤرخين للأندلس ١٨٤
- مقطعات في وصف الأندلس ١٨٥
- من خصائص الأندلس ١٨٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٥٣
- الباب الثاني ١٨٧
- فتح الأندلس و أسبابه ١٨٧

- رواية ابن خلدون في فتح الأندلس ١٨٩
 بعض أمراء الأندلس ١٩٠
 ولاية الأمراء و أمراؤها ١٩١
 رواية الحميدى للفتح ١٩٤
 رجع إلى حديث طارق بن زياد ١٩٥
 خبر بيت الحكمة الذي كان بالأندلس ١٩٧
 الكراهية و البغضاء بين المغريين و الأندلسيين ١٩٧
 حكاية ابنة ملك قانس و عمل الرحي و اتخاذ الطلسم ١٩٨
 فتح لذريق بيت الحكمة، و ما وجد فيه ١٩٩
 ابن حيان يتحدث عن فتح الأندلس و يذكر أمراءها ٢٠٠
 ملخص خبر الفتح من الكتاب الخرائتي ٢٠١
 رواية الرازي في شأن الفتح ٢٠٩
 رواية ابن حيان في فتح طليطلة ٢١٢
 شأن أولاد غيطسة، و خبر سارة بنت ألمند القوطية ٢١٣
 بعض أخبار القوطية سارة بنت ألمند ٢١٤
 حسد موسى بن نصير طارقا و اشتراكه في الفتح ٢١٥
 موسى بن نصير و فتح الأندلس ٢١٦
 فتح موسى للأندلس، ثم نكبته، و مائدة سليمان ٢١٧
 مائدة سليمان، ثم رجع إلى رواية ابن حيان في الفتح ٢١٧
 رجع إلى رواية ابن حيان في الفتح ٢١٨
 انتصارات موسى و ابنه عبد الأعلى ٢١٩
 انتصارات موسى، ثم عودته إلى المشرق ٢٢٠
 أسماء من دخل الأندلس من الصحابة و التابعين ٢٢١
 عود إلى عودة موسى إلى الشام ٢٢٣ سليمان بن عبد الملك ينكل بموسى ابن نصير ٢٢٣
 مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير و أسبابه ٢٢٤
 لمحة عن عبد الرحمن الداخل، و عود إلى قصة التنكيل بموسى بن نصير ٢٢٥
 قصة التنكيل بموسى بن نصير و نهايته ٢٢٦
 نهاية موسى بن نصير، و شيء من صفاته ٢٢٧
 ذكر بعض من دخل الأندلس من التابعين ٢٢٩
 غنائم الأندلس، و الحديث عن مائدة سليمان ٢٣٠
 القبائل العربية التي نزلت إلى الأندلس و استوطنتها ٢٣١
 أسماء من حكم الأندلس من العرب ٢٣٧
 الوزير أبو الحزم بن جمهور ٢٣٩

- كتاب أبي مطرف بن عميرة لأبي جعفر بن أمية ٢٤٠
- كتاب أبي المطرف إلى سلطان أفريقية ٢٤٣
- من خطاب لأبي المطرف إلى بعض ذوى الألباب ٢٤٥
- رسالة من أبي المطرف إلى أبي الحسن الرعيني ٢٤٦
- من رسائل أبي المطرف أيضا ٢٤٧
- ترجمة أبي المطرف بن عميرة ٢٤٨
- رسالة لأبي المطرف ٢٥١
- رسالة أبي المطرف إلى ابن هود ٢٥٣
- رسالة صاحب الأندلس إلى أحمد بن قلاوون بقلم لسان الدين بن الخطيب ٢٥٤
- الباب الثالث دولة بني أمية بالأندلس ٢٥٨
- عبد الرحمن الداخل ٢٥٨
- وصف أبي جعفر المنصور لعبد الرحمن الداخل ٢٦١
- المنصور يبعث العلاء بن مغيث اليحصبي
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص: ٣٥٤
- ليدعو للمنصور فينتصر عليه عبد الرحمن و يقتله ٢٦١
- هرب عبد الرحمن من الشام و وصوله إلى الأندلس ٢٦٢
- هشام بن عبد الرحمن الداخل ٢٦٣
- الحكم بن هشام ٢٦٦
- حروب الحكم و فتوحه ٢٦٧
- صفات الحكم ٢٦٨
- آثار الحكم فى الدولة ٢٦٨
- من أخبار الحكم ٢٦٨
- عبد الرحمن بن الحكم ٢٧٠
- محمد عبد الرحمن ٢٧٤
- ولاية المنذر بن محمد، ثم عبد الله بن محمد ٢٧٦
- عبد الرحمن الناصر ٢٧٧
- هدية ابن شهيد للناصر ٢٧٩
- غزوات الناصر ٢٨٤
- وفود دول النصرانية على الناصر ٢٨٥
- ترجمة منذر بن سعيد البلوطى (عن المغرب) ٢٩٠
- ترجمة منذر بن سعيد (فى المطمح) ٢٩٢
- رجع لأخبار الناصر لدين الله ٢٩٣
- الحكم المستنصر بالله ٢٩٧

- صفات المستنصر، و غايته بالكتب ٣٠٧
- وفاة المستنصر، و ولاية هشام بن الحكم و تسلط ابن أبي عامر ٣٠٨
- ترجمة المنصور بن أبي عامر من كلام ابن سعيد ٣١٠
- ترجمة الحاجب المصحفي (عن المطمح) ٣١٣
- ترجمة ابن أبي عامر المنصور (عن المطمح) ٣١٤
- أخبار في سيرة المنصور ٣١٧
- أمثلة من عدل المنصور بن أبي عامر ٣١٨
- دهاء المنصور بن أبي عامر ٣٢٠
- غزو المنصور لمدينة شنت ياقب ٣٢٢
- أخبار المنصور (من كتاب الأزهار المنثورة) ٣٢٤
- عود إلى أخبار المنصور (من المطمح) ٣٢٦
- ولاية عبد الملك المظفر بن المنصور، ثم ولاية عبد الرحمن الناصر لدين الله ٣٢٨
- ولاية عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر ٣٢٩
- خلع هشام المؤيد و بيعه محمد بن هشام المهدي بالله ٣٣٠
- ثورة سليمان المستعين على المهدي ٣٣١
- شعر للمستعين ٣٣٢
- بنو حمود ٣٣٣
- خلافة المستظهر عبد الرحمن بن هشام الأموي ٣٣٧
- انقطاع الدولة الأموية و ظهور ملوك الطوائف ٣٣٨
- بنو عباد، و بنو جهور ٣٣٩
- بنو ذى النون ٣٤٠
- بنو هود ٣٤١
- بنو الأفتس ٣٤١
- يعقوب المنصور بن يوسف ملك الموحدين و غزو الأرك ٣٤٢
- بين صلاح الدين الأيوبي و يعقوب الموحدى ٣٤٣
- الناصر بن يعقوب الموحدى ٣٤٣
- دولة بنى الأحمر ٣٤٤
- شيخ الغزاة أيام بنى الأحمر ٣٤٨
- تم فهرس الجزء الأول من كتاب نفع الطيب

[الجزء الثانى]

[تنمة القسم الاول]

الباب الرابع فى وصف الأندلس

إشارة

في ذكر قرطبة التي كانت الخلافة بمصرها للأعداء قاهرة، و جامعها الأموي ذي البدائع الباهية الباهرة، و الإلماع بحضرتي الملك الناصرية الزهراء و العامرية الزاهرة، و وصف جملة من منتزهات تلك الأقطار و مصانعها ذات المحاسن الباطنة و الظاهرة، و ما يجر إليه شجون الحديث من أمور تقضى بحسن إيرادها القرائح الوقادة و الأفكار الماهرة.

[وصف قرطبة لابن سعيد]

قال ابن سعيد رحمه الله: مملكة قرطبة في الإقليم الرابع، و إيالته للشمس، و في هذه المملكة معدن الفضة الخالصة في قرية كرتش، و معدن الزئبق و الزنجفر في بلد بسطاسة، و لأجزائها خواص مذكورة في متفرقاتها، و أرضها أرض كريمة النبات، انتهى.

و قدّم رحمه الله في المغرب الكلام عليها على سائر أقطار الأندلس و قال: إنما قدمنا هذه المملكة من بين سائر الممالك الأندلسية لكون سلاطين الأندلس الأول اتخذوها سريرا لسلطنة الأندلس، و لم يعدلوا عن حضرتها قرطبة، ثم سلاطين بني أمية و خلفاؤهم، لم يعدلوا عن هذه المملكة، و تقلبوا منها في ثلاثة أقطار أداروا فيها خلافتهم: قرطبة، و الزهراء، و الزاهرة، و إنما اتخذوها لهذا الشأن لما رأوها لذلك أهلا، و قرطبة أعظم علما و أكثر فضلا بالنظر إلى غيرها من الممالك، لاتصال الحضارة العظيمة و الدولة المتوارثة فيها.

ثم قسم ابن سعيد كتاب «الحلة المذهبة»، في حلى ممالك قرطبة». بالنظر إلى الكور إلى أحد عشر كتابا: الكتاب الأول كتاب: «الحلة الذهبية، في حلى الكورة القرطبية».

الكتاب الثاني كتاب: «الدرر المصونة، في حلى كورة بلكونة». الكتاب الثالث كتاب: «محادثه السير، في حلى كورة القصير». الكتاب الرابع كتاب: «الوشى المصوّر، في حلى كورة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤

المدور». الكتاب الخامس كتاب: «نيل المراد، في حلى كورة مراد». الكتاب السادس كتاب:

«المزنة، في حلى كورة كزنة». الكتاب السابع كتاب: «الدر النافق، في حلى كورة غافق».

الكتاب الثامن كتاب: «النفحة الأرجة، في حلى كورة إستجة». الكتاب التاسع كتاب:

«الكواكب الدرّية، في حلى الكورة القبرية». الكتاب العاشر كتاب: «رقة المحبة، في حلى كورة إستبة». الكتاب الحادي عشر كتاب: «السوسانة»، في حلى كورة اليسانة» انتهى.

قال رحمه الله تعالى: إن العمارة اتّصلت في مباني قرطبة و الزهراء و الزاهرة، بحيث إنه كان يمشى فيها لضوء السرج الممتدّة عشرة أميال حسبما ذكره الشّقندي في رسالته، ثم قال:

و لكلّ مدينة من مدن قرطبة و أعمالها ذكر مختصّ به، ثم ذكر المسافات التي بين ممالك قرطبة المذكورة فقال: بين المدور و قرطبة ستة عشر ميلا، و بين قرطبة و مراد خمسة و عشرون ميلا، و بين قرطبة و القصير ثمانية عشر ميلا، و بين قرطبة و غافق مرحلتان، و بين قرطبة و إستبة ستة و ثلاثون ميلا، و بين قرطبة و بلكونة مرحلتان، و بين قرطبة و اليسانة أربعون ميلا، و بين قرطبة و قبرة ثلاثون ميلا، و بين قرطبة و بيانة مرحلتان، و بين قرطبة و إستجة ثلاثون ميلا، و كورة رنده كانت في القديم من عمل قرطبة، ثم صارت من مملكة إشبيلية، و هي أقرب و أدخل في المملكة الإشبيلية، انتهى.

ثم قسم رحمه الله تعالى كتاب «الحلة الذهبية، في حلى الكورة القرطبية» إلى خمسة كتب: الكتاب الأول كتاب: «النغم المطربة، في حلى حضرة قرطبة». الكتاب الثاني كتاب:

«الصبيحة الغراء، في حلى حضرة الزهراء». الكتاب الثالث كتاب: «البدائع الباهرة، في حلى حضرة الزاهرة». الكتاب الرابع كتاب: «كتاب الوردية، في حلى مدينة شقنده». الكتاب الخامس: كتاب: «الجرعة السّيغة، في حلى كورة وزغة».

وقال رحمه الله تعالى في كتاب «النغم المطربة، في حلى حضرة قرطبة»: إن حضرة قرطبة إحدى عرائس مملكته، و في اصطلاح الكتاب أن للعروس الكاملة الزينة منصه، و هي مختصه بما يتعلق بذكر المدينة في نفسها، و تاجا، و هو مختص بالإيالة السلطانية، و سلكا، و هو مختص بأصحاب درر الكلام من الثثار و النظام، و حله، و هي مختصه بأعلام العلماء المصنفين الذين ليس لهم نظم و لا نثر، و لا يجب إهمال تراجمهم، و أهدابا، و هي مختصه بأصحاب فنون الهزل و ما ينحو منحاه، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٥

ثم فضل رحمه الله تعالى ذلك كله بما تعددت منه الأجزاء و قد لخصت منه هنا بعض ما ذكر، ثم أردفته بكلام غيره، فأقول: قال في كتاب أجار: إن قرطبة - بالطاء المعجمة - و معناه أجر ساكنها، يعنى عزبت بالطاء، ثم قال و دور مدينة قرطبة ثلاثون ألف ذراع، انتهى.

وقال غيره: إن تكسيرها و مساحتها التي دار السور عليها دون الأرباض طولاً من القبلة إلى الجوف ألف و ستمائة ذراع، و اتصلت العمارة بها أيام بنى أمية ثمانية فراسخ طولاً و فرسخين عرضاً، و ذلك من الأميال أربعة و عشرون في الطول، و في العرض ستة، و كل ذلك ديار و قصور و مساجد و بساتين بطول ضفة الوادي المسمى بالوادي الكبير، و ليس في الأندلس واد يسمى باسم عربى غيره، و لم تزل قرطبة في الزيادة منذ الفتح الإسلامى إلى سنة أربعمائه، فأنحطت، و استولى عليها الخراب بكثرة الفتن إلى أن كانت الطامة الكبرى عليها بأخذ العدو الكافر لها في تانى و عشرى شوال سنة ستمائة و ثلاث و عشرين.

ثم قال هذا القائل: و دور قرطبة أعنى المسور منها دون الأرباض ثلاثة و ثلاثون ألف ذراع، و دور قصر إمارتها ألف ذراع و مائة ذراع، انتهى.

و عدد أرباضها أحد و عشرون، في كل ربض منها من المساجد و الأسواق و الحمامات ما يقوم بأهله، و لا يحتاجون إلى غيره، و بخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية، في كل واحدة منبر و فقيه مقلص تكون الفتيا في الأحكام و الشرائع له، و كان لا يجعل القالص عندهم على رأسه إلا من حفظ الموطأ، و قيل: من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبى صلى الله عليه و سلم و حفظ المدونة، و كان هؤلاء المقلصون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة، و يسلمون عليه، و يطالعونه بأحوال بلدهم. انتهى.

قال: و انتهت جباية قرطبة أيام ابن أبى عامر إلى ثلاثة آلاف ألف دينار، بالإنصاف، و قد ذكرنا في موضع آخر ما فيه مخالفة لهذا، فالله أعلم، و ما أحسن قول بعضهم: [البيسط]

دع عنك حضرة بغداد و بهجتها و لا تعظم بلاد الفرس و الصين
فما على الأرض قطر مثل قرطبة و ما مشى فوقها مثل ابن حمدان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٦

وقال بعضهم: قرطبة قاعدة الأندلس و دار الملك التي يجبى لها ثمرات كل جهة و خيرات كل ناحية، و اسطة بين الكور، موفية على النهر، زاهرة مشرقة، أهدقت بها المنى فحسن مرآها، و طاب جناها.

و في كتاب «فرحة الأندلس» لابن غالب: أما قرطبة فإنه اسم ينحو إلى لفظ اليونانيين، و تأويله القلوب المشككة.

وقال أبو عبيد البكرى: إنها في لفظ القوط بالطاء المعجمة، و قال الحجارى: الضبط فيها ياهمال الطاء و ضمها، و قد يكسرهما المشرقيون في الضبط، كما يعجمها آخرون. انتهى.

[وصف قرطبة لبعض العلماء]

وقال بعض العلماء: أما قرطبة فهي قاعدة الأندلس، و قطبها، و قطرها الأعظم، و أم مدائنها و مساكنها، و مستقر الخلفاء، و دار المملكة

في النصرانية والإسلام، و مدينة العلم، و مستقرّ السنّة و الجماعة، نزلها جملة من التابعين و تابعي التابعين، و يقال: نزلها بعض من الصحابة، و فيه كلام.

و هي مدينة عظيمة أزيّة من بنیان الأوائل، طيبة الماء و الهواء، أهدت بها البساتين و الزيتون و القرى و الحصون و المياه و العيون من كلّ جانب، و بها المحرث العظيم الذي ليس له في بلاد الأندلس نظير و لا أعظم منه بركة.

و قال الرازي: قرطبة أم المدائن، و سرّة الأندلس، و قرارة الملك في القديم و الحديث و الجاهلية و الإسلام، و نهرها أعظم أنهار الأندلس، و بها القنطرة التي هي إحدى غرائب الأرض في الصّنع و الإحكام، و الجامع الذي ليس في بلاد الأندلس و الإسلام أكبر منه.

و قال بعضهم: هي أعظم مدينة بالأندلس، و ليس بجميع المغرب لها عندى شبيه في كثرة أهل، و سعة محلّ، و فسحة أسواق، و نظافة محالّ، و عمارة مساجد، و كثرة حنّامات و فنادق، و يزعم قوم من أهلها أنها كأحد جانبي بغداد، و إن لم تكن كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك و لا حقه به، و هي مدينة حصينة ذات سور من حجارة و محالّ حسنة، و فيها كان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٧

سلاطينهم قديما، و دورهم داخل سورها المحيط بها، و أكثر أبواب القصر السلطاني من البلد و جنوب قرطبة على نهرها. قال: و قرطبة هذه بئنة عن مساكن أرباضها ظاهرة و درت بها في غير يوم في قدر ساعة و قد قطعت الشمس خمس عشرة درجة ماشيا.

[وصف قرطبة للحجاري]

و قال الحجاري: و كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الإسلام، و مجتمع علماء الأنام الأعلام، بها استقرّ سرير الخلافة المروانية، و فيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية و اليمانية، و إليها كانت الرحلة في رواية الشعر و الشعراء، إذ كانت مركز الكرماء، و معدن العلماء، و لم تزل تملأ الصّدر منها و الحقائق، و يبارى فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب، و لم تبرح ساحاتها مجرّ عوال و مجرى سوابق، و محطّ معال و حمى حقائق، و هي من بلاد الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد، و الزّور، من الأسد، و لها الداخل الفسيح، و الخارج الذي يمتّع البصر بامتداده فلا يزال مستريحا و هو من تردّد النظر طليح.

و قال الحجاري: حضرة قرطبة منذ افتتحت الجزيرة هي كانت منتهى الغاية، و مركز الراية، و أمّ القرى، و قرارة أولى الفضل و التقى، و وطن أولى العلم و النهى، و قلب الإقليم، و ينبوع متفجر العلوم، و قبة الإسلام، و حضرة الإمام، و دار صوب العقول، و بستان ثمر الخواطر، و بحر درر القرائح، و من أفقها طلعت نجوم الأرض و أعلام العصر و فرسان النظم و النثر، و بها أنشئت التأليفات الرائقة، و صنفت التصنيفات الفائقة، و السبب في تبرز القوم حديثا و قديما على من سواهم أنّ أفقهم القرطبيّ لم يشتمل قط إلا على البحث و الطلب، لأنواع العلم و الأدب. انتهى.

و قال على بن سعيد: أخبرني والدي أنّ السلطان الأعظم أبا يعقوب بن عبد المؤمن كان لوالده محمد بن عبد الملك بن سعيد: ما عندك في قرطبة؟ قال: فقلت له: ما كان لي أن أتكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها، فقال السّليطان: إن ملوك بني أمية حين اتخذوها حضرة ملكهم لعلي بصيرة، الدّيار الكثيرة المنفسحة و الشوارع المتسعة، و المباني الضخمة، و النهر الجاري، و الهواء المعتدل، و الخارج النضر، و المحرث العظيم، و الشعراء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٨

الكافية، و التوسّط بين شرق الأندلس و غربها، قال: فقلت: ما أبقى لي أمير المؤمنين ما أقول.

ثم قال ابن سعيد: و من كلام والدي في شأنها: هي من أحسن بلاد الأندلس مباني، و أوسعها مسالك، و أبرعها ظاهرا و باطنا، و

تفضل إشبيلية بسلامتها في فصل الشتاء من كثرة الطين، ولأهلها رياسة و وقار، ولا تزال سممة العلم متوارثة فيهم، إلا أن عامتها أكثر الناس فضولا، وأشدهم تشنعا وتشغيبا، ويضرب بهم المثل ما بين أهل الأندلس في القيام على الملوك والتشجيع على الولاة و قلة الرضا بأموورهم، حتى إن السيد أبا يحيى بن يعقوب بن أبي عبد المؤمن لما انفصل عن ولايتها قيل له: كيف وجدت أهل قرطبة؟ قال: مثل الجمل إن خفت عنه الحمل صاح، وإن أثقلته به صاح، ما ندرى أين رضاهم فنقصده، ولا أين سخطهم فنجتنبه، وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرًا من عامية العراق، وإن العزل عنها لما قاسيت من أهلها عندي ولاية، وإنى إن كلفت العود إليها لقائل: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

[من محاسن قرطبة و عناية القرطبيين بالكتب]

قال والدي: و من محاسنها ظرف اللباس، و التظاهر بالدين، و المواظبة على الصلاة، و تعظيم أهلها لجامعها الأعظم، و كسر أواني الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها، و التستر بأنواع المنكرات، و التفاخر بأصالة البيت و بالجنديّة و بالعلم، و هي أكثر بلاد الأندلس كتبًا، و أشدّ الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التّعين و الرياسة، حتى إنّ الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانه كتب، و ينتخب فيها ليس إلّا لأن يقال: فلان عنده خزانه كتب، و الكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره، و الكتاب الذي هو بخط فلان قد حصّله و ظفر به.

قال الحضرمي: أقيمت مرّة بقرطبة، و لازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع و هو بخط فصيح و تفسير مليح ففرحت به أشدّ الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع إلى المنادي بالزيادة عليّ، إلى أن بلغ فوق حدّه، فقلت له: يا هذا، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي، قال: فأراني شخصا عليه لباس رياسة، فدنوت منه، و قلت له: أعزّ الله سيدنا الفقيه! إن كان لك غرض في هذا الكتاب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٩

تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حدّه؛ قال: فقال لي: لست بفقيه، و لا أدري ما فيه، و لكنني أقيمت خزانه كتب، و اختلفت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، و بقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيّد التجليد استحسنته، و لم أبال بما أزيد فيه، و الحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير، قال الحضرمي: فأخرجني، و حملني على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيرا إلا عند مثلك، يعطى الجوز من لا له أسنان، و أنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب، و أطلب الانتفاع به، يكون الرزق عندي قليلا، و تحول قلّة ما بيدي بيني و بينه.

قال ابن سعيد: و جرت مناظرة بين يدي منصور بن عبد المؤمن بين الفقيه العالم أبي الوليد بن رشد و الرئيس أبي بكر بن زهر، فقال ابن رشد لابن زهر في كلامه: ما أدري ما تقول، غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، و إذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع تركته حملت إلى إشبيلية.

[قصور قرطبة و أبواب تلك القصور]

و سئل ابن بشكوال عن قصر قرطبة، فقال: هو قصر أوليّ تداولته ملوك الأمم من لدن عهد موسى النبيّ صلى الله على نبينا و عليه و سلم، و فيه من المباني الأولية و الآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم و القوط و الأمم السالفة ما يعجز الوصف، ثم ابتدع الخلفاء من بني مروان - منذ فتح الله عليهم الأندلس بما فيها- في قصرها البدائع الحسان، و أثروا فيه الآثار العجيبة، و الرياض الأنيقة، و أجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة، و تمّونوا المؤمن الجسميّة حتى أوصلوها إلى القصر الكريم، و أجروها في

كل ساحة من ساحاته و ناحية من نواحيه فى قنوات الرصاص تؤذيها منها إلى المصانع صور مختلفه الأشكال من الذهب الإبريز و الفضه الخالصه و النحاس المموه إلى البحيرات الهائله و البرك البديعه و الصهاريج الغريبه فى أحواض الرخام الرومية المنقوشه العجيبه.

قال: و فى هذا القصر القصاب العالیه السموّ، المنيفه العلوّ، التى لم ير الرءون مثلها فى مشارق الأرض و مغاربها.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٠

قال: و من قصوره المشهوره، و بساتينه المعروفة: الكامل، و المجدد، و الحائر، و الروضه، و الزاهر، و المعشوق، و المبارك، و الرشيق، و قصر السرور، و التاج، و البديع.

قال: و من أبوابه التى فتحها الله لنصر المظلومين، و غياث الملهوفين، و الحكم بالحق الباب الذى عليه السطح المشرف الذى لا نظير له فى الدنيا، و على هذا الباب باب حديد، و فيه حلق لاطون قد أثبتت فى قواعدها، و قد صورت صورة إنسان فتح فمه، و هى حلق باب مدينه أربونه من بلد الإفرنج، و كان الأمير محمد قد افتتحها، فجلب حلقها إلى هذا الباب، و له باب قبله أيضا، و هو المعروف بباب الجنان، و قدام هذين البابين المذكورين على الرصيف المشرف على النهر الأعظم مسجداً مشهوران بالفضل كان الأمير هشام الرضى يستعمل الحكم فى المظالم فيهما ابتغاء ثواب الله الجزيل، و له باب ثالث يعرف بباب الوادى، و له باب بشماله يعرف بباب قوريه، و له باب رابع يدعى بباب الجامع، و هو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة إلى المسجد الجامع على الساباط، و عدد أبوابا بعد هذا طمست أيام فتنه المهدي بن عبد الجبار.

[أبواب قرطبه و أرباضها]

و ذكر ابن بشكوال رحمه الله أن أبواب قرطبه سبعة أبواب: باب القنطرة إلى جهه القبلة، و يعرف بباب الوادى، و بباب الجزيرة الخضراء، و هو على النهر، و باب الحديد، و يعرف بباب سرقسطه، و باب ابن عبد الجبار، و هو باب طليطله، و باب روميه، و فيه تجتمع الثلاثه الرصف التى تشق دائرة الأرض من جزيرة قادس إلى قرمونه إلى قرطبه إلى سرقسطه إلى طركونه إلى أربونه ماره فى الأرض الكبيره، ثم باب طليبره، و هو أيضا باب ليون، ثم باب عامر القرشى، و قدامه المقبره المنسوبه إليه، ثم باب الجوز، و يعرف بباب بطليوس، ثم باب العطارين، و هو باب إشبيليه، انتهى.

و ذكر أيضا أن عدد أرباض قرطبه عند انتهائها فى التوسع و العمارة أحد و عشرون ربضا، منها القبليه بعدوه النهري: ربض شقنده، و ربض منيه عجب، و أما الغريبه فتسعه: ربض حوانيت الزيحان، و ربض الرقاقين، و ربض مسجد الكهف، و ربض بلاط مغيث، و ربض مسجد الشفاء، و ربض حمام الإلبيري، و ربض مسجد السرور، و ربض مسجد الروضه، و ربض السجج القديم، و أما الشماليه فتلاثه: ربض باب اليهود، و ربض مسجد أم سلمه، و ربض

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١١

الرّصافه، و أما الشرقيه فسبعه. ربض شبلاز، و ربض قرن بّريل، و ربض البرج، و ربض منيه عبد الله، و ربض منيه المغيره، و ربض الزاهره، و ربض المدينه العتيقه.

قال: و وسط هذه الأرباض قصبه قرطبه التى تختص بالسور دونها، و كانت هذه الأرباض بدون سور، فلما كانت أيام الفتنة صنع لها خندق يدور بجميعها و حائط مانع.

و ذكر ابن غالب أنه كان دور هذا الحائط أربعه و عشرين ميلا، و شقنده معدوده فى المدينه لأنها مدينه قديمه كانت مسوره.

[منتزهات قرطبه]

قال ابن سعيد في «المغرب»: ولذكر الآن من منتزهات قرطبة و معاهدها المذكورة في الألسن نظما و نثرا ما انتهى إليه الضبط، من غير تغلغل في غير المشهور منها و الأهم، و نوشى ذلك بجميع ما يحضرنى من مختار النظم في قرطبة، و ما يحتوى عليه نطاقها المذكور. فأول ما نذكر من المنتزهات منتزه الخلفاء المروانية، و هو قصر الرصافة، فنقول: كان هذا القصر مما ابتناه عبد الرحمن بن معاوية في أول أيامه لتزهره، و سكناه أكثر أوقاته منية الرصافة التي اتخذها بشمال قرطبة منحرفة إلى الغرب، فاتخذ بها قصرا حسنا، و دحا جنانا واسعة، و نقل إليها غرائب الغروس و أكارم الشجر من كل ناحية، و أودعها ما كان استجلبه يزيد و سفر رسوله إلى الشام من النوى المختارة و الحبوب الغريبة، حتى نمت بيمين الجدد و حسن التريبة في المدّة القريبه أشجارا معتمه أثمرت بغرائب من الفواكه انتشرت عما قليل بأرض الأندلس، فاعترف بفضلها على أنواعها.

قال: و سماها باسم رصافة جده هشام بأرض الشام الأثيرة لديه، و لميله في اختيار هذه، و كلفه بها، و كثرة تردده عليها، و سكناه أكثر أوقاته بها- طار لها الذكر في أيامه، و اتصل من بعده في إيثارها.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٢

قال: و كلهم فضّلها، و زاد في عمارتها، و انبرى و صاف الشعراء لها، فتنازعا في ذلك فيما هو إلى الآن مشهور مأثور عنهم، مستجاد منهم.

[الرمان السفرى فى قرطبة]

و قال ابن سعيد: و الرمان السفرى الذى فاض على أرجاء الأندلس، و صاروا لا يفضلون عليه سواه، أصله من هذه الرصافة. و قد ذكر ابن حيان شأنه، و أفرد له فصلا، فقال: إنه الموصوف بالفضيلة، المقدم على أجناس الرمان بعدوبة الطعم، و رقة العجم، و غزارة الماء، و حسن الصورة، و كان رسوله إلى الشام فى توصيل أخته منها إلى الأندلس قد جلب طرائف منها من رمان الرصافة المنسوبة إلى هشام، قال: فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله مباحيا به، و كان فيمن حضره منهم سفر بن عبيد الكلاعى من جند الأردن، و يقال: هو من الأنصار الذين كانوا يحملون ألوية رسول الله صلى الله عليه و سلم فى غزواته، قال: و هم يحملون الألوية بين يدي الخلفاء من بنى أمية، فأعطاه من ذلك الرمان جزءا فراقه حسنه و خبره، فسار به إلى قرية بكورة رية، فعالج عجمه و احتال لغرسه و غذائه و تنقيه حتى طلع شجرا أثمر و أبيض، فنزع إلى عرقه، و أغرب فى حسنه، فجاء به عما قليل إلى عبد الرحمن، فإذا هو أشبه شىء بذلك الرصافى، فسأله الأمير عنه، فعرفه وجه حيلته، فاستبرع استنباطه، و استنبل همته، و شكر صنعه، و أجزل صلته، و اغترس منه بمنية الرصافة و بغيرها من جناته، فانتشر نوعه، و استوسع الناس فى غراسه، و لزمه النسب إليه، فصار يعرف إلى الآن بالرمان السفرى.

قال: و قد وصف هذا الرمان أحمد بن محمد بن فرح الشاعر فى أبيات كتب بها إلى بعض من أهده له، فقال: [المتقارب]

و لابسهُ صدفا أحمرأ أتتك و قد ملئت جوهرا

كأتك فاتح حق لطيف تضمّن مرجانه الأحمرأ

حبوبا كمثل لثات الحبيب رضابا إذا شئت أو منظرا

و للسفر تعزى و ما سافرت فتشكو النوى أو تقاسى السرى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٣

بلى فارقت أيكها ناعما رطيبا و أغصانها نضرا

و جاءتك معتاضة إذ أتتك بأكرم من عودها عنصرا

بعود ترى فيه ماء الندى و يورق من قبل أن يثمرأ

هدية من لو غدت نفسه هديته ظنه قصرا

وقال ابن سعيد: وأخبرني والدي قال: أخبرني الوشاح المبرز المحسن أبو الحسن المريني قال: بينما أنا أشرب مع ندماني بإزاء الرصافة، إذا بإنسان رث الهيئة، مجفؤ الطلعة، قد جاء فجلس معنا، فقلنا له: ما هذا الإقدام على الجلوس معنا دون سابق معرفة؟ فقال: لا تعجلوا عليّ، ثم فكر قليلا و رفع رأسه فأنشدنا: [الخفيف]

اسقنيها إزاء قصر الرصافة و اعتبر في مآل أمر الخلافه

و انظر الأفق كيف بدل أرضا كي يطيل اللبيب فيه اعترافه

و يرى أن كل ما هو فيه من نعيم و عز أمر سخافه

كل شيء رأيت غير شيء ما خلا لذة الهوى و السلافه

[متنزهات قرطبة و قصورها]

قال المريني: فقبلت رأسه، و قلت له: بالله من تكون؟ فقال: قاسم بن عبود الرياحي، الذي يزعم الناس أنه موسوس أحمق، قال: فقلت له: ما هذا شعر أحمق! و إن العقلاء لتعجز عنه، فبالله إلا ما تمت مسرتنا بمؤانستك و منادمتك و مناشدة طرف أشعارك، فنادم و أنشد، و ما زلنا معه في طيبة عيش إلى أن و دعناه و هو يتلاطم مع الحيطان سكرًا، و يقول: اللهم غفرا. انتهى قال: و من قصور خارج قرطبة قصر السيد أبي يحيى بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن، و هو على متن النهر الأعظم، تحمله أقواس، و قيل للسيد: كيف تأنقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة؟ فقال: علمت أنهم لا يذكرون واليا بعد عزله و لا له عندهم قدر؛ لما بقى في رؤوسهم من الخلافة المروانية، فأحببت أن يبقى لي في بلادهم أثر أذكر به على رغمهم.

قال ابن سعيد: و أخبرني والدي أن ناهض بن إدريس شاعر وادي آش في عصره أنشده لنفسه في هذا القصر: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٤

ألا حبذا القصر الذي ارتفعت به على الماء من تحت الحجاره أقواس

هو المصنع الأعلى الذي أنف الثرى و رفعه عن لثمه المجد و الباس

فأركب متن التهر عزا و رفعة و في موضع الأقدام لا يوجد الرأس

فلا زال معمور الجناب و بابه يغص و حلت أفقه الدهر أعراس

و قال الفتح في قلاته، لما ذكر الوزير ابن عمار: و تنزه بالدمشق بقرطبة، و هو قصر شيده بنو أمية بالصفاح و العمدة، و جرى في إتقانه إلى غير أمد، و أبدع بناؤه، و نمتت ساحاته و فناؤه، و اتخذوه ميدان مراحهم، و مضمار أفراحهم، و حكا به قصرهم بالمشرق، و

أطلعوه كالكوكب المشرق، و أنشد فيه لابن عمّار: [الخفيف]

كل قصر بعد الدمشق يذم فيه طاب الجنى و لذ المشم

منظر رائق، و ماء نمير و ثرى عاطر، و قصر أشم

بت فيه و الليل و الفجر عندي عنبر أشهب و مسك أحم

و هي منسوبة للحاجب أبي عثمان جعفر بن عثمان المصطفى.

و ذكر الحجارى في «المسهب» أن الرئيس أبا بكر محمد بن أحمد بن جعفر المصطفى، اجتاز بالمنية المصحفية التي كانت لجده أيام حجابته للخليفة الحكم المستنصر، فاستعبر حين تذكر ما آل إليه حال جده مع المنصور بن أبي عامر، و استيلائه على ملكه و أملاكه،

فقال: [الخفيف]

قف قليلا بالمصحفية و اندب مقله أصبحت بلا إنسان

و اسألنها عن جعفر وسطاه و نداءه في سالف الأزمان

جعفر مثل جعفر حكم الله ر عليه بعسرة و هو ان

و لكم حذر الزدى فصممنا لا أمان لصاحب السلطان

بينما يعتلى غدا خافضا من ه انتساب لكفة الميزان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٥

و منية الزبير منسوبة إلى الزبير بن عمر المثلث ملك قرطبة.

قال ابن سعيد: أخبرني والدي عن أبيه قال: خرج معي إلى هذه المنية في زمان فتح التوار أبو بكر بن بقی الشاعر المشهور، فجلسنا

تحت سطر من أشجار اللوز قد نورت، فقال ابن بقی: [البسيط]

سطر من اللوز في البستان قابلني ما زاد شيء على شيء و لا نقصا

كأنما كل غصن كمّ جارية إذا التسيم ثنى أعطافه رقصا

ثم قال شعرا منه: [الطويل]

عجبت لمن أبقى على خمر دنه غداة رأى لوز الحديقة نورا

و لا أذكر بقية الأبيات، قال: جدى ثم اجتمعت به بعد ذلك بغرناطة، فذكرته باجتماعه في منية الزبير، فتنهد و فكر ساعة و قال: اكتبوا

عني، فكتبنا: [الطويل]

سقى الله بستان الزبير، و دام في ذراه مسيل التهر ما عنت الورق

فكائن لنا من نعمة في جنبه كبرته الخضراء طالعها طلق

هو الموضوع الزاهي على كل موضع أما ظلّه ضاف أما ماؤه دفع

أهيم به في حالة القرب و التوى و حق له منى التذكر و العشق

و من ذلك التهر الخفوق فؤاده بقلبي ما غيبت عن وجهه خفق

قال: فقلت له: جمع الله بينك و بينه على الحالة التي تشتهي، قال: ذلك لك، قلت:

و كيف ذلك؟ قال: تدفع لي هذا السيف الذي تقلدت به أتروّد به إليه، و أنفق الباقي فيه على ما تعلم، قال: فقلت له: هذا السيف

شرفني به السلطان أبو زكرياء بن غانية، ما لعطائه سبيل، و لكن أعطيك قيمته، فخرج و أتى بشخص يعرف قيمة السيوف، فقدره و

جعل يقول: إنه سيف السلطان ابن غانية، ليعظم قدره في عينه فيزيد في قيمته، ثم قبض ما قدر به، و أنشد ارتجالا:

[الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٦

أطال الله عمر فتى سعيد و بقاه و رفته السعود

غدا لي جوده سببا لعودي إلى وطني فها أنا ذا أعود

و أثم كفه شكرا و يتلو طريقي آي نعماء التشيد

حبابي من ذخائره بسيف به لم يبق للأحزان جيد

و القصر الفارسي من القصور المقصودة للنزاهة بخارج قرطبة، و قد ذكره الوزير أبو الوليد بن زيدون في قصيد ضمنه من منتزهات

قرطبة ما تقف عليه، و كان قد فر من قرطبة أيام بني جهور، فحضره في فراره عيد ذكره بأعياد وطنه و معاهده الأنسية مع ولادة التي

كان يهاها و يتغزل فيها، فقال: [الطويل]

خليتي لا فطر يسرّ و لا أضحي فما حال من أمسى مشوقا كما أضحي

و ستأتى هذه القصيدة فى هذا الباب، كما ستأتى قصيدة أبى القاسم بن هشام القرطبى التى أولها:
يا هبةً باكرت من نحو دارين و فيها كثير من منتزهات قرطبة.

قال ابن سعيد: كان والدى كثيرا ما يأمرنى بقراءتها عليه، و يقول: و الله لقد أنبأت عن فضل لهذا الرجل، قال: و كان أبو يحيى الحضرمى يحفظها، و يزين بها مجالسه، و يحلف أن لا- ينشدها بمحضر جاهل لا يفهم أو حاسد لا ينصف فى الاهتزاز لها، و إنه لجدير بذلك، و إنها لمن كنوز الأدب.

ثم قال: و المرج النضير المذكور بها هو مرج الخز، أخبرنى والدى أنه حضر فى زمان الصيا بهذا المرج على راحة، و معه الرئيس الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى و المسن بن دويده المشهور بخفة الروح، قال: فسبحت أمامنا إوز، و جعلت تمرح و تنثر ما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٧

عليها من الماء فوق المرج، و المرج قد أحدق به الوادى، و الشمس قد مالت عليه للغروب، فقال لى أبو الحسين: بالله صف يومنا و حسن هذا المنظر، فقلت: لا أصفه أو تصفه أنت، فقال: و لك منى ذلك، فأفكر كل منا على انفراد بعد ما ذكرنا ما نصف نثرًا، فقال:
أبو الحسين الوقشى: [البسيط]

لله يوم بمرج الخز طاب لنا فيه التعميم بحيث الزوض و النهار
و للإوز على أرجائه لعب إذا جرت بددت ما بيننا الدرر
و الشمس تجنح نحو البين مائلة كأن عاشقها فى الغرب ينتظر
و الكأس جائلة باللب حائرة و كلنا غفلات الدهر نبتدر
قال: فقلت: [الطويل]

ألا حبذا يوم ظفرنا بطيبه بأكناف مرج الخز و النهار يبسم
و قد مرحت فيه الإوز، و أرسلت على سندس دزا به ينتظم
و مد به للشمس فهو كأنه لثام لها ملقى من التور معصم
أدرنا عليه أكؤسا بعثت به من الأنس ميتا عاد و هو يكلم
غدونا إليه صامتين سكينه فرحنا و كل بالهوى يترنم

فأظهر كل منا لصاحبه استحسان ما قال تنشيطا و تميما للمسرة، ثم قلنا للمسن:

ما عندك أنت تعارض به هاتين القطعتين؟ قال: بهذا، و رفع رجليه و حبق حبقه فرقت منها أرجاؤه، فقال له أبو الحسين: ما هذا يا شيخ السوء؟ فقال: الطلاق يلزمه إن لم تكن أوزن من شعركما، و أطيبت رائحة، و أغن صوتا، و أطرب معنى، فضحكنا منه أشد ضحك، و جعلنا نهتر غاية الاهتزاز لموقع نادرته، فقال: و الدليل على ذلك أنكم طربتم لما جئت به أكثر مما طربتم من شعركم.

ثم قال ابن سعيد: و من منتزهات قرطبة المشهورة فحص السرادق، مقصود للفرجة، يسرح فيه البصر، و تبتهج فيه النفس، أخبرنى والدى عن أخيه أبى جعفر بن عبد الملك بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٨

سعيد قال: خرجت مع الشريف الأصم القرطبى إلى بسيط الجزيرة الخضراء- و قد تديج بالنوار - فلما حركنا حسن المكان، و تشوقنا إلى الأركان، قال الشريف: لقد ذكرنى هذا البسيط بسيط فحص السرادق، فقلت له: فهل ثار فى خاطركم نظم فيه؟ قال: نعم، ثم أنشد:
[الطويل]

ألا فدعوا ذكر العذيب و بارق و لا تسأموا من ذكر فحص السرادق

مجرّ ذبول السكر من كلّ مترف و مجرى الكؤوس المترعات السوابق
 قصرت عليه اللحظ ما دمت حاضرا و فكرى فى غيب لمرآه شائقى
 أيا طيب أيام تقصّصت بروضة على لمح غدران و شمّ حدائق
 إذا غرّدت فيها حمام دوحها تخيلتها الكتاب بين المهارق
 و ما باختيار الطّرف فارقت حسنها و لكن بكيد من زمان منافق
 قال أبو جعفر: فلما سمعت هذا الشعر لم أتمالك من الاستعبار، و حركنى ذلك إلى أن قلت فى حوز مؤمل سيد منتزهات غرناطة، و
 لم يذكر هنا ما قاله فيه، و ذكره فى موضع آخر لم يحضرنى الآن حتى أوردته هنا، و الله أعلم.
 و من منتزهات قرطبة السّد، قال ابن سعيد: أخبرنى والدى أن الشاعر المبرز أبا شهاب الملقى أنشده لنفسه واصفا يوم راحة بهذا السّد:
 [الطويل]

و يوم لنا بالسّد لو ردّ عيشه بعيشه أيام الزّمان رددناه
 بكرنا له و الشّمس فى خدر شرقها إلى أن أجابت، إذ دعا الغرب، دعواه
 قطعناه شدوا و اغتباقا و نشوة و رجع حديث لو رقى الميت أحياء
 على مثله من منزّه تبغى المنى فلله ما أحلى و أبدع مرآه
 شدتنا به الأرحا و ألقت نثارها علينا فأصغينا له و قبلناه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٩
 لئن بان؛ إنا بالأنين لفقده و بالدّمع فى إثر الفراق حكينا
 و أنشدنى والدى موشحة لأبى الحسن الميرنى معاصره و صاحبه يذكر فيها هذا السّد، و هى:

مطلع

فى نغمة العود و السّلافه و الرّوض و النّهر و النّديم
 أطال من لا منى خلافة فظلّ فى نصحه مليم
 دور

دعنى على منهج التّصابى ما قام لى العذر بالشّباب
 و لا تطل فى المنى عتابى فلست أصغى إلى عتاب
 لا ترج ردّى إلى صواب و الكأس تفتت عن حباب
 و الغصن بيدى لنا انعطافه إذا هفا فوقه التّسيم
 و الرّوض أهدى لنا قطافه و اختال فى برده الرقيم
 دور

يا حبّذا عهدى القديم و من به همت مسعدى
 ريم عن الوصل لا يريم موعّ بالتودّد
 ما تمّ إلّا به التّعيم طوعا على رغم حسدى
 معتدل القدّ ذو نحافه أسقمنى طرفه السّقيم
 و رام طرفى به انتصافه فخذّ فى خدّه الكليم
 دور

غَضَّ الصَّبَا عاطر المَقْبَلِ أحلى من الأمن و الأمل
 ظامى الحشا مفعم المخلخل حلو اللّمي ساحر المقل
 لكلّ من رامه توصل لم يخش ردّا بما فعل
 أشكو فيدى لى اعترافه إن حاد عن نهجه القويم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٠
 لا أعدم الدّهر فيه رافه فحقّ لى فيه أن أهيم
 دور

لله عصر لنا تقضى بالسّد و المنبر البهيج
 أرى اذكارى إليه فرضا و شوقه دائما يهيج
 فكم خلعنا عليه غمضا و للصبا مسرح أريج
 ورد أطال المنى ارتشافه حتّى انقضى شربه الكريم
 لله ما أسرع انحرافه و هكذا الدّهر لا يديم
 دور

يا من يحثّ المطىّ غربا عزّج على حضرة الملوك
 و انثر بها إن سفحت غربا من مدمع عاطل سلوك
 و اسمع إلى من أقام صبّا و احك صداه لا فضّ فوك
 بلّغ سلامى قصر الرّصافه و ذكّره عهدى القديم
 و حىّ عنى دار الخلافه وقف بها وقفه الغريم

قال ابن سعيد: و المنبر المذكور فى هذه الموشحة من منتزهات قرطبة، و السّد هو الأرحا التى ذكرها فى زجله قاسم بن عبود الرياحى،
 رويته عن والدى عن قائله، و هو:

مطلع

بالله أين نصيب من ليس لى فيه نصيب
 محبوبا مخالف و معو رقيب

دور

حين نقصد مكانو يقوم فى المقام
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢١
 و يبخل علينا برّد السّلام
 أدخلت يا قلبى روحك فى زحام
 سلامتك عندى هى شىء عجيب
 و كيف بالله يسلم من هو فى لهيب
 دور

بالله يا حيبى أترك ذا التّفار
 و اعمد أن نطيب فى هذا التّفار

و اخرج معى للوادی لشرب العقار
نتمم نهارنا فى لذة و طيب
فى الأرحا و إلا فى المرج الخصيب
دور

أو عند النواعير و الروض الشريق
أو قصر الرصافة أو وادى العقيق
رحيق و الله دونك هو عندى الحريق
و فى حبك أمسيت فى أهلى غريب
و ما الموت عندى إلا حين تغيب
دور

اتكل على الله و كن قط جصور
و إن رأيت فضولى فقل أى تمور
كمش عنى وجهك فإن رآك نفور
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٢
يهرب عنك خائف و يبقى مريب
و امش أنت موقر كأنك خطيب
دور

ما أعجب حديثى إيش هذا الجنون
نطلب و ندبر أمرا لا يكون
و كم ذا نهون شيئا لا يهون
و إيش مقدار ما نصبر لبعده الحبيب
رب اجمعنى معو عاجلا قريب

[نهر قرطبة و قنطرتها و نشأتها و اسباب دنورها]

قال ابن سعيد: و أما نهر قرطبة فإنه يصغر عن عظمه عند إشبيلية، بحيث صنع عليه قنطرة من حجارة لا يتأتى مثلها فى نهر إشبيلية، و منبعه من جهة شقورة يمر النصف منه إلى مرسية مشرقا و النصف إلى قرطبة و إشبيلية مغربا.
و لما ذكر الرازى قرطبة قال: و نهرها الساكن فى جريه، اللين فى انصبابه، الذى تؤمن مغبة ضرره فى حمله.
و قال هذا لأنه يعظم عند إشبيلية، فإذا حان حمله فى أيام الأمطار أشفت إشبيلية على الغرق، و توقع أهلها الهلاك.
و القنطرة التى على هذا النهر عند قرطبة من أعظم آثار الأندلس و أعجبها، أقواسها سبعة عشر قوسا، و بانيها على ما ذكره ابن حيان و غيره السّمح بن مالك الخولانى صاحب الأندلس بأمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، و شيدها بنو أمية بعد ذلك و حسنوها، قال ابن حيان:

و قيل: إنه قد كانت فى هذا المكان قنطرة من بناء الأعاجم قبل دخول العرب بنحو مائتى سنة أثرت فيها الأزمان بمكابدة المدود حتى سقطت حناياها، و محيت أعاليها، و بقيت أرجلها و أسافلها، و عليها بنى السّمح فى سنة إحدى و مائة، انتهى.

وقال في مناهج الفكر: إن قنطرة قرطبة إحدى أعاجيب الدنيا، بنيت زمن عمر بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٣

عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقي، وطولها ثمانمائة ذراع، و عرضها عشرون باعا، و ارتفاعها ستون ذراعا، و عدد حناياها ثمان عشرة حنية، و عدد أبراجها تسعة عشر برجاً، انتهى.

رجع إلى قرطبة- ذكر ابن حيان و الرازي و الحجارى أن التبان - ثانى قياصرة الروم الذى ملك أكثر الدنيا و صَفَحَ نهر رومية بالصّفر، فأرخت الروم من ذلك العهد، و كان من قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثمان و ثلاثين سنه- أمر ببناء المدن العظيمة بالأندلس، فبنيت فى مدته قرطبة و إشبيلية و ماردة و سرقسطة، و انفرد الحجارى بأن التبان المذكور و جه أربعة من أعيان ملوكه للأندلس فبنى كل واحد منهم مدينة فى الجهة التى و لاه عليها، و سماها باسمه، و أن هذه الأسماء الأربعة كانت أسماء لأولئك الملوك، و غير الحجارى جعل أسماء هذه المدن مشتقة مما تقتضيه أوضاعها كما مرّ، و ذكروا أنه قد تداولت على قرطبة و لاه الروم الأخيرة الذين هم بنو عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، على نبينا و عليهم الصلاة و السلام! إلى أن انتزعها من أيديهم القوط من ولد يافث المتغلبون على الأندلس، إلى أن أخذها منهم المسلمون، و لم تكن فى الجاهلية سريرا لسلطنة الأندلس، بل كرسيا لخاص مملكتها، و سعدت فى الإسلام، فصارت سريرا للسلطنة العظمى الشاملة، و قطبا للخلافة المروانية، و صارت إشبيلية و طليطلة تبعاً لها، بعد ما كان الأمر بالعكس، و الله يفعل ما يشاء، بيده الملك و التدبير، و هو على كل شىء قدير، لا إله إلا هو العلى الكبير.

وقال صاحب «نشق الأزهار» عند ما تعرض لذكر قرطبة: هى مدينة مشهورة، دار خلافة، و أهلها أعيان ناس فى العلم و الفضل، و بها جامع ليس فى الإسلام مثله، انتهى.

و من الأسباب فى سلب محاسن قرطبة عيث البربر بها فى دخولهم مع سليمان المستعين الأموى حين استولى على قرطبة فى دولته التى افتتحت بالقهر و سفك الدماء، و كان من أمراء البربر المعاضدين لسليمان على بن حمود من بنى على بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب- رضى الله عنهم أجمعين!- و جدّه إدريس هرب من هارون الرشيد إلى البربر، فتبرير ولده، و بنى ابنه إدريس مدينة فاس، و كان المؤيد هشام يشتغل بالملاحم، و وقف على أن دولة بنى أمية تنقرض بالأندلس على يد علوى أول اسمه عين، فلما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٤

دخل سليمان مع البربر قرطبة و محوا كثيرا من محاسنها و محاسن أهلها كان من أكبر أمرائهم على بن حمود، و بلغ هشام المؤيد و هو محبوب خيره و اسمه و نسبه فسد إليه أن الدولة صائرة إليك، و قال له: إن خاطرى يحدثنى أن هذا الرجل يقتلنى، يعنى سليمان، فإن فعل فخذ بثأرى، و كان هذا الأمر هو الذى قوى نفس ابن حمود على طلب الإمامة، و حمله على الأخذ بثأر هشام المؤيد، فكان المؤيد أحد من أخذ بثأره بعد موته.

و تولى بعد ذلك على بن حمود، و بويع بقرطبة فى قصرها فى اليوم الذى قتل فيه سليمان المستعين، و أخذ الناس بالإرهاب و السطوة، و أذل رؤوس البربر، و برقت للعدل فى أيامه بارقة حلب لم تكد تقدر حتى خبت و جلس للمظالم، و قدمت له جماعة من البربر فى إجرام فضرب رقابهم، و أهلهم و عشائرتهم ينظرون، و خرج يوما على باب عامر فالتقى فارسا من البربر و أمامه حمل عنب، فاستوقفه و قال له: من أين لك هذا؟ فقال: أخذته كما يأخذ الناس، فأمر بضرب عنقه، و وضع رأسه وسط الحمل، و طيف به فى البلد، و استمر على هذا مع أهل قرطبة فى أحسن عشرة نحو ثمانية أشهر، حتى بلغه قيام الأندلسيين بالمرتضى المروانى فى شرق الأندلس، فتغير عما كان عليه، و عزم على إخلاء قرطبة و إبادة أهلها، فلا يعود لأئمتهم بها سلطان آخر الدهر، و أغضى للبربر عن ظلمهم فعاد البلاء إلى حاله، و انتزع الإسلام من أهل قرطبة، و هدم المنازل، و استهان بالأكابر، و وضع المغارم، و قبض على جماعة من أعيانهم و ألزمهم بمال، فلما غرموه سرحهم فلما جىء إليهم بدوابهم ليركبوها أمر من أخذ الدواب، و تركهم ينزلون إلى منازلهم

على أرجلهم، و كان منهم أبو الحزم الذى ملك قرطبة بعد و صارت دولته بوراثة ولده معدودة فى دول الطوائف، فانجمعت عن على النفوس، و توالى عليه الدعاء، فقتله صبيان أعمار من صقالبة بنى مروان فى الحمام، و كان قتله غرة ذى القعدة سنة ثمان و أربعمائه، و كان الصقالبة ثلاثة فهربوا و اختفوا فى أماكن يعرفونها، و صحَّ عند الناس موته، ففرحوا، و كانت مدته كما مرَّ نحو عامين، و حققها بعض فقال: أحد و عشرون شهرا و ستة أيام.

و كان الناصر على بن حمود - على عجمته، و بعده من الفضائل - يصغى إلى الأمداح، و يثيب عليها، و يظهر فى ذلك آثار النسب العربى و الكرم الهاشمى، و من شعرائه المختصين به ابن الحناط القرطبي، و من شعره قوله: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٥

راحت تذكر بالنسيم الرّاحا و طفاء تكسر للجروح جناحا

أخفى مسالكها الظلام فأوقدت من برقها كى تهتدى مصباحا

و عبادة بن ماء السماء، و كان معروفا بالتشيع، و فيه يقول من قصيدة: [الطويل]

أبوكم على كان بالشرق بدء ما ورثتم، و ذا بالغرب أيضا سميّه

فصلوا عليه أجمعون و سلموا له الأمر إذ ولّاه فيكم وليّه

و مدحه ابن درّاج القسطلّى بقوله: [المتقارب]

لعلك يا شمس عند الأصيل شجيت لشجو الغريب الدليل

فكونى شفيعى لابن الشّفيح و كونى رسولى لابن الرّسول

و كان أخوه القاسم بن حمود أكبر منه بعشر سنين، و أمهما واحدة، و هى علوية، و لما قتل الناصر كان القاسم واليا على إشبيلية، و كان يحيى بن على واليا على سبته، فاختلف هؤلاء البربر، فمال أكثرهم إلى القاسم لكونه غبن أولا، و قدّم عليه أخوه الأصغر، و كونه قريبا من قرطبة، و بينهم و بين يحيى البحر، فلما وصلت رسلهم إلى القاسم لم يظهر فرحا بالإمامة، و خاف أن تكون حيلة من أخيه عليه، فتقهقر إلى أن اتّضح له الحقّ، فركب إلى قرطبة، و بويح فيها بعد ستة أيام من قتل أخيه، و أحسن السيرة، و أحسّ من البربر الميل إلى يحيى ابن أخيه على صاحب سبته، فتهالك فى اقتناء السودان، و ابتاع منهم كثيرا، و قودهم على أعماله، فأنفت البرابر من ذلك، و انصرفوا عنه.

و فى سنة تسع و أربعمائه قام عليه بشرق الأندلس المرتضى عبد الرحمن بن أعقاب الناصر، لأن أهل الأندلس صعب عليهم ملك بنى حمود العلويين بسبب البرابر، فأرادوا رجوع الإمامة إلى بنى مروان، و اجتمع له أكثر ملوك الطوائف، و كان معه حين أقبل لقرطبة منذر التجيبى صاحب سرقسطة و خيران العامرى الصّيقلى صاحب المريّة، و انضاف إليهم جمع من الفرنج، و تأهب القاسم و البرابرة للقائهم، فكان من الاتفاق العجيب أن فسدت نية منذر و خيران على المرتضى، و قالوا: أرانا فى الأوّل وجهها ليس بالوجه الذى نراه حين اجتمع إليه الجيمّ الغفير، و هذا ماكر غير صافى النية، فكتب خيران إلى ابن زيرى الصّيقلى المتغلب على غرناطة - و هو داهية البربر - و ضمن له أنه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٦

قرطبة خذّل عن نصرته الموالى العامرين أعداء المروانيين و أصحاب رياسة الثغور، فأصغى ابن زيرى إلى ذلك، و كتب المرتضى إلى ابن زيرى يدعوه لطاعته، فقلب الكتاب، و كتب فى ظهره قل يا أيّها الكافرون (١) [الكافرون: ١]. فأرسل إليه كتابا ثانيا يقول فيه:

قد جتتك بجميع أبطال الأندلس و بالفرنج، فماذا تصنع؟ و ختم الكتاب بهذا البيت: [البيسط]

إن كنت منّا أبشر بخير أو لا فأيقن بكلّ شرّ

فأمر الكتاب أن يحوّل الكتاب و يكتب فى ظهره ألهاكم التكاثر (١) [التكاثر: ١] السورة. فازداد حنقه، و حمله الغيظ إلى أن ترك

السير إلى حضرة الإمامة قرطبة، و عدل إلى محاربه، و هو يرى أن يصطلمه في ساعة من نهار، و دامت الحرب أياما، و أرسل ابن زيرى إلى خيران يستنجزه وعده، فأجابه: إنما توقفت حتى ترى مقدار حربنا و صبرنا، و لو كنا ببواطننا معك، فأثبت جمعك لنا، و نحن ننهزم عنه و نخذله في غد.

و لما كان من الغد رأى أعلام خيران و أعلام منذر و أصحاب الثغور قد ولت عنه، فسقط في يد المرتضى، و ثبت حتى كادوا يأخذونه. و استحرّ القتل، و صرع كثير من أصحابه، فلما خاف القبض عليه ولى، فوضع عليه خيران عيوننا فليحوقه بقرب وادى آس و قد جاوز بلاد البربر و أمن على نفسه، فهجموا عليه، فقتلوه و جاؤوا برأسه إلى المريّة، و قد حلّ بها خيران و منذر، فتحدث الناس أنهما اصطبحا عليه سرورا بهلاكه.

و بعد هذه الواقعة أذعن أهل الأندلس للبرابرة، و لم يجتمع لهم بعدها جمع ينهضون به إليهم، و ضرب القاسم بن حمود سرادق المرتضى على نهر قرطبة، و غشيه خلق من النظارة و قلوبهم تتقطع حسرات، و أنشد عباد بن ماء السماء قصيدته التى أولها: [الطويل]

لك الخير خيران مضى لسبيله و أصبح أمر الله فى ابن رسوله

و تمكنت أمور القاسم، و ولى و عزل، و قال و فعل، إلى أن كشف وجهه فى خلع طاعته ابن أخيه يحيى بن على، و كتب من سبته إلى أكابر البرابر بقرطبة: إن عمى أخذ ميراثى من أبى، ثم إنه قدّم فى ولاياتكم التى أخذتموها بسيوفكم العبيد و السودان، و أنا أطلب ميراثى،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٧

و أوليكم مناصبكم، و أجعل العبيد و السودان كما هم عند الناس، فأجابوه إلى ذلك، فجمع ما عنده من المراكب و أعانه أخوه إدريس صاحب مالقة، فجاز البحر بجمع وافر، و حصل بمالقة مع أخيه، و كتب له خيران صاحب المريّة مذكرا بما أسلفه فى إعانة أبيه، و أكد المودة فقال له أخوه إدريس: إن خيران رجل خداع، فقال يحيى: و نحن منخدعون فيما لا يضرنا، ثم إن يحيى أقبل إلى قرطبة واثقا بأن البرابر معه، ففرّ القاسم إلى إشبيلية فى خمسة فرسان من خواصه ليلة السبت ٢٨ من شهر ربيع الآخر سنة ٤١٣، و حلّ يحيى بقرطبة، فبايعه البرابر و السودان و أهل البلد يوم السبت مستهلّ جمادى الآخرة، و كان يحيى من النجباء، و أمه فاطمية، و إنما كانت آفته العجب و اصطناع التيفلة، و اشتطّ أكابر البرابر عليه، و طلبوا ما وعدهم من إسقاط مراتب السودان، فبذل لهم ذلك، فلم يقنعوا منه، و صاروا يفعلون معه ما يخرق الهيبة و يفرغ بيت المال، و فرّ السودان إلى عمه بإشبيلية، و من البرابر و من جند الأندلس من احتجب عنهم يحيى و تكبر عليهم، و لم يمل إليه ملوك الطوائف، و بقى منهم كثير على الخطبة لعنه القاسم، إلى أن اختلت الحال بحضرة قرطبة، و أيقن يحيى أنه متى أقام بها قبض عليه، و كان قد ولى على سبته أخاه إدريس، و بلغه أن أهل مالقة خاطبوا خيران و كاتبوه، فطمع خيران فيها، و فرّ يحيى فى خواصه تحت الليل إلى مالقة، و لما بلغ القاسم فراره ركب من إشبيلية إلى قرطبة، فخطب له بها يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ٤١٣، و لم تصلح الحال للقاسم منذ وصل إلى الحضرة، و وقع الاختلاف، و كان هوى السودان معه، و هوى كثير من البرابر مع يحيى، و هوى أهل قرطبة مع قائم من بنى أمية يشيعون ذكره و لا يظهر، و كثر الإرجاف بذلك، و وقع الطلب على بنى أمية فتفرقوا فى البلاد، و دخلوا فى أعمار الناس، و أخفوا زيّهم، ثم إن الخلاف وقع بين البربر و أهل قرطبة، و تكاثر البلديّون، و أخرجوا القاسم و برابره فضرّب خيمه بغربها، و قاتلهم مدّة خمسين يوما قتالا شديدا، و بنى القرطبيون أبواب مدينتهم، و قاتلوا القاسم من الأسوار إلى أن طال عليهم الحصار، فهدموا بابا من الأبواب و خرجوا خرجة رجل واحد، و صبروا، فمنحهم الله تعالى الظفر، و فر السودان مع القاسم إلى إشبيلية، و فر البرابرة إلى يحيى و هو بمالقة، و كان فرار القاسم من ظاهر قرطبة يوم الخميس لثنتى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٤١٤.

و كان ابنه محمد بن القاسم واليا على إشبيلية، و ثقته المدير لأمره محمد بن زيرى من أكابر البرابرة، و قاضيا محمد بن عباد، فعمل القاضى لنفسه، و هو جدّ المعتمد بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٨

عباد، و أطمع ابن زيرى فى التملك، فأغلق الأبواب فى وجه مصطنعه و حاربه، فقتل من البرابر و السودان خلق كثير، و ابن عباد يضحك على الجميع، فيئس القاسم، و قنع أن يخرجوا إليه ابنه و أصحابه و يسير عنهم، فأخرجوهم إليه، فسار بهم إلى شريش. و عند ما استقر بها وصل إليه يحيى ابن أخيه من مالقة و معه جمع عظيم و حاصره فى المدينة عشرين يوما كانت فيها حروب صعاب، و قتل من الفريقين خلق كثير، و أجلت الحرب عن قهر يحيى لعمه و إسلام أهل شريش له، و فر سودانه، و حصل القاسم و ابنه فى يد يحيى، و كان قد أقسم أنه إن حصل فى يده ليقتلنه، و لا يتركه حتى يلى الإمامة بقرطبة مرة ثالثة، فرأى التربص فى قتله حتى يرى رأيه فيه، فحدث عنه بعض أصحابه أنه حمله بقيد إلى مالقة، و حبسه عنده، و كان كلما سكر و أراد قتله رغبه ندماءؤه فى الإبقاء عليه لأنه لا قدرة له على الخلاص، و كان كلما نام رأى والده عليا فى النوم ينهاه عن قتله، و يقول له: أخى أكبر منى، و كان محسنا إلى فى صغرى و مسلما إلى عند إمارتى، الله الله فيه، و امتدت الحال على ذلك إلى أن قتله خنقا بعد ثلاث عشرة سنة من حين القبض عليه، لأنه قد كان حبسه فى حصن من حصون مالقه، فمى إليه أنه قد تحدث مع أهل الحصن فى القيام و العصيان فقال: أو بقى فى رأسه حديث بعد هذا العمر؟ فقتله سنة ٤٢٧، و بقى أهل قرطبة بعد فرار القاسم عنها نيفا عن عشرين يرون رأيهم فيمن يبايعونه بالإمامة.

و لما كان يوم الثلاثاء نصف شهر رمضان سنة ٤١٤ أحضر المستظهر و سليمان بن المرتضى و أموى آخر معه، فبايعا المستظهر، و قبلا يده بعد ما كان قد كتب عقد البيعة باسم سليمان بن المرتضى على ما ارتضاه الأماثل، فبشر اسمه، و كتب اسم المستظهر و ركب إلى القصر، و حمل معه ابنى عمه المذكورين فحبسهما، و كان قد رفع جماعة من الأتباع ذهب بهم العجب كل مذهب، كأبى عامر بن شهيد المنهمك فى بطالته، و أبى محمد بن حزم المشهور بالرد على العلماء فى مقالته، و ابن عمه عبد الوهاب بن حزم الغزل المترف فى حالته، فأحقد بذلك مشايخ الوزراء و الأكابر، و بادر المستظهر باصطناع البرابر، و أكرم مثوهم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٩

و أحسن مأواهم، و اشتغل مع ابن شهيد و ابن حزم بالمباحثة فى الآداب، و نظم الشعر، و التمسك بتلك الأهداب، و الناس فى ذلك الوقت أجهل ما يكون، و كان جماعة من أهل الشر فى السجون يتعين أن لا يخرج منهم إنسان، فأخرج منهم شخصا يقال له أبو عمران، و قد كان أشار بعض الوزراء عليه بعدم إخراجهم، فأخرجه و خالفه فى ذلك، و لم يقبل النصيحة، و فعل ما أداه إلى الفضيحة، فسعى القوم الذين خرجوا من الجوس على إفساد دولته و إبدال فرحه بالبؤس، لما اشتغل عنهم بالأدباء و الشعراء حسبما اقتضاه رأيه المعكوس، فسعوا فى خلعه مع البرابر، و قتل فى ذى القعدة من السنة التى بويح فيها، و صار كأمس الدابر، بعد سبعة و أربعين يوما من يوم بويح بالخلافة، و إذا أراد الله أمرا فلا يقدر أحد أن يأتى خلافه، و عمره ثلاث و عشرون سنة كأنها سنة.

و من شعر المستظهر المذكور، و هو من القريض الممدوح صاحبه بالبلاغة المشكور:

[مجزوء الرمل]

طال عمر الليل عندى مذ تولعت بصدى

يا غزالا نقض العهد و لم يوف بوعد

أنسيت العهد إذ بت نا على مفرش ورد

و اعتقنا فى و شاح و انتظنا نظم عقد

و نجوم الليل تسرى ذهابا فى لازورد

و كتب إليه شاعر فى طرس مكشوط: [الكامل]

الطرس مبشور و فيه بشارة ببقا الإمام الفاضل المستظهر

ملك أعاد العيش غضا ملكه و كذا يكون به طوال الأعصر

فأجزل صلته، و كتب في ظهر الورقة: [الوافر]
 قبلنا العذر في بشر الكتاب لما أحكمت في فصل الخطاب
 وقد قدمنا في الباب الثالث شيئاً من هذه الأخبار، و ما حصل بعد ذلك بقرطبة إلى أن تولى الأمر ابن جهور في صورة الوزارة، ثم
 ابنه، إلى أن أخذ قرطبة منه المعتمد بن عباد، حسبما ذكر في أخباره.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٠
 ثم آل الأمر بعد ذلك كله إلى استيلاء ملوك العدو من الملمثين و الموخّدين، على قرطبة، إلى أن تسلمها النصارى، أعادها الله
 تعالى للإسلام! كما يذكر في الباب الثامن.

و قال صاحب «مناهج الفكر» في ذكر قرطبة، ما ملخصه: فأما ما اشتمل عليه غرب الجزيرة، من البلاد الخطيرة، فمنها قرطبة، و كانت
 مقر الملك، و دار الإمارة، و أمّ ما عداها من البلاد، منذ افتتحها المسلمون سنة ٩٢ زمن الوليد بن عبد الملك إلى أن خرجت عن
 أيديهم، و تنقلت في أيدي ملوك المسلمين إلى أن وصلت إلى الناصر عبد الرحمن، فبنى في تجاهها مدينة سماها الزهراء، يجرى
 بينهما نهر عظيم، انتهى.

[وصف المباني العظيمة]

و اعلم أن المباني دالة على عظيم قدر بانيها، كما ذكرناه في كلام الناصر الذي طابت له من الزهراء مجانيها، و لم يزل البلغاء يصفون
 المباني، بأحسن الألفاظ و المعاني، و رأينا أن نذكر هنا بعض ذلك، زيادة في توسيع المسالك، فمن ذلك قول ابن حمديس الصقلّي
 يصف دارا بناها المعتمد على الله: [الطويل]

و يا حَبذا دار قضى الله أنّها يجدد فيها كلّ عزّ و لا يبلى
 مقدّسه لو أن موسى كليمه مشى قدما في أرضها خلع النعلا
 و ما هي إلّا خطّة الملك الذي يحطّ إليه كلّ ذى أمل رحلا
 إذا فتحت أبوابها خلت أنّها تقول بترحيب لداخلها أهلا
 و قد نقلت صناعاتها من صفاته إليها أفانينا فأحسنت النّقلا

فمن صدره رحبا و من نوره سنى و من صيته فرعا و من حلمه أصلا
 فأعلت به في رتبة الملك ناديا و قلّ له فوق السماكين أن يعلى
 نسيت به إيوان كسرى لأننى أراه له مولى من الحسن لا مثلا
 كأنّ سليمان بن داود لم تبح مخافته للجنّ في صنعه مهلا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣١

ترى الشمس فيه ليقه تستمدها أكفّ أقامت من تصاويرها شكلا
 لها حركات أودعت في سكونها فما تبعت في نقلهنّ يد رجلا
 و لَمّا عشينّا من توقد نورها تخذنا سناه في نواظرنا كحلا

و قال من أخرى يصف دارا بناها المنصور بن أعلى الناس ببجاية: [الكامل]
 اعمر بقصر الملك نديك الذى أضحى بمجدك بيته معمورا
 قصر لو أنّك قد كحلت بنوره أعمى لعاد إلى المقام بصيرا
 و اشتقّ من معنى الجنان نسيمه فيكاد يحدث بالعظام نشورا

نسى الصبيح مع المليح بذكره و سما ففاق خورنقا و سديرا
لو أن بالايوان قوبل حسنه ما كان شيئا عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الألى رفعوا البناء و أحكموا التدبير
و مضت على الزوم الدهور و ما بنوا لملوكهم شباها له و نظيرا
أذكرتنا الفردوس حين أرينتنا غرفا رفعت بناءها و قصورا
فالمحسنون تزيدوا أعمالهم و رجوا بذلك جنه و حريرا
و المذنبون هدوا الصراط و كفرت حسناتهم لذنوبهم تكفيرا
فلك من الأفلاك إلا أنه حقر البدور فأطلع المنصورا
أبصرته فرأيت أبداع منظر ثم انثيت بناظري محسورا
فظننت أنى حالم فى جنه لَمَا رأيت الملك فيه كبيرا
و إذا الولائد فتحت أبوابه جعلت ترحب بالعفاه صريرا
عصت على حلقاتهن ضراغم فغرت بها أفواهها تكسيرا
فكأنها لبدت لتحصر عندها من لم يكن بدخولها مأمورا
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٢
تجرى الخواطر مطلقا أعنه فيه فتكبو عن مداه قصورا
بمرخم الساحات تحسب أنه فرش المها و توشح الكافورا
و محصب بالدر تحسب تربه مسكا تضوع نشره و عيرا
تستخلف الأبصار منه إذا أتى صبحا على غسق الظلام منيرا

ثم ذكر بركة فيه عليها أشجار من ذهب و فضة ترمى فروعها المياه، و تفنن فذكر أسودا على حافاتهما قاذفة بالمياه أيضا، فقال:
[الكامل]

و ضراغم سكنت عرين رياسه تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها و أذاب فى أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك فى النفس لو وجدت هناك مثيرا
و تذكرت فتكاتها فكأنما أقعت على أديارها لثورا
و تخالها و الشمس تجلو لونها نارا و ألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلّت سيوف جداول ذابت بلا نار فعدن غديرا
و كأنما نسج النسيم لمائه درعا فقدّر سردها تقديرا
و بديعه الثمرات تعبر نحوها عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزع إلى سحر يؤثر فى النهى تأثيرا
قد صولجت أغصانها فكأنما فنصت بهن من الفضاء طورا
و كأنما تأبى لوقع طيرها أن تستقلّ بنهضها و تطيرا
من كل واقعه ترى منقارها ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس تعد من الفصاح فإن شدت جعلت تغرد بالمياه صفيرا

و كأنما في كل غصن فضة لانت فأرسل خيطها مجرورا
و تريك في الصهريج موقع قطرها فوق الزبرجد لؤلؤا منشورا
ضحكت محاسنه إليك كأنما جعلت لها زهر النجوم ثغورا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٣٢
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٣
و مصفح الأبواب تبرا نظروا بالنقش فوق شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النصار كما علت تلك التهود من الحسان صدورا
خلعت عليه غلائلا و رسيه شمس ترد الطرف عنه حسيرا
و إذا نظرت إلى غرائب سقفه أبصرت روضا في السماء نصيرا
و عجبت من خطاف عسجده التي حامت لتبنى في ذراه و كورا
و ضعت به صناعها أقلامها فأرتك كل طريده تصويرا
و كأنما للشمس فيه ليقه مشقوا بها الترويق و التشجيرا
و كأنما باللأزورد مخرم بالخط في ورق السماء سطورا
و كأنما وشوا عليه ملاءة تركوا مكان وشاحها مقصورا
ثم مدح المنصور بعد ذلك، و ختم القصيدة بقوله:
يا مالک الأرض الذى أضحى له ملك السماء على العداة نصيرا
کم من قصور للملوک تقدمت و استوجبت بقصورک التأخيرا
فعمرتها و ملکت کل ریاسة منها و دمّرت العدا تدميرا

قلت: لم أر لهذه القصيدة من نظير، فى معناها الیانع النصیر، و لفظها العذب التّمیر، الذى شمرّ فيه قائلها عن ساعد الإجابة أى تشمیر،
غير أن فيها عندى عيبا واحدا، و هو ختمها بلفظ التدمیر، و على كل حال فالحسن و الإحسان، یقادان فى أرسان، لعبد الجبار بن
حمديس المذكور ذى المقاصد الحسان، و خصوصا فى وصف المبانى و البرك، فما أبقي لسواه فى ذلك حسنا و لا ترك.

و من ذلك قوله فى وصف بركة تجرى إليها المياه من شاذروان من أفواه طيور و زرافات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٤

و أسود، و كل ذلك فى قصر أطنب فى وصفه فى قصيدة طويلة: [الكامل]

و الماء منه سبائك من فضة ذابت على دوحات شاذروان
و كأنما سيف هناك مشطّب ألقته يوم الحرب كفّ جبان
کم شاخص فيه يطيل تعجبا من دوحه نبتت من العقيان
عجبا لها تسقى الرياض ينابعا نبعث من الثمرات و الأغصان
خصّت بطائرة على فنن لها حسنت فأفرد حسنها من ثانى
قسّ الطيور الخاشعات بلاغه و فصاحه من منطق و بيان
فإذا أتيج لها الكلام تكلمت بخير ماء دائم الهملان
و كأن صانعها استبدّ بصنعه فخر الجماد بها على الحيوان
أوفت على حوض لها فكأنها منها على العجب العجاب روانى

فكأنها ظنّت حلاوة مائها شهدا فذاقته بكلّ لسان
و زرافة في الجوف في أنبوبها ماء يريك الجرى في الطيران
مركوزة كالزّرح حيث ترى له من طعنه الخلق انعطاف سنان
و كأنما ترمى السماء ببندق مستنبط من لؤلؤ و جمان
لو عاد ذاك الماء نفطا أحرقت في الجوّ منه قميص كلّ عنان
في بركة قامت على حافاتنا أسد تذللّ لعزّة السلطان
نزعت إلى ظلم النفوس نفوسها فلذلك انتزعت من الأبدان
و كأنّ برد الماء منها مطفى ناراً مضرمة من العدوان
و كأنما الحيات من أفواهاها يطرحن أنفسهنّ في الغدران
و كأنما الحيتان إذ لم تخشها أخذت من المنصور عقد أمان
و هاتان القصيدتان لابن حمديس كما في المناهج مع طولهما تدلان على الإيداع الذي
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٥
ابتكره، و الاختراع الذي ما ولج سمع أحد من الفضلاء إلا شكره [لما أسكره].

و قال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي يصف قصرًا بمصر يسمى «منزل العز» بناه حسن بن علي بن تميم بن المعز العبيدي:
[الكامل]

منزل العزّ كاسمه معناه لا عدا العزّ من به سمّاه
منزل ودد المنازل في أعلى ذراه لو صيرت إياه
فأجل فيه لحظ عينيك تبصر أيّ حسن دون القصور حواه
سال في سقفه النضار و لكن جمدت في قراره الأمواه
و بأرجائه مجال طراد ليس تنفكّ من وغي خيلاه
تبصر الفارس المدجج فيه ليس تدمى من الطعان قناه
و ترى النابل المواصل للترع بعيدا من قرنه مرماه
و صفوفا من الوحوش و طير ال جوّ كلّ مستحسن مرآه
سكنات تخالها حركات و اختلاف كأنه إشباه
كمحيا الحبيب حرفا بحرف ما تعدى صفاته إذ حكاه
ورده و جنتاه، نرجسه الفتّ ان عيناه، آسه عارضاه
و كأنّ الكافور و المسك في الطيّب و في اللّون صبحه و مساه
منظر يبعث السرور و مرأى يذكر المرء طيب عصر صباه
و قال أبو الصلت أمية الأندلسي المذكور يذكر بناء بناه علي بن تميم بن المعز العبيدي: [الكامل]
لله مجلسك المنيف قبابه بموطد فوق السماك مؤسس
موف على حبك المجرّة تلتقى فيه الجوارى بالجوارى الكنس
تقابل الأنوار من جنباته فالليل فيه كالنهار المشمس
عطف حناياه دوين سمائه عطف الأهلّة و الحواجب و القسي

و استشرفت عمد الرّخام و ظوهرت بأجلّ من زهر الزّبيح و أنفس
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٦
 فهوأوه من كلّ قد أهيف و قراره من كلّ خدّ أملس
 فلك تحيّر فيه كلّ منجم و أقرّ بالتقصير كلّ مهندس
 فبدا للحظ العين أحسن منظر و غدا لطيب العيش طيب معرّس
 فاطلع به قمرا إذا ما أطلعت شمس الخدور عليك شمس الأكوّس
 فالناس أجمع دون قدرك رتبة و الأرض أجمع دون هذا المجلس
 و يعجبني قول أبي الصلت أمية المذكور يصف حال زيادة النيل و نقصانه: [الطويل]
 و لله مجرى النيل منها إذا الصّبا أرتنا به من مرّها عسكريا مجرا
 إذا زاد يحكى الورد لونا و إن صفا حكي ماؤه لونا و لم يحكه مرّا
 و قال رحمه الله تعالى يصف الرصد الذي بظاهر مصر: [البسيط]
 يا نزهة الرّصد التي قد اشتملت من كلّ شيء حلا في جانب الوادي
 فذا غديري، و ذا روض، و ذا جبل و الصّبّ و التّون و المّلاح و الحادي
 و هو مأخوذ من قول الأول يصف قصر أنس بالبصرة: [البسيط]
 زر وادي القصر، نعم القصر و الوادي لا بدّ من زورة من غير ميعاد
 زره فليس له ندّ يشاكلة من منزل حاضر إن شئت أو بادي
 تلقى به السّفن و الظّلمان حاضرة و الصّبّ و التّون و المّلاح و الحادي
 و قال رحمه الله تعالى يذكر الهرمين: [الطويل]
 بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا على طول ما عاينت من هرمي مصر
 أنافا بأكناف السّماء، و أشرفا على الجوّ إشراف السّماك على النّسر
 و قد وافيا نشزا من الأرض عاليا كأنّهما نهدان قاما على صدر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٧
 و ستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى في الباب الخامس.

[من وصف الأنهار و البرك و وصف الديار الدائرة]

و على ذكر الأنهار و البرك فما أحسن قول بعض الأندلسيين يصف بركة عليها عدة فوّارات: [الكامل]
 غضبت مجاريها فأظهر غيظها ما في حشاها من خفيّ مضمّر
 و كأنّ نبع الماء من جنباتها و العين تنظر منه أحسن منظر
 قضب من البلّور أثمر فرعها لئما انتهت باللؤلؤ المتحدّر
 و قال ابن صارة الأندلسي يصف ماء بالرقّة و الصفاء [يجرى على الصفا]: [الكامل]
 و النّهر قد رقت غلاله خصره و عليه من صبغ الأصيل طراز
 تترقرق الأمواج فيه كأنّها عكن الخصور تهزّها الأعجاز
 و ما أحسن قول بعض الأدباء و لم يحضرني الآن اسمه: [الكامل]

و النَّهْرُ مَسْكُوكٌ غَلَالَةٌ فَضَّةٌ فَإِذَا جَرَى سَيْلًا فَتُوبَ نَضَارِ

و إِذَا اسْتَقَامَ رَأَيْتَ صَفْحَةً مَنْصَلٌ و إِذَا اسْتَدَارَ رَأَيْتَ عَطْفَ سَوَارِ

و قَالَ ابْنُ حَمْدِيسٍ الْمَغْرِبِيُّ يَصِفُ نَهْرًا بِالْصَّفَا: [الطويل]

و مَطْرَدُ الْأَمْوَاجِ يَصْقَلُ مَتْنَهُ صَبَا أَعْلَنْتَ لِلْعَيْنِ مَا فِي ضَمِيرِهِ

جَرِيحٌ بِأَطْرَافِ الْحَصَى كَلَّمَا جَرَى عَلَيْهَا شَكَا أَوْ جَاعَهُ بِخَيْرِهِ

و هَذَا النَّهْجُ مَتَسَعٌ، و لَمْ نَظَلِ السَّيْرَ فِي هَذِهِ الْمَهَامَةِ، و إِنَّمَا ذَكَرْنَا بَعْضَ كَلَامِ الْمَغَارِبَةِ لِيَتَّبِعَهُ بِهَ مَتَقَصِّمُهُمْ مِنْ سَنَةِ أَوْهَامِهِ، و لِأَنَّ فِي أَمْرِهِا عِبْرَةً لِمَنْ عَقَلَ، إِذَا أَصْدَأَ مَرَأَةً حَسَنَهَا و لَطَالَمَا كَانَ لِمَتْنِهَا صَقْلٌ.

و قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كَلَامِ لِصَاحِبِ الْمَنَاهِجِ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَأَحْبَبْتُ ذِكْرَهُ مَلْخَصًا، و هُوَ:

و نَلْحَقُ بِذِكْرِ الْمَنَازِلِ الَّتِي رَاقَ مَنَظَرُهَا، و فَاقَ مَخْبِرُهَا، و ارْتَفَعَ بِنَاوِهَا، و اتَّسَعَ فَنَاوِهَا، طَرَفًا مِنَ الْكَلَامِ عَلَى مَا عَفَاهُ الدَّهْرُ مِنْ رَسُومِهَا، و مَحَاهِ مِنْ مَحَاسِنِ صُورِ كَانَتْ أَرْوَاحًا لَجَسُومِهَا.

وَصَفَّ أَعْرَابِيَّ مَحَلَّةً قَوْمِ ارْتَحَلُوا عَنْهَا فَقَالَ نَثْرًا: ارْتَحَلْتُ عَنْهَا رَبَّاتِ الْخُدُورِ، و أَقَامْتُ

نَفْحَ الطَّيْبِ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٢، ص: ٣٨

بِهَا أَثَافِيَّ الْقُدُورِ، و لَقَدْ كَانَ أَهْلُهَا يَعْفُونَ آثَارَ الرِّيَاحِ فَعَفَّتِ الرِّيَاحُ آثَارَهُمْ، و ذَهَبَتْ بِأَبْدَانِهِمْ و أَبَقَتْ أَخْبَارَهُمْ، و الْعَهْدُ قَرِيبٌ، و الْمَلْقَاءُ بَعِيدٌ.

و قَالَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فَأَحْسَنَ: [السريع]

يَا دَارَ أَمْسَى دَارِ سَا رَسْمِهَا وَحَشَا قَفَارًا مَا بِهَا أَهْلٌ

قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ بِهَا ذَيْلَهَا وَاسْتَنَّ فِي أَطْلَالِهَا الْوَابِلِ

و مِنْ كَلَامِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ، فِي قَلَائِدِ الْعَقِيَانِ، يَذُكُرُ آلَ عَيَّادٍ مِنْ فَصْلِ أَكْثَرِ فِيهِ التَّفَجُّعِ، و أَطَالَ بِهِ التَّوَجُّعُ: و الْغُصُونُ تَخْتَالُ فِي أَدْوَاحِهَا، و الْأَزَاهِرُ يَحْيَى مَيْتَ الصَّبَابَةِ شَدَا أَرْوَاحِهَا، و أَطْيَارُ الرِّيَاضِ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَيْهِمْ كَثَالِي يَنْحَنُّ عَلَى خِرَابِهَا، و انْقِرَاضُ أَتْرَابِهَا، و الْوَهْيُ بِمَشِيدِهَا لِأَعْبِ، و عَلَى كُلِّ جِدَارٍ مِنْهَا غَرَابٌ نَاعِبٌ، و قَدْ مَحَتِ الْحَوَادِثُ ضِيَاءَهَا، و قَلَصَتْ ظِلَالِهَا و أَفْيَاءَهَا، و لَطَالَمَا أَشْرَقَتْ بِالْخَلَائِفِ و ابْتَهَجَتْ، و فَاحَتْ مِنْ شَذَاهُمْ و تَأَرَّجَتْ، أَيَّامَ نَزَلُوا خِلَالِهَا، و تَفَيَّؤُوا ظِلَالِهَا، و عَمَرُوا حَدَائِقِهَا و جَنَاتِهَا، و تَبَهَّؤُوا الْأَمَالَ مِنْ سَنَاتِهَا، و رَاعُوا اللَّيْثَ فِي آجَامِهَا، و أَخَجَلُوا الْغَيْوْثَ عِنْدَ انْسِجَامِهَا، فَأَصْبَحَتْ لَهَا [بِالتداعى] تَلَفُّعٌ و اعْتِجَارٌ، و لَمْ يَبْقَ مِنْ آثَارِهَا إِلَّا نَوَى و أَحْجَارٌ، قَدْ هَوَتْ قَبَابِهَا، و هَرَمَ شَبَابِهَا، و قَدْ يَلِينُ الْحَدِيدُ، و يَبْلَى عَلَى طِيهِ الْجَدِيدِ.

و قَالَ أَبُو صَخْرٍ الْقُرْطُبِيُّ يَذُكُرُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ يَنْعَاهُمْ بِهَا: [الطويل]

دِيَارَ عَلَيْهَا مِنْ بَشَاشَةِ أَهْلِهَا بَقَايَا تَسْرُّ النَّفْسَ أَنْسَا و مَنَظَرَا

رَبُوعِ كَسَاهَا الْمَزْنَ مِنْ خَلْعِ الْحَيَا بَرُودَا و حَلَّاهَا مِنَ التَّوْرِ جَوْهَرَا

تَسْرُّكَ طَوْرَا ثُمَّ تَشْجِيكَ تَارَةً فَتَرْتَا حِ تَأْنِيسَا و تَشْجِي تَذَكَّرَا

و مِنْ كَلَامِ أَبِي الْحَسَنِ الْقَاشَانِيِّ يَصِفُ نَادِي رَيْسٍ خَلَا مِنْ اَزْدَحَامِ الْمَلَا و عَوَّضَهُ الزَّمَانُ مِنْ تَوَاصُلِ أَحْبَابِهِ هَجَا و قَلَا:

نَفْحَ الطَّيْبِ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٢، ص: ٣٩

قَدْ كَانَ مَنَزَلُهُ مَأْلَفَ الْأَضْيَافِ، و مَأْنَسَ الْأَشْرَافِ، و مَنْتَجِعَ الرُّكْبِ، و مَقْصِدَ الْوَفْدِ، فَاسْتَبَدَلَ بِالْأَنْسِ وَحْشَةً، و بِالضِّيَاءِ ظِلْمَةً، و اعْتَاضَ مِنْ تَرَاحِمِ الْمَوَاكِبِ، تَلَاطَمَ التَّوَادِبِ، و مِنْ ضَجِيجِ النَّدَاءِ و الصَّهِيلِ، عَجِيجِ الْبِكَاةِ و الْعَوِيلِ.

و مِنْ رِسَالَةِ لَابِنِ الْأَثِيرِ الْجَزْرِيِّ يَصِفُ دَمْنَةً دَارَ لَعِبَتْ بِهَا أَيْدِي الزَّمَنِ، و فَارَقَتْ بَيْنَ الْمَسْكَنِ و السَّكَنِ: كَانَتْ مَقَاصِيرَ جَنَّةٍ، فَأَصْبَحَتْ وَ هِيَ مَلَاعِبُ جَنَّةٍ، و قَدْ عَمِيَتْ أَخْبَارُ قَطَانِهَا، و آثَارُ أَوْطَانِهَا، حَتَّى شَابَهَتْ إِحْدَاهُمَا فِي الْخَفَاءِ، الْأُخْرَى فِي الْعَفَاءِ، و كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهَا لَا

تسقى بعدهم بغمام، ولا- يرفع عنها جلباب ظلام، غير أن السحاب بكاهم فأجرى بها هوامع دموعه، و الليل شقّ عليهم جيوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه.

و قد لمح في بعض كلامه قول الشريف الرضى من أبيات يصف فيها ما كان في الحيرة من منازل النعمان بن المنذر: [الكامل]
 ما زلت أطرق المنازل باللوى حتى نزلت منازل النعمان
 بالحيرة البيضاء حيث تقابلت شمّ العماد عريضة الأعطان
 شهدت بفضل الزافعين قباها و يبين بالبنان فضل الباني
 ما ينفع الماضين أن بقيت لهم خطط معمّرة بعمر فاني
 يقول فيها:

و لقد رأيت بدير هند منزلا ألما من الصّراء و الحدثان
 يغضى كمستمع الهوان تعيّبت أنصاره و خلا من الأعوان
 بالي المعالم أطرقت شرفاته إطراق منجذب القرينة عاني
 أمقاصر الغزلان غيرك البلى حتى غدوت مرابض الغزلان
 و ملاعب الإنس الجميع طوى الردى منهم فصرت ملاعب الجنان
 و منها:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٠
 مسكية التّفحات تحسب تربها برد الخليج معطر الأردن
 و كأنما نسي التّجار لطيمة جرت الرّياح بها على القيعان
 ماء كجيب الدّرع يصفله الصّبا و يفى بدوحته التّسيم الواني
 زفر الزّمان عليهم فتفرّقوا و جلوا عن الأقطار و الأوطان
 و قال أبو إسحاق الصّابي، و توارد مع الشريف الرضى في المعنى و القافية، يصف قصر روح بالبصرة: [الكامل]

أحبب إليّ بقصر روح منزلا شهدت ببيتته بفضل الباني
 سور علا و تمنّعت شرفاته فكأنّ إحداهنّ هضب أبان
 و كأنما يشكو إلى زوّاره بين الخليط و فرقه الجيران
 و كأنما يبدي لهم من نفسه إطراق محزون الحشا حرّان
 و لأحمد بن فرج الإلبيري من أبيات: [الوافر]
 سألت بها فما ردّت جوابا عليك، و كيف تخبرك الطّلول؟
 و من سفه سؤالك رسم دار مضى لعفائه زمن طويل
 فإن تك أصبحت فقرا خلاء لعينك في مغانيها همول
 فقدما قد نعمت قرير عين بها و بربعها الرّشأ الكحيل
 و قال أبو عبد الله بن الخياط الأندلسي الأعمى: [البسيط]
 لو كنت تعلم ما بالقلب من نار لم توقد النّار بالهنديّ و الغار
 يا دار علوة قد هيّجت لي شجنا و زدتنى حرقا، حيّيت من دار
 كم بتّ فيك على اللذات معتكفا و اللّيل مدرّع ثوبا من القار

كأنه راهب في المسح ملتحف شدّ المجد له وسطا بزّار
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤١
 يدير فيه كؤوس الزّاح ذو حور يدير من لحظه أَلحاط سَحَار
 و لا مزيد في التّفجع على الديار، و التّوجع للدمن و الآثار، على قول البحترى من قصيدة يرثى بها المتوكل: [الطويل]
 محلّ على القاطول أخلق دائره و عادت صروف الدّهر جيشا تغاوره
 كأنّ الصّبا توفى ندورا إذا انبرت تراوحه أذيالها و تباكره
 و ربّ زمان ناعم ثمّ عهده ترقّ حواشيه و يوتق ناضره
 تغير حسن الجعفرى و أنسه و قوّض بادى الجعفرى و حاضره
 تحمّل عنه ساكنوه فجاءه فعاتد سواء دوره و مقابره
 إذا نحن زرناه أجدّ لنا الأسى و قد كان قبل اليوم يبهج زائره
 و لم أنس وحش القصر إذ ريع سربه و إذ ذعرت أطلاؤه و جآذره
 و إذ صيح فيه بالزّحيل فهتكت على عجل أستاره و ستائره
 و أوحشه حتّى كأن لم يكن به أنيس و لم تحسن لعين مناظره
 كأن لم تبت فيه الخلافة طلقه بشاشتها و الملك يشرق زاهره
 و لم تجمع الدّنيا إليه بهاءها و بهجتها و العيش غصّ مكاسره
 فأين الحجاب الصّعب حيث تمنّعت بهيبتها أبوابه و مقاصره
 و أين عميد النّاس فى كلّ نوبه تنوب و ناهى الدّهر فيهم و أمره
 و على قول أبى إسحاق بن خفاجه الأندلسى: [الوافر]
 و مرتب حططت الرّحل فيه بحيث الظّلّ و الماء القراح
 تخزّم حسن منظره مليك تخزّم ملكه القدر المتاح
 فجرية ماء جدوله بكاء عليه، و شدو طائره نواح
 و هذا النوع من البكاء على الدمن، و التأسف على ما فعلت بها أيدي الزمن، كثير جدا،
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٢

لا يعرف الباحث عنه له حدا، و ذلك لشدة ولوع النفوس بذكر أحبابها و حنينها إلى أماكنها التي هي مواطن أطرابها، و لهذا اقتصرنا على هذه النبذة القليلة، و جعلناها نغمة يشفى المشوق بها غليله، و قد كره بعض العقلاء التأسف على الديار لعلمهم أنه لا يجدى، و لا يدفع عادية الدهر الخؤون و لا يعدى، و نهوا عنه لما فيه من تجديد المصاب، المجرع لصاحبه الصاب و الأوصاب.

قال أبو عمر بن عبد البر: [الكامل]

عفت المنازل غير أرسم دمنه حييتها من دمنه و رسوم
 كم ذا الوقوف و لم تقف فى منسك كم ذا الطّواف و لم تطف بحريم
 فكل الدّيار إلى الجنائب و الصّبا ودع القفار إلى الصّدى و اليوم
 انتهى كلامه رحمه الله تعالى بأكثر لفظه مع بعض اختصار.

[من رسائل لسان الدين بن الخطيب]

رجع إلى قرطبة- فنقول: وقد ألم لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بذكر قرطبة و بعض أوصافها في كتاب له كتبه على لسان سلطانه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرناه بجملته في الباب الخامس من القسم الثاني فليراجع ثمة، و نص محل الحاجة منه هنا: ثم كان الغزو إلى أم البلاد، و مثنى الطارف و التلاد، قرطبة، و ما قرطبة؟ المدينة التي على عمل أهلها في القديم بهذا الإقليم كان العمل، و الكرسى الذى بعصاه رعى الهمل، و المصر [المعمور] الذى فى خطه الناقه و الجمل، و الأفق الذى هو لشمس الخلافة العشمية الحمل، فخيم الإسلام فى عقرتها المستباحه، و أجاز نهرها المعين على السباحه، و عم دوحها الأشب بورا، و أدار المحلات بسورها سوارا، و أخذ بمخنفها حصارا، و أعمل النصر بشجرة أصلها اجتناء ما شاء و اهتصارا، و جدل من أبطالها من لم يرض انجحارا، فأعمال إلى المسلمين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٣

إصحارا، حتى قرع بعض جهاتها غلابا جهارا، و رفعت الأعلام إعلاما بعز الإسلام و إظهارا، فلو لا استهلال الغواذى، و أن أتى الوادى، لأفضت إلى فتح الفتوح تلك المبادى، و لقضى تفته العاكف و البادى. انتهى.

و مما كتب به لسان الدين - رحمه الله تعالى! - فى وصف هذه الغزوة لسلطان بنى مرين على لسان صاحب الأندلس، ما صورته: المقام الذى نطالعه بأخبار الجهاد، و نهدي إليه عوالى العوالى صحيحة الإسناد، و نبشره بأخبار الفتح البعيد الآماد، و نسأل الله تعالى له توالى الإسعاف و دوام الإسعاد و الإمداد، و نرتقب من صنع الله تعالى على يديه تكييفا يخرق حجاب المعتاد، و امتعاضا يطلع بأفاق البلاد نجوم غرر الجياد، و يفتح أبواب الفتوح بأقاليد السيوف الحداد، و ينبئ عن مكارم من سلف من الآباء الكرام و الأجداد، مقام محل أخينا الذى نستفتح له بالفتح و الظهور، و نهدي إلى مجده لما نعلم من فضل نيته و حسن قصده لطائف السرور، و نستظهر بملكه المؤيد المؤمل و مجده المشهور، و نتوعد منهما العدو بالحبيب المذخور و الولى المنصور، السلطان الكذا ابن الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى على القدر، قرير العين منشرح الصدر، و لا زال حديث فخره سائرا مسير الشمس و البدر، عظم سلطانه الخلق بالتعظيم، الواثق منه بالذخر الكريم، المثنى على مجده الصميم العميم، أمير المسلمين عبد الله الغنى بالله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر، سلام كريم، بر عميم، يخص مقامكم الأعلى، و أخوتكم الفضلى، و رحمه الله و بركاته. أما بعد حمد الله ربّ العباد، و ملهم الرشاد، و مكيف الإسعاف و الإسعاد، الولى النصير الذى تلقى إلى التوكل عليه مقاليد الاعتماد، و نمد إلى إنجاده [و إمداده] أيدي الاعتداد، و نرفع إليه أكف الاستمداد، و نخلص لوجهه الكريم عمل الجهاد، فتتعرّف عوارف الفضل المزداد، و نجتنى ثمار النصر من أغصان القنا المناد، و نجتلى وجوه الصنع الوسيم أبهر من وجه الصباح الباد، و نظفر بالنعيم العاجل فى الدنيا و النعيم الآجل يوم قيام الأشهاد، و ننفقاً ظلال الجنة من تحت أوراق السيوف الحداد، و الصلاة على سيدنا و مولانا محمد رسوله النبى الهاد، رسول الملحمة المؤيد بالملائكة الشداد، و نبى الرحمة الهامية العهد، أكرم الخلق بين الرائح و الغاد، ذى اللواء المعقود و الحوض المورود و الشفاعة فى يوم التناد، الذى بجاهه نجدع أنوف الآساد يوم الجلاذ، و ببركته نال أقصى الأمل و المراد، و فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٤

مرضاته نصل أسباب الوداد، فنعود بالتجر الربح من مرضاة رب العباد، و نستولى من ميدان السعادة المعادة على الآماد، و الرضا عن آله و صحبه و أنصاره و حزبه الكرماء الأمجاد، دعائم الدين من بعده و هداة العباد، أنجاد الأنجاد و آساد الآساد، الذين ظاهره فى حياته بالحلوم الراجحة الأطواد، و البسالة التى لا تنال بالعدد فى سبيل الله و الأعداد، حتى بوءوا الإسلام فى القواعد الشهيرة و البلاد، و أرغموا أنوف أهل الجحد و الإلحاد، فأصبح الدين رفيع العماد، منصور العساكر و الأجناد، مستصحب العز فى الإصدار و الإيراد، و الدعاء لمقامكم الأعلى بالسعد الذى يغنى عن اختيار الطوالع و تقويم الميلاد، و النصر الذى تشرق أنباؤه فى جنح ليل المداد، و الصنع الذى تشرع له أبواب التوفيق و الشداد، من حمراء غرناطة حرسها الله و اليسر قد وطأ المهاد، و الخير واضح الأشهاد، و الحمد لله فى

المبدأ والمعاد، والشكر له على آلائه المتصلة الترداد، ومقامكم الذخر الكافي العتاد، والمردد المتكفل بالإنجاد، وإلى هذا وصل الله سعدكم، وحرس مجدكم، وإلى نصركم وعضدكم [وعددكم عددكم] وبلغكم من فضله العميم أملككم وقصدكم، فإننا نؤثر تعريفكم بتافه المميزات، ونورد عليكم أشنات الأحوال المتجددات، إقامة لرسم الخلوص في التعريف بما قل، ومودة خالصة في الله عز وجل، فكيف إذا كان التعريف بما تهتر له منابر الإسلام ارتياحا لوروده، وتشرح الصدور منه لمواقع فضل الله وجوده، والمكيفات البديعة الصفات في وجوده، وهو أننا قدمنا إعلامكم بما نوبناه من غزو مدينة قرطبة أم البلاد الكافرة، ومقر الحامية المشهودة والخيرات الوافرة، والقطر الذي عهده بإمام الإسلام متقاد، والركن الذي لا يتوقع صدمه صادم، وقد اشتمل سورها من زعماء ملء الصليب على كل رئيس بئس، وهزبر خيس، وذى مكر وتليس، ومن له سمة تذيب مكانه وتشيعه، وأتباع على المنشط والمكره طيعه، فاستدعينا المسلمين من أقاصى البلاد، وأذعنا فى الجهات نغير الجهاد، وتقدمنا إلى الناس بسعة الأزواد، وأعطينا الحركة التى تخلف المسلمون فيها وراءهم جمهور الكفر من الأقطار والأعداد حقها من الاستعداد، وأفضنا العطاء والاستلحاق والاستركاب فى أهل الغناء وأبطال الجهاد والجلاد، فحشر الخلق فى صعيد، وأخذوا الأهبة والزينة فى عيد سعيد، وشمل الاستدعاء كل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٥

قريب وبعيد عن وعد ووعيد، ورحلنا وفضل الله شامل، والتوكل عليه كاف كافل، وخيمنا بظاهر الحضرة حتى استوفى الناس آرابهم، واستكملوا أسرابهم، ودسنا منهم بلاد النصرارى بجموع كثرها الله وله الحمد وأنماها، وأبعد فى التماس ما عنده من الأجر منتماها، وعندما حللنا قاشرة وجدنا السلطان دون بطره مؤمل نصرنا وإنجادنا، ومستعيد حظه من مواقع جهادنا، ومقتضى دين كدحه بإعاتتنا إياه وإنجادنا، قد نزل بظاها فى محلات ممن استقر على دعوته، وتمسك بطاعته، وشمله حكم جماعته، فكان لقاؤنا إياه على حال أقرت عيون المسلمين، وتكفلت بإعزاز الدين، ومجملها يغنى عن التعيين، والشرح والتبيين، ورأى هو ومن معه من وفور جيش الله ما هالهم، وأشك فى حال اليقظة خيالهم، من جموع تسدّ الفضاء، وأبطال تنازع أسد الغضى، وكتائب منصوره، ورايات منشوره، وأمم محشوره، تفضل عن مرأى العين، وتردى العدو فى مهاوى الحين، فاعترفوا بما لم يكن فى حسابهم، واعتبر فى عزة الله سبحانه أولو ألبابهم، وإذا كثر الله تعالى العدد نما وزكا، وإذا أزاح العلل ما اعتذر غاز ولا شكا، وسالت من الغد الأباطح بالأعراف، وسمت الهوى إلى الاستشراف، وأخذ الترتيب حقه من المواسط الجهادية والأطراف، وأحكمت التعيية التى لا ترى العين فيها خلا، ولا يجد الاعتبار عندها دخلا، وكان النزول على فرسخ من عدوة النهر الأعظم من خارج المدينة أنجز الله تعالى وعد دمارها، وأعادها إلى عهدتها فى الإسلام وشعارها، ومحا ظلام الكفر من آفاقها بملء الإسلام، وأنوارها، وقد برزت من حاميتها شوكة سابغة الدرور، وافرة الجموع، واستجنت من أسوار القنطرة العظمى بحمى لا يخفر، وأخذ أعقابها من الحماة والكمأة العدد الأوفر، فبادر إليهم سرعان خيل المسلمين فصدقوهم الدفاع والقراع، والمصال والمصاع، وخالطوهم هبرا بالسيف، ومباكرة بالحتوف، فتركوهم حصيدا، وأذقوهم وبالا شديدا، وجدلوا منهم جملة وافرة، وأمة كافرة، وملكوا بعض تلك الأسوار فارتفعت بها راياتهم الخافقة، وظهرت عليها عزماتهم الصادقة، واقتحم المسلمون الوادى سيما فى غمره، واستهانته فى سبيل الله بأمره، وخالطوا حامية العدو فى ضفته فاقتلعوها، وتعلقوا بأوائل الأسوار ففرعوها، فلو كنا فى ذلك اليوم على عزم من القتال، وتيسير الآلات وترتيب الرجال،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٦

لدخل البلد، وملك الأهل والولد، لكن أجاز الكفار من الليل كافر، وقد هلك منهم عدد وافر، ورجع المسلمون إلى محلاتهم ونصر الله سافر، والعزم ظافر، ومن الغد خضنا البحر الذى جعلنا العزم فيه سفينا، والتوكل على الله للبلاغ ضمينا، ونزلنا من ضفته القصى منزلا- عزيزا مكينا، بحيث يجاور سورها طنب القباب، وتصيب دورها من بين الخيمات بوارق النشاب، وبرزت حاميتها على

متعددات الأبواب، مقيمة أسواق الطعان و الضراب، فأبت بصفقة الخسر و التباب، و لما شرعنا في قتلها، و رتبنا أشتات النكيات لنكالها، و إن كنا لم نبق على مطاولة نزالها، أنزل الله المطر الذي قدم بعهاده العهد، و ساوى النجد من طوفانه الوهد، و عظم به الجهد، و وقع الإبقاء على السلاح، و الكف بالضرورة عن الكفاح، و بلغ المقام عليها، و الأخذ بمخنتها و الثواء لديها، خمسة أيام لم تخل فيها الأسوار من اقتراع، و لا الأبواب من دفاع عليها و قراع، و أنفذت مقاتل الستائر أنقبا، و ارتقب الفتح الموعود ارتقبا، و فشت في أهلها الجراح و العيث الصيراح، و ساءهم المساء بعزة الله و الصيباح، و لو لا عائق المطر لكان الإجهاد و الاستفتاح، و الله بعدها الفتاح، و صرفت الوجوه إلى تخريب العمران، و تسليط النيران، و عقر الأشجار، و تعفية الآثار، و أتى منها العفاء على المصر الشهير في الأمصار، و تركت زروعها المائحة عبرة لأولى الأبصار، و رحلنا عنها و قد ألبسها الدخان حدادا، و نكس من طغاتها أجيادا فاعتادت الذل اعتيادا، و ألفت الهون قيادا، و كادت أن تستباح عنوة لو لا- أن الله تعالى جعل لها ميعادا، و أتى القتل من أبطالها، و مشاهير رجالها، ممن يبارز و يناطح، و يماسى بالناس و يصابح، على عدد جم أخبرت سيماهم المشهورة بأسمائهم، و نبهت علاماتهم على نباهاتهم، و ظهر إقدام المسلمين في المعتركات، و بروزهم بالحدود المشتركة، و تنفيلهم الأسلاب، و قودهم الخيل المسومة قود الغلاب، و كان القبول، و قد شمل الأمن و القبول، و حصل الجهاد المقبول، و راع الكفر العز الذي يهول، و الإقدام الذي شهدت به الرماح و الخيول، و خاض المسلمون من زرع الطرق التي ركبوها، و المنازل التي استباحوها و انتهبوها، بحورا بعد منها الساحل، و فلاحه مدركة تتعدد فيها المراحل، فصيروها صريما، و سلطوا عليها النار غريما، و حلوا بظاهر حصن أندوجر و قد أصبح مألّف أذمار

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٧

غير أوشاب، و وكر طير نشاب، فلما بلونا مراسه صعبا، و أبراجه ملئت حرسا شديدا و شهباء، ضننا بالنفوس أن تفيض دون افتتاحه، فسلطنا العفاء على ساحه، و أغرينا الغارات باستيعاب ما بأحوازه و اكتساحه، و سلطنا النار على حزنه و بطاحه، و ألقنا بالرغام ذوائب أدواحه، و انصرفنا بفضل الله و المناجل دامية، و الأجور نامية، و قد وطئنا المواطىء التي كانت على الملوك قبلنا بسلا، و لم نترك بها حرثا يرفد و لا نسلا، و لا ضرعا يرسل رسلا، و الحمد لله الذي يتم النعيم بحمده، و نسأله حلة النصر فما النصر إلا من عنده، عزفناكم بهذه الكيفيات، الكريمة الصفات، و الصنائع الروائع التي بعد العهد بمثلها في هذه الأوقات، علما بأنها لديكم من أحسن الهديات الوديات، و لما نعلمه لديكم من حسن النيات و كرم الطويات، فإنكم سلاله الجهاد المقبول، و الرّفد المبذول، و وعد النصر المفعول، و نرجو الله عز و جل أن ينتقل خيالكم للمعاهد الجهادية، إلى المعانية في نصر الملة المحمدية، و أن يجمع الله بكم كلمة الإسلام، على عبدة الأصنام، و يتم النعمة على الأنام، و ودنا لكم ما علمتم يزيد على ممّر الأيام، و الله يجعله في ذاته لكم متصل الدوام، مبلغا إلى دار السلام، و هو سبحانه يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، و يضاعف الآلاء عندكم، و السلام الكريم يخضكم و رحمة الله و بركاته، انتهى.

و من هذا المنحى ما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى عن سلطانه و نصه: المقام الذي أحاديث سعادته لا تملّ على الإعادة و التكرار، و سبيل مجادته، الشهيرة أوضح من شمس الظهيرة عند الاستظهار، و أخبار صنائع الله لملكه، و نظم فرائد الآمال في سلكه، تخلدها أقلام الأقدار، بمداد الليل في قرطاس النهار، و ترسمها بتذهيب الإسفار في صفحات الأقمار، و تجعلها هجيري حملاء الأسفار، و حداة القطار في مسالك الأقطار، مقام محل أحننا الذي نلذ عادة هنائه مع الإعادة، و نتلقى أبناءه بالاذاعة و الإشادة، و نظرز بأعلام ثنائه صحائف المجادة، و نشكر الله أن وهب لنا من أخوته المضافة إلى المحبة و الودادة، ما يرجح في ميزان الاعتبار أخوة الولادة، و عرفنا يمين ولايته عوارف السعادة، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى في أعلام الملك السعيد، بيت القصيد، و وسطى القلادة، و مجلى الكمال الذي تبارى بميدان بأسه وجوده جنسا الإبادة و الإفادة، و لا زالت آماله القاصية

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٨

تنتال طوع الإرادة، و يمن نقيته يجمع من أشات الفتوح و العز الممنوح بين الحسنى و الزيادة، معظّم سلطانه العالى، المثنى على مجده المرفوع إسناده فى عوالى المعالى، المسرور بما يسنيه الله له من الصنع المتوالى، و الفتح المقدم و التالى، أمير المسلمين عبد الله الغنى بالله محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر، أيد الله أمره، و أسعد نصره، سلام كريم يتأرجح فى الآفاق شذا طيبه، و تسمع فى ذروة الودّ بلاغه خطيبه، و يتضمن نوره سواد المداد، عند مراسلة الوداد، فيكاد يذهب بعبوسه المجهول و تقطيبه، و رحمته الله و بركاته، أما بعد حمد الله فاتح الأبواب بمقاليد الأسباب، مهما استصعبت، و ميسر الأمور بمحكم المقدور إذا أجهدت الحيل و أتعبت، محمد نيران الفتن ما التهبت، و جامع كلمة الإسلام و قد تصدعت و تشعبت، و مسكن رجفان الأرض بعد ما اضطرت، و محيها بعهاد الرحمة مهما اهترت و ربت، اللطيف الخبير الذى قدرت حكمته الأمور و رتبته، منهى كل نفس إلى ما خطت الأقلام عليها و كتبت، و نفت و أوجبت و شاءت و أبت، و مجازيها يوم العرض بما كسبت، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله هازم الأحزاب لما تألفت و تألّبت، و جالب الحنف إليها عند ما أجلبت، رسول الملحمة إذا الليوث و ثبت، و نبى الرحمة التى هيات النجاة و سببت، و أبلغت النفوس المطمئنة من السعادة ما طلبت، و مداوى القلوب المريضة و قد انتكبت و انقلبت، بلطائفه التى راضت و هدّبت، و قادت إلى الجنة العليا و استجلبت، و أدت عن الله و أدبت، الذى بجاهه نستكشف الغمّاء إذا أظنبت، و نستوكف النعماء إذا أخلفت البروق و كذبت، و نتحابّ فى طاعته ابتغاء الوسيلة إلى شفاعته فنقول و جبت حسبما ثبت، و الرضا عن آله و أصحابه و أنصاره و أحزابه التى استحقت لمزية المرضية و استوجبت لما انتمت إلى كماله و انتسبت، و يبذل نفوسها فى الله و مرضاته تقربت، و إلى نصرته فى حياته انتدبت، و المناصل قد رويت من دماء الأعداء و اختضبت، و خلفته فى أمته بعد مماته بالهمم التى عن صدق اليقين أعربت، فتداعت لمجاهدة الكفار و انتدبت، و أبعدت المغار و أدربت، حتى بلغ ملك أمته أقاصى البلاد التى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٩

نبت، فكسرت الصّلب التى نصبت، و نفلت التيجان التى عصبت، ما همت السحب و انسحبت، و طلعت الشمس و غربت، و الدعاء لمثابتكم العليا بالنصر العزيز كلما جهّزت الكتاب و كتبت، و الفتح المبين كلما ركنت عقائل القواعد إذا خطبت، و الصنائع التى مهما حدّقت فيها العيون تعجبت، أو جالت فى لطائفها الأفكار استطابت مذاق الشكر و استعذبت، حتى تنجز لكم مواعيد النصر فقد اقتربت، فإننا كتبنا إليكم كتب الله لكم أغيا ما سألت الألسن السائلة و استوعبت، من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى و جنود الله بفضل الله تعالى و نعمته قد غلبت، و فتحت و سلبت، و أسود جهاده قد أردت الأعداء بعد ما كلبت، و مراعى الآمال قد أخصبت، و الحمد لله حمدا يجلو وجوه الرضا بعد ما احتجبت، و يفتح أبواب المزيد فكلما استقبلها الأمل رحبت، و الشكر لله شكرا يقيد شوارد النعم مما أبقت و ما هربت، و إلى هذا وصل الله لمقامكم أسباب الظهور و الاعتلاء، و عرفكم عوارف الآلاء على الولاء، فإننا لما ورد علينا كتابكم البر الوفاة الجمّ الإفادة الجامع بين الحسنى و الزيادة، جالى غرة الفتح الأعظم من ثنايا السعادة، و واهب المنن المتاحة و واصف النعم المعادة، فوقفنا من رقه المنشور على تحف سنية، و أمانى هنية، و قطاف للنصر جتية، ضمننت سكون البلاد و قرارها، و أن الله قد أذهب الفتن و أوارها و أحمدها نارها، و نضح عن وجه الإسلام عارها، و جمع الأهواء على من هويته السعادة بعد أن أجهد اختيارها، فأصبح الشتيت مجتمعا، و جنح الجناح مرتفعا، و الجبل المخالف خاشعا متصدّعا، و أصحب فى القياد من كان متمنعا، فاستوثقت الطاعة، و تبجحت السنة و الجماعة، و ارتفعت الشناعة، و تمسكت البلاد المكروه بأذيال وليها لما رأته، و عادت الأجياد العاطلة إلى حليها بعد ما أنكرته، أجلنا جياد الأقلام فى ملعب الهناء و ميدانه، لأول أوقات إمكانه على بعد مكانه، و أجهدنا عبارة الكلام فى إجلال هذا الصنع و تعظيم شأنه، و أغرينا الثناء بشيم مجدكم فى شرحه لنا و بيانه، رأينا أن لا نكل ذلك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٥٠

إلى اليراع، و نفرده فيه بالاجتماع، و ما يتعاطاه من مئة الذراع، و أن نشدّ برده من المشافهة أزره، و نعصد بمعين من اللسان أمره، فعيتنا

لذلك من يفسيّر منه المجمعل و يمهّد المقصد المعمل، حتى يجمع بين أغراض البر، و العلن منه و السر، و يقيم شتى الأدلة على الوداد المستقر، و وجهنا في غرض الرسالة به إليكم، و اخترنا لشرحها بين يديكم، خطيب الوفود، و بركة المشايخ في هذا المقام المحمود، الشيخ الجليل الشهير الكبير الصالح الفاضل أبا البركات ابن الحجاج - وصل الله حفظه! - و أجزل من الحمد و اللطف حظّه! - و هو البطل الذي لا يعلم الإجماله في الميدان و لا يبصير بوظائف ذلك الشأن، و مرادنا منه أن يطيل و يطيب، و يجيل في وصف محاسنكم اللسان الرطيب، و يقرر ما عندنا لمقامكم من التشيع الذي قام على الحب المتوارث أساسه، و اطرده حكمه و أنتج قياسه، و ليجعل تلو مقصد الهناء، بمجلسكم الباهر السناء، الصارف إلى الجهاد في سبيل الله و الفناء، وجه التهمم و الاعتناء، على مر الآناء، ما تجدد لدينا من الأنباء في جهاد الأعداء، و إن كان رسولكم - أعزه الله تعالى! - قد شارك في السرى و السير و يمن الطير، و أغنى في الحكاية عن الغير، فلا سرف في الخير، و هو أننا لما انصرفنا من منازل قرطبة نظرا للحشود التي نفذت معدّات أزوادها، و شابت بهشيم الغلة المستغلة مفارق بلادها، و إشفاقا لفساد أقاتها، بفوات أوقاتها، رحلنا عنها و قد انطوينا من إعفاء أكثر تلك الزروع، المائلة الفروع، الهائلة الروع، على همّ ممض، و أسف للمضاجع مقصّ، إذ كان عاذل المطر يكف ألسنة النار عن المبالغة في التهابها، و حلاق إهابها، و نفض أغوارها، و نهب شوارها، و إذاعة أسرارها، و هي البحور المتلاطمة، إذا حطمتها الرياح الحاطمة، و اللجج الزاخرة، إذا حركتها السوافي الماخرة، تود العيون أن تتحدى حدودها القاصية فلا تطيق، و الركائب الراكضة أن تشرف على غايتها فيفضل عن مراحلها الطريق، قد جللها الربيع أرزاقا تغص بها الخزائن و الأطباق، و حبوبا مفضلة لا يرزوها الإنفاد و الإنفاق، و لو اعتصت على انتسافها الآفاق، فخففنا في سبيل الله غزو تلك الأقطار المخالفة، بمحق الصائفة، و إعانة تلك الطائفة، بكلوم المجاع الجائفة، خفوقا لم نقع فيه بالاستنابة، حرصا على استئصال الصّباة، و أعفينا الرجل من اتصال الكد، و قابلنا قبولهم على استصحابنا فيها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٥١

بالرد، و أطللنا على قرطبة بمحلاتنا ننسف الجبال نسفا، و نعم الأرض زلزالا و خسفا، و نستقرى مواقع البذر احتراقا، و نخترق أجوابها المختلفة بحب الحصيد اختراقا، و نسلط عليها من شرر النار أمثال الجمالات الصفر مدت من الشواظ أعناقا، و نوسع القرى الواسعة قتلا و استرقاقا، و ندير على مستديرها كؤوس الحتوف دهاقا، و أخذت النيران و اديها الأ-عظم من كلا جانبيه حتى كأن العيون أحمت سبيكته فاستحالت، و أذابت صفيحته فسالت، و أتت الكفار سماؤهم بالدخان الميين، و صارت الشمس من بعد سفورها و عموم نورها منقبة المحيّا معصبة الجبين، و خضنا أحشاء الغريرة نعم أشتات النعم انتسافا، و أفوات أهلها إتلافا، و آمال سكانها إخلافا، و قد بهتوا لسرعة الرجوع، و دهشوا لوقوع الجوع و تسبب تخريب الربوع، فمن المنكر البعيد، أن يتأتى بعد عمرانها المعهود، و قد اصطلم الزرع و اجتثّ العود، و صار إلى العدم منها الوجود، و رأوا من عزائم الإسلام خوارق تشذ عن نطاق العوائد، و عجائب تستريب فيها عين المشاهد، إذ اشتمل هذا العام، المتعرف فيه من الله تعالى الإنعام، على غزوات أربع دمرت فيها القواعد الشهيرة تدميرا، و علا فوق مراقبها الأذان عزيزا جهيرا، و ضويقت كراسي الملك تضييقا كبيرا، و أذيقت و بالا مبيرا، و رياح الإدالة إن شاء الله تعالى تستأنف هبوبا، و بأسا مشبوبا، و الثقة بالله قد ملأت نفوسا مؤمنة و قلوبا، و الله سبحانه المسؤول أن يوزع شكر هذه النعم التي أثقلت الأكتاد، و أبهظت الطوق المعتاد، و أبهجت المسيم و المرتاد، فبالشكر يستدر فريدها، و يتوالى تجديدها، و قطعنا في بحبوحة تلك العمالة المستبحرة العمارة، و الفلج المغنى وصفها عن الشرح و العبارة، مراحل ختمنا بالتعريج على حرب جيّان حربها، ففللنا ثانية غربها و جدّنا كربها و استوعبنا حرقها و حربها، و نظمنا البلاد في سلك البلاء، و حثنا في إنجادهها و أغوارها ركائب الاستيلاء، فلم نترك بها ملقط طير، فضلا عن معاف غير، و لا أسأرنا لفلها المحروب بلالة خير، و قفلنا و قد تركنا بلاد النصارى التي منها لكيادنا المدد، و العدة و العدد، و فيها الخصام و اللدد، قد لبست الحداد حريقا، و سلكت إلى الخلاء و الجلاء طريقا، و لم نترك لها مضيقة؟؟؟

تخالط ريقا، و لا نعمة تصون من الفراق فريقا، و ما كانت تلك النعم لو لا أن أعان الله تعالى من عنصرى النار و الهواء بجنود كونه الواسع، و مدركه البعيد الشاسع، لتتولى الأيدي البشرية تغريبها و لا ترزأ كثيرها، و لا لتمتاح بالاغتراف غدورها، بل لله القدرة جميعا،

فقدرته لا تتحامي ريعا ولا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٥٢

حمى مريعا منيعا، وعدنا و العود في مثلها أحمد، وقد بعد من شفاء النفوس الأمد، و نسخ بالسرور الكمد، و رفعت من عز الإسلام العمد، و الحمد لله حمد الشاكرين، و منه نلتمس عادة النصر على أعدائه فهو خير الناصرين، عرفناكم به ليسر دينكم المتين، و مجدكم الذى راق منه الجبين، و الله يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، و يبلغكم أملككم من فضله، و قصدكم بمنه و طوله، و السلام الكريم يخصكم و رحمه الله تعالى و بركاته، انتهى.

[جامع قرطبة]

رجع إلى ما كنا بسيله من أخبار قرطبة الجليئة الوصف، و ذكر جامعها البديع الإتقان و الرصف، فنقول:

قد شاع و ذاع على ألسنة الجهم الغفير من الناس في هذه البلاد المشرقية و غيرها أن فى جامع قرطبة ثلاثمائة و نحو ستين طاقا، على عدد أيام السنة، و أن الشمس تدخل كل يوم من طاق، إلى أن يتم الدور ثم تعود، و هذا شىء لم أفق عليه فى كلام المؤرخين من أهل المغرب و الأندلس، و لو كان كما شاع لذكروه و تعرضوا له، لأنه من أعجب ما يسطر، مع أنهم ذكروا ما هو دونه، فالله أعلم بحقيقته الحال فى ذلك، و ستأتى فى الباب السابع رسالة الشقندى الطويلة و فيها من محاسن قرطبة و سائر بلاد الأندلس الطم و الرّم، و قد ذكرنا فى الباب الأول جملة من محاسن قرطبة، فأغنى ذلك عن إعادتها هنا، على أن رسالة الشقندى تكرر فيها بعض ما ذكرناه، لأننا لم نرد أن نخل منها بحرف، فأتينا بها بلفظها، و إن تكرر بعض ما فيها مع بعض ما أسلفناه، و العذر واضح للمنصف المغضى، و الله نسأل سلوك السبيل الذى يرضى، بمنه و كرمه.

و قال صاحب «نشق الأزهار»: إن فى جامع قرطبة تتورا من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح، و فيه أشياء غريبة، من الصنائع العجيبة، يعجز عن وصفها الواصفون، قيل: أحكم عمله فى سبع سنين، و فيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر، مكتوب على الواحد اسم محمد، و على الآخر صورة عصا موسى و أهل الكهف، و على الثالث صورة غراب نوح عليه الصلاة و السلام، الثلاثة خلقها الله تعالى و لم يصنعها صانع، انتهى.

قلت: لم أر أحدا من محققى المؤرخين للأندلس و ثقافتهم ذكر هذا، على قلّة اطلاعى، و هو عندى بعيد، لأنه لو كان لذكره الأئمة.

و قد حكى القاضى عياض فى الشفاء أشياء وجد عليها اسم نبينا صلى الله عليه و سلم، و لم يذكر هذا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٥٣

و يستبعد أن يكون بجامع قرطبة و لا يذكره، و الله تعالى أعلم بحقيقته الأمر.

و قال فى موضع آخر من هذا الكتاب: إن دور قرطبة أربعة عشر ميلا، و عرضها ميلان، و هى على النهر الكبير، و عليه جسران، و بها الجامع الكبير الإسلامى، و بها الكنيسة المعظمة بين النصارى، و بهذه المدينة معدن الفضة و معدن الشاذنج، و هو حجر من شأنه أن يقطع الدم، و كان يجلب منها البغال التى تباع كل واحدة منها بخمسمائة دينار من حسننها و علوها الزائد، انتهى.

[رجع إلى أخبار البنيان]

رجع إلى أخبار البنيان- و لا خفاء أنه يدل على عظم قدر بانيه، و لذلك قال أمير المؤمنين الناصر المروانى باني الزهراء رحمه الله تعالى حسبما نسبهما له بعض العلماء و بعض ينسبهما لغيره، و سيأتيان فى ترجمة نور الدين بن سعيد على منسويين: [الكامل]

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البنيان

إنّ البناء إذا تعاضم قدره أضحى يدلّ على عظيم الشان
و تذكرت هنا قصيدة قالها بعض الشاميين، و هو الأديب الفاضل الشيخ أسد بن معين الدين، مما يكتب على أبراج دار الحسين
النسيب، الشهير البيت، الكبير الحى و الميت، القاضى عبد الرحمن بن الفرور الدمشقى، و ضمنها بيتى الناصر المذكورين: [الكامل]
زر مجلسا أضحى أعزّ مكان و محلّ أهل العلم و العرفان
المجد خيم فى ذرى أبراجه و السعد عبد الباب طول زمان
كالخلد مرفوع البناء، و أرضه مفروشه بالدرّ و العقيان
بيت به فخر البيوت لأنّه بيت القصيد و منزل الضيفان
مغنى فسيح فيه معنى مفصح عن قدر بانيه بغير لسان
قد قال بعض ذوى الفضائل قبلنا قولاً بديعاً واضح التبيان
همم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسنّ البنيان
إنّ البناء إذا تعاضم قدره أضحى يدلّ على عظيم الشان
قد شاده من ساد أهل زمانه بالأصل و الإفضال و الرّجحان
ورث السيادة كابرًا عن كابر و سما برفعته على كيوان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٥٤
قاضى القضاة و مفخر العصر الذى قد جاء فيه سابق الأقران
فى العلم بحر لا ينال قراره فى الحكم مثل مهّند و سنان
يروى عطاء عن يديه قد اقتفى آثار آباء ذوى إحسان
لا زال يبقى شائداً بيت العلا و عدوّه فى الوهن و التّقصان
يا أيها المولى الذى يجرى مع الإق بال و الإسعاد طلق عنان
دم شامخ المقدار مرتفع البنا و الناس تحت رضاك كالغلمان
متمتعا ببنيك سادات الورى فى عزّ ربّ دائم السلطان
ما رجّع القمرى فى تغريده فى الرّوض فوق منابر الأغصان

[ابن فرور يشكو الدهر]

و كان القاضى عبد الرحمن بن فرور المذكور على الهمة، تضيق يده عما يريد، فلذلك كان كثيرا ما يبيث شكواه فى الطروس و
الدفاتر، و يعتب على الزمان الذى أخنى على أهل الأدب و قطع آمالهم بحسامه الباتر، و يرحم الله القائل: [الكامل]
هذا زمان دريهمى لا غيره فدع الدفاتر للزمان الفاتر
فمن نظم المذكور و قد أبطأ بجزء استعاره من بعض إخوانه، فكتب إليه معتذرا، و أدمج شكوى الزمان الذى كان من شماتة الأعداء
به حذرا: [السريع]

أبطأت فى ذا الجزء يا سيدي كتابه من جور دهر بغيض
صابرته فالجسم متى لقي تجلدا و القلب متى مريض
فاذ أبى إلّا تلافى و قد أحلنى منه محلّ النقيض
و اقتادنى قسرا إلى مصرع قد رقّ منه اللحم و العظم هيض

سَلِّمْتُ للأقدار مستسرعا لباب مولى ذى عطاء عريض
جموم صبر كنت أسطو به على روايا الدهر بالهم غيض
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٥٥
فلا تلم يا صاح من بعد ذا إذا تمثلت بحال الجريض

و رأيت بخطه رحمه الله تعالى مما نسبه جده القطب الخيضرى الحافظ لإبراهيم بن نصر الحموى ثم المصرى المعروف بابن الفقيه:
[مجزوء الرمل]

يا زمانا كلما حاولت أمرا يتمنع

إن تعصبت فإني باصطبارى أتقنع

وهذه تورية بديعة للغاية فى التعصب و التمتع، مع حلاوة النظم و جودة السبك و خفة الوزن، و الله سبحانه يروح تلك الأرواح فى الجنان، و يعاملنا و إياهم بمحض الفضل و الامتان، و يكفيننا شجون دهر جرى بنا طلق العنان!!

[رجع إلى أخبار البنيان - مدينة الزهراء]

رجع إلى ما كنا فيه- و كنت وقفت فى كلام بعض العلماء على أن البيتين السابقين المنسوبين إلى أمير المؤمنين الناصر المروانى- رحمه الله تعالى!- قالهما فى الزهراء التى بناها، و سيأتى ذكرها قريبا، و قال الشيخ سيدى محيى الدين بن العربى فى المسامرات: قرأت على مدينة الزهراء بعد خرابها و صيرورتها مأوى الطير و الوحش، و بناؤها عجيب فى بلاد الأندلس، و هى قريبة من قرطبة، أبياتا تذكر العاقل، و تنبه الغافل، و هى: [الطويل]

ديار بأكناف الملاعب تلمع و ما إن بها من ساكن و هى بلقع

ينوح عليها الطير من كل جانب فيصمت أحيانا و حيناً يرجع

فخاطبت منها طائرا متغردا له شجن فى القلب و هو مروّع

فقلت: على ما ذا تنوح و تشتكى؟ فقال: على دهر مضى ليس يرجع

ثم قال: و أخبرنى بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء أن الناصر مات له سرية، و تركت مالا كثيرا، فأمر أن يفك بذلك المال أسرى المسلمين، و طلب فى بلاد الإفرنج أسيرا فلم يوجد، فشكر الله تعالى على ذلك، فقالت له جاريتته الزهراء- و كان يحبها حبا شديدا:- اشتهيت لو بنيت لى به مدينة تسميها باسمى، و تكون خاصة لى، فبناها تحت جبل العروس من قبله الجبل، و شمال قرطبة، و بينها و بين قرطبة اليوم ثلاثة أميال أو نحو ذلك، و أتقن بناءها، و أحكم الصنعة فيها، و جعلها مستنزاها و مسكنا للزهراء و حاشية أرباب دولته،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٥٦

و نقش صورتها على الباب، فلما قعدت الزهراء فى مجلسها نظرت إلى بياض المدينة و حسنها فى حجر ذلك الجبل الأسود، فقالت: يا سيدى، ألا ترى إلى حسن هذه الجارية الحسنة فى حجر ذلك الزنجى، فأمر بزوال ذلك الجبل، فقال بعض جلسائه: أعيند أمير المؤمنين أن يخطر له ما يشين العقل سماعه، لو اجتمع الخلق ما أزالوه حفرا و لا قطعاً، و لا يزيله إلا من خلقه، فأمر بقطع شجره و غرسه تينا و لوزا، و لم يكن منظر أحسن منها، و لا سيما فى زمان الأزهار و تفتح الأشجار و هى بين الجبل و السهل، انتهى ببعض اختصار.

و قال ابن خلكان فى ترجمة المعتمد بن عباد ما صورته: الزهراء- بفتح الزاى و سكون الهاء و فتح الراء، و بعدها همزة ممدودة - و هى من عجائب أبنية الدنيا، و أنشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر، أحد ملوك بنى أمية بالأندلس، بالقرب من قرطبة، فى أول سنة خمس و عشرين و ثلاثمائة، و مسافة ما بينهما أربعة أميال و ثلثا ميل، و طول الزهراء من الشرق إلى

الغرب ألفان و سبعمائة ذراع، و عرضها من القبلة إلى الجنوب ألف و خمسمائة ذراع، و عدد السوارى التى فيها أربعة آلاف سارية و ثلاثمائة سارية و عدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب، و كان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا: فثلث للجند، و ثلث مدخر، و ثلث ينفقه على عمارة الزهراء، و كانت جباية الأندلس يومئذ خمسة آلاف ألف دينار و أربعمائة ألف و ثمانين ألف دينار، و من الستوق و المستخلصه سبعمائة ألف دينار و خمسة و ستون ألف دينار، هى من أهول ما بناه الإنس، و أجله خطرا، و أعظمه شأنا، ذكر ذلك كله ابن بشكوال فى تاريخ الأندلس، انتهى كلامه.

و حكى فى المطمح أن الوزير الكبير الشهير أبا الحزم بن جمهور قال و قد وقف على قصور الأمويين التى تقوّضت أبنيتها، و عوّضت من أنيسها بالوحش أفنتها: [الخفيف]

قلت يوما لدار قوم تفانوا: أين سكاكك العزاز علينا؟

فأجابت: هنا أقاموا قليلا، ثم ساروا، و لست أعلم أيننا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٥٧

و فيه أن أبا عامر بن شهيد بات ليلة بإحدى كنائس قرطبة و قد فرشت بأضغاث آس، و عرشت بسرور و ائتناس، و قرع النواقيس يبهج سمعه، و برق الحميا يسرج لمعه، و القس قد برز فى عبدة المسيح، متوشحا بالزنانير أبداع توشيح، قد هجروا الأفراح، و أطرحوا النعم كل أطراح، لا يعمدون إلى ماء بآنية إلا اغترافا من الغدران بالزجاج، و أقام بينهم يعملها حميا، كأنما يرشف من كأسها شفة لميا و هى تنفخ له بأطيب عرف، كلما رشفها أعذب رشف، ثم ارتجل، بعد ما ارتحل، فقال: [الكامل]

و لربّ حان قد شملت بديره خمر الصبا مزجت بصرف عصيره

فى فتية جعلوا السرور شعارهم متصاغرين تخشعا لكبيره

و القسّ مما شاء طول مقامنا يدعو بعود حولنا بزبوره

يهدى لنا بالزجاج كلّ مصفر كالحشف خفّره التماح خفيه

يتناول الظرفاء فيه و شربهم لسلافه، و الأكل من خنزيره

رجع إلى أبناء الزهراء- قال بعض من أرخ الأندلس: كان يتصرف فى عمارة الزهراء كل يوم من الخدام و الفعلة عشرة آلاف رجل، و من الدواب ألف و خمسمائة دابة، و كان من الرجال من له درهم و نصف و من له الدرهمان و الثلاثة، و كان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الآجر و الصخر غير المعدل، انتهى، و سيأتى فى الزهراء مزيد كلام.

و قال ابن حيان: ابتدأ الناصر بناء الزهراء أول يوم من محرم سنة ٣٢٥، و جعل طولها من شرق إلى غرب ألفين و سبعمائة ذراع، و تكسيها تسعمائة ألف ذراع و تسعون ألف ذراع، كذا نقله بعضهم، و للنظر فيه مجال، قال: و كان يثيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزم على قطعها و نقلها و مؤنة حملها، و جلب إليها الرخام الأبيض من المريّة، و المجزّع من رية، و الوردى و الأخضر من إفريقية من إسفاقس و قرطاجنة،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٥٨

و الحوض المنقوش المذهب من الشام، و قيل: من القسطنطينية، و فيه نقوش و تماثيل و صور على صور الإنسان، و ليس له قيمة، و لما جلبه أحمد الفيلسوف- و قيل غيره- أمر الناصر بنصبه فى وسط المجلس الشرقى المعروف بالمؤنس، و نصب عليه اثني عشر تمثالا، و بنى فى قصرها المجلس المسمى بقصر الخلافة، و كان سمكه من الذهب و الرخام الغليظ فى جرمه لصاصى لونه المتلوننة أجناسه، و كانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك و جعلت فى وسطه اليتيمة التى أتحتف الناصر بها أليون ملك القسطنطينية، و كانت قرامد هذا القصر من الذهب و الفضة، و هذا المجلس فى وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق، و كان فى كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج و الآبنوس المرصع بالذهب و أصناف الجواهر. قامت على سوارى من الرخام الملون و البلور

الصافي، و كانت الشمس تدخل على تلك الأبواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس و حيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالأبصار، و كان الناصر إذا أراد أن يفزع أحدا من أهل مجلسه أو ما إلى أحد صقالبته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلمعان البرق من النور، و يأخذ بمجامع القلوب، حتى يخيل لكل من في المجلس أن المحل قد طار بهم، ما دام الزئبق يتحرك، و قيل: إن هذا المجلس كان يدور و يستقبل الشمس، و قيل: كان ثابتا على صفة هذا الصهريج، و هذا المجلس لم يتقدم لأحد بناؤه في الجاهلية و لا في الإسلام، و إنما تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم، و كان بناء الزهراء في غاية الإتقان و الحسن، و بها من المرمر و العمد كثير، و أجرى فيها المياه، و أحرق بها البساتين، و فيها يقول الشاعر السمسير: [السريع]

وقفت بالزهراء مستعبرا معتبرا أندب أشتاتا

فقلت: يا زهرا ألا فارجعي قالت: و هل يرجع من ماتا؟

فلم أزل أبكى و أبكى بها هيهات يغنى الدمع هيهاتا

كأنما آثار من قد مضى نوابد يندبن أمواتا

انتهى كلام هذا المؤرخ ملخصا، و سيأتي ما يوافق جلّه، و يخالف قلّه، و الله سبحانه يعلم الأمر كله، فإنه ربما ينظر المتأمل هذا الكتاب فيجد في بعض الأخبار تخالفا، فيحمل ذلك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٥٩

على الغلط، و ليس كذلك، و إنما السبب الحامل لذلك جلب كلام الناس بعباراتهم، و الناقد البصير لا يخفاه مثل هذا، و ربما يقع التكرار، و ذلك من أجل ما ذكر، و الله أعلم.

[أخبار البنيان - قصر المأمون بن ذي النون]

و تذكرت بما وصفه من مجلس الناصر ما حكاه غير واحد عن القصر العظيم الذي شاده ملك طليطلة المأمون ابن ذي النون بها، و ذلك أنه أتقنه إلى الغاية، و أنفق عليه أموالا طائلة، و صنع في وسطه بحيرة، و صنع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب، و جلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطا بها و يتصل ببعضه ببعض، فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجرى، و المأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء و لا يصله، و توقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب، و بينما هو فيها مع جواريه ذات ليلة إذ سمع منشدا ينشد:

[الطويل]

أتبنى بناء الخالدين، و إنما مقامك فيها لو علمت قليل

لقد كان في ظل الأراك كفاية لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فغص عليه حاله، و قال: إن لله و إنا إليه راجعون، أظن أن الأجل قد قرب، فلم يلبث بعدها غير شهر و توفي، و لم يجلس في تلك القبة بعدها، و ذلك سنة ٤٦٧، تجاوز الله تعالى عنه! هكذا حكاه بعض مؤرخي المغرب.

و قد ذكر في غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية هذه القبة بلفظ ابن بدرون شارح العبدونية فليراجع.

و تذكرت هنا قول أبي محمد المصري في صفة قصر طليطلة: [الكامل]

قصر يقصّر عن مداه الفرقد عذبت مصادره و طاب المورد

نشر الصباح عليه ثوب مكارم فعلية ألوية السعادة تعقد

و كأنما المأمون في أرجائه بدر تمام قابلته أسعد

و كأنما الأقداح في راحاته در جماد ذاب فيه العسجد

وله في صفة البركة و القبة عليها: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٦٠

شمسيّة الأنساب بدرية يحار في تشبيهها خاطر

كأنما المأمون بدر الدجى و هي عليه الفلك الدائر

[وصف المجالس و القصور]

و كان ملوك الأندلس في غاية الاحتفال بالمجالس و القصور، و للوزير الجزيرى - رحمه الله تعالى!- في وصف مجلس للمنصور بن

أبى عامر ما يشهد لذلك، و هو قوله:

[الكامل]

و توسّطتها لجة في قعرها بنت السلاحف ما تزال تنفق

تنساب من فكى هزبر إن يكن ثبت الجنان فإنّ فاه أخرج

صاغوه من ندّ و خلّق صفحتى هاديه محض الدّر فهو مخلّق

للياسمين تطلّع في عرشه مثل المليك عراه زهو مطرق

و نضائد من نرجس و بنفسج و جنى خيرى و ورد يعبق

ترنو بسحر عيونها و تكاد من طرب إليك بلا لسان تنطق

و على يمينك سوسنات طلعت زهر الزبيح فهنّ حسنا تشرق

فكأنما هي في اختلاف رقومها رايات نصر ك يوم بأسك تخفق

في مجلس جمع الشرور لأهله ملك إذا جمعت قناه يفرّق

حازت بدولته المغارب رفعه فغدا ليحسدها عليه المشرق

و من هذه القصيدة.

أما الغمام فشهد لك أنّه لا شكّ صنوك أو أخوك الأوثق

وافى الصنيع فحين تمّ تمامه فى الصّحو أنشأ ودقه يتدقّق

و أظنّه يحكيك جودا إذ رأى فى اليوم بحرك زاخرا يتفهّق

و كان السبب فى هذه الأبيات أن المنصور صنع فى ذلك الأوان صنيعا لتطهير ابنه عبد الرحمن، و كان عام قحط، فارتفع السعر

بقرطبة، و بلغ ربع الدقيق إلى دينارين، فجلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٦١

الناس من قرطبة، فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت فى السماء سحابة عمت الأفق، ثم أتى المطر الوابل، فاستبشر الناس، و سر المنصور

بن أبى عامر فقال الجزيرى بديهة. أما الغمام إلخ.

و هو القائل على لسان نرجس العامرية: [الكامل]

حيّتك يا قمر العلا و المجلس أركى تحيتها عيون النرجس

زهر تريك بحسنها و بلونها زهر النجوم الجاريات الكنّس

ملكن أفئدة الندامى كلّما دارت بمجلسهم مدار الأكؤس

ملك الهمام العامرى محمد للمكرمات و للنهى و الأنفس

قال ابن بسام: و من شعر الجزيري ما اندرج له أثناء مدحه الذي ملح فيه مخاطبته للمنصور على ألسنة كرائمه بزهر رياضه، فمن ذلك عن بهار العامرية: [الكامل]

حدق الحسان تقتر لي و تغار و تضلّ في صفتي النهي و تحار
طلعت على قضبي عيون تمانمي مثل العيون تحفها الأشفار
و أخصّ شيء بي إذا شبّهتني درر تنطق سلكتها دينار
أهدى له قضب الزمرد ساقه و حباه أنفوس عطره العطار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٦١
أنا نرجس حقًا بهرت عقولهم ببديع تركيبى فليل بهار

و من أخرى عن بنفسج العامرية: إذا تدافعت الخصوم- أيد الله مولانا المنصور!- في مذاهبها، و تنافرت في مفاخرها، فإليه مفرعها، و هو المقنع في فصل القضية بينها لاستيلائه على المفاخر بأسرها، و علمه بسرّها و جهرها، و قد ذهب البهار و النرجس في وصف محاسنهما، و الفخر بمشابهتهما، كل مذهب، و ما منها إلا ذو فضيلة غير أن فضلي عليهما أوضح من الشمس التي تعلقونا، و أعذب من الغمام الذي يسقينا، و إن كانا قد تشبها في شعرهما ببعض ما في العالم من جواهر الأرض و مصاييح السماء و هي من الموات الصامت، فإني أتشبه بأحسن ما زين الله به الإنسان و هو الحيوان الناطق، مع أني أعطر منهما عطرا، و أحمد خبرا، و أكرم إمتاعا شاهدا و غائبا و يانعا و ذابلا، و كلاهما لا يمتع، إلا ريثما يينع، ثم إذا ذبل تستكره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٦٢

النفوس شمه، و تستدفع الأ-كف ضمه، و أنا أمتع يابسا و رطبا، و تدخرني الملوك في خزائنها و سائر الأطباء، و أصرف في منافع الأعضاء، فإن فخرا باستقلالهما على ساق هي أقوى من ساقى، فلا غرو أن الوشى ضعيف، و الهوى لطيف، و المسك خفيف، و ليس المجد يدرك بالصّراع، و قد أودعت أيد الله مولانا قوافي الشعر من وصف مشابهي ما أودعاه، و حضرت بنفسى لثلا أغيب عن حضرتهما، فقديما فضل الحاضر و إن كان مفضولا، و لذا قالوا: ألد الطعام ما حضر لوقته، و أشعر الناس من أنت في شعره، فلمولانا

أتم الحكم في أن يفصل بحكمه العدل، و أقول: [الكامل]

شهدت لنوار البنفسج ألسن من لونه الأحوى و من إيناعه
لمشابه الشعر الأعمّ أعاره ال قمر المنير الطلق نور شعاعه
و لربّما جمع التّجيع من الطّلى من صارم المنصور يوم قراعه
فحكاه غير مخالف في لونه لا في روائحه و طيب طباعه
ملك جهلنا قبله سبل العلا حتّى و ضحن بنهجه و شراعه
في سيفه قصر لطول نجاده و تمام ساعده و فسحة باعه
ذو همّة كالبرق في إسراعه و عزيزة كالحين في إيقاعه
تلقى الزّمان له مطيعا سامعا و ترى الملوك الشّم من أتباعه
و ما أحسن قول بعض الأندلسيين يصف حديقه: [الكامل]

و حديقه مخضرة أثوابها في قضبها للطير كل مغرد

نادمت فيها فتية صفحاتهم مثل البدور تنير بين الأسعد

و الجدول الفصّي يضحك ماؤه فكأنه في العين صفح مهند

و إذا تجعد بالتّسيم حسبته لما تراه مشبها للمبرد

و تناثرت نقط على حافاته كالعقد بين مجّمع و مبدّد

و تدرجت للنّاظرين كأنّها درّ نشير في بساط زبرجد

و كان بحمام الشطارة بإشبيليّة صورةً بديعة الشكل فوصفها بعض أهل الأندلس بقوله: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٦٣

و دمية مرمر تزهى بجيد تناهى في التورّد و البياض

لها ولد و لم تعرف حليلا و لا ألّمت بأوجاع المخاض

و نعلم أنّها حجر، و لكن تتيّنا بألحاظ مراض

و كان بسرقسطة في القصر المسمى بدار السرور أحد قصور المقتدر بن هود مجلس الذهب، و فيه يقول ذو الوزارتين بن غند شلب

يهجو وزيراً كان ينبز بتحقون:

[الرمّل]

صجّ من تحقون بيت الدّهب و دعا ممّا به و احربي

ربّ طهرني فقد دنّسني عار تحقون ألوف الدّنب

و كتب بعض كبراء الأندلس إلى إخوانه: كتابي هذا من وادي الزيتون، و نحن فيه محتلون، ببقعة اكتست من السندس الأخضر، و

تحلت بأنواع الزهر و تخايلت بأنهار تتخللها، و أشجار تظللها، تحجب أدواحها الشمس لالتفافها، و تأذن للنسيم فيميل من أعطافها، و

ما شتّم من محاسن تروق و تعجب، و أطيّار تتجاوب بألحان تلهي و تطرب، في مثلها يعود الزمان كله صبا، و تجري الحياة على الأمل

و المنى، و أنا فيها- أبقاكم الله سبحانه!- بحال من طاب غذاؤه، و حسن استمراؤه، و صحا من جنون العقار، و استراح من مضض

الخمّار، و زابيلته و ساوسه، و خلصت من الخباط هواجسه، ثم ذكر كلاماً من هذا النمط في وصف الخمار و الدعاء إلى العقار.

فراجعه أبو الفضل بن حسداي برقعة قال في صدرها: إلى سيدنا الذي ألزمتنا بامتنانه الشكر، و كبيرنا الذي علمنا ببيانته السحر، و عميدنا

الذي عقدنا بحرمة و انحلّ، و رمانا بدائه و انسل، أبقاك الله تعالى لتوبه نصوح تمرها، و يمين غموس تبرّها، ورد أبقاك الله تعالى

كتابك الذي أنفدته من معرّسك بوادي الزيتون، و وقفنا على ما لقنت في أوصافه من حجة المفتون،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٦٤

و إعجابك بالثفاف شجره و دوحاته، و اهتزازك بلطيف بواكره و روحاته، و سرورك به و هو حوّ تلاعه، مورودة هضابه و أجراءه،

و كل المشارب ما خلاه ذميم، و ماؤه الدهر خصر و المياه حميم، و تلك عادة تلونك، و سجيّة تحضرمك، و شاكلة ملالك و

سأمك، و أشعر الناس عندك من أنت في شعره، و أحب البلاد إليك ما أنت في عقره، فأين منك بساتين جلق و جناه، و رياضة

المونقة و خلجانه، و قبايه البيض في حدائقه الخضّر، و جون العطر في جناه النضر، و ما تضمّه حيطانه، و تمجّه أنجاده و غيطانه، من

أمهات الراح التي هجرتها بزعمك، و موارد الشّمول التي طلقته برغمك، و هيهات فو الله ما فارقتك تلك الأرجاع و المجاني، و لا

شاقتك تلك المنازل و المغاني. إلا تذكر لما لدينا من طيب المعاهد، و حيناً إلى ما عندنا من جميل المشاهد، و أين من المشتاق

عنقاء مغرب. ثم ذكر كلاماً في جواب ما مر من الخمار لم يتعلق لي به غرض.

و ما أحلى ما كتب به أبو إسحاق بن خفاجة من رسالته في ذكر منتزه:

و لما أكب الغمام إكباً، لم أجد منه إغباباً، و اتصل المطر اتّصالاً، لم ألف منه انفصالاً، أذن الله تعالى للصّحو أن يطلع صفحته، و

ينشر صحيفته، ففشعت الريح السحاب، كما طوى السجلّ الكتاب، و طفقت السماء تخلع جلبابها، و الشمس تميّط نقابها، و طلعة الدنيا

تبتهج كأنها عروس تجلّت، و قد تحلت، ذهب في لمة من الإخوان نستبق إلى الراحة ركضاً، و نظوى للتفرّج أرضاً، فلا أندفع إلا إلى

غدير، نمير، قد استدارت منه في كل قرارة سماء، سحائبها غماء، و انساب في تلعة حباب، جلده حباب، فترددنا بتلك الأباطح، نتهادى

تهادى أغصانها، و تنضاحك تضاحك أقحوانها، و للنسيم، أثناء ذلك المنظر الوسيم، تراسل مشى، على بساط و شى، فإذا مر بغدير نسجه درعا، و أحكمه صنعا، و إن عثر بجدول شطب منه نصلا، و أخلصه صقلا، فلا ترى إلا بطاحا، مملوءة سلاحا، كأنما انهزمت هنالك كتائب فألقت بما لبسته من درع مصقول، و سيف مسلول.

و من فصل منها. فاحتللتنا قبة خضراء ممدودة أشطان الأغصان، سندسية رواق الأوراق، و ما زلنا نلتحف منها ببرد ظل ظليل، و نشتمل عليه برداء نسيم عليل، و نجيل الطرف فى نهر صقيل، صافى لجين الماء، كأنه مجرة السماء، مؤتلق جوهر الحباب، كأنه من ثغور الأحباب،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٦٥

و قد حضرنا مسمع يجرى مع النفوس لطافة فهو يعلم غرضها و هواها، و يغنى لها مقترحها و مناها، فصيح لسان النقر، يشفى من الورق، كأنه كاتب حاسب، تمشق يمناه، و تعقد يسراه:

[الوافر]

يحزرك حين يشدو ساكنات و تنبعث الطباع للسكون

[من نثر ابن خفاجة]

و كانت بين أبى إسحاق و بعض إخوانه مقاطعة، فاتفق أن ولى ذلك الصديق حصنا، فخطبه أبو إسحاق برقعة، منها: أطال الله بقاء سيدى النبيه أوصافه التزييه عن الاستثناء، المرفوعة إمارته الكريمة بالابتداء، ما انحذت ياء يرمى للجزم، و اعتلت و او يغزو لموضع الضم، كتبت عن ودّ قديم هو الحال، لم يلحقها انتقال، و عهد كريم هو الفعل لم يدخله الاعتلال، و الله يجعل هاتيك من الأحوال الثابتة اللازمة، و يعصم هذا بعد من الحروف الجازمة، و أنا أستنهض طولك إلى تجديد عهدك بمطالعة ألف الوصل، و تعدييه فعل الفصل، و عدولك عن باب ألف القطع، إلى باب الوصل و الجمع، حتى يسقط لدرج الكلام بيننا هاء السكت، و يدخل الانتقال حال الصمت، فلا تتخيل أعزك الله أن رسم إخوانك عندى ذو حسا قد درس عفاء، و لا أن صدرى دار ميه أمسى من وده خلاء، و إنما أنا فعل إذا ثنى ظهر من ضمير وده ما بطن، و بدا منه ما كمن، و هنيئا أعزك الله أن فعل وزارتك حاضر لا يلحق رفعه تغيير، و أن فعل سيفك ماض ما به للعوامل تأثير، و أنت بمجدك جماع أبواب الظرف، تأخذ نفسك العلية بمطالعة باب الصرف، و درس حروف العطف، و تدخل لام التبرئة على ما حدث من عتبك، و توجب بعد النفى ما سلف من قربك، و تدع ألف الألفة أن تكون بعد من حروف اللين، و ترفع بالإضافة بيننا وجود التنوين، و تسوم ساكن الود أن يتحرك و معتل الإخاء أن يصح، و كتابى هذا حرف صلة فلا تحذفه حتى تعود الحال الأولى صفة، و تصير هذه النكرة معرفة، فأت أعزك الله مصدر فعل السرور و النيل، و منك اشتقاق اسم السودد و الفضل، و إنك و إن تأخر العصر بك كالفاعل وقع مؤخرا، و عدوك و إن تكبر كالكميت لم يقع إلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٦٦

مصغرا، و للأيام علل تبسط و تقبض، و عوامل ترفع و تخفض، فلا دخل عروضك قبض، و لا عاقب رفعك خفض، و لا زلت مرتبطا بالفضل شرطك و جزاؤك، جاريا على الرفع سروك الكريم و سناؤك، حتى يخفض الفعل، و تبنى على الكسر قبل، إن شاء الله. و كتب رحمه الله تعالى يستدعى عود غناء: انتظم إخوانك - أعزك الله تعالى! - عقد شرب يتساقون فى ودك، و يتعاطون ريحانة شكرك و حمدك، و ما منهم إلا شره المسامع إلى رنة حمامة ناد، لا حمامة بطن واد، و الطول لك فى صلتها بجماد ناطق قد استعار من بنان لسانا، و صار لضمير صاحبه ترجمانا، و هو على الإساءة و الإحسان لا ينفك من إيقاع به، من غير إيجاع له، فإن هفا عركت أذنه و أدب، و إن تأبى و استوى بعج بطنه و ضرب، لا زلت منتظم الجدل، ملتئم الأمل، انتهى.

[من نظم ابن خفاجة]

و من نظمه رحمه الله تعالى يتفجع و يتوجع: [الطويل]
 شراب الأماني لو علمت سراب و عتبي الليالي لو عرفت عتاب
 و هل مهجة الإنسان إلّا طريدة يحوم عليها للحمام عقاب
 يخبّ بها في كلّ يوم و ليلة مطايا إلى دار البلى و ركاب
 و كيف يغيض الدّمع أو يبرد الحشا و قد باد أقران وفات شباب
 أقلب طرفي لا أرى غير ليلة و قد حطّ عن وجه الصّباح نقاب
 كأني، و قد طار الصّباح، حمامة يمدّ جناحيه على غراب
 دعا بهم داعي الرّدى فكأنّما تبارت بهم خيل هناك عراب
 فها هم و سلم الدّهر حرب كأنّما جثا بينهم طعن لهم و ضراب
 هجود و لا غير التّراب حشيتة لجنب و لا غير القبور قباب
 و لست بناس صاحبا من ربيعه إذا نسيت رسم الوفاء صحاب
 و ممّا شجاني أن قضى حتف أنفه و ما اندقّ رمح دونه و كعاب
 و أنا تجارينا ثلاثين حقه فمات ساقا و الحمام قصاب
 كأن لم نبت في منزل القصف ليلة نجيب بها داعي الصّبا و نجاب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٦٧
 إذا قام ممّا قائم هزّ عطفه شباب أرقناه بها و شراب
 و لما تراءت للمشيب بريقة و أقشع من ظلّ الشّباب سحاب
 نهضنا بأعباء الليالي جزالة و أرسّت بنا في التّائبات هضاب
 فيا ظاعنا قد حطّ من ساحة البلى بمنزل بين ليس عنه مآب
 كفى حزنا أن لم يزرني على التّوى رسول و لم ينفذ إليّ كتاب
 و أنّي إذا يّممت قبرك زائرا و قفت و دوني للتّراب حجاب
 و لو أنّ حيا كان جاور ميّتا لطلال كلام بيننا و خطاب
 و أعرب عمّا عنده من جليته فأقشع عن شمس هناك ضباب
 و قد أبعدنا عما كنا بصدده من ذكر قرطبة أعادها الله للإسلام، فنقول: قال بعض من أرخ الأندلس:
 انتهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل إلى أربعمائه و تسعين مسجدا، ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما سيأتي ذكره.

[عود إلى وصف قرطبة و مشاهدها و مساجدها]

و قال بعضهم: كانت قرطبة قاعدة الأندلس، و أم المدائن، و قرارة الملك، و كان عدد شرفاتها أربعة آلاف و ثلاثمائه، و كانت عدة الدور في القصر الكبير أربعمائه دار و نيفا و ثلاثين، و كانت عدة دور الرعايا و السّواد بها الواجب على أهلها المبيت في السور مائة ألف دار و ثلاثة عشر ألف دار، حاشا دور الوزراء و أكابر الناس و البياض.
 و رأيت في بعض الكتب أن هذا العدد كان أيام لمتونة و الموحّدين، قال: و كانت ديار أهل الدولة إذ ذاك ستة آلاف دار و ثلاثمائه

دار. انتهى

و عدد أرباضها ثمانية و عشرون، و قيل: أحد و عشرون: و مبلغ المساجد بها ثلاثة آلاف و ثمانمائة و سبعة و ثلاثون مسجدا، و عدد الحمامات المبرزة للناس سبعمائة حمام، و قيل: ثلاثمائة حمام.

و قال ابن حيان: إن عدة المساجد عند تهايتها في مدة ابن أبي عامر ألف و ستمائة مسجد، و الحمامات تسعمائة حمام.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٦٨

و في بعض التواريخ القديمة: كان بقرطبة في الزمن السالف ثلاثة آلاف مسجد و ثمانمائة و سبعة و سبعون مسجدا: منها بشقندة ثمانية عشر مسجدا، و تسعمائة حمام و أحد عشر حماما، و مائة ألف دار و ثلاثة عشر ألف دار للرعية خصوصا، و ربما نصف العدد أو أكثر لأرباب الدولة و خاصتها، هكذا نقله في المغرب، و هو أعلم بما يأتي و يذر، رحمه الله تعالى!.

و قال بعض المؤرخين - بعد ذكره نحو ما تقدم -: و وسط الأرباض قبة قرطبة التي تحيط بالسور دونها، و أما اليتيمة التي كانت في

المجلس البديع فإنها كانت من تحف قصر اليونانيين بعث بها صاحب القسطنطينية إلى الناصر مع تحف كثيرة سنية. انتهى

و نحوه لابن الفرضي و غير واحد، لكن خالفهم صاحب «المسالك و الممالك» فذكر أن عدد المساجد بقرطبة أربعمائة مسجد و أحد و سبعون مسجدا، و هو بعيد، و قال قبله: إن دور قرطبة في كمالها ثلاثون ألف ذراع، و تفسيرها باللسان القوطي القلوب المختلفة، و هي بالقوطية بالطاء المشالة، و قيل: إن معنى قرطبة أجز فاسكنها قال: و بقرطبة أقاليم كثيرة و كور جليله، و كانت جبايتها في أيام الحكم بن هشام مائة ألف دينار و عشرة آلاف دينار و عشرين دينارا، و سبق ما يخالف هذا، و من القمح أربعة آلاف مدى و ستمائة مدى، و من الشعير سبعة آلاف مدى، و من الشعير سبعة آلاف و ستمائة مدى و سبعة و أربعين مديا.

و قال بعض العلماء: أحصيت دور قرطبة التي بها و أرباضها أيام ابن أبي عامر فكان مائتي ألف دار و ثلاثة عشر ألف دارا و سبعة و سبعين دارا، و هذه دور الرعية، و أما دور الأكابر و الوزراء و الكتاب و الأجناد و خاصة الملك فستون ألف دار و ثلاثمائة دار سوى مصارى الكراء و الحمامات و الخانات، و عدد الحوانيت ثمانون ألف حانوت و أربعمائة و خمسة و خمسون حانوتا، و لما كانت الفتنة على رأس المائة الرابعة غيرت رسوم ذلك العمران، و محيت آثار تلك القرى و البلدان، انتهى ملخصا و سيأتي في رسالة الشقندي ما هو أشمل من هذا.

و لما رقت حال أبي القاسم عامر بن هشام القرطبي بقرطبة و زين له بعض أصحابه الرحلة إلى حضرة ملك الموحدون مراكش قال و

ذكر المنتزهات القرطبية: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٦٩

يا هبةً باكرت من نحو دارين وافت إلى على بعد تحييني

سرت على صفحات النهر ناشرة جناحها بين خيرى و نسرين

ردت إلى جسدى روح الحياة و ما خلت التسيم إذا ما متّ يحييني

لولا تنسمها من نشر أرضكم ما أصبحت من أليم الوجد تبريني

مرت على عقدات الرمل حاملة من سرّكم خيرا بالوحي يشفيني

عرفت من عرفه ما كنت أجهله لما تبسم في تلك الميادين

نزوت من طرب لما هفا سحرا و ظلّ ينشرنى طورا و يطويني

خلت الشمال شمولاً إذ سكرت بها سكرما بما لست أرجوه يميني

أهدت إلى أريجا من شمائلكم فقلت: قزبني من كان يقصيني

و خلت من طمع أن اللقاء على إثر النسيم و أضحى الشوق يحدوني
 فظلت أثم من تعظيم حقكم مجرّ أذيالها و الوجد يغريني
 مسارح كم بها سرتحت من كمد قلبي و طرفي و لا سلوان يثينني
 بين المصلّى إلى وادى العقيق و ما يزال مثل اسمه مذ بان يبكينني
 إلى الرصافة فالمرج التّضير فوا دى الدّير فالعطف من بطحاء عبدون
 لباب عبد سفته السّحب و ابلها فلم يزل بكؤوس الأنس يسقيني
 لا باعد الله عيني عن منازحه و لا يقرب لها أبواب جيرون
 حاشا لها من محلات مفارقة من شيق دونها فى القرب محزون
 أين المسير و رزق الله أدركه من دون جهد و تأميل يعينني
 يا من يزين لى الترحال عن بلدى كم ذا تحاول نسلا عند عنين
 و أين يعدل عن أرجاء قرطبة من شاء يظفر بالدنيا و بالدّين
 قطر فسيح و نهر ما به كدر حفّت بشطيه ألفاف البساتين
 يا ليت لى عمر نوح فى إقامتها و أنّ مالى فيه كتر قارون
 كلاهما كنت أفنيه على نشوات الرّاح نهبا و وصل الحور و العين
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٧٠
 و إنّما أسفى أنّى أهيم بها و أنّ حظّى منها حظّ مغبون
 أرى بعينى ما لا تستطيل يدي له و قد حازه من قدره دونى
 و أنكد النّاس عيشا من تكون له نفس الملوك و حالات المساكين
 يغضّ طرف التّصابى حين تبهته قضبان نعمان فى كئيبان يبرين
 قالوا الكفاف مقيم قلت ذاك لمن لا يستخفّ إلى بيت الرّاجين
 و لا يبلبله هبّ الصّبا سحرا و لا يلطفه عرف الرّياحين
 و لا يهيم بتفّاح الخدود و رمّان الصّدور و ترجيع التّلاحين
 لا تجتنى راحة إلّا على تعب و لا تنال العلا إلّا من الهون
 و صاحب العقل فى الدنيا أخو كدر و إنّما الصّفو فيها للمجانين
 يا أمرى أن أحثّ العيس عن وطنى لّمّا رأى الرّزق فيه ليس يرضينى
 نصحت لكنّ لى قلبا ينازعنى فلو ترخّلت عنه حلّه دونى
 لألزم من وطنى طورا تطاوعنى قود الأمانى و طورا فيه تعصينى
 مذلا بين عرفانى و أضرب عن سير لأرض بها من ليس يدرينى
 هذا يقول غريب ساقه طمع و ذاك حين أريه البرّ يجفونى
 إليك عنّى آمالى فبعدك يه دينى و قربك يطغينى و يغوينى
 يا لحظّ كلّ غزال لست أملكه يدنو و ما لى حال منه تدنينى
 و يا مدامه دير لا أتمّ به لو لا كما كان ما أعطيت يكفينى
 لأصبرنّ على ما كان من كدر لمن عطاياه بين الكاف و التّون

و تسمى هذه القصيدة عند أهل الأندلس «كتر الأدب» وقد أشرنا في الباب الأول إلى كثير مما يتعلق بقرطبة أعادها الله تعالى إلى الإسلام! فأغنى عن إعادته، وإن كان ذكره هنا أنسب، لأن ما تقدم إنما هو في ذكرها مع غيرها من بلاد الأندلس، وهذا الباب لها بالاستقلال.

و أنشد أبو العاص غالب بن أمية الموروري لما جلس على نهر قرطبة بإزاء الرّبض ملتفتا إلى القصر بديهة: [المنسرح]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٧١

يا قصر كم حويت من نعم عادت لقي بعوارض السكك

يا قصر كم حويت من ملك دارت عليه دوائر الفلك

ما شئت فابق فكلّ متخذ يوما يعود بحال مترك

و قال القاضي أبو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة: [الطويل]

أقول و قد جدّ ارتحالي و غرّدت حداتي و زمت للفراق ركائبى

و قد غمضت من كثرة الدمع مقلتي و صارت هواء من فؤادى ترائبى

و لم يبق إلّا وقفه يستحثها و داعى للأحباب لا للحباب

رعى الله جيرانا بقرطبة العلا و جاد رباها بالعهاد السواكب

و حيا زمانا بينهم قد ألفتهم طليق المحيا مستلان الجوانب

أ إخواننا بالله فيها تذكروا مودّة جار أو مودّة صاحب

غدوت بهم من برهم و احتفائهم كأتى فى أهلى و بين أقاربي

و أما مسجد قرطبة فشهرته تغنى عن كثرة الكلام فيه، و لكن نذكر من أوصافه و نشر من أحواله ما لا بد منه، فنقول:

قال بعض المؤرخين: ليس فى بلاد الإسلام أعظم منه، و لا أعجب بناء و أتقن صنعة، و كلما اجتمعت منه أربع سوارى كان رأسها واحدا، ثم صف رخام منقوش بالذهب و اللازورد فى أعلاه و أسفله، انتهى.

و كان الذى ابتدأ بناء هذا المسجد العظيم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل، و لم يكمل فى زمانه، و كمله ابنه هشام، ثم توالى الخلفاء من بنى أمية على الزيادة فيه، حتى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٧٢

صار المثل مضروبا به، و الذى ذكره غير واحد أنه لم يزل كل خليفة يزيد فيه على من قبله إلى أن كمل على يد نحو الثمانية من الخلفاء.

و قال بعض المؤرخين: إن عبد الرحمن الداخل لما استقر أمره و عظم بنى القصر بقرطبة، و بنى المسجد الجامع، و أنفق عليه ثمانين ألف دينار، و بنى بقرطبة الرّصافة تشبيها برصافة جده هشام بدمشق.

و قال بعض: إنه أنفق على الجامع ثمانين ألف دينار، و اشترى موضعه إذ كان كنيسة بمائة ألف دينار، فالله تعالى أعلم.

و قال بعض المؤرخين فى ترجمه عبد الرحمن الداخل ما صورته: إنه لما تمهد ملكه شرع فى تعظيم قرطبة، فجدد مغانيها، و شيد مبانيها، و حصنها بالسور، و ابنتى قصر الإمارة و المسجد الجامع، و وسع فناءه، و أصلح مساجد الكور، ثم ابنتى مدينة الرّصافة منتزها له، و اتخذ بها قصرا حسنا، و جنانا واسعة، نقل إليها غرائب الغراس و كرائم الشجر من بلاد الشام و غيرها من الأقطار، انتهى.

و كانت أخته أم الأصبغ ترسل إليه من الشام بالغرائب، مثل الرمان العجيب الذى أرسلته إليه من دمشق الشام كما مر، و سيأتى كلام ابن سعيد بما هو أتم من هذا.

و لما ذكر ابن بشكوال زيادة المنصور بن أبى عامر فى جامع قرطبة قال: و من أحسن ما عاينه الناس فى بنیان هذه الزيادة العامرية

أعلاج النصارى مصفدين في الحديد من أرض قشتالة وغيرها، وهم كانوا يتصرفون في البنيان عوضا من رجاله المسلمين، إذ لا لا للشرك و عزة للإسلام، و لما عزم على زيادته هذه جلس لأرباب الدور التي نقل أصحابها عنها بنفسه، فكان يؤتى بصاحب المنزل فيقول له: إن هذه الدار التي لك يا هذا أريد أن أبتاعها لجماعة المسلمين من مالهم و من فيئهم لأزيدها في جامعهم و موضع صلاتهم، فشطط و اطلب ما شئت، فإذا ذكر له أقصى الثمن أمر أن يضاعف له، و أن تشتري له بعد ذلك دار عوضا منها، حتى أتى بامرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة، فقالت: لا أقبل عوضا إلا دارا بنخلة، فقال:

تبتاع لها دار بنخلة، و لو ذهب فيها بيت المال، فاشترت لها دار بنخلة، و بولغ في الثمن، و حكي ذلك ابن حيان أيضا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٧٣

وقيل: إن إنفاق الحكم في زيادة الجامع كان مائة ألف و واحدا و ستين ألف دينار و نيفا، و كله من الأخماس.

و قال صاحب كتاب «مجموع المفترق»: و كان سقف البلاط من المسجد الجامع من القبلة إلى الجوف قبل الزيادة مائتين و خمسا و عشرين ذراعا، و العرض من الشرق إلى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع و خمسة أذرع، ثم زاد الحكم في طوله مائة ذراع و خمسة أذرع، فكمل الطول ثلاثمائة ذراع و ثلاثين ذراعا، و زاد محمد بن أبي عامر بأمر هشام بن الحكم في عرضه من جهة المشرق ثمانين ذراعا، فتم العرض مائتي ذراع و ثلاثين ذراعا، و كان عدد بلاطه أحد عشر بلاطا، عرض أوسطها ستة عشر ذراعا، و عرض كل واحد من اللذين يليانه غربا و اللذين يليانه شرقا أربعة عشر ذراعا، و عرض كل واحد من الستة الباقية إحدى عشرة ذراعا، و زاد ابن أبي عامر فيه ثمانية عشر كل واحد عشرة أذرع، و كان العمل في زيادة المنصور ستين و نصفًا، و خدم فيه بنفسه، و طول الصحن من المشرق إلى المغرب مائة ذراع و ثمان و عشرون ذراعا، و عرضه من القبلة إلى الجوف مائة ذراع و خمسة أذرع، و عرض كل واحدة من السقائف المستديرة بصحنه عشرة أذرع، فتكسيه ثلاثة و ثلاثون ألف ذراع و مائة و خمسون ذراعا، و عدد أبوابه تسعة: ثلاثة في صحنه غربا و شرقا و جوفًا، و أربعة في بلاطاته: اثنان شرقيان و اثنان غربيان، و في مقاصير النساء من السقائف بابان، و جميع ما فيه من الأعمدة ألف عمود و مائتا عمود و ثلاثة و تسعون عمودًا، رخاما كلها، و باب مقصورة الجامع ذهب، و كذلك جدار المحراب و ما يليه قد أجرى فيه الذهب على الفسيفساء، و ثريات المقصورة فضة محضه، و ارتفاع الصومعة اليوم - و هي من بناء عبد الرحمن بن محمد - ثلاثة و سبعون ذراعا إلى أعلى القبة المفتحة التي يستدير بها المؤذن، و في رأس هذه القبة تفافيح ذهب و فضة، و دور كل تفاحة ثلاثة أشبار و نصف، فاثان من التفافيح ذهب إبريز، و واحدة فضة، و تحت كل واحدة منها و فوقها سوسنة قد هندست بأبداع صنعة، و رمانة ذهب صغيرة على رأس الزج، و هي إحدى غرائب الأرض.

و كان بالجامع المذكور في بيت منبره مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الذي خطه بيده، و عليه حلية ذهب مكللة بالدر و الياقوت، و عليه أغشية الديباج، و هو على كرسي من العود الرطب بمسامير الذهب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٧٤

رجع إلى المنارة - و ارتفاع المنارة إلى مكان الأذان أربع و خمسون ذراعا، و طول كل حائط من حيطانها على الأرض ثمان عشرة ذراعا، انتهى بحروفه.

و فيه بعض مخالفة لما ذكره ابن الفرضي و بعضهم، إذ قال في ترجمه المنصور بن أبي عامر ما صورته: و كان من أخبار المنصور الداخلة في أبواب الخير و البر و القرب بنيان المسجد الجامع و الزيادة فيه سنة سبع و سبعين و ثلاثمائة، و ذلك أنه لما زاد الناس بقرطبة و انجلب إليها قبائل البربر من العدو و إفريقية، و تناهى حالها في الجلالة ضاقت الأرباض و غيرها، و ضاق المسجد الجامع عن حمل الناس، فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث تتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة، فبدأ ابن أبي عامر في هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولًا من أول المسجد إلى آخره، و قصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الإتقان و الوثاقه، دون الزخرفة، و لم يقصر - مع هذا - عن سائر الزيادات جودة، ما عدا زيادة الحكم. و أول ما عمله ابن أبي عامر تطيب نفوس أرباب

الدور الذين اشترت منهم للهدم لهذه الزيادة بإنصافهم من الثمن، و صنع فى صحنه الجب العظيم قدره الواسع فناؤه، و هو- أعنى ابن أبى عامر- هو الذى رتب إحراق الشمع بالجامع زيادة للزيت، فتطابق بذلك النوران، و كان عدد سوارى الجامع الحامله لسماؤه و اللاصقه بمبانيه و قبابه و مناره بين كبيرة و صغيرة ألف سارية و أربعمائه سارية و سبع عشرة سارية، و قيل: أكثر، و عدد ثريات الجامع ما بين كبيرة و صغيرة مائتان و ثمانون ثريا، و عدد الكؤوس سبعة آلاف كأس و أربعمائه كأس و خمسة و عشرون كأسا، و قيل: عشرة آلاف و ثمانمائه و خمس كؤوس، و زنة مشاكي الرصاص للكؤوس المذكورة عشرة أرباع أو نحوها، و زنة ما يحتاج إليه من الكتان للفتائل فى كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار، و جميع ما يحتاج إليه الجامع من الزيت فى السنة خمسمائة ربيع أو نحوها، يصرف منه فى رمضان خاصة نحو نصف العدد، و مما كان يختص بـرمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع و ثلاثة أرباع القنطار من الكتان المقطن لإقامة الشمع المذكور، و الكبيرة من الشمع التى تؤخذ بجانب الإمام يكون وزنها من خمسين إلى ستين رطلا، يحترق بعضها بطول الشهر، و يعم الحرق لجميعها ليلة الختمة، و كان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة فى دولة ابن أبى عامر و يتصرف فيه من أئمة و مقرئين و أمناء و مؤذنين و سدنه و موقدين و غيرهم من المتصرفين مائة و تسعة و خمسين شخصا، و يوقد من البخور ليلة الختمة أربع أواق من العنبر الأشهب و ثمان أواق من العود الرطب، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٧٥

و قال بعض المؤرخين: كان للجامع كل ليلة جمعة رطل عود، و ربيع رطل عنبر، يتبخر به، انتهى.

و قال ابن سعيد، نقلا عن ابن بشكوال: طول جامع قرطبة الأعظم الذى هو بداخل مدينتها من القبلة إلى الجوف ثلاثمائة و ثلاثون ذراعا، الصحن المكشوف منه ثمانون ذراعا، و غير ذلك مقرمد، و عرضه من الغرب إلى الشرق مائتان و خمسون ذراعا، و عدد أبوابه عند اكتمالها بالشمالىة التى زادها المنصور بن أبى عامر بعد هذا تسعة عشر بهوا، و تسمى البلاطات، و عدد أبوابه الكبار و الصغار أحد و عشرون بابا فى الجانب الغربى تسعة أبواب، منها واحد كبير للنساء يشرع إلى مقاصيرهن، و فى الجهة الشرقىة تسعة أبواب، منها لدخول الرجال ثمانية أبواب، و فى الجهة الشمالىة ثلاثة أبواب، منها لدخول الرجال بابان كبيران، و باب لدخول النساء إلى مقاصيرهن، و ليس لهذا الجامع فى القبلىة سوى باب واحد بداخل المقصورة المتخذة فى قبلته متصل بالساباط المفضى إلى قصر الخلافة منه كان السلطان يخرج من القصر إلى الجامع لشهود الجمعة، و جميع هذه الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر بأغرب صنعة، و عدد سوارى هذا المسجد الجامع الحامله لسماؤه و اللاصقه بمبانيه و قبابه و مناره و غير ذلك من أعماله بين كبار و صغار ألف و أربعمائه سارية و تسع سوار، منها بداخل المقصورة مائة و تسع عشرة سارية، و ذكر المقصورة البديعة التى صنعها الحكم المستنصر فى هذا الجامع فقال: إنه خطر بها على خمس بلاطات من الزيادة الحكيمية، و أطلق حفافيا على الستة الباقية ثلاثة من كل جهة، فصار طولها من الشرق إلى الغرب خمسا و سبعين ذراعا، و عرضها من جدار الخشب إلى سور المسجد بالقبلة اثنين و عشرين ذراعا، و ارتفاعها فى السماء إلى حد شرفاتها ثمان أذرع، و ارتفاع كل شرفة ثلاثة أشبار، و لهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش شارعة إلى الجامع شرقى و غربى و شمالى، ثم قال: و ذرع المحراب فى الطول من القبلة إلى الجوف ثمان أذرع و نصف، و عرضه من الشرق إلى الغرب سبع أذرع و نصف، و ارتفاع قبه فى السماء ثلاث عشرة ذراعا و نصف، و المنبر إلى جنبه مؤلف من أكارم الخشب ما بين آبنوس و صندل و نبع و بقم و شوحط و ما أشبه ذلك، و مبلغ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٧٦

النفقة فيه خمسة و ثلاثون ألف دينار و سبعمائة دينار و خمسة دنانير و ثلاثة دراهم و ثلث درهم و قيل غير ذلك، و عدد درجه تسع درجات صنعه الحكم المستنصر رحمه الله، و ذكر أن عدد ثريات الجامع التى تسرح فيها المصايح بداخل البلاطات خاصة- سوى ما منها على الأبواب- مائتان و أربع و عشرون ثريا، جميعها من لاطون مختلف الصنعة، منها أربع ثريات كبار معلقة فى البلاط الأوسط أكبرها الضخمة المعلقة فى القبة الكبرى التى فيها المصاحف حيال المقصورة، و فيها من السرح- فيما زعموا- ألف و أربعمائه و

أربعة وخمسون، تستوقد هذه الثريات الضخام في العشر الأخير من شهر رمضان، تسقى كل ثريا منها سبعة أرباع في الليلة، و كان مبلغ ما ينفق من الزيت على جميع المصاييح في هذا المسجد في السنة أيام تمام وقوده في مدة ابن أبي عامر مكملته بالزيادة المنسوبة ألف ربح، منها في شهر رمضان سبعمائه وخمسون ربحاً، قال: و في بعض التواريخ القديمة كان عدد القومة بالمسجد الجامع بقرطبة في زمن الخلفاء و في زمن ابن أبي عامر ثلاثمائة، انتهى. و فيه مخالفة لبعض ما تقدم.

و ذكر بعضهم الزيت- و لكن قوله أولى بالاتباع، لنقله عن ابن بشكوال، و لمعرفة ابن سعيد بمثل هذا و تحقيقه فيه أكبر من غيره، و الله سبحانه أعلم- فقال: ألف ربح و ثلاثون ربحاً، منها في رمضان خمسمائة ربح، و في الثريات التي من الفضة- و هي ثلاثة- اثنان و سبعون رطلاً، لكل واحدة ثمانية عشر في ليلة وقدها. و قال في المنبر: إنه مركب من ستة و ثلاثين ألف وصل، قام كل واحد منها بسبعة دراهم فضة، و سميت بمسامير الذهب و الفضة، و في بعضها نفيس الأحجار، و اتصل العمل فيه تسعة، ثم قال: و دور الثريا العظيمة خمسون شبراً، و تحتوى على ألف كأس و أربعة و ثمانين، كلها موشاة بالذهب، إلى غير ذلك من الغرائب.

و كتب الفقيه الكاتب أبو محمد إبراهيم ابن صاحب الصلاة الولبني يصف جامع قرطبة بما نصه: عمر الله سبحانه بشمول السعادة رسمك، و وفر من جزيل الكرامة قسمك، و لا برحت سحائب الإنعام تهمل عليك ثرة، و أنامل الأيام تهدي إليك كل مسرة، لئن كان أعزك الله طريق الوداد بيننا عامراً، و سبيل المحبة عامراً، لوجب أن نفض ختمه، و نرفض كتمه، لا- سيما فيما يدرّ أخلاف الفضائل، و يهز أعطاف الشمائل، و إنى شخصت إلى حضرة قرطبة- حرسها الله تعالى!- منشرح الصدر، لحضور ليلة القدر، و الجامع- قدس الله تعالى بقعته

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٧٧

و مكانه، و ثبت أساسه و أركانه!- قد كسى ببردة الازدهاء، و جلى في معرض البهاء، كأن شرفاته فلول في سنان، أو أشرف في أسنان، و كأنما ضربت في سمائه كلل، أو خلعت على أرجائه حلل، و كأن الشمس خلفت فيه ضياءها، و نسجت على أظفارها أفياءها، فترى نهاراً قد أحدق به ليل، كما أحدق بربوة سيل، ليل دامس، و نهار شامس، و للذبال تألق كضنضة الحيات، أو إشارة السبابات في التحيات، قد أترعت من السليط كؤوسها، و وصلت بمحاجن الحديد رؤوسها، و نيطت بسلاسل كالجذوع القائمة، أو كالثعابين العائمة، عصبت بها تفاح من الصيفر، كاللّقاح الصفر: بولغ في صقلها و جلانها، حتى بهرت بحسنها و لألائها، كأنها جليت بالذهب، و أشربت ماء الذهب، إن سمّتها طولاً رأيت منها سبائك عسجد، أو قلائد زبرجد، و إن أتيها عرضاً رأيت منها أفلاكاً و لكنها غير دائرة، و نجومها و لكنها ليست بسائرة، تتعلق تعلق القرط من الدفري، و تبسط شعاعها بسط الأديم حين يفري، و الشمع قد رفعت على المنار رفع البنود، و عرضت عليها عرض الجنود، ليحتلى طلاقة روائها القريب و البعيد، و يستوى في هداية ضيائها الشقى و السعيد، و قد قوبل منها مبيض محمر، و عورض مخضر بمصفر، تضحك بيكائها و تبكي بضحكها، و تهلك بحياتها و تحيي بهلكها، و الطيب تفغم أفواحه، و تنسم أرواحه، و قنار الألقوج و الند، يسترجع من روح الحياة ما ندى، و كلما تصاعد و هو محاصر، أطال من العمر ما كان تقاصر، في صفوف مجامر، ككعوب مقامر، و ظهور القباب مؤللة، و بطونها مهللة، كأنها تيجان، رصع فيها ياقوت و مرجان، قد قوس محرابها أحكم تقويس، و وشم بمثل ريش الطوايس، حتى كأنه بالمجرة مقرطق، و بقوس قزح ممنطق، و كأن اللازورد حول و شومه، و بين رسومه، نتف من قوادم الحمام، أو كسف من ظلل الغمام، و الناس أخياف في دواعيهم، و أوزاع في أغراضهم و مراميهم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٧٨

بين ركع و سجد، و أيقاظ و هجد، و مزدحم على الرقاب يتخطاها، و مقتحم على الظهور يتمطاها، كأنهم برد خلال قطر، أو حروف في عرض سطر، حتى إذا قرعت أسماعهم روعة التسليم، تبادروا بالتكليم، و تجاذبوا بالأثواب، و تساقوا بالأكواب، كأنهم حضور طال عليهم غياب، أو سفر أتيح لهم إياب، و صفيك مع إخوان صدق، تنكسب العلوم بينهم انسكاب الودق، في مكان كوكب العصفور،

أستغفر الله أو ككناس اليعفور، كأن أقليدس قد قسم بيننا مساحته بالموازين، وارتبطنا فيه ارتباط اليبادق بالفرازين، حتى صار عقدنا لا يحل، وحدنا لا يفل، بحيث نسمع سور التنزيل كيف تتلى، و نتطلع صور التفصيل كيف تجلى، و القومه حوالينا يجهدون في دفع الضرر، و يعمدون إلى قرع العمود بالدرر، فإذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقين، و سرت نحوهم سرى القين، توهموا أنها إلى أعطافهم واصله، و في أفحافهم حاصله، ففروا بين الأساطين، كما تفرّ من النجوم الشياطين، كأنما ضربهم أبو جهم بعصاه، أو حصبهم عمير بن ضابء بحصاه، فأكرم بها مساع تشوق إلى جنه الخلد، و يهون في السعى إليها إنفاق الطوارف و التلذذ، تعظيما لشعائر الله، و تنبيها لكل ساه و لاه، حكمه تشهد لله تعالى بالربوبية، و طاعة تذلل لها كل نفس أئيه، فلم أرد أدام الله سبحانه عزك منظرا منها أبهى، و لا- مخبرا أشهى، و إذ لم تتأمله عيانا، فتخيله بيانا، و إن كان حظ منطقي من الكلام، حظ السفيح من الأزلام، لكن ما بيننا من مودة أكدنا وسائلها، و ذمّة تقلدنا حمائلها، يوجب قبول إتحافى سميئا و غثا، و لبس إلطافى جديدا و رثا، لا زلت لزناد النبيل موريا، و إلى آماد الفضل مجريا، و التحية العبقه الريا، المشرقة المحيا، عليك ما طلع قمر، و أئيع ثمر، و رحمة الله تعالى و بركاته، انتهى.

و ذكر ابن بشكوال أن الحكم المستنصر هدم الميضأة القديمة التي كانت بفناء الجامع الذى يستقى لها الماء من بئر السانية، و بنى موضعها أربع ميضآت فى كل جانب من جانبى المسجد الشرقى و الغربى منها ثنتان كبرى للرجال و صغرى للنساء، أجرى فى جميعها الماء فى قناة اجتلبها من سفح جبل قرطبة إلى أن صبت ماءها فى أحواض رخام لا ينقطع جريانه الليل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٧٩

و النهار، و أجرى فضل هذا الماء العذب إلى سقايات اتخذهن على أبواب هذا المسجد بجهاته الثلاث الشرقية و الغربية و الشمالية، أجزاها هنالك إلى ثلاث جوارب من حياض الرخام استقطعها بمقطع المنستير بسفح جبل قرطبة بالمال الكثير، و ألقاه الرخامون هنالك، و احتفروا أجوافها بمناقيرهم فى المدة الطويلة حتى استوت فى صورها البديعة لأعين الناس، فخفف ذلك من ثقلها، و أمكن من إهابها إلى أماكن نصبها بأكناف المسجد الجامع، و أمد الله تعالى على ذلك بمعونته، فتهيأ حمل الواحد منها فوق عجلة كبيرة اتخذت من ضخام خشب البلوط على فلك موثقة بالحديد المثقف محفوفة بوفاق الحبال قرن لجزها سبعون دابة من أشد الدواب، و سهلت قدامها الطرق و المسالك، و سهل الله تعالى حملها واحدة بعد أخرى على هذه الصفة فى مدة اثني عشر يوما، فنصبت فى الأقباء المعقودة لها، قال: و ابنتى المستنصر فى غربى الجامع دار الصدقة، و اتخذها معهدا لتفريق صدقاته المتواليه، و ابنتى للفقراء البيوت قبالة باب المسجد الكبير الغربى، انتهى.

و اعلم أنه لعظم أمر قرطبة كان عملها حجة بالمغرب، حتى إنهم يقولون فى الأحكام:

هذا مما جرى به عمل قرطبة، و فى هذه المسألة نزاع كثير، و لا بأس أن نذكر ما لا بد منه من ذلك، قال الإمام ابن عرفه رحمه الله تعالى: فى اشتراط الإمام على القاضى الحكم بمذهب معين- و إن خالف معتقد المشترط اجتهدا و تقليدا- ثلاثة أقوال: الصحة للباغى، و لعمل أهل قرطبة، و لظاهر شرط سحنون على مذهب من و لاه الحكم بمذهب أهل المدينة، قال المازرى: مع احتمال كون الرجل مجتهدا. الثانى: البطلان، للطروشى، إذ قال: فى شرط أهل قرطبة هذا جهل عظيم. الثالث: تصح التولية و يبطل الشرط، تخريجا على أحد الأقوال فى الشرط الفاسد فى البيع للمازرى عن بعض الناس، انتهى مختصرا.

قال ابن غازى: إن ابن عرفه نسب للطروشى البطلان مطلقا، و ابن شاس إنما نسب له التفصيل، انتهى.

و لما ذكر مولاي الجد الإمام قاضى القضاة بفاس سيدى أبو عبد الله المقرئ التلمسانى فى كتابه القواعد شرط أهل قرطبة المذكور، قال بعده ما نصه: و على هذا الشرط ترتب إيجاب عمل القضاة بالأندلس، ثم انتقل إلى المغرب، فبينما نحن ننازع الناس فى عمل المدينة و نصيح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٨٠

بأهل الكوفة مع كثرة من نزل بها من علماء الأمة كعلى و ابن مسعود و من كان معهما: [البسيط]

ليس التكلّف في العينين كالكلح سنح لنا بغض الجمود، و معدن التقليد: [الكامل]

اللّه آخر مدّتي فتأخّرت حتّى رأيت من الزّمان عجائباً

يا لله و للمسلمين، ذهب قرطبة و أهلها، و لم يبرح من الناس جهلها، ما ذاك إلا لأن الشيطان يسعى في محو الحق فينسيه، و الباطل لا زال يلقيه و يلقيه، ألا ترى خصال الجاهلية كالنياحة و التفاخر و التكاثر و الطعن و التفضيل و الكهانة و النجوم و الخط و التشاؤم و ما أشبه ذلك، و أسماؤها كالعمّة و يثرب، و كذا التنازع بالألقاب و غيره مما نهى عنه و حذر منه، كيف لم تنزل من أهلها، و انتقلت إلى غيرهم مع تيسّر أمرها، حتى كأنهم لا يرفعون بالدين رأساً، بل يجعلون العادات القديمة أساً، و كذلك محبة الشعر و التلحين و النسب و ما انخرط في هذا السلوك ثابتة الموقع من القلوب، و الشرع فينا منذ سبعمائة سنة و سبع و ستين سنة لا نحفظه إلا قولاً، و لا نحمله إلا كلّاً، انتهى.

و قال الحافظ ابن غازي- بعد ذكر كلام مولاي الجد- ما نصه: و حدثني ثقة ممن لقيت أنه لما قدم مدينة فاس العلامة أبو يحيى الشريف التلمساني و تصدى لإقراء التفسير بالبلد الجديد و أمر السلطان أبو سعيد المريني الحفيد أعيان الفقهاء بحضور مجلسه كان مما ألقاه إليهم منزع المقرئ هذا، فبالغوا في إنكاره، و رأوا أنه لا معدل عما عول عليه زعماء الفقهاء كابن رشد و أصحاب الوثائق كالميتي من اعتماد أهل قرطبة و من في معناهم انتهى.

و قال بعض المؤرخين- حين ذكر قرطبة- ما ملخصه: هي قاعدة بلاد الأندلس، و دار الخلافة الإسلامية، و هي مدينة عظيمة، و أهلها أعيان البلاد و سراة الناس، في حسن المآكل و المشارب و الملابس و المراكب، و علو الهمم، و بها أعلام العلماء، و سادات الفضلاء، و أجناد الغزاة، و أنجاد الحروب، و هي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضاً، و بين المدينة و المدينة سور عظيم حصين حاجز، و كل مدينة مستقلة بنفسها، و فيها ما يكفي أهلها من الحمامات و الأسواق و الصناعات و طول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل واحد، و هي في سفح جبل مطل عليها، و في مدينتها الثالثة و هي الوسطى القنطرة و الجامع الذي ليس في معمر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٨١

الأرض مثله و طوله مائة ذراع في عرض ثمانين، و فيه من السواري الكبار ألف سارية، و فيه مائة و ثلاثة عشر ثريا للوقود أكبرها تحمل ألف مصباح، و فيه من النقوش و الرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه، و بقلته صناعات تدهش العقول، و على فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس فوق القائمة قد تحير الروم و المسلمون في حسن وضعها، و في عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنان أخضران و اثنان لآزورديان، ليس لها قيمة لنفاستها، و به منبر ليس على معمر الأرض أنفس منه و لا مثله في حسن صنعته، و خشبه ساج و آبنوس و بقمّ و عود قاقلي، و يذكر في تاريخ بني أمية أنه أحكم عمله و نقشه في سبع سنين، و كان يعمل فيه ثمانية صناعات لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي، فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال و خمسون مثقالاً و في الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب و الفضة لأجل وقوده، و بهذا الجامع مصحف يقال: إنه عثماني، و للجامع عشرون باباً مصفحات بالنحاس الأندلسي مخرمة تخريماً عجيباً بديعاً يعجز البشر و يبهرهم، و في كل باب حلقة في نهاية الصنعة و الحكمة، و به الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالمكي المعروف بالرشاشي، و فيه من أنواع الصناعات الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه و نعته، و بهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر، مكتوب على الواحد اسم محمد، و على الآخر صورة عصا موسى و أهل الكهف، و على الثالث صورة غراب نوح، و الجميع خلقه ربانية، و أما القنطرة التي بقرطبة فهي بديعة الصنعة، عجيبة المرأى، فاقت قناطر الدنيا حسناً، و عدد قسيها سبعة عشر قوساً، سعة كل قوس منها خمسون شبراً و بين كل قوسين خمسون شبراً، و بالجملة فمحاسن قرطبة أعظم من أن نحيط بها و صفها، انتهى ملخصاً.

و هو و إن تكرر بعضه مع ما قدمته فلا يخلو من فائدة زائدة، و الله الموفق.

و ما ذكره في طول المسجد و عرضه مخالف لما مر، و يمكن الجواب بأن هذا الذراع أكبر من ذلك، كما أشار إليه هو في أمر

الصومعة، وكذا ما ذكره في عدد السواري، إلا أن يقال:

ما تقدم باعتبار الصغار والكبار، وهذا العدد الذي ذكره هنا إنما هو للكبار فقط، كما صرح به، والله تعالى أعلم. و أما الثريات فقد خالف في عددها ما تقدم، مع أن المتقدم هو قول ثقات مؤرخي الأندلس، ونحن جلبنا النقل من مواضعه، وإن اختلفت طرقه ومضموناته.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٨٢

وقال في المغرب- عند تعرضه لذكر جامع قرطبة- ما نصه: اعتمدت فيما نقلته في هذا الفصل على كتاب ابن بشكوال، فقد اعتنى بهذا الشأن أتم اعتناء وأغنى عن الاستطلاع إلى كلام غيره.

عن الرازي أنه لما افتتح المسلمون الأندلس امتثلوا ما فعله أبو عبيدة بن الجراح و خالد بن الوليد عن رأي عمر رضى الله تعالى عنه بالشام من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا، فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التي كانت داخل مدينتها تحت السور، وكانوا يسمونها بسنت بنجنت، وابتنوا في ذلك الشطر مسجدا جامعاً، وبقي الشطر الثاني بأيدي النصارى، وهدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة، واقتنع المسلمون بما في أيديهم، إلى أن كثروا، وتزيدت عمارة قرطبة، ونزلها أمراء العرب، فضاق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكثون بها، حتى كان الناس ينالون في الوصول إلى داخل المسجد الأعظم مشقة لتلاصق تلك السقائف، وقصر أبوابها، وتظامن سقفها، حتى ما يمكن أكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الأرض ولم يزل المسجد على هذه الصفة إلى أن دخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية المرواني إلى الأندلس، واستولى على إمارتها، وسكن دار سلطانها قرطبة، وتمدنت به، فنظر في أمر الجامع، وذهب إلى توسعته وإتقان بنيانه، فأحضر أعاضم النصارى، وسامهم بيع ما بقي بأيديهم من كنيستهم لصق الجامع ليدخله فيه وأوسع لهم البذل وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه، فأبوا من بيع ما بأيديهم، وسألوا بعد الجد بهم أن يبأحوا بناء كنيستهم التي هدمت عليهم بخارج المدينة على أن يتخلوا للمسلمين عن هذا الشطر الذي طولبوا به، فتم الأمر على ذلك، وكان ذلك سنة ثمان وستين ومائة، فابتنى عند ذلك عبد الرحمن المسجد الجامع على صفة ذكرها لا حاجة إلى تفسير الزيادة فيه، وإنما الحاجة في وصفه بكماله، وفي بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلوى من قصيدة: [الطويل]

وأنفق في دين الإله ووجهه ثمانين ألفاً من لجين و عسجد

توزعها في مسجد أشه التقي و منهجه دين النبي محمد

ترى الذهب الناري فوق سموكه يلوح كبرق العارض المتوقد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٨٣

قال: وكمل سنة سبعين ومائة، ثم ذكر زيادة ابنه هشام الرضا وما جدده فيه، وأنه بناه من خمس فيء أربونة، ثم زيادة ابنه عبد الرحمن الأوسط لما تزايد الناس، قال: وهلك قبل أن يتم الزخرفة، فأتمها ولده محمد بن عبد الرحمن، ثم رم المنذر بن محمد ما و هي منه، وذكر ما جدده خليفتهم الناصر ونقضه للصومعة الأولى و بنيانه للصومعة العظيمة، قال: ولما ولي الحكم المستنصر بن الناصر- وقد اتسع نطاق قرطبة، وكثر أهلها، وتبين الضيق في جامعها- لم يقدم شيئاً على النظر في الزيادة، فبلغ الجهد، وزاد الزيادة العظمى، قال: وبها كملت محاسن هذا الجامع، وصار في حد يقصر الوصف عنه، وذكر حضوره لمشاورة العلماء في تحريف القبلة إلى نحو المشرق، حسبما فعله والده الناصر في قبلة جامع الزهراء، لأن أهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة إلى نحو الغرب، فقال له الفقيه أبو إبراهيم: يا أمير المؤمنين، إنه قد صلى إلى هذه القبلة خيار هذه الأمة من أجدادك الأئمة و صلحاء المسلمين و علمائهم، منذ افتتحت الأندلس إلى هذا الوقت، متأسين بأول من نصبها من التابعين كموسى بن نصير و حنش الصنعاني و أمثالهم، رحمهم الله تعالى! وإنما فضل من فضل بالاتباع، وهلك من هلك بالابتداع، فأخذ الخليفة برأيه، وقال: نعم ما قلت، وإنما

مذهبنا الاتباع.

قال ابن بشكوال: و نقلت من خط أمير المؤمنين المستنصر أن النفقة في هذه الزيادة و ما اتصل بها انتهت إلى مائتي ألف دينار و أحد و ستين ألف دينار و خمسمائة دينار و سبعة و ثلاثين ديناراً و درهمن و نصف.

ثم ذكر الصومعة نقلاً عن ابن بشكوال فقال: أمر الناصر عبد الرحمن بهدم الصومعة الأولى سنة ٣٤٠ و أقام هذه الصومعة البديعة، فحفر في أساسها حتى بلغ الماء مدّة من ثلاثة و أربعين يوماً، و لما كملت ركب الناصر إليها من مدينة الزهراء و صعد في الصومعة من أحد درجيتها، و نزل من الثاني، ثم خرج الناصر و صلى ركعتين في المقصورة، و انصرف، قال:

و كانت الأولى ذات مطلع واحد، فصير لهذه مطلعين، فصل بينهما البناء، فلا يلتقي الراقون فيها إلا بأعلاها، تزيد مراقى كل مطلع منها على مائة سبعا.

قال: و خبر هذه الصومعة مشهور في الأرض، و ليس في مساجد المسلمين صومعة تعدلها.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٨٤

قال ابن سعيد: قال ابن بشكوال هذا لأنه لم ير صومعة مراكش و لا صومعة إشبيلية اللتين بناهما المنصور من بنى عبد المؤمن، فهما أعظم و أطول، لأنه ذكر أن طول صومعة قرطبة إلى مكان موقف المؤذن أربعة و خمسون ذراعاً و إلى أعلى الرمانة الأخيرة بأعلى الزج ثلاثة و سبعون ذراعاً، و عرضها في كل تريبع ثمانية عشر ذراعاً، و ذلك اثنان و سبعون ذراعاً، قال ابن سعيد: و طول صومعة مراكش مائة و عشرة أذرع، و ذكر أن صومعة قرطبة بضخام الحجارة الفضية منجدة غاية التنجيد، و في أعلى ذروتها ثلاث شمسات يسمونها رمانات ملصقة في السفود البارز في أعلاها من النحاس: الثنتان منها ذهب إبريز، و الثالثة منها وسطى بينهما من فضة إكسبر، و فوقها سوسنة من ذهب مسدسة فوقها رمانة ذهب صغيرة في طرف الزج البارز بأعلى الجوّ، و كان تمام هذه الصومعة في ثلاثة عشر شهراً.

و ذكر ابن بشكوال في روايته أن موضع الجامع الأعظم بقرطبة كان حفرة عظيمة يطرح فيها أهل قرطبة قمامتهم و غيرها، فلما قدم سليمان بن داود صلى الله عليهما و دخل قرطبة قال للجن: ارموا هذا الموضع و عدّلوا مكانه، فسيكون فيه بيت يعبد الله فيه، ففعلوا ما أمرهم به، و بنى فيه بعد ذلك الجامع المذكور، قال: و من فضائله أن الدارات المائلة في تزاويق سمائه مكتوبة كلها بالذكر و الدعاء إلى غيره بأحكام صنعة، انتهى.

و ذكر مصحف عثمان بن عثمان رضى الله تعالى عنه الذى كان فى جامع قرطبة و صار إلى بنى عبد المؤمن فقال: هو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، مما خطّه بيمينه، و له عند أهل الأندلس شأن عظيم، انتهى.

و سنذكر فيه زيادة على هذا.

[الزهراء و مسجدها]

و أما الزهراء فهى مدينة الملك التى اخترعها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله، و قد تقدّم ذكره، و هى من المدن الجليّة العظيمة القدر، قال ابن الفرضى و غيره: كان يعمل فى جامعها حين شرع فيه من حدّاق الفعلة كلّ يوم ألف نسمة منها ثلاثمائة بناء و مائتا نجار و خمسمائة من الأجراء و سائر الصنائع، فاستتم بنيانه و إتقانه فى مدة من ثمانية و أربعين يوماً، و جاء فى غاية الإتقان من خمسة أبهاء عجيبة الصنعة، و طوله من القبلة إلى الجوف - حاشا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٨٥

المقصورة - ثلاثون ذراعاً، و عرض البهو الأوسط من أبهائه من الشرق إلى الغرب ثلاث عشرة ذراعاً، و عرض كل بهو من الأربعة المكتنفة له اثنا عشر ذراعاً، و طول صحنه المكشوف من القبلة إلى الجوف ثلاث و أربعون ذراعاً، و عرضه من الشرق إلى الغرب

إحدى و أربعون ذراعاً، و جميعه مفروش بالرخام الخمرى، و فى وسطه فؤارة يجرى فيها الماء، فطول هذا المسجد أجمع من القبلة إلى الجوف - سوى المحراب - سبع و تسعون ذراعاً، و عرضه من الشرق إلى الغرب تسع و خمسون ذراعاً، و طول صومعته فى الهواء أربعون ذراعاً، و عرضها عشرة أذرع فى مثلها.

و أمر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد، فصنع فى نهاية من الحسن، و وضع فى مكانه منه، و حظرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة، و كان وضع هذا المنبر فى مكانه من هذا المسجد عند إكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة تسع و عشرين و ثلاثمائة.

قال: و فى صدر هذه السنة كمل للناصر ببيان القناة الغريبة الصنعة التى أجراها و جرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربى قرطبة، فى المناهر المهندسة، و على الحنايا المعقودة، يجرى ماؤها بتدبير عجيب و صنعة محكمة إلى بركة عظيمة، عليها أسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أبهى منه فيما صور الملوك فى غابر الدهر، مطلى بذهب إبريز، و عيناه جوهرتان لهما و بيض شديد، يجوز هذا الماء إلى عجز هذا الأسد فيمجه فى تلك البركة من فيه، فيبهر الناظر بحسنه و روعة منظره و ثجاجة صبه، فتسقى من مجاهه جنان هذا القصر على سعتها، و يستفيض على ساحاته و جنباته، و يمدّ النهر الأعظم بما فضل منه، فكانت هذه القناة و بركتها و التمثال الذى يصب فيها من أعظم آثار الملوك فى غابر الدهر، لبعده مسافتها، و اختلاف مسالكها، و فخامة بنائها، و سمو أبراجها التى يترقى الماء منها و يتصوّب من أعاليها، و كانت مدة العمل فيها من يوم ابتدئت من الجبل إلى أن وصلت - أعنى القناة - إلى هذه البركة أربعة عشر شهراً، و كان انطلاق الماء فى هذه البركة الانطلاق الذى اتصل و استمر يوم الخميس غرة جمادى الآخرة من السنة، و كانت للناصر فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٨٦

هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة أفضل فيها على عامة أهل مملكته، و وصل المهندسين و القوام بالعمل بصلات حسنة جليلة جزيلة.

و أما مدينة الزهراء فاستمر العمل فيها من عام خمسة و عشرين و ثلاثمائة إلى آخر دولة الناصر و ابنه الحكم، و ذلك نحو من أربعين سنة.

و لما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما وصف كانت أول جماعة صليت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان، و كان الإمام القاضى أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى عيسى، و من الغد صلى الناصر فيه الجمعة، و أول من خطب به القاضى المذكور، و لما بنى الناصر قصر الزهراء المتهاهى فى الجلالة و الفخامة أطبق الناس على أنه لم يبن مثله فى الإسلام البتة، و ما دخل إليه قط أحد من سائر البلاد النائية و النحل المختلفة من ملك و رسول و وافد و تاجر و جهبذ، و فى هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة و الفطنة، إلا - و كلهم قطع أنه لم ير له شبيهاً، بل يسمع به، بل لم يتوهم كون مثله، حتى إنه كان أعجب ما يؤمله القاطع إلى الأندلس فى تلك العصور النظر إليه، و التحدث عنه، و الأخبار عن هذا تتسع جداً، و الأدلة عليه تكثر، و لو لم يكن فيه إلا السطح الممرّد المشرف على الروضة المباهى بمجلس الذهب و القبة و عجب ما تضمنه من إتقان الصنعة و فخامة الهمة و حسن المستشرف و براعة الملبس و الحلّة ما بين مرمر مسنون و ذهب مصون و عمد كأنما أفرغت فى القوالب، و نقوش كالرياض، و برك عظيمة محكمة الصنعة، و حياض و تماثيل عجيبة الأشخاص لا تهتدى الأوهام إلى سبيل استقصاء التعبير عنها، فسبحان الذى أقدر هذا المخلوق الضعيف على إبداعها و اختراعها من أجزاء الأرض المنحلة كيما يرى الغافلين عنه من عباده مثالا لما أعدّه لأهل السعادة فى دار المقامة التى لا يتسلط عليها الفناء، و لا تحتاج إلى الرّم، لا إله إلا هو المنفرد بالكرم.

و ذكر المؤرخ أبو مروان بن حيان صاحب الشرطة أن مباني الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية، ما بين كبيرة و صغيرة حاملة و محمولة، و تيف على ثلاثمائة سارية هو ستّ عشرة، قال: منها ما جلب من مدينة رومة، و منها ما أهدها صاحب القسطنطينية، و أن

مصاريح أبوابها صغارها و كبارها كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب، و كلها ملبسة بالحديد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٨٧

و النحاس المموه، و الله سبحانه أعلم فإنها كانت من أهول ما بناه الإنس، و أجله خطرا، و أعظمه شأنا، انتهى.

قلت: فسر بعضهم ذلك النيف في كلامه بثلاث عشرة، و الله أعلم.

و قال بعض من أرخ الأندلس: كان عدد الفتیان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى و سبعمائه و خمسين فتى، و دخالتهم من اللحم كل يوم - حاشا أنواع الطير و الحوت - ثلاثة عشر ألف رطل، و عدة النساء بقصر الزهراء الصغار و الكبار، و خدم الخدمة ستة آلاف و ثلاثمائة امرأة و أربع عشرة، انتهى.

و قيل: إن عدد الصبيان الصقالبه ثلاثة آلاف و سبعمائه و خمسون، و جعل بعض مكان الخمسين سبعة و ثمانين.

و قال آخر: ستة آلاف صقلبي و سبعة و ثمانون، و المرتب من الخبز لحيثان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة كل يوم، و ينقع لها من الحمص الأسود ستة أقفزة كل يوم، انتهى.

ثم قال الأول: و كان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل، تقسم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك، سوى الدجاج و الحجل و صنوف الطير و ضروب الحيتان، انتهى.

و قال ابن حيان: ألفت بخط ابن دحون الفقيه، قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس: بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بعمارة الزهراء أول سنة خمس و عشرين و ثلاثمائة، و كان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المنجور المعدل ستة آلاف صخرة، سوى الصخر المصروف في التبليط، فإنه لم يدخل في هذا العدد، و كان يخدم في الزهراء كل يوم ألف و أربعمائه بغل، و قيل أكثر منها: أربعمائه زوامل الناصر لدين الله، و من دواب الأكريه الراتبه للخدمة ألف بغل، لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر، يجب لها في الشهر ثلاثة آلاف مثقال و كان يرد الزهراء من الجير و الجص في كل ثالث من الأيام ألف و مائة حمل، و كان فيها حمامان: واحد للقصر، و ثان للعامه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٨٨

و ذكر بعض أهل الخدمة في الزهراء أنه قدر النفقة فيها في كل عام بثلاثمائة ألف دينار مدة خمسة و عشرين عاما التي بقيت من دولة الناصر من حين ابتدأها، لأنه توفي سنة خمسين، فحصل جميع الإنفاق فيها فكان مبلغه خمسة عشر بيت مال.

قال: و جلب إليها الرخام من قرطاجنه و إفريقية و تونس، و كان الذين يجلبونه عبد الله بن يونس عريف البنائين و حسن بن محمد و على بن جعفر الإسكندراني، و كان الناصر يصلهم على كل رخامة صغيرة و كبيرة بعشرة دنانير، انتهى.

و قال بعض ثقات المؤرخين: إنه كان يصلهم على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنانير، و على كل ساريه بثمانية دنانير، قيل: و كان عدد السواري المجلوبه من إفريقية ألف ساريه و ثلاث عشرة ساريه، و من بلاد الإفرنج تسع عشرة ساريه، و أهدى إليه ملك الروم مائة و أربعين ساريه، و سائرهما من مقاطع الأندلس طركونه و غيرها، فالرخام المجزع من رية، و الأبيض من غيرها، و الوردى و الأخضر من إفريقية من كنيسة إسفاقس، و أما الحوض المنقوش المذهب الغريب الشكل الغالي القيمة فجلبه إليه أحمد اليوناني من القسطنطينية مع ربيع الأسقف القادم من إلبياء، و أما الحوض الصغير الأخضر المنقوش بتمثال الإنسان فجلبه أحمد من الشام، و قيل: من القسطنطينية مع ربيع الأسقف أيضا، و قالوا: إنه لا قيمة له لفرط غرابته و جماله، و حمل من مكان إلى مكان حتى وصل في البحر، و نصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس، و جعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة صورة أسد بجانبه غزال إلى جانبه تمساح، و فيما يقابله ثعبان و عقاب و فيل، و في المجنبتين حمامة و شاهين و طاووس و دجاجة و ديك و حدأة و نسر، و كل ذلك من ذهب مرصع بالجواهر النفيس، و يخرج الماء من أفواهها، و كان المتولى لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم، لم يتكل فيه الناصر على أمين غيره، و كان يخبز في أيامه في كل يوم

برسم حيطان البحيرات ثمانمائة خبزة، وقيل: أكثر، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٨٩

و كان الناصر كما قدمنا قسم الجباية أثلاثا: ثلث للجند، و ثلث للبناء، و ثلث مدخر، و كانت جباية الأندلس يومئذ من الكور و القرى خمسة آلاف ألف و أربعمائه ألف و ثمانين ألف دينار، و من السوق و المستخلص سبعمائة ألف و خمسة و ستين ألف دينار، و أما أخماس الغنيمه فلا يحصيها ديوان.

و قد سبق هذا كله، و إنما كررته لقول بعضهم إثر حكايته له، ما صورته: و قيل: إن مبلغ تحصيل النفقة في بناء الزهراء مائة مدى من الدراهم القاسمية بكيل قرطبة، و قيل: إن مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ثمانون مديا و سبعة أفضة من الدراهم المذكورة، و اتصل بنيان الزهراء أيام الناصر خمسا و عشرين سنة شطر خلافته، ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها، و كانت خمسة عشر عاما و أشهر، فسبحان الباقي بعد فناء الخلق، لا إله إلا هو، انتهى.

[بين المنذر بن سعيد و الناصر]

و قال ابن أصبغ الهمداني و الفتح في المطمح: كان الناصر كلفا بعمارة الأرض، و إقامة معالمها، و انبساط مجاهلها، و استجلابها من أبعد بقاعها، و تخليد الآثار الدالة على قوة الملك و عزة السلطان و علو الهمة، فأفضى به الإغراق في ذلك إلى أن ابنتى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره، الذائع خبره، المنتشر صيته في الأرض، و استفرغ جهده في تنميقها، و إتقان قصورها، و زخرفة مصانعها، و انهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذى اتخذته ثلاث جمع متواليات، فأراد القاضى منذر أن يغض منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب و الحكمة و التذكير بالإنبأه و الرجوع، فابتدأ فى أول خطبته بقوله تعالى: أ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ - إلى قوله تعالى: مِنَ الْوَاعِظِينَ [الشعراء الآية: ١٢٨ - ١٣٦] ثم وصله بقوله: فمتاع الدنيا قليل، و الآخرة خير لمن اتقى، و هى دار القرار، و مكان الجزاء، و مضى فى ذم تشييد البنيان، و الاستغراق فى زخرفته، و الإسراف فى الإنفاق عليه، بكل كلام جزل، و قول فصل، قال الحاكي: فجرى فيه طلقا، و انتزع فيه قوله تعالى: أ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ [التوبة: ١٠٩] إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٩٠

آخر الآية و أتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت، و التحذير من فجأته، و الدعاء إلى الزهد فى هذه الدار الفانية، و الحض على اعتزالها، و الرفض لها، و الندب إلى الإعراض عنها، و الإقصار عن طلب اللذات، و نهى النفس عن اتباع هواها، فأسهب فى ذلك كله، و أضاف إليه من آى القرآن ما يطابقه، و جلب من الحديث و الأثر ما يشاكله، حتى أذكر من حضره من الناس و خشعوا و رقوا و اعترفوا و بكوا و ضجوا و دعوا و أعلنوا التضرع إلى الله تعالى فى التوبة و الابتغال فى المغفرة، و أخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ، و قد علم أنه المقصود به، فبكى و ندم على ما سلف له من فرطه، و استعاذ بالله من سخطه، إلا أنه وجد على منذر لغلظ ما قرعه به، فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر، و قال: و الله لقد تعمدي منذر بخطبته، و ما عنى بها غيرى، فأسرف على، و أفرط فى تقرىعى و تفزيعى، و لم يحسن السياسة فى وعظى، فرزع قلبى، و كاد بعصاه يقرعنى، و استشاط غيظا عليه فأقسم أن لا يصلى خلفه صلاة الجمعة خاصة، فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة، و يجانب الصلاة بالزهراء، و قال له الحكم: فما الذى يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك و الاستبدال بغيره منه إذ كرهته؟! فزجره و انتهره، و قال له: أمثل منذر بن سعيد فى فضله و خيره و علمه لا أم لك يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكون، و إنى لأستحى من الله أن لا أجعل بينى و بينه فى صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر فى ورعه و صدقه، و لكنه أخرجنى، فأقسمت، و لوددت أنى أجد سبيلا إلى كفارة يمينى بملكى، بل يصلى بالناس حياته و حياتنا إن شاء الله تعالى، فما أظننا نعتاض منه أبدا و قيل: إن الحكم اعتذر عما قال منذر، و قال: يا أمير المؤمنين، إنه رجل صالح، و ما أراد إلا خيرا، و لو رأى ما أنفقت و حسن تلك البنية لعذرک، فأمر حينئذ الناصر

بالقصور ففرشت، و فرش ذلك المجلس بأصناف فرش الديداج، و أمر بالأطعمة، و قد أحضر العلماء و غصّ بهم المجلس، فدخل منذر في آخرهم، فأوماً إليه الناصر أن يقعد بقربه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس، و لا يتخطى الرقاب، فجلس في آخر الناس و عليه ثياب رثّة، ثم ذكر هذا القائل بعد هذا كلاماً من كلام المنذر يأتي قريباً.

و قحط الناس آخر مدة الناصر، فأمر القاضي منذر المذكور بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فتأهب لذلك، و صام بين يديه أياماً ثلاثاً تنفلاً و إنابةً و رهبةً، و اجتمع له الناس في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٩١

مصلى الرّيض بقرطبة بارزين إلى الله تعالى في جمع عظيم، و سعد الخليفة الناصر في أعلى مصانعه المرتفعة من القصر ليشارف الناس، و يشاركهم في الخروج إلى الله و الضّراعة له، فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس و غصت بهم ساحة المصلى، ثم خرج نحوهم ماشياً متضرعاً مخبتاً متخشعاً، و قام ليخطب، فلما رأى بدار الناس إلى ارتقائه، و استكانتهم من خيفة الله، و إخبارهم له، و ابتهاهم إليه - رقت نفسه، و غلبته عيناه، فاستعبر و بكى حيناً، ثم افتتح خطبته بأن قال: يا أيها الناس، سلام عليكم، ثم سكت و وقف شبه الحصر، و لم يك من عادته، فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه و لا ما أراد بقوله، ثم اندفع تالياً قوله تعالى كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ - إلى قوله تعالى - رَحِيمٌ [الأنعام: ٥٤] ثم قال: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، و تزلّفوا بالأعمال الصالحة لديه، قال الحاكي: فضج الناس بالبكاء، و جأروا بالدعاء، و مضى على تمام خطبته، ففرّغ النفوس بوعظه، و انبعث الإخلاص بتذكيره، فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر، روى الثرى، و طرد المحل، و سكن الأزل، و الله لطيف بعباده و كان لمنذر في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب، و منه أن قال يوماً - و قد سرح طرفه في ملأ الناس عند ما شخصوا إليه بأبصارهم، فهتف بهم كالمنادى: يا أيها الناس، و كررها عليهم مشيراً بيده في نواحيهم أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ [فاطر: ١٥] إلى عزيز، فاشتد وجد الناس، و انطلقت أعينهم بالبكاء، و مضى في خطبته.

و قيل: إن الخليفة الناصر طلبه مرة للاستسقاء، و اشتدّ عزمه عليه، فتسابق الناس للمصلى، فقال للرسول - و كان من خواص الناس -: ليت شعري! ما الذى يصنعه الخليفة سيدنا؟ فقال له: ما رأينا قط أخشع منه في يومنا هذا، إنه منتبذ حائر منفرد بنفسه، لابس أخس الثياب، مفترش التراب، و قد رمّد به على رأسه و على لحيته، و بكى و اعترف بذنوبه و هو يقول: هذه ناصيتي بيدك، أتراك تعذب بى الرعية و أنت أحكم الحاكمين؟ لن يفوتك شىء منى، قال الحاكي: فتهلل وجه القاضي منذر عند ما سمع قوله، و قال: يا غلام، احمل المطر معك فقد أذن الله تعالى بالسّقياء، إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السماء، و كان كما قال، فلم ينصرف الناس إلا عن السقيا.

و كان منذر شديد الصلابة في أحكامه، و المهابة في أقضيته، و قوة الحكومه و القيام بالحق في جميع ما يجرى على يده، لا يهاب فى ذلك الأمير الأعظم فمن دونه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٩٢

و قال ابن الحسن النّباهي، و أصله فى المطمح و غيره: و من أخبار منذر المحفوظة له مع الخليفة الناصر فى إنكاره عليه الإسراف فى البناء، أن الناصر كان اتخذ لسطح القبيبة المصغرة الاسم للخصوصية التى كانت مائلة على الصّرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد ذهب و فضة أنفق عليها مالا جسيماً، و قرمد سقفها به، و جعل سقفها صفراء فاقعة، إلى بيضاء ناصعة، تستلب الأبصار بأشعة نورها، و جلس فيها إثر تمامها يوماً لأهل مملكته، فقال لقرابته و من حضر من الوزراء و أهل الخدمة مفتخراً عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتصل به من البدائع الفتانة: هل رأيتم أو سمعتم ملكاً كان قبلى فعل مثل هذا أو قدر عليه؟ فقالوا: لا و الله يا أمير المؤمنين، و إنك لأوحد فى شأنك كله، و ما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأينا، و لا انتهى إلينا خبره، فأبهجه قولهم و سره، و بينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد و هو ناكس الرأس، فلما أخذ مجلسه قال له كالذى قال لوزرائه من ذكر السقف

المذهب و اقتداره على إبداعه، فأقبلت دموع القاضى تنحدر على لحيته و قال له: و الله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ، و لا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين، مع ما آتاك الله من فضله و نعمته، و فضلك به على العالمين، حتى ينزلك منازل الكافرين، قال: فانفعل عبد الرحمن لقوله، و قال له: انظر ما تقول، و كيف أنزلني منزلتهم؟ قال: نعم، أليس الله تعالى يقول وَ لَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً [الزخرف: ٣٣] الآية.

فوجم الخليفة، و أطرق ملياً و دموعه تتساقط خشوعاً لله تعالى قال الحاكي: ثم أقبل على منذر و قال له: جازاك الله يا قاضى عنا و عن نفسك خيرا و عن الدين و المسلمين أجل جزاءه، و كثر في الناس أمثالك! فالذى قلت هو الحق، و قام عن مجلسه ذلك و هو يستغفر الله تعالى، و أمر بنقض سقف القبيبة، و أعاد قرمدها تراباً على صفة غيرها، انتهى ما حكاه ابن الحسن النباهي.

و لنذكر هذه الحكاية و غيرها، و إن خالف السياق ما سبق، و هذا منقول من كلام الحجارى فى «المسهب، فى أخبار المغرب» فإنه أتم فائدة، إذ قال رحمه الله: دخل منذر بن سعيد يوماً على الناصر بنى الزهراء، و هو مكب على الاشتغال بالبنيان، فوعظه، فأنشده عبد الرحمن الناصر: [الكامل]

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البنيان

أو ما ترى الهرمين قد بقيا و كم ملك محاه حوادث الأزمان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٩٣

إن البناء إذا تعاضم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن

قال: فما أدرى أهذا شعره أم تمثل به؟ فإن كان شعره فقد بلغ به إلى غاية الإحسان و إن كان تمثل به فقد استحقه بالتمثل به فى هذا المكان، و كان منذر يكثر تعنيفه على البنيان، و دخل عليه مرة و هو فى قبة قد جعل قرمدها من ذهب و فضة، و احتفل فيها احتفالاً ظن أن أحداً من الملوك لم يصل إليه، فقام خطيباً و المجلس قد غص بأرباب الدولة، فتلا قوله تعالى وَ لَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سِقْفًا مِنْ فَضَّةٍ وَ مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) [الزخرف: ٣٣] الآية و أتبعها بما يليق بذلك، فوجم الملك، و أظهر الكآبة، و لم يسعه إلا الاحتمال لمنذر بن سعيد لعظم قدره فى علمه و دينه.

و حضر معه يوماً فى الزهراء، فقام الرئيس أبو عثمان بن إدريس فأنشد الناصر قصيدة منها. [الطويل]

سيشهد ما أبقيت أنك لم تكن مضيعاً و قد مكنت للدين و الدنيا

فبالجامع المعمور للعلم و التقى و بالزهرة الزهراء للملك و العليا

فاهتز الناصر، و ابتهج، و أطرق منذر بن سعيد ساعة، ثم قام منشداً: [السريع]

يا بنى الزهراء مستغرقاً أوقاته فيها أما تمهل

لله ما أحسنها رونقا لو لم تكن زهرتها تذبل

فقال الناصر: إذا هب عليها نسيم التذكار و الحنين، و سقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل إن شاء الله تعالى، فقال منذر: اللهم اشهد أنى قد بثت ما عندى و لم آل نصحا، انتهى.

و لقد صدق القاضى منذر رحمه الله تعالى فيما قال، فإنها ذبلت بعد ذلك فى الفتنة، و قلب ما كان فيها من منحة محنة، و ذلك عندما ولى الحجابة عبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر الملقب بشنجل، و تصرف فى الدولة مثل ما تصرف أخوه المظفر و أبوهما المنصور، فأساء التدبير، و لم يميز بين الفتيل و النقيير، فدس إلى المؤيد هشام بن الحكم من خوفه منه حتى ولاه عهده كما بينا نص العهد فيما سبق، فأطبق الخاصة و العامة على بغضه، و إضمار سوء له، و ذلك سنة ثمان و تسعين و ثلاثمائة، فعند ذلك خرج عليه محمد بن هشام بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٩٤

عبد الجبار بن الناصر سنة تسع و تسعين و تلقب بالمهدى و خلع المؤيد و حبسه، و أسلمت الجيوش شنجول فأخذ و أسر و قتل.

[دثور الزهراء]

قال ابن الرقيق: و من أعجب ما رئى أنه من نصف نهار يوم الثلاثاء لأربع بقين من جمادى الآخرة إلى نصف نهار يوم الأربعاء فتحت قرطبة، و هدمت الزهراء، و خلع خليفة و هو المؤيد، و ولى خليفة و هو المهدى، و زالت دولة بنى عامر العظيمة، و قتل وزيرهم محمد بن عسقلاجه، و أقيمت جيوش من العامه، و نكب خلق من الوزراء و ولى الوزارة آخرون، و كان ذلك كله على يد عشرة رجال فحامين و جزارين و زبالين، و هم جند المهدى هذا، انتهى.

و قد تقدم بعض الكلام على المهدى هذا، و هو الذى قيل فيه لما قام على الدولة:

[البيسط]

قد قام مهدينا و لكن بملّة الفسق و المجون

و شارك الناس فى حريم لولاه ما زال بالمصون

من كان من قبل ذا أجما فاليوم قد صار ذا قرون

و من شعر المهدى هذا و قد حياه فى مجلس شرابه غلام بقضيب آس: [الكامل]

أهديت شبه قوامك الميأس غصنا رطيبا ناعما من آس

و كأنما يحكيك فى حركاته و كأنما تحكيه فى الأنفاس

و قد ذكرنا فيما سبق فى الفصل الثالث خبر المهدى هذا و قتله.

و لقد كان قيامه مشؤوما على الدين و الدنيا، فإنه فاتح أبواب الفتنة بالأندلس و ما حى معالمها، حتى تفرقت الدولة، و انتشر السلوك، و كثر الرؤساء، و تناول العدو إليها، و أخذها شيئا فشيئا حتى محا اسم الإسلام منها، أعادها الله تعالى!.

و قد ألم الولي ابن خلدون فى تاريخه بذكر الزهراء فى جملة مباني الناصر، فقال ما نصه: و لما استفحل ملك الناصر صرف نظره إلى تشييد القصور و المباني، و كان جده الأمير محمد و أبوه عبد الرحمن الأوسط وجده الحكم قد احتفلوا فى ذلك و بنوا قصورهم على أكمل الإتقان و الضخامة، و كان فيها المجلس الزاهر و البهو الكامل و المنيف، فبنى هو إلى جانب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٩٥

الزاهرة قصره العظيم، و سماه «دار الروضة» و جلب الماء إلى قصورهم من الجبل و استدعى عرفاء المهندسين و البنائين من كل قطر، فوفدوا عليه حتى من بغداد و القسطنطينية، ثم أخذ فى بناء المستنزهات، فاتخذ منية الناعورة خارج القصور، و ساق لها الماء من أعلى الجبل على أبعاد مسافة، ثم اختط مدينة الزهراء، و اتخذها لنزله، و كرسيا لملكه، و أنشأ فيها من المباني و القصور و البساتين ما عفى على مبانيهم الأولى، و اتخذ فيها محلات للوحش فسيحة الفناء، متباعدة السياج، و مسارح للطيور مظلة بالشباك، و اتخذ فيها دورا لصناعة الآلات من آلات السلاح للحرب و الحلى للزينة و غير ذلك من المهن، و أمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة و قاية للناس من حر الشمس، انتهى.

و أما الزهراء فهى من مباني المنصور محمد بن أبى عامر.

قال ابن خلدون فى أثناء كلامه على المنصور ما صورته: و ابنتى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة، و نقل إليها جزءا من الأموال و الأسلحة، انتهى.

[الزاهرة]

وقال غيره، وأظنه صاحب المطمح: وفي سنة ثمان وستين و ثلاثمائة أمر المنصور بن أبي عامر ببناء الزاهرة، وذلك عندما تكامل واستفحل أمره، و اتقد جمره، و ظهر استبداده، و كثر حسّاده و أضداده و أنداده، و خاف على نفسه في الدخول إلى قصر السلطان، و خشى أن يقع في أشطان، فتوثق لنفسه، و كشف له ما ستر عنه في أمسه، من الاعتزاز عليه، و رفع الاستناد إليه، و سما إلى ما سمت إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه، و يحله بأهله و ذويه، و يضم إليه رياسته، و يتم به تدبيره و سياسته، و يجمع فيه فتياه و غلمانه، فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة، الموصوفة بالقصور الباهرة، و أقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم، و نسق فيها كل اقتدار معجز و نظم، و شرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة، و حشد الصناع و الفعله، و جلب إليها الآلات الجليّة، و سربلها بهاء يرد الأعين كليّة، و توسع في اختطاطها، و تولّع بانتشارها في البسيطة و انبساطها، و بالغ في رفع أسوارها، و ثابر على تسوية أنجاده و أغوارها، فاستعت هذه المدينة في المدّة القريبه، و صار بناؤها من الأنباء الغريبه، و بنى معظمها في عامين.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٩٦

و في سنة سبعين و ثلاثمائة انتقل المنصور إليها و نزلها بخاصته و عامته، فنبأها و شحنها بجميع أسلحته و أمواله و أمتعتة، و اتخذ فيها الدواوين و الأعمال و عمل في داخلها الأهرام، و أطلق بساحتها الأرحاء، ثم أقطع ما حولها لوزرائه و كتابه، و قواده و حجابيه، فابتنوا بها كبار الدور، و جليات القصور، و اتخذوا خلالها المستغلات المفيدة، و المنارة المشيدة، و قامت بها الأسواق، و كثرت فيها الأرفاق، و تنافس الناس بالتزول بأكنافها، و الحلول بأطرافها، للندنو من صاحب الدولة، و تناهى الغلو في البناء حوله، و حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة و كثرت بحوزتها العمارة، و استقرت في بحبوحتها الإمارة، و أفرد الخليفة من كل شيء إلا من الاسم الخلافي، و صير ذلك هو الرسم العافي، و رتب فيها جلوس وزرائه، و رؤوس أمرائه، و ندب إليها كل ذي خطته، و نصب بيابها كرسى شرطته، و أجلس عليها و اليا على رسم كرسى الخليفة، و في صفة تلك المرتبة المنيفة؛ و كتب إلى الأقطار بالأندلس و العدوّة بأن تحمل إلى مدينته تلك أموال الجبايات، و يقصدها أصحاب الولايات، و يتنابها طلاب الحوائج، و حذر أن يعوج عنها إلى دار الخليفة عائج، فاقتضيت إليها اللبانات و الأوطار، و انحشد الناس إليها من جميع الأقطار، و تم لمحمد بن أبي عامر ما أراد، و انتظم بلبنة أمانيه المراد، و عطل قصر الخليفة من جميعه، و صيره بمعزل من سامعه و مطيعه، و سدّ باب قصره عليه، و جدّ في خبر ألا يصل إليه، و جعل فيه ثقة من صنائعه يضبط القصر، و يبسط فيه النهي و الأمر، و يشرف منه على كل داخل، و يمنع ما يحذره من الدواخل، و رتب عليه الحراس و البوابين، و السّمّار و المنتابين، يلازمون حراسه من فيه ليلا و نهارا، و يراقبون حركاتهم سرا و جهارا، و قد حجر على الخليفة كل تدبير، و منعه من تملك قبيل أو دبير، و أقام الخليفة هشام مهجور الفناء، معجوز الغناء، خفي الذكر، عليل الفكر، مسدود الباب، محجوب الشخص عن الأحباب، لا يراه خاص و لا عام، و لا يخاف منه بأس و لا يرجى منه إنعام، و لا يعهد منه إلا الاسم السلطاني في السكّة و الدعوة، و قد نسخه و لبس أبهته، و طمس بهجته، و أغنى الناس عنه، و أزال أطماعهم منه، و صيرهم لا يعرفونه، و أمرهم أنهم لا يذكرونه، و اشتد ملك محمد بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٩٧

أبي عامر منذ نزل قصر الزاهرة و توسّع مع الأيام في تشييد أبنيتها حتى كملت أحسن كمال، و جاءته في نهاية الجمال، تفاوت بناء، و سعة فناء، و اعتدال هواء، رقّ أديمه، و صقاله جوّ اعتلّ نسيمه، و نصره بستان، و بهجة للنفوس فيها افتنان، و فيها يقول صاعد اللغوى:

[البسيط]

يا أيها الملك المنصور من يمن و المبتنى نسا غير الذي انتسبا
بغزوة في قلوب الشرك رائعه بين المنايا تناغى السمر و القضا
أما ترى العين تجرى فوق مرمرها زهوا فتجرى على أحفافها الطربا
أجريتها فظما الزاهى بجريتها كما طموت فسدت العجم و العربا

تخال فيه جنود الماء رافلة مستلثمات تريك الدرع و اليلبا
تحققها من فنون الأييك زاهرة قد أورقت فضة إذ أورقت ذهباً
بديعة الملك ما ينفك ناظرها يتلو على السمع منها آية عجباً
لا يحسن الدهر أن ينشى لها مثلاً و لو تعنت فيها نفسه طلباً

[المنية العامرية]

و دخل عليه ابن أبي الحباب في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرية، و الروض قد تفتحت أنواره، و توشحت أنجاده و أغواره،
و تصرف فيها الدهر متواضعا، و وقف بها السعد خاضعا، فقال: [البسيط]
لا يوم كالיום في أيامك الأول بالعامرية ذات الماء و الظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل طيباً و إن حل فصل غير معتدل
ما إن يبالي الذي يحتل ساحتها بالسعد أن لا تحل الشمس بالحمل
و ما زالت هذه المنية رائقة، و السعد بلبتها متناسقة، تراوحها الفتوح و تغاديتها، و تجلب إليها منكسرة أعاديتها، لا تزحف عنها راية إلا
إلى فتح، و لا يصدر عنها تدبير إلا إلى نجاح، إلى أن حان يومها العصيب، و قيص لها من المكروه أوفر نصيب، فتولت فقيدة، و خلت
من بهجتها كل عقيدة، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٩٨

و قد حكى الحميدى في «جذوة المقتبس» هذه الحكاية الواقعة لابن أبي الحباب بزيادة، فقال- بعد أن ذكر هذه المنية العامرية التي
إلى جانب الزهراء:- إن أبا المطرف بن أبي الحباب الشاعر دخل إلى المنصور في هذه المنية، فوقف على روضة فيها ثلاث سوسنات
ثنتان منها قد فتحتا و واحدة لم تفتح، فقال يصف ذلك: [البسيط]
لا يوم كالיום في أيامنا الأول بالعامرية ذات الماء و الظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل طيباً، و إن حل فصل غير معتدل
ما إن يبالي الذي يحتل ساحتها بالسعد ألا تحل الشمس في الحمل
كأنما غرست في ساعة و بدا الس وسان من حينه فيها على عجل
أبدت ثلاثاً من السوسان مائلة أعناقهن من الإعياء و الكسل
فبعض نوارها للبعض منفتح و البعض منغلق عنهن في شغل
كأنها راحة ضمت أناملها من بعد ما ملئت من جودك الخضل
و أختها بسطت منها أناملها ترجو نداك كما عودتها فصل

و قد ذكر ابن سعيد أن ابن العريف النحوى دخل على المنصور بن أبي عامر و عنده صاعد اللغوى البغدادي، فأنشده و هو بالموضع
المعروف بالعامرية من أبيات: [المجتث]

فالعامرية ترهى على جميع المباني

و أنت فيها كسيف قد حل في غمدان

فقام صاعد، و كان مناقضا له، فقال: أسعد الله تعالى الحاجب الأجل! و مكن سلطانه! هذا الشعر الذى قاله قد أعده و تروى فيه أقدار

أن أقول أحسن منه ارتجالاً، فقال له المنصور: قل ليظهر صدق دعواك، فجعل يقول من غير فكرة كثيرة: [المجتث]

يا أيها الحاجب المع تلى على كيوان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٩٩

و من به قد تناهى فخار كلّ يمان

العامرية أضحت كجنته الرضوان

فريده لفريد ما بين أهل الزمان

ثم مر في الشعر إلى أن قال في وصفها: [المجتث]

انظر إلى النهر فيها ينساب كالثعبان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٩٩

و الطير يخطب شكرا على ذرا الأعصان

و القضب تلتفّ سكرًا بميس القضبان

و الزوض يفتّر زهوا عن مبسم الأقحوان

و الترجس الغضّ يرنو بوجنه النعمان

و راحة الريح تمتار نفضة الريحان

قدم مدى الدهر فيها في غبطة و أمان

فاستحسن المنصور ارتجاله، و قال لابن العريف: مالك فائدة في مناقضة من هذا ارتجاله، فكيف تكون رويته؟ فقال ابن العريف: إنما أنطقه و قرب عليه المأخذ إحسانك، فقال له صاعد: فيخرج من هذا أن قلّه إحسانه لك أسكتتك و بعدت عليك المأخذ، فضحك المنصور و قال: غير هذه المنازعة أليق بأدبكما.

[كثرة المنى في الأندلس]

قلت: و قد ذكر مؤرخو الأندلس منى كثيرة بها: منها منية الناعورة السابقة، و منية العامرية هذه، و منية السرور، و منية الزبير منسوبة إلى الزبير بن عمر المثلث ملك قرطبة.

قال أبو الحسن بن سعيد: أخبرني أبي عن أبيه قال: خرج معي إلى هذه المنية في زمان فتح نوار اللوز أبو بكر بن بقیّ الشاعر المشهور،

فجلسنا تحت سطر لوز قد نور، فقال ابن بقیّ: [البسيط]

سطر من اللوز في البستان قابلني ما زاد شيء على شيء و لا نقصا

كأنما كلّ غصن كمّ جارية إذا التّسيم ثنى أعطافه رقصا

ثم قال: [الطويل]

عجبت لمن أبقى على خمر دثّه غداة رأى لوز الحديقه نورا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٠٠

و ذكر بعض مؤرخي الأندلس أن المنصور بن أبي عامر كان يزرع كل سنة ألف مدى من الشعير قصيلا لدوابه الخاصة به، و أنه كان إذا قدم من غزوة من غزواته لا يحلّ عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها و ما عاش، و صاحب الأبنية لما و هي من أسواره و مبانيه و قصوره و دوره، قال: و كان له دخاله كل يوم اثني عشر ألف رطل من اللحم، حاشا الصيد و الطير و الحيتان، و كان يصنع في كل عام اثني عشر ألف ترس عامرية لقصر الزاهرة و الزهراء، قال: و ابنتي على طريق المباهة و الفخامة مدينة الزاهرة ذات القصور و المنتزهات المخترعة كمنية السرور و غيرها من مناشئه البديعة، انتهى.

[بين المنصور و ابن شهيد]

و من المطمح: أن المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة و أبعدها فيها الإيغال و غال فيها من عظماء الروم من غال، و حل من أرضهم ما لم يطرق، و راع منهم ما لم يرع قط و لم يفرق، و صدر صدرا سما به على كل حسناء عقيلة، و جلا به كل صفحة للحسن صقيلة، و دخل قرطبة دخولا لم يعهد، و شهد له فيها يوم مثله لم يشهد، و كان ابن شهيد متخلفا عن هذه الغزوة لنقرس عداه عائده، و حداه منتجعه و رائده، و ابن شهيد هذا أحد حجاب الناصر، و له على ابن أبي عامر أياذ محكمة الأواصر، و هو الذي نهض به أول انبعائه، و شفى أمره زمن الثياثة، و خاصم المصحفى عنه بلسان من الحماية ألد، و توخاه بإحسان قلده من الرعاية ما قلده، و أسمى رتبته، و حلّى بإعظام جاهه لبته، و كان كثيرا ما يتحفه، و يصله و يلففه، فلما صدر المنصور من غزوته هذه و قفل، نسى متاحفته و غفل، فكتب إليه ابن شهيد: [الخفيف]

أنا شيخ و الشيخ يهوى الصبايا يا بنفسى أقيك كل الرزايا
و رسول الإله أسهم فى الفى ء لمن لم يخبّ فيه المطايا
فاجعلنى فديت أشكر معرو فك و ابعث بها عذاب الثنايا
فبعث إليه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار، كأنهن نجوم سوار، و كتب إليه:

[الخفيف]

قد بعثنا بها كشمس النهار فى ثلاث من المها أبقار
فاتتد و اجتهد فإنك شيخ سلخ الليل عن بياض النهار
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٠١
صانك الله عن كلالك فيها فمن العار كلّة المسمار
فكتب إليه ابن شهيد: [الخفيف]

قد فضضنا ختام ذاك السوار و اصطبغنا من التّجيع الجارى
و نعمنا فى ظلّ أنعم ليل و لهونا بالبدر ثمّ الدرارى
و قضى الشيخ ما قضى بحسام ذى مضاء غضب الطّبا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا و اتّخذة سيفا على الكفّار

و قد قدمنا هذه الحكاية فى أخبار المنصور من الباب الثالث، و لكننا أعدناها هنا بلفظ المطمح لما فيه من العذوبة و الفائدة الزائدة.
و ممن كان فى أيام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الخولانى، قال فى المطمح: علم من الأعلام فريد الزمان، و عين من أعيان البيان، باهر الفصاحة، طاهر الجنب و الساحة، تولى التحبير أيام المنصور و الإنشاء، و أشعر بدولته الأفراح و الانتشاء، و لبس العزة مدتها ضافية البرود، و ورد بها النعمة صافية الورود، و امتطى من جياذ التوجيه، و أعنق من لاحق و الوجيه، و تمادى طلقه، و لا أحد يلحقه، إلى أيام المظفر فمشى على سننه، و تمادى السعد يترنم على فننه، إلى أن قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع، صاحب دولته و أميرها المطاع، و كان أبو مروان قديم الاضطناع له و الانقطاع، فاتهم معه، و كاد أن يذوق حمامه و مصرعه، إلا أن إحسانه شفع، و بيانه نفع و دفع، فحطّ عن تلك الرتب، و حمل إلى طروشة على القتب، فبقى هنالك معتقلا فى برج من أبراجها نائى المنتهى، كأنما يناجى السها، قد بعد ساكنه عن الأنيس، و قعد من النجم بمنزلة الجليس، تمر الطيور دونه و لا تجوزه، و يرى منه الشرى و لا يكاد يحوزه، فبقى فيه دهرا لا يرتقى إليه راق، و لا يرجى لبّته راق، إلى أن أخرج منه إلى ثراه، و استراح مما عراه، فمن بديع نظمه قوله يصف المعتقل، الذى فيه اعتقل: [الكامل]

يأوى إليه كل أعور ناعق و تهب فيه كل ريح صرصر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٠٢

و يكاد من يرقى إليه مرّة من عمره يشكو انقطاع الأبهر

و دخل ليلة على المنصور و المنصور قد اتكأ و ارتفق، و تحلى بمجلسه ذلك الأفق، و الدنيا بمجلسه ذلك مسوقه، و أحاديث الأمانى به منسوقه، فأمره بالنزول عنده فنزل فى جملة الأصحاب، و القمر يظهر و يحتجب فى السحاب، و الأفق يبدو به أغر ثم يعود مبهما، و الليل يتراءى منه أشقر ثم يعود أدهما، و أبو مروان قد انتشى، و جال فى ميدان الأنس و مشى، و برد خاطره قد دبجه السرور و وشى، فأقلقه ذلك المغيب و الالتياح، و أنطقه ذلك السرور و الارتياح، فقال: [الوافر]

أرى بدر السماء يلوح حيناً فيبدو ثم يلتحف السحابا

و ذلك أنه لما تبدى و أبصر وجهك استحيا فغابا

مقال لو نمتى عندي إليه لراجعنى بذا حقاً جوابا

و له فى مدة اعتقاله، و تردده فى قيئه و قاله: [الكامل]

شحت المزار فلا مزار، و نافرت عيني الهجوع فلا خيال يعترى

أزرى بصبرى و هو مشدود القوى و ألان عودى و هو صلب المكسر

و طوى سرورى كله و تلذذى بالعيش طى صحيفه لم تنشر

ها إنما ألقى الحبيب توهمًا بضمير تذكارى و عين تذكرى

عجبا لقلبي يوم راعتنى التوى و دنا وداع كيف لم يتفطر

رجع إلى المنصور: و كان المنصور إذا أراد أمراً مهما شاور أرباب الدولة و الأكابر من خدام الدولة الأموية، فيشيرون عليه بالوجه الذى عرفوه و جرت الدولة الأموية عليه، فيخالفهم إلى المنهج الذى ابتدعه، فيقضون فى أنفسهم بالهلاك فى الطريق الذى سلكه، و المهيع الذى اخترعه، فتسفر العاقبة عن السلامة التامة التى اقتضاها سعده، فيكثرون التعجب من موارد أموره و مصادرها. و قيل له مرة: إن فلانا مشؤوم فلا تستخدمه، فقال: أف لسعد لا يغطى على شؤمه، فاستخدمه، و لم ينله من شؤمه الذى جرت به العادة شىء.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٠٣

[من أخبار المنصور بن أبي عامر]

و حكى عنه أنه كان فى قصره بالزاهرة، فتأمل محاسنه، و نظر إلى مياحه المطردة، و أنصت لأطياره المغردة، و ملأ عينه من الذى حواه من حسن و جمال، و التفت فى الزاهرة من اليمين إلى الشمال، فأنحدرت دموعه، و تجهم و قال: ويها لك يا زاهرة، فليت شعرى من الخائن الذى يكون خرابك على يديه عن قريب؟ فقال له بعض خاصته: ما هذا الكلام الذى ما سمعناه من مولانا قط؟ و ما هذا الفكر الردىء الذى لا يليق بمثله شغل البال به؟ فقال: و الله لترون ما قلت، و كأنى بمحاسن الزاهرة قد محيت، و برسومها قد غيرت، و بمبانيها قد هدمت و نحيت، و بخزائنها قد نهبت، و بساحاتها قد أضرمت بنار الفتنة و ألهبت، قال الحاكي: فلم يكن إلا أن توفى المنصور و تولى المظفر و لم تطل مدته، فقام بالأمر أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجل، فقام عليه المهدي و العامه، و كانت منهم عليه و على قومه الطامه، و انقرضت دولة آل عامر، و لم يبق منهم أمر: [الطويل]

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كئنا أهلها فأبادنا صروف الليالى و الجدود العواثر

[دثور الزاهرة]

و خربت الزاهرة، و مضت كأمس الدابر، و خلت منها الدسوت الملوكية زاهرة و الدساكر، و استولى النهب على ما فيها من العدة و الذخائر، و السلاح، و تلاشى أمرها فلم يرج لفسادها صلاح، و صارت قاعا صنففا، و أبدلت بأيام الترح عن أيام الفرح و الصفا. و يروى أن بعض أولياء ذلك الزمان مر بها، و نظر إلى مصانعها السامية الفائقة، و مبانيها العالية الرائقة، فقال: يا دار فيك من كل دار، فجعل الله منك فى كل دار.

قال الحاكي: فلم تكن بعد دعوة ذلك الرجل الصالح إلا- أيام يسيرة حتى نهبت ذخائرها، و عم بالخراب سائرها، فلم تبق دار فى الأندلس إلا و دخلها من فيها حصه كثيرة أو قليلة، و حقق الله تعالى دعاء ذلك الرجل الذى همته مع ربه جلية. و لقد حكى أن بعض ما نهب منها بيع ببغداد و غيرها من البلاد المشرقية، فسبحان من لا يزول سلطانه و لا ينقضى ملكه! لا إله إلا هو. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٠٤

و تذكرت هنا ما رآه فى المنام بعض أهل المغرب بالليله التى انقضت فيها ملك الموحدين أن شخصا ينشده: [البسيط]
ملك بنى مؤمن تولى و كان فوق السماك سمكه
فاعتبروا و انظروا و قولوا: سبحان من لا يبىد ملكه
لا إله إلا هو.

و كان المهدي القائم على العامرين ماجنا فاتكا، و قال- و قد حياه فى مجلس شرايه غلام بقضيب آس:- [الكامل]
أهديت شبه قوامك الميأس غصنا رطيبا ناعما من آس
و كأنما يحكيك فى حر كاته و كأنما تحكيه فى الأنفاس
و كان المنصور بن أبى عامر حين تغلب على ملك الأمويين غير مكترث بمثل المهدي المذكور، فسلطه الله تعالى على كل ما أسسه المنصور حتى هدمه، و آخر كل ما قدمه، و لم ينفع فى ذلك احتياط و لا حزم، و لا راد للقضاء المبرم الجزم.
[مجزوء الكامل]

و الله يحكم ما يشاء فلا تكن متعزضا
و قد قدمنا شيئا من أخبار المنصور، و لا بأس أن نلّم هنا بعضها و إن حصل منه نوع تكرار فى نبذه منها لارتباط الكلام بعضه ببعض.

[طرف من أخبار المنصور]

قال بعض المحققين من المؤرخين: حجر المنصور بن أبى عامر على هشام المؤيد بحيث لم يره أحد منذ ولى الحجاب، و ربما أركبه بعد سنين و جعل عليه برنسا، و على جواريه مثل ذلك، فلا يعرف منهم، و يأمر من ينحى الناس من طريقه، حتى ينتهى المؤيد إلى موضع تنزهه، ثم يعود، غير أنه أركبه بأبهه الخلافه فى بعض الأيام لغرض له، كما ألمعنا به فيما سبق، و كان المنصور إذا سافر و كل بالمؤيد من يفعل معه ذلك، فكان هذا من فعله سببا لانقطاع ملك بنى أميه من الأندلس، و أخذ مع ذلك فى قتل من يخشى منه من بنى أميه خوفا أن يثوروا به، و يظهر أنه يفعل ذلك شفقه على المؤيد، حتى أفنى من يصلح منهم للولاية، ثم فرق باقيهم فى البلاد، و أدخلهم زوايا الخمول عارين من الطراف و التلاد، و ربما سكن بعضهم البادية، و ترك مجلس الأبهه و ناديه، حتى قال بعض من ينقم على المنصور ذلك الفعل من قصيدة: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٠٥

أبنى أمية أين أقمار الدجى منكم؟ و أين نجومها و الكوكب؟

غابت أسود منكم عن غابها فلذاك حاز الملك هذا الثعلب

مع أن للمنصور مفاخر، بدّها الأوائل و الأواخر، من المثابرة على جهاد العدو، و تكرار الذهاب بنفسه فى الرواح و الغدو، و له مع المصحفى و غيره أخبار مرت و يأتى بعضها، و لا بأس أن نلخص ترجمة المصحفى فنقول:

[ترجمة المصحفى فى المطمح]

قال الفتح فى المطمح: الحاجب جعفر المصحفى - تجرد للعليا، و تمرد فى طلب الدنيا، حتى بلغ المنى، و تسوّغ ذلك الجنى، فسمما دون سابقه، و ارتقى إلى رتبة لم تكن لبنيته بمطابقة، و التاح فى أفياء الخلافة، و ارتاح إليها بعطفه كنشوان السّلافة، و استوزره المستنصر، و عنه كان يسمع و به كان يبصر، فأدرك بذلك ما أدرك، و نصب لأمانيه الحبال و الشّرك، و اقتنى و ادخر، و أزرى بمن سواه و سخر، و استعطفه المنصور محمد بن أبى عامر و نجمه بعد غائر لم يلح، و سره مكتوم لم يبح، فما عطف، و لا جنى من روضة دنياه و لا قطف، فأقام فى تدبير الأندلس ما أقام و الأندلس متغيرة، و الأذهان فى تكيف سعده متحيرة، فناهيك من ذكر خلد، و من فخر تقلد، و من صعب راض، و جناح فتنه هاض، و لم يزل بنجاد تلك الخلافة معتقلا، و فى مطالعها منتقلا، إلى أن توفى الحكم، فانقض عقده المحكم، و انبرت إليه النوائب، و تسدّت إليه من الخطوب سهام صوائب، و اتّصل إلى المنصور ذلك الأمر، و اختص به كما مال بيزيد أخوه الغمر، و أناف فى تلك الخلافة كما شبّ قبل اليوم عن طوقه عمرو، و انتدب للمصحفى بصدر قد كان أوغره، و ساءه و صغّره، فاقصص من تلك الإساءة، و أغصّ حلقة بأى مساءة، فأخمله و نكبه، و أرجله عما كان الدهر أركبه، و ألهب جوارحه حزنا، و نهب له مدّخرا و مختزنا، و دمر عليه ما كان حاط، و أحاط به من مكروهه ما أحاط، و غير سنين فى مهوى تلك النكبة، و جوى تلك الكربة، ينقله المنصور معه فى غزواته و يعتقله بين ضيق المطبق و لهواته، إلى أن تكوّرت شمس، و فاظت بين أثناء المحن نفسه، و من بديع ما حفظ له فى نكبته، قوله يستريح من كربته: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٠٦

صبرت على الأيام لَمَّا تولّت و ألزمت نفسى صبرها فاستمّرت

فوا عجباً للقلب كيف اعترافه و للنفس بعد العزّ كيف استدلّت

و ما النَّفس إلَّا حيث يجعلها الفتى فإن طمعت تاقّت و إلَّا تسلّت

و كانت على الأيام نفسى عزيزة فلَمَّا رأّت صبرى على الدّلّ دلّت

فقلت لها يا نفس موتى كريمة فقد كانت الدّنيا لنا ثمّ وُلّت

و كان له أدب بارع، و خاطر إلى نظم القريض يسارع، فمن محاسن نظامه و إنشاده، التى بعثها إيناس دهره بإسعاده، قوله: [الطويل]

لعينيك فى قلبى على عيون و بين ضلوعى للشّجون فنون

لئن كان جسمى مخلقا فى يد الهوى فحبّك عندى فى الفؤاد مصون

و له و قد أصبح عاكفا على حمّياه، هاتفا بإجابة دنياه، مرتشفا ثغر الأنس متنسما رياه، و الملك يغازله بطرف كليل، و السعد قد عقد

عليه منه إكليل، يصف لون مدامه، و ما تعرّف له منها دون ندامه: [الكامل]

صفراء تطرق فى الرّجاج فإن سرت فى الجسم دبّت مثل صلّ لادغ

خفيت على شرابها فكأنما يجدون رياء من إناء فارغ

و من شعره الذى قاله فى السّفرجل مشبها، و غدا به لنائم البديع منبها، قوله يصف سفرجله، و يقال إنه ارتجله: [الطويل]

و مصفرة تختال فى ثوب نرجس و تعبق عن مسك ذكىّ التّنفس

لها ریح محبوب و قسوة قلبه و لون محب حله السقم مكتسى
 فصفرتها من صفرتى مستعارة و أنفاسها فى الطيب أنفاس مؤنسى
 و كان لها ثوب من الرغب أغبر على جسم مصفر من التبر أملس
 فلما استتمت فى القضيبي شبابها و حاكت لها الأوراق أثواب سندس
 مددت يدي باللطف أبغى اجتناءها لأجعلها ريحانتى وسط مجلسى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٠٧
 فبزت يدي غصبا لها ثوب جسمها و أعريتها باللطف من كل ملبس
 و لما تعرّت فى يدي من برودها و لم تقب إلّا فى غلاله نرجس
 ذكرت لها من لا أبوح بذكره فأذبلها فى الكفّ حرّ التنفس
 و له و قد أعاده المنصور إلى المطبق، و الشجون تسرع إليه و تسبق، معزيا لنفسه، و مجتريا بإسعاد أمسه: [المتقارب]
 أجازى الزمان على حاله مجازاة نفسى لأنفاسها
 إذا نفس صاعد شفها توارت به دون جلاسها
 و إن عكفت نكبة للزمان عكفت بنفسى على راسها
 و مما حفظ له فى استعطافه، و استنزاله للمنصور و استلطافه، قوله: [المتقارب]
 عفا الله عنك، ألا رحمة تجود بعفوك أن أبعدا
 لئن جلّ ذنب و لم أعتده فأنت أجلّ و أعلى يدا
 أ لم تر عبدا عدا طوره و مولى عفا و رشيدا هدى
 و مفسد أمر تلافيته فعاد فأصلح ما أفسدا
 أقلنى أقالك من لم يزل يقيقك و يصرف عنك الردى

[من أخبار المنصور]

عود و انعطاف إلى أخبار المنصور بن أبى عامر رحمه الله تعالى! و جازاه عن جهاده أفضل الجزاء بمنه و كرمه و فضله و طوله!
 فنقول:

و كان له فى كل غزوة من غزواته المنيفة على الخمسين مفخر من المفاخر الإسلامية، فمنها أن بعض الأجناد نسى رايته مركوزة على
 جبل بقرب إحدى مدائن الروم، فأقامت عدة أيام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العساكر، و هذا بلا خفاء مما يفتخر به أهل
 التوحيد على أهل التثليث، لأنهم لما أشرب قلوبهم خوف شرذمة المنصور و حزبه، و علم كل من ملوكهم أنه لا طاقة له بحربه لجؤوا
 إلى الفرار و التحصن بالمعقل و القلاع، و لم يحصل منهم غير الإشراف من بعد و الاطلاع.
 و من مفاخر المنصور فى بعض غزواته أنه مر بين جبلين عظيمين فى طريق عرض يريد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٠٨

بوسط بلاد الإفرنج، فلما جاوز ذلك المحل - و هو آخذ فى التحريق و التخريب و الغارات و السبى يمينا و شمالا - لم يجسر أحد من
 الإفرنج على لقائه، حتى أفقرت البلاد مسافة أيام، ثم عاد فوجد الإفرنج قد استجاشوا من وراءهم، و ضبطوا ذلك المدخل الضيق
 الذى بين جبلين، و كان الوقت شتاء، فلما رأى ما فعلوه رجع و اختار منزلا من بلادهم أناخ به فيمن معه من العساكر، و تقدم بيناء
 الدور و المنازل، و بجمع آلات الحرث و نحوها، و بث سراياه فسبت و غنمت، فاسترق الصغار، و ضرب أعناق الكبار، و ألقى جثثهم

حتى سدّ بها المدخل الذي من جهته، و صارت سراياه تخرج فلا تجد إلا بلدا خرابا، فلما طال البلاء على العدو أرسلوا إليه في طلب الصلح، و أن يخرج بغير أسرى و لا غنائم، فامتنع من ذلك، فلم تزل رسلهم تتردد إليه حتى سألوه أن يخرج بغنائمه و أسراه، فأجابهم: إن أصحابي أبوا أن يخرجوا، و قالوا: إنا لا نكاد نصل إلى بلادنا إلا و قد جاء وقت الغزوة الأخرى، فنقعد ههنا إلى وقت الغزاة، فإذا غزونا عدنا، فما زال الإفرنج يسألونه إلى أن قرر عليهم أن يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم و السبي، و أن يمدّوه بالميرة حتى يصل إلى بلاده، و أن ينحوا جيف القتلى عن طريقه بأنفسهم، ففعلوا ذلك كله، و انصرف.

و لعمري إن هذا لعز ما وراءه مطمح، و نصر لا يكاد الزمان يجود بمثله و يسمح، خصوصا إزالتهم جيف قتلاهم من الطريق، و غصصهم في شرب ذلك بالرقيق.

و من مآثره التي هي في جبين عصره غرة، و لعين دهره قرّة، أنه لما ختن أولاده ختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة صبي، و من أولاد الضعفاء عدد لا يحصر، فبلغت النفقة عليهم في هذا الإعدار، خمسمائة ألف دينار، و هذه مكرمة مخلّدة، و منه مقلّدة، فالله سبحانه يجازيه عن ذلك أفضل الجزاء! و يجعل للمسلمين في فقد مثله أحسن العزاء!.

و من مناقبه التي لم تتفق لغيره من الملوك في غالب الظنّ، أن أكثر جنده من سبيه على ما حققه بعض المؤرخين، و ذلك غاية المنح من الله و المنّ.

و من أخباره الدالة على إقبال أمره و خيبة عدوّه و إدباره، أنه ما عاد قط من غزوة إلا استعدّ لأخرى، و لم تهزم له قط راية مع كثرة غزواته شاتيئة و صائفئة و كفاه ذلك فخرا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٠٩

و منها أنه لقيته- و قد عاد من بعض غزواته- امرأة نعّصت عليه بلوغ مناه و شهواته، و قالت له: يا منصور، استمع نداي، فأنت من طيب عيشك و أنا في بكائي، فسألها عن مصيبتها التي عمّتها و غمّتها، فذكرت له أن لها ابنا أسيرا في بلاد سمّتها، و أنها لا يهنأ عيشها لفقده، و لا يخبو ضرام قلقها من وقده، و أنشد لسان حالها: [مجزوء الكامل]

يا ذلك الملك العليّ و يح الشجّي من الخليّ

فرحّب المنصور بها، و أظهر الرقة بسببها، و خرج من القابلة إلى تلك المدينة التي فيها ابنها و جاس أقطارها و تخللها، حتى دوّخها إذ أناخ عليها بكلكله و ذللها، و أعراها من حماتها و بنود الإسلام المنصورة ظلّ لها، و خلّص جميع من فيها من الأسرى، و جلبت عوامله إلى قلوب الكفرة كسرا، و انقلبت عيون الأعداء حسرى، و تلا لسان حال المرأة: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) [الشرح: ٥، ٦].

فهكذا تكون الهمة السلطانية، و النخوة الإيمانية، فالله سبحانه يروّج تلك الأرواح في الجنان، و يرقى درجاتها و يعاملها بمحض الفضل و الامتتان.

[رسالة ابن عبد البر إلى المنصور الصغير]

و قد تذكّرت هنا و الحديث شجون، و بذكر المناسبات يبلغ الطلاب ما يرجون، كتبا كتبه الأديب الكاتب أبو محمد ابن الإمام الحافظ محدث الأندلس أبي عمر بن عبد البر التّميري، إلى المنصور بن أبي عامر، و هو من ذرية المنصور الكبير الذي كنا نتحدث في أخباره، يمت إليه بسلفه و معاملتهم لمن تقدم من آبائه بتعظيم قدره و إكباره، و هو: عمّر الله ببقاء سيدي ذى السابقتين بهجة أوطانه، و ملكه عنان زمانه، و مدّ عليه ظلال أمانه، أنى أبقى الله الملك الكريم، و السيد الزعيم، لما أضاءت لى أهلمة مفاخركم في سماء الفخار، و أشرقت شمس مكارمكم على مفارق الأحرار، و أبصرت شمائلك الزهر تهدي إليك من الهمم محامدها، و محاسنك الغر توقظ لك من الآمال رواقدها، أيقنت أنه بحقّ انقادت لك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١١٠

القلوب بأعنتها، و تهادت إليك النفوس بأزمتها، فأليت أن لا ألم إلا بحماك، و لا أحطّ رحلا إلا بفناك، علما بأنك نثرة الفخر، و غرة الدهر، فتيّمت ساريا في ساطع نورك، متيمنا بيمين طائرک، محققا للربح، موقنا بالفلج و التّجح، حتى حللت في دوحه المجد، و أنخت بدوله السعد، و استشعرت لبسه الشكر و الحمد، و جعلت أنظم من جواهر الكلام، ما يربى على جواهر النّظام، و أنشر من عطر الثناء، ما يزرى بالروضه الغناء، و حاشا للفهم أن يعطل ليلي من أقمارك، أو يخلى أفقى من أنوارك، فأراني منخرطا في غير سلکة، و منحطا إلى غير ملكة، لا جرم أنه من استضاء بالهلال، غنى عن الذّبال، و من استنار بالصباح، ألقى سنا المصباح، و تالّه ما هزت آمالي ذوائبها إلى سواك، و لا حدت أوطاري ركائبها إلى من مداك، ليكون في أثر الوسمي في الماحل، و على جمال الحلبي على العاقل، لسيادتك السنية، و رياستك الأوليه، التي يقصر عنها لسان إفصاحي، و يعيا في بعضها بياني و إيضاحي، فالقراطيس عند بثّ مناقبك تفنى، و الأفلام في رسم ما ترك تحفى، و ما أمل المجدب، في حياة المخصب، و لا جذل المذنب، برضا المعتب، كأمل في التعزز بحوزتك، و التجمّل بجملتك، و الترفع بخدمتك، فالسعيد من نشأ في دولتك، و ظهر في أمتك، و استضاء بعزتك، لقد فاز بالسبق من لحظته عين رعايتك، و كفته حوزة حمايتك، فأنت الذي أمنت الذي بعدله نواب الأيام، و قويت بسلطانه دعائم الإسلام، تختال بك المعاني اختيال العروس، و تخضع لجلالك أعزة النفوس، سابقه أشهر من الفجر، و فطنه أنور من البدر، و همه أنفذ من الدهر:

[الطويل]

لقد فاز من أضحي بكم متمسكا يشدّ على تأميل عزكم يدا
سلكت سبيل الفخر خلقا مركبا و غيرك لا يأتيه إلّا تجلدا
فأنتم لواء الدّين لا زال قيما بأرائكم في ظلمه الخطب يهتدى
ليهنكم مجد تليد بنيتم أغار سناه في البلاد و أنجدا
و مثله أبقاه الله سبحانه يستثمر إيراقه، فيثمر جناه، و يستمطر إيراقه، فيمطر حياه، لا سيما و إنى نشأه حفها إحسان أوائلك الطاهرين، و ألفها إنعام أكابرك الأخيار الطيبين، و جدير بقبولك
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١١١
و إقبالك، و برك و إجمالك، من أصله ثابت في أهل محبتكم، و فرعه نابت في خاصتكم:

[الطويل]

و ما رغبتى في عسجد أستفيده و لكنّها في مفخر أستجده
فكلّ نوال كان أو هو كائن فلحظة طرف منك عندي نده
فكن في اصطناعي محسنا كمجرب بين لك تقرب الجواد و شدّه
إذا كنت في شكّ من السيف فابله فإما تنافيه و إما تعدّه
و ما الصّارم الهندى إلّا كغيره إذا لم يفارقه التّجاد و غمده
و لا بأس أن يتطول مولاي بغرس الصنيعه في أزكى التّرب، و وضع الهناء موضع التّقب، و الله سبحانه يبقى مولاي آخذا بزمام الفخر، ناهضا بأعباء البر، مالكا لأعنه الدهر، و صنع الله سبحانه لسيدى أتم الصنع و أجمله، و أفضله و أكمله، بمنه لا رب سواه، انتهى.

[من أخبار المنصور الكبير محمد بن أبى عامر و المصحفى]

رجع إلى أخبار المنصور الكبير محمد بن أبى عامر، رحمه الله!
و كنا قد ذكرنا أنه قبض على الوزير الحاجب المصحفى مع أنه كان أحد أتباعه.

قال صاحب كتاب «روضة الأزهار، و بهجة النفوس، و نزهة الأبصار»: و لما أمر المنصور بن أبي عامر بسجن المصحفي في المطبق بالزهراء ودّع أهله و ودّعوه و داع الفرقة، و قال لهم: لستم ترونني بعدها حيا، فقد أتى وقت إجابة الدعوة، و ما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة، و ذلك أني أشركت في سجن رجل في عهد الناصر، و ما أطلقته إلا برؤيا رأيته بأن قيل لي: أطلق فلانا فقد أجيبك فيك دعوته، فأطلقته و أحضرته و سألته عن دعوته علي، فقال:

دعوت علي من شارك في أمري أن يميتة الله في أضييق السجون، فقلت: إنها قد أجيبت، فإنني كنت ممن شارك في أمره، و ندمت حين لا ينفع الندم، فيروي أنه كتب للمنصور بن أبي عامر بهذه الأبيات: [البسيط]

هبنى أسأت فأين العفو و الكرم إذ قادني نحوك الإذعان و الندم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١١٢

يا خير من مدّت الأيدي إليه أما ترثي لشيخ نعاه عندك القلم

بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

فأجابه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيري: [البسيط]

يا جاهلا بعد ما زلت بك القدم تبغى التكرم لما فاتك الكرم

ندمت إذ لم تعد مني بطائله و قلما ينفع الإذعان و الندم

نفسى إذا جمحت ليست براجعة و لو تشفع فيك العرب و العجم

فبقي في المطبق حتى مات، نعوذ بالله تعالى من دعوة المظلوم، انتهى.

و قد ذكر بعضهم فيه هذه الأبيات زيادة حسبما ذكرناه في غير هذا المحل، فإن هذه الأبيات للمنصور، و هذا المؤرخ مصرح بأنها لعبد الملك الجزيري، و قد يقال: لا منافاة بينهما، فإن المنصور أجاب بالأبيات، و هل هو قائلها أم لا؟ الأمر أعم، فبين هنا، و الله أعلم.

و قال بعض مؤرخي المغرب: إن الحاجب المصحفي حصل له في هذه النكبة من الهلع و الجزع ما لم يظن أنه يصدر من مثله، حتى إنه كتب إلى المنصور بن أبي عامر يطلب منه أن يقعد في دهليزه معلما لأولاده، فقال المنصور بدائه و حذفه: إن هذا الرجل يريد أن يحط من قدرى عند الناس، لأنهم طالما رأوني بدليله خادما و مسلما، فكيف يرونه الآن في دهليزي معلما؟! و كان المنصور يذهب به بعد نكبته معه في غزواته، حتى إنه حكى بعضهم أنه رأى الحاجب المصحفي في ليلة نهى المنصور فيها الناس عن إيقاد النيران تعمية على العدو الكافر، و هو ينفخ فحما في كانون صغير و يخفيه تحت ثيابه، أو كما قال، فسبحان مديل الدول، لا إله إلا هو، فإن هذا المصحفي بلغ من الجلالة و العظم و التحكم في الدولة المديدة أمرا لا مزيد عليه، و الله وارث الأرض و من عليها و هو خير الوارثين.

و لقد ذكر بعض علماء المغاربة أن من أعاجيب انقلاب الدنيا بأهلها قصة المنصور بن أبي عامر مع الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، و لم يزل أعداء المنصور بن أبي عامر يتربصون به الدوائر، فغلب سعده الذي هو المثل السائر، و ربما همس بعض الشعراء بهجوه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١١٣

و هجو الدولة جميعا إذ قال: [السريع]

اقترب الوعد و حان الهلاك و كل ما تحذره قد أتاك

خليفة يلعب في مكتب و أمه حبلى و قاض يناك

يعنى بالخليفة هشاما المؤيد لكونه كان صغيرا، و أمه صبح البشكنشية كان الأعداء يتهمون بها المنصور، و ذلك بهتان و زور، و أفضح منه رميهم القاضي بالفجور، و الله عالم بسرائر الأمور، و نعوذ بالله من السنة الشعراء الذين لا يراعون إلّا و لا ذمة، و يطلقون ألسنتهم

في العلماء و الأئمة. [الطويل]

و أظلم أهل الأرض من كان حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب

جدير بأن لا يدرك ما يؤمل و يتطلب، لأنه يعترض على الله سبحانه في أحكامه، نعوذ بالله من شر أنفسنا و من شر كل ذي شر، بجاه نبينا عليه أزكى صلوات الله و أفضل سلامه.

و قد قدمنا أن المنصور بن أبي عامر كان أولا يخدم جعفر بن عثمان المصطفى مدبر مملكة هشام المؤيد، و يريه النصيحة، و أنه ما زال يستجلب القلوب بجوده و حسن خلقه، و المصطفى ينفرها ببخله و سوء خلقه، إلى أن كان من أمره ما كان، فاستولى على

الحجابه، و سجن المصطفى، و في ذلك يقول المصطفى: [الطويل]

غرس قضييا خلته عود كرمه و كنت عليه في الحوادث قيما

و أكرمه دهري فيزداد خبثه و لو كان من أصل كريم تكزما

و لما يئس المصطفى من عفو المنصور قال: [الكامل]

لى مده لا بد أبلغها فإذا انقضت أيامها مت

لو قابلتني الأسد ضارياً و الموت لم يقرب لما خفت

فانظر إلي و كن على حذر في مثل حالك أمس قد كنت

و من أحسن ما نعى به نفسه قوله حسبما تقدم: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١١٤

صبرت على الأيام حتى تولت و ألزمت نفسي صبرها فاستمرت

فوا عجا للقلب كيف اعترافه و للنفس بعد العز كيف استذلت

و ما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن طمعت ماتت و إلا تسلت

و كانت على الأيام نفسى عزيزة فلما رأيت صبرى على الدل ذلكت

فقلت لها يا نفس موتى كريمة فقد كانت الدنيا لنا ثم وكت

و أنشد له الفتح في المطمح، و نسبهما غيره لأحمد بن الفرغ صاحب الحدائق: [الخفيف]

كلمتني فقلت در سقيط فتأملت عقدها هل تناثر

فازدهاها تبسم فأرتنى نظم در من التبسم آخر

و له كما مر: [الكامل]

صفراء تطرق في الزجاج، فإن سرت في الجسم دبت مثل صل لادغ

خفيت على شرابها فكأنما يجدون ريا من إناء فارغ

و له: [السريع]

يا ذا الذى أودعنى سره لا ترج أن تسمعه منى

لم أجره بعدك فى خاطرى كأنه ما مر فى أذنى

و أنشد له صاحب بدائع التشبيهات: [الطويل]

سألت نجوم الليل هل ينقضى الدجى فخطت جوابا بالثريا كخط لا

و كنت أرى أنى بأخر ليلتى فأطرق حتى خلته عاد أولا

و ما عن هوى سامرتها، غير أننى أنافسها المجرى إلى طرق العلا

[مآل مصحف عثمان الذي كان بالأندلس و بناء مسجد مراکش]

رجع- و كان كما تقدم بقرطبة المصحف العثماني، و هو متداول بين أهل الأندلس، قالوا: ثم آل أمره إلى الموحدين، ثم إلى بنى مرين، قال الخطيب بن مرزوق في كتابه «المسند الصحيح الحسن» ما ملخصه: و كان السلطان أبو الحسن لا يسافر موضعا إلا و معه نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١١٥

المصحف الكريم العثماني، و له عند أهل الأندلس شأن عظيم، و مقام كبير، و كيف لا؟ قال ابن بشكوال: أخرج هذا المصحف منها- أى قرطبة - و غرّب منها و كان بجامعها الأعظم، ليلة السبت حادى عشر شوال سنة اثنتين و خمسين و خمسمائة فى أيام أبى محمد عبد المؤمن بن على و بأمره، و هذا أحد المصاحف الأربعة التى بعث بها عثمان رضى الله تعالى عنه إلى الأمصار: مكة، و البصرة، و الكوفة، و الشام، و ما قيل إن فيه دم عثمان هو بعيد، و إن يكن أحدها فعله الشامى، قاله ابن عبد الملك.

قال أبو القاسم التجيبى السبتي: أما الشامى فهو باق بمقصورة جامع بنى أمية بدمشق المحروسة، و عاينته هناك سنة ٦٥٧، كما عاينت المكي بقبة اليهودية، و هى قبة التراب، قلت:

عاينتها مع الذى بالمدينة سنة ٧٣٥ و قرأت فيهما، قال النخعي: لعله الكوفى أو البصرى، و أقول: اختبرت الذى بالمدينة و الذى نقل من الأندلس فألفيت خطهما سواء، و ما توهموه أنه خطه بيمينه فليس بصحيح، فلم يخط عثمان واحدا منها، و إنما جمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المدنى، و نص ما على ظهره: هذا ما أجمع عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، منهم زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاصى، و ذكر العدد الذى جمعه عثمان رضى الله تعالى عنه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم على كتب المصحف، انتهى.

و اعتنى به عبد المؤمن بن على، و لم يزل الموحدون يحملونه فى أسفارهم متبركين به، إلى أن حمله المعتضد، و هو السعيد على بن المأمون أبى العلاء إدريس بن المنصور، حين توجه لتلمسان آخر سنة ٦٤٥، فقتل قريبا من تلمسان، و قدّم ابنه إبراهيم، ثم قتل، و وقع النهب فى الخزائن، و استولت العرب و غيرهم على معظم العسكر، و نهب المصحف و لم يعلم مستقره، و قيل: إنه فى خزانه ملوك تلمسان، قلت: لم يزل هذا المصحف فى الخزانه إلى أن افتتحها إمامنا أبو الحسن أواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧، فظفر به و حصل عنده إلى أن أصيب فى وقعة طريف و حصل فى بلاد برتقال، و أعمل الحيلة فى استخلاصه، و وصل إلى فاس

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١١٦

سنة ٧٤٥ على يد أحد تجار أزقور، و استمر بقاؤه فى الخزانه، انتهى باختصار.

و اعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتناء، كما ذكره ابن رشيد فى رحلته، و لا بأس أن أذكر كلامه بجملته، و الرسالة فى شأن المصحف لما فيها من الفائدة، و نص محل الحاجة منه:

أنشدنى الخطيب أبو محمد بن برطله من لفظه و كتبه من خطه، قال: أنشدنى الشيخ الفقيه القاضى أبو القاضى أبو القاسم عبد الرحمن بن كاتب الخلافة أبى عبد الله بن عياش لأبيه رحمهم الله تعالى مما نظمه، و قد أمر أمير المؤمنين المنصور بتحليله المصحف: [الطويل]

و نقلته من كل ملك ذخيرة كأنهم كانوا يرسم مكاسبه

فإن ورث الأملاك شرقا و غربا فكم قد أخلوا جاهلين بواجبه

و كيف يفوت النّصر جيشا جعلته أمام قناه فى الوغى و قواضيه

و أبسته الياقوت و الدرّ حلية و غيرك قد رواه من دم صاحبه

و على ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكر كيفية الأمر فى وصوله إلى الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن، و ما أبدى فى ذلك من

الأمر الغريبة التي لم يسمع بمثلها في سالف الدهر، حسبما أطرفنا به الوزير الأجل أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسى حفظه الله تعالى و شكره، مما استفاده و أفاده لنا مما لم نسمع به قبل، عن كتاب جده الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور، مما تضمنه من وصف قصة المصحف، فقال: وصل إليهم أدام الله سبحانه تأييدهم قمرا الأندلس النيران، و أميرها المتخيران، السيدان الأجلان أبو سعيد و أبو يعقوب أيدهما الله، و في صحبتتهما مصحف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه، و هو الإمام الذى لم يختلف فيه مختلف، و ما زال ينقله خلف عن سلف، و قد حفظ شخصه على كثرة المتناولين، و ذكره الله لخليفته المخصوص بمن سخر لخدمته من المتداولين، و له من غرائب الأنباء و متقدم الإشعار بما آل إليه أمره من الإيماء ما ملئت به الطروس، و تحفظه من أهل الأندلس الرائب و المرؤوس، فتلقى عند وصوله بالإجلال و الإعظام، و بودر إليه بما يجب من التبجيل و الإكرام، و عكف عليه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١١٧

أطول العكوف و التزم أشد الالتزام، و كان فى وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية و باهر الكرامة ما هو معتبر لأولى الألباب، و بلاغ فى الإغراب و الإعجاب، و ذلك أن سيدنا و مولانا الخليفة أمير المؤمنين، أدام الله له عوائد النصر و التمكين، كان قبل ذلك بأيام قد جرى ذكره فى خاطره الكريم، و حركته إليه دواعى خلقه العظيم، و تراءى مع نفسه المطمئنة المرضية، و سجاياه الحسنة الرضية، فى معنى اجتلابه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم، و وطنه الموصل بحرمته للتقديم، فتوقع أن يتأذى أهل ذلك القطر بفراقه، و يستوحشوا لفقدان إضاءته فى أفقهم و إشراقه، فتوقف عن ذلك لما جبل عليه من رحمته و إشفاقه، فأوصله الله إليه تحفه سنية، و هدية هنية، و تحية من عنده مباركة زكية، دون أن يكدرها من البشر اكتساب، أو يتقدمها استدعاء أو اجتلاب، بل أوقع الله سبحانه و تعالى فى نفوس أهل ذلك القطر من الفرح بإرساله إلى مستحقه، و التبرع به إلى القائم إلى الله تعالى بحقه، ما اطلع بالمشاهدة و التواتر على صحته و صدقه، و عضدت مخايل برقه سواكب و دقه، و كان ذلك من كرامات سيدنا و مولانا الخليفة معدودا، و إلى أمره الذى هو أمر الله مردودا، و جمع عند ذلك بحضرة مراکش - حرسها الله تعالى! - سائر الأبناء الكرام، و السادة الأعلام، بدور الآفاق، و كواكب الإشراق، و أهل الاستهال للمقامات الرفيعة و ذوو الاستحقاق، فانظم عند ذلك هذا القصيد مشيرا إلى اجتماع هذه الدرارى الزاهرة، و التثام خطوطها على مركز الدائرة، و وصول المتقدم ذكره، المشهور فى جميع المعمور أمره، و هو هذا: [الطويل]

درارى من نور الهدى تتوقد مطالعها فوق المجرة أسعد

و أنهار جود كلما أمسك الحيا يمد بها طامى الغوارب مزبد

و آساد حرب غابها شجر القنا و لا لبد إلا العجاج الملبد

مساير فى الهيجا مساريع للندى بأيديهم يحمى الهجير و يبرد

تشب بهم ناران للحرب و القرى و يجرى بهم سيلان جيش و عسجد

و يستمطرون البرق و البرق عندهم سيوف على أفق العداة تجرد

إذا من سجع الساريات مضأؤها فماذا الذى يغنى الحديد المسرد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١١٨

و يسترشدون النجم و النجم عندهم نصول إلى حبّ القلوب تسدد

تراحم فى جو السماء كأنما عواملها فى الأفق صرح ممرّد

تخازر ألاحظ الكواكب دونها و يفرق منها المرزمان و فرقد

ألم ترها فى الأفق خافقة الحشا كما تطرف العينان و القلب يزاد

و ليس احمرار الفجر من أثر الشنى و لكّنه ذاك التّجيع المورّد

و ما انبسطت كف الثريا فدافعت و لكنّها في الحرب شلو مقدّد
و حطّ سهيلا ذعره عن سمّيه فأضحى على أفق البسيطة يرعد
و لّمّا رأى نسر وقوع أليفه تطاير من خوف فما زال يجهد
مواقع أمر الله في كلّ حالة يكاد لها رأس الثرى يتميّد
أهاب بأقصى الخافقين فنظمت و هيّب جمع المخفقين فبددوا
و أضفى على الدنيا ملابس رحمة نضارتها في كلّ حين تجدد
و أخضل أرجاء الرّبا فكأنّما عليها من النّبت النّضير زبرجد
فمن طرب ما أصبح البرق باسمه و من فرح ما أضحت المزن ترعد
و غنى على أفنان كلّ أراكه غذاها حيا النّعمى حمام مغرّد
و كبر ذو نطق و سبّح صامت و كاد به المعدوم يحيا و يوجد
و أبرز للأذهان ما كان غائبا فسيان فيها مطلق و مقيد
سلام على المهديّ، أمّا قضاؤه فحتم، و أمّا أمره فمؤكّد
إمام الورى عمّ البسيطة عدله على حين وجه الأرض بالجور أريد
بصير رأى الدنيا بعين جليّة فلم يغنه إلّا المقام الممجّد
و لّمّا مضى و الأمر لله وحده و بلّغ مأمول و أنجز موعد
تردّى أمير المؤمنين رداءه و قام بأمر الله و النّاس هجد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١١٩
بعزّة شيخان الفؤاد مصمّم يقوم به أقصى الوجود و يقعد
مشيئته ما شاءه الله، إنّه إذا همّ فالحكم الإلهيّ يسعد
كتابه مشفوعة بملائكك ترادفها في كلّ حال و ترفد
و ما ذاك إلّا نيّة خلصت له فليس له فيما سوى الله مقصد
إذا خطبت راياته وسط محفل ترى قمم الأعداء في التّرب تسجد
و إن نطقت بالفصل فيهم سيوفه أقرّ بأمر الله من كان يجحد
معيد علوم الدّين بعد ارتفاعها و مبدى علوم لم تكن قبل تعهد
و باسط أنوار الهداية في الورى و قد ضمّ قرص الشّمس في الغرب ملحد
و قد كان ضوء الشّمس عند طلوعها يغان بأكنان الضّلال و يغمد
فما زال يجلو عن مطالعها الصّدا و يبرزها بيضاء و الجوّ أسود
جزى الله عن هذا الأنام خليفه به شربوا ماء الحياة فخلدوا
و حيّاه ما دامت محاسن ذكره على مدرج الأيام تتلى و تنشد
لمصحف عثمان الشّهد و جمعه تبيّن أنّ الحقّ بالحقّ يعضد
تحامته أيدى الرّوم بعد انتسافه و قد كاد لو لا سعده يتبدّد
فما هو إلّا أن تمرّس صارخ بدعوته العليا فصين المبدّد
و جاء ولّى الثّار يرغب نصره فلنّاه منه عزمه المتجرّد

رأى أثر المسفوح في صفحاته فقام لأخذ الثأر منه مؤيد

و شبهه بالبدر وقت خسوفه فله تشبيه له الشرع يشهد

زمان ارتفاع العلم كان خسوفه و قد عاد بالمهدى و العود أحمد

أتتك أمير المؤمنين ألوكة من الحرم الأقصى لأمر ك تمهد

سيوف بنى عيلان قامت شهيرة لدعوتك العلياء تهدي و ترشد

و طافت بيت الله فاشتد شوقه إليك و لبي منه حجر و مسجد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٢٠

و حج إليك الزكن و المرو و الصفا فانت لذاك الحج حج و مقصد

مشاعرها الأجسام و الزوح أمركم و منكم لها يرضى المقام المخلد

فله حج و اعتمار و زوره أتنا و لم يبرحك بالغرب مشهد

و لله سبع نيرات تقارنت بها فئة الإسلام تحمى و تسعد

إذا لم يكن إلا فناء ك عصمه فمأذا الذى يرجو القصى المبعد

قدم للورى غيثا و عزاً و رحمة فقربك فى الدارين منج و مسعد

و زادت بك الأعياد حسنا و بهجة كأنك للأعياد زى مجدد

و لا زلت للأيام تبلى جديدها و عمر ك فى ريعانه ليس ينفد

ثم إنهم أدام الله سبحانه تأييدهم، و وصل سعودهم، لما أرادوا من المبالغة فى تعظيم المصحف المذكور، و استخدام البواطن و

الظواهر فيما يجب له من التوقير و التعزير، شرعوا فى انتخاب كسوته، و أخذوا فى اختيار حليته، و تأنقوا فى استعمال أحفظته، و بالغوا

فى استجادة أصونته، فحشروا له الصياع المتقين و المهرة المتفنين ممن كان بحضرتهم العلية، أو سائر بلادهم القريبة و القصية،

فاجتمع لذلك حدائق كل صناعة، و مهرة كل طائفة من المهندسين و الصواغين و النظامين و الحلائين و النقاشين و المرصين و

النجارين و الزواقين و الرسامين و المجلدين و عرفاء البنائين، و لم يبق من يوصف ببراعة، أو ينسب إلى الحدق فى صناعة، إلا أحضر

للعمل فيه، و الاشتغال بمعنى من معانيه، فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل أمثلة مخترعة، و أشكال مبتدعة، و ضمنوها من غرائب

الحركات، و خفى إمداد الأسباب للمسببات، ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم، و استفرغوا فيه جهد قوتهم، و الهمة العلية أدام الله سموها

ترقى فوق معارجهم و تتخلص كالشهاب الثاقب وراء موالجهم، و تنيف على ما ظنوه الغاية القصوى من لطيف مدارجهم، فسلكوا من

عمل هذه الأمثلة كل شعب، و رأوا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٢١

من منتشرها كل شعب، و أشرفوا عند تحقيقها و إبراز دقيقتها على كل صعب، فكانت منهم وقفة كادت لها النفس تأس عن مطلبها، و

الخواطر تكرر راجعة عن خفى مذهبها، حتى أطلع الله خليفته فى خلقه، و أمينه المرتضى لإقامة حقه، على وجه انقادات فيه تلك

الحركات بعد اعتياصها، و تخلصت أشكالها عن الاعتراض على أحسن وجوه خرصها، ألقوا ذلك- أيدهم الله بنصره، و أمدهم

بمعونته و يسره!- إلى المهندسين و الصناع فقبلوه أحسن القبول، و تصوروه بأذهانهم فأروه على مطابقة المأمول، فوقفهم حسن تنبيهه

مما جهلوه على طور غريب من موجبات التعظيم، و علموا أن الفضل لله يؤتية من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

و سيأتى بعد هذا إشارة إلى تفصيل تلك الحركات المستغربة، و الأشكال المونقة المعجبة، إن شاء الله تعالى.

مما صنع للمصحف العظيم من الأصونة الغريبة، و الأحفظة العجيبة، أنه كسى كله بصوان واحد من الذهب و الفضة ذى صنائع غريبة

من ظاهره و باطنه، لا يشبه بعضها بعضا، قد أجرى فيه من ألوان الزجاج الرومى ما لم يعهد له فى العصر الأول مثال، و لا عمر قبله

بشبهه خاطر ولا بال، و له مفاصل تجتمع إليها أجزاءه و تلتئم، و تتناسق عندها عجائبه و تنتظم، قد أسلست للتحرك أعطافها، و أحكم إنشاؤها على البغية و انعطافها، و نظم على صفحته و جوانبه من فاخر الياقوت و نفيس الدر و عظيم الزمرد ما لم تزل الملوك السالفه و القرون الخالية تتنافس في أفراده و توارثه على مرور الزمن و تردادته، و تظنّ العز الأفعس، و الملك الأنفس، في ادخاره و إعداده، و تسمى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشذوذه في صنعه و اتحاده، فانظم عليه منها ما شاكلة زهر الكواكب في تلائنه و اتقاده، و أشبهه الروض المزخرف غبّ سماء أقلعت عن إمداده، و أتى هذا الصيوان الموصوف رائق المنظر، آخذًا بمجامع القلب و البصر، مستوليا بصورته الغريبة على جميع الصور، يدهش العقول بهاء، و يحير الأبواب رواء، و يكاد يعشى الناظر تألقًا و ضياء، فحين تمت خصاله، و استركبت أوصاله، و حان ارتباطه بالمصحف العظيم و اتصاله، رأوا- أدام الله تأييدهم، و أعلى كلمتهم!

مما رزقهم الله تعالى من ملاحظة الجهات، و الإشراف على جميع الثنيات، أن يتلطف في وجه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٢٢

يكون به هذا الصوان المذكور طورًا متصلًا، و طورًا منفصلًا، و يتأتى به للمصحف الشريف العظيم أن يبرز تارة للخصوص متبدلاً و تارة للعموم متجملاً إذ معارج الناس في الاستبصار تختلف، و كل له مقام إليه ينتهي و عنده يقف، فعمل فيه على شاكله هذا المقصد، و تلطف في تميم هذا الغرض المعتمد، و كسى المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الأخضر، ذى حلية عظيمة خفيفة تلازمه في المغيب و المحضّر، و رتب ترتيبًا يتأتى معه أن يكسى بالصوان الأكبر، فيلتئم به التمام يغطي على العين من هذا الأثر، و كمل ذلك كله على أجمل الصفات و أحسنها، و أبدع المذاهب و أتقنها، و صنع له محمل غريب الصنعة، بديع الشكل و الصبغة، ذو مفاصل ينبو عن دقتها الإدراك، و يشتد بها الارتباط بين المفصلين و يصح الاشتراك، مغشى كله بضروب من الترصيع، و فنون من النقش البديع، في قطع من الآبوس و الخشب الرفيع، لم تعمل قط في زمان من الأزمان، و لا انتهت قط إلى أيسره نوافذ الأذهان، مدار بصنعة قد أجريت في صفائح الذهب، و امتدت امتداد ذوائب الشهب، و صنع لذلك المحمل كرسى يحمله عند الانتقال، و يشاركه في أكثر الأحوال، مرصع مثل ترصيعه الغريب، و مشاكل له في جودة التقسيم و حسن الترتيب، و صنع لذلك كله تابوت يحتوى عليه احتواء المشكاة على أنوارها، و الصدور على محفوظ أفكارها، مكعب الشكل سام في الطول حسن الجملة و التفصيل، بالغ ما شاء من التميم في أوصاله و التكميل، جار مجرى المحمل في التزيين و التجميل، و له في أحد غواربه باب ركبت عليه دفتان قد أحكم ارتتاجهما، و يسر بعد الإبهام انفراجهما، و لانفتاح هذا الباب و خروج هذا الكرسى من تلقائه، و تركيب المحمل عليه، ما دبرت الحركات الهندسية، و تلقيت تلك التنبهات القدسية، و انتظمت العجائب المعنوية و الحسية، و التأمّت الذخائر النفيسة و النفسية، و ذلك أن بأسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد أعدّ له مفتاح لطيف يدخل فيه، فإذا أدخل ذلك المفتاح فيه و أديرت به اليد انفتح الباب بانعطاف الدفتين إلى داخل الدفتين من تلقائهما، و خرج الكرسى من ذاته بما عليه إلى أقصى غايته، و في خلال خروج الكرسى يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركته يأتى بها من مؤخر الكرسى زحفاً إلى مقدمه، فإذا كمل الكرسى بالخروج و كمل المحمل بالتقدم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٢٣

عليه انغلق الباب برجوع الدفتين إلى موضعهما من تلقائهما دون أن يمسهما أحد، و ترتبت هذه الحركات الأربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف شيء آخر، فإذا أدير المفتاح إلى خلف الجهة التي أدير إليها أولاً انفتح الباب و أخذ الكرسى في الدخول و المحمل في التأخر عن مقدم الكرسى إلى مؤخره، فإذا عاد كل إلى مكانه انسدّ الباب بالدفتين أيضاً من تلقائه، كل ذلك يترتب على حركة المفتاح، كالذى كان في حال خروجه، و صحت هذه الحركات اللطيفة على أسباب و مسببات غائبة عن الحس في باطن الكرسى، و هي مما يدقّ وصفها، و يصعب ذكرها، أظهرتها بركات هذا الأمر السعيد، و تنبيهات سيدنا و مولانا الخليفة، أدام الله تعالى أمرهم! و أعز نصرهم!

و في خلال الاشتغال بهذه الأعمال التي هي غرر الدهر، و فرائد العمر، أمروا. أدام الله تعالى تأييدهم!- ببناء المسجد الجامع بحضرة مراکش- حرسها الله تعالى!- فبدىء ببنائه و تأسيس قبلته في العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث و خمسين و خمسمائة، و كمل منتصف شعبان المكرم من العام المذكور، على أكمل الوجوه، و أغرب الصنائع، و أفسح المساحة، و أبعد البناء و النجارة، و فيه من شمسيات الزجاج و درجات المنبر و المقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرب تمامه، فكيف في هذا الأمد اليسير الذي لم يتخيل أحد من الصيَّاع أن يتم فيه فضلا عن بنائه؟ و صليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور، و نهضوا- أدام الله سبحانه تأييدهم!- عقب ذلك لزيادة البقعة المكرمة، و الروضة المعظمة، بمدينة تينملل أدام الله رفعها، فأقاموا بها بقیة شعبان المكرم، و أكثر شهر رمضان المعظم، و حملوا في صحبتهم المصحف العزيز و معه مصحف الإمام المهديّ المعلوم رضى الله تعالى عنه في التابوت الموصوف، إذ كان قد صنع له غرفة في أعلاه، و أحكمت فيه إحكاما كمل به معناه، و اجتمع في مشكاته فعاد النور إلى مبتداه، و ختم القرآن العزيز في مسجد الإمام المعلوم ختمات كادت لا تحصى لكثرتها، و هنا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوب.

ثم قال ابن رشيد- بعد إيراد ما تقدّم- ما صورته: نجزت الرسالة في المصحف العظيم، و الحمد لله رب العالمين، انتهى محل الحاجة منه.

و ما أحسن قول الشيخ الإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية يستودع أهل قرطبة: [المنسرح]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٢٤

أستودع الله أهل قرطبة حيث وجدت الحياء و الكرما

و الجامع الأعظم العتيق و لا زال مدى الدهر مأمنا حرما

و قال أبو الربيع بن سالم: حدثني بذلك أبو الحسن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري قال: أنشدني أبو محمد بن عطية لنفسه، فذكرهما بعد أن قال: إنه لما أزمع القاضي أبو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع و أنشدني البيتين، انتهى.

و قال ابن عطية أيضا رحمه الله تعالى: [البسيط]

بأربع فاقت الأمصار قرطبة و هنّ قنطرة الوادي و جامعها

هاتان تنتان، و الزهراء ثالثته، و العلم أكبر شيء و هو رابعها

و قد تقدم إنشادنا لهذين البيتين من غير نسبتها لأحد.

[من أخبار الوزير أبي المغيرة بن حزم]

و مما يدخل في أخبار الزاهرة من غير ما قدمناه ما حكاه عن نفسه الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حزم قال: نادمت يوما المنصور بن أبي عامر في منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير، و هي جامعة بين روضة و غدير، فلما تضحخ النهار بزعفران العشى، و رفرغ غراب الليل الدجوجي، و أسبل الليل جناحه، و تقلد السيماك رمحه، و همّ النسرب بالطيران، و عام في الأفق زورق الزبرقان، أوقدنا مصابيح الراح، و اشتملنا ملاء الارتياح، و للدجن فوقنا رواق مضروب، فغنتنا عند ذلك جارية تسمى أنس القلوب و قالت. [الخفيف]

قدم الليل عند سير النهار و بدا البدر مثل نصف السوار

فكأنّ النهار صفحة خدّ و كأنّ الظلام خطّ عذار

و كأنّ الكؤوس جامد ماء و كأنّ المدام ذائب نار

نظري قد جنى على ذنوبا كيف ممّا جنته عيني اعتذارى؟

يا لقومي تعجبوا من غزال جائر في محبتي و هو جاري

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٢٥

ليت لو كان لى إليه سبيل فأقضى من الهوى أوطارى
قال: فلما أكملت الغنا، أحسست بالمعنى، فقلت: [الخفيف]
كيف كيف الوصول للأقمار بين سمر القنا وبيض الشفار
لو علمنا بأن حبك حق لطلبنا الحياة منك بنار
و إذا ما الكرام هموا بشيء خاطروا بالنفوس فى الأخطار
قال: فعند ذلك بادر المنصور لحسامه، و غلظ فى كلامه، و قال لها: قولى و اصدقى إلى من تشيرين، بهذا الشوق و الحنين؟ فقالت
الجارية: إن كان الكذب أنجى، فالصدق أحرى و أولى، و الله ما كانت إلا نظرة، و لدت فى القلب فكرة، فتكلم الحب على لسانى، و
برح الشوق بكتمانى، و العفو مضمون لديك عند المقدره، و الصفح معلوم منك عند المعذرة، ثم بكت فكأن دمعها در تناثر من
عقد، أو طلّ تساقط من ورد، و أنشدت:
أذنبت ذنبا عظيما فكيف منه اعتذارى؟
و الله قدر هذا و لم يكن باختيارى
و العفو أحسن شيء يكون عند اقتدار
قال: فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب إلى، و سل سيف السخط على، فقلت:
أيدك الله تعالى! إنما كانت هفوة جرها الفكر، و صبوة أيدها النظر، و ليس للمرء إلا ما قدر له، لا ما اختاره و أمله، فأطرق المنصور
قليلا ثم عفا و صفح، و تجاوز عنا و سمح، و خلى سبيلى، فسكن و جيب قلبى و غليلى، و وهب الجارية لى فبتنا بأنعم ليلة، و سحبتنا
فيها للصبى باذيله، فلما شمر الليل غدائره، و سلّ الصباح بواتره، و تجاوزت الأطيوار بضروب الألحان، فى أعالي الأغصان، انصرفت
بالجارية إلى منزلى، و تكامل سرورى.

[بين الرشيد و المأمون و جارية]

قال بعضهم: ذكرتنى حكاية أبى المغيرة هذه حكاية قرأتها فى النوادر لأبى على القالى البغدادى حذت فى الظرف حذوها، و زهت
فى الإغراب زهوها، و هى ما أسنده عن منصور البرمكى أنه كانت للرشيد جارية غلامية و كان المأمون يميل إليها، و هو إذ ذاك
أمرد، فوقفت تصب على يد الرشيد من إبريق معها، و المأمون خلف الرشيد، فأشار إليها يقبلها،
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٢٦
فأنكرت ذلك بعينها، و أبطأت فى الصب على قدر نظرها للمأمون و إشارتها إليه، فقال الرشيد:
ما هذا؟ ضعى الإبريق من يدك، ففعلت، فقال لها: و الله لئن لم تصدقنى لأقتلنك، فقالت:
يا سيدى، أشار إلى كأنه يقبلنى، فأنكرت ذلك عليه، فالتفت إلى المأمون فنظر إليه كأنه ميت لما داخله من الجزع و الخجل، فرحمه و
ضمه إليه، و قال: يا عبد الله، أ تحبها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: هى لك فاخل بها فى تلك القبة، ففعل، ثم قال له: هل قلت فى
هذا الأمر شيئا؟ فقال: نعم يا سيدى، و أنشد: [المجتث]
ظبى كنيبت بطرفى من الضمير إليه
قبلته من بعيد فاعتل من شفثيه
و ردّ أخبث ردّ بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني حتى قدرت عليه
و فى هذا المعنى يقول بعض البلغاء: اللحظ، يعرب عن اللفظ، و قال آخر: رب كناية تغنى عن إيضاح، و رب لفظ يدل على ضمير، و

نظمه الشاعر فقال: [الطويل]

جعلنا علامات المودّة بيننا دقائق لحظ هنّ أمضى من السّحر
فأعرف منها الوصل في لين لحظها و أعرف منها الهجر بالنّظر الشّزر
و في هذا قال بعض الحكماء: العين باب القلب، فما في القلب ظهر في العين و قال الشاعر: [البسيط]
العين تبدى الّذى في نفس صاحبها من المحبّة أو بغض إذا كانا
فالعين تنطق و الأفواه صامتة حتّى ترى من ضمير القلب تبيانا

[ترجمة الوزير أبي المغيرة بن حزم]

و أبو المغيرة بن حزم قال في حقه في المطمح ما نصه: الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم، و بنو حزم فتيّة علم و أدب، و
ثبّية مجد و حسب، و أبو المغيرة هذا في الكتابة أوحد، لا ينعى و لا يحد، و هو فارس المضممار، حامى ذلك الدّمار، و بطل الرّغيل، و
أسد ذلك الغيل، نسق المعجزات، و سبق في المعضلات الموجزات، إذا كتب و شىّ المهارق و دبح، و ركب من بحر البلاغة الشّبح، و
كان هو و أبو عامر بن شهيد خليلي صفاء، و حليفى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٢٧

وفاء، لا ينفصلان في رواح و لا مقيل، و لا يفترقان كمالك و عقيل، و كانا بقرطبة رافعى ألوية الصّبوة، و عامرى أنديّة السلوة، إلى أن
اتّخذ أبو عامر في حباله الردى و علق، و غدا رهنه فيها و غلق، فانفرد أبو المغيرة بذلك الميدان، و استردّ من سبقه ما فاتته منذ زمان،
فلم تذكر له مع أبى عامر حسنة، و لا سرت له فقرة مستحسنة، لتعذر ذلك و امتناعه، بشفوف أبى عامر و امتداد باعه، و أمّا شعر أبى
المغيرة فمرتببط بشره، و مختلط زهره بدرّه، و قد أثبتّ له منها فنونا، تجنّ بها الأفهام جنونا، فمن ذلك قوله: [الكامل]

ظنعت و فى أحداجها من شكلها عين فضحن بحسنهنّ العينا

ما أنصفت فى جنب توضح إذ قرت ضيف الوداد بلا بلا و شجونا

أضحى الغرام قطين ربع فؤاده إذ لم يجد بالرّقمتين قطينا

وله: [المنسرح]

لما رأيت الهلال منطويا فى غرّة الفجر قارن الزّهره

شبهته و العيان يشهد لى بصولجان انثنى لضرب كره

[ترجمة أبى عامر بن شهيد]

و أبو عامر بن شهيد المذكور قال فى حقه ما صورته:

الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعى، عالم بأقسام البلاغة و معانيها، حائز قصب السبق فيها، لا يشبهه أحد من أهل
زمانه، و لا- ينسق ما نسق من درّ البيان و جمانه، توغل فى شعاب البلاغة و طرقها، و أخذ على متعاطيها ما بين مغربها و مشرقها، لا
يقاومه عمرو بن بحر، و لا- تراه يغترف إلا- من بحر، مع انطباع، مشى فى طريقه بأمدّ باع، و له الحسب المشهور، و المكان الذى لم
يعده ظهور، و هو من ولد الواضح، المتقلد لتلك المفاحر و الأوضح، و الضحّاك صاحب يوم المرج، و ركب ذلك الهرج، و أبو
عامر حفيده هذا من ذلك النسب، و نبع لا يراش إلا من ذلك الغرب، و قد أثبتّ له ما هو بالسحر لا حق، و لنور المحاسن ما حق،

فمن ذلك قوله: [البسيط]

إنّ الكريم إذا نابته مخصّصة أبدى إلى الناس رياءً و هو ظمآن
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٢٨
 يحنى الصّلوع على مثل اللّظى حرقاً و الوجه غمر بماء البشر ريان
 و هو مأخوذ من قول الرضى: [الكامل]
 ما إن رأيت كمعشر صبروا عزّاً على الأزمات و الأزم
 بسطوا الوجوه و بين أضلعهم حرّ الجوى و مآلم الكلم
 و له أيضاً: [البيسط]

كلفت بالحبّ حتّى لو دنا أجلى لما وجدت لطعم الموت من ألم
 كلا اللّدى و الهوى قدما و لعت به و يلى من الحبّ أو و يلى من الكرم
 و أخبرنى الوزير أبو الحسين بن سراج- و هو بمنزل ابن شهيد- و كان من البلاغة فى مدى غاية البيان، و من الفصاحة فى أعلى
 مراتب التبيان، و كنا نحضر مجلس شرايه، و لا- نغيب عن بابه، و كان له بباب الصّومعة من الجامع موضع لا يفارقه أكثر نهاره، و لا
 يخليه من نثر درره و أزهاره، فقعد فى ليلة ٢٧ من رمضان فى لمة من إخوانه، و أئمة سلوانه، و قد حفّوا به ليقطفوا نخب أدبه، و هو
 يخلط لهم الجّد بهزل، و لا- يفرط فى انبساط مشتهر و لا- انقباض جزل، و إذا بجارية من أعيان أهل قرطبة معها من جواريهها، من
 يسترها و يواريهها، و هى ترتاد موضعا لمناجاة ربها، و تبتغى منزلا لاستغفار ذنبها، و هى متقبّة، خائفه ممن يرقبها مترقبه، و أمامها طفل
 لها كأنه غصن آس، أو طيب يمرح فى كناس، فلما وقعت عينها على أبى عامر وّلت سريعة، و تولت مروعة، خيفة أن يشيب بها، أو
 يشهرها باسمها، فلما نظرها قال قولاً فضحها به و شهرها: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ١٢٨
 و ناظرة تحت طيّ القناع دعاها إلى الله بالخير داعى
 سعت خفية تبتغى منزلا لوصل التبتل و الانقطاع
 فجاءت تهادى كمثل الرّؤوم تراعى غزالا بروض اليفاع
 و جالت بموضعنا جولة فحلّ الرّبيع بتلك البقاع
 أتتنا تبختر فى مشيها فحلّت بواد كثير السّباع
 و ريعت حذارا على طفلها فنادت يا هذه لا تراعى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٢٩
 غزالك تفرق منه اللّيوث و تفرع منه كماء المصاع
 فولّت و للمسك فى ذيلها على الأرض خطّ كظهر الشّجاع
 انتهى المقصود منه.

[استيلاء المعتمد بن عباد على قرطبة]

رجع- و مما ينخرط فى سلك أخبار الزهراء ما حكاه الفتح فى ترجمة المعتمد بن عباد إذ قال: و أخبرنى الوزير الفقيه أبو الحسين بن
 سراج أنه حضر مع الوزراء و الكتاب بالزهراء فى يوم قد غفل عنه الدهر فلم يرمقه بطرف، و لم يطره بصرف، أرّخت به المسرات
 عهدها، و أبرزت له الأمانى خدّها و نهدها و أرشفت فيه لهاها، و أباحت للزّائرين حماها، و ما زالوا ينتقلون من قصر إلى قصر، و
 يبتذلون الغصون بجنى و هصر، و يتوقّلون فى تلك الغرفات، و يتعاطون الكؤوس بين تلك الشّرفات، حتى استقروا بالروض من بعد ما

قضوا من تلك الآثار أوطارا، و وفروا بالاعتبار قطارا، فحلوا منها في درانك ربيع مفوّفة بالأزهار، مطرزة بالجداول و الأنهار، و الغصون تختال في أدواحها، و تشنى في أكف أرواحها، و آثار الديار قد أشرفت عليهم ككثالى ينحن على خرابها، و انقراض أترابها و أطرابها، و الوهى بمشيدها لاعب، و على كل جدار غراب ناعب، و قد محت الحوادث ضياءها، و قلصت ظلالها و أفياءها، و طالما أشرفت بالخلائف و ابتهجت، و فاحت من شذاهم و تأرّجت، أيام نزلوا خلالها، و تفيؤوا ظلالها، و عمروا حدائقها و جنّاتها، و نبهوا الآمال من سناتها، و راعوا الليوث في آجامها، و أخلجوا الغيوث عند انسجامها، فأضحى لها بالتداعى تلعّف و اعتجار، و لم يبق من آثارها إلا نوى و أحجار، قد وهت قبابها، و هرم شبابها، و قد يلين الحديد، و يبلى، على طيه الجديد، فبينما هم يتعاطونها صغارا و كبارا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٣٠

و يديرونها أنسا و اعتبارا، إذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعته فيها: [الخفيف]

حسد القصر فيكم الزّهراء و لعمري و عمركم ما أساء

قد طلعتم بها شموسا صباحا فاطلعوا عندنا بدورا مساء

فساروا إلى قصر البستان بباب العطارين فألقوا مجلسا قد حار فيه الوصف، و احتشد فيه اللهو و القصف، و توقدت نجوم مدامه، و تأوّدت قدود خدامه، و أربى على الخورنق و السدير، و أبدى صفحة البدر من أزرار المدير، فأقاموا ليلتهم ما عراهم نوم، و لا عداهم عن طيب اللذات سوم، و كانت قرطبة منتهى أمله، و كان روم أمرها أشهى عمله، و ما زال يخطبها بمداخلة أهليها، و مواصلة و اليها، إذ لم يكن في منازلها قائد، و لم يكن لها إلا- حيل و مكاييد، لاستمساكهم بدعوة خلفائها، و أنفتهم من طموس رسوم الخلافة و عفائها، و حين اتفق له تملكها، و أطلعه فلکها، و حصل في قطب دائرتها، و وصل إلى تدبير رياستها و إدارتها، قال:

[البسيط]

من للملوک بشأ و الأصيد البطل؟ هيهات جاءكم مهديّة الدّول

خطبت قرطبة الحسنا إذ منعت من جاء يخطبها بالبيض و الأسل

و كم غدت عاطلا حتّى عرضت لها فأصبحت في سرّي الحلّي و الحلل

عرس الملوک لنا في قصرها عرس كلّ الملوک بها في ماتم الوجل

فراقبوا عن قريب لا أبا لكم هجوم ليث بدرع البأس مشتمل

و لما انتظمت في سلكه، و اتّسمت بملكه، أعطى ابنه الظافر زمامها، و ولاه نقضها و إبرامها، فأفاض فيها نداءه، و زاد على أمده و مداه، و جعلها بكثرة حباه، و استقل بأعبائها على فتائه، و لم يزل فيها آمرا و ناهيا، غافلا عن المكر ساهيا، حسن ظن بأهلها اعتقده، و اغترارا بهم ما رواه و لا- انتقده، و هيهات كم من ملك كفتوه في دمائه، و دفنوه بدمائه، و كم من عرش ثلّوه، و كم من عزيز ملك أذلّوه، إلى أن ثار فيها ابن عكاشة ليلا، و جر إليها حربا و ويلا، فبرز الظافر منفردا عن كماته، عاريا من حماته، و سيفه في يمينه، و هاديته في الظلماء نور جبينه، فإنه كان غلاما قد بلله الشباب بأندائه، و ألحفه الحسن بردائه، فدافعهم أكثر ليله، و قد منع منه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٣١

تلاحق رجله و خيله، حتى أمكنتهم منه عشرة لم يقل لها لعا، و لا استقال منها و لا سعى، فترك ملتحفا في الظلماء، تحت نجوم السماء، معفرا في وسط أكماء، تحرسه الكواكب، بعد المواكب، و يستره الحندس، بعد السنسدس، فمر بمصرعه سحرا أحد أئمة الجامع المغلّسين، فرآه و قد ذهب ما كان عليه و مضى، و هو أعرى من الحسام المنتضى، فخلع رداءه عن منكيه و نضاه، و ستره به ستر أفعى المجد به و أرضاه، و أصبح لا يعلم رب تلك الصنيعة، و لا يعرف فتشكر له يده الرفيعة، فكان المعتمد إذا تذكر صرعته، و سحر الحزن لوعته، رفع بالعويل نداءه، و أنشد «و لم أدر من ألقى عليه رداءه»، و لما كان من الغد حزّ رأسه و رفع على سن رمح و هو

يشرق كنار على علم، و يشرق نفس كل ناظر بألم، فلما رمقته الأبصار، و تحققت حماة و الأنصار، رموا أسلحتهم، و سؤوا للفرار أجنحتهم، فمنهم من اختار فراره و جلاه، و منهم من أتت به إلى حينه رجلاه، و شغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره، و نصب الحباثل لوقوع ابن عكاشة و عثاره، و عدل عن تأيينه، إلى البحث عن مفرقه و جبينه، فلم تحفظ له فيه قافية، و لا كلمة للوعته شافية، إلا إشارته إليه، في تأيين أخويه، المأمون و الراضى المقتولين في أول النائرة، و الفتنة النائرة، انتهى.

و قد رأيت أن أزيد على ما تقدم- مما قصدت جلبه في هذا الموضوع- نبذة من كلام الفتح في ذكر منتزهات قرطبة و غيرها من بلاد الأندلس و وصف مجالس الأندلس التي كانت بها مما تنشرح له الأنفوس، و وقع ذكر غير قرطبة و الزهراء لهما تبعاً، و لا يخلو ذلك من عبرة بحال من جعل في اللهو مصيفا و مرتبعا، ثم طواه الدهر طي السجل، و محا آثاره التي كانت تسمو و تجل، و ما قصدنا علم الله غير الاعتبار، بهذه الأخبار، لا الحث على الحرام، و تسهيل القصد إليه و المرام، و الأعمال بالنيات، و الله سبحانه كفيلا بفضلته و كرمه ببلوغ الأمانات، و تعويضنا عن هذه النعم الفانيات، بالنعم الباقيات السيتات.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٣٢

[وصف المنتزهات من ترجمة ابن زيدون (في القلائد)]

قال الفتح رحمه الله تعالى في ترجمة الوزير أبي الوليد بن زيدون، ما صورته:
و أخبرني الوزير الفقيه أبو الحسين بن سراج رحمه الله تعالى أنه في وقت فراره أضحى، غداة الأضحى، و قد ثار به الوجد بمن كان يألفه و الغرام، و تراءت لعينيه تلك الطباء الأوانس و الآرام، و قد كان الفطر وافاه، و الشقاء قد استولى على رسم عافيته حتى أعفاه، فلما عاده منهما ما عاد، و أعياه ذلك النكد المعاد، استراح إلى ذكر عهده الحسن، و أراح جفونه المسهدة بتوهم ذلك الوسن، و ذكر معاهد كان يخرج إليها في العيد، و يتفرج بها مع أولئك الغيد، فقال: [الطويل]

خليلى لا فطر يسرّ و لا أضحى فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى

لئن شاقنى شرق العقاب فلم أزل أخصّ بممحوض الهوى ذلك السّفحا

و ما انفكّ جوفى الرّصافه مشعري دواعى بثّ يعقب الأسف البرحا

و يهتاج قصر الفارسى صبابه لقلبي لا يألو زناد الأسى قدحا

و ليس ذميما عهد محبس ناصح فأقبل في فرط الولوع به نصحا

كأنى لم أشهد لدى عين شهدة نزال عتاب كان آخره الفتحا

و قانع جانيتها التّجنى فإن مشى سفير خضوع بيننا أكد الصّلحا

و أيام وصل بالعقيق اقتضيته فإن لم يكن ميعاده العيد فالنّفصحا

و آصال لهو في مستأه مالك معاطاة ندمان إذا شئت أو سبحا

لدى راكد تصبيك من صفحاته قوارير خضر خلتها مزدت صرحا

معاهد لذات و أوطان صبوة أجلت المعلّى فى الأمانى بها قدحا

ألا هل إلى الزّهراء أوبه نازح تقضى تنائها مدامعه نرحا

مقاصير ملك أشرقت جنباتها فخلنا العشايا الجون أثناءها صباحا

يمثل قرطيا لى الوهم جهرة فقتبتها فالكوكب الرّحب فالسطحا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٣٣

محل ارتياح يذكر الخلد طيبه إذا عزّ أن يصدى الفتى فيه أو يضحى

هناك الجمام الزرق تندى حفافها ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوّضت من شدو القيان خلالها صدى فلوات قد أطار الكرى صباحا
و من حملى الكأس المفدى مديرها تقم أهوال حملت لها الرّمحا
أجل إن ليلى فوق شاطيء بيطة لأقصر من ليلي بآنه فالبطحا

و هذه معاهد بنى أمة قطعوا بها ليالى و أياما، و ظلت فيها الحوادث عنهم نياما، فهموا بشرق العقاب، و شاموا به برقا يبدو من نقاب، و
نعموا بجوفى الرّصافه، و طمعوا عيشا تولى الدهر جلاءه و زفافه، و أبعدها نصح الناصح، و حمدوا أنس محبس ناصح، و عموا
بالزهراء، و صمّوا عن نبأ صاحب الزوراء، حتى رحلهم الموت عنها و قوضهم، و عوّضهم منها ما عوّضهم، فصاروا أحاديث و أنباء، و
لم يتزودوا منها إلا حنوطا و كباء، و غدت تلك المعاهد تصافحها أيدي الغير، و تناوحها نعبات الطير، و راحت بعد الزينه سدى، و
أمست مسرحا للبوم و ملعبا للصدى، يسمع للجنّ بها عزيف، و يصرع فيها البطل الباسل و التزيف، و كذا الدنيا أعمالها خراب، و مآلها
آل و سراب، أهلكت أصحاب الأخدود، و أذهبت ما كان بمأرب من حيازات و حدود، انتهى.

و قال الفتح بعد كلام ما صورته: و لما عضته أياب الاعتقال، و رضته تلك النوب الثقال، و عوّض بخشائه العيش من اللين، و كابد
قسوة خطب لا تلين، تذكر عهد عيشه الرقيق، و مرحة بين الرّصافه و العقيق، و حنّ إلى سعد زرت عليه جيوبه، و استهدى نسيم عيش
طاب له هبوه، و تأسى بمن باتت له النوائب بمرصاد، و رمته بسهام ذات إقصاد و ضيم من عهد الأحصّ إلى ذات الإصاد فقال:
[الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٣٤

الهوى فى طلوع تلك النجوم و المنى فى هبوب ذاك التسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشى لو يدوم السرور للمستديم
و طر ما انقضى إلى أن تقضى زمن ما ذمامه بالذميم
أيها المؤذنى بظلم الليالى ليس يومى بواجد من ظلوم
ما ترى البدر إن تأملت و الشّم مس هما يكسفان دون النجوم
و هو الدهر ليس ينفكّ ينحو بالمصاب العظيم نحو العظيم
و قال الفتح أيضا فى شأن ابن زيدون، ما صورته:

و لما تعذر انفكاكه، و عفر فرقه و سماكه، و عاودته الأوهام و الفكر، و خانه من أبى الحزم الصارم الذكر، قال يصف ما بين مسراته
و كروبه، و يذكر بعد طلوع سعده من غروبه، و يبكى لما هو فيه من التعذير، و يعذر أبا الحزم و ليس له غيره من عذير، و يتعزى
ياخناء الدهر على الأحرار، و إلحاحه على التمام بالسرار، و يخاطب ولادة بوفاء عهده، و يقيم لها البراهين على أرقه و سهده: [البسيط]
ما جال بعدك لحظى فى سنا القمر إلّا ذكرتك ذكر العين بالأثر
و لا استطلت ذماء الليل من أسف إلّا على ليلة سرت مع القصر
فى نشوة من سنات الدهر موهمة أن لا مسافة بين الوهن و السحر
يا ليت ذاك السواد الجون متّصل قد استعار سواد القلب و البصر
يا للزّايا لقد شافهت منهلها غمرا فما أشرب المكروه بالغمر
لا يهنا الشامت المرتاح خاطره أنى معنى الأمانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة أم الكسوف لغير الشمس و القمر
إن طال فى السّجن إيداعى فلا عجب قد يودع الجفن حدّ الصّارم الذّكر

و إن يثبط أبا الحزم الرضا قدر عن كشف ضرى فلا عتب على القدر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٣٥
 من لم أزل من تدانيه على ثقة و لم أبت من تجنيه على حذر
 و له يتغزل، و يعاتب من يستعطفه و ينتزل: [خلع البسيط]
 يا مستخفاً بعاشقيه و مستغشاً لناصحيه
 و من أطاع الوشاة فينا حتى أطعنا السلو فيه
 الحمد لله إذ أراني تكذيب ما كنت تدعيه
 من قبل أن يهزم التسلى و يغلب الشوق ما يليه
 و ما أحسن قول ابن زيدون المذكور فى قصيدته النونية الشهيرة: [البسيط]
 غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغض فقال الدهر آمينا

[وصف المتنزهات من موشحة ابن الوكيل]

و من أغرب ما وقفت عليه موشحة لابن الوكيل دخل فيها على أعجاز نونية ابن زيدون، و هى:
 غدا مناديننا محكماً فينا يقضى علينا الأسى لو لا تأسينا
 بحر الهوى يغرق من فيه جهده عام
 و ناره تحرق من هم أو قد هام
 و ربما يقلق فتى عليه نام
 قد غير الأجسام، و صير الأيام سودا و كانت بكم بيضا ليالينا
 يا صاحب التجوى قف و استمع منى
 إياك أن تهوى إن الهوى يضنى
 لا تقرب البلوى اسمع و قل عنى
 بحاره مره، خضنا على غزه حيناً فقام بها للنعى ناعينا
 من هام بالغيد لاقى بهم هما
 بذلت مجهودى لأحور ألقى
 يهّم بالجود و ردّ ما هما
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٣٦
 و عند ما قد جاد، بالوصل أو قد كاد أضحى الثنائى بديلاً من تدانينا
 بحق ما بينى و بينكم إلّا
 أقررتم عيني فتجمعوا الشمالا
 فالعين بالبين بفقدكم أبلى
 جديد ما قد كان، بالأهل و الإخوان و مورد اللّهو صاف من تصافينا
 يا جيرة بانث عن مغرم صبّ
 لعهد خانت من غير ما ذنب

ما هكذا كانت عوائد العرب
لا تحسبوا البعداء، يغير العهد إذ طالما غير الثأى المحيينا
يا نازلا بالبان بالشفع و الوتر
و التمل و الفرقان و الليل إذا يسر
و سورة الرّحمن و التّحل و الحجر
هل حلّ في الأديان، أن يقتل الظّمان من كان صرف الهوى و الودّ يسقينا
يا سائل القطر عرّج على الوادى
من ساكنى بدر وقف بهم نادى
عسى صبا تسرى لمغرم صادى
إن شئت تحيينا بلغ تحيتنا من لو على البعد حيا كان يحيينا
و افت لنا أيام كأنها أعوام
و كان لى أعوام كأنها أيام
تمرّ كالأحلام بالوصل لى لو دام
و الكأس مترعه، حثّ مشعشعة فينا الشّمول و غنّانا مغنينا

[وصف المنتزهات من رجع إلى ما يتعلق بقرطبة]

رجع إلى ما يتعلق بقرطبة- قال الوزير أبو بكر بن القبطرنة، يخاطب الوزير أبا الحسين بن سراج، و يذكر لمة إخوانه بقرطبة: [الكامل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٣٧
يا سيدي و أبى هدى و جلاله و رسول ودى إن طلبت رسولا
عرّج بقرطبة ولد إن جئتها بأبى الحسين و ناده تعويلا
فإذا سعدت بنظرة من وجهه فاهد السلام لكفه تقيلا
و اذكر له شكرى و شوقى مجملا و لو استطعت سرده تفصيلا
بتحية تهدي إليه كأنما جرّت على زهر الرياض ذيولا
و أشمّ منها المصحف على التوى نفسا ينسى السوسن المبلولا
و إلى أبى مروان منه نفحة تهدي له نور الرّبا مطلولا
و إذا لقيت الأخطبى فسقه من صفو ودى قرقفا و شمولا
و أبو على سقّ منها ربه مسكا بماء غمامة محلولا
و اذكر لهم زمنا يهب نسيمه أصلا كنفث الرّاقيات عليلا
مولى و مولى نعمة و كرامة و أخا إخاء مخلصا و خليلا
بالحير ما عبست هناك غمامة إلا تضاحك إذخرا و جليلا
يوما و ليلا كان ذلك كله سحرا و هذا بكرة و أصيلا
لا أدركت تلك الأهلة دهرها نقصا و لا تلك النجوم أفولا

[وصف حير الزجالي بقرطبة]

قال أبو نصر: الحير الذي ذكره هنا هو حير الزجالي خارج باب اليهود بقرطبة الذي يقول فيه أبو عامر بن شهيد:

لقد أطلعوا عند باب اليهود شمسا أبي الحسن أن تكسفا

تراه اليهود على بابها أميرا فتحسبه يوسف

و هذا الحير من أبداع المواضع و أجملها، و أتمها حسنا و أكملها، صحنه مرمر صافي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٣٨

البياض، يخترقه جدول كالحية التضناض، به جايه، كل لجة بها كايه، قد قربصت بالذهب و اللازورد سماؤه، و تأزرت بهما جوانبه و أرجاؤه، و الروض قد اعتدلت أسطاره، و ابتسمت من كمائمها أزهاره، و منع الشمس أن ترمق ثراه، و تعطر النسيم بهبويه عليه و مسراه، شهدت به ليالي و أياما كأنما تصورت من لمحات الأحباب، أو قدت من صفحات أيام الشباب، و كانت لأبي عامر بن شهيد به فرج و راحت، أعطاه فيها الدهر ما شاء، و والى عليه الصحو و الانتشاء، و كان هو و صاحب الروض المدفون بإزائه أليف صبوة، و حليف نشوة، عكفا فيه على جريالها، و تصرفا بين زهوها و اختيالها، حتى رداهما الردى، و عداهما الحمام عن ذلك المدى، فتجاورا في الممات، تجاورهما في الحياة، و تقلصت عنهما وارفات تلك الفيات، و إلى ذلك العهد أشار ابن شهيد و به عرض، و بشوقه صحح و ما مرض، حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه و أمر أن يدفن بإزائه و يكتب على قبره: [البسيط]

يا صاحبي قم فقد أطلنا أن نحن طول المدى هجود؟

فقال لي: لن نقوم منها ما دام من فوقنا الصعيد

تذكر كم ليلة نعمنا في ظلها و الزمان عيد

و كم سرورا همى علينا سحابه ثرة تجود؟

فخيره مسرعا تقضى و شؤمه حاضر عتيد

حصّله كاتب حفيظ و ضمّه صادق شهيد

يا ويلنا إن تنكبتنا رحمة من بطشه شديد

يا رب عفوا فانت مولى قصر في أمرك العبيد

انتهى.

ثم قال بعد كلام: و ركب أبو الحسن بن القبطرنة إلى سوق الدواب بقرطبة و معه أبو الحسين بن سراج، فنظر إلى أبي الحكم بن حزم غلاما كما عتق تائمته، و هو يروق كأنه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٣٩

زهر فارق كمائمته، فسأل أبا الحسين بن سراج أن يقول فيه، فأرتج عليه، فثنى عنان القول إليه، فقال: [الطويل]

رأى صاحبي عمرا فكلف وصفه و حملني من ذاك ما ليس في الطوق

فقلت له: عمرو كعمرو، فقال لي: صدقت و لكن ذاك شب على الطوق

[وصف المنتزهات من ترجمة بني القبطرنة]

و كان بنو القبطرنة بالأندلس أشهر من نار على علم، و قد تصرفوا في البراعة و القلم، و لهم الوزارة المذكورة، و الفضائل المشكورة، و لذا قال أبو نصر في حقهم ما صورته:

هم للمجد كالأثافي، و ما منهم إلا- موفور القوادم و الخوافي، إن ظهورا، زهروا، و إن تجمّعوا، تَصَوَّعوا، و إن نطقوا، صدقوا، ماؤهم صفو، و كل واحد منهم لصاحبه كفو، أنارت بهم نجوم المعالي و شمسها، و دانت لهم أرواحها و نفوسها، و لهم النظام الصافي الزجاجه، المضمحل العجاجة، انتهى.

ثم قال: و بات منهم أبو محمد مع أخويه في أيام صباه، و استطابته جنوب الشّباب و صباه، بالمنية المسماة بالبديع، و هو روض كان المتوكل يكلف بموافاته، و يتتهج بحسن صفاته، و يقطف رياحينه و زهره، و يقف عليه إغفاءه و سهره، و يستفزه الطرب متى ذكره، و ينتهز فرص الأنس فيه روحاته و بكره، و يدير حميّه على ضفء نهره، و يخلع سره فيه لطاعه جهره، و معه أخواه فطاردوا اللذات حتى أنضوها، و لبسوا برود السرور و ما نضوها، حتى صرعتهم العقار، و طلّحتهم تلك الأوقار، فلما همّ رداء الفجر أن يندى، و جبين الصبح أن يتبدى، قام الوزير أبو محمد فقال: [الخفيف]

يا شقيقى وافى الصّباح بوجه ستر الليل نوره و بهاؤه

فاصطبح و اغتتم مسرّة يوم لست تدري بما يجىء مساؤه

ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال: [الخفيف]

يا أخى قم تر النسيم عليلا باكر الرّوض و المدام شمولا

لا تنم و اغتتم مسرّة يوم إنّ تحت التراب نوما طويلا

فى رياض تعانق الرّهر فيها مثل ما عانق الخليل الخليلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٤٠

ثم استيقظ أخوهما أبو الحسن، و قد هبّ من غفلة الوسن، فقال: [البسيط]

يا صاحبى ذرا لومى و معتبى قم نصطبح خمرة من خير ما ذخروا

و بادرا غفلة الأيام و اغتتما فاليوم خمر و بيدو فى غد خبر

و ساق صاحب البدائع هذه القصة فقال: و ذكر الفتح ما هذا معناه أنه خرج الوزراء بنو القبطرنة إلى المنية المسماة بالبديع، و هو روض قد اخضرت مسارح نباته، و اخضلت مسارى هباته، و دمعت بالطلّ عيون أزهاره، و ذاب على زبرجده بلور أنهاره، و تجمعت فيها المحاسن المتفرقة، و أضحت مقل الحوادث عنه مطرقة، فخيول النسيم تركض فى ميادينه فلا تكبو، و نصول السواقي تحسم أدواء الشجر فلا تنبو، و الزروع قد نقت وجه الثرى، و حجبت الأرض عن العيون فما تبصر و لا ترى، و كان المتوكل بن الأفسس يعده غاية الأرب، و يعدّه مشهدا للطرب، و مدفعا للكرب، فباتوا فيه ليلتهم يديرون لمع لهب يتمنون فيه الخلود، و يتحسون ذوب ذهب لا يصهر به ما فى بطونهم و الجلود، حتى تركتهم ابنة الخايبة، كأنهم أعجاز نخل خاوية، فلما هزم رومى الصباح زنجى الظلام، و نادى الديك حى على المدام، انتبه كبيرهم أبو محمد مستعجلا، و أنشد مرتجلا: يا شقيقى - إلخ فانتبه أخوه أبو بكر لصوته، و تخوف لذهاب ذلك الوقت و فوته، و أنه أخاهما أبا الحسن و هو يرتجل: يا أخى قم تر النسيم - إلى آخره. فانتبه أخوه لكلامه، دافعا لذه منامه للذة قيامه، و ارتجل يا صاحبى ذرا - إلخ، انتهى.

[بين أبى بكر بن القبطرنة و الوزير ابن اليسع]

قال الفتح: و لما أمر المعتمد بن عباد أبا بكر بن القبطرنة السابق الذكر مع الوزير أبى الحسين بن سراج بقاء ذى الوزارتين أبى الحسن بن اليسع القائد و المشى إليه، و النزول عليه، تنويها بمقدمه، و تنبيها على حظوته لديه و تقدمه، فصارا إلى بابه، فوجداه مقفرا من حجابه، فاستغربا خلوه من خول، و ظنّ كل واحد منهما و تأوّل، ثم أجمعا على قرع الباب، و رفع ذلك الارتياب، فخرج و هو دهش، و أشار إليهما بالتحية و يده ترتعش، و أنزلهما خجلا، و مشى بين أيديهما عجلا، و أشار إلى شخص فتوارى بالحجاب، و بارى الريح

سرعة في الاحتجاب، فقعدا و مقلّة الخشف، ترمق من خلال السّجف، فانصرفا عنه، و عزما أن يكتبا إليه بما فهما منه، فكتبا إليه:
[الهجج]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٤١

سمعنا خشفة الخشف و شمنا طرفه الطرف

و صدقنا و لم نقطع و كذبنا و لم ننف

و أغضينا لإجلال ك عن أكرومه الطرف

و لم تنصف و قد جئنا ك ما ننهض من ضعف

و كان الحكم أن تحم ل أو تردف في الردف

فراجعهما في الحين بقطعة منها: [الهجج]

أيا أسفى على حال سلبت بها من الطرف

و يا لهفى على جهلى بضيف كان من صنف

و لأهل الأندلس فى مغانى الأانس الحسان، ما لا يفى به لسان.

[وصف المتنزهات من ترجمة ابن حسداى]

و قال الفتح فى ترجمة الوزير أبى الفضل بن حسداى، بعد كلام، ما صورته: فمنها هذه القطعة التى أطلعها نيرة، و ترك الألباب بها متحيرة، فى يوم كان عند المقتدر بالله مع عليه، قد اتخذوا المجد حلية، و الأمل قد سفر لهم عن محياه، و عبق لهم عن رياه، فصافحه الكل منهم و حياه، و شمس الراح، دائرة على فلك الراح، و الملك ينشر فضله، و ينصر و ابله و طله، يسدى العلاء، و يهب الغنى و الغناء، فصدحت الغوانى، و أفصحت المثالث و المثانى، بما استنزل من مرقب الوقار، و سرى فى النفوس مسرى العقار: [البسيط]

توريد خذك للأحداق لذات عليه من عنبر الأصداغ لامات

نيران هجر ك للعشاق نار لظى لكن وصلك إن واصلت جنات

كأنما الزاح و الزاحات تحملها بدور تم و أيدى الشرب هالات

حشاشه ما تركنا الماء يقتلها إلا لتحيا بها من حشاشات

قد كان فى كأسها من قبلها ثقل فحف إذ ملئت منها الزجاجات

عهد للبنى تقاضته الأمانات بانة و ما قضيت منها لبانات

يدنى التوهم للمشتاق منتزحا من الأمور، و فى الأوهام راحت

تقضى عدات إذا هب الكرى، و إذا هب النسيم فقد تهدي تحيات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٤٢

زور يعل قلب المستهام به دهرا، و قد بقيت فى النفس حاجات

لعل عتب الليالى أن يعود إلى عتبي فتبلغ أوطار و لذات

حتى نفوز بما جاد الخيال به فربما صدقت تلك المنامات

[وصف المتنزهات من ترجمة المستعين ابن هود]

و لما أعرس المستعين بالله بينت الوزير الأجل أبي بكر بن عبد العزيز احتفل أبوه المؤمن في ذلك احتفالاً شهراً، و أبدع فيه إبداعاً راق من حضره و بهره، فإنه أحضر فيه من الآلات المبتدعة، و الأدوات المخترعة، ما بهر الألباب، و قطع بذكائه دون معرفتها الأسباب، و استدعى إليه جميع أعيان الأندلس، من دان و قاص، و مطيع و عاص، فأتوه مسرعين، و لبوه متبرعين، و كان مدير تلك الآراء و مدبرها، و منشى مخاطباتها و محبرها، الوزير الكاتب أبو الفضل، و صدرت عنه في ذلك الوقت كتب ظهر إعجازها، و بهر اقتضابها و إيجازها، فمن ذلك ما خاطب به صاحب المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر: محللك أعزك الله في طي الجوانح ثابت و إن نرحت الدار، و عيانك في أحناء الضلوع باد و إن شحط المزار، فالنفس فائزة منك بتمثل الخاطر بأوفر الحظ، و العين نازعة إلى إن تمتع من لقائك بظفر اللحظ، فلا عائدة أسبغ بردا، و لا موهبة أسوغ وردا، من تفضلك بالخفوف إلى مأنس يتم بمشاهدتك الثامه، و يتصل بمحاضرتك انتظامه و لك فضل الإجمال، بالإمتاع من ذلك بأعظم الآمال، و أنا أعزك الله على شرف سؤددك حاكم، و على مشرع سنائك حاتم، و حسبي ما تتحققه من نزاعي و تشوقي، و تيقنه من تطلعي و توقى، و قد تمكن الارتياح باستحكام الثقة، و اعترض الانشراح بارتقاب الصلوة، و أنت وصل الله سعدك بسماحة شيمك، و بارع كرمك، تنشئ للمؤانسة عهدا، و تورى بالمكارمة زندا، و تقتضى بالمشاركة شكرا حافلا و حمدا، لا زلت مهتئا بالسعود المقتبلة، مسوغا اجتلاء غرر الأمانى المتهللة، بمنه، انتهى.

ثم قال بعد هذا بيسير، ما نصه: و ركب المستعين بالله يوماً نهر سرقسطة يريد طراد لذته، و ارتياد نزهته، و افتقاد أحد حصونه المنتظمة بلبته، و اجتمع له من أصحابه، من اختصه لاستصحابه، و فيهم أبو الفضل مشاهدا لانفراجهم، سالكا لمنهاجهم، و المستعين قد أحضر من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٤٣

آلات إيناسه، و أظهر من أنواع ذلك و أجناسه، ما راق من حضر، وفاق حسنه الروض الأنضر، و الزوارق قد حفت به، و التفت بجوانبه، و نغمات الأوتار تحبس السائر عن عدوه، و تخرس الطائر المفصح بشدوه، و السمك تثيرها المكاييد، و تغوص إليها المصايد، فتبرز منها للعين، قضبان در أو سبائك لجين، و الراح لا يطمس لها لمع، و لا يبخص منها بصر و لا سمع، و الدهر قد غضت صروفه، و اقتص من نكره معروفه، فقال: [البيسط]

لله يوم أنيق واضح الغرر مفضض مذهب الآصال و البكر
 كأنما الدهر لَمَا ساء أعتبنا فيه بعثى و أبدى صفح معتذر
 نسير في زورق حفّ السفين به من جانبيه بمنظوم و منتشر
 مدّ الشراع به نشرا على ملك بَدّ الأوائل في أيامه الأخر
 هو الإمام الهمام المستعين حوى علياء مؤتمن عن هدى مقتدر
 تحوى السفينة منه آية عجا ببحر تجمّع حتى صار في نهر
 تصاد من قعره الثينان مصعدة صيدا كما ظفر الغواص بالدر
 و للندامى به عب و مرتشف كالزئبق يعذب في ورد و في صدر
 و الشرب في مدح مولى خلقه زهر يذكو و غرته أبهى من القمر

[وصف المنتزهات من ترجمة عبد الله ابن السيد البطلوسى]

و قال في ترجمة العلامة الكبير، الأستاذ أبى محمد عبد الله بن السيد البطلوسى شارح أدب الكتاب و سقط الزند و غيرهما، ما صورته: أخبرنى أنه حضر مع المأمون بن ذى النون فى مجلس الناعورة بالمنية التى تطمح إليها المنى، و مرآها هو المقترح و المتمنى،

و المأمون قد احتبى، و أفاض الحبا، و المجلس يروق كأن الشمس في أفقه، و البدر في مفرقه، و النور عقب، و على ماء النهر مصطبح و معتبق، و الدولاب يئن كناقفة إثر الحوار، أو كثكلى من حر الأوار، و الجوّ قد عنبرته أنواؤه، و الروض قد رشّته أندأؤه، و الأسد قد فغرت أفواهاها، و مجت أمواهاها، فقال: [المنسرح]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٤٤
يا منظرا إن نظرت بهجته أذكرنى حسن جنّه الخلد
تربه مسك، و جوّ عنبره، و غيم ندّ، و طشّ ما ورد
و الماء كاللأزورد قد نظمت فيه اللالكى فواغر الأسد
كأنما جائل الحباب به يلعب فى جانبيه بالترد
تراه يزهو إذا يحلّ به ال مأمون زهو الفتاه بالعقد
تخاله إن بدا به قمرا تما بدا فى مطالع السعد
كأنما ألبست حدائقه ما حاز من شيمه و من مجد
كأنما جادها فروضها بوابل من يمينه رغد
لا زال فى رفعة مضاعفة متمم الرّفد وارى الرّند

و قال فى وصف هذا المجلس بعينه، فى الكتاب الذى أفرده لترجمة ابن السيد ما صورته: فمن ذلك أنه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطليطلة فى المنية المتناهية البهاء و الإشراق، المبايهة لزوراء العراق، التى ينفح شذاها العطر، و يكاد من الغضارة يمطر، و القادر بالله رحمه الله قد التحف الوقار و ارتداه، و حكم العقار فى جوده و نداه، و المجلس يشرق كالشمس فى الحمل، و من حواه يبتهج كالنفس عند منال الأمل، و الزهر عقب، و على ماء النهر مصطبح و معتبق، و الدولاب يئن كناقفة إثر حوار، إلى آخر ما سبق.

و قال الفضل فى وصف هذا المجلس حاذيا حذو الفتح، ما صورته: حضر الأستاذ أبو محمد بن السيد أبو محمد بن السيد عند المأمون ابن ذى النون فى بعض منتزهاته فى وقت طاب نعيمه، و سرت بالسعود نجومه، و الروض قد أجاد وشيه راقمه، و الماء قد جرت بين الأعشاب أراقمه، و ثم بركة مملوءة، كأنها مرآة مجلوة، قد اتخذت سباع الصيفر بشاطئها غابا، و مجت بها من سائغ الماء لعبا، فكأنها آساد عين، أدلعت ألسنة من لجين، و هى لا تزال تقذف الماء و لا تفتتر، و تنظم لآلى الحباب بعد ما تنثر، فأمره بوصف ذلك الموضوع، الذى تخد إليه ركائب القلوب و توضع، فقال بديها يا منظرا إلخ، انتهى.

ثم قال الفتح فى هذا التصنيف بعد كلام فى المذكور، ما نصه: و ما أبدع قوله فى وصف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٤٥

الراح، و الحضّ على النبذ للهموم و الاطّراح، بمعاطاة كأسها، و موالاة إيناسها، و معاقرة دنانها، و اهتصار ثمار الفتوة من أفنانها، و الإعراض عن الأيام و أنكادها، و الجرى فى ميدان الصبوة إلى أبعد آمادها: [الكامل]

سلّ الهموم إذا نبا زمن بمدامه صفراء كالذهب

مزجت فمن درّ على ذهب طاف و من حيب على لهب

و كأنّ ساقبها يثير شدى مسك لدى الأقوام منتهب

و لله هو فقد ندب إلى المندوب، و ذهب إلى مداواة القلوب من الندوب، و إبرائها من الآلام، و إهدائها كلّ تحية و سلام، و إبهاجها بآصال و بكر، و علاجها من هموم و فكر، فى زمن حلى عاطله، و جلّى فى أحسن الصور باطله، و نفقت محالته، و طبقت أرضه و سماءه استحالاته، فليته كأسد، و ذئبه مستأسد و أضغاثه تنسر، و بغائه قد استنسر، فلا استراحة إلا فى معاطاة حميا، و مواخاة و سم

المحيا، و قد كان ابن عمار ذهب مذهب، و فضّضه بالإبداع و ذهبه، حين دخل سرقسطه و رأى غباوة أهلها، و تكاثف جهلها، و شاهد منهم من لا- يعلم معنى و لا- فصلا، و واصل من لا- يعرف قطعا و لا وصلا، فأقبل على راحه يتعاطاها، و عكف عليها ما تعدّاها و لا تخطّأها، حتى بلغه أنهم نغموا معارته العقار، و جالت ألسنتهم فى توييخه مجال ذى الفقار، فقال: [الطويل]

نقمت على الرّاح أدمن شربها و قلت فتى راح و ليس فتى مجد

و من ذا الذى قاد الجياد إلى الوغى سوى و من أعطى كثيرا و لم يكدا؟

فديتكمو لم تفهموا السّر، إنّما قليتكم جهدى فأبعدتكم جهدى

و دعى ابن السيد ليلة إلى مجلس قد احتشد فيه الأّنس و الطرب، و قرع فيه السرور نبعه بالغرب، و لاحت نجوم أكواسه، و فاح نسيم رنده و آسه، و أبدت صدور أباريقه أسرارها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٤٦

و ضمت عليه المجالس أزرارها، و الراح يديرها أهيف أوظف، و الأمانى تجنى و تقطف، فقال: [الكامل]

يا ربّ ليل قد هتكت حجابيه بمدامه وقادة كالكوكب

يسعى بها أحوى الجفون كأنها من خده و رضاب فيه الأشنب

بدران بدر قد أمنت غروبه يسعى بيدر جانح للمغرب

فإذا نعمت برشف بدر غارب فانعم برشفة طالع لم يغرب

حتى ترى زهر النّجوم كأنها حول المجرة ربرب فى مشرب

و اللّيل منفجر يطير غرابه و الصّبح يطرده بياز أشهب

ثم قال الفتح، بعد كلام كثير، ما صورته: و دخل- يعنى ابن السيد- سرقسطه أيام المستعين و هى جنه الدنيا، و فتنه المحيا، و منتهى الوصف، و موقف السرور القصف، ملك نمير البشاشه، كثير الهشاشه، و ملك أبهج الفناء، أرج الأرجاء، يروق المجتلى، و يفوق النجم المعتلى، و حضرة منسابة الماء، منجابه السماء، يبسم زهرها، و ينساب نهرها، و تتفتح خمائلها، و تتضوع صباها و شمائلها، و الحوادث لا- تعترضها، و الكوارث لا- تقترضها، و نازلها من عرس إلى موسم، و آملها متصل بالأمانى و متّسم، فنزل منها فى مثل الخورنق و السدير، و تصرف فيها بين روضة و غدير، فلم يخف على المستعين احتلاله، و لم تخفّ لديه خلاله، فذكره معلما به و معرفا، و أحضره منوها به و مشرفا، و قد كان فر من ابن رزين، فرار السرور من نفس الحزين، و خلص من اعتقاله، خلوص السيف من ثقاله، فقال يمدحه:

[الطويل]

هم سلبونى حسن صبرى إذ بانوا بأقمار أطواق مطالعها بان

لئن غادرونى باللوى إنّ مهجتي مسايرة أظعانهم حيثما كانوا

سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم ينازعها نهر من الدّمع هتان

أ أحببنا هل ذلك العهد راجع و هل لى عنكم آخر الدّهر سلوان

ولى مقله عبرى و بين جوانحي فؤاد إلى لقياكم الدّهر حنان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٤٧

تنكرت الدّنيا لنا بعد بعدكم و حفت بنا من معضل الخطب ألوان

أناخت بنا فى أرض شتتمريّة هواجس ظنّ خان و الظنّ خوآن

و شمنا بروقا للمواعيد أتعبت نواظرنا دهرا و لم يههم تهتان

فسرنا و ما نلوى على متعذر إذا وطن أقصاك أوتك أوطان
 و لا زاد إلّا ما انتشته من الصبا أنوف و حازته من الماء أجفان
 رحلنا سوام الحمد منها لغيرها فلا ماؤها صدّا و لا الثبت سعدان
 إلى ملك حاباه بالمجد يوسف و شاد له البيت الرفيع سليمان
 إلى مستعين بالإله مؤيد، له النصر حزب و المقادير أعوان
 جفتنا بلا جرم كأنّ مودّة ثنى نحونا منها الأعتة شتآن
 و لو لم تفد منا سوى الشعر وحده لحقّ لنا بزّ عليه و إحسان
 فكيف و لم نجعل بها الشعر مكسبا فيوجب للمكدي جفاء و حرمان
 و لا نحن ممّن يرتضى الشعر خطّة و إن قصرت عن شأونا فيه أعيان
 و من أوهمته غير ذاك ظنونه فتمّ مجال للمقال و ميدان
 خليلي من يعدى على زمن له إذا ما قضى حيف علىّ و عدوان
 و هل رىء من قبلى غريق مدامع يفيض بعينه الحيا و هو حرّان
 و هل طرفت عين لمجد و لم يكن لها مقلّة من آل هود و إنسان
 بوجه ابن هود كلّما أعرض الورى صحيفه إقبال لها البشر عنوان
 فتى المجد فى برديه بدر و ضيغم و بحر و قدس ذو الهضاب و ثهلان
 من الثفر السّمّ الذين أكفهم غيوث و لكنّ الخواطر نيران
 ليوث شرى ما زال منهم لدى الوغى هزبر ييمناه من السّمّ ثعبان
 و هل فوق ما قد شاد مقتدر لهم و مؤتمن بالله لقيه إيمان
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٤٨
 ألا ليس فخر فى الورى غير فخرهم و إلّا فإنّ الفخر زور و بهتان
 فيا مستعينا مستغاثا لمن نبا به وطن يوما و عصّته أزمان
 كسوتك من نظمي قلادة مفخر يباهى بها جيد المعالى و يزدان
 و إن قصرت عمّا لبست فربّما تجاوز درّ فى التّظام و مرجان
 معان حكّت غنج الحسان كأننى بهن حبيب أو بطليوس بغداد
 إذا غرست كفاك غرس مكارم بأرضى أحتتك الثنا منه أغصان
 و قال فى وصف مجلس لأبى عيسى بن ثبون أحضر إليه ابن السيد منوها بقدره، ما صورته:

و أحضره إلى مجلس نام عنه الدهر و غفل، و قام لفرط أنسه و احتفل، قد بانت صروفه، و دنت من الزائر قطوفه، و قال: هل بنا إلى
 الاجتماع بمذهبك، و الاستمتاع بما شتته من براءة أدبك، فأقاموا يعملون كأسهم، و يصلون إيناسهم، و باتوا ليلتهم ما طرقهم نوم، و
 لا عداهم عن طيب اللذات سوم.

ثم قال بعد كلام كثير: و حضر ابن السيد عند عبد الرحمن الظافر بن ذى النون مجلسا رفعت فيه المنى لواءها، و خلعت عليه أضواءها،
 و زفت إليه المسرات أبكارها، و فارقت إليه الطير أو كارها، فقال يصف: [الرجز]

لم تر عيني مثله و لا ترى أنفس فى نفسى و أبهى منظرا
 إذا تردى و شيه المصوّرا من حوك صنعاء و حوك عبقر

و نسج قرقوب و نسج تسترا خلت الرّبيع الطّلق فيه نوراً
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٤٩
 كأنّما الإبريق حين قرقرا قد أمّ لثم الكأس حين فغرا
 و حشيه ظلّت تناغى جؤذرا ترضعه الدّرّ و يرنو حذرا
 كأنّما مَجّ عقيقا أحمرأ أوفتّ من رياه مسكا أذفرا
 أو عابد الرّحمن يوما ذكرا فنّم مسكا ذكره و عنبرا
 الظّافر الملك الّذى من ظفرا بقره نال العلاء الأكبرأ
 لو أنّ كسرى راءه أو قيصرأ هلّل إكبارأ له و كبرا
 تبدى سماء الملك منه قمرا إذا حجاب المجد عنه سفرا
 يا أيّها المنضى المطايا بالسرى تبغى غمام المكرمات الممطرا

[وصف المنتزهات من ترجمة ابن العطار]

و قال الفتح فى ترجمه الأديب أبى القاسم بن العطار، ما صورته:

هو أحد أدباء إشبيلية و نحاتها، العامرين لأرجاء المعارف و ساحاتها، لو لا مواصلة راحاته، و تعطيل بكره و روحاته، و موالاته للفرج،
 و مغالاته فى عرف الأونس و الأرج، لا يعرّج إلا على ضفة نهر، و لا يبتهج إلا بقطعة زهر، و لا يحفل بملام، و لا يتنقل إلا فى طاعة
 غلام، ناهيك من رجل مخلوع العنان فى ميدان الصبابة، مغرم بالحسان غرام يزيد بحبابة، لا تراه إلا فى ذمة انهماك، و لا تلقاه إلا فى
 لمة انهتاك، رافعا لرايات الهوى، فارعا لثنيات الجوى، لا يقفر فؤاده من كلف، و لا يبيت إلا رهن تلف، أكثر خلق الله تعالى علاقة، و
 أحضرهم لمشهد خلافة، مع جزالة تحرك السكون، و تضحك الطير فى الوكون، و قد أثبت له مما ارتجله فى أوقات أنسه و ساعاته،
 و نفث به أثناء زفراته و لوعاته، فمن ذلك ما قاله فى يوم ركب فيه النهر على عادات انكشافه، و ارتضاعه لثغور اللذات و ارتشافه:

[الطويل]

عبرنا سماء النّهر و العجّ مشرق و ليس لنا إلّا الحباب نجوم
 و قد ألبسته الأيك برد ظلالها و للشمس فى تلك البرود رقوم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٥٠
 و له فيه: [الطويل]

مررنا بشاطى التّهر بين حدائق بها حدق الأزهار تستوقف الحدق
 و قد نسجت كفّ التّسيم مفاضه عليه و ما غير الحباب لها حلق
 و له: [الخفيف]

هبت الرّيح بالعشى فحاكت زردا للغدير ناهيك جنّه
 و انجلى البدر بعد هده فضاغت كفّه للقتال منه أسنّه
 و قوله: [الكامل]

لله بهجة منزّه ضربت به فوق الغدير رواقها الأنسام
 فمع الأصيل التّهر درع سابغ و مع الضّحى يلتاح منه حسام
 و له: [الكامل]

ما كالعشيّة في رواء جمالها و بلوغ نفسى منتهى آمالها
 ما شئت شمس الأرض مشرقة الشنى و الشمس قد شدت مطى رحالها
 فى حيث تنساب المياه أراقما و تعيرك الأفياء برد ظلالها
 و له: [الكامل]

لله حسن حديقه بسطت لنا منها النفوس سواف و معاطف
 تختال فى حلل الزبيح و حليه و من الزبيح فلائد و مطارف

[وصف المتنزهات من ترجمة ابن عمار]

و قال الفتح فى ترجمة ابن عمار: أخبرنى ذو الوزارتين الأجل أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر معه عند المؤتمن فى يوم جادت فيه السماء بهطلها، و أتبع و بلها بطلها، و أعقب رعدا برقها، و انسكب دراكا و دقها، و الأزهار قد تجلت من كمامها، و تحلت بدر غمامها، و الأشجار قد جلى صداها، و توشحت بنداها، و أكوس الراح كأنها كواكب تتوقد، تديرها أنامل تكاد من اللطافة تعقد، إذا بفتى من فتیان المؤتمن أحرص لا يفصح، و مستعجم لا يبين و لا يوضح، متمر تنمر الليث، متشمم كالبطل الفارس عند العيث، و قد أفاض على نفسه درعا، تضيق بها الأسنة ذرعا، و هو يريد استشارة المؤتمن فى التوجه إلى موضع بعثه إليه و وجهه،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٥١

و كل من صده عنه نهره و نجهه، حتى وصل إلى مكان انفراده، و وقف بإزاء و ساده، فلما وقعت عين ابن عمار عليه، أشار بيده إليه، و قربه و استدناه، و ضمه إليه كأنه تنبه، و أراد أن يخلع عنه ذلك الغدير، و أن يكون هو الساقى و المدير، فأمره المؤتمن بخلعه، و طاعة أمره و سمعه، فنضاه عن جسمه، و قام يسقى على حكمه و رسمه، فلما دبت فيه الحميا، و شبت غرامه بهجة ذلك المحيا و استنزلته سورة العقار، من مرقب الوقار، قال: [الكامل]

و هو يته يسقى المدام كأنه قمر يدور بكوكب فى مجلس
 متأرج الحركات تندی ريحه كالغصن هزته الصبا بتنفس
 يسعى بكأس فى أنامل سوسن و يدير أخرى من محاجر نرجس
 يا حامل السيف الطويل نجاده و مصرف الفرس القصير المحبس
 إياك بادرة الوغى من فارس خشن القناع على عذار أملس
 جهم و إن حسر اللثام فإتما كشف الظلام عن النهار المشمس
 يطغى و يلعب فى دلال عذاره كالمهر يمرح فى اللجام المجرس
 سلم فقد قصف القنا غصن النقا و سطا بليث الغاب طيبى المكنس
 عنا بكاسك، قد كفتنا مقلة حوراء قائمه بسكر المجلس

و أورد هذه القصه صاحب البدائع بقوله: حضر أبو المطرف بن عبد العزيز عند المؤتمن بن هود فى يوم أجرى الجو فيه أشقر برقه، و رمى بنبل و دقه، و تحملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها، و تمايلت قامات الأغصان فى الحلال الخضر من أوراقها، و الرياح قد أشرفت نجومها فى بروج الراح، و حاكت شمسها شمس الأفق فتلفتت بغيوم الأقداح، و مديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من إهابه، و أخجل خدّها حسنا فتظلل بعرق حبابه، إذا بفتى رومى من فتیان المؤتمن قد أقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا، و الخمر قد اكتست حبابا، و قد جاء يريد استشارة المؤتمن فى الخروج إلى موضع قد كان عول فيه عليه، و أمره أن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٥٢

يتوجه إليه، فحين لمحاه ابن عمار و السكر قد استحوذ على لبه، و بث سراياه فى ضواحي قلبه، جدّ فى أن يستخرج تلك الدرّة من ماء ذلك الدّلاص، و أن يجلّى عنه سهكه كما يجلّى الخبث عن الخلاص، و أن يكون هو الساقى، فأمره المؤمن بقبول أمره و امتثاله، و احتذاء مثاله، فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها، و رميت شياطين النفوس من كميت المدام بشهبها، ارتجل ابن عمار: و هويته- الخ:

إلا أنه قال إثر قوله: إياك بادرة الوغى من فارس ما صورته: يضع السنان على العذار الأملس و لابن عمار الرائيّة المشهورة فى مدح المعتضد عباد والد المعتمد، و هى: [الكامل]

أدر المدامه فالتسيم قد انبرى و النّجم قد صرف العنان عن السرى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ١٥٢

و الصّبح قد أهدى لنا كافوره لما استردّ اللّيل منّا العنبرا

و الزّوض كالحسنا كساه زهره و شيا و قلده نداء جوهرها

أو كالغلام زها بورد خدوده خجلا و تاه بأسهنّ معذرا

روض كأنّ التّهر فيه معصم صاف أطلّ على رداء أخضرا

و تهزّه ريح الصّبا فتخاله سيف ابن عباد يبدّد عسكريا

عباد المخضّر نائل كفه و الجوّ قد لبس الرّداء الأعبرا

ملكك إذا ازدحم الملوك بمورد و نحاه لا يردون حتّى يصدرا

أندى على الأكباد من قطر الندى و ألدّ فى الأجفان من سنه الكرى

يختار إذ يهب الخريده كاعبا و الطّرف أجرد و الحسام مجوهرها

قدّاح زند المجد لا ينفكّ من نار الوغى إلا إلى نار القرى

لا خلق أفرى من سفار حسامه إن كنت شبت المواكب أسطرا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٥٣

أيقنت أنّى من ذراه بجنّه لما سقانى من نداء الكوثرا

و علمت حقّا أنّ ربيعى مخصب لما سألت به الغمام الممطرا

من لا توازنه الجبال إذا احتبى من لا تسابقه الرّياح إذا جرى

ماض و صدر الرّيح يكهم و الطّبا تنبو و أيدى الخيل تعثر فى الثرى

قاد الكتائب كالكوكب فوقهم من لأهمم مثل السّحاب كنهورا

من كلّ أبيض قد تقلّد أبيضاً عضبا و أسمر قد تقلّد أسمرا

ملكك يروكك خلقه أو خلقه كالرّوض يحسن منظرا أو مخبرا

أقسمت باسم الفضل حتّى شمته فرأيته فى بردتية مصورا

و جهلت معنى الجود حتّى زرته فقرأته فى راحتية مفسرا

فاح الثرى متعطّرا بثنائه حتّى حسبنا كلّ ترب عنبرا

و تتوّجت بالرّهر صلح هضابه حتّى ظننا كلّ هضب قيصرا

هصرت يدى غصن الغنى من كفه و جنت به روض السّرور منورا

حسبى على الصّنع الذى أولاه أن أسعى بجدّ أو أموت فأعدرا

يا أيها الملك الذي حاز العلا و حباه منه بمثل حمدي أنورا
السيف أفصح من زياد خطبة في الحرب إن كانت يمينك منبرا
ما زلت تغنى من عنا لك راجيا نيلا و تفنى من عتا و تجبرا
حتى حللت من الرياسة محجرا رحبا و ضمت منك طرفا أحورا
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد إلا اليهود و إن تسمت بربرا
أثرت رمحك من رؤوس ملوكهم لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
و صبغت درعك من دماء كقاتهم لما علمت الحسن يلبس أحمرا
و إليكها كالزوض زارته الصبا و حنا عليه الظل حتى نورا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٥٤
نمقتها وشيا بذرك مذهبها و فتقتها مسكا بحمدك أذفرا
من ذا ينافحنى و ذكرك مندل أوردته من نار فكرى مجمرا
فلئن وجدت نسيم مدحى عطرا فلقد وجدت نسيم برك أعطرا

[وصف المتنزهات من ترجمة ابن وهبون]

و قال فى ترجمة عبد الجليل بن و هبون المرسى: ركب ياشيلية زورقا فى نهرها الذى لا تدانيه الصيرة، و لا يضاهيه الفرات، فى ليلة تنقبت فى ظلمتها، و لم يد وضح فى دهمتها، و بين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما فى اللجة، و زاد فى تلك البهجة، فقال:

[المنسرح]

كأنما الشمعتان إذ سمتا خذا غلام محسن الغيد
و فى حشا النهر من شعاعهما طريق نار الهوى إلى كبدى
و كان معه غلام البكرى معاطيا للراح، و جاريا فى ميدان ذلك المراح، فلما جاء عبد الجليل بما جاء، و حلّى للإيداع الجوانب و الأرجاء، حسده على ذلك الارتجال، و قال بين البطء و الاستعجال: [الكامل]
أعجب بمنظر ليلة ليلاء تجنى بها اللذات فوق الماء
فى زورق يزهو بغرة أعيد يختال مثل البانة الغيناء
قرنت يده الشمعتين بوجهه كالبدر بين النسر و الجوزاء
و التاح تحت الماء ضوء جبينه كالبرق يخفق فى غمام سماء

[وصف الفتح لمجلس أنس بمنية المنصور]

و قال الفتح رحمه الله: دعيت يوما إلى منية المنصور بن أبى عامر ببلنسية، و هى منتهى الجمال، و مزدهى الصبا و الشمال، على و هى بنائها، و سكنى الحوادث برهه بفنائها، فوافيتها و الصبح قد ألبسها قميصه، و الحسن قد شرح بها عويصه، و بوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبوابه، و توسحت بالأزر الذهبية أثوابه، يخترقه جدول كالحسام المسلول،
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٥٥
و ينساب فيه انسياب الأيم فى الطلول، و صفاته بالأدواح محفوفة، و المجلس يروق كالخريدة المزفوفة، و فيه يقول على بن أحمد

أحد شعرائها، وقد حله مع طائفة من وزرائها: [المنسرح]

قم فاسقنى و الرياض لابسة و شيا من النور حاكه القطر

فى مجلس كالسما للاح به من وجه من قد هويته بدر

و الشمس قد عصفت غلائلها و الأرض تندى ثيابها الخضر

و النهر مثل المجر حف به من الندامى كواكب زهر

فحللت ذلك المجلس و فيه أجدان، كأنهم الولدان، و هم فى عيش لذن، كأنهم فى جنه عدن، فأنخت لديهم ركائبى و عقلتها، و تقلدت بهم رغائبى و اعتقلتها، و أقمنا نتنعم بحسنه طول ذلك اليوم، و وافى الليل فزدنا عن الجفون طروق النوم، و ظللنا بلبلة كأن الصبح منها مقدود، و الأغصان تميمس كأنها قدود، و المجره تترأى نهرا، و الكواكب تخالها فى الجو زهرا، و الثريا كأنها راحة تشير، و عطارد لنا بالطرب بشير، فلما كان من الغد وافيت الرئيس أبا عبد الرحمن زائرا، فأفضنا فى الحديث إلى أن أفضى بنا إلى ذكر منتزهنا بالأمس، و ما لقينا فيه من الأنس، فقال لى: ما بهجه موضع قد بان قطينه و ذهب، و سلب الزمان بهجته و انتهب، و باد فلم يبق إلا رسمه، و محاه الحدثان فما كاد يلوح رسمه، عهدى به عند ما فرغ من تشييده، و تنوهى فى تنسيقه و تنزيده، و قد استدعانى إليه المنصور فى وقت حلت فيه الشمس برج شرفها، و اكتسب فيه الأرض بزخرفها، فحللت به و الدوح تميمس معاطفه، و النور يخجله قاطفه، و المدام تطلع به و تغرب، و قد حل فيه قحطان و يعرب، و بين يدى المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشر غير أربع، و لا يحل غير الفؤاد من مربع، و هم يديرون رحيقا، خلتها فى كأسها درًا أو عقيقا، فأقمنا و الشهب تغازلنا، و كأن الأفلاك منازلنا، و هب المنصور فى ذلك اليوم ما يزيد على عشرين ألفا من صلوات متصلات، و أقطع ضياعا ثم توجع لذلك العهد، و أفصح بما بين ضلوعه من الوجد، و قال: [الكامل]

سقىا لمنزلة اللوى و كتيبها إذ لا أرى زما كأزمانى بها

[كتاب من الفتح إلى بعض الملوك يصف منتزها]

و ما أحسن ما كتب به الفتح إلى بعض الملوك يصف نزهة ببعض منتزهات الأندلس المونقة، و يذكر استضاءته فيها بشمس المسرة المشرقة، و هو:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٥٦

أطال الله سبحانه بقاء ناصر الدولة، و محبى الملة، الذى حسن بلقياه العيش، و تزين بمحياه الجيش، و راق باسمه الملك، و جرت بسعده الفلك، و أنار به الليل الدامس، و لاح له الأثر الطامس، و جرى الدهر لسطوته خائفا، و غدا السعد بعقوته طائفا، و الزمان ببرود عليه ملتحف، و لثغور نداه مرتشف، و لا زال للمجد يتملكه، و السعد يحمله فلكه، أما و قد وافقتنى أيامه أيده الله سبحانه وفاقا، و رأيت للبيان عنده نفاقا، فلا بد أن أرسل كتائبه أفواجا، و أفيض من بحره أمواجا، و أصف ما شاهدته من اقتداره، و عاينته من حسن إيراده و إصداره، بمقال أفصح من شكوى المحزون، و أملى من رياض الحزون، و قد كنت أيدكم الله تعالى كلفا بالدول و بهائها، لهجا بالبلوغ إلى انتهائها، لأجد دولة أرتضيها، و حظوة عليها أقتضيها، فكل ملك فاوزته سرا و جهرا، و كل ملك قلبته بطنا و ظهرا، و النفس تصد عنه صدود الجبان عن الحرب، و الملائكة الكرام عن الشرب، إلى أن حصلت لديه، و وصلت بين يديه، فقلت: الآن أمكن من راح البغية الانتشاء، و تمثلت الحميد لله الذى أذهب عنا الحزن و أورثنا الأرض نبتوا من الجنة حيث نشاء [فاطر الآيه: ٣٤، الزمر ٧٤] و ما زلت أسايره حيث سار، و آخذ اليمين تارة و تارة اليسار، و كل ناحية تسفر لى عن خد روض أزهر، و عذار نبت أخضر، و تبسم عن ثغر حباب، فى نهر كالحباب، و ترفل من الربيع فى ملابس سندسيات، و تهدى إلينا نوافح مسكيات، و تزهى بهجتها بأحسن منظر، و تتيه بجلباب أيع من برد الشباب الأنضر، فجلنا فيها يمينا و شمالا، و استخبرنا عن أسرارها صبا و شمالا، ثم مال

بنا أيده الله تعالى عن هذه المسارح السنية، و المنازل البهيّة، إلى إحدى ضياعه الحالية، و بقاعه العالية، فحللناها و الأيم قد عرى من جلبابه، و اليوم قد اكتهل بعد شبابه، فنزلنا في قصور يقصر عنها جعفرى جعفر، و قصور بنى الأصفر، تهدى من لبّاتها بردا محبراً، و تبدى من شذاها مسكا و عنبراً، و قد لاحت من جوانبها نجوم أكواس لو رآها أبو نواس لجعلها شعاره، و وقف على نعتها أشعاره، و لم يتخذ سواها نجعة، و لانه خمّاره بعد هجعة، فتعاطيناها و السعد لنا خادم، و ما غير السرور علينا قادم، و حدود سقاتها قد اكتست من سناها، و قدودهم تتهيل علينا بجناها، و نحن بين سكر و صحو، و إثبات لها و محو، و إصاخة إلى بّم وزير، و التفاتة إلى ملك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٥٧

و وزير، إلى أن ولى النهار فحيانا، و أقبل الليل المميت فأحيانا، فوصلنا بلهو و قصف، و عيش يتجاوز كلّ وصف، فكأن يومنا مقيم، أو كأن ليلنا من الظلام عقيم، و لما سل الفجر حسامه، و أبدى لعبوس الليل ابتسامه، و جاء يختال اختيالا، و يمحو من بقايا الليل نيالا، قمنا نتنادب للمسير، و كلنا في يد النشوة أسير، فسرنا و الملك الأجل يقدمنا، و الأيام تخدمنا، فلا زالت الأيام به زاهية، و عن سواه لاهية، ما عمر و كرا عقاب، و كان للشهور غرر و أعقاب، انتهى.

[وصف المنتزهات من ترجمة الرضى بالله بن عباد]

و قال الفتح في ترجمة الرضى بالله أبى خالد يزيد بن المعتمد بن عباد بعد كلام ما صورته: و أخبرنى المعتد بالله أن أباه المعتمد وجّهه - يعنى أخاه الرضى - إلى شلب واليا، و كانت ملعب شبابه، و مألّف أحبابه، التى عمر نجودها غلاما، و تذكر عهدا أحلاما، و فيها يقول يخاطب ابن عمار و قد توجه إليها: [الطويل]

الأحى أوطانى بشلب أبا بكر و سلهن هل عهد الوصال كما أدرى
و سلم على قصر الشرايب من فتى له أبدا شوق إلى ذلك القصر

و قصر الشرايب هذا متناه فى البهاء و الإشراق، مباه لزوراء العراق، ركضت فيه جياذ راحتته، و أومضت بروق أمانيه فى ساحاته، و جرى الدهر مطيعا بين بكره و روحاته، أيام لم تحل عنه تمانمه، و لا خلت من أزاهير الشباب كئامه، و كان يعتدها مشتهى آماله، و منتهى أعماله، إلى بهجة جنباتها، و طيب نفتحاتها و هباتها، و التفاف خمائلها، و تقلدها بنهرها مكان حمائلها، و فيها يقول ابن اللبّانة: [الطويل]

أما علم المعتد بالله أننى بحضرته فى جنّة شقّها نهر

و ما هو نهر أعشب اللبّت حوله و لكنّه سيف حمائله خضر

فلما صدر عنها و قد حسنت آثاره فى تدبيرها، و انسدت رعايته على صغيرها و كبيرها، نزل المعتمد عليه مشرفا لأوبته، و معرّفا بسموّ قدره لديه و رتبته، و أقام يومه عنده مستريحاً، و جرى فى ميدان الأنس بطلا مشيحا، و كان واجدا على الرضى فجلت الحميا أفقه، و محت غيظه عليه و حنقه، و صورته له عين حنّوه، و ذكرته بعده فجنح إلى دنّوه، و بين ما استدعى و أوفى، مالت بالمعتمد نشوته و أغفى، و ألقاه صريعا فى منتداه، طريحا فى منتهى مداه، فأقام تجاهه، يرتقب انتباهه، و فى أثناء ذلك صنع شعرا أتقنه و جوده، فلما استيقظ أنشده: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٥٨

الآن تعود حياة الأمل و يدنو شفاء فؤاد معل

و يورق للعزّ غصن ذوى و يطلع للسعد نجم أفل

فقد وعدتنى سحاب الرضا بوابلها حين جادت بطل

أيا ملكا أمره نافذ فمن شا أعزّ و من شا أذل

دعوت فطار بقلبي السرور إليك، و إن كان منك الوجل
كما يستطيرك حبّ الوغى إليها وفيها الطّبا والأسل
فلا غرو إن كان منك اغتفار و إن كان منا جميعا زلل
فممتلك- وهو الذي لم نجد ه عاد بحلم على من جهل

[وصف المتنزهات من ترجمة المتوكل على الله بن الأفضس]

وقال في ترجمة المتوكل على الله ابن الأفضس، ما صورته: وأخبرني الوزير أبو محمد بن عبدون، أن الأرض توالى عليها الجذب بحضرته حتى جفت مذانبيها، واغربت جوانبيها، وغرد المكاء في غير روضه، وخاض الياس بالناس أعظم خوضه، وأبدت الخمائل عبوسها، وشكت الأرض للسماء بوسها، فأقلع المتوكل عن الشرب واللّهو، ونزع ملابس الخيلاء والزّهو، وأظهر الخشوع، وأكثر السجود والركوع، إلى أن غيم الجوّ، وانسجم النّو، وصاب الغمام، وتزّمت الحمام، وسفرت الأنوار، وزهت النجود والأغوار، واتفق أن وصل أبو يوسف المغنّي والأرض قد لبست زخارفها، ورقم الغمام مطارفها، وتوجت الغيطان والربا، وأرجت نفحات الصّبا، والمتوكل ما فض لتوبته ختاماً، ولا قوّض عن قلبه منها خياماً، فكتب إليه: [المتقارب]

ألّم أبو يوسف والمطر فياليت شعري ما ينتظر
ولست بآب و أنت الشهيد حضور نديك فيمن حضر
ولا مطلعي وسط تلك السماء بين النجوم وبين القمر
وركضى فيها جياذ المدام محثوثة بسياط الوتر
فبعث إليه مركوبا، و كتب معه: [المتقارب]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٥٩
بعث إليك جناحا فطر على خفيه من عيون البشر
على ذلل من نتاج البروق وفي ظلل من نسيج الشجر
فحسبى ممّن نأى من دنا ومن غاب كان فدى من حضر

فوصل القصبه المظلة على البطحاء، المزريه بمنازل الرّوحاء، فأقام منها حيث قال عدّي بن زيد يصف صنعاء: [الكامل]
في قباب حول دسكرة حولها الزيتون قد ينعا

و مرّ لهم من السرور يوم ما مر لدى رعين، ولا تصوّر قبل عيونهم لعين، وأخبرني أنه سايره إلى شترين قاصيه أرض الإسلام، الساميه الذرا والأعلام، التي لا يروها صرف، ولا يفرعها طرف، لأنها متوغّرة المراقى، معقّرة للراقى، متمكنة الرّواسى والقواعد، من ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد، قد أطلّت على خمائلها، إطلال العروس من منصّتها، واقتطعت من الجوّ أكثر من حصّتها، فمروا بألبش قطر سالت به جداوله، واختالت فيه خمائله، فما يجول الطّرف منه إلا في حديقه، أو بقعه أنيقه، فتلقاهم ابن مقانا قاضى حضرته وأنزلهم عنده، وأورى لهم بالمبره زنده، وقدم لهم طعاما واعتقد قبوله منا وإنعاما، وعندما طعموا قعد القاضى بباب المجلس رقبيا لا يبرح، وعين المتوكل حياء منه لا تجول ولا تمرح، فخرج أبو محمد وقد أبرمه القاضى بتثقيله، و حرمة راحه رواجه ومقبله، فلقى ابن خيرون منتظرا له وقد أعد لحلوله منزله، فسار إلى مجلس قد ابتمست ثغور نّواره، وخجلت حدود و رده من زوّاره، وأبدت صدور أباريقه أسرارها، وضمت عليه المحاسن أزرارها، ولما حضر له وقت الأّنس و حينه، وأرجت له رياحينه، وجّه من يرقب المتوكل حتى يقوم جلسه، و يزول موحشه لا- أنيسه، فأقام رسوله وهو بمكانه لا يريمه، قد لازمه كأنه غريمه، فما انفصل، حتى ظن أن عارض الليل قد نصل، فلما علم أبو محمد بانفصاله بعث إلى المتوكل قطيع راح و طبق ورد، و كتب معهما: [الرجز]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٦٠
إليها فاجتلتها منيرة و قد خبا حتى الشهاب الثاقب
واقفةً بالباب لم يؤذن لها إلّا و قد كاد ينام الحاجب
فبعضها من المخاف جامد و بعضها من الحياء ذائب
فقبلها منه رحمه الله تعالى و عفا عنه و كتب إليه: [الرجز]
قد وصلت تلك التي زففتها بكرا و قد شابت لها ذوائب
فهبّ حتى نستردّ ذاهبا من أنسنا إن استردّ ذاهب

فركب إليه، و نقل معه ما كان بالمجلس بين يديه، و باتا ليلتهما لا يريمان السهر، و لا يشيمان برقا إلا الكاس و الزهر.
ثم قال بعد كلام: و أخبرني الوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية أنه مرّ في بعض أيامه بروض مفتر المباسم، معطر الرياح النواسم، قد
صقل الربيع حوذانه، و أنطق بلبله و ورشانه، و ألحف غصونه برودا مخضرة، و جعل إشراقه للشمس ضرة، و أزاهره تتيه على
الكواكب، و تختال في خلع الغمام السواكب، فارتاح إلى الكون به بقيه نهاره، و التنعيم ببنفسجه و بهاره، فلما حصل من أنسه في
وسط المدى، عمد إلى ورقة كرنب قد بللها الندى، و كتب فيها بطرف غصن ناعم، يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم، أحد ندمائه، و
نجوم سمائه: [البسيط]

أقبل أبا طالب إلينا وقع وقوع الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى ما لم تكن حاضرا لدينا

[وصف المنتزهات من ترجمة المعتصم بن صمادح]

و قال في ترجمة المعتصم بن صمادح، ما صورته: و أخبرني الوزير أبو خالد بن بشتغير أنه حضر مجلسه بالصمادحية في يوم غيم و فيه
أعيان الوزراء، و نبهاء الشعراء، فقع على موضع يتداخل الماء فيه، و يلتوى في نواحيه، و المعتصم منشرح النفس، مجتمع الأنس،
فقال: [البسيط]

أنظر إلى حسن هذا الماء في صبيه كأنه أرقم قد جدّ في هربه
فاستبدعوه، و تيموه به و أولعوه، فأسكب عليهم شآبيب نداه، و أغرب بما أظهره من بشره و أبداه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٦١
ثم قال بعد كلام: و خرج إلى برجة و دلالية و هما منظران لم يجلا في مثلهما ناظر، و لم تدع حسنهما الخدود النواضر، غصون تشيها
الرياح، و مياه لها انسياح، و حدائق تهدي الأرج و العرف، و منازة تبهج النفس و تمتع الطرف، فأقام فيها أياما يتدرج في مسارحها، و
يتصرف في منازعها، و كانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة، و أنافت عليها أي إنافة.

[وصف المنتزهات من ترجمة ابن رزين]

و قال في ترجمة ابن رزين، ما ملخصه: أخبرني الوزير أبو عامر بن سنون أنه اصطحب يوما و الجوّ سماكي العوارف، لا-زوردي
المطارف، و الروض أنيقة لباته، رقيقة هباته، و النور مبتلّ، و النسيم معتلّ، و معه قومه، و قد راقهم يومه، و صلواته تصافح معتفيهم، و
مبزاته تشافه موافيقهم، و الراح تشعشع، و ماء الأمانى ينشع، فكتب إلى ابن عمار و هو ضيفه: [الطويل]
ضمان على الأيام أن أبلغ المنى إذا كنت في ودّي مسرا و معلنا

فلو تسأل الأيام: من هو مفرد بوذ ابن عمار؟ لقلت لها: أنا

فإن حالت الأيام بيني وبينه فكيف يطيب العيش أو يحصل المنى

فلما وصلت الرقعة إليه تأخر عن الوصول، واعتذر بعذر مختل المعاني والفصول، فقال أحد الحاضرين: إنى لأعجب من قعود ابن عمار، عن هذا المضمار، مع ميله إلى السماع، و كلفه بمثل هذا الاجتماع، فقال ذو الرياستين: إن الجواب تعذر، فلذا اعتذر، لأنه يعاني قوله و يعلله، و يرويه و لا يرتجله، و يقوله فى المدة، و الساعات الممتدة، فرأى أن الوصول بلا جواب إخراج لأدبه، و إخلال لمنزله

فى الشعر و رتبه، فلما كان من الغد ورد ابن عمار و معه الجواب، و هو: [الطويل]

هصرت لى الآمال طيبة الجنى و سوغتنى الأحوال مقبله الدنى

و ألبستنى النعمى أغص من الندى و أجمل من وشى الزبيح و أحسنا

و كم ليله أحظيتنى بحضورها فبت سميرا للسنا و للسنا

أعلل نفسى بالمكارم و العلا و أذنى و كفى بالغناء و بالغنى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٦٢

سأقرن بالتمويل ذكر ك كلما تعاورت الأسماء غيرك و الكنى

لأوسعتنى قولا و طولا كلاهما يطوق أعناقا و يخرس ألسنا

و شرفتنى من قطعة الرّوض بالتي تناثر فيها الطبع وردا و سوسنا

تروق بجيد الملك عقدا مرصعا و تزهو على عطفه بردا مزينا

فدم هكذا يا فارس الدست و الوغى لتطعن طورا بالكلام و بالقنا

و أخبرنى الوزير أبو جعفر بن سعدون أنه اصطحب يوما بحضرته و للرداذ رش، و للربيع على وجه الأرض فرش، و قد صقل الغمام

الأزهار حتى أذهب نمشها، و سقاها فأروى عطشها، فكتب إليه: [الطويل]

فديناك لا يستطيعك النظم و التثر فأتت ملكك الأرض، و انفصل الأمر

مرينا نداك الغمر فانهل صيبا كما سكبت و طفاء أو سكب البحر

و جاء الزبيح الطلق بيدى غضارة فحيثك منه الشمس و الرّوض و النهر

إلى أن قال: ثم وجه فيه إلى روضة قد أرجت نفحاتها، و تدبجت ساحاتها، و تفتحت كمامها، و أفصحت حمائمها، و تجردت

جداولها كالبواتر، و رمت أزهارها بعيون فواتر، و أقاموا يعملون أكواسهم، و يشتملون إيناسهم، فقال ذو الرياستين: [الطويل]

و روض كساه الطل و شيا مجددا فأضحى مقيما للنفوس و مقعدا

إذا صافحته الرّيح خلت غصونه رواقص فى خضر من القضب ميّدا

إذا ما انسكاب الماء عاينت خلته و قد كسرتة راحة الرّيح مبردا

و إن سكنت عنه حسبت صفاءه حساما صقيلا صافى المتن جردا

و غنت به ورق الحمائم بيننا غناء ينسيك الغريص و معبدا

فلا تجفونّ الدهر ما دام مسعدا و مدّ إلى ما قد حباك به يدا

و خذها مداما من غزال كأنه إذا ما سقى بدر تحمّل فرقدا

إلى أن قال: و أخبرنى الوزير أبو عامر بن سنون، أنه كان معه فى منية العيون، فى يوم مطرّز الأديم، و مجلس معزز النديم، و الأانس

يغازلهم من كل ثنية، و يواصلهم بكل أمنية،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٦٣

فسكر أحد الحاضرين سكرًا مثل له ميدان الحرب، و سهل عليه مستوعر الطعن و الضرب، فقلب مجلس الأنس حربًا و قتالًا، و طلب الطعن وحده و النزالًا، فقال ذو الرياستين:

نفس الدليل تعزّ بالجريال فيقاتل الأقران دون قتال
كم من جبان ذى افتخار باطل بالزّاح تحسبه من الأبطال
كبش الندى تخمطا و عرامه و إذا تشبّ الحرب شاء نزال

[وصف المنتزهات من ترجمة ابن طاهر]

و قال فى ترجمة ابن طاهر، ما صورته: و جتته يوما و قد وقفت بباب الحنش، فقال لى:
من أين؟ فأعلمته، و وصفت له ما عاينته من حسنه و تأملته، فقال لى: كنت أخرج إليه فى أكثر الليالى مع الوزير الأجل أبى بكر- يعنى ابن عبد العزيز- إلى روضته التى ودت الشمس أن يكون منها طلوعها، و تمنى المسك أن تنضم عليه ضلوعها، و الزمان غلام، و العيش أحلام، و الدنيا تحية و سلام، و الناس قد انتشروا فى جوانبه، و قعدوا على مذانبه، و فى ساقيته الكبرى دولا ب يثن كناقه إثر حوار، أو كثكلى من حر الأوار، و كل مغرم يجعل فيه ارتياحه، بكرته و رواجه، و يغازل عليه حبيبه، و يصرف إليه تشبيبه، فخرجت عليه ليله و المتنبى الجزيرى واقف و أمامه طيبى آنس، تهيم به المكانس، و فى أذنيه قرطان، كأنهما كوكبان، و هو يتأود تأود غصن البان، و المتنبى يقول: [الرمل]

معشر الناس بباب الحنش بدر تمّ طالع فى غبش
علّق القرط على مسمعه من عليه آفة العين خشى
فلما رآنى أمسك، و سبح كأنه قد تنسك.

[وصف المنتزهات من ترجمة ابن عمار]

و قال فى ترجمة ابن عمار، ما صورته: و تنزه بالدمشق بقرطبة، و هو قصر شيده بنو أمية بالصفّاح و العمد، و جروا من إتقانه إلى غاية و أمد، و أبدع بناؤه، و نمقت ساحته و فناؤه، و اتخذوه ميدان مراحهم، و مضمارا لانشرائحهم، و حكوا به قصرهم بالمشرق، و أطلعوه كالكوكب الثاقب المشرق، فحله أبو بكر بن عمار على أثر بوسه، و ابتسم له دهره بعد عبوسه، و الدنيا قد أعطته عفوها، و سقته صفوها، و بات فيه مع لمة من أتباعه، و متفيئى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٦٤

رباعه، و كلهم يحييه بكاس، و يفديه بنفسه من كل باس، فطابت له ليلته فى مشيده، و أطربه الأنس ببسيطة و نشيده، فقال: [الخفيف]
كلّ قصر بعد الدمشق يذمّ فيه طاب الجنى وفاح المشمّ
منظر رائق، و ماء نمير و ثرى عاطر، و قصر أشمّ
بتّ فيه و الليل و الفجر عندى عنبر أشهب و مسك أحّم

و عبر صاحب البدائع عن هذه القصيدة بقوله: تنزه ابن عمار بالدمشق بقرطبة، و هو قصر شيده خلفاء بنى أمية و زخرفوه، و دفعوا صرف الدهر عنه و صرفوه، و أجروه على إرادتهم و صرّفوه، و ذهبوا سقفه و فضّضوها، و رخّموا أرضه و روّضوها، فبات به و السعد يلحظه بطرفه، و الروض يحييه بعرفه، فلما استنفد كافور الصباح مسك الغسق، و رصع آبنوس الظلام نضار الشفق، قال مرتجلا: «كل قصر بعد الدمشق يذم» إلخ، انتهى.

[وصف المتنزهات من ترجمة أبي عيسى بن لبون]

وقال في ترجمته ذى الوزارتين أبو عيسى بن لبون: أخبرني الوزير أبو عامر بن الطويل أنه كان بقصر مريبطر بالمجلس الشرقي منها، و البطحاء قد لبست زخرفها، و دبج الغمام مطرفها، و فيها حدائق ترنو عن مقل نرجسها، و تبث طيب تنفسها، و الجلنار قد لبس أريه الدماء، و راع أفئدة الندماء، فقال: [الكامل]

قم يا نديم أدر على القرقفا أو ما ترى زهر الرياض مفوفا

فتخال محبوبا مدلا وردها و تظن نرجسها محبا مدنفا

و الجلنار دماء قتلى معرك و الياسمين حباب ماء قد طفا

إلى أن قال: و شرب مع الوزراء الكتاب ببطحاء لورقه عند أخيه، و ابن اليسع غائب عنها فى عشية تجود بدمائها، و يصوب عليها دمع سمائها، و البطحاء قد خلع عليها سندسها، و درها نرجسها، و الشمس تنقض على الربا زعفرانها، و الأنوار تغمض أجفانها، فكتب إلى ابن اليسع: [البسيط]

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا و المزن يسكب أحيانا و ينحدر

و الأرض مصفرة بالشمس كاسية أبصرت تبرا عليه الدرّ ينتثر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٦٥

[و ترجمة أبي بكر بن رحيم]

وقال فى ترجمته ذى الوزارتين أبو بكر بن رحيم، ما صورته: و وصل هو و ابن وضاح صهر المرتضى، و ابن جمال الخلافة صاحب صقلية، إلى إحدى جنات مرسية، فحلوا منها فى قبة فوق جدول مطرد، و تحت أدواح طيرها غرد، فأقاموا يتعاطون رحيقهم، و يعمرن فى المؤانسة طريقتهم، إذا بالجنان قد وقف عليهم و قال: كان بموضعكم بالأمس صاحب الموضع و معه شعور منشورة، و حدود غير مستورة، قد رفعت عنها البراقع، و ما منها نظرة إلا و معها سهم واقع، فاستدعى فحما و كتب فى إحدى زوايا القبة: [الخفيف]

قادنا ودنا إليك فجئنا بنفوس تفديك من كل بوس

فزلنا منازلنا لبدور و حللنا مطالعا لشموس

[وصف المتنزهات من ترجمة ابن عبدون]

وقال فى ترجمته الوزير الكاتب أبو محمد بن عبدون، ما صورته: حلت بيابره فأنزلنى و اليها بقصرها، و مكنتى من جنى الأمانى و هصرها، فأقمت ليلى، أجز على المجرة ذيلى، و تتطارد فى ميدان السرور خيلى، فلما كان من الغد باكرنى الوزير أبو محمد مسلما، و من تنكبي عنه متألما، ثم عطف على القائد عاتبا عليه، فى كوني لديه، ثم انصرف و قد أخذنى من يديه، فحللت عنده فى رحب، و همت على من البر أطار سحب، فى مجلس كأن الدرارى فيه مصفوفة، أو كأن الشمس إليه مزفوفة، فلما حان انصرافى، و كثر تطلعى إلى مآبى و استشرافى، ركب معى إلى حديقة نضرة، مجاورة للحضرة، فأنخنا عليها أيدى عيسنا، و نلنا منها ما شئنا من تأيسنا، فلما امتطيت عزمى، و سددت إلى غرض الرحلة سهمى، أنشدنى: [الطويل]

سلام ينجى منه زهر الربا عرف فلا سمع إلا ودّ لو أنه أنف

حينى إلى تلك السجاياء فإنها لآثار أعيان المساعى التى أقفو

ثم سرد القصيدة إلى أن قال: و له رحمه الله تعالى: [المتقارب]

سقاها الحيا من مغان فساح فكم لى بها من معان فصاح
و حلى أكاليل تلك الرّبا و وشى معاطف تلك البطاح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٦٦
فما أنس لا أنس عهدى بها و جرى فيها ذبول المراح
و نومي على حبرات الرّياض يجاذب بردى مرّ الرّياح
و لم أعط أمر النهى طاعة و لم أصغ سمعى إلى قول لاح
و ليل كرجعة طرف المريب لم ادر له شققا من صباح

[وصف المتنزهات من ترجمة ابن مالك]

و قال فى ترجمة الوزير أبى محمد بن مالك بعد كلام له فيه و إنشاده بيته البديعين اللذين هما: [الخفيف]

لا تلمنى بأن طربت لشجو يبعث الأنس فالكريم طروب
ليس شقّ الجيوب حقاً علينا إنّما الشّان أن تشقّ القلوب

ما صورته: و خرجت من إشبيلية مشيعاً لأحد زعماء المرابطين، فألفيته معه مسيراً له فى جملة من شيعة، فلما انصرفنا مال بنا إلى معرس
أمير المسلمين أدام الله تعالى تأييده الذى ينزله عند حلوله بإشبيلية، و هو موضع مستبدع، كأن الحسن فيه مودع، ما شئت من نهر
ينساب انسياب الأرقام، و روض كما و شت البرد يد راقم، و زهر يحسد المسك رياه، و يتمنى الصبح أن يسم به محياه، فقطف غلام
و سيم من غلمانة نورة و مد يده إلى و هى فى كفه، فعزم على أن أقول بيتا فى وصفه، فقلت: [الطويل]

و بدر بدا و الطّرف مطلع حسنه و فى كفه من رائق التّور كوكب

فقال أبو محمد: [الطويل]

يروح لتعذيب النفوس و يعتدى و يطلع فى أفق الجمال و يغرب
و يحسد منه الغصن أى مهفهف يجىء على مثل الكثيب و يذهب

[وصف المتنزهات من ترجمة ابن السقاط]

و قال فى ترجمة الوزير أبى القاسم بن السقاط بعد كلام كثير، ما صورته: و حملنا الوزير القاضى أبو الحسن بن أضحى إلى إحدى
ضياعه بخارج غرناطة، و معنا الوزير أبو محمد بن مالك، و جماعة من أعيان تلك الممالك، فحللنا بضيعه لم ينحت المحل أثلها، و
لم ترمى العيون مثلها، و جلنا بها فى أكناف، جنات ألفاف، فما شئت من دوحه لفاء، و غصن يميم كمعطفى هيفاء، و ماء يناسب فى
جداوله، و زهر يضمخ بالمسك راحة متناوله، و لما قضينا من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٦٧

تلك الحدائق أربا، و افتنا منها أرابا عربا، ملنا إلى موضع المقييل، و نزلنا بمنازه تبرى بمنازه جديمه مع مالك و عقيل، و عند وصولنا
بدا لى من أحد الأصحاب تقصير فى المبره، عرض لى منه تكدير لتلك العين الثرة، فأظهرت التثاقل أكثر ذلك اليوم، ثم عدلت عنهم
إلى الاضطجاع و النوم، فما استيقظت إلا و السماء قد نسخ صحوها، و غيم جوها، و الغمام منهمل، و الثرى من سقياه ثمل، فبسطنى
بتحفيه، و أبهجنى ببر له لم يزل يتمه و يوفيه، و أنشدنى:

[البسيط]

يوم تجهم فيه الأفق و انتشرت مدامع الغيث في خد الثرى هملا
رأى وجومك فاربدت طلاقته مضاهيا لك في الأخلاق ممتثلا

[و من ترجمة ابن أضحى]

و قال في ترجمة الوزير القاضي أبي الحسن بن أضحى، ما نصه: و كان لصاحب البلد الذى كان يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس صورة، و كانت محاسن الأفعال و الأقوال عليه مقصورة، مع ما شئت من لسن، و صوت حسن، و عفاف، و اختلاط بالثبهاء و التفاف، فحملنا إلى إحدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر، أحسن من شاذمهر، تشقها جداول كالصلال، و لا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال، و معنا جملة من أعيانها فأحضرنا من أنواع الطعام، و أرانا من فرط الإكرام و الإنعام، ما لا يطاق و لا يحلو، و يقصر عن بعضه العد، و فى أثناء مقامنا بدا لى من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام اعتقده، و ملام أحقده، فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه، و لم أر منه ما عهدته من الإنابة، فكتبت إليه مداعبا، فراجعنى بهذه القطعة: [الطويل]

أتنتى أبا نصر نتيجة خاطر سريع كرجع الطرف فى الخطرات
فأعربت عن وجد كمين طويته بأهيف طاو فاتر اللحظات
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٦٨
غزال أحّم المقلتين عرفته بخيف منى للحين أو عرفات
رماك فأصمى و القلوب رمية لكل كحيل الطرف ذى فتكات
و ظنّ بأن القلب منك محصّب فلنأك من عينيه بالجمرات
تقرب بالنسك فى كل منسك و ضحى غداة التحر بالمهجات
و كانت له جيان مثوى فأصبحت ضلوعك مثواه بكل فلاة
يعز علينا أن تهيم فتنطوى كئيبا على الأشجان و الزّفات
فلو قبلت للناس فى الحبّ فديّة فديناك بالأموال و البشرات

[وصف المتنزهات من ترجمة ابن خفاجة]

و قال فى ترجمة أديب الأندلس و شاعرها أبى إسحاق بن خفاجة بعد كلام، ما صورته:
و قال يندب معاهد الشباب، و يتفجع لوفاة الإخوان و الأحباب، بعقب سيل أعاد الديار آثارا، و قضى عليها و هيا و انتثارا. [الطويل]
ألا عزّس الإخوان فى ساحة البلى و ما رفعوا غير القبور قبابا
فدمع كما سخّ الغمام و لوعه كما أضرمت ريح السّمال شهابا
إذا استوقفتنى فى الديار عشية تلذذت فيها جياة و ذهابا
أكرّ بطرفى فى معاهد فتية شكلتهم بيض الوجوه شبابا
فطال وقوفى بين وجد و فرقة أنادى رسوما لا تحير جوابا
و أمحوا جميل الصّبر طورا بعبرة أخطّ بها فى صفحتى كتابا
و قد درست أجسامهم و ديارهم فلم أر إلّا أعظما و يبابا
و حسبى شجوا أن أرى الدار بلقعا خلاء و أشلاء الصّديق ترابا

و لقد أحلنى بهذه الديار المندوبية و هى كعهدا فى جودة مبناها، و عودة سناها، فى ليلة اكتحلنا ظلامها إثمدا، و محونا بها من نفوسنا كمداء، و لم يزل ذلك الأونس يبسطه، و السرور ينشطه، حتى نشر لى ما طواه، و بثّ مكتوم لوعته و جواه، و أعلمنى بلباليه فيها مع أترابه، و ما قضى بها من أطرابه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٦٩

انتهى ما وقع عليه اختيارى من كلام أبى نصر الفتح بن عبيد الله رحمه الله تعالى فى وصف بعض منتزهات الأندلس البديعة، و رياضها المونقة المريعة.

[وصف المنتزهات من رسالة للفتح]

و ما أحسن رسالة له مختصرة كتبها مهنا بعض ملوك الأندلس بما منحه الله تعالى من التمكين الذى أيدته الله به و نصره، و قد جود أوصافه، و استطرده منها إلى ذكر الناصر و ولده الحكم اللذين عمرا الزهراء و الرصافة، و نصها:
أدام الله تعالى أيام الأمير للأرض يتملكها، و يستدير بسعده فلكها، و قد استبشره الملك أيدك الله و حق له الاستبشار، فقد أوما إليه السعد و أشار، بما انفق له من توليتك، و خفق عليه من ألويتك، فلقد حبى منك بملك أمضى من السهم المسدد، طويل نجاد السيف رحب المقلد، يتقدم حيث يتأخر الذابل، و يتكرم إذا بخل الوابل، و يحمى الحمى كربيعة بن مكدم، و يسقى الضبا نجيعا كلون العندم، فهيننا للأندلس فقد استردت عهد خلفائها، و استجدت رسوم تلك الإمامة بعد عفائها، فكأن لم تمت أعاصرها، و لم يمت حكمها و لا- ناصرها، اللذان عمرا الرصافة و الزهراء، و نكحا عقائل الروم و ما بذلا غير المشرفية مهرا، و الله سبحانه أسأله إظهار أيامك، و به أرجو انتشار أعلامك، حتى يكون عصرك أجمل من عصرهم، و نصرك أغرب من نصرهم، بمنه و كرمه و يمنه.

[وصف المنتزهات من ترجمة ابن عطية]

و قال رحمه الله تعالى فى ترجمة الفقيه القاضى الحافظ أبى محمد عبد الحق بن عطية صاحب التفسير الشهير بعد كلام كثير، ما صورته: و مررنا فى إحدى نزهنا بمكان مقفر، و عن المحاسن مسفر، و فيه بكير نرجس كأنه عيون مراض، يسيل وسطه ماء رضراض، بحيث لا حس إلا للهام، و لا أنس إلا ما يتعرض للأوهام، فقال: [الرمل]

نرجس باكرت منه روضة لذ قطع الدهر فيها و عذب

حثّ الرّيح بها خمر حيا رقص التّبت لها ثم شرب

فغدا يسفر عن و جنته نوره الغصّ و يهتّز طرب

خلت لمع الشّمس فى مشرقه لهبا يخمد منه فى لهب

و بياض الطّل فى صفرتة نقط الفضة فى خطّ الذهب

و سيأتى إن شاء الله تعالى كثير من وصف بلاد الأندلس و منتزهاتها، و ما اشتملت عليه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٧٠

من المحاسن، فى كلام غير واحد ممن يجرى ذكره فى هذا الكتاب، و خصوصا أديب زمانه غير مدافع، من اعترف له أهل الشرق، بالسبق، و أهل المغرب، بالإبداع المغرب، النور أبو الحسن على بن سعيد العنسى، فإنه لما اتصل بمصر و دخلها اشتاق إلى تلك المواطن الأندلسية الرائقة، و وصفها بالقصائد و المقطوعات الفائقة، و قد أسلفنا أيضا فيما مر من هذا الكتاب بعض ما يتعلق بمحاسن الأندلس، فليراجع فى محله من هذا الكتاب.

قلت: و ما ذا عسى أن نذكر من محاسن قرطبة الزهراء و الزهراء، أو نصف من محاسن الأندلس التي تبصر بكل موضع منها ظلا صافيا و نهرا صافيا و زهرا، و يرحم الله تعالى أديبها المشهور، الذي اعترف له بالسبق الخاصة و الجمهور، أبا إسحاق بن خفاجة، إذ قال:

[البسيط]

يا أهل أندلس لله دركم ماء و ظلّ و أنهار و أشجار
 ما جنة الخلد إلّا في دياركم و لو تخيرت هذا كنت أختار
 لا تحسبوا في غد أن تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار
 و يروى مكان قوله: و هذه كنت لو خيرت أختار.
 و كذا رأيت بخط الحافظ التنسي، و الأول رأيت بخط العلامة الوانشريشي، رحمهما الله تعالى!.

[وصف المنتزهات من شعر ابن خفاجة]

و حكى أن الخليلي لما قدم من الأندلس رسولا إلى سلطان المغرب أبي عنان فارس ابن السلطان أبي الحسن المريني أنشد بحضرة السلطان المذكور أبيات ابن خفاجة هذه كالمفتخر ببلاد الأندلس، فقال السلطان أبو عنان: كذب هذا الشاعر، يشير إلى كونه جعلها جنة الخلد، و أنه لو خير لاخترها على ما في الآخرة، و هذا خروج من ربة الدين، و لا أقلّ من الكذب و الإغراق، و إن جرت عادة الشعراء بذلك الإطلاق، فقال الخليلي: يا مولانا، بل صدق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٧١

الشاعر، لأنها موطن جهاد، و مقارعة للعدو و جلاد، و النبي صلى الله عليه و سلم الرؤوف الودود الرحيم العطوف، يقول: «الجنة تحت ظلال السيوف»، فاستحسن منه هذا الكلام، و رفع عن قائل الأبيات الملام، و أجزل صلته، و رفع منزلته، و لعمري إن هذا الجواب، لجدير بالصواب، و هكذا ينبغي أن تكون رسل الملوك في الافتنان، روح الله تعالى أرواح الجميع في الجنان!.

و أبو إسحاق بن خفاجة كان أوحد الناس في وصف الأنهار و الأزهار و الرياض و الحياض و الرياحين و البساتين، و قد سبق بعض كلامه، و يأتي أيضا منه بعض في أثناء الكتاب، و من ذلك قوله: [الكامل]

و كمامة حدر الصباح قناعها عن صفحة تندى من الأزهار
 في أبطح رضعت ثغور أقاحه أخلاف كل غمامة مدرار
 نثرت بحجر الأرض فيه يد الصبا درر الندى و دراهم التوار
 و قد ارتدى غصن الثقا، و تقلدت حلى الحجاب سواف الأنهار
 فحللت حيث الماء صفحة ضاحك جذل و حيث الشطّ بدء عذار
 و الريح تنفض بكرة لمم الرّبا و الطلّ ينضح أوجه الأشجار
 متقسّم الألاحظ بين محاسن من ردف رايبه و خصر قرار
 و أراكة سجع الهديل بفرعها و الصبح يسفر عن جبين نهار
 هزت له أعطافها و لرّبما خلعت عليه ملاءة الأنوار
 و قوله: [الكامل]

سقيا ليوم قد أنخت بسرحة ريا تلاعبها الرياح فتلعب
 سكرى يغنيها الحمام فتنتنى طربا و يسقيها الغمام فتشرب
 يلهو فترفع للشيبه رايه فيه، و يطلع للبهارة كوكب

و الزروض وجه أزهر، و الظلّ فرع أسود، و الماء ثغر أشنب
 فى حيث أطربنا الحمام عشية فشدنا يغنينا الحمام المطرب
 و اهترّ عطف الغصن من طرب بنا و افتّر عن ثغر الهلال المغرب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٧٢
 فكأنه و الحسن مقترن به طوق على برد الغمامة مذهب
 فى فتيه تسرى فينصدع الدجى عنها، و تنزل بالجديب فيخصب
 كرموا فلا غيث السماحة مخلف يوما، و لا برق اللطافة خلّب
 من كلّ أزهر للنعيم بوجهه ماء يرققه الشّباب فيسكب
 و قال يمدح الأمير أبا يحيى بن إبراهيم: [الكامل]
 سمح الخيال على التوى بمزار و الصّبح يمسح عن جبين نهار
 فرفعت من نارى لضيف طارق يعيشو إليها من خيال طارى
 ركب الدجى أحسن به من مركب و طوى السرى أحسن به من سارى
 و أناخ حيث دموع عيني منهل يروى، و حيث حشاي موقد نار
 و سقى فأروى غلّه من ناهل أورى بجانحتيه زند أوار
 يلوى الصّلوع من الولوع لخطرّه من شيم برق أو شميم عرار
 و اللّيل قد نضح التدى سرباله فانهلّ دمع الطلّ فوق صدار
 مترقّب رسل الرّياح عشية بمساقط الأنواء و الأنوار
 و معجّر ذيل غمامة لبست به وشى الحباب معاطف الأنهار
 خفقت ظلال الأيك فى ذوائبا و ارتجّ ردفا مائج التّيار
 و لوى القضيّب هناك جيدا أتلعا قد قبلته مباسم التّوار
 باكرته و الغيم قطعة عنبر مشبوبة و البرق لفحة نار
 و الرّيح تلطم فيه أرداف الرّبا لعبا و تلثم أوجه الأزهار
 و منابر الأشجار قد قامت بها خطباء مفصحة من الأطيّار
 فى فتيه جنبوا العجاجة ليله و لربّما سفروا عن الأعمار
 ثار القتام بهم دخانا و ارتمى زند الحفيظة منهم بشرار
 شاهدت من هيئاتهم و هباتهم إشراف أطواد و فيض بحار
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٧٣
 من كلّ منتقب بوردة خجلة كرما و مشتمل بثوب وقار
 فى عمّه خلعت عليه للمّة و ذؤابة قرنت بها لعذار
 ضافى رداء المجد طّمّاح العلا طامى عباب الجود رحب الدّار
 جزّار أذبال المعالى و القنا حامى الحقيقة و الحمى و الجار
 طرد القنيص بكلّ قيد طريدة زجل الجناح مورّد الأظفار
 ملتفّة أعطافه بحبيرة مكحولة أجفانه بنضار

يرمى به الأمل القصي فينثى مخضوب مرأى الظفر و المنقار
و بكل نائي الشوط أشدق أخزر طاوى الحشى حالى المقلد ضارى
يفتر عن مثل النصال، و إنما يمشى على مثل القنا الخطار
مستقرىا أثر القنيص على الصفا و الليل مشتمل بشملة قار
من كل مسود تلهب طرفه ترميك فحمته بشعلة نار
و مورس السربال يخلع قيده عن نجم رجم فى سماء غبار
يستن فى سطر الطريق و قد عفا قدما فتقرأ أحرف الآثار
عطف الضمور سراته فكأنه و النقع يحجبه هلال سرار
و لرب رواع هنا لك أنبط ذلق المسامع أطلس الأطمار
يجرى على حذر فيجمع بسطه يهوى فينعطف انعطاف سوار
ممتد جبل الشاو يعسل رائغا فيكاد يفلت أيدى الأقدار
متردد يرمى به خوف الردى كرة تهادتها أكف قفار
و لرب طيار خفيف قد جرى فشلا بجار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطا مختاله مشى الفتاة تجر فضل إزار
مخضوبه المنقار تحسب أنها كرعت على ظميا بكأس عقار
و لو استجارت منهما بحمى أبى يحيى لأمنها أعز جوار
خدم القضاء مراده فكأنما ملكت يداه أعتة الأقدار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٧٤
و عنا الزمان لأمره فكأنما أصغى الزمان به إلى أمار
و جلا الإمارة فى رفيف نضارة جلت الدجى فى حلة الأنوار
فى حيث و شح لبة بقلادة منها و حلى معصما بسوار
جدلان يملأ منحه و بشاشه أيدى العفاء و أعين الزوار
أرج الندى بذكره فكأنه متنفس عن روضه معطار
بطل جرى الفلك المحيط بسرجه و استل صارمه يد المقدار
بيمينه يوم الوغى و شماله ما شاء من نار و من إعصار
و السم حمر، و الجياد عوابس و الجوق كاس، و السيوف عوارى
و الخيل تعثر فى شبا شوك القنا قصدا و تسبح فى الدم الموار
و البيض تحنى فى الطلى فكأنما تلوى عرا منها على أزار
و النقع يكسر من سنى شمس الضحى فكأنه صدأ على دينار
صحب الحسام النصر صحبة غبطة فى كف صوال به سوار
لو أنه أومى إليه بنظرة يوما لثار و لم ينم عن ثار
و مضى و قد ملكته هزة عزة تحت العجاج و ضحكة استبشار
و قال رحمه الله تعالى: [الكامل]

و أراكة ضربت سماء فوقنا تندى و أفلاك الكؤوس تدار
 حفّت بدوحتها مجزة جدول نثرت عليه نجومها الأزهار
 و كأنها و كأنّ جدول مائها حسناء شدّ بخصرها زنار
 زفّ الرّجاج بها عروس مدامه تجلى و نوار الغصون نثار
 فى روضه جنح الدّجى ظلّ بها و تجسّمت نورا بها الأنوار
 غنّاء ينشر وشيه البرّاز لى فيها و يفتق مسكه العطار
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٧٥
 قام الغناء بها و قد نضح الندى وجه الثرى و استيقظ النّوار
 و الماء فى حلى الحباب مقلد زرتّ عليه جيوبها الأشجار
 و قال ملتزما ما لا يلزم: [الكامل]

خذها إليك و إنّها لنضيره طرأت إليك قليلة النّظراء
 حملت و حسبك بهجه من نفحة عقب العروس و خجلة العذراء
 من كلّ و ارسه القميص كأنما نشأت تعلّ بريقة الصّفراء
 نجمت تروق بها نجوما حسبها بالأيكه الخضراء من خضراء
 و أتتك تسفر عن وجوه طلقه و تنوب من لطف عن الشّفراء
 يندى بها وجه الندى و لربّما بسطت هنالك أوجه السّراء
 فاستضحكت وجه الدّجى مقطوعه حملت جمال الغره الغراء
 و قال أيضا: [المجتث]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ١٧٥
 و صدر ناد نظمنا له القوافى عقدا
 فى منزل قد سحبتنا بظله العزّ بردا
 تذكو به الشّهب جمرا و يعقب الليل نّدا
 و قد تأرّج نور غضّ يخالط وردا
 كما تنفّس ثغر عذب يقبل خدّا
 و قال من قصيده يصف منترها: [الكامل]

يا ربّ و ضاح الجبين كأنما رسم العذار بصفحتيه كتاب
 تغرى بطلعته العيون مهابة و تبيت تعشق عقله الألباب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٧٦
 خلعت عليه من الصّباح غلاله تندى و من شفق المساء نقاب
 فكرعت من ماء الصّبا فى منهل قد شفّ عنه من القميص سراب
 فى حيث للريح الرّخاء تنفّس أرج، و للماء الفرات عباب
 و لربّ غضّ الجسم مدّ بحوضه سبحا كما شقّ السّماء شهاب
 و لقد أنخت بشاطئيه يهزّنى طربا شباب راقنى و شراب

و بكيت دجلته يضا حكنى بها مرحا حبيب شاقنى و حباب
تجلى من الدنيا عروس بيننا حسناء ترشف و المدام رضاب
ثم ارتحلت و للتّهار ذؤابة شيباء تخضب و التّهار خضاب
تلوى معاطفى الصّباة و الصّبا و اللّيل دون الكاشحين حجاب
و قال: [البيسط]

مرّ بنا و هو بدر تمّ يسحب من ذيله سحابا
يقامه تنثنى قضيبا و غرّة تلتظى شهابا
يقرأ و اللّيل مدلهمّ لنور إجلائه كتابا
و ربّ ليل شهرت فيه أزر من جنحه غرابا
حتّى إذا اللّيل مال سكرًا و شقّ سرباله و جابا
و حام من سدفة غراب طالت به سنّه فشابا
ازددت من لوعتى خبالا فحثّ من غلّتى شرابا
و ما خطا قادمًا فوافى حتى انثنى ناكصًا قآبا
و بين جفنى بحر شوق يعبّ فى وجنتى عبابا
قد شبّ فى وجهه شعاع و شبّ فى قلبى التهابا
و روضه طلقه حياء غنّاء مخضرة جنابا
ينجاب عن نورها كمام يحطّ عن وجهه نقابا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٧٧
بات بها مبسم الأفايحى يرشف من ظلّها رضابا
و من خفوق البروق فيها ألوية حمّرت خضابا
كأنّها أنمل و راد تحصر قطر الحيا حسابا
و له أيضا: [البيسط]

رحلت عنكم ولى فؤاد تنقض أضلاعه حيننا
أجود فيكم بعلق دمع كنت به قبلكم ضنينا
يثور فى وجنتى جيشا و كان فى جفنه كميننا
كأننى بعدكم شمال قد فارقت منكم يمينا
و قال: [الطويل]

فيا لشجا قلب من الصّبر فارغ و يا لقذى طرف من الدّمع ملآن
و نفس إلى جوّ الكنيسة صبّه و قلب إلى أفق الجزيرة حنّان
تعوّضت من واهما بآه و من هوى بهون و من إخوان صدق بخوان
و ما كلّ بيضاء تروق بشحمة و ما كلّ مرعى ترتعيه بسعدان
فيا ليت شعرى هل لدهرى عطفه فتجمع أوطارى علىّ و أوطانى
ميادين أوطارى و لذّة لذّتى و منشأ تهيامى و ملعب غزلانى

كأن لم يصلني فيه ظبي يقوم لى لمامه و صدغاه براحي و ريحاني
فسقيا لواديههم و إن كنت إنما أبيت لذكراه بغلّه ظمآن
فكم يوم لهو قد أدركنا بأفقه نجوم كؤوس بين أقمار ندمان
و للقبض و الأطيبار ملهى بجزعه فما شئت من رقص على رجع ألحان
و بالحضرة الغراء غرّ علقته فأحببت حبا فيه قضبان نعمان
رقيق الحواشى فى محاسن وجهه و منطقته مسلى قلوب و آذان
أغار لخدّيه على الورد كلما بدا و لعطفيه على أغصن البان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٧٨
و هبنى أجنى ورد خدّ بناظرى فمن أين لى منه بتفّاح لبنان
يعللنى منه بموعد رشفه خيال له يغرى بمطل و لئان
حبيب عليه لجة من صوارم علاها حباب من أسنة مزان
ترأى لنا فى مثل صورة يوسف تراءى لنا فى مثل ملك سليمان
طوى برده منها صحيفة فتنة قرأنا له من وجهه سطر عنوان
محبته دينى و مثواه كعبتى و رؤيته حجى و ذكره قرآنى
و قال: [الطويل]

و ليل تعاطينا المدام و بيننا حديث كما هبّ التّسيم على الورد
نعاوده و الكاس يعبق نفحه و أطيب منها ما نعيد و ما نبدى
و نقلى أقاح الثغر أو سوسن الطلى و نرجسه الأجنان أو وردة الخدّ
إلى أن سرت فى جسمه الكاس و الكرى و ما لا يعطفيه فمال على عضدى
فأقبلت أستهدى لما بين أضلعى من الحرّ ما بين الصلوع من البرد
و عايته قد سلّ من وشى برده فعانقت منه الشيف سلّ من الغمد
ليان مجسّن و استقامة قامه و هزة أعطاف و روتق إفرند
أغازل منه الغصن فى مغرس النقا و ألثم وجه الشمس فى مطلع السعد
فإن لم يكنها أو تكنه فإنه أخوها كما قد الشراك من الجلد
تسافر كلتا راحتى بجسمه فطورا إلى خصر و طورا إلى نهد
فتهبط من كشحيه كفى تهامة و تصعد من نهديه أخرى إلى نجد
و قال أيضا: [الكامل]

و رداء ليل بات فيه معانقى طيف ألمّ بظبية الوعساء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٧٩
فجمعت بين رضابه و شرابه و شربت من ريق و من صهباء
و لثمت فى ظلماء ليله و فرة شققا هناك لوجنة حمراء
و الليل مشمطّ الدّوائب كبرة خرف يدبّ على عصا الجوزاء
ثم اثنتى و الصبح يسحب فرعه و يجزّ من طرب فضول رداء

تندى بفيه أقحوانه أجرع قد غازلتها الشمس غب سماء
و تميمس في أثوابه ريحانه كرعته على ظمًا بجدول ماء
تفاحة الأنفاس إلا أنها حذر الندى خفافة الأفياء
فلويت معطفها اعتناقًا حسبنا فيه بقطر الدمع من أنواء

[وصف المتنزهات من شعر ابن سعيد]

و كان المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى كثيرا ما ينتاب وادي الطلح مع رميكيته، و أولى أنسه و مسرته، و هو واد بشرف إشبيلية ملتف الأشجار، كثير ترنم الأطيوار، و فيه يقول نور الدين بن سعيد: [السريع]

سائل بوادي الطلح ريح الصبا هل سخرت لي في زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا لن نأمن الرسل و لن نكتبا
يا قاتل الله أناسا إذا ما استؤمنوا خانوا فما أعجبا
هلا رعوا أنا و ثقنا بهم و ما اتخذنا عنهم مذهبا
يا قاتل الله الذي لم يتب من غدرهم من بعد ما جربا
و اليم لا يعرف ما طعمه إلا الذي وافى لأن يشربا
دعنى من ذكر الوشاة الألى لما يزل فكرى بهم ملهبا
و اذكر بوادي الطلح عهدا لنا لله ما أحلى و ما أطيبا
بجانب العطف و قد مالت الأغصان و الزهر بيت الصبا
و الطير مازت بين ألحانها و ليس إلا معجبا مطربا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٨٠
و خاننى من لا أسميه من شح أخاف الدهر أن يسلبا
قد أترع الكأس و حيا بها و قلت أهلا بالمنى مرحبا
أهلا و سهلا بالذى شتته يا بدر تم مهديا كوكبا
لكننى آليت أسقى بها أو تودعنها ثغرك الأشنبا
فمج لي فى الكأس من ثغره ما حبب الشرب و ما طيبا
و قالها لثمى نقلا و لا تشم إلا عرفى الأطيبا
و اقطف بخدى الورد و الآس و الن سرين لا تحفل بزهر الربا
أسعفته غصنا غدا مثمرا و من جناه ميسه قريبا
قد كنت ذا نهى و ذا إمرة حتى تبدى فحللت الحبا
و لم أصن عرضى فى حبه و لم أطع فيه الذى أنبا
حتى إذا ما قال لي حاسد ترجوه و الكوكب أن يقربا
أرسلت من شعري سحرا له يبسر المرغب و المطلبا
و قال عرفه بانى سأل تال فما أجنب المكتبا
فزاد فى شوقى له وعده و لم أزل مقتعدا مرقبا

أمد طرفى ثم أثنيه من خوف أخى التَّنغِيس أن يرقبا
أصدق الوعد و طورا أرى تكذبيه و الحرّ لن يكذبا
أتى و من سخره بعد ما أياس بطء كاد أن يغضبا
قبلت فى التّرب و لم أستطع من حصر اللّقىا سوى مرحبا
هتأت ربعى إذ غدا هائلة و قلت يا من لم يضع أشعبا
بالله مل معتنقا لاثما فمال كالغصن ثنته الصّبا
فقال ما ترغّب قلت اتّند أدركت إذ كلّمتنى المرغبا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٨١
فقال لا مرغّب عن ذكر ما ترغبه قلت إذن مركبا
و كان ما كان فو الله ما ذكرته دهرى أو أغلبا
و ستأتى هذه القصيدة بكمالها فى جملة من نظم ابن سعيد المذكور.
و قال يتشوق إلى إشيليه، و هى حمص الأندلس: [الكامل]
أنّ الخليج و غنت الورقاء هل برّحا إذ هاجت البرحاء
أنا منكما أولى بحليه عاشق أفنى و ما نمت بى الصّعداء
أخشى الوشاة فما أفوه بلفظة و الكتم عند العاشقين عناء
لو لا تشوّق أرض حمص ما جرى دمعى و لا شمتت بى الأعداء
لم أستطع كتما له فكأنتى ما كان لى كتم و لا إخفاء
و البدر مهما رام كتما من سرى فيه ينمّ على سراه ضياء
بلد متى يخطر له ذكر هفا قلبى و خان تصبّر و عزاء
من بعده ما الصّبح يشرق نوره عندى، و لا يتبدّل الظّلماء
كم لى به من ذى وفاء لم يخن عهدى، و ينمو بالوداد وفاء
فتراه إذ ما مرّ ذكرى سائلا عن حالتى إن قلت الأبناء
يمسى و يصبح فى تذكّر مدّة يرضى بها الإصباح و الإمساء
مع كلّ مبذول الوصال ممنع من غيرنا تسمو به الخيلاء
كالظّبي كالشمس المنيرة كالنّقا كالغصن يثنى معطفيه رخاء
يسعى براح كالشّهاب، براحة كالبدر، و الوجه المنير ذكاء
ما لان نحو الوصل حتّى طال من ه الهجر و اتّصلت به البلواء
خير المحبّة ما تأتت عن قلبى تدرى ببؤس الفاقة النّعماء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٨٢
ما زلت أرقى بالقريض جنونه حتى استكان، و كان منه إباء
فظفرت منه بمدّة لو أنّها دامت لدامت لى بها السّراء
صفو تكدر بالتحرك، ليته ما زال، لكن لا يردّ قضاء
إنّ الفراق هو المتيّة، إنّما أهل النّوى ماتوا و هم أحياء

لو لا تذكر لذة طابت لنا بذرى الجزيرة حيث طاب هواء
و جرى التسييم على الخليج معطرا و تبددت فى الدوحة الأنداء
ما كابدت نفسى أليم تفكر ألى به عن جفنى الإغضاء
يا نهر حمص لا عدتك مسرة ماء يسيل لديك أم صهباء
كلّ النفوس تهشّ فيك كأنما جمعت عليك شتاتها الأهواء
ودى إليك مع الزمان مجدد ما إن يحول تذكر و عناء
و لو أننى لم أحي ذكرى للذى أوليته ما كان فى حياء
ما كنت أطمع فى الحياة لو أننى أيقنت أن لا يسترّد لقاء
غيرى إذا ما بان حان، و إنما أبقى حياتى حين بنت رجاء
و سيأتى إن شاء الله تعالى لهذا النمط و غيره مزيد أثناء الكتاب، بحسب ما اقتضته المناسبة، و الله تعالى المرجو فى حسن المتاب، و
هو سبحانه لا إله إلا هو الموفق للصواب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٨٣

الباب الخامس [فيمن رحل من الأندلسيين إلى المشرق]

إشارة

فى التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق الزاكية العرار و البشام، و مدح جماعة من أولئك الأعلام، ذوى العقول
الراجحة و الأحلام، لشامه و جنه الأرض دمشق الشام، و ما اقتضته المناسبة من كلام أعيانها، و أرباب بيانها، ذوى السؤدد و الاحتشام،
و مخاطبتهم للفقير المؤلف حين حلها سنة ألف و سبع و ثلاثين للهجرة، و شاهد برق فضلها المبين و شام.
اعلم- جعلنى الله تعالى و إياك ممن له للمذهب الحق انتحال!- أن حصر أهل الارتحال، لا يمكن بوجه و لا بحال، و لا يعلم ذلك
على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال، و لو أطلنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء العلماء الأعلام، لطل الكتاب و كثر
الكلام، و لكننا نذكر منهم لمعا على وجه التوسط من غير إطناب داع إلى الملال و اختصار مؤدّ للملام، فنقول مستمدين من واهب
العقول:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٨٤

١- منهم عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب السلمى:

و قد عزّف به القاضى عياض فى المدارك و غير واحد، و رأيت فى بعض التواريخ أن تواليفه بلغت ألفا، و من أشهرها كتاب
«الواضحة» فى مذهب مالك، كتاب كبير مفيد، و لابن حبيب مذهب فى كتب المالكية مسطور، و هو مشهور عند علماء المشرق، و
قد نقل عنه الحافظ ابن حجر و صاحب المواهب و غيرهما.

و من نظمه يخاطب سلطان الأندلس: [البسيط]

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشورا و اذكره لا زلت فى التاريخ مذكورا
قال النبى صلاة الله تشمله قولاً وجدنا عليه الحقّ و النورا
فيمن يوسّع فى إنفاق موسمته أن لا يزال بذاك العام ميسورا

و هذا البيت الثالث نسيت لفظه فكتبتة بالمعنى و الوزن إذ طال عهدي به، و الله تعالى أعلم.

و قال الفتح فى المطمح: الفقيه العالم أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمى، أى شرف لأهل الأندلس و أى مفخر، و أى بحر بالعلوم يزخر، خلدت منه الأندلس فقيها عالما، أعاد مجاهل أهلها معالمها، و أقام فيها للعلوم أسواقا نافقة، و نشر منها ألوية خافقة، و جلا عن الأبواب صدا الكسل، و شحذها شحذ الصوارم و الأسل، و تصرف فى فنون العلوم، و عرف كل معلوم، و سمع بالأندلس و تفقه، حتى صار أعلم من بها و أفقه، و لقي أنجاب مالكا، و سلك فى مناظرتهم أوعر المسالك، حتى أجمع عليه الاتفاق، و وقع على تفضيله الإصفاق، و يقال: إنه لقي مالكا آخر عمره، و روى عنه عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود صلى الله عليهما و سلم كان يركب إلى بيت المقدس فيتغدى به، ثم يعود فيتعشى بإصطخر، و له فى الفقه كتاب «الواضحة» و من أحاديثه غرائب، قد تحلت بها للزمان نحور و ترائب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٨٥

و قال محمد بن لبابة: فقيه الأندلس عيسى بن دينار، و عالمها عبد الملك بن حبيب، و راويها يحيى بن يحيى.

و كان عبد الملك قد جمع إلى علم الفقه و الحديث علم اللغة و الإعراب، و تصرف فى فنون الآداب، و كان له شعر يتكلم به متبحرا، و يرى ينبوعه بذلك متفجرا، و توفى بالأندلس فى رمضان سنة ٢٣٨ و هو ابن ثلاث و خمسين بعد ما جال فى الأرض، و قطع طولها و العرض، و جال فى أكنافها، و انتهى إلى أطرافها.

و من شعره قوله: [السريع]

قد طاح أمرى و الذى أبتغى هين على الرحمن فى قدرته

ألف من الحمر و أقلل بها لعالم أربى على بغيته

زرياب قد أعطيتها جملة و حرفتى أشرف من حرفته

و كتب إلى الزجالى رسالة و صلها بهذه الأبيات: [السريع]

كيف يطيق الشعر من أصبحت حالته اليوم كحال الغرق

و الشعر لا يسلس إلّا على فراغ قلب و اتساع الخلق

فاقنع بهذا القول من شاعر يرضى من الحظ بأدنى العتق

فضلك قد بان عليه كما بان لأهل الأرض ضوء الشفق

أما ذمام الود متى لكم فهو من المحتوم فيما سبق

و لم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معتله، و يفرق مستقيمه من مختله، و كان غرضه الإجازة، و أكثر رواياته غير

مستجازة، قال ابن وضاح: قال إبراهيم بن المنذر:

أتى صاحبكم الأندلس - يعنى عبد الملك هذا - بغرارة مملوءة، فقال لى: هذا علمك، قلت له: نعم، ما قرأ على منه حرفا و لا قرأته عليه.

و حكى أنه قال فى دخوله المشرق و حضر مجلس بعض الأكابر فازدراه من رآه: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٨٦

لا تنظرن إلى جسمى و قلته و انظر لصدرى و ما يحوى من السنن

فربّ ذى منظر من غير معرفة و ربّ من تزدرية العين ذو فطن

و ربّ لؤلؤة فى عين مزبلة لم يلق بال لها إلّا إلى زمن

انتهى ما فى المطمح الصغير.

قلت: أما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو غير مسلم، وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين، نعم لأهل الأندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين، حتى إن في شفاء عياض أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها، مع اعترافهم بجلالة حفاظ الأندلس الذين نقلوها كبقية بن مخلد و ابن حبيب وغيرهما على ما هو معلوم.

و أما ما ذكره عنه بالإجازة بما في الغرارة فذلك على مذهب من يرى الإجازة، وهو مذهب مستفيض، واعتراض من اعترض عليه إنما هو بناء على القول بمنع الإجازة، فاعلم ذلك، والله سبحانه الموفق.

٢- و من الراحلين من الأندلس الفقيه المحدث يحيى بن يحيى الليثي

راوى الموطأ عن مالك رضى الله تعالى عنه، و يقال: إن أصله من برابر مصمودة، و حكى أنه لما ارتحل إلى مالک لازمه، فبينما هو عنده فى مجلسه مع جماعة من أصحابه إذ قال قائل: قد حضر الفيل، فخرج أصحاب مالك كلهم، و لم يخرج يحيى، فقال له مالك: مالك لم تخرج و ليس الفيل فى بلادك؟ فقال: إنما جئت من الأندلس لأنظر إليك، و أتعلم من هديك و علمك، و لم أكن لأنظر إلى الفيل، فأعجب به مالك، و قال: هذا عاقل الأندلس، و لذلك قيل: إن يحيى هذا عاقل الأندلس، و عيسى بن دينار فقيهها، و عبد الملك بن حبيب عالمها، و يقال: إن يحيى راويها و محدثها، و توفى يحيى بن يحيى سنة ٢٣٤ فى رجب، و قبره يستسقى به بقرطبة، و قيل: إن وفاته فى السنة التى قبلها، و الله تعالى أعلم.

و روايته الموطأ مشهورة، حتى إن أهل المشرق الآن يسندون الموطأ من روايته كثيرا، مع تعدد رواة الموطأ، و الله أعلم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٨٧

و كان يحيى بن يحيى روى الموطأ بقرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بشبطون، و سمع من يحيى بن مضر القيسى الأندلسي، ثم ارتحل إلى المشرق و هو ابن ثمان و عشرين سنة، فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب فى كتاب الاعتكاف، شك فى سماعها، فأثبت روايته فيها عن زياد، و ذلك ما يدل على ورعه.

و سمع بمصر من الليث بن سعد، و بمكة من سفيان بن عيينة، و تفقه بالمدينين و المصريين كعبد الله بن وهب و عبد الرحمن بن القاسم العتقى، و سمع منهما، و هما من أكابر أصحاب مالك، بعد انتفاعه بمالك و ملازمته له.

و انتهت إليه الرياسة بالأندلس، و به اشتهر مذهب مالك فى تلك الديار، و تفقه به جماعة لا يحصون عددا، و روى عنه خلق كثير، و أشهر رواة الموطأ و أحسنهم رواية يحيى المذكور، و كان - مع أمانته و دينه - معظما عند الأمراء، يكنى عندهم، عفيفا عن الولايات، متزها، جلت رتبته عن القضاء، و كان أعلى من القضاء قدرا عند ولاة الأمر بالأندلس لزهده فى القضاء و امتناعه.

قال الحافظ ابن حزم: مذهبان انتشرا فى بدء أمرهما بالرياسة و السلطان: مذهب أبى حنيفة، فإنه لما ولى القضاء أبو يوسف كانت القضاء من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية، فكان لا يولى إلا أصحابه و المنتسبين لمذهبه، و مذهب مالك عندنا بالأندلس، فإن يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول فى القضاء، و كان لا يلى قاض فى أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته و اختياره، و لا يشير إلا بأصحابه و من كان على مذهبه، و الناس سراع إلى الدنيا، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به، على أن يحيى لم يل قضاء قط، و لا أجاب إليه، و كان ذلك زائدا فى جلالته عندهم، و داعيا إلى قبول رأيه لديهم، انتهى.

و ذكرنا فى غير هذا الموضوع قولاً آخر فى سبب انتشار مذهب مالك بالأندلس، و الله سبحانه أعلم بحقيقة الأمر.

و قال ابن أبى الفياض: جمع الأمير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء فى قصره، و كان وقع على جارية يحبها فى رمضان، ثم ندم أشد ندم، فسألهم عن التوبة و الكفارة، فقال يحيى:

تكفر بصوم شهرين متتابعين، فلما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا، فقال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٨٨

بعضهم له: لم تفت بمذهب مالك بالتخير؟ فقال: لو فتحنا له [هذا] الباب سهل عليه أن يظأ كل يوم و يعتق رقبة، و لكن حملته على أصعب الأمور لثلا يعود.

و قال بعض المالكية: إن يحيى ورى بهذا، و رأى أنه لم يملك شيئاً إذ هو مستغرق الذمة فلا عتق له و لا إطعام، فلم يبق إلا الصيام، انتهى.

و لما انفصل يحيى عن مالك و وصل إلى مصر رأى ابن القاسم يدون سماعه من مالك، فنشط للرجوع إلى مالك ليسمع منه المسائل التي رأى ابن القاسم يدونها، فرحل رحلة ثانية، فألقى مالكا عليلا، فأقام عنده إلى أن مات و حضر جنازته، فعاد إلى ابن القاسم و سمع منه سماعه من مالك، هكذا ذكره ابن الفرضى فى تاريخه، و هو مما يرد الحكاية المشهورة الآن بالمغرب أن يحيى سأل مالكا عن زكاة التين، فقال [له]: لا زكاة فيها، فقال: إنها تدخر عندنا، و نذر إن وصل إلى الأندلس أن يرسل لمالك سفينة مملوءة تينا، فلما وصل أرسلها فإذا مالك قد مات، انتهى.

قال ابن الفرضى: و لما انصرف يحيى إلى الأندلس كان إمام وقته، و واحد بلاده، و كان ممن اتهم بالهيج فى وقعة الرّبض المشهورة ففر إلى طليطلة ثم استأمن فكتب له الأمير الحكم أمانا، و انصرف إلى قرطبة.

و قيل: لم يعط أحد من أهل الأندلس منذ دخلها الإسلام ما أعطى يحيى من الحظوة، و عظم القدر، و جلاله الذكر.

و قال ابن بشكوال: إن يحيى بن يحيى كان مجاب الدعوة، و إنه أخذ فى سمته و هيئته و نفسه و مقعده هيئات مالك.

و يحكى عنه أنه قال: أخذت بركاب الليث بن سعد، فأراد غلامه أن يمنعنى، فقال:

دعه، ثم قال لى الليث: خدمك العلم! فلم تزل بى الأيام حتى رأيت مالكا، انتهى.

٣- و منهم القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٨٩

قال فى المصمخ: من بنى يحيى بن يحيى الليثى، و هذه ثنية علم و عقل، و صحه ضبط و نقل، كان علم الأندلس، و عالمها التّدس، و لى القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها إلى المشرق، و جمع فيها من الروايات و السماع كل مفترق، و جال فى آفاق ذلك الأفق، لا يستقر فى بلد، و لا يستوطن فى جلد، ثم كر إلى الأندلس فسمت رتبته، و تحلت بالأمانى لئبته، و تصرف فى ولايات أحمد فيها منابه، و اتصلت بسببها بالخليفة أسبابه، و ولاه القضاء بقرطبة فتولاه بسياسة محمودة، و رياسة فى الدين مبرمة القوى مجهودة، و التزم فيها الصيرامة فى تنفيذ الحقوق، و الحزامة فى إقامة الحدود، و الكشف عن البيان فى السر، و الصّدع بالحق فى الجهر، لم يستمله مخادع، و لم يكده مختال، و لم يهب ذا حرمة، و لا داهن ذا مرتبة، و لا أغضى لأحد من أرباب السلطان و أهله، حتى تحاموا حدة جانبه، فلم يجسر أحد منهم عليه، و كان له نصيب وافر من الأدب، و حظ من البلاغة إذا نظم و إذا كتب.

و من ملح شعره ما قاله عند أوبته عن غربته: [الطويل]

كأن لم يكن بين و لم تك فرقة إذا كان من بعد الفراق تلاق

كأن لم تؤرّق بالعراقين مقلتي و لم تمر كفّ الشوق ماء مآقى

و لم أزر الأعراب فى جنب أرضهم بذات اللوى من رامة و براق

و لم أصطبح بالبيد من قهوة التدى و كأس سقاها فى الأراهر ساق

و له أيضا: [البيسط]

ما ذا أكابد من ورق مغرّدة على قضيب بذات الجزع مياس

ردّدن شجوا شجى قلب الخلى فهل فى عبرة ذرفت فى الحبّ من باس

ذكره الزمن الماضي بقرطبة بين الأحبة في أمن و إيناس
هم الصبابة لو لا همة شرفت فصيرت قلبه كالجندل القاسي
و له أخبار تدل على رقة العراق و التغذى بماء تلك الآفاق:

فمنها أنه خرج إلى حضور جنازة بمقابر قريش، و رجل من بنى جابر كان يواخيه له منزل هناك، فعزم عليه في الميل إليه، و على أخيه، فنزل عليه، فأحضر لهما طعاما، و أمر جارية له بالغناء، فغنت: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٩٠

طابت بطيب لثاتك الأقداح و زهت بحمرة خدك التفاح

و إذا الرّبيع تنسّمت أرواحه طابت بطيب نسيمك الأرواح

و إذا الحنادس ألبست ظلماءها فضياء وجهك في الدّجى مصباح

فكتبها القاضي في ظهر يده، و خرج من عنده، قال يونس بن عبد الله: فلقد رأيته يكبر للصلاة على الجنازة و الأبيات مكتوبة على ظهر كفه.

و كان رحمه الله تعالى في غاية اللطف، حكى بعض أصحابه قال: ركبنا معه في موكب حافل من وجوه الناس، إذ عرض لنا فتى متأدب قد خرج من بعض الأرقمة سكران يتمايل، فلما رأى القاضي هابه، و أراد الانصراف، فخانته رجلاه، فاستند إلى الحائط، و

أطرق، فلما قرب القاضي رفع رأسه و أنشأ يقول: [الطويل]

ألا أيها القاضي الذي عمّ عدله فأضحى به بين الأنام فريدا

قرأت كتاب الله تسعين مرّة فلم أر فيه للشّراب حدودا

فإن شئت جلدا لي فدونك منكبا صبورا على ريب الزّمان جليدا

و إن شئت أن تغفو تكن لك منّة تروح بها في العالمين حميدا

و إن أنت تختار الحديد فإنّ لي لسانا على هجو الزّمان حديدا

فلما سمع شعره و ميز أدبه أعرض عنه و ترك الإنكار عليه، و مضى لشأنه، انتهى ملخصا من المطمح.

و رأيت بخطي في بعض مسوداتي ما صورته: محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة، سمع عم أبيه عبيد الله بن يحيى و محمد بن عمر بن لبابة و أحمد بن خالد، و رحل من قرطبة سنة ٣١٣، و دخل مصر، و حج، و سمع بمكة من ابن

المنذر و العقيلي و ابن الأعرابي، و كان حافظا، معنيا بالآثار، جامعا للسنن، متصرفا في علم الإعراب، و معاني الشعر، شاعرا مطبوعا، و شاوره القاضي أحمد بن بقي، و استقضاه الناصر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٩١

عبد الرحمن بن محمد على إلبيرة و بجانه، ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة بعد أبي طالب سنة ٣٢٤، و جمعت له مع القضاء الصلاة، و كان كثيرا ما يخرج إلى الثغور، و يتصرف في إصلاح ما و هي منها، فاعتل في آخر خرجاته، و مات في بعض الحصون المجاورة

لطليطة سنة ٣٣٧، و مولده سنة ٢٨٤، انتهى و أظن أنى نقلته من كتاب ابن الأبار الحافظ، و الله أعلم.

٤- و منهم عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسي،

الدمشقي وفاء، يكنى أبا بكر نزيل دمشق، كان مشهورا بالصلاح، و انتفع به جماعة من الفقهاء، و ولد على ما قيل سنة ٥١٦، و توفي سنة ٦١٦، بدمشق، و دفن بمقابر الصوفية، فيكون عمره على هذا مائة سنة، رحمه الله تعالى و نفعنا ببركاته و بركات أمثاله!.

٥- و منهم أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن يوسف،

الأنصارى، الأندلسى، الأيذى، الملقب فى البلاد المشرقية بـ «بهران الدين»، و أبذه- بضم الهمزة، و تشديد الباء الموحدة و فتحها، و بعدها زال معجمه- بلد بالأندلس، سمع المذكور بمكة و غيرها من البلاد، و بدمشق من الحافظ ابن طبرزد، و أم بالصخرة، و كان فاضلا صالحا شاعرا، توفى سنة ٦٥٦هـ، و أخبر عن بعض الأولياء المجاورين ببيت المقدس أنه سمع هاتفا يقول لما خرب القدس: [الخفيف]

إن يكن بالشَّام قَلَّ نصيرى ثم خَرَبت و استمرَّ هلوكى

فلقد أثبت الغداة خرابى سمر العار فى حياة الملوک

هكذا رأيته بخط الصفدى «فى حياة» و يحتمل أن يكون «فى جباه» جمع جبهة، و الله أعلم.

٦- و منهم القاضى منذر بن سعيد البلوطى،

قاضى الجماعة بقرطبة، و قد قدمنا جملة من أخباره فى الباب الثالث و الرابع من هذا القسم، و كان لا يخاف فى الله لومة لائم. و من مشهور ما جرى له فى ذلك قصته فى أيتام أخى نجدة، و حدث بها جماعة من أهل العلم و الرواية، و هى أن الخليفة الناصر احتاج إلى شراء دار بقرطبة، لحظية من نسائه تكرم عليه، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخى نجدة، و كانت بقرب النشارين فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٩٢

الربض الشرقى منفصلة عن دوره، و يتصل بها حمام له غلة واسعة، و كان أولاد زكريا أخى نجدة أيتاما فى حجر القاضى، فأرسل الخليفة من قومها له بعد ما طابت نفسه، و أرسل ناسا أمرهم بمدخله وصى الأيتام فى بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضى، إذ لم يجوز بيع الأصل إلا عن رأيه و مشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضى منذر فى بيع هذه الدار، فقال لرسوله: البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه: منها الحاجة، و منها الوهى الشديد، و منها الغبطة، فأما الحاجة فلا حاجة لهؤلاء الأيتام إلى البيع، و أما الوهى فليس فيها، و أما الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع، و إلا فلا، فنقل جوابه إلى الخليفة، فأظهر الزهد فى شراء الدار طمعا أن يتوخى رغبته فيها، و خاف القاضى أن تبعث منه عزيمة تلحق الأيتام ثورتها، فأمر وصى الأيتام بنقض الدار و بيع أنقاضها، ففعل ذلك و باع الأنقاض، فكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان، فاتصل الخبر به، فعز عليه خرابها، و أمر بتوقيف الوصى على ما أحدثه فيها، فأحال الوصى على القاضى أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضى منذر، و قال له: أ أنت أمرت بنقض دار أخى نجدة؟ فقال له: نعم، فقال: و ما دعاك إلى ذلك؟ قال: أخذت فيها بقول الله تعالى: **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَ كَانَ وَّرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) [الكهف: ٧٩]** مقوموك لم يقوموها إلا- بكذا، و بذلك تعلق و همك، فقد نضّ فى أنقاضها أكثر من ذلك، و بقيت القاعة و الحمام فضلا، و نظر الله تعالى للأيتام، فصر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك، و قال: نحن أولى من انقاد إلى الحق، فجزاك الله تعالى عنا و عن أمانتك خيرا!!

قالوا: و كان- على متانته و جزالته- حسن الخلق، كثير الدعابة، وربما ساء ظن من لا يعرفه، حتى إذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار له ثورة الأسد الضارى، فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال: قعدنا ليلة من ليالى شهر رمضان المعظم مع أبنينا للإفطار بداره البرانية، فإذا سائل يقول: أطعمونى من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة، هذه الليلة، و يكثر من ذلك، فقال القاضى إن استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا أحد.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٩٣

و حكى عنه قاسم بن أحمد الجهني أنه ركب يوما لحيازة أرض محبسة في ركب من وجوه الفقهاء و أهل العدالة فيهم أبو إبراهيم اللؤلؤى و نظراؤه، قال: فسرنا نقفوه و هو أماننا، و أمامه أماناؤه يحملون خرائطه و ذووه عليهم السكينة و الوقار، و كانت القضاء حينئذ لا- تراكب و لا تماشى، فعرض له فى بعض الطريق كلاب مع مستوحمة، و الكلاب تعلق عنها و تدور حولها، فوقف و صرف وجهه إلينا و قال: ترون يا أصحابنا ما أبرّ الكلاب بالهن الذى تعلقه و تكرمه، و نحن لا نفعل ذلك، ثم لوى عنان دابته و قد أضحكنا، و بقينا متعجبين من هزله.

و حضر عند الحكم المستنصر بالله يوما فى خلوة له فى بستان الزهراء على بركة ماء طافحة، وسط روضة نافحة، فى يوم شديد الوهج، و ذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة، فشكا إلى الخليفة من وهج الحرّ و الجهد، و بث منه ما تجاوز الحدّ، فأمره بخلع ثيابه و التخفيف عن جسمه، ففعل، و لم يطف ذلك ما به، فقال له: الصواب أن تنغمس فى وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك، و ليس مع الخليفة إلا الحاجب جعفر الخادم الصقلبي أمين الخليفة الحكم، لا رابع لهم، فكأنه استحيا من ذلك و انقبض عنه وقارا، و أقصر عنه إقصارا، فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه إلى النزول فى الصهريج ليسهل عليه الأمر فيه، فبادر جعفر لذلك، و ألقى نفسه فى الصهريج، و كان يحسن السباحة، فجعل يجول يمينا و شمالا فلم يسع القاضى إلا إنفاذ أمر الخليفة، فقام و ألقى بنفسه خلف جعفر، و لاذ بالعود فى درج الصهريج، و تدرّج فيه بعض تدرّج، و لم ينبسط فى السباحة، و جعفر يمر مصعدا و مصوبا فدهس الحكم على القاضى، و حمله على مساجلته فى العوم، و هو يعجزه فى إخلاده إلى القعود، و يعابته بإلقاء الماء عليه، و الإشارة بالجدب إليه، و هو لا ينبعث معه، و لا يفارق موضعه، إلى أن كلمه الحكم و قال له: ما لك لا تساعد الحاجب فى فعله و تتقبل صنعه؟ فمن أجلك نزل، و بسببك تبدّل، فقال له: يا سيدى، يا أمير المؤمنين، الحاجب سلمه الله تعالى لا هو جل معه، و إنما هذا الهوجل الذى معى يعقلنى و يمنعنى من أن أجول معه مجاله، يعنى أن الحاجب خصّى لا- هو جل معه، و الهوجل: الذكر، فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته و لطيف تعريضه لجعفر، و خجل جعفر من قوله، و سبه سب الأشراف، و خرجا من الماء، و أمر لهما الخليفة بخلع، و وصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٩٤

و حكى أن الخليفة الحكم قال له يوما: لقد بلغنى أنك لا تجتهد للأيتام، و أنك تقدم لهم أوصياء سوء يأكلون أموالهم، قال: نعم، و إن أمكنهم نيك أمهاتهم لم يعفوا عنهنّ، قال:

و كيف تقدم مثل هؤلاء؟ قال: لست أجد غيرهم و لكن أحلى على اللؤلؤى و أبى إبراهيم و مثل هؤلاء، فإن أبوا أجبرتهم بالسوط و السجن، ثم لا تسمع إلا خيرا.

و قال القاضى منذر: أتيت و أبو جعفر بن النحاس فى مجلسه بمصر يملئ فى أخبار الشعراء شعر قيس المجنون حيث يقول: [الطويل]

خليلى هل بالشام عين حزينه تبكى على نجد لعلّى أعينها

قد اسلمها الباكون إلا حمامة مطوّقة بات و بات قرينها

تجاوبها أخرى على خيزرانة يكاد يديها من الأرض لينها

فقلت له: يا أبا جعفر، ما ذا أعزك الله تعالى باتا يصنعان؟ فقال لى: و كيف تقول أنت يا أندلسى؟ فقلت له: بان و بان قرينها، فسكت، و ما زال يستقلنى بعد ذلك، حتى منعى كتاب العين، و كنت ذهبت إلى الانتساخ من نسخه، فلما قطع بى قيل لى: أين أنت من أبى العباس بن ولّاد؟ فقصدته، فلقيت رجلا- كامل العلم حسن المروءة، فسألته الكتاب، فأخرجه إلىّ، ثم ندم أبو جعفر لما بلغه إباحة أبى العباس الكتاب إلىّ، و عاد إلى ما كنت أعرفه منه.

قال: و كان أبو جعفر لثيم النفس، شديد التقدير على نفسه، و ربما و هبت له العمامة فيقطعها ثلاث عمائم، و كان يأبى شراء حوائجه

بنفسه، و يتحامل فيها على أهل معرفته، انتهى.

و أبو جعفر هذا يقال: إن تواليفه تزيد على خمسين، منها شرح عشرة دواوين للعرب، و إعراب القرآن، و معانى القرآن، و شرح أبيات الكتاب و غير ذلك.

رجع - و قال منذر بن سعيد: كتبت إلى أبي على البغدادي أستعير منه كتابا من الغريب، و قلت: [المجتث]

بحق ريم مهفهف و صدغه المتعطف

ابعث إلى بجزء من الغريب المصنف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٩٥

فقضى حاجتي، و أجاب بقوله:

و حقّ درّ تألف بفيك أي تألف

لأبعثن بما قد حوى الغريب المصنّف

و لو بعثت بنفسى إليك ما كنت أسرف

فرحم الله تعالى تلك الأرواح الطاهرة!

و ذكر ابن أصبغ الهمداني عن منذر أنه خطب يوما، و أراد التواضع، فكان من فصول خطبته أن قال: حتى متى و إلى متى أعظ و لا أتعظ، و أزجر و لا- أنزجر، أدل الطريق إلى المستدلين، و أبقى مقيما مع الحائرين؟ كلا إن هذا لهو البلاء المبين إن هبّ إلّا فتنّك تُضِلُّ بها مَنْ تَشَاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ [الأعراف: ١٥٥] الآية، اللهم فرغني لما خلقتني له، و لا تشغلني بما تكفّلت لي به، و لا تحرمني و أنا أسألك، و لا تعذبني و أنا أستغفرك، يا أرحم الراحمين.

و سمع منذر بالأندلس من عبيد الله بن يحيى بن يحيى و نظرائه، ثم رحل حاجا سنة ثمان و ثلاثمائة فاجتمع بعده أعلام، و ظهرت فضائله بالمشرق، و ممن سمع عليه منذر بالمشرق ثم بمكة محمد بن المنذر النيسابوري، سمع عليه كتابه المؤلف في اختلاف العلماء المسمى «بالإشراف» و روى بمصر كتاب «العين» للخليل عن أبي العباس بن ولّاد، و روى عن أبي جعفر بن النحاس، و كان منذر متفنا في ضروب العلوم و غلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن علي الأصبهاني المعروف بالظاهري، فكان منذر يؤثر مذهبه، و يجمع كتبه، و يحتج لمقالته، و يأخذ به في نفسه و ذويه، فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك و أصحابه، و هو الذي عليه العمل بالأندلس، و حمل السلطان أهل مملكته عليه، و كان خطيبا، بليغا، عالما بالجدل، حاذقا فيه، شديد العارضة، حاضر الجواب عتيده، ثابت الحجّة ذا شارة عجيبة، و منظر جميل، و خلق حميد، و تواضع لأهل الطلب، و انحطاط إليهم، و إقبال عليهم، و كان - مع وقاره التام - فيه دعاية مستملحة، و له نوادر مستحسنة، و كانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر في شهر ربيع الآخر سنة تسع و ثلاثين و ثلاثمائة، و لبث قاضيا من ذلك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٩٦

التاريخ للخليفة الناصر إلى وفاته، ثم للخليفة الحكم المستنصر إلى أن توفي رحمه الله تعالى عقب ذي القعدة من سنة خمس و خمسين و ثلاثمائة، فكانت ولايته لقضاء الجماعة المعبر عنه في المشرق بقضاء القضاء ستة عشر عاما كاملة، لم يحفظ عليه فيها جور في قضيه، و لا- قسم بغير سوية، و لا- ميل لهوى، و لا إصغاء إلى عناية، رحمه الله تعالى و رضى عنه! و دفن بمقبرة قريش بالربض الغربي من قرطبة أعادها الله تعالى! جوفى مسجد السيدة الكبرى، بقرب داره.

و له رحمه الله تعالى تواليف مفيدة: منها كتاب «أحكام القرآن» و «الناسخ و المنسوخ» و غير ذلك في الفقه و الكلام في الرد على أهل المذاهب، تغمده الله تعالى برضوانه!

و كتب بعض الأدباء إلى القاضي منذر بقوله: [السريع]

مسألة جئتكم مستفتيا عنها، و أنت العالم المستشار
علام تحمّر وجوه الطّبا و أوجه العشّاق فيها اصفرار
فأجاب منذر بقوله: [السريع]

احمر وجه الطّبي إذ لحظه سيف على العشّاق فيه احورار
و اصفرّ وجه الصّبّ لما نأى و الشّمس تبقى للمغيب اصفرار

[٧- ترجمة أبي القاسم الشاطبي الرعيني المقرئ]

٧- و ممن رحل إلى المشرق من الأندلس فشهد له بالسبق، كل أهل المغرب و الشرق، الإمام العلامة أبو القاسم الشاطبي، صاحب «حرز الأمانى» و «العقيلة» و غيرهما.

و هو أبو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد، الرّعيني، الشاطبي، المقرئ، الفقيه، الحافظ، الضرير، أحد العلماء المشهورين، و الفضلاء المشكورين، خطب ببلده شاطبة مع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٩٧

صغر سنه، و دخل الديار المصرية سنه اثنتين و سبعين و خمسمائة، و حضر عند الحافظ السلفى و ابن بزى و غيرهما، و ولد بشاطبة آخر سنه ثمان و ثلاثين و خمسمائة، و توفى بالقاهرة يوم الأحد الثامن و العشرين، و قيل: الثامن عشر، من جمادى الآخرة سنه تسعين و خمسمائة، بعد العصر، و دفن من الغد بالتربة الفاضلية بسفح المقطم.

و حكى أن الأمير عز الدين موسك، الذى كان والد ابن الحاجب حاجبا له بعث إلى الشيخ الشاطبي يدعوه إلى الحضور عنده، فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب إليه: [مجزوء الكامل]

قل للأمير مقاله من ناصح فطن نبيه

إنّ الفقيه إذا أتى أبوابكم لا خير فيه

و من نظمه رحمه الله تعالى: [الكامل]

خالقت أبناء الزمان فلم أجد من لم أرم منه ارتيادى مخلصى

ردّ الشّباب و قد مضى لسبيله أهيا و أمكن من صديق مخلص

و كان رحمه الله تعالى قرأ بشاطبة القراءات، و أتقنها على النّفى، ثم انتقل إلى بلنسية فقرأ بها التيسير من حفظه على ابن هذيل، و سمع الحديث منه و من ابن النعمة و ابن سعادة و ابن عبد الرحيم و غيرهم، و ارتحل إلى المشرق فاستوطن القاهرة، و اشتهر اسمه، و بعد صيته، و قصده الطلبة من النواحي، و كان إماما، علامة، ذكيا، كثير الفنون، منقطع القرين، رأسا فى القراءات، حافظا للحديث، بصيرا بالعربية، واسع العلم، و قد سارت الركببان بقصيدته «حرز الأمانى» و «عقيلة أتراب الفضائل» اللتين فى القراءات و الرسم، و حفظهما خلق كثير لا يحصون، و خضع لهما فحول الشعراء و كبار البلغاء و حذاق القراء، و لقد أوجز و سهّل الصعب.

و ممن روى عنه أبو الحسن بن خيرة، و وصفه من قوّة الحفظ بأمر عجيب معجب، و ممن قرأ عليه بالروايات الإمام الشهير محمد بن عمر القرطبي.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٩٨

و تصدر الشاطبي رحمه الله تعالى للإقراء بالمدرسة الفاضلية، و كان موصوفا بالزهد و العبادة و الانقطاع.

و قبره بالقرافة يزار، و ترجى استجابة الدعاء عنده، و قد زرته مرارا، و دعوت الله بما أرجو قبوله.

و ترك أولادا: منهم أبو عبد الله محمد، عاش نحو ثمانين سنه.

وقال السبكي في حق الإمام الشاطبي: إنه كان قوى الحافظة، واسع المحفوظ، كثير الفنون، فقيها، مقرئا، محدثا، نحويا، زاهدا، عابدا، ناسكا، يتوقد ذكاء، قال السخاوي:

أقطع أنه كان مكاشفا، وأنه سأل الله كتمان حاله، ما كان أحد يعلم أى شىء هو، انتهى.
و ترجمته واسعه، رحمه الله تعالى و نفعنا به آمين!.

وقال ابن خلكان: إنه أبدع فى «حرز الأمانى» و هى عمدة قراء هذا الزمان فى تعلمهم، فقل من يشتغل بالقراءات إلا و يقدم حفظها و معرفتها، و هى مشتملة على رموز عجيبة و إشارات لطيفة، و ما أظنه سبق إلى أسلوبها، و قد روى عنه أنه كان يقول: لا يقرأ أحد قصيدتى هذه إلا و ينفعه الله عز و جل، لأنى نظمتها لله تعالى مخلصا، و كان عالما بكتاب الله تعالى قراءة و تفسيراً، و بحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، مبرزا فيه، و كان إذا قرىء عليه صحيحا البخارى و مسلم و الموطأ يصحح النسخ من حفظه، و يملئ النكت على المواضع المحتاج إليها، و كان أوحد فى علم النحو و اللغة، عارفا بتعبير الرؤيا، حسن المقاصد، مخلصا فيما يقول و يفعل، و كان يجتنب فضول الكلام، و لا ينطق فى سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه الحاجة، و لا يجلس للقراءة إلا على طهارة فى هيئة حسنة و تخشع و استكانة، و كان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكى و لا يتأوه، و إذا سئل عن حاله قال: العافية، لا يزيد على ذلك، و كان كثيرا ما ينشد هذا اللغز فى النعش، و هو لأبى زكريا يحيى بن سلامة الخطيب: [الطويل]

أعرف شيئا فى السماء نظيره إذا سار صاح الناس حيث يسير

فتلقاه مركوبا و تلقاه راكبا و كل أمير يعتليه أسير

يحض على التقوى و يكره قربه و تنفر منه النفس و هو نذير

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ١٩٩

و لم يستتر عن رغبة فى زيارة و لكن على رغم المزور يزور

و كان يقول عند دخوله إلى مصر: إنه يحفظ وقرعير من العلوم، و كان نزيل القاضى الفاضل، و رتبته بمدرسته بالقاهرة، و قيل: إن كنيته أبو محمد حسبما وجد فى بعض إجازاته، رحمه الله تعالى!.

٨- ترجمة القاضى أبى بكر بن العربى المعافى

٨- و من الراحلين إلى المشرق من الأندلس الإمام القاضى: أبو بكر بن العربى.

قال ابن سعيد: هو الإمام العالم القاضى الشهير فخر المغرب، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المعافى، قاضى قضاة كورة إشبيلية، ذكره الحجارى فى المسهب، طبق الآفاق بفوائده، و ملأ الشام و العراق بأوابده، و هو إمام فى الأصول و الفروع و غير ذلك.

و من شعره و قد ركب مع أحد أمراء الملتئمين، و كان ذلك الأمير صغيرا، فهز عليه رمحا كان فى يده مداعبا له، فقال: [الطويل]

يهز على الرمح ظبي مهفهف لعوب بألباب البرية عابث

و لو كان رمحا واحدا لا تقيته و لكنّه رمح و ثان و ثالث

و قوله و قد دخل عليه غلام جميل الصورة فى لباس خشن: [الرمل]

لبس الصوف لكى أنكره و أتانا شاحبا قد عبسا

قلت إيه عرفناك و ذا جلّ سوء لا يعيب الفرسا

كلّ شىء أنت فيه حسن لا يبالى حسن ما لبسا

و زعم بعض أن الأبيات ليست له، و إنما تمثل بها، فالله تعالى أعلم.

و ممن عرّف بابن العربى و ذكره ابن الإمام فى سمط الجمان، و الشقندى فى الطرف،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٠٠

و كان قد صحب المهدي محمد بن تومرت بالمشرق، فأوصى عليه عبد المؤمن و كان مكرما عنده، و حكى أنه كتب كتابا فأشار عليه بعض من حضر أن يذّر عليه نشارة، فقال: قف، ثم فكر ساعة، و قال: اكتب: [الخفيف]

لا تشنه بما تذرّ عليه فكفاه هبوب هذا الهواء

فكأنّ الذي تذرّ عليه جدريّ بوجنه حسناء

و لقي أبا بكر الطرطوشي، و ما برح معظما إلى أن تولى خطبة القضاء، و وافق ذلك أن احتاج سور إشبيلية إلى ببيان جهه منه، و لم يكن بها مال متوفر، ففرض على الناس جلود ضحاياهم، و كان ذلك في عيد أضحى، فأحضرها كارهين، ثم اجتمعت العامة العمياء، و ثارت عليه، و نهبوا داره، و خرج إلى قرطبة.

و كان في أحد أيام الجمع قاعدا ينتظر الصلاة، فإذا بغلام رومي وضىء قد جاء يخترق الصفوف بشمعة في يده و كتاب معتق، فقال: [السريع]

و شمعة تحملها شمعة يكاد يخفى نورها نارها

لو لا نهى نفس نهت غيها لقبّلتها و أتت عارها

و لما سمعها أبو عمران الزاهد قال: إنه لم يكن يفعل، و لكنه هزته أريحية الأدب و لو كنت أنا لقلت: [البسيط]

لو لا الحياء و خوف الله يمنعي و أن يقال صبا موسى على كبره

إذا لمّعت لحظي في نواظره حتى أوفى جفوني الحقّ من نظره

رجع إلى أخبار ابن العربي - فنقول: إنه سمع بالأندلس أباه و خاله أبا القاسم الحسن الهوزني و أبا عبد الله الشرقسطي، و ببجاية أبا عبد الله الكلاعي، و بالمهدية أبا الحسن بن الحداد الخولاني، و سمع بالإسكندرية من الأنماطي، و بمصر من أبي الحسن الخلعي و غيره، و بدمشق غير واحد كأبي الفتح نصر المقدسي، و بمكة أبا عبد الله الحسين الطبري و ابن طلحة و ابن بندار، و قرأ الأدب على التبريزي، و عمل رحمه الله تعالى على مدينة إشبيلية سورا بالحجارة و الآجر بالنورة من ماله، و كان - كما في الصلة - حريصا على آدابها و سيرها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٠١

ثاقب الذهن في تمييز الصواب فيها، و يجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق، مع حسن المعاشرة، و لين الكنف، و كثرة الاحتمال، و كرم النفس، و حسن العهد، و ثبات الود.

و ذكره ابن بشكوال في الصلة و قال فيه: هو الإمام الحافظ، ختام علماء الأندلس، رحل إلى المشرق مع أبيه مستهلّ ربيع الأول سنة خمس و ثمانين و أربعمائة، و دخل الشام و العراق و بغداد، و سمع بها من كبار العلماء، ثم حج في سنة تسع و ثمانين، و عاد إلى بغداد، ثم صدر منها.

و قال ابن عساكر: خرج من دمشق راجعا إلى مقره سنة ٤٩١، و لما غرّب صنف «عارضه الأحوذى» و لقي بمصر و الإسكندرية جملة من العلماء، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث و تسعين، و قدم إشبيلية بعلم كثير، و كان موصوفا بالفضل و الكمال، و ولى القضاء بإشبيلية، ثم صرف عنه، و مولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان و ستين و أربعمائة، و توفى بمغيلة بمقربه من مدينة فاس، و دفن بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة، انتهى كلام ابن سعيد و غيره ملخصا.

و ما و في ابن سعيد حافظ الإسلام أبا بكر بن العربي حقه، فلنغززه بما حضرنا من التعريف به، فنقول: إنه لقي ببغداد الشاشي الإمام أبا بكر و الإمام أبا حامد الطوسي الغزالي، و نقل عنه أنه قال: كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به من العلم إلا الباجي، أو كلاما هذا معناه، و كان من أهل التنفن في العلوم، متقدما في المعارف كلها، متكلمة على أنواعها، حريصا على نشرها، و قام بأمر القضاء أحمد

قيام، مع الصرامة في الحق، والقوة والشدة على الظالمين، والرفق بالمساكين، وقد روى عنه أنه أمر بثقب أشداق زامر، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه، وقرأ عليه الحافظ ابن بشكوال بإشيلية.

وقال ابن الأبار: إن الإمام الزاهد العابد أبا عبد الله بن مجاهد الإشبيلية لازم القاضي ابن العربي نحوًا من ثلاثة أشهر، ثم تخلف عنه، فقيل له في ذلك، فقال: كان يدرس وبلغته عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٢٠١

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٠٢

وذكره ابن الزبير في صلته، وقال: إنه رحل مع أبيه أبي محمد عند انقراض الدولة العبادية، وسنه نحو سبعة عشر عامًا، إلى أن قال: وقيد الحديث، وضبط ما روى، واتسع في الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام على أئمة هذا الشأن، ومات أبوه - رحمه الله تعالى! - بالإسكندرية أول سنة ثلاث وتسعين فأنصرف حينئذ إلى إشبيلية، فسكنها، وشوور فيها، وسمع ودرس الفقه والأصول، وجلس للوعظ والتفسير، وصنف في غير فن تصانيف مليحة حسنة مفيدة، وولى القضاء مدة أولها في رجب من سنة ثمان وعشرين، فنفذ الله تعالى به لصرامته ونفوذ أحكامه، والتزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أودى في ذلك بذهاب كتبه وماله، فأحسن الصبر على ذلك كله، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه وكان فصيحًا، حافظًا، أديبًا، شاعرًا، كثير الملح، مليح المجلس.

ثم قال: قال القاضي عياض - بعد أن وصفه بما ذكرته -: ولكثره حديثه وأخباره وغريب حكاياته ورواياته أكثر الناس فيه الكلام، وطعنوا في حديثه، وتوفى منصرفه من مراكش من الوجهة التي توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة بعد دخول الموخّدين مدينة إشبيلية، فحبسوا بمراكش نحو عام، ثم سرحوا، فأدركنه منيته، وروى عنه خلق كثير، منهم القاضي عياض وأبو جعفر بن الباذش وجماعة، انتهى ملخصًا.

ووقع في عبارة ابن الزبير تبعًا لجماعة أنه دفن خارج الجيسة بفاس، والصواب خارج باب المحروق، كما أشبعت الكلام على ذلك في «أزهار الرياض» وقد زرته مرارًا، وقبره هنالك مقصود للزيارة خارج القصبه، وقد صرح بذلك بعض المتقدمين الذين حضروا وفاته، وقال: إنه دفن بتربة القائد مظفر خارج القصبه، وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج، رحمه الله تعالى!.

و من بديع نظمه: [المتقارب]

أتنتى تؤبني بالبكاء فأهلا بها وبتأنيها

تقول و في نفسها حسرة: أتبكي بعين تراني بها؟

فقلت: إذا استحسنست غيركم أمرت جفوني بتعذيبها!

وقال رحمه الله تعالى: دخل على الأديب ابن صارة وبين يدي نار علاها رماد، فقلت له: قل في هذه، فقال: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٠٣

شابت نواصي النار بعد سوادها وتستر عنا بثوب رماد

ثم قال لي أجز، فقلت: [الكامل]

شابت كما شبتنا وزال شبابنا فكأئما كئنا على ميعاد

وقد اختلف حذاق الأدباء في قوله: «و لكنه رمح و ثان و ثالث» ما هو الثاني والثالث؟

فقيل: القدّ واللحظ، وقيل غير ذلك.

ولما ذكر رحمه الله تعالى في كتابه «قانون التأويل» ركوبه البحر في رحلته من إفريقية قال: وقد سبق في علم الله تعالى أن يعظم علينا البحر بزوله، ويغرقتنا في هوله، فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر، وانتهينا بعد خطب طويل إلى بيوت بني كعب بن سليم، و

نحن من السَّيِّغ، على عطب، و من العرى، فى أقيح زى، قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الحجارة منيبتها، و دسّمت الأدهان و برها و جلدتها، فاحترمناها أزرا، و اشتملناها لفافا، تمجنا الأبصار، و تخذلنا الأنصار، فعطف أميرهم علينا، فأوينا إليه فأوانا، و أطعنا الله تعالى على يديه و سقانا، و أكرم مثنانا، و كسانا بأمر حقير ضعيف، و فنّ من العلم طريف، و شرحة أنا لما وقفنا على بابه ألفينا يدبر أعواد الشاه، فعل السامد اللاه، فدنوت منه فى تلك الأطمار، و سمح لى بياذته إذ كنت من الصغر فى حدّ يسمح فيه للأعمار، و وقفت بإزائهم، أنظر إلى تصرفهم من ورائهم، إذ كان علق بنفسى بعض ذلك من بعض القرابة فى خلس البطالة، مع غلبة الصبوة و الجهالة، فقلت للبياذقة: الأمير أعلم من صاحبه، فلمحونى شزرا، و عظمت فى أعينهم بعد أن كنت نزرا، و تقدّم إلى الأمير من نقل إليه الكلام، فاستدنانى، فدنوت منه، و سألتى: هل لى بما هم فيه بصر؟ فقلت: لى فيه بعض نظر، سيبدو لك و يظهر، حرّك تلك القطعة، ففعل كما أشرت و عارضه صاحبه، فأمرته أن يحرك أخرى،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٠٤

و ما زالت الحركات بينهم كذلك تترى، حتى هزمهم الأمير، و انقطع التدبير، فقالوا: ما أنت بصغير، و كان فى أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الأمير منشدا: [الطويل]

و أحلى الهوى ما شكّ فى الوصل ربّه و فى الهجر فهو الدهر يرجو و يتقى

فقال: لعن الله أبا الطيب! أو يشك الرب؟ فقلت له فى الحال: ليس كما ظنّ صاحبك أيها الأمير، إنما أراد بالرب ههنا الصاحب، يقول: ألد الهوى ما كان المحبّ فيه من الوصال، و بلوغ الغرض من الآمال، على ريب، فهو فى وقته كله على رجاء لما يؤمله، و تقاة لما يقع به، كما قال: [الطويل]

إذا لم يكن فى الحبّ سخط و لا رضا فأين حلوات الرّسائل و الكتب

و أخذنا نضيف إلى ذلك من الأغراض، فى طرفى إبرام و انتقاض، ما حرّك منهم إلى جهتى دواعى الانتهاض، و أقبلوا يتعجبون منى و يسألونى كم سنى، و يستكشفوننى عنى، فبقرت لهم حديثى، و ذكرت لهم نجيشى، و أعلمت الأمير بأن أبى معى، فاستدعاه، و قمنا الثلاثة إلى مثواه، فخلع علينا خلعه، و أسبل علينا أدمعه، و جاء كل خوان، بأفنان و ألوان.

ثم قال بعد المبالغة فى وصف ما نالهم من إكرامه: فانظر إلى هذا العلم الذى هو إلى الجهل أقرب، مع تلك الصّيبابة اليسيرة من الأدب، كيف أنقذا من العطب؟ و هذا الذكر يرشدكم إن عقلتم إلى المطلب، و سرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر، انتهى مختصرا. و الزول: العجب، و نجيث الخبر: ما ظهر من قبحة، يقال: بدا نجيث القوم، إذا ظهر سرهم الذى كانوا يخفونه، قالهما الجوهري. و ذكر- رحمه الله تعالى-! فى رحلته عجائب:

منها: أنه حكى فى دخوله بدمشق بيوت بعض الأكابر أنه رأى فيه النهر جاريا إلى موضع جلوسهم، ثم يعود من ناحية أخرى، فلم أفهم معنى ذلك حتى جاءت موائد الطعام فى النهر المقبل إلينا، فأخذها الخدم و وضعوها بين أيدينا، فلما فرغنا ألقى الخدم الأوانى و ما معها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٠٥

فى النهر الراجع، فذهب بها الماء إلى ناحية الحريم من غير أن يقرب الخدم تلك الناحية، فعلمت السر، و إن هذا العجيب، انتهى بمعناه.

و قال فى «قانون التأويل»: ورد علينا ذانشمند - يعنى الغزالى - فنزل برباط أبى سعد بإزاء المدرسة النظامية، معرضا عن الدنيا، مقبلا على الله تعالى، فمشينا إليه، و عرضنا أمنيّتنا عليه، و قلت له: أنت ضالّتنا التى كنا نشد، و إمامنا الذى به نسترشد، فلقينا لقاء المعرفة، و شاهدنا منه ما كان فوق الصفة، و تحققتنا أن الذى نقل إلينا من أن الخبر على الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم و لو رآه على بن

العباس لما قال: [المتقارب]

إذا ما مدحت امرا غائبا فلا تغل في مدحه و اقصد
فإنك إن تغل تغل الظنون فيه إلى الأمد الأبعد
فيصغر من حيث عظّمته لفضل المغيب على المشهد

و كنت نقلت من المطمح في حقه ما صورته: الفقيه الحافظ أبو بكر بن العربي علم الأعلام الطاهر الأثواب، الباهر الألباب، الذي أنسى ذكاء إياس، و ترك التقليد للقياس، و أنتج الفرع من الأصل، و غدا في يد الإسلام أمضى من التّصل، سقى الله تعالى به الأندلس بعدما أجذبت من المعارف، و مد عليها منه الظلّ الوارف، و كساها رونق نبلة، و سقاها ريق و بله، و كان أبوه أبو محمد ياشبيلية بدرا في فلکها، و صدرا في مجلس ملكها، و اصطفاه معتمد بنى عباد، اصطفاه المأمون لابن أبي دواد، و ولاه الولايات الشريفة، و يؤاه المراتب المنيفة، فلما أفقرت حمص من ملكهم و خلت، و ألقته منها و تخلّت، رحل به إلى المشرق، و حل فيه محل الخائف الفرق، فجال في أكتافه، و أجال قداح الرجاء في استقبال العزو استئنافه، فلم يسترد ذاهبا، و لم يجد كمعتمده باذلا له و واهبا، فعاد إلى الرواية و السماع، و ما استفاد من آمال تلك الأطماع، و أبو بكر إذ ذاك في ثرى الذكاء قضيب ما دوّح، و في روض الشباب زهر ما صوّح، فألزمه مجالس العلم رائحا و غاديا، و لازمه سائقا إليها و حاديا، حتى استقرت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٠٦

به مجالسه، و اطردت له مقايسه، فجدّ في طلبه، و استجدّ به أبوه متمزق أربه، ثم أدركه حمامه، و وارته هناك رجامة، و بقي أبو بكر متفردا، و للطلب متحرّدا، حتى أصبح في العلم وحيدا، و لم تجد عنه رياسته محيدا، فكر إلى الأندلس فحلّها و النفوس إليه متطلعة، و لأبناؤه متسمعة، فناهيك من حظوة لقي، و من عزة سقى، و من رفعة سما إليها ورقى، و حسبك من مفاخر قلدها، و محاسن أنس أثبتها فيها و خلدها، و قد أثبت من بديع نظمه ما يهز أعطافا، و ترده الأفهام نطافا، فمن ذلك قوله يتشوق إلى بغداد، و يخاطب فيها أهل الوداد:

[الطويل]

أمنك سرى و الليل يخدع بالفجر خيال حبيب قد حوى قصب الفخر؟
جلا ظلم الظلماء مشرق نوره و لم يخبط الظلماء بالأنجم الزهر
و لم يرض بالأرض البسيطة مسحبا فسار على الجوزا إلى فلك يجرى
و حتّ مطايا قد مطاها بعزة فأوطأها قسرا على قنّه النسر
فصارت ثقالا بالجلالة فوقها و سارت عجالا تتقى ألم الزجر
و جرّت على ذيل المجزة ذيلها فمن ثمّ يبدو ما هناك لمن يسرى
و مرّت على الجوزاء توضع فوقها فأثار ما مرّت به كلف البدر
و ساقّت أريج الخلد من جنّة العلا فدع عنك رملا بالأنعيم يستدرى
فما حذرت قيسا و لا خيل عامر و لا أضمرت خوفا لقاء بنى ضمير
سقى الله مصرا و العراق و أهلها و بغداد و الشامين منهمل القطر

و من تأليف الحافظ أبي بكر بن العربي المذكور كتاب «القبس»، في شرح موطأ مالك بن أنس» و كتاب «ترتيب المسالك»، في شرح موطأ مالك» و كتاب «أنوار الفجر» و كتاب «أحكام القرآن» و كتاب «عارضه الأحوذى»، في شرح الترمذى» و «الأحوذى- بفتح الهمزة، و سكون الحاء المهملة، و فتح الواو، و كسر الذال المعجمة، و آخره ياء مشددة. و كتاب «مراقى الزلف»

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٠٧

و كتاب «الخلافات» و كتاب «نواهي الدواهي» و كتاب «سراج المرادين» و كتاب «المشككين»:

مشكل الكتاب، و السنة» و كتاب «الناسخ و المنسوخ في القرآن» و كتاب «قانون التأويل» و كتاب «النيرين، في الصحيحين» و كتاب «سراج المهتدين» و كتاب «الأمد الأقصى، بأسماء الله الحسنی و صفاته العلا» و كتاب «في الكلام على مشكل حديث السبحات و الحجاب»، و كتاب «العقد الأكبر، للقلب الأصغر» و «تبيين الصحيح، في تعيين الذبيح» و «تفصيل التفضيل، بين التحميد و التهليل» و رسالة «الكافي، في أن لا دليل على النافي» و كتاب «السبعيات» و كتاب «المسلسلات» و كتاب «المتوسط في معرفة صحّة الاعتقاد، و الرد على من خالف أهل السنة من ذوى البدع و الإلحاد» و كتاب «شرح غريب الرسالة» و كتاب «الإنصاف، في مسائل الخلاف» عشرون مجلدا، و كتاب «حديث الإفك» و كتاب «شرح حديث جابر في الشفاعة» و كتاب «شرح حديث أم زرع» و كتاب «ستر العورة» و كتاب «المحصول، في علم الأصول» و كتاب «أعيان الأعيان» و كتاب «ملجأ المتفقهين، إلى معرفة غوامض النحويين» و كتاب «ترتيب الرحلة» و فيه من الفوائد ما لا يوصف.

و من فوائد القاضي أبى بكر بن العربى رحمه الله تعالى قوله: قال علماء الحديث: ما من رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهه نضرة، لقول النبى صلى الله عليه و سلم: «نَضِرَ اللهُ امرأ سمع مقالتي فوعاها فأذاها كما سمعها- الحديث» قال: و هذا دعاء منه عليه الصلاة و السلام لحمله علمه، و لا بدّ بفضل الله تعالى من نيل بركته، انتهى.

و إلى هذه النضرة أشار أبو العباس العزفى بقوله: [الكامل]

أهل الحديث عصابة الحق فازوا بدعوة سيد الخلق

فوجوههم زهر منضرة لألأوها كتألق البرق

يا ليتنى معهم فيدركنى ما أدركوه بها من السبق

و لا بأس أن نذكر هنا بعض فوائد الحافظ أبى بكر بن العربى رحمه الله تعالى:

فمنها قوله فى تصريف المحصنات: يقال: أحصن الرجل فهو محصن - بفتح العين فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٠٨

اسم الفاعل - و أسهب فى الكلام فهو مسهب، إذا أطال البحث فيه، و ألقج فهو ملقج، إذا كان عديما، لا رابع لها، و الله تعالى أعلم، انتهى.

و منها قوله: سمعت الشيخ فخر الإسلام أبى بكر الشاشى و هو ينتصر لمذهب أبى حنيفة فى مجلس النظر يقول: يقال فى اللغة العربية لا تقرب كذا- بفتح الراء- أى لا تتلبس بالفعل، و إذا كان بضم الراء كان معناه لا تدن من الموضوع، و هذا الذى قاله صحيح مسموع، انتهى.

و منها قوله: شاهدت المائدة بطورزيتا مرارا، و أكلت عليها ليلا و نهارا، و ذكرت الله سبحانه فيها سرا و جهارا، و كان ارتفاعها أشفّ من القامة بنحو الشبر، و كان لها درجان قبلى و جنوبى، و كانت صخرة صلودا لا تؤثر فيها المعاول، و كان الناس يقولون: مسخت صخرة إذ مسخ أربابها قرده و خنازير، و الذى عندى أنها كانت صخرة فى الأصل قطعت من الأرض محلا للمائدة النازلة من السماء، و كل ما حولها حجارة مثلها، و كان ما حولها محفوقا بقصور، و قد نحتت فى ذلك الحجر الصلد بيوت أبوابها منها و مجالسها منها، مقطوعة فيها، و حناياها فى جوانبها، و بيوت خدمتها قد صوّرت من الحجر كما تصوّر من الطين و الخشب، فإذا خلت فى قصر من قصورها و رددت الباب و جعلت من ورائه صخرة مقدار ثقل ثمن درهم لم يفتحه أهل الأرض للصوقه بالأرض، و إذا هبّ الريح و حثت تحته التراب لم يفتح إلا- بعد صب الماء تحته و الإكثار منه حتى يسيل بالتراب، و ينفرج منفرج الباب، و قد بار بها قوم بهذه العلة، و قد كنت أخلو فيها كثيرا للدرس، و لكنى كنت فى كل حين أكنس حول الباب، مخافة مما جرى لغيرى فيها، و قد شرحت أمرها فى كتاب «ترتيب الرحلة» بأكثر من هذا، انتهى.

و منها قوله رحمه الله تعالى: تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبى بكر الفهرى الطرطوشى حديث أبى ثعلبة المرفوع «إن من

ورائكم أياما للعامل فيها أجر خمسين منكم»

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٠٩

فقالوا: بل منهم، فقال: «بل منكم، لأنكم تجدون على الخير أعوانا، وهم لا يجدون عليه أعوانا» و تفاوضنا كيف يكون أجر من يأتي من الأئمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الإسلام، و عضدوا الدين و أقاموا المنار، و افتتحوا الأمصار، و حموا البيضة، و مهّدوا الملء، و قد قال صلى الله عليه و سلم في الصحيح: «لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم و لا نصيفه» فتراجعنا القول، و تحصل ما أوضحناه في شرح الصحيح، و خلاصته: أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد، و لا يدانيهم فيها بشر، و أعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الأجر من أخلص إخلاصهم، و خلّصها من شوائب البدع و الرياء بعدهم، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين و الإسلام، و هو أيضا انتهاؤه، و قد كان قليلا في ابتداء الإسلام، صعب المرام، لغلبة الكفار على الحق، و في آخر الزمان أيضا يعود كذلك، لوعده الصادق صلى الله عليه و سلم بفساد الزمان، و ظهور الفتن، و غلبة الباطل، و استيلاء التبديل و التغيير على الحق من الخلق، و ركوب من يأتي سنن من مضى من أهل الكتاب، كما قال صلى الله عليه و سلم: «التركيب سنن من قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع، حتّى لو دخلوا جحر ضبّ خرب لدخلتموه» و قال صلى الله عليه و سلم: «بدأ الإسلام غريبا، و سيعود غريبا كما بدأ». فلا بد و الله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الإسلام إلى واحد، كما بدأ من واحد، و يضعف الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف و باع نفسه من الله تعالى في الدعاء إليه كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنا منه معانا عليه بكثرة الدعاء إلى الله تعالى، و ذلك قوله: «لأنكم تجدون على الخير أعوانا و هم لا يجدون عليه أعوانا» حتى ينقطع ذلك انقطاعا باتا لضعف اليقين و قلة الدين، كما قال صلى الله عليه و سلم: «لا تقوم الساعة حتّى لا يقال في الأرض الله الله» يروى برفع الهاء و نصبها، فالرفع على معنى لا يبقى موحد يذكر الله عز و جل، و النصب على معنى لا يبقى أمر بمعروف و لا ناه عن المنكر يقول:

أخاف الله، حينئذ يتمنى العاقل الموت، كما قال صلى الله عليه و سلم: «لا تقوم الساعة حتّى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني كنت مكانه» انتهى و أنشد رحمه الله تعالى لبعض الصوفية: [السريع]

امتحن الله بذا خلقه فالتار و الجنة في قبضته

فهجره أعظم من ناره و وصله أطيب من جنّته

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢١٠

و من فوائد ابن العربي رحمه الله تعالى أنه قال: كنت بمجلس الوزير العادل أبي منصور ابن جهير على رتبة بينها في كتاب «الرحلة»، للترغيب في الملة» فقرأ القارئ تحيتهم يوم يلقونه سيّلام [الأحزاب: ٤٤] و كنت في الصف الثاني من الحلقة بظهر أبي الوفاء علي بن عقيل إمام الحنبلية بمدينة السلام، و كان معتزلي الأصول، فلما سمعت الآية قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري: هذه الآية دليل على رؤية الله في الآخرة: فإن العرب لا تقول: «لقيت فلانا» إلا إذا رأته، فصرف وجهه أبو الوفاء مسرعا إلينا، و قال ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله تعالى لا يرى في الآخرة: فقد قال الله تعالى: فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ [التوبة: ٧٧] و عندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى في الآخرة، و قد شرحنا وجه الآية في المشكلين، و تقدير الآية: فأعقبهم هو نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه، فيحتمل ضمير يلقونه أن يعود إلى ضمير الفاعل في (أعقبهم) المقدر بقولنا هو، و يحتمل أن يعود إلى النفاق مجازا على تقدير الجزاء، انتهى.

و منها ما نقله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «لا يقل أحدكم انصرفنا من الصلاة» فإن قوما قيل فيهم ثم أنصروا صرّف الله قلوبهم [التوبة: ١٢٧] و قد أنبأنا محمد بن عبد الملك القيسي الواعظ، أنبأنا أبو الفضل الجوهري سمعا منه: كنا في جنازة فقال المنذر بها: انصرفوا رحمكم الله تعالى، فقال: لا يقل أحدكم انصرفوا فإن الله تعالى قال في قوم ذمهم: ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ [التوبة: ١٢٧]

[١٢٧] ولكن قولوا: انقلبوا رحمكم الله، فإن الله تعالى قال في قوم مدحهم: فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ [آل عمران: ١٧٤] انتهى.

و منها، وقد ذكر الخلاف في شاهد يوسف، ما صورته: فإذا قلنا إنه القميص، فكان يصح من جهة اللغة أن يخبر عن حاله بتقديم مقاله، فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال في بعض الأمور، وقد تضيف العرب الكلام إلى الجمادات بما تخبر عنه بما عليها من الصفات، و من أحلاه قول بعضهم: قال الحائط للوتد: لم تشقني؟ قال: سل من يدقني، ما يتركني و رائى، هذا الذى و رائى، لكن قوله تعالى بعد ذلك: مِنْ أَهْلِهَا [يوسف: ٢٦] فى صفة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢١١

الشاهد يبطل أن يكون القميص، و أما من قال إنه ابن عمها أو رجل من أصحاب العزيز فإنه يحتمل، لكن قوله: مِنْ أَهْلِهَا [يوسف: ٢٦] يعطى اختصاصها من جهة القرابة، انتهى.

و منها قوله: إنه كان بمدينة السلام إمام من الصوفية و أى إمام، يعرف بابن عطاء، فتكلم يوما على يوسف و أخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب إليه من مكروهه، فقام رجل من آخر مجلسه و هو مشحون بالخلية من كل طائفة فقال: يا شيخ، يا سيدنا، فإذن يوسف هم و ما تم، فقال: نعم، لأن العناية من ثم، فانظروا إلى حلاوة العالم و المتعلم و فطنة العامى فى سؤاله، و العالم فى اختصاره و استيفائه، و لذا قال علماءنا الصوفية: إن فائدة قوله تعالى: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا [يوسف: ٢٢] إن الله تعالى أعطاه العلم و الحكمة أيام غلبه الشهوة لتكون له سببا للعصمة. انتهى.

و منها قوله: كنت بمكة مقيما فى ذى الحجة سنة تسع و ثمانين و أربعمائه، و كنت أشرب من ماء زمزم كثيرا، و كل ما شربته نويت به العلم و الإيمان، ففتح الله تعالى لى ببركته فى المقدار الذى يسره لى من العلم، و نسيت أن أشربه للعمل، و يا ليتنى شربته لهما، حتى يفتح الله تعالى لى فيهما، و لم يقدر فكان صفوى للعلم أكثر منه للعمل، و أسأل الله تعالى الحفظ و التوفيق برحمته.

و منها قوله: سمعت إمام الحنابلة بمدينة السلام أبا الوفاء على بن عقيل يقول: إنما تبع الولد الأم فى المالية و صار بحكمها فى الرق و الحرية لأنه انفصل عن الأب نطفة لا قيمة له، و لا مالية فيه، و لا منفعة مبتوتة عليه، و إنما اكتسب ما اكتسب بها و منها، فلذلك تبعها، كما لو أكل رجل تمرا فى أرض رجل و سقطت منه نواة فى الأرض من يد الأكل فصارت نخلة فإنها ملك صاحب الأرض دون الأكل بإجماع من الأمة، لأنها انفصلت عن الأكل و لا قيمة لها، و هذه من البدائع، انتهى.

و منها قوله: و من نوادر أبى الفضل الجوهري ما أخبرنا عنه محمد بن عبد الملك الواعظ و غيره أنه كان يقول: إذا أمسكت علاقة الميزان بالإبهام و السبابة، و ارتفعت سائر الأصابع كان شكلها مقروا بقولك الله، فكأنها إشارة منه سبحانه فى تيسير الوزن كذلك إلى أن الله سبحانه مطلع عليك، فاعدل فى وزنك، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢١٢

و منها قوله: كان ابن الكازرونى يأوى إلى المسجد الأقصى، ثم تمتعنا به ثلاث سنوات، و لقد كان يقرأ فى مهد عيسى عليه السلام فيسمع من الطور، فلا يقدر أحد أن يصنع شيئا دون قراءته، إلا الإصغاء إليه، انتهى.

و منها قوله فى تفسير قوله تعالى فى أيام نَحْسَاتٍ [فصلت: ١٦] قيل: إنها كانت آخر شوال، من الأربعاء إلى الأربعاء، و الناس يكرهون السفر يوم الأربعاء لأجل هذه الرواية، حتى إنى لقيت يوما مع خالى الحسن بن أبى حفص رجلا من الكتاب، فودعنا بنية السفر، فلما فارقنا قال لى خالى: إنك لا تراه أبدا لأنه سافر فى يوم أربعاء لا يتكرر، و كذا كان، مات فى سفره، و هذا ما لا أراه، لأن يوم الأربعاء يوم عجيب، بما جاء فى الحديث من الخلق فيه و الترتيب، فإن الحديث ثابت بأن الله تعالى خلق يوم السبت التربة، و يوم الأحد الجبال، و يوم الاثنين الشجر، و يوم الثلاثاء المكروه، و يوم الأربعاء النور، و روى النون، و فى غريب الحديث أنه خلق يوم الأربعاء التّقن، و هو كل شىء تتقن به الأشياء، يعنى المعادن من الذهب و الفضة و النحاس و الحديد و الرصاص، فاليوم الذى خلق فيه

المكروه لا يعافه الناس، و اليوم الذى خلق فيه النور أو التّقن يعافونه، إن هذا لهو الجهل المبين! و فى المغازى أن النّبى صلى الله عليه وسلم دعا على الأحزاب من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء بين الظهر و العصر، فاستجيب له، و هى ساعة فاضلة، فالآثار الصّحاح تدل على فضل هذا اليوم، فكيف يدعى فيه التحذير و النّحس بأحاديث لا أصل لها، و قد صور قوم أياما من الأشهر الشمسية ادعوا فيها الكراهية لا يحل لمسلم أن ينظر إليها و لا يشغل بها بالا، فحسبهم الله، انتهى.

و منها: و كان يقرأ معنا برباط أبى سعيد على الإمام دانشمند من بلاد المغرب خنثى ليس له لحيه و له ثديان و عنده جاريه، فربك أعلم به، و مع طول الصحبة عقلنى الحياء عن سؤاله، و بودى اليوم لو كاشفته عن حاله، انتهى.

و من شعر ابن العربى مما نسبه الشيخ أبو حيان قوله: [مجزوء الرمل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢١٣

ليت شعرى هل دروا أى قلب ملكوا

و فؤادى لو درى أى شعب سلّكوا

أ تراهم سلموا أم تراهم هلّكوا

حار أرباب الهوى فى الهوى و ارتبكوا

و من فوائده: أخبرنى المهرة من السّحرة بأرض بابل أنه من كتب آخر آية من كل سورة و يعلقها لم يبلغ إليه سحرنا، قال: هكذا قالوا، و الله تعالى أعلم بما نقلوه.

و قال رحمه الله تعالى: حذقت القرآن ابن تسع سنين ثم ثلاثا لضبط القرآن و العربية و الحساب، فبلغت ست عشرة و قد قرأت من الأحرف نحو من عشرة بما يتبعها فى إظهار و إدغام و نحوه، و تمرنت فى العربية و اللّغة، ثم رحل بي أبى إلى المشرق، ثم ذكر تمام رحلته، رحمه الله تعالى!.

٩- و منهم أبو بكر محمد بن أبى عامر بن حجاج، الغافقى، الإشبلى.

و من نظمه بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة و السلام: [السريع]

لم يبق لى سؤل و لا مطلب مذ صرت جارا لحبيب الحبيب

لا أبتغى شيئا سوى قربه وها أنا منه قريب قريب

من غاب عن حضرة محبوبه فلست عن طيبة ممّن يغيب

لا تسأل المغبوط عن حاله جار كريم و محلّ خصيب

العيش و الموت هنا طيبّ بطيبة لى كلّ شىء يطيب

و ممن روى عنه هذه الأبيات الأشرف بن الفاضل.

١٠- ترجمة جمال الدين بن ذى النون

١٠- و منهم الشيخ الأديب الفاضل البارع جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الخطيب أبى الحسن محمد بن أبى عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن على بن ذى النون، الأنصارى، المالقى، من أشياخ أبى حيان، لقيه ببلييس من ديار مصر، قال: و أنشدنى لشيخه

أبى عبد الله الإستجى من قصيدة: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢١٤

ما للنسيم سرى يهبّ عليلاً أ تراه يشكو لوعه و غليلاً
جرّ الذبول على ديار أحبّتي فأتى يجزّ من السقام ذيولاً
و أنشد رحمه الله تعالى لرضوان المخزومي: [المجتث]
إن كنت يوسف حسناً و كنت عبد العزيز
فإنّ يوسف من قبل ل كان عبد العزيز

و أخذ ابن ذى النون المذكور عن أبي عبد الله بن صالح، و قرأ للسبعة على أبي جعفر الفحام و أبي زيد القمارشى، و على أبي جعفر السهيلي، و ولد ابن ذى النون سنة ٦١٨ بمالقة، و من تواليفه «نفع المسك الأذفر، فى مدح المنصور بن المظفر» و «أزهار الخميّة، فى الآثار الجميّة» و «استطلاع البشير» و «محض اليقين» و «روض المتقين».

١١- و منهم زياد بن عبد الرحمن بن زياده اللخمي، المعروف بشبطون،

يكنى أبا عبد الله، كان فقيه الأندلس على مذهب مالك، و هو أول من أدخل مذهبه الأندلس، و كانوا قبله يتفقّهون على مذهب الأوزاعي، و أراد الأمير هشام على القضاء بقرطبة و عزم عليه، فهرب، فقال هشام: ليت الناس كلهم كزياد حتى أكنفى الرغبة فى الدنيا، و أرسل إلى زياد فأمنه حتى رجع إلى داره.

و يحكى أنه لما أراد القضاء كلمه الوزراء فى ذلك عن الأمير، و عرفوه عزمه عليه، فقال لهم: أما إن أكرهتمونى على القضاء فزوجتى فلانة طالق ثلاثاً لئن أتانى مدّع فى شىء مما فى أيديكم لأخرجنه عنكم ثم أجعلكم مدّعين فيه، فلما سمعوا منه ذلك علموا صدقه، فتكلموا عند الأمير فى معافاته.

سمع من مالك الموطأ، و يعرف سماعه بسماع زياد، و سمع من معاوية بن صالح، و كانت ابنة معاوية تحته، و روى يحيى بن يحيى الليثى عن زياد هذا الموطأ قبل أن يرحل إلى مالك، ثم رحل فأدرك مالكا فرواه عنه إلا- أبوأبا فى كتاب الاعتكاف، شك فى سماعها من مالك، فأبقى روايته فيها عن زياد عن مالك.

و توفى سنة أربع و مائتين، و قيل: سنة ١٩٣، و قيل: فى التى بعدها، و قيل: سنة ١٩٩، و الأول أولى بالقبول، و الله تعالى أعلم..

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢١٥

و رحل فى ذلك العصر جماعة من أمثال شبطون، كفرغوس بن العباس و عيسى بن دينار و سعيد بن أبى هند و غيرهم ممن رحل إلى الحج أيام هشام بن عبد الرحمن والد الحكم، فلما رجعوا و صفوا من فضل مالك وسعة علمه و جلاله قدره ما عظم به صيته بالأندلس، فانتشر يومئذ رأيه و علمه بالأندلس، و كان رائد الجماعة فى ذلك شبطون.

و هو أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس مكملًا متقناً، فأخذ عنه يحيى بن يحيى كما مر، و هو إذ ذاك صدر فى طلاب الفقه، فأشار عليه زياد بالرحيل إلى مالك ما دام حياً، فرحل سريعاً، و أخذ يحيى عن زياد هذا الكتب العشرة المنسوبة إلى يحيى.

و لقي أيضاً عبد الله بن وهب صاحب مالك، و سمع منه الموطأ، و لقي أيضاً عبد الله بن نافع المدنى صاحب مالك، و سمع منه و من الليث بن سعد فقيه مصر، و من سفيان بن عيينة بمكة، و قدم يحيى الأندلس أيام الحكم، فانتشر به و بزياد و بعيسى بن دينار علم مالك بالأندلس، رضى الله تعالى عن الجميع!

و قد قدمنا الحديث الذى رواه زياد بن عبد الرحمن عن مالك، فليراجع فى الباب الثالث.

١٢- و منهم سوار بن طارق

مولى عبد الرحمن بن معاوية، قرطبي، حج و دخل البصرة، و لقي الأصبغى و نظراءه، و انصرف إلى الأندلس، و أدب الحكم، و من ولده محمد بن عبد الله بن سوار، حج أيضا، و لقي أبا حاتم بالبصرة و الرياشى و غيرهما، و أدخل الأندلس علما كثيرا، رحم الله تعالى الجميع!.

١٣- و منهم بقى بن مخلد،

الشهير الذكر، صاحب التأليف التى لم يؤلف مثلها فى الإسلام، و لقي مائتين و أربعة و ثمانين شيخا، و كانت له خاصة من الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، و ستأتى جملة فيما يتعلق ببقى بن مخلد فى رسالة ابن حزم فى الباب السابع، و بقى على وزن على، رحم الله تعالى و رضى عنه! و قد عرف ببقى بن مخلد غير واحد من العلماء كصاحب النبراس و غيره.

١٤- و منهم قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف، أبو محمد، البنانى، و بيانه:

من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢١٦

أعمال قرطبة، و أصل سلفه من موالى الوليد بن عبد الملك، و سمع المذكور بقرطبة من بقى ابن مخلد و محمد بن و ضاح و مطرف بن قيس و أصبغ بن خليل و ابن مسرة و غير واحد، و رحل إلى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن أيمن و محمد بن زكريا بن عبد الأعلى سنة أربع و سبعين و مائتين، فسمع بمكة من محمد بن إسماعيل الصائغ و على بن عبد العزيز، و دخل العراق، فلقى من أهل الكوفة إبراهيم بن أبى العنبر قاضيهما و إبراهيم بن عبد الله القصار، و سمع ببغداد من القاضى إسماعيل و أحمد بن زهير بن حرب و غيرهما كعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل و الحارث بن أبى أسامة و كتب عن ابن أبى خيثمة تاريخه، و سمع من ابن قتيبة كثيرا من كتبه، و سمع من المبرد و ثعلب و ابن الجهم فى آخرين، و سمع بمصر من محمد بن عبد الله العمري و مطلب بن شعيب و غيرهما، و سمع بالقيروان من أحمد بن يزيد المعلم و بكر بن حماد التاهرتى الشاعر، و انصرف إلى الأندلس بعلم كثير، فمال الناس إليه فى تاريخ أحمد بن زهير و كتب ابن قتيبة، و أخذوا ذلك عنه دون صاحبيه ابن أيمن و ابن عبد الأعلى، و كان بصيرا بالحديث و الرجال، نبلا فى النحو و الغريب و الشعر، و كان يشاور فى الأحكام، و صنف على كتاب السنن لأبى داود كتابا فى الحديث، و سببه أنه لما قدم العراق سنة ست و سبعين و مائتين مع صاحبه محمد بن أيمن، فوجدا أبا داود قد مات قبل وصولهما بيسير، فلما فاتهما عمل كل واحد منهما مصنفا فى السنن على أبواب كتاب أبى داود، و خرجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما و هما مصنفان جليلان، ثم اختصر قاسم بن أصبغ كتابه و سماه «المجتنى» بالنون. و ابتدأ اختصاره فى المحرم سنة أربع و عشرين و ثلاثمائة، و جعله باسم الحكم المستنصر، و فيه من الحديث المسند ألفان و أربعمائة و تسعون حديثا فى سبعة أجزاء.

و مولده يوم الاثنين عاشر ذى الحجة سنة سبع و أربعين و مائتين، رحمه الله تعالى!.

و حكى القرطبي فى تفسيره عند قوله تعالى: قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا [البقرة: ٣٢]: أن قاسم بن أصبغ قال: لما رحلت إلى المشرق نزلت القيروان، فأخذت عن بكر بن حماد حديث مسدد، فقرأت عليه يوما فيه حديث النبى صلى الله عليه و سلم «أنه قدم عليه قوم من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢١٧

مضر مجتأبى النمار» فقال: إنما هو مجتأبى الثمار، فقلت: إنما هو مجتأبى النمار، هكذا قرأته على كل من لقيته بالأندلس و العراق، فقال لى: بدخولك العراق تعارضنا و تفخر علينا؟ أو نحو هذا، ثم قال لى: قم بنا إلى ذلك، لشيخ كان فى المسجد، فإن له بمثل هذا

علما، فقمنا إليه و سألناه عن ذلك، فقال: إنما هو مجتابى النمار كما قلت، و هم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم، و النمار: جمع نمره، فقال بكر بن حماد، و أخذ بأنفه: رغم أنفى للحق، و انصرف، انتهى.
و هذه الحكاية دالة على عظيم قدر الرجلين، رحمهما الله تعالى و رضى عنهما، و نفعنا بهما!.

١٥- و منهم قاسم بن ثابت، أبو محمد، العوفى، السرقسطى،

رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائى و أحمد بن عمرو البزار، و بمكة من عبد الله بن على بن الجارود و محمد بن على الجوهري، و اعتنى بجمع الحديث و اللغة هو و أبوه، فأدخلا إلى الأندلس علما كثيرا، و يقال: إنهما أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس، و ألف قاسم فى شرح الحديث كتابا سماه «الدلائل»، بلغ فيه الغاية فى الإتقان، و مات قبل إكماله، فأكماله أبوه ثابت بعده، و قد روى عن أبى على البغدادي أنه كان يقول: كتبت كتاب الدلائل، و ما أعلم أنه وضع بالأندلس، مثله، و كان قاسم عالما بالحديث و اللغة، متقدما فى معرفة الحديث و النحو و الشعر، و كان مع ذلك و رعا ناسكا، و أريد على القضاء بسرقسطه، فأبى ذلك، فأراد أبوه إكراهه عليه، فسأله أن يتركه ينظر فى أمره ثلاثة أيام، و يستخير الله تعالى، فمات فى هذه الثلاثة الأيام، فيروون أنه دعا لنفسه بالموت، و كان مجاب الدعوة، توفى سنة ٣٠٣ بسرقسطه، رحمه الله تعالى!.

١٦- و منهم علم الدين أبو محمد المرسى اللورى

، و هو قاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر، العلامة، المقرئ، الأصولى، النحوى، ولد سنة خمس و سبعين و خمسمائة، و قرأ بالروايات قبل الستائة على أبى جعفر الحصار و أبى عبد الله المرادى و أبى عبد الله بن نوح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢١٨
الغافقى، و قدم مصر فقرأ بها على أبى الجود غياث بن فارس، و بدمشق على التاج زيد الكندى، و سمع ببغداد من أبى محمد بن الأخضر، و أخذ العربية عن أبى البقاء، و لقى الجزولى بالمغرب، و سأله عن مسألة مشكلة فى مقدمته، فأجابه، و برع فى العربية و فى علم الكلام و الفلسفة، و كان يقرئ ذلك و يحققه، و أقرأ بدمشق، و درس، و شرح المفصل فى النحو فى أربع مجلدات فأجاد و أفاد، و شرح الجزولية و الشاطبية، و كان مليح الشكل، حسن البزء، موطأ الأكناف، قرأ عليه جماعه، و توفى سابع رجب سنة ٦٦١، و كان معمرًا مشتغلا بأنواع العلوم، و سماه بعضهم أبا القاسم، و الأول أصح.

١٧- و منهم قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار،

أبو محمد، من أهل قرطبة، و جدّه مولى الوليد بن عبد الملك، رحل فسمع بمصر من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم و المزنى و البرقى و الحارث بن مسكين و يونس بن عبد الأعلى و إبراهيم بن المنذر و غيرهم، و لزم ابن عبد الحكم للتفقه، و تحقق به و بالمزنى، و كان يذهب مذهب الحجة و النظر و ترك التقليد، و يميل إلى مذهب الشافعى، و لما قال له ابنه محمد بن القاسم: يا أبت أوصنى، قال: أوصيك بكتاب الله، فلا تنس حظك منه، و أقرأ منه كل يوم جزءا، و اجعل ذلك عليك واجبا، و إن أردت أن تأخذ من هذا الأمر بحظ، يعنى الفقه، فعليك برأى الشافعى، فإنى رأيت أفل خطأ، قال أبو الوليد بن الفرضى: و لم يكن بالأندلس مثله فى حسن النظر و البصر بالحجة، و قال أحمد بن خالد و محمد بن عمر بن لبابة: ما رأينا أفقه من قاسم بن محمد فىمن دخل الأندلس من أهل الرحلة، و قال أسلم بن عبد العزيز: سمعت عن ابن عبد الحكم أنه قال: لم يقدم علينا من الأندلس أحد أعلم من قاسم بن محمد، و لقد عاتبته فى حين انصرافه إلى الأندلس، و قلت له: أقم عندنا فإنك تعتقد ههنا رياسة و يحتاج الناس إليك، فقال: لا بدّ من

الوطن، و قال سعيد بن عثمان: قال لى أحمد بن صالح الكوفى:

قدم علينا من بلادكم رجل يسمى قاسم بن محمد، فرأيت رجلا فقيها.

و ألف رحمه الله تعالى كتابا نبيلاً فى الرد على ابن مزين و عبد الله بن خالد و العتبى يدل على علمه، و له كتاب فى خبر الواحد.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢١٩

و كان يلى و ثائق الأمير محمد طول أيامه.

روى عنه ابن لبابة و ابن أيمن و الأعناقى و ابنه محمد بن قاسم فى آخرين.

توفى سنة ست- أو سبع، أو ثمان- و سبعين و مائتين، رحمه الله تعالى!.

١٨- و منهم أبو بكر الغسانى،

و هو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أسود، من أهل المرية، قدم إلى مصر و لقي بها أبا بكر الطرطوشى، ثم عاد إلى بلده، و شوور، و

استقضى بمرسية مدة طويلة، ثم صرف، و سكن مراكش، قال ابن بشكوال: توفى بمراكش فى رجب سنة ٦٣٦، و قال أبو جعفر بن

الزبير: إن له كتاب تفسير القرآن، و بيته بيت علم و دين.

١٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن حيون،

من أهل وادى الحجارة، قال ابن الفرضى، سمع من ابن وضاح و الخشنى و نظرائهما بالأندلس، و رحل إلى المشرق، فتردد هنالك،

نحو من خمس عشرة سنة، و سمع بصنعاء و مكة و بغداد و لقي جماعة من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل: منهم عبد الله بن أحمد،

و سمع بمصر من الخفاف النيسابورى و إبراهيم بن موسى و غيرهما، و بالمصيصة و القيروان، و كان إماما فى الحديث، عالما، حافظا

للعلم بصيرا بالطرق، و لم يكن بالأندلس قبله أبصر بالحديث منه، و هو ضابط متقن، حسن التوجيه للحديث، صدوق، و لم يذهب

مذهب مالك، و من روى عنه ابن أيمن و قاسم بن أصبغ و وهب بن مسرة و أحمد بن سعيد بن حزم، و قال خالد بن سعيد: لو كان

الصدق لسانا لكان ابن حيون، و كان يزنّ بالتشيع لشيء كان يظهر منه فى حق معاوية، رضى الله تعالى عنه! و كان شاعرا، و توفى

بقرطبة سنة ٣٠٥، سامحه الله تعالى!.

٢٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن غالب، المالقى

، قال ابن نقطة: سمع بالإسكندرية من أبى الحسن بن المقدسى، و كان فاضلا، رأيت بخطه إجازة بمصر لبعض المصريين فى رجب

سنة ٦٠٤، و سمع بمصر شيئا من الخلعيات، قال ابن فرتون الفاسى فى ذيل تاريخ الأندلس: روى بمالقة، و رحل إلى المشرق،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٢٠

و حج، و لقي أبا الحسن على بن المفضل المقدسى، و أخذ عنه كتاب «تحقيق الجواب، عن أجيز له ما فاته من الكتاب» من تأليفه، و

رجع إلى الأندلس، ثم نهض إلى مراكش فتوفى فى أقصى بلاد السوس فى حدود سنة ٦٤٥، رحمه الله تعالى!.

٢١- و منهم اليقورى، و هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم مصنف كتاب «إكمال الإكمال»

للقاضى عياض على صحيح مسلم، و كتب على كتاب الشهاب القرافى فى الأصول، و سمع الحديث، و قدم إلى مصر و معه مصحف

قرآن حمل بغل بعته ملك المغرب ليوقف بمكة، ثم عاد بعد حجه، و مات بمراكش سنة ٧٠٧، و قد زرت قبره بها مرارا، قال الحافظ

المقريزي:

و اليقورى نسبة إلى يقورة - بياء آخر الحروف مفتوحة، و قاف مشددة، و راء مهملة - بلد بالأندلس، انتهى.

٢٢- و منهم أبو عبد الله الأنصاري، و هو محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام،

و يعرف بابن شق الليل، من أهل طليطلة، سمع بمصر أبا الفرج الصوفى و أبا القاسم الطحان الحافظ و أبا محمد بن النحاس و أبا القاسم بن ميسرة و أبا الحسن بن بشر و غيرهم، و سمع بطليطلة من جماعة، و حدث عن جماعة من المحدثين كثيرة. قال ابن بشكوال: و كان فقيها عالما، و إماما متكلما، حافظا للفقه و الحديث، قائما بهما، متقنا لهما، إلا أن المعرفة بالحديث و أسماء رجاله و البصر بمعانيه و علله كان أغلب عليه، و كان مليح الخط، جيد الضبط، من أهل الرواية و الدراية و المشاركة فى العلوم، و كان أدبيا شاعرا مجيدا لغويا دينا فاضلا، كثير التصانيف و الكلام على علم الحديث، حلوا الكلام فى تأليفه، و له عناية بأصول الديانات و إظهار الكرامات، و توفى بطليطلة يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٤٥٥، رحمه الله تعالى!.

٢٣- و منهم الشيخ الإمام الشهير الكبير الولي العارف بالله

سيدى أبو عبد الله القرشى الهاشمى الأندلسى، شيخ السالكين، و إمام العارفين، و قدوة المحققين، قدم مصر بعد ما صحب ببلاد المغرب جماعة من أعلام الزهاد، و كان يقول: صحبت ستمائة شيخ اقتديت منهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٢١

بأربعة: الشيخ أبى الربيع، و الشيخ أبى الحسن بن طريف، و الشيخ أبى زيد القرطبي، و الشيخ أبى العباس الجوزى، و سلك على يده جماعة: منهم الشيخ أبو العباس القسطلانى، فإنه أخذ عنه كلامه و جمعه فى جزء، و خرج سيدى أبو عبد الله القرشى من مصر إلى بيت المقدس فأقام به إلى حين وفاته عشية الخميس السادس من ذى الحجة سنة ٥٩٩ عن خمس و خمسين سنة، و دفن هناك، و قبره ظاهر يقصد للزيارة زرتة أول قدماتى على بيت المقدس سنة ١٠٢٨، و من كلامه: من لم يدخل فى الأمور بلطف الأدب لم يدرك مطلوبه منها، و قوله: العاقل يأخذ ما صفا و يدع التكلف، فإنه تعالى يقول: وَإِنْ يُرْذَكْ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ [يونس: ١٠٧] و قال: من لم يراع حقوق الإخوان بترك حقوقه حرم بركة الصلوة، و قال: سمعت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن طريف يقول: لما حضرت الشيخ أبا الحسن بن غالب الوفاة قال لأصحابه:

اجتمعوا و هلوا سبعين ألف مرة، و اجعلوا ثوابها لى، فإنه بلغنى أنها فداء كل مؤمن من النار، قال: فعلناها، و اجتمعنا عليها، و جعلنا ثوابها له.

ثم حكى عن شيخه أبى زيد القرطبي ما حكاه السنوسى عنه فى أواخر شرح صغراه: و قد أنكر غير واحد من الحفاظ كابن حجر و غيره كون ما ذكر حديثا، و لعل هؤلاء أخذوه من جهة الكشف و نحوه، و الله تعالى أعلم.

و قال رحمه الله تعالى: دخلت على الشيخ أبى محمد عبد الله المغاورى، فقال لى:

أعلمك شيئا تستعين به، إذا احتجت لشيء فقل: يا واحد يا أحد يا واحد يا واحد يا جواد، انفحنا منك بنفحة خير، إنك على كل شيء قدير، قال: فأنا أنفق منها منذ سمعتها، و قال رحمه الله تعالى: ما من حال ذكر فى رسالة القشيري إلا و قد شاهدته نفسى، و تزوج رحمه الله تعالى بنساء حدثن عنه بكرامات، و منهن أم القطب القسطلانى، و حكى أنها خرجت عنه يوما لحاجتها، ثم عادت فسمعت عنده فى طبقته حس رجل، فتوقفت و تفقدت الباب فوجدته مغلقا، فلما انقطع الكلام دخلت إليه، فإذا هو وحده كما تركته، و سألته عن ذلك، فقال: هو الخضر دخل على و فى يده حية فقال: هذه حيتك جتتك بها من أرض نجد، و فيها شفاء مرضك،

فقلت: لا أريد، اذهب أنت وحيثك لا حاجة لي بها، و دخل عليه بعض نساءه يوماً، فوجدته بصيراً نقي الجسم من الجذام، فلما نظرتة قال لها: أتريدين أن أبقى لك هكذا؟ فقلت له: يا سيدى كن كيف شئت، إنما مقصودى خدمتك و بركتك، و قيل له، و قد نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٢٢

تكاثرته منه رؤية الأشياء و إخباره بها، مع كونه ضريراً، عن ذلك، فقال: كلى أعين، بأى عضو أردت أن أنظر به نظرت، و قال: هممت أن أدعو برفع الغلاء، فقيل لى: لا- تدع فما نسمع لأحد منكم فى هذا الأمر دعاء، فسافرت إلى الشام، فلما وصلت إلى بلد الخليل عليه السلام تلقانى رسول الله الخليل حين ورودى عليه، فقلت له: يا رسول الله اجعل ضيافتى عندك أهل مصر، فدعا لهم ففرج الله عنهم، و مناقبه رحمه الله تعالى و كراماته لا يفى بها هذا المختصر، و إنما قصدنا بذكره البركة و كفارة ما وقع فى هذا الكتاب من الإحماض، و الله المرجو فى العفو.

و من فوائده ما نقله عن شيخه أبى الربيع المالقي أنه قال له: ألا أعلمك كنزاً تنفق منه و لا ينفد؟ قلت: بلى، قال: قل: يا الله، يا أحد، يا واحد، يا موجود، يا جواد، يا باسط، يا كريم، يا وهاب، يا ذا الطول، يا غنى، يا مغنى، يا فتاح، يا رزاق، يا عليم، يا حى، يا قيوم، يا رحمن، يا رحيم، يا بديع السماوات و الأرض، يا ذا الجلال و الإكرام، يا حنان، يا منان، انفحنى منك بنفحة خير تغينى بها عن سواك إن تستفتحو فقد جاءكم الفتح [الأنفال: ١٩] إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا [الفتح: ١] نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ [الصف: ١٣]، اللهم يا غنى يا حميد، يا مبدئى يا معيد، يا رحيم يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعالاً لما يريد، اكفى بحلالك عن حرامك، و أغنى بفضلك عن سواك، و احفظنى بما حفظت به الذكر الحكيم، و انصرنى بما نصرت به الرسل؛ إنك على كل شىء قدير، فمن دوام على قراءته بعد كل صلاة خصوصاً صلاة الجمعة حفظه الله تعالى من كل مخوف، و نصره على أعدائه، و أغناه، و رزقه من حيث لا يحتسب، و يسّر عليه معيشتة، و قضى عنه دينه، و لو كان عليه أمثال الجبال ديناً، بكرمه و إحسانه، انتهى، نقله عنه العلامة ابن داود البلوى الأندلسى، و من خطه نقلت، رحم الله تعالى الجميع! و نقله الياضى كما ذكر رحمه الله تعالى، إلا أنه لم يقل فيه «يا ودود»، و اتفقا فيما عدا ذلك، و الله سبحانه أعلم.

و قال ابن خلكان فى حقه: محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشى الهاشمى العبد الصالح الزاهد من أهل الجزيرة الخضراء، كانت له كرامات ظاهرة، و رأيت. أهل مصر يحكون عنه أشياء خارقة، و لقيت جماعة ممن صحبه، و كل منهم يثنى عليه من بركنه، و ذكروا عنه أنه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٢٣

وعد جماعته الذين صحبه مواعيد من الولايات و المناصب العلية، و أنها صحت كلها، و كان من السادات الأكابر و الطراز الأول، و هو مغربى صحب بالمغرب أعلام الزهاد، و انتفع بهم، فلما وصل إلى مصر انتفع به من صحبه أو شاهده، ثم سافر إلى الشام قاصداً زيارة بيت المقدس، و أقام بها إلى أن مات، و صلى عليه بالمسجد الأقصى، و هو ابن خمس و خمسين سنة، و قبره ظاهر للزيارة و التبرك به.

و الجزيرة الخضراء فى بلاد الأندلس: مدينة تقابل سبته من بر العدو.

و من جملة وصاياه لأصحابه: سيروا إلى الله تعالى عرجاً و مكاسير فإن انتظار الصحة بطلاله، انتهى ببعض اختصار.

٢٤- و منهم أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين بن أبى الحسين

القرطبى، سمع من قاسم بن أصبغ و غيره، و قدم مصر فسمع بها من ابن الورد و ابن أبى الموال و البارودى و ابن السكن فى آخرين، و سمع بالرملة و بيت المقدس، و كان ضابطاً بصيراً بالنحر و اللغة فصيحاً بليغاً طويل اللسان، و لى الشرطة ببلاد المغرب، توفى سنة ٣٧٣.

٢٥- و منهم أبو بكر الجياني محمد بن علي بن خلف التجيبي الإشبيلي،

الحافظ الكاتب، روى عن ابن الجد وغيره، و مر بمصر حاجا فلقى بمكة أبا حفص الميانشي و أبا الحسن المكناسي، و لقي بالإسكندرية السلفي و ابن عوف و غيرهما، و كان مدرسا للفقهاء، فقيها جليلا، متقدما فيه عارفا فاضلا سنيا، توفي بعد امتحان من منصور بن عبد المؤمن سنة ٥٩٦هـ، و ذلك أنه و شى به للمنصور أيام عزم على ترك التقليد و العمل بالحديث.

٢٦- و منهم أبو بكر الأندلسي الجياني محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن ياسر،

الأصاري، الجياني سافر من بلده و دخل ديار مصر و الشام و العراق و خراسان و ما وراء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٢٤

النهر، و لقي أئمتها، و تفقه ببخارى حتى تمهر فى المذهب و الخلاف و الجدل، ثم اشتغل بالحديث و سماعه و حفظه و حصل منه كثيرا، ثم سكن بلخ مدة، و عاد إلى بغداد و دخلها سنة ٥٥٩هـ، و توجه إلى مكة فحج، و رجع إلى الشام، و استوطن حلب، إلى أن توفي بها، و وقف كتبه، و كان متدينا صدوقا حافظا عالما بالحديث، و فيه فضل، ولد بجيان سنة ٤٩٢هـ، و مات بحلب سنة ٥٦٣هـ.

٢٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي الدهان الغرناطي،

كان حسن السمت بارع الخط و الخلق و الخلق، رحل إلى الحج، و جال فى البلاد فى حدود سنة ست و ستمائة فأخذ بمكة و الشام و مصر و الإسكندرية عن جماعة كثيرة، و كان عدلا فاضلا على خير و دين، و كان متحرفا بالتجارة بغرناطة، ثم خرج منها آخر عمره فمات بقوص بعد ما حج سنة ٦٥٠هـ، و صدر من مكة سنة ٦٥٣هـ فمات قبل منتصف السنة، رحمه الله تعالى!.

٢٨- و منهم أبو عمر محمد بن علي بن محمد بن أبي الربيع القرشي العثماني الأندلسي الإشبيلي النحوي،

ولد سنة ٦١٧هـ بإشبيلية، و قدم مصر فسمع الكثير بها، و بدمشق و غيرها، و كان إماما عالما نحويا فاضلا، كتب عنه أبو محمد الدمياطي و القطب عبد الكريم، و ناهيك بهما علما.

٢٩- و منهم أبو بكر عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن هذيل. البنسي

رحل و سمع من السلفي، و حج، قال أبو الربيع بن سالم: هو شيخ صدوق متيقظ، سمع أباه و أبا الوليد بن الدباغ و أبا الحسن طارق بن موسى بن يعيش و جماعة، و أخذ بمكة سنة ٥٣٩هـ عن أبي علي حسن المقرئ، و قفل إلى الأندلس سنة ٥٤٦هـ، فأخذ عنه بها، و سمع منه جماعة، قال ابن الأبار: كان غاية فى الصلاح و أعمال البر و الورع، توفي ببعض قرى بلنسية سنة ٥٨٣هـ، و مولده سنة سبع أو تسع عشرة و خمسمائة، و له حظ من علم التعبير و اللغة، رحمه الله تعالى!.

٣٠- و منهم أبو عبد الله، و يقال: أبو سلمة، محمد بن علي البياسي الغرناطي

الأصاري ناصر الدين، روى عن الحافظ أبي جعفر بن الزبير و غيره، و قدم إلى القاهرة و استوطنها بعد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٢٥

الحج، حتى مات بها سنة ٧٠٣هـ، و كان عارفا بعلم الحديث و كتب منه كثيرا، و مال إلى مذهب الظاهريه، و انتفع به جماعة من طلبه

الحديث و كان ثقة، رحمه الله تعالى!.

٣١- و منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي بن الشامي الأندلسي،

الغرناطي، قدم مصر حاجا، و أقام بمكة و المدينة، و كان إماما فاضلا عالما متفننا في علوم ما بين فقه و أصول و نحو و لغة و قراءات و نظم و نثر، و مع معرفته بمذهب مالك ينقل كثيرا من مذهب الشافعي، و سمع الموطأ بتونس من أبي محمد بن هارون القرطبي، و مولده بغرناطة سنة ٦٧١، و توفي سنة ٧١٥.

و من شعره رضى الله تعالى عنه: [الطويل]

إذا كنت جارا للنبي و صحبه و مكة بيت الله متي على قرب
فما ضرني أن فاتني رغد عيشه و حسبي الذي أوتيته نعمة حسبي
و قوله: [المتقارب]

نزيل الكرام عزيز الجوار و إنني نزيل عليكم و جار
حللت ذراك و أنت الكريم و من حل مثوى كريم يجار

٣٢- و منهم أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعي الميورقي

- قدم مصر، و روى عن أبي محمد ابن الوليد بها، و كان عالما، و له قصيدة طويلة فيها حكم و مواظب يوصي ابنه بها، منها قوله:
[الوافر]

و طاعة من إليه الأمر فالزم و إن جاروا و كانوا مسلمينا

فإن كفروا ككفر بنى عبيد فلا تسكن ديار الكافرينا

و اسم ابنه حسن، و سمع من المذكور الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في رحلته سنة ٤٨٥، و وصفه بالعلم، و عمار: بالراء.

٣٣- و منهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار القرطبي الحافظ

- روى عن عيسى الليثي و ابن عون الله أبي جعفر التميمي و أبي محمد الباجي، و قدم مصر، و حج،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٢٦

و جاور بالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة و السلام، و أفتى بها، و افتخر بذلك على أصحابه، و قال: لقد شوورت بمدينة الرسول صلى الله عليه و سلم دار مالك بن أنس و مكان شوره، و لقي جماعة من العلماء و أخذ عنهم، و كان من أهل العلم و الذكاء و الحفظ و الفهم، عارفا بمذاهب الأئمة و أقوال العلماء، ذاكرا للروايات، يحفظ المدونة و النوادر لابن أبي زيد، و يوردها من صدره دون كتاب.

قال ابن حيان مؤرخ الأندلس: توفي الفقيه المشاور الحافظ المستبحر الرواية، الطويل الهجرة في طلب العلم، الناسك المتقشف بمدينة بلنسية في ربيع الأول سنة ٤١٧ لعشر خلون من الشهر، و كان الحفل في جنازته عظيما، و عاين الناس فيها آية من ظهور أشباه الخطاطيف بها تجللت الجمع زافه فوق النعش لم تفارق نعشه إلى أن ووري، ففرقت، و مكث مدة بلنسية مطاعا عظيم القدر عند السلطان و العامة.

و ذكر جماهر بن عبد الرحمن حديث الطير، و كذا ذكر الحسن بن محمد القبشي خبر الطير.

قال: و كانت سنه نحو الثمانين سنه، و كان مجاب الدعوة، و ظهرت فى دعوته الإجابة.

و قال أبو عمرو الدانى: إن وفاته يوم السبت لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة و أربعمائه، و دفن يوم الأحد بمدينة بلنسية، و بلغ نحو ست و سبعين سنه، و هو آخر الفقهاء الحفاظ الراسخين العاملين بالكتاب و السنة بالأندلس، رحمه الله تعالى!.

٣٤- و منهم أبو عبد الله محمد بن عمرو القرطبي

- سمع على بن مفرج و غيره من شيوخ قرطبة، و قدم مصر فأخذ بها عن ابن المهندس و غيره، و حج و دخل العراق، و سمع من أبي بكر الأبهري و الدارقطني و جماعة، و عاد إلى الأندلس، و شهر بالعلم و المال، و ولى الأحباس بقرطبة، حدث عنه أبو عمر بن عبد البر و غيره، و مات فى جمادى الآخرة سنة أربعمائه، رحمه الله تعالى!.

٣٥- و منهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجیح، المعافى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٢٧

المعروف بالأعشى، القرطبي - رحل سنة ١٧٩ فسمع سفيان بن عيينه و وكيع بن الجراح و يحيى بن سعيد القطان و عبد الله بن وهب و جماعة، و كان الغالب عليه الحديث و رواية الآثار، و كان صالحا عاقلا سريا جوادا يذهب إلى مذهب أهل العراق، و توفى سنة ٢٢١، ذكره ابن يونس و غيره.

٣٦- و منهم أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافى، الإلبى

، الزاهد - قال الحميدى فى حقه: هو من أهل الحديث و الحفظ و الفهم و البحث عن الرجال، و له رحلة سمع فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم و من ابن وهب ابن أخى عبد الله بن وهب و غيرهما، و روى بالأندلس عن جماعة منهم بقى بن مخلد و ابن وضاح، و سمع بمكة و غيرها من مائة شيخ، قال ابن الفرضى: كان شيخا نبيلًا، ضابطا لكتبه، ثقة فى روايته، صدوقا فى حديثه، و كانت الرحلة إليه بالبيرة، و بها مات فى شوال سنة ٣١٩ و هو ابن تسعين سنه، رحمه الله تعالى!.

٣٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن محمد بن سيار، القرطبي

- من موالى بنى أمية سمع من أبيه و من بقى بن مخلد و غيره، و رحل سنة ٢٩٤ فسمع بمصر من النسائى، و من أحمد بن حماد زغبة، و سمع بمكة و البصرة و الكوفة و بغداد و دمياط و الإسكندرية و القيروان من مائة و ستين رجلا، قال أبو محمد الباجى: لم أدرك بقرطبة أكثر حديثا منه، و كان عالما بالفقه، متقدما فى علم الوثائق، رأسا فيها، و كان مشاورا، سمع من الناس كثيرا، و كان ثقة صدوقا، و غزا سنة ٣٢٧، و مات ثالث ذى الحجة منها، و مولده سنة ٢٤٣، و قيل: توفى سنة ٣٢٨، قاله ابن يونس و الحميدى.

٣٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم القرشى الفهرى

، عرف بابن رمان، الغرناطى - قرأ على أبى جعفر بن الزبير بها، و قدم إلى القاهرة سنة ٧٢٢، و مات بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام سنة ٧٢٩.

و من شعره قوله: [الوافر]

فديتم خبروني كيف صحّت فريضة هالكك من غير مين
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٢٨
لزید زوجته و لها ابن أمّ فماتت عنهما لا غير ذین
فحاز البعل ما تركته إرثا و ولى غيره صفر الیدین
و لا رقّ فدیت علی أخيها و لیس بكافر یرمی بشین
و لیس معجلاً إرثا بقتل مخافة أن ینال شقاوتین

٣٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن لب الشاطبي

- حدث بالقاهرة، و توفي قريبا من سنة ٦٤٠، و هو أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن بن الصباغ، و من كلامه: اشتغالك بوقت لم يأت
تضييع للوقت الذي أنت فيه، و لعمري لقد صدق.

٤٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن سراقه الشاطبي

بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقه، محيي الدين، و يكنى أيضا أبا القاسم و أبا بكر، الأنصاري الشاطبي، المالكي - ولد بشاطبة
سنة ٥٩٢، و سمع من أبي القاسم بن بقي، و رحل في طلب الحديث، فسمع ببغداد من الشيخ أبي حفص عمر السهروردي و أبي طالب
القبيطي و أبي حفص الدينوري و جماعة، و سمع بحلب من ابن شداد و غيره، و تولى مشيخة دار الحديث البهادية بحلب، ثم قدم
مصر و تولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصري سنة ٦٤٢، و بقي بها إلى أن توفي بالقاهرة في شعبان
سنة ٦٦٣، و دفن بسفح المقطم، و كان الجمع كبيرا، و هو أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل و كثرة العلم و الجلالة و النبل، و أحد
المشايخ الصوفية، له في ذلك إشارات لطيفة مع الدين و العفاف و البشر و الوقار و المعرفة الجيدة بمعاني الشعر، و كان صالح الفكرة
في حل التراجم، مع ما جبل عليه من كرم الأخلاق، و اطراح التكلف، و رقة الطبع، و لين الجانب.

و من شعره قوله: [الطويل]

نصبت و مثلى للمكارم ينصب و رمت شروق الشمس و هي تغرب
و حاولت إحياء النفوس بأسرها و قد غرغرت يا بعد ما أنا أطلب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٢٩
و أتعب إن لم تمنح الخلق راحة و غيرى إن لم تتعب الخلق يتعب
مرادى شيء و المقادير غيره و من عاند الأقدار لا شك يغلب

و قوله: [الطويل]

إلى كم أمّنى النفس ما لا تناله فيذهب عمري و الأمانى لا تقضى
و قد مرّ لى خمس و عشرون حجّة و لم أرض فيها عيشتى فمتى أرضى
و أعلم أنّى و الثلاثون مدّتى حر بمغانى اللهو أوسعها رفضا
فماذا عسى في هذه الخمس أرتجى و وجدى إلى أوب من العشر قد أفضى
فيا ربّ عجل لى حياةً لذيدة و إلّا فبادر بى إلى العمل الأرضى

وقال رحمه الله تعالى: [مخلع البسيط]
 وصاحب كالزلال يمحو صفاؤه الشك باليقين
 لم يحص إلا الجميل منى كأنه كاتب اليمين
 وهذا عكس قول المنازى: [مخلع البسيط]
 وصاحب خلته خليلا وما جرى غدره ببالي
 لم يحص إلا القبيح منى كأنه كاتب الشمال

٤١- ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الفريسي

- بكسر الفاء، و تشديد الراء المهملة، بعدها شين معجمة- نسبة إلى فريش إحدى مدائن قرطبة.
 ولد بقرطبة سنة ٥٥٧، وقرأ بالروايات على أبي القاسم بن غالب، وسمع عليه و على أبي القاسم بن بشكوال وغيره، وسمع بمكة، وحدث بمصر، و عاد إلى الأندلس فمات بقرطبة سنة ٦٣٣، و كان مشهورا بالصلاح، معروفا بإجابة الدعاء، و رعا ثقة زاهدا فاضلا، رحمه الله تعالى!.

٤٢- ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن خيرون،

وقيل: محمد بن عمر بن خيرون.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٣٠
 أندلسي، سكن القيروان، و رحل إلى المشرق، و أخذ القراءات بمصر عن محمد بن سعيد الأنماطي وغيره كعبد الله بن رجاء و أبي الحسن إسماعيل بن يعقوب الأنزرق المدني، و دخل العراق، و سمع به من أصحاب علي بن المديني و يحيى بن معين، و عاد إلى القيروان، و سمع بها و بقرطبة، و قدم بقراءة نافع على أهل إفريقية، و كان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، و لم يكن يقرأ بحرف نافع إلا- الخواص، حتى قدم بها فاجتمع إليه الناس، و رحل إليه أهل القيروان من الآفاق، و كان يأخذ أخذًا شديدًا على مذهب المشيخة من أصحاب ورش و توفي بشعبان سنة ٣٠٦، و كان رجلا صالحا فاضلا كريم الأخلاق إماما في القراءات، مشهورا بذلك، ثقة، مأمونا، واحد أهل زمانه و أئمتهم في علم القرآن، رحمه الله تعالى!.

٤٣- ومنهم ضياء الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن صابر بن بندار، القيسي، الأندلسي، المالقي.

ولد بمالقة سنة ٦٢٥ و سمع الكثير، و قدم القاهرة حاجا فسمع بها و بدمشق و كتب بخطه كثيرا، و كان سريع الكتابة، سريع القراءة، كثير الفوائد، دينا، خيرا، فاضلا، له مشاركة جيدة في عدة علوم، توفي شابا بالقاهرة سنة ٦٦٢ رحمه الله تعالى!.

٤٤- ومنهم أبو بكر محمد الزهري، المعروف بابن محرز، البلنسي

ولد بها سنة ٥٢٩، و قدم مصر فسمع ابن الفضل وغيره، و روى عنه جماعة، و كان أحد رجال الكمال علما و إدراكا و فصاحة و حفظا للفقهاء و تفننا في العلوم و متانة في الأدب، حافظا للغة و الغريب، و له شعر رائق، و دين متين، و أخذ الناس عنه ببلده و بمرسية و إشبيلية و مالقة، و قرطبة في اجتيازه عليها، و غيرها من البلاد، و علا صيته، و عرف بالدين و العلم و الفضل، و كان أبو الخطاب يثنى على علمه و دينه، و توفي ببجاية سنة ٦٥٥ عن سن عالية، رحمه الله تعالى!.

٤٥- ومن الراحين من الأندلس إلى المشرق القاضي أبو الوليد الباجي صاحب التصانيف المشهورة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٣١

وقال ابن ماكولا في حقه: إنه فقيه، متكلم، أديب، شاعر، سمع بالعراق، ودرس الكلام و صنف إلى أن مات، وكان جليلاً رفيع القدر والخطر.

وقال غير واحد: إنه ولد سنة ٤٠٣، و ارتحل سنة ٤٢٦، و جاور ثلاثة أعوام ملازماً لأبي ذر الهروي الحافظ يخدمه، و رحل إلى بغداد و دمشق، و لقي في رحلته غير واحد، و تفقه بالقاضي أبي الطيب الطبري وغيره.

وقال أبو علي بن سكرة: ما رأيت مثل أبي الوليد الباجي، و ما رأيت أحداً على هيئته و سمته و توقير مجلسه، و لما كنت ببغداد قدم ولده أبو القاسم، فسرت معه إلى شيخنا قاضي القضاء الشاشي، فقلت له: أدام الله تعالى عزك! هذا ابن شيخ الأندلس، فقال: لعله ابن الباجي، فقلت: نعم، فأقبل عليه.

قال القاضي عياض: و كثرت القالة في القاضي أبي الوليد لمداخلته الرؤساء، و ولي قضاء أماكن تصغر عن قدره، و كان يبعث إلى تلك النواحي خلفاءه، و ربما أتاها المرة و نحوها، و كان في أول أمره مقلاً حتى احتاج إلى القصد بشعره، و استأجر نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعته مستفيضاً لحراسة درب، و قد جمع ابنه شعره.

قال: و لما قدم الأندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة، إلا أنه كان خارجاً عن المذهب، و لم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه، فقصرت السنة الفقهاء عن مجادلته و كلامه، و اتبعه على رأيه جماعة من أهل الجهل، و حل بجزيرة ميورقة، فرأس فيها، و اتبعه أهلها، فلما قدم أبو الوليد كلموه في ذلك، فدخل إليه، و ناظره و شهر باطله، و له معه مجالس كثيرة.

و لما تكلم أبو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في البخاري قال بظاهر لفظه، فأنكر عليه الفقيه أبو بكر الصائغ و كفره بإجازة الكتب على الرسول الأمي صلى الله عليه و سلم، و أنه تكذيب للقرآن، فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام، حتى أثاروا عليه الفتنة و قبّحوا عليه عند العامة ما أتى به، و تكلم به خطبائهم في الجمع، و قال شاعرهم: [البيسط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٣٢

برئت ممن شرى دنيا بآخرة و قال: إن رسول الله قد كتبنا

فصنف أبو الوليد رحمه الله تعالى رسالته بين فيها أن ذلك غير قادح في المعجزة. فرجع بها جماعة؛ إذ ليس من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أمياً لأنه لا يسمى كاتباً، و جماعة من الملوك قد أدمنوا على كتابة العلامة و هم أميون، و الحكم للغالب لا للصور النادرة، و قد قال عليه الصلاة و السلام: «إنا أمة أميون» أي: أكثرهم كذلك، لندور الكتابة في الصحابة، و قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ [الجمعة: ٢] انتهى، و بعضه بالمعنى.

و ذكر ابن بديام أن أبا الوليد الباجي نشأ و همته في العلم، و أنه بدأ بالأدب، فبرز في ميادينه، و جعل الشعر بضاعته، فقال به من كل الرغائب، ثم رحل فما حل بلداً إلا وجدته ملآن بذكره، نشوان من قهوتي نظمه و نشره، فمال إلى علم الديانة، فمشى بمقياس، و بنى على أساس، حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه، و يرتاحون للأخذ عنه، ثم كر و استقصى في طريقه بحلب، فأقام بها نحواً من عام.

قال: و بلغني عن ابن حزم أنه كان يقول: لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب إلا مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم. و صنف أبو الوليد كتباً كثيرة منها كتاب «التسديد، إلى معرفة التوحيد» و كتاب «سنن المنهاج، و ترتيب الحجاج» و كتاب «إحكام الفصول، في أحكام الأصول» و كتاب «التعديل و التجريح، لمن خرج عنه البخاري في الصحيح» و كتاب «شرح الموطأ» و هو نسختان: نسخة سماها الاستيفاء، ثم انتقى منها فوائد سماها «المنتقى» في سبع مجلدات، و هو أحسن كتاب ألف في مذهب مالك، لأنه شرح

فيه أحاديث الموطأ، و فرع عليها تفرعاً حسناً، و أفرد منه شيئاً سماه «الإيماء»، و قال بعضهم: إنه صنف كتاب «المعاني، في شرح الموطأ» فجاء عشرين مجلداً عديم النظير، و كان أيضاً صنف كتاباً كبيراً جامعاً. بلغ فيه الغاية سماه «الاستيفاء» و له كتاب «الإيماء» في الفقه، خمس مجلدات، انتهى.

و من تصانيفه «مختصر المختصر» في مسائل المدونة، و له كتاب «اختلاف الموطأ» و كتاب «الإشارة»، في أصول الفقه» و كتاب «الحدود» و كتاب «سنن الصالحين» و كتاب «التفسير» لم يتمه، و كتاب «شرح المنهاج» و كتاب «التبيين، لسبيل المهتدين» في اختصار فرق الفقهاء، و كتاب «السراج» في الخلاف، و لم يتم، و غير ذلك.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٣٣

و حجّ الباجي رحمه الله تعالى أربع حجج جاور فيها ثلاثة أعوام ملازماً لأبي ذر عبد الرحمن بن أحمد الهروي، و كان يسافر معه للشروات لأن أبا ذر تزوّج من العرب، و سكن بها.

و أبو ذر المذكور هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غنير الأنصاري المالكي، و يعرف بابن السماك، سمع بهراً و سرخس و بلخ و مرو و البصرة و بغداد و دمشق و مصر، و جاور بمكة، و ألف معجماً لشيوعه، و عمل الصحيح، و صنف التصانيف، قال الخطيب: قدم أبو ذر بغداد و أنا غائب، فحدث بها، ثم حج و جاور، ثم تزوّج في العرب، و سكن السّروات، و كان يحج كل عام و يحدث ثم يرجع، و كان ثقة ضابطاً ديناً، و قال الحسن بن بقي الملقى: حدثني شيخى قال: قيل لأبي ذر: من أين تمذهب بمذهب مالك و رأى الأشعري مع أنك هروى؟

فقال: قدمت بغداد، و كنت ماشياً مع الدارقطني، فلقينا أبا بكر بن الطيب، فالتزمه الدارقطني، و قبل وجهه و عينيه، فلما افترقنا قلت: من هذا؟ قال: هذا إمام المسلمين، و الذابّ عن الدين، القاضي أبو بكر بن الطيب. فمن ذلك الوقت تكررت إليه و تمذهبت بمذهبه، انتهى.

قلت: هذا صريح في أن القاضي أبا بكر الباقلائي مالكي، و هو الذى جزم به غير واحد، و لذا ذكره عياض في المدارك في جملة المالكية، و كذلك شيخ السنّة الإمام أبو الحسن الأشعري مالكي المذهب فيما ذكره غير واحد من الأئمة، و ذكر بعض الشافعية أنهما شافعيان، و الله تعالى أعلم.

و قال عبد الغافر في تاريخ نيسابور: كان أبو ذر زاهداً، و رعا، عالماً، سخياً لا يدخر شيئاً، و صار كبير مشيخة الحرم، مشاراً إليه في التصوف، و حجّ على الصحيح تخريجاً حسناً، و كان حافظاً، كثير الشيوخ، توفي سنة ٤٣٥، و قال أبو علي بن سكرة: توفي عقب سؤال سنة ٤٣٤، و قال الخطيب: فى ذى القعدة من سنة أربع و ثلاثين، رحمه الله تعالى! و أكثر نسخ البخارى الصحيحة بالمغرب إماماً من روايه الباجي عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروي المذكور، و إماماً من روايه أبي علي الصّدفى الشهير المعروف بابن سكرة بسنده.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٣٤

و اعلم أن هراة المنسوب إليها الحافظ أبو ذر ليست بهراة التى وراء النهر نظيرة بلخ، و إنما هى هراة بنى شيمانة بالحجاز، و بها كان سكنى أبي ذر، و الله تعالى أعلم.

رجع إلى القاضي أبي الوليد الباجي رحمه الله تعالى - ثم إنه - أعنى الباجي - قدم بغداد، و أقام بها ثلاثة أعوام يدرّس الفقه، و يقرأ الحديث، فلقي بها عدّة من العلماء كأبي الطيب الطبرى و الإمام الشهير أبي إسحاق الشيرازي و الصّيمرى و ابن عمروس المالكي، و أقام بالموصل سنة مع أبي جعفر السّمناني يأخذ عنه علم الكلام؛ فبرع فى الحديث و علله و رجاله، و فى الفقه و غوامضه و خلافه. و فى الكلام و مضايقه، و تدبج مع الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي بحيث روى كل واحد منهما عن الآخر، رضى الله تعالى عنهما و نفع بهما! و رجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم جمّ حصّله مع الفقر و التّعفف.

و مما يفتخر به أنه روى عنه حافظا المغرب و المشرق أبو عمر بن عبد البر و الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي، و ناهيك بهما، و

هما أسنّ منه وأكبر، وأبو عبد الله الحميدى، وعلی بن عبد الله الصّیقلی، وأحمد بن علی بن غزلون، وأبو بكر الطرطوشى، وأبو علی بن الحسين السّبتى، وأبو بحر سفیان بن العاصى، وممن روى عنه ابنه أبو القاسم أحمد، وكان لما رجع إلى الأندلس فشا علمه، وتهيأت الدنيا له، وعظم جاهه، وأجزلت له الصّیلات، فمات عن مال وافر، وترسل للملوك، وولى القضاء بعدة مواضع، رحمه الله تعالى!

وأما ما تقدم عن القاضى أبى الوليد الباجى من إجراء حديث الكتابة على ظاهره فهو قول بعض، والصواب خلافه، قال القاضى أبو الفضل عياض: حدّثنا محمد بن علی المعروف بابن الصيقل الشاطبى من لفظه، قال: حدّثنى أبو الحسن بن مفوز قال: كان أبو محمد بن أحمد بن الحاج الهوّارى من أهل جزيرة شقر ممن لازم الباجى وتفقه عنده، وكان يميل إلى مذهب الباجى فى جواز مباشرة النبى صلى الله عليه وسلم الكتابة بيده فى حديث المقاضاة فى الحديبية على ما جاء فى ظاهر بعض رواياته، ويعجب به، وكنت أنكر ذلك عليه، فلما كان بعد برهة أتانى زائرا على عادته، وأعلمنى أن رجلا من إخوانه كان يرى فى النوم أنه بالمدينة، وأنه يدخل المسجد، فيرى قبر النبى صلى الله عليه وسلم أمامه، فتحدث له قشعريرة وهيبه عظيمة، ثم يراه ينشق ويميد، ولا يستقر، فيعتربه منه فرع عظيم، وسألنى عن عبارة رؤياه، فقلت: أخشى على صاحب هذا المنام أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته، أو ينحله ما ليس له بأصل، أو لعله يفترى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٣٥

عليه، فسألنى بالله من أين قلت هذا؟ قلت له: من قول الله عز وجل تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرُونَ مِنْهُ - إلى قوله تعالى - وَوَلَدًا [مریم: ٩٠، ٩٢] فقال لى: لله درك يا سيدى! وأقبل يقبل رأسى وبين عيني، ويبكى مرة ويضحك أخرى، ثم قال لى: أنا صاحب الرؤيا، واسمع تمامها يشهد لك بصحة تأويلك، قال: إنه لما رأيتنى فى ذلك الفرع العظيم كنت أقول: والله ما هذا إلا أننى أقول وأعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب، فكنت أبكى وأقول: أنا تائب يا رسول الله، وأكّرر ذلك مرارا، فأرى القبر قد عاد إلى هيأته أوّلا، وسكن، فاستيقظت، ثم قال لى: وأنا أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب قط حرفا، وعليه ألقى الله تعالى، فقلت: الحمد لله الذى أراك البرهان، فاشكر له كثيرا، انتهى.

وقال ابن الأبار: حدّثنى بهذه الحكاية أبو الربيع بن سالم بقراءتى عليه، عن الكاتب أبى بكر عبد الرحمن بن مغاور قراءة عليه، عن القاضى أبى جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن جحدر، عن أبى الحسن طاهر بن مفوز قال: كان أبو محمد - إلى آخرها، وهى أتم من هذه، انتهى.

رجع إلى الباجى - ذكر أبو العرب عبد الوهاب البقسانى بسنده إلى القاضى أبى الوليد الباجى أنه كان يقول، وقد ذكرت له صحبة السلطان: لو لا السلطان لنقلتنى الذر من الظل إلى الشمس، أو ما هذا معناه، انتهى.

ومن فوائد الباجى أنه حكى أن الطلبة كانوا يتناوبون مجلس أبى على البغدادى، واتفق أنه كان يوم مطر وحل، فلم يحضر من الطلبة سوى واحد، فلما رأى الشيخ حرصه على الاشتغال وإتيانه فى تلك الحال أنشده: [البسيط]

دببت للمجد والشاعون قد بلغوا حدّ النفوس وألقوا دونه الأورا

و كابدوا المجد حتى ملّ أكثرهم وعائق المجد من وافى ومن صبوا

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وروى عن القاضى أبى الوليد الباجى رحمه الله تعالى الخطيب البغدادى قوله رحمه الله تعالى: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٣٦

إذا كنت أعلم علم اليقين بأنّ جميع حياتى كساعه

فلم لا أكون ضنينا بها وأجعلها فى صلاح وطاعة

وقد ذكرناهما فيما يأتي قريبا من كلام الفتح، لكوننا نقلنا كلامه بلفظه، رحمه الله تعالى، ورضى عنه!
وقال في القلائد في حق الباجي رحمه الله تعالى، ما صورته: بدر العلوم اللائح، وقطرها الغادى الرائح، وثيرها الذى لا يزحم، و
منيرها الذى ينجلى به ليلها الأسحم، كان إمام الأندلس الذى تفتبس أنواره، و تنتجع نجوده و أغواره، رحل إلى المشرق فعكف على
الطلب ساهرا، و قطف من العلم أزاهرا، و تفتن في اقتنائه، و ثنى إليه عنان اعتنائه، حتى غدا مملوء الوطاب، و عاد بلح طلبه إلى
الإرطاب، فكر إلى الأندلس بحرا لا تخاض لججه، و فجرا لا يطمس منهجه، فتهادته الدول، و تلقته الخيل و الخول، و انتقل من محجر
إلى ناظر، و تبدل من يانع بناضر، ثم استدعاه المقتدر بالله فصار إليه مرتاحا، و بدا بأفقه ملتاحا، و هناك ظهرت تواليفه و أوضاعه، و
بدا و خده في سبل الهدى و إيضاعه، و كان المقتدر يباهى بانحياسه إلى سلطانه، و إيثاره لحضرتة باستيطانه، و يحتفل فيما يرتبه له و
يجريه، و ينزله في مكانه متى كان يوافيه، و كان له نظم يوقفه على ذاته، و لا يصرفه في رث القول و بذاته.

فمن ذلك قوله في معنى الزهد: [المتقارب]

إذا كنت أعلم علم اليقين بأن جميع حياتي كساعه

فلم لا أكون ضنينا بها و أجعلها في صلاح و طاعه

و له يرثي ابنه و ماتا مغتربين، و غربا كوكبين، و كانا ناظرى الدهر، و ساحرى النظم و النثر: [الطويل]

رعى الله قبرين استكانا ببلدة هما أسكناها فى السواد من القلب

لئن غيبا عن ناظرى و تبوّأ فؤادى لقد زاد التّباعد فى القرب

يقرّ بعينى أن أزور تراهما و ألصق مكنون الترائب بالترب

و أبكى و أبكى ساكنيها لعلنى سأ نجد من سحب و أسعد من سحب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٣٧

فما ساعدت ورق الحمام أبا أسى و لا روّحت ريح الصبا عن أخى كرب

و لا استعذبت عيناي بعدهما كرى و لا ظمئت نفسى إلى البارد العذب

أحنّ و يثنى اليأس نفسى عن الأسى كما اضطرّ محمول على المركب الصعب

و له يرثي ابنه محمدا: [الكامل]

أ محمّدا، إن كنت بعدك صابرا صبر السليم لما به لا يسلم

و رزئت قبلك بالنبيّ محمد و لرزؤه أدهى لدى و أعظم

فلقد علمت بأننى بك لا حق من بعد ظنى أننى متقدّم

لله ذكر لا يزال بخاطرى متصرّف فى صبره متحكّم

فإذا نظرت فشخصه متخيّل و إذا أصحت فصوته متوهم

و بكلّ أرض لى من اجلك لوعه و بكلّ قبر وقفه و تلوم

فإذا دعوت سواك حاد عن اسمه و دعاه باسمك معول بك مغرم

حكم الردى و مناهج قد سنّها لأولى النهى و الحزن قبل متمم

و لعمري إنه لم يوف القاضى أبا الوليد الباجى حقه الواجب المفترض، و وددت أنه مدّ النفس فى ترجمته بعبارة يعترف ببراعتها من
سلم له و من اعترض، فإن ترجمه المذكور مما سطره أفسح مجالا، و أفصح رويّة و ارتجالا، و بالجملة فهو أحد الأعلام بالأندلس، و
هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبى، و ذكره ابن بسّام فى الذخيرة و ابن خلّكان و غير واحد، و أصله من
بطليوس، و انتقل جده إلى باجة قرب إشبيلية، و ليس هو من باجة القيروان، و مولده سنة ٤٠٣، و رحل سنة ٤٢٦، فقدم مصر، و سمع

بها، وأجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب، وكان لما رجع إلى الأندلس يضرب ورق الذهب، ويعقد الوثائق، إلى أن فشا علمه، وتهيأت له الدنيا، وشهرته تغنى عن وصفه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٣٨

و من نظمه قوله: [الكامل]

ما طال عهدى بالديار، وإتما أنسى معاهدها أسي و تبدل
لو كنت أنبات الديار صابتي رق الصفا بفنائها و الجلمد
و له في المعتضد بن عباد والد المعتمد: [مخلع البسيط]

عباد استعبد البرايا بأنعم تبلغ النعمائم

مديحه ضمن كل قلب حتى تغنت به الحمام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٢٣٨

من أشهر نظمه قوله:

إذا كنت أعلم - البيتين، و قد سبقا

و ممن ذكره أيضا الحجارى فى المسهب، و ابن بشكوال فى الصيلة، و أنه حج أربع حجج، رحمه الله تعالى! و توفى فى المرية لإحدى عشرة بقية من رجب، و قيل: ليلة الخميس تاسع رجب، و قيل: تاسع عشر صفر، سنة أربع و سبعين و أربعمئة.

و من تواليفه «المنتقى» فى شرح الموطأ» ذهب فيه مذهب الاجتهاد و إيراد الحجج، و هو مما يدل على تبحره فى العلوم و الفنون، و لما قدم من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عاما وجد ملوك الطوائف أحزابا مفترقة، فمشى بينهم فى الصلح، و هم يجلونه فى الظاهر، و يستثقلونه فى الباطن، و يستبدون نزعته، و لم يفد شيئا، فالله تعالى يجازيه عن نيته. و لما ناظر ابن حزم قال له الباجي: أنا أعظم منك هممة فى طلب العلم، لأنك طلبته و أنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب و طلبته و أنا أسهر بقنديل بائث السوق، فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، لأنك إنما طلبت العلم و أنت فى تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالى، و أنا طلبته فى حين ما تعلمه و ما ذكرته، فلم أرج به إلا علو القدر العلمى فى الدنيا و الآخرة، فأفحمه.

قال عياض: قال لى أصحابه: كان يخرج إلينا للإقراء، و فى يده أثر المطرقة، إلى أن فشا علمه و نوهت الدنيا به، و عظم جاهه، و أجزلت صلاته، حتى مات عن مال وافر، و كان يستعمله الأعيان فى ترسلهم، و يقبل جوائزهم، و ولى القضاء بمواضع من الأندلس.

و ابن حزم المذكور هو أبو محمد بن حزم الظاهري، قال ابن حيان و غيره: كان ابن حزم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٣٩

صاحب حديث و فقه و جدل، و له كتب كثيرة فى المنطق و الفلسفة لم يخل فيها من غلط، و كان شافعى المذهب، يناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريا، فوضع الكتب فى هذا المذهب، و ثبت عليه إلى أن مات، و كان له تعلق بالأدب، و شتّع عليه الفقهاء، و طعنوا فيه، و أقصاه الملوك و أبعده عن وطنه، و توفى بالبادية عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست و خمسين و أربعمئة. و قال صاعد فى تاريخه: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، و أوسعهم معرفة، مع توسعه فى علم اللسان و البلاغة و الشعر و السير و الأخبار، أخبرنى ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تواليفه نحو أربعمئة مجلد، نقله عن تاريخ صاعد الحافظ الذهبى.

قال الذهبى: و هو العلامة أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح، الأموى، مولاهم، الفارسى الأصل، الأندلسى، القرطيبى، الظاهري، صاحب المصنفات، و أول سماعه سنة ٣٩٩، و كان إليه المنتهى فى الذكاء و حدّة الذهن و سعة العلم بالكتاب و السنة و المذاهب و الملل و النحل و العربية و الآداب و المنطق و الشعر، و مع الصدق و الديانة و الحشمة و السؤدد و

الرياسة و الشروة و كثرة الكتب.

قال الغزالي رحمه الله تعالى: وجدت في أسماء الله تعالى كتابا لأبي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه و سيلان ذهن، انتهى باختصار.

و على الجملة فهو نسيج وحده، لو لا ما وصف به من سوء الاعتقاد، و الوقوع في السلف الذي أثار عليه الانتقاد، سامحه الله تعالى!. و ذكر الذهبي أن عمره اثنتان و سبعون سنة، و هو لا ينافي قول غيره «إنه كان عمره إحدى و سبعين سنة و عشرة أشهر» لأنه ولد رحمه الله تعالى بقرطبة بالجانب الشرقي في ربيع منية المغيرة قبل طلوع الشمس و بعد سلام الإمام من صلاة الصبح آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان، سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة، بطالع العقرب، و توفي ليومين بقيا من شعبان سنة ٤٥٦، و كان كثير المواظبة على التأليف، و من جملة تأليفه كتاب «الفصل، بين أهل الأهواء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٤٠

و النحل» و كتاب «الصادع و الرادع، على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين و الرد على فرق التقليد» و كتاب «شرح حديث الموطأ، و الكلام على مسأله» و كتاب «الجامع، في حد صحيح الحديث باختصار الأسانيد و الاقتصار على أصحابها» و كتاب «التلخيص و التخليص، في المسائل النظرية و فروعها التي لا- نص عليها في الكتاب و الحديث» و كتاب «متقى الإجماع، و بيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف» و كتاب «الإمامة و الخلافة، في سير الخفاء و مراتبها و الندب و الواجب منها» و كتاب «أخلاق النفس» و كتاب «الإيصال، إلى فهم كتاب الخصال» و كتاب «كشف الالتباس، ما بين أصحاب الظاهر و أصحاب القياس» انتهى.

و قال ابن سعيد في حق ابن حزم، ما ملخصه: الوزير العالم الحافظ أبو محمد علي بن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي، و شهرته تغنى عن وصفه و توفي منفيا بقرية من بلده لبله، و وصله من ابن عمه أبي المغيرة رسالة فيها ما أوجب أن جاوبه بهذه الرسالة، و هي: سمعت و أظعت، لقوله تعالى: وَاعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف: ١٩٩] و أسلمت و انقدت لقول نبيه عليه الصلاة و السلام: «صل من قطعك، و اعف عن ظلمك» و رضيت بقول الحكماء: كفاك انتصارا ممن تعرض لأذاك إعراضك عنه، و أقول: [المتقارب]

تتبع سواي امرأ يبتغي سبابك إن هواك السباب

فإني أبيت طلاب السفاه و نزهت عرضي عما يعاب

و قل ما بدا لك من بعد ذا و أكثر فإن سكوتي خطاب

و أقول: [الطويل]

كفاني بذكر الناس لي و مآثرى و مالك فيهم يا ابن عمي ذاكر

عدوى و أشياعي كثير كذاك من غدا و هو نفاع المساعي و ضائر

و إني و إن آذيتني و عققتني لمحتمل ما جاءني منك صابر

فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعة: قرأت هذه الرقعة العاقبة، فحين استوعبتها أنشدتني: [مجزوء الرجز]

نحن زيد و سعل لما رأى وقع الأسل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٤١

فأردت قطعها، و ترك المراجعة عنها، فقالت لي نفسي: قد عرفت مكانها، بالله لا قطعها إلا يده، فأثبت على ظهرها ما يكون سببا إلى صوتها، فقلت: [المتقارب]

نعقت و لم تدر كيف الجواب و أخطأت حتى أتاك الصواب

و أجريت وحدك في حلبة نأت عنك فيها الجياد العراب

و بت من الجهل مستصحا لغير قرى فأنتك الذئاب
فكيف تبينت عقبى الظلوم إذا ما انقضت بالخميس العقاب
لعمري ما لى طباع تدم ولا شيمه يوم مجد تعاب
أنيل المنى و الطبا سخط و أعطى الرضا و العوالى غضاب
و أقول: [الطويل]

و غاصب حق أوبقته المقادر يذكرنى حاميم و الزمخ شاجر
غدا يستعير الفخر من خيم خصمه و يجهل أن الحق أبلج ظاهر
ألم تتعلم يا أبا الظلم أنني برغمك ناه منذ عشر و أمر
تدل لى الأملاك حر نفوسها و أركب ظهر التسر و التسر طائر
و أبعث فى أهل الزمان شواردا تليينهم و هى الصعاب التوافر
فإن أثو فى أرض فائى سائر و إن أنا عن قوم فائى حاضر
و حسبك أن الأرض عندك خاتم و أنك فى سطح السلامه عاثر
و لا لوم عندى فى استراحتك التى تنفست عنها و الخطوب فواقر
فائى للحلف الذى مر حافظ و للزعه الأولى بحاميم ذاكر
هنيئا لكل ما لديه فائنا عطيه من تبلى لديه الشرائر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٤٢

و من شعر أبى محمد بن حزم يخاطب قاضى الجماعة بقرطبه عبد الرحمن بن بشير:
[الطويل]

أنا الشمس فى جو العلوم منيرة و لكن عيى أن مطلعى الغرب
و لو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ما ضاع من ذكرى النهب
و لى نحو آفاق العراق صبايه و لا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فإن ينزل الرحمن رحلى بينهم فحينئذ يبدو التأسف و الكرب
فكم قائل أغفلته و هو حاضر و أطلب ما عنه تجىء به الكتب
هنالك يدرى أن للبعد قصه و أن كساد العلم آفته القرب
فيا عجبا من غاب عنهم تشوقوا له، و دنو المرء من دارهم ذنب
و إن مكانا ضاق عنى لضيق على أنه فيح مهامه سهب
و إن رجالا ضيعونى لضيع و إن زمانا لم أنل خصبه جذب
و منها فى الاعتذار عن مدحه لنفسه:

و لكن لى فى يوسف خير أسوه و ليس على من بالنبى اتسى ذنب
يقول مقال الصدق و الحق إننى حفيظ عليم، ما على صادق عتب
و قوله: [البسيط]

لا يشمتن حاسدى إن نكبه عرضت فالدهر ليس على حال بمترك
ذو الفضل كالتبر يلقى تحت متربه طورا، و طورا يرى تاجا على ملك

و قوله لما أحرق المعتضد بن عباد كتبه بإشيلية: [الطويل]

دعوني من إحراق رقّ و كاغد و قولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
فإن تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذى تضمّنه القرطاس، بل هو فى صدرى
يسير معى حيث استقلت ركائبى و ينزل إن أنزل و يدفن فى قبرى
و قوله: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٤٣
لئن أصبحت مرتحلا بشخصى فقلبى عندكم أبدا مقيم
و لكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعانيه الكليم
و قوله: [الطويل]

و ذى عدل فيمن سباني حسنه يطيل ملامى فى الهوى و يقول
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره و لم تدر كيف الجسم أنت عليل
فقلت له أسرفت فى اللوم فأتند فعندى ردّ لو أشاء طويل
ألم تر أنى ظاهرى، و أننى على ما أرى حتّى يقوم دليل
و هو أبو محمد على بن أبى عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن مزيد، القرطبي.

قال ابنه أبو رافع الفضل: اجتمع عندى بخط أبى من تواليفه نحو أربعمائى مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة، انتهى.
و أبوه الوزير أبو عمر المذكور كان من وزراء المنصور بن أبى عامر، و توفى - كما قال ابن حيان - بذى القعدة سنة اثنتين و أربعمائى،
و كان منشؤه و مولده بقرية تعرف بالزاوية.

و حكى أن الحافظ أبى محمد بن حزم قصد أبى عامر بن شهيد فى يوم غزير المطر و الوحل شديد الريح، فلقبه أبو عامر، و أعظم قصده
على تلك الحال، و قال له: يا سيدى، مثلك يقصدنى فى مثل هذا اليوم، فأنشده أبو محمد بن حزم بديها: [الطويل]

فلو كانت الدنيا دوينك لجهّ و فى الجوّ صعق دائم و حريق
لسهّل ودّى فيك نحوك مسلكا و لم يتعدّر لى إليك طريق

قال الحافظ ابن حزم: أنشدنى الوزير أبى فى بعض وصاياه لى: [الطويل]

إذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن على حالة إلّا رضيت بدونها
و هذا كاف فى فضل الفرع و الأصل، رحم الله الجميع.

قال ابن حزم فى «طوق الحمامة»: إنه مر يوما هو و أبو عمر بن عبد البر صاحب «الاستيعاب» بسكة الحطابين من مدينة إشيلية، فلقبهما
شاب حسن الوجه، فقال أبو محمد:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٤٤

هذه صورة حسنة، فقال له أبو عمر: لم نر إلا الوجه، فعمل ما سترته الثياب ليس كذلك، فقال ابن حزم ارتجالا
و ذى عدل فيمن سباني حسنه
الآيات المتقدمة.

و لابن حزم أيضا قوله: [الخفيف]

لا تلمنى لأنّ سبقة لحظ فات إدراكها ذوى الألباب

يسبق الكلب وثبة اللبث فى العد و يعلو النخال فوق اللباب

ولأبي بكر بن مفلح جزء يردّ فيه على أبي محمد بن حزم، وفيه قال معرضاً: [البيسط]
يا من تعانى أمورا لن تعانيتها خلّ التعانى و أعط القوس باريها
تروى الأحاديث عن كلّ مسامحةً و إنّما لمعانيها معانيها
وقيل: إنه خاطب بهما بعض أصحاب ابن حزم.

رجع إلى القاضي أبي الوليد الباجي - و من نظمه قوله من مرثية: [الطويل]
أحنّ و يثنى اليأس نفسى على الأسى كما اضطرّ محمول على المركب الصّعب
و من جيد نظمه قوله: [الطويل]

أسرّوا على الليل البهيم سراهم فنمت عليهم فى الشّمال شمائل
متى نزلوا ثاوين بالخيف من منى بدت للهوى بالمأزمين مخايل
فلله ما ضمت منى و شعابها و ما ضمنت تلك الرّبا و المنازل
ولما التقينا للجمار و أبرزت أكفّ لتقيل الحصى و أنامل
أشارت إلينا بالغرام محاجر و باحت به منّا جوم نواحل
و قال الباجي أبو الوليد رحمه الله تعالى: [الوافر]
مضى زمن المكارم و الكرام سفاه الله من صوب الغمام
و كان البرّ فعلا دون قول فصار البرّ نطقا بالكلام
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٤٥
و ذيله بعضهم بقوله: [الوافر]

و زال النطق حتّى لست تلقى فتى يسخو بردّ للسلام
و زاد الأمر حتّى ليس إلّا سخى بالأذى أو بالمام

[٤٦- أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى]

٤٦- و منهم الفقيه العالم الشهير أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان ابن أيوب الفهرى الطرطوشى صاحب «سراج
الملوك»، و يعرف بابن أبى رندقة- بالراء المهملة المفتوحة، و سكون النون- و كفى بسراج الملوك دليلا على فضله.
ذكره ابن بشكوال فى الصلة، و توفى بالإسكندرية فى شعبان، و قيل: جمادى الأولى سنة عشرين و خمسمائة، و زرت قبره
بالإسكندرية، و ممن أخذ عنه الحافظ القاضى أبو بكر بن العربى و غيره.

و من نظم الطرطوشى قوله من رسالة: [الطويل]
أقلب طرفى فى السّماء تردّدا لعلّى أرى النّجم الذى أنت تنظر
و أستعرض الرّكبان من كلّ وجهه لعلّى بمن قد شمّ عرفك أظفر
و أستقبل الأرواح عند هبوبها لعلّ نسيم الرّيح عنك يخبر
و أمشى و ما لى فى الطّريق مآرب عسى نعمة باسم الحبيب ستذكر
و ألمح من ألقاه من غير حاجة عسى لمحة من نور وجهك تسفر
و من نظمه أيضا قوله: [المتقارب]

يقولون ثكلى و من لم يذق فراق الأحبّة لم يشكل

لقد جرّعتنى لىالى الفراق كؤوسا أمّر من الحنظل
و مما ينسب إليه و كان كثيرا ما ينشده: [المتقارب]
إذا كنت فى حاجة مرسلا و أنت بإنجازها مغرم
فأرسل بأكمه جلابه به صمم أغطش أبكم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٤٦
ودع عنك كلّ رسول سوى رسول يقال له الدرهم
و كان كثيرا ما ينشد: [الرمّل]

إنّ لله عبادا فطنا طلقوا الدّنيا و خافوا الفتنا
فكروا فيها فلمّا علموا أنّها ليست لحيّ و طنا
جعلوها لجهّ و اتّخذوا صالح الأعمال فيها سفنا
و قال رحمه الله تعالى: كنت ليلة نائما بالبيت المقدس إذ سمعت فى الليل صوتا حزينا ينشد: [الطويل]
أخوف و نوم، إنّ ذا لعجيب ثكلتك من قلب فأنت كذوب
أما و جلال الله لو كنت صادقا لما كان للإغماض فيك نصيب
قال: فأيقظ النّوّام، و أبكى العيون.
و كان رحمه الله تعالى زاهدا، عابدا، متورعا، متقللا من الدنيا، قوالا للحق.

و كان يقول: إذا عرض لك أمران أمر دنيا و أخرى، فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا و الأخرى، و له طريقه فى الخلاف.
و دخل مرة على الأفضّل بن أمير الجيوش فوعظه، و قال له: إن الأمر الذى أصبحت فيه من الملك إنما صار إليك بموت من كان قبلك، و هو خارج عن يدك بمثل ما صار إليك، فائق الله فيما خوّلك من هذه الأمة، فإن الله عز و جل سائلك عن النقيير و القطمير و الفتيل، و اعلم أن الله عز و جل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها فسخر له الإنس و الجن و الشياطين و الطير و الوحوش و البهائم، و سخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، و رفع عنه حساب ذلك أجمع، فقال عز من قائل: هذا عطاؤنا فأمئنّ أو أمسيك بغير حساب (٣٩) [ص: ٣٩] فما عدّ ذلك نعمة كما عددتموها، و لا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل خاف أن يكون استدراجا من الله عز و جل، فقال: هذا من فضل ربّي ليبلونى أ أشكّر أم أكفر [النمل: ٤٠] فافتح الباب، و سهل الحجاب، و انصر المظلوم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٤٧

و كان إلى جانب الأفضّل رجل نصرانى فأنشده: [السريع]
يا ذا الذى طاعته قربه و حقّه مفترض واجب
إنّ الذى شرفت من أجله يزعم هذا أنّه كاذب
و أشار إلى النصرانى، فأقامه الأفضّل من مكانه:

و الطرطوشى - بضم الطاءين - نسبة إلى طرطوشه من بلاد الأندلس، و قد تفتح الطاء الأولى.

و عبر عنه ابن الحاجب فى مختصره الفقهى فى باب العتق بالأستاذ.

و كان رحمه الله تعالى صحب القاضى أبا الوليد الباجى رحمه الله تعالى بسرقسطه، و أخذ عنه مسائل الخلاف، و سمع منه، و أجازته، و قرأ الفرائض و الحساب بوطنه، و قرأ الأدب على أبى محمد بن حزم بمدينة إشبيلية، ثم رحل إلى المشرق سنة ست و سبعين و أربعمائة، و دخل بغداد و البصرة فتفقه هناك عند أبى بكر الشاشى و أبى محمد الجرجانى، و سمع بالبصرة من أبى على التستري، و

سكن الشام مدّة، و درس بها، و كان راضيا باليسير.

و قال الصفدى فى ترجمة الطروشى: إن الأفضل بن أمير الجيوش أنزله فى مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد، و كان يكرهه، فلما طال مقامه به ضجر، و قال لخادمه: إلى متى نصبر؟ اجمع لى المباح، فجمعه، و أكله ثلاثة أيام، فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه: رميته الساعة، فلما كان من الغد ركب الأفضل فقتل، و ولى بعده المأمون بن البطائحي فأكرم الشيخ إكراما كثيرا، و له ألف الشيخ «سراج الملوک» انتهى.

و مقامه - أعنى الطروشى - مشهور، و هذه الحكاية تكفى فى ولايته.

و من تأليفه مختصر تفسير الثعالبي، و الكتاب الكبير فى مسائل الخلاف، و كتاب فى تحريم جبن الروم، و كتاب «بدع الأمور و محدثاتها» و كتاب «شرح رسالة الشيخ ابن أبى زيد».

و ولد سنه إحدى و خمسين و أربعمائه تقريبا، و لما توفى صلى عليه ولده محمد، و دفن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٤٨

رحمه الله تعالى قبل الباب الأخضر بإسكندرية، و زرت قبره مرارا، رحمه الله تعالى، و رضى عنه، و نفعنا به!

و كان القاضى عياض ممن استجازه فأجازه و لم يلقه، و شهرته رضى الله تعالى عنه تغنى عن الإطناب فيه.

و حكى أنه كتب على «سراج الملوک» الذى أهده لولى الأمر بمصر: [السريع]

الناس يهدون على قدرهم لكننى أهدى على قدرى

يهدون ما يفنى و أهدى الذى يبقى على الأيام و الدهر

و حكى أنه لما سمع رضى الله تعالى عنه منشدا ينشد للوأواء الدمشقى: [مجزوء الكامل]

قمر أتى من غير وعد فى ليلة طرقت بسعد

بات الصّباح إلى الصّباح معانقى خدّا بخدّ

يمتار فى و ناظرى ما شئت من خمر و شهد

فقال: أو يظن هذا الدمشقى أن أحدا لا يحسن ينظم الكذب غيره؟ لو شئنا لكذبنا مثل هذا، ثم أنشد لنفسه يعارضه: [مجزوء الكامل]

قمر أتى من غير وعد حفت شمائله بسعد

قبلته و رشفت ما فى فيه من خمر و شهد

فمزجت مزن السلسبى ل بزنجبيل مستعدّ

و لثمت فاه من الغروب إلى الصّباح المستجدّ

و سكرت من رشفى العقى ق على أقاح تحت رند

فزعت عن فمه فمى و وضعت خدّا فوق خدّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٤٩

و شممت عرف نسيمه ال جارى على مسك و ندّ

و صحوت من ريا القرن فل بين ريحان و ورد

و ألدّ من وصلى به شكواه جدا مثل وجدى

و من نظم الطروشى قوله أيضا: [المتقارب]

كأن لسانى و المشكلات سنى الصّبح ينحر ليلا بهيما

و غيرى إن رام ما رمته خصى يحاول فرجا عقيما

و قوله أيضا: [المتدارك]

اعمل لمعادك يا رجل فالتاس لديناهم عملوا
و اذخر لمسيرك زاد تقى فالقوم بلا زاد رحلوا

٤٧- ومنهم محمد بن عبد الجبار الطرطوشي

- وفد إلى المشرق، و ذكره العماد في «الخريدة» و له في الأمدى العلى بمصر، و كان يخضب بسواد الرمان قوله: [الخفيف]
اخلط العفص فيه يا أحوج الناس إلى العفص حين يعكس عفص

٤٨- ومنهم القاضي الشهير الشهيد أبو علي الصيرفي

، و هو حسين بن محمد بن فيره بن حيون، و يعرف بابن شكره، و هو من أهل سرقسطة، سكن مرسية. و روى بسرقسطة عن الباجي و أبي محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل و غيرهما، و سمع ببلنسية من أبي العباس العذري، و سمع بالمرية من أبي عبد الله محمد بن سعدون القروي و أبي عبد الله بن المرابط و غيرهما، و رحل إلى المشرق أول المحرم من سنة إحدى و ثمانين و أربعمئة، و حج من عامه، و لقي بمكة أبا عبد الله الحسن بن علي الطبري و أبا بكر الطرطوشي و غيرهما، ثم سار إلى البصرة فلقى بها أبا يعلى المالكي و أبا العباس الجرجاني و أبا القاسم بن شعبة و غيرهم، و خرج إلى بغداد فسمع بواسطة من أبي المعالي محمد بن عبد السلام الأصبهاني و غيره، و دخل بغداد سنة اثنتين و ثمانين و أربعمئة، فأطال الإقامة بها خمس سنين كاملة، و سمع بها من أبي الفضل بن خيرون مسند بغداد، و من أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٥٠

الصيرفي، و طراد الزينبي، و الحميدي، و غيرهم، و تفقه عند أبي بكر الشاشي و غيره، ثم رحل منها سنة سبع و ثمانين، فسمع بدمشق من أبي الفتح نصر المقدسي و أبي الفرج الإسفرائيني و غيرهما، و سمع بمصر من القاضي أبي الحسن الخلعي و أبي العباس أحمد بن إبراهيم الرازي، و أجاز له الجبال مسند مصر في وقته و مكثها، و سمع بالإسكندرية من أبي القاسم الوراق و شعيب بن سعيد و غيرهما، و وصل إلى الأندلس في صفر من سنة سبعين و أربعمئة، و قصد مرسية، فاستوطنها، و قعد يحدث الناس بجامعها، و رحل الناس من البلدان إليه، و كثر سماعهم عليه، و كان عالما بالحديث و طرقه، عارفا ببلله، و أسماء رجاله و نقلته، و كان حسن الخط جيد الضبط، و كتب بخطه علما كثيرا، و قيده، و كان حافظا لمصنفات الحديث، قائما عليها، ذاكرا لمتونها و أسانيدھا و رواتها، و كتب منها صحيح البخاري في سفر، و صحيح مسلم في سفر، و كان قائما على الكتابين مع مصنف أبي عيسى الترمذي، و كان فاضلا، دينًا، متواضعا، حلوما، و قورا، عالما، عاملا، و استقصى بمرسية، ثم استعفى فأعفى، و أقبل على نشر العلم و بثه.

و قد ذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه لدخوله الشام، قال: و بعد أن استقرت به النوى، و استمرت إفادته بما قيد و روى، رفعته ملوك أوانه، و شفعته في مطالب إخوانه، فأوسعته رعا، و أحسنت فيه رأيا، و من أبنائهم من جعل يقصده، لسماع يسنده، و على وقاره الذي كان به يعرف، ندر له مع بعضهم ما يستطرف، و هو أن فتى يسمى يوسف لازم مجلسه، معطرا رائحته و منظفا ملبسه، ثم غاب لمرض قطعه، أو شغل منعه، و لما فرغ أو أبل، عاود ذلك النادي المبارك و المحل، و قبل إفضائه إليه، دل طيبه عليه، فقال الشيخ على سلامته من المجون، و خلاصه من الفتون إنني لأجد ريح يوسف لو لا أن تُفندون [يوسف: ٩٤] و هي من طرف نوادره، رحمة الله عليه.

و لما قلّد قضاء مرسية و عزم عليه صاحب الأمر فيه فر إلى المرية فأقام بها سنة خمس و بعض سنة ست و خمسمئة، و في سنة ست

قبل قضاءها على كره إلى أن استخفى آخر سنة
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٥١
 سبع في قصة يطول إيرادها، و لطول مقامه بالمريه أخذ الناس عنه بها، فلما كانت وقعة كتندة كان ممن حضرها ففقد فيها سنة أربع
 عشرة و خمسمائة، رحمه الله تعالى!
 وقال القاضي عياض: و لقد حدثني الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر أنه قال له: خذ الصحيح، و اذكر أي متن شئت منه أذكر لك
 سنده، أو أي سند شئت أذكر لك متنه، انتهى.
 و ذكر غير واحد أنه حدث ببغداد بحديث واحد، و الله أعلم و هو من أبناء الستين.

٤٩- و منهم ابن أبي روح الجزيري

- و من شعره لما تغرب بالمشرق قوله: [الطويل]
 أحنّ إلى الخضراء في كل موطن حنين مشوق للعناق و للضمّ
 و ما ذاك إلا أن جسمي رضيعها و لا بدّ من شوق الرضيع إلى الأمّ

٥٠- و منهم العالم أبو حفص عمر بن حسن الهوزني

، الحسين العالم المحدث- ذكره ابن بسام في «الذخيرة» و الحجارى في «المسهب» و سبب رحلته للمشرق أنه لما تولى المعتضد بن
 عبّاد خاف منه، فاستأذنه في الحج سنة ٤٤٤، و رحل إلى مصر، ثم إلى مكة، و سمع في طريقه كتاب صحيح البخارى، و عنه أخذه
 أهل الأندلس، و رجع، و سكن إشبيلية و خدم المعتضد، فقتله و من من شىء سلط عليه، و كان قتله يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة
 خلت من ربيع الأول سنة ستين و أربعمائه.

و من شعره يحرضه على الجهاد: [الطويل]
 أعباد جلّ الرزء و القوم هجع على حالة من مثلها يتوقع
 فلّق كتابي من فراغك ساعة و إن طال فالموصوف للطول موضع
 إذا لم أبتّ الداء ربّ شكايه أضعت، و أهل للملام المضيع
 و وصله بنثر، و هو: و ما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها، و لا- أرجأ الدليل من ناط الأمور بأربابها، و لرب أمل بين أثناء
 المحاذير مدمج، و محبوب فى طى المكاره مدرج، فانتهاز فرصتها فقد بان لك من غيرك العجز، و طيق مضاربها فقد أمكنك الحزّ،
 و لا غرو أن يستمطر الغمام فى الجذب، و يستصحب الحسام فى الحرب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٥٢
 و له: [المديد]

صرّح الشّرّ فلا يستقلّ إن نهلتكم جاءكم بعد علّ
 بدء صعق الأرض رشّ و طلّ و رياح ثمّ غيم أبلّ
 خفّضوا فالدّاء رزء أجلّ و اغمدوا سيفا عليكم يسلّ
 و ابنه أبو القاسم هو الذى كان سبب فساد دولة المعتمد بن عباد بسبب قتل المعتضد والده كما مرّ.

٥١- و منهم أبو عمرو عثمان بن الحسين

، أخو الحافظ أبي الخطاب بن دحية الآتي ذكره كان أسنّ من أخيه أبي الخطاب، و كان حافظاً للغنة العرب، قيماً بها، و عزل الملك الكامل أبا الخطاب عن دار الحديث الكامليّة التي أنشأها بين القصرين و رتب مكانه أخاه أبا عمرو المذكور، و لم يزل بها إلى أن توفي سنة ٦٣٤، بالقاهرة، و دفن بسفح المقطم كأخيه، و كان موت أبي عمرو بعد أبي الخطاب بسنة، رحمهما الله تعالى!

٥٢- و منهم الكاتب أبو بكر محمد بن القاسم

- من أهل وادي الحجارة، و يعرف باشكنداهة، و ارتحل إلى المشرق لما نبت به حضرة قرطبة عند تقلب دولها، و تحول ملوكها و خولها، فجال في الفراق، و قاسى ألم الفراق، و اجتاز بحلب، و أقام بها مقام غريب لم يصف له حلب، و قال: [الرملة] أين أقصى الغرب من أرض حلب أمل في الغرب موصول التعب حنّ من شوق إلى أوطانه من جفاه صبره لما اغترب جال في الأرض لجاجا حائرا بين شوق و عناء و نصب كلّ من يلقاه لا يعرفه مستغيثا بين عجم و عرب لهف نفسي أين هاتيكن العلا و ضياعاه و يا غبن الحسب و الذي قد كان ذخرا و به أرتجى المال و إدراك الرّتب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٥٣ صار لى أبخس ما أعددته بين قوم ما دروا طعم الأدب يا أحبّاي اسمعوا بعض الذي يتلقاه الطريد المغترب و ليكن زجرا لكم عن غربه يرجع الرّأس لديها كالذّنب و احمّلوا طعنا و ضربا دائما فهو عندي بين قومي كالضرب و لئن قاسيت ما قاسيته فيما أبصر لحظى من عجب و لقد أخبركم أن ألتقى بكم حتى تقولوا قد كذب و اجتاز بدمشق فقال من أبيات رحمه الله تعالى: [الوافر] دمشق جنة الدنيا حقيقا و لكن ليس تصلح للغريب بها قوم لهم عدد و مجد و صحبتهم تؤول إلى حروب ثم إنه ودع الشرق بلا سلام، و حل بحضرة دانية لدى ملكها مجاهد العامري في بجوحة عزّ لا يخشى فيه الملام، و استقبل الأندلس بخاطر جديد، و نال بها بعد من بلوغ الآمال ما ليس له عليه مزيد، و قال: [الطويل] و كم قد لقيت الجهد قبل مجاهد و كم أبصرت عيني و كم سمعت أذنى و لاقيت من دهرى و صرف خطوبه كما جرت النكباء في معطف الغصن فلا تسألونى عن فراق جهنّم و لكن سلونى عن دخولى إلى عدن و له من كتاب: و حامل كتابى - سلمه الله تعالى و أعانه! - ممن أخنى عليه الزمان، و أدار عليه و ما صحا إلى الآن كؤوس الهوان، و قد قصد على بعد جنابك الرحيب الخصيب، قصد الحسن محلّ الخصيب و يمّم جناب ابن طاهر حبيب، و إنى لأرجو أن يرجع منك رجوع نصيب عن سليمان، و يستعين فى شكرك بكل لسان، و أنت عليم بأن الثناء هو الخلف، و قد قال الأول: [مجزوء الخفيف] أرى الناس أهدوثة فكونى حديثا حسن

و أنا القائل: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٥٤

فلا ترهدن في الخير قد مات حاتم و أخباره حتى القيامة تذكر

و مع هذا فهو عليه بقدر ما يحتمل من التكليف هذا الأوان، عارف وجوه الأعذار غير ذى عجل في العتب قبل البيان، و عند سيدي من التهدي للإيفاء، ما يحقق فيه جميل الرجاء، دامت أرجاؤه مؤملاً، و لا برحت نعمه سابغاً مكملماً.

٥٣- و منهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقي

- و قال بعضهم: إنه من الجزيرة الخضراء، له رحلة إلى الديار المصرية، صنع فيها مقامه يقول فيها: [الطويل]

و في جنبات الرّوض نهر و دوحه يروكك منها سندس و نضار

تقول وضوء البدر فيه مغرباً ذراع فتاة دار فيه سوار

و من شعره: [السريع]

ما كلّ إنسان أخ منصف و لا اللّيالى أبدا تسعف

فلا تضع إن أمكنت فرصة و اصحب من الإخوان من ينصف

و انتف من الدّهر و لو ريشه فأئماً حظك ما تنتف

و قوله يرثي السيد أبا عمران ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ملك المغرب و الأندلس: [الطويل]

بجيد المعالي أيّ عقد تبدّدا و صدر العوالي أيّ رمح تقصّدا

و لّما دعت خيل الشّقيّ فجاءه و سال العدا بحرا من الموت مزبدا

شهدت بوجه كالغزاة مشرقا و إن كان وجه الشّمس بالتّقع مربدا

عزائم صدق ليس تصرف هكذا إلى الموت تسعى أو على الموت يعتدى

و كان السيد أبو عمران المرثي قتله الميورقي صاحب فتنه إفريقيه في الهزيمة المشهورة على تاهرت، و جمع ابن عبد ربه المذكور

شعر السيد أبي الربيع بن عبد الله بن أمير

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٥٥

المؤمنين عبد المؤمن بن علي، و كان ابن عبد ربه المذكور كاتباً للسيد أبي الربيع سليمان المذكور، و لما أنشد لبعض الشعراء:

[المنسرح]

حأكت يمين الرّياح محكمه في نهر واضح الأسارير

فكلّما ضعفت به حلّقا قام لها القطر بالمسامير

أنشد لنفسه: [البيسط]

بين الرّياض و بين الجو معترك بيض من البرق أو سمر من السّمر

إن أوترت قوسها كفّ السّماء رمت نبلا من الماء في زغف من الغدر

لأجل ذاك إذا هبت طلائعها تدرع النّهر و اهترت قنا الشّجر

و اجتمع ابن عبد ربه المذكور في رحلته بالسعيد بن سناء الملك، و أخذ عنه شيئاً من شعره، و رواه بالمغرب.

٥٤- و منهم الشاعر الأديب أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان، المالقي.

و من نظمه في السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من قصيدة رحمه الله تعالى:

[الطويل]

و في صهوات المقربات و في القنا حصون حمى لا في هضاب المعازل

و منها: [الطويل]

و لا ملك يأتي كيوسف آخرا كما لم يجيء مثل له في الأوائل

٥٥- و منهم الحافظ أبو الخطاب بن دحية

، و هو مجد الدين عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرح بن خلف، الظاهري المذهب، الأندلسي.

كان من كبار المحدثين، و من الحفاظ الثقات الأثبات المحصلين، استوطن بجايئه في مدة أبي عبد الله بن يومر، و روى بها، و أسمع، و كان من أحفظ أهل زمانه باللغة، حتى صار حوشى اللغة عنده مستعملا غالبا، و لا يحفظ الإنسان من اللغة حوشيا إلا و ذلك أضعاف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٥٦

أضعاف محفوظة من مستعملها، و كان قصده- و الله تعالى أعلم- أن ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره، كما فعل كثير من الأدباء حيث تركوا طريق المعرب و انفردوا بالطريق الآخر، و لو سلكوا طريق المعرب لكانوا فيه كآحاد الناس، و كذا الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له رسائل و مخاطبات كلها مغلفات مقفلات، و كان- رحمه الله تعالى!- إذا كتب اسمه فيما يجيزه أو غير ذلك يكتب «ابن دحية و دحية معا المتشبه به جبريل و جبرائيل»، و يذكر ما ينيف على ثلاث عشرة لغة مذكورة في جبريل، و يقول عند فاطر السماوات و الأرض، و هذا فرع انفرد به عن عده من أهل العلم.

قال صاحب عنوان الدراية: رأيت له تصنيفا في رجال الحديث لا بأس به، و ارتحل إلى المشرق في دولة بني أيوب، فرفعوا شأنه، و قربوا له مكانه، و جمعوا له علماء الحديث، و حضروا له مجلسا أقرأوا له بالتقدم، و عرفوا أنه من أولى الضبط و الإتقان و التفهم، و ذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها، فأعاد المتون المحولة، و عرّف عن تغييرها، ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه من متونها الأصلية، و مثل هذه الحكاية اتفق لأبي عمر بن عات في كتاب مسلم بمراكش بيت الطلبة منها.

و من شعر أبي الخطاب ما كتب به إلى الكامل بن العادل بن أيوب: [الكامل]

ما لي أسائل برق بارق عنكم من بعد ما بعدت ديارى منكم

فمحلّكم قلبى و أنتم بالحشا لا بالعقيق و لا برامه أنتم

و أنا المقيم على الوفاء بعهدكم يا مالكين، و فيتم أو ختم

و هي طويلة، و منها:

رفعت له الأملاك منه سجيئة ملك السماك الرّمح و هو محرّم

و منها أيضا:

لدوى التهى و الفهم سرّ حكومة قد حار فيها كاهن و منجم

فاقصد مرادك حيث سرت مظفرا و الله يكلا و الكواكب توم

و ليهنك الشهر السعيد تصومه و تفوز فيه بالثواب و تغنم

فلأنت فى الدنيا كليله قدره قدرا، فقدرك فى الملوك معظّم

فأجابه السلطان مكافأة بنثر و نظم، فمن النظم: [الطويل]
 و هيّجن شوقى للأجارع باللوى و أين اللوى منى و أين الأجارع
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٥٧
 مربع لو أنّ المربع أنجم لكان نجوم الأرض تلك المربع
 رعى الله أياما بها و لو أنّها إلى و قد ولّى الشّباب رواجع
 ليالى لا ليلى إذا رمت وصلها يلوح لها من صبح شيبى مواقع
 فى جملة أبيات.

و من النثر: الحمد لله ولى الحمد، وقف ولده على الأبيات التى حسن شعرها، وصفا درّها، و ليس من البديع أن يقذف البحر درّا، أو
 ينظم الخليل شعرا، و قد أخذت الورقة لأتزره فى معانيها، و أستفيد بما أودعه فيها، فالله تعالى لا يخلينا من فوائد فكرته، و صالح
 أدعيته، و السلام.

فأجابه الحافظ أبو الخطاب عن الأبيات بقوله من قصيدة: [الطويل]
 شجنتى شواج فى الغصون سواج ففاضت هوام للجفون هوامع
 و أكثر فيها من التغزل، إلى أن قال: [الطويل]
 و لا حاكم أرضاه بينى و بينها سوى حاكم دهرى له اليوم طاع
 يدافع عنى الضّيم قائم سيفه إذا عزّ من للضّيم عنى يدافع
 هو الكامل الأوصاف و الملك الذى تشير إليه بالكمال الأصابع
 و بيض أياديه الكريمة فى الورى قلائد فى الأعناق و هى الصّنائع
 و يوماه يوماه اللذان هما إذا جمعت غلب الملوك المجامع
 و منها:

فما روضة غنا بها مرّت الصّبا و نشر شذاها الطّيب النّشر ذائع
 له من شذى الزّهر برد مفوّف أتيح له من أرض صنعاء صانع
 فراقك منها أخضر الثّوب ناضر و شاقك منها أصفر اللّون فاقع
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٥٨
 و أحمر قان للخدود مورّد و أبيض كالشّعر المفلّج ناصع
 بأحسن من توشيع مدحى الذى له بدائع من وشى البديع و شائع
 و ما ضائع من نشر شكرى الذى به تأرّجت الأرجاء عندك ضائع
 و لو لم يقيدنى نداك لكان لى مجال فسيح فى البسيطة واسع
 فأنت الذى لى و الأعادى كثيرة فويق مكان النّجم فى الأفق دافع
 و منها:

بقيت لعبد جدّه دحيه الذى يشابه جبريل له و يضارع
 و جدّته الزّهراء بنت محمّد عليه السّلام الدّائم المتتابع
 و لا عدمت منك الممالك مالكا يقرب للآمال ما هو شاسع
 و منك عيون للمهمات يقظ و عنك عيون الحادثات هواجع

وقال المقریزی فی ترجمه الملك الكامل: إنه كان مشغولاً بسماع الحديث النبوي، و تقدم عنده أبو الخطاب بن دحية، و بنى له دار الحديث الكاملية بين القصرين بالقاهرة، انتهى.

وقال أبو الخطاب بن دحية: أنشدني أبو القاسم السهيلي لنفسه، و ذكر أنه ما سأل الله تعالى بها شيئاً إلا أعطاه: [الكامل] يا من يرى ما فى الضمير و يسمع أنت المعد لكل ما يتوقع يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى و المفزع يا من خزائن رزقه فى قول كن امنن فإن الخير عندك أجمع ما لى سوى فقرى إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقرى أرفع ما لى سوى قرعى لبابك حيلة فلئن رددت فأى باب أقرع و من الذى أدعو و أهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٥٩ حاشا لوجودك أن يقتط عاصيا الفضل أجزل و المواهب أوسع و من نظم السهيلي رضى الله تعالى عنه: [الطويل] أسائل عن جيرانه من لقيته و أعرض عن ذكره و الحال تنطق و ما لى إلى جيرانه من صباية و لكن نفسى عن صبح ترقق و له: [الكامل]

لما أجاب بلا طمعت بوصله إذ حرف لا حرفان معتقان و كذا نعم بنعيم وصل آذنت فنعم و لا فى اللفظ متفقان ولد أبو الخطاب بن دحية فى ذى القعدة سنة سبع - أو ثمان - و أربعين و خمسمائة و توفى فى انفجار الفجر ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة بالقاهرة، و دفن بسفح المقطم. و تكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار، و قدره أجل مما ذكره، و قد روى رحمه الله تعالى بالمغرب و مصر و الشام و العراق و خراسان و عراق العجم، و كل ذلك فى طلب الحديث، و سمع بالأندلس من ابن بشكوال و ابن زرقون فى جمع كثير، و ببغداد من أبى الفرج بن الجوزى، و بأصبهان من أبى جعفر الصيدلانى معجم الطبرانى و من غيره، و بنيسابور من أبى سعيد بن الصفار و منصور بن الفراوى و المؤيد الطوسى، و حصل الكتب و الأصول، و حدث، و أفاد، و كان من أعيان العلماء، و مشاهير الفضلاء، متقنا لعلم الحديث و ما يتعلق به، عارفا بالنحو و اللغة و أيام العرب و أشعارها. و صنف كتبا كثيرة مفيدة جدا، منها كتاب «التنوير، فى مولد السراج المنير» صنفه عند قدومه إلى إربل سنة أربعة و ستمائة، و هو متوجه إلى خراسان لما رأى ملك إربل مظفر الدين كوكبرى معتنيا بعمل المولد النبوى فى شهر ربيع الأول كل عام، مهتما به غاية الاهتمام،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٦٠

و كمله و قرأه عليه بنفسه، و ختمه بقصيدة طويلة، فأجازه بألف دينار، و صنف أيضا «العلم المشهور، فى فضائل الأيام و الشهور»، و «الآيات البيئات، فى ذكر ما فى أعضاء رسول الله صلى الله عليه و سلم من المعجزات» و كتاب «شرح أسماء النبى صلى الله عليه و سلم» و كتاب «النبراس، فى أخبار خلفاء بنى العباس» و كتاب «الإعلام المبين، فى المفاضلة بين أهل صفين».

و ولى قضاء بلد أصوله دانية مرتين، ثم صرف عن ذلك لسيرة نسبت إليه، فرحل عنها و حدث بتونس سنة ٥٩٥، ثم حج و كتب بالمشرق عن جماعة بأصبهان و نيسابور، و عاد إلى مصر، فاستأدبه العادل لولده الكامل، و أسكنه القاهرة، فنال بذلك دنيا عريضة، ثم

زادت حظوته عند الكامل، و أقبل عليه إقبالا- عظيما و كان يعظمه و يحترمه، و يعتقد فيه الخير، و يتبرك به، حتى كان يسوى له المداس حين يقوم، و هو بلنسى كما قاله ابن خلكان و غيره، و بلنسية مشهورة بشرق الأندلس ثلث سنة بالتصحيح.

٥٦- و منهم: خلف بن القاسم بن سهل بن الدباغ

، الحافظ، الأندلسي.

رحل إلى المشرق، و كان حافظا فهما عارفا بالرجال، حدث حديث مالك و شعبة و أشياء في الزهد، و سمع بمصر أبا الحسن بن الورد البغدادي و مسلم بن الفضل و الحسن بن رشيق و جماعة، و سمع بدمشق على بن أبي العقب و أبا الميمون بن راشد و بمكة من بكير الحداد و أبي الحسن الخزاعي و الأجرى، و بقرطبة من أحمد بن يحيى بن الشهيد و محمد بن معاوية، و توفي سنة ٣٩٣.

٥٧- و منهم: خلف بن سعيد بن عبد الله بن زرارة أبو القاسم بن المرابط، الكلبى،

من ذرية الأبرش الكلبى، و يعرف بالمبرقع، المحتسب، القرطبي.

رحل إلى المشرق مرتين، أولاهما سنة ٣٣٣، و هو ابن ثلاث و عشرين سنة و سمع أبا سعيد بن الأعرابي و ابن الورد، و أبا بكر الآجرى، و روى عنه أبو إسحاق بن شنظير و أبو جعفر الزهراوى، و قال ابن شنظير: إنه توفي فى نحو الأربعمائه رحمه الله تعالى، و رضى عنه!.

٥٨- و منهم: سابق فضلاء زمانه، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الإشبلى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٦١

يقال: إن عمره ستون سنة، منها عشرون فى بلده إشبيلية، و عشرون فى إفريقية عند ملوكها الصنهاجيين، و عشرون فى مصر محبوسا فى خزانة الكتب، و كان وجهه صاحب المهدية إلى ملك مصر فسجن بها طول تلك المدة فى خزانة الكتب، فخرج فى فنون العلم إماما، و أمتن علومه الفلسفة و الطب و التلحين، و له فى ذلك تواليف تشهد بفضله و معرفته، و كان يكنى بالأديب الحكيم، و هو الذى لحن الأغاني الإفريقية.

قال ابن سعيد: و إليه تنسب إلى الآن، و ذكره العماد فى «الخريدة» و له كتاب «الحديقة» على أسلوب «يتيمة الثعالبي» و توفي سنة ٥٢٠، و قيل: سنة ٥٢٨، بالمهدية، و قيل: مستهل السنة بعدها، و دفن بها.

و له فىمن اسمه واصل: [الكامل]

يا هاجرا سمّوه عمدا و اصلا و بضدّها تتبين الأشياء

ألغيتنى حتى كأنك واصل و كأننى من طول هجرى الرّاء

و قوله، و هو من بدائعه: [الكامل]

لا غرو أن سبقت لهاك مدائحى و تدفقت جدواك ملء إنائها

يكسى القضيبي و لم يحن إثمارة و تطلق الورقاء قبل غنائها

و قال فى الأفضل: [الكامل]

تردى بكل فتى إذا شهد الوغى نثر الرّماح على الدّروب كعوبا

قد لوّحته يد الهواجر فاغتندى مثل القنّاء قضاة و شحوبا

تخذوا القنا أشطانهم و استنبطوا في كل قلب بالطعان قلبيا
و منها: [الكامل]

تعطى الذى أعطتكه سمر القنا أبدا فتغدو سالبا مسلوبا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٦٢
و منها:

و أنا الغريب مكانه و بيانه فاجعل صنيعك فى الغريب غريبا
و له: [الكامل]

و مهفهف شربت محاسن وجهه ما مجّه فى الكاس من إبريقه
ففعالها من مقلتيه، و لونها من وجنتيه، و طعمها من ريقه
أخذه من ابن حيوس، و قصر عنه، فى قوله: [الكامل]
و مهفهف يغنى بلحظ جفونه عن كاسه الملقى و عن إبريقه
فعل المدام و لونها و مذاقها فى مقلتيه و وجنتيه و ريقه
و لأبى الصلت فيمن اسمه محسن: [مجزوء الخفيف]

أيها الظالم المسىء مدى دهره بنا

ما لهم أخطئوا الصواب فسؤوك محسنا

و له فى لابس قرمزية حمراء: [المنسرح]

أقبل يسعى أبو الفوارس فى مرأى عجيب و منظر أنق

أقبل فى قرمزية عجب قد صبغت لون خده الشرق

كأنما جیده و غرته من دونها إذ بدون فى نسق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢، ص ٢٦٢

عمود فجر من فوقه قمر دارت به قطعته من الشفق

و له فى ثقيل و قد أجاد: [الخفيف]

لى جليس عجت كيف استطاعت هذه الأرض و الجبال تقله

أنا أراعاه مكرها و بقلبي منه ما يقلق الجبال أقله

فهو مثل المشيب أكره مرآه و لكن أصونه و أجله

أخذه من قول أبى الحسن جعفر بن الحاج الميورقى، و هما فى عصر واحد: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٦٣

لى صاحب عميت على شؤونه حر كاته مجهولة و سكونه

يرتاب بالأمر الجلى توهمها فإذا تيقن نازعته ظنونه

إنى لأهواه على شرقى به كالشيب تكرهه و أنت تصونه

و أوصى أن يكتب على قبره أبو الصلت المذكور مما نظمه قبل موته: [الطويل]

سكنتك يا دار الفناء مصدقا بأتى إلى دار البقاء أصير

و أعظم ما فى الأمر أنى صائر إلى عادل فى الحكم ليس يجور

فيا ليت شعري كيف ألقاه عندها و زادى قليل و الذنوب كثير
فإن أك مجزياً بذنبي فأننى بشر عقاب المذنبين جدير
و إن يك عفوتى و رحمة فتم نعيم دائم و سرور
و له أيضاً: [الطويل]

إذا كان أصلى من تراب فكّلها بلادى، و كلّ العالمين أقاربي
و لا بدّ لى أن أسأل العيس حاجة تشقّ على شمّ الذرا و الغوارب
و قال: [الكامل]

دبّ العذار بخدّه ثم انثنى عن لثم مبسمه البرود الأشنب
لا غرو أن خشى الردى فى لثمه فالزريق سمّ قاتل للعقرب
و قد ذكروا أن من خواص ريق الإنسان أنه يقتل العقرب، و هو مجرب.
و قال: [السريع]

لا تدعنى و لتدع من شتته إليك من عجم و من عرب
فنحن أكالون للسحت فى ذراك سمّاعون للكذب
و قال: [الكامل]

لا تسألنى عن صنيع جفونها يوم الوداع و سل بذلك من نجا
لو كنت أملك خدّها للثمته حتّى أعيد به الشقيق بنفسجا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٦٤
أو كنت أهجع لاحتضنت خيالها و منعت ضوء الصبح أن يتبلجا
و بثت فى الظلماء كحل جفونها و عقدت هاتيك الذوائب بالدجا
و قال مهنتاً بمولود: [السريع]

يلوح فى المهد على وجهه تجهّم البأس و بشرى الندى
و الشمس و البدر إذا استجمعا لم يلبثا أن يلبدا فرقدا
فابق له حتّى ترى نجله و إن عرا خطب فنحن الفدا

قال ابن سعيد: و هذا البيت الأخير من أثقل الشعر يتطير من سماعه، و تركه أولى و قال رحمه الله تعالى فى الرصد: [البيسط]
فذا غدیر، و ذا روض، و ذا جبل، فالضّب و التّون و المّلاح و الحادى

٥٩- و منهم الفقيه أبو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول الشرقسطى.

ذكره العماد الأصبهاني فى «الخريدة» و ذكره السمعانى فى الذيل، و أنه دخل بغداد فى حدود سنة ست عشرة و خمسمائة.
و من شعره: [الطويل]

أيا شمس إنى إن أتتك مدائحى و هنّ لآل نظمت و قلاند
فلست بمن يبغى على الشعر رشوة أبى ذاك لى جد كريم و والد
و أنى من قوم قديما و محدثا تباع عليهم بالألوف القصائد

٦٠- و منهم الفقيه المقرئ أبو عامر التيارى

من رجال «الذخيرة» رحل إلى المشرق، وقرأ على أبي جعفر الديباجى كتابه فى العروض و سائر كتبه، ولقى شيخ القيروان فى العريية ابن القزاز و أديبها الحصرى.

و أخبر عن نفسه أنه كان بين يديه تلميذ له و سيم، فمر به أبو جعفر التجانى بسحاءة كتب له فيها و خلاها بين يديه، و هو قد غلب النوم عليه، فقال: [مجزوء الكامل]

يا نائما متعمدا إِبصار طيف حبيبه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٦٥

هو جوهر فائقه إنَّ الطَّيب فى مثقوبه

أو أركبني ظهره إن لم تقل بركوبه

فلما قرأها علم أنها للتجاني، فكتب تحتها: [مجزوء الكامل]

يا طالبا أضحي حجاب دون ما مطلوبه

لو لم يكن فى ذاك إثم لم أكن أسخوبه

إني أغار عليه من أثوابه و رقيه

و أنشد يوما فى حلقة لابن الرومى فى خباز: [البسيط]

إن أنس لا أنس خبازا مررت به يدحو الرقاقة و شك اللبح بالبصر

ما بين رؤيتها فى كفه كرة و بين رؤيتها قوراء كالقمر

إلا بمقدار ما تنداح دائرة فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

فقال بعض تلامذته: أما إنه لا يقدر على الزيادة على هذا، فقال: [البسيط]

فكاد يضطر إعجابا برؤيتها و من رأى مثل ما أبصرت منه خرى

فضحك من حضر، و قال: البيت لائق بالقطعة، لو لا ما فيه من ذكر الرجيع، فقال:

إن كان بيتى هذا ليس يعجبكم فعجلوا محوه أو فالفقه طرى

٦١- و منهم الأديب الطبيب أبو الحجاج يوسف بن عتبة الإشبلى.

مطبوع فى الشعر و التوشيح، قال ابن سعيد: اجتمعت به فى القاهرة مرارا بمجلس الأمير جمال الدين أبى الفتح موسى بن يغمور بن جلدك و فى غيره، و توفى فى مارستان القاهرة.

و من شعره: [الكامل]

أما الغراب فإنه سبب التوى لا ريب فيه و للتوى أسباب

يدعو الغراب و بعد ذاك يجيبه جمل و تعوى بعد ذاك ذئاب

لا تكذب فهذه أسبابه لكن منها بدءه و جواب

٦٢- أبو بكر محمد بن يوسف المعروف (بابن مسدى)

٦٢- و منهم الإمام المحدث الحافظ جمال الدين أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى، الأندلسى، المعروف بابن مسدى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٦٦

و هو من الأئمة المشهورين بالمشرق والمغرب، قال رحمه الله تعالى: أنشدني رئيس الأندلس وأديبها أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي الغرناطي لنفسه سنة ٦٣٧ في سؤال بداره بغرناطة: [البيسط]
منعص العيش لا يأوى إلى دعة من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
و الساكن النفس من لم ترض همته سكنى مكان ولم يسكن إلى أحد

٦٣- و منهم الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي

، نسبة لجده حميد الأندلسي.

ولد أبوه بقرطبة، و ولد هو بالجزيرة بليدة بالأندلس، قبل العشرين و أربعمائه، و كل يحمل على الكتف للسمع سنة ٤٢٥، فأول ما سمع من الفقيه أبي القاسم أصبغ، قال: و كنت أفصح من يقرأ عليه، و كان قد لقي ابن أبي زيد و قرأ عليه و تفقه، و روى عنه رسالته و مختصر المدونة، و رحل سنة ٤٤٨، و قدم مصر و سمع بها من الصّراب و القضاء و غير واحد، و كان سمع بالأندلس من ابن عبد البر و ابن حزم و لازمه و قرأ عليه مصنفاته و أكثر من الأخذ عنه، و شهر بصحته و صار على مذهبه إلا أنه لم يكن يتظاهر به، و سمع بدمشق و غيرها، و روى عن الخطيب البغدادي و كتب عنه أكثر مصنفاته، و سمع بمكة من الزنجاني، و أقام بواسط مدة بعد خروجه من بغداد، ثم عاد إلى بغداد و استوطنها و كتب بها كثيرا من الحديث و الأدب و سائر الفنون، و صنف مصنفات كثيرة، و علق فوائد، و خرج تخاريج للخطيب و غيره، و روى عنه أبو بكر الخطيب أكثر مصنفاته و ابن ماكولا، و كان إماما من أئمة المسلمين في حفظه و معرفته و إتقانه و ثقته و صدقه و نبه و ديانته و ورعه و نزاهته، حتى قال بعض الأكابر ممن لقي الأئمة: لم تر عيناى مثل أبي عبد الله الحميدي في فضله و نبه و نزاهة نفسه و غزار علمه و حرصه على نشر العلم و بثه في أهله، و كان ورعا ثقة إماما في علم الحديث و علله و معرفة متونه و رواته، محققا في علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث، متبحرا في علم الأدب و العربي، و من تصانيفه كتاب «جذوة المقتبس، في أخبار علماء الأندلس» و كتاب «تاريخ الإسلام» و كتاب «من ادعى الأمان، من أهل الإيمان» و كتاب «الذهب المسبوك، في وعظ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٦٧

الملوك» و كتاب «تسهيل السبيل، إلى علم الترسيل» و كتاب «مخاطبات الأصدقاء، في المكاتبات و اللقاء» و كتاب «ما جاء من النصوص و الأخبار، في حفظ الجار» و كتاب «ذم النميّة» و كتاب «الأمانى الصادقة» و غير ذلك من المصنفات، و «الأشعار الحسان، في المواعظ و الأمثال» و كان من كثرة اجتهاده ينسخ بالليل في الحر و يجلس في إجانة ماء يتبرد به، و من مشهور مصنفاته كتاب «الجمع بين الصحيحين».

و ذكره الحجارى في المسهب و قال عنه: إنه أظهر العلم في طرق ميورقة بعد ما كانت عطلاء من هذا الشأن، و ترك لها فخرا تبارى به خواص البلدان، و هو من علماء أئمة الحديث، و لازم أبا محمد بن حزم من الأندلس و استفاد منه، و رحل إلى بغداد، و بها ألف كتاب الجذوة، و من شعره قوله رضى الله تعالى عنه. [الطويل]

ألفت التوى حتى أنست بوحشها و صرت بها لا فى الصبابة مولعا

فلم أحص كم رافقته من مرافق و لم أحص كم خيمت فى الأرض موضعا

و من بعد جوب الأرض شرقا و مغربا فلا بد لى من أن أوافى مصرعا

و قال رحمه الله تعالى: [الوافر]

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهديان من قيل و قال

فأقل من لقاء الناس إلّا لأخذ العلم أو إصلاح حال
و ذكره ابن بشكوال في الصلّة، و توفي ببغداد سنة ثمان و ثمانين و أربعمائه، رحمه الله تعالى!
قال ابن ماكولا: أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدى، و هو من أهل العلم و الفضل و التيقظ، لم أر مثله في عفته و نزاهته و ورعه و
تشاغله بالعلم، و كان أوصى مظفرا ابن رئيس الرؤساء أن يدفنه عند قبر بشر الحافى، فخالف وصيته و دفنه في مقبرة باب أبرز، فلما
كانت مدة رآه مظفر في النوم كأنه يعاتبه على مخالفته، فنقل في صفر سنة ٤٩١ إلى مقبرة باب حرب، و دفن عند قبر بشر، و كان
كفنه جديداً و بدنه طريا تفوح منه رائحة الطيب، و وقف كتبه على أهل العلم، رحمه الله تعالى!

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٦٨

و من مناقبه أنه قال لمن دخل عليه فوجده مكشوف الفخذ: تعديت بعين إلى موضع لم ينظره أحد منذ عقلت، انتهى.

و من شعر الحميدى أيضا قوله: [الوافر]

طريق الزهد أفضل ما طريق و تقوى الله تاليه الحقوق
فتق بالله يكفك، و استعنه يعنك، و دع بتيات الطريق

و قوله: [الوافر]

كلام الله عز و جل قولى و ما صحت به الآثار ديني
و ما اتفق الجميع عليه بدءا و عودا فهو عن حق مبین
فدع ما صد عن هذا و هذا تكن منها على عين اليقين

٦٤- و منهم الكمال أبو العباس أحمد الشريشى

، و هو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى بن عبد المؤمن، القيسى، من أهل شريش، روى عن أبى الحسن بن لبال و أبى بكر
بن أزهر و أبى عبد الله بن زرقون و أبى الحسين بن جبیر و غيرهم، و أقرأ العربية، و له تواليف أفاد بما حشد فيها: منها شرح الإيضاح
للغارسى، و الجمل للزجاج، و له فى العروض تواليف، و جمع مشاهير قصائد العرب، و اختصر نوادر أبى على القالى.
قال ابن الأبار: لقيته بدار شيخنا أبى الحسن بن حريق من بلنسية، قبل توجهى إلى إشبيلية فى سنة ست عشرة و ستمائة، و هو إذ ذاك
يقرأ عليه شرحه للمقامات، فسمعت عليه بعضه، و أجاز لى سائر مع رواياته و تواليفه، و أخذ عنه أصحابنا، ثم لقيته ثانية مقدمه من
مرسية، انتهى.

و من بديع نظمه و هو بمصر يتشوق إلى الشام: [البيسط]

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر فإن قلبى بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا و الله بعدكم ما لذ للعين لا نوم و لا سهر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٦٩

إذا تذكّرت أوقاتا نأت و مضت بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأننى لم أكن بالثيرين ضحى و الغيم يبكى و منه يضحك الزهر
و الورق تشد، و الأغصان راقصة و الدوح يطرب بالتصفيق و النهر
و السفح أين عشياتى التى سلفت لى منه فهى لعمرى عندى العمر
سفاك يا سفح سفح الدمع منهلا و قلّ ذاك له إن أعوز المطر

و له رحمة الله تعالى شروح لمقامات الحريرى: كبير، و وسط، و صغير، و فى الكبير من الآداب ما لا كفاء له، و كان رحمه الله تعالى

معجبا بالشام:

وقال ابن الأبار عندما ذكره: إنه شرح مقامات الحريري في ثلاث نسخ: كبرها الأديبة، ووسطها اللغوية، وصغرها المختصرة، انتهى.
و توفي بشرى بلده سنة تسع عشرة و ستمائة، رحمه الله تعالى!

٤٥- و منهم أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد، الأزدي، القرطبي

، الملقب بضياء الدين.

أحد الأئمة المتأخرين في القراءات و علوم القرآن الكريم و الحديث النحو و اللغة و غير ذلك.

قال القاضي الشمس ابن خلكان: إنه رحل من الأندلس في عنفوان شبابه و قدم مصر فسمع بالإسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، و بمصر أبا صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري و أبا طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالسلفي و غيرهم، و دخل بغداد سنة ٥١٧هـ، و قرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقرئ المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط، و سمع عليه كتباً كثيرة منها كتاب سيوييه، و قرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان و أبي القاسم بن الحصين و أبي العز و غيرهم، و كان دينا ورعا عليه وقار و سكينه، و كان ثقة صدوقا ثباتا نبلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا، أقام بدمشق مدة، و استوطن الموصل، و رحل منها إلى أصبهان، ثم عاد إلى الموصل، و أخذ عنه شيوخ ذلك العصر، و ذكره الحافظ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٧٠

ابن السمعاني في كتاب الذيل، و قال: إنه اجتمع به بدمشق، و سمع عنه مشيخة أبي عبد الله الرازي، و انتخب عليه أجزاء، و سأله عن مولده فقال: ولدت سنة ٤٨٦ في مدينة قرطبة، و رأيت في بعض الكتب أن مولده سنة ٤٨٧، و الأول أصح، و كان شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر بروايته و قراءته عليه، و قال: كنا نقرأ عليه بالموصل، و نأخذ عنه، و كنا نرى رجلا يأتي إليه كل يوم فيسلم عليه و هو قائم، ثم يمد يده إلى الشيخ بشيء ملفوف، فيأخذه الشيخ من يده، و لا نعلم ما هو، و يتركه ذلك الرجل و يذهب، ثم تقفينا ذلك فعلمنا أنها دجاجة مسمومة كانت ترسم للشيخ في كل يوم، يبتاعها له ذلك الرجل و يسمطها و يحضرها، و إذا دخل الشيخ إلى منزله تولى طبخها بيده.

و ذكر في كتاب «دلائل الأحكام» أنه لازم القراءة عليه إحدى عشرة سنة، آخرها سنة ٥٦٧.

و كان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيرا ما ينشد مسندا إلى أبي الخير الكاتب الواسطي: [الوافر]

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك و السكون

جنون منك أن تسعى لرزق و يرزق في غشاوته الجنين

و توفي القرطبي المذكور بالموصل يوم عيد الفطر سنة ٥٦٧هـ، رحمه الله تعالى!

انتهى كلام ابن خلكان ببعض اختصار.

٤٦- و منهم الوزير أبو عبد الله محمد، ابن الشيخ الأجل أبي الحسن بن عبد ربه

، و هو من حفداء صاحب كتاب «العقد» المشهور.

حدث الشيخ الأجل أبو عبد الله محمد بن علي اليحصبي القرموني رفيقه قال:

اصطحبت معه في المركب من المغرب إلى الإسكندرية، فلما قربنا منها هاج علينا البحر،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٧١

و أشفينا على الغرق، فلاح لنا و نحن على هذه الحال منار الإسكندرية، فسررنا برؤيته، و طمعنا في السلامة، فقال لي: لا بد أن أعمل في المنار شيئا، فقلت له: أعلى مثل هذه الحال التي نحن فيها؟ فقال: نعم، فقلت: فاصنع، فأطرق ثم عمل بديها: [البسيط]

لله درّ منار اسكندريّة كم يسمو إليه على بعد من الحدق
من شامخ الأنف في عرينه شمم كأنه باهت في دائرة الأفق
يكسر الموج منه جانبي رجل مشمر الذيل لا يخشى من الغرق
لا يبرح الدهر من ورد على سفن ما بين مصطبح منها و مغتبق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته كموقع النّوم من أجفان ذى أرق
و تقدمت ترجمة الكاتب أبي عبد الله بن عبد ربه، و أظنه هذا، فليتنبه له، بل أعتقد أنه هو لا غيره، و الله تعالى أعلم.

٦٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن الصفار، القرطبي

قال في القدر المعلى: بيتهم مشهور بقرطبة، لم يزل يتوارث في العلم و الجاه و علو المرتبة، و نشأ أبو عبد الله هذا حافظا للآداب، إماما في علم الحساب، مع أنه كان أعمى مقعدا مشوه الخلق، و لكنه إذا نطق علم كل منصف حقه، و من عجائبه أنه سافر على تلك الحالة، حتى غدت بغداد له هالة، اجتمعت به بحضرة تونس فرأيت بحرا زاخرا، و روضا ناضرا، إلا أنه حاطب ليل، و ساحب ذيل، لا يبالي ما أورده، و لا يلتفت إلى ما أنشده، جامعا بين السمين و الغث، حافظا للمتين و الرث، و كان يقرئ الأدب بمراكش و فاس و تونس و غيرها.

و من مشهور حكاياته أنه لما قال أبو زيد الفازازي في أبي علي المستنصر قصيدته التي مطلعها: [البسيط]

الحزم و العزم منسوبان للعرب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٧٢

عارضه بقصيدة، ثم قال فيه و في ابن أخيه يحيى بن الناصر الذي نازعه في ذلك الأوان: [البسيط]

و إن ينازعك في المنصور ذو نسب فنجل نوح توى في قسمة العطب

و إن يقل أنا عمّ فالجواب له عمّ النبيّ بلا شكّ أبو لهب

و شاعت القصيدة فبلغت أبا العلاء، فحرض على قتله، و سلمه الله تعالى منه، و مات سنة ٦٣٩.

و من شعر قوله: [السريع]

لا تحسب الناس سواء متى تشابهوا فالتاس أطوار

و انظر إلى الأحجار، في بعضها ماء، و بعض ضمنها نار

و قوله: [المجتث]

يا طالعا في جفوني و غائبا في ضلوعي

بالغت في السخط ظلما و ما رحمت خضوعي

إذا نويت انقطاعا فاحسب حساب الرجوع

انتهى باختصار يسير.

[أبو الوليد بن الجنان الكنانى الشاطبي]

٦٨- و منهم أبو الوليد بن الجئان محمد بن المشرف أبي عمرو بن الكاتب أبي بكر بن العالم الجليل أبي العلاء بن الجئان، الكنانى، الشاطبى.

قال ابن سعيد: توارثوا بشاطبة، مراتب تحسدها النجوم الثاقبة، و أبو الوليد أشعرهم، و قد تجدد به فى أقطار المشرق مفرهم، و هو معروف هناك بفخر الدين، و متصدر فى أئمة النحويين، و مرتب فى شعراء الملك الناصر صاحب الشام، و مقطعاته الغرامية قلاند أهل الغرام، صحبته بمصر و دمشق و حلب، و جريت معه طلق الجموح فى ميادين الأدب، و أنشدنى بدمشق: [الرملى]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٧٣

أنا من سكر هواهم ثمل لا أبالى هجروا أم وصلوا

فبشعرى و حديثى فيهم زمزم الحادى و سار المثل

إن عشاق الحمى تعرفنى و الحمى يعرفنى و الطلل

رحلوا عن ربع عيني فلذا أدمعى عن مقلتي ترتحل

ما لها قد فارقت أوطانها و هى ليست لحماهم تصل

لا تظنوا أننى أسلو فما مذهبي عن حبكم ينتقل

و قوله رحمه الله تعالى: [البسيط]

بالله يا بانه الوادى إذا خطرت تلك المعاطف حيث الشّيح و الغار

فعانقيها عن الصّب الكئيب فما على معانقة الأغصان إنكار

و عزّفيها بأنى فيك مكنتب فبعض هذى لها بالحبّ إخبار

و أنتم جيرة الجرعاء من إضم لى فى حماكم أحاديث و أسمار

و أنتم أنتم فى كلّ آونه و إنما حبكم فى الكون أطوار

و يا نسيماً سرى تحدو ركائبه لى بالغوير لبانات و أوطار

و قوله: [الخفيف]

يا رعى أنسنا بين روض حيث ماء السّرور فيه يجول

تحسب الزهر عنده يتشنى و تخال الغصون فيه تميل

و له: [البسيط]

هات المدام فقد ناح الحمام على فقد الظلام و جيش الصّيح فى غلب

و أعين الزّهر من طول البكا رمدت فكحلتها يمين الشّمس بالذهب

و الكأس حلتها حمراء مذهبة لكن أزرتها من لؤلؤ الحب

كم قلت للأفق لّما أن بدا صلفا بشمسسه عندما لاحت من الحجب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٧٤

إن تهت بالشّمس يا أفق السّماء فلى شمسان وجه نديمى و ابنه العنب

قم اسقنيها و ثغر الصّيح مبتسم و اللّيل تبكيه عين البدر بالشّهب

و السّحب قد لبست سود الثّياب و قد قامت لثريه الأطيّار فى القضب

و له: [السريع]

عليك من ذاك الحمى يا رسول بشرى علامات الرضا و القبول

جئت و في عطفيك منهم شذى يسكر من خمر هواه العذول

و منها: [السريع]

أحبابنا ودّعتم ناظري و أنتم بين ضلوعي نزول
حللتم قلبي و هو الذي يقول في دين الهوى بالحلول
أنا الذي حدّث عن الهوى بأنني عن حبكم لا أحول
فليزد العاذل في عذله و ليقل الواشى لكم ما يقول
انتهى كلام النور بن سعيد.

و قال غيره: ولد المذكور بشاطبة منتصف شوال سنة ٦١٥هـ، و مات بدمشق و دفن بسفح قاسيون، و كان عالما فاضلا، دمث الأخلاق، كريم الشمائل، كثير الاحتمال، واسع الصدر، صحب الشيخ كمال الدين بن العديم، و ولده قاضي القضاء مجد الدين، فاجتذبه إليهم، و صار حنفي المذهب، و درس بالمدرسة الإقبالية الحنفيه بدمشق، و له مشاركة في علوم كثيرة، و له يد في النظم، و من شعره: [الكامل]

لله قوم يعشقون ذوى اللّحى لا يسألون عن السّواد المقبل
و بمهجتي قوم و إنّي منهم جبلوا على حبّ الطّراز الأوّل
و له أيضا: [البسيط]

قم اسقنيها و ليل الهّم منهزم و الصّبح أعلامه محمّرة العذب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٧٥
و السّحب قد نثرت في الأرض لؤلؤها تضمّه الشّمس في ثوب من الذهب
و قد تقدم عن ابن سعيد له ما يقارب هذا.
و له - رحمه الله تعالى! - في كاتب: [الطويل]
و بي كاتب أضمرت في القلب حبه مخافة حسّادى عليه و عدّالى
له صنعة في خطّ لام عذاره و لكن سها إذ نَقَط اللّام بالخال

٦٩- و منهم أبو محمد القرطبي

: قال ابن سعيد: لقيته بالقاهرة، و كأنه لا خبر عنده من الآخرة، و قد طال عمره في أكل الأعراض، و فساد الأغراض، و مما بقى في أذنى من شعره قوله: [الخفيف]
رحم الله من لقيت قديما فلقد كان بي رؤوفا رحيفا
أتمنى لقاء حرّ و قد أع وز بختي كما عدت الكريما
و توفي بالقاهرة سنة ٦٤٣هـ، انتهى.

٧٠- و منهم علي بن أحمد، القادسي، الكناني

قال ابن سعيد: لقيته ببيت المقدس على زى الفقراء، و حصلت منه هذه الأبيات، و ندمت بعد ذلك على ما فات، و هي: [المجث]

ذاك العذار المطلّ دمي عليه يطلّ

كأنما الخدّ ماء و قد جرى فيه ظلّ
عقود صبرى عليه مذ حلّ قلبى تحلّ
جرت دموعى عليه فقلت آس و ظلّ

٧١- و منهم أبو عبد الله بن العطار، القرطبي

قال ابن سعيد: هو حلو المنازع، ظريف المقاطع و المطالع، مطبوع النوادر، موصوف بالأديب الشاعر، مازجته بالإسكندرية، و بهذه الحضرة العلية، و ما زال يدين بالانفراد،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٧٤

و التجول فى البلاد، حتى قضى مناه، و ألقى بهذه المدينة عصاه، لا يخطر الهم له ببال، و لا يبيت إلا على وعد من وصال، و له حين سمع ما ارتجلته فى السكين بالإسكندرية حين داعبني باختلاسها القاضى زين القضاء بن الرّيغى، و قال: ما لى إليه سبيل، حتى يحضر مصرى نبيل: [الطويل]

أيا سارقا ملكا مصونا و لم يجب على يده قطع و فيه نصاب
ستندبه الأقلام عند عثارها و يبكيه إن يعد الصّواب كتاب
فقال: [الطويل]

أحاجيك ما شىء إذا ما سرقته و فيه نصاب ليس يلزمك القطع
على أن فيه القطع و الحدّ ثابت و لا حدّ فيه، هكذا حكم الشّرع
انتهى كلام ابن سعيد من كتابه «القدح المعلى» فيما أظن.

و يعنى و الله سبحانه و تعالى أعلم بقوله «و بهذه الحضرة العلية» حضرة تونس المحروسة، فإنها كانت محط رحال الأفاضل، من الأواخر و الأوائل، حتى إن قاضى القضاء ابن خلدون أقام بها مدة، و منها ارتحل إلى مصر، و كذلك الخطيب الجليل سيدى أبو عبد الله بن مرزوق رحمه الله تعالى، و منها خاطب الوزير لسان الدين بن الخطيب و سلطانه فى الشفاعة له عند سلطان المغرب، فكتب لسان الدين عن سلطانه فى ذلك ما نصه: المقام الذى تؤكد إليه بير سلفه الوداد، و نغرى بتخليد فخره و أمره القلم و المداد، و نصل به الاستظهار على عدو الله تعالى و الاستعداد، و نخطب له من الله بهزّ أعطافه للخير و التوفيق و السداد، و الإعانة منه و الإمداد، مقام محل أخين الذى اشتهر فضله و دينه، و وضع سعده متألقه براهينه، و حياه الصنع الجميل و بياه مشرقا جبينه، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبقاء الله يرعى الدّم، و يسلك من الفضائل المنهج الأمم، و يغلى البضائع النافقة عند الله تعالى و يعلى الهمم، معظم قدره، و ملتزم بره، الحريص على توفير أجره، و تخليد فخره، فلان، أما بعد حمد الله تعالى ناصر الإمره المطاعة، المحافظة على السنة و الجماعة، و حافظها من الإضاعة، إلى قيام الساعة، الذى جعل المودة فيه أنفع الوسائل النفاة، و الصلاة و السلام على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٧٧

سيدنا و مولانا محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعة على العموم و الإشاعة، متمم مكارم الأخلاق من الفضل و البذل و الحياء و الشجاعة، و الرضا عن آله و صحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة، و زرعوا الخير فى العاجلة ففازوا فى الآجلة بفائدة تلك الزراعة، و الدعاء لمقامكم الأعلى بصنع يروى فيه عن الأشمط الباتر خبر النصر المتواتر لسان البراعة، و تأييد لا ترضى فيه القنا بمقام تلك القناعة، فإننا كتبنا إليكم كتب الله تعالى لثنائكم العاطر بتخليد المفاخر منشور الإذاعة، فى أيدي النواسم الصّواعه، من حمراء غرناطة- حرسها الله تعالى!- عن خير هامى السحاب، و بشر مفتاح الأبواب، و عز للإسلام، ببركة الاعتداد بملككم المنصور الأعلام،

مقتبل الشباب، و يمن ضافى الجلباب، و الحمد لله على تضايف الأيدي فى ذاته و توفر الأسباب، و جانبكم الرفيع الأمل للمنتاب، إذا حدث الحداة ذوات الأقتاب، و مطمح الوسائل المطرزة المسائل بتصحيح الود اللباب، و إلى هذا وصل الله تعالى سعيكم بسوابغ نعمه و آلائه دائمة الانسكاب، و جعل ما عجل لكم من نعمه و آلائه كفيلاً بالزلفى و حسن المتاب، و ألهمكم تقييد شواردها بالشكر قولاً و عملاً فالشكر مستدعى المزيد كما ورد فى الكتاب، فإن من المنقول الذى اشتهر، و راق فضله و بهر، قوله «اشفعوا تؤجروا» و ما فى معناه من المعتبر فى الخبر و تنفيس كربته عن مسلم، و سماع شكوى من متظلم، و لو لا أن مقامكم السننى أغنى، لجلبنا الكثير من هذا المعنى، و لما تحقق ما أتم عليه من سلوك سبيل و الدكم الملك الصالح - قدس الله تربته، و ضاعف قربته! - من يمن الظفر، و سلوك سبيل الخير و إقامة رسول الدين، و الاهتداء من هديه بالنور المبين، خفّ علينا أن نقصدكم بالشفاعات مع الساعات، و نتجر لكم مع الله بأنفس البضاعات، فما أثمر من ذلك شكرنا الله تعالى عليه حقيقةً و شكرناكم عليه شريعةً، و ما تأخر أوسعناكم فيه عذرا يسد ذريعةً، و علمنا أن الله تعالى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٧٨

لم يأذن فى تعجيله، و سألتاه فى تيسيره و تسهيله، سواء لدينا فى ذلك ما عاد، بإعانة عامةً و إمداد، و ساهم فى قصد جهاد، و ما لم يعد علينا خصوصاً و على المسلمين عموماً بإعانة و لا إرفاد، إنما علينا أن نجلب الخير الباقى و الأجر الراقى إلى بابكم، و ندلّ عليه كريم جنابكم، بمقتضى و داد، صبحه باد، و جميل ظن فى دينكم المتين و اعتقاد، سلم محمله و مفضله من انتقاد، و ذلك أن الشيخ الخطيب الفقيه الكبير الشهير الصدر الأوحى العلامة سلاله الصالحين، و خطيب و الدكم كبير الخلفاء و السلاطين، و يا لها من مزيةً دنيا و دين، أبا عبد الله بن مرزوق جبر الله تعالى على يدكم البرهه حاله، و سنى من مقامكم السننى آماله، جرى عليه من المحن، و تباريح الإحن، ما يعلم كل ذى مروءة و عقل، و اجتهاد و نقل، أن ذلك من الجنائيات على و الدكم السلطان محسوب، و إلى معقاته منسوب، و لو كانت ذنوبه رضوى و ثبيرا، لاستدعت إلى تعمدتها عفواً كبيراً، رعياً لذلك الإمام الصالح الذى كبر خلفه و أحرم، و تشهد و سلم، و أمن عقب دعائه، و نصب كفه لمواهب الله تعالى و آلائه، و أنصت لخطبته و وعظه، و أوجب المزية لسعة حفظه و عذوبه لفظه، فأحبط ذلك من أحبط الأعمال الصالحة، و عطّل المتاجر الرابحة، و أسف الملك المذكور بدم ولده، و إحراق خزائنه و عدده، و تغيير رسومه و حدوده و إسخاطه و إسخاط الله معبوده، إلى أن طهر سيفكم الملك من عاره، و أخذ منه بثاره، و تقرب إلى الله و إلى السلف الكريم بمحو آثاره، و الحمد لله على ما خصّه من إثارة، و تدارك الإسلام بإقاله عثاره، و إنه خاطبنا الآن من حضرة تونس يقرر من حاله ما يفتّ الفؤاد، و يوجب الامتعاض له و الاجتهاد، يطلب منا الإعانة بين يديكم و الإنجاد، و يشكو العيلة و الأولاد، و الغربة التى أحلته الأقطار النازحة و البلاد، و الحوادث التى سلبته الطارف و التلاد، و أن نذكركم بوسيلته، و ضعف حيلته، فبادرنا لذلك عملاً بالواجب، و سلوكاً من بره و رعى حقه على السنين اللاحب، و إن كنا نطوقه فى أمرنا عند الحادثه علينا تقصيراً، و لا- نشكر إلا الله و ليا و نصيراً، فحقه علينا أوجب، فهو الذى لا يجحد و لا يحجب، و لا يلتبس منه المذهب، و كيف لا يشفع فيمن جعله السلف إلى الله تعالى شفيعاً، و أحله محلاً منيعاً ربيعاً، إلى وليه الذى جبر ملكه سريعاً، و صير جنابه بعد المحول مريعاً، و جدد رسومه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٧٩

تأصيلاً لها و تفريعاً، و مثلكم من اغتتم بره فى نصر مظلوم، و سبر مكولوم، و إعداء كرم على لوم، و هى منا ذكرى تنفع، و حرص على أجر من يشفع، و إسعاف لمن سأل ما يعلى من قدركم و يرفع، و تأدية لحق سلفكم الذى توفرت حقوقه، و إبلاغ نصيحةً دينيةً إلى مجدكم الذى لا- يمنعه عن المجد مانع و لا- يعوقه، و مطلبه فى جنب ملككم الكبير حقيق، و هو إلى ما يفتح الله تعالى به على يد صدقتكم فقير، و منهلكم الأروى، و باعكم فى الخير أطول و ساعدكم أقوى و ما تفعلوا من خير يعلمه الله و تزودوا فإن خير الزاد التّفوى [البقرة: ١٩٧] و الله عز و جل يسلك بكم المسالك التى تخلد بالجميل ذكركم، و تعظم عند الله أجركم، فما عند الله خير

للأبرار، و الدنيا دار الغرور و الآخرة دار القرار، و هو سبحانه يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، انتهى.

و السلطان المخاطب بهذا هو أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني، و كان ابن مرزوق غالبا على دولة السلطان أبي سالم أخي أبي فارس المذكور، فقتله الوزير عمر بن عبد الله الفودودي، و تغلب على الملك، و نصب أخا لأبي سالم معتوها، و سجن ابن مرزوق، و رام قتله، فخلصه الله تعالى منه، ثم إن السلطان أبا فارس ثار على الوزير المتغلب و قتله، و استقل بالملك، فخطب في شأن ابن مرزوق بما ذكر.

رجع إلى ما كنا فيه من ذكر الراحلين من أعلام الأندلسيين إلى البلاد المشرقية المحروسة بالله سبحانه و تعالى، فنقول:

[٧٢- أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي، القرطبي، (ابن الفرضي)]

٧٢- و منهم أبو الوليد و أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر، الأزدي، القرطبي، المعروف بابن الفرضي، الحافظ المشهور.

كان فقيها عالما، عارفا بعلم الحديث و رجاله، بارعا في الأدب و غيره، و له من التصانيف «تاريخ علماء الأندلس»، و قفت عليه بالمغرب، و هو بديع في بابه و هو الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب «الصلة» و له كتاب حسن في المؤلف و المختلف و في مشتببه النسبة، و كتاب في أخبار شعراء الأندلس، و غير ذلك، و رحل من الأندلس إلى المشرق سنة ٣٨٢، فحج و سمع من العلماء و أخذ منهم و كتب من أماليهم، و روى عن شيوخ عدة من أهل المشرق.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٨٠

و من شعره: [الطويل]

أسير الخطايا عند بابك واقف على وجل ممّا به أنت عارف

يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها و يرجوك فيها فهو راج و خائف

و من ذا الذي يرجي سواك و يتقى و ما لك في فصل القضاء مخالف

فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي إذا نشرت يوم الحساب الصّحائف

و كن مؤنسى في ظلمة القبر عندما يصدّ ذوو القربى و يجفّو المؤلف

لئن ضاق عنّي عفوك الواسع الذي أرجى لإسرافي فأني لتالف

و كان- رحمه الله تعالى!- حسن الشعر و البلاغة.

و من شعره أيضا رحمه الله تعالى: [الكامل]

إنّ الذي أصبحت طوع يمينه إن لم يكن قمرا فليس بدونه

ذلي له في الحبّ من سلطانه و سقام جسمي من سقام جفونه

و له شعر كثير، و مولده في ذي القعدة ليلة الثلاثاء لتسع بقين منه سنة ٣٥١، و تولى القضاء بمدينة بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني، و قتله البربر يوم فتح قرطبة يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣، و بقي في داره ثلاثة أيام، و دفن متغيرا من غير غسل و لا كفن و لا صلاة، رحمه الله تعالى!.

و روى عنه أنه قال: تعلقت بأستار الكعبة، و سألت الله تعالى الشهادة، ثم انحرفت و فكرت في هول القتل، فندمت و هممت أن أرجع فأستقبل الله سبحانه و تعالى فاستحييت.

و أخبر من رآه بين القتلى و دنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف: لا يكلم أحد في سبيل الله، و الله أعلم بمن يكلم في سبيله، إلا جاء

يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم و الريح ريح المسك، كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك، قال: ثم قضى على إثر ذلك.

و هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه.

و قد ساق في المطحح حكايته فقال: كان حافظا عالما كلفا بالرواية، رحل في طلبها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٨١

و تبحر في المعارف بسببها، مع حظ من الأدب كثير، و اختصاص بنظم منه و نثر، حج و برع، في الزهادة و الورع، فتعلق بأستار الكعبة يسأل الله الشهادة ثم فكر في القتل و مرارته، و السيف و حرارته، فأراد أن يرجع و يستقيل الله تعالى فاستحيا، و آثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا، فأصيب في تلك الفتن مكلوما، و قتل مظلوما، ثم ذكر مثل ما مر.

و مما قال في طريقه إلى قرطبة يتشوق إلى فريقه: [الطويل]

مضت لى شهور منذ غبتم ثلاثة و ما خلتنى أبقي إذا غبتم شهرا
و ما لى حياة بعدكم أستلذها و لو كان هذا لم أكن فى الهوى حزا
و لم يسلى طول التنائى عليكم بلى زادنى وجدا و جدد لى ذكرا
يمثلكم لى طول شوقى إليكم و يدنيكم حتى أناجيكم سرا
سأستعب الدهر المفترق بيننا و هل نافعى أن صرت أستعب الدهرا
أعلل نفسى بالمنى فى لقائكم و أستسهل البر الذى جبت و البحر
و يؤنسى طى المراحل عنكم أروح على أرض و أغدو على أخرى
و تالله ما فارقتم عن قلبى لكم و لكنّها الأقدار تجرى كما تجرى
رعتكم من الرحمن عين بصيرة و لا كشفت أيدى النوى عنكم ستر
و قد عرف به ابن حيان فى المقتبس، و ذكر قصة شهادته، رحمه الله تعالى!

٧٣- و منهم الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، البكرى، الشريشى، المالكى

ولد بشرى سنة ٦٠١، و رحل إلى العراق، فسمع به المشايخ كالقطيعى و ابن روزبه و ابن الكثير و غيرهم، و اشتغل و ساد أهل زمانه، و اشتهر بين أقرانه، ثم عاد إلى مصر فدرس بالفاضلية، ثم انتقل إلى القدس الشريف، فأقام به شيخ الحرم، ثم جاء إلى دمشق المحروسة بالله، و تولى مشيخة الحديث بتره أم صالح و مشيخة الرباط الناصرى و مشيخة المالكية،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٨٢

و عرض عليه القضاء فلم يقبل، و كانت وفاته يوم الاثنين الرابع و العشرين من رجب، بالرباط الناصرى، و دفن بسفح قاسيون، رحمه الله تعالى! و ذلك سنة خمس و ثمانين و ستمائة، رحمه الله تعالى!

و ليس هو بشارح المقامات، بل هو غيره، و قد اشتركا فى البلد، فبسبب ذلك ربما يقع فى الأذهان الوهم فى أمرهما، و شارح المقامات أحمد و هذا محمد، و قد ترجمنا صاحب شرح المقامات فيما تقدم من هذا الباب، فليراجع، و الله سبحانه و تعالى أعلم.

٧٤- و منهم أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن المغلس، القيسى، الأندلسى، البلنسى.

كان من أهل العلم باللغة و العربية، مشارا إليه فيهما، رحل من الأندلس، و سكن بمصر و استوطنها، و قرأ الأدب على أبى العلاء صاعد

اللغوى صاحب كتاب الفصوص، و على أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن خرزاذ النجيمي، و دخل بغداد، و استفاد و أفاد، و له شعر حسن، فمن ذلك قوله: [المتقارب]

مريض الجفون بلا علة و لكن قلبي به ممرض
أعان السهاد على مقلتي بفيض الدموع فما تغمض
و ما زار شوقا و لكن أتى يعرض لى أنه معرض

و له أشعار كثيرة، و توفي يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى سنة ٤٢٧، و قيل:

سنة ٤٢٩، بمصر، و كان استوطنها، و صلى عليه الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفى صاحب التفسير فى مصلى الصدفى، و دفن عند أبي إسحاق رحمه الله تعالى.

و مغلّس: بضم الميم، و فتح الغين، و تشديد اللام المكسورة، و بعدها سين مهملة.

و كانت بينه و بين أبي الطاهر إسماعيل بن خلف صاحب كتاب «العنوان» معارضات فى قصائد.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٨٣

و من شعر ابن المغلّس أيضا قوله فى حمام: [الطويل]

و منزل أقوام إذا ما اغتدوا به تشابه فيه و غده و رئيسه
يخالط فيه المرء غير خليطه و يضحى عدو المرء و هو جليسه
يفرّج كربي إن تزايد كربه و يؤنس قلبي أن يعدّ أنيسه
إذا ما أعت الحوض ماء تكاثرت على مائه أقماره و شموسه

٧٥- و منهم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله، الحكيم، الأديب، المعروف بالمغربى

و هو من أهل المريّة، و انتقل إلى المشرق، و كان كامل الفضيلة، و جمع بين الأدب و الحكمه، و له ديوان شعر جيد، و الخلاعة و المجون غالبه عليه، و ذكر العماد فى «الخريدة» أنه كان طيب المارستان المستصحب فى معسكر السلطان السلجوقى حيث حلّ و خيم، و كان السيد يحيى بن سعيد المعروف بابن المرخم الذى صار أفضى القضاء ببغداد فى أيام المقتدى فاصدا و طبيبا فى المارستان، و أثنى العماد على أبي الحكم المذكور، و ذكر فضله و ما كان عليه، و أن له كتابا سماه «نهج الوضاعة، لأولى الخلاعة» ثم إن أبا الحكم انتقل إلى الشام، و سكن دمشق، و له فيها أخبار و ماجريات ظريفة تدل على خفة روحه.

قال ابن خلكان: رأيت فى ديوانه أن أبا الحسين أحمد بن منير الطرابلسى كان عند الأمراء بنى منقذ بقلعة شيزر، و كانوا مقبلين عليه، و كان بدمشق شاعر يقال له أبو الوحش، و كانت فيه دعابة، و بينه و بين أبي الحكم المذكور مداعبات، فسأل منه كتابا إلى ابن منير بالوصية عليه، فكتب أبو الحكم: [المنسرح]

أبا الحسين استمع مقال فتى عوجل فيما يقول فارتجلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٨٤

هذا أبو الوحش جاء ممتدحا للقوم فاهنا به إذا وصلا

و اتل عليهم بحسن شرحك ما أنقله من حديثه جملا

و خبّر القوم أنه رجل ما أبصر الناس مثله رجلا

تنوب عن وصفه شمائله لا يبتغى عاقل به بدلا

و منها:

و هو على خفة به أبدا معترف أنه من الثقلا
يمت بالثلب و الرقاعة و الس خف، و أما بغير ذاك فلا
إن أنت فاتحته لتخبر ما يصدر عنه فتحت منه خلا
فهبه إن حلّ خطّة الخسف و ال هون و رحب به إذا رحلا
و أسقه السّم إن ظفرت به و امزج له من لسانك العسلا
و له أشياء مستملحة، منها مقصورة هزلية، ضاهى بها مقصورة ابن دريد، من جملتها:

[الرجز]

و كلّ ملموم فلا بدّ له من فرقة لو ألزقوه بالغرا
و له مريئة في عماد الدين زكى بن آق سنقر الأتابكى، شاب فيها الجد بالهزل، و الغالب على شعره الانطباع.
و توفي ليلة الأربعاء رابع ذى القعدة سنة ٥٤٩، و قيل: في السنة التي قبلها، بدمشق، رحمه الله تعالى!
و القاضي ابن المرّم المذكور هو الذى يقول فيه أبو القاسم هبة الله بن الفضل الشاعر المعروف بابن القطان: [الكامل]
يا ابن المرّم صرت فينا قاضيا حرف الزّمان تراه أم جنّ الفلك
إن كنت تحكم بالنّجوم فربما أمّا بشرع محمّد من أين لك
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٨٥
و كان أبو الحكم المذكور فاضلا في العلوم الحكيمية، متقنا للصناعة الطيبة، حسن النادرة، كثير المداعبة، مجبا للهو و الخلاعة و
الشراب، و كان يعرف صنعة الموسيقى و يلعب بالعود، و يجلس في دكان بجيرون للطب، و سكناه بالبلادين، و أتى في ديوانه «نهج
الوضاعة» بكل غريب، يدل على أنه أريب، سامحه الله تعالى و غفر له!

٧٦- و من الراحين من الأندلس إلى المشرق:

من هو الأحق بالتقديم و السبق، الشهير عند أهل الغرب و الشرق، الحافظ المقرئ الإمام الربانى، أبو عمرو الدانى، عثمان بن سعيد بن
عثمان بن سعيد بن عمر، الأموى، مولا هم، القرطبي، صاحب التصانيف التي منها المقنع و التيسير.
و عرف بالدانى لسكناه دانية، و ولد سنة ٣٧١، و ابتدأ بطلب العلم سنة ٣٨٧ و رحل إلى المشرق سنة ٣٩٧، فمكث بالقيروان أربعة
أشهر، و دخل مصر في شوالها، فمكث بها سنة، و حج، و رجع إلى الأندلس في ذى القعدة سنة ٣٩٩، و قرأ بالروايات على عبد العزيز
بن جعفر الفارسى و غيره بقرطبة، و على أبى الحسن بن غلبون و خلف بن خاقان المصرى و أبى الفتح فارس بن أحمد، و سمع من
أبى مسلم الكاتب، و هو أكبر شيخ له، و من عبد الرحمن بن عثمان القشيري، و حاتم بن عبد الله البزار، و غير واحد من أهل مصر و
سواها، و سمع من الإمام أبى الحسن القابسى، و خلف كتبه بالحجاز و مصر و المغرب و الأندلس، و تلا- عليه خلق منهم مفرج
الأقفالى و أبو داود بن نجاح صاحب التنزيل فى الرسم، و هو من أشهر تلامذته، و حدث عنه خلق كثير، منهم خلف بن إبراهيم
الطّليطلى.

قال أبو محمد عبيد الله الحجرى: ذكر بعض الشيوخ أنه لم يكن فى عصر الحافظ أبى عمرو الدانى و لا بعد عصره أحد يدانيه و لا
يضاهيه فى حفظه و تحقيقه، و كان يقول: ما رأيت شيئا قط إلا كتبه، و لا كتبه إلا حفظته، و لا حفظته فنسيته.
قال ابن بشكوال: كان أبو عمرو أحد الأئمة فى علم القرآن و رواياته و تفسيره و معانيه و طرقه و إعرابه، و جمع فى ذلك كله تواليف
حسانا، و له معرفة بالحديث و طرقه و إعرابه و أسماء رجاله، و كان حسن الخط و الضبط، من أهل الحفظ و الذكاء و اليقين، و كان
دينا فاضلا ورعا سنيا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٨٦

وقال بعضهم، وأظنه المغامى: كان أبو عمرو مجاب الدعوة، مالكي المذهب.

وقال بعض أهل مكة: إن أبا عمرو الداني مقرئ متقدم، وإليه المنتهى فى علم القراءات وإتقان القرآن، والقراء خاضعون لتصانيفه، واثقون بنقله فى القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك، وله مائة وعشرون مصنفاً، وروى عنه بالإجازة رجلاً: أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني، وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبي حمزة، وكانت وفاته رحمه الله تعالى بدانية فى نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

٧٧- ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد بن أبي حبيب، الأندلسى.

من بيت علم ووزارة، صرف عمره فى طلب العلم، وكان غزير العلم فى الفقه والحديث والأدب وولى القضاء بالأندلس مرة، ثم دخل الإسكندرية ومصر، وجاور بمكة المشرفة، ثم قدم العراق، وأقام ببغداد مدة، ثم وافى خراسان فأقام بنيسابور وبلخ، وكانت ولادته ببلاد الأندلس، وتوفى بهراة فى شعبان سنة ٥٤٨، رحمه الله تعالى، ورضى عنه!

٧٨- ومنهم أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن علي بن شكر، الأندلسى، المقرئ.

رحل وأخذ القراءات عن أبي الفضل جعفر الهمداني، وسمع من أبي القاسم بن عيسى، وسكن الفيوم، واختصر «التيسير» وصنف شرحاً للشاطبية، وتوفى سنة ٦٤٠، رحمه الله تعالى!

٧٩- ومنهم العلامة ذو الفنون علم الدين القاسم بن أحمد الميرنى، اللورقى، المقرئ، النحوى.

ولد سنة ٥٧٥، وقرأ القراءات، وأحكم العربية، وبرع فيها، واجتمع بالجزولى، وسأله عن مسألة فى مقدمته، وقرأ علم الكلام والأصولين والفلسفة، وكان خبيراً بهذه العلوم، مقصوداً بإقراءها وولى مشيخة قراءة العادلية، ودرس بالعزيرية نيابة، وصنف شرحاً للشاطبية، وشرحاً للمفصل فى عدة مجلدات، وشرح الجزولية، وغير ذلك، وكان مليح الشكل، حسن البزة، وتوفى سنة ٦٦١ رحمه الله تعالى ورضى عنه.

٨٠- ومنهم أبو عبد الله بن أبي الربيع، القيسى، الأندلسى، الغرناطى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٨٧

قدم مصر سنة ٥١٥ أو بعدها، فسمع على السلفى، وبقراءته على جماعة من شيوخ مصر، وكان لديه فقه وأدب، ثم سافر إلى باب الأبواب، وكان حياً سنة ٥٥٦.

ومن نظمه يمدح كتاب الشهاب: [البيسط]

إنَّ الشَّهابَ له فضل على الكتب بما حوى من كلام المصطفى العربى

كم ضمَّ من حكمه غزاً و موعظةً و من و عيد و من وعد و من أدب

أمَّا القضاة فالتَّرحمن يرحمه كما حباه من التَّأليف بالعجب

٨١- ومنهم الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى، القرشى، العبدري

من أهل ميورقة من بلاد الأندلس، سكن بغداد، وسمع بها من أبي الفضل بن خيرون وطرّاد الزينبي وأبي عبد الله الحميدى وجماعة، ولم يزل يسمع إلى حين وفاته، وكتب بخطه كثيرا من الكتب والأجزاء، وجمع وخرّج، وكان صحيح العقل، معتمد الضبط، مرجوعا إليه في الإتقان، وكفاه فخرا وشرفا أن روى عنه الحافظان أبو طاهر السلفى وأبو الفضل محمد بن ناصر، وكان فهامة علامة ذا معرفة بالحديث، متعففا مع فقره، وكان يذهب إلى أن المناولة والعرض كالسماع.

وقال السلفى فيه: إنه من أعيان علماء الإسلام، بمدينة السلام، متصرف فى فنون من العلم أدبا ونحوا ومعرفة بأنساب العرب والمحدثين، وكان داودى المذهب، قرشى النسب، وقد كتب عنى وكتبت عنه، وسمعنا معا كثيرا على شيوخ بغداد، ومولده بقرطبة من مدن الأندلس، وقبل اجتماعى به كنت أسمع إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يثنى عليه، فلما اجتمعنا وجدته فوق ما وصفه، انتهى.

وقال ابن عساكر: كان أحفظ شيخ لقيته، وربما حكى عنه بعضهم كابن عساكر أمورا منكرا، فالله أعلم. وتوفى فى ربيع الآخر سنة ٥٢٤ ببغداد، رحمه الله تعالى!

٨٢- ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعدون، الباجى

سمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وابن رشيق، وبمكة من الآجرى، وكان صالحا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٨٨

فاضلا زاهدا ورعا، حدث، ومات ببطليوس فجأة سنة ٣٩٢، ومولده سنة ٣٢٢.

٨٣- ومنهم أبو بكر محمد بن سعدون، التميمى، الجزيرى، المتعبد.

كانت آدابه كثيرة، و حج غير مرة، و رابط ببلاد المغرب، و كان حسن الصوت بالقرآن، سمع بمصر من جماعة، و بمكة، و صحب الفقراء، و طاف بالشام، و غزا غزوات، و تعرض للجهاد، و حرض عليه، و ساح بجبل المقطم، و ذكر أنه صلى بمصر الضحى اثنتى عشرة ركعة، ثم نام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن مالكا والليث اختلفا فى الضحى، فما لك يقول: ثنتا عشرة ركعة والليث يقول: ثمانيا، ف ضرب عليه الصلاة والسلام بين وركى ابن سعدون وقال: رأى مالكا هو الصواب، ثلاث مرات، قال: و كان فى وركى وجع، فمن تلك الليلة زال عنى، و كان له براهين من نور يضىء عليه إذا صلى و نحوه، و أنشد: [الكامل]

سجن اللسان هو السلامة للفتى من كل نازلة لها استئصال

إن اللسان إذا حلت عقاله ألقاك فى شعاء ليس تقال

توفى سنة ٣٤٤.

٨٤- ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعد الأعرج، الطليلى الخطيب.

وقال فيه ابن سعيد: سمع بمصر ابن الورد وابن السكن، و حدث، مولده سنة ٣٠٩، و توفى فى ربيع الآخر سنة ٣٨٤.

٨٥- ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن إسحاق بن يوسف، الأموى، القرطبى.

و أصله من لبله، و لكن سكن قرطبة، و قدم مصر، و حج، و سمع فى طريقه من الشيخ أبى محمد بن أبى زيد صاحب الرسالة، و أخذ

عن القاسمي و عن جماعة من علماء مصر و الحجاز، و مولده سنة ٣٥٢، و رحلته سنة ٤١٨.

٨٦- و منهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام، القرطبي.

سمع من أبيه و يحيى بن يحيى و عبد الملك بن حبيب، و رحل، فسمع من أشهب بن عبد العزيز و عبد الله بن نافع و عبد الله بن عبد الحكم، و عاد إلى الأندلس و بها توفي سنة ٢٦٠، رحمه الله تعالى!.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٨٩

٨٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان، المعافري، الشاطبي

، نزيل الإسكندرية، و يعرف بابن أبي الربيع.
أحد أولياء الله تعالى، شيخ الصالحين، صاحب الكرامات المشهورة، جمع بين العلم و العمل و الورع و الزهد و الانقطاع إلى الله تعالى و التخلي عن الناس و التمسك بطريقة السلف، قرأ القرآن ببلده بالقراءات السبع على أبي عبد الله محمد بن سعادة الشاطبي و غيره، و قرأ بدمشق على الواسطي، و سمع عليه الحديث، و رحل، فسمع من الزاهد أبي يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عليه و سلم بين قبره و منبره سنة ٦١٧، و سمع بدمشق على أبي القاسم بن صصرى و أبي المعالي بن خضر و أبي الوفاء بن عبد الحق و غيرهم، و انقطع لعبادة الله تعالى في رباط سوار من الإسكندرية بتربة أبي العباس الراسي، و تلمذ للشاطبي تلميذ الراسي، و صنف كتابا حسنة: منها كتاب «المسلوك القريب، في ترتيب الغريب» و كتاب «اللمعة الجامعة، في العلوم النافعة» في تفسير القرآن العزيز، و كتاب «شرف المراتب و المنازل، في معرفة العالي من القراءات و المنازل» و كتاب «المباحث السنية، في شرح الحصري» و كتاب «الخرقة، في إلباس الخرقة» و كتاب «المنهج المفيد، فيما يلزم الشيخ و المريد» و كتاب «النبد الجلية، في ألفاظ اصطلاح عليها الصوفية» و كتاب «زهر العريش، في تحريم الحشيش» و كتاب «الزهر المضي، في مناقب الشاطبي» و كتاب «الأربعين المضية، في الأحاديث النبوية» و مولده بشاطبة سنة ٥٨٥، و وفاته بالإسكندرية في رمضان سنة ٦٧٢، و دفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته، رحمهما الله تعالى، و نفع بهما!.

٨٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن شريح، الزعيني، الإشبيلي.

قدم مصر، و سمع بها من ابن نفيس و أبي علي الحسن البغدادي و أبي جعفر النحوي و أبي القاسم بن الطيب البغدادي الكاتب، و بمكة من أبي ذر الهروي.
قال ابن بشكوال: كان من جملة المقرئين و خيارهم، ثقة في روايته، و كانت رحلته إلى المشرق سنة ٤٢٣، و ولد سنة ٣٩٢، و توفي سنة ٤٧٦، و عمره أربع و ثمانون سنة إلا خمسة و خمسين يوما، و روى بإشبية عن جماعة، رحمه الله تعالى!.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٩٠

٨٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن صالح الأنصاري، المالقي.

قال السلفي: هو شاب من أهل الأدب، له خاطر، سمح كان يحضر عندي بالإسكندرية، كثير السماع للحديث، و ذكر أنه قرأ الأدب على أبي الحسين بن الطراوة النحوي بالأندلس، و على نظرائه، و أنشدني لنفسه: [الكامل]
كم ذا تقلقني التوى و تسوقني و إلى متى أشجى بها و أسام

ألفت ركائبى الفلا فكأتما للبين عهد بيننا و ذمام
يا ويح قلبى من فراق أحنه أبدا تصدعه به الأيام

٩٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن صالح، القحطاني، المعافى، الأندلسى، المالكي.

رحل إلى المشرق فسمع بالشام من خيثمة بن سليمان، و بمكة أبا سعيد بن الأعرابي، و ببغداد إسماعيل بن محمد الصفار، و سمع بالمغرب بكر بن حماد التاهرتي و محمد بن وضاح و قاسم بن أصبغ و غيرهم و بمصر جماعة من أصحاب يونس و المزني، روى عنه أبو عبد الله الحاكم و قال: اجتمعنا به بهمدان، مات ببخارى سنة ٣٨٣، و قيل: سنة ثمان، و قيل: سنة تسع و سبعين، و قال فيه أبو سعيد الأندلسي: إنه كان من أفاضل الناس، و من ثقاتهم، و قال غنجان: إنه كان فقيها حافظا، جمع تاريخا لأهل الأندلس، و قال السمعاني فيه: كان فقيها حافظا، رحل في طلب العلم إلى المشرق و المغرب، رحمه الله تعالى!.

٩١- و منهم أبو عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى، الخزرجي، الداني، النحوي،

أخو أبي العباس بن عيسى.

سمع بدانية من أبي داود المقرئ و غيره، و قدم دمشق سنة ٥٥٤ حين خرج حاجا، و أقرأ بدمشق النحو مدة، ثم خرج إلى بغداد، و أقام بها إلى أن مات سنة ٦١٩، و ولد سنة ٥١٢، و قدم مصر سنة ٥٧٢، و له من المصنفات كتاب «تحصيل عين الذهب، من معدن جوهر الأدب، في علم مجازات العرب» و من كلامه: ليست هيبه الشيخ لشييه و لا- لسنه و لا- لشخصه، و لكن لكمال عقله، و العقل هو المهاب، و لو رأيت شخصا جمع جميع الخصال و عدم العقل لما هبته، و قال: من جهل شيئا عابه، و من قصر عن شيء هابه. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٩١

٩٢- و منهم القاضي الشهير محمد بن بشير، و هو محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل، المعافى

، و قيل في آبائه غير ذلك كما يأتي.

و لما أشير على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بتقديم ابن بشير إلى خطه القضاء بقرطبة ووجه إليه بياجه، فأقبل و لا يعلم ما دعى إليه، و نزل على صديق له من العباد، فتحدث في شأن استدعائه، و قدّم أنه يعرف فن الكتابة، فقال له العابد: ما أراه بعث فيك إلا للقضاء، فإن القاضي بقرطبة مات و هي الآن دون قاض، فقال ابن بشير: فأنا أستشيرك في ذلك إن وقع، فقال: أسألك عن أشياء ثلاثة، و أعزم عليك أن تصدقني فيها، ثم أشير بعد ذلك عليك، فقال: ما هي؟ فقال: كيف حبك للأكل الطيب و اللباس اللين و ركوب الفاره؟ فقال:

و الله لا- أبالي ما رددت به جوعى و سترت به عورتى و حملت به رحلى، فقال: هذه واحدة، فكيف حبك للتمتع بالوجوه الحسان و التبطن للكواعب الغيد و ما شاكل ذلك من الشهوات؟

فقال: هذه حال و الله ما استشرفت قط إليها، و لا خطرت ببالي، و لا اكرثت لفقدها، فقال:

و هذه ثانية، فكيف حبك لمدح الناس لك و ثنائهم عليك؟ و كيف حبك للولاية و كراهيتك للعزل؟ فقال: و الله ما أبالي في الحق من مدحني و ذمّني، و ما أسر للولاية و لا أستوحش للعزل، فقال: و هذه الثالثة، أقبل الولاية فلا بأس عليك، فقدم قرطبة، فولاه الأمير الحكم القضاء و الصلاة.

قال ابن وضاح: أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة، و عليه رداء معصفر، و في

رجله نعل صرّارة، و له جمّة مفرقة، ثم يقوم فيخطب و يصلّى و هو فى هذا الزى، و به كان يجلس للقضاء بين الناس، فإن رام أحد من دينه شيئاً و جده أبعد من الشريا.

و أتاه رجل لا يعرفه، فلما رأى ما هو فيه من زى الحدائث من الجمّة المفرقة و الرداء المعصفر و ظهور الكحل و السواك و أثر الحناء فى يديه، توقف و قال: دلونى على القاضى،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٢٩١

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٩٢

ف قيل له: ها هو، و أشير إليه، فقال: إنى رجل غريب، و أراكم تستهزئون بى، أنا أسألكم عن القاضى و أنتم تدلوننى على زامر، فصححوا له أنه القاضى، فتقدم إليه و اعتذر، فأدناه و تحدث معه، فوجد عنده من العدل و الإنصاف فوق ما ظنه، فكان يحدث بقصته معه.

و عوتب فى إرسال لّمته و لبسه الخز و المعصفر، فقال: حدثنى مالك بن أنس أن محمد بن المنكدر- و كان سيد القراء- كانت له لّمّة، و أن هشام بن عروة فقيه هذا البلد- يعنى المدينة- كان يلبس المعصفر، و أن القاسم بن محمد كان يلبس الخز، و لقد سئل يحيى بن يحيى عن لباس العمائم فقال: هى لباس الناس فى المشرق، و عليه كان أمرهم فى القديم، ف قيل له: لو لبستها لا تبعك الناس فى لباسها، فقال: قد لبس محمد بن بشير الخز فما تبعه الناس فيه، و كان ابن بشير أهلاً أن يقتدى به، فلعلى لو لبست العمامة لتركنى الناس و لم يتبعونى كما تركوا ابن بشير.

و كان أول ما نظر فيه محمد بن بشير- حين ولى القضاء- التسجيل على الخليفة الحكم فى أرحى القنطرة إذ قيم عليه فيها و ثبت عنده حق المدعى، و أعذر إلى الحكم فلم يكن عنده مدفع، فسجل فيها، و أشهد على نفسه، فما مضت مديدة حتى ابتاعها الحكم ابتياعاً صحيحاً، فسر بذلك، و قال: رحم الله محمد بن بشير! فلقد أحسن فيما فعل بنا على كره منا، كان فى أيدينا شىء مشتبه فصححه لنا، و صار حلالاً- طيب الملك فى أعقابنا، و حكم على ابن فطيس الوزير، و لم يعرّفه بالشهود، فرفع الوزير ذلك إلى الحكم، و تظلم من ابن بشير، فأوماً الحكم إليه أن الوزير كره حكمك عليه بشهادة قوم لم تعرّفه بهم، و لا أعذرت إليه فيهم، و إن أهل العلم يقولون: إن ذلك له، فكتب إليه ابن بشير: ليس ابن فطيس ممن يعرّف بمن شهد عليه، لأنه إن لم يجد سيلاً إلى تجريحهم لم يتخرج عن طلب أذاهم فى أنفسهم و أموالهم، فيدعون الشهادة هم و من اتتسى بهم، و تضع أموال الناس.

و أكثر موسى بن سماعه أحد خواصّ الأمير الحكم فى ابن بشير الشكاية، و أنه يجور عليه، فقال له الحكم: أنا أمتحن قولك الساعة، فاخرج إليه فوراً، و استأذن عليه، فإن أذن لك عزلته، و صدقت قولك فيه، و إن لم يأذن لك دون خصمك ازددت بصيرة فيه، فليس هو عندى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٩٣

بجائر على حال، و إنما مقصده الحق فى كل ما يتصرف فيه، فخرج يؤم دار ابن بشير: و قد أمر الحكم من يثق به من الفتیان الصّقالبة أن يقفوا أثره و يعلموا ما يكون منه، فلم يكن إلا ريثما بلغ، ثم انصرف فحكى للحكم أنه لما خرج الأذن إلى موسى و علم القاضى بمكانه عاد إليه فقال له: إن كانت لك حاجة فاقصد فيها إذا جلس القاضى مجلس القضاء، فتبسم الحكم، و قال: قد أعلمته أن ابن بشير صاحب حق لا هوادة فيه عنده لأحد.

و ولى القضاء مرتين، فلما عزل المرة الأولى انصرف إلى بلده، و كان بعض إخوانه يعاتبه فى صلابته، و يقول له: أخشى عليك العزل، فيقول له: ليته قدر أن الشقراء- يعنى بخلته- تقطع الطريق بى جادة نحو باجة، فما مضى إلا يسير حتى عتب عليه الأمير فى قصة اشتد فيها على بعض خاصته، فكانت سبباً لعزله، و انصرف كما تمنى، فلم يمكث إلا يسيراً حتى أتى فيه رقاص من قبل الأمير الحكم، و الرقاص عند المغاربة: هو الساعى عند المشاركة، فعاد إلى قرطبة، و جبره على القعود للقضاء الأمير الحكم، فلاذ منه باليمين بطلاق

زوجته و بصدق ما يملك في سبيل الله تعالى إن حكم بين اثنين، فلم يعذره، و أخرجه من ماله، و عوّضه من طيب ما عنده، و وهب له جارية من جواريه، فعاد إلى القضاء ثانية.

و مما يحكى عنه في العدل أن سعيد الخير ابن السلطان عبد الرحمن الداخل و كل عند ابن بشير و كيلا يخاصم عنه لشيء اضطر إليه، و كانت بيده فيه و ثيقه فيها شهادات شهود قد ماتوا، و لم يكن فيها من الأحياء إلا الأمير الحكم و شاهد آخر مبرز، فشهد لسعيد الخير ذلك الشاهد، و ضربت على و كيله الآجال في شاهد ثان، و جدّ به الخصام، فدخل سعيد الخير بالكتاب إلى الحكم و أراه شهادته في الوثيقة، و قد كان كتبها قبل الخلافة في حياة أبيه، و عرفه مكان حاجته إلى أدائها عند قاضيه خوفا من بطلان حقه، و كان الحكم يعظم سعيد الخير عمّه، و يلتزم مبرته، فقال له: يا عمّ، إنا لسنا من أهل الشهادات، و قد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله، و نخشى أن توقفنا مع القاضى موقف مخزاة كنا نفديه بملكنا، فصر في خصامك حيث صيرك الحق إليه، و علينا خلف ما انتقصك، فأبى عليه، و قال: سبحان الله! و ما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك؟ و أنت وليته، و هو حسنه من حسناتك، و قد لزمك في الديانة أن تشهد لي بما علمته، و لا تكتنى ما أخذ الله عليك! فقال: بلى، إن ذلك لمن حقك كما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٩٤

تقول، و لكنك تدخل علينا به داخله، فإن أعفينا منه فهو أحبّ إلينا، و إن اضطررتنا لم يمكننا عقوقك، فعزم عليه عزم من لم يشك أن قد ظفر بحاجته، و ضايقته الآجال، فألح عليه، فأرسل الحكم عند ذلك إلى فقيهين من فقهاء زمانه، و خط شهادته بيده في قرطاس، و ختم عليها بخاتمه، و دفعها إلى الفقيهين و قال لهما: هذه شهادتي بخطى تحت ختمى، فأديها إلى القاضى، فأتيه بها إلى مجلسه وقت قعوده للسمع من الشهود، فأديها إليه، فقال لهما:

قد سمعت منكما فقوما راشدين في حفظ الله تعالى، و جاء و كيل سعيد الخير، و تقدم إليه مدلاً واثقاً، و قال له: أيها القاضى، قد شهد عندك الأمير - أصلحه الله تعالى! - فما تقول؟ فأخذ كتاب الشهادة و نظر فيه، ثم قال للوكيل: هذه شهادة لا تعمل عندى، فجننى بشاهد عدل، فدهش الوكيل، و مضى إلى سعيد الخير فأعلمه، فركب من فوره إلى الحكم، و قال: ذهب سلطاننا، و أزيل بهاؤنا، يجترئ هذا القاضى على رد شهادتك، و الله سبحانه قد استخلفك على عبادته، و جعل الأمر في دماهم و أموالهم إليك؟ هذا ما يجب أن تحمله عليه، و جعل يغريه بالقاضى و يحرضه على الإيقاع به، فقال له الحكم: و هل شككت أنا في هذا يا عمّ؟

القاضى رجل صالح و الله، لا تأخذه في الله لومة لائم، فعل ما يجب عليه و يلزمه، و سدّ دونه بابا كان يصعب عليه الدخول منه، فأحسن الله تعالى جزاءه! فغضب سعيد الخير، و قال: هذا حسبي منك، فقال له: نعم قد قضيت الذى كان لك على، و لست و الله أعارض القاضى فيما احتاط به لنفسه، و لا أخون المسلمين في قبض يد مثله.

و لما عوتب ابن بشير فيما أتاه من ذلك قال لمن عاتبه: يا عاجز، أما تعلم أنه لا بد من الإعدار في الشهادات، فمن كان يجترئ على الدفع في شهادة الأمير لو قبلتها؟ و لو لم أعذر لبخست المشهود عليه حقه.

و توفى القاضى محمد بن بشير سنة ١٩٨ قبل الشافعى بست سنين كما يأتى قريبا و محاسنه - رحمه الله تعالى! - كثيرة، و قد استوفى ترجمته بقدر الإمكان القاضى عياض فى المدارك، فليراجها من أرادها، فإن عهدى بها فى المغرب.

و قال بعض من عرف به، ما نصه: القاضى محمد بن بشير بن محمد المعافى، أصله من جند باجة من عرب مصر، و لاه الحكم بن هشام قضاء القضاء الذى يعبرون عنه بالمغرب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٩٥

بقضاء الجماعة، بقرطبة، بعد المصعب بن عمران، ثم صرفه و ولى مكانه الفرج بن كنانة، و عن ابن حارث، قال أحمد بن خالد: طلب محمد بن بشير العلم بقرطبة عند شيوخ أهلها حتى أخذ منه بحظ وافر، ثم كتب لأحد أولاد عبد الملك بن مروان لمظلمة نالته على وجه الاعتصام به و تصرف معه تصرفا لطيفا، ثم انقبض عنه، و خرج حاجا، قال ابن حارث: و كتب محمد بن بشير فى حدائته للقاضى

مصعب بن عمران، ثم خرج حاجا فلقى مالك بن أنس و جالسه و سمع منه، و طلب العلم أيضا بمصر، ثم انصرف فلزم ضيعته في باجة.

و قال ابن حيان: إنه استقدم من باجة للقضاء برأى العباس بن عبد الملك.

و قال ابن شعبان في الرواه عن مالك من أهل الأندلس: محمد بن بشير بن سرافيل، و يقال شراحيل، و لى القضاء، و كان رجلا صالحا، و بعدله تضرب الأمثال، و استوطن قرطبة، و توفي بها سنه ثمان و تسعين و مائه، انتهى، و بعضه عن غيره.

و من شعره قوله: [الرملة]

إنما أزرى بقدرى أنني لست من بابه أهل البلد
ليس منهم غير ذى مقلية لذوى الألباب أو ذى حسد
يتحامون لقائى مثل ما يتحامون لقاء الأسد
مطلعى أثقل فى أعينهم و على أنفسهم من أحد
لو رأونى وسط بحر لم يكن أحد يأخذ منهم بيدي

٩٣- و منهم محمد بن عيسى بن دينار، الغافقى.

من أهل قرطبة، كان فقيها زاهدا، و حج و حضر افتتاح إقريطش، و استوطنها، قاله الرازى.

٩٤- و منهم محمد بن يحيى بن يحيى الليثى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٩٦

خرج حاجا، و لقى سحنون بن سعيد بإفريقية، و لقي بمصر رجالا من أصحاب مالك، فسمع منهم، و عرف بالفقه و الزهد، و جاور بمكة، و توفي هنالك.

٩٥- و منهم محمد بن مروان بن خطاب، المعروف بابن أبي جمرة.

رحل حاجا هو و ابنه خطاب و عميرة فى سنه اثنتين و عشرين و مائتين، و سمعوا ثلاثتهم من سحنون بن سعيد المدوننة بالقيروان، و أدركو أصبغ بن الفرغ، و أخذوا عنه.

٩٦- و منهم محمد بن أبى علاقه، البواب، من أهل قرطبة.

كانت له رحلة إلى المشرق، و لقى فيها جماعة من أهل العلم، و أخذ عن أبى إسحاق الزجاجى، و عن أبى بكر بن الأنبارى، و عن أبى الحسن على بن سليمان الأخفش، و أبى عبد الله نبطويه، و غيرهم، و سمع من الأخفش «الكامل» للمبرد و قال الحكم المستنصر: لم يصح كتاب «الكامل» عندنا من روايه إلا من قبل ابن أبى علاقه، و كان ابن جابر الإشبلى قد رواه قبل بمصر بمدة، و ما علمت أحدا رواه غيرهما، و كان ابن الأحمر القرشى يذكر أنه رواه، و كان صدوقا، و لكن كتابه ضاع، و لو حضر ضاهى الرجلين المتقدمين.

٩٧- و منهم محمد بن حزم بن بكر، التنوخى.

من أهل طليطلة، و سكن قرطبة، يعرف بابن المديني، سمع من أحمد بن خالد وغيره، و صحب محمد بن مسرة الجبلي قديما، و اختص بمرافته في طريق الحج، و لازمه بعد انصرافه، و كان من أهل الورع و الانقباض، و حكى عن ابن مسرة أنه كان في سكناه المدينة يتتبع آثار النبي صلى الله عليه و سلم، قال: و دله بعض أهل المدينة على دار مارية أم إبراهيم سرية النبي صلى الله عليه و سلم، فقصد إليها فإذا هي دويرة لطيفة بين البساتين بشرقي المدينة عرضها و طولها واحد قد شق في وسطها بحائط، و فرش على حائطها خشب غليظ يرتقى إلى ذلك الفرش على خارج لطيف، و في أعلى ذلك بيتان و سقيفة كانت مقعد النبي صلى الله عليه و سلم في الصيف، قال: فرأيت أبا عبد الله بعد ما صلى في البيتين و السقيفة و في كل ناحية من نواحي تلك الدار ضرب أحد البيتين بشبره، فكشفته بعد انصرافه و هو ساكن في الجبل عن ذلك، فقال: هذا البيت الذي تراني فيه بنيته على تلك الحالة في العرض و الطول بلا زيادة و لا نقصان، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٩٧

٩٨- و منهم محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائد

، ولد أبي زكريا الراوية. من أهل طرطوشة، يكنى أبا بكر، تأدب بقرطبة، و سمع بها من قاسم بن أصبغ، و محمد بن معاوية القرشي، و أحمد بن سعيد، و منذر بن سعيد، و أبي علي القالي، و غيرهم، و كان حافظا للنحو و اللغة و الشعر، يفوت من جراه على حدائه سنة، شاعرا مجيدا مرسلًا بليغا، و رحل مع أبيه إلى المشرق سنة تسع و أربعين و ثلاثمائة، فسمع بمصر من ابن الورد و ابن السكن و حمزة الكناني و غيرهم، و سمع أيضا بالبصرة و بغداد كثيرا، و خرج إلى أرض فارس فسمع هنالك، و جمع كتبا عظيمة، و أقام بها إلى أن توفي بأصبهان معتبطا مع الستين و ثلاثمائة، و مولده بطرطوشة صدر ذى القعدة سنة ثلاث و عشرين و ثلاثمائة، ذكره ابن حيان، رحمه الله تعالى!.

٩٩- و منهم محمد بن عبدون الجبلي، العدوي، من أهل قرطبة.

أدب بالحساب و الهندسة، و رحل في سنة سبع و أربعين و ثلاثمائة، فدخل مصر و البصرة، و عنى بعلم الطب فمهر فيه، و دبر في مارستان الفسطاط، ثم رجع إلى الأندلس في سنة ستين و ثلاثمائة، فاتصل بالمستنصر بالله و ابنه المؤيد بالله، و له في التفسير تأليف حسن، رحمه الله تعالى!.

١٠٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، الأزدي، الفراء، القرطبي.

صحاب أبا بكر بن يحيى بن مجاهد، و اختص به، و لطف محله منه، و قرأ عليه القرآن، و رحل صحبته لأداء فريضة الحج، و كان رجلا صالحا كثير التلاوة للقرآن و الخشوع، إذا قرأ بكى و رتل و بين في مهل، و يقول: أبو بكر علمني هذه القراءة، و حكى أنه سرد الصوم اثنتي عشرة سنة قبل موت ابن مجاهد مفطرا كل ليلة وقت الإفطار، ثم تمادى على ذلك بعد موته مفطرا عقب العشاء الآخرة لالتزامه الصلاة من المغرب إليها، تزيدا من الخير، و اجتهادا في العمل.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٩٨

١٠١- و منهم أبو عبد الله محمد بن صالح، المعافري، الأندلسي.

رحل إلى المشرق فسمع خيثمة بن سليمان و أبا سعيد بن الأعرابي و إسماعيل بن محمد الصفار و بكر بن حماد التاهرتي و غيرهم،

روى عنه أبو عبد الله الحاكم، و قال: اجتمعنا بهمذان سنة إحدى وأربعين، يعني و ثلاثمائة، فتوجه منها إلى أصبهان، و كان قد سمع في بلاده و بمصر من أصحاب يونس، و بالحجاز و بالشام و بالجزيرة من أصحاب علي بن حرب، و ببغداد، و ورد نيسابور في ذي الحجة سنة إحدى و أربعين فسمع الكثير، ثم خرج إلى مرو و منها إلى بخارى فتوفي بها في رجب من سنة ثلاث و ثمانين و ثلاثمائة، و روى عنه أيضا أبو القاسم بن حبيب النيسابوري و غيرهما، ذكره ابن عساكر، و أسند إليه قوله: [الكامل]

وَدَعْتُ قَلْبِي سَاعَةَ التَّوَدِيعِ وَ أَطَعْتُ قَلْبِي وَ هُوَ غَيْرُ مَطِيعِي

إِنْ لَمْ أَشِيعَهُمْ فَقَدْ شِيعْتَهُمْ بِمَشِيعِينَ تَنْفَسِي وَ دَمُوعِي

و ذكره ابن الفرضي و قال: إنه استوطن بخارى، و جعل وفاته بها سنة ثمان و سبعين، و الأول قول الحاكم، و هو أصح.

١٠٢- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الشرسطي.

روى عن الباجي و ابن عبد البر، و رحل حاجا فقدم دمشق و حدث بها عن شيوخه الأندلسيين، و عن أبي حفص عمر بن أبي القاسم بن أبي زيد القفصي، و ذكره ابن عساكر، و قال: سمع عنه أبو محمد الأصفهاني، و حكى عنه تديسا ضعفه به، و توفي سنة ٤٧٧.

١٠٣- و منهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن بقاء، الأنصاري.

من بلاد الثغر الشرقي، أخذ القراءات عن أبي داود سليمان بن نجاح، و رحل حاجا، فقدم دمشق، و أقرأ بها القرآن بالسبع، و أخذ عنه جماعة من أهلها، و كان شيخا فاضلا حافظا للحكايات قليل التكلف في اللباس، ذكره ابن عساكر و قال: رأيت و سمعته ينشد قصيدة يوم خرج الناس للمصلى للاستسقاء على المنبر، أولها: [البيسط]

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِي وَ إِنْ كَبُرَا وَ اسْتَقَلَّ لَهُ شُكْرِي وَ إِنْ كَثُرَا

وَ كَانَ يَسْكُنُ فِي دَارِ الْحِجَارَةِ، وَ يَقْرَأُ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٢٩٩

ولد في الثاني و العشرين من شعبان سنة أربع و خمسين و أربعمائه، و توفي يوم الأربعاء عند صلاة العصر، و دفن يوم الخميس لصلاة الظهر الثاني من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة و خمسمائه، و دفن في مقابر الصحابة بالقرب من قبر أبي الدرداء، رضی الله تعالى عنه! قال:

و شهدت أنا غسله و الصلاة عليه و دفنه، و ذكره السلفي.

١٠٤- و منهم أبو عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى، الأنصاري، الخزرجي.

من أهل دانية، سمع كتاب التقصي لابن عبد البر، و لقي أبا الحسن الحصري ثم خرج حاجا فقدم دمشق سنة أربع و خمسمائه، و أقام بها مدة يقرئ العربية، و كان شديد الوسوسة في الوضوء.

و ذكر ابن عساكر و قال: أنشدني أخي أبو الحسين هبة الله بن الحسن الفقيه قال: أنشدنا ابن طاهر الأندلسي بدمشق قال: أنشدني

الحصري لنفسه: [مخلع البسيط]

يَمُوتُ مِنْ فِي الْأَنَامِ طَرًّا مِنْ طَيْبٍ كَانَ أَوْ خَبِيثِ

فَمَسْتَرِيحٍ وَ مَسْتَرَا حٍ مِنْهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ

قال: و أنشدني الحصري لنفسه: [الكامل]

لو كان تحت الأرض أو فوق الذرى حُرّ أتيح له العدو ليوذى
فاحذر عدوك و هو أهون هتين إنّ البعوضة أردت النمرودا

١٠٥- و منهم محمد بن أبي سعيد الفرج بن عبد الله، البزار.

من أهل سرقسطة، لقي بدانيه الحصرى، و سمع منه بعض منظومه، و رحل حاجا فأدى الفريضة، و دخل العراق فسمع من جماعة و أجازوا له: منهم ابن خيرون، و الحميدى، و أبو زكريا التبريزى، و المبارك بن عبد الجبار، و ثابت بن بندار، و هبة الله بن الأكفانى، و غيرهم، و نزل الإسكندرية، و حدث بها، و أخذ الناس عنه، و توفى هنالك، و أنشد للحصرى: [المتقارب]
الناس كالأرض، و منها هم من خشن اللّمس و من لين
صلد تشكى الرّجل منه الوجى و إثمّد يجعل فى العين
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٠٠
و روى عنه ابن الحضرمى و ابن جارة، و غيرهما.

١٠٦- و منهم أبو بكر محمد بن الحسين، الشهير بالمبورقى،

لأن أصله منها، و سكن غرناطة.
و روى عن أبى على الصّيدى، و رحل حاجا فسمع بمكة من أبى الفتح عبد الله بن محمد البيضاوى، و أبى نصر عبد الملك بن أبى مسلم النهاوندى، فى شؤال و ذى القعدة من سنة ٥١٧، و بالإسكندرية من أبى عبد الله الرازى و أبى الحسن بن مشرف و أبى بكر الطرطوشى و غيرهم، و عاد إلى الأندلس بعد مدة طويلة فحدث فى غير ما بلد لتجّوله، و كان فقيها ظاهريا، عارفا بالحديث و أسماء الرجال، متقنا لما رواه، يغلب عليه الزهد و الصلاح، روى عنه أبو عبد الله النميرى الحافظ و يقول فيه «الأزدى» تدليسا، لأن الأنصار من الأزد، و أبو بكر بن رزق، و أبو عبد الله بن عبد الرحيم، و ابنه عبد المنعم، و سواهم، و صار أخيرا إلى بجاية هاربا من صاحب المغرب حيثنذ بعد أن حمل إليه هو و أبوه العباس بن العريف و أبو الحكم بن بّرجان، و حدث هنالك، و سمع منه فى سنة ٥٣٧، رحمه الله تعالى!.

١٠٧- و منهم أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن الطّفيّل

، العبدى الإشبلى.
و يعرف بابن عزيمة، أخذ القراءات عن أبى عبد الله السرقسطى، و روى عن أبى عبد الله الخولانى، و أبى عبد الله بن فرج، و أبى على الغسانى، و أبى داود المقرئ، و أبى جعفر بن عبد الحق، و أبى الوليد بن طريف، و رحل حاجا فروى بمكة عن رزين بن معاوية، ثم بالإسكندرية عن ابن الحضرمى أبى عبد الله محمد بن منصور، و أبى الحسن بن مشرف الأنماطى، و بالمهدية عن المازرى، و كانت رحلته مع أبى على منصور بن الخير الأحذب للقاء أبى معشر الطبرى، فبلغهما نعيه بمصر، فلما قفلا من حجها قعد منصور يقول: قرأت على أبى معشر، و اقتصر أبو الحسن فى تصدره للإقراء على التحديث عن لقي، فعرف مكانه من الصدق و العدالة، و لى الصلاة ببلده، و تقدّم فى صناعته، و اشتهر بها، و تلاه أهل بيته فيها، فأخذ عنهم الناس، و له أرجوزة فى القراءات السبع، و أخرى فى مخارج الحروف، و شرح قصيدة الشّقراطسى، و له أيضا كتاب «الفريضة الحمصية»، فى شرح القصيدة الحصرية» و إليه و إلى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٠١

بنه بعده كانت الرياسة في هذا الشأن، و من جلة الرواة عنه أبو بكر: محمد بن خير، قرأ عليه «الشهاب» للقضاعي، و أجاز له جميع رواياته و تواليفه في رجب سنة ٥٣٦هـ، و توفي في حدود الأربعين و خمسمائة، و روى عنه أبو الضحاك الفزارى.

١٠٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح، الخزرجي

من أهل جزيان، و يعرف بالبغدادي لطول سكنه إياها، روى عن أبي علي الغساني، و أبي محمد بن عتاب، و رحل حاجًا فلقي أبا الحسن الطبري المعروف بالكتيا، و أبا طالب الزينبي، و أبا بكر الشاشي، و غيرهم. و كان فقيها مشاورا حدث عنه أبو عبد الله النميري، و أبو محمد بن عبيد الله، و أبو عبد الله بن حميد و أبو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم، و غير واحد، و توفي بفاس سنة ٥٤٧هـ.

١٠٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن ياسر، الأنصاري، الجباني

، و نزل حلب يكنى أبا بكر.

رحل إلى المشرق، و أدى الفريضة، و قدم دمشق قبل العشرين و خمسمائة، و سكن قنطرة سنان منها، و كان يعلم القرآن، و يتردد إلى أبي عبد الله نصر الله بن محمد يسمع الحديث منه، ثم رحل صحبة أبي القاسم بن عساكر صاحب تاريخ الشام إلى بغداد سنة عشرين، و كان زميله، فسمع بها معه من هبة الله بن الحصين و غيره، ثم خرج إلى خراسان فسمع بها من حمزة الحسيني و أبي عبد الله الفراوي و أبي القاسم الشحامى و غيرهم، و سمع ببلخ جماعة منهم أبو محمد الحسن بن علي الحسيني و أبو النجم مصباح بن محمد المكي و غيرهما، و بلغ الموصل فأقام بها مدة يسمع منه و يؤخذ عنه، ثم انتهى إلى حلب فاستوطنها، و سلمت إليه خزنة الكتب النورية، و أجريت عليه جارية، و كان فيه عسر في الرواية و الإعارة معا، و وقف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٠٢

كتبه علي أصحاب الحديث، و له عوال مخرجة من حديثه ساوى بعض شيوخه البخارى و مسلما و أبا داود و الترمذى و النسائي، روى عنه أبو حفص الميانشى و أبو المنصور مظفر بن سوار اللخمي و أبو محمد عبد الله بن علي بن سويده و ابن أبي السنان و غيرهم. ذكره ابن عساكر في تاريخه و قال: سمعت منه، و مات في جمادى الأولى سنة ثلاث و ستين و خمسمائة على ما بلغنى. و قال ابن نقطة: حدث عن جماعة منهم أبو القاسم سهل بن إبراهيم النيسابورى و أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الهمداني، حدثنا عنه أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الحلبي و أخوه أبو العباس أحمد، و حكى عن الحسن بن هبة الله بن صصرى أنه توفي بحلب في جمادى الأولى سنة ثلاث و ستين و خمسمائة كما تقدم، و قد بلغ السبعين، قاله ابن الأبار.

١١٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة.

مرسى سكن شاطبة، و دار سلفه بلنسية، سمع أبا علي الصّدي و اختص به، و أكثر عنه، و إليه صارت دواوينه و أصوله العتاق و أمّهات كتبه الصحاح، لصهر كان بينهما، و سمع أيضا أبا محمد بن أبي جعفر، و لازم حضور مجلسه للفتقه به، و حمل ما كان يرويه، و رحل إلى غرب الأندلس فسمع محمد بن عتاب و أبا بحر الأسدي و أبا الوليد بن رشيد، و أبا عبد الله الخولاني، و أبا الوليد بن رشد و أبا عبد الله بن الحاج و أبا بكر العربى و غيرهم، و كتب إليه أبو عبد الله الخولاني و أبو الوليد بن طريف و أبو الحسن بن عفيف و أبو القاسم بن صواب و أبو محمد بن السّيد و غيرهم، ثم رحل إلى المشرق سنة عشرين و خمسمائة، فلقي بالإسكندرية أبا الحجاج بن نادر الميورقي، و صحبه و سمع منه، و أخذ عنه الفقه و علم الكلام، و أدى فريضة الحج في سنة إحدى و عشرين، و لقي بمكة أبا الحسن رزين بن معاوية العبدري إمام المالكية بها، و أبا محمد بن صدقة المعروف بابن غزال من أصحاب كريمة المروزيّة:

فسمع منهما وأخذ عنهما، و روى عن أبي الحسن علي بن سند بن عياش الغساني ما حمل عن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٠٣

أبي حامد الغزالي من تصانيفه، ثم انصرف إلى ديار مصر فصحب ابن نادر إلى حين وفاته بالإسكندرية، و لقي أبا طاهر بن عوف و أبا عبد الله بن مسلم القرشي و أبا طاهر السلفي و أبا زكريا الزناتي و غيرهم، فأخذ عنهم، و كان قد كتب إليه منها أبو بكر الطرطوشي و أبو الحسن بن مشرف الأنماطي، و لقي في صدره بالمهدية أبا عبد الله المازري فسمع منه بعض كتاب المعلم، و أجاز له باقيه، و عاد إلى مرسية في سنة ست و عشرين، و قد حصل في رحلته علوما جممة و رواية فسيحة، و كان عارفا بالسنن و الآثار، مشاركاً في علم القرآن و تفسيره، حافظاً للفروع، بصيراً باللغة و الغريب، ذا حظ من علم الكلام، مائلاً إلى التصوف، مؤثراً له، أدبياً بليغاً خطيباً فصيحاً، ينشئ الخطب مع الهدى و السمت و الوقار و الحلم، جميل الشارة، محافظاً على التلاوة بالخشوع، راتباً على الصوم، و ولي خطة الشورى بمرسية مضافاً إلى الخطبة بجامعها، و أخذ في إسماع الحديث و تدريس الفقه، ثم ولي القضاء بها بعد انقراض دولة الملتين، و نقل إلى قضاء شاطبة فاتخذها وطناً، و كان يسمع الحديث بها و بمرسية و بلنسية، و يقيم الخطب أيام الجمع في جوامع هذه الأمصار الثلاثة متعاقباً عليها، و قد حدث بالمرية و هناك أبو الحسن بن موهب و أبو محمد الرشاطي و غيرهما، و سمع منه أبو الحسن بن هذيل جامع الترمذي، و ألف كتابه «شجرة الوهم، المترقية إلى ذروة الفهم» و لم يسبق إلى مثله، و ليس له غيره، و جمع فهرسة حافلة.

و وصفه غير واحد بالتفّن في العلوم و المعارف، و الرسوخ في الفقه و أصوله، و المشاركة في علم الحديث و الأدب. و قال ابن عياد في حقه: إنه كان صليبا في الأحكام، مقتنيا للعدل، حسن الخلق و الخلق، جميل المعاملة، لين الجانب، فكه المجالسة، ثبّتا، حسن الخط، من أهل الإتيقان و الضبط.

و حكى أنه كانت عنده أصول حسان بخط عمه، مع الصحيحين بخط الصّدي، في سفرين، قال: و لم يكن عند شيوخنا مثل كتبه في صحتها و إتقانها و جودتها، و لا كان فيهم من رزق عند الخاصة و العامة من الحظوة و الذكر و جلاله القدر ما رزقه. و ذكره أبو سفيان أيضا و أبو عمر بن عات، و رفعوا جميعاً بذكره.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٠٤

و توفي بشاطبة مصروفاً عن قضائها آخر ذى الحجة سنة خمس و خمسين و خمسمائة و دفن أول يوم من سنة ست و خمسين و خمسمائة، و دفن بالروضة المنسوبة إلى أبي عمر بن عبد البر، و مولده في رمضان، سنة ٤٩٦.

١١١- و منهم محمد بن إبراهيم بن وضاح، اللخمي

من أهل غرناطة، و نزل جزيرة شقر، يكنى أبا القاسم، و أخذ القراءة عن أبي الحسن بن هذيل و سمع منه كثيراً، و رحل حاجاً فأدى الفريضة، و أخذ القراءات بمكة عن أبي علي بن العرجاء في سنة ست و أربعين و خمسمائة و سنة سبع بعدها، و حج ثلاث حجّات، و دخل بغداد، و أقام في رحلته نحواً من تسعة أعوام، و قفل إلى الأندلس، فنزل جزيرة شقر من أعمال بلنسية، و أقرأ بها القرآن نحواً من أربعين سنة لم يأخذ من أحد أجراً، و لا قبل هدية، و ولي الصلاة و الخطبة بجامعها، و كان رجلاً صالحاً زاهداً مشاوراً يشار إليه بإجابة الدعوة، معروف بالورع و الانقباض، و توفي في صفر سنة ٥٨٧.

١١٢- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، التجيبي، نزيل تلمسان.

من أهل لقت عمل مرسية، و سكن أبوه أريولة، رحل إلى المشرق فأدى الفريضة، و أطل الإقامة هنالك، و استوسع في الرواية، و

كتب العلم عن جماعة كثيرة أزيد من مائة و ثلاثين، من أعيانهم المشرقيين أبو طاهر السلفي، صحبه و اختص به و أكثر عنه، و حكي عنه أنه لما ودعه في قفوله إلى المغرب سأله عما كتب عنه، فأخبره أنه كتب كثيرا من الأسفار و مئتين من الأجزاء، فسرّ بذلك، و قال له: تكون محدّث المغرب إن شاء الله تعالى، قد حصلت خيرا كثيرا، قال: ودعا لي بطول العمر حتى يؤخذ عني ما أخذت عنه، و قد جمع في أسماء شيوخه على حروف المعجم تأليفا مفيدا أكثر فيه من الآثار و الحكايات و الأخبار، و قفل من رحلته، و له أربعون حديثا في المواعظ، و أخرى في الفقر، و فضله، و ثالثه في الحب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٠٥

في الله تعالى، و رابعة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، و مسلسلاته في جزء، و كتاب «فضائل الأشهر الثلاثة رجب و شعبان و رمضان» و كتاب «فضل عشر ذى الحجة» و كتاب «مناقب السبطين» و كتاب «الفوائد الكبرى» مجلد، و «الفوائد الصغرى» جزء، و كتاب «الترغيب في الجهاد» خمسون بابا في مجلد، و كتاب «المواعظ و الرقائق» أربعون مجلسا، سفران، و كتاب «مشيخة السلفي» و غير ذلك.

و مولده بلقنت الصغرى في نحو الأربعين و خمسمائة، و توفي سنة عشر و ستمائة، رحمه الله تعالى!.

١١٣- و منهم الشيخ الأكبر، ذو المحاسن التي تبهّر، سيدى محيى الدين بن عربى محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الحاتمي،

من ولد عبد الله بن حاتم أخى عدى بن حاتم، الصوفى، الفقيه، المشهور، الظاهرى.

ولد بمرسية يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠، قرأ القرآن على أبى بكر بن خلف ياشبيلية، بالسبع و بكتاب الكافى، و حدّثه به عن ابن المؤلف أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني عن أبيه، و قرأ أيضا السبع بالكتاب المذكور على أبى القاسم الشّراط القرطبي، و حدّثه به عن ابن المؤلف، و سمع على ابن أبى بكر محمد بن أبى جمرة كتاب «التيسير» للدانى عن أبيه عن المؤلف، و سمع على ابن زرقون و أبى محمد عبد الحق الإشبيلي الأزدي و غير واحد من أهل المشرق و المغرب يطول تعدادهم.

و كان انتقاله من مرسية لإشبيلية سنة ٥٦٨، فأقام بها إلى سنة ٥٩٨، ثم ارتحل إلى المشرق، و أجازه جماعة منهم الحافظ السلى و ابن عساكر و أبو الفرج بن الجوزى، و دخل مصر، و أقام بالحجاز مدّة، و دخل بغداد و الموصل و بلاد الروم، و مات بدمشق سنة ٦٣٨، ليلة الجمعة الثامن و العشرين من شهر ربيع الآخر، و دفن بسفح قاسيون، و أنشدني لنفسه مؤرخا وفاته الشيخ محمد بن سعد الكلشنى سنة ١٠٣٧، حفظه الله تعالى: [الخفيف]

إنّما الحاتميّ فى الكون فرد و هو غوث و سيّد و إمام

كم علوم أتى بها من غيوب من بحار التوحيد يا مستهام

إن سألتهم متى توفى حميدا قلت أُرخت: مات قطب همام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٠٦

و قال ابن الأبار: هو من أهل المريّة، و قال ابن النجار: أقام ياشبيلية إلى سنة ٥٩٨، ثم دخل بلاد المشرق، و قال ابن الأبار: إنه أخذ عن مشيخة بلده، و مال إلى الآداب، و كتب لبعض الولاة، ثم رحل إلى المشرق حاجا، و لم يعد بعدها إلى الأندلس، و قال المنذرى: ذكر أنه سمع بقرطبة من أبى القاسم بن بشكوال و جماعة سواه، و طاف البلاد، و سكن بلاد الروم مدّة، و جمع مجاميع فى الطريقة، و قال ابن الأبار: إنه لقيه جماعة من العلماء و المتعبدين، و أخذوا عنه، و قال غيره: إنه قدم بغداد سنة ٦٠٨، و كان يوماً إليه بالفضل و المعرفة، و الغالب عليه طرق أهل الحقيقة، و له قدم فى الرياضة و المجاهدة و كلام على لسان أهل تصوّف، و وصفه غير واحد بالتقدّم و المكانة من أهل هذا الشأن بالشام و الحجاز، و له أصحاب و أتباع.

و من تأليفه مجموع ضمنه منامات رأى فيها النبي صلى الله عليه و سلم و ما سمع منه و منامات قد حدث بها عمّن رآه صلى الله عليه

و سلم.

قال ابن النجار: و كان قد صحب الصوفية، و أرباب القلوب، و سلك طريق الفقر، و حج و جاور، و كتب في علم القوم، و في أخبار مشايخ المغرب و زهادهم، و له أشعار حسنة، و كلام مليح، اجتمعت به في دمشق في رحلتى إليها، و كتبت عنه شيئاً من شعره، و نعم الشيخ هو، ذكر لى أنه دخل بغداد سنة ٦٠١، فأقام بها اثني عشر يوماً، ثم دخلها ثانياً حاجاً مع الركب سنة ٦٠٨، و أنشدنى لنفسه: [الطويل]

أيا حائراً ما بين علم و شهوة ليتصلا، ما بين ضدين من وصل

و من لم يكن يستنشق الرّيح لم يكن يرى الفضل للمسك الفتيق على الرّيب

و سألته عن مولده فقال: ليلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ بمروية من بلاد الأندلس، انتهى.

و قال ابن مسدى: إنه كان جميل الجملة و التفضيل، محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل، و له في الأدب الشأو الذى لا يلحق، و التقدم الذى لا يسبق، سمع ببلاده من ابن زرقون و الحافظ ابن الجند و أبى الوليد الحضرمى، و بسبته من أبى محمد بن عبد الله، و قدم عليه إشبيلية أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجى فسمع منه، و أبو جعفر بن مصلى، و ذكر أنه لقي عبد الحق الإشبيلي، و فى ذلك عندى نظر، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٠٧

قلت: لا- نظر فى ذلك، فإن سيدى الشيخ محيى الدين ذكر فى إجازته للملك المظفر غازى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ما معناه أو نصه: و من شيوخنا الأندلسيين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي، رحمه الله تعالى! حدثنى بجميع مصنفاته فى الحديث، و عين لى من أسمائها تلقين المهتدى، و الأحكام الكبرى، و الوسطى، و الصغرى، و كتاب التهجد، و كتاب العاقبة، و نظمه و نثره، و حدثنى بكتب الإمام أبى محمد على بن أحمد بن حزم عن أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه، انتهى. و قال: إن الحافظ السلفى أجاز له، انتهى.

قال بعض الحفاظ: و أحسبها الإجازة العامة، و كان ظاهرى المذهب فى العبادات، باطنى النظر فى الاعتقادات، و كان دفنه يوم الجمعة بجبل قاسيون، و اتفق أنه لما أقام ببلاذ الروم زكاه ذات يوم الملك فقال: هذا تذللّ له الأسود، أو كلاماً هذا معناه، فسئل عن ذلك، فقال:

خدمت بمكة بعض الصلحاء، فقال لى يوماً: الله يذلّ لك أعز خلقه، و أمر له ملك الروم مرةً بدار تساوى مائة ألف درهم، فلما نزلها و أقام بها مرّ به فى بعض الأيام سائل، فقال له:

شئ لله، فقال: ما لى غير هذه الدار، خذها لك، فتسلمها السائل و صارت له.

و قال الذهبى فى حقه: إن له توسعاً فى الكلام، و ذكاء، و قوة خاطر، و حافظه، و تدقيقاً فى التصوف، و تواليف جمّة فى العرفان، لولا شطحه فى كلامه و شعره، و لعل ذلك وقع منه حال سكره و غيبته، فيرجى له الخير، انتهى.

و قال القطب اليونينى فى ذيل «مرآة الزمان»: عن سيدى الشيخ محيى الدين. رضى الله تعالى عنه و نفعنا به!- أنه كان يقول: إني أعرف اسم الله الأعظم، و أعرف الكيمياء، انتهى.

و قال ابن شودكين عنه: إنه كان يقول: ينبغى للعبد أن يستعمل همته فى الحضور فى مناماته، بحيث يكون حاكماً على خياله يصرفه بعقله نوماً، كما كان يحكم عليه يقظة، فإذا حصل للعبد هذا الحضور و صار خلقاً له وجد ثمرة ذلك فى البرزخ و انتفع به جداً، فليهتم العبد بتحصيل هذا القدر، فإنه عظيم الفائدة بإذن الله تعالى.

و قال: إن الشيطان ليقنع من الإنسان بأن ينقله من طاعة إلى طاعة ليفسخ عزمه بذلك.

و قال: ينبغى للسالك أنه متى حضر له أنه يعقد على أمر و يعاهد الله تعالى عليه أن يترك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٠٨

ذلك الأمر إلى أن يجيء وقته، فإن يسر الله تعالى فعله فعله، و إن لم يسر الله فعله يكون مخلصا من نكث العهد، و لا يكون متصفا بنقض الميثاق.

و من نظم الشيخ محيي الدين - رحمه الله تعالى! - قوله: [الكامل]

بين التذلل و التذلل نقطة فيها يتيه العالم التحرير

هي نقطة الأكوان إن جاوزتها كنت الحكيم و علمك الإكسير

و قوله أيضا رحمه الله: [الكامل]

يا درة بيضاء لاهوتية قد ركب صدفا من الناسوت

جهل البسيطة قدرها لشقائهم و تنافسوا في الدر و الياقوت

و حكى العماد بن النحاس الأطروش أنه كان في سفح جبل قاسيون على مستشرف، و عنده الشيخ محيي الدين، و الغيث و السحاب

عليهم، و دمشق ليس عليها شيء، قال: فقلت للشيخ: أما ترى هذه الحال؟ فقال: كنت بمراكش و عندي ابن خروف الشاعر، يعني أبا

الحسن علي بن محمد القرطبي القبذاقى، و قد اتفق الحال مثل هذه، فقلت له مثل هذه المقالة، فأنشدني: [المتقارب]

يطوف السحاب بمراكش طواف الحجيج بيت الحرم

يروم نزولا فلا يستطيع لسفك الدماء و هتك الحرم

و حكى المقریزی في ترجمة سيدي عمر بن الفارض - أفاض الله علينا من أنواره! - أن الشيخ محيي الدين بن العربي بعث إلى سيدي

عمر يستأذنه في شرح التائية، فقال: كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها، انتهى.

و قال بعض من عرّف به: إنه لما صنف «الفتوحات المكية» كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس حيث كان، و حصلت له بدمشق دنيا

كثيرة، فما أذخر منها شيئا، و قيل: إن صاحب حمص رتب له كل يوم مائة درهم، و ابن الزكي كل يوم ثلاثين درهما، فكان يتصدق

بالجميع،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٠٩

و اشتغل الناس بمصنفاته، و لها ببلاد اليمن و الروم صيت عظيم، و هو من عجائب الزمان، و كان يقول: أعرف الكيمياء بطريق المنازلة

لا بطريق الكسب.

و من نظمه رضى الله تعالى عنه: [مجزوء الرجز]

حقيقتي همت بها و ما رآها بصرى

و لو رآها لغدا قتيل ذاك الحور

فعندما أبصرتها صرت بحكم النظر

فبت مسحورا بها أهيم حتى السحر

يا حذرى من حذرى لو كان يغنى حذرى

و الله ما هيمنى جمال ذاك الخفر

في حسنها من ظبية ترعى بذات الخمر

إذا رنت أو عطفت تسبى عقول البشر

كأنما أنفاسها أعراف مسك عطر

كأنها شمس الصّحى فى النور أو كالقمر

إن أسفرت أبرزها نور صباح مسفر
أو سدلت غيبتها سواد ذاك الشعر
يا قمرا تحت دجى خذى فؤادى و ذرى
عيني لكى أبصركم إذ كان حظى نظرى

وقال الخويّى: قال الشيخ سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه: رأيت بعض الفقهاء فى النوم فى رؤيا طويله، فسألنى:
كيف حالك مع أهلك؟ فقلت: [البسيط]

إذا رأته أهل بيتى الكيس ممتلئا تبسّمت و دنت منى تمازحنى

و إن رأته خليئا من دراهمه تجهّمت و انثنت عنى تقابحنى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣١٠

فقال لى: صدقت، كلنا ذلك الرجل.

و ذكر الإمام العالم بالله تعالى لسان الحقيقة، و شيخ الطريقة، صفى الدين حسين بن الإمام العلامة جمال الدين أبى الحسن على، ابن الإمام مفتى الأنام كمال الدين أبى منصور ظافر الأزدي الأنصارى رضى الله تعالى عنه فى رسالته الفريده المحتويه على من رأى من سادات مشايخ عصره، بعد كلام، ما صورته: و رأيت بدمشق الشيخ الإمام العارف الوحيد محيى الدين بن عربى، و كان من أكبر علماء الطريق، جمع بين سائر العلوم الكسبيه، و ما قر له من العلوم الوهيه، و منزلته شهيره، و تصانيفه كثيره، و كان غلب عليه التوحيد علما و خلقا و حالا، لا يكثر بالوجود، مقبلا كان أو معرضا، و له علماء أتباع أرباب مواجيد، و تصانيف، و كان بينه و بين سيدى الأستاذ الحرّار، إخاء و رفقه فى السياحات، رضى الله تعالى عنهما فى الآصال و البكرات، و من نظم سيدى الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه قوله: [مجزوء الكامل]

يا من يرانى و لا أراه كم ذا أراه و لا يرانى

وقال رحمه الله تعالى: قال لى بعض إخوانى لما سمع هذا البيت: كيف تقول: إنه لا يراك و أنت تعلم أنه يراك؟ فقلت له مرتجلا:
[مجزوء الكامل]

يا من يرانى مجرما و لا أراه آخذا

كم ذا أراه منعما و لا يرانى لائدا

قلت: من هذا و شبهه تعلم أن كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤول، و أنه لا يقصد ظاهره، و إنما له محامل تليق به، و كفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة، فأحسن الظن به و لا تنتقد، بل اعتقد، و للناس فى هذا المعنى كلام كثير، و التسليم أسلم، و الله سبحانه بكلام أوليائه أعلم.

و من النظم المنسوب لمحاسن الشيخ سيدى محيى الدين رضى الله تعالى عنه فى ضابط ليلة القدر: [الطويل]

و إنا جميعا إن نصم يوم جمعه ففى تاسع العشرين خذ ليلة القدر

و إن كان يوم السبت أول صومنا فحادى و عشرين اعتمده بلا عسر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣١١

و إن كان صوم الشهر فى أحد فخذ ففى سابع العشرين ما شئت فاستقرى

و إن هلّ بالاثنين فاعلم بأنّه يواتيك نيل المجد فى تاسع العشر

و يوم الثلاثاء إن بدا الشهر فاعتمد على خامس العشرين فاعمل بها تدرى

و فى الأربعاء إن هلّ يا من يرومها فدونك فاطلب وصلها سابع العشر

و يوم خميس إن بدا الشهر فاجتهد ففى ثالث العشرين تظفر بالنصر
و ضابطها بالقول ليلة جمعة توافيك بعد النصف فى ليلة الوتر
قلت: لست على يقين من نسبة هذا النظم إلى الشيخ رحمه الله تعالى! فإن نفسه أعلى من هذا النظم، و لكنى ذكرته لما فيه من الفائدة،
و لأن بعض الناس نسبه إليه، فالله تعالى أعلم بحقيقته ذلك.
و مما نسبه إليه رحمه الله تعالى غير واحد قوله: [المنسرح]
قلبي قطبي، و قالى أجماني سرى خصرى، و عينه عرفانى
روحى هارون و كليمى موسى نفسى فرعون، و الهوى هامانى
و ذكر بعض الثقات أن هذين البيتين يكتبان لمن به القولنج فى كفه و يلحسهما، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، قال: و هو من المجربات.
و قد تأول بعض العلماء قول الشيخ رحمه الله تعالى بإيمان فرعون أن مراده بفرعون النفس بدليل ما سبق، و حكى فى ذلك حكاية
عن بعض الأولياء ممن كان ينتصر للشيخ، رحمه الله تعالى!.

و ولد للشيخ محبى الدين - رحمه الله تعالى! - ابنه محمد المدعو سعد الدين بملطية فى رمضان سنة ٦١٨هـ، و سمع الحديث، و درس، و
قال الشعر الجيد، و له ديوان شعر مشهور، و توفى بدمشق سنة ٦٥٦هـ سنة دخل هولاءكو بغداد و قتل الخليفة المستعصم، و دفن المذكور
عند والده بسفح قاسيون، و كان قدم القاهرة، و سكن حلبا، و من شعره: [الرجز]
لما تبدى عارضاه فى نمط قيل ظلام بضياء اختلط
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣١٢
و قيل سطر الحسن فى خديه خط و قيل نمل فوق عاج انبسط
و قيل مسك فوق ورد قد نقط و قال قوم: إنها اللام فقط
قلت: تذكرت بهذا ما قاله الكاتب أبو عبد الله بن جزى الأندلسى كاتب سلطان المغرب أبى عنان حين تنازع الكتاب أرباب الأقلام و
الرؤساء أصحاب السيوف فى تشبيه العذار، و قالت له فرقة: لا نشبهه إلا بما هو مناسب لصنعتنا، فلما فرغوا قال ابن جزى: [البسيط]
أتى أولو الكتب و السيف الأولى عزموا من بعد سلمى على حربى و إسلامى
بكل معنى بديع فى العذار على ما تقتضى منهم أفكار أحلامى
فقال ذو الكتب: لا أرضى المحارب فى تشبيهه لا و أنقاسى و أقلامى
و قال ذو الحرب: لا أرضى الكتائب فى تشبيهه و مظللاتى و أعلامى
فقلت: أجمع بين المذهبين معا باللام، فاستحسنوا التشبيه باللام
و هذه الغاية التى لا تدرك مع البديهة و لزوم ما لا يلزم.
رجع - و من نظم سعد الدين قوله: [الكامل]
سهرى من المحبوب أصبح مرسلا و أراه متصلا بفيض مدامع
قال الحبيب: بأن ريقى نافع فاسمع رواية مالك عن نافع
و من نظمه أيضا قوله: [الطويل]
و قالوا: قصير شعر من قد هويته، فقلت: دعونى لا أرى منه مخلصا
محيّاه شمس قد علت غصن قدّه فلا عجب للظل أن يتقلّصا
و قوله: [مخلع البسيط]
و ربّ قاض لنا مليح يعرب عن منطق لذيذ

إذا رمانا بسهم لحظ قلنا له دائم النفوذ
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣١٣
 و قوله: [مجزوء الخفيف]
 لك و الله منظر قل فيه المشارك
 إن يوما نراك في ه ليوم مبارك
 و من نظمه أيضا ما كتب به إلى أخيه عماد الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي أفاض الله تعالى علينا
 من فتوحاته قوله: [البسيط]
 ما للنوى رقة ترثي لمكتب حزان في قلبه و الدمع في حلب
 قد أصبحت حلب ذات العماد بكم و جلق إرم هذا من العجب
 و توفي الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧هـ، و دفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضي ابن الزكي، رحم الله تعالى الجميع!
 و ابن الزكي أيضا محيي الدين.
 و من نظم سعد الدين المذكور في وسيم رآه بالزيادة في دمشق: [الخفيف]
 يا خليلي في الزيادة ظبي سلبت مقلته جفني رقاده
 كيف أرجو السلو عنه و طرفي ناظر حسن وجهه في الزيادة
 و له: [السريع]
 علقت صوفيا كبدر الدجي لكته في وصلي الزاهد
 يشهد وجدى بغرامى له فديت صوفيا له شاهد
 و له أيضا: [الوافر]
 صبوت إلى حريري مليح تكّرر نحو منزله مسيري
 أقول له: ألا ترثي لصب عديم للمساعد و النصير
 أقام ببابكم خمسين شهرا فقال: كذا مقامات الحريري
 و له: [الخفيف]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣١٤
 و غزال من اليهود أتاني زائرا من كنيسه أو كناسه
 بت أجنى الشقيق من وجنتيه و أشم العبير من أنفاسه
 و اعتنقنا إذ لم نخف من رقيب و أمنا الوشاة من حراسه
 من رآني يظنني لنحولي و اصفرارى علامة فوق راسه
 و له: [الخفيف]
 لى حبيب بالنحو أصبح مغرى فهو منى بما أعانيه أدري
 قلت: ما ذا تقول حين تنادى يا حبيبي المضاف نحوك جهرا
 قال لى: يا غلام، أو يا غلامى، قلت: لبيك ثم لبيك عشرا
 و له أيضا: [الكامل]
 ساءلتنى عن لفظه لغوية فأجبت مبتدئا بغير تفكر

خاطبتني متبسما فرأيتها من نظم ثغرك في صحاح الجوهرى

وله: [الكامل]

وعلمت أن من الحديد فؤاده لما انتضى من مقلتيه مهندا

آنست من وجدى بجانب خده نارا و لكن ما وجدت بها هدى

وقال الشيخ محيى الدين - أفاض الله تعالى علينا من أنواره، و كسانا بعض حلل أسرارهِ!- إنه بلغنى فى مكه عن امرأة من أهل بغداد أنها تكلمت فى بأمر عظيمه، فقلت:

هذه قد جعلها الله تعالى سببا لخير وصل إلى فلاكافئتها، و عقدت فى نفسى أن أجعل جميع ما اعتمرت فى رجب لها و عنها، ففعلت ذلك، فلما كان الموسم استدلت على رجل غريب، فسأله الجماعة عن قصده، فقال: رأيت بالينبع فى الليلة التى بت فيها كأن آلافا من الإبل أوقارها المسك و العنبر و الجوهر، فعجبت من كثرتة، ثم سألت: لمن هو؟ فقليل: هو لمحمد بن عربى يهديه إلى فلانة، و سمي تلك المرأة، ثم قال: و هذا بعض ما تستحق، قال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣١٥

سیدی ابن عربی: فلما سمعت الرؤيا و اسم المرأة، و لم يكن أحد من خلق الله تعالى علم منى ذلك، علمت أنه تعريف من جانب الحق، و فهمت من قوله إن هذا بعض ما تستحق أنها مكذوب عليها، فقصدت المرأة و قلت: اصدقينى، و ذكرت لها ما كان من ذلك، فقلت: كنت قاعدة قبالة البيت، و أنت تطوف، فشكرت الجماعة الذين كنت فيهم، فقلت فى نفسى: اللهم إني أشهدك أنى قد وهبت له ثواب ما أعمله فى يوم الاثنين و فى يوم الخميس، و كنت أصومهما و أتصدق فيهما، قال: فعلمت أن الذى وصل منى إليها بعض ما تستحق فإنها سبقت بالجميل، و الفضل للمتقدم.

و من نظم الشيخ محيى الدين بن عربى رحمه الله تعالى: [البسيط]

يا غاية السؤل و المأمول يا سندی شوقى إليك شديد لا إلى أحد

ذبت اشتياقا و وجدا فى محبتكم فآه من طول شوقى آه من كمدى

يدى وضعت على قلبى مخافة أن ينشق صدرى لئما خاننى جلدى

ما زال يرفعها طورا و يخفضها حتى وضعت يدي الأخرى تشد يدي

و حكى سبط ابن الجوزى عن الشيخ محيى الدين أنه كان يقول: إنه يحفظ الاسم الأعظم، و يقول: إنه يعرف السيميا بطريق التنزل، لا بطريق التكسب، انتهى و الله تعالى أعلم، و التسليم أسلم.

و من نظم الشيخ محيى الدين قوله: [السريع]

ما فاز بالتوبة إلا الذى قد تاب قدما و الورى نوم

فمن يتب أدرك مطلوبه من توبة الناس و لا يعلم

و له رحمه الله تعالى من المحاسن ما لا يستوفى.

و أنشدنى لنفسه بدمشق صاحبنا الصوفى الشيخ محمد بن سعد الكلشنى - حفظه الله تعالى!- قوله: [الطويل]

أمولاي محيى الدين أنت الذى بدت علومك فى الآفاق كالغيث مذهمى

كشفت معانى كل علم مكتم و أوضحت بالتحقيق ما كان مبهما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣١٦

و بالجملة فهو حجة الله الظاهرة، و آيته الباهرة، و لا يلتفت إلى كلام من تكلم فيه، و لله در السيوطى الحافظ! فإنه ألفت «تنبيه الغيبى، على تنزيه ابن عربى» و مقام هذا الشيخ معلوم، و التعريف به يستدعى طولاً، و هو أظهر من نار على علم.

و كان بالمغرب يعرف بابن العربي بالألف و اللام، و اصطلاح أهل المشرق على ذكره بغير ألف و لام، فرقا بينه و بين القاضي أبي بكر بن العربي.

و قال ابن خاتمة في كتابه «مزية المرية» ما نصه: محمد بن علي بن محمد الطائي الصوفي، من أهل إشبيلية، و أصله من مرسية، يكنى أبا بكر، و يعرف بابن العربي، و بالحامى أيضا، أخذ عن مشيخه بلده، و مال إلى الآداب، و كتب لبعض الولاة بالأندلس، ثم رحل إلى المشرق حاجيا فأدّى الفريضة، و لم يعد بعدها إلى الأندلس، و سمع الحديث من أبي القاسم الحرستاني و من غيره، و سمع صحيح مسلم من الشيخ أبي الحسن بن أبي نصر في شوال سنة ٦٠٦، و كان يحدث بالإجازة العامة عن أبي طاهر السلفي، و يقول بها، و برع في علم التصوف، و له في ذلك تواليف كثيرة: منها «الجمع و التفصيل، في حقائق التنزيل» و «الجدوة المقتبسة، و الخطرة المختلصة» و كتاب «كشف المعنى، في تفسير الأسماء الحسنى» و كتاب «المعارف الإلهية» و كتاب «الإسرا إلى المقام الأسرى» و كتاب «مواقع النجوم، و مطالع أهلة أسرار العلوم» و كتاب «عناق مغرب، في صفة ختم الأولياء و شمس المغرب» و كتاب في فضائل مشيخه عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدي، و الرسالة الملقبة «بمشاهد الأسرار القدسية، و مطالع الأنوار الإلهية» في كتب أخر عديده، و قدم على المريّة من مرسية مستهلّ شهر رمضان سنة خمس و تسعين و خمسمائة، و بها ألف كتابه الموسوم ب «مواقع النجوم» انتهى.

و لا خفاء أن مقام الشيخ عظم بعد انتقاله من المغرب، و قد ذكر رحمه الله تعالى في بعض كتبه أن مولده بمرسية. و في الكتاب المسمى ب «الاعتباط، بمعالجة ابن الخياط» تأليف شيخ الإسلام قاضي القضاة مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزابادي الصديقي صاحب القاموس، قدس الله تعالى روحه! الذي ألفه بسبب سؤال سئل فيه عن الشيخ سيدي محيي الدين بن عربي الطائي قدس الله تعالى سره العزيز في كتبه المنسوبة إليه، ما صورته:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣١٧

ما تقول السادة العلماء شدّ الله تعالى بها أزر الدين، و لمّ بهم شعث المسلمين، في الشيخ محيي الدين بن عربي في كتبه المنسوبة إليه كالفتوحات و الفصوص، هل تحل قراءتها و إقراؤها و مطالعتها؟ و هل هي الكتب المسموعة المقروءة أم لا؟ أفتونا مأجورين جوابا شافيا لتحوزوا جميل الثواب، من الله الكريم الوهاب، و الحمد لله وحده.

فأجاب به ما صورته: الحمد لله، اللهم أنطقنا بما فيه رضاك، الذي أعتقده في حال المسؤول عنه و أدين الله تعالى به، أنه كان شيخ الطريقة حالا و علما، و إمام الحقيقة حقيقه و رسما، و محيي رسوم المعارف فعلا و اسما: [البسيط]

إذا تغلغل فكر المرء في طرف من بحره غرقت فيه خواطره

و هو عباب لا تكدره الدلاء، و سحاب لا تتقاصر عنه الأنواء، و كانت دعواته تخترق السبع الطباق، و تفرق بركاته فتملأ الآفاق، و إنني أصفه و هو يقينا فوق ما وصفته، و ناطق بما كتبت، و غالب ظني أني ما أنصفته [البسيط].

و ما عليّ إذا ما قلت معتدى دع الجهول يظنّ العدل عدوانا

و الله و الله و الله العظيم و من أقامه حجّة للدين برهانا

بأنّ ما قلت بعض من مناقبه ما زدت إلّا لعلّي زدت نقصانا

و أما كتبه و مصنفاة فالبحار الزواجر، التي لجواهرها و كثرتها لا يعرف لها أول و لا آخر، ما وضع الواضعون مثلها، و إنما خص الله سبحانه بمعرفة قدرها أهلها، و من خواص كتبه أن من واطب على مطالعتها و النظر فيها، و تأمل ما في مبانيها، انشرح صدره لحل المشكلات، و فكك المعضلات، و هذا الشأن لا يكون إلا لأنفاس من خصه الله تعالى بالعلوم اللدنية الربانية، و وقفت على إجازة كتبها للملك المعظم فقال في آخرها: و أجزته أيضا أن يروى عنه مصنفاة، و من جملة كذا و كذا، حتى عد نيفا و أربعمائة مصنف، منها التفسير الكبير الذي بلغ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى: وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا [الكهف: ٦٥] و توفي و لم يكمل، و

هذا التفسير كتاب عظيم، كل سفر بحر لا ساحل له، ولا غرو فإنه صاحب الولاية العظمى، والصدقية الكبرى، فيما نعتقد و ندين الله تعالى به، و ثم طائفة، فى الغى حائفة، يعظمون عليه النكير، و ربما بلغ بهم الجهل إلى حد التكفير، و ما ذاك إلا لقصور أفهامهم عن إدراك مقاصد أقواله و أفعاله و معانيها، و لم تصل أيديهم لقصرها إلى اقتطاف مجانيها. [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣١٨

علی نحت القوافى من معادنها و ما علی إذا لم تفهم البقر

هذا الذى نعلم و نعتقد، و ندين الله تعالى به فى حقه، و الله سبحانه و تعالى أعلم، و صورة استشهاده: كتب محمد الصديقى الملتجئ إلى حرم الله تعالى، عفا الله عنه!

و أما احتجاجه بقول شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام شيخ مشايخ الشافعية فغير صحيح، بل كذب وزور، فقد روينا عن شيخ الإسلام صلاح الدين العلائى عن جماعة من المشايخ كلهم عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه قال: كنا فى مجلس الدرس بين يدى الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فجاء فى باب الردة ذكر لفظه الزنديق، فقال بعضهم:

هل هى عريية أو عجمية؟ فقال بعض الفضلاء: إنما هى فارسية معربة، أصلها زن دين، أى على دين المرأة، و هو الذى يضم الكفر و يظهر الإيمان، فقال بعضهم: مثل من؟ فقال آخر إلى جانب الشيخ: مثل ابن عربى بدمشق، فلم ينطق الشيخ و لم يرد عليه، قال الخادم: و كنت صائما ذلك اليوم، فاتفق أن الشيخ دعانى للإفطار معه، فحضرت و وجدت منه إقبالا و لطفًا، فقلت له: يا سيدى، هل تعرف القطب الغوث الفرد فى زماننا؟ فقال: مالك و لهذا؟ كل، فعرفت أنه يعرفه، فتركت الأكل و قلت له: لوجه الله تعالى عرفنى به، من هو؟ فتبسم رحمه الله تعالى و قال لى: الشيخ محبى الدين بن عربى، فأطرقت ساكتا متحيرا، فقال: مالك؟

فقلت: يا سيدى، قد حرت، قال: لم؟ قلت: أليس اليوم قال ذلك الرجل إلى جانبك ما قال فى ابن عربى و أنت ساكت؟ فقال: اسكت ذلك مجلس الفقهاء، هذا الذى روى لنا بالسند الصحيح عن شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام.

و أما قول غيره من أضراب الشيخ عز الدين فكثير، كان الشيخ كمال الدين الزملى من أجل مشايخ الشام أيضا يقول: ما أجهل هؤلاء! ينكرون على الشيخ محبى الدين بن عربى لأجل كلمات و ألفاظ وقعت فى كتبه قد قصرت أفهامهم عن درك معانيها، فيأتونى لأحلّ لهم مشكله، و أبين لهم مقاصده، بحيث يظهر لهم الحق، و يزول عنهم الوهم.

و هذا القطب سعد الدين الحموى سئل عن الشيخ محبى الدين بن عربى لما رجع من الشام إلى بلاده: كيف وجدت ابن عربى؟ فقال: وجدته بحرا زخارا لا ساحل له.

و هذا الشيخ صلاح الدين الصفدى له كتاب جليل وضعه فى تاريخ علماء العالم فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣١٩

مجلدات كثيرة، و هى موجودة فى خزنة السلطان، تنظر فى باب الميم ترجمة محمد بن عربى لتعرف مذاهب أهل العلم الذين باب صدورهم مفتوح لقبول العلوم اللدنية و المواهب الربانية.

و قوله فى شىء من الكتب المصنفة كالفصوص و غيره: إنه صنفه بأمر من الحضرة الشريفة النبوية، و أمره بإخراجه إلى الناس.

قال الشيخ محبى الدين الذهبى حافظ الشام: ما أظن المحبى يتعمد الكذب أصلا، و هو من أعظم المنكرين و أشدهم على طائفة الصوفية.

ثم إن الشيخ محبى الدين رحمه الله تعالى كان مسكنه و مظهره بدمشق، و أخرج هذه العلوم إليهم، و لم ينكر عليه أحد شيئا من ذلك، و كان قاضى القضاء الشافعية فى عصره شمس الدين أحمد الخويى يخدمه خدمة العبيد، و قاضى القضاء المالكية زوجة بابتته، و ترك القضاء بنظرة وقعت عليه من الشيخ.

و أما كراماته و مناقبه فلا تحصرها مجلدات، و قول المنكرين فى حق مثله غثاء و هباء لا يعاب به، و الحمد لله تعالى، انتهى ما نقلته من

كلام العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى، رضى الله تعالى عنه!

وقد حكى الشيخ رضى الله تعالى عنه عن نفسه فى كتبه ما يبهر الألباب، وكفى بذلك دليلا على ما منحه الله الذى يفتح لمن شاء الباب، وقد اعتنى بتربيته بصالحية دمشق سلاطين بنى عثمان، نصرهم الله تعالى على توالى الأزمان! وبنى عليه السلطان المرحوم سليم خان المدرسة العظيمة، ورتب له الأوقاف، وقد زرت قبره وتبركت به مرارا، ورأيت لوائح الأنوار عليه ظاهرة، ولا يجد منصف محيدا إلى إنكار ما يشاهد عند قبره من الأحوال الباهرة، وكانت زيارتى له بشعبان ورمضان وأول شوال سنة ١٠٣٧.

وقال فى «عنوان الدراية»: إن الشيخ محبى الدين كان يعرف بالأندلس بابن سراقه، وهو فصيح اللسان، بارع فهم الجنان، قوى على الإيراد، كلما طلب الزيادة يزداد، رحل إلى العدو، ودخل بجاية فى رمضان سنة ٥٩٧، وبها لقي أبا عبد الله العربى وجماعة من نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٢٠

الأفاضل، ولما دخل بجاية فى التاريخ المذكور قال: رأيت ليلة أنى نكحت نجوم السماء كلها، فما بقى منها نجم إلا نكحته بلذة عظيمة روحانية ثم لما كملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها، ثم عرضت رؤياى هذه على من قصها على رجل عارف بالرؤيا بصير بها، وقلت للذى عرضتها عليه: لا تذكرنى، فلما ذكر الرؤيا استعظمها وقال: هذا هو البحر الذى لا يدرك قعره، صاحب هذه الرؤيا يفتح الله تعالى له من العلوم العلوية وعلوم الأسرار وخواص الكواكب ما لا يكون فيه أحد من أهل زمانه، ثم سكت ساعة و قال: إن كان صاحب هذه الرؤيا فى هذه المدينة فهو ذاك الشاب الأندلسى الذى وصل إليها.

ثم قال صاحب العنوان ما ملخصه: إن الشيخ محبى الدين رحل إلى المشرق، واستقرت به الدار، وألف تواليفه، وفيها ما فيها إن قرض الله تعالى من يسامح ويتأول سهل المرام، وإن كان ممن ينظر بالظاهر فالأمر صعب، وقد نقد عليه أهل الديار المصرية وسعوا فى إراقه دمه، فخلصه الله تعالى على يد الشيخ أبى الحسن البجائى، فإنه سعى فى خلاصه وتأول كلامه، ولما وصل إليه بعد خلاصه قال له الشيخ رحمه الله تعالى: كيف يحبس من حل منه اللاهوت فى الناسوت؟ فقال له: يا سيدى، تلك شطحات فى محل سكر ولا عتب على سكران وتوفى الشيخ محبى الدين فى نحو الأربعين وستمائة، وكان يحدث بالإجازة العامة عن السلفى، رحمه الله تعالى! انتهى.

ومن موشحات الشيخ محبى الدين رضى الله تعالى عنه قوله:

مطلع

سرائر الأعيان لاحت على الأكوان للناظرين

و العاشق الغيران من ذاك فى حزان

بيدى الأنين

دور

يقول و الوجد أضناه و البعد قد حثيره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٢١

لما دنا البعد لم أدر من بعد

من غيره

وهيم العبد والواحد الفرد

قد خثيره

فى البوح والكتمان والسر والإعلان

فى العالمين

أما هو الدّيان يا عابد الأوثان

أنت الضّنين

دور

كلّ الهوى صعب على الذى يشكو

ذلّ الحجاب

يا من له قلب لو أنّه يذكو

عند الشّباب

قد قرّب الرّبّ لكّنه إفك

فانو المتاب

و ناد يا رحمن يا ربّ يا مئان

إنى حزين

أضناني الهجران و لا حبيب دان

و لا معين

دور

فنيث بالله عمّا تراه العين

من كونه

فى موقف الجاه و صحت أين الأين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٢٢

فى بينه

فقال: يا ساهى عاينت قطّ عين

بعينه

أما ترى غيلان و قيس أو من كان

فى الغابرين

قالوا الهوى سلطان إن حلّ بالإنسان

أفناه دين

دور

كم مرّة قالوا أنا الذى أهوى

من هو أنا

فلا أرى حالا و لا أرى شكوى

إلّا الفنا

لست كمن مالا عن الذى يهوى

بعد الجنا

و دان بالسّلوان هذا هو البهتان

للعارفين

سلوهم ما كان عن حضرة الرحمن

و الآفكين

دور

دخلت في بستان الأنس و القرب

كمكنسه

فقام لى الریحان یختال بالعجب

فی سندسه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٢٣

أنا هو الإنسان مطيب الصب

فی مجلسه

جَنان يا جَنان اجن من البستان

الیاسمین

و حلل الریحان بحرمة الرحمن

للعاشقین

و قال الإمام الصفى بن ظافر الأزدي فى رسالته: رأيت بدمشق الشيخ الإمام العارف الوحيد محيى الدين بن عربى، و كان من أكبر علماء الطريق، جمع بين سائر العلوم الكسبية و ما قر له من العلوم الوهيبه، و منزلته شهيرة، و تصانيفه كثيرة، و كان غلب عليه التوحيد علما و خلقا و حالا، لا يكثرث بالوجود مقبلا كان أو معرضا، و له علماء أتباع أرباب مواجيد و تصانيف، و كان بينه و بين سيدى الأستاذ الخراز إياء و رفقة فى السياحات، رضى الله تعالى عنهما! انتهى.

و ذكر الإمام سيدى عبد الله بن سعد اليافعى اليمنى فى «الإرشاد» أنه اجتمع مع الشهاب السهروردى، فأطرق كل واحد منهما ساعة، ثم افترقا من غير كلام، فقبل للشيخ ابن عربى:

ما تقول فى السهروردى؟ فقال: مملوء سنه من قرنه إلى قدمه، و قيل للسهروردى: ما تقول فى الشيخ محيى الدين؟ فقال: بحر الحقائق.

ثم قال اليافعى ما ملخصه: إن بعض العارفين كان يقرأ عليه كلام الشيخ و يشرحه، فلما حضرته الوفاة نهى عن مطالعته، و قال: إنكم لا تفهمون معانى كلامه، ثم قال اليافعى:

و سمعت أن العز بن عبد السلام كان يطعن عليه و يقول: هو زنديق، فقال له بعض أصحابه:

أريد أن تربيى القطب، أو قال وليا، فأشار إلى ابن عربى، فقال له: فأنت تطعن فيه، فقال:

أصون ظاهر الشرع، أو كما قال.

و أخبرنى بهذه الحكايه غير واحد من ثقات مصر و الشام، ثم قال: و قد مدحه و عظمه طائفة كالنجم الأصبهانى و التاج بن عطاء الله و غيرهما، و توقف فيه طائفة، و طعن فيه آخرون، و ليس الطاعن فيه بأعلم من الخضر عليه السلام، إذ هو أحد شيوخه، و له معه اجتماع كثير.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٢٤

ثم قال: و ما ينسب إلى المشايخ له محامل: الأول أنه لم تصح نسبته إليهم، الثانى بعد الصحة يلتمس له تأويل موافق، فإن لم يوجد له تأويل فى الظاهر فله تأويل فى الباطن لم نعلمه، و إنما يعلمه العارفون، الثالث: أن يكون ذلك صدر منهم فى حال السكر و الغيبه، و

السكران سكرًا مباحًا غير مؤاخذ ولا مكلف، انتهى ملخصًا.

ومن ذكر الشيخ محيي الدين الإمام شمس الدين محمد بن مسدي في معجمه البديع المحتوي على ثلاث مجلدات، و ترجمه ترجمه عظيمة مطولة أذكر منها أنه قال: إنه كان ظاهري المذهب في العبادات، باطنى النظر في الاعتقادات، خاض بحار تلك العبارات، و تحقق بمحيًا تلك الإشارات، و تصانيفه تشهد له عند أولى البصر بالتقدم والإقدام، و مواقف النهايات فى مزالق الأقدام، و لهذا ما ارتبت فى أمره، و الله تعالى أعلم بسرّه، انتهى.

و نقلت من خط ابن علوان التونسى رحمه الله تعالى، قال الشيخ محيي الدين: [مخلع البسيط]

بالمال ينقاد كل صعب من عالم الأرض و السماء

يحسبه عالم حجابا لم يعرفوا لذة العطاء

و لو لا الذى فى النفوس منه لم يجب الله فى الدعاء

لا تحسب المال ما تراه من عسجد مشرق الضياء

بل هو ما كنت يا بنى به غتيا عن السواء

فكن برّب العلا غتيا و عامل الخلق بالوفاء

و قال: [السريع]

تبه على السرّ و لا تفشه فالبوح بالسرّ له مقت

على الذى يديه فاصبر له و اكنمه حتى يصل الوقت

و قال:

قد ثاب غلماننا علينا فمالنا فى الوجود قدر

أذنا بنا صيرت رؤوسا مالى على ما أراه صبر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٢٥

هذا هو الدهر يا خليلي فمن يقاسيه فهو قهر

و نظم الشيخ محيي الدين هو البحر الذى لا ساحل له.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٣٢٥

لنختم ما أوردنا منه بقوله: [السريع]

يا حبذا المسجد من مسجد و حبذا التروضة من مشهد

و حبذا طيبة من بلدة فيها ضريح المصطفى أحمد

صلّى عليه الله من سيد لو لاه لم نفلح و لم نهتد

قد قرن الله به ذكره فى كل يوم فاعتبر ترشد

عشر خفيات و عشر إذا أعلن بالتأذين فى المسجد

فهذه عشرون مقرونة بأفضل الذكر إلى الموعد

١١٤- و منهم الصوفى الشهير أبو الحسن على الششتري

، و هو على بن عبد الله النميرى.

عروس الفقهاء، و إمام المتجردين، و بركة لابسى الخرقه، و هو من قرية ششتر من عمل وادى آش، و زقاق الششتري معلوم بها، و كان

موجودا للقرآن، قائما عليه، عارفا بمعانيه، من أهل العلم والعمل، جال في الآفاق، ولقى المشايخ، وحج حجات، و آثر التجرد و العبادات.

و ذكره القاضي أبو العباس الغبريني في «عنوان الدراية» فقال: الفقيه الصوفي، من الطلبة المحصلين، و الفقراء المنقطعين، له علم بالحكمة، و معرفة بطريق الصوفية، و تقدم في النظم و النثر على طريقة التحقيق، و أشعاره و موشحاته و أزجاله الغاية في الانطباع.

أخذ عن القاضي محيي الدين محمد بن إبراهيم بن الحسن بن سراقه الأنصاري الشاطبي و غيره من أصحاب السيهوردي صاحب «عوارف المعارف» و اجتمع بالنجم بن إبراهيم الدمشقي سنة ٦٥٠هـ، و خدم أبا محمد بن سبعين، و تلمذ له، و كان ابن سبعين دونه في السن، لكن اشتهر باتباعه، و عول على ما لديه، حتى صار يعبر عن نفسه في منظوماته و غيرها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٢٦

بعبد ابن سبعين، و قال له لما لقيه- يريد المشايخ-: إن كنت تريد الجنة فسر إلى أبي مدين، و إن كنت تريد رب الجنة فهلم إلي، و لما مات أبو محمد انفرد بعده بالرياسة و الإمامة على الفقراء المتجردين، فكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربعمائه فقير فيقتسمهم الترتيب في وظائف خدمته.

صنف كتابا: منها كتاب «العروة الوثقى»، في بيان السنن و إحصاء العلوم، و ما يجب على المسلم أن يعمل و يعتقد إلى وفاته» و له كتاب «المقاليد الوجودية»، في أسرار الصوفية» و «الرسالة القدسية»، في توحيد العامة و الخاصة» و «المراتب الإيمانية و الإسلامية و الإحسانية» و «الرسالة العلمية» و غير ذلك.

و له ديوان شعر مشهور، و من نظمه قوله رحمه الله تعالى: [الطويل]

لقد تهت عجا بالتجرّد و الفقر فلم أندرج تحت الزّمان و لا الدّهر

و جاءت لقلبي نفحة قدسيّة فغبت بها عن عالم الخلق و الأمر

طويت بساط الكون و الطّي نشره و ما القصد إلّا التّرك للطّي و النّشر

و غمّضت عين القلب غير مطلق فألفيتني ذاك الملقّب بالغير

وصلت لمن لم تنفصل عنه لحظة و نرّهت من أعنى عن الوصل و الهجر

و ما الوصف إلّا دونه غير أنّي أريد به التّشبيب عن بعض ما أدرى

و ذلك مثل الصّوت أيقظ نائما فأبصر أمرا جلّ عن ضابط الحصر

فقلت له الأسماء تبغى بيانه فكانت له الألفاظ ستر على ستر

و قال: [الكامل]

من لامنّي لو أنّه قد أبصرا ما ذقته أضحى به متحيرا

و غدا يقول لصحبه إن أنتم أنكرتم ما بي أتيتم منكرا

شدّت أمور القوم عن عاداتهم فلأجل ذاك يقال سحر مفترى

و قال، و هي من أشهر ما قال: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٢٧

أرى طالبا منّا الزيادة لا الحسنى بفكر رمى سهما فعدي به عدنا

و طالبنا مطلوبنا من وجودنا تغيب به عنّا لدى الصّعق إن عنّا

و هي طويلة مشهورة بالشرق و الغرب، و قد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا العارف بالله تعالى سيدي أحمد زروق نفعنا الله تعالى ببركاته!

و أشار ابن الخطيب في «الإحاطة» إلى أنها لا تخلو عن شذوذ من جهة اللسان، و ضعف في العربية، قال: و مع ذلك فهي غريبة

المنزوع، أشار فيها إلى مراتب الأعيان الأعلام من أهل هذه الطريقة، و كأنها مبنية على كلام شيخه الذي خاطبه به عند لقائه حسبما قدمناه، إذ الحسنى: الجنة، و الزيادة: مقام النظر، و قوله فيها: [الطويل]
و أظهر منها الغافقى لنا جنى و كشف عن أطواره الغيم و الدجنا
هو شيخه أبو محمد بن سبعين لأنه مرسى الأصل غافقيه.

و لما وصل الششتري من الشام إلى ساحل دمياط و هو مريض مرض موته نزل قرية بساحل البحر الرومى فقال: ما اسم هذه القرية؟ فقيل: الطينة، فقال: حنت الطينة إلى الطينة، و أوصى أن يدفن بمقبرة دمياط، إذ الطينة بمفازة، و أقرب المدن إليها دمياط، فحمله الفقراء على أعناقهم إلى دمياط.
و كانت وفاته يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٦٦٨، فدفن بدمياط، رحمه الله تعالى، و رضى عنه!.

١١٥- و منهم سيدى أبو الحسن على بن أحمد الحرالى الأندلسى

و حراله: قرية من أعمال مرسية، غير أنه ولد بمراكش، و أخذ بالأندلس عن أبى الحسن بن خروف و غير واحد، و رحل إلى المشرق فأخذ عن أبى عبد الله القرطبي إمام الحرم و غيره، و لقي جملة من المشايخ شرقا و غربا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٢٨

و هو إمام، ورع، صالح، زاهد، كان بقیة السلف، و قدوة الخلف، و قد زهد فى الدنيا و تخلى عنها، و أقام فى تفسير الفاتحة نحو من ستة أشهر يلقي فى التعليل قوانين تنزل فى علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام، حتى من الله تعالى ببركات و مواهب لا تحصي، و على أحكام تلك القوانين وضع كتابه «مفتاح اللب المقفل، على فهم القرآن المنزل» و هو ممن جمع العلم و العمل، و صنف فى كثير من الفنون كالأصول و المنطق و الطبيعيات و الإلهيات، و كان يقرئ «النجاة» لابن سينا فينقضه عروة عروة، و كان من أعلم الناس بمذهب مالك، و لما ظن فقهاء عصره أنه لا يحسن المذهب لاشتغاله بالمعقولات قرأ «التهديب» و أبدى فيه الغرائب، و بين مخالفته للمدونة فى بعض المواضع، و وقع بينه و بين الشيخ عز الدين بن عبد السلام شىء، و طلب عز الدين أن يقف على تفسيره، فلما وقف عليه قال: أين قول مجاهد؟ أى قول فلان و فلان؟ و كثر القول فى هذا المعنى، ثم قال: يخرج من بلادنا إلى وطنه، يعنى الشام، فلما بلغ كلامه الشيخ قال: هو يخرج و أقيم أنا، فكان كذلك، و له عدة مؤلفات فى الفنون، و قال رحمه الله تعالى: أقت ملازما لمجاهدة النفس سبعة أعوام، حتى استوى عندي من يعطيني ديناراً و من يزدريني، و أصبح - رحمه الله تعالى! - ذات يوم و لا شىء لأهله يقيمون به أودهم، و كانت أم ولده جارية تسمى كريمة، و كانت سيئة الخلق، فاشتدت عليه فى الطلب، و قالت له: إن الأصاغر لا شىء لهم، فقال لها: الآن يأتى من قبل الوكيل ما نتقوت به، فبينما هم كذلك و إذا بالحمال يضرب الباب و معه قمح، فقال لها: يا كريمة، ما أعجلك! هذا الوكيل بعث بالقمح، فقالت: و من يصنعه؟ فأمر فتصدق به، ثم قال لها: يأتيك ما هو أحسن منه، فانتظرت يسيراً، و بدا لها فتكلمت بما لا يليق، فبينما هم كذلك، و إذا بحمال سميد، فقال لها: هذا السميد أيسر و أسهل من القمح، فلم يقنعها ذلك، فأمر أيضاً بصدقته، فلما تصدق به زادت فى المقال، و إذا برجل على رأسه طعام، فقال لها: يا كريمة، قد كفت المؤنة، هذا الوكيل قد لطف بحالك.

و من كراماته أن بعض طلبته اجتمعوا فى نزهة، و أخذوا حليا من زينة النساء، فزينوا به بعض أصحابهم، فلما انقضى ذلك و اجتمعوا بمجلس الشيخ صار الذى كان فى يده الحلى يتحدث و يشير بيده، فقال الشيخ: يد يجعل فيها الحلى لا يشار بها فى الميعاد.

و منها أنه أصاب الناس جذب ببجائه، فأرسل إلى داره من يسوق ماء إلى الفقراء، فامتنعت كريمة، و نهرت رسله، فسمع كلامها، فقال للرسول: قل لها يا كريمة، و الله لأشربن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٢٩

من ماء المطر الساعة، فرمق السماء بطرفه، و دعا الله سبحانه و تعالى، و رفع يده به، و شرع المؤذن في الأذان، و لم يختم المؤذن أذانه حتى كان المطر كأفواه القرب.

و توفي رحمه الله تعالى بحماة من بلاد الشام سنة سبع و ثلاثين و ستمائة، انتهى ملخصاً من «عنوان الدراية» للغبريني. و وقع للذهبي في حقه كلام على عاداته في الحط على هذه الطائفة، ثم قال: و رأيت شيخنا المجد التونسي يتغالي في تفسيره، و رأيت غير واحد معظماً له و موقراً و قوما تكلموا في عقيدته، و كان نازلاً عند قاضي حماه البارزي و قال لنا شرف الدين البارزي: تزوج بحماة، و كانت زوجته تشتمه و تؤذيه، و هو يتبسم، و إن رجلاً راهن جماعة على أن يخرجه، فقالوا: لا تقدر، فأتى و هو يعظ و صاح، و قال له: أنت أبوك كان يهودياً و أسلم، فنزل من الكرسي، فاعتقد الرجل أنه غضب و أنه تم له ما رامه حتى وصل إليه فخلع مرطبه عليه، و أعطاه إياهما، و قال له: بشرك الله بالخير! لأنك شهدت لأبي أنه كان مسلماً، انتهى.

و ظاهر كلام الغبريني أن تفسير الشيخ الحرالي كامل، و قال بعضهم: إنه لم يكمل، و هو تفسير حسن، و عليه نسج البقاعى مناسباته، و ذكر أن الذى وقف عليه منه من أول القرآن إلى قوله في سورة آل عمران كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا [آل عمران: ٣٧].

و كلام الذهبي في الشيخ يردده كلام الغبريني، إذ هو أعرف به، و الله تعالى أعلم.

و حكى الغبريني أنه أنشد بين يديه الزجل المشهور:

جَنَّانِ يَا جَنَّانِ اجن من البستان

الياسمين

و اترك الزَّيْحَانَ بحرمة الرُّحْمَنِ

للعاشقين

فسأل بعض عن معناه، فقال بعض الحاضرين: أراد به العذار، و قال آخر: إنما أشار إلى دوام العهد، لأن الأزهار كلها ينقضى زمانها إلا الرياح فإنه دائم، فاستحسن الشيخ هذا أو وافق عليه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٣٠

١١٦- و منهم ولي الله العارف به الشيخ الشهير الكرامات، الكبير المقامات، سيدى أبو العباس المرسى

، نفعنا الله تعالى به!.

و هو من أكابر الأولياء، صحب سيدى الشيخ- الفرد القطب الغوث الجامع سيدى أبا الحسن الشاذلى، أعاد الله تعالى علينا من بركاته! و خلفه بعده، و كان قدم من الأندلس من مرسية، و قبره بالإسكندرية مشهور بإجابة الدعوات و قد زرته مرارا كثيرة، و دعوت الله عنده بما أرجو قبوله.

و قد عرّف به الشيخ العارف بالله ابن عطاء الله في كتابه «لطائف المنن في مناقب الشيخ سيدى أبى العباس و شيخه سيدى أبى الحسن، رضى الله تعالى عنهما».

و قال الصفدى في الوافى: أحمد بن عمر بن محمد الشيخ الزاهد الكبير العارف أبو العباس، الأنصارى المرسى، وارث شيخه الشاذلى تصوفا الأشعرى معتقدا، توفي بالإسكندرية سنة ٦٨٦، و لأهل مصر و لأهل الثغر فيه عقيدة كبيرة، و قد زرته لما كنت بالإسكندرية سنة ٧٣٨، قال ابن عزام سبط الشاذلى: و لو لا قوة اشتهاره و كراماته لذكرت له ترجمة طويلة، كان من الشهود بالثغر، انتهى.

و كان سيدى أبو العباس يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله تعالى، حتى إنه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به، و ربما دخل عليه عاص فأكرمه، لأن ذلك الطائع أتى و هو متكثّر بعمله، ناظر لفعله، و ذلك العاصى دخل بكسر معصيته و ذل مخالفته، و كان شديد

الكرهه للوسواس في الصلاة و الطهارة، و يثقل عليه شهود من كان على صفته، و ذكر عنده يوما شخص بأنه صاحب علم و صلاح، إلا أنه كثير الوسوسة، فقال: و أين العلم؟ العلم هو الذى ينطبع فى القلب كالبياض فى الأبيض و السواد فى الأسود. و له كلام بديع فى تفسير القرآن العزيز: فمن ذلك أنه قال: قال الله سبحانه و تعالى الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) [الفاتحة: ٢] علم الله عجز خلقه عن حمده، فحمد نفسه بنفسه فى أزله، فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمده بحمده، فقال الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أى: الحمد الذى حمد به نفسه بنفسه هو له، لا- ينبغى أن يكون لغيره، فعلى هذا تكون الألف و اللام للعهد. و قال فى قول تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) [الفاتحة: ٥]:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٣١

إياك نعبد شريعة، و إياك نستعين حقيقة، إياك نعبد إسلام، و إياك نستعين إحسان، إياك نعبد عبادة، و إياك نستعين عبودية، إياك نعبد فرق، و إياك نستعين جمع، و له فى هذا المعنى و غيره كلام نفيس يدل على عظيم ما منحه الله سبحانه من العلوم اللدنية. و قال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة: ٦] بالثبوت فيما هو حاصل، و الإرشاد لما ليس بحاصل، و هذا الجواب ذكره ابن عطية فى تفسيره، و بسطه الشيخ رضى الله تعالى عنه، فقال: عموم المؤمنين يقولون اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ معناه نسألك الثبوت فيما هو حاصل و الإرشاد لما ليس بحاصل، فإنهم حصل لهم التوحيد، و فاتهم درجات الصالحين، و الصالحون يقولون اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ معناه نسألك الثبوت فيما هو حاصل و الإرشاد لما ليس بحاصل، لأنهم حصل لهم الصلاح، و فاتهم درجات الشهداء، و الشهداء، يقولون اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ أى بالثبوت فيما هو حاصل، و الإرشاد لما ليس بحاصل، فإنهم حصلت لهم درجة الشهادة، و فاتهم درجة الصديقية، و الصديق كذلك يقول اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إذ حصلت له درجة الصديقية، و فاتته درجة القطبانية، و القطب كذلك يقول اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فإنه حصلت له رتبة القطبانية، و فاتته علم إذا شاء الله تعالى أن يطلع عليه أطلعه. و قال رضى الله تعالى عنه: الفتوة الإيمان، قال الله سبحانه و تعالى إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَا لَهُمُ هُدًى [الكهف: ١٣]. و قال رضى الله تعالى عنه فى قوله سبحانه و تعالى حاكيا عن الشيطان ثُمَّ لَأَيَّتُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ [الأعراف: ١٧] و لم يقل من فوقهم و لا من تحتهم لأن فوقهم التوحيد و تحتهم الإسلام. و قال رضى الله تعالى عنه:

التقوى فى كتاب الله عز و جل على أقسام: تقوى النار قال الله سبحانه و تعالى وَ اتَّقُوا النَّارَ [آل عمران: ١٣١] و تقوى اليوم، قال الله تعالى وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة: ٢٨١] و تقوى الربوبية، قال الله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ [الحج الآية: ١ لقمان: ٣٢] و تقوى الألوهية (و اتقوا الله) و تقوى الإنية وَ اتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ [البقرة الآية: ١٩٧] و قال رضى الله تعالى عنه فى قول رسول الله صلى الله عليه و سلم «أنا سيد ولد آدم و لا- فخر» أى: لا أفتخر بالسيادة، و إنما الفخر لى بالعبودية لله، و كان كثيرا ما ينشد: [السريع]

يا عمرو ناد عبد زهراء يعرفه السامع و الزائى

لا تدعنى إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٣٢

و قال رضى الله تعالى عنه فى قول سمون المحب: [مخلع البسيط]

و ليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فاخترنى

الأولى أن يقول: فكيفما شئت فاعف عنى، إذ طلب العفو أولى من طلب الاختبار.

و قال رضى الله تعالى عنه: الزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة، و العارف جاء من الآخرة إلى الدنيا. و قال رضى الله تعالى: العارف لا دنيا له، لأن دنياه لآخرتة، و آخرتة لربه. و قال:

الزاهد غريب فى الدنيا، لأن الآخرة وطنه، و العارف غريب فى الآخرة. قال بعض العارفين:

معنى الغربية في كلام الشيخ رضى الله تعالى عنه أن الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه و معشش روحه، فيكون غريبا في الدنيا، إذ ليست وطننا لقلبه، عاين الآخرة فأخذ قلبه فيما عاين من ثوابها و نوالها، و فيما شهد من عقوبتها و نكالها، فتغرب في هذه الدار. و أما العارف فإنه غريب في الآخرة إذ كشف له عن صفات معروفة فأخذ قلبه فيما هناك، فصار غريبا في الآخرة، لأن سره مع الله تعالى بلا أين، فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم، إليها يأوون، و فيها يسكنون، فإن تنزلوا إلى سماء الحقوق، أو أرض الخصوص، فبالإذن و التمكين، و الرسوخ في اليقين، فلم ينزلوا إلى الخصوص لشهوة، و لم يصعدوا إلى الحقوق بسوء الأدب و الغفلة، بل كانوا في ذلك كله بآداب الله تعالى و آداب رسله و أنبيائه متأدبين، و بما اقتضى منهم مولاهم عاملين، رضى الله تعالى عنهم، و نفعنا بهم آمين!.

و كلام سيدى الشيخ أبى العباس رضى الله تعالى عنه بحر لا ساحل له، و كراماته كذلك، و ليراجع كتاب تلميذه ابن عطاء الله، فإن فيه من ذلك ما يشفى و يكفى، و ما بقى أكثر.

و من كراماته رضى الله تعالى عنه أنه عزم عليه إنسان و قدم إليه طعاما يختبره به، فأعرض عنه و لم يأكله، ثم التفت إلى صاحب الطعام و قال له: إن الحارث المحاسبى رضى الله تعالى عنه كان فى أصبعه عرق إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه، و أنا فى يدي سبعون عرقا تتحرك على إذا كان مثل ذلك، فاستغفر صاحب الطعام، و اعتذر إلى الشيخ، رضى الله تعالى عنه و نفعنا به!.

١١٧- و منهم أبو إسحاق الساحلى، المعروف بالطويجن

- بضم الطاء المهملة، و فتح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٣٣

الواو، و سكون الياء التحتية، و كسر الجيم، و قيل بفتحها- العالم المشهور، و الصالح المشكور، و الشاعر المذكور، من أهل غرناطة من بيت صلاح و ثروة و أمانة، و كان أبوه أمين العطارين بغرناطة، و كان مع أمانته من أهل العلم فقيها متقنا متفنا، و له الباع المديد فى الفرائض.

و أبو إسحاق هذا كان فى صغره موثقا بسماط شهود غرناطة، و ارتحل عن الأندلس إلى المشرق، فحج، ثم سار إلى بلاد السودان فاستوطنها، و نال جاهها مكينا من سلطانها، و بها توفى، رحمه الله تعالى! انتهى ملخصا من كلام الأمير ابن الأحمر فى كتابه «نثير الجمان، فىمن نظمى و إياه الزمان».

و قال أبو المكارم مندیل بن آجروم: حدثنى من يوثق بقوله أن أبى إسحاق الطويجن كانت وفاته يوم الاثنين ٢٧ جمادى الأخيرة سنة ٧٤٧ بتبكتو موضع بالصحراء من عمالة مالى، رحمه الله تعالى! ثم ضبط الطويجن بكسر الجيم، قال: و بذلك ضبطه بخط يده رحمه الله تعالى، قال: و من نسبه للساحلى فإنه نسبه لجده للأم، انتهى.

١١٨- و منهم الشيخ الأديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن على بن محمد بن يوسف بن عفيف، الخزرجى، الساعدى.

من أهل غرناطة، و يشهر بالخزرجى، مولده ببيعة، رحل عن الأندلس قديما و استقر أخيرا بالإسكندرية، و بها لقيه الحافظ ابن رشيد غير مرة، و قد أطال فى رحلته فى ترجمته، إلى أن قال: و ذكره صاحبنا أبو حيان، و هو أحد من أخذ عنه و لقيه، فقال: تلا القرآن بالأندلس على أبى الوليد هشام بن واقف المقرئ، و سمع بها من أبى زيد الفازازى العشرينيات، و سمع بمكة من شهاب الدين السهروردى صاحب «عوارف المعارف» و تلا بالإسكندرية على أبى القاسم بن عيسى، و لا يعرف له نظم فى أحد من العالم إلا فى مدح رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و من شعره يعارض الحريرى:
 أمّن لأهل البدع و الهجر و التصنّع
 و دن بترك الطمّع
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٣٤
 و لد بأهل الورع
 و عدّ عن كلّ بدى لم يكثرث بالنبد
 و الهج بير جهبد
 و عالم متّضع
 و اندب زمانا قد سلف و لم تجد منه خلف
 و ابعث بأنواع الأسف
 رسائل التضرّع
 و هى طويلة فلتراجع ترجمته فى «ملء العيبة» لابن رشيد، رحمه الله تعالى!.

١١٩- و منهم الفقيه الجليل، العارف النبيل، الحاذق الفصيح البارع أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر، الشهير بابن سبعين،

العكى، المرسى، الأندلسى، و يلقب من الألقاب المشرقية بقطب الدين.
 قال الشيخ المؤرخ ابن عبد الملك: درس العربية و الآداب بالأندلس، ثم انتقل إلى سبتة، و انتحل التصوف، و عكف برهه على مطالعة
 كتبه، و التكلم على معانيها، فمالت إليه العامة، ثم رحل إلى المشرق، و حج حججا، و شاع ذكره، و عظم صيته، و كثر أشياعه، و
 صنّف أوضاعا كثيرة تلقوها منه، و نقلوها عنه، و يرمى بأمر الله تعالى أعلم بها و بحقيقتها، و كان حسن الأخلاق، صبورا على الأذى،
 آية فى الإيثار، انتهى.

و قال غير واحد: إن أغراض الناس فيه متباينة، بعيدة عن الاعتدال، فمنهم المرهق المكفر، و منهم المقلد المعظم الموقر، و حصل
 بهذين الطرفين من الشهرة و الاعتقاد، و النفرة و الانتقاد، ما لم يقع لغيره، و الله تعالى أعلم بحقيقته أمره، و لما ذكر الشريف الغرناطى
 عنه أنه كان يكتب عن نفسه «ابن ه» يعنى الدارة التى هى كالصفر، و هى فى بعض طرق المغاربة فى حسابهم سبعون، و شهر لذلك
 بابن دارة- ضمن فيه البيت المشهور: [الطويل]

محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

حسبما ذكره الشريف فى شرح مقصورة حازم، و قد طال عهدى به فليراجعه من ظفر به.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٣٥

و قال صاحب «دره الأسلاك» فى سنة ٦٦٩، ما صورته: و فيها توفى الشيخ قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسى، صوفى
 متفلسف، مترهد متقشف، يتكلم على طريق أصحابه، و يدخل البيت و لكن من غير أبوابه، شاع أمره، و اشتهر ذكره، و له تصانيف و
 أتباع، و أقوال يميل إليها بعض القلوب و تملها بعض الأسماع، و كانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة، تغمده الله تعالى
 برحمته! انتهى.

و قال بعض الأعلام فى حق ابن سبعين: إنه كان رحمه الله تعالى عزيز النفس، قليل التصنع، يتولى خدمة الكثير من الفقراء و السّيفارة
 أصحاب العبادات و الدفافيس بنفسه، و يحفون به فى السكك، و لما توفرت دواعى النقد عليه من الفقهاء كثر عليه التأويل، و وجهت
 لألفاظه المعارض، و فليت موضوعاته، و تعاورته الوحشة، و جرت بينه و بين الكثير من أعلام المشرق و المغرب خطوب يطول ذكر.

و وقع في رسالة لبعض تلامذة ابن سبعين المذكور، وأظن اسمه يحيى بن محمد بن أحمد بن سليمان، و سماها «بالوراثه المحمديه، و الفصول الذاتيه» ما صورته: فإن قيل: ما الدليل على أن هذا الرجل الذي هو ابن سبعين هو الوارث المشار إليه؟ قلنا: عدم النظير، و احتياج الوقت إليه، و ظهور الكلمه المشار إليها عليه، و نصيحته لأهل الملة، و رحمته المطلقة للعالم المطلق، و محبته لأعدائه، و قصده لراحتهم مع كونهم يقصدون أذاه، و عفوه عنهم مع قدرته عليهم، و جذبهم إلى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه، و هذه كلها من علامات الوراثة و التبعية المحضه التي لا يمكن أحدا أن يتصف بها إلا بمجد أزلي و تخصيص إلهي، وها أنا أصف لك بعض ما خصه الله سبحانه و تعالى به من الأمور التي هي خارقه للعاده، و نلغى عن الأمور الخفيه التي لا نعلمها، و نقصد الأمور الظاهرة التي نعلمها، و التي لا- يمكن أحدا أن يستريب فيها إلا من أضمه الله تعالى و أعماه، و لا يجحدها إلا حسود قد أتعب الله تعالى قلبه و أنساه رشده، و نعوذ بالله ممن عاند من الله تعالى مساعده و مؤيده، و هو معه بنصره و عون، فما أتعب معانده، و ما أسعد موادده، و ما أكبت مرادده، فنبداً بذكر ما وعدنا، فنقول:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٣٦

الأول: في شرفه و استحقاقه لما ذكرنا، كونه خلقه الله تعالى من أشرف البيوت التي في بلاد المغرب، و هم بنو سبعين، قرشيا، هاشميا، علويا، و أبواه و جدوده يشار إليهم، و يعول في الرياسة و الحسب و التعيين عليهم.

و الثاني: كونه من بلاد المغرب، و النبي عليه السلام قال: «لا يزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة» و ما ظهر من بلاد المغرب رجل أظهر منه، فهو المشار إليه بالحديث، ثم نقول: أهل المغرب أهل الحق، و أحق الناس بالحق و أحق المغرب بالحق علماءه لكونهم القائمين بالقسط، و أحق علمائه بالحق محققهم و قطبهم الذي يدور الكل عليه و يعول في مسائلهم و نوازلهم السهله و العويصة عليه فهو حق المغرب، و المغرب حق الله تعالى، و الملة حق العالم، فهو المشار إليه بالوراثة، ثم نقول: أهل المغرب ظاهرون على الحق، أي على الدين، و الحق سر الدين، و المحقق سر الحق، فالمحقق سر الدين، فهو المشار إليه بالوراثة. ثم نقول: أهل الله خير العالم، و أهل الحق هم خير أهل الله، و المحقق خير أهل الحق، فالمحقق خير العالم، فهو المشار إليه، ثم نقول: انظر في بدايته و حفظ الله سبحانه له في صغره، و ضبطه له من اللهو و اللعب، و إخراجة من اللذة الطبيعية التي هي في جبله البشرية، و تركه للرياسة العرضية المعول عليها عند العالم، مع كونه وجدها في آباءه، و هي الآن في إخوته، و خروجه عن الأهل و الوطن الذي قرنه الحق مع قتل الإنسان نفسه، و انقطاعه إلى الحق انقطاعا صحيحا تعلم تخصيصه و خرقة للعاده، ثم انظر في تأيده و فتحه من الصغر، و تأليف كتاب بدء العارف و هو ابن خمس عشرة سنة، و في جلاله هذا الكتاب و كونه يحتوى على جميع الصنائع العلمية و العملية، و جميع الأمور السنية و السنية، تجده خارقا للعاده، و في نشأته في بلاد الأندلس و لم يعلم له كثرة نظر و ظهوره فيها بالعلوم التي لم تسمع قط تعلم أنه خارق للعاده، و في تواليفه و اشتمالها على العلوم كلها، ثم انفرادها و غرابتها و خصوصيتها بالتحقيق الشاذ عن أفهام الخلق تعلم أنه مؤيد بروح القدس، و في شجاعته و قوة عزمه و نصره لصنائه و ظهور حجته على خصمائه و إقامة حقه و برهانه و فصاحة كلامه و بيان سلطانه تعلم أن ذلك بقوة إلهية و عناية ربانية، و في امتحان أهل المغرب له، و اجتماعهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٣٧

عليه في كل بلد معتبر للمناظرة، و يظهر الله تعالى حجته، و يقمع خصمه، و يكبت عدوه، و يعجز معارضه، و يفحم معترضه، و في غيره الحق عليه، و هلاك من تعرض بالأذى إليه- يعلم العاقل المخصوص، أنه عند الله مخصص، و في خلقه و قهره لقواه النزوعية و الغضبية و إسلام قرينه و جلاله قوته الحافظة التي لا تنسى شيئا و المفكرة التي تتصور الذوات المجردة و المعلومه سر عين الطيف، و كذلك الذاكرة و سرعة ظهوره و انتشار رايته و استجلاب ثنائه في الجهات كلها، و بالجملة جميع ما ذكرت فيه هو خارق للعاده البشرية، و معجز لمعارضه من كل الجهات، و لو لا خوف التطويل لكنت أفصل كل صفة ذكرت فيه بالكلام الصناعي، و نقيم الأدلة القطعية على تعجيزها، و لكن أعطيت الأنموذج، و عرفت أن النبيه يمعن فكره، و يجد ذلك كله كما قلته، و بالجملة جميع جزئياته إذا

تؤملت توجد خارقة للعاده، و تشهد لها ماهية الوجود بالتخصيص، فصح أنه هو المشار إليه، و المعول في جملة الأمور عليه، و إنما أعطيت الأمر المشهور، و تركت ما يعلم منه من خرق العوائد في ظهور الطعام و الشراب و السمن و التمر و أخذ الدراهم من الكون، و إخباره عن وقائع قبل وقوعها بسنين كثيرة و ظهرت كما أخبر، فصح أنه هو المذكور، انتهى ما تعلق به الغرض مما في الرسالة في شأن الشيخ ابن سبعين.

و قد ذكر غير واحد من المؤرخين - و منهم لسان الدين بن الخطيب في «الإحاطة» كما سيأتي قريباً- أن ابن سبعين عاقه الخوف من أمير المدينة عن القدوم إليها، فعظم عليه بذلك الحمل، و قبحت الأحداث عنه، انتهى.

لكن قال شهاب الدين بن أبي حجلة التلمساني الأديب الشهير، و هو صاحب كتاب السكردان و ديوان الصباية و منطق الطير و الاعتراض على العارف بالله تعالى ابن الفارض، ما معناه: أخبرني الشيخ الصالح أبو الحسن بن برغوش التلمساني شيخ المجاورين بمكة و كانت له معرفة تامة بهذا الرجل، أنه صده عن زيارة رسول الله صلى الله عليه و سلم، أنه كان إذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينة على ساكنها الصلاة و السلام يهراق منه دم كدم الحيض، و الله تعالى أعلم بحقيقة أمره، انتهى.

و قال غيره: نعم زار النبي صلى الله عليه و سلم مستخفياً على طريق المشاة، حدث بذلك أصهاره بمكة، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٣٨

و قال لسان الدين: أما شهرته و محله من الإدراك و الآراء و الأوضاع و الأسماء و الوقوف على الأقوال و التعمق في الفلسفة و القيام على مذاهب المتكلمين فما يقضى منه بالعجب.

و قال الشيخ أبو البركات بن الحاج البلقي رحمه الله تعالى: حدثني بعض أشياخنا من أهل المشرق أن الأمير أبا عبد الله بن هود سالم طاغية النصراني، فنكث به، و لم يف بشرطه، فاضطره ذلك إلى مخاطبة القس الأعظم برومية، فوكل أبا طالب بن سبعين أخا أبي محمد عبد الحق بن سبعين في التكلم عنه، و الاستظهار بين يديه، قال: فلما بلغ ذلك الشخص رومية، و هو بلد لا يصل إليه المسلمون، و نظر إلى ما بيده، و سئل عن نفسه، فأخبر بما ينبغي، كَلِمَ ذلك القس من دنا منه بكلام معجم ترجم لأبي طالب بما معناه: اعلموا أن أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه، انتهى.

و قال غير واحد: إنه ظهر منه و اشتهرت عنه أشياء كثيرة الله تعالى أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه منها: فمنها قوله- فيما زعموا- و قد جرى ذكر الشيخ ولي الله سيدي أبي مدين نفعنا الله تعالى ببركاته: «شعيب عبد عمل، و نحن عبيد حضرة» و ممن حكى هذا لسان الدين في الإحاطة.

و قد ذكر ابن خلدون في تاريخه الكبير في ترجمة السلطان المستنصر بالله تعالى أبي عبد الله محمد ابن السلطان زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص ملك إفريقية و ما إليها: أن أهل مكة بايعوه، و خطبوا له بعرفه، و أرسلوا له بيعتهم، و هي من إنشاء ابن سبعين، و سردها ابن خلدون بجملة، و هي طويلة، و فيها من البلاغة و التلاعب بأطراف الكلام ما لا مطمح وراءه، غير أنه يشير فيها إلى أن المستنصر هو المهدي المبشر به في الأحاديث الذي يحثو المال و لا يعده، و حمل حديث مسلم و غيره عليه، و ذلك ما لا يخفى ما فيه، فليراجع كلام ابن خلدون في محله.

و لابن سبعين من رسالته: سلام عليك و رحمة الله، سلام عليك ثم سلام مناجاتك، سلام الله و رحمة الله الممتدة على عوالمك كلها، السلام عليك يا أيها النبي و رحمة الله تعالى و بركاته، و صلى الله عليك كصلاة إبراهيم من حيث شريعتك، و كصلاة أعز ملائكتك من حيث حقيقتك، و كصلاته من حيث حقه و رحمانيته السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا قياس الكمال، و مقدمة العلم، و نتيجة الحمد، و برهان المحمود، و من إذا نظر الذهن إليه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٣٩

قرأ نِعْمَ الْعَبْدُ [ص: ٣٠]، السلام عليك يا من هو الشرط في كمال الأولياء، و أسرار مشروطات الأذكياء الأتقياء، السلام عليك يا من

جاوز في السماوات مقام الرسل والأنبياء، وزادك رفعةً واستعلاءً على ذوات الملأ الأعلى، وذكر قوله تعالى: سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) [الأعلى: ١] وقال بعضهم عند إيراد جملة من رسائله التي منها هذه: إنها تشتمل على ما يشهد له بتعظيم النبوة وإثارة الورع، انتهى.

وقال بعض العلماء الأكابر، عند تعرضه لترجمة الشيخ ابن سبعين المترجم به، ما نصه ببعض اختصار: هو أحد المشايخ المشهورين بسعة العلم، وتعدد المعارف، وكثرة التصانيف، ولد سنة ٦١٤هـ، ودرس العربية والأدب بالأندلس، ونظر في العلوم العقلية، وأخذ عن أبي إسحاق بن دهاق، وبرع في طريقه، وجال في البلاد، وقدم القاهرة، ثم حج واستوطن مكة، وطار صيته، وعظم أمره، وكثر أتباعه، حتى إنه تلمذ له أمير مكة، فبلغ من التعظيم الغاية، وله كتاب «الدرج» وكتاب «السفر» وكتاب «الأبوية اليمينية» وكتاب «الكذ» وكتاب «الإحاطة» ورسائل كثيرة في الأذكار وترتيب السلوك والوصايا والمواعظ والغنائم.

ومن شعره: [البيسط]

كم ذا تموّه بالشّعيين والعلم والأمر أوضح من نار على علم
وكم تعبّر عن سلع وكاظمه وعن زرود وجيران بذي سلم
ظللت تسأل عن نجد وأنت بها وعن تهامة، هذا فعل متّهم
في الحىّ حىّ سوى ليلى فتسأله عنها؟ سؤالك وهم جرّ للعدم

ونشأ رحمه الله تعالى ترفاً مبجلًا في ظل جاه ونعمة، لم تفارق معها نفسه الأبوا، وكان وسيمًا، جميلاً، ملوكى البزة، عزيز النفس، قليل التصنع، وكان آية من الآيات في الإيتار والجود بما في يده، رحمه الله تعالى!.

وقال في الإحاطة: للناس في أمره اختلاف بين الولاية وضدها، ولما وجه إلى كلامه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٤٠

سهام الناقدين قصر أكثرهم عن مداه في الإدراك، والخوض في تلك البحار والاطلاع، وساءت منهم في الممازجة له السيرة، فانصرفوا عنه مكلومين، يبدرون عنه في الآفاق من سوء القالة ما لا شىء فوقه، وجرت بينه وبين أعلام المشرق خطوب ثم نزل مكة، وعاقه الخوف من أمير المدينة النبوية عن الدخول إليها إلى أن توفي فعظم بذلك الحمل عليه، وقبحت الأحذوثة عنه، ولما وردت على سبته المسائل الصقلية - وكانت جملة من المسائل الحكيمة وجهها علماء الروم تبكيًا للمسلمين - انتدب للجواب المقنع عنها، على فتاء من سنه، وبديهة من فكرته، رحمه الله تعالى! انتهى.

وقال بعض من عرف به: إنه من أهل مرسية، وله علم وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة وفصاحة وبلاغة.

وقال في «عنوان الدراية»: رحل إلى العدو، وسكن بجاية مدة، ولقى من أصحابنا ناسًا، وأخذوا عنه، وانتفعوا به في فنون خاصة، له مشاركة في معقول العلوم ومنقولها، وله فصاحة لسان، وطلاقة قلم، وفهم جنان، وهو أحد العلماء الفضلاء، وله أتباع كثيرة من الفقهاء ومن عامة الناس، وله موضوعات كثيرة هي موجودة بأيدي أصحابه، وله فيها ألغاز وإشارات بحروف أبجد، وله تسميات مخصوصة في كتبه هي نوع من الرموز، وله تسميات ظاهرة هي كالأسماء المعهودة، وله شعر في التحقيق، وفي مراقي أهل الطريق، وكتابه مستحسنه في طريق الأدباء، وله من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام، والتزامه الاعتماد على الدوام، وحجه مع الحجاج في كل عام، وهذه مزية لا يعرف قدرها ولا يرام، ولقد مشى به للمغاربة في الحرم الشريف حظ لم يكن لهم في غير مدته، وكان أهل مكة يعتمدون على أقواله، ويهتدون بأفعاله.

توفي رحمه الله تعالى يوم الخميس تاسع شوال سنة ٦٦٩هـ، انتهى ببعض اختصار.

وذكر رحمه الله تعالى في ترجمة تلميذه الشيخ أبي الحسن الششتري السابق الذكر أن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٤١

أكثر الطلبة يرجحونه على شيخه أبي محمد بن سبعين، وإذا ذكر له هذا يقول: إنما ذلك لعدم اطلاعهم على حال الشيخ و قصور باعهم.

و من تأليف ابن سبعين «الفتح المشترك» و مما حكاه صاحب «عنوان الدراية» في ترجمة الششتري - مما لم نذكره في ترجمته الماضية، و رأينا ذكره هنا تبركا أن الششتري كان في بعض أسفاره في البرية، و كان رجل من أصحابه قد أسر فسمعه الفقراء يقول: إيلنا يا أحمد، فقيل له: من أحمد الذي ناديت يا سيدي في هذه البرية؟ فقال لهم: من تسرون به غدا إن شاء الله تعالى، فلما كان من الغد ورد الشيخ و أصحابه بلدة قابس، فعند دخولهم إذا بالرجل المأسور، فقال الشيخ للفقراء و أصحابه: هنيئا لنا باقتحام العقبة، صافحوا أخاكم، المنادي به.

و من مناقبه - نفع الله تعالى به! - أنه لما نزل بلدة قابس برباط البحر المعروف بالصهرج جاءه الشيخ الصالح أبو إسحاق الزرناني نفع الله تعالى به بجميع أصحابه برسم الزيارة، فوافق وصوله و وصول الشيخ الصالح الفاضل الولي أبي عبد الله الصنهاجي - نفع الله تعالى به! - مع جملة أصحابه للزيارة، فوجدوا الشيخ أبا الحسن قد خرج إلى موضع بخارج المدينة برسم الخلوة، فجلسوا لانتظاره، فلم يكن إلا قليل إذ أقبل الشيخ على هيئة معتبر متفكر، فلما دخل الرباط سلم على الواصلين برسم الزيارة، و حيّا المسجد، و أقبل على الفقراء، و أثر العبرة على وجته، فقال: ائتوني بمداد، فلما أحضر بين يديه تأوّه تأوّه شديدا كاد أن يحرق بنفسه جليسه، و جعل يكتب على لوح هذه الأبيات: [السريع]

لا تلتفت بالله يا ناظري لأهيف كالغصن الناظر
يا قلب و اصرف عنك و هم البقا و خلّ عن سرب حمى حاجر
ما السرب و البان و ما لعل ما الخيف ما ظبي بنى عامر؟
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٤٢
جمال من سمّيته داثر ما حاجة العاقل بالذّائر
و إنّما مطلبه في الّذي هام الوري من حسنه الباهر -
أفاد للشمس سنى كالذّي أعاره للقمر الزّاهر
أصبحت فيه مغرما حائرا لله در المغرم الحائر

و كانوا يوما ببلد مالقة، و كثيرا ما يجودّ عليه القرآن العزيز، فقرأ طالب قوله تعالى:

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي [طه: ١٤] فقال معجلا - رضى الله تعالى عنه، و فهم من الآية ما لم يفهم، و علم منها ما لم يعلم:
[البيسط]

انظر للفظ أنا يا مغرما فيه من حيث نظرنا لعلّ تدريه
خلّ ادّخارك لا تفخر بعارية لا يستعير فقير من مواليه
جسوم أحرفه للشّرّ حامله إن شئت تعرفه جرّب معانيه

و دخل عليه شخص بجايه من أهلها يعرف بأبي الحسن بن علال، من أهل الأمانة و الديانة، فوجده يذاكر بعض أهل العلم، فاستحسن منه إirاده للعلم، و استعماله لمحاضرة الفهم، فاعتقد شياخته و تقديمه، ثم نوى أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دينارا شكرا لله تعالى، و يأتيهم بمأكل، فلما يسر جميع ما اهتم به أراد أن يقسمه فيعطيه شطره و يدع الشطر الثاني إلى حين انصراف الشيخ، ليكون للفقراء زادا، فلما كان في الليل رأى في منامه النبي صلى الله عليه و سلم و معه أبو بكر و علي رضى الله تعالى عنهما، قال الرجل: فنهضت إليه بسرور رؤية النبي صلى الله عليه و سلم، و قلت: يا رسول الله ادع الله تعالى لي، فالتفت لأبي بكر رضى الله تعالى عنه، و قال: «يا أبا بكر، أعطه»، فإذا به رضى الله عنه قسم رغيفا كان بيده و أعطاني نصفه، ثم أفاق الرجل من منامه، و أخذه وجد من هذه الرؤيا

المباركة، فأيقظ أهله، واستعمل نفسه في العبادة، فلما كان من الغد سار و أتى الشيخ ببعض الطعام و نصف الدراهم المحتسب بها، فلما دفعها للشيخ قال له الشيخ: يا علي، اقرب، فلما قرب قال له: يا علي، لو أتيت بالكل لأخذت منه الرغيف بكماله، انتهى.

١٢٠- ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، الشهير بابن غصن، الإشبيلي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٤٣

من ولد شداد بن أوس الأنصاري، الجزيري، نسبة إلى الجزيرة الخضراء، الإمام، المقرئ، الزاهد، عرض على الأستاذ ابن أبي الربيع الموطأ من حفظه، و أخذ عنه النحو، و كان من أولياء الله تعالى الصالحين، و عباده الناصحين، أمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، قوالا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، عارفا بمتون الحديث و أحكامه، فقيها عارفا متقنا لمذاهب الأئمة الأربعة و الصحابة و التابعين، لا يقبل من أحد شيئا، مخلصا لله تعالى، يتكلم على المنبر على عادة أهل العلم من تعليم المسائل الدينية، و أقرأ القرآن بمكة مدة بالقراءات و بالمدينة و بيت المقدس، و ممن قرأ عليه خليل إمام المالكية بالحرم، و الشهاب الطبري إمام الحنفية بالحرم، و له مصنفات في القراءات: منها «مختصر الكافي» و كتاب في معجزات النبي صلى الله عليه و سلم، و مولده سنة ٦٣١ تخميناً، و توفي ببيت المقدس آخر سنة ٧٢٣، رحمه الله تعالى!.

١٢١- ومنهم الشيخ الفقيه، الأستاذ، النحوي، التاريخي، اللغوي، أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري، اللبلي

، يكنى أبا العباس و أبا جعفر.

قرأ بالأندلس على مشايخ من أفضلهم الأستاذ أبو علي عمر الشلوين، ثم ارتحل إلى العدو، و سكن بجاية، و أقرأ بها مدة، و ارتحل إلى المشرق فحج، ثم رجع إلى حضرة تونس و اتخذها وطاناً، و اشتغل بها بالإقراء إلى أن مات، كان يتيسر لإقراء سائر كتب العربية، و له علم جليل باللغة، و له تواليف كثيرة: منها على الجمل، و «شرح الفصيح» لثعلب، و لم يشذ فيه شيء من فصيح كلام العرب. قال الغبريني رحمه الله تعالى: و رأيت له تأليفا في الأذكار، و له عقيدة في علم الكلام، و رأيت له مجموعاً سماه «الإعلام، بحدود قواعد الكلام» تكلم فيه على الكلم الثلاث، الاسم و الفعل و الحرف، و له تواليف أخرى، و كان من أساتيد إفريقية في وقته، و ممن أخذ عنه، و استفيد منه، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٤٤

و ذكر الشيخ أبو الطيب بن علوان التونسي عن والده أحمد التونسي الشهير بالمصري أن للمذكور تأليفا سماه «التجنيس» و له شرح أبيات الجمل، سماه «وشى الحلل» رفعه للملك المستنصر الحفصي بتونس، فدفعه المستنصر للأستاذ أبي الحسن حازم، و أمره أن يتعقب عليه ما فيه من خلل و جده، فحكى أبو عبد الله القطان المسفر- و كان يخدم حازمًا- قال: كنت يوماً بدار أبي الحسن حازم و بين يديه هذا الكتاب، فسمعت نقر الباب، فخرجت فإذا بالفقيه أبي جعفر، فرجعت و أخبرت أبا الحسن، فقام مبادراً حتى أدخله و بالغ في بره و إكرامه، فرأى الكتاب بين يديه، فقال له: يا أبا الحسن، قال الشاعر: [الطويل]

و عين الرضا عن كل عيب كليله

فقال له: يا فقيه أبا جعفر، أنت سيدي و أخي، و لكن هذا أمر الملك لا يمكن فيه إلا قول الحق، و العلم لا يحتمل المداهنة، فقال له: فأخبرني بما عثرت عليه، قال له: نعم، فأظهر له مواضع، فسلمها أبو جعفر و بشرها و أصلحها بخطه.

و أصل هذا اللبلي من لبله قرية بالأندلس، اجتمع في رحلته للمشرق بالقاضي ابن دقيق العيد، و كان نحوياً، فلما دخل عليه اللبلي قال له القاضي: خير مقدم، ثم سأله بعد حين: بم انتصب خير مقدم؟ فقال له اللبلي: على المصدر، و هو من المصادر التي لا تظهر أفعالها،

وقد ذكره سيويوه، ثم سرد عليه الباب من أوله إلى آخره، فإنه كان يحفظ أكثره، فأكرمه القاضي وعظمه. ثم قال ابن علوان: وذكر والدي أيضا رحمه الله تعالى، ومن خطه المبارك نقلت، أن الأستاذ أبا جعفر اللبلي المذكور رحمه الله تعالى قرىء عليه يوما قول امرئ القيس: [الكامل]

حىّ الحمول بجانب العزل إذ لا يلائم شكلها شكلي

فقال لطلبته: ما العامل في هذا الظرف يعنى «إذ»؟ فتنازعا القول، فقال: حسبكم، قرىء هذا البيت على أستاذنا أبي على الشلوين، فسألنا هذا السؤال، وكان أبو الحسن بن عصفور قد برع واستقل وجلس للتدريس، وكان الشلوين يغض منه، فقال لنا: إذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل، يعنى ابن عصفور، فلما خرجنا سرنا إليه بجمعنا، ودخلنا المسجد، فرأيناه قد دارت به حلقة كبيرة، وهو يتكلم بغرائب النحو، فلم نجسر على سؤاله لهيئته، وانصرفنا، ثم جئنا بعد على عادتنا لأبي على، فنسى حتى قرىء عليه قول النابغة: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٤٥

فعدّ عمّا ترى إذ لا ارتجاع له

: فتذكر، وقال: ما فعلتم في سؤال ابن عصفور؟ فصدقنا له الحديث، فأقسم ألا يخبرنا ما العامل فيه، ثم قال اللبلي لطلبته: وأنا أقول لكم مثل ذلك، فانظروا لأنفسكم، قالوا: فنظرنا فإذا المسألة مسألة فحص و نظر، كلما حكمنا بحكم صدّتنا عنه قوانين نحويّة، حتى مضت مدة طويلة، فوفد علينا بتونس المحروسة أحد طلبه ابن أبي الربيع، وكان ابن أبي الربيع هذا ساكنا بسبته، وهو أحد طلبه الشلوين أيضا، ومن كبار هذه الطبقة التي نشأت بعده، قالوا: فتذاكرنا مع هذا الطالب في مسائل نحويّة، فمرت هذه المسألة في قوله تعالى: **إِذْ نَسُوْكُمْ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ (٩٨)** [الشعراء: ٩٨] فقال هذا الطالب: إن هذا الظرف وقع موقع لام العلة، فعلمنا أن هذا هو الذى أراد الأستاذ أبو على، ثم ناقشنا الطالب و قلنا له: إذا جعلته ظرفا فلا بد من العامل، وإذا جعلته واقعا موقع الحرف كان هذا على شذوذ قول الكوفيين، والذى يجوز عكسه على مذهب الجميع، وإنما الأولى أن يقال: إذ حرف معناه التعليل تشترك فيه الأسماء والحروف كما اشتركت في عن، والله أعلم بغيه، انتهى.

١٢٢- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي.

قال الحافظ المقرئ: و فرح بسكون الراء، وقال الحافظ عبد الكريم فى حقه: إنه كان من عباد الله الصالحين، و العلماء العارفين الورعين، الزاهدين فى الدنيا، المشتغلين بما يعينهم من أمور الآخرة، فيما بين توجه و عبادة و تصنيف، جمع فى تفسير القرآن كتابا خمسة عشر مجلدا، و شرح أسماء الله الحسنى فى مجلدين، و له كتاب «التذكرة، فى أمور الآخرة» فى مجلدين، و شرح «التفصلى» و له تأليف غير ذلك مفيدة، و كان مطرح التكلف، يمشى بثوب واحد، و على رأسه طاقية، سمع من الشيخ أبى العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب «المفهم، فى شرح مسلم» بعض هذا الشرح، و حدث عن أبى الحسن على بن محمد بن على بن حفص اليحصبي، و عن الحافظ أبى على الحسن بن محمد بن محمد البكرى، و غيرهما، و توفى بمنية ابن خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١هـ، و دفن بها، رحمه الله تعالى!.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٤٦

و فى تاريخ الكتبى فى حقه ما نصه: كان شيخا فاضلا، و له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه و وفور علمه، منها «تفسير القرآن» مليح إلى الغاية اثنا عشر مجلدا، انتهى.

و كتب بعض تلامذته على الهامش ما صورته: قد أجحف المصنف فى ترجمته جدا، و كان متقنا متبحرا فى العلم، انتهى.

و كتب بعض بأثر هذا الكلام ما نصه: قال الذهبى: رحل و كتب و سمع، و كان يقظا، فهما، حسن الحفظ، مليح النظم، حسن المذاكرة، ثقة، حافظا، انتهى.

و كتب آخر أثر ذلك الكلام ما صورته: مشاحة شيخنا للمصنف في هذه العبارة مالها فائدة، فإن الذهبي قال في تاريخ الإسلام: العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الإمام، القرطبي، إمام متفنن، متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة اطلاعه و وفور عقله و فضله، ثم ذكر موته، و قال بعده: و قد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، و له «الأسنى، في شرح الأسماء الحسنی» و «التذكرة» و أشياء تدل على إمامته و ذكائه و كثرة اطلاعه، انتهى.

و كتب آخر بأثر هذا الكلام ما نصه: غفر الله لك! إذا كان الذهبي ترجمه بما ذكرت، و هو و الله فوق ذلك، فكيف تقول: إن مشاحه شيخك لا فائدة فيها، و تسيء الأدب معه، و تقول إن كلامه لا فائدة فيه؟ فالله يستر عليك! انتهى.

١٢٣- و منهم أبو القاسم بن حاضر، الجزيري، الخزرجي، محمد بن أحمد.

من جزيرة شقر، قدم مصر، و سكن قوص بعد ما كان من عدول بلنسية، و كان فصيحاً، عالماً بصناعة التوريق، و له نظم لم يحضرني الآن شيء منه، و مات بالقاهرة سنة تسع و ثلاثين و ستمائة، رحمه الله تعالى!.

١٢٤- و منهم أبو القاسم التجيبي، محمد بن أحمد التجيبي.

من أهل بلش، قرأ على ابن مفرج و ابن أبي الأحوص، و رحل فاستوطن القاهرة، و كان شيخاً فاضلاً خيراً، له أدب و شعر، منه قوله من أبيات: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٤٧

أحوى الجفون له رقيب أحول الشيء في إدراكه شيان

يا ليته ترك الذى أنا مبصر و هو المخير فى الغزال الثانى

ولد ببلش سنة ٦٢٣، و توفى بالحسينية خارج القاهرة سلخ المحرم سنة ٦٩٥، و ممن روى عنه نحوى الزمان أثير الدين ابن حيان و غيره، رحم الله تعالى الجميع!.

١٢٥- و منهم أبو بكر الخزرجي، محمد بن أحمد بن حسن، و قيل: محمد بن عيسى، المالقي، المالكي.

قال الشريف أبو القاسم: إنه كان أحد الزهاد الورعين، و عباد الله المتقين، مشغلاً بنفسه، متخلياً عما فى أيدي الناس، يأكل من كسب يده، و لا يقبل لأحد شيئاً، مع وجد و علم و عمل و فضل و أدب، و لم يكن فى زمانه من اجتمع فيه ما اجتمع له.

و قال الحافظ عبد الكريم: إنه دخل إشبيلية، و اشتغل بالعربية على الشلوبيين و قرأ القراءات السبع، ثم قدم مصر و اشتغل بمذهب مالك، و كان والده نجاراً، و كان لا يأكل إلا من كسب يده، يخيظ الثياب، فازدحم الناس عليه تبركا به، فترك ذلك و صار يدق القصدير و يأكل منه و يتصدق بما فضل عنه، و كان شديد الزهد، كثير العبادة، لا يسلم يده إلى أحد ليقبلها، و جاءه شخص قد زيد عليه فى أجره مسكنه ليشفع إلى صاحب الدار أن لا يقبل الزائد، فمضى إلى صاحب الدار و أعطاه الزائد مدة أشهر، فعلم بذلك الساكن بعد مدة، فقال له: يا سيدى ما سألت إلا شفاعته، و أنت تزن عنى، فقال له: رجل له دار يأخذ أجرتها يجيء إليه الخزرجي يقطع عليه حقه؟ و الله ما يدفع هذا إلا أنا، فلم يزل يدفع الزائد إلى أن انتقل الساكن إلى غيرها، و مات ليلة الاثنين الثامن و العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥١، عن خمس و أربعين سنة، و دفن بالقرافة، رحمه الله تعالى، و نفعنا به!.

١٢٦- و منهم أبو بكر محمد بن أحمد بن خليل بن فرج الهاشمي، مولاهم، لأن ولاءه لبني العباس من أهل قرطبة.

ولد في شهر رمضان سنة ٣٢٢، بقرطبة، وسمع بها من وهب بن مسرة، و خالد بن سعيد وغيره، و رحل فحج و أدرك بمصر ابن الورد و ابن رشيق، و أبا علي بن السكن و نظراءهم في سنة ٣٤٩، و عاد إلى بلده، و بها مات في شهر رمضان سنة ست و أربعمئة. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٤٨

قال ابن بشكوال: كان رجلا صالحا فاضلا، من أهل الاجتهاد في العبادات مائلا إلى التقشف و الزهادة، قديم الطلب، حسن المذهب، متبعا للسنن.

١٢٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سلمان بن أحمد بن إبراهيم، الزهري، الأندلسي، الإشبيلي.

ولد بمالقة، و طاف الأندلس، و طلب العلم، و حصل طرفا صالحا من علم الأدب، و دخل مصر قبل التسعين و خمسمائة، فسمع الحديث بها، و دخل الشام و بلاد الجزيرة، و قدم بغداد سنة ٥٩٠، و عمره ثلاثون سنة، و أقام بها مدة، و سمع من شيوخها كأبي الفرج بن كليب و نحوه، و قرأ و نسخ بخطه، و سافر إلى أصبهان و بلاد الجبل، و كان فاضلا حسن المعرفة بالأدب، يقول الشعر، و ينشئ المقامات و صنف كتاب «البيان و التبيين، في أنساب المحدثين» ستة أجزاء، و كتاب «البيان، فيها أبهم من الأسماء في القرآن» مجلد، و كتاب «أقسام البلاغة، و أحكام الصناعة» في مجلدين، و كتاب «شرح الإيضاح، لأبي علي الفارسي» في خمسة عشر مجلدا، و كتاب «شرح المقامات» مجلد، و كتاب «شرح اليميني» في مجلد، قال المنذرى:

توفي شهيدا، قتله التتار في رجب، و قال ابن النجار: في سابع عشر رجب سنة ٦١٧، رحمه الله تعالى!.

١٢٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الأعلى بن القاسم، القرطبي، المقرئ المعروف بالورشي

، نسبة إلى قراءة ورش لاشتهاره بها. و هو أحد القراء المعروفين، قال الحاكم: هو من الصالحين المذكورين بالتقدم في علم القراءات، سمع بمصر و الشام و الحجاز و العراقين و الجبل و أصبهان، و ورد نيسابور، و دخل خراسان فسمع على بن المرزبان بأصبهان، و بالأهواز عبد الواحد بن خلف الجنديسابوري، و بفارس أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي، و قال ابن النجار: قدم بغداد، و حدث بها، توفي بسجستان في ربيع الأول سنة ٣٩٣.

١٢٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الباجي، اللخمي.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٤٩

قال ابن بشكوال: مولده في صفر سنة ٣٥٦، و سمع عن جده، و رحل إلى المشرق.

و قال ابن غلبون في مشيخته: إنه كان من أهل العلم و الحديث و الرواية و الحفظ للمسائل، قائما بها، واقفا عليها، قاعدا للشروط، محسنا لها، عارفا، و بيتهم بيت علم، و نشأ فيه هو و أبوه و جده، و كان جميعهم في الفضل و التقدم على درجاتهم في السن، و على منازلهم في السبق، و كانت رحلته مع أبيه و روايتهما واحدة، و شاركه في السماع و الرواية عن جده، و سمع بمصر من أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن حميد بن زريق المخزومي.

و قال ابن بشكوال: كان من أجل الفقهاء عندنا دراية و رواية، بصيرا بالعقود، و متقدما على أهل الوثائق، عارفا بعلمها، و ألف فيها كتابا حسنا، و كتابا في السجلات إلى ما جمع فيه من أقوال الشيوخ و المتأخرين، مع ما كان عليه من الطريقة المثلى، و توفية العلم حقه من الوفاء و التصون، توفي في المحرم سنة ٤٣٣ لعشرين بقين منه.

١٣٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز، العتبي، الأندلسي، القرطبي

الفقيه المالكي المشهور، صاحب العتبية.

سمع بالأندلس من يحيى بن يحيى و سعيد بن حسان وغيرهما، و رحل إلى المشرق فسمع من سحنون و أصبغ بن الفرغ وغيرهما، و كان حافظا للمسائل، جامعا لها، عالما بالنوازل، و هو الذي جمع المستخرجة من الأسمعة المسموعة غالبا من مالك بن أنس، و تعرف بالعتبية، و أكثر فيها من الروايات المطروحة و المسائل الغريبة الشاذة، و كان يؤتى بالمسألة الغريبة الشاذة فإذا سمعها قال: أدخلوها في المستخرجة، و لذا روى عن ابن وضاح أنه كان يقول: المستخرجة فيها خطأ كثير، كذا قال، و لكن الكتاب وقع عليه الاعتماد من علماء المالكية كابن رشد وغيره.

قال ابن يونس: توفي بالأندلس سنة ٢٥٥.

و العتبي: نسبة إلى عتبه بن أبي سفيان بن حرب، و قيل: إلى جد للمذكور يسمى عتبه، و قيل إلى ولاء عتبه بن أبي يعيش.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٥٠

١٣١- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا المعافري، المقرئ، الفرضي، الأديب.

ولد بالأندلس سنة ٥٩١، و نشأ ببلنسية، و أقام بالإسكندرية، و قرأ القرآن على أصحاب ابن هذيل، و نظم قصيدة في القراءات على وزن الشاطبية، لكن أكثر أبياتا، و صرح فيها بأسماء القراء، و لم يرمز كما فعل الشاطبي، و كانت له يد في الفرائض و العروض، مع معرفة القراءات و الأدب.

و من شعره: [الطويل]

إذا ما اشترت بنت أبها فعتقه بنفس الشرا شرعا عليها تأصلا

و ميراثه إن مات من غير عاصب و من غير ذى فرض لها قد تأتلا

لها التصف بالميراث و التصف بالولاء فإن وهب ابنا أو شراه تفضلا

فأعتق شرعا ذلك الابن ما لها سوى الثلث، و الثلثان للأخ أصلا

و ميراثها فيه إذا مات قبلها كميراثها في الأب من قبل يجتلى

و مولى أبيها ما لها الدهر فيه من ولاء و لا إرث مع الأب فاعتلى

و هذه المسألة ذكر الغزالي في الوسيط أنه قضى فيها أربعمائه قاض، و غلطوا، و صورتها ابنة اشترت أبها فعتق عليها، ثم اشترى الأب

ابنا فعتق عليه، ثم اشترى الأب عبدا فاعتقه، ثم مات الأب، فورثه الابن و البنت للذكر مثل حظ الأنثيين، ثم مات العبد المعتق، فلمن

يكون ولاؤه؟ و فرضها المالكية على غير هذا الوجه و هي مشهورة.

١٣٢- و منهم محمد بن أحمد بن محمد بن سهل، أبو عبد الله، الأموي، الأندلسي، الطليطلي، المعروف بالنقاش.

نزل مصر، و قعد للإقراء بجامع عمرو بن العاص، و أخذ عنه جماعة، و توفي بمصر سنة ٥٢٩.

١٣٣- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، القبري، القرطبي، المؤدب.

رحل من الأندلس سنة ٣٤٢، فسمع بمصر من أبي محمد بن الورد و أبي قتيبة سالم بن الفضل البغدادي وغيره، و كان صالحا خيرا

مؤدبا، سمع من الناس. و توفي سنة ٣٦٢.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٥١

و القبري- بفتح القاف، و سكون الباء الموحدة، ثم راء مهملة- نسبة إلى قبرة بلد بالأندلس بقرب قرطبة بنحو ثلاثين ميلا.

١٣٤- و منهم جمال الدين أبو بكر الوائلي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سجمان، الشريشي، المالكي.

ولد بشرش سنة ٦٠١، و رحل فسمع بالإسكندرية من ابن عماد الحرائي، و بدمشق من مكرم بن أبي الصقر، و بحلب من أبي البقاء يعيش بن علي النحوي، و سمع ياربيل و بغداد، و أقام بالمدرسة الفاضلية من القاهرة مدة يفيد الناس فتخرج به جماعة، و ولي مشيخة المدرسة بالقدس، و مشيخة الرباط الناصري بالجبل، و أقام بدمشق يفتي و يدرس، و كان من العلماء الزهاد كثير العبادة و الورع و الزهد، أحد الأئمة المبرزين المتبحرين في العربية و الفقه على مذهب الإمام مالك، و التفسير، و الأصول، و صنف كتابا في الاشتقاق، و شرح ألفية ابن معطى، و أخذ عنه الناس، و طلب للقضاء بدمشق فامتنع منه زهدا و ورعا، و بقي المنصب لأجله شاغرا إلى أن مات بربح سنة ٦٨٥، و دفن بقاسيون.

و سجمان: بسين مهملة مضمومة، ثم جيم ساكنة، بعدها ميم مفتوحة، و نون.

١٣٥- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج، القرطبي، المعروف والده بالقتوري.

و كان جد أبيه مفرج صاحب الركاب للحكم بن عبد الرحمن الداخل، و كان أبوه أحمد بن يحيى رجلا صالحا، و ولد هو سنة ٣١٥، و كان سكنه بقرطبة بقرب عين قنت أوريه، و سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ كثيرا، و من ابن أبي دليم و الخشني، و رحل سنة ٣٣٧ فسمع بمكة من ابن الأعرابي، و لزمه حتى مات، و سمع بها من جماعة غيره، و سمع بجدة، و المدينة النبوية على ساكنها الصلاة و السلام، و دخل صنعاء و زييد و عدن، و سمع بها من جماعة، و سمع بمصر من البرقي صاحب أحمد البزار، و سمع من السيرافي و جماعة كثيرة، و سمع بغزة و عسقلان و طبرية و دمشق و طرابلس و بيروت و صيدا و الرملة و صور و قيسارية

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٥٢

و القلزم و الفرما و الإسكندرية، فبلغت عدة شيوخه إلى مائتين و ثلاثين شيخا، و روى عنه أبو عمر الطلمنكي و جماعة، و كتب تاريخ مصر عن مؤلفه أبي سعيد بن يونس، و روى عنه ابن يونس و هو من أقرانه، و عاد إلى الأندلس من رحلته سنة ٣٤٥، و اتصل بالحكم المستنصر، و صارت له عنده مكانة، و ألف له عدة كتب، و استقضاه على إستجته ثم على المريه، و مات بربح سنة ٣٤٨. قال الحميدي: هو محدث، حافظ، جليل، صنف كتباً في فقه الحديث، و في فقه التابعين: فمنها «فقه الحسن البصري» في سبع مجلدات، و «فقه الزهري» في أجزاء كثيرة، و سمع مسند ابن الفرضي و حديث قاسم بن أصبغ.

قال ابن الفرضي: و كان عالما بالحديث، بصيرا برجاله، صحيح النقل، حافظا، جيد الكتابة على كثرة ما جمع.

و قال ابن عفيف في حقه: إنه كان من أعنى الناس بالعلم، و أحفظهم للحديث، و أبصرهم بالرجال، ما رأيت مثله في هذا الفن، من أوثق المحدثين بالأندلس، و أصحابهم كتباً، و أشدهم تعباً لروايته، و أجودهم ضبطاً لكتبه، و أكثرهم تصحيحاً لها، لم يدع فيها شبهة، رحمه الله تعالى!.

١٣٦- و منهم أبو عبد الله القيسي، الواضي، محمد بن أحمد بن موسى.

رحل إلى المشرق، و سمع من السلفي و غيره جملةً صالحه، و غيره جملةً صالحه، ثم عاد إلى الأندلس بعد الحج، و سكن المريه مدة،

و بها مات سنة ٥٣٩، وقيل: في التي بعدها، و كان من أطرف الناس، و أحسنهم أدبا، فقيها، فاضلا، ثقة، ذا فرائد جمه، عفيفا، معتنيا بالعلم.

١٣٧- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل، العبدري، البنسى.

ولد سنة ٥١٩، و سمع من أبيه و جماعة، و رحل حاجا فسمع من السيلفى و ابن عوف و الحضرمى و التنوخى و العثمانى و غيرهم، و رجع بعد الحج إلى الأندلس فحدث، و كان غاية فى الصلاح و الورع و أعمال البر، و له حظ من علم العبارة، و مشاركة فى اللغة، و كتب بخطه على ضعفه كثيرا، رحمه الله تعالى!.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٥٣

١٣٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نوح، الإشبلى.

و مولده سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة بإشبيلية، و جال فى بلاد المغرب و المشرق، و قرأ على الشيوخ الفضلاء، و حصل كثيرا فى علم القراءات و الأدب، و له نظم و نثر، و كان كثير التلاوة للقرآن، جيد الأداء له، و أقام بدمشق حتى مات بها سنة ٦٩٩، رحمه الله تعالى!.

١٣٩- و منهم محمد بن أسباط، المخزومى، القرطبى.

روى عن يحيى بن يحيى، و قدم مصر فسمع من الحارث بن مسكين، و كان حافظا للفقه، عالما، توفى سنة ٢٧٩.

١٤٠- و منهم أبو بكر محمد بن إسحاق، الشهير بابن السليم، قاضى الجماعة بقرطبة.

مولده سنة ٣٠٦، روى عن قاسم بن أصبغ و طبقته، و رحل سنة ٣٣٢، فسمع بمكة من ابن الأعرابى، و بمصر من الزبيرى و ابن النحاس و غيرهما، و عاد إلى الأندلس فأقبل على الزهد و دراسة العلم، و حدث، فسمع منه الناس، و كان حافظا للفقه، بصيرا بالاختلاف، حسن الخط و البلاغة متواضعا، و توفى بجمادى الأولى سنة ٣٦٧.
و سليم بفتح السين مكبرا.

١٤١- و منهم موسى بن بهيج، المغربى، الأندلسى، الواعظ، الفقيه العالم.

من أهل المريه، نزل مصر، يكنى أبا عمران، كان من أهل العلم و الأدب، و له فى الزهد و غيره أشعار حملت عنه، و حدث المرشانى عنه بمخمسة فى الحج و أعماله كلها، و لقيه بمصر و قرأها عليه.

و لابن بهيج هذا قوله: [مجزوء الرمل]

إنما دنياك ساعه فاجعل الساعه طاعه

و احذر التقصير فيها و اجتهد، ما قدر ساعه

و إذا أحببت عزًا فالتمس عزَّ القناعه

١٤٢- و منهم أبو عمران موسى بن سعادة، مولى سعيد بن نصر.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٥٤

من أهل مرسية، سمع صهره أبا علي ابن سكرة الصّدي، و كانت بنته عند أبي علي، و لازمه، و أكثر عنه، و روى عن أبي محمد بن مفوّز الشاطبي و أبي الحسن بن شفيح، قرأ عليهما الموطأ، و رحل، و حج، و سمع السنن من الطرطوشي، و عنى بالرواية، و انتسخ صحيح البخارى و مسلم بخطه، و سمعها على صهره أبي علي، و كانا أصليين لا يكاد يوجد فى الصحه مثلهما، حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد أنه سمعها على أبي علي نحو ستين مرة، و كتب أيضا الغريبين للهروى، و غير ذلك، و كان أحد الأفاضل الصلحاء، و الأجواد السيّمحاء، يؤم الناس فى صلاة الفريضة، و يتولى القيام بمؤن صهره أبي علي و بما يحتاج إليه من دقيق الأشياء و جليلها، و إليه أوصى عند توجهه إلى غزوة كندة التى فقد فيها سنه أربع عشرة و خمسمائة، و كانت له مشاركة فى علم اللغة و الأدب، و قد حدث عنه ابن أخيه القاضى أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة بكتاب «أدب الكتاب» لابن قتيبة، و «بالفصيح» لتعلب.

١٤٣- و منهم أبو محمد عبد الله بن طاهر، الأزدي.

من أهل وادى آش، له رحلة إلى المشرق أدى فيها الفريضة، و سمع بدمشق من أبي طاهر الخشوعى مقامات الحريرى و ابن عساكر و غيرهما، ثم قفل إلى بلده، انتهى ملخصا من ابن الأبار. و حكى الصفدى أن ابن المستكفى اجتمع بالمتنبى بمصر، و روى عنه شيئا من شعره، و مما روى عنه أنه قال: أنشدنى المتنبى لنفسه: [السريع]

لا عبت بالخاتم إنسانه كمثل بدر فى الدّجى الفاحم
و كلّما حاولت أخذى له من البنان المطرف الناعم
ألفته فى فيها فقلت: انظروا قد خبت الخاتم فى الخاتم

١٤٤- و من الراحلين من الأندلس إلى المشرق أبو عبد الله بن مالك.

صاحب التسهيل و الألفية، و هو: جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٥٥

مالك، الإمام، العلامة، الأوحد، الطائى، الجياني، المالكي حين كان بالمغرب، الشافعى حين انتقل إلى المشرق، النحوى، نزيل دمشق. ولد سنة ستمائة أو فى التى بعدها، و سمع بدمشق من مكرم و أبى صادق الحسن بن صبايح و أبى الحسن السخاوى و غيرهم، و أخذ العربية عن غير واحد، فممن أخذ عنه بجيان أبو المظفر، و قيل: أبو الحسن، ثابت بن خيار، عرف بابن الطيلسان، و أبى رزين، بن ثابت بن محمد يوسف بن خيار الكلاعى من أهل لبله، و أخذ القراءات عن أبى العباس أحمد بن نوار، و قرأ كتاب سيبويه على أبى عبد الله بن مالك المرشاني، و جالس يعيش و تلميذه ابن عمرو و غيره بحلب، و تصدر بها لإقراء العربية، و صرف همته إلى إتقان لسان العرب، حتى بلغ فيه الغاية، و أربى على المتقدمين، و كان إماما فى القراءات، و عالما بها، و صنف فيها قصيدة دالية مرموزة فى قدر الشاطبية، و أما اللغة فكان إليه المنتهى فيها.

قال الصفدى: أخبرنى أبو النشاء محمود قال: ذكر ابن مالك يوما ما انفرد به صاحب المحكم عن الأزهرى فى اللغة، قال الصفدى: و هذا أمر معجز، لأنه يحتاج إلى معرفة جميع ما فى الكتابين، و أخبرنى عنه أنه كان إذا صلى فى العادلية- لأنه كان إمام المدرسة- يشيعة قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان إلى بيته تعظيما له.

وقد روى عنه الألفية شهاب الدين محمود المذكور، ورواها الصفدى خليل عن شهاب الدين محمود قراءة، ورواها إجازة عن ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر و عن شهاب الدين بن غانم بالإجازة عنهما عنه.

و أما النحو و التصريف فكان فيهما ابن مالك بحرا لا يشقّ لجه، و أما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو و اللغة فكان أمرا عجيبا، و كان الأئمة الأعلام يتحIRON في أمره، و أما الاطلاع على الحديث فكان فيه آية، لأنه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث، و إن لم يكن فيه شيء عدل إلى أشعار العرب، هذا مع ما هو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٥٦

عليه من الدين و العبادة، و صدق للهجة، و كثرة النوافل، و حسن السمت، و كمال العقل، و أقام بدمشق مدة يصنف و يشتغل بالجامع و بالتربة العادلية، و تخرج به جماعة، و كان نظم الشعر عليه سهلا رجزه و طويله و بسيطه، و صنف كتاب «تسهيل الفوائد» قال الصفدى: و مدحه سعد الدين محمد بن عربى بأبيات مليحة إلى الغاية، و هي: [البسيط]

إنّ الإمام جمال الدين جمّله ربّ العلا و لنشر العلم أهله

أملى كتابا له يسمى «الفوائد» لم يزل مفيدا لدى لب تأمله

و كلّ مسألة فى النحو يجمعها إنّ الفوائد جمع لا نظير له

قال: و فى هذه الأبيات مع حسن التورية فيها ما لا يخلو من إيراد ذكرته فى كتابى «فص الخاتم» انتهى.

قلت: أجاب العجيسى عن ذلك بأن الأبيات ليست فى التسهيل، و إنما هى فى كتاب له يسمى «الفوائد» و هو الذى لخصه فى «التسهيل» فقوله فى اسم التسهيل «تسهيل الفوائد» معناه تسهيل هذا الكتاب، و ذكر أيضا أنه مثل التسهيل فى القدر على ما ذكره من وقف عليه، و قال:

و إليه يشير سعد الدين محمد بن عربى بقوله «إن الإمام- إلى آخره» و سعد الدين ابن الشيخ محيى الدين الفصوص و غيرها.

ثم قال العجيسى: و ذكر غير واحد من أصحابنا أن له كتابا آخر سماه بالمقاصد، و ضمنها تسهيله، فسماه لذلك «تسهيل الفوائد»، و تكميل المقاصد» فعلى هذا لا يصح قول الصفدى «إن المدح المذكور فى التسهيل» إلا بارتكاب ضرب من التأويل، انتهى كلام العجيسى.

قلت: و ذكر غيره أن قوله فى الألفية «مقاصد النحو بها محوية» إشارة لكتاب المقاصد، و تعقب بقوله «محوية» فإنه لو كان كما ذكر فقال محوي، و أجاب بعضهم بأنه من باب الاستخدام، و فيه تعسف.

رجع- و من تصانيف ابن مالك «الموصل، فى نظم المفصل» و قد حل هذا النظم فسماه «سبك المنظوم، و فك المختوم» و من قال «إن اسمه فك المنظوم و سبك المختوم» فقد خالف النقل و العقل، و من كتب ابن مالك كتاب «الكافية الشافية» ثلاثة آلاف بيت، و شرحها، و الخلاصة،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٥٧

و هى مختصر الشافية، و «إكمال الإعلام، بمثلث الكلام» و هو مجلد كبير كثير الفوائد يدل على اطلاع عظيم، و «لامية الأفعال» و شرحها، و «فعل و أفعال» و «المقدمة الأسدية» وضعها باسم ولده الأسد، و «عدة اللافظ، و عمدة الحافظ» و «النظم الأوجز، فيما يهمز» و «الاعتضاد، فى الظاء و الضاد» مجلد، و «إعراب مشكل البخارى» و «تحفة المودود، فى المقصور و المدود» و غير ذلك كشرح التسهيل. و روى عنه ولده بدر الدين محمد، و محب الدين بن جعوان، و شمس الدين بن أبى الفتح، و ابن العطار، و زين الدين أبو بكر المزى، و الشيخ أبو الحسين اليونينى، و أبو عبد الله الصيرفى، و قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة، و شهاب الدين محمود و شهاب الدين بن غانم، و ناصر الدين بن شافع، و خلق كثير سواهم.

و من نظمه فى الحلبة: [البسيط]

خيل السباق المجلى يقتفيه مص ل و المسلى و تال قبل مرتاح
و عاطف و حظى و المؤمل و ال لطم و الفسكل السكيت يا صاح
و له من هذه الضوابط شىء كثير.

و كان يقول عن الشيخ ابن الحاجب: إنه أخذ نحوه من صاحب المفصل، و صاحب المفصل نحوى صغير، و ناهيك بمن يقول هذا
فى حق الزمخشري.

و كان الشيخ ركن الدين بن القويح يقول: إن ابن مالك ما خلّى للنحو حرمة.

و حكى عنه أنه كان يوماً فى الحمام و قد اعتزل فى مكان يستعمل فيه الموسيقى، فهجم عليه فتى فقال: ما تصنع؟ فقال: أكنس لك
الموضع للقعود، قال بعضهم: و هذا مما يستبعد على دين ابن مالك، و العهدة على ناقله، قال الصفدى: و لا يستبعد ذلك من لطف
النحاة و طباع أهل الأندلس.

و توفى ابن مالك بدمشق سنة اثنتين و سبعين و ستمائة.

و قال بعضهم: من أحسن شعر ابن مالك قوله: [الطويل]

إذا رمدت عيني تداويت منكم بنظرة حسن أو بسمع كلام

فإن لم أجد ماء تيممت باسمكم و صليت فرضى و الديار أمامى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٥٨

و أخلصت تكبيرى عن الغير معرضاً و قابلت أعلام السوى بسلام

و لم أر إلّا نور ذاتك لائحا فهل تدع الشمس امتداد ظلام

و قدم- رحمه الله تعالى!- القاهرة، ثم رحل إلى دمشق، و بها مات كما علم.

و قال الشرف الحصنى يرثيه: [الخفيف]

يا شتات الأسماء و الأفعال بعد موت ابن مالك المفضل

و انحراف الحروف من بعد ضبط منه فى الانفصال و الأتصال

مصدرا كان للعلوم بإذن الله من غير شبهة و محال

عدم النحو و التعطف و التوكيد مستبدلاً من الأبدال

ألم اعتراه أسكن منه حركات كانت بغير اعتلال

يا لها سكنة لهمز قضاء أورثت طول مدّة الانفصال

رفعوه فى نعشه فانتصبنا نصب تمييز، كيف سير الجبال؟

فخّموه عند الصلاة بدّل فأملت أسراره للدلال

صرفوه يا عظم ما فعلوه و هو عدل معرّف بالجمال

أدغموه فى الترب من غير مثل سالما من تغير الانتقال

وقفوا عند قبره ساعة الدّف ن و قوفا ضرورة الامثال

و مددنا الأكف نطلب قصراً مسكناً للتزليل من ذى الجلال

آخر الآى من سبأ الحظّ منه حظّه جاء أوّل الأنفال

يا بيان الإعراب يا جامع الإغراب يا مفهما لكلّ مقال

يا فريد الزّمان فى النّظم و الثّ ر و فى نقل مستندات العوالى

كم علوم بثتها في أناس علموا ما بثت عند الزوال

انتهت ملخصة.

قال الصفدي: و ما رأيت مرثية في نحوى أحسن منها على طولها، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٥٩

و دفن ابن مالك بسفح قاسيون، بتربه القاضي عز الدين بن الصانع، و قال العجيسى:

بتربه ابن جعوان.

و رثاه الشيخ بهاء الدين بن النحاس بقوله: [الكامل]

قل لابن مالك ان جرت بك أدمعى حمرا يحاكيها التجميع القانى

فلقد جرحت القلب حين نعت لى و تدفقت بدمائه أجفانى

لكن يهون ما أجنّ من الأسى علمى بنقلته إلى رضوان

فسقى ضريحا ضمّه صوب الحيا يهمنى به بالزوح و الزيحان

و ابن النحاس المذكور أحد تلامذة ابن مالك، و هو القائل يخاطب رضى الدين الشاطبى الأندلسى، و قد كلفه أن يشتري له قطرا:

[الخفيف]

أيها الأوحى الرضى الذى طال علاء و طاب فى الناس نشرا

أنت بحر لا غرو إن نحن وافى ناك زاجين من نداك القطرا

و ابن النحاس المذكور له نظم كثير مشهور بين الناس، و هو: بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن نصر، الحلبي

الأصل، المعروف بابن النحاس، و هو شيخ أبى حيان، و لم يأخذ أبو حيان عن ابن مالك و إن عاصره بنحو ثلاثين سنة.

و قال بعض من عرّف بابن مالك: إنه تصدر بحلب مدة، و أم بالسلطانية، ثم تحول إلى دمشق، و تكاثر عليه الطلبة، و حاز قصب

السبق، و صار يضرب به المثل فى دقائق النحو، و غوامض الصرف، و غريب اللغات، و أشعار العرب، مع الحفظ و الذكاء و الورع و

الديانة و حسن السمت و الصيانة و التحرى لما ينقله و التحرير فيه، و كان ذا عقل راجح، حسن الأخلاق، مهذبا، ذا رزانة و حياء و

وقار، و انتصاب للإفادة، و صبر على المطالعة الكثيرة، تخرج به أئمة ذلك الزمان كابن المنجى و غيره، و سارت بتصانيفه الركبان، و

خضع لها العلماء الأعيان، و كان حريصا على العلم، حتى إنه حفظ يوم موته ثمانية شواهد.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٦٠

و قال بعض الحفاظ حين عرف بابن مالك: يقال إن عبد الله فى نسبه مذكور مرتين متواليتين، و بعض يقول: مرة واحدة، و هو

الموجود بخطه أول شرحه لعمدته، و هو الذى اعتمده الصفدى و ابن خطيب داريا محمد بن أحمد بن سليمان الأنصارى، و على كل

حال فهو مشهور بجده فى المشرق و المغرب.

و حكى بعضهم أن ولادته سنة ثمان و تسعين و خمسمائة، و عليه عول شيخ شيوخ شيوخنا ابن غازى فى قوله: [رجز]

قد خبغ ابن مالك فى خبعا و هو ابن عه كذا و عى من قد و عى

و قيل، كما تقدم: إن مولده سنة ستمائة أو بعدها بجيان الحرير مدينة من مدن الأندلس جبر الله كسرهما، و هى مفتوحة الجيم و ياؤها

مشددة تحتانية، و تصدّر ابن مالك بحماة مدة، و انتقد بعضهم على ابن خلكان إسقاطه من تاريخه، مع كونه كان يعظّمه إلى الغاية، و

قدم رحمه الله تعالى لصاحب دمشق قصة يقول فيها عن نفسه: إنه أعلم الناس بالعربية و الحديث، و يكفيه شرفا أن من تلامذته الشيخ

النوى، و العلم الفارقى، و الشمس البعلى، و الزين المزى، و غيرهم ممن لا يحصى.

و كان رحمه الله تعالى كثير المطالعة، سريع المراجعة، لا يكتب شيئا من محفوظه حتى يراجعه فى محله، و هذه حالة المشايخ الثقات،

والعلماء الأثبات، ولا يرى إلا وهو يصلى أو يتلو أو يصنف أو يقرئ، وكذا كان الشيخ أبو حيان، ولكن كان جدّه فى التصنيف والإقراء.

و حكى أنه توجه يوماً مع أصحابه للفرجة بدمشق، فلما بلغوا الموضوع الذى أرادوه غفلوا عنه سويعة، فطلبوه فلم يجدوه، ثم فحصوا عنه فوجدوه منكبا على أوراق.

وأغرب من هذا فى اعتناؤه بالعلم ما مر أنه حفظ يوم موته عدة أبيات حدّها بعضهم بثمانية، وفى عبارة بعض «أو نحوها» لقنه ابنه إياها، وهذا مما يصدق ما قيل بقدر ما تتعنى، تنال ما تتمنى، فجزاه الله خيراً عن هذه الهمة العلية!

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٦١

و ذكر أبو حيان فى الجوازم من تذييله وتكميله، أنه لم يصحب من له البراعة فى علم اللسان، ولذا تضعف استنباطاته وتعقباته على أهل هذا الشأن، وينفر من المنازعة، والمباحثة والمراجعة، قال: وهذا شأن من يقرأ بنفسه، يأخذ العلم من الصحف بفهمه، ولقد طال فحصى وتنقيرى عنم قرأ عليه، واستند فى العلم إليه، فلم أجد من يذكر لى شيئاً من ذلك، ولقد جرى يوماً مع صاحبنا تلميذه علم الدين سليمان بن أبى حرب الفارقى الحنفى فقال: ذكر لنا أنه قرأ على ثابت بن خيار من أهل بلده جيان، وأنه جلس فى حلقة الأستاذ أبى على الشلوبين نحواً من ثلاثة عشر يوماً، وثابت بن خيار ليس من أهل الجلالة والشهرة فى هذا الشأن، وإنما جلالته وشهرته فى إقراء القرآن، هذا حاصل ما ذكره أبو حيان.

قال بعض المحققين، وهو العلامة يحيى العجيسى: وليس ذلك منه بإنصاف، ولا يحمل على مثله إلا- هوى النفس وسرعة الانحراف، فنفية المسند عنه والمتبع، شهادة نفى فلا تنفع ولا تسمع، ويكفى ما سطر فى حقه قوله فى أثنائه: نظم فى هذا العلم كثيراً ونثر، وجمع باعتكاف على الاشتغال به ومراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية وطول السن من هذا العلم غرائب، وحوت مصنفاته منها نواذر وعجائب، وإن منها كثيراً استخرجه من أشعار العرب وكتب اللغة، إذ هى مرتبة الأكابر النقاد، وأرباب النظر والاجتهاد، وقوله فى موضع آخر من تذييله «لا يكون تحت السماء أنحى ممن عرف ما فى تسهيله» وقرنه فى بحره بمصنف سيبويه فما ينبغى له أن يغمسه، ولا أن يحط عليه، ولا أن يقع فيما وقع فيه، فإنه مما يجزىء على أمثاله الغبى والنيبه، والحليم والسفيه، وما هذا جزاء السلف من الخلف، والدرر من الصدف، والجيد من الحشف، أو ما ينظر إلى شيخه أبى عبد الله بن النحاس، فإنه لا يذكره إلا- بأحسن ذكر كما هو دأب خيار الناس، ومن كلامه فى نقله عنه، وهو الثقة فيما ينقل والفاضل حين يقول، وإلى تلميذه أبى البقاء الحافظ المصرى حيث يقول فيه، أعنى فى أبى حيان: [الطويل]

هو الأوحى الفرد الذى تمّ علمه و سار مسير الشمس فى الشرق والغرب

ومن غاية الإحسان مبدأ فضله فلا غرو أن يسمو على العجم والعرب

ومن غاية الإحسان، فى هذا الشأن، التصانيف التى سارت بها الركبان، فى جميع الأوطان، واعترف بحسنها الحاضر والبادى، والدانى والقاصى، والصدىق والعدو، فتلقاها بالقبول والإذعان، فسامح الله تعالى أبا حيان! فإن كلامه يحقق قول القائل: كما تدين تدان،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٦٢

ورحم الله تعالى ابن مالك! فلقد أحيا من العلم رسوما دلوسة، وبين معالم طامسة، وجمع من ذلك ما تفرق، وحق ما لم يكن تبين منه ولا- تحقق، ورحم شيخه ثابت بن الخيار، فإنه كان من الثقات الأخيار! وهو أبو المظفر ثابت بن محمد بن يوسف بن الخيار الكلاعى- بضم الكاف على ما كان يضبط بيده فيما حكاه ابن الخطيب فى الإحاطة- وأصله من لبله، ويعد فى أهل جيان وتوفى بغرناطة سنة ٦٢٨هـ، وكان أبو حيان يغض من هذا الكتاب ويقول: ما فيه من الضوابط والقواعد حائد عن مهيج الصواب والسداد، وكثيراً ما يشير إلى ذلك فى شرحه المسمى بمنهج السالك، ومن غصه منه بالنظم فى ملأ من الناس من جملتهم شيخه بهاء الدين بن

النحاس و الأقراني يجاريه مقتنيا له و متأسيا في تسويد القرطاس: [مجزوء الرجز]

ألفية ابن مالك مطموسة المسالك

و كم بها مشتغل أوقع في المهالك

و لا تغتر أنت بهذا الغرر، فإنه ما كل سحاب أبرد ممطر، و لا كل عود أورد مثمر، و قيل معارضة للقوم، و تنبيها لهم مما هم فيه من

النوم: [مجزوء الرجز]

ألفية ابن مالك مشرقة المسالك

و كم بها من مشتغل علا على الأرائك

و ما أحسن قول ابن الوردي في هذا المعنى: [الرجز]

يا عائبا ألفية ابن مالك و غائبا عن حفظها و فهمها

أما تراها قد حوت فضائلا كثيرة فلا تجر في ظلمها

و ازجر لمن جادل من يحفظها برابع و خامس من اسمها

يعنى «صه» فإنه عند الاستقلال بمعنى اسكت، انتهى ملخصا.

و قال أيضا عند ذكره مصنفات ابن مالك: و هي كما قيل غزيرة المسائل، و لكنها على الناظر بعيدة الوسائل، و هي مع ذلك كثيرة

الإفادة، موسومة بالإجادة، و ليست هي لمن هو في هذا الفن في درجة ابتدائه، بل للمتوسط يترقى بها درجة انتهائه، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٦٣

و اعلم أن الألفية مختصرة الكافية كما تقدم، و كثير من أبياتها فيها بلفظها، و متبوعه فيها ابن معطى، و نظمه أجمع و أوعب، و نظم

ابن معطى أسلس و أعذب، و ذكر الصفدى عن الذهبى أن ابن مالك صنف الألفية لولده تقى الدين محمد المدعو بالأسد، و

اعترضه العلامة العجيسى بأن الذى صنفه له عن تحقيق «المقدمة الأسيدي» قال: و أما هذه - يعنى الألفية - فذكر لى من أثق بقوله أنه

صنفها برسم القاضى شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين بن إبراهيم بن عفيف الدين بن هبة الله بن

مسلم بن هبة الله بن حسان الجهنى الحموى الشافعى الشهير بابن البارزى، و يقال: إن هذه النسبة إلى باب أبرز أحد أبواب بغداد، و

لكن خفف لكثرة دوره على الألسنة، انتهى مختصرا.

و قال بعض من عرّف بابن مالك: هو مقيم أود، و قاطع لدد، و مزين سماء مؤهت الأصائل ديباجتها، و شعشت البكر زجاجتها، و

جاءت أيامه صافية من الكدر، و لياليه و ما بها شائبة من الكبر، قد خلقها العشى بردعه، و خلفها الصباح بربعه، فكان كل متعين حول

مسجده، و كل عين فاخرة بعسجده، هذا و زمر الطلاب، و طلبه الأجلاب، لا تزال تزجى إليه القلاص، و تكثر من سربه الاقتناص، كان

أوحد وقته فى علم النحو و اللغة مع كثرة الديانة و الصلاح، انتهى.

و قال بعض المغاربة: [الطويل]

لقد مزقت قلبى سهام جفونها كما مزق اللخمى مذهب مالك

و صال على الأوصال بالقدّ قدها فأضحت كأبيات بتقطع مالك

وقلّدت إذ ذاك الهوى لمرادها كتقليد أعلام النّحاء ابن مالك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٣٦٣

و ملكتها رقى لرقّة لفظها و إن كنت لا أرضاه ملكا لملك

و ناديتها يا منيتى بذل مهجتي و مالى قليل فى بديع جمالك

و يعنى بقوله «بتقطع مالك» مالك بن المرّحل السبتي رحمه الله تعالى!.

ولما سئل ابن مالك عن قول النبي صلى الله عليه وسلم «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» هل هو بالراء أو بالنون؟ أنكر النون، فقيل له: إن في الغريبين للهروي، رواية بالنون، فرجع عن قوله الأول، وقال: إنما هو بالنون، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٦٤

وقد ذكر في المشارق النون والراء، فقال «الحور بعد الكور» بالراء رواه العذري وابن الحذاء، وللباقين بالنون، معناه النقصان بعد الزيادة، وقيل: من الشذوذ بعد الجماعة، وقيل:

من الفساد بعد الصلاح، وقيل: من القلة بعد الكثرة، كار عمامته إذا لفها على رأسه واجتمعت، و حارها إذا نقضها فافتقرت، ويقال: حار إذا رجع عن أمر كان عليه، وهَمَّ بعضهم رواية النون، وقيل: معناها رجع إلى الفساد بعد أن كان على خير مما رجع إليه، وقال عياض في موضع آخر بعد: الحور بعد الكور، كذا للعذري، والكون للفارسي والسجزي وابن ماهان، وقول عاصم في تفسيره «حار بعد ما كار» وهي روايته، ويقال: إن عاصما وهم فيه، انتهى.

والسائل لابن مالك عن اللفظة هو ابن خلكان، لأن ابن الأثير سأل ابن خلكان عنها، فسأل هو ابن مالك، رحم الله تعالى الجميع! وقد عرف الحافظ الذهبي بابن مالك في تاريخ الإسلام، وذكر فيه ترجمته لولده بدر الدين محمد، وأنه كان حادّ الذهن، ذكيا، إماما في النحو وعلم المعاني والمنطق، جيد المشاركة في الفقه والتدريس، وأنه تصدّر بعد والده للتدريس، ومات شابا قبل الكهولة سنة ٦٨٦، ومن أجل تصانيفه شرحه على ألفية والده، وهو كتاب في غاية الإغلاق، ويقال: إنه نظير الرضي في شرح الكافية، وللناس عليه حواش كثيرة، رحمه الله تعالى أجمعين!

١٤٥- ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر القيسي التدميري، ويعرف بالشهيد.

كان عظيم القدر جدا بالأندلس، بعيد الأثر في الخير والصلاح والعلم والنسك والانتقطاع إلى الله تعالى، وكان من وجوه أهل كورة تدمير ذوى البيوت الرفيعة، وبرع بخصاله المحمودة، فكان في نفسه فقيها، عالما، زاهدا، خيرا، ناسكا، متبتلا، نشأ على الاستقامة والصلاح والاهتداء والدعة، وطلب العلم في حدثان سنة. ورحل إلى قرطبة فروى الحديث وتفقه وناظر، وأخذ بحظ وافر من علم المسألة والجواب، وكان أكثر علمه وعمله الورع، والتشدد فيه، والتحفظ بدينه ومكسبه، ورسخ في علم السنيّة، ثم ارتحل إلى المشرق، فمّر بمصر حاجا، فأقام بالحرمين ثمانية أعوام يتعيش فيها من عمل يده بالنسخ، ثم سار إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٦٥

العراق، فلقي أبا بكر الأبهري وأخذ عنه، وأكثر من لقاء الصالحين وأهل العلم، ولبس الصوف، وقنع، وتورع جدا، وأعرض عن الشهوات، وكان إذا سئم من النسخ الذي جعل قوته منه آجر نفسه في الخدمة رياضة لها، فأصبح عابدا متقشفا منيا مخبئا عالما عاملا منقطع القرين، قد جرت منه دعوات مجابهة، وحفظت له كرامات ظاهرة، ثم عاد إلى بلده تدمير سنة ست أو سبع وسبعين وثلاثمائة، وبها أبوه أبو الحسام طاهر حيا، فنزل خارج مدينة مرسية تورعا عن سكنائها وعن الصلاة في جامعها، فاتخذ له بيتا سقفه من حطب السيدر يأوى إليه، واعتمر جنيته بيده يقتات منها، وصار يغزو مع المنصور محمد بن أبي عامر، ثم تحول من قريته بعد عامين إلى الثغر، وواصل الرباط، ونزل مدينة طليبة، وكان يدخل منها في السرايا إلى بلد العدو فيغزو ويتقوت من سهمانه، ويعول على فرس له ارتبطه لذلك، وكان له بأس وشدة وشجاعة وثقافة، يحدث عنه فيها بحكايات عجيبة، إلى أن استشهد مقبلا غير مدبر، سنة ٣٧٩، أو في التي قبلها، عن اثنتين وأربعين سنة، وأبوه حي، رحمه الله تعالى الجميع!

١٤٦- ومنهم أبو عبد الله القباطي محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جهور.

مولده سنة ٥٩٠ بقيجاطة، و كتب عنه الحافظ المنذرى، و من شعره قوله: [بحر الطويل]

إذا كنت تهوى من نأت عنك داره فحسبك ما تلقى من الشوق و البعد

فيا ويح صبّ قد تضرّم ناره و وا حرّ قلب ذاب من شدة الوجد

١٤٧- و منهم أبو عبد الله - و يقال: أبو حامد - محمد بن عبد الرحيم، المازني، القيسي، الغرناطي.

ولد سنة ٤٧٣، و دخل الإسكندرية سنة ٥٠٨، و سمع بها من أبي عبد الله الرازي، و بمصر من أبي صادق مرشد بن يحيى المدني و أبي الحسن الفراء الموصلى و أبي عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوى و غيرهم، و حدّث بدمشق، و سمع أيضا بها و ببغداد، و قدمها سنة ٥٥٦، و دخل خراسان، و أقام بها مدة، ثم رجع إلى الشام، و أقام بحلب سنين، و سكن دمشق، و كان يذكر أنه رأى عجائب في بلاد شتى، و نسبه بعض الناس بسبب ذلك إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٦٦

ما لا يليق، و صنّف في ذلك كتابا سماه «تحفة الألباب» و كان حافظا عالما أدبيا، و تكلم فيه الحافظ ابن عساكر، و زنه بالكذب، و قال ابن النجار: ما علمته إلا أمينا.

و من شعره قوله: [بحر الرمل]

تكتب العلم و تلقى في سبط ثم لا تحفظ؟ لا تفلح قط

إنما يفلح من يحفظه بعد فهم و توقّ من غلط

و قوله: [بحر البسيط]

العلم في القلب ليس العلم في الكتب فلا تكن مغرما باللهو و اللعب

فاحفظه و افهمه و اعمل كي تفوز به فالعلم لا يجتنى إلا مع التعب

توفى بدمشق في صفر سنة ٥٦٥.

١٤٨- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام، القرطبي،

من ذرية أبي ثعلبة الخشني صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم.

رحل قبل الأربعين و مائتين، فحجّ، و سمع بالبصرة من محمد بن بشار و أبي موسى الزّمن و نصر بن عليّ الجهضمي، و لقي أبا حاتم السجستاني و العباس بن الفرّج الرياشي، و سمع ببغداد من أبي عبيد القاسم بن سلام، و بمكة من محمد بن يحيى العدني، و بمصر من سلمة بن شبيب صاحب عبد الرزّاق و البرقي و غيرهما، و أدخل الأندلس علما كثيرا من الحديث و اللغة و الشعر، و كان فصيحاً جزل المنطق، صارما، ألوفا، منقبضا عن السلطان، أرادته على القضاء فأبى، و قال: إباية إشفاق لا إباية عصيان، فأعفاه، و كان ثقة مأمونا، و توفى في رمضان سنة ٢٨٦ عن ثمان و ستين سنة، رحمه الله تعالى!.

١٤٩- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج، القرطبي.

سمع من محمد بن وضاح و أكثر عنه، و أخذ عن محمد الخشني و قاسم بن أصبغ و إبراهيم بن قاسم بن هلال، و رحل سنة ٢٧٤، فسمع بمصر من المطلب بن شعيب و المقدم بن داود الرعيني، و أدرك بالعراق إسماعيل القاضي و عبد الله بن أحمد بن حنبل.

قال الحميدى: حدّث بالمغرب و بالمشرق، و صنّف السنن، و ممن روى عنه خالد بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٦٧

سعيد، وقال لنا أبو محمد بن حزم: مصنف ابن أيمن مصنف رفيع احتوى من صحيح الحديث و غريبه على ما ليس في كثير من المصنفات، و توفي في ذى القعدة سنة ٣٣٠، بقرطبة، رحمه الله تعالى!.

١٥٠- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون [بن مروان]، اللخمي، الرصافي، القرطبي، الحداد.

سمع بقرطبة من عبد الله بن يونس و قاسم بن أصبغ، و حج سنة ٤٤٩ سنة رد القرامطة الحجر الأسود إلى مكانه، و سمع بمكة من ابن الأعرابي، و بمصر من ابن الورد، و أبي على بن السكن و عبد الكريم النسائي و غيرهم و سمع بأطرابلس و القيروان من جماعة، و كان رجلا صالحا، عدلا، حدث و كتب عنه الناس، و علت سنيته، و توفي بشوال سنة ٣٩٤، و ولد فيما أظن سنة ٣٠٢، و كانت وفاته بقرطبة، و قد اضطرب في أشياء قرئت عليه، و ممن أخذ عنه الحافظ أبو عمر بن عبد البر، رحم الله تعالى الجميع!.

١٥١- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك، الخزرجي، السعدي، القرطبي.

روى عن أبي الحسن على بن هشام، و روى عنه أبو القاسم بن بشكوال و قدم مصر و حدث بها، و ممن سمع منه بهاء بن وردان و أبو الرضا القيسراني في آخرين، و استوطن مصر، و توفي سنة ٥٨٨.

١٥٢- و منهم أبو بكر بن السراج، النحوي، بتشديد الراء.

و هو محمد بن عبد الملك بن محمد بن السراج الشنتمري، أحد أئمة العربية المبرزين فيها، و يكفيه فخرا أنه أستاذ أبي محمد عبد الله بن برى المصرى اللغوى النحوى، و حدث عن أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد النفطى، و قرأ العربية بالأندلس على ابن أبي العافية و ابن الأخضر، و قدم مصر سنة ٥١٥، و أقام بها، و أقرأ الناس العربية، ثم انتقل إلى اليمن، و روى عنه أبو حفص عمر بن إسماعيل و أبو الحسن على والد الرشيد العطار، و له تواليف منها «تنبيه الألباب، في فضل الإعراب» و كتاب في العروض، و كتاب «مختصر العمدة» لابن رشيق و تنبيه أغلاطه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٦٨

قال السلفى: كان من أهل الفضل الوافر، و الصلاح الظاهر، و كانت له حلقة في جامع مصر لإقراء النحو، و كثيرا ما كان يحضر عندي- رحمه الله تعالى! مدة مقامي بالفسطاط، توفي بمصر سنة ٥٤٩، و قيل: سنة خمس و أربعين، و قيل: خمسين و خمسمائة، برمضان، و الأول أثبت.

١٥٣- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن سعيد العنسى

، و يكتنى أيضا أبا القاسم، الغرناطى.

سمع من الجلّة بمصر و الإسكندرية و دمشق و بغداد: منهم الحراني أبو عبد الله و أبو محمد عبد الصمد بن داود بدمشق، و كتب الحديث و عنى بالرواية أتم عناية، و فقد بأصبهان حين استولى عليها التتار قبل الثلاثين و ستمائة.

١٥٤- و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الدفاع

، بالدال المهملة، وقيل: بالراء.

قرطبي، سمع عبد الملك بن حبيب، ورحل فسمع بمصر من الحارث بن مسكين وغيره، وكان زاهدا فاضلا، وتوفي سنة ٢٨١، رحمه الله تعالى!

١٥٥- ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد، المعافري، القرطبي.

ولد بقرطبة سنة ٣٥٨، ودخل مصر فسمع من أبي بكر بن المهندس وأبي بكر البصري، وروى عن أبي عبد الله بن مفرج وأبي محمد الأصيلي وجماعته، ولقى الشيخ أبا محمد بن أبي زيد في رحلته سنة ٣٨١ فسمع منه رسالته في الفقه وغيرها، وحج من عامه، ثم عاد من مصر إلى المغرب سنة ٣٨٢، وكان معتنيا بالأخبار والآثار، ثقة فيما رواه وعنى به، خيرا، فاضلا، دينا، متواضعا، متصاونا، مقبلا على ما يعنيه، صاحب حظ من الفقه، وبصر بالمسائل، ودعى إلى الشورى بقرطبة فأبى، ومات سنة ٤٣٩. وعابد جده بالبلاء الموحدة، رحم الله تعالى الجميع!

١٥٦- ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجد، الأنصاري البلنسي.

أخذ القراءات عن جماعة من أهل بلده، وخرج حاجا سنة ٥٧١، فجاور بمكة، وسمع نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٦٩ بها وبالإسكندرية من السلفي، وعاد إلى بلده سنة ٥٩٦، وحدث وكان من أهل الصلاة والفضل والورع، كثير البر، ومفاداة الأسرى، ويحترف بالتجارة، ومولده بعد سنة ٥٢٠، ومات سنة ٥٩٨ بمرسيه، رحمه الله تعالى!

١٥٧- ومنهم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة، القرطبي، المالكي، الحافظ.

ولد سنة ٤٧٩، وأخذ الفقه عن القاضي أبي الوليد بن رشد، والحديث عن ابن عتاب، وروى الموطأ عن أبي بحر سفيان بن العاص بن سفيان، وأخذ الأدب عن [مولانا] أبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الأموي، وعن مالك بن عبد الله العتبي، وخرج من قرطبة في الفتنة بعد ما درس بها وانتفع الناس به في فروع الفقه وأصوله، وأقام بالإسكندرية خوفا من بني عبد المؤمن بن علي، ثم قال: كآني والله بمراكبهم قد وصلت إلى الإسكندرية، ثم سافر إلى مصر بعد ما روى عنه السلفي، وأقام بها مدة، ثم قال: والله ما مصر والإسكندرية بمتباعدين، ثم سافر إلى الصعيد، وحدث في قوص بالموطأ، ثم قال: والله ما يصلون إلى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد، فمضى إلى مكة، وأقام بها، ثم قال: وتصل إلى هذه البلاد ولا تحج؟ ما أنا إلا هربت منه إليه! ثم دخل اليمن، فلما رآها قال: هذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن، فتوجه إلى الهند، فأدركه وفاته بها سنة ٥٥١، وقيل: بل مات بزييد من مدن اليمن، وكان من جلة العلماء، الحافظ متقنا متفنا في المعارف كلها جامعها لها، كثير الرواية، واسع المعرفة، حافل الأدب، من كبار فقهاء المالكية، يتصرف في علوم شتى حافظا للآداب، عارفا بشعراء الأندلس، وكان علمه أوفر من منقطه، ولم يرزق فصاحة ولا حس إيراد.

قال ابن نقطة: خيرة بكسر الخاء المعجمة وفتح الياء المنقوطة من تحتها باثنتين.

١٥٨- ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل، السلمي، المرسي.

قال ابن النجار: ولد بمرسيه سنة ٥٧٠، وقال غيره: في التي قبلها، وخرج من بلاد المغرب سنة ٦٠٧، ودخل مصر، وسار إلى الحجاز،

و دخل مع قافلة الحجاج إلى بغداد، و أقام بها يسمع و يقرأ الفقه و الخلاف و الأصلين بالنظامية، ثم سافر إلى خراسان، و سمع بنيسابور و هراة و مرو، و عاد إلى بلاد بغداد، و حدّث بكتاب السنن الكبرى للبيهقي عن نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٧٠

منصور بن عبد المنعم الفراوي، و بكتاب غريب الحديث للخطابي، و قدم إلى مصر فحدث بالكثير عن جماعة منهم أم المؤيد زينب و أبو الحسن المؤيد الطوسي، و خرج من مصر يريد الشام فمات بين الرّعة و العريش من منازل الرمل في ربيع الأول سنة ٦٥٥، و دفن بتل الزعقة، و كان من الأئمة الفضلاء في جميع فنون العلم من علوم القرآن و الحديث و الفقه و الخلاف و الأصلين و النحو و اللغّة، و له فهم ثاقب، و تدقيق في المعاني، مع النظم و النثر المليح، و كان زاهداً، متورعاً، حسن الطريقة، متديناً، كثير العبادة، فقيهاً، مجرداً، متعقفاً، نزه النفس، قليل المخالطة لأوقاته، طيب الأخلاق، متودداً، كريم النفس، قال ابن النجار: ما رأيت في فنه مثله، و كان شافعي المذهب، و له كتاب تفسير القرآن سماه «رى الظمان» كبير جداً، و كتاب «الضوابط الكلية» في النحو، و تعليق على الموطأ، و كان مكثراً شيوخاً و سماعاً، و حدّث بالكثير بمصر و الشام و العراق و الحجاز، و كانت له كتب في البلاد التي ينتقل إليها بحيث إنه لا يستصحب كتباً في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر إليه، و كان كريماً. قال أبو حيان: أخبرني الشرف الجزائري بتونس أنه كان على رحلته، و كان ضعيفاً، فقال له: خذ ما تحت هذه السجادة أو البساط، فرفعت ذلك، فوجدت تحته أكثر من أربعين دينارا ذهباً، فأخذتها.

١٥٩- و قال الجمال اليعموري

: أنشدني لنفسه بالقاهرة: [بحر الكامل]

قالوا فلان قد أزال بهاءه ذاك العذار و كان بدر تمام
فأجبتهم بل زاد نور بهائه و لذا تضاعف فيه فرط غرامى
استقصرت ألاحظه فتكاتها فأتى العذار يمدّها بسهام

و من شعره قوله: [بحر الكامل]

من كان يرغب فى النّجاة فما له غير اتباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم، و غيره سبل الغواية و الضلالة و الرّدى
فاتبع كتاب الله و السنن التي صحت، فذاك إذا اتبعت هو الهدى
و دع السؤال بكم و كيف فإنه باب يجزّ ذوى البصيرة للعمى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٧١
الدين ما قال النبى و صحبه و التابعون و من مناهجهم قفا

١٥٩- و منهم أبو بكر محمد بن عبد الله، البنتى، الأندلسى، الأنصارى.

قدم مصر، و أقام بالقرافة مدة، و كان شيخاً صالحاً زاهداً فاضلاً، و توجه إلى الشام فهلك.
قال الرشيد العطار: كان من فضلاء الأندلسيين و نبهائهم، ساح فى الأرض و دخل بلاد العجم و غيرها من البلاد البعيدة، و كان يتكلم بالسنّة شتى.

و من شعره قوله: [بحر الطويل]

إذا قلّ منك السّعى فالعزم ناشد و كلّ مكان في مراتك واحد
توجّه بصدق و اتقّ المين و اقتصد تجئك رهينات النجاح المقاصد
و البنتى - بضم الباء، و سكون النون - نسبة إلى بنت حصن بالأندلس، و يقال «بونت» بزيادة واو.

١٦٠ - و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله، الخولانى، الباجى، ثم الإشبلى، المعروف بابن القوق.

سمع بقرطبة من جماعة، و رحل إلى المشرق سنة ٢٦٦، فسمع بمكة من على بن عبد العزيز و غيره، و بمصر من محمد بن عبد الحكم
و من أخيه سعد، و كان فقيها في الرأى، حافظا له، عاقدا للشروط، قال ابن الفرضى: كان رجلا صالحا، ورعا ثقة، و كان خالد بن
سعيد قد رحل إليه و سمع منه، و كان يقول إذا حدث عنه: كان من معادن الصدق، توفى سنة ٣٠٨.

١٦١ - و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله، اللوشى، الطيب.

اشتغل بالطب، و برع فيه، و أقام بمصر مدة، و بها مات في عشر الستين و ستمائة.

١٦٢ - و منهم أبو عبد الله محمد بن عبدون، العذرى، القرطبى.

رحل سنة ٣٣٧، فدخل مصر و البصرة، و عنى بعلم الطب، و دبر مارستان مصر، ثم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٧٢

رجع إلى الأندلس سنة ٣٦٠، و اتصل بالحكم المستنصر و ابنه المؤيد، و له في التفسير كتاب حسن.

قال صاعد: تمهر في الطب، و نبل فيه، و أحكم كثيرا من أصوله، و عانى صنعة المنطق معاناةً صحيحة، و كان شيخه فيه أبو سليمان
محمد بن محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي، و كان قبل أن يتطب مؤدبا للحساب و الهندسة، و أخبرنى أبو عثمان سعيد
الطليلي، أنه لم يلق في قرطبة من يلحق محمد بن عبدون في صناعة الطب، و لا يجاريه في ضبطها و حسن دربه فيها و إحكامه
لغوامضها رحمه الله تعالى!

١٦٣ - و من الراحين إلى المشرق من أهل الأندلس أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر، الإبادى، الأندلسى.

صاحب البيت الشهير بالأندلس، رحل المذكور إلى المشرق، و تطب به زمانا، و تولى رئاسة الطب ببغداد ثم بمصر، ثم القيروان، ثم
استوطن مدينةً دائية، و طار ذكره فيها إلى أقطار الأندلس و المغرب، و اشتهر بالتقدم في علم الطب حتى فاق أهل زمانه، و مات في
مدينةً دائية، رحمه الله تعالى!

و والده محمد بن مروان كان عالما بالرأى حافظا للأدب، فقيها، حاذقا بالفتوى، متقدما فيها، متقنا للعلوم، فاضلا، جامعا للدراية و
الرواية، و توفى بطليبة سنة ٤٢٢، و هو ابن ست و ثمانين سنة، حدث عنه جماعة من علماء الأندلس، و وصفوه بالدين و الفضل و
الجود و البذل، رحمه الله تعالى!

و أما أبو العلاء زهر بن عبد الملك المذكور فقال ابن دحية فيه: إنه كان وزير ذلك الدهر و عظيمه، و فيلسوف ذلك العصر و
حكيمه، و توفى ممتحنا من نغلة بين كتفيه سنة ٥٢٥ بمدينة قرطبة، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٧٣

و كانت بينه و بين الفتاح صاحب القلائد عداوة، و لذلك كتب في شأنه إلى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ما صورته:

أطال الله تعالى بقاء الأمير الأجل سامعا للنداء، دافعا للتطاول والاعتداء، لم ينظم الله تعالى بلبتتك الملك عقدا، و جعل لك حلاّ للأمر وعقدا، وأوطأ لك عقبا، وأصار من الناس لعونك منتظرا ومرتبعا، إلا أن تكون للبرية حائطا، وللعادل فيهم باسطا، حتى لا يكون فيهم من يضام، ولا ينال أحدهم اهتضام، ولتقصر يد كل معتد في الظلام، وهذا ابن زهر الذي أجررته رسنا، وأوضحت له إلى الاستطالة سننا، لم يتعد من الإضرار إلا حيث انتهيته، ولا تمادى على غيه إلا حين لم تنهه أو نهيته، ولما علم أنك لا تنكر عليه نكرا، ولا تغير له متى ما مكر في عباد الله مكرًا، جرى في ميدان الأذية ملء عنانه، وسرى إلى ما شاء بعدوانه، ولم يراقب الذي خلقه، وأمدّ في الحظوة عندك طلقه، وأنت بذلك مرتهن عند الله تعالى لأنه مكنك لثلا يتمكن الجور، ولتسكن بك الفلاة والغور، فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل في كل طريق، وأخفق به كل فريق، وقد علمت أن خالقك الباطش الغيور، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وما تخفى عليه نجواك، ولا يستتر عنه تقلبك ومثواك، وستقف بين يدي عدل حاكم، يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم، قد علم كل قضية قضاها، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فبم تحتج معي لديه، إذا وقفت أنا وأنت بين يديه؟ أتري ابن زهر ينجيك في ذلك المقام، أو يحميك من الانتقام، وقد أوضحت لك المحجة، لتقرم عليك الحجة، والله سبحانه النصير، وهو بكل خلق بصير، لا رب غيره، والسلام.

وقد تذكرت هنا بذكر الفتح ما كتبه وقد مات بعض إخوانه غريقا: [بحر الطويل]

أتانى ورحلى بالعراق عشيةً ورحل المطايا قد قطع بنا نجدا

نعى أطار القلب عن مستقره و كنت على قصد فأغلطنى القصد

نعوا والله باسق الأخلاق لا يخلف، ورموا قلبي بسهم أصاب صميمه فما أخلف، لقد سام الردى منه حسنا وجمالا وسامة، وطوى بطيه نجده وتهامه، فعطل منه الندى والندى، وأثكل فيه الهدى والهدى، كم فلّ السيف طول قراعه، ودل عليه الضيوف موقد ناره
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٧٤

ببقاعه، وكم تشوف إليه السرير والمنبر، وتصرف فيه الثناء المحبّر، وكم راع البدر ليلة إبداره، وروّع العدو في عقر داره، وأى فتى غدا له البحر ضريحا، وأعدى عليه الحين ماء وريحا، فبدل من ظلل على ومفاخر، بقعر بحر طامى اللجج زاخر، وبدل من صهوات الخيل، بلهوات اللجج والسيل، غريق حكي مقلتي في دمعها، وأصاب نفسى فى سمعها، ومن حزن لا أستسقى له الغمام فما له قبر تجوده، ولا ثرى تروى به تهائمته ونجوده، وقد آليت أن لا أودع الريح تحية، ولا يورثنى هبوبها أريحية، فهى التى أثارى فى الموج حنقا، ومشت عليه خببا وعنقا، حتى أعادته كالكتبان، وأودعته قضيب بان، فيا أسفا لزال غاض فى أجاج، وللسلسال فاض عليه بحر عجاج، وما كان إلا جوهرها ذهب إلى عنصره، وصدفا بان عن عين مبصره، لقد آن للحسام أن يغمد فلا يشام، وللحمام أن تبكيه بكل أراكه وبشام وللعدارى أن لا يحجبهن الخفر والاحتشام، ينحن فتى ما ذرت الشمس إلا ضر أو نفع، وبيكين من لم يدع فقده فى العيش من منتفع، فكم نعمنا بدنوه، ونسما نسيم الأنس فى رواجه و غدوه، وأقمنا بروضه موشية، ووقفنا بالمسرات عشية، وأدرناها ذهبا سائلة، ونظرناها وهى سائلة، لم نرم السهر، ولم نشم برقا إلا الكأس والزهر، ولو غير الحمام زحف إليه جيشه، أو غير البحر رجف به ارتجاجه وطيشه، لفداه من أسرته كل أروع إن عاجله المكروه تثبطه، أو جاءه الشر تأبطه، ولكنها المنايا لا تردّها الصوارم والأسل، ولا تفوتها ذئاب الغضا العسل، قد فرقت بين مالك وعقيل، وأشرقت بعدهما جديمة بالحسام الصقيل، انتهى.

وقد عرّفنا بالفتح فى غير هذا الموضوع فليراجع.

رجع إلى بيت بنى زهر رحمهم الله تعالى - وأما أبو بكر محمد بن أبى مروان عبد الملك بن أبى العلاء زهر المذكور، فهو عين ذلك البيت، وإن كانوا كلهم أعيانا علماء رؤساء حكماء وزراء، وقد نالوا المراتب العلية، وتقدموا عند الملوك، ونفذت أوامرهم، قال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٧٥

الحافظ أبو الخطاب بن دحية في «المطرب، من أشعار أهل المغرب»: كان شيخنا الوزير أبو بكر بن زهر بمكان من اللغة مكين، و مورد من الطلب عذب معين، و كان يحفظ شعر ذى الرمة و هو ثلث لغة العرب، مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب، و المنزلة العليا عند أصحاب المغرب، مع سمو النسب، و كثرة الأموال و النّشب، صحبته زمانا طويلا، و استفدت منه أدبا جليلا، و أنشد من شعره المشهور قوله: [بحر الكامل]

و موسدين على الأكف خدودهم قد غالهم نوم الصّباح و غالني
ما زلت أسقيهم و أشرب فضلهم حتى سكرت و نالهم ما نالني
و الخمر تعلم كيف تأخذ ثارها إني أملت إناءها فأمالني

ثم قال ابن دحية: و سألت عن مولده، فقال: ولدت سنة سبع و خمسمائة، قال: و بلغتني وفاته آخر سنة ٥٩٥، رحمه الله تعالى! انتهى.

و زعم ابن خلكان أن ابن زهر ألم في الأبيات المذكورة بقول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن هبة الله: [بحر الكامل]

عاقرتهم مشمولة لو سالمت شرابها ما سميت بعقار
ذكرت حقائدها القديمة إذ غدت صرعى تداس بأرجل العصار
لانت لهم حتى انتشوا و تمكنت منهم و صاحت فيهم بالثار

و من المنسوب إلى أبي بكر بن زهر قوله في كتاب جالينوس المسمى بحيلة البرء، [و هو من أجل كتبهم و أكبرها] [الخفيف]:

حيلة البرء صنعة لعليل يترجى الحياة أو لعليله

فإذا جاءت المنية قالت: حيلة البرء ليس في البرء حيله

و من شعره رحمه الله تعالى يتشوق ولدا له صغيرا بإشبيلية و هو بمراكش: [المتقارب]

ولى واحد مثل فرخ القطاة صغير تخلّفت قلبى لديه

و أفردت عنه فيا وحشتا لذاك الشّخيص و ذاك الوجيه

تشوّقنى و تشوّقته فيبكي علىّ و أبكى عليه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٧٦

و قد تعب الشوق ما بيننا فمنه إلىّ و منى إليه

و أخبرنى الطيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدى أبو القاسم بن محمد الوزير الغسانى الأندلسى الأصل الفاسى المولد و النشأة حكيم حضرة السلطان المنصور بالله الحسنى صاحب المغرب رضى الله تعالى عنه أن ابن زهر لما قال هذه الأبيات و سمعها أمير المؤمنين يعقوب المنصور سلطان المغرب و الأندلس أواخر المائة السادسة أرسل المهندسين إلى إشبيلية، و أمرهم أن يحتاطوا علما ببيوت ابن زهر و حارته، ثم بينوا مثلها بحضرة مراكش، ففعلوا ما أمرهم فى أقرب مدّة، و فرشها بمثل فرشها، و جعل فيها مثل آلاته، ثم أمر بنقل عيال ابن زهر و أولاده و حشمه و أسبابه إلى تلك الدار، ثم احتال عليه حتى جاء [إلى] ذلك الموضع، فرآه أشبه شىء ببيته و حارته، فاحتار لذلك، و ظنّ أنه نائم، و أن ذلك أحلام، فقيل له: ادخل البيت الذى يشبه بيتك، فدخله، فإذا ولده الذى تشوق إليه يلعب فى البيت، فحصل له من السرور ما لا [مزيد عليه، و لا] يعبر عنه، هكذا هكذا و إلا فلا لا.

و من نظم ابن زهر المذكور حيث شاخ و غلب عليه الشيب: [بحر البسيط]

إنى نظرت إلى المرأة قد جليت فأنكرت مقلتاى كلّ ما رأتا

رأيت فيها شويخا لست أعرفه و كنت أعهدده من قبل ذاك فتى

فقلت: أين الذى بالأمس كان هنا؟ متى ترخّل عن هذا المكان؟ متى؟

فاستضحكت ثم قالت و هى معجبة: إن الذى أنكرته مقلتاك أتى

كانت سليمي تنادى يا أختي و قد صارت سليمي تنادى اليوم يا أبتا

و البيت الأخير ينظر إلى قول الأخطل: [بحر الوافر]

و إذا دعونك عمهّن فإنه نسب يزيدك عندهنّ خبالا

و إذا دعونك يا أختي فإنه أدنى و أقرب خلّة و وصالا

و قال ابن دحية في حقه أيضا: و الذي انفرد به شيخنا و انقاد لطباعه، و صارت النبهاء فيه من خوله و أتباعه، الموشحات، و هي زبده

الشعر و نخبته، و خلاصه جوهره و صفوته، و هي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٧٧

من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق، و ظهورها فيها كالشمس الطالعة و الضياء المشرق، انتهى.

و من مشهور موشحات ابن زهر قوله:

ما للموله من سكره لا يفيق

و هذا مطلع موشح يستعمله أهل المغرب إلى الآن، و يرون أنه من أحسن الموشحات.

و من موشحاته قوله:

سلم الأمر للقضا فهو للنفس أنفع

و اغتم حين أقبلا وجه بدر

تهللا لا تقل بالهموم لا

كل ما فات و انقضى ليس بالحزن يرجع

و اصطبج بابنة الكروم من يدى شادن رقيم

حين يفتّر عن نظيم

فيه برق قد أومضا و رحيق مشعشع

أنا أفديه من رشا أهيف القدّ و الحشا

سقى الحسن فانتشى

مذ تولى و أعرضا ففؤادى يقطع

من لصبّ غدا مشوق ظلّ في دمه غريق

حين أموا حمى العقيق

و استقلّوا بذى الغضا أسفى يوم ودّعوا

ما ترى حين أظعنا و سرى الركب موهنا

و اكنسى الليل بالسنا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٧٨

نورهم ذا الذى أضا أم مع الركب يوشع

و رأيت مع هذا موشحا آخر لا أدري هل هو لابن زهر أم لا، و هو هذا:

فتق المسك بكافور الصباح و وشت بالزّوض أعراف الرياح

فاستقنيها قبل نور الفلق و غناء الورق بين الورق

كاحمرار الشمس عند الشفق

نسج المزج عليها حين لاح فلكك اللهو و شمس الاصطباح
و غزال سامنى بالملق و برا جسمى و أذكى حرقى
أهيف مذ سل سيف الحدق
قصرت عنه أنابيب الرماح و ثنى الذعر مشاهير الصفاح
صار بالدل فؤادى كلفا و جفون ساحرات و طفا
كلما قلت جوى الحب انطفا
أمرض القلب بأجفان صحاح و سبى العقل بجد و مزاح
يوسفى الحسن عذب المبتسم قمرى الوجه ليلى اللمم
عنترى البأس علوى الهمم
غصنى القد مهضوم الوشاح مادرى الوصل طائى السماح
قد بالقد فؤادى هيفا و سبى عقلى لما انعطفا
ليته بالوصل أحيا دنفا
مستطار العقل مقصوص الجناح ما عليه فى هواه من جناح
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٧٩
يا على أنت نور المقل جد بوصل منك لى يا أملى
كم أغنيك إذا ما لحت لى
طرقت و الليل ممدود الجناح مرحبا بالشمس من غير صباح

١٦٤- و منهم أبو الحجاج الساحلى، يوسف بن إبراهيم بن محمد بن قاسم بن على، الفهرى، الغرناطى.

قال فى الإحاطة: صدر من صدور حملة القرآن على و تيرة الفضلاء و سنن الصالحين حج و لقي الأشياخ بعد أن قرأ على الأستاذ أبى جعفر بن الزبير و طبقتة، و من نظمه يخاطب الوزير ابن الحكيم و قد أصابته حمى تركت على شفته بثورا: [بحر السريع]
حاشاك أن تمرض حاشاكا قد اشتكى قلبى لشكواكا
إن كنت محموما ضعيف القوى فإننى أحسد حماكا
ما رضيت حماكا إذ باشرت جسمك حتى قبلت فاكا
قال أبو الحجاج رحمه الله تعالى: و كتب إلى شيخنا محمد بن محمد بن عتيق بن رشيق فى الاستدعاء الذى أجازنى فيه و لمن ذكر معى: [بحر الطويل]

أجزت لهم أبقاهم الله كل ما رويت عن الأشياخ فى سالف الدهر
و ما سمعت أذناى من كل عالم و ما جاد من نظمى و ما راق من نثرى
على شرط أصحاب الحديث و ضبطهم برىء عن التصحيف عار عن النكر
كنت لهم خطى و اسمى محمد أبو القاسم المكنى ما فيه من نكر
و جدى رشيق شاع فى الغرب ذكره و فى الشرق أيضا فادر إن كنت لا تدرى
ولى مولد من بعد عشرين حجة ثمان على الست المثين ابتدا عمرى
و بالله توفيقى عليه توكللى له الحمد فى الحالين فى العسر و اليسر

و مولد أبي الحجاج المذكور سنة ٦٦٢، و توفي سنة ٧٠٢، رحمه الله تعالى! انتهى باختصار.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٨٠

١٦٥- و ممن ارتحل من الأندلس إلى المشرق شاعر الأندلس يحيى بن الحكم، البكرى الجباني الملقب بالغزال لجماله

، و هو في المائة الثالثة، من بنى بكر بن وائل.

قال ابن حيان في «المقتبس»: كان الغزال حكيم الأندلس، و شاعرها، و عرافها، عمر أربعاً و تسعين سنة، و لحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالأندلس: أولهم عبد الرحمن بن معاوية، و آخرهم الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم.

و من شعره: [الرجز]

أدركت بالمصر ملوكاً أربعاً و خامساً هذا الذي نحن معه

و له على أسلوب ابن أبي حكيمة راشد بن إسحاق الكاتب. [بحر الكامل]

خرجت إليك و ثوبها مقلوب و لقلبها طرباً إليك و جيب

و كأنها في الدار حين تعرّضت ظبي تعلل بالفلا مرعوب

و تبسّمت فأنتك حين تبسّمت بجمان درّ لم يشنه ثقوب

و دعتك داعية الصبا فتطرّبت نفس إلى داعي الضلال طروب

حسبتك في حال الغرام كعهدا في الدار إذ غصن الشباب رطيب

و عرفت ما في نفسها فضممتها فتساقطت بهنأة رعبوب

و قبضت ذاك الشيء قبضة شاهن فزأ إلى عضنك حلوبوب

بيدي الشمال و للشمال لطافة ليست لأخرى و الأديب أريب

فأصاب كفى منه حين لمست بلبل كماء الورد حين يسيب

و تحللت نفسي للذة رشحه حتى خشيت على الفؤاد يذوب

فتقاعس الملعون عنه و ربّما ناديته خيراً فليس يجيب

و أبي فحقّق في الإباء كأنه جان يقاد إلى الردى مكروب

و تعصّنت جنباته فكأنه كير تقادم عهده مثقوب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٨١

حتى إذا ما الصبح لاح عموده قيساً و حان من الظلام ذهب

ساءلتها خجلاً أما لك حاجة عندي؟ فقالت: ساخر و حروب

قالت حرامك إذ أردت و داعها قرن و فيه عوارض و شعوب

و ذكرها ابن دحية بمخالفة لما سردناه.

قال عتبة التاجر: وجهني الأمير الحكم و ابنه عبد الرحمن إلى المشرق و عبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل المأمون، فلقيته بالعراق،

فسألني عن هذه هل أحفظها للغزال؟

قلت: نعم، فاستنشدنيها، فأشدته إياها، فسربها، و كتبها، قال عتبة: و نلت بها حظاً عنده.

و البهنانة: المرأة الطيبة النفس و الأبرج، كما في الصحاح، و قيل: اللينة في منقطها و عملها، و قيل: الضحاكة المتهللة، و الرعبوب:

السبطة البيضاء، و السبطة: الطويلة.

و قال سامحه الله تعالى: [بحر السريع]
 سألت في النوم أبى آدمما فقلت و القلب به وامق
 ابنك بالله أبو حازم؟! صلى عليك المالك الخالق
 فقال لى: إن كان منى و من نسلى فحوّا أمكم طالق
 و قال رضى الله تعالى عنه: [بحر الوافر]
 أرى أهل اليسار إذا توفّوا بنوا تلك المقابر بالصخور
 أبوا إلا مباحاة و فخرا على الفقراء حتى فى القبور
 فإن يكن التفاضل فى ذراها فإن العدل فيها فى القعور
 رضيت بمن تأتق فى بناء فبالغ فيه تصريف الدهور
 ألما يبصروا ما خربته الدهور من المدائن و القصور
 لعمر أبيهم لو أبصروهم لما عرف الغنى من الفقير
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٨٢
 و لا عرفوا العبيد من الموالى و لا عرفوا الإناث من الذكور
 و لا من كان يلبس ثوب صوف من البدن المباشر للحريير
 إذا أكل الثرى هذا و هذا فما فضل الكبير على الحقير
 و قال رضى الله تعالى عنه: [بحر الخفيف]
 لا، و من أعمل المطايا إليه كل من يرتجى إليه نصيبا
 ما أرى ههنا من الناس إلا ثعلبا يطلب الدجاج و ذيبا
 أو شبيها بالقط ألقى بعينى ه إلى فارة يريد الوثوبا
 و قال رضى الله تعالى عنه: [بحر الكامل]
 قالت أحبك قلت كاذبة غرى بذا من ليس ينتقد
 هذا كلام لست أقبله الشيخ ليس يحبه أحد
 سيان قولك ذا و قولك إن الريح نعقدها فتنعقد
 أو أن تقولى النار باردة أو أن تقولى الماء يتقد
 و حكى أبو الخطاب بن دحية فى كتاب «المطرب» أن الغزال أرسل إلى بلاد المجوس و قد قرب الخمسين، و قد و خطه الشيب، و
 لكنه كان مجتمع الأشد، فسألته زوجته الملك يوما عن سنه، فقال مداعبا لها: عشرون سنة، فقالت: و ما هذا الشيب؟ فقال: و ما تنكرين
 من هذا؟ ألم ترى قطّ مهرا ينتج و هو أشهب؟ فأعجبت بقوله، فقال فى ذلك، و اسم الملكة تود: [بحر السريع]
 كلّفت يا قلبى هوى متعبا غالبت منه الضيغم الأغلبا
 إنى تعلقت مجوسية تأبى لشمس الحسن أن تغربا
 أقصى بلاد الله فى حيث لا يلقى إليه ذاهب مذهبا
 يا تود يا رود الشباب التى تطلع من أزوارها الكوكبا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٨٣
 يا بأبى الشخص الذى لا أرى أحلى على قلبى، و لا أعذبا

إن قلت يوماً إنَّ عيني رأَت مشبهه أم أعد أن أكذباً

قلت أرى فوديه قد نَوَّرا دعابةً توجب أن أدعبا

قلت لها: ما باله؟ إنه قد ينتج المهر كذا أشهباً

فاستضحكت عجباً بقولي لها و إنما قلت لكي تعجبا

قال: و لما فهمها الترجمان شعر الغزال ضحكت، و أمرته بالخضاب، فغدا عليها و قد اختضب و قال [بحر الكامل]:

بكرت تحسّن لي سواد خضابي فكأن ذاك أعادني لشبابي

ما الشيب عندي و الخضاب لوأصف إلا كشمس جلّت بضباب

تخفي قليلاً ثم يقشعها الصّبأ فيصير ما سترت به لذهاب

لا تنكري وضح المشيب فإنما هو زهرة الأفهام و الأبواب

فلدّي ما تهوين من زهو الصبا و طلاوة الأخلاق و الآداب

و حكى ابن حيان في «المقتبس» أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم المرواني ووجه شاعره الغزال إلى ملك الروم، فأعجبه حديثه، و خف على قلبه، و طلب منه أن ينادمه، فامتنع من ذلك، و اعتذر بتحريم الخمر، و كان يوماً جالسا عنده، و إذا بزوجة الملك قد خرجت و عليها زينتها، و هي كالشمس الطالعة حسنا، فجعل الغزال لا يميل طرفه عنها، و جعل الملك يحدثه و هولاه عن حديثه، فأنكر ذلك عليه، و أمر الترجمان بسؤاله، فقال له: عرّفه أني قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فإنني لم أر قط مثلاً، و أخذ في وصفها و التعجب من جمالها، و أنها شوقته إلى الحور العين، فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده، و سرّت الملكة بقوله، و أمرت الترجمان أن يسأله عن السبب الذي دعا المسلمين إلى الختان، و تجشّم المكروه فيه، و تغيير خلق الله، مع خلّوه من الفائدة، فقال للترجمان: عرفها أن فيه أكبر فائدة، و ذلك أن الغصن إذا زبر قوى، و اشتد، و غلظ، و ما دام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقاً ضعيفاً، فضحكت و فطنت لتعريضه، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٨٤

و من شعر الغزال قوله: [بحر الكامل]

يا راجيا ودّ الغواني ضلّةً و فؤاده كلف بهنّ موكل

إن النساء لكالسروج حقيقةً فالسرج سرجك ريثما لا تنزل

فإذا نزلت فإنّ غيرك نازل ذاك المكان و فاعل ما تفعل

أو منزل المجتاز أصبح غاديا عنه و ينزل بعده من ينزل

أو كالثمار مباحةً أغصانها تدنو لأول من يمر فيأكل

أعط الشيبه لا أبا لك حقّها منها، فإنّ نعيمها متحوّل

و إذا سلبت ثيابها لم تنتفع عند النساء بكل ما تستبدل

و قال: [بحر مجزوء الرمل]

قال لي يحيى و صرنا بين موج كالجبال

و تولتنا رياح من دبور و شمال

شقت القلعين و ابنتت عرا تلك الجبال

و تمطّي ملك الموت إلينا عن حيال

فأرأينا الموت رأى ال عين حالا بعد حال

لم يكن للقوم فينا يا رفيقى رأس مال
و منها:

و سليمان ذات زهد فى زهيد فى وصال
كلما قلت صلينى حاسبتنى بالخيال
و الكرى قد منعتة مقلتى أخرى الليالى
و هى أدرى فلماذا دافعتنى بمحال
أ ترى أنا اقتضينا بعد شيئاً من نوال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٨٥
و له: [بحر الكامل]

من ظن أن الدهر ليس يصيبه بالحداثات فإنه مغرور
فالق الزمان مهوونا لخطوبه و انجرّ حيث يجرك المقدور
و إذا تقلبت الأمور و لم تدم فسواء المحزون و المسرور

و عاش الغزال أربعاً و تسعين سنة، و توفى فى حدود الخمسين و المائتين، سامحه الله تعالى!

و كان الغزال أقذع فى هجاء على بن نافع المعروف بزرياب، فذكر ذلك لعبد الرحمن، فأمر بنفيه، فدخل العراق، و ذلك بعد موت
أبى نواس بمدة يسيرة، فوجدهم يلهجون بذكره، و لا يساوون شعر أحد بشعره، فجلس يوماً مع جماعة منهم فأزروا بأهل الأندلس، و
استهجنوا أشعارهم، فتركهم حتى وقعوا فى ذكر أبى نواس، فقال لهم: من يحفظ منكم قوله: [بحر الطويل]

و لما رأيت الشرب أكدت سماؤهم تأبّطت زقى و احتبست عنائى

فلما أتيت الحان ناديت ربّه فتأبّطت خفيف الروح نحو ندائى

قليل هجوع العين إلا تعلّ على وجل منى و من نظرائى

فقلت أذقيها فلما أذاقها طرحت عليه ريطتى و ردائى

و قلت أعرنى بذله أستتر بها بذلت له فيها طلاق نسائى

فو الله ما برت يمينى و لا وقت له غير أنى ضامن بوفائى

فأبت إلى صحبى و لم أك آتبا فكلّ يفدينى و حقّ فدائى

فأعجبوا بالشعر، و ذهبوا فى مدحهم له، فلما أفرطوا قال لهم: خفضوا عليكم، فإنه لى، فأنكروا ذلك، فأنشدهم قصيدته التى أولها [بحر
الطويل]:

تداركت فى شرب النبيذ خطائى و فارقت فيه شيمتى و حيائى

فلما أتمّ القصيدة بالإنشاد خجلوا، و افرقوا عنه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٨٦

و حكى أن يحيى الغزال أراد أن يعارض سورة قل هو الله أحد (١) [الإخلاص: ١] فلما رام ذلك أخذته هيبه و حاله لم يعرفها، فأناب
إلى الله، فعاد إلى حاله.

و حكى أن عباس بن ناصح الثقفى قاضى الجزيرة الخضراء كان يفد على قرطبة و يأخذ عنه أداؤها و مرت عليهم قصيدته التى أولها:
[بحر الطويل]

لعمرك ما البلوى بعار و لا العدم إذا المرء لم يعدم تقى الله و الكرم

حتى انتهى القارئ إلى قوله:

تجاف عن الدنيا فما لمعجز ولا عاجز إلا الذي خَطَّ بالقلم

فقال له الغزال، و كان في الحلقة، و هو إذ ذاك حدث نظام متأدب ذكى القريحة: أيها الشيخ، و ما الذى يصنع مفعّل مع فاعل؟ فقال له: كيف تقول؟ فقال: كنت أقول: فليس لعاجز ولا حازم، فقال له عباس: و الله يا بنى لقد طلبها عمك فما وجدها.

و أنشد يوما قوله من قصيدة: [بحر الطويل]

بقرت بطون الشعر فاستفرغ الحشى بكفى حتى آب خاويه من بقرى

فقال له بكر بن عيسى الشاعر: أما و الله يا أبا العلاء، لئن كنت بقرت الحشى لقد و سخت يديك بفرثه، و ملأتهما بدمه، و خبثت نفسك بنتنه، و خشمت أنفك بعرفه، فاستحيا عباس و أفحم عن جوابه.

١٦٦- و منهم الشهير بالمغرب و المشارق، المحلى بجواهره صدور المهارق، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسى.

متمم كتاب «المغرب، فى أخبار المغرب» قال فيه: و أنا أعتذر فى إيراد ترجمتى هنا بما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٨٧

اعتذر به ابن الإمام فى كتاب «سمط الجمان» و بما اعتذر به الحجارى فى كتاب «المسهب» و ابن القطاع فى «الدرة الخظيرة» و غيرهم من العلماء.

فمن نظمه عند ما ورد الديار المصرية: [بحر الكامل]

أصبحت أعترض الوجوه و لا أرى ما بينها وجهها لمن أدريه

عودى على بدئى ضلالا بينهم حتى كأنى من بقايا التيه

ويح الغريب توخشت ألاحظه فى عالم ليسوا له بشبيه

إن عاد لى وطنى اعترفت بحقه إن التغرب ضاع عمرى فيه

و له من قصيدة يمدح ملك إفريقية أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص:

[بحر الكامل]

الأفق طلق و النسيم رخاء و الروض وشت برده الأنداء

و النهر قد مالت عليه غصونه فكأنما هو مقله و طفاء

و بدا نثار الجلنار بصفحه فكأنما هو حية رقطاع

و الشمس قد رقت طرازا فوقعه فكأنما هى حلّه زرقاء

فأدر كؤوسك كى يتم لك المنى و اسمع إلى ما قالت الوراق

تدعوك حى على الصبوح فلا تنم فعلى المنام لدى الصباح عفاء

و له [أيضا]: [بحر الخفيف]

كم جفانى و رمت أدعو عليه فتوقفت ثم ناديت قائل

لا شفى الله لحظه من سقام و أرانى عذاره و هو سائل

و له من قصيدة كتب بها إلى ملك سبته الموفق أبى العباس أحمد بن أبى الفضل السبتي شافعا لشخص رغب فى خدمته: [بحر

الكامل]

بالعدل قمت و بالسماح فدن وجد لا فارقتك كفاية و عطاء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٨٨
ما كلّ من طلب السعادة نالها و طلاب ما يأبى القضاء شقاء
و منها:

و قد استطار بأسطرى نحو الندى من أنهضته لنحوك العلياء
طلب النباهة في ذراك فما له إلا لديك تأمل و رجاء
و هو الذى بعد التجارب أحمدت أحواله و جرى عليه ثناء
لا يقرب الدنس المريب كواصل هجرته خوفا أن يشان الراء
[قد مارس الحرب الزبون زمانه و جرت عليه شدة و رخاء]
و علاك تقضى أن يسود بأفقهها لا غرو أن يعلى الشهاب بهاء
و قوله من قصيدة: [بحر الكامل]

ألف التغزب و التوحش مثل ما ألف التوحش و النفور ظباء
حجابه ألفوا التهجم و الجفا فهم لكل أخى هدى أعداء
مهما يرم طلب إليه تقريبا بعدت بذاك البدر عنه سماء
لكننى ما زلت أخدع حاجبا و مراقبا حتى الآن حباء
و الأرض لم تظهر محجب نبتها حتى حبتها الديمة الوطفاء
قيل: و هذا معنى لم يسمع من غيره، و قوله فى خسوف البدر: [بحر الكامل]

شان الخسوف البدر بعد جماله فكأنه ماء عليه غشاء
أو مثل مرآة لخود قد قضت نظرا بها فعلا الجلاء غشاء
و له من قصيدة عتاب يقول فيها: [بحر الكامل]

و لقد كسبت بكم علا لكنها صارت بأقوال الوشاة هباء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٨٩

فغدوت ما بين الصحابة أجربا كلّ يحاذر منى الأعداء
و لقد أرى أن النجوم تقلّ لى حجبا و أصغر أن أحلّ سماء
فليهجروا هجر الفطيم لدرّه و يساعدوا الزمن الخؤون جفاء
فلقد شكوت لهم إحالة ودهم إذ لم أكن أرضى بهم خدما
إيه فذكرهم أقلّ، و إنما أومى إليك فتفهم الإيماء
لو لم يكن قيد لما فتكت ظبا أنت الذى صيرتهم أعداء
و لو اننى أرجو ارتجاعك لم أطل شكوى و لم أستبعد الإغضاء
لكن رأيتك لا تميل سجيّة نحوى و لا تتكلف الإصغاء
إن لم يكن عطف فمّنوا بالتوى إن الكريم إذا أهين تناءى
و قوله: [بحر الكامل]

و لكم سرينا فى متون ضوامر تثنى أعتتها من الخيلاء
من أدهم كالليل حجّل بالضحي فتشوّ غرّته عن ابن ذكاء

أو أشهب يحكى غدائر أشيب خلعت عليه الشهب فضل رداء
 أو أشقر قد نمّفته بشعله كالمزج ثار بصفحة الصّهباء
 أو أصفر قد زيّنته غرّة حتى بدا كالشمعة الصفراء
 طارت، و لكن لا يهاض جناحها هبت، و لكن لم تكن برخاء
 و قوله من أبيات فى افتضاض بكر: [بحر الكامل]
 و خريده ما إن رأيت مثالها حيّت من الألاحظ بالإيماء
 فسألته سمع الشكاه فأفهمت أن الرقيب جهينه الأنباء
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢، ص ٣٨٩
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٩٠
 و تبعته و سألت منها قبله فى خلوه من أعين الرقباء
 فثت على قوامها بتعانق أحيا فؤادا مات بالبرحاء
 و وجدت لها ملكة عنانها عذراء مثل الدرّة العذراء
 جاءت إلى كورده محمّرة فتركتها كعراة صفراء
 و سلبتها ما احمرّ منها صفوه فجرى مذابا منجحا لرجائى
 و قوله من أبيات: [بحر الكامل]

أحبابنا عودوا علينا عودة ما منكم بعد التفرق مرغ
 كم ذا أداريكم بنفسى جاهدا و كأنما أرضيكم كى تغضبوا
 و أزيد بعدا ما اقتربت إليكم كالسهم أبعد ما يرى إذ يقرب
 و أجوب نحوكم المنازل جاهدا و مع اجتهادى فاتنى ما أطلب
 كالبدر أقطع منزلا فى منزل فإذا انتهيت إلى ذراكم أغرب
 و قوله من أبيات [البحر الطويل]:

سألتك يا من يستلان فيصعب و من يترضى بالحياة فيغضب
 أما خدك البدر المنير فلم غدت تحلّ به ضدّ القضية عقرب
 و قوله، و قد داعبه أحد الفقهاء و سرق سكينه من حرز: [بحر الطويل]

أيا سارقا ملكا مصونا و لم يجب على يده قطع و فيه نصاب
 ستندبه الأقلام عند عثارها و يبكيه إن يعدّ الصّواب كتاب

و قوله فى تفاحة عنبر أهديت للملك الصالح نجم الدين أيوب [بحر الخفيف]:

أنا لون الشباب و الخال أهدى ت لمن قد كسا الزمان شبابا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٩١

ملك العالمين نجم بنى أى وب لا زال فى المعالى شهابا

جئت ملأى من الثناء عليه من شكور إحسانه و الثوابا

لست ممّن له خطاب و لكن قد كفانى أريج عرفى خطابا

و قوله من قصيدة: [بحر السريع]

فالحمد لله على ساعة قد قرّبتني من علا الصاحب

و لعيزر المولى على أننى قد كنت من عليه فى جانب

كمن أتى نافله أولا ثم أتى من بعد بالواجب

و قوله من أبيات: [بحر الطويل]

فإن كنت فى أرض النغزب غاربا فسوف ترانى طالعا فوق غارب

فصمصام عمرو حين فارق كفه رموه و لا ذنب لعجز المضارب

و ما عزة الصرغام إلّا عرينه و من مكة سادت لوى بن غالب

و قوله فى فرس أصفر أغر أكحل الحلية: [بحر الطويل]

و أجرد تبرى أثرت به الثرى و للفجر فى خصر الظلام و شاح

له لون ذى عشق و حسن معشّق لذلك فيه ذلّه و قراح

عجبت له و هو الأصيل بعرفه ظلام و بين الناظرين صباح

يقيد طير اللحظ و الوحش عندما يطير به نحو النجاح جناح

و قوله من أبيات: [بحر الطويل]

إذا ما غراب الين صاح فقل له ترّق رماك الله يا طير بالبعد

لأنت على العشاق أقيح منظرا و أكره فى الأبصار من ظلمة اللحد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٩٢

تصيح بنوح ثم تعثر ماشيا و تبرز فى ثوب من الحزن مسودّ

متى نحت صح الين و انقطع الرجا كأنك من وشك الفراق على وعد

و قوله فى غلام جميل الصورة أهدى تفاحة: [بحر مجزوء الرمل]

ناب ما أهديت عن عرف و عن ريق و خدّ

حبذا تفاحة قد أشبهت أوصاف مهدى

بتّ منها فى سرور فكأن قد بتّ عندى

و قوله من قصيدة: [بحر البسيط]

هذا الذى يهب الدنيا بأجمعها و بعد ذلك يلقى و هو يعتذر

إن هزّه المدح فالأموال فى بدد و الغصن ما هزّ إلا بدد الثمر

[فقلت لما بدا لى حسن منظره لكنه زاد إشراقا: هو القمر]

متّع لحاظك فى وجه بلا ضرر إن كان شمسا يدها تحتها مطر

و قوله من أبيات: [بحر الكامل]

لى جيرة ضنّوا علىّ و جاروا فنبت بى الأوطان و الأوطار

و من العجائب أننى مع جورهم ما قرّ لى بعد الفراق قرار

و قوله: [بحر الكامل]

أنا شاعر أهوى التخلّى دون ما زوج لكىما تخلص الأفكار

لو كنت ذا زوج لكنت منغصا فى كل حين رزقها أمتار

دعنى أرح طول التغرب خاطرى حتى أعود و يستقر قرار
 كم قائل قد ضاع شرح شبابه ما ضيعته بطالة و عقار
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٩٣
 إذ لم أزل فى العلم أجهد دائما حتى تأتت هذه الأبكار
 مهما أرم من دون زوج لم أكن كلاً و رزقى دائما مدرار
 و إذا خرجت لفرجه هنيئها لا ضيعه ضاعت و لا تذكار
 و قوله من قصيدة: [بحر الكامل]

ما كنت أحسب أن أضيع و أنت فى ال دنيا و أن أمسى غربيا معسرا
 أنا مثل سهم سوف يرجع بعدما أقصاه راميه المجيد ليخبرا
 و قوله سامحه الله تعالى: [بحر مخلع البسيط]
 وافى على لنا بسيف و البين قد حان و الوداع
 فقال شبه فقلت شمس قد مد من نورها شعاع

و قوله من قصيدة فى ملك إشبيلية الباجى، و قد هزم ابن هود: [بحر الكامل]
 لله فرسان غدت راياتهم مثل الطيور على عداك تحلق
 السمى تنقط ما تسطر بيضهم و النقع يترب و الدماء تخلق

و قال ارتجالا- بمحضر زكى الدين بن أبى الأصبع و جمال الدين أبى الحسين الجزار المصرى الشاعر و نجم الدين بن إسرائيل
 الدمشقى بظاهر القاهرة، و قد مضى حدهم على بسيط نرجس: [بحر السريع]

يا واطئ النرجس ما تستحى أن تطأ العين بالأرجل
 فتهافتوا بهذا البيت، و راموا إجازته، فقال ابن أبى الإصبع مجيزا: [بحر السريع]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٩٤
 فقلت دعنى لم أزل محرجا على لحاظ الرشا الأكل
 و كان أمثل ما حضرهم، ثم أبوا أن يجيزه غيره، فقال: [بحر السريع]
 قابل جفونا بجفون و لا تبتذل الأرفع بالأسفل

و قوله فى الجزيرة الصالحية بمصر، و هى الشهيرة الآن بالروضة: [بحر الطويل]
 تأمل لحسن الصالحية إذ بدت مناظرها مثل النجوم تلالا
 و للقلعة الغراء كالبدر طالعا تفجر صدر الماء عنه هلالا
 و وافى إليها النيل من بعد غاية كما زار مشغوف يروم وصالا
 و عانقها من فرط شوق بحسناها فمد يمينا نحوها و شمالا
 جرى قادما بالسعد فاخطت حولها من السعد إعلاما بذلك دالا

و قوله من أبيات فى ملك إفريقية و قد جهز ولده الأمير أبى يحيى بعسكر: [بحر الوافر]
 و قد أرسلته نحو الأعادى كما جردت من غمد حساما
 و قوله فى قوس: [بحر الخفيف]

أنا مثل الهلال فى ظلم التّع سهامى تنقض مثل النجوم

تقصر القضب و القنا عن مجالى عند رجمى بها لكل رجم

قد كستها الطيور لما رأتها كافات لها برزق عميم

و قوله من أبيات: [بحر الطويل]

و أشقر مثل البرق لونا و سرعته قصدت عليه عارض الجود فانهمى

و لنذكر ترجمته من الإحاطة ملخصة، فنقول:

قال لسان الدين: على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٩٥

سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي، المدلجي، من أهل قلعة يحصب، غرناطى، قلعي، سكن تونس، أبو الحسن بن سعيد، و هذا الرجل وسطى عقد بيته، و علم أهله، و درة قومه، المصنف، الأديب، الرحالة، الطرفة، الأخبارى، العجيب الشأن فى التجول فى الأقطار، و مداخلة الأعيان، للتمتع بالخزائن العلمية، و تقييد الفوائد المشرقية و المغربية، أخذ من أعلام إشبيلية كأبى على الشلوين، و أبى الحسن الدباج و ابن عصفور و غيرهم، و تواليفه كثيرة: منها «المرقصات و المطربات» و «المقتطف، من أزاهر الطرف» و «الطالع السعيد، فى تاريخ بنى سعيد» تاريخ بيته و بلده، و الموضوعان الغريبان المتعددا الأسفار، و هما «المغرب، فى حلى المغرب» و «المشرق، فى حلى المشرق» و غير ذلك مما لم يتصل إلينا، فلقد حدثنى الوزير أبو بكر بن الحكيم أنه تخلف كتابا يسمى «المرزومة» يشتمل على وقر بعير من رزم الكرايس لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية و الأخبارية إلا الله تعالى، و تعاطى نظم الشعر فى حد من الشيبية يعجب فيه من مثله، فيذكر أنه خرج مع أبيه إلى إشبيلية و فى صحبته سهل بن مالك، فجعل سهل بن مالك يباحثه عن نظمه إلى أن أنشده فى صفة نهر و النسيم يردده و الغصون تميل عليه:

[بحر المنسرح]

كأنما النهر صفحة كتبت أسطرها، و النسيم ينشئها

لما أبانت عن حسن منظرها مالت عليها الغصون تقرؤها

فطرب و أثنى عليه.

ثم ناب عن أبيه فى أعمال الجزيرة، و مازج الأدباء، و دون كثيرا من نظمه، و دخل القاهرة، فصنع له أدباؤها صنيعا فى ظاهرها، و

انتهت بهم الفرجة إلى روض نرجس، و كان فيهم أبو الحسين الجزار فجعل يدوس النرجس برجله، فقال أبو الحسن: [بحر السريع]

يا واطئ النرجس ما تستحى أن تطأ العين بالأرجل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٩٦

فتهافتوا بهذا البيت، و راموا إجازته، فقال ابن أبى الأصبح: [بحر السريع]

فقال دعنى لم أزل محنقا على لحاظ الرشا الأكل

و كان أمثل ما حضرهم، ثم أبوا أن يجيزه غيره، فقال: [بحر السريع]

قابل جفونا بجفون، و لا تتبدل الأرفع بالأسفل

ثم استدعاه سيف الدين بن سابق إلى مجلس بصفه النيل مبسوط بالورد، و قد قامت حوله شمامات نرجس، فقال فى ذلك: [بحر

السريع]

من فضل النرجس فهو الذى يرضى بحكم الورد إذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا و قام فى خدمته النرجس

و وافق ذلك مماليك الترك و قوفا فى الخدمة، على عادة المشاركة فطرب الحاضرون.

و لقي بمصر أيدمر التركي و البهاء زهيراً و جمال الدين بن مطروح و ابن يغمور و غيرهم، و رحل صحبةً كمال الدين بن العديم إلى حلب، فدخل على الناصر صاحب حلب، فأنشده قصيدةً أولها: [بحر الكامل]

جد لي بما لقي الخيال من الكرى لا بد للضيف الملمّ من القرى

فقال كمال الدين: هذا رجل عارف، ورى بمقصوده من أول كلمته، و هي قصيدةٌ طويلةٌ، فاستجلسه السلطان، و سأله عن بلاده و مقصوده برحلته، و أخبره أنه جمع كتاباً في الحلى البلدية و العلى العبادية المختصة بالمشرق، و أخبره أنه سماه «المشرق، في حلى المشرق» و جمع مثله فسماه «المغرب، في حلى المغرب» فقال: نعينك بما عندنا من الخزائن، و نوصلك إلى ما ليس عندنا كخزائن الموصل و بغداد، و تصنف لنا، فخدم على عادتهم، و قال: أمر مولاي بذلك إنعام و تأنيس، ثم قال له السلطان مداعباً: إن شعراءنا ملقبون بأسماء الطيور، و قد اخترت لك لقباً يليق بحسن صوتك و إيرادك للشعر، فإن كنت ترضى به، و إلا لم نعلم به أحداً غيرنا، و هو البلبل، فقال: قد رضى المملوك يا خوند، فتبسم السلطان. و قال له أيضاً

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٩٧

يداعبه: اختر واحدة من ثلاث: إما الضيافة التي ذكرتها أول شعرك، و إما جائزة القصيدة، و إما حق الاسم، فقال: يا خوند المملوك مما لا يختنق بعشر لقم [لأنه مغربي أكل] فكيف بثلاث؟ فطرب السلطان و قال: هذا مغربي ظريف، ثم أتبعه من الدنانير و الخلع [الملوكية] و التواقيع بالأرزاق ما لا يوصف.

و لقي بحضرته عون الدين العجمي، و هو بحر لا تنزفه الدلاء، و الشهاب التلعفري، و التاج ابن شقير، و ابن نجيم الموصلية، و الشرف بن سليمان الإربلي، و طائفة من بني الصاحب، ثم تحول إلى دمشق، و دخل الموصل و بغداد، و دخل مجلس السلطان المعظم بن الملك الصالح بدمشق، و حضر مجلس خلوته، و كان ارتحاله إلى بغداد في عقب سنة ثمان و أربعين و ستمائة في رحلته الأولى إليها، ثم رحل إلى البصرة و دخل أرجان، و حج، ثم عاد إلى المغرب، و قد صنّف في رحلته مجموعاً سماه ب «النفحة المسكية» في الرحلة المكية» و كان نزوله بساحل مدينة إقليبية من إفريقية في إحدى جمادى سنة اثنتين و خمسين و ستمائة، و اتصل بخدمة الأمير أبي عبد الله المستنصر، فنال الدرجة الرفيعة من حظوته.

حدثني شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم أن المستنصر جفاه في آخر عمره و قد أسن لجزء خدمة ماله أسندها إليه، و قد كان بلاء منه قبل جفوة أعقبها انتشار و عناية، فكتب إليه بنظم من جملته.

لا ترعني بالجفا ثانياً

فرق له، و عاد إلى حسن النظر إليه، إلى أن توفي تحت بر و عناية.

مولده بغرناطة ليلة الفطر سنة عشر و ستمائة، و وفاته بتونس في حدود خمسة و ثمانين و ستمائة، انتهى باختصار.

و ذكرت حكاية إجازة بيته في النرجس و إن تقدمت لاتصال الكلام.

قلت: قد كنت وقفت على بعض ديوان شعره المتعدد الأسفار، و نقلت منه قوله من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٩٨

قصيدة يهنئ ابن عمه الرئيس أبا عبد الله بن الحسين بقدمه من حركة هواره: [بحر الطويل]

أما واجب أن لا يحول وجيب و قد بعدت دار و حان حبيب

و ليس أليف غير ذكر و حسرة و دمع على من لا يرق صيب

و خفق فؤاد إن هفا البرق خافقاً و شوق كما شاء الهوى و نحيب

و يعدلني من ليس يعرف ما الهوى و عدل مشوق في البكاء عجيب

ألا تعس اللوام في الحبّ قد عموا و صمّوا و دائي ليس منه طيب

يرومون أن يثنى الملام صبايتي و لست إلى داعي الملام أجيب
وفائى إذا ما غبت عنكم مجدّد و غيرى ذو غدر أو ان يغيب
و لو لم يكن منى الوفاء سجيئة لكنت لغير ابن الحسين أنيب
سموئل هذا العصر حاتم جوده مهلبه إن مارسته حروب
فتى سِير الأمداح شرقا و مغربا أبو دلف من دونه و خصيب
إذا رقم القرطاس قلت ابن مقله و إن نظم الأشعار قلت حبيب
و إن نثر الأسجاع قلت سميه و إن سرد التاريخ قلت عريب
و ما أحرز الصّولّى آدابه التى إذا ما تلاها لم يجبه أديب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٣٩٩
و منها:

و أما إذا ما الحرب أحمده نارها ففيه تلظى مارج و لهيب
فكم قارع الأبطال فى كل وجهه نحاهما و كم لفت عليه حروب
و كائن له بالغرب من موقف له حديث إذا يتلى تطير قلوب
بمراکش سل عنه تعلم غناه و قد ساءهم يوم هناك عصيب
إذا ما ثنى الرمح الطويل كأنه مدير لغصن الخيزران لعوب
و إن جرّه أبصرت نجما مجرّرا ذؤابته، منه الكماء تذوب
يهيم به ما إن يزال معانقا له راكعات ما تحوز كعوب
محمد، لا تبد الذى أنت قادر عليه، و خف عينا علاك تصيب
نفوذ سهام العين أودى بمصعب و طاح به بعد الشوب شيب
ألا فهنيئا أن رجعت لتونس فأطلعت شمسا و السفار غروب
كواكبها تبدو إذا ما تركتها و قد جعلت مهما حضرت تغيب
إذا سدت فى أرض فغيرك تابع علاك، و مهما ساد فهو مريب
و منها:

كفانى أنى أستظل بظلكم و من هاب ذاك المجد فهو مهيب
فأصلك أصلى و الفروع تباينت بعيد على من رامه و قريب
و حسبى فخرا أن أقول محمد نسيب علىّ جل منه نصيب
تركت جميع الأقربين لقصده على حين حانت فتنه و خطوب
رأيت به جنات عدن فلم أبل إذا وصلتنا للخلود شعوب
فقتلت كفا لا أعاب بلشما و أيدى الأيادى لثمنهن و جوب
و كيف و ليس الرأس كالرّجل، فزقت شيات لعمرى بيننا و ضروب
و لو كان قدرى مثل قدرك فى العلا لحق بأن يعلو الشباب مشيب
و لولا الذى أسمعت من مكر حاسد أتاك بقول و هو فيه كذوب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٠٠

لما كنت محتاجا لقولي أنفا تخليت من ذنب و جئت أتوب
إذا كنت ذا طوع و شكر و غبطة فمن أين لي يا ابن الكرام ذنوب
لقد كنت معتادا ببشر فما الذي تقلدته حتى يزال قطوب
أ إن رفع السلطان سعيي بقربكم أحلا عن ورد لكم و أخيب
فأحسب ذنبي ذنب صحر بدارها ألى البرّ عند الخابرين معيب
و حاشاك من جور على، و إنما أخاطب من أصفو له فيشوب
صحاب هم الداء الدفين فليتنى و لم أذن منهم، للذئاب صحوب
كلامهم شهد و لكن فعلهم كسمّ له بين الضلوع ديب
سأرحل عنهم و التجارب لم تدع بقلبي لهم شيئا عليه أئيب
إذا اغترب الإنسان عمن يسوءه فما هو فى الإبعاد عنه غريب
فدارك برأب منك ما قد خرقتة ليحسن منى مشهد و مغيب
و لا تستمع قول الوشاة فإنما عدوهم بين الأنام نجيب
فياليت أنى لم أكن متأدبا و لم يك لي أصل هناك رسوب
و كنت كبعض الجاهلين محببا فما أنا اللهم الملمّ حبيب
و ما إن ضربت الدهر زيدا بعمره و لم يك لي بين الكرام ضريب
أ أشكوك أم أشكو إليك فما عدت عداتى حتى حان منك و ثوب
سأشكر ما أولى و أصبر للذى توالى، على أن العزاء سليب
فدم فى سرور ما بقيت فإننى و حقك مذدب الوشاة كئيب
قال: و كان سبب التغير بينى و بين ابن عمى الرئيس المذكور أن ملك إفريقية استوزر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٠١

لأشغال الموحدين أبا العلاء إدريس بن على بن أبى العلاء بن جامع، فاشتمل على، و أولانى من البر ما قيدينى و أمال قلبى إليه، مع
تأكيد ما بينه و بين ابن عمى من الصحبة، فلم يزل ينهض بى، و يرفع أمداحى للملك، و يوصل إليه رسائله، متبها على ذلك، مرشحا،
إلى أن قبض الملك على كاتب عسكره، و كان يقرأ بين يديه كتب المظالم، فاحتيج إلى من يخلفه فى ذلك، فنبه الوزير على، و
ارتهن فى، مع أنى كنت من كتّاب الملك، فقلدنى قراءة المظالم المذكورة، و سفر لى الوزير عنده فى دار الكاتب المؤخر، فأنعم بها،
فوجد الوشاة مكانا متسعا للقول، فقالوا و زوروا من الأقاويل المختلفة ما مال بها حيث مالوا، و ظهر منه مخايل التغير، فجعلت أداريه و
أستعطفه، فلم ينفع فيه قليل و لا كثير، إلى أن سعى فى تأخير والدى عن الكتب للأمير الأسعد أبى يحيى ابن ملك إفريقية، ثم سعى
فى تأخيرى، فأخرت عن الكتابة و عن قراءة المظالم، فانفردت بالكتابة للوزير المذكور، و فوض إلى جميع أموره، و أولانى من
التأيس ما أنسانى تلك الوحشة، و من العز ما أنقذنى من تلك الذلة. [بحر الطويل]

فرد على العيش بعد ذهابه و آنسنى بعد انفرادى من الأهل
و قالوا إذا ما الوبل فاتك فافتنع بما قد تسنى عندك الآن من طلّ
و و الله ما نعماء طلّ و إنما تأذبه غيث وجود على الكل
رأنى أظما فى الهجيرة ضاحيا فرق و آوانى إلى الماء و الظل
و لم أزل عنده فى أسرّ حال ما لها تكدير إلا ما يبلغنى من أن ابن عمى لا يزال يسعى فى حقى بما أخشى مغبته، و خفت أن يطول

ذلك، فيسمع منه، و لا ينفع دفاع الوزير المذكور عنى، فرغبت له فى أن يرفع للملك أنى راغب فى السّراح إلى المشرق يرسم الحج:
[بحر المتقارب]

و من بلّه الغيث فى بطن واد و بات فلا يأمننّ السيولا
فلم يسعبنى فى ذلك، و لامننى على تخوفى، و قلّه ثقنى بحمايته، فرفعت له هذه القصيدة: [بحر الطويل]
هل الهجر إلا أن يطول التجبّب و يبعد من قد كان منه التقرب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٠٢
و تقطع رسل بيننا و رسائل و يمنع لقيانا نوى و تحجب
و لو أننى أدرى لنفسى زلّه جعلت لكم عذرا و لم أك أعتب
و لكنكم لما ملكتم هجرتم و ذنبتم فى الحب من ليس يذنب
إلى الله أشكو غدركم و ملالكم و قلبا له ذاك التعذب يعذب
فلو أنه يجزيكم بفعالكم لكان له عنكم مراد و مطلب
و لكن أبى أن لا يحن لغيركم و أن لا يرى عنكم مدى الدهر مذهب
فهلا رعيتم أنه فى ذراكم غريب، و ليس الموت إلا التغرب
لزمتك لما أن رأيتك كاملا جمالا و إجمالا و ذاك يحبّب
و إنى لأخشى أن يطول اشتكاؤه لمن إن أتى مكرا فليس يثرب
فلم أسع إلا لارتياح و راحه و غيرى و قد آواه غيرك يتعب
فأنت الذى آويتنى و رحمتنى و ذو الرحم الدنيا لنارى يحطب
فما مر يوم لا يريد مصيبه عليك، و بالتدبير منك يخيب
و هبك ثبوتا لا تحيل أما ترى مجر حبال فى الحجارة يرسب
و هبك له سدا فكم أنت حاضر أحاذر خرقا منه أن يتسببوا
و إما إن أرى إلا الفرار مخلصا و ما راغب فى الضيم من عنه يرغب
فأنهى إلى الأمر العلى شكيتى و أن خطوب الدهر نحوى تخطب
و لا تطمعونى فى الذى لست نائلا فلا أنا عرقوب و لا أنا أشعب
ألا فلتمنوا بالسّراح فإنه لراحه من يشقى لديكم و ينصب
سلوا الكأس عنى إذ تدار فإننى لأتركها هما و دمعى أشرب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٠٣
و لا أسمع الألحان حين تهزنى و لو كان نوحا كنت أصغى و أطرب
فديتكم كم ذا أهون بأرضكم أهذا جزاء للذى يتغرب
أبخل على أن ما سواك يصيخ لى فهل لى مما كدر العيش مهرب
تقلص عنى كلّ ظلّ و لم أجد كما كنت ألقى من أودّ و أصحاب
أ ذو طمع فى العيش يبقى و حوله مدى الدهر أفعى لا تزال و عقرب
أجزنى لأنجو بالفرار فإنه و حقك من نعماك عندى يحسب
فلا زلت يا خير الكرام مهناً فعيشى منه الموت أشهى و أطيب

و صانك من قد صنت في حقه دمي و غيرك من ثوب المروءة يسلب

و لم يزل الوزير- لا أزال الله عنه رضاه! يحمي جانبي، إلى أن أصابتنى فيه العين، فأصابه الحين، [فقلت في ذلك]: [بحر الطويل]

و طيب نفسى أنه مات عند ما تناهى و لم يشمت به كل حاسد

و يحكم فيه كل من كان حاكما عليه و يعطى الثأر كل معاند

و قلت أرثيه: [بحر الطويل]

بكت لك حتى الهاطلات السواكب و شقت جيوبا فيك حتى السحاب

فكيف بمن دافعت عنه و من به أحاطت و قد بوعدت عنه المصائب

ألا فانظروا دمعى فأكثره دم و لا تذهبوا عنى فإنى ذاهب

و قولوا لمن قد ظل يندب بعده و فؤوك لو قامت عليك النوائب

لعمرك ما فى الأرض واف بدمه أ يصمت إدريس و مثلى يخاطب

دعوتك يا من لا أقوم بشكره فهل أنت لى بعد الدعاء مجاوب

أيا سيدا قد حال بينى و بينه تراب حوت ذكراك منه الترائب

لمن أشتكى إن جار بعدك ظالم على و إن نابت جنايى النوائب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٠٤

لمن أرتجى عند الأمير بمنطق تحف به حولى المنى و المواهب

و هى طويله، و منها قبيل الختم:

و قد كنت أختار الترحل قبل أن يصيبك سهم للمنيه صائب

و لكن قضاء الله من ذا يرده فصبرا فقد يرضى الزمان المغاضب

و منها، و هو آخرها:

و إنى لأدرى أن فى الصبر راحة إذا لم تكن فيه على مثال

و إن لم يؤب من كنت أرجو انتصاره عليك فلفظ الله نحوى آئب

قال رحمه الله تعالى: و لما قدمت مصر و القاهرة أدركتنى فيهما وحش، و أثار [لى] تذكر ما كنت أعهد بجزيرة الأندلس من المواضع

المبهجة التى قطعت بها العيش غضا خصيبا، و صحبت بها الزمان غلاما و لبست الشباب [بردا] قشيبا، فقلت: [بحر مجزوء الرمل]

هذه مصر فأين المغرب؟ مذ نأى عنى فعينى تسكب

فارقتة النفس جهلا إنما يعرف الشىء إذا ما يذهب

أين حمص؟ أين أيامى بها؟ بعدها لم ألق شيئا يعجب

كم تقضى لى بها من لذة حيث للنهر خرير مطرب

و حمام الأيك تشدو حولنا و المثنى فى ذراها تصخب

أى عيش قد قطعناه بها ذكره من كل نعمى أطيب

و لكم بالمرج لى من لذة بعدها ما العيش عندى يعذب

و النواعير التى تذكراها بالنوى عن مهجتى لا تسلب

و لكم فى شنتبوس من منى قد قضيناها و لا من يعتب

حيث هاتيك الشراييب التى كم بها من حسن بدر معصب

و غناء كل ذي فقر له سامع غصبا و لا من يغصب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٠٥
بلدة طابت و رب غافر ليتنى ما زلت فيها أذنب
أى حسن النيل من نهر بها كل نعمات لديه تطرب
كم به من زورق قد حله قمر ساق و عود يضرب
لذة الناظر و السمع على شم زهر و كؤوس ١ تشرب
كم ركبناها فلم تجمح بنا و لكم من جامح إذ يركب
طوعنا حيث اتجهنا لم نجد تعبنا منها إذا ما نتعب
قد أثارت عثيرا يشبهه نثر سلكك فوق بسط ينهب
كلما رشنا ٣ لها أجنحة من قلاع ظلت منها تعجب
كطيور لم تجد ريا لها فبدا للعين منها مشرب
بل على الخضراء لا أنفك من زفرة فى كل حين تلهب
٤ حيث للبحر زئير حولها تبصر الأغصان منه ترهب
كم قطعنا الليل فيها مشرقا بحبيب و مدام يسكب
و كأن البحر ثوب أزرق فيه للبدر طراز مذهب
و إلى الحوز حنينى دائما و على شئيل دمعى صيب
٦ حيث سلّ النهر عضبا و انثت فوقه القضب و غنى الربرب
و تشفت أعين العشاق من حور عين بالمواضى تحجب
ملعب للهو مذ فارقت ما ثنائى نحو لهو ملعب
و إلى مالمقه يهفو هوى قلب صب بالنوى لا يقلب
أين أبراج بها قد طالما حتّ كأسى فى ذراها كوكب
حفت الأشجار عشقا حولنا تارة تنأى و طورا تقرب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٠٦
جاءت الريح بها ثم انثت أ تراها حذرت من ترقب
و على مرسية أبكى دما منزل فيه نعيم معشب
مع شمس طلعت فى ناظرى ثم صارت فى فؤادى تغرب
هذه حالى، و أمّا حالتى فى ذرى مصر ففكر متعب
سمعت أذنى محالا، ليتها لم تصدق و يحها من يكذب
و كذا الشىء إذا غاب انتهوا فيه و صفا كى يميل الغيب
ها أنا فيها فريد مهممل و كلامى و لسانى معرب
و أرى الألاحظ تنبو عند ما أكتب الطرس أفيه عقرب
و إذا أحسب فى الديوان لم يدر كتابهم ما أحسب
و أنادى مغربيا، ليتنى لم أكن للغرب يوما أنسب

نسب يشرك فيه خامل و نبيه، أين منه المهرب؟
أترانى ليس لى جدّ له شهرة أو ليس يدرى لى أب
سوف أثنى راجعا لأغرّنى بعد ما جرّبت برق خلب
و قال بقرمونه متشوقا إلى غرناطة: [بحر الطويل]
أغثنى إذا غنى الحمام المطرب بكأس بها وسواس فكرى ينهب
و مل ميله حتى أعانق أيكّة و ألتئم ثغرا فيه للصبّ مشرب
و لم أر مرجانا و درّا خلافة يطيف به ورد من الشهد أعذب
فديتك من غصن تحمله نقا تطلع أعلاه صباح و غيهب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٠٧
و جنته جنات عدن و فى لظى فؤادى و مالى من ذنوب تعذب
و يعدلنى العذال فيه و إننى لأعصى عليه من يلوم و يعتب
لقد جهلوا هل عن حياتى أثنى إذا تمّموا أقوالهم و تألّوا
يقولون لى قد صار ذكرك مخلقا و أصبح كل فى هواه يؤنب
و عرضك مبدول و عقلك تالف و جسمك مسلوب و مالك ينهب
فقلت لهم عرضى و عقلى و العلا و فخرى لا أرضى بها حين يغضب
جنون أبى أن لا يلين لعازم بسحر بايات الرقى ليس يذهب
فقالوا ألا قد خان عهدك قلت لم يخن من إذا قربته يتقرب
و كم دونه من صارم و مثقف فىا من رأى بدرا بهذين يحجب
على أنه يستسهل الصعب عندما يزور فلا يجدى حمى و ترقب
و كم حيلة تترى على إثر حالة و ذو الود من يحتال أو يتسبب
على أنه لو خان عهدى لم أزل له راعيا، و الرعى للصب أو جب
فأين زمان لم يخنى ساعه به و هو منى فى التنعّم أرغب
و لا فيه من بخل و لا بى قناعه كلانا بلذات التواصل معجب
و يا رب يوم لا أقوم بشكره على أننى ما زلت أثنى و أطنب
على نهر سنّيل و للقضب حولنا منابر ما زالت بها الطير تخطب
و قد قرعت منه سبائك فضة خلال رياض بالأصيل تذهب
شربنا عليها قهوة ذهبية غدت تشرب الألباب أيان تشرب
كأن ياسمينا وسط ورد تفتحت أزاهره أيان فى الكأس تسكب
إذا ما شربناها لنيل مسرة تبسم عن در لها فتقطب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٠٨
أت دونها الأحقاب حتى تخالها سرايا بأفاق الزجاجه يلعب
نعمننا بها و اليوم قد رق برده إلى أن رأينا الشمس عنا تغرب
فقالوا ألا هاتوا السراج فكل من درى قدر ما فى الكأس أقبل يعجب

وقال ألا تدرّون ما فى كؤوسكم فلا كأس إلا و هو فى الليل كوكب
كواكب أمست بين شرب و لم نخل بأن النجوم الزهر تدنو و تغرب
ظللتنا عليها عاكفين و ليلنا نهار إلى أن صاح بالأيك مطرب
فلم نثن عن دين الصّبح عناننا إلى أن غدا من ليس يعرف يندب
صرعنا فأمسى يحسب السكر قد قضى علينا و ذاك السكر أشهى و أعجب
و كم ليلة فى إثر يوم و عدلى و عدل من يصغى لقولى خيب
فيا ليت ما ولى معاد نعيمه و أى نعيم عند من يتغرب

قال: و قلت يا شبليّة ذاكر لوادى الطلح، و هو بشرق إشبيلية ملتف الأشجار، كثير مترنم الأطيّار، و كان المعتمد بن عباد كثيرا ما ينتابه
مع رميكيته، و أولى أنسه و مسرته: [بحر السريع]
سائل بوادى الطلح ريح الصّبا هل سخّرت لى فى زمان الصّبا
كانت رسولا فيه ما بيننا لن نأمن الرّسل و لن نكتبا
يا قاتل الله أناسا إذا ما استؤمنوا خانوا، فما أعجبا
هلا رعوا أنا و ثقتنا بهم و ما اتخذنا عنهم مذهبا
يا قاتل الله الذى لم يتب من غدرهم من بعد ما جزبا
و اليم لا يعرف ما طعمه إلا الذى وافى لأن يشربا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٤٠٨
دعنى من ذكر الوشاء الألى لما يزل فكرى بهم ملهبا
و اذكر بوادى الطلح عهدا لنا لله ما أحلى و ما أطيبا
بجانب العطف و قد مالت الأغ صان و الزهر بيت الصّبا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٠٩
و الطير مازت بين ألحانها و ليس إلا معجبا مطربا
و خاننى من لا أسّميه من شح أخاف الدهر أن يسلبا
قد أترع الكأس و حيّا بها و قلت أهلا بالمنى مرحبا
أهلا و سهلا بالذى شنته يا بدر تم مهديا كوكبا
لكننى آليت أسقى بها أو تودعنها ثغرك الأشنبا
فمّج لى فى الكأس من ثغره ما حجب الشرب و ما طيبا
فقالها لثمى نقلا و لا تشمّ إلّا عرفى الأطيبا
فاقطف بخدى الورد و الآس و ال نسرين لا تحفل بزهر الربا
أسعفته غصنا غدا مثمرا و من جناه ميسه قربا
قد كنت ذا نهى و ذا إمرة حتى تبدى فحللت الجبا
و لم أصن عرضى فى حبه و لم أطع فيه الذى أنبا
حتى إذا ما قال لى حاسدى ترجوه و الكوكب أن يغربا
أرسلت من شعرى سحرا له ييسر المرغب و المطلبا

و قال عرّفه بأنى سآح تآل فمآ أآتبب المآتبآ
 فزآد فى شوقى له وعده و لم أزل مقتعدآ مرآبآ
 أمّد طرفى ثم أثنيه من خوف أآى التنعيص أن ىرآبآ
 أصدق الوعد و طورآ أرى تكذيبه و الحر لن يكذبآ
 أتى و من سآخره بعد مآ أىأس بطنآ كآد أن ىغضبآ
 قبلت فى الترب و لم أستطع من حصر اللقىآ سوى مرآبآ
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤١٠
 هنآت ربعى إذ غدآ هآله و قلت ىآ من لم ىضع أشعبآ
 بآللّه مل معتقآ لآثمآ فمآل كآلغصن تنته الصبآ
 و قال مآ ترغب قلت آتند أدركت إذ كلمتنى المآربآ
 فآل لا مرغب عن ذكر مآ ترغبه قلت إذآ مرآبآ
 فآن مآ كآن فو اللّه مآ ذكرته دهرى أو آغلبآ

آال: و قلت بآقترآح الملك الصآلآ نور الدين صآب آمص أن آكب بآلذهب على تفآحه عنبر قدمهآ لابن عمه الملك الصآلآ ملك
 الديرآ المصرىة: [بحر الخففى]

آنآ لون الشبآب و الخآل آهدى ت لمن قد كسآ الزمآن شبآبآ
 ملك العالمين نجم بنى آى وب، لآ زآل فى المعآلى مهآبآ!
 آئت مآلآى من الشنآ عليه من شكور إآسنآه و الثوبآ
 لست ممن له خطاب و لكن قد كفانى أرىآ عرفى خطابآ
 آال: و لمآ أنشد أبو عبد اللّه بن الأبرآ كآب ملك إفرىقىة لنفسه: [بحر الكآمل]
 لله دولآب ىدور كآنه فلآك و لكن مآ ارتقآه كوكب
 هآمت به الآحدآق لمآ نآدمت منه الحديدقىة سآقىآ لآ ىشرب
 نصبته فوق النهر آىد قذرت تروىحه الآروآح سآعه ىنصب
 فكآنه و هو الطلىق مقىد و كآنه و هو الحىس مسىب
 للمآ فى تصعد و تحدر كآلمزن ىستسقى البحآر و ىسكب
 آلف أبو عبد اللّه بن أبى الحسين ابن عمى أن ىصنع فى ذلك شىثآ، فآل: [بحر الطوىل]
 و محتىة الأضلآع تحنو على الثرى و تسقى نبات الترب، درّ التربآ
 تعدّ من الأفلاك أن مآههآ نجوم لرجم المآل ذات ذوآب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤١١
 و أعآبها رقص الغصون ذوآبلا فدارت بآمثآل السىوف القوآضب
 و تحسبها و الروض سآق وقىنه فمآ برآ مآ بىن شآد و شآرب
 و مآ آلتها تشكو بتحنآنها الصدآ و من فوق متنىها آطرآ المذآب
 فآخذ من مجآربها و دهمة لونها بىآض العطآىآ فى سوآ المطآلب
 ثم كلفت فى أن آقول فى ذلك، و آنآ آعذر بآن هذين لم ىتركآ لى مآ آقول: [بحر الطوىل]

و ذات حنين لا تزال مطيفة تئن و تبكى بالدموع السواكب
 كأن أليفا بان عنها فأصبحت بمربعه كالصَّبِّ بعد الحباب
 إذا ابتسمت فيها الرياض شماتة ترعها بأمثال السيوف القواضب
 فكم رقصت أغصانها فرمت لها نثارا كما بددت حلى الكواعب
 لقد سخطت منها الثغور و أرضت ال قدود و لم تحفل بتثريب عائب
 شربت على تحنانها ذهبيّة ذخيرة كسرى فى العصور الذواهب
 فهاجت لى الكأس اذكار مغاضب فحاكيتهما وجدا بذاك المغاضب
 فلا تدع التبريز فى كثرة الهوى فلو لاي كانت فيه إحدى العجائب
 قال: و قلت بغرناطة [البحر الرمل]:

باكر اللهو و من شاء عتب لا يلدّ العيش إلا بالطرب
 ما توانى من رأى الزهر زها و الصبا تمرح فى الروض خيب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤١٢
 و شذاه صانه حتى اغتدى بين أيدي الرياح غصبا ينتهب
 يا نسيمًا عطر الأرجاء، هل بعثوا ضمّك ما يشفى الكرب؟
 هم أعلوه و هم يشفونه لا شفاه الله من ذاك الوصب!
 خلع الروض عليه زهره حين وافى من ذراكم فعل صبّ
 فأبى إلا شذاه فانتنى حاملا من عرفه ما قد غصب
 لست ذا نكر لأن يشبهكم من بعثتم، غير ذا منه العجب
 غالب الأغصان فى بدأته ثم لما زاد أعطته الغلب
 فبكى الطلّ عليها رحمة أو بكى من وعظ طير قد خطب
 كلّ هذا قد دعانى للتى ملكت رقى على مر الحقب
 قهوة أبسم من عجب لها عندما تبسم عجا عن حب
 حاكت الخمر فلما شعشت قلت ما للخمر بالماء التهب
 و بدت من كأسها لى فضة ملئت إذ جمدت ذوب الذهب
 اسقنيها من يدى مشبهها بالذى يحويه طرف و شنب
 لا جعلت الدهر نقلى غير ما لدد لى من ريق ثغر كالضرب
 لا جعلت الدهر ريحانى سوى ما بخديه من الورد انتخب
 لم أزل أقطع دهرى هكذا و كذا أقطع منه المرتقب
 حبذا عيش قطعناه لدى معطف الخابور ما فيه نصب
 مع من لم يدر يوما ما الجفا من أراح الصب فيه من تعب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤١٣
 كل ما يصدر منه حسن لم يذقنى فى الهوى مر الغضب
 أى عيش سمح الدهر به كل نعمى ذهبت لما ذهب

قال: ودخلت بتونس مع أبي العباس الغساني حماما، فنظرنا إلى غلمان في نهاية الحسن و نعمة الأبدان، فقلت مخاطبا له: [بحر السريع]

دخلت حماما و قصدى به تنعيم جسم فغدا لى عذاب
قلت لظى فاعترضت حوره و قلت عدن فنهانى التهاب
و أنت فى الفضل إمام فكن فى الحكم ممن حاز فصل الخطاب
فقال: [بحر السريع]

لا تأمن الحمام فى فعله فليس ما يأتبه عندى صواب
فما أرى أخدع منه و لا أكذب إلا أن يكون السراب
يبدى لك الغيد كحور الدمى و يلبس الشيخ برود الشباب
ظن به النار فلا جنه للحسن إلا ما حوته الثياب

و من فوائده- أعنى ابن سعيد رحمه الله تعالى- فى كتابه المحلى بالأشعار نقلا عن القرطبي قضية بناء اليهودج بروضة مصر، و هو من منتزهات الخلفاء الفاطميين العظيمة العجيبة البناء البديعة، و ذلك أنه يقال: إن الباني له الخليفة الأمر بأحكام الله، للبدوية التى غلب عليه حبها، بجوار البستان المختار، و كان يتردد إليه كثيرا و قتل و هو متوجه إليه، و ما زال منتزها للخلفاء من بعده.

و قد أكثر الناس فى حديث البدوية و ابن ميثاح من بنى عمها، و ما يتعلق بذلك من ذكر الأمر، حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كحديث البطال و ألف ليلة و ليلة و ما أشبه ذلك، و الاختصار منه أن يقال: إن الأمر قد كان بلى بعشق الجوارى العربيات، و صارت له عيون فى البوادي، فبلغه أن بالصعيد جارية من أكمل العرب و أظرفهم، شاعرة جميلة، فيقال: إنه تزيا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤١٤

بزي بده الأعراب، و كان يجول فى الأحياء إلى أن انتهى إلى حيهها، و بات هنالك، و تحيل حتى عاينها هناك، فما ملك صبره، و رجع إلى مقر ملكه، و أرسل إلى أهلها يخطبها، و تزوجها، فلما وصلت إليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت، و أحببت أن تسرح طرفها فى الفضاء، و لا- تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة، فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج، و كان غريب الشكل، على شط النيل، و بقيت متعلقة خاطر بابن عم لها رببت معه، يعرف بابن ميثاح، فكتبت إليه من قصر الأمر: [بحر الرمل]

يا ابن ميثاح إليك المشتكى مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حبي طليقا أمرا نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر موصل لا أرى إلا حيسا ممسكا
كم تشينا كأغصان النقا حيث لا نخشى علينا دركا
فأجابها فقال: [بحر الرمل]

بنت عمى و التى غديتها بالهوى حتى علا و احتبكا
بحت بالشكوى و عندى ضعفها لو غدا ينفع من المشتكى
مالك الأمر إليه يشتكى هالك، و هو الذى قد أهلكا
قال: و للناس فى طلب ابن ميثاح و اختفائه أخبار تطول.

و كان من عرب طيبىء فى عصر الأمر طراد بن مهلهل، فقال و قد بلغت هذه الأبيات:

[بحر المتقارب]

ألا بلغوا الأمر المصطفى مقال طراد و نعم المقال

قطعت الأليفين عن ألفه بها سمر الحمى حول الرحال
كذا كان آباؤك الأكرمون سألت فقل لي جواب السؤال

فقال الخليفة الأمر لما بلغته الأبيات: جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله، فطلب في أحياء العرب فلم يوجد، فقيل: ما أخسر صفقة طراد، باع عدة أبيات بثلاثة أبيات.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤١٥

و كان بالإسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد، له مروءة عظيمة، و يحتذى أفعال البرامكة، و للشعراء فيه أمداح كثيرة، و مدحه ظافر الحداد و أمية أبو الصيلى و غيرهما، و كان له بستان يتفرج فيه، به جرن كبير من رخام، و هو قطعة واحدة ينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره، و كان يرى في نفسه برؤيته زيادة على أهل التعم و المباهاة في عصره، فوشى به للبدوية محبوبه الأمر، فسألت الأمر في حمل الجرن إليها، فأرسل إلى ابن حديد في إحضار الجرن، فلم يجد بدا من حمله من البستان، فلما صار إلى الأمر أمر بعمله في اليهودج، فقلق ابن حديد، و صارت في قلبه حزازة من أخذ الجرن، فأخذ يخدم البدوية و جميع من يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة، حتى قالت البدوية: هذا الرجل أخرجنا بكثرة تحفه، و لم يكلفنا قط أمراً نقدر عليه عند الخليفة مولانا، فلما قيل له عنها هذا القول قال: مالى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها و طول حياتها في عز غير رد السيئة التي قلعت من دارى التي بنيتها في أيامهم من نعمتهم ترد إلى مكانها، فتعجبت من ذلك، و ردتها عليه، فقيل له: قد حصلت في حد أن خيرتك البدوية في جميع المطالب، فنزلت همتك إلى قطعة حجر، فقال: أنا أعرف بنفسى، ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك الحجر من مكانه، و قد بلغها الله تعالى أمها.

و كان هذا المكين متولى قضاء الإسكندرية و نظرها في أيام الأمر، و بلغ من علو همته و عظيم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون ابن البطائحي لما قلده الأمر ولاية نجر الإسكندرية سنة سبع عشرة و خمسمائة، و أضاف إليها الأعمال البحرية، و وصل إلى النجر - وصف له الطيب دهن الشمع بحضرة القاضى المذكور، فأمر في الحال بعض غلمان بالمشى إلى داره لإحضار دهن الشمع فما كان أكثر من مسافة الطريق إلا و قد أحضر حقاً مختوماً، ففك عنه، فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت و جواهر: بيت دهن ممسك، و بيت دهن بكافور، و بيت دهن بعنبر طيب، و لم يكن فيه شىء مصنوع لوقته، فعند ما أحضره الرسول تعجب المؤمن و الحاضرون من علو همته، فعندما شاهد القاضى ذلك بالغ في شكر إنعامه، و حلف بالحرام إن عاد إلى ملكه، و كان [من] جواب المؤمن: و قد قبلته منك لا لحاجة إليه، و لا نظر في قيمته، بل لإظهار هذه الهمة و إذاعتها، و ذكر أن قيمة هذا المداف و ما عليه خمسمائة دينار.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤١٦

فانظر رحمك الله تعالى إلى من يكون دهن الشمع عنده في إناء قيمته خمسمائة دينار، و دهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج إليه، فماذا تكون ثيابه و حلى نسائه و فرش داره و غير ذلك من التجملات؟ و هذا إنما هو حال قاضى الإسكندرية و من قاضى الإسكندرية بالنسبة إلى أعيان الدولة بالحضرة؟! و ما نسبة أعيان الدولة و إن عظمت أحوالهم إلى أمر الخلافة و أبنيتها إلا يسير حقير. و ما زال الخليفة الآخر يتردد إلى اليهودج المذكور إلى أن ركب يوم الثلاثاء رابع القعدة سنة ٥٢٤ يريد اليهودج، و قد كمن له عدة من النزارية على رأس الجسر من ناحية الروضة، فوثبوا عليه، و أثخنوه بالجراحة، و حمل في العشارى إلى اللؤلؤة، فمات بها، و قيل: قبل أن يصل إليه، و قد خرب هذا اليهودج، و جهل مكانه من الروضة، و لله عاقبة الأمور، نقل ذلك كله الحافظ المقرئ، رحمه الله تعالى!

قال النور بن سعيد، و من خطه نقلت: لما نزلنا بتلعفر حين خرجنا من سنجار إلى الموصل سألت أحد شيوخنا عن والد شهاب الدين التلعفري، فقال: أنا أدركته، و كان كثير التجول، و أنشدنى لنفسه في عيد أدركه في غير بلده: [بحر السريع]

يبتهج الناس إذا عَيِدوا و عند سَرَّائهم أكمَد
لأننى أبصر أحبابهم و مقلتى محبوبها تفقد
قال: و خرج ابنه الشهاب أجول منه شخصا، و شعراء، و صدق فيما قاله.

و أنشد ابن سعيد للشهاب التلعفرى: [بحر الخفيف]
لك ثغر كلؤلؤ فى عقيق و رضاب كالشَّهد أو كالزَّحيق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤١٧
و جفون لم يمتشق سيفها إلا لمغرى بقَدك الممشوق
تهت عجبا بكل فن من الحسن جليل و كل معنى دقيق
و تفردت بالجمال الذى خ لأك مستوحشا بغير رفيق
باللحاظ التى بها لم تزل ترق قلبى بالقوام الرُّشيق
لا تغر بالغيور إذ تتثنى فيه أعطاف كل غصن و ريق
و اثن محمّر ورد خديك و استره و إلّا ينشق قلب الشفيق

قال ابن سعيد: و حظى الشهاب التلعفرى بمنادمة الملوكة، و كونهم يقدمونه، و يقبلون على شعره، و عهدى به لا ينشد أحد قبله فى مجلس الملك الناصر، على كثرة الشعراء، و كثرة من يعتنى بهم، و لما جمعت للملك الناصر كتاب ملوك الشعر جعلت ملك شعر الشهاب البيت الرابع من المقطوعة المتقدمة، فإنه كان كثيرا ما ينشده، و ينوه به، و التشفى من ذكر الشهاب و محاسن شعره له مكان بكتاب «الغرة الطالعة»، فى فضلاء المائة السابعة» و هو الآن عند الملك المنصور صاحب حماة قد علت سنه، و ما فارقه غرامه و دَنه، انتهى.

و لما أجرى ابن سعيد فى بعض مصنفاته ذكر الملك العادل بن أيوب قال ما نصه: و كان من أعظم السلاطين دهاء، و حزما، و كان يضرب به المثل فى إفساد القلوب على أعدائه و إصلاحها له، و يحكى أنه بشَّره شخص بأن أميرا من أمراء الأفضل بن صلاح الدين فسد عليه، فأعطاه مالا جزيلا، و أرسل مستخفيا إلى المذكور يزيده بصيرة فى الانحراف عن الأفضل، و يعده بما يفسد الصالح فكيف الفاسد، قال: و كان يمنع حتى يوصف بالبخل، و وجود فى مواضع الجود حتى يوصف بالسماح، و كان صلاح الدين - و هو السلطان - يأخذ برأيه، و قدم له أحد المصنفين كتابا مصورا فى مكاييد الحروب و منازل المدن، و هو حينئذ على عكا محاصرا للفرنج، فقال له: ما نحتاج إلى هذا الكتاب و معنا أخونا أبو بكر، و كان كثير المداراة و الحزم، و من حكاياته فى ذلك أن أحد الأشياخ من خواصه قال له يوما، و هو على سماطه يأكل: يا خوند، ما وفيت معى و لا رعيت سابق خدمتى، و كلمه بدالَّة السن و قدم الصحبة قبل الملك، فقال لمماليكه: انظروا وسطه، فحلوا الكمران و قال: خذوا الصرة التى فيه، فوجدوا صرة، فقال: افتحوها، ففتحوها فإذا فيها ذرور، فقال العادل: كل من هذا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤١٨

الذرور، فتوقف، و علم أنه مطلع على أنه سم، فقال: كيف نسبتنى إلى قلة الوفاء، و أنا منذ سنين أعلم أنك تريد أن تسمى بهذا السم، و قد جعل لك الملك الفلانى على ذلك عشرة آلاف دينار، فلا أنا أمكنتك من نفسى، و لا أشعرتك، لئلا يكون فى ذلك ما لا خفاء به، و تركتك على حالك، و أنا مع هذا لا أغير عليك نعمه، ثم قال: ردوا سمه إلى كمرانه، لا أبقى الله تعالى عليه إن قدر و أبقى على، فجعل يقبل الأرض و يقول: هكذا و الله كان، و أنا تائب لله تعالى، ثم إن الشيخ جدَّد توبه، و استأنف أدبا آخر و خدمة أخرى، و كانت هذه الفعله من إحدى عجائب العادل.

قال: و كان كثير المصانعات حتى إنه يصوغ الحللى الذى يصلح لنساء الفرنج و يوجّه فى الخفية إليهن، حتى يمسكن أزواجهن عن

الحركة، و له في ذلك مع ملوك الإسلام ما يطول ذكره.

ولما خرج ابن أخيه المعز إسماعيل بن طغتكين باليمن، و خطب لنفسه بالخلافة، و كتب له أن يبایعه و يخطب له في بلاده، كان في الجماعة من أشار إلى النظر في توجيه عسكر له في البر و البحر، و إنفاق الأموال قبل أن يتفاهم أمره، فضحك و قال: من يكون عقله هذا العقل لا يحوج خصمه إلى كبير مؤنة، أنا أعرف كيف أفسد عليه حاله في بلاده، فضلا عن أن يتطرق فساده لبلادى، ثم إنه وجه في السر لأصحاب دولته بالوعد و الوعيد و قال لهم: أنتم تعلمون بعقولكم أن هذا لا يسوغ لى، فكيف يسوغ له؟ و قد أدخل نفسه في أمر لا يخرج منه إلا بهلاكه، فاحذروا أن تهلكوا معه، و اتعضوا بالآية و لا تزكُّوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النَّارُ [هود: ١١٣] و ما لهذا عقل يدبر به نفسه، فكيف يفضل عن تدبير خاصته إليكم و لتعلمنَّ نبأه بعد حين (٨٨) [ص: ٨٨] فعندما وعت أسماعهم هذا و تدبروه بعقولهم قبضوا عليه و قتلوه، و عادت البلاد للعادل، و قال للمشيرين عليه في أول الأمر بتجهيز العسكر: قد كفيْنَا المؤنة بأيسر شيء من المال، و لو حاولناه بما أشرتم به لم تقم خزائن ملكنا بالبلوغ إلى غايته.

و كان- على ما بلغه من عظمة السلطان، و اتساع الممالك- يحكى ما جرى له من زمان خلوه من ذلك، و يحب الاستماع لنوادير أنذال العالم، و اشتهر في خدمته مساخر أشهرهم خضير صاحب البستان المشهور عند الربوة بغوطة دمشق و من نوادره الحازة معه أنه سمعه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤١٩

يوما و هو يقول في وضوئه: اللهم حاسبنى حسابا يسيرا، و لا تحاسبنى حسابا عسيرا، فقال له:

يا خوند على أى شيء يحاسبك حسابا عسيرا؟ إذا قال لك: أين أموال الخلق التى أخذتها؟

فقل له: تراها بأمانتها فى الكرك، و كان قد صنع بهذا المعقل الحسرات، سميت بذلك لأن من رآها يتحسر إذا نظرها، و لا يستطيع على شيء منها بحيلة، و هى خواب مفروعة من ذهب و فضة تركت بمرأى من الناظرين ليشتهر ذلك فى الآفاق. و قال العادل مرة، و قد جرى ذكر البرامكة و أمثالهم ممن ذكر فى كتاب «المستجد، فى حكايات الأجواد»: إنما هذا كذب مختلق من الوراقين و من المؤرخين، يقصدون بذلك أن يحركوا همم الملوك و الأكابر للسخاء و تبذير الأموال فقال خضير: يا خوند، و لأى شيء لا يكذبون عليك؟.

قال ابن سعيد: من وقف على حكايات أبى العيناء مع عبيد الله بن سليمان يجد مثل هذه الحكاية.

قال ابن سعيد: و وجدت الشهاب القوصى قد ذكر السلطان العادل فى كتاب «المعاجم» و ابتدأ الكتاب المذكور بمحاسنه و الثناء عليه، و خرَّج عنه الحديث النبوى عن الحافظ السلفى، و تمثل فيه عند وفاته: [بحر الوافر]

الأم على بكائى خير ملك و قل له بكائى بالنَّجيع

به كان الشباب جميع عمرى و دهرى كله زمن الربيع

ففرَّق بيننا زمن خؤون له شغف بتفريق الجميع

قال ابن سعيد: و دفن العادل بالمدرسة العادلية بدمشق، و كان أنشأها للشافعية، و هى فى نهاية الحسن، و بها خزانه كتب، فيها تاريخ ابن عساكر، و ذيل هذا التاريخ و اختصره أبو شامه، سمعت عليه منه هنالك ما تيسر أيام إقامتى بدمشق.

و أولاد العادل ملوك البلاد فى صدر هذه المائة السابعة، منهم الكامل و المعظم و الأشرف، و هؤلاء الثلاثة شهروا بالفضل و حب الفضلاء و قول الشعراء، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٢٠

و قال ابن سعيد، فى ترجمة الرئيس صفى الدين أحمد بن سعيد المرذغانى، و هو من بيت و زارة و رياسة بدمشق: إن من شعره قوله:

[بحر الخفيف]

كيف طابت نفوسكم بفراقى و فراق الأحباب مَرّ المذاق
لو علمتم بلوعتى و صبابا تى و وجدى و زفرتى و احتراقى
لرثيتم للمستهام المعنى و وفيتم بالعهد و الميثاق

قال ابن سعيد: وقفت على ذكر هذا الرئيس فى كتاب «تاج المعاجم» و وجدت صاحبه الشهاب القوصى قد قال: أخبرنى بدمشق أنه قد
كان عزم على السفر منها إلى مصر، لأمر ضاق به صدره، فهتف به هاتف فى النوم، و أنشده: [بحر الكامل]

يا أحمد اقنع بالذى أعطيته إن كنت لا ترضى لنفسك ذلها
ودع التكاثر فى الغنى لمعاشر أضحوا على جمع الدراهم ولها
و اعلم بأن الله جلّ جلاله لم يخلق الدنيا لأجلك كلها
فانشى عزمه عن الحركة، ثم بلغ ما أمّله دون سفر.

و قال ابن سعيد، فى ترجمه المتتجب أحمد بن عبد الكريم الدمشقى المعروف بدفترخوان، و هو الذى يقرأ الدفاتر بين أيدي الملوك
و الأكابر: إنه كان يقرأ الدفاتر بين يدي العادل بن أيوب، و كان يكتب له بالأشعار فى المواسم و الفصول، فينال من خيره، و كتب له
مرة و قد أظّل الشتاء فى دمشق فقال: [بحر المجتث]

مولاي جاء الشتاء و الكيس منه خلاء

لا زال يجرى بما تر تضى علاك القضاء

و كلّ كاف إليه يحتاج فيه التواء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٢١

فقال له العادل: هذا الضمير الذى فى البيت الأول على ما ذا يعود؟ قال: بحسب مكارم السلطان، إن شئت على الدراهم، و إن شئت
على الدنانير! فضحك و قال: هات كيسك، فأخرج له كيسا يسع قدر مائة دينار، فملاه له، و قال: أظنه كان معدّا عندك، فقال: مثل
السلطان من يكون جوده مظنونا.

و كتب إليه مرة و قد أملت: [بحر الكامل]

انظر إلى بعين جودك مرة ففعل محروم المطالب يرزق

طير الرجاء على علاك محلق و أظنه سيعود و هو مخلق

فأعطاه جملة دنانير، و قال له: اشتر بهذه ما تخلق به طير رجائك، انتهى.

و أنشد ابن سعيد رحمه الله تعالى لبعض المغاربة، و هو أبو الحسن على بن مروان الرباطى الكاتب: [بحر الخفيف]

أنس أخى الفضل كتاب أنيق أو صاحب يعنى بود وثيق

فإن تعره دون رهن به تخسره أو تخسر وداد الصديق

و ربّما تخسر هذا و ذا فاسمع رعاك الله نصح الشفيق

قال: و أجابه المخاطب بهذه الأبيات، و هو ابن الرّيب، بنثر نصه: مثلك يفيد تجربة قد نفق عليها عمر، و ضل عن فوائدها غرّ عمر، و
قد أنفذت رهنا لا يسمح بإخراجه من اليد إلا ليدك، فتفضل بتوجيه الجزء الأول، فأنا أعلم أنه عندك مثل ولدك، قال: فوجهه و معه
بطاقه صغيرة فيها: يا أخى، إن عرضت بولدى فكذلك كنت مع والدى و قد توارثنا العقوق كابرنا عن كابر، فكن شاكرا فإني صابر.

ثم قال ابن سعيد: و تفاقم أمر ولده فقيده بقيد حديد و قال فيه: [بحر السريع]

لى ولد يا ليته لم يك عندى يخلق

يجهد فى كل الذى يرغم و هو يعشق

و إن أكن قيده دمعى عليه مطلق

و ذكر ابن سعيد أن الكاتب أبا الحسن المذكور كان كثيرا ما يستعير الكتب، فإذا طلبت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٢٢

منه فكأنها ما كانت، فذكر لبعض أصحابه- و هو ابن الربيب المؤرخ- أن عنده نسخة جليئة من تاريخ عريب الذى لخص فيه تاريخ الطبرى و استدرك عليه ما هو من شرطه و ذيل ما حدث بعده، فأرسل إليه فى استعارتها، فكتب إليه: يا أخى، سدّد الله آراءك، و جعل عقلك أمامك لا وراءك، ما يلزمنى من كونك مضيّعا أن أكون كذلك، و النسخة التى رمت إعارتها هى مؤنسى إذا أوحشنى الناس، و كاتم سرى إذا خانونى، فما أغيرها إلا بشيء أعلم أنك تتأذى بفقده إذا فقد جزء من النسخة، و أنا الذى أقول: أنس أخى الفضل كتاب أنيق إلى آخره:

و أنشد للكاتب أبى الحسن المذكور: [بحر الخفيف]

إنّ ذاك العذار قام بعذرى و فشا فيه للعواذل سرى

ما رأينا من قبل ذلك مسكا صاغ منه الإله هالة بدر

أى آس من حول جنّه ورد ليس منه آس مدى الدهر يبرى

و لما اشتد مرضه بين تلمسان و فاس قال هذه الأبيات، و أوصى أن تكتب على قبره:

[بحر المتقارب]

ألا رحم الله حيّا دعا لميت قضى بالفلا نجه

تمر السوافى على قبره فتهدى لأحبابه تربه

و ليس له عمل يرتجى و لكنه يرتجى ربّه

رجع إلى نظم ابن سعيد المترجم به، فنقول: [بحر الكامل]

و قال لما سار المعظم من حصن كيفا، و آل أمره إلى الملك، ثم القتل و الهلك:

[بحر الكامل]

ليت المعظم لم يسر من حصنه يوما و لا وافى إلى أملاكه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٢٣

إن العناصر إذ رأته مكملا حسدته فاجتمعت على إهلاكه

و مما نقلته من ديوانه الذى رتبه على حروف المعجم قوله- رحمه الله تعالى!- و قلت بالقاهرة على لسان من كلفنى ذلك: [بحر

الرملى]

شرف الدين أبى لى ما السبب فى انقلاب الدهر لى عند الغضب

فلتدم غضبان أظفر بالمنى ليس لى فى غير هذا من أرب

إنما ظهر ك عندى قبله و وضوئى الدهر من ذاك الشنب

و أستغفر الله من قول الكذب، قال: و قلت يا شيبليّة: [بحر السريع]

قد جاء نصر الله و الفتح و الصبح لما رضيت صبح

فهنتونى بارتجاع المنى لولا الرضا ما برح البرح

يا أورقا يا غصنا يانقا يا ظبية بالليل يا صبح

يصحو جميع الناس من سكرهم و لست من سكرهم أصحو

بلغت فيه غاية لم يبين غايتها التفسير و الشرح
و ينصح العذال، من لى بأن يعدلنى عن غيكك النصح
و قلت بإشبيلية: [بحر الرمل]
وضح الصبح فأين القدح يعرف اللذات من يصطحح
ما ترى الليل كطرف أدهم و ضياء الفجر فيه وضح
و الثرى دبجه درّ الندى و على الأغصان منه و شح
و مدير الراح لم يعد المنى كل ما يأتى به مقترح
فى بطاح المرج قد نادمنى رشا من سكره ينبطح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٢٤
جعل المسواك سترا للمنى فكأن قبل فاه قرح
كلما شئت الذى قد شاءه فحتى لى كاسه أفتح
ما أبالى أن رآنى كاشح أم رآنى من لديه نصح
هكذا العيش ودع عيش الذى خاف من نقد إذا يفتضح
و قلت بشريش: [بحر مجزوء الكامل]
طاب الشراب لمعشر سلبوا المروءة فاستراحوا
لا يعرفون تسترا السكر عندهم مباح
متهتكون لدى المنى و فسادهم فيها صلاح
ساقبهم متبذل هل يمنع الماء القراح
غصن يميل به الصبا رده طوع الراح راح
طوع الأمانى كل ما يأتى به فهو اقتراح
ما إن نبالى إن بدا أن لا يلوح لنا الصباح
ما زلت أرشف ثغره و عليه من عضدى و شاح
و القلب يهفو طائرا ولعا و لا يخشى اقتضاح
و لو اننا نخشاه كان لنا من الظلما جناح
لكننا فى عصبه ما فى تهتكهم جناح
لا ينكرون سوى تقى ل لا يميل به مزاح
أفنى الذى قد جمعه الكأس و الحدق الملاح
و قلت بمراكش: [بحر مجزوء الكامل]
قم هاتها لاح الصباح ما العيش إلا الاصطباح
مع فتيه ما دأبهم إلا المروءة و السماح
جربتهم فوجدتهم ما للمنى عنهم براح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٢٥
يشنيهم نحو الصبا نقر المثنى و المراح

ما نادموا شخصا فكان لهم بخدمته استراح
بل يعرفون مكانه فله إذا شاء اقتراح
هم يتعبون و ضيفهم ما دام عندهم يراح
ما إن يملون التزى ل و بالرضا منه السراح
يدعونه بأجل ما يدعى به الحر الصراح
حتى إذا ما بان كد رعيثهم منه انتراح
فعلى مثالهم يباح لى المدامع و النواح
كرها فقدتهم فحا لى بعد بعدهم ارتياح
لله شوقى إن هفت من نحو أرضهم الرياح
فهناك قلبى طائر لهم و من شوقى جناح

قال: و قلت بمدينة ابن السليم فى وصف كلب صيد أسود فى عنقه بياض: [بحر الوافر]

و أدهم دون حلى ظل حالى كأن ليلا يقلده صباح
يطير و ما له ريش و لكن متى يهفو فأربعه جناح
تكل الطير مهما نازعته و تحسده إذا مرق الرياح
له الألاحظ مهما جاء سلك و مهما سار فهى له و شاح
و قلت فى نيل مصر: [بحر الكامل]

يا نيل مصر أين حمص و نهرها حيث المناظر أنجم تلتاح
فى كل شط للنواظر مسرح تدعو إليه منازح و بطاح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٢٦
و إذا سبحت فلست أسبح خائفا ما فيه تيار و لا تمساح

قال: و قلت و قد حضرت مع إخوان لى بموضع يعرف بالسلطانية على نهر إشبيلية و قد مالت الشمس للغروب: [بحر الكامل]

رقّ الأصيل فواصل الأقداحا و اشرب إلى وقت الصباح صباحا
و انظر لشمس الأفق طائرة و قد ألت على صفح الخليج جناحا
فاظفر بصفو الأفق قبل غروبها و استنطق المثنى و حثّ الراحا
متع جفونك فى الحديقة قبل أن يكسو الظلام جمالها أمساحا
و قلت بمرسية: [بحر مخلع البسيط]

أقلقه وجده فباحا و زاد تبريحه فناحا

و رام يثنى الدموع لما جرت فزادت له جماحا
يا من جفا فارفقن عليه مستعبدا لا يرى السراحا
يكابد الموت كل حين لو أنه مات لاستراحا
ينزو إذا ما الرياح هبت كأنه يعشق الرياحا
يسألها عن ربوع حمص لما نما عرفها وفاحا
كم قد بكى للحمام كيما يعيره نحوها جناحا

قال: و خرجت مرة مع أبي إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي إلى مرج الفضة بنهر إشبيلية فتشاركنا في هذا الشعر: [بحر الكامل]

غيرى يميل إلى كلام اللاحي و يمدّ راحته لغير الراح
لا سيما و الغصن يزهر زهره و يميل عطف الشارب المرتاح
و قد استطار القلب ساجع أيكه من كل ما أشكوه ليس بصاح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٢٧

قد بان عنه جناحه عجا له من جانح للعجز حلف جناح
بين الرياض و قد غدا في مآتم و تخاله قد ظل في أفراح
الغصن يمرح تحته و النهر في قصف تزجيه يد الأرواح
و كأنما الأنسام فوق جناحه أعلام خزّ فوق سمر رماح
لا غرو أن قامت عليه أسطر لما رأته مدرّعا لكفاح
فإذا تتابع موجه لدفاعه مالت عليه فظل حلف صياح
قال: و قلت بمالقه متشوقا إلى الجزيرة الخضراء: [بحر الخفيف]

يا نسима من نحو تلك النواحي كيف بالله نور تلك البطاح
أسقتها الغمام ريا فلاحت في رداء و مئزر و وشاح
أم جفته فصيرته هشيمًا تركته تذروه هوج الرياح
يا زمانى بالحاجبية إني لست من سكر ما سقيت بصاحي
آه مما لقيت بعدك من هـ م و شوق و غربة و انتراح
أين قوم ألفتهم فيك لما قرّب الدهر آذنوا بالرواح
تركونى أسير وجد و شوق ما لقلبي من الجوى من سراح
أسلمونى للويل حتى تولوا و أصاخوا ظلما لقول اللواحي
أعرضوا ثم عرّضونى لشوق ترك القلب مثخنا بجراح
أسهر الليل لست أغفى لصبح أ ترى النوم ذاهبا بالصبح
قد بدا يظهر النجوم حلّيا و هو من لبسة الصبا في براح
مسبلا ستره منعم بال و جفونى من سهده في كفاح
أيها الليل لا تؤمل خلودا عن قريب يمحو ظلامك ماح
و يلوح الصباح مشرق نور فيه للمستهم بدء نجاح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٢٨

إن يوم الفراق بدد شملى طائرا ليته بغير جناح
حالك اللون شبه لونك فاعرف عن عياني يا شبه طير التراح
و إذا ما بدا الصباح فما يش به إلّا لون الخدود الملاح
و قلت بالجزيرة الخضراء: [بحر البسيط]

قد رفعت راية الصباح تدعو الندامى للاصطباح
فبادروا للصبح إني قد بعث في غيه صلاحى

و لا تميلوا عن رشف ثغر و سمع شدو و شرب راح
و أنت يا من يروم نصحي قد يئس القوم من فلاحى
فلست أصغى إلى نصيح ما نهضت بالكؤوس راحى
قال: و قلت أمدح ملكك إفريقيه و أهنته بقتل نائر من زناته يدعى أنه من نسل يعقوب المنصور: [بحر السريع]
برح بي من ليس عنه براح و من رأى قتلى حلالا مباح
من صرح الدمع بحبى له و ما لقلبي عن هواه سراح
ظبى عدمت الصبح مذ صدنى و كيف لا يعدم و هو الصباح
مورد الخد شهى اللمى منعم الردف جديب الوشاح
تظنه من قلبه جلمدا و منه للماء بجفنى انسياح
لردفه أضعف من صبه و لم أزل من لحظه فى كفاح
نشوان من ريقته عربدت أجفانه بالمرهفات الصفاح
فها أنينى خافت مثل ما أنا أسير مشخن بالجراح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٢٩
يا قاتلى صدا أما تستحي أن تلزم البخل بأرض السماح
من ذا الذى يبخل فى تونس و الملح فيها صار عذبا قراح
و أصبحت أرجاؤها جنه مبيضه الأبراج خضر البطاح
لو لا ندى يحيى و تدبيره ما برحت تغبر منها التواح
لكن يده سحب كلما حلت بأرض حل فيها النجاح
هذا و قد آمن من حلها و حفها من غربه و انتراح
كم شئتوا من قبل تأميره و حكمت فيهم عوالى الرماح
يا سائرا يرجو بلوغ المنى باكر ذرى يحيى و قل لا رواح
و حيه بالمدح فهو الذى يهتر كالهندى حين امتداح
بالشرق و الغرب غدا ذكره يحث من حمد و شكر جناح
ساعده السعد و أضحت له ال آمال لا تجرى بغير اقتراح
و يسر الله له ملكه من غير أن يشهر فيه السلاح
و كل من كان على غيره ذا منعه أمسى به مستباح
و كم جموح عند ما قام بالأمر ر رأى القهر فخلى الجماح
كف بكف للندى و الردى بها معان و هى خرس فصاح
حتى لقد أحسب من سعده تجرى على ما يرتضيه الرياح
قولوا ليعقوب فماذا جنى و ابن أبى حمزة ما ذا استباح
قد أصبحا من فوق جذعين لا تؤنسهم غير هبوب الرياح
و اسأل عن الداعى الدعى الذى حاول أمرا كان عنه انصراح
أكان من صيره والدا بزعمه أمل فيه فلاح

شكرا لسعد لم يدع فرقة قد صير الملك كضرب القداح
راموا بلا جاه و لا محتد ما حزت بالحق فكان افتضاح
زنانه يهنيكم فعلكم عاجلكم تاتركم باجتياح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٣٠
كفر ما قدمتم آخر و الخير لن يبرح للشرماح
عهدي به في موكب الملك ما بينكم نشوان من غير راح
يحسب أن الأرض ملك له و روحه ملك لسمر الرماح
غدا بعز الملك لكنه أهون مملوك على الأرض راح
جاؤوا به يمرح في عزه و هم أزالوا عنه ذاك المراح
توقفوا في القرب منه الردي من صحبة الأجرى يخشى الصّحاح
فأسرعوا نحوك يبعون ما عودتهم من عطفه و التماح
فغادروه جانبا غدره لطائر البين عليه نياح
فالحمد لله على كل ما سنّى لك السعد برغم اللواح
مثلك لا ينفد ما شاده فلست تأتي الدهر إلا صلاح
لا زلت في عز و في مكنة و في سرور دائم و انفساح
قال: و قلت بنيونش موضع الفرجة بسبته: [بحر مجزوء الكامل]
اشرب على بنيونش بين السوانى و البطاح
مع فتية مثل النجوم لهم إذا مروا جماح
ساقبهم متبذل لا يمنع الماء القراح
كل يمد يمينه ما فى الذى يأتى جناح
هتوا عليه كلما هبت على الروض الرياح
طوع الأمانى كل ما يأتى به فهو اقتراح
عانقته حتى تركت بخصره أثر الوشاح
و قلت يا شبيلية: [بحر مخلع البسيط]
أوجه صبح أم الصباح و لحظها أم ظبا الصفاح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٣١
و ثغرها أم نظيم در و ريقها أم سلاف راح
و قدّها أم قوام غصن و عرفها أم شذا البطاح
يا حبذا زورة تأتت منها على غفلة اللواح
فلم أصدق بها سرورا و ظلت نشوان دون راح
أما منعت السلام دهرا و لا رسول سوى الرياح
قالت ألا فانس ما تقضى فمن يدع ما مضى استراح
يا حبذاها و قد تأتت من دون وعد و لا اقتراح

زارت و من نورها دليل و الليل قد أسبل الجناح
 أخفت سراها فباح نشر لها بعرف فشا وفاح
 و افت فأمسى فمى مدا ما و ساعدى لها و شاح
 كأنما بتّ بين روض و الغصن و الورد و الأفاح
 فبينما الشمل فى انتظام إذ سمعت داعى الفلاح
 فغادرتنى فقلت غدرا؟ قالت أما تحذر افتضاح
 و لّت و ما خلت من صباح يبدو على إثره صباح
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٤٣١
 ل: و قلت بتونس: [بحر السريع]
 لا مرحبا بالتين لما بدا يسحب من ليل عليه الوشاح
 ممزق الجلباب يحكى ضحى هامه زنجى عليها جراح
 و إن تصحفه فلا حيدا ما قد أتى تصحفه بانتراح
 و قلت بالجزيرة الخضراء، و قد كلّفت ذلك: [بحر الطويل]
 غرامى بأقوال العدا كيف ينسخ و عهدى و قد أحكمته كيف يفسخ
 كلامكم لا يدخل السمع نصحه و لكن إذا حرضتم فهو يرسخ
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٣٢
 و بى بدر تمّ قد ذلت لحسنه فمن ذا الذى فيما أتيت يوبخ؟
 إذا خاصمونى فى هواه خصمتهم و يبغون تنقيصى بذاك فأشمخ
 أرى أن لى فضلا على كل عاشق فقصتنا فى الدهر مما يؤرخ
 فما بشر مثل له فى جماله و وجدى به فى العشق ليس له أخ
 و قلت بالإسكندرية، و قد تعدّر على الحج عند وصولى إليها سنه تسع و ثلاثين و ستمائة:
 [بحر الكامل]

قرب المزار و لا زمان يسعدكم ذا أقرب ما أراه يبعد
 و ارحمه لمتيم ذى غربه و مع التغرب فاته ما يقصد
 قد سار من أقصى المغارب قاصدا من لّد فيه مسيره إذ يجهد
 فلکم بحار مع فقار جبتها تلقى بها الصمصام ذعرا يرعد
 كابدتها عربا و روما، ليتنى إذ جزت صعب صراطها لا أطرده
 يا سائرين ليثرب بلّغتم قد عاقنى عنها الزمان الأندك
 أعلمتم أن طرت دون محلها سبقا وها أنا إذ تدانى مقعد
 يا عاذلى فيما أكابد قلّ فى ما أبتغيه صبابه و تسهد
 لم تلق ما لقيته فعذلتنى لا يعذر المشتاق إلا مكمد
 لو كنت تعلم ما أروم دنوّه ما كنت فى هذا الغرام تفند
 لا طاب عيشى أو أحل بطيبه أفق به خير الأنام محمد

صلى عليه من براه خيرة من خلقه فهو الجميع المفرد
يا ليتنى بلغت لثم ترابه فيزاد سعدا من بنعمى يسعد
فهناك لو أعطى منى محله من دونها حل السها و الفرقد
عيني شكت رمدا و أنت شفاؤها من دائها ذاك الثرى لا الإثم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٣٣
يا خير خلق الله مهما غبت عن عليا مشاهدا فقلبي يشهد
ما باختيار القلب يترك جسمه غير الزمان له بذلك تشهد
يا جنه الخلد التي قد جتتها من دون بابك للجحيم توقد
صرم التواصل ذبل و صوارم ما للجليد على تقحمها يد
فلئن حرمت بلوغ ما أملته فلدى ذكرى لا تزال تردد
فلتتعشوا منى الذماء بذكره ما دمت عن تلك المعالم أبعده
لولا ما بقيت حياتى ساعة هولى إذا مت اشتياقا مولد
ذكر يليه من الثناء سحائب أبدا على مر الزمان يجدد
من ذا الذى نرجوه لليوم الذى يقصى الظماء به و يحمى المورد
يا لهف من وافى هناك و ما له من حبه ذخر به يتزود
ما أرتجى عملا و لكن أرتجى ثقتى به و لحسب من يتزود
ما صح إيمان خلا من حبه أبلا رياش يستعد مهتد؟!
عن ذكره لا حلت عنه لحظة و مديحه فى كل حفل أسرد
يا ما دحى يبغى ثوابا زائلا فثواب مدحى فى الجنان أخلد
لولا رسول الله لم ندر الهدى و به غدا نرجو النجاة و نسعد
يا رحمة للعالمين بعثت و الدنى ا بجنح الكفر ليل أربد
أطلعت صبحا ساطعا فهديت للإيم ان إلأ من يحيد و يجحد
لم تخش فى مولاك لومة لائم حتى أقر به الكفور الملحد
و نصرت دين الله غير محاذر و دعوت فى الأخرى الألى قد أصعدوا
و لقيت من حرب الأعادى شدة لو كابدوها ساعة لتبددوا
أيان لا أحد عليهم عاضد إلا الإله و لم يخن من يعضد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٣٤
فحماك بالغار الذى هو من أدل المعجزات و خاب من يترصد
و وقاك من سم الذراع بلطفه كيما يغاظ بك العدا و الحسد
و الجذع حن إليك و الماء انهمى ما بين خمسك و الصحابة شهد
و الذئب أنطق للذى أضحى به يهدى إلى سبل النجاح و يرشد
و بليلة الإسرا حباك و سمى الص ديق من أضحى لقولك يسعد
و حباك بالخلق العظيم و معجز الكك لم الذى يهدى به إذ يورد

و بعثت بالقرآن غير معارض فيه و أمسى من نجاه يعرّد
فتوالت الأحقاب و هو مبرأ من أن يكون له مثال يوجد
و لكم بليغ جال فصل خطابه و السرج فى ضوء الغزاة تمهد
زويت لك الأرض التى لا زال حتى الحشر ربك فى ذراها يعبد
و نصرت بالرعب الذى لما يزل يترى كأن ما عين شخصك تفقد
فمتى تعرّض طاعن أو حاد عن حرم الهداية فالحسام مجرد
يا من تخير من ذؤابة هاشم نعم الفخار لها و نعم المحتد
لسناك حين بدا بآدم أقبلت رعيًا لأخراه الملائك تسجد
لم أستطع حصرا لما أعطيته فذكرت بعضا و اعتذارى منشد
ما ذا أقول إذا و صفت محمدا نفاذ الكلام و وصفه لا ينفذ
فعليك يا خير الخلائق كلها منى التحية و السلام السرمد
قال: و قلت يا شبليّة: [الرجز]

هل تمنع النهود ما أبدت الخدود

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٣٥

نعم و كم طعين بطعنها شهيد

يا ربّة المحيا حفت به السعود

لم تسكر الحميا بل ريقك البرود

لله يا عدولى ما تكتم البرود

ما زلت فيه أفنى و الوجد مستريد

يا هل ترى زمانا مضى لنا يعود

لدى الغروس سقت جنابها العهد

حيث الغصون مالت كأنها قدود

و زهرها نظيم كأنه عقود

حمامها تغنى أعطافها تميد

و بالنسيم سقت لنهرها برود

فروعه سيوف و سوره بنود

هناك كم دعنتى إلى الورود رود

فقلت كل سؤل يفنى به الحسود

قضيت فيه عيشا ما بعده مزيد

أضحى به و أمسى مرنحا أميد

كأننى يزيد كأننى الوليد

يجرى الزمان طوعى بكل ما أريد

الخمير ملكتنى فالخلق لى عبيد

يحق لى إذا ما أبصرتها تجود

فها أنا إذا ما فقدتها فقيد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٣٦

يا من يلوم بغيا العذل لا يفيد

إذا عدمت كأسى فليس لى وجود

قال: و قلت يا شبيليئة: [بحر الكامل]

أو ما نظرت إلى الحمامة تشد و الغصن من طرب بها يتأود

و نثاره تلقاه جائزة لها لما يزل بيد النسيم بيدد

ألقي عليها الطل بردا سابغا فثناؤه طول الزمان يردد

أ ترى الحمامة من محبّ مخلص أولى بشكر حين تغمره يد

فلأثنين عليك ما أثنى بأع لى الغصن حنان الهديل مغرد

كم نعمة لى فى جنابك؟ كم أكا بد جهدها؟ أيان برك يجهد؟

و قال: [بحر الطويل]

أرى العين منى تحسد الأذن كلما جرت مدحة للعلم و الفضل و المجد

أحقق أنباء و لم أر صورة كتحقيقى الأخبار عن جنه الخلد

فمن على عيني بلقياك إننى أخذت لها أمانا بذاك من السهد

قال: و قلت أمدح ابن عمى و أشكره، على ما أذكره: [بحر الخفيف]

آه مما تكنّ فيك الجوانح و دموعى على نواك سوافح

و اشتفاء من العدوّ بين كدر العيش، أى عيش لنازح؟

يا أتم الأنام حسنا أما تحسن حتى يتمّ إطراء مادح

يا زمان الوصال عودا فإنى طوّحت بى لما غدرت الطوائح

أين عيش العروس إذ يطح الس كر حبيبي ما بين تلك الأباطح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٣٧

و الأمانى تترى و لا أحد ين صح إذ لا يصغى إلى قول ناصح

و زمان السرور سمح مطيع و رسول الحبيب غاد و رائح

و لكم ليلة أتانى بلا طى ب و لكن يزرى بأذكى الروائح

هو ظبي فليس يحتاج طيبا قد كفاه عرف من المسك فائح

مثل عليا محمد لم تكن كس با و ما لا يكون فى الطبع فاضح

يا كريما أتى من الجود مالا كان يدري فأوجدته المدائح

و علا كل ذى علاء و أضحى نحو ما لا يرومه الناس طامح

قد أتانى إحسانك الغمر فى إثم ر سواه فكنت أكمل مادح

فاض بحر النوال منك و لا سا حل يبدو و لم أزل فيه سابح

حلل مثل ما كسوتك فى المدح تميت العدا و مال و سائح

أورد الورد منطقي كل شكر حين أضحي طوع البنان مسامح
لون خد الحبيب حين كسوه حلة الحسن بالعيون اللوامح
شفق سال بين عينيه صبح حسنه قيد اللحاظ السوارح
لم أجد فيه من جماح و لكنّ ثنائي عليك ما زال جامح
لك يا ابن الحسين ذكر جميل صير الكل نحو بابك جانح
قد هدى نحوك الثناء كما به دى إلى الروض باسمات النوافح
فاعذر الناس أن أتوا لك أفوا جا فكل بقصد فضلك رابح
ما هدتهم إليك إلا الأمانى لم تحلهم إلا عليك القرائح
قل لذي المفخر الحديث تأخر ليس مهر فى شأوه مثل قارح
أى أصل و أى فرع أقاما شرفا ظلّ للنجوم يناطح
قد حوت مذحج من الفجر لما كنت منها ما ليس يحويه شارح
أفق مجد قد زانه منك بدر فى ظلام الخطوب ما زال لائح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٣٨
بدر تم حفت به هالة من بيت مجد علاؤها الدهر واضح
يا سماكا بمسكه القلم الأع لى بدا بين أنجم الملك رامح
رفع الله للكتابة قدرا بعد ما كابدت توالى الفضائح
يا أعز الأنام نفسا و أعلاهم محلا لا زال أمرك راجح
أين أعداؤك الذين رعى سى فك فيهم فأشبهوا قوم صالح
أفسد الدهر حالهم ليرى حا لك رغما بمن يناويك صالح
دمت فى عزة و سعد مدى الدهر و لا زال طائر منك سانح

و ابن عمه المذكور قال فى حقه فى «المغرب» ما ملخصه: إنه الرئيس الأعلى، ذو الفضائل الجمّة، أبو عبد الله محمد بن الحسين بن
أبى الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد، قال: و اجتماع نسبنا مع هذا الرئيس فى سعيد بن خلف، و هو الآن قد
اشتمل عليه ملك إفريقيّة اشتمال المقلّة على إنسانها، و قدمه فى مهماته تقديم الصّيدة لسنانها، و أقام لنفسه مدينة حذاء حضرة
تونس، و اعتزل فيها بعسكر الأندلس الذين صيرهم الملك المنصور إلى نظره، و هو كما قال الفتح صاحب القلائد «فقد جاء آخرهم،
فجدد مفاخرهم» و من نظمه و قد نزل على من قدم له مشروبا أسود اللون غليظا و خروبا و زيبيا [أسود، و زيبيا] كثير الغصون جاءت به
عجوز فى طبق، فقال: [بحر المتقارب]

و يوم نزلنا بعبد العزيز فلا قدس الله عبد العزيز

سقانا شرابا كلون الهناء و نقلنا بقرون العنوز

و جاءت عجوز فأهدت لنا زيبيا كخيلا ن خدّ العجوز

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٣٩

و نزل السلطان أبو يحيى فى بعض حركاته لموضع فيه نهر، و على شطه نور، فقال الرئيس أبو عبد الله بن الحسين يصفه أو أمر بذلك:
[بحر الطويل]

و نهر يرفّ الزهر فى جنباته و يثنى النسيم قصبه و يقنطر

يسيل كما عنّ الصباح بأفقه و إلا كما شيم الحسام المجوهر
 عليه ليحيى قبه، هل سمعتم بقرصه شمس حل فيها غضنفر؟
 فإن قلت هذى قبه لعفاتها فقل ذلك الوادى الذى سال كوثر
 و قال أبو عمرو أحمد بن مالك بن سعيد المير اللخمي النشابى فى ذلك: [بحر الطويل]
 و أرض من الحصباء بيضاء قد جرت جداول ماء دونها تتفجر
 كما سبحت تبغى الحياة أراقم على روضه فيها الأقاح المنور
 و إلا كما شقت سبائك فضه بساطا على حافاته الدر ينثر
 و قال أبو على يونس: [بحر البسيط]

انظر إلى منظر يسيبك منظره و يزدهيك بإذن الله مخبره
 و معجب معجب لا شىء يشبهه خرير ماء نمير ثم منهره
 كأنما فرشت بالدر صفحته فالماء ينظمه طورا و ينثره
 كأن خلجانه قدت على قدر بمائها قسم يجرى مفجره
 أحل سيدنا المأمون قبته بحوزه فغدا يزدان جعفره
 رجع إلى ما كنا فيه من أخبار الرئيس ابن الحسين، فنقول:

رأيت بالمغرب آخر كتاب «روح السحر» من نسخه ملوكيه كتبت له أبياتا علق بحفظى منها الآن ما نصه: [بحر الرمل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٤٠
 تم روح السحر نسحا فأتى مصحبا باليمن و الفخر البعيد
 لأبى عبد الإله المرتقى فى ذرا المجد الرئيس ابن سعيد
 و لم أحفظ تمام الأبيات:

و قال أبو الحسن على بن سعيد: كتبت إليه من أبيات بحضرة تونس و قد نقل إليه بعض الحساد ما أوجب تغييره: [بحر الطويل]
 و من بعد هذا قد أتيت بزله أما حسن أن لا تضيق بها صدرا
 و علمك حسبي بالأمور فإننى عهدتك تدرى سر أمرى و الجهرا
 و قد أصلح الله الأمور بسعيكم و نيتكم صلحا على البشر و البشرى
 و لم يبق لى إلا رضاك فإن به كتبت و لو حرفا أطبت به العمرا
 فبقيت كهفا للجميع و موثلا و لا زلت ما دام الزمان لنا سترا
 فكتب إلى هذه الأبيات، و كان ممرضاً، و بعث إلى بما يذكر: [بحر الطويل]
 أكف الصبا حفت جنى زهر الربا سؤالك عن مضنى يسامى بك الزهرا
 بعثت بمثل الزهر فى مثل صفحة لذلك ما قلدها الشدر و الدرا
 معان لها أعنو و أعنى بها فكم وقفت عليها العين و السمع و الفكر
 فلو عرضت للبحر لم يلفظ الدرا و لو عارضت هاروت لم ينفث السحرا
 أبا حسن هنئت ما قد منحته ضروبا من الآداب تحلى بها الدهرا
 و دونك بحرا من و دادى تلاطمت به زاخرات المد لا يعرف الجزرا
 فإن خطرت فى جانب منك هفوة فلا تحسبن أنى أضيق بها صدرا

يزلّ الجواد عند ما يبلغ المدى و يعثر بالزئيم إذا أسرى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٤١
 فدع ذا و خذها شائبات قرونها عربوا لعوبا جائزا حكمها بكرا
 و لو غادرت أو صافها متردما لشنت من أشعارها أذن الشعرا
 ألا فاحجبها عن صديق معمم فإن قصارى العمر أن يبكى العمرا
 و من كان ذا حجر و نبل ورقة فلا يخلون إلا على الخمرة الحمرا
 قرنت بها صفراء لم تعرف الهوى و لا ألفت وصلا و لا عرفت هجرا
 و لا ضمّخت نضح العبير و إن غدت تؤخره لونا و تفضحه نشرا
 فإن خلتها بنت الظليم أظلمها فقد فرش الإذخر من تحتها تبرا
 لها نسب بين الثريا أو الثرى و سل برباها المزن و الغصن النضرا
 فشربا دهاقا و انتشاقا و لا ترم عن البيت فترا أو تقيم به شهرا
 و له فى الخشكالان: [بحر المجتث]
 هو الأهلّة لكن تدعونه خشكالانا
 فإن تفاءلت صحف تجد حبيبك لانا
 انتهى باختصار.

و حظى المذكور جدّا عند السلطان ملك إفريقياه أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، و لما مات السلطان المذكور، و حدثت فتنه بموته و اختلاف، ثم استقرت الدولة لابنه الشهير الكبير القدر أبى عبد الله المستنصر ممدوح حازم بالمقصورة، و قاتل ابن الأبار القضاعى - سخط على الرئيس ابن الحسين المذكور، و قبض على دياره و أمواله، و صيره كالمحبوس، فكتب إليه رقعة يطلب الاجتماع به فى مصلحة للدولة، فأحضره، و سأله فأخبره بأن أباه صنع دارا عظيمة تحت الأرض، و أودع فيها من أنواع المال و السلاح ما جعله عدّة و ذخيرة لسلطانه، و لم يترك على وجه الأرض من له علم بهذا الموضع الذى أودعه نفائس أمواله غيرى، و أوصانى أنه إذا انتقل إلى جوار به، إذ توقع أن تقع فتنه بين أقاربه، أنه إذا انقضت سنه و استقر الأمر لأحد من ولدى أو من يتيقن أنه يصلح لأمر المسلمين، فأطلعه على هذه الذخائر، فربما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٤٢

فنت الأموال بالفتنة، فلا يجد القائم بالأمر ما يصلح به الدولة إذا تفرغ للتدبير و السياسة، ففرح السلطان، و بادر إلى تلك الدار، فرأى ما ملأ عينه، و سر قلبه، و خرج الرئيس ابن الحسين و الخيل تجنب أمامه، و بدر الأموال بين يديه، و أعاده إلى أحسن أحواله، و جعله وزيرا لديه، كما كان أبوه مفوضا أموره إليه، و قال السلطان: إن من أوجب شكر الله على أن أفتتح المال بأن أؤدى منه للرعية الذين نهبت دورهم و احترقت فى الفتنة التى كانت بينى و بين أقاربي ما خسروه، و أمر بالنداء فيهم، و أحضرهم و كل من حلف على شىء قبضه و انصرف.

و كان السلطان المستنصر المذكور فى بعض متصدياته فكتب لأبى عبد الله الرئيس المذكور يأمره بإحضار الأجناد لأخذ أرزاقهم بقوله: [بحر الوافر]

ليحضر كل ليث ذى منال زكا فرعا لإسداء النّوال

غدا يوم الخميس فما شغلنا بأسد الوحش عن أسد الرجال

و حكى أن السلطان المذكور عرض مرة أجناده، و قيل: بل سلم عليه الموحدون يوم عيد بتونس، و فيهم شاب [مليح] و سيم اسم جده

النعمان، فسأله السلطان عن اسمه، و أعجبه حسنه، فحجل و احمر وجهه، و ازداد حسنا، فقال السلطان هذا المصراع: [بحر الكامل]
كلمته فكلمت صفحة خده

و سأل من الحاضرين الإجازة، فلم يأتوا بشيء، فقال السلطان مجيزا شطره:
فتفتحت فيها شقائق جده و هذا من البديع مع ما فيه من التورية و التجنيس.

و مما نسبه له أبو حيان بسنده إليه: [بحر الكامل]

ما لي عليك سوى الدموع معين إن كنت تغدر في الهوى و تخون

من منجدي غير الدموع و إنها لمغيثة مهما استغاث حزين

اللّه يعلم أن ما حملتني صعب و لكن في رضاك يهون

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٤٣

و كان للسلطان المذكور سعد يضرب به المثل، حتى إنه كتب له صاحب مكة البيعة من إنشاء ابن سبعين المتصوف، كما ذكر ذلك ابن خلدون في تاريخه الكبير، و سرد نصها، و هي من الغرائب.

و من سعه أن الفرنسييس الذي كان أسر بمصر و جعل في دار ابن لقمان و الطواشى صبيح يحرسه لما سرح جاء من أمم النصرانية لبلاد المسلمين بما لم يجتمع قط مثله، حتى قيل: إنهم كانوا ألف ألف، فكتب إليه أهل مصر من نظم ابن مطروح القصيدة المشهورة التي منها: [بحر السريع]

قل للفرنسيس إذا جتته مقالة من ذى لسان فصيح

إلى أن قال: [بحر السريع]

دار ابن لقمان على حالها و مصر مصر و الطواشى صبيح

و القصيدة مشهورة فلذلك لم أسردها، فصرف الفرنسييس جيوشه إلى تونس، فكتب إليه بعض أدباء دولة المستنصر: [بحر الخفيف]

أفرنسيس، تونس أخت مصر فتأهب لما إليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبر و طواشيك منكر و نكير

فقضى الله سبحانه و تعالى أنه مات في حركته لتونس، و غنم المستنصر غنيمة ما سمع بمثلا قط، و يقال: إنه دس إليه سيفا مسموما من سلّه أثر فيه سمه، و قلده رسولا إليه بعد أن جعل عليه من الجواهر النفيسة ما لم ير مثله عند غيره، و قال للرسول: إن الفرنسييس رجل كثير الطمع، و لو لا ذلك ما عاود بلاد المسلمين بعد أسره، و إنه سيرى السيف، و يكثر النظر إليه، فإذا رأته فعل ذلك فانزعه من عنقك و قبله، و قل له: هذا هدية منى إليك، لأن من آدابنا مع ملوكنا أن كل ما وقع نظر الملك عليه و عاود النظر إليه بالقصد فلا بد أن يكون له، و يحرم علينا أن نمسكه، لأن ما أحبه المولى على العبيد حرام، و تكراره النظر إليه دليل على حبه له، ففرح النصراني بذلك، و أسرع الرسول العود إلى سلطانه، فسلّ النصراني السيف، فتمكن فيه السم بالنظر، فمات في الحين، و فرج الله تعالى عن المسلمين.

رجع إلى أخبار أبي الحسن على بن سعيد:

قال ابن العديم في تاريخ حلب: أنشدني شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٤٤

التيفاشى بالقاهرة في أبي الحسن على بن موسى بن سعيد الغرناطى يشير إلى كتاب أبي الحسن الذى جمعه فى محاسن المغرب و سماه «المغرب»: [بحر الخفيف]

سعد الغرب و ازدهى الشرق عجا و ابتهاجا بمغرب ابن سعيد

طلعت شمس من الغرب تجلى فأقامت قيامه التقييد
لم يدع للمؤرخين مقالا لا ولا للرواة بيت نشيد
إن تلاه على الحمام تغنت ما على ذا في حسنه من مزيد
و أنشد [نى] أبو العباس التيفاشى لنفسه فيه: [بحر البسيط]
يا طيب الأصل و الفرع الزكى كما يبدو جنى ثمر من أطيّب الشجر
و من خلّاقه مثل النسيم إذا يهفو على الزهر حول النهر فى السحر
و من محيّا و الله الشهيد إذا يبدو إلى بصرى أبهى من القمر
أثقلت ظهري ببر لا أقوم به لو كنت أتلوه قرآنا مع السور
أهديت لى الغرب مجموعا بعالمه فى قاب قوسين بين السمع و البصر
كأننى الآن قد شاهدت أجمعه بكل من فيه من بدو و من حضر
نعم و لاقيت أهل الفضل كلهم فى مدّتى هذه و الأعصر الآخر
إن كنت لم أرهم فى الصدر من عمرى فقد رددت على الصدر من عمرى
و كنت لى واحدا فيهم جميعهم ما يعجز الله جمع الخلق فى بشر
جزيت أفضل ما يجرى به بشر مفيد عمر جديد الفضل مبتكر
و من نظم أبى الحسن بن سعيد قوله: [بحر الكامل]
و عشيتى بلغت بنا أيدي النوى منها محاسن جامعات للنّخب
فحدائق ما بينهن جداول و بلابل فوق الغصون لها طرب
و النخل أمثال العرائس لبسها خز و حليتها قلائد من ذهب
و من نظمه رحمه الله تعالى فى حلب قوله: [بحر الخفيف]
حادى العيس كم تنيخ المطايا سق فروحى من بعدهم فى سياق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٤٥
حلب إنها مقر غرامى و مرامى و قبله الأشواق
لا خلا جوسق و بطياس و السع داء من كل وابل غيداق
كم بها مرتع لطرف و قلب فيه يسقى المنى بكأس دهاق
و تغنى طيوره لارتياح و تشنى غصونه للعناق
و علو الشهباء حيث استدارت أنجم الأفق حولها كالنطاق
و قوله أيضا فى حماة: [بحر الطويل]
حمى الله من شطى حماة مناظرا وقفت عليها السمع و الفكر و الطرفا
تغنى حمام أو تميل خمائل و تزهى مبان تمنح الواصف الوصفا
تغنى أن أعصى التّصوّن و النهى بها و أطيع الكأس و اللهو و القصفا
إذا كان فيها النهر عاص فكيف لا أحاكيه عصيانا و أشربها صرفا
و أشدو لدى تلك النواعير شدوها و أغلبها رقصا و أشبهها غرفا
تثن و تدرى دمعها فكأنها تهيم بمرآها و تسألها العطفًا

وقوله في وداع ابن عمه و كتب بهما إليه: [بحر الطويل]

وداع كما ودعت فصل ربيع يفضّ ضلوعى أو يفيض دموعى

لئن قيل في بعض يفارق بعضه فإنى قد فارقت منك جميعى

قال: فأرسل إلى إحسانا، واعتذر و لسان الحال ينشد عنه: [بحر الوافر]

أحبك في البتول و في أبيها و لكنى أحبك من بعيد

وقوله، و قد أفلت المركب الذى كان فيه من العدو: [بحر الرجز]

انظر إلى مركبنا منقذا من العدا من بعد إحراز

أفلت منهم فعدا طائرا كطائر أفلت من بازى

و قال رحمه الله تعالى لما خرج من حدود إفريقية: [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٤٦

رفيقى جاوزنا حدود مواطن صحنبا بها الأيام طلقا محياها

و ما إن تركناها لجهل بقدرها و لكن ثنت عنا أعتة سقياها

فسرنا نحت السير عنها لغيرها إلى أن يمن الله يوما بلقياها

و كان وصوله الإسكندرية في السابع و العشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع و ثلاثين و ستمائة.

و قال رحمه الله تعالى: أخذت مع والدى يوما في اختلاف مذاهب الناس، و أنهم لا يسلمون لأحد في اختياره، فقال: متى أردت أن

يسلم لك أحد في هذا التأليف - أعنى المغرب - و لا يعترض أتعبت نفسك باطلا، و طلبت غاية لا تدرك، و أنا أضرب لك مثلا:

يحكى أن رجلا - من عقلاء الناس كان له ولد، فقال له يوما: يا أبى، ما للناس ينتقدون عليك أشياء و أنت عاقل؟ و لو سعيت في

مجانبتها سلمت من نقدهم، فقال: يا بنى، إنك غرّ لم تجرّب الأمور، و إن رضا الناس غاية لا تدرك، و أنا أوقفك على حقيقة ذلك،

و كان عنده حمار، فقال له: اركب هذا الحمار و أنا أتبعك ماشيا، فبينما هو كذلك إذ قال رجل: انظر، ما أقل هذا الغلام بأدب!

يركب و يمشى أبوه، و انظر ما أشد تخلف والده لكونه يتركه لهذا، فقال له: انزل أركب أنا و امش أنت خلفى، فقال شخص آخر:

انظر هذا الشخص، ما أقله بشفقة! ركب و ترك ابنه يمشى، فقال له: اركب معى، فقال شخص: أشقاها الله تعالى! انظر كيف ركبا

على الحمار، و كان في واحد منهما كفاية، فقال له: انزل بنا، و قدماه و ليس عليه راكب، فقال شخص: لا خفف الله تعالى عنهما! انظر

كيف تركا الحمار فارغا و جعلوا يمشيان خلفه، فقال: يا بنى، سمعت كلامهم، و علمت أن أحدا لا يسلم من اعتراض الناس على أى

حالة كان، انتهى.

و قال في أثناء خطبة المغرب ما نصه: الحمد لله الذى جعل الأدب أفضل ما اكتسب، و أفضل ما انتخب، إذ هو ذخر لا يخاف كساده،

و كثر لا يخشى انتقاصه و إن كثر مرتاده، و لله درّ القائل: [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٤٧

رأيت جميع الكسب يفقده الفتى و تبقى له أخلاقه و التأدب

إذا حل في أرض أقام لنفسه بآدابه قدرا به يتكسب

و أوما كلّ نحوه، و لعله إلى غير أهل للنباهة ينسب

و قال في أثناء الكلام لبعض المغاربة: [الطويل]

فأثبت في كل المواطن همّة إلى طلب العلم الذى كان مطّرح

و صيرت من قد كان بالنظم جاهلا يحاوله كيما تجود لك المدح

وقال أيضا في الخطبة: و بعد، فهذا كتاب راحة قد تعبت في جمعه الأسماع والأبصار والأفكار، وكل عناء سهل إذا أنجح القصد، و قد بدأ فيه من سنة ثلاثين وخمسائة، و منتهاه إلى غرة سنة إحدى وأربعين وستمائة، و أول من كان السبب في ابتداء هذا الكتاب جدّ والدى عبد الملك بن سعيد، و هو إذ ذاك صاحب قلعة بني سعيد تحت طاعة علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين ملك البربر، إلى أن استبدّ بها سنة تسع و ثلاثين و خمسائة، و قصده في سنة ثلاثين و خمسائة حافظ الأندلس أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن الحجاري و صنف له كتاب «المسهب، في غرائب المغرب» في نحو ست أسفار، و ابتداء فيه من فتح الأندلس إلى التاريخ الذي ابتدأه فيه، و هو سنة ثلاثين و خمسائة، ثم ثار في خاطر عبد الملك أن يضيف إليه ما أغفله الحجاري، و تولع بمطالعة ابنه أبو جعفر و محمد، و أضافا له ما استفاداه، و لم يزل يزيد إلى أن استبدّ به محمد، فاعتنى به أشد اعتناء، ثم استبد به والدى - و كان أعلمهم بهذا الشأن - و بلغ من اجتهاده في هذا الكتاب أنني أذكره يوما و قد توه به ابن هود و هو ملك الأندلس و ولّاه الجزيرة الخضراء، فأعلمه شخص أن عند أحد المنسويين إلى بيت نباهة كرايس من شعر شعرائها، و أخبار رؤسائها، الذين تحتوى عليهم دولة بني عبد المؤمن، فأرسل إليه راغبا في استعارتها، فأبى، و قال: على يمين أن لا تخرج عن منزلي، و قال: إن كانت له حاجة يأتي على رأسه، و كان جاهلا، فلما سمع والدى ضحك فقال لي: سر معي إليه، فقلت له: و من يكون هذا حتى نمشى له على هذه الصورة؟ فقال: إني لا أمشى له، و لكن أمشى للفضلاء الذين تضمنت الكرايس أشعارهم و أخبارهم، أ تراهم لو كانوا أحياء مجتمعين في موضع أنفت أن أمشى إليهم؟ قلت: لا، قال: فإن الأثر ينوب عن العين، فمشينا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٤٨

إلى منزل الرجل، فو الله ما أنصفتنا في اللقاء، فلما قضينا منها الغرض صرفها إليه والدى، و شكره، و قال: هذه فائدة لم أجدّها عند غيرك، فجزاك الله تعالى خيرا! ثم انفصل و قال: أ لم تعلم يا بني أنني سررت بهذه الفائدة أكثر من الولاية، و إن هذا و الله أوّل السعادة، و عنوان نجاحها.

و القلعة التي كان بها بنو سعيد تعرف بهم فيقال لها: قلعة بني سعيد، و كانت تعرف قبل بقلعة أسطير، و هو عين لها، و قال الملاحى في تاريخه: إنها تعرف بقلعة يحصب، قبيل: من اليمن نزل بها عند فتح الأندلس، و بها كما مر صنف الحجاري كتاب «المسهب» لصاحبها عبد الملك بن سعيد.

و في بنى سعيد يقول الحجاري: [بحر مجزوء الكامل]

قوم لهم في فخرهم شرف الحديث مع القديم

و رثوا الندى و البأس و ال عليا كريما عن كريم

من كلّ و ضاح به يجلى دجى الليل البهيم

و كان أوّل من دخل الأندلس من ولد عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه عبد الله بن سعد بن عمار، و قد ذكره ابن حيان في مقتبسه، و أخير أن يوسف بن عبد الرحمن الفهرى صاحب الأندلس آخر دولة بنى أمية بالمشرق كتب إليه أن يدافع عبد الرحمن بن معاوية المروانى الداخلى للأندلس، و كان إذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق، و إنما ركن إليه في محاربه عبد الرحمن لما بين بنى عمار و بين بنى أمية من الثأر بسبب قتل عمّار بصفين على يد عسكر معاوية رضى الله تعالى عنه، و كان عمار من شيعه على رضى الله تعالى عنهما.

و قال الحجاري: أنشدنى أبو بكر محمد بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة المثلثين لنفسه، فيما يليق بجنسه: [بحر مخلع البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٤٩

إن لم أكن للعلاء أهلا بما تراه فمن يكون

و كل ما أبتغيه دونى ولى على همتى ديون

و من يرم ما يقلّ عنه فذاك من فعله جنون
 فرع بأفق السماء سام و أصله راسخ مكين
 و من نظمه قوله أيضا: [المجتث]
 الله يعلم أنى أحبّ كسب المعالي
 و إنما أتوانى عنها لسوء المآل
 تحتاج للكد و البذل و اصطناع الرجال
 دع كل من شاء يسمو لها بكل احتيال
 فحالهم بانعكاس فيها و حالى حالى

و لما ذكر ابن سعيد فى «المغرب» ترجمة الكاتب الرئيس المجيد أبى العباس أحمد الغسانى كاتب ملك إفريقية قال: بماذا أصفه؟ و لو أن النجوم تصير لى نثرا لما كنت أنصفه، و كفاك أنى اخترت الفضلاء من البحر المحيط إلى حضرة القاهرة، فما رأيت أحسن و لا أفضل عشرة منه، و لما فارقت لم أشعر إلا برسالته قد وافتنى بالإسكندرية من تونس، و فيها قصيدة فريدة منها: [بحر الكامل]

إيه أبا الحسن استمع شدى فقد يصغى الحمام إذا الحمام ترنما

ثم سرد بعضا من القصيدة، و ستأتى قريبا إن شاء الله تعالى، بزيادة على ما ذكر منها فى المغرب.

رجع - وجد بخطه رحمه الله تعالى آخر الجزء من كتاب «المغرب» ما نصه: أجزت الشيخ القاضى الأجلّ أبا الفضل أحمد ابن الشيخ القاضى أبى يعقوب التيفاشى، أن يروى عن مصنفى هذا، و هو «المغرب، فى محاسن المغرب» و يرويه من شاء ثقة بفهمه، و استنامة إلى علمه، و كذلك أجزت لفتاه النبيه جمال الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن خطلخ الفارسى الأرموى أن يرويه عنى، و يرويه من شاء، و كتبه مصنفه على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد فى تاريخ الفراغ من نسخ هذا السفر، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٥٠

و قال فى وسيم من أبناء العجم صحبه فى الطريق من حلب إلى بغداد فمات، و كان ظريفا أديبا: [بحر مجزوء الكامل]

لهفى على غصن ذوى أفتدته لما استوى

ريان من ماء الصبا و من المدامع ما ارتوى

لا تعذلونى إن نطقت الدهر فيه عن الهوى

كم ضل صاحبه بسحر اللحظ منه و كم غوى

أنا لا أفيق الدهر فى ه من الصباة و الجوى

إن الهوى حيا و ميت الا يزال به سوى

كم قد نويت به النعى م فقدّر الله النوى

دار السلام حويت من كلّ المحاسن قد حوى

مجموع حسن قد توى فى جنه و بها ثوى

و ولد أبو الحسن على بن موسى بن محمد يوم الثلاثاء الثانى و العشرين من شهر رمضان عام عشرة و ستمائة، و هو على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر، رضى الله تعالى عنه! و قال فى «المغرب» لما عرف بوالده الكاتب الشهير أبى عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، ما ملخصه: لو لا أنه والدى لأطنبت فى ذكره، و وفيته من الوصف حق قدره، لكن كفاه وصفا ما أثبت له فى هذه الترجمة، و ما مر له و يمر فى أثناء هذا الكتاب، و كون كل من اشتغل بهذا التأليف نهرا و هو بحر، و اشتهاه فى حفظه التاريخ و

الاعتناء بالآداب في بلاده، بحيث لا يحتاج إلى تنبيه ولا إطناب، و له من النظم و النثر ما تضحج الأقلام من كثرته، و يستمد القطر من درّته، و مما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٥١

شاهدت من عجائبه أنه عاش سبعا و ستين سنه و لم أره يوما تخلى عن مطالعته كتاب أو كتب ما يخلده، حتى إن أيام الأعياد لا يخلها من ذلك، و لقد دخلت عليه في يوم عيد و هو في جهد عظيم من الكتب، فقلت له: يا سيدي، أفى هذا اليوم لا تستريح؟ فنظر إلى كالمغضب و قال: أظنك لا تفلح أبدا، أ ترى الراحة في غير هذا؟ و الله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها، و لوددت أن الله تعالى يضاعف عمري حتى أتم كتاب «المغرب» على غرضي، قال: فأثار ذلك في خاطري أن صرت مثله لا ألتدّ بنعيم غير ما ألتذ به من هذا الشأن، و لو لا ذلك ما بلغ هذا التأليف إلى ما تراه، و كان أولع الناس بالتجول في البلدان، و مشاهدة الفضلاء، و استفادة ما يرى و ما يسمع، و في تولّعه بالتقييد و المطالعة للكتب يقول: [بحر البسيط]

يا مفنيا عمره في الكأس و الوتر و راعيا في الدّجى للأنجم الزهر

يبكى حبيبا جفاه أو ينادم من يهفو لديه كغصن باسم الزهر

منعما بين لذات يمحققها و لا يخلد من فحر و لا سير

و عاذلا لي فيما ظلت أكتبه بيدي التعجب من صبرى و من فكرى

يقول مالك قد أفنيت عمرك في حبر و طرس عن الأغصان و الحبر

و ظلت تسهر طول الليل في تعب و لا تنى أمد الأيام في ضجر

أقصر فإننى أدرى بالذى طمحت لأفقه همتى و اسأل عن الأثر

و اسمع لقول الذى تتلى محاسنه من بعد ما صار مثل الترب كالسور

جمال ذى الأرض كانوا في الحياة، و هم بعد الممات جمال الكتب و السير

و ولد أبو عمران موسى بن محمد فى الخامس من رجب عام ثلاثة و سبعين و خمسمائة، و توفى بثر الإسكندرية يوم الاثنين الثامن من شوال عام أربعين و ستمائة.

و ولد أبوه محمد بن عبد الملك صاحب أعمال غرناطة و أعمال إشبيلية عام أربعة عشر و خمسمائة، و توفى بشعبان عام تسعة و ثمانين و خمسمائة بقرناطة.

و كان محمد بن عبد الملك وزيرا جليلا، بعيد الصيت، على الذكر، رفيع الهمم، كثير الأموال، و ذكره ابن صاحب الصلّات فى كتابه «تاريخ الموحّدين» و نبه على مكانته منهم فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٥٢

الخطوة و الأخذ فى أمور الناس، و أثنى عليه، و ذكره السهيلي فى «شرح السيرة الشريفة» حيث ذكر الكتاب الموجه من رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى هرقل و أن محمد بن عبد الملك عاينه عند أدفونش مكرما مفتخرا به، و القصة مشهورة، و مدحه الرصافى بقصيدة أولها: [بحر الكامل]

ذهنا يفيض و خاطرا متوقدا ما ذا عسى يثنى على علم الندى

و لما أنشده قصيدته فيه التى أولها [الكامل]:

لمحلّك الترفيع و التعظيم و لوجهك التقديس و التكريم

حلف لا- يسمعها، و قال: على إجازتك، و لكن طباعى لا- تحمل مثل هذا، فقال له الرصافى: و من مثلك يستحق هذا فى الوقت غيرك؟ فقال له: دعنى من خداعك، أنا و ما أعلمه من قلبى.

و أنشد له في الطالع السعيد: [بحر الطويل]

فلا تظهرن ما كان في الصدر كامنا ولا تركبن بالغيط في مركب و عر

و لا تبحنن في عذر من جاء تائبا فليس كريما من يباحث في العذر

و ولي للموحدين أعمالا كثيرة بمراكش و سلا و إشبيلية و غرناطة، و اتصلت ولايته على أعمال غرناطة، و كان من شيوخها و أعيانها، و كتب عليه عقد أن في داره من الحلوى و أصنافه ما لا- يمكن إلا في دار الملك، و أنه إذا ركب في صلاة الصبح شوش عليه نباح الكلاب، فأمر المنصور بالقبض عليه و على ابن عمه صاحب أعمال إفريقية أبي الحسن سنة ٥٩٣، ثم رضى عنهما، و أمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ منه، فصرفه عليه، و لم ينقص منه شيئا، و غرم له ما فات منه، و هذا مما يدل على قوة سعد محمد بن عبد الملك المذكور و نباهة قدره، و حسبه من الفخر مدح أديب الأندلس و شاعرها أبي عبد الله الرصافي له، و هو ممن يمدح الخلفاء في ذلك العصر- رحمه الله تعالى-!

و ولد أبوه عبد الملك بن سعيد عام ستته و تسعين و أربعمائه، و توفي بحضرة مراكش عام اثنين و ستين و خمسمائه. قال الحجارى:

لما مات يحيى بن غانية المثلث ملك الأندلس بحضرة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٥٣

غرناطة، و كان وزيره و مدبر دولته عبد الملك بن سعيد، بادر الفرار لغرناطة عند ما سمع بموته إلى قلعته، و ثار بها، و طلبه خليفة يحيى بن غانية طلحة بن العنبر، فوجده قد فاته.

و قد قدمنا أن عبد الملك هذا هو السبب في تأليف كتاب «المغرب» في أخبار المغرب» ثم تممه ابنه محمد بن عبد الملك، ثم تم ما بقى منه ابنه موسى بن محمد، ثم أربى على الكل في إتمامه أبو الحسن على بن موسى الذى قصدناه بالترجمة في هذا الكتاب، و قد ذكرنا من أحواله جملة كافية.

و من فوائده ابن سعيد أبي الحسن ما حكاه عن صاحب كتاب «الكمام» و هو: فأما فسطاط مصر فإن مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس، و جاء الإسلام و بها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن، و هو الذى عليه نزل عمرو بن العاص، و ضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب إليه، ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل، و نسب المدينة إليه، فقيل: فسطاط عمرو، و تداولت عليها بعد ذلك و لاء مصر، فاتخذوها سرير السلطنة، و تضاعفت عمارتها، فأقبل الناس من كل جانب إليها، و قصرُوا أمانيتهم عليها، إلى أن رسخت بها دولة بنى طولون، فبنوا إلى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع، و بها كان مسجد ابن طولون الذى هو الآن إلى جانب القاهرة، و هى مدينة مستطيلة يمر النيل مع طولها، و تحط في ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل و جنوبه بأنواع الفوائد، و بها منتزهات، و هى فى الإقليم الثالث، و لا ينزل فيها مطر إلا فى النادر، و ترابها ينتن الأرجل، و هو قبيح اللون، تستكدر منه أرجاؤها، و يسوء بسببه هواؤها، و لها أسواق ضخمة إلا أنها ضيقة، و مبانيها بالقصب و الطوب طبقة على طبقة، و مذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط، و فرط فى الاعتناء بها بعد الإفراط، و بينهما نحو ميلين، و أنشدت فيها للشريف العقيلي: [بحر الطويل]

أحنّ إلى الفسطاط شوقا و إننى لأدعو لها أن لا يحل بها القطر

و هل فى الحيا من حاجة لجنابها و فى كل قطر من جوانبها نهر

تبدت عروسا و المقطم تاجها و من نيلها عقد كما انتظم الدر

و قال عن كتاب إجار: و الفسطاط هو قصبه مصر، و الجبل المقطم شريقها، و هو متصل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٥٤

بجبل الزمرذ، و قال عن كتاب ابن حوقل: الفسطاط مدينة عظيمة، ينقسم النيل لديها، و هى كبيرة، و مقدارها نحو فرسخ، على غاية العمارة و الطيب و اللذة ذات رحاب فى محالها، و أسواق عظام فيها ضيق، و متاجر فخام، و لها ظاهر أنيق، و بساتين نصره، و منتزهات

على ممر الأيام خضرة، و في الفسطاط قبائل و خطط للعرب تنسب إليها كالكوفة و البصرة، إلا- أنها أقل من ذلك، و هي سبخة الأرض، غير نقيه التربة، و تكون الدار بها سبع طبقات و خمسا و ستا، و ربما يسكن في الدار المائتان من الناس، و معظم بنيانهم بالطوب، و أسفل دورهم غير مسكون، و بها مسجدان للجمعة، بنى أحدهما عمرو بن العاص في وسط الفسطاط، و الآخر على الموقف بناه ابن طولون، و كان خارج الفسطاط أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا في ميل يسكنها جنده، و تعرف بالقطائع، كما بنى بنو الأغلب خارج القيروان رقادة، و قد خربتا في وقتنا هذا، و أخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة.

قال ابن سعيد: لما استقررت بالقاهرة تشوقت إلى معاينة الفسطاط، فسار معي إليها أحد أصحاب القرية، فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير إلى الفسطاط جملة عظيمة، لا عهد لي بمثلها في بلد، فركب منها حمارا، و أشار إلى أن أركب حمارا آخر، فأنت من ذلك جريا على عادة ما خلفته في بلاد المغرب، فأخبرني أنه غير معيب على أعيان مصر، و عاينت الفقهاء و أصحاب البزة و الشارة الظاهرة يركبونها، فركبت، و عند ما استويت راكبا أشار المكارى إلى الحمار، فطار بي، و أثار من الغبار الأسود ما أعمى عيني، و دنس ثيابي، و عاينت ما كرهته، و لقلته معرفتي بركوب الحمار و شدة عدوه على قانون لم أعهده، و قلته رفق المكارى، وقعت في تلك الظلمة الماثرة من ذلك العجاج، فقلت: [بحر المتقارب]

لقيت بمصر أشد البوار ركوب الحمار و كحل الغبار

و خلفي مكار يفوق الرياح لا يعرف الرفق مهما استطار

أناديه مهلا فلا يرعوى إلى أن سجدت سجود العثار

و قد مد فوقى رواق الثرى و ألد فيها ضياء النهار

فدفعت إلى المكارى أجرته، و قلت له: إحسانك أن تتركنى أمشى على رجلى و مشيت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٥٥

إلى أن بلغتها، و قدرت الطريق بين الفسطاط و القاهرة و حققته بعد ذلك نحو ميلين، و لما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة، و تأملت أسوارا مثلثة سوداء و آفاقا مغبرة، و دخلت من بابها و هو دون غلق يفضى إلى خراب معمور بمبان مشتتة الوضع، غير مستقيمة الشوارع، قد بنيت من الطوب الأدكن و القصب و النخيل طبقة فوق طبقة، و حول أبوابها من التراب الأسود و الأزبال ما يقبض نفس النظيف، و يغض طرف الظريف، فسرت و أنا معاين لاستصحاب تلك الحال، إلى أن صرت في أسواقها الضيقة، فقاسيت من ازدحام الناس فيها لحوائج السوق و الزوايا التي على الجمال ما لا تفي به إلا مشاهدته و مقاساته إلى أن انتهيت إلى المسجد الجامع، فعاينت من ضيق الأسواق التي حوله ما ذكرت به ضده في جامع إشبيلية و جامع مراكش، ثم دخلت إليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء، غير مزخرف، و لا محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه، و تنبسط فيه، و أبصرت العامة رجالا و نساء قد جعلوه معبرا بأوطئة أقدامهم يجوزون فيه من باب إلى باب ليقرب عليهم الطريق، و البياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات و الكعك و ما سوى ذلك، و الناس يأكلون في عدة أمكنة منه غير متحشمين لجرى العادة عندهم بذلك، و عدة صبيان بأواني ماء يطوفون على كل من يأكل، قد جعلوا ما يحصل لهم منه رزقا، و فضلات ما أكلهم مطروحة في صحن الجامع، و في زوايا العنكبوت قد عظم نسجه في السقف و الأركان و الحيطان، و الصبيان يلعبون في صحنه، و حيطانه مكتوبة بالفحم و الحمره بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة، إلا- أن مع ذلك على الجامع المذكور من الرونق و حسن القبول و انبساط النفس ما لا تجده في جامع إشبيلية مع زخرفته و البستان الذي في صحنه، و لقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح و الأنس دون منظر يوجب ذلك فعلمت أن ذلك سر مودع من وقوف الصحابة رضى الله تعالى عنهم في ساحته عند بناؤه، و استحسنت ما أبصرت من حلق المتصدرين لإقراء القرآن و الفقه و النحو في عدة أماكن، و سألت عن مواد أرزاقهم فأخبرت أنها من فروض الزكاة و ما أشبه ذلك، ثم أخبرت أن اقتضاء ذلك يصعب إلا بالجاه و التعب، ثم انفصلنا من هناك إلى ساحل النيل، فرأيت ساحلا كدر التربة، غير نظيف و لا متسع الساحة، و لا مستقيم الاستطالة،

ولا عليه سور أبيض، إلا أنه مع ذلك كثير العمارة
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٥٦
بالمراكب و أصناف الأرزاق التي تصل من جميع أقطار النيل، و لئن قلت إنى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فإنى
أقول حقا، و النيل هنالك ضيق، لكون الجزيرة التي بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت الماء و مالت إلى جهة
الفسطاط، و بحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة في ذلك الساحل، و قد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من
الفسطاط إلى الجزيرة، و هو غير طويل، و من الجانب الآخر إلى البر الغربى المعروف ببر الجزيرة جسر آخر من الجزيرة إليه، و أكثر
جواز الناس بأنفسهم و دوابهم فى المراكب، لأن هذين الجسرين قد احترما لحصولهما فى حيز قلعة السلطان، و لا يجوز أحد على
الجسر الذى بين الفسطاط و الجزيرة راكبا احتراماً لموضع السلطان، و بتنا فى ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل، فقلت:
[بحر الطويل]

نزلنا من الفسطاط أحسن منزل بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
و قد جمعت فيه المراكب سحرة كسرب قطا أضحى يرف على ورد
و أصبح يطفو الموج فيه و يرتدى و يطرب أحيانا و يلعب بالنرد
حلا ماؤه كالرقيق ممن أحبه فمدت عليه حلة من حلى الخد
و قد كان مثل النهر من قبل مده فأصبح لما زاده المد كالورد
و قلت هذه لأنى لم أذق فى المياه أحلى من مائه، و إنه يكون قبل المد الذى يزيد به و يفيض على أقطاره أبيض، فإذا كان عباب
النيل صار أحمر، و أنشدنى علم الدين فخر الترك أيدمر عتيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط. [بحر الرمل]
حبذا الفسطاط من والده جئت أولادها درّ الجفا
يرد النيل إليها كدرا فإذا مازج أهلها صفا
لطفوا فالمنز لا تألفهم خجلا لما رأتهم أطففا
و لم أر فى أهل البلاد أطف من أهل الفسطاط، حتى إنهم أطف من أهل القاهرة، و بينهما نحو ميلين، و الحال أن أهل الفسطاط فى
نهاية من اللطافة و اللين فى الكلام، و تحت ذلك من الملق و قلّة المبالاة و رعاية قدر الصحبة و كثرة الممازحة و الألفه ما يطول
ذكره.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٥٧
و أما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الإسكندراني و البحر الحجازى فإنه فوق ما يوصف، و به مجمع ذلك، لا بالقاهرة، و منها
يجهز إلى القاهرة و سائر البلاد.
و بالفسطاط مطابخ السكر و الصابون و معظم ما يجرى هذا المجرى، لأن القاهرة بنيت للاختصاص بالجند، كما أن جميع زى الجند
بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط، و كذلك ما ينسج و يصاغ و سائر ما يعمل من الأشياء الرفيعة السلطانية، و الخراب فى الفسطاط كثير، و
القاهرة أجد و أعمر و أكثر زحمة، باعتبار انتقال السلطان إليها، و سكنى الأجناد فيها، و قد نفخ روح الاعتناء و النمو فى مدينة
الفسطاط الآن، لمجاورتها للجزيرة الصالحية، و كثير من الجند قد انتقل إليها للقرب من الخدمة، و بنى على سورها جماعة منهم مناظر
تبهج الناظر، انتهى.

قال المقرئى: يعنى ابن سعيد ما بنى على شقة مصر من جهة النيل، انتهى.
و قال ابن سعيد المذكور فى «المغرب، من حلى المغرب» ما ملخصه: الروضة أمام الفسطاط فيما بينها و بين مناظر الجزيرة، و بها مقياس
النيل، و كانت منتزها لأهل مصر، فاختارها الملك الصالح بن الملك الكامل سرير السلطنة، و بنى فيها قلعة مسورة ساطع اللون محكم

البناء على السمك لم تر عيني أحسن منه، و في هذه الجزيرة كان الهودج الذي بناه الخليفة الأمر لزوجته البدوية التي هام في حبها، و المختار بستان الإخشيد و قصره، و له ذكر في شعر تميم بن المعز و غيره، و لشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعار، منها قول أبي الفتح بن قادوس الدمياطي: [بحر الوافر]

أرى سرج الجزيرة من بعيد كأحداق تغازل في المغازل
كأن مجرة الجوزاء خطت و أثبتت المنازل في المنازل

قال: و كنت أبيت بعض الليالي بالفسطاط، فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل مع سور هذه الجزيرة الدرى اللون، و لم أنفصل عن مصر حتى كمل سور [هذه] القلعة، و في داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همه بانيتها، و هو من أعظم السلاطين في البناء، و أبصرت بهذه الجزيرة إيوانا لجلوسه لم تر عيني مثاله، لا يقدر ما أنفق عليه، و فيه من صحائف الذهب و الرخام الآبنوسى و الكافورى و المجزّع ما يذهل الأفكار، و يستوقف الأبصار، و يفضل عما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٥٨

أحاط به السور أرض طويلة في بعضها حاصر فيه أصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان، و بعدها مروج تنقطع فيها مياه النيل فتظنر فيها أحسن منظر، قال: و قد تفرجت كثيرا في طرف هذه الجزيرة مما يلي أثر الفسطاط فقطعت به عشيات مذهبات، لم تزل لأحزان الغربية مذهبات، و إذا زاد النيل فصل برها عن بر الفسطاط من جهة خليج القاهرة، و يبقى موضع الجسر تكون فيه المراكب، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٤٥٨

أورد الصفدى في تذكروته لابن سعيد المذكور في هذه الجزيرة: [بحر الكامل]

انظر إلى سور الجزيرة في الدجى و البدر يلثم منه ثغرا أشنبا
تتضحك الأنوار في جنباته فتريك فوق النيل أمرا معجبا
بيننا تراه مفضضا في جانب أبصرت منه في سواه مذهبا
لله مرأى ما رآه ناظرى إلا خلعت له المقام تطربا

و قال فى «المغرب» نقلا عن بعضهم ما صورته: و أما مدينة القاهرة، فهى الحالية الباهرة، التى تفنن فيها الفاطميون و أبدعوا فى بنائها، و اتخذوها قطبا لخلافتهم و مركزا لأرجائها، فنسى الفسطاط، و زهد فيه بعد الاغتباط، و سميت القاهرة لأنها تقهر من شد [عنها] و رام مخالفة أميرها. قال ابن سعيد: هذه المدينة اسمها أعظم منها، و كان ينبغى أن تكون فى ترتيبها و مبانيها على خلاف ما عاينته، لأنها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين، و كان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية إلى البحر المحيط: [بحر الطويل]

و سارت مسير الشمس فى كل بلدة و هبت هبوب الريح فى البر و البحر

لا سيما و قد عاين مباني أبيه المنصور فى مدينة المنصورة إلى جانب القيروان، و عاين المهديّة مدينة جدّه عبيد الله المهدي، لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة، و هى ناطقة إلى الآن بألسن الآثار، و لله در القائل:

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البنيان
إن البناء إذا تعاضم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن

و تههم من بعده الخلفاء المصريون فى الزيادة فى تلك القصور، و قد عاينت فيها إيوانا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٥٩

يقولون إنه بنى قدر إيوان كسرى الذى بالمدائن، و كان يجلس فيها خلفاؤهم و لهم على الخليج الذى بين الفسطاط و القاهرة مبان

عظيمه جليله الآثار، و أبصرت في قصورهم حيطانا عليها طاقات عديده من الكلس و الجبس ذكر لى أنهم كانوا يجددون تبييضها فى كل سنه، و المكان المعروف بالقاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطاني، لأن هناك ساحة متسعه للعسكر و المتفرجين ما بين القصرين، و لو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمه القدر كامله الهمة السلطانيه، و لكن ذلك أمد قليل، ثم تسير منه إلى أمد ضيق، و تمر في ممر كدر خرج بين الدكاكين، إذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجاله كان مما تضيق به الصدور، و تسخن منه العيون، و لقد عاينت يوما وزير الدوله و بين يديه الأمراء، و هو فى موكب جليل، و قد لقي فى طريقه عجله بقر تحمل حجاره، و قد سدت جميع الطرق بين يدى الدكاكين، و وقف الوزير و عظم الأزدحام، و كان فى موضع طباخين، و الدخان فى وجه الوزير، و على ثيابه، و قد كاد يهلك المشاه، و كدت أهلك فى جملتهم، و أكثر دروب القاهرة ضيقه مظلمه كثيره التراب و الأزبال، و المباني عليها من قصب و طين مرتفعه قد ضيقت مسلك الهواء و الضوء بينها، و لم أر فى جميع بلاد المغرب أسوأ منها حالا فى ذلك، و لقد كنت إذا مشيت فيها يضيق صدرى، و تدركنى و حشه عظيمه، حتى أخرج إلى بين القصرين.

و من عيوب القاهرة أنها فى أرض النيل الأعظم و يموت الإنسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل، لثلا يصادرها و يأكل ديارها، و إذا احتاج الإنسان إلى فرجه فى نيلها مشى فى مسافه بعيده بظاها بين المباني التى خارج السور إلى موضع يعرف بالمقس، و جوها لا يبرح كدرا مما تثيره الأرض من التراب الأسود، و قد قلت فيها حين أكثر على رفاقي من الحض على العود فيها: [بحر المتقارب] يقولون سافر إلى القاهرة و مالى بها راحه ظاهره

زحام و ضيق و كرب و ما تثير بها أرجل سائره

و عند ما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا، و جوا مغبرا، فتنبض نفسه، و يفر أنسه، و أحسن موضع فى ظواهرها للفرجه أرض الطباله، لا سيما أرض القرط و الكتان، و قلت: [بحر الطويل]

سقى الله أرضا كلما زرت روضها كساها و حلأها بزينته القرط

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٦٠

تجلت عروسا و المياه عقودها و فى كل قطر من جوانبها قرط

و فيها خليج لا يزال يضعف بين حضرتها حتى يصير كما قال الرصافي: [بحر الكامل]

ما زالت الأمحال تأخذه حتى غدا كذؤابه النجم

و قلت فى نوار الكتان على جانبي الخليج: [بحر البسيط]

انظر إلى النهر و الكتان يرمقه من جانيه بأجفان لها حدق

رأته سيفا عليه للصبا شطب فقابلته بأحداق بها أرق

و أصبحت فى يد أرواح تنسجها حتى غدت حلقا من فوقها حلق

فلم تزرها و وجه الأرض مصطبج أو عند صفوته إن كنت تغتبق

و أعجبنى فى ظاها بركه الفيل، لأنها دائره كالبدر، و المناظر فوقها كالنجوم، و عادة السلطان أن يركب فيها بالليل، و تسرج أصحاب المناظر على قدر همتهم و قدرتهم، فيكون لها بذلك منظر عجيب، و فى ذلك قيل: [بحر البسيط]

انظر إلى بركه الفيل التى اكتنفت بها المناظر كالأهداب للبصر

كأنما هى و الأبصار ترمقها كواكب قد أداروها على القمر

و نظرت إليها و قد قابلتها الشمس بالغدوة فقلت: [بحر البسيط]

انظر إلى بركه الفيل التى فجرت لها الغزاة فجرا من مطالعها

و خل طرفك مجنونا ببهجتها يهيم وجدا و حبا فى بدائعها

والفسطاط أكثر أرزاقا، وأرخص أسعارا من القاهرة، لقرب النيل من الفسطاط، و المراكب التي تصل بالخيرات تحط هناك، و يباع ما يصل فيها بالقرب منها، و ليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة، لأنه يبعد عن المدينة، و القاهرة هي أكثر عمارة و احتراماً و حشمة من الفسطاط، لأنها أجلّ مدارس، و أضخم خانات، و أعظم ديارا لسكنى الأمراء فيها، لأنها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٦١

المخصوصة بالسلطنة، لقرب قلعة الجبل منها، فأمر السلطنة كلها فيها أيسر، و أكثر، و بها الطراز و سائر الأشياء التي يتزين بها الرجال و النساء، إلا أن في هذا الوقت لما اعتنى السلطان ببناء قلعة الجزيرة التي أمام الفسطاط و صيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط، و انتقل إليها كثير من الأمراء، و ضخمت أسواقها، و بنى فيها السلطان أمام الجسر الذي للجزيرة قيسارية عظيمة، فنقل إليها من القاهرة سوق الأجناد التي يباع فيها الفراء و الجوخ و ما أشبه ذلك.

إلى أن قال: و هي الآن عظيمة آهلة، يجبي إليها من الشرق و الغرب و الجنوب و الشمال ما لا يحيط بجملته و تفسيره إلا خالق الكل جلّ و علا، و هي مستحسنة للفقير الذي لا يخاف طلب زكاة و لا ترسيما و لا عذابا، و لا يطالب برفيق له إذا مات، فيقال له: ترك عندك مالا، فربما سجن في شأنه أو ضرب أو عصر، و الفقير المجرد فيها يستريح بجهة رخص الخبز و كثرته، و وجود السماع و الفرج في ظواهرها و دواخلها، و قلة الاعتراض عليه فيما تذهب إليه نفسه، يحكم فيها كيف شاء من رقص في وسط السوق أو تجريد أو سكر من حشيشة أو صحبة مردان و ما أشبه ذلك، بخلاف غيرها من بلاد المغرب، و سائر الفقراء لا يتعرضون إليهم بالقبض للأسطول إلا-المغاربة، فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة [الحرب] و البحر، و قد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم و من لا يعرف، و هم في القдом عليها بين حالين:

إن كان المغربي غنيا طولب بالزكاة و ضيق عليه، و إن كان مجردا فقيرا حمل إلى السجن حتى يحين وقت الأسطول.

و في القاهرة أزاهر كثيرة غير منقطعة الاتصال، و هذا الشأن في الديار المصرية يفضل كثيرا من البلاد، و في اجتماع النرجس و الورد فيها أقول: [بحر السريع]

من فضل النرجس و هو الذي يرضى بحكم الورد إذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا و قام في خدمته النرجس

و أكثر ما فيها من الثمرات و الفواكه الرمان و الموز، أمّا التفاح و الإجاص فقليل غال، و كذلك الخوخ، و فيها الورد و النرجس و

النسرين و النيلوفر و البنفسج و الياسمين و الليمون

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٦٢

الأخضر و الأصفر، و أما العنب و التين فقليل غال، و لكثرة ما يعصرون العنب في أرياف النيل لا يصل منه إلا القليل، و مع هذا فشرابه عندهم في غاية الغلاء، و عامتها يشربون المزر الأبيض المتخذ من الحنطة، حتى إن الحنطة يطلع سعرها بسبب ذلك، فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه و كسر أوانيه، و لا- ينكر فيها إظهار أواني الخمر و لا آلات الطرب ذوات الأوتار، و لا تبرج النساء العواهر، و لا غير ذلك مما ينكر في غيرها من بلاد المغرب، و قد دخلت في الخليج الذي بين القاهرة و مصر و تعظم عمارته فيما يلي القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب، و ربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب، و ذلك في بعض الأحيان، و هو ضيق، عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم التهكم و الطرب و المخالفة، حتى إن المحتشمين و الرؤساء لا- يجيزون العبور به في مركب، و للسرّج في جانيه بالليل منظر، و كثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر في الليل، و في ذلك أقول: [مخلع البسيط]

لا تركبن في خليج مصر إلا إذا أسدل الظلام

فقد علمت الذي عليه من عالم كلّهم طعام

صفان للحرب قد أطلّا سلاح ما بينهم كلام

يا سيدى لا تسر إليه إلا إذا هومّ النيام
والليل ستر على التصابى عليه من فضله لثام
والسرج قد بدت عليه منها دنانير لا ترام
وهو قد امتدّ والمباني عليه فى خدمة قيام
لله كم دوحه جنيينا هناك أثمارها الأثام
قال المقريزى: وفيه تحامل كثير، انتهى.

ومن نظر بعين الإنصاف علم أن التحامل فى نسبة التحامل إليه، والله تعالى الموفق.

قال ابن سعيد: ومعامله الفسظاظ والقاهرة بالدرهم المعروفة بالسوداء، كل درهم منها ثلاث من الدراهم الناصرية، وفى المعاملة بها شدة وخسارة فى البيع والشراء، ومخاصمة بين الفريقين، وكان بها قديما الفلوس، فقطعها الملك الكامل، فبقيت الآن مقطوعة منها، وهى فى الإقليم الثالث، وهواؤها ردىء، لا سيما إذا هبّ المريسى من جهة القبلة، وأيضا فرمد العين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٦٣

فيها كثير، والمعاش فيها معتذرة نزره، لا سيما أصناف الفضلاء، وجوامك المدارس قليلة كدره، وأكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الطب والخراج، والنصارى بها يمتازون بالزئار فى أوساطهم، واليهود بعمام صفر، ويركبون البغال، ويلبسون الملابس الجليئة، ويأكل أهل القاهرة البطارخ، ولا تصنع حلاوة القمح إلا بها وبغيرها من الديار المصرية، وفيها جوار طباخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين، ولهن فى الطبخ صنائع عجيبة، ورياسة متقدمة، ومطابخ السكر والمواضع التى يصنع بها الورق المنصوري مخصوصة بالفسظاظ دون القاهرة، انتهى المقصود من هذا الموضوع من كلام أبى الحسن النور بن سعيد رحمه الله تعالى:

وقال رحمه الله: [المجتث]

كم ذا تقيم بمصر معذباً بذويها

و كيف ترجو ندامهم والسحب تبخل فيها

وقال رحمه الله تعالى: [بحر الكامل]

لابن الزبير مكارم أضحت بها طير المدائح فى البلاد تغرد

إن قيدوه وبالغوا فى عصره فالكرم يعصر والجواد يقيّد

ولنذكر بعض أخبار والده، فإنه ممن رحل إلى المشرق وتوفى بالإسكندرية، وقد ذكر ابنه أبو الحسن فى «المغرب» وغيره من أخباره العجائب، ولا بأس بأن نلم بشيء من ذلك، سوى ما تقدم، فنقول:

من أخباره أنه لما اجتاز بمالقة ومشرفها إذ ذاك أبو على بن تقى وجه إليه من نقل أسبابه إلى داره وأقبل عليه منشداً: [بحر الكامل]

أكذا يجوز القطر لا يثنى على أرض توالى جذبها من بعده

الله يعلم أنها ما أنبتت زهرا ولا ثمرأ بمدء ففده

عزج عليها ساعة يا من له حسب يفوق العالمين بمجده

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٦٤

وانثر عليها من أزاهرك التى تشفى المتيّم من لواعج وجده

والله ما ذاكرت فكرك ساعة إلا وأقبس خاطرى من زنده

قال موسى: فارتجلت للحين: [بحر السريع]

أنت الذى تعرف كيف العلا و تتدى فى سبل المجد
بدأت بالفضل المنير الذى أكمل بدر الشكر و الحمد
و الله ما أبصرتكم ساعة إلا بدا لى طالع السعد
و انصرفت معه إلى منزله: [بحر المجتث]
فلم أزل فى كرامه ليست كظل غمامه

و لما كان أبو عمران موسى بن سعيد بالجزيرة الخضراء مقدما على أعمالها من قبل ابن هود وصله كتاب من الفقيه القاضى أبى عبد
الله محمد بن عسكر قاضى مالقة مع أحد الأدباء، منه:
أفأتح من قلبى بعلياه واثق و إن كانت الأبصار لم تنسخ الودا
و ثقّت بما لى من ذمام تشيعى بآل سعيد و ابتغيت به السعدا
و بالحبّ يدنو كل من أقصت النوى برغم حجاب للنوى بيننا مدّا
يا سيدى الذى حملنى ما أمال أسماعى من الثناء عليه، أن أهجم على مفاتحته شافعا فى موصّلها إليه، واثقا بالفرع لعلم الأصل، مؤملا
للإفضال بتحقيق الفضل، إن لم تقض باجتماع بيننا الأيام، فلا تجرى بالمشافهه بيننا إلا ألسن الأفلام، و يوحى بعضنا إلى بعض بسور
الوداد، و الحمد لله الذى أطلعك فى ذلك الأفق بدرا، و أدناك من هذه الدار فصرنا لقرب من يرد عنك لا نعدم لك ذكرا، فكلّ
يشنى بالذى علمت سعد، و يصف من خلالك ما يقضى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٦٥

ذلك المجد، و لما كان إحسانك يبشر [به] الصادر و الوارد، و يحرض عليه الغائب و الشاهد، مدّ أمله نحوك موصل هذه المفاتحة،
و ليس له وسيلة و لا بضاعة إلا الأدب و هى عند بيتك الكريم رابحة، و هو من شتت خطوب هذا الزمان شمله، و أبانت نوائبه صبره
و فضله، و ما طمح ببصره إلا إلى أفقك، و لا وجه رجاءه إلا نحو طرقتك، و الرجاء من فضلك أن يعود و قد أثنت حقائبه، و أعنقت
من الحمد ركائبه، دمت غرة فى الزمن البهيم، مخصوصا بأفضل التحية و التسليم، انتهى.
و ابن عسكر المذكور عالم بالتاريخ متبحر فى العلوم، و له كتاب فى أنساب بنى سعيد أصحاب هذه الترجمة، و من شعره: [بحر
السريع]

أهواك يا بدر و أهوى الذى يعذلنى فيك و أهوى الرقيب
و الجار و الدار و من حلّها و كلّ من مرّ بها من قريب
و كلّ مبد شيها منكم و كل من يلفظ باسم الحبيب
رجع- قال ابنه على: لما أردت النهوض من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة أول وصولى إلى الإسكندرية، رأى أن يكتب لى وصية
أجعلها إماما فى الغربية، فبقى فيها أياما إلى أن كتبته عنه، و هى هذه، و كفى بها دليلا على ما اختبر و علم: [بحر السريع]
أودعك الرحمن فى غربتك مرتقبا رحماه فى أوبتك
و ما اختيارى كان طوع النوى لكننى أجرى على بغيتك
فلا تطل جبل النوى إننى و الله أشتاق إلى طلعتك
من كان مفتونا بأبنائه فإننى أمعنت فى خبرتك
فاختصر التوديع أخذا، فما لى ناظر يقوى على فرقتك
و اجعل وصاتى نصب عين و لا تبرح مدى الأيام من فكرتك
خلاصة العمر التى حنّكت فى ساعة زفّت إلى فطنتك

فللتجاريب أمور إذا طالعتها تشخذ من غفلتك
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٦٦
فلا تنم عن وعيها ساعة فإنها عون إلى يقظتك
و كل ما كابدته في النوى إياك أن يكسر من همّتك
فليس يدري أصل ذى غربة وإنما تعرف من شيمتك
و كل ما يفضى لعذر فلا تجعله في الغربة من إربتك
و لا تجالس من فشا جهله و اقصد لمن يرغب في صنعتك
و لا تجادل أبدا حاسدا فإنه أدعى إلى هيبتك
و امش الهوينى مظهرا عفة و ابغ رضا الأعين عن هيبتك
أفش التحيات إلى أهلها و تبه الناس على ربتك
و انطق بحيث العى مستقبح و اصمت بحيث الخير في سكتك
و لا تزل مجتمعا طالبا من دهر ك الفرصة في وثبتك
و كلما أبصرتها أمكنت ثب واثقا بالله في مكنتك
و ليج على رزقك من بابه و اقصد له ما عشت في بكرتك
و اياس من الود لدى حاسد ضد و نافسه على خطتك
و وفر الجهد فمن قصده قصدك لا تعبه في بغضتك
و وف كلاً حقه و لتكن تكسر عند الفخر من حدتك
و لا تكن تحقر ذا رتبة فإنه أنفع في غربتك
و حيشما خيمت فاقصد إلى صحبه من تجوه في نصرتك
و للزوايا و ثبه ما لها إلا الذى تدخر من عدتك
و لا تقل أسلم لى وحدتى فقد تقاسى الذل فى وحدتك
و لترن الأحوال وزنا و لا ترجع إلى ما قام فى شهوتك
و لتجعل العقل محكاً و خذ كلا بما يظهر فى نقدتك
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٦٧
و اعتبر الناس بألفاظهم و اصحب أخوا يرغب فى صحبتك
بعد اختبار منك يقضى بما يحسن فى الأخدان من خلطتك
كم من صديق مظهر نصحه و فكره وقف على عثرتك
إياك أن تقربه، إنه عون مع الدهر على كرتك
واقنع إذا ما لم تجد مطمعا و اطمع إذا أنعشت من عسرتك
و انم نموّ الثبت قد زاره غبّ الندى و اسم إلى قدرتك
و إن نبا دهر فوطن له جأشك و انظره إلى مدتك
فكل ذى أمر له دولة فوفّ ما و افاك فى دولتك
و لا تضيع زمنا ممكنا تذكاره يذكى لظى حسرتك

والشر مهما اسطعت لا تأتته فإنه حوب على مهجتك

يا بنى الذى لا ناصح له مثلى، و لا منصوح لى مثله [قد] قدمت لك فى هذا النظم ما إن أخطرتة بخاطرک فى كل أوان رجوت لك حسن العاقبة، إن شاء الله تعالى و إن أخفّ منه للحفظ و أعلق بالفكر و أحقّ بالتقدم قول الأول: [المتقارب]

يزين الغريب إذا ما اغترب ثلاث فمنهنّ حسن الأدب

و ثانيه حسن أخلاقه و ثالثه اجتناب الرّيب

و إذا اعتبرت هذه الثلاثة و لزمتهما فى الغربه رأيتها جامعته نافعه، لا يلحقك إن شاء الله تعالى مع استعمالها ندم، و لا يفارقك بر و لا

كرم، و لله در القائل: [بحر الطويل]

يعدّ رفيع القوم من كان عاقلا و إن لم يكن فى قومه بحسب

إذا حلّ أرضا عاش فيها بعقله و ما عاقل فى بلدة بغريب

و ما قصر القائل حيث قال: [بحر المنسرح]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٦٨

و اصبر على خلق من تعاشره و داره فالليب من دارا

و اتخذ الناس كلهم سكنا و مثل الأرض كلّها دارا

و اصغ يا بنى إلى البيت الذى هو يتيمة الدهر، و سلّم الكرم و الصبر: [بحر الكامل]

و لو ان أوطان الديار نبت بكم لسكنتم الأخلاق و الآدابا

إذ حسن الخلق أكرم نزيل، و الأدب أرحب منزل، و لتكن كما قال بعضهم فى أديب متغرب: و كان كلما طرأ على ملك فكأنه معه

ولد، و إليه قصد، غير مستريب بدهره، و لا منكر شيئا من أمره، و إذا دعاك قلبك إلى صحبة من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له

سلما، و هبّ فى روض أخلاقه هبوب النسيم، و حلّ بطرفه حلول الوسن، و انزل بقلبه نزول المسرة، حتى يتمكن لك و داده، و يخلص

فيك اعتقاده، و طهر من الوقوع [فيه] لسانك، و أغلق سمعك، و لا ترخص فى جانبه لحسود لك منه، يريد إبعادك عنه، لمنفعته، أو

حسود له يغار لتجمله بصحبتك، و مع هذا فلا تغتر بطول صحبته، و لا تتمهد بدوام رقدته، فقد ينبه الزمان، و يغير منه القلب و

اللسان، و لذا قيل: إذا أحببت فأحجب هونا ما، ففى الممكن أن ينقلب الصديق عدواً و العدو صديقا، و إنما العاقل من جعل عقله

معيارا، و كان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله، و جعل نصب ناظره قول أبى الطيب: [بحر الوافر]

و لما صار ودّ الناس خبا جزيت على ابتسام بابتسام

و فى أمثال العامة: من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل، فاحتد بأمثله من جرّب، و استمع إلى ما خلد الماضون بعد جهدهم و تعبهم من

الأقوال، فإنها خلاصة عمرهم، و زبدة تجاربهم، و لا تتكل على عقلك، فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم و ابتاعوه غالبا

بتجاربهم يربحك، و يقع عليك رخيصة، و إن رأيت من له مروءة و عقل و تجربة فاستفد منه، و لا تضيع قوله و لا فعله، فإن فيما تلقاه

تلقيا لعقلك، و حتّا لك و اهتداء، و إياك أن تعمل بهذا البيت فى كل موضع: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٦٩

فالحرّ يخدع بالكلام الطيب

فقد قال أحدهم: ما قيل أضرّ من هذا البيت على أهل التجمل، و ليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسن بك أن تتبعه، حتى

تدبره، فإن كان موافقا لعقلك مصلحا لحالك فراع ذلك عندك، و إلا فانبذه نبذ النواة، فليس لكل أحد يتبسم، و لا كل شخص

يكلم، و لا الجود مما يعم به، و لا حسن الظنّ و طيب النفس مما يعامل به كل أحد، و لله در القائل: [بحر الطويل]

و ما لى لا أوفى البرية قسطها على قدر ما يعطى و عقلى ميزان

و إياك أن تعطى من نفسك إلا بقدر، فلا تعامل الدون بمعاملة الكفاء، و لا الكفاء بمعاملة الأعلى، و لا تضع عمرك فيمن يملك بالمطامع، و يثنيك عن مصلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة، و اسمع قول الأول: [المتقارب]

و بع آجلا منك بالعاجل

و أقلل من زيارة الناس ما استطعت، و لا تجفهم بالجملة، و لكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه ملل و لا ضجر و لا جفاء، و لا تقل أيضا أقعد في كسر بيتي و لا أرى أحدا، و أستريح من الناس، فإن ذلك كسل داع إلى الذل و المهانة، و إذا علم عدو لك أو صديق منك ذلك عاملاك بحسبه، فازدراك الصديق و جسر عليك العدو، و إياك أن يغرك صاحب واحد عن أن تدخر غيره للزمان، و تطيعه في عداوة سواه، ففي الممكن أن يتغير عليك فتطلب إعانة عليه أو استغناء عنه فلا تجد ذخيرة قدمتها، و كان هو في أوسع حال و أعلى رأى بما دبره بحيلته في انقطاعك عن غيره، فلو اتفق لك أن تصحب من كل صناعة و كل رياسة من يكون لك عده لكان ذلك أولى و أصوب، و سلني فإني خير، طال و الله ما صحبت الشخص أكثر عمري لا أعتد على سواه، و لا أعتد إلا إياه، منخدعا بسرابه، موثوقا في حبال خطابه، إلى أن لا- يحصل لي منه غير العض على البنان، و قول لو كان و لو كان، و لا يحملنك أيضا هذا القول أن تظنه في كل أحد، و تعجل المكافأة، و ليكن حسن الظن بمقدار، و اصبر بمقدار ما، و الفطن لا تخفى عليه مخايل الأحوال، و في الوجوه دلالات و علامات، و أصغ إلى القائل: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٧٠

ليس ذا وجه من يضيف و لا يقرى و لا يدفع الأذى عن حريم

فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه فولّ وجهك عنه قبله ترضاها، و لتحرص جهدك على أن لا تصحب أو تخدم إلا ربّ حشمة و نعمة، و من نشأ في رفاهية و مروءة، فإنك تنام معه في مهاد العافية، و إن الجياد على أعراقها تجرى، و أهل الأحساب و المروءات يتركون منافعهم متى كانت عليهم فيها وصمة، و قد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان: أشرب مصعب الخمر؟ فقال عبد الملك، و هو عدو له محارب له على الملك: لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شربه [بحر الكامل].

و الفضل ما شهدت به الأعداء

يا بني، و قد علمت أن الدنيا دار مفارقة و تغير، و قد قيل: اصحب من شئت فإنك مفارقه، فمتى فارقت أحدا فعلى حسنى في القول و الفعل، فإنك لا تدري هل أنت راجع إليه، فلذلك قال الأول: [بحر الطويل]

و لما مضى سلم بكيت على سلم

و إياك و البيت السائر: [بحر الوافر]

و كنت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزية و تركت عارا

و احرص على ما جمع قول القائل: ثلاثة تبقى لك الود في صدر أخيك، أن تبدأ بالسلام، و توسع له في المجلس، و تدعوه بأحب الأسماء إليه، و احذر كل ما بينه لك القائل:

كلّ ما تغرسه تجنيه إلا ابن آدم فإنك إذا غرسه يقلعك، و قول الآخر: ابن آدم يتمسكن حتى يتمكن، و قول الآخر: ابن آدم ذئب مع الضعف، أسد مع القوة، و إياك أن تثبت على صحبة أحد قبل أن تطيل اختباره، فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صحبته، فجاوبه: إن الصحبة رقة، و لا أضع رقي في يدك حتى أعرف كيف ملكتك، و استمل من عين من تعاشره، و تفقد في فلتات الألسن و صفحات الأوجه، و لا يحملك الحياء على السكوت عما يضرك أن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٧١

لا تبينه، فإن الكلام سلاح السلم، و بالأنين يعرف ألم الجرح، و اجعل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك، و أكد ما أوصيك به أن تطرح الأفكار، و تسلّم للأقدار: [المنسرح]

واقبل من الدهر ما أتاك به من قرّ عيننا بعيشه نفعه

إذ الأفكار تجلب الهموم، و تضاعف الغموم، و ملازمة القطوب عنوان المصائب و الخطوب، يستريب به الصاحب، و يشمت العدو المجانب، و لا تضر بالوساوس إلا نفسك، لأنك تنصر بها الدهر عليك، و لله در القائل: [بحر الوافر]

إذا ما كنت للأحزان عوناً عليك مع الزمان فمن تلوم؟

مع أنه لا يردّ عليك الفات الحزن، و لا يرعوى بطول عتبك الزمن، و لقد شاهدت بغرناطة شخصاً قد ألفته الهموم، و عشقته الغموم، من صغره إلى كبره، لا تراه أبداً خلياً من فكره، حتى [لقد] لقب بصدر الهم، و من أعجب ما رأيته منه أنه يتنكد في الشدة، و لا يتعلل بأن يكون بعدها فرج، و يتنكد في الرخاء خوفاً من أن لا يدوم، و ينشد: [بحر المتقارب]

توقع زوالاً إذا قيل تم

و ينشد: [بحر الطويل]

و عند التناهي يقصر المتطاوول

و له من الحكايات في هذا الشأن عجائب، و مثل هذا عمره مخسور يمر ضياعاً، و متى رفعت الزمان إلى قوم يذمون من العلم ما تحسنه حسداً لك، و قصداً لتصغير قدرك عندك، و تزهيدا لك فيه، فلا يحملك ذلك على أن تزهّد في علمك، و تركز إلى العلم الذي مدحوه، فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مشى الحجلة فرام أن يتعلمه فصعب عليه ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فنسيه، فبقى مخبل المشى [كما قيل]: [بحر الكامل]

حسد القطا و أراد يمشى مشيها فأصابه ضرب من العقال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٧٢

فأضلّ مشيته و أخطأ مشيها فلذاك سمّوه أبا مرقال

و لا- يفسد خاطر ك من جعل يذم الزمان و أهله، و يقول: ما بقى في الدنيا كريم و لا فاضل و لا مكان يرتاح فيه، فإن الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صحبه الحرمان، و استحقت طلعتة للهوان، و أبرموا على الناس بالسؤال، فمقتوهم، و عجزوا عن طلب الأمور من وجوهها فاستراحوا إلى الوقوع في الناس، و إقامة الأعدار لأنفسهم بقطع أسبابهم، و تعذير أمورهم، و لا تزل هذين البيتين من فكر ك: [بحر مجزوء الرمل]

لن إذا ما نلت عزا فأخو العز يلين

فإذا نابك دهر فكما كنت تكون

و لا قول الآخر: [بحر مجزوء الكامل]

ته و ارتفع إن قيل أقر و انخفض إن قيل أثرى

كالغصن يسفل ما اكتسى ثمرا و يعلو ما تعزى

و لا قول الآخر: [بحر البسيط]

الخير يبقى و إن طال الزمان به و الشرّ أخبث ما أوعيت من زاد

و اعتقد في الناس ما قاله القائل: [بحر الطويل]

و من يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغي لائماً

[و قريب منه قول القائل: [بحر المتقارب]

بقدر الصعود يكون الهبوط فإياك و الرتب العاليه

و كن في مكان إذا ما سقطت تقوم و رجلاك في عافيه]

و تحفظ بما تضمنه قول الآخر: [بحر السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٧٣

و من دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحق و بالباطل

و لله در القائل: [بحر الكامل]

ما كل ما فوق البسيطة كافيا فإذا اقتنعت فكل شيء كافي

و الأمثال يضربها لذي اللب الحكيم، و ذو البصر يمشى على الصراط المستقيم، و الفطن يقنع بالقليل، و يستدل باليسير، و الله سبحانه خليفتي عليك، لا رب سواه.

نجزت الوصية و تكفيك عنوانا على طبقته في النشر.

و له رسالة كتب بها إلى ملك المغرب أبي محمد عبد الواحد بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن مهنثا له بالخلافة حين بويع بها بمراكش، و كان إذ ذاك بإشبيلية، و كان قبل ذلك كاتباً له و مختصاً به:

الحضرة العلية، السامية السنية، الطاهرة القدسية، حضرة الإمامة، و جنه دار الإقامة، مد الله على الإسلام ظلالها، و أنمى في سماء السعادة تمامها و كمالها، و هنا المؤمنين باستقبال إمارتها، و أدام لهم بركة خلافتها، عبد أياديها، و خديم ناديها، المتوسل بقديم الخدمة، المتوصل بعميم النعمة و كريم الحرمة، المنشد بلسان المسرة، حين أطلع الزمان هذه الغرة:

[بحر المتقارب]

أته الخلافة منقادة إليه تجرّ أذيالها

فلم تك تصلح إلا له و لم يك يصلح إلا لها

موسى بن محمد بن سعيد بن محمد لا زال هذا الأمر العلى محموداً سعيداً، و لا برح يستزيد ترقياً و صعوداً.

سلام الله الكريم، يخص حضرة الإجلال و التعظيم، و التقديس و التفخيم، و رحمته و بركاته، و بعد حمد الله الذي بلغ الإسلام بهذه الخلافة آماله، و حلّى بهذه الولاية السعيدة أحواله، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد نبيه الكريم، الذي أدحض الله تعالى به الكفر نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٧٤

و ضلاله، و على آله و صحبه الطاهرين الذين سمعوا أقواله، و امثلوا أفعاله، و الرضا عن الإمام المهدي المعلوم الذي أفاء الله به على الدين الحنيفي ضلاله، و أذهب عنه طواغيته و ضلاله، و الدعاء للمقام العالى الكريم، بالسعد المتوالى و النصر الجسيم، و كتب العبد و قد ملأت هذه البشرية المسرة أفاقه، و وسعت عليه هذه المرتبة العلية طريقه: [بحر البسيط]

فهذه رتبة ما زلت أرقبها فاليوم أبسط آمالي و أحكم

و لا أقنع منى إن اقتصرت على السماء داراً، و الهلال للبشير سواراً، و النجوم عقداً، و الصباح بنداً، حتى أسر كل أحد بشكله، و أقابل كل شخص بمثله: [بحر الطويل]

و من خدم الأقوام يرجو نوالهم فإني لم أخدمك إلا لأخدما

و ما بعد الخلافة رتبة، و دون ثبير تحط كل هضبة، فالحمد لله رب العالمين، و هنيئاً لعباده المؤمنين، حيث نظر لهم نظر رحمة، فأسبل عليهم هذه النعمة: [بحر الكامل]

و لقد علمت بأن ذلك معصم ما كان يتركه بغير سوار

و الله أعلم حيث يجعل رسالاته، و إلى من يشير بآياته، فله صباح ذلك اليوم السعيد و ليلته، لقد سفر عن وجه من البشرية أضاءت الآفاق شرقاً و غرباً غرته، و لقد اجتمعت آراء السداد، حتى أتت الإسلام بالمراد، فأخذ القوس باريها، و حل بالدار بانيها، هنيئاً زادك الرحمن [لطفاً و] خيراً، و لا برحت المسرات تسير إليك سيرا، و هل يصلح النور إلا للمقل، و هل يليق بالحسن إلا للحل، فالآن مهّد

الله البرين، و أفاض العدل على العدوتين، و قدّم للنظر من لا يعزب عن حفظه مكان، و لا يختصّ بحفظه إنسان دون إنسان، خليفة له النفس العمرية، و الآراء العمرية، و الفراسة الإيائية، و لا ينبئك مثل خبير، فلقد شاهد العبد ما لا يحصره تفسير، و لعمري لقد صار الصباح في إشراق النهار، و لم يخف عنا ما زاد الدنيا من البهجة و المسار، و شملت الناس هذه البشائر، و عمت كل باد و حاضر، و أصاخوا لتاليها إصاخة المجدين لمرتادهم، و أهطعوا لها مهللين و مكبرين إهطاع الناس لأعيادهم، و أما العبد قد أخذ بحظه، حتى خاف أن يغلب السرور على قلبه و لحظه. [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٧٥

و من فرح النفس ما يقتل

و هذه نعمة يقصر عنها النثر و النظم، و يحسد عليها الهلال و النجم، بل يسلمان لما استحقت من المراتب، و يخضعان إليها خضوع المفترض الواجب، أقر الله بها عيون المسلمين، و أفاض سحبتها على الناس أجمعين، و حفظها بعينه التي لا تنام، و وقف على خدمتها الليالي و الأيام.

و لما قدم من الأندلس على تونس مدح سلطانها أبا زكريا بقوله: [بحر الكامل]

بشرى و يسرى قد أنار المظلم نجما و قد وضح الصباح المعلم

و رنت عيون الأمن و هي قريرة و بدت ثغور السعد و هي تبسم

فارحل لتونس و اعتقد أعلام من قوى الضعيف به و أثرى المعدم

حيث المعالي و المعاني و الندى و الفضل و القوم الذين هم هم

أجروا إلى الغايات ملء عنانهم سبقا و بدّهم الجواد المنعم

ساد الإمام الملك يحيى سادة أعطى الورى لهم القيادة و سلموا

إن الإمارة مذ غدا يقتادها يقضى و أجفان الحوادث نؤم

لله منك مبارك ذو فطنه بزغت فأحجم عندها من يقدم

يقظان لا وان و لا متعاس كالدهر يبنى ما يشاء و يهدم

إن صال فالليث الهصور المقدم أو سال فالغيث المغيث المثجم

أعلى منار الحق حين أماله قوم تبرأت المنابر منهم

أعلى الإله مكانه و زمانه و النصر يقدم و السعادة تخدم

و قال يخاطب ملك المغرب مأمون بن عبد المؤمن، حين أخذ البيعة لنفسه بإشبيلية، و كان المذكور بمراكش و لبنى سعيد بهذا

الملك اختصاص قديم: [بحر البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٧٦

الحزم و العزم موجودان و النظر و اليمن و السعد مضمونان و الظفر

و النور فاض على أرجاء أندلس و الزور ليس له عين و لا أثر

حث الركاب إلى هذا الجناب فقد ضلوا فما تنفع الآيات و التذر

و اعزم كما عزم المأمون إذ نشرت أرض العراق فزال البؤس و الضرر

و لما قدم العادل القائم بمروية المتولى على مملكة البرين إلى إشبيلية كان في جملة من خرج للقائه، و رفع له قصيدة منها: [بحر

الطويل]

لقاء به للبر و الشكر مجمع إلى يومه كنا نخب و نوضع

لقد يَسِّرُ الرحمنُ صعبَ مرامه فأبصرتُ أضعافَ الذي كنتُ أسمع
و له أيضا: [بحر السريع]

يا منعما قد جاءني بره من غير أن أجرى له ذكرا
إني أحب الخير ما جاءني عفوا، و لم أعمل به فكرا
و له في غلام واعظ، و هو من حسناته: [المجتث]

و شادن ظل للوعظ تاليا لين جمع
متتت طرفي بمرآه في خفارة سمعي
و له من أبيات: [بحر الطويل]

و من عجب أن الليالي تغيرت و لكنها ما غيرت مني العهدا

و من الفضلاء الذين أدر كهم و أخذ عنهم الحافظ أبو بكر بن الجدد، و أبو بكر بن زهر، و غيرهما، و حضر حصار طليطله مع منصور
بن عبد المؤمن، و كتب لملك البرين أبي محمد عبد الواحد، و كتب أيضا عن مأمون بن عبد المؤمن، و كتب أخيرا عن ملك بجاية
و الغرب الأوسط الأمير أبي يحيى ابن ملك إفريقية، رحم الله تعالى الجميع!

رجع إلى أبي الحسن بن سعيد:

قال رحمه الله تعالى: حضرت ليلة أنس مع كاتب ملك إفريقية أبي العباس أحمد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٧٧

الغساني، فاحتاجت الشمعة أن تقط، فتناول قطها غلام بنانه، فقلت: [بحر المتقارب]

و رخص البنان تصدّي لأن يقط السراج بمثل العنم
فقال:

و لم يهب النار في لمسها و لا احتاج في قطه للجلم
فقلت:

و ما ذاك إلا لسكناه في فؤادي على ما حوى من ضم
فقال:

تعوّد حرّ لهيب به فليس به من أوار ألم

و أنشد في «المغرب» للغساني المذكور في خسوف القمر مما قاله ارتجالا: [بحر الوافر]

كأن البدر لما أن علاه خسوف لم يكن يعتاد غيره

سجنجل عادة قلبته لما أراها شبهها حسدا و غيره

و خاطبه المذكور برسالة يقول في آخرها: و عند حامل هذه الأحرف - سلّمه الله تعالى! - كنه خبري، و استيعاب ما قصر عنه قلمي

فضاقت بحمله أسطري، لتعلم ما أجده و أفقده من تشوقي و تصبري، و أني لا أزال أنشد حيث تذكرى و تفكرى: [بحر البسيط]

يا نائيا قد نأى عني بمصطبرى و ثاويا في سواد القلب و البصر

إذا تناسيت عهدا من أخي ثقة فاذكر عهدى فما أخليك من فكري

و اردد عليّ تحياتي بأحسنها تردد عليّ حياتي آخر العمر

و لئمسك العنان عن الجرى في ميدان أخبار ابن سعيد، فإنها لا يشق غبارها، و منها قوله رحمه الله تعالى: سمعت كثيرا من السماع

المشرقى، فلم يهزنى مثل قول الشريف الشمس المكي: [مجزوء الرمل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٧٨

مقل بالدمع غرقى و فؤاد طار خفقا

و تجن و تشن شق جيب الصبر شقا

يا ثقاتي خبرونى عن حديث اليوم حقا

أكذا كل محب فارق الأحباب يشقى؟

لا وعيش قد تقضى و غرام قد تبقي

و نعيم فى ذراكم قد صفا دهرا و رقاً

و نسيم من حماكم حمل الوجد فرقا

برسالات صبابات على المشتاق تلقى

و غصون ناعمات بمياه الدنّ تسقى

و وجوه ففن حسنا فملأن الأرض عشقا

لو رضيتم بى عبدا ما رضيت الدهر عتقا

و قال: ما سمعت و لا وقفت على شىء أبعد من قول الجزار، و قد تردد إلى جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية فلم يقدر له

الاجتماع به: [بحر الخفيف]

أسأل الله أن يديم لك العز و يبقيك ما أردت البقاء

كلّ يوم أرجو النعيم بلقياك فألقى بالبعد عنك شقاء

علم الدهر أننى أشتكيه لك إذ نلتقى فعاق اللقاء

فبعث له بما أصلح حاله من الإحسان، و كتب فى حقه إلى ولاة الصعيد كتباً أغنته مدة عن شكوى الزمان، انتهى.

و قال أيضا: و لم أسمع فى وضع الشىء موضعه أحسن من قول المتنبي: [بحر الرمل]

و أصبح شعرى متهما فى مكانه و فى عنق الحسناء يستحسن العقد

و لم أسمع فى وضع الشىء غير موضعه أحسن من قول أبى الفرج: [بحر الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٧٩

مرّ مدحى ضائعا فى لؤمه كضياح السيف فى كفّ الجبان

و من تأليف النور بن سعيد كتاب «عدة المستنجز، و عقله المستوفز» و ذكر فيه أنه ارتحل من تونس إلى المشرق رحلته الثانية سنة

٦٦٦هـ، و أورد فى هذا الكتاب غرائب و بدائع، و ذكر فيه أنه لما دخل الإسكندرية لم يكن عنده أكد من السؤال عن الملك الناصر،

فأخبر بحاله، و ما جرى له مع التتر حتى قتلوه بعد الأمان، ثم ساق فى دخول هولاء حلب فقال بعد كلام كثير: و ارتكب فى أهل

حلب التتر و المرتدون و نصارى الأرمن ما تصمّ عنه الأسماع، و كان فيمن قتل بتلك الكائنة البدر بن العديم الذى صدر عنه من

الطبقة العالية فى الشعر مثل قوله: [بحر مجزوء الكامل]

واها لعقرب صدغه لو لم تكن للماء تحمى

و لغفل خط عذاره لو بت أعجمه بلسمى

و ابن عمه الافتخار بن العديم الذى وقع له مثل قوله:

و الغصن فيه الماء مطّرد و الماء فيه الغصن منعكس

ثم قال، لما ذكر أحوال الناصر بعد استيلاء التتر على بلاد حلب و الشام و ما يليهما، ما نصه: قال من دخل على الملك الناصر و قد نزل

بميدان دمشق: قبلت يده، و جعلت أدعو له، و أظهر تعزيتيه على ما جرى من تلك المصائب العظيمة، فأضرب عن ذلك، و قال لي:
 فيم تتغزل اليوم؟ ثم أنشدني قوله في مملوك فقد له في هذه الكائنة: [بحر الكامل]
 و الله ما أبكى لملك مضي و لا لحال ظاعن أو مقيم
 و إنما أبكى و قد حق لي لفقد من كنت به في نعيم
 يطلع بدرا ينثنى بانه يمر فيما رمته كالنسيم
 في خاطري أبصره خاطرا فألتوى مثل التواء السقيم
 يا عاذلي دعني و ما حلّ بي فما سوى الله بحالي عليم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٨٠
 إن مت من حزن له أسترح و إن أعش عشت بهمّ عظيم
 قال: ثم إنه سار نحو هولاء، فلما مر بحلب و نظر إلى معاهده على غير ما يعهد قال:
 [بحر الطويل]

مررت بجرعاء الحمى فتلفتت لحاظي إلى الدار التي رحلوا عنها
 و لو كان عندي ألف عين و قمت في معالمها عمرى لما شبت منها
 و صنع في نعيها أشعارا يغني بها المسمعون، ثم رحل إلى صحراء يوشن في جهة طريق أرمينية، فوجد هولاء هنالك في تلك
 المروج المشهورة بالخصب، فأنزله، و أقام يشرب معه إلى أن وصل الخبر بوقعة عين جالوت على التتر للملك المظفر قطز صاحب
 مصر سنة ٦٥٨، فقتلوه، و خلعوا عظم كتفه، و جعلوه في أحد الأعلام على عادته في أكتاف الملوكة، انتهى باختصار.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٨١

فهرس الرسائل و الخطب و التوبيهات للجزء الثاني من كتاب نفع الطيب

- * ابن حسداى: جواب منه لابن الدباغ عن رسالة ٦٣
- * ابن خفاجة، أبو إسحاق: رسالة في وصف متنزه ٦٤
- رسالة إلى صديق ولي حصنا ٦٥
- رسالة يستدعى عود غناء ٦٦
- * ابن صاحب الصلاة: رسالته في وصف جامع قرطبة ٧٦
- * ابن طفيل، أبو بكر: رسالته في شأن المصحف العثماني ١١٦
- * ابن عبد الملك الجزيري: رسالة على لسان بنفسج العامرية ٦١
- * ابن العربي المعافى: فصل من رحلته ١٩٩
- * أبو بكر اشكهداءة: رسالة في التوصية ببعضهم ٢٥٣
- * أبو بكر الطرطوشي: موعظة قالها أمام الأفضل أمير الجيوش ٢٤٦
- * أبو حفص الهوزنى: من رسالة له إلى المعتضد بن عباد ٢٥١
- * (تلميذ لابن سبعين): رسالة له في الاتصال لأستاذه ٣٣٥
- * الفتح بن خاقان: رسالته إلى بعض الملوكة في وصف نزهة ١٥٦
- رسالته إلى بعض الملوكة مهنتا ١٦٩

- * الفيروزآبادى: رسالته فى حق ابن عربى الصوفى ٣١٦
- * لسان الدين بن الخطيب
- رسالة على لسان السلطان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ٤٢
- رسالة عن الغنى بالله إلى السلطان المرينى فى وصف بعض الغزوات ٤٣
- رسالة أخرى فى منحنى السابقة ٤٧
- رسالة إلى أبى فارس المرينى فى الشفاعة لابن مرزوق ٢٧٦
- * محمد بن عبد البر: رسالته إلى المنصور الصغير ١٠٩
- * منذر بن سعيد: خطبته فى التهديد و ذم البنيان ٨٩
- من خطبة فى الاستسقاء ٩٠
- * ابن الربيب القيروانى: رسالته إلى أبى مروان الرباطى ٤٢١
- * الفتح بن خاقان: رسالته إلى على بن يوسف فى شأن ابن زهر ٣٧٣
- رسالته فى غريق ٣٧٣
- * ابن عسكر، أبو عبد الله: رسالته إلى أبى عمران بن سعيد ٤٦٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٨٢
- * أبو العباس الغسانى: رسالته إلى أبى الحسن بن سعيد ٤٤٩
- * ابن سعيد، أبو الحسن: إجازته للتيفاشى رواية المغرب ٤٤٩
- فصول من رحلته فى الفسطاط و القاهرة ٤٥٣
- * ابن سعيد، أبو عمران وصيته لابنه أبى الحسن ٤٦٤
- رسالته إلى عبد الواحد الموحدى ٤٧٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٨٣

فهرس موضوعات الجزء الثانى من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى

الباب الرابع فى وصف الأندلس

- ٣ ووصف قرطبة لابن سعيد ٣
- وصف قرطبة لبعض العلماء ٦
- وصف قرطبة للحجارى ٧
- من محاسن قرطبة ٨
- عناية القرطبيين بالكتب ٨
- قصور قرطبة و أبواب تلك القصور ٩
- أبواب قرطبة و أرباضها ١٠
- متنزهات قرطبة ١١
- الرمان السفرى فى قرطبة ١٢

- متنزهات قرطبة و قصورها ١٣
 نهر قرطبة ٢٢
 قنطرة قرطبة و نشأتها ٢٢
 أسباب دثور قرطبة ٢٣
 وصف المباني العظيمة ٣٠
 من وصف الأنهار و البرك ٣٧
 وصف الديار الدائرة ٣٧
 من رسائل لسان الدين بن الخطيب ٤٢
 جامع قرطبة ٥٢
 رجوع إلى أخبار البنيان ٥٣
 ابن فرفور يشكو الدهر ٥٤
 رجوع إلى أخبار البنيان - مدينة الزهراء ٥٥
 أخبار البنيان - قصر المأمون بن ذى النون ٥٩
 وصف المجالس و القصور ٦٠
 من نثر ابن خفاجة ٦٥
 من نظم ابن خفاجة ٦٦
 عود إلى وصف قرطبة و مشاهدتها ٦٧
 مسجد قرطبة ٧١
 الزهراء و مسجدها ٨٤
 بين المنذر بن سعيد و الناصر ٨٩
 دثور الزهراء ٩٤
 الزاهرة ٩٥
 المنية العامرية ٩٧
 كثرة المنى فى الأندلس ٩٩
 بين المنصور و ابن شهيد ١٠٠
 المنصور و عبد الملك بن إدريس الخولاني ١٠١
 من أخبار المنصور بن أبى عامر ١٠٣
 دثور الزاهرة ١٠٣
 طرف من أخبار المنصور ١٠٤
 ترجمة المصحفى فى المطمح ١٠٥
 من أخبار المنصور ١٠٧
 رسالة ابن عبد البر إلى المنصور الصغير ١٠٩
 من أخبار المنصور الكبير محمد بن أبى عامر و المصحفى ١١١

- مآل مصحف عثمان الذي كان بالأندلس ١١٤
 بناء مسجد مراکش ١٢٣
 من أخبار الوزير أبي المغيرة بن حزم ١٢٤
 بين الرشيد و المأمون و جارية ١٢٥
 ترجمة الوزير أبي المغيرة بن حزم ١٢٦
 ترجمة أبي عامر بن شهيد ١٢٧
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٨٤
 استيلاء المعتمد بن عباد على قرطبة ١٢٩
 وصف المنتزهات من ترجمة ابن زيدون (في القلاندة) ١٣٢
 وصف المنتزهات من موشحة ابن الوكيل ١٣٥
 وصف المنتزهات من رجوع إلى ما يتعلق بقرطبة ١٣٦
 وصف حير الزجالي بقرطبة ١٣٧
 وصف المنتزهات من ترجمة بنى القبطنة ١٣٩
 بين أبي بكر بن القبطنة و الوزير ابن اليسع ١٤٠
 وصف المنتزهات من ترجمة ابن حسداى ١٤١
 وصف المنتزهات من ترجمة المستعين ابن هود ١٤٢
 وصف المنتزهات من ترجمة عبد الله ابن السيد البطليوسى ١٤٣
 وصف المنتزهات من ترجمة ابن العطار ١٤٩
 وصف المنتزهات من ترجمة ابن عمار ١٥٠
 وصف المنتزهات من ترجمة ابن وهبون ١٥٤
 وصف الفتح لمجلس أنس بمنية المنصور ١٥٥
 كتاب من الفتح إلى بعض الملوك يصف منتزها ١٥٦
 وصف المنتزهات من ترجمة الراضى بالله بن عباد ١٥٧
 وصف المنتزهات من ترجمة المتوكل على الله بن الأفتس ١٥٨
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٢؛ ص ٤٨٤
 ف المنتزهات من ترجمة المعتصم ابن صمادح ١٦٠
 وصف المنتزهات من ترجمة ابن رزين ١٦١
 وصف المنتزهات من ترجمة ابن طاهر ١٦٣
 وصف المنتزهات من ترجمة ابن عمار ١٦٣
 وصف المنتزهات من ترجمة أبي عيسى بن لبون ١٦٤
 و ترجمة أبي بكر بن رحيم ١٦٥
 وصف المنتزهات من ترجمة ابن عبدون ١٦٥
 وصف المنتزهات من ترجمة ابن مالك ١٦٦

- وصف المتنزهات من ترجمة ابن السقاط ١٦٦
 و من ترجمة ابن أضحى ١٦٧
 وصف المتنزهات من ترجمة ابن خفاجة ١٦٨
 وصف المتنزهات من رسالة للفتح ١٦٩
 وصف المتنزهات من ترجمة ابن عطية ١٦٩
 وصف المتنزهات من شعر ابن خفاجة ١٧٠
 وصف المتنزهات من شعر ابن سعيد ١٧٩

الباب الخامس فيمن رحل من الأندلسيين إلى المشرق

- ١٨٣ ترجمة عبد الملك بن حبيب السلمى ١٨٤
 ترجمة الفقيه المحدث يحيى بن يحيى الليثى ١٨٦
 ترجمة القاضى أبى عبد الله محمد بن عيسى ١٨٨
 ترجمة عتيق بن أحمد الأندلسى الدمشقى ١٩١
 ترجمة أبى إبراهيم إسماعيل الأبرى ١٩١
 ترجمة القاضى منذر بن سعيد البلوطى ١٩١
 ترجمة أبى القاسم الشاذبى الرعينى المقرى ١٩٦
 ترجمة القاضى أبى بكر بن العربى المعافى ١٩٩
 ترجمة أبى بكر محمد بن أبى عامر بن حجاج الغافقى ٢١٣
 ترجمة جمال الدين بن ذى النون ٢١٣
 ترجمة زياد بن عبد الرحمن اللخمى (شبطون) ٢١٤
 سوار بن طارق ٢١٥
 بقى بن مخلد ٢١٥
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٨٥
 قاسم بن أصبغ ٢١٥
 ترجمة أبى محمد قاسم بن ثابت العوفى السرقسطى ٢١٧
 علم الدين قاسم بن أحمد اللورقى المرسى ٢١٧
 قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار ٢١٨
 ترجمة أبى بكر محمد بن إبراهيم الغسانى ٢١٩
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن حيون ٢١٩
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الملقى ٢١٩
 محمد بن إبراهيم اليقورى ٢٢٠
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصارى ٢٢٠
 أبو عبد الله القرشى الهاشمى الأندلسى ٢٢٠

- أبو عبد الله محمد بن علي القرطبي ٢٢٣
أبو بكر محمد بن علي التجيبي الإشبيلي ٢٢٣
أبو بكر الأنصاري الجياني ٢٢٣
أبو عبد الله التجيبي الدهان الغرناطي ٢٢٤
أبو عمر محمد بن علي الإشبيلي ٢٢٤
أبو بكر محمد بن علي البلنسي ٢٢٤
أبو عبد الله محمد بن علي البياسي ٢٢٤
أبو عبد الله محمد بن علي الشامي الأندلسي الغرناطي ٢٢٥
محمد بن عمار الميورقي ٢٢٥
محمد بن عمر القرطبي الحافظ ٢٢٥
محمد بن عمروس القرطبي ٢٢٦
محمد بن عيسى بن نجيج المعافري ٢٢٦
محمد بن فطيس الغافقي ٢٢٧
محمد بن القاسم القرطبي ٢٢٧
محمد بن قاسم بن رمان الغرناطي ٢٢٧
محمد بن لب الشاطبي ٢٢٨
محمد بن سراقه الشاطبي ٢٢٨
محمد بن أحمد الفريشي ٢٢٩
محمد بن محمد بن خيرون ٢٢٩
ضياء الدين محمد بن محمد بن بندار القيسي ٢٣٠
أبو بكر محمد الزهري المعروف بابن محرز البلنسي ٢٣٠
أبو الوليد الباجي ٢٣٠
أبو ذر الهروي عبد بن أحمد ٢٣٣
عود إلى أبي الوليد الباجي ٢٣٤
ترجمة ابن حزم الظاهري ٢٣٨
عود إلى أبي الوليد الباجي ٢٤٤
أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي ٢٤٥
محمد بن عبد الجبار الطرطوشي ٢٤٩
أبو علي الصيرفي القاضي ٢٤٩
ابن أبي روح الجزيري ٢٥١
أبو حفص عمر بن حسن الهوزني ٢٥١
أبو عمر عثمان بن الحسين ٢٥٢
أبو بكر محمد بن القاسم ٢٥٢

- أبو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقي ٢٥٤
عبد المنعم بن عمر المالقي ٢٥٥
أبو الخطاب بن دحية الحافظ ٢٥٥
خلف بن القاسم بن سهل بن الدباغ ٢٦٠
خلف بن سعيد الكلبي ٢٦٠
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشبيلي ٢٦٠
أبو محمد عبد الله بن يحيى السرقسطي ٢٦٤
الفقيه المقرئ أبو عامر التياري ٢٦٤
أبو الحجاج يوسف بن عتبة الإشبيلي ٢٦٥
أبو بكر محمد بن يوسف المعروف (بابن مسدي) ٢٦٥
أبو عبد الله بن فتوح الحميدي ٢٦٦
أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي ٢٦٨
أبو بكر يحيى بن سعدون ٢٦٩
أبو عبد الله محمد بن عبد ربه الوزير ٢٧٠
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٨٦
أبو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي ٢٧١
أبو الوليد بن الجنان الكناني الشاطبي ٢٧٢
أبو محمد القرطبي ٢٧٥
علي بن أحمد القادسي الكناني ٢٧٥
أبو عبد الله بن العطار القرطبي ٢٧٥
حضرة تونس و رساله للسان الدين بن الخطيب ٢٧٦
أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي القرطبي (ابن الفرضي) ٢٧٩
أبو بكر محمد بن أحمد الشريشي ٢٨١
أبو محمد عبد العزيز البننسي القيسي ٢٨٢
أبو الحكم عبيد الله بن المظفر (المغربي) ٢٨٣
أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد ٢٨٥
عبد الله بن عيسى ٢٨٦
أحمد بن علي (ابن شكر) ٢٨٦
القاسم بن أحمد اللورقي ٢٨٦
أبو عبد الله بن أبي الربيع ٢٨٦
أبو عامر محمد بن سعدون العبدي ٢٨٧
أبو عبد الله محمد بن سعدون الباجي ٢٨٧
أبو بكر محمد بن سعدون الجزيري ٢٨٨

- محمد بن سعد الأعرج ٢٨٨
 محمد بن سعيد الأموى ٢٨٨
 محمد بن سعيد القرطبي ٢٨٨
 محمد بن سليمان المعافرى ٢٨٩
 محمد بن شريح الرعيني ٢٨٩
 محمد بن صالح الملقى ٢٩٠
 محمد بن صالح القحطاني ٢٩٠
 محمد بن طاهر الداني ٢٩٠
 محمد بن بشير المعافرى ٢٩١
 محمد بن عيسى ٢٩٥
 محمد بن يحيى الليثي ٢٩٥
 محمد بن مروان (ابن أبي جمرة) ٢٩٦
 محمد بن أبي علاقة ٢٩٦
 محمد بن حزم التنوخي ٢٩٦
 محمد بن يحيى بن مالك ٢٩٧
 محمد بن عبدون الجبلى العدوى ٢٩٧
 محمد بن عبد الرحمن الأزدي الفراء ٢٩٧
 محمد بن صالح المعافرى ٢٩٨
 محمد بن أحمد السرقسطي ٢٩٨
 محمد بن عيسى الأنصاري ٢٩٨
 محمد بن طاهر الأنصاري الخزرجي الداني ٢٩٩
 محمد بن الفرغ البزار ٢٩٩
 محمد بن الحسين الميورقي ٣٠٠
 محمد بن عبد الرحمن العبدى الإشبيلي ٣٠٠
 محمد بن أحمد الخزرجي الجياني ٣٠١
 محمد بن علي الأنصاري الجياني ٣٠١
 محمد بن يوسف المرسي ٣٠٢
 محمد بن إبراهيم بن وضاح اللخمي ٣٠٤
 محمد بن عبد الرحمن التجيبي ٣٠٤
 الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي ٣٠٥
 أبو الحسن علي بن عبد الله الششتري النميري ٣٢٥
 أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الأندلسي ٣٢٧
 أبو العباس أحمد بن عمر المرسي ٣٣٠

- أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجن ٣٣٢
 على بن محمد الخزرجي الساعدي ٣٣٣
 عبد الحق بن إبراهيم (ابن سبعين) ٣٣٤
 محمد بن إبراهيم الإشبيلي الشهير بابن غصن ٣٤٢
 أحمد بن يوسف اللبلي ٣٤٣
 محمد بن أحمد القرطبي المفسر ٣٤٥
 أبو القاسم محمد بن أحمد (ابن حاضر) ٣٤٦
 محمد بن أحمد التجيبي ٣٤٦
 محمد بن أحمد المالقي الخزرجي ٣٤٧
 أبو بكر محمد بن أحمد الهاشمي
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٨٧
 القرطبي ٣٤٧
 محمد بن أحمد بن سلمان الزهري الإشبيلي ٣٤٨
 محمد بن أحمد القرطبي الورشي ٣٤٨
 محمد بن أحمد الباجي اللخمي ٣٤٨
 محمد بن أحمد العتبي القرطبي ٣٤٩
 محمد بن أحمد المعافري الفرضي ٣٥٠
 محمد بن أحمد الطليطلي ٣٥٠
 محمد بن أحمد القيسي ٣٥٠
 محمد بن أحمد الوائلي ٣٥١
 أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ٣٥١
 محمد بن أحمد الواحلي القيسي ٣٥٢
 محمد بن أحمد العبدري البلسي ٣٥٢
 محمد بن أحمد الإشبيلي ٣٥٣
 محمد بن أسباط المخزومي ٣٥٣
 محمد بن إسحاق القاضي ٣٥٣
 موسى بن بهيج الواعظ ٣٥٣
 أبو عمران موسى بن سعادة ٣٥٣
 عبد الله بن طاهر الأزدي ٣٥٤
 محمد بن عبد الله بن مالك الجباني ٣٥٤
 محمد بن طاهر التدميري القيسي (الشهيد) ٣٦٤
 محمد بن عبد الجليل القبجاطي، و محمد بن عبد الرحيم القيسي الغرناطي ٣٦٥
 محمد بن عبد السلام، و محمد بن عبد الملك القرطبي ٣٦٦

- ابن ضيفون اللخمي، و محمد الخزرجي، و ابن السراج ٣٦٧
- محمد العنسي، و ابن الدفاع، و محمد المعافري ٣٦٨
- محمد الأنصاري البلنسي ٣٦٨
- محمد القرطبي (ابن خيرة) ٣٦٩
- محمد بن عبد الله السلمي المرسي ٣٦٩
- محمد بن عبد الله البنتي، و محمد بن عبد الله الخولاني (ابن القوق) ٣٧١
- محمد اللوشي، و محمد بن عبدون ٣٧١
- عبد الملك بن أبي بكر ٣٧٢
- محمد بن مروان، و أبو العلاء زهر بن عبد الملك ٣٧٢
- أبو العلاء زهر بن عبد الملك ٣٧٤
- أبو الحجاج يوسف بن إبراهيم الساحلي ٣٧٩
- يحيى بن الحكم الغزال ٣٧٩
- أبو الحسن علي بن موسى العنسي ٣٨٦
- نقول من ابن سعيد: متزه الفاطميين بمصر ٤١٣
- نقول من المحلى لابن سعيد: خبر طراد بن مهلهل الطائي ٤١٤
- نقول من ابن سعيد: مكين الدولة أبو طالب ابن حديد ٤١٥
- نقول من ابن سعيد: مقتل الأمر الفاطمي
في طريق اليهودج ٤١٦
- نقول من ابن سعيد: بعض خبر شهاب الدين التلعفري و شعره ٤١٧
- نقول من ابن سعيد: بعض أخبار الملك العادل بن أيوب ٤١٧
- نقول من ابن سعيد: من أخبار أحمد بن سعيد المرذغانى، و أخبار أحمد عبد الكريم الدمشقي ٤٢٠
- نقول من ابن سعيد: بين الرباطي و ابن الريب ٤٢١
- نقول من ابن سعيد: بعض أخبار أبي الجسر الرباطي ٤٢٢
- أبو عبد الله محمد بن الحسين بن سعيد ٤٣٨
- عود إلى أخبار الرئيس ابن الحسين ٤٣٥
- بعض أخبار السلطان المستنصر الحفصي ملك إفريقية ٤٤١
- رجع إلى أخبار أبي الحسن علي بن
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢، ص: ٤٨٨
- سعيد و شعره ٤٤٣
- مقتبسات من خطبة المغرب ٤٤٦
- قلعة بني سعيد، و أولية بني سعيد ٤٤٨
- ترجمة أبي العباس أحمد الغساني من المغرب ٤٤٩
- شعر لابن سعيد ٤٥٠

ترجمة أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد (من المغرب) ٤٥١

وصف ابن سعيد للفسطاط ٤٥٣

وصف القاهرة ٤٥٤

بعض أخبار أبي الحسن بن سعيد ٤٦٣

وصية موسى بن سعيد لابنه أبي الحسن ٤٦٥

رسالة موسى بن سعيد إلى عبد الواحد بن عبد المؤمن الموحدى موسى بن سعيد يمدح سلطان تونس أبا زكريا ٤٧٣

موسى بن سعيد يخاطب مأمون بنى عبد المؤمن ملك المغرب ٤٧٥

رجع إلى أبي الحسن بن سعيد ٤٧٦

[الجزء الثالث]

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

[تنمة القسم الاول]

صلة الباب الخامس

إشارة

رجع:

[١٦٧- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد.]

١٦٧- و من الوافدين من الأندلس إلى المشرق الأديب الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد. و كان صعب الخلق، شديد الأنفة، جرى بينه و بين أقاربه ما أوجب خروجه إلى أقصى المشرق، و فى ذلك يقول، و كتب به إليهم:

[بحر الخفيف]

من لصبّ يرعى النجوم صباه ضيّع السير فى الهموم شبايه

زدت بعدا فزدت فيه اقترابا بودادى كذاك حكم القرابه

منزلى الآن سمرقند و بالقل عه ربح وطئت طفلا ترابه

شدّ ما أبعد الفراق انتراحي هكذا الليث ليس يدري اغترابه

لا و لا أرتجى الإياب لأمر إن يكن يرتجى غريب إياه

و كتب لهم من بخارى: [بحر الوافر]

إذا هبت رياح الغرب طارت إليها مهجتي نحو التلاقى

و أحسب من تركت به يلاقى إذا هبت صباها ما ألقى

فيا ليت التفرق كان عدلا فحمل ما يطيق من اشتياقى

و ليت العمر لم يبرح وصالا و لم يحتم علينا بالفراق

إذا كان الشوق فوق كل صفة، فكيف تعتبر عنه الشفة، لكن العنوان دليل على بعض ما فى الصيغة، و الحاجب قد ينوب فى بعض الأمور مناب الخليفة، و ما ظنكم بمشوق طريح، فى يد الأشواق طليح، يقطع مسافات الآفاق يتلقب تغلب الأفياء، و يتلون تلون الحرباء، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤

حتى كأنه يخبر مساحات الأرض، ذات الطول و العرض، و يجوب أهوية الأقاليم السبع، خارجا بما أدخله فيه اللجاج عن السمع، فكأنه خليفة الإسكندر، لكن ما يجيش من هموم الغربية بفكرى قائمة مقام الجيش و العسكر، جرت إلى بر العدو من الغرب الأقصى، ثم تشوقت نفسى فطمحت إلى مشاهدة الغرب الأوسط فلاقيت فيما بينهما من المسافة من المشاق ما لا يحصى، ثم تشوقت إلى إفريقية درب بلاد الشرق، فاستشعرت من هنالك ما بينها و بين بلادى من الفرق، و اختطفت من عيني تلك الطلاوة، و انتزعت من قلبى تلك الحلاوة: [بحر الطويل]

فله عين لم تر العين مثلها و لا تلتقى إلا بجنات رضوان

ثم نازعتنى النفس التواقفة إلى الديار المصرية، فكابدت فى البحر ما لا يفى بوصفه إلا المشاهدة إلى أن أبصرت منار الإسكندرية، فيا لك من استئناف عمر جديد، بعد اليأس من الحياة بما لقينا من الهول و التنكيد، ثم صعدت إلى القاهرة قاعدة الديار المصرية، لمعاينة الهرمين و ما فيهما من المعالم الأزلية، و عاينت القاهرة المعزية، و ما فيها من الهمم [العليه] الملوكية، غير أنى أنكرت مبانيها الواهية، على ما حوت من أولى الهمم العالية، و كونها حاضرة العسكر الجرار، و كرسى الملك العظيم المقدار، و قلت: أصداف فيها جواهر، و شوك محدد بأزهار، ثم ركب النيل و عاينت تماسيحه، و جرت بحر جده و ذقت تباريحه، و قضيت الحج و الزيارة، و ملت إلى حاضرة الشام دمشق و النفس بالسوء أمارة، فهناكك بعث الزيارة بالأوزار، و آلت تلك التجارة إلى ما حكمت به الأقدار، إذ هى كما قال أحد من عاينها: [بحر البسيط]

أما دمشق فجنات معجّلة للطلابين بها الولدان و الحور

فله ما تضمن داخلها من الحور و الولدان، و ما زين به خارجها من الأنهار و الجنان، و بالجملة فإنها حمى تتناصر عن إدراكها أعناق الفصاحة، و تقصر عن مناوتها فى ميدان الأوصاف كل راحة، و لم أزل أسمع عن حلب، أنها دار الكرم و الأدب، فأردت أن يحظى نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٥

بصرى بما حظى به سمعى، و رحلت إليها و أقمت جابرا بالذاكرة و المطايبة صدعى، ثم رحلت إلى الموصل فألفت مدينة عليها رونق الأندلس، و فيها لطافة و فى مبانيها طلاوة تراتح لها الأنفس، ثم دخلت إلى مقر الخلافة بغداد، فعاينت من العظم و الضخامة ما لا يفى به الكتب و لو أن البحر مداد، ثم تغلغت إلى بلاد العجم بلدا بلدا، غير مقتنع بغاية و لا قاصد أمدا، إلى أن حلت ببخارى قبة الإسلام، و مجمع الأنام، فألقيت بها عصا التسيار، و عكفت على طلب العلم و اصلا فى اجتهاده سواد الليل و بياض النهار، انتهى. و كتب إليهم أيضا من هذه الرسالة: كتبت و قد حصلتنى السعادة، و حظ الأمل و الإرادة، بحضرة بخارى قبة الإسلام. و أجابه أهله من الغرب بكلام من جملته: و إن كنت قد تحصنت بقبة الإسلام، فقد تعجلت لنا و لك الفقد قبل وقت الحمام.

و أتبعوا ذلك بما دعاه لأن خاطبهم بشعر منه: [بحر الطويل]

عتبتم على حثى المطى و قلت تعجلت فقدا قبل وقت حمام
إذا لم يكن حالى مهما لديكم سواء عليكم رحلتى و مقامى

و قتل المذكور ببخارى، حين دخلها التتر، و هو عم على بن سعيد الشهرير.

و كان لعبد الرحمن المذكور أخ يسمى يحيى قد عانى الجندية، فلما بلغه أن أبا القاسم عبد الرحمن قتل ببخارى قال: لا إله إلا الله! كان أبدا يسفه رأى فى الجندية، و يقول: لو اتبعت طريق النجاه كما صنعت أنا لكان خيرا لك، فها هو ربّ قلم قد قتل شر قتله بحيث

لا ينتصر و سلب سلاحه، و أنا ما زلت أغازى فى عبّاد الصليب و أخلص، فما يقدر أحد أن يحسن لنفسه عاقبة، انتهى.
قال أبو الحسن على بن سعيد: ثم إن يحيى المذكور بعد خوضه فى الحروب صرعه فى طريقه غلام كان يخدمه، فذبحه على نزر من المال، أفلت به، فانظر إلى تقلب الأحوال كيف يجرى فى أنواع الأمور لا على تقدير و لا احتياط، انتهى.

و من شعر أبى القاسم عبد الرحمن المذكور ما خاطب به نقيب الأشراف ببخارى، و قد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٦

أهدى إليه فاختا مع زوجه [بحر الطويل].

أيا سيد الأشراف لا زلت عاليا معاليك تنبو الدهر عن كل ناعت

من الفضل إقبال على ما بعثته لمغناك من شاد دعوه بفاخت

الأحبذا من فاخت ساد جنسه و أصبح مقرونا بست الفواخت

لئن فاتنى منه الأنيس فكل ما يحل إلى عليك ليس بفائت

[١٦٨- على بن عبد الله الأنصارى القرطبي (ابن العابد)]

١٦٨- و منهم الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسن على بن عبد الله بن يوسف بن حمزة، القرطبي، الأنصارى، المعروف بابن العابد.
نزىل رباط الصاحب الصفى بن شكر، قال بعض المشاركة عنه: إنما سميت الخمر بالعجوز لأنها بنت ثمانين، يعنى عدد حدّها، و أنشد له: [بحر المتقارب]

عدلنا فلانا على فعله و لمناه فى شربه للعجوز

فقال: دعونى من أجلها أنال أنا و أخى و العجوز

[١٦٩- محمد بن على بن يوسف بن محمد بن يوسف، الأنصارى، الشاطبي]

١٦٩- و منهم الشيخ الفاضل المتقن أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف بن محمد بن يوسف، الأنصارى، الشاطبي الأصل، البلبسى المولد فى أحد ربيعى سنة إحدى و ستمائة، و لقبه المشاركة برضى الدين.

و توفى بالقاهرة فى جمادى الأولى سنة ٦٨٤، رحمه الله تعالى!.

و من نظمه لما حضر أجله، و قد أمر خادمه أن ينظف له بيته، و أن يغلق عليه الباب و يفتقه بعد زمان، ففعل ذلك، فلما دخل عليه وجده ميتا، و قد كتب فى رقعة: [بحر الكامل]

حان الرحيل فودّع الدار التى ما كان ساكنها بها بمخلد

و اضرع إلى الملك الجواد و قل له عبد بباب الجود أصبح يجتدى

لم يرض غير الله معبودا و لا دينا سوى دين النبى محمد

و من نظمه أيضا رحمه الله تعالى: [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٧

أقول لنفسى حين قابلها الردى فرامت فرارا منه يسرى إلى يمنى

قرى تحملى بعض الذى تكرهينه فقد طالما اعتدت الفرار إلى الأهنى

أنشده [له] تلميذه أبو حيان إمام عصره فى اللغّة.

حدث عن ابن المنير وغيره، و اشتغل الناس عليه بالقاهرة، و له تصانيف مفيدة، و سمع من الحافظ أبي الربيع بن سالم، و كتب على صحاح الجوهرى و غيره حواشى فى مجلدات، و أثنى عليه تلميذه أبو حيان، رحم الله تعالى الجميع!.
 و من فوائده قوله: نقلت من خط أبي الوليد بن خيرة الحافظ القرطبي فى فهرست أبي بكر بن مفلح قد أدركته بسنى و لم آخذ عنه و اجتمعت به أنشدنى له أبو القاسم بن الأبرش يخاطب بعض أكابر أصحاب أبي محمد بن حزم، و الإشارة لابن حزم الظاهرى: [بحر البسيط]

يا من تعانى أمورا لن يعانيتها خلّ التعانى و أعط القوس باريتها

تروى الأحاديث عن كلّ مسامحة و إنما لمعانيتها معانيتها

و قد سبق فى ترجمة القاضى أبى الوليد الباجى ذكر هذين البيتين عندما أجرينا ذكر ابن حزم، قال؛ و إنما قال هذا الشعر فى ذكر رواية ادعت على قول النبى صلى الله عليه و سلم: «إن خالدا قد احتبس أذراعه و أعتده فى سبيل الله» و صحح رواية من روى «أعبده» جمع عبد، و علل رواية من روى «أعتده» بالثناء مثناة باثنتين من فوق جمع عتد، و هو الفرس، قال ابن خيرة: الإحاطة ممتنعة، و هذه الرواية قد رواها جماعة من الأثبات و العلماء المحدّثين، فهو إنكار غير معروف، و الله تعالى أعلم.
 و من فوائده ما نقله تلميذه أبو حيان النحوى عنه، قال: أنشدنا للمقرى و نقلته من خطه:

[بحر مجزوء الوافر]

إذا ما شئت معرفة لما حار الورى فيه

فخذ خمسا لأربعة و دع للثوب رافيه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٨

و هو لغز فى ورد.

و قال: و أنشدنا لبعضهم: [بحر الخفيف]

لا رعى الله عزمه ضمنت لى سلوة الصبر و التصبر عنه

ما وقت غير ساعة ثم عادت مثل قلبى تقول: لا بدّ منه

قال: و أنشدنا لغيره: [بحر الطويل]

و كان غريب الحسن قبل التئانه فلما التحى صار الغريب المصنفا

و أنشدنا لغيره: [بحر مجزوء الرمل]

طب على الوحده نفسا و ارض بالوحشه أنسا

ما عليها من يساوى حين يستخبر فلسا

و قرأ الرضى ببلده على ابن صاحب الصّيلات آخر أصحاب ابن هذيل، و سمع منه كتاب التلخيص للوانى، و سمع بمصر من ابن المقير، و جماعة، و روى عنه الحافظ المزى و اليونينى و الظاهرى و آخرون، و انتهت إليه معرفة اللغة و غريبها، و كان يقول: أحرف اللغة على قسمين قسم أعرف معناه و شواهدة، و قسم أعرف كيف أنطق به فقط، رحمه الله تعالى!.

و من فوائده الرضى الشاطبى المذكور ما ذكره أبو حيان فى البحر قال: و هو من غريب ما أنشدنا الإمام اللغوى رضى الدين أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف الأنصارى الشاطبى لزيب بنت إسحاق النصرانى الرسعينى:

عدى و تيم، لا أحاول ذكرهم بسوء، و لكنى محب لهاشم

و ما يعترينى فى على و رهطه إذا ذكروا فى الله لومة لائم

يقولون: ما بال النصرارى تحبهم؟ و أهل النهى من أعرب و أعاجم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٩

فقلت لهم: إنى لأحسب حبهم سرى فى قلوب الخلق حتى البهائم

و من نظم الرضى المذكور: [بحر البسيط]

منعص العيش لا يأوى إلى دعه إن كان فى بلد أو كان ذا ولد

و الساكن النفس من لم ترض همته سكنى بلاد و لم يسكن إلى أحد

وله: [مخلع البسيط]

لو لا بناتى و سيئاتى لطرت شوقا إلى الممات

لأننى فى جوار قوم بغيضى قربهم حياتى

و قرأ عليه أبو حيان كتاب «التيسير» و أتى عليه، و لما توفى أنشد ارتجالا: [بحر المتقارب]

نعوا لى الرضى فقلت لقد نعى لى شيخ العلا و الأدب

فمن للغات و من للثقاق و من للنحاه و من للنسب

لقد كان للعلم بحرا فغار و إن غور البحار العجب

فقدس من عالم عامل أثار لشجوى لما ذهب

و تحاكم إلى رضى الدين المذكور الجزار و السراج الوراق أيهما أشعر، و أرسل إليه الجزار شيئا، فقال: هذا شعر جزل، من نمط شعر

العرب، فبلغ ذلك الوراق، فأرسل إليه شيئا فقال: هذا شعر سلس، و آخر الأمر قال: ما أحكم بينكما، رحمه الله تعالى!.

قلت: رأيت بخطه كتبا كثيرة بمصر و حواشى مفيدة فى اللغه و على دواوين العرب، رحمه الله تعالى!.

[١٧٠- الزاهد أبو بكر بن عبد الله الأنصارى القرطبي]

١٧٠- و منهم حميد الزاهد، و هو الأديب الفاضل الزاهد أبو بكر حميد بن أبى محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد

الله، الأنصارى، القرطبي، نزيل مالقة.

قال الرضى الشاطبي المذكور قريبا: أنشدنى حميد بالقاهرة لأبيه أبى محمد و قد تأخر شبيهه مع علو سنه: [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٠

و هل ناعى أن أخطأ الشيب مفرقى و قد شاب أترابى و شاب لداتى

إذا كان خط الشيب يوجد عينه بتربى فمعناه يقوم بذاتى

و اللدات: من ولد معه فى زمان واحد، انتهى.

و فى ذكرى أنه قال هذين البيتين لما قال له القاضى عياض: شبا و لم تشب.

و قال الرضى أيضا: أنشدنى حميد لأبيه فيمن يكتب فى الورق بالمقص، و هو غريب:

[بحر المنسرح]

و كاتب وشى طرسه حبر لم يشها حبره و لا قلمه

لكن بمقراضه ينمنمها نمم الروض جاده رهمه

يوجد بالقطع أحرفا عدمت فاعجب لشيء وجوده عدمه

و الرهم: المطر.

قال: و توفى حميد الزاهد هذا بمصر، قبيل الظهر من يوم الثلاثاء، و صلى عليه خارج مصر بجامع راشد بعد صلاة العصر من يوم

الثلاثاء المذكور، و دفن بسفح المقطم بترية الشيخ الفاضل الزاهد أبي بكر محمد الخزرجي الذي يدق الرصاص، حذاء رجله، في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين و ستمائة، انتهى.

١٧١- ومنهم اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله الغافقي.

من أهل بلنسية و أصله من جيان، و لكن المرية ثم مالقة، يكنى أبا يحيى، كتب لبعض الأمراء بشرقي الأندلس، و له تأليف سماه «المغرب، في أخبار محاسن أهل المغرب»، جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالديار المصرية بعد أن رحل إليها من الأندلس سنة ستين و خمسمائة، و بها توفي يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة خمس و سبعين و خمسمائة، رحمه الله تعالى.

١٧٢- و منهم محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد التجيبي، يكنى أبا عبد الله، من أهل إشبيلية.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١١
تجول في بلاد الأندلس طالبا للعلم، ثم حج، و لقي الحافظ السلفي و غيره، و استوطن تلمسان، و بها توفي في جمادى الأولى سنة عشر و ستمائة، و له تواليف كثيرة.

١٧٣- و منهم أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي، الباجي.

من أهل إشبيلية، ولى القضاء بها و أصله من باجة إفريقية، دخل المشرق لأداء الفريضة فحج، و توفي بمصر بعد ما دخل الشام، في اليوم الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة خمس و ثلاثين و ستمائة، و مولده عام أربعة و ستين و خمسمائة، و كانت رحلته من المغرب أول يوم من المحرم عام أربعة و ثلاثين و ستمائة.

١٧٤- و منهم وليد بن بكر بن مخلد بن زياد العمري.

من أهل سرقسطة، يكنى أبا العباس، له كتاب سماه «الوجازة، في صحه القول بالإجازة» و له رحلة لقي فيها ألف شيخ و محدث و فقيه، توفي بالدينور سنة اثنتين و تسعين و ثلاثمائة، يروى عنه أبو ذر الهروي و عبد الغنى الحافظ، و كفاه فخرا بهذين الإمامين العظيمين، رحم الله تعالى الجميع!

١٧٥- و منهم عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن محمد الزعيني الزندي، يكنى أبا محمد.

استوطن مالقة، و رحل إلى المشرق، و حج، و لقي جماعة من العلماء، و قفل إلى المغرب أواخر عام واحد و ثلاثين و ستمائة، و ولي الإمامة بالمسجد الجامع بمالقة، و بها توفي في ربيع الأول سنة اثنتين و ثلاثين و ستمائة، و لقب في المشرق برشيد الدين، و ولد في ربيع الأول سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة بقرية من قرى الأندلس يقال لها يالماليتين كورة بشتغير، ذكر ذلك ابن المستوفى في تاريخ إربل.

١٧٦- و منهم أبو الربيع سليمان بن أحمد، الينيني.

من أهل الأندلس، استوطن المشرق مدح الملك الكامل، و من شعره رحمه الله تعالى قوله: [بحر الكامل]

لو لا تحدّيه بآية سحره ما كنت ممثلاً شريعة أمره
 رشاً أصدقه و كاذب وعده يبدى لعاشقه أدلة غدره
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٢
 ظهرت نبوة حسنه فى فترة من جفنه و ضلاله من شعره

١٧٧- و منهم أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبى.

رحل حاجاً فلقي ببجاية عبد الحق الإشبلى، و بالإسكندرية أبا الطاهر بن عوف، و لقي غير واحد فى رحلته كالغزنوى [و ابن برى] و
 أبى الثناء الحرانى و أبى الحسين الحرثى، و للحرثى أحاديث ساوى بها البخارى و مسلما، و لقي جماعة ممن شارك السلفى فى
 شيوخه.

١٧٨- و منهم أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير، الكنانى، صاحب الرحلة.

و هو من ولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، أندلسى، شاطبى، بلنسى، مولده ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة أربعين و خمسمائة
 ببلنسية، و قيل فى مولده غير ذلك، و سمع من أبيه بشاطبة و من أبى عبد الله الأصيلى و أبى الحسن بن أبى العيش، و أخذ عنه
 القراءات و عنى بالأدب فبلغ الغاية فيه، و تقدم فى صناعة القريض و الكتابة.

و من شعره قوله، و قد دخل إلى بغداد فاقتطع غصنا نضيرا من أحد بساتينها فذوى فى يده: [بحر مجزوء الرجز]

لا تغترب عن وطن و اذكر تصارييف التوى

أما ترى الغصن إذا ما فارق الأصل ذوى

و قال رحمه الله تعالى يخاطب الصدر الخجندى: [بحر السريع]

يا من حواه الدين فى عصره صدرا يحلّ العلم منه فؤاد

ما ذا يرى سيدنا المرتضى فى زائر يخطب منه الوداد

لا يبتغى منه سوى أحرف يعتدّها أشرف ذخر يفاد

ترسمها أنملة مثل ما نمتّ زهر الروض كف العهاد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٣

فى رقعة كالصبح أهدى لها يد المعالى مسك ليل المداد

إجازة يورثنيها العلا جائزة تبقى و تفنى البلاد

يستصحب الشكر خديما لها و الشكر للأمجاد أسنى عتاد

فأجابه الصدر الخجندى: [بحر المتقارب]

لك الله من خاطب خلّتى و من قابس يجتدى سقط زندى

أجزت له ما أجازوه لى و ما حدّثوه و ما صحّ عندى

و كاتب هذى السطور التى تراهنّ عبد اللطيف الخجندى

١٧٩- و رافق ابن جبير فى هذه الرحلة أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعى

إشارة

، و أصله من أندء من بلنسية، رحل معه فأديا الفريضة، و سمعا بدمشق من أبى الطاهر الخشوعى، و أجاز لهما أبو محمد بن أبى عصرون و أبو محمد القاسم بن عساكر و غيرهما، و دخلا بغداد و تجولا مدة، ثم قفلا جميعا إلى المغرب، فسمع منهما به بعض ما كان عندهما.

و كان أبو جعفر هذا متحققا بعلم الطب، و له فيه تقييد مفيد، مع المشاركة الكاملة فى فنون العلم. و كتب عن السيد أبى سعيد بن عبد المؤمن، و جدّه لأمه القاضى أبو محمد عبد الحق بن عطية. و توفى أبو جعفر هذا بمراكش سنة ثمان، أو تسع و تسعين و خمسمائة، و لم يبلغ الخمسين فى سنه، رحمه الله تعالى!.
رجع إلى ابن جبير:

قال لسان الدين فى حقه: إنه من علماء الأندلس بالفقه و الحديث و المشاركة فى الآداب، و له الرحلة المشهورة، و اشتهرت فى السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب له قصيدتان:
إحداهما أولها: [بحر المتقارب]
أطلت على أفقك الزاهر سعود من الفلك الدائر
و منها:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٤
رفقت مغارم مكس الحجاز يانعامك الشامل الغامر
و أمنت أكناف تلك البلاد فهان السيل على العابر
و سحب أياديك فياضة على وارد و على صادر
فكم لك بالشرق من حامد و كم لك بالغرب من شاكر
و الأخرى منها فى الشكوى من ابن شكر الذى كان أخذ المكس من الناس فى الحجاز:
[بحر الوافر]

و ما نال الحجاز بكم صلاحا و قد نالته مصر و الشام
و من شعره: [بحر المتقارب]
أخلاء هذا الزمان الخؤون توالى عليهم حروف العلل
قضيت التعجب من بابهم فصرت أطلع باب البدل
و قوله: [بحر المتقارب]

غريب تذكر أوطانه فهبج بالذكر أشجانه
يحلّ عرا صبره بالأسى و يعقد بالنجم أجفانه
و قال رحمه الله تعالى، لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفا [و مهابة و تعظيما]: [بحر المتقارب]
بدت لى أعلام بيت الهدى بمكة و النور باد عليه
فأحرمت شوقا له بالهوى و أهديت قلبى هديا إليه
و قوله يخاطب من أهدي إليه موزا: [بحر المجتث]
يا مهدي الموز تبقى و ميمه لك فاء

و زايه عن قريب لمن يعاديك تاء

و قال رحمه الله تعالى: [بحر السريع]

قد ظهرت في عصرنا فرقة ظهورها شؤم على العصر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٥

لا تقتدى في الدين إلا بما سنّ ابن سينا و أبو نصر

و قال: [بحر السريع]

يا وحشة الإسلام من فرقة شاغلة أنفسها بالسفه

قد نبذت دين الهدى خلفها و ادّعت الحكمة و الفلسفه

و قال: [مخلع البسيط]

ضلت بأفعالها الشنيعة طائفه عن هدى الشريعة

ليست ترى فاعلا حكيمًا يفعل شيئًا سوى الطبيعه

و كان انفصاله - رحمه الله تعالى! - من غرناطة بقصد الرحلة المشرقية أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال سنة ٥٧٨، و وصل

الإسكندرية يوم السبت التاسع و العشرين من ذي القعدة الحرام من السنة، فكانت إقامته على متن البحر من الأندلس إلى الإسكندرية

ثلاثين يوماً، و نزل البر الإسكندراني في الحادي و الثلاثين، و حج رحمه الله تعالى و تجوّل في البلاد و دخل الشام و العراق و

الجزيرة و غيرها، و كان - رحمه الله تعالى! - كما قال ابن الرقيق - من أعلام العلماء العارفين بالله، كتب في أول أمره عن السيد أبي

سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة، فاستدعاه لأن يكتب عنه كتاباً و هو على شرابه، فمدّ يده إليه بكأس، فأظهر الانقباض، و قال: يا

سيدي ما شربتها قط، فقال: و الله لتشربنّ منها سبعة، فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس، فملاً له السيد الكأس من دنانير سبع مرات و

صبّ ذلك في حجره، فحمله إلى منزله و أضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير، ثم رغب إلى السيد، و أعلمه أنه حلف

بأيمان لا خروج له عنها أنه يحج في تلك السنة، فأسعفه، و باع ملكاً له تزود به، و أنفق تلك الدنانير في سبيل البر.

و من شعره في جارية تركها بغرناطة. [بحر مخلع البسيط]

طول اغتراب و برح شوق لا صبر و الله لى عليه

إليك أشكو الذى ألقى يا خير من يشتكى إليه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٦

ولى بغرناطة حبيب قد غلق الرهن فى يديه

ودعته و هو فى دلال يظهر لى بعض ما لديه

فلو ترى طلّ نرجسيه ينهلّ فى ورد و جنتيه

أبصرت درّا على عقيق من دمعه فوق صفحتيه

و له رحلة مشهورة بأيدي الناس.

و لما وصل بغداد تذكر بلده، فقال: [بحر الطويل]

سقى الله باب الطاق صوب غمامه و ردّ إلى الأوطان كل غريب

وقال في رحلته في حق دمشق: جنه المشرق، و مطلع حسنه المونق المشرق، هي خاتمه بلاد الإسلام التي استقريناها، و عروس المدن التي اجتليناها [التي] قد تحلت بأزاهير الرياحين، و تجلت في حلل سندسية من البساتين، و حلت من موضع الحسن بمكان مكين، و تزينت في منصتها أجمل تزيين، و تشرفت بأن آوى الله تعالى المسيح و أمه منها إلى ربوة ذات قرار و معين، ظل ظليل، و ماء سلسيل، تناسب مذانبه انسياب الأرقام بكل سبيل، و رياض يحيى النفوس نسيمها العليل، تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل، و تناديهم هلموا إلى معرس للحسن و مقيل، قد سئمت أرضها كثرة الماء، حتى اشتاقت إلى الظم، فتكاد تناديك بها الصم الصلاب، أركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب، قد أهدقت بها البساتين إحداق الهاله بالقمر، و اكتفتها اكتناف الكمامة للزهر، و امتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر، فكلّ موقع لحظة بجهاتها الأربع نظرتة اليانعة قيد النظر، و لله صدق القائلين فيها: إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك فيها، و إن كانت في السماء فهي بحيث تسامتها و تحاذيها.

قال العلامة ابن جابر الوادى آشى، بعد ذكره وصف ابن جبير لدمشق، ما نصه: و لقد أحسن فيما وصف منها و أجاد، و توق الأنفس للتطلع على صورتها بما أفاد، هذا و لم تكن بها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٧

إقامه، فيعرب عنها بحقيقه علامه، و ما وصف ذهبيات أصيلها و قد حان من الشمس غروب، و لا أزمان فصولها المتنوعات، و لا أوقات سرورها المهنتات، و لقد أنصف من قال: ألفتها كما تصف الألسن، و فيها ما تشتهي الأنفس و تلذ الأعين، انتهى.

[ابن جبير يصف جامع دمشق]

رجع إلى كلام ابن جبير فنقول:

ثم ذكر في وصف الجامع أنه من أشهر جوامع الإسلام حسنا، و إتقان بناء، و غرابه صنعه، و احتفال تنميق و تزيين، و شهرته المتعارفة في ذلك تغنى عن استغراق الوصف فيه، و من عجيب شأنه أنه لا- تنسج به العنكبوت، و لا- تدخله، و لا- تلم به الطير المعروفة بالخطاف، ثم مدّ النفس في وصف الجامع و ما به العجائب، ثم قال بعد عدة أوراق ما نصه: و عن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذى أمامه غرفه، و لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر، و قد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار دبرت تدبيرا هندسيا، فعند انقضاء ساعه من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمى بازين مصورين من صفر قائمين على طاسى صفر تحت كل واحد منهما أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب و الثانى تحت آخرها، و الطاسان مثقوبتان، فعند وقوع البندقيتين فيهما تعودان داخل الجدار إلى الغرفه، و تبصر البازين يمدان أعناقهما بالبندقيتين إلى الطاسين و يقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تخيله الأوهام سحرا، و عند وقوع البندقيتين فى الطاستين يسمع لهما دوى، و ينغلق الباب الذى هو لتلك الساعه للحين بلوح من الصّيفر، لا يزال كذلك عند انقضاء كل ساعه من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها و تنقضى الساعات، ثم تعود إلى حالها الأول، و لها بالليل تدبير آخر، و ذلك أن فى القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكوره اثنتى عشرة دائرة من النحاس مخرمه، و تعترض فى كل دائرة زجاجه من داخل الجدار فى الغرفه، مدبر ذلك كله منها خلف الطيقان المذكوره، و خلف الزجاجه مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعه، فإذا انقضت عمّ الزجاجه ضوء المصباح، و فاض على الدائرة أمامها شعاعها فلاحت للأبصار دائرة محمره، ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضى ساعات الليل و تحمر الدوائر كلها، و قد و كل بها فى الغرفه متفقد لحالها، درب بشأنها و انتقالها، يعيد فتح الأبواب و صرف الصنج إلى موضعها، و هى التى تسميها الناس المنجانه، انتهى المقصود منه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٨

[أقوال الشعراء في دمشق]

قلت: كل ما ذكر رحمه الله تعالى في وصف دمشق الشام و أهلها فهو في نفس الأمر يسير، و من ذا يروم عد محاسنها التي إذا رجع البصر فيها انقلب و هو حسير، و قد أظنبت الناس فيها، و ما بقى أكثر مما ذكره، و قد دخلتها أواخر شعبان من سنة سبع و ثلاثين و ألف للهجرة، و أقمت بها إلى أوائل شوال من السنة، و ارتحلت عنها إلى مصر و قد تركت القلب فيها رهنا، و ملكك هواها منى فكرا و ذهنا، فكانها بلدى التي بها ربيت، و قرارى الذى لى به أهل و بيت، لأن أهلها عاملونى بما ليس لى بشكره يدان، وها أنا إلى هذا التاريخ لا أرتاح لغيرها من البلدان، و لا يشوقنى ذكر أرض بابل و لا بغداد، فالله سبحانه تعالى يعطر منها بالعافية الأردن. و قد عن لى أن أذكر جملة مما قيل فيها من الأمداح الرائقة، و أسرد ما خاطبنى به أهلها من القصائد الفائقة، فأقول:

قال البدر بن حبيب: [بحر الكامل]

يَمِّمُ دَمَشَقَ و مَلَّ إِلَى غَرِيْبِهَا و المَحِّ مَحَاسِنِ حَسَنِ جَامِعِ يَلْبِغَا
 مَن قَالِ مَن حَسَدَ رَأَيْتَ نَظِيْرَهُ بَيْنَ الْجَوَامِعِ فِي الْبِلَادِ فَقَدْ لَغَا
 و قَالَ فِي كِتَابِ «شَنْفِ السَّامِعِ، بُوَصْفِ الْجَامِعِ» [بحر الكامل].
 لَلَّهَ مَا أَحْلَى مَحَاسِنَ جَلَّقَ وَجْهَاتِهَا اللَّاتِي تَرُوقُ وَ تَعْدَبُ
 بِيَزِيدِ رَبْوَتِهَا الْفِرَاتِ وَجَنَكِهَا يَا صَاحِبَ كَمِّ كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ
 و قَالَ فِيهِ أَيْضَا: [بحر الرجز]

لَلَّهَ مَا أَجْمَلَ وَصَفَ جَلَّقَ و مَا حَوَى جَامِعَهَا الْمُنْفَرِدَ
 قَدْ أَطْرَبَ النَّاسَ بِصَوْتِ صَيْتِهِ وَ كَيْفَ لَا يَطْرِبُ وَ هُوَ مَعْبَدُ
 و قَالَ فِي ذِكْرِ بَابِ الْجَامِعِ الْمَعْرُوفِ بِالزِّيَادَةِ: [بحر الكامل]
 يَا رَاغِبَا فِي غَيْرِ جَامِعِ جَلَّقَ هَلْ يَسْتَوِي الْمَمْنُوعُ وَ الْمَمْنُوحُ
 نَفْحَ الطَّيْبِ مَن غَصَنَ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٣، ص: ١٩
 أَقْصَرَ عَنَاكَ وَ فِي غَلْوِكَ لَا تَزِدُ إِنْ الزِّيَادَةُ بِأَبْهَا مَفْتُوحُ
 و قَالَ فِي مَنَارَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْعُرُوسِ: [بحر الخفيف]
 مَعْبَدُ الشَّامِ يَجْمَعُ النَّاسَ طَرَا و إِلَيْهِ شَوْقَا تَمِيلُ النَّفُوسُ
 كَيْفَ لَا يَجْمَعُ الْوَرَى وَ هُوَ بَيْتٌ فِيهِ تَجَلَّى عَلَى الدَّوَامِ الْعُرُوسُ
 و مِنْهُ فِي ذِكْرِ بَانِيهِ الْوَلِيدِ: [بحر الرجز]

تَاللَّهِ مَا كَانَ الْوَلِيدُ عَابِتًا فِي صَرْفِهِ الْمَالِ وَ بَذَلِ جِهْدِهِ
 لَكِنَّهُ أَحْرَزَ مَلِكًا مَعْبَدًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ
 و مِنْ أَيْبَاتِ فِي آخِرِهِ: [بحر الوافر]

بِجَامِعِ جَلَّقَ رَبُّ الزَّعَامَةِ أَمَّمْ تَلَقَّ الْعِنَايَةَ وَ الْكِرَامَةَ
 و يَمِّمُ نَحْوَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَ صَلَّ بِهَ تَصِلُ دَارُ الْإِقَامَةِ
 مَصْلَى فِيهِ لِلرَّحْمَنِ ذِكْرٌ وَ مَثْوَى لِلْقَبُولِ بِهَ عِلَامَةٌ
 مَحَلُّ كَمَلِّ الْبَارِي حِلَاةٌ وَ بَيْتٌ أَبْدَعَ الْبَانِي نِظَامَهُ
 دَمَشَقٌ لَمْ تَزَلْ لِلشَّامِ وَجْهًا وَ مَسْجِدُهَا لَوْجَهُ الشَّامِ شَامَهُ

و بين معابد الآفاق طرا له أمر الإمارة و الإمامة
أدام الله بهجته و أبقى محاسنه إلى يوم القيامة
و لم أفق على كل هذا الكتاب المذكور، بل على بعضه فقط.
و من قصيدة القاضي المهذب بن الزبير: [بحر مجزوء الكامل]

بالله يا ريح الشمال إذا اشتملت الرند بردا
و حملت من عرف الخزامى ما اغتدى للند ندا
و نسجت ما بين الغصون إذا اعتنقن هوى وودا
و هزرت عند الصبح من أعطافها قدا فقدا
و نثرت فوق الماء من أجيادها للزهر عقدا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٠
فملاّت صفحة وجهه حتى اكتسى آسا و وردا
و كأنما ألقيت فيه منهما صدغا و خدا
مرى على بردى عسا ه يزيد فى مسراك بردا
نهر كنصل السيف تك سر متنه الأزهار عمدا
صقلته أنفاس النس يم بمرهنّ فليس يصدا
و منها:

أحبابنا ما بالكم فينا من الأعداء أعدى
و حياة حبكم و حرمة أصلكم ما خنت عهدا
و قال الكمال الشريشى: [بحر البسيط]

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر فإن قلبى بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا و الله بعدكم ما لذ للعين لا نوم و لا سهر
إذا تذكرت أوقاتا نأت و مضت بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأننى لم أكن بالتيرين ضحى و الغيم يبكى و منه يضحك الزهر
و الورق تشد و الأغصان راقصة و الدوح يطرب بالتصفيق و النهر
و السفح أين عشياتى التى ذهبت لى فيه فهى لعمرى عندى العمر
سقاك بالسفح سفح الدمع منهمرا و قلّ ذاك له إن أعوز المطر

و حكى ابن سعيد و غيره أن غرناطة تسمى «دمشق الأندلس» لسكنى أهل دمشق الشام بها عند دخولهم الأندلس، و قد شبهوها بها لما
رأوها كثيرة المياه و الأشجار، و قد أطلّ عليها جبل الثلج، و فى ذلك يقول ابن جبير صاحب الرحلة: [بحر مجزوء الرمل]

يا دمشق الغرب هاتى ك لقد زدت عليها
تحتك الأنهار تجرى و هى تنصبّ إليها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢١

قال ابن سعيد: أشار ابن جبير إلى أن غرناطة فى مكان مشرف و غوطتها تحتها تجرى فيها الأنهار، و دمشق فى وهدة تنصبّ إليها
الأنهار، و قد قال الله تعالى فى وصف الجنة تجرى من تحتها الأنهار* [الفرقان: ١٠] انتهى.

وقال الشيخ الصفدى فى تذكرته: أنشدنى المولى الفاضل البارع شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الخياط بقلعة الجبل من الديار المصرية حرسها الله تعالى لنفسه فى شعبان المكرم سنة ٧٣٣: [السريع]

قصدت مصر من ربا جلق بهمة تجرى بتجريبى
فلم أر الطرة حتى جرت دموع عيني بالمزيريب
و أنشدنى لنفسه أيضا: [بحر السريع]

خلقت بالشام حبيبي و قد يمتت مصرا لعنا طارق
و الأرض قد طالت فلا تبعدى بالله يا مصر على العاشق
و أنشدنى لنفسه أيضا: [بحر السريع]

يا أهل مصر أنتم للعلا كواكب الإحسان و الفضل
لو لم تكونوا لى سعودا لما وافيتكم أضرب فى الرمل
و ذكرته برمته لحسن مغزاه.

وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد المعروف بابن الظهير الحنفى الإربلى:
[بحر الطويل]

لعل سنى برق الحمى يتألق على النأى أو طيفا لأسماء يطرق
فلا نارها تبدو لمرتقب و لا و عود الأمانى الكواذب تصدق
لعل الرياح الهوج تدنى لنازح من الشام عرفا كاللطيمة تعبق
ديار قضينا العيش فيها منعما و أيامنا تحنو علينا و تشفق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٢

سحبنا بها برد الشباب و شربنا لدينا كما شئنا لذيد مروق
مواطن منها السهم سهمى و ظله تحب مطايا اللهو فيه و تعنق
جلا جانبيه معلم متجدد من الماء فى أطلاله يتدفق
إذا الشمس حلت منته فهو مذهب و إن حجبتها دوحه فهو أزرق
و إن فرج الأوراق جادت بنورها فرقم أجادته الأكف منمق
يطل عليه قاسيون كأنه غمام معلى أو نعام معلق
تسافر عنه الشمس قبل غروبها و ترجف إجلالا له حين تشرق
و تصفر من قبل الأصيل كأنها محب من البين المشت مشفق
و فى الثيرب الميمون للب سالب من المنظر الزاهى و للطرف مومق
بدائع من صنع القديم رضائع تأتق فيها المحدث المتأثق
رياض كوشى للبرود يشقها جداولها فالنور بالماء يشرق
فمن نرجس يخشى فراق فريقه ترى الدمع فى أجفانه يترقق
و من كل ريحان مقيم و زائر يصفح رياه الرياض فتعقب
كأن قدود السرو فيه موائسا قدود عذارى ميلها مترقق
إذا ما تدلت للشقائق صدها عيون من النور المفتح ترمق

وقصر يكلّ الطرف عنه كأنه إلى النسر نسر في السماء معلق
 و كم جدول جار يطارد جدولا و كم جوسق عال يوازيه جوسق
 و كم بركة فيها تضاحك بركة و كم قسطل للماء فيه تدفق
 و كم منزل يعشى العيون كأنما تألق فيها بارق يتألق
 و في الربوة الفيحاء للقلب جاذب و للهيم مسلاة و للعين مرفق
 عروس جلاها الدهر فوق منصه من الدهر و الأبصار ترمى و ترمق
 فهام بها الوادي ففاضت عيونه فكل قرار منه بالدمع يشرق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٣
 تكفل من دون الجداول شربها يزيد يصفيه لها و يروّق
 و قال أبو تمام في دمشق: [بحر الكامل]
 لو لا حدائقها و أتى لا أرى عرشا هناك ظننتها بلقيسا
 و أرى الزمان غدا عليك بوجهه جذلان بساما و كان عبوسا
 قد بوركت تلك البطون و قد سمت تلك الظهور و قدّست تقديسا
 و قال البحترى: [البيسط]
 أمّا دمشق فقد أبدت محاسنها و قد وفي لك مطريها بما وعدا
 إذا أردت ملأت العين من بلد مستحسن و زمان يشبه البلدا
 تمشى السحاب على أجالها فرقا و يصبح النور في صحرائها بددا
 فلست تبصر إلا واكفا خضلا أو يانعا خضرا أو طائرا غردا
 كأنما القيظ ولى بعد جيئته أو الربيع دنا من بعد ما بعدا
 و في دمشق يقول بعضهم: [بحر الكامل]
 برزت دمشق لزائري أوطانها من كل ناحية بوجه أزهر
 لو أن إنسانا تعمد أن يرى مغنى خلا من نزهة لم يقدر
 و قال القيراطى في قصيدته التي أولها: [بحر الكامل]
 للصب بعدك حالة لا تعجب
 لله ليل كالنهار قطعه بالوصل لا أخشى به ما يرهب
 و ركبت منه إلى التصابي أدهما من قبل أن يبدو لصبح أشهب
 أيام لا ماء الخدود يشوبه كدر العذار و لا عذارى أشيب
 كم في مجال اللهو لى من جولته أضحت ترقص بالشباب و تطرب
 و أقمت للندماء سوق خلاعة تجنى المجون إلى فيه و تجلب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤
 و ذكرت في مغنى دمشق معشرا أمّ الزمان بمثلهم لا تنجب
 لا يسأل القصاد عن ناديم لكن يدلهم الثناء الطيب
 قوم بحسن صفاتهم و فعالهم قد جاء يعتذر الزمان المذنب

يا من حزان الفؤاد و طرفه بدمشق أدمعه غدت تتحلب
أشتاق في وادي دمشق معهدا كل الجمال إلى حماه ينسب
ما فيه إلا روضة أو جوسق أو جدول أو بلبل أو ربرب
و كأن ذاك النهر فيه معصم بيد النسيم منقش و مكتب
و إذا تكسر مأوه أبصرته في الحال بين رياضة يتشعب
و شدت على العيدان ورق أطربت بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تنشد و النسيم مشب و النهر يسقى و الحدائق تشرب
و ضياعها ضاع النسيم بها فكم أضحى له من بين روض مطلب
و حلت بقلبي من عساكر جنه فيها لأرباب الخلاعة ملعب
و لكم رقصت على السماع بجنكها و غدا بربوتها اللسان يشيب
فمتى أزور معالمها أبوابها بسماحها كتب السماح تبوب
و قال الصفي الحلي عند نزوله بدمشق مسمطا لقصيدة السموأل بالحماصة: [بحر الطويل]
قيح بمن ضاقت عن الرزق أرضه و طول الفلا رحب لديه و عرضه
و لم يبيل سربال الدجى فيه ركضه (إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل)
إذا المرء لم يحجب عن العين نومها و يغل من النفس النفيسة سومها
أضيع و لم تأمن معاليه لومها (و إن هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس إلى حسن الثناء سبيل)
رفعنا على هام السماك محلنا فلا ملك إلا تغشاه ظلنا
لقد هاب جيش الأكثرين أقلنا (و لا قل من كانت بقاياها مثلنا
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٥
شباب تسامى للعلا و كهول)
يوازي الجبال الراسيات وقارنا و تبنى على هام المجره دارنا
و يأمن من صرف الزمان جوارنا (و ما ضرنا أنا قليل و جارنا
عزيز و جار الأكثرين ذليل)
و لما حللنا الشام تمت أموره لنا وحبانا ملكه و وزيره
و بالثيرب الأعلى الذى عز طوره (لنا جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف و هو كليل)
يريك الثريا من خلال شعابه و تحدىق شهب الأفق حول هضابه
و يقصر خطو السحب دون ارتكابه رسا أصله تحت الثرى و سما به
إلى النجم فرع لا ينال طويل)
و قصر على الشقراء قد فاض نهره وفاق على فخر الكواكب فخره
و قد شاع ما بين البرية شكره (هو الأبلق الفرد الذى سار ذكره

يعز على من رامه و يطول)

إذا ما غضبنا فى رضا المجد غضبه لندرك ثأرا أو لنبلغ رتبة
نزيد غداة الكر فى الموت رغبة (و إنا لقوم لا نرى الموت سبه
إذا ما رأته عامر و سلول)

و كتب الشيخ محب الدين الحموى فى ترجمه الشيخ إسماعيل النابلسى شيخ الإسلام من مصر: [بحر الطويل]
لواء التهانى بالمسرة يخفق و شمس المعالى فى سما الفضل تشرق
و سعد و إقبال و مجد مخيم و أيام عز بالوفا تتخلق
فيا أيها المولى الذى جلّ قدره و يا أيها الحبر اللبيب المدقق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٦
أرى الشام مذ فارقتها زال نورها وثوب بهاها و النضارة يخلق
إذا غبت عنها غاب عنها جمالها و نفس بدون الروح لا تتحقق
و إن عدت فيها عاد فيها كمالها و صار عليها من بهائك رونق
فيا ساكنى وادى دمشق مزاركم بعيد و باب الوصل دونى مغلق
و ليس على هذا النوى لى طاقه فهل من قيود البين و البعد أطلق
و إنى إلى أخباركم متشوف و إنى إلى لقياكم متشوق
أود إذا هب النسيم لنحوكم بأنى فى أذياله أتعلق
و أصبو لذكراكم إذا هبت الصبا لعلى من أخباركم أتنشق
ولى أنه أودت بجسمى و لوعه و نار جوى من حرها أتفلق
فحنوا على المضنى الذى ثوب صبره إذا مسه ذيل الهوى يتمزق
غريب بأقصى مصر أضحت دياره و لكنّ قلبى بالشام معلق
و قد نسخ التبريح جسمى فهل إلى غبار ترى أعتاب وصل يحقق
فيا ليت شعرى هل أفوز بروضة و فيها عيون النرجس الغض تحدد
و أنظر واديهما و آوى لربوه و ماء معين حولها يتدفق
و يحلو لى العيش الذى مر صفوه و هل عائد ذاك النعيم المروق
و أنظر ذاك الجامع الفرد مرة و فى صحنه تلك الحلوة تشرق
و أصحابنا فيه نجوم زواهر و نور محيا وجههم يتألق
فلا برحوا فى نعمة و سعادة و عز و مجد شأوه ليس يلحق
و قال ابن عنين: [بحر الكامل]

ما ذا على طيف الأحبة لو سرى و عليهم لو ساعدونى بالكرى
جنحوا إلى قول الوشاة و أعرضوا و الله يعلم أن ذلك مفترى
يا معرضا عنى بغير جنائة إلا لما نقل العذول و زورا
هبنى أسأت كما تقول و تفترى و أتيت فى حبيك شيئا منكرا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٧

ما بعد بعدك و الصدود عقوبه يا هاجرى ما آن لى أن تغفرا
لا تجمعن على عتبك و النوى حسب المحب عقوبه أن يهجرا
عبء الصدود أخف من عبء النوى لو كان لى فى الحب أن أتخيرا
فسقى دمشق و واديهها و الحمى متواصل الأرهام منقسم العرا
حتى ترى وجه الرياض بعارض أخوى وفود الدوح أزهر نيرا
تلك المنازل لا ملاعب عالج و رمال كاظمه و لا وادى القرى
أرض إذا مرت بها ريح الصبا حملت على الأغصان مسكا أذفرا
فارتقتها لا عن رضا و هجرتها لا عن قلى و رحلت لا متخيرا
أسعى لرزق فى البلاد مشئت و من العجائب أن يكون مقترا
و ابن عنين المذكور كان هجاء، و هو صاحب «مقراض الأعراض» تجاوز الله تعالى عنه، فمن ذلك قوله: [بحر الوافر]

أرح من نرح ماء البئر يوما فقد أفضى إلى تعب وعى
مر القاضى بوضع يديه فيه و قد أضحى كراس الدولعى
يعنى أقرع.

و سبب قوله البيتين أن المعظم أمر بنرح ماء بقلعه دمشق، فأعياهم ذلك.
و من هجوه قوله: [بحر الوافر]

شكا شعرى إلى و قال تهجو بمثلى عرض ذا الكلب اللثيم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٣؛ ص ٢٧
فقلت له تسلّ فربّ نجم هوى فى إثر شيطان رجيم
و قال فيمن خرج حاججا فسقط عن الهجين فتخلف: [بحر الوافر]
إذا ما ذمّ فعل النوق يوما فإنى شاكر فعل النياق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٨
أراد الله بالحجاج خيرا فثبط عنهم أهل النفاق
و قال: [بحر البسيط]

و راحل سرت فى ركب أودعه تبارك الله ما أحلى تلاجينا
جننا إلى بابه لاجين نسأله فليتنا عاقنا موت و لا جينا
راجين نسأل ميتا لا حراك به مثل النصارى إلى الأصنام لا جينا
و قال: [بحر الخفيف]

وصلت منك رقعة أسأمتنى صيرت صبرى الجميل قليلا
كنهار المصيف حرًا و كربا و كليل الشتاء بردا و طولا
و أول «مقراض الأعراض» قوله: [بحر المنسرح]
أضالع تنطوى على كرب و مقله مستهله الغرب
شوقا إلى ساكنى دمشق فلا عدت رباها مواطر السحب
مواطن ما دعا توطنها إلا و لئى نداءها لئى

ثم ذكر من الهجو ما تصم عنه الأذان.

و هو القائل في دمشق: [بحر الطويل]

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلئ و ظلّك يا مقرى على ظليل
و هل أريئى بعد ما شطت النوى ولى فى ذرا روض هناك مقيل
و منها: [بحر الطويل]

دمشق بنا شوق إليك مبرح و إن ليج واش أو ألح عدول
بلاد بها الحصباء در، و تربها عبير، و أنفاس الشّمال شمول
تسلسل فيها ماؤها و هو مطلق و صح نسيم الروض و هو عليل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٩
و قد تقدم التمثيل بهذه الأبيات الثلاثة فى خطبة هذا الكتاب.
و من هذه القصيدة: [بحر الطويل]

و كيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى و رأى ظهير الدين فى جميل
من القوم أمّا أحنف فمسّفه لديهم، و أمّا حاتم فبخيل
فتى المجد أمّا جاره فممنّع عزيز، و أمّا ضده فذليل
و أمّا عطايا كفه فمباحة حلال، و أمّا ظله فظليل

و ظهير الدين الممدوح هو طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين، و كان ملك اليمن، و أحسن إلى ابن عنين إحسانا كثيرا
وافرا، و خرج ابن عنين من اليمن بمال جم، و طغتكين: بضم الطاء المهملة، و بعدها غين معجمة، ثم تاء مثناة من تحتها مكسورة، ثم
كاف مكسورة أيضا، ثم ياء تحتية، ثم نون، و كان يلقب بالملك العزيز، و لذلك قال ابن عنين لما رجع من عنده إلى مصر أيام
العزيز عثمان بن صلاح الدين فالزم أرباب الديون ابن عنين بدفع الزكاة من المتاجر التى وصلت صحبته: [بحر البسيط]
ما كلّ من يتسمّى بالعزيز له أهل و ما كلّ برق سحبه غدقه
بين العزيزين بون فى فعالهما هذاك يعطى و هذا يأخذ الصدقة
و من هجو ابن عنين قوله فى فقيهين يلقب أحدهما بالبغل و الآخر بالجاموس:
[بحر الكامل]

البغل و الجاموس فى حالهما قد أصبحا مثلا لكل مناظر
قعدا عشية يومنا فتناظرا هذا بقرنيه و ذا بالحافر
ما أحكما غير الصباح كأنما لقا جدال المرتضى بن عساكر
جلفان ما لهما شبيه ثالث إلا رقاعة مذلويه الشاعر
لفظ طويل تحت معنى قاصر كالعقل فى عبد اللطيف الناظر
رجع إلى دمشق:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٠
و قال الغز الموصلى: [بحر الوافر]

إليك حياض حمّامات مصر و لا تتكثرى عندى بمين
حياض الشام أحلى منك ماء و أظهر و هى دون القلتين

و هذان البيتان جواب منه عن قول ابن نباتة: [بحر مجزوء الكامل]

أحواض حمام الشّام ألا اسمعى لى كلمتين

لا تذكرى أحواض مصر رفأت دون القلتين

و أما قول التّوابعى سامحه الله تعالى: [بحر مجزوء الخفيف]

مصر قالت دمشق لا تفتخر قط باسمها

لو رأّت قوس روضتى منه راحت بسهمها

فهو من باب تفضيل الوطن من حبه، و منه قول الوداعى: [بحر المسريع]

روّ بمصر و بسكانها شوقى و جدد عهدى الخالى

وارو لنا يا سعد عن نيلها حديث صفوان بن عسال

فهو مرادى لا «يزيد» و لا «ثور» و إن رقاً ورقا لى

و من ذلك النمط قول الشهاب الحجازى: [بحر الرجز]

قالوا دمشق قد زهت لزهرا فامض و شاهد جوزها و لوزها

فقلت لا أبذل بلدتى بها و لست أرضى زهرها و لوزها

[و قول الخفاجى قاضى مصر، و إن لم يكن فى دمشق، لكن فى السياق فى النظم: [بحر المنسرح]

قد فتن العاشقين حين بدا بطلعه كالهلال أبرزها

طرّ له شارب على شفة كالورد فى الآس حين طرزها]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣١

و قول الآخر: [الكامل]

قد قال وادى جلق للنيل إذ كسروه أعين جبهتى لك ترفع

فأجاب بحر النيل لما أن طغى عندى مقابل كل عين أصبع

و قد تذكرت هنا قول بعضهم:

ما ذا يفيد المعنى من الأذى المتتابع

بمصر ذات الأيادى و نيلها ذى الأصابع

و قد شاع الخلاف قديما و حديثا فى المفاضلة بين مصر و الشام، و قد قال بعضهم: [مجزوء الرجز]

فى حلب و شامنا و مصر طال اللغظ

فقلت قول منصف خير الأمور الوسط

و أما قول بعضهم: [بحر المتقارب]

تجنّب دمشق و لا تأنها و إن راقك الجامع الجامع

فسوق الفسوق بها قائم و فجر الفجور بها طالع

فلا- يلتفت إليه، و لا- يعول عليه، إذ هو مجرد دعوى خالية عن الدليل، و هى من نزعات بعض الهجائين الذين يعمدون إلى تقييح

الحسن الجميل الجليل.

و ما زالت الأشراف تهجى و تمدح و لا يقابل ألف مثن عدل بفاسق يقدح: [بحر الطويل]

و فى تعب من يحسد الشمس نورها و يأمل أن يأتى لها بضرب

و أخف من هذا قول بعض الأندلسيين، و هو الكاتب أبو بكر محمد بن قاسم: [بحر الوافر]

دمشق جنة الدنيا حقيقا و لكن ليس تصلح للغريب

بها قوم لهم عدد و مجد و صحبتهم تؤول إلى الحروب

ترى أنهارهم ذات ابتسام و أوجههم تولع بالقطوب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٢

أقمت بدارهم ستين يوما فلم أظفر بها بفتى أديب

و الجواب واحد، و لا يضر الحقّ الثابت إنكار الجاحد، و أخف من الجميع قول العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض رضى الله

تعالى عنه: [بحر الرمل]

جَلَّقَ جَنَّةً مِنْ تَاهُ. وَ بَاهِي وَ رَبَاهَا أُرْبَى لَوْ لَا وَبَاهَا

قال غال: بردى كوثرها قلت: غال برداها برداها

وطنى مصر و فيها وطرى و لنفسى مشتهاها مشتهاها

و لعينى غيرها إن سكنت يا خليلي سلاها ما سلاها

و أخف منه قول ابن عبد الظاهر: [بحر الخفيف]

لا تلوموا دمشق إن جئتموها فهي قد أوضحت لكم ما لديها

إنها فى الوجوه تضحك بالزهر لمن جاء فى الربيع إليها

و تراها بالثلج تبصق فى لحيه من مرّ فى الشتاء عليها

و قول ابن نباتة و هو بالشام يتشوق إلى المقياس و النيل: [بحر الكامل]

أرق له بالشام نيل مدامع يجريه ذكر منازل المقياس

سقىا لمصر منازل معمورة بنجوم أفق أو ظباء كناس

وطنى سهرت له و شابت لمتى و نعم على عينى هواه و راسى

من لى به و الحال ليس بآنس كدر و عطف الدهر ليس بقاسى

و الطرف يستجلى غزالا آنسا بالنيل لم يعتد على باناس

رجع إلى مدح دمشق.

و قال الناصر داود بن المعظم عيسى: [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٣

إذا عاينت عيناى أعلام جلق و بان من القصر المشيد قبابه

تيقنت أن البين قد بان و النوى نأى شخصه و العيش عاد شبابه

و قال أيضا رحمه الله تعالى: [بحر البسيط]

يا راكبا من أعالي الشام يجذبه إلى العراقيين إدلاج و إسحار

حدّثنى عن ربوع طالما قضيت للنفس فيها لبانات و أوطار

لدى رياض سقاها المزن ديمته و زانها زهر غض و نوار

شخّ الندى أن يسقيها مجاجته فجاها مفعم الشؤبوب مدرار

بكت عليها الغوادى و هى ضاحكة و راحت الريح فيها و هى معطار

يا حسنها حين زانتها جواسقها وأينعت في أعالي الدوح أثمار
 فهي السماء اخضرارا في جوانبها كواكب زهر تبدو و أقمار
 حدثتني و أنا الظامي إلى نيا لا فضّ فوك فمّنى الرى تمتاز
 فهو الزلال الذى طابت مشاربه و فارقتة غثاءات و أكار
 كزر على نازح شطّ المزار به حديثك العذب لا شطت بك الدار
 و علّل النفس عنهم بالحديث بهم إن الحديث عن الأحباب أسمار
 و هذا الملك الناصر له ترجمه كبيره، و هو ممن أدركته الحرفه الأديبه، و منع حقه بالحميه و العصبيه، و أنكرت حقوقه، و أظهر
 عقوقه، حتى قضى نجه، و لقي ربه.

رجع:

و قال سيف الدين المشد رحمه الله تعالى: [بحر البسيط]

بشرى لأهل الهوى عاشوا به سعدا و إن يموتوا فهم من جملة الشهداء
 شعارهم رقه الشكوى و مذهبهم أن الضلاله فيهم فى الغرام هدى
 عيونهم فى ظلام الليل ساهره عبرى و أنفاسهم تحت الدجى صعدا
 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٤
 تجرعوا كأس خمر الحب مترعه ظلوا سكارى و ظنوا غيرهم رشدا
 و عاسل القدّ معسول مقبله كالغصن لما انتنى و البدر حين بدا
 رقيم عارضه كهف لعاشقه يأوى إليه فكم فى حيه شهدا
 نادمته و ثغور البرق باسمه و الغيث ينزل منحلا و منعقدا
 كأن جلق حيا الله ساكنها أهدت إلى الغور من أزهارها مددا
 فاسترسل الجوّ منهلا يزيد على «ثورى» و يعقد محلول الندى «بردا»
 و قال أيضا: [بحر الطويل]

فؤادى إلى بانات جلق مائل و دمعى على أنهارها يتحدّر
 يرتحنى لوز ابن كلاب مزهرا و تهترنى أغصانه و هو مثمر
 و إنى إلى زهر السفر جل شيق إذا ما بدا مثل الدراهم ينثر
 غياض يفيض الماء فى عرصاتها فتزهو جمالا عند ذاك و تزهر
 ترى بردى فيها يجول كأنه و حصباءه سيف صقيل مجوهر
 و بى أحور لاح العذار بخده يسامح قلبى فى هواه و يعذر
 يحاورنى فيه على الصبر صاحبى و كيف أطيق الصبر و الطرف أحور
 إذا اشتقت وادى النيربين لمحتته فأنظر معناه به و هو أنضر
 حوى الشرف الأعلى من الحسن خده على أن ميدان العوارض أخضر
 و ما أحسن قوله رحمه الله تعالى: [بحر الكامل]

واد به أهل الحبيب نزول حيا معاهده الحيا و النيل

واد يفوح المسك من جنباته و يصحّ فيه للتنسيم عليل

يشتاقيه و يودّ لثم ترابه شوقا و لكن ما إليه سبيل
 متقلقل الأحشاء مسلوب الكرى طلق الدموع فؤاده متبول
 يصبو إلى الأتلات من وادى الغضى و يحن إن خطرت هناك شمول
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٥
 قالوا تبدّل قلت يا أهل الهوى و الناس فيهم عاذر و جهول
 هل بعد قطع الأربعين مسافه للعمر فيها يحسن التبديل
 و لقد هفا بي فى دمشق مهفهف يسبى العقول رضابه المعسول
 يهتر إن مر النسيم بقده و يميل بي نحو الصبا فأميل
 أبدى لنا بردا تبسم ثغره و إذا اثنى فقوامه المجدول
 لزم التسلسل مدمعى و عذاره فانظر إلى المهجات كيف تسيل
 و سقمت من سقم الجفون لأنها هى عله و فؤادى المعلول
 لا تعجبوا إن راعنى بذوائب فالليل هول و المحب ذليل
 ما صح لى أن الداؤبه حيه حتى سعت فى الأرض و هى تجول
 و قال ناظر الجيش عون الدين بن العجمى: [بحر البسيط]
 يا سائقا بقطع البيداء معتسفا بضامر لم يكن فى سيره وانى
 إن جزت بالشام شم تلك البروق و لا تعدل بلغت المنى عن دير مزان
 و اقصد أعالى قلاليه فإن بها ما تشتهى النفس من حور و ولدان
 من كل بيضاء هيفاء القوام إذا ماست فوا خجل المران و البان
 و كل أسمر قد دان الجمال له و كمل الحسن فيه فرط إحسان
 و رب صدغ بدا فى خد مرسله فى فترة فتنت من سحر أجفان
 فليت ريقته وردى و وجنته وردى و من صدغه آسى و ريحاني
 و عج على دير متى ثم حى به الر بان بطرس فالربان ربانى
 فهمت منه إشارات فهمت بها و صنت منشورها فى طي كتمان
 و ادخل بدير حنين و انتهز فرص الل ذات ما بين قسيس و مطران
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٦
 و استجل راحا بها تحيا النفوس إذا دارت براح شماميس و رهبان
 حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت بشهبها من همومى كل شيطان
 كم رحت فى الليل أسقيها و أشربها حتى انقضى و نديمى غير ندما
 سألت توماس عمن كان عاصرها أجاب رمزا و لم يسمح بتبيان
 و قال: أخبرنى شمعون ينقله عن ابن مريم عن موسى بن عمران
 بأنها سفرت بالطور مشرقه أنوارها فكنوا عنها بنيران
 و هى المدام التى كانت معتقه من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
 و هى التى عبدتها فارس فكنى عنها بشمس الضحى فى قومه مانى

سكرت منها فلا صحو وجدت بها على الندامى و ليس الشح من شانى
 و سوف أمتحها أهلا و أنشده ما قيل فيها بترجيع و ألحان
 حتى تميل لها أعطافه طربا و ينثى الكون من أوصاف نشوان
 و هذه و إن لم تكن فى دمشق على الخصوص فلا تخرج عما نحن بصدده، و الأعمال بالنيات، و ديباجه هذه القصيدة على نسج طائفه
 من الصوفيه، و ممن حاك هذه البرود الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى، و قيل: إنه الشيخ شعبان النحوى.

[بعض ما دار بين المؤلف و أهل الشام]

رجع:

و قال بعضهم: [بحر البسيط]

شوقى يزيد و قلب الصّب ما بردا و بان يأسى من المعشوق حين غدا
 و مدعى قنوت، و العذول حكى ثورى، يلوم الفتى فى عشقه حسدا
 على مغنيه بالجنك جاوبها شيباه كم بها من عاشق سهدا
 فالبدر جبتهها، و الردف ربوتها، و خلها مات فى خلخالها كمد
 و لنذكر نبذه خوطبت به من علماء الشام و أدبائه حفظ الله تعالى كمالهم، و بلغ آمالهم!

فمن ذلك قول شيخ الإسلام، مفتى الأنام، سيدى الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى حفظه الله تعالى، و كتبه لى بخطه: [بحر
 السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٧
 شمس هدى أطلعها المغرب و طار عنقاء بها مغرب
 فأشرقت فى الشام أنوارها وليتها فى الدهر لا تغرب
 أعنى الإمام العالم المقرئ أحمد من يكتب أو يخطب
 شهاب علم ثاقب فضله ينظم عقدا و هو لا يثقب
 فرع علوم بالهدى مثمر و روض فضل بالندى معشب
 قد ارتدى ثوب علا و امتطى غارب مجد فزها المركب
 درس غريب كل يوم له يملى و لكن حفظه أغرب
 محاضرات مسكر لفظها بكأس سمع راحها تشرب
 رياض آداب سقاها الحيا ففاح مسكا نشرها الأطيب
 فضائل عمت و طمت فقد قصر فيها كل من يطنب
 قلوبنا قد جذبت نحوه و الحب من عادته يجذب
 إن بعدت عن غربه شرقنا فالفضل فينا نسب أقرب
 كم طلبت تشريفه شامنا بشرى لها فليهنها المطلب
 قد سبقت لى معه صحبه فى حرم يؤمن من يرهب
 أخوه فى الله من زمزم رضاعها طاب لها المشرب

أنه لنى ثم ودادا فلى بالشام منه علل أعذب
 أهديت ذا النظم امثالاً له و قد هجرت الشعر مذ أحقب
 نشط قلبى لطفه فانشى و القلب فى أهل الهوى قلب
 ضاء دجى العلم به للورى ما لاح فى جنح الدجى كوكب
 تحية الفقير الداعى، عبد الرحمن العمادى، انتهى.

و أجبته بما نصه: [بحر السريع]

ما تبر راح كأسها مذهب ما للنهى عن حسنها مذهب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٨
 تستدفع الأكدار من صفوها و تنهل الأفراح أو تنهب
 تسعى بها هيفاء من ثغرها أو شعرها النور أو الغيب
 فتانة الأعطاف نفائثه سحرا بألباب الورى يلعب
 فى روضه قد كللت بالندى و الزهر رأس الغصن إذ يعصب
 برودها بالنور قد نممت كالوشى من صنعاء بل أعجب
 و الماء يجرى تحت جناحتها و النار من نارنجها تلهب
 و الظل ضاف و النسيم انبرى و الجوّ ذاكى العرف مستعذب
 و الطير للعشاق بالعود قد غنت فهاجت شوق من يطرب
 أبهى و لا أبهج فى منظر من نظم من تقديمه الأصوب
 مفتى دمشق الشام صدر الورى من فى العلا تم به المطلب
 علامة الدهر و لا مريه و ملجأ الفضل و لا مهرب
 لله ما امتاز به من حلّى بغير منّ الله لا تكسب
 أبدى به الرحمن فى عبده مظاهر المنح التى تحسب
 جود بلا منّ و علم بلا دعوى به التحقيق يستجلب
 و بيت مجد مسند ركنه إلى عماد الدين إذ ينسب
 فبرقه الشامى من شامه نال مراما و السوى خلب
 و ما عسى أبدية فى مدحه أو وصف أبناء له أنجبوا
 تسابقوا للمجد حتى حووا سبقا لما فى مثله يرغب
 أعيدهم بالله من شر ما يخشى من الأغيار أو يرهب
 و أسأل الله لهم عزة بادية الأضواء لا تحجب

و لما حلت دمشق المحروسة، و طلبت موضعا للسكنى يكون قريبا من الجامع الأموى الذى يعجز البليغ وصفه و إن ملأ طروسه، أرسل
 إلى أديب الشام فرد الموالى المدرسين صاحب أذيال الفخار المولى أحمد الشاهينى حفظه الله تعالى بمفتاح المدرسة الجقمقية، و

كتب لى معه ما نصه: [بحر الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٩
 كنف المقرى شيخى مقرى و إليه من الزمان مقرى

كنف مثل صدره في اتساع و علوم كالدُر في ضمن بحر
 أي بدر قد أطلع الغرب منه ملاً الشرق نوره؟ أي بدر؟
 أحمد سيدي و شيعي و ذكري و سمّي و فوق ذاك و فخرى
 لو بغير الأقدام يسعى مشوق جثته زائراً على وجه شكرى
 العبد الحقير المستعين، المخلص أحمد بن شاهين، انتهى.
 فأجبتة بقولي: [بحر الخفيف]

أي نظم في حسنه حار فكري و تحلّى بدره صدر ذكرى
 طائر الصّيت لابن شاهين ينمى من بروض الندى له خير و كر
 أحمد الممتطين ذروة مجد لعوان من المعالي و بكر
 حل مفتاح فضله باب وصل من معانى تعريفه دون نكر
 يا بدیع الزمان دم في ازديان بالعلا و ازدياد تجنيس شكر
 و كتب إلى لما وقف على كتابي «فتح المتعال، في مدح النعال» بما نصه: لكاتبه الحقير أحمد بن شاهين الشامي في تقرّظ تأليف
 سيدي و مولاي و قبلتي و معتقدى شيخ الدنيا و الدين، و بركة الإسلام و المسلمين، حفظ الله تعالى وجوده آمين: [بحر الطويل]
 أ أحمد، فخرا يا ابن شاهين ساميا بأحمد ذاك المقرئ المسدّد
 بمن راح خدّاما لنعل محمد و ناهيك في العليا بأرفع سؤدد
 فإن أنا أخدم نعله فلطالما غدا خادما نعل النبي الممجد
 بتأليفه في وصف نعل تكرمت كتابا حوى إجلال كل موحد
 و يكفيك فخرا يا ابن شاهين أن ترى خدوما لخدّام لنعل محمد
 فقلت له طوبى بخدمة أحمد فقال كذا طوبى بخدمة أحمد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٠
 فلا زال يرقى للمعالي مكرما و ينتعل العيوق في رغم فرقد
 فأجته بقولي:

أ أحمد و وصف بالعوارف يرتدى و أشرف مولى للمعارف يهتدى
 نجومك إذ أنت الخليل توقّدت فأنى أجاريها بنحو المبرد
 أتانى نظام منك خيّر فكرتى على أنه أعلى مرامى و مقصدى
 فأنت ابن شاهين الذى طار صيته بجو العلا و الضد ضل بفرقد
 فبرك موصول و شانيك منكر و قدرك مرفوع على رغم حسد
 و عند حديث الفضل أسند عاليا بشام فهم يروون مسند أحمد
 فوجهك عن بشر و يملك عن عطا و فكرك يروى فى الهدى عن مسدّد
 فلا زلت ترقى أوج سعد و رفعة و دمت بتوفيق و عز مخلد
 و لما خاطبته بقولي: [بحر الطويل]

يصيد ابن شاهين بجو بلاغة سوانح فى وكر البدائع تفرخ
 و ما كان ديك الجن مدرك نيلها إذا صرصر البازى فلا ديك يصرخ

و لو جاد فكر البحترى بمثلها لكان على الطائي بالأنف يشمخ

و لو أن نظم ابن الحسين أتيحها لفاز بسبق حكمه ليس ينسخ

فلا زال ملحوظا بعين عناية و كتب التهاني عن علاه تورخ

أجابنى بما نصه: [بحر الطويل]

أ أنفاس عيسى ما بروعى ينفخ أم الطرس أضحى بالعبير يضمخ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤١

و هذى قواف أم هى الشمس؟ إننى أراها على الجوزاء بالأنف تشمخ

بل هى نص من ودادك محكم تزول الرواسى و هى لم تكك تنسخ

أتتنى بمدح مخجل فكأنها لفرط حيائى قد أتتنى توبخ

و هل أنا إلا خادم نعل سيدى و بينى و بين المدح فى الحق برزخ

و ما هى إلا غرة حزت فخرها و إنى بها بادی المحاسن أشدخ

فلا درّ درّى و انحرفت عن العلا إذا كان ودى عن معاليك يفسخ

و حبك مهما طال شرقا و مغربا بوكر ابن شاهين الوفى يفرخ

و إنى و إن أرخت مجدا لماجد فإنى باسم المقرى أؤرخ

سمى و مولاي الذى راح مدحه لرأس الأعداى بالمعاريض يرضخ

و دم يا نظير البدر ترقى بأوجه و لا زلت فى طرفى و قلبى ترسخ

و كنت يوما أروم الصعود لموضع عال فوقعت، و انفكت رجلى، و أملت، فكتب إلى:

[بحر السريع]

لا أملت رجلك يا سيدى و صانها الله من الشين

ما هى إلا قدم للعلا لا احتاج ذاك النصل للقين

زانت دمشق الشام فى حلها فلا رأت فيها سوى الزين

بانة عن الأهل لتشريفنا لا جمعت أينا إلى بين

عجبت من راسخه فى العلا و العلم إذ زاغت من العين

إنى أعاف المين بين الورى و لست و الله أخوا مين

للمقرى المجتبى أحمد دين الهوى و المدح كالدين

و أحمد الله على أننى رأيت حاز الفريقين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٢

فلا أراه الله فى عمره بينا يؤديه إلى أين

تعويذا لمحبه العبد الحقير الداعى أحمد بن شاهين، انتهى.

و أهديت إليه حفظه الله تعالى سبحة و خاتما، و كتبت إليه: [بحر مجزوء الكامل]

يا نجل شاهين الذى أحيا المعالى و المعالم

يا من به ريشت من الم جد الخوافى و القوادم

يا من دمشق بطيب ما يبيديه عاطرة النواسم

فالنهر منها ذو صفا و الزهر مفتر المباسم
 و الغصن يثنى عطفه طربا لتغريد الحمام
 يا أحمد الأوصاف يا من حاز أنواع المكارم
 أنت الذى طوّقتنى مننا لها تعنو الأعاضم
 فمتى أودى شكرها و العجر لى وصف ملازم
 و العذر باد إن بعثت إليك من جنس الرثائم
 بنتيجة الذكر التى جاءت بتصحيح ملائم
 و بحائم صاد إلى فيض الندى من كف حاتم
 فامدد على جهد المق ل رواق صفح ذا دعائم
 و اقبل عقيله فكر من هو فى بحار العى عائم
 لا زلت سابق غاية بين الأعارب و الأعاجم
 فأجانبى بما صورته: [بحر مجزوء الكامل]
 يا سيدا شعرى له ما إن يقاوى أو يقاوم
 كلا، و لا قدرى له يوما يساوى أو يساوم
 يا من رأيت عطاردا منه بدا فى شخص عالم
 يا من بنفحه خلقه و بنظمه السامى الملائم
 أضحى يرينى معجزين من النواسم و المباسم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٣
 ما زلت أبصر منهما حسن التعمى و النعائم
 بهما زمانى حاسدا أضحى و بالتنغيص حاسم
 قلمى و قلبى بين هام فى الثناء له و هائم
 حبى لأحمد سيدى شيخ الورى فرض ملازم
 المقرى المعتلى شرف المعالى و المعالم
 مالى إليه وسيلة إلا هوى فى القلب دائم
 قد جاء ما شرفتنى بخصوصه دون الأعاضم
 من خاتم كفى به ورثت سليمان العزائم
 و جعلتنى لا أحسب العى وق لى فى فص خاتم
 و بسبحة شبهتها بالشهب فى أسلاك ناظم
 فلتحسد الجوزاء ما أحرزت من تلك المكارم
 هى آله للذكر لك ن ليس ذكرى فى الحيازم
 فهواك فى قلبى و ما فى القلب جلّ عن الرثائم
 ما ذى رثائم سيدى بل إنها عندى تمائم
 لو أنها من جنس ما يطوى غدت فوق العمائم

لكنها قد زينت كفى و أزرت بالخواتم
يا من يريش إذا رمى نسر السماء بلحظ حازم
إن ابن شاهين حوى منك الخوافى و القوادم
هذى نوافل يا إمام الدهر ليست باللوازم
العذر عنها مخجل عبدا لنعلك جدّ خادم
بل أنت فوق العذر قد أصبحت للشعري تنادم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٤
لا زال دهرك سيدى يلقاك منه ثغر باسم
يهدى إليك من المراحم و المكارم و الغنائم
ما لا يساوم مثله ذو الحظ فى أسنى المواسم
العبد الحقير الداعى لأستاذه مولاي الأجل بالتمكين، أحمد بن شاهين، حامدا مصليا مسلما، انتهى.

و قال مستجيزا: [بحر المجتث]

الشيخ يشرب ماء و نحن نشرب قهوه

فقلت: [المجتث]

لأنه ذو قصور فغطّ بالعذر سهوه

و لما أزمعت العود إلى مصر أوائل شوال سنة ١٠٣٧ خاطبني بقوله- حفظه الله!:-

[بحر الكامل]

أبدا إليك تشوّقى و حينى و إلى جنابك ما علمت سكونى

و لديك قلبى لا يزال رهينه غلقت و تعلم ذمّة المرهون

و عليك قد حبست شوارد مدحتى لما رأيتك فوق كل قرين

قلبي كقلبك فى المحبة و الهوى إذ كان فى الأشواق دينك دينى

وليته بهواك أرفع رتبة و غدوت تعزل عنه كل خدين

و أطاع أمرك فى الوداد فلو أشأ منه- و حاشا- سلوة يعصينى

ما كنت أحسب قبل طبعك أن أرى يوما عطارد ناطقا بفنون

حتى رأيتك فاستبنت بأنه يروى أحاديث العلا بشجون

و يفيد سمعى معجزا بهر النهى و يرى عيونى آية التكوين

يا من غدا يحيى القلوب بلفظه و يردّد الأنفاس عن جبرين

أحييت بالوحى المبين قلوبنا وحي- لعمر الله- جدّ مبین

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٥

هذى دمشق، لعمر خلقك، روضة قد جاد طبعك دوحها بمعين

قد زارها غيث الندى فبهارها أضحى يلوح بحلّة النّسرين

لو لم تكن بدرا لما أحرزت ما قد خص فى الأنوار بالتلوين

حققت ما قد قيل حين حللتها إن المكان مشرف بمكين

هي عادة حليتها فترينت ما كان أحوجها إلى التزين
 مولاي أحمد يا سليل بنى العلا يا فوق مدحى فيك أو تحسينى
 أغنى وجودك و هو عين الدين عن علامة الدنيا لسان الدين
 انظره تستغنى به عن غيره و إلى العيان ارغب عن المظنون
 تلقى علوم الناس فى أوراقهم و علومه فى صدره المشحون
 فبعلمه اعبر كل بحر زاخر و بفهمه اسبر غامض المخزون
 و بحلمه ارغب عن تحلم أحنف و بعزمه اصحب بأس ليث عرين
 لما رأيتك فاستقمت لقبلتى أدعو و أشكر واردات شؤونى
 ألفت قطرك يمتنى فأفادنى فضل اليمين على اليسار يقينى
 فسقى الحيا للمقرى أخى العلا بلدا بأقصى الغرب جد هتون
 بلدا تبينت الهلال بأفقه و رأيت منه قره لعيونى
 لو لا هلال الغرب نور شرقنا بتنا بليل الحدس و التخمين
 يا راحلا رحل الفؤاد بعزمه رفقا بقلب للوفاء ضمين
 أستودع الله العظيم، و إننى مستودع منه أجل أمين
 إنى أودع يوم بينك مهجتى و شيبتي و تصبرى و سكونى
 و أعود من توديع وجهك عودة خلطت يقينى فى الهوى بظنون
 حتى كأنى قد فقدت تماثما تقضى على بحالة المجنون
 و تود نفسى أنها لو حرمت أبدا سكونى للهوى و ركونى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٦
 أو شكت أقتل بين معترك الهوى نفسى و معترك الهوى يمينى
 و لقد وددت بأننى متحمل تلك الخطا بمحاجرى و جفونى
 كيف السبيل إلى الحياء و مهجتى فى قبضة الأشواق كالمسجون
 ما أنت إلا البدر لاح بأفقتنا شهرا و كان ضياؤه يهدينى
 و إليكها يا شيخ دهرى عادة غنيت عن التحسين و التزين
 جاءتك تعرض فى الوداد كمالها و إذا لحظت جمالها يكفينى
 هى بنت لحظتك التى تؤوى النهى لا بنت ليلتى التى تؤوينى
 ما الفخر فى دعوى البديهة عندها الفخر قولك إنها ترضينى
 حسبى أبا العباس منك إصاخة تقضى بموت عداى أو تحيينى
 يا لهف نفسى كيف أبلغ مدحه أضمرتها فى سرى المكنون
 فلسان حبي بالغ أقصى المدى و لسان مدحى فى القصور يلينى
 ما الشعر يستوفى حقوقكم و لو أهديت من نظمى عقود سنينى
 حلقت أصطاد النجوم، و إنها تزهو بعقد فى علاك ثمين
 فرأيت فى العيوق طبعك سيدى نسرا أسف لعجزه شاهينى

قد خف شعري من قصور طبيعتي و لربما قد كان جدّ ركين
يكفيك أحمد يا ابن شاهين بأن أحرزت خصل السبق دون الدون
و إذا عجزت عن الفرائض جاهدا فادأب عساک تفوز بالمسنون
هو قبلي فلاغتدى متمسكا منه بحبل في النجاة متين
و اسلم فديتك زائرا و مشرفا أفدى مواطئ نعله بجيني
و كذلك عمرى في هواك مقسم بين الدعاء الجد و التأمين
و قال حفظه الله تعالى في ذلك: [بحر الطويل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٧
حنانيك إن الدمع بالود معرب و إنى في شرق و أنت مغرب
و رحماك بى إنى قتيل صباؤه بمن هو أوفى في الفؤاد و أنجب
و وعدك لى بالعود إنى معلل به مهجته قد أوشكت تتصوّب
و هبتك قلبى ما حييت و لم أقل (و لكن من الأشياء ما ليس يوهب)
فلو كنت شيخا واحدا هدّ صده فكيف بشيخ لم يكن مثله أب
و إنا بحمد الله لما خصصتنا بزورة ذى و دّ دعاه التحب
فرشنا له منا الخدود مواطئا وعدنا به شوقا نجىء و نذهب
و قلنا دمشق أنت فيها محكم و أشرافها و دوا و جدّوا و أوجبوا
و أنت لها روح و مولى و مفخر و قد زنت شرقا مثل ما ازدان مغرب
و فخرا عظيما يا ابن شاهين إنه غدا و كرنا نسر السما فيه يرغب
فنحن، و نحن الناس، خدام نعله فلا غرو أن يقلى الغضنفر أكلب
و ما نقموا منه سوى أنه امرؤ لياكل فيما قدروه و يشرب
هو الشيخ شيخ الدهر أحمد من غدت دمشق و من فيها بعلياه تخطب
هو المقرئ العالم العلم الذى إليه تناهى الفضل و المجد ينسب
و ما هو إلا الشمس أزمع رحله و إنا لفى ليل إذا هى تغرب
أو الغيث قد وافى فأمرعت النهى به و اثنى و الصدر بالود معشب
أو الطائر العنقاء جاء مشرقا فأغرب و العنقاء فى الطير مغرب
و إنك للخلل الوفى و إنه هو الواحد المطلوب إن عز مطلب
و إنك بالتحقيق فى كل حالة لأسنى و أندى ثم أوفى و أغرب
رعى الله وجهها رحت ترغب نحوه و أى أخى جدّ له أنت ترغب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٨
و حيا الحيا أرضا وطئت ترابها فأصبح مسكا و هى بالمجد تخصب
و لا فارقت يوما علاك كلاءة من الله أنى كنت و الله أغلب
مدى الدهر ما حنت جوانح واله مشوق فأمسى للحقيقة يطرب

و لما قرأ على - أدام الله تعالى عزته، و حرس حوزته!- عقيدتى المسماة «بإضاءة الدجته، فى عقائد أهل السنه» سألتنى أن أجزه فيها و

في غيرها، فكتبت إليه بما نصه: [بحر الرجز]
أحمد من أطار في جوّ العلا صيت ابن شاهين الذي زان الحلبي
و راش منه للمعالى أجنحه نال بها فضلا غدا مستمنحه
و أسكن البيان من أوكار أفهامه بقنّه الأفكار
فاصطاد كل شارذ بمخلب أبحاثه و من يعارض يغلب
و الصقر لا يقاس بالبعث و الحق ممتاز عن الأضغاث
نشكر من بلغه مناه على نواله الذي سناه
و ننتحى نهج صلاة باديا لخير من جاء الأنام هاديا
مبيننا دلائل التوحيد و موضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المنتقى أجل من خاف الإله و اتقى
صلى عليه الله مع أصحابه و آله الراوين عن صحابه
ما اعترف العبد الفقير ذو العدم للربّ باستغنائه و بالقدم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٣؛ ص ٤٨
و بعد، فالعلوم و العوارف من أمّها يأوى لظل وارف
و روضة أزهارها تضيّعت لأنها أفنانها تنوعت
و ليس يحتاط بها نبيل إذ ذاك أمر ما له سبيل
فليصرف القول إلى ما ينفعه دنيا و فى أوج الأجور يرفعه
و إن فى علم أصول الدين هدى و خيرا جلّ عن تبين
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٩
لأنه أصل يعم النفع به و كل ما سواه فرع
و كيف يعبد الإله من لا يعرفه و عن رشاد صلا
فهو الذى لا تقبل الأعمال إلا به و تنجح الآمال
و إننى كنت نظمت فيه لطالب عقيدة تكفيه
سميتها «إضاءة الدجئة» و قد رجوت أن تكون جنّه
و بعد أن أقرأتها بمصر و مكة بعضا من اهل العصر
درستها لما دخلت الشاما بجامع فى الحسن لا يسامى
و كان فى المجلس جمع وافر من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالى فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم و اغتدى و شام أنوار الفهوم فاهتدى
العالم الصدر الأجل المولى من وصفه الممدوح يعيى القولا
و هو ابن شاهين و ما أدراكا من بذ جنس العرب و الأتراكا
و رام من مثلى بحسن الظن إجازة فيما رواه عنى
فحرت فى أمرين قد تناقضا بالنفى و الإثبات إذ تعارضا

ترك الإجابة لوصفي بالخطل و بالخطا و الجيد منى ذو عطل
و كم فرائض بعجز تسقط فكيف غيرها و هذا أحوط
أو فعلها بحسب الإمكان رعا لود محكم الأركان
منه و ما له من الحقوق و لا يجازى البر بالعقوق
و بعد ما مر من الترداد أسعفته بمقتضى الوداد
و سرت فى طرق من التساهل معترفا بالجهل لا التجاهل
مع أنه الأهل لأن يجيزا لا أن يجاز إذ حوى التبريزا
و من رأى عيبي بعين للرضا لم يقف نهج من غدا معترضا
فليرو عنى كل ما أسمعته إياه بالشرط و ما جمعته
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٥٠
مع القصور راجيا للأجر من الفنون نظمها و النثر
كهذه القصيدة السديده و النعل ذات المدح العديده
كذاك ما ألفت فى عمامه من خص بالإسراء و الإمامه
و الفقه و الحديث و النحو و فى أسرار وفق و هو بالقصد و فى
و غيرها مما به الوهاب من على فقير عاجز فى غير فن
و ما أخذت فى بلاد المغرب عن كل فذ فى العلوم مغرب
ولى أسانيد إذا سردتها طالت و فى كتبى قد أوردتها
و قد أخذت الجامع الصحيجا و غيره عن حوى الترجيحا
عمى سعيد عن سفين و هو عن القلقشندى عن الواعى السنن
العسقلانى فى الشهاب بن حجر بما له من الروايات اشتهر
و قد أجزته بكل مالى يصح من ذاك بلا احتمال
على شروط قرروها كافيه ليست على أفكاره بخافيه
و قال هذا المقرى الخطا و العى عم لفظه و الخطا
عام ثلاثين و ألف بعدها سبع أتمت فى السنين عدها
و كان ذا فى رمضان السامى بحضرة السعد دمشق الشام
و الله نرجو أن يتيح الختما بالخير كى نعطي القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا صلى عليه الله ما طال المدى
و آله و صحبه و من زكا فنال من حسن الختام مدركا

و تذكرت بهذه الإجازة نظيرتها التى سألتى فيها مولانا عين الأعيان، مفتى الأنام فى مذهب النعمان، مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادى
مفتى الشام- حفظه الله تعالى!- لأولاده الثلاثة، و كتب لى أصغرهم سنا استدعاء لذلك: [بحر الرجز]

أحمد من شيد بالإسناد بيت العلوم السامى العماد

و عم من خصص بالروايه بنورها النافى دجى الغوايه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٥١

وزان صدر النبها كل زمن بجوهر الإجازة الغالى الثمن
نحمده سبحانه أن عرفنا من الحديث ما به قد شرفنا
و نسأل المزيد من صلواته لمن أتيح القصد من صلواته
ملجؤنا المعصوم أعلى سند لنا برغم جاحد مفئد
كهف الضعيف و القوى المرتجى باب الهدايات و ليس مرتجا
من جاءنا بالجامع الصحيح من كلامه الهادى إلى نهج أمن
من فضله ما شك فيه مسلم من حبه بكل خير معلم
نبينا المرسل ذو الخلق الحسن و المعجز المفحم أرباب اللسن
محمد المرفوع قدره على سائر خلق الله جل و علا
صلى عليه ربنا و سلما أزكى صلاة نتتحياها معلما
مع آله و صحبه و من روى آثاره عن صحه و ما غوى
و بعد فالعلم عظيم القدر و ليس من يدري كمن لا يدري
و لم تزل هممة أهل المجد منوطة بنيل علم مجدى
و منه علم السنه الشريفه لأنه ظلاله و ريفه
فمن درى الأخبار و السمائل لم يك عن صوب الهدى بمائل
و كم سميدع لأجله رفض أوطانه و ثوب ترحال نفض
و كيف لا و هو أجل ما طلب موفق يروم حسن المنقلب
لأنه وسيلة السعادة و العز فى الإبداء و الإعادة
و إننى لما انتحيت المشرقاً ميمماً بدر اهتداء مشرقاً
ألقىت فى مصر عصا التسيار بعد بلوغى أشرف الديار
و بعد ذا جئت دمشق الشام مسكن من يزدان باحتشام
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٥٢
فشاهدت عيناى فيها ما ملا قلبى سرورا إذ بلغت مأملا
مدينة فياضه الأنهار فضفاضه الأثواب بالأزهار
أرجاؤها زاكية العبير و مدحها يجلى عن تعبير
و جلّ أهلها بحبى دانوا مع أن مثلى منهم يزدان
فلاحظوا بالأعين الكليله عبدا غدا تقصيره دليله
و قابلوا عيبي بما اقتضاه فضل لهم ربّ الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعبر قره عين من رآه و اختبر
مفتى الورى فى مذهب النعمان بها الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين من تعبى القلم أوصافه اللاتى كنور فى علم
حاوى طراف المجد و التلاد نال المنى فى النفس و الأولاد
و كنت فى مكه قد أبصرت منه علا عن مدحه قصرت

جلالة و محتدا و علما و رفعة و سوددا و حلما
مع التواضع الذى قد زانه حسن اعتقاد مثقل ميزانه
فحث من فى الشام من أخيار لم يسلكوا مناهج الأغيار
أن يأخذوا بعض الفنون عنى بما اقتضاه منه حسن الظن
مع أننى و الله لست أهلا لذاك، و التصدير ليس سهلا
و كان من جملتهم أبناؤه عماد دين قد علا بناؤه
و صنوه الشهاب من توقدا فهما و إبراهيم سباق المدى
و هو الذى قد ابتغى الإجازة لهم بوعد طالبا إنجازه
و كتب القصيدة الطنانة فى ذاك لى مهتصرا أفانه
و إنهم كحلقة قد أفرغت دامت لهم آلاء فيض سوغت
فلم أجد بدا من الإجابة مع كون جهلى سادلا حجاجه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٥٣
فقد أجزتهم بما روته طرا، و ما ارتجلت أو روته
و كل ما صنف فى الفنون مؤمل التحقيق للظنون
و ما أخذت عن شيوخ المغرب و غيرهم من كل حبر مغرب
ولى أسانيد يطول شرحها شيد على تقوى الإله صرحها
و لو سردت كل مروياتى هنا لطلال القول فى الأبيات
و كل طول غالبا مملول و حد من يعنى به مفلول
فلنقتصر إذن على القليل تبركا بالمطلب الجليل
و قد أخذت جامع البخارى عن عمى الحائر للفخار
المقرى سعيد الإمام عن محمد يدعى خروفا حين عن
التونسى الطيب الأنفاس نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادرى المرتضى عن الحجازى عن الحبر الرضا
نجل أبى المعجد عن الحجارى عن الزبيدى بنقل جارى
عن مسند الإسلام عبد الأول عن الشهير الداودى المعتلى
عن السرخسى عن الفبرى عن البخارى الإمام الحبر
و فضله أظهر من أن يذكر و علمه المعروف غير المنكر
و مسلم به إلى الكمال عن علم الدين أخى الجلال
منسوب بلقين عن التوخى عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المقير عن ابن ناصر عن ابن مندة اللبيب القاصر
عن جوزقى قد روى عن مكى عن مسلم نافع دياجى الشك
فليخبروا عنى بذا الباقي من ستة جائزة السباق
كذا موطأ الإمام مالك إمامنا منير كل حالك

و مسند الفذ الرضا ابن حنبل و الدارميّ ذى الثناء الأجل
و الطبرانيّ و ما أرويه من المعاجيم بما تحويه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٥٤
و كلها تشمله الإجازة بشرطها عند الذى أجازة
فلتقبلوه فهى من جهد المقلّ إذ لست بالمطلوب منى أستقل
و من أسانيدى عن القصّار مفتى الأنام بهجة الأعصار
عن شيخه خروف الراقى الدرج عن الشريف الطحطحائى فرج
قال: سمعت المصطفى فى النوم صلى عليه الله كل يوم
يقول: من أصبح، يعنى آمنا فى سربه، الحديث فاعرف كامنا
و لنمسك العنان فى هذا الأرب مصليا على الذى زان العرب
و آله و صحبه الأعلام و من تلا من أنجم الإسلام
و خط هذا المقرئ العاصى أجير يوم الأخذ بالنواصى
سنه سبع و ثلاثين تلت ألفا لهجرة بياسين علت
عليه أزكى صلوات تستتم نرجو بها الزلفى و حسن المختتم
و نص الاستدعاء المشار إليه و هو: [بحر السريع]
فازت دمشق الشام بالمقرئ الألمعى اللوذعى العبقرى
علامة العصر بلا مفترى و واحد الدهر بلا ممترى
كم سمعت أخبار أوصافه فقصر المخبر عن منظر
جامع علم بثّ إملأه بالشام ملء الجامع الأكبر
يقرى فتقرى السمع أنفاسه أنفس ما يقرى و ما قد قرى
مولاي يا من درّ ألفاظه صحاحها تزرى على الجوهر
إجازة نرفل من فضلها فى ثوب عز وردا مفخر
مسبله الذيل على أكبر و أوسط الإخوة و الأصغر
أطل لنا إنشاءها بل أظ و انظم لنا من درها و انثر
لا زلت فى نفع الورى دائبا تجود جود العارض الممطر
العبد الداعى إبراهيم العمادى، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٥٥

و من الإجازات التى قلتها بدمشق الشام ما كتبه للأديب الحسيب سيدى يحيى المحاسنى حفظه الله تعالى: [بحر الرجز]
أحمد من زين بالمحاسن دمشق ذات الماء غير الآسن
و أطلع النجوم من أعيان بأفقا السامى مدى الأحيان
فكل أيامهم مواسم من الصفا ثغورها بواسم
و ذكرهم قد شاع بين الأحياء إذ قطرهم به الكمال يحيا
و بشرهم حديثه لا ينكر و مسند الجامع عنهم يذكر

و قد حكى جوارح الذى ارتحل إليهم صحيح ما له انتخل
فسمعه عن جابر، و العين عن قرّة تروى، و اللسان عن حسن
فحل من أتاحهم آلاءه حتى أبان نورهم لألاءه
نحمده سبحانه أن اسدى من الأمان ما أنال القصد
و نتحى صوب صلاة باهره إلى الرسول ذى السجايا الطاهره
أجلّ من خاف الإله و اتقى محمد الهادى الرسول المنتقى
صلى عليه الله طول الأبد مع آله و صحبه و المقتدى
و بعد، فالعلم أساس الخير و كيف لا و هو مزيج الضير
و هو موصل إلى منهاج هدى و رشد ما له من هاجى
و ما بغير العلم يبدو العلم و ليس من يدري كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير البشر فإن فضله على الكل انتشر
و لم يزل يعنى به كلّ زمن من الرواة كلّ صدر مؤتمن
و إننى عند دخول الشام لقيت من بها من الأعلام
و شاهدت عيناي من إنصافهم ما حقق المحكى عن أوصافهم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٥٦
و إن من جملةهم أوج الذكا و النير المزرى سناه بذكا
ابن المحاسن الذى قد طابقا منه مسمى الاسم إذ تسابقا
اللودعىّ الألمعىّ يحيى لا زال رسم المجد منه يحيا
و هو الذى أغراه حسن الظن على انتمائه لأخذ عنى
و كان قارىء الحديث النبوى لدىّ فى الجامع، أعنى الأموى
بمخضر الجمع الغزير الوافر ممن وجوه فضلهم سوافر
و بعد ذاك استمطر الإجازة من نوء وعدى و اقتضى إنجازه
فلم أجد بدّا من الإجابة مع أننى لست بذى النجابة
و إن أكن أجبت أمرا يمتثل منه ففى ذلك تصديق المثل
فيمن درى شيئا و غابت أشيا عنه و من أهدى لصنعا وشيا
فليرو عنى كل ما يصح لى بشرطه الذى يزين كالحلى
و قد أخذت جامع البخارى عن عمى الإمام ذى الفخار
سعيد الذى نأى عن دنس عن شيخه الحبر الشهير التّسى
أعنى أبا عبد الإله و هو عن والده محمد راوى السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضا عن جده الخطيب عن بدر أضا
الفارقىّ عن إمام يدعى بابن عساكر الجميل المسعى
بما له من الروايات التى على علوّ قدره قد دلّت
و ليرو عنى ما انتمى للنوى بذّا إلى السابق ذى النهج السوى

أعنى ابن مرزوق الخطيب الراوى عن شيخه يحيى الرضى المغراوى
 و هو روى عن صاحب التمكين النووى الشيخ محيى الدين
 و خط هذا أحمد البادى الوجلى المقرئ المالكى على خجل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٥٧
 فى عام ألف و ثلاثين خلت من هجرة الهادى و سبعة تلت
 ألبسه الله البرود الضافيه من منته و عفوه و العافيه
 بجاه سيد البرايا طرًا ملجأً من إلى الكروب اضطرًا
 عليه أسنى صلوات تسدى حسن الختام ببلوغ القصد
 و سأل منى بعض ساكنى دمشق المحروسة أن أقرظ له على شرحه لرسالة العارف بالله تعالى سيدى الشيخ أرسلان، فكتبت ما صورته:
 [بحر الرجز]

أحمد من خصص بالأسرار قدما من الصوفية الأبرار
 أتاحهم عوارف المعارف و الحكم السابغة المطارف
 فهم بهم تستمطر الأنواء و تظهر الأنوار و الأضواء
 و من أجلهم سناء و سنى من ذاد عن عين المعالى الوسنا
 شيخ الشيوخ العارف الكبير الشيخ أرسلان الشهير
 فكلم إشارات له أبانا بها علوما من حلاها ازدانا
 و كم عبارات تلا آياتها تعيا الفحول عن مدى غاياتها
 و من رأى رسالة التوحيد له انتحى مناهج التسديد
 فهى تنادى من أبى أن يسلكا يا معرضا شرك خفى كلكا
 و من أضل القصد فى مهامه هدته للخروج عن أوهامه
 و كم بها من باب معنى مغلق عمن يقيد الوجود المطلق
 فما بغير الفتح يدرى الباطن و وارد الفيض له مواطن
 و قد رأيت فى دمشق الشام شرحا لها أنبا عن إلهام
 للكلمة ذى الوفا بالوعد شمس العلا محمد بن سعد
 لا زال فى أوج التجلى صاعدا و عون ربنا له مساعدا
 و مذ أجلت ناظرى فى حسنه ألفتته مستبدعا فى فنه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٥٨
 و دل ما أبداه من معانى على شهور بالهدى معانى
 لأنه أجاد فى تقرير ما اعتاص بالإتقان و التحرير
 و أبرز الأبيكار من خدور أفكاره حاليه الصدور
 فالله يجزيه الجزاء الأوفى فى يوم تبدى الأنبياء الخوفا
 و خط هذا المقرئ من وجل مرتجيا من ربه عز و جل
 كشف كروب عقد صبر حلت منه و غفران ذنوب جلت

بجاه طه الهاشمي أحمدًا عليه أزكى صلوات سرمدًا

عاطرة النشر بلا اكتتام تأرجت بالمسك في الختام

و خاطبني السرى الحسيب الماجد فخر المدرسين الأعيان مولانا الشمس محمد بن الكبير الشهير مولانا يوسف بن كريم الدين
الدمشقي حفظه الله تعالى بقوله: [بحر الكامل]

شمس المحاسن شرقي أو غربي سعدت منازلنا بشمس المغرب

شمس لنا منها شمس فضائل و سنا هدى قد راح غير محجب

المقرى العالم الندب الذى لسوى اسمه درج الحجا لم يكتب

بدر و لم تبد البدور بمشرق إلا بدت من قبل ذاك بمغرب

لسوى اكتساب سناه لم تغرب ذكا فلو انها شعرت به لم تغرب

علامة ملاً البلاد بفضلها و أفاده لمشرق و مغرب

عمرى هو البحر المحيط فضائلًا إن قيس بالعذب الذى لم يعذب

مولى له سند قوى فى العلا فعن الجدود روى العلا و عن الأب

نسب له المجد المؤئل فى الورى و المجد لم يكسب إذا لم يوهب

هو فى جبين الفضل أضحى غرة يجلى بها للجهل ظلمة غيب

آمالنا قطعت ببشر جبينه أن لا ترى للدهر وجه مقطب

بدر به زهيت دمشق و أهلها أحب ببدر حيث حل محب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٥٩

طود الفضائل باكرت أرجاءه ديم الحجا فغدا كروض مخصب

بحر الهدى و العلم إلا أنه صفو من الأكار عذب المشرب

هو قطب دائرة الفضائل فى الورى فيكاد يخبرنا بكل مغيب

فى الفضل ما جاوت يوماً مثله كلاً و لا قست البدور بكوكب

أنى يجارى فى الفضائل من له انق اد الزمان بأدهم و بأشهب

سنن لمدمح الغير تسقط عندنا فله العلا تقضى بفرض أوجب

ما روضة حلّى أزاهرها الحيا فافتتر فيها كل ثغر أشنب

و مشت بها خود الصبا فتعطرت أذيالها من كل عرف طيب

للنور فيها جدول أخذت به شهب المجرة حيرة المتعجب

باتت تناشدنى بها ذكر الهوى ورق الأراك بكل صوت مطرب

تشكو إلى بمثل ما أشكو لها شكوى المعذب فى الهوى لمعذب

فعلمت ما قد حل من وجد بها و جهلن، و هو الفرق، ما قد حل بي

لم تلق فيها من عليل يشتكى إلا النسيم و ذا الهوى إن تطلب

بأغض حسنا من ربا آداب من حيا رياض حجاه ألطف صيب

طبع أرق من النسيم و منطلق مستعذب، و كذاك كل مهذب

لو جاد صوب حجاه قفرا مجدبا لنعمت منه بكل روض معشب

مولاي عذرا فالزمان يعوقني عن مطلبي و الآن مدحك مطلبي
 عفوا إذا أخرت مدحك سيدي فعواتق الأيام عذر المذنب
 و كذاك يفعل بالأديب زمانه فلذا يطول على الزمان تعبتي
 لم ألق يوما من يديه مهربا إلا ثناك، و حبذا من مهرب
 لولاك ما جال القريض بخاطري فالدهر يوجب للقريض تجبتي
 لولاك لم ينهض جواد قريحتي في كل واد للضلالة متعب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٦٠
 فاسمع، و لست بأمر، نظما غدا في عقد مدحك لؤلؤا لم يثقب
 كالراح يلعب بالعقول للطفه لكن بغير مسامح لم يشرب
 من كل قافية غدت من حسننها مثلا لغيرك في العلا لم يضرب
 خود تقلد من ثناك قلائدا بكر لغيرك في الوري لم تخطب
 غنيت بمدحك زينته و لربما يغني الجمال عن الوشاح المذهب
 هي بعض أوصاف لذاتك قد غدت كالبحر عذبا ماؤه لم ينضب
 جاءتك تسألئك القبول و حسبها فخرا قبولك و هو جلّ المطلب
 و تروم منك إجازة فاقت بما ترويه بالسند القوى عن النبي
 حسبى الإجازة منك جائزة و لم أك قبل غير الفضل بالمتطلب
 لا بدع و الإيجاز إطنابا غدا في مدحه إن لم أطل أو أسهب
 هيهات لا تحصى ما أثر فضله بالمدح إن أطنب و إن لم أطنب
 خدمة الداعي محمد بن يوسف الكريمي، انتهى.

فأجزته بما [صورته و] نصه: [بحر الرجز]

أحمد من أطلع شمس الدين في أفق الرواية المبين
 و خص فضلا منه بالإسناد أمة طه مذهب العناد
 فلم يكن عصر من الأعصار إلا و فيه أهل الاستبصار
 ينفون عن حوزة دين الله ما يروم من عليه رشد أبهما
 و أنتحى سبل صلاة كاملة على الذي له العطايا الشاملة
 محمد المرسل بالشرع الحسن ذو المعجز المفحم أرباب اللسن
 مع حزبه من صحبه و عترته و من تلا مؤملا لأثرته
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٦١
 و بعد فالعلم أجل ما اعتمد موفق من فيض مولاه استمد
 خصوصا الحديث عن خير الوري صلى عليه الله ما زند وري
 و لم يزل ذوو النهي يسعون في تحصيله إذ فضله غير خفي
 و إن مولانا الشهير السامي الماجد المولى نبيه الشام
 سالك نهج السنة القويم محمد بن يوسف الكريمي

لا زال في عز و في أمان مبلّغا من قصده الأمانى
 وجه لى لما حلت الشاما و برق حسن الظن منى شاما
 قصيدة بليغة مستعذبه غريبة فى فيها مهذبه
 يسأل من مثلى بها الإجازة بشرطها عند الذى أجازة
 مستمسكا بعروة الصواب و لم أجد بدا من الجواب
 فليرو عنى ما سمعت كله و ما جمعت فى الفنون جملة
 على شروط قررت فى الفن مرتجيا حصول كل من
 و صنوه الأكمل قد أبحت ذاك على الوجه الذى شرحته
 و إن أكن فيما ابتغى مقصرا فذو الرضا ليس لعيب مبصرا
 ولى أسانيد أبى وقتى عن تفصيلها لما من الرحلة عن
 و العذر باد و الكريم يقبل و الصنح نهج يقتفيه الأنبل
 و خط هذا المقرئ الجانى آمنه الله من الأشجان
 فى عام ألف و ثلاثين قفا سبعا لهجرة النبى المصطفى
 عليه أزكى صلوات تغتنم يزكو بها مفتتح و مختتم

و كتب إلى الفاضل الخطيب، الفهامة الأديب، وارث الفضل عن الأعلام ذوى اللسن، سيدى الشمس محمد المحاسنى سبط شيخ الإسلام مولانا البورينى حسن، حفظه الله تعالى [يقوله]: [بحر المجتث]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٦٢

يا سيدى و ملاذى و عالم الثقلين
 و من غدا بمكان علا على التيرين
 أجزت بالدرس قوما فاقوا به الفرقدين
 فزین العبد أيضا من مثل ذاك بزین
 و إن لم يكن فى ختام فذاك قرّة عینی
 فأجزته بما نصه: [بحر الرجز]
 أحمد من أطلع من محاسن دمشق ما أربى على المحاسن
 وزانها بالجلّة الأعيان الرافلين فى حلى التبيان
 الراغبين فى الحديث النبوى السالكين فى الهدى النهج السوى
 و بعد فالعلم أجل زينه و سبله فى الرشد مستبينه
 و إن علم السنّة الشریفه ظلاله ضافية و ريفه
 لذاك كان باعتناء أجدر من كل ما يملیه من تصدرا
 و إن ذا الفضل الأديب البارع سابق ميدان الذكا المسارع
 الماجد المسدّد السامى الحسب محمد من للمحاسن انتسب
 ابن الشهير الصدر تاج الدين لا زال فى عز و فى تمكين
 وجده لأمه الشيخ الحسن و ذاك بوريتهم معطى اللسن

يسألنى إجازة بكل ما أرويه عنوانا بحالى معلما
 وها أنا أجبته غير بطل مستغفرا من خطي و من خطي
 فليرو عنى كل ما يصح على شروط غيها يسح
 و هى عن الشروط لن تريما و ليس يخفى علمه الكريما
 و كل ما ألفت أو جمعت نظما و نثرا مثل ما أسمعت
 ولى أسانيد يضيق الوقت عن سردها و بعضها قد سقت
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٦٣
 فى غير هذا فليحقق ذلك مقتنيا لأوضح المسالك
 و قد أخذت جامع البخارى و مسلم عن حائر الفخار
 عمى سعيد و هو عن يدعى بالتسنسى قد أفاد الجمعا
 عن حافظ الغرب الرضا أبيه عن ابن مرزوق عن النبيه
 الحافظ المبجل العراقى و قد سما فى سلم المراقى
 و ما له من الروايات علم من كتبه التى حوت خير الكلم
 و خط هذا المقرئى عن عجل مؤملا من ربه عز و جل
 غفران ما جنى من الذنوب و الصفح عن معزة العيوب
 بجاه خير العالمين أحمدا صلى عليه الله دأبا سرمدا
 و آله و صحبه الأخيار و من تلا لآخر الأعصار

و لما سألنى فى الإجازة الفاضل الأديب سيدى محمد بن على بن مولانا عالم الشام الشهير الذكر شيخ الإسلام سيدى و مولاي الشيخ
 عمر القارى - حفظه الله تعالى!- و أنا مستوفز للسفر؛ كتبت له عن عجل ما صورته: [بحر الرجز]

أحمد من زين بالآثار جيدا من الراوى النبيه القارى
 و شاد للعلياء فى أوج السند منازل لم يبلها طول الأمد
 و ميز الواعين للحديث بالفضل فى القديم و الحديث
 و زان منهم سماء الدين فأشرفت بالحفظ و التبيين
 فهم بها للمهتدى نجوم و إنها للمعتدى رجوم
 فكم أزاحوا عن حديث المجتبى صلى عليه الله ما هبت صبا
 تحريف ذى غل مضل غالى شان لمنهاج الرشاد قالى
 و بعد فالإسناد للروايه وسيله تزحزح الغوايه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٦٤
 و الله قد خصص هذى الأمه به امتنانا و أزاح الغمه
 هذا و لو لا ذاك قال من شا ما شاءه فهو بحق مشا
 فلم يزل أهل النهى كل زمن يسعون فى تحصيله عن مؤتمن
 و إن من جمله من تحرى لجمله من العلوم غزا
 الفاضل المسدد النجيب الواصل الممجد الأريب

محمد سليل ذى المجد على ابن الإمام العالم الحبر الولي
 عمر الشيخ الشهير القارى طود السكون هضبة الوقار
 شيخ الشيوخ فى دمشق الشام لا زال محفوفا بعز سامى
 فكان من جملة من عنى روى بعض الصحيح ظافرا بما نوى
 و بعد ذاك اقترح الإجازة منى و وعداها اقتضى إنجازه
 فانعجمت نفسى عن الإجابة إذ لست فى ذا الأمر ذا نجابه
 مع أننى مقصر ذو عى فى مثل هذا المطلب المرعى
 و خفت أن آتيها شنعاء بحملى الوشى إلى صنعاء
 و بعد ذا أجت قصد الأجر مرتجيا بذاك ربح التجر
 و قد أجبته و إنى أعلم أنى من خوف الخطا لا أسلم
 فليروها ببالغ التمنى جميع ما يصح لى و عنى
 من ذلك الجامع للبخارى عن عمى الشهير ذى الفخار
 سعيد الآخذ عن سفين عن قلقشندى مزيج المين
 عن حافظ الإسلام أعنى ابن حجر بما له من الروايات اشتهر
 و بعضها فى صدر فتح البارى مبيّن لطالب الأخبار
 ولى أسانيد يطول شرحها و الروضة الغناء يكفى نفحها
 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٦٥
 و من رواياتى عن القصار مفتى البرايا بهجة الأعصار
 حدثنا خروف الذاكى الأرج عن الشريف الطحطحائى فرج
 سمعت فى المنام طه يملى حديث من أصبح وفق النقل
 أى آمننا فى سربه معافى فى جسمه مع قوت يوم وافى
 و كل ما ألقت فى الفنون أرجو به التحقيق للظنون
 فليروه عنى بشرط معتبر و ربما يصدّق الخبر الخبر
 ولى تأليف على العشرينا زادت ثمانيا حوت تعنينا
 فليروها إن شا بلا استثناء و الله أرجو نيل قصد نائى
 بجاه من شرف بالإدناء صلى عليه الله فى الآناء
 أحمد خير المرسلين الهادى غوث البرايا ملجأ الأشهداد
 عليه أسنى صلوات زاكية مع صحبه ذوى المزايا الزاكية
 و من تلا ممن أطاب عمله فنال من رجائه ما أمّله
 و شم من عرف قبول أرجا فنال من حسن الختام ما رجا

و خاطبنى من أهلها أيضا خادم الشيخ الأكبر ابن عربى محيى الدين، و هو الشيخ الأكرمى سيدى إبراهيم، سلك الله بى و به سبل
 المهتدين! بقوله: [بحر مجزوء الكامل]

فكرت فى فضل الإمام المقرئ الحبر حيناً

فوجدته بكر الزمان و واحد الدنيا يقينا
 ما إن رأيت و لا سمعت بمثله في العالمينا
 وافي دمشقاً زائراً ألوانه أضحى قطينا
 و أتى عجيب الاتفاق بفطر شهر الصائمين
 فكأن غزته الهلال و نحن كنا ناذرينا
 و العلم قال مؤرخاً أدى بها فضلاً مينا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٦٦

و خاطبني أيضاً منهم الفقيه النبيه سيدي مصطفى بن محب الدين حفظه الله تعالى بقوله: [بحر الطويل]
 فضائل قطب الغرب في العلم و الفضل هو المقرئ الأصل حائزة الخصل
 حوى كل علم كل عن بعضه السوى فلا غرو أن أضحى فريداً بلا مثل
 و حاز فنونا من ضروب معارف و من فضل تحقيق و من منطلق فصل
 توخى دمشق الشام فافتت ثغرها سرورا به و ازينت من حلى الفضل
 و شرف مصرها قبلها فاكستت به ملابس فخر زانها كرم الأصل
 لقد أشرقت من أفق غرب شموسه و ناهيك أفقا نوره قدره يعلى
 نفاسته فيها تنافست الورى بما قد غدا من در أفاظه يملى
 ملء من التحقيق إن عنّ مشكل تكفل بالتبيان و الشرح و الحل
 إذا ما أدار الدر من كأس لفظه سقانا عقار الفضل علا على نهل
 نظام له يحكى قلائد عسجد و ثغر مليح فائق الحسن و الدل
 و أسجاعه إن حاك و شى نسيجها حك حبرا حيكتم نمارق من غزل
 له القلم الأعلى بشرق و مغرب له الموضوع الأسمى على الكل فى الكل
 فيا سيدا حاز المفاخر و العلا و فاقت حلى الآداب منه على الحلى
 إليك من العبد الحقير تحية لقد نشأت عن خالص الود من خل
 موال يوالى الحب و القرب منكم بظاهر غيب لا يحيد عن الوصل
 فلا زلت محبواً بسايغ نعمه و فضل نعيم وافر وارف الظل
 و دمت لدى الأسفار فى نجح أوبه و جمع لشملى بالمواطن و الأهل
 و خاطبني أيضاً الشيخ سيدي محمد بن سعد الكلشنى بقوله: [بحر الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٦٧

شهر شعبان جاءنا ليهنى بقدم الأستاذ كتر الفضائل
 بهجة الكون روض علم و حلم و هو مغنى اللبيب إن جاء سائل
 بمصاييح فضله قد أضاءت ساحه الجامع الكبير لآمل
 و بمختار لفظه صار يحوى لحديث مسلسل عن أفاضل
 و من الغرب حين وافي لشرق فاق بدر التمام وسط المنازل
 حل منى فى القلب و الطرف لما لاح سعد السعود لى غير آفل

و غدا بالأمان و السعد أرخ أحمد المقرى فى الشام قائل
و قال أيضا شكرا لله تعالى نيته، و بلغه أمنيته: [بحر الطويل]
أتاك دمشق الشام أكرم وارد فقرى به عينا و للحسن شاهدى
و هزى دلالة فى أزاهر روضه معاطف لين كالغصون الأمالد
لك البشر يا عيني ظفرت بأمجد رفيع الذرى من فوق فرق الفراقد
لقد شاع بين الناس واسع فضله فكم قاصد يسعى لنيل الفوائد
من العلم الفرد المفيد الذى له أياذ سمت بالجود تولى لقاصد
و ذاك أبو العباس أحمد من صفت مناهله دوما إلى كل وارد
تراه إذا وافيته متهللا و يبسم حبا فى وجوه الأماجد
إمام سما قدرا على النجم رفعة أرى وصفه فى بيت نظم مشاهد
لديه ارتفاع المشتري و سعوده و سطوة بهرام و ظرف عطارذ
شهدت بأن الله أولاه منحة بنقل حديث فى جميع المساجد
و مذ حل فى وادى دمشق ركابه و سؤدده وافى بأعدل شاهد
حوى كل إفضال و كل فضيلة بها يهتدى حقا لنيل المقاصد
و ما ذا عسى فى مدحه أنا قائل و لو جئت فيه مطنبا بالقصائد
إذا رمت أن تلقى نظيرا لمثله عجزت و رب الناس عن عد واحد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٦٨
فكم من معان حازها بيانه و فكرته قد قيدت للشوارد
و منطقها حاوى الشفا بجواهر صحاح بها يزدان عقد القلائد
من الغرب وافى نحو شرق فأشرق شمس علوم أسفرت عن محامد
فناديته يا سيدى من بفضلها تواترت الأخبار عن غير واحد
عسى عطفه منكم على بنظرة فأنت لموصول الجدا خير عائد
و أنت على ريب الزمان مساعدى و أنت يمينى للحسود و ساعدى
فلا زلت تولى كل من هو آمل لبغيته من صادر ثم وارد
و تبقى مدى الأيام فى المجد رافلا بثوب الهنا تكفى شرور الحواسد
و هاك عروسا تجتلى فى حلتها إليك أتت فى زى عذراء ناهد
تهنى بعيد الفطر من بعد صومكم بخير جزيل من لذيذ الموائد
و ترجو جميل الستر إن هى مثلت بحضرتك العلياء يا خير ماجد
و عش فى أمان الله بالعز دائما مدى الدهر ما سح الحيا فى الفدافد
و ما دارت الأفلاك من نحو قطبها و ما بزغت شمس الضحى للمشاهد
و قال أيضا زاده الله تعالى من فضله: [بحر مخلع البسيط]
ظبى بوسط الفؤاد قائل أعجز بالوصف كل قائل
ظبى بأجفانه سباني و سحرها ينتمى لبابل

يرمى بسهم اللحاظ لما يرنو فيصمى الفؤاد عاجل
 قد فتن العقل مذ تجنّى عليّ حتى غدوت ذاهل
 له قوام كخوط بان أو كالثقنا الشمهري عادل
 بدر بدا كامل المعانى فى القلب و الطرف عاد نازل
 قد أسر القلب فى هواه بقيد حسن و فرع سابل
 و ما بقى منه لى خلاص سوى مديحى رضا الأفاضل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٦٩
 أعنى به المقرئى من قد سما على البدر فى المنازل
 أحمد مولى له أياذ كالغيث يغنى لكل سائل
 علامة حاز كل فضل سبقا و من بالعلوم عامل
 من قد نشا فى العلوم طرّا و حاز علم البيان الكامل
 طويل باع بسيط فضل مديد جود لكل آمل
 و وافر العقل راح يهدى سريع فضل لكل فاضل
 و جامع العلم فى ابتهاج بمنطق فى الأصول حافل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٣؛ ص ٦٩
 و هكذا فى الكلام مهما أفاده فى الدروس شامل
 يروى صحيح الحديث دأبا بالسند الواصل الدلائل
 و كم علوم أفاد من قد أتاه فى مشكل المسائل
 و حل إبهام كل شكل من فن وفق إلى الوسائل
 و غاص فى لجة المعانى و استخرج الدر فى المحافل
 و فى فنون البديع أضحى جناسه قد حوى رسائل
 و كم دليل أقام لما برهانه أبهت المعازل
 إن كان وافى لنا أخيرا فهو الذى فاخر الأوائل
 بحر محيط يفيض منه على رياض بكل ساحل
 وافى من المغرب نحو شرق يجوب من فوق متن بازل
 فى مهمه صحصح مهول و حزنه كم به غوائل
 و حتّ فيه المسير حتى خلفه من وراء كاهل
 و جاء باليمن فى أمان و صحته الجسم و الشمائل
 و حل فى الشام عند قوم من أكرم الناس فى القبائل
 ذاك ابن شاهين ذو المعالى رب الندى للألوف باذل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٧٠
 كأنه الشمس جاء يهدى للبدر نورا و ليس آفل
 بل كان غيثا لهم و كانوا روضا أريضا لشكر وابل

فبجلوه و عظموه و اذخروا عاجلا لآجل

جزاهم الله كل خير و صانهم من جدال جاهل

و أحمد دام في أمان المقرئ الرضا المعامل

لربه في دجى الليالى و يرشد الناس فى الأصائل

لا زال فى نعمه و خير و فى أمان يعود عاجل

و خاطبنى الأديب الفاضل، الشيخ أبو بكر العمري شيخ الأدباء بدمشق، حفظه الله تعالى بقوله: [بحر الرجز]

تاهت تلمسان على مدن الدنيا بعالم فى العالمين يحمد

المقرئ أحمد رب الحجا الكامل البحر الخضم المزبد

مالك هذا العصر شافعيه أحمده نعمانه المسدد

مذ حل مصر أذعنت أعلامها لفضله و بجلوا و مجدوا

و فى دمشق الشام دام سعدا كان له بها المقام الأسعد

العلماء أجمعوا جميعهم على معاليه التى لا تجحد

أقام شهرا أو يزيد و انثنى و فى الحشا منه المقيم المقعد

سالت على فراقه دموعنا و فى القلوب زفرة لا تخمد

لو قيل من يحمد فى تاريخه ما قلت إلا المقرئ أحمد

لا برحت أوقاته مفيدة ما صاح فوق عوده مغرّد

قلت: و ذكرى لكلام أعيان دمشق- حفظهم الله تعالى!- و مديحهم لى، ليس علم الله لاعتقادي فى نفسى فضلا، بل أتيت به دلالة

على فضلهم الباهر، حيث عاملوا مثلى من القاصرين بهذه المعاملة، و كسوه حلل تلك المجاملة، مع كونى لست فى الحقيقة له بأهل،

لما أنا عليه من الخطأ و الخطل و الجهل.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٧١

و لقد خاطبت من مصر مفتى الشام صدر الأكابر، وارث المجد كابرنا عن كابر، ساحب أذيال الكمال، صاحب الخلال المبلغة الآمال،

مولانا شيخ الإسلام الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى، بكتاب لم يحضرنى منه الآن غير بيتين فى أوله، و هما: [بحر السريع]

يا حادى الأظعان نحو الشّام بلغ تحياتى لتلك الفتام

و ابدأ بمفتيها العمادى الرّضا دام به شمل الهنا فى الثّام

فأجانبى بما نصه: [السريع]

إلى أهالى مصر أهدى السلام مبتدئا بالمقرئ الهمام

من ضاع نشر العلم من عرفه و لم يضع منه الوفا للذّمام

أهدى تحف التحية، إلى حضرته العلية، و ذاته ذات الفضائل السنية الأحمدية، التى من صحبها لم يزل موصولا بطرائف الصّيلات و

العوائد، الأوحديّة الجامعة التى لها منها عليها شواهد: [بحر السريع]

و ليس لله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

فيا من جذب قلوب أهل عصره إلى مصره، و أعجز عن وصف فضله كلّ بليغ و لو وصل إلى النثرة بنثره، أو إلى الشّعري بشعره، و من

زرع حبّ حبه فى القلوب فاستوى على سوقه، و كاد كل قلب يذوب بعد بعده من حر شوقه، و ظهرت شمس فضله من الجانب الغربى

فبهرت بالشروق، و أصبح كل صب و هو إلى بهجتها مشوق، زار الشام ثم ما سلّم حتى ودّع، بعد أن فرع بروضها أفنان الفنون فأبدع،

و أسهم لكل من أهلها نصيبا من وداده، فكان أوفرهم سهما هذا المحب الذي رفع بصحته سمك عماده، و علق بمحبته شغاف فؤاده، فإنه دنا من قلبه فتدلى، و فاز من حبه بالسهم المعلى، أدام الله تعالى لك البقاء، و أحسن لنا بك الملتقى، و من علينا منك بنعمة قرب اللقاء، آمين بمنه و يمنه، هذا، و قد وصل من ذلك الجنب الوفي، كتاب كريم هو اللطف الخفي، بل هو من عزيز مصر القميص اليوسفي، جاء به البشير ذو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٧٢

الفضل السني، الخل الأعر الأجل التاج المحاسني، مشتتلا على عقود الجواهر، بل النجوم الزواهر، بل الآيات البواهر، تكاد تقطر البلاغة من حواشيه، و يشهد بالوصول إلى طرفها الأعلى لموشيه، فليت شعري بأى لسان، أثنى على فصوله الحسان، العالیه الشان، الغالیه الأثمان، التي هي أنفس من قلائد العقيان، و أبدع من مقامات بديع الزمان، فطفقت أرتع من معانيها في أمتع رياض، و أقطع بأن في منشئها اعتياضا لهذا العصر عن عياض: [بحر البسيط]

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمتها عقود مدح فلا أرضى لها كلمى

و لا سيما فصل التعزية و التسليه، المشتتل على عقد التخليه بل عقود التحليه، لتلميذكم الولد إبراهيم، فإنه كان له كرقية السليم، بعد أن كاد يهيم، فجاء و لله دره في أحسن المحال، و وقع الموقع حتى كأن الولد نشط ببركته من عقال: [بحر الرمل]

و إذا الشيء أتى في وقته زاد في العين جمالا لجمال

فجزاكم الله تعالى عنا أحسن الجزاء، ثم أحسن لكم جميل الجزاء، فيمن ذكرتكم من كريمتى الأصل و الفرع، و أبقى منكم ما كنا في الأرض من به للناس أعم النفع، و أما من كان وليي و سمى و منجدي، الشهيد السعيد المرحوم الشيخ عبد الرحمن المرشدي، فإنها و إن أصابت منا و منكم الأخوين، فقد عمّت الحرمين، بل طمت الثقلين، و لقد عدّ مصابه في الإسلام ثلماً، و فقد به في حرم الله تعالى من كان يدعى للملئة، و لم يبق بعده إلا- من يدعى إذا يحاس الحيس، و استحق أن ينشد في حقه و إن لم يقس به قيس: [بحر الطويل]

و ما كان قيس هللكه هلك واحد و لكنه بنيان قوم تهدهما

فالله تعالى يرفع درجاته في علبين، و يبقى وجودكم للإسلام و المسلمين، و تلامذتكم الأولاد، يرجون من بركات أدعيتكم أعظم الأمداد، و يهدون أكمل التحية، إلى حضرتكم العلية، و نبلغكم دعاء صاحب السعادة، أدام الله تعالى إسعادكم و إسعاده، و نحن من صحبته

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٧٣

الشهية، في رياض فنون أدبية، أبهاها لمعات محاضرة في ذكر شمائلكم الجميلة، تنور المجالس، و أشهاها نسيمات محاوره بنشر فضائلكم الجليلة، تعطر المجالس، و سلام جملة الأصحاب من أهل الشام، و عامة الخواص و العام، و الدعاء على الدوام- المخلص الداعي عبد الرحمن العمادى مفتى الحنفية، بدمشق المحمية.

و وردت على مع المكتوب المذكور مكاتبات لجماعة من أعيان الشام حفظهم الله تعالى؛ فمنها من الصديق الحميم، الرافل في حلل المجد الصميم، الخطيب، الأديب، سيدى الشيخ المحاسنى يحيى، أسمى الله تعالى قدره في الدين و الدنيا، كتابان نص أولهما: باسمه سبحانه:

[بحر الطويل]

لئن حكمت أيدي النوى أو تعرّضت عوارض بين بيننا و تفرّق

فطرفى إلى رؤياكم متشوّف و قلبى إلى لقياكم متشوّق

يقبل الأرض الشريفه لا زالت مركزا لدائرة التهاني، و قطبا لفللك تجرى المجرة في حجرته على الدقائق و الثواني، و لا برحت ألسن

البلاغة عن تمييز براعة يراعة حامى حماها معربة، و بلابل الآداب على الأغصان فى رياض فضله بمثنائى الثناء صادحة و بألحان سجعتها مطربة: [بحر الكامل]

أرض بها فللك المعالى دائر و الشمس تشرق و البدور تحوم
و لها من الزهر المنضد أنجم و لها على أفق السماء نجوم

عمر الله تعالى بالمسرات محلها، و عم بالخيرات من حلها، و يتدى بسلام يخبر عن صحيح وده السالم، و مزيد غرام يؤكد حبه الذى هو للولاء حازم، و ينعت شوقا يحرك ما سكن صميم الضمير، من صدق حب سلم جمعه من التكسير، و يؤكد السلام بتوايح المدح و الثناء، و يعرب عن محبة مشيدة البناء، و ينهى أن السبب فى تسطيرها، و الباعث على تحريرها، أشواق أضرم نارها فى الفؤاد، و محبة لو تجسمت لمألت البلاد، و أقول: [بحر البسيط]

شوقى لذاتك شوق لا أزال أرى أجده يا إمام العصر أقدمه
ولى فم كاد ذكر الشوق يحرقه لو كان من قال نار أحرقت فمه

هذا و إن تفضل المولى بالسؤال عن حال هذا العبد فهو باق على ما تشهد به الذات
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٧٤

[اللطفية] العلية، من صدق المحبة و رق العبودية، و لم يزل يزين أفق المجالس بذكركم، و لا يقتطف عند المحاضرة إلا من زهركم، و لم ينس حلاوة العيش فى تلك الأوقات التى مضت فى خدمتكم المحروسة بعناية [الملك] المتعال، و ليالى الأنس التى قيل فيها، و كانت بالعراق لنا ليال: [بحر البسيط]

واها لما من ليال هل تعود كما كانت، و أى ليال عاد ماضيها؟
لم أنسها مذ نأت عنى بيهجتها و أى أنس من الأيام ينسيها؟

فنسأل الله تعالى أن يمن بالتلاق، و يفصل مانعة الجمع بطى شقة الفراق، إن ذلك على الله يسير، و هو على جمعهم إذا يشاء قدير، و بعد، فالمعروض على مسامع سيدى الكريمة، لا زالت من كل سوء سليمة، أنه وصلنا مكتوبكم الكريم، صحة العم المحب القديم، فحصل لهذا العبد به جبر عظيم، و أنس جسيم، كما شهد بذلك السميع العليم، فعزمت على ترك الإجابة، لعدم الإجابة، و متى تبلغ الألفاظ المذمومة ما بلغته الألفاظ المقرية؟

و أين يصل صاحب الزمر كما قيل إلى الدقات الخليلية؟ و لكننى خشيت من ترك الإجابة توهم نقض ما أبنيه من رق العبودية و صحة الوداد، و من انقطاع برق شيخى الذى هو لبيت شرفى العمدة و العماد، فلزم من ذلك أن كتبت لجنابه الشريف الجواب، و إن كان خطؤه أكثر من الصواب، و أرسلته قبل ذلك بعشرة أيام، و مكتوب هذا العبد صحبته مكتوبان: أحدهما من محبكم شيخ الإسلام المفتى العمادى، و الآخر من محبكم أحمد أفندى الشاهينى، و هما و بقيه أكابر البلدة و أعيانها يبلغونكم السلام التام، و لا تؤاخذونا فى هذا المكتوب فإنى كتبتة عجلا، و من جنابكم خجلا، دام خيركم على الدوام، إلى قيام الساعة و ساعة القيام، و حرره يوم الاثنين ١١ من جمادى الثانية سنة ١٠٣٨، الفقير الداعى يحيى المحاسنى، انتهى.

و نص الكتاب الثانى من المذكور أسماء الله باسمه سبحانه: مخلصك الذى محض لك و داده، و محبك الذى أسلم لمحبتك قياده، بل عبدك الذى لا يروم الخروج عن رقك،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٧٥

و تلميذك الذى لم يزل مغترفا من فيض علومك معترفا بحقك، من أسكنك لبه، و أخلص لك حبه، و أتخذك من بين الأنام ذخرا نافعا، و كهفا مانعا، و مولى رفيعا، و شهابا ساطعا، و تشبث بأسباب علومك و تمسك، يهدى إليك سلاما كأنما تعطر بمسك ثنائك و تمسك، و اكتسب من لطف طبعك الرقة، و استعار من سنا وجهك حلة مستحقة، و تحية لم يكن مناه إلا أن تكون بالموافقة، و

المحاضرة و المشافهة، على أن فواده لم يبرح لك سكنا، و أحشاه لك موطنا، و ييدى دعوات يحقق الفضل أنها من القضايا المنتجة، و أن أبواب القبول لها غير مرتجة، مقبلا أيديك التي و كفت بوابل جودها، و كفت المهم بنتائج سعودها، و حاكت الوشى المرقوم، و سلكت الدر المنظوم، فهذا يرفل فى حللها، و هذا يتحلى بعقودها: [بحر الكامل]

فهى التى تعنو لرقمها و يغار منها الدر فى تنزيدها

و يحار أرباب البيان لنظمها فهم بحضرتها كبعض عبيدها

متمسكا من ولائك بوثق العرا، متمسكا من ثنائك الذى لا يزال الكون منه معبرا، متشوقا للقائك الذى بالمهيج يستام و بالنفوس يشترى، متشوقا إلى ما يرد من أنبائك التى تسرّ خبرا، و تحمد أثرا، أعنى بذلك المولى الذى أقام بفناء الفسطاط مخيما، و انتجع حماه رائد الفضل ميمما، و شدت لفضائله الرّحال، و وقفت عندها بل دونها فحول الرجال، و طلعت شمس علومه فى سماء القاهرة، فاخفت نجوم فضلائها و الأشعة باهرة: [بحر الطويل]

هو الشمس علما و الجميع كواكب إذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

فهو العالم الذى سرى ذكره فى الآفاق، مسير الصّيبا جاذب ذيلها النسيم الخفاق، الذى أطلع شمس التحقيق من أفق بيانه، و أظهر بدر التدقيق من تيبانه، فلماذا عقدت عليه الخناصر بين علماء عصره، و انقطعت إليه الأواصر من فضلاء مصره، فلا يضاويه فى ذلك أحد فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٧٦

زمانه، و ينسق ما نسقه من دره و مرجانه، فهو المعول عليه فى مشكلات العلوم، معقولها و منقولها و المنطوق و المفهوم، الذى لم تسمح بمثله الأزمان و العصور، و لم يأت بنظيره تتابع الأعصار و الدهور، من عجز لسان القلم، عن التصريح باسمه الشريف فى هذا الرقم، لا- زالت المدارس مشرقة بإلقائه فيها الدروس، و لا برحت البقع عامرة بوجوده بعد الدروس، ما سطرت آيات الأشواق فى الصحائف و الطروس، و أرسلت من تلميذ إلى أستاذ بسبب نسبه إليه فحصل على المطلوب من شرف النفوس، هذا، و الذى ييدى لحضرتكم، و ينهى لطلعتكم، أن الراقم لهذه الصحيفة، المشرفة ببعض أوصافكم اللطيفة، المرسله لساحة فضائلكم المنيفة، هو تلميذكم من تشرف بدرسكم، و افتخر بإجازتكم، ييدى لكم تلهفه لنيان أشواقه التى التهبت، و تأسفه على الأيام السالفة مذهبة فى خدمتكم لا ذهب، و توجعه لهذه الأزمان التى استرجعت بالبعد عنه من ذمته ما وهبت، و تطلعه إلى ما يشنّف به الأسماع من فضائله التى سلبت العقول و انتهبت، فلم يزل يسأل الرواة عنها، ليلتقط منها، و قد تحقق أن فرائدها لا يلفى لها نظيرا و لا يدرك لها كنها، و كيف لا و منها يتعلم الفاضل اللبيب، و إليها يفتقر السعيد و يتودد حبيب، و عليها يعتمد ابن العميد، و لم تنفك راقية فى درج المزيد، و عبد الحميد عبد الحميد، و علم شيخى محيط بصدق محبتى و إخلاصها، و شدة حرصى على تحصيل فوائد مولانا و اقتناصها، و أننى لا- أزال ذاكرا لمحاسنه التى ليست فى غيره مجموعة، و متطفلا- على ثمار أفكاره التى هى لا- مقطوعة و لا ممنوعة، و خاطره الشريف على الحقيقة يشهد بذلك، فلا يحتاج هذا العبد إلى بينة لدى مولانا الأستاذ المالك، و حقيق على من فارق تلك الأخلاق الغرّ، و الشمائل الرّهر، و العشرة المعشوقة، و السجيا الموقّعة، و الفضائل الموفورة، و المآثر المشهورة، أن يشق جيب الصبر، و يجعل النار حشو الصدر: [بحر الطويل]

و إنى لتعرونى لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

و لو ملكت مرادى، لما اخضرّ إلا فى ذراه مرادى، بل لو دار الفلك على اختيارى،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٧٧

لما نضوت إلا عنده ليلى و نهارى: [بحر الوافر]

و لو نعطى الخيار لما افترقنا و لكن لا خيار مع الزّمان

[بحر الطويل]

و تحت ضلوعى لوعه لو كتمتها لخفت على الأحشاء أن تتضرما

و لو بحت فى كتبى بما فى جوانحى لأنطقتها نارا و أبكيتها دما

و أنا لا أقترح على الدهر إلا لقياه، و لا أقطع حاضر الوقت إلا بذكراه، و ما أعد أيامى التى سعدت فيها بلقائه إلا مفاتيح السرور، و مطالع السعود و الحبور، و لست أعيبها إلا بقله البقاء، و سرعه الانقضاء، و كذلك عمر السرور قصير، و الدهر بتفريق الأعباء بصير، و

ربما نضر العود بعد الذبول، و طلع النجم بعد الأفول، و أدبيل الوصال من الفراق، و عاد العيش المرّ حلو المذاق: [بحر الطويل]

و ما أنا من أن يجمع الله شملنا كأحسن ما كنا عليه بآيس

فأما الآن فلا أزجى الوقت إلا بقلب شديد الاضطراب، و جوانح لا تفيق من التوقد و الالتهاب، و كيف لا و حالى حال من ودّع صفو الحياة يوم وداعه، و انقطع عنه الأنس ساعة انقطاعه، و طوى الشوق جوانحه على غليل، و حل أضلاعه على كمد دخيل، و أغرى بى فلزمنى و لزمته، و ألف بينى و بين الوجد فألفنى و ألفتة، فلا أسلك للعزاء طريقا إلا وجدته مسدودا، و لا أقصد للصبر بابا إلا ألفتته مردودا، و لا- أعد اليوم بعد فراق سيدى إلا شهرا، و الشهر دون لقائه إلا دهرا، و لست بناس أيامنا التى هى تاريخ زمانى، و عنوان الأمانى، إذ ماء الاجتماع عذب، و غصن الازدياد رطب، و أعين الحواسد راقدة، و أسواق صروف الدهر كاسدة، فما كانت إلا لمحّة الطّرف، و وثبة الطّرف، و لمعة البرق الخاطف، و زورة الخيال الطائف، و ما تذكر تلك الأيام فى أكناف فضائله و نضرتها، و رياض علومه فى ظله و خضرتها، إلا- أوجب على عينه أن تدمع، و انثنى على كبده خشية أن تصدّع، ثم لما ورد على عبدكم مكتوبكم الكريم، صحبة حضرة العم المحب القديم، فكان كالعافية للصب السقيم، كما يشهد بذلك السميع العليم، فوقف له منتصبا، و خفف عنه برؤيته و صبا و ذكر أيام الجمع فهام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٧٨

وجدا بها و صبا، فاستخفه الإعجاب طربا، و شاهد صدوره فقال: هكذا تكون الرياش، و عاين لطفه فقال: هكذا تكون الصبا، و قبل كل حرف منه و وضعه على الراس، و حصل له بعد ترقبه غاية المجاورة و الاستئناس، فعند ذلك أنشد قول بعض الناس: [بحر الكامل]

ورد الكتاب فكان عند وروده عيدا، و لكن هيج الأشواقا

ألفاته قد عانقت صاداته كعناق مشتاق يخاف فراقا

فكأنما النونات فيه أهله و كأنما صاداته أحداقا

فعسى الإله كما قضى بفراقنا يقضى لنا يوما بأن نتلاقى

فجعلته نصب عيني أتسلى به عند استيلاء الشوق على قلبى، و أطفئ بتأمله نيران وجدى إذا التهبت فى صدرى، و سررت به سرور من وجد ضالة عمره، و أدرك جميع أمانيه من دهره، و أنست بتصحفه أنس الرياض بانهلال القطر، و السارى بطلوع البدر، و المسافر بتعريسة الفجر، و كيف لا و قد أصبح فى وجه الأمانى خدّا، بل فى خدّها وردا، و صار حسنة من حسنات دهرى، لا يمحو مرور الأيام موضعها من صدرى، و طلعت طواع السرور و كانت آفلة، و اهترت غصون الفرح و كانت ذابله، لا سيما لا تضمن من البشارة السارة بصحة المولى و سلامته، و حلوله فى منازل عزه و كرامته، و موعده الكريم بعوده إلى دمشق الشام، كساها ثوب الفخام مرة ثانية، و يتم افتخارها على غيرها فلا تزال مفاخرة مباهية، نسأل الله تعالى أن يحقق ذلك، و أن يسلك بسيدى أحسن المسالك، إنه سبحانه و تعالى سامع الأصوات، و مجيب الدعوات، فإن عودكم يا سيدى و الله مرة أخرى هو الحياة الشهيّة، و الأمانة التى ترتجى النفس بلوغها قبل المنيّة، و ما أنا من الله بآيس من أن يتيح سببا، يعيد المزار مقتربا، و الشمل مجتمعا، و حبل اليبين منقطععا، ثم ليعرض على مسامع سيدى الكريمة، لا- زالت من كل سوء سليمة، أنا أوصلنا مكاتيبكم كما أمرتم لأربابها، لا سيما مكتوب شيخ الإسلام سيدى عبد الرحمن أفندى المفتى بالشام، و مكتوب المولى الأعظم، و الهمام الأفخم، أحمد أفندى الشاهينى، أعزه الله تعالى! فإنه وقع عنده

الموقع العظيم، وحصل له به السرور المقيم، كما يدل على ذلك جوابه الكريم، المحفوف بالتعظيم والتكريم، غير أنه قد ساءنا ما اتصل بمولانا من نفوذ قضاء الله تعالى الذي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٧٩

يعم، في البنت والأم، فجعل الله تعالى في عمر سيدي البركة! وكان له في السكون والحركة! وما ذا عسى أن يذكر لجنابكم في أمر التعزية ويقرر، ومنكم يستفاد مثله و عنكم يحزر، والأستاذ أدري بصروف الدهر وتفنتها، وأحوال الزمان وتلونها، وأعرف بأن الدنيا دار لها بسكانها مدار، وأن الحياة ثوب مستعار، ونعيم الدنيا وبؤسها ما لواحد منهما فيها قرار، وأن لكل طالع أفولا، ولكل ناصر ذبولا، و وراء كل ضياء ظلاما، ولكل عروة من عرا الدنيا انفصاما، فهو محل لأن يقوى في العزاء عزائمه، ويصغر في عينه نوائب الدهر وعظائمه، ويغنيه عن عظة تجد له مقالا، وتحل عن عقله عقالا، وهو يتلقى المصائب، بفكر ثاقب، وفهم صائب، وصبر يقصر عنه الطود الأشم، وعزم ينفلق دونه الصخر الأصم، وحلم يرجح إذا طاشت الأحلام، وقدم تثبت إذا زلت الأقدام، ومدّ المقال في ضرب الأمثال، إلى جنابكم الشريف نوع من تجاوز حدّ الإجلال، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذه المصيبة خاتمة، ولا يريه بعدها إلا دولة ونعمة دائمة، وأن يحرسه من غير الليل والنهار، ويجعله وارث الأعمار بجاه نبينا محمد المختار، صلى الله عليه وسلم على آله وصحبه الأطهار، بمنه وكرمه. ثم أبلغ سيدي - أطال الله عمره، وشرح صدره، ونشر بالخير ذكره! - السلام التام، المقرون بألف تحية وإكرام، من أهل البلدة جميعا، لا سيما من مفتيها العمادي، حرس الله ذاته التي هي منهل للصادي والغادي، وأولاده الكرام، المستحقين للإعزاز والإكرام، ومن كبيرها، ومدبرها ومشيرها، أحمد أفندي الشاهيني، أعزه الله تعالى بعزه، وجعله تحت كنفه و حرزه! ومن خطيبها مولانا الشيخ أحمد البهنسي، ونقيب أشرافها مولانا السيد كمال الدين، وجميع المحيين الداعين لذلكم الجنب، والتمسكين بتراب تلكم الأعتاب، ومن الوالد والعم، والله يا سيدي إنه ناشر لواء الثناء والمحامد، وداع لذلكم الجنب الكاسب للمفاخر والمحامل، و حضرة شيخنا شيخ الإسلام، وبركة الشام، مولانا وسيدنا الشيخ عمر القاري، أبقى الله تعالى وجوده! وضاعف علينا إحسانه وجوده! وأولاده يسلمون عليكم السلام الوافر، وينهون لكم الشوق المتكاثر، وحزر في ٢ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨، المحب الداعي يحيى المحاسنى، انتهى.

و كتب إليّ عمّه الفاضل الأسمى ما صورته: باسمه سبحانه وتعالى: [بحر الطويل]

و إنى لمشتاق إلى وجهك الذي تهلله أهدى السناء إلى البدر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٨٠

و أخلاقك الغر اللواتي كأنها تساقط أنداء الغمام على الزهر

سيدي الذي عبوديتي إليه مصروفة، ودواعي محبتي لديه موفورة و عليه موقوفة، علم الله سبحانه أنني لا أزجى أوقاتي إلا بذكراه، و لا أرجى اليمن من ساعاتي إلا باستنشاق نسيم رياه، و أنني إلى طلعت أشوق من الصادي إلى ماء صداء، و من كثير عزة إلى نوء تيماء.

[بحر الوافر]

يرتحنى إليك الشوق حتى أميل من اليمين إلى الشمال

و يأخذني لذكراك اهتزاز كما نشط الأسير من العقال

ولى على صدق هذه الدعوى من نباهه لبه شاهد معدّل، و من نزاهه قلبه مزكّ غير ملوم و لا معدّل، كيف لا و مطالع البيان مشرقها من أفلاك فهومه، و جواهر التبيان مقذفها من بحار علومه، و هو بحر العلم الذي لا يقتحم بسفن الأفكار، و جبل الحلم الذي رسخ بالهيبه

و الوقار: [بحر الطويل]

لواقسمت أخلاقه الغر لم تجد معييا و لا خلقا من الناس عابئا

و ما ذا عسى أصف به مولانا و قد عجز عن وصفه لسان كل واصف، و حار في بث فضائله أرباب المعارف و العوارف: [بحر

[المجتث]

فلو نظمت الثريا والشعرين قريضا

و كاهل الأرض ضربا وشعب رضوى عروضاً

وصفت للدرّ ضداً وللهواء نقيضا

ولكنني أقول: الثناء منجح أنى سلك، والسخرى جوده بما ملك، وإن لم يكن خمر فخل، وإن لم يصبها وابل فطل، هذا، وقد أوصلنا مكاتيبكم الشريفة لأربابها، فكانت لديهم أكرم قادم، وأشرف منادم، وقد تداولها الأفاضل وشهدوا أنها من بنات الأفكار، التي لم يكشف عنها لغير سيدي حجب الأستار، وقد وجدنا كلا منهم ملتها بجمرات الشوق، متجاوزا حد الصباة والتوق، ليس لهم شغل إلا ذكر أوصافكم الحميدة، وبث ما أبدىتموه بدروسكم المفيدة، وما منهم إلا ويرجو بلّ الصدى ونقع الظمأ برؤية ذلك المحيا، والتملّى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٨١

بتلك الطلعة العليا، وإن سألت سيدي عن أخبار دمشق المحروسة، دامت ربوعها المأنوسة، فهي ولله الحمد منتظمة الأحوال، أمنها الله من الشرور والأهوال، ولم يتجدد من الأخبار ما نعلم به ذلكم الجنب، لا زال ملحوظا بعين عناية رب الأرباب، وأنا أسأل الله تعالى أن يصون جوهر تلك الذات من عوارض الحدثان، وأن يحمي تلك الحضرة العلية من طوارق حكم الدوران. [بحر البسيط]

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

وهذا دعاء للبرية شامل - العبد الداعي، بجميع البواعث والدواعي، تاج الدين المحاسني، عفا الله تعالى عنه! انتهى.

وبالهامش ما صورته: و كاتب الأحرف العبد الداعي محمد المحاسني يقبل يدكم الشريفة، ويخصكم بالسلام الوافر، وبيت لديكم الشوق المتكاثر، غير أنه قد نازعته نفسه في ترك المعاتبه، لسيدة الذي لم يسعد عبده منه بالمكاتبة، على أنها مكاتبه تحكم عقد العبودية، ولا تخرج رقبته من طوق الرقبة، والمطلوب أن يخصه سيده و شيخه بدعواته المستطابه، التي لا شك أنها مستجابة، كما هو في سائر أوقاته، وحسبان ساعاته، ودمتم، وحرر في رابع جمادى الثانية سنة ١٠٣٨، انتهى.

و كتب سيدي التاج المذكور لي ضمن رسالته من بعض الأصحاب ما صورته: [بحر المجتث]

يا فاضل العصر يا من للشرق والغرب شرف

يا أحمد الناس طرا في كل ما يتصرف

يهدى إليك محب دموعه تتذرف

شوقا وودا قديما منكرا يتعرف

ولنختم مخاطبات أهل دمشق لي بما كتبه لي أوحد الموالى الكرام، السرى، عين الأعيان، صدر أرباب البلاغة والبيان، مولانا أحمد الشاهيني السابق الذكر في هذا التأليف مرات، ضاعف الله تعالى لديه أنواع المبرات والمسرات، آمين، ليكون مسكا للختام، إذ محاسنه ليس بها خفاء ولا لها اكتتام، و نص محل الحاجة منه هو الفياض: [بحر السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٨٢

يا سيدا أحرز خصل العلا بالبأس والرأى الشديد السديد

و من على أهل النهى قد علا بطبعه السامى المجيد المجيد

و من يزين الدهر منه حلى قول نظيم كالفريد النضيد

و من صدا فكرى منه جلا نظم له القلب عميد حميد

و من له من يوم قالوا «بلى» فى مهجتي حبّ جديد مزيد

و من غدا بين جميع الملا بالعلم و الحلم الوحيد الفريد

أفديك بالنفس مع الأهل لا بالمال، و المال عتيد عديد

أقسم بالله الذى علت كلمته، و عمت رحمته، و سحرت القلوب و العقول رأفته و محبته و جعل الأرواح جنودا مجتدة فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف، أننى أشوق إلى تقبيل أقدام شيخى من الظمان للماء، و من السارى لطلعة ذكاء، و ليس تقبيل الأقدام، مما يدفع عن المشوق الأوام، و قد كانت الحال هذه و ليس بينى و بينه حاجز إلا الجدار، إذ كان حفظه الله تعالى جار الدار، فكيف الآن بالغرام، و هو حفظه الله تعالى بمصر و أنا بالشام، و ليس غيبة مولانا الأستاذ عنا، إلا غيبة العافية عن الجسم المضنى، بل غيبة الروح، عن الجسد البالى المطروح، و لا العيشة بعد فراقه، و هجر أحبابه و رفاقه، إلا- كما قال بديع الزمان- عيشة الحوت فى البر، و الثلج فى الحر، و ليس الشوق إليه بشوق، و إنما هو العظم الكسير، و النزع العسير، و السم يسرى و يسير، و ليس الصبر عنه بصبر، و إنما هو الصاب و المصاب، و الكبد فى يد القصاب، و النفس رهينة الأوصاب، و الحين الحائن و أين يصاب، و لا أعرف كيف أصف شرف الوقت الذى ورد فيه كتاب شيخى بخطه، مزينا بضبطه، بلى، قد كان شرف عطار، حتى اجتمع من أنواع البلاغة عندى كل شارد، و أما خطه فكما قال الصاحب ابن عباد: أهذا خط قابوس، أم جناح الطاووس؟ أو كما قال أبو الطيب: [بحر الكامل]

من خطه فى كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٨٣

و أنا أقول ما هو أبداع و أبرع، و فى هذا الباب أنفع و أجمع: بل هو خط الأمان من الزمان، و البراءة من طوارق الحداث، و الحرز الحريز، و الكلام الحر الإبريز، و الجوهر النفيس العزيز، و أما الكتاب نفسه فقد حسدنى عليه إخوانى، و استبشر به أهلى و خلانى، و كان تقبيلى لأماله، أكثر من نظرى فيه، شوقا إلى تقبيل يد و شسته و حشته، و اعتيادا للثم أنامل جسته و مسرته، و أما اليراعة، فلا شك أنها ينبوع البراعة، حتى جرى من سحر البلاغة منها ما جرى.

[بحر المتقارب]

فجاء الكتاب كسحر العيون بما راح يسبى عقول الورى

و ينادى بإحراز خصل السبق من الثريا إلى الثرى، و لم أر كتابا قبل تكون محاسنه متداخلة مترادفة، و لطائفه و بدائعه متضاعفة مترادفة، و ذلك لأنه سرد من غرر درره الأحاسن، و ورد على يد رأس أحبابنا تاج بنى محاسن: [بحر الطويل]

أولئك قوم أحرزوا الحسن كله فما منهم إلا فتى فاق فى الحسن

و كما قلت فيهم أيضا: [بحر مجزوء الكامل]

فبنو المحاسن بيننا كبنى المنجم فى النجابه

فهم القرابة إن عدت من الأنام هوى القرابه

فيهم محاسن جمه منها الخطابه و الكتابه

ثم لم يكتف سىدى و شيخى بما أنعم به، و أحسن بكتبه، من كتابه المزين بخطه، المبين بضبطه، المسمى بين أهل الوفاء، بكتاب الأصفياء، حتى أضاف إليه كتاب الشفاء، فى بديع الاكتفاء، كأنه لم يرض طبعه الشريف المفرد المستثنى إلا أن تكون حسناته لدى أحبابه مثنى مثنى، حتى كأن مراده بتضعيف هذا الإكرام و الإحسان، تعجيز العبد عن أداء خدمة الحمد بحصر البيان و عقد اللسان، إذ لست ذا لسانين، حتى أؤدى شكر إحسانين، و غاية البليغ فى هذا المضممار الخطير، أن يعترف بالقصور و يلتزم بالتقصير.

و من فصول هذا الكتاب ما نصه: و من باب إدخال السرور على سىدى و شيخى و بركتى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٨٤

خبر المدرسه الداخليه التى تصدى لها ذلك المولى العظيم، و السيد الحكيم، صدر الموالى، و روتق الأيام و الليالى، سىدى و سنى،

و عمادى و معتمدى، الفهامة شيخى أفندى، المعروف بالعلامة، حفظه الله، و وقاه و أبقاه! الذى صدق عليه و على قول الأول: [بحر المنسرح]

ولى صديق ما مسنى عدم مذ وقعت عينه على عدمى
أغنى و أقتنى فما يكلفنى تقبيل كف له و لا قدم
قام بأمرى لما قعدت به و نمت عن حاجتى و لم ينم
و قول الثانى: [مجزوء الوافر]
صديق لى له أدب صداقة مثله نسب
رعى لى فوق ما يرعى و أوجب فوق ما يجب
فلو نقدت خلائقه لبهرج عندها الذهب

و لعمري إنه كذلك قد تصدى لحاجتى فقضاها، و لحجتى فأمضاها، و لم يكن لى فى الروم سواه و سواها، و ما أصنع بالروم، إذا تخلف عنى ما أروم، أبى الله إلا أن ينفعنى ذلك الحر الكريم بنهيه و أمره، و أن يكون بيانى و بنانى مرتبطين بحمده و شكره، و هذه حاجة فى نفسى قضيتها، و أمنيته رضيت بها و أرضيتها، و لله الحمد. و لست أحصى، و لا أستقصى، يا سيدى و مولاي، شوق أخيكم سيدى و مولاي المفتى العمادى، حفظه الله تعالى و إياكم! و قد بلغ به شوقه و غرامه، و تعطشه [و هيامه] و أوامه، أن أفرد الجناب مولانا كتابا، يستجلب مفخرا و جوابا، إذ الشام كما رأيتم عبارة عن وجوده الشريف و السلام، و كذلك أولاده الكرام، تلامذتكم يقبلون الأقدام، و أما محبكم و صديقكم الشيخ البركة شيخ الإسلام مولانا عمر القارى فقد بلغته سلام سيدى، فكان جوابه الدعاء و الثناء، مع العزيمة على أن أبالغ لجنابكم الكريم فى تأديته سلامه، و تبليغ ما يتضمنه من المحبة الخالصة فصيح كلامه، و أما الكريميان ولدكم محمد أفندى و أخوه سيدى أكمل الدين، فهما لتقبيل أقدامكم من المستعدين، و كذلك لا أحصى ما هما عليه من الدعاء و الثناء لجنابكم الكريم العالى، تلميذاكم بل عداكم ولدانا الشيخ يحيى ابن سيدى أبى الصفاء، و ولدنا الشيخ محمد بن سيدى تاج الدين المحاسنيان، و أما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٨٥

عبداكم و تلميذاكم ولدنا الشيخان الداعيان الأخوان الشيخ عبد السلام و القاضى نعمان، فليس لهما وظيفة إلا الدعاء و الثناء، فى كل صبح و مساء، لأن كلا منهما خليفتى، و الاشتغال بالدعاء لسيدى وظيفتى، و لا يقنعان بتقبيل اليدين الكريمتين، و لا بد من تقبيل القدمين المباركتين، و بعد، فلا ينقضى عجبى من بلاغة كتابكم الشريف الوارد لجناب أخيكم المفتى العمادى حفظكم الله تعالى و إياه! و لا- كان من يشناك! و عجبه به أعظم و أكبر، إذ هو- حفظه الله!- بفهم كلام سيدى أحق و أجدر، فلا عدمننا تلك الأنفاس الملكية الفلكية، من كل منكما إذ هى و الله البغية و الأمنية، كما قلت: [بحر الخفيف]

ليس فخرى و لا اعتدادى بدهر غير دهر أراكما من بينه

اللهم اختم هذا الكلام، للقبول التام، بالصلاة على سيدنا محمد و آله الطيبين الطاهرين!

و من فصول هذا الكتاب ما صورته: أطل الله يا سيدى بقاءك! و لا كان من يكره لقاءك! و رعاك بعين عنايته و وفاقك! و أدامك و أبقاك! و ضمن لك جزاء الصبر! و عوضك عن مصابك الخير و الأجر! و لقد كنت عزمت على أن أجعل فى مصاب سيدى بأمه، متعه الله بعمره و علمه! و دفع عنه سورة همه و غمه! قصيدة تكون مرثية، تتضمن تعزية و تسليته، فنظرت فى مرثية أبى الطيب المتنبى لأمه، و اكتفيت بنظمها و نشرها، و عقدها و حلها، و انتخبت قوله منها: [بحر الطويل]

لك الله من مفعوعة بحبيها قتيلة شوق غير مكسبها وصما

و منها:

و لو لم تكونى بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لى أما

لئن لَدَّ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت منى لآنفهم رغما

فقلت: هذه حال مولانا الراغم لأنوف الأعداء، المجدد لأسلافه حمدا و مجدا، القاتل بشوقه لا خطأ و لا عمدا، ثم إنى لما رأيت قوله

فى مرثية أخت سيف الدولة: [بحر الخفيف]

إن يكن صبرى ذى الرزية فضلا تكن الأفضل الأعز الأجلًا

أنت يا فوق أن تعزى عن الأحب اب فوق الذى يعزىك عقلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٨٦

و بألفاظك اهتدى فإذا عزّاك قال الذى له قلت قبلا

قد بلوت الخطوب حلوا و مزا و سلكت الأيام حزنا و سهلا

و قتلت الزمان علما فما يغ رب قولاً و ما يجدد فعلا

قلت: هذه و الله حلى مولانا الأستاذ الذى عرف للزمان فعله، و فهم قوله، قد استعارها أبو الطيب و حلى بها مخدومه سيف الدولة، و

كيف أستطيع إرشاد شيخى لطريق الصبر، و أذكره بالثواب و الأجر، و كيف و أنا الذى استقيت من ديمه، و اهتديت إلى سبيل

المعروف بشيمه، و سلكت جادة البراعة بهداية ألفاظه، و ارتقيت إلى سماء البلاغة برعاية ألقاظه، و هل يكون التلميذ معلما، و هل

يرشد الفرخ قشعما، و كيف يعضد الشبل الأسد، و هو ضعيف المنه و المدد، و من يعلم الثغر الابتسام، و الصدر الالتزام، و يختبر

الحسام، و هو مجرب صمصام، و هل تفتقر الشمس فى الهداية إلى مصباح؟ و هل يحتاج البدر فى سراه إلى دلالة الصباح؟ ذلك مثل

شيخى و مثل من يرشده إلى فلاح أو نجاح، و إنما نأخذ عنه ما ورد فى ذلك من الكتاب و السنة، و نحذو حذوه فى الطريق الموصلة

إلى الجنة، ثم لما وصلت فى هذه القصيدة إلى قول أبى الطيب: [بحر الخفيف]

إن خير الدموع عينا لدمع بعثته رعاية فاستهلا

رأيته قد أبدع فيه كل الإبداع، و نظم ما كاد يجرى الدمع من طريق السماع، فقلت:

إننا لله! و أكثرت الاسترجاع، و قلت فى نفسى: إن ذلك الدمع الذى بعثته رعاية الحقوق، هو دمع شيخى الذى حمى الله قلبه الشفوق

من العقوق، للمصيبة فى الأم، التى حزنها يغم، و مصابها يعم، و كيف لا يعمننا مصابها، و قد كمل للمصيبة كفاها الله بموتها نصابها،

هذا مع فقد السليله الجليله، و الكريمة الخليله و أى دمع لم تبعثه تلك الرعاية؟ و أى نفس لا تتمنى أن تكون لسيدنا من كل ما

يكره و قاية؟ و أى كبد قاسية، لم تكن لأحبها مواسية؟ و أنى يتسنى، للعبد المعنى، تسليه شيخه و هو الصبور الشكور، العارف

بالأمور، العالم بتصاريف الدهور؟ و ما ظننت أن بنانى، يساعدنى على تحرير بيانى، لتعزىه شيخى حفظه الله تعالى فى أصله و فرعه، و

ضرعه و زرعه، و فرعه و نبتة، و أمه و بنته، أما الوالدة الماجدة فإنى إن أمسكت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٨٧

عن بيان كرم أصلها، يسمو بها كرم فرعها و نسلها، فرحم الله تعالى سلفها، و أبقى خلفها، و لا حرم سيدى ثمرة رضاها، و رضى عنها

و أرضاها! و أما المخدرة الصغيرة، فالمصيبة بها كبيرة، إذ العمومه مقريه، و الخؤولة و فائيه، فهى ذات التجارين، و حائزة الفخارين،

كأن سيدى- أعزه الله تعالى!- لم يرض لها كفؤا و مهرا، فاختر القبر أن يكون له صهرا، و خطبة الحمام لا يمكن ردها، و سطوة

الأيام لا استطاع صدها، كما قال أبو الطيب المتنبى أيضا: [بحر الخفيف]

خطبة للحمام ليس لها ردّ و إن كانت المسماة ثكلا

و إذا لم تجد من الناس كفؤا ذات خدر أرادت الموت بعلا

أسأل الله تعالى أن تكون هذه الخطبة قافية الخطوب، و هذا التذب المبرح آخر الندوب، و أن يعوض سيدى عن حبيبه المبرقع المقنع،

حييا معمما تتحرى النجابه منه المصنع، و أن يبده عن ذات الخمار و الخضاب، بمن يصول بالحراب، و يسطو باليراع و يشتغل بالكتاب: [بحر الوافر]

و ما التأنيث لاسم الشمس عيب و لا التذكير فخر للهِلال
و لو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

اللهم يا أرحم الراحمين، إنى أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه و سلم و آله الطيبين الطاهرين، أن تأخذ بيد عبدك شيخى المقرى فى كل وقت و حين، آمين.

و من فصول هذه الكتاب ما صورته: و لما وصلنى سيدى بهديته التى أحسن بها من كتاب الاكتفاء، داخل طبعى الصفاء، و نشطت إلى نظم بيتين فيهما التزام عجيب لم أر مثله، و هو أن يكون اللفظ المكتفى به بمعنى اللفظ المكتفى منه، فإن الاحتفاء و الاحتفال بمعنى الاعتناء، كما أفاده شيخى، فيكون على هذا الاكتفاء و عدمه على حدّ سواء، إذ لو قطع النظر عن لفظ الاحتفال لأغنى عنه لفظ الاحتفاء، مع تسمية النوع فيهما، و هما: [بحر السريع]

إن احتفال المرء بالمرء لا أحبه إلا مع الاكتفاء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٨٨

مبالغات الناس مذمومة فاسلك سبيل القصد فى الاحتفا

و لقد انقطع الثلج أيام الخريف، و كانت الحاجة إليه شديدة بعد غيبة سيدى حفظه الله تعالى عن دمشق، فتذكرت شغف شيخى به، فزاد على فقده غرامى، و فاض عليه تعطشى و أوامى، فجعلت فى ذلك عدة مقاطيع، و أحببت عرضها على سيدى: أولها: [بحر الخفيف]

ثلج يا ثلج يا عظيم الصفات أنت عندى من أعظم الحسنات

ما بياض بدا بوجهك إلا كبياض بدا بوجه الحياة

ثانيها: [بحر الرجز]

قد قلت لما ضلّ عنى رشدى و ما رأيت الثلج يوما عندى

لا تقطع اللهم عن ذا العبد أعظم أسباب الثنا و الحمد

ثالثها: [بحر الخفيف]

ثلج يا ثلج أنت ماء الحياة ضل من قال ضر ذاك لهاتى

ما بياض بدا بوجهك إلا كبياض قد لاح فى المرآة

قد رأى الناس وجههم فى المرايا و أنا فيك شمت وجه حياتى

و ما عللت سيدى هذا التعليل، إلا لأشوقه إلى نسيم دمشق الذى خلفه سيدى حفظه الله عليلا، و هو على الصحة غير عليل، و لم يشف أعزه الله تعالى منه الغليل، و لسيدى الدعاء بطول البقاء و الارتقاء، و هذه أبيات أحدثها العبد فى وصف القهوة، طالبا من سيده أن يغفر خطأه فيها و سهوه: [بحر الرجز]

و قهوة كالعنبر السحيق سوداء مثل مقلّة المعشوق

أت كمسك فائح فتيق شبهتها فى الطعم بالزحيق

تدنى الصديق من هوى الصديق و تربط الود مع الرفيق

فلا عدمت مزجها بريق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٨٩

وما زلت ألهج بما أفادنيه شيخى من أماليه، و أتصفح الدهر الذى جمعته فيه، من أسافله إلى أعاليه، و استشكل على الأحباب و الأصحاب فى أثناء المسامرة، ما أفادنيه سيدى من تسمية المرحوم القاضى التنوخى كتابه «نشوار المحاضرة» حتى ظفرت بأصلها فى القاموس فى مادة «نشر»، فإذا هى عريية محضة، فإنه قال: «و نشورت الدابة نشورا: أبتقت من علفها» و لقد تعجبت من بلاغة هذه التسمية و عدوبتها، و حسن المجاز فيها مع سلاستها و سهولتها، و أحببت عرضها على شيخى حفظه الله تعالى ليفرح لى بين تلامذته كما فرح طبعى به حفظه الله تعالى بين أساتذته، و ليعلم أنى لم أنس ما أفادنيه فى خلال المحاورة، أيام المؤانسة و المجاورة، فو الله إنه سميرى، فى ضميرى، و كليمى، ما بين عظمى و أديمى: [بحر الطويل]

يديرونى عن سالم و أديرهم و جلدة بين العين و الأنف سالم
الطرس طما و ما مضت قصتنا لاذنب لنا حديثنا لدد فطال

و حرر يوم السبت المبارك غرة جمادى الآخرة من شهور سنة ثمان و ثلاثين بعد الألف، أحسن الله ختامها بحرمة محمد و آله الطيبين الطاهرين، و حسبنا الله و نعم الوكيل، نعم المولى و نعم النصير، و الحمد لله وحده، عبده الفقير الحقير المشتاق، المذنب المقصر لسيدته عن اللحاق، الذى لم يبرح عن العهد المتين، أحمد الشامى بن شاهين، انتهى.

و لو تتبع ما له حفظه الله تعالى من النظم و النثر، اللذين غلب فيهما بلغاء أهل العصر، بالشام و مصر، و غيرهما من الأقطار، لا زال مقامه مقضى الأوطار، لاستوعبت، الأسفار.

و فى الإشارات ما يغنى عن الكلم، و قد تقدم فى خطبة هذا التأليف، ذكر شىء من نظمه و نثره و أنه هو السبب الداعى إلى جمع هذا التصنيف، و الله سبحانه يديم جنباه السرى الشريف، و يبوءه من العز الظل الوريث، فلقد أولى من الحقوق ما لا تؤدى بعضه فضلا عن كله، و ناهيك بما جلبناه من كلامه دليلا على شرفه و فضله.

و رسالته هذه إلى كانت جوابا عن مكتوب كتبه إليه من جملته: [بحر السريع]

يا من له طائر صيت علا فى الجو فاصطاد الشريد الشديد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٩٠

يا نجل شاهين البديع الحللى تملّ بالعز الطويل المديد

و فر بخصل السبق بين الملا و سر بنهج للمعالى سديد

ورد مع الأحباب عذبا حلا منتظما من الأمانى البديد

و ارفل على طول المدى فى ملا مسرة راق و عز جديد

و الوالد المحروس بالله، لا بعدة الخلق و لا بالعديد

و من نثرها: سيدى الذى فى الأجياد من عوارفه أطواق، و فى البلاد من معارفه ما تشهد به الفطر السليمة و الأذواق، و تشتد إلى مجده المطنب الذى لا يحطّ له رواق الأشواق، و تعمر بفوائده و فرائده من الآداب الأسواق، و تنقطع دون نداء السحب السواكب، و تقصر عن مداه فى السمو الكواكب، و الله سبحانه له واق، المولى الذى ألقى إليه البلاغة أفلاذها و اتخذت البراعة طاعته عصمتها و ملاذها، إذ بدّ أفرادها و أفذاذها، و أمطرت سماء أفكاره، على كل محبّ أو كاره، طائر فى جو أو مستقر فى أو كاره، صبيها و رذاذها، و فاخرت دمشق بعلاه و حلاه أقطار البسيطة و بغذاذها.

و منها: أبقاه الله تعالى و حقيقة و عوده ينمقها المجاز، و حقيقة سعوده لا يطرقها المجاز.

و منها: فأنت الذى نفّست عنى مخنقا، و أصفيت مشربى و كان مرتقا، و كاثررت بما به آثررت، و ما استأثررت - رمل النقا فلو رآك
المأمون بن الرشيد، لعلم أنك المتمنى بيتى الغناء الذى غنى به و النشيد: [بحر الطويل]

و إنى لمشتاق إلى قرب صاحب يروق و يصفو إن كدرت لديه

عذيري من الإنسان لا إن جفونه صفالي، ولا إن كنت طوع يديه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٩١

و لم يقل: أعطني هذا الصديق و خذ مني الخلافة، و أنا أقول: قد ظفرنا به بحمد الله و لم أجد أحدا في دهره وافق الغرض فلم نر خلافة.

و منها: فهذه يا ابن شاهين أياديك البيض، تفرخ لك الشكر و تبيض، فلا دليل على ولائي، كما ملأني، و لا شاهد لما في أحنائي، كثنائي، و لا حجة على ودادي، كتكراري ذكرك و تردادي.

و هي طويلة، لا يحضرنى الآن منها سوى ما ذكرته.

و لنقتصر من مكاتبات أعيان العصر من أهل دمشق المحروسة على هذا المقدار، و نسأل الله تعالى أن يحفظهم جميعا في الإيراد و الإصدار.

[رسائل من المغرب إلى المؤلف]

و في تاريخ ورود هذه المكاتيب الشامية السابقة على، اتفق ورود كتب من المغرب، و جبهها جماعة من أعيانه إلى.

فمن ذلك كتاب كتبه لي الأستاذ المجود الأديب الفهامة معلم الملوك سيدي الشيخ محمد بن يوسف المراكشي التاملي نصه: الحمد لله تعالى، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد تتوالي، من المحب المخلص المشتاق، إلى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق، و طلعت شمس معارفه في غاية الإشراق، و صار له في ميدان الكمال حسن الاستباق، الصدر الكامل، و العالم العامل، الفقيه الذي تهتدى الفقهاء بعلمه و عمله، البليغ الذي تقتدى البلغاء ببراعه و قلمه، ناشر ألوية المعارف، و مسدى أنواع العوارف، العلامة إمام العصر، بجميع أدوات الحصر، سيدي أحمد بن محمد المقرئ قدس الله السلف! كما بارك في الخلف. سلام من النسيم أرق، و ألطف من الزهر إذا عقب.

و بعد، فإن أخباركم دائما ترد علينا، و تصل إلينا، بما يسر خاطر، و يقر الناظر، مع كل وارد و صادر، و العبد يحمد الله تعالى على ذلك، و يدعو الله بالاجتماع معكم هنالك.

و يرحم الله عبدا قال آمينا كتبتة إليكم أيها السيد من الحضرة المراكشية مع كثرة أشواق، لا تسعها أوراق، كتبكم الله سبحانه فيمن عنده، كما جعلكم ممن أخلص في موالة الحق قصده، و ودى إليكم غض الحدايق، مستجل في مطلع الوفاء بمنظر رائق، لا يحيله عن مركز الثبوت عائق، و حقيق بمودة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٩٢

ارتبطت في الحق و للحق معاقدها، و أسست على المحبة في الله قواعدها، أن يزيد عقدها على مر الأيام شدة، و عهدا و إن شط المزار جدّة، و أن تدخر للأخرى عدّة، و إنى و يعلم الله تعالى لمن يعتقد محبتكم و موالاتكم عملا صالحا يقرب من الله تعالى و يزلف إليه، و يعتمدهما وزرا يعول في الآخرة يوم لا ظل إلا ظله عليه، فإنكم و اليتيم فأخلصتم في الولاء، و عرفتم الله تعالى فقمتم بحقوق الصحبة على الولاء، معرضين في تلكم الأخوة عن عرض الدنيا و عرضها، موفين بشروط نفلها و مفترضها، إلى أن قضى الله تعالى بإفتراقنا، و حقوقكم المتأكدة دين علينا، و الأيام تمطل بقضائها عنا، و توجه الملام إلينا، فأونه أقف فأقرع السنّ على التقصير ندما، و آونه أستنيم إلى فضلكم، فأتقدم قدما، و في أثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق، إلا و قد كر عليه منكم آخر له لاحق، حتى وقفت موقف العجز، و ضاقت على العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس فكدت لا أتكلّم إلا بالرمز، إجلالا لحقكم الرفيع، و إشفاقا من التقصير المضيع، و قد كنت كتبت - أعزكم الله تعالى! - إليكم قبل هذا بكتب أربعة أو خمسة فيها عجاله قصائد كالعصائد،

لا- كالثريد من الكلام ككلامكم السلس الكثير الفوائد، فعذرا ممن كان أخرس من سمكته، و أشد تخبطا من طائر في شبكة، فما عرفت أوصل شيء من ذلك، أم حصل في أيدي المعاطب و المهالك؟ و ما رأيت غير رجل من صعاليك الحجاج التقيت به يوما بالحضرة المراكشية فقال لي: الشيخ الإمام المقرئ يسأل عنك، و قد أرسل معي كتابا إليك فوقع في البحر مع جملة ما وقع، فقلت له: لا غرابة في ذلك فقد رجع إلى أصله، و من ظلمة البحار تستخرج الدرر، و قد جاءني كتاب من بعض الأخلاء الصديقين و هو الحاج الصالح السيد أبو بكر من مكة المكرمة شرفها الله تعالى، و ذكر لي فيه أنه متعه الله تعالى بلقائكم، و أخبرني بسؤالكم عنى كثيرا، و إلى الآن يا نعم السيد إنما عرفته بما كتبت له لسيداتكم تعريف تذكرا لا تعريف منه، فأنصفونا في الحكم عليكم في عدم الجواب بما ألفته الأدياء شريعة و سنه، و بالجملة ففؤادى لمجدكم صحيح لا سقيم، و اعتدادى بؤدكم منتج غير عقيم، و الله تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمة، و يقضى عن الأجابة دين المحبة، فيوفى كل غريم غريمه، و يصلكم إن شاء الله تعالى هذا المرقوم، و به سؤال منظوم، لتفضلوا بالجواب عنه بعد حمد الله، و الصلاة و السلام على مولانا رسول الله، صلى الله عليه و سلم. [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٩٣

إلى المقرئ الحبر صدر الأئمة من المخلص الوداد أركى تحية

فذلك يا صدر الصدور عجاله لتسمح بالجواب عما أكنت

فتى قد رأى عند العذارى فتية محرمة عند الزوال فحلت

و عادت حراما عند عصر فعندما عشاء أتى عادت حلالا تجلت

و فى صبح ثانى اليوم عادت محرما و زالت زوالا منه فى غير مريه

و فى ظهره حلت فطابت قريه و فى عصره محرما قد تبدت

و عند العشاء بالضرورة حلت و ذلك بعد غرم مال كفديه

و فى صبحه عادت حراما ترى به بروق سيوف لامعات بسنه

و كان يضيق حسره و تأسفا و حلت له وقت العشاء و تمت

و عن أمه أيضا يموت سريها قد اولدها فى ملكه بعد وطأه

و عادت لمملوك السرى حليله بعقد نكاح بعد من غير شبهه

فجاءت بنت، هل لها من تزوج بنجل السرى؟ بينوا لى قصتى

فإن السيورى مانع من تزوج له بابنه منها بتلك القضية

و ما الفرق بينها و بين التى أتى بها ابن أبى زيد بأوضح حجه

و عن مشتر مملوكه غير محرم و مسلمه شرا صحيحا بشرعه

و ليس بملكه له وطؤها يرى جوازا على التأيد من حين حلت

و ما طالق من عدّه خرجت و لا يجوز على التأيد فى خير مله

نكاح لها من واحد و مطلق لها غير معصوم ترى فى الشريعه

و تمت بحمد الله مبيدیه لكم سلاما كما أبدته فى صدر طلعه

و تقرير السؤال الثانى: أمه أولدها سيدها فصارت حرة، فمات عنها السيد، ثم تزوجها عبد سيدها، فأدت بنت، أما لولد سيدها أن

يتزوج هذه البنت؟ فإن الرجل له أن يتزوج بنت زوجته أبيه من رجل غيره، و هذه سرية أبيه، فإن الإمام السيورى يمنع هذه المسألة، و

ما الفرق بينهما؟ و تصلكم أيضا إن شاء الله تعالى عجاله رجزيه، فى ما تركم السنيه، ضمنتها أخطارا من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٩٤

الألفية، فتفضلوا بالإغضاء، و حسن الدعاء، أن يجمع الله شملنا بكم في تلك الأماكن المشرفة، ثم المأمول من سيدنا و مولانا أن يتفضل علينا بكتاب «طبقات القراء» للإمام الحافظ الداني، إذ ليس عندنا منه نسخة، و أما تأليفكم الكثير الفوائد المسمى «بأزهار الرياض، في أخبار عياض، و ما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح و للعقل ارتياض» فقد انتشر في هذه الأقطار المراكشية، و انتسخت منه نسخ عديدة من نسخة المرحوم سيدي أحمد بن عبد العزيز بن الولي سيدي أبي عمرو، و كسا الله سبحانه تأليفكم المذكور جلباب القبول، فما رآه أحد إلا نسخه، و عندى النسخة التى كتبها بخطه السيد أحمد المذكور بخط حسن، و على هامشها فى بعض الأماكن خطكم الرائق، و بعض التنبيهات من كلامكم الفائق، و أعلمونا بتأليفكم الذى سميتوه «قطف المهتصر، من أفنان المختصر» هل خرج من الميضة أم لا؟

و ودنا لو اتصلنا منه بنسخة، و قد اشتاق فقهاء هذا الإقليم إليه غاية كالفقيه قاضى القضاة محبكم سيدي عيسى و غيره من أخلاء خليل، فى كل محفل جليل، إلى أن قال: و أنا أتمثل بكلام مولانا على كرم الله وجهه حيث يقول، تبركا به: [بحر المتقارب] رضيت بما قسم الله لى و فوّضت أمرى إلى خالقي كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى و لى حفظكم الله تعالى تخميس على البيتين، و ذلك أنه نزلت بى شدة لا يمكن الخلاص منها عادة، فما فرغت من تخميسهما إلا و جاء الفرج فى الحين، و نصه: [بحر المتقارب] إذا أزمه نزلت قبلى و ضقت و ضاقت بها حيلي تذكرت بيت الإمام على (رضيت بما قسم الله لى و فوّضت أمرى إلى خالقي) لأن الإله اللطيف قضى على خلقه حكمه المرتضى فسلم و قل قول من فوّضا (كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى)

فعدرا- أعزكم الله سبحانه و نفع بإخائكم!- عن إغاب المراسلة بالمكاتبة عدرا،
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٩٥

و صبوا على بعد اللقاء صبوا، فإن يقدر فى هذه الدار نلتنا فيها ما نتمنى، و إلا فلن نعدم بفضل الله جزاء الحسنى، و لقاء لا يبىد و لا يفنى، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا، إيقانا بالوعد و تحقيقا، فمن أوجب له محبته، أدخله جنته، و أحضره مأدبته، و كمل له أمنيته، جعلنا الله من المتحابين فى جلاله، بكرمه و إفضاله! و كتبه محبكم و معظمكم، الواصل حبل وده بودكم، المشرف لعهدكم، المنوه بفخركم و مجدكم، العبد الفقير الحقير، المشفق على نفسه من التقصير و الذنب الكبير، محمد بن يوسف التاملى، غفر الله ذنبه! و ستر عيبه! و جبر قلبه! و جمعه بمن أحبه! بالنبي صلى الله عليه و سلم، فى عاشوراء المحرم فاتح سنة ثمانية و ثلاثين و ألف، انتهى.

و صحبه هذا المكتوب ورقة نصها: بسم الله الرحمن الرحيم، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم. [بحر الرجز]

لله در العالم الجياني كأنما ينظر بالعيان

للمقرى العالم المفضل منظرًا بأحسن المثال

و عالم بأننى من بعده أشير فى نظامنا لقصده

وها أنا بالله أستعين مضمنا و ربنا المعين

بالشطر من ألفية ابن مالك أيدنا الله لنسج ذلك

قال محمد عبيد المالک و سالک الأحسن من مسالک
 نشير بالتضمنين للتحريير المقري الفاضل الشهير
 ذاك الإمام ذو العلاء و الهمم (كعلم الأشخاص لفظا و هو عم)
 فلن ترى في علمه مثيلا (مستوجبا ثنائي الجميلا)
 و مدحه عندي لازم أتى (في النظم و النشر الصحيح مثبتا)
 أوصاف سيدي بهذا الرجز (تقرب الأقصى بلفظ موجز)
 فهو الذي له المعالي تعتري (و تبسط البذل بوعد منجز)
 رتبته فوق العلا يا من فهم (كلامنا لفظ مفيد كاستقم)
 و كم أفاد دهره من تحف (مبدي تأول بلا تكلف)
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٩٦
 لقد رقى على المقام الطاهر (كطاهر القلب جميل الظاهر)
 و فضله للطالين جدا (على الذي في رفعه قد عهدا)
 قد حصل العلم و حرر السير (و ما يالا أو يا نما انحصر)
 في كل فن ماهر صفه و لا (يكون إلا غاية الذي تلا)
 سيرته جرت على نهج الهدى (و لا يلي إلا اختيارا أبدا)
 و علمه و فضله لا ينكر (مما به عنه مينا يخبر)
 يقول دائما بصدر انشرح (اعرف بنا فإننا لننا المنح)
 يقول مرحبا لقاصديه من (يصل إلينا يستعن بنا يعن)
 صدق مقالتي و كن متبعا (و لم يكن تصريفه ممتعا)
 و انهض إليه فهو بالمشاهده (الخبر الجزء المتم الفائدة)
 و الزم جنابه و إياك الملل (إن يستطل وصل و إن لم يستطل)
 و اقصد جنابه ترى مآثره (و الله يقضى بهبات و افره)
 و انسب له فإنه ابن معطى (و يقتضى رضا بغير سخط)
 و اجعله نصب العين و القلب و لا (تعديل به فهو يضاهى المثالا)
 قد طالما أفاد علم مالک (أحمد ربي الله خير مالک)
 و حاسد له و مبغض زمن (و هالك و ميت به قمن)
 و ليس يشفى مبغض له أعل (عينا و في مثل هراوة جعل)
 يقول عبد ربه محمد (في نحو خير القول إنى أحمد)
 و هو بدهره عظيم الأمل (مرّوع القلب قليل الحيل)
 فادع له و سادة قد حضروا (و افعل أو افق نغبتب إذ تشكر)
 و اجبره بالدعا عساه يغتمم (فجره و فتح عينه الترم)
 أنشدت فيكم ذا و قال قائل (في نحو نعم ما يقول الفاضل)
 أدعو لكم بالستر في كل زمن (لكونه بمضمير الرفع اقترن)

ما أثر لكم كثيرة سوى (ما مر فاقبل منه ما عدل روى)
 قد انتهى تعريف ذا المعرف (و ذو تمام ما برفع يكتفى)
 لأنتم تاج الأئمة الأول (و ما بجمعه عنيت قد كمل)
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٩٧
 فالله يبيحك لدينا و كفى (مصليا على الرسول المصطفى)
 ترى عليه دائما منعظا (و آله المستكملين الشرفا)

و من ذلك ما كتبه لى بعض الأصحاب ممن كان يقرأ على بالمغرب، و صورته: سيدنا و سيد أهل الإسلام، حامل راية علوم الأمة
 الأحمديّة، على صاحبها الصلاة و السلام، آية الله فى المعانى و المعالى، و حسنة الأيام و الليالى، و واسطة عقود الجواهر و اللآلى،
 إمام مذهب مالك و الأشعرى و البخارى، و الواقدى و الخليل، العلامة القدوة السيد الكبير الشهير الجليل، ذو الأخلاق العذبة المذاق،
 و الشمائل المفصحة عن طيب الأصول و الأعراق، كبير زمانه دون منازع، و عالم أوانه من غير منكر و لا مدافع، شيخنا و معلمنا و
 مفيدنا و حبيب قلوبنا مولانا شيخ الشيوخ أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ المغربى التلمسانى نزيل فاس ثم الديار المصرية، حفظه
 الله تعالى فى مواطن استقراره! و رفع درجته بإشادة فخاره على مناره! عن شوق يود له الكاتب أن لو كان فى طى كتابه، و توق إلى
 مشاهدتكم هو الغاية فى باب، بعد إهداء السلام المحفوف بأنواع التحيات و الكرامات و البركات، الدائم ما دامت فى الوجود
 السكنات و الحركات، لمقامكم الأ-كبر، و محفلكم الأشهر، و من تعلق بأذيالكم أو كان مستمطرا لنوالكم، أو صبت عليه شآبيب
 أفضالكم، من أهل و محب و صاحب و خديم، هذا و إنه ينهى إلى الوداد القديم، أن أهل المغرب الأدنى و الأقصى حاضرة و بادية،
 كلهم يتفكّهون بل يتقوتون بذكركم، و يشتاقون لرؤيته و جهكم، و يتلذذون بطيب أخباركم، و إن كان المغرب الآن فى تفاقم أحوال،
 و تراكم أهوال، فى الغاية مدائن و بوادى، لا سيما مدينة فاس فإنها فى شر عظيم، و أميرها مولاى عبد الملك مات فى السنة السابعة و
 الثلاثين بل فى ذى الحجة قبلها، و فى المحرم من سنة سبع و ثلاثين، توفى ملك المغرب السلطان أبو المعالى زيدان و بويع من بعده
 ابنه مولاى عبد الملك، و تقاتل مع أخويه الأميرين الوليد و أحمد و هزمهما، و إلى الله عاقبة الأمور، و أهل داركم بفاس بخير و
 عافية، و نعم ضافية، سوى ما أدركهم من طول الغيبة، نسأل الله تعالى أن يملأ بقدومكم العيبة، و محبكم الأكبر، و وليكم لأصغر، سيد
 أهل المغرب اليوم و شيخ الطريقة، و المربى فى سلوك أهل الحقيقة، العارف بالله الشيخ الربانى، ذو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٩٨

المقامات و الكرامات سيدى محمد بن أبى بكر الدلائى، يحييكم، و يعظم قدركم، و لسانه لكم ذاكر ناشر شاكر، و هو على خير، و
 قد اجتمعت على من بركتكم فى مدينة سلا جماعة من طلاب العلم و فتح الله تعالى على بتأليف عديده منها «كفاية الطالب النبيل،
 فى حل ألفاظ مختصر خليل» و منها شرح على المنهج المنتخب للزقاق فى قواعد مالك، و منظومه فى أكثر من ألف بيت فى السير و
 الشمائل، و منها فى رجال البخارى و لا- كنسج الكلابادى، و منها خطب، و غير ذلك، و الكل من بركتكم، و نسبتبه إليكم فى
 صحيفتكم، و السلام من ولدكم المقر بفضلكم تراب نعالكم على بن عبد الواحد الأنصارى، لطف الله تعالى به، و حامله كبير كبراء
 قومه ممن يحبكم و يعزكم و ما تفعلوا معه خير فلن تكفروه، و السلام، انتهى.

و منها كتاب وافانى من علم قسنطينة و صالحها و كبيرها و مفتيها سلاله العلماء الأكابر، و وارث المجد كابر عن كابر، المؤلف
 العلامة سيدى الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله، نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، و صلى الله على من أنزل عليه فى القرآن و إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) [القلم: ٤] و آله و صحبه و سلم أفضل
 التسليم، من مدنس الإزار، المتسربل بسراويل الخطايا و الأوزار، الراجى للتصل منه رحمة العزيز الغفار، عبد الله عبد الكريم بن محمد
 الفكون، أصلح الله بالتقوى حاله! و بلغه من متابعة السنة النبوية آماله! إلى الشيخ الشهير، الصدر النحرير، ذى الفهم الثاقب و الحفظ

الغزير، الأحب في الله المؤاخي من أجله سيدى أبى العباس أحمد المقرى، أحمد الله عاقبتى و عاقبته! و أسبل على الجميع عافيته! أما بعد فإنى أحمد الله إليك، و أصلى على نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و لا أريد إلا صالح الدعاء و طلبه منكم، فإنى أحوج الناس إليه، و أشدهم فى ظنى إلحاحا عليه، لما تحققت من أحوال نفسى الأمانة، و استبطنت من دخيلاتها المثابرة على حب الدنيا الغرارة، كأنها عميت عن الأحوال، التى أشابت رؤوس الأطفال، و قطعت أعناق كمل الرجال، فتراها فى لجج هواها حائضة، و فى ميدان شهواتها راكضة، طغت فى غيرها و ما لانت، و جمحت فما انقادت و لا استقامت، فويلي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٩٩

ثم ويلي من يوم تبرز فيه القبائح، و تنشر الفضائح، و منادى العدل قائم بين العالمين، وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) [الأنبياء: ٤٧]، فالله أسأل حسن الإلطف، و الستر عما ارتكبه من التعدى و الإسراف، و أن يجعلنا من أهل الحمى العظيم، و ممن يحشر تحت لواء خلاصته الكريم، سيدنا و مولانا و شفيعنا النبى الرؤوف الرحيم، و لنكف من القلم عنانه، لما أرجو من أجله ثواب الله سبحانه، و قد اتصل بيدي جوابكم، أطل الله فى العلم بقاءكم، فرأيت من عدوية أفاظكم، و بلاغة خطابكم، ما يذهل من العلماء فحولها، و ينيلها لدى الجثو لسماحه سؤلها و مأمولها، بيد ما فيه من أوصاف من أمره قاصر، و عن الطاعة و الاجتهاد فاتر، و أصدق قول فيه عند مخبره و مرآه، أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه، لكن يجازيكم المولى بحسن النية، البلوغ فى ببحوحه الجنان غاية الأمانة، و قد ذلتم ذلك بأبيات أنا أقل من أن أوصف بمثلها، على أنى غير قائم بفرضها و نفلها، فالله تعالى يمدكم بمعونته، و يجعلكم من أهل مناجاته فى حضرته، و يسقينا من كاسات القرب ما نتمتع منه بلذيد منادمته، و قد ساعد البنان الجنان، فى إجابتم بوزنها و قافيتها، و العذر لى أننى لست من أهل هذا الشأن، و الاعتراف بأننى جبان و أى جبان، و الكمال لكم فى الرضا و القبول، و الكريم يغضى عن عورات الأحمق الجهول، و ظننا حقه الله تعالى أن نجعل على منظومتكم الكلامية يعنى «إضاءة الدجئة» تقييدا، أرجو من الله توفيقا و تسديدا، بحسب قدرى لا على قدركم، و على مثل فكرى القاصر لا على عظيم فكركم، و إن ساعد الأوان، و قضى بتيسيره رب الزمان، فأتى به إن شاء الله الآجل معى لأننى بالأشواق، إلى حضرة راكب البراق، و مخترق السبع الطبايق، و كنت عازما على أن أبعث لكم من الأبيات أكثر من الواقع، إلا أن الرفقة أعجلت، و صادفتنى أيام موت قعيدة البيت، فلم يتيسر عاجلا إلا ما ذكر و على الله قصد السبيل، و هو حسبى و نعم الوكيل: [بحر مخلع البسيط]

يا نخبة الدهر فى الدراية علما تعاضده الروايه

لا زلت بحرا بكل فن يروى به الطالبون غايه

لقد تصدرت فى المعالى كما تعاليت فى العنايه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٠٠

من فيك تستنظم المعانى بلغت فى حسننها النهايه

رقاك مولاك كل مرقي تحوى به القرب و الولايه

أعجوبة ما لها نظير فى الحفظ و الفهم و الهدايه

يا أحمد المقرى دامت بشراك تصحبها الرعايه

بجاه خير العباد طرا و الآل و الصحب و النقايه

صلى عليه الإله تترى نكفى بها الشر و الغوايه

و أختم كتابى بالصلاة و السلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كتب بغايه عجله يوم السبت سابع أو ثامن رجب، من عام ثمانية و ثلاثين و ألف للهجرة على صاحبها الصلاة و السلام! انتهى.

و المذكور عالم المغرب الأوسط غير مدافع، و له سلف علماء ذوو شهرة، و لهم فى الأدب الباع المديد، غير أن المذكور مائل إلى

التصوّف، و نعم ما فعل، تقبل الله تعالى عملي و عمله! و بلغ كلا منا أمله! و لأشهر أسلافه العلامة الشيخ حسن بن علي بن عمر الفكون القسطنطيني أحد أسيّخ العبدري صاحب الرحلة قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب، و هي من در النظام، و حرّ الكلام، و قد ضمنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسطنطينة إلى مراكش، و أولها: [بحر الوافر]

الأقل للسرّي ابن السرّي أبي البدر الجواد الأريحي
و منها:

و كنت أظنّ أن الناس طرا سوى زيد و عمرو غير شئ
فلما جئت ببله خير دار أمالتي بكل رشا أبي
و كم أورت ظباء بني أوار أوار الشوق بالرقيق الشهى
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٠١
و جئت بجاية فجلت بدورا يضيق بوصفها حرف الروي
و في أرض الجزائر هام قلبي بمعسول المرافش كوثري
و في مليانة قد ذبت شوقا بلين العطف و القلب القسي
و في تنس نسيت جميل صبري و همت بكل ذي وجه و ضي
و في مازونة ما زلت صبا بوسنان المحاجر لودعي
و في وهران قد أمسيت رهنا بظامي الخصر ذي ردف روي
و أبدت لي تلمسان بدورا جلبن الشوق للقلب الخلي
و لما جئت وجدته همت و جدا بمنخنت المعاطف معنوي
و حل رشا الرباط رشا رباطي و تيمني بطرف بابلي
و أطلع قطر فاس لي شموسا مغاربهن في قلب الشجي
و ما مكناسة إلا كناس لأحوي الطرف ذي حسن سني
و إن تسأل عن أرض سلا ففيها ظباء كاسرات للكمي
و في مراكش يا ويح قلبي أتى الوادي فطم على القرّي
بدور بل شمس بل صباح بهي في بهي في بهي
أبحن مصارع العشاق لما سعين به فكم ميت و حي
بقامة كل أسمر سمهري و مقلة كل أبيض مشرفي
إذا أنسيني حسنا فإني أنسيهم هوى غيلان مي
فها أنا قد اتخذت الغرب دارا و أدعى اليوم بالمراكشي
على أن اشتياقي نحو زيد كشوقك نحو عمرو بالسوي
تقسمني الهوى شرقا و غربا فيا للمشرقي المغربي
فلي قلب بأرض الشرق عان و جسم حل بالغرب القصي
فهذا بالغدو يهيم غربا و ذاك يهيم شرقا بالعشي
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٠٢
فلولا الله مت هوى و شوقا و كم لله من لطف خفي

و قد خرجنا بالاستطراد إلى الطول، و ذلك منا استرسال مع جاذب الأدب، فلنمسك العنان، و الله المستعان.
 و ما عددناه من القصائد و المقطوعات في مدح دمشق الشام فهو غيظ من فيض، و في نيتي أن أجمع في ذلك كتابا حافلا أسميه
 «نشق عرف دمشق» أو «مشق قلم المدح لدمشق» و لسان حالى الآن ينشد قول بعض الأكابر: [بحر الخفيف]
 نحن في مصر رهن شوق إليكم هل لديكم بالشام شوق إلينا
 فعجزنا عن أن ترونا لديكم و أبيت من أن نراكم لدينا
 و حفظ الله عهد من حفظ العه د و وقى به كما قد وفينا
 و قول ابن الصائغ: [بحر المجتث]
 وددت لو أن عيني مكان كتبي إليكم
 حتى أراكم و أملئ أخبار شوقى عليكم

[عود إلى ابن جبير]

رجع إلى ابن جبير رحمه الله تعالى:
 و من شعره قوله: [البحر السريع]
 إياك و الشهرة في ملبس و البس من الأثواب أسماها
 تواضع الإنسان في نفسه أشرف للنفس و أسمى لها
 و قال: [بحر الطويل]
 تنزه عن العوراء مهما سمعتها صيانه نفس فهو بالحر أشبه
 إذا أنت جاوبت السفية مشاتما فمن يتلقى الشتم بالثتم أسفه
 و قال: [الطويل]
 أقول و قد حان الوداع و أسلمت قلوب إلى حكم الأسى و مدامع:
 أيا رب أهلى فى يديك وديعة و ما عدمت صوتنا لديك الودائع
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٣؛ ص ١٠٢
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٠٣
 و قال أبو عبد الله بن الحجاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يمدح ابن جبير المذكور: [بحر الكامل]
 لأبى الحسين مكارم لو أنها عدت لما فرغت ليوم المحشر
 و له على فضائل قد قصرت عن بعض نعمها عظام الأبحر
 و قال ابن جبير من قصيدة مطلعها: [بحر الرمل]
 يا وفود الله فزتم بالمنى فهنيئا لكم أهل منى
 قد عرفنا عرفات بعدكم فلهذا برح الشوق بنا
 نحن فى الغرب و يجرى ذكركم بغروب الدمع يجرى هتنا
 و منها:
 فيناديه على شحط التوى من لنا يوما فقلت ملنا

سر بنا يا حادى الركب عسى أن نلاقى يوم جمع سربنا
 ما دعا داعى النوى لما دعا غير صب شفه برح العنا
 شم لنا البرق إذا لاح و قل جمع الله بجمع شملنا
 علنا نلقى خيالاً منكم بلذيد الذكر و هنا علنا
 لو حنا الدهر علينا لقضى باجتماع بكم بالمنحنى
 لاح برق موهنا من نحوكم فلعمرى ما هنا العيش هنا
 أنتم الأحباب نشكو بعدكم هل شكوتم بعدنا من بعدنا
 و له رحمه الله تعالى من قصيدة مطوّلة أولها: [بحر المتقارب]
 لعل بشير الرضا و القبول يعلل بالوصل قلب الخليل

و له أخرى أنشدها عند استقباله المدينة المشرفة، على صاحبها الصلاة و أتم السلام! و هى ثلاثة و ثلاثون بيتاً من الغر، أولها: [بحر المتقارب]

أقول و آنست بالليل ناراً لعل سراج الهدى قد أنارا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٠٤
 و إلا فما بال أفق الدجى كأن سنا البرق فيه استطارا
 و نحن من الليل فى حندس فما باله قد تجلّى نهارة
 و كان أبو الحسين بن جبير المترجم به قد نال بالأدب دنيا عريضة، ثم رفضها و زهد فيها.

و قال صاحب «الملمس» فى حقه: الفقيه الكاتب أبو الحسين بن جبير، ممن لقيته و جالسته كثيراً و رويت عنه، و أصله من شاطبة، و كان أبوه أبو جعفر من كتابها و رؤسائها، ذكره ابن اليسع فى تاريخه، و نشأ أبو الحسين على طريقته أبيه، و تولع بغرناطة، فسكن بها، قال:

و مما أنشدنيه لنفسه قوله يخاطب أبا عمران الزاهد يا شبيلية: [بحر الوافر]
 أبا عمران قد خلّفت قلبى لديك و أنت أهل للوديعه
 صحبت بك الزمان أخوا و فاء فها هو قد تنمّر للقطيعه

قال: و كان من أهل المروءات، عاشقاً فى قضاء الحوائج، و السعى فى حقوق الإخوان، و المبادرة لإيناس الغرباء، و فى ذلك يقول: [بحر الرمل]

يحسب الناس بأنى متعب فى الشفاعات و تكليف الورى
 و الذى يتعبهم من ذاك لى راحة فى غيرها لن أفكرا
 و بودى لو أفضى العمر فى خدمة الطلاب حتى فى الكرى
 قال: و من أبداع ما أنشده رحمه الله تعالى أول رحلته: [الخفيف]

طال شوقى إلى بقاع ثلاث لا تشدّ الرحال إلا إليها
 إن للنفس فى سماء الأمانى طائراً لا يحوم إلا عليها
 قصّ منه الجناح فهو مهيض كلّ يوم يرجو الوقوع لديها
 و قال: [بحر المتقارب]

إذا بلغ العبد أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمّ له

فإن زار قبر نبي الهدى فقد أكمل الله ما أمّله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٠٥

و عاد رحمه الله تعالى إلى الأندلس بعد رحلته الأولى التي حلّ فيها دمشق و الموصل و بغداد، و ركب إلى المغرب من عكا مع الإفرنج، فعطب في خليج صقلية الضيق، و قاسى شدائد إلى أن وصل الأندلس سنة ٥٨١، ثم أعاد المسير إلى المشرق بعد مدة إلى أن مات بالإسكندرية كما تقدم.

و من شعره أيضا: [بحر الخفيف]

لى صديق خسرت فيه ودادى حين صارت سلامتى منه ربحا

حسن القول سبىء الفعل كالج زار سبىء و أتبع القول ذبحا

و حدّث رحمه الله تعالى بكتاب «الشفاء» عن أبى عبد الله محمد بن عيسى التميمى عن القاضى عياض، و لما قدم مصر سمع منه الحافظان أبو محمد المنذرى و أبو الحسن يحيى بن على القرشى.

و توفى ابن جبير بالإسكندرية يوم الأربعاء السابع و العشرين من شعبان سنة ٦١٤، و الدعاء عند قبره مستجاب، قاله ابن الرقيق رحمه الله تعالى و قال ابن الرقيق: فى السنة بعدها.

و قال أبو الربيع بن سالم: أنشدنى أبو محمد عبد الله بن التميمى البجائى، و يعرف بابن الخطيب، لأبى الحسين بن جبير، و قال: و هو مما كتب به إلى من الديار المصرية فى رحلته الأخيرة لما بلغه ولايتى قضاء سبته، و كان أبو الحسين سكنها قبل ذلك، و توفيت هنالك زوجته بنت أبى جعفر الوقشى فدفنها بها: [بحر المتقارب]

بسبته لى سكن فى الثرى و خلّ كريم إليها أتى

فلو أستطيع ركبته هوا فزرت بها الحى و الميتا

و أنشد ابن جبير رحمه الله تعالى لنفسه عند صدوره عن الرحلة الأولى إلى غرناطة، أو فى طريقها قوله: [بحر البسيط]

لى نحو أرض المنى من شرق أندلس شوق يؤلف بين الماء و القبس

إلى آخرها.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٠٦

و من شعره قوله: [بحر مخلع البسيط]

يا خير مولى دعاه عبد أعمل فى الباطل اجتهاده

هب لى ما قد علمت منى يا عالم الغيب و الشهادة

و قال رحمه الله تعالى: [بحر المتقارب]

و إنى لأوثر من أصفى و أغضى على زلة العاثر

و أهوى الزيارة ممن أحب لأعتقد الفضل للزائر

و قال رحمه الله تعالى: [بحر البسيط]

عجبت للمرء فى دنياه تطمعه فى العيش و الأجل المحتوم يقطعه

يمسى و يصبح فى عشواء يخطبها أعمى البصيرة و الآمال تخدعه

يغتر بالدهر مسرورا بصحبته و قد تيقن أن الدهر يصرعه

و يجمع المال حرصا لا يفارقه و قد درى أنه للغير يجمعه

تراه يشفق من تضييع درهمه و ليس يشفق من دين يضيعه

و أسوأ الناس تدييرا لعاقبه من أنفق العمر فيما ليس ينفعه

و قال: [بحر الطويل]

صبرت على غدر الزمان و حقه و شاب لى السم الزعاف بشهده
و جرّبت إخوان الزمان فلم أجد صديقا جميل الغيب فى حال بعده
و كم صاحب عاشرته و ألفتها فما دام لى يوما على حسن عهده
و كم غرنى تحسين ظنى به فلم يضىء لى على طول اقتداحى لزنده
و أغرب من عنقاء فى الدهر مغرب أخو ثقة يسقيك صافى وده
بنفسك صادم كلّ أمر تريده فليس مضاء السيف إلا بحدّه
و عزمك جرّد عند كل مهمة فما نافع مكث الحسام بغمده
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٠٧
و شاهدت فى الأسفار كل عجيبة فلم أر من قد نال جدّا بجدّه
فكن ذا اقتصاد فى أمورك كلها فأحسن أحوال الفتى حسن قصده
و ما يحرم الإنسان رزقا لعجزه كما لا ينال الرزق يوما بكده
حظوظ الفتى من شقوة و سعادة جرت بقضاء لا سبيل لردّه

و قال: [بحر البسيط]

الناس مثل ظروف حشوها صبر و فوق أفواها شىء من العسل
تغرّ ذائقها حتى إذا كشفت له تبين ما تحويه من دخل

و قال: [بحر المتقارب]

تغير إخوان هذا الزمان و كل صديق عراه الخلل
و كانوا قديما على صحة فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم فصرت أطلع باب البدل

و قد تقدم بيتان من هذه الثلاثة على وجه آخر أول ترجمه المذكور، و رأيت بخط ابن سعيد البيتين على وجه آخر، و هو قوله: [بحر المتقارب]

ثكلت أخلاء هذا الزمان فعندى مما جنوه خلل

قضيت التعجب من شأنهم فصرت أطلع باب البدل

و لابن جبير رحمه الله تعالى: [بحر الطويل]

من الله فاسأل كل أمر تريده فما يملك الإنسان نفعا و لا ضرا

و لا تتواضع للولاء فإنهم من الكبر فى حال تموج بهم سكرًا

و إياك أن ترضى بتقيل راحة فقد قيل عنها إنها السجدة الصغرى

و هو نحو قول القائل: [بحر الخفيف]

[قل لنصر و المرء فى دولة السلطان أعمى ما دام يدعى أميرا]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٠٨

[فإذا زالت الولاية عنه و استوى بالرجال عاد بصيرا]

[و قال ابن جبیر، رحمه الله تعالى]: [بحر الخفيف]
 أيها المستطيل بالبغي أقصر ربّما طأطأ الزّمان الرّؤوسا
 و تذكّر قول الإله تعالى إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى وَ قَالَ، و قد شهد العيد بطندته من قرى مصر: [بحر الطويل]
 شهدنا صلاة العيد في أرض غربه بأحواز مصر و الأحبه قد بانوا
 فقلت لخلّي في النوى جد بمدمع فليس لنا إلا المدامع قربان
 و قال: [بحر السريع]
 قد أحدث الناس أمورا فلا تعمل بها إني امرؤ ناصح
 فما جماع الخير إلا الذي كان عليه السلف الصالح
 و قال: [بحر مجزوء الرمل]
 رب إن لم تؤتني سعة فاطو عني فضله العمر
 لا أحب اللبث في زمن حاجتي فيه إلى البشر
 فهم كسر لمنجبر ما هم جبر لمنكسر
 و لما وصل ابن جبیر - رحمه الله تعالى! - إلى مكة في ١٢ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ أنشد قصيدته التي أولها: [بحر المتقارب]
 بلغت المنى و حللت الحرم فعاد شبابك بعد الهرم
 فأهلا بمكة أهلا بها و شكرا لمن شكره يلتزم
 و هي طويلة، و سيأتي بعضها.
 و قال رحمه الله تعالى عند تحركه للرحلة الحجازية: [بحر الوافر]
 أقول و قد دعا للخير داع حنت له حنين المستهام
 حرام أن يلذ لي اغتماض و لم أرحل إلى البيت الحرام
 و لا طافت بي الآمال إن لم أطف ما بين زمزم و المقام
 و لا طابت حياة لي إذا لم أزر في طيبة خير الأنام
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٠٩
 و أهديه السلام و اقتضيه رضا يدني إلى دار السلام
 و قال: [بحر المتقارب]
 هنيئا لمن حج بيت الهدى و حطّ عن النفس أوزارها
 و إن السعادة مضمونة لمن حج طيبة أو زارها
 و لنختم ترجمته بقوله: [بحر الطويل]
 أحب النبي المصطفى و ابن عمه عليا و سبطيه و فاطمة الزهرا
 هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم و أطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا
 موالاتهم فرض على كل مسلم و جبههم أسنى الذخائر للأخرى
 و ما أنا للصحب الكرام بمبغض فإنني أرى البغضاء في حقهم كفرا
 هم جاهدوا في الله حق جهاده و هم نصرنا دين الهدى بالظبا نصرا
 عليهم سلام الله ما دام ذكرهم لدى الملا الأعلى و أكرم به ذاكرا

و قوله في آخره الميمية: [بحر المتقارب]
 نبي شفاعته عصمة فيوم التنادى به يعتصم
 عسى أن تجاب لنا دعوة لديه فنكفي بها ما أهم
 ويرعى لزواره في غد ذماما فما زال يرعى الذمم
 عليه السلام، وطوبى لمن ألم بتربته فاستلم
 أخى كم تتابع أهواءنا و نخبط عشواءها في الظلم
 رويدك جرت فجع و اقتصد أمامك نهج الطريق الأعم
 و تب قبل عض بنان الأسى و من قبل قرعك سنّ الندم
 و منها:
 و قل ربّ هبّ رحمة في غد لعبد بسيما العصاة اتسم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١١٠
 جرى في ميادين عصيانه مسيئا و دان بكفر النعم
 فيا رب صفحك عما جنى و يا رب عفوك عما اجترم

١٨٠- و من الراحين إلى المشرق من الأندلس الأديب أبو عامر بن عيشون.

قال الفتح: رجل حلّ المشيدات و البلاقع، و حكى النسرين الطائر و الواقع، و استدرّ خلفى البؤس و النعيم، و قعد مقعد البائس و الزعيم، فأونه في سماط، و أخرى بين درانك و أنماط، و يوما في ناووس، و أخرى في مجلس مأنوس، رحل إلى المشرق فلم يحمده رحلته، و لم يعلق بأمل نحلته، فارتد على عقبه، و ردّ من حباله الفوت إلى منتظره و مرتقبه، و مع هذا فله تحقق بالأدب، و تدفق طبع إذا مدح أو نسب، و قد أثبت له ما تعلم حقيقة نفاذه، و ترى سرعه و جده في طريق الإحسان و إغذاه.
 ثم قال: و أخبرني أنه دخل مصر و هو سار في ظلم البوس، عار من كل لبوس، قد خلا من النقد كيسه، و تخلى عنه إلا تعذيره و تنكيسه، فنزل بأحد شوارعها لا يفترش إلا نكده، و لا يتوسد إلا عضده، و بات بليلة ابن عدل، تهب عليه صرصر لا ينفح منها عنبر و لا مندل، فلما كان من السحر دخل عليه ابن الطوفان فأشفق لحاله، و فرط إمحاله، و أعلمه أن الأفضل ابن أمير الجيوش استدعاه، و لو ارتاد جوده بقطعه يغنيها له لأخصب مرعاه، فصنع له في حينه: [بحر البسيط]
 قل للملوك و إن كانت لهم همم تأوى إليها الأمانى غير متئد
 إذا وصلت بشاهنشاه لى سببا فلن أبالى بمن منهم نفضت يدى
 من واجه الشمس لم يعدل بها قمرا يعشو إلى ضوءه لو كان ذا رمد
 فلما كان من الغد وافاه فدفع إليه خمسين مثقالا مصرية و كسوة و أعلمه أنه غناه، و جود الإظهار للفظه و معناه، و كرره، حتى أثبتته فى سمعه و قرره، فسأله عن قائله فأعلمه بقلته،
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١١١
 و كلمه فى رفع خلته، فأمر له بذلك.
 و له أيضا رحمه الله تعالى: [بحر الطويل]
 قصدت على أن الزيارة سنة يؤكدها فرض من الود واجب
 فألفيت بابا سهّل الله إذنه و لكن عليه من عبوسك حاجب

مرضت ومرضت الكلام تثاقلا إلى إلى أن خلت أنك عاتب
فلا تتكلف للعبوس مشقة سأرضيك بالهجران إذ أنت غاضب
فلا الأرض تدمير ولا أنت أهلها ولا الرزق إن أعرضت عنى جانب
وله يستعبنى: [بحر الطويل]

كنت لو وفيت برك حقه لما اقتصرت كفى على رقم قرطاس
ونابت عن الخط الخطا و تبادرت فطورا على عيني و طورا على راسي
سل الكأس عنى هل أديرت فلم أصغ مديحك ألحانا يسوغ بها كاسي
و هل نافع الآس الندامي فلم أذع ثنائى أذكى من منافحة الآس

١٨١- و من الراحلين من الأندلس إلى المشرق أبو مروان الطنبى، و هو عبد الملك بن زيادة الله.

قال فى الذخيرة: كان أبو مروان هذا أحد حماء سرح الكلام، و حملة ألوية الأقالم، من أهل بيت اشتهروا بالشعر، اشتهار المنازل
بالبدر، أراهم طرؤوا على قرطبة قبل افتراق الجماعة، و انتشار شمل الطاعة، و أناخوا فى ظلها، و لحقوا بسروات أهلها، و أبو مضر أبوه
زيادة الله بن على التميمى الطنبى هو أول من بنى بيت شرفهم، و رفع فى الأندلس صوته بنباهة سلفهم.

قال ابن حيان: و كان أبو مضر نديم محمد بن أبى عامر أمتع الناس حديثا و مشاهدة، و أنصفهم ظرفا، و أخذهم بأبواب الشحد و
الملاطفة، و أخذهم بقلوب الملوك و الجلّة، و أنظّمهم لشمل إفادة و نجعة، انتهى المقصود منه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١١٢

ثم قال فى الذخيرة: فأما ابنه أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث و الرواية، و رحل إلى المشرق، و سمع من جماعة من المحدّثين
بمصر و الحجاز، و قتل بقرطبة سنة سبع و خمسين و أربعمئة، انتهى.
و قد ذكر قصة قتله المستبشعة و اتهم باغتياله ابنه.

و من نظم أبى مروان الطنبى المذكور ما وجده صاحب الذخيرة فى بعض التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة قال: لما عدا أبو عامر أحمد
بن محمد بن أبى عامر على الحذلمى فى مجلسه و ضربه ضربا موجعا، و أقرّ بذلك أعين مطالبه، قال أبو مروان الطنبى فيه: [بحر
المنسرح]

شكرت للعامرى ما صنعا و لم أقل للحذيلمى لعا

ليث عرين عدا بعزته مفترسا فى وجاره ضبعا

لا برحت كفه ممكّنة من الأمانى فنعم ما صنعا

وددت لو كنت شاهدا لهما حتى ترى العين ذلّ ما خضعا

إن طال منه سجوده فلقد طال لغير السجود ما ركعا

قال ابن بسام: و ابن رشيق القائل قبله: [بحر البسيط]

كم ركعة ركع الصّفعان تحت يدي و لم يقل سمع الله لمن حمده

ثم قال ابن بسام فى الذخيرة ما نصه: و العرب تقول: «فلان يركع لغير صلاة» إذا كنوا عن عهر الخلوة، و من مליح الكناية لبعض
المتقدّمين يخاطب امرأته: [بحر الكامل]

قلت: التشيع حبّ أصلع هاشم فترفضى إن شئت أو فتشيعى

قالت: أصيلع هاشم، و تنفست بأبى و أمى كل شىء أصلع

و لما صنت كتابي هذا من شين الهجاء، و كبرته أن يكون ميدانا للسفهاء، أجريت ههنا طلقا من مليح التعريض، في إيجاز القريض، مما لا أدب على قائله، و لا وصمة عظمى على من قيل فيه، و الهجاء ينقسم قسمين: فقسم يسمونه هجو الأشراف و هو ما لم يبلغ أن يكون سبابا مقدعا، و لا هجوا مستبشعا، و هو طأطأ قديما من الأوائل، و ثلّ عرش القبائل، إنما هو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١١٣

تويخ و تعبير، و تقديم و تأخير، كقول النجاشي في بنى العجلان، و شهرة شعره، منعنى عن ذكره، و استعدوا عليه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، و أنشدوه قول النجاشي فيهم، فدرأ الحد بالشبهات، و فعل ذلك بالزبرقان حين شكا الحطيئة، و سأله أن ينشد ما قاله فيه، فأنشده قوله: [بحر البسيط]

دع المكارم لا ترحل لبغيته و اقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

فسأل عن ذلك كعب بن زهير، فقال: و الله ما أودّ بما قال له حمر النعم، و قال حسان:

لم يهجه، و لكن سلح عليه بعد أن أكل الشبرم، فهمّ عمر رضى الله تعالى عنه بعقابه، ثم استعطفه بشعره المشهور.

و قال عبد الملك بن مروان يوما: أحسابكم يا بنى أمية، فما أود أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس و أن الأعشى قال فى: [بحر الطويل]

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم و جاراكم غرثى بيتن خمائصا

و لما سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى، و قال: أ نحن نفعل هذا بجاراتنا؟! و دعا عليه، فما ظنك بشيء يبكى علاثة، و قد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال حس.

و قد كان الراعى يقول: هجوت جماعة من الشعراء، و ما قلت فيهم ما تستحى العذراء أن تنشده فى خدرها.

و لما قال جرير: [بحر الوافر]

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا

أطفأ مصباحه و نام، و قد كان بات ليلته يتململ، لأنه رأى أنه قد بلغ حاجته و شفى غيظه.

قال الراعى: فخرجنا من البصرة فما وردنا ماء من مياه العرب إلا و سمعنا البيت قد سبقنا إليه، حتى أتينا حاضر بنى نمير فخرج إلينا النساء و الصبيان يقولون: قبحكم الله و قبح ما جئتمونا به!

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١١٤

و القسم الثانى: هو السباب الذى أحدثه جرير أيضا و طبقته، و كان يقول: إذا هجوتهم فأضحكوا، و هذا النوع منه لم يهدم قط بيتا، و لا عبرت به قبيلة؛ و هو الذى صنّا هذا المجموع عنه، و أعفيناه أن يكون فيه شيء منه، فإن أبا منصور الثعالبي كتب منه فى يتيمة ما شأنه اسمه، و بقى عليه إثمه.

و من مليح التعريض لأهل أفقنا قول بعضهم فى غلام كان يصحب رجلا يسمى بالبعوضة: [بحر المتقارب]

أقول لشادنكم قوله و لكنّها رمزة غامضة

لزوم البعوض له دائما يدل على أنها حامضه

و أنشدت فى مثله قول بعض أهل الوقت: [بحر البسيط]

بينى و بينك سرّ لا أبوح به الكل يعلمه و الله غافره

و حكى أبو عامر بن شهيد عن نفسه قال: عاتبت بعض الإخوان عتابا شديدا عن أمر أوجع فيه قلبى، و كان آخر الشعر الذى خاطبته به هذا البيت: [بحر الطويل]

و إنى على ما هاج صدرى و غاظنى ليأمننى من كان عندى له سرّ

فكان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد، و لم يزل يقلق به حتى بكى إلى منه بالدموع، و هذا الباب ممتد الأطناب، و يكفي ما مر و يمرّ منه في أضعاف هذا الكتاب، انتهى كلام ابن بسام في الذخيرة بلفظه.

و لا خفاء أنه عارض بالذخيرة يتيمة الثعالبى، و لذا قال في خطبة الذخيرة: أما بعد حمد الله ولى الحمد و أهله، و الصلاة على سيدنا محمد خاتم رسله، فإن ثمرة هذا الأدب، العالى الرتب، رسالة تنثر و ترسل، و أبيات تنظم و تفصل، تتال تلك اثيال القطار، على صفحات الأزهار، و تتصل هذه اتصال القلائد، على نحور الخرائد، و ما زال فى أفقنا هذا الأندلسى القصصى إلى وقتنا هذا من فرسان الفنين، و أئمة النوعين، قوم هم ما هم طيب مكاسر، و صفاء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١١٥

جواهر، و عذوبة موارد و مصادر، لعبوا بأطراف الكلام المشقق، لعب الدجن بجفون المؤرق، و جدّوا بفنون السحر المنمق، جدّ الأعشى ببنات المحلق، فصبوا على قوالب النجوم، غرائب المنثور و المنظوم، و باهوا غرر الضحى و الأصائل، بعجائب الأشعار و الرسائل، نثر لو رآه البديع لنسى اسمه، أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه، و نظم لو سمعه كثير ما نسب و لا مدح، أو تتبعه جرو ل ما عوى و لا نبج، إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل الشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طنّ بأقصى الشام و العراق ذباب، لجثوا على هذا صنما، و تلوا ذلك كتابا محكما، و أخبارهم الباهرة، و أشعارهم السائرة، مرمى القصية، و مناخ الزذية، لا يعمر بها جنان و لا خلد، و لا يصرف فيها لسان و لا يد، ففاظنى منهم ذلك، و أنفت مما هنالك، و أخذت نفسى بجمع ما وجدت من حسنات دهرى، و تتبع محاسن أهل بلدى و عصرى، غيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود بدوره أهله، و تصبح بحوره ثمادا مضمحلة، مع كثرة أدبائه، و وفور علمائه، و قديما ضيعوا العلم و أهله، و ربّ محسن مات إحسانه قبله، و ليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان، و خص أهل المشرق بالإحسان، و قد كتبت لأرباب هذا الشأن، من أهل الوقت و الزمان، محاسن تبهر الألباب، و تسحر الشعراء و الكتاب، و لم أعرض لشيء من أشعار الدولة المروانية، و لا المدائح العامرية، إذ كان ابن فرج الجياني قد رأى رأبى فى التصفه، و ذهب مذهبي من الأنفة، فأملى فى محاسن أهل زمانه كتاب الحدائق معارضا لكتاب الزهرة للأصبهاني، فأضربت أنا عما ألف، و لم أعرض لشيء مما صنف، و لا تعدّيت أهل عصرى، مما شاهدته بعمرى أو لحقه أهل دهرى، إذ كل مردّد ثقيل، و كل متكرر مملول، و قد مجّت الأسماع:

يا دار مية بالعلياء فالسند

إلى أن قال بعد ذكره أنه يسوق جملة من المشاركة مثل الشريف المرتضى و القاضى عبد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١١٦

الوهاب و الوزير ابن المغربى و غيرهم ممن يطول، ما صورته: و إنما ذكرت هؤلاء ائتساء بأبى منصور، فى تأليفه المشهور، المترجم بيتيمة الدهر، فى محاسن أهل العصر، انتهى المقصود منه.

قلت: و تذكرت بما أنشده فى الهجاء قول الباقعة الشاعر المشهور أبى العباس أحمد الغفجومى الشهير بالجوارى و عامة الغرب يقولون الجراوى يهجو قومه بنى غفجوم و هم بربر بتادلا متوصلا بذلك إلى هجو أصلاء فاس بنى الملجوم، و مستطردا فى ذلك ما هو فى اطراده كالماء السجوم، و هو [قوله]: [بحر الكامل]

يا ابن السبيل إذا مررت بتادلا لا تنزلن على بنى غفجوم

أرض أغار بها العدو فلن ترى إلا مجاوبة الصدى لليوم

قوم طووا ذكر السماحة بينهم لكنهم نشروا لواء اللوم

لا حظّ فى أموالكم و نوالهم للسائل العافى و لا المحروم

لا يملكون إذا استبيح حريمهم إلا الصراخ بدعوة المظلوم

يا ليتنى من غيرهم و لو اننى من أرض فاس من بنى الملجوم
وقد ذكر غير واحد من المؤرخين أن أحد بنى الملجوم قضاة فاس و أصلاؤها بيعت أوراق كتبه التى هى غير مجلدة بل متفرقة بستة
آلاف دينار، و يكفيك ذلك فى معرفه قدر القوم، و مع ذلك هجاهم بهذا، و الله سبحانه يغفر الزلات.
رجع إلى ما كنا فيه من ذكر من ارتحل من علماء الأندلس إلى البلاد المشرقية المحروسة، فنقول:

[١٨٢- حبيب بن الوليد بن حبيب المعروف بدحون]

١٨٢- و منهم حبيب بن الوليد بن حبيب الداخل إلى الأندلس ابن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان.
من أهل قرطبة، و يعرف بدحون [رحل إلى المشرق، و كان فقيها عالما، أديبا شاعرا محسنا، و] رحل إلى المشرق أيام عبد الرحمن بن
الحكم، و حج، و لقي أهل الحديث
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١١٧
فكتب عنهم، و قدم بعلم كثير، و كانت له حلقة بجامع قرطبة يسمع الناس فيها، و هو يلبس الوشى الشامى، إلى أن أوصى إليه الأمير
عبد الرحمن بترك ذلك، فتركه، و توفى بعد المائتين.
و من شعره قوله: [بحر الكامل]

قال العذول: و أين قلبك؟ كلما رمت اهتداءك لم يزل متحيرا

قلت: اتئد فالقلب أول خائن لما تغير من هويت تغيرا

و نأى فبان الصبر عنى جملة و بقيت مسلول العزاء كما ترى

و من ولده سعيد بن هشام، و كان أديبا عالما فقيها، رحم الله تعالى الجميع!

و دخل دمشق ووطنهم الأقدم و عاملها يومئذ للمعتصم بن الرشيد عمر بن فرج الرخجى، فوافق دخوله إياها غلاء شديدا و مجاعة
أشكت أهلها، فضجوا إلى الرخجى أن يخرج عنهم من عندهم من الغرباء القادمين عليهم من البلاد، فأمر بالنداء فى المدينة على كل
من بها من طارىء و ابن سبيل ليخرجوا عنها، و ضرب لهم أجلا- ثلاثة أيام أوعد من تخلف منهم بعدها بالعقاب، فابتدر الغرباء
الخروج عنها، و أقام دحون لم يتحرك، فجىء به إلى الرخجى بعد الأجل، فقال له: ما بالك عصيت أمرى؟ أو ما سمعت ندائى؟ فقال
له دحون: ذلك النداء الذى وقفنى، فقال له: و كيف؟ فانتمى له، فقال له الرخجى: صدقت و الله إنك لأحق بالإقامة فيها منا، فأقم ما
أحببت، و انصرف إذا شئت.

و كان لدحون هذا ابن يقال له بشر بن حبيب، و يعرف بالحبيبي، و هو من المشهورين بقرطبة، و أمه المدنية الراوية عن مالك بن
أنس رضى الله تعالى عنه! و بنته عبدة بنت بشر مشهورة، و لها رواية عنه، رحم الله تعالى الجميع!

[١٨٣- و منهم بهلول بن فتح من أهل أقليم]

، له رحلة حج فيها، و كان رجلا صالحا خيرا، حكى عن نفسه أنه رأى فى منامه بعد قدومه من الحج كأنه بمكة و قائل يقول: انطلق
بنا نصل مع النبى صلى الله عليه و سلم، قال: فكنت أقول لرجل من جيرانى بأقليم: يا أبا فلان انطلق بنا نصل مع النبى صلى الله عليه
وسلم، فيقول لى: لست أجد إلى ذلك سيلا، فكنت أتوجه و أصلى مع الناس و النبى صلى الله عليه و سلم إمامنا، فلما سلم من الصلاة
رجع إلى و قال لى: من أين أنت؟ قلت له: من الأندلس، فكان يقول: من أى موضع؟ فكنت أقول: من مدينة أقليم، فيقول لى:
أتعرف أبا إسحاق البوانى؟ فكنت أقول: هو جارى، و كيف لا أعرفه؟ فيقول لى: أقرئه منى السلام.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١١٨

١٨٤- ومنهم أبو الحسن ثابت بن أحمد بن عبد الولي، الشاطبي.

روى عن أبي زيد عبد الرحمن بن يعيش المهري، ورحل حاجا، فسمع منه بالإسكندرية أبو الحسن بن المفضل المقدسي، وحدث عنه بالحديث المسلسل في الأخذ باليد عن ابن يعيش المذكور عن أبي محمد عبد العزيز بن عبد الله بن سعيد بن خلف الأنصاري عن أبي الحسن طاهر بن مفوز، وعليه مداره بالأندلس، عن نصر السمرقندي بإسناده، وفيه بعد، قال الحافظ ابن الأبار: وقد رويته مسلا من طرق بعضها عن ابن المفضل، و أنبأني به ابن أبي جمره عن أبي بحر الأندلسي، عن نصر السمرقندي، فصار ابن المفضل بمنزلة من سمعه ممن سمعه مني، والحمد لله تعالى، انتهى.

١٨٥- ومنهم أبو أحمد جعفر بن لب بن محمد بن عبد الرحمن بن يونس بن ميمون، اليحصبي.

سكن شاطبة، وأصله من أنشيان عملها، ويكنى أبا الفضل أيضا، حج وسمع أبا طاهر بن عوف والحافظ السلفي وأبا عبد الله بن الحضرمي وأبا الثناء الحراني و بدر بن عبد الله الحبشي وأبا الحسن بن المفضل وغيرهم، وكان من أهل العناية بالرواية مع الصلاح والعدالة، حسن الخط، جيد الضبط، سماه التجيبي في معجم مشيخته وهو في عداد أصحابه لاشتراكهما في السماع بإسكندرية وتركه هنالك، ثم قدم عليه تلمسان من شاطبة في أضحى سنة ست وثمانين وخمسائة، وحكى مما أفاده عن ابن المفضل أن أبا عبد الله الكيزاني - وكان شاعرا مجيدا- أته امرأة مات ولدها، فسألته أن يرثيه، فقال: [بحر المجتث]

تبكى عليه بشجو فقلت لا تنديبه

هذا زمان عجيب قد عاش من مات فيه

وأخذ عنه الحافظ أبو الربيع بن سالم وقال: إنه توفي بعد التسعين وخمسائة، رحمه الله تعالى!.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١١٩

١٨٦- ومنهم أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونه، الخزاعي، العابد.

من أهل قسطنطينية عمل دائية، أخذ القراءات عن ابن هذيل، وسمع منه ومن ابن النعمة ببلنسية، ورحل حاجا فأدى الفريضة، ودخل الإسكندرية مرافقا لمن سمع من السلفي، ولم يسمع منه هو شيئا، قال ابن الأبار: فيما علمت، وقفل إلى بلده مائلا إلى الزهد والإعراض عن الدنيا، وكان شيخ المتصوفة في وقته، وعلا ذكره، وبعد صيته في العبادة، إلا أنه كانت فيه غفلة، قال ابن الأبار: [بحر و] رأيتته إذ قدم ببلنسية لإحياء ليل النصف من شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة، وتوفى عن سن عالية تقارب المائة، منتصف ذي القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة، وشهد جنازته بشر كثير من جهات شتى، وانتاب الناس قبره دهرا طويلا يتبركون بزيارته إلى حين إجلاء الروم من كان يشاركونهم من المسلمين ببلاد شرق الأندلس التي تغلبوا عليها، وذلك في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة.

١٨٧- ومنهم أبو جعفر النحوي.

أندلسي نزل مصر، وكان من رؤساء أهل العلم بالنحو، ومن له حال جليلة ذكره الطبري فيما حكاه ابن الأبار.

١٨٨- ومنهم أبو الحسن جابر بن أحمد بن عبد الله، الخزرجي، القرطبي، وكناه بعضهم أبا الفضل.

سمع ببلده من أبي محمد بن عتاب وغيره، ورحل حاجا فأدى الفريضة، و كان أديبا ناظما، كتب عنه أبو محمد العثماني بالإسكندرية بعض شعره.

١٨٩- ومنهم أبو الحسن جهور بن خلف بن أبي عمر بن قاسم بن ثابت المعافري.

رحل حاجا إلى المشرق فأدى الفريضة، و سمع بالإسكندرية من أبي طاهر السلفي سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة، و سمع أيضا من غيره، و طال مكثه هنالك، و هو- فيما رجحه بعضهم- من أهل غرب الأندلس.

١٩٠- ومنهم أبو علي الحسن بن حفص بن الحسن، البهراني، الأندلسي.

رحل و تجول ببلاد المشرق، فسمع أبا محمد عبد الله بن حمويه و أبا حامد أحمد بن محمد بن رجاء بسرخس، و أبا محمد بن أبي شريح بهراء، و أبا عبد الله الحسين بن عبد الله المفلح بالأهواز، و أبا بكر أحمد بن جعفر البغدادي و أبا حامد أحمد بن الخليل و أبا حاتم حامد بن العباس و أبا محمد الحسن بن رشيق بمصر، و قدم دمشق فروى عنه من أهلها تمام بن محمد، و بنيسابور أحمد بن منصور بن خلف المغربي و غيره.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٢٠

ذكره ابن عساكر و قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن علي بن فطيمة و أبو القاسم زاهر بن طاهر قالوا: أنا أبو بكر أحمد بن منصور أنا أبو علي الحسن بن جعفر القضاعي، و أنا الحسن بن رشيق بمصر، أنا المفضل بن محمد الجندي، أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: لا يحمل العلم عن أهل البدع كلهم، و لا يحمل العلم عن من لم يعرف بالطلب و مجالسة أهل العلم، و لا- يحمل عن يكذب في حديث الناس، و إن كان في حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم صادقا؛ لأن الحديث و العلم إذا سمع من العالم فقد جعل حجة بين الذي سمعه و بين الله تبارك و تعالي، و إنما قال فيه «القضاعي» لأن بهراء من قضاة.

١٩١- ومنهم أبو علي الحسن بن خلف بن يحيى بن إبراهيم بن محمد، الأموي.

من أهل دانية، و يعرف بابن برنجال، سمع من أبي بكر بن صاحب الأحباس و أبي عثمان طاهر بن هشام و غيرهما، و له رحلة حج فيها و سمع من أبي إسحاق إبراهيم بن صالح القروي، و بيت المقدس من أبي الفتح نصر بن إبراهيم سنة خمس و ستين و أربعمائة، و بعسقلان من أبي عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد التجيبي، و أخذ عنه كتاب الوقف و الابتداء لابن الأباري بسماعه من عبد العزيز الشعيري عن مؤلفه، و كان فقيها على مذهب مالك، و ولي الأحكام ببلده، و حدث، و أخذ عنه، و سمع الناس منه بالإسكندرية سنة تسع و ستين، ثم بدانية سنة اثنتين و سبعين و أربعمائة، و توفي في نحو الخمسمائة، رحمه الله تعالى!.

١٩٢- ومنهم أبو علي الحسن بن إبراهيم بن محمد بن تقي، الجذامي، المالقي.

روى بقرطبة عن أبي محمد بن عتاب، و عن أبي سكرة الصدفي بمروية سنة ثمان و خمسمائة، و صحب أبا مروان بن مسرة، و كان من أهل الرواية و التقيد، و كانت له رحلة سمع فيها من أبي طاهر السلفي مجالسه التي أملاها بسلماس بربح سنة خمس عشرة و

خمسائة حسبا ألفى بخط السلفي، وفي رحلته لقيه أبو علي الحسن بن علي البطليوسي نزيل مكة، وحدث عنه أبو طالب أحمد بن مسلم المعروف بالتوخى من أهل الإسكندرية بكتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر، وأجاز له إجازة عامة في السنة السابقة، وقال ابن عساكر في تاريخه، وذكر أبو ذر الهروي: سمعت أبا الحسن علي بن سليمان المرادي الحافظ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٢١

الأندلسي بنيسابور يقول: سمعت أبا علي الحسن بن علي الأنصاري البطليوسي، قال ابن عساكر: وقد لقيته، ولم أسمعها منه، قال: سمعت أبا علي الحسن بن إبراهيم بن تقي الجذامي المالقي يقول: سمعت بعض الشيوخ يقول: قيل لأبي ذر الهروي: أنت من هراء، فمن أين تمذهبت لمالك والأشعري؟ فقال: إني قدمت بغداد أطلب الحديث، فلزمت الدارقطني فلما كان في بعض الأيام كنت معه، فاجتاز به القاضي أبو بكر بن الطيب، فأظهر الدارقطني من إكرامه ما تعجبت منه، فلما فارقه قلت: أيها الشيخ الإمام من هذا الذي أظهرت من إكرامه ما رأيت؟ فقال: أو ما تعرفه؟ قلت: لا، فقال: هذا سيف السنة أبو بكر الأشعري، فلزمت القاضي منذ ذلك، واقتديت به في مذهبه، انتهى.

١٩٣- ومنهم أبو علي الحسن بن علي بن الحسن بن عمر، الأنصاري، البطليوسي.

رحل إلى المشرق، فأدى الفريضة، وتجوّل هناك، ولقي أبا الحسن بن المفرج الصقلي وأبا عبد الله الفراوي، فسمع منهما الصحيحين بعلو، وسمع من أبي الفتح ناصر بن أبي علي الطوسي سنن أبي داود، وحدث بالموطأ عن أبي بكر الطرطوشي، وله أيضا رواية عن زاهر بن الشّحامي وعبد المنعم بن عبد الكريم القشيري وأبي محمد الحريري سمع منه مقاماته الخمسين ببستانه من بغداد، ونزل بمكة، وجاور بها، وحدث فيها وفي غيرها، وأسن، وكان ثقة مسندا يروي عنه أبو عبد الله بن أبي الصيف اليمني وأبو حفص بن شراحيل الأندلسي وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الإربلي، وسمع منه في صفر سنة ست وستين وخمسائة، وقد لقيه أبو القاسم بن عساكر الحافظ وروى عنه.

١٩٤- ومنهم أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الأنصاري.

من أهل المريّة عمل بلنسية، ويعرف بابن الزّهيل، سمع من أبي الحسن بن النعمان كثيرا، واختص به، وعنه أخذ القراءات، وسمع من ابن هذيل أيضا، ثم رحل حاجا، فلقي بالإسكندرية سنة اثنتين وسبعين وخمسائة أبا طاهر السلفي وأبا عبد الله بن الحضرمي، وسمع منهما، وجاور بمكة، وأخذ بها عن أبي الحسن علي بن حميد الطرابلسي صحيح البخاري، وكان يرويه عن أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي عن أبيه، وسمع أيضا من أبي محمد المبارك بن الطباخ البغدادي، وأجاز له أبو المفاجر سعيد بن الحسين الهاشمي وأبو محمد عبد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٢٢

الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي ببجاية عند صدوره في ربيع الأول سنة سبع وسبعين، وقفل إلى بلده فلزم الانقطاع والانتقاض عن الناس والإقبال على ما يعنيه، وكان قد خطب به قبل رحلته، وحكى التجيبي أن طلبه الإسكندرية تراحموا عليه لسماع «التيسير» لأبي عمرو المقرئ منه بروايته عن ابن هذيل سماعا في سنة ثلاث وخمسين، وصارت له بذلك عندهم وجاهة، وبعد قفوله أصابه خدر منعه من التصرف، وكان الصلاح غالبا عليه، وتوفى غدوة الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسائة، وكانت جنازته مشهودة، رحمه الله تعالى!.

١٩٥- ومنهم الحسين بن أحمد بن الحسين بن حي، التجيبي، القرطبي.

أخذ علم العدد والهندسة عن أبي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن برغوث، وكان كلفاً بصناعة التعديل، و له زيغ مختصر ذكره القاضي صاعد ونسبه، و حكى أنه خرج من الأندلس في سنة اثنتين و أربعين و أربعمائة بعد أن نالته بها و بالبحر محن شداد، و لحق بمصر، ثم رحل عنها إلى اليمن، و اتصل بأميرها، فحظى عنده، و بعثه رسولا إلى القائم بأمر الله الخليفة ببغداد، و نال هناك دنيا عريضة، و توفي باليمن بعد انصرافه من بغداد سنة ست و خمسين و أربعمائة، رحمه الله تعالى!.

١٩٦- و منهم أبو يوسف حماد بن الوليد، الكلاعي.

أخذ بقرطبة عن أبي المطرف القنازعي و غيره، و رحل إلى المشرق، و حدث بالإسكندرية فسمع منه بها يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن شبل شرح الاعتقاد من تأليفه، و رسالة قمع الحرص، و قصر الأمل، و الحث على العمل، و ذلك في سنة سبع و أربعين و أربعمائة، و لقيه هنالك أبو مروان الطنبلي، فسمع منه بعض فوائده.

١٩٧- و منهم أبو القاسم خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير.

من أهل طرطوشة، يعرف بالجبيري، و هو والد أبو عبيد القاسم بن خلف الجبيري الفقيه، و كانت له رحلة إلى المشرق، و معه رحل ابنه و هو صغير، و كان من أهل العلم و النزاهة، و عليه نزل القاضي منذر بن سعيد بطرطوشة في ولايته قضاء الثغور الشرقية، قال أبو عبيد: نزل القاضي منذر بن سعيد على أبي بطرطوشة، و هو يومئذ يتولى القضاء في الثغور الشرقية قبل أن يلي قضاء الجماعة بقرطبة، فأنزله في بيته الذي كان يسكنه، فكان إذا تفرغ نظر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٢٣

في كتب أبي، فمر على يديه كتاب فيه أرجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء و يجعل معاوية رابعهم، و لم يذكر عليا فيهم، ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى عبد الرحمن بن محمد، فلما رأى ذلك منذر غضب و سب ابن عبد ربه، و كتب في حاشية الكتاب: [بحر الكامل]

أوما عليّ - لا برحت ملعنا يا ابن الخبيثة!- عندكم يامام؟

ربّ الكساء و خير آل محمد داني الولاء مقدّم الإسلام

قال أبو عبيد: و الأبيات بخطه في حاشية كتاب أبي إلى الساعة، و كانت ولاية منذر للثغور مع الإشراف على العمال بها و النظر في المختلفين من بلاد الإفرنج إليها سنة ثلاثين و ثلاثمائة.

١٩٨- و منهم أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف، الغرناطي.

له رحلة روى فيها بالإسكندرية عن مهدي بن يوسف الوراق، و حدث عنه أبو العباس بن عيسى الداني بالثقلين للقاضي عبد الوهاب.

١٩٩- و منهم أبو القاسم خلف بن فرج بن خلف بن عامر بن فحلون، القنطري.

من قنطرة السيف، و سكن بطليوس و يعرف بابن الروية، رحل حاجا فأدى الفريضة، و لقي بمكة رزين بن معاوية الأندلسي فحمل عنه كتابه في تجريد الصحاح سنة خمس و خمسمائة، و فيها حج و قفل إلى بلده بعد ذلك، و كان فقيها مشورا، حدّث عنه ابن خير في كتابه إليه من بطليوس في نحو الثلاثين و خمسمائة.

٢٠٠- و منهم زرارۀ بن محمد بن زرارۀ الأندلسي.

رحل حاجا إلى المشرق، و سمع بمصر أبا محمد الحسن بن رشيق سنة سبع و ستين و ثلاثمائة و أبا بكر مسرة بن مسلم الصدفي، حدث، و أخذ عنه.

٢٠١- و منهم طاهر الأندلسي، من أهل مالقة، يكنى أبا الحسن.

رحل إلى قرطبة، و خرج منها لما دخلها البرابر عنوة سنة ثلاث و أربعمائه، فلم يزل بمكة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٢٤

إلى حدود الخمسين و أربعمائه، و كان من أصحاب أبي عمر الظلمنكي و ملازميه لقراءة القرآن، و طلب العلم مع أبي محمد الشنتجالي و أبي أيوب الزاهد إمام مسجد الكواثين بقرطبة، و جاور بمكة طويلا، و أقرأ على مقربة من باب الصفا، و كان الشيبون يكرمونه و يفرجون له لضعفه عند دخوله البيت الحرام، ذكره الطنبلي، قال ابن الأبار: و أحسبه المذكور في برنامج الخولاني، و الذي قرأ لهم أكثر المدونة على أبي عمر أحمد بن محمد الزيات، انتهى.

٢٠٢- و منهم أبو الطاهر الأندلسي، من أهل لبله.

نزل مصر، و كانت له حلقة بجامع عمرو بن العاص، و كان- رحمه الله تعالى!- نحويا له شعر و ترسيل و تعلق بالملوك للتأديب بالنحو، ثم ترك ذلك.

٢٠٣- و منهم أبو محمد طارق بن موسى بن يعيش، المنصفي، المخزومي.

و المنصفي نسبة إلى قرية بغيرى بلنسية، و يكنى أيضا أبا الحسن، رحل قبل العشرين و خمسمائه، فأدى الفريضة، و جاور بمكة، و سمع بها من أبي عبد الله الحسين بن علي الطبري، و من الشريف أبي محمد عبد الباقي الزهري المعروف بشقران أخذ عنه كتاب «الإحياء» للغزالي عن مؤلفه، و سمع بالإسكندرية من أبي بكر الطرطوشي و أبي الحسن بن مشرف و أبي عبد الله الرازي و أبي طاهر السلفي و غيرهم ثم قفل إلى بلده فحدث، و أخذ الناس عنه، و سمعوا منه، و كان شيخا صالحا عالي الرواية ثقة، قال ابن عياد: لم ألق أفضل منه، و كان مجاب الدعوة، و حدث عنه بالسمع و الإجازة جلاء، منهم أبو الحسن بن هذيل و أبو محمد القلني و أبو مروان بن الصيقل و أبو العباس الإقليشي و أبو بكر بن خير و ابن سعد الخير و أبو محمد عبد الحق الإشبيلي و أبو بكر بن جزي و غيرهم، ثم رحل ثانية إلى المشرق مع صهره أبي العباس الأقليشي و أبي الوليد بن خيرة الحافظ سنة اثنتين و أربعين و خمسمائه، و قد نيف على السبعين، فأقام بمكة مجاورا إلى أن توفي بها عن سن عالية- رحمه الله تعالى!- سنة تسع و أربعين و خمسمائه.

٢٠٤- و منهم محمد بن إبراهيم بن مزين الأودي.

من أهل أكشونية غربى الأندلس، يكنى أبا مضر، و لاه عبد الرحمن بن معاوية قضاء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٢٥

الجماعة بقرطبة، و ذلك في المحرم سنة سبعين و مائة، و أقام شهرا، ثم استعفى فأعفاه، و رحل حاجا فأدى الفريضة، و سمع في

رحلته إمامنا مالك بن أنس و انصرف و مات عن سن عالية سنة ثلاث و ثمانين و مائة، و ذكره ابن شعبان فى الرواة عن مالك، و حكى أنه روى عنه: من قطع لسانه استؤنى به عاما، و أن مالكا قال له: قد بلغنى أن بالأندلس من نبت لسانه فإن لم ينبت أقيد، انتهى.

٢٠٥- و منهم أبو عبدالله محمد بن أحمد حيار، الشاطبي، الأوسى.

قدم مصر، و كان قد أخذ عن ابن برطله و ابن البراء و غيرهما، و عمل فهرست شيوخه على حروف المعجم، و حج و عاد إلى بلده، و مات يوم الجمعة حادى عشر رجب سنة ثمانى عشرة و سبعمائة، رحمه الله تعالى و غفر له!.

[٢٠٦- محمد بن أحمد بن عبدالملك بن عبد العزيز بن عبد الملك (ابن سماعه)]

٢٠٦- و منهم القاضى أبو مروان محمد بن أحمد بن عبدالملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن على بن شريعة بن رفاعه بن صخر بن سماعه، اللخمي، الأندلسي، الإشبيلي.

قال أبو شامة: هو من بيت كبير بالأندلس يعرف ببني الباجي مشهور، كثير العلماء و الفضلاء، و أصلهم من باجة القيروان، و ليس منهم القاضى أبو الوليد الباجي الفقيه، فإنه من بيت آخر من باجة الأندلس، و قدم أبو مروان حاجا من بلاده فى البحر إلى عكا من ساحل دمشق، ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان سنة أربع و ثلاثين و ستمائة، و نزل عندنا بالمدرسة العادية، و جدّه الأعلى أحمد بن عبد الله بن محمد بن على قدم إلى الديار المصرية، و حج منها و معه ولده محمد أخو عبد الملك و يعرف بصاحب الوثائق، و سمعا بها من جماعة من العلماء، و ذكر أبو عبد الله الحميدى أحمد بن عبد الله هذا فى «المقتبس»، و كناه أبا عمر، و ذكر أنه سكن إشبيلية و أثنى عليه كثيرا، و قال: مات فى حدود الأربعمائة، و روى عنه ابن عبد البر و غيره.

و أبوه عبد الله بن محمد بن على يعرف بالرواية، ذكره الحميدى أيضا.

و ذكر ابن بشكوال فى «الصلة» عبد الملك بن عبد العزيز جد هذا الشيخ القادم و أثنى عليه، و قال: توفى سنة اثنتين و ثلاثين و خمسمائة.

و كان هذا الشيخ أبو مروان حسن الأخلاق فاضلا متواضعا محسنا، و سمعته يقول، و قد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٢٦

سئل إعاره شىء، فبادر إليه، ثم قال: عندى فى قوله تعالى: وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) [الماعون: ٧] هو كل شىء.

و استفدنا من هذا الشيخ فائدة جلية، و هى معاينة قدر مدّ النبى صلى الله عليه و سلم، و هو عندهم متوارث، و قد أخبر عن ذلك أبو محمد بن حزم فى كتابه «المحلى» و عايرت بذلك المدّ الذى لنا بدمشق حينئذ، و هو الكيل الكبير، فوجدت مدنا يسع صاعين إلا يسيرا، و وجدته ممسوحا يسع صاعا و نصفا و شيئا فيكون مدان ممسوحان ثلاثة أصع زائدة، و قرأت فى كتاب «المحلى» لابن حزم قال أبو محمد: و خرط لى مدّ على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله بن على الباجي، و هو عند أكثرهم لا يفارق داره، أخرجه إلىّ تفتى الذى كلفته ذلك على بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن على المذكور، و ذكر أنه مدّ أبيه، و أن جده أخذه و خرطه على مدّ أحمد بن خالد، و أخبره أحمد بن خالد أنه خرطه على مدّ يحيى بن يحيى، على مد مالك، قال أبو محمد: و لا شك أن أحمد بن خالد صححه أيضا على مدّ محمد بن وضاح الذى صححه ابن وضاح بالمدينة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة و السلام! قال أبو محمد: ثم كتته بالقمح الطيب، ثم وزنته فوجدته رطلا و نصف رطل بالفلفلى لا يزيد حبة، و كتته بالشعير إلا أنه لم يكن بالطيب فوجدته رطلا واحدا و نصف أوقية، و سألت عن الرطل الفلفلى، فقيل لى: هو ست عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم، و فى تقدير ابن حزم نظر.

و توفي هذا الشيخ بالقاهرة سنة خمس و ثلاثين و ستمائة بعد رجوعه من الحج، رحمه الله تعالى! انتهى كلام أبي شامة، و بعضه بالمعنى.

٢٠٧- و منهم أبو العباس أحمد بن محمد، الواعظ، الإشبيلي، ثم المصري.

فاضل شرح الصدور بلفظه، و متكلم أحياء القلوب بوعظه، أحواله مشهورة، و مجالسه بالذكر معمورة، و له معرفة بالأدب، و خبرة بالشعر و الخطب، و كلام و وجهه حسن، و نظم يمتاز به على كثير من أرباب اللسن، قاله ابن حبيب الحلبي، قال: و هو القائل: [بحر البسيط]

من أنت محبوبه من ذا يعيره و من صفوت له من ذا يكره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٢٧

هيهات عنك ملاح الكون تشغلني و الكل أعراض حسن أنت جوهره

و قال: [بحر الخفيف]

اكشف البرقع عن بكر العقار و اخل في ليلك مع شمس النهار

و انهب العيش و دعه غلطا ينقضى ما بين هتك و استتار

إن تكن شيخ خلعات الصبا فالبس الصبوة في خلع العذار

و ارض بالعار و قل: قد آن لى فى هوى خمار كاسى لبس عارى

و قال: [بحر السريع]

حتوا إلى نجد نياق الهوى فتم واد جوّه معشب

و انتظروا حتى يلوح الحمى فالعيش فيه طيب طيب

و توفي سنة أربع و ثمانين و ستمائة، هكذا ذكر ترجمته ابن حبيب، ثم بعد كتبها حصل لى شك: هل هو ممن ارتحل بنفسه من

الأندلس أو ولد بمصر و إنما ارتحل إليها بعض سلفه؟

و الله تعالى أعلم.

٢٠٨- إبراهيم الإشبيلي المالكي، و بقى الدين بن مخلد]

٢٠٨- و كذا ذكر آخر بقوله فى سنة سبع و ثمانين و ستمائة: و فيها توفي الإمام زكى الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن على الإشبيلي المالكي، محدث، عالم، زاهد فيما ليس بدائم، كثير الخير، جزيل المير، كان حسن المناهج، قاضيا للحوائج، محسنا إلى الصامت و المعرب، مقصدا لمن يرد من الحجاز و المغرب، سمع بمصر و دمشق و حلب، و أفتى و درس، مفيدا لذوى الطلب، و لم يرح يعين بأياديه و يعيثن، و هو أول من باشر بظاهرة دمشق مشيخة الحديث، و كانت وفاته بدمشق عن نيف و سبعين سنة، انتهى.

٢٠٩- بقى بن مخلد بن يزيد، أبو عبد الرحمن، القرطبي، الأندلسي، الحافظ،]

٢٠٩- و منهم الأحق بالسبق و التقدم، بقى بن مخلد بن يزيد، أبو عبد الرحمن، القرطبي، الأندلسي، الحافظ، أحد الأعلام، و صاحب التفسير و المسند.

أخذ عن يحيى بن يحيى الليثي و محمد بن عيسى الأعشى، و ارتحل إلى المشرق، و لقي الكبار، و سمع بالحجاز مصعبا الزهري و إبراهيم بن المنذر و طبقتهما، و بمصر يحيى بن بكير و زهير بن عباد و طائفة، و بدمشق إبراهيم بن هشام الغساني، و صفوان بن صالح و هشام بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٢٨

عمار و جماعة، و ببغداد أحمد بن حنبل و طبقتة، و بالكوفة يحيى بن عبد الحميد الحمانى و محمد بن عبد الله بن نمير و أبا بكر بن أبى شيبه و طائفة، و بالبصرة أصحاب حماد بن زيد، و عنى بالأثر عناية عظيمة لا مزيد عليها، و عدد شيوخه مائتان و أربعة و ثلاثون رجلا، و كان إماما، زاهدا، صواما، صادقا، كثير التهجد، مجاب الدعوة، قليل المثل، مجتهدا، لا يقلد، بل يفتى بالأثر. ولد فى رمضان سنة إحدى و مائتين، و توفى فى جمادى الآخرة سنة ست و سبعين و مائتين.

قال ابن حزم: أقطع أنه لم يؤلف فى الإسلام مثل تفسيره، لا تفسير محمد بن جرير و لا غيره، و كان محمد بن عبد الرحمن الأموى صاحب الأندلس محبا للعلوم عارفا بها، فلما دخل بقى بن مخلد الأندلس بمصنف ابن أبى شيبه و قرىء عليه أنكر جماعة من أهل الرأى ما فيه من الخلاف و استبشعوه، و قام جماعة من العامة عليه، و منعه من قراءته، فاستحضره الأمير محمد و إياهم، و تصفح الكتاب جزءا جزءا حتى أتى على آخره، ثم قال لخازن كتبه: هذا الكتاب لا تستغنى خزائننا عنه، فانظر فى نسخه لنا، و قال لبقى: انشر علمك، و ارو ما عندك، و نهاهم أن يتعرضوا له.

قال ابن حزم: مسند بقى روى فيه عن ألف و ثلاثمائة صاحب و نيف، و رتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه فهو مسند و مصنف، و ما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته و ضبطه و إتقانه و احتفاله فى الحديث و له مصنف فى فتاوى الصحابة و التابعين ممن ذكرهم أربى فيه على مصنف أبى بكر بن أبى شيبه و على مصنف عبد الرزاق و على مصنف سعيد بن منصور. ثم ذكر تفسيره فقال: فصارت تصانيف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام، لا نظير لها، و كان متخيرا لا يقلد أحدا، و كان جاريا فى مضممار البخارى و مسلم و النسائى.

و ذكر القشيري أن امرأة جاءت فقالت له: إن ابني قد أسرته الفرنج، و إنى لا- أنام الليل من شوقى إليه، ولى دويرة أريد أن أبيعها لأفتكها بها، فإن رأيت أن تشير إلى من يأخذها و يسعى نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٢٩

فى فكاهه، فليس لى ليل و لا- نهار، و لا صبر و لا قرار، فقال: نعم، انصرفى حتى ننظر فى ذلك إن شاء الله تعالى، و أطرق الشيخ و حرك شفثيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص، فذهبت، فما كان غير قليل حتى جاءت و ابنها معها، فقالت: اسمع خبره يرحمك الله تعالى! فقال: كيف كان أمرك؟ فقال: إنى كنت فيمن يخدم الملك، و نحن فى القيود، فبينما أنا ذات يوم أمشى إذ سقط القيد من رجلى، فأقبل على الموكل بى فثمتنى، و قال: فككت القيد من رجلك، فقلت: لا و الله و لكن سقط و لم أشعر، فجاؤوا بالحداد فأعاده، و سمر مسماره و أيدته، ثم قمت، فسقط أيضا، فسألوا رهبانهم، فقالوا: أ لك والد؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنه قد استجيب دعاؤها له، فأطلقوه، فأطلقونى و خفرونى إلى أن وصلت إلى بلاد الإسلام، فسأله [بقى] عن الساعة التى سقط القيد من رجليه فيها، فإذا هى الساعة التى دعا له فيها، فرحمه الله تعالى.

٢١٠- و من الراحين من الأندلس إلى المشرق يوسف بن يحيى بن يوسف الأندلسى الأزدي، المعروف بالمغامى.

من أهل قرطبة، و أصله من طليطلة، و هو من ذرية أبى هريرة رضى الله عنه تعالى!.

سمع من يحيى بن يحيى و سعيد بن حسان، و روى عن عبد الملك بن حبيب مصنفاته، و ارتحل إلى مصر، و سمع من يوسف بن يزيد القراطيسى، و عاد إلى الأندلس، و كان فقيها، نبيلًا، فصيحًا بصيرا بالعربية، ثم بعد عوده من مصر أقام بقرطبة أعوامًا، ثم عاد إلى

مصر، و أقام بها، و سمع الناس منه، و عظم أمره بالبلاد بالمشرقية، ثم إنه عاد إلى المغرب فتوفى بالقيروان سنة ثمان و ثمانين و مائتين، و بين بمصر الواضحة لابن حبيب، و صنف شيئا في الرد على الشافعية في عشرة أجزاء، و ألف كتاب فضائل مالك رضى الله تعالى عنه، و الذى يرتضى أن من قلد إماما من المجتهدين لا ينبغي له أن يغض من قدر غيره، و إن كان و لا بد من الانتصار لمذهبه و تقوية حجته فليكن ذلك بحسن أدب مع الأئمة، رضى الله تعالى عنهم! فإنهم على هدى من ربهم، و قد ضلّ بعض الناس فحمله التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز فى حق العلماء الذين هم نجوم الملة، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، و قد حكى أبو عبد الله الوادى آشى - حسبما رأيته بخطه - أن القاضى عبد الوهاب بن نصر البغدادى المالكى ألف كتابا لنصرة مذهب مالك على غيره من المذاهب فى مائة جزء، و سماه «النصرة»، لمذهب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٣٠

إمام دار الهجرة» فوقع الكتاب بخطه بيد بعض قضاة الشافعية بمصر، فغرقه فى النيل، ففضى الله تعالى أن السلطان فرج بن برقوق سافر إلى الشام و معه القضاة الأربعة و غيرهم من الأعيان لدفع تيمور لنك عن البلاد، فلم يستطع شيئا، و هزم إلى مصر، و تفرقت العساكر، و أخذ القضاة و العلماء أسارى و من جملتهم ذلك القاضى، فبقى فى أسر تيمور لنك إلى أن ارتحل عن الشام، فأخذه معه أسيرا إلى أن وصل إلى الفرات، فغرق فيه، أعنى القاضى، فرأى بعض الناس أن ذلك بسبب تغريقه الكتاب المذكور، و الجزء من جنس العمل، و الله تعالى أعلم.

و قد نجى الله تعالى من هذه الورطة قاضى القضاة أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المالكى صاحب كتاب «العبر، و ديوان المبتدأ و الخبر، فى تاريخ العرب و العجم و البربر، و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» فإنه كان من جملة القضاة الحاضرين فى الهزيمة، فلما أدخلوا على تيمور لنك قال لهم ابن خلدون: قدّمونى للكلام تنجوا إن شاء الله تعالى، و إلا فأنتم أخبر، فقدموه و عليه زى المغاربة، فلما رآه تيمور لنك قال: ما أنت من هذه البلاد؟ و تكلم معه فخلبه ابن خلدون بلسانه، و كان آية الله الباهرة، ثم قال لتيمور لنك: إني ألفت كتابا فى تاريخ العالم، و حليته بذكرك، أو كما قال، و يقال: إن تيمور لنك هو الذى قال له: بلغنى أنك ألفت كتابا فى تاريخ العالم، ثم قال له تيمور لنك: كيف ساغ لك أن تذكرنى فيه و تذكر بختنصر مع أننا خربنا العالم؟ فقال له ابن خلدون: أفعالكمما العظيمة ألحقتكما بالذكر مع ذوى المراتب الجسيمة، أو نحو هذا من العبارات فأعجبه ذلك، و قيل: إنه لما أنس بابن خلدون قال له: يا خونند، ما أسفى إلا على كتاب ألفت فى التاريخ، و أنفقت فيه أيام عمرى، و قد تركته بمصر، و إن عمرى الماضى ذهب ضياعا حيث لم يكن فى خدمتك و تحت ظل دولتك، و الآن أذهب فأتى بهذا الكتاب و أرجع سريعا حتى أموت فى خدمتك، و نحو هذا من الكلام، فأذن له، فذهب و لم يعد إليه، و قال بعض العلماء: إنه لم ينج من يد ذلك الجبار أحد من العلماء غير ابن خلدون و رجل آخر، و قد ذكر ذلك ابن عرب شاه فى «عجائب المقدور» و قد طال عهدي به فليراجع، و حكى غير واحد أن تيمور لنك لما أخذ حلب على الوجه المشهور فى كتب التاريخ جمع العلماء فقال لهم على عادته فى التعنت: قتل منا و منكم جماعة، فمن الذى فى الجنة قتلتنا أو قتلكم؟ و كان مراده إبراز سبب لقتلهم، لأنهم إن قالوا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٣١

أحد الأمرين هلكوا، فقال بعض العلماء، و أظنه ابن الشحنة: دعونى أجه، و إلا هلكتم، فتركوه، فقال له: يا خونند، هذا السؤال أجاب عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم حين سئل عنه، فغضب [تيمور لنك] و قال: كيف يمكن أن يجيب عن هذا السؤال رسول الله صلى الله عليه و سلم و نحن لم نكن فى زمانه؟ أو كلاما هذا معناه، فقال العالم المذكور: رويانا فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه و سلم سئل عن الرجل يقاتل شجاعه و يقاتل حمية و يقاتل ليذكر و يرى مكانه، فمن الذى فى الجنة؟ فقال النبى صلى الله عليه و سلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الذى فى الجنة» أو كما قال صلى الله عليه و سلم، فتعجب تيمور لنك من هذا الجواب المفحم المسكت، و حقّ له أن يتعجب منه، فإن هذا من الأجوبة التى يقل نظيرها، و فيها المخلص على كل حال بالإنصاف، و قد وفق

اللّٰه تعالى هذا العالم لهذا الجواب حتى يتخلص على يده أولئك الأقوام من الطاغية الجبار العنيد الذي جعل اللّٰه تعالى فتنته في الإسلام و فتنه جنكزخان و أولاده من أعظم الفتن التي و هي بها المسلمون.
و ذكر بعض العلماء أن ابن خلدون لما أقبل على تيمور لنك قال له: دعني أقبل يدك، فقال: و لم؟ فقال له: لأنها مفاتيح الأقاليم، يشير إلى أنه فتح خمسة أقاليم، و أصابع يده خمسة: فلكل أصبع إقليم، و هذا أيضا من دهاء ابن خلدون.
و قد كدنا نخرج عن المقصود في هذه الترجمة فلنصرف العنان، و اللّٰه سبحانه المستعان.

٢١١- و من الراحين من الأندلس الإمام الحافظ أبو بكر بن عطية، رحمه اللّٰه تعالى!

قال الفتح: شيخ العلم، و حامل لوائه، و حافظ حديث النبي صلى اللّٰه عليه و سلم و كوكب سمائه، شرح اللّٰه تعالى لحفظه صدره، و طاول به عمره، مع كونه في كل علم وافر النصيب، مياسرا بالمعلّى و الرقيب، رحل إلى المشرق لأداء الفرض، لابس برد من العمر الغض، فروى و قيد، و لقي العلماء و أسند، و أبقى تلك المآثر و خلد، نشأ في بيئة كريمة، و أرومة من الشرف غير مرومة، لم يزل فيها على وجه الزمان أعلام علم، و أرباب مجد ضخم، قد قيدت مآثرهم الكتب، و أطلعتهم التواريخ كالشهب، و ما برح الفقيه أبو بكر يتسمن كواهل المعارف و غواربها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٣٢

و يقيد شوارد المعاني و غرائبها، لاستضلاعه بالأدب الذي أحكم أصوله و فروعه، و عمر برهه من شبيبته ربوعه، و برز فيه تبريز الجواد المستولى على الأمد، و جلى عن نفسه به كما جلى الصقال عن النصل الفرد، و شاهد ذلك ما أثبتته من نظمه الذي يروق جملة و تفصيلا، و يقوم على قوة العارضة دليلا، فمن ذلك قوله يحذر من خلطاء الزمان، و ينبه على التحفظ من الإنسان: [بحر الرمل]

كن بذئب صائد مستأنسا و إذا أبصرت إنسانا ففر

إنما الإنسان بحر ما له ساحل فاحذره إياك الغرر

و اجعل الناس كشخص واحد ثم كن من ذلك الشخص حذر

و له في الزهد: [بحر الرمل]

أيها المطرود من باب الرضا كم يراك اللّٰه تلهو معرضا

كم إلى كم أنت في جهل الصبا قد مضى عمر الصبا و انقرضا

قم إذا الليل دجت ظلمته و استلذّ الجفن أن يغتمضا

فضع الخد على الأرض و نح و اقرع السنّ على ما قد مضى

و له في هذا المعنى: [مخلع البسيط]

قلبي يا قلبي المعنى كم أنا أدعى فلا أجيب

كم أتمادي على ضلال لا أرعوى لا و لا أنيب

ويلاه من سوء ما دهاني يتوب غيري و لا أتوب

وا أسفى كيف برء دائي كما شاء الطيب

لو كنت أدنو لكنت أشكو ما أنا من بابه قريب

أبعدني منه سوء فعلى و هكذا يبعد المريب

ما لي قدر و أى قدر لمن أخلت به الذنوب

و له في هذا المعنى أيضا: [بحر الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٣٣

لا تجعلن رمضان شهر فكاهاه تلهيك فيه من القبيح فنونه

و اعلم بأنك لا تنال قبوله حتى تكون تصومه و تصونه

و له فى مثل ذلك: [بحر الطويل]

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون و فى بصرى غض و فى مقولى صمت

فحظى إذا من صومى الجوع و الظما و إن قلت إنى صمت يوما فما صمت

و له فى المعنى الأول: [بحر الطويل]

جفوت أناسا كنت آلف وصلهم و ما فى الجفا عند الضرورة من باس

بلوت فلم أحمد، و أصبحت آيسا و لا شىء أشفى للنفوس من الياس

فلا تعذلونى فى انقباضى فإننى رأيت جميع الشر فى خلطة الناس

و له يعاتب بعض إخوانه: [بحر الوافر]

و كنت أظن أن جبال رضوى تزول و أن ودك لا يزول

و لكنّ الأمور لها اضطراب و أحوال ابن آدم تستحيل

فإن يك بيننا وصل جميل و إلا فليكن هجر طويل

و أما شعره الذى اقتدحه من مرخ الشباب و عفاره، و كلامه الذى و شحه بمآرب الغزل و أوطاره، فإنه نسى إلى ما تناساه، و تركه

حين كساه العلم و الورع من ملابسه ما كساه، فمما وقع من ذلك قوله: [بحر الكامل]

كيف السلو ولى حبيب هاجر قاسى الفؤاد يسومنى تعذبا

لما درى أن الخيال مواصلى جعل السهاد على الجفون رقبيا

و له أيضا: [بحر مخلع البسيط]

يا من عهدى لديك ترعى أنا على عهدك الوثيق

إن شئت أن تسمعى غرامى من مخبر عالم صدوق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٣٤

فاستخبرى قلبك المعنى يخبرك عن قلبى المشوق

انتهى كلام الفتاح.

و أبو بكر بن عطية المذكور هو والد الحافظ القاضى أبى محمد عبد الحق بن عطية صاحب التفسير الشهير، رحم الله تعالى الجميع!

قال فى الإحاطة فى حقه ما ملخصه: هو الشيخ الإمام المفسر عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربى، فقيه عالم بالتفسير و الأحكام و

الحديث و الفقه و النحو و اللغة و الأدب، حسن التقييد، له نظم و نثر، ولى قضاء المرية سنة تسع و عشرين و خمسمائة فى المحرم، و

كان غاية فى الذكاء و الدهاء و التهمم بالعلم، سرى الهمة فى اقتناء الكتب توخى الحق، و عدل فى الحكم، و أعز الخطأ، روى عن

أبيه و أبوى على الغسانى و الصدقى و طبقتهما، و ألف كتابه «الوجيز» فى التفسير فأحسن فيه و أبدع، و طار بحسن نيته كل مطار، و

برنامجا ضمنه مروياته و أسماء شيوخه فحرر و أجاد.

و من نظمه يندب عهد شبابه: [بحر البسيط]

سقى لعهد شباب ظلت أمرح فى ريعانه و ليالى العيش أسحار

أيام روض الصبا لم تذو أغصنه و روتق العمر غض و الهوى جار

و النفس تركض في تضمير شرتها طرفا له في زمان اللهو إحضار
 عهدا كريما لبسنا فيه أردية كانت عيانا و مَحَّتْ فهي آثار
 مضى و أبقى بقلبي منه نار أسى كوني سلاما و بردا فيه يا نار
 أبعد أن نعمت نفسي و أصبح في ليل الشباب لصبح الشيب إسفار
 و قارعتني الليالي فانثنت كسرا عن ضيغم ما له ناب و أظفار
 إلا سلاح خلال أخلصت فلها في منهل المجد إيراد و إصدار
 أصبو إلى روض عيش روضه خضل أو ينثني بي عن العلياء إقصار
 إذا فطّلت كفى من شبا قلم آثاره في رياض العلم أزهار
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٣٥

مولده سنة إحدى و ثمانين و أربعمائه، و توفي في الخامس و العشرين من شهر رمضان سنة ست و أربعين و خمسمائه بلورقة، قصد ميورقة يتولى قضاءها فصدّ عن دخولها و صرف منها إلى لورقة اعتداء عليه، رحمه الله تعالى! انتهى.

و قال الفتح في حقه ما نصه: فتى العمر كله العلاء، حديث السن قديم السناء، لبس الجلالة بردا ضافيا، و ورد ماء الأصالة صافيا، و أوضح للفضل رسما عافيا، و ثنى في ذهنه للأغراض فنا قصدا، و جعل فهمه شهابا رصدا، سما إلى رتب الكهول صغيرا، و سنّ كتيبة ذهنه على العلوم مغيرا، فسباها معنى و فصلا، و حواها فرعا و أصلا، و له أدب يسيل رضاضا، و يستحيل ألقاظا مبتدعة و أغراضا. و قال أيضا فيه: نبعة دوح العلاء، و محرز ملابس الثناء، فدّ الجلالة، و واحد العصر و الأصالة، و قار كما رسا الهضب، و أدب كما أطرد السلسل العذب، و شيم تتضاءل لها قطع الرياض، و تبادر الظن به إلى شريف الأغراض، سابق الأمجاد فاستولى على الأمد بعابه، و لم ينض ثوب شبابه، أذمن التعب في السؤدد جاهدا، فتى تناول الكواكب قاعدا، و ما اتكل على أوائله، و لا سكن إلى راحت بكره و أصائله، أثره في كل معرفة علم في رأسه نار، و طوالعه في آفاقها صبح أو منار، و قد أثبت من نظمه المستبدع ما ينفخ عبيرا، و يتضح منيرا، فمن ذلك قوله من قصيدة: [بحر البسيط]

و ليلة جبت فيها الجزع مرتديا بالسيف أسحب أذيالا من الظلم
 و النجم حيران في بحر الدجى غرق و البرق في طيلسان الليل كالعلم
 كأنما الليل زنجي بكاهله جرح فيثعب أحيانا له بدم
 انتهى المقصود منه.

و هو- أعنى أبا بكر- أحد مشايخ عياض، حسبما ألمعت به في «أزهار الرياض».

[٢١٢- أحمد بن فرح اللّخمي، الإشبيلي، الشافعي]

٢١٢- و منهم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح- بالحاء المهملة- بن أحمد بن محمد، الإمام، الحافظ، الزاهد، بقيه السلف، اللّخمي، الإشبيلي، الشافعي، أسره الإفرنج

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٣٦

سنة ست و أربعين و ستمائه، و خلص، و قدم مصر سنة بضع و خمسين، و قيل: إنه تمذهب للشافعي، و تفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام قليلا، و سمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري الحموي، و المعين أحمد بن زين الدين و إسماعيل بن عزون و النجيب بن الصيقل و ابن علان، و بدمشق من ابن عبد الدائم و خلق، و عنى بالحديث، و أتقن ألقاظه، و عرف رواته و حفاظه، و فهم معانيه، و انتقى لبابه و مبانيه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٣؛ ص ١٣٦

ل الصفدى: و كان من كبار أئمة هذا الشأن، و ممن يجرى فيه و هو طلق اللسان، هذا إلى ما فيه من ديانة، و ورع و صيانة، و كانت له حلقة اشتغال بكرة بالجامع الأموى يلازمها، و يحوم عليه من الطلب حوائمها، سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبى، و استفاد منه، و روى فى تصانيفه عنه، و عرضت عليه مشيخة دار الحديث النورية فأبأها، و لم يقبل حباها، و كان بزى الصوفية، و معه فقاها بالشافعية، و لم يزل على حاله حتى أحزن الناس ابن فرح، و تقدّم إلى الله و سرح، و شيع الخلق جنازته، و تولّوا وضعه فى القبر و حيازته، و توفى رحمه الله تعالى تاسع جمادى الآخرة سنة تسع و تسعين و ستمائة، و مولده سنة خمس و عشرين و ستمائة.

و له قصيدة غزلية فى ألقاب الحديث سمعها منه الدّمياطى و اليونينى، و سمع منه البرزالى و المقاتلى و النابلسى و أبو محمد بن الوليد، و مات بتربة أم الصالح بالإسهال.

و القصيدة المذكورة هى هذه: [بحر الطويل]

غرامى صحيح و الزّجا فيك معضل و حزنى و دمعى مطلق و مسلسل
و صبرى عنكم يشهد العقل أنه ضعيف و متروك، و ذلّى أجمل
و لا حسن إلا سماع حديثكم مشافهة يملى على فأنقل
و أمرى موقوف عليك، و ليس لى على أحد إلا عليك المعوّل
و لو كان مرفوعا إليك لكنت لى على رغم عدالى ترقّ و تعدل
و عدل عدولى منكر لا أسيغه و زور و تدليس يرد و يهمل
أقضى زمانى فيك متصل الأسى و منقطعا عما به أتوصّل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٣٧
وها أنا فى أكفان هجرى مدرج تكلفنى ما لا أطيع فأحمل
و أجريت دمعى بالدماء مدبّجا و ما هو إلا مهجتى تتحلّل
فمتفق سهدى و جفنى و عبرتى و مفترق صبرى و قلبى المبلبل
و مؤتلف شجوى و وجدى و لوعتى و مختلف حظى و ما منك آمل
خذ الوجد عنى مسندا و معننا فغيرى موضوع الهوى يتحيل
و ذى نبد من مبهم الحب فاعتبر و غامضه إن رمت شرحا أحول
عزيز بكم صب ذليل لغيركم و مشهور أوصاف المحب التذلل
غريب يقاسى البعد عنك، و ما له و حقّ الهوى عن داره متحوّل
فرقا بمقطوع الوسائل، ما له إليك سبيل لا و لا عنك معدل
فلا زلت فى عز منيع و رفعة و ما زلت تعلقو بالتجنى فأنزل
أورى بسعدى و الزّباب و زينب و أنت الذى تعنى و أنت المؤمل
فخذ أولا من آخر ثم أولا من النّصف منه فهو فيه مكمل
أبر إذا أقسمت أنى بحبّه أهيم و قلبى بالصباية يشعل
و قد ذكرت شرحها فى الجزء الثلاثين من تذكرتى، انتهى كلام الصفدى.

و ظاهر كلامه أنه ابن فرح - بفتح الراء - و الذى تلقيناه عن شيوخنا أنه بسكون الراء، و قد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق و المغرب يطول تعدادهم، و هى وحدها دالة على تمكن الرجل، رحمه الله تعالى!

٢١٣- ومنهم عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر، أبو الأصغ، الأموي، الأندلسي.

سمع بمكة و بدمشق و مصر و غيرها، و حدث عن سليمان بن أحمد بن يحيى بسنده إلى جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «إن لكل نبي أب عصبه ينتمون إليها، إلبا ولد فاطمة فأنا ولئيمهم و أنا عصبتهم، و هم عترتي، خلقوا من طينتي، و يل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحب الله، و من أبغضهم أبغضه الله» و حدث عن أبي العباس أحمد بن محمد البرذعي بسنده إلى عبد الله بن المبارك قال: كنت عند مالك بن أنس و هو يحدثنا، فجاءت عقرب فلدغته ست عشرة مرة، و مالك يتغير لونه و يتصبر، و لا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما فرغ من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٣٨

المجلس و تفرق الناس عنه قلت له: يا أبا عبد الله، قد رأيت منك عجا، قال: نعم، أنا صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم.

ولد أبو الأصغ المذكور بقرطبة و توفي ببخارى سنة ٣٦٥.

قال الحاكم أبو عبد الله: رأيت أبا الأصغ في المنام في بستان فيه خضرة و مياه جارئة و فرش كثيرة، و كأنني أقول: إنها له، فقلت: يا أبا الأصغ، بماذا وصلت إليه؟ أبا لحديث؟

فقال: إي و الله، و هل نجوت إلا بالحديث؟ قال: و رأيت أيضا و هو يمشى بزى أحسن ما يكون، فقلت: أنت أبو الأصغ؟ فقال: نعم، قلت: ادع الله تعالى أن يجمعني و إياك في الجنة، فقال: إن أمام الجنة أهوالا، ثم رفع يديه و قال: اللهم اجعله معي في الجنة بعد عمر طويل، انتهى.

٢١٤- ومنهم القاضي أبو البقاء خالد، البلوي، الأندلسي، رحمه الله تعالى.

و هو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد، البلوي، و وصفه الشاطبي بأنه الشيخ الفقيه القاضي الأعدل، انتهى.

و هو صاحب الرحلة المسماة: «تاج المفرق، في تحلية أهل المشرق»، و مما أنشده رحمه الله تعالى فيها لنفسه: [بحر الكامل]

و لقد جرى يوم النوى دمعي دما حتى أشاع الناس أنك فاني

و الله إن عاد الزمان بقربنا لكففت عن ذكر النوى و كفاني

و هذه الرحلة المسماة بتاج المفرق مشحونة بالفوائد و الفرائد، و فيها من العلوم و الآداب ما لا يتجاوز الرائد، و قد قال رحمه الله تعالى فيها في ترجمة الولي نجم الدين الحجازي رضي الله تعالى عنه، ما نصه: و ذكر لي رضي الله تعالى عنه قال: مما وصى به الجد الأكبر أبو الحجاج يوسف المذكور- يعني سيدي أبا الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الأقصري القطب الغوث رضي الله تعالى عنه، و أعاد علينا من بر كاته- خواصه و أصدقائه، قال: إذا أدركتكم الضرورة و الفاقة فقولوا: حسبي الله، ربي الله يعلم أنني في ضيق، قال: و ذكر لي أيضا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٣٩

رضي الله تعالى عنه قال: رأى هذا الجد يوسف المذكور النبي صلى الله عليه و سلم في النوم، بعد أن سأل الله تعالى ذلك، و قد كان أصابته فاقة، فشكا إلى النبي صلى الله عليه و سلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: «قل يا برّ يا رحيم، يا برّ يا رحيم، اللطف بي في قضائك، و لا- تولّ أمرى أحدا سواك، حتى ألقاك» فلما قالها أذهب الله تعالى عنه فاقته. قال: و كان رحمه الله تعالى يوصي بها أصحابه و أحبابه، انتهى.

و نسب بعضهم القاضي خالدا المذكور إلى انتقال كمال العماد في «البرق الشامي»، لأن خالدا أكثر في رحلته من الأسجاع التي

للعقاد، فلذا قال لسان الدين ابن الخطيب فيه: [بحر الطويل]
 خليلي إن يقض اجتماع بخالد فقولاً له قولاً و لن تعدوا الحقاً
 سرقت العقاد الأصبهاني برقه و كيف ترى في شاعر سرق البرقا
 و أظن أن لسان الدين كان منحرفاً عنه، و لذلك قال في كتابه «خطرة الطيف، و رحلة الشتاء و الصيف» عندما جرى ذكر قنطورية و
 قاضيها خالد المذكور ما صورته: لم يتخلف ولد عن والد، و ركب قاضيها ابن أبي خالد، و قد شهرته النزعة الحجازية، و لبس من
 خشن الحجازية، و أرخى من البياض طيلسانا، و تشبه بالمشاركة شكلاً و لساناً، و البداوة تسمه على الخرطوم، و طبع الماء و الهواء
 يقوده قود الجمل المخطوم، انتهى.

و من نظم أبي البقاء خالد البلوي المذكور قوله: [بحر الطويل]
 أتى العيد و اعتاد الأجابة بعضهم ببعض و أحباب المقيم قد بانوا
 و أضحى و قد ضحوا بقربانهم و ما لديه سوى حمر المدامع قربان
 و قال في رحلته: إنه قال هذين البيتين بديهة بمصلى تونس في عيد النحر من سنة سبع و ثلاثين و سبعمائة.
 و من نظمه أيضاً قوله رحمه الله تعالى: [بحر الطويل]
 و مستنكر شيبى و ما ذهب الصبا و لا جف إيناع الشيبى من غصنى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٤٠
 فقلت فراقى للأجابة مؤذن بشيبى و إن كنت ابن عشرين من سنى
 و محاسنه - رحمه الله تعالى! - كثيرة، و فى الرحلة منها جملة.

٢١٥- و منهم برهان الدين أبو إسحاق بن الحاج إبراهيم، النميرى، الغرناطى.

و هو أيضاً مذكور فى ترجمة ابن الخطيب بما يغنى عن تكرير اسمه هنا و قال رحمه الله تعالى فى رحلته: أخبرنى شيخنا- يعنى الشيخ
 الإمام الصالح أبا عبد الله محمد المعروف بخليل التوزرى إمام المالكية بالحرم الشريف رضى الله تعالى عنه- قال: اعتكفت بجامع
 عمرو بن العاص كفاً لشرتى عن الناس، خصوصاً أدى الغيبة، نحو خمسين ليلة، أردت أن أدعو لطائفه من أصحابى بمطالب مختلفة،
 كل بحسب ظنى فيه يومئذ، فأدر كنتى حيرة فى التمييز و التخصيص، فألهمت أن قلت بديهة: [بحر المتقارب]
 شهدنا بتقصير ألبابنا فحسن اختيارك أولى بنا
 و أنت البصير بأعدائنا و أنت البصير بأحبابنا
 قال: ثم أردفتها بدعاء، و هو: اللهم يا من لا يعلم خيره إلا هو، أنت أعلم بأعدائنا و أودائنا، فافعل بكل منهم ما يناسب حسن اختيارك
 لنا، حسبما علمته منا، و كفى بك عليمًا، و كفى بك قديراً، و كفى بك بصيراً، و كفى بك لطيفًا، و كفى بك خيرًا، و كفى بك
 نصيراً، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا كثيرًا.
 و قال ابن الحاج المذكور فى الرحلة المذكورة: إذا التقى الرجل بعدوه و هو على خوف منه فليقرأ هذه الحروف كهيعص (١) [مريم:
 ١]، حم (١) عسق (٢) [الشورى: ١- ٢] و ليعقد بكل حرف منها أصبعًا، يبدأ بإبهام يده اليمنى و يختم بإبهام يده اليسرى، فإذا قرب
 من عدوه فليقرأ فى نفسه سورة الفيل، فإذا وصل إلى قوله تَرْمِيهِمُ [الفيل: ٤] فليكررها، و كلما كررها فتح أصبعًا من أصابعه المعقودة
 تجاه العدو، فيكررها عشر مرات، و يفتح جميع أصابعه، فإذا فعل ذلك أمن من شره إن شاء الله تعالى و هو مجرب، انتهى.

و من بديع نظم أبي إسحاق بن الحاج النميرى المذكور قوله: [بحر الكامل]

يا رب كاس لم يسحّ شمولها فاعجب لها جسماً بغير مزاج

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٤١
 لما رأينا السحر من أشكالها جملا نسبناه إلى الزجاج
 و له فيما أظن: [بحر الوافر]
 له شفه أضاعوا النثر فيها بلثم حين سدّت ثغر بدر
 فما أشهى لقلبي ما أضاعوا (ليوم كريحه و سداد ثغر)
 و هو تضمين حسن.

[٢١٦- أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف النفزي الأثري الغرناطي]

٢١٦- و من الراحلين من الأندلس إلى المشرق إمام النحاة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، النفزي، الأثري، الغرناطي.

قال ابن مرزوق الخطيب في حقه: هو شيخ النحاة بالديار المصرية، و شيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية، انتهت إليه رياسته التبريز في علم العربية و اللغة و الحديث سمعت عليه و قرأت، و أنشدني الكثير، و إذا أنشدني شيئا و لم أقيده استعاده مني، فلم أحفظه، فأنشدني و كنت أظنه لنفسه ارتجالا إلى أن أخبرني أحد أصحابنا عنه أنه أخبره أنهما لأبي الحسن التجاني أنشدهما له بيته بالمدرسة الصالحية رحمه الله تعالى: [بحر السريع]

إن الذي يروى و لكنه يحفظ ما يروى و لا يكتب
 كصخرة تنبع أمواجها تسقى الأراضي وهي لا تشرب
 قال: و رويت عنه تأليف ابن أبي الأ-حوص: منها «التبيان، في أحكام القرآن» و «المعرب المفهم، في شرح مسلم» و لم أقف عليه و «الوسامة، في أحكام القسامه» و «و المشرع السلسل، في الحديث المسلسل» و غير ذلك.

و حدثني بسنن أبي داود عن ابن خطيب المزّة عن أبي حفص بن طبرزد عن أبي البدر الكرخي و مفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب عن أبي عمر الهاشمي عن اللؤلؤي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٤٢
 عن أبي داود، و بسنن النسائي عن جماعة عن ابن باقا عن أبي زرعة عن ابن حميد الدّوسى عن أبي نصر الكسار عن ابن السني عن النسائي، و بالموطأ عن أبي جعفر بن الطباع بسنده.

و شكوت إليه يوما ما يلقاه الغريب من أذاة العداة، فأنشدني لنفسه: [بحر الطويل]

عداتي لهم فضل عليّ و منّه فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا
 هم بحثوا عن زلّتي فاجتنبتها و هم نافسوني فاكسبت المعاليا
 و أنشدني أيضا من مداعباته، و له في ذلك النظم الكثير مع طهارته و فضله: [بحر البسيط]
 علقتة سبجى اللون قاده ما ابيضّ منه سوى ثغر حكي الدررا
 قد صاغه من سواد العين خالقه فكل عين إليه تدمن النظرا
 و أنشدني في جاهل لبس صوفا و زهى فيه: [بحر الطويل]

أيا كاسيا من جيّد الصوف نفسه و يا عاريا من كل فضل و من كيس
 أتزهى بصوف و هو بالأمس مصبح على نعجّه و اليوم أمسى على تيس
 انتهى ما اختصرته من كلام الخطيب ابن مرزوق:

و أنشد الرحالة ابن جابر الوادى آشى لأبى حيان قوله: [بحر الطويل]
و قصّر آمالى مآلى إلى الردى و أنى و إن طال المدى سوف أهلك
فصنت بماء الوجه نفسا أبية و جادت يمينى بالذى كنت أملكك

و وقفت على «أعيان العصر، و أعوان النصر» للصفدى، فوجدت فيه ترجمة أبى حيان واسعة فأريت أن أذكرها بطولها لما فيها من الفوائد، و هى:

الشيخ، الإمام، العالم، العلامة، الفريد، الكامل، حجة العرب، مالك أزمّة الأدب، أثير الدين، أبو حيان الأندلسى الجياني - بالجيم، و الياء آخر الحروف مشددة، و بعد الألف نون- و كان أمير المؤمنين فى النحو، و الشمس السافرة شتاء فى يوم الصحو، و المتصرف فى هذا العلم فإليه الإثبات و المحو، لو عاصر أئمة البصرة لبصيرهم، أو أهل الكوفة لكف عنهم اتباعهم السواد و حذرهم، نزل منه كتاب سيبويه فى وطنه بعد أن كان طريدا، و أصبح به

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٤٣

التسهيل بعد تعقيده مفيدا، و جعل سرحه شرحه و جنة راقته النواظر توريدا، ملأ الزمان تصانيف، و أمال عنق الأيام بالتأليف، تخرج به أئمة فى هذا الفن، و روق لهم فى عصره منه سلافة الدن، فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغضا غير مجيب، أو عيسى بن عمر لأصبح من تقصيره و هو محذر، أو الخليل لكان بعينه قذاه، أو سيبويه لما تردى من مسألته الزنبورية برداه، أو الكسائى لأعراه حلة جاهه عند الرشيد و أناسه، أو الفراء لفز منه و لم يقتسم ولدا المأمون تقديم مداسه، أو اليزيدى لما ظهر نقصه من مكانه، أو الأخفش لأخفى جملة من محاسنه، أو أبو عبيدة لما تركه ينصب لشعب الشعبوية، أو أبو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلق بعريته، أو السكرى لما راق كلامه فى المعانى و لا- حلال أو المازنى لما زانه قوله: «إن مصابكم رجلا» أو قطرب لما دب فى العريية و لا درج، أو ثعلب لاستكن بمكره فى وكره و لما خرج، أو المبرد لأصبحت كواه مقتره، أو الزجاج لأمست قواريره مكسرة، أو ابن الوزان لعدم نقده، أو الثمانينى لما تجاوز حدّه، أو ابن باب لعلم أن قياسه ما اطرد، أو ابن دريد ما بلع ريقه و لا ازدرد، أو ابن قتيبة لأضاع رحله، أو ابن السراج لمشى إذ رأى وحله، أو ابن الخشاب لأضرم فيه نارا، و لم يجد معه نورا، أو ابن الخباز لما سجر له تنورا، أو ابن القواس لما أغرق فى نرعه، أو ابن يعيش لأوقعه فى نرعه، أو ابن خروف لما وجد له مرعى، أو ابن إياز لما وجد لأوزاره وقعا، أو ابن الطراوة لم يكن نحوه طريا، أو الدباج لكان من جلته الرائقة عريا، و على الجملة فكان إمام النحاة فى عصره شرقا و غربا، و فريد هذا الفن الفذ بعدا و قربا، و فيه قلت: [بحر السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٤٤

سلطان علم النحو أستاذنا الش يخ أثير الدين حبر الأنام
فلا تقل زيد و عمرو، فما فى النحو معه لسواه كلام

خدم هذا العلم مدّة تقارب الثمانين، و سلك من غرائبه و غوامضه طرقا متشعبة الأفانين، و لم يزل على حاله إلى أن دخل فى خبر كان، و تبدلت حر كاته بالإسكان، و توفى رحمه الله تعالى بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة فى يوم السبت بعد العصر الثامن و العشرين من صفر سنة خمس و أربعين و سبعمائة، و دفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر، و صلى عليه بالجامع الأموى بدمشق صلاة الغائب فى شهر ربيع الآخر، و مولده بمدينة مطخشارش فى أخريات شوال سنة أربع و خمسين و ستمائة.

و قلت أنا أرثيه رحمه الله تعالى: [بحر السريع]

مات أثير الدين شيخ الورى فاستعر البارق و استعبرا

ورق من حزن نسيم الصبا و اعتل فى الأسحار لئما سرى

و صادحات الأيك فى نوحها رثته فى السجع على حرف را

يا عين جودى بالدموع التى يروى بها ما ضمه من ثرى
 واجرى دما فالخطب فى شأنه قد اقتضى أكثر مما جرى
 مات إمام كان فى فنه يرى إماما و الورى من ورا
 أمسى منادى للبلبلى مفردا فضمه القبر على ما ترى
 يا أسفا كان هدى ظاهرا فعاد فى تربته مضمرا
 و كان جمع الفضل فى عصره صح فلما أن قضى كسرا
 و عرّف الفضل به برهه و الآن لما أن مضى نكرا
 و كان ممنوعا عن الصرف لا يطرق من وافاه خطب عرا
 لا أفعل التفضيل ما بينه و بين من أعرفه فى الورى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٤٥
 لا بدل عن نعتة بالتقى ففعله كان له مصدرا
 لم يدغم فى اللحد إلا و قد فك من الصبر و ثيق العرا
 بكى له زيد و عمرو فمّن أمثلة النحو و ممن قرا
 ما أعقد التسهيل من بعده فكم له من عسرة يسرا
 و جسر الناس على خوضه إذ كان فى النحو قد استبحرا
 من بعده قد حال تمييزه و حظه قد رجح القهقرى
 شارك من قد ساد فى فنه و كم له فنّ به استأثرا
 دأب بنى الآداب أن يغسلوا بدمعهم فيه بقايا الكرى
 و النحو قد سار الردى نحوه و الصرف للتصريف قد غيرا
 و اللغة الفصحى غدت بعده يلغى الذى فى ضبطها قررا
 تفسيره البحر المحيط الذى يهدى إلى وراده الجوهر
 فوائد من فضله جمه عليه فيها نعقد الخنصرا
 و كان ثبنا نقله حجة مثل ضياء الصبح إن أسفرا
 و رحله فى سنه المصطفى أصدق من يسمع إن أخبرا
 له الأسانيد التى قد علت فاستفلت عنها سوامى الذرا
 ساوى بها الأحفاد أجدادهم فاعجب لماض فاته من طرا
 و شاعرا فى نظمه مفلقا كم حزر اللفظ و كم حبرا
 لها معان كلما خطها تستر ما يرقم فى تسترا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٤٦
 أفديه من ماض لأمر الردى مستقبلا من ربه بالقرى
 ما بات فى أبيض أكفانه إلا و أضحى سندسا أخضرا
 تصافح الحور له راحة كم تعبت فى كل ما سطر
 إن مات فالذكر له خالد يحيا به من قبل أن ينشرا

جاد ثرى وافاه غيث إذا مساه بالسقى له بكرًا

و خصه من ربه رحمةً تورده فى حشره الكوثرًا

و كان قد قرأ القراءات على الخطيب أبى محمد عبد الحق بن على بن عبد الله نحوًا من عشرين ختمه أفرادًا و جمعًا، ثم على الخطيب الحافظ أبى جعفر أحمد الغرناطى المعروف بالطباع بغرناطه، ثم قرأ السبعة إلى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ أبى على الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص بمالقه، ثم إنه قدم الإسكندرية، و قرأ القراءات على عبد النصير بن على بن يحيى المريوطى، ثم قدم مصر فقرأ بها القراءات على أبى الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليحى، و سمع الكثير على الجم الغفير بجزيرة الأندلس و بلاد إفريقية و الإسكندرية و ديار مصر و الحجاز، و حصّل الإجازات من الشام و العراق و غير ذلك، و اجتهد فى طلب التحصيل و التقييد و الكتابة، و لم أر فى أشياخى أكثر اشتغالًا منه، لأننى لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب، و لم أره على غير ذلك، و له إقبال على الطلبة الأذكياء، و عنده تعظيم لهم، و نظم و نثر، و له الموشحات البديعة، و هو ثبت فيما ينقله، محرر لما يقوله، عارف باللغة، ضابط لألفاظها، و أما النحو و الصرف، فهو إمام الناس كلهم فيهما، لم يذكر معه فى أقطار الأرض غيره فى حياته، و له اليد الطولى فى التفسير و الحديث و الشروط و الفروع و تراجم الناس و طبقاتهم و حوادثهم، خصوصًا المغاربة، و تقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من إمالة و ترفيق و تفخيم، لأنهم يجاورون بلاد الإفرنج و أسماءهم قريبة من لغاتهم، و ألقابهم كذلك، و قيده و حرره، و سأله شيخنا الذهبى أسئلة فيما يتعلق بذلك، و أجابه عنها.

و له التصانيف التى سارت و طارت، و انتشرت و ما انتشرت، و قرئت و دريت و نسخت و ما فسخت، أخلت كتب الأقدمين، و ألهمت المقيمين بمصر و القادمين، و قرأ الناس عليه، و صاروا أئمة و أشياخًا فى حياته، و هو الذى جدير الناس على مصنفات ابن مالك رحمه الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٤٧

تعالى، و رغبهم فى قراءتها، و شرح لهم غامضها، و خاض بهم لججها، و فتح لهم مقلها، و كان يقول عن مقدمه ابن الحاجب: هذه نحو الفقهاء، و كان التزم أن لا يقرئ أحداً إلا إن كان فى كتاب سيبويه أو فى التسهيل لابن مالك أو فى تصانيفه، و لما قدم من بلاده لازم الشيخ بهاء الدين رحمه الله تعالى كثيرا، و أخذ عنه كتب الأدب، و كان شيخا حسن العمه، مليح الوجه، ظاهر اللون، مشرب الحمرة، منور الشيبه، كبير اللحيه، مسترسل الشعر فيها لم تكن كئنه، عبارته فصيحته بلغه الأندلس يعقد حرف القاف قريبا من الكاف، على أنه لا ينطق بها فى القرآن إلا فصيحته، و سمعته يقول: ما فى هذه البلاد من يعقد حرف القاف.

و كانت له خصوصية بالأمر سيف الدين أرغون كافل الممالك، ينبسط معه، و يبيت عنده فى قلعه الجبل، و لما توفيت ابنته نضار طلع إلى السلطان الملك الناصر محمد، و سأل منه أن يدفنها فى بيته داخل القاهرة فى البروقية، فأذن له فى ذلك، و كان أولا يرى رأى الظاهرية، ثم إنه تمذهب للشافعى رضى الله تعالى عنه، بحث على الشيخ علم الدين العراقى «المحرر» للرافعى، و «مختصر المنهاج» للنووى، و حفظ «المنهاج» إلا يسيرا، و قرأ أصول الفقه على أستاذه أبى جعفر بن الزبير، بحث عليه من الإشارة للباغى، و من المستصطفى للغزالي، و على الخطيب أبى الحسن بن فضيله، و على الشيخ علم الدين العراقى، و على الشيخ شمس الدين الأصبهانى، و على الشيخ علاء الدين الباجى، و قرأ شيئا من أصول الدين على شيخه ابن الزبير، و قرأ عليه شيئا من المنطق، و قرأ أشياء من المنطق على بدر الدين محمد بن سلطان البغدادي، و قرأ عليه شيئا من «الإرشاد» للعميدى فى الخلاف، و لكنه برع فى النحو، و انتهت إليه الرياسة و المشيخة فيه، و كان خاليا من الفلسفة و الاعتزال و التجسيم، و كان أولا يعتقد فى الشيخ تقى الدين بن تيمية و امتدحه بقصيدة، ثم إنه انحرف عنه لما وقف على كتاب «العرش» له، قال الفاضل كمال الدين الأدفوى: و جرى على مذهب كثير من النحويين فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٤٨

تعصبه للإمام على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه التعصب المتين، قال: حكى لى أنه قال لقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة: إن عليا رضى الله تعالى عنه عهد إليه النبى صلى الله عليه و سلم أن لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق، أ تراه ما صدق فى هذا! فقال: صدق، قال فقلت له:

فالذين سلوا السيوف فى وجهه يبغضونه أو يحبونه أو غير ذلك؟ قال: و كان سيىء الظن بالناس كافة، فإذا نقل له عن أحد خبر لا يتكيف به و ينشئ عنه حتى عمّن هو عنده مجروح، فيقع فى ذم من هو بألسنة العالم ممدوح، و بسبب ذلك وقع فى نفس جمع كبير، منه ألم كثير، انتهى.

قلت: أنا لم أسمع منه فى حق أحد من الأحياء و الأموات إلا- خيرا، و ما كنت أنقم عليه شيئا إلا ما كان يبلغنى عنه من الحط على الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد، على أنى أنا ما سمعت فى حقه شيئا، نعم كان لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الصلاح حتى قلت له يوما: يا سيدى، فكيف تعمل فى الشيخ أبى مدين؟ فقال: هو رجل مسلم دين، و إلا ما كان يطير فى الهواء، و لا يصلى الصلوات الخمس فى مكة كما يدعى فيه هؤلاء الأعمار.

و كان فيه- رحمه الله تعالى!- خشوع يبكى إذا سمع القرآن، و يجرى دمعه عند سماع الأشعار الغزلية، و قال كمال الدين المذكور: قال لى: إذا قرأت أشعار العشق أميل إليها، و كذلك أشعار الشجاعة تستملىنى، و غيرهما، إلا أشعار الكرم ما تؤثر فى، انتهى. قلت: كان يفخر بالبخل، كما يفخر غيره بالكرم، و كان يقول لى: أوصيك احفظ دراهمك و يقال عنك بخيل، و لا تحتج إلى السفلى.

و أنشدنى من لفظه لنفسه: [بحر الطويل]

رجاؤك فلما قد غدا فى حباتلى قنيسا رجاء للتناج من العقم
أ أتعب فى تحصيله و أضيعه إذن كنت معتاضا من البرء بالسقم

قلت: و الذى أراه فيه أنه طال عمره، و تغرب، و ورد البلاد و لا شىء معه، و تعب حتى حصل المناصب تعباً كثيراً، و كان قد جرب الناس، و حلب أشطر الدهر و مرت به حوادث،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٤٩

فاستعمل الحزم، و سمعته غير مرة يقول: يكفى الفقير فى مصر أربعة أفلس: يشتري له بائنة بفلسين، و بفلس زبيبا، و بفلس كوز ماء، و يشتري ثانى يوم ليمونا بفلس يأكل به الخبز، و كان يعيب على مشتري الكتب و يقول: الله يرزقك عقلا تعيش به، أنا أى كتاب أردته استعرتة من خزائن الأوقاف، و إذا أردت من أحد أن يعيرنى دراهم ما أجد ذلك، و أنشدنى له إجازة: [بحر الكامل]

إن الدراهم و النساء كلاهما لا تأمنن عليهما إنسانا

ينزعن ذا اللب المتين عن التقى فترى إساءة فعله إحسانا

و أنشدنى له من أبيات: [بحر الطويل]

أتى بشفيح ليس يمكن رده دراهم بيض للجروح مراهم

تصير صعب الأمر أهون ما يرى و تقضى لبانات الفتى و هو نائم

و من حزمه قوله:

عداتي لهم فضل- البيتين

و قد مدحه كثير من الشعراء، و الكبار الفضلاء، فمنهم القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر بقوله: [بحر الكامل]

قد قلت لما أن سمعت مباحثا فى الذات قررها أجل مفيد

هذا أبو حيان قلت صدقتم و بررتم هذا هو التوحيدى

و كان قد جاء يوماً إلى بيت الشيخ صدر الدين بن الوكيل فلم يجده، فكتب بالجص على مصراع الباب، فلما رأى ابن الوكيل ذلك قال: [بحر الكامل]

قالوا أبو حيان غير مدافع ملكك النحاء فقلت بالإجماع

اسم الملوك على النقود و إنني شاهدت كنيته على المصراع

و مدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطولة أولها: [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٥٠

إليك أبا حيان أعملت أنيقي و ملت إلى حيث الركائب تلتقي

دعاني إليك الفضل فانقدت طائعا و لبيت أحدها بلفظي المصدق

و مدحه نجم الدين إسحاق بن المنى التركي، و سأله تكمله شرح التسهيل بقصيدة، و أرسلها إليه من دمشق، و أولها: [بحر الطويل]

تبدى فقلنا وجهه فلق الصبح و كمله باليمن فيه و بالنجح

و سهلت تسهيل الفوائد محسنا فكن شارحا صدرى بتكملة الشرح

و مدحه مجير الدين عمر بن اللمطي بقصيدة أولها: [بحر السريع]

يا شيخ أهل الأدب الباهر من ناظم يلقى و من ناثر

و مدحه نجم الدين يحيى الإسكندري بقصيدة أولها: [بحر البسيط]

ضيف ألم بنا من أبرع الناس لا ناقض عهد أيامي و لا ناسي

عار من الكبر و الأذناس ذو شرف لكنه من سراويل العلا كاسي

و مدحه نجم الدين الطوفي بقصيدتين أول الأولى: [بحر الرمل]

أتراه بعد هجران يصل و يرى في ثوب وصل مبتذل

قمر جار على أحلامنا إذ تولاهما بقد معتدل

و أول الثانية: [بحر الرمل]

اعذروه فكريم من عذر قمرته ذات وجه كالقمر

و مدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الخيمي بقصيدة أولها: [بحر البسيط]

[إن الأثير أبا حيان أحيانا بنشره طي علم مات أحيانا

و مدحه القاضي ناصر الدين شافع بقصيدة أولها]: [بحر الطويل]

فضضت عن العذب النмир ختامها و فتحت عن زهر الرياض كمامها

و مدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم، و كتبت أنا إليه من الرحبة سنة ٧٢٩: [بحر البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٥١

لو كنت أملك من دهرى جناحين لطرت لكنه فيكم جنى حيني

يا سادة نلت في مصر بهم شرفا أرقى به شرفا ينأى عن العين

و إن جرى لسما كيوان ذكر علا أحلني فضلهم فوق السماكين

و ليس غير أثير الدين أثله فشاد ما شاد لي حقا بلا مين

حبر و لو قلت إن الباء رتبها من قبل صدقك الأقوام في ذين

أحيا علوما أمات الدهر أكثرها مذجلدت خلدت ما بين دفين

يا واحد العصر ما قولى بمتهم ولا أحاشى امرأ بين الفريقين
 هذى العلوم بدت من سيويه كما قالوا و فيك انتهت يا ثانى اثنين
 قدم لها و بودى لو أكون فدى لما ينالك فى الأيام من شين
 يا سيويه الورى فى الدهر لا عجب إذا الخليل غدا يفديك بالعين
 يقبل الأرض و ينهى ما هو عليه من الأشواق التى برّحت بألمها، و أجرت الدموع دما، و هذا الطرس الأحمر يشهد بدمها، و أربت
 بسّحها على السحاب، و أين دوام هذه من ديمها، و فرقت الأوصال على السقم لوجود عدمها: [بحر الطويل]
 فيا شوق ما أبقي، و يالى من النوى و يا دمع ما أجرى، و يا قلب ما أصبى
 و يذكر ولاءه الذى تسجع به فى الأرض الحمايم، يسير تحت لوائه مسير الرياح بين الغمام، و ثناءه الذى يتضوّع كالزهر بين الكمائم،
 و يتنسم تنسم هامات الربا إذا لبست من الربيع ملونات العمائم، و يشهد الله على ما قد قلته و الله سبحانه نعم الشهيد.
 فكتب هو الجواب عن ذلك و لكنه عدم منى.

و أنشدته يوما لنفسى: [بحر الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٥٢

قلت للكاتب الذى ما أراه قط إلا و نَقَطَ الدمع شكله
 إن تحطّ الدموع فى الخد شيئا ما يسمى؟ فقال خطّ ابن مقله
 و أنشدنى هو من لفظه لنفسه:

سبق الدمع بالمسير المطايا إذ نوى من أحبّ عنى نقله
 و أجاد الخطوط فى صفحة الخ دّ و لم لا يجيد و هو ابن مقله
 و أنشدنى فى مליح نوتى: [بحر الطويل]

كلفت بنوتى كأن قوامه إذا ينشئ خوط من البان ناعم
 مجاذفه فى كل قلب مجاذب و هزاته للعاشقين هزائم
 و أنشدته أنا لنفسى: [بحر الخفيف]

إن نوتى مركب نحن فيه هام فيه صبّ الفؤاد جريحه
 أقلع القلب عن سلوى لما أن بدا ثغره و قد طاب ريحه
 و أنشدته لنفسى أيضا: [بحر مخلع البسيط]

نوتينا حسنه بديع و فيه بدر السماء مغرى
 ما حكك برّا إلا و قلنا يا ليت أنا نحكك برّا
 فأعجباه رحمه الله تعالى، و زهزه لهما.

و أنشدنى هو لنفسه فى مليح أحذب: [بحر المتقارب]

تعشقتة أحدبا كيسا يحاكي نحيا حنين النعام
 إذا كدت أسقط من فوقه تعلق من ظهره بالسنام
 فأنشدته لنفسى: [بحر السريع]

و أحذب رحت به مغرما إذ لم تشاهد مثله عيني
 لا غرو إن هام فؤادى به و خصره ما بين دفين

و أنشدني من لفظه لنفسه في أعمى: [بحر البسيط]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٥٣
 ما ضرَّ حسن الذي أهواه أن سنى كريمته بلا شين قد احتجبا
 قد كانتا زهرتي روض و قد ذوتا لكنَّ حسنهما الفتان ما ذهب
 كالسيف قد زال عنه صقله فغدا أنكى و ألم في قلب الذي ضربا
 و أنشدته لنفسى في ذلك: [بحر السريع]
 و رب أعمى وجهه روضه تنزهى فيها كثير الديون
 و خده ورد غنيا به عن نرجس ما فتحت العيون
 و أنشدته أيضا لنفسى في ذلك: [بحر الطويل]
 فيا حسن أعمى لم يخف حد طرفه محبَّ غدا سكران فيه و ما صحا
 إذا صاد حلَّ بات يرعى حدوده غدا آمنة من مقلتيه الجوارحا

و كتبت إليه استدعاء، و هو: المسؤول من إحسان سيدنا الإمام العالم العلامة، لسان العرب، ترجمان الأدب، جامع الفضائل، عمدة وسائل السائل، حجة المقلّدين، زين المقلّدين، قطب المؤمن، أفضل الآخريين، وارث علوم الأولين، صاحب اليد الطولى فى كل مكان ضيق، و التصانيف التى تأخذ بمجامع القلب فكل ذى لب إليها شيق، و المباحث التى أثارته الأدلة الراجحة من مكان أماكنها، و قصت أوابدها الجامحة من مواطن مواطنها، كشف معضلات الأوائل، سباق غايات قصر عن شأوها سبحان وائل، فارع هضبات البلاغة فى اجتلاء اجتلابها و هى فى مرقى مرقدها، سالب تيجان الفصاحة فى اقتضاء اقتضابها من فوق فرقدها، حتى أبرز كلامه جنان فكلَّ جنان من بعده عن الدخول إليها جان، و أتى براهين وجوه حورها لم يطمئن إنس قبله و لا جان، و أبدع خمائل نظم و نثر لا تصل إلى أفنان فنونها يد جان، أثير الدين أبى حيان، لا زال ميت العلم يحييه و هل عجيب ذلك من أبى حيان: [بحر الكامل]

حتى ينال بنو العلوم مرامهم و يحلهم دار المنى بأمان

إجازة كاتب هذه الأحرف ما رواه فصح الله تعالى فى مدته من المسانيد و المصنفات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٥٤

و السنن و المجاميع الحديثية، و التصانيف الأدبية، نظما و نثرا، إلى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها، و تباين أجناسها و أنواعها، مما تلقاه ببلاد الأندلس و إفريقية و الإسكندرية و الديار المصرية و البلاد الحجازية و غيرها من البلدان، بقراءة أو سماع أو مناوله أو إجازة خاصة أو عامة، كيفما تأدى ذلك إليه، و إجازة ما له أدام الله إفادته من التصانيف فى تفسير القرآن العظيم و العلوم الحديثية و الأدبية و غيرها، و ما له من نظم و نثر إجازة خاصة، و أن يثبت بخطه تصانيفه إلى حين هذا التاريخ، و أن يجيزه إجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على رأى من يراه و يجوزه، منعا متفضلا إن شاء الله تعالى.

فكتب الجواب رحمه الله تعالى: أعزك الله! ظننت بإنسان جميلا- فغاليت، و أبديت من الإحسان جزيلا و ما باليت، وصفت من هو القتام يظنه الناس سماء، و السراب يحسبه الظمان ماء، يا ابن الكرام و أنت أبصر من يشيم، أمع الروض النضير يرعى الهشيم أما أغنتك فضائلك، و فواضلك، و معارفك، و عوارفك، عن نغبة من دأما، و تربة من يهماء، لقد تلبجت المهارق من نور صفحاتك، و تأرجت الأكوان من أريج نفحاتك، و أنت أعرف من يقصد للدراية، و أنقد من يعتم عليه فى الرواية، لكنك أردت أن تكسو من مطارفك، و تفضل من تالدك و طارفك، و تجلو الخامل فى منصة النباهة، و تنقذه من لكن الفهاهة، فتشيد له ذكرا، و تعلى له قدرا، و لم يمكنه إلا إسعافك فيما طلبت، و إجابتك فيما إليه ندبت، فإن المالك لا يعصى، و المتفضل المحسن لا يقصى، و قد أجزت لك- أيدك الله تعالى!- جميع ما رويته عن أشياخي بجزيرة الأندلس و بلاد إفريقية و ديار مصر و الحجاز و غير ذلك، بقراءة أو

سماع أو مناوله أو إجازة بمشافهه و كتابه و وجاده، و جميع ما أجزى لى أن أرويه بالشام و العراق و غير ذلك، و جميع ما صنفته و اختصرته و جمعته و أنشأته نظما و نثرا، و جميع ما سألت فى هذا الاستدعاء: فمن مروياتى الكتاب العزيز قرأته بقراءة السبعة على جماعة من أعلامهم الشيخ المسند المعمر فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن على بن هبة الله نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٥٥

المصرى ابن المليحى، آخر من روى القرآن بالتلاوة على أبى الجود، و الكتب الستة و الموطأ و مسند عبد بن حميد و مسند الدارمى و مسند الشافعى و مسند الطيالسى و المعجم الكبير للطبرانى و المعجم الصغير له و سنن الدارقطنى و غير ذلك.

و أما الأجزاء فكثيرة جدا، و من كتب النحو و الآداب فأروى بالقراءة كتاب سيويه، و الإيضاح، و التكملة، و المفصل، و جمل الزجاجى، و غير ذلك، و الأشعار الستة و الحماسة و ديوان حبيب و المتنبى و المعرى، و أما شيوخى الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة فهم كثير، و أذكر الآن منهم جماعة: فمنهم القاضى أبو على الحسن بن عبد العزيز بن أبى الأحوص القرشى، و المقرئ أبو جعفر أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشير الأنصارى، و إسحاق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك بن درباس، و أبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب القواس البغدادى، و صفى الدين الحسين بن أبى منصور بن الخزرجى، و أبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعرى، و وجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأزدي بن الدهان، و قطب الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد بن القسطلانى، و رضى الله محمد بن على بن يوسف الأنصارى الشاطبى اللغوى، و نجيب الدين محمد بن أحمد [بن محمد] بن المؤيد الهمدانى، و مكى بن محمد بن أبى القاسم بن حامد الأصبهاني الصيقل، و محمد بن عمر بن محمد بن على السعدى الضرير بن الفارض، و زين الدين أبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن الأنماطى، و محمد بن إبراهيم بن ترجم بن حازم المازنى، و محمد بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم الدارى بن الخليلى، و محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الأنصارى بن الخيمى، و محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر العنسى عرف بابن التّن، و عبد الله بن محمد بن هارون بن عبد العزيز الطائى القرطبى، و عبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان بن فتيان بن كامل الخزمى، و عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس التميمى، و عبد الرحمن بن يوسف بن يحيى بن يوسف ابن خطيب المزنة، و عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى المصرى السكرى، و عبد العزيز بن عبد المنعم بن على بن نصر بن الصيقل الحرانى، و عبد العزيز بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٥٦

عبد القادر بن إسماعيل الفيالى الصالحى الكتبانى، و عبد المعطى بن عبد الكريم بن أبى المكارم بن منجى الخزرجى، و على بن صالح بن أبى على بن يحيى بن إسماعيل الحسنى البهنسى المجاور، و غازى بن أبى الفضل بن عبد الوهاب الحلوى، و الفضل بن على بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الخزرجى، و يوسف بن إسحاق بن أبى بكر الطبرى المكى، و اليسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليسر القشبرى، و مؤنسة بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى، و شامية بنت الحافظ أبى على الحسن بن محمد بن محمد التيمية، و زينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على البغدادى.

و ممن كتبت عنه من مشاهير الأدباء أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن على بن الفرغ الملقى بن المرحل، و أبو الحسن بن حارم بن محمد بن حازم الأنصارى القرطاجنى، و أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلى التطلى، و أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن زنون الملقى، و أبو عبد الله محمد بن عمر بن جبير الجليانى العكى الملقى، و أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الأنصارى الجزار، و أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولو القرشى، و أبو حفص عمر بن محمد بن أبى على الحسن المصرى الوراق، و أبو الربيع سليمان بن على بن عبد الله بن ياسين الكومى التلمسانى، و أبو العباس أحمد بن أبى الفتح نصر الله بن باتكين القاهرى، و أبو عبد الله محمد بن سعيد [بن محمد] بن حماد بن محسن الصنهاجى البوصيرى، و أبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العزازى.

و ممن أخذت عنه من النحاة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشني الأندلي، و أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي بن الضائع، و أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي، و أبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهرى اللبلى، و أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن نصر الحلبي ابن النحاس.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٥٧

و ممن لقيته من الظاهرية أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الأنصارى الإشبلى الزاهد، و أبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهرى الشتمرى.

و جملة الذين سمعت منهم نحو من أربعمائة شخص و خمسين. و أما الذين أجازوني فعالم كثير جدا من أهل غرناطة و مالقة و سبتة و ديار إفريقية و ديار مصر و الحجاز و العراق و الشام، و أما ما صنفته فمن ذلك «البحر المحيط» فى تفسير القرآن العظيم «إتحاف الأديب، بما فى القرآن من الغريب» كتاب «الأسفار، الملخص من كتاب الصيغ» شرحا لكتاب سيويه، كتاب «التجريد لأحكام سيويه» كتاب «التذيل و التكميل، فى شرح التسهيل» كتاب «التنخيل، الملخص من شرح التسهيل» كتاب «التذكرة» كتاب «المبدع» فى التصريف، كتاب «الموفور» كتاب «التقريب» كتاب «التدريب» كتاب «غاية الإحسان» كتاب «النكت الحسان» كتاب «الشذا، فى مسألة كذا» كتاب «الفضل، فى أحكام الفصل» كتاب «اللمحة» كتاب «الشذرة» كتاب «الارتضاء، فى الفرق بين الضاد و الظاء» كتاب «عقد اللآلى» كتاب «نكت الأمالى» كتاب «النافع، فى قراءة نافع» «الأثير، فى قراءة ابن كثير» «المورد الغمر، فى قراءة أبى عمرو» «الروض الباسم، فى قراءة عاصم» «المزن الهامر، فى قراءة ابن عامر» «الرمزة، فى قراءة حمزة» «تقريب النائي، فى قراءة الكسائى» «غاية المطلوب، فى قراءة يعقوب» «التيار الجلى، فى قراءة زيد بن على» «الوهاب، فى اختصار المنهاج» «الأنور الأجلى، فى اختصار المحلى» «الحلل الحالية، فى أسانيد القرآن العالیه» كتاب «الإعلام، بأركان الإسلام» «نثر الزهر، و نظم الزهر» قطر الحبنى، فى جواب أسئلة الذهبى» فهرست مسموعاتى «نوافث السحر، فى دماث الشعر» «تحفة التدس، فى نحاة الأندلس» «الأبيات الوافية، فى علم القافية» جزء فى الحديث، مشيخة ابن أبى المنصور، كتاب «الإدراك، لسان الأتراك» «زهو الملك، فى نحو الترك» «نفحة المسك، فى سيرة الترك» كتاب «الأفعال، فى لسان الترك» «منطق الخرس، فى لسان الفرس» و مما لم يكمل تصنيفه كتاب «مسلك الرشد، فى تجريد مسائل نهاية ابن رشد» كتاب «منهج السالك، فى الكلام على ألفية ابن مالك» «نهاية الإغراب، فى علمى التصريف و الإغراب» رجز «مجانى الهصر، فى آداب و تواريخ لأهل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٥٨

العصر» «خلاصة التبيان، فى علمى البدع و البيان» رجز «نور الغبش، فى لسان الحبش» «المخبور، فى لسان اليخمور» قاله و كتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان.

و أنشدنى الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه فى صفات الحروف: [بحر الخفيف]

أنا هاو لمستطيل أعنّ كلما اشتد صارت النفس رخوه

أهمس القول و هو يجهر سبى و إذا ما انخفضت أظهر علوه

فتح الوصل ثم أطبق هجرا بصفير و القلب قلقل شجوه

لان دهرا ثم اغتدى ذا انحراف و فشا السر مذ تكررت نحوه

و أنشدنى أيضا لنفسه: [بحر الوافر]

يقول لى العذول و لم أظعه تسلّ فقد بدا للحبّ لحيه

تخيل أنها شانت حبيبي و عندى أنها زين و حليه

و أنشدنى لنفسه أيضا: [بحر البسيط]

شوقى لذاك المحيا الزاهر الزاهى شوق شديد و جسمى الواهن الواهى
أسهرت طرفى و ولّعت الفؤاد هوى فالطرف و القلب منى الساهر الساهى
نهبت قلبى و تنهى أن أبوح بما يلقاه و اشوقه للناهب الناهى
بهرت كل ملىح بالبهاء فما فى التّيرين شبيه الباهر الباهى
لهجت بالحب لما أن لهوت به عن كل شىء فويح اللاهج اللاهى
و أنشدنى من لفظه لنفسه: [بحر السريع]

راض حيبى عارض قد بدا يا حسنه من عارض راض
و ظن قوم أن قلبى سلا و الأصل لا يعتدّ بالعارض
و أنشدنى من لفظه لنفسه: [بحر الطويل]

تعشقتة شيخا كأن مشبيه على و جتته ياسمين على ورد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٥٩

أخا العقل يدرى ما يراد من الهوى أمنت عليه من رقيب و من صدّ
و قالوا الورى قسمان فى شرعة الهوى لسود اللحي ناس و ناس إلى المرد
ألا إنى لو كنت أصبو لأمرد صبوت إلى هيفاء مائسة القدّ
و سود اللحي أبصرت فيهم مشاركا فأحببت أن أبقى بأبيضهم وحدى
و أنشدنى من لفظه لنفسه: [بحر الطويل]

ألا إن ألاحظا بقلبي عوابثا أظنّ بها هاروت أصبح نافثا

إذا رام ذو وجد سلوا منعه و كنّ على دين التصابى بواعث

وقيدن من أضحي عن الحب مطلقا و أسر عن للبلوى بمن كان رائثا

بروحى رشا من آل خافان راحل و إن كان ما بين الجوانح لابثا

غدا واحدا فى الحسن للفضل ثانيا و للبدر و الشمس المنيرة ثالثا

و أنشدنى لنفسه، و من خطه نقلت: [بحر الطويل]

أسحر لتلك العين فى القلب أم و خز و لين لذاك الجسم فى اللمس أم خز

و أملود ذاك القدّ أم أسمر غدا له أبدا فى قلب عاشقه هز

فتاء كساها الحسن أفخر حلة فصار عليها من محاسنها طرز

و أهدى إليها الغصن لين قوامه فماس كأن الغصن خامره العز

يضع أديم الأرض من نشر طيبها و يخضّر من آثار تربتها الجرز

و تختال فى برد الشباب إذا مضت فينهضها قدّ و يقعدا عجز

أصابت فؤاد الصب منها بنظرة فلا رقيه تجدى المصاب و لا حرز

و أنشدنى إجازة فى ملىح أبرص، و من خطه نقلت: [بحر الطويل]

و قالوا الذى قد صرت طوع جماله و نفسك لاقت فى هواه نزاعها

به وضح تاباه نفس أولى النهى و أقطع داء ما ينافى طباعها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٦٠

فقلت لهم لا عيب فيه يشينه و لا علة فيه يروم دفاعها
و لكنها شمس الضحى حين قابلت محاسنه ألت عليه شعاعها
و أنشدنى من لفظه لنفسه فى فحام: [بحر الطويل]
و علقتة مسود عين و وفره و ثوب يعانى صنعهُ الفحم عن قصد
كأن خطوط الفحم فى و جناته لطاخة مسك فى جنى من الورد
و أنشدنى إجازة، و من خطه نقلت: [بحر الخفيف]
سأل البدر هل تبدى أخوه قلت يا بدر لن تطيق طلوعا
كيف يبدو و أنت يا بدر باد أو بدران يطلعان جميعا
و أنشدنى من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمسانى.
عاذلى فى الأهيف الأنس لو رآه الآن قد عدرا
رشأ قد زانه الحور
غصن من فوقه قمر
قمر من سحبه الشعر
ثغر من فيه أم درر
حال بين الدر و اللّمس خمره من ذاقها سكر
رجه بالردف أم كسل
ريقه بالثغر أم عسل
ورده بالخد أم خجل
كحل بالعين أم كحل
يا لها من أعين نعس جلبت للناظر السهرا
مذ نأى عن مقلتي سنى
ما أذيقا لذة الوسن
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٦١
طال ما ألقاه من شجن
عجبا ضدان فى بدن
بفؤادى جذوة القبس و بعينى الماء منفجرا
قد أتانى الله بالفرج
إذ دنا منى أبو الفرج
قمر قد حل فى المهج
كيف لا يخشى من الوهج
غيره لو صابه نفسى ظنه من حره شررا
نصب العينين لى شركا
فانثنى و القلب قد ملكا

قمر أضحى له فلكا
 قال لى يوما و قد ضحكا
 أتجى من أرض أندلس نحو مصر تعشق القمر
 و أما موشحاً ابن التلمسانى فهى:
 قمر يجلو دجى الغلس بهر الأبصار مذ ظهرا
 آمن من شبهة الكلف
 ذبت من عينيه بالكلف
 لم يزل يسعى إلى تلفى
 بركاب الدلّ و الصّلف
 آه لولا أعين الحرس نلت منه الوصل مقتدرا
 يا أميرا جار مذ وليا
 كيف لا ترثى لمن بليا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٦٢
 فبتغر منك قد جليا
 قد حلا طعما و قد حليا
 و بما أوتيت من كيس جد فما أبقيت مصطبرا
 بدرتم فى الجمال سنى
 و لهذا لقبوه سنى
 قد سباني لذة الوسن
 بمحيا باهر حسن
 هو خشفى و هو مفترسى فارو عن أعجوبتى خبرا
 لك خدّ يا أبا الفرج
 زين بالتوريد و الضّرج
 و حديث عاطر الأرج
 كم سبى قلبا بلا حرج
 لو رآك الغصن لم يمس أو رآك البدر لاستترا
 يا مديبا مهجتى كمدا
 فقت فى الحسن البدور مدى
 يا كحिला كحله اعتمدا
 عجبا أن تبرىء الرمدا
 و بسقم الناظرين كسى جفنك السحار و انكسرا
 و أنشدنى من لفظه لنفسه أيضا:
 إن كان ليل داج و خاننا الإصباح فنورها الوهاج، يغنى عن المصباح

سلافة تبدو كالكوكب الأزهر
مزاجها شهد و عرفها عنبر
و حبذا الورد منها و إن أسكر
قلبي بها قد هاج، فما تراني صاح عن ذلك المنهاج، و عن هوى يا صاح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٦٣
و بي رشا أهيف قد لج في بعدى
بدر فلا يخسف منه سنى الخدّ
بلحظه المرهف يسطو على الأسد
كسطوة الحجاج فى الناس و السفاح فما ترى من ناج، من لحظه السفاح
علل بالمسك قلب رشا أهور
منعم المسك ذى مبسم أطر
رياه كالمسك و ريقه كوثر
غصن على رجراج، طاعت له الأرواح فحبذا الآراج، إن هبت الأرواح
مهلا أبا القاسم على أبى حيان
ما إن له عاصم من لحظك الفتان
و هجر كالدائم قد طال بالهيمنان
فدمعه أمواج، و سره قد باح لكنه ما عاج، و لا أطاع اللاح
يا رب ذى بهتان يعذل فى الراح
و فى هوى غزلان دافعت بالراح
و قلت لا سلوان عن ذاك يا لاح
سبع الوجوه و التاج، هى منية الأفراح فاختر لى يا زجاج، قمصال و زوج أقداح
و أنشدنى من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التى نظمها فى مدح النحو و الخليل و سيوييه، ثم خرج منها إلى مديح صاحب غرناطة و
غيره من أشياخه، و أولها: [بحر الطويل]
هو العلم لا كالعلم شىء تراوده لقد فاز باغيه و أنجح قاصده
و هى قصيدة جيدة تزيد على مائة بيت.

و حكى لى أن الشيخ أثير الدين رحمه الله تعالى ضعف فتوجه إليه جماعة يعودونه، و فيهم شمس الدين بن دانيال، فأنشدهم الشيخ
رحمه الله تعالى القصيدة المذكورة، فلما فرغت قال ابن دانيال: يا جماعة أخبركم أن الشيخ قد عوفى، و ما بقى عليه بأس، لأنه لم يبق
عنده فضله، قوموا باسم الله.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٦٤

و أنشدنى من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى قصيدة السنية التى أولها: [بحر الطويل]

أهاجك ربع حائل الرسم دارسه كوحى كتاب أضعف الخط دارسه

انتهى نص الصفدى، و ما ذكره رحمه الله تعالى فى موضع ولادة أبى حيان غير مخالف لما ذكره فى الوافى أنه ولد بغرناطة، إلا أن
قوله: «بمدينة مطخشارش» فيه نظر، لأنه يقتضى أنها مدينة، و ليس كذلك، و إنما هى موضع بغرناطة، و لذا قال الرعيني: إن مولد أبى

حيان بمطخشارش من غرناطة، و نحوه لابن جماعة، انتهى، و هو صريح في المراد، و صاحب البيت أدرى [بالذى فيه] على أنه يمكن أن يرد كلام الصفدى لذلك، و الله تعالى أعلم.

و ذكر في الوافى أنه تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية، و الإقراء بالجامع الأحمر، قال الصفدى: و قال لى: لم أر بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك، و كان ذلك حين قرأت عليه المقامات الحريية بمصر جماعة، انتهى.

و ما وقع فى كلام كثير من أهل المغرب أن أبا حيان توفى سنة ثلاث و أربعين و سبعمائة غير ظاهر، لأن أهل المشرق أعرف بذلك، إذ توفى عندهم، و قد تقدم أنه توفى سنة خمس و أربعين و سبعمائة، فعلى كلام أهل المشرق فى هذا المعول، و الله أعلم.

و كانت نضار بنت أبى حيان حجت، و سمعت بقراءة العلم البرزالي على بعض الشيوخ، و حدثت بشيء من مروياتها، و حضرت على الدمياطى، و سمعت على جماعة، و هى بضم النون و تخفيف الضاد، و أجازها من المغرب أبو جعفر بن الزبير، و حفظت مقدمه فى النحو، و لما توفيت عمل والدها فيها كتابا سماه «النضار، فى المسئلة عن نضار» و كان والدها يثنى عليها كثيرا، و كانت تكتب و تقرأ، قال الصفدى: قال لى والدها: إنها خرّجت جزءا لنفسها، و إنها تعرب جيدا، و أظنه قال لى: إنها تنظم الشعر، و كان يقول دائما: ليت أخاها حيان كان مثلها، و توفيت رحمها الله تعالى فى جمادى الآخرة سنة ٧٣٠، فى حياة والدها، فوجد عليها وجدا عظيما و لم يثبت، و انقطع عند قبرها بالبرقية، و لازمه سنة، و مولدها فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٢، قال الصفدى: و كنت بالرحبة لما توفيت، فكتبت لوالدها بقصيدة أولها:

[بحر الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٦٥

بكيننا باللجين على نضار فسيل الدمع فى الخدين جارى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٣؛ ص ١٦٥

فيالله جارية تولت فبكيها بأدمعنا الجوارى

و قال الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الأندلسى فى برنامجه، عند ذكره شيخه أبا حيان زيادة على ما قدمناه، ما ملخصه: إن أبا حيان قال: سمعت بغرناطة و مالقة و بلش و المرية و بجاية و تونس و الإسكندرية و مصر و القاهرة و دمياط و المحلة و طهرمس و الجيزة و منية ابن خصيب و دشنا و قنا و قوص و بلبيس و بعيداب من بلاد السودان و ينبع و مكة شرفها الله تعالى و جدده و أيله، ثم فصل من لقيه فى كل بلد إلى أن قال: و بمكة أبا اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عبد الله بن عساكر، إلى أن قال: فهذه نبذة من شيوخى، و جملة من سمعت منهم [نحو] خمسمائة، و المجيزون أكثر من ألف، و عد من كتب القراءات التى أخذتسعة عشر كتابا، و قال فى حق ابن المليحي: إنه أعلى شيوخى فى القراءات و إن آخر من روى عنه السبع أبو الجود غياث بن فارس المنذرى اللخمي، و إجازته منه سنة ٦٠٤، قال: و قرأت البخارى على جماعة أقدمهم إسنادا فيه أبو العز الحرانى قرأته عليه بلفظى إلا بعض كتاب التفسير من قوله تعالى: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة: ٢٢٢] إلى قوله سبحانه: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [النور: ٢٤] فى سورة النور، فسمعته بقراءة غيرى، قال: أنبأنا به أبو المعالى أحمد بن يحيى بن عبيد الله الخازن البيع سماعا عليه سنة ستمائة ببغداد، أنبأنا أبو الوقت بسنده، و كمل له رحمه الله تعالى جامع الترمذى بين قراءة و سماع على ابن الزبير بغرناطة، و سمعه على محمد بن ترجم، أنبأنا ابن البناء أنبأنا الكرخى بسنده، و قرأ السنن لأبى داود بغرناطة على أبى زيد عبد الرحمن الربعى، عرف بالتونسى، أنبأنا به سهل بن مالك، و قرأه بالقاهرة على أبى الفضل عبد الرحيم ابن خطيب المزرة عن أبى حفص بن طبرزد عن أبى بدر الكرخى و مفلح الرومى عن أبى بكر بن ثابت الخطيب أنبأنا أبو عمر الهاشمى أنبأنا اللؤلؤى أنبأنا أبو داود، و قرأ الموطأ على أبى حفص بن الطباع عن أبى القاسم بن بقى عن ابن عبد الحق عن ابن الطلاع بسنده،

و هذا أعلى سند يوجد عن يونس بن مغيث في عصره،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٦٦

و سمع أبو حيان الأجزاء الخلعيات و الغيلانيات و القطيعيات و النهروانيات و المحامليات و الثقفيات و سداسيات الرازي بعلو، قرأها على صفى الدين عبد الوهاب بن الفرات عن أبي الطاهر إسماعيل بن ياسين الجيلي، و هو آخر من حدث عنه، عن أبي عبد الله الرازي سماعا، و قرأ جزء الأنصاري على أبي بكر بن الأنطاطي بسماعه حضورا في الرابعة على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار سنة ٥٣٢، أنبأنا إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي قراءة عليه في رجب سنة ٤٤٥، أنبأنا عبد الله بن إبراهيم بن ماس، أنبأنا أبو مسلم الكشي البصري، أنبأنا محمد بن عبد الله الأنصاري، و قرأ جميع كتاب سيويه على البهاء بن النحاس المشهور بالنحو في مصر و الشام، بقراءته على علم الدين أبي محمد القاسم بن أحمد بن الموفق، بقراءته على التاج أبي اليمن الكندي، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد البغدادي مؤلف كتاب المبهج، أنبأنا أبو الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب عرف بابن الدباس، أنبأنا أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن عمر بن برهان الأسدي، أنبأنا القاسم علي بن عبيد الله الرقيقى، أنبأنا علي بن عيسى بن عبد الله الرماني، أنبأنا أبو بكر بن السراج، أنبأنا أبو العباس المبرد، أنبأنا أبو عمر الجرمي و أبو عثمان المازني، قال: أنبأنا أبو الحسن الأخفش، أنبأنا سيويه، قال الشيخ أبو حيان: و لا أعلم راويا له بمصر و الشام و العراق و اليمن و المشرق غيري، و رويته عن الأساتيد أبوي علي بن الضائع و ابن أبي الأحوص و أبي جعفر اللبلى عن أبي علي الشلوين، و سنده مشهور بالمغرب، و وقع لأبي حيان تساعيات كثيرة، و أغرب ما وقع له ثلاثة أحاديث بينه و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم فيها ثمانية، أخبره المحدث نجيب محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني بقراءته عليه و الجليلة السلطانية مؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي قراءة عليها و هو يسمع قال: أنبأنا أبو الفخر أسعد بن سعيد بن روح في كتابه، أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانية، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريده الضبي الأصبهاني، أنبأنا الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخمي الطبراني، أنبأنا عبيد الله بن رماحس القيسي برمادة الرملة سنة ٢٧٤، أنبأنا أبو عمر زياد بن طارق و قد أتت عليه عشرون و مائة سنة، قال:

سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي يقول: لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم هوازن أتيتة فقلت: [بحر البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٦٧

امنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء ترجوه و تنتظر

امنن على بيضة قد عاقها قدر مشئت شملها في دهرها غير

أبقت لنا الدهر هتانا على حزن علا قلوبهم الغماء و الغمر

إن لم تداركهم نعماء تنشرها يا أرجح الناس حلما حين يختبر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك تملؤه من محضها الدرر

إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها و إذ يربيك ما تأتي و ما تذر

لا تجعلنا كمن شالت نعمته و استبق منا فإننا معشر زهر

إننا لنشكر للنعماء إذ كفرت و عندنا بعد هذا اليوم مدخر

فألبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك إن العفو مشتهر

يا خير من مرحت كمت الجياد به عند الهياج إذا ما استوقد الشرر

إننا نؤمل عفوا منك تلبسه هذى البرية إذ تعفو و تنتصر

فاعف عفا الله عما أنت راهبه يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال: «ما كان لى و لبنى عبد المطلب فهو لكم» فقالت قریش: ما كان لنا فهو لله و لرسوله، و قالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله و لرسوله، قال أبو القاسم الطبرانی: لا يروى عن زهير إلا بهذا الإسناد، و تفرد به عبيد الله بن رماحس، و بالإسناد إلى الطبرانی أنبأنا جعفر بن حميد بن عبد الكريم بن فروخ بن ديزج بن بلال بن سعد الأنصارى الدمشقى، قال: حدثنى جدى لأمى عمر بن أبان بن مفضل بن أبان المدنى، قال: أرانى أنس بن مالك الوضوء: أخذ ركوة فوضعها عن يساره، و صب على يده اليمنى فغسلها ثلاثا، ثم أدار الركوة عن يده اليمنى و صب على يساره فغسلها ثلاثا و ثلاثا و مسح برأسه ثلاثا و أخذ ماء جديدا لصماخيه فمسح صماخيه، فقلت له: قد مسحت أذنيك، فقال: يا غلام، هل رأيت و فهمت أو أعيد عليك؟ فقلت: قد كفاني، و قد فهمت، قال: فكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ، قال الطبرانى: لم يرو عمر بن أبان عن أنس حديثا غير هذا، و بالإسناد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٦٨

إلى الطبرانى: حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد القصاص البصرى، أنبأنا دينار بن عبد الله مولى أنس بن مالك، حدثنى أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طوبى لمن رآنى و آمن بى، و من رأى من رأى من رأى من رآنى».

ثم قال الرعيني: و تصانيف أبى حيان تزيد على خمسين ما بين طويل و قصير، ثم قال الرعيني: و خرج أبو حيان من الأندلس مفتتح سنة ٦٧٩، و استوطن القاهرة بعد حجه، و أنشد لشيخه أبى الحسن الزجاج: [بحر الطويل]

رضيت كفافى رتبة و معيشة فلست أسامى موسرا و وجيها

و من جر أثواب الزمان طويله فلا بد يوما أن سيعثر فيها

و أنشد بإسناده لموسى بن أبى تليد: [بحر المنسرح]

حالى مع الدهر فى تقلبه كطائر ضم رجليه شرك

فهمه فى خلاص مهجته يروم تخليصها فتشتبك

ثم أورد الرعيني جملة من نظم الإمام أبى حيان، منها قوله: [بحر الطويل]

أريد من الدنيا ثلاثا و إنها لغاية مطلوب لمن هو طالب

تلاوة قرآن، و نفس عفيفة، و إكثار أعمال عليها أواظب

و قوله: [بحر البسيط]

أرحت روحى من الإيناس بالناس لما غنيت عن الأكياس بالياس

و صرت فى البيت وحدى لا أرى أحدا بنات فكرى و كتبى هنّ جلاسى

و قوله: [بحر الطويل]

و زهدنى فى جمعى المال أنه إذا ما انتهى عند الفتى فارق العمرا

فلا روحه يوما أراح من العنا و لم يكتسب حمدا و لم يدخر أجرا

و قوله: [بحر الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٦٩

يظن الغمر أن الكتب تجدى أخوا ذهن لإدراك العلوم

و ما يدرى الجهول بأن فيها غوامض حيرت عقل الفهيم

إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم

و تلتبس الأمور عليك حتى تصير أضل من توما الحكيم

و له لغز في قيراط زاعما أنه لا يفكك: [بحر الطويل]

و ما اسم خماسي إذا ما فككته يصير لنا فعلين أمرا و ماضيا
بعكس و هو كل و جزء و جمعه بإبدال عين حاز فيه التناهي
و مع كونه فردا و جمعا فأول و آخره أضحي لشخص معاديا
و في عكسه صوت فتبينه صيغته و تبنى بمعناه و ما أنت بانيا
فكم فيه من معنى خفي و إنما عنيت بذكرى للذي ليس خافيا

ثم قال الرعيني: و هو شيخ فاضل، ما رأيت مثله، كثير الضحك و الانبساط، بعيد عن الانقباض، جيد الكلام، حسن اللقاء، جميل
المؤانسة، فصيح الكلام، طلق السان، ذو لمه و افره، و همه فاخرة، له وجه مستدير، و قامته معتدلة التقدير، ليس بالطويل و لا بالقصير،
انتهى ما لخصته من كلام الرعيني.

و لما قدم الأستاذ أبو حيان إلى مصر أوصى أهله بقوله: ينبغى للعاقل أن يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق، و في الباطن
معاملة العدو في التحفظ منه و التحرز، و ليكن في التحرز من صديقه أشد من التحرز من عدوه، و أن يعتقد أن إحسان شخص إلى
آخر و تودده إليه إنما هو لغرض قام له فيه يتعلق به يبعثه على ذلك لا لذات ذلك الشخص، و ينبغى أن يترك الإنسان الكلام في
سته أشياء: في ذات الله تعالى، و ما يتعلق بصفاته، و ما يتعلق بأحوال أنبيائه صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين! و في التعرض لما
جرى بين الصحابة رضی الله تعالى عنهم أجمعين! و في التعرض أيضا لأئمة المذاهب رحمهم الله تعالى و رضی عنهم! و في الطعن
على صالحى الأمة نفع الله بهم! و على أرباب المناصب و الرتب من أهل زمانه، و أن لا يقصد أذى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٧٠

أحد من خلق الله سبحانه و تعالى إلا على حسب الدفع عن نفسه، و أن يعذر الناس في مباحثهم و إدراكاتهم، فإن ذلك على حسب
عقولهم، و أن يضبط نفسه عن المراء و الاستزراء و الاستخفاف بأبناء زمانه، و أن لا يبحث إلا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة و
الفهم و المزاوله لما يبحث، و أن لا يغضب على من لا يفهم مراده و من لم يدر ما يدركه، و أن يلتمس مخرجا لمن ظاهر كلامه
الفساد، و أن لا يقدم على تخطئه أحد ببادى الرأى، و أن يترك الخوض فى علوم الأوائل، و أن يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة، و أن لا
ينكر على الفقراء، و ليسلم لهم أحوالهم، و ينبغى للعاقل أن يلزم نفسه التواضع لعبيد الله سبحانه و تعالى، و أن يجعل نصب عينيه أن
عاجز مفتقر، و أن لا يتكبر على أحد، و أن يقل من الضحك و المزاح و الخوض فيما لا يعنيه، و أن يتظاهر لكل بما يوافقه فيما لا
معصية لله تعالى فيه و لا خرم مروءة، و أن يأخذ نفسه باجتنا ب ما هو قبيح عند الجمهور، و أن لا يظهر الشكوى لأحد من خلق الله
تعالى، و أن لا يعرض بذكر أهله، و لا يجرى ذكر حرمه بحضوره جليسه، و أن لا يطلع أحدا على عمل خير يعمله لوجه الله تعالى، و
أن يأخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن اللفظ و جميل التغاضى، و أن لا يركن إلى أحد إلا إلى الله تعالى، و أن يكثر من مطالعة
التواريخ فإنها تلقح عقلا جديدا، و الله سبحانه و تعالى أعلم، انتهت وصية أبى حيان الجامعة النافعة، و قد نقلتها من خط الشيخ العلامة
أبى الطيب بن علوان التونسى المالكى الشهير المصرى، و هو ممن أخذ عن تلامذة الشيخ أبى حيان، رحمه الله تعالى.

قلت: و بما فى هذه الوصية من نهيه عن الطعن فى صالحى الأمة نفع الله تعالى بهم و أمره بالتسليم لأحوالهم و عدم الإنكار عليهم؛
تعلم أن ما نقله الصفدى عنه فيما تقدم من قوله: «إن الشيخ أبى مدين إلى آخره» كلام فيه نظر، لأن أبى حيان رضی الله تعالى عنه لا
ينكر كرامات الأولياء، كيف و قد ذكر رحمه الله تعالى منها كثيرا، فمن ذلك ما حكى عنه تلميذه الرعيني بسنده إلى الفقيه المقرئ
الصالح أبى تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونة الخزاعى، حدث أنه زار قبر أبى الحسن بن جالوت، و لم يكن زاره قبل،
فاشتمه عليه فتركه، فسمع النداء من قبر معين: يا غالب أتمشى و ما زرتنى؟ فزار ذلك القبر، و قعد عنده، ثم جاء ابن أبى الحسن

المذكور، فسأله عن القبر، فقال: هو الذى قعدت عنده، و غالب هذا و ابن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٧١

جالوت هما من أصحاب الشيخ أبى أحمد [جعفر] بن سيد بونء الخزاعى، و هو من أصحاب الشيخ أبى مدين، انتهى، فكيف ينكر أبو حيان كرامات الصالحين و هو ينهى عن الطعن فيهم، و يحكى كراماتهم، نعم قول الصفدى قبل ذلك الكلام «إنه كان ينكر على فقراء الوقت» كلام صحيح فى الجملة، لكثرة الدعاوى الباطلة ممن ليس من أهل الصلاح، و أما إنكار الكرامات مطلقا فمقام أبى حيان يجعل عن ذلك، و الله تعالى أعلم.

و قد أورد ابن جماعة له من قطعة قوله فى أهل عصره: [بحر الوافر]

و من يك يدعى منهم صلاحا فرنديق تغلغل فى الضلال

و أول هذه القطعة: [الوافر]

حلبت الدهر أشطره زمانا و أغنانى العيان عن السؤال

فما أبصرت من خلّ و فئّ و لا ألفت مشكور الخلال

ذئاب فى ثياب قد تبدّت لرائيها بأشكال الرجال

و من يك يدعى منهم صلاحا فرنديق تغلغل فى الضلال

ترى الجهال تتبعه و ترضى مشاركة بأهل أو بمال

فينهب مالهم و يصيب منهم نساءهم بمقبوح الفعال

و يأخذ حاله زورا فيرمى عمامته و يهرب فى الرمال

و يجرون التيوس وراء رجس تقرمط فى العقيدة و المقال

أى اعتقدوا رأى القرامطة، و مذهبهم مشهور، فلا نطيل به، فظهر بما ذكر أن أبى حيان إنما أنكر على أهل الدعاوى، لا على غيرهم، و الله تعالى أعلم.

و قد أورد قاضى القضاة ابن جماعة للشيخ أبى حيان من النظم غير ما قدمنا ذكره [و هو] قوله: [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٧٢

أما إنه لولا ثلاث أحبها تمنيت أنى لا أعد من الأحياء

فمنها رجائي أن أفوز بتوبه تكفر لى ذنبا و تنجح لى سعيا

و منهن صونى النفس عن كل جاهل لئيم فلا أمشى إلى بابه مشيا

و منهن أخذى بالحديث إذا الورى نسوا سنة المختار و أتبعوا الرأيا

أترك نصا للرسول و تقتدى بشخص؟ لقد بدلت بالرشد الغيا

و قوله: [بحر الخفيف]

سال فى الخد للحبيب عذار و هو لا شك سائل مرحوم

و سألت الثامه فتجنى فأنا اليوم سائل محروم

و قوله: [بحر الطويل]

أ مدعيا علما و لست بقارئ كتابا على شيخ به يسهل الحزن

أ تزعم أن الذهن يوضح مشكلا بلا موضح؟ كلا لقد كذب الذهن

و إن الذى تبغيه دون معلم كموقد مصباح و ليس له دهن

وقوله «عداتي - البيتين» قال: و أخذ هذا المعنى من قول الطغرائي: [بحر الكامل]

من خص بالود الصحاب فإننى أحو بخالص ودَى الأعداء

جعلوا التنافس فى المعالى ديدنى حتى وطئت بأخمصى الجوزاء

و نعوا إلى مثالى فحذرتها و نفيت عن أخلاقى الأعداء

و لربما انتفع الفتى بعدوه كالمسم أحيانا يكون دواء

و من نظم أبى حيان: [بحر البسيط]

يا منضى الطرف فى ميدان لذته و ناضى الطرف بين الراح و الرود

ستشرب الروح راح الوقت كارهه و يذهب الجسم بين الترب فى الدود

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٧٣

و له رحمه الله تعالى قصيدة سماها «بالمورد العذب، فى معارضة قصيدة كعب» و قصيدة فى مدح الإمام الشافعى مطلعها:

غذيت بعلم النحو إذ درّ لى ثديا

و له رحمه الله تعالى من قصيدة فى مدح أم ولده حيان: [بحر الطويل]

جنت بها سوداء لون و ناظر و يا طالما كان الجنون بسوداء

وجدت بها برد النعيم و إن يكن فؤادى منها فى جحيم و لأواء

و شاهدت معنى الحسن فيها مجسدا فأعجب لمعنى صار جوهر أشياء

أطاعته من قدها بمثقف أصبت و ما أغنى الفتى لبس حصداء

لقد طعنت و القلب ساه فما درى أ بالقّد منها أم بصعدة سمراء

ثم غير البيت الأول، و أنشد:

جنت بها سوداء شعر و ناظر و سمراء لون تزدرى كل بيضاء

و قال يهنئ، قال ابن جماعة: خاطبنى به ارتجالا عند ولادة ابنى عمر بعد بنتين: [بحر المتقارب]

حييت بريحانتى روضة و بعدهما جاء نجل أغر

و سميته اسم إمام إذا رآه أبو مرّة منه فر

و لا عجب منك عبد العزيز إذا كان نجلك يسمى عمر

تفرّعتما من إمام الهدى و بدر الدجى و رئيس البشر

فلا زال يوضح سبل الهدى و لا زلتما تقفوان الأثر

و قال: [بحر الطويل]

لقد زادنى بالناس علما تجاربنى و من جرب الأيام مثلى تعلما

و إنى و تلابى من الناس راحة لكالمبتغى وسط الجحيم تنعما

سأزهد حتى لا أرى لى صاحباً و أنجد حتى لا ألقى متهما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٧٤

قال ابن جماعة: و قال فى إملاك على بن قاضى القضاة شمس الدين السروجى الحنفى. و كان جميل الصورة، على أختى شقيقتى

فاطمة: [بحر الطويل]

هنيئا بتأليف غريب نظامه لقد حار فى أوصافه نظم عارف

غدت شمس حسن بنت بدر سيادة تزف لبدر نجل شمس معارف
سميان للزهرا البتول و للرضا على و نجلا الأكرمين الغطارف
فدام على عالي الجد سيدا و لا زال في ظل من العيش وارف
و قال يخاطب شيخه ابن النحاس و قد أغبّ زيارته: [بحر الطويل]
أعين حياتي و الذي ببقائه بقائي لقد أصبحت نحوك شيقا
أقمت بقلبي غير أن لمقلتي برؤيتك الحظ الذي يذهب الشقا
و ما كان ظني أنك الدهر تاركى و لو أننى أصبحت بين الورى لقا
لطائف معنى فى العيان و لم تكن لتدرك إلا بالتراور و اللقا

و قال يخاطب قاضى القضاء شمس الدين السروجى الحنفى، و قد أعيد إلى منصب القضاء، و كان يتطلع إليه رجل يدعى نجم الدين:
[بحر الطويل]

ذوو العلم فى الدنيا نجوم زواهر و إنك فيها الشمس حقا بلا لبس
إذا لحت أخفى نوركم كل نير أ لم تر أن النجم يخفى مع الشمس
و قال: [بحر الخفيف]

لم أؤخر عن أحب كتابى لقلى فيه أو لترك هواه
غير أنى إذا كتبت كتابا غلب الدمع مقلتى فمحاها
و قال: [بحر البسيط]

تذكرى للبلبلى فى قعر مظلمة أصارنى زاهدا فى المال و الرتب
أنى أسر بحال سوف أسلبها عما قريب و أبقى رمه الترب؟
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٧٥
و قال: [بحر الطويل]

أتيت و ما أدعى و أقبلت سامعا فوائد مولى سيد ماجد ندب
و أحضر جمعا أنت فيه جماله أشنف سمعى منك باللؤلؤ الرطب
و قال: [بحر البسيط]

لنا غرام شديد فى هوى السود نختارهن على بيض الطلا الغيد
لون به أشرقت أبصارنا و حكى فى اللون و العرف نفع المسك و العود
لا شىء أحسن من آس تركبه فى آبنوس و لا أشفى لمبرود
لا تهو بيضاء لون الجص و اسم إلى سوداء حسناء لون الأعين السود
فى جيدها غيد، فى قدها ميد فى خدها صيد، من سادة صيد
من آل حام حمت قلبى بنار جوى من هجرها و ابتلت عيني بتسهد
و قال فى عكسه: [بحر الوافر]

إذا مال الفتى للسود يوما فلا رأى لديه و لا رشاد
أتهوى خنفساء كأن زفتا كسا جلدا لها و هو السواد
و ما السوداء إلا قدر فرن و كانون و فحم أو مداد

و ما البيضاء إلا الشمس لاحت تنير العين منها و الفؤاد
سيكئة فضة حشيت بورد يلذ السهد معها و الرقاد
و بين البيض و السودان فرق لدى عقل به اتضح المراد
وجوه المؤمنين بها ابضاض و وجه الكافرين به اسوداد
و قال رحمه الله تعالى: [بحر الطويل]

أعادل ذرنى و انفرادى عن الورى فليست أرى فيهم صديقا مصافيا
ندامى كتب أستفيد علومها أحببى تغنى عن لقائى الأعاديا
و آنسها القرآن فهو الذى به نجاتى إذا فكرت أو كنت تاليا
لقد جلت فى غرب البلاد و شرقها أنقب عنم كان لله داعيا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٧٦
فلم أر إلا طالبا لرياسة و جماع أموال و شيخا مرائيا
قبضت يدى عنهم و آثرت عزلة عن الناس و استغنيت بالله كافيا

قال العز بن جماعة: و خاطب والدى و قد أبل من ضعف أشيع فيه موته مهنتا له: [بحر المتقارب]
أدام الإله لك العافيه و صير دور العدا عافيه
إذا لاح من بدركم نوره فكل النجوم به خافيه
تخذت كلام الإله الدوا فأياته كانت الشافيه
تشوف ناس لمنصبكم و رتبهم للعلا نافيه
فأين العلوم و أين الحلوم و خلق موارد صافيه؟
هم عصبه لا تنال العلا و لو أنها قد سعت حافيه
إذا كان خرق تداركته و ليست لما مزقت رافيه
فإن عن خطب ثبت له و آراؤهم عنده هافيه
سجايك لين و رفق بنا و أخلاقهم كلها جافيه
تصلى على سبعة منهم و ثامنهم نفسه طافيه
يقيمون فى تربهم همدا و تسفى على قبرهم سافيه
فلا زلت فى صحة دائما تجر ذبول السنى ضافيه
و يوردك الله عين الحياة فتحيا بها مائة و افيه
فإن زاد عشرا فذاك المنى و عشرون أيضا هى الكافيه
و هذى القوافى أتت كملا فلم تبق لى بعدها قافيه
و قال رحمه الله تعالى أيضا: [بحر الرمل]
خلق الإنسان فى كبد بوجود الأهل و الولد
كل عضو فيه نافع غير عضو ضرر للأبد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٧٧
منتج ذلا و فقد غنى و فراخا جمه العدد

من يمت منهم يذقه أسى أو يعيش ألقاه فى نكد
عاش فى أمن فتى عزب مستريح الفكر و الجسد
و قال رحمه الله تعالى أيضا: [بحر الخفيف]
جنّ غيرى بعارض فترجى أهله أن يفيق عما قريب
و فؤادى بعارضين مصاب فهو داء أعياء دواء الطيب
و قال: [بحر الطويل]
سعت حية من شعره نحو صدغه و ما انفصلت من خده، إن ذا عجب
و أعجب من ذا أن سلسال ريقه برود و لكن شبّ فى قلبى اللهب
و قال: [بحر البسيط]
طالع تواريخ من فى الدهر قد وجدوا تجد خطوبا تسلى عنك ما تجد
تجد أكابره قد جرعوا غصصا من الرزايا بها كم فتت كبد
عزل و نهب و ضرب بالسياط و حب س ثم قتل و تشريد لمن ولدوا
و إن وقيت بحمد الله شرّتهم فلتحمد الله فالعقبى لمن حمدوا
و قال رحمه الله تعالى يمدح البخارى، و كتابه الصحيح: [بحر الطويل]
أ سماع أخبار الرسول لك البشرى لقد سدت فى الدنيا و قد فزت فى الأخرى
تشنف آذانا بعقد جواهر تود الغوانى لو تقلده النحرا
جواهر كم حلّت نفوسا نفيسة فحلت بها صدرا و حلّت بها قدرا
هل الدين إلا ما روته أكابر لنا نقلوا الأخبار عن طيب خبيرا
و أدوا أحاديث الرسول مصونة عن الزيف و التصحيف فاستوجبوا الشكرا
و إن البخارى الإمام لجامع بجامعه منها اليواقيت و الدرا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٧٨
على مفرق الإسلام تاج مرصع أضواء به شمسا و نار به بدرا
و بحر علوم يلفظ الدرّ لا الحصا فأنفس بها درا و أعظم به بحرا
تصانيفه نور و نور لناظر فقد أشرقت زهرا و قد أينعت زهرا
نحا سنه المختار ينظم شتّها يلخصها جمعا و يخلصها تبرا
و كم بذل النفس المصونة جاهدا فجاز لها بحرا و جاب لها برا
فطورا عراقيا و طورا يمانيا و طورا حجازيا و طورا أتى مصرا
إلى أن حوى منها الصحيح صحيفه فوافى كتابا قد غدا الآيه الكبرى
كتاب له من شرع أحمد شرعه مطهرة تعلقو السماكين و النسرا

قلت: و تتصل روايتى عن الإمام أبى حيان من طرق عديدة: منها من عمى ولى الله العارف به شيخ الإسلام مفتى الأنام الخطيب الإمام
ملحق الأحفاد بالأجداد سيدى سعيد بن أحمد المقرئ التلمسانى، عن شيخه العالم أبى عبد الله التنىسى، عن والده حافظ عصره سيدى
محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنىسى ثم التلمسانى الأموى، عن عالم الدنيا أبى عبد الله بن مرزوق، عن جده الرئيس الخطيب
سيدى أبى عبد الله محمد بن مرزوق، عن الأثير أبى حيان بكل مروياته: فمنها أن أبى حيان قال: حدثنا ابن أبى الأحوص عن قاضى

الجماعة أبي القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبي بكر المقدمي عن عمر بن علي و عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم «مر بمجلسين أحدهما يدعون الله و يدعون إليه، و الآخر يتعلمون العلم و يعلمونه فقال: كل المجلسين خير، و أحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيتعلمون و يعلمون الجاهل فهم أفضل، و أما هؤلاء فيدعون الله و يرغبون إليه إن شاء أعطاهم و إن شاء منعههم، و أنا بعثت معلما، ثم جلس معهم».

قال أبو حيان: قلت: لا أعرف حديثا اجتمعت فيه رواية الأبناء عن الآباء بعدد ما اجتمع في هذا إلا ما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن بن ماجه بقراءة تى عليه، أنبأنا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٧٩

أبو المعالي الأبرموى أنبأنا أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن سابور القلانسي، أنبأنا أبو المبارك عبد العزيز بن محمد بن منصور الشيرازي، أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، قال: سمعت أبي أبا الفرج عبد الوهاب يقول: سمعت أبي أبا الحسن عبد العزيز يقول: سمعت أبي أبا بكر الحارث يقول: سمعت أبي أسدا يقول: سمعت أبي الليث يقول: سمعت أبي سليمان يقول: سمعت أبي الأسود يقول: سمعت أبي سفيان يقول: سمعت أبي يزيد يقول: سمعت أبي أكيمة يقول: سمعت أبي الهيثم يقول: سمعت أبي عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما اجتمع قوم على ذكر إلا حفتهم الملائكة و عمتهم الرحمة» انتهى.

قلت: قال الحافظ ابن حجر في فوائده: ما اجتمع حديث فيه من عدد الآباء أكثر من هذا، انتهى.

و رأيت بخط بعض الحفاظ على قول أبي أكيمة ما صورته: صوابه أكيمة، انتهى، فليحذر.

و منها أن أبا حيان قال: أنبأنا الأستاذ أبو جعفر الزبير صاحب الصلة، أنبأنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدي، أنبأنا عبد الله بن محمد بن الحسن بن عطية، ح قال أبو حيان: و أنبأنا الأصولي أبو الحسين ابن القاضي أبي عامر بن ربيع الأشعري، عن أبي الحسن أحمد بن علي الغافقي، قال: أنبأنا عياض، ح و كتب لنا الخطيب أبو الحجاج يوسف بن أبي ركانة، عن القاضي أبي القاسم أحمد بن عبد الودود بن سمحون عن عبد الله بن عطية قال هو و عياض: أنبأنا القاضي أبو بكر بن العربي، أنبأنا أبو محمد هبة الله الأكفاني، أنبأنا الحافظ عبد العزيز الكناني الدمشقي، أنبأنا أبو عصمة نوح بن الفرغاني قال: سمعت أبا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن قت الخزرجي و أبا بكر محمد بن عيسى البخاري قالوا: سمعنا أبا ذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي يقول: سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن الفضل البخاري يقول: لما عزل أبو العباس الوليد بن إبراهيم بن يزيد الهمداني عن قضاء الرى ورد بخارى سنة ٣١٨ لتجديد مودة كانت بينه و بين أبي الفضل البلعمي، فنزل في جوارنا، فحملني معلمى أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الختلي إليه فقال له: أسألك أن تحدث هذا الصبي ما سمعته من مشايحك فقال: مالى سماع، فقال: و كيف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٨٠

و أنت فقيه؟ فما هذا؟ قال: لأنى لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسى إلى طلب الحديث و رواية الأخبار و سماعها، فقصدت محمد بن إسماعيل البخارى ببخارى صاحب التاريخ و المنظور إليه فى علم الحديث، و أعلمته مرادى، و سألته الإقبال على ذلك، فقال لى: يا بنى، لا تدخل فى أمر إلا بعد معرفة حدوده و الوقوف على مقاديره، فقلت. عزفنى - رحمك الله تعالى! - حدود ما قصدتك له، و مقادير ما سألتك عنه، فقال لى: اعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا فى حديثه إلا بعد أن يكتب أربعا مع أربع كأربع مثل أربع فى أربع عند أربع على أربع عن أربع لأربع، و كل هذه الرباعيات لا تتم إلا بأربع مع أربع، فإذا تمت له كلها هان عليه أربع، و ابتلى بأربع، فإذا صبر على ذلك أكرمه الله تعالى فى الدنيا بأربع، و أثابه فى الآخرة بأربع، قلت له: فسّر لى - رحمك الله تعالى! - ما ذكرت من أحوال هذه الرباعيات من قلب صاف بشرح كاف و بيان شاف طلبا للأجر الواف، فقال: نعم، أما الأربع التى تحتاج إلى كتبها فهى

أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم و شرائعه، و الصحابة رضی الله تعالى عنهم و مقاديرهم، و التابعين و أحوالهم، و سائر العلماء و تواريتهم، مع أسماء رجالهم و كناهم و أمكنتهم و أزمانهم، كالتحميد مع الخطب، و الدعاء مع التوسيل و البسمله مع السورة، و التكبير مع الصلوات، مثل المسندات و المرسلات، و الموقوفات و المقطوعات، في صغره و في إدراكه، و في شبابه و في كهولته، عند فراغه و عند شغله، و عند فقره و عند غناه، بالجبال و البحار، و البلدان و البرارى، على الأحجار و الأخزاف، و الجلود و الأكتاف، إلى الوقت الذى يمكنه نقلها إلى الأوراق، عمن هو فوقه و عمن هو مثله و عمن هو دونه، و عن كتاب أبيه يتيقن أنه بخط أبيه دون غيره، لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته، و العمل بما وافق كتاب الله عز وجل منها، و نشرها بين طالبها، و محبيها، و التأليف فى إحياء ذكره بعده، ثم لا تتم له هذه الأشياء إلا بأربع، هى من كسب العبد، أعنى معرفة الكتابه و اللغه و الصرف و النحو، مع أربع هى من إعطاء الله تعالى، أعنى القدرة و الصحة و الحرص و الحفظ، فإذا صحت له هذه الأشياء كلها هان عليه أربع: الأهل، و الولد، و المال، و الوطن. و ابتلى بأربع: بشماتة الأعداء، و ملامة الأصدقاء، و طعن الجهلاء، و حسد العلماء، فإذا صبر على هذه المحن أكرمه الله جل و علا فى الدنيا بأربع: بجز القناعه، و بهيئة النفس، و بلدته العلم، و بحياء الأبد، و أثابه فى الآخرة بأربع: بالشفاعة لمن أراد من إخوانه، و بظل العرش حيث لا ظل إلا ظله و بسقى من أراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم، و بجوار

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٨١

النبيين فى أعلى عليين فى الجنة، فقد أعلمتك يا بنى بمجملات جميع ما سمعت من مشايخى متفرقا فى هذا الباب، فأقبل الآن على ما قصدتني له أو دع، فهالنى قوله، فسكت متفكرا، و أطرقت متأدبا، فلما رأى ذاك منى قال: و إن لم تطق حمل هذه المشاق كلها فعليك بالفقه، يمكنك تعلمه و أنت فى بيتك قار ساكن لا تحتاج إلى بعد الأسفار، و وطء الديار، و ركوب البحار، و هو ذا ثمره الحديث، و ليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدث فى الآخرة، و لا عزه بأقل من عز المحدث، فلما سمعت ذلك نقص عزمى فى طلب الحديث، و أقبلت على دراسة الفقه و تعلمه إلى أن صرت فيه متقدما، و وقفت منه على معرفة ما أمكننى من علمه بتوفيق الله تعالى و منته، فلذلك لم يكن عندى ما أمله لهذا الصبى يا أبا إبراهيم، فقال له أبو إبراهيم: إن هذا الحديث الواحد الذى لا يوجد عند غيرك خير للصبى من ألف حديث يجده عند غيرك، انتهى.

و جاء أبو حيان إلى ابن تيمية و المجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا: [بحر البسيط]

لما أتينا تقى الدين لاح لنا داع إلى الله فرد ما له وزر

على محياه من سيما الألى صحبوا خير البرية نور دونه القمر

حبر تسربل منه دهره حبرا بحر تقاذف من أمواجه الدرر

قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا مقام سيد تيم إذ عصت مصر

فأظهر الحق إذ آثاره درست و أخدم الشر إذ طارت له الشرر

كنا نحدث عن حبر يجىء فيها أنت الإمام الذى قد كان ينتظر

ثم انحرف أبو حيان فيما بعد عن ابن تيمية، و مات و هو على انحرافه، و لذلك أسباب:

منها أنه قال له يوما: كذا قال سيويه، فقال: يكذب سيويه، فانحرف عنه، رحم الله تعالى الجميع!

و حضر الشيخ أبو حيان مع ابن بنت الأعز فى الروضة فكتب إلى أبى حيان و وجهه مع بعض غلمانة: [بحر المنسرح]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٨٢

حييت أثير الدين شيخ الأدبا أفضى له حقا كما قد وجبا

حييت فتى بطاق آس نصر كالتقد بدا ملئت منه طريا

قال فأنشدته: [بحر البسيط]

أهدى لنا غصنا من ناضر الآس أفضى القضاء حليف الجود و الباس
لما رأى سقمى أهداه مع رشيا حلو التثنى فكان الشافى الآسى
و لما أنشد الشيخ أبو حيان قول نور الدين القصرى فى روضه مصر: [بحر الخفيف]
ذات وجهين فيهما قسم الحسن ن فأضحت بها القلوب تهيم
ذا يلى مصر فهو مصر و هذا يتولى و سيم فهو وسيم
قد أعادت عصر التصابى صباها و أبادت فيها الغموم الغيوم
زاد فيها بيتا، و هو: [بحر الخفيف]

فبلج البحار يسبح نون و بفتح الففار يسفح ريم
قال أبو حيان: و كنت ماشيا بين القصرين مع ابن النحاس، فعبّر علينا صبى يدعى بجمال، و كان مصارعا، فقال البهاء: لينظم كل منا
فيه، ثم قال: [بحر البسيط]

مصارع تصرع الآساد شمته تيتها فكل مليح دونه سميح
لما غدا راجحا فى الحسن قلت لهم عن حسنه حدثوا عنه و لا حرج
فنظمت أنا: [بحر الطويل]

سبانى جمال من مليح مصارع عليه دليل للملاحه واضح
لئن عزّ منه المثل فالكل دونه و إن خفّ منه الخصر فالزردف راجح
و سمع العزازى نظمنا فقال، و أنشدنيه: [بحر السريع]
هل حكم ينصفنى فى هوى مصارع يصرع أسد الشرى
مذ فرّ عنى الصبر فى حبه حكى عليه مدمعى ما جرى
أباح قتلى فى الهوى عامدا و قال كم لى عاشق فى الورى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٨٣
رमितه فى أسرحبى و من أجفان عينيه أخذت الكرى

و قال لسان الدين فى الإحاطة: كان أثير الدين أبو حيان نسيح وحده فى ثقبوب الدهن، و صحه الإدراك، و الاضطلاع بعلم العربيه و
التفسير و طريق الروايه، إمام النحاه فى زمانه غير مدافع، نشأ فى بلده غرناطه مشارا إليه فى التبريز بميدان الإدراك، و تغيير السوابق فى
مضمار التحصيل، و نالته نبوه لحق بسببها بالمشرق، و استقر بمصر، فنال بها ما شاء من عزّ و شهرة و تأثر وافر و حظوه، و أضحى لمن
حل بساحته من المغاربه ملجأ و عدّه، و كان شديد البسط مهيبا جمهوريا مع الدّعايه و الغزل و طرح التسمت، شاعرا، مكثرا، مليح
الحديث، لا يمل و إن أطال، و أسن جدّا فانتفع به، قال لى بعض أصحابنا: دخلت عليه و هو يتوضأ، و قد استقر على إحدى رجليه
لغسل الأخرى كما تفعل البرك و الأوز، فقال لى: لو كنت اليوم جار شلير ما تركنى لهذا العمل فى هذا السن، ثم قال لى بعد كلام
حدثنا عنه الجملة الكثيره من أصحابنا كالحاج أبى يزيد خالد بن عيسى و المقرئ الخطيب أبى جعفر الشّقورى و الشريف أبى عبد
الله بن راجح و شيخنا الخطيب أبى عبد الله بن مرزوق قال: حدّثنا شيخنا أبو حيان فى الجملة سنة ٧٣٥ بالمدرسه الصالحية بين
القصرين بمنزله، حدّثنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير سماعا من لفظه و كتبه من خطه بغرناطه، عن الكاتب أبى إسحاق بن عامر الهمداني
الطّوسى - بفتح الطاء - حدّثنا أبو عبد الله بن محمد العنسى القرطبى، و هو آخر من حدّث عنه، أنبأنا أبو على الحسن بن محمد الحافظ
الجيانى، أنبأنا حكم بن محمد، أنبأنا أبو بكر بن المهندس، أنبأنا عبد الله بن محمد، أنبأنا طالوت بن عباد بن نصال بن جعفر، سمعت
أبا أمامه الباهلى يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «اكفلوا لى بست أكفل لكم بالجنّه، إذا حدّث أحدكم فلا

يكذب، و إذا ائتمن فلا يخن، و إذا وعد فلا يخلف، غصوا أبصاركم، و كفوا أيديكم، و احفظوا فروجكم».

ثم قال ابن الخطيب: إن أبا حيان حملته حدّة الشبيبة على التعرض للأستاذ أبي جعفر الطباع، و قد وقعت بينه و بين أستاذة ابن الزبير الوحشة، فال من، و تصدّى للتأليف فى الرد عليه و تكذيب روايته فرع أمره للسلطان، فامتعض له، و نفذ الأمر بتنكيله، فاختفى، ثم أجاز البحر مختفياً، و لحق بالمشرق يلتفت خلفه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٨٤

ثم قال: و شعره كثير يتصف بالإجادة و ضدها، فمن مطولاته قوله: [بحر البسيط]

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول العقل مختبل و القلب متبول

هزت له أسمرًا من خوط قامتها فما انثنى الصلب إلا و هو مقتول

جميلة فصل الحسن البديع لها فكم لها جمل منه و تفصيل

فالنحر مرمرة، و النسر عنبرة، و الثغر جوهره، و الريق معسول

و الطرف ذو غنج، و العرف ذو أرج و الخصر مختطف، و المتن مجدول

هيفاء ينطق فى الخصر الوشاح لها درماء تخرس فى الساق الخلاخيل

من اللواتى غذاهنّ النعيم فما يشقين، آباؤها الصّيد البهاليل

إلى أن قال: و قوله: [بحر الكامل]

نور بخدك أم توقد نار و ضنى بجفنك أم فتور عقار

و شذا بريقك أم تأرج مسكه و سنى بثغرك أم شعاع درارى

جمعت معانى الحس فيك فقد غدت قيد القلوب و فتنة الأبصار

متصاؤون خفرا إذا ناطقته أغضى حياء فى سكون وقار

فى وجهه زهرات روض تجتلى من نرجس مع وردة و بهار

خاف اقتطاف الورد من و جناتها فأدار من آس سياج عذار

و تسللت نمل العذار بخده ليردن شهدة ريقه المعطار

و بخده نار حمته وردها فوقفن بين الورد و الإصدار

كم ذا أدارى فى هواه محبتي و لقد وشى بى فيه فرط أوارى

و قال ابن رشيد: حدثنا أبو حيان قال: حدثنا التاجر أبو عبد الله البرجونى بمدينة عيذاب من بلاد السودان، و برجونه قرية من قرى دار

السلام، قال: كنت بجامع لو لم من بلاد الهند و معنا رجل مغربى اسمه يونس، فقال لى: اذكر لنا شيئاً، فقلت له: قال على رضى الله

تعالى عنه: «إذا وضع الإحسان فى الكريم أثمر خيراً، و إذا وضع فى اللئيم أثمر شراً، كالغيث يقع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٨٥

فى الأصداف فيثمر الدر، و يقع فى فم الأفاعى فيثمر السم» فما راعنا إلا و يونس المغربى قد أنشد لنفسه: [بحر السريع]

صنائع المعروف إن أودعت عند كريم زكت النعمة

و إن تكن عند لئيم غدت مكفورة موجبة إثما

كالغيث فى الأصداف در، و فى فم الأفاعى يثمر السما

قال أبو حيان: فلما سمعت هذه الأبيات نظمت معناها فى بيتين، و هما: [بحر الطويل]

إذا وضع الإحسان فى الخبّ لم يفد سوى كفره، و الحر يجزى به شكرا

كغيث سقى أفعى فجاءت بسمها و صاحب أصدافا فأثمرت الدرًا

قال أبو حيان: و أنشدنا الأمير بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن سيف الدولة أبي المعالي بن رماح الهمداني لنفسه بالقاهرة: [بحر الوافر]

فلا تعجب لحسن المدح منى صفاتك أظهرت حكم البوادي
و قد تبدى لك المرأة شخصا و يسمعك الصدى ما قد تنادى
و بعد كتبي ما نقله ابن رشيد عن أبي حيان رأيت لبعضهم أن أبا حيان هذا الذي ذكره ابن رشيد ليس هو أبو حيان النحوي الأندلسي،
و إنما هو شخص آخر، و فيه عندي نظر لا يخفى، و الذي أعتقده و لا أرتاب فيه أنه أبو حيان النحوي.

و قال ابن رشيد: و أنشدني أبو حيان لنفسه: [بحر الطويل]

إذا غاب عن عيني أقول سلوته و إن لاح حال اللون فاضطرب القلب
يهيجني عيناه و المبسم الذي به المسك منظوم به اللؤلؤ الرطب

و قال الشريف بن راجح: رأيت أن ما وضعه الشيخ أبو حيان في تقديم لسان الأتراك تضييع لعمره، و قلت: [بحر السريع]

نفائس الأعمار أنفقتها أنا و أمثالي على غير شيء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٨٦

شيوخ سوء ليس يرضى بما ترضى به من المخازي صبي

و من نظم أبي حيان قوله: [بحر الخفيف]

إن علما تعبت فيه زمانى باذلا فيه طارفي و تلامي

لجدير بأن يكون عزيزا و مصونا إلا على الأجواد

و قوله: [بحر الطويل]

و مالك و الإتعاب نفسا شريفة و تكليفها في الدهر ما ليس يعذب

أرحها فعن قرب تلاقى حمامها فتتعم في دار البقا أو تعذب

و استشكل هذان البيتان بأن ظاهرهما خلاف الشرع، و أوجب بأن مراده أمر الرزق، لا أمر التكليف.

و أفاد غير واحد أن سبب رحله الشيخ أبي حيان عن الأندلس أنه نشأ شر بينه و بين شيخه أحمد بن علي بن الطباع فألف أبو حيان كتابا سماه «الإلماع»، في إفساد إجازة ابن الطباع» فرجع ابن الطباع أمره للأمير محمد بن نصر المدعو بالفقيه، و كان أبو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه، فنشأ شر عن ذلك، و ذكر أبو حيان أنه لم يقيم بفاس إلا ثلاثة أيام، و أدرك فيها أبا القاسم المزياتي، و خرج أبو حيان من الأندلس سنة تسع و سبعين و ستمائة.

[٢١٧- أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني]

٢١٧- و كان جماعة من أعلام الأندلس رحلوا منها، فلما وصلوا إلى العدو أقاموا بها، و لم يذهبوا إلى البلاد المشرقية، منهم الشيخ النحوي الناظم الناصر أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني، و هو القائل يمدح أمير المؤمنين المستنصر بالله صاحب تونس: [بحر الطويل]

أمن بارق أوري بجنح الدجى سقطا تذكرت من حلّ الأجارع فالسقطا

و بان و لكن لم بين عنك ذكره و شطّ و لكن طيفه عنك ما شطا

حبيب لو ان البدر جراه في مدى من الحسن لاستدنى مدى البدر و استبطا

إذا انتجعت مرعى خصيبا ركابه غدا لحظ عيني يشتكى الجذب و القحطا
لقد أسرعت عنى المطى بشادن تسرع فى قتل النفوس و ما أبطا
ظننت الفلا دار ابن ذى بزن بها و خلعت المحاريب الهوادج و الغبطا
فكم دمية للحسن فيها و صورة تروق و تمثال من الحسن قد خطا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٨٧
حمائل لاحت كالخمائل بهجة سقيط الحيا فيهن لا يسأم السقطا
توسد غزلان الأوانس و المها به الوشى و الديباج لا السدر و الأوطى
و لم يسب قلبى غير أبهرها سنى و أطولها جيدا و أخفقها قرطا
أيا ربة الأحداج سيرى فتعلمى و ما بك جهل، أن سهمك ما أخطا
قفى تستينى ما بعينيك من صنى كجسمى و عنوان الهوى فيه مختطا
فلم أر أعدى منك لحظا و ناظرا لقلبي و لا أعدى عليه و لا أسطى
سقى الله عيشا قد سقانا من الهوى كؤوسا بمعسول اللمى خلطت خلطا
و كم جنه قد ردت فى ظل كافر فلم أجز ما أولاه كفرا و لا غمطا
و كم ليلة قاسيتها نابغية إلى أن بدت شيبا ذوائها شمطا
و بت أظن الشهب مثلى لها هوى و أغبطها فى طول ألفتها غبطا
على أنها مثلى عزيزة مطلب و من ذا الذى ما شاء من دهره يعطى
كأن الثريا كاعب أزمعت نوى و أمت بأقصى الغرب منزلة تخطى
كأن نجوم الهقعة الزهر هودج لها عن ذرا الحرف المناخه قد حطا
كان رشاء الدلو رشوة خاطب لها جعل الأشراف فى مهرها شرطا
كأن السها قد دق من فرط شوقه إليها كما قد دقق الكاتب النقطا
كأن سهيلا إذ تئات و أنجدت غدا يائسا منها فأتهم و انحطا
كأن خفوق القلب قلب متمتع على الدهر فى البين و اشتطا
كأن كلا النسرين قد ريع إذ رأى هلال الدجى يهوى له مخلبا سلطا
كأن الذى ضم القوادم منهما هوى واقعا للأرض أو قص أو قطا
كأن أخاه رام فوتا أمامه فلم يعد أن مد الجناح و أن مطا
كأن بياض الصبح معصم غادة جنت يدها أزهار زهر الدجى لقطا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٨٨
كأن ضياء الشمس وجه إمامنا إذا ازداد بشرا فى الوغى و إذا أعطى
محمد الهادى الذى أنطق الورى ثناء بما أسدى إليهم و ما أنطى
إمام غدا شمس المعالى و بدرها و قد أصبحت زهر النجوم له رهطا
جميل المحيا مجمل طيب ذكره يعاطى سرورا كالحميا و يستعطى
إذا ما الزمان الجعد أبدى تجهما أرانا الحياء الطلق و الخلق السبطا
كلا أبوى حفص نماء إلى العلا فأصبح عن مرقاته النجم منحطا

بسيما تدرى أن كعبا جدوده و إن هو لم يذكر رزاحا ولا قرطا
إذا قبض الروح الوجوه فوجهه يزيد لكون النصر نصلا له بسطا
به تترك الأبطال صرعى لدى الوغى كأن قد سقوا من خمر بابل إسفنتا
تراه إذا يعطى الرغائب باسمه له جذل يربى على جذل المعطى
و كم عنق قد قلّدت بنواله فريدا و قد كانت قلادتها لطا
متى ما تقس جود الكرام بجوده فبالبحر قايست الوقيعه و الوقطا
يشف له عن كل غيب حجابيه فتحسبه دون المحجب ما لطا
تطيع الليالى أمره فى عصاته و تردى أعادييه أساودها نشطا
و تمضى عليهم سيفه و سنانه فتبرى الكلى طعنا و تفرى الطلى قطا
فكيف ترجت غره منه فرقه غدا عزها ذلا و رفعتها هبطا
و كم بالنهى و الحلم غطى عليهم إلى أن جنوا ذنبا على العلم قد غطى
فأمطاهم دهم الحديد و طالما أنالهم دهم الجياد و ما أمطى
و رام لهم هديا و لكنهم أبوا بغيهم إلا الضلاله و الخطا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٨٩
و كان لهم يبغي المثوبه و الرضا و لكن أبوا إلا العقوبه و السخطا
و لو قوبلت بالشكر منه ما رب لما اعتاض منها أهلها الأثل و الخمطا
هو الناصر المنصور و الملك الذى أعاد شباب الدهر من بعدما اشمطا
أصاغت له الأيام سمعا و طاعة و أحكمت الدنيا له عهدا ربطا
فلا بد من أن يملك الأرض كلها و أن تملأ الدنيا بإياله قسطا
و يغزو فى آفاق أندلس العدا بجيش تخط الأرض ذبله خطا
و كل جواد خف سنبكه فما يمس الثرى إلا مخالسه فرطا
يؤم بها الأعداء ملك أمامه من الرعب جيش يسرع السير إن أبطا
و يرمى جبال الفتح من شط سبتة بها فتوافى سبقا ذلك الشطا
بحيث التقى بالخضر موسى و طارق و موسى به رحلا لغزو العدا حطا
و سعيك ينسى ذكر سعيهما به و يوسع سعى المشركين به حبطا
و يوقع فى الأعداء أعظم وقعه بها تملأ الأسماع طير الملا لغطا
تجاوب سحم الطير فيه و شهبها كما راطن الزنج النبيط أو القبطا
و تنكر فيها الجو و الأرض أعين ترى الجو نارا و الصعيد دما عبطا
فتخضب منهم من أشابت بخوفها نصول ترى منها بفود الدجى و خطا
و يحسم أدواء العدا كل صارم حسام إذا لاقى الطلى حدّه قطا
و كل كمى كلما خط صفحة بسيف غدا بالرمح ينقط ما خطا
شجاع إذا التفّ الرماحان مثل ما تقلقل فى أسنان مشط يد مشطا
إذا ما رجت منه أعادييه غره رأته دون ما ترجو القتاده و الخرطا

فيجدع آناف العداة بسيفه و ينشقها بالرمح ريح الردى قسطا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٩٠
 يبید الأعداى سطوة و مكيدة فيحكى الأسود الغلب و الأذؤب الملقا
 سرى فى طلاب المعلوات فلم يزل يمد يدا مبسوطة و ندى بسطا
 و لو نازعت يمناه جذبا شماله لبوسا من الماذى لا نعق و انعطا
 يصول بخطى فكل مرشء به أثر يعزوه للحية الرقطا
 قنا تبصر الآكام فرعا كواسيا بهن و قد أبصرن عارية مرطا
 إذا نسبت للخط أو لردينه نسبن إلى العليا ردينه و الخطا
 كماه حماه ما يزال إلى الوغى حنين لهم ما حن نضو و ما أظا
 عليهم نسيج السابغات كأنها جلود عن الحيات قد كشتت كشتا
 إذا لمع للشمس لاحت عليهم رأيت صلالا ألبست حلالا رقطا
 ترجرج كالزاروق لينا و مثله ترى نقطه من بعد ما طرحت خطا
 جيوش إذا غطى البلاد عبابها و أمواجها غطت نفوس العدا غطا
 فكم قد حكمت فى حصر حصن و معقل و شاحا على خصر فأسفنه ضغطا
 و خيل كأمثال النعام تخالها لإفراط لوك اللجم تبغى لها سرطا
 تخيلها فتخا إذا ارتفعت و إن سبحن بماء خلقتها خفه بطا
 فينعق منها مرط كل عجاجه موادع لا يسأم من مرا و لا مرطا
 و كم خالطت سمر الرماح و أوردت مياها غدت حمر الدماء لها خلطا
 يجرونها ليل السرى فإذا دعوا نزال امتطوا منهن أفضل ما يمطى
 فكم جنبوها خلف معتادة السرى عوارف لم تسمع لها أذن نحطا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٩١
 و قد و سمت أعناقهن أزمه بطول السرى حتى تظن لها علطا
 إذا أوقدت نارا بقذف الحصا حكمت و بحر الدجى طام سفينا رمت نفظا
 إمام الهدى أعليت للدين معلما و سمت العدا من بعد رفعتهم حطا
 و ألحفتهم عقم المنى عن حيالها فما ولدت عقما و لا نتجت سقطا
 و صيرتم فى عقله سارح العدا و سرحتم الآمال من عقلها نشطا
 و من كان يشكو سطوة الدهر قد غدا بعدلك لا يعدى عليه و لا يسطى
 ففى كل حال تؤثر القسط جاريا على سنن التقوى و تجتنب القسطا
 فبوركت سبطا جدّه عمر الرضا و بورك من جد غدوت له سبطا
 تلوت الإمام العدل يحيى فلم تزل تزيد أمور الخلق من بعده ضبطا
 فزدم و ضوحا بعده و استقامة و توطئه نهج السبيل الذى وطّا
 و ما كان أبقى غاية غير أنه حبيت بما لم يحب خلق و لم يعطا
 إذا درر الأملاك فى الفخر نظمت على نسق عقدا فدولتك الوسطى

وله أيضا فيه: [بحر الكامل]

في كل أفق من صباح دجاكم نور جلا خيط الظلام بخيطه
راقت محاسن مجدكم فبهرن ما كسيته من حبر المديح و ريطه

[٢١٨- أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ابن الأبار)]

٢١٨- وله- رحمه الله تعالى!- عدة تأليف، و ولد سنة ٦٠٨، و توفي ليلة السبت ٢٤ رمضان سنة أربع و ثمانين و ستمائة بتونس، و ممن أخذ عنه الحافظ ابن رشيد الفهرى، و ذكره في رحلته و أثنى عليه، كما أثنى عليه العبدري في رحلته، فقال: حازم، و ما أدرك ما حازم، و قد عرفت به في «أزهار الرياض» مما يغنى عن الإعادة، و كان هو و الحافظ أبو عبد الله بن الأبار فرسى رهان، غير أن ابن الأبار كان أكثر منه رواية و هو الإمام الحافظ الكاتب الناظم الناصر المؤلف الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر، القضاعي، الأندلسي، البنسي، كتب ببلنسية عن السيد أبي عبد الله بن السيد أبي حفص ابن أمير المؤمنين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٩٢

عبد المؤمن بن علي، ثم عن ابنه السيد أبي زيد، ثم كتب عن الأمير ابن مردنيش و لما نازل الطاغية بلنسية بعثه الأمير زيان بن مردنيش مع وفد أهل بلنسية بالبيعة للسلطان أبي زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن أبي حفص و في ضمن ذلك استصرخه لدفع عادية العدو، فأندس السلطان قصيدته السنية التي مطلعها: [بحر البسيط]

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

و قد ذكرناها في غير هذا الموضوع، ثم لما كان من أمر بلنسية ما كان رجع بأهله إلى تونس غبطة بإقبال السلطان عليه، فنزل منه بخير مكان، و رشحه لكتب علامته في صدور مكاتباته، فكتبها مدة، ثم أراد السلطان صرفها لأبي العباس الغساني لكونه يحسن كتابتها، فكتبها مدة بالخط المشرقي، و كان أثر عند السلطان من المغربي، فسخط ابن الأبار أنفه من إثارة غيره عليه، و افتات على السلطان في وضعها في كتاب أمر بإنشائه، لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه، و أن يبقى موضع العلامة منه لكتابها، فجاهر بالرد، و وضعها استبدادا و أنفه، و عوتب على ذلك، فاستشاط غضبا، و رمى بالقلم، و أنشد متمثلا: [بحر الخفيف]

اطلب العز في لظى و ذر ال ذلّ و لو كان في جنان الخلود

فمنى ذلك إلى السلطان، فأمر بلزومه بيته، ثم استعتب السلطان بتأليف رفعة إليه عد فيه من عوتب من الكتاب، و أعتبه، و سماه «إعتاب الكتاب» و استشفع فيه بابنه المستنصر، فغفر السلطان له، و أقال عثرته، و أعاده إلى الكتابة، و لما توفي السلطان رفعة أمير المؤمنين المستنصر إلى حضور مجلسه، ثم حصلت له أمور معه كان آخرها أنه تقبض عليه، و بعث إلى داره، فرفعت إليه كتبه أجمع، و ألقى أثناءها، فيما زعموا، رقعة أبيات أولها: [بحر المجتث]

طغى بتونس خلف سموه ظلما خليفه

فاستشاط السلطان لها، و أمر بامتحانه، ثم بقتله، فقتل قعصا بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨، ثم أحرق شلوه، و سيقت مجلدات كتبه و أوراق سماعه و دواوينه فأحرقته معه، و كان مولده ببلنسية سنة ٥٩٥.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٩٣

و قال في حقه ابن سعيد في «المغرب» ما ملخصه: حامل راية الإحسان، المشار إليه في هذا الأوان، و من شعره قوله يصف الياسمين:

[مجزوء الوافر]

حديقة ياسمين لا تهيم بغيرها الحدق

إذا جفن الغمام بكى تبسم ثغرها اليقق

فأطراف الأهله سال في أثنائها الشفق

و كتب إلى الوزير أبي عبد الله بن أبي الحسين بن سعيد يستدعي منه مثنوا: [بحر الطويل]

لك الخير أتحننى بخيرى روضة لأنفاسه عند الهجوم هبوب

أليس أديب الروض يجعل ليله نهارا فيذكو تحته و يطيب

و يطوى مع الإصباح منشور نشره كما بان عن ربع المحب حبيب

أهيم به عن نسبة أديبه و لا غرو أن يهوى الأديب أديب

و قوله في الخسوف: [بحر المتقارب]

نظرت إلى البدر عند الخسوف و قد شين منظره الأزين

كما سفرت صفحة للحب يب يحجبها برقع أدكن

و قوله في المعنى: [بحر الوافر]

ألم تر للخسوف و كيف أبدى بيدر التم لماع الضياء

كمراءه جلاها القين حتى أنارت ثم ردت في غشاء

و قوله: [بحر الخفيف]

و الثريا بجانب البدر تحكى راحة أو مات لتلطم خدا

و قوله: [بحر الكامل]

من عاذرى من بابلى طرفه و لعمره ما حلّ يوما بابلا

أعتده خوطا لعيشى ناعما فيعود خطيا لقتلى ذابلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٩٤

و هو حافظ متقن، له في الحديث و الأدب تصانيف، و له كتاب فى متخير الأشعار سماه «قطع الرياض» و تكلمة الصلة لابن بشكوال، و

«هداية المعترف، فى المؤتلف و المختلف» و كتاب التاريخ، و بسببه قتله صاحب إفريقية، و أحرقت كتبه على ما بلغنا، رحمه الله

تعالى! و له «تحفة القادم، فى شعر الأندلس» و «الحلة السيرة، فى أشعار الأمراء».

و من شعره قوله: [بحر مجزوء الكامل]

أمرى عجيب فى الأمور بين التوارى و الظهور

مستعمل عند المغيب و مهمل عند الحضور

و سبب هذا أن ملك تونس كان إذا أشكل عليه شىء أو ورد عليه لغز أو معمى أو مترجم بعث به إليه، فيحله، و إذا حضر عنده لا

يكلمه و لا يلتفت إليه، و وجد فى تعاليقه ما يشين دوله صاحب تونس، فأمر بضربه، فضرِب حتى مات، و أحرقت كتبه، رحمه الله

تعالى! و كان أعداؤه يلقبونه بالفار، و حصلت بينه و بين أبى الحسن على بن شلبون المعافرى البلسنى مهاجاة، فقال فيه: [بحر الكامل]

لا تعجبوا لمضرة نالت جمى ع الناس صادرة عن الأبار

أو ليس فارا خلقه و خليقه و الفار مجبول على الإضرار

فأجابه ابن الأبار: [بحر الكامل]

قل لابن شلبون مقال تنزه غيرى يجاريك الهجاء فجار

(إننا اقتسمنا خطبتنا بيننا فحملت برة و احتملت فجار)

و هذا مضمن من شعر النابغة الذبياني، انتهى ما لخصناه من كلام ابن سعيد فى حقه.

و من شعر ابن الأبار أيضا: [بحر الكامل]
لو عنّ لى عون من المقدار لهجرت للدار الكريمة دارى
و حلت أطيّب طيبة من طيبة جارا لمن أوصى بحفظ الجار
حيث استبان الحق للأبصار لما استتار حفاظ الأنصار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٩٥
يا زائر القبر قبر محمد بشرى لكم بالسبق فى الزوار
أوضعتم لنجاتكم فوضعتم ما آدكم من فادح الأوزار
فوزوا بسبقكم و فوهوا بالذى حملتم شوقا إلى المختار
أدوا السلام سلمتم و برده أرجو الإجارة من ورود النار
اللهم أجرتنا منها يا رحيم يا رحمن يا كريم!
و لنختم ترجمته بقوله: [بحر الوافر]
رجوت الله فى اللأواء لما بلوت الناس من ساه و لاهى
فمن يك سائلا عنى فإنى غنيت بالافتقار إلى إلهى
و قد جودت ترجمته فى «أزهار الرياض، فى أخبار عياض» فليراجع ذلك فيه من شاء.
رجع إلى ما كنا فيه من ذكر المرتحلين من الأندلس إلى المشرق:

٢١٩- و منهم الحافظ أبو المكارم جمال الدين بن مسدى.

و هو أبو بكر محمد، و يقال: أبو المكارم، ابن أبى أحمد يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن مسدى، المهلبى، الأزدي، الأندلسى.

شيخ السنّة، و حامل راياتها، و فريد الفنون، و محكم آياتها، عرف الأحاديث، و ميز بين شهرتها و غرابتها و كان المتلقى لراية السنّة يمين عربتها، طلع بمغربه شمساً قبل بزوغه بأفق المشرق، و ملأ جزيرته الخضراء من بحر علومه المتدفق، و أفعمها بنوره المشرق، و طاف البلاد الإسلامية، المغربية و المشرقية، فعقدت على كماله الخناصر، و جعله أرباب الدراية لمقلّة الدين الباصر، و لقي أعيان الشيوخ فى القطرين، و أخذ عنهم ما تقر به العين، و يدفع به عن القلب الزين، مع فصاحة لسان، و طلاقة بيان و بنان، و خلال حسان، و بلاغة سحبه على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٩٦

سحبان، و ظهر أزهار بان، و فوّضت إليه خطابه الحرم الشريف بمكة فكان كما يقال: هذا السوار لمثل هذا المعصم، فكم وشى بها من مطارف للبلاغة و كم عنم، حتى يظن الرائي عود منبره من وعظه مائسا، و لئن مال من سجع الحمام رطبا فقد مال من سجع هذا الإمام يابسا، و ترجم على من لقي من الأعيان بسحر البيان، و فضّل أحوالهم بأحسن تبيان، و عدّتهم أربعة آلاف شيخ و ناهيك بهذه مزية تقاد لها الفضائل فى أرسان، و أرى تحقيق قول القائل: جمع الله تعالى العالم فى إنسان، و له موضوعات مفيدة من حديث و فقه و نظم و نثر، و له مسند غريب جمع فيه مذاهب العلماء المتقدّمين و المتأخرين، و هو أشهر من نار على علم، و كان يكتب بالقلمين المغربى و المشرقى، و كلاهما فى غاية الجودة، و مثل هذا يعدّ نادرا، توفى شهيدا مطعوناً من أناس كانوا يحسدونه، فختم الله تعالى له بالشهادة، و بوىء بها دار السعادة، و توفى سنة ٦٦٣ بمكة، و مولده سنة ٥٩٨، رحمه الله تعالى و رضى عنه و نفعنا بأمثاله!.

[٢٢٠- أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري]

٢٢٠- ومنهم الكاتب أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي القبتوري- بفتح القاف، و سكن الباء الموحدة، و فتح التاء ثالثة الحروف، و سكن الواو، و بعدها راء- الإشبيلي المولد و المنشأ.

ولد في شوال سنة ٦١٥هـ، و قرأ على الأستاذ الدباج كتاب سيويه و السبع، و له باع مديد في الترسل مع التقوى و الخير، و له إجازة من الرضى بن برهان و النجيب بن الصيقل، و كتب لأمير سبته، و حدث بتونس عن العراقي، و جاور زمانا، و توفي بالمدينة سنة ٧٠٤هـ، و

حج مرتين، قال أبو حيان: قدم القاهرة مرتين، و حج في الأولى، و أنشدني من لفظه لنفسه: [بحر الوافر]

أسيلي الدمع يا عيني و لكن دما، و يقل ذلك لي، أسلى

فكم في التراب من طرف كحيل لتراب لي و من خد أسيل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٩٧

و قال: [بحر البسيط]

ما ذا جنيت على نفسي بما كتبت كفى، فياويح نفسي من أذى كفى

و لو يشاء الذي أجرى عليّ بذا قضاءه الكف عنه كنت ذا كف

و قال: [بحر البسيط]

وا حسرتا لأموال ليس يبلغها مالي و هنّ منى نفسي و آمالي

أصبحت كالآل لا جدوى لديّ و ما ألوت جهدا و لكن جدى الآلى

و قال العلامة فتح الدين بن سيد الناس: إنه أنشده لنفسه بالحرم الشريف النبوي سنة ثلاث و سبعمائة: [بحر الطويل]

رجوتك يا رحمن إنك خير من رجاء لغفران الجرائم مرتجى

فرحمتك العظمى التي ليس بابها و حاشاك في وجه المسىء بمرتع

و قد أنشد له أبو حيان كثيرا من نظمه، رحمه الله تعالى!.

[٢٢١- ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل، الأموي، الإشبيلي، النباتي، المعروف بابن الرومية.]

كان عارفا بالعشب و النبات، صنف كتابا حسنا كثير الفائدة في الحشائش، و رتب فيه أسماءها على حروف المعجم، و رحل إلى البلاد، و دخل حلب، و سمع الحديث بالأندلس و غيرها.

و قال البرزالي في حقه: إنه كان يعرف الحشائش معرفة جيدة، و سمع الحديث بدمشق من ابن الحرستاني، و ابن ملاعب، و ابن العطار، و غيرهم، و قال بعضهم: اجتمعت به، و تفاوضت معه في ذكر الحشائش، فقلت له: قصب الذريرة قد ذكر في كتب الطب، و

ذكروا أنه يستعمل منه شيء كثير، و هذا يدل على أنه كان موجودا كثيرا، و أما الآن فلا يوجد، و لا يخبر عنه بخبر، فقال: هو موجود، و إنما لا يعلمون أين يطلبونه، فقلت له: و أين هو؟

فقال: بالأهواز منه شيء كثير، انتهى.

و أجاز البحر بعد سنة ٥٨٠هـ للقاء ابن عبيد الله بسبته فلم يتهيا له ذلك، و حج- رحمه الله

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٩٨

تعالى!- في رحلته الأولى، و لقي كثيرا، و روى عن عدد من الرجال و النساء ضمنهم التذكرة له، و له مختصر كتاب «الكامل» لأحمد بن عدى في رجال الحديث، و له كتاب «المعلم، بما زاده البخارى على كتاب مسلم» و يعرف بالنباتي لمعرفته بالنبات، و مولده في

نحو سنة ٥٦١، و توفي رحمه الله تعالى بإشبيلية منسلخ ربيع الثاني سنة ٦٣٧، وقد رثاه أناس من تلامذته، و ألف بعضهم في التعريف به، و سمع من ابن زرقون و ابن الجد و ابن عفير و غير واحد كأبي ذر الحبشي، و سمع ببغداد من جماعة، و حدث بمصر أحاديث من حفظه، و يقال له «الحزمي» بفتح الحاء - نسبة إلى مذهب ابن حزم لأنه كان ظاهري المذهب، و كان زاهدا صالحا، و حكى بعضهم عنه أنه كان جالسا في دكانه بإشبيلية يبيع الحشائش و ينسخ، فاجتاز به الأمير أبو عبدالله بن هود سلطان الأندلس، فسلم عليه، فرد عليه السلام، و اشتغل بنسخه، و لم يرفع إليه رأسه، فبقى واقفا منتظرا أن يرفع إليه رأسه ساعة طويلة، فلما لم يحفل به ساق فرسه و مضى، و له كتابان حسنان في علم الحديث: أحدهما يقال له «الحافل»، في تكملة الكامل لابن عدي و هو كتاب كبير. قال ابن الأبار: سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب يثنى عليه و يستحسنه، و الثاني اختصر فيه الكامل لأبي أحمد بن عدي كما سبق في مجلدين، و سمع بدمشق و الموصل و غيرهما جماعة من أصحاب الحافظ أبي الوقت السجزي و أبي الفتح بن البطي و أبي عبد الله الغراوى و غيرهم من الأئمة، و له فهرسة حافلة أفرد فيها روايته بالأندلس من روايته بالمشرق، و كان متعصبا لابن حزم بعد أن تفقه في المذهب المالكي على ابن زرقون أبي الحسين، و طالت صحبته له، و كان بصيرا بالحديث و رجاله، كثير العناية به، و اختصر كتاب الدارقطني في غريب حديث مالك، و غيره أضبط منه، وفاق أهل زمانه في معرفة النبات، و فعد في دكان لبيعه، قال ابن الأبار: و هنالك رأيت و لقيته غير مرة، و لم آخذ عنه، و لم أستجزه، و سمع منه جل أصحابنا، و مولده في شهر المحرم سنة ٥٦٧، و توفي بإشبيلية ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة ٦٣٧، و قال ابن زرقون: منسلخ شهر ربيع الأول، و حكى ذلك عن ولده أبي النور محمد بن أحمد، انتهى.

٢٢٢- و منهم أبو العباس أحمد بن عبد السلام، الغافقي، الإشبيلي، الشهير بالمسيلي.

رحل حاجيا، و قفل إلى بلده، و حدث عنه أبو بكر بن خير بوفاء القاضي ابن أبي حبيب، و روى عن أبي محمد بن أبي السعادات المروروذى الخراساني، و أنه أنشده بثر الاسكندرية
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ١٩٩
عند وداعه إياه، قال: أنشدني أبو تراب جندل عند الوداع لبعضهم: [مخلع البسيط]
السم من ألسن الأفاعي أعذب من قبلة الوداع
ودعتهم و الدموع تجرى لما دعا للوداع داعي

٢٢٣- و منهم أبو العباس - و يقال: أبو جعفر - أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل، التجيبي، الزاهد، و يعرف بابن الأقبلي.

صاحب كتاب «النجم»، من كلام سيد العرب و العجم» صلى الله عليه و سلم عارض به كتاب القضاء، و أصل أبيه من أقبليش، و ضبطها بعضهم بضم الهمزة، و سكن دانية، و بها ولد و نشأ، سمع أباه أبا بكر و أبا العباس بن عيسى، و تلمذ له، و رحل إلى بلنسية فأخذ العربية و الآداب عن أبي محمد البطليوسي، و سمع الحديث من صهره أبي الحسن طارق بن يعيش و الحافظ أبي بكر بن العربي و أبي الوليد بن خيرة و ابن الدباغ، و لقي بالمرية أبا القاسم بن ورد و أبا محمد عبد الحق بن عطية و ولي الله سيدي أبا العباس بن العريف، و رحل إلى المشرق سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة، و جاور بمكة سنين، و سمع بها من أبي الفتح الكروخي جامع الترمذي برباط أم الخليفة العباسي سنة سبع و أربعين و خمسمائة، ثم كر راجعا إلى الغرب، فقبض في طريقه، و حدث بالأندلس و المشرق، و كان عالما، عاملا، متصوفا، شاعرا مجودا، مع التقدم في الصلاح و الزهد و العزوف عن الدنيا و أهلها، و الإقبال على العلم و العبادة، و له تصانيف: منها كتاب «الغرر»، من كلام سيد البشر» و كتاب «ضياء الأولياء» و هو أسفار عدة، و حمل الناس عنه معشراته في الزهد، و كتبها الناس، و كان يضع يده على وجهه إذا قرأ القارئ فيبكي حتى يعجب الناس من بكائه، و كان الناس يدخلون عليه بيته و الكتب

عن يمينه و شماله، و قد وصف غير واحد إمامته و علمه و ورعه و زهده، و روى عنه أبو الحسن بن كوثر و ابن بيش و غيرهما.
و من شعره قوله: [بحر الطويل]

أسير الخطايا عند بابك واقف له عن طريق الحق قلب مخالف
قديم عصي عمدا و جهلا و غرّة و لم ينهه قلب من الله خائف
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٠٠

تزيد سنوه و هو يزداد ضلّة فيها هو في ليل الضلالة عاكف
تطلع صبح الشيب و القلب مظلم فما طاف منه من سنا الحق طائف
ثلاثون عاما قد تولت كأنها حلوم تقصّت أو بروق خواطف
و جاء المشيب المنذر المرء أنه إذا رحلت عنه الشيبية تالف
فيا أحمد الخوان قد أدبر الصبا و ناداك من سن الكهولة هاتف
فهل أزرق الطرف الزمان الذي مضى و أبكاه ذنب قد تقدم سالف
فجد بالدموع الحمر حزنا و حسرة فدمعك يني أن قلبك آسف

و قد وافق في أول هذه القطعة قول أبي الوليد بن الفرضي، أو أخذه منه نقلا، و توفي في صدوره عن المشرق بمدينة قوص من صعيد
مصر في عشر الخمسين و خمسمائة، و دفن عند الجميزة التي في المقبرة التالية لسوق العرب، و قال ابن عباد: إنه توفي سنة خمسين أو
إحدى و خمسين بعدها- رحمه الله تعالى!- و قد نيف عن الستين.

٢٢٤- و منهم أبو العباس أحمد بن عمر، المعافى، المرسى.

و أصله من طليبرة، و يعرف بابن إفرند، روى عن أبي الحسين الصفدى و غيره كالقاضى الحافظ أبى بكر بن العربى و أبى محمد
الرشاطى و أبى إسحاق بن حبيش و غيرهم، و له رحلة حج فيها، و لقي أبا الفتح بن الزندانقانى ببلد بين سرخس و مرو من أصحاب
أبى حامد الغزالى، و أنشد عنه مما قاله فى وداع إخوانه بالبيت المقدس: [بحر الطويل]
لئن كان لى من بعد عود إليكم قضيت لبانات الفؤاد لديكم
و إن تكن الأخرى و لم تك أوبة و حان حمامى فالسلام عليكم
و قد روى هذين البيتين أبو عمر بن عباد و ابنه محمد عن ابن إفرند هذا، و كان صالحا زاهدا متصوفا، رحمه الله تعالى!.

٢٢٥- و منهم أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى، الضبى.

من أهل لورقة، رحل حاجا، و كان منقبضا زاهدا صواما قواما، و أقرأ القرآن، و أسمع
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٠١
الحديث، و ممن حدث عنه الحافظان أبو سليمان و أبو محمد بن حوط الله، و لقيه أبو سليمان بلورقة سنة ٥٧٥، و توفي رحمه الله
تعالى سنة ٥٧٧، و قد قارب المائة.

٢٢٦- و منهم أبو عمر بن عات، و هو أحمد بن هارون بن أحمد بن جعفر بن عات النفزى.

من أهل شاطبة، سمع أباه و أبا الحسن بن هذيل، و أبا عبد الله بن سعادة و ابن حبيش و غير واحد و طائفة كثيرة، و رحل إلى المشرق

فأدى الفريضة، وسمع أبا الطاهر السلفي و أبا الطاهر بن عوف وغيرهما ممن يطول ذكره، و أجاز له أبو الفرج بن الجوزي وغيره ممن أخذ عنه وسمع منه، و قد ضمن ذكر أشياخه و جملة صالحه من مروياته عنهم برنامجه اللذين سمي أحدهما «بالتزهة»، في التعريف بشيوخ الوجهة» و هو كتاب حافل جامع، و الآخر «بريحانة النفس، و راحة الأنفس، في ذكر شيوخ الأندلس» قال ابن عبد الملك المراكشي في الصلة:

حدثنا عنه شيخنا أبو محمد حسن بن علي بن القطان، و كان من أكابر المحدثين، و جلة الحفاظ المسنين للحديث و الآداب بلا مدافعة، يسرد الأسانيد و المتون ظاهرا فلا يخل بحفظ شيء منها، متوسط الطبقة في حفظ فروع الفقه و معرفة المسائل، إذ لم يعن بذلك عنايته بغيره، فكان أهل شاطبة يفاخرون بأبوي عمر بن عبد البر و ابن عات، و كان علي سنن السلف الصالح في الانقباض، و زيارة الكلام، و متانة الدين، و أكل الحشف، و لزوم التقشف، و التقلل من الدنيا، و الزهد فيها، و المثابرة على كثير من أفعال البر كالأذان و الإمامة و بذل المعروف و التوسع بالصدقات على الضعفاء و المساكين.

و حكى أنه حضر في جماعة من طلبه العلم لسماح السير على بعض شيوخهم، فغاب الكتاب أو القارئ بكتابه، فقال أبو عمر: أنا أقرأ لكم، فقرأ لهم من حفظه، و قال أبو عمر عامر بن نذير: لازمته مدة ستة أشهر، فلم أر أحفظ منه، و حضرت إسماع الموطأ و صحيح البخاري منه، فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشر أوراق عرضا بلفظه كل يوم عقب صلاة الصبح، لا يتوقف في شيء من ذلك، انتهى.

و قال بعض المؤرخين: إنه كان آخر الحفاظ للحديث، يسرد المتون و الأسانيد ظاهرا لا يخل بحفظ شيء منها، موصوفا بالدراية و الرواية، غالبا عليه الورع و الزهد، على منهاج السلف، يلبس الخشن، و يأكل الحشف، و ربما أذن في المساجد، و له تأليف دالة على سعة حفظه، مع حظ من النظم و النثر، و شهد وقعة العقاب التي أفضت إلى خراب الأندلس

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٠٢

بالدائرة على المسلمين فيها، و كانت السبب الأقوى في تحيف الروم بلادها حتى استولت عليها، ففقد حينئذ و لم يوجد حيا و لا ميتا، و ذلك يوم الاثنين منتصف صفر سنة تسع و ستمائة، و مولده سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة، قاله ابن الأبار: و هو ممن أجاز له المذكور فيها رواه أو ألفه، رحمه الله تعالى!.

٢٢٧- و منهم أبو العباس أحمد بن تميم بن هشام بن أحمد بن حنون، البهراني.

من ساكني إشبيلية، و أصله من لبله، روى عن أبيه و ابن الجد و ابن زرقون و ابن جهور و غيرهم من أعلام الأندلس، ثم رحل إلى المشرق، فسمع ببغداد من أبي حفص عمر بن طبرزد، و بخراسان من المؤيد الطوسي، و بهراة من أبي روح عبد المعز، و بمر و من عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني، و من جماعة غير هؤلاء و سمع أيضا بدمشق من أبي الفضل الحرستاني و سواه، و بها توفي قبل العشرين و ستمائة، فيما نقل ابن الأبار عن ابن نقطة، و قال غيره: إنه مات سنة خمس و عشرين و ستمائة.

٢٢٨- و منهم أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد، المخزومي.

من أهل قرطبة، و يعرف أبوه بكوران، روى عن أبيه و غيره من مشيخه بلده، و رحل حاجا فلقى بالإسكندرية أبا الحسن بن المقدسي و سمع منه، و أنشد من لفظه بعض أصحاب ابن الأبار، قال: أنشدني شرف الدين أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي، قال:

أنشدتني تقيئة بنت غيث بن علي الأرمنازي لنفسها: [بحر السريع]

لا خير في الخمر، على أنها مذكورة في صفة الجنة

لأنها إن خامرت عاقلا خامره في عقله جنّه
يخاف أن تقذفه من علا فلا تقى مهجته جنّه

٢٢٩- و منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن عياش، الكنانى، المرسى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٠٣

سمع من ابن بشكوال موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى والقعنبي و ابن بكير بقراءة محمد بن حوط الله، و رحل إلى المشرق سنة تسع و سبعين و خمسمائة، فحج سنة ثمانين بعدها، و أقام بالحجاز و الشام مدة، و لقي أبا الطاهر الخشوعي بدمشق فسمع منه مقامات الحريري و أخذها الناس عنه، و مما أفاد و زاد في قول الحريري:

إذا ما حويت جنى نخلة الأبيات - قوله: [بحر المتقارب]

و لا تأسف على خارج إذا ما لمحت سنى الداخل

و لا تكثر الصمت في معشر و إن زدت عينا على باقل

و سمع من أبي القاسم ابن عساكر السنن للبيهقي، و من أبي حفص المياشنى جامع الترمذى، و قفل إلى الأندلس فى سنة سبع و تسعين، و حدث بيسير، و كان يحسن عبارة الرؤيا، و كفّ بصره سنة ثمان و عشرين و ستمائة أو نحوها، و توفى على إثر ذلك، و مولده سنة اثنتين و خمسين و خمسمائة، رحمه الله تعالى!.

٢٣٠- و منهم أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حصن بن أحمد بن حزم، الغافقى.

و يقال فيه: إبراهيم بن حصن بن عبد الله بن حصن.

أندلسى، سكن دمشق، و ولى الحسبة بها، و يكنى أبا إسحاق، سمع ببغداد من أبي بكر بن مالك القطيعى و طبقة، و بدمشق من عبد الوهاب الكلابى و يوسف بن القاسم الميانجى، و بمصر من أبي طاهر الذهلوى و أبي أحمد الغطريفى، و له أيضا سماع بالرملة و أطرابلس و الدينور و غيرها من البلدان، و حدث بيسير، روى عنه أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الوهاب بن عبد الله الجيانى من شيوخ عبد العزيز بن أحمد الكنانى، و كان مالكيًا، و قيل:

إنه يذهب إلى الاعتزال، و كان صارما فى الحسبة، و وليها سنة خمس و تسعين و ثلاثمائة فى أيام الحاكم العبيدى، و توفى بدمشق فى ذى الحجة سنة أربع و أربعمائه، قيل: ثانى عيد الأضحى، و قيل غير ذلك، ذكره ابن عساكر، رحمه الله تعالى!.

قلت: ما سمعت بمالكى معتزلى غير هذا، و لعله كان مالكيًا بالمغرب، فلما دخل فى خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبه لمذهب الاعتزال، فالله تعالى أعلم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٠٤

٢٣١- و منهم أبو أمية إبراهيم بن منبه بن عمر بن أحمد، الغافقى.

من أهل المريّة، و نزل مرسية، سمع ببلده من ابن شفيق، و أخذ عنه القراءات، و من الحافظ ابن سكرة و ابن رغبة و عبد القادر بن الحنّاط، و بقرطبة من ابن عتاب و ابن طريف و أبي بحر الأسدى و ابن مغيث و غيرهم، و رحل حاجا، فسمع بمكة من أبي على بن العرجاء أحاديث جعفر بن نسطور و غيرها فى شعبان سنة ست و عشرين، و سمع أيضا من أبي الفتح سلطان بن إبراهيم المقدسى، و قفل إلى بلده، و انتقل بعد الحادثة عليه إلى مرسية، و ولى القضاء و الخطبة هنالك، و حدث، و أخذ عنه، و كان فقيها مشاورا، و قيل:

إن ابن حبيش سمع منه الأحاديث النسطورية، و أسمع صحيح البخارى آخر الحجّة سنة خمس و خمسين و خمسمائة، و كان يحدث به عن سلطان بن إبراهيم عن كريمة المروزيّة، و حكى رحمه الله تعالى عن أبى ذرّ الهروى أنه قال عند موته: عليكم بكريمة فإنها تحمل كتاب البخارى من طريق أبى الهيثم، رحم الله تعالى الجميع!

٢٣٢-٢٣٣- و منهم أبو القاسم بن فورتش، و هو إسماعيل بن يحيى بن عبد الرحمن، السرقسطى، و أخوه القاضى محمد بن يحيى

، و كانا جميعا زاهدين، لهما رحلة سمعا فيها من أبى ذر الهروى بمكة، و عادا إلى بلدهما، و ولى محمد منهما القضاء، و قد لقيهما القاضى الحافظ أبو على بن سكرّة و لم يسمع منهما، و يرويان عن أبى عمر الطلمنكى و أبى الحزم بن أبى درهم، و توفى أبو القاسم فى نحو الخمسمائة.

٢٣٤- و منهم أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن عمر، القرشى، العلوى، الإشبلى.

رحل حاجا، و دخل العراق و الموصل، و قيد الكثير و رواه، و سمع من أبى حفص الميانشى بمكة سنة ٥٧٠، و حدث بالموطأ عن أبى الحسن على بن هابيل الأنصارى عن أبى الوليد الباجى، و حدث أيضا عن غيره بما دل على أنه كان يخلط و لا يضبط، و كذلك قال أبو الصبر: كان له فى الموطأ إسناد عال جدا، فتصفحته فوجدته ينقص منه رجل واحد، فاستربت فى الرواية عنه بعد تحسين الظن به، و لم يتبته أبو الصبر لأن ابن هابيل و غيره من شيوخه مجهولون، و أبو الصبر ممن روى عن المذكور، و هو أبو الصبر السبتي، و الله تعالى أعلم بحقيقته حال الرجل.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٠٥

[٢٣٥ عيسى بن عبد الله النفزى الحميرى التاكرنى]

٢٣٥- و منهم أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن خليل، النفزى، الحميرى، التاكرنى.

قال فى تاريخ إربل: كان شابا متأدبا فاضلا، قدم مصر، و له شعر حسن، و قال الحافظ عبد العظيم المنذرى: أنشدنا المذكور لنفسه: [بحر الكامل]

يا قلب مالك لا تفيق من الهوى أو ما يقرّ بك الزمان قرار؟

أ لكلّ ذى وجه جميل صبوة و لكل عهد سالف تذكّار؟

وله: [بحر البسيط]

يا رب أضحية سوداء حالكة لم ترع فى البيد إلا الشمس و القمر

تخال باطنها فى اللون ظاهرها فهى الغداة كزنجى إذا كفر

ولد سنة ٥٩٠ بتاكرنا من بلاد الأندلس، و هى من نظر قرطبة، و توفى بأرزن من ديار بكر سنة ٦٢٩، عائدا من آمد، رحمه الله تعالى!.

و من بديع شعره: [بحر البسيط]

إن أودع الطرس ما وشاه خاطره أبدى لعينيك أزهارا و أشجارا

و إن تهدد فيه أو يعد كرما بثّ البرية آجالا و أعمارا

و تاكرنا- بضم الكاف و الراء و تخفيفها، و شد النون- و ورد المذكور إربل سنة سبع و عشرين و ستمائة، و له أبيات أجاز فيها أبيات

شرف الدين عمر بن الفارض فى غلام اسمه بركات، قال الأسدى دمشقى، و من خطه نقلت: كنت حاضرا هذه الواقعة بالقاهرة بالجامع الأزهر، إذ قال ابن الفارض: [بحر الكامل]

بركات يحكى البدر عند تمامه حاشاه، بل شمس الضحى تحكيه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٠٦

فقال أبو الروح، و أنشدنى ذلك: [بحر الكامل]

هذا الكمال فقل لمن قد عابه حسدا و آيه كل شىء فيه

لم تذو إحدى زهرتیه، و إنما كملت بذاك ملاحه التشبيه

و كأنه رام يغلق جفنه ليصيب بالسهم الذى يرميه

و قال ابن المستوفى فى تاريخ إربل: أنشدنى أبو الروح لنفسه: [بحر الكامل]

أوصيت قلبى أن يفتر عن الصبا ظنا بأنى قد دعوت سميعا

فأجابنى لا تخش منى بعد ما أفلت من شرك الغرام وقوعا

حتى إذا نادى الحبيب رأيته آوى إليه مليا و مطيعا

كذباله أخدمتها فإذا دنا منها الضرام تعلقته سريعا

قال: و أنشدنى: [بحر البسيط]

و زائر زارنى و الليل معتكر و الطيب يفضحه و الحللى يشهره

أمسكت قلبى عنه و هو مضطرب و الشوق يبعثه و الصون يزجره

فبت أصدى إلى من لا يحللى و الورد صاف و لا شىء يكدره

تراه عينى و كفى لا تلامسه حتى كأنى فى المرآة أنظره

قال: و أنشدنى [قال: أنشدنى] الإمام أبو عمرو بن غياث الشريشى لنفسه رحمه الله تعالى: [بحر الطويل]

صبوت و هل عار على الحر إن صبا و قيد ثغر الأربعين إلى الصبا

و قالوا مشيب قلت وا عجبا لكم أ ينكر صبح قد تخلل غيها

و ليس مشيبا ما ترون، و إنما كमित الصبا لما جرى عاد أشهبا

و توفى أبو عمرو سنة ٦٢٠، عن تسعين سنة.

قال ابن المستوفى: و أنشدنى أبو عمرو أيضا لنفسه: [بحر السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٠٧

أودع فؤادى حسره أو دع نفسك تؤذى أنت فى أضلعي

أمسك سهام اللحظ أو فارمها أنت بما ترمى مصاب معى

موقعها القلب و أنت الذى مسكنه فى ذلك الموضع

قال: و أنشدنى قال: أنشدنى مطرف الغرناطى: [بحر الخفيف]

أنا صب كما تشاء و تهوى شاعر ماجد كريم جواد

سنه سنه قديما جميل و أتى المحدثون مثلى فزادوا

قال: و أنشدنى أيضا المطرف: [بحر السريع]

و فى فروع الأيك ورق إذا بل الندى أعطافها تسجع

أو هزها نفع نسيم الصبا شاكك منها غرد شرع
 كأنما ريطتها منبر و هي خطيب فوقه مصقع
 إن شيبها في طرف لوعه جرى لها في طرف مدمع
 أخذه من قول عبد الوهاب بن علي المالقى الخطيب: [المتقارب]
 كأن فؤادى و طرفى معا هما طرفا غصن أخضر
 إذا اشتعل النار فى جانب جرى الماء فى الجانب الآخر

[٢٣٦- على بن أحمد بن محمد بن حمدون الملقى النحوى]

٢٣٦- و من المرتحلين من الأندلس إلى المشرق الإمام النحوى اللغوى نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن حمدون، الحميرى، الأندلسى، الملقى.

قال شرف الدين الصابونى: أنشدنا المذكور لنفسه سنة ٦٦٧هـ: [بحر الطويل]

فؤادى بأيدى النائبات مصاب و جفن لفيض الدمع فيه مصاب
 تناءت ديار قد ألفت و جيرة فهل لى إلى عهد الوصال إياب
 و فارقت أوطانى و لم أبلغ المنى و دون مرادى أبحر و هضاب
 مضى زمنى و الشيب حل بمفرقى و أبعد شىء أن يرد شباب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٠٨
 إذا مر عمر المرء ليس براجع و إن حل شيب لم يفده خضاب
 فحل حمام الشيب فى فرق لمتى و قد طار عنها للشباب غراب
 و كم عظه لى فى الزمان و أهله و بين فؤادى و القبول حجاب
 فدع شهوات النفس عنك بمعزل فعذب الليالى مقتضاه عذاب
 و سل فؤادا عن رباب و زينب فما القصد منها زينب و رباب
 و أنوى متابا ثم أنقض نيتى فربح صلاحى بالفساد خراب
 أقر بتقصيرى و أطمع فى الرضا و ما القصد إلا مرجع و متاب
 و يعتبنى فى العجز خل و صاحب و هل نافع فى الجامدات عتاب
 أظهر أثوابى و قلبى مدنس و أزعم صدقا و المقال كذاب
 و فارقت من غرب البلاد مواطنا فيسقى ربا غرب البلاد سحاب
 فبالقلب من نار التشوق حرقة و بالعين من فيض الدموع عباب
 و ما بلغ المملوك قصدا و لا منى و لا حط عن وجه المراد نقاب
 و أخشى سهام الموت تفجأ غفلة و ما سار بى نحو الرسول ركاب
 و قلبى معمور بحب محمد فمالى فى غير الحجاز طلاب
 يحن إلى أوطانه كل مسلم فقدس منها منزل و جناب
 فأسعد أيامى إذا قيل هذه منازل من وادى الحمى و قباب
 فجسمى بمصر و روحى بطيبة فللروح عن جسمى هناك مناب

على مثل هذا العجز و العمر منقض تشقّ قلوب لا تشق ثياب
و أرجو ثوابا بامتداحى محمدا و ما كل مثن فى الزمان يثاب
به أخدمت من قبل نيران فارس و حقق من ظبى الفلاة خطاب
و كم قد سقى من كفه الجيش فارتووا و كم قد شفى منه العيون رضاب
أجيب لما يختار فى حضرة العلا و ما كل خلق حيث قال يجاب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٠٩
فلم تلهه دنياه عن خوف ربه و لا شغلته عن رضاه كعاب
محمد المختار أعلى الورى ندى و أكرم مبعوث أتاه كتاب
أ تحسب أن تحصى بعد صفاته و هبهات ما يحصى علاه حساب
ثناء رسول الله خير ذخيرة و قد ذل جبار و خيف عقاب
و قد نصب الميزان و الله حاكم و ذلت لأحكام الإله رقاب
فكل ثناء واجب لصفاته فما مدح مخلوق سواه صواب
إليك رسول الله أنهى مدائحى و إن رجائى راحة و ثواب
إذا قيل من تعنى بمدحك كله فأنت إذا خبرت عنه جواب
(فليتك تحلو و الحياة مريرة و ليتك ترضى و الأنام غضاب)
فأنت أجلّ العالمين مكانة و أكرم مدفون حواه تراب
و له يرثى العز بن عبد السلام: [بحر الكامل]
أمد الحياة كما علمت قصير و عليك نقاد بها و بصير
عجبا لمعتر بدار فنائه و له إلى دار البقاء مصير
فسليمها للنائب معروض و عزيزها بيد الردى مقهور
أ يظن أن العمر ممدود له و العمر فيه على الردى مقصور
و هى طويلة، و لم يحضرنى سوى ما ذكرته.

٢٣٧- و منهم عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الرحمن، الغسانى، الوادى آسى، أبو محمد.

و له أخبار كثيرة فى الحماسة و علو الهمة.
و من نظمه لما تعمم مخدومه ابن غانية بعمامة بيضاء و لبس غفارة حمراء على جبة خضراء: [بحر الطويل]
فديتك بالنفس التى قد ملكتها بما أنت موليتها من الكرم الغضّ
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢١٠
تردّيت للحسن الحقيقى بهجة فصار لها الكلى فى ذاك كالبعض
و لما تلالا نور عزّتك التى تقسم فى طول البلاد و فى عرض
تلفعتها خضراء أحسن ناظر نبت عنك إجلالا و ذاك من الفرض
و أسدلت حمراء الملابس فوقها بمفرق تاج المجد و الشرف المحض
فأصبحت بدرا طالعا فى غمامة على شفق دان إلى خضرة الأرض

و قال رحمه الله تعالى: [بحر الطويل]

أجبتنا و رمحي ناصري و حسامي و عجزا و عزمي قائدی و إمامی

ولی منك بطاش الیدین غضنفر یحارب عن أشباله و یحامی

و قال رحمه الله تعالى لما أسنَّ يستأذن مخدومه في الحج و الزيارة: [بحر الكامل]

أمن بتسريح عليّ و فعله سبب الزيارة للحطيم و يثرب

و لئن تقول كاشح أن الهوى درست معالمه و أنكرو مذهبي

فمقالتي ما إن مللت و إنما عمري أبي حمل النجاد و منكبي

و عجزت عن أن أستثير كمينها و أشق بالصمصام صدر الموكب

و قال رحمه الله تعالى، و لا خفاء ببراعته: [بحر الطويل]

ندی مخضلا ذاك الجناح المنمنما و سقيا و إن لم تشك يا ساجعا ظما

أعدهن ألحانا على سمع معرب يطارح مرتاحا على القضب معجما

و طر غير مقصوص الجناح مرفها مسوغ أشتات الجبوب منعما

مخلى و أفراخا بوكر ك نوما ألا ليت أفراخي معي كن نوما

و قال رحمه الله تعالى: [بحر الطويل]

كفى حزنا أن الرماح صقيلة و أن الشبا رهن الصدى بدمائنه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢١١

و أن بياديق الجوانب فرزنت و لم يعد رخ الدست بيت بنائه

و كان- رحمه الله تعالى!- من جلة الأدباء، و فحول الشعراء، و برعة الكتاب كتب عن ابن غانية الأمير أبي زكريا يحيى بن إسحاق بن

محمد بن علي المسوفى الميرقى النائر علي منصور بنى عبد المؤمن، ثم علي من بعده من ذريته إلى أيام الرشيد منهم، و كان منقطعا

إليه، و ممن صحبه في حركاته، و كان آية في بعد الهمة، و الذهاب بنفسه، و الغناء في مواقف الحرب، و الجنسية عله الضم، إذ ابن

غانية كان غاية في ذلك أيضا، و وجهه الميرقى المذكور عشية يوم من أيام حروبه إلى المأزق، و قد طال العراك، و كاد الناس

ينفصلون عن الحرب [إلى أن يباكروها من الغد، فلما بلغ الصدر اشتد على الناس] و ذمّ أرباب الحفيظة، و أنهى إليهم العزم من

أميرهم في الحملة، فانهمز عدوهم شرّ هزيمة، و لم يعد أبو محمد إلا في آخر الليل بالأسلاب و الغنيمه، فقال له الأمير: و ما حملك

علي ما صنعت؟ فقال: الذي عملت هو شأني، و إذا أردت من يصرف الناس عن الحرب و يذهب ريحهم فانظر غيري.

و تشاجر له ولد صغير مع ترب له من أولاد أميره أبي زكريا فنال منه ولد الأمير، و قال:

و ما قدر أبيك؟ فلما بلغ أباه خرج مغضبا لحينه، و لقي ولد الأمير المخاطب لولده فقال:

حفظك الله تعالى! لست أشك في أني خديم أبيك، و لكني أحب أن أعرفك بنفسى و مقدارى و مقدار أبيك، اعلم أن أباك

وجهنى رسولا إلى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه، فلما بلغت بغداد أنزلت في دار اكترت لى بسبعة دراهم في الشهر، و أجرى

على سبعة دراهم في اليوم، و طولع بكتابى، و قيل: من الميرقى الذى وجهه؟ فقال بعض الحاضرين: هو رجل مغربى نائر على أستاذه،

فأقمت شهرا، ثم استدعيت، فلما دخلت دار الخلافة و تكلمت مع من بها من الفضلاء و أرباب المعارف و الآداب اعتذروا إلى، و قالوا

للخليفة: هذا رجل جهل مقداره، فأعدت إلى محل اكترى لى بسبعين درهما، و أجرى على مثلها في اليوم، ثم استدعيت فودعت

الخليفة، و اقتضيت ما تيسر من حوائجه و صدر لى شىء له حظ من صلته، و انصرفت إلى أبيك، فالمعاملة الأولى كانت على قدر

أبيك عند من يعرف الأقدار، و الثانية كانت على قدرى، و ترجمته رحمه الله تعالى واسعة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢١٢

٢٣٨- و منهم عبد المنعم بن عمر الغساني، الوادي آشي

المؤلف، الرحالة، المتجول ببلاد المشرق سائحا، صاحب المؤلفات الكثيرة التي منها «جامع أنماط السائل، في العروض و الخطب و الرسائل».

و من نظمه قوله رحمه الله: [بحر الطويل]

ألا إنما الدنيا بحار تلاطمت فما أكثر الغرقى على الجنبات

و أكثر من لاقيت يغرق إلفه و قلّ فتى ينجى من الغمرات

توفى سنة ٦٠٣، رحمه الله تعالى!

٢٣٩- و منهم أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد، القرطبي، الخزرجي.

كان إماما في التفسير و الفقه و الحساب و الفرائض و النحو و اللغّة و العروض و الطب، و له تآليف حسان، و شعر رائع، فمنه قوله رحمه الله تعالى: [بحر الوافر]

و في الوجنات ما في الروض لكن لرونق زهرها معنى عجيب

و أعجب ما التعجب عنه أنى أرى البستان يحمله قضيب

و توفى رحمه الله تعالى سنة ٦٠١.

[٢٤٠- عبد المنعم الوادي آشي، و أحمد الخزرجي، و أحمد بن عمر]

٢٤٠- و منهم أبو العباس القرطبي، صاحب «المفهم»، في شرح مسلم» و هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري، المالكي، الفقيه، المحدث، المدرس، الشاهد بالإسكندرية.

ولد بقرطبة سنة ٥٧٨، و سمع الكثير هنالك، ثم انتقل إلى المشرق، و اشتهر و طار صيته، و أخذ الناس عنه، و انتفعوا بكتبه، و قدم مصر، و حدث بها، و اختصر الصحيحين، و كان بارعا في الفقه و العربية، عارفا بالحديث، و ممن أخذ عنه القرطبي صاحب التذكرة، و من تصانيفه رحمه الله تعالى «المفهم»، في شرح مسلم» و هو من أجلّ الكتب، و يكفيه شرفا اعتماد الإمام النووي رحمه الله تعالى عليه في كثير من المواضع، و فيه أشياء حسنة مفيدة، منها اختصاره للصحيحين كما مر، و له غير ذلك و توفى رحمه الله تعالى بالإسكندرية رابع ذى القعدة سنة ٦٥٦، و كان يعرف في بلاده بابن المزين، و له كتاب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢١٣

«كشف الإقناع، عن الوجد و السماع» أجاد فيه و أحسن و كان يشغل أولا بالمعقول، و له اقتدار على توجيه المعاني بالاحتمال.

قال الشيخ شرف الدين الدمياطي: أخذت عنه، و أجاز لي مصنفاته، رحمه الله تعالى! و حدث بالإسكندرية و غيرها، و صنف غير ما ذكرناه، و كان إماما عالما جامعا لمعرفة الحديث و الفقه و العربية و غيرها.

٢٤١- و منهم العارف الكبير، الولي الصالح الشهير، أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونة، الخزاعي، الأندلسي.

أحد الأعلام المنقطعين المقربين أولى الهداية، كان-رضى الله تعالى عنه و نفعنا به!- كثير الأتباع، بعيد الصيت، فذا شهيرا.

قال الحافظ ابن الزبير: هو أحد الأعلام المشاهير فضلا وصلاحا، قرأ ببلنسية و تفقه، و حفظ نصف المدونة، و أقرأها، و كان يؤثر التفسير و الحديث و الفقه على غيرها، أخذ عن أبوي الحسن بن النعمان و ابن هذيل، و حج، و لقي في رحلته من الأندلس جلة أكبرهم الولي الكبير سيد أبو مدين شعيب، أفاض الله تعالى علينا من أنواره! و انتفع به، و رجع عنه بعجائب، فشهّر بالعبادة، و تبرك الناس به، فظهرت عليه بركته، توفي رحمه الله تعالى في شوال سنة ٦٢٤، و عاش نيفا و ثمانين سنة. و له ترجمة في الإحاطة ملخصها ما ذكرناه.

٢٤٢- و منهم محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب، الخزرجي، الأنصاري، الشاطبي، الفقيه، القاضي، الصدر، المتفنن، المحصل، المجيد.

له علم محكم، و عقد صحيح مبرم، رحل إلى المشرق و حج، و كانت رحلته بعد تحصيله، فزاد فضلا إلى فضل، و نبلا إلى نبل، و كان مثبتا في فقهه، لا يستحضر من النقل الكثير، و لكنه يستحضر ما يحتاج إليه، و كان له علم بالعربية و أصول الفقه، و مشاركة في أصول الدين، له شرح على الجزولية، و كان أبوه قاضيا، و بيتهم بيت قضاء و علم و سؤدد متوارث و مجد مكسوب و منسوب، ثم ولي قضاء بجاية، فكان في قضائه على سنن الفضلاء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢١٤

و طريق الأولياء العقلاء بالحق مع الصدق، معارضا للولاء، و كان يرى أن لا يقدم الشهود إلا عند الحاجة، و أما إن حصل من تحصل به الكفاية فلا يقدم غيره، و يرى أن الكثرة مفسدة، و قد طلب منه الملك أن يقدم رجلا من أهل بجاية، فقال له مشافهة: إن شئتم قدمتموه و أخرتموني و كان إذا جرى الأمر في مجرى الشهادة و ما قاله القاضي ابن العربي أبو بكر و غيره من أنها «قبول قول الغير على الغير بغير دليل» يرى أن هذا من الأمر العظيم الذي لا يليق أن يمكن منه إلا الآحاد الذين تبين فضلهم في الوجود، و كان يرى أن جنائيات الشاهد إنما هي في صحيفة من يقدمه من باب قوله عليه الصلاة و السلام: «من سنّ سنة حسنة، و من سنّ سنة سيئة» و قد سئل: من أولياء الله؟ فقال: شهود القاضي، لأنهم لا يأتون كبيرة، و لا يواظبون على صغيرة، و إن كانت الشهادة على هذه الصفة فلا شيء أجل منها، و إن كانت خطأ لا صفة فلا شيء أحسن منها، و لما كانت واقعة ابن مريم بطنجة عرض عليه أهلها أن يتقدم و أن يبايعوه، فقال: و الله لا أفسد ديني، و لما توفي عجز القاضي الذي تولى بعده عن سلوك منحاه، و اقتفاء سنته الذي اقتفاه، قال هذا كله بمعناه و بعضه بحروفه الغبريني في «عنوان الدراية في علماء بجاية».

[٢٤٣- محمد بن يحيى اللبسي قاضي القضاة]

٢٤٣- و منهم محمد بن يحيى الأندلسي، اللبسي - بلام فموحدة فسين - قاضي القضاة، أخذ عن الحافظ ابن حجر، و نوّه به عند الأشراف، حتى ولاه قضاء المالكية بحماة، و سار سيرة السلف الصالح، ثم حنق على نائبها في بعض الأمور، و سافر إلى حلب مظهرا إرادة السماع على حافظها البرهان.

و وصفه ابن حجر في بعض مجاميعه بقوله: الشيخ، الإمام، العالم، العلامة في الفنون، قاضي الجماعة. و قال: إنه إنسان حسن إمام في علوم منها الفقه و النحو و أصول الدين، يستحضر علوما كأنها بين عينيه، و وصفه أيضا بعلامة دهره، و خلاصة عصره، و عين زمانه، و إنسان أوانه، جامع العلوم، و فريد كل منشور و منظوم، قاضي القضاة، لا زالت رايات الإسلام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢١٥

به منصوره، و أعلام الإيمان به منشورة، و وجوه الأحكام الشرعية بحسن نظره مجبورة، ولد سنة ٨٠٦، و توفي ببرشيا من بلاد الروم أواخر شعبان سنة ٨٨٤، قاله السخاوي «في الضوء اللامع».

٢٤٤- ومنهم الوزير الشهير أبو عبد الله بن الحكيم، الرندي، ذو الوزارتين.

رحل إلى مصر و الحجاز و الشام، و أخذ الحديث عن جماعة، و قد ترجمناه في باب مشيخه لسان الدين عند تعرضنا لذكر ابنه الشيخ أبي بكر بن الحكيم، و لا بأس أن نزيد هنا ما ليس هنالك، فنقول: إن من مشايخه برنده الشيخ الأستاذ النحوي أبا الحسن علي بن يوسف العبدري السفاح، أخذ عنه العربية، و قرأ عليه القرآن بالروايات السبع، و أخذ عن الخطيب بها أبي القاسم بن الأيسر، و أخذ- رحمه الله تعالى!- عن جماعة من أعلام الأندلس، و أخذ في رحلته عن الجلة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر، فمن شيوخه الحافظ أبو اليمن بن عساكر، لقيه بالحرم الشريف، و انتفع به، و أكثر من الرواية عنه، و الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني المعروف بابن هبة الله، و الشيخ الشرف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى ابن الإمام الجزائري- جزائر المغرب - نزيل بغداد و الشيخ أبو الصفاء خليل بن أبي بكر المرادي الحنبلي، لقيه بالقاهرة، و الشيخ رضى الدين أبو بكر القسطيني، و الشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى إمام الديار المصرية في الحديث و حافظها و مؤرخها! و الشهاب ابن الخيمي، قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها: [بحر البسيط]

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب إليك آل التقصى و انتهى الطلب
و فيها البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه:

يا بارقا بأعلى الرقمتين بدا لقد حكيت و لكن فاتك الشنب

و الشيخ جمال الدين أبو صادق محمد بن يحيى القرشى، و من تخريجه «الأربعون المروية بالأسانيد المصرية» و سمع الحلبيات من ابن عماد الحراني و الشيخ أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة، و مولده سنة ٥٩٨هـ، و زينب بنت الإمام أبي محمد عبد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢١٦

اللطف بن يوسف البغدادي، و تكنى أم الفضل، و سمعت من أبيها، و من أشياخ ذى الوزارتين ابن الحكيم المذكور الملك الأوحى يعقوب ابن الملك الناظر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، و الشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان و أخوه محمد بن سليمان، في طائفة كبيرة من مشايخ مصر و الشام و العراق و غيرها من البلاد يطول تعدادهم، و أخذ ببجاية عن خطيبها أبي عبد الله بن رحيمة الكنانى، و بتونس عن قاضيها أبي العباس بن الغماز البلنسى و أخذ العربية عن قدوة النحاة أبي الحسين عبد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشى.

و من شعر ذى الوزارتين ابن الحكيم المذكور قوله: [بحر الرمل]

هل إلى ردّ عشيات الوصال سبب أم ذاك من ضرب المحال

حالة يسرى بها الوهم إلى أنها تثبت برأ باعتلال

و ليال ما تبقى بعدها غير أشواقى إلى تلك الليال

إذ مجال الوصل فيها مسرحى و نعيمى أمر فيها و وال

و لحالات التراضى جولة مرحت بين قبول و اقتبال

فبوادى الخيف خوفى مسعد و بأكناف منى أسنى موال

لست أنسى الأانس فيها أبدا لا و لا بالعدل فى ذاك أبال

و غزال قد بدا لى وجهه فرأيت البدر فى حال الكمال

ما أمال التيه من أعطافه لم يكن إلا على خصل اعتدال

خصّ بالحسن فما أنت ترى بعده للناس حظا فى الجمال

من تسلى عن هواه فأنا بسواه عن هواه غير سال
فلئن أتعبني حبي له فلکم نلت به أنعم حال
إذ لآلى جیده من قبلی و وشاحاه یمنی و شمال
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢١٧
خلف النوم لى السهد به و ترامى الشخص لا طيف الخيال
فتداوى بلماه ظمئى مزجك الصهباء بالماء الزلال
أو إشارات بناء الملك الأوحى الأسمى الهمام المتعال
ملك إن قلت فيه ملكا لم تكن إلا محققا فى المقال
أيد الإسلام بالعدل فما إن ترى رسما لأصحاب الضلال
ذو أیاد شملت كل الوری و معال یا لها خير معال
همه هامت بأحوال التقى و صفات بالجلالات حوال
وقف النفس على إجهادها بين صوم و صلاة و نوال
و هى طويلة، و منها:

أيها المولى الذى نعمائوه أعجزت عن شكرها كنه المقال
ها أنا أنشدكم مهنتا من بديع النظم بالسحر الحلال
فأنا العبد الذى حبكم لم يزل و الله فى قلبى وبال
أورقت روضة آمالى بكم مذ تولاها الزباب المتوال
[و اقتنيت الجاه من خدمتكم فهى ما أذخره من كنز مال]
و منها:

يا أمير المسلمين هذه خدمة تنبىء عن أصدق حال
هى بنت ساعة أو ليلة سهلت بالحب فى ذاك الجلال
ما عليها إذ أجادت مدحها من بعيد الفهم يلغيها و قال
فهى فى تأدية الشكر لكم أبدا بين احتفاء و احتفال
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢١٨
و كتب رحمه الله تعالى يخاطب أهله من مدينة تونس: [بحر الخفيف]
حى حى بالله يا ریح نجد و تحمّل عظیم شوقى و وجدى
و إذا ما بثت حالى فبلغ من سلامى لهم على قدر ودّى
ما تناسيتهم و هل فى مغيبى قد نسونى على تطاول بعدى
بى شوق إليهم ليس يعزى لجميل و لا لسكان نجد
يا نسيم الصبا إذا جئت قوما ملئت أرضهم بشيخ و رند
فتلطف عند المرور عليهم و حقوقا لهم على فأد
قل لهم قد غدوت من وجدهم فى حال شوق لكل رند و زند
و إن استفسروا حديثى فإنى باعتناء الإله بلغت قصدى

فله الحسد إذ حبانى بلطف عنده قلّ كلّ شكر و حمد
و افتتح مخاطبته لأخيه الأكبر أبى إسحاق إبراهيم بقصيدة أولها: [بحر الكامل]
ذكر اللوى شوقا إلى أقماره ففضى أسى أو كاد من تذكاره
و علا زفير حريق نار ضلوعه فرمى على و جناته بشراره
لو كنت تبصر خطه فى خده لقرأت سر الوجد من أسطاره
يا عاذليه أقصروا فلشدّ ما أفضى عتابكم إلى إضراره
إن لم تعينوه على برحائه لا تنكروا بالله خلع عذاره
ما كان أكتمه لأسرار الهوى لو أن جند الصبر من أنصاره
ما ذنبه و البين قطع قلبه أسفا و أذكى النار فى أعشاره
بخل اللوى بالساكنيه و طيفهم و حديثه و نسيمه و مزاره
يا برق خذ دمعى و عرج باللوى فاسفحه فى باناته و عراره
و إذا لقيت بها الذى ياخائه ألقى خطوب الدهر أو بجواره
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢١٩
فاقر السلام عليه قدر محبتى فيه و ترفيعى إلى مقداره
و المم بسائر إخوتى و قرابتى من لم أكن لجوارهم بالكاره
ما منهم إلا أخ أو سيد أبدا أرى دأبى على إكباره
فاثبت لذاك الحى أن أخاهم فى حفظ عهدهم على استبصاره
و قال رحمه الله تعالى فى غرض كلفه سلطانه القول فيه: [بحر الوافر]
ألا واصل مواصلة العقار ودع عنك التخلق بالوقار
و قم و اخلع عذارك فى غزال يحق لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص تعمم بالدجى فوق النهار
و لاح بخده ألف و لام فصار معرّفا بين الدرارى
رمانى قاسم و السين صاد بأشفار تنوب عن الشفار
و قد قسمت محاسن و جنتيه على ضدين من ماء و نار
فذاك الماء من دمعى عليه و تلك النار من فرط استعارى
عجبت له أقام بربع قلبى على ما شبّ فيه من الأوار
ألفت الحب حتى صار طبعها فما أحتاج فيه إلى ادكار
فما لى عن مذاهبه ذهاب و هذا فيه أشعارى شعارى

و قال العلامة ابن رشيد فى «ملء العيبة»: لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معى رفيقى الوزير أبو عبد الله بن أبى القاسم بن الحكيم، و كان أرمدا، فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الأكوار، و قوى الشوق لقرب المزار، فنزل و بادر إلى المشى على قدميه احتسابا لتلك الآثار، و إعظاما لمن حل تلك الديار، فأحس بالشفاء، فأنشد لنفسه فى وصف الحال قوله:

[بحر الطويل]

و لما رأينا من ربوع حبينا يثرب أعلاما أثرن لنا الحبا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٢٠

و بالترب منها إذ كحلنا جفوننا شفيها فلا بأسا نخاف ولا كربا
و حين تبدى للعيون جمالها و من بعدها عنا أدلت لنا قربا
نزلنا عن الأكوار نمشى كرامه لمن حلّ فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاتها و نلثم من حبّ لواطئه التريا
و إن بقائي دونه لخسارة و لو أن كفى تملأ الشرق و الغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه يقيم مع الدعوى و يستعمل الكتبا
و زلّات مثلي لا تعدد كثرة و بعدى عن المختار أعظمها ذنبا

و خط الوزير ابن الحكيم في غاية الحسن، و قد رأيت مرارا، و ملكت بعض كتبه، و نثره - رحمه الله تعالى! - أعلى من شعره كما نبه عليه لسان الدين في الإحاطة.

و من نثره في رسالة طويلة كتبها عن سلطانه، ما صورته: و قد تقرر عند الخاص و العام، من أهل الإسلام. و اشتهر في آفاق الأقطار، اشتهار الصباح في سواد الظلام. أنا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا، و نسمح في ذلك بالنفوس و الأموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا. و أنا ما قصرنا في الاستنفار و الاستنصار، و لا أقصرنا عن الاعتضاد بكل من أملنا معاملته و الاستظهار. و لا اكتفينا بمطولات الرسائل و بنات الأفكار حتى اقتحمنا بنفسنا لجج البحار، فسمحنا بالطارف من أموالنا و التلاد، و أعطينا رجاء نصره الإسلام موفور الأموال و البلاد، و اشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على كافة أهل الإسلام من الجهاد، فلم يكن بين تلبية المدعوّ و زهده، و لا بين قبوله و رده، إلا كما يحسو الطائر ماء الثماد، و يأبى الله أن يكل نصره الإسلام بهذه الجزيرة إلى سواه، و لا يجعل فيها شيئا إلا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته و نجواه، و لما أسلم الإسلام بهذه الجزيرة الغربية إلى مناويه، و بقى المسلمون يتوقعون حادثا ساءت ظنونهم لمباديه، ألقينا إلى الثقة بالله تعالى يد الاستسلام، و شمرنا عن ساعد الجد في جهاد عبدة الأصنام، و أخذنا بمقتضى قوله تعالى: وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ [البقرة: ١٩٥] أخذ الاعتزام، فأمدنا الله تعالى في ذلك بتوالي البشائر، و نصرنا بألطف أغنى فيها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٢١

خلوص الضمائر عن قود العساكر، و نفلنا على أيدي قوادنا و رجالنا من السبايا و الغنائم ما غدا ذكره في الآفاق كالمثل السائر و آتاكم من كل ما سألتموه و إن تعبدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظَلُمٌ كَفَّارٌ (٣٤) [إبراهيم: ٣٤] و كيف يحصيها المحصى أو يحصرها الحاصر، و حين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتح سافرة المحيا، و انتشقتنا نسائم النصر الممنوح عبقة الرّيا، استخرنا الله تعالى في الغزو بنفسنا و نعم المستخار، و كتبنا بما قد علمتم إلى ما قرب من أعمالنا بالحض على الجهاد و الاستنفار، و حين وافى من خفّ للجهاد من الأجناد و المطوعين، و غدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين، خرجنا بهم و نصر الله تعالى أهدي دليل، و عناية الله تعالى بهذه الفئة المفردة من المسلمين تقضى بتقريب البعيد من آمالنا و تكثير القليل، و نحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضا و القبول، و أن يرشدنا إلى طريق تقضى إلى بلوغ الأمانة و المأمول.

و هذه رسالة طويلة سقنا بعضها كالعنوان لسائرنا.

و نال ابن الحكيم - رحمه الله تعالى! - من الرياسة و التحكم في الدولة ما صار كالمثل السائر، و خدمته العلماء الأكابر، كابن خميس و غيره، و أفاض عليهم سجال خيره، ثم ردت الأيام منه ما وهبت، و انقضت أيامه كأن لم تكن و ذهبت، و قتل يوم خلع سلطانه، و مثل به سنة ٧٠٨، رحمه الله تعالى! و انتهب من أمواله و كتبه و تحفه ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى، أثابه الله تعالى بهذه الشهادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه و سلم و شرف و كرم و مجد و عظم.

[٢٤٥ نجيب الدين عبد العزيز اللخمي]

٢٤٥- و من المرتحلين من الأندلس إلى المشرق الحافظ نجيب الدين أبو محمد عبد العزيز بن الأمير القائد أبي علي الحسن بن عبد العزيز بن هلال، اللخمي، الأندلسي.

ولد سنة ٥٧٧ تقريباً، و رحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم، و بيغداد من أبي بكر أحمد بن سكينه و ابن طبرزد و طائفة، و بواسط من أبي الفتح بن المنداني و بأصبهان من عين الشمس الثقفي و جماعة، و بخراسان من المؤيد الطوسي و أبي روح و أصحاب الفراوى و هذه الطبقة، و خطه مليح مغربي في غاية الدقة. و كان كثير الأسفار، دينا متصوفاً كبير القدر، قال الضياء في حقه: رفيقنا و صديقنا، توفي بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧، و دفن إلى جانب قبر سهل التستري رضي الله تعالى عنه! و ما رأينا من أهل المغرب مثله، و قال ابن نقطة: كان ثقة فاضلاً، صاحب حديث و سنه، كريم الأخلاق، و قال مفضل القرشي: كان كثير المروءة عزيز

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٢٢

الإنسانية، و قال ابن الحاجب: كان كيس الأخلاق، محبوب الصورة، لين الكلام، كريم النفس، حلو الشائل، محسناً إلى أهل العلم بماله و جاهه، و قيل: إنه أوصى بكتبه للشرف المرسي، رحمه الله تعالى!.

[٢٤٦ - و منهم محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد، أبو بكر بن العربي الإشبيلي، حفيد القاضي الحافظ الكبير أبو بكر بن العربي.]

قرأ لنافع علي قاسم بن محمد الزقاق صاحب شريح، و حج فسمع من السيلفي و غيره، ثم رحل بعد نيف و عشرين سنة إلى الشام و العراق، و أخذ عن عبد الوهاب بن سكينه و طبخته، و رجع فأخذوا عنه بقرطبة و إشبيلية، ثم سافر سنة ٦١٢ و تصوف و تعبد، و توفي بالإسكندرية سنة ٦١٧. قاله الذهبي في تاريخه الكبير.

[٢٤٧ - و من المرتحلين من الأندلس يحيى بن عبد العزيز، المعروف بابن الخزاز أبو زكريا، القرطبي.]

سمع من العتبي و عبد الله بن خالد و نظائرهما من رجال الأندلس، و رحل فسمع بمصر من المزني و الربيع بن سليمان المؤذن و محمد بن عبد الله بن عبد الحكم و يونس بن عبد الأعلى و محمد بن عبد الله بن ميمون و عبد الغني بن أبي عقيل و غيرهم، و سمع بمكة من علي بن عبد العزيز، و كانت رحلته و رحله سعيد بن عثمان الأعناقى و سعيد بن حميد و ابن أبي تمام واحدة، و سمع الناس من يحيى المذكور مختصر المزني و رسالة الشافعي و غير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، و كان يميل في فقهه إلى مذهب الشافعي، و كان مشاوراً مع عبيد الله بن يحيى و أصحابه، و حدث عنه من أهل الأندلس محمد بن قاسم و ابن بشر و ابن عبادة و غير واحد، و لم يسمع منه ابنه محمد لصغره، و توفي سنة ٢٩٥، رحمه الله تعالى و رضى عنه!.

[٢٤٨ محمد بن أحمد الشريشي]

٢٤٨- و منهم الشيخ الإمام العالم العامل الكامل الزاهد الورع، العلامة جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، البكري، الشريشي، المالكي.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٢٣

كان من أكابر الصالحين المتورعين، و مولده سنة ٦٠١ بشريش، و توفي برباط الملك الناصر بسفح قاسيون سنة ٦٨٥ في ٢٤ رجب، و دفن قبالة الرباط، و له المصنفات المفيدة، تولى مشيخة الصخرة بحرم القدس الشريف، و قدم دمشق، و تولى مشيخة الرباط الناصري،

فلما توفي قاضى القضاء جمال الدين المالكي و لوه مشيخه المالكيه بدمشق، و عرضوا عليه القضاء فلم يقبل، و بقى فى المشيخه إلى أن توفي، رحمه الله تعالى و نفعنا به و بأمثاله! آمين.

٢٤٩- و من الراجلين من الأندلس الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بن على بن ياسر، الجياني، المحدث الشهير.

ذكره ابن السمعاني و غيره، سافر الكثير، و ورد العراق، و طاف فى بلاد خراسان، و سكن بلخ، و أكثر من الحديث، و حصل الأصول، و نسخ بخطه ما لا يدخل تحت حصر، قال ابن السمعاني: و له أنس و معرفه بالحديث، لقيته بسمرقند، و كان قدمها سنه ٥٤٩ مع جماعه من أهل الحجاز لدين له عليهم، و سمعت منه جزءا خرجه من حديث يزيد بن هارون مما وقع له عاليا، و جزءا صغيرا من حديث أبى بكر بن أبى الدنيا، و أحاديث أبى بكر الشافعى فى أحد عشر جزءا المعروف بالغيلانيات بروايته عن ابن الحصين عن ابن غيلان عنه، و كان مولده بجيان سنه ٤٩٣ [أو فى التى بعدها، الشك منه، ثم لقيته بنسف فى أواخر سنه خمسين] و لم أسمع منه شيئا، ثم قدم علينا فى بخارى فى أوائل سنه إحدى و خمسين و سمعت من لفظه جميع كتاب الزهد لهناد بن السرى الكوفى بروايته عن أبى القاسم سهل بن إبراهيم المسجدى عن الحاكم أبى عبد الرحمن محمد بن أحمد الشاذياخى عن الحاكم أبى الفضل محمد بن الحسين الحدادى عن حماد بن أحمد السلمى عن مصنفه، و أخبرنا الجياني بسمرقند أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد، أنبأنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزار، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعى، أخبرنا محمد بن مسلمة أنبأنا يزيد بن هارون، أنبأنا حماد بن سلمه عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار ناداهم مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدا لم تروه، قالوا: و ما هو؟ ألم يتقل موازيننا و يبيض وجوهنا و يدخلنا الجنة و ينجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٢٤

شيئا أحب إليهم من النظر إليه» ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى و زياده [يونس: ٢٦].

و قال ابن السمعاني أيضا: و أخبرنا الجياني المذكور بسمرقند، أنبأنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ببغداد، أنبأنا أبو طالب بن غيلان، أنبأنا أبو بكر الشافعى، أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى، أنبأ محمد بن حسان، أنبأنا مبارك بن سعيد، قال: أردت سفرا، فقال لى الأعمش: سل ربك أن يرزقك صحابه صالحين، فإن مجاهدا حدثنى قال:

خرجت من واسط فسألت ربي أن يرزقنى صحابه، و لم أشرط فى دعائى، فاستوتب أنا و هم فى السفينه فإذا هم أصحاب طنابير.

و قال ابن السمعاني أيضا: أخبرنا أبو بكر الجياني المغربى بسمرقند، سمعت الإمام أبا طالب إبراهيم بن هبة الله ببلخ يقول: قرأت على أبى يعلى محمد بن أحمد العبدى بالبصرة قال: قرأت على شيخنا أبى الحسين بن يحيى فى كتاب «العين» بإسناده إلى الخليل بن أحمد أنه أنشد قول الشاعر: [بحر الخفيف]

إن فى بيتنا ثلاث حبالى فوددنا أن قد وضعن جميعا

زوجتى ثم هرتى ثم شاتى فإذا ما وضعن كن ربيعا

زوجتى للخبيص، و الهر للفار، و شاتى إذا اشتهينا جميعا

قال أبو يعلى: قال شيخنا ابن يحيى: و ذكر عن الخليل بن أحمد فى العين أن المجمع أكل التمر باللبن، انتهى.

٢٥٠- و منهم أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم، الأندلسى، المرى.

ذكره الحميدى فى تاريخه و أثنى عليه، و قال: كان من أهل العلم و الأدب و الذكاء و الهمة العالیه [فى طلب العلم]، كتب بالأندلس

فأكثر، ورحل إلى المشرق فاحتفل في العلم و الرواية و الجمع.

و ذكره الحافظ الخطيب أبو بكر [أحمد بن علي] بن ثابت البغدادي، و قال: هو من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٢٥

بيت جلاله و علم و رياسته، و أخرج عنه في غير موضع من مصنفاته، و قدم بغداد و دمشق و حدث فيهما، ثم عاد إلى المغرب فتوفى ببلده المرئية سنة ٤٥٤، و حدث عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهرى، و يعرف بابن الإفليلي، الأندلسي النحوى و غيره، و كان صدوقا ثقة، رحمه الله تعالى!.

٢٥١- و منهم العالم الحبيب أبو حفص عمر بن الحسن الهوزنى.

ذكره ابن بسام في «الذخيرة» و الحجارى في «المسهب» و لما تولى المعتضد بن عباد والد المعتمد خاف منه فاستأذنه في الحج سنة ٤٤٤، و رحل إلى مصر و إلى مكة، و سمع في طريقه كتاب صحيح البخارى، و عنه أخذه أهل الأندلس، و رجع فسكن إشبيلية، و خدم المعتضد، فقتله، و من خاف من شيء سلط عليه، و كان قتله يوم الجمعة لليلة خلت من ربيع الأول سنة ٤٦٠، رحمه الله تعالى!.

و من شعره يحرضه على الجهاد قوله: [بحر الطويل]

أعتاد جلّ الرزء و القوم هجج على حاله من مثلها يتوقع

فلقّ كتابى من فراغك ساعة و إن طال فالموصوف للطول موضع

إذا لم أبتّ الداء رب شكايه أضعت و أهل للملام المضيع

و وصله بنثر، و هو: و ما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها، و لا- أرجأ الدليل من ناط الأمور بأربابها، و لربّ أمل بين أثناء المحاذير مديج، و محبوب فى طى المكاره مدرج، فانتهاز فرصتها فقد بان من غيرك العجز، و طبّق مفاصلها فكأن قد أمكنك الحز، و لا غرو أن يستمطر الغمام فى الجذب، و يستصحب الحسام فى الحرب.

وله: [بحر الرمل]

صرّح الشر فلا يستقل إن نهلتكم جاءكم بعد علّ

بدء صعق الأرض رشّ و ظلّ و رياح ثم غيم أيل

خفضوا فالداء رزء أجّل و اغمدوا سيفا عليكم يسل

و بسبب قتل بنى عباد لأبى حفص الهوزنى المذكور تسبب ابنه أبو القاسم فى فساد دوله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٢٦

المعتمد بن عباد، و حرض عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى أزال ملكه، و نثر سلكه، و سبب هلكه، كما ذكرناه فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب غير مره، فليراجعه من أراد فى محاله، و بيت بنى الهوزنى المذكور بالأندلس بيت كبير مشهور، و منهم عدّه علماء و كبراء، رحم الله تعالى الجميع!.

٢٥٢- و منهم أبو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال، القرطبي، الفقيه المالكي.

أحد الأئمة الزهاد، كان يصوم حتى يعجز، توفى سنة ٢٧٢، و قيل: سنة ٢٧٨، و رحل إلى المشرق، و سمع من عبد الله بن نافع صاحب مالك بن أنس، و من سحنون بن سعيد، و غيرهما، و كان فاضلا فقيها عابدا عالما بالمسائل، و روى عنه أحمد بن خالد، و كان يفضلّه و يصفه بالفضل و العلم، و هو صاحب الشجرة، قال عباس بن أصبغ: كانت فى داره شجرة تسجد لسجوده إذا سجد، قال ابن

الفرضى رحمه الله تعالى، ورضى عنه، و نفعنا به!.

٢٥٣- و منهم أبو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانة، الفزاري، الإلبيري، الزاهد.

سكن قرطبة، قال ابن الفرضى: كان منقطع القرين فى العبادة، بعيد الاسم فى الزهد، حج، و عنى بعلم القرآن و القراءات و التفسير، و سمع بمصر من الأسيوطى و ابن الورد و ابن شعبان و غيرهم، و كان له حظ من الفقه و الرواية إلا أن العبادة غلبت عليه، و كان العمل أملك به، و لا أعلمه حدث، توفى رحمه الله تعالى سنة ست و ستين و ثلاثمائة، و دفن فى مقبرة الزبض، و صلى عليه القاضى محمد بن إسحاق بن السليم، ثم صلى عليه حيان مرة ثانية، رحمه الله تعالى! و أفاض علينا من أنوار عنايته! آمين.

٢٥٤- و منهم أبو بكر محمد بن أحمد بن إبراهيم، الصدفي، الإشبيلي، الأديب البارع.

له نظم حسن، و موشحات رائقة، قرأ على الأستاذ الشلوين و غيره، و مدح الملوك، و رحل من الأندلس فقدم ديار مصر، و مدح بها بعض من كان يوصف بالكرم، فوصله بنزر يسير، فكر راجعا إلى المغرب، فتوفى ببرقة، رحمه الله تعالى! و كان من النجباء فى النحو و غيره.

و من نظمه من قصيدة: [بحر البسيط]

ما بى موارد أمر بل مصادرده اللحن أوله و اللحد آخره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٢٧

أرسلت طرفى مرتادا فطلّ دمي روض من الحسن مطلول أزاهره

رعت فى خصبه لحظى فأعقبنى جدبا بجسمى ما يرويه هامره

و بى و إن لم أكن بالذكر أشهره فالوصف فيه لفقد المثل شاهره

و هى طويلة، و أثنى عليه أثير الدين أبو حيان، و أورد جملة من محاسن كلامه و بدائع نظامه، رحم الله تعالى الجميع!.

٢٥٥- و منهم أبو يحيى زكريا بن خطاب، الكلبى، التّطيلي.

رحل سنة ٢٩٣، فسمع بمكة كتاب «النسب» للزبير بن بكار من الجرجاني الذى حدث به عن على بن عبد العزيز بن الجمحي عن الزبير، و روى موطأ مالك بن أنس رواية أبى مصعب أحمد بن عبد الملك الزهرى عن إبراهيم بن سعيد الحذاء، و سمع بها من إبراهيم بن عيسى الشيباني و القزاز فى آخرين، و قدم الأندلس فكان الناس يرحلون إليه إلى تطيلة للسمع منه، و استقدمه المستنصر الحكيم و هو ولى عهد فسمع منه أكثر مروياته، و سمع منه جماعة من أهل قرطبة، و كان ثقة مأمونا، ولى قضاء بلدة تطيلة إحدى مدائن الأندلس بعد عمر بن يوسف بن الإمام.

٢٥٦- و منهم سعد الخير بن محمد بن سعد، أبو الحسن، الأنصاري، البنسى، المحدث.

رحل إلى أن دخل الصين، و لذا كان يكتب البنسى الصينى، و ركب البحار، و قاسى المشاق، و تفقه ببغداد على أبى حامد الغزالي، و سمع بها أبى عبد الله النعال و طرادا و غيرهما، و بأصبهان أبى سعد المطرز، و سكنها و تزوج بها و ولدت له فاطمة بها، ثم سكن بغداد، و روى عنه ابن عساكر و ابن السمعانى و أبو موسى المدينى و أبو اليمن الكندى و أبو الفرج بن الجوزى و ابنته فاطمة بنت سعد الخير فى آخرين، و تأدب على أبى زكريا التبريزى، و توفى فى المحرم سنة ٥٤١، رحمه الله تعالى! ببغداد، و صلى عليه الغزنوى

و الشيخ الواعظ بجامع القصر، و كان وصيه، و حضر جنازته قاضى القضاء الزينبي و الأعيان، و دفن إلى جانب عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنهم أجمعين بوصية منه.

٢٥٧- و منهم أبو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون، الإستجى.

سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ و ابن أبي دليم و غيرهما، و رحل فسمع بمكة من ابن الأعرابي، و ببغداد من أبي على الصفار و جماعة، و بها مات.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٢٨

٢٥٨- و منهم أبو عثمان سعيد الأعناقى، و يقال: العناقى، القرطبي.

كان ورعا زاهدا عالما بالحديث بصيرا بعلمه، سمع من محمد بن وضاح و صحبه و من يحيى بن إبراهيم بن مزين و محمد بن عبد السلام الخشنى و غيرهم، و رحل فلقى جماعة من أصحاب الحديث منهم نصر بن مرزوق كتب عنه مسند أسد بن موسى و غير ذلك من كتبه، و يونس بن عبد الأعلى و محمد بن عبد الله بن عبد الحكم و الحارث بن مسكين فى آخرين، و حدث عنه أحمد بن خالد و ابن أيمن و محمد بن قاسم و ابن زيد فى عدد كثير، و مولده سنة ٢٣٣، و توفى سنة ٣٠٥ بصفر. و الأعناقى: نسبة إلى موضع يقال له أعناق و عناق.

٢٥٩- و منهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف، التجيبى، الإقليشى.

روى عن أبي عثمان سعيد بن سالم المجريطى و أبى ميمونة دارس بن إسماعيل فقيه فاس، و رحل حاجا سنة ٣٤٩، فسمع بمكة من أبى بكر الآجرى و أبى حفص الجمحى، و بمصر من أبى إسحاق بن شعبان، و روى عنه كتاب «الزاهى» جميعه و قد قرىء عليه جميعه، و حمل عنه، و مولده سنة ٣٠٣ رحمه الله تعالى!

٢٦٠- و منهم أبو الأصعب عبد العزيز بن على، المعروف بابن الطحان، الإشبلى، المقرئ.

ولد بإشبيلية سنة ٤٩٨، و رحل فدخل مصر و الشام و حلبا، و توفى بحلب بعد سنة ٥٥٩، و له كتاب «نظام الأداء، فى الوقف و الابتداء» و مقدمة فى مخارج الحروف، و مقدمة فى أصول القراءات، و كتاب «الدعاء» و كان من القراء المجوّدين الموصوفين بالإتقان، و معرفة وجوه القراءات، و سمع الحديث على شريح بن محمد بن أحمد بن شريح الرعيني خطيب إشبيلية و أبى بكر يحيى بن سعادة القرطبي.

و له شعر حسن منه قوله: [بحر الهزج]

دع الدنيا لعاشقها سيصبح من رشائقها

و عاد النفس مصطبرا و نكب عن خلائقها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٢٩

هلاك المرء أن يضحى مجدّا فى علائقها

و ذو التقوى يذلها فيسلم من بوائقها

و أخذ القراءات ببلده عن أبى العباس بن عيشون و شريح بن محمد، و روى عنهما و عن أبى عبد الله بن عبد الرزاق الكلبي، و روى

مصنف النسائي عن أبي مروان بن مسرة، و تصدى للإقراء، ثم انتقل إلى فاس، و حج و دخل العراق، و قرأ بواسطة القراءات و أقرأها أيضا، و دخل الشام و اشتهر ذكره، و جل قدره، و روى عنه أبو محمد عبد الحق الإشبيلي الحافظ، و على بن يونس، قال بعضهم: سمعت غير واحد يقول: ليس بالغرب أعلم بالقراءات من ابن الطحان، قرأ عليه الأثير أبو الحسن محمد بن أبي العلاء و أبو طالب بن عبد السميع و غيرهما، رحم الله تعالى الجميع!

٢٦١- و منهم أبو الأصبع عبد العزيز بن خلف، المعافري.

قدم مصر سنة ٥٠٢، و ولد سنة ٤٤٨، و حدث بالموطأ عن سليمان بن أبي القاسم، أنبأنا أبو عمر بن عبد البر، أنبأنا سعيد بن نصر، عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة، رضى الله تعالى عنه!

٢٦٢- و منهم أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة، السعدى، الشاطبي.

قدم مصر و دمشق طالب علم، و سمع أبا الحسن بن أبي الحديد و أبا منصور العكبرى و غيرهما، و صنف غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام على حروف المعجم، و سمعه عليه أبو محمد الأصفهاني، و توفي بأرض حوران من أعمال دمشق في رمضان سنة ٤٦٥، رحمه الله تعالى و رضى عنه!

٢٦٣- و منهم الحكيم الطيب أبو الفضل محمد بن عبد المنعم، الغساني، الجلياني.

و هو عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان، ولد بقرية جليانة من أعمال غرناطة سبع المحرم سنة ٥٣١، و قدم إلى القاهرة، و سار إلى دمشق فسكنها مدة، ثم سافر إلى بغداد فدخلها سنة ٦٠١، و نزل بالمدرسة النظامية، و كتب الناس عنه كثيرا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٣٠

من نظمه، و كان أديبا فاضلا، له شعر مليح المعانى أكثره فى الحكم و الإلهيات و آداب النفوس و الرياضات، و كان طبييا حاذقا، و له رياضات و معرفة بعلم الباطن، و له كلام مليح على طريق القوم، و كان مليح السمت، حسن الأخلاق، لطيفا، حاضر الجواب، و مات بدمشق سنة ٦٠٢، و كان يقال له: حكيم الزمان، و أراد القاضى الفاضل أن يغض منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب: كم بين جليانة و غرناطة؟ فقال: مثل ما بين بيسان و بيت المقدس. و من شعره قوله: [بحر الطويل]

خبرت بنى عصرى على البسط و القبض و كاشفتهم كشف الطبائع بالنبض
فأنتج لى فيهم قياسى تخليا عن الكل إذ هم آفة الوقت و العرض
الأزم كسر البيت خلوا، و إن يكن خروج ففردا ملصق الطرف بالأرض
أرى الشخص من بعد فأغضى تغافلا كمشدوه بال فى مهمته يمضى
و يحسبى فى غفلة و فراستى على الفور من لمحى بما قد نوى تقضى
أجانبهم سلما ليسلم جانبى و ليس لحقد فى النفوس و لا بغض
تخلت عن قومى و لو كان ممكنى تخلت عن بعضى ليسلم لى بعضى
و قال: [بحر الكامل]

قالوا نراك عن الأكابر تعرض و سواك زوّار لهم متعرض
 قلت الزيارة للزمان إضاعة و إذا مضى زمن فما يتعوض
 إن كان لى يوما إليهم حاجة فبقدر ما ضمن القضاء نقيض
 و قال: [بحر الكامل]

حاول مفاذك قبل أن يتحوّلا فالحال آخرها كحالك أولا
 إن المنى من المنية لفظه لتدل فى أصل البناء على البلا

و سماه بعضهم عبد المنعم، و ذكره العماد فى «الخريدة» و قال: هو صاحب البديع البعيد، و التوشيح و الترشيح، و التصريح و التصريح،
 و التجنيس و التطبيق، و التوفيق و التلفيق،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٣١

و التقريب و التقرير، و التعريف و التعريب، و هو مقيم بدمشق، و قد أتى العسكر المنصور الناصرى سنة ٥٨٦ بظاهر ثغر عكا، و كتب

إلى السلطان صلاح الدين و قد جرح فرسه: [بحر الطويل]

أيا ملكا أفنى العداة حسامه و منتجعا أفنى العفاة ابتسامه

لقاؤك يوما فى الزمان سعادة فكيف بثاؤ فى حماك حمامه

و عبدك شاك دينه و هو شاكر نداك الذى يغنى الغمام غمامه

ولى فرس أصماه سهم فردّه أثنائى ربع بالثلاث قيامه

تعمر فيه بالجراحة ساحة و عطل منه سرجه و لجامه

أتينا لما عودتنا من مكارم يلوذ بها الراجى فيشفى غرامه

فرحماك غوث لا يغيب نصيره و نعماك غيث لا يغيب انسجامه

و له رحمه الله تعالى غير هذا، و ترجمته واسعة.

[٢٦٤ عبد الوهاب بن محمد القرطبي،]

٢٦٤- و منهم الأستاذ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبي، مؤلف «المفتاح» فى القراءات، و
 مقرئ أهل قرطبة رحل و قرأ القراءات على أبى على الأهوازي، و بحرّان على أبى القاسم الزيدى، و بمصر على أبى العباس بن نفيس،
 و بمكة على أبى العباس الكازرينى، و سمع بدمشق من أبى الحسن بن السمسار، و كان عجا فى تحرير القراءات و معرفة فنونها، و
 كانت الرحلة إليه فى وقته، ولد سنة ٤٠٣، و مات فى ذى القعدة سنة ٤٦١، قرأ عليه أبو القاسم خلف بن النحاس و جماعة، رحمه الله
 تعالى!

[٢٦٥- عبيد الله بن المظفر الباهلى]

٢٦٥- و منهم عبيد الله، و قيل: عبد الله، بغير تصغير، ابن المظفر بن عبد الله بن محمد، أبو الحكم، الباهلى، الأندلسى.
 ولد بالمريّة سنة ٤٨٦، و حج سنة ٥١٦ و حج أيضا سنة ٥١٨، و دخل دمشق و قرأ بصعيد مصر و بالإسكندرية، ثم مضى إلى العراق، و
 أقام ببغداد يعلم الصبيان و خدم السلطان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٣٢

محمود بن ملك شاه سنة ٥٢١، و أنشأ له في معسكره مارستانا ينقل على أربعين جملا، فكان طبيبه، ثم عاد إلى دمشق و مات بها سنة ٥٤٩، و دفن بباب الفراديس، و كان ذا معرفة بالأدب و الطب و الهندسة، و له ديوان شعر سماه «نهج الوضاعة، لأولى الخلاعة» ذكر فيه جملة شعراء كانوا بمدينة دمشق كطالب الصوري و نصر الهيتي و غيرهما كعرقلة، و فيه نزاهات أدبية، و مفاكهات غريبة، ممزوج جدا بسخفها، و هزلها بظرفها، و رثى فيه أنواعا من الدواب و أنواعا من الأثاث و خلقا من المغنين و الأطراف، و شرح هذا الديوان ابنه الحكيم الفاضل أبو المجد محمد بن أبي الحكم الملقب بأفضل الدولة، و كان كثير الهزل و المداعبة، دائم اللهو و المطايبه، و كان إذا أتاه الغلام و ما به شيء فيجس نبضه ثم يقول له: تصلح لك الهريسة، و كان أعور فقال فيه عرقلة: [بحر السريع]

لنا طيب شاعر أعور أراحنا من طيبه الله

ما عاد في صبحه يوم فتى إلا وفي باقيه رثاه

و له أيضا يرثيه: [بحر البسيط]

يا عين سحى بدمع ساكب و دم على الحكيم الذي يكنى أبا الحكم

قد كان لا رحم الرحمن شيبته و لا سقى قبره من صيب الديم

شيخا يرى الصلوات الخمس نافله و يستحل دم الحجاج في الحرم

و من كنايات أبي الحكم المستحسنه قوله: [بحر الوافر]

ألم ترني أكابد فيك و جدى و أحمل منك ما لا يستطاع

إذا ما أنجم الجوّ استقلت و مال الدلو و ارتفع الذراع

و من شعره قوله: [بحر السريع]

محاسن العالم قد جمعت في حسنه المستكمل البارع

(و ليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في الجامع)

٢٦٦- و منهم أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن صافي، الغرناطي، القيساني.

و قيسانه من عمل غرناطة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٣٣

الفقيه المالكي ولد سنة ٥٦٤، و قدم القاهرة و ناب في الحسبة، و له شعر حسن توفي بالقاهرة سنة ٦٣٤، رحمه الله تعالى!.

٢٦٧- و منهم طالوت بن عبد الجبار، المعافري، الأندلسي.

دخل مصر، و حج و لقي إمامنا مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه، و عاد إلى قرطبة، و كان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من أهل ربض شقندة يريد خلعه و إقامة أخيه المنذر، و زحفوا إلى قصره بقرطبة، فحاربهم، و قتلهم، و فر من بقى منهم، فاستتر الفقيه طالوت عاما عند يهودى، ثم ترامى على صديقه أبي البسام الكاتب ليأخذ له أمانا من الحكم، فوشى به إلى الحكم، و أحضره إليه فعنفه و وبخه، فقال له: كيف يحل لى أن أخرج إليك و قد سمعت مالك بن أنس يقول: سلطان جائر مدة خير من فتنه ساعة؟ فقال: الله تعالى لقد سمعت هذا من مالك؟ فقال طالوت: اللهم إني قد سمعته، فقال: انصرف إلى منزلك و أنت آمن، ثم سأله: أين أستر؟ فقال: عند يهودى مدة عام، ثم إني قصدت هذا الوزير فغدر بى، فغضب الحكم على أبي البسام و عزله عن وزارته، و كتب عهدا أن لا يخدمه أبدا، فرئى أبو البسام بعد ذلك فى فاقه و ذل، فقيل: استجيب فيه دعوة الفقيه طالوت، رحمه الله تعالى!.

[٢٦٨ ابن خروف علي بن محمد (ابن خروف) القيسي]

٢٦٨- و منهم أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد، ضياء الدين و نظامه، ابن خروف الأديب، القيسي، القرطبي، القيذافي، الشاعر قدم إلى مصر، ثم سار إلى حلب و مات بها مترديا في جب حنطة سنة ٦٠٣ و قيل: في التي بعدها، و قيل: سنة خمس و ستمائة، و له شرح كتاب سيوييه، و حمله إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار، و له شرح جمل الزجاجي، و كتب في الفرائض و ردّ علي أبي زيد السهيلي، و غير ذلك، و مدح الأفضّل ابن السلطان صلاح الدين و مدح الظاهر بن الناصر أيضا.

و شعره جيد، فمنه قوله في كأس: [بحر مجزوء الرمل]

أنا جسم للحميّا و الحميّا لى روح

بين أهل الظرف أغدو كل يوم و أروح

و قال في صبيّ حبس: [بحر الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٣٤

أقاضي المسلمين حكمت حكما غدا وجه الزمان به عبوسا

حبست علي الدراهم ذا جمال و لم تسجنه إذ سلب النفوسا

و قال: [بحر البسيط]

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله في ضفتيه من الأشجار أدواح

من جنه الخلد فياض علي ترع تهب فيها هبوب الريح أرواح

ليست زيادته ماء كما زعموا و إنما هي أرزاق و أرباح

و القيذافي: بقاف، ثم ياء آخر الحروف، بعدها ذال معجمة، ثم ألف، وفاء.

و له رسالة كتب بها إلى بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة، و هي: [بحر الهزج]

بهاء الدين و الدنيا و نور المجد و الحسب

طلبت مخافة الأنواء من جدواك جلد أبي

و فضلك عالم أنى خروف بارع الأدب

حلبت الدهر أشطره و في حلب صفا حلبى

ذو الحسب الباهر، و النسب الزاهر، يسحب ذيول سير السيراء، و يحبّ النحاء من أجل القراء، و يمن علي الخروف النبيه، بجلد أبيه، قانى الصباغ، قريب عهد بالدباغ، ما ضل طالب قرظه و لا ضاع، بل ذاع ثناء صانعه و ضاع، إذا طهر إهابه، يخافه البرد و يهابه، أثيث خمائل الصوف، يهزأ بكل هوجاء عصفوف، ما فى اللباس له ضريب، إذا نزل الجليد و الضريب، و لا فى الثياب له نظير، إذا عرى من ورقه الغصن التّضير، و المولى يبعثه فرجى النوع، أرجى الضوع، يكون تارة لحافا و تارة بردا، و هو فى الحالين يحيى حرّا و يميت بردا، لا كطيلسان ابن حرب، و لا كجلد عمرو الممزق بالضرب، إن عزاه السواد إلى حام فحام، أو نماء البياض إلى سام فسام، كأنه من جلد جمل الحرباء، الذى يرمى القمر و النجم، لا من جلد السّخلة الجرباء، التى ترمى الشجر و النجم، لا زال مهديه سعيدا، ينجز للأخيار وعدا و للأشرار وعيدا، بالمنة و الطول، و القوة و الحول.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٣٥

[٢٦٩- مالك بن مالك الجاني]

٢٦٩- و منهم مالك بن مالك، من أهل جيان، رحل حاجا فأدى الفريضة، و سكن حلبا، و لقي عبد الكريم بن عمران، و أنشد له قوله: [بحر البسيط]

يا رب خذ بيدي مما دفعت له فلست منه على ورد و لا صدر
الأمر ما أنت رائيه و عالمه و قد عتبت و لا عتب على القدر
من يكشف السوء إلا أنت بارئنا و من يزيل بصفو حالة الكدر

٢٧٠- و منهم أبو علي بن خميس، و هو منصور بن خميس بن محمد بن إبراهيم، اللخمي من أهل المرية.

سمع من أبي عبد الله البونى و ابن صالح، و أخذ عنهما القراءات، و روى أيضا عن الحافظ القاضى أبى بكر بن العربى، و أبوى القاسم ابن رضا و ابن ورد و أبى محمد الرشاطى و أبى الحجاج القضاعى و أبى محمد عبد الحق بن عطية و أبى عمرو الخضر بن عبد الرحمن و أبى القاسم عبد الحق بن محمد الخزرجى و غيرهم، و رحل حاجا فنزل الإسكندرية، و سمع منه أبو عبد الله بن عطية الدانى سنة ٥٩٦هـ، و حدث عنه بالإجازة أبو العباس العزفى و غيره.

٢٧١- و منهم منصور بن لب بن عيسى، الأنصارى.

من أهل المرية، يكنى أبا على، أخذ القراءات ببلده عن ابن خميس المذكور قبله، و رحل بعده، فنزل الإسكندرية، و أجازته أبو الطاهر السلفى فى صغره، و قد أخذ عنه فيما ذكر بعضهم، و مولده سنة ٥٧١هـ رحمه الله تعالى!.

٢٧٢- و منهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج، المعافى.

من أهل قرطبة، و هو جد ابن مفرج صاحب كتاب «الاحتفال، بعلم الرجال» سحب المذكور محمد بن وضاح فى رحلته الثانية، و شاركه فى كثير من رجاله، و صدر عن المشرق معه، فاجتهد فى العبادة، و انتبذ عن الناس، ثم كر راجعا إلى مكة عند موت ابن وضاح، فنزلها و استوطنها إلى أن مات، فقبره هنالك.

و قال فى حقه أبو عمر عفيف: إنه كان من الصالحين، رحل فحج و جاور بمكة نحو عشرين سنة إلى أن مات بها، رحمه الله تعالى!.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٣٦

٢٧٣- و منهم محب بن الحسين، من أهل النغر الشرقى.

، كانت له رحلة حج فيها، و سمع بالقيروان من أبى عبد الله بن سفيان الكنانى «الهادى فى القراءات» من تأليفه و كان رجلا صالحا، حدث عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الملك التجيبى من شيوخ أبى مروان بن الصيقل.

٢٧٤- و منهم مساعد بن أحمد بن مساعد، الأصبهى.

من أهل أوريول، يكنى أبا عبد الرحمن، و يعرف بابن زعوق، روى عن ابن أبى تليد و ابن جحدر، و الحافظين أبى على الصدفى و أبى بكر بن العربى، و كتب إليه أبو بكر بن غالب بن عطية، و رحل حاجا فى سنة أربع و تسعين و أربعمائة، فأدى الفريضة سنة خمس بعدها، و لقي بمكة أبا عبد الله الطبرى، فسمع منه صحيح مسلم، مشتركا فى السماع مع أبى محمد بن جعفر الفقيه، و لقي أبا محمد

بن العرجاء و أبو بكر بن الوليد الطرطوشى و أصحاب الإمام أبى حامد الغزالى و أبى عبد الله المازرى و جماعة سواهم ساوى بلقائهم مشيختهم، و انصرف إلى بلده فسمع منه الناس، و أخذوا عنه لعلو روايته، و كان من أهل المعرفة و الصلاح و الورع، و ممن حدث عنه من الجلة أبو القاسم بن بشكوال و أبو الحجاج الثغرى الغرناطى، و أبو محمد عبد المنعم بن الفرس و غيرهم، و أغفله ابن بشكوال فلم يذكره فى الصلة مع كونه روى عنه، و قال تلميذه أبو الحجاج الثغرى الغرناطى: أخبرنى أبو سليمان بن حوط الله و غيره عنه، قال: أخبرنى الحاج أبو عبد الرحمن بن مساعد رضى الله تعالى عنه: أنه لقي بالمشرق امرأة تعرف بصباح عند باب الصفا، و كان يقرأ عليها بعض التفاسير، فجاء بيت شعر شاهد، فسألت: هل له صاحب، فسألوا الشيخ أبا محمد بن العرجاء، فقال الشيخ: لا أذكر له صاحباً، فأنشدت: [بحر الخفيف]

طلعت شمس من أحبك ليلا و استضاءت فما لها من مغيب

إن شمس النهار تغرب باللى ل و شمس القلوب دون غروب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٣٧

ولد فى صفر سنة ٤٦٨، و توفى بأريولة سنة ٥٤٥، قاله ابن شعبان.

٢٧٥- و منهم أبو حبيب نصر بن القاسم.

قال ابن الأبار: أظنه من أهل غرناطة، له رحلة حج فيها، و سمع من أبى الطاهر السلفى، و حدث عنه عن ابن فتح بمسند الجوهري، انتهى.

٢٧٦- و منهم النعمان بن النعمان، المعافى.

من أهل ميورقة منسوب إلى جده، رحل حاجاً فأدى الفريضة و جاور بمكة ثم قفل إلى بلده، و اعتزل الناس، و كان يشار إليه بإجابة الدعوة، و توفى سنة ٦١٦ رحمه الله تعالى! و نفعنا به!.

٢٧٧- و منهم نعم الخلف بن عبد الله بن أبى ثور، الحضرمى.

من أهل طرطوشة أو ناحيتها، رحل إلى المشرق، و أدى الفريضة، و لقي بمكة أبا عبد الله الأصبهاني، فسمع منه سنة ٤٢٢، حدث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف بيسير.

٢٧٨- و منهم نابت - بالنون - ابن المفرج بن يوسف، الخنعمى.

أصله من بلنسية، و سكن مصر، يكنى أبا الزهر، قال السلفى: قدم مصر بعد خروجى منها، و تفقه على مذهب الشافعى، و تأدب، و قال الشعر الفائق، و كتب إلى بشىء من شعره، و مات فى رجب سنة ٥٤٥ بمصر.

٢٧٩- و منهم ضمام بن عبد الله، الأندلسى.

رجل إلى المشرق، و دخل بغداد، و هو ممن يروى عن عبد السلام بن مسلم الأندلسى، و ممن روى عن ضمام أبو الفرج أحمد بن القاسم الخشاب البغدادي من شيوخ الدارقطنى، قال ابن الأبار: هكذا وقع فى نسخة عتيقة من تأليف الدارقطنى فى الرواة عن مالك

في باب مسلمة منه ضمام- بالضاد المعجمة- وهكذا ثبت في رواية أبي زكريا بن مالك بن عائذ عن الدارقطني، و قال فيه غيره: همام بن عبد الله- بالهاء و تشديد الميم- و في حرف نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٣٨ الهاء أثبتته أبو الوليد بن الفرضي من تاريخه، و الأول عندي أصح، و الله تعالى أعلم، انتهى.

٢٨٠- زرغام بن عروة بن حجاج بن أبي فريعة]

٢٨٠- و منهم زرغام بن عروة بن حجاج بن أبي فريعة، و اسمه زيد، مولى عبد الرحمن بن معاوية و الداخلة معه إلى الأندلس، من أهل لبلة، له رحلة إلى المشرق، و كان فقيها، ذكره الرازي.

٢٨١- و منهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر، المعافري.

من أهل قرطبة، و أصله من الجزيرة الخضراء، و هو والد المنصور بن أبي عامر و يكنى أبا حفص، سمع الحديث، و كتبه عن محمد بن عمر بن لبابة و أحمد بن خالد و محمد بن فطيس و غيرهم، و رحل إلى المشرق فأدى الفريضة، و كان من أهل الخير و الدين و الصلاح و الزهد و القعود عن السلطان، أثنى عليه الراوية أبو محمد الباجي و قال: كان لي خير صديق أنتفع به و ينتفع بي، و أقابل معه كتبه و كتبى، و مات منصرفه من حجه، و دفن بمدينة طرابلس المغرب، و قيل: بموضع يقال له رقادة، و كان رجلا عالما صالحا، و قال بعضهم: إنه توفي في آخر خلافة عبد الرحمن الناصر.

٢٨٢- و منهم أبو محمد عبد الله بن حمود، الزيبي، الإشبيلي، ابن عم أبي بكر محمد بن الحسن، الزيبي، اللغوي.

كان من مشاهير أصحاب أبي علي البغدادي، و رحل إلى المشرق فلم يعد إلى الأندلس، و لازم السيرافي في بغداد إلى أن توفي، فلانزم بعده صاحبه أبا علي الفارسي ببغداد و العراق، و حيشما جال، و اتبعه إلى فارس، و حكى أبو الفتوح الجرجاني أن أبا علي البغدادي غلس لصلاة الصبح في المسجد، فقام إليه أبو محمد الزيبي من مذود كان لدابته خارج الدار قد بات فيه أو أدلج إليه ليكون أول وارد عليه، فارتاع منه، و قال: و يحكك! من تكون؟ قال: أنا عبد الله الأندلسي، فقال له: إلى كم تتبعني؟ و الله إنه ليس على وجه الأرض أنحي منك، و كان من كبار النحاة و أهل المعرفة التامة و الشعر، و جمع شرحا لكتاب سيوييه، و يقال: إنه توفي ببغداد سنة ٣٧٣.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٣٩

٢٨٣- و منهم عبد الله بن رشيق، القرطبي.

رحل من الأندلس، فأوطن القيروان، و اختص بأبي عمران الفاسي، و تفقه به، و كان أدبيا شاعرا عفيفا خيرا، و في شيخه أبي عمران أكثر شعره، و رحل حاجا فأدى الفريضة، و توفي في انصرافه بمصر سنة ٤١٩، و أنشد له ابن رشيق في «الأنموذج» قوله رحمه الله تعالى: [بحر مجزوء الخفيف]

خير أعمالك الرضا بالمقادير و القضا

بينما المرء ناضر قيل: قد مات و انقضى

و قوله: [بحر الطويل]

سأقطع جبلى من حبالك جاهداً وأهجر هجرالاً يجر لنا عرضاً

وقد يعرض الإنسان عمن يوده و يلقى ببشر من يسر له البغضا

قال فى «الأنموذج»: و أراد الحج فناله وجع فمات بمصر بعد اشتهاهه فيها بالعلم و الجلالة، و قد بلغ عمره نحو الأربعين سنة، رحمه الله تعالى! و هو مخالف لما قدمناه من أنه أدى الفريضة، و قد ذكر ابن الأبار العبارتين، و الله تعالى أعلم.

٢٨٤- و منهم أبو بكر اليابرى، و يكنى أيضا أبا محمد، و هو عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله.

أصله من يابرة، و نزل هو إشبيلية، و روى عن أبى الوليد الباجى و عن جماعة بغرب الأندلس منهم أبو بكر بن أيوب و أبو الحزم بن عليم و أبو عبد الله بن مزاحم البطليوسيون و غيرهم، و كان ذا معرفة بالنحو و الأصول و الفقه و حفظ التفسير و القيام عليه، و حلق به مدةً بإشبيلية و غيرها، و هو كان الغالب عليه مع القصص فيسرد منه جملاً على العامة، و كان متكلماً، و له رد على أبى محمد بن حزم، و كان أحد الأئمة بجامع العديس، و رحل إلى المشرق، فروى عن أبى بكر محمد بن زيدون بن على كتابه المؤلف فى الحديث المعروف بالزيدونى، و ألف كتاباً فى شرح صدر رسالة ابن أبى زيد، و بين ما فيها من العقائد، و له

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤٠

مجموعة فى الأصول و الفقه منها كتاب سماه «المدخل» إلى كتاب آخر سماه «سيف الإسلام، على مذهب مالك الإمام» ألفه للأمير على بن تميم بن المعز الصّيهناجى صاحب المهديّة، و ذكر فى فصل الحج منه أنه رحل إلى المهديّة سنة ٥١٥، و استوطن مصر مدة، ثم رحل إلى مكة، و بها توفى رحمه الله تعالى! و روى عنه أبو المظفر الشيبانى و أبو محمد العثمانى و أبو الحجاج يوسف بن محمد القيروانى و أبو عمرو عثمان بن فرج العبدرى و أبو محمد بن صدقة للمنكبى و أبو عبد بن يعيش البلنسى و غيرهم، و كان سماع أبى الحجاج منه موثقاً مالك سنة ٥١٦، رحم الله تعالى الجميع!.

٢٨٥- و منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق، اليحصبي، الأندلسى.

رحل حاجاً فسمع منه بالإسكندرية أبو الطاهر السلفى كتاب «طبقات الأمم لأبى القاسم صاعد بن أحمد الطليطلى، و حدّث به عنه عن ابن برأل عن صاعد.

٢٨٦- و منهم أبو محمد عبد الله بن محمد، المصرى، المرسى، و يعرف بابن مطحنة

روى عن أبى بكر بن الفرضى النحوى، و تأدب به، و رحل إلى المشرق، و لقي أباً محمد العثمانى و غيره، و حج، و قعد لتعليم الآداب، و ممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام و أبو عبد الله المكناسى و غيرهما، و أنشد رحمه الله تعالى قال: أنشدنى أبو محمد عبد الله بن اليباسى بالإسكندرية لنفسه: [بحر الوافر]

يمدّ الدهر من أجلى و عمرى كما أنى أمد من المداد

لنا خطان مختلفان جدا كما اختلف الموالى و المعادى

فأكتب بالسواد على بياض و يكتب بالبياض على السواد

و هذا نظير قول الآخر: [بحر الوافر]

ولى خط و للأيام خط و بينهما مخالفة المداد

فأكتبه سواداً فى بياض و تكتبه بياضاً فى سواد

و بعضهم ينسب الأبيات الثلاثة السابقة للسلفى الحافظ، فالله تعالى أعلم.

٢٨٧- و منهم أبو محمد عبد الله بن عيسى، الشلبي.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤١

سمع من الصدفي وغيره، و كان من أهل الحفظ للحديث و رجاله و العلم بالأصول و الفروع و مسائل الخلاف و علم العربية و الهيئة مع الخير و الدين و الزهد، و امتحن بالأمرء في قضاء بلده بعد أن تقلده نحو تسعة أعوام لإقامته الحق و إظهاره العدل حتى أدى ذلك إلى اعتقاله بقصر إشبيلية، ثم سرح فرحل حاجا إلى المشرق، و دخل المهدي فلقى بها المازري، و أقام في صحبته نحو ثلاث سنين، ثم انتقل إلى مصر، و حج سنة ٥٢٧، و أقام بمكة مجاورا، و حج ثانية سنة ٥٢٨، و لقي بمكة أبا بكر عتيق بن عبد الرحمن الأيوبي في هذه السنة، فحمل عنه، و دخل العراق و خراسان، و أقام بها أعواما، و طار ذكره في هذه البلاد، و عظم شأنه في العلم و الدين، و كان من بيت شرف و جاه في بلده عريض مع سعة الحال و المال، و توفي بهراة سنة ٥٥١، و قيل: إن وفاته سنة ٥٤٨، و ذكره العماد في «الخريدة» و السمعاني في الذيل، و أنشد له: [بحر الطويل]

تلوّنت الأيام لى بصروفها فكنت على لون من الصبر واحد
فإن أقبلت أدبرت عنها و إن نأت فأهون بمفقود لأكرم فاقد
و ولد سنة ٤٨٤ بشلب، رحمه الله تعالى!.

٢٨٨- و منهم أبو محمد عبد الله بن موسى، الأزدي، المرسي، و يعرف بابن برطله.

سمع من صهره القاضي الشهيد أبي علي الصدفي، و رحل حاجا سنة ٥١٠، فأدى الفريضة و سمع من الطرطوشي و الأنماطي و السلفي وغيرهم، و انصرف إلى مرسية بلده، و كان حسن السمت خاشعا مخبئا خيرا متواضعا نبيها نرها سالم الباطن، و حكى عن شيخه أبي عبد الله الرازي عن أبيه أنه أخبره أن قاضي البرلس، و كان رجلا صالحا، خرج ذات ليلة إلى التليل فتوضأ و أسبغ وضوءه، ثم قام فقرن قدميه و صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي، فسمع قائلا يقول: [بحر البسيط]

لولا أناس لهم سرد يصومونا و آخرون لهم ورد يقومونا

لزلت أرضكم من تحتكم سحرا لأنكم قوم سوء لا تبالونا

قال: فتجوزت في صلاتي، و أدرت طرفي فما رأيت شخصا و لا سمعت حسا، فعلمت أن ذلك زاجر من الله تعالى!.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤٢

و قال ابن برطله رحمه الله تعالى: أنشدني أبو عامر قال: دخلت بعض مراسي الثغر، فوجدت في حجر منقوش هذه الأبيات: [بحر المتقارب]

نزلت ولي أمل عودة و لكنني لست أدري متى

و دافعتي قدر لم أطلق دفاعا لمكروهه إذ أتى

و من أمره في يدي غيره سيغلب إن لان أو إن عتا

فيا نازلا بعدنا ههنا نحبيك إن كنت نعم الفتى

فسألت عن منشدها، فقيل لي: هو أبو بكر بن أبي درهم الوشقي، و كان قد حج و أراد العودة، فقال هذه الأبيات، و رواها بعضهم «رحلت» مكان نزلت، و هو أصوب، و أبدل قوله:

«يا نازلا» بيا ساكنا، و الخطب سهل فيه، و بعض يقول: إن الأبيات وجدت بجامع مصر، و الله تعالى أعلم.

٢٨٩- و منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة، الداني، الأصبحي.

لازم ابن سعد الخير، و احتذى أول أمره مثال خطه فقاربه، و سمع منه، ثم رحل إلى المشرق فسمع بالإسكندرية من أبي الطاهر بن عوف و السيلفي و غير واحد. قال التجيبي: كان معنا بالإسكندرية بالعادية منها، و بقرائه سمعنا صحيح البخاري على السلفي سنة ٥٧٣، قال: و أنشدنا لشيخه الأستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سعد الخير البلنسي: [بحر الكامل]

يا لاحظا تمثال نعل نبيه قبل مثال النعل لا متكبرا

و الثم له فلطالما عكفت به قدم النبي مروّحا و مبكرا

أولا ترى أن المحب مقبل طللا و إن لم يلف فيه مخبرا

و قد سبق ابن سعادة أبو عبد الله و هو غير هذا، و الله تعالى أعلم!

٢٩٠- و منهم أبو محمد عبد الله بن يوسف، القضاعي، المري.

سمع من أبي جعفر بن غزلون صاحب الباجي و غير واحد، و رحل إلى المشرق فسمع بالإسكندرية من السيلفي و الرازي، و تجول هنالك، و أخذ عنه أبو الحسن بن المفضل المقدسي و غير واحد، و قال ابن المفضل: أنشدني المذكور، قال: أنشدني أبو محمد بن صار: [بحر البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤٣

و كوكب أبصر العفريت مسترقا للسمع فانقضّ يدي خلفه لهبه

كفارس حلّ إعصار عمامته فجرها كلها من خلفه عذبه

٢٩١- و منهم شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر، الوادي آشي، الحنفي.

سكن طرابلس الشام، ثم انتقل إلى حلب، و أقام بها، و صار من العدول المبرزين في العدالة بحلب، يعرف النحو و العروض، و يشتغل فيهما، و له انتماء إلى قاضي القضاة الناصر بن العديم، قال الصفدي: رأيت بحلب أيام مقامي بها سنة ٧٢٣ فرأيت حسن التودد، و أنشدني لنفسه من لفظه: [بحر الكامل]

ما لاح في درع وصول بسيفه و الوجه منه يضيء تحت المغفر

إلا حسبت البحر مدّ بجدول و الشمس تحت سحائب من عنبر

قال الصفدي: جمع هذا المقطوع بين قول ابن عباد: [بحر المتقارب]

و لما اقتحمت الوغى دارعا و قنعت وجهك بالمغفر

حسبنا محيّاك شمس الضحى عليها سحاب من العنبر

و بين قول أبي بكر الرصافي: [بحر الكامل]

لو كنت شاهده و قد غشى الوغى يختال في درع الحديد المسبل

لرأيت منه و القضيبي بكفه بحرا يريق دم الكمأة بجدول

و قال يمدح الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني و قد توجه إلى حلب قاضي القضاة:

[بحر البسيط]

يمن ترنم فوق الأيك طائره و طائر عمت الدنيا بشائره

و سؤدد أصبح الإقبال ممتثلا في أمره ما أخوه العز أمره

و منها: [بحر البسيط]

من مخبر عنى الشهباء أن كمال الدين قد شيدت فيه مقاصره

و أن تقليده الزاهى و خلعتة التى تطرّز عطفيا مآثره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤٤

بالنفس أفديك من تقليد مجتهد سواه يوجد فى الدنيا مناظره

أنشدت حين أدار البشر كأس طلى حكمت أوائله صفوا أوآخره

و قد بدت فى بياض الطرس أسطره سودا لتبدى ما أهدت محابره

ساق تكوّن من صبح و من غسق فابيض خداه و اسودت غدائره

و خلعه قلت إذ لاحت لتزينا بالروض تطفو على نهر أزاهره

و قد رآها عدو كان يضملى من قبل سوءا فخانتة ضمائره

ورام صبرا فأعيتة مطالبه و غيض الدمع فأنهلت بوادره

بعوده الدوله الغراء ثالثه أمنت منك و نام الليل ساهره

و قال أيضا: [بحر الوافر]

تسر فى الوغى نيران حرب بأيديهم مهتده ذكور

و من عجب لظى قد سعتها جداول قد أقلتها بدور

و قال ملغزا فى قالب لبن: [بحر المجتث]

ما آكل فى فمين يغوط من مخرجين

مغرى بقبض و بسط و ما له من يدين

و يقطع الأرض سعيا من غير ما قدمين

و خمس لامية العجم مدحا فى رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال الصفدى: و لما كنت فى حلب كتب إلى أبياتا، انتهى.

٢٩٢- و منهم أبو جعفر أحمد بن صابر، القيسى.

قال أبو حيان: كان المذكور رفيقا للأستاذ أبى جعفر بن الزبير شيخنا، و كان كاتباً مترسلاً شاعراً، حسن الخط، على مذهب أهل

الظاهر، و كان كاتباً للأمير أبى سعيد فرج بن السلطان الغالب بالله بن الأحمر ملك الأندلس، و سبب خروجه من الأندلس أنه كان

يرفع يديه فى الصلاة على ما صح فى الحديث، فبلغ ذلك السلطان أباً عبد الله، فتوعده بقطع يديه، فضع من ذلك و قال: إن إقليما

تمت فيه سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى يتوعد بقطع اليد من يقيمها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤٥

لجدير أن يرحل منه، فخرج و قدم ديار مصر، و سمع بها الحديث، و كان فاضلاً نبيلاً، و من شعره: [بحر الطويل]

أتكر أن يبيض رأسى لحادث من الدهر لا يقوى له الجبل الراسى

و كان شعاراً فى الهوى قد لبسته فرأسى أمى و قلبى عباسى

قلت: لو قال «شيبى» لكان الغاية.
و أنشد له بعضهم: [بحر الطويل]
فلا تعجبا ممن عوى خلف ذى علا لكل على فى الأنام معاويه
قلت: لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الأدب مع الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين و يرحم الله بعض الأندلسيين حيث قال فى
رجز كبير: [بحر الرجز]
و من يكن يقدح فى معاويه فذاك كلب من كلاب عاويه
و أنشد أبو حيان للمذكور: [بحر المتقارب]
أرى الدهر ساد به الأردلون كالسيل يطفو عليه الغثا
و مات الكرام وفات المديح فلم يبق للقول إلا الرثا
و أنشد له أيضا: [بحر الخفيف]
لولا ثلاث هن و الله من أكبر آمالى فى الدنيا
حج لبيت الله أرجو به أن يقبل النية و السعيا
و العلم تحصيلًا و نشرا إذا رويت أوسعت الورى ريا
و أهل ود أسأل الله أن يمتع بالبقيا إلى اللقيا
ما كنت أخشى الموت أنى أتى بل لم أكن ألتذ بالمحيا
و قال أبو حيان فى هذه المادة: [بحر الطويل]
أما إنه لولا ثلاث أحبها تمنيت أنى لا أعد من الأحيا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤٦
فمنها رجائى أن أفوز بتوبة تكفر لى ذنبا و تنجح لى سعيا
و منهن صوتى النفس عن كل جاهل لئيم فلا أمشى إلى بابه مشيا
و منهن أخذى بالحديث إذا الورى نسوا سنة المختار و اتبعوا الرأيا
أترك نصا للرسول و تقتدى بشخص؟ لقد بدلت بالرشد الغيا

٢٩٣- و منهم الأستاذ أبو القاسم ابن الإمام القاضى أبى الوليد الباجى.

سكن سرقسطة و غيرها، و روى عن أبيه معظم علمه، و خلفه بعد وفاته فى حلقة و غلب عليه علم الأصول و النظر، و له تأليف تدل
على حدقه: منها «العقيدة»، فى المذاهب السديدة» و رسالته «الاستعداد، للخلاص من المعاد» و كان غاية فى الورع، توفى بجدة بعد
منصرفه من الحج سنة ٤٩٣، رحمه الله تعالى!.

٢٩٤- و منهم الإمام الفاضل الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الساحلى، الغرناطى.

قال العز بن جماعة: قدم علينا من المغرب سنة ٧٢٤، ثم رجع إلى المغرب فى هذه السنة، و بلغنا أنه توفى بمراكش سنة نيف و أربعين
و سبعمائه، و أنشد والدى قصيدة من نظمه امتدحه بها، و أنا أسمع، و من خطه نقلت، و هى: [بحر الطويل]
قفا موردا عينا جرت بعدكم دما أناضى أسفار طوين على ظما

غدون أهلات تناقل أنجما و رحن حنيات تفوق أسهما
يجمها الحادى الأمرين حسرا و يوطئها الحادى الأخرين هئما
على منسميها للشقاتق منبت و فى فمويها للشقاشق مرتمى
إلى أن قال: [بحر الطويل]

و تعسا لآمال جهام سحابها تزجى ركاما ما استهلّ و لا همى
تجاذبها نفس تجيش نفيسه و من لم يجد إلا صعيدا تيمما
فهل ذمم يرعاه ليل طويته طوانى سرا بين جنبيه منهما
أقبل منه للبروق مباسما و أرشف من بهماء ظلمائه لمى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤٧
إلى أن تجلّى من كنانة بدرها فعرس ركبى فى حماه و خيما
ثمال اليتامى حيث ليس مظلل و كهف الأياى أيا عَزَّ مرتمى
و منها:

فيا كفه أ أنت أم غيث ديمه أسالت عابا فى ثرى الجود عيلما
و يا سعيه يهنيك أجر ثنى به على معطفى عليه بردا مسهما
قضى بمنى أوطار نفس كريمه و روى صداها حين حل بزما
و ناداه داعى الحق حى على الهدى فأسرج طوعا فى رضاه و ألجما
فله ما أهدى و أرشد و اهتدى و لله ما أعطى و أوفى و أنعما
و منها:

أمت باداب و علم كليهما أقاما لديك الدعى فرضا و ألزما
و هى طويلة.

٢٩٥- و من الراحلين من الأندلس الوليد بن هشام، من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين.

خرج من الأندلس على طريقة الفقر و التجرد، و وصل برقة بركوه لا يملك سواها فعرف بأبى ركوه، و أظهر الزهد و العبادة، و اشتغل بتعليم الصبيان و تلقينهم القرآن، و تغيير المنكر، حتى خدع البربر بقوله و فعله، و زعم أن مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته بما كان عنده من علم الحدثان، و كان يقال عن مسلمة: إنه أخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية، و أخرج لهم أرجوزة أسندها إلى مسلمة، و منها فى وصفه: [بحر الرجز]

و ابن هشام قائم فى برقه به ينال عبد شمس حقه
يكون فى بربرها قيامه و قره العرب لها إكرامه

و اتفق أن قره انحرفوا عن الحاكم فمالوا إليه، و حصروا معه مدينة برقه حتى فتحوها، و خطبوا له فيها بالخلافة، و كان قيامه فى رجب سنة ٣٩٧، فهزم عسكر باديس الصنهاجى صاحب إفريقيه و عسكر الحاكم بمصر، و أحيا أمره، و خاطبه بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤٨

سفك الحاكم الدماء، و رغبوه فى الوصول إلى أوسيم، و هو مكان بالجيزة قبالة القاهرة، فلما وصل إليها قام بمحاربتة الفضل بن

صالح القيام المشهور إلى أن هزم أبا ركوه، ثم جاء به إلى القاهرة، فأمر الحاكم أن يطاف به على جمل، ثم قتل صبيرا في ١٣ رجب سنة ٣٩٩، و لما حصل في يد الحاكم كتب إليه: [بحر الطويل]

فررت و لم يغن الفرار، و من يكن مع الله لم يعجزه في الأرض هارب
و و الله ما كان الفرار لحاجه سوى فزعى الموت الذى أنا شارب
و قد قادنى جرمى إليك برمتى كما اجتر ميتا فى رحى الحرب سالب
و أجمع كل الناس أنك قاتلى فيا رب ظنّ ربّه فيه كاذب
و ما هو إلا الانتقام و ينتهى و أخذك منه واجبا و هو واجب
و لأبى ركوه المذكور أشعار كثيرة، منها قوله: [بحر الكامل]

بالسيف يقرب كل أمر ينزح فاطلب به إن كنت ممن يفلح
و له: [بحر الطويل]

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه و ليس عليه أن يساعده الدهر
و قوله: [بحر السريع]

إن لم أجلها فى ديار العدا تملأ و عر الأرض و السهلا
فلا سمعت الحمد من قاصد يوما و لا قلت له أهلا
و له غير ذلك مما يطول، و خبره مشهور.

٢٩٦- و منهم أبو زكريا الطليلي، يحيى بن سليمان.

قدم إلى الإسكندرية، ثم رحل إلى الشام و استوطن حلب، و له ديوان شعر أكثر فيه من المديح و الهجاء، قال بعض من طالعه: ما رأيت مدح أحدا إلا و هجاه، و له مصنفات فى الأدب، و من نظمه قوله: [بحر الكامل]

أرض سقت غيطانها أعطانها و زهت على كئيبانها قضبانها
و منها:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤٩
فتكت بألباب الكماء فسيفها من طرفها و سنانها و سنانها
لم يبق شخص بالبيضة سالما إلا سبى إنسانه إنسانها
و منها:

و تصاحبت و تجاوبت أطيّارها و تداولت و تناولت ألحانها
و تنسمت و تبسّمت أيامها و تهللت و تكلمت أزمانها
بمديرها و منيرها و نميرها و معيرها حسنا جللاه عيانها

٢٩٧- و منهم أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد، القرطبي، المعروف بالمغلي.

سمع من محمد بن عبد الملك بن أيمن و قاسم بن أصبغ و غيرهما، و رحل فسمع من أبي سعيد بن الأعرابي، و كان بصيرا بالعربية و الشعر، و مؤلفا جيد النظر حسن الاستنباط، حدث، و توفي فجأة فى شهر ربيع الأول سنة ٣٦٢، قاله ابن الفرضي.

٢٩٨- و منهم الإمام المحدث أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن سلمة، الأنصاري، الغرناطي.

قدم المشرق و توفي بمصر سنة ٧٠٣ عن نحو خمسين سنة، بالبيمارستان المنصوري، قال قاضي القضاة عبد العزيز بن جماعة الكناني في كتابه «نزهة الألباب»: أنشدنا المذكور لنفسه بالقاهرة، بعد قدومه من مكة و المدينة، و قد رام أن يعود إليهما فلم يتيسر له: [بحر الطويل]

لئن بعدت عنى ديار الذى أهوى فقلبي على طول التباعد لا يقوى
فحدث رعاك الله عن عرب رامة فإني لهم عبد على السر و النجوى
فإن مت شوقا فى الهوى و صبابه فى شرفى إن مت فى حب من أهوى
فيا أيها العذال كفوا ملاكمكم فما عندكم بعض الذى بى من الشكوى
و يا جيرة الحى الذى ولهى بهم أما ترحموا صبا يحن إلى حزوى
و يا أهل ذياتكم الحمى و حياتكم يمين و فى صادق القول و الدعوى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٥٠
ملكتم قيادى فارحموا و ترققوا فأنتم مرادى لا سعاد و لا علوى
فما لى سواكم سادتى لا عدمتكم فوجودوا بوصل أنتم الغاية القصوى
انتهى.

٢٩٩- و منهم الفاضل الأديب أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي، الغرناطي.

قال ابن جماعة فى الكتاب المسمى قريبا: أنشدنى المذكور لنفسه، على قبر سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه: [بحر الكامل]

يا سيد الشهداء بعد محمد و رضيع ذى المجد المرفع أحمد
يا ابن الأعزة من خلاصة هاشم سرج المعالى و الكرام المجد
يا أيها البطل الشجاع المحتمى دين الإله ببأسه المستأسد
يا نبعه الشرف الأصيل المعتلى يا ذروة الحسب الأتيل الأتلد
يا نجدة الملهوف فى قحم الوغى عند التهاب جحيمها المتوقد
يا غيث ذى الأمل البعيد مرامه يا غيث موتور الزمان الأنكد
يا من لعظم مصابه خص الأسى قلب الرسول و عمّ كلّ موحد
يا حمزة الخير المؤمل نفعه يوم الهياج و عند فقد المنجد
و افاك يا أسد الإله و سيفه وفد ألموا من حماك بمعهد
جنتاك يا عمّ الرسول و صنوه قصد الزيارة فاحتفل بالقصد
و أسأل إلهك فى اغتفار ذنوبنا شيم المزور قيامه بالعود
لذنا بجانبك الكريم توسلا و كذا العبيد ملاذهم بالسيد
فاشفع لضيفك فالكريم مشفع عند الكريم و من يشفع يقصد
يا ابن الكرام المكرمين نزيلهم أهل المكارم و العلا و السؤدد
نزل الضيوف جناب ساحتك التى منها يؤمل كل عطف مسعد

فاجعل أبا يعلى قرانا عطفه و ارغب لربك في هداانا و اقصد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٥١
 فعسى يمنّ على الجميع بتوبة يهدى بها نهج الطريق الأرشد
 فقد اعتمدنا منك خير وسيلة نرجو بها حسن التجاوز في غد
 لم لا تؤم و أنت عم محمد و لدينه قد صلت صولة أيد
 و صحبته و نصرته و عضدته و ذببت عنه باللسان و باليد
 و بذلت نفسك في رضاه بصولة فقتلت في ذات الإله الأوحد
 فجزاك عنا الله خير جزائه و سقاك حيا الغمام المرعد
 و على رسول الله منه سلامة و عليك متصل الرضا المتجدد
 ولد ببعض أعمال غرناطة قبل التسعين و ستمائة، و توفى بالمدينة الشريفة طاباً على ساكنها أفضل الصلاة و السلام سنة ٧١٥، و دفن
 بالبقيع، رحمه الله تعالى! انتهى.

٣٠٠- و منهم الشيخ نور الدين أبو الحسن، المايرقي.

من أقارب بعض ملوك المغرب، و كان من الفضلاء العلماء الأدباء، و له مشاركة جيدة في العلوم و نظم حسن، و منه قوله: [بحر
 البسيط]

القضب راقصة، و الطير صادحة و النسر مرتفع، و الماء منحدر
 و قد تجلّت من اللذات أوجهها لكنها بظلال الدوح تستتر
 فكل واد به موسى يفجره و كل روض على حافاته الخضر
 و قوله: [بحر الطويل]

و ذى هيف راق العيون انثاؤه بقد كريان من البان مورك
 كتبت إليه هل تجود بزورة فوق «لا» خوف الرقيب المصدق
 فأيقنت من «لا» بالعناق تفاؤلا كما اعتنقت «لا» ثم لم تتفرق
 و هذا أحسن من قول ذى القرنين بن حمدان: [بحر البسيط]
 إنى لأحسد «لا» فى أحرف الصحف إذا رأيت اعتناق اللام للألف
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٥٢
 و ما أظنهما طال اعتناقهما إلا لما لقيا من لوعه الأسف
 و أحسن من هذا قول القيسراني: [بحر البسيط]

أستشعر اليأس من «لا» ثم يطمعنى إشارة فى اعتناق اللام للألف

و كانت وفاة أبي الحسن المذكور فى ربيع الأول سنة ٦٥٥، و دفن بقاسيون رحمه الله تعالى! و الأبيات التى أولها «القضب راقصة»
 نسبها له اليونانى و غير واحد، و الصواب أنها ليست له، و إنما هى لنور الدين سعيد ابن صاحب المغرب، و قد تقدم ذكره، و لعل
 السهو سرى من تشارك الاسم و اللقب و القطر، و مثل هذا كثيرا ما يقع، و الله تعالى أعلم.

٣٠١- و من الراحلين من أهل الأندلس إلى المشرق ابن عتبة الإشبيلي

، و كان فارق إشيلية حين تولاهما ابن هود، و اضطرت بفتنته الأندلس نارا، و لما قدم مصر هاربا من تلك الأهوال تغيرت عليه البلاد، و تبددت به الأحوال، فلما سئل عن حاله، بعد بعده عن أرضه و ترحاله، بادر و أنشد: [بحر مخلص البسيط]

أصبحت في مصر مستضاما أرقص في دولة القروذ
وا ضيعة العمر في أخير مع النصارى أو اليهود
بالجد رزق الأنام فيهم لا بدوات و لا جدود
لا تبصر الدهر من يراعى معنى قصيد و لا قصود
أود من لؤمهم رجوعا للغرب في دولة ابن هود
و تذكرت بقوله: «أرقص في دولة القروذ» ما وقع لأبى القاسم بن القطان، و هو مما يستطرف و يستظرف، و ذلك أنه لما ولى الوزارة الزينبي دخل عليه أبو القاسم المذكور و المجلس حافل بالرؤساء و الأعيان، فوقف بين يديه و دعا له، و أظهر الفرح و السرور، و رقص، فقال الوزير لبعض من يفضى إليه بسره: قبح الله هذا الشيخ! فإنه يشير برقصه إلى قول الشاعر:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٣؛ ص ٢٥٢
و أرقص للقرود في دولته
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٥٣

٣٠٢- و من المرتحلين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي، الهراوى.

من أهل المرية، و يعرف بشمس الدين بن جابر الضرير، و له ترجمة في الإحاطة ذكرناها مع زيادة عليها عند تعرضنا لأولاد لسان الدين بن الخطيب، رحمه الله تعالى! و رحل إلى المشرق و دخل مصر و الشام و استوطن حلب، و هو صاحب البديعة المعروفة ببديعة العميان، و له أمداح نبوية كثيرة و تأليف منها: «شرح ألفية ابن مالك» و غير ذلك، و له ديوان شعر و أمداح نبوية في غاية الإجادة، و من نظمه رحمه الله تعالى موزيا بأسماء الكتب: [بحر الطويل]

عرائس مدحى كم أئين لغيره فلما رأته قلن هذا من الأكفا
نوادر آدابى ذخيرة ماجد شمائل كم فيهن من نكت تلفى
مطالعها هن المشارق للعلا قلائد قد راقت جواهرها رصفا
رسالة مدحى فيك واضحة، ولى مسالك تهذيب لتنبه من أغفى
فيا منتهى سؤلى و محصول غايتى لأنت امرؤ من حاصل المجد مستصفى
و قد اشتملت هذه الأبيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا، و هى: العرائس للثعالبي، و النوادر للقالى و غيره، و الذخيرة لابن بسام و غيره، و الشمائل للترمذى، و النكت لعبد الحق الصقلى و غيره، و المطالع لابن قرقول و غيره، و المشارق للقاضى عياض و غيره، و القلائد لابن خاقان و غيره، و «رصف المباني، فى حروف المعانى» للأستاذ ابن عبد النور، و هو كتاب لم يصنف فى فنه مثله، و الرسالة لابن أبى زيد و غيره، و الواضحة لابن حبيب، و المسالك للبكرى و غيره، و الجواهر لابن شاس و غيره، و «التهذيب فى اختصار المدونة» و غيره، و «التنبه» لأبى إسحاق و غيره، و «منتهى السؤل» لابن الحاجب، و «المحصول» للإمام الرازى، و «الغاية» للنووى و غيره و «الحاصل» مختصر المحصول و «المستصفى» للغزالى، و ما أحسن قول الحكيم موفق الدين: [بحر البسيط]

لله أيامنا و الشمل منتظم نظما به خاطر التفريق ما شعرا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٥٤

و الهف نفسى على عيش ظفرت به قطعت مجموعته المختار مختصرا
و هذه ثلاث كتب مشهورة: المختار، و المجموع، و المختصر، و أحسن منه قول الآخر:

[بحر الكامل]

عن حالتى يا نور عينى لا تسل ترك الجواب جواب تلك المسألة
حالى إذا حدثت لا لمعا و لا جملا لإيضاحى بها من تكمله
عندى جوى يذر الفصيح مبلدا فاترك مفضله و دونك مجمله
القلب ليس من الصحاح فيرتجى إصلاحه، و العين سحب مثقله
و قد أوردنا فى ترجمته أبى عبد الله بن جزى الكاتب الأندلسى جملة مستكثرة فى التورية بأسماء الكتب فلتراجع ثمة.
رجع إلى الشمس بن جابر- فنقول: و من نظمه رحمه الله تعالى تميمه للأبيات المشهورة:

لم يبق فى اصطبار مذ خلفونى و ساروا

و للحبيب أشاروا جار الكرام فجاروا

لله ذاك الأوار

بانوا فما الدار دار

يا بدر أهلك جاروا و علموك التجزى

كانوا من الود أهلى ما عاملونى بعدل

أصموا فؤادى بنبل يا بين بينت ثكلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٥٥

يا روح قلبى قل لى أهم دعوك لقتلى

و حرموا لك وصلى و حللوا لك هجرى

حسى و ما ذا عناد هم المنى و المراد

و إن عن الحق حادوا أو جاملونى و جادوا

يا من به الكلّ سادوا و الكلّ عندى سداد

فليفعلوا ما أرادوا فإنهم أهل بدر

و تذكرت بهذا قول أبى البركات أيمن بن محمد السعدى رحمه الله تعالى:

للعاشقين انكسار و ذلة و افتقار

و للملاح افتخار و عزة و اقتدار

و أهل بدرى أثاروا و ودعونى و ساروا

يا بدر- إلخ.

كتبت و الوجد يملى جدّ الهوى بعد هزل

و حار ذهنى و عقلى ما بين بدرى و أهلى

يا بدر فاحكم بعدل إذا أتوك بعدل

و حرّموا- إلخ.

لولا هواك المراد ما كنت ممن يصاد

و لا شجانى البعاد يا بدر أهلك جادوا
 غلظت جاروا و زادوا لكنهم بك سادوا
 انتهى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٥٦
 فليفعلوا- إلخ.

رجع إلى ابن جابر، فنقول:

توفى رحمه الله تعالى فى إلبيرة فى جمادى الآخرة سنة ٧٨٠، و من نظمه قوله: [بحر البسيط]
 يا أهل طيبة فى مغناكم قمر يهدى إلى كل محمود من الطّرق
 كالغيث فى كرم، و الليث فى حرم و البدر فى أفق، و الزهر فى خلق
 و قوله: [بحر البسيط]

أما معانى المعانى فهى قد جمعت فى ذاته فبدت نارا على علم
 كالبدر فى شيم، و البحر فى ديم و الزهر فى نعم، و الدهر فى نغم
 و قال: [بحر الطويل]

و لما وقفنا كى نودّع من نأى و لم يبق إلا أن تحثّ الركائب
 بكينا و حقّ للمحبّ إذا بكى عشية سارت عن حماه الجائب
 و قال: [بحر الكامل]

ضحكت فقلت كأن جيدك قد غدا يهدى لثغرك من جواهر عقده
 و كأن ورد الخدّ منك بمائه قد شاب عذب لماك حالة ورده
 و قال: [بحر الخفيف]

منعتنا قرى الجمال و قالت: ليس فى غير زادنا من مجال
 فأقمنا على الرحال و قلنا مالنا حاجة بحط الرحال
 و قال: [بحر السريع]

عذب قلبى رشاً ناعم أسهر طرفى طرفه الناعس
 يحرس باللحظ جنى خده يا ليته لو غفل الحارس
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٥٧
 و قال: [بحر الكامل]

وافيت ربعمهم و قد بعد المدى و نأى الفريق من الديار و سارا
 ما كدت أعرف بعد طول تأمل دارا بها طاف السرور و دارا
 و له: [بحر الوافر]

و لست أرى الرجال سوى أناس همومهم موافاة الرجال
 أطالوا فى الندى إهلاك مال فعاشوا فى الأنام ذوى كمال
 و قال: [بحر الخفيف]

أيها المتهمون نفسى فداكم أنجدونى على الوصول لنجد

وقفوا بي على منازل ليلى فوجدى هناك يذهب وجدى

وما كتبه على كتاب «نسيم الصبا» لابن حبيب، و صورته: لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا، المرسومة فى صفحات الحسن فإذا أبصرها الليب صبا، انتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام، و هملت سحائب بيانها فأثمرت حدائق الكلام، و أخرجت أرض القرائح ما فيها من النبات، و سمعت الآذان ضمخه الأذهان بهذه الأبيات: [بحر المنسرح]

هذى فصول الربيع فى الزمن كم حسن أسندت إلى حسن
رقت و راقف فمن شمائلها بمثل صرف الشمول تتحفنى
كم ملح قد حوت و كم لمح يعجبني لفظها و يعجزني
كم فيه من نفث و من نكت أشهدني حسنها فأدهشني
جمع عدمنا له النظير فلا يصرف عن خاطر و لا أذن
يا خير أهل العلا و بحرهم أى بديع الكلام لم ترني
بدرك فى مطلع الفضائل لا يكون مثل له و لم يكن
هذى الفصول التى أتيت بها قد أفحمت كل ناطق لسن
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٥٨
كم فن معنى بها يذكرنى شجوى لشدو الحمام فى فن
فمن نسيب مع النسيم جرى لطفاً فأزرى بالجواهر الثمن
و حسن سجع كالزهر فى أفق و الزهر فى ناعم من الغصن
له معان أعيت مداركها كل معان بنيلهن عنى
لا زال راق للمجد راقمها ذا سنن حاز أحسن السنن

فصول، هى للحسن أصول، و شمول، لها على كل القلوب شمول، ليس لقدماء على التقدم إليها حصول، و لا لسحبان لأن يسحب ذيلها وصول، و لا انتهى قس الإيادى، إلى هذه الأيادى، و لا ظفر بديع الزمان، بهذه البدائع الحسان، لقد قصر فيها حبيب عن ابنه، و حار بين لطافة فضله و فضل ذهنه، نزهت فى طرف خمائلها، و نبهت بلطف شمائلها، تالله إنها لسحر حلال، و خلال ما مثلها خلال، كلام كله كمال، و مجال لا- يرى فيه إلا- جمال، راقم بردها، و ناظم عقدها، فى كل فصل، جاء بكمال فضل، و فى كل معنى، عمر بالبراعة مغنى، أعرب فأعرب، و أوجر فأعجز، و أطال فأطاب، و أجاد حين أجاب، فما أنفس فرائده، و أنفع فوائده، و أفصح مقاله، و أفسح مجاله، و أطوع للنظم طباعه، و أطول فى النشر بفاعه، أزاهر نبتت فى كتاب، و جواهر تكوّنت من ألفاظ عذاب، و مواهب لا تدرك بيد اكتساب، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب، فصول أحلى فى الأفواه من السهد، و أشهى إلى النواظر من النوم بعد السهد، سبك أدبها فى قالب النكت الحسان، و ذهب بمحامد عبد الحميد و محاسن حسان، فما أحقها أن تسمى فصول الربيع، و أصول البديع، لا زال حسننها يملأ الأوراق بما راق، و يزين الآفاق بما فاق، و لا برحت حدائق براعته نزهة للأحداق، و حقائق بلاغته فى جيد الإجابة بمنزلة الأطواق، بمن الله تعالى و كرمه، انتهى.

و حيث جرى ذكر كتاب «نسيم الصبا» فلا بأس أن نذكر تقارير العلماء له، فمن ذلك قول القاضى شرف الدين بن ريان: وقفت على هذا الكتاب الذى أبدع فيه مؤلفه، و نظم فيه الجواهر النفيسة مصنفة، و أينعت حدائق أدبه فدنا ثمرها لمن يقطفه، و عرفت مقدار ما فيه من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٥٩

الإنشاء و أين من يعرفه، فوجدته أطف من اسمه، و أحسن من الدرر فى نظمه، و أطف من الورد عند شمه، هبت على رياض فصوله

نسيم صباحها، ففاقت الأزهار في رباها، وتشوقت قلوب الأدباء إلى انتشاق شذاها و طيب رباها، و فاضت عليه أنوار البدر فأغنى سناها، عن الشمس و ضحاها، و تحلّت نحور البلغاء من كلامه بالدرد اليتيم، و من معانيه بالعقد العظيم، و ترنّحت أفنان فنون الفصاحة لما هب عليها ذلك النسيم، كل فصل له في الفضل أسلوب على بابه، و طريق انفرد به منشئه محاسن لا توجد إلا في كتابه، صدر هذا الكتاب عن علم سابق، و فكر ثاقب و ذهن رائق و نفس صادق، و رويته ملأت تصانيفها المغارب و المشارق، و قريحته إذا ذقت جناها، و شمت سناها، تذكرت ما بين العذيب و بارق فالله تعالى يبقى مصنفه قبله لأهل الأدب و يديمه، و يبلغه من سعادة الدنيا و الآخرة ما يرومه، بمنه و كرمه، انتهى.

و قرظ عليه بعضهم بقوله: وقف المملوك سليمان بن داود المصري على فصول الحكم من هذه الفصول، و وجد من نسيم الصبا أمارات القبول، و نزه طرفه في رياض هذا الكتاب، و خاطب فكره العقيم في وصفه فعجز عن رد الجواب: [بحر الكامل] ما ذا أقول و كلّ وصف دونه أين الحضيض من السماك الأعزل

يا لها كلمات نقصت قدر الأفاضل، و فضحت فصحاء الأوائل، و سحبت ذيل الفصاحة على سحبان وائل، و زادت في البلاغة على فريد، و غيرت حال القدماء فما عبد الرحيم الفاضل و ما عبد الحميد، و ذلت لها تشبيهات ابن المعتز طوعا، و ملكت زمام البيان فما تركت للبديع منه نوعا: [بحر الكامل]

قطف الرجال القول حين نباته و قطفت أنت القول لما نورا

و خطاب أعجز الخطباء و صفه، و جواب ألغى البلغاء رصفه، و غرائب تعرّفت بمبديها، و شوارد تألفت بمهديها، و جنان بلاغة لم يطمئ أبكارها إنس قبلك و لا جان، و لم يقطف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٦٠

أزهارها عين ناظر و لا يد جان، معان تطرب السمع لها حكم و أحكام، و ألفاظ هي الأرواح لا أرواح أجسام، فلما ألقى فهمه عروة المتماسك، و ضاقت عليه في وصفه المسالك، و عجز عن وصف بلوغ بلاغته، عطف على حسن كتابته، فرأى خطأ يسبي الطرف، و يستغرق الظرف، نسج قلمه الكريم من وشى البلاغة ديباجا، و اتخذ من محاسن الحسان طريقا و منهاجا، فألقى ألفات كاعتدال القدود، و نونات كأهله السعود، و سينات كالطرر، و نقطا كالدرر، جعل للأفلام حجة قاطعة على السيوف، و حلّى الأسماع بحلية زائدة على الشنوف، فعطف ساعة يطنب في دعائه و شكره، و آونه يميل من طربه بألفاظه و شكره، فلله در ألفاظك و درر فضلك، و أحسن بوابلك الهاطل بالبيان و طلك: [بحر الطويل]

لسانك غواص، و لفظك جوهر و صدرك بحر بالفضائل زاخر

و الله المسؤول أن يرفع قدر مقالك و مقام قدرك، و يوضح منهاج الأدب بنور بدرك بمنه و كرمه، إنه على كل شيء قدير. و كتب قاضي القضاة تاج الدين السبكي، رحمه الله تعالى! في تقرّظ الكتاب المذكور ما نصه: الحمد لله وحده، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم، حدقت نحو الحدائق، و فوّقت سهمي تلقاء الغرض الشائق، و طرقت إلى ما يضيء أخا الحجى أسهل الطرائق، فما علل صدای كنسيم الصبا، و لا كمثلهما صائبا صبا من لا صبا، و لا نظرت نظيره حديقه تنبت فضة و ذهبا: [بحر مجزوء الكامل]

و تجيء من ملح الكلام بطارف أو تالده

كلم نوابغ نحو آفاق المطالع صاعده

لو رامها قسّ لما ألقى أباه ساعده

أبدى نتائج عيه في ذى المعاني الشارد

فعين الله تعالى عليها كلمات عليها منه رقيب، و محاسن تسلي عندها بالحسن حبيب، و فوائد حسان يذكرنا بها حسان البعيد حسن

القريب، كتبه عبد الوهاب [بن] السبكي، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٦١

و كتب ناصر الدين صاحب دواوين الإنشاء ما صورته: وقفت على هذا الكتاب الذى أشبه الدر فى انتظامه، و الثغر فى ابتسامه، و قطر الندى فى انسجامه، و زهر الروض فى البكر إذا غنت على غصونه مطربات حمامه، فوجدت بين اسمه و مسماه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه السليم، و اتصالا- قريبا كاتصال الصديق الحميم، فتحققت أن مؤلفه- أبقاه الله تعالى و حرسه!- أبدع فى تأليفه، و أصاب فى تمييزه بهذا الاسم و تعريفه، فهو فى اللطافة كالماء فى إروائه، و كالهواء المعتدل فى ملاءمة الأرواح بجوهر صفائه، و كالسلك إذا انتقى جوهره و أجيد فى انتقائه، قد أينعت ثمرات فضائله فأصبحت دانية القطوف، و تجلت عرائس بلاغته فظهر بدرها بلا كسوف، و انجابت ظلمات الهموم بسماع موصول مقاطعه التى هى فى الحقيقة لآذان الجوزاء شنوف، فأكرم به من كتاب ما الروض بأبهى من وسيمه، و لا- الزّيحان بأعطر من شميمه، و لا المدامه بأرق من هبوب نسيمه، و لا الدر بأسنى زهرا بل زهوا من رسومه، إذا تدبره الأديب أغنته تلك الأفانين، عن نغمات القوانين، و إذا تأمله الأريب نزه طرفه فى رياض البساتين، قد سور على كل نوع من البديع باب، لا يدخله إلا من خص من البلاغة باللباب، و الله تعالى يؤتية الحكمة و فصل الخطاب، و يتمتع بفضائله التى شهدها أهل العلم و ذو الألباب، بمنه و كرمه، و كتبه محمد بن يعقوب الشافعى.

و كتب الصفدى شارح لامية العجم بما نصه: وقفت على هذا المصنف الموسوم بنسيم الصبا، و التأليف الذى لو مرّ بالمجنون لما ألف ليلاه و لا مال إليها و لا صبا، و الإنشاد الذى إن شاء قائله جعل الكلام غيره فى هبات الهواء هبا، و النثر الذى أغار قائله على سبائك الذهب الإبريز و سبا، و الكلام الذى نبا عنه الجاحظ جاحدا و ما له ذكر و لا نبا، فسبحت جواهر حروفه لمن أوجده فى هذا العصر، و علمت أن ألفاظه ترمى قلوب حساده بشرر كالقصر، و تحققت أن قعقعه طروسه أصوات أعلامه التى تخفق له بالنصر، و تيقنت أن سطوره غصون لا تصل إليها كف جناية بجنى و لا هصر: [بحر الطويل]

و قلت لأهل النظم و النثر قابلوا (تراثها مصقولة كالسجنجل)

و ميلوا بأعطاف التعجب إنها (نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل)

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٦٢

و لما ملت بعد ما ثملت، و غزلت بعد ما هزلت، جردت من نفسى شخصا أخاطبه و أجاره، فى أوصاف محاسنها التى أناهبه منها و أناهبه، فقال لى: هذا الفن الفذ، و النثر الذى قهر أقران هذه الصناعة و بذ، و الأدب الذى سد الطرق على أوابده فما فاته شىء و لا شذ، و هذا الإنشاء الذى ما له عدل فى هذا العديد و لا ضريب، و هذا الكلام الذى فاق فى الآفاق فما لحبيب بن أوس حسن حسن بن حبيب، فعين الله تعالى على هذه الكلم الساحرة، و الفوائد التى أيقظت جفن الأدب بعد ما كان بالساهرة، و متع الله تعالى الزمان و أهله بهذا النوع الغض، و النقد النض، و البز البض، و البديع الذى رمّ ما تشعث من ربع هذا الفن و رض، و اقتض المعانى أبقاره و افتض، و أرسل جارح بلاغته على الجوارح فصادها و انقض و انقض، و أنبط ماء الفصاحة لما تحدر و ارفض، و استمال القلب الفظ لما فك ختم ذهوله و فض، إنه على كل شىء قدير، و بالإجابة جدير، بمنه و كرمه، و كتبه خليل الصفدى، انتهى.

٣٠٣- و منهم الأديب أبو جعفر الإلبيرى.

رفيق ابن جابر السابق الذكر، و هو البصير و ابن جابر الأعمى، و له نظم بديع منه قوله:

[بحر السريع]

أبدت لى الصدغ على خدها فأطلع الليل لنا صبحه

فخدها مع قدما قائل (هذا شقيق عارض رمحه)

و قوله و قد دخل حمص: [بحر السريع]

حمص لمن أضحى بها جنه يدنو لديها الأمل القاصي

حل بها العاصي ألا فاعجبوا من جنه حل بها العاصي

و قوله: [بحر الخفيف]

إن بين الحبيب عندى موت و به قد حيت منذ زمان

ليت شعرى متى تشاهده العى ن و تقضى من اللقاء الأمانى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٦٣

قال: و فيه استخدام، لأن البين يطلق على البعد و القرب، انتهى.

و من نظمه أيضا رحمه الله تعالى: [بحر الكامل]

و مورد الوجنات دبّ عذاره فكأنه خط على قرطاس

لما رأيت عذاره مستعجلا قد رام يخفى الورد منه بأس

ناديته قف لى أودع وردة (ما فى و قوفك ساعة من باس)

و هذا المعنى قد تبارى فيه الشعراء و تسابقوا فى مضماره، فمنهم من جلى و برز، و حاز خصل السبق و أحرز، و منهم من كان مصليا،

و منهم من غدا لجيد الإحسان محليا، و منهم من عاد قبل الغاية موليا.

رجع - و من تأليفه رحمه الله تعالى شرحه لبديعه رقيقه ابن جابر المذكور، و قال فى خطبته: و لما كانت القصيدة المنظومة فى علم

البديع المسماة «بالحله السيرافى مدح خير الورى» التى أنشأها صاحبنا العلامة شمس الدين أبو عبد الله بن جابر الأندلسى، نادرة فى

فنها، فريده فى حسننها، تجنى ثمر البلاغه من غصنها، و تنهل سواكب الإجاده من مزنها، لم ينسج على منوالها، و لا سمحت قريحه

بمثالها، رأيت أن أضع لها شرحا يجلو عرائس معانيها لمعانيها، و يبدى غرائب ما فيها لموافيها، لا أمل الناظر فيه بالتطويل، و لا أعوقه

بكثره الاختصار عن مدارك التحصيل، فخير الأمور أوسطها، و الغرض ما يقرب المقاصد و يضبطها، فأعرب من ألفاظها كل خفى، و

أسكت من لغاتها عن كل جلى، و الله أسأل أن يبلغنا ما قصدناه، و يوردنا أحسن الموارد فيما أردناه، انتهى، و سمي الشرح المذكور

«طراز الحله، و شفاء الغله» و مما أورده رحمه الله تعالى فى ذلك الشرح من نظم نفسه قوله: [بحر السريع]

طيبه ما أطيبها منزلا سقى تراها المطر الصيب

طابت بمن حل بأرجائها فالترب منها عنبر طيب

يا طيب عيشى عند ذكرى لها و العيش فى ذاك الحمى أطيب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٦٤

و قال رحمه الله تعالى فى هذا الشرح بعد كلام ما نصه: و إذا أردت أن تنظر إلى تفاوت درجات الكلام فى هذا المقام فانظر إلى

إسحاق الموصلى: كيف جاء إلى قصر مشيد، و محل سرور جديد، فخاطبه بما يخاطب به الطلول الباليه، و المنازل الدارسة الخاليه،

فقال:

يا دار غيرك البلى و محاك

فأحزن فى موضع السرور، و أجرى كلامه على عكس الأمور، و انظر إلى قول القطامى:

[بحر البسيط]

إننا محيوك فاسلم أيها الطلل و إن بليت و إن طالت بك الطيل

فانظر كيف جاء إلى طلل بال، و رسم خال، فأحسن حين حياه، و دعا له بالسلامه، كالمبتهج برؤيه محياه، فلم يذكر دروس الطلل و

بلاه، حتى آنس المسامع بأوفى التحية و أزكى السلامة، و الذى فتح هذا الباب، و أطنب فيه غاية الإطناب، صاحب اللواء، و مقدم الشعراء، حيث قال: [بحر الطويل]

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى و هل يعمن من كان فى العصر الخالى
و هل يعمن إلا سعيد مخلد قليل هموم ما يبيت بأوجال
قيل: و هذا البيت الأخير يحسن أن يكون من أوصاف الجنة، لأن السعادة و الخلود و قلّة الهموم و الأوجال لا توجد إلا فى الجنة، انتهى.

و قال رحمه الله تعالى عند رحيله من غرناطة و أعلام نجد تلوح، و حمائم تشدو على الأيك و تنوح: [بحر الطويل]

و لما وقفنا للوداع و قد بدت قباب بنجد قد علت ذلك الوادى
نظرت فألفت السبيكة فضة لحسن بياض الزهر فى ذلك النادى
فلما كستها الشمس عاد لجينها لها ذهابا فاعجب لإكسرها البادى
و السبيكة: موضع خارج غرناطة.
و قال رحمه الله: [بحر الخفيف]

هذه عشرة تقضت و عندى من أليم البعاد شوق شديد
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٦٥
و إذا ما رأيت إطفاء شوقى بالتلاقى فذاك رأى سديد
و قال رحمه الله تعالى و قد أهدى طاقية: [بحر مجزوء الكامل]

خذها إليك هدية ممن يعز على أناسك
اخترتها لك عندما أضحت هدية كل ناسك
أرسلتها طاقية لتتوب فى تقبيل راسك
و له من رسالة: وافى كتابك فوجدناه أزهى من الأزهار، و أبهى من حسن الحجاب على الأنهار. يشرق إشراق نجوم السماء، و يسمو إلى الأسماع سمو حباب الماء.

و قال رحمه الله تعالى فى العروض على مذهب الخليل: [بحر الكامل]

خَلّ الأنام و لا تخالط منهم أحدا و لو أصفى إليك ضمائره
إن الموفق من يكون كأنه متقارب فهو الوحيد بدائره
و قال على مذهب الأخفش: [بحر الكامل]

إن الخلاص من الأنام لراحة لكنه ما نال ذلك سالك
أضحى بدائرة له متقارب يرجو الخلاص فعاقه متدارك
و له: [بحر مخلع البسيط]

دائرة الحب قد تناهت فما لها فى الهوى مزيد
فبحر شوقى بها طويل و بحر دمعى بها مديد
و إنّ وجدى بها بسيط فليفعل الحسن ما يريد
و هذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا، و منهم الشيخ شهاب الدين بن صارو البعلى قال أبو جعفر المترجم له: أنشدنا شهاب الدين المذكور لنفسه بحماة: [بحر السريع]

و بى عروضى سريع الجفا يغار غصن البان من عطفه
الورد من و جنته وافر لكنه يمنع من قطفه
قال: و أنشدنا أيضا لنفسه: [بحر السريع]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٦٦
و بى عروضى سريع الجفا وجدى به مثل جفاه طويل
قلت له قَطعت قلبى أسى فقال لى التقطيع دأب الخليل
و أنشد رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة فى ذلك: [بحر البسيط]
إن صدّ عنى فإنى لا أعاتبه فما التنافر فى الغزلان تنقيص
شوقى مديد و حبى كامل أبدا لأجل ذلك قلبى فيه موقوف
و أنشدنا فى ذلك أيضا: [بحر الخفيف]
عالم بالعروض يخبن قلبى فى مديد الهوى بلحظ سريع
عنده وافر من الردف يبدو و خفيف من خصره المقطوع
وله: [بحر الكامل]
سبب خفيف خصرها، و وراءه من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان فى تركيبها إلا لأن الحسن فيها وافر
وله: [بحر المجتث]
صدوده لى مديد و أمر حبى طويل
و فيه أسباب حسن و تلك عندى الأصول
فخصره لى خفيف و ردفه لى ثقيل
و قد ذكر أبو جعفر- رحمه الله تعالى!- لرفيقه ابن جابر السابق الذكر مقطوعات كثيرة، منها قوله: [بحر الكامل]
يا أيها الحادى اسقنى كأس السرى نحو الحبيب و مهجتى للساقى
حى العراق على النوى و احمل إلى أهل الحجاز رسائل العشاق
يا حسن ألحان الحداء إذا جرت نغماتها بمسامع المشتاق
و أورده له أيضا: [بحر الكامل]
يا حسن ليلتنا التى قد زارنى فيها فأنجز ما مضى من وعده
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٦٧
قومت شمس جماله فوجدتها فى عقرب الصّدع الذى فى خده
رجع إلى أبى جعفر- رحمه الله تعالى!- و من فوائده أنه لما ذكر فذلكه الحساب فقال:
هى التى يضعها أهل الحساب آخر جملهم المتقدمة فيقولون: فذلك كذا كذا، انتهى.
و لما أنشد رحمه الله تعالى قول بعضهم: [مجزوء الوافر]
غزال قد غزا قلبى بألحاظ و أحداق
له الثلثان من قلبى و ثلثا ثلثه الباقي
و ثلثا ثلث ما يبقى و باقى الثلث للساقى

و تبقى أسهم ست تقسم بين عشاق
قال ما نصه: هذا الشاعر قسم قلبه إلى ٨١ سهما، فجعل لمحجوبه منها الثلثين ٥٤، و بقى الثلث ٢٧، فزاده ثلثيه ١٨، فصار له ٧٢. يبقى
ثلث الثلث و هو ٩، زاده منها ثلثي ثلثها، و هو اثنان، و بقى من الثلث واحد أعطاه للساقى، فبقى من التسعة ستة، قسمها بين العشاق،
فاجتمع لمحجوبه ٧٤، و للساقى سهم واحد، و للعشاق ستة، و الجملة ٨١ انتهى.

و أنشد رحمه الله تعالى فى علم الحساب لرفيقه ابن جابر السابق الذكر: [بحر الخفيف]

قسم القلب فى الغرام بلحظ يضرب القلب حين يرسل سهمه

هذه فى هواه يا قوم حالى ضاع قلبى ما بين ضرب و قسمه

و أنشد له فى الهندسة: [بحر الطويل]

محيط بأشكال الملاحة وجهه كأن به أقليدسا يتحدث

فعارضه خط استواء، و خاله به نقطة، و الشكل شكل مثلث

و أنشد له فى خط الرمل: [بحر الخفيف]

فوق خديه للعذار طريق قد بدا تحته بياض و حمرة

قيل ما ذا فقلت أشكال حسن تقتضى أن أبيع قلبى بنظره

و أنشد له فى علم الخط: [بحر المنسرح]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٤٨

قد حقق الحسن نور حاجبه و خط فى الصدغ واو ريحان

و مد من حسن قدّه ألفا أوقف عيني و قوف حيران

و أنشد له أيضا: [بحر الكامل]

ألف ابن مقله فى الكتاب كقدّه و النون مثل الصدغ فى التحسين

و العين مثل العين لكن هذه شكلت بحسن وقاحة و مجون

و على الجبين لشعره سين بدت حار ابن مقله عند تلك السين

قل للذى قد خط تحت الصدغ من خيلانه نقطا لجلب فنون

يا للرجال و يا لها من فتنة فى وضع ذاك النقط تحت النون

و أورد له فى ذكر الأقلام السبعة و غيرها: [بحر البسيط]

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له ثلث الجمال و قد وقته أجفان

خد عليه رقاع الروض قد جعلت و فى حواشيه للصدغين ريحان

خط الشباب بطومار العذار به سطرًا ففضّاحه للناس فتان

محقق نسخ صبرى عن هواه و من توقيع مدمعى المنتور برهان

يا حسن ما قلم الأشعار خط على ذاك الجبين فلا يسلوه إنسان

أقسمت بالمصحف الشامى و أحرفه ما مر بالبال يوما عنك سلوان

و لا غبار على حبي فعندك لى حساب شوق له فى القلب ديوان

و أنشد له: [بحر السريع]

يا صاحب المال أ لم تستمع لقوله ما عندكم يُنفد

فاعمل به خيرا فوالله ما يبقى ولا أنت به مخلد

وله: [بحر الكامل]

إن شئت أن تجد العدو وقد غدا لك صاحبا يولى الجميل و يحسن

فاعمل كما قال الخبير بخلقه فى قوله اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٦٩

وله: [بحر المتقارب]

إذا شئت رزقا بلا حسبة فلذ بالتقى و اتبع سبله

و تصديق ذلك فى قوله وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ

و أورد له أيضا: [بحر الرمل]

عمل إن لم يوافق نية فهو غرس لا يرى منه ثمر

«إنما الأعمال بالنيات» قد نصه عن سيد الخلق عمر

و قوله: [بحر الكامل]

الخير فى أشياء عن خير الورى وردت فأبدت كل نهج بين

دع ما يرييك، و اعملن بنية، و ازهد و لا تغضب، و خلقك حسن

و قوله: [بحر الوافر]

حياء المرء يزجره فيخشى فخف من لا يكون له حياء

فقد قال الرسول بأن مما به نطق الكرام الأنبياء

إذا ما أنت لم تستحى فاصنع كما تختار و افعل ما تشاء

و قوله: [مخلع البسيط]

قال الرسول «الحياء خير» فاصحب من الناس ذا حياء

و عن قليل الحياء فابعد فخيره ليس ذا رجاء

و قوله: [بحر المنسرح]

من سلم المسلمون كلهم و آمنوا من لسانه و يده

فذلك المسلم الحقيق، بذأ جاء حديث لا شك فى سنده

و لابن جابر مما كتب به إلى الصلاح الصفدى: [بحر البسيط]

إن البراعة لفظ أنت مغناه و كل شىء بديع أنت معناه

إنشاد نظمك أشهى عند سامعه من نظم غيرك لو إسحاق غناه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٧٠

و هو طويلة، فأجابه الصفدى بقوله: [بحر البسيط]

يا فاضلا كرمت فينا سجاياه و خصنا بالآلى فى هداياه

خصصتنى بقريض شفّ جوهره لما تألق منه نور معناه

من كل بيت مبانيه مشيدة كم من خبايا معان فى زواياه

و هى طويلة.

رجع إلى نظم أبي جعفر- فمن ذلك قوله: [بحر الطويل]
 تريك قدا على ردف تجاذبه كخوطة في كتيب الرمل قد نبتت
 ريا القرنفل في ريح الصبا سحرا يצוע منها إذا نحوى قد التفتت
 عقد بهما ألفاظ قول امرئ القيس: [بحر البسيط]

إذا التفتت نحوى تצוע ريحها نسيم الصبا جاءت برىا القرنفل
 و أورد له قوله: [بحر الطويل]

و لو لا نجا العيس حول ديارها غداة منى لم يبق فى الركب محرم
 ففوق ذرى المتنين برد مهلل و تحت رداء الخز وجه معلم
 عقد فى الأول قول قيس بن الخطيم: [بحر الطويل]

ديار التى كنا و نحن على منى تحوط بنا لو لا نجا الركائب
 و عقد فى الثانى قول ابن أخى ربيعة: [بحر الطويل]

أماطت رداء الخز عن حرّ وجهها و أرخت على المتنين بردا مهللا
 و أورد له قوله: [بحر البسيط]

إن ادعى لك مروان الجلال فقل لا يجهل المرء بين الناس رتبته
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٧١

إن الجلالة حقا للمقول له «هذا الذى تعرف البطحاء وطأته»
 و قوله: [بحر السريع]

من منصفى يا قوم من ظبيئ تسرف فى هجرى و تأبى الوصال
 و كلما أسأل عن عذرها تقول لى: ما كل عذر يقال
 و قوله: [بحر الوافر]

هم حسدوا الرسول فلم يجيبوا و كم حسدوا فصار لهم فرار
 و هاجر عند ما هجروا فأضحى لخيمه أم معبد الفخار
 و قوله: [بحر الوافر]

بحسبك أن تبيت على رجاء و لو حطتلك للباس الخطوب
 و مهما أقربتك صروف دهر فقل ما قاله الرجل الأريب
 (عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب)
 و قوله: [بحر الطويل]

خليلى هذا قبر أشرف مرسل (قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل)
 رويد كما نبكى الذنوب التى خلت (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)
 منازل كانت للتصابى فأقفرت (لما نسجتها من جنوب و شمال)

قال: ثم جرى على هذا النمط، و استخرج الدرر النفيسة من ذلك السيفط، و قال قبله: إنه أخذ أعجاز هذه القصيدة من أولها إلى
 آخرها على التوالى، و صنع لها صدورا، و صرفها إلى مدح النبى صلى الله عليه و سلم، فجاء فى ذلك بما لم يسبق إليه، و لم يقف
 أحد فى تلك المعانى على ما وقف عليه، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٧٢

و قوله: [بحر الخفيف]

كم ليال خلت بكم كاللآلى نظمته لنا يد الأزمان
أيها النازحون عن رأى عيني و هم فى جوانحي و جناني
ما ألدّ الوصال بعد التنائى و أمر الفراق بعد التدانى
قد و كلنا كم لرب كريم غير و ان عن عبده فى أوان
ما رحلنا عن اختيار و لكن رحلتنا تلونات الزمان

و قوله: [بحر الخفيف]

تشتكى الصفر من يديه و ترضى السم ر عن راحتيه عند الحروب
أحمر السيف أخضر السيب حيث الأرض غرباء من سواد الخطوب
و قوله مما التزم فى أوله الدال: [بحر الطويل]
دفاع لمكروه، أمان لخائف سحاب لمستجد، هلاك لمستعدى
دروب على الحسنى، عفو لمن جنى مثير لمن أثنى، مجيب لذى قصد
دع الغيث إن أعطى، دع الليث إن سطا دع الروض إذ يهدى، دع البدر إذ يهدى
و قوله: [بحر الوافر]

غزال ما توسد ظلّ بان بهاجرة و لا عرف الظلالا
تبسم لؤلؤا، و اهتر غصنا و أعرض شادنا، و بدا هلالا
و قوله: [بحر الخفيف]

رفع الخصر فوق منصوب ردف و لجزم القلوب فرعيه جزا
مال غصنا، دنا رشا، فاح مسكا تاه درا، أرخى دجى، لاح بدرا
و قوله حين زار قبر قسّ بن ساعدة بجبل سمعان: [بحر مجزوء الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٧٣

هذى منازل ذى العلا قسّ بن ساعدة الإيادى

كم عاش فى الدنيا و كم أسدى إلينا من أيادى

قد زانها بحلى البلاغ مفسحا فى كل نادى

قد قرّ فى بطن الثرى متفرّدا بين العباد

قال أبو جعفر: زرنا قبره فرأينا موضعا ترتاح إليه النفس، و يلوح عليه الأنس، و عند قبره عين ماء يقال: إنه ليس بجبل سمعان عين

تجرى غيرها هنالك، و أورد له قوله: [بحر الطويل]

كرام فخام من ذؤابة هاشم يقولون للأضياف أهلا و مرحبا

فيفعل فى فقر المقلّين جودهم كفعل علىّ يوم حارب مرحبا

رجع إلى أبى جعفر رحمه الله تعالى - فنقول: إنه كان بمدينة النبى صلى الله عليه و سلم سنة ٧٥٥، و لما ذكر الروضة قال: قيل: و لا

تكون الروضة إلا بما سقتها، أزال جنبها، و لا يقال فى موضع الشجر روضة، انتهى، و قال: [بحر مجزوء الكامل]

لقوامه الألف التى جاءت بحسن ما ألف

عانقته فكأننى لام معانقهُ الألف

و قال رحمه الله تعالى معتذرا عن لم يسلم: [بحر البسيط]

لا تعتبن على ترك السلام فقد جاءتك أحرفه كتباً بلا قلم

فالسین من طرّتی و اللام مع ألف من عارضی و هذا الميم ميم فمی

و قال رحمه الله تعالى: [بحر المجتث]

لا يقنطنك ذنب قد كان منك عظيم

فالله قد قال قولاً و هو الجواد الكريم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٧٤

تبیء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم

و قال: [بحر المتقارب]

إذا ظلم المرء فاصبر له فبالقرب يقطع منه الوتين

فقد قال ربك و هو القوى و أملى لهم إن كيدي متين

و من نشره لما ذكر قصيدة كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه ما نصه: و هذه القصيدة لها الشرف الراسخ، و الحكم الذى لم يوجد له

ناسخ، أنشدها كعب فى مسجد المصطفى بحضرته و حضرة أصحابه، و توصل بها فوصل إلى العفو عن عقابه، فسد صلى الله عليه و

سلم خلته، و خلع عليه حلته، و كف عنه كف من أراده، و أبلغه فى نفسه و أهله مراده، و ذلك بعد إهدار دمه، و ما سبق من هذر

كلمه، فمحت حسناتها تلك الذنوب، و سترت محاسنها وجه تلك العيوب، و لولاها لمنع المدح و الغزل، و قطع من أخذ الجوائز على

الشعر الأمل، فهى حجة الشعراء فيما سلكوه، و ملاك أمرهم فيما ملكوه، حدثنى بعض شيوخنا بالإسكندرية بإسناده أن بعض العلماء

كان لا يستفتح مجلسه إلا بقصيدة كعب، فقيل له فى ذلك، فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقلت: يا رسول الله، قصيدة

كعب أنشدها بين يديك؟ فقال: نعم، و أنا أحبها و أحب من يحبها، قال: فعاهدت الله أنى لا أخلو من قراءتها كل يوم.

قلت: و لم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها، و يقتدون بأقوالها، تبركا بمن أنشدت بين يديه، و نسب

مدحها إليه، و لما صنع القاضى محبى الدين بن عبد الظاهر قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه و سلم على وزن «بانت سعاد» قال:

[بحر الطويل]

لقد قال كعب فى النبى قصيدة و قلنا عسى فى مدحه نتشارك

فإن شملتنا بالجوائز رحمة كرحمة كعب فهو كعب مبارك

انتهى.

و قال رحمه الله تعالى: [بحر الوافر]

لقد كر العذار بوجنتيه كما كر الظلام على النهار

فغابت شمس و جنته و جاءت على مهل عشيات العذار

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٧٥

فقلت لناظرى لما رآها و قد خلط السواد بالاحمرار

(تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار)

و قال: [بحر الكامل]

قالوا عشقت و قد أضربك الهوى فأجبتهم يا ليتنى لم أعشق

قالوا سبقت إلى محبة حسنه فأجبتهم ما فاز من لم يسبق

و لما أنشد رحمه الله تعالى قول ابن الخشاب فى المستضىء بالله: [بحر الكامل]

ورد الورى سلسال جودك فارتووا و وقفت دون الورد وقفه حائم

ظمان أطلب خفه من زحمة و الورد لا يزداد غير تراحم

قال ما نصه: فانظر حسن هذين البيتين كيف جريا كالماء فى سلاسته، و وقعا من القلوب كالشهد فى حلاوته، مع أن ناظمهما ما خرج

عن وصف الماء كلامه، و لا تعدى ذلك المعنى نظامه، حتى قيل: إن فىهما عشرة مواضع من مراعاة النظر، فهما فى الحسن ما لهما

من نظير، لكنه ما سلم مليح من عيب، و لا خلا من وقوع ريب، فمع هذه المحاسن الوافية، ما سلما من عيب القافية، انتهى.

و لنختم ترجمته بقوله عند شرح بيت رفيقه: [بحر البسيط]

خير الليالى لىالى الخير فى إضم و القوم قد بلغوا أقصى مرادهم

ما نصه: يقول: إن خير الليالى التى تنشرح لها الصدور، و يحمد فيها الورد و الصدور، لىالى الخير فى إضم، حيث النزيل لم يضم، و

القوم قد وردوا موارد الكرم، و بلغوا أقصى مرادهم فى ذلك الحرم.

٣٠٤- و من الراجلين الولي الصالح أبو مروان عبد الملك بن إبراهيم بن بشر، القيسى.

و هو ابن أخت ابن صاحب الصلاة البجانسى، نسبة إلى بجانس قرية من قرى وادى آش، و كان- رحمه الله تعالى!- فى أواسط المائة

السابعة، و قد ذكره الفقيه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدي الفشتالى فى تأليفه الذى سماه «تحفة المغرب، ببلاد المغرب»

و قال فيه: راضوا نفوسهم لتتقاد للمولى سرا و علنا، و زهدوا فى الدنيا فلم يقولوا معنا و لا- لنا، و انتدبوا لقول الله تعالى: وَ الَّذِينَ

جَاهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) [العنكبوت: ٦٩].

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٧٦

و قال صاحب التأليف المذكور: سألت الشيخ أبا مروان يوما فى مسيرى معه من وادى آش إلى بلده بجانس سنة تسع و أربعين و

ستمائة، فقلت له: أنت يا سيدى لم تكن قرأت و لا لازمت المشايخ قبل سفرك للمشرق، و لا سافرت مع عالم تقتدى ببركته فى هذا

الطريق، فقال لى: أقام الله تعالى لى من باطنى شيئا، قلت له: كيف؟ قال: كنت إذا عرض لى أمر نظرت فى خاطرى فيخطر لى

خاطران فى ذلك، أحدهما محمود و الآخر مذموم، فكنت أجتنب المذموم و أرتكب المحمود، فإذا وصلت إلى أقرب بلد سألت

عمن فيه من المشايخ و العلماء، فأسأله عن ذلك، فكان يذكر لى المحمود محمودا و المذموم مذموما، فأحمد الله تعالى أن وفقنى، و

مع تتابع ذلك و اتصاله دون مخالفة لم أعتد على ما يقع بخاطرى من الأمور الشرعية إلى الآن حتى أسأل عنه من حضر من العلماء،

انتهى.

و من كلام صاحب التأليف المذكور قوله فى حق الصوفية، نفعنا الله تعالى بهم: حموا طريق الحق فحماهم، و نور بصائرهم فأصمهم

عن الباطل و أعماهم، و أهانوا فى رضاه نفوسهم، و رفضوا نعماهم، فأعلى قدرهم عنده و عند الناس و أسماهم، انتهى.

و ما أحسن قوله فى التأليف المذكور: يا هذا، من حافظ حووظ عليه، و من طلب الخير بصدق وصل إليه، و من أخلص العبودية لربه

قام الأحرار خدمة بين يديه، انتهى.

٣٠٥- و منهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار، المالقي، نزيل القاهرة.

و هو الذى عناه ابن سعيد فى كتابه «المغرب» بقوله: و قد جمع أبو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا فى هذا الشأن حشر

فيه ما سمع به فقد ر عليه من تصانيف الأدوية المفردة ككتاب الغافقى و كتاب الزهراوى و كتاب الشريف الإدريسى الصقلى و غيرها، و ضبطه على حروف المعجم، و هو النهاية فى مقصده.

و قد ذكرت كلام ابن سعيد هذا بجملته فى غير هذا الموضع، فليراجع.

و كان ابن البيطار أوحد زمانه فى معرفة النباتات، سافر إلى بلاد الأغرقة و أقصى بلاد الروم و المغرب، و اجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن، و عاين منابته و تحققها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٧٧

و عاد بعد أسفاره، و خدم الكامل بن العادل، و كان يعتمد عليه فى الأدوية و الحشائش، و جعله فى الديار المصرية رئيساً على سائر العشائين و أصحاب البسطات، و من بعده خدم ولده الصالح، و كان حظياً عنده، إلى أن توفى بشعبان سنة ٦٤٦ التى توفى بها ابن الحاجب، و له من المصنفات كتاب «الجامع فى الأدوية المفردة» و كتاب «المغنى» أيضاً فى الأدوية، و كتاب «الإبانة و الإعلام، بما فى المنهاج من الخلل و الأوهام» و كتاب «الأفعال العجيبة، و الخواص الغريبة» و شرح كتاب ديسقوريدوس، قال الذهبى: انتهت إليه معرفة تحقيق النبات و صفاته، و أماكنه و منافعه، و توفى بدمشق، انتهى.

٣٠٦- و منهم الشيخ أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن على، القرشى، البسطى، الشهير بالقلصادى

- بفتحات- كما قال السخاوى الصالح، الرحلة، المؤلف، الفرضى، آخر من له التأليف الكثيرة من أئمة الأندلس، و أكثر تصانيفه فى الحساب و الفرائض، كشرحيه العجيبين على تلخيص ابن البناء و الحوفى، و كفاه فخراً أن الإمام السنوسى صاحب العقائد أخذ عنه جملة من الفرائض و الحساب، و أجازته جميع مروياته، و أصله من بسطة، ثم انتقل إلى غرناطة، فاستوطنها، و أخذ بها عن جماعة كابن فتوح و السرقسطى و غيرهما، ثم ارتحل إلى المشرق و مرتلمسان فأخذ بها عن الإمام عالم الدنيا ابن مرزوق و القاضى أبى الفضل قاسم العقبانى و أبى العباس بن زاغ و غيرهم، ثم ارتحل فلقى بتونس تلامذة ابن عرفه كابن عقاب و القلشانى و حلول و غيرهم، ثم حج و لقى أعلاماً، و عاد فاستوطن غرناطة إلى أن حل بوطنه ما حل، فتحيل فى خلاصه من الشرك و ارتحل، و مرتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق ابن شيخه، ثم جدت به الرحلة إلى أن وافته منيته بباجه إفريقية منتصف ذى الحجة سنة ٨٩١، و كان كثير المواظبة على الدرس و الكتابة و التأليف، و من تأليفه «أشرف المسالك، إلى مذهب مالك» و شرح مختصر خليل، و شرح الرسالة، و شرح التلقين و «هداية الأنام، فى شرح مختصر قواعد الإسلام» و هو شرح مفيد، و شرح رجز القرطى، و «تنبيه الإنسان، إلى علم الميزان» و «المدخل الضرورى» و شرح إيساغوجى فى المنطق، و له شرح الأنوار السنية لابن جزى، و شرح رجز الشراز فى الفرائض الذى أوله: [بحر الرجز]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٧٨

بمحمد خير الوارثين أبتدى و بالسراج النبوى أهتدى

و شرح حكم ابن عطاء الله، و رجز أبى عمرو بن منظور فى أسماء النبى صلى الله عليه و سلم، و شرح البردة، و رجز ابن برى، و رجز شيخه أبى إسحاق بن فتوح فى النجوم الذى أوله: [بحر الرجز]

سبحان رافع السماء سقفا ناصبها دلالة لا تخفى

و شرح رجز أبى مفرعه، و له «النصيحة، فى السياسة العامة و الخاصة» و «هداية النظائر، فى تحفة الأحكام و الأسرار» و «كشف الجلباب، عن علم الحساب» و «كشف الأسرار، عن علم الغبار» و «التبصرة» و «قانون الحساب» فى قدر التلخيص، و شرحه، و شرحان على التلخيص كبير و صغير، و شرح ابن الياسمين فى الجبر و المقابلة، و مختصره، و كليات الفرائض، و شرحها، و شرحان للتلمسانية كبير و صغير، و شرح فرائض صالح بن شريف و ابن الشاط و فرائض مختصر خليل و التلقين و ابن الحاجب، و له كتاب «الغنية، فى

الفرائض» و «غنية النحاة»، و شرحها الكبير و الصغير، و «تقريب المواريث» و «منتهى العقول البواحي» و شرح مختصر العقباني، و لم يتم، و «مدخل الطالبين» و مختصر مفيد في النحو، شرح رجز ابن مالك، و الجرومية، و جمل الزجاجي، و ملحّة الحريري، و الخزرجية، و مختصر في العروض، و غير ذلك، و أخذ بمصر عن الحافظ ابن حجر و الزين طاهر النويري و أبي القاسم النويري و العلامة الجلال المحلى و التقى الشمني و أبي الفتح المراغي و غيرهم، حسبما ذكر ذلك في رحلته الشهيرة، و هي حاوية لشيوخه بالمغرب و المشرق و جملة من أحوالهم، رحم الله تعالى الجميع!

٣٠٧- و منهم أبو عبد الله الراعي، و هو شمس الدين محمد بن إسماعيل، الأندلسي، الغرناطي.

ولد بها سنة ٧٨٢ تقريباً، و نشأ بها، و أخذ الفقه و الأصول و العربية عن جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن إدريس بن سعيد الأندلسي، و سمع على أبي بكر عبد الله بن محمد بن محمد المعافري بن الدب، و يعرف بابن أبي عامر، و الخطيب أبي عبد الله محمد بن علي بن الحفار و محمد بن عبد الملك بن علي القيسي المنتوري، صاحب الفهرسة الكبيرة الشهيرة، و مما أخذ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٧٩

عنه الجرومية بأخذه لها عن الخطيب أبي جعفر أحمد بن محمد بن سالم الجذامي عن القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي عن مؤلفها أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي عرف بابن آجروم، و جميع «خلاصة الباحثين»، في حصر حال الوارثين» للقاضي أبي بكر عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري بأخذه لها عن مؤلفها، و أجاز له أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي، و القاضي أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني، و العلامة أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام، و عالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، و غيرهم من المغاربة، و من أشياخه من أهل المشرق الكمال بن خير السكندري، و الزين أبو بكر المراغي، و الزين محمد الطبري، و أبو إسحاق إبراهيم بن العفيف النابلسي، في آخرين، و دخل القاهرة سنة ٨٢٥ فحج و استوطنها، و سمع بها من الشهاب المتبولي و ابن الجزري و الحافظ ابن حجر و طائفه، و أمّ بالمؤيدية وقتاً، و تصدى للاشتغال، فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى، لا سيما في العربية، بل هي كانت فنه الذي اشتهر به و بجموده الإرشاد لها، و شرح كلا من الجرومية و الألفية و القواعد و غيرها مما حمله عنه الفضلاء، و له نظم وسط، قال السخاوي: كتبت عنه منه الكثير، و مما لم أسمع منه ما أودعه في مقدمة كتاب صنّفه في نصره مذهبه و أثبتة دفعا لشيء نسب إليه، فقال: [بحر الطويل]

عليك بتقوى الله ما شئت و أتبع أئمة دين الحق تهدي و تسعد

فمالكهم و الشافعي و أحمد و نعمانهم كل إلى الخير يرشد

فتابع لمن أحببت منهم و لا تمل لذي الجهل و التعصب إن شئت تحمد

فكل سواء في وجبة الاقتدا متابعم جنات عدن يخلد

و حبهم دين يزين و بغضهم خروج عن الإسلام و الحق يبعد

فلعنّه رب العرش و الخلق كلهم على من قلاهم و التعصب يقصد

و كان حادّ اللسان و الخلق، شديد النفرة من الشيخ يحيى العجيسي، أضر بأخره، و مات بسكنه بالصالحية يوم الثلاثاء ٢٧ ذي الحجة

سنة ٨٥٣، بعد أن أنشد قبيل موته بشهر في حال صحته الشيخ جمال الدين بن الأمانة من نظمه قوله: [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٨٠

أفكر في موتي و بعد فضيحتي فيحزن قلبي من عظيم خطيئتي

و تبكي دما عيني و حقّ لها البكا على سوء أفعالي و قلّة حيلتي

و قد ذابت اكبادي عناء و حسرة على بعد أوطاني و فقد أحبتي

فما لي إلا الله أرجوه دائما و لا سيما عند اقتراب مميتي
فنسأل ربي في وفاتي مؤمنا بجاه رسول الله خير البرية
قال السخاوي: و مما كتبه عنه: [بحر الكامل]
ألفيته حول المعلم باكيا و دموعه قد صاغها من كوثر
نثر الدموع على الخدود فخلتها درا تناثر في عقيق أحمر
و قوله: [بحر المتقارب]

عليك بنعمة رب العلا وراع الملوك لرعى الذمم
و ذو العلم فارغ له حقه و إلا تفارق و تلق الندم
فهذا مقالى فلتسمعوا نصيحة حبر من اهل الحكم
إذا كنت فى نعمة فارعها فإن المعاصى تزيل النعم
و قال: [بحر الكامل]

للغرب فضل شائع لا يجهل و لأهله شرف و دين يكمل
ظهرت به أعلام حقّ حققت ما قاله خير الأنام المرسل
من أنهم حتى القيامة لن يزا لوا ظاهرين على الهدى لن يخذلوا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٣؛ ص ٢٨٠

ممن حدث عن الراعى الحافظ ابن فهد و البرهان البقاعى، و من تأليفه «شرح القواعد» و كتاب «انتصار الفقير السالك، لمذهب الإمام
الكبير مالك» فى كراريس أربعة حسن فى موضوعه، و له «النوازل النحوية» فى عشرة كراريس أو أكثر و فيها فوائد حسنة و أبحاث
رائقة، تكلم معه فى بعضها أبو عبد الله بن العباس التلمسانى.
و ذكر بعضهم أنه اختصر شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل من باب القضاء إلى آخر الكتاب، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٨١

و جرت له فى صغره حكاية دلت على نبهه، و هى أنه دخل على الطلبة رجل و هم بجامع غرناطة فسألهم عن كان وراء إمام، فحدث
للإمام عذر ذهب لأجله، مثل الرعاف مثلا، فصلوا بعض الصلاة لأنفسهم، ثم اقتدوا بإمام منهم قدموه فيما بقى، فهل تصح صلاتهم أم
لا؟ فلم يكن عند أحد من الحاضرين فيها علم، فقال هو: إن الصلاة باطلة، لأن النحاة يقولون: الإتياع بعد القطع لا يجوز.
و قد حكى ذلك فى شرحه للجروميّة الذى سماه بعنوان الإفادة فى باب النعت إذ قال ما نصه: كنت جالسا بمسجد قيسارية غرناطة
أنتظر سيدنا و شيخنا أبا الحسن على بن سمعة رحمه الله تعالى مع جماعة من كبار طلبته، و كنت إذ ذاك أصغرهم سنا و أقلهم علما،
فدخل سائل سأل عن مسألة فقهية نصها: إن إماما صلى بجماعة جزءا من صلاة، ثم غلب عليه الحدث، فخرج و لم يستخلف عليهم،
فقام كل واحد من الجماعة و صلى وحده جزءا من الصلاة، ثم بعد ذلك استخلفوا من أتم بهم الصلاة، فهل تصح تلك الصلاة أم لا؟
فلم يكن فيها عند الحاضرين جواب، فقلت: أنا أجاب فيها بجواب نحوى، فقال: هات الجواب، فقلت: هذا إتياع بعد القطع، و هو
ممتنع عند النحويين، فصلاة هؤلاء باطلة، فاستظرفها منى من حضر لصغر سننى، ثم طلبنا النص فيها فلم نلقه فى ذلك التاريخ، و لو
لقيناه لكان حسنا، انتهى.

و من ألغازه قوله: [بحر الرجز]

حاجيتكم نحاتنا المصرية أولى الذكا و العلم و الطعميه
ما كلمات أربع نحويه جمعن فى حرفين للأحجيه

يعنى فعل الأمر للواحد من «وَأَيُّ يَأِي» إذا أضمر، فإنك تقول فيه: إيا زيد على حرف واحد، وهو الهمزة المقطوعة، فإذا قلت «قل إ!» و نقلت حركته على لغة النقل إلى الساكن صار هكذا «قل» فذهب فعل الأمر و فاعله، فهي كلمات أربع فعلا أمر و فاعلاهما جمعن فى حرفين القاف و اللام، فافهم.

و أحسن من هذا قوله ملغزا فى ذلك أيضا: [بحر الرجز]

فى أى لفظ يا نحاء الملة حركة قامت مقام الجملة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٨٢

و بالجملة فمحاسنه كثيرة، رحمه الله تعالى و رضى عنه!

و من فوائده قوله: حكى لى بعض علماء المالكية قال: كنا نقرأ المدونة على الشيخ سراج الدين البلقينى الشافعى، فوعدت مسألة خلافية بين مالك و الشافعى فقال الشيخ فى مسألة «مذهبنا كذا» فى مسألة لم يقل فيها الشافعى بما قال، و إنما نسبها البلقينى لنفسه، ثم فطن و خاف أن ينتقد عليه المالكية و يقولون له: أنت شافعى و هذا ليس مذهب الشافعى، فقال: فإن قلت يا مالكية لسنا بمالكية، و إنما أنتم شافعية، قلنا: كذلك أنتم قاسمية، و قد اجتمعنا الكل فى مالك، قال: و هذا الكلام حلو حسن فى غاية الإنصاف من الشيخ.

قال: و لما قرىء عليه كتاب «الشفاء» مدحه و أثنى عليه إلى الغاية، و كان يحضره جماعة من المالكية فقال القاضى جمال الدين ابنه: ما لكم يا مالكية لا تكونون مثل القاضى عياض؟

فقال له أبوه الشيخ سراج الدين المذكور: و ما لك لا تقول للشافعية ما لكم يا شافعية لا تكونون مثل القاضى عياض؟.

و من فوائده الراعى فى باب العلم من شرحه على الألفية: فى الكلب عشر خصال محمودة ينبغى أن تكون فى كل فقير، لا يزال جائعا، و هو من دأب الصالحين، و لا يكون له موضع يعرف به، و ذلك من علامة المتوكلين، و لا ينام من الليل إلا القليل، و ذلك من صفات المحبين، و إذا مات لا يكون له ميراث، و ذلك من أخلاق الزاهدين، و لا يهجر صاحبه و إن جفاه و طرده، و ذلك من شيم المريرين، و يرضى من الدنيا بأدنى يسير، و ذلك من إشارة القانعين، و إذا غلب عن مكانه تركه و انصرف إلى غيره، و ذلك من علامة المتواضعين، و إذا ضرب و طرد ثم دعى أجاب، و ذلك من أخلاق الخاشعين، و إذا حضر شىء من الأكل وقف ينظر من بعيد، و ذلك من أخلاق المساكين، و إذا رحل لم يرحل معه بشىء، و ذلك من علامة المتجردين، انتهى بمعناه.

و قد نسبه للحسن البصرى رحمه الله تعالى و رضى عنه بمنه.

و من تصانيفه رحمه الله تعالى كتاب «الفتح المنير، فى بعض ما يحتاج إليه الفقير» فى غاية الإفادة، ملكته بالمغرب و لم أره بهذه البلاد المشرقية، و حفظت منه فوائد ممتعة.

[٣٠٨ أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الأزرق]

و من الراحلين من الأندلس إلى المشرق بعد أخذ جميع بلاد الأندلس - أعادها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٨٣

الله تعالى! - قاضى الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الأزرق.

قال السخاوى: إنه لازم الأستاذ إبراهيم بن أحمد بن فتوح مفتى غرناطة فى النحو و الأصلين و المنطق، بحيث كان جل انتفاعه به، و حضر مجالس أبى عبد الله محمد بن محمد السرقسطى العالم الزاهد مفتيها أيضا فى الفقه، و مجالس الخطيب أبى الفرج عبد الله بن أحمد البقنى، و الشهاب قاضى الجماعة بغرناطة أبى العباس أحمد بن أبى يحيى بن شرف التلمسانى، انتهى.

و له رحمه الله تعالى تأليف: منها «بدائع السلوك، فى طبائع الملك» كتاب حسن مفيد فى موضوعه، لخص فيه كلام ابن خلدون فى مقدمة تاريخه و غيره مع زوائد كثيرة، و منها «روضة الأعلام، بمنزلة العربية من علوم الإسلام» مجلد ضخمة فيه فوائد و حكايات لم

يؤلف في فنه مثله، وقفت عليه بتلمسان و حفظت منه ما أنشده لبعض أهل عصره مما يكتب في سيف: [بحر البسيط]

إن عمت الأفق من نفع الوغى سحب فشم بها بارقا من لمع إيماضى

و إن نوت حركات النصر أرض عدى فليس للفتح إلا فعلى الماضى

و من إنشائه فى التأليف المذكور ما صورته: قلت: و لقد كان شيخنا العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفسح لصاحب البحث مجالاً-رحباً، و يوسع المراجع له قبولاً و رحباً، بل يطالب بذلك و يقتضيه، و يختار طريق التعليم به و يرتضيه، و توقيفا على ما خلص له تحقيقه، و وضح له فى معيار الاختيار تدقيقه، و إلا فقد كان ما يلقيه غاية ما يتحصل، و يتمهد به مختار ما يحفظ و يتأصل، انتهى.

و هو يدل على ملكته فى الإنشاء، و يحقق ما يحصله، إلا- أن ذلك إذا طال حتى وقع الملل و الضجر أو كاد فينبغى الإمساك عن البحث، لئلا يفضى الحال إلى ما ينهى عنه.

قال: و مخالفة التلميذ الشيخ فى بعض المسائل إذا كان لها وجه و عليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ، و لكن مع ملازمة التوقير الدائم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٨٤

و الإجلال الملائم، فقد خالف ابن عباس عمر و عليا و زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهم، و كان قد أخذ عنهم، و خالف كثير من التابعين بعض الصحابة، و إنما أخذوا العلم عنهم، و خالف مالك كثيرا من أشياخه، و خالف الشافعى و ابن القاسم و أشهب مالكا فى كثير من المسائل، و كان مالك أكبر أساتيد الشافعى، و قال: لا أحد آمن على من مالك، و كاد كل من أخذ العلم أن يخالفه بعض تلامذته فى عدة مسائل، و لم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الأساتيد إلى زماننا هذا، و قال: و شاهدنا ذلك فى أشياخنا مع أشياخهم رحمهم الله تعالى! قال: و لا ينبغى للشيخ أن يتبرم من هذه المخالفة إذا كانت على الوجه الذى وصفناه، و الله تعالى أعلم، انتهى.

و لما أنشد ابن الأزرق المذكور فى كتابه «روضه الأعلام» قول القائل فى مدح ابن عصفور: [الرملى]

نقل النحو إلينا الدؤلى عن أمير المؤمنين البطل

بدأ النحو على و كذا ختم النحو ابن عصفور على

قال بعده ما نصه: على أن صاحبنا الكاتب الأديب الأبرع أبا عبد الله محمد بن الأزرق الوادى آشى رحمه الله تعالى قد قال فيما يدافع ابن عصفور عما اقتضاه هذا المدح له بتفضيل الأستاذ المحقق أبى الحسن بن الضائع عليه، و لقد أبدع فى ذلك ما شاء لما تضمن من التورية: [بحر الطويل]

بضائعك ابن الضائع الندب قد أتت بحظ من التحقيق و العلم موفور

فطرت عقابا كاسرا أو ما ترى مطاراك قد أعيا جناح ابن عصفور

انتهى.

و قد نقل عن ابن الأزرق صاحب المعيار فى جامعه، و أثنى عليه غير واحد، و من أعظم تأليفه شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى «بشفاء الغليل، فى شرح مختصر خليل» و قد توارد معه الشيخ ابن غازى على هذه التسمية، و كان مولانا العم الإمام شيخ الإسلام سيدى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٨٥

سعيد بن أحمد المقرئ رضى الله تعالى عنه قال لى حين سألته عن هذا التوارد: لعل تسمية ابن الأزرق «بشفاء الغليل» بالعين، قلت: يبعد ذلك أن جماعة من تلامذته الأكابر كالوادى آشى و غيره كتبوه بخطوطهم بالعين المعجمة، فبان أنه من توارد الخواطر، و أن كلا منهما لم يقف على تسمية الآخر، و الله تعالى أعلم، و قد رأيت جملة من هذا الشرح بتلمسان و ذلك نحو ثلاث مجلدات، و لا

أدرى هل أكمله أم لا، لأن تقديره بحسب ما رأيت يكون عشرين مجلدا، إذ المجلد الأول ما أتم مسائل الصلاة، و رأيت الخطبة وحدها في أكثر من كراسة أبان فيها عن علوم، و لم أرفى شروح خليل مع كثرتها مثله، و دخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الأندلس، ثم ارتحل إلى المشرق، فدخل مصر، و استنهض عزائم السلطان قايتباي لاسترجاع الأندلس، فكان كمن يطلب بيض الأنوق، أو الأبيض العقوق، ثم حج و رجع إلى مصر فجدد الكلام في غرضه، فدفعوه عن مصر بقضاء القضاء في بيت المقدس، فتولاه بنزاهة و صيانه و طهاره، و لم تطل مدته هنالك حتى توفي به بعد سنة خمس و تسعين و ثمانمائة، حسبما ذكره صاحب «الأنس الجليل، في تاريخ القدس و الخليل» فليراجع فإنه طال عهدي به.

و من بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله في المجينات: [بحر مخلع البسيط]

و رب محبوبه تبدت كأنها الشمس في حلاها

فأعجب لحال الأنام من قد أحبها منهم قلاها

و منه قوله رحمه الله تعالى: [بحر السريع]

عذرى في هذا الدخان الذى جاور دارى واضح فى البيان

قد قلت إن بها زخرفا و لا يلى الزخرف إلا الدخان

و قوله: [بحر الطويل]

تأملت من حسن الربيع نضارة و قد غزدت فوق الغصون البلابل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٨٦

حكى فى غصون الدوح قسا فصاحة لتعلم أن النبت فى الروض باقل

و قوله: [بحر الطويل]

و قائلة صف للربيع محاسنا فقلت و عندى للكلام بدار

همى ببطاح الأرض صوب من الحيا فللنبت فى وجه الزمان عذار

و قوله: [بحر المتقارب]

تعجبت من يانع الورد فى سنى و جنه نبتها بارض

و لم لا يرى وردها يانعا و قد سال من فوقها العارض

و قوله رحمه الله تعالى عند وفاة والدته: [بحر البسيط]

تقول لى و دموع العين و اكفه ما أفضع البيت و الترحال يا ولدى

فقلت أين السرى قالت لرحمة من قد عز فى الملك لم يولد و لم يلد

قال تلميذه الحافظ ابن داود: مما ألفيته بخط قاضى الجماعة أبى عبد الله بن الأزرق عن على رضى الله تعالى عنه: من أراد أن يطول

الله عمره، و يظفر بعدوه، و يصاب من فتن الدنيا، و يوسع عليه باب رزقه، فليقل هذا التسبيح إذا أصبح ثلاثا، و إذا أمسى ثلاثا: سبحان

الله ملء الميزان، و منتهى العلم، و مبلغ الرضا، و عدد النعم، و زنة العرش، و الحمد لله ملء الميزان، و منتهى العلم، و مبلغ الرضا، و

عدد النعم، و زنة العرش، و لا إله إلا الله ملء الميزان و منتهى العلم و مبلغ الرضا و عدد النعم و زنة العرش، و الله أكبر ملء الميزان و

منتهى العلم و بلغ الرضا و عدد النعم و زنة العرش، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم مثل ذلك، و صلى الله على سيدنا محمد و

آله مثل ذلك.

قال: و بخطه أيضا لنيل الرزق و ما يراد: يا باسط، يا جواد، يا على فى عرشك، بحق حقتك على جميع خلقك، ابسط لى رزقك، و

سخر لى خلقك.

و بخطه أيضا: بسم الله الرحمن الرحيم الدافع المانع الحافظ الحي القيوم القوى القادر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٨٧

الولى الناصر الغالب الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم.

و بخطه أيضا: يا فتاح، يا عليم، يا نور، يا هادى، يا حق، يا مبين، افتح لى فتحا تّور به قلبى، و تشرح به صدرى، و اهدنى إلى طريق
ترضاه، و بين لى أمرى، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا، انتهى.

و قال رحمه الله تعالى موزيا: [بحر الرمل]

من تكن صنعته الإنشاء لا ينكر الرزق لأقصى العمر

و لو استعلى على السبع الدرا رى بما فى فمه من درر

فأنا الكاتب لكن لو يباع لى العتق لكنت المشتري

هكذا رأيت نسبتها إليه.

و لنختم ترجمته- بل و الباب جميعا- بقوله رحمه الله تعالى!- عند نزول طاغية النصارى بمرج غرناطة أعادها الله تعالى للإسلام بجاه

النبي عليه أفضل الصلاة و أزكى السلام: [بحر الطويل]

مشوق بخيمات الأحبة مولع تذكّره نجد و تغريه لعلع

مواضعكم يا لائمين على الهوى فلم يبق للسّلوان فى القلب موضع

و من لى بقلب تلتظى فيه زفرة و من لى بجفن تنهمى منه أدمع

رويدك فارقب للطائف موضعا و خلّ الذى من شره يتوقع

و صبوا فإن الصبر خير غنيمه و يا فوز من قد كان للصبر يرجع

وبت واثقا باللطف من خير راحم فألطافه من لمحّة العين أسرع

و إن جاء خطب فانتظر فرجا له فسوف تراه فى غد عنك يرفع

و كن راجعا لله فى كل حالة فليس لنا، إلا إلى الله، مرجع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٨٨

الباب السادس [فى ذكر بعض الوافدين على الأندلس من الشرق]

إشارة

فى ذكر بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق، المهتدين فى قصدهم إليها بنور الهداية المضىء المشرق، و الأكابر الذين

حلوا بحلولهم فيها الجيد منها و المفروق و المفتخرين برؤية قطرها المونق، على المشتم و المعرق.

اعلم أنّ الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا- تحصر الأعيان منهم، فضلا عن غيرهم، و منهم من اتّخذها وطانا، و صيرها

سكنا، إلى أن وافته متيته، و منهم من عاد إلى المشرق بعد أن قضيت بالأندلس أميته.

١- فمن الداخلين إلى الأندلس المنير الذى يقال إنه صحابى رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال ابن الأبار فى التكملة: المنير الإفريقى، له صحبة، و سكن إفريقيه، و دخل الأندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب، قاله أبو

محمد الرشاطى، و لم يذكره أحد غيره، و روى عنه عبد الرحمن الحبلى، انتهى.

و أنكسر غير واحد دخول أحد من الصحابة الأندلس.

و ذكر بعض الحفاظ المنبذ المذكور، و قال: إنه المنبذ اليماني، و ذكر الحجارى أنه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، و أنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير غازيا، و قال ابن بشكوال: يقال فيه المنبذ لكونه من أحداث الصحابة رضى الله تعالى عنهم، و قد حكى ذلك الرازى، و ذكره ابن عبد البرّ فى كتاب «الاستيعاب فى الصحابة» و سمّاه بالمنبذ الإفريقي،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٨٩

و قال ابن بشكوال: إن ابن عبد البرّ روى عنه حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ذكره أبو على بن السكن فى كتاب الصحابة و قال: روى عنه حديث واحد، و أرجو أن يكون صحيحا، و ذكره ابن قانع فى معجم الصحابة له، و ذكره البخارى فى تاريخه الكبير إذ قال: أبو المنبذ صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان قد حدّث بإفريقية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: «من قال رضيت بالله ربّا، و بالإسلام ديناً، و بمحمّد صلى الله عليه و سلم نبيا، فأنا الزعيم لأخذنّ بيده فأدخله الجنة» كذا ذكره البخارى بالكنية، و هذا الحديث هو الذى روه عنه لا يعرف له غيره، و ذكره أبو جعفر أحمد بن رشد فى كتاب «مسند الصحابة» له، فقال: المنبذ اليماني إمّا من مذحج أو غيرها، و ذكر الحديث سواء، و قد أشرنا فيما سبق إلى المنبذ هذا.

[٢-٣ و من التابعين الداخلين الأندلس أميرها موسى بن نصير و حنش الصنعاني]

٢- و من التابعين الداخلين الأندلس أميرها موسى بن نصير، و قد سبق من الكلام عليه ما فيه كفاية.

٣- و من التابعين الداخلين الأندلس حنش الصنعاني.

و فى كتاب ابن بشكوال قال ابن وضاح: حنش لقب له، و اسمه حسين بن عبد الله، و كنيته أبو على، و يقال: أبو رشدين، قال ابن بشكوال: و هو من صنعاء الشام. و ذكره أبو سعيد بن يونس فى تاريخ أهل مصر و إفريقية و الأندلس، فقال: إنه كان مع على بن أبى طالب، رضى الله تعالى عنه، و غزا المغرب مع رفيقه رويغ بن ثابت، و غزا الأندلس مع موسى بن نصير، و كان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان، فأتى به عبد الملك فى وثاق فعفا عنه، و كان أوّل من ولى عشور إفريقية فى الإسلام، و توفى بإفريقية سنة مائة.

و ذكر ابن يونس عن حنش أنه كان إذا فرغ من عشاءه و حوائجه و أراد الصلاة من الليل أوقد المصباح، و قرّب المصحف و إناء فيه ماء، فإذا وجد التّعاس استنشق الماء، و إذا تعايا فى آية نظر فى المصحف، و إذا جاء سائل يستطعم لم يزل يصيح بأهله «أطعموا السائل» حتى يطعم.

قال ابن حبيب: دخل الأندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعاني، و هو الذى أشرف على قرطبة من الفجّ المسمّى بفتح المائدة، و أذن، و ذلك فى غير وقت الأذان، فقال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٩٠

له أصحابه فى ذلك، فقال: إن هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة إلّا أن تقوم الساعة، هكذا ذكره غير واحد، و قد كشف الغيب خلاف ذلك، فلعلّ الرواية موضوعة أو مؤولة، و الله تعالى أعلم.

و ذكره ابن عساكر فى تاريخه، و طوّل ترجمته، و قال: إنّ صنعاء المنسوب إليها قرية من قرى الشام، و ليست صنعاء اليمن، و قد قيل: إنه لم يرو عن حنش الشاميون، و إنما روى عنه المصريون، و حدّث حنش عن عبد الله بن عباس أنه قال له: إن استطعت أن تلقى الله تعالى و سيفك حليته حديد فافعل. و كان عبد الملك بن مروان حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بإفريقية سنة خمسين، فحفظ له ذلك، فعفا عنه حين أتى به فى وثاق حين ثار مع ابن الزبير، و سئل أبو زرعة عن حنش فقال: ثقّه، و لم يذكر ابن عساكر أن حنشا لقب له، و أن اسمه حسين، بل اقتصر على اسمه حنش، و لعلّه الصواب، لا ما قاله ابن وضاح، و الله تعالى أعلم.

و في تاريخ ابن الفرضى أبى الوليد أن حنشا كان بسرقسطة، و أنه الذى أسس جامعها، و بها مات، و قبره بها معروف عند باب اليهود بغربى المدينة.

و فى تاريخ ابن بشكوال أنه أخذ أيضا قبله جامع إلبيرة، و عدل وزن قبله جامع قرطبة الذى هو فخر الأندلس.

٤- و من التابعين الداخلين للأندلس أبو عبد الله على بن رباح، اللخمي.

ذكر ابن يونس فى تاريخ مصر أنه ولد سنة خمس عشرة عام اليرموك، و كان أعور ذهب عينه يوم ذات السوارى فى البحر مع عبد الله بن سعد سنة أربع و ثلاثين، و كان يفد لليمانية من أهل مصر على عبد الملك بن مروان، و كانت له من عبد العزيز بن مروان منزله، و هو الذى زف أم البنين بنت عبد العزيز إلى الوليد بن عبد الملك، ثم عنت عليه عبد العزيز فأغراه إفريقية، فلم يزل بإفريقية إلى أن توفى بها، و يقال: كانت وفاته سنة أربع عشرة و مائة. قال ابن بشكوال: أهل مصر يقولون: على بن رباح، بفتح العين، و أما أهل العراق فعلى، بضم العين، و قد سبق هذا الكلام عن ابن معين فى الباب الثانى. و قال: و قال ابنه موسى بن على: من قال لى موسى بن على بالتصغير لم أجعله فى حل.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٩١

٥- و من التابعين الداخلين أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافى الحبلى.

قال ابن بشكوال: إنه يروى عن أبى أيوب الأنصارى و عبد الله بن عمر، رضى الله تعالى عنهم و غيرهم، و روى عنه جماعة. و ذكر البخارى فى تاريخه الكبير أنه يعد فى المصريين، و ذكر ابن يونس فى تاريخ المغرب أنه توفى بإفريقية سنة مائة، و كان رجلا صالحا فاضلا، رحمه الله تعالى! و يذكر أهل قرطبة أنه توفى بقرطبة، و أنه دفن بقبليها، و قبره مشهور يتبرك له، و الله تعالى أعلم بحقيقة الأمر فى ذلك.

٦- و من الداخلين من التابعين حبان بن أبى جبلة.

ذكر ابن بشكوال أنه مولى قريش، و يكنى أبا النضر، و ذكره أبو العرب محمد بن تميم فى تاريخ إفريقية، و قال: حدثنى فرات بن محمد أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل إفريقية منهم حبان بن أبى جبلة، روى عن عمرو بن العاص و عبد الله بن عباس و ابن عمر، رضى الله تعالى عنهم! و يقال: توفى بإفريقية سنة اثنتين و عشرين و مائة، و قيل: سنة خمس و عشرين و مائة. و ذكر ابن الفرضى أنه غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الأندلس حتى انتهى إلى حصن من حصونها يقال له قرقشونه فتوفى به. قال:

و قال لنا أبو محمد الثغرى: بين قرقشونه و برشلونه مسافة خمسة و عشرين ميلا، و فيها الكنيسة المعظمة عندهم المسماة شنت مريء، ذكر أن فيها سبع سوار فضة خالصة لم ير الرءاون مثلها لا يحزم الإنسان بذراعيه واحدة منها مع طول مفرط، هكذا نقله ابن سعيد عن ذكر، و الله تعالى أعلم.

٧- و من الداخلين من التابعين فيما ذكر: المغيرة بن أبى بردة نسيط بن كنانة العذرى.

روى عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، و يروى عنه مالك فى موطنه، و ذكره البخارى فى تاريخه الكبير، و فى كتاب الحافظ ابن بشكوال أنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير فكان موسى بن نصير يخرج على العساكر.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٩٢

٨- ومن التابعين حيوة بن رجاء التميمي.

ذكر ابن حبيب أنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير و أصحابه، و أنه من جملة التابعين، رضى الله تعالى عنهم! قاله ابن بشكوال فى مجموعه المترجم ب «التنبيه و التعيين، لمن دخل الأندلس من التابعين». قال ابن الأبار: و قد سمعته من أبى الخطاب بن واجب، و سمعه هو منه، انتهى. و قال ابن الأبار فى موضع آخر ما صورته: رجاء بن حيوة مذكور فى الذين دخلوا الأندلس من التابعين، و فى ذلك عندى نظر، و ما أراه يصح، و الله تعالى أعلم، انتهى. فانظر هذا فإنه سماء رجاء بن حيوة، و ذلك السابق حيوة بن رجاء، فالله سبحانه أعلم بحقيقه الأمر فى ذلك.

٩- و منهم عياض بن عقبه الفهرى.

من خيار التابعين، ذكره ابن حبيب فى الأربعة الذين حضروا غنائم الأندلس، و لم يغلوا.

١٠- و منهم عبد الله بن شماسه الفهرى.

ذكر ابن بشكوال أنه مضى، و أن البخارى ذكره فى تاريخه.

١١- و منهم عبد الجبار بن أبى سلمه بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى.

جدّه عبد الرحمن أحد العشرة رضى الله تعالى عنهم، و هو ممن ذكره ابن بشكوال فى الأربعة من التابعين الذين لم يغلوا.

١٢- و منهم منصور بن خزامة فيما يذكر.

قال ابن بشكوال: قرأت فى كتاب روايات الشيخ أبى عبد الله بن عائذ الراوية رحمه الله تعالى قال: و ممن دخل الأندلس من المعتمرين ما وجدت بخط المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر، رضى الله تعالى عنه فى بعض كتبه المخترنة أنه قال: طرأ علينا رجل أسود من ناحية السودان فى سنة تسع و عشرين و ثلاثمائة، فذكر أنه منصور بن خزامة مولى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٩٣

رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان يزعم أنه أدرك أيام عثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه، و أنه كان مرافقا، و كان مع عائشه، رضى الله تعالى عنها، يوم الجمل، و أنه شهد صفين، و أن خزامة أعتقه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و خرج عن الأندلس فى سنة ثلاثين و ثلاثمائة إلى المغرب، انتهى.

قلت: هذا كله لا أصل له، و يرحم الله تعالى حافظ الإسلام ابن حجر حيث كتب على هذا الكلام ما صورته: هذا هذيان لا أصل له، و لا يعتد به، و كذلك ترجمه أشج العرب اتفق الحفاظ على كذبه، انتهى.

قلت: و ما هو إلّا من نمط عكراش، و الله تعالى يحفظنا من سماع الأباطيل بمّنه.

و من هذه الأكاذيب ما يذكرون عن أبى الحسن على بن عثمان بن خطاب، و أنه يعرف بأبى الدنيا، و أنه كان معمرًا مشهورًا بصحبه

على بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وأنه رأى جماعة من كبار الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، و وصفهم بصفاتهم، وأنه رأى عائشة، رضى الله تعالى عنها، فيما زعم، و قدم قرطبة على المستنصر الحكم بن الناصر و هو ولى عهد، و سأله أبو بكر بن القوطية عن مغازى على و كتبها عنه، و قد ذكره ابن بشكوال و غيره فى كتبهم و تواريخهم، فقد ذكر الثقات العارفون بالفن أنه كذاب دجال مائن جاهل، فأيناك و الاعتراض بمثل ذلك مما يوجد فى كتب كثير من المؤرخين بالمشرق و الأندلس، و لا يلتفت إلى قول تميم بن محمد التميمي: إنه كان إذ لقيه ابن ثلاثمائة سنة و خمس سنين، قال تميم: و اتصلت بنا وفاته ببلده فى نحو سنة عشرين و ثلاثمائة، و بالجملة فلا أصل له، و إنما ذكرناه للتنبيه عليه.

و قد عرفت بما ذكرناه التابعين الداخلين الأندلس، على أن التحقيق أنهم لم يبلغوا ذلك العدد، و إنما هم نحو خمسة أو أربعة كما ألمعنا به فى غير هذا الموضع، و الله تعالى أعلم.

١٣- و من الداخلين إلى الأندلس مغيث فاتح قرطبة.

و قد تقدّم بعض الكلام عليه، و ذكر ابن حيان و الحجارى أنه رومى، زاد الحجارى:

و ليس برومى على الحقيقة، و تصحيح نسبه أنه مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغسانى، سبى من الروم بالمشرق و هو صغير، فأدّبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد، و أنجب فى الولادة، و صار منه بنو مغيث الذين نجبوا فى قرطبة، و سادوا و عظم بيتهم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٩٤

و تفرّعت دوحته، و كان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية صاحب الأندلس و غيره. و نشأ مغيث بدمشق، و دخل الأندلس مع طارق فاتحها، و جاز على ما فى طريقها من البلاد إلى الشام، و قدّمه طارق لفتح قرطبة ففتحها و وقع بينه و بين طارق ثم وقع بينه و بين موسى بن نصير سيد طارق فرحل معهما إلى دمشق ثم عاد ظافرا عليهما إلى الأندلس، و أنسل بقرطبة البيت المذكور، و فى «المسهب» أنه فتح قرطبة فى شوال سنة ٩٢، ثم فتح الكنيسة التى تحصّن بها ملك قرطبة بعد حصار ثلاثة أشهر فى محرم سنة ٩٣، و لم يذكر له مولدا و لا وفاة.

و ذكر الحجارى أنه تأدّب بدمشق مع بنى عبد الملك فأفصح بالعريية، و صار يقول من الشعر و النثر ما يجوز كتبه، و تدرب على الركوب، و أخذ نفسه بالإقدام فى مضايق الحروب، حتى تخرّج فى ذلك تخرّجا أهله للتقدّم على الجيش الذى فتح قرطبة، و كان مشهورا بحسن الرأى و الكيد، و قد قدّمنا كيفية فتحه قرطبة و أسره ملكها الذى لم يؤسر من ملوك الأندلس غيره؛ لأن منهم من عقد على نفسه أمانا، و منهم من فرّ إلى جليقية.

و ذكر الحجارى أنه لما حصل بيده ملك قرطبة و حريمه رأى فيهنّ جارية كأنها بينهنّ بدر بين نجوم، و هى تكثرت التعرّض له بجمالها، فوكل بها من عرض عليها العذاب إن لم تقرّ بما عزمت عليه فى شأن مغيث، و أنه قد فطن من كثرة تعرّضها له بحسنها لما أضمرته من المكر فى شأنه، فأقرّت أنها أكثرت التعرّض لتقع بقلبه، إذ حسنها فتان، و قد أعدت له خرقه مسمومة لتمسح بها ذكره عند وقاعها، فحمد الله تعالى على ما ألهمه إليه من مكرها، و قال: لو كانت نفس هذه الجارية فى صدر أبيها ما أخذت قرطبة من ليلته. و ذكر أن سليمان بن عبد الملك، لما أصغى إلى طارق فى شأن سيده موسى بن نصير فعذبّه و استصفى أمواله، أراد أن يصرف سلطان الأندلس إلى طارق، و كان مغيث قد تغبّر عليه، فاستشار سليمان مغيثا فى تولية طارق، و قال له: كيف أمره بالأندلس؟ فقال: لو أمر أهلها بالصلاة إلى أى قبله شاءها لتبعوه و لم يروا أنهم كفروا، فعملت هذه المكيدة فى نفس سليمان، و بدا له فى ولايته، فلقية بعد ذلك طارق، فقال له: ليتك و صفت أهل الأندلس بعصيانى، و لم تضمّر فى الطاعة ما أضمرت، فقال مغيث: ليتك تركت لى العالج فتركت لك الأندلس، و كان طارق قد أراد أن يأخذ منه ملك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٩٥

قرطبة الذي حصل في يده، فلم يمكنه منه، فأغرى به سيده موسى بن نصير، و قال له: يرجع إلى دمشق و في يده عظيم من عظماء الأندلس، و ليس في أيدينا مثله، فأى فضل يكون لنا عليه؟ فطلبه منه، فامتنع من تسليمه. قال ابن حيان: فهجم موسى على العليج و انتزعه من مغيث، فقيل له: إن سرت به معك حيا ادعاه مغيث و العليج لا ينكر، و لكن اضرب عنقه، ففعل، فاضطغنها عليه مغيث، و بالغ في أذيته عند سليمان.

و ذكر الحجاري في «المسهب» أن لمغيث من الشعر ما يجوز كتبه، فمن ذلك شعر خاطب به موسى بن نصير و مولاه طارقا و يكفي منه هنا قوله: [بحر الوافر]

أعنتكم و لكن ما وفيتم فسوف أعيث في غرب و شرق

و عنوان طبقتة في النثر أن موسى بن نصير قال له و قد عارضه بكلام في محفل من الناس: كفّ لسانك، فقال: لسانى كالمفصل، ما أكفّه إلّا حيث يقتل. و أضافه ابن حيان و الحجاري إلى ولاء الوليد بن عبد الملك، و هو الذى وجهه إلى الأندلس غازيا ففتح قرطبة، ثم عاد إلى المشرق، فأعاده الوليد رسولا عنه إلى موسى بن نصير يستحثه على القدوم عليه، فوفد معه، فوجدوا الوليد قد مات، فخدم بعده سليمان بن عبد الملك.

١٤- ١٥- و من الداخلين أيوب بن حبيب اللخمي.

ذكر ابن حيان أنه ابن أخت موسى بن نصير، و أن أهل إشبيلية قدّموه على سلطان الأندلس بعد قتل عبد العزيز بن موسى، و اتفقوا في أيامه على تحويل السلطان من إشبيلية إلى قرطبة، فدخل إليها بهم، و كان قيامه بأمرهم ستّة أشهر، و قيل: إن الذى نقل السلطنة من إشبيلية إلى قرطبة الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي. قال الرازى: قدم الحرّ واليا على الأندلس فى ذى الحجة سنة سبع و تسعين و معه أربعمائه رجل من وجوه إفريقية، فمنهم أول طوابع الأندلس المعدودين، و قال ابن بشكوال: كانت مدة الحرّ سنتين و ثمانية أشهر، و كانت ولايته بعد قيام أيوب بن حبيب اللخمي.

١٦- ٢٦- و من الداخلين السّمح بن مالك الخولاني.

ولى الأندلس بعد الحرّ بن عبد الرحمن السابق. قال ابن حيان: ولّاه عمر بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٩٦

عبد العزيز، و أوصاه أن يخمس من أرض الأندلس ما كان عنوة، و يكتب إليه بصفتها و أنهارها و بحارها، قال: و كان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم و بعدهم عن أهل كلمتهم، قالوا: و ليت الله تعالى أبقاه حتى يفعل، فإنّ مصيرهم مع الكفار إلى بوار إلّا أن يستنقدهم الله تعالى برحمته.

و ذكر ابن حيان أن قدوم السّمح كان فى رمضان سنة مائة، و أنه الذى بنى قنطرة قرطبة بعد ما استأذن عمر بن عبد العزيز، رحمه الله تعالى! و كانت دار سلطانه قرطبة.

قال ابن بشكوال: استشهد بأرض الفرنجة يوم التروية سنة اثنتين و مائة.

قال ابن حيان: كانت ولايته سنتين و ثمانية أشهر، و ذكر أنه قتل فى الوقعة المشهورة عند أهل الأندلس بوقعة البلاط، و كانت جنود الإفرنجة قد تكاثرت عليه فأحاطت بالمسلمين، فلم ينج من المسلمين أحد.

قال ابن حيان: فيقال: إن الأذان يسمع بذلك الموضع إلى الآن.

وقدم أهل الأندلس على أنفسهم بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي.

وذكر ابن بشكوال أنه من التابعين الذين دخلوا الأندلس، وأنه يروى عن عبد الله بن عمر، رضى الله تعالى عنهما! قال: وكانت ولايته للأندلس في حدود العشر و مائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب إفريقية، واستشهد في قتال العدو بالأندلس سنة خمس عشرة، انتهى.

وفيه مخالفة لما سبق أنه ولي بعد السماح، وأن السماح قتل سنة ١٠٢، وهذا يقول تولى سنة ١١٠، فأين ذا من ذاك؟ والله تعالى أعلم.

وصفه الحميدى بحسن السيرة والعدل في قسمة الغنائم. وذكر الحجارى أنه ولي الأندلس مرتين، وربما يجاب بهذا عن الإشكال الذى قدمناه قريبا، ويضعفه أن ابن حيان قال:

دخل الأندلس حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الجحباب في صفر سنة ثلاث عشرة و مائة، وغزا الإفرنج فكانت له فيهم وقائع جمّة إلى أن استشهد، وأصيب عسكره في شهر رمضان سنة ١١٤، في موضع يعرف ببلاط الشهداء.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٩٧

قال ابن بشكوال: وتعرف غزوته هذه بغزوة البلاط، وقد تقدّم مثل هذا في غزوة السّيح، فكانت ولايته سنة و ثمانية أشهر، و في رواية سنتين و ثمانية أشهر، وقيل غير ذلك، وكان سرير سلطانه حضرة قرطبة.

وولى الأندلس بعده عنبسة بن سحيم الكلبي، و ذكر ابن حيان أنه قدم على الأندلس واليا من قبل يزيد بن أبي مسلم، كاتب الحجاج، حين كان صاحب إفريقية، و كان قدومه الأندلس في صفر سنة ١٠٣، فتأخر بقدمه عبد الرحمن المتقدم الذكر. قال ابن بشكوال: فاستقامت به الأندلس، و ضبط أمرها، و غزا بنفسه إلى أرض الإفرنج و توفي في شعبان سنة ١٠٧، فكانت ولايته أربعة أعوام و أربعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر. و ذكر ابن حيان أنه في أيامه قام بجليقية عالج خبيث يدعى بلاى، فعاب على العلوج طول الفرار، و أذكى قرائحهم حتى سما بهم إلى طلب الثأر، و دافع عن أرضه، و من وقته أخذ نصارى الأندلس فى مدافعة المسلمين عمّا بقى بأيديهم من أرضهم و الحماية عن حريمهم، و قد كانوا لا يطعمون فى ذلك، و قيل: إنه لم يبق بأرض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح إلّا الصخرة التى لاذ بها هذا العالج و مات أصحابه جوعا إلى أن بقى فى مقدار ثلاثين رجلا و نحو عشر نسوة، و ما لهم عيش إلّا من عسل النحل فى جباح معهم فى خروق الصخرة، و ما زالوا ممتنعين بوعرها إلى أن أعيى المسلمين أمرهم، و احتقروهم، و قالوا: ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم؟ فبلغ أمرهم بعد ذلك فى القوّة و الكثرة و الاستيلاء ما لا خفاء به.

و ملك بعده أذفونش جدّ عظماء الملوك المشهورين بهذه السمة.

قال ابن سعيد: قال احتقار تلك الصخرة و من احتوت عليه إلى أن ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة، حتى إن حضرة قرطبة فى يدهم الآن، جبرها الله تعالى! و هى كانت سرير السلطنة لعنبسة. هـ.

قال ابن حيان و الحجارى: إنه لما استشهد عنبسة قدّم أهل الأندلس عليهم عذرة بن عبد الله الفهرى. و لم يعدّه ابن بشكوال فى سلاطين الأندلس، بل قال: ثم تابعت ولاة الأندلس مرسلين من قبل صاحب إفريقية: أولهم يحيى بن سلمة، و ذكر الحجارى أن عذرة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٩٨

كان من صلحائهم و فرسانهم، و صار لعقبه نباهة، و ولده هشام بن عذرة هو الذى استولى على طليطلة قصبه الأندلس، و فى عقبه بوادى آش من مملكة غرناطة نباهة و أدب، قال ابن سعيد:

و هم إلى الآن ذوو بيت مؤصل، و مجد مؤثّل، و كان سرير سلطنة عذرة قرطبة.

وولى بعده يحيى بن سلمة الكلبي؛ قال ابن بشكوال: أنفذه إلى الأندلس بشر بن صفوان الكلبي و الى إفريقية إذ استدعى منه أهلها واليا بعد مقتل أميرهم عنبسة، فقدمها فى شوال سنة سبع و مائة، و أقام عليها سنة و ستة أشهر لم يغز فيها بنفسه غزوة، و نحوه لابن

حيان، و كان سريره قرطبة.

و تولّى بعده عثمان بن أبي نسة الخثعمي، و ذكر ابن بشكوال: أنه قدم عليها واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى، صاحب إفريقية، فى شعبان سنة عشر و مائة، ثم عزل سريعا بعد خمسة أشهر، و كان سريره سلطانه بقرطبة.

و ولى بعده حذيفة بن الأحوص القيسى، قال ابن بشكوال: و أتى إليها واليا من قبل عبيدة المذكور، على اختلاف فيه و فى ابن أبي نسة أيهما تولّى قبل صاحبه، و كان قدوم حذيفة فى ربيع الأول سنة عشر و مائة، و عزل عنها سريعا أيضا، و قيل: إن ولايته استتمت سنة، و كان بقرطبة.

و ولى بعده الأندلس الهيثم بن عبيد الكلابي؛ قال ابن بشكوال: ولّاه عبيدة المذكور فوافى الأندلس فى المحرم سنة إحدى عشرة و مائة، و قيل: إنه ولى سنتين و أياما، و قد قيل: أربعة أشهر، و كان بقرطبة.

و ولى بعده محمد بن عبد الله الأشجعي؛ قال ابن بشكوال: قدّمه الناس عليهم، و كان فاضلا فصلّى بهم شهرين.

قال: ثم قدم عليهم واليا عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى الذى تقدّم ترجمته، و ذكرت ولايته الأولى للأندلس، وليها من قبل عبيد الله بن الحبحاب، صاحب إفريقية إلى أن استشهد كما تقدّم.

و ولى الأندلس بعده عبد الملك بن قطن الفهرى، و ذكر الحجارى أن من نسله بنى القاسم أصحاب البونت و بنى الجد أعيان إشبيلية. قال ابن بشكوال: قدم الأندلس فى شهر رمضان سنة أربع عشرة و مائة فكانت مدّة ولايته عامين، و قيل: أربع سنين، ثم عزل عنها ذميما نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٢٩٩

فى شهر رمضان سنة ست عشرة و مائة، قال: و كان ظلوما فى سيرته، جائرا فى حكومته، و غزا أرض البشكنس فأوقع بهم. و ذكر ابن بشكوال أنه لمّا عزل و ولى عقبه بن الحجاج و ثب ابن قطن عليه فخلعه، لا- أدرى أقتله أم أخرجته، و ملك الأندلس بقيه إحدى و عشرين و مائة إلى أن رحل بلج بن بشر بأهل الشام إلى الأندلس، فغلبه عليها، و قتل عبد الملك بن قطن، و صلب فى ذى القعدة سنة ثلاث و عشرين و مائة بعد ولاية بلج بعشرة أشهر، و صلب بصحراء ربض قرطبة بعدوة النهر حيال رأس القنطرة، و صلبوا عن يمينه خنزيرا و عن يساره كلبا، و أقام شلوه على جذعه إلى أن سرقه مواليه بالليل و غيّبوه، فكان المكان بعد ذلك يعرف بمصلب ابن قطن. فلما ولى ابن عمّه يوسف بن عبد الرحمن الفهرى استأذنه ابنه أمية بن عبد الملك، و بنى فيه مسجدا نسب إليه، فقيل: مسجد أمية، و انقطع عنه اسم المصلب، و كان سنّ عبد الملك عند مقتله نحو التسعين، و ذكر ابن بشكوال أن عقبه بن الحجاج السلولى ولّاه عبيد الله بن الحبحاب صاحب إفريقية الأندلس و دخلها سنة سبع عشرة و مائة، و قيل: فى السنة التى قبلها، فأقام بها سنين محمود السيرة، مثابرا على الجهاد، مفتتحا للبلاد، حتى بلغ سكنى المسلمين أربونته، و صار رباطهم على نهر ردونه، فأقام عقبه بالأندلس سنة إحدى و عشرين و مائة، و كان قد اتخذ بأقصى ثغر الأندلس الأعلى مدينة يقال لها أربونته كان ينزلها للجهاد، و كان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام و يبيّن له عيوب دينه، فأسلم على يده ألفا رجل، و كانت ولايته خمس سنين و شهرين. قال الرازى: فتار أهل الأندلس بعقبه، فخلعوه فى صفر سنة ثلاث و عشرين فى خلافة هشام بن عبد الملك، و ولّوا على أنفسهم عبد الملك بن قطن، و هى ولايته الثانية، فكانت ولاية عقبه الأندلس ستة أعوام و أربعة أشهر، و توفى فى صفر سنة ١٢٣، و سريره قرطبة.

٢٧- ٣١- و من الداخلين إلى الأندلس بلج بن بشر بن عياض القشيري.

قال ابن حيان: لما انتهى إلى الخليفة هشام بن عبد الملك ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب الأقصى و الأندلس و خلعه لطاغته و عيثهم فى الأرض شقّ عليه فعزل عبيد الله بن الحبحاب عن إفريقية، و ولّى عليها كلثوم بن عياض القشيري، و وجّه معه جيشا كثيفا لقتالهم، كان فيه مع ما انضاف إليه من جيوش البلاد التى صار عليها سبعون ألفا، و مع ذلك فإنه لمّا تلاقى مع ميسرة البربرى المدعى

للخلافه هزمه ميسره و جرح كلثوم و لاذ بسبته، و كان بلج ابن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٠٠

أخيه معه، فقامت قيامة هشام لما سمع بما جرى عليه، فوجه لهم حنظله بن صفوان فأوقع بالبربر و فتح الله تعالى على يديه. و لما اشتد حصار بلج و عمه كلثوم و من معهما من فل أهل الشام بسبته و انقطعت عنهم الأقوات و بلغوا من الجهد إلى الغاية استغاثوا بإخوانهم من عرب الأندلس، فتناقل عنهم صاحب الأندلس عبد الملك بن قطن لخوفه على سلطانه منهم، فلما شاع خبر ضرهم عند رجال العرب أشفقوا عليهم، فأغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكا من أرقامهم، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضربه سبعمائة سوط، ثم أتهمه بعد ذلك بتغريب الجند عليه، فسلم عينيه، ثم ضرب و صلب عن يساره كلبا، و اتفق في هذا الوقت أن برابر الأندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابر العدو على العرب انتقضوا على عرب الأندلس، و اقتدوا بما فعله إخوانهم، و نصبوا عليهم إماما، فكثرت إيقاعهم بجيوش ابن قطن، و استفحل أمرهم، فخاف ابن قطن أن يلقي منهم ما لقي العرب ببر العدو من إخوانهم، و بلغه أنهم قد عزموا على قصده، فلم ير أجدى من الاستعداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموتورين، فكتب لبلج و قدم مات عمه كلثوم في ذلك الوقت، فأسرعوا إلى إجابته، و كانت أمنيتهم، فأحسن إليهم، و أسبغ النعم عليهم، و شرط عليهم أن يأخذ منهم رهائن، فإذا فرغوا له من البربر هزمهم إلى إفريقية، و خرجوا له عن أندلسه، فرضوا بذلك، و عاهدوه عليه، فقدم عليهم و على جنده ابنه قطنا و أمية، و البربر في جموع لا- يحصيها غير رازقها، فاقتتلوا قتالا صعب فيه المقام، إلى أن كانت الدائرة على البربر، فقتلتهم العرب بأقطار الأندلس حتى ألحقوا فلهم بالثغور، و خفوا عن العيون، فركز الشاميون و قد امتلأت أيديهم من الغنائم، فاشتدت شوكتهم، و ثابت همتهم، و بطروا، و نسوا العهود، و طالبهم ابن قطن بالخروج عن الأندلس إلى إفريقية، فتعللوا عليه، و ذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم في سبته، و قتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة، فخلعوه، و قدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر، و تبعه جند ابن قطن، و حملوا عليه في قتل ابن قطن، فأبى فثارت اليمانية و قالوا: قد حميت لمضرك، و الله لا نطيعك، فلما خاف تفرق الكلمة أمر بابن قطن فأخرج إليهم و هو شيخ كبير كفرخ نعامه قد حضر وقعه الحرّة مع أهل اليمامة، فجعلوا يسبونه، و يقولون له: أفلت من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٠١

سيوفنا يوم الحرّة، ثم طالبتنا بتلك الترة فعرضتنا لأكل الكلاب و الجلود و حبستنا بسبته محبس الضنك حتى أمتنا جوعا، فقتلوه و صلبوه كما تقدم، و كان أمية و قطن ابناه عندما خلع قد هربا، و حشدا لطلب الثأر، و اجتمع عليهما العرب الأقدمون و البربر، و صار معهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبه بن نافع الفهري كبير الجند، و كان في أصحاب بلج، فلما صنع بابن عمه عبد الملك ما صنع فارقه، فأنحاز فيمن يطلب ثأره، و انضم إليهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي صاحب أربونة، و كان فارس الأندلس في وقته، فأقبلوا نحو بلج في مائة ألف أو يزيدون، و بلج قد استعد لهم في مقدار اثني عشر ألفا سوى عبيد له كثيرة و أتباع من البلديين، فاقتلوا، و صبر أهل الشام صبورا لم يصبر مثله أحد قط، و قال عبد الرحمن بن علقمة اللخمي: أروني بلجا، فوالله لأقتلنه أو لأموتنّ دونه، فأشاروا إليه نحوه، فحمل بأهل الثغر حملة انفرج لها الشاميون، و الراية في يده، فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك بأيام قلائل. ثم إن البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة، و اتبعهم الشاميون يقتلون و يأسرون، فكان عسكرا منصورا مقتولا أميره، و كان هلاك بلج في شوال سنة أربع و عشرين و مائة، و كانت مدته أحد عشر شهرا، و سريره قرطبة، و العرب الشاميون الداخولون معه الأندلس يعرفون عند أهل الأندلس بالشاميين، و الذين كانوا في الأندلس قبل دخوله يشهرون بالبلديين.

و لما هلك بلج قدم الشاميون عليهم بالأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي، و قد كان عندهم عهد الخليفة هشام بذلك، فسار فيهم بأحسن سيرة، ثم إن أهل الأندلس الأقدمين من العرب و البربر هموا بعد الوقعة لطلب الثأر، فأل أمره معهم إلى أن حصروه بمدينة ماردة، و هم لا يشكون في الظفر، إلى أن حضر عيد تشاغلوا به، فأبصر ثعلبة منهم غرة و انتشارا و أشرا بكثرة العدد و الاستيلاء، فخرج عليهم في صبيحة عيدهم و هم ذاهلون، فهزمهم هزيمة قبيحة، و أفضى فيهم القتل، و أسر منهم ألف رجل، و سبى ذريتهم و عيالهم، و أقبل

إلى قرطبة من سببهم عشرة آلاف أو يزيدون، حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد أن يحمل الأسارى على السيف بعد صلاة الجمعة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٠٢

و أصبح الناس منتظرين لقتل الأسارى، فإذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب، فنظروا فإذا أبو الخطار قد أقبل واليا على الأندلس، و هو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى. و ذكر ابن حيان أنه قدم واليا من قبل حنظلة بن صفوان صاحب إفريقية، و الخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، و ذلك فى رجب سنة خمس و عشرين و مائه، بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة، قال: و كان مع فروسيته شاعرا محسنا، و كان فى أول ولايته قد أظهر العدل فدانت له الأندلس، إلى أن مالت به العصبية اليمانية على المضرية، فهاج الفتنة العمياء، و كان سبب هذه الفتنة أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان أبلج حجة من ابن عم أبي الخطار، فمال أبو الخطار مع ابن عمه، فأقبل الكنانى إلى الصميم بن حاتم الكلابى أحد سادات مضر، فشكا له حيف أبي الخطار، و كان أبا الصميم، حاميا للعشيرة، فدخل على أبي الخطار، و أمض عتابه، فنجحه أبو الخطار، و أغلظ له، فرد الصميل عليه، فأمر به أبو الخطار، فأقيم ودع قفاه حتى مالت عمامته، فلما خرج قال له بعض من على الباب: أبا جوشن، ما بال عمامتك مائلة؟ فقال: إن كان لى قوم فسقيمونها. و أقبل إلى داره، فاجتمع إليه قومه حين بلغهم ذلك ممتعزين، فباتوا عنده، فلما أظلم الليل قال: ما رأيكم فيما حدث على فإنه منوط بكم؟ فقالوا: أخبرنا بما تريد، فإن رأينا تبع رأيك، فقال: أريد و الله إخراج هذا الأعرابى من هذا السلطان على ما خيلت، و أنا خارج لذلك عن قرطبة، فإنه ما يمكنى ما أريد إلا بالخروج، فإلى أين ترون أقصد؟ فقالوا: اذهب حيث شئت، و لا تأت أبا عطاء القيسى، فإنه لا يواليك على أمر ينفعك، و كان أبو عطاء هذا سيذا مطاعا يسكن بأستجة، و كان مشاحنا للصميم، مساميا له فى القدر، فسكت عند ذكره أبو بكر بن الطفيل العبدى، و كان من أشرفهم، إلا أنه كان حدث السن، فقال له الصميل: ألا تتكلم؟ قال: أتكلّم بواحدة ما عندى غيرها، قال: و ما هى؟ قال: إن عدوت إتيان أبي عطاء و شئت أمرك به لم يتم أمرنا و هلكنا، و إن أنت قصدته لم ينظر فى شىء مما سلف بينكما، و حركته الحمية لك، فأجابك إلى ما تريد، فقال له الصميل: أصبت رأى، و خرج من ليلته، و قام أبو عطاء فى نصرته على ما قدره العبدى، و عمد إلى ثوابه بن يزيد الجذامى أحد أشرف اليمن و ساداتهم، و كان ساكنا بمورور و قد استفسد إليه أبو الخطار،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٠٣

فأجابهما فى القيام و التقدم على المضرية، فاجتمعوا فى شدونة، و آل الأمر إلى أن هزموا أبا الخطار على وادى لكّة و حصل أسيرا فى أيديهم، فأرادوا قتله، ثم أرجئوه، و أوثقوه و أقبلوا به إلى قرطبة، و ذلك فى رجب سنة ١٢٧ بعد ولاية أبي الخطار بستين. و لما سجن أبو الخطار فى قرطبة امتعض له عبد الرحمن بن حسان الكلبى، فأقبل إلى قرطبة ليلا فى ثلاثين فارسا معهم طائفة من الرجال، فهجموا على الحبس و أخرجوه منه، و مضوا به إلى غرب الأندلس، فعاد فى طلب سلطانه، و دبّ فى يمانيته حتى اجتمع له عسكر أقبل بهم إلى قرطبة، فخرج إليه ثوابه و معه الصميم، فقام رجل من المضرية ليلا- فصاح بأعلى صوته: يا معشر اليمن، ما لكم تتعرضون إلى الحرب و تردون المنايا عن أبي الخطار؟ أليس قد قدرنا عليه لو أردنا قتله لفعلنا، لكننا منّا و عفونا و جعلنا الأمير منكم، أفلا تفكرون فى أمركم، فلو أن الأمير من غيركم عذرتكم، و لا و الله لا نقول هذا رهبة منكم و لا خوفا لحربكم، و لكن تحرجا من الدماء و رغبة فى عاقبة العامة، فتسامع الناس به، و قالوا: صدق، فتداعوا للرحيل ليلا، فما أصبحوا إلا على أميال. قال الرازى: ركب أبو الخطار البحر من ناحية تونس فى المحرم سنة ١٢٥، و فى كتاب أبي الوليد بن الفرضى: كان أبو الخطار أعرابيا عصبيا، أفرط فى التعصب لليمانيين، و تحامل على مضر، و أسخط قيسا، فثار به زعيمهم الصميم، فخلعه، و نصب مكانه ثوابه، و هاج بين الفريقين الحروب المشهورة، و خلع أبو الخطار بعد أربع سنين و تسعة أشهر، و ذلك سنة ١٢٨، و آل أمره إلى أن قتله الصميم.

و ولى الأندلس ثوابه بن سلامة الجذامى؛ قال ابن بشكوال: لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب، صاحب القيروان،

فكتب إليه بعهد الأندلس، وذلك سلخ رجب سنة ١٢٧، فضبط البلد، وقام بأمره كلّه الصّميل واجتمع عليه أهل الأندلس، وأقام والياً سنة أو نحوها، ثم هلك، وفي كتاب ابن الفرضى أنه ولي سنتين.

ثم ولي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبه بن نافع الفهري، وجدّه عقبه بن نافع صاحب إفريقية وبنى القيروان المجاب الدعوة صاحب الغزوات والآثار الحميدة، ولهذا البيت فى السلطنة بإفريقية والأندلس نباهة. وذكر الرازى أنّ مولده بالقيروان، ودخل أبوه الأندلس من إفريقية مع حبيب بن أبي عبيدة الفهري عند افتتاحهم، ثم عاد إلى إفريقية، وهرب عنه ابنه يوسف هذا من إفريقية إلى الأندلس مغاضباً له، فهوى الأندلس، واستوطنها فساد بها. قال الرازى: كان يوسف يوم ولي الأندلس ابن سبع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٠٤

وخمسين سنة، وأقامه أهل الأندلس بعد أميرهم ثوابه، وقد مكثوا بغير وال أربعة أشهر، فاجتمعوا عليه بإشارة الصّميل من أجل أنه قرشى رضى به الحيان، فرفعوا الحرب، ومالوا إلى الطاعة، فدانت له الأندلس تسع سنين وتسعة أشهر، وقال ابن حيان: قدّمه أهل الأندلس فى ربيع الآخر سنة ١٢٩، واستبدّ بالأندلس دون ولاية أحد له غير من بالأندلس، وحكى ابن حيان أنه أنشد قول حرقه بنت النعمان بن المنذر يوم خلعه بالأمان من سلطانه ودخوله عسكر عبد الرحمن الداخل المروانى: [بحر الطويل]

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتصّف

قال ابن حيان: لما سمع أبو الخطار بتقديمه حرّك يمانيته، فأجابوا دعوته، فأدّى ذلك إلى وقعة شقنדה بين اليمانية والمضرية فيقال: إنه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا أصبر رجالا، طال صبر بعضهم على بعض، إلى أن فنى السلاح، وتجادبوا بالشعور، وتلاطموا بالأيدى، وكلّ بعضهم عن بعض، وثابت للصّميل غزوة فى اليمانية فى بعض الأيام، فأمر بتحريك أهل الصناعات بأسواق قرطبة، فخرجوا فى نحو أربعمائه رجل من أنجادهم بما حضرهم من السكاكين والعصى ليس فيهم حامل رمح ولا سيف إلّا قليلا، فرماهم على اليمانية وهم على غفلة، وما فيهم من ييسط يد القتال، ولا ينهض لدفاع، فانهمت اليمانية وضعت المضرية السيف فيهم، فأبادوا منهم خلقا، واختفى أبو الخطار تحت سرير رحى، فقبض عليه وجيء به إلى الصّميل، فضرب عنقه، وقد ذكرنا خبر انخلاع يوسف عن سلطانه فى ترجمة عبد الرحمن الداخل، وهو آخر سلاطين الأندلس الذين ولوها من غير موارثه، حتى جاءت الدولة المروانية.

وذكر ابن حيان أنّ القائم بدولة يوسف والمستولى عليها الصّميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن الكلابى، وجدّه شمر هو قاتل الحسين، رضى الله تعالى عنه! وكان شمر قد فرّ من المختار بولده من الكوفة إلى الشام، فلما خرج كلثوم بن عياض للمغرب كان الصّميل فيمن خرج معه، ودخل الأندلس فى طاعة بلج، وكان شجاعا جوادا جسورا على قلب الدول،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٠٥

فبلغ ما بلغ، وآل أمره إلى أن قتله عبد الرحمن الداخل المروانى فى سجن قرطبة مخوقا.

وذكر ابن حيان أنه كان ممّن ثار على يوسف الفهري عبد الرحمن بن علقمة اللخمى فارس الأندلس، والى ثغر أربونة، وكان ذا بأس شديد ووجهة عظيمة، فبينما هو فى تدبير غزو يوسف إذ اغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه إليه.

ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد فى أهل الدمة وغيرهم، فملك إشبيلية، وكثر جمعه، إلى أن خرج له يوسف فقتله، وثار عليه بالجزيرة الخضراء عامر العبدري، فخرج له، وأنزله على أمان فى سكنى قرطبة، ثم ضرب عنقه بعد ذلك.

وقيل: إنّ أول من خرج على يوسف عمرو بن يزيد الأزرق فى إشبيلية فظفر به فقتله، وثار عليه فى كورة سرقسطة الحباب الزهرى إلى أن ظفر به يوسف فقتله، ثم جاءته الداهية العظمى بدخول عبد الرحمن بن معاوية المروانى إلى الأندلس وسعيه فى إفساد سلطانه، فتّم له ما أراد، والله تعالى أعلم.

[٣٢- عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك المعروف بالداخل]

٣٢- و من الداخلين من المشرق إلى الأندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية ابن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان، المعروف بالداخل.

و ذلك أنه لما أصاب دولتهم ما أصاب، و استولى بنو العباس على ما كان بأيديهم، و استقرّ قدمهم في الخلافة، فرّ عبد الرحمن إلى الأندلس، فنال بها ملكا أورثه عقبه حقه من الدهر.

قال ابن حيان في «المقتبس»: إنه لما وقع الاختلال في دولة بني أمية و الطلب عليهم، فرّ عبد الرحمن، و لم يزل في فراره منتقلا بأهله و ولده إلى أن حلّ بقرية على الفرات ذات شجر و غياض، يريد المغرب، لما حصل في خاطره من بشرى مسلمة، فمما حكى عنه أنه قال:

إنى لجالس يوما في تلك القرية في ظلمة بيت تواريت فيه لرمد كان بي، و ابني سليمان بكر ولدى يلعب قدامي، و هو يومئذ ابن أربع سنين أو نحوها، إذ دخل الصبي من باب البيت فازعا باكيا فأهوى إلى حجري، فجعلت أدفعه لما كان بي و يأبى إلّا التعلق، و هو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفرع، فخرجت لأنظر، فإذا بالزروع قد نزل بالقرية، و نظرت فإذا بالرايات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٠٦

السود عليها منقطه، و أخ لي حدث السنّ كان معي يشتدّ هاربا و يقول لي: النجاء يا أخي، فهذه رايات المسودة، فضربت بيدي على دنائير تناولتها، و نجوت بنفسي و الصبي أخي معي، و أعلمت أخواتي بمتوجّهي و مكان مقصدي، و أمرتهنّ أن يلحقنني و مولاي بدر معهنّ، و خرجت فكمنت في موضع ناء عن القرية، فما كان إلّا ساعة حتى أقبلت الخيل، فأحاطت بالدار، فلم تجد أثرا، و مضيت، و لحقني بدر، فأتيت رجلا من معارفى بشطّ الفرات، فأمرته أن يبتاع لي دوابّ و ما يصلح لسفري، فدلّ عليّ عبد سوء له العامل، فما راعنا إلّا جلبه الخيل تحفرنا فاشتدنا في الهرب، فسبقناها إلى الفرات، فرمينا فيه بأنفسنا، و الخيل تنادينا من الشط: ارجعوا لا بأس عليكم، فسبحت حائنا لنفسي و كنت أحسن السبح، و سبح الغلام أخي، فلما قطعنا نصف الفرات قصّر أخي و دهش، فالتفت إليه لأقوى من قلبه، و إذا هو قد أصغى إليهم و هم يخدعون عن نفسه، فناديته: تقتل يا أخي، إلى، إلى، فلم يسمعني، و إذا هو قد اغتر بأمانهم، و خشى الغرق، فاستعجل الانقلاب نحوهم، و قطعت أنا الفرات، و بعضهم قد همّ بالتجرّد للسباحة في أثيري، فاستكفّه أصحابه عن ذلك، فتركوني، ثم قدّموا الصبي أخي الذي صار إليهم بالأمان فضربوا عنقه، و مضوا برأسه و أنا أنظر إليه و هو ابن ثلاث عشرة سنة، فاحتملت فيه ثكلا ملأني مخافة، و مضيت إلى وجهي أحسب أني طائر و أنا ساع على قدمي، فلجأت إلى غيضة آشبه، فتواريت فيها حتى انقطع الطلب، ثم خرجت أوّم المغرب حتى وصلت إلى إفريقية.

قال ابن حيان: و سار حتى إفريقية و قد ألحقت به أخته شقيقته أمّ الأصغ مولاة بدرا، و مولاة سالما، و معهما دنائير للنفقة، و قطعة من جوهر، فنزل بإفريقية و قد سبقه إليها جماعة من فلّ بني أمية، و كان عند و إليها عبد الرحمن بن حبيب الفهري يهودي حدثاني صحب مسلمة بن عبد الملك، و كان يتكهن له و يخبره بتغلّب القرشي المرواني الذي هو من أبناء ملوك القوم، و اسمه عبد الرحمن، و هو ذو ضفيرتين يملك الأندلس و يورثها عقبه، فاتخذ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٠٧

الفهري عند ذلك ضفيرتين أرسلهما رجاء أن تناله الرواية، فلما جرى بعبد الرحمن و نظر إلى ضفيريته قال لليهودي: ويحك! هذا هو، و أنا قاتله، فقال له اليهودي: إنك إن قتلته فما هو به، و إن غلبت على تركه إنه لهو و ثقل فلّ بني أمية على ابن حبيب صاحب إفريقية، فطرد كثيرا منهم مخافة، و تجنّى على ابنين للوليد بن يزيد كانا قد استجارا به، فقتلها، و أخذ مالا كان مع إسماعيل بن أبان بن عبد العزيز بن مروان، و غلبه على أخته فتزوجها بكرهه، و طلب عبد الرحمن فاستخفي، انتهى.

و ذكر ابن عبد الحكم أن عبد الرحمن الداخل أقام ببرقة مستخفيا خمس سنين، و آل أمره في سفره إلى أن استجار ببني رستم ملوك تيهرت من المغرب الأوسط، و تقلب في قبائل البربر إلى أن استقر على البحر عند قوم من زنائه، و أخذ في تجهيز بدر مولاة إلى العبور للأندلس لموالي بني أمية و شيعتهم بها، و كانت الموالى المروانية المدونة بالأندلس في ذلك الأوان ما بين الأربعمائه و الخمسمائه، و لهم جمره، و كانت رياستهم إلى شخصين: أبى عثمان عبيد الله بن عثمان، و عبد الله بن خالد، و هما من موالى عثمان، رضى الله تعالى عنه! و كانا يتوليان لواء بني أمية يعقبان حمله و رياسة جند الشام النازلين بكورة إلبيرة، فعبر بدر مولى عبد الرحمن إلى أبى عثمان بكتاب عبد الرحمن يذكره فيه أيادى سلفه من بني أمية و سببه بهم و يعرفه مكانه من السلطان و سعيه ليله، إذ كان الأمر لجده هشام فهو حقيق بوراثته، و يسأله القيام بشأنه و ملاقة من يثق به من الموالى الأموية و غيرهم، و يتلطف في إدخاله إلى الأندلس ليلى عذرا في الظهور عليها، و يعده بإعلاء الدرجة، و لطف المنزلة، و يأمره أن يستعين في ذلك بمن يأمنه، و يرجو قيامه معه، و يأخذ فيه مع اليمانية ذوى الحق على المضرية لما بين الحيين من الترات، فمشى أبو عثمان لما دعاه إليه، و بانت له فيه طماعية، و كان عند ورود بدر قد تجهز إلى ثغر سرقسطة لنصرة صاحبها الصيميل بن حاتم وجه دوله يوسف بن عبد الرحمن، صاحب الأندلس، فقال لصهره عبد الله بن خالد المذكور: لو كنا ذاكرنا الصيميل خبر بدر و ما جاء به لنختبر ما عنده في موافقتنا، و كانا على ثقة في أنه لا يظهر على سزهما أحدا لمروءته و أنفته، فقال له: إن نحن فعلنا لم نأمن من أن تدركه الغيرة على سلطان يوسف لما هو عليه من شرف القدر و جلاله المتزلة فيتوقع سقوط رياسته فلا يساعدنا، قال أبو عثمان: فتمسح إذا على أمره، و نذكر له أنه قصد لإرادة الإيواء الأمان و طلب أخماس جده

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٠٨

هشام لدينا ليتعيش بها، لا يريد غير ذلك، فاتفقا على هذا، فلما ودعا الصيميل خلوا به في ذلك، و قد ظهر لهما منه حقد على صاحبه يوسف في إبطائه عن إمداده لما حاربه الحباب الزهرى بكورة سرقسطة، فقال لهما: أنا معكما فيما تحبان، فاكتبا إليه أن يعبر، فإذا حضر سألنا يوسف أن ينزله في جواره و أن يحسن له، و يزوجه بابنته، فإن فعل و إلا ضربنا صلته بأسيافنا، و صرفنا الأمر عنه إليه، فشكراه، و قبلا يده، ثم ودعاه، و أقام بطليطلة و قد ولّاه يوسف عليها و عزله عن الثغر، و انصرفا إلى وطنهما بإلبيرة، و قد كانا لقيما من كان معهما في العسكر من وجوه الناس و ثقاتهم، فطارحاهم أمر ابن معاوية، ثم دسا في الكور إلى ثقتهما بمثل ذلك، فدب أمره فيهم ديب النار في الجمر، و كانت سنة خلف بالأندلس بعد خروج من المجاعة التي دامت بالناس.

و في رواية أن الصيميل لان لهما في أن يطلب الأمر عبد الرحمن الداخل لنفسه ثم دب ذلك لما انصرفا، فترجع فيه، فردهما، و قال: إني رويت في الأمر الذى أردته معكما فوجدت الفتى الذى دعوتانى إليه من قوم لو بال أحدهم بهذه الجزيرة غرقنا نحن و أتم في بوله، و هذا رجل نتحكم عليه، و نميل على جوانبه، و لا يسعنا بدل منه، و و الله لو بلغتما بيوتكما ثم بدا لى فيما فارقتكما عليه لرأيت أن لا أقصر حتى ألقاكم لثا أغركما من نفسى، فإنى أعلمكما أن أول سيف يسل عليه سيفى، فبارك الله لكما فى رأيكما، فقالا له: ما لنا رأى إلا رأيك، و لا مذهب لنا عنك. ثم انصرفا عنه على أن يعينهما فى أمره إن طلب غير السلطان، و انفصلا عنه إلى إلبيرة عازمين على التصميم فى أمره، و يشا من مضر و ربيعه، و رجعا إلى اليمانية، و أخذوا فى تهيج أحقاد أهل اليمن على مضر، فوجداهم قوما قد وغرت صدورهم عليهم، يتمنون شيئا يجدون به السبيل إلى إدراك ثأرهم، و اغتتما بعد يوسف صاحب الأندلس فى الثغر، و غيبة الصيميل، فابتاعا مركبا و وجها فيه أحد عشر رجلا منهم مع بدر الرسول، و فيهم تمام بن علقمة و غيره، و كان عبد الرحمن قد وجه خاتمه إلى مواليه، فكتبوا تحت ختمه إلى من يرجونه فى طلب الأمر، فبثوا من ذلك فى الجهات ما دب به أمرهم، و لما وجه أبو عثمان المركب المذكور مع شيعته ألقوه بشط مغيلة من بلاد البربر، و هو يصلى، و كان قد اشتد قلقه و انتظاره لبدر رسوله، فبشره بدر بتمكن الأمر، و خرج إليه تمام مكثرا التبشيره، فقال له

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٠٩

عبدالرحمن: ما اسمك؟ قال: تمام، قال: و ما كنتك؟ قال: أبو غالب، فقال: الله أكبر! الآن تم أمرنا و غلبنا بحول الله تعالى و قوته، و أدنى منزلة أبي غالب لما ملك، و لم يزل حاجبه حتى مات عبد الرحمن. و بادر عبد الرحمن بالدخول إلى المركب، فلما هم بذلك أقبل البربر فتعرضوا دونه، ففرقت فيهم من مال كان مع تمام صلوات على أقدارهم، حتى لم يبق أحد حتى أرضاه، فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل عات منهم لم يكن أخذ شيئاً فتعلق بحبل الهودج يعقل المركب، فحوّل رجل اسمه شاكر يده بالسيف، فقطع يد البربري، و أعانتهم الرياح على التوجه بمركبهم، حتى حلوا بساحل إلبيرة في جهة المنكب، و ذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٨، فأقبل إليه نقيباه أبو عثمان و صهره أبو خالد، فنقلاه إلى قرية طرش منزل أبي عثمان، فجاءه يوسف بن بخت، و انثالت عليه الأموية، و جاءه جدران بن عمرو المذحجي من أهل مالقة، فكان بعد ذلك قاضيه في العساكر، و جاءه أبو عبدة حسان بن مالك الكلبي من إشبيلية فاستوزره، و انثالت عليه الناس انثيالاً، فقوى أمره مع الساعات فضلا عن الأيام، و أمده الله تعالى بقوة عالية، فكان دخوله قرطبة بعد ذلك بسبعة أشهر. و كان خبر دخوله للأندلس قد صادف صاحبها يوسف الفهري بالثغر، و قد قبض على الحجاب الزهري الثائر بسرقسطة، و على عامر العبدري الثائر معه، فبينما هو بوادي الرمل بمقربة من طليطلة و قد ضرب عنق عامر العبدري و ابن عامر برأى الصّميل إذ جاءه قبل أن يدخل رواقه رسول يركض من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه بأمر عبد الرحمن و نزوله بساحل جند دمشق، و اجتماع الموالي المروانية إليه، و تشوف الناس لأمره، فانتشر الخبر في العسكر لوقته، و شمت الناس بيوسف لقتله القرشيين عامرا و ابنه، و ختره بعهدهما، فسار عدد كثير إلى البدار لعبد الرحمن الداخل، و نادوا بشعارهم، و قوضوا عن عسكره.

و اتفق أن جادت السماء بوابل لا عهد بمثله لما شاء الله تعالى من التضييق على يوسف، فأصبح و ليس في عسكره سوى غلمانة و خاصته و قوم الصّميل قيس و أتباعه، فأقبل إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣١٠

طليطلة و قال للصّميل: ما الرأي؟ فقال: بادره الساعة قبل أن يغلظ أمره، فإني لست آمن عليك هؤلاء اليمانية لحنقهم علينا، فقال له يوسف: أتقول ذلك؟ و مع من نسير إليه و أنت ترى الناس قد ذهبوا عنا؟ و قد أنفضنا من المال، و أنفضنا الظهر، و نهكتنا المجاعة في سفرتنا هذه، و لكن نسير إلى قرطبة، فنستأنف الاستعداد له، بعد أن ننظر في أمره و يتبين لنا خبره، فلعله دون ما كتب إلينا. فقال الصّميل: الرأي ما أشرت به عليك، و ليس غيره، و سوف تتبين غلطك فيما تنكبه، و مضوا إلى قرطبة. و سار عبد الرحمن الداخل إلى إشبيلية، و تلقاه رئيس عربها أبو الصباح بن يحيى اليحصبي، و اجتمع الرأي على أن يقصدوا به دار الإمارة قرطبة، فلما نزلوا بطشانة قالوا: كيف نسير بأمر لا لواء له و لا علم نهتدي إليه؟ فجأؤوا بقناة و عمامة ليعقدوها عليه، فكروا أن يميلوا القناة لتعقد تطيرا فأقاموها بين زيتونتين متجاورتين، فصعد رجل فرع إحداهما فعقد اللواء و القناة قائمه، كما سيأتي، و حكى أن فرقا العالم صاحب الحدان مرّ بذلك الموضع، فنظر إلى الزيتونتين، فقال: سيعقد بين هاتين الزيتونتين لواء لأمر لا يثور عليه لواء إلا كسره، فكان ذلك اللواء يسعد به هو و ولده من بعده، و لما أقبل إلى قرطبة خرج له يوسف، و كانت المجاعة توالى قبل ذلك ست سنين فأورث أهل الأندلس ضعفا، و لم يكن عيش عامية الناس بالعسكر ما عدا أهل الطاعة مذ خرجوا من إشبيلية إلا الفول الأخضر الذي يجدونه في طريقهم، و كان الزمان زمان ربيع، فسّمى ذلك العام عام الخلف، و كان نهر قرطبة حائلا، فسار يوسف من قرطبة و أقبل ابن معاوية على بّ إشبيلية و النهر بينهما، فلما رأى يوسف تصميم عبد الرحمن إلى قرطبة رجع مع النهر محاذيا له، فتسايرا و النهر حاجز بينهما، إلى أن حلّ يوسف بصحراء الصارة غربى قرطبة، و عبد الرحمن فى مقابلته، و تراسلا فى الصلح، و قد أمر يوسف بذبج الجزر، و تقدم بعمل الأطمعة، و ابن معاوية أخذ فى خلاف ذلك قد أعدّ للحرب عدتها، و استكمل أهبتها، و سهر الليل كله على نظام أمره، كما سنذكره، ثم انهزم أهل قرطبة، و ظفر عبد الرحمن الداخل، و نصر نصر لا كفاء له، و انهزم الصّميل، و فرّ إلى شوزر من كورة جيان، و فرّ يوسف إلى جهة ماردة.

و ذكر أن أبا الصّباح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف: يا معشر يمن، هل لكم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣١١

إلى فتحين في يوم؟ قد فرغنا من يوسف و صميل، فلنقتل هذا الفتى المقدامة ابن معاوية، فيصير الأمر لنا، نقدم رجلا منا، و نحل عنه المضريه، فلم يجبه أحد لذلك، و بلغ الخبر عبد الرحمن فأسرّها في نفسه إلى أن اغتاله بعد عام، فقتله.

و لمّا انقضت الهزيمة أقام ابن معاوية بظاهر قرطبة ثلاثة أيام، حتى أخرج عيال يوسف من القصر، و عفّ، و أحسن السيرة، و لمّا حصل بدار الإمارة، و حلّ محلّ يوسف، لم يستقرّ به قرار من إفلات يوسف و الصّميل، فخرج في إثر عدوه و استخلف على قرطبة القائم بأمره أبا عثمان، و استكتب كاتب يوسف أمية بن زياد، و استنام إليه إذ كان من موالى بنى أمية، و نهض في طلب يوسف، فوقع يوسف على خبره، فخالفه إلى قرطبة، و دخل القصر، و تحصّن أبو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع فاستنزله بالأمان، و لم يزل عنده إلى أن عقد الصلح بينه و بين ابن معاوية، و كان عقد الصلح المشتمل عليه و على وزيره الصّميل في صفر سنة ١٣٩، و شارطه على أن يخلّى بينه و بين أمواله حيثما كانت، و أن يسكن بلاط الحر منزله بشرقي قرطبة- على أن يختلف كلّ يوم إلى ابن معاوية و يريه وجهه، و أعطاه رهينه على ذلك ابنه أبا الأسود محمد بن يوسف، زياده على ابنه عبد الرحمن الذي أسره ابن معاوية يوم الوقعة، و رجع العسكران و قد اختلطا إلى قرطبة.

و ذكر ابن حيان أن يوسف بن عبدالرحمن نكث سنة ١٤١، فهرب من قرطبة، و سعى بالفساد في الأرض، و قد كانت الحال اضطربت به في قرطبة، و دسّ له قوم قاموا عليه في أملاكه، زعموا أنه غصبهم إياها، فدفع معهم إلى الحكام، فأعتوه، و حمل عنه في التألم بذلك كلام رفع إلى ابن معاوية أصاب أعداء يوسف به السبيل إلى السعاية به و التخويف منه، فاشتدّ توخّشه، فخرج إلى جهة ماردة، و اجتمع إليه عشرون ألفا من أهل الشتات، فغلظ أمره، و حدّثته نفسه بقاء ابن معاوية، فخرج نحوه من ماردة، و خرج ابن معاوية من قرطبة، فبينما ابن معاوية في حصن المدور مستعدّا، إذ التقى بيوسف عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب إشبيلية، فكانت بينهما حرب شديدة انكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم منهزما، و استحرّ القتل في أصحابه، فهلك منهم خلق كثير، و سار يوسف لناحية طليطلة، فلقية في قرية من قراها عبد الله بن عمرو الأنصاري، فلما عرفه قال لمن معه: هذا الفهري يفرّ، قد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣١٢

ضاق عليه الأرض، و قتله الراحة له، و الراحة منه. فقتله، و احتزّ رأسه، و قدم به إلى عبد الرحمن، فلما قرب و أودن عبد الرحمن به أمره أن يتوقّف به دون جسر قرطبة، و أمر بقتل ولده عبد الرحمن المحبوس عنده، و ضمّ إلى رأسه رأسه، و وضع على قناتين مشهّرين إلى باب القصر. و كان عبد الرحمن لثما فرّ يوسف قد سجن وزيره الصّميل لأنه قال له: أين توجه؟ فقال: لا أعلم، فقال: ما كان ليخرج حتى يعلمك، و مع ذلك فإنّ ولدك معه، و أكّد عليه في أن يحضره، فقال: لو أنه تحت قدمي هذه ما رفعتها لك عنه، فاصنع ما شئت، فحينئذ أمر به للحبس و سجن معه و لدى يوسف أبا الأسود محمدا المعروف بعد بالأعمى و عبد الرحمن، فتهيأ لهما الهرب من نقب، فأمر أبا الأسود فنجأ سالما، و اضطرب في الأرض يبغي الفساد إلى أن هلك حتف أنفه، و أمّا عبدالرحمن فأثقله اللحم فانبهر، فردّ إلى الحبس، حتى قتل كما تقدّم، و أنف الصّميل من الهرب، فأقام بمكانه، فلما قتل يوسف أدخل ابن معاوية على الصّميل من خنقه، فأصبح ميتا، فدخل عليه مشيخة المضريه في السجن، فوجدوه ميتا، و بين يديه كأس و نقل، كأنه بغت على شرابه، فقالوا: و الله إنّنا لنعلم يا أبا جوشن أنك ما شربتها و لكن سقيتها.

و ممّا ظهر من بطش الأمير عبد الرحمن بن معاوية و صرامته فتكه بأحد دعائم دولته رئيس اليمانية أبي الصباح بن يحيى، و كان قد ولّاه إشبيلية و في نفسه منه ما أوجب فتكه به.

و من ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبي، إذ ثار بباجه، و كان قد وصل من إفريقية على أن يظهر الرايات السود بالأندلس، فدخل في ناس قليلين، فأرسي بناحية باجة، و دعا أهلها و من حولهم، فاستجاب له خلق كثير، إلى أن لقيه عبد الرحمن بجهة إشبيلية فهزمه، و جرى به و بأعلام أصحابه، فقطع يديه و رجله، ثم ضرب عنقه و أعناقهم، و أمر فقرّطت الصّيكاك في آذانهم

بأسمائهم، و أودعت جوالقا محصنا، و معها اللواء الأسود، و أنفذ بالجوالق تاجرا من ثقاته، و أمره أن يضعه بمكة أيام الموسم، ففعل، و وافق أبا جعفر المنصور قد حجّ، فوضعه على باب سرادقه، فلما كشفه و نظر إليه سقط في يده، و استدعى عبد الرحمن نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣١٣

و قال: عرضنا هذا البائس - يعنى العلاء - للحتف، ما فى هذا الشيطان مطمع، فالحمد لله الذى صير هذا البحر بيننا و بينه. و لما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا فى طلب تار رئيسهم أبى الصباح اليحصبى و أكثر القتل فيهم، استوحش من العرب قاطبة، و علم أنهم على دغل و حقد، فانحرف عنهم إلى اتخاذ المماليك، فوضع يده فى الاتباع، فابتاع موالى الناس بكل ناحيه، و اعتضد أيضا بالبرابر، و وجه عنهم إلى بزّ العدوّة فأحسن لمن وفد عليه إحسانا رغب من خلفه فى المتابعة. قال ابن حيان: و استكثر منهم و من العبيد، فاتخذ أربعين ألف رجل، صار بهم غالبا على أهل الأندلس من العرب، فاستقامت مملكته و توطّدت.

و قال ابن حيان: كان عبدالرحمن راجح الحلم، فاسح العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم، نافذ العزم، بريئا من العجز، سريع النهضة، متّصل الحركة، لا يخلد إلى راحة، و لا يسكن إلى دعة، و لا يكل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد فى إبرامها برأيه، شجاعا، مقداما، بعيد الغور، شديد الحدّة، قليل الطمأنينة، بليغا، مفوها، شاعرا، محسنا، سمحا، سخيا، طلق اللسان، و كان يلبس البياض و يعتّم به و يؤثره، و كان قد أعطى هيبه من وليه و عدوّه، و كان يحضر الجنائز، و يصلّى عليها، و يصلّى بالناس إذا كان حاضرا الجمع و الأعياد، و يخطب على المنبر، و يعود المرضى، و يكثر مباشرة الناس و المشى بينهم، إلى أن حضر فى يوم جنازة فتصدّى له فى منصرفه عنها رجل متظلم عامى وقاح ذو عارضة فقال له: أصلح الله الأمير! إن قاضيك ظلمنى، و أنا أستجيرك من الظلم، فقال له: تنصف إن صدقت، فمدّ الرجل يده إلى عنانه و قال: أيها الأمير، أسألك بالله لما برحت من مكانك حتى تأمر قاضيك بإنصافى فإنه معك، فوجم الأمير و التفت إلى من حوله من حشمه، فرآهم قليلا و دعا بالقاضى، و أمر بإنصافه، فلما عاد إلى قصره كلمه بعض رجاله ممّن كان يكره خروجه و ابتذاله فيما جرى، فقال له: إن هذا الخروج الكثير - أبقى الله تعالى الأمير! - لا يجمل بالسلطان العزيز، و إن عيون العامة تخلق تجلته، و لا تؤمن بوادرهم عليه، فليس الناس كما عهدوا، فترك من يومئذ شهود الجنائز و حضور المحافل، و وكلّ بذلك ولده هشاما.

و من نظم عبد الرحمن الداخلى ما كتب به إلى أخته بالشام: [بحر الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣١٤

أيها الراكب الميمم أرضى اقر منى بعض السلام لبعضى

إنّ جسمى كما تراه بأرض و فؤادى و مالكيه بأرض

قدّر البين بيننا فافترقنا و طوى البين عن جفونى غمضى

قد قضى الدهر بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضى

و كتب إلى بعض من وفد عليه من قومه لما سأله الزيادة فى رزقه، و استقلّ ما قابله به و ذكره بحقه بهذه الأبيات: [بحر مخلص البسيط]

شّان من قام ذا امتعاض منتضى الشّفرتين نصلا

فجباب قفرا و شقّ بحرا مساميا لجهّ و محلا

دبر ملكا و شاد عزّا و منبرا للخطاب فصلا

و جنّد الجند حين أودى و مضّر المصر حين أجلى

ثم دعا أهله إليه حيث انتوّوا أن هلمّ أهلا

فجاء هذا طريد جوع شديد روع يخاف قتلا

فنال أمنا و نال شيعا و نال مالا و نال أهلا

ألم يكن حقّ ذا على ذا أعظم من منعم و مولى

و حكى ابن حيان أن عبد الرحمن لما أذعن له يوسف صاحب الأندلس و استقرّ ملكه استحضر الوفود إلى قرطبة، فانثالوا عليه، و والى القعود لهم في قصره عدّة أيام في مجالس يكلم فيها رؤساءهم و وجوههم بكلام سرهم و طيب نفوسهم، مع أنه كساهم و أطعمهم و وصلهم، فانصرفوا عنه محبورين مغتربين، يتدارسون كلامه، و يتهافتون بشكره، و يتهانون بنعمة الله تعالى عليهم فيه. و في بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه فقال له: يا ابن الخلائف الراشدين، و السادة الأكرمين، إليك فررت، و بك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣١٥

عذت، من زمن ظلوم، و دهر غشوم، قلل المال، و كثر العيال، و شعث الحال، فصير إلى نداك المآل، و أنت ولي الحمد و المجد، و المرجو للرفد، فقال له عبد الرحمن مسرعا: قد سمعنا مقالاتك، و قضينا حاجتك، و أمرنا بعونك على دهرك، على كرهنا لسوء مقامك، فلا تعودنّ و لا سواك لمثله من إراقة ماء وجهك بتصريح المسألة و الإلحاف في الطلبة، و إذا ألم بك خطب أو حزبك أمر فارفعه إلينا في رقعة لا- تعدوك، كيما نستر عليك خلّتك، و نكفّ شمات العدو عنك، بعد رفعك لها إلى مالئك و مالكنّا عزّ وجهه بإخلاف الدعاء و صدق البيّة، و أمر له بجائزة حسنة، و خرج الناس يتعجبون منه من حسن منطقه و براعة أدبه، و كفّ فيما بعد ذوى الحاجات عن مقابلته بها شفاها في مجلسه.

قال ابن حيان: و وقّع إلى سليمان بن يقظان الأعرابي على كتاب منه سلك به سبيل الخداع: أما بعد، فدعني من معاريض المعاذير، و التعسف عن جادة الطريق، لتمدّن يدا إلى الطاعة، و الاعتصام بحبل الجماعة، أو لأروينّ بنانها عن رصف المعصية، نكالا بما قدمت يداك، و ما الله بظلام للعبيد.

و في «المسهب» أن عبد الرحمن كان من البلاغة بالمكان العالي، الذي يرتدّ عنه أكثر بني مروان حسيرا.

و قد جرى بينه و بين مولاة بدر ما لا يجب إهماله، و ذلك أنه لما سعى بدر في تكميل دولته من ابتدائها إلى استقرارها صحبه عجب و امتنان كادا يردان به حياض المتيّة، فأول ما بدأ به أن قال: بعنا أنفسنا و خاطرنا بها في شأن من هانت عليه لما بلغ أقصى أمله. و قال و قد أمره بالخروج إلى غزاة: إنما تعبنا أولا لنستريح آخرا، و ما أرانا إلّا في أشدّ ممّا كنّا، و أطال أمثال هذه الأقوال، و أكثر الاستراحة في جانبه، فهجره و أعرض عنه، فزاد كلامه، و كتب له رقعة منها: أما كان جزائي في قطع البحر، و جوب القفر، و الإقدام على تشتيت نظام مملكة و إقامة أخرى غير الهجر، الذي أهانتني في عيون أكفائي، و أشمت بي أعدائي، و أضعف أمرى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣١٦

و نهى عند من يلوذ بي، و بتر مطامع من كان يكرمني و يحفدني على الطمع و الرجاء، و أظن أعداءنا بني العباس لو حصلت بأيديهم ما بلغوا بي أكثر من هذا، فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون.

فلما وقف عبد الرحمن على رقعته اشتدّ غيظه عليه، فوقع عليها: «وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك، و سوء خطابك، و دناءة أدبك، و لئيم معتقدك، و العجب أنك متى أردت أن تبني لنفسك عندنا متاتا أتيت بما يهدم كل متات مشيد ممّا تمن به، ممّا قد أضجر الأسماع تكراره، و قدحت في النفوس إعادته، ممّا استخرنا الله تعالى من أجله على أمرنا باستئصال مالك، و زدنا في هجرك و إبعادك، و هضنا جناح إدلالك، فلعلّ ذلك يجمع منك و يردعك حتى نبلغ منك ما نريد إن شاء الله تعالى، فنحن أولى بتأديبك من كل أحد، إذ شرّك مكتوب في مثالبنا، و خيرك معدود في مناقبنا». فلما ورد هذا الجواب على بدر سقط في يده، و سلم للقضاء، و علم أنه لا ينفع فيه قول، و وجه عبد الرحمن من استأصل ماله، و ألزمه داره، و هتك حرمة، و قصّ جناح جاهه، و صيرّه أهون من قعيس على عمته، و مع هذا فلم ينته بدر عن الإكثار من مخاطبة مولاة، تارة يستلينه، و تارة يذكره، و تارة ينفث مصدورا بخط قلمه ما

يلقيه عليه بلسانه، غير مفكر فيما يؤول إليه، إلى أن كتب له: قد طال هجرى، و تضاعف همى و فكرى، و أشد ما على كوني سلبيا من مالى، فعى أن تأمر لى بإطلاق مالى و أتحد به فى معزل لا أشغل بسلطان، و لا أدخل فى شىء من أموره ما عشت، فوقع له: إن لك من الذنوب المترادفة ما لو سلب معها روحك لكان بعض ما استوجبه، و لا سبيل إلى رد مالك، فإن تركك بمعزل فى بلهنية الرفاهية وسعة ذات اليد و التخلّى من شغل السلطان أشبه بالنعمة منه بالنقمة، فإياس من ذلك، فإن اليأس مريح. فسكت لما وقف على هذه الإجابة مدّة إلى أن أتى عيد فاشتدّ به حزنه لما رأى من حاجة من يلوذ به و همهم بما يفرح به الناس، فكتب إليه فى ذلك رقعة منها: «و قد أتى هذا العيد الذى خالفت فيه أكثر من أساء إليك و سعى فى خراب دولتك، ممّن عفوت عنه، فتبتك النعمة فى ذراك، و اقتعد ذروة العزّ، و أنا على ضدّ من هذا سلبيا من النعمة، مطّرحا حضيض الهوان، أياس ممّا يكون، و أقرع السنّ على ما كان». فلما وقف على هذه الرقعة أمر بنفيه عن قرطبة إلى أقصى الثغر، و كتب له على ظهر رقعة: «لتعلم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣١٧

أنك لم تزل بمقتك، حتى ثقلت على العين طلعتك، ثم زدت إلى أن ثقل على السمع كلامك، ثم زدت إلى أن ثقل على النفس جوارك، و قد أمرنا بإقصائك إلى أقصى الثغر فبالله إلّا ما أقصرت، و لا يبلغ بك زائد المقت إلى أن تضيق معى الدنيا، و رأيتك تشكو لفلان و تتألم من فلان، و ما تقولوه عليك، و ما لك عدو أكبر من لسانك، فما طاح بك غيره، فاقطعه قبل أن يقطعك».

و لما فتح الداخل سرقسطه، و حصل فى يده نائرها الحسين الأنصارى، و شدخت رؤوس وجوها بالعمد، و انتهى نصره فيها إلى غاية أمله، أقبل خواصه يهنئونه، فجرى بينهم أحد من لا يؤبه به من الجند، فهنأه بصوت عال، فقال: و الله لو لا أن هذا اليوم يوم أسبغ على فيه النعمة من هو فوقى فأوجب على ذلك أن أنعم فيه على من هو دونى لأصلينك ما تعرضت له من سوء النكال، من تكون حتى تقبل مهنتنا رافعا صوتك غير متلجلج و لا- مهتّب لمكان الإمارة و لا- عارف بقيمتها حتى كأنك تخاطب أباك أو أخاك؟ و إن جهلك ليحملك على العود لمثلها، فلا تجد مثل هذا الشافع فى مثلها من عقوبة، فقال: و لعل فتوحات الأمير يقترن اتصالها باتصال جهلى و ذنوبى، فتشفع لى متى أتيت بمثل هذه الزلة، لا أعد منيه الله تعالى، فتهلّل وجه الأمير، و قال: ليس هذا باعتذار جاهل، ثم قال: تبهونا على أنفسكم، إذا لم تجدوا من يتبها عليها، و رفع مرتبته، و زاد فى عطائه.

و لما أنحى أصحابه على أصحاب الفهرى بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال: لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم، و استبقوهم لأشدّ عداوة منهم، يشير إلى استبقائهم ليستعان بهم على أعداء الدين.

و لما اشتدّ الكرب بين يديه يوم حربه مع الفهرى، و رأى شدة مقاساة أصحابه، قال: هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه، إمّا ذلّ الدهر و إمّا عزّ الدهر، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تريحوا بها بقيّة أعماركم فيما تشتهون.

و لما خرج من البحر أول قدومه على الأندلس أتوه بخمر، فقال: إنى محتاج لما يزيد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣١٨

فى عقلى، لا لما ينقصه، فعرفوا بذلك قدره، ثم أهديت إليه جارية جميلة فنظر إليها و قال: إن هذه من القلب و العين بمكان، و إن أنا اشتغلت عنها بهمتى فيما أطلبه ظلمتها، و إن اشتغلت بها عمّا أطلبه ظلمت همتى، و لا حاجة لى بها الآن، و ردّها على صاحبها.

و لما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه أنه قال: لولا أنا ما توصل لهذا الملك، و لكان منه أبعد من العيوق، و أن آخر قال: سعده أعانه، لا عقله و تدبيره، فحرکه ذلك إلى أن قال: [بحر الكامل]

لا يلف ممتنّ علينا قائل لولاي ما ملك الأنام الداخل

سعدى و حزمى و المهند و القنا و مقادر بلغت و حال حائل

إنّ الملوک مع الزمان كواكب نجم يطالعنا و نجم آفل

و الحزم كلّ الحزم أن لا يغفلوا أ يروم تدبير البرية غافل؟

و يقول قوم سعده لا عقله خير السعادة ما حماها العاقل

أبنى أمية قد جبرنا صدعكم بالغرب رغما و السعود قبائل

ما دام من نسلي إمام قائم فالملك فيكم ثابت متواصل

و حكى ابن حيان أن جماعة من القادمين عليه من قبل الشام حدّثوه يوما في بعض مجالسهم عنده ما كان من الغمر بن يزيد بن عبد الملك أيام محنتهم، و كلامه لعبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس الساطي بهم، و قد حضروا رواقه و فيه وجوه المسودة من دعاء القوم و شيعتهم راداً على عبد الله فيما أراقه من دماء بني أمية، و سلبهم و البراءة منهم، فلم تردعه هيئته و عصف ريحه و احتفال جمعه عن معارضته و الردّ عليه بتفضيله لأهل بيته و الذبّ عنهم، و أنه جاء في ذلك بكلام غاظ عبد الله و أغصه بريقه، و عاجل الغمر بالحتف، فمضى و خلف في الناس ما خلف من تلك المعارضة في ذلك المقام، و كثر القوم في تعظيم ذلك، فكان الأمير عبد الرحمن احتقر ذلك الذي كان من الغمر في جنب ما كان منه في الذهاب بنفسه عن الإذعان لعدوهم، و الأنف من طاعتهم، و السعى في اقتطاع قطعه من مملكة الإسلام عنه، و قام عن مجلسه، فصاغ هذه الأبيات بديهة: [بحر مخلع البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣١٩

شّان من قام ذا امتعاض فمرّ ما قال و اضمحلا

و من غدا مصلتا لعزم مجرّدا للعداء نصلا

فجباب قفرا و شقّ بحرا و لم يكن في الأنام كلّا

فشاد ملكا و شاد عزّا و منبرا للخطاب فصلا

و جند الجند حين أودى و مضرّ المصر حين أجلى

ثم دعا أهله جميعا حيث انتوّوا أن هلّم أهلا

و له غير ذلك من الشعر، و سيأتي بعضه ممّا يقارب هذه الطبقة.

و أول ناصر لعبد الرحمن سائر معه في الخمول و الاستخفاء مولاة المتقدم الذكر، سعى في سلطانه شرقا و غربا و برّا و بحرا، فلما كمل له الأمر سلبه من كلّ نعمه، و سجنه، ثم أقصاه إلى أقصى الثغر، حتى مات و حاله أسوأ حال، و الله تعالى أعلم بالسرائر، فلعلّ له عذرا و يلومه من يسمع مبدأه و مآله.

و رأس الجماعة الذين توجه إليهم بدر في القيام بسلطانه أبو عثمان، و لما توطدت دولة الداخل استغنى عنه و عن أمثاله، فأراد أبو عثمان أن يشغل خاطره، و ينظر في شيء يحتاج به إليه، فجعل ابن أخيه يثور عليه في حصن من حصون إلبيرة، فوجه عبد الرحمن من قبض عليه و ضرب عنقه، ثم أخذ أبو عثمان مع ابن أخى الداخل، و زين له القيام عليه، فسعى لعبد الرحمن بابن أخيه قبل أن يتمّ أمره، فرب عنقه و أعناق الذين دبّروا معه، و قيل له: إن أبا عثمان كان معه، و هو الذى ضمن له تمام الأمر، فقال: هو أبو سلمة هذه الدولة، فلا يتحدّث الناس عنه بما تحدّثوا عن بنى العباس في شأن أبي سلمة، لكن سأعتبه عتبا أشدّ من القتل،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٢٠

و جعل يوعده، و رجع له إلى ما كان عليه في الظاهر.

و كان صاحبه الثانى فى المؤازرة و القيام بالدولة صهره عبد الله بن خالد، و كان قد ضمن لأبى الصباح رئيس اليمانية عن الداخل أشياء لم يف بها الداخل، و قتل أبا الصباح، فانزل عبد الله و أقسم لا يشتغل بشغل سلطان حياته، فمات منفردا عن السلطان.

و كان ثالثهما فى النصره و الاختصاص تمام بن علقمة، و هو الذى عبر البحر إليه و بشره باستحكام أمره، فقتل هشام بن عبد الرحمن و ولد تمام المذكور، و كذلك فعل بولد أبى عثمان المتقدم الذكر. قال ابن حيان: فذاقا من ثكل ولديهما على يدى أعزّ الناس عليهما ما أراهما أنّ أحدا لا يقدر أن ينظر فى تحسين عاقبته.

و إذا تتبع الأمر في الذين يقومون في قيام دولة كان مآلهم مع من يظهرهونه هذا المآل و أصعب.

و ذكر أن أول حجاب الداخل تمام بن علقمة مولاه ذو العمر الطويل، ثم يوسف بن بخت الفارسي، مولى عبد الملك بن مروان، و له بقرطبة عقب نابه، ثم عبد الكريم بن مهران من ولد الحارث بن أبي شمر الغساني، ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحارث بن حويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني، و أبوه مغيث فاتح قرطبة، الذي تقدمت ترجمته، ثم منصور الخصي، و كان أول خصي استحجبه بنو مروان بالأندلس، و لم يزل حاجبه إلى أن توفي الداخل.

و لم يكن للداخل من يطلق عليه سمه وزير، لكنه عين أشياخا للمشاوره و المؤازرة، أولهم أبو عثمان المتقدم الذكر، و عبد الله بن خالد السابق الذكر، و أبو عبده صاحب إشبيلية، و شهيد بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم، و كان من سبي البرابر، و قيل:

إنه رومي، و بنو شهيد الفضلاء من نسله، و عبد السلام بن بسيل الرومي مولى عبد الله بن معاوية، و لولده نباهة عظيمة في الوزارة و غيرها، و ثعلبة بن عبيد بن النظام الجذمي صاحب سرقسطة لعبد الرحمن، و عاصم بن مسلم الثقفي من كبار شيعته و أول من خاض النهر و هو عريان يوم الوقعة بقرطبة، و لعقبه في الدولة نباهة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٢١

و أول من كتب له عند خلوص الأمر له و احتلاله بقرطبة كبير نقبائه أبو عثمان و صاحبه عبد الله بن خالد المتقدم الذكر، ثم لزم كتابته أمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان، و كان في عديد من يشاوره أيضا و يفضل أمره و آراءه، و كان يكتب قبله ليوسف الفهري، و قيل: إنه ممن آتهم في ممالأة اليزيدي في إفساد دولة عبد الرحمن، فاتفق أن مات قبل قتل اليزيدي و اطلاع عبد الرحمن على الأمر.

و ذكر ابن زيدون أن الداخل ألقى على قضاء الجماعة بقرطبة يحيى بن يزيد اليحصبي، فأقره حينًا، ثم ولّى بعده أبا عمرو معاوية بن صالح الحمصي، ثم عمر بن شراحيل، ثم عبد الرحمن بن طريف، و كان جدار بن عمرو يقضى في العساكر.

و كان الداخل يرتاح، لما استقرّ سلطانه بالأندلس، إلى أن يفد عليه فلّ بيته بنى مروان، حتى يشاهدوا ما أنعم الله تعالى عليه، و تظهر يده عليهم، فوفد عليه من بنى هشام بن عبد الملك أخوه الوليد بن معاوية و ابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام. قال ابن حيان: و في سنة ١٦٣ قتل الداخل عبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي، و قتل معه من الوافدين عليه عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام المعروف باليزيدي، و هو ابن أخي الداخل، و كانا تحت تدبير بيرمانه في طلب الأمر، فوشى بهما مولى لعبيد الله بن أبان، و كان قد ساعدهما على ما همّا به من الخلاف أبو عثمان كبير الدولة، فلم ينله ما نالهما.

و ذكر الحجارى أن الداخل كان يقول: أعظم ما أنعم الله تعالى به عليّ بعد تمكّني من هذا الأمر القدرة على إيواء من يصل إليّ من أقاربي، و التوسع في الإحسان إليهم، و كبرى في أعينهم و أسماعهم و نفوسهم بما منحني الله تعالى من هذا السلطان الذي لا منة على فيه لأحد غيره.

و ذكر ابن حزم أنه كان فيمن وفد عليه ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية، فسعى في طلب الأمر لنفسه، فقتله سنة ١٦٧، و قتل معه من أصحابه هذيل بن الصّميل بن حاتم، و نفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور إلى العدو بماله و ولده و أهله.

و في «المسهب» حدّث بعض موالى عبد الرحمن الخاصّين به أنه دخل على الداخل إثر قتله ابن أخيه المغيرة المذكور، و هو مطرق شديد الغمّ، فرفع رأسه إليّ و قال: ما عجبى إلّا من هؤلاء القوم، سعينا فيما يرضعهم في مهاد الأمن و النعمة، و خاطرنا فيه بحياتنا، حتى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٢٢

إذا بلغنا منه إلى مطلوبنا، و يسّر الله تعالى أسبابه، أقبلوا علينا بالسيوف، و لمّا أوتيناهم و شاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى أمنا و

درت عليهم أخلاف النعم هزوا أعطافهم، وشمخوا بأنافهم، وسموا إلى العظمى، فنازعونا فيما منحنا الله تعالى، فخذلهم الله بكفرهم النعم إذ أطلعنا على عوراتهم، فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا، وأدى ذلك إلى أن ساء ظننا في البريء منهم، وساء أيضا ظننا فينا، و صار يتوقع من تغيرنا عليه ما نتوقع نحن منه، وإن أشد ما على في ذلك أخى والد هذا المخذول، فكيف تطيب لى نفس بمجاورته بعد قتل ولده وقطع رحمه؟! أم كيف يجتمع بصرى مع بصره؟ أخرج له الساعة فاعتذر إليه، وهذه خمسة آلاف دينار ادفعها إليه، واعزم عليه فى الخروج عنى من هذه الجزيرة إلى حيث شاء من بر العدو.

قال: فلما وصلت إلى أخيه فوجدته أشبه بالأموات منه بالأحياء، فآنسته وعرفته، ودفعت له المال، وأبلغته الكلام، فتأوه وقال: إن المشؤوم لا يكون بليغا فى الشؤم حتى يكون على نفسه وعلى سواه، وهذا الولد العاق الذى سعى فى حفته قد سرى ما سعى فيه إلى رجل طلب العافية، وقنع بكسر بيت فى كنف من يحمل عنه معزة الزمان وكله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا مرد لما حكم به وقضاه، ثم ذكر أنه أخذ فى الحركة إلى بر العدو.

قال: ورجعت إلى الأمير فأعلمته بقوله، فقال: إنه نطق بالحق، ولكن لا يخذعنى بهذا القول عما فى نفسه، والله لو قدر أن يشرب من دمي ما عف عنه لحظة، فالحمد لله الذى أظهرنا عليهم بما نوبناه فيهم، وأذلهم بما نوبوه فينا.

واعلم أنه دخل الأندلس أيام الداخل من بنى مروان وغيرهم من بنى أمية جماعة كثيرين سرد أسماءهم غير واحد من المؤرخين، و ذكر أعقابهم بالأندلس، ومنهم جزى بن عبد العزيز أخو عمر بن عبد العزيز، وسيأتى قريبا.

وقد ثار على عبد الرحمن الداخل من أعيان الغرب وغيرهم جماعة كثيرين ظفروا بالله تعالى بهم، وقد سبق ذكر بعضهم، ومنهم الدعى الفاطمى البربرى بشنت مريه فأعيا الداخل أمره، وطال شره سنين متواليه، إلى أن فتك به بعض أصحابه فقتله.

ومنهم حيوة بن ملابس الحضرمى رئيس إشبيلية، وعبد الغفار بن حميد اليحصبى رئيس لبله، وعمرو بن طالوت رئيس باجة، اجتمعوا وتوجهوا نحو قرطبة يطلبون دم رئيس اليمانية أبى الصباح، فقتلوا فى هزيمة عظيمة، وقيل: نجوا بالفرار، فأمنهم الداخل.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٢٣

وفى سنة ١٥٧ ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الخزرجى، وشايه سليمان بن يقطان الأعرابى الكلبى رأس الفتن، وآل أمرهما إلى أن فتك الحسين بسليمان، وقتل الداخل الحسين كما مر.

وفى سنة ١٦٣ ثار الرحامس بن عبد العزيز الكنانى بالجزيرة الخضراء، فتوجه له عبد الرحمن الداخل، ففر فى البحر إلى المشرق.

قال ابن حيان: كان مولد، عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣، وقيل: فى التى قبلها، بالعلاء من تدمر، وقيل: بدير حنا من دمشق، وبها توفى أبوه معاوية فى حياة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، وكان قد رشحه للخلافة - وبقبر معاوية المذكور استجار الكمية الشاعر حين أهدر هشام دمه - وتوفى الداخل لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧١، وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة أشهر، وقيل: اثنتان وستون سنة، ودفن بالقصر من قرطبة، وصلى عليه ابنه عبد الله.

وكان منصورا مؤيدا مظفرا على أعدائه، وقد سردنا من ذلك جملة، حتى قال بعضهم:

إنّ الراية التى عقدت له بالأندلس حين دخلها لم تهزم قط، وإنّ الوهن ما ظهر فى ملك بنى أمية إلا بعد ذهاب تلك الراية، قال أكثر هذا مؤرخ الأندلس الثبث الثقة أبو مروان بن حيان، رحمه الله تعالى! ولا بأس أن نورد زيادة على ما سلف وإن تكرر بعض ذلك، فنقول: قال بعض المؤرخين من أهل المغرب بعد كلام ابن حيان الذى قدّمنا ذكره، ما نصّه: كان الإمام عبد الرحمن الداخل راجح العقل، راسخ الحلم، واسع العلم، كثير الحزم، نافذ العزم، لم ترفع له قط راية على عدوّ إلا هزمه، ولا بلد إلا فتحه، شجاعا، مقداما، شديد الحذر، قليل الطمأنينة، لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمر إلى غيره، كثير الكرم، عظيم السياسة، يلبس البياض، ويعتم به، ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويصلّى بالناس فى الجمع والأعياد، ويخطب بنفسه، جنّد الأجناد، وعقد الرايات، واتخذ الحجاب والكتّاب، وبلغت جنوده مائة ألف فارس.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٢٤

و ملخص دخوله الأندلس أنه لما اشتد الطلب على فل بنى أمية بالمشرق من وارثي ملكهم بنى العباس خرج مستترا إلى مصر، فاشتد الطلب على مثله، فاحتال حتى وصل برقة، ثم لم يزل متوغلا- في سيره إلى أن بلغ المغرب الأقصى، و نزل بنفرة و هم أخواله، فأقام عندهم أياما ثم ارتحل إلى مغيلة بالساحل، فأرسل مولاه بدرا بكتابه إلى موالهم بالأندلس عبيد الله بن عثمان و عبد الله بن خالد و تمام بن علقمة و غيرهم، فأجابوه و اشتروا مركبا و جهزوه بما يحتاج إليه، و كان الذي اشتراه عبيد الله بن عثمان، و أركب فيه بدرا، و أعطاه خمسمائة دينار برسم النفقة، و ركب معه علقمة بن تمام بن علقمة، و بينما هو يتوضأ لصلاة المغرب على الساحل إذ نظر إلى المركب في لجة البحر مقبلا- حتى أرسى أمامه، فخرج إليه بدر سابحا، فبشره بما تم له بالأندلس، و بما اجتمع عليه الأمويون و الموالى، ثم خرج إليه تمام و من معه في المركب فقال له: ما اسمك و ما كنيتك؟ فقال: اسمى تمام، و كنيتى أبو غالب، فقال: تم أمرنا و غلبنا عدونا إن شاء الله تعالى، ثم ركبوا المركب معه فنزل بالمنكب، و ذلك غرة ربيع الأول سنة ١٣٨.

فلما اتصل خبر جوازه بالأموية أتاه عبيد الله بن عثمان و جماعة فلقوه بالإعظام و الإكرام، و كان وقت العصر، فصلى بهم العصر، و ركبوا معه إلى قرية طرش من كور إلبيرة فنزل بها، و أتاه بها جماعة من وجود الموالى و بعض العرب، فبايعوه و كان من أمره ما يذكر، و قيل: إنه أقام بإلبيرة حتى كمل من معه ستمائة فارس من موالى بنى أمية و وجوه العرب، فخرج من إلبيرة إلى كورة رية فدخلت في جماعته ثم بايعته أهلها و أجنادها، ثم ارتحل إلى شذونة ثم إلى مدور، ثم سار إلى إشبيلية.

و قال بعضهم: لما أراد عبد الرحمن قصد قرطبة عند دخوله الأندلس من المشرق نزل بطشانة، فأشاروا عليه أن يعقد له لواء، فجاؤوا بعمامة و قناه، فكروا أن يميلوا القناه تطيرا، فأقاموها بين شجرتين من الزيتون متجاورتين، و صعد رجل على فرع إحدهما فعقد اللواء و القناه قائمة، و تبرك هو و ولده بهذا اللواء، فكان بعد أن بلى لا تحل منه العقدة التي عقدت أولا، بل تعقد فوقها الألوية الجدد، و هى مستكنة تحتها، و لم يزل الأمر على ذلك حتى انتهت الدولة إلى عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، و قيل: إلى ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، فاجتمع الوزراء على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٢٥

تجديد اللواء، فلما رأوا تحت اللواء أسمالا خلقه ملفوفة معقدة جهلوا فاستردلوها، و أمروا بحلها و نبذها، و جددوا غيرها، و كان جهور بن يوسف بن بخت شيخهم غائبا، فحضر فى اليوم الثانى، و طولع بالقضية، فأنكرها أشد إنكار، و ساءه ما فعلوه، و قال: إن جهلتم شأن تلك الأخلاق فكان ينبغي أن تتوقفوا عن نبذها حتى تسألوا المشايخ و تتفكروا فى أمرها، و خبرهم خبرها، فتطلبوا تلك الأخلاق فلم توجد، و يقال كما قال ابن حيان: إنه لم يزل يعرف الوهن فى ملك بنى أمية بالأندلس من ذلك اليوم، و قد كان الذى عقده أولا عبد الله بن خالد من موالى بنى أمية، و كان والده خالد عقد لواء مروان بن الحكم جد عبد الرحمن الأعلى لما اجتمع عليه بنو أمية و بنو كلب بعد انقراض دولة بنى حرب على قتال الضحاك بن قيس الفهرى يوم مرج راهط، فانتصر على الضحاك و قتله، و لمّا عرف الأمير بقصة اللواء حزن أشد حزن، و انفتقت عليه إثر ذلك الفتوق العظام، و كانوا يرون أنها جرت بسبب اللواء لأنه لم ينهزم قط جيش كان تحته، على ما اقتضته حكمة الله التى لا تتوصل إليها الأفكار، و تولّى حمل هذا اللواء لعبد الرحمن الداخل أبو سليمان داود الأنصارى، و لم يزل يحمله ولده من بعده إلى أيام محمد بن عبد الرحمن.

و لما تلاقى عبد الرحمن الداخل مع أمير الأندلس يوسف الفهرى بالقرب من قرطبة و تراسلا، فخادعه يومين آخرهما يوم عرفه من سنة ثمان و ثلاثين و مائة، أظهر عبد الرحمن قبول الصلح، فبات الناس على ذلك ليلة العيد، و كان قد أسر خلاف ما أظهر، و استعد للحرب، و لما أصبح يوم الأضحى لم ينشب أن غشيت الخيل، و وكل عبد الرحمن بخالد بن زيد، الكاتب رسول يوسف جماعة، و أمرهم إن كانت الدائرة عليهم أن يضربوا عنقه، و إلما فلا، فكان خالد يقول: ما كان شىء فى ذلك الوقت أحبّ إلى من غلبه عبد الرحمن الداخل عدوّ صاحبي، و ركب عبد الرحمن جوادا، فقالت اليمانية الذين أعانوه:

هذا فتى حديث السنّ تحته جواد و ما نأمن أول ردعة يردعها أن يطير منهزما على جواده و يدعنا، فأتى عبد الرحمن أحد مواليه فأخبره بمقاتلتهم، فدعا أبا الصباح، و كان له بغل أشهب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٢٦

يسميه الكوكب، فقال له: إن فرسى هذا قلق تحتي، لا يمكنني من الرمي، فقدم إلى بغلك المحمود أركبه، فقدمه، فلما ركب اطمأن أصحابه، و قال عبد الرحمن لأصحابه: أي يوم هذا؟ قالوا: الخميس يوم عرفه، فقال: فالأضحى غدا يوم الجمعة، و المتزاحفان أموى و فهري، و الجندان قيس و يمن، قد تقابل الأشكال جدا، و أرجو أنه أخو يوم مرج راهط، فأبشروا و جدّوا، فذكرهم يوم مرج راهط الذى كانت فيه الوقعة بين جدّه مروان بن الحكم و بين الضحّاك بن قيس الفهري، و كانت يوم جمعة و يوم أضحى، فدارت الدائرة لمروان على الضحّاك، فقتل الضحّاك، و قتل معه سبعون ألفا من قبائل قيس و أحلافهم، و قيل: إنه لم يحضر مرج راهط من قيس مع مروان غير ثلاثة نفر: عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري، و ابن هبيرة المحاربي، و صالح الغنوي، و كذا لم يحضر مع عبد الرحمن الداخل يوم الصّارة غربى قرطبة من قيس غير ثلاثة: جابر بن العلاء بن شهاب، و الحصين بن الدجن، العقيليان، و هلال بن الطفيل العبدى، و كان الظفر لعبد الرحمن، و انهزم يوسف، و صبر الصّيميل بن حاتم بعده معذرا و عشيرته يحفونه، فلما خاف انهزامهم عنه تحوّل على بغله الأشهب معارضة لعبد الرحمن الداخل، فمرّ به أبو عطاء فقال له: يا أبا جوشن، احتسب نفسك، فإنّ للأشباة أشباها: أموى بأموى، و فهري بفهري، و كلبى بكلبى، و يوم أضحى بيوم أضحى، و يمنى بقيسى، و الله إننى لأحسب هذا اليوم بمثل مرج راهط سواء، فقال له الصّيميل، كبرت و كبر علمك، الآن تنجلي الغمّاء، و سحرك منتفخ، فانشى أبو عطاء لوجهه منقلبا، و انهزم الصّيميل، و ملك عبد الرحمن قرطبة.

و يوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبه بن نافع الفهري، بانى القيروان، و أمير معاوية على إفريقيا و المغرب، و هو مشهور.

و أما الصّيميل فهو ابن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن، و قيل: الصّيميل بن حاتم بن عمرو بن جندع بن شمر بن ذى الجوشن، كان جدّه شمر من أشراف الكوفة و هو أحد قتلة الحسين، رضى الله تعالى عنه! و دخل الصّيميل الأندلس حين دخل كلثوم بن عياض المغرب غازيا، و ساد بها، و كان شاعرا كثير السكر أمّيا لا يكتب، و مع ذلك فانتهدت إليه فى زمانه رياسة العرب بالأندلس، و كان أميرها يوسف الفهري كالمغلوب معه، و كانت ولاية الفهري الأندلس

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٢٧

سنه تسع و عشرين و مائة، فدانت له تسع سنين و تسعة أشهر، و عنه كما مرّ انتقل سلطانها إلى بنى أمية، و استفحل ملكهم بها إلى بعد الأربعمائه، ثم انتشر سلكهم، و باد ملكهم، كما وقع لغيرهم من الدول فى القرون السالفة، سنه الله التى قد خلت فى عبادته. و كانت مدة الأمراء قبل عبد الرحمن الداخل من يوم فتحت الأندلس إلى هزيمة يوسف الفهري و الصّيميل ستا و أربعين سنه و شهرين و خمسة أيام؛ لأنّ الفتح كان حسبما تقدّم لخمس خلون من شوال سنه اثنتين و تسعين، و هزيمة يوسف يوم الأضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنه ثمان و ثلاثين و مائة، و الله غالب على أمره.

و حكى أن عبد الرحمن بن معاوية دخل يوما على جدّه هشام، و عنده أخوه مسلمة بن عبد الملك، و كان عبد الرحمن إذ ذاك صبيّا، فأمر هشام أن ينحى عنه، فقال له مسلمة: دعه يا أمير المؤمنين، و ضمّه إليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، هذا صاحب بنى أمية، و وزرهم عند زوال ملكهم، فاستوص به خيرا، قال: فلم أزل أعرف مزيه من جدى من ذلك الوقت.

و كان الداخل يقاس بأبى جعفر المنصور فى عزمه و شدّته و ضبط المملكة، و وافقه فى أن أمّ كلّ منهما بربريه، و أنّ كلّا منهما قتل ابن أخيه، إذ قتل المنصور ابن السفاح، و قتل عبد الرحمن ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية.

و من شعر عبد الرحمن و قد رأى نخلة برصافته: [بحر الطويل]

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرّب و النوى و طول اكتتابى عن بنى و عن أهلى
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك فى الإقصاء و المتأى مثلى
سقتك غوادى المزن فى المتأى الذى يصحّ و يستمرى السماكين بالوبل
و كان نقش خاتمه «بالله يثق عبد الرحمن، و به يعتصم». و أشاع سنة ١٦٣ الرحيل إلى الشام لانتزاعها من بنى العباس، و كاتب جماعة
من أهل بيته و مواليه و شيعة، و عمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالأندلس فى طائفة، و يذهب بعامة من أطاعه، ثم أعرض عن
ذلك بسبب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٢٨
أمر الحسين الأنصارى الذى انتزى عليه بسرقة، فبطل ذلك العزم.
و من شعر عبد الرحمن أيضا قوله يتشوق إلى معاهد الشام: [بحر الخفيف]
أيها الراكب الميمم أرضى اقر منى بعض السلام لبعضى
إن جسمى كما علمت بأرض و فؤادى و مالكيه بأرض
قدّر البين بيننا فافترقنا و طوى البين عن جفونى غمضى
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضى
و ترجمة الداخل طويلاً، و قد ذكر منها ما فيه مقنع، انتهى. و الله تعالى الموفق للصواب.

و فى بنائه جامع قرطبة يقول بعضهم: [بحر الطويل]
و أبرز فى ذات الإله و وجهه ثمانين ألفاً من لجين و عسجد
و أنفقها فى مسجد زانه التقى و قرّ به دين النبى محمد
ترى الذهب الوهاج بين سموكه يلوح كلمح البارق المتوقّد

٣٣- و من الوافدين على الأندلس أبو الأشعث الكلبى.

دخل الأندلس، و كان شيخاً مسناً يروى عن أمه عن عائشة، رضى الله تعالى عنها! إلا أنه كان مندراً صاحب دعاية، و كان مختصاً بعبد
الرحمن بن معاوية، و له منه مكانة لطيفة يدلّ بها عليه، و لما توفى حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، و
كانت له من عبد الرحمن خاصّة لم تكن لأحد من أهل بيته، جعل عبد الرحمن يبكى و يجتهد فى الدعاء و الاستغفار لحبيب، و كان
إلى جنبه أبو الأشعث هذا قائماً، و كانت له دالة عليه و دعاية يحتملها منه، فأقبل عند استقباره كالمخاطب للمتوفى علانية يقول: يا أبا
سليمان، لقد نزلت بحفرة قلما يغنى عنك فيها بكاء الخليفة عبد الرحمن بعده، فأعرض عنه عبد الرحمن، و قد كاد التبسّم يغلبه، هكذا
ذكره ابن حبان، رحمه الله تعالى فى «المقتبس»، و نقله عنه الحافظ ابن الأبار.

٣٤- و من الداخلين إلى الأندلس جزى بن عبدالعزيز، أخو عمر بن عبد العزيز، رضى الله تعالى عنه!

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٣، ص: ٣٢٨

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٢٩

دخل الأندلس، و مات فى مدّة الداخل، و كان من أولياء الله تعالى مقتفياً سبيل أخيه عمر بن عبد العزيز، رحمهما الله تعالى!.

٣٥- ومنهم بكر بن سواده بن ثمامة، الجذامي.

و يكنى أبا ثمامة، و جدّه صحابي، و كان بكر هذا فقيها كبيرا من التابعين، روى عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص و قيس بن سعد بن عبادة و سهل بن سعد الساعدي و سفيان بن وهب الخولاني و حبان بن سمح الصّدائى، و قيد اسمه الدارقطني، رحمه الله تعالى، حبان. بكسر الحاء المهملة، و بياء معجمة بواحدة- و نقله الأمير كذلك، و هو ممّن وفد على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و شهد فتح مصر. قال ابن يونس: و يقال فيه حبان بالكسر، و حبان بالفتح أصحّ، انتهى، و ضبطه بعضهم بالياء المثناة تحت.

رجع- و ممّن روى عنه بكر من الصحابة أبو ثور الفهمي، و أبو عميرة المزني، و روى عن جماعة من التابعين أيضا كسعيد بن المسيّب و أبي سلمة بن عبد الرحمن و عروة بن الزبير و جماعة سواهم يكثر عددهم و يطول سردهم، منهم ربيعة بن قيس الحملي و أبو عبد الرحمن الحبلي و زياد بن نعيم الحضرمي و سفيان بن هانيء الجيشاني و سعيد بن شمر السبائي و عبد الله بن المستورد بن شداد الفهري و عبد الرحمن بن أوس المزني و زيادة بن ثعلبة البلوي و شيان بن أمية القتباني و عامر بن ذريح الحميري و عمير بن الفيض اللخمي و أبو حمزة الخولاني و عياض بن فروخ المعافري و مسلم بن مخشى المدبجي و هانيء بن معاوية الصدفى و غيرهم ممّن اشتمل على ذكرهم التاريخان لابن عبد الحكم و ابن يونس.

و ممّن روى عن بكر المذكور عبد الله بن لهيعة و عمرو بن الحارث و جعفر بن ربيعة و أبو زرعة بن عبد الحكم الإفريقي و غيرهم. قال ابن يونس: توفى بإفريقيه في خلافة هشام بن عبد الملك، و قيل: بل غرق في مجاز الأندلس، سنه ثمان و عشرين و مائة، قال: و جدّه ثمامة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و له بمصر حديث رواه عمرو بن الحارث. و قال أبو بكر عبد الله بن محمد القيرواني المالكي في تاريخه المسمّى ب «رياض النفوس» و قد ذكر بكرا هذا: إنه كان أحد العشرة التابعين، يعنى الموجّهين إلى إفريقيه من قبل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٣٠

عمر بن عبدالعزيز في خلافته ليفقّهوا أهل إفريقيه و يعلمّوهم أمر دينهم، قال: و أغرب بحديث عن عقبه بن عامر، لم يروه غيره فيما علمت، حدّث عبد الله بن لهيعة عنه عن عقبه بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف، و لا- تنه عن منكر، و عليك بخاصية نفسك». و حكى المالكي أيضا عن أبي سعيد بن يونس قال: كان فقيها مفتيا، سكن القيروان، و كانت وفاته كما تقدّم، و ذكره الحميدى في الداخلين إلى الأندلس، و لم يذكره ابن الفرضي.

٣٦- ومنهم زريق بن حكيم، أحد المعدودين في الداخلين إلى الأندلس

، ذكره أبو الحسن بن النعمه عن أبي المطرف عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبي، و حكى أنه كتب ذلك من خطّه، و سمّاه مع جماعة منهم حبان بن أبي جبله و على بن أبي رباح و أبو عبد الرحمن الحبلي و حنش بن عبد الله الصنعاني و معاوية بن صالح و زيد بن الحباب العكلى، و انتهى عددهم بزريق هذا سبعة، و لم يذكره ابن الفرضي و لا غيره، قاله الحافظ أبو عبد الله القضاعى.

٣٧- ومنهم زيد بن قاصد الشكسكى.

قال ابن الأبار: و هو تابعي، دخل الأندلس و حضر فتحها، و أصله من مصر، يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضى الله تعالى عنه! و روى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، ذكره يعقوب بن سفيان، و أورد له حديثا؛ من كتاب الحميدى، انتهى.

٣٨- و منهم زرعهُ بن روح الشامي.

دخل الأندلس، و حدّث عنه ابنه مسلمة بن زرعهُ بحكاية عن القاضي مهاجر بن نوفل.

٣٩- و منهم محمد بن أوس بن ثابت، الأنصاري.

قال ابن الأبار: تابعي، دخل الأندلس، يروي عن أبي هريرة، قرأته بخط ابن حبّيش، و قال أبو سعيد بن يونس مؤرّخ مصر: إنه يروي عنه الحارث بن يزيد و محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، و كان غزا المغرب و الأندلس مع موسى بن نصير، و يروي عن أبي هريرة، رضى الله عنه! و قال الحميدى: إنه كان من أهل الدين و الفضل معروفاً بالفقه، و لى بحر إفريقيا سنة ثلاث و تسعين، و غزا المغرب و الأندلس مع موسى بن نصير، فيما حكاه ابن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٣١

يونس صاحب تاريخ مصر، و كان على بحر تونس سنة ثنتين و مائة على ما حكاه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم. و لما قتل يزيد بن أبي مسلم والى إفريقيا اجتمع رأى أهلها عليه، فولّوه أمرهم، و ذلك فى خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان، إلى أن ولى بشر بن صفوان الكلبي إفريقيا، و كان على مصر فخرج إليها و استخلف أخاه حنظلة، انتهى.

٤٠- و منهم عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم، الأموي.

فرّ من الشام خوفاً من المسودة، فمّر بمصر و مضى إلى الأندلس، و قد غلب عليها الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل، فأكرمه و نوّه به، و ولّاه إشبيلية لأنه كان قعدد بنى أمية، ثم إنه لما وجد الداخل يدعو لأبى جعفر المنصور أشار عليه بقطع اسمه من الخطبة، و ذكره بسوء صنيع بنى العباس بنى أمية، فتوقّف عبد الرحمن فى ذلك، فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له، و ذلك أنه قال له حين امتنع من ذلك: إن لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسى، فقطع حينئذ عبد الرحمن الخطبة بالمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة أشهر. و لما زحف أهل غرب الأندلس نحو قرطبة لحرب الأمير عبد الرحمن أنهض إليهم عبد الملك هذا، فنهض فى معظم الجيش، و قدّم ابنه أمية أمامه فى أكثر العساكر، فخالطهم أمية، فوجد فيهم قوّة، فخاف الفضيحة معهم، فانحاز منهزماً إلى أبيه، فلما جاءه سقط فى يده، و قال له: ما حملك على أن استخففت بى و جرّأت الناس على و العدو؟ إن كنت قد فررت من الموت فقد جئت إليه، فأمر بضرب عنقه، و جمع أهل بيته و خاصّيته و قال لهم: طردنا من الشرق إلى أقصى هذا الصقع، و نحسد على لقمة تبقى الرموق، اكسروا جفون السيوف، فالموت أولى أو الظفر، ففعلوا و حملوا، و تقدّمهم، فهزم اليمانية و أهل إشبيلية، و لم تقم بعدها لليمانية قائمة، و قتل بين الفريقين ثلاثون ألفاً، و جرح عبد الملك، فأتاه عبد الرحمن و جرحه يجرى دماً و سيفه يقطر دماً، و قد لصقت يده بقائم سيفه، فقيل بين عينيه، و جرّاه خيراً، و قال له: يا ابن عمّ، قد أنكحت ابنى و لى عهدى هشاماً ابنتك فلانة، و أعطيتها كذا و كذا، و أعطيتك كذا، و لأولادك كذا، و أقطعتك و إياهم كذا، و وليتكم الوزارة.

و من شعره لما نظر نخلة منفردة بإشبيلية فتدّكر وطنه بالشام، و قال: [بحر الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٣٢

يا نخل، أنت فريدة مثلى فى الأرض نائية عن الأهل
تبكى و هل تبكى مكّممة عجماء لم تجبل على جبل
و لو أنها عقلت إذا لبكت ماء الفرات و منبت النخل
لكنها حرمت و أخرجنى بغضى بنى العباس عن أهلى

[٤١- ومن الداخلين من المشرق إلى الأندلس هاشم بن الحسين بن إبراهيم]

٤١- ومن الداخلين من المشرق إلى الأندلس هاشم بن الحسين بن إبراهيم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضى الله تعالى عنهم أجمعين! و نزل حين دخوله بلبلة، و تعرف منازلهم فيها بمنازل الهاشمي، و ذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر في كتابه «أنساب الطالبين و العلويين القادمين إلى المغرب».

[٤٢- ومن الداخلين إلى الأندلس عبد الله بن المغيرة، الكنانى، حليف بنى عبد الدار.]

سمّاه أبو محمد الأصيلي الفقيه في الداخلين الأندلس من التابعين، حكى ذلك عنه أبو القاسم بن بشكوال في مجموعته المسّمى ب «التنبيه و التعيين»، قال ابن الأبار: و ما أراه يتابع عليه، و ذكره أبو سعيد بن يونس من أهل إفريقية، انتهى، و ذكر أنه يروى عن سفيان بن وهب الخولاني.

[٤٣- و منهم عبد الله المعمر الذى طرأ على الأندلس فى آخر الزمان]

، و كان يزعم أنه لقي بعض التابعين.
قال ابن الأبار: روى عنه أبو محمد أسد الجهني، ذكر ذلك القيسي، و فيه عندي نظر، انتهى.

[٤٤- و منهم أبو عمرو و عبد الرحمن بن شماسه بن ذئب، المهري]

روى عن أبي ذر، و قيل: عن أبي نضرة عن أبي ذر، و عائشة و عمرو بن العاص و ابنه عبد الله و زيد بن ثابت و أبي نضرة الغفاري و عقبه بن عامر الجهني و عوف بن مالك الأشجعي، و معاوية بن حديج و مسلمة بن مخلد و أبي رهم، ذكره ابن يونس في تاريخ مصر،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٣٣

و سمّاه ابن بشكوال في الداخلين الأندلس من التابعين، و روى ذلك عن الحميدى، قاله ابن الأبار، و قال ابن يونس: و آخر من حدّث عنه بمصر حرمله بن عمران.

[٤٥- و من الداخلين إلى الأندلس من المشرق عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسر]

، رضى الله تعالى عنه!.

و قد ذكره ابن حيان في مقتبسه، و أخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهري كتب له أن يدافع عبد الرحمن المرواني الداخل للأندلس، و كان المذكور إذ ذاك أميراً على اليمانية من جند دمشق، و إنما ركن إليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بنى عمّار و بنى أمية من الثأر بسبب قتل عمّار بصفيين، و كان عمّار، رضى الله تعالى عنه، من شيعة علي، كرم الله وجهه.

و هذا عبد الله بن سعيد هو جدّ بنى سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدّة رؤساء و أمراء و كتّاب و شعراء، و منهم صاحب «المغرب» و غير واحد ممّن عزّفنا به في هذا الكتاب، و من مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد، صاحب أعمال غرناطة في

مدة الملتّمين، قال: هو القائل يفتخر: [بحر مخلع البسيط]

إن لم أكن للعلاء أهلاً بما تراه فمن يكون
فكل ما أبتغيه دوني ولي على همّتي ديون
و من يرم ما يقلّ عنه فذاك من فعله جنون
فرع بأفق السماء سام وأصله راسخ مكين
وقوله: [بحر المجتث]

اللّه يعلم أنّي أحبّ كسب المعالي

و إنّما أتوانى عنها لسوء المآل

تحتاج للكّد والبذل و اصطناع الرجال

دع كلّ من شاء يسمو لها بكلّ احتيال

فحالهم في انعكاس بها و حالي حالي

و تراجمهم واسعة، و قد بسطت في «المسهب» و «المغرب» و غيرهما، و قد قدّمنا في الباب قبل هذا من أخبار بني سعيد هؤلاء ما يثلج الصّدر فليراجع.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٣٤

[٤٦- أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخاري الحافظ]

٤٦- و من الوافدين على الأندلس من المشرق أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن إسحاق بن عمرو بن مزاحم بن غياث، التميمي، البخاري، الحافظ، نزيل مصر.

سمع ببخارى بلده من إبراهيم بن محمد بن يزداد و أخيه أحمد، و كانا يرويان معا عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي و عن أبي الفضل السليمانى بيكنند، و أبى عبد الله محمد بن أحمد المعروف بغنجار، و أبى يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبى و أقرانه باليمن، و أبى القاسم تمام بن محمد الرازي بدمشق، و ابن أبى كامل بأطرابلس الشام، و أبى محمد عبدالغنى بن سعيد الحافظ بمصر، و له رواية عن أبى نصر الكلاباذى، و أبى عبد الله الحاكم، و أبى بكر بن فورك المتكلم، و أبى العباس بن الحاج الإشبلى، و أبى القاسم على بن أحمد الخزاعى، صاحب الهيثم بن كليب، و أبى الفضل العباس بن محمد الحدّاد التنيسى، و أبى الفتح محمد بن إبراهيم بن الجحدري، و أبى بكر محمد بن داود العسقلانى، و هلال الحفار و صدقة بن محمد بن مروان الدمشقى، و لقي بإفريقية العابد ولى الله سيدى محرز بن خلف التميمى مولاهم و صحبه، و قال: لقد هبته يوم لقيته لا هيبه لم أجدها لأحد فى نفسى من الناس، و دخل الأندلس و بلاد المغرب، و كتب بها عن شيوخها، و لم يزل يكتب إلى أن مات حتى كتب عمّن دونه، و له «رسالة الرحلة و أسبابها و قول لا- إله إلّا الله و ثوابها»، فسمع منه أبو عبد الله الرازي و ذكره فى مشيخته، قال الحافظ ابن الأبار: و منها نقلت اسمه و تعرّفت دخوله الأندلس، و حدّث عنه هو و جماعة منهم أبو مروان الطنبى. و قال: هو من الرحالين فى الآفاق، أخبرنى أنه يحدّث عن مئين من أهل الحديث. و أبو عبد الله الحميدى، و أبو بكر الطّليطلى، و أبو عبد الله بن منصور الحضرمى، و أبو سعيد الرهاوى، و أبو محمد جعفر بن محمد السراج، و أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي، و أبو الحسن بن مشرف الأنماطى، و أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى، و أبو محمد شعيب بن سبعون الطرطوشى، و أبو بكر بن نعمه العابد، و أبو الحسن على بن الحسين الموصلى الغراف، و أبو عثمان سعد بن عبد الله الحيدرى من شيوخ السلفى، و أبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمى، و أبو إسحاق الكلاعى من شيوخ أبى بحر الأسدى، و أبو محمد بن عتاب كتب إليه بجميع ما رواه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٣٥

و لم يعرف ذلك في حياته. و سَمَاه أبو الوليد بن الدباغ في الطبقة العاشرة من طبقات أئمة المحدثين من تأليفه، مع أبي عمر بن عبد البرّ، و أبي محمد بن حزم، و أبي بكر بن ثابت الخطيب، و ذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه، و قال: سمع بما وراء النهر و العراق و مصر و اليمن و القيروان، ثم سكن مصر، و قدم دمشق قديما و حدّث بها، و سَمَى جماعة كثيرة من الرواة عنه، و حكى أنه قال: لى ببخارى أربعة عشر ألف جزء حديث أريد أن أمضى و أجيء بها، قال: و سئل عن مولده، فقال: في شهر ربيع الأول سنة اثنتين و ثمانين و ثلاثمائة، قال:

و توفي بالحوراء سنة إحدى و سبعين و أربعمائه، رحمه الله تعالى و رضى عنه! انتهى.

قلت: و الذى أعتقده أنه لم يدخل الأندلس من أهل المشرق أحفظ منه للحديث، و هو ثقة عدل ليس له مجازفة، و الحقّ أبلج.

٤٧- و ممن دخل الأندلس من المشرق عبد الجبار بن أبي سلمة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف، القرشى، الزهرى.

دخل الأندلس مع موسى بن نصير، و كان على ميسرة معسكره، و نزل باجة ثم بطليوس، و من نسله الزهريون الأشراف الذين كانوا بإشبيلية انتقلوا إلى سكناها قديما، هكذا فى خبر القاضى أبى الحسين الزهرى منهم عن أبى بكر بن خير و غيره، قال ابن بشكوال فى مجموعته المسّمى ب «التنبيه و التعيين، لمن دخل الأندلس من التابعين»: عبد الجبار بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف من التابعين، وقع ذكره فى كتاب شيخنا أبى الحسن بن مغيث، انتهى.

قال ابن الأبار: و لم يزد على هذا، انتهى.

٤٨- و من الداخلين إلى الأندلس من المشرق أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب.

من أهل مصر، و سكن بغداد، و يعرف بالطندتائى، قرية بمصر نسب إليها، روى عن أبى محمد الشارمساحى، و تفقه به، و قدم الأندلس رسولا بزعمه من عند الخليفة العباسى، فسكن مرسية، و درس بها، و خرج منها سنة اثنتين و أربعين و ستمائة بعد أن تملكها النصرارى صلحا، و أسر بناحية صقلية، قال ابن الأبار: ثم بلغنى أنه تخلّص و لحق ببلده، رحمه الله تعالى!.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٣٦

٤٩- و منهم عبد الخالق بن إبراهيم الخطيب، يكنى أبا القاسم.

قال ابن الأبار: لا أعرف موضعه من بلاد المشرق، و كان أدبيا قوى العارضة، مطبوع الشعر، مديد النفس، و من شعره من قصيدة صنعها فى وقت رحلته إلى الأندلس قوله: [بحر الطويل]

على الدلّ أو فاحلل عقال الركائب و للضيم أو فاحلل صدور الكتائب

فإمّا حياة بعد إدراك منية و إمّا ممات تحت عزّ القواضب

فما العيش فى ظلّ الهوان بطيب و ما الموت فى سبل العلاء بعائب

٥٠- و منهم أبو محمد عبد اللطيف بن أبى الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله، الهاشمى، الصدفى.

من أهل بغداد، يعرف بالترسى، دخل الأندلس، و كان يزعم أنه روى عن أبى الوقت السجزي و أبى الفرج بن الجوزى و غيرهما، و له تأليف سَمَاه بالدليل فى الطريق، من أقاويل أهل التحقيق» ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز و ضغفه بعد ما سمع منه، أخذ عنه و سمع منه هو و أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيلى و غيرهما، و قال: ورد علينا غرناطة قريبا من سنة ثلاث عشرة و ستمائة، و

توفى - عفا الله تعالى عنه! - بإشبيلية قريبا من هذا التاريخ، وقال فيه أبو القاسم بن فرقد: عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمي البغدادي النرسي، منسوب إلى قرية من قرى بغداد، سمع صحيح البخاري من أبي الوقت السجزي، وروى عن غيره، وله تأليف. قال ابن الأبار: في التصوف، منها تأليف في إباحة السماع، قرأت عليه أكثره، وقرأت عليه عوالي النقيب بمدينة إشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة.

٥١- و منهم أبو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن أحمد، الخراساني، البخارزي، الماليني.

يكنى أبا بكر، سمع من أبي الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني، وأبي يعقوب يوسف بن عمر بن أحمد الخالدي الزنجاني، وقدم الأندلس، وحدث بصحيفتي الأشجّ
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٣٧
وجعفر بن نسطور الرومي، وسمع منه بغرناطة و مرسية وغيرهما من بلاد الأندلس، وحدث عنه أبو القاسم الملاحى، وسمع منه بمالقه أبو جعفر بن عبد الجبار وأبو علي بن هاشم في صفر سنة ٦٠٠، ومولده في ربيع الأول سنة ٥٦٠، انتهى من تكملة ابن الأبار.
قلت: ولا يخفى على من له بصر بعلم الحديث أن الأشجّ و ابن نسطور لا يلتفت إليهما، و يرحم الله تعالى السلفى الحافظ إذ قال:
[بحر الطويل]

حديث ابن نسطور و قيس و يعنم و بعد أشجّ الغرب ثم خراش
و نسخة دينار و نسخة تربه أبى هدبه القيسى شبه فراش

قال ابن عات: كان الحافظ السلفى إذا فرغ من إنشاد هذين البيتين ينفخ فى يديه إشارة إلى أن هذه الأشياء كالريح، انتهى.

٥٢- و من الوافدين على الأندلس من أهل المشرق على بن بندار بن إسماعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك، البرمكى، من أهل بغداد.

قدم الأندلس، تاجرا سنة سبع و ثلاثين و ثلاثمائة، و كان قد أخذ عن أبي الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه الداودي، و تلمذ له، و سمع منه «الموضح» و «المنجح» من تأليفه فى الفقه، و ما تم له من أحكام القرآن، هكذا نقله الحافظ ابن حزم عن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله المعنى بهذا الشأن، رحمه الله تعالى!

٥٣- و منهم أبو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد، أبو العلاء، النيسابورى.

لقيه الحافظ أبو علي الصدفي ببغداد و أخذ عنه إذ قدمها حاجا، و هو يحدث عن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد البصرى، قال أبو علي: و أراه دخل الأندلس، و يغلب على ظنى أنى لقيته بسرقسطة، ذكر ذلك القاضى عياض فى «المعجم» من تأليفه، و الله تعالى أعلم.

٥٤- و منهم سهل بن علي بن عثمان، التاجر، النيسابورى، يكنى أبا نصر.

سمع جماعة من الخراسانيين و غيرهم، منهم أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى و أبو الفتح السمرقندى، و أدرك الإمام أبا المعالى الجوينى، و حضر مجلسه و درسه، و لقي بعده أصحابه القشيري و الطوسى و غيرهما، و كان شافعي المذهب، ذكره عياض و قال: حدثني بحكايات و فوائد، و أنشدني لأبى طاهر السلفى، و أجازني جميع رواياته و حدثني أن وفاة أبى المعالى كانت بنيسابور سنة

خمس أو أربع و سبعين و أربعمائه، و قال أبو محمد العثماني:

أنشدني أبو نصر سهل بن على النيسابورى الحقوانى قال: أنشدنا أبو الفتح نصر بن الحسن، أنشدنا أبو العباس العذرى، قال: أنشدنا أبو محمد بن حزم الحافظ لنفسه: [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٣٨

و لما رأيت الشيب حلّ مفارقى نذيرا بترحال الشباب المفارق

رجعت إلى نفسى فقلت لها انظرى إلى ما أتى، هذا ابتداء الحقائق

دعى دعوات اللّهُو قد فات وقتها كما قد أفات الليل نور المشارق

دعى منزل اللّدّات ينزل أهله وجدّى لما ندعى إليه و سابقى

قال عياض: توفى سهل هذا غريفا فى البحر متصرفا إلى بلده من المريّة، رحمه الله تعالى!.

٥٥- و منهم أبو المكارم هبة الله بن الحسين، المصرى.

كان من أهل العلم، عارفا بالأصول، حافظا للحديث، متيقظا، حسن الصورة و السّارة، دخل الأندلس، و ولى قضاء إشبيلية منها آخر شعبان سنة تسع و سبعين و خمسمائة.

قال ابن الأبار: و به صرف أبو القاسم الخولانى، و أقام بها سنة، و حضر غزوة شنتين، و كان قدوم أبى المكارم هذا الأندلس خوفا من صلاح الدين يوسف بن أيوب فى قوم من شيعة العبيدى ملك مصر، و وفد أيضا معه أبو الوفاء المصرى، ثم استصحبه أمير المؤمنين يعقوب المنصور معه فى غزوة قفصة الثانية، و ولّاه حينئذ قضاء تونس، و كان قد ولى قضاء فاس، و ولى أيضا أبو الوفاء صاحبه القضاء، و توفى و هو متولى قضاء تونس سنة ست و ثمانين و خمسمائة، رحمه الله تعالى!.

٥٦- و منهم يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله، القيسى، الدمشقى.

أصله من دمشق، و بها ولد، و يعرف بالأصبهانى فى مجلس أبى طاهر السيلفى لدخوله إياها و إقامته بها أزيد من خمسة أعوام لقراءة الخلافيات، و يكنى أبا زكريا، و سمع بالمشرق أبا بكر بن ماشاذة السكرى، و أبا الرشيد بن خالد البيع، و أبا الطاهر السلفى و غيرهم، و قصد المغرب بعد أداء الفريضة فلقى ببجاية أبا محمد عبد الحق الإشبلى، و أجازاه و حصّه على الوعظ و التذكير، فامتثل ذلك، و دخل الأندلس، و تجول ببلادها، و استوطن غرناطة منها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٣٩

و كان فقيها على مذهب الشافعى، عارفا بالأصول و التصوّف، زاهدا، ورعا، كثير المعروف و الصدقة، يعظ الناس، و يسمع الحديث، و لم يكن بالضابط فيما قاله الحافظ ابن الأبار، قال:

وله كتاب «الروضة الأنيقة» من تأليفه، حدّث عنه جماعة من الجلمة، منهم أبو جعفر بن عميرة الضبى ابنا حوط الله أبو محمد و أبو سليمان، و أبو القاسم الملاحى، و أبو العباس بن الجيار، و أبو الربيع بن سالم، و قال: أنشدنى عند توديعى إياه بغرناطة قال: سمعت

بعض المذكورين ينشد: [بحر السريع]

يا زائرا زار و ما زارا كأنه مقتبس نارا

مرّ باب الدار مستعجلا ما ضرّه لو دخل الدارا

نفسى فداء لك من زائر ما زار حتى قيل قد سارا

و سَمِعَ مِنْهُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الدَّلَالِ كِتَابَ «المعالم» للخطّابي في شرح «سنن أبي داود» بقراءة جميعه عليه. و مولده في شوال سنة ثمان و أربعين و خمسمائة، و توفي بغرناطة بعد أن سكنها يوم الاثنين سادس شوال سنة ثمان و ستمائة، قال ابن الأبار: و في هذا اليوم بعينه كانت وفاة شيخنا أبي عبد الله بن نوح ببلنسية، رحمهما الله تعالى!.

٥٧- و من الوافدين من المشرق إلى الأندلس إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي، القرشي.

من ذرية عبد بن زمعة أخى سودة أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها!.

رحل من مصر إلى الأندلس في زمن السلطان الحكم المستنصر بالله أعوام الستين و ثلاثمائة حين ملك بنو عبيد مصر و أظهروا فيها معتقدهم الخبيث، فحلّ يومئذ من الحكم المستنصر محلّ الرب و السعة، و لما ثارت الدولة العامرية أوى إلى إشبيلية، و أوطنها دارا، و اتخذها قرارا، و بها لقيه أبو عمر بن عبد البر علامة الأندلس فدرس عليه، و اقتبس ممّا لديه، و قد ذكره في تاريخ شيوخه، و لم يزل عقبه بها إلى أن نجم منهم أبو الحسين سالم بن محمد بن سالم، و هو من رجال «الذخيرة» و له نثر، كما تفتح الزهر، و تدفق البحر، و نظم كما أتقى الدرّ، و سمرت عن محاسنها الأنجم الغرّ، فمن نظمه قوله: [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٤٠

خليلى، هل ليلي و نجد كعهدنا فيا حبذا ليلي و يا حبذا نجد

عسى الدهر أن يقضى لنا بالتفاته فيا ربّ عهد قد يجدده بعد

و له أثناء رسالة قوس: [بحر البسيط]

قوس العلا وضعت في كفّ باريتها و أسهم الخطب عادت نحو راميتها

و إنما الشمس لاحت في مطالعها بلى و أجرى جياذ الخيل مجريها

و نشأ هذا النجم الثاقب، و الصيّب الساكب، و قد أخذ من العلوم في غير ما فنّ، و حقّق فيه كلّ ما ظنّ، و ذكره في «المسهب» و «سمط الجمان» و فضله أشهر، رحمه الله تعالى!.

٥٨- و منهم أبو علي القالى، صاحب الأمالي و النوادر.

وفد على الأندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن، فأمر ابنه الحكم - و كان يتصرّف عن أمر أبيه كالوزير - عاملهم ابن رماحس أن يجيء مع أبي علي إلى قرطبة، و يتلقاه في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض أهل الكورة تكرمه لأبي علي، ففعل، و سار معه نحو قرطبة في موكب نبيل، فكانوا يتذكرون الأدب في طريقهم، و يتناشدون الأشعار، إلى أن تحاوروا يوما، و هم سائرون، أدب عبد الملك بن مروان و مساءلته جلساءه عن أفضل المناديل و إنشاده بيت عبده بن الطيب: [بحر البسيط]

ثمّت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهنّ لأيدينا مناديل

و كان الذاكر للحكاية الشيخ أبا علي، فأنشد الكلمة في البيت «أعرافها لأيدينا مناديل» فأنكرها ابن رفاعه الألبيري، و كان من أهل الأدب و المعرفة، و في خلقه حرج و زعارة، فاستعاد أبا علي البيت متبثبا مرتين في كليهما أنشده «أعرافها» فلوى ابن رفاعه عنانه منصرفا و قال: مع هذا يوفد على أمير المؤمنين و تتجشّم الرحلة لتعظيمه، و هو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا تغلط الصبيان فيه؟! و الله لا تبعته خطوة، و انصرف عن الجماعة، و ندبه أميره ابن رماحس أن لا يفعل، فلم يجد فيه حيلة، و كتب إلى الحكم يعرفه و يصف له ما جرى لابن رفاعه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٤١

و يشكوه، فأجابه على ظهر كتابه: الحمد لله الذى جعل فى باديه من بوادينا من يخطئ وافد أهل العراق إلينا، و ابن رفاعه أولى بالرضا عنه من السخط، فدعه لشأنه، و أقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته، فسوف يعليه الاختبار إن شاء الله تعالى أو يحطه. و بعض المؤرخين يزعم أن وفاده أبى على القالى إنما كانت فى خلافة الحكم المستنصر بالأندلس، لا- فى خلافة أبيه الناصر، و الصواب أن وفادته فى أيام الناصر؛ لما ذكره غير واحد من حصره و عيه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الإفرنج كما ألمعنا به فى غير هذا الموضع.

و فى القالى يقول شاعر الأندلس الرمادى: [بحر الكامل]

من حاكم بينى و بين عدولى؟ الشجو شجوى و العويل عويلي
فى أى جارحة أصون معدبى سلمت من التعذيب و التنكيل
إن قلت فى بصرى فثم مدامعى أو قلت فى قلبى فثم غليلي
لكن جعلت له المسامح موضعا و حجبها عن عدل كلّ عدول
و لما سمع المتنبي البيت الثانى قال: يصونه فى استه.

و كان الرمادى لما سمع قول المتنبي: [بحر البسيط]

كفى بجسمى نحولا أننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى
قال: أظنه ضرطه، و الجزاء من جنس العمل.

و باسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو على القالى كتاب «الأمالى».

و كان الحكم كريما، معتزيا بالعلم، و هو الذى وجه إلى الحافظ أبى الفرج الأصبهاني ألف دينار على أن يوجه له نسخه من كتاب الأغاني، و ألف أبو محمد الفهرى كتابا فى نسب أبى على البغدادي و رواياته و دخوله الأندلس. و حكى ابن الطيلسان عن ابن جابر أنه قرأ هذين البيتين فى لوح رخام كان سقط من القبة المبيته على قبر أبى على البغدادي عند تهديمها، و هما:

[بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٤٢

صلوا لحد قبرى بالطريق و ودعوا فليس لمن وارى التراب حبيب
و لا تدفونى بالعراء فرما بكى أن رأى قبر الغريب غريب

و اسم أبى على إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان، و جدّه سليمان مولى عبد الملك بن مروان، و كان أبو على أحفظ أهل زمانه باللغه و الشعر و نحو البصريين، و أخذ الأدب عن أبى بكر بن دريد الأزدي و أبى بكر بن الأنباري و ابن درستويه و غيرهم، و أخذ عنه أبو بكر الزبيدي الأندلسي صاحب «مختصر العين». و لأبى على التصانيف الحسان ك «الأمالى» و «البارع»، و طاف البلاد، و سافر إلى بغداد سنة ٣٠٣، و أقام بالموصل لسماع الحديث من أبى يعلى الموصلى، و دخل بغداد سنة ٣٠٣. و أقام بها إلى سنة ٣٢٨، و كتب بها الحديث، ثم خرج من بغداد قاصدا الأندلس، و سمع من البغوى و غيره.

و قال ابن خلّكان: و دخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين و ثلاثمائة، انتهى.

و هو ممّا يعين أنه قدم فى زمن الناصر، لا فى زمن ابنه الحكم كما تقدّم، و قد صرح بذلك الصفدى فى الوافى فقال: و لما دخل المغرب قصد صاحب الأندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن، فأكرمه، و صنّف له و لولده الحكم تصانيف و بثّ علومه هناك، انتهى.

و قال ابن خلّكان إنه استوطن قرطبة إلى أن توفى بها فى شهر ربيع الآخر، و قيل:

جمادى الأولى سنة ٣٥٦، ليلة السبت لستّ خلون من الشهر المذكور، و دفن ظاهر قرطبة، و مولده بمنازجرد من ديار بكر سنة ٢٨٨، و قيل: سنة ٢٨٠.

و إنما قيل له «القالى» لأنه سافر إلى بغداد مع أهل قاليقلا، و هى من أعمال ديار بكر.

و هو من محاسن الدنيا، رحمه الله تعالى!

و عيذون: بفتح العين، و سكون الياء المشناة التحتية، و ضمّ الذال المعجمة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٤٣

و قال ابن خلكان فى ترجمة ابن القوطية: إن أبا على القالى لما دخل الأندلس اجتمع به، و كان يباليغ فى تعظيمه، قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر: من أنبل من رأيت ببلدنا هذا فى اللغة؟ فقال: محمد بن القوطية، و كان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العبادة، و كان جريد الشعر صحيح الألفاظ حسن المطالع و المقاطع إلّا أنه تركه و رفضه، و قال الأديب أبو بكر بن هذيل: إنه توجه يوماً إلى ضيعة له بسفح جبل قرطبة، و هى من بقاع الأرض الطيبة المونقة، فصادف أبا بكر بن القوطية المذكور صادراً عنها، و كانت له أيضاً هناك ضيعة، قال: فلما رآنى عرج على، و استبشر بلقائى، فقلت مداعباً له: [بحر البسيط]

من أين أقبلت يا من لا شبيه له و من هو الشمس و الدنيا له فلكك

قال: فتبسم و أجاب بسرعة: [بحر البسيط]

من منزل تعجب النساك خلوته و فيه ستر على الفتاك إن فتكوا

فما تماكنت أن قبلت يده، إذ كان شيخى، و دعوت له، انتهى.

و هو صاحب كتاب «الأفعال» الذى فتح فيه هذا الباب، فتلاه ابن القطاع و له كتاب «المقصود و الممدود» جمع فيه ما لا يحدد و لا يعد، و أعجز من بعده به، وفاق من تقدمه، رحمه الله تعالى و رضى عنه!

و ممن أخذ عن أبى على القالى بالأندلس أبو بكر محمد الزبيدى صاحب كتاب «مختصر العين» و غيره، و كان الزبيدى كثيراً ما ينشد: [بحر السريع]

الفقر فى أوطاننا غربه و المال فى الغربه أوطان

و الأرض شىء كلها واحد و الناس إخوان و جيران

و ترجمة الزبيدى واسعة، و كان مؤدّب المؤيد هشام، و وصفه بأنه كان فى صباه فى غاية الحذق و الذكاء، رحمه الله تعالى!.

و كان القالى قد بحث على ابن درستويه كتاب سيبويه، و دقق النظر، و انتصر للبصريين، و أملى شيئاً من حفظه ككتاب «النوادر» و «الأمالى»، و «المقصود و الممدود»، و «الإبل و الخيل»، و «البارع فى اللغة» نحو خمسة آلاف ورقة، و لم يصنف مثله فى الإحاطة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٤٤

و الجمع، و لم يتم، و رتب كتاب «المقصود و الممدود» على التفعيل و مخارج الحروف من الحلق مستقصى فى باب لا يشد منه شىء، و كتاب «فعلت و أفعلت» و كتاب «مقاتل الفرسان» و «تفسير السبع الطوال».

و كان الزبيدى إماماً فى الأدب، و لكنه عرف فضل القالى، فمال إليه، و اختص به، و استفاد منه، و أقر له.

و كان الحكم المستنصر قبل ولايته الأمر و بعدها ينشط أبا على، و يعينه على التأليف بوسع العطاء، و يشرح صدره بالإفراط فى الإكرام، و كانوا يسمونه «البغدادى» لوصوله إليها من بغداد، و يقال: إن الناصر هو الذى استدعاه من بغداد لولائه فيهم، و فيه يقول

الرمادى متخلصاً فى لاميته السابق بعضها: [بحر الكامل]

روض تعاوده السحاب كأنه متعاهد من عهد إسماعيل

قسه إلى الأعراب تعلم أنه أولى من الأعراب بالتفضيل

حازت قبائلهم لغات فزقت فيهم و حاز لغات كل قبيل

فالشرق خال بعده و كأنما نزل الخراب بربعه المأهول

فكانه شمس بدت في غربنا و تغيّبت عن شرقهم بأقول
يا سيدى هذا ثنائى لم أقل زورا و لا عرّضت بالتنويل
من كان يأمل نائلا فأنا امرؤ لم أرج غير القرب فى تأميلي
و قد تقدّمت أبيات القالى التى أجاب بها منذر بن سعيد فى الباب قبل هذا، فلتراجع ثمّة، و الله تعالى أعلم.

٥٩- و من الوافدين إلى الأندلس من المشرق أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي، اللغوي.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٤٥

و أصله من الموصل، قال ابن بسام: و لما دخل صاعد قرطبة أيام المنصور بن أبى عامر عزم المنصور على أن يقضى به آثار أبى على البغدادي الوافد على بنى أمية، فما وجد عنده ما يرتضيه، و أعرض عنه أهل العلم، و قدحوا فى علمه و عقله و دينه، و لم يأخذوا عنه شيئا لقلّة الثقة به، و كان ألف كتابا سماه كتاب «الفصوص» فدحضوه و رفضوه و نبذوه فى النهر، و من شعره قوله: [بحر الكامل]
و مهفهف أبهى من القمر قهر الفؤاد بفاتن النظر
خالسته تفّاح و جنته فأخذتها منه على غرر
فأخافنى قوم فقلت لهم: لا قطع فى ثمر و لا كثر
و الكثر: الجمار، و هذا اقتباس من الحديث.

و قال الحميدى: سمعت أبا محمد بن حزم الحافظ يقول: سمعت أبا العلاء صاعدا ينشد بين يدي المظفر عبد الملك بن أبى عامر من قصيدة يهنيه فيها بعيد الفطر سنة ٣٩٦: [بحر الوافر]
حسبت المنعمين على البرايا فألفيت اسمه صدر الحساب
و ما قدّمته إلّا كائى أقدم تاليا أم الكتاب

و ذكر الحميدى أن عبد الله بن ماكان الشاعر تناول نرجسة فركبها فى وردة ثم قال لصاعد و لأبى عامر بن شهيد: صفها، فأفحما، و لم يتّجه لهما القول، فبينما هم على ذلك إذ دخل الزهيرى صاحب أبى العلاء و تلميذه، و كان شاعرا أدبيا أمّيا لا يقرأ، فلما استقرّ به المجلس أخبر بما هم فيه، فجعل يضحك و يقول: [بحر السريع]

ما للأدبيين قد اعيتهما مليحة من ملح الجنّه
نرجسة فى وردة ركّبت كمقلّة تطرف فى وجنه

انتهى.

و من غريب ما جرى لصاعد أن المنصور جلس يوما و عنده أعيان مملكته و دولته من أهل العلم كالزبيدي و العاصمى و ابن العريف و غيرهم، فقال لهم المنصور: هذا الرجل الوافد علينا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٤٦

يزعم أنه متقدّم فى هذه العلوم، و أحب أن يمتحن، فوجّه إليه، فلما مثل بين يديه و المجلس قد احتفل خجل فرفع المنصور محلّه و أقبل عليه، و سأله عن أبى سعيد السيرافى، فزعم أنه لقيه و قرأ عليه كتاب سيبويه، فبادره العاصمى بالسؤال عن مسألة من الكتاب، فلم يحضره جوابها، و اعتذر بأن النحو ليس جلّ بضاعته، فقال له الزبيدي: فما تحسن أيّها الشيخ؟ فقال:

حفظ الغريب، قال: فما وزن أولق، فضحك صاعد، و قال: أمثلى يسأل عن هذا؟ إنما يسأل عنه صبيان المكتب، قال الزبيدي: قد سألتناك، و لا نشكّ أنك تجهله، فتغيّر لونه، و قال: أفعل وزنه، فقال الزبيدي: صاحبكم ممخرق، فقال له صاعد، إخال الشيخ صناعته الأبنية، فقال له: أجل، فقال صاعد: و بضاعتي أنا حفظ الأشعار، و رواية الأخبار، و فكّ المعتمى، و علم الموسيقى، فقال: فناظره ابن

العريف، فظهر عليه صاعد، و جعل لا يجرى فى المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعرا شاهدا، و أتى بحكاية تجانسها، فأعجب المنصور، ثم أراه كتاب «النوادر» لأبى على القالى، فقال: إن أراد المنصور أملت على كتاب دولته كتابا أرفع منه و أجل لا أورد فيه خبرا ممّا أورده أبو على، فأذن له المنصور فى ذلك، و جلس بجامع مدينة الزاهرة يملى على كتابه المترجم ب «الفصوص»، فلما أكمله تتبعه أدباء الوقت، فلم تمرّ فيه كلمة صحيحة عندهم، و لا خبر ثبت لديهم، و سألوا المنصور فى تجليد كراريس بياض تزال جدتها، حتى توهم القدم، و ترجم عليه كتاب «النكت» تأليف أبى الغوث الصنعانى، فترامى إليه صاعد حين رآه، و جعل يقبله، و قال: إى و الله، قرأته بالبلد الفلانى على الشيخ أبى فلان، فأخذة المنصور من يده خوفا أن يفتحه، و قال له: إن كنت قد قرأته كما تزعم، فعلام يحتوى؟ فقال:

و أبيك لقد بعد عهدى به، و لا أحفظ الآن منه شيئا، و لكنه يحتوى على لغة مثورة لا يشوبها شعر و لا خبر، فقال له المنصور: أبعده الله مثلك! فما رأيت أكذب منك، و أمر بإخراجه، و أن يقذف كتاب «الفصوص» فى النهر، فقال فيه بعض الشعراء: [بحر السريع] قد غاص فى النهر كتاب الفصوص و هكذا كلّ ثقل يغوص

فأجابه صاعد: [بحر السريع]

عاد إلى معدنه، إنما توجد فى قعر البحار الفصوص

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٤٧

قال ابن بسام: و ما أظنّ أحدا يجترئ على مثل هذا، و إنما صاعد اشترط أن لا يأتى إلا بالغريب غير المشهور، و أعانهم على نفسه بما كان يتفق به من الكذب.

و حكى ابن خلكان أن المنصور أثابه على كتاب «الفصوص» بخمسة آلاف دينار! و من أعجب ما جرى له أنه كان بين يدى المنصور، فأحضرت إليه وردة فى غير وقتها لم يستم فتح ورقها، فقال فيها صاعد مرتجلا: [بحر المتقارب]

أتتك أبا عامر وردة يذكرك المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكامها راسها

فسرّ بذلك المنصور، و كان ابن العريف حاضرا، فحسده، و جرى إلى مناقضته، و قال لابن أبى عامر: هذان البيتان لغيره، و قد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر، و هما عندى على ظهر كتاب بخطه، فقال له المنصور: أرنيه، فخرج ابن العريف، و ركب و حرّك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر، و كان أحسن أهل زمانه بديهة، فوصف له ما جرى، فقال هذه الأبيات و دسّ فيها بيتى صاعد: [بحر المتقارب]

عدوت إلى قصر عباسه و قد جدل النوم حرّاسها

فألفيتها و هى فى خدرها و قد صرع السكر أناسها

فقلت: أسار على هجعة؟ فقلت: بلى، فرمت كاسها

و مدّت يديها إلى وردة يحاكي لك الطيب أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكامها راسها

و قالت: خف الله لا تفضحن ن فى ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على غفلة و ما خنت ناسى و لا ناسها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٤٨

فطار ابن العريف بها، و علّقها على ظهر كتاب بخط مصرى و مداد أشقر، و دخل بها على المنصور، فلما رآها اشتدّ غيظه على صاعد، و قال للحاضرين: غدا أمتحنه، فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد، و لم يبق فى موضع لى عليه سلطان، فلما أصبح وجه إليه

فأحضر، و أحضر جميع الندماء، فدخل بهم إلى مجلس محفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير، و وضع على السقائف لعب من ياسمين في شكل الجوارى، و تحت السقائف بركة ماء، قد ألقى فيها اللالكى مثل الحصباء، و فى البركة حيّة تسبح، فلما دخل صاعد و رأى الطبق قال له المنصور: إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا، و إما أن تشقى بالصدّ عندنا؛ لأنه قد زعم قوم أن كلّ ما تأتى به دعوى، و قد وقفت من ذلك على حقيقة، و هذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك قبلى شكله، فصفه بجميع ما فيه، و عبّر بعض عن هذه القصة بقوله: أمر فعبىء له طبق فيه أزهار و رياحين و ياسمين و بركة ماء حصبأؤها اللؤلؤ، و كان فى البركة حيّة تسبح، و أحضرها صاعد، فلما شاهد ذلك قال له المنصور: إن هؤلاء يذكرون أن كلّ ما تأتى به دعوى لا صحّة لها، و هذا طبق ما ظننت أنه عمل لملك مثله، فإن وصفته بجميع ما فيه علمت صحّة ما تذكره، فقال صاعد بديهة: [بحر الطويل]

أبا عامر، هل غير جدواك واكف؟ و هل غير من عاداك فى الأرض خائف

يسوق إليك الدهر كلّ غريبة و أعجب ما يلقاه عندك واصف

و شائع نور صاعها هامر الحيا على حافتيها عبقر و رفارف

و لّما تناهى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع الملاهى الوصائف

كمثل الطّباء المستكّنة كئسا تظللها بالياسمين السقائف

و أعجب منها أنهنّ نواظر إلى بركة ضمت إليها الطرائف

حصاها اللالكى سابح فى عباها من الرّقش مسموم الثعابين زاحف

ترى ما تراه العين فى جنباتها من الوحش حتى بينهنّ السلاحف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٤٩

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضوع، و كتبها المنصور بخطه، و كان إلى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النّوار تجذف بمجاديف من ذهب لم يرها صاعد، فقال له المنصور: أحسنت، إلّا أنك أغفلت ذكر المركب و الجارية، فقال للوقت:

و أعجب منها غادة فى سفينة مكّلة تصبو إليها المهاتف

إذا راعها موج من الماء تتقى بسكانها ما أنذرتة العواصف

متى كانت الحسناء ربّان مركب تصرّف فى يمينه يديه المجاذف

و لم تر عيني فى البلاد حديقه تنقلها فى راحتين الوصائف

و لا غرو أن شافت معاليك روضه و شتها أزاهير الرّبا و الزخارف

فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع و رضوى ذرتها من سطاك نواسف

إذا قلت قولاً أو بدت بديهة فكلى له إنى لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار و مائة ثوب، و ربّ له فى كل شهر ثلاثين دينارا، و ألحقه بالندماء.

قال: و كان شديد البديهة فى ادّعاء الباطل، قال له المنصور يوما: ما الخبشار؟ قال:

حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الأعراب، و فى ذلك يقول شاعرهم: [بحر الوافر]

لقد عقدت محبّتها بقلبي كما عقد الحليب الخبشار

و قال له يوما، و قد قدّم إليه طبق فيه تمر: ما التمر كل فى كلام العرب؟ فقال: «يقال تمر كل الرجل تمر كلاً» إذا التفت فى كسائه. و كان مع ذلك عالماً.

قال: و كان لابن أبى عامر فتى يسمّى فاتنا أوحد لا نظير له فى علم كلام العرب، فناظر صاعدا هذا فقطعه و ظهر عليه و بكته، فأعجب

المنصور منه، فتوفي فاتن هذا سنة ٤٠٢، وبيعت في تركته كتب مضبوطة جليبة مصححة، و كان منقادا لما نزل به من المثلة فلم يتخذ النساء كغيره، و كان في ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المخانيث ممن أخذ بأوفر نصيب من الأدب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٥٠

قال: و رأيت تأليفا لرجل منهم يعرف بحبيب ترجمه بكتاب «الاستظهار و المغالبة، على من أنكر فضائل الصقالبة» و ذكر فيه جملة من أشعارهم و أخبارهم و نوادرهم.

و قال ابن بسام و غيره: و من عجائب ما جرى لصاعد أنه أهدى أَيْلا إلى المنصور، و كتب على يد موصله: [بحر الكامل]
يا حرز كل مخوف و أمان كل مشرد و معز كل مدلل يا سلك كل فضيلة و نظام كل جزيلة و ثراء كل معيل و منها:
ما إن رأيت عيني و علمك شاهد جدوى علائك في معم مخول
و منها:

و أبي مؤانس غربتي و تحفظي من صفر أيامي و من مستعملي

عبد جذبت بزببعه و رفعت من مقداره أهدى إليك بأيل

سميته غرسية و بعثته في حبله ليصح فيه تفاؤلي

فلئن قبلت فتلك أنف من أهدى بها ذو منحة و تطول

منحتك غادية السرور بعزة و حللت أوجا بالسحاب المخضل

فقضى في سابق علم الله سبحانه و تعالى أن ملك الروم غرسية أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه بالأيل، و سماه باسمه على التفاؤل، انتهى.

و كان غرسية أمتع من النجم، و سبب أخذه أنه خرج يتصيد، فلقيته خيل للمنصور من غير قصد، فأسرت به و جاءته به، فكان هذا الاتفاق مما عظم به العجب.

و لنورد أخبار صاعد فنقول: حكى أن المنصور قال بسبب هذه القضية: إنه لم يتفق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٥١

لصاعد هذا الفأل الغريب إلا لحسن نيته و سريرته، و صفاء باطنه، فرجع قدره من ذلك اليوم فوق ما كان، و رجحه على أعدائه، و حق له ذلك.

و في الزهرة الثامنة و العشرين من كتاب «الأزهار المنثورة، في الأخبار الماثورة» حكى أن صاعدا قال: جمعت خرق الأكياس و الصرر التي قبضت فيها صلوات المنصور محمد بن أبي عامر، فقطعت لكافور الأسود غلامى منها قميصا كالمرقعة، و بكرت به معى إلى قصر المنصور، فاحتلت في تنشيطه حتى طابت نفسه فقلت: يا مولانا لعبدك حاجة، فقال: أذكرها، قلت: وصول غلامى كافور إلى هنا، فقال: و على هذه الحال؟ فقلت: لا. أقع بسواه إلا بحضوره بين يديك، فقال: أدخلوه، فمثل قائما بين يديه في مرقعته و هو كالنخلة إشرافا، فقال: قد حضر، و إنه لبازل الهيئة، فمالك أضعته؟ فقلت: يا مولانا، هنالك الفائدة، اعلم يا مولاي أنك وهبت لى اليوم ملء جلد كافور مالا، فتهلل و قال: لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معانى الشكر! و أمر لى بمال واسع و كسوة، و كسا كافورا أحسن كسوة، انتهى.

و لما دخل صاعد دانية، و حضر مجلس الموفق مجاهد العامرى أمير البلد، كان فى المجلس أديب يقال له بشار، فقال للموفق: دعنى أعبث بصاعد، فقال له: لا تتعرض إليه، فإنه سريع الجواب، فأبى إلا مساءلته، و كان بشار المذكور أعمى، فقال لصاعد: يا أبا العلاء، ما الجرنفل فى كلام العرب؟ فعرف صاعد أنه وضع هذه الكلمة، و ليس لها أصل فى اللغة، فقال بعد أن أطرق ساعة: الجرنفل فى اللغة الذى يفعل بنساء العميان و لا يتجاوزهن إلى غيرهن، و هو فى ذلك كله يصرح و لا يكتنى، فنجل بشار و انكسر، و ضحك من كان

حاضرا، فقال له الموفق: قلت لك لا تفعل فلم تقبل، انتهى.

والجرنفل. بضم الجيم والراء، و سكون النون، و ضمّ الفاء، و بعدها لام.

و لصاعد أخبار و نوادر كثيرة غير ما تقدّم، و له مع المنصور بن أبي عامر، رحمه الله تعالى، من ذلك كثير، و بعضه ذكرناه في هذا الكتاب.

و من حكاياته أنه خرج معه يوما إلى رياض الزاهرة، فمدّ المنصور يده إلى شيء من الريحان المعروف بالترنجان، فعبث به ورماه إلى صاعد، و أشار إليه أن يقول فيه، فارتجل: [بحر البسيط]
لم أدر قبل ترنجان عبث به
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٥٢
الآيات الآتية.

و هذا المنصور بن أبي عامر قد تقدّمت جملة من أخباره، و من أعجب ما وقع له ما رأيت به خزانه فاس في كتاب ألفه صاحبه في الأزهار و الأنوار، حكى فيه في ترجمة النيلوفر أن المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو أعظم ملوكهم في ذلك الزمان ليطلع على أحوال المسلمين و قوتهم، فأمر المنصور أن يغرس في بركة عظيمة ذات أميال نيلوفر، ثم أمر بأربعة قناطير من الذهب و أربعة قناطير من الفضة فسبكت قطعاً صغاراً على قدر ما تسع النيلوفة، ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة، و أرسل إلى الرومي فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة، فلما قرب طلوع الشمس جاء ألف من الصقالبة عليهم أقبية الذهب و الفضة و مناطق الذهب و الفضة، و بيد خمسمائة أطاق ذهب، و بيد خمسمائة أطاق فضة، فتعجب الرسول من حسن صورهم و جميل شارتهم، فلم يدر ما المراد، فحين أشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة، و بادروا لأخذ الذهب و الفضة من النيلوفر، و كانوا يجعلون الذهب في أطاق الفضة و الفضة في أطاق الذهب، حتى التقطوا جميع ما فيها، و جاؤوا به فوضعه بين يدي المنصور، حتى صار كوما بين يديه، فتعجب النصراني من ذلك، و أعظمه، و طلب المهادنة من المسلمين، و ذهب مسرعاً إلى مرسله، و قال له: لا تعاد هؤلاء القوم، فإني رأيت الأرض تخدمهم بكنوزها، انتهى.

و هذه القضية من الغرائب، و إنها لحيلة عجيبة في إظهار عز الإسلام و أهله.

و كان المنصور بن أبي عامر آية الله سبحانه في السعد و نصره الإسلام، قال ابن بسام نقلاً عن ابن حيان: إنه لما انتهت خلافة بني مروان بالأندلس إلى الحكم تاسع الأئمة، و كان مع فضله قد استهواه حب الولد، حتى خالف الحزم في توريثه الملك بعده في سنّ الصبا، دون مشيخة الإخوة و فتیان العشيرة، و من كان ينهض بالأمر و يستقل بالملك. قال ابن بسام: و كان يقال «لا يزال ملك بني أمية بالأندلس في إقبال و دوام ما توارثه الأبناء عن الآباء، فإذا انتقل إلى الإخوة و توارثوه فيما بينهم أدبر و انصرم». و لعل الحكم لحظ ذلك، فلما مات الحكم أخفى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٥٣

جوذر و فائق فتياه ذلك، و عزم على صرف البيعة إلى أخيه المغيرة، و كان فائق قد قال له: إن هذا لا يتم لنا إلا بقتل جعفر المصحفي، فقال له جوذر: و نستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا؟

فقال له: هو و الله ما أقول لك، ثم بعثا إلى المصحفي و نعى إليه الحكم، و عرفاه رأيهما في المغيرة، فقال لهما المصحفي: و هل أنا إلما تبع لكما، و أنتما صاحبا القصر، و مدبراً الأمر؟ فشرعا في تدبير ما عزموا عليه، و خرج المصحفي و جمع أجناده و قواده و نعى إليهم الحكم، و عرفهم مقصود جوذر و فائق في المغيرة، و قال: إن بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا، و إن بدلنا استبدلنا، فقالوا: الرأي رأيك، فبادر المصحفي بإنفاذ محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند إلى دار المغيرة لقتله، فوفاه و لا خبر عنده، فنعى إليه الحكم أخاه، فجزع، و عرفه جلوس ابنه هشام في الخلافة، فقال: أنا سامع مطيع، فكتب إلى المصحفي بحاله، و ما هو عليه من

الاستجابة، فأجابه المصحفي بالقبض عليه، وإلا وجه غيره ليقتله، فقتله خنقا.

فلما قتل المغيرة واستوثق الأمر لهشام بن الحكم افتتح المصحفي أمره بالتواضع والسياسة وأطراح الكبر و مساواة الوزراء في الفرش، وكان ذلك من أول ما استحسن منه، وتوفّر على الاستئثار بالأعمال والاحتجان للأموال، وعارضه محمد بن أبي عامر، فتى ماجد أخذ معه بطرفي نقيض بالبخل جودا وبالاستبداد أثره، وتملك قلوب الرجال إلى أن تحرّكت همته للمشاركة في التدبير بحق الوزارة، وقوى على أمره بنظره في الوكالة، وخدمته للسيدة صباح أم هشام، وكانت حاله عند جميع الخدم أفضل الأحوال بتصديده لمواقع الإرادة، ومبالغته في تأدية لطيف الخدمة، فأخرجت له أم هشام الخليفة إلى الحاجب جعفر المصحفي بأن لا ينفرد عنه برأى، وكان غير متخيّل منه سكوتا إلى ثقته، فامتثل الأمر وأطلع على سرّه، وبالغ في برّه، وبالغ محمد بن أبي عامر في مخادعته والنصح له، فوصل المصحفي يده بيده، واستراح إلى كفايته، وابن أبي عامر يمكر به، ويضرب عليه، ويغري به الحرّة، ويناقضه في أكثر ما يعامل به الناس، ويقضى حوائجهم، ولم يزل على ما هذه سبيله إلى أن انحلّ أمر المصحفي، وهوى نجمه، وتفرد محمد بن أبي عامر بالأمر، ومنع أصحاب الحكم وأجلاهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٥٤

وأهلكهم وشردهم وشتتهم وصادرهم، وأقام من صنائعهم من استغنى به عنهم، وصادر الصقالبة، وأهلكهم، وأبادهم في أسرع مدّة.

قال ابن حيان: وجاشت النصرانية بموت الحكم، وخرجوا على أهل الثغور فوصلوا إلى باب قرطبة، ولم يجدوا عند جعفر المصحفي غناء ولا نصره، وكان ممّا أتى عليه أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سدّ نهرهم، لما تخيله من أن في ذلك النجاة من العدو، ولم تقع حيلته لأكثر منه، مع وفور الجيوش وجموم الأموال، وكان ذلك من سقطات جعفر، فأنف محمد بن أبي عامر من هذه الدّنية، وأشار على جعفر بتبديد الجيش بالجهاد، وخوفه سوء العاقبة في تركه، وأجمع الوزراء على ذلك، إلّا من شدّ منهم، واختار ابن أبي عامر الرجال، وتجهّز للغزاة، واستصحب مائة ألف دينار، ونفذ بالجيش، ودخل على الثغر الجوفى، ونازل حصن الحافة، ودخل الرّبض، وغنم وقفل فوصل الحضرة بالسبي بعد اثنين وخمسين يوما، فعظم السرور به، وخلصت قلوب الأجناد له، واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه.

ومن أخبار كرمه ما حكاه محمد بن أفلح غلام الحكم قال: دفعت إلى ما لا أطيعه من نفقة في عرس ابنة لي، ولم يبق معي سوى لجام محلّي، ولما ضاقت بي الأسباب قصدته بدار الضرب حين كان صاحبها، والدرهم بين يديه موضوعه مطبوعه، فأعلمته ما جئت له، فابتهج بما سمعه منّي، وأعطاني من تلك الدراهم وزن اللجام بحديده و سيوره، فملا حجري، وكنت غير مصدق بما جرى لعظمه، وعملت العرس، وفضلت لي فضلة كثيرة، وأحبّ قلبي حتى لو حملني على خلع طاعة مولاي الحكم لفعلت، وكان ذلك في أيام الحكم قبل أن يقتعد ابن أبي عامر الدّروه.

وقال غير واحد: إنه صنع يومئذ قصرا من فضة لصبح أم هشام، وحمله على رؤوس الرجال، فجلب حبها بذلك، وقامت بأمره عند سيدها الحكم، وحدث الحكم خواصه بذلك، وقال: إن هذا الفتى قد جلب عقول حرمانا بما يتحفهم به، قالوا: وكان الحكم لشدة نظره في علم الحدّثان يتخيّل في ابن أبي عامر أنه المذكور في الحدّثان، ويقول لأصحابه: أما تنظرون

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٥٥

إلى صفره كفيّه؟ ويقول في بعض الأحيان: لو كانت به شجة لقلت إنه هو بلا شك، ففضى الله أن تلك الشجة حصلت للمصور يوم ضربه غالب بعد موت الحكم بمدّة.

قال ابن حيان: وكان بين المصحفي وغالب صاحب مدينة سالم و شيخ الموالي و فارس الأندلس عداوة عظيمة، ومباينة شديدة، ومقاطعة مستحكمة، وأعجز المصحفي أمره، وضعف عن مباراته، وشكا ذلك إلى الوزراء، فأشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه، و

شعر بذلك ابن أبي عامر، فأقبل على خدمته، و تجرد لإتمام إرادته، و لم يزل على ذلك حتى خرج الأمر بأن ينهض غالب إلى مقدمة جيش الثغر، و خرج ابن أبي عامر إلى غزوته الثانية، و اجتمع به، و تعاقدوا على الإيقاع بالمصحفي، و قفل ابن عامر ظافرا غانما، و بعد صيته، فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة، و كانت في يده يومئذ، و خلع على ابن أبي عامر و لا- خبر عند المصحفي، و ملك ابن أبي عامر الباب بولايته للشرط، و أخذ عن المصحفي وجوه الحيلة، و خلّاه و ليس بيده من الأمر إلّا أقله، و كان ذلك بإعانة غالب له، و ضبط المدينة ضبطا أنسى به أهل الحضرة من سلف من الكفاء و تولّى السياسة، و انهمك ابن أبي عامر في صحبة غالب، ففطن المصحفي لتدبير ابن أبي عامر عليه، فكتب غالبا يستصلحه، و خطب أسماء بنته لابنه عثمان، فأجابه غالب لذلك، و كادت المصاهرة تتم له، و بلغ ابن أبي عامر الأمر، فقامت قيامته، و كاتب غالبا يخوفه الحيلة، و يهيج حقوقه، و ألقى عليه أهل الدار و كاتبوه فصرفوه عن ذلك، و رجع غالب إلى ابن أبي عامر، فأنكحه البنت المذكورة، و تم له العقد في محرم سنة سبع و ستين و ثلاثمائة، فأدخل السلطان تلك الابنة إلى قصره، و جهّزها إلى محمد بن أبي عامر من قبله، فظهر أمره و عزّ جانبه، و كثر رجاله، و صار جعفر المصحفي بالنسبة إليه كل شيء، و استقدم السلطان غالبا، و قلده الحجابة شركة مع جعفر المصحفي، و دخل ابن أبي عامر على ابنته ليلة النيروز، و كانت أعظم ليلة عرس في الأندلس، و أيقن المصحفي بالنكبة و كفّ عن اعتراض ابن أبي عامر في شيء من التدبير، و ابن أبي عامر يسايره و لا يظاهاه، و انفضّ عنه الناس، و أقبلوا على ابن أبي عامر إلى أن صار المصحفي يغدو إلى قصر قرطبة و يروح و هو وحده، و ليس بيده من الحجابة سوى اسمها، و عوقب المصحفي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٥٦

بإعانتته على ولاية هشام، و قتل المغيرة. ثم سخط السلطان على المصحفي و أولاده و أهله و أسبابه و أصحابه، و طولبوا بالأموال، و أخذوا برفع الحساب لما تصرفوا فيه، و توصل ابن أبي عامر بذلك إلى اجتثاث أصولهم و فروعهم، و كان هشام ابن أخي المصحفي قد توصل إلى أن سرق من رؤوس النصارى التي كانت تحمل بين يدي ابن أبي عامر في الغزاة الثالثة ليقدم بها على الحضرة، و غاظه ذلك منه، فبادره بالقتل في المطبق قبل عمّه جعفر المصحفي، فما استقصى ابن أبي عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة، و كانت من أعظم قصور قرطبة، و استمرت النكبة عليه سنتين، مرّة يحتبس و مرّة يترك و مرّة يقرّ بالحضرة و مرّة ينفر عنها، و لا يبرح له من المطالبة بالمال، و لم يزل على هذا الحكم حتى استصفي، و لم يبق فيه محتمل، و اعتقل في المطبق بالزهراء إلى أن هلك، و أخرج إلى أهله ميتا، و ذكر أنه سمّه في ماء شربه، قال محمد بن إسماعيل: سرت مع محمد بن مسلمة إلى الزهراء لنسلم جسد جعفر بن عثمان إلى أهله بأمر المنصور، و سرنا إلى منزله فكان مغطى بخلق كساء لبعض البوابين ألقاه على سريره، و غسل على فردة باب اختلع من ناحية الدار، و أخرج و ما حضر أحد جنازته سوى إمام مسجده المستدعي للصلاة عليه و من حضر من ولده، فعبت من الزمان، انتهى.

و ما أحسن عبارة المطمح عن هذه القضية إذ قال: قال محمد بن إسماعيل كاتب المنصور: سرت بأمره لتسليم جسد جعفر إلى أهله و ولده، و الحضور على إنزاله في ملحده، فنظرته و لا أثر فيه، و ليس عليه شيء يواريه، غير كساء خلق لبعض البوابين، فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسله و الله على فردة باب اقتطع من جانب الدار، و أنا أعتبر من تصرف الأقدار، و خرجنا بنعشه إلى قبره و ما معنا سوى إمام مسجده المستدعي للصلاة عليه، و ما تجاسر أحد منا للنظر إليه، و إن لي في شأنه لخبرا ما سمع بمثله طالب وعظ، و لا وقع في سمع و لا- تصوّر في لحظ، و قفت له في طريقه من قصره، أيام نهيته و أمره، أروم أن أناوله قصيّه، كانت به مختصيّة، فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه، و كثرة من حفّ به، و أخذ الناس السيّكك عليه و أفواه الطرق داعين، و ما زين بين يديه و ساعين، حتى ناولت قصتي بعض كتّابه الذين نصبهم جناحي موكبه لأخذ القصص، فانصرفت و في نفسي ما فيها من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٥٧

الشرق بحاله و الغصص، فلم تطل المدّة حتى غضب عليه المنصور و اعتقله، و نقله معه في الغزوات و احتمله، و اتفق أن نزلت بجليقية

إلى جانب خبائه في ليلة نهى فيها المنصور عن وقود النيران ليخفى على العدو أثره، ولا ينكشف إليه خبره، فرأيت والله عثمان ولده يسقيه دقيقا قد خلطه بماء يقيم به أوده، ويمسك بسببه رمقه، بضعف حال و عدم زاد، وهو يقول:

[بحر الطويل]

تعاطيت صرف الحادثات فلم أزل أراها توفى عند موعدا الحرّا
فله أيام مضت بسبيلها فإني لا أنسى لها أبدا ذكرا
تجافت بها عنّا الحوادث برهه وأبدت لنا منها الطلاقه والبشرا
ليالى ما يدري الزمان مكانها ولا نظرت منها حوادثه شزرا
وما هذه الأيام إلّا سحائب على كل أرض تمطر الخير والشرا
انتهى.

وأما غالب الناصري فإنه حضر مع ابن أبي عامر في بعض الغزوات، وصعدا إلى بعض القلاع، لينظرا في أمرها، فجرت محاوره بين ابن أبي عامر وغالب، فسبّه غالب وقال له: يا كلب، أنت الذى أفسدت الدوله، وخرّبت القلاع، وتحكمت فى الدوله، و سلّ سيفه فضربه، وكان بعض الناس حبس يده، فلم تتم الضربه و شجّه، فألقى ابن أبي عامر نفسه من رأس القلعه خوفا من أن يجهز عليه، ففضى الله تعالى أنه وجد شيئا فى الهواء منعه من الهلاك، فاحتمله أصحابه و عالجه حتى برىء، و لحق غالب بالنصارى، فجيش بهم، وقابله ابن أبي عامر بمن معه من جيوش الإسلام، فحكمت الأقدار بهلاكك غالب، و تم لابن أبي عامر ما جدّ له، و تخلّصت دولته من الشوائب.

قالوا: ولما وقعت وحشه بين ابن أبي عامر والمؤيد، وكان سببها تضريب الحساد فيما بينهما، و علم أنه ما دهى إلّا من جانب حاشية القصر، فزقهم و مزّقهم، و لم يدع فيه منهم إلّا من وثق به أو عجز عنه، ثم ذكر له أن الحرم قد انبسطت أيديهنّ فى الأموال المختزنة بالقصر،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٥٨

وما كانت السيدة صبح أخت رائق تفعله من إخراج الأموال عندما حدث من تغييرها على ابن أبي عامر، و أنها أخرجت فى بعض الأيام مائه كوز مختومه على أعناق الخدم الصقالبه فيها الذهب و الفضة، و مؤهت ذلك كله بالمرى و الشهد و غيره و الأصباغ المتخذة بقصر الخلافة، و كتبت على رؤوس الكيزان أسماء ذلك. و مرّت على صاحب المدينه، فما شكّ أنه ليس فيها إلّا ما هو عليها، و كان مبلغ ما حملت فيها من الذهب ثمانين ألف دينار، فأحضر ابن أبي عامر جماعة و أعلمهم أن الخليفه مشغول عن حفظ الأموال بانهماكه فى العباده، و أنّ فى إضاعته آفة على المسلمين، و أشار بنقلها إلى حيث يؤمن عليها فيه، فحمل منها خمسة آلاف ألف دينار عن قيمه ورق و سبعمائة ألف دينار، و كانت صبح قد دافعت عمّا بالقصر من الأموال، و لم تمكّن من إخراجها، فاجتمع ابن أبي عامر بالخليفه هشام، و اعترف له بالفضل و الغناء فى حفظ قواعد الدوله، فخرست ألسنة العدا و الحسده، و علم المنصور ما فى نفوس الناس لظهور هشام و رؤيتهم له، إذ كان منهم من لم يره قطّ، فأبرزه للناس و ركب الركبه المشهوره، و اجتمع لذلك من الخلق ما لا يحصى، و كانت عليه الطويله و القضيب فى يده زى الخلافة، و المنصور يسايره. ثم خرج المنصور لآخر غزواته، و قد مرض المرض الذى مات فيه، و واصل شنّ الغارات، و قويت عليه العله، فاتخذ له سرير خشب و وطئ عليه ما يقعد عليه، و جعلت عليه ستاره، و كان يحمل على أعناق الرجال و العساكر تحفّ به، و كان هجر الأطباء فى تلك العله لاختلافهم فيها، و أيقن بالموت، و كان يقول: إنّ زمانى يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حاله منى. و لعله يعنى من حضر تلك الغزاه، و إلّا فعساكر الأندلس ذلك الزمان أكثر من ذلك العدد- و اشتغل ذهنه بأمر قرطبه و هو فى مدينه سالم، فلما أيقن بالوفاه أوصى ابنه عبد الملك و جماعته و خلا بولده و كان يكرّر وصايته، و كلما أراد أن ينصرف يرده، و عبد الملك يبكى، و هو ينكر عليه بكاءه و يقول: و هذا

من أول العجز، و أمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر.

و خرج عبد الملك إلى قرطبة و معه القاضى أبو ذكوان، فدخلها أول شوال، و سكن الإرجاف بموت والده، و عرّف الخليفة كيف تركه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٥٩

و وجد المنصور خفة فأحضر جماعة بين يديه، و هو كالخيال لا يبين الكلام، و أكثر كلامه بالإشارة كالمسلم المودع، و خرجوا من عنده، فكان آخر العهد به و مات لثلاث بقين من شهر رمضان، و أوصى أن يدفن حيث يقبض، فدفن فى قصره بمدينة سالم. و اضطرب العسكر، و تلوم ولده أياما، و فارقه بعض العسكر إلى هشام، و قفل هو إلى قرطبة فيمن بقى معه، و لبس فتیان المنصور المسوح و الأكسية بعد الوشى و الحبر و الخز.

و قام ولده عبد الملك المظفر بالأمر، و أجراه هشام الخليفة على عادة أبيه، و خلع عليه، و كتب له السجل بولاية الحجاب، و كان الفتیان قد اضطربوا فقوم المائل، و أصلح الفاسد، و جرت الأمور على السداد، و انشحت الصدور بما شرع فيه من عمارة البلاد، فكان أسعد مولود ولد فى الأندلس.

و لنمسك عنان القلم فى أمر ابن أبى عامر، فقد قدمنا فى محلّه جملة من أحواله، و ما ذكرناه هنا و إن كان محلّه ما سبق و بعضه قد تكرر معه فهو لا يخلو من فوائد زوائد، و الله تعالى ولى التوفيق.

رجع إلى أخبار صاعد اللغوى البغدادي:

و حكى أنه دخل على المنصور يوم عيد، و عليه ثياب جدد و خفّ جديد، فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين فى الصف، فزلق فسقط فى الماء، فضحك المنصور، و أمر بإخراجه، و قد كان البرد أن يأتى عليه، فخلع عليه، و أدنى مجلسه، و قال له: هل حضر ك شىء؟ فقال: [بحر الكامل]

شيئان كانا فى الزمان عجيبةً شرط ابن وهب ثم وقعة صاعد

فاستبرد ما أتى به أبو مروان الكاتب الجزيرى، فقال: هلاً قلت: [بحر المتقارب]

سرورى بعزتك المشرقه و ديمه راحتك المغدقه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٦٠

ثنانى نشوان حتى غرق ت فى لجة البركة المطبقه

لئن ظلّ عبدك فيها الغريق فجوذك من قبلها أغرقه

فقال له المنصور: لله درك يا أبا مروان! قسناك بأهل بغداد فضلتهم، فيمن نقيسك بعد؟ انتهى.

و قال فى الذخيرة فى ترجمة صاعد: وفد على المنصور نجما من المشرق غرب، و لسانا عن العرب أعرب، و أراد المنصور أن يقفى به آثار أبى على القالى فألقى سيفه كهاما، و سحابه جهاما، من رجل يتكلم بملء فيه، و لا يوثق بكل ما يذره و لا ما يأتیه، انتهى باختصار.

و أصل صاعد من ديار الموصل، و قال ارتجالا و قد عبث المنصور بترنجان: [بحر البسيط]

لم أدر قبل ترنجان عبث به أن الزمرد أغصان و أوراق

من طيبه سرق الأترج نكهته يا قوم حتى من الأشجار سراق

كأنما الحاجب المنصور علمه فعل الجميل فطابت منه أخلاق

و قدّمه الحجارى بقوله: [بحر البسيط]

كأن إبريقنا و الراح فى فمه طير تناول ياقوتا بمنقار

وقبله: [بحر البسيط]

وقهوة من فم الإبريق صافية كدمع مفجوعة بالاليف معبار

وقال في بدائع البداءة: دخل صاعد اللغوى على بعض أصحابه فى مجلس شراب، فملاً الساقى قدحا من إبريق، فبقيت على فم الإبريق نقطة من الراح قد تكوّنت و لم تقطر، فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال: [بحر البسيط] وقهوة من فم الإبريق ساكبة البيتين.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٦١

ثم قال بعدهما: وإنما هدم صاعد قول الشريف أبى البركات على بن الحسين اللغوى: [بحر السريع]

كأن ریح الروض لَمَّا أتت فتت علينا مسك عطار

كأنما إبريقنا طائر يحمل ياقوتا بمنقار

انتهى.

و من نظم صاعد: [بحر المنسرح]

قلت له و الرقيب يعجله مودعا للفراق: أين أنا

فمدّ كفًا إلى ترائبه و قال: سر وادعا فأنت هنا

و قال صاعد، لَمَّا أمر المنصور بن أبى عامر بمعارضة قصيدة لأبى نواس: [بحر مجزوء الكامل]

إنى لأستحيى علاك من ارتجال القول فيه

من ليس يدرك بالروى يه كيف يدرك بالبديه

و قال حاشد البغدادي فى صاعد اللغوى، و كان صاعد ينشدهما و يبكى و يقول: ما هجيت بشيء أشدّ علىّ منهما: [بحر الكامل]

إقبل هديت أبا العلاء نصيحتى بقبولها و بواجب الشكر

لا تهجونّ أسنّ منك فربما تهجو أباك و أنت لا تدرى

نعوذ بالله من لسان الشعراء، و أنواع البلاء، بجاه نبينا محمد صلى الله عليه و سلم.

و من نظم صاعد قوله: [بحر الوافر]

بعثت إليك من خيرى روض مخزّمة كأوراق العقيق

توكل بالغروب عن التصابى و تصطاد الخليع من الطريق

و روى صاعد عن القاضى أبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى، و أبى على الحسن بن أحمد الفارسى، و أبى بكر بن مالك

القطيعى، و أبى سليمان الخطابى، و غيرهم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٦٢

قال الحميدى: خرج من الأندلس فى الفتنة، فمات بها قريبا من سنه عشر و أربعمائه.

و قال ابن حزم: توفى بصقلية سنه سبع عشرة و أربعمائه.

و قال ابن بشكوال فى حقه: «إنه يتهم بالكذب و قلبه الصدق فيما يورده، عفا الله تعالى عنه!» و قدم الأندلس من مصر أيام المؤيد و

تحكم المنصور بن أبى عامر فى حدود سنه ٣٨٠، فأكرمه المنصور، و زاد فى الإحسان إليه، و الإفضال عليه، و كان عالما باللغه و

الآداب و الأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعاشرة، فكه المجالسة.

و قال بعضهم: دخل صاعد على المنصور و عنده كتاب ورد عليه من عامل له فى بعض الجهات اسمه ميدمان بن يزيد يذكر فيه القلب

و الترييل، و هما عندهم اسم الأرض قبل زراعتها، فقال له: يا أبا العلاء، قال: ليك يا مولانا، فقال: هل رأيت أو وصل إليك من

الكتب القوالبة و الروالبه لميدمان بن يزيد؟، قال: إى و الله ببغداد فى نسخة لأبى بكر بن دريد بخطه ككراع النمل، فى جوانبها، فقال

له: أما تستحيى أبا العلاء من هذا الكذب؟ هذا كتاب عاملى ببلد كذا واسمه كذا يذكر فيه كذا، فجعل يحلف له أنه ما كذب، و لكنه أمر وافق. و مات عن سنّ عالية، رحمه الله تعالى!.

٦٠- و من الوافدين على الأندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسى.

ولد سنة ٥٧٣، و قد ذكر في رحلته عجائب شاهدها بالمغرب و مشايخ لقيهم، فمنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصارى، قال: سمعت عليه سنة سبع و تسعين و خمسمائة الحديث و شيئا من تصانيف المغاربة، و روى لنا عن الحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن قرقول، و ولى ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة، و أدرك ابن بشكوال و ابن حبيش و ابن حميد المرسى النحوى و أبا يزيد السهيلي صاحب الروض و غيرهم. و من الشيوخ الذين لقيهم السرخسى المذكور بالمغرب الفقيه ابن أبى تميم قال:

و أنشدنى: [بحر مجزوء الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٦٣

اسمع أختي نصيحتي و التّصح من محض الديانة

لا تقربنّ إلى الشّهادة و الوساطة و الأمانة

تسلم من ان تعزى لزور أو فضول أو خيانه

و ذكر أنه أدرك الشيخ الولي العارف بالله سيدى أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي، صاحب الحالات و الكرامات الظاهرة و الطريقة الغربية و الأحوال العجيبة، قال: أدركته بمراكش سنة أربع و تسعين و خمسمائة و قد ناهز الثمانين، و مهما حصل عنده مال فرّقه في الحال، و تركته في سنة ثمان و تسعين حيناً يرزق، انتهى.

و ولى الله السبتي قد ذكرت في غير هذا الموضع بعض أحواله، فلتراجع في الباب الثامن من ترجمة لسان الدين بن الخطيب، و محلّه مقصود لقضاء الحاجات، و قد زرته مرارا عديدة سنة ١٠١٠.

و قال لسان الدين في «نفاضة الجراب»: كتبت عن السلطان الغنى بالله محمد بن يوسف بن نصر، و نحن بفاس، يخاطب الضريح المقصود، و المنهل المورد، و المرعى المنتجع، و الخوان الذى يكفى الغرثى، و يمرّض المرضى، و يقوت الزّمنى و يتعدّاهم إلى أهل الجدة زعموا و الغنى، قبر ولى الله سيدى أبا العباس السبتي نفعا لله به، و جبر حالنا، و أعاد علينا النعم، و دفع عنا النقم: [بحر الخفيف]

يا ولىّ الإله أنت جواد و قصدنا إلى حماك المنيع

راعنا الدهر بالخطوب فجننا نرتجى من علاك حسن الصّنيع

فمددنا لك الأكفّ نرجى عودة العزّ تحت شمل جميع

قد جعلنا وسيلة تربك الزاكى و زلفى إلى العليم السميع

كم غريب أسرى إليك فوافى برضا عاجل و خير سريع

يا ولىّ الله الذى جعل جاهه سببا لقضاء الحاجات، و رفع الأزمات، و تصريفه باقيا بعد الممات، و صدّق قول الحكايات ظهور الآيات، نفعا لله بيتى فى بركة تربك! و أظهر علىّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٦٤

أثر توسّلى بك إلى الله ربّك! مزق شملى، و فرق بينى و بين أهلى، و تعدّى علىّ، و صرفت وجوه المكاييد إلىّ، حتى أخرجت من وطنى و بلدى، و مالى و ولدى، و محلّ جهادى، و حقّى الذى صار لى طوعا عن آبائى و أجدادى، عن بيعه لم يحلّ عقدها الدين، و

لا- ثبوت جرحه تشين، و أنا قد قرعت باب الله سبحانه بتأميلك، فالتمس لي قبوله بقبولك، و ردني إلى وطني على أفضل حال، و أظهر علي كرامتك التي تشد إليها ظهور الرّحال، فقد جعلت وسيلتي إليك رسول الحق، إلى جميع الخلق، و السلام عليك أيها الولي الكريم، الذي يأمن به الخائف و ينتصف الغريم، و رحمة الله، انتهى.

رجع: و السرخسي المذكور قال في حقه بعض الأئمة: إنه الشيخ الإمام، شيخ الشيوخ، تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، له رحلة مغربية، انتهى.

و هو من بيت كبير، و قال البدرى في حقه ما صورته: تاج الدين، شيخ الشيوخ بدمشق، أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين، له كتاب في ثمان مجلّدات ذكر فيه أصول الأشياء، و له «السياسة الملوكية» صنّفها للملك الكامل محمد، و غير ذلك، و سمع الحديث، و حفظ القرآن، و كان قد بلغ الثمانين، و قيل: لم يبلغها، و قد سافر إلى بلاد المغرب سنة ثلاث و تسعين، و اتّصل بمراكش، عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، فأقام هنالك إلى سنة ستمائة، و قدم مصر، و ولى مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حمويه، انتهى.

و قال غيره: إنه كان فاضلا متواضعا نرها حسن الاعتقاد، قال أبو المظفر: كان يحضر مجالسي، و أنشدني يوما: [بحر البسيط]

لم ألق مستكبرا إلّا تحوّل لي عند اللقاء له الكبر الذي فيه

و لا حلا لي من الدنيا و لذتها إلّا مقابلتى للتّيه بالتّيه

و قال السرخسي المذكور في رحلته: إني و إن كنت خراساني الطينة، لكنني شامي المدينة، و إن كانت العمومة من المشرق، فإن الخزولة من المغرب، فحدث باعث يدعو إلى الحركات و الأسفار، و مشاهدة الغرائب في النواحي و الأقطار، و ذلك في حال ريعان الشباب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٦٥

الذي تعضده عزائم النفوس بنشاطها، و الجوارح بخفة حركاتها و انبساطها، فخرجت سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة إلى زيارة البيت المقدس و تجديد العهد ببركاته، و اغتنام الأجر في حلول بقاعه و مزاراته، ثم سرت منه إلى الديار المصرية، و هي أهله بكل ما تتجمل به البلاد و تردهي، و ينتهي و صف الواصف لشؤونها و لا تنتهي، ثم دخلت الغرب من الإسكندرية في البحر و دخلت مدينة مراكش أيام السيد الإمام أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، فاتّصلت بخدمته، و الذي علمت من حاله أنه كان يجيد حفظ القرآن، و يحفظ متون الأحاديث و يتقنها، و يتكلم في الفقه كلاما بليغا، و كان فقهاء الوقت يرجعون إليه في الفتاوى، و له فتاوى مجموعة حسبما أدى إليه اجتهاده، و كان الفقهاء ينسبونه إلى مذهب الظاهر، و قد شرحت أحوال سيرته، و ما جرى في أيام دولته، في كتاب التاريخ المسمّى «عطف الذيل». و قد صنّف كتابا جمع فيه متون أحاديث صحاح تتعلق بها العبادات سمّاه «الترغيب». و تهدّده ملك الإفرنج ألفنش في كتابه فمّزه، و قال لرسوله ارجع إليهم فلنأتيهم بجنود لا قيل لهم بها و لنخرجنهم منها أدلّة و هم صاغرون (٣٧) [النمل: ٣٧] إن شاء الله تعالى، ثم قال للكاتب: اكتب على هذه القطعة، يعنى من

كتابه الذي مّزه: الجواب ما ترى لا ما تسمع: [بحر الطويل]

فلا كتب إلّا المشرفيّة و القنا و لا رسل إلّا الخميس العرمم

و من شعره أبيات كتب بها إلى العرب، و هي: [بحر البسيط]

يا أيها الراكب المزجي مطيته على عذافرة تشقى بها الأكم

بلغ سليمى على بعد الديار بها بينى و بينكم الرحمن و الرّحم

يا قومنا لا تشبوا الحرب إن خمدت و استمسكوا بعري الإيمان و اعتصموا

كم جرب الحرب من قد كان قبلكم من القرون فبادت دونها الأمم

حاشى الأعراب أن ترضى بمنقصة يا ليت شعرى هل ترآهم علموا

يقودهم أرمنى لا خلاق له كأنه بينهم من جهلهم علم

يعنى بالأرمنى قرقوش مملوك بنى أيوب، الذى كان ذهب إلى بلاد الغرب الأدنى،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٦٦

و أوقد النار الحربية من طرابلس إلى تونس مع ابن غانية اللمتونى، و حديثه مشهور، و تمام الأبيات:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٣؛ ص ٣٦٦

الله يعلم أنى ما دعوتكم دعاء ذى قوة يوما فينتقم

و لا لجأت لأمر يستعان به من الأمور و هذا الخلق قد علموا

لكن لأجزى رسول الله عن نسب ينمى إليه و ترعى تلکم اللدم

فإن أتيتم فجل الوصل متصل و إن أبيتتم فعند السيف نحتكم

ثم قال السرخسى: و بلغنى أن قوما من الغرباء قصدوه، و معهم حيوانات معلمة منها أسد و غراب، أما الأسد فيقصده من دون أهل

المجلس، و يربض بين يديه، و ربما أوما بالسجود و مد ذراعيه، و أما الغراب فكان يقول: النصر و التمكين لسيدنا أمير المؤمنين، و فى

ذلك يقول بعض الشعراء: [بحر الرمل]

أنس الشبل ابتهاجا بالأسد و رأى شبه أبيه فقصد

أنطق الخالق مخلوقاته شهدوا و الكلّ بالحقّ شهد

أنك الخيرة من صفوته بعد ما طال على الناس الأمد

فأعظاهم و كساهم، و أحسن حباهم.

و بلغنى أن قوما أتوه بفيل من بلاد السودان هديّة، فأمر لهم بصله، و لم يقبله منهم، و قال: نحن لا نريد أن نكون أصحاب الفيل.

و قال لى يوما: كيف ترى هذه البلاد؟ و أين هى من بلادك الشامية؟ فقلت: يا سيدنا، بلادكم حسنة أنيقة مجملّة مكملّة، و فيها عيب

واحد، فقال: ما هو؟ فقلت: إنها تنسى الأوطان، فتبسّم و ظهر لى إعجابه بالجواب، و أمر لى من غد بزيادة رتبة و إحسان.

و حدّثنى بعض عمّالهم أنه فرّق على الجند و الأمراء و الفقراء فى عيد سنه أربع و تسعين ثلاثة و سبعين ألف شاء من ضأن و معز.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٦٧

و درج إلى رحمة الله تعالى سنه خمس و تسعين و خمسمائة: و كان قد استخلف ولده محمدا و قرّر الأمر له، انتهى.

قلت: بهذا و أمثاله تعلم فساد ما زعمه غير واحد أن يعقوب المنصور هذا تخلى عن الملك، و فرّ زاهدا فيه إلى المشرق، و أنه دفن

بالقاع؛ لأن هذه مقالة عامية لا يثبتها علماء المغرب، و سبب هذه المقالة تولّع العامة به، فكذبوا فى موته، و قالوا: إنه ترك الملك، و

حكوا ما شاع إلى الآن و ذاع ممّا ليس له أصل. و يرحم الله تعالى الإمام العلامة القاضى الشريف الغرناطى شارح الخزرجية، إذ قال

فى شرح مقصورة حازم عند ذكره وقعة الأرك ما معناه:

إن بعض الناس يزعمون أن المنصور ترك الملك و ذهب إلى المشرق، و هذا كلام لا- يصحّ، و لا- أصل له. انتهى. و قال فى

«المغرب»: كان أبوه يوسف قد استوزره فى حياته، و تخرّج بين يديه، و تمرّس، و هزم الفرنج الهزيمة الفظيعة، و تولّع بالعلم حتى نفى

التقليد و حرق كتب المذاهب، و قتل على السكر، انتهى.

و حكى لسان الدين الوزير ابن الخطيب فى شرح كتابه «رقم الحلل، فى نظم الدول» أن المنصور طلب من بعض أعيان دولته رجلين

لتأديب ولده يكون أحدهما برّا فى عمله، و الآخر بحرا فى علمه، فجاءه بشخصين زعم أنهما على وفق مقترح المنصور، فلما اختبرهما

لم يجدهما كما وصف، فكتب إلى الآتى بهما ظهر الفساد فى البرّ و البحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم

يَزْجَعُونَ (٤١) [الروم: ٤١] انتهى. و ناهيك بهذا دلالة على قوّة فطنته و معرفته، رحمه الله تعالى.

رجع إلى أخبار السرخسى:

و قال فى رحلته لما ذكر السيد أبا الربيع سليمان بن عبد الله بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على، و كان فى تلك المدة يلى مدينة سجلماسة و أعمالها؛ اجتمعت به حين قدم إلى مراكش بعد وفاة المنصور يعقوب لمبايعه ولده محمد، فرأيته شيخا بهي المنظر، حسن المخبر، فصيح العبارة باللغتين العربية و البربرية. و من كلامه فى جواب رسالة إلى ملك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٦٨

السودان لغانة ينكر عليه تعويق التجار قوله: نحن نتجاوز بالإحسان، و إن تخالفنا فى الأديان، و نتفق على السيرة المرضية، و نتألف على الرفق على الرعية، و معلوم أن العدل من لوازم الملوك فى حكم السياسة الفاضلة، و الجور لا تعانیه إلاّ النفوس الشريرة الجاهلة، و قد بلغنا احتباس مساكين التجار و منعهم من التصرف فيما هم بصدده، و تردّد الجلابة إلى البلد مفيد لسكانها، و معين على التمكن من استيطانها، و لو شئنا لاحتسنا من فى جهاتنا من أهل تلك الناحية، لكننا لا نستصوب فعله، و لا ينبغى لنا أن نهى عن خلق و نأتى مثله، و السلام.

و وقع إلى عامل له كثرت الشكاوى منه: قد كثرت فيك الأقوال، و إغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتتصلح الحال، و فى مبادرتى إلى ظهور الإنكار عليك نسبة إلى شر الاختيار و عدم الاختبار، فاحذر فإنك على شفا جرف هار.

و من شعره المشهور قصيدة يمدح فيها ابن عمه المنصور يعقوب: [بحر الكامل]

هبت بنصر كم الرياح الأربع و جرت بسعدكم النجوم الطلّع
و استبشر الفلك الأثير تيقنا أن الأمور إلى مرادك ترجع
و أمدك الرحمن بالفتح الذى ملأ البسيطة نوره المتشعشع
لم لا و أنت بذلت فى مرضاته نفسا تفديها الخلائق أجمع
و مضيت فى نصر الإله مصمما بعزيمة كالسيف بل هى أقطع
لله جيشك و الصوارم تنتضى و الخيل تجرى و الأسنة تلمع
من كل من تقوى الإله سلاحه ما إن له غير التوكل مفزع
لا يسلمون إلى النوازل جارهم يوما إذا أضحى الجوار يضيع
و منها يصف انهزام العدو:

إن ظن أن فراره منج له فجهله قد ظن ما لا ينفع
أين المفرّ ولا فرار لهارب و الأرض تنشر فى يديك و تجمع
أ خليفه الله الرضا هنيته فتح يمدّ بما سواه و يشفع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٦٩

فلقد كسوت الدين عزّا شامخا و لبست منه أنت ما لا يخلع
هيهات سرّ الله أودع فيكم و الله يعطى من يشاء و يمنع
لكم الهدى لا يدعيه سواكم و من ادعاه يقول ما لا يسمع
إن قيل: من خير الخلائق كلها فأليك يا يعقوب تومى الأصبع
إن كنت تتلو السابقين فإنما أنت المقدم و الخلائق تبع
خذها، أمير المؤمنين، مديحة من قلب صدق لم يشنه تصنع

و اسلم، أمير المؤمنين، لأمة أنت الملاذ لها و أنت المفرع
فالمدمح منى فى علاك طبيعة و المدح من غيرى إليك تطبع
و عليك يا علم الهداء تحية يفنى الزمان و عرفها يتضوع
قال لى الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلانى: دخلت إلى السيد أبى الربيع بقصر سجلماسة، و بين يديه أنطاع عليها رؤوس الخوارج
الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة و غانته، و هو ينكت الأرض بقضيب من الأبنوس، و يقول: [بحر الطويل]
و لا غرو أن كانت رؤوس عداته جوابا إذا كان السيوف رسائله
و مات بعد الستمائته، رحمه الله تعالى! انتهى.

و قال لَمَّا هجره أمير المؤمنين يعقوب المنصور، و وافق ذلك أن وفد على حضرة الخلافة مراکش جمع من العرب و الغز من بلاد
المشرق، و نزلوا بتمرتاسقت ظاهر مراکش، و استأذنوا فى وقت الدخول، فكتب إلى المنصور: [بحر الكامل]
يا كعبة الجود التى حجت لها عرب الشام و غزها و الديلم
طوبى لمن أمسى يطوف بها غدا و يحل بالبيت الحرام و يحرم
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٧٠
و من العجائب أن يفوز بنظرة من بالشام و من بمكة يحرم
فعفا عنه، و أحسن إليه، و أمره بالدخول بهم، و التقدّم عليهم.

و قال فى «المغرب» فى حقّ السيد أبى الربيع المذكور، ما ملخصه: لم يكن فى بنى عبد المؤمن مثله فى هذا الشأن الذى نحن بصدده،
و كان تقدّم على مملكتى سجلماسة و بجايته، و كان كاتباً شاعراً أديباً ماهراً، و شعره مدون، و له ألغاز، و هو القائل فى جارية اسمها
ألوف: [بحر الطويل]

خليلى، قولاً أين قلبى و من به و كيف بقاء المرء من بعد قلبه
و لو شتتا اسم الذى قد هويته لصحفتما أمرى لكم بعد قلبه
و له الأبيات المشهورة التى منها: [بحر الطويل]
أقول لركب أدلجوا بسحيرة قفوا ساعة حتى أزور ركابها
و أملاً عينى من محاسن وجهها و أشكو إليها أن أطالت عتابها
فإن هى جادت بالوصال و أنعمت و إلّا فحسبى أن رأيت قبابها
و قال يخاطب ابن عمّه يعقوب المنصور: [بحر الكامل]
فلأملأنّ الخافقين بذكر كرم ما دمت حياً ناظماً و مرسلأ
و لأبدلن نصحى لكم جهدى و ذا جهد المقلّ و ما عسى أن أفعلا
و لأخلصنّ لك الدعاء، و ما أنا أهل له، و لعلّه أن يقبلا
و له مختصر كتاب «الأغانى» انتهى.

رجع: و ذكر السرخسى أيضاً فى رحلته السيّد أبى الحسن على بن عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن، و قال فى حقّه: إنه كان من أهل
الأدب و الطرب، و لى بجايته مدّة، ثم عزل عنها لإهماله و إغفاله و انهماكه فى ملاذّه، أنشدنى محمد بن سعيد المهدي كاتبه قال:
كتب الأمير أبو الحسن إلى أمير المؤمنين يعقوب يمدحه و يستزيده، و يطلب منه ما يقضى به ديونه: [بحر المتقارب]

وجوه الأمانى بكم مسفره و ضاحكة لى مستبشره
ولى أمل فيكم صادق قريب عسى الله أن يوسره

علّي ديون و تصحيفها و عندكم الجود و المغفرة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٧١

يعنى ذنوب.

و حدّثنى الشيخ أبو الحسن بن فشتال الكاتب و قد أنشدته: [بحر الكامل]

أوحشتنى و لو أطّعت على الذى لك فى ضميرى لم تكن لى موحشا

فقال: أنشدته هذا البيت فى مجلس السيد أبى الحسن، فقال لى و لمن حضر: هل تعرفون لهذا البيت ثانيا؟ فما فىنا من عرفه، فأنشدنا:

[بحر الكامل]

أ ترى رشيت على أطراح مودّتى و لقد عهدتك لى تشيك الرّشا

أوحشتنى - البيت، انتهى.

و قال فى «المغرب» فى حقّ السيّد المذكور، ما ملّخصه: كان هذا السيد أبو الحسن قد ولى مملكة تلمسان و بجاية، و له حكايات فى

الجود برمكية، و نفس عالية زكية، كتب إليه السيد أبو الربيع يوم جمعة: [بحر مجزوء الرجز]

اليوم يوم الجمعة يوم سرور ودعه

و شملنا مفترق فهل ترى أن نجمعه

فأجابه بقوله: [بحر مجزوء الرجز]

اليوم يوم الجمعة و ربنا قد رفعه

و الشرب فيه بدعه فهل ترى أن ندعه

قال: و لفظه «السيد» فى المغرب بذلك العصر لا تطلق إلّا على بنى عبد المؤمن بن على، انتهى.

رجع: قال السرخسى، و قد ذكر فى الرحلة المذكورة السيد أبا محمد عبد الله صاحب فاس: و له من أبيات فى الفخر و قد انتحلها

غيره: [بحر الطويل]

أ لست ابن من تخشى الليالى انتقامهم و ترجو نداهم غايات السحائب

يخطون بالخطى فى حومة الوغى سطور المنايا فى نحور المقانب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٧٢

كتابا بأطراف العوالى و نفسه دم القلب مشكولا بنضح الترائب

و ما كنت أدرى قبلهم أن معشرا أقاموا كتابا من نفوس الكتائب

و أنشدنى المقدم الأمير أبو زيد بن بكيت قال: أنشدنى بعض السادة من بنى عبد المؤمن: [بحر السريع]

فديت من أصبحت فى أسره و لى من حكمه فادى

إن حلّ يوما واديا كان لى جنّه عدن ذلك الوادى

ثم ذكر، رحمه الله تعالى، جملة من علماء الأندلس و المغرب لقيهم فى هذه الرحلة.

و من نظم السرخسى المذكور قوله رحمه الله تعالى: [بحر السريع]

يا ساهر المقلّة لا عن كرى غفلت عن هجعى و أوصابى

لو لم يكن وجهك لى قبله ما أصبح الحاجب محرابى

و كان متفنا فى العلوم، و هو عمّ الأمراء الوزراء الرؤساء فخر الدين و إخوته، و من مصنفاته «المسالك و الممالك» و «عطف الذيل»

فى التاريخ، و له أمال و تخاريج. و قدّمه المنصور صاحب المغرب على جماعة. و توفى رحمه الله تعالى بدمشق، و دفن فى مقابر

الصوفية عند المنيع. و كان على الهمة، شريف النفس، قليل الطمع، لا يلتفت إلى أحد رغبة في دنياه، لا من أهله و لا من غيرهم، و ذكره صاحب «المرآة» و غيره، و ترجمته واسعة، رحمه الله تعالى!

٦١- و من الوافدين على الأندلس ظفر البغدادى.

سكن قرطبة، و كان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط و حسن الخطّ كعباس بن عمر الصقلى و يوسف البلوطى و طبقتهما، و استخدمه الحكم المستنصر بالله فى الوراقه، لما علم من شدّة اعتناء الحكم بجمع الكتب و اقتنائها. و قد أشار ابن حيان فى كتاب «المقتبس» إلى ظفر هذا، رحمه الله تعالى!

٦٢- و منهم الرازى، و هو محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقبط، الكنانى، الرازى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٧٣
والد أبى بكر محمد صاحب التاريخ، غلب عليه اسم بلده، و كان يفد من المشرق على ملوك بنى مروان تاجرا، و كان مع ذلك متفنا فى العلوم، و هلك منصرفه من الوفاده على الأمير المنذر بن محمد بإلييرة، فى شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٣، ذكره ابن حيان فى «المقتبس».

٦٣- أبو الفضل محمد بن عبد الواحد التميمى الدارمى الوزير]

٦٣- و منهم الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان، التميمى، الدارمى، البغدادى.

سمع من أبى طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلّص و غيره، و خرج من بغداد رسولا عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسى، رضى الله تعالى عنه، إلى صاحب إفريقية المعزّ بن باديس، و اجتمع مع أبى العلاء المعرى بالمعرة، و أنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب، فقبل عينيه، و قال له: لله أنت من ناظم! و خرج من إفريقية من أجل فتنة العرب، و خيم عند المأمون بن ذى النون بطليطلة، و له فيه أمداح كثيرة، و من فرائد شعره قوله: [بحر المنسرح]
يا ليل، ألاً انجلت عن فلق طلت و لا صبر لى على الأرق
جفت لحاظى التغميض فيك فما تطبق أحفانها على الحدق
كأنتى صورة ممثلة ناظرها الدهر غير منطبق
و قال: [بحر السريع]

يزرع وردا ناضرا ناظرى فى وجنه كالقمر الطالع
أمنع أن أقطف أزهاره فى سنّه المتبوع و التابع
فلم منعم شفتى قطفها و الشرع أنّ الزرع للزارع
هكذا نسبها له غير واحد كابن سعيد و ابن كتيلة، و بعضهم ينسبها للقاضى عبد الوهاب.

قلت: و قد أجاب عنها بعض المغاربة بقوله: [بحر السريع]
سلمت أنّ الحكم ما قلت و هو الذى نصّ عن الشارع
فكيف تبغى شفه قطفه و غيرها المدعوّ بالزارع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٧٤

ورده شيخ شيوخ شيوخنا الإمام الحافظ أبو عبد الله التنسي ثم التلمساني بقوله: [بحر السريع]

في ذا الذي قد قلت مبحث إذ فيه إيهام على السامع

سلمتم الحكم له مطلقا و غير ذا نص عن الشارع

يعنى أنه يلزم على قول المجيب أن يباح له النظر مطلقا، و الشرع خلافه.

و أجاب بعض الحنفية بقوله: [بحر السريع]

لأن أهل الحب في حكمتنا عبيدنا في شرعنا الواسع

و العبد لا ملك له عندنا فحقه للسيد المانع

و هو جواب حسن لا بأس به.

و رأيت جوابا لبعض المغاربة على غير رويته، و هو: [بحر السريع]

قل لأبي الفضل الوزير الذي باهى به مغربنا الشرق

غرست ظلما و أردت الجنى و ما لعرق ظالم حق

قلت: و هذا مما يعين أن الأبيات لأبي الفضل الدارمي المذكور في الذخيرة، لا للقاضي عبد الوهاب، و الله تعالى أعلم.

و من شعر الوزير المذكور قوله: [بحر المنسرح]

بين كريمين منزل واسع و الودّ حال تقرب الشاسع

و البيت إن ضاق عن ثمانية متسع بالوداد للتاسع

و ولد، رحمه الله تعالى، سنة ثمان و ثمانين و ثلاثمائة، و هو من بيت علم و أدب. قال الحميدى: أخبرنى بذلك أبو عمر رزق الله بن

عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث، و توفى بطليطلة سنة أربع و خمسين و أربعمائه. و قال ابن حيان: توفى ليلة الجمعة لأربع عشرة

ليلة خلت من شوال سنة خمس و خمسين و أربعمائه، فى كنف المأمون يحيى بن ذى النون، و ذكر أنه كان يتهم بالكذب، فالله

تعالى أعلم بحقيقة الأمر.

و قال ابن ظافر فى كتابه «بدائع البداءة» ما نصّه: حضر أبو الفضل الدارمي البغدادي مجلس المعز بن باديس، و بالمجلس ساق و سيم

قد مسك عذاره و ورد خديه، و عجزت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٧٥

الراح أن تفعل فى الندامى فعل عينيه، فأمره المعز بوصفه، فقال بديها: [بحر الكامل]

و معذّر نقش الجمال بمسكه خذا له بدم القلوب مضرجا

لما تيقن أن سيف جفونه من نرجس جعل العذار بنفسجا

و قوله فى جارية تبخرت بالنّد: [بحر الطويل]

و محطوطة المتنين مهضومة الحشى منعمة الأرداف تدمى من اللّمس

إذا ما دخان النّد من جيبها علا على وجهها أبصرت غيما على شمس

و قوله: [بحر الكامل]

لأغرزن بمهجتي فى حبه غرزا يطيل مع الخطوب خطابي

و لئن تعزّز إن عندى ذلّه تستعطف الأعداء للأحباب

و قوله: [بحر المتقارب]

دعتنى عيناك نحو الصبا دعاء يكرّر في كل ساعه
و لولا و حقّك عذر المشيب لقلت لعينيك سمعا و طاعه
و قد تمثّل بهذين البيتين لسان الدين بن الخطيب في خطبة تأليفه المسمّى ب «روضه التعريف، بالحج الشريف».

و قال أبو الفضل الدارمي المذكور أيضا: [بحر البسيط]

سطا الفراق عليهم غفلة فغدوا من جوره فرقا من شدّة الفرق
سرت شرقا و أشواقى مغرّبه يا بعد ما نزحت عن طرفهم طرقي
لو لا تدارك دمعى يوم كاظمه لأحرق الركب ما أبديت من حرق
يا سارق القلب جهرا غير مكترث أمنت في الحب أن تعدى على السرق
لم يبق منى سوى لفظ يبوح بما ألقى، فيا عجا للفظ كيف بقى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٧٦
صلنى إذا شئت أو فاهجر علانيه فكلّ ذلك محمول على الحدق
و قال: [بحر الطويل]

تذكر نجدا و الحمى فبكى وجدا و قال: سقى الله الحمى و سقى نجدا
و حيته أنفاس الخزامى عشية فهاجت إلى الوجد القديم به وجدا
فأظهر سلوانا و أضمر لوعه إذا طفئت نيرانها و قدت و قدأ
و لو أنه أعطى الصبا به حكمها لأبدى الذى أخفى و أخفى الذى أبدى
و قال أيضا: [بحر مجزوء الرمل]

قلت للملقى على الخدين من ورد خمارا
سبل الصّدغ على خدك من مسك عذارا
أم أعان الليل حتّى قهر الليل النهارا
قال: ميدان جرى الحسن عليه فاستدارا
ركضت فيه عيون فأثارته غبارا

و قال: [بحر السريع]

و كاتب أهديت نفسى له فهى من سوء فدى نفسه
فلست أدري بعد ما حلّ بى بمسكه أتلّف أم نفسه
سلط خديّه على مهجتي فاستأصلتها و هى من غرسه

و قال: [بحر السريع]

و شادن أسرف فى صدّه و زاد فى التّيه على عبده
الحسن قد بثّ على خدّه بنفسجا يزهو على ورده
رأيته يكتب فى طرسه خطّا يبارى الدرّ من عقده
فخلت ما قد خطّه كفّه للحسن قد خطّ على خدّه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٧٧

و قال: [بحر المجتث]

إني عشقت صغيراً قد دبّ فيه الجمال
و كاد يغشى حديث ال فضول منه الدلال
لو مرّ في طرق الهج ر لاعتراه ضلال
يريك بدراً منيراً في الحسن و هو هلال
و قال: [بحر السريع]

ظبي إذا حرّك أصدغه لم يلتفت خلق إلى العطر
غنى بشعري منشداً ليتنى ال لفظ الذي أودعته شعري
فكلما كرّر إنشاده قبلته فيه و لم يدر
و قال: [بحر الطويل]

أينفع قولى إننى لا أحبّه و دمعى بما يمليه و جدى يكتب
إذا قلت للواشين لست بعاشق يقول لهم فيض المدامع يكذب
و قال: [بحر الطويل]

و هبنى قد أنكرت حبك جملةً و آليت أنى لا أروم محطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة سقامى أملاها و دمعى خطها
و قال: [بحر الخفيف]

أنا أخشى إن دام ذا الهجر أن ين شط من حبه عقال و ثاقى
فأريح الفؤاد ممّا اعتراه و أردّ الهوى على العشاق
و قال: [بحر الطويل]

كلانا لعمري ذائبان من الهوى فنارك من جمر و نارى من هجر
أنت على ما قد تقاسين من أذى فصدرك فى نار و نارى فى صدرى
و قال: [بحر المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٧٨
و من عجب العشق أن القتل يحنّ و يصبو إلى القاتل
و قال: [بحر الوافر]

ألم أجعل مثار النّقع بحراً على أن الجياد له سفين
و قال: [بحر البسيط]

أصبحت أحلب تيساً لا مدرّ له و التيس من ظنّ أن التيس محلوب
و أما الحكيم أبو محمد المصرى و هو القائل: [بحر الطويل]
رعى الله دهراً قد نعمنا بطيبه لياليه من شمس الكؤوس أصائل
و نرجسنا درّ على التبر جامد و خمرتنا تبر على الدرّ سائل

فقد ترجمه فى «الذخيرة» فليراجع، فإن الذخيرة غريبة فى البلاد المشرقية. و قد كان عندى بالمغرب من هذا النوع ما أستعين به، فخلفته هنالك، و الله تعالى يلم الشمل. و قد ذكر فيها أنه مغربى سافر إلى مصر، ف قيل له «المصرى» لذلك، فليعلم، و الله تعالى أعلم.

٦٤- و من الوافدين على الأندلس أشهب بن العزد الخراساني.

قال ابن سعيد: أنشدنا لما وفد على ابن هود في إشبيلية قصيدة ابن النبيه: [بحر الكامل]
 طاب الصبوح لنا فهاك و هات
 و ادعاه، و فيها:

في روضة غنا تخال طيورها و غصونها همزا على ألفات
 و لم أجد هذا البيت في قصيدة ابن النبيه، انتهى.

٦٥- و من الوافدين على الأندلس من المشرق أبو الحسن البغدادي الفكيك.

و هو مذكور في الذخيرة، و كان حلو الجواب، مليح التندر، يضحك من حضر، و لا يضحك هو إذا ندر، و كان قصيرا دميما.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٧٩

قال: و رأيت يومًا و قد لبس ثوبا أحمر على بياض، و في رأسه طرطور أخضر، عمم عليه عمية لازوردية، و هو بين يدي المعتمد بن
 عباد ينشد شعرا قال فيه: [بحر المتقارب]

و أنت سليمان في ملكه و بين يديك أنا الهدهد

و أنشد له في المعتمد: [بحر الطويل]

أبا القاسم الملك المعظم قدره سواك من الأملاك ليس يعظم
 لقد أصبحت حمص بعدلك جنة و قد أبعدت عن ساكنيها جهنم
 ولي في محياك الربيع و إنني أزخرف أعلام الثناء و أرقم
 و أنفقت ما أعطيتني ثقة بما أوئل فالدينار عندي درهم
 و قلبي إلى بغداد يصبو و إنني لنشر صباها دائما أتسسم
 و قال: [بحر الطويل]

و روى على ريع العقيق دموعه عقيقا ففيها توأم و فريد

شهدت و ما تغنى شهادة عاشق بأن قتل الغانيات شهيد

و منها:

إذا قابلوه قبلوا ترب أرضه و هم لعلاه ركع و سجود

و قد هز منه الله للملك صارما تقام بحدى شفرتيه حدود

و قال: [بحر الطويل]

لأية حال حال عن سنه الكرى و لم أصغ يوما في هواه إلى العذل

و منها:

كأن بقاء الطل فوق جفونها دموع التصابي حرن في الأعين النجل

و منها:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٨٠

تملكت رقى بالعوارف منعما و أغنيتني بالوجود عن كل ذي فضل

و أنسيتني أرض العراق و دجلة و ربي حتى ما أحنّ إلى أهلي
و قال في المقتدر بن هود: [بحر المتقارب]
لعزك ذلت ملوك البشر و عقرت تيجانهم في العفر
و أصبحت أخطرهم بالقنا و أركبهم لجواد الخطر
سهرت و ناموا على المآثرات فما لهم في المعالي أثر
و جليت في حيث صلى الملوك فكلّ بذيل العلا قد عثر
و منها:

و أنتم ملوك إذا شاجروا أظلتهم من قناهم شجر
و قال فيه من قصيدة: [بحر البسيط]

غنى حسامك في أرجاء قرطبة صوتا أباد العدى و الليل معتكر
حيث الدماء مدام و القنا زهر و القوم صرعى بكأس الحتف قد سكروا
و كان مشهورا بالهجاء، و له في نقيب بغداد و كانت في عنقه غدة: [بحر الكامل]
بلغ الأمانة فهي في حلقومه لا ترتقى صعدا و لا تتنزل
و قال في ناصر الدولة بن حمدان: [بحر الكامل]

و لئن غلظت بأن مدحتك طالبا جدواك مع علمي بأنك باخل
الدولة الغراء قد غلظت بأن سمّتك ناصرها و أنت الخاذل
إن تم أمرك مع يد لك أصبحت شلاء فالأمثال شيء باطل
و مما ينسب إليه، و قيل لغيره: [بحر الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٨١
و وعدتني وعدا حسبتك صادقا فجعلت من طمعي أجيء و أذهب
فإذا جمعت أنا و أنت بمجلس قالوا: مسيلمه و هذا أشعب

٦٦- و منهم إبراهيم بن سليمان الشامي.

دخل الأندلس من المشرق في أخريات أيام الحكم شاديا للشعر، و هو من موالى بنى أمية، و لم ينفق على الحكم، و تحرّك في أيام
ولده الأمير عبد الرحمن فنفق عليه، و وصله، ثم في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن، و كان أدرك بالمشرك كبار المحدثين كأبي
نواس و أبي العتاهية.

و من شعره ما كتب به إلى الأمير عبد الرحمن: [بحر الكامل]
يا من تعالى من أمية في الدرّى قدما فأصبح عالي الأركان
إنّ العمام غياته في وقته و الغيث من كفيك كلّ أوان
فالغيث قد عمّ البلاد و أهلها و ظمئت بينهم قبلّ لساني
و له في الأمير عبد الرحمن بن الحكم: [بحر الطويل]

و من عبد شمس بالمغرب عصبه فأسعداها الرحمن حيث أحلّها
دحا تحتها مهذا من العزّ آمنا و مدّ جناحا فوقها فأظّلّها

[٦٧- و منهم أبو بكر محمد بن أحمد بن الأزرق]

٦٧- و منهم أبو بكر بن الأزرق، و هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن العباس بن محمد بن يزيد، و هو الحصني، ابن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان. من أهل مصر، خرج من مصر سنة ثلاث و أربعين و ثلاثمائة، و صار إلى القيروان، و امتحن بها مع الشيعة، و أقام محبوسا بالمهدية، ثم أطلق و وصل الأندلس سنة تسع و أربعين، فأحسن إليه المستنصر بالله الحكم، و كان أدبيا حكيما، سمع من خاله أبي بكر أحمد بن مسعود الزهري، و ولد سنة تسع عشرة و ثلاثمائة بمصر، و توفي بقرطبة في ذي القعدة سنة خمس و ثمانين و ثلاثمائة، رحمه الله تعالى!

[٦٨- و من الوافدين أبو الحسن علي بن نافع (زرياب) المغني]

٦٨- و من الوافدين على الأندلس من المشرق رئيس المغنين أبو الحسن علي بن نافع، الملقب بزرياب، مولى أمير المؤمنين المهدي العباسي.

قال في «المقتبس» زرياب لقب غلب عليه ببلاده من أجل سواد لونه، مع فصاحة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٨٢

لسانه، و حلاوة شمائله، شبه بطائر أسود غرد عندهم، و كان شاعرا مطبوعا، و كان ابنه أحمد قد غلب عليه الشعر أيضا، و كان من خيره في الوصول إلى الأندلس أنه كان تلميذا لإسحاق الموصلي ببغداد، فتلقف من أغانيه استراقا، و هدى من فهم الصناعة و صدق العقل مع طيب الصوت و صورة الطبع إلى ما فاق به إسحاق و إسحاق لا يشعر بما فتح عليه، إلى أن جرى للرشيد مع إسحاق خبره المشهور في الاقتراح عليه بمغن غريب مجيد للصنعة، لم يشتهر مكانه إليه، فذكر له تلميذه هذا، و قال: إنه مولى لكم، و سمعت له نزعات حسنة، و نغمات رائقة، ملتاطة بالنفس، إذا أنا وقفته على ما استغرب منها و هو من اختراعي و استنباط فكري، و أحس أن يكون له شأن، فقال الرشيد: هذا طلبتي، فأحضرني لعل حاجتي عنده، فأحضره، فلما كلمه الرشيد أعرب عن نفسه بأحسن منطق و أوجز خطاب، و سأله عن معرفته بالغناء، فقال: نعم أحسن منه ما يحسنه الناس، و أكثر ما أحسنه لا يحسنونه، ممّا لا يحسن إلّا عندك و لا يدخر إلّا لك، فإن أذنت غنيتك ما لم تسمعه أذن قبلك، فأمر بإحضار عود أستاذه إسحاق، فلما أدنى إليه وقف عن تناوله، و قال: لي عود نحتت بيدي، و أرفهته بإحكامي، و لا أرتضى غيره، و هو بالباب، فليأذن لي أمير المؤمنين في استدعائه، فأمر بإدخاله إليه، فلما تأمله الرشيد و كان شبيها بالعود الذي دفعه قال له: ما منعك أن تستعمل عود أستاذك؟ فقال: إن كان مولاي يرغب في غناء أستاذي غنيته بعوده، و إن كان يرغب في غنائي فلا بد لي من عودي، فقال له: ما أراهما إلّا واحدا، فقال: صدقت يا مولاي، و لا يؤدى النظر غير ذلك، و لكن عودي و إن كان في قدر جسم عوده و من جنس خشبه فهو يقع من وزنه في الثلث أو نحوه، و أوتارى من حرير لم يغزل بماء سخن يكسبها أنائه و رخاوة، و بمها و مثلثها اتخذتهما من مصران شبل أسد، فلها في الترنم و الصفاء و الجهارة و الحدة أضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان، و لها من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب المتعاورة بها ما ليس لغيرها، فاستبرع الرشيد وصفه و أمره بالغناء، فجلس، ثم اندفع فعنّاه: [بحر البسيط]

يا أيها الملك الميمون طائر هارون راح إليك الناس و ابتكروا

فأتمّ النوبة، و طار الرشيد طربا، و قال لإسحاق: و الله لو لا أنى أعلم من صدقك لي على كتمانك إيتاك لما عنده و تصديقه لك من أنك لم تسمعه قبل لأنزلت بك العقوبة لتركك إعلامي بشأنه، فخذه إليك و اعتن بشأنه، حتى أفرغ له، فإن لي فيه نظرا، فسقط في

يد إسحاق،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٨٣

و هاج به من داء الحسد ما غلب على صبره، فخلا بزرياب وقال: يا على، إن الحسد أقدم الأدوية وأدوؤها، و الدنيا فتانة، و الشركة في الصناعة عداوة، و لا حيلة في حسمها، و قد مكرت بي فيما انطويت عليه من إجادتك و علو طبقتك، و قصدت منفعتك فإذا أنا قد أتيت نفسي من مأمنا بإدنائك، و عن قليل تسقط منزلتي، و ترتقى أنت فوقى، و هذا ما لا أصحابك عليه و لو أنك ولدى، و لولا رعى لذمة تربيتك لما قدمت شيئاً على أن أذهب نفسك، يكون في ذلك ما كان، فتخير في ثنتين لا بد لك منهما: إما أن تذهب عنى فى الأرض العريضة لا أسمع لك خبراً بعد أن تعطينى على ذلك الأيمان الموثقة، و أنهضك لذلك بما أردت من مال و غيره، و إما أن تقيم على كرهى و رعى مستهدفاً لى، فخذ الآن حذرک منى فلست و الله أبقى عليك، و لا أدع اغتيالک باذلاً فى ذلك بدنى و مالى، فاقض قضاءك. فخرج زرياب لوقته، و علم قدرته على ما قال، و اختار الفرار قدامه، فأعانه إسحاق على ذلك سريعاً، و راş جناحه، فرحل عنه، و مضى يبعى مغرب الشمس، و استراح قلب إسحاق منه.

و تذكره الرشيد بعد فراغه من شغل كان منغمساً فيه، فأمر إسحاق بحضوره، فقال: و من لى به يا أمير المؤمنين؟ ذاك غلام مجنون يزعم أن الجن تكلمه و تطارحه ما يزهى به من غناؤه، فما يرى فى الدنيا من يعدله، و ما هو إلا أن أبطأت عليه جائزة أمير المؤمنين و ترك استعادته، فقدّر التقصير به، و التهوين بصناعته، فرحل مغاضباً ذاهباً على وجهه مستخفياً عنى، و قد صنع الله تعالى فى ذلك لأمر المؤمنين، فإنه كان به لمم يعشاه و يفرط خطبه، فيفرغ من رآه، فسكن الرشيد إلى قول إسحاق، و قال: على ما كان به فقد فاتنا منه سرور كثير.

و مضى زرياب إلى المغرب، فنسى بالمشرق خبره، إذ لم يكن اسمه شهر هنالك شهرته بالصقع الذى قطنه، و نزعته إليه نفسه، و سمت به همته، فأمر أمير الأندلس الحكم المباين لمواليه، و خاطبه، و ذكر له نزاعه إليه، و اختياره إياه، و يعلمه بمكانه من الصناعة التى ينتحلها، و يسأله الإذن فى الوصول إليه، فسّر الحكم بكتابه و أظهر له من الرغبة فيه و التطلع إليه و إجمال الموعد ما تمناه، فسار زرياب نحوه بعياله و ولده، و ركب بحر الزقاق إلى الجزيرة الخضراء، فلم يزل بها حتى تواتت عليه الأخبار بوفاء الحكم، فهتم بالرجوع إلى العدو، فكان معه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٨٤

منصور اليهودى المغنى رسول الحكم إليه، فتناه عن ذلك و رغبه فى قصد القائم مقام الحكم، و هو عبد الرحمن ولده، و كتب إليه بخبر زرياب، فجاءه كتاب عبد الرحمن يذكر تطلعه إليه، و السرور بقدمه عليه، و كتب إلى عماله على البلاد أن يحسنوا إليه، و يوصلوه إلى قرطبة، و أمر خصياً من أكابر خصيائه أن يتلقاه ببغال ذكور و إناث و آلات حسنة، فدخل هو و أهله البلد ليلاً صيانة للحرم، و أنزله فى دار من أحسن الدور، و حمل إليها جميع ما يحتاج إليه، و خلع عليه، و بعد ثلاثة أيام استدعاه، و كتب له فى كل شهر بمائتى دينار راتباً، و أن يجرى على بنيه الذين قدموا معه - و كانوا أربعة: عبد الرحمن، و جعفر، و عبيد الله، و يحيى. عشرون ديناراً لكل واحد منهم كل شهر، و أن يجرى على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار، منها لكل عيد ألف دينار، و لكل مهرجان و نوروز خمسمائة دينار، و أن يقطع له من الطعام العام ثلاثمائة مدى ثلاثاً شعير و ثلثها قمح، و أقطعه من الدور و المستغلات بقرطبة و بساتينها و من الضياع ما يقوم بأربعين ألف دينار. فلتى قضى له سؤله و أنجز موعوده و علم أن قد أرضاه و ملك نفسه استدعاه، فبدأ بمجالسته على النيذ و سماع غناؤه، فما هو إلا أن سمعه فاستهوله و أطرح كل غناء سواه، و أحبه حباً شديداً، و قدمه على جميع المغنين، و كان لى خلا به أكرمه غاية الإكرام، و أدنى منزلته، و بسط أمله، و ذاكره فى أحوال الملوك و سير الخلفاء و نوادر العلماء، فحرك منه بحراً زخر عليه مدّه، فأعجب الأمير به، و راقه ما أورده، و حضر وقت الطعام فشرفه بالأكل معه هو و أكابر ولده، ثم أمر كاتبه بأن يعقد له صكاً بما ذكرناه آنفاً، و لى ملك قلبه و استولى عليه حبه، فتح له باباً خاصاً يستدعيه منه متى أراد.

و ذكر أن زريابا ادعى أن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة إلى صوت واحد، كان يهت من نومه سريعا فيدعو بجاريته غزلان و هنيده، فتأخذان عودهما، و يأخذ هو عوده، فيطارحهما ليلته، ثم يكتب الشعر، ثم يعود عجلا- إلى مضجعه، و كذلك يحكى عن إبراهيم الموصلى فى لحنه البديع المعروف بالماخورى أن الجن طارحته إياه، و الله تعالى أعلم بحقيقة ذلك.

و زاد زرياب بالأندلس فى أوتار عوده و ترا خامسا اختراعا منه، إذ لم يزل العود ذا أربعة أوتار على الصنعة القديمة التى قوبلت بها الطبائع الأربع، فزاد عليها و ترا خامسا أحمر متوسطا، فاكسب به عوده أطف معنى و أكمل فائدة، و ذلك أن الزير. صبغ أصفر اللون، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٨٥

و جعل فى العود بمنزلة الصفراء من الجسد، و صبغ الوتر الثانى بعده أحمر، و هو من العود مكان الدم من الجسد، و هو فى الغلظ ضعف الزير، و لذلك سمي مثنى، و صبغ الوتر الرابع أسود، و جعل من العود مكان السوداء من الجسد، و سمي البيم، و هو أعلى أوتار العود، و هو ضعف المثلث الذى عطل من الصبغ و ترك أبيض اللون، و هو من العود بمنزلة البلغم من الجسد، و جعل ضعف المثنى فى الغلظ، و لذلك سمي المثلث، فهذه الأربعة من الأوتار مقابلة للطبائع الأربع تقضى طبائعها بالاعتدال، فاليم حار يابس يقابل المثنى و هو حار رطب و عليه تسويته، و الزير حار يابس يقابل المثلث و هو حار رطب، قوبل كل طبع بضده حتى اعتدل و استوى كاستواء الجسم بأخلاقه، إلا أنه عطل من النفس، و النفس مقرونة بالدم، فأضاف زرياب من أجل ذلك إلى الوتر الأوسط الدموى هذا الوتر الخامس الأحمر الذى اخترعه بالأندلس، و وضعه تحت المثلث و فوق المثنى، فأكمل فى عوده قوى الطبائع الأربع، و قام الخامس المزيد مقام النفس فى الجسد.

و هو الذى اخترع بالأندلس مضراب العود من قوادم النسر، معتاضا به من مرهف الخشب، فأبرع فى ذلك للطف قشر الريشة و نقائه و خفته على الأصابع و طول سلامة الوتر على كثرة ملازمته إياه.

و كان زرياب عالما بالنجوم و قسمة الأقاليم السبعة، و اختلاف طبائعها و أهويتها و تشعب بحارها، و تصنيف بلادها، و سكانها، مع ما سنج له من فكك كتاب الموسيقى، مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها، و هذا العدد من الألحان غاية ما ذكره بطليموس و اضع هذه العلوم و مؤلفها.

و كان زرياب قد جمع إلى خصاله هذه الاشتراك فى كثير من ضروب الظرف و فنون الأدب، و لطف المعاشرة، و حوى من آداب المجالسة و طيب المحادثة و مهارة الخدمة الملوكية ما لم يجده أحد من أهل صناعته، حتى اتخذه ملوك أهل الأندلس و خواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه، و استحسنة من أطعمته، فصار إلى آخر أيام أهل الأندلس منسوباً إليه معلوماً به.

فمن ذلك أنه دخل إلى الأندلس و جميع من فيها من رجل أو امرأة يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاماً للصدغين و الحاجبين، فلما عاين ذوو التحصيل تحذيفه هو و ولده و نساؤه لشعورهم، و تقصيرها دون جباههم، و تسويتها مع حواجبهم، و تدويرها إلى آذانهم، و إسدالها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٨٦

إلى أصداغهم - حسبما عليه اليوم الخدم الخصية و الجوارى. هوت إليه أفئدتهم، و استحسونه.

و مما سنه لهم استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج لطرده ريح الصنان من مغابنهم، و لا شىء يقوم مقامه، و كانت ملوك الأندلس تستعمل قبله ذرور الورد و زهر الريحان و ما شاكل ذلك من ذوات القبض و البرد، فكانوا لا تسلم ثيابهم من وضر، فدلهم على تصعيدها بالملح، و تبيض لونها، فلما جربوه أحمدهو جداً.

و هو أول من اجتنى بقله الهليون المسماة بلسانهم الإسفراج، و لم يكن أهل الأندلس يعرفونها قبله.

و مما اخترعوه من الطيخ اللون المسمى عندهم بالتفيا، و هو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق و الكباب، و يليه عندهم لون التقلية المنسوبة إلى زرياب.

و مما أخذه عنه الناس بالأندلس تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة، وإثاره فرش أنطاغ الأديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان، واختياره سفر الأديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية إذ الوضر يزول عن الأديم بأقل مسحة، و لبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذى يليق به، فإنه رأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض وجعلهم للملون من يوم مهرجان أهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن في ست بقين من شهر يونيه الشمسى من شهورهم الرومية، فيلبسونه إلى أول شهر أكتوبر الشمسى منها ثلاثة أشهر متواليه و يلبسون بقيه السنة الثياب الملونه، و رأى أن يلبسوا في الفصل الذى بين الحرّ و البرد المسمى عندهم الربيع من مصبغهم جباب الخرز و الملحوم و المحرّر و الدراريح التى لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر التى ينتقلون إليها لخفتها و شبهها بالمحاشى، ثياب العامه، و كذا رأى أن يلبسوا فى آخر الصيف و عند أول الخريف المحاشى المرويه و الثياب المصمته و ما شاكلها من خفائف الثياب الملونه ذوات الحشو و البطائن الكثيفه، و ذلك عند قرص البرد فى الغدوات، إلى أن يقوى البرد فينتقلون إلى أثنى منها من الملونات، و يستظهرون من تحتها إذا احتاجوا إلى صنوف الفراء.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٨٧

و استمرّ بالأندلس أن كل من افتتح الغناء فيبدأ بالنشيد أول شدوه بأى نقر كان، و يأتى أثره بالبسيط، و يختم بالمحركات و الأهزاج تبعاً لمراسم زرياب.

و كان إذا تناول الإلقاء على تلميذ يعلمه أمره بالعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة، و أن يشدّ صوته جدّاً إذا كان قوياً الصوت، فإن كان ليته أمره أن يشدّ على بطنه عمامة، فإن ذلك ممّا يقوى الصوت، و لا يجد متسعاً فى الجوف عند الخروج على الفم، فإن كان الصّ الأضراس لا يقدر على أن يفتح فاه، أو كانت عادته زمّ أسنانه عند النطق، راضه بأن يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع بيبتها فى فمه ليالى حتى ينفرج فكاه، و كان إذا أراد أن يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمره أن يصيح بأقوى صوته: يا حجّام، أو يصيح: آه، و يمدّ بها صوته، فإن سمع صوته بهما صافياً ندياً قوياً مؤدياً لا يعتريه غنة و لا حبسة و لا ضيق نفس عرف أن سوف ينجب، و أشار بتعليمه، و إن وجده خلاف ذلك أبعد.

و كان له من ذكور الولد ثمانية: عبد الرحمن، و عبيد الله، و يحيى، و جعفر، و محمد، و قاسم، و أحمد، و حسن. و من الإناث ثنتان: عليه، و حمدونه. و كلهم غنى، و مارس الصناعة، و اختلفت بهم الطبقة، فكان أعلاهم عبيد الله، و يتلوه عبد الرحمن، لكنه ابتلى من فرط التيه و شدّة الزهو و كثرة العجب بغنائه و الذهاب بنفسه بما لم يكن له شبه فيه، و قلماً يسلم مجلس حضوره من كدر يحدثه، و لا يزال يجترئ على الملوك، و يستخفّ بالعظماء، و لقد حمله سخفه على أن حضر يوماً مجلس بعض الأكابر الأعظم فى أنس قد طاب به سروره، و كان صاحب قنص تغلب عليه لذّته، فاستدعى بازيا كان كلفاً به كثير التذكر له، فجعل يمسح أعطافه و يعدّل قوادمه، و يرتاح لنشاطه، فسأله عبد الرحمن أن يهبه له، فاستحيا من رده، و أعطاه إياه مع ضنّه به، فدفعه عبد الرحمن إلى غلامه ليعجل به إلى منزله، و أسرّ إليه فيه بسرّ لم يطلع عليه، فمضى لشأنه، و لم يلبث أن جاءه بطيفورية مغطاة مكرمه بطابع مختوم عليها من فضة، فإذا به لون مصوص قد اتّخذ من البازى بعد ذبحه على ما حده

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٨٨

لأهله، و ذهب إلى الانتقال إليه فى شرابه، و قال لصاحب المجلس: شاركنى فى نقلى هذا فإنه شريف المركّب بديع الصنعة، فلما رآه الرجل أنكر صفته، و عاب لحمه، و سأله عنه، فقال: هو البازى الذى كنت تعظم قدره، و لا تصبر عنه و قد صيرته إلى ما ترى، فغضب صاحب المنزل حتى ربا فى أثوابه، و فارقه حلمه، و قال له: قد كان و الله أيها الكلب السفية على ما قدرته و ما اقتديت فيه إلا بكبار الناس المؤثرين لمثله، و ما أسعفتك به إلا معظما من قدرك ما صغرت من قدرى، و أظهرت من هوان السنة عليك باستحلالك لسباع الطير المنهية عنها، و لا أدع و الله الآن تأديبك إذ أهملك أبوك معلّم الناس المروءة، و دعا له بالشوط، و أمر بتزع قلنسوته، و ساط هامته مائة سوط، فاستحسن جميع الناس فعله به و أبدوا الشّماتة به.

و كان محمد منهم مؤنثا، و كان قاسم أحدقهم غناء مع تجويده، و تزوّج الوزير هاشم بن عبد العزيز حمدونه. و ذكر عبادة الشاعر أن أول من دخل الأندلس من المغنين علون و زرقون، دخلا في أيام الحكم بن هشام، فنفا عليه، و كانا محسنين، لكن غناؤهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه.

و قال عبد الرحمن بن الشمر منجم الأمير عبد الرحمن و نديمه في زرياب: [بحر الخفيف]

يا عليّ بن نافع يا عليّ أنت أنت المهذب اللوذعيّ

أنت في الأصل حين يسأل عنه هاشميّ و في الهوى عبشمي

و قال ابن سعيد: و أنشد لزرياب والدي في معجمه: [بحر مجزوء الكامل]

علقتها ريحانة هيفاء عطره نصيره

بين السمينه و الهزي له و الطويلة و القصيره

لله أيام لنا سلفت على دير المطيره

لا عيب فيها للمتي يم غير أن كانت يسيره

انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٨٩

و كان لزرياب جارية اسمها متعة، أدبها و علمها أحسن أغانيه حتى شبت، و كانت رائعة الجمال، و تصرف بين يدي الأمير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه مرّة و تسقيه أخرى، فلما فطنت لإعجابه بها أبدت له دلائل الرغبة، فأبى إلا التستر، فغنته بهذه الأبيات، و هي لها في ظنّ بعض الحفاظ: [بحر المجتث]

يا من يغطّي هواه من ذا يغطّي النهارا

قد كنت أملكك قلبي حتى علفت فطارا

يا ويلتا أتراه لى كان، أو مستعارا

يا بأبي قرشيّ خلعت فيه العذارا

فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها إليه، فحظيت عنده.

و كانت حمدونه بنت زرياب متقدمه في أهل بيتها، محسنه لصناعتها، متقدمه على أختها عليه، و هي زوجة الوزير هاشم بن عبد العزيز كما مرّ، و طال عمر عليه بعد أختها حمدونه، و لم يبق من أهل بيتها غيرها، فافتقر الناس إليها، و حملوا عنها.

و كانت مصابيح جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قلهيل أخذت عن زرياب الغناء، و كانت غاية في الإحسان و النبل و طيب الصوت، و فيها يقول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد، و كتب به إلى مولاها: [بحر البسيط]

يا من يضنّ بصوت الطائر الغرد ما كنت أحسب هذا الضنّ من أحد

لو أنّ أسمع أهل الأرض قاطبة أصغت إلى الصوت لم ينقص و لم يزد

من أبيات، فخرج حافيا لثما وقف على ذلك، و أدخله إلى مجلسه، و تمتّع من سماعها، رحم الله تعالى الجميع!

و قال علويه: كنت مع المأمون لثما قدم الشام، فدخلنا دمشق، و جعلنا نطوف فيها على أماكن بنى أمية، فدخلنا قصرا مفروشا بالرخام الأخضر، و فيه بركة يدخلها الماء و يخرج منها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٩٠

فيستقى بستانا، و في القصر من الأطيّار، ما يغنى صوته عن العود و المزمّار، فاستحسن المأمون ما رأى، و عزم على الصّيبوح، فدعا بالطعام فأكلنا و شربنا، ثم قال لي: غنّ بأطيب صوت و أطربه، فلم يمرّ على خاطري غير هذا الصوت: [بحر المنسرح]

لو كان حولي بنو أمية لم ينطق رجال أراهم نطقوا
فنظر إليّ مغضبا، و قال: عليك لعنة الله و على بنى أمية! فعلمت أنى قد أخطأت، فجعلت أعتذر من هفوتى، و قلت: يا أمير المؤمنين، أ
تلومنى أن أذكر موالى بنى أمية، و هذا زرياب مولاك عندهم بالأندلس، يركب فى أكثر من مائة مملوك و فى ملكه ثلاثمائة ألف
دينار دون الضياع، و إنى عندكم أموت جوعا، و فى الحكاية طول و اختلاف، و محلّ الحاجة منها ما يتعلّق بزرياب، رحم الله تعالى
الجميع!.

و ذكرها الرقيق فى كتاب «معاقره الشراب» على غير هذا الوجه، و نصّه: و ركب المأمون يوما من دمشق يريد جبل الثلج، فمرّ ببركة
عظيمة من برك بنى أمية، و على جانبها أربع سروات، و كان الماء يدخل سيحا، فاستحسن المأمون الموضع، و دعا بالطعام و الشراب،
و ذكر بنى أمية، فوضع منهم و تنقّصهم، فأخذ علويه العود و اندفع يغنى: [بحر الطويل]

أرى أسرتى فى كلّ يوم و ليلة يروح بهم داعى المنون و يغتدى
أولئك قوم بعد عزّ و ثروة تفانوا فالأ أذرف العين أكمد

فضرب المأمون بكأسه الأرض، و قال لعلويه: يا ابن الفاعلة، لم يكن لك وقت تذكر مواليك فيه إلّا هذا الوقت؟ فقال: مولاكم
زرياب عند موالى بالأندلس يركب فى مائة غلام، و أنا عندكم بهذه الحالة، فغضب عليه نحو شهر، ثم رضى عنه، انتهى.
و نحوه لابن الرقيق فى كتابه «قطب السور» و قال فى آخر الحكاية: و أنا عندكم أموت من الجوع، ثم قال: و زرياب مولى المهدي، و
وصل إلى بنى أمية بالأندلس فعلت حاله، حتى كان كما قال علويه، انتهى.

و لما غنى زرياب بقوله: [بحر الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٩١

و لو لم يشقنى الظاعنون لشاقنى حمام تداعت فى الديار وقوع

تداعين فاستبكين من كان ذا هوى نوائح ما تجرى لهنّ دموع

ذيلها عباس بن فرناس يمدح بعض الرؤساء بديهة فقال: [بحر الطويل]

شدت بمحمود يدا حين خانها زمان لأسباب الرجاء قطوع

بنى لمساعى الجود و المجد قبله إليها جميع الأجودين ركوع

و كان محمود جوادا، فقال له: يا أبا القاسم، أعزّ ما يحضرنى من مالى القبة، يعنى قبة قامت عليه بخمسائة دينار، و هى لك بما فيها
مع كسوتى هذه، و نكون فى ضيافتك بقيه يومنا، و دعا بكسوة فلبسها، و دفع إليه الكسوة.

٦٩- و من الوافدين من المشرق الأمير شعبان بن كوجبا.

من عزّ الموصل، و فد على أمير المؤمنين يعقوب المنصور ملك الموحدين، و رفع له أمداحا جليلة، و قدّمه على إمارة مدينة بسطة من
الأندلس.

قال أبو عمران بن سعيد: أنشدنى لنفسه: [بحر الطويل]

يقولون إنّ العدل فى الناس ظاهر و لم أر شيئا منه سزا و لا جهرا

و لكن رأيت الناس غالب أمرهم إذا ما جنى زيد أقادوا به عمرا

و إلّا فما بال التّطاسى كلّما شكوت له يمنى يدي فصد اليسرى

٧٠- و من الوافدين من المشرق على الأندلس أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني.

من أهل بغداد، و سكن القيروان، و يعرف بالرياضى، و كان له سماع ببغداد من جلة المحدثين و الفقهاء و النحويين، لقي الجاحظ و المبرد و ثعلبا و ابن قتيبة، و لقي من الشعراء أبا تمام و البحترى و دعبلا و ابن الجهم، و من الكتّاب سعيد بن حميد و سليمان بن وهب و أحمد بن أبي طاهر و غيرهم، و هو الذى أدخل إفريقية رسائل المحدثين و أشعارهم و طرائف أخبارهم، و كان عالما أدبيا، و مرسلًا بليغا، ضاربا فى كل علم و أدب، سمع و كتب بيده أكثر كتبه، مع براعة خطه و حسن وراقته.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٩٢

و حكى أنه كتب على كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد، ما زال يبريه حتى قصر، فأدخله فى قلم آخر، و كتب به حتى فنى بتمام الكتاب.

و له تأليف: منها «لقط المرجان» و هو أكبر من «عيون الأخبار» و كتاب «سراج الهدى» فى القرآن و مشكله و إعرابه و معانيه، و «المرصعة» و «المدبجة».

و جال فى البلاد شرقا و غربا من خراسان إلى الأندلس، و قد ذكر ذلك فى أشعار له.

و كان أديب الأخلاق، نزيه النفس، كتب لأمير إفريقية إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، ثم لابنه أبى العباس عبد الله، و كان أيام زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الأغلبة على بيت الحكمة، و توفى بالقيروان سنة ثمان و تسعين و مائتين فى أول ولاية عبيد الله الشيعى، و هو ابن خمس و سبعين سنة.

و ممن ألم بذكره المؤرخ الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق.

و قال عريب بن سعد فى حقه: إنه كان أدبيا شاعرا مرسلًا حسن التأليف، و قدم الأندلس على الإمام محمد بن عبد الرحمن، و ذكر له معه قصة ذكرها ابن الأبار فى كتابه «إفاداة الوفاة» و حكى أن له مسندا فى الحديث، و كتابا فى القرآن سماه «سراج الهدى» و الرسالة الوحيدة، و المؤنسة، و قطب الأدب، و غير ذلك من الأوضاع.

قال: و كتب لبنى الأغلب حتى انصرفت أيامهم، ثم كتب لعبيد الله حتى مات.

و من الرواة عنه أبو سعيد عثمان بن سعيد الصيقل مولى زيادة الله بن الأغلب، و أسند إليه الحافظ ابن الأبار رواية شعر أبى تمام بأن قال: قرأت شعر حبيب على أبى الربيع بن سالم، و قرأت جملة منه على غيره، و ناولنى جميعه و حدثنى به عن أبى عبد الله بن زرقون عن الخولانى عن أبى القاسم حاتم بن محمد عن أبى غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوى عن أبيه أبى تمام عن أبى سعيد المذكور، يعنى ابن الصيقل، عن أبى اليسر عن حبيب، و هو إسناد غريب، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٩٣

٧١- و منهم أبو إسحاق إبراهيم بن خلف بن منصور، الغساني، الدمشقى، المعروف بالسهنورى

و سهنور: من بلاد مصر، روى عن أبى القاسم بن عساكر و أبى اليمن الكندى و أبى المعالى الفراوى و أبى الطاهر الخشوعى و غيرهم.

قال أبو العباس النباتى: قدم علينا- يعنى إشبيلية- سنة ثلاث و ستمائة، و سمى جماعة من شيوخه، و حكى أنه كان يروى موطأ أبى مصعب و صحيح مسلم بعلو.

و قال أبو سليمان بن حوط الله: أجازنى و ابنى محمدا جميع ما رواه عن شيوخه الذين منهم أبو الفخر فناخسرو بن فيروز الشيرازى، و ذكر أن روايته بنزول؛ لأنه لم يرحل إلّا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بهذا الشأن.

و قال أبو الحسن بن القطان، و سماه فى شيوخه: قدم علينا تونس سنة اثنتين و ستمائة، و استجزته لابنى حسن فأجازته و إياى، قال: و

انصرف من تونس إلى المغرب، ثم الأندلس، و قدم علينا بعد ذلك مراكش مفلتا من الأسر، فظهر في حديثه عن نفسه تجازف و اضطراب و كذب زهد فيه، و أثر ذلك انصرف إلى المشرق راجعا، و قد كان إذا أجاز ابني كتب بخطه جملة من أسانيده و سمي كتبها منها الموطأ و الصحيحان و غير ذلك، قال: و قد تبرأت من عهده جميعه لما أثبت من حاله، و حدثني أبو القاسم بن أبي كرامة صاحبنا بتونس أن السنهوري هذا لما انصرف إلى مصر امتحن بملكها الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب لأجل معاداته أبا الخطاب بن الجميل، فضرب بالسياط، و طيف به على جمل مبالغه في إهانتته، انتهى.

و قال بعض المؤرخين في حقه، ما نصه: الشيخ المحدث الرحالة إبراهيم السنهوري صاحب الرحلة إلى البلاد، دخل الأندلس كما ذكره ابن النجار وغيره، و هو الذي ذكر لمشايخ الأندلس و علمائها أن الشيخ أبا الخطاب بن دحية يدعى أنه قرأ على جماعة من شيوخ الأندلس القدماء، فأذكروا ذلك و أبطلوه و قالوا: لم يلق هؤلاء و لا أدركهم، و إنما اشتغل بالطلب أخيرا، و ليس نسبه بصحيح فيما يقوله، و دحية لم يعقب، فكتب السنهوري محضرا و أخذ خطوطهم فيه بذلك، و قدم به ديار مصر، فعلم أبو الخطاب بن دحية بذلك، فاشتكى إلى السلطان منه، و قال: هذا يأخذ عرضي و يؤذيني، فأمر السلطان بالقبض عليه، فقبض و ضرب بالسياط و أشهر على حمار، و أخرج من ديار مصر، و أخذ ابن دحية المحضر و حرقه، و لم يزل ابن دحية على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٩٤

قرب من السلطان إلى حين وفاته، و بنى له دارا للحديث، و هي الكاملية بين القصرين، فلم يزل يحدث بها إلى أن مات. و قد ذكرنا في ترجمة ابن دحية من هذا الكتاب شيئا من أحواله، و أن الناس فيه معتقد و منتقد، و هكذا جرت العادة خصوصا في حق الغريب المنتسب للعلم: [بحر الوافر]

و عند الله تجتمع الخصوم

و ممن كان عليه لا له أبو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين فإنه قال فيه:

[بحر السريع]

دحية لم يعقب فلم تعتري إليه بالهتان و الإفك

ما صح عند الناس شيء سوى أنك من كلب بلا شك

هكذا ذكره ابن النجار، و أطال في الوقعة في أبي الخطاب بن دحية.

و قال الذهبي: قرأت بخط الضياء عندما ذكر ابن دحية أنه قال: لقيته بأصبهان، و لم أسمع منه شيئا، و أخبرني إبراهيم السنهوري بأصبهان أنه دخل المغرب، و أن مشايخه كتبوا له جرحه و تضعيفه، و قد رأيت أنا منه غير شيء مما يدل على ذلك، و بسببه بنى السلطان الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة و جعله شيخها، و قد سمع منه الإمام أبو عمرو بن الصلاح الموطأ سنة تيف و ستمائة، و أخبره به عن جماعة منهم أبو عبد الله بن زرقون.

و قال ابن واصل: كان أبو الخطاب - مع فرط معرفته بالحديث، و حفظه الكثير منه - متهما بالمجازفة في النقل، و بلغ ذلك الملك الكامل، فأمره أن يعلق شيئا على كتاب «الشهاب»، فعلق كتابا تكلم فيه على أحاديثه و أسانيده، فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد أيام: قد ضاع مني ذلك الكتاب، فعلق لي مثله، ففعل، فجاء في الثاني مناقضة للأول، فعلم الملك الكامل صحة ما قيل عنه، و نزلت مرتبته عنده، و عزله عن دار الحديث أخيرا، و ولّى أخاه أبا عمر و عثمان.

و قال ابن نقطة: كان أبو الخطاب موصوفا بالمعرفة و الفضل، و لم أره، إلا أنه كان يدعى أشياء لا حقيقة لها؛ ذكر لي أبو القاسم بن عبد السلام - و كان ثقة - قال: نزل عندنا ابن دحية

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٩٥

فقال: إنني أحفظ صحيح مسلم و الترمذي، فأخذت خمسة أحاديث من الترمذي و مثلها من المسند و مثلها من الموضوعات، فجعلتها

فى جزء، ثم عرضت عليه حديثا من الترمذى فقال:
ليس بصحيح، و آخر فقال: لا أعرفه، و لم يعرف منها شيئا، فأفسد نفسه بذلك.
و قال سبط ابن الجوزى: إنه كان يتزبد فى كلامه، و يثلب المسلمين، و يقع فيهم، فترك الناس الرواية عنه و كذبوه، و قد كان الملك
الكامل مقبلا عليه، فلما انكشف له شأنه أخذ منه دار الحديث و أهانه.
و قال العماد بن كثير: قد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام، و نسبه بعضهم إلى وضع حديث فى قصر صلاة المغرب، و كنت أود أن
أقف على إسناده ليعلم كيف رجاله، و قد أجمع العلماء- كما ذكره ابن المنذر و غيره- على أن صلاة المغرب لا تقصر، و اتفق أنه
وصل فى جمادى الأولى سنة ٦١٦ إلى غزة، فخرج كل من فى غزة بالأسلحة و العصى و الحجارة إلى الموضع الذى هو فيه، و ضربوه
ضربا شديدا بعد أن انهزم من كان معه، انتهى.
و قدّمنا فى ترجمته توثيق جماعة له، فربك أعلم بحاله.

٧٢- و منهم عبد الله بن محمد بن آدم، القارى، الخراسانى.

رحل من خراسان إلى الأندلس، يكنى أبا محمد، ذكره أبو عمرو المقرئ، و قال:
سمعتة يقرأ مرات كثيرة، فكان من أحسن الناس صوتا، و لم تكن له معرفة بالقراءة و لا دراية بالأداء، انتهى.

٧٣- و منهم عبد الرحمن بن داود بن على، الواعظ.

من أهل مصر، يعرف بالزبزارى، يكنى أبا البركات و أبا القاسم، و يلقب زكى الدين.
قدم على الأندلس، و تجول فى بلادها واعظا و مذكرا، و سمع منه الناس بقربطه و إشبيلية و مرسية و بلنسية سنة ٦٠٨.
قال ابن الأبار: و سمعت، وعظه إذ ذاك بالمسجد الجامع من بلنسية، و ادعى الرواية عن
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٩٦
أبى الوقت السجزي و السيلفى و أبى الفضل عبد الله بن أحمد الطوسى و أبى محمد بن المبارك بن الطباخ و أبى الفضل محمد بن
يوسف الغزنوى و شهدة الكاتبة بنت الأبرى، زعم أنه قرأ عليها صحيح البخارى، و جماعة بالمشرق و الأندلس لم يلقهم و لم يسمع
منهم، و ربما حدث بواسطة عن بعضهم، و أكثرهم مجهولون، و قفت على ذلك فى فهرست روايته، فزهد أكثر السامعين منه، و
أطرحوا الرواية عنه، و منهم أبو العباس النباتى و أبو عبد الله بن أبى البقاء، و جمع أربعين حديثا مسلسلة سماها بالآلىء المفصلة،
حدث فيها عن ابن بشكوال و ابن غالب الشراط و غيرهما من الأندلسيين الذين لم يلقهم و لا أجازوا له، أخذها عنه ابن الطليسان و
غيره، و كان- مع هذا- فقيها على مذهب الشافعى، رضى الله تعالى عنه! فصيحاً، مشاركاً فى فنون من العلم، سمح الله تعالى له! انتهى.
و لا بأس أن نذكر جملة من النساء القادمات من المشرق على الأندلس، ثم نعود أيضا إلى ذكر أعلام الرجال، فنقول:

٧٤- من النساء الداخلات الأندلس من المشرق عابدة المدينة، أم ولد حبيب بن الوليد المروانى، المعروف بدحون.

و كانت جارية سوداء، من رقيق المدينة، حالكة اللون، غير أنها تروى عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة و غيره من علماء المدينة،
حتى قال بعض الحفاظ: إنها تروى عشرة آلاف حديث.
و قال ابن الأبار: إنها تسند حديثا كثيرا، و هى أم ولده بشر بن حبيب، و الذى و هبها لدحون فى رحلته إلى الحج هو محمد بن يزيد
بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان، فقدم بها الأندلس، و قد أعجب بعلمها و فهمها، و اتخذها لفراشه، رحم الله تعالى الجميع!

٧٥- و منهن فضل المدينة.

و كانت حاذقةً بالغناء، كاملة الخصال، وأصلها لإحدى بنات هارون الرشيد، ونشأت وتعلّمت ببغداد، و درجت من هناك إلى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام! فازدادت ثم طبقتها في الغناء، واشترت هنالك للأمير عبد الرحمن صاحب الأندلس مع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٩٧

صاحبها علم المدينة، و صواب غيرها إيهنّ تنسب دار المدنيات بالقصر، و كان يؤثرهنّ لجمود غنائهنّ و نصاعة ظرفهنّ و رقة أدبهنّ، و تضاف إيهنّ جارية قلم و هي ثالثة فضل و علم في الحظوة عند الأمير المذكور، و كانت أندلسية الأصل، رومية من سبي البشكنس، و حملت صبيّة إلى المشرق، فوعدت بمدينة النبي صلى الله عليه و سلم، و تعلّمت هنالك الغناء فحذقتة، و كانت أديبة، ذاكرة، حسنة الخط، راوية للشعر، حافظة للأخبار، عالمة بضروب الآداب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٣؛ ص ٣٩٧

٧٦- و من النساء الداخلات إلى الأندلس من المشرق قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي، صاحب إشبيلية.

و كانت من أهل الفصاحة و البيان، و المعرفة بصوغ الألقان، و جلبت إليه من بغداد، و جمعت أدبا و ظرفا، و رواية و حفظا، مع فهم بارع، و جمال رائع، و كانت تقول الشعر بفضل أدبها، و لها في مولاها تمدحه: [بحر الكامل]

ما في المغارب من كريم يرتجى إلّا حليف الجود إبراهيم
إنّي حلّلت لديه منزل نعمة كلّ المنازل ما عداه ذميم

و أنشد لها السالمي لما ذكرها عدّة أشعار: منها قولها تتشوّق إلى بغداد: [بحر الكامل]

آها على بغدادها و عراقها و طبائها و السحر في أحداقها

و مجالها عند الفرات بأوجه تبدو أهلتها على أطواقها

متبخترات في النعيم كأنما خلق الهوى العذرى من أخلاقها

نفسى الفداء لها فأى محاسن في الدهر تشرق من سنا إشراقها

٧٧- و منهن الجارية العجفاء.

قال الأرقمى: قال لى أبو السائب، و كان من أهل الفضل و النّسك: هل لك في أحسن الناس غناء؟ فجننا إلى دار مسلم بن يحيى مولى بنى زهرة، فأذن لنا فدخلنا بيتا عرضه اثنا عشر ذراعا في مثلها، و طوله في السماء ستة عشر ذراعا، و فى البيت نمرقتان قد ذهب عنهما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٩٨

اللحمه و بقى السيدى، و قد حشيتا بالليف، و كرسيتان قد تفككا من قدمهما، ثم اطلعت علينا عجفاء كلفاء، عليها قرقل هروى أصفر غسل، و كأنّ وركيها فى خيط من وسخها، فقلت لأبى السائب: بأبى أنت! ما هذه فقال: اسكت، فتناولت عودا فغنت: [بحر الكامل]

بيد الذى شغف الفؤاد بكم تفريج ما ألقى من الهم

فاستيقنى أن قد كلفت بكم ثم افعلى ما شئت عن علم

قد كان صرم في الممات لنا فعجلت قبل الموت بالصرم

قال: فتحسنت في عيني، و بدا ما أذهب الكلف عنها، و زحف أبو السائب و زحفت معه، ثم تغنت: [بحر الكامل]

برح الخفاء فأئما بك تكتم و لسوف يظهر ما تسرّ فيعلم

مما تضمّن من عزيز قلبه يا قلب إنك بالحسان لمغرم

يا ليت أنك يا حسام بأرضنا تلقى المراسى طائعا و تخيم

فتذوق لذة عيشنا و نعيمه و نكون إخوانا فماذا تنقم

فقال أبو السائب: إن يقيم هذا فأعصه الله تعالى بكذا و كذا من أبيه، و لا يكنى، فزحفت مع أبي السائب حتى فارقتا النمرقتين، و ربت

العجفاء في عيني كما يربو السويق بماء مزنة، ثم غنت: [بحر المنسرح]

يا طول ليلي أعالج السقما إذ أدخل كلّ الأجنّة الحرما

ما كنت أخشى فراقكم أبدا فالיום أمسى فراقكم عزا

فألقيت طيلسانى، و أخذت شاذكونة فوضعتها على رأسى، و صحت كما يصاح على اللويا بالمدينة، و قام أبو السائب فتناول ربعة في

البيت فيها قوارير و دهن، فوضعها على رأسه، و صاح صاحب الجارية و كان ألثغ: قوانينى، يعنى قواريرى، فاصطكت القوارير و

تكسرت، و سال الدهن على رأس أبي السائب و صدره، و قال للعجفاء: لقد هجت لى داء قديما، ثم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٣٩٩

وضع الربعة. و كنا نختلف إليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الأندلس فابتيعت له العجفاء، و حملت إليه.

٧٨- و من القادمين على الأندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن، الموصلى.

قال أبو حيان: قدم علينا رسولا من ملك مصر إلى ملك الأندلس، فسمعت منه بالمرية، انتهى.

٧٩- و منهم أحمد بن الحسن بن الحارث بن عمرو بن جرير بن إبراهيم بن مالك، المعروف بالأشتر، بن الحارث، النخعي.

يكنى أبا جعفر، دخل الأندلس في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن، و أصله من الكوفة، و كان يروى أحاديث عظيمة العدد، ذكر

ذلك الرازى، و حكى أن الأمير محمدا روى عنه منها، و أنزله بريّة.

٨٠- و منهم أحمد بن أبي عبد الرحمن، و اسمه يزيد بن أحمد بن عبد الرحمن، القرشي، الزهري، من ولد عبد الرحمن بن عوف.

من أهل مصر، وفد على الناصر بقرطبة، و كان دخوله إليها في محرم سنة ٣٤٣، فأكرم الناصر مثواه و كان فقيه أهل مصر، ذكره ابن

حيان.

٨١- و منهم أبو الطاهر إسماعيل بن الإسكندراني.

لقى ببلده أبا طاهر السلفى، و سمع منه، و درس عليه كتاب «الاصطلاح» للسمعاني، و قدم الأندلس، و دخل مرسية تاجرا، و كان فقيها

على مذهب الشافعي، و أنشد عن السلفى قوله: [بحر مجزوء الرمل]

أنا من أهل الحدى ث و هم خير فته

عشت تسعين و أرجو أن أعيش لمائه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٠٠
فعاش ما تمنى، رحمه الله تعالى!.

٨٢- ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر، الأنطاكي، الإمام، أبو الحسن، التميمي.

نزيل الأندلس ومقريها ومسندها، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن إبراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الأخرم وأحمد بن يعقوب التائب وأحمد بن محمد بن خشيش ومحمد بن جعفر بن بيان، وصنف قراءة ورش، قرأ عليه جماعة: منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ وإبراهيم بن مبشر المقرئ وطائفة آخرون من قراء الأندلس، وسمع منه عبد الله بن أحمد بن معاذ الداراني.
قال أبو الوليد بن الفرضي: أدخل الأنطاكي الأندلس علماً جماً، وكان بصيراً بالعربية والحساب، وله حظ من الفقه، قرأ الناس عليه، وسمعت أنا منه، وكان إماماً في القراءات، لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته، وكان مولده بأنطاكية سنة ٢٩٩، ومات بقرطبة في ربيع الأول سنة ٣٧٧، رحمه الله تعالى!

٨٣- ومنهم عمر بن مودود بن عمر، الفارسي، البخاري، يكنى أبا البركات

ولد بسلماس، ونشأ بها، وكتب الحديث هنالك، وتعلم العربية والفقه، وهو من أبناء الملوك، وانتقل إلى المغرب، فدخل الأندلس، ونزل مالقة في حدود ثلاثين وستمائة، ودخل إشبيلية، وكانت له رواية بالمشرق.
قال ابن الأبار: أجاز لي ما رواه، ولم يسم أحدًا من شيوخه، وبلغني أنه سمع صحيح البخاري بالدامغان على أبي عبد الله محمد بن محمود، وكانت إجازته لي سنة ٦٣١، وعاش بعد ذلك، وتوفي بمراكش بعد الأربعين وستمائة، وحدث بالأندلس، وأخذ عنه الناس، وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم الكلام، رحمه الله تعالى!.

٨٤- ومنهم الشريف الأجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٠١
و كنت لا- أتحقق من أي البلاد هو من المشرق، ثم إنني علمت أنه من بغداد إذ وقفت على كتابين كتبهما في شأن العناية به الأديب العلامة أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي: أحدهما لأبي العلاء حسان، والثاني للكاتب أبي الحسن العنسي، وهو الذي يفهم منه أنه من بغداد.

و نصّ الأول: [بحر الكامل]

يا ابن الوصي، إذا حملت وصيتي أوجبت حقاً للحقوق يضاف

وتحيتي كل التحايا دونها وكذاك دون رسولها الأشراف

أحسن بأن تلقى ابن حسان بها مهترّة لورودها الأعطاف

كالروض باكره الندى فلعرفها يا ابن النبي على الندى مطاف

وعلاك إن أبا العلاء ومكانه يلفي به الإسعاد والإسعاف

وأحق من عرف الكرام بوصفهم من جمعت منهم له أوصاف

هذه يا سيدي، تحية تجب لها إجابة وحيّة، وتصلح بها هشاشة وأريحية، وأودعتها بطن هذه العجالة، وبعثتها مع صدر من أبناء الرسالة، ولله درّه من راضع درّ النبوة، متواضع مع شرف الأبيوة، نازعته طرف الأشعار، وأطراف الأخبار، فوجدته بحرا حصاه الدرّ

النفيس، وروضا يجنى منه أطايب السمر الجليس، وينعت بنجم الدين وهو كنعته نجم يضىء سناه، ويحل بيتا من الشرف ربّه بناه، و قد جاب الفضاء العريش، ورأى القصور الحمر والبيض، وورد الحجون، بعد ما شرب من ماء جيحون، وزار مشاهد الحرمين، ثم سار في أرض الهرمين، وفارق إفريقية لهذا الأفق مختارا، وعبر إلى الأندلس فأطال بها اعتبارا، وتشوق إلى حضرة الأنوار المفاضة، والنعم السابغة الفضفاضة، وجعل قصدها بحجة سفره طواف الإفاضة، وهمة أن يشاهد سناها العلوى، ويبصر ما يحقر عنده المرئى والمروى، وهى غاية يقول للأمل: عليها أطلت حومى، وجئت يتلو الداخل لها قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون (٢٦) [يس: ٢٦] وسيدى هو منها باب على الفتح بنى، وجناب عنان الأمل إليه ثنى، وقصده من هذا الشريف أجل قاصد، وأظلمته

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٠٢

سماء المجد بجمال المشتري وظرف عطارد، ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان، ومتى شهبناه فالتمويه بالشبه عقوق العقيان، ومن يفضح قريحته بأن يقول لها صفيه، لكن يعرف عن نفسه بما ليس فى وسع واصفيه، ويقتضى من عزيمة بزه ما لا سعة للمترخص فيه، إن شاء الله تعالى، وهو يديم علاكم، ويحرس مجدكم وسناكم، بمنه، والسلام الكريم، الطيب العميم، يخصكم به معظّم مجدكم، المعتد بذخيرة ودكم، المحافظ على كريم عهدكم، ابن عميرة، ورحمة الله تعالى وبركاته، فى الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩ انتهى.

ونصّ الثانى: [بحر المنسرح]

هل لك يا سيدى أبا الحسن فيمن له كل شاهد حسن

فى الشرف المنتقى له قدم أثبتها بالوصى والحسن

أيها الأخ الذى ملكته قيادى، وأسكتته فؤادى، عهدى بك تعام الآداب النقية، وتشناق اللطائف المشرقية، وتنصف فترى أن فى سيلنا جفاء، وفى مغربنا جفاء، وأن المحاسن نبت أرض ما بها ولدنا، وزرع واد ليس ممّا عهدنا، وأنا فى هذا أشايحك وأتابعك، وأناضل من ينازلك وينازحك، وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج، وتسكت المهج، وهو الشريف الأجل، السيد المبارك نجم الدين بن مهذب الدين نجم الذية المختارة، ونجم الدرية السيارة، جرى مع زعزع ونسيم، وترع فى جميم وهشيم، وشاهد عجائب كل إقليم، وشرق إلى مطلع ابن جلا، وغرب حتى نزل بشاطئ سلا، وقد توجه الآن إلى حضرة الإمامة الرشيدية أيدها الله تعالى لينتهى من أصابع العد إلى العقدة، ويحصل من مخض الحقيقة على الزبده، وقد علم أنه ما كل الخطب كخطبة المنبر، ولا جميع الأيام مثل يوم الحج الأكبر، وأدبه يا سيدى من نسبه أفته، بل على شكل حسبه وخلقه، فإذا رأيت شهدته بأن الشرق قد أتحف إفريقية ببغداد، بل رمانا بجملة أفلاذه، والحظ فيما يجب من بره وتأنيسه، إنما هو فى الحقيقة لجليسه، فيا غبطة من يسبق لجواره، ويقبس من أنواره، وأنت لا محالة تفهمه فهى، وتسيم من شيمه عارضا برى القلوب الهيم يهيمى، وتضرب فى الأخذ من فوائده وقلائده بسهم وددت أنه سهمى، والسلام، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٠٣

٨٥- ومنهم تقى الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أبى العباس أحمد بن الغرس، الحنفى، المصرى.

قال الوادى آشى فيه: إنه من أعيان مصر، قال: وسألته هل يقع بين أهل مصر تنازع فى تفضيل بعض المذاهب على بعض؟ فأجابنى بأن هذا لا يقع عندهم بين أهل الرسوخ فى العلم، وذوى المعرفة والفهم، وإنما يصدر هذا بين الناشئين قال: وللحنفية الظهور عليهم حين يقولون لهم: لنا عليكم اليد الطولى فى الخبز، لكونه بمصر يطبخ فى الفرن بأرواث الدواب، وكذلك تسخين الحمام، فإن المالكية وغيرهم بمصر يقلدون الحنفية فى ذلك، قال: وسألته، حفظه الله تعالى: هل للوباء بمصر وقت معلوم؟ فقال لى: جرت العادة عندهم بقدر الله تعالى وسره فى خليقته أن كل سنة أولها ثاء مثلثة يكون فيها الوباء، والله تعالى أعلم، وأن هذا متعارف عندهم،

هكذا قال لي، و عيب ما يقع من بعض النقاد بتونس و ما يصدر عنهم بكثرة من إلقاءهم الأسئلة العويصة في أصول الدين و غيرها على من يرد عليهم قصدا في تعجيزه و تعنيته، ثم قال: إن من المنقول عن الإمام أبي حنيفة، رحمه الله تعالى، أن من حفظت عنه تسعة و تسعون خصلة تفتضى الكفر و واحدة تقتضى الإيمان أن الواحدة المقتضية للإيمان تغلب و تبقى حرمتها عليه، انتهى.

و قد ذكرنا في الباب الأول من هذا القسم حكاية البصرى المغنى القادم من المشرق من البصرة على عبد الوهاب الحاجب بإفريقية في دولة بنى المعز بن باديس، و سردنا دخوله عليه في مجلس أنسه، و ما اتفق في ذلك له معه، و أنه وصف له بلاد الأندلس و حسنها و طيبها، فارتحل المغنى إليها، و مات بها، حسبما لخصناه من كلام الكاتب ابن الرقيق الأديب المؤرخ في كتابه «قطب السرور» و لولا أنه لم يسم المغنى المذكور لجعلنا له ترجمة في هذا الباب، إذ هو به أليق، و الأمر في ذلك سهل، و الله تعالى الموفق للصواب.

٨٦- و منهم الولي الصالح العارف بالله سيدى يوسف الدمشقى،

رضى الله تعالى عنه!

و هو كما قال ابن داود من كبار الأولياء، شاذلى الطريقة، قدم من المشرق إلى الأندلس،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٠٤

و كان يأتى مدينة وادى آش الكزة بعد الكزة لزيارة معارف له بها، و كان من الذين أخفاهم الله، لا يعرف به إلا من تعرف له، أعاد الله تعالى علينا من بركاته!

قال العلامة ابن داود: و حدثنى مولاى والدى، رضى الله تعالى عنه، من لفظه بتلمسان أمنها الله تعالى يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول الشريف سنة ٨٩٥، قال: دخل على سنة شهر رمضان المعظم فى زمان ولايتى الخطاب و الإمامة بالعراص من خارج وادى آش، أعادها الله تعالى! فقعدت أول ليلة منه منفردا بالمسجد الأعظم من الرباط المذكور بين العشاءين، و فكرت فى ذكر أتخذة فى هذا الشهر المبارك يكون جامعا بين الدنيا و الآخرة، فأجمعت على مطالعة «حلية» النواوى لعلى أقف على ما أختاره لذلك، فلما أصبحت دخلت إلى المدينة، و لم أكن أطلعت على فكرتى أحدا، فلقينى الحاج الأستاذ أبو عبدالله بن خلف، رحمه الله تعالى، فى الطريق، فقال لى: سيدى يوسف الدمشقى يسلم عليك و يقول لك:

الذكر الذى تعمر به هذا الشهر الفاضل: «اللهم ارزقنى الزهد فى الدنيا، و نور قلبى بنور معرفتك» قال والدى، رضى الله تعالى عنه: و كان هذا سبب تعرفى له، و لقاى إياه، و كنت قبل ذلك منكرا عليه لكثرة دعاوى فى هذا الطريق، نفع الله تعالى به! انتهى.

و لنجعل هذه الترجمة آخر هذا الباب، تبركا بهذا الولي الصالح، نفعنا الله تعالى ببركاته! مع علمى بأن الوافدين من المشرق على الأندلس كثيرون جدا، إلا أن عدم المادة التى أستعين بها فى هذه البلاد تبين عذرى، و لو اجتمعت على كتبى المخلفة بالمغرب لأتيت فى ذلك و غيره بما يشفى و يكفى: [بحر البسيط]

و فى الإشارة ما يغنى عن الكلم

بحمده تعالى تم الجزء الثالث من نفع الطيب و يليه الجزء الرابع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٠٥

فهرس الرسائل و الخطب و الإجازات للجزء الثالث من كتاب نفع الطيب

ابن جبير: فصول من رحلته ١٦

ابن الحاج، أبو البركات: نبذة من رحلته ١٤٠

ابن الحكيم، أبو عبد الله: بعض رساله كتبها عن السلطان ٢٢٠

- ابن سعيد، عبد الرحمن: رسالته إلى أهله من بخارى ٣
رسالة أخرى تنحو نحو السابقة ٥
رد أهله على رسالته ٥
عبد الرحمن العبادي: رسالته إلى المقرئ ٧١
أبو حيان أثير الدين النحوي: جواب له عن رسالة من الصفدي ١٥٤
وصيته لأهله لما ارتحل إلى مصر ١٦٩
أبو العباس الغساني: رسالته إلى أبي الحسن بن سعيد ١٢٨
أبو العباس المقرئ (مؤلف الكتاب): رسالته إلى المفتي العمادي ٧١
رسالته إلى أحمد الشاهيني ٨٩
أحمد بن شاهين: رسالة أخرى منه إلى المؤلف ٨٧
تاج الدين المحاسني: رسالته إلى المقرئ مؤلف الكتاب ٨١
خالد البلوي: نبذة من رحلته ١٣٨
الصفدي، خليل بن أبيك: رسالته إلى أبي حيان ١٥٠
رسالة إلى أبي حيان يستدعي إجازة ١٥٣
عبد الرحمن العمادي المفتي: جواب له عن رسالة المقرئ المؤلف ٧١
عبد الكريم الفكون: رسالته إلى المقرئ مؤلف الكتاب ٩٨
علي بن عبد الواحد الأنصاري: رسالته إلى المقرئ مؤلف الكتاب ٩٨
محمد بن يوسف التاملي: رسالته إلى المقرئ مؤلف الكتاب ٩١
يوسف بن تاشفين تقاريط على كتاب نسيم الصبا ٢٥٩
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٠٦

فهرس الجزء الثالث

- من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرئ ابن سعيد ٣
علي بن عبد الله الأنصاري القرطبي (ابن العابد) ٦
محمد بن علي الأنصاري الشاطبي حميد الزاهد أبو بكر بن عبد الله الأنصاري القرطبي ٩
اليسع بن عيسى بن حزم، و محمد التجيبي ١٠
و محمد اللخمي، وليد العمري، و عيسى الرعيني، و سليمان اليني ١١
أحمد بن يحيى الضبي، و محمد بن أحمد بن جبير (صاحب الرحلة) ١٢
أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعي ١٣
ابن جبير يصف دمشق ١٦
ابن جبير يصف جامع دمشق ١٧
أقوال الشعراء في دمشق ١٨
بعض ما دار بين المؤلف و أهل الشام ٣٦

- رسائل من المغرب إلى المؤلف ٩١
شوق المؤلف إلى الشام و أهله ١٠٢
عود إلى ابن جبير ١٠٢
أبو عامر بن عيشون ١١٠
أبو مروان الطنبني ١١١
الهجاء نوعان ١١٢
وصف كتاب الذخيرة ١١٤
حبيب بن الوليد بن حبيب المعروف بدخون ١١٦
بهلول بن فتح الأفليشي ١١٧
ثابت بن أحمد الشاطبي و جعفر بن لبّ اليحصبي ١١٨
جعفر بن عبد الله الخزاعي العابد و أبو جعفر النحوي، و جابر الخزرجي، و ابن خلف، و البهراني ١١٩
الحسن بن خلف الأموي، و الحسن بن إبراهيم بن تقي ١٢٠
الحسن بن علي الأنصاري البطليوسي و الحسن بن محمد بن الحسن الأنصاري المعروف بابن الرهيبيل ١٢١
الحسين التجيبي، و حماد الكلاعي، و خلف الجبيري و خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير ١٢٢
خلف الغرناطي، و خلف القنطري، و ابن زرارة، و طاهر المالقي ١٢٣
أبو طاهر اللبلي، و طارق بن موسى المنصفي المخزومي، و محمد الأودي ١٢٤
محمد الشاطبي، و ابن سماعة ١٢٥
أحمد بن محمد بن الواعظ الإشبيلي المصري ١٢٦
إبراهيم الإشبيلي المالكي، و بقي الدين بن مخلد ١٢٧
يوسف بن يحيى الأزدي المعروف بالمغامي ١٢٩
بين ابن خلدون و تيمور لنك ١٣٠
أبو بكر بن عطية ١٣١
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٠٧
ترجمة عبد الحق بن عطية المحاربي ١٣٥
أبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد الملك الأموي الأندلسي ١٣٧
خالد بن عيسى البلوي ١٣٨
برهان الدين ابن الحاج إبراهيم النميري ١٤٠
أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف النفزي الأثري الغرناطي ١٤١
أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني ١٨٦
أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ابن الأبار) ١٩١
الحافظ أبو المكارم جمال الدين بن مسدي ١٩٥
أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري ١٩٦
أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي خليل (ابن الرومية) ١٩٧

- أحمد الغافقي، و أحمد التجيبى (ابن الأقليشى) ١٩٨
- أحمد بن معدّ التجيبى (ابن الأقليشى) ١٩٩
- أحمد المعافى، و أحمد الضبى ٢٠٠
- أحمد بن هارون (ابن عات) ٢٠١
- أحمد بن تميم البهرانى، و أحمد بن إبراهيم المخزومى و أحمد الكنانى المرسى ٢٠٢
- إبراهيم الغافقى ٢٠٣
- أبو أمية إبراهيم بن منبه بن عمر بن أحمد الغافقى و إسماعيل بن يحيى و أخوه، و إسماعيل القرشى العلوى، و عيسى النفزى ٢٠٤
- عيسى بن عبد الله النفزى الحميرى التاكرنى ٢٠٥
- على بن أحمد بن محمد بن حمدون المالقى النحوى ٢٠٧
- عبد البر بن فرسان الغسانى الوادى آشى أبو محمد ٢٠٩
- عبد المنعم الوادى آشى، و أحمد الخزرجى، و أحمد بن عمر ٢١٢
- جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونته الخزاعى و محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجى الأنصارى الشاطبى ٢١٣
- محمد بن يحيى اللبسى قاضى القضاة ٢١٤
- الوزير أبو عبد الله بن الحكيم الرندى ذو الوزارتين ٢١٥
- نجيب الدين عبد العزيز اللخمي ٢٢١
- محمد بن عبد الله (ابن العربى) و يحيى بن عبد العزيز (ابن الخراز) و محمد بن أحمد الشريشى ٢٢٢
- أبو بكر بن محمد بن على بن ياسر الجيانى ٢٢٣
- العلاء بن عبد الوهاب المرى ٢٢٤
- أبو حفص عمر بن الحسن الهوزنى ٢٢٥
- أبو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال القرطبى و يحيى بن مجاهد الإلبيرى، و محمد بن أحمد الصدفى الإشبيلى ٢٢٦
- زكريا الكلبي التطيلي، و سعد الخير الأنصارى البلنسى ابن خلفون ٢٢٧
- سعيد الأعناقى، و عبد الرحمن بن خلف، و ابن الطحان ٢٢٨
- أبو الأصبع عبد العزيز بن خلف المعافى و عبد العزيز السعدى الشاطبى، و محمد الغسانى الحكيم ٢٢٩
- محمد بن عبد المنعم الغسانى الجليانى الحكيم ٢٣٠
- عبد الوهاب بن محمد القرطبى، و عبيد الله بن مظفر الباهلى ٢٣١
- سليمان الغرناطى القيسانى و طالوت المعافى، و ابن خروف على بن محمد (ابن خروف) القيسى ٢٣٣
- مالك بن مالك الجيانى، و منصور بن خميس اللخمي المرى و منصور بن
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٠٨
- لب، و المعافى ٢٣٥
- ابن الحسين، و الأصبحى ٢٣٦
- أبو حبيب نصر بن القاسم النعمان المعافى، و الحضرمى، و الخثمى، و ضمام بن عبد الله ٢٣٧
- ضرغام بن عروة، و عبد الله المعافى، و عبد الله الزبيدى ٢٣٨
- عبد الله بن رشيق القيروانى، و عبد الله بن طلحة اليابرى ٢٣٩

- عبد الله اليحصبي، و عبد الله الصريحى المرسى و عبد الله بن عيسى الشلبى ٢٤٠
- عبد الله بن موسى الأسدى المرسى (ابن برطلة) ٢٤١
- عبد الله بن محمد الدانى، و عبد الله بن يوسف القضاعى ٢٤٢
- شهاب الدين بن أحمد بن عبد الله ابن مهاجر الوادى آشى الحنفى ٢٤٣
- أبو جعفر أحمد بن صابر القيسى ٢٤٤
- أبو القاسم الباجى، و إبراهيم بن محمد الساحلى ٢٤٤
- الوليد بن هشام المعروف بأبى ركوة ٢٤٧
- أبو زكريا يحيى بن سليمان الطليطلى ٢٤٨
- يحيى القرطبى (المغلبى)، و محمد بن على الأنصارى الغرناطى ٢٤٩
- أبو عبد الله محمد بن على بن يحيى بن على الغرناطى ٢٥٠
- أبو الحسن نور الدين المايرقى ٢٥١
- ابن عتبة الإشبلى ٢٥٢
- محمد بن أحمد بن على الهراوى المعروف بابن جابر الضرير ٢٥٣
- محمد بن أحمد الهراوى و تقرظه كتاب نسيم الصبا لابن نجيب ٢٥٨
- شرف الدين بن ريان يقرظ كتاب نسيم الصبا ٢٥٨
- سليمان بن داود يقرظ كتاب نسيم الصبا.. ٢٥٩
- تاج الدين السبكى يقرظ كتاب نسيم الصبا ٢٦٠
- ناصر الدين بن محمد بن يعقوب يقرظ كتاب نسيم الصبا ٢٦١
- الصفدى يقرظ كتاب نسيم الصبا ٢٦١
- أبو جعفر الإلبيرى ٢٦٢
- أبو مروان عبد الملك بن إبراهيم بن بشر القيسى ٢٧٥
- الطيب ضياء الدين أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن البيطار الملقى ٢٧٦
- أبو الحسن على بن محمد القرشى البسطى الشهير بالقلصادى ٢٧٧
- أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطى الراعى ٢٧٨
- أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الأزرق ٢٨٣
- الباب السادس: فى ذكر بعض الوافدين على الأندلس من الشرق ٢٨٨
- المنيذر اليمانى الذى قيل إنه صحابى ٢٨٨
- الأمير موسى بن نصير ٢٨٩
- حنش الصنعانى ٢٨٩
- أبو عبد الله على بن رباح اللخمى ٢٩٠
- أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافرى الجلبى ٢٩١
- حيان بن أبى جبلة ٢٩١
- المغيرة بن أبى بردة نشيط بن كنانة العذرى ٢٩١

- حيوة بن رجاء التميمي ٢٩٢
 عياض بن عقبة الفهري ٢٩٢
 عبد الله بن شماسه الفهري ٢٩٢
 عبد الجبار بن أبي سلمة ٢٩٢
 منصور بن خزامه ٢٩٢
 مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبله بن الأيهم الغساني ٢٩٣
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤٠٩
 أيوب بن حبيب اللخمي ٢٩٥
 السمح بن مالك الخولاني ٢٩٥
 ولاة الأندلس بعد السمح بن مالك الخولاني ٢٩٧
 بلج بن عياض القشيري و بعض الداخلين إلى الأندلس ٢٩٩
 عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك المعروف بالداخل ٣٠٥
 نقض يوسف بن عبد الرحمن عقد الصلح ٣١١
 أمثلة من بطش عبد الرحمن الداخل ٣١٢
 صفات عبد الرحمن الداخل ٣١٣
 بعض شعر عبد الرحمن الداخل ٣١٤
 الوفود على عبد الرحمن الداخل ٣١٤
 عبد الرحمن و بدر مولاه ٣١٥
 تأديب عبد الرحمن لأتباعه ٣١٧
 همه عبد الرحمن و بعده عن الصغائر ٣١٨
 فتك عبد الرحمن بمن عاونوه في ملكه ٣١٩
 حجاب عبد الرحمن و وزراؤه و كتابه ٣٢٠
 قضاء عبد الرحمن الداخل ٣٢١
 الوافدون على عبد الرحمن من بني أمية ٣٢١
 عبد الرحمن يقتل ابن أخيه ٣٢١
 الثائرون على عبد الرحمن ٣٢٢
 نسب يوسف الفهري ٣٢٦
 الصميل بن حاتم الكوفي ٣٢٦
 نبوءة مسلمة بن عبد الملك لعبد الرحمن ٣٢٧
 موازنة بين عبد الرحمن و المنصور العباسي ٣٢٧
 أبو الأشعث الكلبي ٣٢٨
 بكر بن سواده بن ثمامة الجذامي ٣٢٩
 زريق بن حكيم ٣٣٠

- زيد بن قاصد السكسكى ٣٣٠
 زرعة بن روح الشامي ٣٣٠
 محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري ٣٣٠
 عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي ٣٣١
 هاشم بن الحسين الطالبی ٣٣٢
 عبد الله بن المغيرة الكنانی ٣٣٢
 عبد الله المعمر ٣٣٢
 أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسه المهري ٣٣٢
 عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر ٣٣٣
 أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخاري الحافظ ٣٣٤
 عبد الجبار بن أبي سلمة القرشي الزهري الفقيه ٣٣٥
 أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله الطندائي ٣٣٥
 أبو القاسم عبد الخالق بن إبراهيم الخطيب ٣٣٦
 أبو محمد عبد اللطيف بن أحمد الهاشمي الصدفي النرسي ٣٣٦
 أبو بكر عمر بن عثمان الخراساني البخارزي الماليني ٣٣٦
 علي بن بندار البغدادي البرمكي ٣٣٧
 أبو العلاء عبيد بن محمد النيسابوري ٣٣٧
 أبو نصر سهل بن علي النيسابوري ٣٣٧
 أبو المكارم هبة الله بن الحسين المصري ٣٣٨
 أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن القيسي الدمشقي ٣٣٨
 إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي أبو علي القالي ٣٣٩
 أبو بكر الزبيدي من تلاميذ القالي ٣٤٣
 مصنفات أبي علي القالي ٣٤٣
 تكريم المستنصر لأبي علي القالي ٣٤٤
 أبو العلاء صاعد بن الحسين البغدادي ٣٤٤
 شيء من أخبار المنصور بن أبي عامر ٣٥٢
 ابن أبي عامر و غالب الناصري ٣٥٧
 ابن أبي عامر و المؤيد ٣٥٧
 وفاة المنصور بن أبي عامر ٣٥٩
 رجوع إلى أخبار صاعد اللغوي البغدادي ٣٥٩
 أبو محمد تاج الدين عبد الله بن عمر بن
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣، ص: ٤١٠
 حمويه السرخسي ٣٦٢

حديث للسرخسى عن منصور بن عبد المؤمن ٣٦٥

حديث للسرخسى عن أبى الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن ٣٦٧

حديث لأبى سعيد صاحب المغرب عن أبى الربيع سليمان بن عبد المؤمن ٣٦٩

حديث للسرخسى عن أبى الحسن على بن عمر بن عبد المؤمن ٣٧٠

حديث عن أبى الحسن من المغرب ٣٧٠

حديث السرخسى عن أبى محمد عبد الله صاحب فاس ٣٧١

من نظم السرخسى ٣٧١

ظفر البغدادى ٣٧٢

محمد بن موسى الكنانى ٣٧٢

أبو الفضل محمد بن عبد الواحد التميمى الدارمى الوزير ٣٧٣

أشهب بن العضد الخراسانى ٣٧٨

أبو الحسن الفكيك البغدادى ٣٧٨

إبراهيم بن سليمان الشامى ٣٨١

أبو بكر محمد بن أحمد بن الأزرق ٣٨١

أبو الحسن على بن نافع (زرياب) المغنى ٣٨١

أول من دخل الأندلس من المغنين ٣٨٨

من مدح به زرياب ٣٨٨

من شعر زرياب ٣٨٨

متعة: جارية زرياب ٣٨٩

حمدونة بنت زرياب ٣٨٩

مصاييح: جارية أخذت عن زرياب ٣٨٩

الأمير شعبان بن كوجيا ٣٩١

أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيبانى ٣٩١

أبو إسحاق إبراهيم الغسانى الدمشقى المعروف بالسهنورى ٣٩٣

حديث أبى الخطاب بن دحية و كلام العلماء فيه ٣٩٤

عبد الله بن محمد الخراسانى ٣٩٥

عبد الرحمن بن داود الزبزارى ٣٩٥

عابدة المدينة ٣٩٦

فضل المدينة ٣٩٦

قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي ٣٩٧

الجارية العجفاء المغنية ٣٩٧

عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن الموصلى ٣٩٩

أبو جعفر أحمد بن الحسن النخعي ٣٩٩

- أحمد بن يزيد القرشي الزهري المصري ٣٩٩
 أبو الطاهر إسماعيل بن الاسكندراني ٣٩٩
 أبو الحسن علي بن محمد الأنطاكي التميمي ٤٠٠
 أبو البركات عمر بن مودود الفارسي البخاري ٤٠٠
 نجم الدين بن مهذب الدين البغدادي ٤٠٠
 تقي الدين محمد بن أحمد بن الغرس الحنفي المصري ٤٠٣
 الشيخ يوسف الدمشقي الشاذلي ٤٠٣

[الجزء الرابع]

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

[تتمة القسم الاول]

[الباب السابع] في نبذة مما من الله به على أهل الأندلس

إشارة

في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الأندلس من توقد الأذهان، وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عزّ وهان، و حوزهم في ميدان البراعة، من قصب البراعة، خصل الرهان، و جملة من أجوبتهم، الدالة على لودعيتهم، و أوصافهم المؤذنة بالمعيتهم، و غير ذلك من أحوالهم التي لها على فضلهم أوضح برهان.

[ابن غالب يذكر فضائل الأندلس و الأندلسيين في كتابه «فرحة الأنفس».]

اعلم أن فضل أهل الأندلس ظاهر، كما أن حسن بلادهم باهر، و لذلك ذكر ابن غالب في «فرحة الأنفس» لما أثنى على الأندلس و أهلها أن بطليموس جعل لهم- من أجل ولاية الزهرة لبلادهم- حسن الهمة في الملبس و المطعم، و النظافة و الطهارة، و الحب للهو و الغناء، و توليد اللحون، و من أجل ولاية عطارد حسن التدبير، و الحرص على طلب العلم، و حب الحكمة و الفلسفة و العدل و الإنصاف.

و ذكر ابن غالب أيضا ما خصوا به من تدبير المشتري و المريخ.

و انتقد عليه بعضهم بأن أقاليم الأندلس الرابع و الخامس و السادس في ساحلها الشمالي، و السابع في جزائر المجوس، و للإقليم الرابع الشمس، و للخامس الزهرة، و للسابع عطارد، و للمشتري للإقليم الثاني، و المريخ للثالث، و لا مدخل لهما في الأندلس، انتهى.

ثم قال صاحب الفرحة: و أهل الأندلس عرب في الأنساب، و العزة، و الأنفة، و علو الهمة، و فصاحة الألسن، و طيب النفوس، و إباء الضيم، و قلة احتمال الذل، و السماحة بما في أيديهم، و النزاهة عن الخضوع و إتيان الدنية، هندیون في إفراط عنايتهم بالعلوم و حبهم فيها و ضبطهم لها و روايتهم، بغداديون في نظافتهم و ظرفهم، و رقة أخلاقهم و نباهتهم، و ذكائهم، و حسن نظرهم، و جودة قرائحهم،

و لطافة أذهانهم، و حدة أفكارهم، و نفوذ خواطرهم، يونانيون في استنباطهم للمياه، و معاناتهم لضروب الغراسات، و اختيارهم لأجناس الفواكه،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤

و تدبيرهم لتركيب الشجر، و تحسينهم للساتين بأنواع الخضر و صنوف الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة، و منهم ابن بصال صاحب «كتاب الفلاحة» الذي شهدت له التجربة بفضل، و هم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال و مقاساة التّصب في تحسين الصنائع، أحذق الناس بالفروسيه، و أبصرهم بالطعن و الضرب.

و عدّ، رحمه الله تعالى، من فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصه بهم، قال: و كان خطهم أولا مشرقيا، انتهى.

قال ابن سعيد: أميا أصول الخطّ المشرقي و ما تجدد له في القلب و اللحظ من القبول فمسلّم له، لكن خطّ الأندلس الذي رأته في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الأندلس و غيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسن فائق، و رونق آخذ بالعقل، و ترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر و التجويد، انتهى.

و نحو صدر كلام ابن غالب السابق مذکور في رساله لابن حزم، و قال فيها: إنّ أهل الأندلس صينيون في إتقان الصنائع العمليه، و إحكام المهن الصوريه، تركبون في معاناة الحروب، و معالجات آلاتها، و النظر في مهماتها، انتهى.

و عدّ ابن غالب من فضائلهم اختراعهم للموشحات التي قد استحسنتها أهل المشرق و صاروا ينزعون منزعا، و أمّا نظمهم و نثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما علوّ طبقاتهم.

ثم قال ابن غالب: و لما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة المبيرة تفرّقوا ببلاد المغرب الأقصى من برّ العذرة مع بلاد إفريقيه، فأما أهل البادية فمالوا في البوادي إلى ما اعتادوه، و داخلوا أهلها، و شاركهم فيها، فاستنبطوا المياه، و غرسوا الأشجار، و أحدثوا الأرحى الطاحنه بالماء و غير ذلك، و علّمهم أشياء لم يكونوا يعلمونها و لا رأوها، فشرفت بلادهم، و صلحت أمورهم، و كثرت مستغلاتهم، و عمّتهم الخيرات، فهم أشبه الناس باليونانيين فيما ذكرت و لأنّ اليونانيين سكنوا الأندلس فورثوا عنهم ذلك، و أمّا أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر و استوطنوها، فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء و الكتّاب و العمّال و جباه الأموال و المستعملون في أمور المملكه، و لا يستعمل بلدى ما وجد أندلسي، و أما أهل الصنائع فإنهم فاقوا أهل البلاد، و قطعوا معاشهم، و أخذوا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٥

أعمالهم، و صيروهم أتباعا لهم، و متصرفين بين أيديهم، و متى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدّه، و أفرغوا فيه من أنواع الحذق و التجويد ما يميلون به النفوس إليهم، و يصير الذكر لهم، قال: و لا يدفع هذا عنهم إلّا جاهل أو مبطل، انتهى.

[ابن سعيد يذكر محاسن الأندلس و الأندلسيين]

و قال ابن سعيد، لما ذكر جمله من محاسن الأندلسيين: يعلم الله تعالى أني ما أقصد إلّا إنصاف المنصفين الذين لا يميل بهم التعصب، و لا يجمع بهم الهوى، و لكن الحق أحقّ أن يتبع، فلعلّ مطلقا يقف على ما ذكره ابن غالب: فيقول: هذا الرجل تعصب لأهل بلده، ثم يغمس التابع له و الراضى بنقل قوله في هذه الصبغة و يحمله على ذلك بعده عن الأرضيين:

[الطويل]

و لو أبصروا ليلي أفزوا بحسنها و قالوا بأنى في الثناء مقصّر

و يكفي في الإنصاف أن أقول: إنّ حضرة مراکش هي بغداد المغرب، و هي أعظم ما في برّ العدو، و أكثر مصانعها و مبانيها الجليله و بساينها إنما ظهرت في مدّه بنى عبد المؤمن، و كانوا يجلبون لها صناع الأندلس من جزيرتهم، و ذلك مشهور معلوم إلى الآن. و

مدينة تونس بإفريقية قد انتقلت إليها السعادة التي كانت في مراكش بسُلطان إفريقية الآن أبي زكريا يحيى بن أبي محمد بن أبي حفص، فصار فيها من المباني و البساتين و الكروم ما شابهت به بلاد الأندلس و عرفاء صناعه من الأندلس و تماثله التي يبني عليها، و إن كان أعرف خلق الله باختراع محاسن هذا الشأن، فإنما أكثرها من أوضاع الأندلسيين، و له من خاطره تبيهاات و زيادة ظهر حسن موقعها، و وجوه صنائع دولته لا تكاد تجدهم إلّا من الأندلس فصَحّ قول ابن غالب، انتهى.

[الحميدى يذكر محاسن الأندلس و الأندلسيين]

قال الحميدى: أنشد بحضرة بعض ملوك الأندلس قطعة لبعض أهل المشرق، و هى:
[الطويل]

و ما ذا عليهم لو أجابوا فسلموا و قد علموا أنى المشوق المتيّم
سروا و نجوم الليل زهر طوالع على أنّهم بالليل للناس أنجم
و أخفوا على تلك المطايا مسيرهم فنّم عليهم فى الظلام التّبسم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٦

فأفرط بعض الحاضرين فى استحسانها، و قال: هذا ما لا يقدر أندلسى على مثله، و بالحضرة أبو بكر يحيى بن هذيل، فقال بديها:
[الطويل]

عرفت بعرف الريح أين تيمّموا و أين استقلّ الظاعنون و خيموا
خليلىّ، ردّانى إلى جانب الحمى فليست إلى غير الحمى أتيّم
أبيت سميّر الفرقدين كأنما و سادى قتاد أو ضجيعى أرقم
و أحور و سنان الجفون كأنه قضيب من الريحان لدن منعم
نظرت إلى أجفانه و إلى الهوى فأيقنت أنى لست منهنّ أسلم
كما أنّ إبراهيم أول نظرة رأى فى الدرّارى أنه سوف يسقم

[ابن بسام و الحجارى يذكران محاسن الأندلس و الأندلسيين]

و من كلام ابن بسام صاحب «الذخيرة» فى جزيرة الأندلس: أشرف عرب المشرق افتتحوها، و سادات أجناد الشام و العراق نزلوها،
فبقى النسل فيها بكلّ إقليم، على عرق كريم، فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر، و شاعر قاهر.

و ذكر أنّ أبا على البغدادى، صاحب الأمالى، الوافد على الأندلس فى زمان بنى مروان قال: لَمّا وصلت القيروان و أنا أعتبر من أمرّ به
من أهل الأمصار فأجدهم درجات فى العبارات و قلبه الفهم، بحسب تفاوتهم فى مواضعهم منها بالقرب و البعد، كأنّ منازلهم من
الطريق هى منازلهم من العلم محاصية و مقايسة. قال أبو على: فقلت إن نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت فى أفهامهم بقدر
نقصان هؤلاء عمّن قبلهم فسأحتاج إلى ترجمان، فى هذه الأوطان. قال ابن بسام: فبلغنى أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل
هذا الأفق الأندلسى فى ذكائهم، و يتغطى عنهم عند المباحثه و المناقشة، و يقول لهم: إنّ علمى علم رواية، و ليس علم دراية، فخذوا
عنى ما نقلت، فلم آل لكم أن صحّحت. هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم و كثرة الروايات، و الأخذ عن الثقات، انتهى.

و من كلام الحجارى فى «المسهب» د:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٧

الأندلس عراق المغرب عزّة أنساب، و رقة آداب، و اشتغالا بفنون العلوم، و افتنانا في المنثور و المنظوم، لم تضق لهم في ذلك ساحة، و لا قصرت عنه راحة، فما مرّ فيها بمصر إلّا و فيه نجوم و بدور و شمس، و هم أشعر الناس فيما كثره الله تعالى في بلادهم، و جعله نصب أعينهم من الأشجار و الأنهار و الطيور و الكؤوس، لا ينازعهم أحد في هذا الشأن، و ابن خفاجة سابقهم في هذا المضممار الحائر فيه قصب الرهان. و أمّا إذا هبّ نسيم، و دار كأس في كف ظبي رخيم، و رجّع بمّ وزير، و صفّق للماء خريز، أو رقت العشيّة، و خلعت السحب أبرادها الفضية و الذهبية، أو تبسّم عن شعاع ثغر نهر، أو تفرق بطلّ جفن زهر، أو خفق بارق، أو وصل طيف طارق، أو وعد حبيب فزار من الظلماء تحت جناح، و بات مع من يهواه كالماء و الراح، إلى أن ودّع حين أقبل رائد الصباح، أو أزهرت دوحه السماء بزهر كواكبها، أو قوّضت عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها، فأولئك هم السابقون السابقون، الذين لا يجارون و لا يلحقون، و ليسوا بالمقصرين في الوصف إذا تقععت السلاح، و سالت خلجان الصّوارم بين قضبان الرماح، و بنت الحرب من العجاج سماء، و أطلعت شبه النجوم أسنّة و أجرت شبه الشفق دماء، و بالجملة فإنهم في جميع الأوصاف و التخيلات أئمّة، و من وقف على أشعارهم في هذا الشأن فضّلهم فيه على أصناف الأئمّة، و قد أعانتهم على الشعر أنسابهم العربية، و بقاعهم النضرة و همهم الأبيّة. و لسطار الأندلس من النوادر و التنكيات، و التركيبات و أنواع المضحكات، ما تملأ الدواوين كثرته، و تضحك الثكلى و تسلى المسلوب قصته، ممّا لو سمعه الجاحظ لم يعظم عنده ما حكى و ما ركّب، و لا استغرب أحد ما أورده و لا تعجّب، إلّا أنّ مؤلّفى هذا الأفق طمحت همهم عن التصنيف في هذا الشأن فكاد يمرّ ضياعا، فقامت محتسبا بالظرف فتداركته جامعا فيه ما أمسى شعاعا، انتهى.

[رسالة ابن حزم في فضائل الأندلسيين]

و قد رأيت أن أذكر رسالة أبي محمد بن حزم الحافظ التي ذكر فيها بعض فضائل علماء الأندلس؛ لاشتمالها على ما نحن بصددده. و ذلك أنه كتب أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد بن الزيّب التميمي القيرواني، إلى أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمائهم و مآثر فضائلهم و سير ملوكهم، ما صورته:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٨

كنت يا سيدي، و أجلّ عددي، كتب الله تعالى لك السعادة، و أدام لك العزّ و السيادة، سائلا مسترشدا، و باحثا مستخبرا، و ذلك أنى فكرت في بلادكم إذ كانت قرارة كلّ فضل، و منهل كلّ خير و نبل، و مصدر كلّ طرفة، و مورد كلّ تحفة، و غاية آمال الراغبين، و نهاية أمانى الطالبين، إن بارت تجارة فإليها تجلب، و إن كسدت بضاعة ففيها تنفق، مع كثرة علمائها، و وفور أدبائها، و جلالة ملوكها، و محبتهم في العلم و أهله، يعظّمون من عظّمه علمه، و يرفعون من رفعه أدبه، و كذلك سيرتهم في رجال الحرب: يقدمون من قدمته شجاعته، و عظمت في الحروب نكايته، فشجّع الجبان، و أقدم الهيّبان، و نبه الخامل، و علم الجاهل، و نطق العيى، و شعر البكى، و استنشر البغاث، و تتعبن الحفّات، فتنافس الناس في العلوم، و كثر الحذاق بجميع الفنون، ثم هم مع ذلك في غاية التقصير و نهاية التفريط، من أجل أنّ علماء الأمصار دونوا فضائل أمصارهم، و خلدوا في الكتب مآثر بلدانهم، و أخبار الملوك و الأمراء، و الكتياب و الوزراء، و القضاء و العلماء، فأبقوا لهم ذكرا في الغابرين يتجدّد على مرّ الليالي و الأيام، و لسان صدق في الآخرين، يتأكّد مع تصرّف الأعوام، و علماءكم مع استظهارهم على العلوم كلّ امرئ منهم قائم في ظلّه لا يبرح، و راتب على كعبه لا يتزحزح، يخاف إن صنّف، و إن يعنّف، و إن ألفت أن يخالف، و لا يؤالف، أو تخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق، لم يتعب أحد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده، و لم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه، و لا بلّ قلما بمنابك كتابه و وزرائه، و لا سوّد قرطاطا بمحاسن قضائه و علمائه، على أنه لو أطلق ما عقل الإغفال من لسانه، و بسط ما قبض الإهمال من بيانه، لوجد للقول مساعا، و لم تضق عليه المسالك، و لم تخرج به المذاهب، و لا- اشتبهت عليه المصادر و الموارد، و لكنّ همّ أحدهم أن يطلب شأو من تقدّمه من العلماء ليحوز قصبات السبق، و يفوز بقدر ابن مقبل، و يأخذ بكظم دغفل، و يصبر شجا في حلق أبي العميثل، فإذا أدرك بغيته، و اخترمته

ميتته، دفن معه أدبه و علمه، فمات ذكره، و انقطع خبره، و من قدّمنا ذكره من علماء الأمصار احتالوا لبقاء ذكرهم احتيال الأكياس، فألفوا دواوين بقي لهم بها ذكر مجدّد طول الأبد.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٩

فإن قلت: إنه كان مثل ذلك من علمائنا، و ألفوا كتباً لكنها لم تصل إلينا، فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق؛ لأنه ليس بيننا و بينكم غير روحه ركب، أو رحله قارب، لو نفث من بلدكم مصدر، لأسمع من بلدنا في القبور، فضلاً عمّن في الدور و القصور، و تلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان أحمد بن عبد ربه الذي سمّاه بالعقد، على أنه يلحقه فيه بعض اللوم، لا سيما إذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده، و مناقب ملوكه يتيمة سلكه، أكثر الحزّ و أخطأ المفصل، و أطال الهزّ لسيف غير مقصل، و قعد به ما قعد بأصحابه من ترك ما يعينهم، و إغفال ما يهمهم.

فأرشد أخاك أرشدك الله! و اهده هداك الله! إن كانت عندك في ذلك الجليّة، و بيدك فصل القضية، و السلام عليك و رحمة الله و بركاته.

فكتب الوزير الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، عند وقوفه على هذه الرسالة، ما نصّه:

الحمد لله رب العالمين، و صلّى الله على سيّدنا محمد عبده و رسوله، و على أصحابه الأكرمين، و أزواجه أمّهات المؤمنين، و ذريّته الفاضلين الطيبين.

أمّا بعد يا أخي يا أبا بكر، سلام عليك سلام أخ مشوق طالبت بينه و بينك الأميال و الفراسخ، و كثرت الأيام و الليالي، ثم لقيك في حال سفر و نقله، و وادك في خلال جولة و رحله، فلم يقض من محاورتك أرباباً، و لا بلغ في محاورتك مطلباً، و إنّي لما احتللت بك، و جالت يدي في مكنون كتبك، و مضمون دواوينك، لمحت عيني في تضاعيفها درجا، فتأملتّه، فإذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصابينا في الدار أهل إفريقية، ثم ممّن ضمّته حاضرة قيروانهم، إلى رجل أندلسي لم يعينه باسمه، و لا ذكره بنسبه، يذكر له فيها أنّ علماء بلدنا بالأندلس - و إن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، و في الغاية القصوى من التحكّم على وجوه المعارف - فإنّ همهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم، و مكارم ملوكهم، و محاسن فقهاءهم، و مناقب قضاتهم، و مفاخر كتابهم، و فضائل علمائهم، ثم تعدّى ذلك إلى أن أخلى أرباب العلوم ممّا من أن يكون لهم تأليف يحيى ذكرهم، و يبقى علمهم، بل قطع على أنّ كلّ واحد منهم قد مات فدفن علمه معه، و حقّق ظنّه في ذلك، و استدلّ على صحّته عند

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٠

نفسه بأنّ شيئاً من هذه التأليف لو كان ممّا موجوداً لكان إليهم منقولاً، و عندهم ظاهراً، لقرب المزار، و كثرة السّفار، و تردّدهم إليهم، و تكثرهم علينا. ثم لمّا ضمّنا المجلس الحافل بأصناف الآداب، و المشهد الأهل بأنواع العلوم، و القصر المعمور بأنواع الفضائل، و المنزل المحفوف بكل لطيفة و سعيّة من دقيق المعاني و جليل المعالي، قرارة المجد و محلّ السؤدد، و محطّ رحال الخائفين، و ملقى عصا التسيار عند الرئيس الأجلّ الشريف قديمه و حسبه، الرفيع حديثه و مكتسبه، الذي أجله عن كل خطّة يشركه فيها من لا توازي قومه نومه، و لا ينال حضره هويناه، و أربى به عن كلّ مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو إلى المكارم سموه، و لا يدنو من المعالي دنوّه، و لا - يعلو في حميد الخلال علوّه، بل أكتفى من مدحه باسمه المشهور، و أجتزى من الإطالة في تقيظه بمنتماه المذكور، فحسبي بدينك العلمين دليلاً على سعيه المشكور، و فضله المشهور، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت أطال الله بقاءه! و أدام اعتلاءه! و لا عطّل الحامدين من تحليهم بحلاه! و لا أخلى الأيام من تزينها بعلاه! فرأيتّه أعزّه الله تعالى حريصاً على أن يجاوب هذا المخاطب، و راغباً في أن يبين له ما لعلّه قد رآه فنسى أو بعد عنه فخفى، فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغني أن ذلك المخاطب قد مات، رحماً الله تعالى و إياه! فلم يكن لقصده بالجواب معنى، و قد صارت المقابر له مغنى، فلسنا بمسمعين من في القبور، فصرفت عنان الخطاب إليك، إذ من قبلك صرت إلى الكتاب المجاوب عنه، و من لدنك وصلت إلى الرسالة المعارضة، و

في وصول كتابي على هذه الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من أخبار تأليف أهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا الباحث الأول، والله الأمر من قبل ومن بعد، وإن كنت في إخباري إياك بما أرسمه في كتابي هذا كمهد إلى البركان نار الجحاح، وباني صوى في مهيع القصد اللاج، فإنك وإن كنت المقصود والمواجه، فإنما المراد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجلبه السائل الماضي، وما توفيقى إلا بالله سبحانه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١١

فأما ما أثر بلدنا فقد ألف في ذلك أحمد بن محمد الرازي التاريخي كتاباً جمّة: منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها، وأمّهات مدنها وأجنادها الستة، وخواص كل بلد منها، وما فيه مما ليس في غيره، وهو كتاب مريح مليح، وأنا أقول: لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الأسرّة في الحديث الذي روينا من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت، رضی الله تعالى عنه و عنهم أجمعين، حدّثته عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه أخبرها بذلك، لكفى شرفاً بذلك يسرّ عاجله، ويغبط آجله. فإن قال قائل: لعل صلوات الله تعالى عليه إنما عنى بذلك الحديث أهل صقلية وإقريطش، وما الدليل على ما ادّعيته من أنه صلى الله عليه وسلم عنى الأندلس حتماً؟ ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع دون برهان واضح، وبيان لائح، لا يحتمل التوجيه، ولا يقبل التجريح.

فالجواب - وبالله التوفيق - أنه صلى الله عليه وسلم، قد أوتى جوامع الكلم، وفصل الخطاب، وأمر بالبيان لما أوحى إليه، وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج البحر غزاة واحدة بعد واحدة، فسألته أم حرام أن يدعو ربّه تعالى أن يجعلها منهم، فأخبرها صلى الله عليه وسلم وخبره الحقّ بأنها من الأولين، وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم، وهو إخباره بالشىء قبل كونه، وصحّ البرهان على رسالته بذلك، وكانت من الغزاة إلى قبرس، وخرت عن بغلتها هناك، فتوفيت، رحمها الله تعالى! وهى أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر، فثبت يقيناً أنّ الغزاة إلى قبرس هم الأولون الذين بشر بهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت أم حرام منهم كما أخبر، صلوات الله تعالى وسلامه عليه، ولا سبيل أن يظنّ به وقد أوتى ما أوتى من البلاغة والبيان أنه يذكر طائفتين قد سمى إحداهما أولى إلّا والتالية لها ثانية، فهذا من باب الإضافة وتركيب العدد، وهذا مقتضى طبيعة صناعة المنطق، إذ لا تكون الأولى أولى إلّا لثانية، ولا الثانية ثانية إلّا لأولى، فلا سبيل إلى ذكر ثالث إلّا بعد ثان ضروره، وهو صلى الله عليه وسلم إنما ذكر طائفتين، وبشر بفتنتين، وسمى إحداهما الأولين، فافتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٢

والآخر من الأول هو الثانى الذى أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خير القرون بعد قرنه، وأولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه خير من كل قرن بعده، ثم ركب البحر بعد ذلك أيام سليمان بن عبد الملك إلى القسطنطينية، وكان الأمير بها فى تلك السفن هبيرة الفزارى، وأما صقلية فإنها فتحت صدر أيام الأغالب سنة ٢١٢، أيام قاد إليها السفن غازيا أسد بن الفرات القاضى صاحب أبى يوسف رحمه الله تعالى، وبها مات، وأما إقريطش فإنها فتحت بعد الثلاث والمائتين افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ، من أهل قرية بطروج من عمل فحس البلوط المجاور لقرطبة من بلاد الأندلس، وكان من فلّ الرّبضيين، وتداولها بنوه بعده إلى أن كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذى غنمها فى أيام أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠، وكان أكثر المفتحين لها أهل الأندلس.

وأما فى قسم الأقاليم فإن قرطبة مسقط رؤوسنا، ومعقّ تماثنا، مع سرّ من رأى فى إقليم واحد، فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا، وإن كانت الأنوار لا تأتينا إلّا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور، وذلك عند المحسنين للأحكام التى تدلّ عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها، فلها من ذلك على كل حال حظّ يفوق حظّ أكثر البلاد، بارتفاع أحد التّيرين بها تسعين درجة، و

ذلك من أدلة التمكن في العلوم و النفاذ فيها عند من ذكرنا، و قد صدق ذلك الخبر، و أبانته التجربة، فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات و الروايات و حفظ كثير من الفقه و البصر بالنحو و الشعر و اللغة و الخبر و الطب و الحساب و النجوم بمكان رحب الفناء، واسع العطن، متناهي الأقطار، فسيح المجال، و الذي نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكنا فيه شركاء لأكثر أمهات الحواضر، و جلائل البلاد، و متسع الأعمال، فهذه القيروان بلد المخاطب لنا، ما أذكر أني رأيت في أخبارها تأليفا غير «المعرب، عن أخبار المغرب» و حاشا تأليف محمد بن يوسف الوراق، فإنه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى في «مسالك إفريقيا و ممالكها» ديوانا ضخما، و في أخبار ملوكها و حروبهم و القائمين عليهم كتبنا جمّة، و كذلك ألف أيضا في أخبار تيهرت و وهران و تونس

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٣

و سجلماسة و نكور و البصرة و غيرها تأليف حسانا، و محمد هذا أندلسي الأصل و الفرع، آباؤه من وادي الحجاره، و مدفنه بقرطبه، و هجرته إليها، و إن كانت نشأته بالقيروان.

و لا بدّ من إقامة الدليل على ما أشرت إليه هنا إذ مرادنا أن تأتي منه بالمطلوب فيما يستأنف إن شاء الله تعالى، و ذلك أن جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين و الباقين، دون محاشاه أحد، بل قد تيقنا إجماعهم على ذلك، متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقرّ بها و لم يرحل عنها رحيل ترك لسكنها إلى أن مات، فإن ذكروا الكوفيين من الصحابه، رضی الله تعالى عنهم، صدّروا بعلي و ابن مسعود و حذيفه، رضی الله تعالى عنهم، و إنما سكن على الكوفه خمسة أعوام و أشهر، و قد بقي ٥٨ عاما و أشهر بمكة و المدينة شرفهما الله تعالى. و كذلك أيضا أكثر أعمار من ذكرنا، و إن ذكروا البصريين بدءوا بعمران بن حصين و أنس بن مالك و هشام بن عامر و أبي بكره، و هؤلاء مواليدهم و عامه زمن أكثرهم و أكثر مقامهم بالحجاز و تهامة و الطائف، و جمهرة أعمارهم حلت هنالك، و إن ذكروا الشاميين توّهوا بعبادة بن الصامت و أبي الدرداء و أبي عبيدة بن الجراح و معاذ و معاوية، و الأمر في هؤلاء كالأمر فيمن قبلهم، و كذلك في المصريين عمرو بن العاص و خارجه بن حذافه العدوي، و في المكين عبد الله بن عباس و عبد الله بن الزبير، و الحكم في هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا، فمن هاجر إلينا من سائر البلاد، فنحن أحقّ به، و هو منا بحكم جميع أولى الأمر منا الذين إجماعهم فرض اتباعه، و خلافه محرم اقترافه، و من هاجر منا إلى غيرنا فلا حظّ لنا فيه، و المكان الذي اختاره أسعد به، فكما لا ندع إسماعيل بن القاسم فكذلك لا ننازع في محمد بن هانيء سوانا، و العدل أولى ما حرص عليه، و النصف أفضل ما دعى إليه، بعد التفصيل الذي ليس هذا موضعه، و على ما ذكرنا من الأنصاف تراضي الكلّ.

و هذه بغداد حاضرة الدنيا و معدن كل فضيلة، و المحلّة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف، و التدقيق في تصريف العلوم، و رقة الأخلاق و النباهة و الذكاء و حدة الأفكار و نفاذ الخواطر، و هذه البصرة و هي عين المعمور في كل ما ذكرنا، و ما أعلم في أخبار بغداد تأليفا غير كتاب أحمد بن أبي طاهر، و أما سائر التواريخ التي ألّفها أهلها فلم يخصّوا بلدتهم بها دون سائر البلاد، و لا أعلم في أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة، و كتاب لرجل من واد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبي سفيان في خطط البصرة و قطائعها، و كتابين لرجلين من أهلها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٤

يسمى أحدهما عبد القاهر كرىزي النسب و صفاها و ذكرا أسواقها و محالها و شوارعها، و لا أعلم في أخبار الكوفه غير كتاب عمر بن شبة، و أميا الجبال و خراسان و طبرستان و جرجان و كرمان و سجستان و السّند و أرمينية و أذربيجان و تلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم في شيء منها تأليفا قصد به أخبار ملوك تلك النواحي، و علمائها و شعرائها و أطبائها، و لقد تاقت النفوس إلى أن يتصل بها تأليف في أخبار فقهاء بغداد، و ما علمناه علم، على أنهم العلية الرؤساء، و الأكابر العظماء، و لو كان في شيء من ذلك تأليف لكان الحكم في الأغلب أن يبلغنا كما بلغ سائر تأليفهم، و كما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الأصبهاني في أخبار أصبهان، و كتاب الموصلی و غيره في أخبار مصر، و كما بلغنا سائر تأليفهم في أنحاء العلوم، و قد بلغنا تأليف القاضي أبي العباس محمد بن

عبدون القيرواني في الشروط، و اعتراضه على الشافعي رحمه الله تعالى، و كذلك بلغنا ردّ القاضي أحمد بن طالب التميمي على أبي حنيفة و تشييعه على الشافعي، و كتب ابن عبدوس و محمد بن سحنون و غير ذلك من خوامل تأليفهم دون مشهورها. و أما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر «أزهد الناس في عالم أهله»، و قرأت في الإنجيل أن عيسى، عليه السلام قال: «لا يفقد النبي حرمة إلا في بلده» و قد تيقنا ذلك بما لقي النبي صلى الله عليه و سلم، من قريش - و هم أوفر الناس أحلاما، و أصحهم عقولا، و أشدهم تثبتا، مع ما خصوا به من سكناهم أفضل البقاع، و تغذيتهم بأكرم المياه - حتى خصّ الله تعالى الأوس و الخزرج بالفضيلة التي أبانهم بها عن جميع الناس، و الله يؤتي فضله من يشاء؛ و لا سيما أندلسنا فإنها خصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم، و استقلالهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٥

كثير ما يأتي به، و استهجانهم حسناته، و تتبعهم سقطاته و عثراته، و أكثر ذلك مدّة حياته، بأضعاف ما في سائر البلاد، إن أجاد قالوا: سارق مغير و منتحل مدّع، و إن توسّط قالوا: غثّ بارد و ضعيف ساقط، و إن باكر الحيازة لقصب السبق قالوا: متى كان هذا؟ و متى تعلم؟ و في أي زمان قرأ؟ و لأمه الهبل! و بعد ذلك إن و لجت به الأقدار أحد طريقتين إمّا شفوقا بائنا يعليه على نظرائه أو سلوكا في غير السبيل التي عهدوها فهالكك حمى الوطيس على البائس، و صار غرضا للأقوال، و هدفا للمطالب، و نصبا للتسبب إليه، و نهبا للألسنة، و عرضة للتطرق إلى عرضه، و ربما نحل ما لم يقل، و طوّق ما لم يتقلّد، و ألحق به ما لم يفه به و لا أعتقده قلبه، و بالحرى و هو السابق المبرز إن لم يتعلّق من السلطان بحظّ أن يسلم من المتالف و ينجو من المخالف، فإن تعرّض لتأليف غمز و لمز، و تعرّض و همز، و اشتطّ عليه، و عظم يسير خطبه، و استشنع هين سقطه، و ذهبت محاسنه، و سترت فضائله، و هتف و نودى بما أغفل، فتنكسر لذلك همته، و تكلّف نفسه، و تبرد حميته، و هكذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعرا، أو يعمل بعمل رياسته، فإنه لا يفلت من هذه الحبال، و لا يتخلص من هذه النصب إلا الناهض الفائق و المطفّف المستولى على الأمد.

و على ذلك فقد جمع ما ظنّه الظانّ غير مجموع، و ألّفت عندنا تأليف في غاية الحسن، لنا خطر السبق في بعضها: فمنها كتاب «الهداية» لعيسى بن دينار، و هي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك و ابن القاسم، و أجمعها للمعاني الفقهية على المذهب، فمنها كتاب الصلاة و كتاب البيوع و كتاب الجدار في الأقضية و كتاب النكاح و الطلاق، و من الكتب المالكية التي ألّفت بالأندلس كتاب القطنى مالك بن على، و هو رجل قرشى من بنى فهر، لقي أصحاب مالك و أصحاب أصحابه، و هو كتاب حسن فيه غرائب و مستحسنات من الرسائل المولدات، و منها كتاب أبي إسحاق إبراهيم بن مزين في تفسير الموطأ و الكتب المستقصية لمعاني الموطأ و توصيل مقطوعاته من تأليف ابن مزين أيضا، و كتابه في رجال الموطأ و ما لمالك عن كلّ واحد منهم من الآثار في موطئه.

و في تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقى بن مخلد فهو الكتاب الذى أقطع قطعاً لا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٦

أستثنى فيه أنه لم يؤلّف في الإسلام تفسير مثله، و لا تفسير محمد بن جرير الطبرى و لا غيره. و منها في الحديث مصنّفه الكبير الذى ربّه على أسماء الصحابة، رضى الله تعالى عنهم! فروى فيه عن ألف و ثلاثمائة صاحب و تيف، ثم ربّ حديث كلّ صاحب على أسماء الفقه و أبواب الأحكام، فهو مصنّف و مسند، و ما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته و ضبطه و إتقانه و احتفاله في الحديث و جودة شيوخه، فإنه روى عن مائتى رجل و أربعة و ثمانين رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء، و سائرهم أعلام مشاهير. و منها مصنّفه في فضل الصحابة و التابعين و من دونهم، الذى أربى فيه على مصنّف أبي بكر بن أبي شيبة و مصنّف عبد الرزاق بن همام و مصنّف سعيد بن منصور و غيرها، و انتظم علما عظيما لم يقع فى شىء من هذه، فصارت تأليف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام، لا نظير لها، و كان متخيلا لا يقلّد أحدا، و كان ذا خاصّة من أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه!.

و منها فى أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجارى، و كان شافعى المذهب بصيرا بالكلام على اختياره، و كتاب القاضى أبى الحكم

منذر بن سعيد، و كان داودي المذهب قويًا على الانتصار له، و كلاهما في أحكام القرآن غايةً، و لمنذر مصنفات منها كتاب «الإبانة»، عن حقائق أصول الديانة».

و منها في الحديث مصنف أبي محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف بن ناصح، و مصنف محمد بن عبد الملك بن أيمن، و هما مصنفان ربيعان احتويا من صحيح الحديث و غريبه على ما ليس في كثير من المصنفات. و لقاسم بن أصبغ هذا تأليف حسان جدا، منها أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل و كلامه، و منها كتاب «المجتبى»، على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى» و هو خير منه و أنقى حديثًا و أعلى سندا و أكثر فائدة، و منها كتاب في فضائل قريش و كنانة، و كتابه في الناسخ و المنسوخ، و كتاب غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ. و منها كتاب «التمهيد» لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر، و هو الآن بعد في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة، و هو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه، و منها كتاب «الاستذكار» و هو اختصار التمهيد المذكور، و لصاحبنا أبي عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثيل لها: منها كتابه المسمى بالكافي في الفقه على مذهب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٧

مالك و أصحابه خمسة عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالمفتي الحاجة إليه و بوبه و قرّبه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال في معناه، و منها كتابه في الصحابة ليس لأحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في ذلك، و منها كتاب «الاكتفاء»، في قراءة نافع و أبي عمرو بن العلاء، و الحجية لكل واحد منهما» و منها كتاب «بهجة المجالس»، و أنس المجالس، مما يجري في المذاكرات، من غرر الأبيات و نوارد الحكايات»، و منها كتاب «جامع بيان العلم و فضله، و ما ينبغي في روايته».

و منها كتاب شيخنا القاضي أبي الوليد عبد الله بن يوسف بن الفرضي في المختلف و المؤلف في أسماء الرجال، و لم يبلغ عبد الغني الحافظ البصري في ذلك إلّا كتابين، و بلغ أبو الوليد رحمه الله تعالى نحو الثلاثين، لا أعلم مثله في فقه البتة، و منها تاريخ أحمد بن سعيد، ما وضع في الرجال أحد مثله إلّا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادي، و لم أره، و أحمد بن سعيد هو المتقدم في التأليف القائم في ذلك، و منها كتب محمد بن يحيى بن مفرج القاضي، و هي كثيرة؛ منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصري، و كتب كثيرة جمع فيها فقه الزهري.

و مما يتعلّق بذلك شرح الحديث لعامر بن خلف السرقسطي، فما شآه أبو عبيد إلّا بتقدّم العصر فقط.

و منها في الفقه «الواضحة» و المالكيون لا تمانع بينهم في فضلها و استحسانهم إيّاها، و منها «المستخرجة من الأسمعة» و هي المعروفة بالعبسية، و لها عند أهل إفريقية القدر العالي و الطيران الحثيث، و الكتاب الذي جمعه أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام الإشبيلي المعروف بابن المكوي، و القرشي أبو مروان المعيطي في جمع أقاويل مالك كلّها على نحو الكتاب «الباهر» الذي جمع فيه القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن الحدّاد البصري أقاويل الشافعي كلّها، و منها كتاب «المنتخب» الذي ألفه القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة، و ما رأيت لمالكي قطّ كتابا أنبل منه في جمع روايات المذهب و شرح مستغلقتها و تفرّيع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٨

وجوهها، و تأليف قاسم بن محمد، المعروف بصاحب الوثائق، و كلّها حسن في معناه، و كان شافعي المذهب نظارا جاريا في ميدان البغداديين.

و منها في اللغة الكتاب «البارع» الذي ألفه إسماعيل بن القاسم، يحتوي على لغة العرب، و كتابه في «المقصود و الممدود و المهموز» لم يؤلف مثله في باب، و كتاب «الأفعال» لمحمد بن عمر بن عبد العزيز، المعروف بابن القوطية، بزيادات ابن طريف مولى العبيدين فلم يوضع في فقه مثله، و كتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا و إكثارا و ثقة نقل، و هو أظنّ في الحياة بعد.

و هاهنا قصة لا ينبغي أن تخلو رسالتنا منها، و هي أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي، حدّثني أن أبا

الجيش مجاهدا صاحب الجزائر و دانية وجه إلى أبي غالب أيام غلبته على مرسية، و أبو غالب ساكن بها، ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور «مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد» فردّ الدنانير و أبي من ذلك، و لم يفتح في هذا بابا البتة، و قال: و الله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت و لا استجزت الكذب؛ لأنني لم أجمعه له خاصّة بل لكلّ طالب، فأعجب لهمة هذا الرئيس و علوها، و أعجب لنفس هذا العالم و نزاهتها.

و منها كتاب أحمد بن أبان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب «العالم» نحو مائة سفر على الأجناس في غاية الإيعاب، بدأ بالفلك و ختم بالذرة. و كتاب «النوادر» لأبي علي إسماعيل بن القاسم، و هو مبار لكتاب «الكامل» لأبي العباس المبرد، و لعمرى لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا و خيرا فإنّ كتاب أبي علي لأكثر لغة و شعرا، و كتاب «الفصوص» لصاعد بن الحسن الربعي، و هو جار في مضممار الكتابين المذكورين.

و من الأنحاء تفسير الجرفي لكتاب الكسائي، حسن في معناه، و كتاب ابن سيده في ذلك المنبوز ب «العالم و المتعلم» و شرح له لكتاب الأخفش.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٩

و مما ألف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء في «أخبار شعراء الأندلس» كتاب حسن، و كتاب «الحقائق» لأبي عمر أحمد بن فرج، عارض به كتاب الزهرة لأبي محمد بن داود رحمه الله تعالى، إلّا أنّ أبا بكر إنما أدخل مائة باب في كل باب مائة بيت، و أبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت ليس منها باب تكرر اسمه لأبي بكر، و لم يورد فيه لغير أندلسي شيئا، و أحسن الاختيار ما شاء و أجاد، فبلغ الغاية، و أتى الكتاب فردا في معناه، و منها كتاب «التشبيهات من أشعار أهل الأندلس» جمعه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسن الكاتب، و هو حيّ بعد.

و مما يتعلّق بذلك شرح أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن الإفيلي لشعر المتنبي، و هو حسن جدا.

و من الأخبار تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي في أخبار ملوك الأندلس و خدمتهم و غزواتهم و نكباتهم، و ذلك كثير جدا، و كتاب له في صفة قرطبة و خططها و منازل الأعيان بها، على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد و ذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها. و تواريخ متفرقة رأيت منها: أخبار عمر بن حفصون القائم بريّة و وقائعه و سيره و حروبه، و تاريخ آخر في أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالحوف، و في أخبار بني قيس و التّجيين و بني الطويل و الثغر، فقد رأيت من ذلك كتبا مصنّفة في غاية الحسن، و كتاب مجزأ في أجزاء كثيرة في أخبار ريّة و حصونها و حروبها و فقهاؤها و شعرائها تأليف إسحاق بن سلمة بن إسحاق الليثي، و كتاب محمد بن الحارث الخشني في «أخبار القضاة بقرطبة و سائر بلاد الأندلس»، و كتاب في أخبار الفقهاء بها، و كتاب لأحمد بن محمد بن موسى في «أنساب مشاهير أهل الأندلس» في خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب في الأنساب و أوسعها، و كتاب قاسم بن أصبغ في «الأنساب» في غاية الحسن و الإيعاب و الإيجاز، و كتابه في «فضائل بني أمية»، و كان من الثقة و الجلالة بحيث اشتهر أمره، و انتشر ذكره، و منها كتب مؤلفة في أصحاب المعامل و الأجناد الستة بالأندلس، و منها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الأندلس للمستنصر رحمه الله تعالى، رأيت منها «أخبار شعراء البيرة» في نحو عشرة أجزاء، و منها كتاب «الطوابع» في أنساب أهل الأندلس، و منها كتاب «التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس» تأليف أبي مروان بن حيان نحو عشرة أسفار من أجلّ كتاب ألف في هذا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٠

المعنى، و هو في الحياة بعد لم يتجاوز الاكتهال، و كتاب «المآثر العامرية» لحسين بن عاصم في سير ابن أبي عامر و أخباره، و كتاب الأقبشتين محمد بن عاصم النحوي في «طبقات الكتّاب بالأندلس»، و كتاب سكن بن سعيد في ذلك، و كتاب أحمد بن فرج في «المتنزين و القائمين بالأندلس و أخبارهم»، و كتاب «أخبار أطباء الأندلس» لسليمان بن جلجل.

و أما الطب فكتب الوزير يحيى بن إسحاق و هي كتب حسان ربيعة، و كتب محمد بن الحسن المذحجي أستاذنا رحمه الله تعالى! و هو المعروف بابن الكتاني و هي كتب ربيعة حسان، و كتب التصريف لأبي القاسم خلف بن عياش الزهراوى، و قد أدر كناه و شاهدناه، و لئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه و لا أحسن للقول و العمل في الطبائع لنصدقن، و كتب ابن الهيثم في الخواص و السموم و العقاقير من أجل الكتب و أنفعها.

و أما الفلسفة فإني رأيت فيها رسائل مجموعة و عيونا مؤلفه لسعيد بن فتحون السرقسطى المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة، و أما رسائل أستاذنا أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة و تامه الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة.

و أما العدد و الهندسة فلم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ، و لا تحققتنا به، فلسنا نثق بأنفسنا في تمييز المحسن من المقصر في المؤلفين فيه من أهل بلدنا إلا أنى سمعت من أتق بعقله و دينه من أهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول: إنه لم يؤلف في الأزياج مثل زيغ مسلمة و زيغ ابن السمح، و هما من أهل بلدنا، و كذلك كتاب «المساحة المجهولة» لأحمد بن نصر فما تقدم إلى مثله في معناه. و إنما ذكرنا التأليف المستحقة للذكر، و التي تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل عالم إلا في أحدها، و هي إمّا شيء اخترعه لم يسبق إليه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء متفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه صاحبه يصلحه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢١

و أما التأليف المقصرة عن مراتب غيرها فلم نلتفت إلى ذكرها، و هي عندنا من تأليف أهل بلدنا أكثر من أن نحيط بعلمها. و أما علم الكلام فإن بلادنا و إن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، و لا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهى على كل حال غير عريضة عنه، و قد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار على أصوله، و لهم فيه تأليف: منهم خليل بن إسحاق، و يحيى بن السمينة، و الحاجب موسى بن حدير و أخوه الوزير صاحب المظالم أحمد، و كان داعية إلى الاعتزال لا يستتر بذلك. و لنا على مذهبا الذى تخيرناه من مذاهب أصحاب الحديث كتاب فى هذا المعنى، و هو و إن كان صغير الجرم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيرة فعظيم الفائدة لأننا أسقطنا فيه المشاغب كلها، و أضربنا عن التطويل جملة، و اقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة إلى شهادة الحس و بديهة العقل لها بالصحة. و لنا فيما تحققتنا به تأليف جمه، منها ما قد تم، و منها ما شارف التمام، و منها ما قد مضى منه صدر و يعين الله تعالى على باقيه، لم نقصد به قصد مباحة فنذكرها، و لا أردنا السمعة فنسميها، و المراد بها ربنا جل وجهه، و هو ولى العون فيها، و الملى بالمجازاة عليها، و ما كان لله تعالى فسيبدو، و حسبنا الله و نعم الوكيل. و بلدنا هذا- على بعده من ينبوع العلم، و نأيه من محلة العلماء- فقد ذكرنا من تأليف أهله ما إن طلب مثلها بفارس و الأهواز و ديار مضر و ديار ربيعة و اليمن و الشام أعوز وجود ذلك على قرب المسافة فى هذه البلاد من العراق التى هى دار هجرة الفهم و ذوبه و مراد المعارف و أربابها.

و نحن إذا ذكرنا أبا الأجر جعونة بن الصمّة الكلابى فى الشعر لم نباه به إلا جريرا و الفرزدق، لكونه فى عصرهما، و لو أنصف لاستشهد بشعره، فهو جار على مذهب الأوائل، لا على طريقة المحدثين، و إذا سمينا بقى بن مخلد لم نسايق به إلا محمد بن إسماعيل البخارى و مسلم بن الحجاج النيسابورى و سليمان بن الأشعث السجستاني و أحمد بن شعيب النسائي. و إذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به إلا القفال و محمد بن عقيل الفريابى، و هو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٢

شريكهما فى صحبة المزنى أبى إبراهيم و التلمذ له، و إذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال و منذر بن سعيد لم نجار بهما إلا أبا الحسن بن المفلس و الخلال و الديباجى و رويم بن أحمد.

وقد شاركهم عبد الله في أبي سليمان وصحبته، وإذا أشرنا إلى محمد بن عمر بن لبابة وعمه محمد بن عيسى وفضل بن سلمة لم نناطح بهم إلا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس، وإذا صرحنا بذكر محمد بن يحيى الرياحي وأبي عبد الله محمد بن عاصم لم يقصرا عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد.

ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن محمد بن دراج القسطلي لما تأخر عن شأو بشار بن برد وحبیب و المتنبی، فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب، وأحمد بن عبد الملك بن مروان، وأغلب بن شعيب، ومحمد بن شخيص، وأحمد بن فرج، وعبد الملك بن سعيد المرادي، وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه، وحصان ممسوح الغرة.

ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا، وهو حتى بعد لم يبلغ سن الاكتهال، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل ومحمد بن عبد الله بن مسرة في طريقة التي سلك فيها، وإن كنا لا نرضى مذهبه، في جماعة يكثر تعدادهم.

وقد انتهت ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان، ولم تتزيد فيما رغب فيه إلا ما دعت الضرورة إلى ذكره لتعلقه بجوابه، والحمد لله الموفق لعلمه، والهادي إلى الشريعة المزلفة منه والموصلة، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم، وشرف وكرم، انتهت الرسالة.

وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها «وإنما سكن على الكوفة خمسة أعوام وأشهرًا» ما نصه: صوابه أربعة أعوام، انتهى.

[تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم]

وقال ابن سعيد، بعد ذكره هذه الرسالة ما صورته: رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد بن حزم من مفاخر أهل الأندلس بما حضرني والله تعالى ولي الإعانة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٣

أما القرآن فمن أجل ما صنف في تفسيره كتاب «الهداية، إلى بلوغ النهاية» في نحو عشرة أسفار، صنفه الإمام العالم الزاهد أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي، وله كتاب «تفسير إعراب القرآن»، وعد ابن غالب في كتاب «فرحة الأنفس» تأليف مكي المذكور، فبلغ بها ٧٧ تأليفاً، وكانت وفاته سنة ٤٣٧، ولأبي محمد بن عطية الغرناطي في تفسير القرآن الكتاب الكبير الذي اشتهر وطار في الغرب والشرق، وصاحبه من فضلاء المائة السادسة.

وأما القراءات فلمكي المذكور فيها كتاب «التبصرة» وكتاب «التيسير» لأبي عمرو الداني مشهور في أيدي الناس.

وأما الحديث فكان بعضنا في المائة السابعة الإمام أبو الحسن علي بن القطان القرطبي الساكن بحضرة مراكش، وله في تفسير غريبه وفي رجاله مصنفات، وإليه كانت النهاية والإشارة في عصرنا، وسمعت أنه كان اشتغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهورة، وحذف المكرر، وكتاب رزين بن عمار الأندلسي في جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخاري والموطأ والسنن والنسائي والترمذي كتاب جليل مشهور في أيدي الناس بالشرق والمغرب، وكتاب «الأحكام» لأبي محمد عبد الحق الإشيلي مشهور متداول القراء، وهي أحكام كبرى، وأحكام صغرى، قيل: ووسطى، وكتاب «الجمع بين الصحيحين» للحميدي مشهور.

وأما الفقه فالكتاب المعتمد عليه الآن الذي ينطلق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالإسكندرية فكتاب «التهذيب» للبرادعي السرقسطي، وكتاب «النهاية» لأبي الوليد بن رشد، كتاب جليل معتمد عليه عند المالكية، وكذلك كتاب «المنتقى» للباقي.

وأما أصول الدين وأصول الفقه فلإمام أبي بكر بن العربي الإشيلي من ذلك ما منه كتاب «العواصم والقواصم» المشهور بأيدي الناس، وله تصانيف غير هذا، ولأبي الوليد بن رشد في أصول الفقه ما منه «مختصر المستصفي».

وأما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف «بالميتين» في نحو ستين مجلدة وإنما ذكر ابن حزم كتاب «المقتبس» وهو في عشر

مجلدات، و المتين يذكر فيه أخبار عصره، و يمعن فيها ممّا شاهده، و منه ينقل صاحب الذخيرة، و قد ذيل عليه أبو الحجاج اليباسي أحد معاصرنا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٤

و هو الآن بإفريقية في حضرته تونس عند سلطانها تحت إحصانه الغمر، و كتاب المظفر بن الألفطس ملك بطليوس المعروف «بالمظفر» نحو كتاب «المتين» في الكبر، و فيه تاريخ على السنين، و فنون آداب كثيرة، و تاريخ ابن صاحب الصلاة في الدولة اللمتونية، و ذكر ابن غالب أن ابن الصيرفي الغرناطي له كتاب في أخبار دولة لمتونة، و أن أبا الحسن السالمي له كتاب «في أخبار الفتنة الثانية بالأندلس»، بدأ من سنة ٥٣٩، و رتبّه على السنين و بلغ به سنة ٥٤٧، و أبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب في «تاريخ أصحاب الأندلس» من فتحها إلى زمانه، و أضاف إلى ذلك من أخبار قرطبة و غيرها ما جاء في خاطره، و له كتاب «الصلة» في تاريخ العلماء، و للحميدي قبله «جذوة المقتبس» و قد ذيل كتاب الصلة في عصرنا هذا أبو عبد الله بن الأبار البنسي صاحب كتاب سلطان إفريقية. و ذكر ابن غالب أن الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجي القرطبي له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة إلى أن انتهى في أخبار الأندلس إلى دولة عبد المؤمن، قال: و فارقه سنة ٥٦٥، و أبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المتقدمة الذكر له كتب جمّة في التواريخ، مثل كتاب «نقط العروس، في تواريخ الخلفاء» و قد صنّف أبو الوليد بن زيدون كتاب «التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس» على منزع كتاب «التعيين في خلفاء المشرق» للمسعودي. و للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي كتاب «التعريف، بأخبار علماء الأمم من العرب و العجم» و كتاب «جامع أخبار الأمم». و أبو عمر بن عبد البر له كتاب «القصص و الأمم، في معرفة أخبار العرب و العجم». و عريب بن سعد القرطبي له كتاب «اختصار تاريخ الطبري» قد سعد باغباط الناس به، و أضاف إليه تاريخ إفريقية و الأندلس، و لأحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الفياض كتاب «العبر» و كتاب أبي بكر الحسين بن محمد الزبيدي في أخبار النحويين و اللغويين بالمشرق و الأندلس»، و كتاب القاضي أبي الوليد بن الفرضي في «أخبار العلماء و الشعراء» و ما يتعلّق بذلك، و ليحيى بن حكم الغزال تاريخ ألفه كلّ منظوما، كما صنع أيضا بعده أبو طالب المتنبّي من جزيرة شقر في التاريخ الذي أورد منه صاحب الذخيرة ما أورد، و كتاب «الذخيرة» لابن بسام في جزيرة الأندلس ليس هذا مكان الإطناب في تفصيلها و هي كالذيل على حدائق ابن فرج، و في عصرها صنّف الفتح كتاب «القلائد» و هو مملوء بلاغة، و المحاكمة بين الكتّابين ذكرت بمكان آخر، و لصاحب القلائد كتاب «المطمح» و هو ثلاث نسخ: كبرى، و وسطى، و صغرى، يذكر فيها من الذين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٥

ذكرهم في القلائد و من غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم، و كتاب «سمط الجمان، و سقط المرجان» لأبي عمرو بن الإمام بعد الكتّابين المذكورين، ذكر من أخلا بتوفيته حقّه من الفضلاء، و استدرك من أدركه بعصره في بقية المائة السادسة، و ذيل عليه- و إن كان ذيلًا قصيرا- أبو بحر صفوان بن إدريس المرسي بكتاب «زاد المسافر» ذكر فيه جماعة ممّن أدرك المائة السابعة، و كتاب أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الحجاري المسمى ب «المسهب، في فضائل المغرب» صنّفه بعد «الذخيرة» و «القلائد» من أول ما عمرت الأندلس إلى عصره، و خرج فيه عن مقصد الكتّابين إلى ذكر البلاد و خواصّها ممّا يختصّ بعلم الجغرافيا، و خلطه بالتاريخ و تفنّن الأدب على ما هو مذكور في غير هذا المكان، و لم يصنّف في الأندلس مثل كتابه، و لذلك فضّله المصنّف له عبد الملك بن سعيد، و ذيل عليه، ثم ذيل على ذلك ابنه أحمد و محمد ثم موسى بن محمد ثم علي بن موسى كاتب هذه النسخة و مكمل كتاب «فلك الأدب، المحيط بحلى لسان العرب» المحتوى على كتابي «المشرق، في حلى المشرق» و «المغرب، في حلى المغرب»؛ فيكفي الأندلس في هذا الشأن تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥، و قد احتوى على جميع ما يذاكر به و يحاضر بحلاه من فنون الأدب المختارة على جهد الطاقه في شرق و غرب على النوع الذي هو مذكور في غير هذا الموضوع، و من أغفلت التنبيه على عصره، و غير ذلك من المصنّفين المتقدمي الذكر، فيطلب الملتمس منهم في مكانه المنسوب إليه كابن بسام في شترين، و الفتح في

إشبيلية، وابن الإمام في إستجته، والحجاري في وادي الحجارة.

وأما ما جاء منثوراً من فنون الأدب فكتاب «سراج الأدب» لأبي عبد الله بن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الأندلس، صنّفه على منزع كتاب «النوادر» لأبي علي، و«زهر الآداب» للحصري، وكتاب «واجب الأدب» لوالدي موسى بن محمد بن سعيد، واسمه يغني عن المراد به، وكتاب «اللآلئ» لأبي عبيد البكري على كتاب «الأمالي» لأبي علي البغدادي مفيد في الأدب، وكذلك كتاب «الاقتضاب»، في شرح أدب الكتاب» لأبي محمد بن السيد البطليوسي، وأما شرح «سقط الزند» له فهو الغاية، ويكفي ذكره عند أرباب هذا الشأن و ثناؤهم عليه، و شروح أبي الحجاج الأعلم لشعر المتنبي و الحماسة و غير ذلك مشهورة.

و أما «كتب» النحو فلاهل الأندلس من الشروح على «الجمل» ما يطول ذكره، فمنها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٦

شرح ابن خروف، و منها شرح الزندي، و منها شرح شيخنا أبي الحسن بن عصفور الإشبيلي، و إليه انتهت علوم النحو، و عليه الإحالة الآن من المشرق و المغرب، و قد أتيت له من إفريقية بكتاب «المقرب» في النحو فتلقّى باليمين من كل جهة، و طار بجناح الاعتباط، و لشيخنا أبي علي الشلوبين كتاب «التوطئة» على الجزولية و هو مشهور، و لابن السيد و ابن الطراوة و السهيلي من التقييدات في النحو ما هو مشهور عند أصحاب هذا الشأن معتمد عليه، و لأبي الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيويه.

و أما علم الجغرافيا فيكفي في ذلك كتاب «المسالك و الممالك» لأبي عبيد البكري الأونبي و كتاب «معجم ما استعجم من البقاع و الأماكن»، و في كتاب «المسهب» للحجاري في هذا الشأن و تذييلنا عليه في هذا الكتاب الجامع ما جمع زيد الأولين و الآخرين في ذلك.

و أما «كتب علم» الموسيقى فكتاب أبي بكر بن باجة الغرناطي في ذلك فيه كفاية و هو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق، و إليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التي عليها الاعتماد، و ليحيى الخدج المرسى كتاب «الأغاني الأندلسية» على منزع «الأغاني» لأبي الفرج، و هو ممّن أدرك المائة السابعة.

و أما «كتب» الطب فالمشهور بأيدي الناس الآن في المغرب، و قد سار أيضا في المشرق لنبله، كتاب «التيسير» لعبد الملك بن أبي العلاء بن زهر، و له كتاب «الأغذية» أيضا مشهور مغتبط به في المغرب و المشرق، و لأبي العباس بن الرومية الإشبيلي من علماء عصرنا بهذا الشأن كتاب في الأدوية المفردة، و قد جمع أبو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا في هذا الشأن حشر عليه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الأدوية المفردة ككتاب الغافقي و كتاب الزهراوي و كتاب الشريف الإدريسي الصقلي و غيرها و ضبطه على حروف المعجم، و هو النهاية في مقصده.

و أما «كتب» الفلسفة فإمامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي، و له فيها تصانيف جحدها لما رأى انحراف منصور بن عبد المؤمن عن هذا العلم، و سجنه بسببها، و كذلك ابن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٧

حبيب الذي قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم بإشبيلية، و هو علم ممقوت بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره، فلذلك تخفى تصانيفه.

و أما «كتب» التنجيم فلا بن زيد الأسقف القرطبي فيه تصانيف، و كان مختصا بالمستنصر بن الناصر المرواني، و له ألف كتاب «تفصيل الأزمان، و مصالح الأبدان» و فيه من ذكر منازل القمر، و ما يتعلّق بذلك ما يستحسن مقصده و تقرّبه، و كان مطرف الإشبيلي في عصرنا قد اشتغل بالتصنيف في هذا الشأن، إلّا أنّ أهل بلده كانوا ينسبونه إلى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشأن فكان لا يظهر شيئا مما يصنّف.

[رسالة الشقندي في فضل الأندلس والأندلسيين]

ثم قال ابن سعيد: أخبرني والدي قال: كنت يوماً في مجلس صاحب سبته أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بن عبد المؤمن، فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين، فقال الشقندي: لو لا الأندلس لم يذكر برّ العدو، ولا سارت عنه فضيلة، ولو لا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم، فقال الأمير أبو يحيى: أتريد أن تقول كون أهل برّنا عرباً وأهل برّكم بربر؟ فقال: حاش لله! فقال الأمير: والله ما أردت غير هذا، فظهر في وجهه أنه أراد ذلك، فقال ابن المعلم: أتقول هذا وما الملك والفضل إلّا من برّ العدو، فقال الأمير: الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل برّه، فالكلام هنا يطول ويمر ضياعاً، وأرجو إذا أخلت ما فكر كما يصدر عنكما ما يحسن تخليده، ففعلاً ذلك.

فكانت رسالة الشقندي، الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بالأندلس أن يتكلم ملء فيه، ويطنب ما شاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه، إذ لا يقال للنهار: يا مظلم، ولا لوجه النعيم: يا قبيح: [البيسط] وقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قاتلاً فقل

أحمده على أن جعلني ممن أنشأته، وحباني بأن كنت ممن أظهرته، فامتد في الفخر باعياً، و أعانني على الفضل كرم طباعياً، وأصلّي على سيدنا محمد نبيّه الكريم، وعلى آله وصحبه الأكرمين، وأسلم تسليمًا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٨

أمّا بعد؛ فإنه حرّك مني ساكننا، وملا مني فارغاً، فخرجت عن سجيتي في الإغضاء، مكرها إلى الحميّة والإباء، منازع في فضل الأندلس أراد أن يخرق الإجماع، ويأتي بما لم تقبله النواظر والأسماع، إذ من رأى ومن سمع لا يجوز عنده ذلك، ولا يضلّه من تاه في تلك المسالك، رام أن يفضل برّ العدو على برّ الأندلس فرام أن يفضل على اليمين اليسار، ويقول:

الليل أضوأ من النهار، فيا عجباً كيف قابل العوالي بالزجاج، وصادم الصيفاء بالزجاج، فيا من نفخ في غير ضرْم، ورام صيد البزاة بالرحم، وكيف تتكثر بما جعله الله قليلاً، وتتعرّز بما حكم الله أن يكون ذليلاً؟ ما هذه المباهتة التي لا تجوز؟ وكيف تبدى أمام الفتاة العجوز؟ سل العيون إلى وجهه من تميل؟ واستخبر الأسماع إلى حديث من تصغى؟: [الطويل]

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

اقن حياءك أيها المغرّد بالنجيب، المترّين بالخلف المتحّب إلى الغواني بالمشيب الخضيب، أين عزب عقلك؟ وكيف نكص على عقبه فهمك ولبك؟ أبلغت العصبية من قلبك، أن تطمس على نوري بصرك ولبك؟ أما قولك «الملوك منّا» فقد كان الملوك منّا أيضاً، وما نحن إلّا كما قال الشاعر: [المتقارب]

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسّر

إن كان الآن كرسى جميع بلاد المغرب عندكم بخلافه بنى عبد المؤمن - أدامها الله تعالى! - فقد كان عندنا بخلافه القرشيين الذين يقول فيهم مشرقهم: [الطويل]

وإني من قوم كرام أعزة لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر

خلائف في الإسلام في الشرك قادة بهم وإليهم فخر كلّ مفاخر
و يقول مغربهم:

ألنا بنى مروان كيف تبدلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٩

إذا ولد المولود منّا تهلّت له الأرض واهترت إليه المنابر

وقد نشأ في مدّتهم من الفضلاء والشعراء ما اشتهر في الآفاق، و صار أثبت في صحائف الأيام، من الأطواق في أعناق الحمام:
[الطويل]

و سار مسير الشمس في كلّ بلدة و هبّ هبوب الريح في البرّ و البحر

و لم تزل ملوكهم في الاتساق كما قيل: [البيسط]

إنّ الخلافة فيكم لم تزل نسقا كالعقد منظومة فيه فرائده

إلى أن حكم الله بنثر سلكهم، و ذهاب ملكهم، فذهبوا و ذهب أخبارهم، و درسوا و درست آثارهم: [البيسط]

جمال ذى الأرض كانوا في الحياة و هم بعد الممات جمال الكتب و السير

فكم مكرمة أنالوها، و كم عثرة أقالوها: [الرجز]

و إنّما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

و كان من حسنات ملكهم المنصور بن أبي عامر، و ما أدراك الذى بلغ فى بلاد النصارى غازيا إلى البحر الأخضر، و لم يترك أسيرا

فى بلادهم من المسلمين، و لم يبرح فى جيش الهرقل و عزمة الإسكندر، و لما قضى نجه كتب على قبره: [الكامل]

آثاره تنبيك عن أوصافه حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتى الزمان بمثله أبدا و لا يحمى الثغور سواه

و قد قيل فيه من الأمداح، و ألف له من الكتب، ما سمعت و علمت، حتى قصد من بغداد، و عمّ خيره و شرّه أقالصى البلاد، و لما ثار

بعد انتشار هذا النظام ملوك الطوائف و تفرّقوا فى البلاد، و كان فى تفرّقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد، إذ نفّقوا سوق العلوم، و

تباروا فى المثوبة على المنثور و المنظوم، فما كان أعظم مباحاتهم إلّا قول: العالم الفلانى عند

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٠

الملك الفلانى، و الشاعر الفلانى مختصّ بالملك الفلانى، و ليس منهم إلّا من بذل وسعه فى المكارم، و نبهت الأمداح من مآثره ما

ليس طول الدهر بنائم، و قد سمعت ما كان من الفتيان العامريّة مجاهد و منذر و خيران، و سمعت عن الملوك العربية: بنو عباد و بنو

صمادح و بنو الأفتس و بنو ذى النون و بنو هود، كلّ منهم قد خلّد فيه من الأمداح، ما لو مدح به الليل لصار أضوأ من الصباح، و لم

تزل الشعراء تنهادى بينهم تهادى التواسم بين الرياض، و تفتك فى أموالهم فتكّة البراض، حتى إنّ أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من

منافستهم فى أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيدة إلّا بمائة دينار، و أنّ المعتضد بن عباد على ما اشتهر من سطوته و

إفراط هيئته كلّفه أن يمدحه بقصيدة فأبى حتى يعطيه ما شرطه فى قسمه، و من أعظم ما يحكى من المكارم التى لم نسمع لها أختا أنّ

أبا غالب اللغوى ألف كتابا، فبذل له مجاهد العامرى ملك دانية ألف دينار و مركوبا و كسا على أن يجعل الكتاب باسمه، فلم يقبل

ذلك أبو غالب، و قال: كتاب ألفته لينتفع به الناس، و أخلّد فيه همّتى، أ جعل فى صدره اسم غيرى، و أصرف الفخر له، لا أفعل

ذلك، فلما بلغ هذا مجاهدا استحسّن أنفته و همّته، و أضعف له العطاء، و قال: هو فى حلّ من أن يذكرنى فيه، لا نصدّه عن غرضه. و

إن كان كلّ ملوك الأندلس المعروفين بملوك الطوائف قد تنازعوا فى ملاءة الحضر، فإنّى أخصّ منهم بنى عباد، كما قال الله تعالى:

فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ تَحُلُّ وَ رَمَّانٌ (٦٨) [سورة الرحمن، الآية: ٦٨] فإنّ الأيام لم تزل بهم كأعياد، و كان لهم من الحنو على الأدب، ما لم يقم

به بنو حمدان فى حلب، و كانوا هم و بنوهم و وزراءهم صدورا فى بلاغتي النظم و النثر، مشاركين فى فنون العلم، و آثارهم

مذكورة، و أخبارهم مشهورة، و قد خلّدوا من المكارم التامية، ما هو متردّد فى ألسن الخاصية و العامة، و بالله إلّا سميت لى بمن

تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية، أسبقوت الحاجب؟ أم بصالح البرغواطى؟ أم بيوسف بن تاشفين الذى لولا توّسط ابن عباد لشعراء

الأندلس فى مدحه ما أجروا له ذكرا، و لا رفعا لملكه قدرا؟ و بعد ما ذكروه بوساطة المعتمد بن عباد فإنّ المعتمد قال له، و قد

أنشدوه: أيعلم أمير المسلمين ما قالوه؟ قال: لا أعلم و لكنهم يطلبون الخبز، و لما انصرف عن المعتمد إلى حضرة ملكه كتب له

المعتمد رسالته فيها: [البيسط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣١

بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم و لا جفت مآقينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت سودا و كانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرىء عليه هذان البيتان قال للقارىء: يطلب منا جوارى سودا و بيضا، قال: لا يا مولانا، ما أراد إلّا أن ليلىه كان بقرب أمير المسلمين

نهارا؛ لأن ليالى السرور بيض، فعاد نهاره ببعده ليلا لأن أيام الحزن ليال سود، فقال: و الله جيد، أكتب له فى جوابه: إن دموعنا تجرى

عليه، و رؤوسنا توجعنا من بعده، فليت العباس بن الأحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقة الشوق: [الطويل]

و لا تنكرن مهما رأيت مقدّما على حمر بغلا فتمّ تناسب

فاسكتوا، فلو لا هذه الدولة، لما كان لكم على الناس صولة: [الوافر]

و إنّ الورد يقطف من قتاد و إنّ النار تقبس من رماد

و إنك إن تعرّضت للمفاضلة بالعلماء فأخبرنى: هل لكم فى الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذى يعمل بأقواله إلى الآن، و مثل أبى

الوليد الباجى، و مثل أبى بكر بن العربى، و مثل أبى الوليد بن رشد الأكبر، و مثل أبى الوليد بن رشد الأصغر؟ و هو ابن ابن الأكبر،

نجوم الإسلام، و مصايح شريعة محمد عليه السلام، و هل لكم فى الحفظ مثل أبى محمد بن حزم الذى زهد فى الوزارة و المال و

مال إلى رتبة العلم، و رآها فوق كل رتبة، و قال و قد احترقت كتبه: [الطويل]

دعونى من إحراق رقّ و كاغد و قولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى تضمّنه القرطاس، إذ هو فى صدرى

و مثل أبى عمر بن عبد البر صاحب «الاستيعاب» و «التمهيد» و مثل أبى بكر بن الجدد حافظ الأندلس فى هذه الدولة، و هل لكم فى

حفاظ اللغة كابن سيده صاحب كتاب «المحكم»

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٢

و كتاب «السماء و العالم» الذى إن أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته، و هل لكم فى النحو مثل أبى محمد بن السّيد و تصانيفه؟ و

مثل ابن الطراوة، و مثل أبى على الشلوبين الذى بين أظهرنا الآن، و قد سار فى المغرب و المشارق ذكره، و هل لكم فى علوم اللجون

و الفلسفة كابن باجّة.

و هل لكم فى علم النجوم و الهندسة و الفلسفة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة، فإنه كان فى ذلك آية؟ و هل لكم فى

الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة «حى بن يقظان» المقدم فى علم الفلسفة، و مثل بنى زهر أبى العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبى

بكر ثلاثة على نسق؟

و هل لكم فى علم التاريخ كابن حيان صاحب «المتين» و «المقتبس»؟ و هل عندكم فى رؤساء علم الأدب مثل أبى عمر بن عبد ربه

صاحب «العقد»؟ و هل لكم فى الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء إقليمه و الاجتهاد فى حشد محاسنهم مثل ابن بسّام صاحب «الذخيرة»؟ و

هب أنه كان يكون لكم مثله فما تصنع الكيسة فى البيت الفارغ؟ و هل لكم فى بلاغة النثر كالفتح بن عبيد الله الذى إن مدح رفع، و

إن ذمّ وضع، و قد ظهر له من ذلك فى كتاب «القلائد» ما هو أعدل شاهد، و مثل ابن أبى الخصال فى ترسله، و مثل أبى الحسن سهل

بن مالك الذى بين أظهرنا الآن فى خطبه، و هل لكم فى الشعر ملك مثل المعتمد بن عباد فى قوله: [الطويل]

و ليل بسدّ النهر أنسا قطعته بذات سوار مثل منعطف النهر

نضت بردها عن غصن بان منعم فىا حسن ما انشقّ الكمام عن الزهر

و قوله فى أبيه: [البيسط]

سميدع يهب الآلاف مبتدئا و بعد ذلك يلقى و هو يعتذر

له يد كل جبار يقبلها لو لا نداها لقلنا إنها الحجر

و مثل ابنه الراضى فى قوله: [البسيط]

مروا بنا أصلا من غير ميعاد فأوقدوا نار قلبى أى إيقاد

لا غرو أن زاد فى وجدى مرورهم فرؤية الماء تذكى غلة الصادى

و هل لكم ملكك ألفت فى فنون الأدب كتابا فى نحو مائه مجلدة مثل المظفر بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٣

الأفطس ملك بطليوس و لم تشغله الحروب و لا- المملكة عن همة الأدب؟ و هل لكم من الوزراء مثل ابن عمار فى قصيدته التى

سارت أشرد من مثل، و أحب إلى الأسماع من لقاء حبيب وصل؟ التى منها: [الكامل]

أثمرت رمحك من رؤوس ملوكهم لما رأيت الغصن يعشق ثمرا

و صبغت درعك من دماء كراتهم لما رأيت الحسن يلبس أحمر

و مثل ابن زيدون فى قصيدته التى لم يقل مع طولها فى التشيب أرق منها، و هى التى يقول فيها: [البسيط]

كأننا لم نبت و الوصل ثالثا و السعد قد غص من أجفان و أشينا

سزان فى خاطر الظلماء يكتمننا حتى يكاد لسان الصبح يفشىنا

و هل لكم من الشعراء مثل ابن وهبون فى بديهته بين يدى المعتمد بن عباد و إصابته الغرض حين استحسن المعتمد قول المتنبى:

[الطويل]

إذا ظفرت منك المطى بنظرة أتاب بها معي المطى و رازمه

فارتجل: [الطويل]

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما تجيد العطايا، و اللها تفتح اللها

تنبأ عجا بالقريض و لو درى بأنك تروى شعره لتألها

و هل لكم مثل شاعر الأندلس ابن دراج الذى قال فيه الثعالبى «هو بالصقع الأندلسى كالمتنبى بصقع الشام الذى إن مدح الملوك قال

مثل قوله: [الطويل]

ألم تعلمى أن الثواء هو التوى و أن بيوت العاجزين قبور

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٤

و أن خطيرات المهالك ضمن لراكبها أن الجزاء خطير

تخوفنى طول السفار و إنه بتقيل كف العامرى جدير

مجير الهدى و الدين من كل ملحد و ليس عليه للضلال مجير

تلاقت عليه من تميم و يعرب شمس تلاقى فى العلا و بدور

هم يستقلون الحياة لراغب و يستصغرون الخطب و هو كبير

و لما توافوا للسلام و رفعت عن الشمس فى أفق الشروق ستور

و قد قام من زرق الأسنه دونها صفوف و من بيض السيوف سطور

رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها و آيات صنع الله كيف تثير

و كيف استوى بالبر و البحر مجلس و قام بعبء الراسيات سرير

فجاؤوا عجالا و القلوب خوافق و ولّوا بطاء و النواظر صور
يقولون و الإجلال يخرس أسنا و حازت عيون ملأها و صدور
لقد حاط أعلام الهدى بك حائط و قدّر فيك المكرمات قدير
و أنا أقسم بما حازته هذه الآيات، من غرائب الآيات، لو سمع هذا المدح سيد بنى حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذى ساد كل
شاعر، و رأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفتن فيه كل ناظم و ناثر.

[الكامل]

قالت و قد مزج الفراق مدامعا بمدامع و ترائبا بترائب
أتفرق حتى بمنزل غربه؟ كم نحن للأيام نهبة ناهب
و لئن جنيت عليك ترحه راحل فأنا الزعيم لها بفرحة آتب
هل أبصرت عيناك بدرا طالعا فى الأفق إلّا من هلال غارب
و إن شبّه قال: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٥
كمعاقل من سوسن قد شيدت أيدى الربيع بناءها فوق القضب
شرفاتها من فضة و حماتها حول الأمير لهم سيوف من ذهب
و هل من شعرائكم من تعرّض لذكر العفة فاستنبط ما يسحر به السحر، و يطيب به الزهر، و هو أبو عمر بن فرج فى قوله: [الوافر]

و طائعه الوصال عففت عنها و ما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة فباتت دياجى الليل سافرة القناع
و ما من لحظة إلّا و فيها إلى فتن القلوب لها دواعى
فمكّكت النهى جمحات شوقى لأجرى فى العفاف على طباعى
و بتّ بها مبيت السقب يظما فيمنعه الكعام من الرضاع
كذاك الروض ما فيه لمثلى سوى نظر و شمّ من متاع
و لست من السوائم مهملات فأخذ الرياض من المراعى
و هل بلغ أحد من مشبهى شعرائكم أن يقول مثل قول أبى جعفر اللمائي: [الرمل]
عارض أقبيل فى جنح الدجا يتهدى كتهادى ذى الوجى
بدّدت ريح الصبا لؤلؤه فانبرى يوقد عنها سرجا
و مثل قول أبى حفص بن برد: [المديد]

و كأنّ الليل حين لوى ذاهبا و الصبح قد لاحا
كلّه سوداء أحرقتها عامد أسرج مصباحا

و هل منكم من وصف ما تحدّثه الخمره من الحمره على الوجنه بمثل قول الشريف الطليق: [الرمل]
أصبحت شمسا وفوه مغربا و يد الساقى المحيى مشرقا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٦
و إذا ما غربت فى فمه تركت فى الخد منه شفقا
بمثل هذا الشعر فيطلق اللسان، و يفخر كل إنسان.

و هل منكم من عمد إلى قول امرئ القيس: [الطويل]

سموت إليها بعد ما نام أهلها سموّ حباب الماء حالا على حال

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الأزهار، و استلبه بلطف استلاب الشمس لرضاب طلّ الأسحار، فلطفه تلطيفا يمتزج بالأرواح، و يغنى

في الارتياح عن شرب الراح، و هو ابن شهيد في قوله: [المتقارب]

و لَمَا تَمَلَّأ من سكره و نام و نامت عيون الحرس

دنوت إليه على رقبه دنوّ رفيق درى ما التمس

أدبَ إليه ديب الكرى و أسمو إليه سموّ النَّفس

أقبل منه بياض الطلى و أرشف منه سواد اللّمس

فبتّ به ليلتي ناعما إلى أن تبسّم ثغر الغلس

و قد تناول هذا المعنى ابن أبي ربيعة على عظم قدره و تقدّمه فعارض الصّيهيل بالتهاق، و قابل العذب بالزّعاق، فقال وليته سكت:

[الطويل]

و نفّضت عني العين أقبلت مشيه ال حباب و ركني خيفة القوم أزور

و أنا أقسم لو زار جمل محبوبة له لكان ألطف في الزيارة من هذا الأزور الركن المنفض للعيون، لكنه إن أساء هنا فقد أحسن في

قوله: [السريع]

قالت لقد أعييتنا حجة فأت إذا ما هجع الساهر

و اسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناه و لا زاجر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٧

و لله درّ محمد بن سفر أحد شعرائنا المتأخرين عصرا، المتقدّمين قدرا، حيث نقل السعي إلى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل

هذا، فبمثله ينبغي أن يتكلّم، و مثله يليق أن يدوّن:

[الطويل]

و واعدتها و الشمس تجنح للنوى بزورتها شمسا و بدر الدجى يسرى

فجاءت كما يمشى سنا الصبح في الدجى و طورا كما مرّ النسيم على النهر

عطّرت الآفاق حولى فأشعرت بمقدمها و العرف يشعر بالزهر

فتابعت بالتقبيل آثار سعيها كما يتقضى قارىء أحرف السطر

فبتّ بها و الليل قد نام و الهوى تنبّه بين الغصن و الحقف و البدر

أعانقها طورا و ألثم تارة إلى أن دعنتا للنوى رايه الفجر

ففضّصت عقودا للتعانق بيننا في ليلة القدر اتركى ساعه النفر

و هل منكم من قيد بالإحسان فأطلق لسانه الشكر، فقال و هو ابن اللّبانة: [الطويل]

بنفسى و أهلى جيرة ما استعنتهم على الدهر إلّا و انثيت معانا

أراشوا جناحي ثم بلّوه بالندى فلم أستطع من أرضهم طيرانا

و من يقول و قد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الإحسان، فقابل ذلك بقطع مدحه له، فبلغه أنه عتبه على ذلك، و هو ابن

وضّاح: [الكامل]

هل كنت إلّا طائرا بثنائكم في دوح مجدكم أقوم و أقعد

إن تسلبوني ريشكم و تقلصوا عني ظلالكم فكيف أغرد

و هل منكم شاعر رأى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالأفاح، و تشبيه الزهر بالنجوم، و تشبيه الخدود بالشقائق، فتلطف لذلك في أن يأتي به في مترع يصير خلقه في الأسماع جديدا، و كليله في الأفكار حديدا، فأغرب أحسن إغراب، و أعرب عن فهمه بحسن

تخيئه أنبل إعراب، و هو ابن الزقاق: [المنسرح]

و أعيد طاف بالكؤوس ضحى و حثها و الصباح قد وضحا

و الروض أهدى لنا شقائقه و آسه العنبري قد نفحا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٨

قلنا: و أين الأفاح؟ قال لنا: أودعته ثغر من سقى القدحا

فظل ساقى المدام يجحد ما قال فلما تبسم افتضحا

و قال: [الوافر]

أديراها على الروض المندي و حكم الصبح في الظلماء ماضى

و كأس الريح تنظر عن حباب ينوب لنا عن الحدق المراض

و ما غربت نجوم الأفق لكن نقلن من السماء إلى الرياض

و قال: [الخفيف]

و رياض من الشقائق أضحت يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها و الغمام يجلد منها زهرات تروق لون الراح

قل ما ذنبها؟ فقال مجيبا سرقت حمرة الخدود الملاح

فانظر كيف زاحم بهذا الاختيال المخترعين؟ و كيف سابق بهذا المبتدعين؟

و هل منكم من برع في أوصاف الرياض و المياه و ما يتعلق بذلك فانتهى إلى غاية السباق، و فضح كل من طمع بعده في اللحاق، و

هو أبو إسحاق بن خفاجة القائل: [الكامل]

و عشي أنس أضجعتنى نشوة فيها يمهد مضجعى و يدمت

خلعت على بها الأراكة ظلها و الغصن يصغى و الحمام يحدث

و الشمس تجنح للغروب مريضه و الرعد يرقى و الغمامة تنفث

و القائل: [الكامل]

لله نهر سال فى بطحاء أشهى و رودا من لمى الحسناء

متعطف مثل السوار كأنه و الزهر يكفه مجر سماء

قد رق حتى ظن قرصا مفرغا من فضة فى برده خضراء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٩

و غدت تحف به الغصون كأنها هذب تحف بمقله زرقاء

و لطالما عاطيت فيه مدامه صفراء تخضب أيدى الندماء

و الريح تعبت بالغصون و قد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

و القائل: [الكامل]

حّت المدامة و النسيم عليل و الظل خفاق الرواق ظليل

و الروض مهترّ المعاطف نعمة نشوان تعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى عنه فذهب صفحته أصيل
و القائل: [الكامل]

أذن الغمام بديمة و عقار فامزج لجينا منهما بنضار
و اربع على حكم الربيع بأجرع هزج الندامى مفصح الأطيّار
متقسّم الألاحظ بين محاسن من ردف راييه و خصر قرار
نثرت بحجر الروض فيه يد الصبا درر الندى و دراهم الأنوار
و هفت بتغريد هنالك أيكه خفاقة بمهّب ريح عرار
هزّت له أعطافها و لربما خلعت عليه ملاءة النور
و القائل: [المنسرح]

سقيا لها من بطاح خزّ و دوح نهر بها مطلق
إذ لا ترى غير وجه شمس أطلّ فيه عذار ظلّ
و القائل: [الكامل]

نهر كما سال اللّمي سلسال و صبا بليل ذيلها مكسال
و مهّب نفحة روضة مطلولة في جانبيها للنسيم مجال
غازلتها و الأتحوانه مبسم و الآس صدغ و البنفسج خال
و القائل: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٠
و ساق كحيل اللحظ في شأو حسنه جماح و بالصبر الجميل حران
تري للصبّ ناراً بخديه لم يثر لها من سوادى عارضيه دخان
سقاها و قد لاح الهلال عشية كما اعوجّ في درع الكميّ سنان
عقارا نماها الكرم فهي كريمة و لم تزن بابت المزن فهي حصان
و قد جال من جون الغمامه أدهم له البرق سوط و الشمال عنان
و صمّخ درع الشمس نحر حديقه عليه من الطلّ السقيط جمان
و نمت بأسرار الرياض خميلة لها النور ثغر و النسيم لسان
و القائل في وصف فرس و لم يخرج عن طريقته: [السريع]

و أشقر تضرم منه الوغى بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه و أذنه من ورق الآس
يطلع للغرة في شقرة حباية تضحك في كاس

و هل منكم من يقول منادما لنديمه و قد باكر روضا بمحجوب و كأس، فألفاه قد غطى محاسنه ضباب، فخاف أن يكسل نديمه عن
الوصول إذا رأى ذلك، و هو أبو الحسن بن بسام:

[الوافر]

ألا بادر فما ثان سوى ما عهدت الكأس و البدر التمام

و لا تكسل برؤيته ضبابا تغص به الحديقة و المدام
 فإنّ الروض ملتئم إلى أن توافيه فينحط اللثام
 و هل منكم من تغزل في غلام حائك بمثل قول الرصافي: [البسيط]
 قالوا و قد أكثروا في حبه عدلى لو لم تهتم بمذال القدر مبتذل
 فقلت لو كان أمرى فى الصبابة لى لاخترت ذاك و لكن ليس ذلك لى
 علّفته حبيى الثغر عاطره حلو اللّمي ساحر الأجان و المقل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤١
 غزّيل لم تزل فى الغزل جائلة بناته جولان الفكر فى الغزل
 جذلان تلعب بالمحواك أنمله على السدى لعب الأيام بالأمل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٤١
 ضمّا بكفّيه أو فحصا بأخمصه تخبط الطيبى فى أشراك محتل
 و مثل قوله فى تغلب مسكة الظلام على خلوق الأصيل: [الرمل]
 و عشى رائق منظره قد قطعناه على صرف الشمول
 و كأنّ الشمس فى أثناؤه ألصقت بالأرض خدّا للنزول
 و الصبا ترفع أذيال الرّبا و محيا الجوّ كالنهر الصقيل
 حبّذا منزلنا معتبقا حيث لا يطرقتنا غير الهديل
 طائر شاد و غصن مثن و الدّجى تشرب صهباء الأصيل
 و هل منكم من يقول فى موشح فيما يجزّه هذا المعنى:
 رداء الأصيل تطويه كفّ الظلام
 و هو أبو قاسم بن الفرس.

و هل منكم من وصف غلاما جميل الصورة راقصا بمثل قول ابن خروف: [الكامل]
 و منزع الحركات يلعب بالتهى لبس المحاسن عند خلع لباسه
 متأودا كالغصن وسط رياضه متلعبا كالظبي عند كناسه
 بالعقل يلعب مدبرا أو مقبلا كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
 و يضمّ للقدمين منه رأسه كالسيف ضمّ ذبابه لرياضه
 و هل منكم من وصف خالا بأحسن من قول النشار: [الوافر]
 ألوامى على كلفى ييحى متى من حبه ألقى سراحا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٢
 و بين الخدّ و الشفتين خال كزنجى أتى روضا صباحا
 تحير فى جناه فليس يدرى أ يجنى الورد أم يجنى الأفاحا

و هل منكم الذى اهتدى إلى معنى فى لثم وردة الخدّ ورشف رضاب الثغر لم يهتد إليه أحد غيره، و هو أبو الحسن سلام بن سلام
 المالقى فى قوله: [الكامل]

لما ظفرت بلبلة من وصله و الصبّ غير الوصل لا يشفيه

أنضجت وردة خده بتنفسى و طففت أرشف ماءها من فيه

و هل منكم من هجا من غير النطق بإقذاع فبلغ ما لم يبلغه المقذع، و هو المخزومي فى قوله: [المخلع البسيط]

يودّ عيسى نزول عيسى عساه من دائه يريح

و موضع الداء منه عضو لا يرتضى مسّه المسيح

و لّمّا أقذع أتى أيضا بأبدع، فقال: [السريع]

يا فارس الخيل و لا فارس إلّا على متن جواد الخصى

زدت على موسى و آياته تفجّر الماء و تخفى العصا

و هل منكم من مدح بمعنى فبلغ به النهاية من المدح، ثم نقله إلى الهجاء فبلغ به النهاية من الذمّ، و هو البكى فى قوله مادحا: [الكامل]

قوم لهم شرف العلا فى حمير و إذا انتموا لمتونة فهم هم

لّمّا حووا أحراز كلّ فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

و فى قوله هاجيا: [الكامل]

إنّ المرابط باخل بنواله لكنه بعياله يتكرم

الوجه منه مخلّق لقبيح ما يأتيه فهو من أجله يتلثم

و هل منكم من هجا أشتر العين بمثل قول أبى العباس بن حنون الإشيلي: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٣

يا طلعه أبدت قبائح جمّه فالكلّ منها إن نظرت قبيح

أ بعينك الشّراء عين ثرة منها تفرق دمعها المسفوح

شترت فقلنا: زورق فى لجة مالت ياحدى دفته الرياح

و كأنما إنسانها ملّاحها قد خاف من غرق فظلّ يميح

و هل منكم من حضر مع عدوّ له جاحد لما فعله معه من الخير، و أمامهما زجاجة سوداء فيها خمر، فقال له الحسود المذكور: إن كنت

شاعرا فقل فى هذه، فقال ارتجالا، و هو ابن مجبر: [الطويل]

سأشكو إلى التّدمان أمر زجاجة تردّت بثوب حالك اللون أسحم

نصبّ بها شمس المدامه بيننا فتغرب فى جنح من الليل مظلم

و تجحد أنوار الحميا بلونها كقلب حسود جاحد يد منعم

و هل منكم من قال لفاضل جمع بينه و بين فاضل، و هو أبو جعفر الذهبى: [الخفيف]

أيها الفاضل الذى قد هدانى نحو من قد حمدته باختبار

شكر الله ما أتيت و جازاك و لا زلت نجم هدى لسارى

أى برق أفاد أىّ غمام و صباح أدّى لضوء نهار

و إذا ما غدا النسيم دليلى لم يحلنى إلّا على الأزهار

و هل منكم أعمى قال فى ذهاب بصره و سواد شعره، و هو التّطيلي: [البسيط]

أما اشتفت منى الأيام فى وطنى حتى تضايق فيما عنّ من وطرى

و لا قضت من سواد العين حاجتها حتى تكزّ على ما طلّ فى الشّعر

و هل منكم الذى طار فى مشارق الأرض و مغاربها قوله، و هو أبو القاسم محمد بن هانىء الإلبيرى: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٤
فتقت لكم ريح الجلاذ بعنبر و أمدم فلق الصباح المسفر
و جنيتم ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الأخضر
و قد سمعت فائيته فى النجوم، و لو لا طولها لأنشدتها هنا، فإنها أحسن ما قيل فى معناها.
و هل منكم من قال فى الزهد مثل قول أبى وهب العباسى القرطبى: [الخفيف]
أنا فى حالتى التى قد ترانى إن تأملت أحسن الناس حالا
منزلى حيث شئت من مستقرّ ال أرض أسقى من المياه زلالا
ليس لى كسوة أخاف عليها من مغير و لن ترى لى مالا
أجعل الساعد اليمين و سادى ثم أثنى إذا انقلبت الشمالا
ليس لى والد و لا مولود لا و لا حزت مذ عقلت عيالا
قد تلذذت حقبه بأمور فتأملتتها فكانت خيالا
و مثل قول أبى محمد عبد الله بن لعسال الطليطلى: [مجزوء الرمل]
أنظر الدنيا فإن أب صرتها شيئا يدوم
فاغد منها فى أمان إن يساعدك النعيم
و إذا أبصرتها من ك على كره تهيم
فاسل عنها و اطرّحها و ارتحل حيث تقيم
و هل نشأ عندكم من النساء مثل ولادة المروانية التى تقول مداعبة للوزير ابن زيدون، و كان له غلام اسمه «على»: [السريع]
ما لابن زيدون على فضله يغبني ظلما و لا ذنب لى
ينظرنى شزرا إذا جئته كأنما جئت لأخصى على
و مثل زينب بنت زياد المؤدب، الوادى آشيه التى تقول: [الطويل]
و لى أبى الواشون إلاً فراقنا و ما لهم عندى و عندك من ثار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٥
و شتوا على أسماعنا كل غارة و قلّ حمايتى عند ذاك و أنصارى
غزوتهم من مقلتيك و أدمعى و من نفسى بالسيف و الماء و النار
و أنا أختم هذه القطع المتخيرة بقول أبى بكر بن بقر لى بقى لىكون الختام مسكا: [الكامل]
عاطيته و الليل يسحب ذيله صهباء كالمسك الفتيق لناشق
و ضممته ضمّ الكمى لسيفه و ذؤابته حمائل فى عاتقى
حتى إذا مالت به سنه الكرى زحزحته شيئا و كان معانقى
باعده عن أضلع تشتاقه كيلا ينام على و ساد خافق
و يقول القاضى أبى حفص بن عمر القرطبى: [الوافر]
هم نظروا لواحظها فهاموا و تشرب لبّ شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها أ يدعّر قلب حامله الحسام
سما طرفى إليها و هو باك و تحت الشمس ينسكب الغمام

و أذكر قدها فأنوح وجدا على الأغصان تنتدب الحمام
و أعقب بينها في الصدر غمًا إذا غربت ذكاء أتى الظلام
و بقوله أيضا: [الوافر]

لها ردف تعلق في لطيف و ذاك الردف لي و لها ظلوم
يعذبني إذا فكرت فيه و يتعبها إذا رامت تقوم

و قد أطلت عنان النظم، على أنى اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالصبح، فبالله إلاً ما أخبرتنى: من شاعر كم الذى تقابلون به شاعرا
ممن ذكرت؟ لا أعرف لكم أشهر ذكرا، و أضخم شعرا، من أبى العباس الجراوى، و أولى لكم أن تجحدوا فخره، و تنسوا ذكره، فقد
كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم فى قوله من قصيدة يمدح بها خليفة: [الطويل]

إذا كان أملاك الزمان أراقما فإنك فيهم دائم الدهر ثعبان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٦

فما أقبح ما وقع «ثعبان» و ما أضعف ما جاء «دائم الدهر» و لقد أنشدت أحد ظرفاء الأندلس هذا البيت، فقال: لا ينكر هذا على مثل
الجراوى، فسبحان من جعل روحه و نسبه و شعره تتناسب فى الثقالة.

و إن أردت الافتخار بالفرسان، و التفاضل بالشجعان، فمن كان قبلنا منهم فى مدة المنصور بن أبى عامر و مدة ملوك الطوائف
أخبارهم مشهورة، و آثارهم مذكورة، و كفاك من أبطال عصرنا ما سمعت عن الأمير أبى عبد الله بن مردنيش و أنه كان يدفع فى
مواكب النصارى و يشقها يمينا و يسارا منشدا: [الوافر]

أكرّ على الكتيبة لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها

حتى أنه دفع يوما فى موكب من النصارى فصرع و قتل، و ظهر منه ما أعجبت به نفسه، فقال لشيخ من خواصه، عالم بأمور الحرب
مشهور بها: كيف رأيت؟ فقال له: لو رآك السلطان زاد فيما لك فى بيت المال، و أعلى مرتبتك، أمن يكون رأس جيش يقدم هذا
الإقدام، و يتعرض بهلاك نفسه إلى هلاكهم، فقال له: دعنى فإنى لا أموت مرتين، و إذا متّ أنا فلا عاش من بعدى.

و القائد أبو عبد الله بن قادوس الذى اشتهر من شجاعته و مواقفه فى النصارى و حسن بلائه ما صير النصارى من رعبه و الإقرار بفضله
فى هذا الشأن أن يقول أحدهم لفرسه إذا سقاه فلم يقبل على الماء: مالك؟ أ رأيت ابن قادوس فى الماء، و هذه مرتبة عظيمة:
[الكامل]

و الفضل ما شهدت به الأعداء

و لقد أخبرنى من أتق به أنه خرج من عسكر فى كتيبة مجزدة برسم الغارة على بلاد النصارى، فوقع فى جمع كبير منهم، فجهد جهده
فى الخلاص منهم و الرجوع إلى العسكر، فجعل يقاتل مع أصحابه فى حالة الفرار إلى أن كبا بأحد جنده فرسه، و فرّ عنه، فناداه
مستغيثا، فقال: اصبر، ثم نظر إلى فارس من النصارى قد طرق فقال: اجر إلى هذا النصرانى، فخذ فرسه، و ركض نحوه، فأسقطه، و قال
لصاحبه: اركب، فركب و نجا معه سالما.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٧

و أمثال هذا كثير، و إنما جئت بحصاه من ثبير.

[شمائل أهل الأندلس]

و أمّا كرم النفس و شمائل الرياسة فأنا أحكى لك حكاية تتعجب منها، و هى مما جرى فى عصرنا، و ذلك أن أبا بكر بن زهر نشأت
بينه و بين الحافظ أبى بكر بن الجعد عداوة مفرطة للاشتراك فى العلم و الرياسة و كثرة المال و البلدية، فأجرى ابن زهر يوما ذكره فى

جماعة من أصحابه، وقال: لقد آذانا هذا الرجل أشدّ أذيةً، ولم يقصر في القول عند أمير المؤمنين وعند خواصّ الناس وعوامهم، فقال له أحد عوامهم: إني أذكر لك عليه عقداً فيه مخاصمة في موضع ممّا يعزّ عليه من مواضعه، ومتى خاصمته في ذلك بلغت منه في النكايّة أشدّ مبلغ، فخرج ابن زهر، وأظهر الغضب الشديد، والإنكار لذلك، وقال لو كيّله: أمثلي يجازى على العداوة بما يجازى به السفّل والأوباش؟ وإني أجعل ابن الجد في حل من موضع الخصام، وأمر بأن يحمل له العقد، ثم قال: وإني والله ما أروم بذلك أن أصلحه، فإنّ عداوته من حسد، وأنا أسأل الله تعالى أن يديمها؛ لأنها مقترنة بدوام نعم الله عليّ.

[فضائل البلاد]

إشارة

وإن تعرضت إلى ذكر البلاد، وتفسير محاسنها، وما خصّها الله تعالى به ممّا حرّمه على غيرها، فاسمع ما يميّت الحسود كمدا:

[محاسن إشبيلية]

أما إشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء، وحسن المباني، وتزيين الخارج والداخل، وتمكن التمصير، حتى أنّ العامّة تقول: لو طلب لبن الطير في إشبيلية وجد، ونهرها الأعظم الذي يصعد المدّ فيه اثنين وسبعين ميلاً ثم يحسر، وفيه يقول ابن سفر: [الكامل]

شقّ النسيم عليه جيب قميصه فانساب من شطّيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها هزاً فضمّ من الحياء إزاره
وزيادته على الأنهار كون ضفتيه مطرّزين بالمنازه والبساتين والكروم والأنسام متّصل ذلك اتّصالاً لا يوجد على غيره.

وأخبرني شخص من الأكياس دخل مصر وقد سألته عن نيلها أنه لا تتّصل بشطّيه البساتين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٨

والمنازه اتّصالها بنهر إشبيلية، وكذلك أخبرني شخص آخر دخل بغداد، وقد سعد هذا الوادي بكونه لا يخلو من مسرّة، وأنّ جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لانه عن ذلك ولا منتقد، ما لم يؤدّ السكر إلى شرّ وعريضة، وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك، فلم يستطيعوا إزالته، وأهله أخفّ الناس أرواحاً، وأطبعم نوادر، وأحملهم لمزاح بأقبح ما يكون من السّبّ، قد مرّنا على ذلك، فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من لا يتنذل فيه ولا يتلعن ممقوتاً ثقيلاً، وقد سمعت عن شرف إشبيلية الذي ذكره أحد الوشاحين في موشحة مدح بها المعتضد بن عباد:

إشبيلية عروس وبعها عبّاد وتاجها الشرف وسلكتها الواد

أي شرف قد حاز ما شاء من الشرف إذ عمّ أقطار الأرض خيره، وسفر ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الإسكندرية، وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها، وتهتم سكانها فيها داخلاً وخارجاً، إذ هي من تبيضهم لها نجوم في سماء الزيتون.

وقيل لأحد من رأى مصر والشام: أيها رأيت أحسن هذان أم إشبيلية؟ فقال بعد تفضيل إشبيلية: وشرفها غابة بلا أسد، ونهرها نيل بلا تمساح. وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها، وكثرة ما فيها من التين القوطي والشعري، وهذان الصنفان أجمع المتجولون في أقطار الأرض أن ليس في غير إشبيلية مثل لهما، وقد سمعت ما في هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والزلامي والشقرة والنورة- وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر

رقيقه- و البوق، و إن كان جميع هذا موجودا في غيرها من بلاد الأندلس فإنه فيها أكثر و أوجد، و ليس في بَرّ العدوّة من هذا شيء إلا ما جلب إليه من الأندلس، و حسبهم الدفّ و أقوال و اليرا و أبو قرون و دبده السودان و حماقى البرابر، و أما جواريتها و مراكبها بَرّا و بحرا و مطابخها و فواكهها الخضراء و اليابسة فأصناف أخذت من التفضيل بأوفر نصيب، و أما مبانيتها فقد سمعت عن إتقانها و اهتمام أصحابها و كون أكثر ديارها لا تخلو من الماء الجارى و الأشجار المتكاثفة كالتارنج و الليم و الليمون و الزنبوع و غير ذلك، و أمّا علماءها في كل صنف رفيع أو وضع جدا أو هزلا- فأكثر من أن يعدّوا، و أشهر من أن يذكرها، و أما ما فيها من الشعراء و الوشّاحين و الزجالين فما لو قسموا على بَرّ العدوّة ضاق بهم، و الكل ينالون خير رؤسائها و رفدهم، و ما من جميع ما ذكرت في هذه البلدة الشريفة إلا و قصدى به العبارة عن فضائل جميع الأندلس، فما تخلو بلادها من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٩

ذلك، و لكن جعلت إشبيلية، بل الله جعلها أمّ قراها، و مركز فخرها و علاها، إذ هي أكبر مدنها، و أعظم أمصارها.

[قرطبة]

و أما قرطبة فكرسى المملكة في القديم، و مركز العلم و منار التقى و محلّ التعظيم و التقديم، بها استقرت ملوك الفتح و عظماءه، ثم الملوك المروانية، و بها كان يحيى بن يحيى راوية مالك، و عبد الملك بن حبيب، و قد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة، و منافستهم في السؤدد بعلمها، و أنّ ملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها، و يرفعون أقدارهم، و يصدرون عن آرائهم، و أنهم كانوا لا يقدمون وزيرا و لا مشاورا لما لم يكن عالما، حتى أنّ الحكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر همّ بقطع شجرة العنب من الأندلس، فقيل له: فإنها تعصر من سواها، فأمسك عن ذلك. و أنهم كانوا لا يقدمون أحدا للفتوى و لا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره، و تعقد له مجالس المذاكرة، و يكون ذا مال في غالب الحال خوفا من أن يميل به الفقر إلى الطمع فيما في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين، و لقد أخبرت أن الحكم الرضى أراد تقديم شخص من الفقهاء يختصّ به للشهادة، فأخذ في ذلك مع يحيى بن يحيى و عبد الملك و غيرهما من أعلام العلماء، فقالوا له: هو أهل، و لكنه شديد الفقر، و من يكون في هذه الحالة لا تأمنه على حقوق المسلمين، لا سيما أنت تريد انتفاعه و ظهوره في الدخول في الموارث و الوصايا و أشباه ذلك، فسكت و لم ير منازعتهم، و بقى مهموما من كونهم لم يقبلوا قوله، فنظر إليه ولده عبد الرحمن الذى ولى الملك بعده، و على وجهه أثر ذلك، فقال: ما بالك يا مولاي؟ فقال: ألا ترى لهؤلاء الذين نقدّمهم و نوّه عند الناس بمكانهم، حتى إذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شطط، بل ما لا يعيبهم، و لا ممّا هو يرزؤهم، صدّونا عنه، و غلقوا أبواب الشفاعة، و ذكر له ما كان منهم، فقال: يا مولاي، أنت أولى الناس بالإنصاف، إنّ هؤلاء ما قدمتهم أنت و لا نوّهت بهم، و إنما قدّمهم و نوّه بهم علمهم، أو كنت تأخذ قوما جهالا فتضعهم في مواضعهم؟ قال: لا، قال:

فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا و راحة الآخرة، قال: صدقت، ثم قال: و أما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالعلة في ذلك تنحسم بما يبقى لك في الصالحات ذكرا، قال: و ما هو؟ قال: تعطيه من مالك قدر ما يلحق به من الغنى ما يؤهله لتلك المنزلة، و يزيل عنك خجل ردّهم لك، و تكون هذه مكرمة ما سبقك إليها أحد، فتهلّل وجه الحكم و قال: إلىّ إلىّ، إنها و

الله شنشنة عشمية و إنّ الذى قال فينا لصادق: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٥٠

و أبناء أملاك خضارم سادة صغيرهم عند الأنام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب و سأله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة من الغنى، فذكر له عددا، فأمر له به في الحين، و نبّه قدره

بأن أعطاه من إصطبله مركوبا، و كانت هذه أكرومة لا خفاء بعظمتها: [الكامل]

يفنى الزمان و ما بنته مخلد

ثم إنه إذا كان له من الغنى ما يكفّه عن أموال الناس، و من الدين ما يصدّه عن محارم الله تعالى، و من العلم ما لا يجهل به التصرف في الشريعة، أباحوا له الفتوى و الشهادة، و جعلوا علامة لذلك بين الناس القلانس و الرداء. و أهل قرطبة أشدّ الناس محافظة على العمل بأصحّ الأقوال المالكية، حتى أنهم كانوا لا يولّون حاكماً إلّا بشرط أن لا يعدل في الحكم عن مذهب ابن القاسم.

و قال ابن سارة لما دخل قرطبة [البسيط]:

الحمد لله قد وافيت قرطبة دار العلوم و كرسى السلاطين

و هي كانت مجمع جيوش الإسلام، و منها نصر الله على عبدة الصليب.

يقال: إن المنصور بن أبي عامر - حين تمّ له ملك البرّين، و توقّرت الجيوش و الأموال - عرض بظاهر قرطبة خيله و رجله، و قد جمع من أقطار البلاد ما ينهض به إلى قتال العدوّ و تدويخ بلاده، فتّيف الفرسان على مائتي ألف، و الرّجاله على ستمائة ألف. و بها حتى الآن من صنّاديد المسلمين و قوادهم من لا يفتر عن محاربة، و لا يملّ من مضاربه، من أسماؤهم بأقاصى بلاد النصارى مشهورة، و آثارهم فيها مأثورة، و قلوبهم على البعد بخوفهم معمورة.

و يحكى أن العمارة في مباني قرطبة و الزهراء اتّصلت إلى أن كان يمشى فيها بضوء السّرج المتّصلة عشرة أميال، و أمّا جامعها الأعظم فقد سمعت أنّ ثريّاته من نواقيس النصارى، و أنّ الزيادة التي زاد في بناءه ابن أبي عامر من تراب نقله النصارى على رؤوسهم ممّا هدم من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٥١

كنائس بلادهم، و قد سمعت أيضاً عن قنطرتها العظمى و كثرة أرحى واديها، يقال: إنها تتيف على خمسة آلاف حجر، و قد سمعت عن كنباتيتها و ما فضّل الله تعالى به تربها من بركه و ما ينبت فيها من القمح و طيبه، و فيها جبال الورد الذي بلغ الربيع منه مرات إلى ربع درهم، و صار أصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يمنحونه منه، و نهرها إن صغر عندها عن عظمه عند إشبيلية فإنّ لتقارب بزيه هنالك و تقطّع غدرة و مروجه معنى آخر و حلاوة أخرى، و زيادة أنس، و كثرة أمان من الغرق، و في جوانبه من البساتين و المروج ما زاده نضارة و بهجة.

[جيان]

و أما جيان فإنها لبلاد الأندلس قلعة، إذ هي أكثرها زرعاً، و أصرمها أبطالاً، و أعظمها منعة، و كم رامتها عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعد من العيوق، و أعزّ منالا من بيض الأنوق، و لا خلت من علماء و لا من شعراء، و يقال لها «جيان الحرير» لكثرة اعتناء باديتها و حاضرتها بدود الحرير.

و ممّا يعدّ في مفاخرها ما بنياسة إحدى بلاد أعمالها من الزعفران الذي يسفرّ براً و بحراً، و ما في أبدة من الكروم التي كاد العنب لا يباع فيها و لا يشتري كثرة، و ما كان بأبدة من أصناف الملاهي و الرواقص المشهورات بحسن الانطباع و الصنعة، فإنهنّ أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك، و إخراج القروي و المرابط و المتوجه.

[غرناطة]

و أما غرناطة فإنها دمشق بلاد الأندلس، و مسرح الأبصار، و مطمح الأنفس، لها القصبه المنيعه ذات الأسوار الشامخه، و المبانى الرفيعه، و قد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها و أسواقها و حماماتها و أرحاها الداخلة و الخارجة و بسايتها، و زانها الله تعالى بأن جعلها مرتبة على بسيتها الممتد الذي تفرعت فيه سبائك الأنهار بين زبرجد الأشجار، و لنسيم نجدها و بهجة منظر حورها فى القلوب و الأبصار، استلطاف يروق الطباع، و يحدث فيها ما شاءه الإحسان من الاختراع و الابتداع، و لم تخل من أشرف أمثال، و علماء أكابر، و شعراء أفاضل، و لو لم يكن لها إلا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها من الشواعر مثل نزهون القلاعية و زينب بنت زياد، و قد تقدم شعرهما، و حفصة بنت الحاح، و ناهيك فى الظرف و الأدب، و هل ترى أظرف منها فى جوابها للحسيب الوزير الناظم الناثر أبى جعفر بن القائد الأجل أبى مروان بن سعيد، و ذلك أنهما باتا بحور مؤمل على ما بييت به الروض و النسيم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٥٢

من طيب النفحة و نضارة النعيم، فلما حان الانفصال قال أبو جعفر: [الطويل]

رعى الله ليلا لم يرع بمذمم عشية و ارانا بحور مؤمل

و قد خفقت من نحو نجد أريجة إذا نفحت هبت بريا القرنفل

و غرد قمرى على الدوح و انثنى قضيب من الريحان من فوق جدول

تريد الروض مسرورا بما قد بدا له عناق و ضم و ارتشاف مقبل

و كتبه إليها بعد الافتراق، لتجاوبه على عاداتها فى ذلك، فكتبت له ما لا يخفى فيه قيمتها: [الطويل]

لعمرك ما سرّ الرياض بوصلنا و لكته أبدى لنا الغلّ و الحسد

و لا صفقّ النهر ارتياحا لقربنا و لا صدح القمريّ إلا بما وجد

فلا تحسن الظنّ الذى أنت أهله فما هو فى كلّ المواطن بالرشد

فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمر سوى كيما تكون لنا رصد

و أما مالقة فإنها قد جمعت بين منظر البحر و البرّ بالكروم المتصلة التى لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر، و البروج التى شابته نجوم السماء، كثرة عدد و بهجة ضياء، و تخلّل الوادى الزائر لها فى فصلى الشتاء و الربيع فى سرر بطحائها، و توشيحها لخصور أرجائها، و ممّا اختصت به من بين سائر البلاد التين الربى المنسوب إليها؛ لأنّ اسمها فى القديم ربه، و لقد أخبرت أنه يباع فى بغداد على جهة الاستطراف، و أما ما يسفر منه المسلمون و النصرارى فى المراكب البحرية فأكثر من أن يعبر عنه بما يحصره، و لقد اجتزت بها مرّة، و أخذت على طريق الساحل من سهيل إلى أن بلغت إلى بليش قدر ثلاثة أيام متعبجا فيما حوته هذه المسافة من شجر التين، و إنّ بعضها ليجتنى جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالأرض، و قد حوت ما يتعب الجماعة كثرة، و تين بليش هو الذى قيل فيه لبربرى: كيف رأيت؟ قال: لا- تسألنى عنه، و صبّ فى حلقي بالقفة، و هو لعمر الله معذور؛ لأنه نعمة حرمت بلاده منها، و قد خصت بطيب الشراب الحلال و الحرام، حتى سار المثل بالشراب الملقى، و قيل لأحد الخلعاء،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٥٣

و قد أشرف على الموت: أسأل ربك المغفرة، فرفع يديه و قال: يا رب، أسألك من جميع ما فى الجنّة خمر مالقة و زيبى إشبيلية، و فيها تنسج الحلل الموشية التى تجاوز أثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم، و ساحلها محطّ تجارة لمراكب المسلمين و النصرارى.

و أما المريّة فإنها البلد المشهور الذكر، العظيم القدر، الذي خصّ أهله باعتدال المزاج، و رونق الديباج، و رقة البشرة، و حسن الوجوه و الأخلاق، و كرم المعاشرة و الصحبة. و ساحلها أنظف السواحل و أشرحها و أملحها منظرا، و فيها الحصا الملوّن العجيب الذي يجعله رؤساء مراكش فى البراريد، و الرخام الصقيل الملوكى، و واديهما المعروف بوادى بجانه من أفرج الأودية، ضفّته بالرياض كالعذارين حول الثغر، فحق أن ينشد فيها: [الكامل]

أرض وطئت الدّر رضاضا بها و التّرب مسكا و الرياض جنانا

و فيها كان ابن ميمون القائد الذى قهر النصارى فى البحر، و قطع سفرهم فيه، و ضرب على بلاد الرمانية، فقتل و سبى، و ملأ صدور أهلها رعبا، حتى كان منه كما قال أشجع:

[الكامل]

فإذا تبتّه رعته و إذا غفا سلّت عليه سيوفك الأحلام

و بها كان محطّ مراكب النصارى، و مجتمع ديوانهم، و منها كانت تسفّر لسائر البلاد بضائعهم، و منها كانوا يوسقون جميع البضائع التى تصلح لهم، و قصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع فى أعشارهم، و لم يوجد لهذا الشأن مثلاً، لكونها متوسطة و متسعة قائمة بالوارد و الصادر، و هى أيضا مصنع للحلل الموشية النفيسة.

[مرسية]

و أما مرسية فإنها حاضرة شرق الأندلس، و لأهلها من الصيرامة و الإباء ما هو معروف مشهور، و واديهما قسيم وادى إشبيلية، كلاهما ينبع من شقورة و عليه من البساتين المتهدبة الأغصان، و النواعير المطربة الألحان، و الأطيّار المغرّدة، و الأزهار المتنضدة، ما قد سمعت، و هى من أكثر البلاد فواكه و ريحانا، و أهلها أكثر الناس راحت و فرجا لكون خارجها معينا على ذلك بحسن منظره، و هى بلدة تجهز منها العروس التى تنتخب شورتها لا تفتقر فى شىء من ذلك إلى سواها. و هى للمريّة و مالقة فى صنعة الوشى ثالثه، و قد اختصّت بالبسط التتلية التى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٥٤

تسفر لبلاد المشرق، و بالحصر التى تغلف بها الحيطان المبهجة للبصر، إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره، و لم تخل من علماء و شعراء و أبطال.

[بلنسية]

و أما بلنسية فإنها لكثرة بسايتها تعرف بمطيب الأندلس، و رصافتها من أحسن متفرجات الأرض، و فيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء و الروتق، و يقال إنه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية إذ هى موصوفة بذلك، و ممّا خصّت به النسيج البلنسى الذى يسفر لأقطار المغرب، و لم تخل من علماء و لا شعراء، و لا فرسان يكابدون مضايقة الأعداء، و يتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضراء، و أهلها أصلح الناس مذهبا، و أمتهم ديناً، و أحسنهم صحبة، و أرفقهم بالغيرب.

[جزيرة ميورقة]

و أما جزيرة ميورقة فمن أخصب بلاد الله تعالى أرجاء، وأكثرها زرعاً و رزقاً و ماشيةً، و هي على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها، يصل فاضل خيرها إلى غيرها، إذ فيها من الحضارة و التمكّن و التمصير و عظم البادية ما يغنيها، و فيها من الفوائد ما فيها، و لها فضلاء و أبطال اقتصروا على حمايتها من الأعداء المحدقة بها: [الكامل]

من كل من جعل الحسام خليله لا يتغى أبدا سواه معينا

هذا- زان الله تعالى فضلك بالإنصاف، و شرف كرمك بالاعتراف!- ما حضرني الآن في فضل جزيرة الأندلس، و لم أذكر من بلادها إلا ما كل بلد منها مملكة مستقلة يليها ملوك بني عبد المؤمن على انفراد، و غيرها في حكم التبعية.

و أما علماءها و شعراؤها فإنني لم أعرض منهم إلا لمن هو في الشهرة كالصباح، و في مسير الذكر كمسير الرياح، و أنا أحكى لك حكاية جرت لي في مجلس الرئيس الفقيه أبي بكر بن زهر، و ذلك أني كنت يوماً بين يديه، فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان، و كان ابن زهر يكرمه، فقلت له: ما تقول في علماء الأندلس و كتابهم و شعرائهم؟ فقال:

كبرت، فلم أفهم مقصده، و استبردت ما أتى به، و فهم مني أبو بكر بن زهر أني نظرتة نظر المستبرد المنكر، فقال لي: أقرأت شعر المتنبى؟ قلت: نعم، و حفظت جميعه، قال: فعلى نفسك إذن فلتنكر، و خاطرك بقله الفهم فلتتهم، فذكرني بقول المتنبى: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٥٥

كبرت حول ديارهم لَمَا بدت منها الشمس و ليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراساني، و قلت له: قد و الله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي، حين لم أفهم نبل مقصدك، فالحمد لله الذي أطلع من المغرب هذه الشمس، و جعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤوس، و صلى الله على سيدنا محمد نبيه المختار من صفوة العرب، و على آله و صحبه، صلاة متصلة إلى غابر الحقب.

كملت رسالة الشقندي. و هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد، و شقندة المنسوب إليها:

قريه مطله على نهر قرطبه مجاورة لها من جهة الجنوب.

قال ابن سعيد: و هو ممن كان بينه و بين والدي صحبة أكيدة، و مجالسات أنس عديدة، و مزاورات تتصل، و محاورات لا تكاد تنفصل، و انتفعت بمجالسته، و له رسالة في تفضيل الأندلس يعارض بها أبا يحيى في تفضيل بَرّ العدو، أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بلطافة المنزع، و عدوبة المشرع، و كان جامعا لفنون من العلوم الحديثة و القديمة، و عنى بمجلس المنصور، فكانت له فيه مشاهد غير ذميمة. و ولي قضاء بياسة و قضاء لورقة، و لم يزل محفوظ الجانب، محمود المذهب، سمعته ينشد والدي قصيدة في المنصور و قد نهض للقاء العدو، منها: [البسيط]

إذا نهضت فإنّ السيف منتهض ترمى السعود سهاماً و العدا غرض

لك البسيطة تطويها و تنشرها فليس في كل ما تنويه معترض

قال: و سمعته يقول له: أنشدت الوزير أبا سعيد بن جامع قصيدة أولها: [البسيط]

استوقف الركب قد لاح لك الدار و أسأل بربع تناءت عنه أقمار

لا خفف الله عنى بعد بينهم فإننى سرت و الأحباب ما ساروا

و منها:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٥٦

الأرعى الله ظيماً في قبابهم منه لهم في ظلام الليل أنوار

و له: [الخفيف]

عللاني بذكر من همت فيه و عداني عنه بما أرتجيه

و إذا ما طربتما لارتياحي فاجعلا خمرتي مدامه فيه
 ليت شعري و كم أطيل الأمانى أى يوم فى خلوه ألتقيه
 و إذا ما ظفرت يوما بشكوى قال لى: أين كل ما تدعيه
 لا دموع و لا سقام فماذا شاهد عنك بالذى تدعيه
 قلت دعنى أمت بدائي فإنى لو برانى الغرام لا أبديه
 و قال فى عواده لَمَا مرض: [مجزوء الرجز]
 إنى مرضت مرضه أسقط منها فى يدي
 فكان فى الإخوان من لم أره فى العود
 فقلت فى كلهم قول امرئ مقتصد
 أير الذى قد عادنى فى است الذى لم يعد
 مات بإشيلية سنة ٦٢٩ انتهى.

و قال ابن سعيد: أنشدنى والدى للحافظ أبى الطاهر السلفى، قال: و كفى به شاهدا، و بقوله مفتخرا: [الطويل]
 بلاد أذربيجان فى الشرق عندنا كأندلس بالغرب فى العلم و الأدب
 فما إن تكاد الدهر تلقى مميزا من اهلهما إلّا و قد جدّ فى الطلب

[بعض حكايات و أشعار الأندلسيين]

إشارة

و حكى غير واحد كابن الأبار أنّ عباس بن ناصح الشاعر لمّا توجه من قرطبة إلى بغداد، و لقي أبا نواس، قال له: أنشدنى لأبى الأجر، قال: فأنشده، ثم قال: أنشدنى لبكر الكنانى، فأنشده، و هذان شاعران من الأندلس.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٥٧

و اعلم أننا إن تتبعنا كلام الأندلسيين و حكاياتهم الدالة على سبقهم طال بنا الكتاب، و لم نستوف المراد، فرأينا أن نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال و أبداه، ليكون عنوانا دالا على ما عداه: [البسيط]

يكفى من الحلّى ما قد حفّ بالعنق

و لنبدأ ما نسوقه من أخبار الأندلسيين و أشعارهم و حكاياتهم فى الجدّ و الهزل، و التولية و العزل، بقول الفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران المارتلى، و كان سكن إشيلية:

[البسيط]

لا تبك ثوبك إن أبلت جدّته و ابك الذى أبلت الأيام من بدنك

و لا تكوننّ مختالا بجدّته فرما كان هذا الثوب من كفنك

و لا تعفه إذا أبصرته دنسا فإنما اكتسب الأوساخ من درنك

و قال أبو عمرو اليحصبي اللوشى: [الخفيف]

شرّد النوم عن جفونك و انظر حكمه توقظ النفوس النياما

فحرام على امرئ لم يشاهد حكمه الله أن يذوق المناما
و قال أيضا: [الرملة]

ليس للمرء اختيار في الذي يتمنى من حراك و سكون
إنما الأمر لربّ واحد إن يشأ قال له: كن فيكون
و قال أبو وهب القرطبي: [الوافر]

تنام و قد أعدّ لك السهاد و توقن بالرحيل و ليس زاد
و تصبح مثل ما تمسى مضيعا كأنك لست تدري ما المراد
أ تطمع أن تفوز غدا هنيئا و لم يك منك في الدنيا اجتهاد
إذا فرطت في تقديم زرع فكيف يكون من عدم حصاد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٥٨

و قيل: إن الأبيات السابقة التي أولها: أنا في حالتي التي - إلى آخره، وجدت في تركته بخطه في شقف، و بعضهم ينسبها لغيره، و اسم
أبي وهب المذكور عبد الرحمن، و ذكره ابن بشكوال في الصيلة، و أثنى عليه بالزهد و الانقطاع، و كان في أول أمره قد حسب عامه
الناس أنه مختلّ العقل، فجعلوا يؤذونه و يرمونه بالحجارة، و يصيحون عليه: يا مجنون، يا أحمق، فيقول: [السريع]

يا عاذلي، أنت به جاهل دعنى به لست بمغبون

أما ترانى أبدا والها فيه كمسحور و مفتون

أحسن ما أسمع فى حبه و صفى بمختلّ و مجنون

و قال الخطيب أبو محمد بن برطلة: [الطويل]

بأربعة أرجو نجاتى و إنها لأكرم مذخور لدى و أعظم

شهادة إخلاصى و حبي محمدا و حسن ظنوني ثم أنى مسلم

و قال ابن حبيش: [البسيط]

قالوا تصبر عن الدنيا الدنيئة أو كن عبدها و اصطر للذلّ و احتمال

لا بدّ من أحد الصّبرين، قلت نعم الصبر عنها بعون الله أوفق لى

و قال ابن الشيخ: [الكامل]

أطلب لنفسك فوزها و اصبر لها نظر الشفيق و خف عليها و اتق

من ليس يرحم نفسه و يصدّها عمّا سيهلكها فليس بمشقق

و قال أبو محمد القرطبي: [الطويل]

لعمرك ما الدنيا و سرعه سيرها بسكانها إلّا طريق مجاز

حقيقتها أنّ المقام بغيرها و لكنهم قد أولعوا بمجاز

و قال الشميس: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٥٩

لله فى الدنيا و فى أهلها معميات قد فككتناها

من بشر، نحن فمن طبعنا نحبّ فيها المال و الجاه

دعنى من الناس و من قولهم فإنما الناس أخلّأها

لم تقبل الدنيا على ناسك إلا وبالرحب تلقاها
و إنما يعرض عن وصلها من صرفت عنه محياها
وقال أبو القاسم بن بقي: [الطويل]
ألا إنما الدنيا كراح عتيقه أراد مديروها بها جلب الأنس
فلما أداروها أثارت حقوقهم فعاد الذي راموا من الأنس بالعكس
وقال أبو محمد عبد الله بن العسال الطليلي: [مجزوء الرمل]
انظر الدنيا فإن أب صرتها شيئا يدوم
فاغد منها في أمان إن يساعدك النعيم
و إذا أبصرتها من ك على كره تهيم
فاسل عنها و أطرحها و ارتحل حيث تقيم
وقال ابن هشام القرطبي: [الكامل]
و أبي المدامه لا أريد بشرها صلف الرقيع و لا انهماك اللاهي
لم يبق من عهد الشباب و طيبه شيء كعهدي لم يحل إلا هي
إن كنت أشربها لغير وفائها فتركتها للناس لا لله
وقال أبو محمد بن السيد البطليوسي مما نسبه إليه في «المغرب»: [الطويل]
أخو العلم حتى خالد بعد موته و أوصاله تحت التراب رميم
و ذو الجهل ميت و هو ماش على الثرى يظن من الأحياء و هو عديم
وقال أبو الفضل بن شرف: [الوافر]
لعمر ك ما حصلت على خطير من الدنيا و لا أدركت شيئا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٦٠
وها أنا خارج منها سلبيا أقلب نادما كلتا يديا
و أبكى ثم أعلم أن مبكاي لا يجدي فأمسح مقلتي
و لم أجزع لهول الموت لكن بكيت لقله الباكي عليا
و أن الدهر لم يعلم مكاني و لا عرفت بنوه ما لديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا إذا أنا بالحمام طويت طيا
أسر بأنتي سأعيش ميتا به و يسوءني أن مت حيا
وقال الزاهد العارف بالله سيدي أبو العباس بن العريف نفعنا الله تعالى به: [البسيط]
سلوا عن الشوق من أهوى فإنهم أدنى إلى النفس من وهمي و من نفسي
فمن رسولي إلى قلبي ليسألهم عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
حلوا فؤادي فما يندی، و لو وطئوا صخرا لجاد بماء منه منبجس
و في الحشا نزلوا و الوهم يجرهم فكيف قرؤوا على أذكي من القبس
لأنهضن إلى حشري بحبهم لا بارك الله فيمن خانهم و نسي

قلت: و قد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر و ألف، و هو ممن يتبرك به في تلك الديار، و يستسقى به الغيث، و هو من أهل

المرية، و أحضره السلطان إلى مراکش فمات بها، و له كرامات شهيرة و مقامات كبيرة، نفعنا الله تعالى به!.

[مذهب الأندلسيين]

و اعلم أنّ أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي، و أهل الشام منذ أول الفتح، ففي دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل - و هو ثالث الولاة بالأندلس من الأمويين - انتقلت الفتوى إلى رأى مالك بن أنس و أهل المدينة، فانتشر علم مالك و رأيه بقرطبة و الأندلس جميعا، بل و المغرب، و ذلك برأى الحكم و اختياره، و اختلفوا في السبب المقتضى لذلك، فذهب الجمهور إلى أن سببه رحلة علماء الأندلس إلى المدينة، فلما رجعوا إلى الأندلس و صفوا فضل مالك وسعة علمه، و جلاله قدره، فأعظموه كما قدمنا ذلك، و قيل: إن الإمام مالكا سأل بعض الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس، فوصف له سيرته، فأعجبت مالكا لكون سيرة بنى العباس في ذلك الوقت لم تكن بمرضية، و كابد لما صنع أبو جعفر المنصور

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٦١

بالعلوية بالمدينة من الحبس و الإهانة و غيرها على ما هو مشهور في كتب التاريخ، فقال الإمام مالك، رضى الله تعالى عنه، لذلك المخبر: نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم، أو كلاما هذا معناه، فتميت المسألة إلى ملك الأندلس، مع ما علم من جلاله مالك و دينه، فحمل الناس على مذهبه، و ترك مذهب الأوزاعي، و الله تعالى أعلم.

[من شعر ابن يغمور]

و حكى أنّ القاضي الزاهد أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن أبي يغمور لما ندبه أهل الأمر لولاية القضاء بمدينة فاس استعفى، فلم يقبل منه، و خرج إلى تلك الناحية، و خرج الناس لوداعه، فأنشد: [الطويل]

عليكم سلام الله إني راحل و عيناى من خوف التفريق تدمع
فإن نحن عشنا فهو يجمع بيننا و إن نحن متنا فالقيامة تجمع
و أنشد أصحابه رحمه الله تعالى، و لا أدري هل هي له أو لغيره: [البيط]

كنا نعظم بالأمال قدركم حتى انقضت فتساوى عندنا الناس
لم تفضلونا بشيء غير واحدة هي الرجاء فسوى بيننا الياس
و أنشد أيضا: [الطويل]

بلوتهم مذ كنت طفلا فلم أجد كما أشتهى منهم صديقا و صاحبا
فصوّبت رأبى في فرارى منهم و شمّرت أذياى و أمعنت هاربا
و أنشد لغيره في الكتمان: [الكامل]

أخفى الغرام فلا جوارحه شعرت بذاك و لا مفاصله
كالسيف يصحبه الحمام و لم يعلم بما حملت حمائله
و أنشد: [الكامل]

قد كنت أمرض في الشيبة دائما و الموت ليس يمرّ لى في البال
و الآن شبت و صحّتى موجودة و أرى كأنّ الموت في أذياى

ولما أنشده تاج الدين بن حمويه السرخسى الوافد على المغرب من المشرق قول بعضهم: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٦٢

فلا تحقرنّ عدوا رماك و إن كان فى ساعديه قصر

فإنّ السيف تحزّ الرقاب و تعجز عمّا تنال الإبر

قال: حسن جيد، ولكن اسمع ما قال شاعرنا القسطلّى، و أنشد: [الطويل]

أثرنى لكشف الخطب و الخطب مشكل و كلنى لليث الغاب و هو هصور

فقد تخفض الأسماء و هى سواكن و يعمل فى الفعل الصريح ضمير

و تنبو الزديّيات، و الطول وافر و يبعد وقع الشهم و هو قصير

[الوزير أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافى]

و كان الوزير الكريم أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافى أحد وزراء الأندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم، على سنن عظماء الملوك و أخلاق السادة، لم ير بعده مثله فى رجال الأندلس، ذاكرا للفقه و الحديث، بارعا فى الآداب، شاعرا مجيدا، و كاتباً بليغاً، كثير الخدم و الأهل، و من آثاره الحمام بجوفى الجامع الأعظم من غرناطة، و زاد فى سقف الجامع من صحنه و عوّض أرجل قسيه أعمدة الرخام، و جلب الرءوس و الموائد من قرطبة، و فرش صحنه بكدان الصخر. و وجهه أميره على بن يوسف بن تاشفين إلى طرطوشة برسم بنائها، فلما حلّها سأل قاضيها فكتب له جملة من أهلها ممّن ضعفت حاله و قلّ تصرّفه من ذوى البيوتات، فاستعملهم أمناء، و وسّع أرزاقهم، حتى كمل له ما أراد من عمله، و من عجز أن يستعمله وصله من ماله، فصدر عنها و قد أنعش خلقا، رضى الله تعالى عنه و رحمه!

و من شعره فى مجلس أطربه سماعه، و بسطه احتشاد الأّنس فيه و اجتماعه، فقال: [الخفيف]

لا تلمنى إذا طربت لشجو يبعث الأّنس فالكريم طروب

ليس شقّ الجيوب حقّا علينا إنّما الحق أن تشقّ القلوب

و قطف غلام من غلمانة نوّارة و مدّ بها يده إلى أبى نصر الفتح بن عبيد الله، فقال أبو نصر: [الطويل]

و بدر بدا و الطّرف مطلع حسنه و فى كفه من رائق التّور كوكب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٦٣

يروح لتعذيب النفوس و يفتدى و يطلع فى أفق الجمال و يغرب

فقال أبو محمد بن مالك: [الطويل]

و يحسد منه الغصن أى مهفهف يجىء على مثل الكثيب و يذهب

و قد سبق هذا.

و كتب إلى الفتح من غير ترؤ: يا سيدى، جرت الأيام بفراقك، و كان الله جارك فى انطلاقتك، فغيرك من روع بالظّعن، و أوقد للوداع جاحم الشّجن، فإنك من أبناء هذا الزمن، خليفة الخضر لا يستقرّ على وطن، كأنك- و الله يختار لك ما تأتبه و ما تدعه- موكل بفضاء الأرض تذرعه، فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع، أن يعدّك من العوارى السريعة الارتجاع، فلا يأسف على قلّة الثّوا

و ينشد: [الطويل]

و فارقت حتى ما أبالى من التّوى

ومات رحمه الله تعالى بغرناطة سنة ٥١٨، و حضر جنازته الخاصّة و العامّة، و هو من محاسن الأندلس، رحمه الله تعالى!.
 و من نوادر الاتفاق أن جارية مشت بين يدي المعتمد، و عليها قميص لا تكاد تفرق بينه و بين جسمها، و ذوائبها تخفى آثار مشيها،
 فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه، و قال: [الكامل]
 علقت جائلةً الوشاح غريرةً تختال بين أسنّه و بواتر
 و قال لبعض الخدم: سر إلى أبي الوليد البطلوسى المشهور بالنحلى، و خذ به بإجازة هذا البيت، و لا تفارقه حتى يفرغ منه، فأجاب
 النحلى لأول وقوع الرقعة بين يديه: [الكامل]
 راقت محاسنها و رقّ أديمها فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
 و تمايلت كالغصن فى دعص النقا تلتفّ فى ورق الشباب الناضر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٦٤
 يندى بماء الورد مسبل شعرها كالطلّ يسقط من جناح الطائر
 تزهى برونقها و عزّ جمالها زهو المؤيد بالثناء العاطر
 ملك تضاءلت الملوكة لقدره و عنا له صرف الزمان الجائر
 و إذا لمحت جبينه و يمينه أبصرت بدرا فوق بحر زاخر
 فلما قرأها المعتمد استحضره، و قال له: أحسنت، أ و معنا كنت؟ فقال له: يا قاتل المحل، أما تلوت فيهما فإكّهةً و نخلّ و رُمّان (٦٨)
 [سورة النحل، الآية: ٦٨].

[بين المعتمد و البطلوسى النحلى]

و أصبح المعتمد يوماً ثملاً فدخل الحمام، و أمر أن يدخل النحلىّ معه، فجاء و قعد فى مسلخ الحمام حتى يستأذن عليه، فجعل المعتمد
 يحبى فى الحمام و هو خال و قد بقيت فى رأسه بقيّة من السكر، و جعل كلّما سمع دوى ذلك الصوت يقول: الجوز، اللوز، القسطل،
 و مرّ على هذا ساعة، إلى أن تذكّر النحلى، فصادفه، فلمّا دخل قال له: من أىّ وقت أنت هنا؟ قال: من أول ما رتب مولانا الفواكه فى
 النصبه، فغشى عليه من الضحك، و أمر له بإحسان. و النصبه: مائدة يصبون فيها هذه الأصناف.

و لمّا استحسن المعتمد قول المتنبي: [الطويل]

إذا ظفرت منك المطىّ بنظرة أثاب بها معي المطىّ و رازمه

قال ابن وهبون بديهة: [الطويل]

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما تجيد العطايا، و اللها تفتح اللها

تتبأ عجباً بالقريض و لو درى بأنك تروى شعره لتألها

و قد تقدّم ذكرهما، فأمر له بمائتى دينار.

و لمّا قال ابن وهبون المذكور: [البسيط]

غاض الوفاء فما تلقاه فى رجل و لا يمرّ لمخلوق على بال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٦٥

قد صار عندهم عنقاء مغرّبة أو مثل ما حدّثوا عن ألف مثقال

فقال له المعتمد: عنقاء مغرّبة و ألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء؟ فقال: نعم، قال: قد أمرنا لك بألف دينار و بألف دينار أخرى

تنفقها.

[ابن عبد البر يفتي بجواز أكل طعام الأمراء]

و ذكر القرطبي صاحب «التذكرة» في كتابه «قمع الحرص بالزهد و القناعة» ما صورته:

روينا أن الإمام أبا عمر بن عبد البر، رضى الله تعالى عنه، بلغه و هو بشاطبة أن أقواما عابوه بأكل طعام السلطان و قبول جوائزه، فقال: [مجزوء الرمل]

قل لمن ينكر أكلى لطعام الأمراء

أنت من جهلك هذا فى محلّ السفهاء

لأنّ الاقتداء بالصالحين، من الصحابة و التابعين، و أئمة الفتوى من المسلمين، من السلف الماضين، هو ملاك الدين، فقد كان زيد بن ثابت- و كان من الراسخين فى العلم- يقبل جوائز معاوية و ابنه يزيد، و كان ابن عمر، رضى الله تعالى عنهما- مع ورعه و فضله- يقبل هدايا صهره المختار بن أبى عبيد، و يأكل طعامه، و يقبل جوائزه، و قال عبد الله بن مسعود- و كان قد ملئ علما- لرجل سأله، فقال: إن لى جاراً يعمل بالربا، و لا يجتنب فى مكسبه الحرام، يدعونى إلى طعامه، أفأجيبه؟ قال: نعم، لك المهنة و عليه المأثم، ما لم تعلم الشىء بعينه حراما، و قال عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه- حين سئل عن جوائز السلاطين:-

لحم طيب ذكى، و كان الشعبى- و هو من كبار التابعين و علمائهم- يؤدّب بنى عبد الملك بن مروان، و يقبل جوائزه و يأكل طعامه، و كان إبراهيم النخعي و سائر علماء الكوفة و الحسن البصرى- مع زهده و ورعه- و سائر علماء البصرة و أبو سلمة بن عبد الرحمن و أبان بن عثمان و الفقهاء السبعة بالمدينة- حاشا سعيد بن المسيب- يقبلون جوائز السلطان، و كان ابن شهاب يقبلها، و يتقلّب فى جوائزهم، و كانت أكثر كسبه، و كذلك أبو الزناد، و كان مالك و أبو يوسف و الشافعى و غيرهم من فقهاء الحجاز و العراق يقبلون جوائز السلاطين و الأمراء، و كان سفيان الثورى- مع ورعه و فضله- يقول: جوائز السلطان أحبّ إلى من صلة الإخوان؛ لأنّ الإخوان يمتنون و السلطان لا يمتنّ، و مثل هذا عن العلماء و الفضلاء كثير، و قد جمع الناس فيه أبوابا، و لأحمد بن خالد فقيه الأندلس و عالمها فى ذلك كتاب حمله على وضعه و جمعه طعن أهل بلده عليه فى قبوله جوائز عبد الرحمن الناصر، إذ نقله إلى المدينة بقرطبة، و أسكنه داراً من دور الجامع قربه، و أجرى عليه الرزق من الطعام و الإدام و الناص، و له و لمثله فى بيت المال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٦٦

حظّ، و المسؤول عن التخليط فيه هو السلطان، كما قال عبد الله بن مسعود «لك المهنة و عليه المأثم، ما لم تعلم الشىء بعينه حراما»، و معنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه، فمن علم الشىء بعينه حراما مأخوذاً من غير حلّه كالجريمة و غيرها و شبهها من الطعام أو الدابة و ما كان مثل ذلك كلّ من الأشياء المتعينة غصبا أو سرقة أو مأخوذة بظلم بين لا شبهة فيه فهذا الذى لم يختلف أحد فى تحريمه، و سقوط عدالة آكله، و أخذه و تملكه، و ما أعلم من علماء التابعين أحدا تورّع عن جوائز السلطان، إلّا سعيد بن المسيب بالمدينة، و محمد بن سيرين بالبصرة، و هما قد ذهبا مثلاً فى التورّع، و سلك سبيلهما فى ذلك أحمد بن حنبل و أهل الزهد و الورع و التقشف، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين! و الزهد فى الدنيا من أفضل الفضائل، و لا يحلّ لمن وفقه الله تعالى و زهد فيها أن يحرم ما أباح الله تعالى منها، و العجب من أهل زماننا يعيون الشبهات، و هم يستحلّون المحرّمات، و مثالهم عندى كالذين سألوا عبد الله بن عمر، رضى الله تعالى عنهما، عن المحرم يقتل الفراد و الحلمة، فقال للسائلين له:

من أنتم؟ فقالوا: من أهل الكوفة، فقال: تسألوننى عن هذا و أنتم قتلتم الحسين بن على، رضى الله تعالى عنهما؟ و روى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «ما أتاك من غير مسألة فكله و تموّله»، و روى هذا الحديث أيضا عن عبد الله بن عمر، رضى الله

تعالى عنهما «ما أتاك من غير مسألة فكله و تمّوله»، و روى أبو سعيد الخدرى و جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه و سلم معناه، و فى حديث أحدهما «إنما هو رزق رزقك الله تعالى»، و فى لفظ بعض الرواة «و لا تردّ على الله رزقه» و هذا كله مركب مبنى على ما أجمعوا عليه، و هو الحقّ، فمن عرف الشىء المحترّم بعينه فإنه لا يحلّ له، المسألة من كلام ابن عبد البر، انتهى.

و حضر ابن مجبر مع عدوّ له جاحد لمعرفه، و أمامهما زجاجة سوداء فيها خمر، فقال له الحسود: إن كنت شاعرا فقل فى هذه، فقال ارتجالا:

«سأشكو إلى الندمان» إلى آخر الحكاية.

و قد تقدّمت فى رسالة الشقندى رحمه الله تعالى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٦٧

[أبو بكر يحيى بن مجبر الفهرى]

و ابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهرى، كان فى وقته شاعر المغرب، و يشهد له بقوّة عارضته و سلامة طبعه قصائده التى صارت مثالا، و بعدت على قربها مثلا، و شعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف و أربعمئة بيت، و اتّصل بالأمر أبى عبد الله بن سعد بن مردنيش، و له فيه أمداح، و أنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح: [الخفيف]

إنّ خير الفتوح ما جاء عفوا مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

و كان أبو العباس الجراوى حاضرا، فقطع عليه لحسادة و جدها، و قال: يا سيدنا، اهتدم بيت وضاح: [الرجز]

خير شراب ما كان عفوا كأنه خطبة ارتجالا

فبدر المنصور، و هو حينئذ وزير أبيه و سنّه قريب العشرين، و قال: إن كان اهتدمه فقد استحقّه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف، فسّر أبوه بجوابه، و عجب الحاضرون.

و مرّ المنصور أيام إمرته بأونبة من أرض شلب، فوقف على قبر الحافظ أبى محمد بن حزم، و قال: عجا لهذا الموضع، يخرج منه مثل هذا العالم، ثم قال: كلّ العلماء عيال على ابن حزم، ثم رفع رأسه و قال: كما أنّ الشعراء عيال عليك يا أبا بكر، يخاطب ابن مجبر.

و من شعر ابن مجبر يصف خيل المنصور من قصيدة فى مدحه: [الطويل]

له حلبة الخيل العتاق كأنها نشاوى تهاوت تطلب العزف و القصفا

عرائس أغنتها الحبول عن الحلّى فلم تبغ خلخالا و لا التمسّت وقفا

فمن يقق كالطرس تحسب أنه و إن جرّده فى ملاءته التّفّا

و أبلق أعطى الليل نصف إهابه و غار عليه الصبح فاحتبس النصفا

و ورد تعشّى جلده شفق الدّجى فإذ حازه دلّى له الذيل و العرفا

و أشقر مَجّ الراح صرفا أديمه و أصفر لم يمسح بها جلده صرفا

و أشهب فضّى الأديم مدّثر عليه خطوط غير مفهمة حرفا

كما خطّر الزاهى بمهرق كاتب فجرّ عليه ذيله و هو ما جفّا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٦٨

تهبّ على الأعداء منها عواصف ستنسف أرض المشركين بها نسفا

ترى كلّ طرف كالغزال فتمترى أظليا ترى تحت العجاجة أم طرفا

وقد كان في البيداء يألف سربه فرّيته مهرا و هي تحسبه خشفا

تناوله لفظ الجواد لأنه على ما أردت الجرى أعطاكه ضعفا

ولمّا اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها، و كانت مدبرة على انتصابها إذا استقر المنصور و وزراؤه بمصلاّ، و

اختفائها إذا انفصلوا عنها، أنشد في ذلك الشعراء فقال ابن مجبر من قصيدة أولها: [الكامل]

أعلمتني ألقى عصا التسيار في بلدة ليست بدار قرار

إلى أن قال:

طورا تكون بمن حوته محيطه فكأنها سور من الأسوار

و تكون حيناً عنهم محبوة فكأنها سرّ من الأسرار

و كأنها علمت مقادير الورى فتصرّفت لهم على مقدار

فإذا أحست بالإمام يزورها في قومه قامت إلى الزوّار

يبدو فتبدو ثم تخفى بعده كتكوّن الهالات للأقمار

و ممّن روى عنه أبو على الشلوين و طبقته، و توفّي بمراكش سنة ٥٨٨، و عمره ٥٣ سنة، رحمه الله تعالى!

و قد حكى الشريف الغرناطى شارح المقصورة هذه الحكاية بآتمّ ممّا ذكرناه، فقال عن الكاتب ابن عياش [كاتب المنصور الموحدى]

قال: كانت لأبى بكر بن مجير وفادة على المنصور فى كل سنة، فصادف فى إحدى وفاداته فراغه من إحداث المقصورة التى كان

أحدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش، و كانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه و تخفض لدخوله، و

كان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء و الأدباء قد نظموا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٦٩

أشعارا أنشدوه إياها فى ذلك، فلم يزيدوا على شكره، و تجزئته الخير فيما جدّد من معالم الدين و آثاره، و لم يكن فيهم من تصدّى

لوصف الحال، حتى قام أبو بكر بن مجبر فأنشد قصيدته التى أولها: «أعلمتني ألقى عصا التسيار» و استمرّ فيها حتى ألمّ بذكر

المقصورة فقال يصفها «طورا تكون- إلخ» فطرب المنصور لسماعها، و ارتاح لاختراعها، انتهى.

و قد بطلت حركات هذه المقصورة الآن، و بقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر و ألف، و الله تعالى وارث الأرض و من عليها.

[من شعر الأندلسيين]

و من نظم ابن مجبر أيضا ما كتب به إلى السلطان ملك المغرب- رحمه الله تعالى!- و قد ولد له ولد، أعنى لابن مجبر: [الرملى]

ولد العبد الذى إنعامكم طينه أنشئ منها جسده

و هو دون اسم لعلمى أنه لا يسمّى العبد إلّا سيّده

و قوله: [الرملى]

ملك ترويك منه شيمه أنست الظمان زرق التطف

جمعت من كلّ مجد فحكّت لفظه قد جمّعت من أحرف

يعجب السامع من وصفى لها و وراء العجز ما لم أصف

لو أعار السهم ما فى رأيه من سداد و هدى لم يصف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٦٩

حلمه الراجح ميزان الهدى يزن الأشياء وزن المنصف

و قال ابن خفاجة: [السريع]

صحّ الهوى منك و لكننى أعجب من بين لنا يقدر

كأننا فى فلكك دائر فأنت تخفى و أنا أظهر

و هما الغايه فى معناهما، كما قاله ابن ظافر- رحمه الله تعالى!-

و قال الأعمى التّطيلي: [البسيط]

أما اشتفت منى الأيام فى وطنى حتى تضايق فيما عزّ من وطرى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٧٠

فلا قضت من سواد العين حاجتها حتى تكّر على ما ظلّ فى الشّعر

و قال القاضى أبو حفص بن عمر القرطبي: [الوافر]

هم نظروا لواحظها فهموا و تشرب لبّ شاربها المدام

يخاف الناس مقلتها سواها أ يذعر قلب حامله الحسام

سما طرفى إليها و هو باك و تحت الشمس ينسكب الغمام

و أذكر قدّها فأنوح وجدا على الأغصان تنتدب الحمام

فأعقب بينها فى الصدر غمّا إذا غربت ذكاء أتى الظلام

و قال الحاجب عبد الكريم بن مغيث: [السريع]

طارت بنا الخيل و من فوقها شهب بزاه لحمام الحمام

كأنما الأيدى قسىّ لها و الطير أهداف و هنّ السّهام

و قال أخوه أحمد: [السريع]

اشرب على البستان من كفّ من يسقيك من فيه و أحداقه

و انظر إلى الأيكة فى برده و لاحظ البدر بأطواقه

و قد بدا السّرو على نهره كحائض شمّر عن ساقه

و قال أبو العباس أحمد بن أبى عبد الله بن أمية البلنسى: [الطويل]

إذا كان ودّى و هو أنفس قربه يجازى يبغض فالقطيعة أحزم

و من أضيع الأشياء ودّ صرفته إلى غير من تحظى لديه و تكرم

[سرعة ارتجال الأندلسيين]

و من حكايات أهل الأندلس فى خلع العذار و الطرب و الظرف و غير ذلك كسرعة الارتجال ما حكاها صاحب «بدائع البداءة» قال:

أخبرنى من أثق به بما هذا معناه، قال: خرج الوزير أبو بكر بن عمار و الوزير أبو الوليد بن زيدون و معهما الوزير ابن خلدون من

إشبيلية إلى منظره لبنى عباد بموضع يقال له لقتت تحفّ بها مروج مشرقة الأنوار، متنسّمة الأنجاد و الأغوار، متبسّمة عن ثغور التّوار،

فى زمان ربيع سقت الأرض السّحب فيه بوسميها و وليها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٧١

وجلتها في زاهر ملبسها و باهر حليتها و أرداف الرّبا قد تأزّرت بالأزر الخضر من نباتها، و أجياد الجداول قد نظم التّوار قلانده حول لبّاتها، و مجامر الزهر تعطر أودية النسائم عند هبّاتها، و هناك من البهار ما يزرى على مداهن النّضار، و من النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الأجنان، و قد نوا الانفراد للهو و الطرب، و التّنزه في روضى النبات و الأدب، و بعثوا صاحباً لهم يسمى خليفه هو قوام لذّتهم، و نظام مسرّتهم، ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهّمّ بذهبه في لجين زجاجة، و يرمونه منه بما يقضى بتحريكه للهرب عن القلوب و إزعاجه، و جلسوا لانتظاره، و ترقّب عوده على آثاره، فلمّا بصروا به مقبلاً من أوّل الفجّ بادروا إلى لقائه، و سارعوا إلى نحوه و تلقائه، و اتّفق أنّ فارساً من الجند ركض فرسه فصدمه و وطى عليه فهشم أعظمه و أجرى دمه، و كسر قمعل النبيذ الذى كان معه، و فرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه، و مضى على غلوائه راكضاً حتى خفى عن العين، خائفاً من متعلّق به يحين بتعلّقه الحين، و حين وصل الوزراء إليه، تأسّفوا عليه، و أفاضوا فى ذكر الزمان و عدوائه، و الخطب و ألوانه، و دخوله بطوامّ المضرّات، على تمام المسرّات، و تكديره لأوقات المنعمات، بالآفات المؤلّمات، فقال ابن زيدون: [الوافر]

أ تلهو و الحتوف بنا مطيفه و نأمن و المنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون: [الوافر]

و فى يوم و ما أدراك يوم مضى قمعلنا و مضى خليفه

فقال ابن عمار: [الوافر]

هما فخّارتا راح و روح تكسّرتا فأشّفاف و جيفه

[بين ابن شهيد و ابن أبى عامر]

و ذكر ابن بسام ما معناه أنّ أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبى عامر بن المظفر بن المنصور بن أبى عامر بقرطبة، فقامت تسقيهم و صيفة عجيبة صغيرة الخلق، و لم تزل تسهر فى خدمتهم إلى أنّ همّ جند الليل بالانهزام، و أخذ فى تقويض خيام الظلام، و كانت تسمى أسيماء، فعجب الحاضرون من مكابدها السهر طول ليلتها على صغر سنّها، فسأله المظفر و صفها، فصنع ارتجالاً: [مخلع البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٧٢

أفدى أسيماء من نديم ملازم للكؤوس راتب

قد عجبوا فى السّهاد منها و هى لعمرى من العجائب

قالوا تجافى الرّقاد عنها فقلت لا ترقد الكواكب

[ابن شهيد عند القاضى ابن ذكوان]

و حكى ابن بسام ما معناه أنّ ابن شهيد المذكور كان يوماً مع جماعة من الأدباء عند القاضى ابن ذكوان، فجىء بباكورة باقلا، فقال ابن ذكوان: لا ينفرد بها إلّا من وصفها، فقال ابن شهيد: أنا لها، و ارتجل: [المنسرح]

إنّ لآليك أحدثت صلغاً فاتّخذت من زمرد صدفا

تسكن ضرّاتها البحور و ذى تسكن للحسن روضة أنفا

هامت بلحف الجبال فاتّخذت من سندس فى جنانها لحفا

شبهتها بالثغور من لطف حسبك هذا من رمز من لطفًا
 جاز ابن ذكوان في مكارمه حدود كعب و ما به وصفا
 قدّم درّ الرياض منتخبا منه لأفراس مدحه علفا
 أكل ظريف و طعم ذى أدب و الفول يهواه كلّ من ظرفا
 رخص فيه شيخ له قدر فكان حسبي من المنى و كفى

[بين ابن شهيد و جماعة من أصحابه]

و قال ابن بسام: إن جماعة من أصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له: يا أبا عامر، إنك لآت بالعجائب، و جاذب بدوائب الغرائب، و لكنك شديد الإعجاب بما يأتى منك، هازّ لعطفك عند النادر يتاح لك، و نحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا، و كان الذى طلبوه منه زبده التعنيت؛ لأنّ المعنى إذا كان جلفا ثقيلًا على النفس، قبيح الصورة عند الحس، كلت الفكرة عنه و إن كانت ماضية، و أساءت القريحة فى وصفه و إن كانت محسنة، و كان فى نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٧٣

المجلس باب مخلوع معترض على الأرض، و لبد أحمر مبسوط قد صففت خفافهم عند حاشيته، فقال مسرعا: [مخلع البسيط]

و فتية كالنجوم حسنا كلهم شاعر نبيل
 متقد الجانبين ماض كأنه الصارم الصّقل
 راموا انصرا فى عن المعالى و الحدّ من دونها فليل
 فالشدّ فى أمرها فسيح كلّ كثير له قليل
 فى مجلس زانه التصابى و طاردت وصفه العقول
 كأنما بابه أسير قد عرضت دونه نصول
 يراد منه المقال قسرا و هو على ذاك لا يقول
 نظر من لبد له لدينا بحر دم تحتنا يسيل
 كأنّ أخفاننا عليه مراكب ما لها دليل
 ضلّت فلم تدر أين تجرى فهل على شطّه تقيل
 فعجب القوم من أمره، ثم خرج من عندهم، فمرّ على بعض معارفه من الطرائفيين و بين يديه زنبيل ملآن خرشفا، فجعل يده فى لجام بغلته، و قال: لا أتركك أو تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يقل شيئا، فقال له ابن شهيد: و يحك! أعلى مثل هذه الحال؟ قال: نعم، فارتجل: [الرجز].

هل أبصرت عيناك يا خليلي قنا فذا تباع فى زنبيل
 من حرشف معتمد جليل ذى إبر تنفذ جلد الفيل
 كأنها أنياب بنت الغول لو نخست فى است امرئ ثقيل
 لقفّزته نحو أرض النّيل ليس يرى طيّ حشا مندليل
 نقل السخيف المائن الجهول و أكل قوم نازحى العقول
 أقسمت لا أطعمها أكيلي و لا طعمتها على شمول

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٧٤

[بين أبي العلاء بن زهر و ابن رزين]

وقال في «بدائع البداءة»: دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبي مروان عبد الملك بن زهر على الأمير عبد الملك بن رزين في مجلس أنس، و بين يديه ساق يسقى خميرين من كأسه و لحظه، و يبدى درّين من حبابه و لفظه، و قد بدا خطّ عذاره في صحيفه خده، و كمل حسنه باجتماع الضدّ منه مع ضده، فكأنه بسحر لحظه أبدى ليلا في شمس، و جعل يومه في الحسن أحسن من أمس، فسأله ابن رزين أن يصنع فيه، فقال بديها: [الطويل]

تضاعف و جدى أن تبدى عذاره و نم فخان القلب منى اصطباره
و قد كان ظنّي أن سيمحق ليله بدائع حسن هام فيها نهاره
فأظهر ضدّ ضده فيه إذ وشت بعنبره في صفحة الخدّ ناره
و استزاده، فقال بديها: [الخفيف]

محيت آية النهار فأضحى بدر تمّ و كان شمس نهار
كان يعشى العيون نورا إلى أن شغل الله خده بالعدار
و صنع أيضا: [المتقارب]

عذار ألم فأبدى لنا بدائع كنا لها في عمى
و لو لم يجنّ النهار الظلام لم يستبن كوكب في السما
و صنع أيضا: [الكامل]

تمّت محاسن وجهه و تكاملت لما استدار به عذار موق
و كذلك البدر المنير جماله في أن يكتفه سماء أزرق
انتهى.

[عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة في قرطبة]

و حكى الحميدى و غيره أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة كان أدبيا شاعرا سريع البديهة، كثير النوادر، و هو من جلساء الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموى ملك الأندلس، و حكوا أنه دخل عليه في يوم ذى غيم، و بين يديه غلام حسن المحاسن، جميل الزى، لئين الأخلاق، فقال الأمير: يا ابن عاصم، ما يصلح في يومنا هذا؟ فقال: عقار ينفد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٧٥

الندان، و تونس الغزلان، و حديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤونة التحفظ، و أرخى له عنان التبسط، يديرها هذا الأغيد المليح، فاستضحك الأمير، ثم أمر بمراتب الغناء، و آلات الصهباء، فلما دارت الكأس، و استمطر الأمير نوادره، أشار إلى الغلام أن يلحّ في سقيه، و يؤكّد عليه، فلما أكثر رفع رأسه إليه و قال على البديهة: [المنسرح]

يا حسن الوجه لا تكن صلفا ما لحسان الوجوه و الصلف
تحسن أن تحسن القبيح و لا ترثى لصبّ متيم دنف

فاستبدع الأمير بديهته، و أمر له ببدرة، و يقال: إنه خيره بينها و بين الوصيف، فاخترها نفيا للظنة عنه، انتهى.

[بين ابن ظافر و الملك الأشرف الأيوبي]

قلت: أذكرتني هذه الحكاية ما حكاها علي بن ظافر عن نفسه إذ قال: كنت عند المولى الملك الأشرف بن العادل بن أيوب سنة ٦٠٣ بالرها، و قد وردت إليه في رساله، فجعلني بين سمعه و بصره، و أنزلني في بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضوري في وقت طلبتي أو إرادة الحديث معي، فلم أشعر في بعض الليالي و أنا نائم في فراشي إلّا به، و هو قائم على رأسى، و السكر قد غلب عليه، و الشمع تزهر حوالبه، و قد حفّ مماليكه به، و كأنهم الأقمار الزواهر، في ملابس كالرياض ذات الأزاهر، فقامت مرّوعا، فأمسكنى و بادر بالجلوس إلى جانبي بحيث منعى عن القيام عن الوساد، و أبدى من الجميل ما أبدلني بالتفاق بعد الكساد، ثم قال: غلبني الشوق إليك، و لم أرد إزعاجك و التثقيب عليك، ثم استدعى من كان في مجلسه من خواصّ القوالين، فحضروا و أخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذا، و يجعل القلوب من الوجد جذاذا، و كان له في ذلك الوقت مملوكان هما نيرا سماء ملكه، و واسطتا درّ سلكه، و قطبا فلك طربه و وجده، و ركنا بيت سروره و لهوه، و كانا يتناوبان في خدمته، فحضر أحدهما في تلك الليلة و غاب الآخر، و كان كثيرا ما يداعبني في أمرهما، و يستجلب منى القول فيهما و الكلام في التفضيل بينهما، فقلت للوقت: [الكامل]

يا مالكا لم يحك سيرته ماض و لا آت من البشر

اجمع لنا تفديك أنفسنا في الليل بين الشمس و القمر

فطرب، و أمر في الحال بإحضار الغائب منهما، فحضر و النوم قد زاد أجفانه تفتيرا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٧٦

و معاطفه تكسيرا، فقلت بين يديه بديهته في وصف المجلس: [الوافر]

سقى الرحمن عصرا قد مضى لى بأكناف الرها صوب الغمام

و ليلا باتت الأنوار فيه تعاون في مدافعة الظلام

فنور من شموع أو ندامى و نور من سقاء أو مدام

يطوف بأنجم الكاسات فيه سقاء مثل أقمار التمام

تريك به الكؤوس جمود ماء فتحسب راحها ذوب الضرام

يميل به غصونا من قدود غناء مثل أصوات الحمام

فكم من موصلى فيه يشدو فينسى النفس عادية الحمام

و كم من زلزل للضرب فيه و كم للزمر فيه من زنام

لدى موسى بن أيوب المرّجى إذا ما ضنّ غيث بانسجام

و من كمظفر الدين المليك ال أجلّ الأشرف التّدب الهمام

فما شمس تقاس إلى نجوم تحاكي قدره بين الكرام

فدام مخلّدا في الملك يبقى إذا ما ضنّ دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام فوضع فرجيه من خاصّ ملابسه كانت عليه على كتفى، و وضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لى، انتهى.

[بعض بدائع ابن ظافر]

و لابن ظافر هذا بدائع: منها ما حكاه عن نفسه إذ قال: و من أعجب ما دهيت به و رميت، إلّا أنّ الله بفضل نصر، و أعطى الظفر، و أعان خاطري الكليل، حتى مضى مضاء السيف الصقيل، أننى كنت فى خدمه مولانا السلطان الملك العادل بالإسكندرية سنة إحدى و ستمائة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب و الحواشى و الخدام، و دخلت سنة اثنتين و ستمائة و نحن بالثغر مقيمون فى الخدمة، مرتضعون لأفويق النعمة، فحضرت فى جملة
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٧٧

من حضر الهناء، من الفقهاء بالثغر و العلماء، و المشايخ و الكبراء، و جماعة الديوان و الأمراء، و اتفق أن كان اليوم من أيام الجلوس لإمضاء الأحكام و العرض لطوائف الأجناد، فلم يبق أحد من أهل البلد و لا من أهل المعسكر إلّا حضر مهتياً، و مثل شاكرا و داعيا، فحين غص المجلس بأهله، و شرق بجمع السلطان و حفله، و خرج مولانا السلطان إلى مجلسه، و استقرّ فى دسته، أخرج من بركة قبائه كتابا ناوله للصاحب الأجلّ صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على وزير دولته، و كبير جملته، و هو مفضوض الختام، مفكوك الفدام، ففتحه فإذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم كتبها إليه يتشوقه و يستعطفه لزيارته، و يرققه و يستحثه على عود ركابه إلى بلاد الشام، للمتأجرة بها، و قمع عدوها، و يعرض بذكر مصر و شدة حرّها، و وقد جمرها، و ذلك بعد أن كان وصل إلى خدمته بالثغر ثم رجع إليها، و الأبيات: [الكامل]

أروى رماحك من نحور عداكا و انهب بخيلك من أطاع سواكا
و اركب خيولا كالثعالى شربا و اضرب بسيفك من يشق عصاكا
و اجلب من الأبطال كلّ سميع يفرى بعزمك كلّ من يشناكا
و استرعف السمر الطوال و رؤها و اسق المتيّة سيفك السفاكا
و سر الغداة إلى العداة مبادرا بالضرب فى هام العدو دراكا
و انكح رماحك للثغور فإنها مشتاقه أن تبتنى بعلاكا
فالعزّ فى نصب الخيام على العدا تردى الطغاة و تدفع الملاك
و النصر مقرون بهمتك التى قد أصبحت فوق السماك سماكا
فإذا عزمت وجدت من هو طائع و إذا نهضت وجدت من يخشاكا
و النصر فى الأعداء يوم كريهه أحلى من الكأس الذى رواكا
و العجز أن تضحى بمصر را هنا و تحلّ فى تلك العراض عراكا
فأرح حشاشتك الكريمة من لظى مصر لكى نحظى الغداة بذاكا
فلقد غدا قلبى عليك بحرقه شغفا و لا حرّ البلاد هناكا
و انهض إلى راجى لقاك مسارعا فمناه من كلّ الأمور لقاكا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٧٨
و ابرد فواد المستهام بنظرة و أعد عليه العيش من رؤياكا
و اشف الغداة غليل صبّ هائم أضحى مناه من الحياة مناكا
فسعدتى بالعادل الملك الذى ملك الملوك و قارن الأفلاك
فبقيت لى يا مالكى فى غبطة و جعلت من كلّ الأمور فداكا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها، و جلا منها العروس التي حازت من المحاسن أبعاد غاياتها، أخذ الناس في الاستحسان لغريب نظامها، و تناسق الثامها، و الثناء على الخاطر الذى نظم بديع آياتها، و أطلع من مشرق فكره آياتها، فقال السلطان: نريد من يجيبه عنّا بأبيات على قافيتها، فالتفت مسرعا إليّ و أنا عن يمينه، و قال: يا مولانا، مملوكك فلان هو فارس هذا الميدان، و المعتاد للتخلص من مضايق هذا الشأن، ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه، و ألقاه إليّ، و عمد إلى دواته فأدارها بين يديّ، فقال له السلطان: أهكذا على مثل هذا الحال؟ و فى مثل هذا الوقت؟ فقال: نعم، أنا قد جرّبتة فوجدته متّقد الخاطر، حاضر الذهن، سريع إجابة الفكر، فقال السلطان: و على كل حال قم إلى هنا لتكفّ عنك أبصار الناظرين، و تنقطع عنك ضوضاء الحاضرين، و أشار إلى مكان عن يمين البيت الخشب الذى هو بالجلوس فيه منفرد، فقامت و قد فقدت رجلى انخدالا، و ذهني اختلالا، لهيبه المجلس فى صدرى، و كثرة من حضره من المترقبين لى، المنتظرين حلول فاقرة الشماتة بى، فما هو إلّا أن جلست حتى تاب إليّ خاطرى، و انثال الكلام على سرائرى، فكنت أتوهم أنّ فكرى كالبازى الصيّود لا- يرى كلمة إلّا أنشب فيها منسره، و لا معنى إلّا شكّ فيه ظفره، فقلت فى أسرع وقت: [الكامل]

وصلت من الملك المعظم تحفة ملأت بفاخر درّها الأسلاك
 أبيات شعر كالنجوم جلاله فلذا حكّت أوراقها الأفلاك
 عجبا و قد جاءت كمثل الروض إذ لم تذوها بالحرّ نار ذكاكا
 جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما تجلو بغرّة وجهك الأحلاك
 كقميص يوسف إذ شفت يعقوب رى ياه شفتنى مثله رياكا
 قد أعجزت شعراء هذا العصر كل لهم فلم لا تعجز الأملاك
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٧٩
 ما كان هذا الفضل يمكن مثله أن يحتويه من الأنام سواكا
 لم لا أغيب عن الشآم و هل له من حاجة عندى و أنت هناكا
 أم كيف أخشى و البلاد جميعها محمية فى جاه طعن فناكا
 يكفى الأعدى حرّ بأسك فيهم أضعاف ما يكفى الولى نداكا
 ما زرت مصر لغير ضبط ثغورها فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
 أم البلاد علا عليها قدرها لا سيما مذ شرفت بخطاكا
 طابت و حق لها و لم لا و هى قد حوت المعلى فى القداح أخاكا
 أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا حينا و أمنح غيرها سقياكا
 مكثى جهاد للعدوّ لأننى أغزوه بالرأى السديد دراكا
 لو لا الرباط و غيره لقصدت بال سير الحثيث إليك نيل رضاكا
 و لئن أتيت إلى الشآم فإنما يحتتنى شوق إلى لقاكا
 إنى لأمنحك المحبة جاهدا و هواى فيما تشتهي هواكا
 فافخر فقد أصبحت بى و بياسك ال حامى و كلّ مملّك يخشاكا
 لا زلت تقهر من يعادى ملكنا أبدا، و من عاداك كان فداكا
 و أعيش أبصر ابنك الباقي أبا و تعيش تخدم فى السعود أباكا
 ثم عدت إلى مكاني و قد بيضتها، و حليت بزهرها ساحة القرطاس و روضتها، فلما رآنى السلطان قد عدت قال لى: هل عملت شيئا؟

ظنًا منه أن العمل في تلك اللمحة القريبه معجز متعذر، و بلوغ الغرض فيها غير متصور، فقلت: قد أجبت، فقال: أنشدنا، فصمت الناس، و حدقت الأبصار، و أصاحت الأسماع، و ظنّ الناس بي الظنون، و ترقّبوا منى ما يكون، فما هو إلّا أن توالى الإنشاد لأبياتها حتى صفقت الأيدي إعجابا، و تغامزت الأعين استغرابا، و حين انتهيت إلى ذكر مولانا الملك الكامل، بأنه المعلى في البنين إذا ضربت قداحهم، و سردت أمداحهم، اغرورقت عيناه دمعا لذكره، و أبان صمته مخفى المحبّة حتى أعلن بسرّه، و حين انتهيت إلى آخرها فاض دمعه، و لم يمكنه دفعه، فمدّ يده مستدعيا للورقة، فناولتها إلى يد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٨٠

الصاحب، فناولها له، و عند حصولها في يده قام من غير إشعار لأحد بما دار من إرادة القيام في خلدّه، سترًا لما ظهر عليه من الرقة على الموالى الأولاد، و كتما لما عليه من الوجد بهم و المحبّة لهم، و انفضّ المجلس.

و إنما حمل الصاحب على هذا الفعل الذى غرّر بي فيه و خاطر بي بالتعريض له أشياء كان يقترحها علىّ فأنفذ فيها من بين يديه، و يخف الأمر منها علىّ لدالتى عليه، منها أننى كنت في خدمته سنة ٥٩٩ بدمشق، فورد عليه كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين صاحب حماء، و قد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره فتشاغل بتسويد جواب كتابه، فلما كتب بعضه التفت إلىّ و قال: اصنع أبياتا أكتبها إليه في صدر الجواب، و اذكر فيها شعره، فقلت له: على مثل هذه الحال؟ فقال: نعم، فقلت بقدر ما أنجز بقيه النسخة: [الطويل]

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا و أغرقهم بدلا و عمّهم عدلا

فديناك هب للناس فضلا يزينهم فقد حزت دون الناس كلهم فضلا

و دونك فامنحهم من العلم و الحجا كما منحتهم كفك الجود و البذلا

إذا حزت أوفى الفضل عفوا فما الذى تركت لمن كان القريض له شغلا

و ما ذا عسى من ظلّ بالشعر قاصدا لبابك أن يأتي به جلّ أو قلّا

فلا زلت في عزّ يدوم و رفعة تحوز ثناء يملأ الوعر و السهلا

و وقع لابن ظافر أيضا من هذا النمط أنه دخل في أصحاب له يعودون صاحبا لهم، و بين يديه بركة قد راق ماؤها، و صحت سماؤها، و قد رصّ تحت دساتيرها نارنج فتن قلوب الحضّار، و ملأ بالمحاسن عيون النظار، فكأنما رفعت صوالج فضّه على كرات من النّصار، فأشار الحاضرون إلى وصفها، فقال بديها: [الكامل]

أبدعت يا ابن هلال في فسقيته جاءت محاسنها بما لم يعهد

عجبا لأمواه الدساتير التى فاضت على نارنجها المتوقّد

فكأنهنّ صوالج من فضّه رفعت لضرب كرات خالص عسجد

[من ارتجال ابن قلاقس الإسكندري]

و من بديع الارتجال ما حكاه المذكور عن ابن قلاقس الإسكندري رحمه الله تعالى إذ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٨١

قال: دخل الأعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال الفزارى، فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند في صفحته جوهره، و أذكى الدهر ناره و جمّد نهره، و ألبسه من سلخ الأفاعى رداء و جسيمه ردى، لا يمنع من برقه بدر مجنّ و لا ثريا مغفر، و لا يسلم من حدّه من ثبت و لا- ينجو لطوله من فز، فهو يبكى للنفاق و يضحك، و يرعد للغيط و يفتك، و أمره بصفه شأنه، فقال على لسانه:

[الوافر]

أروق كما أروع فإن تصفنى فإنى رائق الصفحات رائع
تدافع بى خطوب الدهر حتى نقلت إلى بلال عن مدافع
وقال أيضا فيه: [الخفيف]

ربّ يوم له من التّعجب سحب مالها غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدّى فكأننى فى راحة الشمس برق
وقال أيضا فيه: [الكامل]

أنا فى الكريهة كالشّهاب الساطع من صفحة تبدو وحدّ قاطع
فكأنما استملت تلك و هذه من وصف كفّ بلال بن مدافع
وقال أيضا فيه: [الكامل]

انظر لمطرّد المياه بصفحتى و لئار حدّى كم بها من صالى
قد عاد شدّى فى المضايق شيمتى كبلال بن مدافع بن بلال
و سأله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا و لونا، و شقّ ليلا من الشّعر جونا، فقال: [الكامل]
و متيم بالآبنوس و جسمه عاج و من أدهانه شرفاته
كنمت دياجى الشّعر منه بدرها فوشت به للعين عيوقاته
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٨٢
وقال فيه: [الطويل]

و أبيض ليل الآبنوس إذا سرى تمزّق عن صبح من العاج باهر
و إن غاص فى بحر الشعور رأيته تبشّرنا أطرافه بالجواهر
وقال فيه: [السريع]

و مشرق يشبه ضوء الضحى حسنا و يسرى فى الدّجى الفاحم
و كلّما قلب فى لئمة أضحكها عن ثغره الباسم

و جلس بمصر فى دار الأنماط يوما مع جماعة، فمرّت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك، و هى شمس تحت سحاب النّقاب، و غصن
فى أوراق الشباب، فحدّقوا إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب، و المريض إلى الطبيب، فجعلت تلتفت تلتفت الطبي المذعور، أفرقه
القانص فهرب، و تشبّى تشى الغصن الممطور عانقه النسيم فاضطرب، فسألوه العمل فى وصفها، فقال: هذا يصلح أن يعكس فيه قول
العطار الأزدى القيروانى: [الكامل]

أعرضن لما أن عرضن، فإن يكن حذرا فأين تلتفت الغزلان
ثم صنع: [المتقارب]

لها ناظر فى ذرا ناضر كما ركّب السنّ فوق القنّاء
لوت حين ولّت لنا جيدها فأىّ حياة بدت من وفاة
كما ذعر الطبي من قانص فمرّ و كرّر فى الالتفات
ثم صنع أيضا: [الكامل]

و لطيفة الألفاظ لكن قلبها لم أشك منه لوعه إلا عتا

كملت محاسنها فودّ البدر أن يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا
قد قلت لئما أعرضت و تعرضت يا مؤيسا يا مطمعا قل لى متى

قالت أنا الطيبى الغرير و إنما ولى و أوجس نبوة فتلقنا

قال على بن ظافر: و حضر يوما عند بنى خليف بظاهر الإسكندرية فى قصر رسا بناؤه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٨٣

و سما، و كاد يمزق بمزاحمته أثواب السماء، قد ارتدى جلابيب السحاب، و لاث عمائم الغمام، و ابتسمت ثنايا شرفاته، و اتسمت
بالحسن حنايا غرفاته، و أشرف على سائر نواحي الدنيا و أقطارها، و حبته الرياض بما ائتمنتها عليه السحب من ودائع أمطارها، و الرمل
بفنائها قد نثر تبره فى زبرجد كرومه، و الجوّ قد بعث بذخائر الطيب لطيمه نسيمه، و النخل قد أظهرت جواهرها، و نشرت غدائرها، و
الطلّ ينثر لؤلؤه فى مسارب النسيم و مساحبه، و البحر يردد غيظا من عبث الرياح به، فسأله بعض الحضور أن يصف ذلك الموضع
الذى تمّت محاسنه، و غبط به ساكنه، فجاشت لذلك لجج بحره، و ألتقت إليه جواهره لترصيع لئنه ذلك القصر و نحره، فقال: [الوافر]

قصر بمدرجة النسيم تحدّث فيه الرياض بسرّها المستور

خفض الخورنق و السدير سموه و ثنى قصور الروم ذات قصور

لاث الغمام عمامة مسكية و أقام فى أرض من الكافور

غنى الربيع به محاسن وصفه فافتّر عن نور يروق و نور

فالدوح يسحب حلّه من سندس تزهى بلؤلؤ طلّها المنثور

و النخل كالغيد الحسان تقرّط بسبائك المنظوم و المنثور

و الرمل فى حبك النسيم كأنما أبدى غصون سواف المدعور

و البحر يردد متنه فكأنه درع تشنّ بمعطفى مقررور

و كأننا و القصر يجمع شملنا فى الأفق بين كواكب و بدور

و كذاك دهر بنى خليف لم يزل يثنى المعاطف فى حبير حبور

ثم قال ابن ظافر: و أخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السيورى الإسكندرى النحوى بما هذا معناه، قال: كنت

مع الأعر بن قلاقس فى جماعة، فمرّ بنا أبو الفضائل بن فتوح المعروف بالمصرى، و هو راجع من المكتب، و معه دواته، و هو فى

تلك الأيام قرّة العين ظرفا و جمالا، و راحة القلب قربا و وصالا، كلّ عين إلى وجهه محدّقة، و لمشهد خديّه بخلوق الخجل مخلّقة،

فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه، فصنع بديها: [مجزوء الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٨٤

علّفته متعلّقا بالخطّ معتكفا عليه

حمل الدواة و لا دواء لعاشق يرجى لديه

فدماء حبات القلوب تلوح صبغا فى يديه

لم أدر ما أشكو إلى ه أهجره أم مقلتيه

و الحبّ يخرسنى على أنى الكع سيبويه

ما لى إذا أبصرته شغل سوى نظرى إليه

وقد آن وقت الرجعة إلى كلام الأندلسيين، الذي حلا، و أبعدنا عنه بما مرّ التّجعة فنقول:

ذكر الفتح في قلائد العقيان، كما قال ابن ظافر، ما معناه: أخبرني الوزير أبو عامر بن بشتغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرّات، و نامت عنه أعين المضرّات، و أظهرت سقاته غصونا تحمل بدورا، و تطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا، و شمس الكاسات تطلع في أكفّها كالورد في السوسان، و تغرب بين أقاحي نجوم الثغور فتذبل نرجس الأجنان، و عنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقي، و هو يومئذ قد بذل الجهد، في التحلّي بالزهد، فأمر القائد بعض السقاء أن يعرض عليه ذهب كاسه، و يحييه بزبرجد آسه، و يغازله بطرفه، و يميل عليه بعطفه، ففعل ذلك عجلا فأنشد أبو الحسن مرتجلا:

[الكامل]

و مهفهف مزج الفتور بشدّة و أقام بين تبدّل و تمّنع
يشيه من فعل المدامة و الصّبا سكران سكر طبيعة و تطنع
أوما إلى بكأسه فكففتها و رنا فشّعها بلحظ مطمع
و الله لولا أن يقال هوى الهوى منه بفضل عزيمة و تورّع
لأخذت في تلك السبيل بمأخذى فيما مضى و نزعت فيها منزعى
و حكى الحميدى أنّ عبد الملك بن إدريس الجزيري كان ليلة بين يدي الحاجب بن أبي عامر و القمر يبدو تارة، و يخفيه السحاب تارة، فقال بديها: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٨٥
أرى بدر السماء يلوح حيناً فيبدو ثم يلتحف السحابا
و ذاك لأنه لما تبدى و أبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نمتى عني إليه لراجعني بتصديقي جوابا
و كان صاعد اللغوى صاحب كتاب «القصص» - و قد تكرّر ذكره في هذا الكتاب - كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبي عامر، و يصفها، و يقرظها، فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبي عامر أحمد بن شهيد صاحب الغرائب، و قد تقدّم بعض كلامه قريبا، إلى المنصور في يوم برد - و كان أخصّ وزرائه به - بهذه الأبيات:

[المنسرح]

أما ترى برد يومنا هذا صيرنا للكمون أفاذا
قد فطرت صحّة الكبود به حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطليا نغذّ سيرا إليك إغذاذا
و ادع المسمّى بها و صاحبه تدع نيلا و تدع أستاذا
و لا تبالي أبا العلاء زها بخمر قطربل و كلواذا
ما دام من أرملاط مشربنا دع دير عمى و طيز ناباذا
و كان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم، فأمر بإحضار من جرى رسمه من الوزراء و الندماء، و أحضر ابن شهيد في محفّة لنقرس كان يعتاده، و أخذوا في شأنهم، فمرّ لهم يوم لم يشهدوا مثله، و وقت لم يعهدوا نظيره، و طما الطرب و سما بهم، حتى تهايج القوم و رقصوا، و جعلوا يرقصون بالنوبة، حتى انتهى الدور إلى ابن شهيد، فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس، فجعل يرقص و هو متوكئ عليه، و يرتجل و يومئ إلى المنصور، و قد غلب عليه السكر: [الرملة]

هاك شيخا قاده عذر لكا قام فى رقصته مستهلكا
 لم يطق يرقصها مستتبثا فانثنى يرقصها مستمسكا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٨٦
 عاقه عن هزّها منفردا نقرس أخنى عليه فاتكا
 من وزير فيهم رقاصه قام للسكر يناغى ملكا
 أنا لو كنت كما تعرفنى قمت إجلالا على رأسى لكا
 قهقهه الإبريق منى ضاحكا و رأى رعهه رجلى فبكى

قال ابن ظافر: و هذه قطعة مطبوعة، و طرفها الأخير واسطتها، و كان حاضرهم ذلك اليوم رجل بغدادى يعرف بالفكيك، حسن النادرة
 سريعها، و كان ابن شهيد استحضره إلى المنصور فاستطبعه، فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع ألم المرض الذى كان يمنعه من
 الحركة قال: لله درك يا وزير! ترقص بالقائمة، و تصلى بالقاعدة، فضحك المنصور، و أمر لابن شهيد بمال جزيل، و لسائر الجماعة،
 و للبغدادى.

و قال ابن بسام: حدّث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفى قال:

دخلت يوما على أبى عامر بن شهيد، و قد ابتدأت علته التى مات بها، فأنس بى، و جرى الحديث إلى أن شكوت له تجنى بعض
 أصحابى علىّ، و نفاهه عنى، فقال لى: سأسعى فى إصلاح ذات البين، فخرجت عنه، و اتفق لقائى لذلك المتجنى علىّ مع بعض
 أصحابى و أعزهم علىّ، فلما رأنى ذلك الصديق موليا عنه أنكر عليه، و سأله عن السبب الموجب، فأخبره، و زاد فى مشيهما حتى
 لحقا بى، و عزم علىّ فى مكالمه صاحبى، و تعاتبنا عتابا أرق من الهواء، و أشهى من الماء على الظماء، حتى جئنا دار أبى عامر، فلما
 رأنا جميعا ضحك و قال: من كان الذى تولى إصلاح ما كُنّا سررنا بفساده؟ قلنا: قد كان ما كان، فأطرق قليلا ثم أنشد: [المنسرح]

من لا أسمى و لا أبوح به أصلح بينى و بين من أهوى

أرسلت من كابد الهوى فدرى كيف يداوى مواقع البلوى

و لى حقوق فى الحبّ ثابتة لكنّ لفى يعدّها دعوى

و قد ذكرنا فى هذا الكتاب من غرائب أبى عامر بن شهيد فى مواضع متفرقة الغرائب، و قدّمنا فى الباب الرابع حكايته مع المرأة
 الداخلة فى رمضان لجامع قرطبة و حكيناها هناك بلفظ «المطمح» فلتراجع.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٨٧

و عبّر ابن ظافر عن معناها بقوله: إنّ أبأ عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة فى ليلة السابع و العشرين من رمضان، فمرّت
 امرأة به من بنات أجلاء قرطبة، قد كملت حسنا و ظرفا، و معها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا، و قد حفّت بها الجوارى، كالبدر
 حفّ بالدرارى، فحين رأت تلك الجماعة، المعروفة بالخلاعة، و قد رمقوا ذلك الطيبى بعيون أسود رأت فريسة، ارتاعت و تخوّفت
 أن تخطف منها تلك الدرّة النفيسة، فاستدنت إليها خشفها، و ألزمته عطفها، فارتجل ابن شهيد قائلا:

و ناظرة تحت طىّ القناع إلخ

و مرّت فى الباب الرابع هذه الأبيات.

و قال الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدى: لمّا نعت أبأ عامر بن شهيد إلى أبى عبد الله بن الخياط الشاعر، و كان قد
 عرف ما بينهما من المنافسة، فبكى و أنشدنى لنفسه بديهة: [السريع]

لمّا نعى الناعى أبأ عامر أيقنت أنى لست بالصابر

أودى فتى الطرف و ترب الندى و سيّد الأول و الآخر

وقال ابن بسام: اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه، فأبرز لهم و صيفه مهديوه متصرفه في أنواع اللعب المطرب من الدك، و حضر أيضا هناك لاعب مصرى ساحر فكان لعبه حسنا، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد: [المتقارب]

كذا فلتلح قمرا زاهرا و تجنى الهوى ناظرا ناظرا
و سيبك سيب ندى مغدق أقام لنا هاميا هامرا
و إن ليومك ذا رونقا منيرا كنور الضحى باهرا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٨٨
صباح اصطباح بإسفاره لحظنا محيا العلا سافرا
و أطلعت فيه نجوم الكؤوس فما زال كوكبها زاهرا
و أسمعنا لاحنا فاتنا و أحضرتنا لاعبا ساحرا
يرفرف فوق رؤوس القيان فننظر ما يذهل الناظرا
و يحفظها ذيل سرباله فننظر طالعا غائرا
فظاهرها ينشئ باطنا و باطنها ينشئ ظاهرا
و ثناه ثان لألعبه دقائق تشنى الحجا حائرا
و فى سورة الراح من سحره خواطر دلّته الخاطرا
إذا ورد اللحظ أثناءها فما الوهم عن وردها صادرا
و من حسن دهرك إبداعه فما انفك عارضها ماظرا
و سعدك يجتلب المغربات فيجعل غائبها حاضرا

قال: و حضر الأديب أحمد بن الشقاق عند القائد بن درى بجان، هو و أبو زيد بن مقانا الأشبوني، فأحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر، فارتجل ابن الشقاق: [الكامل]

عنب تطّلع من حشا ورق لنا صبغت غلائل جلده بالإثمد
فكأنه من بينهنّ كواكب كسفت فلاحت فى سماء زبرجد

قال: و حضر ابن مرزقان ليلى عند ذى النون بن خلدون، و بحضرتة و صيفه تحمل شمعه، فاستحسنها ابن مرزقان، فقال بديها: [السرّيع]
يا شمعه تحملها أخرى كأنها شمس علت بدرا
امتحنت إحداكما مهجتي بمثل ما تمتحن الأخرى

قال: دخل الأديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة، فوسّع له على ضيق كان فى المجلس، فقال بديها: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٨٩
صير فؤادك للمحوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحيين
و لا تسامح بغيبضا فى معاشره فقلما تسع الدنيا بغيبضين

و أخذه من قول الخليل «ما تضايق سمّ الخياط بمتحايين، و لا اتسعت الدنيا لمتباغضين».

و كان الخليل على نمرقة صغيرة، و المجلس متضايق، فدخل عليه بعض أصحابه، فرحّب به و أجلسه معه على النمرقة، فقال له الرجل: إنها لا تسعنا، فقال ما ذكر.

و قال ابن بسام أيضا: أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبى، صاحب سرقسطة، بعرض بعض الجند فى بعض الأيام، و رئيسهم مملوك له رومى يقال له خيار فى نهاية الجمال، فجعل ينفخ فى القرن ليجتمع أصحابه على عادة لهم فى ذلك، فقال ابن هند الدانى فيه

ارتجالاً: [الطويل]

أعن بابل أجفان عينيك تنفث و من قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفى الحق أن تحكى سرافيل نافخا و أمكث فى رسم الصدود و ألبث
عساك، نبى الحسن، تأتي بأية فتنفخ فى ميت الصدود فيبعث

قال: و كان بقرطبة غلام وسيم، فمرّ عليه ابن فرج الجياني، و معه صاحب له، فقال صاحبه: إنه لصبيح لو لا صفره فيه، فقال ابن فرج

ارتجالاً: [البسيط]

قالوا: به صفره عابت محاسنه فقلت: ما ذاك من عيب به نزلا

عيناه تطلب فى أوتار من قتلت فلست تلقاه إلا خائفا و جلا

قال: و كان يوما مع لمة من أهل الأدب فى مجلس أنس، فاحتاج رب المنزل إلى دينار، فوجه إلى السوق، فدخل به عليهم غلام من الصيارف فى نهاية الجمال، فرمى بالدينار إليهم من فيه تماجنا، فقال ابن فرج: [الكامل]

أبصرت ديناراً بكف مهفهف يزهى به من كثرة الإعجاب

أوما به من فيه ثم رمى به فكأنه بدر رمى بشهاب

قال: و خرج الأديب أبو الحسن بن حصن الإشبيلي إلى وادى قرطبة فى نزهة، فتذكر إشبيلية، فقال بديها: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٩٠

ذكرتك يا حمص ذكرى هوى أمات الحسود و تعنيت

كأنك و الشمس عند الغروب عروس من الحسن منحوته

غدا النهر عقدك و الطود تاجك و الشمس أعلاه ياقوته

انتهى:

و عتبر بعضهم، و هو صاحب «بدائع البداءة» عن بعض حكايات صاحب القلائد بما يقاربها فى المعنى، فقال: إن المستعين بن هود ملك سرقسطة و الثغور ركب نهر سرقسطة يوماً لتفقد بعض معاقله، المنتظمة بجيد ساحله، و هو نهر رقّ ماؤه وراق، و أزرى على نيل مصر و دجلة العراق، قد اكتفتته البساتين من جانبيه، و ألفت ظلالها عليه، فما تكاد عين الشمس أن تنظر إليه، هذا على اتساع عرضه، و بعد سطح مائه من أرضه، و قد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة، و أحاطت به إحاطة الطفاوة بالغزاة، و قد أعدوا من مكاييد الصيد ما استخراج ذخائر الماء، و أخاف حتى حوت السماء، و أهله الهالات طالعة من الموج فى سحاب، و قانصة من بنات الماء كلّ طائفة كالشهاب، فلا ترى إلّا صيودا كقصد الصوارم، و قدود اللهازم، و معاصم الأبقار النواعم، فقال الوزير أبو الفضل بن حسداى و الطرب استهواه، و بديع ذلك المرأى قد استرقّ هواه: [البسيط]

لله يوم أنيق واضح الغرر مفضّض مذهب الآصال و البكر

كأنما الدهر لماً ساء أعتبنا فيه بعبتى فأبدي صفح معتذر

نسير فى زورق حفّ السرور به من جانبيه بمنظوم و منتشر

مدّ الشراع به قدّا على ملك بذ الأوائل فى أيامه الآخر

هو الإمام الهمام المستعين حوى علباء مؤتمن فى هدى مقتدر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٩١

تحوى السفينة منه آية عجباً بحر تجمّع حتى صار فى نهر

تثار من قعره التينان مصعدة صيدا كما ظفر الغواص بالدرر

و للندامي به عبّ و مرتشف كالزريق يعذب في ورد و في صدر

و الشرب في ودّ مولى خلقه زهر يذكو و بهجته أبهى من القمر

ثم قال ما معناه: و قوله «نينان» غير معروف، فإنّ نونا لم يجيء جمعها على نينان، و قد كان سيويوه لخن بشار بن برد في قوله في صفة السفينة: [الطويل]

تلاعب نينان البحور و ربّما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فغيّره بشار ب «تيار البحور» و قد قال أبو الطيب يصف خيلاً: [طويل]

فهنّ مع السّيدان في البرّ عسلّ و هنّ مع النّينان في البحر عوم

انتهى.

و المستعين بن هود هو أحمد بن المؤتمن على أمر الله يوسف بن المقتدر بالله أحمد بن المستضيء بالله سليمان بن هود، الجذامي، رحم الله تعالى الجميع!

و عبر المذكور عن قضيه ابن وهبون في هلال شوال بما نصّه: خرج ابن وهبون يوماً لنظر هلال شوال، و أبو بكر ابن القبطرنة الوزير يسايره، و هو يومئذ غلام يخجل البدر، و يذوى الغصن النّضر، و صفحته لم يسطرها العذار بأنقاسه، و وردة خدّه لم يسترها الشّع

بأسه، فارتجل عبد الجليل: [الخفيف]

يا هلال استتر بوجهك عنّي إنّ مولاك قابض بشمالي

هبك تحكى سناه خدّا بخدّ قم فجنّني لقدّه بمثال

و قد ذكرنا هذه الحكاية في غير هذا الموضع بلفظ الفتح في «القلائد» و لكنّا أعدناها هنا لتعبير صاحب «البدائع» عنها محاكيا لطريقته. و ذكر ابن بسّام أن الوزير أبا عبد الله بن أبي الخصال وقف بباب بعض القضاة، و استأذن عليه، فحجب عنه، فكتب إليه بديها: [البيسط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٩٢

جنّناك للحاجة الممطول صاحبها و أنت تنعم و الإخوان في بوس

و قد وقفنا طويلاً عند بابكم ثم انصرفنا على رأى ابن عبدوس

أشار به إلى قول الوزير أبي عامر بن عبدوس: [مجزوء الوافر]

لنا قاض له خلق أقلّ ذميمة التّرق

إذا جنّناه يحجبنا فنلعه و نفترق

و هو تمليح مليح، سامح الله تعالى الجميع!

و قال أبو جعفر الكاتب القرطبي الرّبضي: [الكامل]

و أبي المدامة ما أريد بشربها صلف الرقيع و لا انهماك اللاهي

لم يبق من عصر الشباب و طيبه شيء كعهدي لم يحلّ إلّا هي

إن كنت أشربها لغير وفائها فتركتها للناس لا لله

و بعضهم ينسبها لأبي القاسم عامر بن هشام، و الصواب - كما قال ابن الأبار - الأوّل.

و قال أبو جعفر المذكور في فواره رخام كلّفه وصفها والى قرطبة: [المنسرح]

ما شغل الطّرف مثل فائره تمجّ صرف الحياة من فيها

إشرب بها و الحجاب في جذل يظهره حسنها و يخفيها

كاد من رقة تضمّنها تخطبها العين إذ توافيها
 كأنها درّة منعمّة زهراء قد ذاب نصفها فيها
 و من شعره أيضا: [مجزوء الكامل]
 ضحك المشيب برأسه فبكى بأعين كاسه
 رجل تخوّنه الزمان ببؤسه و بباسه
 فجرى على غلوائه طلق الجموح بناسه
 أخذًا بأوفر حظّه لرجائه من ياسه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٩٣
 و قال أحد بنى القبطرنة الوزراء: [المتقارب]
 ذكرت سليمان و نار الوغى بقلبي كساعة فارقتها
 و أبصرت قد القنا شبهها و قد ملن نحوى فعانقتها
 و هذا معنى بديع ما أراه سبق به.

و قال أبو الحسن بن الغليظ المالقي: قلت يوما للأديب أبي عبد الله بن السراج المالقي، و نحن على خرير ماء: أجز: [الطويل]
 شربنا على ماء كأنّ خريره
 فقال مبادرا:

بكاء محبّ بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا يالفه فإني مشغوف به و كئيب

و كتب أبو بكر البلنسي إلى الأديب أبي بحر صفوان بن إدريس هذين البيتين يستجيزه القسم الأخير منهما: [الطويل]
 خليلي أبا بحر و ما قرقف اللمى بأعذب من قولي خليلي أبا بحر
 أجز غير مأمور قسيما نظمته تأمل على مجرى المياه حلى الزهر
 فأجازه: [الطويل]

تأمل على مجرى المياه حلى الزهر كعهدك بالخضراء و الأنجم الزهر
 و قد ضحكت للياسمين مباسم سرورا بآداب الوزير أبي بكر
 و أصغت من الآس النضير مسامع لتسمع ما يتلوه من سور الشعر
 و قال ابن خفاجة: [الطويل]

و ما الأنس إلّا فى مجاج زجاجة و لا العيش إلّا فى صرير سرير

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٩٤

و إني و إن جئت المشيب لمولع بطرة ظلّ فوق وجه غدیر

و قال ابن خفاجة أيضا: [السريع]

و أسود يسبح فى لجة لا تكتم الحصباء غدرانها

كأنها فى شكلها مقلّة و ذلك الأسود إنسانها

و كتب الوزير الشهير أبو الوليد بن زيدون إلى الوزير أبي عبد الله بن عبد العزيز أثر صدوره عن بلنسية: [مجزوء الكامل]

راحت فصّح بها السقيم ریح معطرّة النسيم

مقبولة هبت قبو لا فهي تعبق في الشميم
أفضيض مسك أم بلن سية لرياها نميم
إيه أبا عبد الإله نداء مغلوب العزيم
إن عيل صبرى من فراكك فالعذاب به أليم
أو أتبعتك حينها نفسى فأنت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالعرا ر سرى فبرح بالسليم
مهما ذممت فما زما نى فى ذمامك بالذميم
زمن كمألوف الرضاع يشوق ذكره الفطيم
أيام أعقد ناظرى فى ذلك المرأى الوسيم
و أرى الفتوة غضة فى ثوب أوأه حليم
الله يعلم أن حب بك من فؤادى فى الصميم
ولئن تحمّل عنك لى جسم فعن قلب مقيم
قل لى بأى خلال سر ك فىك أفتن أو أهيم
ألمجدك العمم الذى نسق الحديث مع القديم
أم ظرفك الغضّ الجنى أم عرضك الصافى الأديم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٩٤
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٩٥
أم برك العذب الجمام و بشرك الغضّ الجميم
إن أشمست تلك الطلاقة فالندى منها مغميم
أم بالبدائع كاللآلى من نشير أو نظيم
لبلاغه إن عدّ أه لوها فأنت بها زعيم
فقر تسوغ بها المدام إذا يكرّرها النديم
إن الذى قسم الحظوظ حباك بالخلق العظيم
لا أستزيد الله نع مى فىك لا بل أستديم
فلقد أقر العين أن ك غرة الزمن البهيم
حسى الثناء بحسن برك ما بدا برق وشيم
ثم الدعاء بأن ته نأ طول عيشك فى نعيم
ثم السلام تبلغن ه فغيب مهديه سليم

ولما ورد إشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذى الوزارتين أبى عامر بن مسلمة و هو بينى مجلسا، فصنع أبياتا كتبت فيه: [السريع]

عمر، من يعمر ذا المجلسا أطول عمر، ييهج الأنفسا
و بعد ذا عووض من داره عدنا و من دياجه السندسا
ولقى النور بها و الرضا و وقى الأسواء و الأبوسا
و دام عبّاد لعضد الهدى يحرس حتى يفنى الأحرسا

معتضد بالله إحسانه جمّ إذا ما الدهر يوما أسا
 الملك الغمر الندى المقتنى من كلّ حمد علقه الأنفسا
 إن رام يوما وصف عليائه مفوّه مقتدر أخرسا
 لا زال بدرا طالعا تيرا يكشف عن آمالنا الحندسا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٩٦
 وقال فيه أيضا: [المتقارب]

أدراها فقد حسن المجلس وقد آن أن تترع الأكوس
 ولا تنس أن أوان الربيع إذا لم تجد فقدته الأنفس
 فإنّ خلال أبي عامر بها يحقر الورد و النرجس
 و كتب إلى الوزير أبي المعالي المهلب بن عامر يستدعيه: [السريع]

طابت لنا ليلتنا الخاليه فلنتبعنها هذه الثانية
 أبا المعالي، نحن في راحة فانقل إلينا القدم العاليه
 لأنها عاطلة إن تغب عنّا فزرنّا كي ترى حاله
 أنت الذي لو تشتري ساعة منه بدهر لم تكن غاليه
 كتب إليه ذو الوزارتين أبو عامر المذكور معاتباً: [الوافر]
 تباعدنا على قرب الجوار كأننا صدنا شطّ المزار
 تطلّع لي هلال الهجر بدرا و صار هلال وصلك في سرار
 و شاع شنيع قطعك لي بوصلى فهلاً كان ذلك في استتار
 أ يجمل أن ترى عنّي صبورا فأصبح مولعا دون اصطبار
 و كنت أزيد سمعك من عتابي و لكن عاقني فرط الخمار
 فراع مودّتي و احفظ جوارى فإنّ الله أوصى بالجوار
 و زرنى منعما من غير أمر و آنس موحشا من عقر داري
 فكتب إليه ابن زيدون: [الوافر]

هواي و إن تئات عنك داري كمثل هواي في حال الجوار
 مقيم لا تغيره عواد تباعد بين أحيان المزار
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٩٧
 رأيتك قلت إنّ الهجر بدر متى خلت البدور من السرار
 و رابك أننى جلد صبور و كم صبر يكون عن اصطبار
 و لم أهجر لعتب، غير أنى أضرت بي معاقرة العقار
 و إنّ الخمر ليس لها خمار يبرح بي فكيف مع الخمار
 و هل أنسى لديك نعيم عيش كوشى الخدّ طرز بالعدار
 و ساعات يجول اللّهُو فيها مجال الظل في حدق النهار
 و إن يك فرّ عنك اليوم جسمي فديت فما لقلبي من فرار

و كنت على البعاد أجلّ شيءٍ لدى فكيف إذ أصبحت جاري

و كان أبو العطف إذ ورد إشبيلية رسولا قد سأله أن يريه شيئا من شعره، فمطله به، حتى كتب إليه شعرا يستبطنه، فأجابه ابن زيدون في العروض والقافية: [المنسرح]

أفدتني من نفائس الدرر ما أبرزته غوائص الفكر
من لفظه قارنت نظائرها قران سقم الجفون للحوار
وهي أكثر مما ذكر.

و كتب رحمه الله تعالى - أعنى ذا الوزارتين ابن زيدون - إلى ولادة: [البيسط]

أضحى التئائي بديلا من تدانينا و ناب عن طيب دنيانا تجافينا
ألا و قد حان صبح الليل صبّحنا حين فقام بنا للحين ناعينا
من مبلغ الملبسنا بانتزاحهم حزنا مع الدهر لا يبلى و يبلينا
أن الزمان الذي ما زال يضحكننا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغصّ فقال الدهر آمينا
فانحلّ ما كان معقودا بأنفسنا و انبتّ ما كان موصولا بأيدينا
بالأمس كنا و ما يخشى تفرّقا و اليوم نحن و ما يرجى تلاقينا
يا ليت شعري و لم نعتب أعاديكم هل نال حظا من العتبي أعادينا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٩٨

لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم رأيا و لم نتقلد غيره دينا
كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه و قد يئسنا فما لليأس يغرينا
بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم و لا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الأسي لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت سودا و كانت بكم بيضا ليالينا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا و مورد اللهو صاف من تصافينا
و إذ هصرنا فنون الوصل دانية قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا
لا تحسبوا نأيكم عنّا يغيّرنا إن طال ما غيّر النأي المحيينا
و الله ما طلبت أهواؤنا بدلا منكم و لا انصرفت عنكم أمانينا
يا سارى البرق غاد القصر فاسق به من كان صرف الهوى و الودّ يسقينا
و اسأل هنالك هل عنّي تذكّرنا إلّفا تذكّره أمسى يعنينا
و يا نسيم الصبا بلغ تحييتنا من لو على البعد حيّا كان يحيينا
من لا يرى الدهر يقضينا مساعفه فيه و إن لم يكن عنّا يقاضينا
من بيت ملك كأنّ الله أنشأه مسكا و قد أنشأ الله الورى طينا
أو صاغه ورقا محضا و توجّه من ناصع التبر إبداعا و تحسينا
إذا تأوّد آدته رفاهية توم العقود و أدمته البرى لينا

كانت له الشمس ظئرا في تكلله بل ما تجلّى لها إلّا أحيينا
 كأنما أثبتت في صحن وجنته زهر الكواكب تعويذا و تزيينا
 ما ضرّ أن لم نكن أكفاه شرفا و في المودّة كاف من تكافينا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٩٩
 يا روضه طالما أجنّت لواحظنا وردا جلاه الصبا غصّا و نسرينا
 و يا حياة تملّينا بزهرتها منى ضروبا و لذات أفانينا
 و يا نعيما خطرنا من غضارته في وشى نعى سحبا ذيله حين
 لسنا نسقيك إجلالا و تكرمه و قدرك المعتلى عن ذاك يغينا
 إذا انفردت و ما شوركت في صفة فحسبنا الوصف إيضاحا و تبيينا
 يا جنّة الخلد أبدلنا بسلسلها و الكوثر العذب زقوما و غسلينا
 كأننا لم نبت و الوصل ثالثا و السعد قد غصّ من أجفان و اشينا
 سران في خاطر الظلماء تكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
 لا غرو في أن ذكرنا الحزن حين نهت عنه التهي و تركنا الصبر ناسينا
 إنّا قرأنا الأسى يوم النوى سورا مكتوبة و أخذنا الصبر تلقينا
 أمّا هواك فلم نعدل بمشربه شربا و إن كان يروينا فيظمينا
 لم نجف أفق جمال أنت كوكبه سالين عنه و لم نهجره قالينا
 و لا اختيارا تجبّناك عن كذب لكن عدتنا على كره عوادينا
 نأسى عليك إذا حثت مشعشعه فينا الشمول و غنّانا مغنينا
 لا أكّوس الراح تبدى من شمائلنا سيما ارتياح و لا الأوتار تلهينا
 دومي على العهد ما دمنا محافظة فالحرّ من دان إنصافا كما دينا
 فما استعضنا خليلا عنك يحسنا و لا استفدنا حبيبا عنك يغينا
 و لو صبا نحونا من أفق مطلع بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
 أبلى وفاء و إن لم تبدلى صلة فالطيب يقنعا و الذكر يكفينا
 و في الجواب متاع لو شفعت به بيض الأيادي التي ما زلت تولينا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٠٠
 عليك منى سلام الله ما بقيت صبا به بك نخفيها و تخفيها

و إنما ذكرت هذه القصيدة- مع طولها- لبراعتها؛ و لأن كثيرا من الناس لا يذكر جملتها، و يظنّ أنّ ما في القلائد و غيرها منها هو
 جميعها، و ليس كذلك، فهي و إن اشتهرت بالمشرق و المغرب لم يذكر جملتها إلّا القليل، و قد كنت وقفت بالمغرب على تسديس

لها لبعض علماء المغرب، و لم يحضرنى منه الآن إلّا قوله في المطلع: [البسيط]

ما للعيون بسهم الغنج تصمينا و عن قطاف جنى الأعطاف تحمينا

تألّف كان يحيينا و يضمننا تفرّق عاث في شمل المحيينا

أضحى الثنائي بدिला من تدانينا و ناب عن طيب ديانا تجافينا

ما أحسن قوله في هذا التسديس: [البسيط]

ما للأحبة دانوا بالنوى و رأوا تعريض عهد اللقا بالبعد حين نأوا
رعاهم الله كانوا للعهود رعوا فغيرتهم و شاءة بالفساد سعوا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر آمينا
و قد ذكرنا فى الباب الرابع موشحة ابن الوكيل التى وطأ فيها لثونيه ابن زيدون هذه فلتراجع.

رجع: و قال ذو الوزارتين ابن زيدون يتغزل: [مجزوء الرمل]

وضح الصبح المبين وجلا الشكّ اليقين

و رأى الأعداء ما غررتهم منك الظنون

أملوا ما ليس يمنى و رجوا ما لا يكون

و تمنوا أن يخون ال عبد مولى لا يخون

فإذا الغيب سليم و إذا العهد مصون

قل لمن دان بهجرى و هوانى إذ يدين

أرخص الحبّ فؤادى لك و العلق ثمين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٠١

يا هلالا تتراءه نفوس لا عيون

عجبا للقلب يقسو منك و العطف يلين

ما الذى ضرّك لو سرّ بمرآك الحزين

و تلتفت بصبّ حينه فيكّ يحين

فوجوه اللطف شتى و المعاذير فنون

و قال أيضا: [الوافر]

إليك من الأنام غدا ارتياحى و أنت من الزمان مدى اقتراحى

و ما اعترضت هموم النفس إلّا و من ذكراك ريحانى و راحى

فديتك، إنّ صبرى عنك صبرى، لدى عطشى عن الماء القراح

ولى أمل لو الواشون كفّوا لأطلع غرسه ثمر النّجاح

و أعجب كيف يغلبنى عدو رضاك عليه من أمضى سلاح

و لما أن جلتك لى اختلاسا أكفّ الدهر للحين المتاح

رأيت الشمس تطلع فى نقاب و غصن البان يرفل فى وشاح

فلو أسطيع طرت إليك شوقا و كيف يطير مقصوص الجناح

على حالى وصال و اجتناب و فى يومى دنوّ و انتراح

و حسبى أن تظالعك الأمانى بأفقك فى مساء أو صباح

فؤادى من أسى بك غير خال و قلبى من هوى لك غير صاح

و أن تهدى السلام إلى شوقا و لو فى بعض أنفاس الرياح

و قال: [مجزوء الكامل]

كم ذا أريد و لا أريد؟ لله ما لقي الفؤاد

أصفي الوداد إلى الذي لم يصف لي منه الوداد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٠٢
 كيف الشلو عن الذي مثواه من قلبي السواد
 يقضى على دلالة في كل حين أو يكاد
 ملك القلوب بحسنه فلها إذا أمر انقياد
 يا هاجري كم أستفي د الصبر عنك فلا أفاد
 أفلا رثيت لمن يبي ت و حشو مقلته السهاد
 إن أجن ذنبا في الهوى خطأ فقد يكبو الجواد
 كان الرضا و أعيده أن يعقب الكون الفساد
 و قال: [المجتث]

متى أتبيك ما بي يا راحتي و عذابي
 متى ينوب لساني في شرحه عن كتابي
 الله يعلم أني أصبحت فيك لما بي
 فما يلد منامي و لا يسوغ شرابي
 يا فتنة المتعزى و حجة المتصابي
 الشمس أنت توارت عن ناظري بالحجاب
 ما النور شف سناه على رقيق السحاب
 إلا كوجهك لما أضاء تحت الثقاب
 و قال: [مجزوء الرمل]

هل لداعيك مجيب؟ أم لشاكيك طيب
 يا قريبا حين ينأى حاضرا حين يغيب
 كيف يسلكك محب زانه منك حبيب
 إنما أنت نسيم تتلقاه القلوب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٠٣
 قد علمنا علم ظن هو لا شك مصيب
 إن سر الحسن مما أضمرت تلك القلوب
 و قال:

أنى تضيع عهدك؟ أم كيف تخلف وعدك
 و قد رأتك الأمانى رضا فعلم تتعدك
 يا ليت شعري و عندي ما ليس في الحب عندك
 هل طال ليلك بعدى كطول ليلي بعدك
 سلني حياتي أهبتها فلست أملك ردك
 الدهر عبدى لما أصبحت في الحب عبدك

و قال رحمه الله تعالى، و قد أمره السلطان أن يعارض قطعاً كان يغنى بها و استحسناً ألقانها: [المتقارب]
 يقصّر قربك ليلي الطويلاً و يشفى وصالك قلبي العليلاً
 و إن عصفت منك ريح الصدود فقدت نسيم الحياة البليلاً
 كما أنني إن أطلت العثار و لم يبد عذري وجهها جميلاً
 وجدت أبا القاسم الظافر الم وئيد بالله مولى مقبلاً
 لأفلامه فعل أسيافه يظل الصرير يباري الصليلاً
 و قال يهنيه بالقدوم من السفر: [الرملة]
 أيها الظافر أبشر بالظفر و اجتل التأييد في أبهى الصور
 و تفتياً ظل سعد يجتنى فيه من غرس المنى أحلى الثمر
 و رد التّجح فكم مستوحش شائق منك إلى أنس الصدر
 كان من قربك في عيش ندى عاطر الأصال و ضاح البكر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٠٤
 فتوى دونك مثوى قلق يشتكى من ليله مطل السحر
 قل لساقينا يجد أكوسه و لشاديننا يطل قطع الوتر
 و منها:

لى فيه المثل السائر في جالب التمر إلى أرض هجر
 ثم قد وفق عبد عظمت نعمه المولى عليه فشكر
 لا عدا حظك إقبال يرى قاضياً أبناءه كل وطر
 و اصطبح كأس الرضا من ملك سرت في إرضائه أركى السير
 حين صممت إلى أعدائه فانتحتهم منك صماء الغير
 فاض غمر للندى من فوقهم كان يروى شربهم منه العمر
 سبق الناس فصلّى سابق إذ رأى آثاره مثل الزهر
 و هى طوبلة.

و قال رحمه الله تعالى: [الرملة]
 لم يكن هجر حبيبي عن قلا لا و لا ذاك التجنى مللاً
 سره دعوى ادعائي ثم لم يدر ما غاية صبري فابتلى
 أنا راض بالذى يرضى به لى من لو قال مت ما قلت لا
 مثل فى كل حسن مثل ما صار حالى فى هواه مثلاً
 يا فتيت المسك يا شمس الضحى يا قضيب البان يا ظبي الفلا
 إن يكن لى أمل غير الرضا منك لا بلغت ذاك الأمل
 و قال رحمه الله تعالى: [البسيط]

أذكرتنى سالف العيش الذى طابا يا ليت غائب ذاك الوقت قد آبا
 إذ نحن فى روضة للوصل أنعمها من السرور غمام فوقها صابا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٠٥
 إنى لأعجب من شوق يطالبني فكلما قيل فيه قد قضى ثابا
 كم نظرة لك عندى قد علمت بها يوم الزيارة أن القلب قد ذابا
 قلب يطيل معاصاتي لطاعتكم فإن أكلفه يوما سلوة يابى
 وقال رحمه الله تعالى: [البسيط]

عاودت ذكر الهوى من بعد نسيانى و استحدث القلب بعد العشق سلوانى
 من حبّ جارية يبدو بها صنم من اللّجين عليها تاج عقيان
 غريرة لم تفارقها تمائمها تسبى القلوب بساجى الطرف و سنان
 لأستجدّدن فى عشقى لها زمنا يحيى سواف أيامى و أزمانى
 حتّى يكون لمن أحببت خاتمته نسخت فى حبها كفرا بإيمان
 وقال رحمه الله تعالى: [الخفيف]

أنت معنى الهوى و سرّ الدموع و سبيل الهوى و قصد الولوع
 أنت و الشمس ضرّتان و لكن لك عند الغروب فضل الطلوع
 ليس يا مؤنسى نكلّفك العت ب دلالا من الرضا الممنوع
 إنما أنت و الحسود معنّى كوكب يستقيم بعد الرجوع
 وقال رحمه الله تعالى: [مجزوء الكامل]

يا ليل، طل لا أشتهى إلا كعهدى قصر ك
 لو بات عندى قمرى ما بتّ أرعى قمر ك
 يا ليل، خبّر أننى ألتدّ عنه خبى ك
 بالله قل لى هل وفى؟ فقال: لا بل غدرك
 وقال رحمه الله تعالى: [المتقارب]

لئن فاتنى منك حظّ النّظر لأكتفين بسماع الخبر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٠٦
 و إن عرضت غفلة للرقيب فحسبى بتسليمه تختصر
 أحاذر أن يتجنّى الوشاء و قد يستدام الهوى بالحدز
 فأصبر مستيقنا أنه سيحظى بليل المنى من صبر
 وقال أيضا رحمه الله تعالى: [مجزوء الرمل]

أيها البدر الذى يم لأ عينى من تأمل
 حمّل القلب تبارى ح التّجنّى فتحمل
 ثم لا تياس فكم قد نيل أمر لم يؤمل
 وقال أيضا رحمه الله تعالى: [الطويل]

أجدّ و من أهواه فى الحبّ عابث و أوفى له بالعهد إذ هو ناكث
 حبيب نأى عنّى مع القرب و الأسى مقيم له فى مضمر القلب ما كث

جفاني بألطف العدا و أزاله عن الوصل رأى فى القطيعة حادث
تغيرت عن عهدى و ما زلت واثقا بعهدك لكن غيرتك الحوادث
و ما كنت إذ ملكتك القلب عالما بأنى عن حنفى بكفى باحث
ستبلى الليالى و الوداد بحاله مقيم و غض و هو للأرض وارث
فلو أننى أقسمت أنك قاتلى و أنى مقتول لما قيل حانث
و قال رحمه الله تعالى: [مجزوء الخفيف]

يا غزالا أصارنى موثقا فى يد المحن
إننى مذ هجرتنى لم أذق لذة الوسن
ليت حظى إشارة منك أو لحظة تعن
شافعى يا معذبى فى الهوى وجهك الحسن
كنت خلوا من الهوى و أنا اليوم مرتهن
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٠٧
كان سرى مكتما و هو الآن قد علن
ليس لى عنك مذهب فكما شئت لى فكن
و قال رحمه الله تعالى: [الوافر]

أ يوحش لى الزمان و أنت أنسى و يظلم لى النهار و أنت شمسى
و أغرس فى محبتك الأمانى و أجنى الموت من ثمرات غرسى
لقد جازيت غدرا عن وفائى و بعث موذتى ظلما بيخس
و لو أن الزمان أطاع حكمى فديتك من مكارهه بنفسى
و محاسن ابن زيدون كثيرة، و قد ذكرنا منها فى غير هذا المحل جملة.
و سألت جارية من جوارى الأندلس ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أن يزد على بيت أنشدته إياه، و هو: [البيسط]
يا معطشى من وصال كنت وارده هل منك لى غلة إن صحت: و اعطشى

قال: و كانت الجارية المذكورة تتعشق فتى قرشيا، و الوزير يعلم ذلك، و هى لا تعلم أنه يعلم، فقال: [البيسط]
كسوتنى من ثياب السقم أسبغها ظلما و صيرت من لحف الضنى فرشى
أنى بصرف الهوى عن مقله كحلت بالسحر منك و خد بالجمال وشى
لما بدا الصدغ مسودا بأحمره أرى التشاكل بين الروم و الحبش
أوفى إلى الخد ثم انصاع منعظا كالعقربان اثنتى من خوف محترش
لو شئت زرت و سلك الليل منتظم و الأفق يختال فى ثوب من الغبش
جفا إذا التدت الأجفان طيب كرى جفنى المنام و صاح الليل: يا قرشى
هذا و إن تلفت نفسى فلا عجب قد كان قتلى فى تلك الجفون حشى

و كان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس صورة: رحمون، و عزون، و حسون، فأولع بهم الحافظ الشهير أبو محمد بن السيد البطليوسي صاحب «شرح أدب الكاتب» و غيره و قال فيهم: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٠٨

أخفيت سقمتي حتى كاد يحفيني و همت في حب عزون فعزوني

ثم ارحموني برحمن و إن ظمئت نفسي إلى ريق حسون فحسوني

قال: ثم خاف على نفسه، فخرج عن قرطبة، و هو القائل: [الكامل]

نفسى الفداء لجؤذر حلو اللمي مستحسن بصدوده أفنانى

فى فيه سمطا جوهر يروى الظما لو علنى بيروده أحيانى

و هذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كما لا يخفى.

و قال أبو بكر محمد بن أحمد الأنصارى الإشبلى المعروف بالأبيض، فى تهنئة بمولود، قال ابن دحية: و هذا أبدع ما قيل فى هذا المعنى: [البسيط]

أصاغت الخيل آذانا لصرخته و اهتر كل هزير عندما عطسا

تعشق الدرع مذ شدت لفائفه و أبغض المهدي لما أبصر الفرسا

تعلم الركض أيام المخاض به فما امتطى الخيل إلّا و هو قد فرسا

و قال الوزير الكاتب أبو عامر السالمى فى غلام يرش الماء على خديه فتزداد حمرتهما:

[البسيط]

لقد نعمت بحمام تطلع فى أرجائه قمر و الحسن يكمله

أبصرته كلما راقحت محاسنه و نعمه الجسم و الأرداف تخجله

يرش بالماء خديه فقلت له صف لى لما أحمر الياقوت تصقله

فقال طرفى سفاك بصارمه دماء قوم على خدى فأغسله

و قال أيضا: [مجزوء الرمل]

أوقد النار بقلبي ثم هبت ريح صده

فشرار النار طارت فانطفت فى ماء خده

و هو تخيل عجب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٠٩

و قال ابن الحناط المكفوف الأندلسى فى المعنى المشهور: [الكامل]

لم يخل من نوب الزمان أديب كلاً فشان النائبات عجب

و غضارة الأيام تأبى أن يرى فيها لأبناء الذكاء نصيب

و كذاك من صحب الليالى طالبا جدّا و فهما فاته المطلوب

[من ملح ابن الزقاق]

و كان ابن الزقاق الأندلسى الشاعر المشهور- و قد تكرر ذكره فى هذا الكتاب مرات كثيرة- يسهر فى الليل، و يشتغل بالأدب، و كان

أبوه فقيرا جدا، فلامه، و قال له: نحن فقراء، و لا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه، فاتفق أن برع فى الأدب و العلم و نظم الشعر، فقال فى أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها: [السريع]

يا شمس خدر ما لها مغرب أرامه خدرك أم يثرب
ذهبت فاستعبر طرفى دما مفصض الدمع به مذهب
و منها:

ناشدتك الله نسيم الصبا أتى استقرت بعدنا زينب
لم نسر إلا بشذا عرفها أو لا فماذا النفس الطيب
إيه و إن عذبنى حبها فمن عذاب النفس ما يعذب

فأطلق له ثلاثمائة دينار، فجاء بها إلى أبيه و هو جالس فى حانوته مكب على صنعته، فوضعها فى حجره، و قال: خذها فاشتر بها زيتا.
و قال رحمه الله تعالى فى غلام يرمى حجرا فشدخ وجهه: [المتقارب]

و أحوى رمى عن قسى الحور سهاما يفوقهن النظر
يقولون وجنته قست و رسم محاسنه قد دثر
و ما شق وجنته عابثا و لكنها آية للبشر

جلاها لنا الله كيما نرى بها كيف كان انشقاق القمر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١١٠
و قال أيضا: [الكامل]

بأبى و غير أبى أعن مهفهف مهضوم ما خلف الوشاح خميصه
لبس السواد و مزقته جفونه فأتى كيوسف حين قد قميصه
و قال أيضا: [الطويل]

سقتنى يمينها و فيها فلم أزل يجاذبنى من ذا و من هذه سكر
ترشفت فاها إذ ترشفت كأسها فلا و الهوى لم أدر أيهما الخمر
و قال: [البسيط]

رقّ النسيم وراق الروض بالزهر فتبه الكأس و الإبريق بالوتر
ما العيش إلا اصطباح الراح أو شنب يغنى عن الراح من سلسال ذى أشر
قل للكواعب غضى للكرى مقلأ فأعين الزهر أولى منك بالشهر
و للصباح ألا فانشر رداء سنا هذا الدجى قد طوته راحة السحر
و قام بالقهوة الصهباء ذو هيف يكاد معطفه ينقد بالظن
يطفو عليها إذا ما شجها درر تخالها اختلست من ثغره الخصر
و الكأس من كفه بالراح محدقه كهاله أهدقت فى الأفق بالقمر
و قال: [الطويل]

تضوعن أنفاسا و أشرقن أوجها فهن منيرات الصباح بواسم
لئن كنّ زهرا فالجوانح أبرج و إن كنّ زهرا فالقلوب كمائم
و هو من بديع التقسيم.

[من ملح السمسير و لابن رزين و لسلطان بلنسية]

و قال السمسير: [الوافر]

تحفظ من ثيابك ثم صنها و إلا سوف تلبسها حدادا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١١١
و ميز في زمانك كلّ حبر و ناظر أهله تسد العبادا
و ظنّ بسائر الأجناس خيرا و أما جنس آدم فالعبادا
أرادوني بجمعهم فردّوا على الأعقاب قد نكصوا فرادى
و عادوا بعد ذا إخوان صدق كبعض عقارب رجعت جرادا
و قال ابن رزين، و هو من رجال الذخيرة: [مجزوء الكامل]
لأسرحن نواظري في ذلك الروض النضير
و لا كلنك بالمنى و لأشربنك بالضمير

و قال سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز: [الطويل]
و لا غرو بعدى أن يسود معشر فيضحى لهم يوم و ليس لهم أمس
كذاك نجوم الجوّ تبدو زواهرا إذا ما توارت في مغاربها الشمس

[من ملح البطليوسى المتلمس و لابن غالب و لابن فرج السمسير]

و تحاكم إلى أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى المعروف بالمتلمس غلامان جميلان لأحدهما وفره شقراء، و للآخر
سوداء: أيهما أحسن؟ و المتلمس المذكور هو صاحب كتاب «الأحكام، فيما لا يستغنى عنه الحكام» فقال: [البسيط]
و شادين ألما بى على مقه تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كأنّ لمة ذا من نرجس خلقت على بهار و ذا مسك على ورق
و حكما الصبّ فى التفضيل بينهما و لم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يدلى إليه الزيم حجته مبينا بلسان منه منطلق
فقال: وجهى بدر يستضاء به و لون شعرى مصبوغ من الغسق
و كحل عيني سحر للنهى و كذا و السحر أحسن ما يعزى إلى الحدق
فقال صاحبه: أحسنت و صفك ل كن فاستمع لمقال فى متفق
أنا على أفقى شمس النهار، و لم تغرب و شقرة شعرى حمرة الشفق
و فضل ما عيب فى عيني من زرق أنّ الأسنة قد تعزى إلى الزرق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١١٢
قضيت للمة الشقراء حيث حكمت نورا كذا حبها يقضى على رمقى
فقام ذو اللمة السوداء يرشقى سهام أجفانه من شدة الحنق

و قال جرت فقلت الجور منك على قلبى و لى شاهد من دمعى الغدق
فقلت عفوك إذ أصبحت متهما فقال دونك هذا الحبل فاختنق
و قال أبو محمد عبد الله بن غالب: [الكامل]
و مهفهف خنث الجفون كأنما من أرجل النمل استفاد عذارا
فتخاله ليلا إذا استقبلته و تخال ما يجرى عليه نهارا
و قال أبو القاسم خلف بن فرج السميسر المتقدم: [المجتث]
الناس مثل حباب و الدهر لجة ماء
فعالهم فى طفو و عالم فى انطفاء

[من ملح ابن برد و لابن عبدون و لأبى الفضل بن حسداى]

و قال أحمد بن برد الأندلسى فى النرجس، و هو البهار عند الأندلسيين، و يسمّى العبهر:
[الطويل]

تنبه فقد شقّ البهار مغلسا كمائمه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة على أذرع مخروطة من زبرجد

و قال الوزير عبد المجيد بن عبدون فى دار أنزله بها المتوكل بن الأفضس و سقفها قديم، فهطل عليه المطر منه: [الطويل]
أيا ساميا من جانيه إلى العلا (سموّ حباب الماء حالا إلى حال)
لعدك دار حلّ فيها كأنها (ديار لسلمى عافيات بذى الخال)
يقول لها لَمَا رأى من دثورها (ألا عم صباحا أيها الطلل البالى)
فقلت و لم تعبا بردّ جوابه (و هل يعمن من كان فى العصر الخالى)
فمر صاحب الإنزال فيها بفاصل (فإنّ الفتى يهدى و ليس بفعل)
قيل: و هو أبو عذرة تضمين لامية امرئ القيس، و قد أولع الناس بعده بتضمينها.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١١٣

و قال أبو الفضل بن حسداى، و كان يهوديا فأسلم، و يقال: إنه من ولد موسى على نبينا و عليه و على سائر الأنبياء الصلاة و السلام:
[البسيط]

توريد خدك للأحداق لذات عليه من عنبر الأصدغ لامات
نيران هجر ك للعشاق نار لظى لكن وصالك إن واصلت جنات
كأنما الراح و الراحات تحملها بدور تمّ و أيدى الشرب هالات
حشاشه ما تركنا الماء يقتلها إلّا لتحيا بها منّا حشاشات
قد كان من قبلها فى كأسها ثقل فحفّ إذ ملئت منها الزجاجات

و قد تبارى المشاركة و المغاربة من المتقدمين و المتأخرين فى هذا الوزن و القافية، و لو لا خوف السامة لذكرت من ذلك الجملة
الشافية الكافية.

[بين ابن عبد ربه و يحيى القلظاط]

و من سرعه جواب أهل الأندلس أن ابن عبد ربه كان صديقا لأبي محمد يحيى القلظاط الشاعر، ففسد ما بينهما بسبب أن ابن عبد ربه صاحب العقد مرّ به يوما و كان في مشيه اضطراب، فقال: أبا عمر ما علمت أنك آدر إلّا اليوم لّمّا رأيت مشيك، فقال له ابن عبد ربه: كذبتك عرسك أبا محمد، فعزّ على القلظاط كلامه، و قال له: أتتعرض للحرم؟ و الله لأرينك كيف الهجاء، ثم صنع فيه قصيدة أولها: [البيط]

يا عرس أحمد، أنى مزع سفرا فودّعيني سرّا من أبا عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك. و كان القلظاط يلقبه بطلاس لأنه كان أطلس اللحية، و يسمّى كتاب «العقد» جبل الثوم، فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء، فقال الوزير للقلظاط: كيف حالك اليوم مع أبا عمر؟ فقال مرتجلا: [السريع]

حال طلاس لى عن رائه و كنت فى قعدد أبنائه

فبدر ابن عبد ربه و قال: [السريع]

إن كنت فى قعدد أبنائه فقد سقى أمك من مائه

فانقطع القلظاط خجلا. و عاش ابن عبد ربه ٨٢ سنة، رحمه الله تعالى!

[من مروءة ابن جبير الرحالة]

و من الحكايات فى مروءة أهل الأندلس ما ذكره صاحب «الملتمس» فى ترجمة الكاتب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١١٤

الأديب الشهير أبى الحسين بن جبير صاحب الرحلة، و قد قدّمنا ترجمته فى الباب الخامس من هذا الكتاب، و ذكرنا هنالك أنه كان من أهل المروءات عاشقا فى قضاء الحوائج و السعى فى حقوق الإخوان، و أنشدنا هنالك قوله:

يحسب الناس بأنى متعب

إلى آخره.

و قد ذكر ذلك كلّ صاحب «الملتمس» ثم قال- أعنى صاحب الملتمس:-

و من أغرب ما يحكى أنى كنت أحرص الناس على أن أصاهر قاضى غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الفرس، فجعلته- يعنى ابن جبير- الواسطة حتى تيسر ذلك، فلم يوفّق الله ما بينى و بين الزوجة، فجئته و شكوت له ذلك، فقال: أنا ما كان القصد لى فى اجتماعكما، و لكن سعيت جهدى فى غرضك، وها أنا أسعى أيضا فى افتراقكما، إذ هو من غرضك، و خرج فى الحين ففصل القضية، و لم أر فى وجهه أولا- و لا آخرها عنوانا لامتنان و لا تصعيب، ثم إنه طرق بابى، ففتحت له، و دخل و فى يده محفظة فيها مائة دينار مؤمنية، ثم قال: يا ابن أخى، اعلم أنى كنت السبب فى هذه القضية، و لم أشك أنك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذى وجدته الآن عند عمّك، فبالله إلّا ما سررتنى بقبوله، فقلت له: أنا ما أستحيى منك فى هذا الأمر، و الله إن أخذت هذا المال لأتلفته فيما أتلفت فيه مال والدى من أمور الشباب، و لا- يحلّ لك أن تمكّننى منه بعد أن شرحت لك أمرى، فتبسّم و قال: لقد احتلت فى الخروج عن المنّة بحيلة، و انصرف بماله، انتهى.

[من شعر أبى عمران المارنلى الزاهد]

ثم قال صاحب «الملمس»: و تذاكرنا يوما معه حالة الزاهد أبي عمران المارتلى، فقال:
 صحبته مدّة فما رأيت مثله، و أنشدنى شعريين ما نسيتهما، و لا أنساهما ما استطعت، فالأول قوله: [المتقارب]
 إلى كم أقول فلا أفعل و كم ذا أحوم و لا أنزل
 و أزجر عيني فلا ترعوى و أنصح نفسي فلا تقبل
 و كم ذا تعلّل لى ويحها بعلّ و سوف و كم تمطل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١١٥
 و كم ذا أوّمل طول البقا و أغفل و الموت لا يغفل
 و فى كلّ يوم ينادى بنا منادى الرحيل ألا فارحلوا
 أمن بعد سبعين أرجو البقا و سبع أتت بعدها تعجل
 كأن بى وشيكا إلى مصرعى يساق بنعشى و لا أمهل
 فيا ليت شعرى بعد السؤال و طول المقام لما أنقل
 و الثانى قوله: [مجزوء الكامل]
 اسمع أختى نصيحتى و النصح من محض الديانة
 لا تقربنّ إلى الشها دة و الوساطة و الأمانة
 تسلّم من ان تعزى لزور أو فضول أو خيانه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ١١٥
 ل: فقلت له: أراك لم تعمل بوصيته فى الوساطة، فقال: ما ساعدتنى رقة وجهى على ذلك، انتهى.

[من شعر أبي الصلب أمية بن عبد العزيز]

رجع إلى نظم الأندلسيين:
 و قال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز: [المنسرح]
 أفضل ما استصحب النبيل فلا تعدل به فى المقام و السفر
 جرم إذا ما التمت قيمته جلّ عن التبر و هو من صفر
 مختصر و هو إذ تفتّشه عن ملح العلم غير مختصر
 ذو مقلّة تستبين ما رمقت عن صائب اللحظ صادق الخبر
 تحمله و هو حامل فلكا لو لم يدر بالبنان لم يدر
 مسكنه الأرض و هو ينبئنا عن كلّ ما فى السماء من خبر
 أبدعه ربّ فكرة بعدت فى اللطف عن أن تقاس بالفكر
 فاستوجب الشكر و الثناء به من كلّ ذى فطنه من البشر
 فهو لذى اللبّ شاهد عجب على اختلاف العقول و الصّور
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١١٦
 قلت: و هى من أحسن ما سمعت فى الاضطراب.

و أمر رحمه الله تعالى أن يكتب على قبره: [الطويل]
 سكتتك يا دار الفناء مصدقا بأنى دار البقاء أصير
 و أعظم ما فى الأمر أنى صائر إلى عادل فى الحكم ليس يجور
 فىا لىت شعرى كيف ألقاه عندها و زادى قليل و الذنوب كثير
 فإن أك مجزياً بذنبى فإننى بشرّ عقاب المذنبين جدير
 و إن يك عفو من غنى و مفضل فتمّ نعيم دائم و سرور

[من شعر ابن خفاجة]

و قال ابن خفاجة، و هو مما أورده له صاحب الذخيرة: [الطويل]
 لقد زار من أهوى على غير موعد فعانيت بدر التّم ذاك التلاقيا
 و عاتبته و العتب يحلو حديثه و قد بلغت روحى لديه التراقيا
 فلمّا اجتمعنا قلت من فرحى به من الشّعر بيتا و الدموع سواقيا
 (و قد يجمع الله الشّيتين بعدما يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا)

[من مجون أهل الأندلس]

و من مجون الأندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لسيدى أبى عبد الله بن الأزرق، و هى:

[الرجز]

عم باتّصال الزمن و لا تبالى بمن
 و هو يواسى بالرضا من سمج أو حسن
 أو من عجوز تحتظى و الظهر منها منحنى
 أو من مليح مسعد موافق فى الزمن
 مهما تبدى خده يبدو لك الورد الجنى
 و الغصن فى أثوابه إذا تمشى يثنى
 لا أمّ لى لا أمّ لى إن لم أبّرد شجنى
 و أخلعن فى المجون و التصابى رسنى
 و أجعل الصبر على هجر الملاح ديدنى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١١٧
 يا عادلى فى مذهبي أرداك شرب اللّبن
 أعطيت فى البطن سنا نا إن تخالف سننى
 أى فتى خالفنى يوما و لّما يلبنى
 فإننى لناصح و إننى و إننى

فلا تكن لى لاحيا و فى الأمور استفتنى
 فلم أزل أعرب عن نصحى لمن لم يلحنى
 و إن تسفّه نظرى و مذهبى و تنهنى
 فالصنع تستوجه نعم و نتف الذّقن
 و الزبل فى وجهك يع لو باتصال الزمن
 و بعد هذا أشتفى منك و يبرا شجنى
 و أضرب الكفّ أما م ذلك الوجه الدنى
 طقطق طق طقطق طق أصخ بسمع الأذن
 قححح قح قححح قح الضحك يغلبنى
 قد كان أولى بك عن هذى المخازى تنثنى
 التّفى تستوجه لواسط أو عدن
 عرضت بالنفس كذا إلى ارتكاب المحن
 أفدى صديقا كان لى بنفسه يسعدنى
 فتارة أنصحه و تارة ينصحنى
 و تارة ألعنه و تارة يلعننى
 و ربّما أصفعه و ربّما يصفعنى
 أستغفر الله فه ذا القول لا يعجبنى
 يا ليت هذا كلّه فيما مضى لم يكن
 أضحكك و الله بذا ال حديث من يسمعنى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١١٨
 دهر تولّى و انقضى عنى كطيف الوسن
 يا ليتنى لم أره و ليته لم يرنى
 دنّست فيه جانبى و ملبسى بالدّرن
 و بعث فيه عيشتى لكن ببخس الثمن
 كأنتى و لست أد رى الآن ما كأنتى
 و الله ما التشبيه عن د شاعر بهين
 لكنه أنطقنى بالقول ضيق العطن
 وا حسرتى وا أسفى زلت و ضاعت فطنى
 لو أنصف الدهر لما أخرجنى من وطنى
 و ليس لى من جنّه و ليس لى من مسكن
 أسرح الطّرف و ما لى دمنه فى الدمن
 و ليس لى من فرس و ليس لى من سكن
 يا ليت شعرى و عسى يا ليت أن تنفعنى

هل أمتطى يوما إلى ال شرق ظهور السفن
 و أجتلى ما شئتته فى المنزل المؤتمن
 حينئذ أخلع فى هذى القوافى رسنى
 و تحسن الفكرة بال عدوس و السمسنى
 و اللحم مع شحم و مع طوابق الكبش الثنى
 و البيض فى المقلاة بالزيت اللذيذ الدهن
 و جلدة الفروج مش ويا كثير السمن
 من متقذى أفديه من ذا الجوع و التمسكن
 و علة قد استوى فيها الفقير و الغنى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١١٩
 هل للثريد عودة إلى قد شوقنى
 تغوص فيه أنملى غوص الأكل المحسن
 و لى إلى الأسفنج شوق دائم يطربنى
 و للأرز الفضل إذ تطبخه باللبن
 و للشواء و الرقاق من هيام أنتنى
 و اسكت عن الجبن فإن بنته يذهلنى
 ظاهرها كالورد أو باطنها كالسوسن
 أى امرئ أبصرها يوما و لم يفتتن
 تهيم فيها فكر الأس تاذ و المؤذن
 لو كان عندى معدن لبعث فيها معدنى
 لكننى عزمت أن أبيع كم البدن
 و الكم قد أكسبه بعد و لا يكسبنى
 لا تنسبوا لى سفها فالجوع قد أرشدنى
 و هات ذكر الكسكسو فهو شريف و سنى
 لا سيما إن كان مص نوعا بقتل حسن
 أرفع منه كورا بهنّ تدوى أذنى
 و إن ذكرت غير ذا أطعمه فى الوطن
 فابدأ من المثومات بالجبن الممكن
 من فوقها الفروج قد أنهى فى التسمن
 و تنّ بالعصيدة ال تى بها تطربنى
 لا سيما إن صنعت على يدى ممركن
 كذلك البلياط بالزيت الذى يقنعنى
 تطبخه حتى يرى يحمرّ فى التلّون

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٢٠

و الزبزين في الصحاف حسب أهل البطن

فاسمع قضايا ناصح يأتي بنصح بين

من اقتنى النقى منى فهو نعم المقتنى

و إن في شاشية ال فقير أنسا للغنى

تبعدن عن وصلها عن وصلها تبعدن

تؤنسن عن اللقا عن اللقا تؤنسن

فأضلعي إن ذكرت تهفو كمثل الغصن

كم رمت تقريبا لها لكنه لم يهن

و صدني عن ذاك ق له الوفا بالثمن

إيه خليلي هذه مطاعم لكنني

أعجب من ريقك إذ يسيل فوق الذقن

هل نلت منها شبعاً؟ فذكرها أشبعني

و إن تكن جوعان يا صاح فكل بالأذن

فليس عند شاعر غير كلام الألسن

يصور الأشياء و ه ي أبدا لم تكن

فقوله يريك ما ليس يرى بالممكن

فاسمح و سامح و اقتنع و اطوحشاك و اسكن

و لنصرف فقصدنا إطراف هذا الموطن

و قال ابن خفاجة رحمه الله تعالى: [الكامل]

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب و مجالس

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٢١

و ترهدوا حتى أصابوا فرصة في أخذ مال مساجد و كنائس

و هذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا.

[من شعر ابن الأبار و ترجمة ابن الأبار]

و قال- فيما أظن- الفقيه الكاتب المحدث الأديب الشهير أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي، و قد تكرر ذكره في هذا الكتاب في

مواضع: [الطويل]

لقد غضبت حتى على السمط نخوة فلم تتقلد غير مبسمها سمطا

و أنكرت الشيب الملم بلمتي و من عرف الأيام لم ينكر الوخطا

و قال ابن سعيد في القدح المعلى في حقه: كاتب مشهور، و شاعر مذكور، كتب عن ولاة بلنسية، و ورد رسولا حين أخذ النصارى

بمخفق تلك الجهات، و أنشد قصيدته السينية:

[البيسط]

أدرک بخيلک خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

و عارضه جمع من الشعراء ما بين مخطئ و محروم، و أغرى الناس بحفظها إغراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم، إلا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمة، فقلصت عنه تلك النعمة، و آخر عن تلك العناية، و ارتحل إلى بجاية، و هو الآن بها عاطل من الرتب، خال من حلى الأدب، مشتغل بالتصنيف فى فنونه، متنفل منه بواجبه و مسنونه، و لى معه مجالسات آتق من الشباب، و أبهج من الروض عند نزول السحاب، و مما أنشدنيه من شعره:

[الكامل]

يا حَبذاً بحديقةً دولاب سكنت إلى حركاته الألباب

غنى و لم يطرب و سقى و هو لم يشرب و منه العود و الأكواب

لو يدعى لطف الهواء أو الهوى ما كنت فى تصديقه أرتاب

و كأنه ممّا شدا مستهزئ و كأنه ممّا بكى نَداب

و كأنه بنثاره و مداره فلك كواكب لها أذنان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٢٢

[لجماعة من شعراء الأندلس]

و قال أبو المعالى القيحاوى: [السريع]

فقلت يا ربهم أين من أحبته فيك و أين النديم

فقال عهد قد غدا شمله كمثل ما ينثر درّ نظيم

و قال أبو عمرو بن الحكم القبطلى، و قبلة: من أعمال وادى إشبيلية: [مخلع البسيط]

كم أقطع الدهر بالمطال؟ ساءت و حقّ الإله حالى

رحلت أبغى بكم نجاحا فلم تفيدوا سوى ارتحالى

و عدتم ألف ألف وعد لكننى عدت بالمحال

و قال أبو عمران القلعى: [الوافر]

طلعت علىّ و الأحوال سود كما طلع الصباح على الظلام

فقل لى كيف لا أوليك شعرى و إخلاص التحيّة و السلام

و قال أبو إسحاق إبراهيم بن أيوب المرسى: [مجزوء الرمل]

أنا سكران و لكن من هوى ذاك الفلانى

كلّما رمت سلوا لم يزل بين عيانى

و قال: [الوافر]

حبيى ما لصّبك من مراد سوى أن لا تدوم على البعاد

و إن كان ابتعادك بعد هذا مقيما فالسلام على فوادى

قال ابن سعيد: و كان المذكور إذا غنى هذه الأشعار اللطيفة على الأوتار، لم يبق لسامعه عند الهموم من ثار، مع أخلاق كريمة، و

آداب كانسكاب الديمة، انتهى.

و قال ابن سعيد: فى أبى بكر محمد بن عمار البرجى، كاتب ابن هود، القائل:

لمن يشهد حربا تحت رايات ابن هود.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٢٣

إلخ: [مجزوء الرمل]

يا ابن عمار لقد أح بيت لى ذاك السميّا

فى حلّى نظم و نثر علّقا فى مسمعيّا

و لقد حزت مكانا من ذرى الملك عليّا

مثل ما قد حاز لكن عش بنعماك هتيّا

و قال أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الإشبلى المعروف بابن صاحب الرد: [السريع]

يا أبداع الخلق بلا مريّة وجهك فيه فتنة الناظرين

لا سيما إذ نلتقى خطرة فيغلب الورد على الياسمين

طوبى لمن قد زرتة خاليا فمتّع النفس و لو بعد حين

من ذلك الثغر الذى وردة ما زال فيه لذة الشاربين

و ما حوى ذاك الإزار الذى لم يعد عنه أمل الزائرين

و هذه الأبيات يقولها فى غلام كان أدباء إشبيلية قد فتنوا به، و كان مروره على داره.

و حكى عنه أنه أعطاه فى زيارة خمسين دينارا، و مرّت أيام ثم صادفه عند داره، فقال له: أ تريد أن أزورك ثانية؟ فقال له: لا يلدغ

المؤمن من جحر مرتين، و هذا الجواب- على ما فيه من قلة الأدب، و هتك حجاب الشريعة- من أشدّ الأجوبة إصابة للغرض، و الله

تعالى يسمح له، فقد قال ابن سعيد فى حقّه: إن بيته بإشبيلية من أجلّ البيوت، و لم يزل له مع تقلّب الزمان ظهور و خفوت، و كان

أديبا شاعرا ذوّاقا لأطراف العلوم، انتهى.

[أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير]

و من المشهورين بالمجون و الخلاعة بالأندلس- مع البلاغة و البراعة- أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب، و هو من بيت مشهور

من جزيرة شقر، من عمل بلنسية، و كتب عن ولاء من بنى عبد المؤمن، ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الأندلس، و ربما

استوزره فى بعض الأحيان. و قال ابن سعيد: و هو ممّن كان والدى يكثر مجالسته، و لم أستفد منه إلّا ما كنت أحفظه فى مجالسته، و

كان شديد التهوّر، كثير الطيش، ذاهبا بنفسه كلّ مذهب، سمعته مرّة و هو فى محفل يقول: تقيمون القيامة لحبيب و البحترى و

المتنبى،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٢٤

و فى عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتدوا إليه؟ فأهوى له شخص له قحة و إقدام، فقال: يا أبا جعفر، فأرنا برهان ذلك، ما أظنك

تعنى إلّا نفسك، فقال: نعم، و لم لا؟ و أنا الذى أقول ما لم يتبّه إليه متقدّم، و لا يهتدى لمثله متأخّر: [السريع]

يا هل ترى أظرف من يومنا قلّد جيد الأفق طوق العقيق

و أنطق الورق بعيدانها مرقصة كلّ قضيب و ريق

والشمس لا تشرب خمر الندى فى الأرض إلّا بكؤوس الشقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان، و ردّوه فى الغيظ إلى أضيّق مكان، فقلت له: يا سيدى، هذا هو السحر الحلال، فبالله إلّا ما زدتنى من هذا النمط، فقال: [الوافر]

أدرها فالسماء بدت عروسا مضمخه الملابس بالغوالى

و خدّ الروض حمّره أصيل و جفن النهر كحلّ بالظلال

و جيد الغصن يشرق فى لآل تضىء بهنّ أكناف الليالى

فقلت: زد وعد، فعاد و الارتياح قد ملك عطفه، و التيه قد رفع أنفه، فقال: [السريع]

لله نهر عندما زرتة عاين طرفى منه سحرا حلال

إذ أصبح الطلّ به ليله و جال فيه الغصن شبه الخيال

فقلت: زد، فأنشد: [الوافر]

و لّما ماج بحر الليل بينى و بينكم و قد جدّدت ذكرا

أراد لقاءكم إنسان عيني فمدّ له المنام عليه جسرا

فقلت: إيه، فقال: [الوافر]

و لّما أن رأى إنسان عيني بصحن الخدّ منه غريق ماء

أقام له العذار عليه جسرا كما مدّ الظلام على الضياء

فقلت: أعد، فأعاد، و قال: حسبك لئلا تكثر عليك المعانى، فلا تقوم بحقّ قيمتها، و أنشد: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٢٥

هات المدام إذا رأيت شبيهاها فى الأفق يا فردا بغير شبيهه

فالصبح قد ذبح الظلام بصله فغدت تخاصمه الحمائم فيه

ثم قال: و كان قد تهتكت فى غلام لابن هود، و لكثرة انهزام ابن هود ربما انهزم مع العليج، و فيه يقول: [الوافر]

ألقت الحرب حتى علّمتنى مقارعة الحوادث و الخطوب

و لم أك عالما و أبيك حربا بغير لواحق الرشأ الرّيب

فها أنا بين تلك و بين هذى مصاب من عدوّ أو حبيب

و لّما هرب العليج إلى سبتّه أحسن إليه القائم بها أبو العباس الينشتى فلم يقنع بذلك الإحسان، و كان يأتى بما يوغر صدره، فقال يوما

فى مجلسه: رميت مرّة بقوس، فبلغ السهم إلى كذا، فقال ابن طلحة لشخص بجانبه: لو كان قوس قزح ما بلغ إلى كذا، فشرع بقوله،

فأسرها فى نفسه، ثم بلغه أنه هجاه بقوله: [الوافر]

سمعنا بالموفّق فارتحلنا و شافعنا له حسب و علم

و رمت يدا أقبليها و أخرى أعيش بفضلها أبدا و أسمو

فأنشدنا لسان الحال فيه يد شلا و أمر لا يتمّ

فزاد فى حنقه، و بقى مترصدا له الغوائل، فحفظت عنه أبيات قالها و هو فى حالة استهتار فى شهر رمضان، و هى: [الوافر]

يقول أخو الفضول و قد رأنا على الإيمان يغلبنا المجون

أ تنتهكون شهر الصوم هلا حماه منكم عقل و دين

فقلت اصحب سوانا، نحن قوم زنادقة مذاهبنا فنون

تدين بكل دين غير دين الرّع اع فما به أبدا ندين
 بحى على الصّبح الدّهر ندعو و إبليس يقول لنا أمين
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٢٦
 فيا شهر الصيام إليك عنّا إليك ففيك أكفر ما نكون
 فأرسل إليه من هجم عليه و هو على هذه الحال، و أظهر أنه يرضى العامة بقتله، فقتله، و ذلك سنة ٦٣١، انتهى. و حاكى الكفر ليس
 بكافر، و الله سبحانه و تعالى للزلات غير الكفر غافر.

[عود إلى ملح أهل الأندلس]

و قال محمد بن أحمد الإشبيلي بن البناء: [الطويل]
 كأنك من جنس الكواكب كنت لم يفتك طلوعا حالها و تواریا
 تجليت من شرق تروق تالؤها فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا
 و لما أمر المستنصر الموحدى بضرب ابن غالب الدانى ألف سوط و صلبه، و ضرب بإشبيلية خمسمائة، فمات، و ضرب بقيه الألف
 حتى تناثر لحمه، ثم صلب، قال ابنه أبو الربيع يرثيه: [البيسط]
 جهلا لمثلك أن يبكى لما قدرا و أن يقول أسى: يا ليته قبرا
 فاضت دموعك أن قاموا بأعظمه و قد تطاير عنه اللحم و انتثرا
 و منها:

ضاقت به الأرض ممّا كان حملها من الأيادي فملّت شلوه شلوه ضجرا
 و عزّ جسمك أن يحظى به كفن فما تسربل إلّا الشمس و القمر
 و قال أبو العلاء عبد الحق المرسى رحمه الله تعالى: [الرمل]
 يا أبا عمران دعنى و الذى لم يمل بي خاطرى إلّا إليه
 ما نديمى غير من يخدمنى لا الذى يجلسنى بين يديه
 يرفع الكلفة عنى و يرى أنها واجبة منى عليه
 و قال ابن غالب الكاتب بمالقة: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٢٧
 لا تخش قولاً قد عقدت الألسنا و ابعث خيالك قد سحرت الأعينا
 و اعطف علىّ فإنّ روحى زاهق و انظر إلى بنظرة إن أمكنا
 لا يخدعك أن ترانى لابسا ثوبى فقد أصبحت فيه مكفنا
 ما زال سحرك يستميل خواطرى بأرقّ من ماء الصفاء و ألينا
 حتى غدوت ببحر حبّ زاخر فرمت بى الأمواج فى شطّ الضنا
 و قال: [الكامل]

ما للنسيم لدى الأصيل عليلا أ تراه يشكو زفرة و غليلا
 جرّ الدّيول على ديار أحبّتى فأتى يجرّ من السقام ذيولا

و قال أبو عبد الله بن عسكر الغساني قاضى مالقة: [السرير]
أهواك يا بدر و أهوى الذى يعدلنى فيك و أهوى الرقيب
و الجار و الدار و من حلها و كل من مر بها من قريب
ما إن تنصرت و لكننى أقول بالثلث قولاً غريب
يطابق الألمان و الكاس إذ تبسم عجباً و الغزال الريب

[أبو أمية بن عفير قاضى إشبيلية]

و كان أبو أمية بن عفير قاضى إشبيلية- مع براعته، و تقدّمه فى العلوم الشرعيّة- أقوى الناس بالعلوم الأدبية المرعية، و قد اشتهر بسرعه
الخاطر فى الارتجال، و عدم المناظر له فى ذلك المجال، قال ابن سعيد: رأيت كثيراً ما يصنع القصائد و المقطعات، و هو يتحدّث أو
يفصل بين الغرماء فى أكثر الأوقات، و من شعره: [مخلع البسيط]
ديارهم صاح نصب عيني و ليس لى وصله إليها
إلا سلامى لدى ابتعاد من بعد سكانها عليها
و قوله رحمه الله تعالى: [الوافر]
و وجه تغرق الأبصار فيه و لكن يترك الأرواح هياما
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٢٨
أتانى ثم حيانى حبيب به و أباحنى الخدّ الرقيما
فمرّ لنا مجون فى فنون سلكت به الصراط المستقيما
قلت: أما مجرّد الارتجال فأمر عن الكثير صادر، و أما كونه مع التحدّث أو فصل الخصومات فهو نادر، و قد حكينا منها فى هذا الكتاب
من القسم الأول موارد و مصادر.

[على بن ظافر و يعقوب]

و يعجبني من الواقع لأهل المشرق من ذلك قضيه على بن ظافر، إذ قال: بتّ ليلةً و الشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين فى منزل
اعترفت له مشيدات القصور، بالانخفاض و القصور، و شهدت له ساميات البروج، بالاعتلاء، و العروج، قد ابيضت حيطانه، و طاب
استيطانه، و ابتهج به سكانه و قطّانه، و البدر قد محا خضاب الظلماء، محياه فى زرقه قناع السماء، و كسا الجدران ثياباً من فضة، و نثر
كافوره على مسك الثرى بعد أن سحقه و رضّه، و الروض قد ابتسم محياه، و وشت بأسرار محاسنه رياه، و النسيم قد عانق قامات
الأغصان فميلها، و غضبها مباسم نورها فقبلها، و عندنا مغنّ قد وقع على تفضيله الإجماع، و تغايرت على محاسنه الأبصار و الأسماع،
إن بدا فالشمس طالعه، و إن شدا فالورق ساجعه، تغازله مقله سراج قد قصر على وجهه تحديقه، و قابله فقلنا البدر قابل عتوقه، و هو
يغار عليه من النسيم كلّما خفق و هبّ، و يستجيش عليه بتلويح بارقه الموشى بالذهب، و يديم حرقة و سهده، و يبذل فى إلفه طاقته
و جهده، فتارة يضمّخه بخلوقه، و تارة يحلّيه بعقيقه، و آونه يكسوه أثواب شقيقه، فلم نزل كذلك حتى نعس طرف المصباح، و
استيقظ نائم الصباح، فصنعت بديها فى المجلس، و كتبت بها إلى الأعز بن المؤيد رحمه الله تعالى أصف تلك الليلة التى ارتفعت
على أيام الأعياد، كارتفاع الرءوس على الأجياد، بل فضلت ليالات الدهر، كفضل البدر على النجوم الزهر: [الخفيف]

غبت عنى يا ابن المؤيد فى وقت شهى يلهى المحب المشوقا
 ليله ظل بدرها يلبس الجدران ثوبا مفضضا مرموقا
 وغدا الظل فيه ينثر كافورا فيعلو مسك التراب السحيقا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٢٩
 وتبدى النسيم يعتنق الأغصان لما سرى عناقا رقيقا
 بت فيها منادما لصديق ظل بين الأنام خلا صدوقا
 هو مثل الهلال وجهها صبيحا ومثل النسيم ذهنا رقيقا
 وغزال كالبدر وجهها وغصن البان قدا والخمرة الصرف ريقا
 مظهر للعيون ردفا مهिला وحشا ناحلا وقدا رشيقا
 إن تغنى سمعت، داود أو لاح تأملت يوسف الصديقا
 وإذا قابل السراج رأينا منه بدرا يقابل العيوقا
 وأظن الصباح هام بمرآه فأبدى قلبا حريقا خفوقا
 هو نجم ما لاح فى الجدر كافور بياض إلا كساه خلوقا
 ما بدا نرجس الكواكب إلا قام من نومه يرينا الشقيقا
 وإذا ما بدت جواهرها فى ال جؤ أبدى فى الأرض منهم عقيقا
 فغدونا تحت الدجى نتعاطى من رقيق الآداب خمرا رقيقا
 وجعلنا ريحاننا طيب ذكرا ك فخلناه عنبرا مفتوقا
 ذاك وقت لولا مغيبك عنه كان بالمدح والثناء خليقا
 قال: فأجاب عنها من الوزن دون الروى: [الخفيف]
 قد أتتى من الجمال قصيدا يا لها من قصيدة غراء
 جمعت رقة الهواء وطيب ال مسك فى سبكها و صفو الماء
 فأرتنا طباعه و شذاه و الذى حاز ذهنه من ذكاء
 سيدى هل جمعت فيها اللآلى يا أخوا المجد أم نجوم السماء
 أفحمتنى حسنا و حق أيادى ك التى لا تعد بالإحصاء
 فتركت الجواب و الله عجزا فابسط العذر فيه يا مولائى
 هل يسامى الثرى الثريا و أنى يدعى النجم فرط نور ذكاء
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٣٠
 رجع إلى أهل الأندلس:

وقال ابن السماك: [البسيط]

إياك أن تكثر الإخوان مغتتما فى كل يوم إلى أن يكثر العدد
 فى واحد منهم تصفى الوداد له من التكليف ما يفنى به الجلد
 وله: [الطويل]

تحن ركابى نحو أرض و ما لها و ما لى من ذاك الحنين سوى الهم

و كم راغب فى موضع لا يناله و أمسيت منه مثل يونس فى اليم
بهذا قضى الرحمن فى كلّ ساخط يموت على كره و يحيا على رغم
و لما قام الباجى بإشيبليّة و خلع طاعة ابن هود، و أبدل شعاره الأسود العباسى فى البنود، قال أبو محمد عبد الحق الزهرى القرطبى فى
ذلك: [البسيط]

كأنما الراية السوداء قد نعبت لهم غرابا بين الأهل و الولد
مات الهوى تحتها من فرط روعته فأظهر الدهر منها لبسة الكمد
و أنشدهما القائم الباجى فى جملة قصيده.

و قال الوزير أبو الوليد إسماعيل بن حجاج الأعمى الإشبلى: [الكامل]
أمسى الفراش يطوف حول كؤوسنا إذ خالها تحت الدجى قنديلا
ما زال يخفق حولها بجناحه حتى رمته على الفراش قتيلا
وله: [الكامل]

لاموا على حبّ الصبا و الكاس لما بدا وضح المشيب براسى
و الغصن أحوج ما يكون لسقيه أيام يبدو بالأزهر كاسى
وله، و قد رأى على نهر قرطبة ثلاثين نفسا مصلوبين من قطع الطريق: [المتقارب]

ثلاثون قد صففوا كلهم و قد فتحوا أذرا للوداع
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٣١
و ما ودّعوا غير أرواحهم فكان وداعا لغير اجتماع
وله فى فتى و سيم عضّ كلب و جنته: [الطويل]
و أغيد و ضاح المحاسن باسم إذا قامر الأرواح ناظره قمر
تعمّد كلب عضّ و جنته التى هى الورد إيناعا و أبقى بها أثر
فقلت لشهب الأفق كيف صماتكم و قد أترّ العواء فى صفحة القمر

و قال الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسى المؤرخ الأديب، المصنّف الشهير، و كان حافظا لنكت الأندلسيين حديثا و قديما،
ذاكرا لفكاهاتهم التى صيرته للملوك خليلا- و نديما، فى صبى من أعيان الجزيرة الخضراء، تهافت فى حبه جماعة من الأدباء و
الشعراء.

و كان من القوم الذين هاموا بالمدكور، و قاموا فيه المقام المشهور، أديب يقال له الفار، فتسلط على البياسى حتى سافر من الجزيرة و
كان يلقب بالقط: [الطويل]

عذرت أبا الحجاج من ربّ شبيهة غدا لابسا فى الحب ثوبا من القار
و ألجأه الفار المشارك للنوى و لم أر قطّ قبله فرّ من فار
وله: [الخفيف]

قد سلونا عن الذى تدريه و جفوناه إذ جفا بالتيه
و تركناه صاغرا لأناس خدعوه بالزور و التّمويه
لمضلّ يسوقه لمضلّ و سفيه يقوده لسفيه

و له، و قد كتب إلى بعض أصحابه يذكره بالأيام السوالف: [الوافر]

أبا حسن لعمر ك إن ذكرى لأيام النعيم من الصواب
 أمثلى ليس يذكر عهد حمص و قد جمحت بنا خيل التصابي
 و نحن نجر أثواب الأمانى مطرزة هنالك بالشباب
 و عهد بالجزيرة ليس ينسى و إن أغفلته عند الخطاب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٣٢
 هو الأحلى لدى و إن حماني عن العسل اجتماع للذباب
 و سار إلى المحبوب، و كان كثير الاجتماع به فى جنة لوالده على وادى العسل، فقال: [مجزوء الرجز]
 جنة وادى العسل كم لى بها من أمل
 لو لم يكن ذبابها يمنع ذوق العسل

[من محاسن أبى الحجاج البياسى]

قال ابن سعيد: و لما التقينا بتونس بعد إيابى من المشرق، و قد ولج ظلام الشعر على وجهه المشرق، قلت لأبى الحجاج مشيرا إلى
 محبوبه، و قد غطى هواه عنده على عيوبه:

[السريع]

خلّ أبا الحجاج هذا الذى قد كنت فيه دائم الوجد
 و انظر إلى لحيته و اعتبر ممّا جنى الشعر على الخدّ
 و الله سبحانه يسمح للجميع، فى هذا الهزل الشنيع، و يصفح عنا فى ذكره، إنه مجيب سميع.

[ابن صارة و إخوان له]

و قال صاحب «البدائع» ركب الأستاذ أبو محمد بن صارة مع أصحاب له فى نهر إشبيلية فى عشية سال أصيلها على لجين الماء عقيانا،
 و طارت زواريقها فى سماء النهر عقباناً، و أبدى نسيمها من الأمواج و الدارات سررا و أعكانا، فى زورق يجول جولان الطرف، و
 يسودّ اسوداد الطرف، فقال بديها: [الوافر]

تأمل حالنا و الجوّ طلق محيّا و قد طفل المساء

و قد جالت بنا عذراء حبلى تجاذب مرطها ريح رخاء

بنهر كالسجنجل كوثرى تعبس وجهها فيه السماء

و اتفق أن وقف أبو إسحاق بن خفاجة على القطعة و استظرفها و استلطفها، فقال يعارضها على وزنها و رويها و طريقتها: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٣٣

ألا يا حبذا ضحك الحميا بحانتها و قد عبس المساء

و أدهم من جياذ الماء مهر تنازح جلّه ريح رخاء

إذا بدت الكواكب فيه غرقى رأيت الأرض تحسدها السماء

[بين ابن خفاجة و ابن وهبون و ابن خفاجة و أصحاب له]

و قال الأديب ابن خفاجة في ديوانه: صاحبت في صدرى من المغرب سنة ثلاث و ثمانين و أربعمائه أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد، و كان أبو جعفر بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية، و شرع في النفاق، فقطع السبيل، و أخاف الطريق، و لما حاذينا قلعتة و قد احتدمت جمرة الهجير، و ملّ الركب رسيمة و ذميلة، و أخذ كلّ منا يرتاد مقيله، اتفقنا على أن لا نطعم طعاما، و لا ندوق مناما، حتى نقول في صورة تلك الحال، و ذلك الترحال، ما حضر، و شاء الله أن أجبل ابن وهبون و اعتذر، و أخذت عفو خاطرى، فقلت أترى به، و أعرض بعظم لحيته: [الوافر]

ألا قل للمريض القلب مهلا فإنّ السيف قد ضمن الشقاء

و لم أر كالتفاق شكاه حرّ و لا كدم الوريد له دواء

و قد دحى النجيج هناك أرضا و قد سمك العجاج به سماء

و ديس به انحطاطا بطن واد مذ اعشب شعر لحيته ضراء

و قال ابن خفاجة أيضا: حضرت يوما مع أصحاب لى، و معهم صبي متهم فى نفسه، و اتفق أنهم تحاوروا فى تفضيل الرمان على العنب، فانبرى ذلك الصبى فأفرط فى تفضيل العنب، فقلت بديها أعبت به: [السريع]

صلنى لك الخير برمانه لم تنتقل عن كرم العهد

لا عبا أمتصّ عنقوده ثديا كأنى بعد فى المهد

و هل يرى بينهما نسبة من عدل الخصية بالنهد

فخجل خجلا شديدا و انصرف.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٣٤

قال: و خرجت يوما بشاطبة إلى باب السيمارين، ابتغاء الفرجة على خريز ذلك الماء بتلك الساقية، و ذلك سنة ٤٨٠، و إذ بالفقيه أبى عمران بن أبى تليد رحمه الله تعالى قد سبقنى إلى ذلك، فألفيته جالسا على دكان كانت هناك مبنية لهذا الشأن، فسلمت عليه، و جلست إليه، مستأنسا به، فجرى أثناء ما نتاشدناه ذكر قول ابن رشيق: [مجزوء الكامل]

يا من يمرّ و لا تمرّ به القلوب من الفرق

بعمامة من خده أو خده منها استرق

فكأنه و كأنها قمر تعمم بالشفق

فإذا بدا و إذا اتثنى و إذا شدا و إذا نطق

شغل الخواطر و الجوانح و المسامع و الحدق

فقلت، و قد أعجب بها جدّا، و أثنى عليها كثيرا: أحسن ما فى القطعة سياقه الأعداد، و إلّا فأنت تراه قد استرسل فلم يقابل بين ألفاظ البيت الأخير و البيت الذى قبله فينزل بإزاء كل واحدة منها ما يلائمها، و هل ينزل بإزاء قوله «و إذا نطق» قوله «شغل الحدق» و كأنه نازعنى القول فى هذا غاية الجهد، فقلت بديها: [مجزوء الكامل]

و مهفهف طاوى الحشا خنت المعاطف و النظر

ملا العيون بصورة تليت محاسنها سور

فإذا رنا و إذا مشى و إذا شدا و إذا سفر

فضح الغزاة و الغمامة و الحمامة و القمر

فجرت بها استحسانا، انتهى.

قال ابن ظافر: و القطعة القافية ليست لابن رشيق، بل هي لأبي الحسين علي بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة.

[بين السميسر وبعض رؤساء المريّة]

و كان بين السميسر الشاعر و بين بعض رؤساء المريّة واقع لمدح مدحه فلم يجزه عليه، فصنع ذلك الرجل دعوة للمعتصم بن صمادح

صاحب المريّة، و احتفل فيها بما يحتفل مثله في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٣٥

دعوة سلطان مثل المعتصم، فصر السميسر إلى أن ركب السلطان متوجّها إلى الدعوة، فوقف له في الطريق، فلما حاذاه رفع صوته

بقوله: [البيط]

يا أيها الملك الميمون طائره و من لدى ماتم في وجهه عرس

لا تفرسنّ طعاما عند غيركم إنّ الأسود على المأكل تفرس

فقال المعتصم: صدق و الله، و رجع من الطريق، و فسد على الرجل ما كان عمله.

[عباد بن الحريش و رجال من سراة أصبهان]

و نظير هذه الحكاية أن عبّاد بن الحريش كان قد مدح رجلا من كبار أصبهان أرباب الضيع و الأملاك و التبغ الكثير، فمطله بالجائزة،

ثم أجازته بما لم يرضه، فردّه عليه، و بعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة غرم عليها ألوف دنانير كثيرة لأبي دلف القاسم بن عيسى

العجلي على أن يجيء إليه من الكرج، و وصل أبو دلف، فلما وقعت عين عبّاد عليه و هو يساير بعض خواصّه أوّما إلى ذلك السائر و

أنشد بأعلى صوته: [مجزوء الخفيف]

قل له يا فديته قول عبّاد: ذا سمج

جئت في ألف فارس لغداء من الكرج

ما على النفس بعد ذا في الدناءات من حرج

فقال أبو دلف، و كان أخوف الناس من شاعر: صدق و الله، أجيء من الكرج إلى أصبهان حتى أتعدّي بها؟ و الله ما بعد هذا في

دناءة النفس من شيء. ثم رجع من طريقه، و فسد على الرجل كل ما غرمه، و عرف من أين أتى. و تخوف أن يعود عبّاد عليه بشرّ

منها، فسير إليه جائزة سيّئة مع جماعة من أصحابه، فاجتمعوا به، و سألوه فيه، و في قبول الجائزة، فلم يقبل الجائزة، ثم أنشد بديها:

[السريع]

وهبت يا قوم لكم عرضه

فقالوا: جزاك الله تعالى خيرا! فقال:

كرامة للشعر لا للفتى

لأنه أبخل من ذرّة على الذي تجمعه في الشتا

انتهى.

و ذكر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي ما معناه: أنه عزم بمصر هو و رفقة له

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٣٦

على الاصطباح، فقصدوا بركة الحبش، في وقت ولاية الغبش، و حلّوا منها روضا بسم زهره، و نسّم عطره، فأداروا كؤوسا، تطلع من المدام شمسوا، و عاينوها نجوما، تكون لشياطين الهموم رجوما، فطرب حتى أظهر الطرب نشاطه، و أبرز ابتهاجه و انبساطه، فقال: [المنسرح]

لله يومى بركة الحبش و الجوّ بين الضياء و الغبش
التّيل تحت الرياح مضطرب كصارم فى يمين مرتعش
و نحن فى روضة مفوّفة ديجّ بالتّور عطفها و وشى
قد نسجتها يد الغمام لنا فنحن من نورها على فرش
فعاطنى الراح إنّ تاركها من سورة الهمّ غير منتعش
و أسقنى بالكبار مترعه فهنّ أروى لشدّة العطش
فأثقل الناس كلّهم رجل دعاه داعى الصّبا فلم يطش

[أبو الصلت و إخوان له]

و هذا أبو الصّلت أمية من كبراء أدباء الأندلس العلماء الحكماء، و قد ترجمناه فى الباب الخامس فى المرتحلين من الأندلس إلى المشرق.

و قال رحمه الله تعالى: كنت مع الحسن بن على بن تميم بن المعز بن باديس بالمهدية فى الميدان، و قد وقف يرمى بالنشاب، فصنعت فيه بديها: [السريع]

يا ملكا مذ خلقت كفه لم تدر إلّا الجود و الباسا
إنّ النجوم الزّهر مع بعدها قد حسدت فى قربك الناسا
و ودّت الأملاك لو أنّها تحوّلت تحتك أفراسا
كما تمّنّى البدر لو أنّه عاد لنشابك برجاسا

[للوزير الوقشى فى غلام أسود]

و صنع الوزير أبو جعفر أحمد الوقشى وزير الرئيس أبى إسحاق بن همشك صهر الأمير أبى عبد الله محمد بن مردنيس فى غلام أسود فى يده قضيب نور بديها: [الوافر]

و زنجى أتى بقضيب نور و قد زقت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفها فقلت الليل أقبل بالنجوم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٣٧

[أبو يحيى اليكى]

ولمّا أفرط أبو بكر يحيى اليكى فى هجاء أهل فاس تعسّفوا عليه، و ساعدهم و اليهم مظفر الخصى من قبل أمير المسلمين على بن يوسف، و القائد عبد الله بن خيار الجيانى، و كان يتولّى أموراً سلطانية بها، فقدّموا رجلاً ادّعى عليه بدين، و شهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناى، و رجل آخر يكنى بأبى الحسين من مشايخ البلد، فأثبت الحقّ عليه، و أمر به إلى السجن، فرجع إليه، و سيق سوقاً عنيفاً، فلمّا وصل إلى بابه طلب ورقة من كاتبه، و كتب فيها، و أنفذها إلى مظفر مع العون الذى أوصله إلى السجن، فكان ما كتب: [الكامل] ارشوا الزناى الفقيه ببيضة يشهد بأنّ مظفراً ذو بيضتين و اهدوا إليه دجاجة يحلف لكم ما ناك عبد الله عرس أبى الحسين

[من شعر ابن مفيد و جماعة من أهل الأندلس]

و قال أبو الحسن على بن عتيق بن مؤمن القرطبى الأنصارى: عمل والدى محملاً للكتب من قضبان تشبه سلماً، فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد، فرآه، فقال ارتجالاً:
[الخفيف]

أيها السّيد الذكىّ الجنان لا تقسنى بسلمّ البنين
فضل شكلى على السلالم أنى محمل للعلوم و القرآن
حزت من حلية المحيين ضعفى و اصفرارى و رقة الأبدان
فادع للصانع المجيد بفوز ثم وال الدعاء للإخوان
ثم عمل أيضاً: [الخفيف]

أيها السّيد الكريم المساعى التفت صنعتى و حسن ابتداعى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ١٣٧
أنا للنسخ محمل خفّ حملى أنا فى الشكل سلّم الاطلاع
و قال أحمد بن رضى المالقى: [البسيط]

ليس المدامة ممّا أستريح له و لا مجاوبه الأوتار و النّغم
و إنّما لذتى كتب أطالها و خادى أبدأ فى نصرتى قلمى
و قال أبو القاسم البلوى الإشبلى: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٣٨
لمن أشكو مصابى فى البرايا و لا ألقى سوى رجل مصاب
أمر لو تدبّرها حكيم لعاش مدى الزمان أخوا اكتتاب
أما فى الدهر من أفشى إليه بأسرارى فيؤنس بالجواب
يئست من الأنام فما جليس يعزّ على نهائى سوى كتابى

و قال أبو زكريا يحيى بن صفوان بن إدريس، صاحب كتاب «العجالة» و «زاد المسافر» و غيرهما: [مجزوء الرمل]
ليت شعرى كيف أنتم و أنا الصّبّ المعنى
كلّ شىء لم تكونوا فيه لفظ دون معنى
و له فى نصرانى وسيم لقيه يوم عيد: [المتقارب]

توحد في الحسن من لم يزل يثلث و القلب في صدّه
يشف لك الماء من كفه و يقتدح النار من خده
و هذان البيتان نسبهما له بعض معاصريه، و أبوه صفوان سابق الميدان.

[ابن عمار و غلامان من بنى جهور]

و قال ابن بسام: سائر ابن عمار في بعض أسفاره غلامان من بنى جهور أحدهما أشقر العذار و الآخر أخضره، فجعل يميل بحديثه لمخضّر العذار، ثم قال ارتجالاً: [المتقارب]
تعلّقت جهورى النّجار حلّى اللّمي جوهرى الثنايا
من الثّفر البيض أسد الزمان رفاق الحواشى كرام السجايا
و لا غرو أن تغرب الشارقات و تبقى محاسنها بالعشايا
و لا وصل إلّا جمان الحديث نساقطه من ظهور المطايا
سنت المثلث للزعفران و ملت إلى خضرة فى التفايا
و معناه أن ابن عمار أبغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الأشقر منهما، و أحب خضرة التفايا، و هو لون طعام يعمل بالكزبرة، لشبهها بعذار الأخضر منهما.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٣٩

[ابن عمار و ابن معيشة الكنانى و ايضا ابن عمار و غلام لابن هود]

و قال أبو العرب بن معيشة الكنانى السبتي: أخبرنى شيخ من أهل إشبيلية كان قد أدرك دوله آل عباد، و كان عليه من أثر كبر السنّ و دلائل التعمير ما يشهد له بالصدق، و ينطق بأنّ قوله الحقّ، قال: كنت فى صباى حسن الصورة، بديع الخلقة، لا تلمحنى عين أحد إلّا ملكت قلبه، و خلبت خلبه، و سلبت لبه، و أطلت كربه، فبينما أنا واقف على باب دارنا إذا بالوزير أبى بكر بن عمار قد أقبل فى موكب زجل، على فرس كالصخرة الصّماء قدّت من قنّة الجبل، فحين حاذانى و رآنى اشربّ إلى ينظرنى و بهت يتألمنى، ثم دفع بمخضرة كانت بيده فى صدرى، و أنشد: [مجزوء الكامل]
كفّ هذا النّهد عنى فقلبى منه جرح
هو فى صدرك نهد و هو فى صدرى رمح
و عبر فى «البدائع» على طريقة القلائد بما صورته: ذكر الفتح بن خاقان ما هذا معناه:

أخبرنى ذو الوزارتين أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر عند المؤتمن بن هود فى يوم أجرى الجوّ فيه أشقر برقه، و رمى بنبل ودقه، و حملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها، و تمايلت قامات الأغصان فى الحلل الخضر من أوراقها، و الأزهار قد تفتّحت عيونها، و الكمام قد ظهر مكنونها، و الأشجار قد انصقلت بالقطر، و نشرت ما يفوق ألوان البر و بثت ما يعلو العطر، و الراح قد أشرفت نجومها فى بروج الراح، و حاكت شمسها شمس الأفق فتلفعت بغيوم الأقداح، و مديرها قد ذاب ظرفاً فكاد يسيل من إهابه، و أخجل خدها حسناً فتكلم بعرق حبابه، إذا بفتى رومى من أصبح فتیان المؤتمن قد أقبل متدّراً كالبدرا اجتاب سحاباً، و الخمر اكتست حباباً، و الطاووس انقلب حباباً، فهو ملك حسناً إلّا أنه جسد، و غزال لنا إلّا أنه فى هيئة الأسد، و قد جاء يريد استشارة المؤتمن فى الخروج

إلى موضع كان عوّل فيه عليه، و أمره أن يتوجّه إليه، فحين وصل إلى حضرته لمحّه ابن عمار و السكر قد استحوذ على لثته، و انبثت سراياه فى ضواحي قلبه، فأشار إليه و قرّبه، و استبدع ذلك اللباس و استغربه، و جدّ فى أن يستخرج تلك الدّرة من ماء ذلك الدّلاص، و أن يجلى عنه كما يجلى الخبث عن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٤٠

الخلاص، و أن يوفّر على ذلك الوفر نعمه جسمه، و يكون هو الساقى على عادته القديمة و رسمه، فأمره المؤتمن بقبول أمره و امتثاله، و احتذاء أمثاله، فحين ظهرت تلك الشمس من حجبتها، و رمت شياطين النفوس من كمت المدام بشهبها، ارتجل ابن عمار: [الكامل]

و هويته يسقى المدام كأنه قمر يدور بكوكب فى مجلس
متناوح الحركات يندى عطفه كالغصن هزّته الصّبا بتنفّس
يسقى بكأس فى أنامل سوسن و يدير أخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده و مصرّف الفرس القصير المحبس
إياك بادره الوغى من فارس خشن القناع على عذار أملس
جهم و إن حسر القناع فإنما كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى و يلعب فى دلال عذاره كالمهر يلعب فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النّقا وسطا بليث الغاب طىي المكنس
عنا بكأسك قد كفتنا مقله حوراء قائمه بسكر المجلس
و صنع فيه أيضا: [الوافر]

و أحور من ظباء الروم عاط بسالفتيه من دمعى فريد
قسا قلبا و شنّ عليه درعا فباطنه و ظاهره حديد
بكيت و قد دنا و نأى رضاه و قد يبكى من الطرب الجليل
و إن فتى تملكه برقّ و أحرز حسنه لفتى سعيد

[المعتصم بن صمادح]

و قال فى «البدائع» مؤلفه ما نصّه: خرج المعتصم بن صمادح صاحب المريء يوما إلى بعض متنزهاته، فحلّ بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج، و تنفّست عن مسكها الأريج، و ماست معاطف أغصانها، و تكلّلت بلؤلؤ الطلّ أجياد قضبانها، فتشوّف إلى الوزير أبى طالب بن غانم أحد كبراء دولته، و سيوف صولته، فكتب إليه بديها بورقه كرنب بعود من شجرة: [مخلع البسيط]

أقبل أبا طالب إلينا و اسقط سقوط الندى علينا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٤١

و جلس المعتصم بن صمادح المذكور يوما و بين يديه ساقية قد أخدمت ببردهما حرّ الأوار، و التوى ماؤها فيها التواء فضّة السوار، فقال ارتجالا: [البسيط]

انظر إلى الماء كيف انحطّ من صبيه كأنه أرقم قد جدّ فى هربه

[بعض ما قيل فى البعوض]

و قال السمسيسر: [المتقارب]

بعوض شربن دمي قهوة و غنّيني بضروب الأغاني
كأن عروقي أوتارهنّ و جسمي الرباب و هنّ القناني

[و قيل: [الطويل]

بعوض و برغوث و بقّ لزمّني حسبني دمي خمرا فلذّ لها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضه و بقّهم سكت ليستمع الزمر
و منه: [مجزوء الكامل]

بقّ و برغوث أتوا نحوي و قد شدّوا عذابي

و أتى البعوض بزمره يا قوم أخرج من ثيابي]

و أحسن منه قول ابن شرف القيرواني: [الكامل]

لك مجلس كملت بشاره لهونا فيه، و لكن تحت ذاك حديث

غنّي الذباب فظلّ يزمر حوله فيه البعوض و يرقص البرغوث

و السابق إلى هذا المعنى أبو الحسن أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة إذ قال:

[المنسرح]

لا أعدل الليل في تطاوله لو كان يدري ما نحن فيه نقص

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٤٢

لى و البراغيث و البعوض إذا أجنّنا حندس الظلام قصص

إذا تغنّى بعوضه طربا أطرب برغوثة الغنا فرقص

و نحو هذا قول الحصري فيما نسبه إليه ابن دحية: [المجث]

ضاقت بلنسية بي و زاد غنّي غموضي

رقص البراغيث فيها على غناء البعوض

[عود إلى أهل الأندلس]

رجع إلى أهل الأندلس، فنقول:

كان ابن سعد الخير البلنسي الشاعر كثير الدهول، مفرط النسيان، ظاهر التغفّل، على جودة نظمه، و رطوبة طبعه، و كان كثيرا ما يسلك
سكة الإسكافيين الذين يعملون الخفاف على بعلّه له، فاتّخذت البعلّة النفور من أطراف الأدم و فضلات الجلود الملقاة في السكة عادة
لها، و اتّفق أن عبر في السكة راجلا، و معه جماعة من أصحابه، فلما رأى الجلود الملقاة قفز و وثب راجعا على عقبه، فقال له أصحابه:
ما هذا أيها الأستاذ؟ فقال: البعلّة نفرت، فعجبوا من تغفّله كيف ظنّ مع ما يقاسيه من ألم المشى و نصب التعب أنه راكب؟ و أنّ
حركته الاختيارية منه حركة الدابة الضرورية له، فكان تغفّله ربما أوقعه في تهمة عند من لم يعرفه، فاقترح عليه بعض الأمراء أن يصنع

بيتين أول أحدهما كتاب و آخره ذئب، و أول الآخر جوارح و آخره أنابيب، فصنع بديها: [الطويل]

كتاب نجيع لاح في حومه الوغى و قارنه نسر هنالك أو ذيب

جوارح أهليه حروف و ربّما تولّته من نقط الطعان أناييب

و قال الحميدى: ذكر لى أبو بكر المروانى أنه شاهد محبوبا الشاعر النحوى قال بديهة فى صفة ناعورة: [الطويل]

و ذات حنين ما تغيض جفونها من اللّجج الخضر الصوافى على شطّ

و تبكى فتحى من دموع جفونها رياضاً تبدّت بالأزهر فى بسط

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٤٣

فمن أحمر قان و أصفر فاقع و أزهر مبيّض و أدكن مشمطّ

كأنّ ظروف الماء من فوق متنها لآلى جمان قد نظمن على قرط

و قال أبو الخطاب بن دحية: دخلت على الوزير الفقيه الأجلّ أبى بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمى، فوقع الكلام فى علوم

لم تكن من جنس فنونه، فقال بديها: [الخفيف]

أيها العالم أدركنى سماحا فلمثلنى يحقّ منك السماح

إن تخلنى إذا نطقت عييا فبنانى إذا كتبت وقاح

أحرز الشأو فى نظام و نثر ثم أثنى و فى العنان جماح

فبهزل كما تأوّد غصن و بجدّ كما تهزّ الصفاح

و قال: دخلت عليه منزله بشاطبة فى اليوم الذى توفى فيه و هو وجود بنفسه، فأنشد بديها: [الخفيف]

أيها الواقف اعتبارا بقبرى استمع فيه قول عظمى الرّميم

أودعونى بطن الضريح و خافوا من ذنوب كلومها بأديمى

و دعونى بما اكتسبت رهينا غلق الرهن عند مولّى كريم

و قال ابن طوفان: دعا أبى أبا الوليد النّحلى، فلما قضوا و طرهم من الطعام سقيتهم، و جعلت أترع الكاسات، فلما مشت فى النّحلى

سورة الحميا ارتجل: [مجزوء الرمل]

لابن طوفان أيا د قلّ فيها مشبهوه

ملا الكاسات حتى قيل فى البيت أبوه

و نظيره قول المتفتل من شعراء الذخيرة فى الشاعر ابن الفراء: [مجزوء الرمل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٤٤

فإذا ما قال شعرا نفقت سوق أبيه

[فى وصف الأهرام و فى وصف فارس]

و ذكر فى «بدائع البداة» أن جماعة من الشعراء فى أيام الأفضل خرجوا متزهين إلى الأهرام ليروا عجائب مبانيها، و يتأملوا ما سطره

الدهر من العبر فيها، فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها، فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى: [الطويل]

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا على ما رأت عيناك من هرمى مصر

أنافا بأعنان السماء فأشرفا على الجوّ إشراف السّماك أو النّسر

و قد وافيا نشزا من الأرض عاليا كأنهما نهدان قاما على صدر

و صنع أبو منصور ظافر الحداد: [الوافر]

تأمل هيئة الهرمين و انظر و بينهما أبو الهول العجيب

كعمار يتين على رحيل بمحبيين بينهما رقيب

و فيض البحر عندهما دموع و صوت الريح بينهما نحيب

و ظاهر سجن يوسف مثل صبّ تخلف فهو محزون كئيب

و قال ابن بسام: كان للمتوكل بن الأفتس فرس أدهم أغرّ محجل على كفله ست نقط بيض، فندب المتوكل الشعراء لصفته، فصنع

التحلى أبو الوليد فيه بديها: [الرمل]

ركب البدر جوادا سابحا تقف الريح لأدنى مهله

لبس الليل قميصا سابغا و الثريا نقط في كفله

و غدیر الصبح قد خيض به فبدا تحجيلة من بلله

كلّ مطلوب و إن طالبت به رجله من أجله في أجله

ثم انتدب الشعراء بعد ذلك للعمل فيه، فصنع ابن اللبانة: [الكامل]

لله طرف جال يا ابن محمد فحبت به حوباؤه التأميلا

لما رأى أن الظلام أديمه أهدى لأربعه الهدى تحجيلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٤٥

و كأنما في الردف منه مباسم تبغى هناك لرجله تقييلا

و يعنى بعمر المتوكل المذكور لأن اسمه عمر.

و قال أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجى قاضى إشبيلية: [الكامل]

لله إخوان تناءت دارهم حفظوا الوداد على النوى أو خانوا

يهدى لنا طيب الثناء و دادهم كالندّ يهدى الطيب و هو دخان

و حكى أن أيوب بن سليمان السهيلي المروانى حضر يوما عند ابن باجة، و الشاعر و أبو الحسن بن جودى هناك، فتكلم المروانى

بكلام ظهر فيه نبل و أدب، فتشوّف أبو الحسن بن جودى لمعرفته، و كان إذ ذاك فتى السنّ، فقال له: من أنت أكرمك الله تعالى؟

فقال: هلا- سألت غيرى عنى فيكون ذلك أحسن لك أدبا و لى توقيرا، فقال ابن جودى: قد سألت من المعرف عنك فلم يعرفك،

فقال: يا هذا، طالما مرّ علينا زمان يعرفنا من يجهل، و لا- يحتاج من يرانا فيه إلى أن يسأل، و أطرق ساعة، ثم رفع رأسه و أنشد:

[الطويل]

أنا ابن الألى قد عوّض الدهر عزهم بذلّ و قلوا و استحَبوا التنكرا

ملوك على مرّ الزمان بمشرق و غرب دهاهم دهرهم و تغيرا

فلا تذكرنهم بالسؤال مصابهم فإنّ حياة الرزء أن يتذكرا

ففظن ابن جودى أنه من بنى مروان، فقام و قبيل رأسه، و اعتذر إليه، ثم انصرف المروانى، فقال ابن باجة لابن جودى: أساء أدبك

بعدهما عهدت منك؟ كيف تعمد إلى رجل فى مجلسى تجدننى قد قربته و أكرمه و خصصته بالإصغاء إلى كلامه فتقدّم عليه بالسؤال

عن نفسه؟ فاحذر أن تكون لك عادة، فإنها من أسوأ الأدب، فقال ابن جودى: لم نزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام: [المنسرح]

نأخذ من ماله و من أدبه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٤٦

[بكار المرواني]

و حكى أن بكار المرواني لما ترك وطنه و خرج في الجهاد و قتل، قال صاحب السقط:
إنه اجتمع به في أشبونه فقال: قصدت منزله بها، و نقرت الباب، فنادى: من هذا؟ فقلت:
رجل مَمَّن يتوسل لرؤياك بقراية، فقال: لا قراية إلا بالتقى، فإن كنت من أهله فادخل، و إلا فتخ عني، فقلت: أرجو في الاجتماع بك
و الاقتباس منك أن أكون من أهل التقى، فقال:

ادخل، فدخلت عليه فإذا به في مصلاه و سبحه أمامه، و هو يعدّ حبوبها و يسبح فيها، فقال لي:
ارفق عليّ حتى أتمّ وظيفتي من هذا التسيح، و أفضى حَقِّك، فقعدت إلى أن فرغ، فلما قضى شغله عطف عليّ و قال: ما القراية التي
بينى و بينك؟ فانتسبت له، فعرف أبي، و ترخّم عليه، و قال لي: لقد كان نعم الرجل، و كان لديه أدب و معرفة، فهل لديك أنت ممّا
كان لديه شيء؟

فقلت له: إنه كان يأخذني بالقراءة و تعلم الأدب، و قد تعلّقت من ذلك بما أتميز به، فقال لي:
هل تنظم شيئاً؟ قلت: نعم، و قد ألجأني الدهر إلى أن أرتزق به، فقال: يا ولدي إنه بئسما يرتزق به، و نعم ما يتحلّى به إذا كان على
غير هذا الوجه، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إنّ من الشّعر لحكمة» و لكن تحلّ الميتة عند الضرورة، فأنشدني أصلحك
الله تعالى ممّا على ذكرك من شعرك، قال: فطلبت بخاطري شيئاً أقابله به ممّا يوافق حاله فما وقع لي إلا فيما لا يوافق من مجون و
وصف خمر و ما أشبه ذلك، فأطرقت قليلاً، فقال: لعلك تنظم، فقلت: لا و لكن أفكر فيما أقابلك به، فقولي أكثره فيما حملني عليه
الصّيبا و السخف، و هو غير لائق بمجلسك، فقال: يا بني، و لا هذا كلّ، إنّنا لا نبلغ من تقوى الله إلى حدّ نخرج به عن السلف الصالح،
و إذا صحّ عندنا أنّ عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و مفسّر كتاب الله تعالى ينشد مثل قول القائل: [الرجز]
إن يصدق الطير نكك لميسا

فمن نحن حتى نأبى أن نسمع مثل هذا؟ و الله لا نشدّ عن السلف الصالح، أنشدني ما وقع لك غير متكلّف، فلم يمدني خاطري إلى
غير قولي من شعر أمجن فيه: [المجتث]
أبطأت عني، و إني لفي اشتياق شديد
و في يدي لك شيء قد قام مثل العمود
لو ذقته مرّة لم تعد لهذا الصدود

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٤٧

فتبسّم الشيخ و قال: أما كان في نظمك أظهر من هذا؟ فقلت له: ما وقّفت لغيره، فقال:
لا بأس عليك، فأنشدني غيره، ففكرت إلى أن أنشدته قولي: [المتقارب]

و لما وقفت على ربعم تجرّعت و جدى بالأجزع
و أرسل دمعي شرار الدموع لنار تأجج في الأضلع
فقال عدولي، لما رأى بكائي: رفقا على الأدمع
فقلت له: هذه سنّة لمن حفظ العهد في الأربع

قال: فرأيت الشيخ قد اختلط، و جعل يجيء و يذهب، ثم أفاق و قال: أعد بحقّ آباءك الكرام، فأعدت، فأعاد ما كان فيه و جعل
يردّده، فقلت له: لو علمت أنّ هذا يحزّكك ما أنشدتك إياه، فقال: و هل حرّك مني إلا خيرا و عظة؟ يا بني، إنّ هذه القلوب المخلاة
لله كالورق التي جفت، و هي مستعدة لهبوب الرياح، فإن هبّ عليها أقلّ ریح لعب بها كيف شاء، و صادف منها طوعه، فأعجبني

منزعه، و تأنست به، و لم أر عنده ما يعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجماع و الانكماش، بل ما زال يبسطنى و يحدثنى بأخبار فيها هزل، و يذكر لى من تاريخ بنى أمية و ملوكها ما أرتاح له، و لا أعلم أكثره، فلما كثر تأنسى به أهويت إلى يده كى أقبّلها، فضمّها بسرعه، و قال: ما شأنك؟ فقلت: راغباً لك فى أن تشدنى شيئاً من نظمك، فقال: أما نظمى فى زمان الصبا فكان له وقت ذهب، و يجب للنظم أن يذهب معه، و أمّا نظمى فى هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله، و هو يثقل عليك، فقلت له: إن أنصف سيدى الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدنى من نظم صباه، و من نظم شيخوخته، فيأخذ كلانا بحظه، فضحك و قال: ما أعصيك و أنت ضيف و قريب و لك حرمة أدب و وسيلة قصد، ثم أنشدنى و قد بدا عليه الخشوع و خنقته العبرة: [مجزوء الكامل]

ثق بالذى سواك من عدم فإنك من عدم

و انظر لنفسك قبل قرع السنّ من فرط الندم

و احذر وقت من الورى و اصحبهم أعمى أصمّ

قد كنت فى تيه إلى أن لاح لى أهدى علم

فاقتدت نحو ضيائه حتى خرجت من الظلم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٤٨

لكن قناديل الهوى فى نور رشدى كالحمم

قال: فو الله لقد أدركنى فوق ما أدركه، و غلب على خاطرى بما سمعت من هذه الأبيات، و فعلت بى من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص إلّا بعد حين، فقال لى الشيخ: إن هذه يقظة يرجى معها خيرك، و الله مرشدك و منقذك، ثم قال لى: يا بنى، هذا ما نحن بسبيله الآن، فاسمع فيما مضى و الله ولى المغفرة، و إنّنا لندرجو منه غفران الفعل، فكيف القول، و أنشد: [المتقارب]

أطلّ عذار على خده فظنّوا سلوى عن مذهبي

و قالوا غراب لوشك التوى فقلت اكتسى البدر بالغيه

و ناديت قلبى أين المسير و بدر الدجى حلّ بالعقرب

فقال و لو رمت عن حبه رحيلاً عصيت و لم أذهب

قال: فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء، و شهدت له بالتقدّم، و قلت له: لم أر أحسن من نظمك فى جدّ و لا هزل، ثم قلت له: أرويه عنك؟ فقال: نعم، ما أرى به بأساً بعد اطلاع من يعلم السرائر، على ما فى الضمائر، فما قدر هذه الفكاهة فى إغضاء من يغفر الكبائر؟ و يغضى عن العظام؟ قال: فقلت له: فإن أسبغت علىّ النعمة بزيادة شىء من هذا الفن فعلت ما تملك به قلبى آخر الدهر، فقال: يا بنى، لا ملك قلبك غير حبّ الله تعالى! ثم قال: و لا أجمع عليك ردّ قول و منعا، و أنشد: [مجزوء الخفيف]

أيها الشادن الذى حسنه فى الورى غريب

لحظ ذاك الجمال يط فىء ما بى من اللهب

و عليه أحوم ده رى و لكننى أخيب

كلّما رمت زورة قئض الله لى رقيب

قال: فمازج قلبى من الرقة و اللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه، فقلت له:

زدنى زادك الله تعالى خيراً، فأنشدنى: [البيسط]

ما كان قلبى يدري قدر حبكم حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٤٩

و كنت أحسب أنى لا أضيق به ذرعا فما حان حتى فتّ فى عضدى

ثم استمرت على كره مريرته فكاد يفرق بين الروح والجسد
 عساكم أن تلاقوا باللقا رمقى فليس لى مهجة تقوى على الكمد
 ثم قال: حسبك، وإن كلفتني زيادة فالله حسبك، فقلت له: قد وكتنتى إلى كريم غفور رحيم، فبالله إلّا ما زدتنى، و أكبيت لأقبل
 رجليه، فضمّهما و أنشد: [المجث]
 لله من قال لما شكوت فيه نحولى
 أمّا السبيل لوصل فما له من وصول
 فقلت حسبي التماح بحسن وجه جميل
 وجه تلوح عليه علامة للقبول
 فقال دعنى فهذا تعرّض للفضول
 فقلت عاتب و خاطب بالأمن أهل العقول

فملاً سمعى عجائب، و بسط أنسى، و كتبت كل ما أنشدنى، ثم قلت له: لولا خوفى من التثقيل عليك لم أزل أستدعى منك الإنشاد
 حتى لا تجد ما تنشد، فقال: إن عدت إن شاء الله تعالى إلى هنا تذكرت، و أنشدتك، فما عندى ممّا أضيفك غير ما سمعته، و ما
 تراه، ثم قام و جاء من بيت آخر فى داره بصحفة فيها حسا من دقيق و كسور باردة، فجعل يفتّ فيها، ثم أشار إلى أن أشرب، فشربت،
 ثم شرب إلى أن أتينا على آخرها، ثم قال لى: هذا غذاء عمك نهاره، و إنه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتّصالها، قال: فقلت
 له: يا عمّ، و من أين عيشك؟ فقال: يا بنى، عيشتى بتلك الشبكة أصطاد بها فى سواحل البحر ما أقتات به، و لى زوجة و بنت يعود من
 غزلهما مع ذلك ما نجد به معونة، و هذا مع العافية و الاستغناء عن الناس خير كثير، جعلنا الله تعالى ممّن يلقاه على حاله يرضاها، و
 ختم لنا بخاتمة لا- يخاف معها فضيحة! قال: فتركته و قمت و فى بيتى أن أعود إلى زيارته، و نويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف
 التثقيل، فعدت إليه بعد ثلاثة أيام، فنقرت الباب، فكلمتنى المرأة بلسان عليه أثر الحزن، و قالت: إنّ الشيخ خرج إلى الغزو، و ذلك
 بعد انفصالك عنه بيوم، ناله كالجنون، فقلت له: ما شأنك؟ فقال: إنى أريد أن أموت شهيدا فى الغزو، و هؤلاء جيران لى قد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٥٠

عزموا على الغزو، و أنا إن شاء الله تعالى ماض معهم، ثم احتال فى سيف و رمح و توجه معهم، و قال: نفسى هى التى قتلتنى بهواها،
 أفلا- أقتص منها فأقتلها؟ قال: فقلت لها: من خلف للنظر فى شأنكم؟ فقالت: ليس ذلك لك، فالذى خلفنا له لا نحتاج معه إلى غيره،
 فأدركنى من جوابها روعة، و علمت أنها مثله زهدا و صلاحا، فقلت: إنى قريبه، و يجب علىّ أن أنظر فى حالكم بعده، فقالت: يا هذا،
 إنك لست بذى محرم، و لنا من العجائز من ينظر منّا و يبيع غزلنا و يتفقد أحوالنا، فجزاك الله تعالى عنّا خيرا، انصرف عنّا مشكورا،
 فقلت لها: هذه دراهم خذوها لتستعينوا بها، فقالت: ما اعتدنا أن نأخذ شيئا من غير الله تعالى، و ما كان لنا أن نخلّ بالعادة، فانصرفت
 نادما على ما فاتنى من الاستكثار من شعر الشيخ و التبرك بزيادة دعائه، ثم عدت بعد ذلك لداره سائلا عنه، فقالت لى المرأة: إنه قد
 قبله الله تعالى، فعلمت أنه قد قتل، فقلت لها: أقتل؟ فقالت: لا تحسبنّ الذين قُتلوا فى سبيل الله [سورة آل عمران، الآية:
 ١٦٩]- الآية فانصرفت معتبرا من حاله، رحمه الله تعالى و رضى عنه و نفعنا به!

و كانت للمروانيين بالأندلس يد عليا، فى الدين و الدنيا. انتهى.

[محمد بن أيوب المروانى]

و قال محمد بن أيوب المروانى، لما كلف قوما حاجة له سلطانية فما نهضوا بها فكلّفها رأس بنى مروان القائد سعيد بن المنذر، فنهض

بها: [الوافر]

نهضت بما سألتك غير وان وقد صعبت لسالكها الطريق

و ليس يبين فضل المرء إلّا إذا كلفته ما لا يطيق

و عتبه يوما سعيد بن المنذر في كونه يتعرّض لمدح خدام بنى مروان، فقال له: أعزّ الله تعالى القائد الوزير! إنكم جعلتموني ذنبا و جعلوني رأسا، و النفس تتوق إلى من يكرمها و إن كان دونها أكثر منها إلى من يهينها و إن كان فوقها، و إنى من هذا و هذا في أمر لا يعلمه إلّا الله الذى بلانى به، و يا ويح الشجى من الخلى، و أنا الذى أقول فيما يتخلل هذا المنزع:

[الطويل]

نسبت لقوم ليتنى نجل غيرهم فلى نسب يعلو و حظى يسفل

أقطع عمرى بالتعلل و المنى و كم يخدع المرء اللبيب التعلل

فما لى مكان أرتضيه لهمة و لا مال منه أستعف و أفضل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٥١

و لكننى أفضى الحياة تجملا و هل يهلك الإنسان إلّا التجمل

فقال له سعيد: قصدنا لومك فعطفت اللائمة علينا، و نحن أحقّ بها، و سننظر، إن شاء الله تعالى، فيما يرفع اللوم عن الجانبين، ثم تكلم مع الناصر فى شأنه، فأجرى له رزقا أغناه عن التكفف، فكانت هذه من حسنات سعيد و أياديه.

[للمطرف بن عمر المروانى]

و قال المطرف بن عمر المروانى يمدح المظفر بن المنصور بن أبى عامر: [الكامل]

إنّ المظفر لا يزال مظفرا حكما من الرحمن غير مبدل

و هو الأحقّ بكلّ ما قد حازه من رفعة و رياسة و تفضّل

تلقاه صدرا كلّما قلبته مثل السنان بمحفل و بجحفل

و حضر يوما مع شاعر الأندلس فى زمانه ابن دراج القسطلّى، فقال له القسطلّى: أنشدنى أبياتك التى تقول فيها: [الطويل]

على قدر ما يصفو الخليل يكدر

فأنشده: [الطويل]

تخيّر من بين الأنام مهذبا و لم أدر أنى خائب حين أخبر

فمازجنى كالراح للماء، و اغتدى على كلّ ما جشّمته يتصبر

إلى أن دهانى إذ أمنت غروره سفاهها، و أدانى لما ليس يذكر

و كدر عيشى بعد صفو، و إنما على قدر ما يصفو الخليل يكدر

فاهترّ القسطلّى و قال: و الله إنك فى هذه الأبيات لشاعر، و أنا أنشدك فيما يقابلها لبلال بن جرير: [الكامل]

لو كنت أعلم أن آخر عهدهم يوم الفراق فعلت ما لم أفعل

و لكن جعل نفسه فاعلا و عرضت نفسك لأن يقال: إنك مفعول، فقال: و من أين يلوح ذلك؟

فقال القسطلّى: من قولك «و أدانى لما ليس يذكر» فما يظنّ فى ذلك إلّا أنه أداك إلى موضع فعل بك فيه، فاغتاظ الأموى و قال: يا

أبا عمر، و من أين جرت العادة بأن تمزح معى فى هذا الشأن؟

فقال له: حلم بنى مروان يحملنا على أن نخرق العادة في الحمل على مكارمهم، فسكن غيظه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٥٢

و كتب المرواني المذكور إلى صاحب له يستعير منه دابة يخرج عليها للفرجة والخلاعة:

أنهض الله تعالى سيدي بأعباء المكارم، إن هذا اليوم قد تبسم أفقه، بعد ما بكى ودقه، و صقلت أصداء أوراقه، و فتحت حدائق أحداقه، و قام نوره خطيبا على ساقه، و فضضت غدرانه، و توجت أغصانه، و برزت شمس من حجابها، بعد ما تلتفت بسحابها، و تتبه في أرجاء الروض أرج النسيم، و عرف في وجهه نضرة النعيم، و قد دعا كل هذا ناظر أخيك إن أن يجيله في هذه المحاسن، و يجدد نظره في المنظر الذي هو غير مبتذل و الماء الذي هو غير آسن، و الفحص اليوم أحسن ما ملح، و أبدع ما حرن فيه و جمح، فجد لي بإعارة ما أنهض عليه لمشاهدته و يرفع عنى خجل الابتذال، بمناكب الأندال، لا زلت نهاضا بالآمال، مسعفا بمراد كل خليل غير مقصر و لا آل.

[بين الأمير هشام بن عبد الرحمن وأخيه]

و كتب الأمير هشام بن عبد الرحمن إلى أخيه عبد الله المعروف بالبلنسى حين فرّ كتابا يقول في بعض فصوله: و العجب من فرارك دون أن ترى شيئا.

فخطبه بجواب يقول فيه: و لا تتعجب من فرارى دون أن أرى شيئا؛ لأننى خفت أن أرى ما لا أقدر على الفرار بعده، و لكن تعجب منى أن حصلت فى يدك بعد ما أفلت منك.

و قال له وزيره أحمد بن شعيب البلنسى: أليس من العار أن يبلغ بك الخور من هذا الصبى أن تجعل بينك و بينه البحر، و تترك بلاد ملكك و ملكك أيبك؟ فقال: ما أعرف ما تقول، و كل ما وقى به إتلاف النفس ليس بعار، بل هو محض العقل، و أول ما ينظر الأديب فى حفظ رأسه، فإذا نظر فى ذلك نظر فيما بعده.

و قال عبد الله بن عبد العزيز الأموى و يعرف بالحجر: [البسيط]

اجعل لنا منك حظًا أيها القمر فإنما حظنا من وجهك النظر

راك ناس فقالوا إن ذا قمر فقلت كفوا فعندى منهما الخبر

البدر ليس بغير النصف بهجته حتى الصباح و هذا كله قمر

و قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثى أبا مروان بن سراج: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٥٣

و كم من حديث للنبي أبانه و ألبسه من حسن منطقته وشيا

و كم مصعب للنحو قد راض صعبه فعاد ذلولا بعد ما كان قد أعيا

[بين سعيد بن اضحى و بعض الشعراء]

و حكى أنه دخل بعض شعراء الأندلس على الفقيه سعيد بن اضحى، و كان من أعيان غرناطة، فمدحه بقصيدة، ثم بموشحة، ثم

بزجل، فلم يعطه شيئا، بل شكا إليه فقرا، حتى إنه بكى، فأخذ الدواة و القرطاس و كتب و وضع بين يديه: [البسيط]

شكا مثال الذى أشكوه من عدم و ساءه مثل ما قد ساءنى فبكى

إنّ المقلّ الذي أعطاك دمعته نعم الجواد فتى أعطاك ما ملكا

و قال ابن خفاجة: [الكامل]

نهر كما سال اللّمي سلسال و صبا بليل ذيلها مكسال
و مهبّ نفحة روضة مطلوله فيها لأفراس النسيم مجال
غازلته و الأقحوانه مبسم و الآس صدغ و البنفسج خال

و قال: [الطويل]

و ساق كحيل الطّرف في شأو حسنه جماح، و بالصبر الجميل حران

تري للصبّ ناراً بخديه لم يثر لها من سوادى عارضيه دخان

سقاها و قد لاح الهلال عشية كما اعوجّ في درع الكميّ سنان

عقارا نماها الكرم فهي كريمه و لم تزن بابت المزن فهي حصان

و قد حان من جون الغمامه أدهم له البرق سوط و العنان عنان

و ضمّخ درع الشمس نحر حديقته عليك و في الطلّ السقيط جمان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٥٤

و نمت بأسرار الرياض خميلة لها التور ثغر و النسيم لسان

و قال في وصف فرس أصفر، و لم يخرج عن طريقته: [السريع]

و أشقر تضرم منه الوغى بشعله من شعل الباس

من جلنار ناضر لونه و أذنه من ورق الآس

يطلع للغزاة في شقرة حبايه تضحك في الكاس

و قال أبو بكر يحيى بن سهل اليكى يهجو: [الكامل]

أعد الوضوء إذا نطقت به مستعجلا من قبل أن تنسى

و احفظ ثيابك إن مررت به فالطلّ منه ينجس الشمسا

و قال ابن اللبانه: [السريع]

أبصرته قصر في المشيه لما بدت في خده لحيه

قد كتب الشعر على خده أو كالذي مرّ على قزيه

و قال الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور الإشبيلي في الأمير الكبير أبي بكر سير من أمراء المرابطين، و كتب بها إليه في غزاه غزاها:

[الكامل]

سر حيث سرت يحله النوار و أراك فيه مرادك المقدار

و إذا ارتحلت فشيعتك سلامه و غمامه لا ديمه مدرار

تنفى الهجير بظلمها و تنيم بال رشّ القتام و كيف شئت تدار

و قضى الإله بأن تعود مظفرا و قضت بسيفك نجيبها الكفار

هذا غير ما تمنّاه الجعفي حيث قال: حيث ارتحلت و ديمه، و ما تكاد تنفذ معها عزيمة، و إذا سفحت على ذى سفر، فما أحرأها بأن

تعوق عن الظفر، و نعتها بمدرار، فكان ذلك أبلغ في الإضرار، و ما أحسن قول القائل: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٥٥

فسر ذا رايه خفقت بنصر و عد فى جحفل بهج الجمال
إلى حمص فأنت بها حلّى تغاير فيه ربّات الحجال

[بين الحجارى و القاضى اللوشى]

و قال الحجارى فى «المسهب»: كتبت إلى القاضى أبى عبد الله محمد اللوشى أستدعى منه شعره لأكتبه فى كتابى، فتوقّف عن ذلك
و انقبض عنى، فكتبت إليه: [البسيط]

يا مانعا شعره عن سمع ذى أدب نائى المحلّ بعيد الشخص مغترب
يسير عنك به فى كلّ متّجه كما يمرّ نسيم الريح بالعذب
إنّى و حقّك أهل أن أفوز به و اسأل فديتك عن ذاتى و عن أدبى
فكان جوابه: [البسيط]

يا طالبا شعر من لم يسم فى الأدب ما ذا تريد بنظم غير منتخب
إنى و حقّك لم أبخل به صلفا و من يرضنّ على جيد بمخشب
لكننى صنت قدرى عن روايته فمثله قلّ عن سام إلى الرّتب
خذه إليك كما أكرهت مضطربا محلّلا ذمّ مولاه مدى الحقب
قال: ثم كتبت لى ممّا أتحنفى به من نظمه محاسن أبهى من الأقمار، و أرقّ من نسيم الأسحار.

و قال صالح بن شريف فى البحر و هو من أحسن ما قيل فيه: [البسيط]
البحر أعظم ممّا أنت تحسبه من لم ير البحر يوما ما رأى العجبا
طام له حيب طاف على زرق مثل السماء إذا ما ملّئت شها
و قال أيضا: [السريع]

ما أحسن العقل و آثاره لو لازم الإنسان إيثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه كما يصون الحرّ أسراره
لا سيّما إن كان فى غربه يحتاج أن يعرف مقداره
و قال ابن برطله: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٥٦
خطوب زمانى ناسبتنى غرابه لذلك يرمىنى بهنّ مصيب
غريب أصابته خطوب غريبه (و كلّ غريب للغريب نسيب)
و هذا من أحسن التضمين، الذى يزرى بالدّر الثمين.

[بين ابن بقى و التطلى الأعمى]

و دخل ابن بقى الحمّام و فيه الأعمى التّطلى فقال له: أجز: [البسيط]
حمّامنا كرمّان القيظ محتدم و فيه للبرد صرّ غير ذى ضرر

فقال الأعمى: [البسيط]

ضدّان ينعم جسم المرء بينهما كالغصن ينعم بين الشمس و المطر
و لا يخفى حسن ما قال الأعمى.

وقد ذكر في «بدائع البداءة» البيتين معا منسوبين إلى ابن بقي، ولذكر كلامه برمته لما اشتمل عليه من الفوائد، ونصّه: ذكر ابن بسام
قال: دخل الأديبان أبو جعفر بن هريرة التّطيلي المعروف بالأعمى و أبو بكر بن بقي الحمّام، فتعاطيا العمل فيه، فقال الأعمى:

[المنسرح]

يا حسن حمّامنا و بهجته مرأى من السّحر كلّ حسن

ماء و نار حواهما كنف كالقلب فيه السرور و الحزن

ثم أعجبه المعنى فقال: [مخلع البسيط]

ليس على لهونا مزيد و لا لحمّامنا ضريب

ماء و فيه لهيب نار كالشمس في ديمة تصوب

و ايضّ من تحته رخام كالثلج حين ابتدا يذوب

و قال ابن بقي:

حمّامنا فيه فصل القيظ

البيتين.

فقال الأعمى، و قد نظر فيه إلى فتى صبيح: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٥٧

هل استمالك جسم ابن الأمير و قد سالت عليه من الحمّام أنداء

كالغصن باشر حرّ النار من كذب فظلّ يقطر من أعطافه الماء

[بدر الدين الحسن بن زفير يصف حمّاما ببغداد]

قلت: تذكّرت هنا عند ذكر الحمّام ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الإربلي المتطبب إذ قال: رأيت ببغداد في دار الملك شرف
الدين هارون ابن الوزير صاحب شمس الدين محمد الجويني حمّاما متقن الصنعة، حسن البناء، كثير الأضواء، قد احتفت به الأزهار و
الأشجار، فأدخلني إليه سائسه، و ذلك بشفاعه الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشي الإربلي و كان سائس هذا الحمّام خادما
حبشيا كبير السنّ و القدر، فطاف بي عليه، و أبصرت مياهه و شبائكه و أنابيه المتخذ بعضها من فضة مطليّة بالذهب و غير مطليّة و
بعضها على هيئة طائر إذا خرج منها الماء صوّت بأصوات طيبة، و منها أحواض رخام بديعة الصنعة و المياه تخرج من سائر الأنابيب
إلى الأحواض و من الأحواض إلى بركة حسنة الإتقان، ثم منها إلى البستان، ثم أراني نحو عشر خلوات، كلّ خلوة منها صنعتها أحسن
من صنعة أختها، ثم انتهى بي إلى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد، ففتحه، و دخل بي إلى دهليز طويل كلّه مرخم بالرخام الأبيض
السادج، و في صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب نحو أربعة أنفس إذا كانوا قعودا و تسع اثنين إذا كانوا نياما، و رأيت من
العجائب في هذه الخلوة أنّ حيطانها الأربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه و بين صقال المرأة، يرى الإنسان سائر بشرته في أي حائط شاء
منها، و رأيت أرضها مصوّرة بفصوص حمر و صفر و خضر و مذهبة و كلّها متخذة من بلور مصبوغ بعضه أصفر و بعضه أحمر، فأما
الأخضر فيقال إنه حجارة تأتي من الروم، و أما المذهب فزجاج ملتبس بالذهب، و تلك الصورة في غاية الحسن و الجمال، على هيئات

مختلفة في اللون وغيره، وهي ما بين فاعل ومفعول به، إذا نظر المرء إليها تحركت شهوته، وقال لى الخادم السائس: هذا صنع على هذه الصفة لمخدومي، حتى أنه إذا نظر ما يفعل هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع أيدي بعضهم على أعجاز بعض تحرك شهوته سريعاً، فيبادر إلى مجامعة من يحبه.

قال الحاكي: وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التي دخلت إليها هي مخصوصة بهذا الفعل، إذا أراد الملك شرف الدين هارون الاجتماع في الحمام بمن يهواه من الجوارى الحسان والصور الجميلة والنساء الفائقات الحسن لم يجتمع به إلا في هذه الخلوة، من أجل أنه يرى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٥٨

كل محاسن الصور الجميلة مصورة في الحائط ومجسمة بين يديه، ويرى كل منهما صاحبه على هذه الصفة، ورأيت في صدر الخلو حوض رخام مصلع وعليه أنبوب مركب في صدره، وأنبوب آخر يرسم الماء البارد، والأنبوب الأول يرسم الماء الفاتر، وعن يمينه الحوض ويساره عمدان صغار منحوتة من البلور يوضع عليها مباخر الند والعود، وأبصرت منها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها أموال كثيرة، وسألت الخادم عن تلك الحيطان المشرقة المضيئة: من أي شيء صنعت؟ فقال لى: ما أعلم.

قال الحاكي: فما رأيت في عمري ولا سمعت بمثل تلك الخلوة، ولا بأحسن من ذلك الحمام، مع أنى ما أحسن أن أصفهما كما رأيتهما، فإنه لم تتكرر رؤيتي لهما، ولا اتفق لى الظفر بصناعتها ومباشرتهما، وفي الذى ذكرت كفاية، انتهى.

[وصف دار جمال الملك البغدادى]

ولما اتصل أبو القاسم على بن أفلح البغدادى الكاتب بأمير المؤمنين المسترشد بالله العباسى، ولقبه جمال الملك، وأعطاه أربع ديار فى درب الشاكرية اشترى دوراً أخرى إلى جانبها، وهدم الكلل، وأنشأ داره الكبيرة، وأعاناه الخليفة فى بنائها، وأطلق له أموالاً وآلات البناء، وكان فى جملة ما أطلق له مائتا ألف آجرة وأجريت الدار بالذهب، وصنع فيها الحمام العجيب الذى فيه بيت مستراح فيه أنبوب إن فركه الإنسان يمينا خرج ماء حار وإن فركه شمالاً خرج ماء بارد، وكان على إيوان الدار مكتوباً: [السريع]

إن عجب الرءون من ظاهرى فباطنى لو علموا أعجب

شيدنى من كفه مزنة يهمل منها العارض الصيب

ودبجت روضة أخلاقه فى رياضها نورها مذهب

صدر كسا صدرى من نوره شمسا على الأيام لا تغرب

و كتب على الطرز: [مجزوء الكامل]

ومن المروءة للفتى ما عاش دار فآخره

فأقع من الدنيا بها واعمل لدار الآخرة

هاتيك وافية بما وعدت، وهذى ساخره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٥٩

و كتب على النادى: [المتقارب]

و ناد كأنّ جنان الخلود أعارته من حسنّها رونقا

و أعطته من حادثات الزمان أن لا تلمّ به موثقا

فأضحى يتيه على كلّ ما بنى مغرباً كان أو مشرقاً

تظلّ الوفود به عكفا و تمسى الضيوف به طرّقا
 بقيت له يا جمال الملو ك و الفضل مهما أردت البقا
 و سالمه فيك ريب الزمان و وقّيت فيه الذى يتقى

[بعض ما قيل فى الحمام]

و على ذكر الحمام فما أحكم قول ابن الوردى فيما أظنّ: [الطويل]
 و ما أشبه الحمام بالموت لامرئ تذكرا! لكن أين من يتذكر
 يجرد عن أهل و مال و ملبس و يصحبه من كل ذلك مئزر
 و قال الشهاب بن فضل الله: [المتقارب]
 و حمامكم كعبه للوفود تحجّ إليه حفاة عراه
 يكرّر صوت أنابيه كتاب الطهارة باب المياه

و قد تمثّل بهذين البيتين البرهان القيراطى فى جواب كتاب استدعاه فيه بعض أهل عصره إلى الحمام، و افتتح الجواب بقوله:
 [الخفيف]

قد أجبنا و أنت أيضا فصّحت بصبحتى سؤالف و سلاف
 و بساق يسبى العقول بساق و قوام وفق العناق خلافى
 و وصله بنثر تمثّل فيه بالبيتين كما مرّ.

و لبعضهم: [الخفيف]

إنّ حمامنا الذى نحن فيه أى ماء به و أية نار
 قد نزلنا به على ابن معين و روينا عنه صحيح البخارى
 و ألغز بعضهم فى الحمام بقوله: [الطويل]
 و منزل أقوام إذا ما تقابلوا تشابه فيه و غده و رئيسه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٦٠
 ينفس كرى إذ ينفس كربه و يعظم أنسى إذ يقلّ أنيسه
 إذا ما أعت الجوّ طرفا تكاثرت على من به أقماره و شموسه

[عود إلى ملح أهل الأندلس]

رجع إلى ما كتنا فيه من كلام أهل الأندلس، فنقول:

و كان محمد بن خلف بن موسى اليرى متكلمًا متحقّقًا برأى الأشعريه، و ذاكرا لكتب الأصول فى الاعتقاد، مشاركا فى الأدب، مقدّما
 فى الطب، و من نظمه يمدح إمام الحرمين رحمه الله تعالى: [الخفيف]
 حبّ حبر يكنى أبا للمعالى هو دينى ففیه لا تعدلونى
 أنا و الله مغرم بهواه علّونى بذكره علّونى

و كتب أبو الوليد بن الجنان الشاطبي يستدعى بعض إخوانه إلى مجلس أنس بما صورته:

نحن في مجلس أغصانه الندامي، و غمامه الصهباء، فبالله إلّا ما كنت لروض مجلسنا نسيمًا، و لزهرة حدِيثنا شميما، و للجسم روحا، و للطيب ريحا، و بيننا عذراء زجاجتها خدرها، و حبابها ثغرها، بل شقيقه حوتها كمامة، أو شمس حجبها غمامة، إذا طاف بها معصم الساقى فوردة على غصنها، أو شربها مقهقهة فحمامة على فننها، طافت علينا طوفان القمر على منازل الحول، فأنت و حياتك إكليلنا و قد آن حلولها في الإكليل، انتهى.

و قال أبو الوليد المذكور: [مجزوء الكامل]

فوق خدّ الورد دمع من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحي بعدما سال يجفف

و تذكرت هنا بذكر الورد ما حكاها الشيخ أبو البركات هبة الله بن محمد النصيبى المعروف بالوكيل، و كان شيخا ظريفا فيه آداب كثيرة، إذ قال: كنت في زمن الربيع و الورد في دارى بنصيين، و قد أحضر من بستانى من الورد و الياسمين شىء كثير، و عملت على سبيل الودع دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين، فاتفق أن دخل على شاعران كانا بنصيين أحدهما يعرف بالمهذب و الآخر يعرف بالحسن بن البرقيدى، فقلت لهما: اعملا في هاتين الدائرتين، ففكرا ساعة ثم قال المهذب: [مجزوء الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٦١

يا حسنها دائرة من ياسمين مشرق

و الورد قد قابلها في حلّة من شفق

كعاشق و حبه تغامزا بالحدق

فاحمرّ ذا من خجل و اصفرّ ذا من فرق

قال: فقلت للحسن: هات، فقال: سبقنى المهذب إلى ما لمحتة في هذا المعنى، و هو قولى: [مجزوء الرمل]

يا حسنها دائرة من ياسمين كالحلى

و الورد قد قابلها في حلّة من خجل

كعاشق و حبه تغامزا بالمقل

فاحمرّ ذا من خجل و اصفرّ ذا من وجل

قال: فعجبت من اتفاقهما في سرعه الاتحاد، و المبادرة إلى حكاية الحال، انتهى.

و ما أطف قول بعضهم: [الطويل]

أرى الورد عند الصبح قد مدّ لى فما يشير إلى التقييل في حالة اللّمس

و بعد زوال الشمس ألقاه و جنّه و قد أثرت في وسطها قبله الشمس

و قال ابن ظافر في «بدائع البداءة»: اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة و الأديب أبو العباس ابن صارة الأندلسيان في يوم جلا ذهب برقه،

و أذاب ورق ودقه، و الأرض قد ضحكت لتعبس السماء، و اهتّرت و ربت عند نزول الماء، فقال ابن القبطرنة: [الكامل]

هدى البسيطة كاعب أبرادها حلل الربيع و حليها النّوار

فقال ابن صارة: [الكامل]

و كأنّ هذا الجوّ فيها عاشق قد شفّه التعذيب و الإضرار

ثم قال ابن صارة أيضا: [الكامل]

و إذا شكا فالبرق قلب خافق و إذا بكى فدموعه الأمطار

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٦٢

فقال ابن القبطرنة: [الكامل]

من أجل ذلّة ذا و عزّة هذه يبكى الغمام و تضحك الأزهار

و تذكّرت هنا ما حكاه ابن ظافر في الكتاب المذكور أنه اجتمع مع القاضي الأعزّ يوما فقال له ابن ظافر: أجز: [الرجز]

طار نسيم الروض من وكر الزهر

فقال الأعز:

و جاء مبلول الجناح بالمطر

و يعجبني قول ابن قرناص: [الطويل]

أظنّ نسيم الروض و الزهر قد روى حديثا ففاحت من شذاه المسالك

و قال دنا فصل الربيع فكّله ثغور لما قال النسيم ضواحك

رجع إلى الأندلسيين - و ما أرقّ قول ابن الزقاق: [الخفيف]

و رياض من الشقائق أضحت يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها و الغمام يجلد منها زهرات تفوق لون الراح

قلت ما ذنبها؟ فقال مجيبا سرقت حمرة الخدود الملاح

و قال أبو إسحاق بن خفاجة: [الطويل]

تعلّقت نشوان من خمر ريقه له رشفها دونى و لى دونه السكر

ترقرق ماء مقلتاى و وجهه و يذكى على قلبى و وجنته الجمر

أرقّ نسيبى فيه رقة حسنه فلم أدر أى قبلها منهما السحر

و طبنا معا شعرا و ثغرا كأنما له منطقى ثغر و لى ثغره شعر

و قال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ١٦٢

و قائلة: ما بال مثلك خاملا أ أنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز

فقلت لها: ذنبى إلى القوم أننى لما لم يحوزوه من المجد حائر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٦٣

و ما فاتنى شيء سوى الحظّ وحده و أما المعالى فهى عندى غرائر

و قال: [مجزوء الرمل]

جدّ بقلبى و عبث ثم مضى و ما اكرث

و احربا من شادن فى عقد الصبر نفث

يقتل من شاء بعى نيه و من شاء بعث

و قال الفاضل البليغ يحيى بن هذيل أحد أعيان شعراء الأندلس: [الرمل]

نام طفل النبت فى حجر النعمى لاهتزاز الطلّ فى مهد الخزامى

و سقى الوسمى أغصان التّقا فهوت تلثم أفواه الندامى

كحلّ الفجر لهم جفن الدّجى و غدا فى وجنة الصبح لثاما

تحسب البدر محيّا ثمل قد سفته راحة الصبح مدا
 حوله الزهر كؤوس قد غدت مسكة الليل عليهنّ ختاماً
 و تذكرت هنا قول الآخر، و أظنه مشرقياً: [الرملة]
 بكر العارض تحدوه النعامى فسقاك الرىّ يا دار أماما
 و تمشّت فيك أرواح الصبا يتأرجن بأنفاس الخزامى
 قد قضى حفظ الهوى أن تصبى للمحيين مناخا و مقاما
 و بجرعاء الحمى قلبى، فعج بالحمى و اقرأ على قلبى السلاما
 و ترخّل فتحدّث عجباً أنّ قلبا سار عن جسم أقاما
 قل لجيران الغضى آها على طيب عيش بالغضى لو كان داما
 حملوا ريح الصبا من نشركم قبل أن تحمل شيحا و ثماما
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٦٤
 و ابعثوا أشباحكم لى فى الكرى إن أذنتم لجفونى أن تناما
 و خرج بعض علماء الأندلس من قرطبة إلى طليطلة، فاجتار بحريز بن عكاشة، الشجاع المشهور الذى ذكرنا فى هذا الباب ما يدلّ على
 شجاعته و قوّته و أيده، بقلعه رباح، فنزل بخارجها فى بعض جنباتها، و كتب إليه: [مجزوء الرمل]
 يا فريدا دون ثان و هلالا فى العيان
 عدم الراح فصارت مثل دهن اليبلسان
 فبعث إليه بها، و كتب معها: [مجزوء الرمل]
 جاء من شعرك روض جاده صوب اللسان
 فبعثناها سلافا كسجاياك الحسان

[من شعر ابن شهيد]

و قال الوزير أبو عامر بن شهيد يتغزل: [الرملة]
 أصباح شيم أم برق بدا أم سنا المحبوب أورى أزنذا
 هبّ من مرقدته منكسرا مسبلا للكمّ مرخ للردا
 يمسح النعسة من عيني رشا صائد فى كلّ يوم أسدا
 أوردته لطفاً آياته صفوة العيش و أرعته ددا
 فهو من دلّ عراه زبده من مريج لم تخالط زبدا
 قلت هب لى يا حبيبي قبله تشف من عمك تبريح الصدى
 فانتنى يهترّ من منكبه مائلا لطفاً و أعطانى اليدا
 كلّما كلمنى قبلته فهو إمّا قال قولاً رددا
 كاد أن يرجع من لثمى له و ارتشاف الثغر منه أدردا
 و إذا استنجزت يوما وعده أمطل الوعد و قال اصبر غدا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٦٥

شربت أعطافه ماء الصبا وسقاه الحسن حتى عربدا

فإذا بت به في روضة أغيد يغذو نباتا أغيدا

قام في الليل بجيد أتلع ينفض اللثة من دمع الندى

و مكان عازب عن جيرة أصدقاء وهم عين العدا

ذى نبات طيب أعراقه كعذار الشعر فى خدّ بدا

تحسب الهضبة منه جبلا و حدور الماء منه أبردا

و قال يرثى القاضى ابن ذكوان، نجيب ذلك الأوان، و قد افتنّ فى الآداب، و سنّ فيها سنّة ابن داب، و ما فارق ربع الشباب شرحه، و

لا استمجد فى الكهولة عفاره و لا مرخه، و كان لأبى عامر هذا قسيم نفسه، و نسيم أنسه: [الطويل]

ظننا الذى نادى محقًا بموته لعظم الذى أنحى من الرزء كاذبا

و خلنا الصباح الطلق ليلا و أنا هبطنا خداريا من الحزن كاربا

ثكلنا الدنا لما استقلّ و إنما فقدناك يا خير البرية ناعبا

و ما ذهب، إذ حلّ فى القبر، نفسه و لكنما الإسلام أدبر ذاهبا

و لما أبى إلّا التحمل رائحا منحناه أعناق الكرام ركائبا

يسير به التعش الأعرّ و حوله أباعد كانوا للمصاب أقاربا

عليه حفيف للملائك أقبلت تصافح شيخا ذاكر الله تائبا

تخال لفيف الناس حول ضريحه خليطا تخطى فى الشريعة هاربا

إذا ما امترؤا سحب الدموع تفرّعت فروع البكا عن بارق الحزن لاهبا

فمن ذا لفصل القول يسطع نوره إذا نحن ناوينا الألد المناوبا

و من ذا ربيع المسلمين يقوتهم إذا الناس شاموها بروقا كواذبا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٦٦

فيا لهف قلبى آه ذابت حشاشتى مضى شيخنا الدفّاع عنا النواثبا

و مات الذى غاب السرور لموته فليس و إن طال السرى منه آثبا

و كان عظيما يطرق الجمع عنده و يعنو له ربّ الكتيبة هائبا

و ذا مقول غضب الغرارين صارم يروح به عن حومة الدين ضاربا

أبا حاتم صبر الأديب فإننى رأيت جميل الصبر أحلى عواقبا

و ما زلت فينا ترهب الدهر سطوة و صعبا به نعيى الخطوب المصاعبا

سأستعب الأيام فيك لعلها لصحة ذاك الجسم تطلب طالبا

لئن أفلت شمس المكارم عنكم لقد أسأرت بدرالها و كواكبا

قال فى «المطمح»: و دبّت إلى أبى عامر بن شهيد أيام العلويين عقارب، برئت بها منه أباعد و أقارب، واجهه بها صرف قطوب، و

انبرت إليه منها خطوب، نبا لها جنبه عن المضجع، و بقى بها ليالى يأرق و لا يهجع، إلى أن أعلقت فى الاعتقال آماله، و عقلته فى

عقال أذهب ماله، فأقام مرتهنا، و لقي وهنا، و قال: [الطويل]

قريب بمحتلّ الهوان مجيد وجود و يشكو حزنه فيجيد

نعى صبره عند الإمام فيا له عدو لأبناء الكرام حسود
و ما ضرّه إلّا مزاح و رقّة ثنته سفيه الذكر و هو رشيد
جنى ما جنى فى قبّة الملك غيره و طوّق منه بالعزيمة جيد
و ما فىّ إلّا الشّعر أثبتة الهوى فسار به فى العالمين فريد
أفوه بما لم آتته متعرّضا لحسن المعانى تارة فأزيد
فإن طال ذكرى بالمجون فإنها عظام لم يصبر لهنّ جليد
و هل كنت فى العشاق أول عاقل هوت بحجابه أعين و خدود
فراق و شجو و اشتياق و ذلّة و جبار حفاظ علىّ عتيد
فمن يبلغ الفتیان أنى بعدهم مقيم بدار الظالمين و حيد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٦٧
مقيم بدار ساكنوها من الأذى قيام على جمر الحمام قعود
و يسمع للحيان فى جناباتها بسيط كترجيع الصدى و نشيد
و لست بذى قيد يرّن، و إنما على اللحظ من سخط الإمام قيود
و قلت لصدّاح الحمام و قد بكى على القصر إفا و الدموع تجود
ألا أيها الباكي على من تحبّه كلانا معنّى بالخلاء فريد
و هل أنت دان من محبّ نأى به عن الإلف سلطان عليه شديد
فصفّق من ريش الجناحين واقعا على القرب حتى ما عليه مزيد
و ما زال يبكيه و أبكيه جاهدا و للشوق من دون الضلوع و قود
إلى أن بكى الجدران من طول شجوننا و أجهش باب جانباه حديد
أطاعت أمير المؤمنين كتائب تصرّف فى الأموال كيف تريد
فللشمس عنها بالنهار تأخر و للبدر شحنا بالظلام صدود
ألا إنها الأيام تلعب بالفتى نحوس تهادى تارة و سعود
و ما كنت ذا أيد فأذعن ذا قوى من الدهر مبد صرفه و معيد
و راضت صعابى سطوة علويّة لها بارق نحو الندى و رعود
تقول التى من بيتها كفّ مركبى أقربك دان أم مداك بعيد
فقلت لها أمرى إلى من سمت به إلى المجد آباء له و جدود

ثم قال: و لزمته آخر عمره علّة دامت به سنين، و لم تفارقه حتى تركته يد جنين، و أحسب أن الله أراد بها تمحيصه، و إطلاقه من ذنب
كان قنيصه، فظهره تطهيرا، و جعل ذلك على العفو له ظهيرا، فإنها أقعدته حتى حمل فى المحفّة، و عاودته حتى غدت لرونقه مشتفّة،
و على ذلك فلم يعطل لسانه، و لم يبطل إحسانه، و لم يزل يستريح إلى القول، و يزيح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٦٨

ما كان يجده من الغول، و آخر شعر قاله قوله: [الطويل]

ولما رأيت العيش لوى برأسه و أيقنت أن الموت لا شكّ لاحقى

تمنيت أنى ساكن فى عباءة بأعلى مهبّ الرّيح فى رأس شاهق

أردّ سقيط الطّلّ في فضل عيشتي وحيدا و أحسو الماء ثنى المعالق
 خليلى، من ذاق المنيّة مرّة فقد ذقتها خمسين، قوله صادق
 كأني، و قد حان ارتحالي، لم أفر قديما من الدنيا بلمحة بارق
 فمن مبلغ عني ابن حزم و كان لي يدا في ملّمتي و عند مضايقي:
 عليك سلام الله إني مفارق و حسبك زادا من حبيب مفارق
 فلا تنس تأبيني إذا ما ذكرتنى و تذكّار أيامي و فضل خلائقي
 و حرّك له بالله من أهل فننا إذا غيبوني كلّ شهم غرائق
 عسى هامتي في القبر تسمع بعضه بترجيع شاد أو بتطريب طارق
 فلي في اذكاري بعد موتي راحة فلا تمنعوها لي علالة زاهق
 و إني لأرجو الله فيما تقدّمت ذنوبي به ممّا درى من حقائق

[بين ابن غصن و ابن ذى النون و ابن هود]

و كان أبو مروان عبد الملك بن غصن مستوليا على وزارة ابن عبيدة و لسانه ينشد:
 [الطويل]

و شتدت مجدى بين أهلى و لم أقل ألا ليت قومى يعلمون صنيعى
 و هجا ابن ذى النون بقوله: [الطويل]

تلقت بالمأمون ظلما، و إننى لآمن كلبا حيث لست مؤمّنه
 حرام عليه أن وجود بيشره و أمّا الندى فاندب هنالك مدفنه
 سطور المخازى دون أبواب قصره بحجابه للقاصدين معنونه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٦٩

فلما تمكّن منه المأمون سجنه، فكتب إلى ابن هود من أبيات: [الطويل]

أيا راكب الوجناء بلغ تحية أمير جذام من أسير مقيد
 و لما دهنتى الحادثات و لم أجد لها وزرا أقلت نحوك أعتدى
 و مثلك من يعدى على كلّ حادث رمى بسهام للردى لم ترصد
 فعلك أن تخلو بفكرك ساعة لتتقذنى من طول همّ مجدّد
 وها أنا فى بطن الثرى و هو حامل فيسر على رقبى الشفاعة مولدى
 حنانيك ألفا بعد ألف فإننى جعلتك بعد الله أعظم مقصدى
 و أنت الذى يدرى إذا رام حاجه تضلّ بها الآراء من حيث يهتدى
 فرق له ابن هود، و تحيل حتى خلّصه بشفاعته، فلما قدم عليه أنشده: [المتقارب]

حياتى موهوبة من علاكا و كيف أرى عادلا عن ذراكا
 و لو لم يكن لك من نعمة على و أصبحت أبغى سواكا
 لناديت فى الأرض هل مسعف مجيب فلم يصغ إلّا نداكا

فطرب ابن هود، و خلع عليه ثوب وزارته، و جعله من أعلام سلطنته و إمارته.

[بين أبي عامر و الرمادى]

و قال المنصور بن أبي عامر للشاعر المشهور أبي عمر يوسف الرمادى: كيف ترى حالك معى؟ فقال: فوق قدرى و دون قدرك! فأطرق المنصور كالغضبان، فانسَلَّ الرمادى و خرج و قد ندم على ما بدر منه، و جعل يقول: أخطأت، لا و الله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق، ما كان ضررني لو قلت له: إني بلغت السماء، و تمنطقت بالجوزاء، و أنشد: [الطويل]

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة لنفسى إلّا قد قضيت قضاءها

لا حول و لا قوة إلّا بالله. و لمّا خرج كان فى المجلس من يحسده على مكانه من المنصور، فوجد فرصة فقال: وصل الله لمولانا الظفر و السعد! إن هذا الصنف صنف زور و هذيان لا يشكرون نعمه، و لا يراعون إلّا و لا ذمّة، كلاب من غلب، و أصحاب من أخصب، و أعداء من أجذب، و حسبك منهم أن الله جلّ جلاله يقول فيهم وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٧٠

[سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤]- إلى ما لا يَفْعَلُونَ [سورة الشعراء، الآية: ٢٢٦] و الابتعاد منهم أولى من الاقتراب، و قد قيل فيهم: ما ظنك بقوم الصدق يستحسن إلّا منهم؟ فرفع المنصور رأسه، و كان محتيا فى أهل الأدب و الشعر، و قد اسودّ وجهه، و ظهر فيه الغضب المفرط، ثم قال: ما بال أقوام يشيرون فى شىء لم يستشاروا فيه، و يسيئون الأدب بالحكم فيما لا يدرون، أ يرضى أم يسخط؟ و أنت أيها المنبعث للشّرّ دون أن يبعث، قد علمنا غرضك فى أهل الأدب و الشعر عامة، و حسدك لهم؛ لأنّ الناس كما قال القائل:

[مجزوء الرمل]

من رأى الناس له فض لا عليهم حسدوه

و عرفنا غرضك فى هذا الرجل خاصية، و لسنا إن شاء الله تعالى نبغ أحدا غرضه فى أحد، و لو بلغناكم بلغنا فى جانبكم، و إنك ضربت فى حديد بارد، و أخطأت وجه الصواب، فردت بذلك احتقارا و صغارا، و أنى ما أطرقت من كلام الرمادى إنكارا عليه، بل رأيت كلاما يجلّ عن الأقدار الجليّة، و تعجبت من تهديّه له بسرعه، و استنباطه له على قلّة من الإحسان الغامر ما لا يستنبطه غيره بالكثير، و الله لو حكّمته فى بيوت الأموال لرأيت أنها لا- ترجح ما تكلم به قلبه ذرة، و إياكم أن يعود أحد منكم إلى الكلام فى شخص قبل أن يؤخذ معه فيه، و لا تحكموا علينا فى أوليائنا و لو أبصرتم منا التغيّر عليهم، فإننا لا نتغيّر عليهم بغضا لهم و انحرافا عنهم، بل تأديبا و إنكارا، فإننا من نريد إبعاده لم نظهر له التغيّر، بل ننبذه مرّة واحدة، فإن التغيّر إنما يكون لمن يراد استبقاؤه، و لو كنت مائل السمع لكلّ أحد منكم فى صاحبه لتفرّقتم أيدى سبا، و جونت أنا مجانية الأجر، و إنى قد أطلعتكم على ما فى ضميرى فلا تعدلوا عن مرضاتى، فتجنّبوا سخطى بما جنىتموه على أنفسكم، ثم أمر أن يردّ الرمادى و قال له: أعد علىّ كلامك، فارتاع، فقال: الأمر على خلاف ما قدرت، الثواب أولى بكلامك من العقاب، فسكن لتأنيسه، و أعاد ما تكلم به، فقال المنصور: بلغنا أنّ النعمان بن المنذر حشا فم النابغة بالدّرّ لكلام استملحه منه، و قد أمرنا لك بما لا يقصر عن ذلك ما هو أنوه و أحسن عائده، و كتب له بمال و خلع و موضع يتعيش منه، ثم ردّ رأسه إلى المتكلم فى شأن الرمادى، و قد كاد يغوص فى الأرض لو وجد لشده ما حلّ به ممّا رأى و سمع و قال: و العجب من قوم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٧١

يقولون الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب، نعم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها، و لا أياذ يرغب فى نشرها، فأين الذين قيل فيهم: [الطويل]

على مكثريهم رزق من يعترتهم وعند المقلين السماحة و البذل

و أين الذي قيل فيه: [المديد]

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه و محتضره

فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

أما كان في الجاهلية و الإسلام أكرم ممن قيل فيه هذا القول؟ بلى، و لكن صحبه الشعراء و الإحسان إليهم أحييت غابر ذكرهم، و خصتهم بمفاخر عصرهم، و غيرهم لم تخلد الأمداح مآثرهم فدر ذكرهم، و درس فخرهم، انتهى.

[من عدل المعتصم بن صمادح]

و من حكاياتهم في العدل أنه لما بنى المعتصم بن صمادح ملك ألمرية قصوره المعروفة بالصمادحية غضبوا أحد الصالحين في جنه و الحقوها بالصمادحية، و زعم ذلك الصالح أنها لأيتام من أقاربه، فبينا المعتصم يوما يشرب على الساقية الداخلة إلى الصمادحية إذ وقعت عينه على أنبوب قصبه مشمع، فأمر من يأتيه به، فلما أزال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها «إذا وقفت أيها الغاصب على هذه الورقة فاذا قول الله تعالى إن هذا أخي له تسع و تسعون نعجة و لي نعجة واحدة فقال أكفلنيها و عزني في الخطاب (٢٣) [سورة ص، الآية: ٢٣] لا إله إلا الله، أنت ملك قد وسع الله تعالى عليك، و مكن لك في الأرض، و يحملك الحرص على ما يفنى أن تضم إلى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرض لأيتام حرمت بها حلالها، و خبت طيبها، و لئن تحجبت عنى بسطانك، و اقتدرت على بعظم شأنك، فنجتمع غدا بين يدي من لا يحجب عن حق، و لا تضيع عنده شكوى. فلما استوعب قراءتها دمعت عيناه، و أخذته خشية خيف عليه منها، و كانت عادته رحمه الله تعالى، و قال: على بالمشتغلين ببناء الصمادحية، فأحضروا، فاستفسرهم عما زعم الرجل، فلم يسعهم إلا صدقه، و اعتذروا بأن نقصها من الصمادحية يعيبها في عين الناظر، فاستشاط غضبا و قال: و الله إن عيبها في عين الخالق أقرب من عيبها في عين المخلوق، ثم أمر بأن تصرف إليه، و احتمل تعويرها لصمادحيته. و لقد مرّ بعض أعيان ألمرية و أختيارها مع جماعة على هذا المكان الذي أخرجت منه جنه الأيتام فقال أحدهم: و الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٧٢

لقد عورت هذه القطعة هذا المنظر العجيب، فقال له: اسكت، فو الله إن هذه القطعة طراز هذا المنظر و فخره، و كان المعتصم إذا نظر إليها قال: أشعرتم أن هذا المكان الموعج في عيني أحسن من سائر ما استقام من الصمادحية؟ ثم إن وزيره ابن أرقم لم يزل يلاطف الشيخ و الأيتام حتى باعوها عن رضا بما اشتهاوا من الثمن، و ذلك بعد مدة طويلة، فاستقام بها بناء الصمادحية، و حصل للمعتصم حسن السمعة في الناس، و الجزاء عند الله تعالى:

[عز الدولة بن المعتصم بن صمادح]

و لما مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه و لى عهده الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله، و فارق الملك كما أوصاه المعتصم والده و في ذلك يقول: [الطويل]

لك الحمد بعد الملك أصبحت خاملا بأرض اغتراب لا أمر و لا أحلى

و قد أصدأت فيها الجذاذة أنملى كما نسيت ركض الجياد بها رجلى

فلا مسمعى يصغى لنغمة شاعر و كفى لا تمتد يوما إلى بذل

قال ابن اللبانة الشاعر: ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجايه مع عزّ الدولة بن المعتصم بن صمادح فإني رأيت منه خير من يجتمع به، كأنه لم يخلقه الله تعالى إلّا للملك والرياسة وإحياء الفضائل، ونظرت إلى همته تنمّ من تحت خموله كما ينمّ فرند السيف وكرمه من تحت الصدا، مع حفظه لفنون الأدب والتواريخ وحسن استماعه وإسماعه، ورقّة طباعه ولطافة ذهنه، ولقد ذكرته لأحد من صحبته من الأدباء في ذلك المكان وصفته بهذه الصفات، فتشوّق إلى الاجتماع به، ورغب إليّ في أن أستأذنه في ذلك، فلما أعلمت عزّ الدولة قال: يا أبا بكر، لتعلم أنا اليوم في خمول وضيق لا يتسع لنا معهما، ولا يحمل بنا الاجتماع مع أحد، لا سيما مع ذى أدب ونباهة يلقانا بعين الرحمة، ويزورنا بمئة التفضّل في زيارتنا، ونكابد من ألقاظ توجّعه وألحاظ تفجّعه ما يجدد لنا همًا قد بلى، ويحيى كمدا قد فنى، وما لنا قدرة على أن نجود عليه بما يرضى به عن همّتنا، فدعنا كأننا في قبر، نتدرع لسهام الدهر بدرع الصبر، وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم، وامتزجت امتزاج الماء بالخمير، فكأننا لم نكشف حالنا لسوانا، ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا، فلا تحمل غيرك محملك، قال ابن اللبانة: فملاً والله سمعى بلاغة لا تصدر إلّا عن سداد ونفس أبيّة متمكّنة من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٧٣

أعنة البيان، وانصرفت متمثلاً: [الطويل]

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ولم يبق إلّا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم

[بين ابن اللبانة و عز الدولة بن المعتصم]

و كتب إليه ابن اللبانة: [البيسط]

يا ذا الذى هزّ أمداحى بحليته وعزّه أن يهزّ المجد والكرما

و اديك لا زرع فيه اليوم تبذله فخذ عليه لأيام المنى سلما

فتحيل فى قليل برّ و وجهه إليه و كتب معه: [البيسط]

المجد يخجل من يفديك من زمن ثناك عن واجب البرّ الذى علما

فدونك التّر من مصف مودّته حتّى يوفيك أيام المنى السلما

[من شعر عز الدولة بن المعتصم و رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح]

و من شعر عز الدولة المذكور: [الطويل]

أفدى أبا عمرو و إن كان عاتبا فلا خير فى ودّ يكون بلا عتب

و ما كان ذاك الودّ إلّا كبارق أضاء لعينى ثم أظلم فى قلبى

و قال الشقندى فى الطرف: إنّ عزّ الدولة أشعر من أبيه. و أمّا أخوه رفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى بن المعتصم فله أيضا نظم

رائق، و منه ما كتب به إلى يحيى بن مطروح يستدعيه لأنس: [الرملى]

يا أخى بل سيدي بل سدى فى مهمات الزمان الأنكد

لح بأفق غاب عنه بدره فى اختفاء من عيون الحسد

و تعجل فحبيبي حاضر و فمى يشتاك كأسى فى يدي

فأجابه ابن مطروح، و هو من أهل باغته، بقوله: [الرمل]
 أنا عبد من أقلّ الأعبد قبلتي وجهه بأفق الأسعد
 كلما أظمأني ورد فما منهلى إلّا بذاك المورد
 ها أنا بالباب أبغى إذنكم و الظما قد مدّ للكأس يدي
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٧٤

و كان قد سلط عليه إنسان مختلّ إذا رآه يقول: هذا ألف لا شيء عليه، يعنى أن ملكه ذهب عنه و بقى فارغا منه، فشكا رفيع الدولة ذلك إلى بعض أصحابه، فقال: أنا أكفيك مؤونته، و اجتمع مع الأحمق، و اشترى له حلواء، و قال له: إذا رأيت رفيع الدولة بن المعتصم فسلم عليه و قبل يده و لا تقل هذا ألف لا شيء عليه، فقال: نعم، و اشترط الوفاء بذلك، إلى أن لقيه فجرى نحوه و قبل يده و قال: هذا هو باء بنقطة من أسفل، فقامت قيامه رفيع الدولة، و كان ذلك أشدّ عليه، و كان به علّة الحصى فظنّ أنّ الأحمق علم ذلك و قصده، و صار كلّما أحسّ به فى موضع تجنّب.

و استأذن يوما على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه أُمَّةٌ قَدْ خَلَّتْ [سورة البقرة، الآية: ١٣٤] استحقاراً له و استثقلاً للإذن له، فبلغ ذلك رفيع الدولة فكتب إليه: [الطويل]

خلت أمتي لكنّ ذاتي لم تخل و فى الفرع ما يغنى إذا ذهب الأصل
 و ما ضرّكم لو قلت قول ماجد يكون له فيما يجيء به الفضل
 و كلّ إناء بالذى فيه راسح و هل يمنح الزنبور ما مجّه النحل
 سأصرف وجهي عن جناب تحله و لو لم تكن إلّا إلى وجهك السبل
 فما موضع تحلّه بمرفّع و لا يرتضى فيه مقال و لا فعل
 و قد كنت ذا عدل لعلك ترعوى و لكن بأرباب العلا يجمل العذل

[من شعر أبي جعفر بن المعتصم و لابن زهر و لابن شرف و لابن خفاجة]

و أما أخوهما أبو جعفر بن المعتصم فله ترجمة فى المسهب و المطرب و المغرب، و من شعره: [الطويل]
 كتبت و قلبى ذو اشتياق و وحشة و لو أنه يستطيع مرّ يسلم
 جعلت سواد العين فيه سواده و أبيضه طرسا و أقبلت أثلّم
 فخيّل لى أنى أقبل موضعا يصفحه ذاك البنان المسلم
 و أما أختهم أم الكرم فذكرناها مع النساء فلتراجع.

و قال أبو العلاء بن زهر: [الكامل]

تمت محاسن وجهه و تكاملت لما بدا و عليه صدغ موق
 و كذلك البدر المنير جماله فى أن تكثفه سماء أزرق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٧٥

و قال أبو الفضل بن شرف: [السريع]

يا من حكى البيدق فى شكله أصبح يحكيك و تحكيه
 أسفله أوسع أجزائه و رأسه أصغر ما فيه

و قال ابن خفاجة: [السريع]
يا أيها الصَّبَّ المعنى بها هو لا خلّ و لا خمر
سوّد ما وردّ من خدّه فصار فحما ذلك الجمر

[من شعر البياسى و لابن حريق و لأبى الحسن بن الفضل]

و قال أبو عبد الله البياسى: [الرميل]
صغر الرأس و طول العنق شاهدا عدل بفرط الحمق
و لَمَّا سمعه أبو الحسن بن حريق قال: [الرميل]
صغر الرأس و طول العنق خلقه منكراً فى الخلق
فإذا أبصرتها من رجل فاقض فى الحين له بالحمق
و قال أبو الحسن بن الفضل يذكر مقاما قامه سهل بن مالك و ابن عيَّاش: [الطويل]
لعمري لقد سرّ الخلافة قائما بخطبته الغراء سهل بن مالك
و أما ابن عيَّاش و قد كان مثله فضلوا جميعا بين تلك المسالك
و مات و ماتوا حسرة و حسادة و غيظا فقلنا هالك فى الهواك
و سهل بن مالك له ترجمة مطولة، رحمه الله تعالى!

[قصة فى الوفاء و القيام بحق الإخاء]

و من حكاياتهم فى الوفاء و حسن الاعتذار و القيام بحق الإخاء أنّ الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم كان صديقا للوزير هاشم بن عبد العزيز، ثابتا على موّدته، و لَمَّا قضى الله تعالى على هاشم بالأسر أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن الأموى ذكره فى جماعة من خدامه، و الوليد حاضر، فاستقصره، و نسبه للطيش و العجلة و الاستبداد برأيه، فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد، فقال: أصلح الله تعالى الأمير! إنه لم يكن على هاشم التخير فى الأمور، و لا الخروج عن المقدور، بل قد استعمل جهده، و استفرغ نصحته، و قضى حقّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٧٦

الإقدام، و لم يكن ملاك النصر بيده، فخذله من وثق به، و نكل عنه من كان معه، فلم يزحزح قدمه عن موطن حفاظه، حتى ملك مقبلا غير مدبر، مبليا غير فشل، فجوزى خيرا عن نفسه و سلطانه، فإنه لا طريق للملام عليه، و ليس عليه ما جنته الحرب الغشوم، و أيضا فإنه ما قصد أن يوجد بنفسه إلّا رضا للأمير، و اجتنابا لسخطه، فإذا كان ما اعتمد فيه الرضا جالب التقصير فذلك معدود فى سوء الحظ، فأعجب الأمير كلامه، و شكر له و فاءه، و أقصر فيما بعد عن تفنيد هاشم، و سعى فى تخليصه، و اتّصل الخبر بهاشم، فكتب إليه: الصديق من صدقك فى الشدة لا فى الرخاء، و الأخ من ذبّ عنك فى الغيب لا فى المشهد، و الوفى من وفى لك إذا خانك زمان، و قد أتانى من كلامك بين يدي سيدنا- جعل الله تعالى نعمته سرمدًا!- ما زادنى بموّدتك اغتباطا، و بصدقتك ارتباطا، و لذلك ما كنت أشدّ يدى على وصلك، و أخصّك بإخائي، و أنا الآن بموضع لا أقدر فيه على جزاء غير الثناء، و أنت أقدر منى على أن تزيد ما بدأت به بأن تتمّ ما شرعت فيه، حتى تتكامل لك المنّة، و يستوثق عقد الصداقة، إن شاء الله تعالى، و كتب إليه بشعر منه: [الطويل]

أيا ذاكرى بالغيب فى محفل به تصامت جمع عن جواب به نصرى

أتنى و البيداء بينى و بينها رقى كلمات خلصتنى من الأسر

لئن قرب الله اللقاء فإننى سأجزيك ما لا ينقضى غابر الدهر

فأجابه الوليد: خلصك الله أيها البدر من سرارك! و عجل بطلوعك فى أكمل تمامك و إبدارك! وصلنى شكرك على أن قلت ما علمت، و لم أخرج عن النصح للسلطان بما زكته من ذلك، و الله تعالى شاهد، على أن ذلك فى مجالس غير المجلس المنقول لسيدى إن خفيت عن المخلوق فما تخفى عن الخالق، ما أردت بها إلّا أداء بعض ما أعتقده لك، و كم سهرت و أنا نائم، و قمت فى حقى و أنا قاعد، و الله لا يضع أجر من أحسن عملا، ثم ذكر أبياتا لم تحضرنى الآن.

[قصة فى علو الهمة]

و من حكاياتهم فى علو الهمة فى العلم و الدنيا أنه دخل أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه جامع غرناطة، و به نحوى حوله شباب يقرءون، فنظروا إليه، و قالوا له مستهزئين به: ما

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٧٧

يحمل الفقيه؟ و ما يحسن من العلوم؟ و ما يقول؟ فقال لهم: أحمل اثنى عشر ألف دينار، وها هى تحت إبطى، و أخرج لهم اثنتى عشرة ياقوته، كل واحدة منها بألف دينار، و أما الذى أحسنه فاثنا عشر علما أدونها علم العربية الذى تبحثون فيه، و أما الذى أحسنه فاثنا عشر علما أدونها علم العربية الذى تبحثون فيه، و أما الذى أقول فأنتم كذا، و جعل يسبهم، هكذا نقلت هذه الحكاية من خط الشيخ أبى حيان النحوى، رحمه الله تعالى!

[عباس بن فرناس حكيم الأندلس]

و من حكاياتهم فى الذكاء و استخراج العلوم و استنباطها أن أبى القاسم عباس بن فرناس، حكيم الأندلس، أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة و أول من فك بها كتاب العروض للخليل، و أول من فك الموسيقى، و صنع الآلة المعروفة بالمنقالة، ليعرف الأوقات على غير رسم و مثال، و احتال فى تطير جثمانه، و كسا نفسه الريش، و مد له جناحين، و طار فى الجو مسافة بعيدة، و لكنه لم يحسن الاحتيال فى وقوعه، فتأذى فى مؤخره، و لم يدر أن الطائر إنما يقع على زمكه، و لم يعمل له ذنبا، و فيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر من أبيات: [الطويل]

يطم على العنقاء فى طيرانها إذا ما كسا جثمانه ريش قشع

و صنع فى بيته هيئة السماء، و خيل للناظر فيها النجوم و الغيوم و البروق و الرعود، و فيه يقول مؤمن بن سعيد أيضا: [المنسرح]

سماء عباس الأديب أبى ال قاسم ناهيك حسن رائقها

أما ضراط استه فراعدها فليت شعرى ما لمع بارقها

لقد تمتت حين دونها فكرى فى البصق فى است خالقها

و أنشد ابن فرناس الأمير محمدا من أبيات: [الطويل]

رأيت أمير المؤمنين محمدا و فى وجهه بذر المحبته يثمر

فقال له مؤمن بن سعيد: قبحا لما ارتكبتة! جعلت وجه الخليفة محرثا يثمر فيه البذر، فخجل و سبه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٧٨

[أول من اشتهر في الأندلس بالحساب والنجوم]

و أول من اشتهر في الأندلس بعلم الأوائل والحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم بن أحمد المعروف بصاحب القبلة؛ لأنه كان يشترق في صلاته، و كان عالما بحركات الكواكب و أحكامها، و كان صاحب فقه و حديث، دخل المشرق، و سمع بمكة من علي بن عبد العزيز، و بمصر من المزني و غيره.

و منهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينه، من أهل قرطبة، و كان بصيرا بالحساب و النجوم و النحو و اللغة و العروض و معاني الشعر و الفقه و الحديث و الأخبار و الجدل، و دخل إلى المشرق، و قيل: إنه كان معتزلي المذهب.

و أبو القاسم أصبغ بن السمح، و كان بارعا في علم النجوم و الهندسة، و له تأليف منها كتاب «المدخل إلى الهندسة في تفسير أقليدس»، و كتاب كبير في الهندسة، و كتابان في الأسطرلاب، و زيح على مذاهب الهند المعروف بالسند هند.

و أبو القاسم بن الصفار، و كان عالما بالهندسة و العدد و النجوم، و له زيح مختصر على مذاهب السند هند، و له كتاب في عمل الأسطرلاب.

و منهم أبو الحسن الزهراوى، و كان عالما بالعدد و بالطب و الهندسة، و له كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان.

و منهم أبو الحكم عمر الكرماني، من أهل قرطبة، من الراسخين في علم العدد و الهندسة، و دخل المشرق، و اشتغل بحزان، و هو أول من دخل برسائل إخوان الصفا إلى الأندلس.

و منهم أبو مسلم بن خلدون من أشرف إشبيلية، و كان متصرفا في علوم الفلسفة و الهندسة و النجوم و الطب، و تلميذه ابن برغوث، و

كان عالما بالعلوم الرياضية، و تلميذه أبو الحسن مختار الرعيني، و كان بصيرا بالهندسة و النجوم، و عبد الله بن أحمد السرقسطي، كان

ناقدا في علم الهندسة و العدد و النجوم، و محمد بن الليث، كان بارعا في العدد و الهندسة و حركات الكواكب، و ابن حنّ، قرطبي

بصير بالهندسة و النجوم، و خرج عن الأندلس سنة اثنتين و أربعين و أربعمائه، و لحق بمصر، و دخل اليمن، و اتصل بأمرها الصليحي

القائم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٧٩

بدعوة المستنصر العبيدي، فحظى عنده، و بعثه رسولا- إلى بغداد إلى القائم بأمر الله، و توفي باليمن بعد انصرافه من بغداد، و ابن

الوقشي الطليطلي، عارف بالهندسة و المنطق و الزیوج، و غيرهم ممن يطول تعدادهم.

و كان الحافظ أبو الوليد هشام الوقشي من أعلم الناس بالهندسة و آراء الحكماء و النحو و اللغة و معاني الأشعار و العروض و صناعة

الكتابة و الفقه و الشروط و الفرائض و غيرها، و هو كما قال الشاعر: [الوافر]

و كان من العلوم بحيث يقضى له في كل فنّ بالجميع

و من شعره قوله: [الكامل]

قد بينت فيه الطبيعة أنها بدقيق أعمال المهندس ماهره

عنت بمبسمه فخطت فوقه بالمسك خطا من محيط الدائره

و عزم على ركوب البحر إلى الحجاز فهاله ذلك، فقال: [السرير]

لا أركب البحر و لو أننى ضربت فيه بالعصا فانفلق

ما إن رأت عيني أمواجه في فرق إلّا تناهى الفرق

و كان الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن مهند مصنف الأدوية المفردة آية الله تعالى في الطب وغيره، حتى أنه عانى جميع ما في كتابه من الأدوية المفردة، و عرف ترتيب قواها و درجاتها، و كان لا يرى التداوى بالأدوية ما أمكن بالأغذية أو ما يقرب منها، و إذا اضطرَّ إلى الأدوية فلا يرى التداوى بالمرَّكبة ما وجد سبيلاً إلى المفردة، و إذا اضطرَّ إلى المرَّكب لم يكثر التركيب، بل يقتصر على أقل ما يمكنه، و له غرائب مشهورة في الإبراء من الأمراض الصعبة و العلل المخوفة بأيسر علاج و أقربه.

و منهم ابن البيطار، و هو عبد الله بن أحمد المالقي الملقب بضياء الدين، و له عدَّة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٨٠

مصنَّفات في الحشائش لم يسبق إليها، و توفي بدمشق سنة ست و أربعين و ستمائة، أكل عقارا قاتلا فمات من ساعته، رحمه الله تعالى!.

[مثل من حفظ أهل الأندلس]

و من حكاياتهم في الحفظ أن الأديب الأوحده حافظ إشبيلية، بل الأندلس في عصره، أبا المتوكل الهيثم بن أحمد بن أبي غالب، كان أعجوبة دهره في الرواية للأشعار و الأخبار، قال ابن سعيد: أخبرني من أثق به أنه حضر معه ليلة عند أحد رؤساء إشبيلية فجرى ذكر حفظه، و كان ذلك في أول الليل، فقال لهم: إن شئتم تختبروني أجبتكم، فقالوا له: بسم الله، إننا نريد أن نحدِّث عن تحقيق، فقال: اختاروا أي قافية شئتم لا أخرج عنها، حتى تعجبوا، فاختاروا القاف، فابتدأ من أول الليل إلى أن طلع الفجر، و هو ينشد وزن: [الكامل] أرق على أرق و مثلى يأرق

و سمَّاه قد نام بعض و ضجَّ بعض، و هو ما فارق قافية القاف.

و قال أبو عمران بن سعيد: دخلت عليه يوماً بدار الأشراف بإشبيلية، و حوله أدباء ينظرون في كتب منها ديوان ذي الرِّمَّة، فمدَّ الهيثم يده إلى الديوان المذكور، فمنعه منه أحد الأدباء، فقال: يا أبا عمران، أوجب أن يمنعني و ما يحفظ منه بيتا، و أنا أحفظه؟ فأكذبتة الجماعة، فقال: اسمعوني و أمسكوه، فابتدأ من أوله حتى قارب نصفه، فأقسمنا عليه أن يكفَّ، و شهدنا له بالحفظ.

و كان آية في سرعة البديهة، مشهوراً بذلك، قال أبو الحسن بن سعيد: عهدى به في إشبيلية يملئ على أحد الطلبة شعرا، و على ثان موشحاً، و على ثالث زجلاً، كل ذلك ارتجالاً.

و لما أخذ الحصار بمخنق إشبيلية في مدة الباجي خرج خروج القارظين، و لا يدرى حيث و لا أين.

و من شعره و قد نزل بداره عبيد السلطان، و كتب به إلى صاحب الأنزال: [الكامل]

كم من يد لك لا أقوم بشكرها و بها أشير إليك إن خرست فمي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٨١

و قد استشرتكم في الحديث فهل ترى أن يدخل الغربان و كر الهيثم

وله: [البسيط]

يجفى الفقير و يغشى الناس قاطبة باب الغنى، كذا حكم المقادير

و إنما الناس أمثال الفراش فهم بحيث تبدو مصابيح الدنانير

وله: [البسيط]

عندي لفقدك أوجال أبيت بها كأننى واضح كفى على قيس

و لا ملامة إن لم أهد نيره حتى تمدَّ إليها كفَّ مقتبس

قد كنت أودع سرّ الشوق في طرس لكننى خفت أن يعدو على الطرس
و أنشد له أبو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة في إملائه: [الكامل]
قف بالكثيب لغيرك التأييب إنّ الكثيب هوى لنا محبوب
يا راحلين لنا عليكم وقفه و لكم علينا دمعنا المسكوب
تخلى الديار من المحبّة و الهوى أبدا و تعمر أضلع و قلوب
و قال ارتجالا في وصف فرس أصفر: [الوافر]
أطرف فات طرفى أم شهاب هفا كالبرق ضرّمه التهاب
أعار الصبح صفحته نقابا ففرّ به و صحّ له النقاب
فمهما حتّ خال الصبح وافى ليطلب ما استعار فما يصاب
إذا ما انقضّ كلّ النجم عنه و ضلّت عن مسالكه السحاب
فيا عجبا له فضل الدرارى فكيف أذال أربعه التراب
سل الأرواح عن أقصى مداه فعند الريح قد يلفى الجواب

[ابن سيده و شيء من شعره]

و قال أبو عمر الطلمنكى: دخلت مرسية، فتشبت بى أهلها يسمعون علىّ الغريب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٨٢
المصنّف، فقلت: انظروا من يقرأ لكم، و أمسكت أنا كتابى، فأتونى برجل أعمى يعرف بابن سيده، فقرأه علىّ من أوّله إلى آخره،
فعجبت من حفظه، و كان أعمى ابن أعمى.
و ابن سيده المذكور هو أبو الحسن على بن أحمد بن سيده، و هو صاحب كتاب «المحكم».
و من نظمه ممّا كتب به إلى ابن الموقّ: [الطويل]
ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى سبيل فإنّ الأمن فى ذاك و اليمنى
و منها:

ضحيت فهل فى برد ظلّك نومه لذى كبد حرّى و ذى مقله وسنى
و توفى ابن سيده المذكور سنه ثمان و خمسين و أربعمائه، و عمره نحو الستين، رحمه الله تعالى!

[المظفر بن الأفتس و حبه للعلم]

و من حكاياتهم فى حبّ العلم أنّ المظفر بن الأفتس صاحب بطليوس كان كما قال ابن الأبار كثير الأدب، جمّ المعرفة، محبّا لأهل
العلم، جماعه للكتب، ذا خزانه عظيمه، لم يكن فى ملوك الأندلس من يفوقه فى أدب و معرفه، قاله ابن حيان.
و قال ابن بسام: كان المظفر أديب ملوك عصره غير مدافع و لا منازع، و له التصنيف الرائق، و التأليف الفائق، المترجم ب «التذكرة» و
المشتهر أيضا اسمه بالكتاب المظفرى، فى خمسين مجلدا، يشتمل على فنون و علوم من مغاز و سير و مثل و خبر و جميع ما يختصّ به
علم الأدب، أبقاه للناس خالدا، و توفى المظفر سنه ستين و أربعمائه.

و كان يحضر العلماء للمذاكرة، فيفيد و يستفيد، رحمه الله تعالى!

[من كبار مؤلفات أهل الأندلس و من دعابات أهل الأندلس]

و من التآليف الكبار لأهل الأندلس كتاب «السماء و العالم» الذى ألفه أحمد بن أبان صاحب شرطة قرطبة، و هو مائة مجلد، رأيت بعضه بفاس، و توفى ابن أبان سنة اثنتين و ثمانين و ثلاثمائة، رحمه الله تعالى!.
و لأهل الأندلس دعابة و حلاوة فى محاوراتهم، و أجوبة بديهيته مسكتة، و الظرف فيهم و الأدب كالغريزة، حتى فى صبيانهم و يهودهم، فضلا عن علمائهم و أكابرهم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٨٣
و لنذكر جملة من ذكر الجلة فنقول:

حكى عن عالم المريّة القاضى أبى الحسن مختار الرعيني، و كان فيه حلاوة و لودعية و وقار و سكون، أنه استدعاه يوما زهير ملك المريّة من مجلس حكمه، فجاءه يمشى مشية قاض قليلا قليلا، فاستعجله رسول زهير، فلم يعجل، فلما دخل عليه قال له: يا فقيه، ما هذا البطء؟ فتأخر إلى باب المجلس، و طلب عصا، و شمّر ثيابه، فقال له زهير: ما هذا؟ قال: هذا يليق باستعجال الحاجب لى، فوقع فى خاطرى أنه عزلنى عن القضاء و ولّانى الشرطة، فضحك زهير و استحلاه و لم يعد إلى استعجاله.
و هذا القاضى هو القائل - و قد دخل حمانا فجلس بإزائه عامى أساء الأدب عليه:-

[الطويل]

ألا لعن الحمام دارا فإنه سواء به ذو العلم و الجهل فى القدر
تضيق به الآداب حتى كأنها مصابيح لم تنفق على طلعة الفجر
و روى أن المقرئ أبا عبد الله محمد بن الفراء إمام النحو و اللغة فى زمانه - و كانت فيه فطنة و لودعية - أبطأ خروجه يوما إلى تلامذته، فطال بهم الكلام فى المذاكرة فقال أحدهم نصف بيت، و كان فيهم وسيم من أبناء الأعيان، و كان ابن الفراء كثير الميل إليه، فلما خرج قال له: يا أستاذ، عملت نصف بيت، و أريد أن تتمه، فقال: ما هو؟ فقال: [المتقارب]
ألا بأبى شادن أوظف

فقال الأستاذ ابن الفراء بديها: [المتقارب]

إذا كان وردك لا يقطف و ثغر ثناياك لا يرشف

فأى اضطرار بنا أن نقول: ألا بأبى شادن أوظف

و هذا ابن الفراء هو القائل: [مجزوء الخفيف]

قيل لى: قد تبدلا فاسل عنه كما سلا

لك سمع و ناظر و فؤاد فقلت: لا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٨٤

قيل: غال و صاله قلت: لَمَا غلا حلا

أيها العاذل الذى بعدابى توكلّا

عد صحيحا مسلما لا تعير فتبتلى

و تذكّرت بهذا ما أنشده لسان الدين فى كتابه، «روضة التعريف، بالحب الشريف»:

[مجزوء الخفيف]

قلت للساخر الذى رفع الأنف فاعتلى
 أنت لم تأمن الهوى لا تعير فتبتلى
 و من بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله: [المتقارب]
 شكوت إليه بفرط الدنف فأنكر من قصتي ما عرف
 وقال الشهود على المدعى و أما أنا فعلى الحلف
 فجئنا إلى الحاكم الألمعى قاضى المجون و شيخ الطرف
 و كان بصيرا بشرع الهوى و يعلم من أين أكل الكتف
 فقلت: له إقض ما بيننا فقال الشهود على ما تصف
 فقلت له شهدت أدمعى فقال إذا شهدت تنتصف
 ففاضت دموعى من حينها كفيض السحاب إذا ما يكف
 فحرك رأسا إلينا و قال دعوا يا مهاتيك هذا الصلف
 كذا تقتلون مشاهيرنا إذا مات هذا فأين الخلف
 و أوما إلى الورد أن يجتنى و أوما إلى الرقيق أن يرتشف
 فلما رآه حيبى معى و لم يختلف بيننا مختلف
 أزال العناد فعانقته كأنى لام و حبى ألف
 فظلت أعاتبه فى الجفا فقال عفا الله عما سلف

[من ملح الزهرى خطيب إشبيلية]

و حكى عن الزهرى خطيب إشبيلية- و كان أعرج- أنه خرج مع ولده إلى وادى إشبيلية، فصادف جماعة فى مركب، و كان ذلك بقرب الأضحى، فقال بعضهم له: بكم هذا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٨٥
 الخروف؟ و أشار إلى ولده، فقال له الزهرى: ما هو للبيع، فقال: بكم هذا التيس؟ و أشار إلى الشيخ الزهرى، فرفع رجله العرجاء و قال:
 هو معيب لا يجزئ فى الضحية، فضحك كل من حضر، و عجبوا من لطف خلقه.
 و ركب مرة هذا النهر مع الباجى يوم خميس، فلما أصبحتا و صعد الزهرى يخطب يوم الجمعة، و الباجى حاضر قدامه، فنظر إليه الباجى
 و أوما إلى محلّ الحدث، و أخرج لسانه، فجعل الزهرى يلمس عصا الخطبة، يشير بالعصا إلى جوابه على ما قصد، رحمه الله تعالى!

[ابن ورد و أحد الأعيان]

و مرّ العالم أبو القاسم بن ورد صاحب التأليف فى علم القرآن و الحديث بجنة لأحد الأعيان فيها ورد، فوقف بالباب و كتب إليه:
 [الخفيف]

شاعر قد أتاك يبغى أباه عند ما اشتاق حسنه و شذاه

و هو بالباب مصغيا لجواب يرتضيه الندى فماذا تراه
فعندما وقف على البيتين علم أنه ابن ورد، فبادر من جنته إليه، و أقسم فى النزول عليه، و نثر من الورد ما استطاع بين يديه.

[من ملح ابن الطراوة نحوى المرية]

و حكى أن أبا الحسين سليمان بن الطراوة نحوى المرية حضر مع ندماء، و إلى جانبه من أخذ بمجامع قلبه، فلما بلغت النوبة إليه
استعفى من الشرب، و أبدى القطوب، فأخذ ابن الطراوة الجام من يده و شربها عنه، و يا بردها على كل كبده، ثم قال بديها: [السريع]
يشربها الشيخ و أمثاله و كل من تحمد أفعاله
و البكر إن لم يستطع صولة تلقى على البازل أتقاله
و دخل عليه و هو مع ندمائه غلام و الكأس فى يده فقال: [الوافر]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٨٦
الأبأبى و غير أبى غزال أتى و براحه للشرب راح
فقال منادى فى الحسن صفه فقلت الشمس جاء بها الصباح
و قال فيمن جاء بالراح: [الطويل]
و لما رأيت الصبح لاح بخده دعوتهم رفقا تلح لكم الشمس
و أطلعها مثل الغزاة و هو كال غزال فتمّ الطيب و اكتمل الأنس
و قال، و قد شرب ليلة فى القمر: [الطويل]
شربنا بمصباح السماء مدامه بشاطى غدیر و الأزاهر تنفح
و ظلّ جهول يرقب الصبح ضلّة و من أكؤس لم يبرح الليل يصح

[مدغليس صاحب الموشحات و الأزجال]

و كان عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يشرب مع ندماء ظراف فى جنة بهجة، فجاءتهم ورقة من ثقيل
يرغب فى الإذن، و كان له ابن مليح فكتب إليه مدغليس: [مجزوء الرمل]
سيدي هذا مكان لا يرى فيه بلحيه
غير تيس مصفعانى له بالصّف كديه
أوله ابن شافع فى ه فيلقى بالتحيه
أيها القابل أقبل سائقا تلك المطيه
و كان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع و الصنعة فى الأزجال، خليفة ابن قزمان فى زمانه، و كان أهل الأندلس يقولون: ابن قزمان فى
الزجالين بمنزلة المتنبي فى الشعراء، و مدغليس بمنزلة أبى تمام، بالنظر إلى الانطباع و الصناعة، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى، و
مدغليس ملتفت للفظ، و كان أديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان، و لكنه لما رأى نفسه فى الزجل أنجب اقتصر عليه.
و من شعره قوله: [المجتث]
ما ضرّكم لو كتبتم حرفا و لو باليسار

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٨٧

إذ أنتم نور عيني و مطلبى و اختياري

[ابن الفراء و ترجمته و جده]

و قال الخطيب الأديب النحوى أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الفراء- المذكور قبل هذا بقريب- الضرير، فى صبى كان يقرأ عليه النحو، اسمه حسن، و هو غاية الجمال- بعد أن سأله: كيف تقول إذا تعجبت من حسنك؟ فقال أقول: ما أحسنى- [السريع]

يا حسنا ما لك لم تحسن إلى نفوس بالهوى متعبه
رقت بالورد و بالسوسن صفحة خدّ بالسنا مذهبه
و قد أبى صدغك أن أجتني منه و قد ألدغنى عقربه
يا حسنه إذ قال ما أحسنى و يا لذاك اللفظ ما أعذبه
ففوق السهم و لم يخطنى و إذ رآنى ميتا أعجبه
و قال كم عاش و كم حبنى و حبه إياى قد عدّبه
يرحمه الله على أننى قتلى له لم أدر ما أوجه

و قد كان ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة، ذكره ابن غالب فى «فرحة الأنفس، فى فضلاء العصر من الأندلس» و كان شاعرا مجيدا، يعلم بالمرية القرآن و النحو و اللغى، و كانت فيه فطنة و لودعية، و ذكاء و المعية، خرق بها العوائد. و حكى أن قاضى المرية قبل شهادته فى سطل ميزه فى حمام باللمس، و اختبره فى ذلك بحكاية طويلة. و ذكره صفوان فى «زاد المسافر» و وصفه بالخطيب.

و جدّه القاضى أبو عبد الله ابن الفراء مشهور بالصلاح و الفضل و الزهد، و من العجائب أنه ليس له ترجمة فى «المغرب»، و لما كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى أهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذى يقول فيه [ما صورته]: فما ذكره أمير المسلمين من افتضاء المعونة و تأخرى عن ذلك، و أن الباجى، و جميع القضاة و الفقهاء بالعدوة و الأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، اقتضاها، و كان صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ضجيعه فى قبره، و لا يشك فى عدله، فليس أمير المسلمين بصاحب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٨٨

رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا- بضجيعه فى قبره، و لا- من لا- يشك فى عدله، فإن كان الفقهاء و القضاة أنزلوك بمنزلته فى العدل، فالله تعالى سائلهم عن تقلدهم فيك، و ما اقتضاها عمر، رضى الله تعالى عنه، حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم و حلف أن ليس عنده درهم واحد فى بيت مال المسلمين ينفقه عليهم، فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من أهل العلم و تحلف أن ليس عندك درهم واحد و لا فى بيت مال المسلمين، و حينئذ تستوجب ذلك، و السلام، انتهى.

[ابن الفراء الأخفش بن ميمون]

و أما ابن الفراء الأخفش بن ميمون الذى ذكره الحجارى فى «المسهب» فليس هو من هؤلاء، بل هو من حصن القبداق من أعمال قلعة بنى سعيد، و تأدب فى قرطبة، ثم عاد إلى حضرة غرناطة، و اعتكف بها على مدح وزيرها اليهودى، و هو القائل: [البسيط]

صاحب محياه تلقى النَّجْح في الأمل و انظر بناديه حسن الشمس في الحمل

ما إن يلاقى خليل فيه من خلل و كلما حال صرف الدهر لم يحل

و كان يهاجى المنفتل شاعر البيرة، و من هجاء المنفتل له قوله: [مجزوء الرمل]

لابن ميمون قريض زمهرير البرد فيه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ١٨٨

فإذا ما قال شعرا نفقت سوق أبيه

و لما وفد على المريء مدح رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح بشعر، فقال له بعض من أراد ضرّه: يا سيدى، لا تقرب هذا اللعين، فإنه

قال فى اليهودى: [الطويل]

و لكنّ عندى للوفاء شريعة تركت بها الإسلام يبكى على الكفر

فقال رفيع الدولة: هذا و الله هو الحرّ الذى ينبغى أن يصطنع، فلو لا و فاؤه ما بكى كافرا بعد موته، و قد وجدنا فى أصحابنا من لا

يرعى مسلما فى حياته. فقال فيه المنفتل:

[المجتث]

إن كنت أخفش عين فإن قلبك أعمى

فكيف تشر نثرا و كيف تنظم نظما

و من شعر الأخفش المذكور قوله: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٨٩

إذا زرتكم غبا فلم ألق بالبرّ و إن غبت لم أطلب و لم أجر فى الذّكر

فإنى إذن أولى الورى بفراقكم و لا سيّما بعد التجلّد و الصّبر

[ابن مسعود و الطليق القرشى]

و لما وفد على المنصور بن أبى عامر الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن مسعود الغسانى البجالى اتّهم برهق فى دينه، فسجنه فى

المطبق مع الطليق القرشى، و الطليق غلام و سيم، و كان ابن مسعود كلفا به يومئذ و فيه يقول: [البيسط]

غدوت فى السجن خدنا لابن يعقوب و كنت أحسب هذا فى التكاذيب

رامت عداى تعذيبى و ما شعرت أنّ الذى فعلوه ضدّ تعذيبى

راموا بعادى عن الدنيا و زخرفها فكان ذلك إدنائى و تقريبى

لم يعلموا أنّ سجنى لا أبا لهم قد كان غاية مأمولى و مرغوبى

و سجن ابن مسعود و الطليق قبله، و وقع بينه و بين الطليق، و عاد المدح هجاء، فقال فيه: [السريع]

ولى جليس قربه منى بعد الأمانى كذبا عنى

قد قذيت من لحظه مقلتى و قرّحت من لفظه أذنى

هوّن لى فى السجن من قربه أشدّ فى السجن من السجن

لو أنّ خلقا كان ضدّا له زاد على يوسف فى الحسن

إذا ارتمى فكرى فى وجهه سلّط إبطيه على ذهنى

كأنما يجلس من ذا و ذا بين كنيفين من التتن
و قال يخاطب المنصور من السجن: [السريع]
دعوت لَمَّا عيل صبرى فهل يسمع دعوى المليك الحليم
مولاي مولاي، ألا عطفة تذهب عنى بالعذاب الأليم
إن كنت أضمرت الذى زخرفوا عَنى فدعنى للتقدير الرحيم
فعنده نَزاعه للشوى و عنده الفردوس ذات النعيم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٩٠

[بين جارية و شاعر من المرية و بين البياسى و شيخ ثجيل]

و ركب بعض أهل المرية فى وادى إشبيلية، فمرّ على طاقه من طاقات شنتبوس، و هو يغنى:
خلين من واد و من قوارب و من نزاها فى شنتبوس
غرس الحيق الذى فى دارى أحبّ عندى من العروس
فأخرجت رأسها جارية و قالت له: من أى بلد أنت يا من غنى؟ فقال: من المرية، فقالت: و ما أعجبك فى بلدك حتى تفضّله على
وادى إشبيلية و هو بوجه مالح وقفا أحرش؟
و هذا من أحسن تعيب، و ذلك أنها أتته بالنقيض من إشبيلية، فإنّ وجهها النهر العذب، و قفاها بجمال الرحمة أشجار التين و العنب،
لا تقع العين إلّا على خضرة فى أيام الفرج، و أين إشبيلية من المرية. و فى المرية يقول السميسر شاعرها: [الخفيف]
بسّ دار المرية اليوم دارا ليس فيها لساكن ما يحبّ
بلدة لا تمار إلّا بريح ربّما قد تهبّ أو لا تهبّ
يشير إلى أنّ مرافقها مجلوبة، و أن الميرة تأتيها فى البحر من بزّ العدوّة، و فيها يقول أيضا: [المجتث]
قالوا المرية فيها نظافة قلت إيه
كأنها طست تبر و يبصق الدم فيه
و حكى مؤرخ الأندلس أبو الحجاج البياسى، أنه دخل عليه فى مجلس أنس شيخ ضخم الجثة مستثقل، فقال البياسى: [مجزوء
الخفيف]
اسقنى الكأس صاحيه ودع الشيخ- ناحيه
فقال الكاتب أبو جعفر أحمد بن رضى: [مجزوء الخفيف]
إن تكن ساقيا له ليس ترويه ساقيه

[أبو على بن حسون قاضى مالقة]

و حكى أنّ العالى إدريس الحمودى لَمَّا عاد إلى ملكه بمالقة و بيخ قاضيهما الفقيه أبا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٩١
على بن حسون، و قال له: كيف بايعت عدوى من بعدى و صحبته؟ فقال: و كيف تركت أنت ملكك لعدوك؟ فقال: ضرورة القدرة

حملتني على ذلك، فقال: و أنا أيضا حصلت في يد من لا يسعني إلّا طاعته.

و من نظم القاضي المذكور: [السريع]

رفعت من دهرى إلى جائر و بينغى العدل بأحكامى

أضحت به أملاكه مثل أش كال خيال طوع أيامى

هذا لما أبرم ذا ناقض كأنهم فى حكم أحلام

و كان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة جرى- كما قال الحجارى- فى صباه طلق الجموح و لم يزل يعاقب بين

غبوق و صبوح، إلى أن دعاه النذير، فاهتدى منه بسراج منير، و أحلته تلك الرجعة، فيما شاء من الرفعة.

و قال بعض معاصريه: كنت أماشيه زمن الشباب، فكلمنا مررنا على امرأة يدعو حسننها و شكلها إلى أن تحير فيه الألباب، أمال إليها

طرفه، و لم ينح عنها صرفه، ثم سايرته بعد لثما رجع عن ذلك و اقتصر، فرأيته يغضّ البصر، و يخلى الطريق معرضا إلى ناحية، متى

زاحمته امرأة و لو حكت الشمس ضاحية، فقلت له فى ذلك، فقال: [الخفيف]

ذاك وقت قضيت فيه غرامى من شبابى فى ستره الإظلام

ثم لما بدا الصباح لعينى من مشيى ودّعته بسلام

و من شعره فى صباه: [البسيط]

لا ترتجوا رجعتى باللوم عن غرض و لتتركونى و صيدى فرصة الخلس

طلبتم ردّ قلبى عن صبابته و من يردّ عنان الجامح الشرس

و لما أقصر باطله، و عزّيت أفراس الصبا و رواحله، قال: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٩٢

و لما بدا شيبى عفت عن الهوى كما يهتدى حلف السرى بنجوم

و فارقت أشياع الصباة و الطلا و ملت إلى أهلى علا و علوم

[موقف لابن الفخار]

و لما تألب بنو حسون على القاضى الوحيدى المذكور صادر عنه العالم الأصولى أبو عبد الله بن الفخار، و طلع فى حقّه إلى حضرة

الإمامة مراكش، و قام فى مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين، و هو قد غصّ بأربابه، و قال: إنه لمقام كريم، نبدأ فيه بحمد الله على

الدنوّ منه، و نصلّى على خيرة أنبيائه محمد الهادى إلى الصراط المستقيم، و على آله و صحابته نجوم الليل البهيم، أمّا بعد، فإننا نحمد

الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميرا، و جعلك للدين الحنيفى نصيرا و ظهيرا، و نفعك إليك ممّا دهمنا فى حماك، و نبثّ إليك ما

لحقنا من الضيم و نحن تحت ظلّ علاك، و يابى الله أن يدهم من احتمى بأمر المسلمين، و يصاب بضميم من ادّرع بحصنه الحصين،

شكوى قمت بها بين يديك فى حقّ أمرك الذى عضده مؤيّده، لتسمع منها ما تختبره برأيك و تنقده، و إنّ قاضيك ابن الوحيدى

الذى قدّمته فى مالقة للأحكام، و رضيت بعدله فيمن بها من الخاصة و العوام، لم يزل يدلّ على حسن اختيارك بحسن سيرته، و

يرضى الله تعالى و يرضى الناس بظاهره و سريره، ما علمنا عليه من سوء، و لا درينا له موقف خزى، و لم يزل جاريا على ما يرضى

الله تعالى و يرضيك و يرضينا إلى أن تعرّضت بنو حسون إلى الطعم فى أحكامه، و الهدّ من أعلامه، و لم يعلموا أنّ اهتضام المقدّم،

راجع على المقدّم، بل جمحوا فى لجاجهم فعموا و صمّوا، و فعلوا و أمضوا ما به همّوا: [الخفيف]

و إلى السحب يرفع الكفّ من قد جفّ عنه مسيل عين و نهر

فملاً سمعه بلاغهُ أعقبت نصره و نصر صاحبه.

و من شعر ابن الفخار المذكور، و يعرف بابن نصف الربض، قوله: [الطويل]
أ مستنكر شيب المفارق في الصبا و هل ينكر التور المفتح في الغصن
أظنّ طلاب المجد شيب مفرقى و إن كنت في إحدى و عشرين من سنّي
و قوله: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٩٣
أقلّ عتابك إنّ الكريم يجازى على حبه بالقلبي
و خلّ اجتنابك إنّ الزمان يمرّ بتكديره ما حلا
و واصل أخاك بعلماته فقد يلبس الثوب بعد البلى
و قلّ كالذى قاله شاعر نبيل و حقّك أن تنبلا
إذا ما خليل أسا مرّة و قد كان فيما مضى مجملا
ذكرت المقدم من فعله فلم يفسد الآخر الأولا

[لابن شرف]

و لما وفد أبو الفضل بن شرف من برجة في زى تظهر عليه البداوة بالنسبة إلى أهل حضرة المملكة العظمى أنشده قصيدته القافية:
[الرمل]

مطل الليل بوعد الفلق و تشكى النجم طول الأرق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى فاستفاد الروض طيب العبق
و ألاح الفجر خدّا خجلا جال من رشح الندى في عرق
جاوز الليل إلى أنجمه فتساقطن سقوط الورق
و استفاض الصبح فيه فيضة أيقن النجم لها بالغرق
فانجلى ذاك السنا عن حلك و انمحي ذاك الدجى عن شفق
بأبى بعد الكرى طيف سرى طارقا عن سكن لم يطرق
زارنى و الليل ناع سدفة و هو مطلوب بباقي الرّمق
و دموع الطلّ تمرّيتها الصبا و جفون الروض غرقى الحدق
فتأتى في إزار ثابت و تشى في وشاح قلق
و تجلّى وجهه عن شعره فتجلّى فلق عن غسق
نهب الصبح دجى ليلته فحبا الخدّ ببعض الشفق
سلبت عيناه حدّى سيفه و تحلّى خده بالرونق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٩٤
و امتطى من طرفه ذا خبب يلثم الغبراء إن لم يعنق
أشوس الطرف علتة نخوة يتهادى كالغزال الخرق

لو تمطى بين أسراب المها نازعته في الحشا و العنق
 حسرت دهمته عن غرّة كشفت ظلماؤها عن يقق
 لبست أعطافه ثوب الدجى و تحلّى خده باليقق
 و انبرى تحسبه أجفل عن لسعة أو جنّه أو أولق
 مدركا بالمهل ما لا ينتهى لاحقا بالرفق ما لم يلحق
 ذو رضا مستتر فى غضب ذو وقار منطو فى خرق
 و على خد كعضب أبيض أذن مثل سنان أزرق
 كلما نصّبها مستمعا بدت الشهب إلى مسترق
 حاذرت منه شبا خطيّة لا يجيد الخطّ ما لم يمشق
 كلما شامت عذارى خده خفقت خفق فؤاد فرق
 فى ذرا ظمآن فيه هيف لم يدعه للقضيب المورق
 يتلقانى بكفّ مصقع يقتفى شأو عذار مفلق
 إن يدر دورة طرف يلتمح أو يجل جول لسان ينطق
 عصفت ريح على أنبوه و جرت أكعبه فى زئبق
 كلما قلبه باعد عن متن ملساء كمثل البرق
 جمع السرد قوى أزرارها فتأخذن بعهد موثق
 أوجبت فى الحرب من وخز القنا فتواترت حلقا فى حلق
 كلما دارت بها أبصارها صوّرت منها مثال الحدق
 زلّ عنه متن مصقول القوى يرتقى فى مائها بالحرق
 لو نضا و هو عليه ثوبه لتعزّى عن شواظ محرق
 أكهب من هبوات أخضر من فرند أحمر من علق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٩٥
 و ارتوت صفحاه حتى خلته بحيا من لكفيك سقى
 يا بنى معن لقد ظلّت بكم شجر لولاكم لم تورق
 لو سقى حسان إحسانكم ما بكى ندمانه فى جلق
 أو دنا الطائى من حيكم ما حدا البرق لربع الأبرق
 أبدعوا فى الفضل حتى كلّفوا كاهل الأيام ما لم يطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه، و حسده بعض من حضر، و كان من جملة من حسده ابن أخت غانم، فقال له: من أى أنت؟ قال:
 أنا من الشرف فى الدرجة العالیه، و إن كانت البادية على بادية، و لا أنكر حالى، و لا أعرف بخالى، فمات ابن أخت غانم خجلا، و
 شمت به كل من حضر.

و ابن شرف المذكور هو الحكيم الفيلسوف أبو الفضل جعفر ابن أديب إفريقية أبي عبد الله محمد بن شرف الجذامي؛ ولد ببرجة، و قيل: إنه دخل الأندلس مع أبيه و هو ابن سبع سنين، و من نظمه قوله: [الطويل]

رأى الحسن ما فى خده من بدائع فأعجبه ما ضم منه و حرّفا
و قال لقد ألفت فيه نوادرا فقلت له لا بل غريبا مصنفا
و قوله: [مخلع البسيط]

قد وقف الشكر بى لديكم فليست أقوى على الوفاده
و نلت أقصى المراد منكم فصرت أخشى من الزيادة
و قوله: [المتقارب]

إذا ما عدوك يوما سما إلى رتبة لم تطق نقضها
فقبل و لا تأنفن كفه إذا أنت لم تستطع عضها
و قوله، و قد تقدّم به على كل شاعر: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٩٦
لم يبق للجور فى أيامهم أثر غير الذى فى عيون الغيد من حور
و أول هذه القصيدة قوله:

قامت تجرّ ذبول العصب و الحبر ضعيفه الخصر و الميثاق و النظر
و كان قد قصر أمداحه على المعتصم، و كان يفد عليه فى الأعياد و أوقات الفرج و الفتوحات، فوفد عليه مرّة يشكو عاملا ناقشه فى
قريه يحرث فيها، و أنشده الرائية التى مرّ مطلعها إلى أن بلغ قوله:

لم يبق للجور
البيت.

فقال له: كم فى القريه التى تحرث فيها؟ فقال: فيها نحو خمسين بيتا، فقال له: أنا أسوّغك جميعها لهذا البيت الواحد، ثم وقّع له بها، و عزل عنها نظر كلّ وال.

و له ابن فيلسوف شاعر مثله، و هو أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل المذكور، و هو القائل: [الخفيف]
و كريم أجارنى من زمان لم يكن من خطوبه لى بدّ
منشد كلّما أقول تناهى ما لمن يتغى المكارم حدّ

[أبو عبد الله محمد بن معمر ابن أخت غانم]

و ابن أخت غانم هو العالم اللغوى أبو عبد الله محمد بن معمر؛ من أعيان مالقة، متفنّن فى علوم شتى، إلّا أنّ الغالب عليه علم اللغة، و كان قد رحل من مالقة إلى المريه، فحلّ عند ملكها المعتصم بن صمادح بالمكانة العلية، و هو القائل فى ابن شرف الطمذكور:
[الكامل]

قولوا لشاعر برجة هل جاء من أرض العراق فحاز طبع البحترى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٩٧
وافى بأشعار تضحّ بكفه و تقول: هل أعزى لمن لم يشعر

يا جعفرًا، ردّ القريض لأهله و اترك مبارأة لتلك الأبحر
لا تزعمن ما لم تكن أهلا له هذا الرضاب لغير فيك الأبحر
و ذكره ابن اليسع في معربه و قال: إنه حدثه بداره في مالقة و هو ابن مائة سنة، و أخذ عنه عام أربعة و عشرين و خمسمائة، و له
تأليف منها «شرح كتاب النبات» لأبي حنيفة الدينوري، في ستين مجلدا، و غير ذلك.
و غانم خاله الذي يعرف به هو الإمام العالم غانم المخزومي، نسب إليه لشهرة ذكره، و علو قدره.

[بين ابن عبدون و ابن ضابط]

و لما قرأ العالم الشهير أبو محمد بن عبدون في أول شبابه على أبي الوليد بن ضابط النحوي المالقي، جرى بين يديه ذكر الشعر، و
كان قد ضجر منه، فقال: [المجثت]
الشعر خطه خسف
فقال ابن عبدون معرّضا به حين كان مستجديا بالشعر، و كان إذ ذاك شيخا: [المجثت]
لكلّ طالب عرف
للشيخ عيبة عيب و للفتى ظرف ظرف
و ابن ضابط هو القائل في المظفر بن الأفتس: [الطويل]
نظمت لك الشعر البديع لأننا علمنا بأنّ الشعر عندك ينفق
فإن كنت متى بامتداح مظفرا فإنى فى قصدى إليك موفّق
و دخل غانم المخزومي السابق ذكره، و هو من رجال الذخيرة، على الملك بن حبّوس صاحب غرناطة، فوسّع له على ضيق كان فى
المجلس، فقال: [البيسط]
صير فؤادك للمحبوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحبين
و لا تسامح بغیضا فى معاشره فقلّما تسع الدنيا بغیضين
و هو القائل: [الطويل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٩٨
و قد كنت أعدو نحو قطرك فارحا بها أنا أعدو نحو قبرك ثاكلا
و قد كنت فى مدحيك سبحان وائل فى أنا من فرط التأسف باقلا
و له أيضا: [السريع]
الصبر أولى بوقار الفتى من ملك يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حاله كان على أيامه بالخيار

[بين ابن الغليظ و ابن السراج]

و كتب أبو على الحسن بن الغليظ إلى صاحبه أبي عبد الله بن السراج، و قد قدم من سفر: [البيسط]
يا من أقلب طرفى فى محاسنه فلا أرى مثله فى الناس إنسانا

لو كنت تعلم ما لقيت بعدك ما شربت كأسا و لا استحسنت ريحانا
 فورد عليه من حينه و قال: أردت مجاوبتك، فخفت أن أبطئ، و صنعت الجواب في الطريق: [البسيط]
 يا من إذا ما سقتنى الراح راحته أهدت إلي بها روحا و ريحانا
 من لم يكن في صباح السبت يأخذها فليس عندي بحكم الظرف إنسانا
 فكن على حسن هذا اليوم مصطبحا مذاكرا حسنا فيه و إحسانا
 و في البساتين إن ضاق المحلّ بنا مندوحة لا عدمننا الدهر بستانا
 و وفد أبو علي الحسن بن كسرين المالقي الشاعر المشهور على ملك إشبيلية السيد أبي إسحاق إبراهيم ابن أمير المؤمنين يوسف ابن
 أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، فأنشده قصيدة طار مطلعها في الأقطار، كلّ مطار، و هو: [الكامل]
 قسما بحمص إنه لعظيم فهي المقام و أنت إبراهيم

[العطاء المالقي في وصف غادة]

و وصف الشاعر عطاء المالقي غادة جعلت على رأسها تاجا فقال: [السريع]
 و ذات تاج رضعوا دوره فزاد في لآلائها باللال
 كأنها شمس و قد توجت بأنجم الجوزاء فوق الهلال
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ١٩٩
 قد اشتكى الخلخال منها إلى سوارها فاشتبهها في المقال
 و أجريا ذكر الوشاح الذي لَمَّا يزل من خصرها في مجال
 فقال: لم أرض بما نلت و ليتني مثلكما لا أزال
 أغصّ بالخصر و أعيأ به كغصّ ظمآن بماء زلال
 و إنما الدهر بغير الرضا يقضى فكلّ غير راض بحال
 و هو القائل: [مجزوء الخفيف]
 سل بحماننا الذي كلّ عن شكره فمى
 كم أراني بقربه جنّ في جهنّم

[أبو القاسم السهيلي]

و كان يحضر حلقة الإمام السهيلي وضىء الوجه من تلامذته، فانقطع لعارض، فخرج السهيلي مارًا في الطريق الذي جرت عادته
 بالمشى فيه، فوجد قناة تصلح، فمنعته من المرور، فرجع و سلك طريقا آخر، فمرّ على دار تلميذه الوضىء، فقال له بعض أصحابه
 ممازحا بعبوره على منزله، فقال: نعم، و أنشد ارتجالا: [المتقارب]
 جعلت طريقي على باب و مالي على باب من طريق
 و عاديت من أجله جيرتي و آخيت من لم يكن لي صديق
 فإن كان قتلي حلالا لكم فسيروا بروحي سيرا رفيق

و أبو القاسم السهيلي مشهور، عرّف به ابن خلكان وغيره، و يكنى أيضا بأبي زيد، و هو صاحب كتاب «الروض الأنف» وغيره. و اجتاز على سهيل و قد خربه العدو لَمّا أغار عليه و قتلوا أهله و أقاربه، و كان غائبا عنهم، فاستأجر من أركبه دابّة، و أتى به إليه، فوقف بإزائه، و أنشد: [الكامل]

يا دار، أين البيض و الآرام؟ أم أين جيران على كرام
 راب المحبّ من المنازل أنه حيّا فلم يرجع إليه سلام
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٠٠
 لَمّا أجبني الصدى عنهم و لم يلج المسامع للحبيب كلام
 طارحت ورق حمامها مترنما بمقال صبّ و الدموع سجام
 (يا دار ما فعلت بك الأيام ضامتك و الأيام ليس تضام)

[بين السهيلي و الرصافي]

و جرى بين السهيلي و الرصافي الشاعر المشهور ما اقتضى قول الرصافي: [المتقارب]

عفا الله عنّي فإنّي امرؤ أتيت السلامة من بابها
 على أنّ عندي لمن هاجني كنائن غصّت بنشابها
 و لو كنت أرمى بها مسلما لكان السهيلي أولى بها
 و توفي السهيلي بمراكش سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة، و زرت قبره بها مرارا سنة عشر و ألف، و سكن رحمه الله تعالى إشبيلية مدّة، و لازم القاضي أبا بكر بن العربي و ابن الطراوة، و عنه أخذ لسان العرب، و كان ضريرا.
 و من شعره أيضا لما قال: «كيف أمسيت» مكان «كيف أصبحت»: [الطويل]
 لئن قلت صباحا كيف أمسيت مخطئا فما أنا في ذاك الخطا بملوم
 طلعت و أفقى مظلم لفراقكم فخلتكم بدرا و المساء همومي

[أبو الفضل بن حسداى الوزير الكاتب]

و حكى أنّ الوزير الكاتب أبا الفضل بن حسداى الإسلامى السرقسطى، و هو من رجال الذخيرة، عشق جارية ذهببت بلّبه، و غلبت على قلبه، فجنّ بها جنونه، و خلع عليها دينه، و علم بذلك صاحبها فزفّها إليه، و جعل زمامها فى يديه، فتحامى عن موضعه من وصلها أنفة من أن يظنّ الناس أنّ إسلامه كان من أجلها، فحسن ذكره، و خفى على كثير من الناس أمره، و من شعره قوله: [الطويل]
 و أطربنا غيم يمازج شمسه فيستر طوراً بالسحاب و يكشف
 ترى قزحاً فى الجوّ يفتح قوسه مكباً على قطن من الثلج يندف
 و كان فى مجلس المقتدر بن هود ينظر فى مجلّد، فدخل الوزير الكاتب أبو الفضل بن الدباغ
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٠١
 و أراد أن يندّر به، فقال له، و كان ذلك بعد إسلامه: يا أبا الفضل، ما الذى تنظر فيه من الكتب، لعلّه التوراة؟ فقال: نعم، و جلدها من جلد دبغه من تعلم، فمات خجلا، و ضحك المقتدر.

[أبو الربيع السرقسطى و بين على بن خير و ابن عبد الصمد السرقسطى]

و أراد الشاعر أبو الربيع سليمان السرقسطى حضور نديم له، فكتب إليه: [السريع]

بالراح و الريحان و الياسمين و بكرة الندمان قبل الأذنين

و بهجة الروض بأندائه مقلداً منه بعقد ثمين

ألا أجب سبقا ندائي إلى ال كأس تبدت لذة الشارين

هامت بها الأعين من قبل أن يخبرها الذوق بحق اليقين

لاحت لدينا شفقا معلنا فكن لها بالله صباحا مبين

و كتب على بن خير التطيلي إلى ابن عبد الصمد السرقسطى يستدعيه إلى مجلس أنس: أنا- أطال الله تعالى بقاء الكاتب سراج العلم و شهاب الفهم!- فى مجلس قد عبت تفاحه، و ضحكت راحه، و خفقت حولنا للطرب ألوية، و سالت بيننا للهو أودية، و حضرنا مقلدة تسأل منك إنسانها، و صحيفة فكن عنوانها، فإن رأيت أن تجعل إلينا القصد، لنحصل بك فى جنة الخلد، صقلت نفوسا أصدأها بعدك، و أبرزت شمسا أوجاها فقدك.

فأجابه ابن عبد الصمد: فضضت- أيها الكاتب العليم، و المصقع الحبر الصميم- طابع كتابك، فمنحنى منه جوهر منتخب، لا يشوبه مخشلب، هو السحر إلا أنه حلال، دل على ود حنيت ضلوعك عليه، و وثيق عهد انتدب كريم سجتتك إليه، فسألت فائق الحب، و عامر القلب بالحب، أن يصون لى حظى منك، و يدرأ لى النوائب عنك، و لم يمنعنى أن أصرف وجه الإجابة إلى مرغوبك، و أمتطى جواد الانحدار إلى محبوبك، إلا عارض ألم ألم بى فقيد بقيده نشاطى، و روى براحتة بساطى، و تركنى أتململ على فراشى كالسليم، و أستمطر الإصباح من الليل البهيم، و أنا منتظر لإدباره.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٠٢

[قصة من رقة طباع الأندلسيين]

و من لطف أهل الأندلس و رقة طباعهم ما حكاه أبو عمرو بن سالم الملقى قال: كنت جالسا بمنزلى بمالقة، فهاجت نفسى أن أخرج إلى الجبانه، و كان يوما شديد الحر، فراودتها على القعود، فلم تمكنى من القعود، فمشيت حتى انتهب إلى مسجد يعرف برابطة الغبار، و عنده الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن على الملقى، فقال لى: إني كنت أدعو الله تعالى أن يأتينى بك، و قد فعل، فالحمد لله، فأخبرته بما كان منى، ثم جلست عنده، فقال:

أنشدنى، فأشده لبعض الأندلسيين: [الكامل]

غضبوا الصباح فقسموه خدودا و استوعبوا قضب الأراك قدودا

و رأوا حصا الياقوت دون نحورهم فتقلدوا شهب النجوم عقودا

لم يكفهم حد الأسته و الطبا حتى استعاروا أعينا و خدودا

فصاح الشيخ، و أغمى عليه، و تصبب عرقا، ثم أفاق بعد ساعه، و قال: يا بنى، اعذرنى فشيئان يقهرانى، و لا أملك نفسى عندهما: النظر إلى الوجه الحسن، و سماع الشعر المطبوع، و انتهى.

و ستأتى هذه الأبيات فى هذا الباب بآتم من هذا.

و على كل حال فهى لأهل الأندلس، لا لابن دريد كما ذكره بعضهم، و سيأتى تسميه صاحبها الأندلسى، كما فى كتاب «المغرب» لابن سعيد العنسى المشهور، رحمه الله تعالى:

و قال بعض الأدباء ليحيى الجزار، و هو يبيع لحم ضأن: [المنسرح]

لحم إناث الكباش مهزول

فقال يحيى:

يقول للمشتريين مه زولوا

و قال التطيلي الأعمى فى وصف أسد رخام يرمى بالماء على بحيرة: [مجزوء الكامل]

أسد و لو أنى أنا قشه الحساب لقلت صخره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٠٣

و كآته أسد السماء يمخ من فيه المجزه

و حضر جماعة من أعيان الأدباء مثل الأبيص و ابن بقى و غيرهما من الوشاحين، و اتفقوا على أن يصنع كل واحد منهم موشحه، فلما أنشد الأعمى موشحته التى مطلعها:

ضاحك عن جمان سافر عن بدر

ضاق عنه الزمان و حواه صدرى

خزق كل منهم موشحته.

و تحاكت امرأة إلى القاضى أبى محمد عبد الله اللاردي الأصبهى، و كانت ذات جمال و نادرة، فحكم لزوجها عليها، فقالت له: من يضع قلبه كل طرف فاطر جدير أن يحكم بهذا، تشير إلى قوله: [الخفيف]

أين قلبى؟ أضاعه كل طرف فاطر يصرع الحليم لديه

كلما ازداد ضعفه ازداد فتكا أى صبر ترى يكون عليه

[بين ابن خفاجة و ابن عنق الفضة]

و حضر أبو إسحاق بن خفاجة مجلسا بمرسيه مع أبى محمد جعفر بن عنق الفضة الفقيه السالمى، و تذاكرا، فاستطال ابن عنق الفضة، و لعب بأطراف الكلام، و لم يكن ابن خفاجة يعرفه، فقال له: يا هذا، لم تترك لأحد حظا فى هذا المجلس! فليت شعرى من تكون؟ فقال:

أنا القائل: [الرملى]

الهوى علمنى سهد الليال و نظام الشعر فى هذى اللال

كلما هبت شمال منهم لعبت بى عن يمين و شمال

و أرقّت فكرتى أرواحها فأتت منهنّ بالسحر الحلال

كان كالملح أجاجا خاطرى و سحاب الحبّ أبدته زلال

فاهترّ ابن خفاجة، و قال: من يكون هذا قوله لا- ينبغى أن يجهل، و لك المعذرة فى جهلك، فإنك لم تعرفنا بنفسك، فبالله من تكون؟ فقال: أنا فلان، فعرفه و قضى حقه.

و حكى ابن غالب فى «فرحة الأنفس» أنّ الوزير أبا عثمان بن شنتفير و أبو عامر بن عبد شلب و فدا رسولين على المعتمد بن عباد، عن

إقبال الدولة بن مجاهد و المعتصم بن صمادح و المقدر بن هود، لإصلاح ما كان بين المعتمد و بين ابن ذى النون، فسّر المعتمد بهم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٠٤
و أكرمهم، و دعاهم إلى طعام صنعه لهم، و كان لا يظهر شرب الراح منذ ولى الملك، فلمّا رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب،
فلمّا أمر بكتب أجوبتهم كتب له أبو عامر: [الخفيف]
بقيت حاجة لبعد رغب لم يدع غيرها له من نصيب
هى خيريه المساء حديثا و أنا فى الصباح أخشى رقيبى
فإذا أمس كان عندى نهارا لم تحفنى عليه بعد الغروب
و إذا الليل جنّ حدثت جلا سى بما كان من حديث غريب
قيل إنّ الدجى لديك نهار و كذاك الدجى نهار الأريب
فتمنيت ليلة ليس فيها لذكا ذلك السنّا من مغيب
حيث أعطيك فى الخلاء و تعطى نى مداما كمثل ريق الحبيب
تم أعدو كأننى كنت فى النوم، و أخفى المنام خوف هزيب
و الهزيب: الرقيب العتيد فى كلام أهل الأندلس، فسّر المعتمد و انبسط بانبساطه، و ضحك من مجونه، و كتب إليه: [الخفيف]
يا مجابا دعا إلى مستجيب فسمعنا دعاءه من قريب
إن فعلت الذى دعوت إليه كنت فيما رغبت عين رغب
و استحضره فنادمه خاليا، و كساه و وصله، و انقلب مسرورا، و ظنّ المعتمد أنّ ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتفير، فأعلم بالأمر القائد
ابن مرتين، فكاد يتفطر حسدا و كتب إلى المعتمد: [الخفيف]
أنا عبد أوليته كلّ برّ لم تدع من فنون برّك فنّا
غير رفع الحجاب فى شربك الراح فماذا جناه أن يتجنّى
و تمنى شراب سؤرك فى الكأس فبالله أعطه ما تمنى
فسرته أبياته، و أجابه: [الخفيف]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٠٥
يا كريم المحلّ فى كلّ معنى و الكريم المحلّ ليس يعنى
هذه الخمر تبتغيك فخذها أو فدعها أو كيفما شئت كّنّا
و كان يقرأ فى مجلس ملك السهله أبى مروان بن رزين ذى الرياستين ديوان شعر محمد بن هانىء، و كان القارئ فيه بله، فلمّا وصل
إلى قوله: [المتقارب]
حرام حرام زمان الفقير
أتفق أن عرض للملك ما اشتغل به، فقال للقارئ: أين وقفت؟ فقال: فى حرام، فقام الملك و قال: هذا موضع لا أفق معك فيه،
ادخل أنت وحدك، ثم دخل إلى قصره، و انقلب المجلس ضحكا.

[من شعر أبى بكر بن سدرى الوزير]

و كان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر، و هو الكاتب أبو بكر بن سدرى، و ذكره الحجارى فى «المسهب» و قال: إنّ له

شعرا أرقّ من نسيم السحر، و أندى من الطلّ على الزهر، و منه قوله: [المجتث]
 ما ضرّكم لو بعثتم و لو بأدنى تحيه
 تهزّنى من شذاها إليكم الأريحيه
 خذوا سلامى إليكم مع الرياح التديّه
 فى كلّ سحره يوم ترى و كلّ عشيه
 يا ربّ طال اصطبارى ما الوجد إلّا بليّه
 غيلان بالشرق أضحى و حلّت الغرب ميه
 و قوله: [الوافر]

سأبغى المجد فى شرق و غرب فما ساد الفتى دون اغتراب
 فإن بلغت مأمولا فإنى جهدت و لم أقصر فى الطلاب
 و إن أنا لم أفر بمراد سعى فكم من حسره تحت التراب

[من شعر مروان بن عبد العزيز ملك بنسية]

و قال ملك بنسية مروان بن عبد العزيز لَمَا ولى مكانه من لا يساويه: [الطويل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٠٦
 و لا غرو بعدى أن يسودّ معشر فيضحى لهم يوم و ليس لهم أمس
 كذاك نجوم الجوّ تبدو زواهرا إذا ما توارت فى مغاربها الشمس
 و قال ابن دحية: دخلت عليه و هو يتوضأ، فنظر إلى لحيته و قد اشتعلت بالشيب اشتعالا، فأنشد لنفسه ارتجالا: [الطويل]
 و لَمَا رأيت الشيب أيقنت أنه نذير لجسمى بانهدام بنائه
 إذا ابيضّ مخضّر النبات فإنه دليل على استحصاده و فئائه

[من شعر أبى عامر بن الفرج الوزير]

و اعتلّ ابن ذى الوزارتين أبى عامر بن الفرج، وزير المأمون بن ذى النون، و هو من رجال الذخيرة و القلائد، فوصف له أن يتداوى
 بالخمير العتيق، و بلغه أنّ عند بعض الغلمان منها شيئا، فكتب إليه يستهديه: [المجتث]
 ابعث بها مثل ودك أرقّ من ماء خدك
 شقيقه النفس، فانضح بها جوى ابنى و عبدك
 و هو القائل معتذرا عن تخلفه عمّن جاءه منذرا: [الخفيف]
 ما تخلفت عنك إلّا لعذر و دليلى فى ذاك خوفى عليك
 هبك أنّ الفرار من غير عذر أ تراه يكون إلّا إلكا
 و له من رساله هناء: [المتقارب]
 أهنيء بالعيد من وجهه هو العيد لو لاح لى طالعا

و أدعو لى الله سبحانه بشمل يكون لنا جامعا
 و كتب إلى الوزير المصرى يستدعيه أن يكون من ندمائه، فكتب إليه الوزير المصرى يستعمله اليوم، فلما أراد كـتـب إليه: [الكامل]
 ها قد أهبت بكم و كلكم هوى و أحقكم بالشكر منى السابق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٠٧
 كالشمس أنت و قد أظلل طلوعها فاطلع و بين يديك فجر صادق
 و له فى رئيس مرسية أبى عبد الرحمن بن طاهر، و كان ممتع المجالسة كثير النادرة:
 [الخفيف]

قد رأينا منك الذى قد سمعنا فغدا الخبر عاضد الأخبار
 قد وردنا لديك بحرا نميرا و ارتقينا حيث النجوم الدرارى
 و لكم مجلس لديك انصرفنا عنه مثل الصبا عن الأزهار

[من شعر أبى الحسن على بن حريق]

و شرب الأديب الفاضل أبو الحسن على بن حريق عشية مع من يهواه، و رام الانفصال عنه لداره، فمنعه سيل حال بينه و بين داره،
 فبات عنده على غير اختياره، فقال ابن حريق:
 [مخلع البسيط]

يا ليلة جادت الليالى بها على رغم أنف دهرى
 للسيل فيها علىّ نعمى يقصر عنها لسان شكرى
 أبات فى منزلى حبيبي و قام فى أهله بعذر
 فبت لا حالة كحالى ضجيع بدر صريع سكر
 يا ليلة القدر فى الليالى لأنت خير من ألف شهر
 و من حسنات ابن حريق المذكور قوله: [الكامل]

يا ويح من بالمغرب الأقصى ثوى حلف التوى و حبيبه بالمشرق
 لولا الحذار على الورى لمألت ما بينى و بينك من زفير محرق
 و سكبت دمعى ثم قلت لسكبه من لم يذب من زفرة فليغرق
 لكن خشيت عقاب ربى إن أنا أحرقت أو أغرقت من لم أخلق
 و له: [السريع]

لم يبق عندى للصبأ لذة إلا الأحاديث على الخمر
 و له: [المتقارب]

ققبلت إثرك فوق الثرى و عانقت ذكرك فى مضجعى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٠٨
 و له: [الرملى]

إن ماء كان فى وجنتها وردته السن حتى نشفا

و ذوى العنّاب من أنملها فأعادته الليالى حشفا
 و أورد له أبو بحر فى «زاد المسافر» قوله: [الكامل]
 كلمته فاحمّر من خجل حتى اكتسى بالعسجد الورق
 و سأله تقبيل راحته فأبى و قال أخاف أحترق
 حتى زفيرى عاق عن أملى إن الشقى بريقه شرق
 و قوله فى السواقى: [الكامل]
 و كأنما سكن الأراقم جوفها من عهد نوح مدّة الطوفان
 فإذا رأينا الماء يطفح نضنضت من كلّ خرق حية بلسان

[لأبى جعفر بن الذهبى]

و قال الفيلسوف أبو جعفر ابن الذهبى فىمن جمع بينه و بين أحد الفضلاء: [الخفيف]
 أيها الفاضل الذى قد هدانى نحو من قد حمدته باختبار
 شكر الله ما أتيت و جازاك و لا زلت نجم هدى لسارى
 أى برق أفاد أى غمام و صباح أذى لضوء نهار
 و إذا ما النسيم كان دليلى لم يحلنى إلّا على الأزهار

[بين المعتصم بن صمادح و خلف السمسير]

و أنشد أبو عبد الله محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعرا يقول فيه: [الطويل]
 و لو لم أكن عبدا لآل صمادح و فى أرضهم أصلى و عيشى و مولدى
 لما كان لى إلّا إليهم ترخّل و فى ظلهم أمسى و أضحى و أعتدى
 فارتاح، و قال: يا ابن عبادة، ما أنصفناك بل أنت الحرّ لا العبد، فاشرح لنا فى أمملك، فقال: أنا عبدكم كما قال ابن نباتة: [البيسط]
 لم يبق جودك لى شيئا أوّمله تركنتى أصحاب الدنيا بلا أمل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٠٩
 فالتفت إلى ابنه الواثق يحيى و لى عهده و قال: إذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع، ضمّه إليك و افعل معه ما تقتضيه وصيتى به، و
 تبهنى إليه كل وقت، فأقام نديما لولى العهد المذكور.
 و له فىهما الموشحات المشهورة، كقوله:

كم فى قدود البان تحت اللمم

من أقمر عواطى

بأنمل و بنان مثل العنم

لم تنبرى للعاطى

و لمّا بلغ المعتصم أنّ خلف بن فرج السمسير هجاه احتال فى طلبه حتى حصل فى قبضته، ثم قال له: أنشدنى ما قلت فى، فقال له: و

حق من حصّلتني في يدك ما قلت شرّاً فيك، و إنما قلت: [البسيط]

رأيت آدم في نومي فقلت له: أبا البرية، إن الناس قد حكموا

أن البرابر نسل منك، قال: إذن حواء طالقة إن كان ما زعموا

فأباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمي، فخرجت إلى بلادك هاربا فوضع عليّ من أشاع ما بلغك عنى لتقتلني أنت فيدرك تأره بك، و يكون الإثم عليك، فقال: و ما قلت فيه خاصية مضافا إلى ما قلته في عامه قومه؟ فقال: لما رأيت مشغوبا بتشبيد قلعتي التي يتحصن فيها

بغرناطة قلت: [مخلع البسيط]

يبني على نفسه سفاها كأنه دودة الحرير

فقال له المعتصم: لقد أحسنت في الإساءة إليه، فاختر: هل أحسن إليك و أخلى سبيلك أم أجيرك منه؟ فارتجل: [مجزوء الرجز]

خيرني المعتصم و هو بقصدي أعلم

و هو إذا يجمع لي أمانا و منّا أكرم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢١٠

فقال: خاطر ك خاطر شيطان، و لك المنّ و الأمان، فأقام في إحسانه بأوطانه، حتى خلع عن ملكه و سلطانه:

و لما أنشده عمر بن الشهيد قصيدته التي يقول فيها: [الكامل]

سبط البنان كأنّ كلّ غمامة قد ركبت في راحته أناملا

لا عيش إلّا حيث كنت، و إنما تمضي ليالى العمر بعدك باطلا

التفت إلى من حضر من الشعراء و قال: هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا؟ فقال أبو جعفر بن الخراز البطراني: نعم، و

لكن للسعادة هبات، و قد أنشدت مولانا قبل هذا أبياتا أقول فيها: [الطويل]

و ما زلت أجنى منك و الدهر ممحل و لا ثمر يجنى و لا الزرع يحصد

ثمار أباد دانيات قطفوها لأغصانها ظلّ عليّ ممدد

يرى جاريا ماء المكارم تحتها و أطيّار شكرى فوقهنّ تغرّد

فارتاح المعتصم، و قال: أ أنت أنشدتني هذا؟ قال: نعم، قال: و الله كأنها ما مرّت بسمعي إلى الآن، صدقت للسعد هبات، و نحن

نجيزك عليها بجائزتين: الأولى لها، و الثانية لمطل راجيها و غمط إحسانها، انتهى.

و قال بعض ذريّة ملوك إشبيلية: [الخفيف]

نثر الورد بالخليج و قد درج أمواهه هبوب الرياح

مثل درع الكميّ مزّقا الطع ن فسالت بها دماء الجراح

[من شعر صارة و من شعر ابن الزقاق]

و قال ابن صارة في النارج: [الطويل]

كرات عقيق في غصون زبرجد بكفّ نسيم الريح منها صوالج

نقبلها طورا و طورا نشمّها فهنّ حدود بيننا و نوافج

و قال أبو الحسن بن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢١١

و ما شقّ وجنته عابثا و لكنّها آيةٌ للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى بها كيف كان انشقاق القمر
و قال: [الكامل]

ضربوا ببطن الوادين قبابهم بين الصوارم و القنا المياد
و الورق تهتف حولهم طربا بهم فبكلّ محنية ترنم شادى
يا بانه الوادى كفى حزنا بنا أن لا نظارح غير بانه وادى
و قال: [الخفيف]

نحن فى مجلس به كمل الآن س و لو زرتنا لزداد كمالا
طلعت فيه من كؤوس الحميا و من الزهر أنجم تتلالا
غيرنّ النجوم دون هلال فلتكن منعما لهنّ الهلالا
و قال: [الكامل]

و هويتها سمراء غنّت و انثنت فنظرت من ورقاء فى أملودها
تشدو و وسواس الحلّى يجيها مهما انثنت فى وشيها و عقودها
أو ليس من بدع الزمان حمامة غنّت فغنّى طوقها فى جيدها
و قال: [البسيط]

لئن بكيت دما و العزم من شيمى على الخليط فقد يبكى الحسام دما

[من شعر أبى تمام غالب بن رباح الحجام]

و قال أبو تمام غالب بن رباح الحجام فى دولاب طار منه لوح فوقف: [المنسرح]
و ذات شدو و ما لها حلم كلّ فتى بالضمير حياها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٢١١
و طار لوح بها فأوقفها كلمحة العين حين جراها
و كان المذكور ربّى فى قلعة رباح غربى طليطلة، و لا يعلم له أب، و تعلّم الحجامه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢١٢
فأثقتها، ثم تعلق بالأدب حتى صار آية، و هو القائل فى ثريا الجامع: [البسيط]
تحكى الثريا الثريا فى تألقها و قد عراها نسيم فهى تتقد
كأنها لذوى الإيمان أفئدة من التخشع جوف الليل ترتعد
و قال: [البسيط]

زرت الحبيب و لا شىء أحاذره فى ليلة قد لوت بالغمض أشفارا
فى ليلة خلت من حسن كواكبها دراهما و حسبت البدر دينارا
و قال فى الثريا أيضا: [البسيط]

انظر إلى سرج فى الليل مشرقة من الزجاج تراها و هى تلتهب

كأنها ألسن الحيات قد برزت عند الهجير فما تنفك تضطرب

و قال: [الطويل]

ترى التسر و القتلى على عدد الحصا و قد مزقت أحشاءها و التراثبا

مضرّجه ممّا أكلن كأنها عجائز بالحنا خضبن ذوائبا

و قال، و قد أبدع غايه الإبداع، و أتى بما يحير الألباب، و إن كان أبو نواس فاتح هذا الباب: [الطويل]

و كأس ترى كسرى بها فى قرارة غريقا و لكن فى خليج من الخمر

و ما صورته فارس عبثا به و لكنهم جاؤوا بأخفى من السحر

أشاروا بما كانوا له فى حياته فنومى إليه بالسجود و ما ندرى

و ما أحلى قوله: [الكامل]

الأقحوان رمى عليك ظلامه لّمّا عنفت عليه بالمسواك

لا يحمل النور الأنيق تمسه كفّ بعود بشامه و أراك

و جلاؤه المخلوق فيه قد كفى من أن يراع عراره بسواك

و قوله: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢١٣

صغار الناس أكثرهم فسادا و ليس لهم لصالحه نهوض

ألم تر فى سباع الطير سراً تسالمننا، و يأكلنا البعوض

و قد بلغ غايه الإحسان فى قوله: [الوافر]

فما للملك ليس يرى مكانى و قد كحلت لواحظه بنورى

كذا المسواك مطّرحا مهانا و قد أبقى جلاء فى الثغور

و من حسناته قوله: [السريع]

لى صاحب لا كان من صاحب فإنه فى كبدى جرحه

يحكى إذا أبصر لى زلّة ذبابة تضرب فى قرحه

و لقيه أبو حاتم الحجارى على فرس فى غايه الضعف و الرذالة قد أهلكها الوجى، و كانا فى جماعتين، فقال له: يا أبا تمام، أنشدنى

قولك: [الطويل]

و تحتى ريح تسبق الريح إن جرت و ما خلت أن الريح ذات قوائم

لها فى المدى سبق إلى كلّ غايه كأنّ لها سبقا يفوق عزائمى

و همّة نفسى نرّتها عن الوجى فى عجا حتى العلا فى البهائم

فلما أنشده إياها ردّ رأسه أبو حاتم إلى الجماعتين و قال: ناشدتكم الله أيجوز لحجّام على فرس مثل هذه الرمكة الهزيله العرجاء، أن

يقول مثل هذا؟ فضحك جميع من حضر، و أقبل أبو تمام من غيظه بسبه.

و من شعر الحجّام المذكور قوله: [البيسط]

لا يفخر السيف و الأقالام فى يده قد صار قطع سيوف الهند للقصب

فإن يكن أصلها لم يقو قوتها (فإنّ فى الخمر معنى ليس فى العنب)

و قال: [الكامل]

ثقلت على الأعداء إلّا أنها خفّت على السّباب و الإبهام
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢١٤
أخذت من الليل البهيم سواده و بدت تنمّق أوجه الأيام
و قال: [الكامل]

نظر الحسود فازدرى لى هيئهُ و الفضل منى لا يزال مينا
قبحت صفاتي من تغير وده صدأ المراة يقبح التحسنا
و قال: [الطويل]

تصير و إن أبدى العدو مذمة فمهما رمى ترجع إليه سهامه
كما يفعل النحل الملمّ بلسعه يريد به ضرًا و فيه حمامه
و قال: [البسيط]

و بارد الشّع لم يؤلم به و لقد أضرّ منه جميع الناس و اعتزلا
كأنه الصلّ لا تؤذيه ريقته حتى إذا مجّها فى غيره قتلا

[من شعر ابن زقاق و ابن مسعدة]

و قال ابن الزقاق: [الطويل]

دعاك خليل و الأصيل كأنه عليل يقضى مدة الرّمق الباقي
إلى شطّ مناسب كأنك ماؤه صفاء ضمير أو عذوبه أخلاق
و مهوى جناح للصبأ يمسح الرّبا خفىّ الخوافى و القوادم خفاق
على حين راح البرق فى الجوّ مغمدا ظباه و دمع المزن من جفنه راق
و قد حان منى للرياض التفاتة حبست بها كأسى قليلا عن الساقى
على سطح خيرى ذكرتك فانشى يميل بأعناق و يرنو بأحداق
فصل زهرات منه هذا كأنها و قد خضلت قطرا محاجر عشاق
و لما مدح الحسيب أبو القاسم بن مسعدة الأوسى أمير المؤمنين عبد المؤمن بقوله:
[الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢١٥

حنانيك مدعوًا و لتيك داعيا فكلّ بما ترضاه أصبح راضيا
طلعت على أرجائنا بعد فترة و قد بلغت من النفوس التراقيا
و قد كثرت منّا سيوف لدى العلا و من سيفك المنصور نبغى التقاضيا
و غيرك نادينا زمانا فلم يجب و عزمك لم يحتج علاه مناديا

كتب اسمه وزير عبد المؤمن فى جملة الشعراء، فلما وقف على ذلك عبد المؤمن ضرب على اسمه و قال: إنما يكتب اسم هذا فى
جملة الحساب، لا تدنّسوه بهذه النسبة، فلسنا ممن يتغاضى على غمط حسبه، ثم أجزل صلته، و أمر له بضبعة يحرث له بها، يعنى
بذلك أنه من ذرية ملوك؛ لأنّ جدّه كان ملك وادى الحجارة.

[من شعر أبي بكر محمد بن أرزق و أبي جعفر بن أرزق و أبي القاسم بن أرزق و راشد بن عريف]

و قال أبو بكر محمد بن أرزق: [السريع]
 هل علم الطائر في أيكه بأنّ قلبي للحمى طائر
 ذكّرني عهد الصّبا شجوه و كلّ صبّ للصّبا ذاكر
 سقى الحيا عهدا لهم بالحمى دمع له ذكرهم ناثر
 و قال أبو جعفر بن أرزق: [الطويل]
 أراك ملكت الخافقين مهابة بها ما تلحّ الشّهب بالخفقان
 و تغضى العيون عن سناك كأنها تقابل منك الشمس في اللّمعان
 و تصفرّ ألوان العداة كأنما رموا منك طول الدهر باليرقان
 و قال أبو القاسم بن أرزق: [مخلع البسيط]
 ذاك الزمان الذى تقضى يا ليته عاد منه حين
 بكلّ عمرى الذى تبقى و ما أنا فى الشّرا غيبين
 و قال راشد بن عريف الكاتب: [مخلع البسيط]
 جمّع فى مجلس ندامى تحسدنى فيهم النجوم
 فقال لى منهم نديم مالك إذ قمت لا تقوم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢١٦
 فقلت إن قمت كلّ حين فإنّ حظّى بكم عظيم
 و ليس عندى إذن ندامى بل عندى المقعد المقيم

[من شعر ابن عائش]

و قال الحسيب أبو جعفر بن عائش: [السريع]
 و لى أخ أورده سلسلا لكنه يوردنى مالحا
 ألقاه كى أبسطه ضاحكا و يلتقيني أبدا كالحا
 و ليس ينفكّ عنائى به ما رمت من فاسده صالحا
 قال الحجارى: و كتب إلى جدى إبراهيم فى يوم صحو بعد مطر: [السريع]
 إذا رأيت الجوّ يصحو فلا تصح، سقاك الله من سكر
 تعال فانظر لدموع الندى ما فعلت فى مبسم الزهر
 و لا تقل إنك فى شاغل فليس هذا آخر الدهر
 تخلف ما فات سوى ساعه تقتضى فيها لذّة الخمر
 فأجابه: [السريع]

لبيك لبيك و لو أننى أسعى على الرأس إلى مصر
فكيف و الدار جوارى و ما عندى من شغل و لا عذر
و لو غدا لى ألف شغل بلا عذر تركت الكلّ للحشر
و كلما أبصرنى ناظر ببابكم عظم من قدرى
أنا الذى يشربها دائما ما حضرت فى الصحو و القطر
و ليس نقلى أبدا بعدها إلّا الذى تعهد من شكرى
[قال الحجارى: و لم يقصّر جدى فى جوابه، و لكن ابن عائش أشعر منه فى ابتدائه، و لو لم يكن له إلّا قوله «تعال فانظر- إلخ» لكفاه،
قال: و فيه يقول جدى [إبراهيم] يمدحه:
[الطويل]

و لو كان ثان فى الندى لابن عائش لما كان فى شرق و غرب أخو فقر
يهشّ إلى الأمداح كالغصن للصبأ و بشر محيآه ينوب عن الزهر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢١٧
فيا ربّ زد فى عمره إنّ عمره حياة أناس قد كفوا كلفه الدهر
و قتله ابن مسعدة ملك وادى الحجارة النائر بها، و لما قدّمه ليقتله قال: ارفق علىّ حتى أخاصم عن نفسى، فقال: على لسانك قتلناك،
فقال له: لا رفق الله عليك يوم تحتاج إلى رفقته! فقال بجبروتيته: ما رهبنا السيوف الحداد، و نرهب دعاء الحساد.

[من شعر أبى الحسن بن شعيب و أبى حامد بن شعيب و أبى الحسن بن رجاء و أبى محمد بن الفتح]

و قال أبو الحسن على بن شعيب: [الخفيف]
انزعى الوشى فهو يستر حسنا لم تحزه برقمهنّ الشياب
ودّعيني عسى أقبل ثغرا لدد فيه اللّمي و طاب الرضاب
و عجيب أن تهجريني ظلما و شفيعى إلى صباك الشباب
و قال أخوه أبو حامد الحسين حين كبا به فرسه فحصل فى أسر العدو: [الوافر]
و كنت أعدّ طرفى للرزايا يخلصنى إذا جعلت تحوم
فأصبح للعدا عوننا لأننى أطلت عناءه فأنا الظلوم
و كم دامت مسراتى عليه و هل شىء على الدنيا يدوم
و قال أبو الحسن على بن رجاء، صاحب دار السكة و الأحباس بقرطبة: [السريع]
يا سائلى عن حالتى إننى لا أشتكى حالى لمن يضعف
مع أننى أحذر من نقده لا سيما إن كان لا ينصف
و أنشد له الحميدى فى «الجدوة»: [الخفيف]
قل لمن نال عرض من لم ينله حسبنا ذو الجلال و الإكرام
لم يزدنى شيئا سوى حسنات لا و لا نفسه سوى آثام
كان ذا منعة فتقلّ ميزا نى بهذا فصار من خدامى

و قال أبو محمد القاسم بن الفتح: [مجزوء الكامل]
أيام عمرك تذهب و جميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك من ك فأين أين المهرب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢١٨

[من شعر أبي مروان عبد الملك بن غصن]

و قال أبو مروان عبد الملك بن غصن: [الوافر]
فديتك لا تخف منى سلوا إذا ما غير الشعر الصغارا
أهيم بدنّ خمر صار خلّا و أهوى لحيه كانت عذارا
و قال: [مخلع البسيط]
قد ألحف الغيم بانسكابه و التحف الجوّ فى سحابه
قام داعى السرور يدعو حى على الدنّ و انتهابه
و تاه فيه النديم ممّا يزدحم الناس عند بابه
و كان أحد الأعلام فى الآداب و التاريخ و التأليف.
و نغم عليه المأمون بن ذى النون بسبب صحبته لرئيس بلده ابن عبيدة، و بلغه أنه يقع فيه، فنكبه أشرّ نكبه، و حبسه، فكتب إليه من
السجن: [الطويل]

فديتك هل لى منك رحمى لعلنى أفارق قبرا فى الحياة فأنشر
و ليس عقاب المذنبين بمنكر و لكن دوام السخط و العتب منكر
و من عجب قول العداة مثقل و مثلى فى إلحاحه الدهر يعذر
و ألفت للمأمون رساله «السجن و المسجون، و الحزن و المحزون» و رساله أخرى سمّاها «بالعشر كلمات»، و قال: [مخلع البسيط]
يا فتية خيرة فدتهم من حادثات الزمان نفسى
شربهم الخمر فى بكور و نطقهم عندها بهمس
أما ترون الشتاء يلقي فى الأرض بسطا من الدمقس
مقطّب عابس ينادى يوم سرور و يوم أنس
و أخبر عنه الحميدى فى الجذوة أنه شاعر أديب، دخل المشرق، و تأذب، و حجّ، و رجع، و شعره كثير. و له أبيات كتبها فى طريق
الحجّ إلى أحد القضاة: [الكامل]

يا قاضيا عدلا كأنّ أمامه ملك يريه واضح المنهاج
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢١٩
طافت بعبدك فى بلادك علّة قعدت به عن مقصد الحجاج
و اعتلّ فى البحر الأجاج فكن له بحرا من المعروف غير أجاج
و قال الزاهد الورع المحدّث أبو محمد إسماعيل ابن الديوانى: [المتقارب]
ألا أيها العائب المعتدى و من لم يزل مؤذيا ازدد

مسايعك يكتبها الكاتبون فيبيض كتابك أو سؤد
و قال ابنه أبو بكر: [مجزوء الكامل]
خاصم عدوك باللسان و إن قدرت فبالسنان
إنّ العداوة ليس يص لحها الخضوع مدى الزمان

[من شعر إبراهيم الحجارى]

و قال إبراهيم الحجارى جدّ صاحب «المسهب»: [الطويل]
لئن كرهوا يوم الوداع فإننى أهيم به وجدا من اجل عناقه
أصافح من أهواه غير مساتر و سرّ التلاقى مودع فى فراقه
و قال: [الخفيف]

كن كما شئت إننى لا أحول غير مصغ لما يقول العذول
لك و الله فى الفؤاد محلّ ما إليه مدى الزمان وصول
و مرادى بأن تزور خفيّا ليت شعرى متى يكون السبيل
و قال: [الخفيف]

قد توالى فى حالتينا الظنون فلنصدّق ما كذّبه العيون
و مرادى بأن تلوح بأفقى بدر تمّ و ذاك ما لا يكون
أنا قد قلت ما دعانى إليه كثرة اليأس، و الحديث شجون
و إذا شئت أن تسفّه رأبى فمحلّى من الرقيب مصون
و به ما تشاء من كلّ معنى كلّ من لم يجب له مجنون
و إلى كم تضلّ ليل الأمانى و من اليأس لاح صبح مبین
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٢٠
و قال: [المجتث]

سألته عن أبيه فقال خالى فلان
فانظر عجائب ما قد أتت به الأزمان
دهر عجيب لديه عن المعالى حران
فما له غير ذمّ كما تدين تدان

[من شعر ابن خيرة الاشبيلي و أبى جعفر الإشبيلي و الوزير أبى الوليد إسماعيل]

و قال الكاتب العالم أبو محمد بن خيرة الإشبيلي صاحب كتاب «الريحان و الريحان» يمدح السيد أبا حفص ملك إشبيلية ابن أمير
المؤمنين عبد المؤمن من قصيدة: [البيسط]
كأنما الأفق صرح و النجوم به كواعب و ظلام الليل حاجبه

و للهلال اعتراض في مطالعه كأنه أسود قد شاب حاجبه
 و أقبل الصبح فاستحيت مشاركته و أدبر الليل فاستخفت كواكبه
 كالسيد الماجد الأعلى الهمام أبي حفص لرحلته ضمت مضاربه
 و أنشد له ابن الإمام في «سمط الجمان»: [الكامل]
 رعيا لمنزله الخصب و ظلّه و سقى الثرى النجدى سحّ ربابه
 و اها على ساداته لا أدعى كلفا بزيبه و لا برابه
 و يعرف رحمه الله تعالى بابن المواعيني.
 و قال ابنه أبو جعفر أحمد: [الخفيف]

يا أخي، هاتها و حجب سناها عن مثير بها جنونا و سخفا
 هذه الشمس إن بدت لضعيف ال عين زادت في ذلك الضعف ضعفا
 إنما يشرب المدامة من إن خشت كفه جفاها و كفا

و كتب الوزير أبو الوليد إسماعيل بن حبيب الملقب بحبيب إلى أبيه: لَمَّا خلق الربيع من أخلاقك الغرّ، و سرق زهره من شيمك
 الزهر، حسن في كل عين منظره، و طاب في كل سمع خبره، و تاقت النفوس إلى الراحة فيه، و مالت إلى الإشراف على بعض ما
 يحتويه، من النور الذي بسط على الأرض خللا، لا ترى في أثنائها خللا، سلوكك نثرت على الثرى، و قد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٢١

ملئت مسكا و عنبرا، إن تنسّمها فأرجه، أو توّسّمها فبهجه: [البسيط]
 فالأرض في بزّة من يانع الزهر تزرى إذا قستها بالوشى و الحبر
 قد أحكمتها أكفّ المزن و اكفه و طرّزتها بما تهى من الدرّ
 تبرّجت فسبت منّا العيون هوى و فتنه بعد طول السّتر و الخفر

فأوجد لى سيلا إلى أعمال بصرى فيها، لأجلو بصيرتى بمحاسن نواحيها، و الفصل على أن يكمل أوانه، و يتصرّم وقته و زمانه فلا
 تخلنى من بعض التشفى منه، لأصدر نفسى متيقّظة عنه، فالنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد، و من سعى فى جلائها فهو الرشيد السديد.
 و من شعره يصف وردا بعث به إلى أبيه: [الكامل]

يا من تأزر بالمكارم و ارتدى بالمجد و الفضل الرفيع الفائق
 انظر إلى خدّ الربيع مركبا فى وجه هذا المهرجان الرائق
 ورد تقدّم إذ تأخر و اغتدى فى الحسن و الإحسان أول سابق
 و افاك مشتملا بثوب حياته خجلا لأن حياك آخر لاحق
 و له: [الطويل]

أتى الباقلاء الباقل اللون لابسا برود سماء من سحابها غدى
 ترى نوره يلتاح فى ورقاته كبلق جياذ فى جلال زمرد
 و قال: [المتقارب]

إذا ما أدرت كؤوس الهوى ففى شربها لست بالمرقل
 مدام تعتق بالناظرين و تلك تعتق بالأرجل

و كان و هو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق، و ينثر النثر الرائق، و أبو جعفر بن الأبار هو الذى صقل مرآته، و أقام قناته، و أطلعه

شهابا ثاقبا، و سلك به إلى فنون الآداب طريقا لاحبا، و له كتاب سماه ب «البديع، في فصل الربيع» جمع فيه أشعار أهل الأندلس خاصة،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٢٢

أعرب فيه عن أدب غزير، و حظّ من الحفظ موفور، و توفي و هو ابن اثنتين و عشرين سنة، و استوزره داهية الفتنة، و رحي المحنة، قاضى إشبيلية عتاد جدّ المعتمد، و لم يزل يصغى إلى مقاله، و يرضى بفعاله، و هو ما جاوز العشرين إذ ذاك، و أكثر نظمه و نثره فى الأزاهر، و ذلك يدلّ على رقة نفسه، رحمه الله تعالى!

[للوزير أبي الحسن بن حصن]

و قال الوزير الكاتب أبو الحسن على بن حصن، وزير المعتضد بن عباد: [المجتث]

على أن أتدللّ له و أن يتدلّل

خدّ كأنّ الثريا عليه قرط مسلسل

و قال: [مخلع البسيط]

طلّ على خدّه العذار فافتضح الآس و البهار

و ابيضّ ذا و اسودّ هذا فاجتمع الليل و النهار

[للوزير ابن طريف]

و قال الوزير أبو الوليد بن طريف فى المعتمد بعد خلعه: [السريع]

يا آل عباد ألا عطفة فالدهر من بعدكم مظلم

من الذى يرجى لنيل العلا و من إليه يفد المعدم

ما أنكر الدهر سوى أنه بوجودكم فى فعله يزعم

و له: [السريع]

من حلقت لحيه جار له فليسكب الماء على لحيته

و قد أجرينا فى هذا الكتاب ذكر جملة من أخبار المعتمد بن عباد و نظمه فى أماكن متعدّدة فلتراجع.

و من نظمه: [البسيط]

ثلاثة منعته عن زيارتها خوف الرقيب و خوف الحاسد الحق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٢٣

ضوء الجبين، و وسواس الحلّى، و ما تحوى معاطفها من عنبر عبق

هب الجبين بفضل الكمّ تستره و الحلّى تنزعه، ما حيلة العرق

و قال: [المنسرح]

يوم يقول الرسول قد أذنت فأت على غير رقبة و لج

أقبلت أهوى إلى رحالهم أهدي إليها بريحتها الأرج

وقال: و يستدلّ على الملوكية بالطيب في المواطن التي يكون الناس فيها غير معروفين كالحمام و معارك الحرب و مواسم الحجّ. رجع إلى ما كنّا فيه:

[من شعر أبي العباس الخزرجي و أبي سليمان بن أبي أمية و أبي علي عمر بن أبي خالد]

و قال أبو العباس أحمد الخزرجي القرطبي: [الوافر]
 و في الوجنات ما في الروض لكن لرونق زهرها معنى عجيب
 و أعجب ما التعجب منه أنّي أرى البستان يحمله قضيب
 و قال الوزير أبو سليمان بن أبي أمية يخاطب رئيسا قد بلغه عن بعض أصحابه كلام فيه غضّ منه: [مجزوء الكامل]
 هوّن عليك كلامه و اسمح له فيمن سمح
 ما ذا يسوؤك إن هجا ما ذا يسرك إن مدح
 أو ما علمت بلى جهل ت بأنه غلّ طفح
 و خفيّ حقد كامن دأبواله حتى اتّضح
 هذا بمستنّ الوقار فكيف لو دار القدح
 فاشكر عوارف ذي الجلال بما وقى و بما منح
 و قال أبو علي عمر بن أبي خالد يخاطب أبا الحسن علي بن الفضل: [الوافر]
 أبا حسن و ما قدمت عهد لنا بين المنارة و الجزيرة
 أتذكر أنسنا و الليل داج بخمر في زجاجتها منيره
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٢٤
 إذا الملاح ضلّ رنا إليها فأبصر في مناحيه مسيره

[من شعر عبد الله المهيريس]

و قال الكاتب عبد الله المهيريس، و كان حلو النادرة، لما شرب عند الوزير أبي العلاء ابن جامع و قد نظر إلى فاختة فأعجبه حسنهما و
 لحنها: [الوافر]
 ألا خذها إليك أبا العلاء حلى الأمداح ترفل في الثناء
 و هبها قينة تجلى عروسا خضيب الكفّ قانية الرّداء
 لأجعلها محلّ جليس أنسى و أغنى بالهديل عن الغناء
 و حكى أنه ناوله ليمونه و أمره بالقول فيها فقال: [الكامل]
 أهدي إليّ بروضة ليمونه و أشار بالتشبيه فعل السيد
 فصمتّ حيناً ثم قلت: كجلجل من فضّة تعلوه صفرة عسجد

[من شعر أبي بكر بن البناء]

وقال الكاتب أبو بكر بن البناء يرثى أحد بنى عبد المؤمن، وقد عزل من بلنسية وولى إشبيلية فمات بها: [الطويل]
 كأنك من جنس الكواكب كنت لم تفارق طلوعا حالها و تواریا
 تجليت من شرق تروق تالؤلوا فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

[حديث عن بنى زهر]

و كان محمد بن مروان بن زهر- كما فى المغرب و المسهب و المطرب، و قد قدمنا بعض أخباره- منشأ الدولة العبادية و أول من
 تشنى عليه الخناصر، و تستحسنه البواصر، فضاقت الدولة العبادية عن مكانه، و أخرج عن بلده، فاستصفت أمواله، فلحق بشرق
 الأندلس، و أقام فيه بقيه عمره، و نشأ ابنه الوزير أبو مروان عبد الملك بن محمد، فما بلغ أشده، حتى سد مسده، و مال إلى التفنن فى
 أنواع التعليم من الطب و غيره، و رحل إلى المشرق لأداء الفرض، فملا البلاد جلاله، و نشأ ابنه أبو العلاء زهر بن عبد الملك، فاخترع
 فضلا لم يكن فى الحساب، و شرع نبلا- قصرت عنه نتائج أولى الألباب، و نشأ بشرق الأندلس و الآفاق تهادى عجائبه، و الشام و
 العراق تتدارس بدائعه و غرائبه، و مال إلى علم الأبدان فلو لا جلاله قدره، لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره، و لو لا أن الغلو آفة
 المديح، لما اكتفى فيه بالكناية عن التصريح، و لم يزل مقيما بشرق الأندلس إلى أن كان من غزاة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين و
 من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٢٥

انضم إليه من ملوك الطوائف ما علم، و شخص أبو العلاء معهم، فلقبه المعتمد بن عباد، و استماله و استهواه، و كاد يغلب على هواه،
 و صرف عليه أملاكه فحن إلى وطنه، حنين التيب إلى عطنه، و الكريم إلى سكنه، و نزع إلى مقر سلفه، نزوع الكوكب إلى بيت شرفه،
 إلا أنه لم يستقر بإشبيلية إلا بعد خلع المعتمد، و حل عند يوسف بن تاشفين محلا لم يحله الماء من العطشان، و لا الروح من جسد
 الجبان، و لما كتب إليه حسام الدولة بن رزين مالك السهلة بقوله: [الكامل]

عاد اللثيم فانت من أعدائه و دع الحسود بغله و بدائه

لا كان إلا من غدت أعداؤه مشغولة أفواههم بجفائه

أبا العلاء لئن حسدت لطالما حسد الكريم بجموده و وفائه

فخر العلاء فكنت من آبائه و زها السناء فكنت من أبنائه

كن كيف شئت مشاهدا أو غائبا لا كان قلب لست فى سودائه

أجابه بقوله: [الكامل]

يا صار ما حسم العدا بمضائه و تعبد الأحرار حسن وفائه

ما أثر العضب الحسام بذاته إلا بأن سميت من أسمائه

و كلفه الحسام المذكور القول فى غلام قائم على رأسه، و قد عدّ، فقال: [الخفيف]

محيت آية النهار فأضحى بدر تم و كان شمس نهار

كان يعشى العيون نارا إلى أن أشغل الله خده بالعدار

وقال: [المتقارب]

عذار ألم فأبدى لنا بدائع كنا لها فى عمى

و لو لم يجنّ النهار الظلام لم يستين كوكب في السما

و قال: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٢٦

يا راشقى بسهام ما لها غرض إلا الفؤاد و ما منه له عوض

و ممرضى بجفون لحظها غنج صحت و فى طبعها التمريض و المرض

امن و لو بخيال منك يؤنسى فقد يسدّ مسدّ الجوهر العرض

و هذا معنى فى غاية الحسن.

و كان بينه و بين الإمام أبى بكر بن باجّة- بسبب المشاركة- ما يكون بين النار و الماء، و الأرض و السماء، و لما قال فيه ابن باجّة:

[مخلع البسيط]

يا ملك الموت و ابن زهر جاوزتما الحدّ و النهايه

ترققا بالورى قليلا فى واحد منكما الكفايه

قال أبو العلاء: [السريع]

لا بد للزنديق أن يصلبا شاء الذى يعضده أو أبى

قد مهّد الجذع له نفسه و سدّد الرمح إليه الشبا

و الذى يعضده مالك بن وهيب جليس أمير المسلمين و عالمه.

و أمّا حفيده أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير إشبيلية و عظيمها و طبيبها و كريمها، و من شعره: [الطويل]

رمت كبدى أخت السماء فأقصدت أبا أبى رام يصيب و لا يخطى

قريبه ما بين الخلاخيل إن مشت بعيدة ما بين القلادة و القرط

نعمت بها حتى أتحت لنا النوى كذا شيم الأيام تأخذ ما تعطى

و توفى سنه خمس و تسعين و خمسمائة، و أمر أن يكتب على قبره: [المتقارب]

تأمل بفضلك يا واقفا و لا حظ مكانا دفعنا إليه

تراب الضريح على صفحتى كأنى لم أمش يوما عليه

أداوى الأنام حذار المنون فها أنا قد صرت رهنا لديه

رحمه الله تعالى، و عفا عنه!

و فى هذه الأبيات إشارة إلى طيبه و معالجته للناس، رحمه الله تعالى! و قد ذكرت بعض أخباره فى غير هذا الموضع.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٢٧

[من شعر أبى الوليد بن حزم]

و قال أبو الوليد بن حزم: [البسيط]

مرآك مرآك لا شمس و لا قمر و ورد خديك لا ورد و لا زهر

فى ذمه الله قلب أنت ساكنه إن بنت بان فلا عين و لا أثر

و قال: [الكامل]

لله أيام على وادي القرى سلفت لنا و الدهر ذو ألوان
 إذ نجتنى في ظلّه ثمر المنى و الطير ساجعه على الأغصان
 و الشمس تنظر من محاجر أرمده و الطلّ يركض في النسيم الوانى
 فلثمت فاه و التزمت عناقه و يد الوصال على قفا الهجران

[من شعر ابن عبد ربه و أبي عبد الله الرندى]

و قال ابن عبد ربه: [البسيط]

يا قابض الكفّ لا زالت مقبضة فما أناملها للناس أرزاق
 و غب إذا شئت حتى لا ترى أبدا فما لفقدك فى الأحشاء إقلاق
 و قال فى المدح: [الطويل]

و ما خلقت كفاك إلّا لأربع عقائل لم تخلق لهنّ يدان
 لتقيل أفواه، و إعطاء نائل و تقليب هندی، و حبس عنان
 و قال الكاتب أبو عبد الله بن مصادق الرندى الأصل: [الرملى]
 صارمته إذ رأت عارضه عاد من بعد الشباب أشيبا
 قلت ما ضربك شيب فلقد بقيت فيه فكاهات الصبا
 هو كالعنبر غال نفحه و شذاه أخضرا أو أشهبا

و قال: [البسيط]

و وردة وردت فى غير موقتها و السحب قد هملت أجفانها هطلا
 و إنما الروض لما لم يفد ثمر يقرىكه انفتحت فى خده خجلا
 و له: [البسيط]

لم أحتفل لقدوم العيد من زمن قد كان يبهجنى إذ كنت فى وطنى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٢٨
 لم ألق أهلى و لا إلفى و لا ولدى فليت شعرى سرورى واقع بمن
 و قال: [السريع]

يقول لى العاذل تب عن هوى من ليس يدنيك إلى مطلب
 و كيف لى والدين دين الهوى فلا أرى أرجح من مذهبي
 أليس باب التوب قد سدّه طلوعه شمسا من المغرب
 و له: [الكامل]

امنع كرائمك الخروج و لا تظهر لذلك وجه منبسط
 لا تعتبر منهنّ مسخطة نيل الرضا فى ذلك السخط
 أو لسن مثل الدّر فى شبه و الدّر من صدف إلى سفظ

[من شعر المعتمد بن عباد و ابن الفرّج الجياني]

و قال المعتمد بن عباد: [مخلع البسيط]
 تمّ له الحسن بالعدار و اختلط الليل بالنهار
 أخضر في أبيض تبدى فذاك آسى و ذا بهارى
 فقد حوى مجلسى تماما إن يك من ريقه عقارى
 و قال ابن فرّج الجياني رحمه الله تعالى: [الوافر]
 و طائعه الوصال صدرت عنها و ما الشيطان فيها بالمطاع
 بدت في الليل سافرة فباتت دياجى الليل سافرة القناع
 و ما من لحظة إلّا و فيها إلى فتن القلوب لها دواعى
 فملكك الهوى جمحات قلبى لأجرى فى العفاف على طباعى
 كذاك الروض ما فيه لمثلنى سوى نظر و شمّ من متاع
 و لست من السوائم مهملات فأخذ الرياض من المراعى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٢٩
 و قال: [الوافر]

بأيهما أنا فى الشكر بادی بشكر الطّيف أم شكر الرقاد
 سرى فازداد لى أملى و لكن عففت فلم أنل منه مرادى
 و ما فى النوم من حرج و لكن جرّيت مع العفاف على اعتيادى

[من شعر الرصافى و ابن عبد ربه و ابن صارة و الغزال و أبى حيان]

و قال الرصافى: [الكامل]
 و عشى أنس للسرور و قد بدا من دون قرص الشمس ما يتوقع
 سقطت فلم يملك نديمك ردها فوددت يا موسى لو أنك يوشع
 و قال ابن عبد ربه: [البسيط]
 يراعه غزنى منها و مبيض سنا حتى مددت إليها الكفّ مقتبسا
 فصادفت حجرا لو كنت تضربه من لؤمه بعضا موسى لما انبجسا
 كأنما صيغ من لؤم و من كذب فكان ذاك له روحا و ذا نفسا
 و قال ابن صارة فى فروة: [الكامل]
 أودت بذات يدي فريّة أرنب كفؤاد عروءة فى الضنى و الرقة
 يتجشم الفراء من ترقيعها بعد المشقة فى قريب الشقة
 لو أنّ ما أنفقت فى ترقيعها يحصى لزيد على رمال الرقة
 إن قلت بسم الله عند لباسها قرأت علىّ (إذا السماء انشقت)

و قال الغزال: [الكامل]

و المرء يعجب من صغيرة غيره أى امرئ إلّا و فيه مقال

لسنا نرى من ليس فيه غمزة أى الرجال القائل الفعّال

و قال أبو حيان: [البسيط]

لا ترجونّ دوام الخير من أحد فالشرّ طبع و فيه الخير بالعرض

و لا تظنّ امرأ أسدى إليك ندى من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٣٠

[من شعر ابن شهيد]

و قال ابن شهيد: [الطويل]

و لَمّا فشا بالدمع ما بين وجدنا إلى كاشحينا ما القلوب كواتم

أمرنا يامساک الدموع جفوننا ليشجى بما نطوى عذول و لائم

أبى دمعنا يجرى مخافه شامت فنظّمه بين المحاجر ناظم

وراق الهوى منّا عيون كريمة تبسّم حتى ما تروق المباسم

و قال فى الانتحال: [الطويل]

و بلّغت أقواما تجيش صدورهم علىّ و إنى فيهم فارغ الصدر

أصاخوا إلى قولى فأسمعت معجزا و غاصوا على سرى فأعجزهم أمرى

فقال فريق ليس ذا الشّعر شعره و قال فريق أيمن الله ما ندرى

فمن شاء فليخبر فإنى حاضر و لا شىء أجلى للشكوك من الخير

[من شعر أبى بكر بن بقى]

و ينظر إلى مثل هذا قصه أبى بكر بن بقى حين استهدى من بعض إخوانه أقلاما فبعث إليه بثلاث من القصب، و كتب معها: [البسيط]

خذها إليك أبا بكر العلا قصباً كأنما صاغها الصّواغ من ورقه

يزهى بها الطّرس حسنا ما نثرت بها مسك المداد على الكافور من ورقه

فأجابه أبو بكر: [البسيط]

أرسلت نحوى ثلاثا من قنا سلب ميادة تطعن القرطاس فى درقه

فالخطّ ينكرها و الحظّ يعرفها و الرّقّ يخدمها بالرّقّ فى عنقه

فحسده عليه بعض من سمعه، و نسبه إلى الانتحال، فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الأول: [البسيط]

و جاهل نسب الدعوى إلى كلمى لَمّا رماه بمثل النّبل فى حدقه

فقلت من حنق لما تعرّض لى من ذا الذى أخرج اليربوع من نفقه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٣١

ما ذمّ شعري و أيم الله لى قسم إلّا امرؤ ليست الأشعار من طرقه
 و الشعر يشهد أنى من كواكبه بل الصباح الذى يستنّ من أفقه
 و قال ابن شهيد أيضا فى ضيف: [الطويل]
 و ما انفكّ معشوق الثناء يمده ببشر و ترحيب و بسط بنان
 إلى أن تشهّى البين من ذات نفسه و حنّ إلى الأهلين حنّه حانى
 فأتبعته ما سدّ خلّة حاله و أتبعنى ذكرا بكلّ مكان
 و قال: [الطويل]

و بتنا نراعى الليل لم يطو برده و لم يجعل شيب الصّبح فى فوده و خطا
 تراه كملك الزنج من فرط كبره إذا رام مشيا فى تبختره أبطا
 مطلقا على الآفاق و البدر تاجه و قد جعل الجوزاء فى أذنه قرطا

[فى لبس الأندلسيين البياض فى الحزن]

و قال بعضهم فى لباس أهل الأندلس البياض فى الحزن، مع أنّ أهل المشرق يلبسون فيه السواد: [الوافر]
 ألا يا أهل أندلس فطتم بلطفكم إلى أمر عجيب
 لبستم فى ما تمكم بياضا فجتم منه فى زىّ غريب
 صدقتم فالبياض لباس حزن و لا حزن أشدّ من المشيب

[من شعر أبى جعفر بن خاتمة]

و قال أبو جعفر بن خاتمة: [الخفيف]
 هل جسوم يوم النوى ودّعوها باقيات لسوء ما أودعوها
 يا حداة القلوب ما العدل هذا أتبعوها أجسامها أو دعوها

[من شعر القسطلّى يصف هول البحر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٢٣١
 قال القسطلّى يصف هول البحر: [الطويل]
 إليك ركبنا الفلك تهوى كأنها و قد ذعرت عن مغرب الشمس غربان
 على لجاج خضر إذا هبت الصّبا ترامى بها فينا ثبير و ثهلان
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤؛ ص: ٢٣٢
 مواثل ترعى فى ذراها مواثلا كما عبت فى الجاهلية أوثان
 مقاتل موج البحر و الهمّ و الدّجا يموج بها فيها عيون و آذان

ألا هل إلى الدنيا معاد و هل لنا سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

[من شعر الرمادى و ابن صارة يصف النار]

و قال الرمادى يهنئ ابن العطار الفقيه بمولود: [البيسط]
يهنيك ما زادت الأيام فى عددك من فلذة برزت للسعد من كبدك
كأنما الدهر دهر كان مكتبا من انفرادك حتى زاد فى عددك
لا خلفتك الليالى تحت ظل ردى حتى ترى ولدا قد شب من ولدك
و قال ابن صارة فى النار: [الكامل]

هات التى للأيك أصل ولادها و لها جبين الشمس فى الأشماس
يتفشع الياقوت فى لباتها بوساوس تشفى من الوسواس
أنس الوحيد و صبح عين المجتلى و لباس من أمسى بغير لباس
حمراء ترفل فى السواد كأنما ضربت بعرق فى بنى العباس
و قال فيها أيضا: [الخفيف]

لابنة الرند فى الكوانين جمر كالدرارى فى الليلة الظلماء
خبرونى عنها و لا تكذبونى أ لديها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها سبائك تبر رصعته بالفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها رقصت فى غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فأرتنا حاجب الليل طالعا بالعشاء
لو ترانا من حولها قلت قوم يتعاطون أكؤس الصهباء

[من شعر ابن لبال و ابن شهيد و محمد بن هانى]

و قال فيها الفقيه الأديب ابن لبال: [مخلع البسيط]
فحم ذكا فى حشاه جمر فقلت مسك و جلنار
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٣٣
أو حد من قد هويت لما أطل من فوقه العذار

و كان أبو المطرف الزهرى جالسا فى باب داره مع زائر له، فخرجت عليهما من زقاق ثان جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين
نظرتهما على حين غفلة منها نفرت خجلة، فرأى الزائر ما أبهته فكلفه وصفها، فقال مرتجلا: [البيسط]

يا ظبية نفرت و القلب مسكنها خوفا لختلى بل عمدا لتعذيبى
لا تختشى فابن عبد الحق أنحلنا عدلا يؤلف بين الطبى و الذيب
و قال ابن شهيد: [الرملى]

أصباح لاح أم بدر بدا أم سنا المحبوب أورى زندا

هبّ من نعسته منكسرا مسبل للكمّ مرخ للردا
 يمسح النعسة من عيني رشا صائد في كلّ يوم أسدا
 قلت هب لي يا حبيبي قبله تشف من حبك تبريح الصدى
 فانتني يهترّ من منكبه قائل لا ثم أعطائي اليدا
 كلما كلمني قبلته فهو ما قال كلاما رددا
 قال لي يلعب صد لي طائرا فتراني الدهر أجرى بالكدي
 و إذا استنجزت يوما وعده قال لي يمطل ذكّرتني غدا
 شربت أعضاؤه خمر الصبا و سقاه الحسن حتى عربدا
 رشأ بل غادة ممكورة عمّمت صباحا بليل أسودا
 أخجلت من عضة في نهدها ثم عضت حرّ وجهي عمدا
 فأنا المجروح من عضتها لا شفاني الله منها أبدا
 و قال محمد بن هانيء في الشيب: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٣٤

بتتم فلو لا أن أغبر لمتي عبثا و ألقاكم على غضابا
 لخضبت شيئا في مفارق لمتي و محوت محو التّقس عنه شبابا
 و خضبت مبيضّ الحداد عليكم لو أنني أجد البياض خضابا
 و إذا أردت على المشيب وفادة فاجعل مطيّك دونه الأحقابا
 فلتأخذنّ من الزمان حمامة و لتدفعنّ إلى الزمان غرابا

[من ابن عمار إلى ابن رزين]

و كتب ابن عمار إلى ابن رزين و قد عتب عليه أن اجتاز ببلده و لم يلقه: [البيسط]
 لم تثن عنك عناني سلوة خطرت و لا فؤادي و لا سمعي و لا بصري
 لكن عدتني عنكم خجلة خطرت كفاني العذر منها بيت معتذر
 (لو اختصرتم من الإحسان زرتكم و العذب يهجر للأفراط في الخصر)

[من شعر ابن الجعد و ابن عبد ربه و النحلي و ابن شهيد]

و قال ابن الجعد: [الطويل]
 و إنني لصبّ للتلاقي و إنما يصدّ ركابي عن معاهدك العسر
 أذوب حياء من زيارة صاحب إذا لم يساعدي على يره الوفر
 و قال ابن عبد ربه: [البيسط]
 يا من عليه حجاب من جلالته و إن بدا لك يوما غير محجوب

ما أنت وحدك مكسوا ثياب ضنى بل كلنا بك من مضنى و مشحوب
ألقي عليك يدا للضّر كاشفه كشاف ضرّ نبى الله أيوب
وقال النحلى فى مغنيّة: [الوافر]
ولاعبه الوشاح كغصن بان لها أثر بتقطع القلوب
إذا سوت طريق العود نقرا و غنت فى محبّ أو حبيب
فيمناها تقدّ بها فؤادى و يسراها تعدّ بها ذنوبى
وقال ابن شهيد: [البسيط]

كلفت بالحبّ حتى لو دنا أجلى لما وجدت لطعم الموت من ألم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٣٥
و عاقنى كرمى عمّن ولهت به ويلي من الحبّ أو ويلي من الكرم

[أبى عمر بن أبى محمد الوزير]

و كان صوفى بشريش حافظ للشعر، فلا يعرض فى مجلسه معنى إلّا و هو ينشد عليه، فاتّفق أن عطس رجل بمجلسه، فشمتته
الحاضرون، فدعا لهم، فرأى الصوفى أنه إن شمتته قطع إنشاده بما لا يشاكلة من النظم، و إن لم يشمتته كان تقصيرا فى البرّ، فرغب حين
أصبح من الطلبة نظم هذا المعنى، فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن أبى محمد: [السريع]
يا عاطسا يرحمك الله إذ أعلنت بالحمد على عطستك
ادع لنا ربك يغفر لنا و أخلص التّيبه فى دعوتك
و قل له يا سيدي رغبتى حضور هذا الجمع فى حضرتك
و أنت يا ربّ الندى و النوى بارك ربّ الناس فى ليلتك
فإن يكن منكم لنا عودة فأنت محمود على عودتك
و هذا الوزير المذكور كان يصرف شعره فى أوصاف الغزلان، و مخاطبات الإخوان، و كتب إلى الشريشى شارح المقامات يستدعى
منه كتاب العقد: [الطويل]

أيا من غدا سلكا لجيد معارفه و من لفظه زهر أنيق لقاطفه
محبّك أضحى عاطل الجيد فلتجد بعقد على لباته و سوافه
و وعك فى بعض الأعياد، فعاده من أعيان الطلبة جملة، فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا: [الكامل]
لله درّ أفاضل أمجاد شرف الندى بقصدهم و النادى
لما أشاروا بالسلام و أزمعوا أنشدتهم و صدقت فى الإنشاد
فى العيد عدتم و هو يوم عروبه يا فرحتى بثلاثة الأعياد
قال الشريشى فى شرح المقامات: و لقد زرته فى مرضه الذى توفى فيه رحمه الله تعالى أنا و ثلاثة فتیان من الطلبة، فسألنى عنهم و عن
آبائهم، فلما أرادوا الانصراف ناول أحدهم محبرة، و قال له: اكتب، و أملى عليه ارتجالا: [الطويل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٣٦
ثلاثة فتیان يؤلّف بينهم ندى كريم لا أرى الله بينهم

تشابه خلق منهم و خليقة فإن قلت أين الحسن فانظره أين هم
و زينهم أستاذهم إذ غدا لهم معلّم آيات فتمم زينهم
فإن خفت من عين ففي الكلّ فلتقلّ وقى الله ربّ الناس للكلّ عينهم

[بين ابن عياش و ابن زرقون]

و قال الشريشي: حدّثنا شيخنا أبو الحسين بن زرقون، عن أبيه أبي عبد الله، أنه قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عياش
الكاتب على بحر المجاز، و هو مضطرب الأمواج، فقال له أبو الحسن: أجز: [الوافر]
و ملتطم الغوارب مؤجته بوارح في مناكبها غيوم
فقال أبو عبد الله: [الوافر]
تمنّع لا يعوم به سفين و لو جذبت به الزّهر النجوم

[بين ابن عبد ربه و فتى يهواه]

و كان لابن عبد ربه فتى يهواه، فأعلمه أنه يسافر غدا، فلما أصبح عاقه المطر عن السفر، فانجلى عن ابن عبد ربه همّه، و كتب إليه:
[البسيط]
هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر هيهات يأبى عليك الله و القدر
ما زلت أبكى حذار البين ملتها حتى رثى لى فيك الريح و المطر
يا برده من حيا مزن على كبد نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمسا و لا قمرا حتى أراك فأنت الشمس و القمر
و قال ابن عبد ربه: [البسيط]
صل من هويت و إن أبدى معاتبه فأطيب العيش وصل بين إلفين
و اقطع حبال خدن لا تلائمه فقلّما تسع الدنيا بغضين

[من شعر غانم الملقى و ابن بقى و الأبيض و ابن صارة و ابن عبدون البلنسى]

و قال أبو محمد غانم بن الوليد الملقى: [البسيط]
صير فؤادك للمحجوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحجّين
و لا تسامح بغضيا في معاشره فقلّما تسع الدنيا بغضين
و كان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنترين يوم الجمعة، فأتاه يوم السبت، فلما لقيه عانقه و أنشده: [الوافر]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٣٧
تخيّرت اليهود السبت عيدا و قلنا في العروبة يوم عيد
فلما أن طلعت السبت فينا أطلت لسان محتجّ اليهود

و قال أبو بكر بن بقی: [البسيط]

أقمت فيكم على الإقتار و العدم لو كنت حزاً أبى النفس لم أقم
فلا حدیقتكم یجنی لها ثمر و لا سماؤکم تنهل بالذیم
أنا امرؤ إن نبت بی أرض أندلس جئت العراق فقامت بی علی قدم
ما العیش بالعلم إلّا حيلةً ضعف و حرفه و کلت بالقعدد البرم
و قال الأبیض فی الفقهاء المرانین: [الکامل]
أهل الزیاء لبستم ناموسکم کالذئب یدلج فی الظلام العاتم
فملکتکم الدنیا بمذهب مالک و قسمتم الأموال باین القاسم
و رکبتم شهب البغال بأشهب و بأصبغ صبغت لکم فی العالم
و قال: [الکامل]

قل للإمام سنا الأئمة مالک نور العیون و نزهة الأسماع
لله درک من همام ماجد قد كنت راعینا فنعم الراعی
فمضیت محمود النقیبة طاهرا و ترکتنا قنصا لشر سباع
أکلوا بک الدنیا و أنت بمعزل طاوی الحشا متکفّت الأضلاع
تشکوک دنیا لم تزل بک برة ما ذا رفعت بها من الأوضاع
و قال ابن صارة: [البسيط]

یا من یعدّبنی لَمَا تملکنی ما ذا ترید بتعذیبی و إضراری
تروق حسنا و فیک الموت أجمعه کالصقل فی السیف أو کالنور فی النار
و قال عبدون البلسی: [البسيط]

نفع الطیب من غصن الأندلس الرطب، ج ٤، ص: ٢٣٨
یا من محیاه جنّات مفتحة و هجره لی ذنب غیر مغفور
لقد تناقضت فی خلق و فی خلق تناقض النار بالتدخين و النور

[من شعر الوزير ابن الحكيم و أبي جعفر بن برطال و ابن خفاجة و أبي الوليد بن الحضرمي]

و قال الوزير ابن الحكيم: [الکامل]

رسخت أصول علاکم تحت الثرى و لکم علی خطّ المجرة دار
إنّ المکارم صورة معلومة أنتم لها الأسماع و الأبصار
تبدو شمس الدجن من أطواقکم و تفيض من بین البنان بحار
ذلت لکم نسّم الخلائق مثل ما ذلت لشعری فیکم الأشعار
فمتی مدحت و لا مدحت سواکم فمدیحکم فی مدحه إضمار
و قال القاضی أبو جعفر بن برطال: [الکامل]
أستودع الرحمن من لوداعهم قلبی و روحی آذنا بوداع

بانوا و طرفى و الفؤاد و مقولى باك و مسلوب العزاء وداع
فتولّ يا مولاي حفظهم و لا تجعل تفرقنا فراق وداع
و قال ابن خفاجة: [الطويل]
و ما هاجنى إلّا تألق بارق لبست به برد الدجّة معلما
و هى طويلة:

و قال من أخرى: [الكامل]

جمعت ذوائبه و نور جبينه بين الدجّة و الصباح المشرق
و قال ذو الوزارتين أبو الوليد ابن الحضرمى البطليوسى فى غلام للمتوكل ابن الأفسس يرثيه: [المجث]
غالته أيدى المنايا و كنّ فى مقلتيه
و كان يسقى الندامى بطرفه و يديه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٣٩
غصن ذوى و هلال جار الكسوف عليه

[من شعر أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطلال البطليوسى]

و قال الفقيه العالم أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطلال البطليوسى عالمها فى المذهب المالكى، و قد تحاكم إليه و سيمان أشقر و
أكحل فيمن يفضل بينهما: [البسيط]
و شادين ألما بى على مقه تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كأنّ لمة ذا من نرجس خلقت على بهار و ذا مسك على ورق
و حكما الصبّ فى التفضيل بينهما و لم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام بيدى هلال الدجن حجته مبيتا بلسان منه منطلق
فقال وجهى بدر يستضاء به و لون شعرى مقطوع من الغسق
و كحل عينى سحر للنهى و كذا ك الحسن أحسن ما يعزى إلى الحدق
و قال صاحبه أحسنت و صفك ل كن فاستمع لمقال فى متفق
أنا على أفقى شمس النهار و لم تغرب و شقرة شعرى شقرة الشفق
و فضل ما عيب فى العينين من زرق أنّ الأسنة قد تعزى إلى الزرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكمت نورا كذا حبها يقضى على رمقى
فقام ذو اللمة السوداء يرشقى سهام أجفانه من شدة الحنق
و قال جرت فقلت الجور منك على قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
و قلت عفوك إذ أصبحت بينهما فقال دونك هذا الحبل فاختنق
و كان فيه ظرف و أدب، و عنوان طبقة هذه الأبيات.
و قال: [الطويل]
و غاب من الأكواس فيها ضراغم من الراح ألباب الرجال فريسهما

قرعت بها سنّ الحلوم فأقطعت و قد كاد يسطو بالفؤاد رسيها
 و له رحمه الله تعالى «شرح البخارى» و أكثر ابن حجر من النقل عنه فى «فتح البارى» و له كتاب «الأحكام» و غير ذلك، و ترجمته
 شهيرة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٤٠

[من شعر إبراهيم البطلوسى و شعر القلندر البطلوسى]

و قال الأديب النحوى المؤرخ أبو إسحاق إبراهيم بن الأعلم البطلوسى صاحب التأليف التى بلغت نحو خمسين: [المجتث]
 يا حمص، لا زلت دارا لكلّ بؤس و ساحه
 ما فيك موضع راحه إلّا و ما فيه راحه

و هو شيخ أبى الحسن بن سعيد صاحب «المغرب» و أنشده هذين البيتين لما ضجر من الإقامة بإشبيلية أيام فتنه الباجى.

و قال الأديب الطيب أبو الأصبع عبد العزيز البطلوسى الملقب بالقلندر: [المتقارب]

جرت منى الخمر مجرى دمي فجّلّ حياتي من سكرها

و مهما دجت ظلم للهموم فتمزيقها بسنا بدرها

و خرج يوما و هو سكران، فلقى قاضيا فى نهاية من قبح الصورة، فقال: سكران خذوه، فلما أخذه الشرطة قال للقاضى: بحق من ولّاك
 على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك إلّا ما أفضلت على و تركتني، فقال القاضى: و الله لقد ذكرتني بفضل عظيم، و درأ عنه الحدّ.

[من شعر ابن جاح الصباغ و الكميت البطلوسى]

و قال ابن جاح الصباغ البطلوسى، و هو من أعاجيب الدنيا، لا يقرأ و لا يكتب:

[المتقارب]

و لّمّا وقفنا غداة النوى و قد أسقط البين ما فى يدي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٤١

رأيت الهوادج فيها البدور عليها البراقع من عسجد

و تحت البراقع مقلوبها تدبّ على ورد خدّ ندى

تسالم من وطئت خدّه و تلدغ قلب الشّجى المكمد

و قال فى المتوكل، و قد سقط عن فرس: [البسيط]

لا عتب للطّرف إن زلت قوائمه و لا يدنّسه من عائب دنس

حمّلت جودا و بأسا فوقه و نهى و كيف يحمل هذا كلّ الفرس

و قال الشاعر المشهور بالكميت البطلوسى: [الرملى]

لا تلومونى فإنى عالم بالذى تأتبه نفسى و تدع

بالحميّة و المحيّا صبوتى و سوى حبّهما عندى بدع

فضّل الجمعة يوما و أنا كلّ أيامى بأفراحي جمع

[من شعر محمد بن البين البطليوسى]

و قال أبو عبد الله محمد بن البين البطليوسى، و هو ممن يميل إلى طريقة ابن هانىء:
[الكامل]

غضبوا الصباح فقسّموه حدودا و استنهبوا قضب الأراك قدودا
و رأوا حصا الياقوت دون محلّهم فاستبدلوا منه النجوم عقودا
و استودعوا حدق المها أجفانهم فسبوا بهنّ ضراغما و أسودا
لم يكفهم حمل الأسنّة و الظبا حتى استعاروا أعينا و قدودا
و تضافروا بصفائر أبدوا لنا ضوء النهار بليها معقودا
صاغوا الثغور من الأفاحي بينها ماء الحياة لو اغتدى مورودا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٤٢

[بين المتوكل و مضحك يدعى «الخطارة»]

و كان عند المتوكل مضحك يقال له الخطارة، فشرب ليلة مع المتوكل، و كان فى السقاة و سيم، فوضع عينه عليه، فلمّا كان وقت السحر دبّ إليه، و كان بالقرب من المتوكل، فأحسّ به، فقال له: ما هذا يا خطارة؟ فقال له: يا مولاي، هذا وقت تفرّغ الخطارة الماء فى الرياض، فقال له: لا تعد لئلا يكون ماء أحمر، فرجع إلى نومه، و لم يعد فى ذلك كلمة بقيّة عمره معه، و لا أنكر منه شيئا، و لم يحدث بها الخطارة حتى قتل المتوكل، رحمه الله تعالى!
و الخطارة: صنف من الدواليب الخفاف يستقى به أهل الأندلس من الأودية، و هو كثير على وادى إشبيلية، و أكثر ما يباكرون العمل فى السحر.

[من شعر أبى زيد بن مولود الوزير و عبد المجيد بن عبدون الفهرى البارى]

و قال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود: [مجزوء الرمل]
أرنى يوما من الده ر على وفق الأمانى
ثم دعنى بعد هذا كيفما شئت ترانى
و قال أديب الأندلس و حافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهرى البارى، و هو من رجال الذخيرة و القلائد، و شهرته مغنيّة عن الزيادة، يخاطب المتوكل و قد أنزله فى دار و كفت عليه: [الطويل]
أيا ساميا من جانبيه كليهما (سموّ حباب الماء حالا على حال)
لعبدك دار حلّ فيها كأنها (ديار لسلمى عافيات بذى خال)
يقول لها لمّا رأى من دثورها (ألا عم صباحا أيها الطلل البالى)
فقال و ما عيّت جوابا بردها (و هل يعمن من كان فى العصر الخالى)

فمر صاحب الإنزال فيها بعاجل (فإن الفتى يهذى و ليس بفعال)
 وقال في جمع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه في «المغرب»: [الطويل]
 سألت الحروف الزائدات عن اسمها فقالت و لم تكذب: أمان و تسهيل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٤٣

[ضوابط لحروف الزيادة]

قلت: و على ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس في انتقاء الكلمات الضابطة لها، و قد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط، و لنذكر الآن بعضها، فنقول: منها «أهوى تلمسانا» و نظمتها فقلت: [البسيط]
 قالت حروف زيادات لسائلها هل هويت بلدة: أهوى تلمسانا
 و جمعها ابن مالك في بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حشو، و هو: [الطويل]
 هناء و تسليم، تلا يوم أنسه، نهاية مسؤل، أمان و تسهيل
 و منها «هويت السمان» و حكى أن أبا عثمان المازني سئل عنه فأنشد: [المتقارب]
 هويت السمان فشيئني و قد كنت قدما هويت السمانا

فقليل له: أجبنا، فقال: أجبتم مرتين، و يروى أنه قال: سألتمونيها، فأعطيتكم ثلاثة أجوبة، هكذا حكاه بعض المحققين، و هو أرق ممّا حكاه غير واحد على غير هذا الوجه، و منها: «سألتمونيها»، و منها: اليوم تنساه، الموت ينسأه، أسلمني و تاه، هم يتساءلون، التناهي سمو، تنمي و سائله، أسلمني تهاون، تهاوني أسلم، التمس هواني، ما سألت يهون، مؤنس التياه، لم يأتنا سهو، يا أوييس هل نمت، نويت سؤالهم، نويت مسائله، سألتهم هواني، تأملها يونس، أتاني و سهيل، هوني مسألته، سألت ما يهون، و سليمان أتاه، تسأل من يهوى، استملاني هو، أسلمت و هناء، هو استملاني، سائل و أنت هم، يا هول استنم، أتاه و سليمان.
 قلت: و ليس هذا تكرارا مع السابق الذي هو «و سليمان أتاه»؛ لأنّ التقديم و التأخير يصيرهما شيئين.

و منها: الوسمي هتان، أوليتم سنه، و اليتم أنسه، أمسيت و ناله، أنه توسيما، أملتني سهوا، أتوسّل يمنها، سألتهنّ يوما، سألت يومنها، سألت ما يوهن، نهوى ما سألت، يهون ما سألت، و قد سبق «سألت ما يهون» و عدّهما شيئين من أجل التقديم و التأخير كما مرّ نظيره، ألا تنس يومه، ليتأس مأوه، سله موتي أنا، أنسته اليوم، سألتهم هويتنا، آوى من تسأله، و هين ما سألت، و هني ما سألت، مسألتي نواه.
 و منها: مسألتي هاون، سهوان يتألّم، أيلتم سهوان، أو يلتم ناسه، مسألتي أهون، أو ميت تنسأه، سموتن إليها، أملت سهوان، و سألتهم هينا، يهون ما تسأل، أتولمن سهيا، أسلم و انتهى، يتأمل سهوان، يتأمل ناسوه، يتأملن سواه، أ يتأمل نسوه، الهوى أتسّم، و ليت ماه آسن، تولين أسهما، أتولوا سهمين، أول ساهمتني، أسماؤه تنيل، يتأملنه سواه، أو لم يتسّناه،
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٤٤

آمن و يتساهل، أمسيتن لهوا، توسميه لئاء، هو ما تسألين، لأيتها نتوسم، أيهما نتوسّل، أتاني لسموه، سميتهن أولا، أولاهن سميت، سلمتني أهوا، أسلمتني هوا، أو نستميلها، أ يستميلونا، هنأت الموسى، سليم انتهوا، و أنت سائلهم، ساءلته ينمو، تهنأ لا يسمو، أسألي مؤنته، سألتني موهنا، التمسى هونا، استملني أهون، التناه موسى، الهوى يتسّم، نهوى ما تسأل، مأوه ليتأسن، تنسّمى الهوى، تلومى إن سهيا، أملتني سهوا، ستولينا أمه، يتمهلون أسا، أمهلتني سوا، التناسى و هم، أهويت سلمان، هويت المأنس، المأنس تهوى، هويت أم ناسل، أو ليس تم هنا، استوهن أملي، استهون ألمي، استملن و هيا، أ تسلمونيه، أ يتسلمونها، ألا يتسمونه، أليس توهمننا، ألا يتسّموه.
 فهذه مائة و أربعة و ثلاثون تركيبا، منها ما هو متين، و منها ما هو غير متين، و قد جمع ابن خروف فيها اثنين و عشرين تركيبا محكيا و

غير محكى، و أحسنها بيت ابن عبدون السابق، و يليه بيت ابن مالك، و قال الطغمي جامعا لها أربع مرات: [الكامل]:
 ألمتنى سهوا، تلومى إن سها أو ليس تمّ هنا، الهوا يتسنّم
 هكذا بخطّه يتسنّم، و لو قال يتسنّم لكان أنسب، و قال أيضا: [الكامل]
 و ليت ما سناء و التمسى هنا ما تسألين هو الهنا يتوسّم
 قلت: و قد جمعت فى المغرب زيادة على ما تقدّم، و كنت قدرت رسالته فيها أسميها «إتحاف أهل السيادة، بضوابط حروف الزيادة».

[من شعر عبد الله بن الليث و أبى القاسم بن الأبرشى]

و قال أبو محمد عبد الله بن الليث يستدعى الوزير أبا الحسن اليابرى فى يوم غيم:
 [الكامل]

رقم الربيع بروضنا أزهاره فجرى على صفحاته أنهاره
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٤٥
 فعسى تشرفنا ببهجة سيد ألقى على ليل الخطوب نهاره
 تتمتع الآداب من نفحاته فيشمّ منها ورده و بهاره
 يا سيّدا بهر البرية سؤددا أبدى إلينا سرّه و جهاره
 يوم أظّل الغيم وجه ضيائه فعليك يا شمس العلا إظهاره
 و قال أبو القاسم بن الأبرش: [الوافر]
 أدر كاس المدام فقد تغنى بفرع الأيك طائره الصّدوح
 و هبّ على الرياض نسيم صبح يمرّ كما دنا سار طليح
 و مال النهر يشكو من حصاه جراحات كما أنّ الجريح
 و قال: [المتقارب]

حلفت و يشهد دمعى بما أقاسيه من هجر ك الزائد
 فإن كنت تجحد ما أدعى و حاشاك تعرف بالجاحد
 فإنّ النبى عليه السّلام قضى باليمين مع الشاهد

[من شعر أبى الحسين على بن بسام الشنترينى و أبى عمر بن كوثر]

و قال أبو الحسن على بن بسام الشنترينى صاحب الذخيرة، و شهرته تغنى عن ذكره، و نظمه دون نثره، يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز:
 [المتقارب]

أبا بكر المجتبى للأدب رفيع العماد قريع الحساب
 أ يلحن فيك الزمان الخؤون و يعرب عنك لسان العرب
 و إن لم يكن أفقنا واحدا فينظمننا شمل هذا الأدب
 و قد ذكرنا له فى غير هذا المحلّ قوله: [الوافر]

ألا بادر فلا ثان سوى ما عهدت الكأس و البدر التمام
الأبيات.

و تأخرت وفاته إلى سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة، و هو منسوب إلى «شنترين» من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٤٦

[من شعر أبي محمد بن سارة و منذر الأشبوني و خلف القطيني و أبي محمد بن السيد النحوي]

و قال أبو عمر يوسف بن كوثر: [الطويل]

مررت به يوما يغازل مثله و هذا على ذا بالملاحه يمتن
فقلت اجمعا في الوصل رأيكما فما لمثلكما كان التغزل و المجن
عسى الصب يقضى الله بينكما له بخير فقالا لي اشتهى العسل السمن
و قال أبو محمد بن سارة: [الطويل]

أعندك أن البدر بات ضجيعي فقضيت أوطاري بغير شفيع
جعلت ابنة العنقود بيني و بينه فكانت لنا أما و كان رضيعي
و قال: [الوافر]

أيا من حارت الأفكار فيه فلم تعلم له الأقدار كنها
بجيد النيل منا عقد أنس أقام بغير واسطة فكنها
و قال أبو الحسن بن منذر الأشبوني: [الطويل]

فديتك إنى عن جنابك راحل فهل لى يوما من لقائك زاد
و حسبك و الأيام خون غوادر فراق كما شاء العدا و بعاد
و قال خلف بن هارون القطيني: [البسيط]

من أنبت الورد فى حدّيك يا قمر و من حمى قطفه إذ ليس مصطبر
الزهر فى الروض مقرون بأزمنه و روض حدك موصول به الزهر

و كان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس؛ حسن و عزون و رحمون، فأولع بهنّ الإمام أبو محمد بن السيد
النحوي، و قال فيهم: [البسيط]

أخفيت سقمتى حتى كاد يخفينى و همت فى حبّ عزون فعزوني
ثم ارحموني برحمون فإن ظمئت نفسى إلى ريق حسون فحسونى
ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة، هكذا رأيت به خطّ بعض المؤرخين انتهى، و الله أعلم.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٤٧

[من شعر ابن خفاجة و الرصافي و أبي بكر بن حبيش]

و قال ابن خفاجة يداعب من بقل عذاره: [مجزوء الرمل]

أيها التائه مهلا ساءني أن تهت جهلا
 هل ترى فيما ترى إلّا شبابا قد تولّى
 و غراما قد تسرى و فؤادا قد تسلى
 أين دمع فيك يجرى أين جنب يتقلّى
 أين نفس بك تهذى و ضلوع فيك تصلى
 أى باك كان لو لا عارض وافى فولّى
 و تخلى عنك إلّا أسفا لا يتخلى
 و انطوى الحسن فهلّا أجمل الحسن و هلّا

أما بعد، أيها النبيل النبیه، فإنه لا يجتمع العذار و التیه، قد كان ذلك و غصن تلك الشبيبة رطب، و منهل ذلك المقبل عذب، و أما و العذار قد بقل، و الزمان قد انتقل، و الصّبّ قد صحا فعقل، فقد ركبت رياح الأشواق، و رقدت عيون العشاق، فدع عنك من نظرة التجنى، و مشیه التثنى، و غضّ من عنانك، و خذ في تراضى إخوانك، و هسّ عند اللقاء هسه أريحيّة، و اقنع بالإيماء رجع تحيّة، فكأنى بفنائك مهجورا، و بزائرک مأجورا، و السلام.

و قال الرصافي لَمَا بعث إليه من يهواه سكيناً: [الطويل]

تفاءلت بالسكين لَمَا بعثته لقد صدقت منى العيافة و الزجر

فكان من السكين سكيناك فى الحشا و كان من القطع القطيعة و الهجر

و حضر الفقيه أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض الجلة و طفىء السراج، فقال ارتجالاً:

[البسيط]

أذك السراج يرينا غرّة سفرت فباتت الشمس تستحيى و تستتر

أو خلّه فكفانا وجه سيدنا لا يطلب النجم من فى بيته قمر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٤٨

[من شعر أبى الحسن بن جابر و أبى بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبلى]

و قصد أحد الأدباء بمرسيه أحد السادة من بنى عبد المؤمن، فأمر له بصله خرجت على يد ابن له صغير، فقال المذكور ارتجالاً:

[الطويل]

تبرّك بنجل جاء باليمن و السعد يبشّر بالتأييد طائفة المهدي

تكلم روح الله فى المهد قبله و هذا براء بدّل اللام فى المهد

و خرج الأستاذ أبو الحسن بن جابر الدباج يوماً مع طلبته للنزهة بخارج إشبيلية، و أحضرت مجنّبات ما خبا نارها، و لا هدأ أوارها، فما

حاد عنها و لا كفّ، و لا صرف حرّها عن اقتضابها البنان و لا الكفّ، فقال: [الكامل]

أحلى مواقعها إذا قرّبتها و بخارها فوق الموائد سام

إن أحرقت لمسا فإنّ أوارها فى داخل الأحشاء برد سلام

و قال أبو بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبلى يتهمكم برجل زعم أنه ينال الخلافة:

[الوافر]

أمير المؤمنين، نداء شيخ أفادك من نصائحه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجذع يوما سريرا من أسرتك المنيفه
أفكر فيك مصلوبا فأبكي و تضحكني أمانيك السخيفه

[من شعر صفوان و من شعر أبي بكر بن يوسف و أبي القاسم القبوري]

و قال صفوان: [الكامل]
و نهار أنس لو سألنا دهرنا في أن يعود بمثله لم يقدر
خرق الزمان لنا به عاداته فلو اقترحنا النجم لم يتعذر
في فتية علمت ذكاء بحسنهم فتلفعت من غيمها في مئزر
و السرحه الغناء قد قبضت بها كف النسيم على لواء أخضر
و كأن شكل الغيم منخل فضة يلقي على الآفاق رطب الجوهر
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٤٩
و اجتاز بعض الغلمان على أبي بكر بن يوسف، فسلم عليه بأصبعه، فقال أبو بكر في ذلك و أشار في البيت الثالث إلى أن والد الغلام
كان خطيب البلد: [الكامل]

مرّ الغزال بنا مروعا نافرا كشييهه في القفر ريع بصائده
لثم السلامى فى السلام تسترا ثم انثنى حذر الرقيب لراصده
هلا تكلف وقفه لمحبه و لو انها قصرا كجلسه والده
و قال أبو القاسم القبوري: [البيسط]
وا حسرتا لأموار ليس يبلغها مالى و هنّ منى نفسى و آمالى
أصبحت كآلال لا جدوى لدى و ما آليت جدّا و لكن جدى الآلى

[من شعر أبي الحسن بن الحاج و أحمد بن أمية البلنسى و ابن برطله و ابن خروف]

و قال أبو الحسن بن الحاج: [الطويل]
كفى حزنا أن المشارع جمّة و عندي إليها غلّة و أوام
و من نكد الأيام أن يعدم الغنى كريم و أن المكثرين لثام
و قال أحمد بن أمية البلنسى: [السريع]
قال رئيسى حين فاوضته و ما درى أن مقامى عسير
أقم فقلت الحال لا تقتضى فقال سر قلت جناحى كسير
و قال ابن برطله: [السريع]
لله ما ألقاه من همّة لا ترتضى إلّا السها منزلا
و من خمول كلما رمت أن أسمو به بين الورى قال لا

و كتب ابن خروف لبعض الرؤساء: [المجتث]
يا من حوى كلّ مجد بجده و بجده
أتاك نجل خروف فامنن عليه بجده
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٥٠
و كتب أيضا لبعضهم يستدعى فروة: [مجزوء الوافر]
بهاء الدين و الدنيا و نور المجد و الحسب
طلبت مخافة الأنواء من جدواك جلد أبي
و فضلك عالم أنى خروف بارع الأدب
حلبت الدهر أشطره و فى حلب صفا حلبى
و بعد كتبتى لما ذكر خشيت أن يكون لابن خروف المشرقى لا الأندلسى، و الله تعالى أعلم.

[من شعر أبى بكر بن مالك و أبى الحسن بن حريق و أبى الحسن بن زقاق]

و ركب محبوب أبى بكر ابن مالك كاتب ابن سعد بغلة رديف رجل يعرف بالدب، فقال أبو بكر فى ذلك: [مخلع البسيط]
و بغلة ما لها مثال يركبها الدبّ و الغزال
كأنّ هذا و ذا عليها سحابة خلفها هلال
و خرج محبوب لأبى الحسن بن حريق يوما لنزهة و عرض سيل عاقه عن دخول البلد، فبات ليلة عند أبى الحسن، فقال فى ذلك:
[مخلع البسيط]
يا ليلة جادت الأمانى بها على رغم أنف دهرى
تسيل فيها علىّ نعمى يقصر عنها لسان شكرى
أبات فى منزلى حبيبي و قام فى أهله بعذر
و بتّ لا حالة كحالى صريع سكر ضجيع بدر
يا ليلة القدر فى الليالى لأنت خير من الف شهر
و قال أبو الحسن بن الزقاق: [الوافر]
عذيرى من هضيم الكشح أحوى رخيّم الدلّ قد لبس الشّبابا
أعدّ الهجر هاجرة لقلبي و صيرّ وعده فيها سرايا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٥١

[من شعر أبى بكر بن الجزار السرقسطى و أبى عبد الله الجذامى]

و قال أبو بكر بن الجزار السرقسطى: [الطويل]
ثناء الفتى يبقى و يفنى ثراؤه فلا تكتسب بالمال شيئا سوى الذكر
فقد أبلت الأيام كعبا و حاتما و ذكرهما غصّ جديد إلى الحشر

وقال الأديب أبو عبد الله الجذامي: كان لشخص من أصحابنا قينة، فبينما هو ذات يوم قد رام تقييلها على أثر سواك أبصره بمبسمها إذ مرّ فوّال ينادى على فول يبيعه، قال: فكلفني أن أقول في ذلك شيئاً، فقلت: [الطويل]

ولم أنس يوم الأنس حين سمحت لي و أهديت لي من فيك فول سواك
و مرّ بنا الفوّال للفول مادحا و ما قصده في المدح فول سواك
و شرب يوما أبو عبد الله المذكور عند بعض الأجلّة و ذرعه القىء، فارتجل في العذر:
[الطويل]

لا تؤاخذ من أخلّ به قهوة في الكاس كالقبيس
كيف يلحى في المدام فتى أخذته أخذ مفترس
دخلت في الحلق مكرهه ضاق عنها موضع النفس
خرجت من موضع دخلت أنفت من مخرج النجس

[من شعر سلمة بن أحمد و أبي الحسن بن حزمون]

و جلس سلمة بن أحمد إلى جنب و سيم يكتب من محبرة فانصبّ الحبر منها على ثوب سلمة، فخرج الغلام، فقال سلمة: [الكامل]

صبّ المداد و ما تعمّد صبه فتورد الخدّ المليح الأزهر
يا من يؤثّر حبره في ثوبنا تأثير لحظك في فؤادي أكبر
و كان لأبي الحسن بن حزمون بمرسيه محبوب يدعى أبا عامر، و سافر أبو الحسن، فبينما هو بخارج المريه إذ لقي فتى يشبه محبوبه، و
سأله عن اسمه، فأخبره بأنه يدعى أبا عامر، فقال أبو الحسن في ذلك: [المتقارب]

إلى كم أفرّ أمام الهوى و ليس لذا الحبّ من آخر
و كيف أفرّ أمام الهوى و فى كلّ واد أبو عامر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٥٢

[من شعر أبي بكر بن مالك و أبي بكر بن مالك و القاضي ابن السليم]

و حضر أبو بكر ابن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوال، فأغمى على الناس و رآه محبوبه، فقال أبو بكر في ذلك:
[الطويل]

توارى هلال الأفق عن أعين الورى و لاح لمن أهواه منه و حياه
فقلت لهم لم تفهموا كنه سرّه و لكن خذوا عنى حقيقة معناه
بدا الأفق كالمرآة راق صفاؤه فأبصر دون الناس فيه محياه
و كتب أبو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله: [الطويل]

متى ما ترم شرحا لحالى و تبيننا فصّحف على قلبى «علومك تحيينا»
أرادنى «إنى بحبك مولع».

و كتب القاضي ابن السليم إلى الحكم المستنصر بالله: [البسيط]

لو أن أعضاء جسمي ألسن نطقت بشكر نعماك عندي قلّ شكرى لك
أو كان ملكنى الرحمن من أجلى شيئا وصلت به يا سيدى أجلك
و من تكن فى الورى آماله كثرت فإنما أملى فى أن ترى أملك

[من شعر الوزير ابن أبى الخصال و الرصافى]

و قال الوزير ابن أبى الخصال: [الطويل]
و كيف أوّدى شكر من إن شكرته على بزّ يوم زادنى مثله غدا
فإن رمت أفضى اليوم بعض الذى مضى رأيت له فضلا علىّ مجددا
و قال الرصافى: [الكامل]
قلّدت جيد الفكر من تلك الحلّى ما شاءه المنثور و المنظوم
و أشرت قدّامى كأتى لاثم و كأنّ كفى ذلك المثلثوم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٥٣
و قال: [الوافر]
و يا لك نعمه رمنا مداها فما وصل اللسان و لا الضمير
عجزنا أن نقوم لها بشكر على أن الشكور لها كثير

[من شعر ابن باجة و ابن الأبار و أبى العباس أحمد الإشبلى]

و قال ابن باجة: [الكامل]
قوم إذا انتقبوا رأيت أهله و إذا هم سفروا رأيت بدورا
لا يسألون عن التّوال عفاتهم شكرا و لا يحمون منه نقيرا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٢٥٣
لو أنهم مسحوا على جذب الرّبا بكفهم نبت الأفاح نضيرا
و قال ابن الأبار يمدح أبا زكريا سلطان إفريقية: [الطويل]
تحلّت بعلياك الليالى العواطل و دانت لسقياك السحاب الهواطل
و ما زينه الأيام إلّا مناقب يفزعها أصلان: بأس و نائل
إذ الطول و الصّول استقلّا براحة ترقت لها نحو النجوم أنامل
و قال أيضا فى سعيد بن حكم رئيس منرقه: [الخفيف]
سيّد أيّد رئيس بئيس فى أساريه صفات الصباح
قمر فى أفق المعالى تجلّى و تحلّى بالسؤدد الوضاح
سلم البحر فى السماحة منه لجواد سمّوه بحر السماح
و قال أبو العباس أحمد الإشبلى: [البسيط]

يا أفضل الناس إجماعاً و معرفتي تغني و ما الحسن في ريب و لا ريب
ورثت عن سلف ما شئت من شرف فقد بهرت بموروث و مكتسب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٥٤

[من شعر ابن زهر الحفيد و أبي بكر بن زهر الأصغر]

و قال ابن زهر الحفيد: [الكامل]
يا من يذكّرني بعهد أحبتي طاب الحديث بذكرهم و يطيب
أعد الحديث عليّ من جنابته إنّ الحديث عن الحبيب حبيب
ملاً الضلوع و فاض عن أحنائها قلب إذا ذكر الحبيب يدوب
ما زال يخفق ضاربا بجناحه يا ليت شعري هل تطير قلوب
و قال في زهر الكتاب: [الكامل]
أهلا بزهر اللآزورد و مرحبا في روضة الكتان تعطفه الصبا
لو كنت ذا جهل لخلتلك لجة و كشفت عن ساق كما فعلت سبا
و لما قال الموشحة المشهورة التي أولها:
صادني و لم يدر ما صادنا قال أبو بكر بن الجدد: لو سئل عمّا صاد لقال: تيس بلحية حمراء!
و لما قال الموشحة التي أولها:
هات بنت العنب و اشرب إلى قوله:
وفده بأبي ثم بي سمعها أبوه فقال: يفديه بالعجوز السواء، و أما أنا فلا.
و هنالك أبو بكر بن زهر الأصغر، و هو ابن عمّ هذا الأكبر.
و من نظم الأصغر: [الكامل]
و الله ما أدري بما أتوسّل إذ ليس لي ذات بها أتوصّل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٥٥
لكن جعلت مودّتي مع خدمتي لعلاك أحظي شافع يتقبل
إن كنت من أدوات زهر عاطلا فالزهر منهّن السماك الأعزل
و هذه الأبيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب.

[من شعر أبي جعفر عمر ابن صاحب الصلاة و أبي بكر محمد ابن صاحب الصلاة في عمرو بن مذحج]

و قال الأديب أبو جعفر عمر ابن صاحب الصلاة: [الطويل]
و ما زالت الدنيا طريقا لهالك تباين في أحوالها و تخالف
ففي جانب منها تقوم مآتم و في جانب منها تقوم معازف
فمن كان فيها قاطنا فهو ظاعن و من كان فيها آمنا فهو خائف

و قال أبو بكر محمد ابن صاحب الصلاة يخاطب أخيل لَمَّا انتقل إلى العدو: [المجتث]

لا تنكرن زمانا رماك منه بسهم

و أنت غاية مجد في كل علم و فهم

هذى دموعى حتى يراك طرفى تهيمى

يا ليت ما كنت أخشى عليك عدوان هم

و إنما الدهر بيدى ما لا يجوز بوهم

ما زال شيهم مس لكل يقظان شهم

و لَمَّا وفد أهل الأندلس على عبد المؤمن قام خطيبا ناثرا و ناظما، فأتى بالعجب، و باهى به أهل الأندلس فى ذلك الوقت.

و له فى عبد المؤمن: [البسيط]

هم الألى و هبوا للحرب أنفسهم و أنهبوا ما حوت أيديهم الصّفدا

ما إن يغتبون كحل الشمس من رهج كأنما عينها تشكو لهم رمدا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٥٦

[من شعر ابن السيد البطليوسى فى عمرو بن مذحج و ابن عبدون و جواب عمرو بن مذحج]

و قال ابن السيد البطليوسى فى أبى الحكم عمرو بن مذحج بن حزم، و قد غلب على لبه، و أخذ بمجامع قلبه: [الطويل]

رأى صاحبى عمرا فكلف وصفه و حملنى من ذاك ما ليس فى الطوق

فقلت له: عمرو كعمرو فقال لى: صدقت، و لكن ذاك شبّ عن الطوق

و فيه يقول ابن عبدون: [الكامل]

يا عمرو، ردّ على الصّدور قلوبها من غير تقطيع و لا تحريق

و أدر علينا من خلالك أكؤسا لم تأل تسكرنا بغير رحيق

و فيه يقول أحدهم: [مجزوء الخفيف]

قل لعمرو بن مذحج جاء ما كنت أرتجى

شارب من زبرجد و لمى من بنفسج

و كتب إليه ابن عبدون: [الطويل]

سلام كما هبت من المزن نفحة تنفس عند الفجر من وجهها الزهر

و منها:

أبا حسن أبلغ سلام فمى يدى أبى حسن و ارفق فكلتاها بحر

و لا تنس يمناك التى هى و الندى رضيعا لبان لا اللجين و لا التبر

فأجابه من أبيات: [الطويل]

تحير ذهنى فى مجارى صفاته فلم أدر شعر ما به فهت أم سحر

أرى الدهر أعطاك التقدّم فى العلى و إن كان قد وافى أخيرا بك الدهر

لئن حازت الدنيا لك الفضل آخرا ففى أخريات الليل ينبج الفجر

نغم الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٥٧

[لعمرو بن مدحج في أبي العلاء بن زهر و محمد بن مدحج]

و لعمرو في أبي العلاء بن زهر: [الطويل]
 قدمت علينا و الزمان جديد و ما زلت تبدى فى الندى و تعيد
 و حقّ العلاء لو لا مراتبك العلاء لما اخضرّ فى أفق المكارم عود
 فلوحوا بنى زهر فإنّ وجوهكم نجوم بأفلاك العلاء سعود
 و قوله لأبى الوليد ابن عمّه: [البسيط]
 إننى لأعجب أن يدنو بنا وطن و لا يقضى من اللقيا لنا وطر
 لا غرو إن بعدت دار مصابئة بنا و جدّ بنا للحضرة السفر
 فمحجر العين لا يلقاه ناظرها و قد توسّع فى الدنيا به النظر
 و قال ابن عمّه أبو بكر محمد بن مدحج يخاطب ابن عمّه أبا الوليد: [الطويل]
 و لما رأى حمص استخفت بقدره على أنها كانت به ليلة القدر
 تحمّل عنها و البلاد عريضة كما سلّ من غمد الدجى صارم الفجر

[من شعر أبى الوليد بن مدحج]

و قال أبو الوليد المذكور: [الطويل]
 أتجزع من دمعى و أنت أسلته و من نار أحشائى و أنت لهيها
 و تزعم أنّ النفس غيرك علقت و أنت و لا منّ عليك حبيها
 إذا طلعت شمس علىّ بسلوه أثار الهوى بين الضلوع غروبها
 و له أيضا: [الكامل]
 لما استمالك معشر لم أرضهم و القول فيك، كما علمت، كثير
 داريت دونك مهجتي فتماسكت من بعد ما كادت إليك تطير
 فاذهب فغير جوانحى لك منزل و اسمع فغير وفائك المشكور
 و قال: [المتقارب]

يقول و قد لمته فى هوى فلان و عرضت شيئا قليلا
 أ تحسدنى؟ قلت: لا و الذى أحلك فى الحبّ مرعى و بيلا
 نغم الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٥٨
 و كيف و قد حلّ ذاك الجناب و قد سلك الناس ذاك السبيل
 و له مما يكتب على قوس: [الكامل]
 إنّا إذا رفعت سماء عجاجه و الحرب تقعد بالردى و تقوم

و تمرّد الأبطال في جناباتها و الموت من فوق النفوس يحوم
مرقت لهم منّا الحتوف كأنما نحن الأهلّة و السّهام نجوم

[من شعر أبي الحسين بن فندلة و أبي العباس بن سيد في ابن فندلة و أبي القاسم بن حسان]

و قال أبو الحسين بن فندلة في كلب صيد: [الطويل]
فجعت بمن لو رمت تعبير وصفه لقلّ و لو أنى غرفت من البحر
بأخطل و ثاب طموح مؤدّب ثبوت يصيد النّسر لو حلّ في النسر
كلون الشباب الغصّ في وجهه سنى كأنّ ظلّاما ليس فيه سوى البدر
إذا سار و البازى أقول تعجّبا ألا ليت شعرى يسبق الطير من يجرى
و لا يلتفت إلى قول أبي العباس بن سيد فيه: [السريع]
الموت لا يبقى على مهجة لا أسدا يبقى و لا نعته
و لا شريفا لبني هاشم و لا وضيعا لبني فندله
و كان ابن سيد مسلّطا على هذا البيت، قال ابن سعيد: و إنما ينبح الكلب القمر.

قال أبو العباس النجار: كان أبو الحسين يلقّب بالوزغة، فوصلت إلى بابه يوما، فتحجّب عنى، فكتبت على الباب: [مخلع البسيط]
تحجّب الفندلىّ عنى فساء من فعله ضميرى
ينفر من رؤيتى كأنى مضمخ الجيب بالعبير
قال: و من عادة الوزغة أن تكره رائحة الزعفران و تهرب منه.

و قال أبو القاسم بن حسان: [الطويل]
ألا ليتنى ما كنت يوما معظّما و لا عرفوا شخصى و لا علموا قصرى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٥٩
أكلّف فى حال المشيب بمثل ما تحمّلته و الغصن فى ورق نضر
فما عاش فى الأيام فى حرّ عيشه سوى رجل ناء عن النّهى و الأمر

[من شعر أبي بكر بن مرتين و القاضى ابن زرقون]

و قال أبو بكر بن مرتين: [البسيط]
صحبت منك العلا و الفضل و الكرما و شيمه فى الندى لا ترتضى السّأما
مودّة فى ثرى الإنصاف راسخه و سمكها فوق أعناق السماء سما
و قال: [الكامل]

أنصفتنى فمحضتك الودّ الذى يجزى بصفوته الخليل المنصف
لا تشكرنّ سوى خلالك إنها جلبت إليك من الثنا ما يعرف
و قال: [مجزوء الرمل]

يا هلالا يتجلى و قضيبا يتشئى
كل أنس لم تكنه فهو لفظ دون معنى
و قال القاضى أبو عبد الله محمد بن زرقون: [الخفيف]
ذكر العهد و الديار غريب فجرى دمه و ليج النحيب
ذكر العهد و النوى من حبيب حبذا العهد و النوى و الحبيب
إذ صفاء الوداد غير مشوب بتجن و وذا مشوب
و إذا الدهر دهرنا و إذا الدا ر قريب و إذ يقول الرقيب
و منها:

أسأل الله عفوه فلتن ساء مقالى لقد تعفّ القلوب
قد ينال الفتى الصغائر ظرفا لا سواها و للذنوب ذنوب
و أخو الشعر لا جناح عليه و سواء صدوقه و الكذوب
و قال: [السريع]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٦٠
يا معدن الفضل و طوى الحجا لا زلت من بحر العلا تغترف
عبدك بالباب فقل منعما يدخل أو يصبر أو ينصرف
و قال الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمر الإشبلى: [المتقارب]
و كل إلى طبعه عائد و إن صدّه المنع عن قصده
كذا الماء من بعد إسخانه يعود سريعا إلى برده

[من شعر أبي عبد الله محمد بن عمر الإشبلى و أبي بكر الزبيدى و أبي بكر بن طلحة الإشبلى]

و قال إمام اللغة أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى الإشبلى: [الخفيف]
ما طلبت العلوم إلّا لأنى لم أزل من فنونها فى رياض
ما سواها له بقلبي حظ غير ما كان للعيون المراض
و قال: [مجزوء الرمل]

أشعرن قلبك ياسا ليس هذا الناس ناسا
ذهب الإبريز منهم فبقوا بعد نحاسا
سامريين يقولون جميعا لا مساسا

و كان كتاب «العين» للخليل مختل القواعد، فامتعض له هذا الإمام، و صقل صدأه كما يصقل الحسام، و أبرزه فى أجمل منزع، حتى قيل: هذا ممّا أبدع و اخترع، و له كتاب فى النحو يسمّى «الواضح» و صيره الحكم المستنصر مؤدبا لولده هشام المؤيد، و بالجملة فهو فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشرق.

و قال النحوى أبو بكر محمد بن طلحة الإشبلى، و شعره رقيق خارج عن شعر النحاة، و منه: [الطويل]
إلى أى يوم بعده يرفع الخمر و للورق تغريد و قد خفق النهر

وقد صقلت كَفَّ الغزاةُ أفقها و فوق متون الروض أردية خضر
و كم قد بكت عين السماء بدمعها عليها و لو لا ذاك ما بسم الزهر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٦١
و قال: [المجتث]

بدا الهلال فلما بدا نقصت و تما
كأنَّ جسمي فعل و سحر عينيه «لما»
و كان لا يملك نفسه في النظر إلى الصُور الحسان، و أتاه يوما أحد أصحابه بولد له فتان الصورة، فعندما دخل مجلسه قصر عليه طرفه،
و لم يلتفت إلى والده، و جعل والده يوصيه عليه و هو لا يعلم ما يقوله [و لم يلتفت إلى والده] و قد افتضح في طاعة هواه، فقال له
الرجل: يا أبا بكر، حَقَّق النظر فيه لعلَّه مملوك ضاع لك، و قد جبره الله تعالى عليك، و لكن على من يتركه عندك لعنة الله، هذا ما
عملت بمحضري، و الله إن غاب معك عن بصري لمحة لتفعلنَّ به ما اشتهر عنك، و أخذ ولده و انصرف به، فانقلب المجلس
ضحكا.

[من شعر أبي جعفر بن الأبار الإشبيلي و أبي القاسم العطار الإشبيلي]

و قال أبو جعفر أحمد بن الأبار الإشبيلي، و هو من رجال «الذخيرة»: [الخفيف]
زارني خيفة الرقيب مريبا يتشكى منه القضيبي الكثيبا
رشأ راش لى سهام المنايا من جفون يسبي بهنَّ القلوبا
قال لى ما ترى الرقيب مطلقا قلت دعه أتى الجناح الرحيا
عاطه أكؤس المدام دراكا و أدرها عليه كوبا فكوبا
و اسقنيها من خمر عينيك صرفا و اجعل الكأس منك ثغرا شنيا
ثم لما أن نام من نتيه و تلقى الكرى سميحا مجيبا
قال لا بد أن تدبَّ عليه قلت أبغى رشا و آخذ ذيبا
قال فابدأ بنا و ثنَّ عليه قلت عمرى لقد أتيت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا و سعينا على الرقيب ديبا
فهل ابصرت أو سمعت بصب ناك محبوبه و ناك الرقيبا
و أنشد له ابن حزم: [الكامل]

أو ما رأيت الدهر أقبل معتبا متنصلا بالعدر ممَّا أذنا
بالأمس أذبل في رياضك أيكه و اليوم أطلع في سمائك كوكبا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٦٢

و قيل: إنه خاطب بهما ابن عبّاد ملك إشبيلية و قد ماتت له بنت و ولد له ابن، و بعضهم ينسبهما لغيره.

و دخل الأديب أبو القاسم بن العطار الإشبيلي حمّاما بإشبيلية، فجلس إلى جانبه و سيم خمريّ العينين، فافتتن بالنظر إليه و المحادثة
إلى أن قام و قعد في مكانه أسود، فقال: [الطويل]

مضت جنة المأوى و جاءت جهنم فها أنا أشقى بعد ما كنت أنعم

و ما كان إلّا الشمس حان غروبها فأعقبها جنح من الليل مظلم

[من شعر أبي عمرو الإشبيلي و أبو الحسن علي بن جابر الدباج الإشبيلي]

و قال الأديب المصنّف أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان بن الإمام الإشبيلي، صاحب «سمط الجمان»: [الطويل]

عذيري من الأيام لا درّ درّها لقد حمّلتني فوق ما كنت أرهب
و قد كنت جلدا ما ينهني النوى و لا يستيني الحادث المتغلب
يقاسى صروف الدهر منى مع الصبا جذيل حكاك أو عذيق مرجب
و كنت إذا ما الخطب مدّ جناحه عليّ تراني تحته أتقلب
فقد صرت خفاق الجناح يروعي غراب إذا أبصرته و هو ينعب
و أحسب من ألقى حبيبا مودعا و أنّ بلاد الله طرا محصّب

و قد امتعض للآداب في صدر دولة بني عبد المؤمن، فجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة إلى مبلغ سنّه منها في ذلك الأوان، و استولى بذلك على خصل الرهان، و انفرد بهذه الفضيلة التي لم ينفرد بها إلّا فلان و فلان.

و كان الأديب العالم الصالح أبو الحسن علي بن جابر الدباج الإشبيلي إماما في فنون العربية، و لكن شهر بإقراء كتب الآداب كالكمال للمبرد و نوادر القالي و ما أشبه ذلك، و كان- مع زهده- فيه لودعيّة، و من ظرفه أن أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة: بالله أعطني قبله تمسك رمقي، فشكاه إلى الشيخ و قال له: يا سيدي، قال لي هذا كذا، فقال له الشيخ:

و أعطيته ما طلب؟ فقال: لا، فقال له: ما هذه الثقاله؟ ما كفاك أن حرمته حتى تشتكي به أيضا؟ و حسبك من جلاله قدره أنّ أهل إشبيلية رضوا به إماما في جامع العديس.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٦٣

وله: [البسيط]

لما تبدّت و شمس الأفق بادية أبصرت شمسين من قرب و من بعد
من عادة الشمس تعشى عين ناظرها و هذه نورها يشفى من الرمد

[من شعر مالك بن وهيب الإشبيلي]

و قال مالك بن وهيب: [الطويل]

أراميتي بالسحر من لحظاتها نعيذك كيف الرمي من دون أسهم
ألا فاعلمي أن قد أصبت، فواصلى سهامك أو كفى فليست بمسلم
فإنسان عين الدهر أصميت فاحذري مطالبه بالقلب و اليد و الفم
أما هو في غيل غدا غابه القنا تحفّ به آساد كلّ ملثم
و لو أنّ لي ركنا شديدا بنجدة أويت له من بأس لحظك فارحمي

و هو إشبيلي، كان من أهل الفلسفة كما في «المسهب»؛ قال: و هو فيلسوف المغرب، ظاهر الزهد و الورع، استدعاه من إشبيلية أمير

المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى حضرة مراكش، و صيره جليسه و أنيسه، و فيه يقول بعض أعدائه: [الخفيف]

دولة لابن تاشفين على طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس إليها من خباياه مالك بن وهيب
و أمره على بمناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدى الذى أنشأ دولة بنى عبد المؤمن.

[من شعر أبي الصلت أمية بن عبد العزيز]

و قال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز المذكور فى غير هذا الموضوع من هذا الكتاب يستدعى بعض إخوانه: [مجزوء الرمل]

بمعاليك و جدك جد بلقياك لعبدك

حضر الكل و لكن لم يطب شىء لفقدك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٦٤

و قال: [المنسرح]

و راغب فى العلوم مجتهد لكنّه فى القبول جلمود

فهو كذى عنه به شق و مشتى الأكل و هو ممعود

و قال: [الوافر]

لئن عرضت نوى وعدت عواد أدالت من دنوك بالبعاد

فما بعدت عن اللقيا جسوم تدانت بالمحبة و الوداد

و لكن قرب دارك كان أندى على كبدى و أحلى فى فؤادى

و له فى مجمره: [الطويل]

و محرورة الأحشاء لم تدر ما الهوى و لم تدر ما يلقى المحب من الوجد

إذا ما بدا برق المدام رأيتها تثير غماما فى الندى من الندى

و لم أر نارا كلما شبب جمرها رأيت الندامى منه فى جنة الخلد

و قوله من قصيدة: [البسيط]

و إن هم نكصوا يوما فلا عجب قد يكهم السيف و هو الصارم الذكر

العود أحمد و الأيام ضامنة عقبى النجاح و وعد الله منتظر

و قال: [السريع]

تقريب ذى الأمر لأهل النهى أفضل ما ساس به أمره

هذا به أولى و ما ضره تقريب أهل اللهو فى التدره

عطارى فى جل أوقاته أدنى إلى الشمس من الزهره

و قوله: [الطويل]

تفكر فى نقصان مالك دائما و تغفل عن نقصان جسمك و العمر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٦٥

و يثنيك خوف الفقر عن كل بغية و خيفة حال الفقر شر من الفقر

و قوله: [المنسرح]

يا ليلة لم تبين من القصر كأنها قبله على حذر
 لم تك إلا «كلا» ولا و مضت تدفع في صدرها يد السحر
 وقال فيمن نظر إليه فأعرض عنه: [البيسط]
 قالوا ثنى عنك بعد البشر صفحته فهل أصاخ إلى الواشى فغيره
 فقلت لا بل درى و جدى بعارضه فردّ صفحته عمدا لأبصره
 وقال: [مجزوء الكامل]

حكّت الزمان تلوّنا لمحبتها العانى الأسير
 فوصالها برد الأصبىل و هجرها حرّ الهجير
 وقال يستدعى: [الخفيف]
 هو يوم كما تراه مطير كلب القرّ فيه و الزّمهرير
 و أرانا الغمام و البرد ثوبى ن علينا كلاهما مجرور
 و لدينا شمسان شمس من الراح و شمس تسعى بها و تدور
 فمن الرأى أن تشبّ الكوانى ن بأجدالها و ترخى الستور
 فاترك الاعتذار فيه فترك ال شرب فى مثل يومنا تغير
 وقال: [الطويل]

هو البحر غص فيه إذا كان ساكنا على الدّرّ و احذره إذا كان مزبدا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٦٦
 وقال: [الخفيف]

غبت عنّا فغاب كلّ جمال و نأى إذ نأيت كلّ سرور
 ثمّ لمّا قدمت عاودنا الأنس و قرّت قلوبنا فى الصدور
 فلو أنّا نجزى البشير بنعمى لوهبنا حياتنا للبشير
 وقال: [السريع]

كم ضيّعت منك المنى حاصلا كان من الأحزم أن يحفظا
 فالفظ بها عنك فمن حقّ ما يخفى صواب الرأى أن يلفظا
 فإن تعلّلت بأطماعها فإنما تحلم مستيقظا
 وقال: [الطويل]

يقولون لى صبرا و إنى لصابر على نائبات الدهر و هى فواجع
 سأصبر حتى يقضى الله ما قضى و إن أنا لم أصبر فما أنا صانع
 وقال: [مجزوء الرمل]

بأبى خود شموع أقبلت تحمل شمعه
 فالتقى نوراهما و اخ تلتفا قدرا و رفعه
 و مسير الشمس تسته دى بضوء النجم بدعه
 وقال فى فرس أشهب: [مخلع البسيط]

و أشهب كالشهاب أضحى يلوح في مذهب الجلال
قال حسودي و قد رآه يخبّ تحتى إلى القتال
من أجم الصبح بالثريا و أسرج البرق بالهلال
و قال: [الطويل]

رمتنى صروف الدهر بين معاشر أصحهم وداً عدوّ مقاتل
و ما غربه الإنسان فى غير داره و لكنها فى قرب من لا يشاكل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٦٧
و قال: [السريع]

أصبحت صبّا دنفا مغرما أشكو جوى الحبّ و أبكى دما
هذا و قد سلّم إذ مرّ بى فكيف لو مرّ و ما سلّم
و قال: [الوافر]

وقفنا للنوى فهفت قلوب أضرب بها الجوى و همت شؤون
يناجى بعضنا باللحظ بعضا فتعرب عن ضمائرنا العيون
فلا و الله ما حفظت عهود كما ضمنوا و لا قضيت ديون
و لو حكم الهوى يوما بعدل لأنصف من يفى مّمن يخون
أمّرداركم و أغصّ طرفى مخافه أن تظنّ بى الظنون

[من شعر عبد الرحمن بن سبلق و أبى بكر محمد بن نصر الإشبلى و أحمد بن محمد الإشبلى]

و لَمّا رأى عبد الرحمن بن سبلق الحضرمى الإشبلى فى النوم أنه مرّ على قبر و قوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمره أن يرثى
صاحب القبر، و هو أبو نواس الحسن بن هانىء، قال: [السريع]
جادك يا قبر انسكاب الغمام و عاد بالروح عليك السلام
ففيك أضحى الظرف مستودعا و استترت عتّا عيون الظلام
و قال أبو بكر محمد بن نصر الإشبلى: [الكامل]
و كأنما تلك الرياض عرائس ملبوسهنّ معصفر و مزعفر
أو كالقيان لبسن موشى الحلّى فلهنّ فى و شى اللباس تبختر
و قال أحمد بن محمد الإشبلى: [البسيط]
أما ترى النرجس الغصّ الذكىّ بدا كأنه عاشق شابت ذوائبه
أو المحبّ شكا لَمّا أضرب به فرط السقام فعادته حبابه
و قال: [الخفيف]

ربّ نيلوفر غدا مخجل الرائي إليه نفاسه و غرابه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٦٨
كمليك للزنج فى قبة بى ضاء يدنو الدجا فيغلق بابه

[من شعر ابن الأصبغ بن سيد و إبراهيم بن خيرة الصباغ و أبي بكر بن حجاج]

و قال أبو الأصبغ بن سيد: [السريع]
 كأنما النرجس في منظر ال حسن الذي أمثاله تبتغي
 أنامل من فضة فوقه كأس من التبر به أفرغا
 و قال أبو إسحاق إبراهيم بن خيرة الصباغ ممّا أشده له أبو عامر بن سلمة في كتاب «حديقة الارتياح»: [مجزوء الكامل]
 يوم كأنّ سحابه لبست عمامي المصامت
 حجبت به شمس الضحى بمثال أجنحة الفواخت
 فالغيث يبكي فقدما و البرق يضحك مثل شامت
 و الرعد يخطب مفصحا و الجوّ كالمحزون ساكت
 و الروض يسقيه الحيا و الثور ينظر مثل باهت
 فاشرب و لذّ بجنته و اطرب فإنّ العمر فائت
 و له: [الرملة]

ربّ ليل طال لا صبح له ذى نجوم أقسمت أن لا تغور
 قد هتكنا جناحه من فلق من خمور و وجوه كالبدور
 إن بدت تشبهها في كأسها نار إبراهيم في برد و نور
 صرعتنا أن علونا ظهرها في ميادين التصابي و السرور
 و كأننا، حين قمنا، معشر نشروا بعد ممات من قبور
 و قال أبو بكر بن حجاج: [السريع]

لما كتمت الحبّ لا عن قلى و لم أجد إلّا البكا و العويل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٦٩
 ناديت و القلب به مغرم يا حسبي الله و نعم الوكيل
 و قال: [الطويل]

يقولون إنّ السّحر في أرض بابل و ما السّحر إلّا ما أرتك محاجره
 و ما الغصن إلّا ما انثنى تحت برده و ما الدّعص إلّا ما طوته مآزره
 و ما الدّرّ إلّا ثغره و كلامه و ما الليل إلّا صدغه و غدائه
 و هذه الأبيات من قصيدة في محمد بن القاسم بن حمّود، ملك الجزيرة الخضراء، أعادها الله تعالى!

[ن شعر أبي عبد الله الرصافي و أبي جعفر بن الجزار و أبي جعفر بن البني]

و قال الرصافي أبو عبد الله الشاعر المشهور، و هو ابن روميّ الأندلس، في حريرى:
 [الخفيف]

و بنفسى من لا أسميه إلّا بعض إلمامة و بعض إشاره
هو و الطيبى فى المجال سواء ما استعار الغزال منه استعاره
أعيد يمسك الحرير بفيه مثل ما يمسك الغزال العراره
و هو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على: [البيسط]
لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم و من نور
و لأبى جعفر أحمد بن الجزار: [الطويل]
و ما زلت أجنى منك و الدهر محل و لا ثمر يجنى و لا زرع يحصد
ثمار أباد دانيات قطوفها لأوراقها ظلّ علىّ ممدّد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها و أطيّار شكرى فوقهنّ تغرّد
و لمّا نفى أبو جعفر ابن البنى من ميورقه، و أقلع فى البحر ثلاثه أميال، و نشأت ريح ردّته، لم يتجاسر أحد من إخوانه على إتيانه،
فكتب إليهم: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٧٠

أحببتنا الألى عنتوا علينا و أقصونا و قد أزف الوداع

لقد كنتم لنا جدلا و أنسا فما بالعيش بعدكم انتفاع

أقول و قد صدرنا بعد يوم أشوق بالسفينه أم نزاع

إذا طارت بنا حامت عليكم كأنّ قلوبنا فيها شرّاع

و له: [الطويل]

غصبت الثريا فى البعاد مكانها و أودعت فى عينى صادق نوثها

و فى كلّ حال لم تزالى بخيله فكيف أعرت الشمس حلّة ضوءها

و له فى غلام يرمى الطيور: [البيسط]

قالوا تصيب طيور الجوّ أسهمه إذا رماها فقلنا عندها الخبر

تعلمت قوسها من قوس حاجبه و أيد السهم من أجفانه الحور

يلوح فى برده كالتنفس حالكة كما أضاء بجنح الليله القمر

و ربما راق فى خضراء مونقه كما تفتح فى أوراقه الزهر

[من شعر أبى المطرف أحمد بن عميره و أبى جعفر أحمد بن طلحة]

و قال الأديب الكاتب القاضى أبو المطرف ابن عميره المخزومى، لمّا قصّ شعر ملك شرق الأندلس زيان بن مردنيس مزين، فى يوم

رفع فيه أبو المطرف شعرا، فخرجت صله المزين، و لم تخرج صله أبى المطرف: [الوافر]

أرى من جاء بالموسى موسى و راحه من أذاع المدح صفرا

فأنجح سعى ذا إذ قصّ شعرا و أخفق سعى ذا إذ قصّ شعرا

و اسم أبى المطرف أحمد، و هو من جزيرة شقر، من كورة بلنسية.

و كان الكاتب الحسيب أبو جعفر أحمد بن طلحة يعشق علجا من علوج ابن هود و يماشيه فى غزواته، و فيه يقول: [مخلع البيسط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٧١
 ما أحضر الغزو من صلاح كلاً و لا رغبة الجهاد
 لكن لكيما يكون داع لقربنا خيرة الجياد
 و قد تقدمت حكايته فلتراجع.

[من شعر أبي إسحاق بن خفاجة و أبي بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأبيض]

و كان صنوبرى الأندلس أبو إسحاق بن خفاجة، و هو من رجال الذخيرة و القلائد و المسهب و المطرب و المغرب، و شهرته تغنى
 عن الإطناب فيه، مغرى بوصف الأنهار و الأزهار و ما يتعلّق بها، و أهل الأندلس يسمّونه الجنّان، و من أكثر من شيء عرف به، و توفي
 سنّه ثلاث أو خمس و ثلاثين و خمسمائة، و ولد سنّه خمسين و أربعمائه، و من نظمه قوله:
 [الخفيف]

ربما استضحك الحباب حبيب نفضت لونها عليه المدام
 كلّما مرّ قاصرا من خطاه يتهادى كما تهادى الغمام
 سلّم الغصن و الكثيب علينا فعلى الغصن و الكثيب السلام
 و بات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفئ السراج ثم تراجع نوره، فقال: [الكامل]
 و أغرّ ضاحك وجهه مصباحه فأثار ذا قمرا و ذلك فرقا
 ما إن خبا تلقاء نور جبينه حتى ذكا بدكائه فتوقّدا
 و له: [الطويل]

كتبت و قلبى فى يدىك أسير يقيم كما شاء الهوى و يسير
 و فى كلّ حين من هواك و أدمعى بكلّ مكان روضة و غدیر
 و له: [البسيط]

كتابنا و لدينا البدر ندمان و عندنا أكّوس للراح شهبان
 و القضب مائسة و الطير ساجعة و الأرض كاسية و الجوّ عريان
 و لما سئل أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأبيض عن لغة فعجز عنها بمحضر من خجل منه أقسم أن يقيد رجله بقيد
 حديد، و لا ينزعه حتى يحفظ «الغريب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٧٢
 المصنّف، فاتّفق أن دخلت عليه أمّه فى تلك الحال، فارتاعت، فقال: [الكامل]
 ريعت عجوزى أن رأتنى لابسا حلق الحديد و مثل ذاك يروع
 قالت جنت؟ فقلت: بل هى همّة هى عنصر العلياء و ينبوع
 سنّ الفرزدق سنّه فتبعته إني لما سنّ الكرام تبوع
 و كان شاعرا و شاحا و طاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لما هجاه بمثل قوله: [الكامل]
 عكف الزبير على الضلالة جاهدا و وزيره المشهور كلب النار
 ما زال يأخذ سجدة فى سجدة بين الكؤوس و نعمة الأوتار

فإذا اعتراه السهو سبّح خلفه صوت القيان و رثّة المزمار

و لَمَّا بلغ الزبير عنه ذلك و غيره أمر بإحضاره، فقرعه، و قال: ما دعاك إلى هذا؟ فقال:

إني لم أر أحقّ بالهجو منك، و لو علمت ما أنت عليه من المخازي لهجوت نفسك إنصافاً، و لم تكلمها إلى أحد، فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته، و أمر بقتله.

و أنشد له ابن غالب في «فرحة الأنفس» قوله في حلقة حائط: [البيسط]

و حلقة كشعاع الشمس صافية لو قابلت كوكبا في الجوّ لالتها

تأنق القين في إحكام صنعتها حتى أفاض على أطرافها الذهبا

كأنها بيضة قد قدّ قونسها و كلّ جنب لها بالطعن قد ثقبا

و قال فيمن يحدث نفسه بالخلافة: [الوافر]

أمير المؤمنين، نداء شيخ أفادك من أماليه اللطيفه

تحفظ أن يكون الجذع يوما سريرا من أسرّتك المنيفه

و أذكر منك مصلوبا فأبكي و تضحكني أمانيك السخيفه

و هاجى ابن سارة، فقال فيه ابن سارة: [الكامل]

و من العجائب أن يكون الأبيض بحماره بين السوابق يركض

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٧٣

[من شعر أبي على عمر الشلوين النحوى و أبى إسحاق إبراهيم الإلبيري و أبى بكر بن عبادة القزاز]

و قال إمام النحاة بالأندلس أبو على عمر الشلوين فيمن اسمه قاسم: [الطويل]

و ممّا شجا قلبى و فيض مدمعى هوى قدّ قلبى إذ كلفت بقاسم

و كنت أظنّ الميم أصلا فلم تكن و كانت كميم ألحقت بالزراقم

و الزراقم: الحيات، مشتقّة من الزرقه، و الميم زائده، يريد أن ميم قاسم كميمها، فهو قاس، و هو منسوب إلى حصن سلوبينية على

ساحل غرناطة، و له من الشهرة و التأليف ما يغنى عن الإطناب فى وصفه، و له «التوطئة» و «شرح الجزوليّة» و غيرهما، و كان مغفلا، و

مع ذلك فهو آية الله تعالى فى العريّة، و كان فى لسانه لكنّه، و لَمَّا أراد مأمون بنى عبد المؤمن التوجّه إلى مرسية، و قد ثار بها ابن

هود، و أنشده الشعراء، و تكلم فى مجلسه الخطباء، قام الشلوين و قال دعاء منه: تلمك الله و نترك، يريد سلّمك الله و نصرّك؛ لأنه

بلكنته يبدل السين و الصاد ثاء، فكان كما قال: عاد المأمون و قد ثلم عسكره و نثر.

و لَمَّا مرض الفقيه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم الإلبيري دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء، فرأى ضيق مسكنه، فقال: لو اتخذت

غير هذا المسكن لكان أولى بك، فقال و هو آخر شعر قاله: [مخلع البسيط]

قالوا ألا تستجيد بيتا تعجب من حسنه البيوت

فقلت ما ذلكم صوابا عشّ كثير لمن يموت

لو لا شتاء و لفتح قيظ و خوف لصّ و حفظ قوت

و نسوة يبتغين سترا بنيت بنيان عنكبوت

و قال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشّح فى ابن بشام صاحب «الذخيرة»: [الخفيف]

يا منيفا على السّماكين سام حزت خصل السباق عن بّسام
 إن تحك مدحة فانت زهير أو تشبّب فعروة بن حزام
 أو تباكر صيد المها فابن حجر أو تبكى الديار فابن جذام
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٢٧٣
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٧٤
 أو تدمّ الزمان و هو حقيق فأبو الطيب البعيد المرامي

[من شعر أبي الحسن بن نزار و خبره]

و لما انتثر سلك نظام ملك لمتونة تفرّق ملك الأندلس رؤساء البلاد، و كان من جملتهم الأمير أبو الحسن بن نزار لما له من الأصالة
 في وادي آش، فحسده أهل بلده، و قصدوا تأخيره عن تلك المرتبة، فخطبوا في بلدهم لملك شرق الأندلس محمد بن مردنيس، و
 وجه لهم عمّاله و أوصالهم أن يخرج هذا الأسد من غيله، و يفرّق بينه و بين تأميله، و رفعوا له أشعارا كان يستريح بها على كاسه، و
 يبثها بمحضر من يركن إليه من جلسائه، و منها قوله، و قد استشعر من نفسه أنها أهل للتقديم، مستحقّة لطلب سلفه القديم: [البسيط]

الآن أعرف قدر النّفع و الضّرر فكيف أصدر ما للملك من صدر
 و كيف أطلع في أفق العلا قمرا و يستهلّ بكفى و اكف الدرر
 و كيف أملاً صدر الدهر من رعب و أستقلّ بحمل الحادث النّكر
 و أستعدّ لما ترمى الخطوب به و أستطيل على الأيام بالفكر
 لكنني ربما بادرت منتهزا لفرصة مرقت كاللمح بالبصر
 في أم رأسي ما يعيا الزمان به شرحا فسل بعدها الأيام عن خبري

فعندما وقف ابن مردنيس على هذا القول وجه إلى وادي آش من حملة إليه، و قيده، و قدم به إلى مرسية أسيرا، بعدما كان مرتقبا أن
 يقدم أميرا، فلمّا وقعت عين ابن مردنيس عليه قال له: أمكن الله منك يا فاجر، فقال: أنت - أعزك الله! - أولى بقول الخير من قول
 الشّرّ، و من أمكنه الله من القدرة على الفعل فما يليق به أن يستقدر بالقول، فاستحيا منه، و أمر به للسجن، فمكث فيه مدّة، و صدرت
 عنه أشعار في تشوّقه إلى بلاده، منها قوله: [المتقارب]

لقد بلغ الشوق فوق الذي حسبت فهل للتلاقي سبيل
 فلو أنني متّ من شوقكم غراما لما كان إلّا قليل
 تعلّني بالتداني المنى و ينشدني الدهر: صبر جميل
 فقل لبثينة إن أصبحت بعيدا فلم يسلم عنها جميل
 أغضّ جفوني عن غيرها و سمعي عن اللوم فيها يميل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٧٥

و لم يزل على حاله من السجن إلى أن تحيّل في جاريه محسنه للغناء حسنه الصوت و صنع موشحته التي أولها:

نازعك البدر اللياح بنت الدنان
 فلم يدع لك اقتراح على الزمان
 و فيها يقول:

يا هل أقول للحسود والعيس تحدى

يا لائمي على السراح كانت أمانى

أخرجها ذاك السماح إلى العيان

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها، وأحكمت الغناء بها، وأهداها إلى ابن مردنيش بعد ما أوصاها أنها متى استدعاها إلى الغناء وظفرت به فى أطرب ساعة وأسرّها غنّته بهذه الموشحة، وتلطّفت فى شأن رغبته فى سراح قائلها، فلعلّ الله تعالى يجعل فى ذلك سبباً، واتفق أن ظفرت بما أوصاها به، وأحسن غناء الموشحة، فطرب ابن مردنيش لسماح مدحه، وأعجبه مقاصد قائلها، فسألها: لمن هى؟ فقالت: لمولاي عبدك ابن نزار، فقال:

أعيدى علىّ قوله «يا لائمي على السراح» فأعادته، فداخلته عليه الرأفة والأريحية بما أصابه، فأمر فى الحين بحلّ قيده، واستدعى به إلى موضعه فى ذلك الوقت، فلمّا دخل خلع عليه وأدناه وقال له: يا أبا الحسن، قد أمرنا لك بالسراح على رغم الحسود، فارجع إلى بلدك مباحاً لك أن تطلب الملك بها وبغيرها إن قدرت، فأنت أهل لأن تملك جميع الأندلس، لا وادى آش، فقال له: والله يا سيدى بل ألتزم طاعتك والإقرار بأنك بعثنى من قبر رمانى فيه الحساد والوشاء، ثم شربا حتى تمكّنت بينهما المطايبة، فقال له: يا ابن نزار، الآن أريد أن أسألك عن شىء، قال: وما هو يا سيدى؟ قال: عمّا فى أمّ رأسك حين قلت: [البسيط]

فى أمّ رأسى ما يعيا الزمان به شرحاً فسل بعدها الأيام عن خبرى

فقال له: يا سيدى، لا تسمع إلى غرور نفس ألقته على لسان نشوان لعبت بأفكاره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٧٦

الأمانى وغطت على عقله الآمال، والله لقد بقيت فى دارى أروم الاجتماع بجارية مهينة قدر سنه فما قدرت على ذلك، ومنعتنى منها زوجتى، فكيف أطلب ما دونه قطع الرؤوس ونهب النفوس؟ فضحك ابن مردنيش، وجدّد له الإحسان، وجّهزه إلى بلده، وأمر عمّاله أن يشاركوه فى التدبير، ويستأذنوه فى الصغير والكبير، فتأثّل به مجده، وعظم سعده.

ومن شعره قوله: [السريع]

انظر إلى الروض سحيراً وقد بثّ به الطلّ علينا العيون

يرقب منّا يقظةً للمنى فقل لها أهلاً بداعى المجون

وحثّها شمسا إلى أن ترى شمس الضحى تطرق تلك الجفون

وقوله: [الطويل]

تنبّه لمعشوق وكأس وقينه وروض ونهر ليس يبرح خفّاقاً

فقد نبّهت هذى الحدائق ورقها وفتح فيها الصبح بالطلّ أحداقاً

ومهما تكن فى ضيقه فأدر لها كؤوس الطلا فالسكر يوسع ما ضاقاً

وقوله: [الكامل]

عطف القضب مع النسيم تميّلاً والنهر موشىّ الخمائيل والحلى

تركته أعطاف الغصون مظلاً ولنا عن النهج القويم مضلاً

أمسى يغازلنا بمقلّة أشهل والطرف أسحر ما تراه أشهلاً

[بين ابن نزار وأبى جعفر بن سعيد]

وقال بعضهم: استدعاني أبو الحسن بن نزار لمجلس أنس بوادي آش، فلما احتفل مجلسنا، وطابت لذتنا قال: والله ما تمام هذه المسرة إلا حضور أبي جعفر بن سعيد وهو الآن بوادي آش، فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالتنا معهما، وأنهما لا يأتيان إلا بما يأتي به اجتماع النسيم والروض، فخلا في موضع وكتب له: [الكامل]

يا خير من يدعى لكاس دائر ووجه أقمار وروض ناصر

إننا حضرنا في الندى عصابة معشوقه من ناظم أو ناثر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٧٧

كل مخلّى للذي يختاره في الأمن من ناه له أو زاجر

ما إن لهم شغل بفنّ واحد بل كلّ ما يجري بوفق الخاطر

شدو ورقص واقتطاف فكاهاه و تعاتق و تغامر بنواظر

و هم كما تدرى بأفقى أنجم لكن لنا شوق لبدر زاهر

سیدی، لا زلت متقدّماً لكل مكرمة! هل يجمل التخلف عن ناد قام فيه السرور على ساق، وضحك فيه الأنس بملء فيه، و انسدل به ستر الصون، وفاء عليه ظلّ النعيم، وسفرت فيه وجه الطرب، و ركضت خيل اللهو، و ثارت قام الند، وهطلت سحب ماء الورد، و جلّيت الكؤوس، كالعرائس على كراسي العروس، المثقلة بالعاج والآبنوس، و كأنّ قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام، أو بنى حام قد خالطت بنى سام و على رؤوس الأقداح، تيجان نظمها امتزاج الماء بالراح، فطورا تستحيى فيبدو خجلها، و طوراً تمتزج فيظهر وجلها، و العود ترجمان المسرة قد جعلته أمه في حجرها، كولد ترضعه بدرّها، و ساقى الشرب كالغصن الرطيب، أوراقه أردية الشرب، و أزهاره الكؤوس، التي لا تزال تطلع و تغرب كالشموس، ساق يفهم بالإشارة، حلو الشمائل عذب العبارة، ذو طرف سقيم، و خدّ كأنه من خفره لطيم، و لدينا من أصناف الفواكه و الأزهار، ما يحار فيه الناظر، و هل تكمل لذة دون إحضار حدود الورد، و عيون النرجس، و أصداغ الآس، و نهود السفرجل، و قدود قصب السكر، و مباسم قلوب الجوز، و سرر التفاح، و رضاب ابنه العنب؟ فقد اكتمل بهذه الأوصاف المختلصة من أوصاف الحبايب الطرب: [الطويل]

فطر بجناح الشوق عند وصولها إليك و لا تجعل سواك جوابها

فلا عين إلا و هي ترنو بطرفها إليك فيسر في المطال حسابها

فقد أصبحت تعلق عليها غشاوة لبعذك فاكشف عن سناها ضبابها

قال أبو جعفر: فجعلت وصولي جواب ما نظم و نثر، و ألفت الحالة يقصر عن خبرها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٧٨

الخبر، فانغمسنا في النعيم، انغماس عرف الزهر في النسيم، و مرّ لنا يوم غصّ الدهر عنه جفنه، حتى حسبناه عنواناً لما وعد الله تعالى به في الجنة.

[بين ابن نزار و ابن سعيد و الكتندى]

و شرب يوماً مع أبي جعفر بن سعيد و الكتندى الشاعر في جنة بزوايه غرناطة، و فيها صهريج ماء قد أحرق به شجر نارنج و ليمون و غير ذلك من الأشجار، و عليه أنبوب ماء تتحرّك به صورة جارية راقصة بسيوف و طيفور رخام يصنع في أنبوبة الماء صورة خباء، فقالوا:

نقتسم هذه الأوصاف الثلاثة، فقال أبو جعفر يصف الراقصة: [الطويل]

و راقصة ليست تحرك دون أن يحركها سيف من الماء وصلت
يدور بها كرها فتنضى صوارما عليه فلا تريا و لا هو يبهت
إذا هي دارت سرعة خلت أنها إلى كل وجه في الرياض تلتفت
و قال ابن نزار في خباء الماء: [الطويل]

رأيت خباء الماء ترسل ماءها فنازعها هب الرياح رداها
تطاوعه طورا و تعصيه تارة كراقصة حلت و ضمت قباها
و قد قابلت خير الأنام فلم تزل لديه من العلياء تبدى حياها
إذا أرسلت جودا أمام يمينه أبى العدل إلا أن يرد إباها

و قد قيل: إن هذه الأبيات صنعها بمحضر الأمير أبى عبد الله بن مردنيش ملك شرق الأندلس، و إنه لما ألجأته الضرورة أن يرتجل
في مثل ذلك شيئا، و كانت هذه عنده معدة، فزعم أنه ارتجلها، قال أبو عمر بن سعيد: و هذا هو الصحيح، فإنه ما كانت عادته أن
يخاطب عمى أبا جعفر بخير الأنام؛ فإن كل واحد منهما كفؤ الآخر.
و قال الكتندى: [الوافر]

و صهريج تخال به لجينا يذاب و قد يذهب الأصيل
كأنّ الروض يعشقه فمته على أرجائه ظلّ ظليل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٧٩
و تمنحه أكفّ الشمس عشقا دنائرا فمته لها قبول
إذا رفع النسيم القضب عنها فحينئذ يكون لها سبيل
و للنانج تحت الماء لما تبدى عكسها جمر بليل
و لليمون فيه دون سبك جلاجل زخرف بصبا تجول
فيا روضا به صقلت جفوني و أرهف متنه الزهر الكليل
تناثر فيك أسلاك الغوادي و قبل صفح جدولك القبول
و لا برحت تجمّع فيك شملا من الأكياس و الكاس الشمول
بدور تستنير بها نجوم مع الإصباح ليس لها أفول
يهيم بهم نسيم الروض إلغا فمن وجد له جسم عليل

[من شعر أبى الأصغ عبد العزيز بن الأرقم و أبى عامر بن أبى الأصغ]

و روى أنّ الوزير أبا الأصغ عبد العزيز بن الأرقم وزير المعتصم بن صمادح رأى راية خضراء فيها صنيفه بيضاء في يد عالج من علوج
المعتصم نشرها على رأسه، فقال: [الكامل]

نشرت عليك من النعيم جناحا خضراء صيرت الصباح و شاحا
تحكى بخفق قلب من عاديته مهما يصافح صفحها الأرواحا
ضمنت لك النعمى برأى ظافر فترقب الفأل المشير نجاحا

و كان هذا الوزير آية الله تعالى في الوفاء، و أرسله المعتصم إلى المعتمد بن عباد، فأعجبت المعتمد محاولته، و وقع في قلبه، فأراد

إفساده على صاحبه، و أخذ معه في أن يقيم عنده، فقال له: ما رأيت من صاحبي ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب، و لو رأيت ما أكره لما كان من الوفاء تركي له في حين فَوْضَ إِلَيَّ أمره، و وثق بي، و حَمَلَنِي أعباء دولته، فاستحسن ذلك ابن عباد، و قال له: فاکتم عليّ، فلما عاد إلى صاحبه سأله عن جميع ما جرى له، فقال له في أثناء ذلك: و جرى لي معه ما إن أعلمتک به خفت أن تحسب فيه كالامتنان و الاستظهار، و تظنّ أنّ خاطري فسد به، و إن کتمتک لم أوف النصيحة حقّها، و خفت أن تطلع عليه من غيري، فيحطّني ذلك من عينک، و تحسب فيه كيدا، فحمل عليه في أن يعلمه، فأعلمه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٨٠

بعد أن تلطف هذا التلطف، و هو من رجال الذخيرة و المسهب، و ابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد.

و من نظم أبي عامر: [المتقارب]

فتي الخيل يقتادها ذبلا خفافا تباري القنا الذابلا

تري كل أجرد سامي التليل و تحسبه غصنا مائلا

[من شعر أبي محمد عبد البر بن فرسان و حاتم بن حاتم العنسي]

و للوزير الكاتب أبي محمد بن فرسان و اسمه عبد البرّ، و هو حسنة وادي آش، يخاطب يحيى الميورقي: [الكامل]

أنعم بتسريح عليّ فعله سبب الزيارة للحطيم و يثرب

و لئن تقول كاشح أنّ الهوى درست معالمه و أنكر مذهبي

فمقالتي ما إن مللت و إنما عمري أبي حمل التجاد بمنكبي

و عجزت عن أن أستثير كمينها و أشقّ بالصمصام صدر الموكب

و هذه الأبيات كتب بها إليه و قد أسنّ و ملّ من الجهد معه، يرغب في سراحه إلى الحجاز، رحمه الله تعالى، و تقبل نيته بمنّه و يمينه!

و قال حاتم بن حاتم بن سعيد العنسي و كان صاحب سيف و قلم، و علم و علم:

[الكامل]

يا دانيا مني و ما أنا زائر لا أنت معذور و لا أنا عاذر

ما ذا يضرك إذ ظللت بظلمة أن لا يطالع منك بدر زاهر

و توفي المذكور بغرناطة سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة.

[من شعر التظلي الأعمى]

و قال التظلي الأعمى في أسد نحاس يقذف الماء: [مجزوء الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٨١

أسد و لو أني أنا قشه الحساب لقلت صخره

فكأنه أسد السماء يمّج من فيه المجره

[ابن ظافر و القاضي المؤيد]

قال ابن ظافر: صرنا في بعض العشايا على البساتين المجاورة للنيل، فرأينا فيه بئرا عليها دولابان متحاذيان، قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس، ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الأمانى بالمفاليس، وهما يثنَّان أنين الأشواق، ويفيضان ماء أغزر من دموع العشاق، و الروض قد جلا للأعين زبرجده، والأصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده، والزهر قد نظم جواهره في أجساد الغصون، والسواقي قد أذابت من سلاسل فضتها كل مصون، والنبت قد اخضر شاربه و عارضه، و طرف النسيم قد ركضه في ميادين الزهر راكضه، و رضاب الغيث قد استقر من الطين في لمى، و حيات المجارى حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى، و البحر قد صقل النسيم درعه، و زعفران العشى قد ألقى في ذيل الجوّ رده، فأوسعنا ذلك المكان حسنا و قلوبنا استحواذا، و ملاً أبصارنا و أسماعنا مسرّة و التذاذا، و ملنا إلى الدولابين شاكين أزمرا حين سجعت قيان الطير بألحانها، و شدت على عيدانها، أم ذكرنا أيام نعمنا و طابا، و كانا أغصانا رطابا، فنفيا عنهما لذيد الهجوع، و رجعا النوح و أفاضنا الدموع طلبا للرجوع، و جلسنا نتذاكر ما فى تركيب الدواليب، من الأعاجيب، و نتناشد ما وصفت به من الأشعار، الغالية الأسعار، فأفضى بنا الحديث الذى هو شجون، إلى ذكر قول الأعمى التّطيلي فى أسد نحاس يقذف الماء:

أسد و لو أنى - إلخ

فقال لى القاضى أبو الحسن على بن المؤيد رحمه الله تعالى: يتولد من هذا فى الدولاب معنى يأخذ بمجامع المسامع، و يطرب الرائي و السامع، فتأملت ما قاله بعين بصيرتى البصيرة، و استمددت مادة غريزتى الغزيرة، فظهر لى معنى ملائنى أطرابا، و أوسعنى إعجابا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٨٢

و أطرق كلّ منا ما جاش به مدّ بحره، و أنباء به شيطان فكره، فلم يكن إلّا كنفرة العصفور، الخائف من الناطور، حتى كمل ما أردنا من غير أن يقف واحد منا على ما صنعه الآخر، فكان الذى قال: [الخفيف]

حبذا ساعة العشيّة و الدولاب يهدى إلى النفوس المسرّه

أدهم لا يزال يعدو و لكن ليس يعدو مكانه قدر ذره

ذو عيون من القواديس تبكى كل عين من فائض الدمع ترّه

فلك دائر يرينا نجوما كل نجم يبدى لدينا المجرّه

و كان الذى قلت: [الوافر]

و دولاب يثنّ أنين ثكلى و لا فقدا شكاه و لا مضرّه

ترى الأزهار فى ضحك إذا ما بكى بدموع عين منه ترّه

حكى فلكا تدور به نجوم تؤثّر فى سرائرنا المسرّه

يظلّ النجم يشرق بعد نجم و يغرب بعدما تجرى المجرّه

فعبنا من اتفاننا، و قضى العجب منه سائر رفاقنا، انتهى.

[من شعر ابن شعبة الوادى آشى و ابن الحداد الوادى آشى]

رجع: و كان لأبى محمد عبد الله بن شعبة الوادى آشى ابن شاعر، فعرض عليه شعرا، نظمها، فأعجبه، فقال: [السريع]

شعرك كالبلستان فى شكله يجمع بين الآس و الورد

فاصنع به إن كنت لى طائعا ما يصنع الفارس بالبند

و لشاعر الأندلس أبي عبد الله بن الحداد الوادى آشى، و هو من رجال الذخيرة:

[الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٨٣

لزمت قناعتى و قعدت عنهم فلست أرى الوزير و لا الأميرا

و كنت سمير أشعارى سفاها فعدت بها لفلسفتى سميرا

و له فى العروض تأليف مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية، و الآراء الخليلية، و ردّ فيه على السرقسطى المنبوز بالحمار.

و له فى المعتصم بن صمادح: [الطويل]

لعلّك بالوادى المقدّس شاطيء فكالعنبر الهندى ما أنا واطيء

و إنى فى ريتاك واجد ريحهم فجمر الأسى بين الجوانح ناشئ

و لى فى السرى من نارهم و منارهم هداة حداءة و النجوم طوافيء

لذلك ما حتت ركابى و حمحمت عرابى و أوحى سيرها المتباطيء

فهل هاجها ما هاجنى؟ و لعلّها إلى الوخد من نيران قلبى لواجيء

رويدا فذا وادى ليينى و إنه لورد لباناتى و إنى لظاميء

موارد تهيامى و مسرح ناظرى فللشوق غايات بها و مباديء

و اعترض عليه بعضهم بأنه همز فى هذه القصيدة ما لا يهمز، فقال: [الطويل]

عجبت لغمازين علمى بجهلهم و إن قناتى لا تلين على الغمز

تجلّت لهم آيات فهمى و منطقى مبيّنة الإعجاز ملزمة العجز

و لاحت لهم همزيّة أو حديّة و ويل بها ويل لذى الهمز و اللّمز

رموها بنقص بينت فيه نقصهم و من لمس الأفعى شكا ألم النّكز

فإن أنكرت أفهامهم بعض همزها فقد عرفت أكبادهم صحّة الهمز

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٨٤

و له و هو مما يتغنّى به بالأندلس: [الكامل]

فذر العقيق مجانبا لعقوقه ودع العذيب عذيب ذات الخال

أفق محلّى بالقواضب و القنا للأغيد المعطار لا المعطال

حججوك إلّا من توهم خاطرى و حموك إلّا من تصوّر بالى

و القارطان جميل صبرى و الكرى فمتى أرجى منك طيف خيال

و من بدائعه قوله: [الكامل]

سامح أحاك إذا أتاك بزله فخلوص شىء قلما يتمكّن

فى كلّ شىء آفه موجودة إنّ السراج على سناه يدخن

و أنشد أحد الأدباء هذين البيتين متمثلا، فأعجبا المعتصم، و سأل عن قائلهما، فأخبر، فتبسّم و قال: أتعرف إلى من أشار بهذا المعنى؟

قال: ما أعرف إلّا أنه مليح، فقال المعتصم:

كنت فى الصّبا و هو معى، ألّقب بسراج الدولة، فقاتله الله ما أشعره، فسלוه، فلما باحثوه فى ذلك أقرّ بحسن حدس المعتصم. و اكتفتته

سعايات، و كان ممّن يغلب لسانه على عقله، ففرّ من المريّة، و حبس أخوه بها، فقال: [الكامل]

الدهر لا ينفك من حدثانه و المرء منقاد لحكم زمانه
و علمت أن السعد ليس بمنجح ما لا يكون السعد من أعوانه
و الجدد دون الجدد ليس بنافع و الرمح لا يمضى بغير سنانه
و بلغت الأبيات المعتمم فقال: شعره أعقل منه، صدق فإنه لا يتهياً له صلاح عيش إلا بأخيه، و هو منه بمنزلة السنن من الرمح، ثم أمر
بإطلاقه و لحاقه به.

و لما قال فى المعتمم: [الكامل]

يا طالب المعروف دونك فاتركن دار المريء و ارفض ابن صمادح
رجل إذا أعطاك حبة خردل ألقاك فى قيد الأسير الطائح
لو قد مضى لك عمر نوح عنده لا فرق بينك و البعيد النازح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٨٥
اغتاظ عليه، و أبعدته، ففرّ من بلده.

و من المنسوب إليه فى النساء: [البيسط]

خن عهدا مثل ما خانتك منتصفا و امنح هواها بنسيان و سلوان
فالغيد كالروض فى خلق و فى خلق إن مرّ جان أتى من بعده جان
و له: [الخفيف]

حيثما كنت ظاعنا أو مقيما دم رفيعا و عش منيعا سليما

[الوزير الفقيه أبو بلال و من شعر ابن البراق]

و قال ابن دحية فى «المطرب»: إن من المجيدى فى الجدد و الهزل، و رقيق النظم و الجزل، صاحبنا الوزير أبا بلال، و قال لى: إنه كان
و برد شبابه قشيب، و غصن اعتداله رطيب، بقميص التّسك متقمّص، و بعلم الحديث متخصّص، فاجتاز يوما و بيده مجلد من صحيح
مسلم بقصر بعض الملوك الأكابر، و من بعض مناظره ناظر، و مجلسه بخواصّ ندمائه حال، و صوت المثانى و المثالث عال، فقال:
أطلعوا لنا هذا الفقيه، فلعلنا نضحك منه. فلما مثل بين يديه و حيّا، أمر الساقى بمناولته كأس الحميا، فتقبّض متأففا، و أبدى تمعرا و
تقشفا، و السلطان يستغرب ضحكا بما هجم عليه، و يد الساقى ممدودة إليه، و اتفق أن انشقت من ذاتها الزجاجه، فظهر من السلطان
التطير من ذلك، فأنشد الفقيه مرتجلا: [المنسرح]

و مجلس بالسرور مشتمل لم يخل فيه الزجاج من أدب
سرى بأعطافه يرتحه فشقى أثوابه من الطرب

فسرّ السلطان و سرى عنه، و استحسّن من الفقيه ما بدا منه، و أمر له بجائزة سيئه، و خلعه رائقه بهيئه.

و ما أحسن قول ابن البراق: [مخلع البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٨٦

يا سرحة الحى يا مطول شرح الذى بيننا يطول

و لى ديون عليك حلّت لو أنه ينفع الحلول

و قوله: [الكامل]

انظر إلى الوادى إذا ما غرّدت أطيّاره شقّ النسيم ثيابه
أتراه أطرّبه الهديل و زاده طربا و حَقَّك أن حللت جنبابه
و له فى غلام على فمه أثر المداد: [مخلع البسيط]
يا عجباً للمداد أضحى على فم ضمّن الزّلالا
كالفار أضحى على المحيّا و الليل قد لامس الهلالا

[من شعر أبى محمد عبد الله و على بن مهلهل الجليانى و يحيى بن مطروح]

و كتب أبو محمد عبد الله فى معذرة إلى بعض أصحابه من الأسر فى طليطلة: [مجزوء الكامل]
لو كنت حيث تجيبنى لأذاب قلبك ما أقول
يكفيك منى أننى لا أستقلّ من الكبول
و إذا أردت رسالة لكم فما ألقى رسول
هذا و كم بتنا و فى أيماننا كأس الشّمول
و العود يخفق و الدخان العنبرىّ به يجول
حال الزّمان و لم يزل مذ كنت أعهدّه يحول
و لأبى الحسن على بن مهلهل الجليانى فى أبى بكر بن سعيد صاحب أعمال غرناطة فى دولة الملتّمين: [الكامل]
لو لا التّهود لما عراك تنهّد و على الخدود القلب منك يخذد
يا نافذا قلبى بسهم جفونه مالى على سهم رميت به يد
و قال أبو زكريا يحيى بن مطروح فى غلام كاتب أطلّ عذاره: [البسيط]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٨٧
يا حسنه كاتباً قد خطّ عارضه فى خدّه حاكيا ما خطّ بالقلم
لام العذول عليه حين أبصره فقلت دعنى فزين البرد بالعلم
و انظر إلى عجب ممّا تلوم به بدر له هالة قدّت من الظلم
قولوا عن البحر ما شتّم و لا عجب من عنبر الشّحر أو من درّ مبتسم
و له، و قد عزل عن مالقة و ال غير مرضىّ، و نزل المطر على إثره، و كان الناس فى جذب: [السريع]
و ربّ و ال سرّنا عزله فبعضنا هنّاه البعض
قد واصلتنا السّحب من بعده و لدّ فى أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه ما طهرت من بعده الأرض

[من شعر أبى بكر محمد بن نصر الأوسى و أبى عبد الله محمد بن على اللوشى]

و كان الكاتب أبو بكر محمد بن نصر الأوسى مختصّاً بوزير عبد المؤمن أبى جعفر بن عطية، فقال فيه: [الطويل]
أبا جعفر نلت الذى نال جعفر و لا زلت بالعليا تسرّ و تحبر

عليك لنا فضل و برّ و أنعم و نحن علينا كلّ مدح يحبر

و حدّث من حضر مجلس الوزير ابن عطية و قد أحسّ من عبد المؤمن التغير الذي أفضى إلى قتله، و قد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة، فتغيّر وجه أبي جعفر؛ لأنّ جعفر بن يحيى كان آخر أمره الصلب، فكأنّ هذا عمّم الدعاء، و العجب أنه قتل مثل جعفر بعد ذلك.

و هذا الشاعر هو القائل: [الطويل]

و ما أنا عن ذاك الهوى متبدّل و ذا الغدر بالإخوان غير كريم
بغيرك أجرى ذكر فضلك في الندى كما قد جرى بالروض هبّ نسيم
و إن كان عندي للجديد لداذة فلست بناس حرمة لقديم
و لأبي عبد الله محمد بن علي اللوشى يخاطب صاحب «المسهب»: [الخفيف]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٨٨
بى إليكم شوق شديد و لكن ليس يبقى مع الجفاء اشتياق
إن يغيّركم الفراق فودى لو خبرتم يزيد فيه الفراق
و له: [مجزوء الكامل]

لو أنّ لى قلبا كقل بك كنت أهجر هجركا
يكفيك أنك قد نسي ت و لست أنسى ذكركا
و من العجائب أننى أفنى و أكنم سرّكا
كن كيفما تختاره فالحبّ يبسط عذركا
و له: [الكامل]

هل عندكم علم بما فعلت بنا تلك الجفون الفاتكات بضعفها
نصحا لكم أن تأمنوها أنها سحر التّهى ما تبصرون بطرفها

[من شعر أبي محمد عبد المولى اللوشى و أخباره]

و لابنه أبى محمد عبد المولى، و كان ماجنا، لمّا نعى إليه و هو على الشراب أحد أصحابه مرتجلا: [مجزوء الرمل]
إنّما دنياك أكل و شراب و قحاب
ثم من بعد صراخ و وداع و تراب
و له: [مجزوء الرمل]

يا نديم اشرب على أف ق صقيل و حديقه
و اسقنى ثم اسقنى ثم اسقنى خمرا و ريقه
من غزال تطلع الشمس بخديه أنيقه
لا تفوت ساعة من كأس خمر و عشيقه
و اجتنب ما سخرت جه لا له هذى الخليقه
رغبوا فى باطل زور بزهد فى الحقيقه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٨٩

ليس إلّا ما تراه أنا أدري بالطريقه

قال أبو عمران موسى بن سعيد: قلنا له: ما هذا الاعتقاد الفاسد الذي لا ينبغي لأحد أن يصحبك به؟ فقال: هذا قول لا فعل، و قد قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) [سورة الشعراء، الآية: ٢٢٥-٢٢٦].

ثم قال ابن سعيد: و لو لا أنّ حاكى الكفر ليس بكافر ما ذكرتها، و هذا منزع من قال من المجوس: [معزوء الرمل]

خذ من الدنيا بحظّ قبل أن ترحل عنها

فهى دار لا ترى من بعدها أحسن منها

و هذا كفر صراح، و قائله قد تقمّص كفرا، اللهم غفرا!

و طلب منه بعض الأردال، أن يكتب له شفاعه عند أحد العمّال، فكتب له رساله فيها هذه الأبيات: [السريع]

كتبته مولاي فى طالع ما طار فيه طائر اليمن

و فكره حائله و الحشا ينهب بالهمّ و بالحزن

كلّفنيه ساقط أخرج مشتهر بالطحن و القرن

أكذب خلق الله أراهم أخوفهم فى الخوف و الأمن

يكفر ما يسدى إليه و لا يعذر خلقا سىء الظنّ

فإن صنعت الخير ألفيته شرا و أضحى المجد ذا غبن

و انتقد الناس عليك الذى تسدى له فى أىّ ما فنّ

فافعل به ما هو أهل له و اسمعه تفسيراً و لا أكنى

أهنه و اصفعه و لا تترك ال بواب يكرمه لدى الإذن

و اقطع بفيه القول و احرمه من ردّ جواب أنسه يدنى

و كلّما استنبط رأيا فس فّهه و دعه مسخن الجفن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٩٠

فهو إذا أكرّمته فاسد و صالح بالهون و اللّعن

شفاعتى فى مثله هذه فلا سقاها هاطل المزن

و دفع إليه الكتاب مختوما، فسّر به، و حمّله إلى العامل، و سافر إليه أياما، فلمّا دفعه إليه قرأه و ضحك، و دفعه إلى من يشاركه فى ذلك من أصحابه، فوعده بخير و أخرجه إلى شغل لم يرضه، فلمّا عاد منه قال له: أخرجتنى لأردل شغل و أخسّه فما فائدة الشفاعه إذن؟ فقال له:

أو تريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعه صاحبك؟ قال: لا أقلّ من ذلك، فأمر من يأتيه بالأبيات، فقرئت عليه، فانصرف فى أسوأ حال، فلما دخل عليه غرناطه- و كان عبد المولى تزوّج فيها امرأه اغتبط بها- فتزّيا هذا الرجل بزى أهل البادية، و زور كتابا على لسان زوجته لعبد المولى فى بلدة أخرى، و قال فى الكتاب: و قد بلغنى أنك تزوّجت غيرى، و أردت أن أكتب إليك فى أن تطلقنى، فوصلنى كتابك تعرفنى فيه أن الزوجه الجديدة لم توافق اختيارك، و أنك ناظر فى طلاقها، فردّنى ذلك عمّا عزمته عليه، فانظر فى تعجيل ما وعدت به من طلاقها، فإنك إن لم تفعل لم أبق معك أبدا، فلمّا مرّ بدار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها: أنا رجل بدوى أتيت من عند فلانة زوجه أبى محمد عبد المولى، فعندما سمعت ذلك أعلمت ستها، و أخذت الكتاب، فوقف على ما فيه غير شاكّه فى صحّته، فلمّا دخل عبد المولى وجدها على خلاف ما فارقتها عليه، فسألها عن حالها، فقالت: أريد الطلاق، فقال: ما سبب هذا

و أنا أرغب الناس فيك؟ فألقت إليه الكتاب، فلما وقف عليه حلف لها أن هذا ليس بصحيح، و أن عدواً له اختلقه عليه، فلم يفد ذلك عندها شيئاً، و لم يطب له بعد ذلك معها عيش، فطلقها، و علم أن ذلك الرجل هو الذى فعل ذلك، فقال له: لا جزاك الله خيراً، و لا أصلح لك حالاً! فقال: و أنت كذلك، فهذه بتلك، و البادى أظلم، فما كان ذنبى عندك حين كتبت فى حقى ما كتبت؟ فقال له:

مثلك لا يقول «ما ذنبى» أنت كلك ذنوب: [الوافر]

أ لست بالأم الثقلين طرا و أثقلهم و أفحشهم لسانا؟

فمهما تبغ برا عند شخص تزد منه بما تبغى هوانا

فانصرف عنه عالى اللسان بلعنته.

و كان أحد بنى عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابا بموضع منفرد، فخطر له يوما جلد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٩١

عميرة، و اتفق أن مرّ السيد يوما بذلك الموضع، فنظر إليه فى تلك الحال، فقال له السيد: ما تصنع؟ فقال: الدواة جفت، و لم أجد ما

أسقيها به إلا ماء ظهري، فضحك السيد، و أمر له بجارية، فقال: [المجتث]

قل للعميرة طلق ت بعد طول زواج

قد كان مائى ضياعا يمرّ فى غير حاج

حتى حبانى بحسناء قابل للنتاج

فكان ناقل خمر من حنتم لزجاج

كانت تمرّ ضياعا فأصبحت كالسراج

[من شعر حاتم بن سعيد و مالك بن محمد بن سعيد]

و قال حاتم بن سعيد: [الخفيف]

جَبُونى عن المدامة إلا عند وقت الصباح أو فى الأصيل

و اشفعوها بكلّ وجه مليح و دعونى من كلّ قال و قيل

و إذا ما أردتم طيب عيشى فاحجبونى عن كلّ وجه ثقيل

و قال مالك بن محمد بن سعيد: [الوافر]

أتانى زائرا فبسطت خدى له و يقلّ بسط الخدّ عندى

فقلت له أيا مولاي ألفا فقال و أنت ألفا عبد عبدى

و عانقنى و قبلى و نادى بلطف منه كيف رأيت و عدى

و قال فى استهداء مقص: [الطويل]

ألا قل نعم فى مطلب قد حكاها لا يفصل إذ نبغى الوصال موصلا

نشقّ به صدر النهار و قد بدا ظلّاما بأمثال النجوم مكلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٩٢

و قال: [البسيط]

سارت كبدر و ليل الخدر يسترها و لو بدا وجهها جاءتك بالفلق

و دونها من صليل اللامعات حَمَى فالبرق و الرعد دون الشمس فى الأفق

[بين محمد بن غالب و الكتندى و أبى جعفر بن سعيد]

و اجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافى الشاعر المشهور و محمد بن عبد الرحمن الكتندى الشاعر و غيرهما من الفضلاء و الرؤساء، فأخذوا يوما فى أن يخرجوا لنجد أو لحوز مؤمل، و هما منترهان من أشرف و أطرف منترهات غرناطة، ليتفرجوا و يصقلوا الخواطر بالتطلع فى ظاهر البلد، و كان الرصافى قد أظهر الزهد و ترك الخلاعة، فقالوا: ما لنا غنى عن أبى جعفر ابن سعيد، اكتبوا له، فصنعوا هذا الشعر و كتبوه له، و جعلوا تحته أسماءهم: [الطويل]

بعثنا إلى ربّ السماحة و المجد و من ما له فى ملة الظرف من نَدّ
ليسعدنا عند الصبيحة فى غد لنسعى إلى الحور المؤمل أو نجد
نسرّح منّا أنفسنا من شجونها ثوت فى شجون هنّ شرّ من اللحد
و نظفر من بخل الزمان بساعة ألدّ من العليا و أشهى من الحمد
على جدول ما بين ألفاف دوحه تهزّ الصبا فيها لواء من الرّند
و من كان ذا شرب يخلى بشأنه و من كان ذا زهد تركناه للزهد
و ما ظرفه يأبى الحديث على الطلى و لا أن يدل الهزل حيناً من الجدّ
تهزّ معانى الشعر أغضان ظرفه و يمرح فى ثوب الصباة و الوجد
و ما نغص العيش المهتأ غير أن يمازجه تكليف ما ليس بالود
نظمنا من الخلان عقد فرائد و لَمّا نجد إلّاك واسطة العقد
فماذا تراه لا عدمناك ساعة فنحن بما تديبه فى جنّة الخلد
و رشدك مطلوب و أمرك نحوه ار تقاب و كلّ منك يهدى إلى الرشد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٩٣

فكان جوابه لهم: [الطويل]

هو القول منظوما أو الدرّ فى العقد هو الزهر نفاح الصبا أم شذا الودّ
أتانى و فكرى فى عقال من الأسى فحلّ بنفث السحر ما حلّ من عقد
و من قبل علمى أين مبعث وجهه علمت جناب الورد من نفس الورد
و أيقنت أنّ الدهر ليس براجع لتقديم عصر أو وقوف على حدّ
فكلّ أوان فيه أعلام فضله ترادف موج البحر ردا إلى ردّ
فكم طيها من فائت متردّم يهزّ بما قد ضمّرت معطف الصلّد
فيا من بهم تزهى المعالى و من لهم قياد المعالى ما سوى قصدكم قصدى
فسمعا و طوعا للذى قد أشرتم به لا أرى عنه مدى الدهر من بدّ
فقوموا على اسم الله نحو حديقه مقلّدة الأجياد موشية البرد
بها قبة تدعى الكمامة فاطلعوا بها زهرا أذكى نسيما من النّدّ
و عندى ما يحتاج كلّ مؤمل من الراح و المعشوق و الكتب و النرد

فكلّ إلى ما شاءه لست ثانيا عنانا له إنّ المساعد ذو الودّ
 و لست خلّيا من تأنس قينه إذا ما شدت ضلّ الخليّ عن الرشد
 لها ولد في حجرها لا تزيله أو ان غناء ثم ترميه بالبعد
 فيا ليتنى قد كنت منها مكانه تقلّبنى ما بين خضر إلى نهد
 ضمنت لمن قد قال إني زاهد إذا حلّ عندى أن يحول عن الزهد
 فإن كان يرجو جنّة الخلد آجلا فعندى له في عاجل جنّة الخلد
 فركبوا إلى جنّته، فمرّ لهم أحسن يوم على ما اشتهو، و ما زالوا بالرصافي إلى أن شرب لّمّا غلب عليه الطرب، فقال الكتندى: [الطويل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٩٤
 غلبناك عمّا رمته يا ابن غالب براح و ريحان و شدو و كاعب

[من شعر أبي جعفر بن سعيد]

فقال أبو جعفر: [الطويل]
 بدا زهده مثل الخضاب فلم يزل به ناصلا حتى بدا زور كاذب
 فلما غربت الشمس قالوا: ما رأينا أقصر من هذا اليوم، و ما ينبغي أن يترك بغير وصف، فقال أبو جعفر: أنا له، ثم قال بعد فكرة، و هو
 من عجائبه التي تقدم بها المتقدّمين و أعجز المتأخّرين: [مجزوء الكامل]
 الله يوم مسرّة أضوا و أقصر من ذباله
 لّمّا نصبنا للمنى فيه بأوتار حباله
 طار النهار به كمر تاع فأجفلت الغزاله
 فكأننا من بعده بعنا الهداية بالضلاله
 و النهار: ذكر الجبارى، و إليه أشار بقوله «طار النهار» و الغزاة: الشمس، و لا يخفى حسن التوريتين، فسلم له الجميع، تسليم السامع
 المطيع.

و على ذكر الغزاة في هذا الموضع فلأبى جعفر أيضا فيها، و هو من بدائع، قوله:

[الطويل]

بدا ذنب السرحان ينيى أنه تقدّم سبت و الغزاة خلفه
 و لم تر عيني مثله من متابع لمن لا يزال الدهر يطلب حتفه
 و قوله: [الخفيف]

اسقنى مثل ما أثار لعيني شفق ألبس الصباح جماله
 قبل أن تبصر الغزاة تستد رج منه على السماء غلاله
 و تأمل لعسجد سال نهرا كرعته فيه، أو تقضى، غزاله
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٩٥

و من نظم أبى جعفر قوله: [الكامل]

لو لم يكن شدو الحمام فاضلا شدو القيان لما استخفّ الأغصنا

طرب ثنى حتى الجماد ترنحا و أفاض من دمع السحائب أعينا
و قوله: [الكامل]

فى الروض منك مشابه من أجلها يهفو له طرفى و قلبى المغرم
الغصن قدّ، و الأزاهر حليه، و الورد خدّ، و الأقاحى مبسم
و قوله: [الطويل]

ألا حبذا نهر إذا ما لخطته أبى أن يرّد اللحظ عن حسنه الأنس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به يفصّضه بدر و تذهبه شمس
و قوله، و قد مرّ بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن و قد رحل عنه: [البسيط]
قصر الخليفة لا أخليت من كرم و إن خلوت من الأعداد و العدد
جزنا عليك فلم تنقص مهابته و الغيل يخلو و تبقى هيبه الأسد
و قوله من أبيات: [الكامل]

سرح لحاظك حيث شئت فإنه فى كلّ موقع لحظة متأمل
و قوله أيضا: [الخفيف]

و لقد قلت للذى قال حلّوا ههنا: سر فإننا ما سئنا
لا تعين لنا مكانا و لكن حيثما مالت اللواظ ملنا
و قال: [الطويل]

ألا هاتها إن المسرة قربها و ما الحزن إلّا فى توالى جفائها
مدام بكى الإبريق عند فراقها فأضحك ثغر الكاس عند لقاءها
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٩٦
و قال: [السريع]

عرج على الحور و خيم به حيث الأمانى ضايات الجناح
و اسبق له قبل ارتحال الندى و لا تزره دون شاد وراح
و كن مقيما منه حيث الصبا تمتاز مسكا من أريج البطاح
و القضب مال البعض منها على بعض كما يثنى القدود ارتياح
و شقّ جيب الصبر قصف إذا شقّت جيوب الطلّ منها الرياح
لم أحص كم غاديته ثابتا و استرقصتنى الراح عند الرواح
و قوله: [الطويل]

ألا حبذا روض بكرنا له ضحى و فى جنبات الروض للطلّ أدمع
و قد جعلت بين الغصون نسيمة تمرّق ثوب الطلّ منها و ترقع
و نحن إذا ما ظلّت القضب ركعا نظلّ لها من هزة السكر نركع

و كان ابن الصابوني في مجلس أحد الفضلاء بإشبيلية، فقدم فيما قدم خيار، فجعل أحد الأدباء يقشرها بسكين، فخطف ابن الصابوني السكين من يده، فألح عليه في استرجاعها، فقال له ابن الصابوني: كَفَّ عَنِّي و إلاً جرحتك بها، فقال له صاحب المنزل: اكفف عنه لئلا يجرحك و يكون جرحك جباراً، تعريضا بقول النبي صلى الله عليه و سلم «جرح العجماء جبار» فاغتاظ ابن الصابوني، و خرج من الاعتدال، و أخطأ بلسانه، و ما كفَّ إلا بعد الرغبة و التضرع.

و من نظم ابن الصابوني: [الطويل]

بعثت بمرآة إليك بديعه فأطلع بسامى أفقها قمر السعد
لننظر فيها حسن وجهك منصفا و تعذرني فيما أكرت من الوجد
فأرسل بذاك الخد لحظك برهه لتجني منه ما جناه من الورد
مثالك فيها منك أقرب ملمسا و أكثر إحسانا و أبقى على العهد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٢٩٦

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٩٧

و قوله في لابس أحمر: [المنسرح]

أقبل في حلّه موردة كالبدر في حلّه من الشفق
تحسبه كلما أراق دمي يمسح في ثوبه ظبا الحدق
و رحل إلى القاهرة و الإسكندرية فلم يلتفت إليه، و لا عول عليه، و كان شديد الانحراف، فانقلب على عقبه يعضّ يديه، على ما جرى عليه، فمات عند إيابه إلى الإسكندرية كمدا، و لم يعرف له بالديار المصرية مقدار.

و حضر يوما بين يدي المعتضد الباجي ملك إشبيلية و قد نثرت أمامه جملة من دنائير سكت باسمه، فأنشد: [السريع]

قد فخر الدينار و الدرهم لئما علا ذين لكم ميسم
كلاهما يفصح عن مجدكم و كل جزء منه فرد فم
و مرّ فيها إلى أن قال في وصف الدنانير: [السريع]
كأنها الأنجم و البعد قد حقق عندي أنها الأرجم
فأشار السلطان إلى وزيره، فأعطاه منها جملة، و قال له: بدّل هذا البيت لئلا يبقى ذما.

و كان يلقب بالحمار، و لذا قال فيه ابن عتبة الطيب: [السريع]

يا غير حمص عيرتك الحمير بأكلك البرّ مكان الشعير

و هو أبو بكر محمد بن الفقيه أبي العباس أحمد بن الصابوني شاعر إشبيلية الشهير الذكر، و الذي أظهره مأمون بنى عبد المؤمن، و له فيه قصائد عدّة، منها قوله في مطلع:

[الكامل]

استول سباقا على غاياتها نجح الأمور بين في بدآتها

و له الموشحات المشهورة، رحمه الله تعالى!

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٩٨

[بين ابن الخصال و القاضي ابن مالك]

و من حكايات الصبيان أن ابن أبي الخصال، و هو من شقورة، اجتاز بأبدء و هو صبى صغير يطلب الأدب، فأضافه بها القاضى ابن مالك، ثم خرج معه إلى حديقة معروشة، فقطف لهما منها عنقودا أسود، فقال القاضى: [مجزوء الرجز] انظر إليه فى العصا فقال ابن أبي الخصال:
كرأس زنجى عصى فعلم أنه سيكون له شأن فى البيان.

[بين أبى بكر بن المنخل و ابنه]

و حدّث أبو عبد الله بن زرقون أن أبى بكر ابن المنخل و أبى بكر الملاح الشّليبين كانا متواخين متصافيين، و كان لهما ابنان صغيران قد برعا فى الطلب، و حازا قصب السبق فى حلبة الأدب، فتهاجى الابنان بأقذع الهجاء، فركب ابن المنخل فى سحر من الأسحار مع ابنه عبد الله، فجعل يعتبه على هجاء بنى الملاح و يقول له: قد قطعت ما بينى و بين صديقى و صفيى أبى بكر فى إقذاعك فى ابنه، فقال له ابنه: إنه بدأنى و البادى أظلم، و إنما يجب أن يلحى من بالشرّ تقدم، فعذره أبوه، فبينما هما على ذلك إذ أقبل على واد تنقّ فيه الضفادع، فقال أبو جعفر لابنه: أجز: [الهزج]

تنقّ ضفادع الوادى

فقال ابنه:

بصوت غير معتاد

فقال الشيخ:

كأنّ نقيق مقولها

فقال ابنه:

بنو الملاح فى النادى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٢٩٩

فلما أحسّت الضفادع بهما صمتت، فقال أبو بكر:

و تصمت مثل صمتهم

فقال ابنه:

إذا اجتمعوا على زاد

فقال الشيخ:

فلا غوث لملهوف

فقال الابن:

و لا غيث لمرتاد

و لا خفاء أنّ هذه الإجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة، فكيف ممّن هو فى سنّ الصّبا؟

[من شعر ابن المرغوى]

و من حكايات النصارى و اليهود من أهل الأندلس - أعادها الله تعالى إلى الإسلام عن قريب، إنه سميع مجيب - ما حكى أن ابن

المرعزى النصرانى الإشبلى أهدى كلبه صيد للمعتمد بن عبّاد و فيها يقول: [مخلع البسيط]
 لم أر ملهى لذى اقتناص و مكسبا مقنع الحريص
 كمثل خطلاء ذات جيد أتلع فى صفره القميص
 كالفوس فى شكلها و لكن تنفذ كالسهم للقنيص
 إن تخذت أنفها دليلا دلّ على الكامن العويص
 لو أنها تستثير برقا لم يجد البرق من محيص
 و منها فى المديح:

يشفع تنويله بوّد شفع القياسات بالنصوص
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٠٠
 و قال: [الكامل]

الله أكبر أنت بدر طالع و التّع دجن و الكماء نجوم
 و الجود أفلاك و أنت مديرها و عدوك الغاوى و هنّ رجوم
 و قال: [البسيط]

نزلت فى آل مكحول و ضيفهم كنازل بين سمع الأرض و البصر
 لا تستضىء بضوء فى بيوتهم ما لم يكن لك تطفيل على القمر
 و سببهما أنه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا.

[من شعر نسيم الإسرائيلى و إبراهيم بن سهل الإسرائيلى و ترجمته]

و قال نسيم الإسرائيلى: [المجتث]
 يا ليتنى كنت طيرا أطير حتى أراكا
 بمن تبدلت غيرا و لم نحل عن هواكا
 و هو شاعر وشّاح من أهل إشبيلية، و ذكره الحجارى فى المسهب.
 و قال إبراهيم بن سهل الإسرائيلى فى أصفر ارتجالا: [السريع]
 كان محياك له بهجة حتى إذا جاءك ماحى الجمال
 أصبحت كالشمعة لما خبا منها الضياء اسودّ فيها الدّبال
 و هو شاعر إشبيلية و وشّاحها، و قرأ على أبى على الشلوين و ابن الدباج و غيرهما.
 و قال العز فى حقّه، و كان أظهر الإسلام ما صورته: كان يتظاهر بالإسلام، و لا يخلو مع ذلك من قدح و اتّهام، انتهى.
 و سئل بعض المغاربة عن السبب فى رقة نظم ابن سهل، فقال: لأنه اجتمع فيه ذلكان:
 ذلّ العشق، و ذلّ اليهودية.

و لما غرق قال فيه بعض الأكابر: عاد الدّر إلى وطنه.

و من نظم ابن سهل المذكور قوله: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٠١

و ألقى بقلبي منه جمر مؤجج تراه على خدي يندى و يبرد
يسألني: من أي دين؟ مداعبا و شمل اعتقادي في هواه مبدد
فؤادي حنيفي، و لكنّ مقلتي مجوسية من خده النار تعبد
و منه قوله: [الكامل]

هذا أبو بكر يقود بوجهه جيش الفتور مطرز الرايات
أهدى ربيع عذاره لقلوبنا حرّ المصيف فشبها لفحات
خدّ جرى ماء النعيم بجمره فاسودّ مجرى الماء في الجمرات

و ذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري في رحلته الكبيرة القدر و الجرم المسماة ب «ملء العيبة، فيما جمع بطول
الغيبة، في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة و طيبة» خلافا في إسلام ابن سهل باطنا، و كتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة
سيدي أبو عبد الله بن مرزوق ما نصّه: صحّح لنا من أدركناه من أشياخنا أنه مات على دين الإسلام، انتهى.

و رأيت في بعض كتب الأدب بالمغرب أنه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس أنس، فسألوه لما أخذت منه الراح عن إسلامه: هل
هو في الظاهر و الباطن أم لا؟ فأجابهم بقوله:
للناس ما ظهر، و لله ما استتر، انتهى.

و استدلل بعضهم على صحّة إسلامه بقوله: [الطويل]

تسلّيت عن موسى بحبّ محمد هديت و لو لا الله ما كنت أهتدي
و ما عن قلى قد كان ذاك، و إنما شريعة موسى عطّلت بمحمد
و له ديوان كبير مشهور بالمغرب، حاز به قصب السبق في النظم و التوشيح.

و ما أحسن قوله من قصيدة: [الطويل]

تأمل لظى شوقي و موسى يشبها (تجد خير نار عندها خير موقد)

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٠٢

و أنشد بعضهم له قوله: [الطويل]

لقد كنت أرجو أن تكون مواصلي فأسقيتني بالبعد فاتحة الرعد
فبالله برّد ما بقلبي من الجوى بفاتحة الأعراف من ريقك الشهد

و قال الراعي رحمه الله تعالى: سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن سمعة الأندلسي، رحمه الله تعالى، يقول: شيان لا يصحّان: إسلام
إبراهيم بن سهل، و توبة الزمخشري من الاعتزال، ثم قال الراعي: قلت: و هما من مروياتي، أما إسلام إبراهيم بن سهل فيغلب على ظني
صحّته لعلمي بروايته، و أما الثاني - و هو توبة الزمخشري - فقد ذكر بعضهم أنه رأى رسما بالبلاد المشرقية محكوما فيه يتضمّن توبة
الزمخشري من الاعتزال فقوى جانب الرواية، انتهى باختصار.

و قال الراعي أيضا ما نصّه: و قد نكت الأديب البارع إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الأندلسي على الشيخ أبي القاسم في تغزله حيث قال:
[الطويل]

موسى، أيا بعضي و كلّى حقيقة و ليس مجازا قولي الكلّ و البعض

خفضت مكاني إذ جزمت وسائلتي فكيف جمعت الجزم عندي و الخفضا

و في هذا دليل على أن يهود الأندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية، فإن إبراهيم قال هذين البيتين قبل إسلامه، و الله تعالى أعلم.

و قد روينا أنه مات مسلما غريقا في البحر، فإن كان حقا فالله تعالى رزقه الإسلام في آخر عمره و الشهادة، انتهى.

[من توجيهات ابن سهل باصطلاحات النحاة]

و من نظم ابن سهل فى التوجيه باصطلاح النحاة قوله:

رقت عوامله و أحسب رتبتي بنيت على خفض فلن تتغيرا

و منه:

تنأى و تدنو و التفاتك واحد كالفعل يعمل ظاهرا و مقدرا

و قوله: [الطويل]

إذا كان نصر الله وقفا عليكم فإن العدا التنوين يحذفه الوقف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٠٣

و قوله: [الخفيف]

و قرأنا باب المضاف عناقا و حذفنا الرقيب كالتنوين

و قوله: [الطويل]

بنيت بناء الحرف خامر طبعه فصرت لتأثير العوامل جازما

و قوله: [البسيط]

لك الثناء فإن يذكر سواك به يوما فكألرابع المعهود فى البدل

يعنى الغلط، و قوله: [الطويل]

إذ اليأس ناجى النفس منك بلن و لا أجابت ظنوني ربما و عسانى

و قوله: [الطويل]

و قلت عساه إن أقت يرق لى و قد نسخت «لا» عنده ما اقتضت «عسى»

و قوله: [السريع]

ينفى لى الحال و لكنه يدخل لا فى كل مستقبل

و قوله: [الطويل]

خفضت مقامى إذ جزمت وسائلى فكيف جمعت الجزم عندى و الخفضا

و قوله فى غلام شاعر: [السريع]

كيف خلاص القلب من شاعر رقت معانيه عن التقد

يصغر نثر الدر عن نثره و نظمه جل عن العقد

و شعره الطائل فى حسنه طال على النابعة الجعدى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٠٤

و حدث أبو حيان عن قاضى القضاة أبى بكر محمد بن أبى النصر الفتح بن على الأنصارى الإشبلى بغرناطة أن إبراهيم بن سهل

الشاعر الإشبلى كان يهوديا ثم أسلم، و مدح رسول الله، صلى الله عليه و سلم، بقصيدة طويلة بارعة؛ قال أبو حيان: وقفت عليها، و

هى من أبدع ما نظم فى معناها، و كان سن ابن سهل حين غرق نحو الأربعين سنة، و ذلك سنة تسع و أربعين و ستمائة، و قيل: إنه

جاوز الأربعين، و كان يقرأ مع المسلمين و يخالطهم، و ما أحسن قوله: [الطويل]

مضى الوصل إلّا منيةً تبعث الأسى أدارى بها همى إذا الليل عسعسا
أتانى حديث الوصل زورا على النوى أعد ذلك الزور اللذيذ المؤمنسا
و يا أيها الشوق الذى جاء زائرا أصبت الأمانى خذ قلوبا و أنفسا
كسانى موسى من سقام جفونه رداء و سقانى من الحبّ أكوسا
و من أشهر موشحاته قوله:

ليل الهوى يقظان و الحبّ ترب السهر
و الصبر لى خوآن و النوم عن عينى برى
و قد عارضه غير واحد فما شقّوا له غبارا.

[إبراهيم بن الفخار اليهودى]

و أما إبراهيم بن الفخار اليهودى فكان قد تمكّن عند الأذفونش ملك طليطلة النصرانى، و صيره سفيرا بينه و بين ملوك المغرب، و كان عارفا بالمنطق و الشعر؛ قال ابن سعيد: أنشدنى لنفسه أديبا مسلما كان يعرفه قبل أن تعلق رتبته و يسفر بين الملوك، و لم يزد على ما كان يعامله به من الإذلال، فضاق ذرع ابن الفخار و كتب إليه: [الطويل]

أيا جاعلا أمرين شبهين ما له من العقل إحساس به يتفقّد
جعلت الغنى و الفقر و الذلّ و العلا سواء فما تنفكّ تشقى و تجهد
و هل يستوى فى الأرض نجد و تلعة فتطلب تسهيلا و سيرك مصعد
و ما كنت ذا ميز لمن كنت طالبا بما كنت فى حال الفراغ تعود
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٠٥
و قد حال ما بينى و بينك شاغل فلا تطلبنى بالذى كنت تعهد
فإن كنت تأبى غير إقدام جاهل فإنك لا تنفكّ تلحى و تطرد
الأفأت فى أبوابه كلّ مسلك و لا تك محلا حيثما قمت تقعد

قال ابن سعيد: و أنشدنى لنفسه: [الطويل]

و لّما دجا ليل العذار بخده تيقنت أن الليل أخفى و أستر
و أصبح عدّالى يقولون صاحب فأخلو به جهرا و لا أستر

و قال يمدح الأذفونش لعنهما الله تعالى: [المديد]

حضرة الأذفونش لا برحت عادة أيامها عرس

فاخلع التلعين تكرمه فى تراها إنها قدس

قال: و أدخلونى إلى بستان الخليفة المستنصر، فوجدته فى غاية الحسن كأنه الجنة، و رأيت على بابه بوابا فى غاية القبح، فلما سألتنى الوزير عن حال فرجتى قلت: رأيت الجنة إلّا أنى سمعت أن الجنة يكون على بابها رضوان، و هذه على بابها مالك، فضحك و أخبر الخليفة بما جرى، فقال له: قل له إنّا قصدنا ذلك، فلو كان رضوان عليها بوابا لخشنا أن يرده عنها، و يقول له: ليس هذا موضعك، و لّما كان هناك مالك أدخله فيها، و هو لا يدرى ما وراءه، و يخيل أنها جهنم، قال: فلما أعلمنى الوزير بذلك قلت له: اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٤].

[بين الياس بن المدور اليهودى و طيب آخر]

و كان فى زمان إياس بن المدور اليهودى الطيب الرندى طيب آخر كان يجرى بينهما من المحاسدة ما يجرى بين مشتركين فى صنعة، فأصلح الناس بينهما مرارا، و ظهر لإياس من ذلك الرجل الطيب ما ينفر الناس منه فكتب إليه: [الكامل]
لا تخدعنّ فما تكون مودة ما بين مشتركين أمرا واحدا
انظر إلى القمرين حين تشاركا بسناهما كان التلاقى واحدا
يعنى أنهما معا لما اشتركا فى الضياء وجب التحاسد بينهما و التفرقة: هذا يطلع ليلا و هذه تطلع نهارا، و اعتراضهما يوجب الكسوف.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٠٦

و كتب أيوب بن سليمان المروانى إلى بسام بن شمعون اليهودى الوشقى فى يوم مطير: لَمّا كنت -وصل الله تعالى إخوانك و حفظك!- مطمح نفسى، و منتزع اختيارى من أبناء جنسى، على جوانبك أميل، و أرتع فى رياض خلقك الجميل، هزّنتى خواطر الطرب و الارتياح، فى هذا اليوم المطير، الداعى بكأوه إلى ابتسام الأقداح، و استنطاق البمّ و الزير، فلم أر معينا على ذلك، و مبلغا إلى ما هنالك، إلّا حسن نظرك، و تجشّمك من المكارم ما جرت به عادتك، و هذا يوم حرم الطرف فيه الحركة، و جعل فى تركها الخير و البركة، فهل توصل مكرمتك أخاك إلى التخلّى معك فى زاوية؟. متّكنا على دنّ مستندا إلى خايبة، و نحن خلال ذلك نتجاذب أهداب الحديث التى لم يبق من اللذات إلّا هى، و نجيل الألحاح فيما تعوّدت عندك من المحاسن و الأسماع فى أصناف الملاهى، و أنت على ذلك قدير، و كرمك بتكلفه جدير: [السريع]

و لا يعين المرء يوما على راحته إلّا كريم الطباع
وها أنا و السمع منى إلى ال باب و ذو الشوق حليف استماع
فإن أتى داع بنيل المنى و دّع أشجاني و نعم الوداع
و هذا المروانى من ذريّة عبد العزيز أخى عبد الملك بن مروان، و هو من أهل المائة السادسة.

[قسمونة بنت إسماعيل الشاعرة]

و كانت الأندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودى، و كان أبوها شاعرا، و اعتنى بتأديبها، و ربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هى بقسم آخر، و قال لها أبوها يوما: أجزى: [الكامل]

لى صاحب ذو بهجة قد قابلت نعمى بظلم و استحلت جرمها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٠٧

ففكرت غير كثير و قالت: [الكامل]

كالشمس منها البدر يقبس نوره أبدا و يكسف بعد ذلك جرمها
فقام كالمختبل، و ضمّها إليه، و جعل يقبل رأسها، و يقول: أنت و العشر كلمات أشعر منى.

و نظرت فى المرأة فرأت جمالها و قد بلغت أوان التزوج و لم تتزوج فقالت: [الطويل]

أرى روضة قد حان منها قطافها و لست أرى جان يمدّ لها يدا
فوا أسفا يمضى الشباب مضيعا و يبقى الذى ما إن أسميه مفردا

فسمعها أبوها، فنظر في تزويجها.
و قالت في ظبية عندها: [الكامل]
يا ظبية ترعى بروض دائما إني حكيته في التوحش و الحور
أمسى كلانا مفردا عن صاحب فلنصطر أبدا على حكم القدر

[من شعر أبي عبد الله بن رشيقي القلعي و حديث عن ابن رشيقي القلعي]

و استدعى أبو عبد الله محمد بن رشيقي القلعي ثم الغرناطي بعض أصحابه إلى أنس، بقوله: [مجزوء الرمل]
سیدی عندی أترج ج و نارنج وراح
و جنى آس و زهر و حمانا لا يباح
ليس إلّا مطرب يس لى التدامى، و الملاح
و مكان لانتهاك قد نأى عنه الفلاح
لا يرى يطلع فيه دون أكواس صباح
فيه فتیان لهم فى لذّة العيش جماح
طرحوا الدنيا يسارا فاستراحت و استراحوا
لا كقوم أوجعتهم لهم فيها بناح
و له: [المجتث]

قال العذول: إلى كم تدعو لمن لا يجيب
فقلت: ليس عجيبا أن لا يجيب حبيب
هوّن عليك فإنى من حبه لا أتوب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٠٨

قال أبو عمران بن سعيد: دخلت عليه و هو مسجون بدار الأشراف بإشبيلية، و قد بقى عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد
أفسدها فى لذات نفسه، فلما لمحنى أقبل يضحك و يشتغل بالنادر و الحكايات الظريفة، فقلت له: قالوا: إنك أفسدت للسلطان اثنى
عشر ألف دينار، و ما أحسبك إلّا زدت على هذا العدد لما أراك فيه من المسرّة و الاستبشار، فزاد ضحكا، و قال: يا أبا عمران، أ
ترانى إذا لزمتم الهمّ و الفكر يرجع على ذلك العدد الذى أفسدت؟ ثم فكر ساعة و أنشدنى: [الخفيف]

ليس عندى من الهموم حديث كلما ساءنى الزمان سررت
أ ترانى أكون للدهر عوناً فإذا مسنى بضرّ ضجرت
غمرة ثم تنجلي فكأنى عند إقلاع همها ما ضررت

[من شعر أبي عيسى لب بن عبد الوارث القلعي]

و قال النحوى اللغوى أبو عيسى لب بن عبد الوارث القلعي: [الطويل]
بدا ألف التعريف فى طرس خده فى هل تراه بعد ذاك ينكر

و قد كان كافورا فهل أنا تارك له عند ما حياه مسك و عنبر
و ما خير روض لا يرفّ نباته و هل أفتن الأثواب إلّا المشهّر
و قال: [الوافر]

أبى لى أن أقول الشعر أنى أحاول أن يفوق السحر شعرى
و أن يصغى إليه كلّ سمع و يعلق ذكره فى كلّ صدر

قال الحجارى: أخبرنى أنه أحبّ أحد أولاد الأعيان ممّن كان يقرأ عليه، فلمّا خلا به شكّا إليه ما يجده، فقال له: الصبيان يفطنون بنا،
فإذا أردت أن تقول شيئاً فكتبه لى فى ورقة، قال: فلمّا سمعت ذلك منه تمكّن الطمع منى فيه، و كتبت له: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٠٩

يا من له حسن يفوق به الورى صل هائما قد ظلّ فيك محيّرا
و امنن علىّ بقبله أو غيرها إن كنت تطمع فى الهوى أن تؤجرا

و كتبت بعدها من الكلام ما رأيته، فلمّا حصلت الورقة عنده كتب إليّ فى غيرها: أنا من بيت عادة أهله أن يكونوا اسم فاعل لا اسم
مفعول، و إنما أردت أن يحصل عندى خطك شاهدا على ما قابلتنى به لئلا أشكوك إلى أبى فيقول لى: حاش لله أن يقع الفقيه فى
هذا، و إنما أنت خبيث، رأيته يطالبك بالتزام الحفظ فاختلقت عليك لأخرجك من عنده، فأبقى معدّبا معك و معه، و إن أنا أوقفته
على خطّك صدّقنى و استرحت، و لكن لا أفعل هذا إن كفت عنى، و إن انتهيت فلا أخبر به أحدا، قال ابن عبد الوارث: فلمّا وقفت
على خطّه علمت قدر ما وقعت فيه، و جعلت أرغب إليه فى أن يرّد الرقعة إليّ، فأبى و قال: هى عندى رهن على وفائك بأن لا ترجع
تتكلم فى ذلك الشأن، قال: فكان و الله يبطل القراءة فلا أجسر أكلمه: لأننى رأيت صياتتى و ناموسى قد حصل فى يده، و تبت من
ذلك الحين عن هذا و أمثاله.

[من شعر جابر بن خلف الفحصى]

و قال جابر بن خلف الفحصى- و كان فى خدمة عبد الملك بن سعيد، و قرأ مع أبى جعفر بن سعيد و تهذّب معه- يخاطبه حين
عائت الذئب فى غنمه: [المتقارب]

أيا قائدا قد سما فى العلا و ساد علينا بذات وجد

غدا الذئب فى غنمى عائنا و قد جئت مستعديا بالأسد

و كثر عليه الدين، فكتب إليه أيضا: [مجزوء الوافر]

أفى أيامك الغرّ أموت كذا من الضّرّ

و أخبط فى دجى همى و وجهك طلعة الفجر

فضحكك و أدّى دينه.

[من شعر أبى يحيى بن الرميمى]

و لمّا خلع أهل المريّة طاعة عبد المؤمن، و قتلوا نائبه ابن مخلوف، قدّموا عليهم أبا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣١٠

يحيى بن الرميمي، ثم كان عليه من النصارى ما علم، ففرّ إلى مدينة فاس، وبقى بها ضائعا خاملا، يسكن في غرفة، و يعيش من النسخ، فقال: [السريع]

أمسيت بعد الملك في غرفة ضيقة الساحة والمدخل

تستوحش الأرزاق من وجهها فما تزال الدهر في معزل

النسخ بالقوت لديها ولا تفرعها كفّ أخ مفضل

و أنشدها لبعض الأدباء، فبينما هو ليلئ ينسخ بضوء السراج وإذا بالباب يقرع، ففتحه، فإذا شخص متنكر لا يعرفه، وقد مدّ يده إليه بصرة فيها جملة دنانير، وقال: خذها من كفّ أخ لا يعرفك ولا تعرفه، وأنت المفضل بقبولها، فأخذها، و حسن بها حاله.

وقال له بعض: هذا شعرك أيام خلعتك، فهل قلت أيام أمرك؟ قال: نعم، لما قتل أهل المريء ابن مخلوف عامل عبد المؤمن و أكرهوني أن أتولّى أمرهم قلت: [الوافر]

أرى فتنا تكشّف عن لظاها رماد بالتفّاق له انصداع

و آل بها النظام إلى انتشار و ساد بها الأسافل و الرعاع

سأحمل كل ما جشمت منها بصدر فيه للهلول اتّساع

و أصل بنى الرميمي من بنى أمية ملوك الأندلس، و نسبوا إلى رميمة قرية من أعمال قرطبة.

[من شعر أبي بحر يوسف بن عبد الصمد و أبي جعفر أحمد بن عباس الوزير]

و قال أبو بحر يوسف بن عبد الصمد: [الكامل]

فوصلت أقطارا لغير أحبه و مدحت أقواما بغير صلوات

أموال أشعاري نمت فتكاثرت فجعلت مدحى للبخيل زكاتى

و هذا من غريب المعانى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣١١

و فى بنى عبد الصمد يقول بعض أهل عصرهم، لما رأى من كثرة عددهم، و الثامهم بالسلطان: [الرمل]

ملأت قلبى هموما مثل ما ملأ الدنيا بنو عبد الصمد

كاثر الشيخ أبوهم آدماء فغدا أكثر نسلا و ولد

كلهم ذئب إذا آمنته و الرعايا بينهم مثل التقد

و كان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلى ملك المريء بدّ الناس فى وقته بأربعة أشياء: المال، و البخل، و

العجب، و الكتابة؛ قال أبو حيان: و كان قبل محنته صير هجّيراه أوقات لعب الشطرنج أو ما يسنح له هذا البيت: [المتقارب]

عيون الحوادث عنى نيام و هضمى على الدهر شىء حرام

و ذاع هذا البيت فى الناس حتى قلب له مصراعه الأخير بعض الأدباء فقال:

سيوقظها قدر لا ينام

و كان حسن الكتابة، جميل الخط، مليح الخطاب، غزير الأدب، قوى المعرفة، مشاركاً فى الفقه، حاضر الجواب، جماعاً للدفاتر، حتى

بلغت أربعمئة ألف مجلّد، و أمّا الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها، و بلغ ماله خمسمئة ألف مثقال جعفرية سوى غير

ذلك، و كان مقتله بيد باديس بن حبّوس ملك غرناطة، و كفى دليلاً على إعجابه قوله:

[الخفيف]

لى نفس لا ترتضى الدهر عمرا و جميع الأنام طرا عبيدا
لو ترقت فوق السماك محلا لم تزل تبتغى هناك صعودا
أنا من تعلمون شيدت مجدى فى مكانى ما بين قومى وليدا
و كان يتهم بداء أبى جهل فيما ينقل، حتى كتب بعض الأدباء على برجه بالمرية:

[السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣١٢
خلوت بالبرج فما الذى تصنع فيه يا سخييف الزمان
فلما نظر إليه أمر أن يكتب:
أصنع فيه كل ما أشتهى و حاسدى خارجه فى هوان

[من شعر أبى بكر التطيلى الأعمى و أبى جعفر أحمد بن الخيال الإستبى]

و كان الأعمى التطيلى شاعرا مشهورا، و كان الصبيان يقولون له «تحتاج كحلا يا أستاذ» فكان ذلك سبب انتقاله من مرسية، و قيل له:
يا أبا بكر، كم تقع فى الناس؟ فقال: أنا أعمى، و هم لا يبرحون حفرا فما عذرى فى وقوعى فيهم؟ فقال له السائل: و الله لا كنت قط
حفرة لك، و جعل يواليه بزه و رفده.

و من شعره: [المتقارب]

وجوه تعز على معشر و لكن تهون على الشاعر
قرونهم مثل ليل المحب و ليل المحب بلا آخر
و له: [مخلع البسيط]

زنجيكم بالفسوق دارى يدلى من الحرص كالحمار
يخلو بنجل الوزير سرا فيولج الليل فى النهار

و من شعر أبى جعفر أحمد بن الخيال الإستبى كاتب ابن الأحمر فيمن اسمه «فضل الله»: [الطويل]
من الناس من يؤتى بنقد، و منهم بكره، و منهم من يناك إذا انتشى
و منهم فتى يؤتى على كل حالة و ذلك فضل الله يؤتیه من يشا

[من شعر عبد الملك بن سعيد الخازن و محمد بن الأستجى (زحكون)]

و لعبد الملك بن سعيد الخازن: [الخفيف]

ما حمدناك إذ وقفنا ببابك للذى كان من طويل حجابك
قد ذمنا الزمان فيك فقلنا أبعده الله كل دهر أتى بك
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣١٣

و قال فى «المسهب»: كنت بمجلس القاضى ابن حمدين، و قد أنشده شعراء قرطبة و غيرها، و فى الجملة هلال شاعر غرناطة، و محمد

بن الإستجى شاعر إستجء الملقب بزحكون، فقام الإستجى و أنشده قصيدة، منها: [الطويل]

إليك ابن حمدين انتخلت قصائدا بها رققت فى القضب ورق الحمام

أنا العبد لكن بالمودة أشتري إذا كان غيرى يشتري بالdraهم

فشكره ابن حمدين، و نبه على مكان الإحسان، فحسده هلال البيانى على ذلك، فلما فرغ من القصيدة قال له هلال: أعد على البيت الذى فيه «رقص الحمام» فأعاده، فقال له: لو أزلت النقطة عن الخاء كنت تصدق، فقال له فى الحين: و لو أزلت النقطة عن العين كنت تحسن.

و كانت على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب و الجواب الغريب، و عمل فيه.

[من شعر المقدم بن المعافى و عبد الملك بن نظيف]

و لما قال المقدم بن المعافى فى رثاء سعيد بن جودى: [السرير]

من ذا الذى يطعم أو يكسو و قد حوى حلف الندى رسم

لا اخضرت الأرض و لا أورق ال عود و لا أشرقت الشمس

بعد ابن جودى الذى لن ترى أكرم منه الجنّ و الإنس

ف قيل له: أ تراثيه و قد ضربك؟ فقال: إنه نفعنى حتى بذنوبه، و لقد نهانى ذلك الأدب عن مضار جمّة كنت أقع فيها على رأسى، أفلا

أرعى له ذلك؟ و الله ما ضربنى إلّا و أنا ظالم له، فأبقى على ظلمى له بعد موته؟

و قيل له: لم لا تهجو مؤمن بن سعيد؟ فقال: لا أهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى أحد بها.

و قال أبو مروان عبد الملك بن نظيف: [المجث]

لا أشرب الراح إلّا مع كلّ خرق كريم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣١٤

و لست أعشق إلّا ساجى الجفون رخيم

[من شعر هلال البيانى بن حمدين]

و مدح هلال البيانى ابن حمدين بقصيدة أولها: [الكامل]

عرج على ذاك الجنب العالى و احكم على الأموال بالآمال

فيه ابن حمدين الذى لنواله من كلّ أرض شدّ كلّ رحال

فقال له القاضى: ما هذا الوثوب على المدح من أول وهلة، ألا تدرى أنهم عابوا ذلك، كما عابوا الطول أيضا؟ و أن الأولى التوسّط؟

فقال له: يا سيدى، اعذرنى بما لك فى قلبى من الإجلال و المحبّة، فإنى كلّما ابتدأت فى مدحك لم يتركنى غرامى فى اسمك إلى

أن أتركه عند أول بيت، فاستحسن ذلك منه، و أحسن إليه.

و من هذه القصيدة:

قاض موال برّه و نواله فله جميع العالمين موالى

و كان يهوى و سيما من متأدبى قرطبة، فصنع فيه شعرا أنشده منه: [البسيط]

و كَلَّتْ عَيْنِي بِرَعَى النَجْمِ فِي الظُّلْمِ وَ عَبَرْتِي قَدْ غَدَتِ مَمْرُوجَةٌ بِدَمٍ
 فَقَالَ لَهُ الْغَلَامُ: أَنْتِ لَا تَبْرَحِينَ بِكُوكَبٍ مِنْ عَيْنِكَ لَيْلًا وَ لَا نَهَارًا، وَ عَاشِقًا وَ غَيْرَ عَاشِقٍ، فَخَجَلَ هَلَالًا، وَ كَانَ عَلَى عَيْنِهِ نَقْطَةٌ.
 وَ حَكَى ابْنُ حِيَانَ أَنَّ الْأَمِيرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَثَرَتْ بِهِ دَابَّتَهُ وَ هُوَ سَاطِرٌ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَ تَطَاطَأَتْ، فَكَادَ يَكْبُو لَفِيهِ، وَ لَحِقَهُ جَزَعٌ، وَ تَمَثَّلَ
 أَثَرُهُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ: [الطويل]
 وَ مَا لَا تَرَى مِمَّا يَبْقَى اللَّهُ أَكْثَرَ
 وَ طَلَبَ صَدْرُ الْبَيْتِ فَعَزَبَ عَنْهُ، وَ أَمَرَ بِالسُّؤَالِ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْ يَحْفَظُهُ إِلَّا الْكَاتِبَ مُحَمَّدَ بْنَ سَعِيدِ الزُّجَالِيَّ، وَ كَانَ يَلْقَبُ بِالْأَصْمَعِيِّ
 لِذِكَاثِهِ وَ حَفْظِهِ، فَأَنْشَدَ الْأَمِيرُ:
 تَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يَتَّقَى فَتَهَابَهُ
 فَأَعْجَبَ الْأَمِيرُ، وَ اسْتَحْسَنَ شَكْلَهُ، فَقَالَ لَهُ: الزَّمِ السَّرْدَاقَ. وَ أَعْقَبَ ابْنًا يُسَمَّى حَامِدًا.
 وَ حَضَرَ مَعَ الْوَزِيرِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ يَزِيدِ الْإِسْكَندَرَانِيِّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ رُؤَسَاءٌ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ
 نَفْحَ الطَّيِّبِ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٤، ص: ٣١٥
 فَرَسَ مَطْهَمًا، فَتَمَثَّلَ فِيهِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بِقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ: [الطويل]
 بَرِيدَ السَّرِيِّ بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرَبْرَا

[بين الزجالي و الاسكندراني الوزير و بين الزجالي و ابنه حامد]

فَفَهَمَ الزُّجَالِيَّ بِأَنَّهُ عَرَضَ بِأَنَّهُ مِنَ الْبَرْبَرِ، فَلَمْ يَحْتَمَلْ ذَلِكَ وَ أَرَادَ الْجَوَابَ، فَقَالَ مَدْبُجًا لَمَّا أَرَادَهُ وَ مَعْرُضًا: أَحْسَنَ عِنْدِي مِنْ لَيْلٍ يَسْرَى
 بِي فِيهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا يَوْمَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي قَالَ فِيهَا الْقَائِلُ: [الطويل]
 وَ يَوْمَ كَظَلَّ الرَّمَحُ قَصْرَ طَوْلِهِ دَمَ الزَّقِّ عَنَّا وَ اصْطَفَاقَ الْمَزَاهِرِ
 وَ إِنَّمَا عَرَّضَ لِلْإِسْكَندَرَانِيِّ بِأَنَّهُ كَانَ يَشْهَدُ مَجَالِسَ الرَّاحَاتِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَ مَعْرِفَةَ الْغَنَاءِ، فَفَلَقَ الْوَزِيرَ، وَ شَكَاهُ إِلَى الْحَاجِبِ عَيْسَى بْنِ
 شَهِيدٍ، فَاجْتَمَعَ مَعَ الزُّجَالِيِّ وَ أَخَذَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ، فَحَكَى لَهُ الزُّجَالِيُّ مَا جَرَى مِنَ الْأَوَّلِ إِلَى الْآخِرِ، وَ أَنْشَدَ: [الطويل]
 وَ مَا الْحَرَّ إِلَّا مِنْ يَدَيْنِ بِمِثْلِ مَا يَدَانِ وَ مَنْ يَخْفَى الْقَبِيحَ وَ يَنْصِفُ
 هُمْ شَرَعُوا التَّعْرِيفَ قَدْ فَا فَعِنْدَمَا تَبْعَنَاهُمْ لَامُوا عَلَيْهِ وَ عَنَّفُوا
 وَ مِنْ نَوَادِرِ ابْنِهِ حَامِدٍ أَنَّهُ غَلَطَ أَمَامَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى الرَّائِيَّةُ وَ الرَّانِي [سورة النور، الآية: ٢] بِأَنَّهُ قَالَ «فَانكُوهَمَا» فَأَنْشَدَهُ حَامِدٌ: [مجزوء
 الرمل]

أَبْدَعَ الْقَارِيَّ مَعْنَى لَمْ يَكُنْ فِي الثَّقَلَيْنِ
 أَمْرَ النَّاسِ جَمِيعًا بِنِكَاحِ الزَّانِيَيْنِ
 وَ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ حِينَئِذٍ: أَمَا سَمِعْتَ مَا أَتَى بِهِ إِمَامُنَا مِنْ تَبْدِيلِ الْحُدُودِ؟ وَ تَضَاحَكَا.
 وَ كَتَبَ الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْمَنْصُورِ صَاحِبِ بَلَنْسِيَّةٍ، وَ يَعْرِفُ بِالْمَنْصُورِ الصَّغِيرِ، قِطْعَةً أَوْلَاهَا: [البسيط]
 يَا أَحْسَنَ النَّاسِ آدَابًا وَ أَخْلَاقًا وَ أَكْرَمَ النَّاسِ أَغْصَانًا وَ أَوْرَاقًا
 وَ يَا حَيَا الْأَرْضِ لَمْ نَكْتَبْ عَنْ سَنَنِ وَ سَقَتِ نَحْوِي إِرْعَادًا وَ إِبْرَاقًا
 نَفْحَ الطَّيِّبِ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٤، ص: ٣١٦
 وَ يَا سَنَى الشَّمْسِ لَمْ أَظْلَمْتَ فِي بَصْرِي وَ قَدْ وَسَعَتْ بِلَادَ اللَّهِ إِشْرَاقًا

من أيّ باب سعت غير الزمان إلى رحيب صدرك حتى قيل قد ضاقا
 قد كنت أحسبني من حسن رأيك لي أنى أخذت على الأيام ميثاقا
 فالآن لم يبق لي بعد انحرافك ما آسى عليه و أبدى منه إشفاقا
 فأجابه بهذه القطعة: [البيسط]

ما زلت أوليك إخلاصا وإشفاقا وأنشئ عنك مهما غبت مشتاقا
 و كان من أملى أن أقتنيك أخا فأخفق الأمل المأمول إخفاقا
 فقلت غرس من الإخوان أكلؤه حتى أرى منه أثمارا و أوراقا
 فكان لَمَّا زها أزهاره و دنا إثمارها حنظلا مرا لمن ذاقا
 فلست أولّ إخوان سقيتهم صفوى و أعلقتهم بالقلب إعلاقا
 فما جزوني بإحسانى و لا عرفوا قدرى و لا حفظوا عهدا و ميثاقا

[من شعر الوزير أبى عبد الله بن عبد العزيز و ترجمته]

و الوزير المذكور قال فى حقه فى المطمح: إنه وزير المنصور بن عبد العزيز، و ربّ السبق فى ودّه و التبريز، و منقّض الأمور و مبرمها، و محمد الفتن و مضرمها، اعتقل بالدّهى، و استقلّ بالأمر و النهى، على انتهاض بين الأكفاء، و اعتراض المحو لرسومه و الإعفاء، فاستمرّ غير مراقب، و أمر ما شاء غير ممثل للعواقب، ينتضى عزائم تنتضى، فإن أملت من الأيام مظلمة أضأ، إلى أن أودى، و غار منه الكوكب الأهدى، فانتقل الأمر إلى ابنه أبى بكر، فناهيك من أى عرف و نكر، فقد أربى على الدّهاء، و ما صبا إلى الطيبة و المهاء، و استقلّ بالهول يقتحمه، و الأمر يسديه و يلحمه، فأى ندى أفاض، و أى أجنحه بمدى هاض، فانقلاب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣١٧

إليه الآمال بغير خطام، و وردت من نداه ببحر طام، و لم يزل بالدولة قائما، و موقظا من بهجتها ما كان نائما، إلى أن صار الأمر إلى المأمون بن ذى النون أسد الحروب، و مسدّ الثغور و الدروب، فاعتمد عليه و اتّكل، و وكل الأمر إلى غير و كل، فما تعدّى الوزارة إلى الرياسة، و لا تردّى بغير التدبير و السياسة، فتركه مستبدا، و لم يجد من ذلك بدا.

و كان أبو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة، و آراء لم تكن آفلة، أدرك بها ما أحبّ، و قطع غارب كل منافس و جبّ، إلى أن طلّحه العمر و أنضاه، و أغمده الذى انتضاه، فخلّى الأمر إلى ابنه، فتلبّدا فى التدبير، و لم يفرقا بين القبيل و الدّبير، فغلب عليهما القادر بن ذى النون، و جلب إليهما كل خطب ما خلا المنون، فانجلوا، بعد ما ألقوا ما عندهم و تخلّوا، و كان لأبى عبد الله نظم مستبدع، يوضع بين الجوانح و يودع، انتهى المقصود من الترجمة.

[من شعر الوزير أبى الفرج و ترجمته]

و كان للوزير أبى الفرج ابن مكبود قد أعياه علاجه، و تهيا للفساد مزاجه، فدلل على خمر قديمة، فلم يعلم بها إلّا عند حكم، و كان و سيما، و للحسن قسيما، فكتب إليه: [المجث] أرسل بها مثل ودك أرق من ماء خدك شقيقة النفس فانضح بها جوى ابنى و عبدك

و كتب رحمه الله تعالى معذرا، عما جناه منذرا: [الخفيف]

ما تغيت عنك إلا لعذر و دليلى فى ذاك حرصى عليك

هبك أن الفرار من عظم ذنب أ تراه يكون إلا إليك

و قال فى المطمح فى حقّ أبى الفرج: من ثبته رياسه، و عتره نفاسه، ما منهم إلا من تحلى بالإماره، و تردى بالوزاره، و أضاء فى آفاق الدول، و نهض بين الخيل و الخول، و هو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣١٨

أحد أمجادهم، و متقلد نجادهم، فاقهم أدبا و نبلا، و باراهم كرما تخاله و بلا، إلا أنه بقى و ذهبوا، و لقى من الأيام ما رهبوا، فعابن تنكرها، و شرب عكرها، و جال فى الآفاق، و استدرّ أخلاف الأرزاق، و أجال للرجاء قداحا متواليات الإخفاق، فأخمل قدره، و توالى عليه جور الزمان و غدرة، فاندفت آثاره، و عفت أخباره، و قد أثبت له بعض ما قاله و حاله قد أدبرت، و الخطوب إليه قد انبرت، أخبرنى الوزير الحكيم أبو محمد المصرى و هو الذى آواه، و عنده استقرت نواه، و عليه كان قادما، و له كان منادما، أنه رغب إليه فى أحد الأيام أن يكون من جملة ندمائه، و أن لا- يحجب عنه و تكون مئة من أعظم نعمائه، فأجابه بالإسعاف، و استساغ منه ما كان يعاف، لعلمه بعلته، و إفراط خلته، فلما كان ظهر ذلك اليوم كتب إليه: [الكامل]

أنا قد أهبت بكم و كلكم هوى و أحقكم بالشكر منى السابق

فالشمس أنت و قد أطلّ طلوعها فاطلع و بين يديك فجر صادق

[من شعر الوزير أبى عامر بن مسلمة و ترجمته]

و قال الوزير أبو عامر بن مسلمة: [الكامل]

حجّ الحجيج منى ففازوا بالمنى و تفرقت عن خيفه الأشهاد

و لنا بوجهك حجة مبرورة فى كل يوم تنقضى و تعاد

و قال الفتح فى حقه ما صورته: نبتة شرف باذخ، و مفخر على ذوائب الجوزاء شامخ، و زروا للخلفاء، فانتجعهم الأدباء و اتبعتهم العظماء، و انتسبت لهم النعماء، و تنفست عن نور بهجتهم الظلماء، و أبو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل، و جوادهم الذى لا يبخل، و زعيمهم المعظم، و سلك مفخرهم المنظم، و كان فتى المدام، و مستفتى التّدام، و أكثر من النعت للراح و الوصف، و أثر الأفراح و القصف، و أرى قينات السرور مجلوة، و آيات الحسن متلوة، و له كتاب سماه «حديقة الارتياح، فى وصف حقيقة الراح»، و اختص بالمعتضد اختصاصا جرعه رداه، و صرعه فى مدهاه، فقد كان فى المعتضد من عدم تحفظه للأرواح، و تهاونه باللّوام فى ذلك و اللّواح، فاطمأن إليه أبو عامر و اغترّ، و أنس إلى ما بسم له من مؤانسته و افترّ، حتى أمكنته فى اغتياله فرصة، لم يعلق بها حصية، و لم يضيق عليه إلا أنه زلت به قدمه فسقط

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣١٩

فى البحيرة و انكفا، و لم يعلم به إلا بعدما طفا، فأخرج و قد قضى، و أدرج منه فى الكفن حسام المجد منتضى، فمن محاسنه قوله يصف السوسن، و هو ممّا أبدع فيه و أحسن: [البسيط]

و سوسن راق مرآه و مخبره و جلّ فى أعين النظار منظره

كأنه أكّوس البلور قد صنعت مسندسات تعالى الله مظهره

و بينها ألسن قد طوّقت ذهباً من بينها قائم بالملك يؤثره

إلى أن قال: و اجتمع بجنّته خارج إشبيلية مع أخذان له عليه، فبينما هم يديرون الراح، و يشربون من كأسها الأفراح، و الجوّ صاح، إذ بالأفق قد غيم، و أرسل الدّيم، بعدما كسا الجوّ بمطارف الرذاذ، و أشعر الغصون زهر قباذ، و الشمس منتقبة بالسحاب، و الرعد يبكيها بالانتحاب، فقال: [مجزوء الكامل]

يوم كأنّ سحابه لبست عمامات الصوامت
حجبت به شمس الضّحى بمثال أجنحة الفواخت
و الغيث يبكي فقدها و البرق يضحك مثل شامت
و الرعد يخطب مفصحا و الجوّ كالمحزون ساكت
و خرج إلى تلك الخميّلة و الربيع قد نشر رداءه، و نثر على معاطف الغصون أنداءه، فأقام بها و قال: [الكامل]
و خميلة رقم الزمان أديمها بمفضّض و مقسّم و مشوب
رشت قبيل الصبح ريق غمامه رشف المحبّ مراشف المحبوب
و طردت في أكنافها ملك الصّبا و قعدت و استوزرت كلّ أديب
و أدرت فيها اللّهُو حقّ مداره مع كلّ وضّاح الجبين حسيب

[من شعر الوزير أبي حفص أحمد بن برد و ترجمته]

و قال الوزير الكاتب أبو حفص أحمد بن برد: [الكامل]
قلبي و قلبك لا محالة واحد شهدت بذلك بيننا الألباحظ
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٢٠
فتعال فلنغظ الحسود بوصلنا إنّ الحسود بمثل ذاك يغاظ
و قال: [الكامل]

يا من حرمت لذاذتي بمسيره هذى النوى قد صغرت لى خدّها
زودّ جفوني من جمالك نظرة و اللّهُ يعلم إن رأيتك بعدها

و قال فى المطمح فى ابن برد المذكور: إنه غدى بالأدب، و علا- إلى أسمى الرتب، و ما من أهل بيته إلّا شاعر كاتب، ملازم لباب السلطان مراقب، و لم يزل فى الدولة العامرية بسبق يذكر، و حقّ لا ينكر، و هو بديع الإحسان، بليغ القلم و اللسان، مليح الكتابة، فصيح الخطابة، و له «رسالة السيف و القلم»، و هو أول من قال بالفرق بينهما، و شعره مثقف المباني، مرهف كالحسام اليماني، و قد أثبت منه ما يلهيك سماعا، و يريك الإحسان لماعا، فمن ذلك قوله يصف البهار: [الطويل]

تأمل فقد شقّ البهار كمانما و أبرز عن نواره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضّة على أذرع مخروطة من زبرجد
و له يصف معشوقا، أهيف القدّ ممشوقا، أبدى صفحة ورد، و بدا فى ثوب لازورد:
[مجزوء الكامل]

لما بدا فى لازوردى الحرير و قد بهر
كبرت من فرط الجمال و قلت: ما هذا بشر
فأجابنى: لا تنكرن ثوب السماء على القمر

[من شعر الوزير أبي جعفر اللمائي و ترجمة الوزير حسان بن مالك و بعض شعره]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤، ص ٣٢٠

قال الوزير الكاتب أبو جعفر بن اللمائي: [المتقارب]

ألمّا فديتكما نستلم منازل سلمى على ذى سلم

منازل كنت بها نازلا زمان الصبا بين جيد و فم

أما تجدنّ الثرى عاطرا إذا ما الرياح تنفسن ثم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٢١

و قال فى المطمح فيه: إمام من أئمة الكتابة و مفجّر ينبوعها، و الظاهر على مصنوعها بمطبووعها، إذا كتب نثر الدّرّ فى المهارق، و نمت فيه أنفاسه كالمسك فى المفارق، و انطوى ذكره على انتشار إحسانه، مع امتداد لسانه، فلم تطل لدوحته فروع، و لا اتّصل لها من نهر الإحسان كروع، فاندفت محاسنه من الإهمال فى قبر، و انكسرت الآمال بعدم بدائعه كسرا بعد جبر، و كان كاتب على بن حمود العلوى و ذكر أنه كان يرتجل بين يديه و لا- يروى، فيأتى على البديه، بما يتقبّله المرؤى و يبديه، فمن ذلك ما كتب به متفنا من ضمن رسالة: روض القلم فى فنائك مونتق، و غصن الأدب بمائك مورق، و قد قذف بحر الهند درره، و بعث روض نجد زهره، فأهدى ذلك على يدى فلان الجارى فى جهده، على مباني قصده.

و قال الوزير حسان بن مالك بن أبى عبده فى المهرجان: [المتقارب]

أرى المهرجان قد استبشرا غداة بكى المزن و استعبرا

و سربلت الأرض أمواجها و جللت السندس الأخضر

و هزّ الرياح صنايرها فضوّعت المسك و العنبرا

تهادى به الناس أطفاه و سامى المقلّ به المكثرا

و قال فى حقّه فى المطمح: من بيت جلاله، و عتره أصاله، كانوا مع عبد الرحمن الداخل، و توغّلوا معه فى متشعبات تلك المداخل، و سعوا فى الخلافة حتى حضر مبايعها و كثر مشايعها، و جدّوا فى الهدنة و انعقادها، و أحمدا نار الفتنة عند اتّقادها، فانبهرت عراها، و ارتبطت أولاهها و أخراها، فظهرت البيعة و اتّضحت، و أعلنت الطاعة و أفصحت، و صاروا تاج مفرقها، و منهاج طرقتها، و هو ممّن بلغ الوزارة [من] بعد ذلك و أدركها، و حلّ مطلعها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٢٢

و فلکها، مع اشتها فى اللغه و الآداب، و انخراط فى سلك الشعراء و الكتّاب، و إبداع لما ألف، و انتهاض بما تكلف، و دخل على المنصور و بين يديه كتاب ابن السرى و هو به كلف، و عليه معتكف، فخرج و عمل على مثاله كتابا سماه ربيعه و عقيل «جرّد له من ذهنه أى سيف صقيل، و أتى به منتسحا مصوّرا فى ذلك اليوم من الجمعة الأخرى، و أبرزه و الحسن يتبسّم عنه و يتفرّى، فسّر به المنصور و أعجب، و لم يغب عن بصره ساعة و لا حجب، و كان له بعد هذه المدّة حين أدجت الفتنة ليلها و أزجت إبلها و خيلها، اغتراب كاغتراب الحارث بن مضا، و اضطراب بين القوانى و المواضى، كالحية النضناض، ثم اشتهر بعد، و افتّر له السعد، و فى تلك المدّة يقول يتشوّق إلى أهله: [الطويل]

سقى بلدا أهلى به و أقاربنى غواد بأثقال الحيا و روائح

و هبت عليهم بالعشى و بالضحى نواسم برد و الظلال فوائح

تذكرتهم والنأى قد حال دونهم و لم أنس لكن أوقد القلب لافح
و ممّا شجانى هاتف فوق أيكه ينوح و لم يعلم بما هو نائح
فقلت اتند يكفيك أنى نازح و أنّ الذى أهواه عنى نازح
و لى صبيه مثل الفراخ بقفرة مضى حاضناها فاطحتها الطوائح
إذا عصفت ريح أقامت رؤوسها فلم يلقها إلّا طيور بوارح
فمن لصغار بعد فقد أبيهم سوى سانح فى الدهر لو عنّ سانح

و استوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال، و لم يمض فى ذلك الانتحال، و تناقل عن الحضور فى كل وقت، و تغافل فى ترك الغرور بذلك المقت، و كان المستظهر يستبدّ بأكثر تلك الأمور دونه، و ينفرد مغيباً عنه شؤونه، فكتب إليه:
[الطويل]

إذا غبت لم أحضر و إن جئت لم أسل فستان منى مشهد و مغيب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٢٣
فأصبحت تيميا و ما كنت قبلها لثيم و لكنّ الشبيه نسيب
وله: [الطويل]

رأت طالعا للشيب بين ذوائبى فباحت بأسرار الدموع السواكب
و قالت أشيب؟ قلت: صبح تجاربى أنار على أعقاب ليل نوائبى
و لّمّا مات رثاه الوزير أبو عامر ابن شهيد بقوله: [الطويل]
أفى كلّ عام مصرع لعظيم؟ أصاب المنايا حادثى و قديمى
و كيف اهتدائى فى الخطوب إذا دجت و قد فقدت عيناى ضوء نجوم
مضى السلف الوضّاح إلّا بقيته كغرة مسودّ القميص بهيم
فإن ركبت منى الليالى هزيمة قبلى ما كان اهتضام تميم
أبا عبدة إنا غدرناك عندما رجعنا و غادرناك غير ذميم
أنخذل من كنا نرود بأرضه و نكرع منه فى إناء علوم
و يجلو العمى عنا بأنوار رأيه إذا أظلمت ظلماء ذات غيوم
كأنك لم تلقح بريح من الحجا عقائم أفكار بغير عقيم
و لم نعتمر مغناك غدوا و لم نزر رواحا لفصل الحكم دار حكيم

[ترجمة الوزير أبى أيوب بن أبى أمية]

و قال الوزير الفقيه أبو أيوب ابن أبى أمية: [البيسط]

أمسك دارين حياك النسيم به أم عنبر الشحر أم هذى البساتين
بشاطئ النهر حيث النور مؤتلق و الراح تعبق أم تلك الرياحين

و حلاه فى المطمح بقوله: واحد الأندلس الذى طوّقها فخارا، و طبّقها بأوانه افتخارا، ما شئت من وقار لا تحيل الحركة سكونه، و مقدار يتمنى مخبر أن يكونه، إذا لاح رأيت المجد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٢٤

مجتمعا، وإذا فاه أضحى كل شيء مستمعا، تكتحل منه مقل المجد، و تنتحل المعالي أفعاله انتحال ذى كلف بها و وجد، لو تفرقت في الخلق سجايه لحمدت الشيم، و لو استسقيت بمحياها لما استمسكت القديم، و دعى للقضاء فما رضى، و أعفى عنه فكأنه ما استقصى، لديه تثبت الحقائق، و تثبت العلائق، و بين يديه يسلك عين الجدد، و يدع اللدد اللدد، و له أدب إذا حاضر به فلا البحر إذا عصف، و لا أبو عثمان إذا وصف، مع حلاوة مؤانسة تستهوى الجليس، و تهوى حيث شاءت بالنفوس، و أما تحبيره و إنشاؤه، ففيهما للسامع تحبيره و انتشاؤه، و قد أثبت له بدعا، يثنى إليها الإحسان جيدا و أخدعا، فمن ذلك قوله في منزل حله متنزها: [البسيط]

يا منزل الحسن أهواه و آلفه حقا لقد جمعت في صحنك البدع

لله ما اصطنعت نعماك عندي في يوم نعمت به و الشمل مجتمع

و حلّ منية صهره الوزير أبو مروان بن الدب بعدوة إشبيلية المطلّة على النهر، المشتملة على بدائع الزهر، و هو معرّس ببنته، فأقام بها أياما متأثسا، و لجذوة السرور مقتبسا، فوالى عليه من التحف، و أهدى إليه من الطرف، ما غمر كثرة، و بهر نفاسة و أثره، فلما ارتحل و

قد اكتحل من حسن ذلك الموضوع بما اكتحل، كتب إليه: [البسيط]

قل للوزير و أين الشكر من ممن جاءت على سنن تترى و تتصل

غشيت مغناك و الروض الأنيق به يندى و صوب الحيا يهيمى و ينهمل

و جال طرفي في أرجائه مرحا وفق اجتيازي يستعلى و يستفل

ندعو بلفتته حيث ارتمى زهر عليه من منثنى أفنانه كلل

محلّ أنس نعمنا فيه آونه من الزمان و واتانا به الأمل

و حلّ بعد ذلك متنزها بها على عادته، فاحتفل في موالة ذلك البرّ و إعادته، فلما رحل كتب إليه: [مجزوء الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٢٥

يا دار، أمّتك الزمان صروفه و نوابه

و جرت سعودك بالذى يهوى نزيلك آيبه

فلنعم مأوى الضيف أن ت إذا تحاموا جانبه

خطر شأوت به الديار و أذعنت لك قاطبه

[ترجمة الوزير أبي القاسم بن عبد الغفور]

و صنع له ابن عبد الغفور رسالة سماها ب «الساجعة» حذا بها حذو أبي العلاء المعرى في «الصاهل و الساجح» و بعث بها إليه، فعرضها عليه، فأقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها إليه، و كتب معها: بكر زففتها أعزك الله تعالى نحوك، و هزرت بمقدمها سناك و سروك، فلم ألفظها عن شبع، و لا جهلت ارتفاعها عما يجتلى من نوعها و يستمع، و لكن لما أنسته من أنسك باتتجاعها، و حرصك على ارتجاعها، دفعت في صدر الولوع، و تركت بينها و بين مجاثمها بتلك الربوع، حيث الأدب غضّ، و ماء البلاغة مرفضّ، فأسعد أعزك الله بكرتها، و سلّها عن أفانين معرّتها، بما تقطفه من ثمارك، و تغرفه من بحارك، و ترتاح له و لإخوانه من نتائج أفكارك، و إنها لشنشنة أعرّفها فيكم من أخزم، و موهبة حزتموها و أحرزتم سبق فيها منذ كم. انتهى.

و ابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذى قال فيه الفتح: فتى زكا فرعا و أصلا، و أحكم البلاغة معنى و فصلا، و جرّد من ذهنه على الأعراض نصلا، قدّها به و فراها، و قدح زند المعالى حتى أوراها، مع صون يرتديه، و لا يكاد يديه، و شبيبه ألحقته بالكهول، فأفقرت

منه ربعها المأهول، و شرف ارتداه، و سلف اقتفى أثره الكريم و اقتداه، و له شعر بديع السرد، مفوّف البرد، و قد أثبت له منه ما ألفيت، و بالدلالة عليه اكتفيت، فمن ذلك قوله: [الطويل]

تركت التصابي للصواب و أهله و بيض الطلى للبيض و السمر للسمر
مدامى مدادى و الكؤوس محابرى و ندماى أقلامى و منقلتى سفرى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٢٦

و له: [البيسط]

لا تنكروا أننا فى رحلة أبدا نحثّ فى نفنف طوراً و فى هدف
فدهرنا سدفةً و نحن أنجمها و ليس ينكر مجرى النجم فى السدف
لو أسفر الدهر لى أقصرت عن سفرى و ملت عن كلفى بهذه الكلف
و له من قصيدة: [الطويل]

رويدك يا بدر التمام فإننى أرى العيس حسرى و الكواكب ظلعا
كأن أديم الصبح قد قد أنجما و غودر درع الليل فيها مرقعا
فإنى و إن كان الشباب محببا إالىّ و فى قلبى أجلّ و أوقعا
لأنف من حسن بشعرى مفترى و آنف من حسن بشعرى قنعا

[من شعر الوزير أبى الوليد بن حزم]

و قال الوزير أبو الوليد بن حزم: [الطويل]

إليك أبا حفص و ما عن ملالة نثيت عنانى و الحبيب حبيب
مقالا يطير الجمر عن جنباته و من تحته قلب عليك يذوب
مضت لك فى أفياء ظلّى صولة لها بين أحناء الصلوع ديب
و لكن أبى إلّا إليك التفاته فزاد عليه من هواك رقيب
و كم بيننا لو كنت تحمد ما مضى إذ العيش غصّ و الزمان قشيب
و تحت جناح الغيم أحشاء روضه بها لخفوق العاصفات و جيب
و للزهر فى ظلّ الرياض تبسم و للطير منها فى الغصون نحيب
و قال فى الزهد: [المتقارب]

ثلاث و ستون قد جزتها فماذا تؤمل أو تنتظر
و حلّ عليك نذير المشيب فما ترعوى أو فما تزدجر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٢٧

تمرّ لياليك مرا حثيثا و أنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضى من العمر لا اعتضت خيرا بشر
فما لك لا تستعدّ إذن لدار المقام و دار المقر
أ ترغب عن فجأة للمنون و تعلم أن ليس منها مفتر

فإمّا إلى جنّة أزلفت و إمّا إلى سقر تستعر

[من شعر ابن أبي زمنين و ترجمته]

و قال ابن أبي زمنين: [البسيط]

الموت فى كلّ حين ينشر الكفنا و نحن فى غفلة عمّا يراد بنا
لا تطمئنّ إلى الدنيا و بهجتها و إن توشّحت من أثوابها الحسنات
أين الأحبة و الجيران؟ ما فعلوا؟ أين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاها الموت كأسا غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا
تبكى المنازل منهم كلّ منسجم بالمكرمات و تثرى البرّ و المننا
حسب الحمام لو ابقاهم و أمهلهم أن لا يظنّ على معلوّة حسنا

و قال فى المطمح: الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبى زمنين فقيه متبّيل، و زاهد لا- منحرف إلى الدنيا و لا- منفعل، هجرها هجر
المنحرف، و حلّ أوطانه فيها محلّ المعترف، لعلمه بارتحاله عنها و تفويضه، و إبداله منها و تعويضه، فنظر بقلبه لا بعينه، و انتظر يوم
فراقه و بينه، و لم يكن له بعد ذلك بها اشتغال، و لا- فى شعاب تلك المسالك إيغال، و له تأليف فى الوعظ و الزهد و أخبار
الصالحين تدلّ على تخليته عن الدنيا و اتّراكه، و التفلّت من حبال الاغترار و أشراكه، و التنقّل من حال إلى حال، و التأهب للارتحال،
و يستدلّ به على ذلك الانتحال، فمنها قوله: [البسيط]

الموت فى كلّ حين ينشر الكفنا
فذكر الأبيات، انتهى.

[من شعر خلف بن هارون يمدح بن حزم]

و قال خلف بن هارون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٢٨
يخوض إلى المجد و المكرمات بحار الخطوب و أهوالها
و إن ذكرت للعلا غاية ترقى إليها و أهوى لها

[ترجمة الحافظ ابن حزم]

و قال فى المطمح فيه: فقيه مستنبط، و نبهه بقياسه مرتبط، ما تكلم تقليدا، و لا عدا اختراعا و توليدا، ما تمّت به الأندلس أن تكون
كالعراق، و لا حتّ الأنفس معه إلى تلك الآفاق، أقام بوطنه، و ما برح عن عطفه، فلم يشرب ماء الفرات، و لم يقف عيشة الثمرات، و
لكنه أربى على من من ذلك غدى، و أزرى على من هنالك نعل و حذى، تفرد بالقياس، و اقتبس نار المعارف أى اقتباس، فناظر بها
أهل فاس، و صنّف و حبر حتى أفنى الأنفاس، و نابذ الدنيا، و قد تصدّت له بأفتن محيا، و أهدت إليه أعقب عرف و رياء، و خلع الوزارة
و قد كسسته ملاحا، و ألبسته حلاها، و تجرّد للعلم و طلبه، و جدّ فى اقتناء نخبه، و له تأليف كثيرة، و تصانيف أثيرة، منها «الإيصال»، إلى

فهم كتاب الخصال» و كتاب «الإحكام، لأصول الأحكام» و كتاب «الفصل في الأهواء والملل والنحل» و كتاب «مراتب العلوم» و غير ذلك ممّا لم يظهر مثله من هنالك، مع سرعة الحفظ، و عفاف اللسان و اللحظ، و فيه يقول خلف بن هارون: [المتقارب]

يخوض إلى المجد و المكرمات

و لابن حزم في الأدب سبق لا ينكر، و بديهة لا يعلم أنه روّى فيها و لا فكر، و قد أثبت من شعره ما يعلم أنه أوحد، و ما مثله فيه أحد، ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها في غير هذا الموضوع.

و كتب أبو عبد الله بن مسرة إلى أبي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم طين و مطر، لقضاء أرب من الأانس و وطر: [الرجز]

أقبل فإنّ اليوم يوم دجن إلى مكان كالضمير مكنى
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٢٩
لعلنا نحكم أشهى فنّ فأنت في ذا اليوم أمشى منى

[ترجمة أبي عبد الله بن مسرة]

و قال في المطمح: إن ابن مسرة كان على طريق من الزهد و العبادة سبق فيها، و انتسق في سلك مقتفيها، و كانت له إشارات غامضة، و عبارة عن منازل الملحد غير داحضة، و وجدت له مقالات رديئة، و استنباطات مردية، نسب بها إليه رهق، و ظهر له فيها مزحل عن الرشد و مزهق، فتتبع مصنفاته بالحرق، و اتسع في استباحتها الخرق، و غدت مهجورة، على التالين محجورة، و كان له تميق في البلاغة و تدقيق لمعانيها، و تزويق لأغراضها و تشييد لمبانيها، انتهى. و هو من نمط الصوفية الذين تكلم فيهم، و التسليم أسلم، و الله تعالى بأمرهم أعلم.

[فرار أبي عبد الله الخشني من المناصب]

و من حكايات أهل الأندلس في الانقباض عن السلطان، و الفرار من المناصب، مع العذر اللطيف: ما حكاها في المطمح في ترجمة الفقيه أبي عبد الله الخشني إذ قال: كان فصيح اللسان، جزيل البيان، و كان أنوفا منقبضا عن السلطان، لم يتشبث بدنيا، و لم ينكث له مبرم عليا، دعاه الأمير محمد إلى القضاء فلم يجب، و لم يظهر رجاءه المحتجب، و قال: أبيت عن إمامة هذه الديانة، كما أبت السماوات و الأرض عن حمل الأمانة، إباية إشفاق، لا إباية عصيان و نفاق، و كان الأمير قد أمر الوزراء بإجباره، أو حمل السيف إن تمادى على تأتبه و إصراره، فلما بلغه قوله هذا أعفاه، قال: و كان الغالب عليه علم النسب، و اللغة و الأدب، و رواية الحديث، و كان مأمونا ثقة، و كانت القلوب على حبه متفقه، و له رحلة دخل فيها العراق، ثم عاد إلى هذه الآفاق، و عندما اطمأنت داره، و بلغ أقصى مناه مداره، قال: [الطويل]

كأن لم يكن بين و لم تك فرقة

الآبيات، انتهى.

و هذه الآبيات قدّمناها في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن أبي عيسى.

فأنت ترى كلام الفتح قد اضطرب في نسبتها، فمرة نسبها إلى هذا، و مرة نسبها إلى ذاك، و هي قطعة عرفها ذاك.

[من دعابات أهل الأندلس]

و من دعابات أهل الأندلس و ملحمهم: ما يحكى عن ابن أبى حلى، و هو على ابن أبى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٣٠

حلى المكناسى أبو الحسن، قال لسان الدين: كان شيخا مليح الحديث، حافظا للمسائل الفقهية، قائما على المدونة، مضطعا بمشكلاتها، كثير الحكايات، يحكى أنه شاهد غرائب و ملحا فينمقها عليه بعض الطلبة، و يتعدون ذلك إلى الافتعال و المداعبة، حتى جمعوا من ذلك جزءا سموه «السالك و المحلى»، فى أخبار ابن أبى حلى «فمن ذلك أنه كانت له هرة فدخل البيت يوما فوجدها قد بلت إحدى يديها و جعلتها فى الدقيق حتى علق بها و نصبها بإزاء كوة فأر و رفعت اليد الأخرى لصيده، فناداها باسمها، فزوت رأسها، و جعلت إصبعها على فمها، على هيئة المشير بالصمت، و أشباه ذلك، و توفى المذكور سنة ٤٠٦، قاله فى الإحاطة.

[من أجوبة ملوك الأندلس و من شجاعة الأندلسيين]

و من أجوبة ملوك الأندلس: أن نزارا العبيدى صاحب مصر، كتب إلى المروانى صاحب الأندلس كتابا يسبه فيه و يهجو، فكتب إليه المروانى: أمّا بعد، فإنك عرفتنا فهجوتنا، و لو عرفناك لأجبناك، و السلام، فاشتد ذلك على نزار و أفحمه عن الجواب، و حكى أنه كتب إلى العبيدى ملك مصر مفتخرا: [الطويل]

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إذا ولد المولود منا تهللت له الأرض و اهتزت إليه المناير

و من غريب ما يحكى من قوة أهل الأندلس و شجاعتهم: أن الأمير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله، صلى الله عليه و سلم، لما نزل بساحة أذفونش ملك [ملوك] الروم، فبدأهم بخراب ضياعها و قطع الشجر، فكتب إليه حريز: ليس من أخلاق القدير، الفساد و التدمير، فإن قدرت على البلاد أفسدت ملكك، و لو كان الملك فى عشرة أمثال عددى لم ينزل لى بساحة، و لا- تمكن منها براحة، فلما وصلت الرسالة عفا، و أمر بالكف، و بعث الملك يرغبه فى الاجتماع به، فاسترهنه فى نفسه عدة من ملوك الروم، فأجاب إلى ما ارتهن، و لما ساروا إلى المدينة البيضاء- و هى قلعة رباح غربى طليطلة- خرج حريز لابسا لأمه حربه، يرمى الروم منه شخصا أوتى بسطة فى الجسم و البسالة يتحدثون بالآلات حربه، و يتعجبون من شجاعة قلبه. و لما وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب و السعة، و لما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه، فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عنه حدث، و هيئة يجزع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٣١

للقائها الشجاع و يكثر، فدعاه إلى البراز عظيم أبطالهم، فقال له الملك: يا حريز، أريد أن أنظر إلى مبارزتك هذا البطل، فقال له حريز: المبارز لا يبارز إلّا أكفاءه، و إن لى بينة على صدق قولى أن ليس لى فيهم كفاء، هذا رمحى قد ركزته، فمن ركب و اقتلعه بارزته، كان واحدا أو عشرة، فركب عظيمهم فلم يهزّ الرمح من مكانه حين رامه، ثم فعل ذلك مرارا، فقال له الملك: أرنى يا حريز كيف تقلعه، فركب و أشار بيده و اقتلعه، فعجب القوم، و وصله الملك و أكرمه، انتهى.

[ترجمة حريز بن عكاشة]

و كان حريز هذا شاعرا، و لما اجتاز به كاتب ابن ذى النون الوزير أبو المطرف ابن المثنى كتب إليه: [مجزوء الرمل]

يا فريدا دون ثان و هلالا فى العيان

عدم الراح فصارت مثل دهن اللسان
فجاوبه حريز، و هو يومئذ أمير قلعتة: [مجزوء الرمل]
يا فريدا لا يجارى بين أبناء الزمان
جاء من شعرك روض جاده صوب البيان
فبعثنا سلافا كسجايك الحسان

و كان لحريز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد، فأمره أن يكتب إلى المأمون بن ذى النون فى شأن حصن دخله النصارى، فكتب: و قد بلغنى أن الحصن الفلانى دخله النصارى إن شاء الله تعالى، فهذه الواقعة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن، بل هى الحادثة الشاهدة بأشراط الزمان، فإننا لله على هذه المصيبة التى هدّت قواعد المسلمين، و أبقّت فى قلوبهم حسرة إلى يوم الدين. فلما وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للأرض، و كتب لابن عكاشة جوابه، و فيه: و قد عهدناك منتقيا لأمورك، نقادا لصغيرك و كبيرك، فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الأبله الجلف، و أسندت إليه الكتب عنك دون أن تطّلع عليه، و قد علمت أن عنوان الرجل كتابه، و رائد عقله خطابه، و ما أدرى من أى شىء يتعجب منه، هل من تعليقه إن شاء الله تعالى بالماضى؟ أم من حسن تفسيره للقرآن و وضعه مواضعه؟ أم من توزّعه عن تأويله إلّا بتوقيف من سماع عن إمام؟ أم من تهويله لما طرأ على من يخاطبه؟ أم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٣٢

من علمه بشأن هذا الحصن الذى لو أنه القسطنطينية العظمى ما زاد عن عظمه و هوله شيئا؟

و لو أن حقيرا يخفى عن علم الله تعالى لخفى عنه هذا الحصن! ناهيك عن صخرة حيث لا ماء و لا مرعى، منقطع عن بلاد الإسلام، خارج عن سلك النظام، لا يعبره إلّا لصّ فاجر، أو قاطع طريق غير متظاهر، حرّاسه لا يتجاوزون الخمسين، و لا يرون خبز البر عندهم إلّا فى بعض السنين، باعه أحدهم بعشرين ديناراً، و لعمري إنه لم يغبن فى بيعه و لا ربح أرباب ابتاعه، و أراح من الشين بنسبته و النظر فى خداعه، فليت شعري ما الذى عظمه فى عين هذا الجاهل، حتى خطب فى أمره بما لم يخطب به فى حرب وائل؟ فلما وقف حريز على الكتاب كتب لابن ذى النون جواباً منه: و إن المذكور ممّن له حرمة قديمة، تغنيه عن أن يمّت بسواها، و خدمة محمود أولها و أخراها، و لسنا ممّن اتّسعت مملكته، و عظمت حضرته، فنحتاج إلى انتقاء الكتاب، و التحفّظ فى الخطاب، و إنما نحن أحلاس ثغور، و كتاب كئيب لا سطور، و إن كان الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقى على القلم، فإنه يحسن كيف يصنع فى مواطن الكرم، و له الوفاء الذى تحدّث به فلاّن و فلاّن، بل سارت بشأنه فى أقصى البلاد الرّكبان، و ليس ذلك يقدر عندنا فيه، بل زاده لكونه دالاً على صحّة الباطن و السذاجة فى الإكرام و التّنويه، انتهى.

و لهذا الكاتب شعر يسقط فيه سقوط الأغبياء، و قد يتبّه فيه تتبّه الأذكياء، فمنه قوله من قصيدة يمدح حريزا المذكور مطلعها:
[المتقارب]

يذكرنى بهم العنبر و ظلم ثنياهم سكر

إلى أن قال:

و لو لا معاليك يا ذا التدى لما كان فى الأرض من يشعر

فلا تنكرنّ زحاما على ذراك و فى كفك الكوثر

و مشى فى موكبه و هم فى سفر، و كان فى فصل المطر و الطين، فجعل فرسه فى ذنب فرس ابن عكاشة، فلما أثارت يدا فرسه طينا جاء فى عتق أميره، ففطن لذلك الأمير، فقال له:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٣٣

يا أبا محمد، تقدّم، فقال: معاذ الله أن أسىء الأدب بالتقدّم على أميرى، فقال: فإن كان كذلك فتأخّر مع الخيل، فقال: مثلى لا يزال على ركابك فى مثل هذه المواضع، فقال له: فقد و الله أهلكتنى بما ترمى يدا فرسك على من الطين، فقال: أعزّ الله الأمير! فو الله ما علمت أن يد فرسى تصل إلى عنقك، فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه.

[بين المقتدر و غلام نشأ عنده]

و كان بسرقسطة غلام اسمه يحيى بن يطف من بنى يفرن، قد نشأ عند ملكها المقتدر بن هود، و تخلّق بالركوب و الأدب، و كان فى غاية الجمال و الحلاوة و الطّرف فعلق بقلب ابن هود، و كتم حبه زمانا فلم ينكتم، فكتب له: [المجتث]

يا ظبى، بالله قل لى متى ترى فى حبالى

يمرّ عمرى و حالى من خيبتى منك خالى

فكتب له الغلام فى ظهر الرقعة: [المجتث]

إن كنت ظيبا فأنت ال هزبر تبغى اغتيالى

و ليس يخطر يوما حلول غيل ببالى

ثم كتب بعدهما: هذا ما اقتضاه حكم الجواب فى النظم، و أنا بعد قد جعلت رسنى بيد سيدى، فعسى أن يقودنى إلى ما أحبّ، لا ما أكره، و الذى أحبّه أن يكون بيننا من المحبة ما يقضى بدوام الإخلاص، و نأمن فى معبته من العار و القصاص، فتركه مدة، ثم كتب له يوما على الصورة التى ذكرها: [الكامل]

ما ذا ترى فى يوم أمن طرّزت حلل السحاب به البروق المذهبه

و أنا و كاسى لا جليس غيره ملآن لا يخلو إلى أن تشربه

و الأنس إن يسرته متيسر و متى تصعبه فى ما أصعبه

فأجابه: [الكامل]

يا مالكا بدّ الملوك بعلمه و خلاله و علوه فى المرتبه

وافى نداك فحرت عند جوابه إذ ما تضمّن ريبه مستغربه

إنّا إذا نخلو، تقوّل حاسد و غدا بهذا الأمر ينصر مذهبه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٣٤

هبنى إلى يوم تطيش به النهى و البيض تنضى و القنا متأشبه

و هناك فانظرنى بعين بصيرة فالشبل يعرف أصله من جرّبه

ثم أعلاه إلى درجة الوزارة و القيادة، إلى أن قتل فى جيش كان قدّمه عليه، فقال فيه من قصيدة: [المجتث]

يا صارما أعمدته عن ناظرى الصوارم

و زهرة غيبتها من الطيور كمائم

يا كوكبا خرّ من أن جمى و أنفى راغم

بكت على و شقت جيوبهنّ الغمائم

قل للحمائم إنى أصبحت أحكى الحمائم

و أنثر الدمع مهما رأيت للزهر باسم
تالله لا لدد عيش لمتترف لك عادم
و لئيا رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادي آش إلى علي الميورقي صاحب فتنة إفريقيه أقبل عليه، ثم ولى أخوه يحيى الإمارة
بعده، فأسند جميع أموره إليه، فقال يخاطبه:
[الطويل]

أجبتنا و رمحي ناصري و حسامي و عجزا و عزمي قائدي و إمامي
ولي منك بطاش اليدين غضنفر يحارب عن أشباله و يحامي
ألا غنياني بالصهيل فإنه سماعي و رقرق الدماء مدامي
و حطاً على الرمضاء رحلي فإنها مهادي و خفاق البنود خيامي

[الأمير أبو عبد الله بن مردنيس]

و كان الأمير أبو عبد الله ابن مردنيس ملك شرق الأندلس من أبطال عصره، و كان يدفع في المواكب، و يشقها يمينا و شمالا منشدا:
[الوافر]

أكرّ على الكتيبة لا أبالي أحتفى كان فيها أم سواها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٣٥
حتى إنه دفع مرة في موكب النصارى، فصرع منهم و قتل، و ظهر منه ما أعجبت به نفسه، فقال لشخص من خواصه عالم بأمور الحرب:
كيف رأيت؟ فقال: لو رآك السلطان ل زاد فيما لك في بيت المال، و أعلى مرتبتك، أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الإقدام، و
يتعرض بهلاكك نفسه إلى هلاك من معه، فقال له: دعني فأني لا أموت مرتين، و إذا مت أنا فلا عاش من بعدى.

[من ظرف أهل الأندلس]

و من حكاياتهم في الظرف: أن القاضي أبا عبد الله محمد بن عيسى من بني يحيى بن يحيى خرج إلى حضور جنازة، و كان لرجل
من إخوانه منزل بقرب مقبرة قريش، فعزم عليه في الميل إليه، فنزل و أحضر له طعاما، و غنت جارية: [الكامل]
طابت بطيب لثاتك الأقداح و زها بحمرة وجهك التفاح
و إذا الربيع تنسّمت أرواحه نمت بعرف نسيمك الأرواح
و إذا الحنادس ألبست ظلماءها فضياء وجهك في الدجى مصباح
فكتبها القاضي طربا على ظهر يده.
قال الراوي: فلقد رأيت يكبر على الجنازة و الأبيات على ظهر يده.

و من حكاياتهم في البلاغة: ما ذكره في «المطمح» أن أبا الوليد بن عيال لما انصرف من الحجّ اجتمع مع أبي الطيب في مسجد عمرو
بن العاص بمصر، ففاوضه قليلا، ثم قال له:

أنشدني لمليح الأندلس، يعنى ابن عبد ربه، فأنشده: [الكامل]
يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا ورشا بتعذيب القلوب رفيقا

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله درًا يعود من الحياء عقيقا
و إذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة ما بال قلبك لا يكون رقيقا
فلما كمل إنشادها استعادها، ثم صَفَّقَ يديه وقال: يا ابن عبد ربه، لقد تأتيتك العراق حبوا، انتهى.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٣٦

[من شعر ابن عبد ربه و من سعة اطلاع ابن زيدون]

و قال مؤلف كتاب «واجب الأدب»: مما يجب حفظه من مخترعات الأندلسيين قول ابن عبد ربه: [الكامل]
يا ذا الذي خطَّ العذار بخده خطين هاجا لوعه و بلا بلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم حتى حملت من العذار حمائلا
و حكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته، و بعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم، ف قيل:
إنه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد، قال الصيغدي: و هذا من التوسع في العبارة، و القدرة على التفنن في أساليب الكلام، و
هو أمر صعب إلى الغاية، و أرى أنه أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء أنه ما سمعت منه كلمة فيها راء؛ لأنه كان يلثغ بحرف الراء
لثغة قبيحة، و السبب في تهوين هذا الأمر و عدم تهويله أن واصل بن عطاء كان يعدل إلى ما يرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء، و
هذا كثير في كلام العرب، فإذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد أو ساع أو صافن، أو العدول عن رمح قال قناه أو صعده أو يزنى
أو غير ذلك، أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو لهزم أو غير ذلك، و أما ابن زيدون فأقول في حقه إنه أقل مما كان في تلك
الجنازة، و هو وزير، ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له، و يضطر إلى ذلك، فيحتاج في هذا المقام إلى ألف عبارة مضمونها
الشكر، و هذا كثير إلى الغاية، لا سيما من محزون، فقد قطعته من كبده: [الطويل]
و لكنه صوب العقول إذا انبرت سحائب منه أعقت بسحائب
و قد استعمل الحريري هذا في مقاماته عندما يذكر طلوع الفجر، و هو من القدرة على الكلام، و أرى الخطيب بن نباتة ممن لا يلحق
في هذا الباب، فإنه أملى مجلده معناها من أولها إلى آخرها «يا أيها الناس اتقوا الله و احذروه فإنكم إليه راجعون»، و هذا أمر بارع
معجز، و الناس يذهلون عن هذه النكته فيه، انتهى كلام الصغدي ملخصا.
و قال في الوافي، بعد ذكره جملة من أحوال ابن زيدون ما نصه: و قال بعض الأدباء: من
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٣٧

[من شعر أبي الربيع سليمان بن علي الشلبي و ابن مهران و ابن السيد البطلوسي و ابن صارة]

لبس البياض، و تختم بالعقيق، و قرأ لأبي عمرو، و تفقه للشافعي، و روى شعر ابن زيدون، فقد استكمل الظرف. و كان يسمي بحترى
المغرب لحسن ديباجه نظمه، و سهوله معانيه، انتهى.
رجع إلى كلام أهل الأندلس:
و كان الأديب المحدث أبو الربيع سليمان بن علي الشلبي الشهير بكثير يهوى من يتجنى عليه و يقول: إنه أبرد من الثلج، فخاطبه كثير
بقوله: [الخفيف]

يا حبيبا له كلام خلوب قلبت في لظى هواه القلوب
 كيف تعزو إلى محبك بردا و من الحب في حشاه لهيب
 أنت شمس و قلت إنى ثلج فلهدا إذا طلعت أذوب
 و قال ابن مهران مما يشتمل على أربعة أمثال: [الكامل]
 المال زين، و الحياة شهية، و الجود يفقر، و الشجاعة تقتل
 و البخل عيب، و الجبان مذمم، و القصد أحكم، و التوسط أجمل
 و قال ابن السيد البطليوسي متغزلا: [الكامل]
 نفسى الفداء لجؤذر حلو اللّمي مستحسن بصدوده أضنانى
 فى فيه سمطا جوهر يروى الظما لو علنى ببروده أحيانى
 و يخرج من هذه القطعة عدة قطع.
 و قال ابن صارة مضمنا: [الوافر]
 إلى كم ينفد الدينار منى و يطلب كف من عنه يحيد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٣٨
 أ لم أنشده فى وادى هيامى به لو كان يعطفه النشيد
 حبيبي أنت تعلم ما أريد و لكن لا ترق و لا تجود
 و كم غنيت حين تنكبتنى منى شيطانها أبدا مرید
 (يريد المرء أن يؤتى مناه و يأبى الله إلّا ما يريد)

[من شعر عبد الملك بن رزين و ابن عبد ربه]

و قال ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين: [مجزوء الكامل]
 بالله إن لم تزدجر يا مشبه البدر المنير
 لأسرحن نواظرى فى ذلك الورد النضير
 و لآكلنك بالمنى و لأشربنك بالضمير
 و قال ابن عبد ربه: [مخلع البسيط]
 اشرب على المنظر الأنيق و امزج بريق الحبيب ريقى
 و احلل و شاح الكعاب رفقا خوفا على خصرها الرقيق
 و قل لمن لام فى التصابى خلّ قليلا عن الطريق
 و سيأتى إن شاء الله تعالى قريبا من بلاغة أهل الأندلس فى الجدّ و الهزل ما فيه مقنع لمن اقتصر عليه.

[من أنفة الأندلسيين]

و من حكاياتهم فى عدم احتمال الضيم و الذلّ و الوصف بالأنفة: أنه لما ثار أيوب بن مطروح فى المائة الخامسة فى الفتنة على ملك

غرناطة عبد الله بن بلقين بن حبوس و خاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فيمن رمى على الساحل، و حصل فيما بثّ عليهم يوسف بن تاشفين من الجبائل، و كانت له همّة و أنفة عظيمة، و خلع عن إمارته، و حصل في حبالته، أدخل رأسه تحته، فانتظر من حضر معه أن يتكلم أو يخرج رأسه، فلم يكن إلّا قليل حتى وقع ميتا، رحمه الله تعالى!.

و لما ثار الميورقي بإفريقيه على بنى عبد المؤمن الثورة المشهورة، و خدمه جملة من أعيان أهل الأندلس، و كان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي، كتب عنه من رسالته: و بعد، فإنّا لا نحتاج لك إلى برهان على أمير لسانه الحسام، و أيده التأييد الرباني الذي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٣٩

لا يرام، قد نصب خيامه بالبراح، و لم يتخذ سورا غير سمر القنا و بيض الصفاح، له من العزم رداء و من الحزم كمين: [الوافر]
إذا صدق الحسام و منتضيه فكلّ قرارة حصن حصين

و هو من القوم الذين لا- يجورون على جار، و لا- يرحلون بخزيه و لا- يتركون من عار، دينهم دين التقوى، و إن كنت من ذلك في شك فأقدم علينا حتى يصحّ لك اختبار الذهب بالسبيك، و أنت بالخيار في الظعن و الإقامة، فإن حلت نزلت خير منزل، و إن رحلت و دعت أفضل و داع، و سرت في كنف السلامة، إذ قد شهرنا بأننا لا نقيد إلّا بالإحسان، و أن ندع لاختياره كل إنسان.

[من كرم الأندلسيين و من شعر أبي العرب الصقلي]

و من حكايات أهل الأندلس في الجود و الفضل و مكارم الأخلاق: أنّ أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد بن عباد، فأدخلت عليه جملة من دنائير السيكة، فيمر له بخريطتين منها، و بين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصع بنفيس الدرّ، فقال أبو العرب: ما يحمل هذه الدنائير إلّا جمل، فتبسّم المعتمد و أمر له به، فقال: [البيسط]

أعطيتني جملا جونا شفعت به حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك في أعطان مكرمة لا قدّ تعرف من منع و لا عقلا
فاعجب لشأني فشأني كلّه عجب رفّهتني فحملت الحمل و الجملا
و من نظم أبي العرب المذكور: [الطويل]

إلام أتباعي للأمانى الكواذب و هذا طريق المجد بادي المذهب
أهمّ و لي عزمان: عزم مشرقّ و آخر يثنى همّتي للمغرب
و لا بدّ لي أن أسأل العيس حاجة تشقّ على أخفافها و الغوارب
إذا كان أصلي من تراب فكّلها بلادى و كلّ العالمين أقاربي

و ذكر الحافظ الحجاري في «المسهب» أنه سأل عمّه أبا محمد عبد الله بن إبراهيم عن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٤٠

أفضل من لقي من أجواد تلك الحلبة، فقال: يا ابن أخي، لم يقدر أن يقضى لي الاضطحاب بهم، في شباب أمرهم، و عنفوان رغبتهم في المكارم، و لكن اجتمعت بهم و أمرهم قد هرم، و ساءت بتغير الأحوال ظنونهم، و ملّوا الشكر، و ضجروا من المروءة، و شغلتهن المحن و الفتن، فلم يبق فيهم فضل للإفضال و كانوا كما قال أبو الطيب: [البيسط]

أتى الزمان بنوه في شبيته فسّرهم و أتينا على الهرم

[من كرم الوزير أبي بكر بن عبد العزيز و كرم المعتمد بن عباد]

فإن يكن أناه على الهرم فإننا أتيناها و هو فى سياق الموت، ثم قال: و مع هذا فإن الوزير أبا بكر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى -! كان يحمل نفسه ما لا يحمله الزمان، و يبسم فى موضع القطوب، و يظهر الرضا فى حال الغضب، و يجهد ألاً ينصرف عنه أحد غير راض، فإن لم يستطع الفعل عوّض عنه القول.

قلت له: فالمعتمد بن عباد كيف رأيتة؟ فقال: قصدته و هو مع أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين فى غزوته للنصارى المشهورة، فرفعت له قصيدة منها: [البسيط]

لا روع الله سرّبا فى رحابهم و إن رمونى بترويع و إبعاد

و لا سقايم على ما كان من عطش إلاّ ببعض ندى كفّ ابن عباد

ذى المكرمات التى ما زلت تسمعها أنس المقيم و فى الأسفار كالزاد

يا ليت شعرى ما ذا يرتضيه لمن ناداه يا موئلى فى جحفل النادى

فلما انتهيت إلى هذا البيت قال: أما أرتضيه لك فلست أقدر فى هذا الوقت عليه، و لكن خذ ما ارتضى لك الزمان، و أمر خادما له فأعطاني ما أعيش فى فائدته إلى الآن، فإنى انصرفت به إلى المريّة، و كان يعجبني سكنائها و التجارة بها، لكونها مينا لمراكب التجار من مسلم و كافر، فتجرت فيها فكان إبقاء ماء وجهى على يديه، رحمه الله تعالى عليه! ثم أخذ البطاقة و جعل يجيل النظر و الفكر فى القصيدة، و أنا مترقب لنقده، لكونه فى هذا الشأن من أئمتة، و كثيرا ما كان الشعراء يتحامونه لذلك إلاّ من عرف من نفسه التبريز، و وثق بها، إلى أن انتهى إلى قولى: [البسيط]

و لا سقايم على ما كان من عطش إلاّ ببعض ندى كفّ ابن عباد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٤١

فقال: لأى شىء بخلت عليهم أن يسقوا بكفّه؟ فقلت: إذن كان يلحقنى من النقد ما لحق ذا الرمة فى قوله: [الطويل]

و لا زال منهلاً بجرعائك القطر

و كان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك، فتألقت غزته، و بدت مسرّته، و قال: إنا لله على أن لم يعنّا الزمان على مكافأة مثلك.

قال: و كنت ممّن زاره بسجنه بأغمات، و حملتنى شدة الحمية له و الامتعاض لما حلّ به أن كتبت على حائط سجنه متمثلاً: [الطويل]

فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه و لا تسجنوا معروفه فى القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام، فوجدت تحت البيت: لذلك سجّناه: [الطويل]

و من يجعل الضّرغام فى الصّيد بازه تصيّده الضّرغام فيما تصيّدا

فما أدرى من جاوب بذلك، ثم عدت له و وجدته قد محى، و أعلمت بذلك ابن عباد، فقال: صدق المجاوب، و أنا الجانى على

نفسه، و الحافر بيده لرمسه، و لما أردت وداعه أمر لى بإحسان على قدر ما استطاع، فارتجلت: [السريع]

آليت لا أقبل إحسانكم و الدّهر فيما قد عراكم مسى

ففى الذى أسلفتم غنية و إن يكن عندكم قد نسى

قال: و فيه أقول من قصيدة: [السريع]

يا طالب الإنصاف من دهره طلبت أمرا غير معتاد

فلو يكون العدل فى طبعه لما عدا ملك ابن عباد

[من شعر الحجارى]

و للحجارى المذكور كتاب فى البديع سماه «الحديقه» و أنشد لنفسه فيه: [السريع]
 و شادن ينصف من نفسه أمتنى من سطوة الدهر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٤٢
 ينام للشرب على جنبه و يصرف الذنب إلى الخمر
 و له فى فرس: [الوافر]
 و مستبق يحار الطرف فيه و يسلم فى الكفاح من الجماع
 كأن أديمه ليل بهيم تحجل باليسير من الصباح
 إذا احتدم التسابق صار جرما تقلب بين أجنحة الرياح

[من شعر أبى العلاء إدريس بن أزرق و محمد بن هشام المروانى]

و كتب أبو العلاء إدريس بن أزرق إلى ابن رشيق ملك مرسية، و قد طالت إقامته عند ابن عبد العزيز: [الطويل]
 ألا ليت شعرى هل أعود إلى الذى عهدت من التعمى لديكم بلا جهد
 فوالله مذ فارقتكم ما تخلصت من الدهر عندى ساعة دون ما كد
 فمّنوا يا ذن كى أظير إليكم فلا عار فى شوق إلى المال و المجد
 و وقف بعض أعدائه على هذه الأبيات، فوشى بها إلى ابن عبد العزيز قاصدا ضرره، و كان ذلك فى محفل ليكون أبلغ، فقال: و الله
 لقد ذكرتنى أمره، و لقد أحسن الدلالة على حاله، فإنّ الرجل كريم، و علينا موضع اللوم، لا عليه، و و الله لأوسعته مالا و وجدا بقدر و
 سعى، ثم أخذ فى الإحسان إليه حتى برّ يمينه رحمه الله تعالى: [الخفيف]
 هكذا هكذا تكون المعالى طرق الجدّ غير طرق المزاح
 و لنذكر جملة من بنى مروان بالأندلس، فنقول:
 قال محمد بن هشام المروانى صاحب كتاب «أخبار الشعراء»: [البسيط]
 و روضة من رياض الحزن حالفها ظلّ أطلت به فى أفقها الحل
 كأنما الورد فيما بينها ملك موف و توارها من حوله خول
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٤٣
 و كان فى مدة الناصر، و أدخل عليه يوما ليذاكره، فاستحسنه، و أمره بالتزام بنيه ليؤدّبهم بحسن أدبه، و يتخلّقوا بخلقه، فاستعفى من
 ذلك، و قال: إنّ الفتیان لا يتعلّمون إلّا بشدّة الضبط و القيد و الإغلاظ، و أنا أكره أن أعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرونى، و قد
 يحقد لى بعضهم ذلك إلى أن يقدر على النفع و الضرر.
 قالوا: و كان يتعشّق المستنصر بالله ولى عهد الناصر و هو غلام، و له فيه: [المجتث]
 متّع بوجهك جفنى يا كوكبا فوق غصن
 يا من تحجّب حتى عن كلّ فكر و أذن
 و خامر الخوف فيه فما يمر بذهن

فليس للطرف و القلب غير دمع و حزن
فإننى ذو ذنوب و أنت جنة عدن

[من شعر أحمد بن هشام المرواني و علو همته]

و قال أخوه أحمد بن هشام: [الطويل]

قطعت الليالي بارتجاء وصالكم و ما نلت منكم غير متّصل الهجر
و ما كنت أدري ما التصبر قبلكم فعلمتموني كيف أقوى على الصبر
و ما كنت ممن يعلق الصبر فكره و لكن خشيت الصبر يذهب بالعمر

و من حكاياتهم فى علوّ الهمة: أنه كان سبب قراءته و اجتهاده أنه حضر مجلسا فيه القائد أحمد بن أبى عبده، و هو غلام، فاستخبره القائد، فرآه بعيدا من الأدب و الظرف، و رأى له ذهننا قابلا للصلاح، فقال: أى سيف لو كانت عليه حلية؟ فقامت من هذه الكلمة قيامته، و ثابت له همّة ملوكيّة عطف بها على الأدب و التعلّم، إلى أن صار ابن أبى عبده عنده كما كان هو عند ابن أبى عبده أولا، فحضر بعد ذلك معه، و جالا فى مضممار الأدب، فرأى ابن أبى عبده جوادا لا يشقّ غباره، فقال: ما هذا؟ أين هذا مما كان؟ فقال: إن كلمتك عملت فى فكرى ما أوجب هذا، فقال: و الله إن هذه حلية تليق بهذا السيف، فجزاك الله عن همّتك خيرا!!

ثم قال له: سر، إن لى عليك حقا إذ بعثتك على التأدّب و التميز، فإذا حضرنا فى جماعة فلا تتناول على تقصيرى، و حافظ على أن لا أسقط من العيون بإرباء غيرى على، فقال:
لك ذلك و زيادة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٤٤

[المنذر بن عبد الرحمن الأوسط]

و كان المنذر ابن الأمير عبد الرحمن الأوسط سبيء الخلق فى أول أمره، كثير الإصغاء إلى أقوال الوشاة، مفرط القلق ممّا يقال فى جانبه، معاقبا على ذلك من يقدر على معاقبته، مكثر التشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن، فطال ذلك على الأمير، فقال لو كيل خاصّ به عارف بالقيام بما يكلفه به: الموضع الفلانى الذى بالجبل الفلانى المنقطع عن العمران تبنى فيه الآن بناء أسكن فيه ابنى المنذر، و أوصاه بالاجتهاد فيه، و ففرغ منه، و عاد إليه، فقال له: تعلم المنذر أنى أمرته بالانفراد فيه، و لا تترك أحدا من أصحابه و لا أصحاب غيره يزوره، و لا يتكلّم معه البتّة، فإذا ضجر من ذلك و سألك عنه فقل له: هكذا أمر أبوك، فتولّى الثقة ذلك على ما أمر به، و لما حصل المنذر فى ذلك المكان و بقى وحده، و فقد خوله و من كان يستريح إليه، و نظر إلى ما سلبه من الملك ضجر، فقال للثقة: عسى أن يصلنى غلماى و أصحابى أتأس بهم، فقال له الثقة: إن الأمير أمر أن لا يصلك أحد و أن تبقى وحدك لتستريح ممّا يرفع لك أصحابك من الوشاية، فعلم أن الأمير قصد محنته بذلك و تأديبه، فاستدعى دواة و كتب إلى أبيه: أنى قد توخّشت فى هذا الموضع توخّشا ما عليه من مزيد، و عدت فيه من كنت آنس إليه، و أصبحت مسلوب العزّ فقيد الأمر و النهى، فإن كان ذلك عقابا لذنوب كبير ارتكبتها و علمه مولاى و لم أعلمه فإنى صابر على تأديبه، ضارع إليه فى عفوّه و صفحه: [الطويل]

و إن أمير المؤمنين و فعله لكالدهر، لا عار بما فعل الدهر

فلما وقف الأمير على رفقته، و علم أن الأدب بلغ به حقّه، استدعاه فقال له: وصلت رفقته تشكو ما أصابك من توخّش الانفراد فى

ذلك الموضع، و ترغب أن تأنس بخولك و عبيدك و أصحابك، و إن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكتناك في ذلك المكان، و ما فعلت ذلك عقابا لك، و إنما رأيناك تكثر الضجر و التشكى من القال و القيل، فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك و ينم، حتى تستريح منهم، فقال له: سماع ما كنت أضجر منه أخفّ على من التوحيد و التوحش و التخلي ممّا أنا فيه من الرفاهية و الأمر و النهي، فقال له: فإذا قد عرفت و تأدبت فارجع إلى ما اعتدته، و عوّل على أن تسمع كأنك لم تسمع،
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٤٥

و ترى كأنك لم تر، و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم «لو تكاشفتهم ما تدافنتهم»، و اعلم أنك أقرب الناس إليّ و أحبهم فيّ، و بعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكار عليّ، و سخط لما أفعله في جانبك أو جانب غيرك، مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني، لكن الحمد لله الذي حفظ ما بين القلوب بستر بعضها عن بعض فيما يجول فيها، و إنك لذو همّة و مطمح، و من يكن هكذا يصبر و يغض و يحمل، و يبذل العقاب بالثواب، و يصير الأعداء من قبيل الأصحاب، و يصبر من الشخص على ما يسوء، فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر، و لقد يخف عليّ اليوم من قاسيت من فعله و قوله، ما لو قطعتم عضوا عضوا لما ارتكبه مني ما شفيت منهم غيظي، و لكن رأيت الإغضاء و الاحتمال، لا- سيما عند الاقتدار، أولى، و نظرت إلى جميع من حولي ممّن يحسن و يسيء فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض، و نظرت إلى المسيء يعود محسنا، و المحسن يعود مسيئا، و صرت أندم على من سبق له منه عقاب، و لا أندم على من سبق له مني ثواب، فالزم يا بنّي معالي الأمور، و إن جماعها في التغاضي، و من لا يتغاضي لا يسلم له صاحب، و لا يقرب منه جانب، و لا ينال ما تترقى إليه همّته، و لا يظفر بأمله، و لا يجد معينا حين يحتاج إليه، فقبل المنذر يده، و انصرف، و لم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل، و بلغ ما أوصاه به أبوه، و رفع قدره.

[من شعر المنذر بن عبد الرحمن و من كرم نفس المنذر بن عبد الرحمن]

و من شعره في ابن عمّ له: [الطويل]
و مولى أبي إلّا أذى و إننى لأحلم عنه و هو بالجهل يقصد
توددته فازداد بعدا و بغضة و هل نافع عند الحسود التودد
و قوله: [المجث]
خالف عدوك فيما أتاك فيه لينصح
فإنما يبتغي أن تنام عنه فيريح
و من كرم نفسه أن أحد التجار أهدى له جارية بارعة الحسن، و اسمها طرب، و لها صنعة في الغناء حسنة، فعندما وقع بصره على حسنّها ثم أذنه على غنائها أخذت بمجامع قلبه، فقال
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٤٦
لأحد خدامه: ما ترى أن ندفع لهذا التاجر عوضا عن هذه الجارية التي وقعت ممّا أحسن موقع؟
فقال: تقدّر ما تساوى من الثمن و تدفع له بقدرها، فقومت بخمسائة دينار، فقال المنذر للخديم: ما عندك فيما ندفع له؟ فقال:
الخمسائة، فقال: إن هذا اللوم، رجل أهدى لنا جارية، فوقع ممّا موقع استحسان، نقابله بثمانها، و لو أنه باعها من يهودى لوجد عنده
هذا، فقال له: إن هؤلاء التجار لؤماء بخلاء، و أقلّ القليل يقنعهم، فقال: و إنّنا كرماء سمحاء، فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه، فادفع له
ألف دينار، و اشكره على كونه خصنا بها، و أعلمه بأنها وقعت ممّا موقع رضا.
و فيها يقول: [المنسرح]

ليس يفيد السرور و الطرب إن لم تقابل لواحظى طرب
أبهت فى الكأس لست أشربها و الفكر بين الضلوع يلتهب
يعجب منى معاشر جهلوا و لو رأوا حسنها لما عجبوا

و قال له أبوه يوما: إن فيك لتيها مفرطا، فقال له: حقّ لفرع أنت أصله أن يعلو، فقال له: يا بنى، إن العيون تمجّ التياه، و القلوب تنفر عنه، فقال: يا أبى، لى من العزّ و النسب و علو المكان و السلطان ما يجمل عن ذلك، و إنى لم أر العيون إلّا مقبله علىّ، و لا الأسماع إلّا مصغية إلىّ، و إنّ لهذا السلطان رونقا يرتقه التبذل، و علوا يخفضه الانبساط، و لا يصونه و يشرفه إلّا التيه و الانقباض، و إنّ هؤلاء الأندال لهم ميزان يسبرون به الرجل منّا، فإن رأوه راجحا عرفوا له قدر رجاحته، و إن رأوه ناقصا عاملوه بنقصه، و صيروا تواضعه صغرا، و تخضعه حسنة، فقال له أبوه: لله أنت! فابق و ما رأيت.

[المطرف بن عبد الرحمن الأوسط]

و كان له أخ أديب أيضا اسمه المطرف بن عبد الرحمن الأوسط، و من شعره: [المجتث]

أفنت عمرى فى الشرب و الوجوه الملاح
و لم أضيح أصيلا و لا اطلاق صباح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٤٧
أحى الليالى شهدا فى نشوة و مراح
و لست أسمع ما ذا يقول داعى الفلاح
و العياد بالله من هذا الكلام، و حاكى الكفر ليس بكافر.
و عتبه أحد إخوانه على هذا القول فقال: إنى قلت و أنا لا أعقل، و لا أعلم أنه يحفظ عنى، و أنا أستغفر الله تعالى منه، و الذى يغفر
الفعل أكرم من أن يعاقب على القول.
و من جيد شعره له: [الخفيف]
يا أخى، فرقت صروف الليالى بيننا غير زورة الأحلام
فغدونا بعد ائتلاف و قرب نتاجى بألسن الأقلام

[من شعر هشام بن عبد الرحمن الأوسط و يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط]

و قال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فيمن اسمه ريحان: [الطويل]
أحبك يا ريحان ما عشت دائما و لو لامننى فى حبك الإنس و الجان
و لولاك لم أهو الظلام و سهده و لا حببت لى فى ذرا الدار غربان
و ما أعشق الريحان إلّا لأنه شريكك فى اسم فيه قلبى هيمان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٣٤٧
على أنه لم يكمل الظرف مجلس إذا لم يكن فيه مع الراح ريحان
و له فيه: [الطويل]

إذا أنا مازحت الحبيب فإنما قصدت شفاء الهم في ذلك المزح
فما العيش إلّا أن أراه مضاحكا كما ضحكك الليل البهيم عن الصبح
و قال أخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن: [الوافر]
إذا أنا لم أجد يوما وقومى لهم في الجود آثار عظام
فمن يرجى لتشييد المعالي إذا قعدت عن الخير الكرام

و مدحه بعض الشعراء، فأمر له بمال جزيل، فلما كان مثل ذلك الوقت جاءه بمدح آخر، فقال أحد خدام يعقوب: هذا اللئيم له دين
عندنا جاء يقتضيه؟ فقال الأمير: يا هذا، إن كان الله تعالى خلقك مجبولا على كره ربّ الصنائع فاجر على ما جبلت عليه في نفسك، و
لا تكن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٤٨

كالأجرب يعدى غيره، و إنّ هذا الرجل قصدنا قبل، فكان ممّا له ما أنس به و حمله على العودة، و قد ظنّ فينا خيرا، فلا نخيب ظنه، و
الحديث أبدا يحفظ القديم، و قد جاءنا على جهة التهئة بالعمر، و نحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر ترداده، و يديم
نعمننا حتى نجد ما ننعّم به عليه، و يحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجمل معه، و لا يبلينا بجليس مثلك يقبض أيدينا عن إسداء
الأيدى، و أمر الشاعر بما كان أمر له به قبل، و أوصاه بالعود عند حلول ذلك الأوان ما دام العمر.

[بين الأميرين محمد و أبان ابني عبد الرحمن الأسط أبناءه و شيء من شعرهم]

و قال أخوهم الخامس الأمير محمد بن الأمير عبد الرحمن لأخيهم السادس أبان و قد خلا معه على راحة: هل لك أمل نبليك إياه؟
فقال: لم يبق لى أمل إلّا أن يديم الله تعالى عمرك و يخلد ملكك، فأعجب ذلك الأمير، و قال: ما مالت إليك نفسى من باطل، و
كان كل واحد منهما يهيم بالآخر، و فى ذلك يقول أبان: [البيسط]
يا من يلوم و لا يدري بمن أنا مف تون لو ابصرته ما كنت تلحاني
من مازجت روحه روحى و شاطرنى يا حسنه حين أهواه و يهوانى

و كان للأمير محمد بن الأمير عبد الرحمن ثلاثة أولاد نجباء: القاسم، و المطرف، و مسلمة، و لهم أخ رابع اسمه عثمان.

فمن نظم القاسم فى عثمان أخيه، و قد زاره فاستسقاها ماء، فأبطأ عليه غلامه لعلّه لم يقبلها القاسم: [البيسط]

الماء فى دار عثمان له ثمن و الخبز شيء له شأن من الشأن

فاسلح على كل عثمان مررت به غير الخليفة عثمان بن عفان

و له: [مخلع البسيط]

شغلت بالكيمياء دهرى فلم أفد غير كلّ خس

إتعب فكر، خداع عقل فساد مال، ضياع عمر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٤٩

و قال شقيقه المطرف، و يعرف بابن غزلان، و هى أمه، و كانت مغنية بديعة محسنة عوادة أديبة: [المنسرح]

هل أتكى مشرفا على نهر أرمى بطرفى إليه من قصرى

عند أخ لو دهته حادثة أعطيته ما أحبّ من عمرى

و قال أخوهما مسلمة: [الخفيف]

إن شيبا و صبوة لمحال أو لم يأن أن يكون زوال
 فدع النفس عن مزاح و لهو تلك حال مضت و جاءتك حال
 و كان يقول: إنى لا أفارق إلّا من اختار مفارقتى، و من خادعنى انخدعت له، و أريته أنى غير فطن بخداعه، ليعجبه أمره، و أدخل عليه
 مسرة بنفسه و رأيه.

[من شعر محمد بن المنذر بن محمد و عبد الله بن الناصر]

و قال محمد بن الأمير المنذر بن الأمير محمد فى جاريته الأراكه: [المجتث]
 قل للأراكه قد زاد بالدنو اشتياقى
 و هاج ما بى إليها تمثلى للعناق
 و إننى و بقلبى جمر جرى فى المآقى
 طويت ما بى ليوم يكون فيه التلاقى
 فإن أعد لاجتماع حرمت يوم افتراق
 لا يعرف الشوق إلّا من ذاق طعم الفراق
 و قال عبد الله بن الناصر، و قد أهدى له سعيد بن فرج ياسمينا أبيض و أصفر، و كتب معه: [الكامل]
 مولاي قد أرسلت نحوك تحفة بمراد ما أبغيه منك تذكر
 من ياسمين كاللجين تبرجت بيضا و صفرا و السّماح يعبر
 فأجابه بما نصّه: [السريع]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٥٠
 أتاك تفسيرى و لما يحل منى على أضغاث أحلام
 اجعله رسما دائما زائرا منى و منك غرة العام
 و بعث إليه بهذين البيتين مع ملء الطبق دنانير و دراهم، فقال ابن فرج: [الخفيف]
 قد سمعنا بجد كعب و حاتم ما سمعنا جودا مدى العمر لازم
 فدعائى بأن تدوم دعاء لى ما زال طول ما عشت دائم
 ما سمعنا كمثله هذا اختراعا هكذا هكذا تكون المكارم

[من جود بعض ملوك إفريقية و بين عبد الله المروانى و صديق و مقتل عبد الله بن الناصر و]

تشبه هذه الحكاية حكاية أنفقت لبعض ملوك إفريقية، و ذلك أن رجلا أهدى لى فى قادوس وردا أحمر و أبيض، فأمر أن يملأ له
 دراهم، فقالت له جاريته من جواربه: إن رأى الأمير أن يلون ما أعطاه، حتى يوافق ما أهداه، فاستحسن ذلك الأمير، و أمر أن يملأ
 دنانير و دراهم.

و كان المروانى المذكور يساير أحد الفقهاء الظرفاء، فمزا بجميل، فمال عبد الله بطرفه إلى وجهه، و ظهر ذلك لمساييره، فتبسّم، ففهم
 عبد الله تبسمه، فقال: إن هذه الوجوه الحسان خلابة، و لكنا لا نتغلغل فى نظرها، و لا ندعى العفة عنها بالجملة، و فيها اعتبار و تذكار

بالحور العين التي وعد الله تعالى، فقال له الفقيه: احتج لروحك بما شئت، فقال: أو ما هي حجة تقبل؟ فقال الفقيه: يقبلها من رقب طبعه، و كاد يضيق عن الصبر وسعه، فقال: و أراك شريكاً لي، فقال: و لو لا ذلك للمتك، فأطرق عبد الله ساعة ثم أنشد: [المنسرح]
أفدى الذي مرّ بي فمال له لحظي و لكن ثنيته غصبا
ما ذاك إلا مخاف منتقد فالله يعفو و يغفر الذنبا

فقال له الفقيه: إن كنت ثنيت لحظك خوف انتقادي فإني أدعوه إليك حتى تملأ منه، و لا تنسب إليّ ما نسبت، فتبسّم عبد الله و قال: و لا هذا كله، و قال له: إن مثلك في الفقهاء لمعدوم، فقال له: ما كنت إلا أديبا، و لكنني لما رأيت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به، فقال له: و من عقل المرء أن لا يفنى عمره فيما لا ينفعه عصره.

و كان عبد الله المذكور يسمّى الزاهد، فبايع قوما على قتل والده الناصر و أخيه الحكم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٥١

المستنصر ولى العهد، فأخذ يوم عيد الأضحى سنة تسع و ثلاثين و ثلاثمائة، فذبح بين يديه رحمه الله تعالى!.

[من شعر عبد العزيز بن الناصر و محمد بن الناصر]

و قال أخوه أبو الأصبغ عبد العزيز بن الناصر، و قد دخل ابن له الكتّاب، فكتب أول لوح، فبعثه إلى أخيه الحكم المستنصر ملك الأندلس، و معه: [مجزوء الرمل]
هاك يا مولاي خطا مطه في اللوح مطّا
ابن سبع في سنه لم يطق للوح ضبطا
دمت يا مولاي حتى يلد ابن ابنك سبطا
وله: [الرمل]

زارني من همت فيه سحرا يتهادى كنسيم السحر
أقبس الصبح ضياء ساطعا فأضأ و الفجر لم ينفجر
و استعار الروض منه نفعه بثها بين الصبا و الزهر
أيها الطالع بدرا نيرا لا حلت الدهر إلا بصرى
و كان مغرى مغرما بالخمير و الغناء، فقطع الخمر، فبلغه أن المستنصر لما بلغه تركه للخمر قال: الحمد لله الذي أغنانا عن مفاتحته، و دلّه على ما نريد منه، ثم قال: لو ترك الغناء لكمل خيريه، فقال: و الله لا تركته حتى تترك الطيور تغريدها، ثم قال: [الخفيف]

أنا في صحّة و جاه و نعمى هي تدعو لهذه الألحان
و كذا الطير في الحدائق تشدو للذي سرّ نفسه بالقيان
و قال أخوه محمد بن الناصر لما قدم أخوهما المستنصر من غزوة: [الطويل]

قدمت بحمد الله أسعد مقدم و ضدك أضحى لليدين و للفم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٥٢
لقد حزت فيها السبق إذ كنت أهله كما حاز «بسم الله» فضل التقدّم

[من شعر محمد بن عبد الملك بن الناصر]

و أما أخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر فقال الحجارى فيه: إنه لم يكن فى ولد الناصر مَمَّن لم يل الملك أشعر منه و من ابن أخيه، و كتب إلى العزيز صاحب مصر:

[الطويل]

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
إذا ولد المولود منا تهللت له الأرض و اهتزت إليه المنابر
و كان جواب العزيز له: أمّا بعد، فإنك عرفتنا فهجوتنا، و لو عرفناك لهجوناك.
و له فى الصنوبر: [المجتث]

إنّ الصنوبر حصن لديه حرز و باس
خفت من اجل إرهاب من عداه تراس
كأنما هو ضدّ لما حواه الرياس
و بعض سيوف الأندلس محفور صدر الرياس على صورة قشور الصنوبر إلّا أنّ تلك ناتئة و هذه محفورة، و قال: [الطويل]

أتانى و قد خطّ العذار بخده كما خطّ فى ظهر الصحيفة عنوان
تزامت الألفاظ فى وجناته فشقت عليه للشقائق أردان
و زدت غراما حين لاح كأنما تفتح بين الورد و الآس سوسان
و قال: [الطويل]

لئن كنت خلّاع العذار بشادن و كأس فإنى غير نزر المواهب
و إنى لطعان إذا اشتجر القنا و مقحم طرفى فى صدور الكتائب
و إنى إذا لم ترض نفسى بمنزل و جاش بصدري الفكر جمّ المذاهب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٥٣
جليد يؤود الصخر لو أنّ صبره كصبرى، على ما نابنى، للنوائب
و أسرى إلى أن يحسب الليل أننى لطول مسيرى فيه بعض الكواكب

[من شعر مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك]

و أمّا ابن أخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر فكان فى بنى أمية شبه عبد الله بن المعتز فى بنى العباس، بملاحة شعره و حسن تشبيهه.

و من شعره القصيدة المشهورة: [الرملى]

غصن يهترّ فى دعص نقا يجتنى منه فؤادى حرقا
سال لام الصّدغ فى صفحته سيلان التبر وافى الورقا
فتناهى الحسن فيه إنما يحسن الغصن إذا ما أورقا
و منها:

أصبحت شمسا وفوه مغربا و يد الساقى المحيى مشرقا

فإذا ما غربت في فمه تركت في الخدّ منه شفقاً

و منها:

و كأنّ الورد يعلوه الندى و جنه المحبوب تندی عرقا

قالوا: و هذا النمط قد فاق به أهل عصره، و يظنّ أنه لا يوجد لأحد منهم أحلى و أكثر أخذاً بمجامع القلوب من قوله: [الكامل]

و دعت من أهوى أصيلاً، ليتنى ذقت الحمام و لا أدوق نواه

فوجدت حتى الشمس تشكو وجده و الورق تندب شجوها بهواه

و على الأصائل رقة من بعده فكأنها تلقى الذى ألقاه

و غدا النسيم مبلّغا ما بيننا فلذاك رقّ هوى و طاب شذاه

ما الروض قد مزجت به أنداؤه سحرا بأطيب من شذا ذكراه

و الزهر مبسمه و نكهته الصبا و الورد أخضله الندى خذاه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٥٤

فلذاك أولع بالرياض لأنها أبدا تذكّرني بمن أهواه

و لله قوله: [الخفيف]

و عشيّ كأنه صبح عيد جامع بين بهجة و شحوب

هبّ فيه النسيم مثل محبّ مستعيرا شمائل المحبوب

ظلت فيه ما بين شمسين هذى فى طلوع و هذه فى غروب

و تدلّت شمس الأصيل و لكن شمسنا لم تزل بأعلى الجنوب

ربّ هذا خلقته من بديع من رأى الشمس أطلعت فى قضيب

أى وقت قد أسعف الدهر فيه و أجابت به المنى عن قريب

قد قطعناه نشوة و وصالا و ملأناه من كبار الذنوب

حين وجه السعود بالبشر طلق ليس فيه أماره للقطوب

ضيع الله من يضيع وقتا قد خلا من مكدر و رقيب

و بات عند أحد رؤساء بنى مروان، فقدّم إليه ذلك الرئيس قدحا من فضة فيه راح أصفر، و قال: اشرب وصف فداك ابن عمك، فقام

إجلالا و شرب صائحا بسروره، ثم قال:

الدواة و القرطاس، فأحضرا، و كتب: [السريع]

اشرب هنيئا لا عداك الطرب شرب كريم فى العلا منتخب

و افاك بالراح و قد ألبست برد أصيل معلما بالحب

فى قدح لم يك يسقى به غير أولى المجد و أهل الحسب

ما جار إذ سقاك من كفه فى جامد الفضة ذوب الذهب

فقم على رأسك برا به و اشرب على ذكره طول الحقب

و يحكى أنه لما قتل أباه و قد وجده مع جاريه له كان يهواها سجنه المنصور بن أبى عامر مدّة، إلى أن رأى فى منامه النبىّ، صلى الله

عليه و سلم، يأمره بإطلاقه، فأطلقه، فمن أجل ذلك عرف بالطلق.

[من شعر أحمد بن سليمان بن أحمد]

و قال أحمد بن سلمان بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر في ابن حزم لَمَّا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٥٥
 عاداه علماء عصره: [المجتث]
 لَمَّا تحلّى بخلق كالمسك أو نشر عود
 نجل الكرام ابن حزم و قام في العلم عودي
 فتواه جدّد ديني جدواه أورد عودي
 و له في أبي عامر بن المظفر بن أبي عامر من قصيدة يمدحه بها: [الخفيف]
 بأبي عامر وصلت جبالى فزمانى به زمان سعيد
 فمتى زدت فيه ودا و شكرا فنداه و قد تناهى يزيد
 كيف لى وصفه و فى كلّ يوم منه فى المكرمات معنى جديد

[من شعر أبي عبد الله محمد بن محمد بن الناصر و عبد الله بن محمد المهدي (الأقرع)]

و قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثى أبا مروان بن سراج: [الطويل]
 و كم من حديث للنبيّ أبانه و ألبسه من حسن منطقته وشيا
 و كم مصعب للنحو قد راض صعبه فعاد ذلولا بعد ما كان قد أعيأ
 و قال عبيد الله بن محمد المهدي، و هو من حسنات بنى مروان، و يعرف بالأقرع:
 [الطويل]
 أقول لآمالى ستبلغ إن بدا محيا ابن عطف و نعم المؤمل
 فقالت دعانى كلّ يوم تعلّل فقلت لها إن لاح يفنى التعلّل
 لئن كان منى كلّ حين ترخل فإنى إن أحلل به لست أرحل
 فتى ترد الآمال فى بحر جوده و ليس على نعمى سواه المعول
 و قال هذه فى الوزير ابن عطف، فضنّ عليه حتى برجع الجواب، فكتب إليه بقصيدة منها: [الرملى]
 أيها الممكن من قدرته لا يراك الله إلّا محسنا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٥٦
 إنما المرء بما قدّمه فتخيّر بين ذمّ وثنا
 لا تكن بالدهر، غرا و إذا كنت فانظر فعله فى ملكنا
 كلّ ما خوّلته منه ذاهب إنما تصحب منه الكفنا
 مدّ كفا نحو كفّ طالما أمطرت منه السحاب الهتنا
 أو أرحنى بجواب مؤيس فمطال البرّ من شرّ العنا
 فلم يعطه شيئا، و كان له كاتب فتخيل فى خمسين درهما فأعطاها له، فلما سمع الوزير بذلك طرده، و قال له: من أنت حتى تحمّل

نفسك هذا و تعطيه؟ قال: فوالله ما لبث إلما قليلا- حتى مات الوزير، و تزوج الكاتب بزوجه، و سكن في داره، و تحوّل في نعمته، فحملني ذلك على أن كتبت بالفحم في حائط داره: [الطويل]
 أيا دار، قولى أين ساكنك الذى أبى لؤمه أن يترك الشكر خالدا
 تسمى وزيرا و الوزارة سبّه لمن قد أبى أن يستفيد المحامدا
 و ولّى و لكن ليس يبرح ذمه فيها هو قد أرضى عدوّا و ناقدا
 و أضحى و كيل كان يأنف فعله نزيلك في الحوض الممتّع و اردا
 جزاء يا حسان لذا و إساءة لذاك، و ساع ورتّ الحمد قاعدا
 و المثل السائر في هذا «ربّ ساع لقاعدا».

[من شعر سليمان بن المرتضى بن محمد (الغزال)]

و قال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر، و كان في غايه الجمال، و يلقّب بالغزال: [الكامل]
 قدم الربيع عليك بعد مغيب فتلقّه بسلافة و حبيب
 فصل جديد فلتجدّد حاله يأتى الزمان بها على المرغوب
 الجوّ طلق فالحقه بطلاقة و إذا تقطّب فالحقه بقطوب
 لله أيام ظفرت بها و من أهواه منقاد بغير رقيب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٥٧
 و له: [الكامل]

لى في كفالات الرماح لو أنها وفتّ ضمان يبلغ الآمالا
 و كلّت دهرى في اقتضاء ضمانها ضنّا به أن لا يحول فحالا
 و كان مولعا بالفكاهة و النادر، محبّا للظرفاء، و كان يلتزم خدمته المضحك المشهور بالزرافة، و يحضر معه، و لعبوا في مجلس
 سليمان لعبه أفضوا فيها إلى أن تقسّموا اثنين اثنين، كل شخص و رفيقه، فقال سليمان: و من يكون رفيقى؟ فقال له المضحك: يا
 مولاي، و هل يكون رفيق الغزال إلّا الزرافة؟ فضحك منه على عادته.
 و دخل عليه و هو قاعد في رحبة قصره، و قد أطلّ عذاره، فقال له: ما تطلب الزرافة؟
 فقال: ترعى الحشيش، و أشار إلى عذاره، فقال له: اعزب لعنك الله!
 و مرّ سليمان به يوما و هو سكران، و قد أوقف ذكره و جعل يقول له: ما ذا رأيت في القيام في هذا الزمان؟ أما رأيت كل ملك قام
 كيف خلع و قتل؟ و الله إنك سيء الرأى! فقال له سليمان: و بم لقبت هذا الثائر؟ فقال: يا مولاي، بصفته القائم، فقال: و يحتاج إلى
 خاتم؟
 فقال: نعم، و يكون خاتم سليمان، فقال له: أخزأك الله! إنّ الكلام معك لفضيحة.

[من شعر سعيد بن محمد المروانى]

و قال سعيد بن محمد المروانى، و قد هجره المنصور بن أبى عامر مدّة لكلام بلغه عنه، فدخل و المجلس غاصّ، و أنشد: [السريع]

مولاي مولاي، أما آن أن تريحني بالله من هجركا
و كيف بالهجر و أتى به و لم أزل أسبح في بحركا
فضحك ابن أبي عامر على ما كان يظهره من الوقار، و قام و عانقه، و عفا عنه، و خلع عليه.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٥٨
وله: [الكامل]

و البدر في جو السماء قد انطوى طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كأنما غرق الكثير و بعضه لم يغرق
و هو مأخوذ من قول ابن المعتز: [الكامل]
و انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

[من شعر القاسم بن محمد المرواني و الأصم المرواني و أحمد المرواني]

و قال قاسم بن محمد المرواني يستعطف المنصور بن أبي عامر، و قد سجنه لقول صدر عنه: [الكامل]
ناشدتك الله العظيم و حقّه في عبدك المتوسّل المتحرّم
بوسائل المدح المعاد نشيدها في كلّ مجمع موكب أو موسم
لا تستبح مني حمى أركاكه يا من يرى في الله أحمى محتمى
و قال الأصم المرواني يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح معارضا بائياً أبي تمام: [البيسط]
السيف أصدق أنباء من الكتب
بقصيدة طويلة منها: [البيسط]
ما للعدا جنّة أوقى من الهرب أين المفترّ و خيل الله في الطلب
و أين يذهب من في رأس شاهقه إذا رمته سماء الله بالشهب
و منها:

و طود طارق قد حلّ الإمام به كالطور كان لموسى أيمن الرّتب
لو يعرف الطود ما غشاه من كرم لم يبسط النور فيه الكفّ للسحب
و لو تيقن بأسا حلّ ذروته لصار كالعين من خوف و من رهب
منه يعاود هذا الفتح ثانية أضعاف ما حدّثوا في سالف الحقب
و يلبس الدين غضا ثوب عزّته كأنّ أيام بدر عنه لم تغب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٥٩
و قال في نارنجة: [البيسط]

و بنت أيك دنّا من لثمها قزح فصار منه على أرجائها أثر
يبدو لعينيك منها منظر عجب زبرجد و نضار صاغه المطر
كأنّ موسى نبىّ الله أقبسه نارا و جرّ عليها كفّه الخضر
و قال: [السريع]

و شادن قلت له صف لنا بستاننا هذا و نارنجنا
فقال لى بستانكم جنّه و من جنى النارج ناراجنى
و قال فى زلبانى: [الكامل]
لله سفاح بدا لى مسحرا فأفاد علم الكيميا بيمينه
ذهبت فضة خده بلواحظى و كذاك تفعل ناره بعجينه
و قال، و قد نزل فى فندق لا يليق بمثله: [مخلع البسيط]
يا هذه لا تفندينى أن صرت فى منزل هجين
فليس قبح المحلّ ممّا يقدح فى منصبى و دينى
فالشمس علوية و لكن تغرب فى حمأة و طين
و قال أحمد المروانى: [الوافر]
حلفت بمن رمى فأصاب قلبى و قلبه على جمر الصدود
لقد أودى تذكره بقلبي و لست أشكّ أن النفس تودى
فقيد و هو موجود بقلبي فواعجبا لموجود فقيد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٦٠

[من شعر الأصغ القرشى و سليمان بن عبد الملك الأموى و أبى يزيد بن العاصى]

و قال الأصغ القرشى يرثى ابن شهيد و هو من أصحابه: [الطويل]
نأى من به كان السرور مواصلا و أسلم قلبى للصبابة و الفكر
و منها:
لعمر ك ما يجدى النعيم إذا نأت وجوههم عنى و لا فسحة العمر
و قال سليمان بن عبد الملك الأموى: [الوافر]
و ذى جدل أطال القول منه بلا معنى و قد خفى الصواب
فقلت أجييه فازداد ردا فقلت له قد ازدحم الجواب
و لم أر غير صمتى من مريح إذا ما لم يفد فيه الخطاب
و قال أبو يزيد بن العاصى: [الخفيف]
عابه الحاسد الذى لام فيه أن رأى فوق خده جدريا
إنما وجهه هلال تمام جعلوا برقعا عليه الثريا
و له: [الطويل]
إذا شئت أن يصفو صديقك فاطرح نزاع الذى يديه فى الهزل و الجد
و إن كنت من أخلاقه فى جهنم فأنزله من مثواك فى جنّه الخلد
إلى أن يتيح الله من لطف صنعه فراقا جميلا فاجعل العذر فى البعد
و ليكن هذا آخر ما نوردته من كلام بنى مروان رحمهم الله تعالى!.

[من شعر أبي الحجاج المنصفي]

و لنرجع إلى أهل الأندلس جملة، فنقول:
 أمر أبو الحجاج المنصفي أن يكتب على قبره: [السريع]
 قالت لى النفس أتاك الردى و أنت فى بحر الخطايا مقيم
 هلا اذخرت الزاد قلت اقصرى لا يحمل الزاد لدار الكريم
 و قد ذكرنا هذين البيتين فى غير هذا الموضع.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٦١

[بين ابن مرج الكحل و طيب]

و قال ابن مرج الكحل: اجتمعنا فى حانوت بعض الأطباء ياشبيلية فأضجرناه بكثرة جلوسنا عنده، و تعدّرت المنفعة عليه من أجلنا،
 فأنشدنا: [مجزوء الرمل]
 خففوا عنّا قليلا ربّ ضيق فى براح
 هل شكوتم من سقام أو جلسنا للصباح؟
 فأضفت إليهما ثالثا، و أنشدته إياه على سبيل المداعبة: [مجزوء الرمل]
 إن أتيتم ففرادى ذاك حكم المستراح

[من شعر أبي محمد غانم بن وليد و أبي جعفر اللمائي و أبي عامر بن نيق]

و دخل أبو محمد غانم بن وليد مجلس باديس بن حبوس، فوسّع له على ضيق كان فيه، فقال: [البسيط]
 صير فؤادك للمحبوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحبين
 و لا تسامح بغیضا فى معاشره فقلّما تسع الدنيا بغیضين
 و دخل على أبي جعفر اللمائي بعض أصحابه عائدا فى علته التى مات فيها، و جعل يروّح عليه بمروحة، فقال أبو جعفر على البديهة:
 [المنسرح]
 روّحنى عائدى فقلت له لا لا تزدنى على الذى أجد
 أما ترى النار و هى خامدة عند هبوب الرياح تتقد
 و قال الأعلم: ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القبطرنة: [المتقارب]
 دعاك خليلك و اليوم طل و عارض وجه الثرى قد بقل
 لقدرين فاحا و شمّامة و إبريق راح و نعم المحل
 و لو شاء زاد و لكنه يلام الصديق إذا ما احتفل
 و قال أبو عامر بن نيق الشاطبي: [البسيط]

ما أحسن العيش لو أن الفتى أبدا كالبدر يرجو تماما بعد نقصان
إذ لا سبيل إلى تخليد مأثرة إذ لا سبيل إلى تخليد جثمان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٦٢

[من شعر أبي الحسن اللورقي و أبي عيسى بن لبون و أبي عامر بن الحمارة و أبي العباس بن السعود]

و قال أبو الحسن اللورقي: [مجزوء الكامل]
عجبا لمن طلب المحامد و هو يمنع ما لديه
و لباسط آماله للغير لم يبسط يديه
لم لا أحبّ الضيف أو أرتاح من طرب إليه
و الضيف يأكل رزقه عندي و يحمدني عليه
و قال أبو عيسى بن لبون، و هو من قواد المأمون بن ذى النون: [البيسط]
نفضت كفى من الدنيا و قلت لها إليك عنى فما فى الحق أغتبن
من كسر بيتى لى روض و من كتبتى جليس صدق على الأسرار مؤتمن
أدرى به ما جرى فى الدهر من خبر فعنده الحق مسطور و مختزن
و ما مصابى سوى موتى و يدفنى قوم و مالهم علم بمن دفنوا
و قال أبو عامر بن الحمارة: [الطويل]
و لى صاحب أحنو عليه و إنه ليوجعنى حيناً فلا أتوجع
أقيم مكانى ما جفانى و ربما يسائلنى الرجعى فلا أتمنع
كأنى فى كفيه غصن أراكه تميل على حكم النسيم و ترجع
و قال أبو العباس بن السعود [البيسط]
تبا لقلب عن الأحباب منصرف يهوى أحبته ما خالس النظرا
مثل السججل فيه الشخص تبصره حتى إذا غاب لم يترك به أثرا

[من شعر الحكم بن غلندة و القاضى أبى موسى بن عمران و أبى بكر بن الجزار السرقسطى]

و مرض أبو الحكم بن غلندة، فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السن، فوقاه من بزه ما أوجب تغييرهم، ففطن لذلك و أنشد
ارتجالا: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٦٣
تكثر من الإخوان للدهر عده فكثره درّ العقد من شرف العقد
و عظم صغير القوم و ابدأ بحقه فمن خنصرى كفيك تبدأ بالعقد
ثم نظر إليهم و أنشدهم ارتجالا قوله: [البيسط]
مغيث أيوب و الكافى لذى النون يحلنى فرجا بالكاف و النون

كم كربة من كروب الذهب فرجها عنى و لم ينكشف وجهى لمن دونى
و قال القاضى أبو موسى بن عمران: [مجزوء الكامل]
ما للتجارب من مدى و المرء منها فى ازدياد
قد كنت أحسب ذا العلا من حاز علما و استفاد
فإذا الفقيه بغير ما ل كالخيام بلا عماد
شرف الفتى بنضاره إنَّ الفقير أخو الجماد
ما العلم إلَّا جوهر قد بيع فى سوق الكساد
و قال أبو بكر بن الجزار السرقسطى: [الكامل]
إيتاك من زلل اللسان فإنما عقل الفتى فى لفظه المسموع
و المرء يختبر الإناء بنقره ليرى الصحيح به من المصدوع
و قال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد: تناول بعض أصحابنا نرجس، فركبها فى وردة، ثم دفعها إلى و إلى صاعد، و قال: قولاً،
فأبهمت دوننا أبواب القول، فدخل الدميرى، و كان أمياً لا- يذكر من الكلام إلَّا ما علق بنفسه فى المجالس، و ينفذ مع هذا فى
المطولات من الأشعار، فأشعر بأمرنا، فجعل يقول دون روية: [السريع]
ما للأدبيين قد اعيتهما مليحة من ملح الجنة
نرجس فى وردة ركبت كمقله تطرف فى وجهه

[من شعر أبى محمد بن حزم و ابن صارة و أبى القاسم بن العطار]

و قال أبو محمد بن حزم فى «طوق الحمامة»: [الطويل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٦٤
خلوت بها و الراح ثالثة لنا و جنح ظلام الليل قد مدّ و اعتلج
فتاء عدمت العيش إلَّا بقربها فهل فى ابتغاء العيش و يحك من حرج
كأنى و هى و الكأس و الخمر و الدجا حيا و ثرى و الدرّ و التبر و السبج
قال: و هذه خمس تشبيهات لا يقدر أحد على أكثر منها إذ تضيق الأعاريض عنه.
قال أبو عامر بن مسلمة: و لا أذكر مثلها إلَّا قول بعض: [البيسط]
فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت وردا و عصت على العناب بالبرد
إلَّا أنه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم، بل اكتفى بالعلم فى التشبيهات.
قال: و من أغرب ما وقع لى من التشبيهات فى بيت قول ابن برون الأندلسى يصف فرسا وردا أغرّ محجّلا: [الكامل]
فكأن غرّته و تحجيلاته خمس من السوسان وسط شقائق
قال: و هذا على التحقيق سته على سته، و لم أسمع بمثله لأحد.
قال ابن الجلاب: و كلام أبى عامر هذا لا يخلو من النقد.
و قال ابن صارة: [السريع]
انظر إلى البدر و إشراقه على غدير موجه يزهر

كمشخذ من حجر أخضر خط عليه ذهب أحمر
 وقال أبو القاسم بن العطار الإشبيلي: [الطويل]
 ركبتنا سماء التهر و الجوّ مشرق و ليس لنا إلّا الحجاب نجوم
 و قد ألبسته الأيك برد ظلالها و للشمس في تلك البرود رقوم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٦٥

[من شعر سهل بن مالك و ابن صارة و صفوان بن إدريس و أبي جعفر بن وضاح]

و قال ابن صارة: [الكامل]
 و التهر قد رقت غلالة صبغه و عليه من ذهب الأصيل طراز
 تترقرق الأمواج فيه كأنها عكن الخصور تضمها الأعجاز
 و قال سهل بن مالك: [البيسط]
 و ربّ يوم وردنا فيه كلّ منى و قلّ في مثل ذاك اليوم أن نردا
 في روضتين بشطى سلسل شيم كما اجتليت من المحبوب مفتقدا
 بيدد القطر في أثناؤه حلقا فتنظم منها فوقه زردا
 و قال ابن صارة: [الخفيف]
 انظر النهر في رداء عروس صبغته بزعفران العشى
 ثم لما هبّ النسيم عليه هزّ عطفيه في دلاص الكمي
 و لبعضهم في شكل يرمى الماء مجوفا مثل الخباء و تمزقه الريح أحيانا: [الكامل]
 و مطّنب للماء ما أوتاده إلّا نتائج فكر طبّ حاذق
 لعبت به أيدي الصبا فكأنها أيدي الصباية بالفؤاد العاشق
 و قال صفوان بن إدريس يصف تفاحة في ماء:
 و لم أر فيما تشتهى العين منظرا كتفاحة في بركة بقرار
 يفيض عليها ماؤها فكأنها بقيته خدّ في اخضرار عذار
 و قال أبو جعفر بن وضاح في دولاب: [الطويل]
 و باكية و الروض يضحك كلما ألحت عليه بالدموع السواجم
 يروقك منها إن تأملت نحوها زئير أسود و التفاف أرقام
 تخلّص من ماء الغدير سبائكا فتنبتها في الروض مثل الدراهم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٦٦

[من شعر الوزير ابن عمار و أبي الحسن بن سعد الخير و ابن أبي الخصال]

و قال الوزير بن عمار: [الكامل]

يوم تكاثف غيمه فكأنه دون السماء دخان عود أخضر
 والطلّ مثل برادة من فضّة مثورة في تربة من عنبر
 والشمس أحيانا تلوح كأنها أمه تعرّض نفسها للمشترى
 وقال أبو الحسن بن سعد الخير: [الكامل]
 لله دولاب يفيض بسلسل في روضة قد أينعت أفنانا
 قد طارحته بها الحمامم شجوها فيجيبها ويرجع الألحانا
 فكأنه دنف يدور بمعهد يبكي و يسأل فيه عمّن بانا
 ضاقت مجارى طرفه عن دمه فتفتحت أضلاعه أجفانا
 وقال ابن أبي الخصال: [الطويل]
 وورد جنّي طالعتنا خدوده ببشر و نشر يبعثان على السكر
 و حفّ ترنجان به فكأنه خدود العذارى في مقانعه الخضر

[من شعر ابن صارة والخفاجي و ابن وضاح]

وقال ابن صارة: [البيسط]
 يا ربّ نارنجة يلهو النديم بها كأنها كرة من أحمر الذهب
 أو جذوة حملتها كفّ قابسها لكنها جذوة معدومة اللهب
 وقال الخفاجي: [الطويل]
 و مياسة تزهو و قد خلع الحيا عليها حلى حمرا و أردية خضرا
 يذوب بها ريق الغمامة فضّة و يجمد في أعطافها ذها نضرا
 وقال ابن صارة أيضا: [المتقارب]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٦٧
 و نارنجة لم يدع حسننها لعيني في غيرها مذهبا
 فطورا أرى لها مضرما و طورا أرى شققا مذهبا
 وقال ابن وضاح في السرو: [الطويل]
 أيا سرو، لا يعطش منابتك الحيا و لا يدعن أعطافك الخضل النضر
 فقد كسيت منك الجذوع بمثل ما تلفّ على الخطّي راياته الخضر

[من شعر ابى اسحاق خولانى و ابن الابار و حازم]

وقال أبو إسحاق الخولاني: [مخلع البيسط]
 نيلوفر شكله كشكلى يعوم في أبحر الدموع
 قد ألّبت عطفه دروعا خوذ لريح الصبا شموع

يلوح إذ لونه كلوني من فوق فضفاضة هموع

مثل مسامير مذهبات في حلقات من الدروع

و قال ابن الأبار: [البسيط]

و سوسنات أرت من حسننها بدعا و لم يزل عصر مولانا يرى بدعه

شبيهة بالثرثيا في تألفها و في تألقها تلتاح ملتعمه

هامت يميناه تبغى أن تقبلها و استشرفت تجتلى مرآه مطلقه

ثم انثنى بعضها من بعضها غلبا على البدار فوافت و هي مجتمعه

و رفع هذه الأبيات إلى الأمير أبي يحيى زكريا.

و قال حازم: [البسيط]

لا نور يعدل نور اللوز في أتق و بهجة عند ذى عدل و إنصاف

نظام زهر يظل الدرّ منترا عليه من كلّ هامى القطر و كاف

بيننا ترى و هي أصداف لدرّ حيا بيض غدت دررا في خضر أصداف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٦٨

[من شعر ابن سعد الخير و ابن نزار الوادى آشى و بعضهم فى القراسيا و بعضهم يصف معاهد أنسه]

و قال ابن سعد الخير فى رمانه: [المتقارب]

و ساكنه فى ظلال الغصون بروض يروقك أفنانه

تضاحك أترابها فيه إذ غدا الجوّ تدمع أجفانه

كما فتح الليث فاه و قد تضرّج بالدم أسنانه

و قال ابن نزار الوادى آشى: [الطويل]

و رمانه قد فضّ عنها ختامها حبيب أعار البدر بعض صفاته

فكسر منها نهد عذراء كاعب و ناولنى منها شبيه لداته

و قال بعضهم فى القراسيا، و يقال له بالمغرب «حبّ الملوك»: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٣٦٨

و دوح تهدل أشطانه رعى الدهر من حسنه ما اشتهى

فما احمرّ منه فصوص العقيق و ما اسودّ منه عيون المها

و قال بعضهم: [الوافر]

و أين معاهد للحسن فيها و للأنس التقاء البهجتين

و للأوتار و الأطيّار فيها لدى الأسحار أطرب ساجعين

فكم بدر تجلّى من رباها و من بطحائها فى مطلعين

و أغيد يرتعى من تلعتها و من ثمر القلوب بمرتعين

إذا أهوى لسوسنة يمينا عجبت من التقاء السوسنين

و كم يوم توشح من سناه و من زهراتها فى حلتين
 و راح أصيله ما بين نهر و دولاب يدور بمسمعين
 بنهر كالسمااء يجول فيه سحائب من ظلال الدوحتين
 تدرع للنواسم حين هزت عليه كل غصن كالرديني
 ملاعب فى غرامى عند ذكرى صباه و غصنه المتلاعبين
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٦٩

[من شعر الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانىء]

و قال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانىء: [السريع]
 يا حرقه البين كويت الحشا حتى أذبت القلب فى أضلعه
 أذكيت فيه النار حتى غدا ينساب ذاك الدوب من مدمعه
 يا سؤل هذا القلب حتى متى يؤسى برشف الريق من منبعه
 فإن فى الشهد شفاء الورى لا سيما إن مص من مكرعه
 و الله يدنى منكم عاجلا و يبلغ القلب إلى مطعمه

[كتاب شذور الذهب لعلى بن موسى]

و لو لم يكن للأندلسيين غير كتاب «شذور الذهب» لكفاهم دليلا على البلاغة، و مؤلفه هو على بن موسى بن على بن محمد بن خلف
 أبو الحسن الأنصارى، الجياني، نزيل فاس، و ولى خطابتها، و لم ينظم أحد فى الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان و فصاحة ألفاظ، و
 عدوبة تراكيب، حتى قيل فيه: إن لم يعلمك صناعة الذهب علمك الأدب. و فى عبارة بعضهم: إن فاتك ذهبه، لم يفتك أدبه. و قيل
 فيه: إنه شاعر الحكماء، و حكيم الشعراء. و توفى رحمه الله تعالى سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة.

[مثل من سرعة بديهته الأندلسيين]

و لنذكر هنا نبذة من سرعة بديهته أهل الأندلس، و إن مرّت من ذلك جملة، و ستأتى أيضا زيادة على الجميع، فنقول:
 قال فى «بدائع البداءة» ما صورته: روى عبد الجبار بن حمدى الصقلى قال: صنع عبد الجليل بن وهبون المرسى الشاعر لنا نزهة
 بوادى إشبيلية، فأقمنا فيه يومنا، فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غصن وجه الماء، فقلت للجماعة: أجزوا: [الرمل]
 حاكت الريح من الماء زرد
 فأجازه كل منهم بما تيسر له، فقال له أبو تمام غالب بن رباح الحجاج كيف قلت يا أبا محمد؟ فأعدت القسم له، فقال:
 أى درع لقتال لو جمد
 و قد ذكرنا فى هذا الكتاب ما يخالف هذا فليراجع فى محلّه.

ثم قال صاحب «بدائع البداءة» بعد ما سبق ما صورته: و قد نقله ابن حمدى إلى غير هذا الوصف، فقال: [الرمل]

نثر الجوّ على التراب برد أيّ درّ لنحور لو جمد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٧٠
 فتناقض المعنى بذكر البرد، وقوله «لو جمد» إذ ليس البرد إلّا ما جمده البرد، اللهمّ إلّا أن يريد بقوله «لو جمد» دام جموده، فيصحّ، و
 ينعقد عن التحقيق.

و مثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوّارة: [الكامل]
 و لربّما سلّت لنا من مائها سيفاً و كان عن النواظر مغمدا
 طبعته لجيّا فزانت صفحة منه و لو جمدت لكان مهنّدا
 و قد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضاً: [الطويل]
 فلو دام ذاك الثبت كان زبرجدا و لو جمدت أنهاره كنّ بلّورا
 و هذا المعنى مأخوذ من قول علي التونسي الإيادي من قصيدته الطائئة المشهورة: [البسيط]
 أ لؤلؤ قطر هذا الجوّ أم نقط؟ ما كان أحسنه لو كان يلتقط
 و هذا المعنى كثير للقدمات، قال ابن الرومي من قطعة في العنب الرازقي: [الرجز]
 لو أنه يبقى على الدهور قرّط آذان الحسان الحور

[بين المعتمد بن عباد و ابن جاح الصباغ و بين الوزير ابن عمار و ابن جاح الصباغ]

قال علي بن ظافر: و أخبرني من أتق به قال: ركب المعتمد على الله أبو القاسم ابن عباد للنزهة بظاهر إشبيلية في جماعة من ندمائه، و
 خواصّ شعرائه، فلمّا أبعد أخذ في المسابقة بالخيل، فجاء فرسه بين البساتين سابقاً، فرأى شجرة تين قد أينعت و زهت و برزت منها
 ثمرة قد بلغت و انتهت، فسدّد إليها عصا كانت في يده فأصابها، و ثبتت على أعلاها، فأطربه ما رأى من حسنها و ثباتها، و التفت ليخبر
 به من لحقه من أصحابه، فرأى ابن جاح الصباغ أول من لحق به فقال: أجز: [مجزوء الرجز]
 كأنها فوق العصا
 فقال:

هامّة زنجيّ عصى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٧١

فزاد طربه و سروره بحسن ارتجاله، و أمر له بجائزة ستيّة.

قال علي بن ظافر: و أخبرني أيضاً أنّ سبب اشتهاار ابن جاح هذا أنّ الوزير أبا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الأندلس، لا
 يستقرّ ببلده، و لا يستفرّج عن وطره وطن، و كان كثير التطلّب لما يصدر عن أرباب المهن، من الأدب الحسن، فبلغه خبر ابن جاح هذا
 قبل اشتهااره، فمرّ على حانوته و هو آخذ في صناعة صباغته، و النيل قد جرّ على يديه ذيلاً، و أعاد نهارهما ليلاً، فأراد أن يعلم سرعه
 خاطره، فأخرج زنده و يده بيضاء من غير سوء، و أشار إلى يده، و قال: [المجتث]

كم بين زند و زند؟

فقال:

ما بين وصل و صدّ

فعجب من حسن ارتجاله، و مبادرة العمل و استعجاله، و جذب بضعه، و بلغ من الإحسان إليه غاية وسعه.

[بين الوزير ابن عمار و يحيى القصاب]

و بلغنى أيضا أنه دخل سرقسطه فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطى، فمرّ عليه، و لحم خرفانه بين يديه، فأشار ابن عمار إلى اللحم، و قال: [المنسرح]
لحم سباط الخرفان مهزول
فقال:
يقول للمفلسين مه زولوا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٧٢

[بين المتوكل و ابن عبدون و بين ابن الغليظ و ابن السراج]

و لما صنع المتوكل على الله بن الأفتس صاحب بطليوس هذا القسيم: [المجتث]
الشعر خطه خسف
أرتج عليه، فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التي أولها:
[البسيط]
الدهر يفجع بعد العين بالأثر
و قد تكرر ذكره فى هذا الكتاب، و هو أحد وزراء دولته، و خواصّ حضرته، فاستجازه إياه، فقال: [المجتث]
لكلّ طالب عرف
للشيخ عيبه عيب و للفتى ظرف ظرف
و ذكر ابن بسام فى الذخيرة أنّ قائل القسيم الأول الأستاذ أبو الوليد بن ضابط، و أنّ عبد المجيد أجازه ارتجالا، و هو ابن ثلاث عشرة سنة، و قد ذكرنا ما يقرب من ذلك فى هذا الكتاب.
و قال ابن الغليظ المالقي: قلت يوما للأديب أبى عبد الله بن السراج المالقي، و نحن على جريه ماء: أجز: [الطويل]
شربنا على ماء كأنّ خريه
فقال بديها:
بكاء محبّ بان عنه حبيب
فمن كان مشغوبا كئيبا يالفه فإنى مشغوف به و كئيب

[بين ابن عباد و ابن القابلة]

و ذكر ابن بسام فى الذخيرة أنه اجتمع ابن عباد و ابن القابلة السبتي بالمرية، فنظر إلى و سيم يسبح فى البحر، و قد تعلق بسكان بعض المراكب، فقال ابن عباد: أجز: [السريع]
انظر إلى البدر الذى لاح لك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٧٣

فقال ابن القابلة: [السريع]

في وسط اللجة تحت الحلك

قد جعل الماء سماء له و اتخذ الفلك مكان الفلك

[بين ابن شهيد و أبي جعفر وزير الصقلي]

وقال أبو عامر بن شهيد: لما قدم زهير الصقلي إلى حضرة قرطبة من المرية ووجه وزيره أبو جعفر ابن عباس إلى لمة من أصحابنا منهم ابن برد و أبو بكر المرواني و ابن الحناط و الطنبى، فحضرُوا إليه، فسألهم عنى، وقال: وجهوا إليه، فوافانى رسوله مع دابة بسرج محلى ثقيل، فسرت إليه، و دخلت المجلس، و أبو جعفر غائب، فتحرك المجلس لدخولى، و قاموا جميعا لى، حتى طلع أبو جعفر علينا ساحبا ذيلا لم أر أحدا سحبه قبله، و هو يترتم، فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال، فردّ ردا لطيفا، فعلمت أنّ فى أنفه نعة لا تخرج إلّا بسعوط الكلام، و لا تراض إلّا بمستحصد النظام، و رأيت أصحابى يصيخون إلى ترتمه.

فقال لى ابن الحناط، و كان كثير الإنحاء على، جالبا فى المحافل ما يسوء إلى: إنّ الوزير حضره قسيم، و هو يسألنا إجازته، فعلمت أنى المراد، فاستنشدته، فأنشد: [الكامل]

مرض الجفون و لثغة فى المنطق

فقلت لمن حضر: لا تجهدوا أنفسكم، فما المراد غيرى، ثم أخذت الدواة فكتبت:

[الكامل]

سبيان جراً عشق من لم يعشق

من لى بالثغ لا يزال حديثه يذكرى على الأحشاء جمرة محرق

ينبى فينبو فى الكلام لسانه فكأنه من خمر عينيه سقى

لا ينعش الألفاظ من عثراتها و لو انها كتبت له فى مهرق

ثم قمت عنهم، فلم ألبث أن وردوا على، و أخبرونى أنّ أبا جعفر لم ترض بما جئت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٧٤

به من البديهة، و سألوني أن أحمل مكاوى الهجاء على حتاره، فقلت: [المتقارب]

أبو جعفر كاتب محسن مليح سنا الخطّ حلو الخطابه

تملاً شحما و لحما و ما يليق تملؤه بالكتابه

له عرق ليس ماء الحياء و لكنه رشح ماء الجنابه

جرى الماء فى سفله جرى لين فأحدث فى العلو منه صلابه

[بين ابن عباد و ابنه الرشيد و بين الفقيه على بن القاسم و جماعة من أصحابه]

و ذكر الوزير أبو بكر بن اللبائنة الدانى فى كتابه «سقيط الدرر، و لقيط الزهر» أنّ المعتمد بن عباد صنع قسيما فى القبة المعروفة بسعد

السعود فوق المجلس المعروف بالزاهى، و هو: [الكامل]

سعد السعود يتيه فوق الزاهي
ثم استجاز الحاضرين فعجزوا، فصنع ولده عبد الله الرشيد: [الكامل]
و كلاهما في حسنه متناهي
و من اغتدى سكتا لمثل محمد قد جلّ في العليا عن الأشباه
لا زال يبلغ فيهما ما شاءه و دعت عداه من الخطوب دواهي
و خرج القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الأوسط في جماعه من أصحابه منهم محمد
بن عيسى بن سوار الأشبوني و رجل يسمى بأبي موسى خفيف الروح، ثقيل الجسم، فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها
فيهم، فصنع القاضي أبو الحسن معاتباً له: [السريع]
و شاعر أثقل من جسمه
ثم استجاز ابن سوار، فقال:
تأتي معانيه على حكمه
يهجو فلا يهجي فهل عندكم ظلامه تعدى على ظلمه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٧٥
لسانه في هجوه حيه متيه الحيه في سمه
يصيب سرّ المرء في رميه كأنما العالم في علمه
أما أبو موسى ففي كفه عصا ابنه و السحر في نظمه

[بين الأمير عبد الرحمن و عبد الله بن الشمير و بين الأمير عبد الرحمن و محمد بن سعيد الزجالي]

و في «المقتبس»، في تاريخ الأندلس» أن الأمير عبد الرحمن خرج في بعض أسفاره فطرقة خيار جاريته طروب أم ولده عبد الله، و
كانت أعظم حظاياها عنده، و أرفعهنّ لديه، لا يزال كلّفا بها، هائماً بحبّها، فانتبه و هو يقول: [السريع]
شاكك من قرطبة السارى في الليل لم يدر به الدارى
ثم أنبه عبد الله بن الشمير نديمه فاستجازه كمال البيت، فقال: [السريع]
زار فحياً في ظلام الدجى أحب به من زائر سارى
و صنع الأمير عبد الرحمن المذكور في بعض غزواته قسيماً، و هو: [الطويل]
نرى الشىء ممّا يتقى فنهاه
ثم أرتج عليه، و كان عبد الله بن الشمير نديمه و شاعره غائباً عن حضرته، فأراد من يجيزه، فأحضر بعض قواده محمد بن سعيد
الزجالي، و كان يكتب له، فأنشده القسم، فقال:
[الطويل]

و ما لا نرى ممّا يقى الله أكثر
فاستحسنه و أجازته، و حملة استحسانه على أن استوزره.
و ذكر ابن بسّام أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزال و هلال من ذهب، فصيغاً، فجاء و زنهما سبعمائة مثقال، فأهدى الغزال إلى
السيدة ابنة مجاهد، و الهلال إلى ابنه الرشيد، فوقع له إلى أن قال: [الوافر]

بعثنا بالغزال إلى الغزال وللشمس المنيرة بالهلال
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٧٦

[بين ابن عباد و ابن المرزبان]

ثم أصبح مصطبحا، وجاء الرشيد فدخل عليه، وجاء الندماء والجلساء، وفيهم أبو القاسم بن المرزقان فحكى لهم المعتمد البيت، و أمرهم بإجازته، فبدر ابن المرزبان فقال: [الوافر]
فذا سكنى أبوته فؤادى و ذا نجلى أقلده المعالى
شغلت بذا الطلا خلدى و نفسى و لكنى بذاك رخى بال
دفعت إلى يديه زمام ملكى محلى بالصوارم و العوالى
فقام يقر عيني فى مضاء و يسلك مسلكى فى كل حال
فدمنا للعلاء و دام فينا فينا للسماح و للنزال

[ابن الصيرفى يزيد على بيت لابن السمط]

و لما أنشد أبو القاسم ابن الصير فى قول عبد الله بن السمط: [مجزوء الخفيف]
حار طرف تأملك ملكك أنت أم ملك
قال بديها: [مجزوء الخفيف]
بل تعاليت رتبة فلك الأرض و الفلك

[فى حضرة العالى بالله الإدريسى]

و ذكر ابن بسام فى الذخيرة أنه غنى يوما بين يدى العالى بالله الإدريسى بمالقه بيت لعبد الله بن المعتز: [المديد]
هل ترين البين يحتال أن غدت للحى أجمال
فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد الملقى بإجازته، فقال بديها: [المديد]
إنما العالى إمام هدى حليت فى عصره الحال
ملك أقيال دولته لذوى الأفهام إقبال
قل لمن أكدت مطالبه راحتاه الجاه و المال
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٧٧

[فى حضرة عبد الرحمن بن الحكم و فى حضرة المعتمد بن عباد]

و غنى أبو الحسن زرياب يوما بين يدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين، و هما لأبى

العتاهية: [الكامل]

قالت ظلوم سميّة الظلم مالى رأيتك ناكل الجسم

يا من رمى قلبى فأقصده أنت الخير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن: هذان البيان منقطعان، فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبداع، فصنع عبيد الله بن فرناس بديها: [الكامل]

فأجبتها و الدمع منحدر مثل الجمان وهى من التّظّم

فاستحسنه، و أمر له بجائزة.

و ذكر ابن بسام أيضا أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه بقول ابن المعتز: [المتقارب]

و خمّارة من بنات المجوس ترى الزرق فى بيتها سائلا

و زنا لها ذهباً جامدا فكالت لنا ذهباً سائلا

فقال بديها يجيزه: [المتقارب]

و قلت خذى جوهرًا ثابتًا فقالت خذوا عرضاً زائلاً

[بين المعتمد و الوزير ابن عمار و بين المعتمد بن عباد و ابن حمديس الصقلى]

و ركب المعتمد فى بعض الأيام قاصدا الجامع، و الوزير أبو بكر بن عمار يسايره، فسمع أذان مؤذن، فقال المعتمد: [الكامل]

هذا المؤذن قد بدا بأذانه

فقال ابن عمار:

يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال المعتمد:

طوبى له من شاهد بحقيقه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٧٨

فقال ابن عمار:

إن كان عقد ضميره كلسانه

و قال عبد الجبار بن حمديس الصقلى: أقمت بإشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدّة لا يلتفت إلّى و لا يعأبى، حتى قنطت

لخيتى مع فرط تعبى، و هممت بالنكوص على عقبى، فإننى لكذلك ليله من الليالى فى منزلى إذا بغلام معه شمعة و مركوب، فقال

لى:

أجب السلطان، فركبت من فورى، و دخلت عليه، فأجلسنى على مرتبة فنك، و قال لى: افتح الطاق التى تليك، ففتحتها فإذا بكور

زجاج على بعد، و النار تلوح من بابه، و واقده فتحتها تارة و تسدّها أخرى، ثم دام سدّ أحدهما و فتح الآخر، فحين تأملتّهما قال

لى: أجز: [المنسرح]

انظرهما فى الظلام قد نجما

فقلت:

كما رنا فى الدجّة الأسد

فقال:

يفتح عينيه ثم يطبقها

فقلت:

فعل امرئ في جفونه رمد

فقال:

فابتزّه الدهر نور واحدة

فقلت:

و هل نجا من صروفه أحد؟

فاستحسن ذلك، و أمر لى بجائزته ستيه، و ألزمنى خدمته.

[بين عبد الرحمن الناصر و جماعة من خواصه]

و قد ذكرنا هذه الحكاية فى هذا الكتاب، و لكن ما هنا أتم مساقا فلذلك نبهت عليه.

و ذكر صاحب «فرحة الأنفس، فى أخبار أهل الأندلس» أن أمير المؤمنين عبد الرحمن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٧٩

الناصر جلس فى جماعة من خواصه و معهم أبو القاسم لب، و كان يعدّه للمجون و التطايب، فقال له: اهج عبد الملك بن جهور،

يعنى أحد وزرائه، فقال: أخافه، فقال لعبد الملك:

فاهجه أنت، فقال: أخاف على عرضى منه، فقال: أهجوه أنا و أنت، ثم صنع: [السريع]

لبّ أبو القاسم ذو لحيه طويلة أزرى بها الطول

فقال عبد الملك: [السريع]

و عرضها ميلان إن كسرت و العقل مأفون و مخبول

فقال الناصر للّب: اهجه فقد هجاك، فقال بديها: [السريع]

قال أمين الله فى عصرنا لى لحيه أزرى بها الطول

و ابن جهير قال قول الذى مأكله القرصيل و الفول

لولا حياى من إمام الهدى نخست بالمنخس شو...

ثم سكت، فقال له الناصر: هات تمام البيت، فامتنع، فقال له «قولو» تمام البيت، كلمة قالها الناصر مسترسلا غير متحفّظ من زيادة الواو و

إبدال الهاء واوا، إذ صوابها «قله» على حكم المشى مع الطبع و الراحة من التكلف، فقال لب: يا مولانا، أنت هجوته، ففطن الناصر و

الحاضرون، و ضحكوا، و أمر له بجائزته.

و القرصيل: شوك له ورق عريض تأكله البقر، و قوله «شو» اسم لذكر الرجل بالرومية، و «قولو» اسم لللاست بها، فكأنه قال: لولا

حياى من إمام الهدى نخست بالمنخس - الذى هو الذّكر - استه.

[بين ابن صارة و ابن القبطرنة]

و قال ابن ظافر: أخبرنى من أثق به قال: اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة و الأستاذ أبو العباس ابن صارة فى يوم جلا ذهب برقه، و

أذاب ورق ودقه، و الأرض قد ضحكت لتعيس السماء، و اهتزت و ربت عند نزول الماء، فترافدا في صفتها، فقال ابن صارة: [الكامل]
 هذى البسيطة كاعب أبرادها حلل الربيع و حليها النوار
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٨٠
 فقال ابن القبطرنة: [الكامل]
 و كأن هذا الجو فيها عاشق قد شقه التعذيب و الإضرار
 فقال ابن صارة: [الكامل]
 فإذا شكا فالبرق قلب خافق و إذا بكى فدموعه الأمطار
 فقال ابن القبطرنة: [الكامل]
 فمن اجل عزة ذا و ذلة هذه تبكى الغمام و تضحك الأزهار

[بين أبي بكر بن الزبيدي و أبي الحسن المصحفي و من شعر أبي بكر بن الزبيدي]

و قال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي صاحب الشرطه يخاطب الوزير أبا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي لما كتب كتابا
 له فيه «فاضت نفسه» بالضاد- مينا له الخطأ دون تصريح: [المنسرح]
 قل للوزير السنّي محتده لى ذمه منك أنت حافظها
 عناية بالعلوم معجزه قد بهظ الأولين باهظها
 يقرّ لى عمرها و معمرها فيها و نظامها و جاحظها
 قد كان حقا قبول حرمتها لكنّ صرف الزمان لافظها
 و فى خطوط الزمان لى عظه لو كان يثنى النفوس واعظها
 إن لم تحافظ عصابه نسبت إليك قدما فمن يحافظها
 لا تدعن حاجتى بمطرحة فإنّ نفسى قد فاظ فائظها
 فأجابه المصحفي: [المنسرح]
 خفّض فواقا فأنت أوحدها علما و نقابها و حافظها
 كيف تضيع العلوم فى بلد أبناؤها كلّهم يحافظها
 ألفاظهم كلّها معطله ما لم يعول عليك لافظها
 من ذا يساويك إن نطقت و قد أقرّ بالعجز عنك جاحظها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٨١
 علم ثنى العالمين عنك كما ثنى عن الشمس من يلاحظها
 و قد أتنتى فديت شاغله للنفس أن قلت فاظ فائظها
 فأوضحنها تفز بنادرة قد بهظ الأولين باهظها
 فأجابه الزبيدي، و ضمّن شعره الشاهد على ذلك: [الطويل]
 أتانى كتاب من كريم مكرم فنفس عن نفس تكاد تفيظ
 فسّر جميع الأولياء و روده وسىء رجال آخرون و غيظوا

لقد حفظ العهد الذي قد أضاعه لديّ سواه و الكريم حفيظ
و باحث عن فاظت و قبلى قالها رجال لديهم فى العلوم حظوظ
روى ذاك عن كيسان سهل و أنشدوا مقال أبى الغياض و هو مغيظ
و سميت غياظا و لست بغائظ عدوّا و لكن للصدىق تغىظ
فلا رحم الرحمن روحك حيّة و لا هى فى الأرواح حين تفيظ
قلت: و فى خطاب الوزير بهذا البيت و إن حكى عن قائله ما لا يخفى أن اجتنابه المطلوب، على أنه قد يقال «فاضت نفسه» بالضاد،
كما ذكره ابن السكيت فى خلل «الألفاظ» له، و الله أعلم.
و كتب الزبيدى المذكور إلى أبى مسلم بن فهدي: [الطويل]
أبا مسلم، إنّ الفتى بجنابه و مقوله، لا بالمراكب و اللبس
و ليست ثياب المرء تغنى قلامه إذا كان مقصورا على قصر النفس
و ليس يفيد العلم و الحلم و الحجا أبا مسلم طول القعود على الكرسي
و قال، و قد استأذن الحكم المستنصر فى الرجوع إلى أهله بإشبيلية و لم يأذن له، فكتب إلى جاريته سلمى: [مخلع البسيط]
و يحكك يا سلم، لا تراعى لا بدّ للبين من زماع
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٨٢
لا تحسبى صبرت إلّا كصبر ميت على التّزاع
ما خلق الله من عذاب أشدّ من وقفه الوداع
ما بينها و الحمام فرق لو لا المناحات و النواعى
إن يفترق شملنا و شيكا من بعد ما كان ذا اجتماع
فكلّ شمل إلى افتراق و كلّ شعب إلى انصداع
و كلّ قرب إلى بعاد و كلّ وصل إلى انقطاع

[بين سهل بن مالك و جماعة من الأدباء]

و اجتمع جماعة من الأدباء فيهم أبو الحسن سهل بن مالك و المهر بن الفرس و غيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١، فتذاكروا محبوا لهم
يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم، فقالوا: ليقبل كلّ واحد منكم شيئا فيه، فقال سهل بن مالك: [الكامل]
لما حطت بسبتة قتب النوى و القلب يرجو أن يحول حاله
و الجوّ مصقول الأديم كأنما بيدى الخفى من الأمور صقاله
عاينت من بلد الجزيرة مكنسا و البحر يمنع أن يصاد غزاله
كالشكل فى المرآة تبصره و قد قربت مسافته و عزّ مناله
فقال الجماعة: و الله لا يقول أحد منا بعد هذا شيئا.

[بين ابن مطروح البلنسى و أبى الربيع الكلاعى]

ولما قرأ أبو محمد عبد الله بن مطروح البلنسى صدق إملاك، وغيّر فيه حال القراءة لفظة «غير» برفع ما كان منصوبا أو بالعكس، أنشد بديها بعد الفراغ معتذرا عن لحنه: [مخلع البسيط]

غيرت غيرا فصرت غيرا و هكذا من يجد سيرا
فأجابه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى، و كان إلى جانبه، بديهته: [مخلع البسيط]

ما أنت مما يظنّ فيه بذاك جهل فظنّ خيرا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٨٣

[بين ابن حمدون و الشلوين]

و وقف أبو أمية بن حمدون بباب الأستاذ الشلوين، فكتب فى ورقة «أبو أمية بالباب» و دفع الورقة لخدام الأستاذ، فلما نظر إليها الأستاذ نوّن تاء أمية، و لمن يزد على ذلك، و أمر الخادم بدفع الورقة إليه، فلما نظر فيها أبو أمية انصرف، علما منه أن الأستاذ صرفه، فانظر إلى فطنة الشيخ و التلميذ، مع أن الشيخ منسوب إلى التغفل فى غير العلم.

[من عفو المعتصم بن صمادح و من شعر أبي عبد الله الرصافى]

و من حكايات أهل الأندلس فى العفو أن المعتصم بن صمادح كان قد أحسن للنحلى البطليوسى، ثم إن النحلى سار إلى إشبيلية، فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه: [المتقارب]

أباد ابن عباد البربرا و أفنى ابن معن دجاج القرى
و نسى ما قاله، حتى حلّ بالمرية، فأحضره ابن صمادح لمنادمته، و أحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج، فقال النحلى: يا مولاي، ما عندكم فى المرية لحم غير الدجاج؟ فقال:

إنما أردنا أن نكذبك فى قولك:
و أفنى ابن معن دجاج القرى
فطار سكر النحلى، و جعل يعتذر، فقال له: خفّض عليك، إنما ينفق مثلك بمثل هذا، و إنما العتب على من سمعه فاحتمل منك فى حقّ من هو فى نصابه، ثم أحسن إليه، و خاف النحلى، ففرّ من المرية، ثم ندم فكتب إلى المعتصم: [المتقارب]

رضا ابن صمادح فارقت فلم يرضنى بعده العالم
و كانت مريته جنّه فجئت بما جاءه آدم
فما زال يتفقده بالإحسان على بعد دياره، و خروجه عن اختياره، انتهى.

و قال فى بلنسية أبو عبد الله الرصافى، و قد خرج منها صغيرا: [الطويل]

بلادى التى ريشت قويدمتى بها فريخا و آوتنى قرارتها و كرا
مهادى و لين العيش فى ريق الصبا أبى الله أن أنسى اعتيادى بها خيرا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٨٤

[من شعر أبي بكر محمد بن يحيى الشلطيشى و أبي بكر بن العطار اليايسى و محمد بن الحسن الجبلى]

و قال أبو بكر محمد بن يحيى الشلطي: [الوافر]
 وفاء المرء سرّ لم يكشف و لم تثبت حقيقته درايه
 سيفنى كلّ ذى شبح و نفس و تلتحق النهاية بالبدايه
 و ينصدع الجميع إلى صدوع تعود به البرية كالبرايه
 كأنّ مصائب الدنيا سهام لها الأيام أغراض الرمايه
 فنل ما شئت إنّ الفقر بدء و عش ما شئت إنّ الموت غايه
 و قال أبو بكر محمد بن العطار الياسي، و هو من رجال الذخيرة: [البسيط]
 أمطيت عزمك منه متن سابعه خلت الحباب على لباتها ليا
 تبدو على الموج أحيانا و يضمرها كالعيس تعتسف الأهضاب و الكثبا
 و قال محمد بن الحسن الجبلي النحوي: [الطويل]
 و ما الأنس بالناس الذين عهدتهم بأنس و لكن فقد رؤيتهم أنس
 إذا سلمت نفسي و ديني منهم فحسبي أنّ العرض مني لهم ترس

[من شعر محمد بن حرب و محمد بن اليسع]

و قال محمد بن حرب: [مجزوء الكامل]
 طوبى لروضه جنة لك قد نويت ورودها
 نظمت على لباتها أيدي الغمام عقودها
 وسقت بماء الورد و ال مسك الفتيت صعيدها
 و الطير تشدو في الغصون المائدات قصيدها
 و تعير سمع المستعي رنظيمها و نشيدها
 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٨٥
 و كان في دار محمد بن اليسع شاعر الدولة العامرية وردة، و كان يهدى ورودها كلّ عام إلى عارض الجيش أحمد بن سعيد، فغاب
 العارض سنه، فقال: [مجزوء الرمل]
 قال لي الورد و قد لا حظته في روضتيه
 و هو قد أئنع طيبا جمع الحسن لديه
 أين مولاي الذي قد كنت تهديني إليه
 قلت غاب العام فإياس أن ترى بين يديه
 فبدا يذبل حتى ظهر الحزن عليه

[من شعر أحمد بن أفلاج و أحمد بن تليد و إسحاق بن المنادي]

و قال أحمد بن أفلح: [البيسط]
 ما أستريح إلى حال فأحمدتها بالبين قلبي و قبل البين قد ذهباً
 إن كان لي أرب في العيش بعدكم فلا قضيت إذن من حبكم أرباً
 و قال أحمد بن تليد الكاتب: [السريع]
 لم أرض بالذلّ و إن قلّا و الحرّ لا يحتمل الذلّا
 يا ربّ خلّ كان لي خامل صار إلى العزّة ما خلا
 حرّمت إمامي على بابه و وصله لم أره حلّا
 تأبى على النفس من أن أرى يوماً على مستثقل كلّاً
 و قال إسحاق بن المنادي، و قد أهدى له من يهواه تفاحة: [الوافر]
 مجال العين في ورد الخدود يذكّر طيب جنّات الخلود
 و أرجه من التفاح تزهو بطيب النشر و الحسن الفريد
 أقول لها فضحت المسك طيباً فقالت لي بطيب أبي الوليد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٨٦

[من شعر غالب بن عبد الله الثغرى و الوزير أبي الحسن الغرناطى]

و قال غالب بن عبد الله الثغرى: [البيسط]
 يا راحلا عن سواد المقلتين إلى سواد قلب عن الأضلاع قد رحلا
 غدا كجسم و أنت الروح فيه فما ينفكّ مرتحلا ما دمت مرتحلا
 و للفراق جوى لو مرّ أبرده من بعد فرقتمكم بالماء لاشتعلا
 و قال الوزير أبو الحسن ابن الإمام الغرناطى يهجو مراكش المحروسة: [البيسط]
 يا حضرة الملك ما أشهاك لى وطنا لو لا ضروب بلاء فيك مصبوب
 ماء زعاق و جوّ كلّه كدر و أكله من بدنجان ابن معيوب
 و ابن معيوب هذا كان من خدام أبي العلاء بن زهر، يزعم الناس أنه سمّ ابن باجّه لعداوته لابن زهر فى باذنجان.

[من شعر الوزير أبي عامر بن الحمارة و ابن بقى]

و لمّا بنى الفقيه أبو العباس ابن القاسم قصره بسلا و شيّده وصفته الشعراء، و هتّته به، و دعت له، و كان بالحضرة حينئذ الوزير أبو عامر
 بن الحمارة، و لم يكن أعدّ شيئاً، فأفكر قليلاً ثم قال: [البيسط]
 يا أوحّد الناس قد شيّدت واحدة فحلّ فيها حلول الشمس فى الحمل
 فما كدارك فى الدنيا لذى أمل و لا كدارك فى الأخرى لذى عمل
 و فيهم يقول ابن بقى فى موشحته الشهيرة التى آخرها:
 إن جئت أرض سلا تلقاك بالمكارم فيدان

هم سطور العلا و يوسف بن القاسم عنوان

[بين ابن عباد و ابن القابلة]

و كان محمد بن عباد بالمرية، و معه ابن القابلة السبتي، فنظر إلى غلام و سيم يسبح، و قد تعلق بسفينته، فقال ابن عباد: [السريع]
انظر إلى البدر الذي لاح لك
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٨٧
فقال ابن القابلة: [السريع]
في وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل الماء مكان السما و اتخذ الفلك مكان الفلك

[من شعر ابن خروف]

و قال ابن خروف، و يروى لغيره: [السريع]
أيتها النفس إليه اذهبي فحبه المشهور من مذهبي
مفضض الثغر له شامة مسكية في خده المذهب
أيأسنى التوبة من حبه طلوعه شمسا من المغرب

[بين ابن خفاجة و ابن عائشة و ابن الزقاق]

و اجتمع في بستان واحد ثلاثة من شعراء الأندلس، و هم: ابن خفاجة، و ابن عائشة و ابن الزقاق، فقال ابن خفاجة يصف الحال
هنالك: [مخلع البسيط]
لله نورية المحيا تحمل نارية الحميا
درنا بها تحت ظل دوح قد راق مرأى و طاب ريا
تجسم الثور فيه نورا فكل غصن به ثريا
و قال ابن عائشة: [مخلع البسيط]
و دوحة قد علت سماء تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا علينا فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الأفق غار لما بدت فأغرى بها النسيما
و قال ابن الزقاق: [الخفيف]
و رياض من الشقائق أضحت يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها و الغمام يجلد منها زهرات تفوق لون الراح
قلت ما ذنبا؟ فقال مجيبا سرقت حمرة الخدود الملاح

[من شعر الحسين بن الضحاک:]

و قال الأديب أبو الحسن بن زنون: وقع بيدي- و أنا أسير بقيجاطه، أعادها الله تعالى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٨٨

دار إسلام!- كتاب ترجمته «كتاب التحف و الطرف» لابن عفيون فوجدت فيه: قال الحسين بن الضحاک: [البيسط]

ما كان أحوجني يوما إلى رجل في وسطه ألف دينار على فرس
في كفه حربه يفرى الدروع بها و صارم مرهف الحدّين كالقبس
فلو رجعت و لم أظفر بمهجته و قد خضبت ذباب الصارم الشكس
فلا اغتبطت بعيش و ابتليت بما يحول بيني و بين الشادن الأنس
و وقف على هذه القطعة أبو نواس فقال: [البيسط]

ما كان أحوجني يوما إلى خنث حلو الشمائل في باق من الغلس
في كفه قهوة يسبى النفوس بها محكم الطرف للألباب مختلس
فلو رجعت و لم أظفر بتكته و قد رويت من الصهباء كالقبس
فلا هنت بعيش و ابتليت بما يكون منه صدود الشادن الأنس
هذا اللدّ و أشهى من منى رجل في وسطه ألف دينار على فرس
و وقف على ذلك الوزير أبو عامر بن يتق فقال: [البيسط]

ما كان أحوجني يوما إلى رجل يردّ الذكر في باق من الغلس
في حلقة غنّه يشفى النفوس بها و في الحشا زفرة مشبوبة القبس
فلو رجعت و لم أوثر تلاوته على سماع غناء الشادن الأنس
فلا حمدت إذن نفسي و لا اعتمدت بي النجائب قصد البيت ذى القدس
و لا أسلت لقبر المصطفى مقلا تبكى عليه بهامى الدمع منبجس

قال ابن زنون: فوقفت على ذلك، فقلت: و كلّ ينفق ممّا عنده، و من عجائب صنعه تعالى أنه عند فراغى من كتب هذه القطعة وصل

الفكاك إلى، و حلّ قيودي، و أخرجني إلى بلاد المسلمين، و هي: [البيسط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٨٩

ما كان أحوجني يوما إلى رجل يأتي فينبهني في فحمة الغلس
يفكّ قيدي و غلّي غير مرتقب و لا مبال من الحجاب و الحرس
و قوله لى تأنيسا و تسليّة هذا سلاحى فالبسه و ذا فرسى
فلو جنبت و لم أقبل مقالته و أمتطى الطرف و ثبا فعل مفترس
إذن خلعت لباس المجد من عنقى و صار حظّي منه حظّ مختلس
و أخلفتني أمانى التي طمحت نفسى إليها و إحسانى لكلّ مسى

[من شعر أبي بكر بن حبيش و أبي بكر اللخمي]

وقال أبو بكر بن حبيش، وقد زاره بعض أودائه في يوم عيد فطر: [السريع]
 أكلّ ذا الإجمال في ذا الجمال الله أستحفظ ذاك الكمال
 يا مالكا بالبرّ رقى أما يكفيك أن تملكنى بالوصال
 سرت إلى ربي زورا كما سرى إلى المهجور طيف الخيال
 العيد لي وحدي بين الوري حقا لأنى قد رأيت الهلال
 صومى مقبول و برهانه أنى أدخلت جنان الوصال

[بين أبي زيد بن أبي العافية و ابن العطار]

وقال أبو بكر بن يوسف اللخمي، وقد عاده في شكايه فتى وسيم من الأعيان كان والده خطيب البلد: [مخلع البسيط]
 يا عائدى وهو أصل ما بى أفديك من ممرض طيب
 أصميت لَمَا رميت قلبى بسهم الحاظك المصيب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٣٨٩
 و جتتى منكرا لسقمى و تلك من عادة الحبيب
 يا ساعه قد غفرت فيها ما كان للدهر من ذنوب
 ما كان فى فضلها مثال لو لم تكن جلسه الخطيب
 و خاطب أبو زيد بن أبي العافية أبا عبد الله بن العطار القرطبي بقصيده منها هذا البيت:
 [الوافر]

و كيف يفيق ذو صبر قصير حليف وساوس حول طوال
 يعرض له بطوله و حوله، و لصاحبه أبى محمد بن بلال بقصره، فراجعه أبو عبد الله
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٩٠
 المذكور بهذه الأبيات يعرض له فيها بجره، و كان أبو زيد أصابه جرب كثير: [الوافر]
 أجل يا نافث السحر الحلال أتانى منك نظم كاللآلى
 يروقك أوّلا لفظا و معنى و يلدغ آخرا لدغ الصّلال
 تعرّض فيه أنك ذو مطال حليف وساوس حول طوال
 كأنك لم تجرّب قطّ خلقا و لم تعرف بتجرّبه الليالى
 أنسيت التجارب إذ تجارى بهنّ الجرياء مع الشمال
 فلا تغفل عن التجريب يوما و لو أعطيت فيه جراب مال
 و جرّب جار بيتك و اختبره و جرّ برجله إن كان قالى
 و جار بنيك لا تستحى منه و من نجار بابك لا تبال
 و أجر بيالك الجرياء تبصر نجوم الأفق تجرى بانتقال
 و جرّب أهل جربه تلف قوما أبوا لبس الجوارب و النعال
 تجارا باعه تجروا بزيت تسموا بالتجار بغير مال

إذا سمعوا بتمر في جريب جروا ببطالة التمر البوالى
إذا جربت هذا الخلق أبدى لك التجريب أجربة خوالى
ترى بالتجج دهرًا جرّ بؤسا عليك و جار بالنوب الثقال

[بين ثلاثة أدباء]

و خرج ثلاثة أدباء لنزهة خارج مرسية، و صلّوا خلف إمام بمسجد قريه، فأخطأ فى قراءته، و سها فى صلاته، فلما خرج أحدهم كتب على حائط المسجد: [المجتث]
يا خجلتى لصلاة صلّيتها خلف خلف
فلما خرج الثانى كتب تحته:
أغض عنها حياء من المهيمن طرفى
فلما خرج الثالث كتب تحته:
فليس تقبل منّا لو أنها ألف ألف
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٩١

[من شعر أبى إسحاق بن خفيف و أبى الصلت و بعض المغاربة ٣٩١]

و قال أبو إسحاق بن خفيف الأندلسى فى أحدب أخذ مع صبى فى خلوة فضربا، و طيف بهما، و الأحذب على عنق الصبى: [مجزوء الوافر]
رأيت اليوم محمولاً و أعجب منه من حملة
جمال الناس تحملهم و هذا حامل جملة
و قال أبو الصلت الأندلسى: [الطويل]
و قائله: ما بال مثلك خاملاً أ أنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز
فقلت لها: ذنبى إلى القوم أننى لما لم يحوزوه من المجد حائر
و كتب بعض المغاربة لأبى العباس بن مضاء يذكره بحاله: [مخلع البسيط]
يا غارسا لى ثمار مجد سقيتها العذب من زلالك
أخاف من زهرها سقوطاً إن لم يكن سقيها ببالك

[من شعر عبد الله القرطبي و ابن هذيل الفزاري و ابن الزقاق]

و كتب الكاتب أبو عبد الله القرطبي مستنجزاً وعدا: [الوافر]
أبا عبد الإله وعدت وعدا فأنجز تريح الشكر الجزيلا
و لا تمطل فإنّ المطل يمحو من الإحسان رونقه الصقيلا

إذا كان الجميل يحبّ طبعاً فإني أكره الصبر الجميلاً
 و كتب ابن هذيل الفزاري للغنى بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب: [الرملة]
 ليس يا مولاي لي من جابر إذ غدا قلبي من البلوى جذاذا
 غير صكّ أحمر تكتب لي فيه يمناك اعتناء صحّ هذا
 وقال أبو الحسن بن الزقاق في غلام يهودي كان يجلس معه و ينادمه يوم سبت:
 [الطويل]

و حبّ يوم السبت عندي أني ينادمني فيه الذي أنا أحببت
 و من أعجب الأشياء أني مسلم حنيف و لكن خير أيامي السبت
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٩٢

[من شعر أبي حيان و أبي العباس بن سعيد و السمسير]

و قال أبو حيان: [المتقارب]
 و يعجبني رشف تلك الشفاه و عضّ الخدود و هصر القوام
 محاسن فاقت قضيب الأراك و ورد الرياض و كأس المدام
 و كتب أحد الأدباء بمرسية إلى فتى و سيم من أعيانها كان يلزم حانوت بعض القضاء بها للتفقه عليه، بأبيات في غرض، فراجعه عنه
 أبو العباس بن سعد بقوله: [الكامل]
 ما للمحبّ لديّ غير صباية تقضى عليه و لوعه و غرام
 فدع الطماعة و استرح باليأس من وصل عليك إلى الممات حرام
 و قال السمسير: [مخلع البسيط]
 قرابة السوء شرّ داء فاحمل أذاهم تعش حميدا
 و من تكن قرحةً بفيه يصبر على مصّه الصديدا

[من شعر ابن خفاجة و بعض الأندلسيين و يحيى بن هشام القرطبي]

و قال ابن خفاجة: [الرملة]
 إنّ للجنة بالأندلس مجتلى عين و رياء نفس
 فسنا صبحتها من شنب و دجا ليلتها من لعس
 فإذا ما هبت الريح صبا صحت: و اشوقى إلى الأندلس
 و قال بعض الأندلسيين ممّن لم يحضرني اسمه الآن: [الطويل]
 إذا صال ذو و دّ بودّ صديقه فيا أيها الخلّ المصاحب لي صل بي
 فإني مثل الماء لينا لصاحبي و ناهيك للأعداء من رجل صلب
 و قال أبو يحيى بن هشام القرطبي: [مخلع البسيط]

و خائط رائع جمالا وصاله غاية اقتراحي
 تنعم منه الخيوط فتلا بين أقاح و بين راح
 تراه في السلم ذا طعان بنافذات بلا جراح
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٩٣
 حلته أشبهت فؤادى لكثرة الوخز في النواحي
 تقطع الثوب راحتاه كصنع أحاطه الملاح
 فقبله ما رأيت بدرا ممزقا برده الصباح

[من شعر أبي جعفر البلنسى و أبي العباس القيجاطى و أبي العباس المالى]

و قال أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البلنسى: [الطويل]
 غصبت الثريا في البعاد مكانها و أودعت في عيني صادق نوئها
 و في كل حال لم تزالى بخيلة فكيف أعرت الشمس حلّة ضوءها
 قال ابن الأبار: أنشد مؤلف «قلائد العقيان» هذين البيتين لأبي جعفر البنى اليعمرى، و أحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما، و التفرقة
 بينهما مستوفاه في تأليفى المسمى ب «هداية المعتسف، في المؤلف و المختلف» انتهى.
 و أبو جعفر بن عبد الولي المذكور أحرقه القنيطور - لعنه الله تعالى! - حين تغلبه بالروم على بلنسية. قال ابن الأبار: و ذلك فى سنة
 ثمان و ثمانين و أربعمائه، و قيل: إن إحراقه كان سنة تسعين و أربعمائه، انتهى.
 و قال أبو العباس القيجاطى فيما أنشده له ابن الطيلسان: [المجث]
 ليس الخمول بعار على امرئ ذى جلال
 فليله القدر تخفى و تلك خير الليالى
 و قال أبو محمد بن جحاف المعافى البلنسى: [المتقارب]
 أقول و قد خوّفونى القران و ما هو من شرّه كائن
 ذنوبى أخاف و أما القران فإنى من شرّه آمن
 و أبوه أبو أحمد هو المحرّق ببلنسية كما ذكرناه فى غير هذا الموضع.
 و قال أبو العباس المالى. [الطويل]
 و بين ضلوعى للصبابة لوعة بحكم الهوى تقضى علىّ و لا أقضى
 جنى ناظرى منها على القلب ما جنى فى رأى بعضا يعين على بعض
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٩٤

[جازه بين أبي القاسم بن عبد المنعم و أبي عبد الله الشاطبى و أبى بكر بن طاهر]

و دخل أبو القاسم بن عبد المنعم، و كان أزرق وسيمًا، و معه أبو عبد الله الشاطبى و أبو عثمان سعيد بن قوشتره، على صاحب كتاب
 «مشاهد الأفكار، فى ما أخذ النظار» فقال ابن قوشتره: [الكامل]

عابوه بالزرق الذي بجفونه و الماء أزرق و السنان كذلك

فقال الشاطبي: [الكامل]

و الماء يهدى للنفوس حياتها و الرمح يشرع للمنون مسالكا

فقال أبو بكر بن طاهر صاحب كتاب «المشاهد»: [الكامل]

و كذاك في أجفانه سبب الردى لكن أرى طيب الحياة هنالكا

و هذا من بارع الإجازة، و كم لأهل الأندلس من مثل هذا الديداج الخسرواني، رحمهم الله تعالى و سامحهم!

و كتب الشيخ الإمام العالم العلامة أبو عبد الله محمد بن الصائغ الأندلسي النحوي عند قول الحريري «آمنا أن يعززا بثالث» ما نصه: قد

جىء لهما بثالث و رابع فى قافيتهما، و هو قول بعض الفضلاء: [السريع]

ما الأمة اللكعاء بين الورى كمسلم حرّ أنى ملأمه

فمه إذا استجديت من قول لا فالحرّ لا يملأ منها فمه

ثم قال: و بخامس و سادس:

انقذ مهوى أزره فانتنى مه يا عدولى فى الذى انقذ مه

مندمة قتل المعنى فلا ترسل سهام اللحظ تأمن دمه

قلت: رأيت فى المغرب فى هذا المعنى ما يتيف على سبعين بيتا كلّها مساجلة لبيتى الحريري، رحمه لله تعالى!

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٩٥

[من شعر أبى بكر بن عباد و أبى بكر بن قزمان و ترجمته]

و قال أبو بكر بن عباد الشاعر فى أبى بكر والد الوزير أبى الوليد بن زيدون: [الخفيف]

أى ركن من الرياسة هيبضا و جموم من المكارم غيبضا

حملوه من بلدة نحو أخرى كى يوافوا به ثراه الأريضا

مثل حمل السحاب ماء طبيبا لتداوى به مكانا مريضا

و كان المذكور توفى فى ضيعه له، و نقل تابوته إلى قرطبة فدفن فى الرّبض سنة ٤٠٥، و ولد سنة ٣٠٤.

و قال أبو بكر بن قزمان صاحب الموشحات: [الوافر]

و عهدى بالشباب و حسن قدى حكى ألف ابن مقله فى الكتاب

فصرت اليوم منحنيا كأنى أفتش فى التراب على شبابى

و قال: [السريع]

يا ربّ يوم زارنى فيه من أطلع من غرّته كوكبا

ذو شفه لمياء معسولة ينشع من خديه ماء الصبا

قلت له هب لى بها قبله فقال لى مبتسما مرحبا

فذقت شيئا لم أذق مثله لله ما أحلى و ما أعذبا

أسعدنى الله بإسعاده يا شقوتى يا شقوتى لو أبى

قال لسان الدين: كان ابن قزمان نسيج وحده أدبا و ظرفا و لودعيه و شهرة؛ قال ابن عبد الملك: كان أدبيا بارعا، حلو الكلام، مليح

النثر، مبرزاً في نظم الزجل، قال لسان الدين: وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع، و تنفسح لكثير مما يضيق على الشاعر سلوكه، و بلغ فيها أبو بكر، رحمه الله تعالى، مبلغاً حججه الله عمّن سواه، فهو آيتها المعجزة، و حجتها البالغة، و فارسها المعلم، و المبتدئ فيها و المتمم.

و قال الفتح في حقه: مبرز في البيان، و محرز للسبق عند تسابق الأعيان، اشتمل عليه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٩٦

المتوكل على الله فرقاه إلى مجالس، و كساه ملابس، فامتطى أسمى الرتب و تبوأها، و نال أسنى الخطط و ما تملأها، و قد أثبت له ما يعلم به رفيع قدره، و يعرف كيف أساء له الزمان بغدره، كقوله: [الكامل]
ركبوا السيول من الخيول و ركبوا فوق العوالي السمر زرق نطاف
و تجلّلوا الغدران من ماذيهم مرتجّة إلّا على الأكناف
و الماذى: العسل، و النطاف: جمع النطفة و هي الماء الصافي قل أو كثر.

[من شعر أبي بكر بن القوطية و من شعر القاضي يونس بن عبد الله بن مغيث ترجمته]

و قال الفقيه أبو بكر بن القوطية صاحب «الأفعال» في اللغة و الغريب، في زمن الربيع:

[الكامل]

ضحك الثرى و بدا لك استبشاره فاخضرّ شاربه و طرّ عذاره

ورنت حدائقه و زرر نبتة و تعطرت أنواره و ثماره

و اهتر ذابل كل ماء قرارة لما أتى متطلعا آذاره

و تعممت صلح الرّبا بنباته و ترنمت من عجبها أطيّاره

و قال في المطمح في حقّ ابن القوطية المذكور: إنه ممّن له سلف. و ثبته كلّها شرف، و هو أحد المجتهدين في الطلب، و المشتهرين بالعلم و الأدب، و المنتدبين للعلم و التصنيف، و المرتبين له بحسن الترتيب و التأليف، و كان له شعر نبيه، و أكثره أوصاف و تشبيه، انتهى.

و قال القاضي الأجلّ يونس بن عبد الله بن مغيث: [الطويل]

أتوا حسبة إذ قيل جدّ نحوله فلم يبق من لحم عليه و لا عظم

فعادوا قميصا في فراش فلم يروا و لا لمسوا شيئا يدلّ على جسم

طواه الهوى في ثوب سقم من الضنى و ليس بمحسوس بعين و لا وهم

و قال في المطمح فيه: إنه قاضي الجماعة بقرطبة، فاضل، ورع، مبرز في النساك و الزهاد، دائم الأرق في التخشّع و السهاد، مع التحقّق بالعلم و التميز بحمله، و التحيز إلى فئة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٩٧

الورع و أهله، و له تأليف في التصوّف و الزهد، منها «كتاب المنقطعين إلى الله» و «كتاب المجتهدين» و أشعار في هذا المعنى، منها قوله: [الوافر]

فررت إليك من ظلمي لنفسى و أوحشني العباد و أنت أنسى

قصدت إليك منقطعاً غربياً لتؤنس وحدتي في قعر رمسى

و للعظمى من الحاجات عندى قصدت و أنت تعلم سرّ نفسى

و لما أراد المستنصر بالله غزو الروم تقدّم إلى أبى محمد والده بالكون فى صحبته، و مسابرة فى غزوته، فاعتذر بعذر يجده، و ألم لا ينجده، فقال له الحكم: إن ضمن له أن يؤلف فى أشعار خلفائنا بالمشرق و الأندلس مثل كتاب الصولى فى أشعار خلفاء بنى العباس أعفيتها من الغزاة، و جازيته أفضل المجازاة، فأجابته إليه على أن يؤلفه بالقصر، فزعم أنه رجل مزور، و أن ذلك الموضوع ممتنع على من يلتمّ به و يزور، فألّفه بدار الملك المطلّة على النهر، و أكمله فيما دون شهر، و توفى و المستنصر بعد فى غزاته.

[من شعر ابن سيده و ترجمته:]

و قال ابن سيده صاحب «المحكم» يخاطب إقبال الدولة: [الطويل]

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى سبيل؟ فإنّ الأمن فى ذاك و اليمنى

قال فى المصمّح: الفقيه أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن سيده إمام فى اللغّة و العربية، و همام فى الفنّة الأديبة، و له فى ذلك أوضاع، لأفهام أخلافها استدرار و استرضاع، حرّرها تحريرا، و أعاد طرف الذكاء بها قريبا، و كان منقطعا إلى الموفق صاحب دانيه، و بها أدرك أمانيه، و وجد تجرّده للعلم و فراغه، و تفرّد بتلك الإراغة، و لا سيما كتابه المسمى بالمحكم، فإنه أبداع كتاب و أحكم، و لما مات الموفق رائش جناحه، و مثبت غرره و أوضاعه، خاف من ابنه إقبال الدولة، و أطاف به مكروها بعض من كان حوله، إذ أهل الطلب كحيات مساوره، ففرّ إلى بعض الأعمال المجاوره، و كتب إليه منها مستعظفا: [الطويل]

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمنى سبيل؟ فإنّ الأمن فى ذاك و اليمنى

فتنضى هموم طلّحته خطوبها و لا غاربا يبقين منه و لا متنا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٩٨

غريب نأى أهله عنه و شفّه هواهم فأمسى لا يقّرّ و لا يهنا

فيا ملك الأملاك، إنى محلاً عن الورد لا عنه أذاد و لا أدنى

تحققت مكروها فأقبلت شاكيا لعمرى أ مأذون لعبدك أن يعنى

و إن تتأكد فى دمي لك نية فإنى بسيف لا أحبّ له جفنا

إذا ما غدا من حرّ سيفك باردا فقدما غدا من برد نعماكم سخنا

و هل هى إلّا ساعه ثم بعدها ستقرع ما عمّرت من ندم سنّا

و مالى من دهرى حياة ألّذها فتجعلها نعمى علىّ و تمتنا

إذا ميتة أرضتكم عنا فهاتها حبيب إلينا ما رضيت به عنّا

[من شعر أبى محمد غانم بن الوليد المالى]

و قال الفقيه أبو محمد غانم بن الوليد الأندلسى المخزومى المالى: [البسيط]

صيرّ فؤادك للمحجوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحجّين

و لا تسامح بغیضا فى معاشره فقلّما تسع الدنيا بغیضين

و له: [السريع]

الصبر أولى بوقار الفتى من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة كان على أيامه بالخيار
وقال في المطمح فيه: إنه عالم متفّرّس، و فقيه مدرّس، و أستاذ متجرد، و إمام لأهل الأندلس مجوّد، و أما الأدب فكان جلّ شرعته، و
هو رأس بغيته، مع فضل و حسن طريقته، و جدّ في جميع الأمور و حقيقة، انتهى.

[ابن عبد البر - ترجمته و شعره]

وقال المحدّث الحافظ أبو عمر بن عبد البر يوصى ابنه بمقصورة: [الطويل]
تجاف عن الدنيا و هوّن لقدرها و وفّ سبيل الدين بالعمرة الوثقى
و سارع بتقوى الله سرّاً و جهرة فلا ذمّة أقوى هديت من التقوى
و لا تنس شكر الله في كلّ نعمه يمنّ بها فالشكر مستجاب التّعمى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٣٩٩
فدع عنك ما لا حظّ فيه لعاقل فإنّ طريق الحقّ أبلج لا يخفى
و شحّ بأيام بقين قلائل و عمر قصير لا يدوم و لا يبقى
ألم تر أنّ العمر يمضى مولياً فجذّته تبلى و مدته تفنى
نخوض و نلهو غفلة و جهالة و ننشر أعمالا و أعمارنا تطوى
تواصلنا فيه الحوادث بالردى و تنتابنا فيه النوائب بالبلوى
عجبت لنفس تبصر الحقّ بينا لديها و تأبى أن تفارق ما تهوى
و تسعى لما فيه عليها مضرّة و قد علمت أن سوف تجزى بما تسعى
ذنوبى أخشاها و لست بآيس و ربّى أهل أن يخاف و أن يرجى
و إن كان ربي غافرا ذنب من يشا فإنى لا أدري أ أكرم أم أخزى

وقال في المطمح: الفقيه الإمام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، إمام الأندلس و عالمها، الذى التاحت به
معالمها، صحّح المتن و السند، و ميّز المرسل من المسند، و فرّق بين الموصول و القاطع، و كسا الملمّة منه نور ساطع، حصر الرواء، و
أحصى الضعفاء منهم و الثقات، و جدّد في تصحيح السقيم، و جدد منه ما كان كالكهف و الرّقيم، مع معاناة العلل، و إرهاف ذلك
العلل، و التنبيه و التوقيف، و الإتيان و التثقيف، و شرح المقفل، و استدراك المغفل، و له فنون هى للشريعة رتاج، و فى مفرق الملمّة
تاج، أشهرت للحديث ظبا، و فرعت لمعرفته ربا، و هبت لتفهّمه شمال و صبا، و شفت منه و صبا، و كان ثقّه، و الأنفس على تفضيله
متّفقه، و أما أدبه فلا تعبر لجتّه، و لا تدحض حجّته، و له شعر لم نجد منه إلّا ما نفت به أنفه، و أقصى فيه عن معرفه، فمن ذلك قوله-
وقد دخل إشبيلية فلم يلق فيها مبرّة، و لم يلق من أهلها تهلل أسرّة، فأقام بها حتى أخلقه مقامه، و أطبقه اغتمامه، فارتحل و قال:

[الطويل]

تنكّر من كنا نسرّ بقربه و عاد زغاقا بعدما كان سلسلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٠٠

و حقّ لجار لم يوافقّه جاره و لا لاءمته الدار أن يتحوّلا

بليت بحمص و المقام ببلدة طويلا لعمرى مخلق يورث البلى

إذا هان حرّ عند قوم آتاهم و لم ينأ عنهم كان أعمى و أجهلا
و لم تضرب الأمثال إلّا لعالم و ما عوتب الإنسان إلّا ليعقلا

[من شعر أبي بكر بن أبي الدوس و أخباره و أبي الفضل بن الأعم و أخباره]

و قال الفقيه أبو بكر بن أبي الدوس: [الطويل]
إليك أبا يحيى مددت يد المنى و قدما غدت عن جود غيرك تقبض
و كانت كنور العين يلمع بالدجا فلما دعاه الصبح لباه ينهض
و قال فى المطمح: إنه من أبدع الناس خطأ، و أصحهم نقلا و ضبطا، اشتهر بالإقراء، و اقتصر بذلك على الأمراء، و لم ينحط لسواهم،
و مطل الناس بذلك و لواهم، و كان كثير التحول، عظيم التجول، لا يستقرّ فى بلد، و لا يستظهر على حرمانه بجلده، فقذفته النوى، و
طردته عن كل ثوى، ثم استقرّ آخر عمره بأغماث، و بها مات، و كان له شعر بديع يصونه أبدا، و لا يمدّ به يدا.
أخبرنى من دخل عليه بالمرية فرآه فى غاية الإملاق، و هو فى ثياب أخلاق، و قد توارى فى منزله توارى المذنب، و قعد عن الناس
قعود مجتنب، فلما علم ما هو فيه، و ترفعه عمّن يجتديه، عاتبه فى ذلك الاعتزال، و آخذه حتى استنزله بغيض الإنزال، و قال له: هلا
كنت إلى المعتصم، فما فى ذلك ما يصم، فكتب إليه: إليك أبا يحيى مددت يد المنى - البيتين، انتهى.
و قال الفقيه القاضى الفاضل أبو الفضل بن الأعم، حين ألق و أناب، و ودع ذلك الجنب، و تزهّد و تنسك، و تمسك من طاعة الله
بما تمسك، و تذكّر يوما يتجرّد من أمله، و ينفرد فيه بعمله: [مجزوء الكامل]

الموت يشغل ذكره عن كلّ معلوم سواه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٠١

فاعمر له ربع اذكارك فى العشيّة و الغداه

و اكحل به طرف اعتبا رك طول أيام الحياه

قبل ارتكاض النفس ما بين الترائب و اللّهاه

فيقال هذا جعفر رهن بما كسبت يداه

عصفت به ريح المنون فصيرته كما تراه

فضعوه فى أكفانه و دعوه يجنى ما جناه

و تمتّعوا بمتاعه الم حزون و احووا ما حواه

يا منظرا مستبشعا بلغ الكتاب به مداه

لقيت فيه بشاره تشفى فؤادى من جواه

و لقيت بعدك خير من تباه ربي و اجتباه

فى دار خفض ما اشتتهت نفس المقيم بها أتاه

و قال فى المطمح: إنه كهل الطريقة، و فتى الحقيقه، تدرع الصيانه، و برع فى الورع و الديانه، و تماسك عن الدنيا عفافا، و ما
تماسك التماسا بأهلها و التفافا، فاعتقل النهى، و تنقل فى مراتبها حتى استقرّ فيها فى السيه، و عطّل أيام الشباب، و مطل فيها سعاد و
زينب و الرّباب، إلّا ساعات وقفها على المدام، و عطفها إلى الندام، حتى تخلّى عن ذلك و أترك، و أدرك من المعلومات ما أدرك،
و تعرّى من الشبهات، و سرى إلى الرشده مستيقظا من تلك السينات، و له تصرّف فى شتى الفنون، و تقدّم فى معرفه المفروض و

المسنون، و أما الأدب فلم يجاره في ميدانه أحد، و لا استولى على إحسانه فيه حصر و لا حد، و جدّه أبو الحجاج الأعلم هو خلد منه ما خلد، و منه تقلد ما تقلد، و قد أثبت لأبي الفضل هذا ما يسقيك ماء الفضل زلالا، و يريك سحر البيان حلالا، فمن ذلك ما كتب به إلي، و قد مرت على شنت مريّة بعد ما رحل عنها و انتقل، و اعتقل من نوانا و بيننا ما اعتقل، و شنت مريّة هذه داره، و بها نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٠٢

كامل خلاله و إبداره، و فيها استقصى، و شيم مضائوه و انتضى، فالتقينا بها على ظهر، و تعاطينا ذكر ذلك الدهر، فجددت من شوقه، ما كان قد شبّ على طوقه، فرامني على الإقامة، و سامني على ذلك بكلّ كرامه، فأبيت إلّا النوى، و انثيت عن الثوى، فودعني، و دفع إليّ تلك القطعة حين شيعني: [الكامل]

بشراى أطلعت السعود على آفاق أنسى بدرها كملا
و كسا أديم الأرض منه سنا فكست بسائطها به حلا
إيه أبا نصر، و كم زمن قصر ادكارك عندي الأمل
هل تذكرن و العهد يخجلني هل تذكرن أيامنا الأولا
أيام نعثر في أعنتنا و نجرّ من أبرادنا خيلا
و نحلّ روض الأنس مؤتنقا و تحلّ شمس مرادنا الحملا
و نرى ليالينا مساعفة تدعو رفاقتنا لنا الجفلى
زمن نقول على تذكره ما تمّ حتى قيل قد رحلا
عرضت لزورتكم و ما عرضت إلّا لتمحق كلّ ما فعلا

و وافيته عشية من العشايا أيام ائتلافنا، و عودنا إلى مجلس الطلب و اختلافنا، فرأيته مستشرفا متطلعا، يرتاد موضعا يقيم به لثغور الأنس مرتشفا و لثديه مرتضعا، فحين مقلني، تقلدني إليه و اعتقلني، و ملنا إلى روضة قد سندس الربيع فى بساطها، و دّيج الزهر درانك أوساطها، و أشعرت النفوس فيها بسرورها و انبساطها، فأقمنا بها نتعاطى كؤوس أخبار، و نتهادى أحاديث جهابذة و أخبار، إلى أن نثر زعفران العشى، و أذهب الأنس خوف العالم الوحشى، فقامت و قام، و عوّج الرعب من ألسنتنا ما كان استقام، و قال: [الكامل]

و عشية كالسيف إلّا حدّه بسط الربيع بها لنعلى خدّه
عاطيت كأس الأنس فيها واحدا ما ضرّه إن كان جمعا وحده
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٠٣

و تنزّه يوما بحديقة من حدائق الحضرة قد أطرد نهرها، و توقد زهرها، و الريح يسقطه فينظم بلبّة الماء، و يتبسّم به فتخاله كصفحة خضرة السماء، فقال: [الكامل]

انظر إلى الأزهار كيف تطلعت بسماوة الروض المجود نجوما
و تساقطت فكأنّ مسترقا دنا للسمع فانقضت عليه رجوما
و إلى مسيل الماء قد رقمت به صنع الرياح من الحجاب رقوما
ترمى الرياح لها نثير أزاهر فتمدّه فى شاطئيه رقيما
و له يصف قلم براعة، و برع فى صفته أعظم براعة: [الكامل]
و مهفهف ذلق صليب المكسر سبب لنيل المطلب المتعدّر
متألّق تنبيك صفرة لونه بقديم صحبته لآل الأصفر
ما ضرّه أن كان كعب براعة و بحكمه أطردت كعوب السّمهرى

وله عندما شارف الكهولة، و استأنف قطع صبوة كانت موصولة: [الكامل]

أما أنا فقد ارعويت عن الصبا و عضضت من ندم عليه بناني
فأطعت نصاحي و ربّ نصيحة جاؤوا بها فلججت في العصيان
أيام أسحب من ذيول شبيبتى مرحا و أعر في فضول عناني
و أجلّ كأسى أن ترى موضوعه فعلى يدي أو في يدي ندماني
أيام أحيا بالغواني و الغنا و أموت بين الراح و الرياح
في فتية فرضوا اتّصال هواهم فمناهم دنّ من الأدنان
هزّت علاهم أريحيات الصبا فهي النسيم و هم غصون البان
من كلّ مخلوع الأعنة لم يبل في غيّه بمصارف الأزمان

إلى أن قال: و من نثره يصف فرسا: انظر إليه سليم الأديم، كريم القديم، كأنما نشأ بين الغبراء و اليعقوم، نجم إذا بدا، و وهم إذا عدا،
يستقبل بغزال، و يستدبر برال، و يتحلّى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٠٤

بشيات تقسيمات الجمال.

وله يصف سرجا: بزة جياد، و مركب أجواد، جميل الظاهر، رحيب ما بين القادمة و الآخر، كأنما قدّ من الخدود أديمه، و اختصّ
بإتقان الحبك تقويمه.

وله في وصف لجام: متناسب الأشلاء، صريح الانتماء، إلى ثريا السماء، فكلّه نكال، و سائرته جمال.

وله في وصف رمح: مطرد الكعوب، صحيح اتّصال الغالب و المغلوب، أخ ينوب كلما استنيب و يصيب.

وله في وصف قميص: كافورى الأديم، بابليّ الرسوم، تباشر منه الجسم، ما يياشر الروض من النسيم.

وله في وصف بغل: مترف النسب، مستخبر الشرف، آمن الكبب، إن ركب امتنع اعتماله، أو وكب استقلّ به أخواله.

وله في وصف حمار: وثيق المفاصل، عتيق النهضة إذا ونت المراسل، انتهى ببعض اختصار.

[الرمادى: ترجمته و بعض شعره]

وقال الأديب الشاعر أبو عمر يوسف بن هارون الكندى، المعروف بالرمادى: [الكامل]

أومى لتقبيل البساط خنوعا فوضعت خدى في التراب خضوعا

ما كان مذهبه الخنوع لعبده إلّا زيادة قلبه تقطيعا

قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما يمنن علىّ برده مصدوعا

العبد قد يعصى، و أحلف أننى ما كنت إلّا سامعا و مطيعا

مولاي يحيى في حياة كاسمه و أنا أموت صباية و ولوعا

لا تنكروا غيث الدموع فكلّ ما ينحلّ من جسمى يكون دموعا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٠٥

و الرمادى المذكور عرّف به غير واحد، منهم الحافظ أبو عبد الله الحميدى فى كتابه «جذوة المقتبس» و قال: أظن أن أحد آبائه كان
من أهل الرمادة و هى موضع بالمغرب، و هو قرطبيّ، كثير الشعر، سريع القول، مشهور عند الخاصّة و العامة هنالك، لسلوكه فى فنون

من المنظوم و المثنو مسالك، حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون: فتح الشعر بكنده، و ختم بكنده، يعنون امرأ القيس و المتنبى و يوسف بن هارون، على أن في كون المتنبى من كنده القبيلة كلاما مشهورا.

و أخذ أبو عمر بن عبد البر عن الرمادى هذا قطعة من شعره، و ضمنها بعض تأليفه.

قال ابن حيان: توفى الرمادى سنة ٤٠٣، و ذكر ابن سعيد في «المغرب» أن الرمادى اكتسب صناعة الأدب من شيخه أبى بكر يحيى بن هذيل الكفيف عالم أدباء الأندلس، و هو القائل رحمه الله تعالى: [الخفيف]

لا تلمنى على الوقوف بدار أهلها صيروا السقام ضجعى

جعلوا لى إلى هواهم سيلا ثم سدوا على باب الرجوع

و روى الرمادى عن أبى على كتاب «النوادر» و مدح أبى على بقصيده كما أشرنا إليه في غير هذا الموضوع.

و قال فى المطمح: إنه شاعر مفلق، انفرج له من الصناعة المغلق، و ومض له برقها المؤتلق. و سال بها طبعه كالماء المندفق، فأجمع على

تفضيله المختلف و المتفق، فتارة يحزن و أخرى يسهل، و فى كلتاها بالبديع يعل و ينهل، فاشتهر عند الخاصه و العامه بانطباعه فى

الفريقين، و إبداعه فى الطريقتين، و كان هو و أبو الطيب متعاصرين، و على الصناعة متغايرين، و كلاهما من كنده، و ما منها إلا من

اقتدح فى الإحسان زنده، و تمادى بأبى عمر، طلق العمر، حتى أفرده صاحبه و نديمه، و هريق شبابه و استشن أديمه، ففارق تلك

الأيام و بهجتها، و أدرك الفتنة فحاض لجتها، و أقام فرقا من هيجانها شرقا بأشجانها، و لحقته فيها فاقه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٠٦

نهكته، و بعدت عنه الإفاقة حتى أهلكته، و قد أثبت من محاسنه ما يعجبك سرده، و لا يمكنك نقده، فمن ذلك قوله: [البسيط]

شطت نواهم بشمس فى هوادجهم لولا تالأؤها فى ليلهن عشوا

شكت محاسنها عيني و قد غدرت لأنها بضمير القلب تنخمش

شعر و وجه تبارى فى اختلافهما بحسن هذا و ذاك الروم و الحبش

شككت فى سقمى منها أفى فرشى منها تنكست و إلا الطيف و الفرش

إلى أن قال: و كان كلفا بفتى نصرانى استسهل لباس زناره، و الخلود معه فى ناره و خلع بروده لمسوحه، و تسوغ الأخذ عن مسيحه، و

راح فى بيعته، و غدا من شيعته، و لم يشرب نصيبه، حتى حط عليه صليبه، فقال: [الوافر]

أدراها مثل ريقك ثم صلب كعادتهم على و همى و كاسى

فيقضى ما أمرت به اجتلابا لمسرورى و زاد خضوع راسى

و له فى مثله: [مجزوء الكامل]

و رأيت فوق النحر درعا فاقعا من زعفران

فزجرته لونا سقا مى بالنوى و الزجر شانى

يا من نأى عنى كما تنأى العيون الفرقدان

فأرى بعينى الفرقدى ن و لا أراه و لا يرانى

لا قدرت لك أوبه حتى يؤوب القارطان

هل ثم إلا الموت فردا لا تكون ميتان

و له أيضا: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٠٧

اشرب الكاس يا نصير و هات إن هذا النهار من حسناتى

بأبى غزوة ترى الشخص في صفاً أصفى من المرأة
تنزح الناس نحوها بازدهام كازدهام الحجيج في عرفات
هاتها يا نصير إنا اجتمعنا بقلوب في الدين مختلفات
إنما نحن في مجالس لهو نشرب الراح ثم أنت مواتي
فإذا ما انقضت ديانه ذا الله و اعتمدنا مواضع الصلوات
لو مضى الدهر دون راح و قصف لعددنا هذا من السيئات
و شاعت عنه أشعار في دولة الخلافة و أهلها، سدّد إليهم صائبات نبلها، و سقاهاهم كؤوس نهلها، أوغرت عليه الصدور، و نعرت عليه
المنايا و لكن لم يساعدها المقدور، فسجنه الخليفة دهرًا، و أسكنه من النكبة و عرا، فاستعطفه أثناء ذلك و استلطفه، و أجناه كل زهر
من الإحسان و أقطفه، فما أصغى إليه، و لا ألغى موجودته عليه، و له في السجن أشعار صرّح فيها ببثّه، و أفصح فيها عن جلّ الخطب
لفقد صبره و نكته، فمن ذلك قوله: [الطويل]
لك الأمن من شجو يزيد تشوقى
و منها:

فوافوا بنا الزهراء في حال خالغ ال أئمة لاستيفائهم في التوثق
و حولي من أهل التأدب مأم و لا جؤذر إلّا بثوب مشقق
فلو أنّ في عيني الحمام كروضها و إن كان في ألوانه غير مشفق
و نادى حمامي مهجتي لتقلقت فهلّا أجابت و هو عندي بمحنق
أعيني إن كانت لدمعك فضله تثبت صبرى ساعة فتدققى
فلو ساعدت قالت أمن قلّة الأسي تنقت دموعى أم من البحر تستقى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٠٨
و منها:

و قالت تظنّ الدهر يجمع بيننا فقلت لها من لى بظنّ محقق
و لكننى فيما زجرت بمقلتي زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق
فقد كانت الأشفار فى مثل بعدنا فلما التقت بالطيب قالت سنلتقى
أباكيه يوما و لم يأت وقته سينفذ قبل اليوم دمعك فارفقى
إلى أن قال: و له أيضا: [الطويل]
على كمدى تهمى السحاب و تذرّف و من جزعى تبكى الحمام و تهتف
كأنّ السحاب الواكفات غواسلى و تلك على فقدى نوائح هتّف
ألا ظنعت ليلى و بان قطينها و لكننى باق فلوموا و عنّفوا
و آنست فى وجه الصباح لبينها نحولا كأنّ الصبح مثلى مدنف
و أقرب عهد رشفه بلّت الحشا فعاد شتاء باردا و هو صيّف
و كانت على خوف فولّت كأنها من الرّدف فى قيد الخلاخل ترسف
و له: [السريع]

قبلته قدّام قسيسه شربت كاسات بتقديسه

يقرع قلبى عند ذكرى له من فرط شوقى قرع ناقوسه

و سجن معه غلام من أولاد العبيدىّ فيه مجال، و فى نفس متأمله من لوعته أوجال، فكتب يخاطب الموكل بالسجن بقطعة منها:
[الطويل]

حيسك ممّن أتلف الحبّ عقله و يلذع قلبى حرقه دونها الجمر
هلال و فى غير السماء طلوعه و ريم و لكن ليس مسكنه القفر
تأملت عينيه فخامرني السكر و لا شكّ فى أنّ العيون هى الخمر
أناطقه كيما يقول، و إنما أناطقه عمدا لينتشر الدّر
أنا عبده و هو المليك كما اسمه فلى منه شطر كامل و له شطر
انتهى باختصار.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٠٩

[ابن هانىء: ترجمته و بعض شعره]

و قال محمد بن هانىء: [الخفيف]

قد مررنا على مغانيك تلك فرأينا بها مشابه منك
عارضتنا المها الخرائد سربا عند أجراءها فلم نسل عنك
لا يرع للمها بذكرك سرب أشبهتك فى الوصف إن لم تكنك
كن عذيرى لقد رأيت معاجى يوم تبكى بالجزع ولهى و أبكى
بحنين مرجع و تشكّ و أنين موجه كتشكى

و قال صاحب المطمح فى حقّه: الأديب أبو القاسم محمد بن هانىء، ذخر خطير، و روض أدب مطير، غاص فى طلب الغريب حتى
أخرج درّه المكنون، و بهرج بافتنانه فيه كلّ الفنون، و له نظم تتمنى الثريا أن تتوج به و تتقلد، و يودّ البدر أن يكتب ما اخترع فيه و
ولد، زهت به الأندلس و تاهت، و حاسنت ببدائعه الأشمس و باهت، فحسد المغرب فيه المشرق، و غصّ به من بالعراق و شرق، غير
أنه نبت به أكنافها، و شمخت عليه آنافها، و برئت منه، و زويت الخيرات فيها عنه، لأنه سلك مسلك المعزى، و تجرد من التدين و
عرى، و أبدى الغلو، و تعدّى الحقّ المجلو، فمجتّه الأنفس، و أزعجته الأندلس، فخرج على غير اختيار، و ما عرّج على هذه الديار، إلى
أن وصل الزاب و اتصل بجعفر بن الأندلسية، مأوى تلك الجنسية، فناهيك من سعد ورد عليه فكرع، و من باب ولج فيه و ما قرع،
فاسترجع عنده شبابه، و انتجع وبله و ربابه، و تلقاه بتأهيل و رحب، و سقاها صوب تلك السحب، فأفرط فى مدحه فيه فى الغلو و زاد، و
فرغ عنده تلك المزاد، و لم يتورّع، و لا ثناه ذو ورع، و له بدائع يتحير فيها و يحار، و يخال لرقتها أنها أسحار، فإنه اعتمد التهذيب و
التحرير، و اتبع فى أغراضه الفرزدق مع جرير، و أما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد، و ما شاء منها اقتاد، و قد أثبت له ما تحنّ له الأسماع،
و لا تتمكّن منه الأطماع، فمن ذلك قوله: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤١٠

أليتنا إذ أرسلت واردا وحفا و بتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا
و بات لنا ساق يقوم على الدجى بشمعه صبح لا تقطّ و لا تطفأ
أغنّ غضيض خفف اللين قدّه و ثقّلت الصهباء أجفانه الوطفأ

و لم يبق إرعاش المدام له يدا و لم يبق إعنات التثني له عطفًا
 نزيه نضاه السكر إلا ارتجاجة إذا كل عنها الخصر حملها الردفا
 يقولون حقف فوقه خيزرانه أما يعرفون الخيزرانه و الحقفا
 جعلنا حشايانا ثياب مدامنا و قدت لنا الأزهار من جلدها لحفا
 فمن كبد توحى إلى كبد هوى و من شفه تؤوى إلى شفه رشفا
 و منها:

كأن السماكين اللذين تراهما على لبدتيه ضامنان له حتفا
 فذا راح يهوى إليه سنانه و ذا أعزل قد عض أنمله لهفا
 كأن سهيلا في مطالع أفقه مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
 كأن بنى نعش و نعشا مطافل بوجره قد أضلن في مهمه خشفا
 كأن سهاها عاشق بين عود فأونه يبدو و آونه يخفى
 كأن قدامى النسر و النسر واقع قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا
 كأن أخاه حين حوم طائر أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
 كأن ظلام الليل إذ مال ميله صريع مدام بات يشربها صرفا
 كأن عمود الصبح خاقان معشر من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤١١
 كأن لواء الشمس غره جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا
 و له أيضا: [الكامل]

فتقت لكم ريح الجلاذ بعنبر و أمدم فلق الصباح المسفر
 و جنيتم ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الأخضر
 أبنى العوالى السمهريه و السيوف المشرفيه و العديد الأكثر
 من منكم الملك المطاع كأنه تحت السوايح تبع في حمير
 جيش تعد له الليوث و فوقها كالغيل من قصب الوشيج الأخضر
 و كأنما سلب القشاعم ريشها ممًا يشق من العجاج الأكد
 لحق القبول مع الدبور و سار في جمع الهرقل و عزمه الإسكندر
 في فتية صدا الحديد لباسهم في عبقرى البيض جنة عبقر
 و كفاه من حب السماحة أنه منها بموضع مقله من محجر
 و منها:

نعمائه من رحمه، و لباسه من جنة، و عطاؤه من كوثر
 و له أيضا من قصيدة في جعفر بن على: [الطويل]
 ألا أيها الوادى المقدس بالندى و أهل الندى قلبى إليك مشوق
 و يا أيها القصر المنيف قبابه على الزاب لا يسدد إليك طريق
 و يا ملك الزاب الرفيع عماده بقيت لجمع المجد و هو فريق

فما أنس لا أنس الأمير إذا غدا يروع بحور ملكه و يروق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤١٢
 فللجود مجرى من صفيحة وجهه إذا كان من ذاك الجبين شروق
 و هزته للمجد حتى كأنما جرت في سجايه العذاب رحيق
 أما و أبى تلك الشمائل إنها دليل على أن التجار عتيق
 فكيف بصبر النفس عنه و دونه من الأرض مغبر الفجاج عميق
 فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما فليس لهذا الملك غيرك فوق
 و لا تشكر الدنيا على نيل رتبة فما نلتها إلّا و أنت حقيق
 و له من أخرى: [الطويل]

خليلي، أين الزاب منى و جعفر و جنات عدن بنت عنها و كوثر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٤١٢
 فقبلى نأى عن جنه الخلد آدم فلما راقه من جانب الأرض منظر
 لقد سرّنى أنى أمرّ بباله فيخبرنى عنه بذلك مخبر
 و قد ساءنى أنى أراه ببلده بها منسك منه عظيم و مشعر
 و قد كان لى منه شفيع مشفّع به يمحص الله الذنوب و يغفر
 أتى الناس أفواجا إليك كأنما من الزاب بيت أو من الزاب محشر
 فأنت لمن قد مزق الله شمله و معشره و الأهل أهل و معشر
 و له أيضا: [الطويل]

الأطرقتنا و النجوم ركود و فى الحى أيقاظ و نحن هجود
 و قد أعجل الفجر الملمّع خطوها و فى أخريات الليل منه عمود
 سرت عاطلا غضبى على الدّرّ وحده و لم يدر نحر ما دهاه و جيد
 فما برحت إلّا و من سلك أدمعى قلائد فى لباتها و عقود
 و يا حسنها فى يوم نصّت سوالفا تروغ إلى أترابها و تحيد
 ألم يأتها أنا كبرنا عن الصبا و أنا بلينا و الزمان جديد
 و لا كالليالى ما لهنّ موائق و لا كالغوانى ما لهنّ عهود
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤١٣
 و لا كالمعزّ ابن النبى خليفة له الله بالفخر المبين شهيد
 و له من قصيدة يمدح بها يحيى بن على بن رمان: [الطويل]
 قفا بى فلا مسرى سرينا و لا نسرى و إلّا نرى مشى القطا الوارد الكدر
 قفا تبيّن أين ذا البرق منهم و من أين تأتى الريح طيبة النّشر
 لعلّ ترى الوادى الذى كنت مرّة أزورهم فيه تضوّع للسفر
 و إلّا فما واد يسيل بعنبر و إلّا فما تدرى الركاب و لا ندرى
 أكّل كناس بالصريم تظنه كناس الأطباء الدّعج و الشّدن العفر

و هل عجيبوا أنى أسائل عنهم و هم بين أحناء الجوانح و الصدر
و هل علموا أنى أيمم أرضهم و مالى بها غير التعسف من خبر
و لى سكن تأتى الحوادث دونه فيبعد عن عيني و يقرب من فكرى
إذا ذكرته النفس جاشت بذكره كما عثر الساقى بجام من الخمر
فلا تسألانى عن زمانى الذى خلا فوالعصر إنى قبل يحيى لفى خسر
و آليت لا أعطى الزمان مقادتى على مثل يحيى ثم أغضى على الوتر
حنينى إليه ظاعنا و مخيما و ليس حنين الطير إلّا إلى الوكر
و له من قصيدة: [الكامل]

فتكات طرفك أم سيوف أبيض و كؤوس خمر ك أم مراشف فيك
أجلاد مرهفة و فتك محاجر لا أنت راحمه و لا أهلوك
يا بنت ذى السيف الطويل نجاده أكذا يجوز الحكم فى ناديك
عيناك أم مغناك موعدا، و فى وادى الكرى ألقاك أم واديك
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤١٤
و له أيضا: [الكامل]

أحب بهاتيک القباب قبابا لا بالحداء و لا الركاب ركابا
فيها قلوب العاشقين تخالها عنما بأيدى البيض أو عنابا
و الله لو لا أن يعننى الهوى و يقول بعض العاذلين تصابى
لكسرت دملجها بضيق عناقها و رشفت من فيها البرود رضابا
بنتم فلو لا أن أغير لمتى عبثا و ألقاكم على غضابا
لخضبت شيبا فى مفارق لمتى و محوت محو التمس عنه شبابا
و خضبت مبيض الحداد عليكم لو أننى أجد البياض خضابا
و إذا أردت على المشيب وفادة فاحث مطيک دونه الأحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة و لتدفعن إلى الزمان غرابا
و منها:

قد طيب الأقطار طيب ثنائه من أجل ذا نجد الثغور عذابا
لم تدنى أرض إليك و إنما جئت السماء ففتحت أبوابا
و رأيت حولى وفد كل قبيلة حتى توهمت العراق الزبا
أرض وطئت الدر من رضاضها و المسك تربا و الرياض جنابا
و رأيت أجبل أرضها منقادة فحسبتها مدت إليك رقابا
سد الإمام بك الثغور و قبله هزم النبى بقومك الأحزابا
و قال ابن هانىء يصف الأسطول: [الطويل]

معطفه الأعناق نحو متونها كما تبته أيدى الحواة الأفاعيا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤١٥

إذا ما وردن الماء شوقا لبرده صدرن و لم يشرين غرفا صواديا
إذا أعملوا فيها المجاذيف سرعه ترى عقربا منها على الماء ماشيا

[أبو أحمد بن فرج الجبائي: ترجمته و بعض شعره]

و قال الأديب أبو عمر أحمد بن فرج الجبائي رحمه الله تعالى: [الوافر]
و طائعه الوصال عدوت عنها و ما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل ساتره ظلام ال دياجي منه سافرة القناع
و ما من لحظة إلا و فيها إلى فتن القلوب لها دواعي
فمَلكت النهي جمحات شوقى لأجرى بالعفاف على طباعى
و بت بها مبيت الطفل يظما فيمنعه الفطام عن الرضاع
كذاك الروض ليس به لمثلى سوى نظر و شم من متاع
و لست من السوائم مهملات فأتخذ الرياض من المراعى
و قال: [مخلع البسيط]

للروض حسن فقف عليه و اصرف عنان الهوى إليه
أما ترى نرجسا نضيرا يرنو إليه بمقلتيه
نشر حبيبي على رباه و صفرتى فوق و جنتيه
و قال: [الطويل]

بمهلكة يستهلك الحمد عفوها و يترك شمل العزم و هو مبدد
ترى عاصف الأرواح فيها كأنها من الأين تمشى ظالع أو مقيد

و قال فى المطمح: محرز الخصل، مبرز فى كل معنى و فصل، متميز بالإحسان، متم إلى فئة البيان، ذكى الخلد مع قوة العارضة، و
المنه الناهضة، حضر مجلس بعض القضاة و كان مشتهر الضبط، منتصرا لمن انبسط فيه بعض البسط، حتى إن أهله لا يتكلمون فيه إلا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤١٦

رمزا، و لا- يخاطبون إلا إيماء فلا تسمع لهم ركزا، فكلم فيه خصما له كلاما استطال به عليه لفضل بيانه، و طلاقه لسانه، ففارق عادة
المجلس فى رفض الأنفه، و خفض الحجة المؤتفة، و هز عطفه و حسر عن ساعده، و أشار بيده، مادا بها لوجه خصمه، خارجا عن
حدّ المجلس و رسمه، فهم الأعوان بتقويمه و تثقيفه، و وزعهم رهبة منه و خشية، حتى تناوله القاضى بنفسه، و قال له: مهلا، عافاك
الله، اخفض صوتك، و اقبض يدك، و لا- تفارق مركزك، و لا- تعد ححكك، و أقصر عن إدلالك، فقال له: مهلا يا قاضى، أمن
المخدرات أنا فأخفض صوتى و أستر يدي، و أعطى معاصمى لديك؟ أم من الأنبياء أنت فلا يجهر بالقول عندك؟ و ذلك لم يجعله
الله تعالى إلا لرسوله عليه الصلاة و السلام، لقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي [سورة الحجرات،
الآية: ٢]- إلى قوله: تشعرون [سورة الحجرات، الآية: ٢] و لست به و لا كرامه، و قد ذكر الله تعالى أن النفوس تجادل فى القيامة فى
موقف الهول الذى لا يعدله مقام، و لا يشبه انتقامه انتقام، فقال تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها [سورة النحل، الآية: ١١١]-
إلى قوله تعالى: و هم لا يظلمون [سورة النحل، الآية:

[١١١] لقد تعديت طورك، و علوت فى منزلك، و إنما البيان، بعبارة اللسان، و بالنطق يستبين الحق من الباطل، و لا بد فى الخصام، من

إفصاح الكلام. وقام وانصرف. فبهت القاضي، ولم يحر جواباً، وكان في الدولة صدرا من أعيانها، و ناسق درر تبيانها، نفق في سوقها و صنّف، و قرّط محاسنها و سنّف، و له الكتاب الرائق، المسمّى بالحدائق، و أدركه في الدولة سعي، و رفض له فيها الرّعي، و اعتقله الخليفة و أوثقه في مكان أخيه فلم يومض له عفو، و لم يشبّ كدر حاله صفو، حتى قضى معتقلاً، و نعى للنائبات نعيًا مثكلاً، و له في السجن أشعار كثيرة، و أقوال مبدعات منيرة، فمن ذلك ما أنشده ابن حزم يصف خيالاً طرقة، بعد ما أسهره الوجد و أرّقه:

[الوافر]

بأيهما أنا في الشكر بادي بشكر الطّيف أم شكر الرقاد
سرى و ازداد في أملى و لكن عففت فلم أجد منه مرادى
و ما في النوم من حرج و لكن جرّيت من العفاف على اعتيادى

[أبو عبد الله محمد بن الحداد: ترجمته و بعض شعره]

و قال الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن الحداد: [البسيط]
يا غائباً، خطرات القلب محضره الصبر بعدك شيء لست أقدره
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤١٧
تركت قلبى و أشواقى تفضّره و دمع عيني و أحداقى تحدّره
لو كنت تبصر فى تدمير حالتنا إذن لأشفقت مما كنت تبصره
فالعين دونك لا تحلى بلذتها و الدهر بعدك لا يصفو تكدره
أخفى اشتياقى و ما أطويه من أسف عن البرية و الأنفاس تظهره

قال فى المطمح: هو شاعر مادح، و على أيك الندى صادق، لم ينطقه إلّا معن أو صمادح، فلم يرم مثواهما، و لم ينتجع سواهما، و اقتصر على المرية، و اختصر قطع المهامه و خوض البرية، فعكف فيها ينثر درره فى ذلك المتمدنى، و يرشف أبداً تغور ذلك الندى، مع تميزه بالعلم، و تحيزه إلى فئة الوقار و الحلم، و انتمائه إلى آية سلف، و مذهبه مذاهب أهل الشرف، و كان له لسن و رواء يشهدان له بالنباهة، و يقامدان كاهله ما شاء من الوجاهة، و قد أثبت له بعض ما قذفه من درره، و فاه به من محاسن غرره؛ فمن ذلك قوله:

[الطويل]

إلى الموت رجعى بعد حين فإن أمت فقد خلّدت خلد الزمان مناقبى
و ذكراى فى الآفاق طيباً كأنها بكلّ لسان طيب عذراء كاعب
ففى أى علم لم تبرّز سوابقى و فى أى فنّ لم تبرّز كتائبى

و حضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبّانة فأنشد فيه قصيداً أبرز به من عرا الإحسان ما لم ينقصم و استمرّ فيها يكمل بدائعها و قوافيها، فإذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذى أوّله: [الكامل]

عج بالحمى حيث الطّبّاء العين

فقال ابن الحداد مرتجلاً: [الكامل]

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى فى سلك غيرى درى المكنون
و إليكها تشكو استلاب مطيها: عج بالحمى حيث الطّبّاء العين

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤١٨

فاحكم لها و اقطع لسانا لا يدا فلسان من سرق القريض يمين

و له: [مجزوء الكامل]

إنّ المدامع و الزّفير قد أعلننا ما فى الضّمير

فعلام أخفى ظاهرا سقمى علىّ به ظهير

هب لى الرّضا من ساخط قلبى بساحته الأسير

و له أيضا: [مجزوء الرمل]

أيها الواصل هجرى أنا فى هجران صبرى

ليت شعرى أى نفع لك فى إدمان ضرّى

و له أيضا: [البسيط]

يا مشبه الملك الجعدىّ تسميه و مخجل القمر البدرىّ أنوارا

و له: [الطويل]

تطالبنى نفسى بما فيه صونها فأعصى، و يسطو شوقها فأطيعها

و و الله ما يخفى علىّ ضلالها و لكنها تهوى فلا أستطيعها

و قال: [الطويل]

بخافقه القرطين قلبك خافق و عن خرس القلبين دمك ناطق

و فى مشرق الصّدغين للبدر مغرب و للفكر إظلام و للعين شارق

و بين حصا الياقوت ماء و سامه محلاّ عنه الطّبّاء السوابق

و حشو قباب الرّقم أحوى مقرطق كما آس روض عطفه و القراطق

انتهى باختصار.

[الأسد بن بليطة: ترجمته و بعض شعره]

و قال الأسد بن بليطة: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤١٩

برامه ريم زارنى بعدما شطّا تقنّصته بالحلم فى الشّطّ فاشتطّا

رعى من أفانين الهوى ثمر الحشا جنيا و لم يرع العهود و لا الشرطا

خيال لمقوم غرير برامه تأوبنى بالرقمتين لدى الأرتى

فألتمنى من حدّها روضه الجنى و ألدعنى من صدغها حيه رقطا

و باتت ذراعاها نجادا لعاتقى إذا التقتا بالحلى غنى لها لغطا

و سلّ اهتصارى غصنها من مخصر طواه الضنى طى الطوامير فامتطّا

و قد غاب كحل الليل فى دمع فجره إلى أن تبدّى الصبح فى اللّمه الشمطا

و منها فى وصف الديك:

و قام لها يعنى الدجى ذو شقيقه يدير لنا من عين أجفانه سقطا

إذا صاح أصحى سمعه لأذانه و بادر ضربا من قواده الإبطا
 كأنّ أنوشروان أعلاه تاجه و ناظت عليه كفّ ماريّة القرطا
 سبى حلّة الطاووس حسن لباسها و لم يكفه حتى سبى المشيئة البطّا
 و من غزلها:

غلامية جاءت و قد جعل الدجى لخاتم فيها فصّ غالية خطّا
 فقلت أحاجيها بما فى جفونها و ما فى الشفاه اللّمس من حسنها المعطى
 مخمرة العينين من غير سكرة متى شربت الحاظ عينيك إسفطا
 أرى نكهة المسواك فى حمرة اللّمي و شاربك المخضّر بالمسك قد خطّا
 عسى قرح قبلته فأخاله على الشفة اللّمياء قد جاء مختطا

و قال فى المطمح فى تحليه الأسعد: إنه سرد البدائع أحسن السرد، و افترس المعانى كالأسد الورد و أبرز درر المحاسن من صدفها، و
 حاز من فخر الإجادة و شرفها، و مدح ملوكا طوّقهم من مدائح قلائد، و زفّ إليهم منها خرائد، و جلاها عليهم كواعب، بالألباب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٢٠
 لواعب، فأسالت العوارف، و ما تقلّص له من الحظوة ظلّ وارف، و قد أثبت له ما يعترف بحقه، و يعرف به مقدار سبقه، فمن ذلك
 قوله: [الكامل]

لو كنت شاهدنا عشية أمسنا و المزن يبكيها بعينى مذنب
 و الشمس قد مدّت أديم شعاعها فى الأرض تجنح غير أن لم تغرب
 و قوله: [الكامل]

و تلذّ تعذيبى كأنك خلتنى عودا فليس يطيب ما لم يحرق
 و هو مأخوذ من قول ابن زيدون: [الطويل]
 تظنونى كالعود حقّا و إنما تطيب لكم أنفاسه حين يحرق
 انتهى ببعض اختصار.

و قال الأديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء، و هو كما فى المطمح: من فحول الشعراء، و أئمتهم الكبراء، و كان منتجعا بشعره، مسترجعا
 من صرف دهره، و كانت له همّة أطالت همّه، و أكثرت كمدّه و غمّه: [الطويل]
 يؤرّقنى الليل الذى أنا نائم فتنجهل ما ألقى و طرفك عالمه
 و فى اليهودج المرقوم وجه طوى الغشا عن الحسن فيه الحسن قد حار راقمه
 إذا شاء وقفا أرسل الحسن فرعه يضلّهم عن منهج القصد فاحمه
 أظلما رأوا تقليده الدّر أم زروا بتلك اللآلى أنهنّ تمانمه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٢١

فهرس الرسائل و الخطب و المراجعات للجزء الرابع من كتاب نفع الطيب

رسالة ابن حزم فى فضائل الأندلسيين ٧ / ٤

رسالة الشقندى فى فضل الأندلس و الأندلسيين ٢٧ / ٤

ابن الجفان، أبو الوليد رسالة يستدعى فيها بعض إخوانه ١٦ / ٤

- ابن الربيب: رسالته إلى أبي المغيرة ابن حزم حول إهمال الأندلسيين لتراثهم ٧/٤
 ابن سعيد، أبو الحسن: تذييله على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس ٢٢/٤
 ابن الفخار، أبو عبد الله خطبته في الدفاع عن القاضي التوحيدى ١٩٢/٤
 ابن الفراء، أبو عبد الله: رسالته إلى يوسف بن تاشفين ١٨٧/٤
 ابن غانم: جوابه على رسالة وصلته من هاشم بن عبد العزيز ١٧٦/٤
 أبو محمد عبد الرحمن المعافى الوزير: رسالة منه إلى الفتح بن خاقان ٦٣/٤
 أبو الوليد حبيب: رسالته إلى أبيه ٢٢٠/٤
 ابن خفاجة، أبو إسحاق رسالة إلى من بقل عذاره ٢٤٧/٤
 ابن اللماثي: قطعة من رسالة له ٣٢٠/٤
 أبو أمية: رسالة إلى ابن عبد الغفور ٣٢٥/٤
 أبو الفضل ابن الأعلم: نماذج من نثره ٤٠٣/٤
 أيوب المرواني: رسالته إلى بسام بن شمعون الوشقى ٣٠٦/٤
 حريز بن عكاشة: رسالة منه إلى الأذفونش ٣٣١/٤
 مراجعة لابن ذى النون حول رسالة منه ٣٣٢/٤
 عبد الحميد بن لاطون: رسالة له على لسان حريز بن عكاشة ٣٣١/٤
 المأمون بن ذى النون: ردّه على رسالة كتبها عبد الحميد بن لاطون على لسان حريز ٣٣١/٤
 المنذر المرواني: رسالته إلى أبيه ٣٤٦/٤
 يحيى بن يطففت: رسالته إلى ابن هود ٣٣٣/٤
 على بن خير التطيلي: رسالته إلى أبي عبد الصمد السرقسطى ٢٠١/٤
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٢٢

فهرس موضوعات الجزء الرابع

من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى الباب السابع في نبذة مما منّ الله به على أهل الأندلس ٣
 ابن غالب يذكر فضائل الأندلس و الأندلسيين فى كتابه «فرحة الأنفس». ابن غالب يذكر فضائل الأندلس و الأندلسيين فى كتابه «فرحة
 الأنفس». ٤

ابن سعيد يذكر محاسن الأندلس و الأندلسيين ٥

الحميدى يذكر محاسن الأندلس و الأندلسيين ٥

ابن بسام و الحجارى يذكران محاسن الأندلس و الأندلسيين ٦

رسالة ابن حزم فى فضائل الأندلسيين ٧

تذييل ابن سعيد على رسالة ابن حزم ٢٢

رسالة الشقندى فى فضل الأندلس و الأندلسيين ٢٧

شمائل أهل الأندلس ٤٧

فضائل البلاد ٤٧

- إشيلته ٤٧
 قرطبة ٤٩
 جيان ٥١
 غرناطة ٥١
 مالقة ٥٢
 المرية ٥٣
 مرسية ٥٣
 بلنسية ٥٤
 جزيرة ميورقة ٥٤
 بعض حكايات الأندلسيين ٥٦
 مذهب الأندلسيين ٦٠
 من شعر ابن يغمور ٦١
 الوزير أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافى ٦٢
 بين المعتمد و البطليوسى النحلى ٦٤
 ابن عبد البر يفتى بجواز أكل طعام الأمراء ٦٥
 أبو بكر يحيى بن مجير الفهرى ٦٧
 من شعر الأندلسيين ٦٩
 سرعه ارتجال الأندلسيين ٧٠
 بين ابن شهيد و ابن أبى عامر ٧١
 ابن شهيد عند القاضى ابن ذكوان ٧٢
 بين ابن شهيد و جماعة من أصحابه ٧٢
 بين أبى العلاء بن زهر و ابن رزين ٧٤
 عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة فى قرطبة ٧٤
 بين ابن ظافر و الملك الأشرف الأيوبى ٧٥
 بعض بدائع ابن ظافر ٧٦
 من ارتجال ابن قلاقش الاسكندرى ٨٠
 عود إلى كلام أهل الأندلس ٨٤
 البطليوسى و أولاد ابن الحاج ١٠٧
 من ملح أشعار الأندلسيين ١٠٨
 من ملح ابن الزقاق ١٠٩
 من ملح السميسر ١١٠
 لابن رزين ١١١
 لسلطان بلنسية ١١١

- للبلطيوسى المتلمس ١١١
 لابن غالب ١١٢
 لابن خرج السميسر ١١٢
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٢٣
 لابن برد ١١٢
 لابن عبدون ١١٢
 لأبى الفضل بن حسداى ١١٣
 بين ابن عبد ربه و يحيى القلقاط ١١٣
 من مروءة ابن جبير الرحالة ١١٤
 من شعر أبى عمران المارتلى الزاهد ١١٤
 من شعر أبى الصلب أمية بن عبد العزيز ١١٥
 من شعر ابن خفاجة ١١٦
 من مجون أهل الأندلس ١١٦
 من شعر ابن خفاجة ١٢٠
 لابن الأبار ١٢١
 ترجمه ابن الأبار ١٢١
 لجماعة من شعراء الأندلس ١٢٢
 أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير ١٢٣
 عود إلى ملح أهل الأندلس ١٢٦
 أبو أمية بن عفيره قاضى إشبيلية ١٢٧
 على بن ظافر و يعقوب ١٢٨
 من محاسن أبى الحجاج البياسى ١٣٢
 ابن صارة و إخوان له ١٣٢
 بين ابن خفاجة و ابن وهيون ١٣٣
 ابن خفاجة و أصحاب له ١٣٣
 بين السميسر و بعض رؤساء المريه ١٣٥
 عباد بن الحريش و رجال من سراة أصبهان ١٣٥
 أبو الصلت و إخوان له ١٣٦
 للوزير الوقشى فى غلام أسود ١٣٦
 أبو يحيى اليكى ١٣٧
 من شعر ابن مفيد ١٣٧
 لجماعة من أهل الأندلس ١٣٧
 ابن عمار و غلامان من بنى جهور ١٣٨

- ابن عمار و ابن معيشة الكنانى ١٣٩
ابن عمار و غلام لابن هود ١٣٩
المعتصم بن صمادح ١٤٠
بعض ما قيل فى البعوض ١٤١
عود إلى أهل الأندلس ١٤٢
فى وصف الأهرام ١٤٤
فى وصف فرس ١٤٤
بكار المروانى ١٤٦
محمد بن أيوب المروانى ١٥٠
للمطرف بن عمر المروانى ١٥١
بين الأمير هشام بن عبد الرحمن و أخيه ١٥٢
بين سعيد بن اضحى و بعض الشعراء ١٥٣
لابن خفاجة ١٥٣
لأبى بكر محمد بن سهل ١٥٤
لابن اللبانه ١٥٤
بين الحجارى و القاضى اللوشى ١٥٥
بين ابن بقى و التطيلى الأعمى ١٥٦
وصف حمام ١٥٧
وصف دار جمال الملك البغدادى ١٥٨
بعض ما قيل فى الحمام ١٥٩
عود إلى ملح أهل الأندلس ١٦٠
لابن الزقاق ١٦٢
لابن خفاجة ١٦٢
لأبى الصلت ١٦٢
ليحيى بن هذيل ١٦٣
لمهيار الديلمى ١٦٣
لأبى عامر بن شعيد ١٦٤
لابن شهيد يرثى القاضى ابن ذكوان ١٦٥
لابن شهيد يشكو دهره ١٦٦
مرض ابن شهيد و آخر شعر قاله ١٦٨
بين ابن غصن و ابن ذى النون و ابن هود ١٦٨
بين أبى عامر و الرمادى ١٦٩
من عدل المعتصم بن صمادح ١٧١

- عز الدولة بن المعتصم بن صمادح ١٧٢
 بين ابن اللبانة و عز الدولة بن المعتصم ١٧٣
 من شعر عز الدولة بن المعتصم ١٧٣
 من شعر رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح ١٧٣
 من شعر أبي جعفر بن المعتصم ١٧٤
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٢٤
 لابن زهر ١٧٤
 لابن شرف ١٧٤
 لابن خفاجة ١٧٤
 للبياسى ١٧٤
 لابن حريق ١٧٥
 لأبى الحسن بن الفضل ١٧٥
 قصة فى الوفاء و القيام بحق الإخاء ١٧٥
 قصة فى علو الهمة ١٧٦
 عباس بن فرناس حكيم الأندلس ١٧٧
 أول من اشتهر فى الأندلس بالحساب و النجوم ١٧٨
 المشهورون فى الأندلس بالطب و المعالجات ١٧٨
 مثل من حفظ أهل الأندلس ١٨٠
 ابن سيده و شىء من شعره ١٨٢
 المظفر بن الأفتس و حبه للعلم ١٨٢
 من كبار مؤلفات أهل الأندلس ١٨٢
 من دعابات أهل الأندلس ١٨٢
 من شعر ابن الفداء ١٨٣
 من ملح الزهرى خطيب إشبيلية ١٨٤
 ابن ورد و أحد الأعيان ١٨٥
 من ملح ابن الطراوة نحوى المرية ١٨٥
 مدغليس صاحب الموشحات و الأزجال ١٨٦
 لابن الفراء و ترجمته ١٨٧
 جد ابن الفراء ١٨٧
 ابن الفراء الأخفش بن ميمون ١٨٨
 ابن مسعود و الطليق القرشى ١٨٩
 بين جارية و شاعر من المرية ١٩٠
 البياسى و شيخ ثقيل ١٩٠

- أبو علي بن حسون قاضي مالقة ١٩١
 موقف لابن الفخار ١٩٢
 لابن شرف ١٩٣
 ابن شرف الجذامي ١٩٥
 من شعر الحكيم الفيلسوف أبي الفضل الجذامي ١٩٥
 أبو عبد الله محمد بن معمر ابن أخت غانم ١٩٦
 بين أين عبدون و ابن ضابط ١٩٧
 من شعر غانم المخزومي ١٩٧
 بين ابن الغليظ و ابن السراج ١٩٨
 العطاء المالقي في وصف غادة ١٩٨
 أبو القاسم السهيلي ١٩٩
 بين السهيلي و الرصافي ٢٠٠
 أبو الفضل بن حسداى الوزير الكاتب ٢٠٠
 أبو الربيع السرقسطى ٢٠١
 بين على بن خير و ابن عبد الصمد السرقسطى ٢٠١
 قصة من رقة طباع الأندلسيين ٢٠٢
 بين ابن خفاجة و ابن عنق الفضة ٢٠٣
 من شعر أبي بكر بن سدرای الوزير ٢٠٥
 من شعر مروان بن عبد العزيز ملك بلنسية ٢٠٥
 من شعر أبي عامر بن الفرغ الوزير ٢٠٦
 من شعر أبي الحسن على بن حريق ٢٠٧
 لأبي جعفر بن الذهبى ٢٠٨
 بين المعتصم بن صمادح و خلف السميسر ٢٠٨
 لابن صارة ٢١٠
 لابن الزقاق ٢١٠
 من شعر أبي تمام غالب بن رباح الحجام ٢١١
 لابن زقاق و ابن مسعدة ٢١٤
 ابن أزرق ٢١٥
 لأبي جعفر بن أزرق و أبي القاسم بن أزرق ٢١٥
 لراشد بن عريف ٢١٥
 لابن عائش ٢١٦
 لأبي الحسن بن شعيب ٢١٧
 لأبي حامد بن شعيب ٢١٧

- لأبي الحسن بن رجاء ٢١٧
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٢٥
 لأبي محمد بن الفتح ٢١٧
 لأبي مروان بن غصن ٢١٨
 لإبراهيم الحجارى ٢١٩
 لابن خيرة ٢٢٠
 لأبي جعفر الإشبيلي ٢٢٠
 للوزير أبي الوليد بن حبيب ٢٢٠
 للوزير أبي الحسن بن حصن ٢٢٢
 للوزير ابن طريف ٢٢٢
 لأبي العباس الخزرجى ٢٢٣
 للوزير أبي سليمان بن أبي أسية ٢٢٣
 لأبي علي عمر بن أبي خالد ٢٢٣
 للكاتب عبد الله المهيريس ٢٢٤
 للكاتب أبي بكر بن البناء ٢٢٤
 حديث عن بنى زهر ٢٢٤
 أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر ٢٢٦
 لأبي الوليد بن حزم ٢٢٦
 لابن عبد ربه ٢٢٧
 لأبي عبد الله الرندى ٢٢٧
 للمعتمد بن عباد ٢٢٨
 لأبي الفرج الجيانى ٢٢٨
 للرفاصى و ابن عبد ربه و ابن صارة و غيرهم ٢٢٩
 لابن شهيد ٢٣٠
 فى لبس الأندلسيين البياض فى الحزن ٢٣١
 لأبي جعفر بن خاتمة ٢٣١
 للقسطلى يصف البحر ٢٣١
 للرمادى يهنئ بمولود ٢٣٢
 لابن صارة يصف النار ٢٣٢
 لابن لبال و ابن شهيد ٢٣٣
 لابن هانىء ٢٣٣
 من ابن عمار إلى ابن رزين ٢٣٤
 لابن الجد و ابن عبد ربه و النحلى ٢٣٤

- لابن شهيد ٢٣٤
 أبي عمر بن أبي محمد الوزير ٢٣٥
 بين ابن عياش و ابن زرقون ٢٣٦
 بين ابن عبد ربه و فتى يهواه ٢٣٦
 لغانم الملقى ٢٣٦
 ابن بقى و الأبيض ٢٣٦
 لابن صارة و عبدون البنسى ٢٣٧
 الوزير ابن الحكيم ٢٣٨
 لابن جعفر بن برطال ٢٣٨
 لابن خفاجة ٢٣٨
 لأبى الوليد بن الحضرمى ٢٣٨
 لأبى أيوب البطليوسى ٢٣٩
 أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى ٢٤٠
 من شعر إبراهيم البطليوسى ٢٤٠
 من شعر القلندر البطليوسى ٢٤٠
 من شعر ابن جاخ الصباغ ٢٤٠
 من شعر الكميت البطليوسى ٢٤٠
 من شعر محمد بن البين البطليوسى ٢٤١
 بين المتوكل و مضحك يدعى «الخطارة» ٢٤٢
 من شعر أبى زيد بن مولود الوزير ٢٤٢
 من شعر عبد المجيد بن عبدون الفهرى اليابرى ٢٤٢
 ضوابط لحروف الزيادة ٢٤٣
 من شعر عبد الله بن الليث ٢٤٤
 من شعر أبى القاسم بن الأيرشى ٢٤٥
 من شعر أبى الحسين على بن بسام الشترينى ٢٤٥
 من شعر عمر بن كوثر ٢٤٦
 من شعر أبى محمد بن سارة ٢٤٦
 من شعر منذر الأشبونى ٢٤٦
 من شعر خلف القطينى ٢٤٦
 من شعر أبى محمد بن السيد النحوى ٢٤٦
 من شعر ابن خفاجة ٢٤٧
 من شعر الرصافى ٢٤٧
 من شعر أبى بكر بن حبيش ٢٤٧

- من شعر أبي الحسن بن جابر ٢٤٨
 من شعر أبي بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبيلي ٢٤٨
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٢٦
 من شعر صفوان ٢٤٨
 من شعر أبي بكر بن يوسف ٢٤٩
 من شعر أبي القاسم القبتوري ٢٤٩
 من شعر أبي الحسن بن الحاج ٢٤٩
 من شعر أحمد بن أمية البنسي ٢٤٩
 من شعر ابن برطله ٢٤٩
 من شعر ابن خروف ٢٤٩
 من شعر أبي بكر بن مالك ٢٥٠
 من شعر أبي الحسن بن حريق ٢٥٠
 من شعر أبي الحسن بن زقاق ٢٥٠
 من شعر أبي بكر بن الجزار السرقسطي ٢٥١
 من شعر أبي عبد الله الجذامي ٢٥١
 من شعر سلمه بن أحمد ٢٥١
 من شعر أبي الحسن بن حزمون ٢٥١
 من شعر أبي بكر بن مالك ٢٥٢
 من شعر أبي بكر بن مالك ٢٥٢
 من شعر القاضي ابن السليم ٢٥٢
 من شعر الوزير ابن أبي الخصال ٢٥٢
 من شعر الرصافي ٢٥٢
 من شعر ابن باجة ٢٥٣
 من شعر أبي العباس أحمد الإشبيلي ٢٥٣
 من شعر ابن زهر الحفيد ٢٥٤
 من شعر أبي بكر بن زهر الأصغر ٢٥٤
 من شعر أبي جعفر عمر ابن صاحب الصلاة ٢٥٥
 من شعر أبي بكر محمد ابن صاحب الصلاة في عمرو بن مذحج ٢٥٥
 من شعر ابن السيد البطليوسي في عمرو بن مذحج ٢٥٦
 من شعر ابن عبدون ٢٥٦
 جواب عمرو بن مذحج ٢٥٦
 لعمرو بن مذحج في أبي العلاء بن زهر ٢٥٧
 من شعر محمد بن مذحج ٢٥٧

- من شعر أبي الوليد بن مذحج ٢٥٧
- من شعر أبي الحسين بن فندلة ٢٥٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٤؛ ص ٤٢٦
- شعر أبي العباس بن سيد في ابن فندلة ٢٥٨
- من شعر أبي القاسم بن حسان ٢٥٨
- من شعر أبي بكر بن مرتين ٢٥٩
- من شعر القاضي ابن زرقون ٢٥٩
- من شعر أبي عبد الله محمد بن عمر الإشبيلي ٢٦٠
- من شعر أبي بكر الزبيدي ٢٦٠
- من شعر أبي بكر بن طلحة الإشبيلي ٢٦٠
- من شعر أبي جعفر بن الأبار الإشبيلي ٢٦١
- من شعر أبي القاسم العطار الإشبيلي ٢٦٢
- من شعر أبي عمرو الإشبيلي ٢٦٢
- أبو الحسن علي بن جابر الدباج الإشبيلي ٢٦٢
- من شعر مالك بن وهيب الإشبيلي ٢٦٣
- من شعر أبي الصلت أمية بن عبد العزيز ٢٦٣
- من شعر عبد الرحمن بن سبلاق ٢٦٧
- من شعر أبي بكر محمد بن نصر الإشبيلي ٢٦٧
- من شعر أحمد بن محمد الإشبيلي ٢٦٧
- من شعر ابن الأصبع بن سيد ٢٦٨
- من شعر إبراهيم بن خيرة الصباغ ٢٦٨
- من شعر أبي بكر بن حجاج ٢٦٨
- من شعر أبي عبد الله الرصافي ٢٦٩
- من شعر أبي جعفر بن الجزار ٢٦٩
- من شعر أبي جعفر بن البني ٢٦٩
- من شعر أبي المطرف أحمد بن عميرة ٢٧٠
- من شعر أبي جعفر أحمد بن طلحة ٢٧٠
- من شعر أبي إسحاق بن خفاجه ٢٧١
- من شعر أبي بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأبيض ٢٧١
- من شعر أبي علي عمر الشلوين النحوي ٢٧٣
- من شعر أبي إسحاق إبراهيم الإلبيري ٢٧٣
- من شعر أبي بكر بن عبادة القزاز ٢٧٣
- من شعر أبي الحسن بن نزار و خبره ٢٧٤

- بين ابن نزار و أبي جعفر بن سعيد ٢٧٧
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٢٧
 بين ابن نزار و ابن سعيد و الكتندى ٢٧٨
 من شعر أبي الأصبح عبد العزيز بن الأرقم ٢٧٩
 من شعر أبي عامر بن أبي الأصبح ٢٧٩
 من شعر أبي محمد عبد البر بن فرسان ٢٨٠
 من شعر حاتم بن حاتم العنسى ٢٨٠
 من شعر التطيلي الأعمى ٢٨٠
 ابن ظافر و القاضي المؤيد ٢٨١
 من شعر ابن شعبة الوادى آشى ٢٨٢
 من شعر ابن الحداد الوادى آشى ٢٨٢
 الوزير الفقيه أبو بلال ٢٨٥
 من شعر ابن البراق ٢٨٥
 من شعر أبي محمد عبد الله ٢٨٦
 من شعر على بن مهلهل الجليانى ٢٨٦
 من شعر يحيى بن مطروح ٢٨٦
 من شعر أبي بكر محمد بن نصر الأوسى ٢٨٧
 من شعر أبي عبد الله محمد بن على اللوشى ٢٨٧
 من شعر أبي محمد عبد المولى اللوشى و أخباره ٢٨٨
 من شعر حاتم بن سعيد ٢٩١
 من شعر مالك بن محمد بن سعيد ٢٩١
 بين محمد بن غالب و الكتندى و أبي جعفر بن سعيد ٢٩٢
 من شعر أبي جعفر بن سعيد ٢٩٤
 بين ابن الصابونى و أحد الأدباء ٢٩٦
 من شعر ابن الصابونى و بعض أخباره ٢٩٧
 بين ابن الخصال و القاضي ابن مالك ٢٩٨
 بين أبي بكر بن المنخل و ابنه ٢٩٨
 من شعر ابن المرغوى ٢٩٩
 من شعر نسيم الإسرائيلى ٣٠٠
 من شعر إبراهيم بن سهل الإسرائيلى ٣٠٠
 ترجمة إبراهيم بن سهل الإسرائيلى ٣٠٠
 من توجيهات ابن سهل باصطلاحات النحاة ٣٠٢
 إبراهيم بن الفخار اليهودى ٣٠٤

- بين الياس بن المدور اليهودى و طيب آخر ٣٠٥
 قسmonة بنت إسماعيل الشاعرة ٣٠٦
 من شعر أبى عبد الله بن رشيق القلعي ٣٠٧
 حديث عن ابن رشيق القلعي ٣٠٨
 من شعر أبى عيسى لب بن عبد الوارث القلعي ٣٠٨
 من شعر جابر بن خلف الفحصى ٣٠٩
 من شعر أبى يحيى بن الرميمى ٣١٠
 من شعر أبى بحر يوسف بن عبد الصمد ٣١٠
 من شعر أبى جعفر أحمد بن عباس الوزير ٣١١
 من شعر أبى بكر التطيلي الأعمى ٣١٢
 من شعر أبى جعفر أحمد بن الخيال الإستبى ٣١٢
 من شعر عبد الملك بن سعيد الخازن ٣١٢
 من شعر محمد بن الأستجى (زحكون) ٣١٣
 من شعر المقدم بن المعافى ٣١٣
 من شعر عبد الملك بن نظيف ٣١٣
 من شعر هلال البيانى بن حمد بن ٣١٤
 بين الزجالى و الاسكندرانى الوزير ٣١٥
 بين الزجالى و ابنه حامد ٣١٥
 من شعر الوزير أبى عبد الله بن عبد العزيز و ترجمته ٣١٦
 من شعر الوزير أبى الفرج ٣١٧
 ترجمة الوزير أبى الفرج ٣١٧
 من شعر الوزير أبى عامر بن مسلمة ٣١٨
 ترجمة الوزير أبى عامر بن مسلمة ٣١٨
 من شعر الوزير أبى حفص أحمد بن برد و ترجمته ٣١٩
 من شعر الوزير أبى جعفر اللمائي ٣٢٠
 ترجمة الوزير حسان بن مالك و بعض شعره ٣٢١
 ترجمة الوزير أبى أيوب بن أبى أمية ٣٢٣
 ترجمة الوزير أبى القاسم بن عبد الغفور ٣٢٥
 من شعر الوزير أبى الوليد بن حزم ٣٢٦
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٢٨
 من شعر ابن أبى زمنين و ترجمته ٣٢٧
 من شعر خلف بن هارون يمدح بن حزم ٣٢٧
 ترجمة الحافظ ابن حزم ٣٢٨

- ترجمة أبي عبد الله بن مسرة ٣٢٩
 فرار أبي عبد الله الخشني من المناصب ٣٢٩
 من دعابات أهل الأندلس ٣٢٩
 من أجوبة ملوك الأندلس ٣٣٠
 من شجاعة الأندلسيين ٣٣٠
 ترجمة حريز بن عكاشة ٣٣١
 بين المقتدر و غلام نشأ عنده ٣٣٣
 الأمير أبو عبد الله بن مردنيش ٣٣٤
 من ظرف أهل الأندلس ٣٣٥
 من شعر ابن عبد ربه ٣٣٦
 من سعة اطلاع ابن زيدون ٣٣٦
 من شعر أبي الربيع سليمان بن علي الشلبي ٣٣٧
 من شعر ابن مهران ٣٣٧
 من شعر ابن السيد البطليوسي ٣٣٧
 من شعر ابن صارة ٣٣٧
 من شعر عبد الملك بن رزين ٣٣٨
 من شعر ابن عبد ربه ٣٣٨
 من أنفة الأندلسيين ٣٣٨
 من كرم الأندلسيين ٣٣٩
 من شعر أبي العرب الصقلي ٣٣٩
 من كرم الوزير أبي بكر بن عبد العزيز ٣٤٠
 من كرم المعتمد بن عباد ٣٤٠
 من شعر الحجارى ٣٤١
 من شعر أبي العلاء إدريس بن أزرق ٣٤٢
 من شعر محمد بن هشام المرواني ٣٤٢
 من شعر أحمد بن هشام المرواني ٣٤٣
 علو هممة أحمد بن هشام ٣٤٣
 المنذر بن عبد الرحمن الأوسط ٣٤٤
 من شعر المنذر بن عبد الرحمن ٣٤٥
 من كرم نفس المنذر بن عبد الرحمن ٣٤٥
 المطرف بن عبد الرحمن الأوسط ٣٤٦
 من شعر هشام بن عبد الرحمن الأوسط ٣٤٧
 من شعر يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ٣٤٧

- بين الأميرين محمد و أبان ابني عبد الرحمن الأسط ٣٤٨
 أبناء محمد بن عبد الرحمن و شىء من شعرهم ٣٤٨
 من شعر محمد بن المنذر بن محمد ٣٤٩
 من شعر عبد الله بن الناصر ٣٤٩
 من جود بعض ملوك إفريقية ٣٥٠
 بين عبد الله المرواني و صديق ٣٥٠
 مقتل عبد الله بن الناصر ٣٥٠
 من شعر عبد العزيز بن الناصر ٣٥١
 من شعر محمد بن الناصر ٣٥١
 من شعر محمد بن عبد الملك بن الناصر ٣٥٢
 من شعر مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك ٣٥٣
 من شعر أحمد بن سليمان بن أحمد ٣٥٤
 من شعر أبي عبد الله محمد بن محمد بن الناصر ٣٥٥
 من شعر عبد الله بن محمد المهدي (الأقرع) ٣٥٥
 من شعر سليمان بن المرتضى بن محمد (الغزال) ٣٥٦
 من شعر سعيد بن محمد المرواني ٣٥٧
 من شعر القاسم بن محمد المرواني ٣٥٨
 من شعر الأصم المرواني ٣٥٨
 من شعر أحمد المرواني ٣٥٩
 من شعر الأصبغ القرشي ٣٦٠
 من شعر سليمان بن عبد الملك الأموي ٣٦٠
 من شعر أبي يزيد بن العاصي ٣٦٠
 من شعر أبي الحجاج المنصفي ٣٦٠
 بين ابن مرج الكحل و طيب ٣٦١
 من شعر أبي محمد غانم بن وليد ٣٦١
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٢٩
 من شعر أبي جعفر اللمائي ٣٦١
 من شعر أبي عامر بن نيق ٣٦١
 من شعر أبي الحسن اللورقي ٣٦٢
 من شعر أبي عيسى بن لبون ٣٦٢
 من شعر أبي عامر بن الحمارة ٣٦٢
 من شعر أبي العباس بن السعود ٣٦٢
 من شعر الحكم بن علندة ٣٦٢

- من شعر القاضي أبي موسى بن عمران ٣٦٣
 من شعر أبي بكر بن الجزار السرقسطي ٣٦٣
 من شعر أبي محمد بن حزم ٣٦٣
 من شعر ابن صارة ٣٦٤
 من شعر أبي القاسم بن العطار ٣٦٤
 من شعر سهل بن مالك ٣٦٥
 من شعر ابن صارة ٣٦٥
 من شعر صفوان بن إدريس ٣٦٥
 من شعر أبي جعفر بن وضاح ٣٦٥
 من شعر الوزير ابن عمار ٣٦٦
 من شعر أبي الحسن بن سعد الخير ٣٦٦
 من شعر ابن أبي الخصال ٣٦٦
 من شعر ابن صارة ٣٦٦
 من شعر الخفاجي ٣٦٦
 من شعر ابن وضاح ٣٦٧
 من شعر ابى اسحاق خولاني ٣٦٧
 من شعر ابن الابار ٣٦٧
 من شعر حازم ٣٦٧
 من شعر ابن سعد الخير ٣٦٨
 من شعر ابن نزار الوادي آشي ٣٦٨
 من شعر بعضهم فى القراسيا ٣٦٨
 من شعر بعضهم يصف معاهد أنسه ٣٦٨
 من شعر الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانىء ٣٦٩
 كتاب شذور الذهب لعلى بن موسى ٣٦٩
 مثل من سرعة بديهة الأندلسيين ٣٦٩
 بين المعتمد بن عباد و ابن جاخ الصباغ ٣٧٠
 بين الوزير ابن عمار و ابن جاخ الصباغ ٣٧٠
 بين الوزير ابن عمار و يحيى القصاب ٣٧١
 بين المتوكل و ابن عبدون ٣٧٢
 بين ابن الغليظ و ابن السراج ٣٧٢
 بين ابن عبادة و ابن القابلة ٣٧٢
 بين ابن شهيد و أبى جعفر وزير الصقلبي ٣٧٣
 بين ابن عباد و ابنه الرشيد ٣٧٤

- بين الفقيه على بن القاسم و جماعة من أصحابه ٣٧٤
- بين الأمير عبد الرحمن و عبد الله بن الشمر ٣٧٥
- بين الأمير عبد الرحمن و محمد بن سعيد الزجالي ٣٧٥
- بين ابن عباد و ابن المرزبان ٣٧٦
- ابن الصيرفي يزيد على بيت لابن السمط ٣٧٦
- في حضرة العالی بالله الإدریسی ٣٧٦
- في حضرة عبد الرحمن بن الحكم ٣٧٧
- في حضرة المعتمد بن عباد ٣٧٧
- بين المعتمد و الوزير ابن عمار ٣٧٨
- بين المعتمد بن عباد و ابن حمديس الصقلي ٣٧٨
- بين عبد الرحمن الناصر و جماعة من خواصه ٣٧٨
- بين ابن صارة و ابن القبطرنة ٣٨٠
- بين أبي بكر بن الزبيدي و أبي الحسن المصحفي ٣٨٠
- من شعر أبي بكر بن الزبيدي ٣٨٠
- بين سهل بن مالك و جماعة من الأدباء ٣٨٢
- بين ابن مطروح البلنسي و أبي الربيع الكلاعي ٣٨٢
- بين ابن حمدون و الشلوبين ٣٨٣
- من عفو المعتصم بن صمادح ٣٨٣
- من شعر أبي عبد الله الرصافي ٣٨٣
- من شعر أبي بكر محمد بن يحيى الشلطي ٣٨٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٤، ص: ٤٣٠
- من شعر أبي بكر بن العطار اليايسي ٣٨٤
- من شعر محمد بن الحسن الجيلي ٣٨٤
- من شعر محمد بن حرب ٣٨٤
- من شعر محمد بن اليسع ٣٨٥
- من شعر أحمد بن أفلح ٣٨٥
- من شعر أحمد بن تليد ٣٨٥
- من شعر إسحاق بن المنادي ٣٨٥
- من شعر غالب بن عبد الله الثغري ٣٨٦
- من شعر الوزير أبي الحسن الغرناطي ٣٨٦
- من شعر الوزير أبي عامر بن الحمارة ٣٨٦
- من شعر ابن بقي ٣٨٦
- بين ابن عبادة و ابن القابلة ٣٨٦

- من شعر ابن خروف ٣٨٧
- بين ابن خفاجة و ابن عائشة و ابن الزقاق ٣٨٧
- من شعر أبي بكر بن حبيش ٣٨٩
- من شعر أبي بكر اللخمي ٣٨٩
- بين أبي زيد بن أبي العافية و ابن العطار ٣٨٩
- بين ثلاثة أدباء ٣٩٠
- من شعر أبي إسحاق بن خفيف ٣٩١
- من شعر أبي الصلت ٣٩١
- من شعر بعض المغاربة ٣٩١
- من شعر عبد الله القرطبي ٣٩١
- من شعر ابن هذيل الفزاري ٣٩١
- من شعر ابن الزقاق ٣٩١
- من شعر أبي حيان ٣٩٢
- من شعر أبي العباس بن سعيد ٣٩٢
- من شعر السميصر ٣٩٢
- من شعر ابن خفاجة ٣٩٢
- من شعر بعض الأندلسيين ٣٩٢
- من شعر يحيى بن هشام القرطبي ٣٩٢
- من شعر أبي جعفر البلنسي ٣٩٣
- من شعر أبي العباس القيحاوي ٣٩٣
- من شعر أبي العباس المالقي ٣٩٣
- إجازة بين أبي القاسم بن عبد المنعم و أبي عبد الله الشاطبي و أبي بكر بن طاهر ٣٩٤
- من شعر أبي بكر بن عبادة ٣٩٥
- من شعر أبي بكر بن قزمان و ترجمته ٣٩٥
- من شعر أبي بكر بن القوطية ٣٩٦
- من شعر القاضي يونس بن عبد الله بن مغيث ٣٩٦
- ترجمة القاضي ابن مغيث ٣٩٦
- من شعر أبي محمد غانم بن الوليد المالقي ٣٩٨
- ابن عبد البر - ترجمته و شعره ٣٩٨
- من شعر أبي بكر بن أبي الدوس و أخباره ٤٠٠
- من شعر أبي الفضل بن الأعلم و أخباره ٤٠٠
- الرمادي: ترجمته و بعض شعره ٤٠٤
- ابن هانيء: ترجمته و بعض شعره ٤٠٩

أبو أحمد بن فرج الجياني: ترجمته و بعض شعره ٤١٥
 أبو عبد الله محمد بن الحداد: ترجمته و بعض شعره ٤١٦
 الأسعد بن بليطة: ترجمته و بعض شعره ٤١٨

[الجزء الخامس]

[تنمة القسم الاول]

صلة الباب السابع

إشارة

في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الأندلس من توقد الأذهان

[أبو عبد الله بن عائشة: ترجمته و بعض شعره]

وقال الأديب أبو عبد الله بن عائشة في فتي طرزت غلالة خده، و ركب من عارضه سنانا على صعده قده: [الطويل]

إذا كنت تهوى خده و هو روضه به الورد غص و الأقاح مفلج

فزد كلفا فيه و فرط صبا به فقد زيد فيه من عذار بنفسج

و حلأه في المطمح بأن قال: اشتهر صونا و عفافا، و لم يخطب بعقيلة حظوة زفافا، فأثر انقباضا و سكونا، و اعتمد إليها ركونا، إلى أن أنهضه أمير المسلمين إلى بساطه فهب من مرقد خموله، و شب لبلوغ جدوة مأموله، فبدا منه في الحال انزواء، في تسنم تلك الرسوم و التواء، و قعود عن مراتب الأعلام، و جمود لا يحمد فيه و لا يلام، إلا أن أمير المسلمين ألقى عليه منه محبه، جلبت إليه مسرى الظهور و مهيبه، و كان له أدب واسع المدى، يانع كالزهر بلله الندى، و نظم مشرق الصفحة، عقب النفحة، إلا أنه قليلا ما كان يحل ربه، و يذيل له طبعه، و قد أثبت له منه ما يدع الأبواب حائرة، و القلوب إليه طائرة فمن ذلك قوله في ليلة سمحت لي بفتى كان يهواه، و نفحت له هبة وصل أبدت جواه: [السريع]

لله ليل بات عندي به طوع يدي من مهجتي في يديه

و بت أسقيه كؤوس الطلا و لم أزل أسهر شوقا إليه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤

عاطيته حمراء ممزوجة كأنها تعصر من و جنتيه

و خرج من بلنسية يوما إلى منية الوزير الأجل أبي بكر ابن عبد العزيز، و هي من أبداع منازل الدنيا، و قد مدت عليها أدواحها الأفياء، و أهدت إليها أزهارها العرف و الرّيا، و النهر قد غص بمائه، و الروض قد خص بمثل أنجم سمائه، و كانت لبني عبد العزيز فيها أطراب، تهيأ لهم فيها من الأيام آراب، فلبسوا فيها الأنس حتى أبلوه، و نشروا فيها الحظ و طووه، أيام كانوا بذلك الأفق طلوعا، لم تضم عليهم التوب ضلوعا، فقعد أبو عبد الله مع لمة من الأدباء تحت دوحه من أدواحها، فهبت ريح أنس من أرواحها، سطت بإعصارها، و أسقطت لؤلؤها على باسم أزهارها، فقال: [مخلع البسيط]

و دوحه قد علت سماء تطلع أزهارها نجوما

هفا نسيم الصبا عليها فأرسلت فوقنا رجوما

كأنما الجوّ غار لما بدت فأغرى بها النسيما
و كان فى زمان عطلته، و وقت اصفراره و علته، و مقاساته من العيش أنكده، و من التخوّف أجهده، كثيرا ما ينشرح بجزيرة شقر و
يستريح، و يستطيب هبوب تلك الريح، و يجول فى أجارع واديها، و ينتقل من نواديها إلى بواديها، فإنها صحيحة الهواء، قليلة الأدواء،
خضلة العشب و الأزهار، قد أحاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الأساور، و الأيك قد نشرت ذوائبها على صفحيه، و الروض قد عطر
جوانبه بريحه، و أبو إسحاق ابن خفاجة هو كان منزع نفسه، و مصرع أنسه، نفع له بالمنى عقب و شذا، و مسح عن عيونه مسراته
القذى، و غدا على ما كان وراح، و جرى متهافتا فى ميدان ذلك المراح، قريب عهد بالفطام، و دهره ينقاد فى خطام، فلما اشتعل رأسه
شيبا، و زرت عليه الكهولة جييا، أقصر عن تلك الهنات، و استيقظ من تلك السيئات، و شبّ عن ذلك الطوق، و أقصر عن الهوى و
الشوق، و وقع بأدنى تحية، و ما يشعره فى وصف تلك العهد من أريحته، فقال: [الطويل]

ألا خلياني و الأسي و القوافيا أرددها شجوا و أجهش باكيا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٥

آمن شخصا للمسرة باديا و أندب رسما للشبية باليا

تولّى الصبا إلّا توالى فكرة قدحت بها زندا و ما زلت و اريا

و قد بان حلو العيش إلّا تعلّته تحدّثني عنها الأمانى خاليا

و يا برد هذا الماء هل منك قطرة تهلّ فأستسقى غمامك صاديا

و هيهات حالت دون حزوى و أهلها ليل و أيام تحاكي اللياليا

فقل فى كبير عاده صائد الطبا إليهن مهتاجا و قد كان ساليا

فيا راكبا يستعمل الخطو قاصدا ألا عج بشقر رائحا أو مغاديا

وقف حيث سال النهر ينساب أرقما و هبّ نسيم الأيك ينفث راقيا

و قل لأثيلات هناك و أجرع سقيت أثيلات و حيت و اديا

انتهى ببعض اختصار.

و ابن عائشة أشهر من أن يطال فى أمره، و ليس الخبر كالعيان.

[من شعر أبى عمرو يزيد بن عبد الله اللخمي الإشبيلي]

و قال أبو عمرو يزيد بن عبد الله بن أبى خالد اللخمي الإشبيلي الكاتب فى فتح المهدية سنة ٦٠٢: [الكامل]

كم غادر الشعراء من متردّم ذخرت عظامه لخير معظم

تبعاً لمذخور الفتوح فإنه جاءت له بخوارق لم تعلم

من كلّ سامية المنال إذا انتمت رفعت إلى اليرموك صوت المنتمى

و توسطت فى النهروان بنسبة كرمت ففازت بالمحلّ الأكرم

و قال ابن الأبار فى «تحفة القادم»: هو صدر فى نبهائها و أدبائها، يعنى إشبيلية، و ممّن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٦

له قدر فى منجبيها و نجبائها، و إلى سلفه ينسب المعقل المعروف «بجحر بن أبى خالد»، و توفى بها سنة ٦١٢، و أورد له قوله:

[الطويل]

و يا للجوارى المنشآت و حسنها طوائر بين الماء و الجوّ عوما

إذا نشرت في الجوّ أجنحة لها رأيت به روضا و نورا مكمّما
 وإن لم تهجه الريح جاء مصافحا فمدّت له كفّا خضيبا و معصما
 مجاذف كالحيات مدّت رؤوسها على وجل في الماء كي تروى الظّما
 كما أسرعت عدّا أنامل حاسب بقبض و بسط يسبق العين و الفما
 هي الهدب في أجفان أكحل أوطف فهل صنعت من عندم أو بكت دما

[من شعر ابن الحداد و أبي الحسن بن حريق]

قال ابن الأبار: أجاد ما أراد في هذا الوصف، و إن نظر إلى قول أبي عبد الله بن الحداد يصف أسطول المعتصم بن صمادح:
 [الخفيف]

هام صرف الردى بهام الأعادى أن سمت نحوهم لها أجياد
 و تراءت بشرعها كعيون دأبها مثل خائفها سهاد
 ذات هذب من المجاذيف حاك هذب باك لدمعه إسعاد
 حمم فوقها من البيض نار كلّ من أرسلت عليه رماد
 و من الخطّ في يدي كلّ درّ ألف خطّها على البحر صاد
 قال: و ما أحسن قول شيخنا أبي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيدة أنشدنيها:
 [الكامل]

و كأنما سكن الأراقم جوفها من عهد نوح خشية الطوفان
 فإذا رأين الماء يطفح نضضت من كلّ خرق حية بلسان

[من شعر علي بن محمد الإيادي التونسي]

قال: و لم يسبقهم إلى الإحسان، و إنما سبقهم بالزمان، على بن محمد الإيادي التونسي في قوله: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٧
 شرعوا جوانبها مجاذف أتعبت شادى الرياح لها و لمّا تتعب
 تنصاع من كذب كما نفر القطا طورا و تجتمع اجتماع الزّيرب
 و البحر يجمع بينها فكأنه ليل يقرب عقربا من عقرب
 و كأنما البحر استعار بزّيهم ثوب الجمال من الربيع المعجب
 و من هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع:
 و لها جناح يستعار يطيرها طوع الرياح و راحة المتطرب
 يعلو بها حذب العباب مطاره في كلّ لّج زاخر مغلوب
 يسمو بأخر في الهواء منضّب عريان منسرح الذّؤابة شوذب
 يتنزّل الملاح منه ذؤابة لو رام يركبها القطا لم يركب
 و كأنما رام استراقه مقعد للسمع إلّا أنه لم يشهب

و كأنما جنّ ابن داود هم ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواهرهم بينها فتقاذفوا منها بألسن مارج مثلهب
من كل مسجون الحريق إذا انبرى من سجنه انصلت انصلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كأنه صبح يكرّ على ظلام غيب
و من أولها:

أعجب بأسطول الإمام محمد و بحسنه و زمانه المستغرب
لبست به الأمواج أحسن منظر يبدو لعين الناظر المتعجب
من كلّ مشرفة على ما قابلت إشراف صدر الأجدل المنتصب
و منها:

جوفاء تحمل موكبا في جوفها يوم الرهان و تستقلّ بموكب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٨
و هي طويلة من غرر القصائد، و قد سرد جملة منها صاحب «المنهاج» و غيره..

[من شعر أبي عمر القسطلي و ابن خفاجة و ابن الأبار]

و قال أبو عمر القسطلي: [الوافر]
و حال الموج بين بنى سبيل يطير بهم إلى القول ابن ماء
أغرّ له جناح من صباح يرفرف فوق جناح من سماء
و أخذه أبو إسحاق بن خفاجة فقال: [الوافر]
و جارية ركب بها ظلاما يطير من الصباح بها جناح
إذا الماء اطمأنّ و رقّ خصرا علا من موجه ردف رداح
و قد فغر الحمام هناك فاه و أتلع جيده الأجل المتاح
و لا يخفاك حسن هذه العبارة الصقيلة المرأة، فالله تعالى يرحم قائلها!
و قال ابن الأبار: و قد قلت أنا في ذلك: [البسيط]
يا حبذا من بنات الماء سابحة تطفو لما شبّ أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غربانا بأجنحة ال حمام البيض للأشراك ترزؤه
من كلّ أدهم لا يلقى به جرب فما لراكبه بالقار يهئوه
يدعى غرابا و للفتحاء سرعته و هو ابن ماء و للشاهين جؤجؤه
و اجتمع ابن أبي خالد و أبو الحسن بن الفضل الأديب عند أبي الحجاج بن مرطير الطيب بحضرة مراکش، و جرى ذكر قاضيها حينئذ
أبي عمران موسى بن عمران بينهم، و ما كان عليه من القصور و البعد عما أتيح له، و أوتر به، فقال أبو الحجاج: [الرملة]
ليس فيه من أبي موسى شبه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٩
فقال أبو الحسن: فأبوه فضّه و هو شبه
فقال ابن أبي خالد:

كم دعاه إذ رآه عزةً و أباه إذ دعاه يا أبه

[من شعر أبي العباس الأعمى و عبيد الجليل بن وهبون]

و قال أبو العباس الأعمى: [البسيط]
 بهيمةً لو جرى في الخيل أكبرها لغابت الريح في الأحجال و الغرر
 تجرى فللماء ساقا عائم درب و للرياح جناحا طائر حذر
 قد قسّمتها يد التقدير بينهما على السواء فلم تسبح و لم تطر
 و قال عبد الجليل بن وهبون يصف الأسطول: [الكامل]
 يا حسنها يوماً شهدت زفافها بنت الغضاء إلى الخليج الأزرق
 و رقاء كانت أيكهُ فتصوّرت لك كيف شئت من الحمام الأورق
 حيث الغراب يجرّ شمله عجبه و كأنه من غرة لم ينقع
 من كلّ لابسة الشباب ملاءة حسب اقتدار الصانع المتأنق
 شهدت لها الأعيان أنّ شواهدنا أسماؤها فتصحّفت في المنطق
 من كلّ ناشرة قوادم أجنح و على معاطفها و هادة سودق
 زارت زئير الأسد و هي صوامت و زحفن زحف مواكب في مازق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٠
 و مجاذف تحكى أرقام ربوة نزلت لتكرع من غدیر متأق

[من شعر ابن خفاجة و عبيد الله بن جعفر الإشبيلي و أبي الحسن علي بن جدر الزجال]

و قال ابن خفاجة: [مخلع البسيط]
 سقيا لها من بطاح خزّ و دوح نهر بها مطلق
 فما ترى غير وجه شمس أظلّ فيه عذار ظلّ
 و هو من بديع الشعر، و كم لابن خفاجة من مثله.
 و قال عبيد الله بن جعفر الإشبيلي، و قد زار صاحباً له مرّات و لم يزره هو، فكتب علي بابته: [البسيط]
 يا من يزار علي بعد المحلّ و لا يزورنا مرّة من بين مرات
 زر من يزورك و احذر قول عاذلة تقول عنك: فتى يؤتى و لا يأتي
 و من مجونياته سامحه الله تعالى: [الوافر]
 و أعيد ليس تعدوه الأمانى و لو حكمت عليه باشتطاط
 سقيت الراح حتى مال سكرها و نام على النمارق و البساط
 و أسلم لى على طول التجنى و أمكننى على فرط التعاطى
 فأولجت المقادر جيد بكر و لا كفران فى سم الخياط
 و غنانى بصوت من حاشاه فأطربنى و بالغ فى نشاطى

فما نقر المثلث و المثنى بأطرب من تلاحين الضراط
و لولا الريق لم أظفر بشيء على عدم اهتبالى و احتياطى
فلا تسخر بريق بعد هذا فإنّ الريق مفتاح اللواط
و قال أبو الحسن على بن جحدر الزجال: [الخفيف]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١١
كيف أصبحت أيهذا الحبيب؟ نحن مرضى الهوى و أنت الطيب
كلّ قلب إليك يهفو غراما و تجافى علىّ منك القلوب
إن تلح حوّمت عليك هياما أو تغب حنّها عليك الوجيب
غير أنى من بينهم مستريب حين تبدو و ليس لى ما يريب
كلّ ما قد ألقاه منك و منى دون هذا له تشقّ الجيوب

[من شعر أحمد المعروف بالكساد و أبى القاسم الحضرمى المنيشى و أبى زيد عبد الرحمن العثمانى]

و قال أحمد المعروف بالكساد، فى موسى الذى كان يتغزّل فيه شعراء إشيلية: [الخفيف]
ما لموسى قد خرّ لله لَمّا فاض نورا غشاه ضوء سناه
و أنا قد صعقت من نور موسى لا أطيع الوقوف حين أراه
و لله درّه فى رثاء موسى المذكور إذا قال: [السريع]
فرّ إلى الجنّة حوريّها و ارتفع الحسن من الأرض
و أصبح العشاق فى مآتم بعضهم يبكى إلى بعض
و قوله فيه: [الرمّل]
هتف الناعى بشجو الأبد إذ نعى موسى بن عبد الصمد
ما عليهم و يحهم لو دفنوا فى فؤادى قطعة من كبدى
و لقب بالكساد لقوله: [الوافر]
و بيع الشعر فى سوق الكساد
و قال أبو القاسم بن أبى طالب الحضرمى المنيشى: [المنسرح]
صاغت يمين الرياح محكمه فى نهر واضح الأسارير
فكلّما ضاعفت به حلقا قام لها القطر بالمسامير
و قال أبو زيد عبد الرحمن العثمانى، و هو من بيت إمارة: [الخفيف]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٢
لا تسلنى عن حالتى فهى هذى مثل حالى لا كنت يا من يرانى
ملنى الأهل و الأحلاء لما أن جفانى بعد الوصال زمانى
فاعتبر بى و لا يعزّك دهر ليس منه ذو غبطة فى أمان

[من شعر أبى زكريا يحيى بن محمد الأركشى و أبى عمران الطربانى و أبى عمرو بن الحكم و أبى الحسن على بن الجعدى القرمونى]

و قال أبو زكريا يحيى بن محمد الأركشى: [البسيط]
لا حبذا المال و الإفضال يتلفه و البخل يحميه و الأقدار تعطيه
و قال: [البسيط]

لا تبكين لإخوان تفارقهم فإننى قبلك استخبرت إخوانى
فما حمدتهم فى حال قربهم فكيف فى حال إبعاد و هجران

و قال أبو عمران موسى الطريانى لما دخل يوم نيروز إلى بعض الأكابر، و عادتهم أن يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها
صور مستحسنة، فنظر إلى صورة مدينه، فأعجبته، فقال له صاحب المجلس: صفها و خذها: [مجزوء الرجز]

مدينه مسوره تحار فيها السحره

لم تبناها إلا يدا عذراء أو مخدره

بدت عروسا تجتلى من درمك مزعفره

و ما لها مفاتح إلا البنان العشره

و قال أبو عمرو بن حكيم: [السريع]

حاشا لمن أملككم أن يخيب و ينثنى نحو العدا مستريب

هذا و كم أقرانى بشركم نصر من الله و فتح قريب

و قال أبو الحسن على بن الجعدى القرمونى: [الكامل]

إياك من زلل اللسان فإنه قدر الفتى من لفظه المسموع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٣

فالمرء يختبر الإناء بنقره ليرى الصحيح به من المصدوع

[من شعر أبى الحسن بن لبال و أبى العباس الشريشى و أبى جعفر الشريشى و عمرو بن غياث]

و قال الفقيه أبو الحسن على بن لبال فى محبرة عناب محلاة بفضة: [المنسرح]

منعلة بالهلال ملجمة بالنسر مجدولة من الشفق

كأنما حبرها تميع فى فرضتها سائلا من الغسق

فأنت مهما ترد تشبهها فى كل حال فانظر إلى الأبق

و قال فى محبرة آبنوس: [الكامل]

و خديمة للعلم فى أحشائها كلف بجمع حرامه و حلاله

لبست رداء الليل ثم توشحت بنجومه و تتوجت بهلاله

و قال أبو العباس أحمد بن شكيل الشريشى: [المنسرح]

تفاحة بت بها ليلتى أبتها سرى و الشكوى

أضمتها معتنقا لاثما إذا ذكرت خد من أهوى

و قال: [السريع]

تفاحة حامضة عضها فى ثمل من قطب الوجها

و لم أخل من قبلها محسنا يجزى عليه العَصَّ و النجها
و قال أبو جعفر أحمد الشريشى: [الطويل]
على حسن نور الباقلاء أدرهما على الصَّب كَأسى خمره و جفون
يذكرنى بلق الحمام و تاره يؤكّد للأشجان شهل عيون
و قال أبو عمرو بن غياث: [الطويل]
و قالوا مشيب قلت وا عجا لكم أ ينكر صبح قد تخلل غيها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٤
و ليس مشيبا ما ترون و إنما كميّت الصِّبا لَمَّا جرى عاد أشها

[من شعر الوزير أبي بكر بن أبي مروان و أبي القاسم بن أبي بكر و عبد الله الجزيرى]

و قال الوزير أبو بكر محمد ابن ذى الوزارتين أبى مروان عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون: [البسيط]
فى ذمّة الفضل و العلياء مرتحل فارقت صبرى إذ فارقت موضعه
ضاءت به برهه أرجاء قرطبه ثم استقلّ فسدّ البين مطلعته
عذرا إلى المجد عنى حين فارقتنى ذاك الجلال فأعيا أن أشيعه
قد كنت أصحابته قلبى و أقعدنى ما كان أودعنى عن أن أودعه
و فيهم يقول ابن عبدون: [الوافر]
بحور بلاغة و نجوم عزّ و أطواد رواس من جلال
و قال الوزير الكاتب أبو القاسم بن أبى بكر بن عبد العزيز: [الوافر]
نديمى لا عدمتك من نديم أدرها فى دجى الليل البهيم
فخير الأئس أنس تحت ستر يسان عن السفه أو الحليم
و قال الشاعر أبو عبد الله الجزيرى: [المجتث]
فى أمّ رأسى سرّ يبدو لكم بعد حين
لأبلغنّ مرادى إن كان سعدى معينى
أو لا فأكتب ممّن سعى لإظهار دين

و سبب قوله هذا أنّ بنى عبد المؤمن لما غيروا رسم مهديمهم، و صيروا الخلافة ملكا، و توسّعوا فى الرفاهية، و أهملوا حقّ الرعيّة، جعل
يتسّر، و قال هذه الأبيات، و شاع سرّه فى مدة ناصر بنى عبد المؤمن، فطلبه، ففرّ، و لم يزل يتنقل مستخفيا مع أصحابه إلى أن حصل
فى حصن قوليّه من عمل مدينه بسطة، فبينما هو ذات يوم فى جامعها مع أصحابه و هم يأكلون بطيخا و يرمون قشره فى صحن الجامع،
إذ أنكر ذلك رجل من العامة، و قال لهم: ما تتقون

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٥

الله تعالى؟! تهاونون بيت من بيوته؟ فضحكوا منه، و استهزءوا به، و أهل تلك الجهة لا تحتل شيئا من ذلك، فصاح بفتية من
العامة، فاجتمع جمع و حملوا إلى الوالى فكان عند الوالى من عرفه، فقتلوا جميعا، و أمر الناصر أن يرفع عن جميع أرض قوليّه جميع
تكاليف السلطان.

[من شعر عبد الملك الجزيري]

ولما عتب المنصور بن أبي عامر على الكاتب عبد الملك الجزيري، و سجنه في الزاهرة، ثم صفح عنه، قال و كتب به إليه: [السريع]
عجبت من عفو أبي عامر لا بد أن تتبعه منه
كذلك الله إذا ما عفا عن عبده أدخله الجنة
فاستحسن ذلك، و أعاده إلى حاله.

و قال على لسان بهار العامريه، و هو النرجس: [الكامل]
حدق الحسان تقرّ لى و تغار و تضلّ في وصفى النهى و تحار
طلعت على قضبي عيون تمانى مثل العيون تحفها الأشفار
و أخصّ شىء بى إذا شبّهته درّ تمنطق سلكه دينار
أنا نرجس، حقاً بهرت عقولهم بيديع تركيبى فليل بهار
و قال فى بنفسجها: [الكامل]

شهدت لنوار البنفسج ألسن من لونه الأحوى و من إيناعه
بمشابه الشعر الأحمّ أعاره ال قمر المنير الطلق نور شعاعه
و لربما جمد النجيع من الطلى فى صارم المنصور يوم قراعه
فحكاه غير مخالف فى لونه لا فى روائحه و طيب طباعه
و قال فى القمر حين جعل يختفى بالسحاب و يبدو أمام المنصور: [الوافر]
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٦
أرى بدر السماء يلوح حيناً فيظهر ثم يلتحف السحابا
و ذلك أنه لما تبدى و أبصر وجهك استحيا و غابا

[من شعر أبي الحسن على بن حفص الجزيري]

و قال الحجارى فى «المسهب»: سألت أبا الحسن على بن حفص الجزيرى أن ينشدنى شيئاً من شعره، فقال: يا أبا محمد، إذا لم ينظم
الإنسان مثل قول شرف: [البيسط]

لم يبق للجور فى أيامكم أثر إلا الذى فى عيون الغيد من حور
فالأولى له أن يترك نظم الشعر، إلى أن خرجت معه يوماً إلى سيف الجزيرة الخضراء، فلقى غلاماً قد كدر رونق حسنه السفر، و أثر
فى وجهه آثار الكلف فى القمر، فصافحه، ثم قال: [الكامل]
بأبى الذى صافحته فتورّدت و جناته و أناء نحوى قدّه
قمر بدا كلف السرى فى خدّه لما توالى فى الترحل جهده
لكن معالم حسنه تمّت كما قد تمّ فى صدإ الحسام فرنده

فحفظتها من سمعه، ثم قلت له: قد أخذت عنك من نظمك، بغير شكرك، فضحك و قال: فاحفظ هذا، و أنشد: [مجزوء الرمل]
لا تقولنّ فلان صاحب قبل اختبار
و انتظر ويحك نقد اللى ل فيه و النهار

أنا جريت فلم أل ف صديقا باختيارى

و أنشد: [الكامل]

كم قد بكرت إلى الرياض و قضبها قد ذكرتنى موقف العشاق
يا حسنها و الريح يلحف بعضها بعضا كأعناق إلى أعناق
و الورد خدّ و الأفاحى مبسم و غدا البهار ينوب عن أحداق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٧
لم أنفصل عنها بكأس مدامه حتى حملت محاسن الأخلاق

[من شعر أبي الحسن بن سعيد و أحمد بن بلال]

و لما كتب أبو الحسن بن سعيد إلى الأديب القائد أبي العباس أحمد بن بلال يستدعيه ليوم أنس بقوله: [الوافر]
أبا العباس، لو أبصرت حولى ندامى بادروا العيش الهيتا
يبيحون المدام و لا انتقاد و قارهم و يزدادون غيا
و هم مع ما بدا لك من عفاف يحبون الصبيته و الصبيتا
و يهون المثالث و المثانى و شرب الراح صباحا أو عشيا
على الروض الذى يهدى لطرف و أنف منظرا بهجا و ريا
فلا تلم السرى على ارتياح حكى طريا بجانبه سرىا
و بادر نحو ناد ما خلا من نداك فقد عهدتك لودعيا
أجابه بقوله: [الوافر]

أبيت سوى المعالى يا عليا فما تنفك دهرك أريحي
تميل إذا النسيم سرى كغصن و تسرى للمكارم مشرفيا
و تتراح ارتياحا بالمثانى و تفتض الصبيته و الصبيتا
و تهوى الروض قلده نداءه و ألبسه مع الحلل الحليتا
و إن غنى الحمام فلا اصطبار و إن خفق الخليج فنيت حيا
تذكرنى الشباب فلست أدري أصبحا حين تذكر أم عشيا
فلو أدركتنى و الغصن غضّ لأدركت الذى تهوى لديا
و لم أترك و حقك قدر لحظ و قد ناديتنى ذاك النديا
و قال بعض أهل الأندلس: [الوافر]

و فرع كان يوعدنى بأسر و كان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لا خوف فاسكن «كلام الليل يمحوه النهار»
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٨

و لست على يقين أن قائلهما أندلسى، غير أنى رأيت فى كلام بعض الأفاضل نسبتها لأهل الأندلس، و الله تعالى أعلم.

[من شعر أبي الوليد القسطلى و أبي كثير الطريفى و أبي عامر بن الجدى]

و قال أبو الوليد القسطلی: [الوافر]
 و فوق الدوحة الغنّا غدیر تلاًّلاً صفحۀ و سجا قرارا
 إذا ما انصبّ أزرق مستقيما تدور في البحيرة فاستدارا
 يجزّده فم الأنوب صلتا حساما ثم يفلته سوارا
 و لأبي كثير الطريفي يمدح الناصر بن المنصور: [الطويل]
 فتوح لها يهتّ شرق و مغرب كما أطردت في السمهيّة أكعب
 تجلّت على الدنيا شمس منيرة فلم يبق في ليل الكآبة غيهب
 أقام بها الإسلام شدو مغرّد و ظلت بأرض الشرك بالخطب تخطب
 فلا سمع إلّا و هو قد مال نحوها و لا قلب إلّا في مناهها يقلب
 و قال أبو عامر بن الجد: [البسيط]

لله ليلة مشتاق ظفرت بها قطعها بوصال اللثم و القبل
 نعمت فيها بأوتار تعلّني أحلى من المنّ أو أميّة الغزل
 أحبب إليّ بها إذ كلّها سحر أراحت الصّب من عذر و من عدل

[من شعر أبي عبد الله الشلبي و أبي بكر محمد بن الملح]

و قال الكاتب أبو عبد الله محمد الشلبي، كاتب ملك إفريقيّة عبد الواحد بن أبي حفص: [السريع]
 مدّ إلى الكاس من لحظه لا يحوج الشرب إلى الكاس
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٩
 و منذ حيّاني بأس فلم أياس و لكن كان لي آسى
 و قال لو لا الناس قبلته ما أشأم الناس على الناس

و قال أبو بكر محمد بن الملح، و هو من رجال الذخيرة، على لسان حال سوار مذهب: [البسيط]
 أنا من الفضة البيضاء خالصة لكن دهنتي خطوط غيرت جسدي
 علّقت غصنا على أحوى فأحسدني جرى الوشاح و هذى صفرة الجسد
 و ما أحسن قوله من قصيدة في المعتضد والد المعتمد: [المنسرح]

غرّته الشمس و الحيا يده بينهما للنجيع قوس قزح

و أمّا ابنه أبو القاسم فهو من رجال «المسهب» و كان اشتغل أوّل أمره بالزهد، و كتب التصوّف، فقال له أبوه: يا بنيّ، هذا الأمر ينبغي
 أن يكون آخر العمر، و أمّا الآن فينبغي أن تعاشر الأدباء و الظرفاء، و تأخذ نفسك بقول الشعر، و مطالعة كتب الأدب، فلما عاشرهم
 زيّنوا له الراح، فتهتك في الخلاعة، و فرّ إلى إشبيلية، و تزوج بامرأة لا تليق بحاله، و صار يضرب معها بالدف، فكتب إليه أبوه: [مخلع
 البسيط]

يا سخنة العين يا بيتا لبتك ما كنت لي بيتا
 أبكيت عيني، أطلت حزني أمّت ذكري و كان حيّا
 حطّط قدرى و كان أعلى في كلّ حال من الثريا

أما كفاك الزنى ارتكابا و شرب مشموله الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا و قلت للشّر جىء إلينا
فاليوم أبكيك ملء عيني إن كان يغنى البكاء شيئا
فأجاب أباه بقوله: [مخلع البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٠
يا لائم الصّب في التصابي ما عندك يغنى البكاء شيئا
أو جفت خيل العتاب نحوى و قبل أو ثبتها إلينا
و قلت هذا قصير عمر فاربح من الدهر ما تهيا
قد كنت أرجو المتاب ممّا فتنت جهلا به و غيا
لو لا ثلاث شيوخ سوء أنت و إبليس و الحميا

[من شعر أبي بكر محمد بن عبد القادر الشلبي و أبي الحسن علي ابن السيد البطليوسى]

و قال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشلبي يستدعى: [الطويل]
فديتك باكر نحو قبة روضة تسيح بها الأمواه و الطير تهتف
و قد طلعت شمس الدنان بأفقهها و نحن لديها فى انتظارك و قف
فلا تتخلف ساعة عن محله صدودك عمّن حلّ فيها تخلف
و قال أخو إمام الأندلس أبى محمد عبد الله بن السيد البطليوسى، و هو أبو الحسن علي بن السيد: [الكامل]
يا ربّ ليل قد هتكت حجابيه بزجاجة وقادة كالكوكب
يسعى بها ساق أغنّ كأنها من خده و رضاب فيه الأشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه يسعى بيدر جانح للمغرب
فإذا نعمت برشف بدر طالع فانعم بيدر آخر لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها حول المجرة ربرب فى مشرب
و الليل منحفز يطير غرابه و الصبح يطرده بباز أشهب

[من شعر أبي بكر محمد بن الروح الشلبي و أبي بكر بن المنخل]

و لى مدح أبو بكر محمد بن الروح الشلبي الأمير إبراهيم الذى خطب به الفتح فى القلائد، و هو ابن أمير المسلمين يوسف بن
تاشفين، و كان يدلّ عليه و ينادمه، بقصيدته التى أولها: [الطويل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢١
أنا شاعر الدنيا و أنت أميرها فما لى لا يسرى إلى سرورها
أشار الأمير إلى مضحكك له كان حاضرا أن يحق له لقوله «أنا شاعر الدنيا» فقال له ابن الروح: على من حقت؟ يعنى أنه يحتمل أن
يكون ذلك الفعل لقوله «أنا شاعر الدنيا» أو لقوله «و أنت أميرها» ففطن الأمير لما قصده، و ضحكك و تغافل.
و قال أبو بكر بن المنخل الشلبي: [الكامل]

كم ليلة دارت عليّ كواكب للخمر تطلع ثم تغرب في فمي
 قبلتها في كفّ من يسعى بها و خلطت قبلتها بقبله معصم
 و كأنّ حسن بنانه مع كأسه غيم يشير لنا ببعض الأنجم
 و قال ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار: [المتقارب]
 قرأت كتابك مستشفعا بوجه أبي الحسن من رده
 و من قبل فضّ ختام الكتاب قرأت الشفاعة في خده
 و قال: [المجتث]

غزا القلوب غزال حجّت إليه العيون
 قد خطّ في الخدّ نونا و آخر الحسن نون
 قال الجحاري: و إكثار ابن عمار في المعذّرين و إحسانه فيهم يدلّك على أنه، كما قيل عنه، كان مشغوفا بالكاس، و الاستلقاء من غير
 نعاس.

[من شعر ابن صارة في ابن الأعلم]

و كان أبو الفضل بن الأعلم من أجمل الناس و أذكاهم في علم الأدب و النحو، و أقرأ علم النحو قبل أن يلتحق، فقال ابن صارة فيه:
 [الكامل]

أكرم بجعفر اللبيب فإنه ما زال يوضح مشكل «الإيضاح»
 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٢
 ماء الجمال بخده مترقّق فالعين منه تجول في ضحضاح
 ما خده جرحته عيني، إنما صبغت غلالته دماء جراحي
 لله زاي زبرجد في عسجد في جوهر في كوثر في راح
 ذي طرّة سبجيّة ذي غرّة عاجيّة كالليل و الإصباح
 رشأ له خدّ البريء و لحظه أبدا شريك الموت في الأرواح

[من شعر الرمادي و أبي الفضل بن الأعلم و ترجمته و ترجمه أبيه]

و قال الرمادي: [مجزوء الرجز]
 و نور غيث مسبل و قهوة تسلسل
 تدور بين فتية بخلقهم تمثّل
 و الأفق من سحابه طلّ ضعيف ينزل
 كأنه من فضّة يرادة تغربل
 و قال: [السريع]

بدر بدا يحمل شمساً بدت و خدها في الحسن من خده
 تغرب في فيه و لكنها من بعد ذا تطلع في خده

و من نظم أبي الفضل بن الأعلم السابق الذكر: [الكامل]

وعشيه كالسيف إلا حدّه بسط الربيع بها لنعلى خدّه

عاطيت كأس الأنس فيها واحدا ما ضرّه أن كان جمعا وحده

و هو جعفر ابن الوزير أبي بكر محمد ابن الأستاذ الأعلم، من رجال «القلائد» و «المسهب» و «سمط الجمان»، و كان قاضى شتمرية، و

الأستاذ الأعلم هو إمام نحاة زمانه أبو الحجاج يوسف بن عيسى من رجال «الصلة» و «المسهب» و «السمط»، و هو شارح الأشعار الست،

و من نظمه يخاطب المعتمد بن عباد: [البسيط]

يا من تملكنى بالقول و العمل و مبلغى فى الذى أمّلته أملى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٣

كيف الثناء و قد أعجزتنى نعماً مالى بشكرى عليها الدهر من قبل

رفعت للوجود أعلما مشهورة فبابك الدهر منها عامر السبل

[من شعر أبي على إدريس بن اليماني العبدري]

و قال أبو على إدريس بن اليماني العبدري: [المديد]

قبله كانت على دهش أذهبت ما بى من العطش

و لها فى القلب منزلة لو عدتها النفس لم تعش

طرقتنى و الدجا لبست خلعا من جلده الحبش

و كأنّ النجم حين بدا درهم فى كفّ مرتعش

و سأله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التى مدح بها ابن حمّود فقال له: أشعارى مشهورة، و بنات صدرى

كريمة، فمن أراد أن ينكح بكرها، فقد عرف مهرها، و كانت جائزته مائة دينار.

و من مشهور شعره بالمغرب و المشرق قوله: [الكامل]

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا حتى إذا ملئت بصرف الراح

خفّت فكادت أن تطير بما حوت و كذا الجسم تخفّ بالأرواح

[مهاجاة بين ابن طيفور و الحافظ الهيثم]

و كانت بين الأديب الحسيب أبي عمرو بن طيفور و الحافظ الهيثم مهاجاة، فقال فيه الحافظ: [مجزوء الرمل]

لابن طيفور قريض فيه شوك و غموض

عدمت فيه القوافى و المعانى و العروض

و قال فيه ابن طيفور: [مجزوء الرمل]

إنما الهيثم سفر من كلام الناس ضخم

لا تطالبه بفهم ليس للديوان فهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤

و قال أبو عمران بن سعيد: أخبرنى والدى أنه زار ابن حمدين بقرطبة فى مدة يحيى بن غانية، قال فوجدته فى هالة من العلماء و

الأدباء، فقام و تلقاني، ثم قال: يا أبا عبد الله، ما هذا الجفاء؟ فاعتذرت بأني أخشى الثقيل، و أعلم أن سيدي مشغول بما هو مكب عليه، فأطرق قليلا ثم قال: [الكامل]

لو كنت تهوانا طلبت لقاءنا ليس المحب عن الحبيب بصابر
فدع المعاذر إنما هي جنة لمخادع فيها، و لست بعاذر

فقلت: تصديق سيدي عندي أحب إلي و إن ترتبت علي في الملامة من منازعته منتصرا لحقي، فاستحسن جوابي، و قال لي: كرره فإنه و الله ماح لكل ذنب، ثم سأله كتب البيتين عنه، فقال لي: و ما تكتب فيهما؟ فقلت: [أليس في الإنعام ذلك] لأجد ما أخبر به والدي إذا أبت إليه؟ فأملاهما علي، فقلت: من قائلهما؟ قال: قائلهما، فعلمت أنهما له، و قنعت بذلك.

[من شعر الحجاري صاحب المسهب و بحث في ضبط كلمة المسهب]

و قال الحجاري صاحب «المسهب»، في أخبار المغرب: [الكامل]

كم بت من أسر الشهاد بليلة ناديت فيها هل لجنحك آخر
إذ قام هذا الصبح يظهر مله حكمت بأن ذبح الظلام الكافر

و على ذكر «المسهب» فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية، لما قال غير واحد: إن المسهب إنما هو بفتح الهاء، كقولهم سيل مفعم- بفتح العين- و الفقرة الثانية و هي «المغرب» تقتضى أن يكون بكسر الهاء، و لم يزل ذلك يتردد في خاطري إلى أو وقفت على سؤال في ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنتمري المشهور بالأعلم، و نص السؤال:

سألك- أبقاك الله- الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش، سلمه الله، عن «المسهب» و زعم أنك تقول بالفتح و الكسر، و الذي ذكر ابن قتيبة في «أدب الكاتب» و الزبيدي في «مختصر العين» أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر الكلام، بالفتح خاصة، فبين لي- أبقاك الله تعالى!- ما تعتقد فيه، و إلى أي كتاب تسند القولين، لأقف على صحته من ذلك.

فأجابه: وصل إلي- أدام الله تعالى توفيك!- هذا السؤال العزيز، و وقفت على ما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٥

تضمنه، و الذي ذكرته من قول ابن قتيبة و الزبيدي في الكتابين موضوع كما ذكرته، و الذي أحفظه و أعتقده أن المسهب بالفتح المكثر من غير صواب، و أن المسهب بالكسر البليغ المكثر من الصواب، إلما أني لا- أسند ذلك إلى كتاب بعينه، و لكني أذكره عن أبي علي البغدادي عن كتاب «البارع» أو غيره، معلقا في عدة نسخ من كتاب «البيان و التبيين» على بيت في صدره لمكي بن سواده و هو: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٢٥

حصر مسهب جرىء جبان خير عى الرجال عى السكوت

و المعلقة: «تقول العرب: أسهب الرجل فهو مسهب و أحصن فهو محصن و أفلج فهو ملفج، إذا افتقر، قال الخليل: يقال رجل مسهب و مسهب، قال أبو علي: أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح إذا أكثر في غير صواب، و أسهب فهو مسهب بالكسر إذا أكثر و أصاب، قال أبو عبيدة: أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر من خرف و تلف و ذهن، و قال أبو عبيد عن الأصمعي: أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح إذا خرف و أهتر، فإن أكثر من الخطأ قيل: أفند فهو مفند»، انتهت المعلقة. فرأى مملوكك- أيدك الله تعالى!- و اعتقاده أن المسهب بالفتح لا- يوصف به البليغ المحسن، و لا- المكثر المصيب، ألا ترى قول الشاعر «حصر مسهب» أنه قرن فيه المسهب بالحصر و ذمه بالصفتين، و جعل المسهب أحق بالعي من الساكت و الحصر فقال:

[الخفيف]

خير عى الرجال عى السكوت

و الدليل على أن المسهب بالكسر يقال للبلغ المكثّر من الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصّة لأنها بمعنى الإجادّة و الإحسان، و ليس قول ابن قتيبة و الزبيدي فى المسهب بالفتح هو المكثّر من الكلام بموجب أنّ المكثّر هو البلغ المصيب؛ لأن الإكثار من الكلام داخل فى معنى الذمّ، لأنه من الثرثرة و الهذر، ألا تراهم قالوا: رجل مكثّر، كما قالوا:

ثرثار، و مهذار، و قال الشاعر: [البيط]

فلا تمارون إن ماروا ياكثار

فهذا ما عندى، و الله تعالى الموفق للصواب.

قال الأعلام: ثم نظمت السؤال العزيز و الجواب المذكور، فقلت: [المتقارب]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٦

سلام الإله و ريحانه على الملك المجتبى المنتحل

سلام امرئ ظلّ من سيهه خصيب الجناب رحيب المحل

أتانى سؤالك أعزز به سؤال مبرّ على من سأل

يسائل عن حالتي مسهب و مسهب المبتلى بالعلل

لم اختلفا فى بناء يهما و حكمهما واحد فى فعل

أتى ذا على مفعّل لم يعلّ و ذاك على مفعّل قد أعل

فقلت مقالا على صدقه شهيد من العقل لا يستزل

بناء البليغ أتى سالما سلامته من فضول الخطل

و أسهب ذاك مسيئا فزلّ ذليلا ثنى متنه فانخذل

و أحسن ذا فجرى وصفه على سنن المحسن المستقل

فهذا مقالى مستبصرا و لست كمن قال حدسا فضل

تقلدت فى رأيه مذهبا يخصّك بين الطّبا و الأسل

سمّوك فى الروح مستشرفا إلى مهجّه المستميت البطل

كأنك فيها هلال السما يزيد بهاء إذا ما أهّل

بل أنت مطلّ كبدر السماء يمضى الظلام إذا ما أطل

قلت: رأيت فى بعض الحواشى الأندلسية: أنّ ابن السكيت ذكر فى بعض كتبه فى بعض ما جعله بعض العرب فاعلا و بعضهم مفعولا: رجل مسهب و مسهب، لكثير الكلام، و هذا يدلّ على أنهما بمعنى واحد، انتهى.

[أخبار تتعلق بسبويه و كتابه فى النحو]

إشارة

و سأل بعض الأدباء الأستاذ الأعلام المذكور عن المسألة الزنبرية، المقترنة بالشهادة الزورية، الجارية بين سبويه و الكسائى أو الفراء،

و القضاء بينهم فيها، و هي «ظننت أن العقرب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٧

أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو إياها» و عن نسب سيويه: هل هو صريح أو مولى؟

و عن سبب لزومه الخليل بعد أن كان يطلب الحديث و التفسير، و عن علّة تعرضه لمناظرة الكسائي و الفراء، و عن كتابه الجارى بين الناس: هل هو أول كتاب أو أنشأه بعد كتاب أول، ضاع كما زعم بعض الناس؟

فأجاب: أما المسألة الزنبورية المأثورة بين سيويه و الكسائي، أو بينه و بين الفراء على حسب الاختلاف فى ذلك، بحضرة الرشيد، أو بحضرة يحيى بن خالد البرمكى فيما يروى، فقد اختلفت الرواه فيها: فمنهم من زعم أن الكسائي أو الفراء قال لسيويه: كيف تقول «ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو إياها»؟ فأجاب سيويه - بعد أن أطرق شيئاً - «فإذا هو إياها» فى بعض الأقاويل، و زعم آخرون أنه قال «فإذا هو هي» فيها من الاختلاف عنهم ما ترى، فإن كان أجاب بإذا هو هي، فقد أصاب لفظاً و معنى، و لم تدخل عليه فى جوابه شبهة، و لا علقه لمعترض؛ لأن «إذا» فى المسألة من حروف الابتداء المتضمنة للتعليل بالخبر، فإذا اعتبرت المضميرين بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول «فإذا الزنبور العقرب» أو «اللسعة اللسعة» أى مثلها سواء، فلو قلت «فإذا هو إياها» بنصب المضمير الأخير للزمك أن تقول: فإذا الزنبور العقرب، بالنصب، و هذا لا وجه له، فإذا لم يجز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمير الواقع موقعه؟ و يروى فى المسألة أن الكسائي أو الفراء قال لسيويه بعد أن أجاب برفع المضميرين على ما يوجب القياس: كيف تقول يا بصرى «خرجت فإذا زيد قائم، أو قائماً؟» فقال سيويه: أقول «قائم» و لا يجوز النصب، فقال الكسائي: أقول قائم و قائما، و القائم و القائم، بالرفع و النصب فى الخبر مع النكرة و المعرفة، فتأول الكسائي و الفراء فى اختيارهما «فإذا هو إياها» حمل الخبر المضمير فى النصب على الخبر المظهر المعرفة مع الإعراب بوجه النصب، فكأنه قال: فإذا الزنبور العقرب، كما تقول: فإذا زيد القائم، فيجرى المعرفة فى النصب مجرى النكرة، و قولهما فى هذا خطأ من جهتين: إحداهما:

أن نصب الخبر بعد إذا لا يكون إلّا بعد تمام الكلام الأول فى الاسم مع حرف المفاجأة، و مع كون الخبر نكرة، كقولك: خرجت فإذا زيد قائماً؟ لأنك لو قلت «خرجت فإذا زيد» تم الكلام، لتعلق المفاجأة بزيد على معنى حضوره، ثم تبين حاله فى المفاجأة المتعلقة به فتقول «قائماً» أى: خرجت ففاجأنى زيد فى هذا الحال، و قوله فى المسألة «إياها» لا يتم الكلام فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٨

الاسم الأول دونها، ألا ترى أنك لو قلت «ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو» و سكت، لم يتم الكلام أولاً، و لا أفدت بذكر المفاجأة و تعليقها بالزنبور فائدة، و إنما المفاجأة للضمير الآخر، فلا بد من ذكره و الاعتماد عليه، و هذا يوجب الرفع فى الخبر؛ لأنّ الظرف له، لا للمخبر عنه، فهذا بين واضح، و الجهة الأخرى فى غلطهما أن «إياها» معرفة، و الحال لا تكون إلّا نكرة، فقد اجتمع فى قولهما أن أتيا بحال لم يتم الكلام دونها، معرفة، و الحال لا تكون إلّا بعد تمام الكلام و مع التنكير، فقد تبين خطأهما و إصابة سيويه فى لزوم الرفع فى الخبر فقط.

و أما من زعم عن سيويه أنه قال «خرجت فإذا زيد قائم» بالرفع لا - غير فباطل، و كيف ينسب إليه و هو علمنا أن الظرف إذا كان مستقراً للاسم المخبر عنه نصب الخبر، و إذا كان مستقراً للخبر رفع الخبر، و نحن نقول «خرجت فإذا زيد» فبتم الكلام، و نظرت فإذا الهلال طالع» فيتبعه الخبر رفعا، كما تقول «فى الدار زيد قائم، و قائماً» و «اليوم سيرك سريع، و سريعاً» و لكن الخبر إذا كان الظرف له و لم يتعلّق إلّا به لم يكن إلّا رفعا، كقولك «اليوم زيد منطلق، و غدا عمرو خارج»؛ لأنّ الظرف لا يكون مستقراً للاسم المخبر عنه إذا كان زماناً، و المخبر عنه جثّة، و كذلك المفاجأة إذا كانت للخبر لم يكن إلّا مرفوعاً، معرفة كان أو نكرة، فإذا كانت للمخبر عنه و الخبر نكرة انتصب على الحال، فجرى قولك «ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، و ظننت زيدا عالماً فإذا هو جاهل» فى لزوم الرفع فى الخبر مجرى «اليوم زيد منطلق، و غدا عمرو خارج» كما جرى «خرجت فإذا زيد قائم، و قائماً» فى جواز الرفع و

النصب مجرى «فى الدار زيد جالس، و جالسا» فتأمل الفرق بينهما و حصّله، فإنّ النحويين المتقدمين و المتأخرين قد أغفلوا الفرق بين المفجأتين.

و أما نصب الخبر المعرفة بعد إذا، تمّ الكلام أو لم يتمّ، فباطل لا تقوله العرب، و لا يجيزه إلّا الكوفيون.

و إن كان سيويوه، رحمه الله تعالى، أجاز بقوله «فإذا هو إياها» كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخول؛ لما قدمت، و الخطأ فيه بين من جهة القياس كما ذكرنا، فإن كان قاله و التزمه دون الرفع فقد أخطأ خطأ لا مخرج له منه، و إن كان قد قاله و هو يرى أن الرفع أولى و أحقّ، إلّا أنه أثر النصب للإعراب حملا- على المعنى الخفى، دون ما يوجب القياس و اللفظ الجلى، فلجوابه عندى و جهان حسنان:

أحدهما: أن يكون الضمير المنصوب و هو «إياها» كناية عن اللسعة، لا عن العقرب، و الضمير المرفوع كناية عن الزنبور، فكأنه قال «ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٩

الزنبور لسعة العقرب» أى فإذا الزنبور يلسع لسعة العقرب، فاختزل الفعل لما تقدّم من الدليل عليه، بعد أن أضمّر اللسعة متصلةً بالفعل، فكأنه قال «فإذا الزنبور يلسعها» فاتصل الضمير بالفعل لوجوده، فلما اختزل الفعل انفصل الضمير، لعدم الفعل.

و نظير هذا من كلام العرب قولهم «إنما أنت شرب الإبل» أى: إنما أنت تشرب شرب الإبل، فاختزل الفعل، و بقى عمله فى المصدر، و لم يرفع، لأنه غير الاسم الأول، فلو أضمّرت شرب الإبل بعد ما جرى ذكره فقلت «ما يشرب زيد شرب الإبل»، «إنما أنت تشربه» لاتصل الضمير بالفعل، فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت إنما أنت إياه» فتدبره تجده متقادا صحيحا.

و الوجه الآخر أن يكون قوله «فإذا هو إياها» محمولا- على المعنى الذى اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولا- و آخرا، لأنّ الأصل فى تأليف المسألة «ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فلما لسعنى الزنبور ظننته هو إياها» فاختصر الكلام لعلم المخاطب، و حذف الظنّ آخرا لما جرى من ذكره أولا، و دلّت «إذا» لما فيها من المفاجأة على الفعل الواقع بعد لما الدالّة على وقوع الشئ لوقوع غيره، فإذا جاز حذف الكلام إثارا للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا «فإذا هو إياها» بمنزلة قولنا «فلما لسعنى الزنبور ظننته هو إياها» فحذف الظن مع مفعوله الأول، و بقى الضمير الذى هو العماد و الفصل مؤكدا للضمير المحذوف مع الفعل و دالّا على ما يأتى بعده من الخبر المحتاج إليه، فىكون فى حذف المخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الإتيان بالعماد و الفصل المؤكد له المثبت لما بعده من الخبر المحتاج إليه مثل قوله «و لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم» [سورة آل عمران، الآية: ١٨٠] فحذف البخل الذى هو المفعول الأول لقوله «يحسبن» و بقى الضمير مؤكدا له مثبتا لما بعده من الخبر، و جاز حذفه لدلالة «يبخلون» عليه، و المعنى: لا- يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم، فهو فى المسألة عماد مؤكدا لضمير الزنبور المحمول على الظنّ المضمّر و مثبت لما يجىء بعده من الخبر الذى هو «إياها» فتفهّمه فإنه متمكّن من جهة المعنى، و جار من الاختصار لعلم المخاطب على قياس و أصل، و شاهده القرآن فى الحذف و استعمال العرب النظائر، و هى أكثر من أن تحصى، فمنها قولهم «ما أغفله عنك شيئا» أى تثبت شيئا ودع الشكّ، و قولهم لمن أنكر عليه ذكر إنسان ذكره «من أنت زيدا» أى: من أنت تذكر زيدا، و ربما قالوا «من أنت زيد» بالرفع على تقدير: من أنت ذكرك زيد، فحذفوا الفعل مرّة و أبقوا عمله،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٠

و حذفوا المبتدأ أخرى و أبقوا خبره، و كلّ ذلك اختصار؛ لعلم المخاطب بالمعنى، و كذلك قولهم «هذا و لا زعماتك» أى هذا القول و الزعم الحقّ و لا- أتوهم زعماتك، فحذف هذا لعلم السامع مع تحصيل المعنى و قيامه عند المخاطب، و الحمل فى كلامهم على المعنى أكثر من أن يحصى.

فإن كان الضمير الأول فى المسألة للزنبور و الضمير الآخر للعقرب لم يجز البتة إلّا رفع الضميرين بالابتداء و الخبر، على حدّ قولك

«ظننت زيدا عاقلا- فإذا هو أحق، و حسبت عبد الله قاعدا فإذا هو قائم» و لو تقدّم ذكر الخبر و المخبر عنه لقلت «إذا هو هو» و لم يجز فإذا هو إياه البتّة. و يجوز في المسألة أن تقول «إذا هي هو» على التقديم و التأخير على حدّ قولك «إذا العقرب الزنبور» أى سواء في شدة اللسعة كما تقول «خرجت فإذا قائم زيد» على تقدير فإذا زيد قائم، و يجوز أن يكون «هو» كناية عن اللسع بدلالة اللسعة عليه، و تكون «هي» كناية عن اللسعة على تقدير: فإذا لسع الزنبور لسعة العقرب، و يجوز «إذا هي هو» على إضمار اللسعة و اللسع، و التقدير: فإذا لسعة الزنبور لسع العقرب، و هذا كلّ لا- يجوز فيه إلّا الرفع عند البصريين؛ لأنّ الآخر هو الأول، و الخبر معرفة متعلّق بالمفاجأة فلا- يجوز فيه الحال، و الكوفيون يجيزون النصب كما تقدّم، و هو غلط بين، و خطأ فاحش، لا تقوله العرب، و لا تعلق له بقياس، فاعلمه.

و يجوز في المسألة «إذا هو هو» على تقدير: فإذا اللسع اللسع، و يجوز «إذا هي هي» على تقدير: فإذا اللسعة اللسعة، و في هذا كفاية إن شاء الله تعالى.

[نسب سيبويه و تفسير لقبه]

و أمّا نسب سيبويه ففارسي مولى لبنى الحارث بن كعب بن عله بن خلدة بن مالك، و هو مذحج، و اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر، و كنيته أبو بشر، و لقبه الذي شهر به سيبويه، و معناها بالفارسية رائحة التفاح، و كان من أطيب الناس رائحة، و أجملهم وجهًا، و قيل: معنى «سى» ثلاثون، و معنى «بويه» رائحة، فكأنّ معناها: الذي ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرّة.

و أمّا سبب تعويله على الخليل في طلب النحو- مع ما كان عليه من الميل إلى التفسير و الحديث- فإنه سأل يوما حماد بن سلمة فقال له: أحدثك هشام بن عروة عن أبيه في رجل رعف في الصلاة، بضم العين، فقال له حماد: أخطأت، إنما هو رعف بفتح العين، فانصرف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣١

إلى الخليل، فشكا إليه ما لقيه من حماد، فقال له الخليل: صدق حماد، و مثل حماد يقول هذا، و رعف بضم العين لغة ضعيفة، و قيل: إنه قدم البصرة من البيداء من قرى شيراز من عمل فارس، و كان مولده و منشؤه بها، ليكتب الحديث و يرويه، فلزم حلقة حماد بن سلمة، فبينما هو يستملى على حماد قول النبي، صلى الله عليه و سلم «ليس من أصحابي إلّا من لو شئت لأخذت عليه، ليس أبا الدرداء» فقال سيبويه «ليس أبو الدرداء» بالرفع، و ظنه اسم ليس، فقال له حماد:

لحنت يا سيبويه، فقال سيبويه: سأطلب علما لا تلحنتي فيه، فلزم الخليل، و برع في العلم.

و أمّا سبب وفوده على الرشيد ببغداد و تعرّضه لمناظرة الكسائي و الفراء، فلما كانا عليه من تمكّن الحال، و القرب من السلطان، و علوّ همّته، و طلبه للظهور مع ثقته بعلمه؛ لأنه كان أعلم أهل زمانه، و كان بينه و بين البرامكة أقوى سبب، فوفد على يحيى بن خالد بن برمك و ابنه جعفر و الفضل، فعرض عليهم ما ذهب إليه من مناظرة الكسائي و أصحابه فسعوا له في ذلك، و أوصلوه إلى الرشيد، فجرى بينه و بين الكسائي و الفراء ما ذكر و اشتهر، و كان آخر أمره أنّ الكسائي و أصحابه لما ظهروا عليه بشهادة الأعراب على حسب ما لقنوا أن قال يحيى بن خالد أو الكسائي للرشيد: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن لا يرجع خائبا فعلت، فأمر له بعشرة آلاف درهم، و انصرف إلى الأهواز، و لم يعرج على البصرة، و أقام هنالك مدّة إلى أن مات كمدا، و يروى أنه ذربت معدته فمات، فيرون أنه مات غمّا، و يروى أنّ الكسائي لما بلغه موته قال للرشيد: ده يا أمير المؤمنين، فإني أخاف أن أكون شاركت في دمه، و لما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه فقطرت دمعته من دموعه على خدّه، فرفع عينيه و قال: [الطويل]

أخيين كنا فرّق الدهر بيننا إلى الأمد الأقصى، و من يأمن الدهرا

و مات على السنّة و الجماعة، رحمة الله تعالى!
و أما كتابه الجارى بين الناس فلم يصحّ أنه أنشأه بعد كتاب آخر قبله، على أن ذلك قد ذكر.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٢

فهذا ما حضر فيما سألت عنه؛ فمن قرأه و أشرف فيه على تفصير فليسط العذر فإنه لساعتين من نهار، إملاء يوم الثلاثاء عشى النهار
لثمان خلون لصفرة سنة ٤٧٦ انتهى.

[من شعر الإلبيري و ابن صارة و ابن هانيء الأندلسي]

و قال الإلبيري، رحمة الله تعالى: [الكامل]
لا شيء أخسر صفقته من عالم لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدي سبا و يذيله حرصا بجمع المال
لا خير في كسب الحرام، و قلما يرجي الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف و لا تكن ذا فضلة فالفضل تسأل عنه أى سؤال
و كان أبو الفضل بن الأعم من أحسن الناس وجها، و أذكاهم في علم النحو و الأدب، و أقرأ النحو في صباه، و فيه يقول ابن صارة
الأندلسي، رحمة الله تعالى: [الكامل]

أكرم بجعفر اللبيب فإنه ما زال يوضح مشكل «الإيضاح»
ماء الجمال بوجهه مترقرق فالعين منه تجول في ضحضاح
ما خدّه جرحته عيني، إنما صبغت غلالته دماء جراحي
لله زاي زبرجد في عسجد في جوهر في كوثر في راح
ذى طرّة سبجيّة ذى غرّة عاجيّة، كالليل و الإصباح
رشأ له حدّ البريء، و لحظه أبدا شريك الموت في الأرواح
و قال محمد بن هانيء الأندلسي من قصيدة: [الكامل]
السافرات كأنهنّ كواكب و الناعمات كأنهنّ غصون
ما ذا على حلال الشقيق لو أنها عن لابسها في الخدود تبين
لأعطشّنّ الروض بعدهم و لا يرويه لى دمع عليه هتون
أ أعير لحظ العين بهجة منظر و أخونهم؟ إنى إذن لخؤون
لا الجوّ جوّ مشرق و إن اكتسى زهوا، و لا الماء المعين معين
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٣
لا يبعدنّ إذ العبير له ثرى و البان روح، و الشموس قطين
الظلّ لا متنقل، و الحوض لا متكدر، و الأمن لا ممنون

[من شعر القسطلي و أبي العباس الجراوى و أبي بحر صفوان بن إدريس]

و قال القسطلي في أسطول أنشأه المنصور بن أبي عامر من قصيدة: [الطويل]

تحمل منه البحر بحرا من القنا يروع بها أمواجه و يهول
بكلّ ممالات الشّراع كأنها و قد حملت أسد الحقائق غيل
إذا سابت شأو الرياح تخيلت خيولا مدى فرسانهنّ خيول
سحائب تزجها الرياح فإن وقت أطافت بأجساد النعام فيول
ظباء شمام ما لهنّ مفاحص و زرق حمام ما لهنّ هديل
سواكن في أوطانهنّ كأن سما بها الموج حيث الراسيات نزول
كما رفع الآل الهوادج بالضّحى غداة استقلّت بالخليط حمول
أراقم تحوى ناقع السّم مالها بما حملت دون العداة مقيل

و قد أظنّب الناس في وصف السفن و أطابوا، و قرطسوا القريض و أصابوا، و قد ذكرنا نبذة من ذلك في هذا الكتاب.
و قال أبو بحر صفوان بن إدريس التّجيبى: حدّثنى بعض الطلبة بمراكش أنّ أبا العباس الجراوى كان في حانوت وراق بتونس، و
هناك فتى يميل إليه، فتناول الفتى سوسنة صفراء، و أوماً بها إلى خديّه مشيرا، و قال: أين الشعراء؟ تحريكا للجراوى، فقال ارتجالا:
[الوافر]

علوى الجمال إذا تبدّى أراك جبينه بدرا أنارا
أشار بسوسن يحكيه عرفا و يحكى لون عاشقه اصفرارا
قال أبو بحر: ثم سألتى أن أقول فى هذا المعنى: فقلت بديها: [المنسرح]
أومى إلى خدّه بسوسنة صفراء صيغت من وجتى عبده
لم تر عيني من قبله غصنا سوسنه نابت إذا ورده
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٤
أعملت زجرى فقلت ربّما قرّب خدّ المشوق من خدّه

[من شعر أبى بكر بن مجبر و بعضهم فى الباذنجان و ابن خروف فى وصف دمشق]

فحدّثنى المذكور أنه اجتمع مع أبى بكر بن يحيى بن مجبر - رحمه الله تعالى!- قبل اجتماعه بى فى ذلك الموضع الذى اجتمع فيه
بى بعينه، فحدّثه بالحكاية كما حدّثنى، و سأله أن يقول فى تلك الحال، فقال بديها: [المنسرح]
بى رشأ و سنان مهما اثنى حار قضيب البان فى قدّه
مدولى الحسن و سلطانه صارت قلوب الناس من جنده
أودع فى و جنته زهرة كأنها تجزع من صدّه
و قد تفاءلت على فعله أنى أرى خدى على خدّه
فتعجبت من توارد خاطرنا على معنى هذا البيت الأخير.
قال أبو بحر: ثم قلت فى تلك الحال: [السريع]
أبرز من و جنته وردة أودعها سوسنة صفرا
و إنما صورته آية ضمّنها من سوسن عشرا
و قال بعضهم فى الباذنجان: [الطويل]
و مستحسن عند الطعام مدحرج غداه نمير الماء فى كلّ بستان

تطلع في أقماعه فكأنه قلوب نعاج في مخالب عقبان
و قال ابن خروف، و يقال: إنها في وصف دمشق: [الوافر]
إذا رحلت عروبة عن حماها تأوه كل أواه حليم
إلى سبت حكي فرعون موسى يجمع كل سخار عليم
فتبصر كل أملود قويم يميم بكل ثعبان عظيم
إذا انسابت أراقمها عليها تذكرونا بها ليل السليم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج: ٥، ص: ٣٥
و شاهدنا بها في كل حين حبالا ألقيت نحو الكليم

[من شعر أبي القاسم بن هشام و أبي الوليد الوقشي]

و قال أبو القاسم بن هشام ارتجالا في وسيم عضّ وردة ثم رمى بها، و سئل ذلك منه امتحانا: [الكامل]
و معجز الأوصاف و الوصاف في بردى جمال طرزا بالتيه
سوسان أنمله تناول وردة فغدا يمزقها أقاحي فيه
فكأنني شبهت و جنته بها فرمى بها غضبا على التشبيه
و قال أيضا فيمن عضّ كلب و جنته: [الطويل]
و أغيد وضاح المحاسن باسم إذا قامر الأسياف ناظره قمر
تعمد كلب عضّ و جنته التي هي الورد إيناعا و أبقى بها أثر
فقلت لشهب الأفق كيف صماتكم و قد أثر العواء في صفحة القمر
و قال آخر يصف شجة في خد وسيم: [الطويل]
عذيري من ذي صفحة يوسفى بها شجة جلت عن اللثم و اللمس
يقولون من عجب: أ تحسن وصفها فقلت: هلال لاح في شفق الشمس
و قال القاضي أبو الوليد الوقشي فيمن طر شاربه: [الكامل]
قد بينت فيه الطبيعة أنها لبديع أفعال المهندس باهره
عنيت بمبسمه فحطت فوقه بالمسك خطأ من محيط الدائره

[من شعر أبي الحسن بن عيسى و أبي ذر الخشني]

و قال أبو الحسن بن عيسى: [الكامل]
عابوه أسمر ناحلا ذا زرقه رمدا و ظنوا أن ذاك يشينه
جهلوا بأن السمهرى شبيهه و خضابه بدم القلوب يزينه
و قال الأستاذ أبو ذر الخشني: [السريع]
أنكر صحبي إذ رأوا طرفه ذا حمرة يشفى بها المغرم
لا تنكروا ما احمر من طرفه فالسيف لا ينكر فيه الدم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٦

[من شعر محمد بن أبي خالص الرندي و عبد الملك بن مفوز و ابن زيدون]

و قال أبو عبد الله محمد بن أبي خالص الرندي: [الكامل]
يا شادنا برز العذار بخدّه و ازداد حسنا، ليته لم يبرز
الآن أعلم حين جدّ بي الهوى كم بين مختصر و بين مطرّز
و قال أبو الحسين عبد الملك بن مفوز المعافري: [الكامل]
و معذّر من خدّه و رقيه شغلان حلّا عقد كلّ عزيمة
خدّ و حبّ عيل صبرى منهما هذا بنمنمة و ذا بنميمة
و قال أبو الوليد بن زيدون فيمن أصابه جدرى: [الخفيف]
قال لى اعتلّ من هويت، حسود قلت: أنت العليل ويحك لا هو
ما الذى قد أنكرت من بثرات ضاعفت حسنه و زانت حلاه
جسمه فى الصفاء و الرقة الماء فلا غرو أن حباب علاه
و قال الهيثم: [الكامل]
قالوا: به جرب فقلت لهم قفوا تلك الندوب مواقع الأبصار
هو روضة و القدّ غصن ناعم أ رأيتم غصنا بلا نوار

[من شعر الهيثم فيمن أصابه جرب و أبي الحسين النفرى]

و قال أبو بكر محمد بن عياض القرطبي فى مخضوبة الأنامل: [الكامل]
و علقته فتانة أعطافها تبرى بغصن البانئة المياد
من للغزاة و الغزال بحسنها فى الخدّ أو فى العين أو فى الهادى
خضبت أناملها السواد و قلما أبصرت أقلاما بغير مداد
و قال أبو الحسين النفرى: [المجزوء الخفيف]
بدا يوسفا و شدا معبدا فللعين ما تشتهى و الأذن
كأنّ بأعلاه قمرية تغرّد من قدّه فى غصن
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٧

[من شعر ابن صارة و المعتمد بن عباد]

و قال ابن صارة: [مخلع البسيط]
مقام حرّ بأرض هون عجز لعمرى من المقيم
سافر فإن لم تجد كريما فمن لثيم إلى لثيم
و قال المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى: [مخلع البسيط]

مولاي، أشكو إليك داء أصبح قلبي به قريحا
سخطك قد زادني سقاما فابعث إليّ الرضا مسيحا
قال بعضهم: و قوله «مسيحا» من القوافي التي يتحدّى بها.

و كتب إلى أبيه جوابا عن تحفته: [السريع]

يا مالكا قد أصبحت كفه ساخرة بالعارض الهائل

قد أفحمتني منه مثلها يضيق القول على القائل

و إن أكن قصرت في وصفها فحسنها عن وصفها شاغلي

و كتب إلى وزيره ابن عمار: [الكامل]

لما نأيت نأى الكرى عن ناظري و رددته لما انصرفت عليه

طلب البشير بشارة يجزى بها فوهبت قلبي و اعتذرت إليه

و قال في جاريه له كان يحبها، و بينما هي تسقيه إذ لمع البرق فارتاعت: [السريع]

يروعها البرق و في كفها برق من القهوة لئاع

يا ليت شعري و هي شمس الضحى كيف من الأنوار ترتاع

و من توارد الخواطر أن ابن عباد أنشد عبد الجليل بن وهبون البيت الأول، و أمره أن يذيله، فقال: [السريع]

و لن ترى أعجب من آنس من مثل ما يمسك يرتاع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٨

و قال المعتمد رحمه الله تعالى: [الكامل]

داوى ثلاثه بلطف ثلاثه فثنى بذاك رقيه لم يشعر

أسراره بتستر، و أواره بتصير، و خباله بتوقر

و كانت له جارية اسمها «جوهرة» و كان يحبها، فجرى بينهما عتاب، و رأى أن يكتب إليها يسترضيها، فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها،

فقال: [السريع]

لم تصف لى بعد و إلّا فلم لم أر في عنوانها جوهرة

درت بأنى عاشق لاسمها فلم ترد للغیظ أن تذكره

قالت: إذا أبصره ثابتا قبله، و الله لا أبصره

و قال في هذه الجارية: [السريع]

سرورنا بعدكم ناقص و العيش لا صاف و لا خالص

و السعد إن طالعنا نجمه و غبت فهو الآفل الناكص

سموك بالجوهرة مظلومة مثلك لا يدركه غائص

و قال فيها أيضا: [مجزوء الرمل]

جوهرة عذبنى منك تمادى الغضب

فزفرتى فى سعد و عبرتى فى صيب

يا كوكب الحسن الذى أزرى بزهر الشهب

مسكنك القلب فلا ترضى له بالوصب

و قال في جارية اسمها وداد: [الخفيف]

اشرب الكأس في وداد ودادك و تأنس بذكرها في انفرادك

قمر غاب عن جفونك مرآه و سكناه في سواد فؤادك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٩

و قال: [الطويل]

لك الله كم أودعت قلبي من أسى و كم لك ما بين الجوانح من كلم

لحاظك طول الدهر حرب لمهجتي ألا رحمة تشيك يوماً إلى سلمى

و قال: [مجزوء الرجز]

قلت متى ترحمنى؟ قال و لا طول الأبد

قلت فقد أياستنى من الحياة قال قد

[من شعر ابن زيدون و المعتمد بن عباد]

و أهدى أبو الوليد بن زيدون باكورة تفاح إلى المعتضد والد المعتمد، و كتب له معها:

[مجزوء الكامل]

يا من تزيت الرياسة حين ألبس ثوبها

جاءتك جامدة المدام فخذ عليها ذوبها

و قال المعتمد و قد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجناً فيه كواكب فضة: [المتقارب]

مجنّ حكى صانعوه السما لتقصر عنه طوال الرماح

و قد صوّروا فيه شبه الثريا كواكب تقضى له بالنجاح

[و من تطير الرشيد بن المعتمد]

و قال ابن اللبّانة: كنت بين يدي الرشيد بن المعتمد في مجلس أنسه، فورد الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٨٣، فتفجّع و

تلهف، و استرجع و تأسف، و ذكر قصر غرناطة، فدعونا لقصره بالدوام، و لملكه بتراخي الأيام، و أمر عند ذلك أبا بكر الإشبيلي

بالغناء، فغنى:

[البسيط]

يا دار مية بالعلياء فالسند أفوت و طال عليها سالف الأبد

فاستحالت مسرته، و تجهمت أسرته، و أمر بالغناء من ستارته، فغنى:

[البسيط]

إن شئت أن لا ترى صبيرا لمصطبر فانظر على أى حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره، و اشتدّ اربداد وجهه و تغيره، و أمر مغنية أخرى من سراريه بالغناء، فغنت: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٠

يا لهف نفسى على مال أفزقه على المقلين من أهل المروءات

إنّ اعتذارى إلى من جاء يسألنى ما لست أملك من إحدى المصيبات

قال: فتلافت الحال بأن قلت: [البسيط]

محلّ مكرمه لا هدّ مبناه و شمل مأثرة لا شتّ الله

البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفاً أنّ الرشيد مع المعتدّ ركناه

ثاو على أنجم الجوزاء مقعده و راحل في سبيل السعد مسراه

حتم على الملك أن يقوى و قد وصلت بالشرق و الغرب يمناه و يسراه

بأس تو قد فاحمّرت لواحظه و نائل شبّ فاحضرت عذاراه

فلعمري لقد بسطت من نفسه، و أعادت عليه بعض أنسه، على أنى وقعت فيما وقع فيه الكل لقولى «البيت كالبيت» و أمر إثر ذلك أبا

بكر بالغناء، فعنّى: [الطويل]

و لّمّا قضينا من منى كلّ حاجة و لم يبق إلّا أن تزّم الركائب

فأيقنّا أنّ هذا التطير، يعقبه التغير.

و قد كان المعتضد بن عباد- حين تصرّمت أيامه، و تدانى حمامه- استحضر مغنّياً يغنّيه ليجعل ما يبدأ به فألاً، و كان المغنّى السوسى،

فأول شعر قاله: [البسيط]

نطوى المنازل علما أن ستطوينا فشعشعينا بماء المزن و اسقينا

فمات بعد خمسة أيام، و كان الغناء من هذا الشعر فى خمسة أبيات.

[من شعر المعتمد]

و قال المعتمد بعد ما خلع و سجن: [الرمل]

قبح الدهر فماذا صنعا؟ كلّما أعطى نفيساً نزعا

قد هوى ظلماً بمن عاداته أن ينادى كلّ من يهوى: لعا

من إذا قيل الخناصمّ و إن نطق العافون همسا سمعا

قل لمن يطمع فى نائله قد أزال اليأس ذاك الطمعا

راح لا يملك إلّا دعوة جبر الله العفّاء الضّيعا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤١

[بين المعتمد و ابن اللبّانة و من شعر ابن اللبّانة]

و قال ابن اللبّانة: كنت مع المعتمد بأغمات، فلما قاربت الصّدر، و أزمعت السفر، صرف حيله، و استنفد ما قبله، و بعث إلىّ مع شرف

الدولة ولده- و هذا من بنيه أحسن الناس سمّتا، و أكثرهم صمّتا، تخجله اللفظة، و تجرحه اللحظة، حريص على طلب الأدب، مسارع

فى اقتناء الكتب، مثير على نسخ الدواوين، مفتوح فيها من خطّه زهر الرياحين- بعشرين مثقالاً مرابطةً و ثوبين، غير مخيطين، و كتب

معها أبياتا منها: [الوافر]

إليك التّزر من كفّ الأسير و إن تقنع تكن عين الشكور

تقبل ما يذوب له حياء و إن عذرت حالات الفقير

فامتنت من ذلك عليه، و أجبته بأبيات منها: [الوافر]
 تركت هواك و هو شقيق ديني لئن شقت برودى عن غدور
 و لا كنت الطليق من الرزايا إذا أصبحت أجحف بالأسير
 جذيمه أنت، و الزباء خانت و ما أنا من يقصر عن قصير
 تصرف في الندى حيل المعالي فتسمح من قليل بالكثير
 و أعجب منك أنك في ظلام و ترفع للعفاه منار نور
 رويدك سوف توسعنى سرورا إذا عاد ارتقاؤك للسريير
 و سوف تحلنى رتب المعالي غداة تحلّ في تلك القصور
 تزيد على ابن مروان عطاء بها و أزيد ثم على جرير
 تأهب أن تعود إلى طلوع فليس الخسف ملتزم الدور
 و أتبعها أبياتا منها: [الخفيف]

حاش لله أن أجيح كريما يتشكى فقرا و قد سدّ فقرا
 و كفانى كلامك الرطب نيلا كيف ألغى درّا و أطلب تبرا
 لم تمت إنما المكارم ماتت لا سقى الله بعدك الأرض قطرا
 و رأى ابن اللبانه أحد أبناء المعتمد، و هو غلام و سيم، و قد اتخذ الصياغة صناعة، و كان
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٢

يلقب أيام سلطانهم من الألقاب السلطانية بفخر الدولة، فنظر إليه و هو ينفخ الفحم بقصبه الصائغ، و قد جلس فى السوق يتعلم
 الصياغة، فقال: [البيسط]

شكاتنا لك يا فخر العلا عظمت و الرزء يعظم ممن قدره عظما
 طوّقت من نائبات الدهر مخنقه ضاقت عليك و كم طوّقتنا نعمنا
 و عاد طوقك فى دكان قارعه من بعد ما كنت فى قصر حكى إرما
 صرّفت فى آله الصوّاغ أنمله لم تدر إلّا الندى و السيف و القلما
 يد عهدتك للتقيل تبسطها فتستقل الثريا أن تكون فما
 يا صائغا كانت العليا تصاغ له حليا و كان عليه الحلى منتظما
 للنفخ فى الصور هول ما حكاه سوى هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
 وددت إذ نظرت عينى إليك به لو أنّ عينى تشكو قبل ذاك عمى
 ما حطّك الدهر لما حطّ عن شرف و لا تحيف من أخلاقك الكرما
 لح فى العلا كوكبا، إن لم تلح قمرا و قم بها ربوة، إن لم تقم علما
 و اصبر فربتما أحمدت عاقبه من يلزم الصبر يحمد غبّ ما لزما
 و الله لو أنصفتك الشهب لا نكسفت و لو وفى لك دمع الغيث لانسجما
 أبكى حديثك حتى الدر حين غدا يحكيك رهطا و ألفاظا و مبتسما

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى: وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات في حركة راحة أعملتها إلى الجهات المراكشية، باعثها لقاء الصالحين و مشاهدة الآثار سنة ٧٦١، وهو بمقبرة أغمات في نشز من الأرض، وقد حفت به سدره، و إلى جانبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك، و عليهما هيئة التغرب و معاناة الخمول من بعد الملك، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتها، فأنشدت في الحال: [البسيط]

قد زرت قبرك عن طوع بأغمات رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا و يا سراج الليالي المدلهمات
و أنت من لو تخطى الدهر مصرعه إلى حياتي لجادت فيه أبياتي
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٣

أناف قبرك في هضب يميزه فتنتحيه حفيات التحيات

كرمت حيا و ميتا و اشتهرت علا فأنت سلطان أحياء و أموات

ما رىء مثلك في ماض، و معتقدى أن لا يرى الدهر في حال و في آتى

وقد زرت أنا قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات سنة ١٠١٠، و رأيت فيه مثل ما ذكره لسان الدين رحمه الله تعالى، فسبحان من لا يبىء ملكه! لا إله إلا هو.

و أخبار المعتمد كثيرة.

[ابن زيدون يمدح المعتمد بن عباد]

وقال وزيره أبو الوليد بن زيدون: [الوافر]

متى أخف الغرام يصفه جسمى بألسنة الضنى الخرس الفصاح

فلو أن الثياب نزعن عنى خفيت خفاء خصرك فى الوشاح

وقال يخاطب المعتمد: [المتقارب]

وطاعة أمرك فرض أراه من كل مفترض أو كدا

هى الشرع أصبح دين الضمير فلو قد عصاك لقد أهدا

وقال فيه: [الرملى]

يا ندى يمنى أبى القاسم عم يا سنا بشر المحيا أشمس

و ارتشف معسول ثغر أشنب لحبيب من عجاج العس

وقال: [الكامل]

مهما امتدحت سواك قبل فإنما مدحى إلى مدحى لك استطراد

تغشى الميادين الفوارس حقبه كيما يعلمها النزال طراد

وقال: [الوافر]

يحيينى بريحان التجنى و يصحبنى معتقه السماح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٤

فها أنا قد ثملت من الأيدى إذا اتصل اغتباقي باصطباحي

و كتب إلى أبى عامر يستدعيه: [السريع]

أبا المعالي، نحن في روضة فانقل إلينا القدم العالية
 أنت الذى لو نشترى ساعة منه بدهر لم تكن غاليه
 و تذكرت هنا قول بعض المشاركة فيما أظن: [الكامل]
 لله أيام مضت مأنوسه ما كان أحسنها و أنصرها معا
 لو ساعة منها تباع شريتها و لو انها بيعت بعمري أجمعا

[من شعر أبي القاسم أسعد يمدح المعتصم و من شعر ابن خلدون]

رجع- و قال أبو القاسم أسعد من قصيدة المعتصم بن صمادح: [الطويل]
 و قد ذاب كحل الليل فى دمع فجره إلى أن تبدى الليل كاللثة الشمطا
 كأنّ الدجا جيش من الزنج نافذ و قد أرسل الإصباح فى إثره القبطا
 و منها:

إذا سار سار الجود تحت لوائه فليس يحطّ المجد إلّا إذا حطّا
 و قال ابن خلدون المكفوف النحوى من قصيدة: [البسيط]
 ملك تملك حرّ المجد، لا يده نالت بظلم و لا مالت إلى البخل
 مهذب الجد ماضى الحدّ مضطلع لما تحمّله العلياء من ثقل
 أغرّ، لا وعده يخشى له أبدا خلف و لا رأيه يؤتى من الزلل
 قد جاوزت نطق الجوزاء همته به، و ما زحلت عن مرتقى زحل
 يأبى له أن يحلّ الذمّ ساحته ما صدّ من جلال أو سدّ من خلل
 و منها:

إن لم تكن بكم حالى مبدلة فما انتفاعى بعلم الحال و البدل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٥

[من شعر ابن الحداد]

و قال ابن الحداد يمدح المعتصم بن صمادح: [الكامل]
 عج بالحمى حيث الغياض العين فعسى تعنّ لنا مهاه العين
 و استقبلن أرج النسيم فدارهم نديّة الأرجاء لا دارين
 أفق إذا ما رمت لحظ شموسه صدّتك للثقع المثار دجون
 أنى أراع لهم و بين جوانحى شوق يهون خطبهم فيهون
 أنى أراع لهم و بين جوانحى شوق يهون خطبهم فيهون
 أنى يصاب ضرابهم و طعانهم صبّ بالحاظ العيون طعين
 فكأنما بيض الصّفاح جداول و كأنما سمر الرماح غصون
 ذرنى أسر بين الأسنة و الطبا فالقلب فى تلك القباب رهين

يا ربّة القرط المعير خفوقه قلبى، أما لحراكه تسكين
توريد خدك للصباية مورد و فتور طرفك للنفوس فتون
فإذا رمقت فوحى حبك منزل و إذا نطقت فإنه تلقين
و منها فى وصف قصر:

رأس بظهر التّون إلّا أنه سام، فقبتته بحيث التّون
هو جنة الدنيا تبوّأ نزلها ملك تملكه التقى و الدّين
فكأنما الرحمن عجلها له ليرى بما قد كان ما سيكون
و كأنّ بانيه سنّمار فما يعدوه تحسين و لا تحصيل
و جزاؤه فيه نقيض جزائه شتان ما الإحياء و التّحيين
و منها فى المديح:
لا تلحح الأحكام حيفا عنده فكأنها الأفعال و التنوين
و منها:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٦
و بدا هلال الأفق أحنى ناسخا عهد الصّيام كأنه العرجون
فكأنّ بين الصوم خطّ نحوه خطّ خفيّا بان منه التّون

[من شعر ابن وهبون و ابن أبى وهب و ابن اللبائنة]

و قال عبد الجليل بن وهبون: [الكامل]
زعموا الغزال حكاه قلت لهم: نعم فى صدّه عن عاشقيه و هجره
و كذا يقولون المدام كريقه يا ربّ ما علموا مذاقه ثغره
و قال أبو الحسن على بن أحمد بن أبى وهب الأندلسى: [المنسرح]
قالوا: تدانيت من وداعهم و لم نر الصبر عنك مغلوبا
فقلت: للعلم إنتى بغد أسمع لفظ الوداع مقلوبا
و هذا كقول بعض شعراء اليتيمة: [مخلع البسيط]
إذا دهاك الوداع فاصبر و لا يرو عنك البعاد
و انتظر العود عن قريب فإنّ قلب الوداع عادوا
و قال ابن اللبائنة: [الخفيف]

إن تكن تبتغى القتال فدعنى عنك فى حومه القتال أحامى
خذ جنانى عن جنة، و لسانى عن سنان، و خاطرى عن حسام

[من شعر القزاز و أبى الحسن بن الحاج]

و قال القزاز يمدح ابن صمادح، و خلط النسيب بالمديح: [المتقارب]

نفى الحب عن مقلتي الكرى كما قد نفى عن يدى العدم
فقد قرّ حَبّك فى خاطرى كما قرّ فى راحتك الكرم
و فر سلوك عن فكرتى كما فر عن عرضه كلّ ذمّ
فحبّى و مفخره باقيا ن لا يذهبان بطول القدم

فأبقى لى الحبّ خال وجدّ و أبقى له الفخر خال و عم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٧

و قال أبو الحسن بن الحاج: [الطويل]

أذوب اشتياقا يوم يحجب شخصه و إنى على ريب الزمان لقاسى
و أذعر منه هيبه و هو المنى كما يذعر المخمور أول كاس
و قال: [المنسرح]

من لى بطرف كأننى أبدا منه بغير المدام مخمور

ما أصدق القائلين حين بدا: عاشق هذا الجمال معذور

و قال: [المتقارب]

أبا جعفر، مات فيك الجمال فأظهر خدك لبس الحداد

و قد كان ينبت نور الربيع فقد صار ينبت شوكة القتاد

فهل كنت من عبد شمس فأخشى عليك ظهور شعار السواد

و قال، ما أحكمه: [السريع]

ما عجبى من بائع دينه بلذّه يبلغ فيها هواه

و إنما أعجب من خاسر يبيع أخراه بدنيا سواه

و قال من مخمسه يرثى فيها ابن صمادح، و يندب الأندلس زمن الفتنة: [الرجز]

من لى بمجبول على ظلم البشر صحّف فى أحكامه حاء الحور

مرّ بنا يسحب أذيال الخفر ما أحسد الظبى له إذا نفر

و أشبه الغصن به إذا خطر

كافورة قد طرّزت بمسك جوهرة لم تمتهن بسلك

نبذت فيها و رعى و نسكى بعد لجاجى فى التقى و محكى

فاليوم قد صحّ رجوعى و اشتهر

نهيت قدما ناظرى عن نظر علما بما يجنى ركوب الغرر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٨

و قلت عزّج عن سبيل الخطر فاليوم قد عاين صدق الخبر

إذ بات وقفا بين دمع و سهر

سقى الحيا عهدا لنا بالطاق معترك الألباب و الأحداق

و ملتقى الأنفس و الأشواق أياس فيه الدهر عن تلاقى

و ربما ساء ك دهر ثم سرّ

أحسن به مطلقاً ما أغرباً قابل من دجلة مرأى معجبا
 إن طلعت شمس و قد هبت صبا حسبته ينشر بردا مذهبا
 بمنظر فيه جلاء للبصر
 يا ربّ أرض قد خلت قصورها و أصبحت أهله قبورها
 يشغل عن زائرها مزورها لا يأمل العودة من يزورها
 هيهات: ذاك الورد ممنوع الصدر
 تنتحب الدنيا على ابن معن كأنها ثكلى أصيبت بابن
 أكرم مأمول و لا أستثنى أثنى بنعماه و لا أثنى
 و الروض لا ينكر معروف المطر
 عهدى به و الملك فى ذماره و النصر فيما شاء من أنصاره
 يطلع بدر التّم من أزراره و تكمن العفة فى إزاره
 و يحضر السؤدد أيان حضر
 قل للنوى جدّ بنا انطلاق ما بعدت مصر و لا العراق
 إذا حدا نحوهما اشتياق و من دواء الملل الفراق
 و من نأى عن وطن نال وطر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٤٨
 سار بذى برد من الإصباح راكب نشوى ذات قصد صاح
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٩
 مسوذة مبيضة الجناح تسبح بين الماء و الرياح
 بزورها عن طافح الموج زور
 يقتحم الهول بها اغترارا فى فتية تحسبها سكارى
 قد افترشن المسد المغارا حتى إذا شارفت المنارا
 هبّ كما بلّ العليل المحتضر
 يؤمّ عدل الملك الرضى الهاشمى الطاهر النقى
 و المجتبى من ضئضىء النبى من ولد السقّاح و المهديّ
 فخر معدّ و نزار و مضر
 حيث ترى العباس يستسقى به و الشرف الأعظم فى نصابه
 و الأمر موقوفا على أربابه و الدين لا تختلط الدنيا به
 و سيرة الصديق تمضى و عمر

[من شعر ابن خفاجة]

و قال ابن خفاجة فى صفة قوس: [الكامل]
 عوجاء تعطف ثم ترسل تارة فكأنما هى حية تنساب

و إذا انتحت و السهم منها خارج فهي الهلال انقضّ منه شهاب
و قال: [الكامل]

و عسى الليالى أن تمنّ بنظمنا عقدا كما كُنّا عليه و أكملّا
فلربّما نثر الجمان تعمّدا ليعاد أحسن فى النظام و أجملّا
و هو من قول مهيار: [المتقارب]

عسى الله يجعلها فرقة تعود بأكمل مستجمع
و قول المتنبي: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٥٠
سألت الله يجعله رحيلا يعين على الإقامة فى ذراكا
و قال: [السريع]

اقض على خلّك أو ساعد عشت بجّد فى العلا صاعد
فقد بكى جفنى دما سائلا حتى لقد ساعده ساعدى
و قال: [السريع]

و أسود يسبح فى بركة لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها فى صفوها مقلّة زرقاء و الأسود إنسانها
و قال: [الكامل]

حيّا بها و نسيمها كنسيمه فشربتها من كفه فى ودّه
منساعه فكأنها من ريقه محمّرة فكأنها من خده
و قال: [الطويل]

لعمرى لو أوضعت فى منهج التقى لكان لنا فى كلّ صالحه نهج
فما يستقيم الأمر و الملك جائر و هل يستقيم الظلّ و العود معوج
و قال يرثى صديقا من أبيات: [الطويل]

تيقن أنّ الله أكرم جيرة فأزمع عن دار الحياه رحيلا
فإن أقفرت منه العيون فإنه تعوّض منها بالقلوب بديلا
و لم أر أنسا قبله عاد وحشّه و بردا على الأكباد عاد غليلا
و من تلك أيام السرور قصيرة به كان ليل الحزن فيه طويلا
و قال: [المتقارب]

تفاوت نجلا أبى جعفر فمن متعال و من منسفل
فهذا يمين بها أكله و هذا شمال بها يغتسل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٥١

[من شعر ابن الرفاء و أبى محمد بن عبد البر و أبى القاسم السمسير]

و قال ابن الرفاء: [الطويل]

و لما رأيت الغرب قد غصّ بالدجا و في الشرق من ضوء الصباح دلائل
توهّمت أنّ الغرب بحر أخوضه و أنّ الذي يبدو من الشرق ساحل
و قال أبو محمد بن عبد البر الكاتب: [مجزوء الكامل]
لا تكثرنّ تأملا و امسك عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته فرماك في ميدان حتفك
و قال أبو القاسم السمسير: [مخلع البسيط]
يا آكلا كلّ ما اشتهاه و شاتم الطّبّ و الطيب
ثمار ما قد غرست تجنى فانتظر السقم عن قريب
يجتمع الداء كلّ يوم أغذية السوء كالذنوب
و كان كثير الهجاء، و له كتاب سماه ب «شفاء الأمراض، في أخذ الأعراض» و العياذ بالله تعالى
و من قوله: [مخلع البسيط]
خنتم فهنتم و كم أهنتم زمان كنتم بلا عيون
فأنتم تحت كلّ تحت و أنتم دون كلّ دون
سكنتم يا رياح عاد و كلّ ربح إلى سكون
و قال: [مخلع البسيط]
يا مشفقا من خمول قوم ليس لهم عندنا خلاق
ذلّوا و يا طالما أذلّوا دعهم يذوقوا الذي أذاقوا
و قال: [الطويل]
وليتم فما أحستتم مذ وليتم و لا صنتم عمّن يصونكم عرضا
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٥٢
و كنتم سماء لا ينال منالها فصرتم لدى من لا يسائلكم أرضا
ستسترجع الأيام ما أقرضتكم ألا إنها تسترجع الدّين و القرضا

[من شعر ابن شاطر السرقسطي و الحصري و عبد الصمد]

و قال ابن شاطر السرقسطي: [الكامل]
قد كنت لا أدري لأية علة صار البياض لباس كلّ مصاب
حتى كسانى الدهر سحق ملاءة بيضاء من شيبى لفقد شبابي
فبذا تبين لى إصابه من رأى لبس البياض على نوى الأحباب
و هذه عادة أهل الأندلس، و لهذا قال الحصري: [الوافر]
إذا كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبى لأنى قد حزنت على الشباب
و ما أحسن قوله رحمه الله تعالى: [الكامل]
لو كنت زائرتي لراعك منظري و رأيت بي ما يصنع التفريق

و لحال من دمعى و حرّ تنفّسى بينى و بينك لَجَّةً و حريق
 و قال ابن عبد الصمد يصف فرسا: [الطويل]
 على سابح فرد يفوت بأربع له أربعا منها الصّبا و الشمائل
 من الفتح خوار العنان كأنه مع البرق سار أو مع السيل سائل

[من شعر ابن عبد الحميد البرجى و عبادة و ابن المطرف المنجم]

و قال ابن عبد الحميد البرجى: [الوافر]
 أرح متن المهّند و الجواد فقد تعبا بجدّك فى الجهاد
 قضيت بعزمه حقّ العوالى ففضّ براحة حقّ الهوادى
 و قال عبادة: [الرملى]
 إنّما الفتح هلال طالع لاح من أزراره فى فلك
 خدّه شمس، و ليل شعره من رأى الشمس بدت فى حلّك
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٥٣
 و قال ابن المطرف المنجم: [البسيط]
 يرى العواقب فى أثناء فكرته كأنّ أفكاره بالغيب كهّان
 لا طرفه منه إلّا تحتها عمل كالدهر لا دورة إلّا لها شان

[من شعر أبى الحسن بن اليسع و بين المستنصر و ابن سيد الناس و من شعر أبى العباس الرصافى]

و قال أبو الحسن بن اليسع: [مخلع البسيط]
 راموا ملامى و كان إغرا و ذمّ حبى و كان إطرا
 لو علم العاذلون ما بى لانقلبت فيه لامهم را
 و قال: [المجتث]
 لمّا قدمت و عندى شطر من الشوق وافى
 قدّمت قلبى قلبى فصنه حتى أوافى
 و لمّا خاطب المستنصر ملك إفريقيه ابن سيد الناس بقوله: [البسيط]
 ما حال عينيك يا عين الزمان فقد أورثتنى حزنا من أجل عينيك
 و ليس لى حيلة غير الدعاء فى ربّ براوى الصحيحين حنانيك
 أجابه الحافظ أبو المطرف بن عميرة المخزومى خدمه عن الحافظ أبى بكر بن سيد الناس: [البسيط]
 مولاي حالهما و الله صالحه لمّا سألت فأعلى الله حاليك
 ما كان من سفر أو كان من حضر حتى تكون الثريا دون نعليك
 و قال الأديب أبو العباس الرصافى، و هو من أصحاب أبى حيان: [الكامل]
 هذا هلال الحسن أطلع بيننا و جميعنا بحلى محاسنه شغف

لَمَّا رَأَى صِلَّ الْعِذَارِ بِخَدِّهِ مَاءَ النَّعِيمِ أَتَى إِلَيْهِ لِيَرْتَشِفَ
فَكَأَنَّ ذَاكَ الْخَدَّ أَنْكَرَ أَمْرَهُ فَاحْمَرَّ مِنْ حَقْقِ عَلَيْهِ وَقَالَ قَفْ
نَفْحَ الطَّيِّبِ مِنْ غِصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٥، ص: ٥٤
وَقَالَ: [الكَامِل]

وَعَشِيَّتُهُ نَعِمَتْ بِهَا أُرُوْحَانَا وَالْخَمْرُ قَدْ أَخَذَتْ هِنَاكَ حَقَّهَا
وَكَأَنَّمَا إِبْرِيْقِنَا لَمَّا جِئْنَا أَلْقَى حَدِيثًا لِلْكَوْثُوسِ وَفَهَّقَهَا

[من شعر أبي الربيع بن سالم و أبي القاسم بن الأبرش و أبي الحسن بن حريق]

وَقَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ: [السريع]
كَأَنَّمَا إِبْرِيْقِنَا عَاشِقُ كُلِّ عَنِ الْخَطْوِ فَمَا أَعْمَلَهُ
غَازِلٌ مِنْ كَأْسِي حَبِيْبَا لَهُ فَكَلَّمَا قَبْلَهُ أَخْجَلَهُ
وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْأَبْرَشِ: [الوافر]
رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ تَحْكِي ثَلَاثًا إِذَا مَا كُنْتُ فِي التَّشْبِيهِ تَنْصِفُ
فَتَنْجُو النَّيْلَ مَنْفَعَةً وَحَسَنًا وَشَتْرَيْنِ مِصْرَ، وَ أَنْتَ يَوْسُفُ
وَقَالَ فِي غَرِيْقٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مِمَّا تَمَثَّلَ بِهِ: [السريع]
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَدْ أَطْفَأَ الْمَاءَ سِرَاجَ الْجَمَالِ
أَطْفَأَهُ مَا كَانَ مَحْيَا لَهُ قَدْ يَطْفِئُ الزَّيْتَ ضِيَاءَ الذِّبَالِ
وَ هُوَ الْقَائِلُ أَيْضًا: [البيسط]

لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي آبَاءُ أَسْوَدَ بِهِمْ وَ لَمْ يُوَسِّسْ رِجَالُ الْغَرْبِ لِي شَرْفَا
وَ لَمْ أُنَلْ عِنْدَ مَلِكِ الْعَصْرِ مَنْزِلَةً لَكَانَ فِي سَبِيْبِيهِ الْفَخْرُ لِي وَ كَفَى
فَكَيْفَ عِلْمٌ وَ مَجْدٌ قَدْ جَمَعْتَهُمَا وَ كُلٌّ مَخْتَلِقٌ فِي مِثْلِ ذَا وَقَفَا
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ حَرِيْقٍ: [الرميل]
أَصْبَحْتَ تَدْمِيرُ مِصْرَا كَاسْمَهَا وَ أَبُو يَوْسُفَ فِيهَا يَوْسُفَا

[من شعر أبي القاسم بن العطار الإشبيلي و أبي العباس اللص و أبي إسحاق الإلبيري]

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْعَطَّارِ الْإِشْبِيلِي فِي بَعْضِ الْهُوزْنِيِّينَ وَ قَدْ غَرِقَ فِي نَهْرِ طَلْبِيرَةَ عِنْدَ فَتْحِهَا: [الطويل]
وَ لَمَّا رَأَوْا أَنْ لَا مَقَرَّ لِسَيْفِهِ سِوَى هَامِهِمْ لِأَذْوَا بِأَجْرًا مِنْهُمْ
فَكَانَ مِنَ النَّهْرِ الْمَعِينِ مَعِينِهِمْ وَ مِنْ ثَلَمِ السِّدِّ الْحَسَامِ الْمِثْلَمِ
نَفْحَ الطَّيِّبِ مِنْ غِصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٥، ص: ٥٥
فِيَا عَجْبًا لِلْبَحْرِ غَالْتَهُ نَطْفَةٌ وَ لِلْأَسَدِ الصَّرْغَامِ أَرْدَاهُ أَرْقَمُ
وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ اللَّصِّ: [المتقارب]
وَ قَائِلَةٌ وَ الضَّنَا شَامِلِي عِلَامٌ سَهْرَتْ وَ لَمْ تَرْقَدْ

وقد ذاب جسمك فوق الفراش حتى خفيت على العود
فقلت و كيف أرى نائما و رائى المتيئة بالمرصد
و لَمَا قرىء عليه ديوان أبى تمام، و مرّ فيه وصف سيف، قال: أنا أشعر منه حيث أقول:
[الوافر]

تراه فى غداة الغيم شمسا و فى الظلماء نجما أو ذبالا
يروعهم معائنه و وهما و لو ناموا لروعهم خيالا
و قال أبو إسحاق الإلبيرى: [الطويل]
تمر لداتى واحدا بعد واحد و أعلم أنى بعدهم غير خالد
و أحمل موتاهم و أشهد دفنهم كأنى بعيد عنهم غير شاهد
فها أنا فى علمى لهم و جهالتى كمستيقظ يرنو بمقله راقد
قيل: و قال فى البيت الثانى.
كأنى عنهم غائب غير شاهد
لكان أحسن و أبدع و أبرع فى الصناعة الشعرية، قاله ابن الأبار رحمه الله تعالى.

[من شعر الوزير أبى الوليد بن مسلمه و أبى الطاهر إسماعيل الخشنى و أبى المعالى الإشبلى]

و قال الوزير أبو الوليد بن مسلمة: [المتقارب]
إذا خانك الرزق فى بلدة و وافاك من همها ما كثر
فمفتاح رزقك فى بلدة سواها فردها تمل ما يسر
كذا المبهمات بوسط الكتاب مفتاحها أبدا فى الطر
و قال أبو الطاهر إسماعيل الخشنى الجيانى المعروف بابن أبى ركب، و قيل: إن أخاه الأستاذ أبا بكر هو المعروف بذلك: [مجزوء
الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٥٦
يقول الناس فى مثل تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى و لا أنسى تذكره
و أنشد أبو المعالى الإشبلى الواعظ بمسجد رحبة القاضى من بلنسية أبياتا منها: [مجزوء الرمل]
أنا فى الغربة أبكى ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجى من بلادى بمصيب
عجبالى و لتركى وطننا فيه حيبى

[من شعر أبى القاسم بن الأنقر السرقسطى و أبى وهب الزاهد و أبى عبد الله بن محمد بن فتح و أبى القاسم محمد بن نصير]

و قال أبو القاسم بن الأنقر السرقسطى: [الكامل]
احفظ لسانك و الجوارح كلها فلكل جارحة عليك لسان

و اخزن لسانك ما استطعت فإنه ليث هصور و الكلام سنان
و قال أبو القاسم خلف بن يحيى بن خطاب الزاهد، ممّا نسبه لأبى وهب الزاهد:
[الخفيف]

قد تخيرت أن أكون مخفًا ليس لى من مطيهم غير رجلى
فإذا كنت بين ركب فقالوا قدّموا للرحيل قدّمت نعلى
حيثما كنت لا أخلف رحلا من رآنى فقد رآنى و رحلى
و قال أبو عبد الله بن محمد بن فتح الأنصارى الثغرى: [البسيط]
كم من قوى قوى فى تقلبه مهذب الرأى عنه الرزق ينحرف
و من ضعيف ضعيف الرأى مختبل كأنه من خليج البحر يغترف
و قال أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب: [الوافر]
مضت أعمارنا و مضت سنونا فلم تظفر بذى ثقة يدان
و جزبنا الزمان فلم يفدنا سوى التخويف من أهل الزمان
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٥٧

[بين محمد بن ميمون و أبيه فى جارية]

و حكى عن الفقيه الأديب النحوى أبى عبد الله محمد بن ميمون الحسينى، قال: كانت لى فى صبوتى جارية، و كنت مغرى بها، و
كان أبى، رحمه الله، يعذلى و يعرض لى ببيعتها؛ لأنها كانت تشغلنى عن الطلب و البحث عليه، فكان عدله يزيدنى إغراء بها، فرأيت
ليله فى المنام كأن رجلا يأتينى فى زى أهل المشرق كل ثيابه بيض، و كان يلقي فى نفسى أنه الحسين بن على بن أبى طالب، رضى
الله تعالى عنهما، و كان ينشدنى: [الكامل]

تصبو إلى مئى، و مئى لا تنى تزهو ببلواك التى لا تنقضى
و فخارك القوم الألى ما منهم إلّا إمام أو وصى أو نبى

فائن عنانك للهدى عن ذى الهوى و خف الإله عليك ويحك و ارعوى

قال: فانتبهت فزعا مفكرا فيما رأيته، فسألت الجارية: هل كان لها اسم قبل أن تتسمّى بالاسم الذى أعرفه؟ فقالت: لا، ثم عاودتها حتى
ذكرت أنها كانت تسمى مئى، فبعثتها حينئذ، و علمت أنه وعظ و عظنى الله به عزّ و جلّ، و بشرى.

و قال ابن الحداد أول قصيدته «حديقة الحقيقة»: [الخفيف]

ذهب الناس فانفرادى أنيسى و كتابى محدثى و جليسى
صاحب قد أمنت منه ملالا و اختلالا و كلّ خلق بيئسى
ليس فى نوعه بحى و لكن يلتقى الحى منه بالمرموس

و قال بعض أهل الجزيرة الخضراء: [السريع]

الحاظكم تجرحنا فى الحشا و لحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بدا فما الذى أوجب جرح الصدود

و قال ابن النعمة: إنهما لابن شرف، و قد ذكرناهما مع جوابهما فى غير هذا الموضوع.

[من شعر المعتمد بن عباد و أبي عامر البرياني]

و قال المعتمد بن عباد: [البيسط]
 اقنع بحظك في دنياك ما كانا و عزّ نفسك إن فارقت أوطانا
 في الله من كلّ مفقود مضى عوض فأشعر القلب سلوانا و إيماننا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٥٨
 أكلّما سنحت ذكرى طربت لها مجّت دموعك في خديك طوفانا
 أما سمعت بسطان شبيهك قد برّته سود خطوب الدهر سلطانا
 و طنّ على الكره و ارقب إثره فرجا و استغفر الله تغنم منه غفرانا
 و قال أبو عامر البرياني في الصنم الذي بشاطبة: [البيسط]
 بقيه من بقايا الروم معجبة أبدى البناء بها من علمهم حكما
 لم أدر ما أضمرها فيه سوى أمم تتابعت بعد سمّوه لنا صنما
 كالمبرد الفرد ما أخطأ مشبهه حقاً لقد برد الأيام و الأمما
 كأنه واعظ طال الوقوف به ممّا يحدث عن عاد و عن إرما
 فانظر إلى حجر صلد يكلمنا أسمى و أوعظ من قسّ لمن فهما
 قيل: لو قال مكان «حكما» «علما» لأحسن.

[من شعر السمسير و أبي بكر بن منخل]

و قال السمسير: [المتقارب]
 إذا شئت إبقاء أحوالك فلا تجر جاها على بالكا
 و كن كالطريق لمجتازها يمرّ و أنت على حالكا
 و قال: [مجزوء الرمل]
 هن إذا ما نلت حظا فأخو العقل يهون
 فمتى حظك دهر فكما كنت تكون
 و قال أبو الربيع بن سالم الكلاعي: أنشدني أبو محمد الشلبي، أنشدني أبو بكر بن منخل، لنفسه: [الطويل]
 مضت لي ستّ بعد سبعين حجّة ولي حركات بعدها و سكون
 فيا ليت شعري أين أو كيف أو متى يكون الذي لا بدّ أن سيكون
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٥٩

[من شعر محمد بن عبد الحق الإشبيلي و أبي محمد بن صارة و أبي محمد الطائي]

و قال أبو محمد عبد الحق الإشبيلي: [البيسط]
 لا يخذعنك عن دين الهدى نفر لم يرزقوا في التماس الحقّ تأييدا
 عمى القلوب عروا عن كلّ فائدة لأنهم كفروا بالله تقليدا

و قال أبو محمد بن صارة: [الوافر]

بنو الدنيا بجهل عظموها فعزت عندهم و هي الحقيره

يهارش بعضهم بعضا عليها مهارشهُ الكلاب على العقيره

و قال: [الكامل]

اسعد بمالك في الحياه و لا تكن تبقى عليه حذار فقر حادث

فالبخل بين الحادثين، و إنما مال البخل لحادث أو وارث

و دخل أبو محمد الطائي القرطبي على القاضي أبي الوليد بن رشد، فأنشده ارتجالاً:

[مخلع البسيط]

قد قام لي السيد الهمام قاضي قضاء الوري الإمام

فقلت قم بي و لا تقم لي فقلما يؤكل القيام

[من شعر الحافظ ابن حزم و أبي عبد الله الجبلي الطيب و محمد بن عبد الله الحضرمي]

و قال الحافظ أبو محمد بن حزم: [الخفيف]

لا تلمني لأن سبقت لحظّ فات إدراكه ذوى الألباب

يسبق الكلب وثبهُ اللئث في العد و يعلو النخال فوق اللباب

و قال أبو عبد الله الجبلي الطيب القرطبي: [البسيط]

اشدد يديك على كلب ظفرت به و لا تدعه فإنّ الناس قد ماتوا

قلت: تذكرت بهذا قول الآخر: [البسيط]

اشدد يديك بكلب إن ظفرت به فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

و قال محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بنى أمية: [مجزوء الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٦٠

عاشر الناس بالجمي ل و سدّد و قارب

و احترس من أذى الكرام وجد بالمواهب

لا يسود الجميع من لم يقم بالنوائب

و يحوط الأذى و يرعى ذمام الأقارب

لا تواصل إلّا الشرى ف الكريم المناصب

من له خير شاهد و له خير غائب

و اجتنب وصل كلّ و غ د دنيء المكاسب

[من شعر ابن الأبار و جوابه على استدعاء و من شعر التجاني]

و قال الكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الأبار: [مجزوء الكامل]

لله نهر كالحباب ترقيشه سامى الحباب

يصف السماء صفاؤه فحواه ليس بذى احتجاب
و كأنما هو رقة من خالص الذهب المذاب
غارت على شطيه أب كار المنى عصر الشباب
و الظل يبدو فوقه كالخال فى حدّ الكعاب
لا بل أدار عليه خوف الشمس منه كالنقاب
مثل المجرة جرت فى ها ذيله جون السحاب
وقال: [الكامل]

شئى محاسنه، فمن زهر على نهر تسلسل كالحباب تسلسلا
غربت به شمس الظهيرة لاتنى إحراق صفحته لهيبا مشعلا
حتى كساه الدوح من أفنانه بردا بمزن فى الأصيل مسلسلا
و كأنما لمع الظلال بمتنه قطع الدماء جمدن حين تحللا
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٦١
وقال يمدح المستنصر صاحب إفريقية: [الكامل]

إنّ البشائر كلّها جمعت للدين و الدنيا و للأمم
فى نعمتين جسيمتين هما براء الإمام و بيعه الحرم
قال ابن الأبار: و أخبرنى بعض أصحابنا- يعنى أبا عمرو بن عبد الغنى- أنه أنشدهما الخليفة فسبقه إلى عجز البيت الثانى، فقلت له
على البديهة: [البيسط]

فخر لشعري على الأشعار يحفظه خليفه الله كان الله حافظه
و أشار بقوله «و بيعه الحرم» إلى ما ذكره ابن خلدون و غير واحد من المؤرخين أنّ أهل مكة خطبوا للمستنصر صاحب تونس بعرفة، و
كتبوا له بيعه من إنشاء ابن سبعين المتصوف، و قد ذكر ابن خلدون نصّ البيعة فى ترجمة المستنصر، فليراجعها من أرادها.
وقال ابن الأبار: [الوافر]

ألا اسمع فى الأمير مقال صدق و خذه عن امرئ خدم الأميرا
متى يكتب ترد و شلا أجا و إن يركب ترد عذبا نميرا
وقال مجيبا للتجاني: [الخفيف]
أيها الصاحب الصفّى، مباح لك عنى فيما نصصت الروايه
إن عنانى إسعاف قصدك فيها فلکم لم تزل بها ذا عنايه
و لها شرطها فحافظ عليه ثم كافىء و صيتى بالكفايه
و تحام الإخلال جهدك، لاقى ت من الله عصمه و حمايه
و نصّ استدعاء التجاني: [الخفيف]

إن رأى سيدى الذى حاز فى العلم مع الحلم و العلا كل غايه
و حوى المجد عن حدود كرام كلّهم فى السماح و الفضل آيه
أن أرى عنه بالإجازة أروى كلّ ما فيه لى تصحّ الروايه
من حديث و كلّ نظم و نثر و فنون له بهنّ درايه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٦٢

فله في ذاك الثواب من اللّه و منا الثناء دون نهايه
دام في رفعة و عزّ و سعد و أمان و مكنة و حمايه
ما تولى جيش الظلام هزيما و علت للصباح في الأفق رايه
و لابن الأبار ترجمه واسعة ذكرتها في «أزهار الرياض، في أخبار عياض، و ما يناسبها ممّا يحصل به للنفس ارتياح و للعقل ارتياض»
فلترجع فيه.

و أما التجاني أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حفيد عمّه في كتابه «الحلى التيجانية، و الحلل التيجانية»؛ قال
ابن رشيد: و جمعه باسمنا حفظه الله تعالى و شكره، و قال في موضع آخر: إنه باسمه و اسم صاحبه الوزير ابن الحكيم، رحمهما الله
تعالى! انتهى.

[من شعر أبي الحسين بن مفوز و أبي العباس بن مكنون]

و قال ابن مفوز أبو الحسين: [مجزوء الرجز]

إذا عرتك عيلة يعجز عنها ما تجد

فلتقتصد فإنه ما عال قط مقتصد

و قال [أيضا]: [مجزوء الخفيف]

حاز دنياه كلّها محرزا أكبر المنن

من حوى قوت يومه آمنّا سالم البدن

و قال [مجزوء الرجز]

أعن أخاك في الذي يأمله و يرتجيه

فألله في عون الفتى ما كان في عون أخيه

و قال: [مجزوء الرجز]

أنفس ما أودعته قلبك ذكرى موقعه

و خير ما أتلفته مال أفاد موعظه

و قال أبو البركات القميحي: أنشدنا أبو العباس بن مكنون، و قد رأى اهتزاز الثمار و تمايلها، مرتجلا: [الرجز]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٦٣

حارت عقول الناس في إبداعها ألسكرها أم شكرها تتأود

فيقول أرباب البطالة: تنشى و يقول أرباب الحقيقة: تسجد

قال الشيخ أبو البركات القميحي: قلت لابن مكنون: ما الذى يدلّ على أنهما فى وصف الثمار؟ فقال: وطّى أنت لهما، فقلت: [الكامل]

يا من أتى متنزّها فى روضة أزهارها من حسنّها تتوقّد

أنظر إلى الأشجار فى دوحاتها و الريح تنسف و الطيور تعرّد

فترى الغصون تمايلت أطرافها و ترى الطيور على الغصون تعربد

قال ابن رشيد: غلط المذكور فى نسبه البيتين لابن مكنون، و إنما هما لأبى زيد الفازازى من قصيدة أولها: [الكامل]

نعم الإله بشكره تتقيّد فالله يشكر فى النوال و يحمد

مدت إليه أكفنا محتاجة فأنا لها من جوده ما تعهد
و البيتان في أثنائها، غير أن أولهما في ديوانه هكذا: [الكامل]
تاهت عقول الناس في حركاتها
انتهى.

و رأيت في «روضه التعريف» للسان الدين بعدهما بيتا ثالثا، و هو: [الكامل]
و إذا أردت الجمع بينهما فقل في شكر خالقها تقوم و تقعد

[أول اتصال الحجارى بابن سعيد]

و حكى أن حافظ الأندلس إمام الأدباء، و رئيس المؤلفين، حسنة الزمان، نادرة الإحسان، أبا محمد عبد الله بن إبراهيم الصنهاجى
الحجارى صاحب كتاب «المسهب» كان سبب اتصاله بعبد الملك بن سعيد جدّ على بن موسى صاحب «المغرب» أنه وفد عليه فى
قلعته، فلما وقف ببابه و هو بزى بدواة ازدراه البوابون، فقال لهم: استأذنوا لى على القائد، فضحكوا به، و قالوا له: ما كان وجد القائد
من يدخل عليه فى هذه الساعة إلا أنت؟ فمدّ يده إلى دواة فى حزامه و سحاءه، و كتب بها: بباب القائد الأعلى - لا زال أهلا بأهل
الفضيلة! - رجل وفد عليه من شلب بقصيدة مطلعها: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٦٤

عليك أحالنى الذّكر الجميل

فإن رأى سیدی أن يحجب من بلده شلب و من قصيده هذا فهو أعلم بما يأتى و يذر، و لا عتب على القدر، و رغب إلى أحد غلمانہ،
فأوصل الورقة، فلما وقف عليها القائد قال: من شلب، و هذا مطلع قصيدته، ما لهذا إلا شأن، و لعلّ الوزير ابن عمّار، و قد نشر إلى
الدنيا، عجلوا بالإذن له، فدخل و بقى واقفا لم يسلم و لا كلم أحدا، فاستثقله الحاضرون، و استبردوا مقصده، و نسبوه للجهل و سوء
الأدب، فقال له أحدهم: ما لك لا تسلم على القائد، و تدخل مداخل الأدباء و الشعراء؟ فقال: حتى أخجل جميعكم قدر ما
أخجلتمونى على الباب مع أقوام أنذال، و أعلم أيضا من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزّه الله تعالى فأكون أتقيه إن قدر لى
خدمته، فقال له عبد الملك: أ تأخذنا بما فعل السفهاء منّا؟ قال: لا، و الله، بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع، و إنما هى أسباب
نقصدها لنحاور بها مثلك أعزك الله تعالى، و يتمكّن التأنيس، و ينحلّ قيد الهيبة، ثم أنشد من رأسه و لا ورقه فى يده: [الوافر]

عليك أحالنى الذّكر الجميل فصّح العزم و اقتصر الرحيل

و ودّعت الحبيب بغير صبر و لم أسمع لما قال العذول

و أسلبت الظلام علىّ سترا و نجم الأفق ناظره كليل

و لم أشك الهجير و قد دعانى إلى أرجائك الظلّ الظليل

و هى طويّلة، فأكرمه و قرّبه، رحم الله تعالى الجميع!

[من شعر ابن مرزقان فى وصف شمعة]

و أهديت للمعتمد بن عباد شمعة، فقال فى وصفها أبو القاسم بن مرزقان الإشبيلى و هو ممّن قتل فى فتنة المعتمد: [السريع]

مدينة فى شمعة صوّرت قامت حماة فوق أسوارها

و ما رأينا قبلها روضة تتقد النار بنوارها

تصير الليل نهارا إذا ما أقبلت ترفل في نارها
 كأنها بعض الأيادي التي تحت الدجى تسرى بأنوارها
 من ملك معتمد ماجد بلاده أوطان زوارها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٦٥

[من شعر ابن الأصبغ الإشبيلي و ابن حجاج الغافقي]

و قال أبو الأصبغ بن رشيد الإشبيلي: لما هطلت بإشبيلية سحابة بقطر أحمر يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة و ستين و
 خمسمائة: [المتقارب]

لقد آن للناس أن يقلعوا و يمشوا على السنن الأقوم
 متى عهد الغيث يا غافلا كلون العقيق أو العندم
 أظنّ الغمام في جَوْها بكت رحمة للورى بالدم
 و فيها أيضا: [الخفيف]
 لا تكن دائم الكآبة ممّا قد غدا في الثرى نميرا نجيعا
 لطم البرق صفحة المزن حتى سال منه على الرياض نجيعا
 و له في دولاب: [البيسط]

و منجنون إذا دارت سمعت لها صوتا أجشّ و ظلّ الماء ينهمل
 كأنّ أقداسها ركب إذا سمعوا منها حداء بكوا للبين و ارتحلوا
 و له فيمن اسمه مالِك: [الوافر]

غزاليّ الجفون شقيق بدر تبسم عن عقيق فوق درّ
 له نفحات مسك أيّ مسك له نفثات سحر أيّ سحر
 شكوت له الهوى و الهجر منه فقال: عليك باسمي سوف تدرى
 تعلّمت القساوة من سمّي و أحرقت القلوب بنار هجرى

و قال أبو بكر بن حجاج الغافقي في موسى و سيم إشبيلية الذي كان شعراؤها يتغزلون فيه: [الكامل]
 من مبلغ موسى المليح رسالة بعثت له من كافر عشاقه
 ما كان خلق راغبا عن دينه لو لم تكن توراته من ساقه
 و قال: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٦٦
 إنّ الزويليّ فتى شاعر قد أعجب العالم من نظمه
 و أنت يا موسى قد اخترته و اختار موسى قبل من قومه
 و قال: [البيسط]

على معاذ قرون لو يعاينها فرعون ما قال أوقد لي على الطين
 قالت له عرسه إذ جاء ينكحها ما ذا دهيت به من كل عئين
 هلا استعنت بميمون، فقال لها إني استعنت على نفسي بميمون

[من شعر أبي وهب النحوى و محمد بن يحيى القلقاط و أحمد بن المبارك الحبيبي]

و قال أبو وهب عبد الرؤوف النحوى، و كان له حظّ فى قرص الشعر، و كان سناطا: [السريع]

ليس لمن ليست له لحيه بأس إذا حصّلتها، ليسا

و صاحب اللحيه مستقبح يشبه فى طلعتة التيسا

إن هبّت الريح تلاهت به و ماست الريح به ميسا

و قال أبو عبد الله محمد بن يحيى القلقاط: [مجزوء الرمل]

يا غزالا عنّ لى فاب تزّ قلبى ثم ولى

أنت منى بفؤادى يا منى نفسى أولى

و قال أحمد بن المبارك الحبيبي فى الناصر قبل أن يلى عهد جدّه: [السريع]

يا عابد الرحمن فقت الورى بهذه العليا و هذا الكرم

ما جعل الله الندى فى امرئ إلّا و قد جنبه كلّ ذم

و استدعى الوزير عبيد الله بن إدريس أبا بكر أحمد بن عثمان المروانى، و نادمه ليلة، فلما قرب الصباح قال له: أين ما يحدث عنك

من حسن الشّعرا؟ فهذا موضعه، فقال: الدواة و القرطاس، فأمر له بإحضارهما، فجعل يفكر و يكتب إلى أن أنشده هذه الأبيات:

[البسيط]

بتنا ندامى صفاء يستحثّ لنا فى جامد الفضة التبر الذى سبكا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٦٧

كلّ مصيخ إلى ما قال صاحبه و لا يبالى أصدقا قال أم إفكا

موقرون خفاف عند شربهم و لا يخافون فيما أحدثوا دركا

لا تعد منّ إذا أبصرتهم فرحا أما ترى الصبح من بشر بهم ضحكا

[من شعر أبي محمد المروانى و إبراهيم بن إدريس العلوى]

و قال أبو محمد عبد الله المروانى فى الخيرى: [الطويل]

عجبت من الخيرى يكتم عرفه نهارا و يسرى بالظلام فيعرب

فتجنى عروس الطيب منه يد الدجى و يبدو له وجه الصباح فيحجب

و قال إبراهيم بن إدريس العلوى: [الكامل]

للبن فى تعذيب نفسى مذهب و لناثبات الدهر عندى مطلب

أما ديون الحادثات فإنها تأتي لوقت صادق لا يكذب

و خرج الأديب النحوى هذيل الإشبلى يوما من مجلسه، فنظر إلى سائل عارى الجسم، و هو يردد و يصيح: الجوع و البرد، فأخذ بيده،

و نقله إلى موضع بلغته الشمس، و قال له:

صح الجوع، فقد كفاك الله مؤونة البرد.

و مرّ المعتمد بن عباد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التندير و التهكم، يمزج ذلك بانحراف يضحك الثكلى، فقال لابن

عمار: تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه، فضربا عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقال ابن عباد: إنسان يرغب أن تقد له هذه الفتيلة، فقال: والله لو ضرب ابن عباد بابي في هذا الوقت ما فتحت له، فقال: فإني ابن عباد، فقال: مصفوع ألف صفقة، فضحك ابن عباد حتى سقط إلى الأرض، وقال لوزيره: امض بنا قبل أن يتعدى الصفح من القول إلى الفعل، فهذا شيخ ركيك، ولما كان من غد تلك الليلة وجه له ألف درهم، وقال لموصلها: قل له هذه حق الألف صفقة التي كانت البارحة.

[البازي الأشهب أحد اللصوص في عصر المعتمد بن عباد]

و كان في زمان المعتمد السارق المشهور بالبازي الأشهب، و كان له في السرقة كلّ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٦٨ غريبة، و كان مسلطا على أهل البادية، و بلغ من سرقة أنه سرق و هو مصلوب؛ لأنّ ابن عباد أمر بصلبه على ممزّ أهل البادية لينظروا إليه، فبينما هو على خشبته على تلك الحال إذ جاءت إليه زوجته و بناته؛ و جعلن يبكين حوله و يقلن: لمن تتركنا نضيع بعدك؟ و إذا يبدو على بغل و تحته حمل ثياب و أسباب، فصاح عليه: يا سيدي، انظر في أي حالة أنا، ولى عندك حاجة فيها فائدة لي و لك؟ قال: و ما هي؟ قال: انظر إلى تلك البئر، لما أرهقني الشرط رميت فيها مائة دينار، فعسى تحتال في إخراجها، و هذه زوجتي و بناتي يمسكن بغلك خلال ما تخرجها، فعمد البدوي إلى حبل و دلّى نفسه في البئر بعد ما اتفق معه على أن يأخذ النصف منها، فلما حصل أسفل البئر قطعت زوجة السارق الحبل، و بقي حائرا يصيح، و أخذت ما كان على البغل مع بناتها، و فرت به، و كان ذلك في شدة حرّ، و ما سبب الله شخصا يغيبه إلّا و قد غبن عن العين و خلصن، فتحيّل ذلك الشخص مع غيره على إخراجها، و سألوه عن حاله، فقال: هذا الفاعل الصانع احتال عليّ حتى مضت زوجته و بناته بثيابي و أسبابي، و رفعت هذه القصة إلى ابن عباد، فتعجب منها، و أمر بإحضار البازي الأشهب، و قال له: كيف فعلت هذا مع أنك في قبضة الهلكة؟ فقال له: يا سيدي، لو علمت قدر لذتي في السرقة خليت ملكك و اشتغلت بها، فلغنه و ضحك منه، ثم قال له: إن سرحتك و أحسنت إليك و أجريت عليك رزقا يقلك أتتوب من هذه الصنعة الذميمة؟ فقال: يا مولاي، كيف لا أقبل التوبة و هي [التي] تخلصني من القتل؟ فعاهده و قدّمه على رجال أنجاد، و صار من جملة حراس أحواز المدينة.

[منصور بن عبد المؤمن و شيخ مغفل بناء]

و يحكى أنّ منصور بن عبد المؤمن لما أراد بناء صومعة إشبيلية العظيمة القدر أحضر لها العرفاء و الصيّناع من مظانهم، فعرف بشيخ مغفل صحيح المذهب عارف بالبناء الذي يجعله كثير من الصناع، فأحضر، فقال له المنصور: كم تقدّر أن ينفق على هذه الصومعة؟ فضحك و قال: يا سيدي، البنيان إنما هو مثل ذكر ليس يقدر حتى يقوم، فكاد المنصور يفتضح من الضحك، و صرف وجهه عنه، و بقيت حكايته يضحك عليها زمانا.

[أحمد المقريني المعروف بالكساد]

و كان أحمد المقريني المعروف بالكساد شاعرا و شاحا زجالا إشبيليا، و قال في موسى الذي تغزل فيه ابن سهل: [الخفيف] ما لموسى قد خرّ لله لما فاض نور أغشاه ضوء سناه

و أنا قد صعقت من نور موسى لا أطيق الوقوف حين أراه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٦٩
وقال في رثائه: [السريع]

فرّ إلى الجنّة حوريّها و ارتفع الحسن من الأرض
و أصبح العشاق في مآتم بعضهم يبكي على بعض
وقال فيه: [الرملة]
هتف الناعي بشجو الأبد إذ نعى موسى بن عبد الصمد
ما عليهم ويحهم لو دفنوا في فؤادي قطعة من كبدي
و لابن سهل الإسرائيلي في موسى هذا ما هو مثبت في ديوانه.

[محمد بن أحمد القرموطي المرسي]

و كان محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي من أعراف أهل الأندلس بالعلوم القديمة: المنطق و الهندسة و العدد و
الموسيقى و الطب، فيلسوفا طبيبا ماهرا، آية الله في المعرفة بالأندلس، يقرئ الأمم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها و في تعلّمها، و
لمّا تغلب طاغية الروم على مرسية عرف له حقّه، فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين و النصرى و اليهود، و قال له يوما و قد أدنى
منزلته: لو تنصرت و حصلت الكمال كان لك عندي كذا، و كنت كذا، فأجابه بما أقنعه؛ و لمّا خرج من عنده قال لأصحابه: أنا عمري
كلّه أعبد إلها واحدا، و قد عجزت عمّا يجب له، فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما طلب الملك مني؟ انتهى.

[من شعر أبي عبد الله محمد بن سالم القيسي و أبي عبد الله الإشبيلي الخطيب و أبي زيد العثماني]

و قال أبو عبد الله محمد بن سالم القيسي الغرناطي يخاطب السلطان على ألسنة أصحابه الأطباء الذين ببابه مورّيا بأسمائهم: [الخفيف]
قد جمعنا ببابكم سطر علم لبلوغ المنى و نيل الإراده
و من اسمائنا لكم حسن فال سالم ثم غالب و سعاده
و قال أبو عبد الله بن عمر الإشبيلي الخطيب: [المتقارب]
و كلّ إلى طبعه عائد و إن صدّه المنع عن قصده
كذا الماء من بعد إسخانه يعود سريعا إلى برده
و قال الكاتب أبو زيد عبد الرحمن العثماني لمّا تغير حاله ياشبيلية: [الخفيف]
لا تسلني عن حالتى فهى هذى مثل حالى لا كنت يا من يرانى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٧٠
ملّنى الأهل و الأخلاء لمّا أن جفانى بعد الوصال زمانى
فاعتبر بى و لا يغرك دهر ليس منه ذو غبطة فى أمان
و دخل الأديب النحوى أبو عمران موسى الطريانى إلى بعض الأكابر يوم نيروز، و عادتهم أن يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من
العجين لها صور مستحسنة، فنظر إلى مدينة أعجبتة، فقال له صاحب المجلس: صفها و خذها، فقال: [مجزوء الرجز]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٧٠

مدينة مسوره تحار فيها السحره
 لم تبناها إلا يدا عذراء أو مخدره
 بدت عروسا تجتلى من درمك مزعفره
 و ما لها مفاتيح إلا البنان العشره
 و رفع إلى القائد أبي السرور صاحب ديوان سبته قصيده يعرض له فيها بزاد، و قد عزم على سفر، فأنعم عليه بذلك، ثم أتبعه بتحف
 مما يكون في الديوان مما يجلبه الإفرنج إلى سبته، و لم يكن التمس منه ذلك و لا خطر بخاطره، فكتب إليه: [المتقارب]
 أيا سابقا بالذى لم يجلب بفكرى و لم بيد لى فى خطاب
 و يا غائضا فى بحار الندى و يا فاتحا للعلا كل باب
 كذا فلتكن نعم الأكرمين تفاجى بنيل المنى و الطلاب
 و لم أر أعظم من نعمه أتننى و لم تك لى فى حساب
 سأشكرها شكر عهد الرضى و أذكرها ذكر غصن الشباب

[من صاحب دانية إلى المنصور بن أبي عامر الأصغر]

و كتب مجاهد صاحب دانية إلى المنصور بن أبي عامر الأصغر ملك بلنسية رقعة، و لم يضمّنْها غير بيت الحطيئة: [البيط]
 دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقعِد فإنك أنت الطاعم الكاسى
 فأخرجت المنصور، و أقامته و أقعدته، فأحضر وزيره أبا عامر بن التاكرنى فكتب عنه:
 [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٧١
 شتمت مواليتها عبيد نزار شيم العبيد شتيمه الأحرار
 فسلا المنصور عما كان فيه.

و من شعر المذكور فى المنصور: [الكامل]
 انهض على اسمك إنه منصور و ارم العدو فإنه مقهور
 و لو اغتنت عن النهوض كفتهم فبذكر بأسك كلهم مذعور
 و لتبلغن مدى مرادك فيهم و يكون يوم فى العدا مشهور
 و قال له المنصور يوما: و الله لقد سئمت من هؤلاء الجند، و وددت الراحة منهم، فقال له: يصبر مولاي فلا بد من السامة، فهى على
 حالتين: إما ممن يكون أمرك إليه، أو يكون أمره إليك، و الحمد لله الذى رفعه عن الحالة الأولى!.

[من شعر بعض الهجائين فى رندة و حبلص الشاعر الرندى]

و قال بعض الهجائين فى رندة: [مجزوء الكامل]
 قبحا لرندة مثل ما قبحت مطالعة الذنوب
 بلد عليه وحشة ما إن يفارقه القطوب
 ما حلها أحد فىن وى بعد بين أن يؤوب

لم آتتها عند الضحى إلّا و خيل لى الغروب
أفق أغمّ و ساحة تملا القلوب من الكروب
و قال حبلاص الشاعر الرندى: [الكامل]
لا تفرحن بولايه سوّعتها فالثور يعلف أشهرها كى يذبها
و له فى بعض رؤساء الملمثمين من قصيدة: [الطويل]
و لو لم تكن كالبدر نورا و رفعة لما كنت غزا بالسحاب ملثما
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٧٢
و ما ذاك إلّا للنوال علامة كذا القطر مهما لثم الأفق انهمى
فاهترّ الملمثم و أعجبه، و أمر له بكسوة و ذهب.

[من شعر أبى بكر الرندى و أرقم أحد بنى ذى النون و أبى محمد بن سفيان]

و لَمّا ذكر أبو بكر بن عمر الرندى فى مجلس بعض الرؤساء بحضرة أبى الحسن على بن سعيد، و أطنب فى الثناء عليه، و عمر
المجلس بشكره، و أخبر بذلك، أطرق ساعة ثم قال: [الكامل]
لا تذكرن ما غاب عنى من ثنا أطنبت فيه فليس ذلك يجهل
فمتى حضرت بمجلس و جرى به خبرى فإنّ الذكر فيه يجمل
و لَمّا نفى بنو ذى النون أرقم من نسبهم لأنه كان ابن أمه مهينة، واقعها أبو الظافر فى حال سكره، و لم يكن فيهم من ينظم و يتولّع
بالأدب غيره، و ولى ابنه يحيى، و كان أحسد من طلعت عليه الشمس، فمال على أرقم بالأذية حتى فرّ عن مملكته، و قال مرتجلا:
[الطويل]

لئن طبتم نفسا بتركى دياركم فنفسى عنكم بالتفرّق أطيّب
إذا لم يكن لى جانب فى دياركم فما العذر لى أن لا يكون تجنّب
زعمتم بأنى لست فرعا لأصلكم فهلّا علمتم أننى عنه أرغب
و حسبى إذا ما البيض لم ترع نسبة بأنى إلى سفى و رمحى أنسب
و إن مدّت الأيام عمرى للعلا يشترق ذكرى فى الورى و يغرب
و كتب الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان إلى أبى أمية بن عصام قاضى القضاة بشرق الأندلس «عين زمانه»، فوعدت نقطة على العين،
فتوهّمها، و ظنّ أنه أبهمها و اعتقدها، و عددها و انتقدها، فقال: [الكامل]

لا تلزمنى ما جنته يراعه طمست بريقتها عيون ثناء
حققت على لزامها فتحولت أفعى تمجّ سماها بسحاء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٧٣
غدر الزمان و أهله عرف و لم أسمع بغدر يراعه و إباء

[من شعر ابن أرفع رأسه و أحمد عبد المؤمن الطليلى و أبى محمد عبد الله بن العسال]

و شرب المأمون بن ذى النون مع أبى بكر محمد بن أرفع رأسه الطليلى و حفل من رؤساء ندمائه كان لبون و ابن سفيان و ابن الفرج

و ابن المثنى، فجرت مذاكرة في ملوك الطوائف في ذلك العصر، فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه، فقال ابن أرفع رأسه ارتجالاً: [البسيط]

دعوا الملوك و أبناء الملوك فمن أضحي على البحر لم يشق إلى نهر
ما فى البسيطة كالمأمون ذو كرم فانظر لتصديق ما أسمعت من خبر
يا واحدا ما على عليه مختلف مذ جاد كفك لم نحتج إلى المطر
و قد طلعت لنا شمساً فما نظرت عين إلى كوكب يهدى و لا قمر
و قد بدوت لنا وسطى ملوكهم فلم نعرج على شذر و لا درر
فداخل ابن ذى النون من الارتياح ما ليس عليه مزيد، و أمر له بإحسان جزيل عتيد.
و قال أبو أحمد عبد المؤمن الطليلي: [الطويل]

رأيت حيايى قادحا فى معيشتى و يصعب تركى للحياء و يقبح
و قد فسد الناس الذين عهدتهم و قد طال تأنيبى لمن ليس يصلح
وله: [الطويل]

ولما غدوا بالغيد فوق جمالهم طفقت أنادى لا أطيع بهم همسا
عسى عيس من أهوى تجود بوقفه و لو كوقوف العين لاحظت الشمساً
و قال الزاهد أبو محمد عبد الله بن العسال: [الطويل]
أعندكم علم بأنى متيم و إلاً فما بال المدامع تسجم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٧٤
و ما بال عيني لا تغمض ساعة كأنى فى رعى الدرارى منجم

[من شعر الوزير أبى جعفر الوقشى]

و كان الوزير أبو جعفر الوقشى تياها معجبا بنفسه، و من شعره فى غرضه الفاسد: [الطويل]
إذا لم أعظم قدر نفسى و إننى عليم بما حازته من عظم القدر
فغيرى معذور إذا لم يبرنى و لا يكبر الإنسان شىء سوى الكبر
وله: [الطويل]

يرومون بى غير المكان الذى له خلقت، و بعضى منكر ذاك من بعضى
فقولوا لبدرا الأفق يترك سماءه و يحتل من أجل التواضع فى الأرض
و قال: [الطويل]

تكبر و إن كنت الصغير تظاهرا و باعد أخا صدق متى ما اشتهى قربا
و كن تابعا للهز فى حفظ أمره أ لست تراه عندما يبصر الكلبا

و قال له بعض ندماء ملكه يوما صاحب جيان، ابن همشك: يا أبا جعفر، أنت جملة محاسن، و فيك الأدوات العلية التى هى أهل لكل فضيلة، غير أنك قد قدحت فى ذلك كله بكثرة عجبك، و إذا مشيت على الأرض تشمئز منها، فقال له: كيف لا أشمئز من شىء أشارك معك فى الوطء عليه؟ فضحك جميع من حضر من جوابه. و له، جوابا لمن اعتذر عن غيبته عنه: [الطويل]

لك الفضل فى أن لا تلوح لناظرى و تبعد عنى ما بقيت مدى الدهر

فوجهك في لحظى كما صوّر الردى و لفظك في سمعى حديث عن الفقر
و من حاز ما قد حزته من ركاكء و غاب فلا يحتج إلى كلفء العذر
و له أيضا: [الخفيف]

لك يومان لم تلح لعيانى و لك الفضل فى زياده شهر
و لك الفضل فى زياده عام و لك الفضل فى زياده دهر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٧٥
و لك الفضل أن تغيب عنى ذلك الوجه ما تطاول عمرى
و له، و قد شرب على صهريج فاختنق الأسد الذى يرمى بالماء، فنفخ فيه رجل أبخر، فجرى: [السريع]
ليث بديع الشكل لا مثل له صيغ من الماء له سلسله
يقذف بالماء على حينه كأنه عاف الذى قبله

[من شعر أبى الوليد هشام الوقشى و أبى الحسين بن أبى جعفر الوزير]

صو قال أبو الوليد هشام الوقشى: [السريع]
برّح بى أن علوم الورى اثنان ما إن فيهما من مزيد
حقيقه يعجز تحصيلها و باطل تحصيله لا يفيد
و قال: [السريع]

و فاره يركبه فاره مرّ بنا فى يده صعده
سنانها مشتمل لحظه و قدّها منتحل قدّه
يزحف للنساک فى جحفل من حسنه و هو يرى وحده
قلت لنفسى حين مدّت لها ال آمال و الآمال ممتدّه
لا تطمعى فيه كما الشّعرا لا يطمع فى تسويده خدّه
و قال: [الخفيف]

عجبا للمدام ما ذا استعارت من سجايا معدّبي و صفاته
طيب أنفاسه و طعم ثنياه و سكر العقول من لحظاته
و سنا وجهه و توريد خدى ه و لطف الديباج من بشراته
و التداوى منها بها كالتداوى برضا من هويت من سطواته
و هى من بعد ذا على حرام مثل تحريمه جنى رشفاته
و من تأليفه «نكت الكامل للمبرد»، و قد مرّ ذكر هذا الرجل الفرد قبل هذا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٧٦

و حضر يوما مجلس ابن ذى النون، فقَدّم نوع من الحلوى يعرف بأذان القاضى، فتهافت جماعة من خواصّه عليها يقصدون التندير فيه،
و جعلوا يكثرون من أكلها، و كان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر، فقال له المأمون: يا قاضى، أرى هؤلاء يأكلون
أذنيك، فقال: و أنا أيضا أكل عيونهم، و كشف عن الطبق، و جعل يأكل منه، و كان هذا من الاتفاق الغريب.
و كان الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى آية الله فى الظرف، و كيف لا و والده الوزير أبو جعفر، و صهره أبو الحسين

بن جبير، و شيخه فى علم الموسيقى و التهذيب و الظرف و التدريب أبو الحسين بن الحسن بن الحاسب شيخ هذه الطريقة، و قد رزق أبو الحسن المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع، أشهى من الكأس للخليج، قال أبو عمران بن سعيد: ما سمعته إلا تذكرت قول الرصافى: [الكامل]

و مطارح مما تجسّ بنانه لحنا أفاض عليه ماء وقاره
يثنى الحمام فلا يروح لو كره طربا و رزق بنيه فى منقاره
و كنت أرتاح إلى لقائه، ارتياح العليل إلى شفائه، و لم أزل أقرع بابا بابا، و أخرق للاتصال حجابا حجابا، حتى هجمت مع شفيح لا يرد عليه، و جلست بين يديه، فحينئذ حرّضه حسبه على الإكرام، و تلقى بما أوسع من البشر و السلام، و قال: ليعلم سيدى أنى كنت أودّ الناس فى لقائه، و أحبّهم فى إخائه، و الحمد لله الذى جعلنى أنشد: [الطويل]
و ليس الذى يتبع الوبل رائدا كمن جاءه فى داره رائد الوبل
ثم قام إلى خزائه، فأخرج منها عود غناء يطرب دون أن تحبس أوتاره، و تلحن أشعاره، و اندفع يغنى دون أن أسأله ذلك، و لا أتجشّم تكليفه الدخول فى تلك المسالك: [الطويل]
و ما زلت أرجو فى الزمان لقاء كم فقد يسّر الرحمن ما كنت أرتجى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٧٧
فذكر كم ما زلت أتلهه دائما إذا ذكروا ما بين سلمى و منعج
فلما فرغ من استهلاله و عمله قبلت رأسه، و قلت له: لا أدرى علام أشكرك قبل، هل على تعجيلك بما لم تدعنى أسألك فى شأنه أم على ما تفردت بإحسانه؟ فما هذا الصوت؟

قال: هذا نشيد خسروانى من تلحينى، قال: و أنشدنى لنفسه: [الطويل]
حننت إلى صوت النواير سحرة فأضحى فؤادى لا يقتر و لا يهدا
و فاضت دموعى مثل فيض دموعها أطارحها تلك الصباية و الوجدا
و زاد غرامى حين أكثر عاذلى فقلت له أقصر و لا تقدح الرّندا
أهيم بهم فى كلّ واد صباية و أزداد مع طول البعاد لهم ودا
و أنشدنى لنفسه: [الكامل]

و لقد مررت على المنازل بعدهم أبكى و أسأل عنهم و أنوح
و أقول إن سألوا بحالى فى النوى ما حال جسم فارقتة الروح
قال: و كتب إليّ: [البسيط]

يا حسرة ما قضت من لذة و طرا أين الزمان الذى يرجى به الخلف
أبكيك ملء جفونى ثم يرجعنى إلى التصبر أنى سوف أنصرف

قال أبو عمران: و كنت فى أيام الفتنة إذا ركنت إلى الآمال، هونت على نفسى ما ألقى من أهوالها بقولى مع خاطرى قوله:
أين الزمان الذى يرجى به الخلف
انتهى.

[من شعر أبى الحسين على بن الحماره]

و كان أبو الحسين على بن الحماره مّمن برع فى الألحان و علمها، و هو من أهل غرناطة، و اشتهر عنه أنه كان يعمد إلى الشعراء،

فيقطع العود بيده، ثم يصنع منه عودا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٧٨
 للغناء، و ينظم الشعر و يلحنه، و يغنى به، فيطرب سامعيه، و من شعره قوله: [الطويل]
 إذا ظنّ و كرا مقلتي طائر الكرى رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل
 و قال بعض العلماء فى حقّه: إنه آخر فلاسفة الأندلس، قال: و أعجب ما وقع له فى الشعر أنه دخل سلا و قد فرغ ابن عشرة من بناء
 قصره، و الشعراء تنشده فى ذلك، فارتجل ابن الحماره هذين البيتين، و أنشدهما بعدهم: [البيسط]
 يا واحد الناس قد شئدت واحدة فحلّ فيها محلّ الشمس فى الحمل
 فما كدارك فى الدنيا لذي أمل و لا كدارك فى الأخرى لذي عمل
 و سيأتى ذكر هذين البيتين.

[تبحر اهل الاندلس فى العلوم]

و كان أهل الأندلس فى غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة، قال ابن مسدى:
 أملى علينا ابن المناصف النحوى بدانية على قول سيويوه «هذا باب ما الكلم من العريية» عشرين كراسا، بسط القول فيها فى مائة و
 ثلاثين وجها، انتهى..
 و هذا و أشباهه يكفيك فى تبحر أهل الأندلس فى العلم، و ربما سئل العالم منهم عن المسألة التى يحتاج فى جوابها إلى مطالعة و
 نظر، فلم يحتج إلى ذلك، و يذكر من فكره ما لا يحتاج معه إلى زيادة.

[بين ابن حبيش و اليفرنى فى استعمال ما ذا]

و من الحكايات فى مثل ذلك أنّ الأديب البليغ الحافظ أبا بكر بن حبيش لما قال فى تخميسه المشهور: [الطويل]
 بماذا على كلّ من الحقّ أوجبت
 اعترض عليه أبو زكريا اليفرنى بما نصّه: استعمل المخمّس «ما ذا» فى البيت كثيرا و خبرا، و المعروف من كلام العرب استعمالها
 استفهاما، فجاوبه بقوله: أمّا استعمالها استفهاما كما قال فكثير، لا يحتاج إلى شاهد، و أمّا استعمالها فى ألسن فصحاء العرب للكثرة
 فكثير لا يحتاج إلى شاهد لو وصل بحث، و استعمل مكث، فلم يعترض علىّ ولى، و لا تشكك فى جلى: [الوافر]
 و ليس يصحّ فى الأفهام شىء إذا احتاج النهار إلى دليل
 قال الله تعالى فى سورة يونس قُلْ أَنْظَرُوا مَا ذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَ النُّذُرُ
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٧٩
 عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١) [سورة يونس، الآية: ١٠١] و وقع فى صحيح البخارى فى رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر: [الوافر]
 و ما ذا بالقلب قلب بدر من الفتیان و الشرب الكرام
 و ما ذا بالقلب قلب بدر من الشيزى تكلل بالسنام
 و فى السير فى رثاء المذكورين أيضا: [مجزوء الكامل]
 ما ذا ببدر فالعقن قل من مرابزة ججاج
 و هذا الشعر لأمية بن أبى الصلت الثقفى، و وقع فى الأعانى للوليد بن يزيد يرثى نديما له يعرف بابن الطويل: [مجزوء الكامل]

لله قبر ضمنت فيه عظام ابن الطويل
ما ذا تضمن إذ ثوى فيه من الرأى الأصيل
و الخبر طويل، و أجلى من هذا و أعلى، و أحقّ بكلّ تقديم و أولى، و لكن الواو لا تفيد رتبة، و لا تتضمن نسبة، قول رسول الله صلى
الله عليه و سلم «ما ذا أنزل الليلة من الفتن» و هو فى الصحاح، و وقع فى الحماسة، و قد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها: [الكامل]
ما ذا أجال و ثيرة بن سماك من دمع باكية عليه و باك
و فى الحماسة، أيضا و أظنها لأبى دهب: [البسيط]
ما ذا رزنا غداة الحلّ من زمع عند التفرق من خيم و من كرم
و وقع فى نوادر القالى لكعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه أبا المغوار: [الطويل]
هوت أمّه ما يبعث الصبح غاديا و ما ذا يردّ الليل حين يؤوب
و وقع فى شعر الخنساء ترثى أباها صخرًا: [الطويل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٨٠
ألا ثكلت أمّ الذين غدوا به إلى القبر ما ذا يحملون إلى القبر
و ما ذا يوارى القبر تحت ترابه من الجود فى بؤسى الحوادث و الدهر
و لجرير و هو فى الحماسة: [الكامل]
إن الذين غدوا بلبك غادروا و شلا بعينك لا يزال معينا
غئضن من عبراتهن و قلن لى ما ذا لقيت من الهوى و لقينا
و فى الحماسة أيضا: [البسيط]
ما ذا من العبد بين البخل و الجود
و وقع فى الحماسة أيضا، و هو لامرأة: [الطويل]
هوت أمهم ما ذا بهم يوم صرّعوا بجيشان من أسباب مجد تصرّما
أرادت ما ذا تصرّم لهم يوم صرّعوا بجيشان من أسباب مجد تصرّما.
و مما يستظهر به قول أبى الطيب المتنبى: [البسيط]
ما ذا لقيت من الدنيا و أعجبها أنى بما أنا باك منه محسود
و قوله أيضا: [المتقارب]
و ما ذا بمصر من المضحكات و لكنه ضحك كالبكا
و من ملح المتأخرين: كان بمرسية أبو جعفر المذكور فى المطمح، و كان يلقّب بالبقيرة، فقال فيه بعض أهل عصره: [البسيط]
قالوا البقيرة يهجونا فقلت لهم ما ذا دهيت به حتى من البقر
هذا و ليس بثور بل هو ابنته و أين منزلة الأنتى من الذكر
و أنشد صاحب الزهر، و لا أذكر قائله: [البسيط]
ما ذا لقيت من المستعربين و من قياس قولهم هذا الذى ابتدعوا
إن قلت قافية بكرا يكون لها معنى يخالف ما قالوا و ما وضعوا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٨١
قالوا لحن و هذا الحرف منتصب و ذاك خفض و هذا ليس يرتفع

و ضربوا بين عبد الله و اجتهدوا و بين زيد فطال الضرب و الوجع

و قال صاحب الزهر: أنشد أبو حاتم و لم يسمّ قائله: [الطويل]

ألا فى سبيل الله ما ذا تضمّنت بطون الثرى و استودع البلد القفر

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على أن «ما ذا» تستعمل بمعنى الخبر و التكثير، و و الله الذى لا إله غيره ما طالعت عليه كتابا، و لا فتحت فيه بابا، و إنما هو ثماله من حوض التذكار، و صبابة ممّا علق به شرك الأفكار، و أثر ممّا سدك به السمع، أيام خلوّ الذرع، و عقدت عليه الحبي، فى عصر الصبا، و رحم الله من تصفّح، و تلمّح فتسمّح، و صحّح ما وقع إليه من الاعتلال، و أصلح ما وضع لديه من الاختلال، فخير الناس، من أخذ بالبر و الإيناس، فبصر من جهله، و ادّكر عن وهله، و إنما المؤمنون إخوة، و تحابهم فى الله رفعة و حظوة، و لهم فى السلف الكريم، و محافظتهم على الودّ القديم، أسوة كريمة و قدوة.

قال ابن الطراح: انظر إلى تحصيل هذا الإمام الرئيس، و الأسمى النفيس، و استحضاره كلام الأدباء، و سير النقّاد و البلغاء، و مساجلته مع فرسان المعانى، و وصفه تلك المغانى، و قد كان حامل لواء الأدب، و فائق أبناء جنسه فى مراقب الطلب، و هذه الكلمة - أعنى «ما ذا» - جرت بسببها مناظرة بين الأستاذ أبى الحسين بن أبى الربيع النحوى المشهور و بين مالك بن المرحّل بسببته، حتى ألف مالك كتاب «الرمى بالحصا، و الضرب بالعصا» و فيه هنات لا ينبغى لعاقل أن يذكرها، و لا لذى طى فى البيان أن ينشرها، و فى ذلك قال الأستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى: [المديد]

كان ما ذا ليتها عدم جئبوها قربها ندم

ليتنى يا مال لم أرها إنها كالنار تضطرم

و قوله «يا مال» ترخيم مالك.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٨٢

و حكى الأستاذ ابن غازى أنهم اختلفوا: هل يقال: كان ما ذا أم لا؟ و قال: إن الأستاذ ابن أبى الربيع تطفّل على مالك بن المرحّل فى الشعر، كما أن ابن المرحّل تطفّل عليه فى النحو، قال: و من نظم مالك بن المرحّل فى هذه القضية: [مجزوء الرمل]

عاب قوم كان ما ذا ليت شعرى كان ما ذا

إن يكن ذلك جهلا منهم فكان ما ذا

و من نظم ابن حبّيش المذكور قوله: [الوافر]

إذا ما شئت أن تحيا هتيا رفيع القدر ذا نفس كريمه

فلا تشفع إلى رجل كبير و لا تشهد و لا تحضر وليمه

و له أيضا: [البيسط]

لأعملنّ إلى لقياكم قدمى و لو تجشّمت بين الطين و الماء

لأنّ بيلّ ثيابى الغيث أهون بى من أن تحرق نار الشوق أحشائى

[أبو زكريا يحيى بن على بن سلطان اليفرنى]

و أبو زكريا المعترض على ابن حبّيش هو الفقيه النحوى الأديب أبو زكريا يحيى بن على بن سلطان اليفرنى، و له سنة ٦٤١، و برع فى العربية، و كان يلقّب فى المشرق «جبل النحو» و كان عند نفسه مجتهدا، و كان لا يجيز نكاح الكتابيات، خلافا للإمام مالك، و هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، و يتمسك بقوله تعالى: وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً [سورة الروم، الآية: ٢١] و كان يرى أن الطلاق لا يكون إلّا مرتين: مرة للاستبراء، و مرة للانفصال، و لا يقول بالثلاث، و هو خلاف الإجماع، و كان يقول فى نهيه

عليه الصلاة والسلام عن أكل ذى ناب من السباع: أى مأكول كل ذى ناب، و تبقى هى على الإباحة، و يدلّ عليه قوله تعالى: وَ مَا أَكَلِ السَّبُعُ [سورة المائدة، الآية: ٣] و كان يقول فى قوله تعالى إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ [سورة طه، الآية: ٦٣] إِنَّ الْهَاءَ اسْمٌ إِنَّ، و ذان لساحران جملة خبر لأنّ، و لا تحتاج لرباط لأنها تفسيرية، و المعنى عنده و أسرّوا النجوى قالوا إنها أى نجوانا هذان لساحران، أى قولنا هذان لساحران، تشبيها للناس عن أتباعهما، و خطّ المصحف يرده، لكن فى المصحف أشياء كتبت على غير المصطلح، مثل (مال هذا) و (لا أوضعا) و (لا أذبحة). قال ابن الطراح: و رأيت هذا المعنى لغيره، و أظنه ابن النحاس، و توفى اليفرنى المذكور سنة ٧٠٠، و من شعره: [البيسط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٨٣
 ما ذا على الغصن الميأس لو عطفاً على صباية صبّ حالف الدنفا
 يا رحمة لفؤادى من معذبه كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا
 و يا رعى الله دهرا ظلّ يجمعنا فى ظلّ عيش صفا من طيبه و ضفا
 مودّة بيننا فى الحبّ كامله و نحن لا نعرف الإعراض و الصلفا

[من شعر صالح بن شريف الرندى]

رجع إلى كلام الأندلسيين.
 قال صالح بن شريف الرندى رحمه الله تعالى فى سكين الكتابة: [الخفيف]
 أنا صمصامة الكتابة، مالى من شبيه فى المرهفات الرّاق
 فكأنى فى الحسن يوم وصال و كأنى فى القطع يوم فراق
 و قال فى المقصّ: [الوافر]
 و مصطحبين ما أتتهما بعشق و إن وصفا بضمّ و اعتناق
 لعمر أيبك ما اجتماعا لشيء سوى معنى القطيعة و الفراق
 و لبعض الأندلسيين: [الكامل]
 هلاً اقتدى ذو خلة بفعالنا فيكون واصل خله كوصالنا
 مهما يجىء أحد ليقطع بيننا نقطعه ثم نعد لأحسن حالنا
 و جرح بعض الكتاب يده بالمقص، فأنشده أحد جلسائه، و غالب ظنى أنه أندلسى:
 [الوافر]

عداوة «لا» لكفك من قديم فلا تعجب لمقراض لئيم
 لئن أدماك فهو للا شبيه و قد يعدو اللئيم على الكريم

[نقد جماعة لكتاب المقرب لابن عصفور]

و لمّا ألف ابن عصفور كتابه «المقرب» فى النحو انتقده جماعة من أهل قطره الأندلسيين و غيرهم، منهم ابن الصائغ و ابن هشام و الجزيرى، و له عليه «المنهج المعرب، فى الردّ على المقرب» و فيه تخليط كثير و تعسف: [الطويل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٨٤

و في تعب من يحسد الشمس نورها و يأمل أن يأتي لها بضرب

و منهم ابن الحاج و أبو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي، و سمّاه «شدّ الزيار، على جحفلة الحمار» و ابن مؤمن القابسي، و بهاء الدين بن النحاس.

و من شعر حازم الأندلسي المذكور قوله: [الكامل]

لم تدر إذ سألتك ما أسلاكها أبكت أسى أم قطعت أسلاكها

و عارضه التجاني بقوله: [الكامل]

يا ساحر الألاحظ يا فتّاكها فتيا جواز الصّد من أفتّاكها

و من حكاياتهم في المجون و ما يجري مجراه أنّ الوزير أبا بكر بن الملح كان له ابن شاب، فاسترسل مع الأدب إلى أن خرج من القول إلى الفعل، و أتى بأشياء لا تليق بمثله، فكتب إليه أبوه: [مخلع البسيط]

يا سخنة العين يا بتيا ليتك ما كنت لي بتيا

أبكيك عيني، أطلت حزني أمتّ صيتي و كان حيّا

حططت قدرى و كان أعلى في كلّ حال من الثريا

أما كفاك الزّنى ارتكابا و شرب مسمولة الحميا

حتى ضربت الدفوف جهرا و قلت للشّر: جىء إلينا

فاليوم أبكيك ملء عيني لو كان يغنى البكاء شيئا

فأجابه ابنه بقوله: [مخلع البسيط]

يا لائم الصبّ في التصابي ما عنك يغنى البكاء شيئا

أوجفت خيل العتاب نحوى و قبل و ثبتها إلينا

و قلت عمر الهنا قصير فاربح من العيش ما تهيا

قد كنت أرجو المتاب ممّا فتنت جهلا به و غيا

لو لا ثلاث شيوخ سوء أنت و إبليس و الحميا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٨٥

[من شعر أبي جعفر بن صفوان الملقى و محمد بن إدريس الأصبهوني]

و قال أبو جعفر بن صفوان الملقى رحمه الله تعالى: [الرجز]

سألته الإتيان نحوى مقبلا فقال سل نحوى كي تحصلا

قرأت باب الجمع من شوقى له و هو بالاشتغال عنى قد سلا

للاستغائة ابتدأت تاليا و هو لأفعال التعدى قد تلا

و كلّما طلبت منه فى الهوى عطفًا غدا يطلب منى بدلا

و إن أرم محض إضافة له أعمل فى قطعى عنه الحила

فى ألف الوصل ظللت باحثا و هو بباب الفصل قد تكفلا

فلست موصولا و ليس عائدا و ليس حالى عن أسى منتقلا

فيا منى نفسى و من لفهمه دانت فهوم الأذكيا النّبلا

و جدى موقوف عليك لا أرى عنك مدى الدهر له تنقلا
 فما الذى يمنع من تسكينه و الوقف بالتسكين حكم أعمالا
 و الحبّ مرفوع إليك مفرد فلم ترى لضمّتى مستثقلا
 فالصّم للرفع غدا علامه فى مفرد مثلى فأوضح مشكلا
 لا زلت للهيام عتّى رافعا للوصل ناصبا، لقولى معملا
 للشوق مسكنا، لهجرى صارفا بالقرب من حال البعاد مبدلا
 تجزم أمرا فى الأمانى ماضيا و تبتدى بما تشا مستقبلا
 و قال محمد بن إدريس القضاعى الأصبطونى: [الطويل]
 علاه رياض أو رقت بمحامد تنور بالجدوى و تثمر بالأمل
 تسخّ عليها من نداء غمامه ترؤى ترى المعروف بالعلّ و التّهل
 و هل هو إلّا الشمس نفسا و رفعه فيقرب بالجدوى و يبعد بالأمل
 تعمّ أياديه البريّة كلّها فدان و قاص جود كفيه قد شمل

[من شعر محمد التطيلي الهذلى]

و قال محمد التطيلي الهذلى، من أعيان غرناطة: [الكامل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٨٦
 جارت علىّ لواظ الآرام لّمّا رمت أجفانها بسهام
 حكمت علىّ بحكمها فتبسّمت فغدا الضنى منها لدى أحكام
 يا قاتلى عمدا بسيف لحاظه اغمد ظباه قبل وقع حمام
 كم رمت وصلك و الصدود يصدّنى و يفلّ عزمى أمره و مرامى
 إنى عدمت النفس يوم فراقكم و البين أسلمها إلى الإعدام
 كيف المقام و أصل جسمى ناحل إنّ النفوس مقيمة الأجسام
 صعب العلاج فليس يمكن برؤها حتى يعود الشهر مثل العام
 قد كنت أفرح بالسلوّ فها أنا قد زمّ قلبى فى الهوى بزمام
 مالت به نحو الفتون بدائع من شادن يحكيه بدر تمام
 فقوام أنفسنا بلذّة و صله و جميع أعيننا عليه سوام
 قد أبرزت خداه روض محاسن عظمت على الأفكار و الأوهام
 تندى بماء شيبه و تنعم فيروق منها الزهر فى الأكمام
 فكأنما و جناتها فى لونها ورد الرياض ربا بصوب غمام
 و كأنما درع الدّجى من شعره قد حاكه منها يد الإظلام
 و كأنما ريق حواه ثغره مسك أذيف بعنبر و مدام
 و كأنما سيف نضت ألحاظه سيف الأمير ممهد الإسلام
 ذاك الأمير محمد بن محمد ناهيك من ملك أغرّ همام

ملك علا فوق السماك علاؤه و سما فأدرك غاية الإعظام
لو كان يعتقل السها لأتاه فى شكل الفتاة ملثما بلثام
أو كان يرضى بالمجرّة أجردا لجرت إلى الإسراج و الإلجام
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٨٧
فالسعد يفعل للأمانى قولها و النصر يخدمه مع الأيام
و اليوم يعيشه و يحسد ليله فيه كعشق سيوفه للهام
نامت عيون الشّرك خوف سنانة لولاه ما اكتحلت بطيف منام
بهر الأنام بسيفه و ببأسه فسبى و أنعم أيما إنعام
فالمعتنى يجنى جزيل هباته و المعتدى يصلى الردى بحسام
مهما استعنت به فضيعم معرك و إذا استجرت به فطود شمام
أجرى مياه العدل بعد جفوفها و أزال نار الظلم بعد ضرام
كم من كتيبه جحفل قد هدّها فى معرك بمهند صمصام
المقتفى الجرد المذاكى عدّة للكّر فى الأعداء و الإقدام
من كلّ مبيضّ كأنّ أديمه لون الصباح أتى عقيب ظلام
و منها:

يا خير من ركب الجياد و قادها تحت اللواء، و عمدة الأقوام
لا زلتهم و السعد يخدم أمركم فى غبطة موصولة بدوام
حتى يصير الأمن فى أرجائنا عبدا يقوم لنا على الأقدام
و الله ينصركم و يعلى مجدكم ما سيحّ إثر الصحو ماء غمام

[بين يحيى السرقسطى و ابن حسداى الوزير]

و كان يحيى السّر قسطى أديبا، فرجع إلى الجزارين، فأمر الحاجب ابن هود أبا الفضل بن حسداى أن يوبّخه على ذلك، فكتب إليه:
[الوافر]

تركت الشعر من عدم الإصابه و ملت إلى التجارة و القصابه
فأجابه يحيى: [الوافر]

تعيب علىّ مألوف القصابه و من لم يدر قدر الشىء عابه
و لو أحكمت منها بعض فنّ لما استبدلت منها بالحجابه
و لو تدرى بها كلفى و وجدى علمت علام أحتمل الصّبابه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٨٨
و إنك لو طلعت علىّ يوما و حولى من بنى كلب عصابه
لهالك ما رأيت و قلت هذا هزبر صير الأوضام غابه
و كم شهدت لنا كلب و هرّ بأنّ المجد قد حزنا لبابه
فتكنا فى بنى العنزى فتكا أقرّ الدّعر فيهم و المهابه

و لم نقلع عن الثورى حتى مزجنا بالدم القانى لعابه
و من يفتّر منهم بامتناع فإنّ إلى صوارمنا إياه
و يبرز واحد منّا لألف فيغلبهم و ذاك من الغرابه
و منها:

أبا الفضل الوزير أجب ندائى و فضلك ضامن عنك الإجابة
و إصغاء إلى شكوى شكور أطلت على صناعته عتابه
و حقّك ما تركت الشعر حتى رأيت البخل قد أوصى صحابه
و حتى زرت مشتاقا خليلى فأبدى لى التحيل و الكآبه
و ظنّ زيارتى لطلاب شىء فنافرنى و غلظ لى حجابه

[من شعر أبى الحسن بن الحداد و أبى زكريا بن مطروح]

و قال الأديب أبو الحسن بن الحداد: [مجزوء الكامل]
قالت و أبدت صفحته كالشمس من تحت القناع
بعث الدفاتر و هى آخر ما يباع من المتاع
فأجبتها و يدى على كبدى و همّت بانصداع
لا تعجبنى ممّا رأى ت فنحن فى زمن الضياع

و قال الأديب أبو زكريا بن مطروح من أهل مدينة باغ، و قد عزل وال فتنزل المطر على إثره، و هو من أحسن شعر قاله، و كان الوالى
غير مرضى: [السريع]

و ربّ وال سرّنا عزله فبعضنا هتأه البعض

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٨٩
و قد واصلتنا السحب من بعده و لذّ فى أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه ما طهرت من بعده الأرض

[من شعر أبى البركات بن الحاج البليقى و أبى الحجاج يوسف الفهرى]

و قال القاضى أبو البركات بن الحاج البليقى، رحمه الله تعالى: [الكامل]
و عشية حكمت على من تاب من أهل الخلاعة أن يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية جمعوا اللذات شملا مرتضى
ما عاقنى عن أن أسير بسيرهم إلّا الرياء مع الخطابة و القضا
و قال أبو الحجاج يوسف الفهرى من أهل دانية: [الطويل]
أبى الله إلّا أن أفارق منزلا يطالعنى وجه المنى فيه سافرا
كأنّ على الأيام أن لا أحله رويدا فما أغشاه إلّا مسافرا

[من شعر بعضهم فى الرثاء و أبى جعفر البغيل]

و قال بعضهم فى الرثاء: [الخفيف]
 عبرات تفيض حزنا و شكلا و شجون تعمّ بعضا و كلّا
 ليس إلّا صباؤه أضرمتها حسرة تبعث الأسى ليس إلّا
 و لأبى جعفر البغيل أحد شعراء المريّة و كتابها: [الطويل]
 عزاء على هذا المصاب الذى دهى و شئت شمل الأنس من بعد ما انتهى
 بفرع علاء فى منابت سؤدد تسامى رقتا فى المعالى إلى السها
 أصبت به من بعد ما تمّ مجده و قد شمخت منه الشماريح و ازدهى
 فأية شمس فيه للمجد كوّرت و أىّ بناء للمكارم قد و هى
 فصبرا عليه لا رزئت بمثله فمثلك من يعزى إلى الحلم و النّهى

[من شعر أبى جعفر أحمد بن أيوب المالى و أبى جعفر أحمد بن طلحة]

و قال الكاتب الماهر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللماى المالى: [الكامل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٩٠
 طلعت طلّاع للربيع فأطلعت فى الروض وردا قبل حين أوّانه
 حيا أمير المؤمنين مبشّرا و مؤمّلا للنيل من إحسانه
 ضنّنت سحائبه عليه بمائه فأتاه يستسقيه ماء بنانه
 دامت لنا أيامه موصوله بالعزّ و التمكين فى سلطانه
 و قال أبو جعفر أحمد بن طلحة من جزيرة شقر: [السريع]
 يا هل ترى أظرف من يومنا قلّد جيد الأفق طوق العقيق
 و أنطق الورق بعيدانها مطربة كلّ قضيب و ريق
 و الشمس لا تشرب خمر الندى فى الروض إلّا بكؤوس الشقيق

[من شعر أبى جعفر الغسانى و أبى بكر يحيى بن بقى و المتوكل بن الأفتس]

و قال أبو جعفر الغسانى من أهل وادى آش، و استوطن غرناطة، ثم مات بالمريّة، فكتب على حمالة قراب لموطا الإمام مالك، بعد ما
 استنجد قرائح أدياء عصره، و استصرخ اختراعاتهم لنصره، فكلّهم قصر عن غرضه، و أداء مفترضه، فقال هو: [المجتث]
 يا طالبا لكمال حفظى أتمّ كمالك
 فما تقلّدت مثلى إذ لم تقلّد كمالك
 و قال أبو بكر يحيى بن بقى: [الكامل]
 خذها على وجه الربيع المخصب لم يقض حقّ الروض من لم يشرب
 هممى سماء علا و همى مارد فارجمه من تلك الكؤوس بكوكب
 و هو رحمه الله تعالى صاحب الأبيات المشهورة: [الكامل]
 زحزحته عن أضلع تشتاقه كيلا ينام على فراش خافق

و انتقد عليه بعض اللطفاء فقال: إنه كان جافى الطبع حيث قال «زحزحته» و لو قال * باعدت عنه أضلعا تشتاقه* لكان أحسن.

و قال السلطان المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس يستدعى: [مخلع البسيط]

انهض أبا طالب إلينا و اسقط سقوط الندى علينا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٩١

فنحن عقد بغير وسطى ما لم تكن حاضرا لدينا

و تذكرت هنا قول بعض المشاركة فيما أظنّ و الله تعالى أعلم: [مجزوء الرمل]

نحن في مجلس أنس ما به غير محبّك

فتصدّق بحضور و اجمع الوقت بقربك

و خف الآن عتابي مثل خوفي عند عتبك

[من شعر أبي عبد الله بن خلسة و ابن اللبانه و أبي علي بن اليماني]

رجع - و قال أبو عبد الله بن خلسة الضرير: [الطويل]

و لو جاد بالدنيا و ثنى بمثلها لظنّ من استصغارها أنه ضنا

و لا عيب في إنعامه غير أنه إذا منّ لم يتبع مواهبه منّا

و له أيضا [الكامل]

يا مالكا حسدت عليه زمانه أمم خلت من قبله و قرون

ما لي أرى الآمال بيضا و ضحا و وجوه آمالي حوالك جون

أنا آمن فرق وراج آيس و رو صد و مسرّح مسجون

لا تعدني أنواء سيبك لا عداك النصر و التأييد و التمكين

و قال ابن اللبانه: [الطويل]

كرمت فلا بحر حكاك و لا حيا و فتّ فلا عجم شأتك و لا عرب

و أوليتني منك الجميل فواله عسى السّحّ من نعماك يتبعه السكب

و قال أبو علي بن اليماني: [الخفيف]

أبنات الهديل أسعدن أوعدن قليل العزاء بالإسعاد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٩٢

بيد أني لا أرتضى ما فعلت نّ فأطوقكّن في الأجياد

[من شعر أبي جعفر بن الدودي و ابن أبي الخصال و غالب الحجام و ابن عائشة]

و قال أبو جعفر أحمد بن الدودي من كلمه: [الكامل]

فغدت غوادى الحى عنك عجائبا و أسلن الحاظ الرّباب ربابا

و قال ابن أبي الخصال في مليحة لها أربع جوار قبيحات: [المنسرح]

و ليلة طولها على سنه بات بها الجفن نادبا و سنه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٩٢
 بأربع بينهنّ واحدة كسيئات و بينها حسنه
 وقال غالب بن تمام الملقب بالحجّام: [الوافر]
 صغار الناس أكثرهم قبيحا و ليس لهم بصالحه نهوض
 ألم تر في سباع الطير نسرا يسالمنّا، و يؤذينا البعوض
 وقال ابن عائشة: [مخلع البسيط]
 و روضة قد علت سماء تطلع أزهارها نجوما
 هفا نسيم الصّبا عليها فخلتها أرسلت رجوما
 كأنما الجوّ غار لما بدت فأغرى بها النسيما
 و له يصف فرسا، و هو من بدائعه: [الكامل]
 قصرت له تسع و طالت أربع و زكت ثلاث منها للمتأمل
 و كأنما سال الظلام بمتنه و بدا الصّباح بوجهه المتهلّل
 و كأنّ راكبه على ظهر الصّبا من سرعه أو فوق ظهر الشمال
 وقال: [المنسرح]
 تربة مسك، و جوّ عنبرة و غيم ندى، و طشّ ما ورد
 كأنما جائل الحباب به يلعب في جانبه بالنرد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٩٣
 و تروى هذه الأبيات لغيره.
 وقال: [الطويل]

هم سلبوني حسن صبرى إذ بانوا بأقمار أطواق مطالعها بان
 لئن غادرونى باللوى إنّ مهجتي مسايرة أظعانهم حيثما كانوا

[من شعر أبي محمد بن سفيان و ابن الزرقاني و يحيى السرقسطي]

و قال أبو محمد بن سفيان، و هو من أبداع التخلص: [الطويل]
 فقلت و جفنى قد تداعت شؤونه و حرّ ضلوعى مقعد و مقيم
 لئن دهمت دهم الخطوب و آلمت فإنّ أبا عيسى أغرّ كريم
 و قال ابن الزقاق: [الكامل]
 بأبى و غير أبى أغرّ مهفهف مهضوم ما تحت الوشاح خميصه
 لبس الفؤاد و مزّفته جفونه فأتى كيوسف حين قد قميصه
 وقال: [الطويل]

سلام على أيامكم ما بكى الحيا و سقيا لذاك العهد ما ابتسم الزّهر
 كأن لم نبت في ظلّ أمن تضمنا عن الليلة الظّلماء أردية خضر
 و لم نغتبك تلك الأحاديث قهوة و كم مجلس طيب الحديث به خمر

ألا في ضمان الله في كل ساعة يجدد لي فيها بشوقى له ذكر
 يذكرني البرق جذلان باسما و يذكرني إسفار غرته الفجر
 و ما رق زهر الروض إلا تمثلت لناظر عيني منه آدابه الزهر
 و قال يحيى الشرقسطى: [الخفيف]

هاتها عسجديّة كوثرية بنت كرم رحيقه عطريه
 كلما شفها النحول تقوت فاعجبوا من ضعيفه و قويه
 ربّ خمارة سریت إليها و الدجا في ثيابه الزنجيه
 و منها:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٩٤
 كم عقار بدلته بعقار و ثياب صبغتها خمرية
 إن خير البيوع ما كان نقدا ليس ما كان آجلا بنسيه
 و له: [السريع]

نسبتم الظلم لعمالكم و نتم عن قبح أعمالكم
 و الله لو حكمتكم ساعة ما خطر العدل على بالكم

[من شعر الرصافي و أبي بكر الصابوني و ابن أبي ركب]

و قال الرصافي في الدولاب: [مخلع البسيط]
 و في حنين يكاد شجوا يختلس الأنفوس اختلاسا
 إذا غدا للرياض جارا قال لها المحل: لا مساسا
 يبتسم الروض حين ييكي بأدمع ما رأين باسا
 من كل جفن يسل سيفا صار له عقده رياسا
 و خرج أبو بكر الصابوني لنزهة بوادي إشبيلية، و كان يهوى فتى اسمه على، فقال:
 [مجزوء الوافر]

أبا حسن أبا حسن بعادك قد نفى و سنى
 و ما أنسى تذكره فهل أنسى فيذكرني
 و يشبه هذا قول أبي الطاهر بن أبي ركب: [مجزوء الوافر]
 يقول الناس في مثل تذكر غائبا تره
 فمالى لا أرى سكنى و ما أنسى تذكره
 و كتب بعض الأدباء إلى ابن حزم الأندلسى بقوله: [المتقارب]
 سألت الوزير الفقيه الأجل سؤال مدل على من سأل
 فقلت أيا خير مسترشد و يا خير من عن إمام نقل
 أ يحرم أن نالنى قبله غزال ترشف فيه الغزل
 و عانقنى و الدجا خاضب فبتنا ضجيعين حتى نصل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٩٥
و جئتكَ أسأل مسترشداً فيبين فديت لمن قد سأل
فأجابه ابن حزم بقوله: [المتقارب]

إذا كان ما قلته صادقاً و كنت تحزيت جهد المقل
و كان ضجيعك طاوى الحشا أعار المهاء احمرار المقل
قريب الرضا و له غنة تميت الهموم و تحيي الجذل
ففى أخذ أشهب عن مالك عن ابن شهاب عن الغير قل
بترك الخلاف على جمعهم على أن ذلك حلّ و بل

[من شعر الرصافى و بين ابن حزم و بعض الأدباء]

و نظر الرصافى يوماً إلى صبي بيكى، و يأخذ من ريقه و يبلى عينيه، كى يحكى أثر البكاء، فارتجل الرصافى: [الطويل]
عذيرى من جذلان ييدى كآبه و أضلعه ممّا يحاوله صفر
أميلد مئاس إذا قاده الصبا إلى ملح الإدلال أيده السحر
يبلى ماقى مقلتيه بريقه ليحكى البكا عمدا كما ابتسم الزهر
أ يوهم أن الدمع بلّ جفونه و هل عصرت يوماً من النرجس الخمر
و كان المذكور- أعنى الرصافى- يميل فى شبيبته لبعض فتيان الطلبة، و أجمع الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادى الكبير بمالقة،
فركبوا زورقا للمسير إلى الوادى، فوافق أن اجتمع فى الزورق شمل الرصافى بمحبوبه، ثم إنّ الريح الغربية عصفت و هاج البحر، و نزل
المطر، فزلوا من الزورق، و افترق شمل الرصافى من محبوبه، فارتجل فى ذلك، و يقال: إنها من أول شعره: [مخلع البسيط]
غار بى الغرب إذ رآنى مجتمع الشمل بالحبيب
فأرسل الماء عن فراق و أرسل الريح عن رقيب
فلما سمع ذلك أستاذة استنبله، و قال له: إنك ستكون شاعر زمانك.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٩٦

[من شعر أبى بكر بن مجبر]

و حكى أن أبا بكر بن مجبر قال فى ابن لأبى الحسن بن القطان بمحضر والده: [مجزوء الرجز]
جاء و فى يساره قوس و فى اليمنى قرح
كأنه شمس بدت و حولها قوس قرح
يا لائى فى حبه ما كلّ من لام نصح
فقال ابن عياش الكاتب: هذه أبيات لأندلسى استوطن المشرق فى تركى، فأقسم أبو بكر أنه لم يسمع شيئاً من ذلك، و إنما ارتجلها، و
قيل: إنها لأبى الفتح محمد بن عبيد الله من أهل بغداد، و أولها:
جدّ بقلبي و مزح
فالله أعلم بحقيقته الأمر.

و خرج أبو بكر بن طاهر و أبو ذر الخشني و القاضي أبو حفص بن عمر، و هو إذ ذاك و سيم، فأثرت الشمس في وجهه، فقال أبو ذر:
[المديد]

و سمتك الشمس يا قمر سمه في القلب تنتثر

فقال الآخر: [المديد]

علمت قدر الذي صنعت فأنت صفراء تعتذر

و قال أبو الحسين البلنسي الصوفي: كان لي صديق أمي لا يقرأ و لا يكتب، فعلق فتى، و كان خرج لنزهة فأثرت الشمس في وجهه،
فأعجبه ذلك، و أنشد: [البيسط]

رأيت أحمد لما جاء من سفر و الشمس قد أثرت في وجهه أثرا

فانظر لما أثرت الشمس في قمر و الشمس لا ينبغي أن تدرك القمر

[بين الوقشي و ابن سراج]

و اجتمع أبو الوليد الوقشي و أبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي، و كانا فريدي عصرهما حفظا و تقدما، فتعارفا، و تسالما، ثم
بادر أبو الوليد بالسؤال، و قال: كيف يكون قول القائل: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٩٧

و لو أن ما بي بالحصا فعل الحصا و بالريح لم يسمع لهن هبوب

ما ينبغي أن يكون مكان «فعل الحصا» فقال أبو مروان «فلق الحصا» فقال: و همت، إنما يكون «قلق الحصا» ليكون مطابقا لقوله «لم
يسمع لهن هبوب» يريد أن ما به يحرك في شأنه السكون و يسكن ما شأنه الحركة، فقال أبو مروان: ما يريد الشاعر بقوله: [الطويل]

و راعه في ظل غصن منوطه بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

و كان اجتماعهما في مسجد، فأقيمت الصلاة إثر فراغ ابن سراج من إنشاد البيت، فلما انقضت الصلاة قال له الوقشي: ألغز الشاعر باسم
أحمد، فالراعه الحاء، و الغصن كناية عن الألف، و اللؤلؤة الميم، و منقار الطائر الدال، فقال له ابن سراج: ينبغي أن تعيد الصلاة لشغل
خاطرك بهذا اللغز، فقال له الوقشي: بين الإقامة و تكبيره الإحرام فككته.

و البيت الأول لعبد الله بن الدمينه، و بعده: [الطويل]

و لو أنني أستغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

[من شعر أبي الحسن بن أضحى و الوزير أبو الحسن بن أضحى و بعض أخباره]

و قال الوزير أبو الحسن بن أضحى: [الطويل]

و مستشفع عندي بخير الورى عندي و أولاهم بالشكر منى و بالحمد

و صلت فلما لم أقم بجزائه لففت له رأسى حياء من المجد

و كان سبب قوله هذين البيتين أنه كتب إليه أحد الوزراء شافعا لأحد الأعيان، فلما وصل إليه برّه و أنزله و أعطاه عطاء استعظمه و
استجزله، و خلع عليه خلعا، و أطلعه من الأحمال بدرا لم يكن مطلعا، ثم اعتقد أنه قد جاء مقصيرا، فكتب إليه معتذرا بالبيتين، هكذا
حكاه الفتح، و قال بعد ذلك ما صورته: و من باهر جلاله، و طاهر خلاله، أنه أعف الناس بواطن، و أشرفهم في التقى مواطن، ما
علمت له صبوة، و لا حلت له إلى مستنكر حبوة، مع عدل لا شىء يعدله، و تحجب عما يتقى مما يرسل عليه حجابيه و يسدله، و كان

لصاحب البلد الذي كان يتولّى القضاء به ابن من أحسن الناس صورة، و كانت محاسن الأقوال و الأفعال عليه مقصورة، مع ما شئت من لسن، و صوت حسن، و عفاف، و اختلاط بالبهاء و التفاف، قال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٩٨

الفتح: و حملنا لإحدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر، أحسن من شادن مهر، تشقها جداول كالصلال؛ و لا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال، و معنا جملة من أعيانها، فأحضرنا من أنواع الطعام، و أرانا من فرط الإكرام و الإنعام، ما لا يطاق و لا يحدّ، و يقصر عن بعضه العدّ، و فى أثناء مقامنا بدا لى من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته، فقابلته بكلام أعتقده، و ملام أحقده، فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه، و لم أر منه ما عهدته من الإنابة، فكتبت إليه مداعبا له، فراجعنى بهذه القطعة: [الطويل]

أتنتى أبا نصر نتيجة خاطر سريع كرجع الطرف فى الخطرات

فأعربت عن وجد كمين طويته بأهيف طاو فاتر اللحظات

غزال أحّم المقلتين عرفته بخيف منى للحين أو عرفات

رماك فأصمى و القلوب رميته لكلّ كحيل الطرف ذى فتكات

و ظنّ بأنّ القلب منك محصّب فلنباك من عينيه بالجمرات

تقرّب بالنسّاك فى كلّ منسك و ضحى غداة النحر بالمهجات

و كانت له جيان مئوى فأصبحت ضلوعك مئواه بكلّ فلاة

يعزّ علينا أن تهيم فتنتوى كئيبا على الأشجان و الزّفات

فلو قبلت للناس فى الحبّ فديّة فديناك بالأموال و البشرات

و من إشار ديانتته، و علامه حفظه للشرع و صيانتته، و قصده مقصد المتورّعين، و جريه جرى المتشرعين، أنّ أحد أعيان بلده كان متّصلا به اتّصال الناظر بسواده، محتلا فى عينه و فواده، لا يسلمه إلى مكروه، و لا يفرد فى حادث يعروه، و كان من الأدب فى منزلة تقتضى إسعافه، و لا- تورده من تشفيعه فى مورد قد عافه، فكتب إليه ضارعا فى رجل من خواصه اختلط بمرأة طلقها، ثم تعلّقها، و خاطبه فى ذلك بشعر، فلم يسعفه، و كتب إليه مراجعا: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٩٩

ألا أيها السيد المجتبى و يا أيها الألمعى العلم

أتنتى أبياتك المحكمات بما قد حوت من بديع الحكم

و لم أر من قبلها مثلها و قد نفتت سحرها فى الكلم

و لكنه الدين لا يشتري بنثر و لا بنظام نظم

و كيف أبيع حمى مانعا و كيف أحلل ما قد حرم

ألست أخاف عقاب الإله و نارا مؤجّجة تضطرم

أأصرفها طالقا بتّه على أنوك قد طغى و اجترم

و لو أنّ ذاك الغوى الزرىّ تثبت فى أمره ما ندم

و لكنه طاش مستعجلا فكان أحقّ الورى بالندم

انتهى كلام الفتح الذى أردت جلبه هنا.

و لا خفاء أنّ هذه الحكاية ممّا يدخل فى حكايات عدل قضاة الأندلس.

و من نظم ابن أضحى المذكور ما كتب به إلى بعض من يعز عليه: [البيسط]

يا ساكن القلب رفقا كم تقطّعه الله في منزل قد ظلّ مثواكا
يشيد الناس للتحصين منزلهم و أنت تهدمه بالعنف عيناكا
والله والله ما حبى لفاحشة أعاذنى الله من هذا و عافاكا
و له في مثل ذلك: [البسيط]

روحي إليك فردّيه إلى جسدى من لى على فقده بالصبر و الجلد
بالله زورى كئيبا لا عزاء له و شرّ فيه و مثواه غداة غد
لو تعلمين بما ألقاه يا أملى بايعتنى الودّ تصفيه يدا بيد
عليك منى سلام الله ما بقيت آثار عينيك فى قلبى و فى كبدى
و إذ وصلت إلى هذا الموضع من كلام أهل الأندلس، فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الأندلس اللاتي لهنّ اليد الطولى فى
البلاغه، كى يعلم أنّ البراعة فى أهل الأندلس كالغريزة لهم، حتى فى نساءهم و صبيانهم.
نغم الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٠٠

فمن النساء المشهورات بالأندلس:

أم السعد بنت عصام الحميرى

من أهل قرطبة، و تعرف بسعدونته، و لها رواية عن أبيها و جدّها و غيرهما، كما حكاه ابن الأبار فى ترجمتها من «التكملة».

و أنشدت لنفسها فى تمثال نعل النبى صلى الله عليه و سلم تكملة لقول غيرها ما صورته: [السريع]

سألتم التمثال إذ لم أجد للثم نعل المصطفى من سبيل

لعلنى أحظى بتقبيله فى جنّه الفردوس أسنى مقيل

فى ظلّ طوبى ساكنا آمنا أسقى بأكواس من السلسيل

و أمسح القلب به علّه يسكن ما جاش به من غليل

فطالما استشفى بأطلال من يهواه أهل الحبّ فى كلّ جيل

و أنشدنى ابن جابر الوادى آشى عن شيخه المحدث أبى محمد بن هارون القرطبي لجدّته سعدونته، و أظنّها هذه: [مجزوء الكامل]

آخ الرجال من الأبا عد و الأقارب لا تقارب

إنّ الأقارب كالعقارب أو أشدّ من العقارب

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق، و رأيت نسبة البيتين لابن العميد، فالله أعلم.

و منهنّ حسنة التميمية بنت أبى المخشى الشاعر.

تأدبت و تعلّمت الشعر، فلمّا مات أبوها كتبت إلى الحكم، و هى إذ ذاك بكر لم تتزوج:

[البسيط]

إنى إليك أبا العاصى موجّعه أبا المخشى سقته الواكف الدّيم

قد كنت أرتع في نعماه عاكفة فالיום آوى إلى نعماك يا حكم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٠١
 أنت الإمام الذي انقاد الأنام له وملكته مقاليد النهى الأمم
 لا شيء أخشى إذا ما كنت لى كفا آوى إليه و لا يعرفونى العدم
 لا زلت بالعزة القعساء مرتديا حتى تذلل إليك العرب و العجم
 فلما وقف الحكم على شعرها استحسنته، و أمر لها بإجراء مرتب، و كتب إلى عامله على البيرة فجهّزها بجهاز حسن.
 و يحكى أنها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن لييد و الى البيرة، و كان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرير
 أملاكها، و حملها فى ذلك على البرّ و الإكرام، فتوسّلت إلى جابر بخطّ الحكم، فلم يفدها، فدخلت إلى الإمام عبد الرحمن، فأقامت
 بفنائها، و تلطّفت مع بعض نسائه، حتى أوصلتها إليه، و هو فى حال طرب و سرور، فانتسبت إليه، فعرّفها و عرف أباهما ثم أنشدته:
 [الطويل]

إلى ذى الندى و المجد سارت ركائبى على شحط تصلى بنار الهواجر
 ليجير صدعى إنه خير جابر و يمنعنى من ذى الظلامه جابر
 فإنى و أيتامى بقبضه كفه كذى ريش اضحى فى مخالبا كاسر
 جدير لمثلى أن يقال مروعة لموت أبى العاصى الذى كان ناصرى
 سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى على زمان باطش بطش قادر
 أيمحو الذى خطته يميناه جابر لقد سام بالأملاك إحدى الكبائر
 و لما فرغت رفعت إليه خطّ والده، و حكت جميع أمرها، فرق لها، و أخذ خطّ أبيه فقبله و وضعه على عينيه، و قال: تعدى ابن لييد
 طوره، حتى رام نقض رأى الحكم، و حسبنا أن نسلك سييله بعده، و نحفظ بعد موته عهده، انصرفى يا حسّانه، فقد عزلته لك، و وقع
 لها توقيع أبيه الحكم، فقبلت يده، و أمر لها بجائزة، فانصرفت و بعثت إليه بقصيدة منها:
 [البسيط]

ابن الهشامين خير الناس مأثره و خير منتجع يوما لرواد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٠٢
 إن هرّ يوم الوغى أثناء سعدته روى أنابيهها من صرف فرصاد
 قل للإمام أيا خير الورى نسبا مقابلا بين آباء و أجداد
 جودت طبعى و لم ترض الظلامه لى فهاك فضل ثناء رائح غاد
 فإن أقت ففى نعماك عاطفة و إن رحلت فقد زودتنى زادى

و منهنّ أم العلاء بنت يوسف الحجارية.

ذكرها صاحب «المغرب» و قال: إنها من أهل المائة الخامسة، و من شعرها: [الرملى]
 كلّ ما يصدر منكم حسن و بعلياكم تحلى الزمن
 تعطف العين على منظركم و بذكراكم تلذ الأذن
 من يعيش دونكم فى عمره فهو فى نيل الأمانى يغبن

و عشقها رجل أشيب، فكتبت إليه: [السريع]
 الشيب لا يخدع فيه الصبا بحيلة فاسمع إلى نصحي
 فلا تكن أجهل من فى الورى يبيت فى الجهل كما يضحى
 و لها أيضا: [البسيط]

افهم مطارح أحوالى و ما حكمت به الشواهد و اعذرني و لا تلم
 و لا تكلني إلى عذر أئبته شرّ المعاذير ما يحتاج للكلم
 و كل ما جتته من زلّة فيما أصبحت فى ثقة من ذلك الكرم
 و الحجارية- بالراء المهملة- نسبة إلى وادى الحجاره.

و منهن أمة العزيز.

قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية فى كتاب «المطرب، من أشعار المغرب»: أنشدتني أخت جدى الشريفه الفاضله أمة العزيز الشريفه الحسينيه لنفسها: [السريع]

لحاظكم تجرحنا فى الحشا و لحظنا يجرحكم فى الخدود
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٠٣
 جرح بجرح فاجعلوا ذا بدا فما الذى أوجب جرح الصدود

قلت: هذا السؤال يحتاج إلى جواب، و قد رأيت لبلدنا القاضى الإمام الفاضل أبى الفضل قاسم العقبانى التلمسانى رحمه الله تعالى جوابه؛ و الغالب أنه من نظمه، و هو قوله:

[السريع]

أوجبه منى يا سيدى جرح بخدّ ليس فيه الجحود
 و أنت فيما قلته مدّع فأين ما قلت و أين الشهود

و منهن أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المريّة.

قال ابن سعيد فى «المغرب»: كانت تنظم الشعر، و عشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار، و عملت فيه الموشحات، و من شعرها فيه: [السريع]

يا معشر الناس ألا فاعجبوا ممّا جنته لوعه الحبّ
 لولاه لم ينزل بيدر الدجى من أفقه العلوى للترب
 حسبى بمن أهواه لو أنه فارقتى تابعه قلبى

و منهن الشاعرة الغسانية البجانية

- بالنون- نسبة إلى بجائه، و هى كورة عظيمة، و تشتهر بإقليم المريّة، و هى من أهل المائة الرابعة، فمن نظمها من أبيات: [الطويل]

عهدتهم و العيش في ظلّ وصلهم أنيق و روض الوصل أخضر فينان
ليالى سعد لا يخاف على الهوى عتاب و لا يخشى على الوصل هجران
و منهنّ العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب.
سكنت بلنسية، و كانت قد أخذت عن مولاها النحو و اللغة، لكنها فاقتة في ذلك، و برعت في العروض، و كانت تحفظ «الكامل»
للمبرد و «النوادر» للقالى و تشرحهما؛ قال أبو داود سليمان بن نجاح: قرأت عليها الكتابين، و أخذت عنها العروض، و توفيت بدانية
بعد سيّدها في حدود الخمسين و الأربعمائه، رحمها الله تعالى!
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٠٤

و منهنّ حفصة بنت الحاج الركونية

الشاعرة الأديبة المشهورة بالجمال، و الحسب و المال.
ذكرها الملاحى فى تاريخه، و أنشد لها ممّا قالته فى أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ارتجالا بين يديه: [المجتث]
يا سيّد الناس يا من يؤمّل الناس رفته
امنن علىّ بطرس يكون للدهر عدّه
تخطّ يمناك فيه: الحمد لله وحده
و أشارت بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحّدين، فإنه كانت أن يكتب السلطان بيده بخطّ غليظ فى رأس المنشور «الحمد لله
وحده».

و تذكّرت بذلك، و الشىء بالشىء يذكر، أنه لَمّا قفل السلطان الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير
المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن على سلطان المغرب و الأندلس من إفريقية سنة ثلاث و ستمائة بعد فتح المهديّة هنّأته الشعراء
بذلك، ثم اجتمع أبو عبد الله بن مرج الكحل بالشعراء و الكتاب، فتذكّروا الفتح و عظمه، فأنشدهم ابن مرج الكحل فى الوقت لنفسه:
[الطويل]

و لَمّا توالى الفتح من كلّ وجهه و لم تبلغ الأوهام فى الوصف حدّه
تركنا أمير المؤمنين لشكره بما أودع السرّ الإلهيّ عنده
فلا نعمه إلّا تؤدى حقوقها علامته بالحمد لله وحده
فاستحسن الكتاب له ذلك، و وقع أحسن موقع.

و حكى صاحب كتاب «روح الشعر، و روح السحر» و هو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهرى أن أمير المؤمنين يعقوب
المنصور لَمّا قفل من غزوة الأراكة المشهورة، و كانت يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة إحدى و تسعين و خمسمائة، ورد عليه الشعراء من
كل قطر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٠٥
يهنّونه، فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كلّ إنسان قصيدته، بل كان يختصّ منها بالإنشاد البيتين أو الثلاثة المختارة، فدخل أحد الشعراء
فأنشده: [البسيط]

ما أنت فى أمراء الناس كلّهم إلّا كصاحب هذا الدّين فى الرّسل
أحييت بالسيف دين الهاشميّ كما أحياه جدّك عبد المؤمن بن على

فأمر له بألقى دينار، و لم يصل أحدا غيره لكثرة الشعراء، و أخذ بالمثل «منع الجميع، أرضى للجميع» قال: و انتهت رفاع القصائد و غيرها إلى أن حالت بينه و بين من كان أمامه لكثرتها، انتهى.
رجع إلى أخبار حفصة:

و أنشد لها أبو الخطاب في «المطرب» قولها: [الطويل]

ثنائي على تلك الثنايا لأننى أقول على علم و أنطق عن خبر
و أنصفها، لا أكذب الله، إننى رشفت بها ريقا أرق من الخمر
و تولّع بها السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن ملك غرناطة، و تغير بسببها على أبى جعفر بن سعيد، حتى أدى تغيره عليه أن قتله. و طلب
أبو جعفر منها الاجتماع، فمطلته قدر شهرين، فكتب لها: [المجث]

يا من أجانب ذكر اسمه و حبى علامه

ما إن أرى الوعد يقضى و العمر أخشى انصرامه

اليوم أرجوك لا أن تكون لى فى القيامة

لو قد بصرت بحالى و الليل أرخى ظلامه

أنوح شوقا و جدا إذ تستريح الحمامه

صبّ أطال هواه على الحبيب غرامه

لمن يتيه عليه و لا يردّ سلامه

إن لم تنيلى أريحى فاليأس يثنى زمامه

فأجابته: [المجث]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٠٦

يا مدعى فى هوى الحسن و الغرام الإمامه

أتى قريضك، لكن لم أرض منه نظامه

أمدعى الحب يثنى يأس الحبيب زمامه

ضللت كلّ ضلال و لم تفدك الزعامه

ما زلت تصحب مذكت فى السباق السلامه

حتى عثرت و أخجلت بافتضاح السّامه

بالله فى كلّ وقت يبدى السحاب انسجامه

و الزهر فى كلّ حين يشق عنه كمامه

لو كنت تعرف عذرى كفتت غرب الملامه

و وجهت هذه الأبيات مع موصل أبياته، بعد ما لعنته و سبته، و قالت له: لعن الله المرسل و المرسل! فما فى جميعكما خير، و لا لى
برؤيتكما حاجه، و انصرف بغايه من الخزى، و لمّا أطلّ على أبى جعفر و هو فى قلق لانتظاره قال له: ما وراءك يا عصام؟ قال: ما
يكون وراء من وجهه خلف إلى فاعله تاركه، اقرأ الأبيات تعلم، فلمّا قرأ الأبيات قال للرسول: ما أسخف عقلك و أجهلك! إنها
وعدتنى للقيّة التى فى جنّتى المعروفة بالكمامه، سر بنا، فبادروا إلى الكمامه، فما كان إلّا قليلا، و إذا بها قد وصلت، و أراد عتبها،
فأنشدت: [الوافر]

دعى عدّ الذنوب إذا التقينا تعالى لا نعدّ و لا تعدّى

و جلسا على أحسن حاله، و إذا برقعهُ الكتندى الشاعر لأبى جعفر، و فيها: [الطويل]

أبا جعفر، يا ابن الكرام الأماجد خلوت بمن تهواه رغما لحاسد

فهل لك فى خلّ قنوع مهذب كتوم عليم باختفاء المراسد

يبيت إذا يخلو المحبّ بحبه ممّع لذات بخمس و لائد

فقرأها على حفصه، فقالت: لعنة الله! قد سمعنا بالوارش على الطعام و الواغل على الشراب، و لم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين

فيروم الدخول عليهما، فقال لها: بالله سمّيه لنكتب له بذلك، فقالت: أسميه الحائل؛ لأنه يحول بينى و بينك إن وقعت عيني عليه،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٠٧

فكتب له فى ظهر رقعة: [المجتث]

يا من إذا ما أتانى جعلته نصب عيني

تراك ترضى جلوسا بين الحبيب و بينى

إن كان ذاك فماذا تبغى سوى قرب حيني

و الآن قد حصلت لى بعد المطال بديني

فإن أتيت فدفعنا منها بكلتا اليدين

أو ليس تبغى و حاشا ك أن ترى طير بين

و فى مبيتك بالخم س كلّ قبح و شين

فليس حقّك إلّا ال خلوّ بالقميرين

و كتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام، و ذيل ذلك بقوله: [مجزوء الكامل]

سماك من أهواه حائل إن كنت بعد العتب واصل

مع أنّ لونك مزعج لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع إليه الرسول و جده قد وقع بمطمورة نجاسة، و صار هتكه، فلما قرأ الأبيات قال للرسول: أعلمها بحالى، فرجع الرسول، و

أخبرهما بذلك، فكاد أن يغشى عليهما من الضحك، و كتب إليه ارتجالا كلّ واحد بيتا بيتا، و ابتداء أبو جعفر فقال: [مجزوء الرجز]

قل للذى خلّصنا منه الوقوع فى الخرا

ارجع كما شاء الخرا يا ابن الخرا إلى ورا

و إن تعد يوما إلى وصالنا سوف ترى

يا أسقط الناس و يا أندلهم بلا مرا

هذا مدى الدهر تلاقى لو أتيت فى الكرا

يا لحيه تشغف فى ال خراء و تشنا العنبرا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٠٨

لا قرب الله اجتمعا عا بك حتى تقبرا

و من شعرها: [المتقارب]

سلام يفتّح فى زهره ال كمام و ينطق ورق الغصون

على نازح قد ثوى فى الحشا و إن كان تحرم منه الجفون

فلا تحسبوا العبد ينساكم فذلك و الله ما لا يكون

و قولها من أبيات: [الطويل]

و لو لم يكن نجما لما كان ناظري و قد غبت عنه مظلما بعد نوره

سلام على تلك المحاسن من شج تناءت بنعماه و طيب سروره

و قولها: [الطويل]

سلوا البارق الخفّاق و الليل ساكن أظّل بأحبابي يدكرني و هنا

لعمري لقد أهدى لقلبي خفته و أمطرني منهلّ عارضه الجفنا

و نسب بعض إليها البيتين المشهورين: [الوافر]

أغار عليك من عيني رقيبى و منك و من زمانك و المكان

و لو أنى خباتك فى عيوني إلى يوم القيامة ما كفانى

و الله تعالى أعلم.

و كتبت إلى أبى جعفر: [الطويل]

رأست فما زال العداة بظلمهم و علمهم النامى يقولون ما رأس

و هل منكر أن ساد أهل زمانه جموح إلى العليا حرون عن الدنس

و قال ابن دحية: حفصة من أشرف غرناطة، رخيمة الشعر، رقيقة النظم و النثر، انتهى.

و من قولها فى السيد أبى سعيد ملك غرناطة تهنئة بيوم عيد، و كتبت بذلك إليه:

[الكامل المجزوء]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٠٩

يا ذا العلا و ابن الخلى فة و الإمام المرتضى

يهنيك عيد قد جرى فيه بما تهوى القضا

و أتاك من تهواه فى قيد الإنابة و الرضا

ليعيد من لذاته ما قد تصرّم و انقضى

و ذكر الملاحى فى تاريخه أنها سألتها امرأة من أعيان أهل غرناطة أن تكتب لها شيئا بخطها، فكتبت إليها: [البسيط]

يا ربّه الحسن، بل يا ربّه الكرم غضى جفونك عمّا خطه قلمى

تصفّحيه بلحظ الودّ منعمة لا تحفلى بردىء الخطّ و الكلم

و اتفق أن بات أبو جعفر بن سعيد معها فى بستان بحور مؤمل، على ما يبىت به الروض و النسيم، من طيب النفحة و نضارة النعيم، فلما

حان الانفصال، قال أبو جعفر و كان يهواها كما سبق: [الطويل]

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم عشية و ارانا بحوز مؤمل

و قد خفقت من نحو نجد أريجة إذا نفحت هبت برّيا القرنفل

و غرد قمرى على الدّوح و اثنى قضيب من الريحان من فوق جدول

يرى الروض مسرورا بما قد بدا له: عناق و ضمّ و ارتشاف مقبل

و كتب بها إليها بعد الافتراق، لتجيبه على عاداتها فى مثل ذلك، فكتبت إليه بقولها:

[الطويل]

لعمرك ما سرّ الرياض بوصلنا و لكنه أبدى لنا الغلّ و الحسد

و لا صَفَّقَ النهر ارتياحا لقربنا و لا غَرَّدَ القمريّ إلّا لما وجد
فلا تحسن الظنّ الذي أنت أهله فما هو في كلّ المواطن بالرّشد
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمر سوى كيما تكون لنا رصد

و قال ابن سعيد في «الطالع السعيد»: كتبت حفصة الركونية إلى بعض أصحابها: [الوافر]

أزورك أم تزور؟ فإنّ قلبى إلى ما تشتهى أبدا يميل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١١٠

فثغرى مورد عذب زلال و فرع ذؤابتى ظلّ ظليل

و قد أملت أن تظما و تضحى إذا وافى إليك بى المقيّل

فعبّجّل بالجواب فما جميل إباؤك عن بثينة يا جميل

قال التجانى: تشبه أبيات حفصة هذه أبيات أنشدها ابن أبى الحصين فى تاريخه لسلمى بنت القراطيسى من أهل بغداد، و كانت مشهورة بالجمال، و هى: [الوافر]

عيون مها الصريم فداء عينى و أجياد الظباء فداء جيدي

أزّين بالعقود و إنّ نحري لأزين للعقود من العقود

و لا أشكو من الأوصاب ثقلا و تشكو قامتى ثقل النهود

و بلغت هذه الأبيات المقتفى أمير المؤمنين فقال: اسألوا هل تصدق صفتها قولها؟

فقالوا: ما يكون أجمل منها، فقال: اسألوا عن عفافها، فقالوا له: هى أعفّ الناس، فأرسل إليها مالا جزيلا، و قال: تستعين به على صيانته جمالها، و رونق بهجتها، انتهى.

رجع إلى حفصة- و قال أبو جعفر بن سعيد: أقسم ما رأيت و لا سمعت بمثل حفصة، و من بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمى، و برّ قسمى، أنى كنت يوما فى منزلى مع من يحبّ أن يخلّى معه من الأجواد الكرام على راحة سمحت بها غفلات الأيام، فلم نشعر إلّا بالباب يضرب، فخرجت جارية تنظر من الضارب، فوجدت امرأة، فقالت لها: ما تريدين؟

ادفعى لسيدك هذه الرقعة، فجاءت برقعة فيها: [الخفيف]

زائر قد أتى بجيد الغزال مطلع تحت جناحه للهِلال

بلحاظ من سحر بابل صيغت و رضاب يفوق بنت الدّوالى

يفضح الورد ما حوى منه خدّ و كذا الثغر فاضح للآلى

ما ترى فى دخوله بعد إذن أو تراه لعارض فى انفصال

قال: فعلمت أنها حفصة، و قمت مبادرا للباب، و قابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه و آدابه و الغرام به و تفضّله بالزيارة دون طلب فى وقت الرغبة فى الأنس به، انتهى.

[أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى]

قلت: و إذ قد جرى ذكر أبى جعفر بن سعيد سابق الحلبه فلنلمّ ببعض أحواله فنقول: هو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١١١

أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى، قال قريه أبو الحسن على بن موسى بن سعيد فى «المغرب»: سمعت أبى يقول: لا أعلم فى بنى سعيد أشعر منه، بل لا أعلم فى بلده، و عشق حفصة شاعرة الأندلس، و كانا يتجاوبان تجاوب الحمام، و لمّا استبدّ والده

بأمر القلعة حين ثار أهل الأندلس بسبب صولة بني عبد المؤمن على الملتئمين اتخذه وزيرا، واستنابه في أموره، فلم يصبر على ذلك، واستعفى، فلم يعفه، وقال: أفي مثل هذا الوقت الشديد تركز إلى الراحة؟ فكتب إليه: [المجتث]

مولاي، في أي وقت أنال في العيش راحه
إن لم أنلها و عمرى ما إن أنار صباحه
و للملاح عيون تميل نحو الملاحه
و كأس راحى ما إن تملّ منى راحه
و الخطب عنى أعمى لم يقترب لى ساحه
و أنت دونى سور من العلا و الرجاحه
فأعفى و أقلنى ممّا رأيت صلاحه
ما فى الوزاره حظّ لمن يريد ارتياحه
كلّ و قال و قيل مما يطيل نباحه
أنسى أتى مستغيثا فاترك فديت سراحه

فلما قرأ الأبيات قال: لا ينفع الله بما لا يكون مركبا في الطبع مائله له النفس، ثم وقع على ظهر ورقته: قد تركنا سراح أنسك، و ألحقنا يومك بأمسك. و لما رجع ثوار الأندلس إلى عبد المؤمن و بايعه عبد الملك بن سعيد فغمره إحسانا و برأ، و ولى السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غرناطة طلب كاتباً من أهلها، فوصف له فضل أبي جعفر و حسبه و أدبه، فاستكتبه، فطلب أن يعفيه، فأبى إلى أن شرب أبو جعفر يوماً مع بعض خواصه، و خرج ثانياً يوم إلى الصيد و كان اليوم ذا غيم و برد، و لما اشتدّ البرد مالوا إلى خيمة ناطور، و جعلوا يصطلون و يشربون على ما اصطادوا، فحمل أبا جعفر بقيّة السكر على أن قال يصف يومه، و يستطرد بما فى نفسه: [الطويل]

و يوم تجلّى الأفق فيه بعنبر من الغيم لذنا فيه باللهو و القنص

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١١٢

و قد بقيت فينا من الأمس فضلة من السكر تغرينا بمنتهب الفرص
ركبنا له صباحا و ليلا و بعضنا أصيلا و كلّ إن شدا جليجل رقص
و شهب بزاة قد رجمننا بشهبها طورا يساغ اللهو إن شكت الغصص
و عن شفق تغرى الصباح أو الدجى إذا أوثقت ما قد تحرّك أو قمص
و ملنا و قد نلنا من الصيد سؤلنا على قنص اللذات و البرد قد قرص
بخيمة ناطور توسط عذبها جحيم به من كان عذب قد خلص
أدرنا عليه مثله ذهبيّة دعتة إلى الكبرى فلم يجب الرخص
فقل لحريص أن يرانى مقيدا بخدمته: لا يجعل الباز فى القفص
و ما كنت إلّا طوع نفسى فهل أرى مطيعا لمن عن شأو فخرى قد نقص

فكان من أصحابه من حفظ هذين البيتين، و وشى بهما للسيد، فعزله أسوأ عزل، ثم بلغه بعد ذلك أنه قال لحفصة الشاعرة: ما تحيين فى ذلك الأسود و أنا أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه؟ و كان لونه مائلا إلى السواد، فأسرّها فى نفسه إلى أن فرّ عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد إلى ملك شرق الأندلس محمد بن مردنيش، فوجد له بذلك سببا، فقتله صبيرا بمالقة.

و كان عبد الملك بن سعيد يذكر ابنه أبا جعفر لعبد المؤمن، و ينشده من شعره رغبة فى تشريفه بالحضور بين يديه و إنشاده فى مجلسه، فأمره بحضوره، فعندما دخل عليه قبل يده و أنشد قصيدة منها قوله: [الوافر]

عليك أحالني داعي النجاح و نحوك حثني حادي الفلاح
و كنت كساهر ليلا طويلا ترنح حين بشر بالصباح
و ذى جهل تغلغل في قفار شكا ظمأ فدل على القراح
دعانا نحو وجهك طيب ذكر و يذكر للرياض شذا الرياح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١١٣
و له في غلام أسود ساق، ارتجالا: [الطويل]
أدار علينا الكأس ظبي مهفهف غدا نشره و اللون للعنبر الشحري
و زاد لنا حسنا بزهر كؤوسه و حسن ظلام الليل بالأنجم الزهر
و قوله فيه و قد لبس أبيض: [المتقارب]
و غصن من الآبنوس ارتدى بعاج كليل علاه فلق
يحاكي لنا الكأس في كفه صباح بجنح علاه شفق
و قوله ممّا كتب به إلى أخيه محمد و قد ورد منه كتاب بإنعام: [المجتث]
وإني كتابك ينبى عن سابغ الإنعام
فقلت درّ و درّ من زاخر و غمام
و قوله يذم حمّاما: [السريع]
يا ربّ حمّام لعنّا بما أبدى إلينا كلّ حمّام
أفق له قطر حميم كما أصمت سهام من يدي رامى
يخرق سحبا للدخان الذى لاح كغيم العارض الهامى
و قيم يجذبني جذبة و تارة يكسر إبهامى
و يجمع الأوساخ من لؤمه فى عضدى قصدا لإعلامى
و ازدحم الأندال فيه و قد ضجّوا ضجيجا دون إفهام
و جملة الأمر دخلنا بنى سام و عدنا كبنى حام
و له فى ضدّ ذلك، و النصف الأخير لابن بقى: [البسيط]
لا أنس ما عشت حمّاما ظفرت به و كان عندى أحلى من جنى الظفر
نعمت جسمى فى ضدّين مغتتما تنعم الغصن بين الشمس و المطر
و قال له السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن، صاحب غرناطة: ما أنت إلّا حسن الفراسة، وافر العقل، فقال: [الطويل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١١٤
نسبتم لمن هدّبتموه فراسة و عقلا و لولاكم للازمه الجهل
و ما هو أهل للثناء و إنما علاكم لتقليد الأيادى له أهل
و ما أنا إلّا منكم و إليكم و ما فى من خير فأنتم له أصل
و قال: [الطويل]
و لمّا رأيت السعد فى صفح وجهه منيرا دعانى ما رأيت إلى الشكر
و أقبل يبدى لى غرائب نطقه و ما كنت أدرى قبله منزع السحر

فأصغيت إصغاء الجديب إلى الحيا و كان ثنائي كالرياض على القطر

و له: [المجتث]

لا تكثرن عتابي إن طال عنك فراقى

فما يضرّ بعاد يطول و الودّ باقى

و له: [الخفيف]

ما خدمناكم لأن تشفعوا فى نا بدار الجزاء يوم الحساب

ذاك يوم أنا و أنت سواء فيه، كلّ يخاف سوء العقاب

إنما الشأن الذبّ فى هذه الدن يا بسلطانكم عن الأصحاب

و إذا ما خذلتموهم بشكوى و بخلتم عنهم برّد الجواب

فاعذروهم أن يطلبوا من سواكم نصره و ارفعوا حجال العتاب

و إذا أرض مجذب لفظته فله العذر فى اتباع السحاب

و له و قد تقدّم أمامه فى ليله مظلمه أحد أصحابه، فطفىء السراج فى يده، و فقال لوقته:

[المجتث]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ١١٤

لى من جبينك هادى فى الليل نحو مرادى

فما أريد سراجا يدلّنى لرشاد

أنى و كفّك سحب يبدو بها ذا اتقاد

و له فى قوادة: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١١٥

قوادة تفخر بالعار أقود من ليل على سار

ولّاجه فى كلّ دار و ما يدرى بها من حذقها دارى

ظريفه مقبولة الملتقى خفيفه الوطء على الجار

لحافها لا ينطوى دائما أقلق من رايه بيكار

قد ربيت مذ عرفت نفعها ما بين فتّاك و شطار

جاهله حيث ثوى مسجد عارفه حانه خمّار

بسامة مكثرة بزها ذات فكاهات و أخبار

علم الرياضات حوته و ساسته بتقويم و أسحار

متاعه للنعل من كيسها موسره فى حال إعسار

تكاد من لطف أحاديثها تجمع بين الماء و النار

و ما سمعنا فى هذا الباب أحسن من هذا، و البيت السائر: [الوافر]

تقود من السياسة ألف بغل إذا حزنت بخيط العنكبوت

و شرب ليله مع أصحاب له و فيهم و سيم، فأعرض بجانبه و قطّب، فتكدر المجلس، فقال أبو جعفر: [السريع]

يا من نأى عنّا إلى جانب صدّا كميل الشمس عند الغروب

لا تزو عَنَّا وجهك المجتلى فالشمس لا يعهد منها قطوب
 إن دام هذا الحال ما بيننا فإننا عمَّا قليل نتوب
 ما نشتكى الدهر و لا خطبه لولاك ما دارت علينا خطوب
 و له أيضا: [الطويل]

أيا لائمي في حمل صحبة جاهل قطوب المحيّا سيء اللحظ و السّمع
 لمنفعة ترجى لديه صحبته و إن كان ذا طبع يخالفه طبعي
 كما احتمل الإنسان شرب مرارة ال دواء لما يرجو لديه من النفع
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١١٦
 و له، و قد أحسن ما شاء: [الطويل]

تركتكم لا كارها في جنابكم و لكن أبي ردّي إلى بابكم دهري
 و ما باختيار فارق الخلد آدم تنقلني من كلّ سهل إلى وعر
 و ما باختيار فارق الخلد آدم و ما عن مراد لاذ أيوب بالصبر
 و لكنها الأيام ليست مقيمة على ما اشتهاه مشته أمد العمر
 و إنك إن فكرت فيما أتيته تيقنت أن التّرك لم يك عن غدر
 و لكن لجاج في النفوس إذا انقضى رجعت كما قد عاد طير إلى وكر
 و إني لمنسوب إليكم و إن نأت بي الدار عنكم و الغدير إلى القطر
 و إني لمثن بالذي نلت منكم مقيم على ما تعلمون من البرّ
 و إن خنتكم يوما فخانتني المنى و ساء لديكم بعد إحماده ذكرى
 على أنني أقررت أنني مذنب و ذو المجد من يغني المقرّ عن العذر
 و له يصف نارا: [الطويل]

نظرت إلى نار تصول على الدّجى إذا ما حسبناها تدانت تبعد
 ترفعها أيدي الرياح، و تارة تخفضها مثل المكبر يسجد
 و إلّا فمن لا يملك الصبر قلبه يقوم به غيظ هناك و يقعد
 لها ألسن تشكو بها ما أصابها و قد جعلت من شدّة القرّ ترعد
 و له على لسان إنسان أخلقت بردته: [السريع]

مولاي، هذى بردتي أخلقت و ليس شيء دونها أملك
 و صرت من بأس و من فاقة أبكى إذا أبصرتها تضحك
 و له يستدعي أحد أبناء الرؤساء إلى يوم اجتماع: [الوافر]

تداركنا فإننا في سرور و ما بسواك يكتمل السرور
 أهلة أنسنا بك في تمام أليس تتم بالشمس البدور
 و له، و قد خطر على منزله من إليه له ميل، و قال: لو لا أخاف التثقيب لدخلت،
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١١٧
 و انصرف، فلما علم أبو جعفر كتب إليه: [السريع]

مولاي، لم تقصد تعذيب من يهوى و ما قصدك مجهول

طلبت تخفيفا بعدد و في تخفيف من نهواه تثقيل

غيرك إن زار جنى ضجرة ولج منه القال و القيل

و أنت إن زرت حياة و ما ال عيش إذا ما طال مملول

و له، و قد جلس إلى جانبه رجل تكلم فأنبا عن علو قدر، فسأله عن بلده، فقال:

إشيلة، ففكر ثم قال: [البسيط]

يا سيدا لم أكن من قبل أعرفه حتى تكلم مثل الروض بالعبق

و زادني أن غدا في حمص منشؤه لقد تشاكل بين البدر و الأفق

و له، و قد حضر مجلسا مع إخوان له في انبساط و مزاح، فدخل عليهم أحد ظرفاء الغرب بوجه طلق و بشاشة، فاهترّ لما سمع بينهم، و

جعل يصل ما يحتاج من مزاحهم إلى صلة بأحسن منزع و أنبل مقصد، فأنشده أبو جعفر ارتجالا: [السريع]

يا سيّدا قد ضمّه مجلس حلّ به للمزح إخوان

لم نلق من فجأته خجله و لا ثنانا عنه كتمان

كأنه من جمعنا واحد لم ينب منّا عنه إنسان

و لم نكن ندرية لكن بدا في وجهه للظرف عنوان

و له، و قد لقي أحد إخوانه، و كان قد أطل الغيبة عنه، فدار بينهما ما أوجب أن قال:

[الكامل]

إن لحت لم تلمح سواك الأعين أو غبت لم تذكر سواك الألسن

أنت الذي ما إن يملّ حضوره و مغيبه السلوان عنه يؤمن

و له، و هو من آياته: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١١٨

إني لأحمد طيفها و ألومها و الفرق بينهما لدى كبير

هي إن بدت لى شبيهة في جفوة و الطيف في حين المشيب يزور

و إذا توالى صدها أو بينها وافي على أن المزار عسير

و له، و قد سافر بعض الأراذل بماله، فنكب في سفره، و عاد فقيرا بأسوا أحواله:

[البسيط]

اغد و لا يغن عنك القيل و القال فالجود مبتسم و الفضل يختال

قالوا فلان رماه الله في سفر رآه رأيا بما حالت به الحال

فآب منه سلبيا مثل مولده عليه ذلّ و تفجيع و إقلال

فقلت لا خفف الرحمن عنه، فلم يكن لديه على القصاد إقبال

فقل له دام في ذلّ و مسغبة و لا أعيدت له في المآل آمال

قد كان حمقك حسن المال يستره فاليوم أصبحت لا عقل و لا مال

و له، و قد سافر أحد الرؤساء من أصحابه: [المتقارب]

أيا غائبا لم يغب ذكره و لا حال عن ودّه حائل

لئن مال دهرى بى عنكم فقلبى نحوكم مائل
فإنى شاهدت منكم علا من العجز قسّ بها باقل
لئن طال بى البعد عن لحظكم فما فى حياتى إذن طائل
وله، و هو من حسناته: [السريع]

شقت جيوب فرحا عندما آبت، و فى البعد تشقّ القلوب
فقلت هذا موقف ما يشقّ ق الجيب فيه غير صبّ طروب
فابتسمت زهوا وقالت كذا ال أفق لعود الشمس شقّ الجيوب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١١٩

وله، وقد أجمع رأيه على أن يفد على أمير المؤمنين عبد المؤمن، فأخذ فى ذلك مع أصحاب له فجعلوا يثنونه عن ذلك، و ظهر
عليهم الحسد له، فقال: [السريع]

سر نحو ما تختار لا تسمع ما قاله زيد و لا عمرو
كلهم يحسد ما رمته مهما يساعد رأيك الدهر
عجبت ممن رام صدر العلا يروم أن يصفو له دهر
فقالوا له: اتهمتنا فى الودّ، فقال: لو لم أتهمكم كنت أتهم عقلى، و العياذ بالله تعالى من ذلك، و كيف لا أتهمكم و قد غدوتم تثنونى
عن زيارة خليفة لوالدى عنده مكان، و له علينا إحسان، ولى شافع عنده مقرب لمجلسه عقلى و لسانى، و لكنى أنا المخطئ الذى
عدلت عن العمل بقول القائل: [الطويل]

و لم يستشر فى أمره غير نفسه و لم يرض إلّا قائم السيف صاحباً
و له فى شعاع الشمس و القمر على النهر: [الطويل]
ألا حبذا نهر إذا ما لحظته أبى أن يرّد اللحظ عن حسنه الأوس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به يفصّضه بدر و تذهبه شمس
و له فى والده و قد شن عليه درعا: [الطويل]

أيا قائد الأبطال فى كلّ وجهه تطير قلوب الأسد فيها من الدّعر
لقد قلت لما أن رأيتك دارعا أيا حسن ما لاح الحباب على البحر
و أنشدت و الأبطال حولك هاله أيا حسن ما دار النجوم على البدر
و قوله، و قد بلغه أنّ حاسدا شكره: [المجتث]

متى سمعت ثناء عمّن غدا لك حاسد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٢٠

فكان منك انخداع به فرأيك فاسد

بصدره منك نار لهيبها غير خامد

و غلّه لك ما زدت فى السعادة زائد

و إنما ذاك منه كالحبّ فى فحّ صائد

وله: [مخلع البسيط]

أبصره من يلوم فيه فقال ذا فى الجمال فائق

أما ترى ما دهيت منه كان عدولا فصار عاشق
و له فى أبيه، و قد سجنه عبد المؤمن: [الكامل]
مولاي، إن يحبسك خير خليفه فبذاك فخر ك و اعتلاء الشان
فالجفن يحبس نوره من غبطه و المرهفات تصان فى الأجفان
فابشر فنزع الدر من أصدافه يعليه للأسلاك و التيجان
و لئن غدا من ظلّ دونك مطلقا إنّ القذى ملقى عن الأجفان
و العين تحبس دائما أجفانها و هداية الإنسان بالإنسان
و الطرس يختم ما حواه نفاسة و يهان ما يبدو من العنوان
فاهنا به لكن مليا مكثه سجننا لغير مدله و هوان
فلتعلون رغم الأعداى بعده بذرى الخليفة فى ذرى كيوان
مولاي غيرك يعزى بما لم يزل يجرى على الكرام، و يذكر تأنيسا له فى الوحشة بما يطرأ من الكسوف و الخسوف على الشمس
المنيرة و البدر التمام: [الوافر]
و أنت تعلم الناس التعزى و خوض الموت فى الحرب السجال
و قد كان مولاي أنشدنى لعلى بن الجهم قائلا: إن أحدا لم يسئل نفسه عمّا ناله من السجن بمثله: [الكامل]
قالوا سجنتم فقلت ليس بضائر سجنى، و أى مهتد لا يغمد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٢١
الآيات، و ما ذا تفيدك من العلم و صدرك ينبوعه، و بخاطر ك لا يزال غروبه و طلوعه، و إنما هى عادة تبعناها أدبا، و قضينا بها ما
فى النفس من الإعلام بالتوجع و التفجع أربا، و لعلّ الله تعالى يتبع هذه التسليّة بتهنئة، و يعقب بالنعمة هذه المرزئة. قال: فأمر الملك
بتسريحه أثر ذلك، فلما اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد الله تعالى جهرا و يغزّد بهذه الآيات، و كان سراحه بكرة: [الطويل]
طلعت علينا كالغزاة بالضحي و عزك طمّاح و وجهك مشرق
فغفرا لذنب الدهر أجمع إنه أتى اليوم من حسناه ما هو أليق
فلح فى سماء العزّ بالسعد طالعا و قدرك سام أفقه ليس يلحق
فقد سرحت لّما غدوت مسرّحا قلوب و أفكار و سمع و منطق
فاهترّ أبوه من شدة الطرب، و قال له: و الله إنك لتملأ الدلو إلى عقد الكرب.
و له يعتذر، و قد دعى إلى مجلس أنس: سيدى، ساعدك سولك، لّما وصل إلى أخيك المعتدّ بك رسولك، قابله بما يجب من
القبول، و أبدى له من الشغل ما منع من الوصول: [الطويل]
و من ذا الذى يدعى لعن فلا يرى على الرأس إجلالا إليها يبادر
و لكن الاضطرار، لا يكون معه اختيار، و إنى لأشوق الناس إلى مشاهدة تلك المكارم، و أحبهم فى محاضرة تلك الآداب المترادفة
ترادف الغمائم، و لكن شغلنى عارض قاطع، و برغمى أنى لدعوتك عاص و له طائع، و إنى بعد ذلك لحامل على تلك السجية
الكريمة فى الغفران، مستجير بالخلاص الذى أعهد من خرق فلان و مكر فلان، فإنى متى غبت لا أعدم مترصدا قرحة يقع عليها ذبابه،
و مستجمعا إذا أبصر فرصة سلّ عليها ذبابه: [الطويل]
و لكننى أدرى بأنى نازح و دان سواء عند من يحفظ العهدا
و إنى لأقول و قد غبت عن تلك الحضرة العلية، و جانبت ذلك الجناب السامى و المثابة الستية: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٢٢
لئن غبت عَمَّن نوره نور ناظري فحسبى لديه أن أغيب عقابا
و سوف أوافيه مقراً بزلتى و فى حلمه أن لا يطيل حسابا
و له فى قصر النهار، و لو لم يكن له غيره لكفاه: [مجزوء الكامل]
لله يوم مسرّة أضوا و أقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى فيه بأوتار حباله
طار النهار به كمر تاع و أجفلت الغزاله
و هذا المعنى لم يسبق إليه، و لم يقدر أحد أن ينزعه من يديه.

و لَمَّا وصل صحبة والده إلى إشبيلية افتتن بواديهما، و اعتكف على الخلاعة فيها، مصعدا و منحدرًا بين بساتينه و منازهه، فمرّ ليلة
بطريانه فمال نحو منزله فيه طرب سمعه، فاستوقفه هنالك، و هو فى الزورق متكئ و أصحابه و أصحاب أبيه مظهرون انحطاطهم عنه
فى المرتبة، فأخرج رأسه أحد الأندال المعتادين بالنادر من شرجب، و الشرجب: هو الدرايزين من خشب فيه طاقات؛ و طريانه مقابلة
إشبيلية، و بها المنازه و الأبنية الحسنه - فضرط له ذلك النذل بغايه ما قدر، فرفع رأسه و قد أخذ منه السكر، و لم يعتد مثل ذلك فى
بلده، و قال: يا سفله، أتقدم على بهذا قبل معرفتى؟ فثنى عليه واحده أخرى، ثم رفع ثوبه عن ذكره و هو منعظ، و قال: يا وزير، اجعل
هذا عندك وديعة حتى أعرف من تكون، ثم رفع ما على استه من ثيابه و قال:

و اعمل من هذا غلافًا للحيتك فإذا عرفناك ذهبناه لك؛ فغلبه الضحك على الحرج، و جعل أصحابه يقولون له: ما سمعت أن من
دخل هذا الوادى يعول على هذا و أمثاله، فمال عن ذلك المنزه قليلا، و أطرق ساعة و قال: [مجزوء الرمل]

نهر حمص لا عدناك فما مثلك نهر
فيك يلتد ارتياح أبد الدهر و سكر
كلّ عمر قد خلا من ك فما ذلك عمر
خصّه الله بمعنى فيه للألباب سرّ
يلعن الإنسان فيه و هو يصغى و يسرّ

[بين أبي جعفر و ابن سيد المعروف باللص]

ثم سأل بعد ذلك عن ربّ المنزه، فسّمى له، و أعلم أنّ ابن سيد الشاعر المشهور باللصّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٢٣

كان حاضرا و أنه أملى على السفله ما قال و صنع، فكتب له أبو جعفر: [الخفيف]

يا سمى، و إن أفاد اشتراك غير ما يرتضيه فضل و ودّ

أكذا يزدري الخليل بأفق أنت فيه و لم يكن منك ردّ

لا أرى من سلّطت و غدا و لكن ليس يخفى عليك من هو و غد

فلَمَّا وقف على هذه الأبيات كتب له: يا مولاي و سيدى، و أجلّ ذخرى للزمان و عضدى، الذى أفخر بمشاركه اسمه، و تتيه هذه

الصناعة بذكره و رسمه: [الوافر]

و خير الشعر أشرفه رجالا و شرّ الشعر ما قال العبيد

سلام كتسنيم، على ذلك المقام الكريم، و رحمه الله تعالى و بركاته، و إن كان مولاي لم يفاتحنى بالسلام، و لا رآنى أهلا لمقاومة

الكرام، لكن حطّ قدرى عنده ما نسب لى من الذنب المختلق، ولا والله ما نطقت بلسان ولا كنت ممن رمق، بل الذى زور لسيدى فى هذه الوشاية كان المعين عليها، والملمّ إليها، فبادر إليكم قبل أن أسبقه فاتسم بأسقط خطّتين: الندالة الأولى والوشاية الأخرى، ولو لا أن المجالس بالأمانات، وأن الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه، لكنت أسبق منه، لكنى يابى ذلك خلقى، وما تأذبت به، و مع ذلك فإنى أقول: [الطويل]

فإن كنت ذا ذنب فقد جئت تائبا ومثلك غفار ومثلك قابل

ولولا ما أخشى من الثقل، وما أتوقّع من الخجل إذا التقى الوجهان، لأتيت حتى بلغت فى الاعتذار بالمشافهة ما لا يسع القرطاس، لكننى متكل على حلم سيدى وإغضائه، متوسّل إليه فى الغفران بعلائه، وكتب تحت ذلك شعرا طويلا منه: [الطويل]

ولا غرو أن تعفو وأنت ابن من غدا تعود عفوا عن كبار الجرائم

لكم، آل عمّار، بيوت ربيعة تشيد من كسب الثنا بدعائم

إذا نحن أذنبنا رجونا ثوابكم ولم نفتنح بالعمو دون المكارم

وإنك فرع من أصول كريمه ولا تلد الأزهار غير الكرائم

وإنى مظلوم لزور سمعته وقد جئت أرجو العفو فى زى ظالم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٢٤

فأجابهُ أبو جعفر بما نصّه: سيدى الذى أكبر قدره، وأجلّ ذكره، وأجزل شكره، وصل جوابك الذى لو كان لك من الذنب ما تحمّله ابن ملجم، لأضربت لك عنه صفحا، ونسيت بما تأخّر ما تقدّم، ومعاذ الله أن أنسب لفضلك عيبا، فأذمّ لك حضورا أو غيبا، وإنما قصدت بالمعاتبه، ما تحتها من المطارحة والمداعبه، على أن سيدى لو تيقنت أنه ظالم لأنشدت: [السريع]

منذ غدا طرفك لى ظالما آليت لا أدعو على ظالم

لكننى أتيقن خلاف ذلك، وأعلم حتى كأنى حاضر ما كان هنالك، وقد أطلت عليك، وبعد هذا فلتعتمد على أن تصل إلى أو أصل إليك، فهذا يوم كما قال البستي: [الكامل]

يوم له فضل على الأيام مزج السحاب ضياءه بظلام

فالبرق يخفق مثل قلب هائم والغيم يبكى مثل جفن هام

فاختر لنفسك أربعا هنّ المنى و بهنّ تصفو لذة الأيام

وجه الحبيب و منزلا مستشرفا و مغنّيا غردا و كأس مدام

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكن رابعها، ونادت بك همم الأمانى فكن بفضلك سامعها، و مركز أفلاك هذه المسرّة حيت كتب هذه الرقعة إلى مجدك منزله مطّل على جزيرة شنتبوس لا أزال أترنّم فيه بقول ابن وكيع: [المنسرح]

قم فاسقتى و الخليج مضطرب و الريح تثنى ذوائب القضب

كأنها و الرياح تعطفها صفّ قنا سندسيه العذب

و الجوّ فى حلّه ممسكه قد طرّزتها البروق بالذهب

فإن كان سيدى فى مثل هذا المكان، جرينا إليه جرى الحلبه لخصل الرهان، وإن كان فى كسر بيته فليبادر إلى محل تقصر عنه همّه قيصر و كسرى، وإن أبطأ فإنّ الرقاع بالاستدعاء لا تزال عليه تترى، وإن كان لا يجدى هذا الكلام، فما نفع من العقوبه المؤلمه بالملام، و على المودّه المرعيه الداعيه أكمل ما يكون من السلام.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٢٥

فعندما قرأ الرقعة ركب إليه زورقا و صنع هذه الأبيات فى طريقه، فعند وصوله ينشده إياها: [الطويل]

ركبت إليك النهر يا بحر فالقنا بما يتلقى جوده كلّ قادم
بفيض و لكن من مدام، و هزة و لكن إلى بذل الندى و المكارم
و كنا نسّمى قبل كونك حاتما و مذ لحت فينا لم نعد ذكر حاتم
بآل سعيد يفخر السعد و العلا فأيديهم تلغى أيادي الغمام

فامتلاً أبو جعفر سرورا، و خلع عليه ما كان عنده هنالك، و وعده بغير ذلك، فأطرق لينظم شيئا في شكره، فأقسم عليه أن لا يشغل
خاطره في ذلك الوقت عن الارتياح، و حثّ أكّوس الراح، فأقبلوا على شأنهم، و كان ابن سيد في ذلك الحين مستترا بشرب الراح، و
كان عند أبي جعفر خديم كثير النادر و الالتفات، يخاف أهل التستر من مثله، فقال ابن سيد: هات دواة و قرطاسا، فأعطاه ذلك،
فكتب: [مخلع البسيط]

يا سيدى، قد علمت أنى بهذه الحال لا أظاهر
أخشى أناسا لهم عيون نواظر منى المعايير
أحذرهم طاقتى و إنى وثقت بالله فهو غافر
و لا تقس حالتى بحال منك اعتذار فالفرق ظاهر
فأنت إن كنت ذا جهاز غير مبال فالجاء ساتر
لا تخش من قول ذى اعتراض و لا حسود عليك قادر
و إننى قد رأيت ممن يكثر القول و هو ساخر
ما قد أراب العفيف منه ضحكك و ظنّ به يجاهر
أخشى إذا قيل كيف كنتم قال بحال تسرّ ناظر
و اللصّ ما بيننا صريعا بكلّ كأس عليه دائر
مطرحا للصلاة يصغى لصوله الدف و المزمار
فأغتدى سيدى مشارا إلى مهمما مررت خاطر
و إن أتيت الملوّك أبغى نوالهم قيل أىّ شاعر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٢٦
يذكر فى شعره خلافا و هو لزور المحال ذاكر
بالأمس قد كان ذا انتهاك فما له بعد ذاك عاذر
إن كان هذا فإنّ حظى وافى لربح فأب خاسر

فقال له أبو جعفر: يا أبا العباس، اشرب هنيئا غير مقدر ما قدرت، فلو كان هذا المضحك على الصفة التى ذكرت كان الذنب منسوبا
إلى فى كونى أحضر فى مجلسى من يهتك ستر المستورين، و مهمما تره هنا بهذه الخفة و الطيش و التسرع للكلام فإنه إذا فارقتنا أثقل
من جبل، و أصمت من سمكة، مترى بزى خطيب فى نهاية من السكون و الوقار: [الطويل]:

و تحت الثياب العار لو كان باديا

فكن فى أمن ما شربت معى، فإنى و الله لا أسمع أحدا من أصحابنا تكلم فى شأنك بأمر إلّا عاقبته أشدّ العقاب، و الذنب فى ذلك
راجع إلى. فسكن ابن سيد و جعل يحثّ الأقداح، و يمرح أشدّ المراح، على ما كان يظهره من الانقباض، تقيّة لما يخشاه من
الاعتراض، إلى أن قاربت الشمس الغروب، و مدّ لها فى النهر معصم مخضوب، فقال أبو جعفر: [المجتث]

انظر إلى الشمس قد أل صقت على الأرض خدا

فقال ابن سيد:

هي المرأة و لكن من بعدها الأفق يصدأ

فقال أبو جعفر:

مدت طرازا على النه ر عندما لاح بردا

فقال ابن سيد:

أهدت لطفك منه ما للأكارم يهدى

فقال أبو جعفر:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٢٧

درع اللجين عليه سيف من التبر مدأ

فقال ابن سيد:

فاشرب عليه هنيئا وزد سرورا و سعدا

ثم لما أظلم الليل نظروا إلى منارة شنتبوس قد عكست مصابيحها في النهر، و إلى النجوم قد طلعت فيه، فقال ابن سيد: [المجتث]

اخلع على النهر ثوب ال كرى فذلك واجب

فقال أبو جعفر:

و انظر إلى السرج فيه كالزهر ذات الذوائب

و حين صفق للأف ق نقتته الكواكب

فقبل ابن سيد رأسه، و قال: ما تركت بعد هذا مقالا لقائل، ثم جعلوا يشربون.

فقال أبو جعفر: [مجزوء الرمل].

سقنى و الأفق برد بنجوم الليل معلم

فقال ابن سيد:

و بساط النهر منها و هو فضي مدرهم

فقال أبو جعفر:

و رواق الليل مرخي و الشذا بالروض قد نم

فقال ابن سيد:

و الندى في الزهر منثور على عقد منظم

فقال أبو جعفر:

و الصبا جرّت على مية التلى كفّ ابن مريم

فقال ابن سيد:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٢٨

كان مبهوتا فلما نفخت فيه تكلم

فقال أبو جعفر:

و كأنّ الكأس و القه وه دينار و درهم

فقال ابن سيد:

و بدا الدّفّ يناغى ال عود و المزمار هيم

فقال أبو جعفر:

فأذاع الأنس منّا كلّ ما كان مكتمّ

فقال ابن سيد:

أى عيش يهتك المس تور لو كان ابن أدهم

فقال أبو جعفر:

هكذا العيش و دعنى من زمان قد تقدّم

فقال ابن سيد:

حين لا خمر سوى ما بكؤوس البيض من دم

فقال أبو جعفر: و الله ما تعديت ما جال الساعة فى خاطرى، فإنى ذكرت أيام الفتنة و ما كابدنا فيها من المحن، و أنا لم نزل فى

مصادمة و مقارعة، ثم رأيت ما نحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التى أمنت و سكنت، فشكرت الله تعالى، و دعوت بدوامها.

ثم لما طلع الفجر قال أبو جعفر: [مجزوء الرمل]

نثر الطلّ عقود و نضا الليل بروده

فقال ابن سيد:

و بدا الصبح بوجه مطلع فينا سعوده

فقال أبو جعفر:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٢٩

و غدا ينشر لّمّا فتر الليل بنوده

فقال ابن سيد:

فهلّم اشرب و قبل من غدا ينطق عوده

فقال أبو جعفر:

ثم صافحه على رغ م النوى و افرك نهوده

فقال ابن سيد:

و اجعل الشكر على ما نلته منه جحوده

فقال أبو جعفر: يا أبا العباس، إنك أغرت على التهامى فى هذا البيت فى قوله:

و شكر أيادى الغانيات جحودها

قال: فلم لّقبت باللّص؟ لو لا هذا و أمثاله ما كان ذلك.

و اللص المذكور اسمه أحمد بن سيد، يكنى أبا العباس، و هو من مشهورى شعراء الأندلس.

و لّمّا أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح قوله: [البسيط]

غمّض عن الشمس و استقصر مدى زحل و انظر إلى الجبل الراسى على جبل

قال له: أنت شاعر هذه الجزيرة، لو لا أنك بدأتنا بغمّض و زحل و الجبل.

و من بديع نظم اللص قوله؛ [المجث]

سلبت قلبى بلحظ أبا الحسين خلوب

فلم أسمى بلصّ و أنت لصّ القلوب

[من شعر ابن سيد المعروف باللص]

ولما اجتمع أبو جعفر بن سعيد المترجم به باللصّ أبي العباس المذكور في جبل الفتح عندما و فد فضلاء الأندلس على عبد المؤمن، واستنشدته، فجعل ينشده ما استجفاه به لخروجه عن حلاوة منزع أبي جعفر، إلى أن أنشده قوله: [الوافر]
و ما أفنى السؤال لكم نوالا و لكن جودكم أفنى السؤال
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٣٠
فقال له أبو جعفر: لا- جعلك الله في حلّ من نفسك، يكون في شعرك مثل هذا و تنشدي ما كان يحملني على أن أسأت معك الأدب؟ و الله لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الأندلس.

[بين أبي الحكم بن هرودس و أبي جعفر و من نظم أبي الحكم بن هرودس]

و كتب إلى أبي جعفر أبو الحكم بن هرودس في يوم بارد بغرناطة: [الخفيف]
يا سمّي، في علم مجدك ما يح تاج فيه هذا النهار المطير
ندف الثلج فيه قطنا علينا ففررنا بعدلكم نستجير
و الذي أبتغيه في اللحظ منه و رضاب الذي هويت نظير
يوم قرّ يودّ من حلّ فيه لو تبدى لمقلتيه سير
فوجه بما طلب، و جاوبه بما كتب: [الخفيف]
أيها السيد الأجلّ الوزير الذي قدره معلّى خطير
قد بعثنا بما أشرت إليه دمت للأنس و السرور تشير
كان لغزا فككته دون فكر إنّ فهمي بما تريد خبير
و من نظم أبي الحكم: [الوافر]
إذا ضاقت عليك فولّ عنها و سر في الأرض و اختبر العبادا
و لا تمسك رحالك في بلاد غدوت بأهلها خيرا معادا
و لما مدح أبو القاسم أخيل بن إدريس الرندي عبد المؤمن في جبل الفتح بقصيدة أولها:
[الكامل]

ما الفخر إلّا فخر عبد المؤمن أثنى عليه كلّ عبد مؤمن
قال أبو جعفر بن سعيد: دعاه التجنيس إلى الضعف و الخروج عن المقصود، و الأولى أن لو قال «شاد الخلافة و هو أول مبتنى».
و من هذه القصيدة:

أمّا ابن سعد فهو أول مارق يا ليته بأبيه سعد يكتني
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٣١
ما قدر مرسية و حكمك نافذ إن شئت من عدن لأرض المعدن
فلما أكملها قال له عبد المؤمن: أجدت، فقال ارتجالا: [الكامل]

من لى، أمير المؤمنين، بموقفى هذا و قولك لى أجدت و لم تن
فلقد مدحتك خائفا أن لا يفى لسنى بما يعبى جميع الألسن

[من نظم أخيل بن إدريس]

و لابن إدريس المذكور: [الخفيف]
أيها البدر، هل علمت بأنى لم أبت راعيا محيّاك وداً
أنا لو بات من حكيت بجنبى لم يكن عنه ناظرى يتعدى
وله: [الكامل]
شتان ما بينى و بينك فى الهوى أنا أبتغيك و أنت عنى تصدف
و إذا عتبتك و ارعويت بين لى فى الحين منك بأنّ ذاك تكلف
يا ليت شعرى كيف يقضى وصلنا و العمر يفنى و المواعد تخلف
و قيل له لما هجره عبد المؤمن: اكتب له و اعتذر، و برهن عن نفسك، فقال: ما يكون أمير المؤمنين هجرنى إلّا و قد صحّ عنده، و لا
أنسبه فى أمرى لقلّة الثبّت و الجور، و إنما أرغب فى عفوه و رحمته، فكأنّ هذا الكلام ألان عليه قلب عبد المؤمن لما بلغه، و كان قد
نقل عنه حسّاده أنه قال: كيف تصحّ له الخلافة، و ليس بقرشى؟
و لا بأس أن نزيد من أخبار اللصّ الذى جرى ذكرنا له مع أبى جعفر بن سعيد فنقول:
هو النحوى المبرز فى الشعر أبو العباس أحمد بن سيد، الإشبلى؛ ذكره ابن دحية فى المطرب، و أخبر أنه شيخه، و ختم كتاب سيبويه
مرتين على النحوى أبى القاسم بن الرماك، و اجتمع به أبو جعفر بن سعيد بجبل الفتح كما سبق، و لقب اللصّ لإغارته على أشعار
الناس.

وله: [البسيط]

شاموا الردى فأشموا التراب أنفهم و لم يبالوا بما فيها من الشّم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٣٢
ثم جعل يقول: قطع الله لسانى إن كان اليوم على وجه الأرض من يعرف أن يسمعه، فضلا عن أن يقوله.
و له القصيدة الشهيرة: [الوافر]

نداك الغيث إن محل توالى و أنت الليث إن شأوا القتالا
سلبت الليث شدّة ساعديه نعم، و سلبت عينيه الغزالا
و ما أفنى السؤال لكم نوالا و لكن جودكم أفنى السؤال
و قد تقدم هذا البيت فى حكايته مع ابن سعيد.
و قال فى حلقة خياط، و هو من محاسنه: [البسيط]
كأنها بيضة و خز الرماح بها باد و قونسها بالسيف قد قطعاً
و قال: [البسيط]

فالليل إن واصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

[عود إلى أخبار أبى جعفر بن سعيد]

رجع إلى أخبار أبي جعفر بن سعيد:
قال في «الأزهار المنثورة»، في الأخبار المأثورة» ما نصّه: لما قبض على الوزير أبي جعفر ابن عبد الملك بن سعيد العنسى، و ثقف بمالقه، دخل إليه ابن عمه، و وصل إلى الاجتماع به ريثما استؤذن السيد أبو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن فى أمره، قال: فدمعت عيناي حين رأيته مكبولا، فقال لى: أعلى تبكى بعد ما بلغت من الدنيا أطيب لذاتها، فأكلت صدور الدجاج، و شربت فى الزجاج، و لبست الديباج، و تمتعت بالسرارى و الأزواج، و استعملت من الشمع السراج الوهاج، و ركبت كل هملاج، وها أنا فى يد الحجاج، منتظر محنة الحلاج، قادم على غافر لا- يحتاج إلى اعتذار و لا إلى احتجاج؟ قال: فقلت: أفلا يؤسف على من ينطق بهذا الكلام، ثم يفقد؟ و قمت عنه فكان آخر العهد به، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٣٣

رجع إلى أخبار النساء.

[ولادة بنت المستكفى]

و من أشهر هنّ بالأندلس ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله، و كانت واحدة زمانها، المشار إليها فى أوانها حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة، كتبت بالذهب على الطراز الأيمن: [الوافر]
أنا و الله أصلح للمعالى و أمشى مشيتى و آتية تيهها
و كتبت على الطراز الأيسر:

و أمكن عاشقى من صحن خدى و أعطى قبلى من يشتهيها
و كانت مع ذلك مشهورة بالصيانة و العفاف، و فيها خلع ابن زيدون عذاره، و قال فيها القصائد الطنانة و المقطعات، و كانت لها جارية سوداء بديعة المعنى، فظهر لولادة أنّ ابن زيدون مال إليها، فكتبت إليه: [الكامل]

لو كنت تنصف فى الهوى ما بيننا لم تهو جاريتى و لم تتخير
و تركت غصنا مشرا بجماله و جنحت للغصن الذى لم يثمر
و لقد علمت بأننى بدر السما لكن و لعت، لشقوتى، بالمشتري

و لقبّت ابن زيدون بالمسدس، و فيه تقول: [الوافر]

و لقبّت المسدس و هو نعت تفارقك الحياة و لا يفارق

فلوطى و مابون و زان و ديوث و قرنان و سارق

و قالت فيه: [السريع]

إنّ ابن زيدون على فضله يعشق قضبان السراويل

لو أبصر الأير على نخلة صار من الطير الأبايل

و قالت فيه أيضا: [السريع]

إنّ ابن زيدون على فضله يغتابنى ظلما و لا ذنب لى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٣٤

يلحظنى شزرا إذا جتته كأننى جئت لأخصى على

و قالت ولادة تهجو الأصبحي: [السريع]

يا أصبحيّ هنا فكم نعمه جاءتك من ذي العرش ربّ المنن

قد نلت باسْت ابنك ما لم ينل بفرج بوران أبوها الحسن

و كتبت إليه لما أولع بها بعد طول تمّنع: [الطويل]

ترقب، إذا جنّ الظلام، زيارتي فإني رأيت الليل أكرم للسرّ

و بي منك ما لو كان بالشمس لم تلح و بالبدر لم يطلع و بالنجم لم يسر

و وقت بما وعدت، و لما أرادت الانصراف ودعته بهذه الأبيات: [الرملي]

ودّع الصبر محبّ ودّعك ذائع من سرّه ما استودعك

يقرع السنّ على أن لم يكن زاد في تلك الخطا إذ شيعك

يا أبا البدر سناء و سنا حفظ الله زمانا أطلعك

إن يطل بعدك ليلى فلکم بتّ أشكو قصر الليل معك

و كتبت إليه: [الطويل]

ألا هل لنا من بعد هذا التفرّق سبيل فيشكو كلّ صبّ بما لقي

و قد كنت أوقات التزاور في الشتا أبيت على جمر من الشوق محرق

فكيف و قد أمسيت في حال قطعته لقد عجل المقدور ما كنت أتقى

تمرّ الليالي لا أرى البين ينقضى و لا الصبر من رقّ الشوق معتقى

سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا بكلّ سكوب هاطل الوبل مغدق

فأجابها بقوله: [الطويل]

لحي الله يوما لست فيه بملتق محياك من أجل النوى و التفرّق

و كيف يطيب العيش دون مسرّة و أيّ سرور للكئيب المؤرّق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٣٥

و كتب في أثناء الكلام بعد الشعر: و كنت ربما حثنتني على أن أتبهك على ما أجد فيه عليك نقدا، و إنى انتقدت عليك قولك:

سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا

فإنّ ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة: [الطويل]

ألا يا اسلمي يا دار مّي على البلى و لا زال منها بجرعائك القطر

إذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له، و أمّا المستحسن فقول الآخر:

[الكامل]

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع و ديمه تهمي

و بسببها خاطب ابن عبدوس بالرسالة المشهورة التي شرحها غير واحد من أدباء المشاركة كالجمال بن نباته و الصفدي و غيرهما، و

فيها من التلميحات و التنديرات ما لا مزيد عليه.

و قد ذكر ولادة ابن بشكوال في «الصيعة» فقال: كانت أديبة، شاعرة، جزلة القول، حسنة الشعر، و كانت تناضل الشعراء، و تساجل

الأدباء، و تفوق البرعاء. و عمرت عمرا طويلا، و لم تتزوج قطّ، و ماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين، و قيل: أربع و ثمانين و

أربعمائه، رحمها الله تعالى.

و كان أبوها المستكفي بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر، كما ألمعنا به في غير هذا الموضع، و كان خاملا ساقطا، و خرجت هي في نهاية من الأدب و الظرف: حضور شاهد، و حرارة أوابد، و حسن منظر و مخبر، و حلاوة مورد و مصدر، و كان مجلسها بقرطبة متدى لأحرار المصر، و فناؤها ملعبا لحياد النظم و النثر، يعيش أهل الأدب إلى ضوء غزتها، و يتهالك أفراد الشعراء و الكتاب على حلاوة عشرتها، و على سهولة حجابها، و كثرة متابها، تخط ذلك بعلو نصاب، و كرم أنساب، و طهارة أثواب، على أنها أوجدت للقول فيها السبيل بقله مبالاتها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٣٦

و مجاهرتها بلذاتها، و لما مرت بالوزير أبي عامر بن عبدوس و أمام داره بركة تتولد عن كثرة الأمطار، و ربما استمدت بشيء مما هنالك من الأقدار، و قد نشر أبو عامر كميه، و نظر في عطفيه، و حشر أعوانه إليه، فقالت له: [الكامل]

أنت الخصيب و هذه مصر فتدققا فكلا كما بحر

فتركته لا يحير حرفا، و لا يرد طرفا.

و قال في «المغرب» بعد ذكره: إنها بالغرب كعليه بالشرق: إلّا أنّ هذه تزيد بمزیه الحسن الفائق، و أمّا الأدب و الشعر و النادر و خفة الروح فلم تكن تقصر عنها، و كان لها صنع في الغناء، و كان لها مجلس يغشاها أدباء قرطبة و ظرفاؤها فيمر فيه من النادر و إنشاد الشعر

كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك، و فيها يقول ابن زيدون: [البسيط]

بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم و لا جفت مآقينا

و قال أيضا يخاطب ابن عبدوس لاشترائه معه في هواها: [المتقارب]

أثرت هزبر الشرى إذ ربض و تبهته إذ هدا فاعتعض

و ما زلت تبسط مسترسلا إليه يد البغي لما انقبض

حذار حذار، فإنّ الكريم إذا سيم خسفا أبي فامتعض

و إنّ سكون الشجاع النهوس ليس بمانعه أن يعض

عمدت لشعري و لم تتند تعارض جوهره بالعرض

أضاعت أساليب هذا القرى ض أم قد عفا رسمه فانقرض

لعمرى، فوقت سهم النضال و أرسلته، لو أصبت الغرض

و منها:

و غرك من عهد ولادة سراب تراءى و برق و مض

هي الما يعز على قابض و يمنع زبدته من مخض

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٣٧

و من أخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفتح في القلائد: إنّ ابن زيدون كان يكلف بولادة و يهيم، و يستضيء بنور محيها في الليل البهيم، و كانت من الأدب و الظرف، و تتميم السمع و الطرف، بحيث تختلس القلوب و الألباب، و تعيد الشيب إلى أخلاق الشباب، فلما حل بذلك الغرب، و انحل عقد صبره بيد الكرب، فز إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها، و يتسلى برؤية موافها، فوافها و الربيع قد

خلع عليها برده، و نشر سوسنه و ورده، و أترع جداولها، و أنطق بلابلها، فارتاح ارتياح جميل بوادي القرى، و راح بين روض يانع و ربح طيبة السرى، فتشوق إلى لقاء ولادة و حنّ، و خاف تلك النوائب و المحن، فكتب إليها يصف فرط قلقه، و ضيق أمده إليها و طلقه، [و يعلمها أنه ما سلا عنها بخمر، و لا خبا ما في ضلوعه من ملتهب الجمر]، و يعاتبها على إغفال تعهده، و يصف حسن محشره

بها و مشهده: [البسيط]

إني ذكرتكَ بالزهراء مشتاقا و الأفق طلق و وجه الأرض قد راقا
 و للنسيم اعتلال في أصائله كأنما رقّ لي فاعتلّ إشفاقا
 و الروض عن مائه الفصّي مبتسم كما حللت عن اللّبات أطواقا
 يوم كأيام لذات لنا انصرمت بتنا لها حين نام الدهر سرّاقا
 نلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال أعناقا
 كأنّ أعينه إذ عاينت أرقى بكت لما بي فجال الدمع ررقاقا
 ورد تألق في ضاحي منابته فازداد منه الضّحي في العين إشراقا
 سرى ينافحه نيولوفر عقب و سنان تبه منه الصبح أحداقا
 كلّ يهيج لنا ذكرى تشوّقنا إليك، لم يعد عنها الصدر أن ضاقا
 لو كان وقي المنى في جمعنا بكم لكان من أكرم الأيام أخلاقا
 لا سكّن الله قلبا عنّ ذكركم فلم يطربجنح الشوق خفاقا
 لو شاء حملى نسيم الريح حين هفا و افاكم بفتى أضناه ما لاقى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٣٨

يا علقى الأخطر الأسنى الحبيب إلى نفسى إذا ما اقتنى الأحباب أعلاقا
 كان التجازى بمحض الودّ مذ زمن ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
 فالآن أحمد ما كنّا لعهدكم سلوتم و بقينا نحن عشّاقا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ١٣٨

قال أيضا: إن ابن زيدون لم يزل يروم دنوّ ولادة فيتعدّر، و يباح دمه بها و يهدر، لسوء أثره في ملك قرطبة و واليها، و قبائح كان ينسبها إليه و يواليها، أهدقت بنى جمهور عليه، و سدّدت أسهمهم إليه، فلما يئس من لقيهاها، و حجب عنه محيّاها، كتب إليها يستديم عهداها، و يؤكّد ودّها، و يعتذر من فراقها بالخطب الذى غشيه، و الامتحان الذى خشيه، و يعلمها أنه ما سلا عنها بخمر، و لا خبا ما فى ضلوعه من ملتهب الجمر، و هى قصيدة ضربت فى الإبداع بسهم، و طلعت فى كل خاطر و وهم، و نزعت منزعا قصر عنه ابن الجهم، و أولها: [البيسط]

بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم و لا جفت مآقينا
 تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الأسى لو لا تأسّينا
 و أخبار ولادة كثيرة، و فيما ذكرناه كفاية.

[اعتماد جارية المعتمد بن عباد]

و من المشهورات بالأندلس «اعتماد» جارية المعتمد بن عباد، و أم أولاده، و تشتهر بالزّميكية، و فى المسهب و المغرب أنه ركب المعتمد فى النهر و معه ابن عمار و وزيره، و قد زردت الريح النهر، فقال ابن عباد لابن عمار: أجز: [الرملة]

صنع الريح من الماء زرد

فأطال ابن عمار الفكرة، فقالت امرأة من الغسالات:

أىّ درع لقتال لو جمد

فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به، مع عجز ابن عمار، و نظر إليها فإذا هي صورة حسنة، فأعجبه فسألها: أ ذات زوج هي؟ فقالت: لا، فتزوجها، و ولدت له أولاده الملوكة النجباء، رحمهم الله تعالى!
و حكى البعض منهم صاحب «البداءة» بسنده إلى بعض أدباء الأندلس، و سَمَاه و لم يحضرني الآن، أنه هو الذي قال للمعتمد:
أى درع لقتال لو جمد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٣٩

قال: فاستحسنه المعتمد، و كنت رابعا في الإنشاد فجعلني ثانيا، و أجازني بجائزة ستيه.

قال ابن ظافر: و قد أخذت هذا المعنى، فقلت أصف روضا: [الطويل]

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا و لو جمدت أنهاره كان بلورا

و لما قال ابن ظافر: [الرجز]

قد أذكت الشمس على الما لها

قال القاضي الأعز:

فكست الفضة منه ذهبا

رجع - و لما خلع المعتمد و سجن بأغامت قلت له: يا سيدي، لقد هنا هنا، فقال:

[مجزوء الرجز]

قالت لقد هنا هنا مولاي، أين جاهنا

قلت لها إلهنا صيرنا إلى هنا

و حكى أنها قالت له و قد مرض: يا سيدي، ما لنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك.

و لما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة في المعتمد و الرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله، و ضربه بالطبرزين ففلق رأسه، و

ترك الطبرزين في رأسه، فقالت الرميكية: قد بقى ابن عمار هدهدا، و القصيدة أولها: [المتقارب]

ألا حى بالغرب حيا حلالا أنا خوا جمالا و حازوا جمالا

و عرج بيومين أم القرى و نم فعسى أن تراها خيالا

و يومين: قرية ياشبيلية كانت منها أولية بنى عباد.

و فى هذه القصيدة يقول معرضا بالرميكية:

تخبرتها من بنات الهجان رميكية ما تساوى عقالا

فجاءت بكل قصير العذار لئيم التجارين عمّا و خالا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٤٠

قصار القدود و لكنهم أقاموا عليها قرونا طوالا

أذكر أيامنا بالصبا و أنت إذا لحت كنت الهلالا

أعائق منك القضيبي الرطيب و أرشف من فيك ماء زلالا

و أقنع منك بدون الحرام فتقسم جهدك أن لا حلالا

سأهتك عرضك شيئا فشيئا و أكشف سترك حالا فحالا

و منها:

فيا عامر الخيل يا زيدها منعت القرى و أبحث العيالا

و سبب قول ابن عمار هذه القصيدة أنّ المعتمد نذر به و ذيل على قصيدته الرائية المذكورة في القلائد بعد قوله: [الكامل]
كيف التفلت بالخدعة من يدى رجل الحقيقة من بنى عمار
و سخر به فى أبيات مشهورة.

[حديث عن المعتمد بن عباد عن الفتح]

قال الفتح فى حق المعتمد بعد كلام: و ما زالت عقارب تلك الداخلة تدبّ، و ريحها العاصفة تهبّ، و نارها تقد، و ضلوعها تحنق و تحقد، و تضمر الغدر و تعتقد، حتى دخل البلد من واديه، و بدت من المكروه بواديه، و كثر عليه الدهر بعوائده و عواديته، و هو مستمسك بعرى لذاته، منغمس فيها بذاته، ملقى بين جواريه، مغتر بودائع ملكه و عواريه، التى استرجعت منه فى يومه، و نبهه فواتها من نومه، و لما انتشر الداخلون فى البلد، و أوهنوا القوى و الجلد، خرج و الموت يتسعر فى ألاحظه، و يتصوّر من أفاظه، و حسامه يعد بمضائه، و يتوقّد عند انتضائه، فلقبهم برحبة القصر، و قد ضاق بهم فضاؤها، و تضععت من رجّتهم أعضاؤها، فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا، و ملأتهم فرقا، و ما زال يوالى عليهم الكرم المعاد، حتى أوردهم النهر و ما بهم جواد، و أودعهم حشاه كأنهم له فؤاد، ثم انصرف و قد أيقن بانتهاء حاله، و ذهب ملكه و ارتحاله، و عاد إلى قصره و استمسك فيه يومه و ليلته مانعا لحوزته، دافعا للذلّ عن عزّته، و قد عزم على أفضح أمر، و قال: بيدى لا بيد عمرو، ثم صرفه تقاه، عمّا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٤١

كان عنواه، فنزل من القصر بالقصر، إلى قبضة الأسر، فقيد للحين، و حان له يوم شرّ ما ظنّ أنه يحين، و لما قيّدت قدماه، و ذهبت عنه رقة الكبل و رحماه، قال يخاطبه: [الطويل]

إليك فلو كانت قيودك أسعرت تضرمّ منها كلّ كفّ و معصم

مخافة من كان الرجال بسببه و من سيفه فى جنّة أو جهنم

و لما آلمه عضة، و لازمه كسره و رضه، و أواه ثقله، و أعياه نقله، قال: [المتقارب]

تبدلت من عزّ ظلّ البنود بذلّ الحديد و ثقل القيود

و كان حديدى سنانا ذليقا و عضبا رقيقا صقيل الحديد

فقد صار ذاك و ذا أدهما يعصّ بساقى عصّ الأسود

ثم جمع هو و أهله و حملتهم الجوارى المنشآت، و ضمّتهم جوانحها كأنهم أموات، بعد ما ضاق عنهم القصر، و راق منهم العصر، و الناس قد حشروا بصفى الوادى، و بكوا بدموع كالغواذى، فساروا و التوح يحدوهم، و البوح باللوعة لا يعدوهم، و فى ذلك يقول ابن اللبّانة: [البيسط]

تبكى السماء بمزن رائح غاد على البهاليل من أبناء عباد

على الجبال التى هدّت قواعدها و كانت الأرض منها ذات أوتاد

عزّيسة دخلتها النائبات على أساود لهم فيها و آساد

و كعبة كانت الآمال تخدمها فاليوم لا عاكف فيها و لا باد

يا ضيف، أفقر بيت المكرمات فخذ فى ضمّ رحلك و اجمع فضله الزاد

و يا مؤمل واديهم ليسكنه خفّ القطين و جفّ الزرع بالوادى

و أنت يا فارس الخيل التى جعلت تختال فى عدد منهم و أعداد

ألق السلاح و خلّ المشرفى فقد أصبحت فى لهوات الضيغم العادى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٤٢
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة و كل شيء لميقات و ميعاد
إن يخلعوا فبنوا العباس قد خلعوا و قد خلت قبل حمص أرض بغداد
حموا حريمهم حتى إذا غلبوا سيقوا على نسق في جبل مقتاد
و أنزلوا عن متون الشهب و احتملوا فويق دهم لتلك الخيل أندان
و عيث في كل طوق من دروعهم فصيغ منهم أغلال لأجساد
نسيت إلّا غداة النهر كونهم في المنشآت كأموات بالحداد
و الناس قد ملؤوا العبرين و اعتبروا من لؤلؤ طافيات فوق أزياد
حطّ القناع فلم تستر مخدرة و مزقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة و صارخ من مفداة و من فاد
سارت سفائهم و التوح يصحبها كأنها إبل يحدو بها الحادي
كم سال في الماء من دمع و كم حملت تلك القطائع من قطع أكباد
انتهى ما قصد جلبيه من كلام الفتح رحمه الله تعالى و سامحه!

[حديث آخر عن المعتمد]

و قال ابن اللبانه في كتاب «نظم السلوك»، في مواعظ الملوك، في أخبار الدولة العبادية» إن طائفة من أصحاب المعتمد خامرت عليه، فأعلم باعتقادها، و كشف له عن مرادها، و حضّ على هتك حرمةها، و أغرى بسفك دمها، فأبى ذلك مجده الأثيل، و مذهبه الجميل، و ما خصّه الله تعالى به من حسن اليقين، و صحّة الدين، إلى أن أمكنتهم الغرة فانتصروا ببغاث مستنسر، و قاموا بجمع غير مستبصر، فبرز من قصره، متلافيا لأمره، عليه غلالة ترفّ على جسده، و سيفه يتلظى في يده: [الوافر]
كأن السيف راق و راع حتى كأنّ عليه شيمه منتضيه
كأنّ الموت أودع فيه سراً ليرفعه إلى يوم كربه

فلقى على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا بنجدة، فرماه الفارس برمح التوى على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٤٣

غلالته، و عصمه الله تعالى منه، و صبّ هو سيفه على عاتق الفارس، فشقّه إلى أضلاعه، فخرّ صريعا سريعا، فرأيت القائمين عندما تسنموا الأسوار تساقطوا منها، و بعد ما أمسكوا الأبواب تخلّوا عنها، و أخذوا على غير طريق، و هوت بهم ريح الهيبة في مكان سحيق، فظننا أنّ البلد من أقدائه قد صفا، و ثوب العصمة عليه قد صفا، إلى أن كان يوم الأحد الحادي و العشرون من رجب فعظم الخطب في الأمر الواقع، و اتسع الخرق فيه على الراقع، و دخل البلد من جهة واديه، و أصيب حاضره بعادية بادية، بعد أن ظهر من دفاع المعتمد و بأسه، و تراميه على الموت بنفسه، ما لا مزيد عليه، و لا انتهى خلق إليه، فشنت الغارة في البلد، و لم يبق فيه على سبد لأحد و لا لبد، و خرج الناس من منازلهم، يسترون عوراتهم بأناملهم، و كشفت وجوه المخدرات العذارى، و رأيت الناس سكارى، و ما هم بسكارى، و رحل بالمعتمد و آله، بعد استئصال جميع ماله، لم يصحب معه بلغة زاد، و لا بغية مراد، فأمضيت عزيمة في أتباعه، فوصلت إليه بأجمات عقب ثقاف استنقذه الله منه، فذكرت به شعرا كان لي في صديق اتفق له مثل ذلك في الشهر بعينه من العام الماضي، و هو

الأمير أبو عبد الله بن الصفار، و هو:

[الخفيف]

لم تقل في الثقافة كان ثقافا كنت قلبا به و كان شغافا
 يمكث الزهر في الكمام و لكن بعد مكث الكمام يدنو قطافا
 و إذا ما الهلال غاب لغيم لم يكن ذلك المغيب انكسافا
 إنما أنت درّة للمعالي ركب الدهر فوقها أصدافا
 حجب البيت منك شخصا كريما مثل ما تحجب الدنان السلافا
 أنت للفضل كعبه و لو انى كنت أسطيع لا استطعت الطوفا
 قال أبو بكر: و جرت بينى و بينه مخاطبات ألدّ من غفلات الرقيب، و أشهى من رشفات الحبيب، و أدلّ على السماح، من فجر على
 صباح، انتهى.

ثم قال: و لَمّا خلع المعتمد و ذهب إلى أغمات طلب من حواء بنت تاشفين خباء عاريه، فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء، فقال:
 [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٤٤

هم أوقدوا بين جفنيك نارا أطلالوا بها في حشاك استعارا
 أما يخجل المجد أن زودوك و لم يصحبوك خباء معارا
 فقد قنعوا المجد إن كان ذاك و حاشاهم خزيا و عارا
 يقلّ لعينيك أن يجعلوا سواد العيون عليكم شعارا

ثم إنه بقى مأسورا بأغمات إلى سنة ٤٨٦، فأخذ بمالقه رجل كبير يعرف بابن خلف، فسجن مع أصحاب له، فنقبوا السجن و ذهبوا إلى
 حصن منت ميور ليلا فأخرجوا قائدها، و لم يضره، و بينما هم كذلك إذ طلع عليهم رجل، فسأله فإذا هو عبد الجبار بن المعتمد،
 فولوه على أنفسهم، و ظنّ الناس أنه الراضى، فبقى فى الحصن، ثم أقبل مركب من الغرب يعرف بمركب ابن الزرقاء، فانكسر بمرسى
 الشجرة قريبا من الحصن، فأخذوا بنوده و طبوله و ما فيه من طعام و عدة فأتسعت بذلك حالتهم، ثم وصلت أم عبد الجبار إليه، ثم
 خاطبه أهل الجزيرة و أهل أركش فدخلها سنة ٤٨٨، و لَمّا بلغ خبر عبد الجبار إلى ابن تاشفين أمر بتقاف المعتمد فى الحديد، و فى
 ذلك يقول: [السريع]

قيدى أما تعلمنى مسلما أبيت أن تشفق أو ترحما
 يبصرنى فيك أبو هاشم فيثنى القلب و قد هسما
 و بقى إلى أن توفى رحمه الله سنة ٤٨٨.

[ثورة عبد الجبار بن المعتمد بن عباد]

و قد ساق الفتح قضية ثورة عبد الجبار بن المعتمد بعبارة البارعة فقال: و أقام بالعدوة برهه لا يروّع له سرب و إن لم يكن آمنا، و لا
 يثور له كرب و إن كان فى ضلوعه كامنا، إلى أن ثار أحد بنيه بأركش - معقل كان مجاورا لإشبيلية مجاورة الأنامل للراح، ظاهر على
 بسائط و بطاح - لا يمكن معه عيش، و لا يتمكن من منازلته جيش، فغدا على أهلها بالمكاره و راح، و ضيق عليهم المتسع من جهاتها
 و البراح، فسار نحوه الأمير سير بن أبى بكر، رحمه الله عليه، قبل أن يرتدّ طرف استقامته إليه، فوجده و شرّه قد تشمّر، و صرده قد
 تنمّر، و جمره متسعر، و أمره متوعر،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٤٥

فتزل عدوته، و حلّ للحزم حيوته، و تدارك داءه قبل إعضاله، و نازله و ما أعدّ آلات نضاله، و انحشدت إليه الجيوش من كل قطر، و

أفرغ من مسالكة كل قطر، فبقي محصورا لا- يشد إليه إلا سهم، ولا ينفذ عنه إلا نفس أو وهم، وامتسك شهورا حتى عرضه أحد الرماة بسهم فرماه، فأصماه، فهوى في مطلعته، وخرّ قتيلا في موضعه، فدفن إلى جانب سريره، وأمن عاقبة تغيره، وبقى أهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر، وارتد عنهم النصر، وعمهم الجوع، وأغب أجفانهم الهجوع فنزلت منهم طائفة متهافته، وولت بأنفاس خافته، فتبعمهم من بقى، ورغب في التمتع من شقى، فوصلوا إلى قبضة الملمات، وحصلوا في غصّة الممات، فوسمهم الحيف، وتقسمهم السيف، ولما زار الشبل خيفت سورة الأسد، ولم يرح صلاح الكلّ والبعض قد فسد، فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال و أثناءها، وأحلّ ساحة الخطوب وفناءها، وحين أركبوه أسودا، وأورثوه حزنا بات له معاودا، قال: [الكامل]

غنتك أغماتية الألحان ثقلت على الأرواح والأبدان

قد كان كالثعبان رمحك في الورى فغدا عليك القيد كالثعبان

متمردا يحميك كلّ تمرد متعظفا لا رحمة للعانى

قلبي إلى الرحمن يشكو بثّه ما خاب من يشكو إلى الرحمن

يا سائلا عن شأنه و مكانه ما كان أغنى شأنه عن شان

هاتيك قينته و ذلك قصره من بعد أى مقاصر و قيان

ولما فقد من كان يجالسه، و بعد عنه من كان يؤانسه، و تمادى كربه، و لم تسالمة حربه، قال: [الطويل]

تؤمل للنفس الشجية فرجة و تأبى الخطوب السود إلا تماديا

لياليك فى زاهيك أصفى صحبتها كذا صحبت قبلى الملوك اللياليا

نعيم و بؤس ذا لذلك ناسخ و بعد هما نسخ المنايا الأمانيا

ولما امتدت فى الثقافة مدته، و اشتدت عليه قسوة الكبل و شدّته، و أقلقته همومه، و أطبقته غمومه، و توالى عليه الشجون، و طالت

لياليه الجون، قال: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٤٦

أبناء أسرك قد طبقتن آفاقا بل قد عممن جهات الأرض إقلاقا

سرت من الغرب لا تطوى لها قدم حتى أتت شرقها تنعاك إشراقا

فأحرق الفجع أكبادا و أفندة و أغرق الدمع آماقا و أحداقا

قد ضاق صدر المعالى إذ نعت لها و قيل: إن عليك القيد قد ضاقا

أنى غلبت و كنت الدهر ذا غلب للغالين و للسباق سباقا

قلت الخطوب أذلتنى طوارقها و كان غربى إلى الأعداء طراقا

متى رأيت صروف الدهر تاركة إذا انبرت لذوى الأخطار أرماقا

و قال لى من أثقه: لما ثار ابنه حيث ثار، و أثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار، جزع جزعا مفرطا، و علم أنه قد صار فى أنشوطه

الشرّ متورطا، و جعل يتشكى من فعله و يتظلم، و يتوجع منه و يتألم، و يقول: عرض بى للمحن، و رضى لى أن أمتحن، و و الله ما

أبكى إلا انكشاف من أتخلفه بعدى، و يتحيفه بعدى، ثم أطرف و رفع رأسه و قد تهللت أسرته، و ظللته مسرته، و رأيته قد استجمع، و

تشوّف إلى السماء و تطّلع، فعلمت أنه قد رجا عودة إلى سلطانه، و أوبه إلى أوطانه، فما كان إلا بمقدار ما تنداح دائرة، أو تلتفت مقلة

حائرة، حتى قال: [المتقارب]

كذا يهلك السيف فى جفنه إلى هز كفى طويل الحنين

كذا يعطش الرمح لم أعتقله و لم تروه من نجيع يمينى

كذا يمنع الطرف علك الشك يم مرتقبا غزّة في كمين
 كأنّ الفوارس فيه ليوث تراعى فرائسها في عرين
 ألا شرف يرحم المشرفيّ ممّا به من شمات الوتين
 ألا كرم ينعش السّمهرىّ ويشفيه من كل داء دفين
 ألا حنّة لابن محييّة شديد الحنين ضعيف الأنين
 يؤمّل من صدرها ضمّة تبوّئه صدر كفر معين

و كانت طائفة من أهل فاس قد عاثوا فيها و فسقوا، و انتظموا في سلك الطغيان و اتّسقوا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٤٧

و منعوا جفون أهلها السنّات، و أخذوا البنين من حجور آبائهم و البنات، و تلقّبوا بالإمارة، و أركبوا السوء نفوسهم الأمانة، حتى كادت أن تقفر على أيديهم، و تدثر رسومها بإفراط تعدّيهم، إلى أن تدارك أمير المسلمين رحمه تعالى أمرهم، و أطفأ جمرهم، و أوجعهم ضربا، و أقطعهم ما شاء حزنا و كربا، و سجنهم بأغمت، و ضمّتهم جوانح الملمات، و المعتمد إذ ذاك معتقل هناك، و كانت فيهم طائفة شعريّة، مذنبه أو بريّه، فرغبوا إلى سجنهم، أن يستريحوا مع المعتمد من أشجانهم، فخلّى ما بينهم و بينه، و غمض لهم في ذلك عينه، فكان المعتمد رحمه الله تعالى يتسلّى بمجالستهم، و يجد أثر مؤانستهم، و يستريح إليهم بجواه، و يبوح لهم بسرّه و نجواه، إلى أن شفّع فيهم و انطلقوا من وثاقهم، و انفرج لهم مبهم أغلاقهم، و بقى المعتمد في محبسه يشتكى من ضيق الكبل، و يبكى بدمع كالوبل، فدخلوا عليه مودعين، و من بثّه متوجّعين، فقال: [الطويل]

أما لانسكاب الدمع في الخدّ راحة لقد آن أن يفنى، و يفنى به الخدّ

هبوا دعوة يا آل فاس لمبتلى بما منه قد عافاكم الصمد الفرد

تخلّصتم من سجن أغمت و التوت على قيود لم يحن فكّها بعد

من الدّم أما خلقها فأساود تلوى و أما الأيد و البطش فالأسد

فهنيتم النعما، و دامت لكلكم سعادتته إن كان قد خانني سعد

خرجتم جماعات و خلّفت واحدا و لله في أمرى و أمركم الحمد

و مرّ عليه في موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح، و لا تعلق بها من الأيام جناح، و لا عاقها عن أفراخها الأشراك، و لا أعوزها البشام و لا الأراك، و هى تمرح في الجوى، و تسرح في مواقع النو، فتتكّد بما هو فيه من الوثاق، و ما دون أحبّته من الرقباء و الأغلاق، و ما يقاسيه من كبله، و يعانيه من وجده و خبله، و فكّر في بناته و افتقارهنّ إلى نعيم عهدنه، و حبور حضرته و شهدته، فقال: [الطويل]

بكيت إلى سرب القطا إذ مررن بى سوارح لا سجن يعوق و لا كبل

و لم تك، و الله المعيد، حسادة و لكن حنينا أن شكلى لها شكل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٤٨

فأسرح لا شملى صديق و لا الحشا وجيع و لا عيناى بيكيهما ثكل

هنيئا لها إذ لم يفرّق جميعها و لا ذاق منها البعد عن أهلها أهل

و إذ لم تبت مثلى تطير قلوبها إذا اهتّز باب السجن أو صلصل القفل

و ما ذاك ممّا يعتريه، و إنما و صفت التى فى جبله الخلق من قبل

لنفسى إلى لقيا الحمام تشوّف سواى يحبّ العيش فى ساقه حجل

ألا عصم الله القطا فى فراخها فإنّ فراخى خانها الماء و الظلّ

وفي هذه الحالة زاره الأديب أبو بكر بن اللبّانة، وهو أحد شعراء دولته المرتضيين دررها، المنتجعين دررها، وكان المعتمد رحمه الله تعالى يميزه بالشفوف والإحسان، ويجوّزه على فرسان هذا الشأن، فلمّا رآه وحلقات الكبل قد عصّت بساقيه عضّ الأسود، والتوت عليه التواء الأسود السود، وهو لا يطيق إعمال قدم، ولا يريق دمعا إلّا ممزوجا بدم، بعد ما عهدته فوق منبر وسرير، ووسط جنيّة وحرير، وتخفق عليه الألوية، وتشرق منه الأنديّة، وتكف الأمطار من راحته، وتشرف الأقدار بحلول ساحته، ويرتاع الدهر من أوامره ونواهيه، ويقصر التّسر أن يقارنه أو يضاهيه، ندبه بكل مقال يلهب الأكباد، ويثير فيها لوعه الحارث بن عبّاد، أبدع من أناشيد معبد، وأصدع للكبد من مرثي أربد، أو بكاء ذى الرمة بالمربد، سلك فيها للاحتفاء طريقا لاجبا، وغدا فيها لذيول الوفاء ساحبا، فمن ذلك قوله:

[البسيط]

انفض يديك من الدنيا وساكنها فالأرض قد أفقرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلى قد كتمت سريرة العالم العلوى أغمات
طوت مظلتها لا بل مذلتها من لم تزل فوقه للعزّ رايات
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٤٩
من كان بين الندى والبأس أنصله هندیة وعطاياه هندیات
رماه من حيث لم تستره سابعه دهر مصيباته نبل مصيبات
أنكرت إلّا التواءات القيود به وكيف تنكر في الروضات حيات
غلطت بين همايين عقدن له وبينها فإذا الأنواع أشتات
وقلت هنّ ذؤابات فلم عكست من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قناه أو أعنته إذا بها لثقاف المجد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية عذرتهم، فلعدو الليث عادات
لو كان يفرج عنه بعض آونة قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه تجيء له كنقطة الدارة السبع المحيطات
لهفى على آل عبّاد فإنهم أهله مالها في الأفق هالات
راح الحيا وغدا منهم بمنزلة كانت لنا بكر فيها وروحات
أرض كأنّ على أقطارها سرجا قد أوقدتهنّ بالأدهان أنبات
وفوق شاطيء واديهها رياض ربا قد ظللتها من الأنشام دوحات
كأنّ واديهها سلك بلبتهها وغاية الحسن أسلاك ولبات
نهر شربت بعبريه على صور كانت لها في قبل الراح سوررات
وربما كنت أسمو للخليج به وفي الخليج لأهل الراح راحات
وبالغروسات لا جفت منابتها من النعيم غروسات جتيات
ولم تزل كبده تتوقّد بالزفرات، وخلده يتردّد بين النكبات والعثرات، ونفسه تتقسّم بين الأشجان والحسرات، إلى أن شففته مبيته، وجاءته بها أمنيته، فدفن بأغمات، وأريح من تلك الأزمات: [الوافر]
وعطّلت المآثر من حلاها وأفردت المفآخر من علاها
ورفعت مكارم الأخلاق، وكسدت نفائس الأعلاق، وصار أمره عبرة في عصره، وصاب أندى عبرة في مصره. وبعد أيام وافى أبو

بحر بن عبد الصمد شاعره المتصل به، المتوصل إلى المنى بسببه، فلما كان يوم العيد و انتشر الناس ضحى، و ظهر كمل متوار و ضحا، قام على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٥٠

قبره عند انفصالهم من مصلاهم، و اختيالهم بزيتهم حلاهم، و قال بعد أن طاف بقبره و التزمه، و خرّ على ترابه و لثمه: [الكامل]

ملك الملوك، أ سامع فأنادى أم قد عدتك عن السماع عوادى

لما خلت منك القصور فلم تكن فيها كما قد كنت فى الأعياد

قبلت من هذا الثرى لك خاضعا و اتخذت قبرك موضع الإنشاد

و هى قصيدة أطل إنشادها، و بنى بها اللواعج و شادها، فانتشر الناس إليه و انحفلوا، و بكوا ببكائه و أعولوا، و أقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج، مديمين للبكاء و العجيج، ثم انصرفوا و قد نرفوا ماء عيونهم، و أفرحوا مآقيهم بفيض شؤونهم، و هذه نهاية كل عيش، و غاية كل ملك و جيش، و الأيام لا تدع حيا، و لا تألو كل نشر طيا، تطرق رزاياها كل سمع، و تفرق مناياها كل جمع، و تصمى كل ذى أمر و نهى، و ترمى كل مشيد بوهى، و من قبله طوت النعمان ابن الشقيقة، و لوت مجازه فى تلك الحقيقة. انتهى ما قصدنا جلبيه من كلام الفتح مما يدخل فى أخبار المعتمد بن عباد المناسبة لما مرّ.

و كلام الفتح كله الغاية، و ليس الخبر كالعيان، و لذا قال بعض من عزّف به: إنه أراد أن يفضح الشعراء الذين ذكرهم فى كتبه بنشره، سامحه الله تعالى!

و أخبار المعتمد رحمه الله تعالى تحتل مجلّدات، و آثاره إلى الآن بالغرب مخرمات، و كان من النادر الغريب قولهم فى الدعاء للصلاة على جنازته «الصلاة على الغريب» بعد اتّساع ملكه، و انتظام سلّكه، و حكمه على إشبيلية و أنحائها، و قرطبة و زهرانها، و هكذا شأن الدنيا فى تدريسها نحو نديتها و إغرائها.

و قد توجّه لسان الدين الوزير بن الخطيب إلى أغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه الله تعالى، و رأى ذلك من المهمات، و أنشد على قبره أبياته الشهيرة التى ذكرتها فى جملة نظمه الذى هو أرقّ من النسيم، و أبهج من المحيّا الوسيم.

[زيارة لسان الدين لقبر المعتمد]

قلت: و قد زرت أنا قبر المعتمد و الرميكية أم أولاده، حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة و ألف، و عمى على أمر القبر المذكور، و سألت عنه من تظن معرفته له، حتى هدانى إليه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٥١

شيخ طعن فى السنّ، و قال لى: هذا قبر ملك ملوك الأندلس، و قبر حظيته التى كان قلبه بحبها خفاقا غير مطمئنّ، فرأيته فى ربوة حسبما وصفه ابن الخطيب رحمه الله تعالى فى الأبيات، و حصلت لى من ذلك المحلّ خشية و ادكار، و ذهبت بى الأفكار، فى ضروب الآيات، فسبحان من يؤتى ملكه من يشاء لا إله غيره وارث الأرض و من عليها و هو خير الوارثين.

[من شعر ابن عبدون و من شعر اللورقى يهجو آل عباد]

و ما أحسن قول الوزير ابن عبدون فى مطلع رأيته الشهيرة: [البيسط]

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح و الصّور

و هو القائل: [البيسط]

يا نائم الليل في فكر الشباب أفق فصيح شبيك في أفق النّهي بادي
غصّت عنانك أيدي الدهر ناسخه علما بجهل و إصلاحا يافساد
و أسلمت للمنايا آل مسلمة و عبّدت للزّايا آل عبّاد
لقد هوت منك خانتها قوادمها بكوكب في سماء المجد و قّاد
و منها:

و مالك كان يحمى شول قرطبة أستغفر الله، لا، بل شول بغداد
شقّ العلوم نطافا و العلا زهرا فبين ما بين رواد و وراذ

و أين هذه القصيدة في مدحهم من قصيدة الغصّ منهم، و هي قول أبي الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي: [الطويل]

تعزّ عن الدنيا و معروف أهلها إذا عدم المعروف في آل عبّاد
حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٥٢

و هذا يدلّك على أن الشعراء، لم يسلم من لسانهم من أحسن فضلا عن أساء، من العظماء و الرؤساء، و ما أمدح قول أبي محمد بن
غانم فيهم: [الكامل]

و من الغريب غروب شمس في الثرى و ضياؤها باق على الآفاق

[الفتح يتحدث عن أولية بني عباد]

و قال في المطمح في حق بني عباد و أوليتهم ما صورته: الوزير أبو القاسم محمد بن عباد، هذه بقية متماها في لخم، و مرتماها إلى
مفخر ضخم، و جدّهم المنذر بن ماء السماء، و مطلعهم في جوّ تلك السماء، و بنو عباد ملوك أنس بهم الدهر، و تنفس منهم عن
أعقب الزهر، و عمروا ربع الملك، و أمروا بالحياة و الهلك، و معتضدهم أحد من أقام و أقعد، و تبوأ كاهل الإرهاب و اقتعد، و افترش
من عريسته، و افترس من مكاييد فريسته، و زاحم بعود، و هدّ كل طود، و أخمل كل ذى زى و شارء، و ختل بوحي و إشارة، و
معتمدهم كان أجود الأملاءك، و أحد تيرات تلك الأفلاك، و هو القائل، و قد شغل عن منادمة خواص دولته بمنادمة العقائل:
[البسيط]

لقد حننت إلى ما اعتدت من كرم حنين أرض إلى مستأخر المطر
فهاتها خلعا أرضى السّماح بها محفوفة في أكفّ الشّرب بالبدر
و هو القائل و قد حنّ في طريقه، إلى فريقه: [الطويل]

أدار النوى كم طال فيك تلذّذى و كم عقتنى عن دار أهيف أغيد
حلفت به لو قد تعرض دونه كماء الأعادي في النسيج المسرد
لجردت للضرب المهند فانقضى مرادى و عزما مثل حد المهند

و القاضي أبو القاسم هذا جدّهم، و به سفر مجدّهم، و هو الذى اقتنص لهم الملك النافر، و اختصّهم منه بالحظ الوافر، فإنه أخذ
الرياسة من أيدي جبابر، و أضحى من ظلالها أعيان أكابر، عندما أناخت بها أطماعهم، و أصاغت إليها أسماعهم، و امتدت إليها من
مستحقها اليد، و أتلعوا أجيادا زانها الجيد، و فغر عليها فمه حتى هجا بيت العبدى، و تصدى إليها من تحضر و تبدّى، فافتعد سنامها و
غاربها، و أبعد عنها عجمها و أعاربها، و فاز من الملك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٥٣

بأوفر حصّة، و غدت سمته به صفةً مختصةً، فيما يمح رسم القضاء، و لم يتّسم بسمه الملك مع ذلك النفوذ و المضاء، و ما زال يحمي حوزته، و يجلو عزته، حتى حوته الرجام، و خلت منه تلك الآجام، و انتقل الملك إلى ابنه المعتضد، و حل منه في روض نَمَق له و نضد، و لم يعمر فيه و لم يدم و لاه، و تسمى بالمعتضد بالله، و ارتمى إلى أبعاد غايات الجود بما أناله و أولاه، لو لا بطش في اقتضاء النفوس كدّر ذلك المنهل، و عكر أثناء ذلك صفو العل و التهل، و ما زال للأرواح قابضا، و للوثوب عليها رابضا، يخطف أعداءه اختطاف الطائر من الوكر، و ينتصف منهم بالدهاء و المكر، إلى أن أفضى الملك إلى ابنه المعتمد، فاحتل منه طرفه الرّمد، و أحمد مجده، و تقلد منه أيّ بأس و نجدة، و نال به الحق مناه، و جدّد سناه، و أقام في الملك ثلاثا و عشرين سنه، لم تعد له فيها حسنة و لا سيرة مستحسنة، إلى أن غلب على سلطانه، و ذهب به من أوطانه، فنقل، إلى حيث اعتقل، و أقام كذلك إلى أن مات، و وارته تربة أغمات، و كان للقاضي جده أدب غض، و مذهب مبيض، و نظم يرتجله كل حين، و ينفثه أعطر من الرياحين، فمن ذلك قوله يصف النيلوفر: [البسيط]

يا ناظرين لذا النيلوفر البهج و طيب مخبره في الفوح و الأرج
كأنه جام درّ في تالقه قد أحكموا وسطه فصا من السّبح
انتهى المقصود منه.

و هو- أعنى الفتح- يشيد قصور الشرف إذا مدح، و يهدم معانها إذا هجا و قدح.

[الأديب أبو جعفر بن البني]

و من أغراضه قوله في «المطمح» في حق الأديب أبي جعفر بن البني: رافع رايات القريض، و صاحب آيات التصريح و التعريض، أقام شرائعه، و أظهر بدائعه، إذا نظم أزرى بالعقود، و أتى بأحسن من رقم البرود، و كان أليف غلمان، و حليف كفر لا- إيمان، ما نطق متشرعا، و لا رمق متورعا، و لا اعتقد حشرا، و لا صدق بعثا و لا نشرا، و ربما تنسك مجونا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٥٤

و فتكا، و تمسك باسم التقى و قد هتكه هتكا، لا يبالى كيف ذهب، و لا بم تمذهب، و كانت له أهاجى جرّع بها صابا، و درّع منها أوصابا، و قد أثبت له ما يرشف ريقا، و يشرب تحقيقا، فمن ذلك قوله يتغزل: [الكامل]

من لى بغرّة فاتن يختال في حلل الجمال إذا بدا و حلّيه

لو شبّ في وضح النهار شعاعها ما عاد جنح الليل بعد مضيّه

شرقت لآلى الحسن حتى خلّصت ذهبيّه في الخدّ من فضيّه

في صفحتيه من الجمال أزاهر غذيت بوسمىّ الحيا و وليّه

سلّت محاسنه لقتل محبّه من سحر عينيه حسام سميّه

و له فيه: [مجزوء الرمل]

كيف لا يزداد قلبي من جوى الشوق خبالا

و إذا قلت علىّ بهر الناس جمالا

هو كالغصن و كالبدر قواما و اعتدالا

أشرق البدر كمالا و انثنى الغصن اختيالا

إنّ من رام سلوى عنه قد رام محالا

لست أسلو عن هواه كان رشدا أو ضلالا

قل لمن قصّر فيه عدل نفسى أو أطالا
دون أن تدرك هذا تسلب الأفق الهلالا
و كنت بميورقة و قد حلها متسما بالعبادة، و هو أسرى إلى الفجور من خيال أبى عبادة، و قد لبس أسمالا، و لبس منه أقوالا و أفعالا،
سجوده هجود، و إقراره بالله جحود، و كانت له

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٥٥

رابطة لم يكن للوازها مرتبطا، و لا بسكناها مغتبطا، سماها بالعقيق و سمى فتى كان يتعشقه بالحمى، و كان لا يتصرف إلا فى صفاته،
و لا- يقف إلا- بعرفانه، و لا يؤرقه إلا جواه، و لا يشوقه إلا هواه، فإذا بأحد دعاة حبيبه، و رواة تشبيهه، قال له: كنت البارحة بحماه، و
ذكر له خيرا ورى به عنى و عمّاه، فقال: [الوافر]

تنفس بالحمى مطلول أرض فأودع نشره نشر شمالا

فصبحت العيون إلى كسلى تجرّ فيه أردانا خضالا

أقول و قد شممت الثرب مسكا بنفحتها يمينا أو شمالا

نسيم جاء يبعث منك طيبا و يشكو من محبتك اعتلالا

و لما تقرر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرر، و تردد على سمعه انتهاكه و تكرر، أخرجه من بلده و نفاه، و طمس رسم فسقه و عفاه،
فأقع إلى المشرق و هو جار، فلما صار من ميورقة على ثلاثة بحار، نشأت له ريح صرفته عن وجهته، إلى فقد مهجته، فلما لحق
بميورقة أراد ناصر الدولة إمامته، و أخذ ثار الدين منه و إراحته، ثم أثر صفحه، و أخدم ذلك الجمر و لفحه، و أقام أياما ينتظر ريحا
علها ترجيه، و يستهدىها لتخلصه و تنجيه، و فى أثناء بلوته، لم يتجاسر أحد على إتيانه من إخوته، فقال يخاطبهم: [الوافر]

أحببتنا الألى عتبا علينا فأقصرنا و قد أزف الوداع

لقد كنتم لنا جذلا و أنسا فهل فى العيش بعدكم انتفاع؟

أقول و قد صدرنا بعد يوم أشوق بالسفينه أم نراع

إذا طارت بنا حامت عليكم كأنّ قلوبنا فيها شرع

و له يتغزل: [الوافر]

بنى العرب الصميم ألا رعيتم ما تركم بأثار السّماح

رفعتم ناركم فعشا إليها بوهن فارس الحىّ الوقاح

فهل فى القعب فضل تنضحوه به من مخض ألبان اللّقاح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٥٦

لعلّ الرّسل شائبة الثّنايا بشهد من ندى نور الأقاح

و له أيضا [الكامل]:

و كأنّما رشأ الحمى لّمّا بدا لك فى مضلّعه الحديد المعلم

غضب الغمام قسيه فأراكها من حسن معطفه قويم الأسهم

و له أيضا: [الطويل]

نظرت إليه فاتّقانى بمقلّة تردّ إلى نحرى صدور رماح

حميت الجفون التّوم يا رشأ الحمى و أظلمت أيامى و أنت صباحى

و قال: [البيسط]

قالوا تصيب طيور الجوّ أسهمه إذا رماها فقلنا عندنا الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه و أيد السهم من ألحاظه الحور
يروح في برده كالنفس حالكة كما أضاء بجنح الليلة القمر
و ربّما راق في خضراء مورقة كما تفتح في أوراقه الزهر

[أبو الحسن بن لسان]

و قال في ترجمه أبي الحسن بن لسان: شاعر سرح، متقلد بالإحسان متشع، أمّ الملوك و الرؤساء، و يمم تلك السعادة القعساء، فانتجع
مواقع خيرهم، و اقتطع ما شاء من ميرهم، و تمادت أيامه إلى هذا الأوان، فجالت به في ميدان الهوان، فكسد نفاقه، و ارتدت آفاقه، و
توالى عليه حرمانه و إخفاقه، و أدركته و قد خبته سنونه، و انتظرتة منونه، و محاسنه كعهدها في الاتقاد، و بعدها من الانتقاد، و قد
أثبت منها ما يعذب جنى و قطافا، و يستعذب استنزالا و استلطافا، فمن ذلك قوله يستنجد الأمير الأجل أبا إسحاق ابن أمير المسلمين
[الكامل].

قل للأمير ابن الأمير بل الذي أبدا به في المكرمات و في الندى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٥٧

و المجتنى بالزرق و هي بنفسج ورد الجراح مضغفا و منضدا

جاءتكم آمال العفاه ظوامئا فاجعل لها من ماء جودك موردا

و انثر على المداح سبيك أنهم نثروا المدائح لؤلؤا و زبرجدا

فالناس إن ظلموا فأنت هو الحمى و الناس إن ضلوا فأنت هو الهدى

أخبرني وزير السلطان أن هذه القطعة لما ارتفعت، اعتنت بجملة الشعراء و شفعت، فأنجز لهم الموعود، و أورد لهم ذلك العود، و كثر
اللغظ في تعظيمها، و استجادة نظيمها، و حصل له بها ذكر، و انصقل له بسببها فكر.

و له من قطعة يصف بها سيفا: [الخفيف]

كل نهر توقدت شفرتاه كاتقاد الشهاب في الظلماء

فهو ماء مركب فوق نار أو كنار قد ركبت فوق ماء

و كتب إليّ معزيا عن والدتي: [المتقارب]

على مثله من مصاب و جب على من أصيب به المنتجب

و قلب فروق و لبّ خفوق و نفس تشبّ و همّ نصب

فقد خشعت للتقى هضبه ذؤابتها في صميم العرب

من الجاعلات محاريبها هوادجها أبدا و القتب

من القائمات بظلّ الدجى و لا من تسامر إلّا الشهب

فكم ركعت إثرها في الدجى تناجى بها ربّها من كذب

و كم سكبت في أواني السجود مدامع كالغيث لما انسكب

و قد خلقت ولدا باسلا فصيحاً إذا ما قرأ أو خطب

يفلّ السيوف بأقلامه و يكسر صمّ القنا بالقصب

و كان القائد أبو عمرو عثمان بن يحيى بن إبراهيم أجل من جال في خلد، و استطال على جلد، رشأ يحيى باحتشامه، و يسترد البدر

بثامه، و يزرى بالغصن تشبیه، و يثمر الحسن لو دنت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٥٨

قطوفه لمجنتيه، مع لودعيه تخالها جريالاً و سجيئه يختال فيها الفضل اختيالاً، و كان قد بعد عن أنسنا بحمص، و انتضى من تلك القمص، و كان بثر الأشبونه فسده، و لم يفرج لنا من الأنس بعده ما يسد مسده، إلى أن صدر، فأسرع إلينا و ابتدر، فالتقينا و بتنا ليله نام عنها الدهر و غفل، و قام لنا بما شئنا فيها و تكفل، فيينا نحن نفضّ ختامها، و نفض عنا غبار الوحشه و قتامها، إذا أنا بابن لسان هذا و قد دخل إذنه علينا فأمرناه بالنزول و تلقيناه بالترحيب، و أنزلناه بمكان من المسره رحيب، و سقيناها صغاراً و كباراً، و أريناه إعظاماً و إكباراً، فلما شرب، طرب، و كلما كرعها، التحف السلوة و تدرعها، و ما زال يشرب أقداحاً، و ينشد فينا أمداحاً، و يفدى بنفسه، و يستهدى الاستزاده من أنسه، فهتكنا الظلام بما أهدها من البديع، و اجتلينا محاسنه كالصديق، و انفصلت ليلته عن أتم مسره، و أعم مبره، و ارتحل عثمان أعزه الله إلى ثغره، و أقام به برهه من دهره، فمشيت بها إليه مجدداً عهداً، و متضلعا من مؤانسته شهداً، فكتب ابن لسان هذه القطعه من القصيده يذهب إلى شكره، و يجتهد في تجديد ذكره:

[البسيط]

ما شام إنسان إنسان كعثمان و لا كبعيته من حسن إحسان
بدر السيادة يبدو في مطالعه من المحاسن محفوفاً بشهبان
له التمام و ما بالأفق من قمر متمم دون أن يرمى بنقصان
به الشبيبه تزهى من نضارتها كما تساقط ظلّ فوق بستان
معصفر الحسن للأبصار ناصعه كأنه فضة شيتت بعقيان
نبئت عنه بأبناء إذا نفحت تعطلت نفحات المسك و البان
قامت عليه براهين تصدقها كالشكل قام عليه كل برهان
قد زادها ابن عبيد الله من وضح ما زادت الشمس نور الفجر للزاني
بالله بلّغه تسليمي إذا بلغت تلك الركاب و عجل غير ليان
و ليت أتى لو شاهدت أنسكما على كؤوس و طاسات و كيزان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٥٩
فألفظ الكلم المنثور بينكما كأنما هو من درّ و مرجان
لله درك يا ذا الخطتين لقد خططت بالمدح فيه كل ديوان
كلاكما البحر في جود و في كرم أو الغمامة تسقى كل ظمان
إن كان فارس هيجاء و معترك فأنت فارس إفصاح و تبيان
فاذكر أبا نصر المعمور منزله بالرّفد ما شئت من مثني و وحدان
قصائد الأخي ودّ و إن نزلت بك الركاب إلى أقصى خراسان

[الأديب أبو بكر عبد المعطى]

و قال في ترجمه الأديب أبي بكر عبد المعطى: بيت شعر و نباهه، و أبو بكر ممن انتبه خاطره للبدايع أي انتباهه، و له أدب باهر، و نظم كما سمرت أزاهر، و قد أثبت له جمالا، يبلغ آمالا، فمن ذلك قوله، و قد اجتمعنا في ليله لم يضرب لها وعد، و لم يعزب عنها سعد، و هو قعدى، قد شبّ عن طوق الأنس في التدي، و ما قال خلا عمرو و لا عدا، و الكهولة قد قبضته، و أقعدته عن ذلك و ما أنهضته:

[الوافر]

إمام النثر والمنظوم فتح جميع الناس ليل و هو صبح

له قلم جليل لا يجارى يقرب فضله سيف و رمح

بيارى المزن ما سحت سماحا و إن سحت فليس لديه شح

و كان مرتسما فى عسكر قرطبة، و كان ابن سراج يقوم له بكل ما يبغى تطلبه، خيفة من لسانه، و محافظة على إحسانه، و لما خرج إلى

إقليم خرج معه، و جعل يساير من شيعه، فلما حصلوا بفحص سرادق، و هو موضع توديع المفارق للمفارق، قرب منه أبو الحسين بن

سراج لوداعه، و أنشده فى تفرق الشمل و انصداعه: [الطويل]

هم رحلوا عنا لأمر لهم عنا فما أحد منهم على أحد حنا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٦٠

و ما رحلوا حتى استفادوا نفوسنا كأنهم كانوا أحق بها منا

فيا ساكنى نجد لتبعد داركم ظننا بكم ظنا فأخلفتم الظنا

غدرتم و لم أغدر، و خنتم و لم أخن و قلتهم و لم أعتب، و جرتهم و ما جرتنا

و أقسمتم أن لا تخونون فى الهوى فقد و ذمام الحب خنتم و ما خننا

ترى تجمع الأيام بينى و بينكم و يجمعنا دهر نعود كما كنا

فلما استتم إنشاده لحق بالسلطان و اعتذر إليه بمريض خلفه، و هو يخاف تلفه، فأذن له بالانصراف، و كتب إلى أبى الحسين بن سراج:

[الطويل]

أما و الهدايا ما رحلنا و لا حلنا و إن عنّ من دون الترحل ما عنا

تركنا ثواب الغزو و القصد للعدى على مضض منا و عدنا كما كنا

و ليس لنا عنكم على البين سلوة و إن كان أنتم عندكم سلوة عنا

و جمعتنا عشية بربض الزجالى بقرطبة، و معنا لمة من الإخوان و هو فى جملةهم، منا هض لأعيانهم و حلتهم، بفضل أدبه، و كثرة

سجبه، فجعل يرتجل و يروى، و ينشر محاسن الآداب و يطوى، و يمتعنا بتلك الأخبار، و يقطعنا منها جانب اعتبار، و يطلعنا على إقبال

الأيام و على الإدبار، ثم قال: [الطويل]

أيا ابن عبيد الله يا ابن الأكارم لقد بخلت يمناك صوب الغمام

لك القلم الأعلى الذى عطل القنا و فل ظبات المرهفات الصوارم

و أخلاقك الزهر الأزاهر بالزبا ترف بشؤبوب الغيوث السواجم

بقيت لتشيد المكارم و العلى تظاهرها بالسالف المتقادم

و اجتمع عند أبيه لمة من أهل الأدب، و ذوى المنازل و الرتب، فى عشية غيم أعقب مطرا، و خط فيها البرق أسطرا، و البرد يتساقط

كدر من نظام، و يتراءى كثنائيا غادة ذات ابتسام، و هو غلام ما نضا برد شبابه، و لا انتضى مرهف آدابه، فقال معرضا بهم، و متعرضا

لتحقق أدبهم: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٦١

كأنّ الهواء غدیر جمده بحدیث البروق تذيب البرد

خيوط و قد عقدت فى الهواء و راحة ریح تحلّ العقد

و شرب فى دار ابن الأعلم فى يوم لم ير الدهر فيه إساءة، و ليل نسخ نور أنسه مساءه، و معهم جملة من الشعراء، و جماعة من الوزراء،

منهم أبناء القبطنة فوق وقع بينهم عتاب و تعذال، و امتهان في ميدان المشاجرة و ابتذال، آل به إلى تجريد السيف، و تكدير ما صفا بذلك الخيف، فسكنوه بالاستنزال، و ثنوه عن ذلك النزال.

[أبو بكر يحيى بن بقى]

و قال في المطمح في حق أبي بكر يحيى بن بقى القرطبي صاحب الموشحات البديعة:

كان نبيل السيرة و النظام، كثير الارتباط في سلكه و الانتظام، أحرز خصالا، و طرّز بمحاسنه بكرا و آصالا، و جرى في ميدان الإحسان إلى أبعده أمد و بنى من المعارف أثبت عمده، إلا أن الأيام حرمته، و قطعت حبل رعايته و صرمته، فلم تتم له وطرا، و لم تسجم عليه الحظوة مطرا، و لا- سوغت من الحرمة نصيبا، و لا- أنزلته مرعى خصيبا، فصار راكب سهوات، و قاطع فلوات، لا- يستقر يوما، و لا يستحسن نوما، مع توهم لا يظفره بأمان، و تقلب ذهن كالزمان، إلا أن يحيى بن على بن القاسم نزعه من ذلك الطيش، و أقطعه جانبا من العيش، و رقاها إلى سمائه، و سقاها صيب نعمائه، و فيأه ظلاله، و بوأه أثر النعمة يجوس خلاله، فصرف به أقواله، و شرف بعواقبه فعاله، و أفرده منها بأنفس در، و قصده منها بقصائد غر، انتهى المقصود جلبه من ترجمته في المطمح.

و قال في حقه في القلائد: رافع رايه القريض، و صاحب آية التصريح فيه و التعريض، أقام شرائعه، و أظهر روائعه، و صار عصية طائعه، إذا نظم أزرى بنظم العقود، و أتى بأحسن من رقم البرود، و طغى عليه حرمانه، فما صفا له زمانه، انتهى.

و ابن بقى المذكور هو القائل:

بأبي غزال غازلته مقلتي بين العذيب و بين شطى بارق

الأييات المذكورة في غير هذا الموضع.

و من موشحاته قوله:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٦٢

عبث الشوق بقلبي فاشتكى ألم الوجد فلبت أدمعي

أيها الناس فؤادي شغف

هو من بغى الهوى لا ينصف

كم أداريه و دمعي يكف

أيها الشادن من علمكا بسهام اللحظ قتل السبع

بدر تم تحت ليل أغطش

طالع في غصن بان منتشى

أهيف القد بخد أرقش

ساحر الطرف و كم ذا فتكا بقلوب الأسد بين الأضلع

أى ريم رمته فاجتنب

و انثنى يهتر من سكر الصبا

كفضيب هزه ربح الصبا

قلت هب لى يا حبيبي وصلكا و أطرح أسباب هجرى ودع

قال خدى زهره مذ فوفا

جزدت عيناي سيفا مرهفا

حذرا منه بأن لا يقطفنا
 إن من رام جناه هلكا فأزل عنك علال الطمع
 ذاب قلبي في هوى طبي غرير
 وجهه في الدجن صبح مستير
 وفؤادي بين كفيه أسير
 لم أجد للصبر عنه مسلكا فانتصاري بانسكاب الأدمع
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٦٣
 وقال رحمه الله تعالى:
 خذ حديث الشوق عن نفسي و عن الدمع الذي همعا
 ما ترى شوقي قد اتقدا
 وهمى بالدمع و اطردا
 واعتدى قلبي عليك سدى
 آه من ماء و من قبس بين طرفي و الحشا جمعا
 بأبي ريم إذا سفرا
 أطلعت أزراره قمرا
 فاحذروه كلما نظرا
 فبالحاظ الجفون قسى أنا منها بعض من صرعا
 أرتضيه جار أو عدلا
 قد خلعت العذر و العذلا
 إنما شوقي إليه جلا
 كم و كم أشكو إلى اللعس ظمئى لو أنه نفعا
 صال عبد الله بالهور
 و بطرف فاتر النظر
 حكمه فى أنفس البشر
 مثل حكم الصبح فى الغلس إن تجلّى نوره صدعا
 شبهته بالرشا الأمم
 فلعمرى إنهم ظلموا
 فتغنى من به السقم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ١٦٣
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٦٤
 أين طبي القفر و الكنس من غزال فى الحشا رتعا
 انتهى، و له أيضا:
 ما ردنى لابس ثوب الصنا الدارس إلا قمر

فى غصن مائس شعاعه عاكس ضوء البصر
أسير كالتسيل إليه لا باع إلّا وداد
و الطيف فى خيل لهنّ إسرّاع مع الرقاد
يا كوكب اللّيل إن كنت ترتاع فلم فؤادى
كالأسد العابس لكّنه خانس من الحور

و من نظمه قصيدة مدح يحيى بن على بن القاسم المذكور بها، منها فى المديح قوله:
[الكامل]

نوران ليسا يحجبان عن الورى كرم الطّباع و لا جمال المنظر
و كلاهما جمعا ليحيى فليدع كتمان نور علّائه المتشهر
فى كلّ أفق من جمال ثنائه عرف يزيد على دخان المجر
رد فى شمائله ورد فى جوده بين الحديقه و الغمام الممطر
بدر عليه من الوقار سكينه فيها لقيطه كلّ ليث مخدر
مثل الحسام إذا انطوى فى غمده ألقى المهابة فى نفوس الحضّر
أربى على المزن الملتّ لأنّه أعطى كما أعطى و لم يستعبر
و منها:

أقبلت مرتادا لجودك إنّه صوب الغمامه بل زلال الكوثر
و رأيت وجه التّجح عندك أبيضاً فركت نحوك كلّ لّج أخضر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٦٥
و هى طويّلة.

و قوله: «أربى على المزن الملتّ- البيت» هو معنى تلاعب الشعراء بكرته، و أورده كل منهم على حسب مقدرته، فقال بعض:
[المنسرح]

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت إذا جدت ضاحك أبداً و هو إذا جاد دامع العين
و قال آخر: [الخفيف]

ما نوال الغمام يوم ربيع كنوال الأمير يوم سحاء
فنوال الأمير بدره عين و نوال الغمام قطره ماء
و هما من شواهد البدع.

[لأبى عبد الله الحوضى يمدح سلطان تلمسان]

و قال أبو عبد الله الحوضى التلمسانى فى قصيدة مدح بها سلطان تلمسان أبا عبد الله الزيانى: [الخفيف]
أصبح المزن من عطائك يحكى يوم الاثنين للأنام عطاء
كيف يدعى لك الغمام شبيها و لقد ففته سنا و سناء
أنت تعطى إذا تقصّر مالا و هو يعطى إذا تطوّل ماء

رجع - و ذكر العماد في الخريدة ابن بقى المذكور، و أورد له جملة من المقطعات، و محاسنه كثيرة رحمة الله تعالى، و بقى على وزن على.

[عود إلى بنى عباد]

رجع إلى بنى عباد رحمهم الله تعالى.

و قال ابن اللبانة في بنى عباد ما نصه: بماذا أصفهم و أحليهم، و أى منقبة من الجلالة أوليهم، فهم القوم الذى تجل مناقبهم عن العد و الإحصاء، و لا يتعرض لها بالاستيفاء و الاستقصاء، ملوك بهم زينت الدنيا و تحلت، و ترقّت حيث شاءت و حلت، إن ذكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبر اليقين، أو عدّت المآثر فهم فى ذلك فى درجة السابقين،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٦٦

أصبح الملك بهم مشرق القسام، و الأيام ذات بهجة و ابتسام، حتى أناخ بهم الحمام، و عطل من محاسنهم الورا و الأمام، فنقل إلى العدم وجودهم، و لم يرع بأسهم وجودهم، و كل ملك آدمى فمفقود، و ما تؤخره إلا لأجل معدود، فأول ناشئة ملكهم، و محصل الأمر تحت ملكهم، عظيمهم الأكبر، و سابقة شرفهم الأجل الأشهر، و زينهم الذى يعد فى الفضائل بالوسطى و الخنصر، محمد بن عباد، و يكنى أبا القاسم، و اسم والده إسماعيل، و من شعره قوله:

[السريع]

يا حبذا الياسمين إذ يزهر فوق غصون رطبية نضّر

قد امتطى للجبال ذروتها فوق بساط من سندس أخضر

كأنه و العيون ترمقه زمرد فى خلاله جوهر

[وصف ابن اللبانة للمعتضد]

و لنذكر كلام ابن اللبانة و غيره فى حقهم فنقول: وصف المعتضد رحمة الله تعالى بما صورته: المعتضد أبو عمرو عباد رحمة الله تعالى، لم تخل أيامه فى أعدائه من تقييد قدم، و لا عطل سيفه من قبض روح و سفك دم، حتى لقد كانت فى باب داره حديقه لا تثمر إلا رؤوسا، و لا تنبت إلا رئيسا و مرءوسا، فكان نظره إليها أشهى مقترحاته، و فى التلفت إليها استعمل جل بكره و روحاته، فبكى و أرق، و شتت و فرق، و لقد حكى عنه من أوصاف التجبر ما ينبغى أن تصان عنه الأسماع، و لا يتعرض له بتصريح و لا إلماع، و من نظمه عفا الله عنه [مجزوء الرجز]:

أتتك أم الحسن تشدو بصوت حسن

تمدّ فى ألحانها من الغناء المدنى

تقود منى ساكنا كأننى فى رسن

أوراقها أستارها إذا شدت فى فنن

و قوله: [الطويل]

شربنا و جفن الليل يغسل كحله بماء صباح و النسيم رقيق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٦٧

معتقه كالنبر أما بخارها فضخم و أما جسمها فريق

و قوله: [المتقارب]

قد وجدنا الحبيب يصفى وداده و حمدنا ضميره و اعتقاده
قرب الحب من فؤاد محب لا يرى هجره و لا إبعاده
و قال عند حصول رندة في ملكه: [مجزوء الكامل]
لقد حصنت يا رنده فصرت لملكنا عدة
أفادتناك أرماح و أسياف لها حدّه
و قال رحمه الله تعالى: [مجزوء الكامل]
اشرب على وجه الصّباح و انظر إلى نور الأفاح
و اعلم بأنك جاهل ما لم تقل بالاصطباح
فالدهر شيء بارد ما لم تسخّنه براح

[ابن جاح يرد على المعتضد]

و من حكايات المعتضد عباد ما ذكره غير واحد أن ابن جاح الشاعر ورد على حضرته، فدخل الدار المخصوصة بالشعراء، فسأله، فقال: إني شاعر، فقالوا: أنشدنا من شعرك، فقال: [الكامل]
إني قصدت إليك يا عبّادى قصد القليق بالجري للوادي
فضحكوا منه و ازدروه، فقال بعض عقلائهم: دعوه فإن هذا شاعر، و ما يبعد أن يدخل مع الشعراء و يندرج في سلكهم، فلم يبالوا
بكلام الرجل، و تنادروا على المذكور، فبقى معهم، و كان لهم في تلك الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم، و
ربما كان يوم الاثنين، فقال بعض لبعض: هذه شنعاء بنا أن يكون مثل هذا البادي يقدم علينا، و يجترئ على الدخول معنا، فاتفقوا على
أن يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان، و قد رأوا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم،
و يكون ذلك حسما لعله إقدام مثله عليهم، فلما كان اليوم المذكور، و قعد السلطان في مجلسه، و نصب الكرسي لهم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٦٨

– رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم في ذلك اليوم، فأمر بذلك، فصعد الكرسي، و انتظروا أن ينشد مثل الشعر المضحك
المتقدم، فقال: [الكامل]

قطعت يا يوم التوى أكبادى و حرمت عن عيني لذيد رقادى
و تركنتى أرى التّجوم مسهدا و التّار تضرم فى صميم فؤادى
فكأتما آلى الظّلام أليّة لا ينجلى إلّا إلى ميعاد
لى بين بين أين تقتاد التّوى إبل الذين تحمّلوا بسعاد
و لربّ خرق قد قطعت نياطه و اللّيل يرفل فى ثياب حداد
بشملة حرف كأنّ ذميلها سرح الرّياح و كلّ برق غادى
و النّجم يحدوها و قد ناديتها يا ناقتى عوجى على عبّاد
ملك إذا ما أضرمت نار الوغى و تلاقت الأجناد بالأجناد
فترى الجسوم بلا رؤوس تشنى و ترى الرّءوس لقى بلا أجساد
يا أيها الملك المؤمّل و الذى قدما سما شرفا على الأنداد

إنّ القريض لكاسد في أرضنا و له هنا سوق بغير كساد
فجلبت من شعري إليك قوافيا يفنى الزمان و ذكرها متمادي
من شاعر لم يضطلع أدبا و لا خطّ يده صحيفة بمداد
فقال له الملك: أنت ابن جاح؟ فقال: نعم، فقال: اجلس فقد وليتك رياسة الشعراء، و أحسن إليه، و لم يأذن في الكلام في ذلك اليوم
لأحد بعده. انتهى.

[المعتمد على الله بن المعتضد بن عباد]

رجع إلى أخبار بقيه بنى عباد:
المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد أبي عمرو عباد ابن القاضى أبى القاسم ابن عباد رحمه الله تعالى: ملك مجيد، و
أديب على الحقيقة مجيد، و همام تحلى به للملك لبه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٦٩
و للنظم جيد، أفنى الطغاة بسيفه و أباد، و أنسى بسيفه ذكر الحارث بن عباد، فأطلع أيامه في الزمان حجولا و غررا، و نظم معاليه في
أجيادها جواهر و دررا، و شيد في كل معلوه فناءه، و عمر بكل نادرة مستغربة و بادرة مستظرفة أوقاته و آتاه، فنفتت به للمحامد
سوق، و بسقت ثمرات إحسانه أى بسوق، منع و قرى، و راش و برى، و وصل و فرى، و كان له من أنبائه عدة أعمار نظمهم نظم
الملك، و زين بهم سماء ذلك السلوك، فكانوا معاقل بلاده، و حماة طارفه و تلاده، إلى أن استدار الزمان كهيته، و أخذ البؤس في
فيته، و اعتر الخلاف و ظهر، و سلّ الشتات سيفه و شهر، و المعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه أثناء ذلك بالثبات، بين تلك الثبات،
و المقام، في ذلك المقام، إلى أن بدل القطب بالواقع، و اتسع الخرق على الراقع، فاستعضد بابن تاشفين فورد عليه كتابه يشعر بالوفاء،
فثاب إليه فكر خاطره وفاء، و ثبت خلال تلك المدة للزوال، و دعا من رام حربه نزال، إلى أن أصبح و الحروب قد نهبت، و الأيام
تسترجع منه ما وهبته، فتل ذلك العرش، و اعتدت الليالي حين أمنت من الأرش فنقل من سهوات الخيول إلى بطون الأجفان، و هذه
الدنيا جميع ما لديها زائل و كل من عليها فان، فما أغنت تلك المملكة و ما دفعت، وليتها ما ضرت إذ لم تكن نفعت، و كل يلقي
معجله و مؤجله، و يبلغ الكتاب أجله.

و قال الفقيه القاضى أبو بكر بن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر تاريخ بنى عباد: و قد ذكر الناس للمعتمد من أوصافه، ما لا يبلغ مع
كثرتة إلى إنصافه، و أنا الآن أذكر نبذا من أخباره، و أردفها بما وقفت عليه من منظومات أشعاره، فإنه رحمه الله تعالى حمّ الأدب
رائقه، على النظم فائقه، كان يسمى بمحمد، و يكنى بأبى القاسم، على كنية جده القاضى، استبد بالأمر عند موت أبيه المعتضد، و فى
ذلك يقول الحصرى رحمه الله تعالى: [مجزوء الرمل]

مات عباد و لكن بقى الفرع الكريم

فكأن الميت حى غير أن الضاد ميم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٧٠

قال ابن اللبانه رحمه الله تعالى: و لم يزل المعتمد بخير إلى أن كانت سنة خمس و سبعين و أربعمائه، و وصل اليهودى ابن شاليب
لقبض الجزية المعلومه مع قوم من رؤساء النصارى، و حلوا بباب من أبواب إشبيلية، فوجه لهم المعتمد المال، مع جماعة من وجوه
دولته، فقال اليهودى: و الله لا أخذت هذا العيار، و لا آخذه منه إلا مشجرا، و بعد هذا العام لا آخذ منه إلا أجفان البلاد، ردوه إليه،
فرد المال إلى المعتمد، و أعلم بالقصة، فدعا بالجندي، و قال: ائتوني باليهودى و أصحابه، و اقطعوا جبال الخباء، ففعلوا و جاؤوا بهم،
فقال: اسجنوا النصارى، و اصلبوا اليهودى الملعون، فقال اليهودى: لا تفعل، و أنا أفتدى منك بزنتى مالا فقال: و الله لو أعطيتنى العدو

و الأندلس ما قبلتهما منك، فصلب، فبلغ الخبر النصراني فكتب فيهم، فوجه إليه بهم، فأقسم النصراني أن يأتي من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل إلى بحر الزقاق، وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين إذ ذاك محاصر سبتة، فجاز المعتمد إليه، و وعده بنصرته، فرجع و حث ملوك الأندلس على الجهاد، ثم وصل ابن تاشفين، فكانت غزوة الزلّافة المشهورة، و رجع ابن تاشفين إلى المغرب، ثم جاز بعد ذلك إلى الأندلس، و توهم ابن عباد أنه إذا أخذ البلاد يأخذ أموالها و يترك الأجفان، فعزم ابن تاشفين على أن يخلع ملوك الأندلس، و دارت إذ ذاك مكاييد جمّة، ثم وجه ابن تاشفين من سبتة إلى المعتمد يطلب منه الجزيرة الخضراء و فيها ابنه يزيد، فكتب إليه معتذرا عنها، فلم يكن إلا كلمح البصر و إذا بمائة شراع قد أطلت على الجزيرة، فطير ابنه الحمام إليه، فأمره بإخلائها، فظهر عند ذلك ابن تاشفين، و قيل: إنه لم يجز المرة الأولى حتى طلب من المعتمد الجزيرة لتكون عدة له، و كان ذلك بدسيسة بعض أهل الأندلس نصحا لابن تاشفين، ثم شرع ابن تاشفين في خلع ملوك الأندلس و قتالهم، و أرسل إلى كل مملكة جماعة من أهل دولته و أجناده يحاصرونها، و أرسل إلى حضرة المعتمد إشبيلية، و شرع في قتالها، و الناس قد ملوا الدولة العبادية و سئموها، على ما جرت به العادة من حب الجديد، لا سيما و قد ظهر من ابن عباد من التهتك في الشرب و الملاهي ما لا يخفى أمره، فتمنى أكثر الناس الراحة من دولتهم، و لما اشتدّ مخنق المعتمد وجه عن النصراري، فأعدّ لهم ابن تاشفين من لقيهم في الطريق، فهزمهم، و جهز ابن تاشفين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٧١

القطائع لإشبيلية، جدّ في حصارها، و المعتمد مع ذلك منغمس في لذاته، و قد ألقى الأمور بيد ابنه الرشيد، فلم يشعر ابن عباد إلا و العسكر معه في البلد، فأفاق من نومه، و صحا من سكره، و ركب فرسه و حسامه في يده، و ليس عليه إلا ثوب واحد، فوافق العسكر قد دخل من باب الفرج، و وافى هنالك طبالا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين، ففر الناس أمامه، و تراموا من السور، و وقف حتى بان الباب، و في ذلك يقول الأبيات المذكورة فيما يأتي «إن يسلب القوم العدا- إلى آخره». فلما وصل إلى باب الصباغين وجد ابنه مالكا مقتولا، فاسترحم له، و دخل القصر، و زاد الأمر بعد ذلك، و دخل البلد من كل جهاته، فطلب الأمان له و لمن معه، فأمن و جميع من له، و أعدت له مراكب، و اجتاز إلى طنجة، فلقبه الحصري الشاعر، و كان قد ألف له كتاب «المستحسن من الأشعار» فلم يقض بوصوله إليه إلا- و هو على تلك الحالة، فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصري: ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته، فوالله ما أملك غيره، فوجد تحته جملة مال، فأخذه، ثم انتقل حتى وصل أغمات، و لم يزل بها إلى أن مات، رحمه الله تعالى!.

و قال الفتح في ترجمته ما نصه: ملك قمع العدا، و جمع البأس و الندى، و طلع على الدنيا بدر هدى، لم يتعطل يوما كفه و لا بنانه، آونة يراعه و آونة سنانه، و كانت أيامه مواسم، و ثغوره بواسم، و لياليه كلها دررا، و للزمان حجولا و غررا، لم يغفلها من سمات عوارف، و لم يضحها من ظل إيناس وارف، و لا- عطلها من مأثرة بقي أثرها باديا، و لقي معفيه منها إلى الفضل هاديا، و كانت حضرته مطمحا للهمم، و مسرحا لآمال الأمم، و مقذفا لكل كمي، و موقفا لكل ذى أنف حمى، لم تخل من وفد، و لم يصح جوها من انسجام رفا، فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماه، و مشاهير الحماه، أعداد يغصّ بهم الفضاء، و أنجاد يزهى بهم النفوذ و المضاء، و طلع في سمائه كل نجم متقد، و كل ذى فهم منتقد، فأصبحت حضرته ميدانا لزهان الأذهان، و مضمارا لإحراز الخصل، في كل معنى و فصل، فلم يلتحق بزمامه إلا كل بطل نجد، و لم يتسق في نظامه إلا ذكاء و مجد، فأصبح عصره أجمل عصر، و غدا مصره أكمل مصر، تسفح فيه ديم الكرم، و يفصح فيه لسان سيف و قلم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٧٢

و يفصح الرضا في وصفه أيام ذى سلم، و كان قومه و بنوه لتلك الحلبة زينا، و لتلك الجملة عينا، إن ركبوا خلت الأرض فلكا يحمل نجوما، و إن وهبوا رأيت الغمام سجوما، و إن أقدموا أحجم عنترة العبسي، و إن فخرُوا أفحم عرابة الأوسى، ثم انحرفت الأيام فألوت بإشراقه، و أذوت يانع إيراقه، فلم يدفع الرمح و لا- الحسام، و لم تنقع تلك المنن الجسام، فتملك بعد الملك، و حط من فلكه إلى الفلك، فأصبح خائضا تحده الرياح، و ناهضا يزجيه البكاء و الصياح، قد ضجت عليه أياديها، و ارتجت جوانب ناديمه، و أضحت

منازله قد بان عنها الأنس و الجبور، و ألوت بيهجتها الصِّبا و الدَّبور. فبكت العيون عليه دما، و عاد موجود الحياة عدما، و صار أحرار الدهر فيه خدما، فسحقا لدنيا ما رعت حقوقه، و لا أبقّت شروقه، فكم أحيها لبنيتها، و أبداها رائقة لمجنتيها، و هى الأيام لا يتقى من تجنيها، و لا تبقى على مواليتها و مدانيها، أدثرت آثار جلق، و أخدمت نار المحلق، و ذلت عزة ابن شداد، و هدت القصر ذا الشرفات من سنداد، و نعمت ببؤس النعمان، و أكمنت غدرها له فى طلب الأمان، انتهى.

[ترجمة الفتح للراضى بالله بن المعتمد]

ثم ذكر الفتح من أخباره و أشعاره و مجالس أنسه و غير ذلك من أمره نبذا ذكرنا بعضها فى هذا الكتاب. و قال فى ترجمة ابنه الراضى بالله أبى خالد يزيد بن المعتمد ما نصه: ملك تفرع من دوحه سناء، أصلها ثابت و فرعها فى السماء، و تحدر من سلالة أكابر، و رقاء أسره و منابر، و تصرف أثناء شببته بين دراسه معارف، و إفاضه عوارف، و كلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه، و روضه أجفانه، لا يستريح منه إلا إلى فرس سائل الغرّة، ميمون الأسره، يسابق به الرياح، و يحاسن بغرته البدر اللّياح، عريق فى السناء، عتيق الاقتناء، سريع الوحده و الإرقال، من آل أعوج أو ولد لذى العقال، إلى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء، و ضم إليها رنده الغراء، فانتقل من متن الجواد، إلى ذروه الأعواد، و ألق عن الدراسه، إلى تدبير الرياسه، و ما نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٧٣

زال يدبرها بجوده و نهاه، و يورد الآمل فيها مناه، حتى غدت عراقا، و امتلأت إشراقا، إلى أن اتفق فى أمر الجزيرة ما اتفق، و خاب فيها الرجاء و أخفق، و استحالت بهجتها، و أحالت عليها من الحال لجتها، فانتقل إلى رنده معقل أشب، و منزل للسماك منتسب، و أقام فيها رهين حصار، و مهين حماه و أنصار، و لقيت ريحه كل إعصار، حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها، و أمكنت منه يدى مسيها، فحواه رسمه، و طواه عن غده أمسه، حسبما بسطنا القول فيه، فيما مر من أخبار أبيه، انتهى.

و الذى أشار إليه هنا و أحال عليه فيما تقدم له من أخبار المعتمد هو قوله بعد حكايته قتل المأمون بن المعتمد بقرطبه و سياقه أخبار ذلك ما نصه: ثم انتقلوا إلى رنده أحد معاقل الأندلس الممتنع، و قواعدها الساميه المرتفعه، تطرد منها على بعد مرتقاها، و دنو النجوم من ذراها، عيون لانصبابها دوى كالرعد القاصف، و الرياح العواصف، ثم تتكوّن واديا يلتوى بجوانبها التواء الشجاع، و يزيدها فى التوعر و الامتناع، و قد تجوّنت نواحيها و أقطارها، و تكوّنت فيها لباناتها و أوطارها، لا يتعذر لها مطلب، و لا يتصوّر فيها عدوّ إلا عقله ناب أو مخلب، فلما أناخوا منها على بعد، و أقاموا من الرجاء فيها على غير وعد، و فيها ابنه الراضى لم يحفل بإناحتهم بإزائه، و لا عدّها من أرزائه، لامتناعه من منازلهم، و ارتفاعه عن مطاولتهم، إلى أن انقضى فى [أمر] إشبيلية ما انقضى، و أفضى أمر أبيه إلى ما أفضى، فحمل على مخاطبته لينزل عن صياصيه، و يمكنهم من نواصيه، فنزل برا بأبيه، و إبقاء على أرماق ذويه، بعد أن عاقدهم مستوثقا، و أخذ عليهم عهدا من الله و موثقا، فلما وصل إليهم، و حصل فى يديهم، مالوا به عن الحصن و جرعوه الردى، و أقطعوه الثرى حين أودى، و فى ذلك يقول المعتمد يرثيها، و قد رأى قمرية بائحة بشجنها، نائحه بفننها على سكنها، و أمامها و كرفيه طائران يرددان نغما، و يغردان ترحةً و ترنما: [الطويل]

بكت أن رأت إلفين ضمّهما و كر مساء و قد أحنى على إلفها الدهر

و ناحت فباح و استراحت بسرّها و ما نطقت حرفا يباح به سرّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٧٤

فما لى لا أبكى أم القلب صخرة و كم صخرة فى الأرض يجرى بها نهر

بكت واحدا لم يشجها غير فقده و أبكى لألاف عديدهم كثر

بنى صغير أو خليل موافق يمزق ذا قفر و يغرق ذا بحر

و نجمان زين للزّمان احتواهما بقرطبة النّكداء أو رندة القبر
 غدرت إذن إن ضنّ جفنى بقطرة و إن لومت نفسى فصاحبها الصّبر
 فقل للنّجوم الزّهر تبيكهما معى لمثلهما فلتحزن الأنجم الزّهر
 و قال فى ترجمة الراضى ما صورته. و كان المعتمد رحمه الله تعالى كثيرا ما يرميه بملامه، و يصميه بسهامه، فربما استلطفه بمقال
 أفصح من دمع المحزون، و أملح من روض الحزون، فإنه كان ينظم من بديع القول لآلىء و عقودا، تسلّ من النفوس سخائم و حقوقا،
 و قد أثبت من كلامه فى بث آلامه، و استجاره عدله و ملامه، ما تستبدعه، و تحلّه النفوس و تودعه، فمن ذلك ما قاله و قد أنهض
 جماعة من أخوته و أفعده، و أذناهم و أبعده:

[الوافر]

أعيدك أن يكون بنا خمول و يطلع غيرنا و لنا أفول
 حنانك إن يكن جرمى قبيحا فإنّ الصّفح عن جرمى جميل
 أ لست بفرعك الزّاكى و ما ذا يرجى الفرع خاتنه الأصول
 ثم قال الفتح بعد كلام: و مرت عليه- يعنى الراضى- هوادج و قباب، فيها حباب كن له و أحباب، ألفهن أيام خلائه من دوله، و جال
 معهن فى ميدان المنى أعظم جوله، ثم انتزعوا منه ببعده، و أودعوا الهوادج من بعده، و وجهوا هدايا إلى العدو، و ألموا بها إمام
 قريش بدار الندوة، فقال: [البسيط]

مرّوا بنا أصلا من غير ميعاد فأوقدوا نار قلبى أى إيقاد
 و أذكرونى أيّاما لهوت بهم فيها ففازوا بإيثارى و إحمادى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٧٥
 لا غرو أن زاد فى وجدى مرورهم فرؤيته الماء تذكى غلّه الصّادى

و لما وصل المعتمد لورقه أعلم أن العدو قد جيش لها و احتشد، و نهد نحوها و قصد، ليتركها خاوية على عروشها، طاوية الجوانح
 على وحوشها، فتعرض له المعتمد دون بغيته، و طلع عليه من ثيابه، و أمر الراضى بالخروج إليه فى عسكر جرّده لمحاربتة، و أعدّه
 لمصادمته، و مضاربتة، فأظهر التمرض و التشكى، و أضمر التقاعس و التلكى، فرارا من المصادمة، و إحجاما عن المساومة، و جزعا من
 منازل الأقران، و مقابلة ذوابل المرّان، و مقاساة الطعان، و ملاقاء أبطال كالزّعان، و رأى أن المطالعة، أرجح من المقارعة، و معاناة
 العلوم، أربح من مداواة الكلوم، فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان، عارفا بإجادة صدر و عنوان، فعلم المعتمد ما نواه، و تحقق ما لواه،
 فأعرض عنه، و نفّض يده منه، و وجه المعتدّ مع ذلك الجيش الذى لم تشر بنوده، و لا- نصرت جنوده، فعندما لاقوا العدو لاذوا
 بالفرار، و عاذوا بإعطاء الغرة بدلا من الغرار، و تفرقوا فى تلك الأماريت، و فرقوا من تخطف أولئك العفاريت، فتخيف العدو من بقى
 مع المعتد و اهتضمه، و خضم ما فى العسكر و قضمه، و غدت مضاربه مجرّ عواليه، و مجرى مذاكيه، و آب أخسر من بائع الشّدانة، و
 مضيع الأمانة، فانطبقت سماء المعتمد على أرضه، و شغلته عن إقامة نوافله و فرضه، فكتب إليه الراضى: [البسيط]

لا يكر ثنك خطب الحادث الجارى فما عليك بذاك الخطب من عار

ما ذا على ضيغم أمضى عزيمة إن خانه حدّ أنياب و أظفار

لئن أتوك فمن جبن و من خور قد ينهض العير نحو الضيغم الضارى

عليك للناس أن تبقى لنصرتهم و ما عليك لهم إسعاد أقدار

لو يعلم الناس فيما أن تدوم لهم بكوا لأنك من ثوب الصّبا عارى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٧٦

و لو أطاقوا انتقاصا من حياتهم لم يتحفوك بشيء غير أعمار

فحجب عنه وجه رضاه، و لم يستنزله بذلك و لا استرضاه، و تمادى على إعراضه، و قعد عن إظهاره و إنهاضه، حتى بسطته سوانح

السلو، و عطفته عليه جوانح الحنو، فكتب إليه بهزل، غلب فيه كل منزع جزل، و هو: [مجزوء الكامل]

الملك في طي الدفاتر فتخل عن قود العساكر

طف بالسرير مسلما و ارجع لتوديع المناير

و ازحف إلى جيش المعارف تقهر الحبر المقامر

و اطعن بأطراف اليراع نصرت في ثغر المحابر

و اضرب بسكين الدواة مكان ماضي الحد باتر

أ و لست رسطاليس إن ذكر الفلاسفة الأكابر

و أبو حنيفة ساقط في الرأي حين تكون حاضر

و كذاك إن ذكر الخل يل فأنت نحوى و شاعر

من هرمس من سيوى ه من ابن فورك إذ تناظر

هذى المكارم قد حوى ت فكن لمن حاباك شاعر

و اقعد فإنك طاعم كاس و قل: هل من مفاخر

لحجبت وجه رضاي عنك و كنت قد تلقاه سافر

أ و لست تذكر وقت لو رقه و قلبك ثم طائر

لا يستقر مكانه و أبوك كالضغام خادر

هلا اقتديت بفعله و أطعته إذ ذاك أمر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٧٧

قد كان أبصر بالعواقب و الموارد و المصادر

فكتب إليه الراضى مراجعا بقطعه منها: [مجزوء الكامل]

مولاي قد أصبحت كافر بجميع ما تحوى الدفاتر

و فللت سكين الدواة و ظلت للأقلام كاسر

و علمت أن الملك ما بين الأسته و البواتر

و المجد و العلياء في ضرب العساكر بالعساكر

لا ضرب أقوال بأقوال و ال ضعيفات مناكر

قد كنت أحسب من سفاه أنها أصل المفاخر

فإذا بها فرع لها و الجهل للإنسان عاذر

لا يدرك الشرف الفتى إلا بعسال و باتر

و هجرت من سميتهم و جحدت أنهم أكابر

لو كنت تهوى ميتتى لو جدتنى للعيش هاجر

ضحك الموالى بالعبى د إذا تؤمل غير ضائر

إن كان لى فضل فمنك و هل لذاك الثور ساتر

أو كان بى نقص فمنى غير أن الفضل غامر
 ذكّرت عبدك ساعة يبقى لها ما عاش ذاكر
 يا ليته قد غيّبت ه عندها إحدى المقابر
 أ تريد منى أن أكون كمن غدا فى الدهر غادر
 هيهات ذلك مطمع يعيب الأوائل والأواخر
 لا تنس يا مولاي قوله ضارع لا قول فاخر
 ضبط الجزيرة عندما نزلت بعقوتها العساكر
 أيام ظلت بها فرى دا ليس غير الله ناصر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٧٨
 إذ كان يعشى ناظرى لمع الأسنه والبواتر
 و يصمّ أسماعى بها قرع الحجارة بالحوافر
 وهى الحضيض سهوله لكن ثبت بها مخاطر
 هبنى أسأت كما أسأت أما لهذا العتب آخر
 هب زلتى لبنوتى و اغفر فإن الله غافر

فقربه و أدناه، و صفح عما كان جناه، و لم تزل الحال آخذة فى البوار، و الأمور معتلة اعتلال حبّ الفرزدق للنّوار، حتى مضوا لغير
 طيئه، و قضوا بين الصوارم و الرماح الخطيئه، حسبما سردناه، و على ما أوردناه، و إذا أراد الله سبحانه إنفاذ أمر سبق فى علمه، فلا مرد
 له و لا معقب لحكمه، و لا إله إلا هو رب العالمين، انتهى كلام الفتح.

و على الجملة فكانت دوله بنى عباد بالأندلس من أبهج الدول فى الكرم و الفضل و الأدب، حتى قال ابن اللبانه رحمه الله تعالى: إن
 الدوله العباديه بالأندلس أشبه شىء بالدوله العباسيه ببغداد، سعة مكارم، و جمع فضائل، و لذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه
 «الاعتماد، فى أخبار بنى عباد» و لا يلتفت لكلب عقور نبخ بقوله: [البسيط]

مما يزهدنى فى أرض أندلس أسماء معتضد فيها و معتمد

لقاب مملكة فى غير موضعها كالهز يحكى انتفاخا صورة الأسد

لأن هذه مقالة متعسف كافر للنعم، و مثل ذلك فى حقهم لا يقدر، و ما زالت الأشراف تهجى و تمدح.

[أولاد المعتمد و من مدائح الدانى فى بنى عباد مقتل بنى المعتمد ورناء ابن حمديس]

و للمعتمد أولاد ملوك منهم المأمون و الرشيد و الراضى و المعتمد و غيرهم، و قد سردنا خبر بعضهم.

و كان الدانى المذكور مائلا إلى بنى عباد بطبعه، إذ كان المعتمد هو الذى جذب بضبعه، و له فيه المدائح الأنيقه، التى هى أذكى من
 زهر الحديقه، فمن ذلك قوله من قصيده يمدحه بها و يذكر أولاده الأربعة، الذين عمروا من المجد أربعة، و هم الرشيد عبيد الله و
 الراضى يزيد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٧٩

و المأمون و المؤمن، و كانوا نجوم ذلك الأفق و غيوث ذلك الزمن، و لقد أجاد فى ذلك كل الإجاده، و أطال لمجدهم نجاده:

[الطويل]

يغيثك فى محل، يعينك فى ردى يروعك فى درع، يروكك فى برد

جمال و إجمال و سبق و صولهُ كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالزعد

بمهجته شاد العلا ثم زادها بناء بأبناء ججاجحة لَدَّ

بأربعة مثل الطباع تركبوا التعديل ذكر المجد و الشرف العد

و المأمون بن المعتمد قتله لمتونة بقرطبة، و الراضى يزيد قتلوه برنده كما سقنا خبره آنفا، و فى حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد

الجبار بن حمديس الصقلى: [الطويل]

و لما رحلت بالندى فى أكفكم و قلقل رضوى منكم و ثبير

رفعت لسانى بالقيامة قد دنت فهذى الجبال الراسيات تسير

[من شعر الدانى فى المعتمد]

و فى قضية المعتمد يقول الدانى المذكور: [البسيط]

لكل شىء من الأشياء ميقات و للمنى فى منايهن غايات

و الدهر فى صفة الحرباء منغمس ألوان حالاته فيها استحالات

و نحن من لعب الشطرنج فى يده و طالما قمرت بالبيدق الشاء

انفض يدىك من الدنيا و زينتها فالأرض قد أفقرت و الناس قد ماتوا

و قل لعالمها الأرضى قد كتتم سريره العالم العلوى أغمات

و هى طوبيلة ذكرها الفتح و غيره.

و للدانى أيضا قصيدة عملها فى المعتمد و هو بأغمات سنة ٤٨٦: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٨٠

تنشق بريحان السلام فإنما أفض به مسكا عليك مختما

و قل لى مجازا إن عدت حقيقة لعلك فى نعمى فقد كنت منعما

أفكر فى عصر مضى بك مشرقا فيرجع ضوء الصبح عندى مظلما

و أعجب من أفق المجرة إذ رأى كسوفك شمسا كيف أطلع أنجما

لئن عظمت فيك الرزية إننا وجدناك منها فى الرزية أعظما

قناه سعت للطن حتى تقسمت و سيف أطال الضرب حتى تنلما

و منها:

بكى آل عباد و لا كمحمد و أولاده صوب الغمامة إذ همى

حبيب إلى قلبى حبيب لقوله عسى طلل يدنو بهم و لعلمنا

صباحهم كنا به نحمد السرى فلما عد منا هم سرينا على عمى

و كنا رعيانا العز حول حماهم فقد أجذب المرعى و قد أفقر الحمى

و قد ألبست أيدى اللبالي قلوبهم مناسج سدى الغيث فيها و ألحما

قصور خلت من ساكنيها فما بها سوى الأدم تمشى حول واقفة الدمي

تجيب بها الهام الصدى و لطالما أجب القيان الطائر المترنما

كأن لم يكن فيها أنيس، و لا التقى بها الوفد جمعا و الخميس عرمرما

و منها:

حكيت و قد فارقت ملكك مالكا و من ولهي أحكى عليك متمما
مصاب هوى بالتيرات من العلا و لم يبق في أرض المكارم معلما
تضيق على الأرض حتى كأنما خلقت و إياها سوارا و معصما
ندبتك حتى لم يخل لي الأسي دموعا بها أبكى عليك و لا دما
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٨١
و إني على رسمي مقيم فإن أمت سأجعل للباكين رسمي موسما
بكاك الحيا و الريح شقت جيوبها عليك و ناح الرعد باسمك معلما
و مزق ثوب البرق و اكتست الضحى حدادا و قامت أنجم الجوّ أفحما
و حار ابنك الإصباح و جدا فما اهتدى و غار أخوك البحر غيضا فما طمى
و ما حل بدر التّم بعدك دارة و لا أظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقر بشم و أن أمطوك أشام أدهما
و كان قد انفكت عنه القيود، فأشار إلى ذلك بقوله فيها:
قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت قيودك منهم بالمكارم أرحما
عجبت لأن لان الحديد و أن قسوا لقد كان منهم بالسريرة أعلما
سينجيك من نجى من السجن يوسف و يؤويك من آوى المسيح بن مريما
و لأبى بكر الدانى المذكور فى البكاء على أيامهم، و انتشار نظامهم، عدة مقطعات و قصائد، هى قرءة عين الطالب و نجعة الرائد، و قد
اشتمل عليها جزء لطيف، صدر عنه فى هيئة تصنيف، سماه «السلوك»، فى وعظ الملوك» و وفد على المعتمد و هو بأغمات، عدّة
وفادات، لم يخل فى جميعها من إفادات، و قال فى إحداها: هذه وفادة وفاء، لا وفادة اجتداء.

[رثاء أبى بحر عبد الصمد للمعتمد]

قال غير واحد: من النادر الغريب أنه نودى على جنازته «الصلاح على الغريب» بعد عظم سلطانه، و سعة أوطانه، و كثرة صقالبته و حبشانه، و عظم أمره و شأنه، فتبارك من له العزة و البقاء و الدوام، و اجتمع عند قبره جماعة من الأقسام، الذين لهم فى الأدب حصّة، و لقضية المعتمد فى صدورهم غصّة، منهم البالغ فى البلاغة الأمد، شاعره أبو بحر عبد الصمد، و كان به خصيصا، و كم ألبسه من بره حلة و قميصا، فقال من قصيدة طويلة أجاد فيها ماشا، و جلب بها إلى أنفس الحاضرين بعد الأانس إباحشا، مطلعها: [الكامل]

ملك الملوك أ سامع فأنادى أم قد عدتكم عن السماع عوادى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٨٢

و منها:

لما خلت منك القصور و لم تكن فيها كما قد كنت فى الأعياد

قبلت فى هذا الثرى لك خاضعا و جعلت قبرك موضع الإنشاد

فلما بلغ من إنشاده، إلى مراده، قبل الثرى و مرغ جسمه و عفر خده، فبكى كل من حضر و حذفه ذلك عن سرور العيد و صدّه، إذ كانت هذه القصة يوم عيد، فسبحان المبدىء المعيد.

[بين الداني و ابن عمار و امرأة تلقى المعتمد و ابن عمار بغير حياء]

و يحكى أن رجلا رأى فى منامه أثر الكائنة على المعتمد بن عباد كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس و أنشد هذه الأبيات متمثلا: [الرمل]

ربّ ركب قد أناخوا عيسهم فى ذرا مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

و عاش أبو بكر بن اللبانه المعروف بالدانى المذكور آنفا بعد المعتمد، و قدم ميورقه آخر شعبان سنه ٤٨٩، و مدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيده مطلعها: [الكامل]

ملك يروعك فى حلى ريعانه راقى برونقه صفات زمانه
و أين هذا من أمداحه فى المعتمد؟!.

و تذكرت هنا من أهوال الدانى أنه دخل على ابن عمار فى مجلس، فأراد أن يندر به و قال له: اجلس يا داني، بغير ألف، فقال له: نعم يا ابن عمار، بغير ميم، و هذا هو الغايه فى سرعه الجواب و الأخذ بالتأثر فى المزاج.

و نظيره- و إن كان من باب آخر- أن المعتمد مر مع وزيره ابن عمار ببعض أرجاء إشبيلية فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط، فكشفت وجهها، و تكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء، و كان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون الجبس و الجيارين الصانعين للجير بإشبيلية، فالتفت المعتمد إلى موضع الجيارين، و قال: يا ابن عمار الجيارين، ففهم مراده، و قال فى الحال:

يا مولاي و الجباسين، فلم يفهم الحاضرون المراد، و تحيروا، فسألوا ابن عمار، فقال له المعتمد: لاتبعها منهم إلّا غاليه، و تفسيرها أن ابن عباد صحف «الحيا زين» بقوله الجيارين، إشارة إلى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت، فقال له و الجباسين و تصحيفه «و الخنا شين» أى: هى و إن كانت جميلة بديعه الحسن لكن الخنا شانها، و هذا شأو لا يلحق.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٨٣

[ابن وهبون و المعتمد]

و من أخبار المعتمد أنه جلس يوما و البزاة تعرض عليه، فاستحث الشعراء فى وصفها، فصنع ابن و هبون بديها: [الكامل]

للصيد قبلك سنه مأثوره لكثها بك أبداع الأشياء
تمضى البزاة و كلما أمضيتها عاطيتها بخواطر الشعراء
فاستحسنهما، و أسنى جائزته.

[أبو العرب الصقلى و المعتمد]

و ذكر ابن بسام أن أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد يوما و قد حمل إليه حمول و افره من قراريط الفضة، فأمر له بكيسين منها، و كان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب و اللاكئ، فقال له أبو العرب معرّضا: ما يحمل هذين الكيسين إلا جمل، فتبسم المعتمد و أمر له به، فقال أبو العرب بديها: [البسيط]

أهديتنى جملا جونا شفعت به حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك فى أعطان مكرمه لا قد تصرف من منع و لا عقلا
فاعجب لشأنى فشأنى كله عجب رفهتنى فحملت الحمل و الجملا

و ذكر الحجارى هذه القصة فقال: قعد المعتمد فى مجلس احتفل فى تنزيده، و إحصار الطرائف الملوكية، و كان فى الجملة تمثال جمل من بلور، و له عينان من ياقوتتين، و قد حلى بنفائس الدر، فأنشده أبو العرب قصيدة، فأمر له بذهب كثير مما كان بيده من السكة الجديدة، فقال معرضا بذلك الجمل: ما يحمل هذه الصلة إلا جمل! فقال: خذ هذا الجمل، فإنه حمال أثقال، فارتجل شعرا منه: رَفَهْتِنِى فَحَمَلْتَ الْحَمْلَ وَ الْجَمَلَا
و ذكر أن ذلك الجمل بيع بخمسائة مثقال، فسارت بهذا الخبر الركائب، و تهادته المشارق و المغرب.

[بحث المعتمد فى بيت للمتنبى]

و تباحث المعتمد مرة مع الجلساء فى بيت المتنبى الذى زعم أنه أمير شعره: [البسيط]
أزورهم و سواد الليل يشفع لى و أنثنى و بياض الصبح يغرى بى
فقال: ما قصر فى مقابلة كل لفظه بضدها إلا أن فيه نقدا خفيا، ففكروا فيه، فلما فكروا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٨٤
قالوا له: ما وقفنا على شىء، فقال: الليل لا يطابق إلا بالنهار [و لا يطابق بالصبح] لأن الليل كلى و الصبح جزئى، فتعجب الحاضرون، و أثنا على تدقيق انتقاده.

[كلام للصفدى فى بيت المتنبى]

قال الصفدى: قلت: ليس هذا بنقد صحيح، و الصواب مع أبى الطيب، لأنه قال:
«أزورهم و سواد الليل يشفع لى» فهذا محب يزور أحبابه فى سواد الليل خوفا ممن يشى به، فإذا لاح الصبح أغرى به الوشاء، و دل عليه أهل النيمة و الصبح أول ما يغرى به قبل النهار، و عادة الزائر المريب أن يزور ليلا، و ينصرف عند انفجار الصبح خوفا من الرقباء، و لم تجر العادة أن الخائف يتلبث إلى أن يتوضح النهار، و يمتلى الأفق نورا، فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار، و الله أعلم، انتهى.
قلت: كان يختلج فى صدرى ضعف ما قال الصفدى، حتى وقفت على ما كتبه البدر البشتكى، و من خطه نقلت ما صورته: هو ما انتقد عليه المعنى، إنما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح، فإن ذلك فاسد، انتهى، فحمدت الله على الموافقة، انتهى.

[المعتمد و جارية من جواربه]

و قال فى بدائع البداء: جلس المعتمد للشرب و ذلك فى وقت مطر أجرى كل وهدء نهرا، و حلى جيد كل غصن من الزهر جوهر، و بين يديه جارية تسقيه. و هى تقابل وجهها بنجم الكاس فى راحة كالثريا، تخجل الزهر بطيب العرف و الريا، فاتفق أن لعب البرق بحسامه، و أجال سوطه المذهب يسوق به ركامة، فارتاعت لخطفته، و ذعرت من خيفته، فقال المعتمد بديها: [السريع]

رَوْعَهَا الْبَرْقَ وَ فِى كَفِّهَا بَرْقَ مِنَ الْقَهْوَةِ لَمَاعٍ

عجبت منها و هى شمس الصّحى كيف من الأنوار ترتاع

و استدعى عبد الجليل بن وهبون المرسى، و أنشده البيت الأول مستجيزا، فقال عبد الجليل: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٨٥

و لن أرى أعجب من آنس من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه، و أمر له بجائزة.

قال ابن ظافر: و بيته عندي أحسن من بيت المعتمد، انتهى.

[لابن وهبون في وصف فيل من الفضة في قصر المعتمد و من شعر العزيز ابن الملح]

و قال ابن بسام: كان في قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطئ بركة يقذف الماء، و هو الذي يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من بعض قصيدة: [الوافر]

و يفرغ فيه مثل التصل بدع من الأفيال لا يشكو ملالا

رعى رطب اللجين فجاء صلدا تراه قلما يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة و الماء يجرى من ذلك الفيل، و قد أوقدت شمعتان من جانبيه، و الوزير أبو بكر بن الملح عنده، فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديها منها:

[البسيط]

و مشعلين من الأضواء قد قرنا بالماء و الماء بالدولاب منزوف

لاحا لعيني كالتجمين بينهما خط المجرة ممدود و معطوف

و قال أيضا: [البسيط]

كأنما النار فوق الشمعتين سنا و الماء من منفذ الأنبوب منسكب

غمامة تحت جناح الليل هامة في جانبيها خفاق البرق يضطرب

و قال أيضا: [الطويل]

و أنبوب ماء بين نارين ضمنا هدى لكؤوس الراح تحت الغياهب

كأن اندفاع الماء بالماء حية يحركها في الماء لمع الجباب

و قال أيضا: [الطويل]

كأن سراجي شربهم في التظائها و أنبوب ماء الفيل في سيلانه

كريم تولى كبره من كليهما لثيمان في إنفاقه يعدلانه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٨٦

[لابن زيدون يرثي المعتضد و يمدح المعتمد]

و لما مات والد المعتمد و استقل بالملك قال ذو الوزارتين ابن زيدون يرثي المعتضد و يمدح المعتمد بقصيدة طويلة أولها. [الطويل]

هو الدهر فاصبر للذي أحدث الدهر فمن شيم الأحرار في مثلها الصبر

ستصبر صبر اليأس أو صبر وحشة فلا تؤثر الوجه الذي معه الوزر

و إن متاتي لم يضعه محمد خليفتك العدل الرضى و ابنك البر

هو الظافر الأعلى المؤيد بالذي له في الذي وفاه من صنعه سر

له في اختصاصي ما رأيت و زداني مزية زلفى من نتائجها الفخر

و أرغم في برى أنوف عصابة لقاؤهم جهم و لحظهم شزر

إذا ما استوى في الدست عاقد حبوة و قام سماطا حفله فلى الصدر

و في نفسه العلياء لى متبوءاً يساجلنى فيه السماكان و النسر

و منها:

لك الخير إن الزرز كان غيابه طلعت لنا فيها كما طلع البدر
فقرت عيون كان أسخنها البكا و قرّت قلوب كان زلزلها الذعر

و منها:

و لما قدمت الجيش بالأمر أشرقت إليك من الآمال آفاقها الغبر
فقضيت من فرض الصلاة لبانه فشييعها نسك و قارنها طهر
و من قبل ما قدمت مثنى نوافل يلاقى بها من صام من غيره فطر
و رحى إلى القصر الذى غضّ طرفه بعيد التسمى أن غدا غيره القصر
و أجمل عن التاوى العزاء فإن توى فإنك لا الوانى و لا الصرع الغمر
و ما أعطت السبعون قبل أولى الحجا من اللب ما أعطاك عشوك و العمر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٨٧

أ لست الذى إن ضاق ذرع بحادث تبلج منه الوجه و اتسع الصدر
فلا تهض الدنيا جناحك بعده فمنك لمن هاضت نوابها جبر
و لا زلت موفور العديد بقرة لعينك مشدودا بها ذلك الأزر
حذارك من أن يعقب الزرز فتنه يضيق بها عن مثل إيمانك العذر
إذا أسف الثكل اللبيب فشقه رأى أفدح التكلين أن يذهب الأجر
مصاب الذى يأسى بموت ثوابه هو البرح لا الميت الذى أحرز القبر
حياة الورى نهج إلى الموت مهيع لهم فيه إيضاع كما يوضع السفر
و منها:

إذا الموت أضحى قصد كل معمر فإن سواء طال أو قصر العمر
أ لم تر أن الدين ضيم ذماره فلم يغن أنصار عديدهم دثر
بحيث استقل الملك ثانى عطفه و جرر من أذياله العسكر المجر
هو الضيم لو غير القضاء يرومه ثناه المرام الصعب و المسلك الوعر
إذا عثرت جرد العناجيج فى القنا بليل عجاج ليس يصدعه فجر
و منها:

أعتاد يا أوفى الملوك لقد عدا عليك زمان من سجيته الغدر
إلى أن قال بعد أبيات كثيرة:

ألا أيها المولى الوصول عبيده لقد رابنا أن يتلو الصلة الهجر
يغاديك داعينا السلام كعهده فما يسمع الداعى و لا يرفع الشتر
أعتب علينا ذا و عن ذلك الرضا فتسمع أم بالمسمع المعتلى وقر
و منها:

و كيف بنسيان و قد ملأت يدي جسام أياك منك أيسرها الوفر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٨٨
و إن كنت لم أشكر لك المنن التي تمليتها ترى فلا بقى الكفر
فهل علم الشلو المقدس أنتى مسوغ حال حار فى كنهها الدهر
فإنك شمس فى سماء رياسة تطلع منها حولنا أنجم زهر
شككنا فلم نثبت لأيام دهرنا بها و سن أم هز أعطافها سكر
و ما إن تغشيتها مغازلة الكرى و ما إن تمشت فى معاطفها الخمر
سوى نشوات من سجايا مملك يصدق فى عليائها الخبر الخبر
أرى الدهر إن يبطش فأنت يمينه و إن تضحك الدنيا فأنت لها ثغر
و كم سائل بالغيب عنك أجبته هناك الأيادى الشفع و السوود الوتر
هناك التقى و العلم و الحلم و النهى و بذل اللها و البأس و النظم و النثر
همام إذا لاقى المناجز رده و إقباله خطر و إدباره حصر
محاسن ما للروض سامره الندى رواء إذا نصت حلاها و لا نشر
متى انتشقت لم تدر دارين مسكها حياء و لم يفخر بعنبره الشحر
عطاء و لا من، و حكم و لا هوى و حلم، و لا عجز، و عز و لا كبير
قد استوفت النعماء فيك تمامها علينا فمننا الحمد لله و الشكر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٨٩

[من ابن زيدون إلى المعتمد بن عباد]

و كتب ابن زيدون المذكور إلى المعتمد رحمهما الله تعالى يشوقه إلى تعاطى الحميا، فى قصوره البديعة التى منها المبارك و الثريا:
[الكامل]

فز بالنجاح و أحرز الإقبالا و حز المنى و تنجز الآمالا
و ليهنك التأييد و الظفر اللذا صدقك فى السممة العلية فالأ
يا أيها الملك الذى لولاه لم تجد العقول الناشدات كمالا
أما الثريا فالثريا نسبة و إفادة و إنافة و جمالا
قد شاقها الإغباب حتى إنها لو تستطيع سرت إليك خيالا
رفه و رودكها لتغنم راحة و أطل مزاركها لتنعم بالا
و تأمل القصر المبارك و جنه قد وسط فيها الثريا خلا
و أدر هناك من المدام كؤوسها و أتمها و أشفها جريالا
قصر يقر العين منه مصنع بهج الجوانب لو مشى لاختلالا
لا زلت تفترش السرور حدائقا فيه و تلتحف النعيم ضلالا

[أهدى ابن زيدون تفاحا إلى المعتمد و كتب معه و كتب إلى المعتمد أيضا]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ١٨٩
أهدى إليه تفاحا، و اعتقد أن يكتب معه قطعة، فبدأ بها، ثم عرض له غيرها فتركها ثم ابتداءً: [مجزوء الخفيف]
دونك الراح جامده و فدت خير وافده
وجدت سوق ذو بها عندك اليوم كاسده
فاستحالت إلى الجمود و جاءت مكايده
و كتب إلى المعتمد: [السريع]
يا أيها الظافر نلت المنى و لا أتانا فيك محذور
إن الخلال الزهر قد ضمها ثوب عليك الدهر مزور
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٩٠
لا زال للمجد الذى شدته ريع بتعميرك معمور
و افاك نظم لى فى طيه معنى معمى اللفظ مستور
مرامه يصعب ما لم يبح بالسر قمرى و شحور
و ذكر أبياتا فيها أسماء طيور عمى بها عن بيت طيره فيها، و البيت المطير فيه: [مجزوء الخفيف]
أنت إن تغز ظافر فليطع من ينافر

[ابن زيدون يعمى بيت فيفكه المعتمد]

ففكه المعتمد و جاوبه: [السريع]
يا خير من يلحظه ناظرى شهادة ما شانها زور
و من إذا خطب دجا ليله لاح به من رأيه نور
جاءتنى الطير التى سرها نظم به قلبى مسرور
شعر هو السحر فلا تنكروا أنى به ما عشت مسحور
اللفظ و القرطاس إن شئها قيل هما مسك و كافور
هوى لحسن الطير من فكرتى صقر فولى و هو مقهور
و لاح لى بيت فؤادى له دأبا على و دك مقصور
حظك من شكرى يا سيدى حظ نما لى منك موفور
قصرت فى نظمى فاعذر فمن ضاهاك فى التقصير معذور
فأنت إن تنظم و تنثر فقد أعوز منظوم و منشور
لا يعدكم روض من الحظ فى الإكرام و الترفيع ممطور

[مما كتب به ابن زيدون إلى المعتمد]

فكتب إليه ابن زيدون: [السريع]
حظى من نعماك موفور و ذنب دهرى بك مغفور

و جانبى إن رامه أزمه حجر لدى ظلك محجور
يا ابن الذى سرب الهدى آمن منذ انبرى يحميه مخفور
و أمر الدهر الذى لم يزل يصغى إليه منه مأمور
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٩١
ألبس منك الدهر أسنى الحلى بظافر منحاه منصور
قام و فى المأثور يا من له مجد مع الأيام مأثور
عبدك إن أكثر من شكره فهو بما توليه مكثور
إن تعف عن تقصيره منعما فاليسر أن يقبل معسور
إن حلال السحر إن صغته فى صحف الأنفس مسطور
نظم زهانى منه إذ جئنى علق عظيم القدر مذخور
لا غرو أن أفتن إذ لا حظت فكرى منه أعين حور
تم عن معناه ألفاظه كما وشى بالراح بلور
جهلت إذ عارضته غير أن لا بد أن ينفث مصدور
يا آل عباد موالاتكم زاك من الأعمال مبرور
إن الذى يرجو موازاتكم من المناوين لمغرور
مكانه منكم كما انحط عن منزلة المرفوع مجرور
لا زلت فى غبطة ما انجلى عن فلق الإصباح ديجور
و لا يزل يجرى بما شتم أعماركم لله مقدور
و كتب المعتمد إلى ابن زيدون بعد أن فكك معمى كتب به إليه ابن زيدون ما صورته:

[المجتث]

العين بعدك تقذى بكلّ شيء تراه
فليجل شخصك عنها ما بالغيب جناه
و قد قدمنا من كلام أبى الوليد بن زيدون رحمه الله تعالى ما فيه كفاية.

رجع إلى بنى عباد:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٩٢

[بين ابن حمديس و المعتمد بن عباد و من شعر ابن حمديس]

قال ابن حمديس: لما قدمت وافدا على المعتمد بن عباد استدعانى و قال: افتح الطاق، فإذا بكبير زجاج و النار تلوح من باييه، و واقده
يفتحهما تارة و يسدّهما أخرى، ثم أدام سد أحدهما، و فتح آخر، فحين تأملتتهما قال لى: أجز: [المنسرح]

انظر هما فى الظلام قد نجما

فقلت: كما رنا فى الدجّة الأسد

فقال: يفتح عينيه ثم يطبقها

فقلت: فعل امرى فى جفونه رمد

فقال: فابتزّه الدهر نور واحدة
 فقلت: و هل نجا من صروفه أحد
 فاستحسن ذلك و أطربه، و أمر لي بجائزة، و ألزمني الخدمة.
 و علي ذكر ابن حمديس فما أحسن قوله: [الوافر]
 أراك ركب في الأهوال بحرا عظيما ليس يؤمن من خطوبه
 تسير فلكه شرقا و غربا و تدفع من صباه إلى جنوبه
 و أصعب من ركوب البحر عندي أمور ألجأتك إلى ركوبه
 و لغيره: [المجتث]
 إن ابن آدم طين و البحر ماء يذيه
 لو لا الذي فيه يتلى ما جاز عندي ركوبه
 و قال ابن حمديس في هذا المعنى: [المجتث]
 لا أركب البحر، أخشى عليّ منه المعاطب
 طين أنا و هو ماء و الطين في الماء ذائب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٩٣

[عود إلى ذكر اعتماد الرميكية حظية المعتمد]

رجع إلى بني عباد رحمهم الله تعالى:
 قال ابن بسام: أخبرني الحكيم النديم المطرب أبو بكر بن الإشبيلي، قال: حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد و عنده الوزير أبو بكر بن عمار، فلما دارت الكأس، و تمكن الأنس، و غنيت أصواتا ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب، فارتجل يخاطب الرشيد:
 [البسيط]
 ما ضرّ أن قيل إسحاق و موصلها أنت أنت و ذى حمص و إسحاق
 أنت الرشيد فدع من قد سمعت به و إن تشابه أخلاق و أعراق
 لله درك داركها مشعشعة و احضر بساقيك ما قامت بنا ساق
 و كان الرشيد هذا أحد أولاد المعتمد النجبا، و له أخبار في الكرم يقضى الناظر فيها من أمرها عجبا، و كذلك إخوته، و قد ألمعنا في هذا الكتاب بجملة من محاسنهم، و أهمهم اعتماد الملقبة بالرميكية هي التي ترجمناها في هذا الموضوع، و اقتضت المناسبة ذكر أمر بني عباد، فلنعد إلى ما كنا بصدده من أخبارها رحمها الله تعالى، فنقول:
 قال ابن سعيد في بعض مصنفاته: كان المعتمد كثيرا ما يأنس بها، و يستظرف نوادرها، و لم تكن لها معرفة بالغناء، و إنما كانت مليحة الوجه، حسنة الحديث، حلوة النادر، كثيرة الفكاهة، لها في كل ذلك نوادر محكية، و كانت في عصرها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن، و هي أبداع منها ملحا، و أحسن افتنانا، و أجل منصبا، و كان أبوها أمير قرطبة، و يلقب بالمستكفي بالله، و أخبار أبي الوليد بن زيدون معها و أشعاره فيها مشهورة، انتهى ملخصا.
 و من أخبار الرميكية القصّة المشهورة في قولها «و لا يوم الطين» و ذلك أنها رأت الناس يمشون في الطين، فاشتتت المشى في الطين، فأمر المعتمد، فسحقت أشياء من الطيب، و ذرت في ساحة القصر حتى عمته، ثم نصبت الغرابيل، و صبّ فيها ماء الورد على أخلاط الطيب، و عجت بالأيدى حتى عادت كالطين، و خاضتها مع جواربها، و غاضبها في بعض

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٩٤

الأيام، فأقسمت أنها لم تر منه خيرا قط، فقال: ولا يوم الطين؟ فاستحيت و اعتذرت، وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه و سلم فى حق النساء «لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأيت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط».

[بنات المعتمد يزرنه فى سجنه بأغمات يوم عيد، كاسفات البال، فيقول فيهن شعرا]

قلت: و لعل المعتمد أشار فى أبياته الرائية إلى هذه القضية حيث قال فى بناته: [البسيط]

يطآن فى الطين و الأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا و كافورا

و يحتمل أن يكون أشار بذلك إلى ما جرت به عادة الملوك من ذرّ الطيب فى قصورهم حتى يطؤوه بأقدامهم، زيادة فى التنعم. و سبب قول المعتمد ذلك ما حكاه الفتح فقال: و أول عيد أخذه- يعنى المعتمد- بأغمات و هو سارح، و ما غير الشجون له سارح، و لازى إلها حالة الخمول، و استحالة المأمول، فدخل إليه، من يسليه و يسلم عليه، و فيهم بناته و عليهن أطمار، كأنها كسوف و هن أقمار، يبكين عند التساؤل، و يبدين الخشوع بعد التخيل، و الضياع قد غير صورهن، و حير نظرهن، و أقدامهن حافية، و آثار نعيمهن عافية، فقال: [البسيط]

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساءك العيد فى أغمات مأسورا

ترى بناتك فى الأطمار جائعته يغزلن للناس ما يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطآن فى الطين و الأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا و كافورا

لا خد إلا تشكى الجذب ظاهره و ليس إلا مع الأنفاس ممطورا

أفطرت فى العيد لا عادت مساءته فكان فطرك للأكباد تفتيرا

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا فردك الدهر منهيا و مأمورا

من بات بعدك فى ملك يسرّ به فإنما بات بالأحلام مغورا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٩٥

[المعتمد يحمل فى السفين من الأندلس إلى العدو، و شعر له فى ذلك و فى هذا يقول ابن اللبانه]

و قال الفتح أيضا: و لما نقل المعتمد من بلاده، و أعرى من طارفه و تلاده، و حمل فى السفين، و أحلّ فى العدو محلّ الدفين، تندبه منابره و أعواده، و لا يدنو منه زواره و لا عواده، بقى أسفا تتصعد زفراته، و تطرد اطراد المذانب عبراته، لا يخلو بمؤانس، و لا يرى إلا عرينا بدلا من تلك المكانس، و لما لم يجد سلوا، و لم يؤمل دنوا، و لم ير وجه مسرة مجلوا، تذكر منازل فشاقتة، و تصور بهجتها فراقته، و تخيل استيحاش أوطانه، و إجهاش قصره إلى قطنه، و إظلام جوه من أقماره، و خلوه من حراسه و سماره، فقال: [البسيط]

بكى المبارك فى إثر ابن عبّاد بكى على إثر غزلان و آساد

بكت ثرياه لاغمّت كواكبها بمثل نوء الثريا الرائح الغادى

بكى الوحيد، بكى الزاهى و قبه و النهى و التاج، كل ذله بادى

ماء السماء على أفيائه درر يا لجة البحر دومي ذات إزباد

و فى ذلك يقول ابن اللبانه: [البسيط]

أستودع الله أرضا عندما و ضحت بشائر الصّبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها يجنى النعيم و فى عليائها فلكا
فى أمره لملوك الدّهر معتبر فليس يغرّ ذو ملك بما ملكا
نبيكه من جبل خرّت قواعده فكلّ من كان فى بطحائه هلكا

[القصر الزاهى من قصور المعتمد، و شعر له يشاقه فيه و هو أسير بسجن أغمات]

و كان القصر الزاهى من أجمل المواضع لديه و أبهاها، و أحبها إليه و أشهاها، لإطلاله على النهر، و إشرافه على القصر، و جماله فى العيون، و اشتماله بالزهر و الزيتون، و كان له به من الطرب، و العيش المزرى بحلاوة الضّرب، ما لم يكن يحلب لبنى حمدان، و لا لسيف بن ذى يزن فى رأس غمدان، و كان كثيرا ما يدير به راحه، و يجعل فيه انشراحه، فلما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٩٦

امتد الزمان إليه بعدوانه، و سد عليه أبواب سلوانه، لم يحنّ إلا إليه، و لم يتمن غير الحلول لديه، فقال: [الطويل]

غريب بأرض المغربين أسير سيبكى عليه منبر و سرير
و تندبه البيض الصوارم و القنا و ينهلّ دمع بينهنّ غزير
مضى زمن و الملك مستأنس به و أصبح منه اليوم و هو نفور
برأى من الدهر المضللّ فاسد متى صلحت للصّالحين دهور
أذلّ بنى ماء السّماء زمانهم و ذلّ بنى ماء السّماء كبير
فيا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة أمامى و خلفى روضة و غدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا تغنى حمام أو ترنّ طيور
بزاهرها السّامى الذى جاده الحيا تشير الثريا نحونا و نشير
و يلحظنا الزّاهى و سعد سعوده غيورين و الصّبّ المحبّ غيور
تراه عسيرا لا يسيرا مناله ألا كلّ ما شاء الإله يسير

[الحجارى يحدث عن جارية أهداها ابن تاشفين إلى المعتمد بن عباد]

و قال الحجارى فى «المسهب» إن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أهدى إلى المعتمد جارية مغنية قد نشأت بالعدوة، و أهل العدوّة بالطبع يكرهون أهل الأندلس، و جاء بها إلى إشبيلية و قد كثر الإرجاف بأن سلطان الملتّمين ينتزع بلاد ملوك الطوائف منهم، و اشتغل خاطر ابن عباد بالفكر فى ذلك، فخرج بها إلى قصر الزهراء على نهر إشبيلية، و قعد على الراح، فخطر بفكرها أن غنت عندما انتشى هذه الأبيات: [الكامل]

حملوا قلوب الأسد بين ضلوعهم و لووا عمائمهم على الأقمار
و تقلّدوا يوم الوغى هندية أمضى إذا انتضيت من الأقدار
إن خوّفوك لقيت كل كريبه أو أمنوك حللت دار قرار

فوقع فى قلبه أنها عزّضت بساداتها، فلم يملك غضبه، و رمى بها فى النهر، فهلكت، انتهى، فقدر الله تعالى أن كان تمزيق ملكه على يدهم تصديقا للحجارية فى قولها:

إن خَوْفوك لقيت كل كريبه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٩٧

و حصره جيوش لمتونة المثلثين حتى أخذوه قهرا، و سيق إلى أمير المسلمين، و القصة مشهورة.

[الفتح بن خاقان يتحدث عن حصار المعتمد]

و قال الفتح في شأن حصار المعتمد ما صورته: و لما تم في الملك أمده، و أراد الله تعالى أن تخر عمده، و تنقض أيامه، و تنقض عن عراض الملك خيامه، نازلته جيوش أمير المسلمين و محلاته، و ظاهرته فساطيطه و مظلاته، و بعد ما نثرت حصونه و قلاعها، و سعرت بالنكايه جوانحه و أضلاعه، و أخذت عليه الفروج و المضايق، و انثنت إليه الموانع و العوائق، و طرقته طوارقها بالإضرار، و أمطرته من النكايه كل ديمه مدرار، و هو ساه بروض و نسيم، لاه براح و محيا و سيم، زاه بفتاة تنادمه، ناه عن هدم أنس هو هادمه، لا يصيخ إلى نبأ سمعه، و لا ينيخ إلا على لهو يفرق جموعه جمعه، و قد ولي المدامه ملامه، و ثنى إلى ركنها طوافه و استلامه، و تلك الجيوش تجوس خلاله، و تقلص ظلاله، و حين اشتد حصاره، و عجز عن المدافعة أنصاره، و دلّس عليه ولايته، و كثرت أدواؤه و علّاته، فتح باب الفرج، و قد لفح شواظ الهرج، فدخلت عليه من المرابطين زمره، و اشتعلت من التغلب جمره، تأجج اضطرامها، و سهل بها إيقاد الفتنة و إضرارها، و عندما سقط الخبر عليه خرج حاسرا عن مفاضته، جامحا كالمهر قبل رياضته، فلحق أوائلهم عند الباب المذكور و قد انتشروا في جنباته، و ظهوروا على البلد من أكثر جهاته، و سيفه في يده يتلّظ للطلّي و الهام، و يعد بانفراج ذلك الاستبهام، فرماه أحد الداخلين برمح تخطّاه، و جاوز مطاه، فبادره بضربه أذهبت نفسه، و أغربت شمسها، و لقي ثانيا فضربه و قسمه، و خاض حشا ذلك الداء و حسمه، فاجلوا عنه، و ولوا فرارا منه، فأمر بالباب فسد، و بنى منه ما هد، ثم انصرف و قد أراح نفسه و شفاها، و أبعد الله تعالى عنه الملامه و نفاها، و في ذلك يقول عندما خلع، و أودع من المكروه ما أودع:

[مجزوء الكامل]

إن يسلب القوم العدى ملكى و تسلمنى الجموع

فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع

قد رمت يوم نزالهم أن لا تحصننى الدروع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٩٨

و برزت ليس سوى القمى ص على الحشا شىء دفوع

أجلى تأخر لم يكن بهوى ذلى و الخشوع

ما سرت قط إلى القتال و كان من أملى الرجوع

شيم الألى أنا منهم و الأصل تتبعه الفروع

و ما زالت عقارب تلك الداخلة تدب، ثم ذكر الفتح تمام هذا الكلام فراجعه فيما مر بنحو ثلاث ورقات.

[من حكايات مجالس أنس المعتمد ما حدث به الفتح بن خاقان عن ذخر الدولة]

و من حكايات مجالس أنسه أيام ملكه، قبل أن ينظمه صرف الدهر في سلكه، ما حكاها الفتح عن ذخر الدولة أنه دخل عليه في دار المزينية و الزهر يحسد إشراق مجلسه، و الدر يحكى اتساق تأنسه، و قد رددت الطير شدوها، و جودت طربها و لهوها، و جدّدت كلفها و شجوها، و الغصون قد التحفت بسندسها، و الأزهار تحيى بطيب تنفسها، و النسيم يلم بها فتضعه بين أجفانها، و تودعه

أحاديث آذارها و نيسانها، و بين يديه فتى من فتياه يتشنى تشنى القضيب، و يحمل الكأس فى راحة أبهى من الكف الخضيب، و قد توشح و كأن الثريا و شاحه، و أنار فكأن الصبح من محياه كان اتضاحه، فكلما ناوله الكأس خامرته سوره، و تخيل أن الشمس تهديه نوره، فقال المعتمد [المنسرح]:

لله ساق مهفهف غنج قد قام يسقى فجاء بالعجب
أهدى لنا من لطيف حكمته فى جامد الماء ذائب الذهب

و لما وصل لورقه استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع ليلته تلك فى وقت لم يخف فيه زائر من مراقب، و لم يد فيه غير نجم ثاقب، فوصل و ما للأمن إلى فواده وصول، و هو يتخيل أن الجو صوارم و نصول، بعد أن وصى بما خلف، و ودع من تخلف، فلما مثل بين يديه آنسه، و أزال توجسه، و قال له: خرجت من إشبيلية و فى النفس غرام طويته بين ضلوعى، و كفكفت فيه غرب دموعى، بفتاه هى الشمس أو كالشمس إخالها، لا يجول قلبها و لا خلخالها، و قد قلت فى يوم وداعها، عند تفطر كبدى و انصداعها [الطويل]:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ١٩٩

و لما التقينا للوداع غديّة و قد خفقت فى ساحة القصر رايات
بكينا دما حتّى كأنّ عيوننا لجرى الدموع الحمر منها جراحات

و قد زارتنى هذه الليلة فى مضجعى و أبرأتنى من توجعى و مكنتنى من رضابها، و فتنتنى بدلالها و خضابها، فقلت: [الطويل]

أباح لطيفى طيفها الخدّ و النهدا فعصّ بها تفّاحه و اجتنى وردا
و لو قدرت زارت على حال يقظّه و لكن حجاب البين ما بيننا مدّا
أما وجدت عنّا الشّجون معرّجا و لا وجدت منّا خطوب التوى بدّا
سقى الله صوب القطر أمّ عبيده كما قد سقت قلبى على حرّه بردا
هى الطّيبى جيدا، و الغزاة مقلّة، و روض الربا عرفا، و غصن النّقا قدّا
فكرر استجداته، و أكثر استعادته، فأمر له بخمسائة دينار و ولاه لورقه من حينه.

[و منها ما حكاه الفتح أيضا عن ابن اللبانه]

قال الفتح: و أخبرنى ابن اللبانه أنه استدعاه ليله إلى مجلس قد كساه الروض و شيه، و امثل الدهر فيه أمره و نهيه، فسقاه الساقى و حيّاه، و سفر له الأونس عن موتق محيّا، فقام للمعتمد مادحا، و على دوحه تلك النعماء صادحا، فاستجاد قوله، و أفاض عليه طوله، فصدر و قد امتلأت يده، و غمره جوده و نداءه، فلما حل بمنزله وافاه رسوله بقطيع و كاس من بلار، قد أترعا بصرف العقار، و معهما: [الكامل]

جاءتك ليلا فى ثياب نهار من نورها و غلالة البّار
كالمشترى قد لفّ من مريخه إذ لّفه فى الماء جذوة نار
لطف الجمود لذا و ذا فتألّفا لم يلق ضد ضده بنفار
يتحير الرءون فى نعتيهما أصفاء ماء أم صفاء درارى

[حديث مجلس آخر يحكيه الفتح عن ذكر الدولة]

وقال الفتح أيضا: وأخبرني ذكر الدولة أنه استدعاه في ليلة قد ألبسها البدر رواءه، وأوقد فيها أضواءه، وهو على البحيرة الكبرى، و النجوم قد انعكست فيها تخالها زهرا، وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرا، وقد أرجت نوافج الند، و ماست معاطف الرّند، و حسد النسيم نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٠٠

الروض فوشى بأسراره، و أفشى حديث آسه و عراره، و مشى مختالا بين لبات الثور و أزراره، و هو وجم، و دمعه منسجم، و زفراته تترجم عن غرامه، و تجمجم عن تعذر مراره، فلما نظر إليه استدناه و قربه، و شكا إليه من الهجران ما استغربه، و أنشده: [المتقارب]

أيا نفس لا تجزعي و اصبري و إلا فإنّ الهوى متلف
حبيب جفاك و قلب عصاك و لاح لحاك و لا منصف
شجون منعن الجفون الكرى و عوّضنها أدمعا تنرف
فانصرف و لم يعلمه بقصته، و لا كشف له عن غصّته، انتهى.

[حديث مجلس آخر بالسند السابق]

وقال الفتح أيضا: أخبرني ذكر الدولة بن المعتضد أنه دخل عليه في ليلة قد ثنى السرور منامها، و امتطى الحبور غاربها و سنامها، و راع الأنس فؤادها، و ستر بياض الأمانى سوادها، و غازل نسيم الروض زوارها و عوادها، و نور السراج قد قلّص أذيالها، و محا من لجين الأرض نيالها، و المجلس مكتس بالمعالي، و صوت المثاني و المثالث عالي، و البدر قد كمل، و التحف بضوئه القصر و اشتمل، و تزين بسناه و تجمل، فقال المعتمد: [الكامل]

و لقد شربت الرّاح يسطع نورها و الليل قد مدّ الظلام رداء
حتى تبدّى البدر في جوزائه ملكا تنهى بهجةً و بهاء
و تناهضت زهر النجوم يحفّه لألأؤها فاستكمل اللألاء
لما أراد تنزها في غربه جعل المظلة فوقه الجوزاء
و ترى الكواكب كالمواكب حوله رفعت ثريّاها عليه لواء
و حكيتها في الأرض بين كواكب و كواعب جمعت سنا و سناء
إن نشرت تلك الدروع حنادسا ملأت لنا هذى الكؤوس ضياء
و إذا تغنت هذه في مزهر لم تأل تلك على التريك غناء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٠١

[حديث مجلس آخر يحكيه الفتح عن إقبال الدولة بن مجاهد]

و أخبرني ابن إقبال الدولة [بن مجاهد] أنه كان عنده في يوم قد نشر من غيمه رداء ندّ، و أسكب من قطره ماء ورد، و أبدى من برقه لسان نار، و أظهر من [قوس] قزحه حنايا قوس آس حفت بنرجس و جلنار، و الروض قد بعث رياه، و بث الشكر لسقياه، فكتب إلى الطبيب الأديب أبي محمد المصري: [الخفيف]

أيها الصاحب الذي فارقت عى نى و نفسى منه السنا و السناء
نحن في المجلس الذى يهب الراحة و المسمع الغنى و الغناء
نتعاطى التى تنسى من الرّقّة و اللذّة الهوى و الهواء

فأته تلف راحةً و محيا قد أعدًا لك الحيا و الحياء
فوفاه و ألقى مجلسه و قد أتلت في الأباريق أجيادها، و أقامت فيه خيل السرور طرادها، و أعطته الأمانى انطباعها و انقيادها، و أهدت
الدنيا ليومه مواسمها و أعيادها، و خلعت عليه الشمس شعاعها، و نشرت فيه الحدائق إيناعها، فأديرت الراح، و تعوطيت الأقداح، و
خامر النفوس الابتهاج و الارتياح، و أظهر المعتمد من إيناسه، ما استرق به نفوس جلاسه، ثم دعا بكبير، فشربه كما غربت الشمس فى
ثبير، و عندما تناولها، قام المصرى ينشد أبياتا تمثلها:

[البسيط]

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا بشاذمهر ودع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تلبسه من هودّة بن عليّ و ابن ذى يزن
فطرب حتى زحف عن مجلسه، و أسرف فى تأنسه، و أمر فخلعت عليه خلع لا تصلح إلا للخلفاء، و أدناه حتى أجلسه مجلس الأكفاء،
و أمر له بدنانير عددا، و ملأ له بالمواهب يدا.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٠٢

[للمعتمد فى غلام رآه طالعا من ثنيات الوغى]

و له فى غلام رآه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا، و لطفى الأبطال قارعا، و فى الدماء و الغا، و لمستبشع كؤوس المنايا سائغا، و هو
ظبى قد فارق كناسه، و عاد أسدا [قد] صارت القنا أخياسه، و متكاثف العجاج قد مزقه إشراقه، و قلوب الدارعين قد شكتهأ أحداقه،
فقال: [الكامل]

أبصرت طرفك بين مشتجر القنا فبدا لطفى أنه فلك
أو ليس وجهك فوقه قمرا يجلى بنير نوره الحلك
و قال فيه: [المتقارب]

و لما اقتحمت الوغى دارعا و قنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى عليها سحاب من العنبر
و قد جمح بنا القلم فى ترجمة المعتمد بن عباد بعض جموح، و ما ذلك إلا لما علمنا أن نفوس الأدباء إلى أخباره رحمه الله تعالى
شديدة الطموح، و قد جعل الله تعالى له كما قال ابن الأبار فى «الحلة السيرة» رقه فى القلوب و خصوصا بالمغرب فإن أخباره و أخبار
الرميكية إلى الآن متداولة بينهم، و إن فيها لأعظم عبرة، رحم الله تعالى الجميع!

رجع إلى أخبار النساء.

و منهن العبادية جارية المعتضد عباد

، والد المعتمد، أهداها إليه مجاهد العامرى من دانية، و كانت أديبة، ظريفه، كاتبه، شاعره، ذاكرة لكثير من اللغة، قال ابن عليم فى
شرحه لأدب الكاتب لابن قتيبة، و ذكر الموسعة و هى خشبة بين حمالين يجعل كل واحد منهما طرفها على عنقه، ما صورته: و بذكر
الموسعة أغربت جارية لمجاهد أهداها إلى عباد كاتبه شاعره على علماء إشبيلية و بالغمرة التى تظهر فى أذقان بعض الأحداث، و
تعترى بعضهم فى الخدين عند الضحك، فأما التى فى الذقن فهى النونة، و منه قول عثمان رضى الله تعالى عنه:

رسموا نونته لتدفع العين، و أما التي في الخدين عند الضحك فهي الفحصه، فما كان في ذلك الوقت في إشبيلية من عرف منها واحدة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٠٣

و سهر عباد ليلة لأمر حزبه و هي نائمة، فقال: [المتقارب]

تمام و مدنفا يسهر و تصبر عنه و لا يصبر

فأجابته بديهة بقولها:

لئن دام هذا و هذا له سيهلك و جدا و لا يشعر

و يكفيك هذا شاهدا على فضلها رحمها الله تعالى [و سامحها].

و منهن: بثينة بنت المعتمد بن عباد

، و أمها الرميكية السابقة الذكر، و كانت بثينة هذه نحواً من أمها في الجمال و النادرة و نظم الشعر، و لما أحيط بأبيها و وقع النهب في قصره كانت في جملة من سبي، و لم يزل المعتمد و الرميكية عليها في وله دائم لا يعلمان ما آل إليه أمرها إلى أن كتبت إليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب، و كان أحد تجار إشبيلية اشتراها على أنها جارية سرّية و وهبها لابنه، فنظر من شأنها و هيئت له، فلما أراد الدخول عليها امتنعت، و أظهرت نسبها، و قالت: لا أحل لك إلا بعقد النكاح إن رضى أبي بذلك، و أشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها، و انتظار جوابه، فكان الذي كتبه بخطها من نظمها ما صورته: [الكامل]

اسمع كلامي و استمع لمقاتلي فهي السلوك بدت من الأجياد

لا تنكروا أني سبيت و أننى بنت لملكك من بنى عباد

ملكك عظيم قد تولّى عصره و كذا الزمان يؤول للإفساد

لما أراد الله فرقة شملنا و أذاقنا طعم الأسى من زاد

قام التّفاق على أبي في ملكه فدنا الفراق و لم يكن بمراد

فخرجت هاربة فحازني امرؤ لم يأت في إعجاله بسداد

إذا باعنى بيع العبيد فضمّنى من صاننى إلا من الأنكاد

و أرادنى لنكاح نجل طاهر حسن الخلائق من بنى الأنجاد

و مضى إليك يسوم رأيك في الرضا و لأنت تنظر في طريق رشادى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٠٤

فعساك يا أبتى تعرّفنى به إن كان ممن يرتجى لوداد

و عسى رميكية الملوك بفضلها تدعو لنا باليمن و الأسعاد

فلما وصل شعرها لأبيها و هو بأغمات، واقع في شراك الكروب و الأزلمات، سرّ هو و أمها بحياتها، و رأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتهما، إذ علما مآل أمرها، و جبر كسرهما، إذ ذاك أخف الضررين، و إن كان الكرب قد ستر القلب منه حجاب رين، و أشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبي المذكور، و كتب إليها أثناء كتابه ما يدل على حسن صبره المشكور:

[السريع]

بنيتى كوني به بزة فقد قضى الدهر بإسعافه

و أخبار المعتمد بن عباد، تذيب الأكباد، فلنرجع إلى ذكر نساء الأندلس فنقول:

و منهن حفصة بنت حمدون

من وادي الحجارة، ذكرها في «المغرب» و قال: إنها من أهل المائة الرابعة، و من شعرها:
 رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملاً فكلّ الورى قد عمهم سيب نعمته
 له خلق كالخمر بعد امتزاجها و حسن فما أحلاه من حين خلقتة
 بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره عيوننا و يعشيها بإفراط هيته
 و لها أيضاً: [الخفيف]

لى حبيب لا ينثنى لعتاب و إذا ما تركته زاد تيتها
 قال لى هل رأيت لى من شبيه قلت أيضاً و هل ترى لى شبيها
 و لها تدم عبيدها: [السريع]

يا ربّ إنى من عبيدى على جمر الغضا، ما فيهم من نجيب
 إما جهول أبله متعب أو فطن من كيده لا يجيب

و قال ابن الأبار: إنها كانت أديبة عالمة شاعرة، و ذكرها ابن فرج صاحب «الحدائق» و أنشد لها أشعاراً منها قولها: [مجزوء الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٠٥
 يا وحتتى لأحبتى يا وحشهُ متماديه
 يا ليلةً ودعتهم يا ليلةً هى ماهيه

و منهن زينب المريّة

، كانت أديبة شاعرة، و هى القائلة: [البسيط]
 يا أيها الراكب الغادى لطيته عزّج أنبئك عن بعض الذى أجد
 ما عالج الناس من وجد تضمّنهم إلا و وجدى بهم فوق الذى وجدوا
 حسبى رضاه و أنى فى مسرته و وده آخر الأيام أجتهد

و منهن غايّة المنى

، و هى جارية أندلسية متأدبة، قدمت إلى المعتصم بن صمادح، فأراد اختبارها فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: غايّة المنى، فقال لها:

أجيزى. [مجزور الخفيف]

اسألوا غايّة المنى

فقال:

من كسا جسمى الضّنا

و أرانى مولها سيقول الهوى أنا
هكذا أورد السالمى هذه الحكاية فى تاريخه.
قال ابن الأبار: و قرأت بخط الثقة حاكيا عن القاضى أبى القاسم بن حبيش قال: سيقى لابن صمادح جاريه لبيبه تقول الشعر و تحسن
المحاضرة، فقال: تحمل إلى الأستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها، و كان كفيفا، فلما وصلته قال: ما اسمك؟ فقالت: غايه المنى، فقال:
أجيزى:

سل هوى غايه المنى من كسا جسمى الضنا
فقلت تجيزه:

و أرانى متهما سيقول الهوى أنا
فحكى ذلك لابن صمادح، فاشتراها، انتهى.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٠٦

و منهن حمده، و يقال حمدونه بنت زياد المؤدب من وادى آش

، و هى خنساء المغرب، و شاعره الأندلس، ذكرها الملاحى و غيره، و ممن روى عنها أبو القاسم بن البراق.
و من عجيب شعرها قولها: [الطويل]

و لَمَّا أبى الواشون إلَّا فراقنا و ما لهم عندى و عندك من ثار
و شتوا على أسماعنا كلَّ غارة قلَّ حماتى عند ذاك و أنصارى
غزوتهم من مقلتيك و أدمعى و من نفسى بالسيف و السيل و النار
و بعض يزعم أن هذه الأبيات لمهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية، و كونها لحمده أشهر، و الله سبحانه و تعالى أعلم.
و خرجت حمده مرة للوادي مع صبيه، فلما نضت عنها ثيابها و عامت قالت: [الوافر]

أباح الدمع أسرارى بوادى له للحسن آثار بوادى
فمن نهر يطوف بكلّ روض و من روض يرفّ بكلّ وادى
و من بين الطباء مهاء أنس سبت لئبى و قد ملكت فؤادى
لها لحظ ترقدّه لأمر و ذاك الأمر يمنعى رقادى
إذا سدلت ذوائبها عليها رأيت البدر فى أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق فمن حزن تسربل بالحداد

و قال ابن البراق فى سوق هذه الحكاية: أنشدتنا حمده العوفية لنفسها، و قد خرجت متنزهه بالرملة من نواحي وادى آش فرأت ذات
وجه و سيم أعجبها، فقالت: - و بين الروائتين خلاف - أباح الدمع، إلى آخره و نسب بعضهم إلى حمده هذه الأبيات الشهيرة بهذه
البلاد المشرقية، و هى: [الوافر]

و قانا لفحة الرضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٠٧
حللنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
و أرشفنا على ظمنا زلالا ألد من المدامه للنديم

يصد الشمس أتى واجهتنا فيحجبها و يأذن للنسيم
 يروع حصاه حاليه العذارى فتلمس جانب العقد النظيم
 و ممن جزم بذلك الرعيني، و قال: إن مؤرخى بلاد الأندلس نسبوا لحمده من قبل أن يوجد المنازى الذى ينسبها له أهل المشرق، و
 قد رأيت أن أذكر كلامه برمته و نصه: كانت من ذوى الألباب، و فحول أهل الآداب، حتى إن بعض المنتحلين تعلق بهذه الأهداب، و
 ادعى نظم هذين البيتين - يعنى و لما أبى الواشون - إلى آخره لما فيهما من المعانى و الألفاظ العذاب، و ما غره فى ذلك إلا بعد
 دارها، و خلو هذه البلاد المشرقية من أخبارها، و قد تلبس بعضهم أيضا بشعارها، و ادعى غير هذا من أشعارها، و هو قولها وقانا لفحة
 الرمضاء واد إلى آخره، و إن هذه الأبيات نسبها أهل البلاد للمنازى من شعرائهم، و ركبوا التعصب فى جادة ادعائهم، و هى أبيات لم
 يخلبها غير لسانها، و لا رقم برديها غير إحسانها، و لقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا و هى الأندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج
 المنازى من العدم إلى الوجود، و يتصف بلفظة الموجود، انتهى.

و هو أبو جعفر الأندلسى الغرناطى، نزيل حلب.

و حكى ابن العديم فى تاريخ حلب ما نصه: و بلغنى أن المنازى عمل هذه الأبيات ليعرضها على أبى العلاء المعرى، فلما وصل إليه
 أنشده الأبيات، فجعل المنازى كلما أنشد المصراع الأول من كل بيت سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثانى الذى هو تمام البيت كما
 نظمه، و لما أنشده قوله:

نزلنا دوحه فحنا علينا

قال أبو العلاء:

حنو الوالدات على الفطيم

فقال المنازى: إنما قلت «على اليتيم» فقال أبو العلاء: الفطيم أحسن. انتهى.

و هذا يدل على أن الرواية عنده «حنو الوالدات» و قد تقدم المرضعات، و الله تعالى أعلم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٠٨

و قال ابن سعيد: يقال لנסاء غرناطة المشهورات بالحسب و الجلالة «العرييات» لمحافظتهن على المعانى العريية، و من أشهرهن زينب
 بنت زياد الوادى آشى، و أختها حمدة، و حمدة هذه هى القائلة و قد خرجت إلى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نساها فسبحن
 فى الماء و تلاعن:

أباح الدمع أسرارى بوادى

الأبيات، انتهى

و منهن عائشة بنت أحمد القرطبية.

قال ابن حيان فى «المقتبس» لم يكن فى زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علما و فهما و أدبا و شعرا و فصاحة، تمدح ملوك
 الأندلس و تخاطبهم بما يعرض لها من حاجة، و كانت حسنة الخط، تكتب المصاحف، و ماتت عذراء لم تنكح سنه أربعمائه.

و قال فى «المغرب» إنها من عجائب زمانها، و غرائب أوانها، و أبو عبد الله الطيب عمها، و لو قيل: «إنها أشعر منه» لجاز، و دخلت
 على المظفر بن المنصور بن أبى عامر و بين يديه ولد، فارتجلت: [الوافر]

أراك الله فيه ما تريد و لا برحت معاليه تزيد

فقد دلت مخايله على ما تؤمله و طالعه السعيد

تشوّقت الجياد له و هزّال حسام هوى و أشرقت البنود
و كيف يخيب شبل قد نمته إلى العليا ضراغمة أسود
فسوف تراه بدرا في سماء من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل زكا الأبناء منكم و الجدود
وليدكم لدى رأى كشيخ و شيخكم لدى حرب وليد
و خطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت إليه: [الكامل]
أنا لبوة لكننى لا أرتضى نفسى مناخا طول دهرى من أحد
و لو أننى أختار ذلك لم أجب كلبا و كم غلقت سمعى عن أسد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٠٩

و منهنّ مريم بنت أبى يعقوب الأنصارى

سكنت إشبيلية، و أصلها و الله أعلم من شلب.
و ذكرها ابن دحية فى «المطرب» و قال: إنها أديبة شاعرة مشهورة، و كانت تعلم النساء الأدب، و تحتشم لدينها و فضلها، و عمرت
عمرا طويلا، سكنت إشبيلية، و اشتهرت بها بعد الأربعمائه، و ذكرها الحميدى، و أنشد لها جوابها لما بعث المهدي إليها بدنانير، و
كتب إليها:

[البسيط]

ما لى بشكر الذى أوليت من قبل لو أنّى حزت نطق اللسن فى الحلل
يا فذّة الظرف فى هذا الزّمان و يا وحيدة العصر فى الإخلاص فى العمل
أشبهت مريما العذراء فى ورع و فقت خنساء فى الأشعار و المثل
و نص الجواب منها: [البسيط]

من ذا يجاريك فى قول و فى عمل و قد بدرت إلى فضل و لم تسل
ما لى بشكر الذى نظمت فى عنقى من اللالى و ما أوليت من قبل
حلّيتى بحلى أصبحت زاهيه بها على كلّ أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغرّ التى سقيت ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت مروان من غارت بدائعه و أنجدت و غدت من أحسن المثل
من كان والده العضب المهند لم يلد من النسل غير البيض و الأسل
و من شعرها و قد كبرت: [الطويل]

و ما يرتجى من بنت سبعين حجّة و سبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدبّ ديبب الطفل تسعى إلى العصا و تمشى بها مشى الأسير المكبل

و منهنّ أسماء العامرية

، من أهل إشبيلية، كتبت إلى عبد المؤمن بن علي رسالة نمت فيها إليه بنسبها العامري، و تسأله في رفع الإنزال عن دارها، و الاعتقال عن مالها، و في آخرها قصيدة أولها: [الوافر]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢١٠
 عرفنا النصر و الفتح المبينا لسيدنا أمير المؤمنين
 إذا كان الحديث عن المعالي رأيت حديثكم فينا شجوننا
 و منها:
 رويتم علمه فعلمتموه و صنتم عهده فغدا مصونا

و منهن أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية،

سمعت أباهما، و كانت حاضرة النادرة، سريعة التمثل، من أهل العلم و الفهم و العقل، و لها تأليف في القبور، و لما ولى أبوها قضاء المرية دخل داره و عيناه تذرفان و جدا لمفارقة وطنه، فأنشده متمثلة: [الكامل]
 يا عين صار الدمع عندك عادة تبكين في فرح و في أحزان
 و هذا البيت من جملة أبيات هي: [الكامل]
 جاء الكتاب من الحبيب بأنه سيزورني فاستعبرت أجفاني
 غلب السرور على حتى إنه من عظم فرط مسرتي أبكاني
 و بعده البيت، و بعده:
 فاستقبلي بالبشر يوم لقائه و دعى الدموع ليلته الهجران

و منهن مهجة القرطبية صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى

، و كانت من أجمل نساء زمانها، و علقت بها ولادة، و لازمت تأديبها، و كانت من أخف الناس روحا، و وقع بينها و بين ولادة ما اقتضى أن قالت: [السريع]
 ولادة قد صرت ولادة من غير بعل، فضح الكاتم
 حكى لنا مريم لكنه نخلة هذى ذكر قائم
 قال بعض الأكابر: لو سمع ابن الرومي هذا لأقر لها بالتقدم.
 و من شعرها: [الطويل]
 لئن قد حمى عن ثغرها كل حائم فما زال يحمى عن مطالبه الثغر
 فذلك تحميه القواضب و القنا و هذا حماه من لواظها السحر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢١١
 و أهدي إليها من كان يهيم بها خوفا، فكتبت إليه: [السريع]
 يا متحفا بالخوخ أحبابه أهلا به من مثلج للصدور
 حكى ثدى الغيد تفليكه لكنه أخزى رؤوس الأيور

و منهن هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي،

و كانت أديبة شاعرة، كتب إليها أبو عامر بن يتق يدعوها للحضور عنده بعودها: [الكامل]

يا هند هل لك في زيارة فتية نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا نعمات عودك في الثقل الأول
فكتبت إليه في ظهر رقعة: [الكامل]

يا سيّدا حاز العلا عن سادة شمّ الأنوف من الطراز الأول
حسبي من الإسراع نحوك أننى كنت الجواب مع الرسول المقبل

و منهن الشلبية،

قال ابن الأبار: و لم أقف على اسمها، و كتبت إلى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها و صاحب خراجها: [الكامل]

قد آن أن تبكى العيون الآبى و لقد أرى أن الحجارة باكيه
يا قاصد المصر الذى يرجى به إن قدر الرحمن رفع كراهيه
ناد الأمير إذا وقفت ببابه يا راعيا إن الرعية فانيه

أرسلتها هملا و لا مرعى لها و تركتها نهب السباع العاديه
شلب كلا شلب، و كانت جنة فأعادها الطاغون نارا حاميه
حافوا و ما خافوا عقوبة ربهم و الله لا تخفى عليه خافيه

فيقال: إنها ألقيت يوم جمعة على مصلى المنصور، فلما قضى الصلاة و تصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها، و أمر للمرأة بصله.

و حكى أن بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء فى معرفة الأحكام و النوازل، و كان قبل أن يتزوجها ذكر له وصفها
فتزوجها، و كان فى مجلس قضاة تنزل به النوازل، فيقوم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢١٢

إليها فتشير إليه بما يحكم به، فكتب إليه بعض أصحابه مداعبا بقوله: [المتقارب]

بخلوشة قاض له زوجة و أحكامها فى الورى ماضيه

فيا ليته لم يكن قاضيا و يا ليتها كانت القاضيه

فأطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت: ناولنى القلم، فناولها، فكتبت بديهة: [مجزوء الكامل]

هو شيخ سوء مزدري له شيوب عاصيه

كلّا لئن لم ينته لنسفعا بالناصيه

و سمعت بعض أشياخنا يحكى القضية عن لسان الدين بن الخطيب، و أنه هو الذى كتب يداعب زوج المرأة فكتبت إليه: [مجزوء

الكامل]

إن الإمام ابن الخطيب له شيوب عاصيه

إلى آخره، فالله أعلم.

و منهن نزهون الغرناطية

قال في «المغرب»: من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى «المسهب» و وصفها بخفة الروح، و الانطباع الزائد، و الحلاوة، و حفظ الشعر، و المعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق، و حسن رائق، و كان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها و مذاكرتها و مراسلتها، فكتب لها مرة: [المجتث]

يا من له ألف خلّ من عاشق و صديق

أراك خلّيت للناس منزلا فى الطريق

فأجابته: [الطويل]

حللت أبا بكر محلاً منعتة سواك، و هل غير الحبيب له صدرى

و إن كان لى كم من حبيب فإنما يقدم أهل الحقّ حبّ أبى بكر

قيل: لو قالت «و إن كان خلانى كثيرا- الخ» لكان أجود.

و لما قال فيها المخزومى: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٢١٢

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢١٣

على وجه نزهون من الحسن مسحة و تحت الثياب العار لو كان باديا

قواصد نزهون توارك غيرها و من قصد البحر استقلّ السواقيا

قالت: [المجتث]

إن كان ما قلت حقاً من بعض عهد كريم

فصار ذكرى ذميما يعزى إلى كلّ لوم

و صرت أقبح شىء فى صورة المخزومى

و قد تقدمت حكايتها فى «الباب الأوّل» من هذا فلتراجع.

و قال لها بعض الثقلاء: ما على من أكل معك خمسمائة سوط؟! فقالت: [الطويل]

و ذى شقوة لّمّا رآنى رأى له تمنّيه أن يصلّى معى جاحم الضّرب

فقلت له كلها هنيئاً فإنّما خلقت إلى لبس المطارف و الشّرب

و قال ابن سعيد فى طالعه لما وصف وصول ابن قرمان إلى غرناطة و اجتماعه بجنّته بقرية الزاوية من خارجها بنزهون القلاعية الأديبة،

و ما جرى بينهما، و أنّها قالت له بعقب ارتجال بديع- و كان يلبس غفارة صفراء على زى الفقهاء حينئذ- أحسنت يا بقره بنى إسرائيل،

إلا أنّك لا تسر الناظرين، فقال لها: [إن لم أسر الناظرين] فأنا أسر السامعين، و إنما يطلب سرور الناظرين منك يا فاعلة يا صانعة، و

تمكّن السكر من ابن قرمان، و آل الأمر إلى أن تدافعوا معه حتى رموه فى البركة، فما خرج إلا و هو قد شرب كثيرا من الماء، و ثيابه

تهطل، فقال: اسمع يا وزير، ثم أنشد: [السريع]

إيه أبا بكر و لا حول لى بدفع أعيان و أنذال

و ذات فرج واسع دافق بالماء يحكى حال أذيالى

غَرَقْتَنِي فِي الْمَاءِ يَا سَيِّدِي كَفَّرَهُ بِالتَّغْرِيقِ فِي الْمَالِ
 نَفْحِ الطَّيِّبِ مِنْ غَصَنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٥، ص: ٢١٤
 فأمر بتجريد ثيابه، و خلع عليه ما يليق به، و مرّ لهم يوم بعد عهدهم بمثله، و لم ينتقل ابن قزمان من غرناطة إلا من بعد ما أجزل له
 الإحسان، و مدحه بما هو ثابت له في ديوان أزجاله، و حكى عنه فيما أظن - أعنى ابن قزمان - و يحتمل أنه غيره أنه تبع إحدى
 الماجنات، و كان أحول، فأطعمته في نفسها، و أشارت إليه أن يتبعها، فاتبعها حتى أتت به سوق الصاعغة بإشبيلية، فوقفت على صائغ
 من صياغها، و قالت له: يا معلم مثل هذا يكون فص الخاتم الذي قلت لك عنه، تشير إلى عين ذلك الأحول الذي تبعها، و كانت قد
 كلفت ذلك الصائغ أن يعمل لها خاتما يكون فسه عين إبليس، فقال لها الصائغ: جيئني بمثال، فإنني لم أر هذا و لا سمعت به قط
 [فجاءته به عن مثال]، و حكاها بعضهم على وجه آخر و أنها ذهبت إلى الصائغ و قالت له: صور لي صورة الشيطان، فقال لها: اثبني
 بمثال، فلما تبعها ابن قزمان جاءته به، و قالت له: مثل هذا، فسأل ابن قزمان الصائغ فأعلمه فخجل و لعنها.

و كتب [أبو بكر] بن قزمان على باب جنته: [السريع]

و قائل يا حسننا جنة لا يدخل الحزن على بابها

فقلت و الحق له صولة أحسن منها مجد أربابها

و له: [الوافر]

كثير المال تمسكه فيفنى و قد يبقى مع الجود القليل

و من غرست يدها ثمار جود ففي ظلّ الثناء له مقيم

رجع إلى أخبار نزهون [بنت القليعي]

حكى أنها كانت تقرأ على أبي بكر المخزومي الأعمى، فدخل عليهما أبو بكر الكندي، فقال يخاطب المخزومي: [الكامل]

لو كنت تبصر من تجالسه

فأفحم، و أطال الفكر فما وجد شيئا، فقالت نزهون:

لغدوت أحرص من خلاخله

نَفْحِ الطَّيِّبِ مِنْ غَصَنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٥، ص: ٢١٥

البدر يطلع من أزرتة و الغصن يمرح في غلائله

و كانت ماجنة، و من شعرها قولها: [البسيط]

لله درّ الليالي ما أحسنها و ما أحسن منها ليلة الأحد

لو كنت حاضرنا فيها و قد غفلت عين الرقيب فلم تنظر إلى أحد

أبصرت شمس الصّحى فى ساعدى قمر بل ريم خازمة فى ساعدى أسد

و هذا المعنى متفق مع قول ابن الزقاق: [الطويل]

و مرتجة الأرداف أمّا قوامها فلدن و أما ردفها فرداح

ألّمت فبات الليل من قصر بها يطير، و لا غير السرور جناح

فبتّ و قد زارت بأنعم ليلة يعانقني حتى الصّباح صباح

على عاتقى من ساعديها حمائل و فى خصرها من ساعديّ و شاح

[من شعر ابن الزقاق]

و ابن الزقاق هذا له فى النظم و الغوص على المعانى الباع المديد، و من نظمه قوله:
[الوافر]

رئيس الشرق محمود السجايا يقصر عن مدائحه البليغ
نسميه بيحيى و هو ميت كما أن السليم هو اللديغ
يعاف الورد إن ظمئت حشاه و فى مال اليتيم له ولوغ
و قوله: [المتقارب]

كنت و لو أننى أستطيع لإجلال قدرك بين البشر
قددت اليراعة من أنملى و كان المداد سواد البصر
و قوله: [الطويل]

غرير يبارى الصبح إشراق خده و فى مفرق الظلماء منه نصيب
ترف بفيه ضاحكا أفحوانه و يهتر فى برديه منه قضيب
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢١٦
و قوله: [الكامل]

و مهفهف نبت الشقيق بخده و اهتر أملود النقا فى برده
ماء الشيبه و الغرام أرق من صقل الحسام المنتقى و فرنده
يحيى الورى بتحيه من وصله من بعد ما وردوا الحمام بصدّه
إن كنت أهديت الفؤاد له فقل أى الجوى بجوانح لم يهده
و قوله: [المتقارب]

أرق نسيم الصبا عرفه وراق قضيب النقا عطفه
و مر بنا يتهادى و قد نضا سيف أجفانه طرفه
و مد لمبسمه راحة فخلت الأقاح دنا قطفه
أشارت بتقبيلها للسلام فقال فمى ليتنى كفه
و قوله: [الرملى]

بأبى من لم يدع لى لحظه فى الهوى من رمق حين رمق
جمعت نكهته فى ثغره عبقا فى نسق يسبى الحدق
و بدت خجلته فى خده شفقا فى فلق تحت غسق
و قال: [الكامل]

و عشية لبست ملاء شقيق ترهى بلون للحدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما أبقي الحياء بوجنتى معشوق
لو أستطيع شربتها كلفا بها و عدلت فيها عن كؤوس رحيق
و قال فى مسامرة كتاب زعماء: [الكامل]

لله ليلتنا التي استجدي بها فلق الصّباح لسدفة الإظلام
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢١٧
 طرأت علىّ مع النجوم بأنجم من فتيه بيض الوجوه كرام
 إن حوربوا فزعوا إلى بيض الطّبا أو خوطبوا فزعوا إلى الأقالم
 فترى البلاغة إن نظرت إليهم والبأس بين يراعه و حسام
 وقال: [الخفيف]

و مجدّين في السرى قد تعاطوا غفوات الهوى بغير كؤوس
 جنحوا و انحنوا على العيس حتى خلتهم يعتبون أيدي العيس
 نبذوا الغمض و هو حلو إلى أن وجدوه سلافة في الرءوس
 وقال: [الطويل]

و حبّ يوم السبت عندي أنّي ينادمني فيه الذي أنا أحببت
 و من أعجب الأشياء أنّي مسلم حنيف و لكن خير أيامي السبت
 و لنقتصر من نساء الأندلس على هذا المقدار، و نعد إلى ما كنا فيه من جلب كلام بلغاء الأندلس ذوى الأقدار، فنقول:

[من شعر الخفاجي و ابن صارة]

قال الخفاجي رحمه الله تعالى: [الطويل]
 و هاتفة في البان تملى غرامها علينا و تتلو من صبايتها صحفا
 عجبت لها تشكو الفراق جهالة و قد جاوبت من كلّ ناحية إلفا
 و يشجى قلوب العاشقين أئينها و ما فهموا مما تغتت به حرفا
 و لو صدقت فيما تقول من الأسى لما لبست طوقا و لا خضبت كفا
 و قال الأستاذ أبو محمد بن صارة [الطويل]:

متى تلتقى عيناى بدر مكارم تودّ الثريا أنّها من مواطنه
 و لما أهّل المدلجون بذكره و فاح تراب البيد مسكا لواطئه
 عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه كما عرف الوادى بخضرة شاطئه
 و قال يتغزل [الكامل]:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢١٨
 يا من تعرّض دونه شحط النوى فاستشرفت لحديثه أسماعى
 إنى لمن يحظى بقربك حاسد و نواظرى يحسدن فيك رقاعى
 لم تطوك الأيام عنى إنّما نقلتك من عيني إلى أضلاعى

[للأديب أبي القاسم بن العطار]

و قال الأديب أبو القاسم بن العطار: [الطويل]

عبرنا سماء الجو و النهر مشرق و ليس لنا إلا الحباب نجوم
و قد ألبسته الأيك برد ظلالها و للشمس فى تلك البرود رقوم
و له أيضا: [الكامل]

لله بهجة نزهة ضربت به فوق الغدير رواقها الأنسام
فمع الأصيل النهر درع سابغ و مع الضحى يلتاح فيه حسام
و قال أيضا [الخفيف]:

هبب الريح بالعشى فحاكت زردا للغدير ناهيك جته
و انجلي البدر بعد هده فحاكت كفه للقتال منه أسنه
و قال أيضا: [الكامل]

لله حسن حديقه بسطت لنا منها النفوس سواف و معاطف
تختال فى حلل الربيع و حليه و من الربيع قلائد و مطارف
و له: [المنسرح]

و سنان ما إن يزال عارضه يعطف قلبى بعطفة اللام
أسلمنى للهوى فواحنى أن بزنى عفتى و إسلامى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢١٩
لحاظه أسهم، و حاجبه قوس، و إنسان عينه رامى

[من شعر ابى جعفر بن خاتمة و الوزير ابن جزى و أبى الحجاج النصرى (السلطان)]

و ارتجل أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى لما بات فى قرية بيش: [الكامل]
لله منزلنا بقرية بيش كاد الهوى فيها اذكارا بى يشى
رحنا إليها و البطاح كأنها صحف مذهبة يابريز العشى
فأجازه الوزير ابن جزى بقوله: [الكامل]

فى فتية هزت حميا الأنس من أعطافهم فالكل منها منتشى
يأتى علام بالصحيح، و لفظهم بالمنتقى، و جمالهم بالمدهش
و قال السلطان أبو الحجاج النصرى مرتجلا أيام مقامه بظاهر جبل الفتح سنة ٨٢٥:
[الطويل]

و لم يتركوا أوطانهم بمرادهم و لكن لأحوال أشابت مفارقى
أقام بها ليل التهانى تقلبا و قد سكنت جهلا نفوس الخلائق
فعوضتها ليل الصبابة بالسرى و أنس التلاقى بالحبيب المفارق
و لم يثنى طرف من النور ناعس و لا معطف للبان وسط الحدائق
و لا منهض الأشبال فى عقر غيرهم و لا ملعب الغزلان فوق التمارق
و عاطيتها صبح الدياتجى مدامه تميل بها الركبان فوق الأياتق
إذا ما قطعنا بالمطى تنوفة دلجنا لأخرى بالجياذ السوابق

بحيث التقى موسى مع الخضر آية عسى ترجع العقبي كموسى و طارق
وله: [البيسط]

من عاذرى من غزال زانه حور قد هام لَمَا بدا فى حسنه البشر
ألحظه كسيوف الهند ماضية لها بقلبي و إن سالمتهأ أثر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٥، ص: ٢٢٠

[من شعر ابى القاسم بن حاتم و الفقيه ابن سعيد يخاطب الفقيه الفخار و ابن جبير اليحصبي]

و قال القاضى أبو القاسم بن حاتم: [الوافر]
شكوت بما دهاك و كان سرًا لمن ليست موذته صحيحه
فتلك مصيبة عادت ثلاثا لصحبتها الشماتة و الفضيحة
و قال الفقيه محمد بن سعيد الأندلسى مخاطبا للفقيه الفخار: [البيسط]
خفف علينا قليلا أيها العلم فربما كان فينا من به ألم
لا يستطيع نهوضا من تألمه و إن تمادى قليلا خانت القدم
كفى وصية مولانا و سيدنا محمد فاسمعوا ما قال و الترموا
و قال ابن جبير اليحصبي فيمن أهدى إليه تفاحا: [الوافر]
خليل لم يزل قلبى قديما يميل بفرط صاغية إليه
أتانى مقبلا و البشر ييدى و سائل برصه كرمت لديه
و جاء بعرف تفاح ذكى فقلت أتى الخليل بسبويه
فأهدى من جناه بكل شكل يلوح جمال مهديها عليه

[من شعر إبراهيم البدوى]

و قال قاضى مالقة سيدى إبراهيم البدوى: [مخلع البيسط]
قطعت يأسى فصنت وجهى عن الوقوف لذى وجاهه
قصدت ربي فكان حسبي ألسنى فضله وجاهه
فلا يرى ينثنى عنانى مدى حياتى إلا تجاهه

[حديث عن مصحف بجامع العدبس بإشبيلية]

و قال ابن خليل السكونى فى فهرسته: شاهدت بجامع العدبس بإشبيلية ربعة مصحف فى أسفار ينحى به لنحو خطوط الكوفة إلا أنه
أحسن خطأ و أبينه و أبرعه و أتقنه، فقال لى الشيخ الأستاذ أبو الحسين بن الطفيل بن عزيمة: هذا خط ابن مقله، و أنشد: [البيسط]
خط ابن مقله من أراعاه مقلته و دت جوارحه لو أنها مقل
ثم قسنا حروفه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل فى القدر و الوضع، فالألفات على قدر واحد، و اللامات كذلك، و الكافات و الواوات
و غيرها بهذه النسبة، انتهى.

قلت: رأيت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مصحفاً بخط ياقوت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٢١

المستعصمى بهذه المثابة، وهو من الأوقاف الرستمية، ورأيت بالحجرة الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام مصحفاً مكتوباً في آخره ما صورته: كتبتة بقلم واحد فقط ما قَطَّ قط إلا مرة فقط، انتهى.

[من شعر ابن عبدون و أبي عبد الله بن المناصف قاضي بلنسية]

رجع - و قال ابن عبدون رحمه الله تعالى: [الكامل]
أذهبن من فرق الفراق نفوسا و نثرن من درّ الدموع نفيسا
فتبعتها نظر الشجى فحدقت رقباؤها نحوى عيوننا شوسا
و حللن عقد الصبر إذ ودعنى فحللن أفلاك الخدور شموسا
حلته إذ حلته حتى خلته عرشا لها و حسبته بلقيسا
فازور جانبها و كان جوابها لو كنت تهوانا صحبت العيسا
و هى طويلة.

قلت: ما أظن لسان الدين نسج قصيدته من هذا البحر و الروى إلا على منوال هذه، و إن كان الحافظ التنسى قال: إنه نسجها على [منوال] قصيدة أبي تمام حسبما ذكرنا ذلك فى محله فليراجع.

و قال أبو عبد الله بن المناصف قاضي بلنسية و مرسيه رحمه الله تعالى: [المجتث]

ألزمت نفسى خمولا عن رتبة الأعلام
لا يخسف البدر إلا ظهوره فى تمام
و تذكرت به قول غيره: [المجتث]
ليس الخمول بعار على امرئ ذى جلال
فليلة القدر تخفى و تلك خير الليالى

[للوزير ابن عمار ردا على أبي المطرف بن الدباغ و قد شفع عنده فى غلام طر عذاره]

و قال الوزير ابن عمار، و قد كتب له أبو المطرف بن الدباغ شافعا لغلام طر له عذار:
[المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٢٢

أتانى كتابك مستشفعا بوجه أبى الحسن من رده
و من قبل فضى ختم الكتاب قرأت الشفاعة فى خده

[من شعر ابى الوليد الوقشى و ابن الصفار]

و قال القاضى الأديب، و الفيلسوف الأريب، أبو الوليد الوقشى قاضى طليطلة: [السريع]
برح بى أن علوم الورى قسمان ما إن فيهما مزيد

حقيقه يعجز تحصيلها و باطل تحصيله لا يفيد
و قال أبو عبد الله بن الصفار و هو من بيت القضاء و العلم بقرطبة: [السريع]
لا تحسب الناس سواء متى ما اشتبهوا فالتاس أطوار
و انظر إلى الأحجار، فى بعضها ماء، و بعض ضمنه نار
و هذا مثل قول غيره: [السريع]
الناس كالأرض و منها هم من خشن الطبع و من لين
مرو تشكى الرجل منه الوجى و إثمى يجعل فى الأعين
و من نظم ابن الصفار المذكور: [المجتث]
إذا نويت انقطاعا فاعمل حساب الرجوع

[من شعر ابى مروان الجزيرى و ابن المصيصى]

و قال أبو مروان الجزيرى: [الكامل]
و من العجائب و العجائب جمه أن يلهج الأعمى بعب الأعمور
و قال حسان بن المصيصى كاتب الظافر بن عباد ملك قرطبة: [الكامل]
لا تأمنن من العدو لبعده إن امرأ القيس اشكى الطمّاحا

[أبيات لأبى عمرو بن مهيب و أبيات لعبد الله الجذامى،]

و قال الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى [قدس سره العزيز] فى كتاب «الإسفار، عن نتائج الأسفار»: أنشدنى الكاتب الأديب
أبو عمرو بن مهيب بإشيلية أبياتا عملها فى حمود بن إبراهيم بن أبى بكر الهرغى، و كان أجمل أهل زمانه، رآه عندنا زائرا و قد خط
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٢٣
عذاره، فقلت: يا أبا عمرو، ما تنظر إلى حسن هذا الوجه؟ فعمل الأبيات فى ذلك، و هى:
[المتقارب]

و قالوا العذار جناح الهوى إذا ما استوى طار عن وكره
و ليس كذاك فخيرهم قيما بعدرى أو عذره
إذا كمل الحسن فى وجنه فخاتمته ويك من شعره
قال بعضهم: رأيت آخر الكتاب المذكور بعد فراغه شعرا نسبه إليه، و هو: [الكامل]
يا حاضرا بجماله فى خاطرى و محجبا بجلاله عن ناظرى
إن غبت عن عيني فإتتك نورها و ضمير سرك سائر فى سائرى
و من العجائب أننى أبدا إلى رؤياك ذو شوق مديد وافر
مع أننى ما كنت قط بمجلس إلا و كنت منادمى و مسامرى
و أنشد فى «الإحاطة» لعبد الله الجذامى: [الطويل]
أيا سيدى أشكو لمجدك أننى صددت مرارا عن مثولى بساحتك

شكاه اشتياق أنت حقًا طيبها و ما راحتى إلا بتقبيل راحتك

قال: و هو عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد الجذامى، فاضل ملازم للقراءة، عاكف على الخير، مشارك فى العربية، خاطب للرياسة الأدبية، اختص بالأمر أبى على المنصور ابن السلطان أيام مقامه بالأندلس، و مما خاطبه به معتذرا: أيا سيدى - البيتين انتهى

[لعبد الله بن أحمد الملقى، أبيات كتبها إلى أبى نصر الفتح بن خافان صاحب «قلائد العقيان» و «مطمح الأنفس»]

و قال فى ترجمه عبد الله بن أحمد الملقى قاضى غرناطه، و كان فقيها بارع الأدب: إنه كتب إلى أبى نصر صاحب «القلائد» و «المطمح» أثناء رساله بقوله: [الوافر]

تفتحت الكتابه عن نسيم نسيم المسك فى خلق كريم
أبا نصر رسمت لها رسوما تخال رسوما وضح النجوم
و قد كانت عفت فأثرت منها سراجا لاح فى الليل البهيم
فتحت من الصناعه كل باب فصارت فى طريق مستقيم
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٢٤
فكتاب الزمان و لست منهم إذا راموا مرامك فى هموم
فما قس بأبدع منك لفظا و لا سحبان مثلك فى العلوم

[من شعر محمد بن الحسن المذحجى و محمد بن عبد الرحمن الغرناطى]

و قال الذهبى، و قد جرى ذكر محمد بن الحسن المذحجى الأندلسى بن الكتانى: إنه أديب شاعر متفنن ذو تصانيف، حمل عنه ابن حزم، و من شعره: [الطويل]

ألا قد هجرنا الهجر و اتصل الوصل و بانت ليالى اليبين و اجتمع الشمل
فسعدى نديمى، و المدامه ريقها، و وجنتها روضى، و تقبيلها النقل
و قال العلامة محمد بن عبد الرحمن الغرناطى: [الكامل]
الشعب ثم قبيله و عماره بطن و فخذ و الفصيله تابعه
فالشعب مجتمع القبيله كلها ثم القبيله للعماره جامعهم
و البطن تجمعهم العماثر فاعلمن و الفخذ تجمعهم البطون الواسعه
و الفخذ يجمع للفصائل هاكها جاءت على نسق لها متتابعه
فخزيمه شعب، و إن كنانه لقبيله منها الفصائل شائعه
و قريشها تسمى العماره يا فتى و قصى بطن للأعادى قامعه
ذا هاشم فخذ و ذا عباسها أثر الفصيله لا تناط بسابعه

و كتبت هذه الأبيات و إن لم تشتمل على بلاغه لما فيها من الفائدة، و لأن بعض الناس سألنى فيها لغرابتها، و الأعمال بالنيات.

[من شعر أبى محمد الكلاعى الجيانى و قد دخل على القاضى ابن رشد فقام له]

و لما دخل أبو محمد الكلاعى الجيانى على القاضى ابن رشد قام له فأنشده أبو محمد بديهة: [مخلع البسيط]
 قام لى السيد الهمام قاضى قضاء الورى الإمام
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٢٥
 فقلت قم بى، و لا تقم لى فقلما يؤكل القيام

[من شعر أبى عبد الرحمن بن حجاج البلنسى و أبى محمد بن برطله و ابن وضاح، و أنشده أبو بكر بن حبيش]

و قال أبو عبد الرحمن بن حجاج البلنسى: [الوافر]
 لئن كان الزمان أراد حطى و حاربنى بأنياب و ظفر
 كفانى أن تصافينى المعالى و إن عاديتنى يا أم دفر
 فما اعتز اللثيم و إن تسامى و لا هان الكريم بغير وفر
 و قال أبو محمد بن برطله: [الطويل]

ألا إنما سيف الفتى صنو نفسه فنافس بأوفى ذمء و إحاء
 يزينك مرأى أو يعينك حاجة فيحسن حالى شدة و رخاء
 و قال أيضا: [الطويل]

أنفسى، صبرا لا يروعك حادث يارتاجه، و استشعري عاجل الفتح
 قرب اشتداد فى الخطوب لفرجة كما انشق ليل طال عن فلق الصبح
 و قال أيضا: [الوافر]

متى يدنو لوعدكم انتجاز و يبعد عن حقيقته المجاز
 أ يجمل أن يؤمكم رجائي فيوقف لا يرد و لا يجاز
 و جدكم كفيل بالأمانى و مطلوبى قريب مستجاز
 إذا ما أمكنت فرص المساعى فعجز أن يطاولها انتهاز
 وها أنا قد هززتكم حساما و يحسن للمهتدة اهتزاز
 فما الإنصاف أن ينضى كهام و يودع غمده العضب الجراز
 كما نعم العراق بعذب بحر و يشقى بالظما البرح الحجاز
 فأعيبى الناس فى المقدار حلم تجاذبه خمول و اعتزاز

و أنشد الشيخ أبو بكر بن حبيش لابن وضاح البيت المشهور، و هو: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٢٦

أسرى و أسير فى الآفاق من قمر و من نسيم و من طيف و من مثل

و ابن حبيش المذكور هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش - بفتح الحاء و قد عرف به تلميذه ابن رشيد الفهرى فى رحلته، فقال بعد كلام: أما النظم فيسده عنانه، و أما النثر فإن مال إليه توكف له بنانه، مع تواضع زائد، على صلة مخبره عائد، لقيته بمنزله ليوم أو يومين من مقدمى على تونس، فتلقي بكل فنّ يونس، و صادفته بحاله مرض، من و ثء فى رجله عرض، و عنده جملة من العواد، من الصدور الأمجاد، فأدنى و قرب، و سهل و رحب، و تفاوض أولئك الصدور، فى فنون من الأدب كأنها الشذور، إلى أن خاضوا فى الأحاجى، و استضاءوا بأنوار أفكارهم فى تلك الدياجى، فخضت معهم فى الحديث، و أنشدتهم بيتين كنت صنعتهما و أنا

حديث، لقصة بلغتني عن أبي الحسن سهل بن مالك، و هي أنه كان يسائل أصحابه و هو في المكتب و يقول لهم: أخرجوا اسمي، فكل ينطق على تقديره، فيقول لهم:

إنكم لم تصيبوه مع أنه سهل، فنظمت هذا المعنى فقلت: [الوافر]

و ما اسم فكه سهل يسير يكون مصغراً نجم يسير

مصحفه له في العين حسن و قلبى عند صاحبه أسير

و كان الشيخ أبو بكر على فراشه، فزحف مع ما به من ألم، إلى محبرة و طرس و قلم، و كتب البيتين بخطه، و قال للحاضرين: ارووا هذين البيتين عن قائلهما.

و من شيوخ ابن حبيش المذكور أبو عبد الله بن عسكر المالقى، كتب له و لأخيه أبي الحسين بخطه إجازة جميع ما يجوز له، و عنه، و ضمن آخرها هذه الأبيات: [الطويل]

أجبتكما لكن مقراً بأننى أقصر فيما رمتما عن مداكما

فإنكما بدران في العلم أشرفاً فسلم إذعانا و قسرا عداكما

فسيروا على حكم الوداد فإننى أجد بنفسى أن تكون فداكما

قال ابن رشيد: و قد جمع صاحبنا أبو العباس الأشعري لابن حبيش فهرسة جامعة،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٢٧

و لما وقف عليها ابن حبيش كتب في أولها ما نصه: الحمد لله حق حمده، أحسن هذا الفاضل فيما صنع أحسن الله إليه، و بالغ فيما جمع بلغ الله تعالى به أشرف المراتب لديه، غير أنى أقول واحده، ما سريرتى لها بجاحده، و أصرح بمقال، لا يسعنى كتبه بحال: و الله ما أنا للإجازة بأهل، و لا مرامها لى بسهل، إذ من شرط المجيز أن يعد فيمن كمل، و يعد العلم و العمل، اللهم غفرا، كيف ينيل من عدم وفرا، أو يجيز من أصبح صدره من المعارف قفرا، و صحيفته من الصالحات صفرا، و كيف يرسم فى ديوان الجلة، من يتسم بالأفعال المخلة، و متى يقترن الشبه بالإبريز، أو يوصف السكيت بالتيريز، و من ضعف النهى، مجانسة الأعمار بالسها، و من أعظم التويخ، تشيخ من لا يصلح للتشيخ، و إن هذا المجموع ليروق و يعجب، و لكنه جمع لمن لا يستوجب، و إن القراءة قد تحصلت، و لكن القواعد ما تأصلت، و إن القارئ علم، و لكن المقروء عليه عدم، و لقد شكرت لهذا السرى ما جلب، و كتبت مسعفا له بما طلب، و قرنت إلى درّه هذا المخشلب، قلت و حلى عطل و نطقى خطل، مكره أخاك لا بطل، و الله سبحانه و تعالى ينفع بما أخلص له عند الاعتقاد، و يسمح للبهرج عند الانتقاد، كتبه العبد المذنب محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمي حامدا لله تعالى و مصليا على نبيه الكريم المصطفى و على آله أعلام الطهارة و الهدى و مسلما تسليما.

و كتب أيضا رحمه الله تعالى فى جواب استجازة: المسؤول، مبدول، إن شاء الله تعالى على التنجيز، و لكن شروط الإجازة موجودة فى المجاز معدومة فى المجيز، و الله تعالى يصفح بكرمه و مته، و يشكر كل فاضل على تحسين ظنه، و هو المسؤول سبحانه أن يحفظ بعنايته مهجاتهم، و يرفع بالعلم و العمل درجاتهم، و يمتعهم بالكمال الرائق المعجب، و يقر بالنجيين عين المنجب، و كتبه ابن حبيش.

[لوزير الكاتب أبى بكر بن القبطرنة يستجدى بازيا من المنصور بن الأفتس]

و قال الوزير الكاتب أبو بكر بن القبطرنة يستجدى بازيا من المنصور بن الأفتس صاحب بطليوس: [الكامل]

يا أيها الملك الذى آباؤه شم الأنوف من الطراز الأول

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٢٨

حليت بالنعم الجسام جسيمة عنقى فحل يدي كذاك بأجدل

و امنن به ضافى الجناح كأنما جذبت قوائمه بريح شمال
متلقتا و الطلّ ينثر برده منه على مثل اليماني المخمل
أغدو به عجباً أصرف في يدي ريحا و آخذ مطلقاً بمكبّل

[بين ابن عمار و المعتمد بن عباد و قد أهديت للمعتمد باكورة نرجس، فكتب يستدعى حضوره لمجلس أنس]

و أدخلت على المعتمد يوماً باكورة نرجس، فكتب إلى ابن عمار يستدعيه: [مخلع البسيط]
قد زارنا النرجس الذكى و آن من يومنا العشى
و عندنا مجلس أنيق و قد ظمنا و فيه رى
ولى خليل غدا سمى يا ليته ساعد السمى
فأجابه ابن عمار: [مخلع البسيط]
لبيك لبيك من مناد له الندى الرحب و الندى
ها أنا بالباب عبد قن قبلته وجهك السنى
شرفه والداه باسم شرفته أنت و النبى

[ابن عمار يكتب للمعتمد و قد اصطبح مع أم الربيع في يوم غيم و احتجب عن الندماء]

و اصطبح المعتمد يوم غيم مع أم الربيع، و احتجب عن الندماء، فكتب إليه ابن عمار:
[الطويل]

تجهّم وجه الأفق و اعتلت النفس لأن لم تلح للعين أنت و لا شمس
فإن كان هذا منكما من توافق و ضمكما أنس فيهنكما الأنس
فأجابه المعتمد بقوله:

خليلى قولاً هل على ملامه إذا لم أغب إلا لتحضرنى الشمس
و أهدى بأكواس المدام كواكباً إذا أبصرتها العين هشت لها النفس
سلام سلام أنتما الأنس كله و إن غبتما أم الربيع هى الأنس
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٢٩

[بين ابن عمار و بعض إخوانه، و قد كتبوا له يستدعون منه شراباً و بين ذى الوزارتين القائد أبى عيسى بن لبون، و ابن اليسع]

و استدعى جماعة من إخوان ابن عمار منه شراباً فى موضع هو فيه مفقود، فبعث لهم به و برمانتين و تفاحتين، و كتب لهم مع ذلك:
[الوافر]

خذاها مثل ما استدعيتها عروساً لا تزف إلى اللثام
و دونكما بها ثدي فتاه أضفت إليهما خدى غلام

و شرب ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون مع الوزراء و الكتاب ببطحاء لورقة عند أخيه، و ابن اليسع غائب، فكتب إليه: [البسيط]
لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا و المزن يسكن أحياناً و ينحدر

و الأرض مصفرةً بالمزن طافيةً أبصرت درًا عليه التبر ينتشر

[من شعر الحجارى فى وصف زيه البدوى و أبى العباس بن خليل]

و قال الحجارى من القصيدة المشهورة: [الوافر]

عليك أحوالى الذكر الجميل

فى وصف زيه البدوى المستثقل و ما فى طيه: [الطويل]

و مثلى بدنّ فيه خمر يخفّ به و منظره ثقيل

و لما انصرف عن ابن سعيد إلى ابن هود عدله ابن سعيد على تحوله عنه، فقال: النفس تواقه، و ما لى بغير التغرب طاقه، ثم قال:

[الطويل]

يقولون لى ما ذا الملال تقيم فى محلّ فعند الأوس تذهب راحلا

فقلت لهم مثل الحمام إذا شدا على غصن أمسى بآخر نازلا

و قد رأيت أن أكفر ما تقدّم ذكره من الهزل الذى أتينا به على سبيل الإحماض بما لا بدّ منه من الحكم و المواعظ و ما يناسبها.

فنقول:

قال أبو العباس بن الخليل: [الكامل]

فهموا إشارات الحبيب فهموا و أقام أمرهم الرّشاد فقاموا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٣٠

و توسّموا بمدامع منهله تحت الدياحى و الأنام نيام

و تلوا من الذكر الحكيم جوامعا جمعت لها الألباب و الأفهام

يا صاح لو أبصرت ليلهم و قد صفت القلوب و صفت الأقدام

لرأيت نور هداية قد حفهم فسرى السرور و أشرق الإظلام

فهم العبيد الخادمون ملكهم نعم العبيد و أفلح الخدام

سلموا من الآفات لما استسلموا فعليهم حتى الممات سلام

[من شعر أبى محمد عبد الحق الإشبلى و محمد بن صالح الكنانى و ابن الغماز البنسى]

و قال العالم الكبير الشهير صاحب التآليف أبو محمد عبد الحق الإشبلى رحمه الله تعالى: [البسيط]

قالوا صف الموت يا هذا و شدّته فقلت و امتدّ منى عندها الصوت

يكفيكم منه أنّ الناس إن وصفوا أمرا يروّعهم قالوا هو الموت

و قال الخطيب الأستاذ أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبى نزىل بجاية: [الوافر]

جعلت كتاب ربى لى بضاعه فكيف أخاف فقرا أو إضاعه

و أعددت القناعة رأس مال و هل شىء أعز من القناعه؟

و قال القاضى الكبير الأستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغماز البنسى نزىل إفريقية:

[الطويل]

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغته و أنت على سوء من الفعل عاكف
و إياك أن تمضى من الدهر ساعة و لا لحظة إلا و قلبك واجف
و بادر بأعمال تسرك أن ترى إذا نشرت يوم الحساب الصّحائف
و لا تياسن من رحمة الله إنّه لربّ العباد بالعباد لطائف
و قال رحمه الله تعالى: [المتقارب]

أما آن للنفس أن تخشعا أما آن للقلب أن يقلعا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٣١
أليس الثمانون قد أقبلت فلم تبق في لذة مطمعا
تقضى الزمان و لا مطمع لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضى الزمان فوا حسرتى لما فات منه و ما ضيعا
و يا ويلتاه لذي شبيهه يطيع هوى النفس فيما دعا
و بعدا و سحقا له إذ غدا يسمع و عطا و لن يسمعا

[من شعر أبي إسحاق الإلبيري الغرناطي]

و قال الأستاذ الزاهد أبو إسحاق الإلبيري الغرناطي رحمه الله تعالى: [الكامل]
كلّ امرئ فيما يدين يدان سبحان من لم يخل منه مكان
يا عامر الدنيا ليسكنها و ما هي بالتى يبقى بها سگان
تفنى و تبقى الأرض بعدك مثل ما يبقى المناخ و يرحل الرّكبان
أ أسرّ في الدنيا بكل زيادة و زيادتى فيها هي التّقصان
و قال أيضا رحمه الله تعالى: [المنسرح]

و ذى غنى أو همته همته أن الغنى عنه غير منفصل
يجرّ أذيال عجبه بطرا و اختال للكبرياء فى الحلل
بزّته أيدى الخطوب بزّته فاعتاض بعد الجديد بالشمل
فلا تتق بالغنى فأفت ه الفقر و صرف الزمان ذو دول
كفى بنيل الكفاف عنه غنى فكن به فيه غير محتفل
و قال رحمه الله تعالى: [الكامل]

لا شىء أخسر صفقه من عالم لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرّق دينه أيدى سبا و يديله حرصا لجمع المال
لا خير فى كسب الحرام و قلّما يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف و لا تكن ذا فضلة فالفضل تسأل عنه أى سؤال
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٣٢
و قال رحمه الله تعالى:

الشيب نبه ذا النهى فتنها و نهى الجهول فما استقام و لا انتهى

فإلى متى ألهو وأخدع بالمنى و الشيخ أقبح ما يكون إذا لها
 ما حسنه إلا التقى لا أن يرى صبًا بألحاظ الجآذر و المها
 أنى يقاتل و هو مفلول الشبا كأبى الجواد إذا استقل تأوها
 محق الزمان هلاله فكأنما أبقى له منه على قدر السها
 فغدا حسيرا يشتهى أن يشتهى و لكم جرى طلق الجموح كما اشتهى
 إن أن أوأه و أجهش بالبكا لذنوبه ضحك الجهول و قهقها
 ليست تنبهه العظا و مثله فى سنه قد آن أن يتبها
 فقد اللدات و زاد غيا بعدهم هلا تيقظ بعدهم و تبها
 يا ويحه ما باله لا ينتهى عن غيه و العمر منه قد انتهى

[من شعر أبى عبد الله بن العريف و أبى القاسم بن الأبرش و أبى العباس بن صقر الغرناطى]

و قال الأستاذ ولى الله سيدى أبو عبد الله بن العريف: [الكامل]

من لم يشافه عالما بأصوله فيقينه فى المشكلات ظنون
 من أنكر الأشياء دون تيقن و تثبت فمعاند مفتون
 الكتب تذكرة لمن هو عالم و صوابها بمحالتها معجون
 و الفكر غواص عليها مخرج و الحق فيها لؤلؤ مكنون
 و قال أبو القاسم بن الأبرش: [الخفيف]

أياسونى لما تعاضم ذنبى أ تراهم هم الغفور الرحيم
 فذرونى و ما تعاضم منه إنما يغفر العظيم العظيم

و قال أبو العباس بن صقر الغرناطى أو المرى، و أصله من سرقسطة: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٣٣
 أرض العدو بظاهر متصنع إن كنت مضطرا إلى استرضائه
 كم من فتى ألقى بوجه باسم و جوانحى تنقد من بغضائه

[من شعر ابن الأبار القضاعى و من ترجمة ابن الأبار عن الغبرينى فى كتابه «عنوان الدراية»]

و قال الكاتب الشهير الشهيد أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعى البلسنى رحمه الله تعالى من أبيات: [الرملى]

يا شقيق النفس أوصيك و إن شق فى الإخلاص ما تنتهجه
 لا تبت فى كمد من كبد رب ضيق عاد رحبا مخرجه
 و بلطف الله أصبح واثقا كل كرب فعليه فرجه

و لابن الأبار المذكور ترجمة طويلة استوفيت منها ما أمكنى فى «أزهار الرياض، فى أخبار عياض، و ما يناسبها مما يحصل به للنفس
 ارتياح و للعقل ارتياض».

قال الغبرينى فى «عنوان الدراية»: لو لم يكن له من الشعر إلا قصيدته السينية التى رفعها للأمير أبى زكريا رحمه الله تعالى يستنجد به و

يستصرخه لنصرة الأندلس لكان فيها كفاية، وإن كان قد نقدها ناقد، و طعن عليه فيها طاعن، و لكن كما قال أبو العلاء المعري:
[الطويل]

تكلم بالقول المضلل حاسد و كلّ كلام الحاسدين هواء

و لو لم يكن له من التأليف إلا كتابه المسمى «بمعادن اللجين، في مراثي الحسين» لكفاه في ارتفاع درجته، و علو منصبه و سمو رتبته.
ثم قال: توفي بتونس ضحوه يوم الثلاثاء الموفى عشرين لمحرّم سنة ٦٥٨هـ، و مولده آخر شهر ربيع سنة ٥٩٥هـ ببلنسية، رحمه الله تعالى و سامحه!، انتهى.

[ابن علوان يحدث عن اتصال سنده به و المؤلف يحدث عن اتصال سنده به]

و قال ابن علوان: إنه يتصل سنده به من طرق، منها من طريق الراوية أبي عبد الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٣٤

محمد بن جابر القيسي الوادي آشي عن الشيخ المقرئ المحدث المتبحر أبي عبد الله محمد بن حيان الأوسى الأندلسي نزيل تونس عنه، و من طريق والدي صاحب «عنوان الدراية» عن الخطيب أبي عبد الله بن صالح عنه، انتهى.
قلت: و سندی إليه عن العم عن التنسي عن أبيه عن ابن مرزوق عن جده الخطيب عن ابن جابر الوادي آشي به كما مر.

[من شعر ابن عبد ربه و أبي العلاء بن قاسم القيسي و الاعمى التطيلي]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٢٣٤

قال ابن عبد ربه: [البسيط]

بادر إلى التوبة الخلاء مجتهدا و الموت ويحك لم يمدد إليك يدا

و ارقب من الله وعدا ليس يخلفه لا بد لله من إنجاز ما وعدا

و قال الصدر أبو العلاء بن قاسم القيسي: [البسيط]

يا واقف الباب في رزق يؤمله لا تقنطن فإن الله فاتحه

إن قدر الله رزقا أنت طالبه لا تياسن فإن الله مانحه

و قال الأعمى التطيلي: [البسيط]

تنافس الناس في الدنيا و قد علموا أن سوف تقتلهم لذاتها بددا

قلّ للمحدّث عن لقمان أو لبد لم يترك الدهر لقمانا و لا لبا

و للذی همّه البنيان يرفعه إن الردى لم يغادر في الثرى أحدا

ما لابن آدم لا تفنى مطامعه يرجو غدا و عسى أن لا يعيش غدا

[من شعر أبي العباس التطيلي و القاضي أبي العباس بن الغماز البنسي]

و قال أبو العباس التطيلي: [البسيط]

و الناس كالناس إلا أن تجربهم و للبصيرة حكم ليس للبصر

كالأيك مشتبهات في منابتها و إنما يقع التفضيل في الثمر

و قال القاضي أبو العباس بن الغماز البلسي: [الكامل]
 من كان يعلم لا محالة أنه لا بد أن يودي و إن طال المدى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٣٥
 هلا استعد لمشهد يجزى به من قد أعد من اهتدى و من اعتدى
 و قال أيضا: [الطويل]

هو الموت فاحذر أن يحيئك بغته و أنت على سوء من الفعل عاكف
 و إياك أن تمضي من الدهر ساعة و لا لحظة إلا و قلبك واجف
 فبادر بأعمال يسرك أن ترى إذا طويت يوم الحساب الصّحائف
 و لا تياسن من رحمة الله إنه لربّ العباد بالعباد لطائف

[من شعر أبي إسحاق الإلبيري و أبي الطاهر الجياني المعروف بابن أبي ركب]

و لما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودي الشهير بابن نغدة، و أعضل داؤه المسلمين، قال زاهد البيرة و غرناطة أبو إسحاق
 الإلبيري قصيدته النونية المشهورة التي منها في إغراء صنهاجة باليهود: [المتقارب]
 ألا قل لصنهاجة أجمعين بدور الزمان و أسد العرين
 مقالة ذي مقه مشفق صحيح النصيحة دنيا و دين
 لقد زل سيدكم زلة أقر بها عين الشامتين
 تخير كاتبه كافرا و لو شاء كان من المؤمنين
 فعز اليهود به و اتموا و سادوا و تاهوا على المسلمين
 و هي قصيدة طويلة، فثارت إذ ذاك صنهاجة على اليهود، و قتلوا منهم مقتلة عظيمة، و فيهم الوزير المذكور، و عادة أهل الأندلس أن
 الوزير هو الكاتب، فأراح الله العباد و البلاد، ببركة هذا الشيخ الذي نور الحق على كلامه باد.
 و قال أبو الطاهر الجياني المشهور بابن أبي ركب بفتح الراء و سكون الكاف: [مجزوء الوافر]
 يقول الناس في مثل تذكر غائبا تره
 فما لي لا أرى سكني و لا أنسى تذكره
 و كان أبو الطاهر هذا في جملة من الطلبة، فمر بهم رجل معه محبرة آبنوس تأتق في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٣٦

حليتها و احتفل في عملها، فأراهم إياها، و قال: أريد أن أقصد بها بعض الأكابر، و أريد أن تتموا احتفالي بأن تصنعوا لي بينكم
 أبيات شعر أقدمها معها، فأطرق الجماعة، و قال أبو الطاهر: [الكامل]
 وافتك من عدد العلا زنجية في حلة من حلية تتبختر
 صفراء سوداء الحللي كأنها ليل تطرزه نجوم تزه
 فلم يرغب الرجل عنهم إلا يسيرا، و إذ به قد عاد إليهم، و في يده قلم نحاس مذهب، فقال لهم: و هذا [مما] أعددت له للدفع مع هذه
 المحبرة، فتفضلوا بإكمال الصنعة عندي بذكره، فبدر. أبو الطاهر و قال: [الكامل]
 حملت بأصفر من نجار حليها تخفيه أحيانا و حينما تظهر
 خرسان إلا حين يرضع ثديها فتراه ينطق ما يشاء و يذكر

[بين ابن ركب و ابن زرقون]

قال ابن الأبار في «تحفة القادم» و حضر يوما في جماعة من أصحابه و فيهم أبو عبد الله ابن زرقون في شعبان في مكان، فلما تملّثوا من الطعام قال أبو الطاهر لابن زرقون: أجز يا أبا عبد الله، و أنشد: [الطويل]

حمدت لشعبان المبارك شعبة تسهل عندي الجوع في رمضان
كما حمد الصبّ المتيم زورة تحمل فيها الهجر طول زمان
فقال:
دعوها بشعبانية و لو انهم دعوها بشعبانية لكفاني

[من شعر أبي عبد الله بن خميس الجزائري]

و قال أبو عبد الله بن خميس الجزائري: [الوافر]

تحفظ من لسانك، ليس شيء أحق بطول سجن من لسان
و كن للصمت ملتزما إذا ما أردت سلامة في ذا الزمان
و قال أيضا: [البيسط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٣٧
كن حلس بيتك مهما فتنة ظهرت تخلص بدينك و افعل دائما حسنا
و إن ظلمت فلا تحقد على أحد إن الصغائن فاعلم تنشيء الفتنة
و قال: [الوافر]

بدا لي أن خير الناس عيشا من آمنه الإله من الأنام
فليس لخائف عيش لذيذ و لو ملك العراق مع الشأم
و له: [الكامل]

جانب جميع الناس تسلم منهم إن السلامة في مجانبة الوري
و إذا رأيت من امرئ يوما أذى لا تجزه أبدا بما منه ترى
و له: [مخلع البسيط]

من أدب ابنا له صغيرا قرّت به عينه كبيرا
و أرغم الأنف من عدو يحسد نعماء كثيرا

[من شعر أبي محمد بن هارون القرطبي و ابن صارة]

و قال أبو محمد بن هارون القرطبي: [الكامل]

بيد الإله مفاتيح الزرق الذي أبوابه مفتوحة لم تغلق
عجبا لذي فقر يكلف مثله في الوقت شيئا عنده لم يخلق
و قال أيضا: [الطويل]

لعمر ك ما الإنسان يرزق نفسه و لكنما الرّب الكريم يسخره
و ما بيد المخلوق فى الرزق حيلة تقدّمه عن وقته أو تؤخّره
و قال الأديب الأستاذ أبو محمد بن صارة رحمه الله تعالى: [البسيط]
يا من يصيح إلى داعى السفاه و قد نادى به التّاعيان الشّيب و الكبر
إن كنت لا تسمع الذّكرى ففيم ثوى فى رأسك الواعيان السّمع و البصر
ليس الأصمّ و لا الأعمى سوى رجل لم يهده الهاديان العين و الأثر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٣٨
لا الدهر يبقى و لا الدنيا و لا الفلك الأعلى و لا التّيران الشمس و القمر
ليرحلنّ عن الدنيا و إن كرها فراقها الثاويان البدو و الحضر
و قال رحمه الله تعالى فى ابنه ماتت له: [الوافر]
ألا يا موت كنت بنا رؤوفا فجّددت الحياة لنا بزوره
حماد لفعلك المشكور لّمّا كفيت مؤنّه و سترت عوره
فأنكحنا الضّريح بلا صداق و جهزنا الفتاة بغير شوره

[من شعر أبى عبد الله بن الحاج البكرى الغرناطى و أبى الربيع سليمان بن موسى الكلاعى]

و أنشد أبو عبد الله بن الحاج البكرى الغرناطى فى بعض مجالسه قوله: [الرجز]
يا غاديا فى غفلة و رائحا إلى متى تستحسن القبائحا
و كم إلى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا
يا عجا منك و كنت مبصرا كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرا فى غد صحيفة قد ملئت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسرا يوم يفوز من يكون رابحا
و ممن روى عنه هذه الأبيات الكاتب الرئيس أبو الحسن بن الجياب، و توفى ابن الحاج المذكور سنة ٧١٥ رحمه الله تعالى:
و قال حافظ الأندلس و محدثها أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى رحمه الله تعالى: [الطويل]
إلهى مضت للعمر سبعون حجّة و لى حركات بعدها و سكون
فيا ليت شعرى أين أو كيف أو متى يكون الذى لا بدّ أن سيكون
و الصواب أنهما لغيره كما ذكرته فى غير هذا الموضع، و بالجملة فهما من كلام الأندلسيين، و إن لم يحقّق ناظمهما بالتعيين.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٣٩

[من شعر أبى بكر يحيى التّطيلى]

و قال أبو بكر يحيى التّطيلى رحمه الله تعالى: [الطويل]
إليك بسطت الكفّ فى فحمة الدّجى نداء غريق فى الدّنوب عريق
رجاك ضميرى كى تخلّص جملتى و كم من فريق شافع لفريق

[بين بعض المغاربة و الملك الكامل بن العادل بن أيوب]

و حكى أن بعض المغاربة كتب إلى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة في ورقة بيضاء، إن قرئت في ضوء السراج كانت فضية،
و إن قرئت في الشمس كانت ذهبية، و إن قرئت في الظل كانت حبرا أسود، و فيها هذه الأبيات: [الطويل]
لئن صدني البحر عن موطني و عيني بأشواقها زاهره
فقد زحرف الله لي مكة بأنوار كعبته الزاهره
و زحرف لي بالنبي يثربا و بالملك الكامل القاهره
فقال الملك الكامل قل:
و طيب لي بالنبي طيبه و بالملك الكامل القاهره
و أظن أن المغربي أندلسي لقوله لئن صدني البحر عن موطني فلذلك أدخلته في أخبار الأندلسيين على غير تحقيق في ذلك، و الله
أعلم.

[من شعر بن عبد البر النمري الحافظ]

و أنشد أبو الوليد المعروف بابن الخليفة قال: أنشدنا أبو عمر بن عبد البر النمري الحافظ: [الطويل]
تذكرت من يبكي عليّ مداوما فلم ألف إلا العلم بالدين و الخبر
علوم كتاب الله و السنن التي أتت عن رسول الله مع صحة الأثر
و علم الألي من ناقديه و فهم ما له اختلفوا في العلم بالرأى و النظر
و أنشد له أيضا: [الطويل]
مقاله ذى نصح و ذات فوائد إذا من ذوى الألباب كان استماعها
عليكم بآثار النبي فإنه من افضل أعمال الرّشاد أتباعها

[من شعر ابن عياش الأزدي و ابن خفاجة]

و قال أبو الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب الأزدي اليابرى، و سكن أبوه قرطبة:
[الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤٠
عصيت هوى نفسى صغيرا و عندما رمتنى الليالى بالمشيب و بالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتنى خلقت كبيرا و انتقلت إلى الصغر
و قيل: إن ابنه أبا الحسن على بن عبد الملك قال بيتا مفردا فى معنى ذلك، و هو:
هنيئا له إذ لم يكن كابنه الذى أطاع الهوى فى حالتيه و ما اعتبر
و قيل: إن هذا البيت رابع أربعة أبيات.

و قال أبو إسحاق بن خفاجة لما اجتمع به أبو العرب و سأله عن حاله و قد بلغ فى عمره إحدى و ثمانين سنه، فأنشده لنفسه: [الرملى]
أى عيش أو غداء أو سنه لابن إحدى و ثمانين سنه
قلص الشيب به ظل امرئ طالما جرّ صباه رسنه

تارة تسطو به سيئه تسخن العين و أخرى حسنه

[من شعر عبد الوهاب القيسى المالقى و عبد الحق الإشبلى الأزدي و أبى الفضل عبد المنعم]

و قال أبو محمد عبد الوهاب بن محمد القيسى المالقى: [السريع]

الموت حصاد بلا منجل يسطو على القاطن و المنجلى

لا يقبل العذر على حاله ما كان من مشكل او من جلى

و قال الشيخ عبد الحق الإشبلى الأزدي صاحب كتاب العاقبة و الإحكام و غيرهما:

إن فى الموت و المعاد لشغلا و اذكارا لذى النهى و بلاغا

فاغتم خطتين قبل المنايا صحه الجسم يا أخى و الفراغا

و قال أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغسانى من أهل جليانه من عمل وادى آش: [الطويل]

ألا إنما الدنيا بحار تلامت فما أكثر الغرقى على الجنبات

و أكثر من صاحبت يغرق إلفه و قلّ فتى ينجى من الغمرات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤١

و كان المذكور من أهل العلم و الأدب، رحل و حج و تجول فى البلاد، و نزل القاهره المعزيه، و كان أحد السياحين فى الأرض، و له تأليف منها «جامع أنماط الوسائل، فى القريض و الخطب و الرسائل» و أكثره نظمه و نثره، رحمه الله تعالى!.

[من شعر عبد العليم بن عبد الملك بن حبيب القضاعى الطرطوشى و أبى الحكم عبد المحسن البنسى]

و قال عبد العليم بن عبد الملك بن حبيب القضاعى الطرطوشى: [الطويل]

و ما الناس إلا كالصّحائف عبره و ألسنهم إلا كمثل التّراجم

إذا اشتجر الخصمان فى فطنه الفتى فمقوله فى ذاك أعدل حاكم

و قال أبو الحكم عبد المحسن البنسى: [البيسط]

من كان للدهر خدنا فى تصرفه أبدت له صفحة الدهر الأعاجيبا

من كان خلوا من الآداب سربله مرّ الليالى على الأيام تأديبا

[من شعر أبى حاتم عمر بن محمد بن فرج و غانم بن الوليد المخزومى المالقى]

و قال أبو حاتم عمر بن محمد بن فرج من أهل ميرتله: مدينه بغرب الأندلس، يمدح شهاب القضاعى: [الكامل]

شهب السماء ضياؤها مستور عنا إذا أفلت توارى النور

فانزع هديت إلى شهاب نوره متألّق آماله تبصير

تشفى جواهره القلوب من العمى و لطالما انشحت بهنّ صدور

فإذا أتى فيه حديث محمّد خذ فى الصلاة عليه يا مغرور

و ترخمنّ على القضاعى الذى وضع الشهاب فسعيه مشكور

و قال الأستاذ أبو محمد غانم بن الوليد المخزومى المالقى: [السريع]

ثلاثة يجهل مقدارها الأمن و الصّحة و القوت
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤٢
 فلا تثق بالمال من غيرها لو أنه درّ و ياقوت
 و تذكرت بهذا قول الآخر: [الهزج]
 إذا ما القوت يأتي ل ك و الصحة و الأمن
 و أصبحت أبا حزن فلا فارقك الحزن

و كل ذلك أصله الحديث النبوي «من أصبح آمنا في سربه، معافى في بدنه، معه قوت يومه، فكأنما سقت له الدنيا بحذافيرها».
 و أخبرنا شيخنا القصار أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي مفتي مدينة فاس و خطيبها سنة عشر و ألف، قال: حدثنا شيخنا أبو عبد الله
 محمد بن أبي الفضل التونسي نزيل فاس الشهير بخروف، حدثنا الإمام سيدي فرج الشريف الطحطحائي، قال: سمعت النبي صلى الله
 عليه و سلم في النوم يقول: «من أصبح آمنا في سربه - الحديث».

[من شعر أبي العباس أحمد بن العريف و أبي محمد المحاربي]

رجع:
 و قال الأستاذ العارف بالله سيدي أبو العباس أحمد بن العريف الأندلسي دفين مراکش، و قد زرت قبره بها سنة ١٠١٠: [الوافر]
 إذا نزلت بساحتك الرزايا فلا تجزع لها جزع الصبي
 فإن لكل نازله عزاء بما قد كان من فقد النبي
 و قال رحمه الله تعالى: [البسيط]

شدوا الرحال و قد نالوا المنى بمنى و كلهم بأليم الشوق قد باحا
 راحت ركائبهم تندى روائحها طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا
 نسيم قبر النبي المصطفى لهم راح إذا سكروا من أجله فاحا
 يا راحلين إلى المختار من مضر زرتم جسوما و زرنا نحن أرواحا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤٣
 إنا أقمنا على شوق و عن قدر و من أقام على عذر كمن راحا
 و قال أبو محمد المحاربي: [مجزوء الكامل]

داء الزمان و أهله داء يعز له العلاج
 أطلعت في ظلماته رأيا كما سطع السراج
 لمعاشر أعياننا في من قناتهم اعوجاج
 كالدر ما لم تختبر فإذا اختبرت فهم زجاج

[من شعر غريب الثقفي القرطبي و ابن الطراوة النحوي المالقي]

و قال أبو عبد الله غريب الثقفي القرطبي: [الوافر]
 تهددني بمخلوق ضعيف يهاب من المنية ما أهاب

له أجل ولى أجل و كل سيبلغ حيث يبلغه الكتاب
و ما يدري لعل الموت منه قريب أينا قبل المصاب
و له: [الرمل]

أيها الآمل ما ليس له طالما غر جهولا أمله
ربما بات يمئى نفسه خانه دون مناه أجله
و فتى بكر فى حاجاته عاجلا أعقب ريثا عجله
قل لمن مثل فى أشعاره يذهب المرء و يبقى مثله
نافس المحسن فى إحسانه فسيكفيك مسيئا عمله
قال ابن الأبار: و هذا البيت الأخير فى برنامج الطنبى.
و قال أبو الحسن سليمان بن الطراوة النحوى الملقى: [الوافر]
و قائله أتصبو للغوانى و قد أضحى بمفرقك النهار
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤٤
فقلت لها حثت على التصابى (أحقّ الخيل بالركض المعار)

[من شعر أبى الربيع بن سالم و أبى الحسن الباهلى الإشبلى]

و قال الحافظ أبو الربيع بن سالم: [الطويل]
إذا برمت نفسى بحال أحلتها على أمل ناء فقرت به النفس
و أنزل أرجاء الرجاء ركائبى إذا رام إماما بساحتى اليأس
و إن أو حشنتى من أمانى نبوة فلى فى الرضا بالله و القدر الأنس
و قال أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلى الإشبلى مما أنشده لنفسه فى كتابه الذى سماه «بالذخائر و الأعلام»، فى أدب
النفوس و مكارم الأخلاق»: [الطويل]
إذا تمّ عقل المرء تمّت فضائله و قامت على الإحسان منه دلائله
فلا تنكر الأبصار ما هو فاعله و لا تنكر الأسماع ما هو قائله
و كان أبو المذكور من وزراء المعتمد بن عباد، رحم الله تعالى الجميع!

[من شعر أبى بكر الزيدى اللغوى و أبى الوليد هشام بن محمد، القيسى، الشلبى، المعروف بابن الطلا]

و قال أبو بكر الزيدى اللغوى: [الرمل]
اترك الهمة إذا ما طرقتك و كل الأمر إلى من خلقك
و إذا أمل قوم أحدا فإلى ربك فامدد عنقك
و قال القاضى أبو الوليد هشام بن محمد القيسى الشلبى المعروف بابن الطلا: فاوضت القاضى أبا محمد عبد الله بن شبرين ما يحذر
من فتنة النظر إلى الوجوه الحسان، فقلت:
[البسيط]

لا تنظرن إلى ذى رونق أبداً واحذر عقوبه ما يأتي به النظر
فكم صريع رأيناه صريع هوى من نظرة قادها يوماً له القدر
فأجابني في المعنى الذى انتحيتة: [البيسط]
إذا نظرت فلا تولع بتقليب فربما نظرة عادت بتعذيب
و «رب» هنا للتكثير.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤٥

[من شعر ابن حوط الله ترجمته عن «الإحاطة»]

و قال الأستاذ ابن حوط الله: [الوافر]
أ تدرى أنك الخطاء حقاً و أنك بالذى تأتي رهين
و تغتاب الألى فعلوا و قالوا و ذاك الظن و الإفك المبين
قال فى «الإحاطة» أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الأنصارى الحارثى، كان فقيهاً جليلاً أصولياً كاتباً أديباً
شاعراً متفتناً فى العلوم ورعاً ديناً حافظاً ثبثاً فاضلاً، درس كتاب سيبويه و مستصطفى أبى حامد الغزالي، و كان - رحمه الله تعالى! -
مشهوراً بالعقل و الفضل، معظماً عند الملوك، معلوم القدر لديهم، يخطب فى مجالس الأمراء و المحافل الجمهوريه، مقدماً فى ذلك
بلاغه و فصاحه إلى أبعد مضمار، ولى قضاء إشبيلية و قرطبه و مرسية و سبتة و سلا و ميورقه، فتظاهر بالعدل، و عرف بما أبطن من
الدين و الفضل، و كان من العلماء العاملين، مجانبا لأهل البدع و الأهواء، بارع الخط، حسن التقييد، و سمع الحديث، فحصل له سماع
لم يشاركه فيه أحد من أهل الغرب، و سمع على الجهابذة كابن بشكوال و غيره، و قرأ أكثر من ستين تأليفاً بين كبار و صغار، و كمل
له على أبى محمد بن عبد الله بين قراءة و سماع نحو من سته و ثلاثين تأليفاً، منها الصحيحان، و أكثر عن ابن حبيش و ابن الفخار و
السهيلي و غيرهم، و مولده فى محرم سنة ٥٤١، و مات بغرناطه سحر يوم الخميس ثانى ربيع الأول سنة ٦١٢، و نقل منها فى تابوته
الذى أُلحد فيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنه المذكوره إلى مالقه فدفن بها، رحمه الله تعالى! انتهى، و بعضه بالمعنى
مختصراً.

و للمذكور ترجمه واسعة جداً، و ألمعت بما ذكر على وجه التبرك بذكره، رحمه الله تعالى و رضى عنه!.

[من شعر أبى المتوكل الهيثم بن أحمد السكونى الإشبيلية،]

و قال أبو المتوكل الهيثم بن أحمد السكونى الإشبيلية: [البيسط]
يجفى الفقير و يغشى الناس قاطبه باب الغنى، كذا حكم المقادير
و إنما الناس أمثال الفراش فهم يرون حيث مصايح الدنانير
و قال تلميذه ابن الأبار: أنشدنى بعض أصحابنا عنه هذين البيتين، و لم أسمعهما منه، انتهى.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤٦
قلت: و بهذا تعرف وهم من نسب البيتين إلى عبد المهيمن الحضرمى [فإن هذا كان قبل أن يخلق والد عبد المهيمن الحضرمى]، و قد
أنشدهما أيضاً ابن الجلاب الفهرى فى «روح الشعر، و روح الشجر».

[من شعر ابن أفریولہ و أبى بكر يحيى ابن مجبر أبى الحجاج يوسف بن أحمد الأنصارى المنصفى البنسى]

و قال أبو محمد القاسم بن الفتح الحجاري المعروف بابن افيولته: [الطويل]
ركابى بأرجاء الرّجاء مناخه و رائدها علمى بأنك لى ربّ
و أنك علم بما أنا قائل كما أنت علم بما أضمر القلب
لئن آدها ذنب تولّت بعثه لقد قرعت بابا به يغفر الذّنب
و قال أيضا: [الكامل]

عجبا لحبر قد تيقن أنّه سيرى اقتراف يديه فى ميزانه
ثمّ امتطى ظهر المعاصى جهرة لم يثنه التائب عن عصيانه
أتى عصى و لكل جزء نعمة من نفسه و زمانه و مكانه
و قال الشاعر الكبير الشهير أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهرى: [البسيط]
إنّ الشّدائد قد تغشى الكريم لأنّ تبيين فضل سجاياه و توضحه
كمبرد القين إذ يعلو الحديد به و ليس يأكله إلا ليصلحه
و قال: [السريع]

لا تغبط المجذب فى علمه و إن رأيت الخصب فى حاله
إنّ الذى ضيّع من نفسه فوق الذى ثمر من ماله
و قال أبو الحجاج يوسف بن أحمد الأنصارى المنصفى البلسنى: [السريع]
قالت لى النّفس أتاك الرّدى و أنت فى بحر الخطايا مقيم
هل اتّخذت الرّاد قلت اقصرى هل يحمل الرّاد لدار الكريم
و كان المنصفى المذكور صالحا، و له رحلة حج فيها، و مال إلى علم التّصوّف، رحمه الله تعالى، و له فيه أشعار حملت عنه.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤٧

[من شعر ابن الصائغ القرشى الأموى و أبى عبد الله الحميدى]

و قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشى الأموى الأندلسى مخمسا أبيات عز الدين بن جماعة قاضى القضاة
رحمه الله تعالى: [البسيط]
همّ الأبى على مقدار منصبه و بسط راحته فى طى منصبه
ما أنت و الدهر تشكو من تقلبه يا مبتلى بقضاء قد بليت به
عليك بالصبر و احذر يا أخى جزعك
صبرا فللصبر فى حرب العدا عدد ذر العدو يمته الغيظ و الحسد
و لا يكن لك إلا الله معتمد و اعلم بأن جميع الخلق لو قصدوا
أذاك لم يقدروا و الله قد رفعك
أعلاك فى رتب غر معظمة بالعرف معروفة بالعلم معلمة
و من يناويك فى بهماء مظلمة فاصرف هواك و جانب كل مظلمة
و اصحب فديتك من بالنصح قد نفعك

قد اجتلبت من الأيام تبصرة و قد كفاك الهدى و الذكر تذكرة
فاشكر و قدم مع الإخلاص معذرة و اسأل إلهك فى الإسحار مغفرة
منه و كن معه حتى يكون معك

و توفى المذكور بالقاهرة فى الطاعون العام سنة ٧٤٩.

و قال أبو عبد الله الحميدى: [البيسط]

الناس نبت و أرباب القلوب لهم روض و أهل الحديث الماء و الزهر
من كان قول رسول الله حاكمه فلا شهود له إلا الألى ذكروا
و قال أيضا: [الكامل]

من لم يكن للعلم عند فئته أرج فإن بقاءه كفئته

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤٨

بالعلم يحيا المرء طول حياته فإذا انقضى أحياءه حسن ثنائه

و قال أيضا: [البيسط]

دين الفقيه حديث يستضىء به عند الحجاج و إلا كان فى الظلم

إن تاه ذو مذهب فى قفر مشكلة لاح الحديث له فى الوقت كالعلم

[بين الحميدى و من ذم أهل الحديث]

و لما تعرض بعض من لا يبالى بما ارتكب إلى أصحاب الحديث بقوله: [الطويل]

أرى الخير فى الدنيا يقل كثيره و ينقص نقصا و الحديث يزيد

فلو كان خيرا كان كالخير كله و لكن شيطان الحديث مرید

و لابن معين فى الرجال مقالة سيسأل عنها و المليك شهيد

فإن يك حقا قوله فهى غيبة و إن يك زورا فالقصاص شديد

أجابه الإمام أبو عبد الله الحميدى بقصيدة طويلة، منها: [الطويل]

و إنى إلى إبطال قولك قاصد و لى من شهادات النصوص جنود

إذا لم يكن خيرا كلام نبينا لديك فإن الخير منك بعيد

و أقبح شىء أن جعلت لما أتى عن الله شيطانا و ذاك شديد

و ما زلت فى ذكر الزيادة معجبا بها تبدىء التليس ثم تعيد

كلام رسول الله وحى و من يرم زيادة شىء فهو فيه عنيد

و منها فى ابن معين: [الطويل]

و ما هو إلا واحد من جماعة و كلهم فيما حكوه شهود

فإن صد عن حكم الشهادة جاهل فإن كتاب الله فيه عتيد

و لولا رواة الدين ضاع و أصبحت معالمه فى الآخرين تبيد

هم حفظوا الآثار من كل شبهة و غيرهم عما اقتنوه رقود

و هم هاجروا فى جمعها و تبادروا إلى كل أفق و المرام كؤود

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤٩
 و قاموا بتعديل الرواة و جرحهم فدام صحيح النقل و هو حديد
 بتبليغهم صحت شرائع ديننا حدود تحزوا حفظها و عهود
 و صح لأهل النقل منها احتجاجهم فلم يبق إلا عاند و حقود
 و حسبهم أن الصحابة بلغوا و عنهم روي لا يستطيع جحود
 فن حاد عن هذا اليقين فمارق مرید لإظهار الشكوك مرید
 و لكن إذا جاء الهدى و دليله فليس لموجود الضلال وجود
 و إن رام أعداء الديانة كيدها فكيدهم بالمخزيات مكيد

[من شعر ابن محرز الزهرى البلنسى و أحمد بن سعيد بن حزم و أبى العباس أحمد بن الغماز]

و قال أبو بكر محمد بن محرز الزهرى و البلنسى، و التزم الراء فى كل كلمة: [مجزوء الكامل]
 اشكر لربك و انتظر فى إثر عسر الأمر يسرا
 و اصبر لربك و ادخر فى ستر ضر الفقر أجرا
 فالدهر يعثر بالورى و الصبر بالأحرار أحرى
 و الوفير أظهر معشرا و الفقر بالأخيار يغرى
 و قال أيضا: [الكامل]

اقنع بما أوتيته تمل الغنى و إذا دهتك ملمة فتصبر
 و اعلم بأن الرزق مقسوم فلو رمنا زيادة ذرة لم نقدر
 و الله أرحم بالعباد فلا تسل بشرا تعش عيش الكرام و تؤجر
 و إذا سخطت لضر حالك مرة و رأيت نفسك قد عدت فاستبصر
 و انظر إلى من كان دونك تدكر لعظيم نعمته عليك فتشكر

و قال الحافظ أبو محمد بن حزم: أنشدنى والدى أحمد بن سعيد بن حزم: [الطويل]

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها

و قال القاضى أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسى نزيل تونس: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٥٠

و قالوا أما تخشى ذنوبا أتيتها و لم تك ذا جهل فتعذر بالجهل

فقلت لهم هبنى كما قد ذكرتم تجاوزت فى قولى و أسرفت فى فعلى

أما فى رضا مولى الموالى و صفحه رجاء و مسلاة لمقترف مثلى

و أنشد رحمه الله تعالى لنفسه فى اليوم الذى مات فيه، و هو آخر ما سمع منه ليلة عاشوراء سنة ٦٩٣: [البسيط]

أدعوك يا رب مضطرا على ثقة بما وعدت كما المضطر يدعوكا

دارك بعفوك عبدا لم يزل أبدا فى كل حال من الأحوال يرجوكا

طالت حياتى و لما أتخذ عملا إلا محبة أقوام أحبوكا

[من شعر ابن الزقاق و أبي عبد الله الكنانى الشاطبى]

و قال ابن الزقاق: و يقال: إنها مكتوبه على قبره: [الطويل]
 أ إخواننا و الموت قد حال دوننا و للموت حكم نافذ فى الخلائق
 سبقتكم للموت و العمر طيبة و أعلم أن الكل لا بد لاحقى
 بعيشكم أو باضطجاعي فى الثرى ألم نك فى صفو من العيش رائق
 فمن مَرَّ بى فليمض لى مترحما و لا يك منسيا و فاء الأصادق
 و قال الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبى، و مولده سنة ٦١٤:
 [الطويل]

أرى العمر يفنى و الرجاء طويل و ليس إلى قرب الحبيب سبيل
 حباه إله الخلق أحسن سيرة فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
 متى يشتفى قلبى بلثم ترابه و يسمح دهر بالمزار بخيل
 دلت عليه فى أوائل أسطرى فذاك بنى مصطفى و رسول

[من شعر أيمن به محمد الغرناطى و أبى بكر الزبيدى اللغوى]

و قال أيمن بن محمد الغرناطى نزيل طيبة على ساكنها الصلاة و السلام: [الطويل]
 أرى حجرات قد أحاطت عراصها ببحر محيط حصره غير ممكن
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٥١
 بحار المعانى و المعالى و إن طمت لدى لجة تفنى و عن هوله تنى
 محمد المحمود فى كل موطن أبو القاسم المختار من خير معدن
 نبى إذا أبصرت غرة وجهه تيقنت أن العز عز المهيمن
 لك الله من بدر إذا الشمس قابلت محياه قالت إن ذا طالع سنى
 وله: [الكامل]

كل القلوب مطيعة لك فى الهوى جانب فديتك من تشاء و وال
 الحسن وال، و القلوب رعية و على الرعية أن تطيع الوالى
 و قال أيضا: [الطويل]

ألا أيها الباكي على ما يفوته من الحظ فى الدنيا جهلت و ما تدرى
 على فوت حظ من جوار محمد حقيق بأن تبكى إلى آخر العمر
 ستدرى إذا قمنا و قد رفع اللوا و أحدها دينا إلى موقف الحشر
 من الفائز المغبوط فى يوم حشره أجار النبى المصطفى أم أخو الوفر
 وله: [الطويل]

فررت من الدنيا إلى ساكن الحمى فرار محب لائذ بحبيب
 لجأت إلى هذا الجنب، و إنما لجأت إلى سامى العماد رحيب

و ناديت مولاي الذي عنده الغنى نداء عليل فى الزمان غريب
أ مولاي إني قد أتيتك لاثدا و أنت طبيى يا أجل طيب
فقال لك البشرى ظفرت من الرضا بأوفر حظ مجزل و نصيب
تناومت فى أطلال ليل شيبتي فأدركنى بالفجر صبح مشيبى
و قال أبو بكر الزبيدى اللغوى: [السريع]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٥٢
لو لم تكن نار و لا جنه للمره إلا أنه يقبر
لكان فيه واعظ زاجر ناه لمن يسمع أو يبصر
و لقد صدق رحمه الله تعالى و رضى عنه!.

[من شعر بعض فقهاء طليبره و أبى بكر بن مغاور و ابن صفوان الخطيب و بعض قدماء الأندلس]

و لبعض فقهاء طليبره: [الوافر]
رأيت الانقباض أجل شىء و أدعى فى الأمور إلى السلامه
فهذا الخلق سالمهم و دعهم فرؤيتهم تؤول إلى الندامه
و لا نعى بشىء غير شىء يقود إلى خلاصك فى القيامه
و أمر الكاتب أبو بكر بن مغاور بكتب هذه الأبيات على قبره، و هى له: [الخفيف]
أيها الواقف اعتبارا بقبرى استمع فى قول عظمى الزمىم
أودعوني بطن الضريح و خافوا من ذنوب كلومها بأديمى
قلت لا تجزعو على فإنى حسن الظنّ بالرؤوف الرحيم
و دعونى بما اكتسبت رهينا غلق الرهن عند مولى كريم
و قال الخطيب بن صفوان: [الطويل]
رأيتك يدنبنى إليك تباعدى فأبعدت نفسى لا بتغائى فى القرب
هربت له منى إليه فلم يكن بى البعد فى قربى فصحّ به قربى
فيا رب هل نعمى على العبد بالرضا ينال بها فوزا من القرب بالقرب
و قال الوادى آشى:

و هذا النظم معناه جليل، و تكرار القرب و إن قبح عند العروضى فهو عند المحب جميل، و هم القوم يسلم لهم فى الأفعال و الأقوال، و
ترتجى بركتهم فى كل الأحوال، انتهى.

و قال بعض قدماء الأندلس: [المتقارب]

سئمت الحياه على حبها و حقّ لذي السقم أن يسأما
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٥٣
فلا عيش إلا لذي صحه تكون له للتقى سلما
و ذيله آخر منهم فقال: [المتقارب]
و لا داء إلا لمن لم يزل يقارب فى دينه مأثما

فلست تعالج جرح الهوى هديت بمثل التقى مرهما

[من شعر أبي جعفر أحمد السياسي القيسي المرى و أبي إسحاق بن أبي العاصي و أحمد بن الزيات المالق]

و قال أبو جعفر أحمد السياسي القيسي المرى: [الطويل]

إذا ما جنى يوما عليك جناية ظلوم يدق السمر بأسا و يقصف
فلا تنتقم يوما عليه بما جنى و كل أمره للدهر فالدهر منصف
و قال أيضا: [الخفيف]

ليس حلم الضعيف حلما، و لكن حلم من لو يشاء صال اقتدارا
من تغاضى عن السفیه بحلم أصبح الناس دونه أنصارا
من يزوج كريمة الهمة العل يا علوا فقد أجاد الخيارا
ستريه عند الولاد بنيتها العل م و الحلم و الأناة كبارا
و قال الخطيب الصالح أبو إسحاق بن أبي العاصي: [الكامل]
اعمل بعلمك تؤت علما إنما جدوى علوم المرء نهج الأقوم
و إذا الفتى قد نال علما ثم لم يعمل به فكأنه لم يعلم
و قال موطنًا على البيت الأخير: [المتقارب]

أ مولاي أنت العفو الكريم لبذل النوال و للمعذره
على ذنوب و تصحيفها و من عندك الجود و المغفره
و قال الخطيب المتصوف الشهير أبو جعفر أحمد بن الزيات من بلش مالقة: [الوافر]
يقال خصال أهل العلم ألف و من جمع الخصال الألف سادا
و يجمعها الصلاح فمن تعدى مذاهبه فقد جمع الفساد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٥٤
و قال أيضا: [البسيط]

إن شئت فوزا بمطلوب الكرام غدا فاسلك من العمل المرضي منهاجا
و اغلب هوى النفس لا يغرك خادعه فكل شيء يحط القدر منهاجا

[من شعر ابن صارة و أبي محمد بن صاحب الصلاة، الداني]

و قال الأديب الكبير الشهير أبو محمد عبد الله بن صارة البكري الشتريني رحمه الله تعالى: [الوافر]
بنو الدنيا بجهل عظموها فجلت عندهم و هي الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها مهارش الكلاب على العقيره
و قال: [الخفيف]

أى عذر يكون لا أى عذر لابن سبعين مولع بالصبايه
و هو ماء لم تبق منه الليالي فى إناء الحياة إلا صبايه

و قال أيضا: [الوافر]

و لقد طلبت رضا البرية جاهدا فإذا رضاهم غاية لا تدرك

و أرى القناعة للفتى كنزا له و البر أفضل ما به يتمسك

و قال أبو محمد ابن صاحب الصلاة الداني، و يعرف بعبدون: [الطويل]

و عجل شيبى أن ذا الفضل مبتلى بدهر غدا ذو النقص فيه مؤملا

و من نكد الدنيا على المرء أن يرى بها الحرّ يشقى و اللئيم ممولا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٢٥٤

متى ينعم المعتر عينا إذا اعتفى جوادا مقللا أو غتيا مبخلا

[من شعر أبي الحكم عبيد الله الأموى مولاهم و أبى إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيرى و أبى جعفر بن خاتمة]

و قال أبو الحكم عبيد الله الأموى مولاهم الأندلسى: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٥٥

إذا كان إصلاحى لجسمى واجبا فأصلاح نفسى لا محالة أوجب

و إن كان ما يفنى إلى النفس معجبا فإن الذى يبقى إلى العقل أعجب

و قال الفقيه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيرى رحمه الله تعالى: [الكامل]

أكياس جفوا أو طانهم فالأرض أجمعها لهم أو طان

جالت عقولهم مجال تفكر و جلاله فبدا لها الكتمان

ركبت بحار الفهم فى فلك النهى و جرى بها الإخلاص و الإيمان

فرست بهم لما انتهوا بجفونهم مرسى لهم فيه غنى و أمان

و قال أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى: [البيسط]

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا ارحم عبادا أكف الفقر قد بسطوا

عودتهم بسط أرزاق بلا سبب سوى جميل رجاء نحوه انبسطوا

وعدت بالفضل فى ورد و فى صدر بالجود إن أقسطوا و الحلم إن قسطوا

عوارف ارتبطت شم الأنوف لها و كل صعب بقيد الجود يرتبط

يا من تعرّف بالمعروف فاعترفت بجم إنعامه الأطراف و الوسط

و عالما بخفيايات الأمور فلا و هم يجوز عليه لا و لا غلط

عبد فقير بباب الجود منكسر من شأنه أن يوافى حين ينضغط

مهما أتى ليمد الكف أخجله قبائح و خطايا أمرها فرط

يا واسعا ضاق خطو الخلق عن نعم منه إذا خطبوا فى شكرها خبطوا

و ناشرا بيد الإجمال رحمته فليس يلحق منه مسرفا قنط

ارحم عبادا بضنك العيش قد قنعوا فأينما سقطوا بين الورى لقطوا

إذا توزعت الدنيا فما لهم غير الدجئة لحف و الثرى بسط

لكنهم من ذرا عليك فى نمط سام رفيع الذرا ما فوقه نمط

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٥٦
 و من يكن بالذى يهواه مجتمعا فما يبالي أقام الحى أم شحطوا
 نحن العبيد و أنت الملك ليس سوى و كل شىء يرجى بعد ذا شطط
 و قال رحمه الله تعالى: [الوافر]

ملاك الأمر تقوى الله فاجعل تقاه عدّه لصلاح أمرك
 و بادر نحو طاعته بعزم فما تدرى متى يمضى بعمرك
 و قال أيضا: [المتقارب]

إذا كنت تعلم أن الأمور بحكم الإله كما قد قضى
 ففيم التفكير و الحكم ماض و لا رد للحكم مهما مضى
 فخلّ الوجود كما شاءه مدبره و ابغ منه الرضا
 و قال: [الوافر]

إذا ما الدهر نابك منه خطب و شدّ عليك من حنق عقاله
 فكل لله أمرك لا تفكر ففكرك فيه خبط فى حباله
 و قال: [الوافر]

عدوك داره ما اسطعت حتى يعود لديك كالخلّ الشفيق
 فما فى الأرض أردى من عدوّ و ما فى الأرض أجدى من صديق
 و قال: [الكامل]

إن أعرضت دنياك عنك بوجهها و غدت و منها فى رضاك نزاع
 فاحذر بنيتها و احتفظ من شرهم إن البنين لأهمهم أتباع
 و قال: [الخفيف]

يا موجب المضطر عند الدعاء منك دائى و فى يديك دوائى
 جذبتنى الدنيا إليها بضبعى و دعتنى لمحتتى و شقائى
 يا إلهى و أنت تعلم حالى لا تدرنى شماتة الأعداء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٥٧

[من شعر حافظ أبى عبد الله الحميدى و أبى بكر مالك بن جبیر و أبى عبد الله محمد بن جبیر الیحصبى]

و قال الحافظ الكبير الشهير أبو عبد الله الحميدى صاحب «الجمع بين الصحيحين» رحمه الله تعالى: [الوافر]
 كتاب الله عز و جلّ قولى و ما صحت به الآثار دينى
 و ما اتفق الجميع عليه بدأ و عودا فهو عن حق مبين
 فدع ما صدّ عن هذى و خذها تكن منها على عين اليقين
 و قال: [الوافر]

طريق الزهد أفضل ما طريق و تقوى الله بادية الحقوق
 فثق بالله يكفك، و استعنه يعنك، و ذر بيتات الطريق

و قال أبو بكر مالك بن جبير رحمه الله تعالى: [الوافر]

رحلت و إننى من غير زاد و ما قدّمت شيئاً للمعاد

و لكنى وثقت بوجود ربى و هل يشقى المقل مع الجواد

و توفى المذكور بأريولة - أعادها الله تعالى إلى الإسلام! - سنة ٥٦١هـ.

و قال ابن جبير اليحصبي و هو الكاتب أبو عبد الله محمد: [الخفيف]

كلما رمت أن أقدم خيراً لمعادى و رمت أنى أتوب

صرفتنى بواعث النفس قسراً فتقاعست و الذنوب ذنوب

ربّ قلبى لعزمه خير لمتاب ففى يدك القلوب

و لتعلم أن كلام أهل الأندلس بحر لا ساحل له، و يرحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب حيث قال فى صدر الإحاطة: و هذا

الغرض الذى وضعنا له هذا التأليف يطلبنا فيه ما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٥٨

قصداً به من المباهاة و الافتخار بالإكثار، و استيعاب النظام و الثناء، و يحملنا فيه خوف السأمه على الاختصار و الاقتصار، و كفى بهذا

جلاء فى الأعذار، و الله تعالى مقبل العثار، و سائر العيب المثار، بفضلته، انتهى.

[من شعر أبى زكريا يحيى بن سعد بن مسعود القلنى]

و لنختم هذا الباب بقول أبى زكريا يحيى بن سعد بن مسعود القلنى: [مجزوء الرمل]

عفوك اللهم عنا خير شىء نتمنى

رب إنا قد جهلنا فى الذى قد كان منا

و خطينا و خطلنا و لهونا و مجنا

إن نكن رب أسأنا ما أسأنا يك ظنا

و ذيلته بقولى:

فأنلنا الختم بالحسنى و إنعاماً و منا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٥٩

الباب الثامن ذكر تغلب العدو النصرانى على الأندلس

إشارة

فى ذكر تغلب العدو الكافر، على الجزيرة بعد صرفه وجوه الكيد إليها، و تضريره بين ملوكها و رؤسائها بمكره، و استعماله فى أمرها

حيل فكره، حتى استولى - دمره الله تعالى! - عليها، و محاملها التوحيد و اسمه، و كتب على مشاهدها و معاهدها و سمة، و قرر مذهب

التثليث، و رأى الخبيث، لديها، و استغاث أهلها استغاثه ملهوف بالنظم و النثر، أهل ذلك العصر، من سائر الأقطار، حتى تعذرت

بحصارها، مع قلّة حمايتها و أنصارها، المآرب و الأوطار، و جاءها الأعداء من خلفها و من بين يديها، أعاد الله تعالى إليها كلمة

الإسلام، و أقام فيها شريعة سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة و السلام! و رفع يد الكفر عنها و عما حوالها! آمين، يا معين

[أول من جمع فلول النصارى]

قال غير واحد من المؤرخين: أول من جمع فلّ النصارى بالأندلس - بعد غلبه العرب لهم - علق يقال له بلاى، من أهل اشتوريش من [أهل] جليقية، كان رهينه عن طاعة أهل بلده، فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفى الثانى من أمراء العرب بالأندلس، وذلك فى السنة السادسة من افتتاحها، وهى سنة ثمان و تسعين من الهجرة، و ثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن، فطردوه، و ملكوا البلاد، و بقى الملك فيهم إلى الآن و كان عدّة من ملك منهم إلى آخر أيام الناصر لدين الله اثنين و عشرين ملكا، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٦٠

[رواية عيسى بن أحمد الرازى]

و قال عيسى بن أحمد الرازى: فى أيام عنبسة بن سحيم الكلبى قام بأرض جليقية علق خبيث يقال له بلاى من وقعه أخذ النصارى بالأندلس، و جدّ الفرنج فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم، و قد كانوا لا يطعمون فى ذلك، و لقد استولى المسلمون بالأندلس على النصارية، و أجلوهم، و افتتحوا بلادهم، حتى بلغوا أريولة من أرض الفرنجة، و افتتحوا بلبونة من جليقية، و لم يبق إلا الصخرة فإنه لا ذ بها ملك يقال له بلاى، فدخلها فى ثلاثمائة رجل، و لم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا، و بقى فى ثلاثين رجلا و عشر نسوة، و لا طعام لهم إلا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيقتوتون به، حتى أعياء المسلمين أمرهم، و احتقروا بهم، و قالوا: ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم؟ فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة و الكثرة ما لا خفاء به.

و فى سنة ١٣٣ أهلك الله تعالى بلاى المذكور، و ملك ابنه فافله بعده، و كان ملك بلاى تسع عشرة سنة، و ابنه سنتين. فملك بعدهما أذفونش بن بيطر جد بنى أذفونش هؤلاء الذين اتصل ملكهم إلى اليوم، فأخذوا ما كان المسلمون أخذوه من بلادهم، انتهى باختصار.

[رواية المسعودى صاحب مروج الذهب]

و قال المسعودى بعد ذكره غزوة سمورة أيام الناصر، ما صورته: و أخذ ما كان بأيدي المسلمين من ثغور الأندلس مما يلي الفرنجة، و مدينة أربونة خرجت عن أيدي المسلمين سنة ٣٣٠ مع غيرها مما كان بأيديهم من المدن و الحصون، و بقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت و هو سنة ٣٣٦ من شرق الأندلس طرطوشة، و على سائر بحر الروم مما يلي طرطوشة آخذنا فى الشمال إفراغه على نهر عظيم ثم لا ردة. انتهى.

[أول ما استرد الفرنج من بلادهم، و ما قيل فى ذلك من الشعر]

و من أول ما استرد الإفرنج من مدن الأندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذى النون سنة ٤٧٥، و فى ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبى المشهور بابن العسال. [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٦١

يا أهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه و أرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

و نحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفت
و يروى صدر البيت الثالث هكذا: [البسيط]
من جاور الشر لا يأمن بوائقه كيف الحياة مع الحيات في سفت
و تروى الأبيات هكذا:
حثوا رواحلكم يا أهل أندلس فما المقام بها إلا من الغلط
السلوك ينثر من أطرافه، و أرى سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه كيف الحياة مع الحيات في سفت
و قال آخر: [البسيط]
يا أهل أندلس ردوا المعار فما في العرف عارية إلا مردات
ألم تروا بيدق الكفار فرزنه و شاهنا آخر الأبيات شهوات

[وصف طليطلة]

و قال بعض المؤرخين: أخذ الأذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرهما سبع سنين، و كان أخذه لها في منتصف محرم سنة ٤٧٨، انتهى.
و فيه بعض مخالفة لما قبله في وقت أخذها، و سيأتى قريبا بعض ما يؤيده.
قال: و هى مدينة حصينة، قديمة أزلية، من بناء العمالقة، على ضفة النهر الكبير، و لها قصبه حصينة فى غاية المنعة، و لها قنطرة واحدة عجيبة البنيان على قوس واحد، و الماء يدخل تحته بعنف و شدة جرى، و مع آخر النهر ناعورة ارتفاعها فى الجو تسعون ذراعا، و هى تصعد الماء إلى أعلى القنطرة، و يجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة، و طليطلة هذه دار مملكة الروم، و بها كان البيت المغلق الذى كانوا يتحامون فتحه حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب، انتهى.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٦٢
و قد تقدم شىء من هذا فيما مر من هذا الكتاب.

[وصف قصر بناه يحيى بن ذى النون فى طليطلة، عن ابن بدرون]

و قد حكى ابن بدرون فى شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرا تأنق فى بنائه، و أنفق فيه مالا كثيرا، و صنع فيه بحيرة، و بنى فى وسطها قبة، و سيق الماء إلى رأس القبة على تدبير أحكمه المهندسون، فكان الماء ينزل من أعلى القبة حوالها محيطا بها متصلا ببعضه ببعض، فكانت القبة فى غلالة من ماء سكب لا يفتر، و المأمون بن ذى النون قاعد فيها لا يمسه من الماء شىء، و لو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل، فبينما هو فيها إذ سمع منشدا ينشد: [الطويل]
أبنى بناء الخالدين، و إنما بقاؤك فيها، لو علمت، قليل
لقد كان فى ظل الأراك كفاية لمن كل يوم يعتره رحيل
فلم يلبث بعد هذا إلا يسيرا حتى قضى نحبه، انتهى.

[تاريخ أخذ طليطلة، عن ابن خلكان وغيره و وقعة الزلافة التى نشأت عن أخذ طليطلة]

وقال ابن خلكان إن طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد، انتهى.

وقال ابن علقمة: إن طليطلة أخذت يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨، وكانت وقعة الزلّافة في السنة بعدها، انتهى.

وقد رأيت أن أذكر هنا وقعة الزلّافة التي نشأت عن أخذ طليطلة وما يتبع ذلك من كلام صاحب «الروض المعطار» وغيره فنقول: إنه لما ملك يوسف بن تاشفين للمتونى المغرب، وبنى مدينتى مراکش وتلمسان الجديدة، وأطاعته البربر مع شكيمتها الشديدة، وتمهدت له الأقطار الطويلة المدينة، تافت نفسه إلى العبور لجزيرة الأندلس، فهمم بذلك، وأخذ في إنشاء المراكب والسفن ليبر فيها، فلما علم بذلك ملوك الأندلس كرهوا إمامه بجزيرتهم، وأعدوا له العدة والعدد، وصعبت عليهم مدافعتهم، وكرهوا أن يكونوا بين عدوين الفرنج عن شمالهم والمسلمين عن جنوبهم، وكانت الفرنج تشتد وطأتها عليهم، وتغير

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٦٣

وتنهى، وربما يقع بينهم صلح على شىء معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين، والفرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين، إذ كان له اسم كبير وصيت عظيم، لنفاذ أمره وسرعة تملكه بلاد المغرب، وانتقال الأمر إليه فى أسرع وقت، مع ما ظهر لأبطال الملتهمين ومشايخ صنهاجة فى المعارك من ضربات السيوف التى تقد الفارس، والطعنات التى تنظم الكلى، فكان له بسبب ذلك ناموس و رعب فى قلوب المنتدبين لقتاله، وكان ملوك الأندلس يفيئون إلى ظله، ويحذرونه خوفا على ملكهم، مهما عبر إليهم وعين بلادهم، فلما رأوا ما دلهم على عبوره إليهم و علموا ذلك، راسل بعضهم بعضا يستجدون آراءهم فى أمره، وكان مفزعهم فى ذلك إلى المعتمد ابن عباد، لأنه أشجع القوم، وأكبر هم مملكه، فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا أنه يقصدهم يسألونه الإعراض عنهم، وأنهم تحت طاعته، فكتب عنهم كاتب من أهل الأندلس كتابا، وهو: أما بعد فإنك إن أعرضت عنا نسبت إلى كرم، ولم تنسب إلى عجز، وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل، ولم ننسب إلى وهن، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتينا، فاختر لنفسك أكرم نسبتيك، فإنك بالمحل الذى لا يجب أن تسبق فيه إلى مكرمه، وإن فى استبقائك ذوى البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت، والسلام، فلما وصله الكتاب مع تحف وهدايا، وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف باللسان العربى، لكنه ذكى الطبع، يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية، فقال له: أيها الملك، هذا الكتاب من ملوك الأندلس يعظمونك فيه، ويعرفونك أنهم أهل دعوتك، وتحت طاعتك، و يلتمسون منك أن لا تجعلهم فى منزلة الأعداء، فإنهم مسلمون وذوو بيوتات، فلا تغير بهم، وكفى بهم من وراءهم من الأعداء الكفار، و بلدهم ضيق لا يحتمل العساكر، فأعرض عنهم إعراضك عن أطاعك من أهل المغرب، فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه: فما ترى أنت؟

فقال: أيها الملك أعلم أن تاج الملك و بهجته شاهده الذى لا- يرد، فإنه خلق بما حصل فى يده من الملك و المال أن يعفو إذا استغفى، و أن يهب إذا استوهب، و كلما وهب جليلا جزيلا كان لقدره أعظم، فإذا عظم قدره تأصل ملكه، و إذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته، و إذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس، و لم يتجشم المشقة إليهم، و كان وارث الملك من غير

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٦٤

إهلاك لآخرته، و أعلم أن بعض الملوك الحكماء الأكابر البصراء بطريق تحصيل الملك قال:

من جاد ساد، و من ساد قاد، و من قاد ملك البلاد، فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه و علم صحته، فقال للكاتب: أجب القوم، و اكتب بما يجب فى ذلك، و اقرأ على كتابك، فكتب الكاتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من يوسف بن تاشفين، سلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته، تحية من سالمكم و سلم عليكم، و إنكم مما فى أيديكم من الملك فى أوسع إباحة، مخصوصين منا بأكرم إيثار و سماحة، فاستديموا و فاءنا بوفائكم، و استصلحوا إخواننا بإصلاح إخوانكم، و الله ولى التوفيق لنا و لكم، و السلام، فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه، فاستحسنه، و قرن به ما يصلح لهم من التحف و درق اللمط التى لا توجد إلا ببلاده، و أنفذ ذلك إليهم، فلما وصلهم ذلك و قرؤوا كتابه فرحوا به، و عظموه، و سزوا بولايته، و تقوت نفوسهم

على دفع الفرنج عنهم، و أزمعوا إن رأوا من الفرنج ما يريهم أنهم يرسلون إلى يوسف بن تاشفين ليعبر إليهم، أو يمدّهم بإعانه منه. و كان ملك الإفرنج الأذفونش لما وقعت الفتنة بالأندلس و ثار الخلاف، و كان كل من حاز بلدا و تقوى فيه ملكه و ادعى الملك و صاروا مثل ملوك الطوائف، فطمع فيهم الأذفونش بسبب ذلك، و أخذ كثيرا من ثغورهم، فقوى شأنه، و عظم سلطانه، و كثرت عساكره، و أخذ طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين، و كان أخذه لها فى منتصف محرم سنة ثمان و سبعين و أربعمائه، فزاد لعنه الله تعالى بملكه طليطلة قوة إلى قوته، و أخذ يجوس خلال الديار، و يستفتح المعقل و الحصون.

[رواية ابن الأثير فى كتابه «الكامل»]

قال ابن الأثير فى «الكامل»: و كان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الأندلس، و تملك أكثر بلادها، مثل قرطبة و إشبيلية، و كان - مع ذلك - يؤدى الضريبة إلى الأذفونش كل سنة، فلما تملك الأذفونش طليطلة أرسل إليه المعتمد الضريبة المعتادة، فلم يقبلها منه، و أرسل إليه يهدّده و يتوعده بالمسير إلى قرطبة ليفتحها، إلا أن يسلم إليه جميع الحصون المنيعة، و يبقى السهل للمسلمين، و كان الرسول فى جمع كثير نحو خمسمائة فارس، فأنزله المعتمد، و فرق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٦٥

أصحابه على قواد عسكره، ثم أمر قواده أن يقتل كل منهم من عنده من الكفرة، و أحضر الرسول و صفعه حتى خرجت عيناه، و سلم من الجماعة ثلاثة نفر، فعادوا إلى الأذفونش و أخبروه الخبر، و كان متوجها إلى قرطبة ليحاصرها، فرجع إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار، و يكثر العدد و العدة، انتهى.

[رواية أبى عبد الله الحميرى فى «الروض المعطار»]

و قال الفقيه أبو عبد الله عبد الله بن عبد المنعم الحميرى فى كتابه «الروض المعطار، فى ذكر المدن و الأقطار» إنه لما اشتغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية حين تأخر الوقت الذى كان يدفع فيه الضريبة للأذفونش و أرسلها إليه بعد ذلك استشاط الطاغية غضبا، و تشطط، و طلب بعض الحصون زيادة على الضريبة، و أمعن فى التجنى، و سأل فى دخول امرأته القمجيطة إلى جامع قرطبة لتلد فيه، إذ كانت حاملا، لما أشار عليه بذلك القسيسون و الأساقفة لمكان كنيسة كانت فى الجانب الغربى منه معظمه عندهم عمل عليها المسلمون الجامع الأعظم، و سأل أن تنزل امرأته المذكورة بالمدينة الزهراء غربى مدينة قرطبة، و هى التى أنشأ بناءها الناصر لدين الله، و أمعن فى بنائها، و أغرب فى حسنها، و جلب إليها الرخام الملون و المرمر الصافى و الحوض المشهور من البلاد و الأقطار، و كان يثيب على السارية بكذا و كذا غير الثمن و أجره الحمل، و أنفق فيها الأموال العظيمة، و اشتغل بها، و كان يباشر الصناعات بنفسه، حتى تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات، و حضر فى الرابعة، و كان الخطيب يومئذ الفقيه الزاهد منذر بن سعيد البلوطى، فعرض به فى الخطبة، و وبخه على رؤوس الملأ و قصته فى ذلك مشهورة، و بناء الزاهر أيضا من أعظم مبانى الإسلام، فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بتاريخ ابن حيان.

و لنرجع إلى الأذفونش فإن الأطباء و القسوس لما أشاروا أن تكون المرأة المذكورة ساكنة بالزهراء، و تتردد إلى الجامع المذكور حتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء و فضيلة موضع الكنيسة من الجامع المذكور، و كان السفير فى ذلك يهوديا كان وزير الأذفونش، فامتنع ابن عباد من ذلك، فراجع، فأباه و أياسه من ذلك، فراجع اليهودى فى ذلك، و أغلظ له فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٦٦

القول، وواجهه بما لم يحتمله ابن عباد، فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه و ضرب بها رأس اليهودي، فأنزل دماغه في حلقه، و أمر به فصلب منكوسا بقرطبة، و استفتى لما سكن غضبه الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودي، فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك لتعدى الرسول حدود الرسالة إلى ما استوجب به القتل، إذ ليس له ذلك، و قال للفقهاء: إنما بادرت بالفتوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو، و عسى الله أن يجعل في عزمته للمسلمين فرجا، و بلغ الأذفونش ما صنعه ابن عباد، فأقسم بألته ليغزونه بإشبيلية، و ليحاصرنه في قصره، فجرد جيشين جعل على أحدهما كلبا من مساعير كلابه و أمره أن يسير على كورة باجة من غرب الأندلس و يغير على تلك التخوم و الجهات، ثم يمر على لبله إلى إشبيلية، و جعل مواعده أمام طريانه للاجتماع معه، ثم زحف الأذفونش بنفسه في جيش آخر عرمرم، فسلك طريقا غير الطريق التي سلكها الآخر، و كلاهما عاث في البلاد و خرب و دمر، حتى اجتمعا لموعدهما بصفه النهر الأعظم قبالة قصر ابن عباد، و في أيام مقامه هنالك كتب إلى ابن عباد زاريا عليه: كثر بطول مقامى في مجلسى الذباب، و اشتد على الحر، فأتحفنى من قصرك بمروحة أروح بها على نفسى، و أطردها الذباب عن وجهى، فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة: قرأت كتابك، و فهمت خيلاءك و إعجابك، و سأنظر لك في مراوح من الجلود اللطيفة تروح منك لا تروح عليك، إن شاء الله تعالى، فلما وصلت الأذفونش رسالة ابن عباد، و قرئت عليه، و علم مقتضاها، طرق إطراق من لم يخطر له ذلك ببال، و فشا في الأندلس توقيع ابن عباد، و ما أظهر من العزيمة على جواز يوسف بن تاشفين، و الاستظهار به على العدو، فاستبشر الناس، و فرحوا بذلك، و فتحت لهم أبواب الآمال، و أما ملوك طوائف الأندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد و انفراده برأيه في ذلك، اهتموا منه، و منهم من كاتبه، و منهم من كلمه مواجهه، و حذروه عاقبة ذلك، و قالوا له: الملك عقيم، و السيفان لا يجتمعان في غمد واحد، فأجابهم ابن عباد بكلمته السائرة مثلا: رعى الجمال خير من رعى الخنازير، و معناه أن كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين أسيرا يرعى جماله في الصحراء خير من كونه ممزقا للأذفونش أسيرا له يرعى خنازيره في قشتاله، و قال لعذاله و لؤامه: يا قوم إنى من أمرى على حالين: حالة يقين، و حالة شك، و لا بد لى من إحداهما، أما حالة الشك فإنى إن استندت إلى ابن تاشفين أو إلى الأذفونش ففي الممكن أن يفى له و يبقى على وفائه، و يمكن أن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٦٧

لا يفعل، فهذه حالة الشك، و أما حالة اليقين فإنى إن استندت إلى ابن تاشفين فإنى أَرْضَى الله، و إن استندت إلى الأذفونش أسخطت الله تعالى، فإذا كانت حالة الشك فيها عارضة، فلاى شىء أَدْع ما يرضى الله و آتى ما يسخطه؟ فحينئذ قَصِّر أصحابه عن لومه.

و لما عزم أمر صاحب بطليوس المتوكل عمر بن محمد و عبد الله بن جَبوس الصنهاجى صاحب غرناطة أن يبعث إليه كل منهما قاضى حضرته، ففعلا، و استحضر قاضى الجماعة بقرطبة أبا بكر عبيد الله بن أدهم، و كان أعقل أهل زمانه، فلما اجتمع عنده القضاء بإشبيلية أضاف إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون، و عرفهم أربعتهم أنهم رسله إلى يوسف بن تاشفين، و أسنه إلى القضاء ما يليق بهم من وعظ يوسف بن تاشفين و ترغيبه فى الجهاد، و أسند إلى وزيره ما لا بد منه فى تلك السيفارة من إبرام العقود السلطانية، و كان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين، مجهشين بالبكاء، ناشدين بالله و الإسلام، مستنجدين بفقهاء حضرته و وزراء دولته، فيسمع إليهم، و يصغى لقولهم، و ترق نفسه لهم.

فما عبرت رسل ابن عباد البحر إلا و رسل يوسف بالمرصاد، و لما انتهت الرسل إلى ابن تاشفين أقبل عليهم، و أكرم مثناهم، و اتصل ذلك بابن عباد، فوجه من إشبيلية أسطولا نحو صاحب سبتة، فانتظمت فى سلك يوسف، ثم جرت بينه و بين الرسل مرواضات، ثم انصرفت إلى مرسلها، ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا، حتى أتى الجزيرة الخضراء، ففتحوا له، و خرج إليه أهلها بما عندهم من الأقوات و الضيافات، و أقاموا له سوقا جلبوا إليه ما عندهم من سائر المرافق، و أذنوا للغزاة فى دخول البلد و التصرف فيها، فامتلات المساجد و الرحبات بالمطوعين، و تواصلوا بهم خيرا، هذا مساق صاحب «الروض المعطار».

و أما ابن الأثير فإنه لما ذكر وقعة الزلّاقه ذكر ما تقدم من فعل المعتمد بالأرسال وقتلهم، و تخوف أكابر الأندلس من الأذفونش، و أنه اجتمع منهم رؤساء، و ساروا إلى القاضي عبد الله بن محمد، و قالوا: ألا تنظر [إلى] ما فيه المسلمون من الصّغار و الذلّة و إعطائهم الجزية، بعد أن كانوا يأخذونها، و قالوا: قد غلب على البلاد الفرنج، و لم يبق إلا القليل، و إن دام هذا الأمر عادت نصرانية كما كانت أولاً، و قد رأينا رأياً نعرضه عليك،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤٨

قال: و ما هو؟ قالوا: نكتب إلى عرب إفريقية، و نبذل لهم إذا وصلوا إلينا شطر أموالنا، و نخر معهم مجاهدين في سبيل الله، فقال لهم: إنا نخشى إن وصلوا إلينا أن يخربوا بلادنا كما فعلوا بإفريقية، و يتركوا الإفرنج و يبدؤوا بنا، و المرابطون أصلح منهم، و أقرب إلينا، فقالوا له: فكتب أمير المسلمين، و أسأله العبور إلينا أو إعانتنا بما تيسر من الجند، فبينما هم في ذلك يتراوضون إذ قدم عليهم المعتمد بن عباد قرطبة، فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه، فقال له المعتمد ابن عباد: أنت رسولى إليه في ذلك، فامتنع، و إنما أراد أن يبرئ نفسه من ذلك، فألح عليه المعتمد، فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فوجده بسبته، و أبلغه الرسالة، و أعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش، ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس، و أرسل إلى مراکش في طلب من بقى من العساكر، فأقبلت إليه يتلو بعضها بعضاً، فلما تكاملت عنده عبر البحر، و اجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية، و كان المعتمد قد جمع عساكره أيضاً، و خرج من أهل قرطبة عسكر كثير، و قصده المطوّعة من سائر بلاد الأندلس، و وصلت الأخبار إلى الأذفونش فجمع عساكره، و حشد جنوده، و سار من طليطلة، و كتب إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتاباً كتبه له بعض غواة أدياء المسلمين يغلظ له في القول، و يصف ما معه من القوة و العدد و العدد، و بالغ في ذلك، فلما وصله و قرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه، و كان كاتباً مفلقاً، فكتب و أجاد، فلما قرأه على أمير المسلمين قال: هذا كتاب طويل، و أحضر كتاب الأذفونش و كتب في ظهره: الذى يكون ستراه، و أرسله إليه، فلما وقف عليه الأذفونش ارتاع له، و علم أنه بلى برجل لا طاقة له به.

[رواية ابن خلكان]

و ذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة، و ارتفع رغاؤها إلى عنان السماء، و لم يكن أهل الجزيرة رأوا جملاً قط و لا خيلهم، فصارت الخيل تجمع من رؤية الجمال و من رغاؤها، و كان ليوسف في عبور الجمال رأى مصيب، فكان يحدق بها عسكره، و يحضرها للحرب، فكانت خيل الفرنج تجمع منها، و قدم يوسف بين يديه كتاباً للأذفونش يعرض عليه فيه الدخول في الإسلام أو الجزية أو الحرب، كما هي السنة، و من جملة ما فى الكتاب: بلغنا يا أذفونش أنك دعوت إلى الاجتماع بنا، و تمنيت أن تكون لك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٤٩

سفن تعبر فيها البحر إلينا، فقد عبرنا إليك، و قد جمع الله تعالى فى هذه الساحة بيننا و بينك، و سترى عاقبة دعائك و ما دعاء الكافرين إلّا فى ضلالٍ [غافر: ٥٠] انتهى بمعناه، و أكثره بلفظه.

[عود إلى رواية صاحب «الروض المعطار»]

و لنرجع إلى كلام صاحب «الروض المعطار» فإنه أقعد بتاريخ الأندلس، إذ هو منهم، و صاحب البيت أدري [بالذى فيه]، قال رحمه الله تعالى: فلما عبر يوسف و جميع جيوشه إلى الجزيرة الخضراء انزعج إلى إشبيلية على أحسن الهيئات، جيشاً بعد جيش، و أميراً بعد أمير، و قبيلاً بعد قبيل، و بعث المعتمد ابنه إلى لقاء يوسف، و أمر عمال البلاد بجلب الأقوات و الضيافات، و رأى يوسف من ذلك ما

سره و نشطه، و تواردت الجيوش مع أمرائها على إشبيلية، و خرج المعتمد إلى لقاء يوسف من إشبيلية في مائة فارس و وجوه أصحابه، فلما أتى محلّة يوسف ركض نحو القوم، و ركضوا نحوه، فبرز إليه يوسف وحده، و التقيا منفردين، و تصافحا، و تعانقا، و أظهر كل منهما لصاحبه المودة و الخلوص، و شكرا نعم الله تعالى، و تواصيا بالصبر و الرحمة، و بشرا أنفسهما بما استقبلاه من غزو أهل الكفر، و تضرعا إلى الله تعالى في أن يجعل ذلك خالصا لوجهه، مقربا إليه، و افترقا، فعاد يوسف لمحلته، و ابن عباد إلى جهته، و ألحق ابن عباد ما كان أعده من هدايا و تحف و ضيافات أوسع بها على محلّة يوسف بن تاشفين، و باتوا تلك الليلة، فلما أصبحوا و صلّوا الصبح ركب الجميع، و أشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو إشبيلية، ففعل، و رأى الناس من عزة سلطانهم ما سرهم، و لم يبق من ملوك الطوائف بالأندلس إلا- من بادر أو أعان و خرج أو أخرج، و كذلك فعل الصحراويون مع يوسف كل صقع من أصقاعه رابطوا و كابدوا، و كان الأذفونش لما تحقق الحركة و الحرب استنفر جميع أهل بلاده و ما يليها و ما وراءها و رفع القسيسون و الرهبان و الأساقفة صلبانهم، و نشروا أناجيلهم، فاجتمع له من الجلالة و الإفرنجة ما لا يحصى عدده، و جواسيس كل فريق تتردد بين الجميع، و بعث الأذفونش إلى ابن عباد أن صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده، و خاض البحور و أنا أكفيه العناء فيما بقى، و لا أكلفكم تعباً، أمضى إليكم و ألقاكم في بلادكم رفقا بكم و توفيراً عليكم، و قال لخاصته و أهل مشورته: إنى رأيت أنى إن مكنتهم من الدخول إلى بلادى، فناجزونى فيها و بين جدرها، و ربما كانت الدائرة على،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٧٠

يستحكمون البلاد، و يحصدون من فيها غداة واحدة، و لكنى أجعل يومهم معى فى حوز بلادهم، فإن كانت على اكتفوا بما نالوه، و لم يجعلوا الدروب وراءهم إلا بعد أهبة أخرى فيكون فى ذلك صون لبلادى، و جبر لمكاسرى، و إن كانت الدائرة عليهم كان منى فيهم و فى بلادهم ما خفت أنا أن يكون فى و فى بلادى إذا ناجزونى فى وسطها، ثم برز بالمختار من جنوده، و أنجاد جموعه على باب دربه، و ترك بقیة جموعه خلفه، و قال حين نظر إلى ما اختاره منهم: بهؤلاء أقاتل الجن و الإنس و ملائكة السماء، فالمقلل يقول: المختارون أربعون ألف دراع، و لكل واحد أتباع.

أما النصرارى فيعجبون ممن يزعم ذلك، و يرون أنهم أكثر من ذلك كله، و اتفق الكل أن عدد المسلمين أقل من الكفرة، و رأى الأذفونش فى نومه كأنه راكب فيل يضرب نقيرة طبل، فهالته الرؤيا، و سأل عنها القسوس و الرهبان فلم يجبه أحد، فدرس يهوديا عمّن يعلم تأويلها من المسلمين، فدل على معبر، فقضى هما عليه، و نسبها لنفسه، فقال له المعبر: كذبت، ما هذه الرؤيا لك، و لا أعبرها لك إلا- إن صدقتنى بصاحب الرؤيا، فقال له: اكنتم على، الرؤيا للأذفونش، فقال المعبر: صدقت و لا يراها غيره، و الرؤيا تدل على بلاء عظيم، و مصيبة فادحة فيه و فى عسكره، و تفسيرها قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ [الفيل]:

[١] و أما ضربه النقيرة فتأويلها فإذا نُقِرَ فى النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ [المدثر: ٨-٩] الآية، فانصرف اليهودى و ذكر للأذفونش ما وافق خاطره، ثم خرج [الأذفونش و وقف على الدروب، و مال بجيوشه إلى الجهة الغربية] من بلاد الأندلس، و تقدم السلطان يوسف فقصد، و تأخر ابن عباد لبعض مهماته، ثم انزعج يفتق أثره بجيش فيه حماة الثغور، و رؤساء الأندلس، و جعل ابنه عبد الله على مقدمته، و سار و هو ينشد لنفسه متفائلا مكملا البيت المشهور: [مجزوء الكامل]

لا بدّ من فرج قريب يأتيك بالعجب العجيب

غزو عليك مبارك سيعود بالفتح القريب

لله سعدك إنّه نكس على دين الصليب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٧١

لا بدّ من يوم يكون له أخا يوم القليب

و وافت الجيوش كلها بطليوس، فأناخوا بظاهرها، و خرج إليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الألفطس، فلقبهم بما يجب من

الضيافات والأقوات وبذل المجهود، وجاءهم الخبر بشخوص الأذفونش، ولما ازدلف بعضهم إلى بعض أذكى المعتمد عينه في محلات الصحراويين خوفا عليهم من مكائد الأذفونش، إذ هم غرباء لا علم لهم بالبلاد، وجعل يتولى ذلك بنفسه، حتى قيل: إن الرجل من الصحراويين لا يخرج على طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة إلا ويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة، بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات، وقد تقدم كتاب السلطان يوسف إلى الأذفونش يدعوه إلى إحدى الثلاث الأمور بها شرعا، فامتأ الكافر غيظا، وعتا، و طغا، و راجعه بما يدل على شقائه، وقامت الأساقفة والرهبان و رفعوا، صلبانهم، ونشروا أناجيلهم، و تبايعوا على الموت، و وعظ يوسف و ابن عباد أصحابهما، وقام الفقهاء و الصالحون مقام الوعظ، و حضوهم على الصبر و الثبات، و حذروهم من الفشل و الفرار، و جاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم، و هو يوم الأربعاء، فأصبح المسلمون و قد أخذوا مصافهم، فكع الأذفونش، و رجع إلى أعمال المكر و الخديعة، فعاد الناس إلى محلاتهم، و باتوا ليلتهم، ثم أصبح يوم الخميس، فبعث الأذفونش إلى ابن عباد يقول: غدا يوم الجمعة، و هو عيدكم، و الأحد عيدنا، فليكن لقاؤنا بينهما، و هو يوم السبت، فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف، و أعلمه أنها حيلة منه و خديعة، و إنما قصده الفتك بنا يوم الجمعة، فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار، و بات الناس ليلتهم على أهبة و احتراس، و بعد مضي جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي - و كان في محلة ابن عباد - فرحا مسرورا يقول: إنه رأى النبي صلى الله عليه و سلم تلك الليلة في النوم فبشره بالفتح و الموت على الشهادة في صبيحة تلك الليلة، فتأهب و دعا و تضرع و دهن رأسه و تطيب، و انتهى ذلك إلى ابن عباد، فبعث إلى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر الكافر بالله تعالى، ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران أنهما أشرفا على محلة الأذفونش و سمعا ضوضاء الجيوش و اضطراب الأسلحة، ثم تلاحق بقية الطلائع متحقيقين بتحريك الأذفونش، ثم جاءت الجواسيس من داخل محلته تقول:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٧٢

استرقنا السمع فسمعنا الأذفونش يقول لأصحابه: ابن عباد مسعر هذه الحروب، و هؤلاء الصحراويون و إن كانوا أهل حفاظ و ذوى بصائر في الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد، و إنما قادهم ابن عباد، فاقصدوه و اهجموا عليه، و اصبروا، فإن انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده، و لا أرى ابن عباد يصبر لكم إن صدقتموه الحملة، فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب أبا بكر بن القصيرة إلى السلطان يوسف يعرفه بإقبال الأذفونش، و يستحث نصرته، فمضى ابن القصيرة يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين، فعرفه بجليته الأمر، فقال له: قل له: إنى سأقرب منه إن شاء الله تعالى، و أمر يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها نارا ما دام الأذفونش مشتغلا مع ابن عباد، و انصرف ابن القصيرة إلى المعتمد، فلم يصله إلا و قد غشيت جنود الطاغية، فصدم ابن عباد صدمة قطعت آماله، و مال الأذفونش عليه بجموعه، و أحاطوا به من كل جهة، فهاجت الحرب، و حمى اللوطيس، و استحر القتلى في أصحاب ابن عباد، و صبر ابن عباد صبورا لم يعهد مثله لأحد، و استبطأ السلطان يوسف و هو يلاحظ طريقه، و عضته الحروب، و اشتد عليه و على من معه البلاء، و أبطأ عليه الصحراويون و ساءت الظنون، و انكشف بعض أصحاب ابن عباد و فيهم ابنه عبد الله، و أثنى ابن عباد جراحات، و ضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت إلى صدغه و جرحت يمينه يديه، و طعن في أحد جانبيه، و عقرت تحته ثلاثة أفراس كلما هلك واحد قدّم له آخر، و هو يقاسى حياض الموت، و يضرب يمينا و شمالا، و تذكر في تلك الحالة ابنا له صغيرا كان مغرما به تركه في إشبيلية عيلا، و كنيته أبو هاشم فقال: [المتقارب]

أبا هاشم هشمتمنى الشفار فلله صبرى لذاك الأوار

ذكرت شخيصك تحت العجاج فلم يثنى ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة، و كان بطلا شجاعا شهما، فنفس بمجيئه عن ابن عباد، ثم أقبل يوسف بعد ذلك، و طبوله تصعد أصواتها إلى الجوّ، فلما أبصره الأذفونش وجه حملته إليه، و قصده بمعظم جنوده، فبادر إليهم

السلطان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٧٣

يوسف، و صدمهم بجمعه، فردهم إلى مركزهم، و انتظم به شمل ابن عباد، و استنشق ريح الظفر، و تباشر بالنصر، ثم صدقوا جميعا الحملة فترزلت الأرض بحوافر خيولهم، و أظلم النهار بالعجاج و الغبار، و خاضت الخيل فى الدماء، و صبر الفريقان صبيرا عظيما، ثم تراجع ابن عباد إلى يوسف، و حمل معه حملة جاء معها النصر، و تراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفتيين، و صدقوا الحملة، فانكشف الطاغية، و مرّ هاربا منهزما و قد طعن فى إحدى ركبتيه طعنه بقى يجمع بها بقيه عمره.

و على سياق ابن خلكان أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو فى يوم الأربعاء، و كان الموعد فى المناجزة فى يوم السبت، فغدر الأذفونش و مكر، فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد، و الروم على أثرها، و الناس على طمأنينة، فبادر ابن عباد للركوب، و بث الخبر فى العساكر فماجت بأهلها، و وقع البهت، و رجفت الأرض، و صار الناس فوضى على غير تعبیه و لا أهبة، و دهمتهم خيل العدو، فأحاطت بابن عباد، و حطمت ما تعرض لها، و تركت الأرض حصيدا خلفها، و جرح ابن عباد جرحا أساءه، و فر رؤساء الأندلس و تركوا محلاتهم و أسلموها، و ظنوا أنه و هى لا يرقع، و نازله لا تدفع، و ظن الأذفونش أن السلطان يوسف فى المنهزمين، و لم يعلم أن العاقبة للمتقين، فركب أمير المسلمين، و أحدق به جياذ خيله و رجله من صنهاجة رؤساء القبائل، و قصدوا محله الأذفونش فاقتموها و دخلوها، و فتكوا فيها، و قتلوا، و ضربت الطبول، و زعقت البوقات، فاهتزت الأرض، و تجاوبت الجبال و الآفاق، و تراجع الروم إلى محلاتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها، فصدموا أمير المسلمين، فخرج لهم عنها، ثم كر عليهم فأخرجهم منها، ثم كروا عليه فخرج لهم عنها، و لم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف، و دخلوا المعترك بدرق اللط و سيوف الهند و مزاريق الزان، فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها، و أحجمت أعن أقرانها، و تلاحق الأذفونش بأسود نفذت مزاريقه، فأهوى ليضربه بالسيف، فلصق به الأسود، و قبض على عنانه، و انتضى خنجرا كان متمنطقا به، فأثبتته فى فخذة، فهتكك حلق درعه، و نفذ من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٧٤

فخذه مع بداد سرجه، و كان وقت الزوال، وهبت ريح النصر، فأنزل الله سكينته على المسلمين، و نصر دينه القويم، و صدقوا الحملة على الأذفونش و أصحابه، فأخرجوهم عن محلتهم، فولوا ظهورهم، و أعطوا أعناقهم، و السيوف تصفعهم، و الرماح تطعنهم، إلى أن لحقوا ربوة لجؤوا إليها و اعتصموا بها، و أحدقت بهم الخيل، فلما أظلم الليل انساب الأذفونش و أصحابه من الربوة، و أفتلوا بعد ما تشبث بهم أظفار المنية، و استولى المسلمون على ما كان فى محلتهم من الآلات و السلاح و المضارب و الأوانى و غير ذلك، و أمر ابن عباد بضم رؤوس قتلى المشركين، فاجتمع من ذلك تل عظيم، انتهى، و بعضه بالمعنى.

رجع إلى كلام صاحب «الروض المعطار» قال: و لجأ الأذفونش إلى تل كان يلى محلته فى نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم، و أباد القتل و الأسر من عداهم من أصحابهم، و عمل المسلمون من رؤوسهم مآذن يؤذنون عليها، و المخدول ينظر إلى موضع الوقية و مكان الهزيمة فلا يرى إلا- نكال-ا- محيطا به و بأصحابه، و أقبل ابن عباد على السلطان يوسف و صافحه، و هنأه، و شكره، و أثنى عليه، و شكر يوسف صبر ابن عباد، و مقامه، و حسن بلائه، و جميل صبره، و سأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهم عنه، فقال له: هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك.

[كتاب من ابن عباد إلى ابنه بإشبيلية]

و كتب ابن عباد إلى ابنه بإشبيلية كتابا مضمونه: كتابى هذا من المحلة المنصورية يوم الجمعة الموفى عشرين من رجب، و قد أعز الله الدين، و نصر المسلمين، و فتح لهم الفتح المبين، و هزم الكفرة المشركين، و أذاقهم العذاب الأليم، و الخطب الجسيم، فالحمد لله

على ما يسره و سناه من هذه المسرة العظيمة، و النعمة الجسيمة، في تشيتت شمل الأذفونش، و الاحتواء على جميع عساكره، أصلاه الله نكال الجحيم! و لا أعدهم الوبال العظيم المليم! بعد إتيان التهب على محلاته، و استئصال القتل في جميع أبطاله و حماته، حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها، فله الحمد على جميل صنعه، و لم يصبني و الحمد لله إلا جراحات يسيرة أمت لكنها فرجت بعد ذلك، فله الحمد و المنه، و السلام.

و استشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء و العلماء و أعيان الناس، مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة، و قاضي مراکش أبي مروان عبد الملك المصمودي، و غير هما، رحمهم الله تعالى!.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٧٥

و حكى أن موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم إلا على ميت أو دم، و أقامت العساكر بالموضع أربعة أيام، حتى جمعت الغنائم، و استؤذن في ذلك السلطان يوسف، فعف عنها، و آثر بها ملوك الأندلس، و عرفهم أن مقصده الجهاد و الأجر العظيم، و ما عند الله في ذلك من الثواب المقيم، فلما رأت ملوك الأندلس إثثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه، و أحبوه و شكروا له ذلك.

و لما بلغ الأذفونش إلى بلاده و سأل عن أبطاله و شجاعانه و أصحابه ففقدهم و لم يسمع إلا نواح الثكلى عليهم، اهتم و لم يأكل و لم يشرب حتى هلك غما و هما، و راح إلى أمه الهاوية، و لم يخلف إلا بنتا واحدة جعل الأمر إليها، فتحصنت بطليطة.

و رحل المعتمد إلى إشبيلية و معه السلطان يوسف بن تاشفين، فأقام السلطان يوسف بن تاشفين بظاهر إشبيلية ثلاثة أيام، و وردت عليه من المغرب أخبار تقتضى العزم، فسافر، و ذهب معه ابن عباد يوما و ليلة، فحلف ابن تاشفين و عزم عليه في الرجوع، و كانت جراحاته تورمت عليه، فسير معه ولده عبد الله إلى أن وصل البحر، و عبر إلى المغرب.

و لما رجع ابن عباد إلى إشبيلية جلس للناس، و هتئ بالفتح، و قرأت القراء، و قامت على رأسه الشعراء، فأنشدوه، قال عبد الجليل بن وهبون: حضرت ذلك اليوم، و أعددت قصيدة أنشدها بين يديه، فقرأ القارئ إلاً تتصروه فقد نصره الله [التوبة: ٤٠] فقلت: بعدا لى و لشعري! و الله ما أبقت لى هذه الآية معنى أحضره و أقوم به.

و لما عزم السلطان يوسف بن تاشفين إلى بلاده ترك الأمير سير بن أبي بكر أحد قواده المشاهير، و ترك معه جيشا برسم غزو الفرنج، فاستراح الأمير المذكور أياما قلائل، و دخل بلاد الأذفونش، و أطلق الغارة، و نهب و سبى، و فتح الحصون المنيعه، و المعازل الصعبة العويصة، و توغل في البلاد، و حصل أموالا - و ذخائر عظيمة، و رتب رجالا و فرسانا في جميع ما أخذه، و أرسل للسلطان يوسف جميع ما حصله، و كتب له يعرفه أن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو و ملازمة الحرب و القتال في أضييق العيش و أنكده، و ملوك الأندلس في بلادهم و أهلهم في أرغد عيش و أطيبه، و سأله مرسومه، فكتب إليه أن يأمرهم بالنقله و الرحيل إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٧٦

أرض العدو، فمن فعل فذاك، و من أبى فحاصره و قاتله، و لا تنفس عليه، و لتبدأ بمن و الى الثغور، و لا تعرض للمعتمد بن عباد، إلا بعد استيلائك على البلاد، و كل بلد أخذته فول فيه أميرا من عساكرك، فأول من ابتداء به من ملوك الأندلس بنو هود، و كانوا بروطه - بضم الراء المهملة، و بعدها و او ساكنه، و طاء مهملة مفتوحة، و بعدها هاء ساكنه - و هى قلعه منيعه من عاصمات الذرى، و ماؤها ينبع من أعلاها، و فيها من الأقوات و الذخائر المختلفات ما لا تفنيه الأزمان، فحاصرها فلم يقدر عليها، و رحل عنها، و جند أجنادا على هيئة الفرنج و زيهم، و أمرهم أن يقصدوها و يغيروا عليها، و كمن هو و أصحابه بقرب منها، فلما رأهم أهل القلعة استضعفهم، فزلوا إليهم، و معهم صاحب القلعة، فخرج عليه سير المذكور، و قبضه باليد، و تسلم الحصن، ثم نازل بنى طاهر بشرق الأندلس، فأسلموا له البلاد، و لحقوا ببر العدو، ثم نازل بنى صمادح بالمريه، و لها قلعه حصينه، فحاصرهم، و ضيق بهم، و لما علم ابن صمادح الغلب أسف و مات غبنا، فأخذ القلعة، و استولى على المريه و جميع أعمالها، ثم قصد بطليوس، و كان بها المتوكل عمر

بن محمد بن الأفضس المتقدم ذكره، فحاصره، وأخذه، واستولى على جميع أعماله و ماله، و لم يبق له إلا المعتمد بن عباد، فكتب للسلطان يوسف يعرفه بما فعل، و يسأله مرسومه في ابن عباد، فكتب إليه يأمره أنه يعرض عليه النقلة لبر العدو بجميع الأهل و العشيرة، فإن رضى، و إلا فحاصره و خذه و أرسل به كسائر أصحابه، فواجهه و عرفه بما رسم به السلطان يوسف، و سأله الجواب، فلم يجب بنفى و لا إثبات، ثم إنه نازل إشبيلية، و حاصره بها، و ألح عليه، فأقام الحصار شهرا، و دخل البلد قهرا، و استخرجه من قصره، فحمل و جميع أهله و ولده إلى العدو فأنزل بأغمات، و أقام بها إلى أن مات، رحمه الله تعالى و عفا عنه!.

و أما ابن الأثير ففي كلامه تقديم و تأخير و بعض خلاف لما مر.

و أخبار المعتمد بن عباد، و ما رآه من الملك و العز في كل حاضر و باد، و ما قاساه في الأسر، من الضيق و العسر، و سوء العيش أمر عجيب، يتعظ به العاقل الأريب، و أما ما مدحته به الشعراء و أجوبته لهم في حالي يسره و عسره، و ملكه و أسره، و طيه و نشره، و تجهمه و بشره، فهو كثير، و في كتب التواريخ منه تنظيم و نثير، و قد قدمنا منه في هذا الكتاب ما يبعث نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٧٧

الاعتبار و يثير، و خصوصا في الباب السابع من هذا التأليف الذي هو عند المنصف أثير، و في المعتمد و أبيه المعتمد يقول بعض الشعراء [الخفيف]:

من بنى منذر و ذاك انتساب زاد في فخرهم بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالي و المعالي قليلة الأولاد

[بعض أخبار المعتمد بن عباد، عن ابن القطاع]

و قال ابن القطاع في كتابه «لمح الملح» في حق المعتمد: إنه أندى ملوك الأندلس راحة، و أرحبهم ساحة، و أعظمهم ثمادا، و أرفعهم عمادا، و لذلك كانت حضرته ملقى الرحال، و موسم الشعراء، و قبلة الآمال، و مألّف الفضلاء، حتى أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك من أعيان الشعراء، و أفاضل الأدباء، ما كان يجتمع ببابه، و تشتمل عليه حاشيتنا جنابه.

[و عن ابن بسام في «الذخيرة»]

و قال ابن بسام في «الذخيرة»: للمعتمد شعر، كما انشق الكمام عن الزهر، لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعة، و اتخذه بضاعة، لكان رائقا معجبا، و نادرا مستغربا، فمنه قوله:

[الكامل]

أكثرت هجرتك غير أنك ربّما عطفتك أحيانا على أمور

فكأنما زمن التّهاجر بيننا ليل، و ساعات الوصال بدور

قال: و هذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم من أبيات: [السريع]

أسفر ضوء الصبح عن وجهه فقام ذاك الخال فيه بلال

كأنما الخال على خده ساعات هجر في زمان الوصال

و عزم على إرسال حظاياه من قرطبة إلى إشبيلية فخرج معهن يشيعهن فساير هنّ من أول الليل إلى الصبح، فودعهن و رجع، و أنشد أبياتا منها: [الكامل]

سايرتهم و الليل عقّد ثوبه حتى تبدى للتواظر معلما

فوقفت ثم مودعا و تسلّمت منى يد الإصباح تلك الأنجما

و هذا المعنى فى نهاية الحسن، ثم ذكر من كلامه جملة.

عود و انعطاف- و لما جاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى ناحية غرناطة،- بعد ما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٧٨

حصر بعض حصون الفرنج، فلم يقدر عليه- خرج إلى لقائه صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين، فسلم عليه، ثم عاد إلى بلده ليخرج له التقادم، فغدر به، و دخل البلد، و أخرج عبد الله، و دخل قصره فوجد فيه من الذخائر و الأموال ما لا يحد و لا يحصى، ثم رجع إلى مراکش و قد أعجبه حسن بلاد الأندلس و بهجتها، و ما بها من المباني و البساتين و المطاعم و سائر الأصناف التى لا توجد فى [سائر] بلاد العدو، إذ هى بلاد بربر و أجلاف عربان، فجعل خواص يوسف يعظمون عنده بلاد الأندلس، و يحسنون له أخذها، و يوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه، فتغير على المعتمد، و قصد مشارفة الأندلس.

[من غدر ابن تاشفين]

و حكى ابن خلدون أن علماء الأندلس أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد و غيره من ملوك الطوائف، و بقتالهم إن امتنعوا، فجهز يوسف العساكر إلى الأندلس، و حاصر سير بن أبى بكر أحد عظماء دولة يوسف إشبيلية و بها المعتمد، فكان من دفاعه و شدة ثباته ما هو معلوم، ثم أخذ أسيرا، و صار طرف الملك بعده حسيرا.

و فى وصف ذلك يقول صاحب القلائد بعد كلام: ثم جمع هو و أهله و حملتهم الجوارى المنشآت، و ضمتهم جوانحها كأنهم أموات، بعد ما ضاق عنهم القصر، و راق منهم المصر، و الناس قد حشروا بصفى الوادى، ليكون بدموع كالغواذى، فساروا و النوح يحدوهم، و البوح باللوعة لا يعدوهم، انتهى.

[ابن تاشفين فى ضيافة ابن عباد]

و لما فرغ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من أمر غزوة الزلاقة المتقدم ذكرها و رجع تكزّم له ابن عباد، و سأله أن ينزل عنده، فخرج إلى بلاده إذ أجابه إلى ما طلب، فلما انتهى ابن تاشفين إلى إشبيلية مدينة المعتمد- و هى من أجل المدن و أحسنها منظرا- و أمعن يوسف النظر فيها و فى محلها، و هى على نهر عظيم متبحر تجرى فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب و حاملة إليه، و فى غربيها رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين و عنب و زيتون، و هذا هو المسمى بشرف إشبيلية، و تمتاز بلاد المغرب كلها بهذه الأصناف منه، و فى جانب المدينة المعتمد و أبيه المعتمد فى غاية الحسن و البهاء، و فيها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٧٩

أنواع ما يحتاج إليه من المطعوم و المشروب و الملبوس و المفروش و غير ذلك، فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين فى أحدها، و تولى من إكرامه و خدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له، و كان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على حسن تلك الحال و تأملها، و ما هى عليه من النعمة و الإتراف، و يغرونه باتخاذ مثلها، و يقولون له: إن فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم و اللذة، كما هو المعتمد و أصحابه، و كان ابن تاشفين [داهية] عاقلا مقتصدا فى أموره، غير متناول و لا مبذر، غير سالك نهج الترف و التأنق فى اللذة و النعيم، إذ ذهب صدر عمره فى بلاده بالصحراء فى شظف العيش، فأنكر على من أغراه بذلك الإسراف، و قال له: الذى يلوح لى من أمر هذا الرجل- يعنى المعتمد- أنه مضيع لما فى يده من الملك، لأن هذه الأموال الكثيرة التى تصرف فى هذه الأحوال لا بد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدا، فأخذه بالظلم و إخراجها فى هذه الترهات من أفحش الاستهتار، و من

كانت همته في هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو الأجوفين متى يستجدّ همّة في ضبط بلاده و حفظها؟
و صون رعيته و التوفير لمصالحها، و لعمرى لقد صدق في كل ذلك.

ثم إن يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذاته: هل تختلف فتتقص عما عليه في بعض الأوقات؟ ف قيل له: بل كل زمانه على هذا، فقال: أفكّل أصحابه و أنصاره على عدوّه و منجديه على الملك ينال حظا من ذلك؟ فقالوا: لا، قال: فكيف ترون رضاهم عنه؟

فقالوا: لا رضا لهم عنه، فأطرق و سكت، و أقام عند المعتمد على تلك الحال أياما.

و في أثنائها استأذن رجل على المعتمد فدخل و هو ذو هيئة رثّة، و كان من أهل البصائر، فلما مثل بين يديه قال: أصلحك الله أيها السلطان! و إن من أوجب الواجبات شكر النعمة، و إن من شكر النعمة إهداء النصائح، و إنى رجل من رعيته حالى في دولتك إلى الاختلال، أقرب منها إلى الاعتدال، و لكننى مع ذلك مستوجب لك من النصيحة ما للملك على رعيته، فمن ذلك خبر وقع في أذنى من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدلّ على أنهم يرون أنفسهم و ملكهم أحقّ بهذه النعمة منك، و قد رأيت رأيا، فإن آثرت الإصغاء إليه قلته، فقال المعتمد له: قلته، فقال له: رأيت أن هذا الرجل الذى أطلعت على ملكك مستأسد على الملوك، قد حكم على رفقائه بـير العدو، و أخذ الملك من أيديهم، و لم يبق على واحد منهم، و لا يؤمن أن يطمح إلى الطمع في ملكك، بل في ملك جزيرة الأندلس كلها، لما قد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٨٠

عابنه من هناة عيشك، و إنى لمتخيل مثل ذلك لسائر ملوك الأندلس، و إن له من الولد و الأقارب و غيرهم من يودّ له الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب، و قد أردى الأذفونش و جيشه، و استأصل شأفتهم، و أعدمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت إليه، فقد كان لك منه أقوى عضد و أقوى مجنّ، و بعد فإنه إن فات الأمر في الأذفونش فلا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم، فقال له المعتمد: و ما هو الحزم اليوم؟ فقال: أن تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا، و اعتقاله في قصرك، و تجزم أنك لا تطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الأندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء، حتى لا يبقى منهم أحد بالجزيرة طفل فمن فوقه، ثم تتفق أنت و ملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجرى فيه له، ثم بعد ذلك تستحلفه بأغلظ الأيمان ألا يضمّر في نفسه عودة إلى هذه الجزيرة إلا باتفاق منكم و منه، و تأخذ منه على ذلك رهائن فإنه يعطيك من ذلك ما تشاء، فنفسه أعز عليه من جميع ما يلتمس منه، فعند ذلك يقتنع هذا الرجل ببلاده التى لا تصلح إلا له، و تكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الأذفونش، و تقيم في موضعك على خير حال، و يرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة، و يتسع ملكك، و ينسب هذا الاتفاق لك إلى سعادة و حزم، و تهابك الملوك، ثم اعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك في مجاورة من عاملته هذه المعاملة، و اعلم أنه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوى تتفانى الأمم و تجرى بحار الدم دون حصول مثله، فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه، و جعل يفكر في انتهاز الفرصة.

و كان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في اللذات، فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح: ما كان المعتمد على الله- و هو إمام أهل المكرمات- ممن يعامل بالحييف، و يغدر بالضييف، فقال الرجل: إنما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه، لا دفع الرجل عن نفسه المحذور إذا ضاق به، فقال ذلك النديم: ضيم مع وفاء، خير من حزم مع جفاء.

ثم إن ذلك الناصح استدرك الأمر، و تلافاه، فشكر له المعتمد، و وصله بصلّة.

و اتصل هذا الخبر بيوسف فأصبح غاديا، فقدّم له المعتمد الهدايا السنية و التحف الفاخرة، فقبلها ثم رحل، انتهى خبر وقعة الزلافة و ما يتبعه ملخصا من كتب التاريخ.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٨١

و لما انقرض بالأندلس ملك ملوك الطوائف بنى عباد و بنى ذى النون و بنى الأفطس و بنى صمادح و غيرهم انتظمت في سلك

اللمتونيين، و كانت لهم فيها وقعات بالأعداء مشهورة في كتب التواريخ.

[ملك على بن يوسف بن تاشفين، و الثورة عليه]

و لما مات يوسف بن تاشفين سنة خمس مائة قام بالملك بعده ابنه أمير المسلمين على بن يوسف، و سلك سنن أبيه و إن قصر عنه في بعض الأمور، و دفع العدو عن الأندلس مدة، إلى أن قبض الله تعالى للثورة عليه محمد بن تومرت الملقب بالمهدى الذي أسس دولة الموحدين، فلم يزل يسعى في هدم بنيان لمتونة إلى أن مات و لم يملك حضرة سلطنتهم مراکش، و لكنه ملك كثيرا من البلاد، فاستخلف عبد المؤمن بن على، فكان من استيلائه على مملكة اللمتونيين ما هو معروف، ثم جاز إلى الأندلس و ملك كثيرا منها، ثم أخرج الإفرنج من مهدية إفريقية، و ملك بلاد إفريقية و ضخم ملكه، و تسمى بأمر المؤمنين.

و لما كانت سنة ٥٤٥ سار الأذفونش صاحب طليطلة و بلاد الجلالقة إلى قرطبة و معه أربعون ألف فارس، فحاصرها، و كان أهلها في غلاء شديد، فبلغ الخبر عبد المؤمن، فجهز إليهم جيشا يحتوى على اثني عشر ألف فارس، فلما أشرفوا على الأذفونش رحل عنها، و كان فيها القائد أبو الغمر السائب، فسلمها إلى صاحب جيش عبد المؤمن بن يحيى بن ميمون، فبات فيها، فلما أصبح رأى الفرنج عادوا إلى مكانهم، و نزلوا في المكان الذي كانوا فيه، فلما عين ذلك رتب هنالك ناسا، و عاد إلى عبد المؤمن، ثم رحل الفرنج إلى ديارهم.

[ملك عبد المؤمن بن على بالأندلس]

و في السنة بعدها دخل جيش عبد المؤمن إلى الأندلس في عشرين ألفا عليهم الهنتاتي، فصار إليه صاحب غرناطة ميمون و ابن همشك و غيرهما، فدخلوا تحت طاعة الموحدين، و حرصوا على قصد ابن مردنيش ملك شرق الأندلس، و بلغ ذلك ابن مردنيش، فخاف و أرسل إلى صاحب برشلونة من الإفرنج يستنجده، فتجهز إليه في عشرة آلاف من الإفرنج عليهم فارس، و سار صاحب جيش عبد المؤمن إلى أن قارب ابن مردنيش، فبلغه أمر البرشلونى الإفرنجى، فرجع، و نازل مدينة المريّة و هى بأيدى الروم، فحاصرها، فاشتد الغلاء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٨٢

في عسكره، فرجع إلى إشبيلية، فأقام فيها، و سار عبد المؤمن إلى سبتة فجهز الأساطيل و جمع العساكر.

ثم سار عبد المؤمن سنة ٥٤٧ إلى المهدية فملكها، و ملك إفريقية، و ضخم ملكه كما قدمناه.

[يوسف بن عبد المؤمن بن على]

و لما مات يبيع بعده ولده يوسف بن عبد المؤمن، و لما تمهدت له الأمور، و استقرت قواعد ملكه، رحل إلى جزيرة الأندلس لكشف مصالح دولته، و تفقد أحوالها، و كان ذلك سنة ست و ستين و خمس مائة، و فى صحبته مائة ألف فارس من الموحدين و العرب، فنزل بحضرة إشبيلية، و خافه ملك شرق الأندلس مرسية و ما انضاف إليها الأمير الشهير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش، و حمل على قلب ابن مردنيش، فمرض مرضا شديدا و مات، و قيل: إنه سم، و لما مات جاء أولاده و أهله إلى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن و هو بإشبيلية، فدخلوا تحت حكمه، و سلموا الأحكامه البلاد، فصاهرهم، و أحسن إليهم، و أصبحوا عنده فى أعز مكان، ثم شرع فى استرجاع البلاد التى استولى عليها الإفرنج، فاتسعت مملكته بالأندلس، و صارت سراياها تعبر إلى باب طليطلة، و قيل: إنه حاصرها، فاجتمع الفرنج كافة عليه، و اشتد الغلاء فى عسكره، فرجع عنها إلى مراکش حضرة ملكه، ثم ذهب إلى إفريقية،

فمهدّها، ثم رجع إلى حضرته مراکش، ثم جاز البحر إلى الأندلس سنة ثمانين خمسمائة و معه جمع كثيف، و قصد غربي بلادها، فحاصر مدينة شنترين، و هي من أعظم بلاد العدو، و بقي محاصراً لها شهراً، فأصابه المرض، فمات في السنة المذكورة، و حمل في تابوت إلى إشبيلية، و قيل: أصابه سهم من قبل الإفرنج، و الله سبحانه و تعالى أعلم بحقيقة الحال.

و في ابنه السيد [أبي] إسحاق يقول مطرف التجيبي رحمه الله تعالى: [السريع]

سعد كما شاء العلا و الفخار تصرّف الليل به و النهار

ما دانت الأرض لكم عنوة و إنما دانت لأمر كبار

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٨٣

مهدتموها فصفا عيشها و اتصل الأمن، فنعم القرار

و منها:

فالنساء لا يختلها ذئبها و إن أقامت معه في و جار

[ملك يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن]

و لما مات يوسف قام بالأمر بعده ابنه الشهير أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن، فقام بالأمر أحسن قيام، و لما

مات يوسف المذكور رثاه أديب الأندلس أبو بكر يحيى بن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها، و أولها: [الكامل]

جلّ الأسى فأسل دم الأجفان ماء الشؤون لغير هذا الشان

و يعقوب المنصور هو الذي أظهر أبهة ملك الموحدين، و رفع راية الجهاد، و نصب ميزان العدل، و بسط الأحكام الشرعية، و أظهر

الدين، و أمر بالمعروف، و نهى عن المنكر، و أقام الحدود على القريب و البعيد، و له في ذلك أخبار، و فيه يقول الأديب أبو إسحاق

إبراهيم بن يعقوب الكاتمي الأسود الشاعر المشهور: [الوافر]

أزال حجاب عني و عيني تراه من المهابة في حجاب

و قرّبتني تفضله و لكن بعدت مهابة عند اقترابي

و كثرت الفتوحات في أيامه، و أول ما نظر فيه عند صيرورة الأمر إليه بلاد الأندلس، فنظر في شأنها، و رتب مصالحها، و قرر المقاتلين

في مراكزهم، و رجع إلى كرسى مملكته مراکش المحروسة، و في سنة ٥٨٦ بلغه أن الإفرنج ملكوا مدينة شلب و هي من غرب

الأندلس، فتوجه إليها بنفسه، و حاصرها، و أخذها، و أنفذ في الوقت جيشاً من الموحدين و العرب، ففتح أربع مدن مما بأيدي الإفرنج

من البلاد التي كانوا أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة، و خافه صاحب طليطلة، و سأله الهدنة و الصلح، فهادنه خمس

سنين، و عاد إلى مراکش، و أنشد القائد أبو عبد الله بن وزير الشلبي و هو من أمراء كتائب إشبيلية قصيدة يخاطب بها يعقوب

المنصور فيما جرى في وقعه مع الفرنج كان الشلبي المذكور مقداً فيها: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٨٤

و لما تلاقينا جرى الطعن بيننا فمنا و منهم طائحون عديد

و جال غرار الهند فينا و فيهم فمنا و منهم قائم و حصيد

فلا صدر إلّا فيه صدر مثقف و حول الوريد للحسام و ررود

صبرنا و لا كهف سوى البيض و القنا كلانا على حرّ الجلاذ جليد

و لكن شددنا شدة فتبلدوا و من يتبلد لا يزال يحد

فولوا و للسمر الطوال بهامهم ركوع و للبيض الرقاق سجود

رجع إلى أخبار المنصور بعد هدنة الإفرنج: و لما انقضت مدة الهدنة، و لم يبق منها إلا القليل، خرج طائفة من الإفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين، فنهبوا و سعوا و عاثوا عيثا فظيعا، فانتهى الخبر إليه، فتجهز لقصدهم في جيوش موفرة و عساكر مكتبة، و احتفل في ذلك، و جاز إلى الأندلس سنة ٥٩١، فعلم به الإفرنج، فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصى بلادهم و أدانيها، و أقبوا نحوه، و قيل: إنه لما أراد الجواز من مدينة سلا مرض مرضا شديدا، و يس منه أطباؤه، فعاث الأذفونش في بلاد المسلمين بالأندلس، و انتهز الفرصة، و تفرقت جيوش المسلمين بسبب مرض السلطان، فأرسل الأذفونش يتهدد و يتوعد، و يردد و يبرق، و يطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الأندلس، و خلاصة الأمر أن المنصور توجه بعد ذلك إلى لقاء النصارى، و تراحف الفريقان، فكان المصافى شمالى قرطبة على قرب قلعة رباح فى يوم الخميس تاسع شعبان سنة ٥٩١، فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كبير من المسلمين.

و حكى أن يعقوب المنصور جعل مكانه تحت الأعلام السلطانية الشيخ أبا يحيى بن أبى حفص عم السلطان أبى زكريا الحفصى الذى ملك بعد ذلك إفريقية، و خطب له ببعض الأندلس، فقصد الإفرنج الأعلام ظنا أن السلطان تحتها، فأثروا فى المسلمين أثرا قبيحا، فلم يرعهم إلا و السلطان يعقوب قد أشرف عليهم بعد كسر شوكتهم، فهزمهم شر هزيمة، و هرب الأذفونش فى طائفة يسيرة، و هذه وقعة الأرك الشهيرة الذكر.

و حكى أن الذى حصل لبيت المال من دروع الإفرنج ستون ألفا، و أما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد، و لم يسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الأرك هذه، و ربما صرح بعض المؤرخين بأنها أعظم من وقعة الزلاقة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٨٥

و قيل: إن فل الإفرنج هربوا إلى قلعة رباح، فتحصنوا بها، فحاصرها السلطان يعقوب حتى أخذها، و كانت قبل للمسلمين، فأخذها العدو، فردت فى هذه المرة، ثم حاصر طليطلة، و قاتلها أشد قتال، و قطع أشجارها، و شق الغارات على أرجائها، و أخذ من أعمالها حصونا، و قتل رجالها، و سبى حريمها، و خرب منازلها، و هدم أسوارها، و ترك الإفرنج فى أسوأ حال، و لم يبرز إليه أحد من المقاتلة، ثم رجع إلى إشبيلية، و أقام إلى سنة ٥٩٣، فعاد إلى بلاد الفرنج، و فعل فيها الأفاعيل، فلم يقدر العدو على لقائه، و ضاقت على الإفرنج الأرض بما رحبت، فطلبوا الصلح، فأجابهم إليه، لما بلغه من ثورة الميرقى عليه بإفريقية مع قراقوش مملوك بنى أيوب سلاطين مصر و الشام.

ثم توفى السلطان يعقوب سنة ٥٩٥.

و ما يقال «إنه ساح فى الأرض، و تخلى عن الملك، و وصل إلى الشام، و دفن بالبقيع» لا أصل له، و إن حكى ابن خلكان بعضه. و ممن صرح ببطلان هذا القول الشريف الغرناطى فى شرح مقصورة حازم، و قال: إن ذلك فى هذيان العامة، لولوعهم بالسلطان المذكور.

[ملك محمد الناصر بن يعقوب]

و ولى بعده ولده محمد الناصر المشؤوم على المسلمين، و على جزيرة الأندلس بالخصوص، فإنه جمع جموعا اشتملت على ستمائة ألف مقاتل فيما حكاها صاحب «الذخيرة السنية» فى تاريخ الدولة المرينية» و دخله الإعجاب بكثرة من معه من الجيوش، فصافى الإفرنج، فكانت عليه و على المسلمين وقعة العقاب المشهورة التى خلا بسببها أكثر المغرب، و استولى الإفرنج على أكثر الأندلس بعدها، و لم ينج من الستمائة ألف مقاتل غير عدد يسير جدا لم يبلغ الألف فيما قيل، و هذه الوقعة هى الطامة على الأندلس، بل و المغرب جميعا، و ما ذاك إلا لسوء التدبير، فإن رجال الأندلس العارفين بقتال الإفرنج استخف بهم الناصر و وزيره، فشق بعضهم، ففسدت النيات، فكان ذلك من بخت الإفرنج، و الله غالب على أمره، و كانت وقعة العقاب هذه المشؤومة سنة ٦٠٩، و لم تقم بعدها

للمسلمين قائمة تحمد.

[المستنصر بن الناصر]

ولما مات الناصر سنة عشرين و ستمائة ولى بعده ابنه يوسف المستنصر، و كان مولعا بالراحة، فضعفت الدولة في أيامه، و توفي سنة ٦٢٠.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٨٦

[عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن و العادل ابن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، و من بعده من بني تاشفين]

فتولى عم أبيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن، فلم يحسن التدبير، و كان إذ ذاك بالأندلس العادل بن المنصور، فرأى أنه أحق بالأمر، فاستولى على ما بقى في أيدي المسلمين من الأندلس بغير كلفة، و لما خلع عبد الواحد و خنق بمراكش ثارت الإفرنج على العادل بالأندلس، و تصاف معهم، فانهزم و من معه من المسلمين هزيمة شنعاء، فكانت الأندلس قرحا على قرح، فهرب العادل، و ركب البحر يروم مراكش، و ترك ياشيلية أخاه أبا العلاء إدريس، و دخل العادل مراكش بعد خطوب، ثم قبض عليه الموخيدون، و قدموا يحيى بن الناصر صغير السن غير مجرب للأمر، فادعى حينئذ الخلافة أبو العلاء إدريس ياشيلية، و بايعه أهل الأندلس، ثم بايعه أهل مراكش و هو مقيم بالأندلس، فثار على أبي العلاء بالأندلس الأمير المتوكل محمد بن يوسف الجذامي، و دعا إلى بني العباس، فمال الناس إليه، و رجعوا عن أبي العلاء، فخرج عن الأندلس - أعنى أبا العلاء - و ترك ما وراء البحر لابن هود، و لم يزل أبو العلاء يتحارب مع يحيى بن الناصر إلى أن قتل يحيى، و صفا الأمر لأبي العلاء بالمغرب، دون الأندلس، ثم مات سنة ٦٣٠.

و بويع ابنه الرشيد، و بايعه بعض أهل الأندلس، ثم توفي سنة ٦٤٠.

و ولى بعده أخوه السعيد، و قتل على حصن بينه و بين تلمسان سنة ٦٤٦.

و ولى بعده المرتضى عمر بن إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن، و في سنة ٦٦٥ دخل عليه الواثق المعروف بأبي دبوس، ففر، ثم قبض، و سيق إلى الواثق، فقلته، ثم قتل الواثق بنو مرين سنة ٦٦٨، و به انقضت دولة بني عبد المؤمن، و كانت من أعظم الدولة الإسلامية، فاستولى بنو مرين على المغرب، و أما المتوكل بن هود فملك معظم الأندلس، ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته، و قتله غدرا وزيره ابن الرميى بالمريية، و اغتتم الإفرنج الفرصة بافتراق الكلمة، فاستولوا على كثير مما بقى بأيدي المسلمين من البلاد و الحصون.

[بنو الأحمر]

ثم آل الأمر إلى أن ملك بنو الأحمر، و خطب ببعض الأندلس لأبي زكريا الحفصي صاحب إفريقية، و قد سبق الكلام على أكثر المذكور هنا، و أعدناه لتناسق الحديث، و لما في بعضه من زيادة الفائدة على البعض الآخر، و ذلك لا يخفى على المتأمل، و قد بسطنا في الباب الثالث أحوال ابن هود و ابن الأحمر و غيرهما، رحم الله تعالى الجميع!

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٨٧

ثم استفحل ملك يعقوب بن عبد الحق صاحب المغرب و حضرة ملك فاس، فانتصر به أهل الأندلس على الإفرنج الذين تكالبوا عليهم، فاجتاز إلى الأندلس و هزم الإفرنج أشد هزيمة، حتى قال بعضهم: ما نصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب المريني و فتك في بعض غزواته بملك من النصارى يقال له ذوننه، و يقال: إنه قتل من جيشه أربعين ألفا، و هزمهم أشد هزيمة، ثم تابعت

غزواته بالأندلس و جوازه للجهاد، و كان له من بلاد الأندلس رندة و الجزيرة الخضراء و طريف و جبل طارق و غير ذلك، و أعز الله تعالى به الدين، بعد تمرد الفرنج المعتدين.

[بنو مرين]

و لما مات ولى بعده ابنه يوسف بن يعقوب، ففر إليه الأذفونش ملك النصارى لائذا به، و قبل يده، و رهن عنده تاجه، فأعانه على استرجاع ملكه.

و لم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الأندلس بالمال و الرجال، و تركوا منهم حصه معتبره من أقارب السلطان بالأندلس غزاه، فكانت لهم وقائع في العدو مذكوره، و مواقف مشكوره، و كان عند ابن الأحمر منهم جماعة بغرناطه، و عليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاه.

[و كتاب من السلطان أبي الحسن المريني إلى الملك الصالح بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر]

و لما أفضى الملك إلى السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني، و خلص له المغرب و بعض بلاد الأندلس أمر بإنشاء الأساطيل الكثيره برسم الجهاد بالأندلس و اهتم بذلك غاية الاهتمام، ففضى الله تعالى أن استولى الإفرنج على كثير من تلك المراكب بعد أخذهم الجزيرة الخضراء، و كان الإفرنج جمعوا جموعا كثيره برسم الاستيلاء على ما بقى للمسلمين بالأندلس، فاستنفر أهل الأندلس السلطان أبا الحسن المذكور، فجاء بنفسه إلى سبته فرضه المجاز و محل أساطيل المسلمين، فإذا بالإفرنج جاؤوا بالسفن التي لا تحصي، و منعه العبور، و أغاثه أهل الأندلس حتى استولوا على الجزيرة الخضراء، و أنكوه في مراكبه أعظم نكايه، و لله الأمر. و قد أفصح عن ذلك كتاب صدر من السلطان أبي الحسن المذكور إلى سلطان مصر و الشام و الحجاز الملك الصالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى الألفى، رحم الله تعالى الجميع!.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٨٨

و هذه نسخه الكتاب المذكور الذى خاطب به أمير المسلمين السلطان أبو الحسن المريني المذكور ملك المغرب رحمه الله تعالى السلطان الملك الصالح بن السلطان الملك الشهير الناصر محمد بن قلاوون، و وصل إلى مصر فى النصف - و قيل: فى العشر الأواخر - من شعبان المكرم سنة ٧٤٥ بعد البسملة و الصلاة: من عند أمير المسلمين، المجاهد فى سبيل الله رب العالمين، المنصور بفضل الله المتوكل عليه، المعتمد فى جميع أموره لديه، سلطان البرين، حامى العدوتين، مؤثر المربطه و المشاغرة، موازر حزب الإسلام حق الموازرة، ناصر الإسلام، مظاهر دين الملك العلماء، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، فخر السلاطين، حامى حوزة الدين، ملك البرين، إمام العدوتين، م مهد البلاد، مبدد شمل الأعداء، مجند الجنود، المنصور الرايات و البنود، محط الرحال، مبلغ الآمال، أبى سعيد بن مولانا أمير المسلمين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، حسنة الأيام، حسام الإسلام، أبى الأمل-ك، مشجى أهل العناد و الإشراك، مانع البلاد، رافع علم الجهاد، مدوخ أقطار الكفار، مصرخ من ناداه للانتصار، القائم لله بإعلاء دين الحق، أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق، أخلص الله لوجهه جهاده! و يسر فى قهر عداة الدين مراده!.

إلى محل ولدنا الذى طلع فى أفق العلاء بدرا تماً، و صدع بأنواع الفخار فجلا ظلاما و ظلما، و جمع شمل المملكة الناصرية فأعلى منها علما و أحيها رسما، حائط الحرمين، القائم بحفظ القبليتين، باسط الأمان، قابض كف العدوان، الجزيل النوال، الكفيل تأمينه بحياطة النفوس و الأموال، قطب المجد و سماكه، حب الحمد و ملاكه، السلطان الجليل الرفيع الأصيل، الحافل العادل، الفاضل الكامل، الشهير الخطير، الأضخم الأفخم، المعان المؤزر، المؤيد المظفر، الملك الصالح أبو الوليد إسماعيل، ابن محل أخينا الشهير علاؤه، المستطير

في الآفاق ثناؤه، زين الأيام و الليال، كمال عين إنسان المجرد و إنسان عين الكمال، وارث الدول، النافث بصحيح رأيه في عقود أهل الملل و النحل، حامى القبلتين بعدله و حسامه، النامى في حفظ الحرمين أجر اضطلاع به بذلك و قيامه، هازم أحزاب المعاندين و جيوشها، هادم الكنائس و البيع فهى خاوية على عروشها، السلطان الأجل، الهمام الأحفل، الأفخم الأضحم، الفاضل العادل، الشهير الكبير، الرفيع الخطير، المجاهد المرابط، المقسط عدله في الجائر و القاسط، المؤيد المظفر، المنعم المقدس المطهر، زين السلاطين، ناصر الدنيا و الدين، أبى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٨٩

المعالى محمد، ابن الملك الأرضى، الهمام الأمضى، والد السلاطين الأخيار، عاقد لواء النصر في قهر الأرمن و الفرنج و التتار و محبى رسوم الجهاد، معلى كلمة الإسلام في البلاد، جمال الأيام، ثمال الأعلام، فاتح الأقالم، صالح ملوك عصره المتقادم، الإمام المؤيد، المنصور المسدد، قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد، الملك المنصور سيف الدنيا و الدين قلاوون، مكن الله له تمكين أوليائه، و نمتى دولته التى أطلعها [له] السعد شمساً في سمائه، و أحسن إيزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه!.

سلام كريم يفواح زهر الربا مسراه، و ينافح نسيم الصبا مجراه، يصحبه رضوان يدوم ما دامت تفل الفلك حر كاته، و يتولاه روح و ريحان تحييه به رحمه الله و بر كاته.

أما بعد حمد الله مالك الملك، جاعل العاقبة للتقوى صدعا باليقين و دفعا للشك، و خاذل من أسر في النفاق النجوى فأصر على الدخن و الإفك، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد رسوله الذى محا بأنوار الهدى ظلم الشرك، و نبه الذى ختم به الأنبياء و هو واسطة ذلك السيلك، و دحا به حجة الحق فمادت بالكفرة محمولة الأفلاك و ماجت بهم حامله الفلك، و الرضا عن آله و صحبه الذين سلوكوا سبيل هداه فسلك في قلوبهم أجمل السلك، و ملكوا أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب أنجح السلك، و صابروا في جهاد الأعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء و الذهب يزيد خلوصاً على السبب، و الدعاء لأولياء الإسلام، و حماته الأعلام، بنصر لمضائه في العدا أعظم الفتك، و يسر بقضائه درك آمال الظهور و أحفل بذلك الدرر، فكتبناه إليكم، كتب الله لكم رسوخ القدم و سبوغ النعم! من حضرنا بمدينة فاس المحروسة، و صنع الله سبحانه يعترف مذاهب الألفاف، و وكيف مواهب تلهج الألسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف، و يصرف من أمره العظيم، و قضائه المتلقى بالتسليم، ما يتكون بين النون و الكاف، و مكانكم العتيد سلطانه، و سلطانكم المجيد مكانه، و ولاؤكم الصحيح برهانه، و علاؤكم الفسيح في مجال الجلال ميدانه، و إلى هذا زاد الله سلطانكم تمكيناً، و أفاد مقامكم تحصينا و تحسينا، و سلك بكم من سنن من خلفتموه سبيلاً مينا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٩٠

فلا خفاء بما كانت عقده أيدى التقوى، و مهدته الرسائل التى على الصفاء تطوى، بيننا و بين والدكم نعم الله روحه و قدسه، و بقربه مع الأبرار في عليين آنسه، من مواخاة أحكمت منها العهود تالية الكتب و الفاتحة، و حفظ عليها محكم الإخلاص معوذتها المحبة و النية الصالحة، فانعقدت على التقوى و الرضوان، و اعتضدت بتعارف الأرواح عند تنازع الأبدان، حتى استحكمت وصله الولاء، و التأمتم كلحمة النسب لحمة الإخاء، فما كان إلا و شيكا من الزمان، و لا عجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلان، ورد و ورد أورد رنق المشارب، و حقق قول و من «يسأل الركبان عن كل غائب» أنبا باستئثار الله تعالى بنفسه الزكية، و إكنا درته السنية، و انقلابه إلى ما أعد له من المنازل الرضوانية، بجليل ما وقر لفقده في الصدور، و عظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور، حانا للإسلام بتلك الأقطار، و إشفاقاً من أن يعتور قاصدى بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض الإضرار، و مساهمة في مصاب الملك الكريم، و الولى الحميم، ثم عميت الأخبار، و طويت طى السجل الآثار، فلم نر مخبراً صدقا، و لا معلماً بمن استقر له ذلك الملك حقاً، و فى أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرنا استصراخ أهل الأندلس و سلطانها، و تواتر الأخبار بأن النصارى أجمعوا على خراب أوطانها، و نحن أثناء ذلك الشأن، نستخبر الورد من تلکم البلدان، عما أجلي عنه ليل الفتن بتلكم الأوطان، فبعد لأى وقعنا منها على

الخير، و جاءنا بوقايه حرم الله بكم البشير، و تعرفنا أن الملك استقر منكم فى نصابه، و تداركه الله تعالى منكم بفتح الخير من أبوابه، فأطفأ بكم نار الفتنة و أخمدها، و أبرأ من أدواء النفاق ما أعل البلاد و أفسدها، فقام سبيل الحج سابلًا، و تعبد طريقه لمن جاء قاصدا و قافلا، و لما احتفت بهذا الخبر القرائن، و تواتر بنقل الحاضر [له و] المعانين، أثار حفظ الاعتقاد البواعث، و الود الصحيح تجره حقا الموارث، فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفتنة الأطوار، الجامعة بين الخبر و الاستخبار، الملبسة من العزاء و الهناء ثوبى الشعار و الدثار، و مثل ذلكم الملك رضوان الله عليه من تجل المصائب لفقدانه، و تحل عرا الاصطبار بموته و لات حين أوانه، لكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين، و الأجر أولى ما اقتناه ذو دين متين، و مثلكم من لا يخف وقاره، و لا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره، و من خلفكم فما مات ذكره، و من قتمت بأمره فما زال بل زاد فخره، و قد طالت و الحمد لله العيشة الراضية بالحقب، و طاب بين مبداه و محتضره هنيئا بما من الأجر اكتسب،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٩١

و صار حميدا إلى خير المنقلب، و وفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا و وهب، فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة، و حماية زوار بيته مقيلة أو معرسة.

و نحن بعد بسط هذه التعزية، نهنيكم بما خولكم الله أجمل التهنية، و فى ذات الله الإيراد و الإصدار، و فى مرضاته سبحانه الإضمار و الإظهار، فاستقبلوا دولة ألقى العز عليها رواقه، و عقد الظهور عليها نطاقه، و أعطاهما أمان الزمان عقده و ميثاقه، و نحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقة، و موالة محققة، و ثناء كئامه عن أذكى من الزهر غب القطر مفتقه، و لم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الأكرمين اللذين خطتهما منا اليمين، و أوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين إلى قرار مكين، و إنه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه، و أوردته موارد إحسانه، فى ذلكم من الفعل الجميل، و الصنع الجليل، ما ناسب مكانه الرفيع، و شاكله فضله من البر الذى لا- يضيع، حتى طبّق فعله الآفاق ذكرا، و طوّق أعناق الوراد و القصاد برا، و كان من أجمل ما به تحفى و تحف، و أعظم ما يعرفه إلى رضا الملك العلام فى ذلك تعرف، إذنه للمتوجهين إذ ذاك فى شراء رباغ توقف على المصحفين، و رسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين، فجرت أحوال القراء فيهما بذلك الخراج المستفاد، ريشما يصلحهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد، على ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصلة، و احترام فى تلك الأوقاف فوائدها به متوفرة متحصيلة، و قد أمرنا مؤدى هذا لكما لكم، و موفده على جلالكم، كاتبنا الأسنى الفقيه الأجل، الأحظى الأكمل، أبا المجد، ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الأجل الحاج الأتقى، الأرضى الأفضل، الأحظى الأكمل، المرحوم أبى عبد الله بن أبى مدين حفظ الله عليه رتبته، و يسر فى قصد البيت الحرام بغيته، بأن يتفقد أحوال تلك الأوقاف، و يتعرف تصرف الناظر عليها و ما فعله من سداد و إسراف، و أن يتخير لها من يرتضى لذلك، و يحمد تصرفه فيما هنالك، و خاطبنا سلطانكم فى هذا الشأن، جريا على الود الثابت الأركان، و إعلاما بما لوالدكم رحمة الله تعالى فى ذلك من الأفعال الحسان، و كمالكم يقتضى تخليد ذلكم البر الجميل، و تجديد عمل ذلكم الملك الجليل، و تشييد ما اشتمل عليه من الشكر الأصيل، و الأجر الجزيل، و التقدم بالإذن السلطاني فى إعانة هذا الوافد بهذا الكتاب، على ما يتوخاه فى ذلك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٩٢

الشان من طرق الصواب، و ثناؤنا عليكم الثناء الذى يفوح زهر الرّبا، و يطارح نغم حمام الأيك مطربا، و بحسب المصافاه، و مقتضى الموالة، نشرح لكم المتزايدات، بهذه الجهات، و نبئكم بموجب إبطاء إنفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجناب، و ذلك أنه لما وصلنا من الأندلس الصّريخ، و نادى مناد للجهاد عزما لمثل ندائه يصيخ، أنبأنا أن الكفار قد جمعوا أحزابهم من كل صوب، و حتم عليهم باباهم اللعين التناصر من كل أوب، و أن تقصد طوائفهم البلاد الأندلسية يياجفها، و تنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها، ليمحوا كلمة الإسلام منها، و يقلصوا ظلّ الإيمان عنها، فقدمنا من يشتغل بالأساطيل من القواد، و سرنا على إثرهم إلى سبتة منتهى المغرب الأقصى

و باب الجهاد، فما وصلناها إلا وقد أخذ أخذه العدو الكفور، و سدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور، و أتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا، و أرضدوها بمجمع البحر حيث المجاز إلى دفع العدا، و تقلصوا عن الانبساط فى البلاد، و اجتمعوا إلى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل من جمعه من الأعداء، لكننا مع انسداد تلك السبيل، و عدم أمور نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل، حاولنا إمداد تلكم البلاد بحسب الجهد، و أصرخناهم بمن أمكن من الجند، و جهزنا أجفانا مختلسين فرصة الإجازة، تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه، و أمرنا لصاحب الأندلس من المال، بما يجهز به حركته لمداناً محلة حزب الضلال، و أجرينا له و لجيشه العطاء الجزل مشاهرة، و أرضخنا لهم فى النوال ما نرجو به ثواب الآخرة، و جعلت أجفاننا تتردد فى ميناء السواحل، و تلج أبواب الخوف العاجل، لإحراز الأمن الآجل، مشحونة بالعدد الموفورة، و الأبطال المشهورة، و الخيل المسومة، و الأقوات المقومة، فمن ناج حارب دونه الأجل، و شهيد مضى لما عند الله عز و جل، و ما زالت الأجفان تتردد على ذلك الخطر؛ حتى تلف منها سبع و ستون قطعة غزوية أجزها عند الله يدخر، ثم لم نقنع بهذا العمل فى الأمداد، فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لأهل تلك البلاد، فلقى من هول البحر و ارتجاجه، و إلحاح العدو و لجاجه، ما به الأمثال تضرب، و بمثله يتحدث و يستغرب، و لما خلص لتلك العدو بمن أبقته الشدائد، نزل بإزاء الكافر الجاحد، حتى كان منه بفرسخين أو أدنى، و قد ضرب بطعن يصاح العدو و يماسيه بحرب بها يمنى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٩٣

و قد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته، و قويت فى الحرب إدارته، يبلون البلاء الأصدق، و لا يبالون بالعدو و هم منه كالشامة البيضاء فى البعير الأورق، إلا أن المطاوله بحصرها فى البحر مدة ثلاثة أعوام و نصف، و منازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف، أدى إلى فناء الأقوات فى البلد، حتى لم يبق لأهله قوت نصف شهر مع انقطاع المدد، و به من الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم و الولد، فكتب إلينا سلطان الأندلس يرغب فى الإذن له فى عقد الصلح، و وقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح، فأذن له فيه الإذن العام، إذ فى إصراخه و إصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام، هنالك دعى النصارى إلى السلم فاستجابوا، و قد كانوا علموا فناء القوت و ما استرابوا، فتم الصلح إلى عشر سنين، و خرج من بها من فرسان و رجال و أهل و بنين، و لم يرزؤوا مالا و لا عدّة، و لا لقوا فى خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة، و وصلوا إلينا فأجزلنا لهم العطاء، و أسليناهم عما جرى بالحباء، فمن خيل تزيد على الألف عتاقتها، و خلع تربي على عشرة آلاف أطواقها، و أموال عمت الغنى و الفقير، و رعاية شملت الجميع بالعيش النضير، و كف الله ضر الطواغيت عما عداها، و ما انقلبوا بغير مدرّة عفا رسمها و صم صداها.

و قد كان من لطف الله حين قضى بأخذ هذا الثغر، أن قدّر لنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر، و هو المطل على هذه المدرة، و الفرصة منها إن شاء الله متيسرة، حتى يفرق عقد الكفار، و يفرج بهذه الجهة منهم مجاور و هذه الأقطار، فلولا إجلاهم من كل جانب، و كونهم سدوا مسلح العبور بما لجميعهم من الأجفان و المراكب، لما بالينا بإصعاقهم، و لحللنا بعون الله عقد اتفاقهم، و لكن للموانع أحكام، و لا-راد لما جرت به الأقسام، و قد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد، و تخيرنا له و لسائر تلك البلاد العدد و العدد، و عدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعشاء السفر، و ترتبط الجياد و تنتخب العدد لوقت الظهور المنتظر، و تكون على أهبة الجهاد، و على مراقبة الفرصة عند تمكنها فى الأعداء،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٩٤

و عند عودنا من تلك المحاولة، تيسر الركب الحجازى موجها إلى هنا لكم رواجه، فأصدرنا إليكم هذا الخطاب، إصدار الود الخالص و الحب اللباب، و عندنا لكم ما عند أحنى الآباء، و اعتقادنا فيكم فى ذات الله لا يخشى جديدته من البلاء، و ما لكم من غرض بهذه الأنحاء، فموفى قصده على أكمل الأهواء، موالى تميمه على أجمل الآراء، و البلاد باتحاد الود متحدة، و القلوب و

الأيدى على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقدة، جعل الله ذلكم خالصا لرب العباد، مدخورا ليوم التناد، مسطورا في الأعمال الصالحة يوم المعاد، بمنه وفضله، وهو سبحانه وتعالى يصل إليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب، وتتصافر على الانقياد له صدور المواكب، وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب، والسلام الأتم يخصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته، وكتب في يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمائه، و صورة العلامة، و كتب في التاريخ المؤرخ.

[جواب سلطان مصر على هذا الكتاب من إنشاء خليل بن أبيك]

و نسخة الجواب عن ذلك من إنشاء خليل الصفدى شارح «لامية العجم» فى سادس شهر رمضان سنه خمس وأربعين وسبعمائه، بعد البسملة، فى قطع النصف بقلم الثلث: عبد الله و وليه، صورة العلامة، ولده إسماعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المئاغر المظفر المنصور عماد الدنيا و الدين، سلطان الإسلام و المسلمين، محيى العدل فى العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، وارث الملك، ملك العرب و العجم و الترك، فاتح الأفطار، واهب الممالك و الأمصار، إسكندر الزمان، مملك أصحاب المنابر و الأسرة و التحوت و التيجان، ظلّ الله فى أرضه، القائم بسنته و فرضه، مالك البحرين، خادم الحرمين الشريفين، سيد الملوك و السلاطين، جامع كلمة الموحّدين، ولى أمير المؤمنين، أبو الفداء إسماعيل بن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا و الدين أبى الفتح محمد بن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا و الدين قلاوون، خلد الله تعالى سلطانه! و جعل الملائكة أنصاره و أعوانه! يخصّ المقام العالى الملك الأجلّ الكبير المجاهد المؤيد المرابط المئاغر المعظم المكرم المظفر المعمر الأسعد الأصعد الأوحّد الأمجد الأنجد، السنّى السرى المنصور أبا الحسن على بن أمير المسلمين أبى سعيد بن أمير

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٩٥

المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق، أمده الله بالظفر، و قرن عزمه بالتأييد فى الآصال و البكر!.

سلام وشت البروق و شائعه، و ادّخرت الكواكب ودائعه، استوعب الزمان ماضيه و مستقبله و مضارعه، و ثناء اتخذ النفحات المسكية طلائعه، و نبه للتغريد فى الروض سواجعه، و جلّى فى كاسه من الشفق المحمر مدامه من النجوم فواقعه.

[أما] بعد حمد الله على نعم أدت لنا الأمانة فى عود سلطنة والدنا الموروثة، و أجلسنا على سرير مملكة زرايبيها بين النجوم مبنوثة، و أحسنت بنا الخلف عن سلف عهوده فى الأعناق غير منكورة و لا منكوثه، و صلّاته على سيدنا محمد عبده و رسوله، و على آله و صحبه الذين بلغ بجهادهم فى الكفرة غاية أمله و رسوله، صلاة تحط بالرضوان سيولها، و تجر بالغفران ذيولها، ما تراسل أصحاب، و تواصل أحباب، و يوضح للعلم الكريم، و ورد كتابكم العظيم، و خطابكم الفائق على الدر النظيم، تفاخر الخمائيل سطوره، و يصبغ خدّ الورد بالخجل منثور، و يحكى الرياض اليانعة بالألفات غصونه و الهمزات عليها طيوره، و يخلع على الآفاق حلال الأيام و الليالى فالطرس صباحه و النّفس ديجوره، لفظه يطرب، و معناه يعرب فيغرب، و بلاغته تدلّ على أنه آية لأن شمس بيانها طلعت من المغرب، فاتخذنا سطوره ريحانا، و رجّعنا ألفاظه ألحانا، و رجّعنا إلى الجدّ فشبها ألفاته بظلال الرماح، و ورقه بصقال الصّفاح، و حروفه المفرقة بأفواه الجراح، و سطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة فى يوم الكفاح، و انتهينا إلى ما أودعتموه من اللفظ المسجوع، و المعنى الذى يطرب طائرته المسموع، و البلاغة التى فضح المتطبع بيانها المطبوع.

فأما العزاء بأخيكم الوالد قدس الله روحه و سقى عهده، و أحسن لسلفه خلفنا بعده، فلنا برسول الله أسوة حسنة، و لو لا الوثوق بأنه فى عدّة الشهداء ما رأى القلب قراره و لا الطرف و سنه، عاش سعيدا يملك الأرض، و مات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض، قد خلد الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص: ٢٩٥

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٩٦

ذكره يسير مسير الشمس في الآفاق، و يوقف على نضارة حدائقه نظرات الأحداق، و ورثنا منه حسن الإخاء لكم، و الوفاء بعهود مودة تشبه في اللطف شمائلكم، و أما الهناء بورائة ملكه، و الانخراط مع الملوك في سلكه، قد شكرنا لكم منحى هذه المنحة، و قابلناها بثناء يعطر النسيم في كل نفحة، و وقفنا عليها حمدا جعل الود علينا إيراد و على أنفاس سرحة الروض شرحه، و تحققنا به حسن و دكم الجميل، و كريم إخوانكم الذى لا يمد طود رسوخه و لا يميل.

و أما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين المنيفين، و أنكم جهزتم كاتبكم الفقيه الأجلّ الأسنى الأسمى أبا المجد ابن كاتبكم أبى عبد الله بن أبى مدين أعزه الله تعالى لتفقد أحوالهما، و النظر فى أمر أوقافهما، فقد وصل المذكور بمن معه فى حرز السلامة و أكرمنا نزلهم، و سهلنا بالترحيب سبلهم، و جمعنا على بذل الإحسان إليهم شملهم، و حضر المذكور بين أيدينا و قربناه، و سمعنا كلامه و خاطبناه، و أمرنا فى أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم، و رسمنا لنوابنا فى نواحي أوقافهما بما ذكرتم، و هذا الوقف المبرور جار على أحسن عادة ألفها، و أثبت قاعدة عرفها، مرعى الجوانب، محمى المنازل و المضارب، آمن من إزالة رسمه، أو إزالة حكمه، بدهر أبدا فى مطالع تمه، و زهره دائما يرقص على كفه، لا يزداد إلا تخليدا، و لا إطلاق ثبوته إلا تقييدا، و لا عنق اجتهاده إلا تقليدا، جريا على قاعدة أوقاف ممالكننا، و عادة تصرفاتنا فى ممالكننا، و له مزيد الرعاية، و إفادة الحماية، و وفادة العناية.

و أما ما وصفتموه من أمر الجزيرة الخضراء و ما لاقاه أهلها، و منى به من الكفار حزنها و سهلها، فإنه شقّ علينا سماعه الذى أنكى أهل الإيمان، و عدّد به نوب الزمان، كل قلب بأنامل الخفقان، و طالما فزتم بالظفر، و رزقتم النصر على عدوّكم فجر ذيل الهزيمة و فز، و لكن الحروب سجال، و كل زمان لدوائه دولة و لرجائه رجال، و لو أمكنت المساعدة لطارت بنا إليكم عقبان الجياد المسومة، و سالت على عدوّكم أباطحهم بقسينا المعوجة و سهامنا المقومة، و كحلنا عيون النجوم بمراود الرماح، و جعلنا ليل العجاج ممزقا ببروق الصفاح،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٩٧

و اتخذنا رؤوسهم لصوالج القوائم كرات، و فرجنا مضايق الحرب بتوالى الكرات، و عطفنا عليهم الأعنة، و خضنا جداول السيوف و دسنا شوك الأسنّة، و فلقنا الصخرات بالصرخات، و أسلنا العبرات بالرعبات، و لكن أين الغاية من هذا المدى المتطول؟ و أين الثريا من يد المتناول؟ و ما لنا غير إمدادكم بجنود الدعاء الذى نرفعه نحن و رعايانا، و التوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجايانا.

و أما ما فقدتموه من الأجنان التى طرقها طيف التلايف، و أمّ حرم فنائها الفناء و طاف به بعد الإلطف، فقد روع هذا الخبر قلب الإسلام، و نوع له الحزن على اختلاف الإصباح و الإظلام، و هذه الدار ما يخلو صفوها من كدر القدر، و طالما أنامت بالأمن أوّل الليل و خاطبت بالخطب فى السّحر، و لكن فى بقائكم ما يسلى من خطب العطب، و مع سلامة نفسكم الكريمة فالأمر هين لأن الدر يفدى بالذهب.

و أما ما رأيتموه من الصلح فرأى عقده مبارك، و أمر ما فيه فارط عزم و إن كان فيتدارك، و الأمر يجيء كما يحب لا كما نحب، و الحروب يزورها نصرها تارة و يغب، و مع اليوم غدا، و قد يردّ الله الردى، و يعيد الظفر بالعدا.

و أما عودكم إلى فاس المحروسة طلبا لإراحة من عندكم من الجنود، و تجهيزا لمن يصل من عندكم إلى الحجاز الشريف من الوفود، فهذا أمر ضرورى التدبير، سرورى التثمير، لأن النفوس تمل و ثير المهاد، فكيف ملازمة سهوات الجياد، و تسأم من مجالسة الشرب، فكيف بممارسة الحرب، و تعرض عن دوام اللذة، فكيف بمباشرة المنايا الفذة، و هذا جبل طارق الذى فتح الله به عليكم، و ساق هدى هديته إليكم، لعله يكون سببا إلى ارتجاع ما شرد، و حسما لهذا الطاغية الذى مرد، و ردّا لهذا النازل الذى قدم ورد الصبر لما ورد، فعادة الألفاء الإلهية بكم معروفة، و عزوماتكم إلى جهات الجهاد مصروفة، و قد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من

الرحمن يطرق، و جبل يعصم من سهم يمر من قسي الكفار و يمرق.

و أما ما منحتموه من الخيل العتاق، و الملابس التي تطلع بدور الوجوه من مشارق الأطواق، و الأموال التي زكت عند الله تعالى و نمت على الإنفاق، فعلى الله عز و جل خلفها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٩٨

و لكم في منازل الدنيا و الآخرة [سرفها] و شرفها، و إليكم تساق هدايا أثنيها و تحفكم تحفها، و إذا وصل وفدكم الحاج، و أثار له بوجه إقبالنا عليهم ليلهم الداج، كانوا مقيمين تحت ظل إكرامنا، و شمول إسعافنا لهم و إنعامنا، يتخولون تحفا أنتم سبيها، و يتناولون طرفا في كؤوس الاعتناء بهم تنضد حبيها، و إذا كان أوان الرحيل إلى الحج فسحنا لهم الطريق، و سهلنا لهم الرفيق، و بلغناهم بحول الله تعالى منا هم من منى، و سؤلهم ممن إذا زاروا حجرته الشريفه حازوا الراحة من العناء، و فازوا بالغنى، و إذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم مشقة ذلك الدرب، و يخيل إليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق و الغرب، و غمرناهم بالإحسان في العود إليكم، و أمرناهم بما ينهونه شفاها لديكم، و عناية الله تعالى تحوط ذاتكم، و توفر لأخذ الثار حمايتكم، و تخصصكم بتأييد تنزلون روضه الأنضر، و تجنون به ثمر النصر اليناع من ورق الحديد الأخضر، و تتحفكم بسعد لا يبلى قشيبه، و عز لا يمحو شبابه مشيبه، و تحيته المباركة تغاديكم و تراوحكم، و تفاوحكم أنفاسها المعنيرة و تنافحكم، بمنه و كرمه، انتهى.

و رأيت بخط منشي هذا الجواب الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى أثر ذكره ما نصه:

أما بعد حمد الله تعالى على نعمائه، و صلاته على سيدنا محمد عبده و رسوله خاتم أنبيائه، فقد قرأ الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المفيد القدوة عز الدين أبو يعلى حمزة بن الرئيس الكبير الفاضل القاضي قطب الدين موسى بن أحمد بن شيخ السلامية الأحمدى أمتع الله بفوائده!- الكتاب الوارد من سلطان المغرب الملك المجاهد المرابط أبي الحسن المريني صاحب مراکش تغمده الله تعالى برحمته و الجواب عنه عن السلطان الشهيد الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد قدس الله تعالى روحهما من إنشائي، و أنا أسمع ذلك جميعا من أولهما إلى آخرهما، قراءة أطربت السمع لفصاحتها، و أمالت العطف لرجاحتها. [السريع]

و أخجلت ورق الحمى باللوى إن صدحت في ذروة الغصن

تكاد من لطف و من رقة تدخل في الأذن بلا إذن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٢٩٩

و ذلك في مجلس واحد في ذي القعدة سنة ٧٥٦، بالجامع الأموي بدمشق المحروسة فإن رأى رواية ذلك عنى فله علو الرأى في تشريفي بذلك، و كتبه خليل بن أيبك الصفدي الشافعي عفا الله عنه! انتهى.

[السلطان أبو الحسن المريني يكتب بيده ثلاثة مصاحف و يهديها للمساجد الثلاثة و وصف بعض المشاركة للسلطان أبي الحسن المريني]

و كان السلطان أبو الحسن المريني المذكور كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه، و أرسلها إلى المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، و وقف عليها أوقافا جليله كتب توقيعه سلطان مصر و الشام بمسامحتها من إنشاء الأديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصري، و نص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله: و هو الذي مد يمينه بالسيف و القلم فكتب في أصحابها، و سطر الختمات الشريفة فأيد الله حربه بما سطر من أحزابها، و اتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو و تروح، و كثرت فتوحه لأملياء الغرب فقالت أوقاف الشرق: لا بد للفقراء من فتوح، ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدي، و خط سطورها بالعربي و طالما خط في صفوف الأعداء بالهندي، و رتب عليها أوقافا تجرى أقلام الحساب في إطلاقها و طلقها، و حبس أملاكا شامية تحدث بنعم الأملاك التي سرت من مغرب الأرض إلى مشرقها، و الله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له في أكرم الصحائف، و ينفع الجالس من ولاة الأمور في تقريرها و

يتقبل من الواقف، انتهى.

قلت: وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة، وهو الذى ببيت المقدس، و ربعته فى غاية الصنعة.

وقال بعض المشاركة فى حق السلطان أبى الحسن، ما صورته: ملك أضاء المغرب بأنوار هلاله، و جرت إلى المشرق أنواء نواله، و طابت نسماته، و اشتهرت عزماته، كان حسن الكتابة، كثير الإنابة، ذا بلاغة و براعة، و شهامة و شجاعة، كتب بخطه ثلاثة مصاحف و وقفها على المساجد الثلاثة، أقام فى الملك عشر سنين و سبعة أيام، ثم صرف بولده أبى عنان بعد حروب يطول شرحها، انتهى من كتاب نزوهه الأنام.

[هدية من السلطان أبى الحسن إلى السلطان الملك الناصر برواية الخطيب أبى عبد الله بن مرزوق]

و لما ذكر الإمام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق فى كتابه «المسند الصحيح الحسن، من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٠٠

أخبار السلطان أبى الحسن» أمر الربعة التى أرسلها السلطان أبو الحسن بخطه قال ما ملخصه:

و أرسل معها للسلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر و الثمن ثمانمائة و خمسة و عشرين، و من الزمرد مائة و ثمانية و عشرين، و من الزبرجد مائة و ثمانية و عشرين، و من الجواهر النفيس الملوكة ثلاثمائة و أربعة و ستين، و أرسل حللا- كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر، و من الإناق عشرين مذهبة، و من الخلادى ستة و أربعين، و من القنوع ستة و عشرين مذهبة، و من المحررات المختمة ثمانمائة، و من الرصان عشرين شقة، و الأكسية المحررة أربعة و عشرين، و البرانس المحررة ثمانية عشر، و المشفقات مائة و خمسين، و أحارم الصوف المحررة عشرين، و من شقق الملف الرفيع ستة عشر، و من الفضالى المنوعة و الفرش و المخادق المنبوق و الحلل ثمانمائة، و أوجه اللحف المذهبة عشرين، و حائطان حلة و حنابل مائة و اثنى عشر كلها حرير، و فرش جلد مخروز بالذهب و الفضة، و من السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجواهر عشرة، و السروج عشرة بركب ذهب و مهاييز ذهب كذلك، و ثلاث ركب فضة، و ستة مزججة و مذهبة، و مضماتان من ذهب مما يليق بالملوك، و شاشية حرير مطوقة بذهب مكلل بالجواهر، و من لزمات الفضة عشرة، و سرج مخروزة بالفضة عشرة، و عشر علامات معششة مذهبة، و عشر رايات مذهبة، و عشر براقع مذهبة، و عشر أمثلة مرقومة، و ثلاثين جلدا شرك، و أربعة آلاف درقة لمط منها مائتان بنهود الذهب و ثمانية عشر بنهود الفضة، و خباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب، و قبة أخرى مضربة من ست و ثلاثين بنيقة مبطنه بحلة مذهبة، و هى حرير أبيض و مرابطها حرير ملون و عمودها عاج و آبنوس، و أكبارها من فضة مذهبة، و من البزاة الأحرار المنتقاء أربعة و ثلاثين، و من عتاق الخيل العرب ثلاثمائة و خمسا و ثلاثين، و من البغال الذكور و الإناث مائة و عشرين، و من الجمال سبعمائة، و توجهت مع هذه الهدية أمم برسم الحج مع الربعة المكرمة، و أعطى الحره أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف و خمسمائة ذهبا، و لقاضى الركب ثلاثمائة و كسوة، و لقائد الركب أربعمائة و كساوى متعددة و بغلات، و للرسول المعين للهدية ألفا، و لشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبى محمد صالح خمسمائة، و لجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة، و برسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف و ثمانمائة، و لشراء ربيع ستة عشر ألفا و خمسمائة ذهبا، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٠١

و ذكر فى الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن الموصوف أهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك، و منها لصاحب الأندلس صلة و صدقة [و هدية] فى مرات، و منها لملوك النصارى بعد هداياهم، و منها لسلاطين السودان كصاحب مالى، و منها لصاحب إفريقيا، و منها لصاحب تلمسان، انتهى.

[رواية المقریزی مؤرخ مصر لهذه الهدية]

وقال مؤرخ مصر المقریزی فی کتاب «السلوک» فی سنه ٧٣٨ ما نصه: و فی ثانی عشرين من رمضان قدمت الحره من عند السلطان أبی الحسن علی بن عثمان بن یعقوب المرینی صاحب فاس تريد الحج، و معها هدیة جلیلة إلى الغایة، نزل لحملها من الإصطبل السلطانی ثلاثون قطارا من بغال النقل سوی الجمال، و كان من جملتها أربعمائه فرس منها مائة حجره و مائة فحل و مائتا بغل و جميعها بسرج و لجم مسقطه بالذهب و الفضة، و بعضها سرجها و ركبا كلها ذهب، و كذلك لجمها، و عدتها اثنان و أربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر، و فیها اثنان و ثلاثون بازا، و فیها سيف قرابه ذهب مرصع، و حياصه ذهب مرصع، و فیها مائة كساء، و غیر ذلك من القماش العال، و كان قد خرج المهمندار إلى لقائهم، و أنزلهم بالقرافه قریب مسجد الفتح، و هم جمع كثير جدا، و كان يوم طلوع الهدیة من الأيام المذكورة، ففرق السلطان الهدیة على الأمراء بأسرهم على قدر مراتبهم، حتى نفذت كلها سوی الجواهر و اللؤلؤ فإنه اختص به، فقدرت قيمة هذه الهدیة ما يزيد على مائة ألف دينار، ثم نقلت الحره إلى الميدان بمن معها، و رتب لها من الغنم و الدجاج و السكر و الحلوی و الفاكهة فی كل يوم بكرة و عشية ما عمهم و فضل عنهم، فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم، و نصف أردب أرز، و قطار حب رمان، و ربع قطار سكر، و ثمان فانوسيات شمع، و توابل الطعام، و حمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة و سبعين ألف درهم، و أجره حمل أنقالهم مبلغ ستين ألف درهم، ثم خلع على جميع من قدم مع الحره، فكانت عدة الخلع مائتين و عشرين خلع على قدر طبقاتهم، حتى خلع على الرجال الذين قادوا الخيول، و حمل إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٠٢

الحره من الكسوة ما يجلب قدره، و قيل لها أن تملی ما تحتاج إليه و لا يعوزها شيء، و إنما تريد عناية السلطان بإكرامها و إكرام من معها حيث كانوا، فتقدم السلطان إلى النشو و إلى الأمير أحمد أقبغا بتجهيزها اللائق بها، فقاما بذلك، و استخدموا لها السقائين و الضویة، و هتيا كل ما تحتاج إليه فی سفرها من أصناف الحلوات و السكر و الدقيق و البقسماط، و طلبوا الحماله لحمل جهازها و أزودتها، و ندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجیزة، و أمره أن يرحل بها فی مركب لها بمفردها قدام المحمل، و يمثل كل ما تأمر به، و كتب لأمیری مكة و المدينة بخدمتها أتم خدمه.

وقال فی سنه خمس و أربعين و سبعمائه ما نصه: و فی نصف شعبان قدمت الحره أخت صاحب المغرب فی جماعة كثيرة، و علی يدها كتاب السلطان أبی الحسن يتضمن السلام، و أن يدعو له الخطباء فی يوم الجمعة و مشايخ الصلاح و أهل الخير بالنصر علی عدوهم، و يكتب إلى أهل الحرمين بذلك، و ذلك أن فی السنة الخالية كانت بينه و بين الفرنج وقعة عظيمة قتل فيها ولده، و نصره الله تعالى بمنه علی العدو، و قتل كثيرا منهم، و ملكوا منهم الجزيرة الخضراء، فغمر الفرنج مائتي شيني، و جمعوا طوائفهم، و قصدوا المسلمين، و أوقعوا بهم علی حين غفلة، فاستشهد عالم كثير، و نجا أبو الحسن فی طائفه من أزماءه بعد شداوند، و ملك الفرنج الجزيرة، و أسروا و سبوا و غنموا شيئا يجلب وصفه، ثم مضوا إلى جهة غرناطة، و نصبوا عليها مائة منجنيق حتى صالحهم علی قطيعة يقومون بها، و تهادنوا مدة عشر سنين، اه كلامه.

و قد تقدم نص هذا الكتاب الموجه من السلطان أبی الحسن فليراجع قريبا.

وقال ابن مرزوق فی «المسند الصحيح الحسن» بعد كلام ما ملخصه: و كان يعنى السلطان أبا الحسن - مجتهدا فی الجهاد بنفسه و حرمة، و جاز للأندلس برسم ذلك بنفسه، و أظهر آثاره الجميلة، و منها ارتجاع جبل الفتح ليد المسلمين بعد أن أنفق عليه الأموال، و صرف إليه الجنود و الحشود، إذ كان من عمالته هو و الجزيرة و رندة، و نازلته جيوشه مع ولده و خواصه و ضيقوا به إلى أن استرجعوه ليد المسلمين، و أنفق على بنائه أحمال مال، و اعتنى بتحصينه، و بنى حصنه و أبراجه و سورته و جامعته و دورته و مخازنه، و لما كاد يتم ذلك نازله العلو برا و بحرا، فصبر المسلمون صبر الكرام، فخبب الله تعالى أمل العدو، و عاد خاسرا، و المنه لله، فرأى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٠٣

أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو في منازلته، ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته، و رأى الناس ذلك من المحال، فأنفق الأموال، و أنصف العمال، فأحاط بمجموعه إحاطة الهالة بالهلال، و أما بناؤه للمحاسن و الطوالع فأمر غير مجهول، اه.

[و من إنشاء لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه إلى أحد السلاطين من بنى السلطان أبي الحسن المرينى]

و قد رأيت أن أذكر هنا بعض إنشاء لسان الدين بن الخطيب في شأن ما يتعلق بجبل الفتح و غيره من بلاد الأندلس، و حال العدو الكافر، و ما ينخرط في هذا السلك: فمن ذلك على لسان سلطانه يخاطب به أحد السلاطين من أولاد السلطان أبي الحسن المرينى، و نصه:

المقام الذى يصرخ و ينجد، و يتهم فى الفضل و ينجد، و يسعف و يسعد، و يبرق فى سبيل الله و يردد، فأخذ الكفر من عزماته المقيم المقعد، حتى ينجز من نصر الله تعالى الموعد، مقام محل أخينا الذى حسن الظن بمجده جميل، و حد الكفر بسعده كليل، و للإسلام فيه رجاء و تأميل، ليس للقلوب عنه مميل، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبقاه الله تعالى و عزمه الماضى لصوله الكفر قامعا، و تديره الناجح لشملة الإسلام جامعا، و ملكه الموفق لنداء الله مطيعا سامعا، معظم مقداره، و ملتزم إجلاله و إكباره، المعتد فى الله بكرم شيمته و طيب نجاره، المستظهر على عدو بإسراعه إلى تدمير الكافر و بداره.

سلام كريم عليكم و رحمة الله و بركاته، أما بعد حمد الله مجيب دعوة السائل، و متقبل الوسائل، و متيح النعم الجلائل، مريح من عامله فى هذا الوجود الزائف الزائل، و الأيام القلائل، بالمتاع الدائم الطائل، و النعيم غير الحائل، و مقيم أود الإسلام المائل، بأولى المكارم من أولياته و الفضائل، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله المنقذ من الغوائل، المنجى من الزوع الهائل، الصادق بدعوة الحق الصائل، بين العشائر و الفصائل، الذى ختم به و برسالته ديوان الرسل و الرسائل، و جعله فى الأواخر شرف الأوائل، فحبه كنز العائل، و الصلاة عليه زكاة القائل، و الرضا عن آله و صحبه و عترته و حزبه تيجان الأحياء و القبائل، المتميزين بكرم السجايا و طيب الشمائل، و الدعاء لمقام أخوتكم فى البكر و الأصائل، بالسعد الصادق المخايل، و الصنع الذى تبرج مواهبه تبرج العقائل، و النصر الذى تهزله الصعاد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٠٤

الملد عطف المترائح المتخايل، فإننا كتبنا إليكم كتب الله لكم عزا يانع الخمائيل، و نصرا يكفل للكتائب المدونة فى الجهاد و مرضاة رب العباد بسرد المسائل و إقناع السائل، من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى! و لا زائد بفضل الله سبحانه إلا استبصار فى التوكل على من بيده الأمور، و تسبب مشروع تتعلق به بإذن الله تعالى أحكام القدر المقذور، و رجاء فيما وعد به من الظهور، يتضاعف على توالى الأيام و ترادف الشهور، و الحمد لله كثيرا كما هو أهله، فلا فضل إلا فضله، و مقامكم المعروف محله، الكفيل بالإرواء نهله و عله، و إلى هذا وصل الله تعالى سعدكم، و حرس مجدكم، و والى النعم عندنا و عندكم، فإننا فى هذه الأيام، أهمنا من أمر الإسلام، ما رنق الشراب و نغض الطعام، و ذاد المنام، لما تحققنا من عمل الكفر على مكائده، و سعى الضلال، و الله الواقى، فى استئصال بقية، و عقد النوادى للاستشارة فى شأنه، و شروع الحيل فى هد أركانه، و من يؤمل من المسلمين لدفع الردى و كشف البلوى و بث الشكوى، و أهله حاطهم الله تعالى و تولاهم، و تتم عوائد لطفه الذى أولاهم، فهو مولاهم، فى غفلة ساهون، و عن المغبة فيه لاهون، قد شغلهم دنياهم عن دينهم، و عاجلهم عن آجلهم، و طول الأمل، عن نافع العمل، إلا من نور الله تعالى قلبه بنور الإيمان و تمللم بمناصحة الله تعالى و الإسلام تمللم السليم، و استدل بالمشاهد على الغائب، و صرف الكفر إلى مطالب الأمم النوائب، فلما رأينا أن الدولة المرينية التى على ممر الأيام شجا العدا، و متوعد من يكيد الهدى، و فته الإسلام التى إليها يتحيز، و كهفه الذى إليه يلجأ، قد أذن الله تعالى

في صلاح أمورها، و لم شععتها، و إقامة صغاها، بأن صرف الله تعالى عنها هنات الغدر، و أراحها من مس الضر، ورد قوسها إلى يد باريها، و صير حقها إلى وارثها، و أقام لرعى مصالحها من حسن الظن بحسبه و دينه، و رحى الخير من ثمرات نصحه، و من لم يعلم إلا الخير من سعيه و السداد من سيرته، و من لا يستريب المسلمون بصحة عقده، و استقامة قصده، أردنا أن نخرج لكم عن العهدة في هذا الدين الحنيف الذي و سمت دعوته و جوه أحبابكم شملهم الله تعالى بالعافية، و تشبثت به أنفس من صار إلى الله تعالى من السلف تغمدهم الله بالرحمة و المغفرة، و في هذا القطر الذي بلاده ما بين مكفول يجب رعيه طبعاً و شرعاً، و جار يلزم حقه ديناً و دنياً و حميةً و فضلاً، و على الحالين فعليكم بعد الله المعول،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٠٥

و فيكم المؤمن، فأرعونا أسمعكم المباركة نقص عليكم ما فيه رضا الله، و المنجاة من نكيره، و الفخر و الأجر و حفظ النعم، و الخلف في الذرية، بهذا وعدت الكتب المنزلة، و الرسل المرسله، و هو أن هذا القطر الذي تعددت فيه المحارِب و المنابر، و الراكع و الساجد و الذاكر، و العابد و العالم و اللفي، و الأرملة و الضعيف، قد انقطع عنه إرفاد الإسلام، و شحت الأيدي به منذ أعوام، و سلم إلى عبدة الأصنام، و قوبلت ضرائرهُ بالأعدار، و المواعيد المستغرقة للأعمار، و إن عرضت شواغل و فتن، و شواغب و إحن، فقد كانت بحيث لا يقطع السبب بجملته، و لا يذهب المعروف بكليته: [الطويل]

و لا بد من شكوى إلى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

و لو كانت الأشغاب تقطع المعروب و تصرف عن الواجب لم يفتح المقدس و الدكم جبل الفتح و هو منازل أخاه بسجلماسه، و لا أمده ولده السلطان أبو عنان و هو بمراكش، و بالأحس بعثنا إلى الجبل و سماته في جملة ما أهمنا مبلغ جهد و سداد من عوز، و قد فضلت عن ضرائرنا أموال فرضت من أجل الله على عباده، و طعام سمحنا به على الاحتياج إليه في سبيل جهاده، فلم يسهم المتغلب منها لجانب الله بحبه، و لا أقطعه منها ذرة مستخفا به جل و علا، متهاونا بنكيره الذي هو أحق أن يخشى، فضاعت الأمور، و اختلت الثغور، و تشذبت الحامية، و تبددت العدد، و خلت المخازن، و هلكت بها الجراذن، و عظمت بها حسرة الإسلام، أضعاف ما عظمت حيرته أيام ما كانت تكفلها همم الملوك الكرام و الخلفاء العظام، و الوزراء و النصحاء، و الأشياخ الأمجاد، قدس الله تعالى أرواحهم! و ضاعف أنوارهم! و لا كالحسرة في الجبل باب الأندلس و ركاب الجهاد و حسنة بني مرين و مآثر آل يعقوب و كرامة الله للسلطان المقدس أبي الحسن والد الملوك و كبير الخلفاء و المجاهدين و الدكم الذي ترد على قبره مع الساعات و الأنفاس و فود الرحمة، و هدايا الزلفة، و ريحان الجنة، فلو لا أنكم على علم من أحواله لشرحنا المجل، و شكلنا المهمل، إنما هو اليوم شيخ مائد، و طلل بائد، لو لا أن الله تعالى شغل العدا عنه بفتنة لم يصرف وجهه إلا إليه، و لا حوم طيره إلا عليه، و لكان بصدد أن يتخذ الصليب داراً، و أن يقر به عينا، و العدة فضلاً عن الأندلس، قد أوسعها شراً، و أرهق ما يجاوره عسراً، نسأل الله تعالى بنور وجهه أن لا يسود الوجوه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٠٦

بالفجع فيه، و لا يسمع المسلمين الثكلة، و ما دونه فهو- و إن أنعش بالتعليل عليه، و وقع بالجهد خلقه- لحم على وضم، إلا أن يصل الله تعالى وقايته، و يوالى دفاعه و عصمته، لا إله إلا هو الولي النصير، و ما زلنا نشكو إلى غير المصمت، و نمذ اليد إلى المدبر عن الله المعرض، و نخطب له زكاة الأموال من المباني الضخمة، و الخزائن الثرة، و الأهرام الطامية، و الحظ التافه من المفترض برسمه، فتمضى الأيام لا تزيد الضرائر فيها إلا ضيقاً، و لا الأحوال إلا شدة، و لا الثغر إلا ضعفة، و لا نعلم أن نظراً وقع له فكراً أعمل فيه إلا ما كان من تسخير رعيته الضعيفة، و بلالة مجباه السخيفة، في بناء قصر بمنت ميور من جباله:

[الخفيف]

شاده مرمزا و جلله كل سا فلطير في ذراه و كور

جلب إليه الزليج، و اختلفت فيه الأوضاع في رأس نيق، لأمل نزوة، و سوء فكرة، فلما تم أقطع الهجران، فهو اليوم ممتنع البوم و حظ

الخراب، فلا حول ولا قوة إلا بالله، حتى جاء أمر الله خالى الصحيفة من البر، صفر اليد من العمل الصالح، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله الإلهام والسداد، والتوفيق والرشاد، وقد بذلنا جهدنا قولاً وفعلاً، وموعظةً ونصحة، واستدعينا لتلك الجهة صدقة المسلمين محمولة على أكتاد العباد الضعفاء الذين كانت صدقات فاتحيه رضى الله تعالى عنهم ترفدهم، ونوافلهم تتعهدهم، فما حرك ذلك الجوار حلوبا، ولا استدعى مطلوباً، ولا رفداً مجلوباً، فإلى متى تنضى ركاب الصبر وقد بلغ الغاية، واستنفد البلاء، بعد أن أعاد الله تعالى العهد، وجبر المال، وأصلح السعى، وأجرى ينابيع الخير، وأنشق رياح الإقالة، وجملة ما نريد أن نقرره فهو الباب الجامع، والقصد الشامل، والداعى والباعث أن صاحب قشتالة لما عاد إلى ملكه، ورجع إلى قطره، جرت بيننا وبينه المراسلة التى أسفرت بعدم رضاه عن كدحنا لنصره، ومظاهرتنا إياه على أمره، وإن كنا قد بلغنا جهداً، وأبعدنا وسعاً، وأجلت عن شروط ثقيلة لم نقبلها، وأغراض صعبة لم نكملها، ونحن نتحقق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٠٧

إنه إما أن تهيج حفيظته، وتثور إحتته، فيكشف وجه المطالبة مستكثراً بالأمة التى داس بها أهل قشتالة، فراجع أمره غلاباً، وحقه ابتزازاً واستلاباً، أو يصرفها ويهادن المسلمين بخلال ما لا يدع جهة من جهات دينه الغريب إلا عقد معها صلحاً، وأخذ عليها بإعانتها إياه عهداً، ثم تفرغ إلى شفاء غليله، وبلوغ جهده، ولا شك أنها تجيبه صرفاً لبأسه عن نحورها، ومقارضة كما وقع باطريره من مضيق صدورها، ومؤسف جمهورها، وكل من له دين ما فهو يحرص على التقرب إلى من دانه به وكلفه وظائف تكليف، رجاء لو عده و خوفاً من وعيده، وبالله ندفع ما لا نطبق من جموع تداعت من الجزر و وراء البحور و البر المتصل الذى لا تقطعه الرفاق، ولا تحصى ذرعه الحذاق، وقد أصبحنا بدار غربة، ومحل روعة، ومفترس نبوة، ومظنة فتنة، والإسلام عدده قليل، ومنتجعه فى هذه البقعة جديب، وعهده بالإرفاد والإمداد من المسلمين بعيد، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا [البقرة: ٢٨٦] إلى آخر السورة.

وإذا تداعت أمم الكفر نصره لدينها المكذوب، وحمية لصلبيها المنصوب، فمن يستدعى لنصر دين الله وحفظ أمانته نبيه إلا أهل ذلك الوطن؟ حيث المآذن بذكر الله تعالى تملأ الآفاق، وكلمة الإسلام قد عمت الربا والوهاد، إنما الإسلام غريق قد تشبث بأهدابكم، يناشدكم الله فى بقية الرمق، وقبل الرمى تراش السهام، وهذا أوان الاعتناء، واختيار الحماة، وإعداد الأقوات، قبل أن يضيق المجال، وتمنع الموانع، وقد وجهنا هذا الوفد المبارك للحضور بين يديكم مقرراً الضرورة، منهيها الرغبة، مذكراً بما يقرب عند الله، مذكراً لذمام الإسلام، جالبا على من وراءهم بحول الله تعالى من المسلمين البشرى التى تشرح الصدور، وتسنى الآمال، وتستدعى الدعاء والثناء، فالؤمن كثير بأخيه، ويد الله مع الجماعة، والمسلمون يد على من سواهم، والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، والتعاون على البر والتقوى مشروع، وفى الذكر الحكيم مذكور، وحق الجار مشهور، وما كان جبريل يوصى به فى الصحيح مكتوب، وكما راع المسلمين اجتماع كلمة الكفر، فترجو أن يروغ الكفر من العز بالله، وشد الحيازيم فى سبيل الله، ونفير النفرة لدين الله، والشعور لحماية الثغور وعمرانها، وإزاحة غلها، و جلب الأقوات إليها، وإنشاء الأساطيل، و جبر ما تلف من عدة البحر أمور

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٠٨

تدل على ما وراءها، وتخبر بمشيئة الله تعالى عما بعدها، وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى [البقرة: ١٩٦] و من خطب على رضى الله تعالى عنه: أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه رهبةً ألبسه الله تعالى سيما الخسف، و سمه بالصغار، و ما بعد الدنيا إلا الآخرة، و ما بعد الآخرة إلا إحدى دارى البقاء، أفى الله شك؟

وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر: ٩] والاعتناء بالجبل عنوان هذا الكتاب، ومقدمة هذا الباب، والغفلة عنه منذ أعوام قد صيرتنا لا- نفع باليسير، وقد أبرمته المواعيد، وغير رسومه الانتظار، و من المنقول «ارحموا السائل و لو جاء على فرس» و الإسراف فى الخير أرجح فى هذا المنحل من عكسه، و كان بعض الأجواد يقول وقد أقر: اللهم هب لى الكثير، فإن حالى لا تقوم

على القليل، و عسى أن يكون النظر له بنسبة الغفلة عنه، و الامتعاض له مكافئا للإزراء به، و خلو البحر يغتم لإمداده و إرفاده، قبل أن يثوب نظر الكفر إلى قطع المدد و سد البحر، و من ضيع الحزم ندم، و لا عذر لمن علم، و الله عز و جل يطلع من قبلكم على ما فيه شفاء الصدور، و جبر القلوب، و شعب الصدوع، و ما نقص مال من صدقة، و طعام الواحد كافي الاثنين، و الدين دينكم، و البلاد بلادكم، و محل رباطكم و جهادكم، و سوق حسناتكم، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: ٧، ٨] و قد قلنا العهد الحفيظ علينا، المصروف العناية بفضل الله تعالى إلينا، و الله المستعان، و عليه التكلان؛ و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته؛ انتهى.

و في اعتقادي أن هذا المكتوب للسلطان أبي فارس عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن المريني؛ و أن المراد بالمتغلب الوزير عمر بن عبد الله ظفر به أبو فارس المذكور و استقل بالملك بعد محو أثره؛ حسبما ذكرناه في غير هذا المحل؛ و الله سبحانه أعلم.

[من إنشاء لسان الدين لاستنهاض صاحب فاس لنصرة الأندلس]

و من إنشاء لسان الدين على لسان سلطانه في استنهاض عزم صاحب فاس السلطان المريني لنصرة الأندلس، ما نصه: المقام الذى يؤثر حظ الله إذا اختلفت الحظوظ و تعددت المقاصد، و يشرع الأذى منه إذا تفاضلت المشاريع و تمايزت الموارد، و تشمل عادة حلمه و فضله الشارد، و يسع وارف ظله الصادر و الوارد، و الغائب و الشاهد، و يعيد من نصر الله للإسلام العوائد، و يسد الذرائع و يدّر الفوائد، مقام محل أختنا الذى حسنت فى الملك سيره، و تعاضد فى الفضل خبره و خبره، و دلت شواهد مداركه للحقوق، و تغمده للعقوق، على أن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٠٩

الله تعالى لا يهمله و لا يذره، فسلك فخره متسقة درره، و وجه ملكه شادخة غرره، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله رفيعا علاؤه! هامية لديه منن الله تعالى و آلاؤه! مزدانه بكواكب السعد سماؤه! محروسه بعز النصر أرجاؤه! مكلاما من فضل الله تعالى فى نصر الإسلام، و كبت عبدة الأصنام، أمله و رجاؤه! معظم قدره الذى يحق له التعظيم، و موقر سلطانه الذى له الحساب الأصيل و المجد الصميم، الداعى إلى الله تعالى باتصال سعاده حتى ينتصف من عدو الإسلام الغريم، و يتاح على يد سلطانه الفتح الجسيم، فلان.

سلام كريم، طيب عميم، و رحمة الله و بركاته.

أما بعد حمد الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا، و لا يخيب لمن أخلص الرغبة إليه أملا، و موفى من ترك له حقه أجره المكتوب متمما مكلاما، و جاعل الجنة لمن اتقاه حق تقاته نزلا، ملك الملوك الذى جل و علا، و جبار الجبابرة الذى لا يجدون عن قدره محيصا و لا من دونه موثلا، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد الذى أنزل الله تعالى عليه الكتاب مفضيلا، و أوضح طريق الرشد و كان مغفلا، و فتح باب السعادة و لولاه كان مقفلا، و الرضا عن آله و أصحابه، و عترته و أحزابه، الذين ساهموا فيما مَرَّ و ما حلا، و خلفوه من بعد بالسير التى راقت مجتلى، و رفعوا عماد دينه فاستقام لا يعرف ميلا، و كانوا فى الحلم و العفو مثلا، و الدعاء لمقامكم الأسمى بالنصر الذى يلقى نصه صريحا لا متأولا، و الصنع الذى يبهر حالا و مستقبلا، و العز الذى يرسو جبلا، و السعد الذى لا يبلغ أمدا و لا أجلا، فإننا كتبناه إليكم أصحاب الله تعالى ركابكم حلف التوفيق حلا و مرتحلا، و عرفكم عوارف اليمن الذى يثير جدلا، و يدعو وافد- الفتح المبين فيرد مستعجلا، من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى و لا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من التشيع لمقامكم حرس الله تعالى سلطانه، و مهد أوطانه، إلا الخير الذى نسأل بعده تحسين العقبي، و توالى عادة الرحى، و الحمد لله على التى هى أزكى، و سدل جناح الستر الأضفى، و صلة اللطائف التى هى أكفل و أكفى، و أبر و أوفى، و مقامكم عندنا العدة التى بها نصول و نرهب، و العمدة التى نطيل فى ذكرها و نسهب، و قد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣١٠

أوفدنا عليكم كل ما زاد لدينا، أو فتح الله تعالى به علينا، ونحن مهما شد المخيق بكم نستنصر، أو تراخي ففى ودكم نستبصر، أو فتح الله تعالى فأبوابكم نهني و نبشر، و قررنا عندكم أن العدو في هذه الأيام توقف عن بلاد المسلمين فلم نصل منه إليها سرية، و لا بطشت له يد جريئة، و لا افترت من تلقائه ثنية، و لا ندرى أ لمكيدة تدبر، أم آراء تنقض بحول الله و تتبر، أو لشاغل فى الباطن لا يظهر، و بعد ذلك وردت على بابنا من بعض كبارهم، و زعماء أقطارهم، مخاطبات يندبون فيها إلى جنوحها للسلم فى سبيل النصح، لأباد سلفت منيا لهم قررهما، و رسائل ذكرها، فلم يخف عنا أنه أمر دبر بليل، و خيبة تحت ذيل، فظهر لنا أن نسبر الغور، و نستفسر الأمر، فوجهنا إليه، على عادتنا مع سلفه لنعبر ما لديه، و نظر إلى بواطن أمره، و نبحت عن زيد قومه و عمره، فتأتى ذلك و جر مفاوضة فى الصلح أعدنا لأجلها الرسالة، و استشعرنا البسالة، و وازنا الأحوال و اخترنا، و اعترزنا فى الشروط ما قدرنا، و نحن نرتقب ما يخلق الله تعالى من مهاندنة تحصل بها الأفوات المهيأة للانتساف، و تسكن ما ساء البلاد المسلمة من هذا الإرجاف، و نفرغ الوقت لمطاردة هذه الآمال العجاف، أو حرب يبلغ الاستبصار فيه غايته، حتى يظهر الله تعالى فى نصر الفئة القليلة آيته، و لم نجعل سبب الاعتزاز فيما أوردناه، و شموخ الأنف فيما أصدرناه، إلا ما أشعنا من عزمكم على نصره الإسلام، و ارتقاب حقوق الأعلام، و النهوض إلى دعوة الرسول عليه الصلاة و السلام، و أن الأرض حمية لله تعالى قد اهترت، و النفرة قد غلبت النفوس و استفتزت، و استظهرنا بكتبتكم التى تضمنت ضرب المواعد، و شمردت عن السواعد، و أن الخيل قد أطلقت إلى الجهاد فى سبيل الله الأعنة، و الثنايا سدتها بروق الأسنه، و فرض الجهاد قد قام به المؤمنون، و الأموال قد سمح بها المسلمون، و هذه الأمور التى تمشت بقربها أو بعيدها أحوال الإسلام، و الأمانى المععدة لتزجية الأيام، ثم اتصل بنا الخبر الكارث بما كان من حور العزائم المؤمنة بعد كورها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣١١

و تسويف مواعد النصره بعد استشعار فورها، و أن الحركة معمله إلى مراكش الجهة التى فى يديكم زمامها، و إليكم و إن تراخي الطول ترجع أحكامها، و القطر الذى لا يفوتكم مع الغفلة، و لا يعجزكم عن الصولة، و لا يطلبكم إن تركتموه، و لا يمنعكم إن طرقتموه و عركتموه، فسقط فى الأيدي الممدودة، و اختلفت المواعد المحدودة، و خست الأبصار المرتقبة، و رجفت المعائل الأشبه، و ساءت الظنون، و ذرفت العيون، و أكذب الفضلاء الخبير، و نفوا أن يعتبر، و قالوا: هذا لا يمكن حيث الدين الحنيف، و الملك المنيف، و العلماء الذين أخذ الله تعالى ميثاقهم، و حمل النصيحة أعناقهم، هذا المفترض الذى يبعد، و القائم الذى يقعد، يأباه الله تعالى و الإسلام، و تأباه العلماء الأعلام، و تأباه المآذن و المنابر، و تأباه الهمم و الأكابر، فبادرنا نستطلع طلع هذا النبأ الذى إذا كان باطلا فهو الظن، و لله المن، و إن كان خلافه لرأى ترجيح، و تنفق بقرب الملك و تبجح، فنحن نوفد كل من يقدم إلى الله تعالى بهذا القطر فى شفاعه، و يمد إليه كف ضراعه، و من يوسم بصلاح و عباده، و يقصد فى الدين بث إفاده، يتطارحون عليكم فى نقض ما أبرم، و نسخ ما أحكم، فإنكم تجنون به على من استنصركم عكس ما قصد، و تحلون عليه ما عقد، و هب العذر يقبل فى عدم الإعانة، و ضرورة الاستعانة و الاستكانة، أى عذر يقبل فى الإطراح، و الإعراض الصراح؟ كأن الدين غير واحد، كأن هذا القطر لكلمة الإسلام جاحد، كأن ذمام الإسلام غير جامع، كأن الله غير راء و لا سامع، فنحن نسألكم الله الذى تساءلون به و الأرحام، و نأنف لكم من هذا الإحجام، و نتطرح عليكم أن تتركوا حظكم فى أهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيننا و بين العدو الذى يتكالب علينا بإدباركم، بعد ما تضائل لاستنفاركم و لا نكلفكم غير اقتراب داركم، و ما سامكم المسلمون بها شططا، و لا حملوكم إلا قصدا و سطا، و ما ذهبتم إليه لا يفوت، و لا يبعد و قد تجاوزت البيوت، إنما الفئات ما وراءكم، من حديث تأنف من سماعه أو ذؤاؤكم، و دين يشمت به أعداؤكم، فأسعفوا بالشفاعة فيمن بتلك الجهة المراكشية قصدنا، و حاشا إحسانكم أن يرى فيه ردنا، و أنتم بعد بالخيار فيما يجريه الله على يديكم من قدره، أو يلهمكم إليه من نصره،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣١٢

و جوابكم مرتقب بما يليق بكم، و يجمل بحسبكم، و الله سبحانه يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، و السلام الكريم عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته.

[و من إنشاء لسان الدين في مخاطبة سلطان فاس أيضا، في المعنى السابق]

و من إنشاء لسان الدين أيضا في مخاطبة سلطان فاس و المغرب على لسان سلطان غرناطة فيما يقرب من الأثناء السابقة، ما نصه:
المقام الذي أقمار سعده في انتظام و اتساق، و جياذ عزه إلى الغاية القصوى ذات استباق، و القلوب على حبه ذات اتفاق، و عناية الله تعالى عليه مديدة الزواق، و أياديه الجمّة في الأعناق، أزم من الأطواق، و أحاديث مجده سمر النوادي و حديث الرفاق، مقام محل أينا الذي شأن قلوبنا الاهتمام بشأنه، و أعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبقاه الله تعالى و الصنائع الإلهية تحط ببابه، و الألفاظ الخفية تعرّس في جنبه، و النصر العزيز يحفّ بركابه، و أسباب التوفيق متصلّة بأسبابه، و القلوب الشجية لفرقة مسرورة باقترابه، معظم سلطانه الذي له الحقوق المحتومة، و الفواضل المشهورة المعلومة، و المكارم المسطورة المرسومة، و المفخر المنسوقة المنظومة، الداعي إلى الله تعالى في وقاية ذاته المعصومة، و حفظها على هذه الأمة المرحومة، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر.

سلام كريم، طيب برّ عميم، كما سطعت في غيب الشدة أنوار الفرج، و هبت نواسم أطاف الله عاطرة الأرج، يخص مقامكم الأعلى، و رحمة الله و بركاته.

أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد اعتكارها، و مقيل الأيام من عثارها، و مزين سماء الملك بشموسها المحتجبة و أقمارها، و مريح القلوب من وحشة أفكارها، و منشئ سحاب الرحمة على هذه الأمة بعد افتقارها، و شدة اضطرابها و اضطرارها، و متداركها باللفظ الكفيل بتمهيد أوطانها و تيسير أوطارها، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله صفوة النبوة و مختارها، و لباب مجدها السامى و نجارها، نبى الملاحم و خائض تيارها، و مذهب رسوم الفتن و مطفى نارها، الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها، حتى بلغت كلمة الله ما شاءت من سطوع أنوارها، و وضوح آثارها، و الرضا عن آله و أصحابه الذين تمسكوا بعهدده على إجلال الحوادث و إمرارها، و باعوا نفوسهم فى إعلاء دعوته الحنيفية و إظهارها، و الدعاء لمقامكم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣١٣

الأعلى باتصال السعادة و استمرارها، و انسحاب العناية الإلهية و إسدال أستارها، حتى تقف الأيام ببابكم موقف اعتذارها، و تعرض على مثابنتكم ذنوبها رغبة فى اغتفارها، فإننا كتبنا إليكم كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب إسعاده، و عزّفكم عوارف الآلاء فى إصدار أمركم الرفيع و إيراده، و أرجى الفلك الدوار بحكم مراده، و جعل العاقبة الحسنى كما وعد به محكم كتابه المبين للصالحين من عباده، من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى، و ليس بفضل الله الذى عليه فى الشدائد الاعتماد، و إلى كنف فضله الاستناد، ثم بركة جاه نبينا الذى وضح بهدايته الرشاد، إلا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها، و تخبر سيماها بطلوع السعود و استقبالها، و تدلّ مخايل يمنها على حسن مآلها، لله الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها، و نستدرّ عذب زلالها، و عندنا من الاستبشار باتساق أمركم و انتظامه، و السرور بسعادة أيامه، و الدعاء إلى الله تعالى فى إظهاره و إتمامه، ما لا تفى العبارة بأحكامه، و لا تتعاطى حصر أحكامه، و إلى هذا أيد الله تعالى أمركم و علاه، و صان سلطانكم و تولاه، فقد علم الحاضر و الغائب، و خلص الخلوص الذى لا تغيّره الشوائب، ما عندنا من الحب الذى وضحت منه المذاهب، و أننا لما اتصل بنا ما جرت به الأحكام من الأمور التى صحبت مقامكم فيها العناية من الله و العصمة، و جعل على العباد و البلاد الوقاية و النعمة، لا يستقر بقلوبنا القرار، و لا تتأتى بأوطاننا الأوطار، تشوّفا لما تتيحه لكم الأقدار، و يبرزه من سعادتكم الليل و النهار، و رجأؤنا فى استئناف سعادتكم يشد على الأوقات و يقوى، علما بأن العاقبة للتقوى، و فى هذه الأيام عميت الأنباء، و تكالبت فى البر و البحر الأعداء، و اختلفت الفصول و

الأهواء، و عاقت الوارد الأنواء، و على ذلك من فضل الله الرجاء، و لو كنا نجد للاتصال بكم سببا، أو نلقى لإعانتكم مذهباً، لما شغلنا البعد الذى بيننا اعترض، و العدو بساحتنا فى هذه الأيام ربض، و كان خديمكم الذى رفع من الوفاء راية خافقة، و افتنى منه فى سوق الكساد بضاعة نافقة، الشيخ الأجل الأوفى، الأودّ الأخلص الأصفى، أبو محمد ابن أحبانا سنى الله مأموله، و بلغه من سعادة أمركم سوله، و قد ورد على بابنا، و تحيز إلى اللحاق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣١٤

بجانبنا، ليتيسر له من جهتنا القدوم، و يتأتى له بإعانتنا الغرض المروم، فبينما نحن ننظر فى تميم غرضه، و إعانتة على الوفاء الذى قام بمفترضه، إذ اتصل بنا خير قرقورتين من الأجنان التى استعنتم بها على الحركة، و العزيمة المقترنة بالبركة، حطت إحداها بمرسى المنكب و الأخرى بمرسى المريّة، فى كنف العناية الإلهية، فتلقينا من الواصلين فيها الأنباء المحققة بعد التباسها، و الأخبار التى يغنى نصّها عن قياسها، و تعرفنا ما كان من عزمكم على السفر، و حركتكم المعروفة باليمن و الظفر، و أنكم استخرتم الله تعالى فى اللحاق بالأوطان التى يؤمن قدومكم خائفها، و يؤلف طوائفها و يسكن راجفها، و يصلح أحوالها، و يسكن أهوالها، و أنكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور، و السعد الموفور، و اليمن الرائق السفور، و الأسطول النصور، فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها، و نهوض طيور الرجاء من وكونها، و استبشار الأمة المحمدية منكم بقرّة عيونها، و تحقق ظنونها، و ارتياح البلاد إلى دعوتكم التى ألبستها ملابس العدل و الإحسان، و قلدها قلائد السير الحسان، و ما منها إلا من باح بما يخفيه من وجده، و جهر بشكر الله تعالى و حمده، و ابتهل إليه فى تيسير غرض مقامكم الشهير و تميم قصده، و استثناس نور سعده، و كم مطل الانتظار بديون آمالها، و المطاوله من اعتلالها، و أما نحن فلا تسألوا عمن استشعر دنوّ حبيبه، بعد طول مغيبه، إنما هو صدر راجعه فؤاده، و طرف ألفه رقاد، و فكر ساعده مراده، فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا إلى إنجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور من الوعد، و اغتطنا ميقات هذا السعد، ليصل سببه بأسبابكم، و يسرع لحاقه بجانبكم، فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى أسبابها، و يفتح بניתكم الصالحة أبوابها، و قد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذى ندين له بالتشيع الكريم الودد، و نصل له على بعد المزار و نزوح الأقطار سبب الاعتداد، ما يغنى عن القلم و المداد، و قد ألقينا إليه من ذلك كله ما يلقى به إلى مقامكم الرفيع العماد، و كتبنا إلى من بالسواحل من ولاتنا نحدّ لهم ما يكون عليه عملهم فى برّ من يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمة، ذات الحقوق العظيمة و الأيادى الحديثة و القديمة، و هم يعملون فى ذلك بحسب المراد، و على شاكله جميل الاعتقاد، و يعلم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣١٥

الله تعالى أننا لو لم تعق العوائق الكبيرة، و الموانع الكثيرة، و الاعداء الذين دهيت بهم فى الوقت هذه الجزيرة، ما قدمنا عملا على اللحاق بكم، و الاتصال بسبيكم، حتى نوفى لأبوتكم الكريمة حقها، و نوضح من المسرة طرقها، لكن الأعذار واضحة و ضوح المثل السائر، و الله العالم بالسرائر، و إلى الله تعالى نبتهل فى أن يوضح لكم من التيسير طريقا، يجعل السعد لكم مصاحبا و رفيقا، و لا يعدمكم عناية منه و توفيقا، و يتم سرورنا عن قريب بتعرف أنبائكم السارة، و سعودكم الدارة، فذلك منه سبحانه غاية آمالنا، و فيه إعمال ضراعتنا و ابتهالنا، هذه ما عندنا بادرنا لإعلامكم به أسرع البدار، و الله تعالى يوفد علينا أكرم الأخبار، بسعادة ملككم السامى المقدار، و ييسر ماله من الأوطار، و يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته، انتهى.

و كان طاغية النصارى الملعون لكثرة ما مارس من أمور الأندلس و سلاطين فاس كثيرة ما يدسّ لأقارب الملوك القيام على صاحب الأمر، و يزين له الثورة، و يعده بالإمداد بالمال و العدة، و قصده بذلك كله توهين المسلمين، و إفساد تدبيرهم، و نسخ الدول بعضها ببعض، لما له فى ذلك من المصلحة، حتى بلغ أبعده الله تعالى من أمله الغاية.

و من إنشاء لسان الدين بن الخطيب- رحمه الله تعالى!- عن سلطان الأندلس إلى سلطان فاس المريني، يعتذر عن فرار الأمير أبي الفضل المريني الذي كان معتقلا بغرناطة، فتحيل الطاغية في أمره حتى خرج طالبا للملك، ما نصه:

المقام الذى شهد الليل والنهار بأصالة سعادته، و جرى الفلك الدوار بحكم إرادته، و تعود الظفر بمن يناويه فاطرد و الحمد لله جريان عادته، فوليه متحقق لإفادته، و عدوه مرتقب لإبادته، و حلل الصنائع الإلهية تضسفو على أعطاف مجادته، مقام محل أخينا الذى سهم سعده صائب، و أمل من كاده خاسر خائب، و سير الفلك المدار فى مرضاته دائب، و صنائع الله تعالى له تصحبها الألفاظ العجائب، فسيان شاهد منه فى عصمة و غائب، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبقاه الله تعالى مسدد السهم! ماضى العزم! تجل سعوده عن تصور الوهم! و لا زال مرهوب الحد ممتثل الرسم! موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم! فائزا بفلج الخصام عند لد الخصم! معظم قدره، و ملتزم بره، المبتهج بما يسببه الله تعالى له من إعزاز نصره، و إظهار أمره، فلان.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣١٦

سلام كريم، طيب برعميم، يخص مقامكم الأعلى، و مثابتمكم الفضلى، التى حازت فى الفخر الأمد البعيد، و فازت من التأييد و النصر بالخط السعيد، و رحمة الله تعالى و بركاته.

أما بعد حمد الله الذى فسح لملككم الرفيع فى العزمى، و عرفه عوارف آلائه و عوائد النصر على أعدائه يوما و غدا، و حرس سماه علائه بشهب ما قدره و قضائه فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً [الجن: ٩] و جعل نجح آماله و حسن مآله قياسا مطردا، فرب مرید ضره ضر نفسه و هاد إليه أهدي و ما هدى، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد نبيه و رسوله الذى ملأ الكون نورا و هدى، و حيا مراسم الحق و قد صارت طرائق قدا، أعلى الأنام يدا، و أشرفهم محتدا، الذى بجاهه نلبس أثواب السعادة جدد، و نظفر بالنعيم الذى لا ينقطع أبدا، و الرضا عن آله و أصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا، و أوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا، و تقبلوا شيمه الطاهرة ركعا و سجدا، سيوفا على من اعتدى، و نجوما لمن اهتدى، حتى علت فروع ملته سعدا، و أصبح بناؤها مديدا مخلدا، و الدعاء لمقامكم الأسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى و موحدا، كما جمع لملككم ما تفرق من الألقاب، على توالى الأحقاب، فجعل سيفكم سقا و علمكم منصورا و رأيكم رشيدا و عزمكم مؤيدا، فإننا كتبنا إليك كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للإسلام خلدا، و نصرا يقيم للدين الحنيف أودا، و عزما يملأ أفئدة الكفر كمد، و جعلكم ممن هيا له من أمره رشدا، و يسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى كتابه العزيز و الله أصدق موعدا، من حمراء غرناطة حرسها الله و لا زائد بفضل الله سبحانه إلا استطلاع سعودكم فى آفاق العناية، و اعتقاد جميل صنع الله فى البداية و النهاية، و العلم بأن ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآية، و أجرى جيا السعد فى ميدان لا يحد بغاية، و خرق حجاب المعتاد بما لم يظهر إلا لأصحاب الكرامة و الولاية، و نحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطف، و يسدل عليه من العصمة سجفا نقاسمه الارتياح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣١٧

لمواقع نعم الله تعالى نصفا و نسا، و نعقد بين أبناء مسرته و بين الشكر لله حلفا، و نعدّ التشيع له مما يقربنا إلى الله زلفى، و تؤمل من إمداده و نرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين و يكفى، و تروى غلل النفوس و تشفى، و إلى هذا وصل الله سعدكم، و والى نصركم و عضدكم، فإننا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الآمال، و الاغترار بموارد الآل، و قال رأيه فى اقتحام الأهوال، و تورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الأحوال، و ناصب من أمركم السعيد جبلا- قضى الله له بالاستقراء، و الاستقبال، و من ذا يزاحم الأطواد و يزحج الجبال؟ و أخلف الظن منا فى وفائه، و أضمر عملا استأثر عنا بإخفائه، و استعان من عدو الدين بمعين قلما يورى لمن استنصر به رند، و لا- خفق لمن تولاه بالنصر بند، و إن الطاغية أعانه و أنجده و رأى أنه سهم على المسلمين سدده و غضب للفتنة جرّده، فسخر له الفلك، و أمل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك، فأورده الهلك و الظلم الحلك، علمنا أن طرف سعاده كاب، و سحاب آماله غير ذات انسكاب، و قدم عزته لم يستقر من السداد فى غرز ركاب، فإن نجاح أعمال

النفوس مرتبط بتبائنها، و غايات الأمور تظهر في بداياتها، و عوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لا تجهل، و من غالب أمر الله خاب منه المعول، فينما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة، و خمود تلك الشعلة الموقودة، وصلنا كتابكم يشرح الصدور و يشرح الأخبار، و يهدى طرف المسرات على أكف الاستبشار، و يعرب بلسان حال المسارعة و الابتدار، عن الود الواضح و ضوح النهار، و التحقق بخلوصنا الذي يعلمه عالم الأسرار، فأعاد في الإفادة و أبدى، و أسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى، فعلم منه مآل من رام أن يقدح زند الشتات من بعد الالتتام، و يثير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام، هيهات تلك قلادة الله تعالى التي ما كان يتركها بغير نظام، و لم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حباله لا يفلتها قنيص، و سدّتم له من السعد سهما ما له عنه من محيص، بما كان من إرسال جوارح الأسطول السعيد في مطاره، حائلا- بينه و بين أوطاره، فما كان إلا التسمية و الإرسال، ثم الإمساك و القتال، ثم الاقتيات و الاستعمال، فيا له من زجر استنطق لسان الوجود فجذله، و استنصر البحر فخذله، و صارع القدر فجذله لما جد له، و إن خدامكم استولوا على ما كان فيه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣١٨

من مؤمل غاية بعيدة، و منتسب إلى نسبة غير سعيده، و شانيء غمرته من الكفار، خدام الماء و أولياء النار، تحكمت فيهم أطراف العوالي و صدور الشفار، و تحصل منهم من تخطاه الحمام في قبضة الإسار، فعجبنا من تيسير هذا المرام، و إخماد الله لهذا الضرام، و قلنا: تكييف لا يحصل في الأوهام، و تسديد لا تستطيع إصابته السهام، كلما قدح الخلاف زندا أطفأ سعدكم شعلته، أو أظهر الشتات ألما أبرأ يمن طائركم علتة، ما ذاك إلا- لنية صدقت معاملتها في جنب الله تعالى و صحت، و استرسلت بركتها و سحت، و جهاد نذرتموه إذا فرغت شواغلكم و تمت، و اهتمام بالإسلام يكفيه الخطوب التي أهّمت، فنحن نهنيكم بمنح الله و مننه و نسأله أن يلبسكم من إعانته أوقى جنه، فأملنا أن تطرد آمالكم، و تنجح في مرضاة الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التي يدفع العدو بسلاحها، و تنبلج ظلمات صفاحها، و كيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود، و بأفاقنا تطلع منه السعود، فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذي رسومه قد استقلت و اكتفت، و ديمه بساحة الود قد و كفت، و الله عز و جل يجعل لكم الفتوح عادة، و لا يعدمكم عناية و سعادة، و هو سبحانه يعلى مقامكم، و ينصر أعلامكم، و يهني الإسلام أيامكم، و السلام الكريم يخصصكم، و رحمة الله و بركاته. انتهى.

و كان سلطان الأندلس في الأزمان المتأخرة كثيرا ما يشم أرج الفرج في سلم الكفار و مهادنتهم، حيث لم يقدر في الغالب على مقاومتهم، و لذلك لما قتل السلطان أبو الحجاج الذي كان لسان الدين كاتبه و وزيره، و قام بالأمر بعده ابنه محمد الغنى بالله الذي ألقى مقاليد لسان الدين- أكد أمر السلم، و انتظم ما يبرمه القضاء الجزم، و القدر الحتم.

[و من إنشاء لسان الدين على لسان الفتى مخاطبا لسلطان فاس و المغرب أبي عنان]

و من إنشاء لسان الدين في ذلك على لسان الغنى مخاطبا لسلطان فاس و المغرب أبي عنان ما صورته:
المقام الذي يغنى عن كل مفقود بوجوده، و يهز إلى جميل العوائد أعطاف بأسه وجوده، و نستضيء عند إظلام الخطوب بنور سعوده،
و نرث من الاعتماد عليه أسنى ذخر يرثه الولد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣١٩

عن آباءه و جدوده، مقام محل أبين الذي رعى الأذمة شأنه، و ضلة الرعى سجية انفرد بها سلطانه، و مواعد النصر ينجزها زمانه، و القول و الفعل في ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة و لسانه، و تطابق فيهما إسراره و إعلانه، السلطان الكذا بين السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبقاه الله تعالى محروسا من غير الأيام جنبه، موصولة بالوقاية الإلهية أسبابه، مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى و حجاب، مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بؤابه، و لا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التي تدخرها لأولادها أولياؤه و أحبابه، و يسطر في صحف الفخر ثوابه، و تشتمل على مكارم الدين و الدنيا أثوابه، و تتكفل بنصر الإسلام و جبر القلوب عند

طوارق الأيام كتأبه و كتأبه، معظم ما عظم من حقه السائر من إجلاله و شكر خلاله على لاحب طرقة، المستضىء في ظلمة الخطب بنور أفقه، الأمير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر.

سلام كريم، طيب بر عميم، يخص مقامكم الأعلى، و رحمة الله تعالى و بر كاته.

أما بعد حمد الله الذي لا راد لأمره و لا معارض لفعله، مصرف الأمر بقدرته و حكمته و عدله، الملك الحق الذي بيده ملاك الأمر كله، مقدر الآجال و الأعمال فلا يتأخر شيء عن ميقاته و لا يبرح عن محله، جاعل الدنيا مناخ قلعة لا يغتبط العاقل بمائه و لا بظله، و سبيل رحلة فما أكتب ظعنه من حله، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد صفوة خلقه و خيرة أنبيائه و سيد رسله، الذي نعصم بسببه الأقوى و نتمسك بحبله، و نمديد الافتقار إلى فضله، و نجاهد في سبيله من كذب به أو حاد عن سبله، و نصل إليه ابتغاء مرضاته و من أجله، و الرضا عن آله و أحزابه و أنصاره و أهله، المستولين من ميدان الكمال على خصله، و الدعاء لمقامكم الأعلى بعز نصره و مضاء فضله، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله تعالى لكم وقاية لا تطرق الخطوب حماها، و عصمة ترجع عنها سهام النوائب كلما فوّقها الدهر و رماها، و عناية لا تغير الحادث اسمها و لا مسماها، و عزا يزاحم أجرام الكواكب منتماها! - من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى و نعم الله سبحانه تتواتر لدينا دفعا و نفعاً، و أطفاه نتعرفها و ترا و شفعا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٢٠

و مقامكم الأبوي هو المستند الأقوى، و المورد الذي ترده آمال الإسلام فتروى، و تهوى إليه أفئدتهم فتجد ما تهوى، و مثابتم العدة التي تأسست مبانيها على البر و التقوى، و إلى هذا وصل الله تعالى سعدكم، و أبقى مجدكم، فإننا لما نعلم من مساهمة مجدكم التي تقتضيها كرام الطباع و طباع الكرم، و تدعو إليها ذمم الرعى و رعى الذمم، نعرفكم بعد الدعاء لملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه، و إمتاع المسلمين ببقائه، بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه الله تعالى بالشهادة، التي ألبسه حلتها، و الشهادة التي في أعماله الزكية كتبها، و الدرجة العالية التي حتمها له و أوجبها، و بما تصير إلينا من أمره، و ضم بنا من نشره، و سدل على من خلفه من ستره، و إنها لعبرة لمن ألقى السمع، و موعظة تهز الجمع و ترسل الدمع، و حادثه أجمل الله سبحانه فيها الدفع، و شرح مجملها و إن أخرس اللسان هولها، و أسلم العبارة قوتها و حولها، أنه رضى الله تعالى عنه لما برز لإقامة سنة هذا العيد، مستشعرا شعار كلمة التوحيد، مظهرا سمة الخضوع للمولى الذي تضرع بين يديه رقاب العبيد، آمنا بين قومه و أهله، متسربلا في حلال نعم الله تعالى و فضله، قرير العين باكمال عزه و اجتماع شمله، قد احترس بأقصى استطاعته، و استظهر بخلصان طاعته، و الأجل المكتوب قد حضر، و الإرادة الإلهية قد أنفذت القضاء و القدر، و سجد بعد الركعة الثانية من صلاته، أتاه أمر الله لميقاته، على حين الشباب غضّ جلابه، و السلاح زاخر عبا، و الدين بهذا القطر قد أئع بالأمن جنابه، و أمر من يقول للشيء كن فيكون قد بلغ كتأبه، و لم يرعه و قد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب، و خلصت الرغبات إلى فضله المطلوب، إلما شقى قيضه الله لسعادته غير معروف و لا منسوب، و خبيث لم يكن بمعبر و لا محسوب، تخلل الصفوف المعقودة، و تجاوز الأبواب المسدودة، و خاض الجموع المشهودة، و الأعم المحشورة إلى طاعة الله المحشودة، لا- تدل العين عليه شارة و لا- بزة، و لا تحمل على الحذر من مثله أنفة و لا عزة، و إنما هو خبيث ممرور، و كلب عقور، و حية سمها و حى محذور، و آله مصرفة لينفذ بها قدر مقدور، فلما طعنه و أثبته، و أعلق به

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٢١

شرك الحين فما أفلته، قبض عليه من الخلصان الأولياء من خبر ضميره، و أحكم تقريره، فلم يجب عند الاستفهام جوابا يعقل، و لا عثر منه على شيء عنه ينقل، لطفاً من الله أفاد براءة الذمم، و تعاورته للحين أيدي التمزيق، و أتبع شلوه بالتحريق، و احتمل مولانا الوالد رحمه الله تعالى إلى القصر و به ذماء لم يلبث بعد الفتنة العمرية إلا أيسر من اليسير، و تخلف الملك ينظر من الطرف الحسير، و ينهض بالجنح الكسير، و قد عاد جمع السلامة إلى التكسير، إلا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب بأن أقامنا مقامه لوقته و حينه، و رفع بناء عماد ملكه و لم شعث دينه، و كان جميع من حضر المشهد من شريف الناس و مشروفهم، و أعلامهم و ليفهم، قد جمعه

ذلك الميقات، و حضر الأولياء الثقات، فلم تختلف علينا كلمة، و لا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة، و لا أخيف برى، و لا حذر جرى، و لا فرى فرى، و لا وقع لبس، و لا استوحشت نفس، و لا نبض للفتنة عرق، و لا أغفل للدين حق، فاستند النقل إلى نصه، و لم يعد من فقيدا غير شخصه، و بادرنا إلى مخاطبة البلاد نمهدا و نسكنها، و نقرر الطاعة في النفوس و نمكنها، و أمرنا الناس بها بكف الأيدي، و رفع التعدي، و العمل من حفظ شروط المسالمة المعقودة بما يجدى، و من شره منهم للفرار، و عاجلناه بالإنكار، و صرفنا على النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار، و خاطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده في صلة السلم إلى أمدها من الأخبار، و اتصلت بنا البيعات من جميع الأقطار، و عفى على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار، و استبقوا تطير بهم أجنحة الابتدار، جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار، و كان على حذر من تصاريق الأقدار، و اختلاف الليل و النهار، و أعاننا على إقامة دينه في هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى و البحر الزخار، و ألهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه، و لا قطع عنا عوائد كرمه، و إن فقدنا والدنا فأنتم لنا من بعده الوالد، و الذخر الذى تكرم منه العوائد، و الحب يتوارث كما ورد في الأخبار التى صحت منها الشواهد، و من أعد مثلكم لبنيه، فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه، و تأسست قواعد ملكه و تشيدت مبانيه، و الاعتقاد الجميل موصول، و الفروع لها في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٢٢

التشيع إليكم أصول، و فى تقرير فخركم محصول، و أتم رداء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى يعينهم بإرفاده، و ينصرهم بإنجاده، و يعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده.

و عندما استقر هذا الأمر الذى تبعت المحنة فيه المنحة، و راقت من فضل الله تعالى و لطفه فيه الصفحة، و أخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم و أعيانهم، و تراحمت على رفقها المنشور خطوط أيمانهم، و تأصلت قواعد ألفاظها و معانيها فى قلوبهم و آذانهم، و ضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه و قد خبر سلفنا و الحمد لله و فاء ضمانهم، بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء و سر و أحلى و أمر، عملا- بمقتضى الخلوص الذى ثبت و استقر، و الحب الذى ما مال يوما و لا ازور و ما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الأمر المحذور، و انجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور، و إن كنا قد خاطبنا من خدامكم من يبادر إعلامكم بالأمر، إلا أنه أمر له ما بعده، و حادث يأخذ حده، و نبعث إلى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها إلى استقرارها رأى العيان، و تولى تسديد الأمور بأعماله الكريمة و مقاصده الحسان، ليكون أبلغ فى البر و أشرح للصدر و أوعب للبيان، فوجهنا إليكم وزير أمرنا، و كاتب سرنا، الكذا أبا فلان، و ألقينا إليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الأسنى، و استنادنا من التشيع إليه إلى الركن الوثيق المبنى، ما نرجو أن يكون له فيه المقام الأعنى، و الثمرة العذبة المجنى، فلاهتمامه بهذا الغرض الأكيد الذى هو أساس بنائنا، و قاع أعدائنا، آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج إليه، و مدار الحال عليه، و المرغوب من أبتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى، و الخلافة السامية المعالى، و الله عز و جل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى، و يحفظ مجدكم من غير الأيام و الليالى، و هو سبحانه يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، و يوالى نصركم و عضدكم، و السلام الكريم يخصصكم، و رحمة الله و بركاته. انتهى.

و قوله فى هذه الرسالة «فوجهنا إليكم وزير أمرنا- إلى آخره» هو لسان الدين رحمه الله تعالى! إذ هو كان الوزير إذ ذاك و السفير فى هذه القضية، و من صفحات هذا الكلام يتضح لك ما نال لسان الدين رحمه الله تعالى من الرياسة و الجاه و نفوذ الكلمة بالأندلس و المغرب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٢٣

رحمه الله تعالى! و قد أكرمه السلطان أبو عنان فى هذه الوفاة و غيرها غاية الإكرام، و كان المقصود الأعظم من هذه الوفاة استعانة سلطان الأندلس الغنى بالله بالسلطان أبى عنان على طاغية النصارى، كما ألمعنا بذلك فى الباب الثانى من القسم الثانى الذى تعلق بلسان الدين.

و كان السلطان أبو عنان ابن السلطان أبي الحسن معتنيا بالأندلس غاية الاعتناء، و خصوصا بجبل الفتح، حتى إنه بلغ من اعتناؤه به أن أمر عليه ولده أبا بكر السعيد، و هو الذى تولى الملك بعده.

و من إنشاء لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى على لسان سلطانه ما خاطب به الأمير السعيد المذكور إذ قلده والده جبل الفتح، و هو:

الإمارة التى أشرق فى سماء الملك شهابها، و اتصلت بأسباب العز أسبابها، و اشتملت على الفضل و الطهارة أثوابها، و أجيبت قداح المفاخر فكان إلى جهة الله تعالى انتدابها، إمارة محلّ أخينا الذى تأسس على مرضاة الله تعالى أصيل فخره، و اتّسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنه و جدّة عمره، و بدأ بفضل الجهاد صحيفة أجره، و افتتح بالرباط و الصلاح ديوان نهيه و أمره، لما يسّره من سعادة نصبته و حباه من عز نصره، الأمير الأجل الأعز الأرفع الأسنى الأظهر الأظهر الأيمن الموفق الأرض، محلّ أخينا العزيز علينا، المهداة أبناء مأمول جواره إلينا، أبى بكر السعيد ابن محلّ والدنا الذى مقاصده للإسلام و أهله على مرضاة الله تعالى جارية، و عزائمه على نصر الملة الخفيفة متبارية، السلطان الكذا أبو عنان ابن السلطان الكذا أبى الحسن ابن السلطان الكذا أبى سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق، أبقاه الله تعالى سديدة آراؤه ناجحة أعماله، ميسرة أغراضه من فضل الله تعالى متممة آماله، رحيبا فى العدل مجاله، يكتفه من الله تعالى و محلّ أينا غمام وارفة ظلاله، هامر نواله، حتى يرضى الله تعالى مصاعه بين يديه و مصاله، و تمضى فى الأعداء أمام رايته المنصورة نضاله، أخوه المسرور بقربه، المنطوى على مضمحل حبه، أمير المسلمين محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٢٤

سلام كريم، طيب بر عميم، يخصّ أخوتكم الفضلى، و إمارتكم التى آثار فضلها بحول الله تعالى، و رحمة الله تعالى و بركاته. أما بعد حمد الله على ما كيف من أطفاه المشرقة الأنوار، و يسّره لهذه الأوطان بنصرتة من الأوطار، فكلما دجت بها شدة طلع الفرج عليها طلوع النهار، و كلما اضطرب منها جانب أعاده بفضل الله تعالى من أقامه لذلك و اختاره إلى حال السكون و القرار، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله المصطفى المختار، الذى أكد عليه جبريل صلوات الله عليه حقّ الجوار، حتى كاد يلحقه بالوسائل و القرب الكبار، الذى وصانا بالالتزام، و اتصال اليد فى نصره الإسلام، فنحن نقابل وصاته بالبدار، و نجرى على نهجه الواضح الآثار، و نرتجى باتباعه الجمع بين سعادة هذه الدار و تلك الدار، و الرضا عن آله و أصحابه، و أنصاره و أحزابه، أكرم الآل و الأصحاب و الأحزاب و الأنصار، الذين كانوا كما أخبر الله تعالى عنهم على لسان الصادق الأخبار «رحماء بينهم أشداء على الكفار» و الدعاء لإمارتكم السعيدة بالتوفيق الذى تجرى به الأمور على حسب الاختيار، و العز المنيع الدّمار، و السعد القويم المدار، و الوقاية التى يأمن بها أهلها من الشرار، فإننا كتبنا إليكم كتب الله تعالى لكم أسنى ما كتب للأمرء الأرضياء الأخيار، و متعمكم من بقاء والدكم بالعدة العظمى و السيرة الرحمى و الجلال الرفيع المقدار، من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى و لا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا و مولانا محمد رسوله صلى الله عليه و سلم الذى أوضح برهانه إلا أطفاف باهرة، و عناية من الله تعالى باطنه و ظاهره، و بشارة بالقبول واردة و بالشكر صادرة، و الله تعالى يصل لدينا نعمه، و يوالى فضله و كرمه، و إلى هذا فإننا اتصل بنا فى هذه الأيام ما كان من عناية والدكم محلّ أينا أبقاه الله تعالى بهذه البلاد المستندة إلى تأميل مجده، و إقطاعها الغاية التى لا فوقها من حسن نظره و جميل قصده، و تعيينكم إلى المقام بجبل الفتح إبلاغا فى اجتهاده الدينى و جدّه، فقلنا:

هذا خبر إن صدق مخبره، و تحصل منتظره، فهو فخر تجددت أثوابه، و اعتناء تفتحت أبوابه، و عمل عند الله تعالى ثوابه، فإن الأندلس عصمها الله تعالى و إن أنجدته عدده و أمواله، و نجحت فى نصرها مقاصده الكريمة و أعماله، لا تدرى موقع النظر لها من نفسه، و زيادة يومه فى العناية

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٢٥

على أمسه، حتى يسمح لها بولده، و يخصها بقره عينه و فلذة كبده، فلما ورد منه الخبر، الذي راقت منه الحبر، و وضحت من سعادته الغرر، بإجازتكم البحر، و اختياركم في حال الشبيبة الفخر، و صدق مخيلة الدين فيكم، و استقراركم في الثغر الشهير الذي افتتحه سيف جدكم و استنقذه سعد أبيكم، سررنا بقرب المزار، و دتو الدار، و قابلنا صنع الله تعالى بالاستبشار، و وثقنا و إن لم نزل على ثقة من عناية الله تعالى و عناية محل والدنا بهذه الأقطار، و حمدنا الله تعالى على هذه الآلاء المشرفة، و النعم المغدقة، و الصنائع المتألقة، بادرنا نهتّى أخوتكم أو لا بما يسره الله تعالى لكم من سلامة المجاز، ثم بما منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص بهذا الغرض و الامتياز، فإمارتكم الإمارة التي أخذت بأسباب السماء، و ركبت إلى الجهاد في سبيل الله تعالى جياذ الخيل و الماء، و أصبحت على حال الشبيبة شجا في حلق الأعداء، و نحن أحق بهذا الهناء، و لكنها عادة الود و سنّة الإخاء، فالله عز و جل يجعله مقدما ميمون الطائر، متهلل البشائر، تتهلل بصنع الله بعده و جوه القبائل و العشائر، و يجرى خبر سعادتكم مجرى المثل السائر، و يشكر محل والدنا فيما كان من اختياره، و مزيد إثاره، و يجازيه جزاء من سمح في ذاته بمظنّه ادّخاره، و مذ رأينا أن هذا الغرض لا يجتري فيه بالكتابة، دون الاستنابة، و جهنا لكم من يقوم بحقه، و يجرى من تقرير ما لدينا على أوضح طرقه، و هو القائد الكذا، و مجدكم يصغى لما يليقه، و يقابل بالقبول ما من ذلك يؤديه، و الله تعالى يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، و السلام.

و كان الطاغية الملعون أيام السلطان أبي عنان رحمه الله تعالى نازل جبل الفتح ثم كفى الله تعالى شره في ذلك التاريخ.

[و من إنشاء لسان الدين على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان المغرب]

و من إنشاء لسان الدين على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان فاس و المغرب و ذلك بما نصه:
المقام الذي رمى له الملك الأصيل بأفلاذه، و أدّى منه الإسلام إلى ملجئه الأحمى و ملاذه، و كفلت السعود يامضاء أمره المطاع و إنفاذه، و شأى حلبة الكرم فكان و حيد آحاده و فدّ أفذاذه، و ابتدع غرائب الجود فقال لسان الوجود: نعمت البدعة هذه، مقام محل أختنا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٢٦

الذي أركان مجده راسية راسخه، و غرر عزه بادية باذخه، و أعلام فخره سامية شامخة، و آيات سعده محكمة ناسخه، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبقاه الله تعالى يجرى بسعده الفلك، و يجلى بنور هديه الحلك، و يسطر حسنات ملكه الملك، و يشهد بفضل بأسه و نداء النادى و المعترك، معظّم حقوقه التي تأكد فرضها، المثنى على مكارمه التي أعيا الأوصاف البليغة بعضها، أمير المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر.

سلام كريم، طيب برّ عميم، يخص أخوتكم الفضلى، و رحمه الله و بر كاته.

أما بعد حمد الله الذى هيا لملّة الإسلام، بمظاهرة ملككم المنصور الأعلام، إظهارا و إعزازا، و جعل لها العاقبة الحسنى بيمن مقامكم الأسنى تصديقا لدعوة الحق و إنجازا، و سهل لها بسعدكم كل صعب المرام و قد سامتها صروف الأيام ليا و إعوازا، و أتاح لها منكم ولّيا يسوم أعداءها استلابا و ابتزازا، و يسكن آمالها و قد استشعرت انحفازا، حمدا يكون على حلل النعم العميمة و الآلاء الكريمة طرازا، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله الذى بهرت آياته و ضوحا و إعجازا، و استحقت الكمال صفاته حقيقة لا مجازا، و نبيه الذى بين للخلق أحكام دينه الحق امتناعا و جوازا، و يسّر لهم و قد ضلوا فى مفاوز الشك مفازا، و الرضا عن آله و أصحابه المستولين على ميادين فضائل الدنيا و الدين اختصاصا بها و امتيازا، فكانوا غيوثا إن وجدوا محلا و ليوثا إن شهدوا برازا و الدعاء لمقام أخوتكم الأسمى بنصر على أعدائه تبدى له الجياذ الجرد ارتياحا و الرماح الملد اهتزازا، و عز يظاً من أكناف البسيطة و أرجائها المحيطة سهلا و عزازا، و يمن يشمل من بلاد الإيمان أقطارا نازحة و يعم أحوازا، و سعد تجول فى ميدان ذكره المذاع أطراف ألسنة اليراع إسهابا و إيجازا، و فخر يجوب جيوب الأقطار جوب المثل السيار عراقا و حجازا، و لآلت كتائب سعده تنتهز

فرص الدهر انتهازا، و توسع مملكات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٢٧

الكفر انتهابا و احتيازا، فإننا كتبناه إلى مقامكم كتب الله تعالى لكم سعدا ثابت المراكز، و عزا لا تلين قناته في يد الغامز، و ثناء لا يثنى عنان سراه عرض المفاوز، و صنعا رحيب الجوانب رغب الجوائز، من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى و فضله عز و جل قد أدال العسر يسرا و أحال القبض بسطا، و قرّب نوازع الآمال بعد أن تناءت ديارها شحطا، و راض مركب الدهر الذي كان لا يلين لمن استمطى، و قرب غريم الرجاء في هذه الأرجاء و كان مشتطا، و التوكل عليه سبحانه و تعالى قد أحكم منه اليقين و الاستبصار المبين ربطا، و مشروط المزيد من نعمه قد لزم من الشكر شرطا، و مقامكم هو عدّة الإسلام إذا جدّ حفاظه، و ظله الظليل إذا لفح للكفر شواظه، و ملجؤه الذي تنام في كنف أمنه أيقاظه، و وزره الذي إلى نصره تمدّ أيديه و تشير أحواله، ففي أرجاء ثنائه تسرح معانيه و ألفاظه، و لخطب تمجيده و تحميده يقول قسه و تحتفل عكاظه، و تشيعنا إلى ذلك الجناب الكريم طويل عريض، و مقدمات ودنا إياه لا يعترضها نقيض، و أفلاك تعظيمنا له ليس لأوجها الرفيع حضيض، و أنوار اعتقادنا الجميل فيه يشف سواد الحبر عن أوجهها البيض، و إلى هذا ألبسكم الله تعالى ثوب السعادة المعادة فضفاضا، كما صرف بركة إياتكم الكريمة على ربوع الإسلام وجوه الليالي و الأيام و قد أزورت إعراضا، و بسطت آمالها و قد استشعرت انقباضا، فإننا ورد علينا كتابكم الذي كرم أنحاء و أغراضا، و جالت البلاغة من طرسه الفصيح المقال رياضا، و وردت الأفكار من معانيه الغرائب و ألفاظه المزريّة بدرر النحور و الترائب بحورا صافية و حياضا، فاجتلبنا منه حلة من حلال الود سابغة، و حجة من حجج المجد بالغة، و شمسا في فلك السعد بازغة، الذي بين المقاصد الكريمة و شرحها، و جلا الفضائل العيمة و أوضحها، فما أكرم شيم ذلك الجلال و أسمحها، و أفضل خلال ذلك الكمال و أرجحها، حتثم فيه على إحكام السلم التي تحوط الأنفس و الحریم بسياج، و يداوى القطر العليل منها بأنجع علاج، و الحال ذات احتياج، و ساحة الجبل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٢٨

عصمه الله تعالى ميدان هياج، و متبواً أعلاج، و مظنة اختلاف للظنون الموحشة و اختلاج، فحضر لدينا محتمله وزيركم الشيخ الأجل الأ-عظم الموقر الأسمى الخاصة الأحظى أبو على ابن الشيخ الوزير الأجل الحافل الفاضل المجاهد الكامل أبي عبد الله بن محلي و الشيخ الفقيه الأستاذ الأعراف الفاضل الكامل أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الأجل العارف الفاضل الصالح المبارك المبرور المرحوم أبي عبد الله القشتالي، وصل الله سبحانه سعادتتهما، و حرس مجادتهما، حاليين من مراتب ترفيعنا أعلى محل الإعزاز، و واردين على أحلى القبول الذي لا- تشاب حقيقته بالمجاز، عملا- بما يجب علينا لمن يصل إلينا من تلك الأنحاء الكريمة و الأحواز، فتلقينا ما اشتملت عليه الإحالة السلطانية من الود الذي كرم مفهومها و نصا، و البر الذي ذهب من مذاهب الفضل و الكمال الأمد الأقصى، و قد كان سبقهما صنع الله جلّ جلاله بما أخلف الظنون، و شرح الصدور و أقر العيون، فلم يصل إلينا إلا و قد أهلك الله تعالى الطاغية، و مزق أحزابه الباغية، نعمه منه سبحانه و تعالى و منه ملأت الصدور انشراحا، و عمت الأرجاء أفراحا، و عنوانا على سعد مقامكم الذي راق غررا في المكرمات و أوضاحا، و مد يده إلى سهام المواهب الإلهية فحاز أعلاها قداحا، فتشوّفت نفوس المسلمين إلى ما كانت تؤمله من فضل الله تعالى و ترجوه، و بدت في القضية التي أشرتم بأعمالها الوجوه، و انبعثت الآمال إلى ما آلت إليه هذه الحال انبعاثا، و التاثت أمور العدو قصمه الله تعالى التياثا، و انتقض غزله من بعد قوته بفضل الله تعالى أنكاثا، و احتملت المسألة التي تفضلتم بعرضها و أشرتم إلى فرضها مأخذا و أبحاثا، فألقينا في هذه الحال إلى رسوليكم أعزهما الله تعالى ما يلقيانه إلى مقامكم الأعلى، و مثابتمكم الفضلى، و ما يتزید عندنا من الأمور فركائب التعريف بها إليكم محثوثة، و حزئياتها بين يدي مقامكم الرفيع مبثوثة، و قد اضطربت أحوال الكفر و قالت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٢٩

آراؤه، واستحكم بالشتات داؤه، وارتجت بزلال الفتن أرجاؤه، و تيسرت آمال الإسلام بفضل الله تعالى ورجاؤه، وما هو إلا السعد يذلل لكم صعب العدو و يروضه، والله سبحانه يهيئ لكم فضل الجهاد حتى تقضى بكم فروضه، و أما الذى لكم عندنا من الخلوص الصافية شرائعه، و الثناء الذى هو الروض تأرج ذاته، فأوضح من فلق الصبح إذا أشرقت طلأته، جعله الله تعالى فى ذاته، و وسيلة إلى مرضاته! و رسولكم يشرحان لكم الحال بجزئياته، و يقران ما عندنا من الود الذى سطع نور آياته، و هو سبحانه و تعالى يصل لكم سعدا سامى المراتب و المراقى، و يجمع لكم بعد بعد المدى و تمهيد دين الهدى بين نعيم الدنيا و النعيم الباقي، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته. انتهى.

[و من إنشاء لسان الدين على لسان سلطانه أمير المسلمين عبد الله يوسف بن أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر إلى سلطان المغرب]

و أبين من هذا فى القضية كتاب آخر من إنشاء لسان الدين رحمه الله تعالى صورته:
من أمير المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر، إلى محل أخينا الذى نشئ على مجادته أكرم الثناء، و نجدد له ما سلف بين الأسلاف الكرام من الولاء، و نتحفه من سعادة الإسلام و أهله بالأخبار السارة و الأنباء، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبقاه الله تعالى رفيع المقدار، كريم المآثر و الآثار، و عرفه من عوارف فضله كل مشرق الأنوار، كفيل بالحسنى و عقبى الدار.

سلام كريم، بر عميم، يخص جلالكم الأرفع، و رحمة الله و بركاته.

أما بعد حمد الله على عميم آلائه، و جزيل نعمائه، ميسر الصعب بعد إيائه، و الكفيل بتقريب الفرج و إدنائه، له الحمد و الشكر ملء أرضه و سمائه، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد خاتم رسله الكرام و أنبيائه، الهادى إلى سبيل الرشده و سوائه، مطلع نور الحق يجلو ظلم الشك بضيائه، و الرضا عن آله و أصحابه و أنصاره و أحزابه و خلفائه، السائرين فى الدنيا و الآخرة تحت لوائه، الباذلين نفوسهم فى إظهار دينه القويم و إعلائته، و الدعاء لمقامكم بتيسير أمله من فضل الله سبحانه و رجائه، و اختصاصه بأوفر الحظوظ من اعتنائه، فإننا كتبنا إليكم كتبكم الله تعالى فىمن ارتضى قوله و عمله من أوليائه، و عرفكم عوارف السعادة المعادة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٣٠

فى نهاية كل أمر و ابتدائه، من حمراء غرناطة - حرمها الله تعالى! - و لا زائد بفضل الله سبحانه ثم بركة سيدنا و مولانا محمد رسوله الكريم الذى أوضح برهانه، و عظم أمره و رفع شأنه، ثم بما عندنا من الود الكريم و تجديد العهد القديم لمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه، إلا - الخير الهامى السحاب، و التيسير المتين الأسباب، و اليمن المفتاح الأبواب، و السعد الجديد الأثواب، و مقامكم معتمد بترفع الجناب، متعهد بالود الخالص و الاعتقاد اللباب، معلوم له فضل الدين و أصالة الأحساب، و إلى هذا وصل الله تعالى سعدكم مديد الأطناب، ثاقب الشهاب، و أطلع عليكم وجوه البشائر سافرة النقاب، فإنه قد كان بلغكم ما آلت الحال إليه بطاغية قشتالة الذى كلب على هذه الأقطار الغربية من وراء البحار، و ما سامها من الأوصاب و الإضرار، و أنه جرى فى ميدان الإملاء و الاغترار، و مخص المسلمون على يده بالوقائع العظيمة الكبار، و أنه نكث العهد الذى عقده، و حل الميثاق الذى أكده، و حمله الطمع الفاضح على أن أجلب على بلاد المسلمين بخيله و رجله، و دهمها بتيار سيله و قطع ليله، و أمل أن يستولى على جبل الفتح الذى يدعى منه فتحها، و طلع للملة المحمدية صباحها، فضيقه حصارا، و اتخذ دارا، و عندما عظم الإشفاق، و أظلمت الآفاق، ظهر فينا لقدرة الله تعالى الصنع العجيب، و نزل الفرج القريب، و قبل الدعاء السميع المجيب، و طرق الطاغية، جند من جنود الله تعالى أخذة رابيه، و لم يبق له من باقية، فهلك على الجبل حتف أنفه، و غالته غوائل حتفه، فتفرقت جموعه و أحزابه، و انقطعت أسبابه، و تعجل لنار الله تعالى مآبه، و أصبحت البلاد مستبشرة، و رحمة الله منتشرة، و رأينا أن هذه البشارة التى يأخذ منها كل معلم بالنصيب الموفور، و يشارك فيما جلبته من السرور، أنتم أولى من نتحفه بطيب رباها. و نطلع عليه جميل محياها، لما تقرر عندنا من دينكم المتين، و فضلكم المبين، و

عملكم في المساهمة على شاكلة صالحى السلاطين، فما ذلك إلا فضل نيتكم للمسلمين فى هذه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٣١

البلاد، و أثر ما عندكم من جميل الاعتقاد، و قد ورد علينا رسولكم القائد أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح، أعزه الله تعالى! مقررا ما لديكم من الود الراسخ القواعد، و الخلوص الصافى الموارد، الواضح الشواهد، و أثنى على مكارمكم الأصيلة، و ألقى ما عندكم من المذاهب الجميلة، فقابلنا ذلك بالشكر الذى يتصل بسببه، و يتضح مذهبه، و سألنا الله أن يجعله وداً فى ذاته، و وسيلة إلى مرضاته، و تعرفنا ما كان من تفضلكم بالطريدة المفتوحة المؤخر، و ما صدر عن الرئيس المعروف بالناظر من خدام دار الصنعة بالمرية من قبح محاولته، و سوء معاملته، فأمرنا بقطع جرايته و ثقافه بمطمورة القصه جزاء لجنايته، و لو لا أننا توقعنا أن يكون عظيم عقابه مما لا يقع من مقامكم بوقفه، لمشهور عفافه و رفقته، لجعلناه نكالا لأمثاله، و عبرة لأشكاله، و قد وجهنا جفنا سفريا لإيساق الخيل التى ذكرتم، و إيصال ما إليه من ذلك أشرتهم، و يكمل القصد إن شاء الله تعالى تحت لحظ اعتنائكم، و فضل ولائكم، هذا ما تزيد عندنا عرفناكم به، عملا على شاكلة الود الجميل، و الولاء الكريم الجملة و التفصيل، فعرفونا بما يزيد عندكم يكن من جملة أعمالكم الفاضلة، و مكارمكم الحافلة، و الله تعالى يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، و السلام الكريم عليكم و رحمة الله و بركاته. انتهى.

[و من إنشاء لسان الدين فيما يتعلق بالأندلس و انقطاعها، و أنها لا غنى لها عن بر العدو]

و من إنشاء لسان الدين فيما يتعلق بالأندلس و انقطاعها، و أنها لا غنى لها عن العدو و غير ذلك، ما صورته:

المقام الذى بنور سعاداته تنجلي الغمائم و تتصل النعماء، من نيته قد حصل منها لجانب الله تعالى الانتماء، و اتفقت منها المسميات و الأسماء، مقام محل أينا الذى تتفياً هذه الجزيرة الغربية أفياء نيته الصالحة و عمله، و تثق بحسن العاقبة اعتمادا على وعد الله تعالى المنزل على خيرة رسله، و تجتنى ثمار النجاح من أفنان آرائه المتألفة تألق الصبح حالى ريثه و عجله، و تعرف حالى المودود و المكروه عارفة الخير و الخيرة من قبله، أبقاه الله تعالى يحسم الأدواء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٣٢

كلما استشرت، و يحلى موارد العاقبة كلما أمّرت، و يعفى على آثار الأطماع الكاذبة مهما خدعت بخبئها و غرت، و يضمن سعده عودة الأمور إلى أفضل ما عليه استقرت، معظم مقامه الذى هو بالتعظيم حقيق، و موقر ملكه الذى لا يلتبس منه فى الفخر و العز طريق، و لا يختلف فى فضله العميم و مجده الكريم فريق.

أما بعد حمد الله الميثب المعاقب، الكفيل لأهل التقوى بحسن العواقب، المشيد بالعمل الصالح إلى أرفع المراقى و المراقب، يهدى من يشاء و يضل من يشاء فبقضائه و قدره اختلاف المسالك و المذاهب، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله الحاشر العاقب، و نبيه الكريم الرؤوف الرحيم ذى المفاخر السامية و المناقب، و الرضا عن آله و أصحابه و أنصاره و أحزابه الذين ظاهروه فى حياته بإعمال السمر العوالى و البيض القواضب، و خلفوه فى أمته بخلوص الضمائر عن شوب الشوائب، فكانوا فى سماء ملته كالنجوم الثواقب، و الدعاء لمقامكم الأسمى بالسعادة المعادة فى الشاهد من الزمن و الغائب، و النصر الذى يقضى بجز الكتائب، و الصنع الذى تطلع من ثناياه غرر الصنائع العجائب، من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى و لا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه، و شمل بالتمهيد أوطانه، إلا نشيع ثابت و يريد، و إخلاص ما عليه فى ميدان الاستطاعة مزيد، و تعظيم أشرق منه جيد، و ثناء راق فوق رياضه تحميد و تمجيد، و إلى هذا وصل الله تعالى سعدكم، و حرس الطاهر الكريم مجدكم، فقد وصلنا كتابكم الذى هو على الخلوص و الاعتقاد عنوان، و فى الاحتجاج على الرضا و القبول برهان، تنطق بالفصل فصوله، و تشير إلى كرم العقد فروعه الزكية و أصوله، و يحق أن ينسب إلى ذلك الفخر الأصيل محصولة، عرفتمونا بما ذهب إليه عيسى بن الحسين من الخلاف الذى ارتكبه، و سبيل الصواب الذى انتكبه، و تنبهون على ما حده الحق فى مثل ذلك و أوجه، حتى لا يصل أحد من

جهتنا سببه، ولا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٣٣

يظاها ره مهما ندبه، و لا يسعف فى الإيواء طلبة، فاستوفينا ما استدعاه ذلك البيان الصريح و جلبه، و خطه القلم الفصيح و كتبه، و ليعلم مقامكم و هو من أصالة النظر غنى عن الإعلام، و لكن لا بد من الاستراحة بالكلام، و التنفث بنفثات الأقلام، أننا إنما نجرى أمورنا مع هذا العدو الكافر الذى رمينا بجواره، و بلينا و الحمد لله بمصادمة تياره، على تعداد أقطاره، و اتساع براريه و بحاره، بأن تكون الأمة المحمدية بالعدوتين تحت وفاق، و أسواق التفاق غير ذات نفاق، و الجماهير تحت عهد من الله تعالى و ميثاق، فمهما تعرفنا أن اثنتين اختلفت منهما بالعدوتين عقد، و وقع بينهما فى قبول الطاعة رد، ساءنا واقعه، و عظمت لدينا مواقعه، و سألنا أن يتدارك الخرق راقعه، لما نتوقعه من التشاغل عن نصرنا، و تفرغ العدو إلى ضرنا، فكيف إذا وقعت الفتنة فى صقعنا و قطرنا، إنما هى شعلته فى بعض بيوتنا وقعت، و حادثه إلى جهتنا أشرعت، و إن كان لسوانا لفظهما فلنا معناها، و على وطننا يعود جناها، فنحن أحرص الناس على إطفائها و إخمادها، و أسعى فى إصلاح فسادها، و المثابرة على كفها و استئسادها، و ما الظن بدار فسد بابها، و آمال رثت أسبابها، و جزيرة لا تستقيم أحوال من بها إلا بالسكون، و سلم العدو و المغرور المفتون، حتى تقضى منه بإعانتكم الديون، و إن اضطرابها إنما هو داء نستبصر من رأيكم فيه بطيب، و هدف خطب نرمله من عزمكم بسهم مصيب، و أمر نضرع فى تداركه إلى سميع للدعاء مجيب، و نحن فيه يد أمام يديكم، و مقصدنا فيه تبع لقصدكم، و تصرفنا على حد إشارتكم جار، و عزمنا إلى منتهى مرضاتكم متبار، و عقدنا فى مشايعة أمركم غير متوار، و قد كنا لأول اتصال هذا الخبر، القبيح العين و الأثر، بادرنا تعريفكم بجميع ما اتصل بنا فى شأنه، و لم نطو عنكم شيئاً من إسراره و لا إعلانه، و بعثنا رسولنا إلى بابكم العلى نعتد بسلطانه، و نرتجى تمهيد هذا الوطن بتمهيد أوطانه، و بادرنا بالمخاطبة من وجبت مخاطبته من أهل مريلة و أسطوبونه نثب بصائرهم فى الطاعة و تقويها، و نعدهم بتوجيه من يحفظ جهاتهم و يحميها، و عجلنا إلى بعضها مددا من الرماء و السلاح ليكون ذلك عده فيها، و علمنا ما أوجب الله تعالى من الأعمال التى يزلف بها و يرتضيها، و كيف لا نظاهر أمركم الذى هو العدة المذخورة، و الفئة الناصرة المنصورة، و الباطل سراب يخدع، و الحق إليه يرجع، و البغى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٣٤

يردى و يصرع، و كم تقدم فى الدهر منتز شذ عن الطاعة، و خرج عن الجماعة، و مخالف على الدول، فى العصور الأول، بهرج الحق زائفه، و رجمت شهب الأسنة طائفه، و أخذت عليه الضيقه و هاده و تنائفه، فتقلص ظله، و نبا به عن الحق محله، و كما قال يذهب الباطل و أهله، لا سيما و سعادة ملككم قد وطأت المسالك و مهدها، و قهرت الأعداء و تعبدتها، و أطفأت جداول سيوفكم النار التى أوقدتها، و كأن بالأمر إذا أعملتم فيها رأيكم السديد و قد عادت إلى خير أحوالها، و البلاد بيمن تدبيركم قد شفى ما ظهر من اعتلالها، و على كل حال فإنما نحن إلى تكميل مرضاتكم مبادرون، و فى أغراضكم الدينية واردون و صادون، و لإشارتكم التى تتضمن الخير و الخيرة منتظرون، عندنا من ذلك عقائد لا يحتمل نصيها التأويل، و لا يقبل صحيحها التعليل، فلتكن أبوتكم من ذلك على أوضح سبيل، فشمس النهار لا تحتاج إلى دليل، و الله تعالى يستنى لكم عوائد الصنع الجميل، حتى لا يدع عزمكم مغضوبا إلا رده، و لا ثلما فى ثغر الدين إلا سدّه، و لا هدفا متعاصيا إلا هدّه، و لا عرفا من الخلاف إلا حده، و هو سبحانه يبقى ملككم و يصل سعده، و يعلى أمره و يحرس مجده، و السلام الكريم يخصكم و رحمه الله و بركاته. انتهى.

[و من إنشاء لسان الدين من جملة رسالة على لسان سلطانه أبى الحجاج يخاطب الرعايا]

و من إنشائه رحمه الله تعالى من جملة رسالة على لسان سلطانه أبى الحجاج يخاطب الرعايا، ما نص محل الحاجة منه: و إلى هذا فقد علمتم ما كانت الحال آلت إليه من ضيقة البلاد و العباد بهذا الطاغية الذى جرى فى ميدان الأمل جرى الجموح، و

دارت عليه حمرة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبوح، حتى طمح بسكر اغتراره، ومحص المسلمون على يده بالوقائع التي تجاوز منتهى مقداره، وتوجهت إلى استئصال الكلمة مطامح أفكاره، ووثق بأنه يطفئ نور الله بناره، ونازل جبل الفتح فشد محقق حصاره، وأدار أشياعه في البر والبحر دور السوار على أسواره، وانتهاز الفرصة بانقطاع الأسباب وانهبام الأبواب، والأمور التي لم تجر للمسلمين بالعدوتين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٣٥

على مألوف الحساب، وتكالب التثليث على التوحيد، وساءت الظنون في هذا القطر الوحيد، المنقطع بين الأمة الكافرة والبحور الزاخرة والمرام البعيد، وإنا صابرينا بالله تعالى تيار سيله، واستضأنا بنور التوكل عليه في جنح هذا الخطب ودجنه ليله، ولجأنا إلى من بيده نواصي الخلائق، واعتلقنا من حبله المتين بأوثق العلائق، وفسحنا مجال الأمل في ذلك الميدان المتضيق، وأخلصنا لله مقيل العثار ومؤوى أولى الاضطراب قلوبنا، ورفعنا إليه أمرنا ووقفنا عليه مطلوبنا، ولم نقصر مع ذلك في إبرام العزم، واستشعار الحزم، وإمداد الثغور بأقصى الإمكان، وبعث الجيوش إلى ما يلينا من بلاد على الأحيان، فرحم الله تعالى انقطاعنا إلى كرمه، والتجاءنا إلى حرمة، فجلى بفضل سبحانه ظلم الشدة، ومد على الحريم والأطفال ظلال رحمته الممتدة، وعرفنا عوارف الصنع الذي قدم به العهد على طول المدّة، ورماه بجيش من جيوش قدرته أغنى عن إيجاف الركاب، واحتشاد الأحزاب، وأظهر فينا قدرة ملكه عند انقطاع الأسباب، واستخلاص العباد والبلاد من بين الظفر والناب، فقد كان جمع على الحق بأباطيله، وسد المجاز بأساطيله، ورمى الجزيرة الأندلسية بشؤبوب شره، وصيرها فريسة بين غربان بحره وعقبان بره، فلم يخلص إلى المسلمين من إخوانهم مرقبة إلا على الخطر الشديد، والإفلات من يد العدو العنيد مع توفر العزائم والحمد لله على العمل الحميد، والسعي فيما يعود على الدين بالتأييد، وبينما شفقتنا على جبل الفتح تقيم وتقعّد، وكلب الأعداء عليه يبرق ويرعد، واليأس والرجاء خصمان هذا يقرب وهذا يبعد، إذا طلع علينا البشير بانفراج الأزمة، وحلّ تلك العزمة، وموت شاه تلك الرقعة، وإبقاء الله تعالى على تلك البقعة، وأنه سبحانه أخذ الطاغية أكمل ما كان اغترارا، وأعظم أنصارا، وزلزلت أرض عزه وقد أصابت قرارا، وأن شهاب سعه قد أصبح آفلا، وعلم كبره انقلب سافلا، وأن من بيده ملكوت السماوات والأرض طرقة بحتفه، وأهلكه برغم أنفه، وأن محلته عاجلها التّباب والتّبار، وعاثت في منازلها النار، وتمخض عن سوء عاقبتها الليل والنهار، وأن حمايتها يخبرون بيوتهم بأيديهم، وينادى بشتات الشمل لسان مناديتهم، وتلاحق الفرسان من جبل الفتح المعقل الذي عليه من عناية الله تعالى رواق مضروب، والرباط الذي من حاربه فهو المحروب،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٣٦

فأخبرت بانفراج الضيق، وارتفاع العائق لها عن الطريق، وبراء الداء الذي أشرق بالرقيق، وأن النصارى دمرها الله تعالى جدت في ارتحالها، وأسرعّت بجيفة طاغيتها إلى سوء مآلها وحالها، وسمحت للنار والنهب بأسلابها وأموالها، فبهرنا هذا الصنع الإلهي الذي مهد الأقطار بعد رجفانها، وأنام العيون بعد سهاد أجفانها، وسألنا الله تعالى أن يعيننا على شكر هذه النعمة التي إن سلطت عليها قوى البشر فضحتّها، ورجحتها، رأينا سر الطائف الخفية كيف سريانه في الوجود، وشاهدنا بالعيان أنوار اللطائف الإلهية والوجود، وقلنا: إنما هو الفتح الأوّل شفع بثان، وقواعد الدين الحنيف أيدت من صنع الله تعالى بنيان، اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة، ومننك الوافرة، إنك ولينا في الدنيا والآخرة. انتهى.

[و من إنشاء لسان الدين فيما يتعلق بضيق حال المسلمين ببلاد الأندلس]

و من إنشاء لسان الدين رحمه الله تعالى من أخرى مما يتعلق بضيق حال المسلمين بالأندلس ما صورته:

و إن تشوّقتم إلى أحوال هذا القطر ومن به من المسلمين، بمقتضى الدين المتين والفضل المبين، فاعلموا أننا في هذه الأيام ندافع من العدو تيارا، ونكابر بحرا زخارا، ونتوقع إلا إن وقى الله تعالى خطوبا كبارا، ونمد اليد إلى الله تعالى انتصارا، ونلجأ إليه اضطرارا، و

نستمد دعاء المسلمين بكل قطر استعدادا به واستظهارا، ونستشير من خواطر الفضلاء ما يحفظ أخطارا، وينشئ ريح روح الله طيبة معطارا، فإذا القومس الأعظم قيوم دين النصرانية الذي يأمرها فتطيع، ومخالفته لا تستطيع، رمى هذه الأمة الغريبة المنقطعة منهم بجراد لا يسد طريقها، ولا يحصى فريقها، التفت على أخي صاحب قشتالة وعزمها أن تملكه بدله، وتبلغه أمله، ويكون الكل يدا واحدة على المسلمين، ومناصبه هذا الدين، واستئصال شأفة المؤمنين، وهي شدة ليس لأهل هذا الوطن بها عهد، ولا عرفها نجد ولا وهد، وقد اقتحموا الحدود القريبة، والله تعالى ولي هذه الأمة الغريبة، وقد جعلنا مقاليد أمورنا بيد من يقوى الضعيف، ويدراً الخطب المخيف، ورجونا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران: ١٧٣]، وهو سبحانه المرجو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٣٧

في حسن العقبي والمآل، ونصر فئة الهدى على فئة الضلال، وما قل من كان الحق كثره، ولا ذل من استمد من الله عزه قل هل تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ [التوبة: ٥٢] ودعاء من قبلكم من المسلمين مدد موفور، والله سبحانه على كل حال محمود مشكور. انتهى.

[و من رسالة أخرى من إنشاء لسان الدين في المعنى السابق]

و من أخرى طويلة من جملتها ما صورته:

وقد اتصل بنا الخير الذي يوجب نصح الإسلام، ورعى الجوار والدِّمام، وما جعل الله تعالى للمأموم على الإمام، إيقاظكم من مراقدم المستغرقة، وجمع أهوائكم المتفرقة، وتهيئكم إلى مصادمة الشدائد المرعدة المبرقة، وهو أن كبير دين النصرانية الذي إليه ينقادون، وفي مرضاته يصادقون ويعادون، وعند رؤية صليبه يكبرون ويسجدون، لما رأى الفتن قد أكلتهم خضما وقضما، وأوسعتهم هضما، فلم تبق عسبا ولا عظما، ونثرت ما كان نظاما، أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق، ويرفع ما طرق، ويرفو ما مزق الشتات وخرق، فرمى الإسلام بأمة عددها القطر المنثال، وأمرهم وشأنهم الامتثال، أن يدمنوا لمن ارتضاه من أمته الطاعة، ويجمعوا في ملته الجماعة، ويطلع الكل على هذه الفئة القليلة الغريبة بغتة كقيام الساعة، وأقطعهم قطع الله تعالى بهم العباد والبلاد، والطارف والتلاد، وسوغهم الحريم والأولاد، والله تعالى نستدفع ما لا نطيعه، ومنه نسال عادة الفرج فما سدت طريقه، إلا أنا رأينا غفلة الناس مؤذنة البوار، وأشفقنا للدين المنقطع من وراء البحار، وقد أصبح مضغة في لهوات الكفار، وأردنا أن نهزمكم بالموعظة التي تكحل البصائر بميل الاستبصار، فإن جبر الله تعالى الخواطر بالضراعة إليه والانكسار، ونسخ الإعسار بالإيسار، وأنجد اليمين بأختها اليسار، وإلا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظ الخسار، فإن من ظهر عليه عدو دين الله تعالى وهو من الله مصروف، وبالباطل مشغوف، و بغير العرف معروف، وعلى الحطام المسلوب عنه ملهوف، فقد تله الشيطان للجبين، وقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، ومن نفذ فيه أوله قدر الله عن أداء الواجب وبذل المجهود، وأفرد بالعبودية وجه الواحد الأحد المعبود، ووطن النفس على الشهادة المبوئة دار الخلود، العائدة بالحياة الدائمة والوجود، أو الظهور

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٣٨

على عدوه المحشور إليه المحشود، صبرا على المقام المحمود، وبيعا من الله تعالى تكون الملائكة فيه الشهود، حتى يعين يد الله في ذلك البناء [المهدوم بقوة الله] والمهدود، والسواد الأعظم الممدود، كان على أمره بالخيار المردود قل هل تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ [التوبة: ٥٢]. انتهى.

وقال صاحب «مناهج الفكر» بعد وصفه لجزيرة الأندلس وأقطارها، ما صورته:

ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لمالكها في سلك الانقياد والوفاق، إلى أن طما بمترفيها سيل العناد والنفاق، فامتاز كل رئيس منهم

بصقع كان مسقط رأسه، و جعله معقلا- يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كل منهم يشن الغارة على جاره، و يحاربه في عقر داره، إن أن ضعفوا عن لقاء عدو في الدين يعادى، و يراوح معاقلهم بالعيث و يغادى، حتى لم يبق في أيديهم منها إلا ما هو في ضمان هدنة مقدرة، و إتاوة في كل عام على الكبير و الصغير مقررة، كان ذلك في الكتاب مسطورا و قدرا في سابق علم الله مقدورا، انتهى.

[أخذ الكفار قواعد بلاد الأندلس و أخذهم طليطلة و أخذهم بلنسية]

و هذا قاله قبل أن يستولى العدو على جميعها، و الله وارث الأرض و من عليها و هو خير الوارثين. و لنرجع إلى ما كنا بصدده من أخذ النصارى قواعد الأندلس فنقول:

قد قدمنا أوائل هذا الباب أن طليطلة أعادها الله تعالى من أول ما أخذ الكفار من المدن العظام بالأندلس.

قال ابن بسام: لما تواتت على أهل طليطلة الفتن المظلمة، و الحوادث المصطلمة و ترادف عليهم البلاء و الجلاء، و استباح الفرنج لعنهم الله تعالى أموالهم و أرواحهم، كان من أعجب ما جرى من النوادر الدالة على الخذلان أن الحنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير، و لا يؤثر فيها طول المدّة بما يمنع من أكلها، فلما كانت السنة التي استولى عليها العدو فيها لم ترفع الغلة من الأندر حتى أسرع فيها الفساد، فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى لأمر أراده، من شمول البلوى، و عموم الضراء، فاستولى العدو على طليطلة، و أنزل من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٣٩

بها على حكمه، و خرج ابن ذى النون منها على أقبح صورة، و أفضع سيرة، و رآه الناس و بيده اصطرلاب يأخذ به وقتا يرحل فيه، فتعجب منه المسلمون، و ضحك عليه الكافرون، و بسط الكافر العدل على أهل المدينة، و حجب التنصر إلى عامة طغامها، فوجد المسلمون من ذلك ما لا يطاق حمله، و شرع في تغيير الجامع كنيسة في ربيع الأول سنة ست و تسعين و أربعمئة. و مما جرى في ذلك اليوم أن الشيخ الأستاذ المغامى رحمه الله تعالى صار إلى الجامع، و صلى فيه، و أمر مريدا له بالقراءة، و وافاه الفرنج لعنهم الله تعالى و تكاثروا لتغيير القبلة، فما جسر أحد منهم على إزعاج الشيخ و لا معارضته، و عصمه الله تعالى منهم، إلى أن أكمل القراءة، و سجد سجدة، و رفع رأسه، و بكى على الجامع بكاء شديدا، و خرج و لم يعرض أحد له بمكروه. و قيل لمملك النصارى: ينبغي أن تلبس التاج كمن كان قبلك في هذا الملك، فقال: حتى نأخذ قرطبتهم، و أعد لذلك ناقوسا تأنق فيه و فيما رضع به من الجواهر، فأكذبه الله و أزعجه.

و ورد أمير المسلمين و ناصر الدين يوسف بن تاشفين، فما قصر فيما أثر من إذلال المشركين، و إرغام الكافرين، و استدراك أمور المسلمين، انتهى ملخصا، و قد مر مطولا.

و كانت قبلها وقعة بطرنة سنة ست و خمسين و أربعمئة، و ذلك أن الفرنج - خذلهم الله تعالى! - انتدبت منهم قطعة كثيفة، و نزلت على بلنسية في السنة المذكورة، و أهلها جاهلون بالحرب، معرضون عن أمر الطعن و الضرب، مقبلون على اللذات من الأكل و الشرب، و أظهر الفرنج الندم على منازلها، و الضعف عن مقاومة من فيها، و خدعوهم بذلك فانخدعوا، و أطمعوهم فطمعوا، و كمن في عدة أماكن جماعة من الفرسان، و خرج أهل البلد بثياب زينتهم، و خرج معهم أميرهم عبد العزيز بن أبي عامر، فاستدرجهم العدو لعنهم الله تعالى، ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل و الأسر، و ما نجا منهم إلا من حصّنه أجله، و خلص الأمير نفسه، و مما حفظ عنه أنه أنشد لما أعياه الأمر: [الطويل]

خليتي ليس الزأى في صدر واحد أشيرا علىّ اليوم ما تريان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٤٠

و في أهل بلنسية يقول بعض الشعراء حين خرجوا في ثياب الزينة و الترفه: [الكامل]

لبسوا الحديد إلى الوغى و لبستم حلل الحرير عليكم ألوانا

ما كان أقبحهم و أحسنكم بها لو لم يكن ببطرنة ما كانا

قال ابن بسام: و هكذا جرى لأهل طليطلة، فإن العدو- خذله الله تعالى!- استظهر عليهم، و قتل جماهيرهم، و كان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها لما خرجوا إليهم في ثياب الترفه ألف غفارة خارجا عما سواها.

[أخذهم بربشتر قصبه بلد برطانية]

و قال ابن حيان: و كان تغلب العدو- خذله الله تعالى!- على بربشتر قصبه بلد برطانية، و هي تقرب من سرقسطة، سنة ست و خمسين و أربعمائه، و ذلك أن جيش الأردمليس نازلها و حاصرها، و قصير يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها، و وكل أهلها إلى نفوسهم، فأقام العدو عليها أربعين يوما، و وقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته، و اتصل ذلك بالعدو، فشدّد القتال عليها و الحصر لها حتى دخل المدينة الأولى في خمسة آلاف مدرّع، فدهش الناس، و تحصنوا بالمدينة الداخلة، و جرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة إفرنجي، ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر إلى المدينة تحت الأرض في سرب موزون انهارت و فسدت، و وقعت فيها صخرة عظيمة سدّت السرب بأسره، فانقطع الماء عن المدينة، و يئس من بها من الحياة، فلاذوا بطلب الأمان على أنفسهم خاصة دون مال و عيال، فأعطاهم العدو الأمان، فلما خرجوا نكث بهم و غدر، و قتل الجميع إلا القائد ابن الطويل و القاضي ابن عيسى في نفر من الوجوه، و حصل للعدو من الأموال و الأمتعة ما لا يحصى، حتى إن الذي خص بعض مقدّمي العدو لحصنه و هو قائد خيل رومه نحو ألف و خمسمائة جارية أبقارا، و من أوقار الأمتعة و الحلوى و الكسوة خمسمائة جمل، و قدّر من قتل و أسر مائة ألف نفس، و قيل: خمسون ألف نفس، و من نوادر ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة و انقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور و تتادى من يقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أو ولدها، فيقول لها: اعطيني ما معك، فتعطيها ما معها من كسوة و حلوى و غيره.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٤١

قال: و كان السبب في قتلهم أنه خاف من يصل لنجدتهم و شاهد من كثرتهم ما هاله، فشرع في القتل لعنه الله تعالى، حتى قتل منهم نيفا على ستة آلاف قتيل، ثم نادى الملك بتأمين من بقى و أمر أن يخرجوا فازدحموا في الباب إلى أن مات منهم خلق عظيم، و نزلوا من الأسوار في الجبال للخشية من الازدحام في الأبواب و مبادرة إلى شرب الماء، و كان قد تحيز في وسط المدينة قدر سبعمائة نفس من الوجوه و حاروا في نفوسهم، و انتظروا ما ينزل بهم، فلما خلت ممن أسر و قتل و أخرج من الأبواب و الأسوار، و هلك في الزحمة نودي في تلك البقية بأن يبادر كل منهم إلى داره بأهله، و له الأمان، و أزهقوا و أزعجوا، فلما حصل كل واحد [منهم] بمن معه من أهله في منزله اقتسمهم الإفرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك، و أخذ كل واحد [منهم] دارا بمن فيها من أهلها، نعوذ بالله تعالى. و كان من أهل المدينة جماعة قد عاذوا برءوس الجبال، و تحصنوا بمواضع منيعة، و كادوا يهلكون من العطش، فأمنهم الملك على نفوسهم، و برزوا في صور الهلكى من العطش، فأطلق سبيلهم، فبينما هم في الطريق إذا لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة، فقتلواهم إلا القليل ممن نجا بأجله.

[ذكر بعض فظائع الإفرنج التي كانوا يعملونها حين يستولون على البلاد]

قال: و كان الفرنج لعنهم الله تعالى، لما استولوا على أهل المدينة يفتصّون البكر بحضرة أبيها، و الثيب بعين زوجها و أهلها، و جرى من هذه الأحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان، و من لم يرض منهم أن يفعل ذلك في خادم أو ذات مهنة أو

وخش أعطاهن خوله و غلمانه يعيثون فيهن عيثن، و بلغ الكفرة منهم يومئذ ما لا تلحقه الصفة على الحقيقة، و لما عزم ملك الروم على القفول إلى بلده تخير من بنات المسلمين الجوارى الأبكار و الثيبات ذوات الجمال، و من صبيانهم الحسان ألوفاً عدة حملهم معه ليهدبهم إلى من فوقه، و ترك من رابطة خيله ببر بشر ألفاً و خمسمائة، و من الرجال ألفين. انتهى.

قال ابن حيان: و أختم هذه الأخبار الموقظة لقلوب أولى الألباب بنادرة منها يكتفى باعتبارها عما سواها، و هي أن بعض تجار اليهود جاء برّ بشر بعد الحادثة ملتصقاً فدية بنات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٤٢

بعض الوجوه ممن نجا من أهلها حصلن في سهم قومس من الرابطة فيها كان يعرفه، قال:

فهديت إلى منزله فيها، و استأذنت عليه، فوجدته جالسا مكان رب الدار، مستويا على فراشه، رافلا في نفيس ثيابه، و المجلس و السرير كما خلّفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيئا من ريشهما و زيتنهما، و وصائفه مضمومات الشعور، قائمات على رأسه ساعات في خدمته، فرحب بي، و سألتني عن قصدي، فعرفته وجهه، و أشرت إلى وفور ما أبدله في بعض اللواتي على رأسه و فيهن كانت حاجتي، فتبسم و قال بلسانه: ما أسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك! عرض عمن هنا و تعرّض لمن شئت ممن صيرته لحصني من سبي و أسراى أقاربك فيمن شئت منهن، فقلت له: أما الدخول إلى الحصن فلا رأى لي فيه، و بقربك أنست، و في كنفك اطمأنت، فسمني ببعض من هنا فإنني أصير إلى رغبتك، فقال: و ما عندك؟ قلت: العين الكثير الطيب و البز الرفيع الغريب، فقال: كأنك تشهيني ما ليس عندى، يا مجه، ينادى بعض أولئك الوصائف، يريد «يا بهجة» فغيره بعجمته، قومي فاعرضي عليه ما في ذلك الصندوق،؟؟؟؟ إليه و أقبلت ببدر الدنانير و أكياس الدراهم و أسفاط الحلى، فكشف و جعل بين يدي العليج حتى كادت توارى شخصه، ثم قال لها: أدنى إلينا من تلك التخوت، فأذنت منه عدة من قطع الوشى و الخز و الديباج الفاخر مما حار له ناظري و بهت، و استرذلت ما عندى، ثم قال لي: لقد كثر هذا عندى حتى ما ألد به، ثم حلف بإلاّله أنه لو لم يكن عنده شيء من هذا ثم بذل له بأجمعه في ثمن تلك ما سخت بها يدي، فهي ابنة صاحب المنزل، و له حسب في قومه، اصطفيتها لمزيد جمالها لولادتي حسبما كان قومها يصنعون بنسائنا نحن أيام دولتهم، و قد رد لنا الكرة عليهم، فصرنا فيما تراه، و أزيدك بأن تلك الخودة الناعمة، و أشار إلى جارية أخرى قائمة إلى ناحية أخرى، مغنية والدها التي كانت تشدو له على نشواته، إلى أن أيقظناه من نوماته، يا فلانة، يناديها بلكنته، خذى عودك فغنى زائرنا بشجوك، قال:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٣٤٢

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٤٣

فأخذت العود، و قعدت تسويه، و إنى لأتأمل دمعها يقطر على خدها، فتسارق العليج مسحه، و اندفعت تغنى بشعر ما فهمته أنا فضلا عن العليج، فصار من الغريب أن حثّ شربه هو عليه، و أظهر الطرب منه، فلما يئست مما عنده قمت منطلقا عنه، و ارتدت لتجارتي سواه، و اطلعت لكثرة ما لدى القوم من السبي و المغنم على ما طال عجبى به، فهذا فيه مقنع لمن تدبره، و تذكر لمن تذكره.

قال ابن حيان: قد أشفينا بشرح هذه الحالة الفادحة مصائب جليلة مؤذنة بوشك القلعة طالما حذر أسلافنا لحاقها بما احتملوه عمن قبلهم من أثاره، و لا شك عند ذوى الألباب أن ذلك مما دهانا من داء التقاطع و قد أمرنا بالتواصل و الألفة، فأصبحنا من استشعار ذلك و التمادى عليه على شفا جرف يؤدي إلى الهلكة لا محالة. انتهى ببعض اختصار.

و ذكر بعده كلاما في ذم أهل ذلك الزمان من أهل الأندلس، و أنهم يعللون أنفسهم بالباطل، و أن من أدل الدلائل على جهلهم اغترارهم بزمانهم، و بعدهم عن طاعة خالقهم، و رفضهم وصية نبيهم، و غفلتهم عن سدّ ثغورهم، حتى أطل عدوّهم الساعى لإطفاء نورهم، يجوس خلال ديارهم، و يستقرى بسائط بقاعهم، و يقطع كل يوم طرفا، و يبئد أمة، و من لدينا و حوالينا من أهل كلمتنا صموت عن ذكرهم، لهأة عن بثهم، ما إن سمع عندنا بمسجد من مساجدنا أو محفل من محافلنا، مذكر لهم أو داع، فضلا عن نافر

إليهم أو ماش لهم، حتى كأنهم ليسوا منا أو كأنّ بثقهم ليس بمفض إلينا، وقد بخلنا عليهم بالدعاء بخلنا عليهم بالغناء، عجائب فاتت التقدير، و عرضت للتغيير، ولله عاقبة الأمور، وإليه المصير.

ولقد صدق رحمه الله تعالى، فإن البثق سرى إليهم جميعا كما ستراه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال قبله: إن بر بشر هذه تناسختها قرون المسلمين منذ ثلاثمائة و ثلاث و ستين سنة، من عهد الفتح الإسلامية بجزيرة الأندلس، فرسخ فيها الإيمان، و تدورس القرآن، إلى أن طرق الناعى بها قرطبتنا صدر رمضان من العام، فصك الأسماع، و أطار الأفتدة، و زلزل أرض الأندلس قاطبة، و صير لكلّ شغلا يشغل الناس فى التحدث به، و التساؤل عنه، و التصور لحلول مثله، أياما لم يفارقوا فيها عادتهم من استبعاد الوجل، و الاغترار بالأمل، و الاستناد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٤٤

إلى أمراء الفرقة الهمل، الذين هم منهم ما بين فشل و وكل، يصدونهم عن سواء السبيل، و يلبسون عليهم الدليل، و لم تزل آفة الناس منذ خلقوا فى صنفين هم كالملاح فيهم الأمراء و الفقهاء بصلاحتهم يصلحون و بفسادهم يفسدون، فقد خص الله تعالى هذا القرن الذى نحن فيه من اعوجاج صنفهم لدينا بما لا- كفاية له و لا مخلص منه، فالأمراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق زيادا عن الجماعة، و جريا إلى الفرقة، و الفقهاء أمتهم صموت عنهم صدوف عما أكده الله تعالى عليهم من التبيين لهم، قد أصبحوا ما بين آكل من حلوائهم، و خابط فى أهوائهم، و بين مستشعر مخالفتهم، آخذ فى التقيّة من صدقهم، و أولئك هم الأقلون فيهم، فما القول فى أرض فسد ملحها الذى هو المصلح لجميع أغديتها؟ و ما هى إلا مشفية من بوارها، و لقد طما العجب من أفعال هؤلاء الأمراء، لم يكن عندهم لهذه الحادثة إلا الفزع لحفر الخنادق، و تعلية الأسوار، و شدّ الأركان، و توثيق البنيان، كاشفين لعدوّهم عن السوأة السوأة من إلقائهم يومئذ بأيديهم إليه أمورا قبيحات الصور، مؤذيات الصدور بأعجاز الغير. [الوافر]

أمور لو تدبرها حكيم إذا لنهى و هبب ما استطاعا

ثم قال ابن حيان: فلما كان عقب جمادى الأولى سنة ٤٥٧ شاع الخبر بقرطبة برجوع المسلمين إليها، و ذلك أن أحمد المقتدر بن هود المفرط فيها، و المتهم على أهلها، لانحرافهم إلى أخيه، صمد لها مع إمداد لحليفه عبّاد، و سعى لإصمات سوء المقالة عنه، و قد كتب الله تعالى عليه منها ما لا- يمحوه إلا عفوه، فتأهب لقصد بر بشر فى جموع من المسلمين، فجالدوا الكفار بها جلادا ارتاب منه كل جبان، و أعز الله سبحانه أهل الحفيظة و الشجعان، و حمى الوطيس بينهم إلى أن نصر الله تعالى أوليائه، و خذل أعداءه، و ولّوا الأدبار مقتحمين أبواب المدينة، فاقتمها المسلمون عليهم، و ملكوهم أجمعين، إلا- من فر من مكان الوقعة، و لم يدخل المدينة، فأجبل السيف فى الكافرين، و استؤصلوا أجمعين، إلا من استرق من أصاغرهم، و فدى من أعاضهم، و سبوا جميع من كان فيها من عيالهم و أبنائهم، و ملكوا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٤٥

المدينة بقدرة الخالق البارئ، و أصيب فى منحة النصر المتاح طائفة من حماة المسلمين الجادين فى نصر الدين، نحو الخمسين، كتب الله تعالى شهادتهم، و قتل فئة من أعداء الله الكافرين نحو ألف فارس و خمسة آلاف راجل، فغسلها المسلمون من رجس الشرك، و جلوها من صدإ الإفك. انتهى.

و ليت طليطلة البائسة استرجعت كهذه، و مع هذا فقد غلب العدو بعد على الكل، و الله سبحانه المرجو فى الإدالة.

[أخذ الإفرنج مدينتى تطيلة و طرشونة]

وقال ابن اليسع: أخذ العدو مدينة تطيلة و أختها طرشونة سنة أربع و عشرين و خمسمائة، و لما صار أمر بلنسية إلى الفقيه القاضى أبى أحمد بن جحاف قاضيا صيرها لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فحصره بها القادر بن ذى النون الذى مكن الأذفونش من طليطلة،

فهجم عليه القاضي في لمة من المرابطين، وقتله، و دفع ابن جحاف لما لم يعهد من تدبير السلطان، و رجعت عنه طائفة المثلثين الذي كان يعتد بهم، و جعل يستصرخ إلى أمير المسلمين فيبطيء عليه، و في أثناء ذلك أنهض يوسف بن أحمد بن هود صاحب سرقسطة لذريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية، فدخلها، و عاهده القاضي ابن جحاف، و اشترط عليه إحضار ذخيرة كانت للقادر بن ذى النون، فأقسم أنها ليست عنده، فاشترط عليه أنه إن وجدها عنده قتله، فاتفق أنه وجدها عنده، فأحرقه بالنار، و عاث في بلنسية، و فيها يقول ابن خفاجة حينئذ: [الكامل]

عاشت بساحتك الظبا يا دار و محاسنك البلى و النار

فإذا تردد في جنابك ناظر طال اعتبار فيك و استعمار

أرض تقاذفت الخطوب بأهلها و تمخضت بخرابها الأقدار

كنت يد الحدثان في عرصاتها لا أنت أنت و لا الديار ديار

و كان استيلاء القنبطور - لعنه الله تعالى!- عليها سنة ثمان و ثمانين و أربعمائه، و قيل:

في التي قبلها، و به جزم ابن الأبار قائلا: فتم حصار القنبطور إياها عشرين شهرا، و ذكر أنه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٤٦

دخلها صلحا، و قال غيره: إنه دخلها عنوة، و حرقها، و عاث فيها، و ممن أحرق فيها الأديب أبو جعفر البني الشاعر المشهور رحمه الله تعالى و عفا عنه، فوجه أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين الأمير أبا محمد مزدلي ففتحها الله تعالى على يديه سنة خمس و تسعين و أربعمائه، و توالى عليها أمراء المثلثين، ثم صارت ليحيى بن غانية المثلث حين ولى جميع شرق الأندلس، فقدم عليها أخاه عبد الله بن غانية، و لما ثارت الفتنة في المائة السادسة أخرجه منها مروان بن عبد العزيز، إلى أن قام عليه جيش بلنسية سنة تسع و ثلاثين و خمسمائه، و بايعوا لابن عياض ملك شرق الأندلس، ففر مروان إلى المرية، ثم رجعت بلنسية إلى أبي عبد الله بن مردنيش ملك شرق الأندلس بعد ابن عياض، و قدم عليه أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش، إلى أن رجع أبو الحجاج إلى جهة بني عبد المؤمن، إلى أن ولى عليها السيد أبو زيد عبد الرحمن بن السيد أبي عبد الله بن أبي حفص ابن أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي، فلما ثار العادل بمرسية تمنع و اعتز، و أظهر طاعة في باطنها معصية، و دام على ذلك مع أبي العلاء المأمون، و كان قائد الأعنة المشار إليه في الدفاع عن بلنسية الأمير زياد بن أبي الحملات بن أبي الحجاج بن مردنيش، فأخرجه من بلنسية، و ملكها، و فر السيد إلى النصراني، و لم يزل أمر بلنسية يضعف باستيلاء العدو على أعمالها إلى أن حصرها ملك برشلونة النصراني،

[القصيدة السينية التي ألهاها ابن الأبار القضاعي بين يدي أبي زكريا بن أبي حفص سلطان إفريقية و قد أقبل عليه يستغيثه]

فاستغاث زيان بصاحب إفريقية أبي زكريا بن أبي حفص، و أوفد عليه في هذه الرسالة كاتبه الشهير أبا عبد الله بن الأبار القضاعي صاحب كتاب «التكملة» و «إعتاب الكتاب» و غيرهما، فقام بين يدي السلطان منشدا قصيدته السينية الفريدة التي فضحت من باراها، و كبا دونها من جاراها، و هي: [البسيط]

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

و هب لها من عزيز النصر ما التمتست فلم يزل منك عز النصر ملتتمسا

و حاش ممّا تعانیه حشاشتها فطالما ذقت البلوى صباح مسا

يا للجزيرة أضحي أهلها جزرا للحادثات و أمسى جدّها تعسا

في كل شارقة إمام بارقة يعود مأتها عند العدا عرسا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٤٧

و كل غاربة إخجال شائبة تنثى الأمان حذارا و السرور أسي
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم إلّا عقائلها المحجوبة الأنسا
و فى بلنسية منها و قرطبة ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الإشراك مبتسما جدلان، و ارتحل الإيمان مبتسا
و صيرتها العوادي العائثات بها يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
فمن دساكر كانت دونها حرسا و من كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدا بيعا و للنداء غدا أثناءها جرسا
لهفى عليها إلى استرجاع فائتها مدارس للمثاني أصبحت درسا
و أربعا نممت أيدي الزبيح لها ما شئت من خلع موشية و كسا
كانت حدائق للأحداق مونقة فصوح النضر من أدواحها و عسا
و حال ما حولها من منظر عجب يستجلس الزكب أو يستر كب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر و حربا عيث الدبا فى مغانيها التى كبسا
و ابتز بزتها مما تحيفها تحيف الأسد الضارى لما افترسا
فأين عيش جنيناه بها خضرا و أين عصر جليناه بها سلسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها ما نام عن هضمها حيناً و لا نعسا
و رجّ أرجاءها لّمّا أحاط بها فغادر الشّم من أعلامها خنسا
خلا له الجوّ فامتدّت يده إلى إدراك ما لم تطأ رجلاه مختلسا
و أكثر الزّعم بالتثليث منفردا و لو رأى رايه التّوحيد ما نيسا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٤٨
صل حبلها أيها المولى الرّحيم فما أبقى المراس لها حبلا و لا مرسا
و أحي ما طمست منها العداة كما أحييت من دعوة المهدى ما طمسا
أيام صرت لنصر الحقّ مستبقا و بتّ من نور ذاك الهدى مقتبسا
و قمت فيها بأمر الله منتصرا كالصارم اهتزّ أو كالعارض انبجسا
تمحو الذى كشف التّجسيم من ظلم و الصبح ماحية أنواره الغلسا
و تقتضى الملك الجبّار مهجته يوم الوغى جهرة لا ترقب الخلسا
هذى رسائلها تدعوك من كئيب و أنت أفضل مرجو لمن يشا
وافتك جارية بالتّجج راجية منك الأمير الرضا و السيد النّدى
خاضت خضارة يعليها و يخفضها عبابه فتعانى اللين و الشّرسا
و ربّما سبحت و الريح عاتية كما طلبت بأقصى شده الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص مقبله من تربه القدسا
ملك تقلدت الأملاك طاعته دينا و دنيا فغشاها الرضا لبسا
من كلّ غاد على يمانه مستلما و كلّ صاد إلى نعماه ملتسا
مؤيد لو رمى نجما لأنبته و لو دعا أفقا لئبى و ما احتبسا

تالله إن الذي تزجي السعود له ما جال في خلد يوما ولا هجسا
 إمارة يحمل المقدار رايتها و دوله عزها يستصحب القعسا
 يبدى النهار بها من ضوئه شبا و يطلع الليل من ظلماته لعسا
 ماضى العزيمة و الأيام قد نكلت طلق المحيا و وجه الدهر قد عبسا
 كآته البدر و العلياء هالته تحف من حوله شهب القنا حرسا
 تدبيره وسع الدنيا و ما وسعت و عرف معروفه واسى الورى و أسا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٤٩
 قامت على العدل و الإحسان دولته و أنشرت من وجود الجود ما رمسا
 مبارك هديه باد سكينته ما قام إلّا إلى حسنى و ما جلسا
 قد نور الله بالتقوى بصيرته فما يبالي طروق الخطب ملتبسا
 برى العصاء وراش الطائعين فقل فى الليث مفترسا و الغيث مرتجسا
 و لم يغادر على سهل و لا جبل حيا لقاحا إذا وافيته بخسا
 فرب أصيد لا تلقى به صيدا و رب أشوس لا تلقى له شوسا
 إلى الملائك ينمى و الملوك معا فى نبعه أثمرت للمجد ما غرسا
 من ساطع النور صاغ الله جوهره و صان صيقله أن يقرب الدنسا
 له الثرى و الثريا خطتان فلا أعز من خطتيه ما سما ورسا
 حسب الذى باع فى الأخطار يركبها إليه محياه أن البيع ما وكسا
 إن السعيد امرؤ ألقى بحضرته عصاه محترما بالعدل محترسا
 فظل يوطن من أرجائها حرما و بات يوقد من أضوائها قبسا
 بشرى لعبد إلى الباب الكريم حدا آماله و من العذب المعين حسا
 كأنما يمتطى و اليمن يصحبه من البحار طريقا نحوه يبسا
 فاستقبل السعد وضاحا أسرته من صفحة فاض منها النور و انعكسا
 و قبل الجود طفاحا غواربه من راحة غاص فيها البحر و انغمسا
 يا أيها الملك المنصور أنت لها علياء توسع أعداء الهدى تعسا
 و قد تواترت الأنباء أنك من يحيى بقتل ملوك الصفر أندلسا
 طهر بلادك منهم إنهم نجس و لا طهارة ما لم تغسل النجسا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٥٠
 و أوطىء الفيلىق الجرار أرضهم حتى يطأطىء رأسا كل من رأسا
 و انصر عبدا بأقصى شرقها شرقت عيونهم أدمعا تهيمى زكا و خسا
 هم شيعه الأمر و هى الدار قد نهكت داء متى لم تباشر حسمه انتكسا
 فاملأ هنيئا لك التأييد ساحتها جردا سلاهب أو خطية دعسا
 و اضرب لها موعدا بالفتح ترقبه لعل يوم الأعادى قد أتى و عسى

[تغلب الإفرنج على بلنسية و وقعة كتندة]

فبادر السلطان بإعاتتهم، و شحن الأساطيل بالمدد إليهم، من المال و الأقوات و الكسى، فوجدوهم فى هوة الحصار، إلى أن تغلب الطاغية على بلنسية، و رجع ابن الأبار بأهله إلى تونس، و كان تغلب العدو على بلنسية صلحا يوم الثلاثاء، السابع عشر لصفرة من سنة ست و ثلاثين و ستمائة، فهزّت هذه القصيدة من الملك عطف ارتياح، و حركت من جناحه أخفض جناح، و لشغفه بها و حسن موقعها منه أمر شعراء حضرته بمجاوبتها، فجاوبها غير واحد، و حال العدو بين بلنسية و بينه، و تعاهد أهلها مع النصرانى على أن يسلمهم فى أنفسهم، و ذلك سنة سبع و ثلاثين و ستمائة، أعادها الله تعالى للإسلام.

و كانت وقعة كتندة على المسلمين قبل هذا التاريخ بمدّة، و كتندة- يقال «قتندة» بالقاف- من حيز دورقة من عمل سرقسطه من الثغر الأعلى، و كانت الهزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى، قتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألفا، و لم يقتل فيها من العسكر أحد، و كان على المسلمين الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذى أّلف الفتح باسمه «قلائد العقيان» و كانت سنة أربع عشرة و خمسمائة، و ممن حضرها الشيخ أبو على الصدفي السابق الذكر، و قرينه فى الفضل أبو عبد الله بن الفراء خرجا غازيين، فكانا ممن فقد فيها. و قال غير واحد: إن العسكر انصرف مفلولا إلى بلنسية، و إن القاضى أبا بكر بن العربى كان ممن حضرها، و سئل مخلصه منها عن حاله، فقال: حال من ترك الخباء و العباء، و هذا مثل عند المغاربة معروف، يقال لمن ذهب ثيابه و خيامه، بمعنى أنه ذهب جميع ما لديه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٥١

[استيلاء العدو على لوشة و المريّة]

و دخل العدو لوشة سنة اثنتين و عشرين و ستمائة، مع السيد أبى محمد البياسى فى الفتنة التى كانت بينه و بين العادل، فعاثوا فيها أشد العيث، ثم ردها المسلمون إلى أن أخذت بعد ذلك كما يأتى.

و دخل العدو مدينة المريّة يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة، عنوة. و حكى أبو زكريا الجعيدى عن أبى عبد الله بن سعادة الشاطبى المعمر أن أبا مروان بن ورد أتاه فى النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه فى عضديه من خلفه، و هزه هزا عنيفا حتى أربعه، و قال له قل: [الطويل]

ألا أيّها المغرور ويحك لا تنم فلله فى ذا الخلق أمر قد انبهم
فلا بد أن يرزوا بأمر يسوءهم فقد أحدثوا جرما على حاكم الأمم

قال: و كان هذا فى سنة أربعين و خمسمائة، فلم يمض إلا يسير حتى تغلب الروم على المريّة فى سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة، بعد تلك الرؤيا بعامين أو نحوهما.

و هو مما حكاه ابن الأبار الحافظ فى كتاب «التكملة» له.

و فى وقعة المريّة هذه استشهاد الرّشاطى لإمام المشهور، و هو أبو محمد عبد الله بن على بن عبد الله بن على بن خلف بن أحمد بن عمر، اللخمي، الرشاطى، المري، و كانت له عناية كبيرة بالحديث و الرجال و الرواة و التواريخ، و هو صاحب كتاب «اقتباس الأنوار، و التماس الأزهار، فى أنساب الصحابة و رواة الآثار» أخذه الناس عنه، و أحسن فيه، و جمع و ما قصر، و هو على أسلوب كتاب أبى سعد بن السمعانى الحافظ المسمى «بالأنساب».

و ولد الرّشاطى سنة ٤٦٦ بقرية من أعمال مرسية يقال لها أوريوا له- بفتح الهمزة، و سكون الواو، و كسر الراء، و ضم المثناة التحتية، و بعد الألف لام مفتوحة، و بعدها هاء- و توفى شهيدا بالمريّة عند تغلب العدو عليها صبيحة الجمعة العشرين من جمادى الأولى سنة

٥٤٢.

و الرشاطى - بضم الراء، و فتح الشين المخففة - و ذكر هو أن أحد أجداده كان فى جسمه نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٥٢ شامة كبيرة، و كانت حاضته عجمية، فإذا لاعتبه قالت: رشاطة، و كثر ذلك منها، فقيل له: الرشاطى، انتهى ملخصا من «وفيات الأعيان»، و بعضه بالمعنى.

[عودة المرية إلى المسلمين ثم فقدانها]

و بعد أخذ النصارى المرية هذه المرة رجعت إلى ملك المسلمين، و استنقذها الله تعالى على يد الموحدين، و بقيت بأيدى أهل الإسلام سنين، و كان أول الولاة عليها حين استولى عليها أمير المسلمين عبد المؤمن بن على رجلا يقال له يوسف بن مخلوف فتار عليه أهل المرية، و قتلوه، و قدموا على أنفسهم الرميمى، فأخذها النصارى منه عنوة كما ذكرنا، و أحصى عدد من سبى من أبكارها فكان أربعة عشر ألفا.

و قال ابن حبش آخر الحفاظ بالأندلس: كنت فى قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها أعادها تعالى للإسلام، فتقدمت إلى زعيم الروم السليطين، و هو ابن بنت الأذفونش، و قلت له: إني أحفظ نسبك منك إلى هرقل، فقال لى: قل، فذكرته له، فقال لى: اخرج أنت و أهلك و من معك طلقاء بلا شىء.

و ابن حبش شيخ ابن دحية و ابن حوط الله و أبى الربيع الكلاعى، رحمهم الله تعالى!.

و لما أخذت المرية أقبل إليها السيدان أبو حفص و أبو سعيد ابنا أمير المؤمنين فحصرا النصارى بها، و زحف إليهما أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الأندلس محاربا لهما، فكانا يقاتلان النصارى و المسلمين داخلا و خارجا، ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه فى قتالهم مع كونهم يقاتلون النصارى، فارتحل، فقال النصارى: ما رحل ابن مردنيش إلا و قد جاءهم مدد، فاصطلحوا و دخل الموحدون المدينة، و قد خربت و ضعفت، إلى أن أحيا رمقها الرئيس أبو العباس أحمد بن كمال، و ذلك أن أخته أخذت سبيته فى دخله عبد المؤمن ليجانته، فاختلف بقصره و اعتنت بأخيها، فولاه بلده، فصلح به حالها، و كان جوادا حسن المحاولة كثير الرفق، و اشتهر من ولاتها فى مدة بنى عبد المؤمن فى المائة السابعة الأمير أبو عمران بن أبى حفص عم ملك إفريقية أبى زكريا.

و لما كانت سنة خمس و عشرين و ستمائة و ثارت الأندلس على مأمون بنى عبد المؤمن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٥٣

بسبب قيام ابن هود بمرسية قام فى المرية بدعوة ابن هود أبو عبد الله محمد بن أبى يحيى بن الرميمى، و جدده أبو يحيى هو الذى أخذها النصارى من يده، و لما قام بدعوة ابن هود وفد عليه بمرسية و ولاه وزارته، و صرف إليه سياسته، و آل أمره معه إلى أن أغراه بأن يحصن قلعة المرية، و يجعلها له عدة، و هو يبغي ذلك عدة لنفسه، و ترك ابن هود فيها جارية تعلق ابن الرميمى بها، و اجتمع معها، فبلغ ذلك ابن هود، فبادر إلى المرية، و هو مضمر الإيقاع بابن الرميمى، فتغدى به قبل أن يتعشى به، و أخرج من قصره ميتا، و وجهه فى تابوت إلى مرسية فى البحر، و استبد ابن الرميمى بملك المرية، ثم ثار عليه ولده، و آل الأمر بعد أحوال إلى أن تملكها ابن الأحمر صاحب غرناطة، و بقيت فى يد أولاده بعده إلى أن أخذها العدو الكافر عندما طوى بساط بلاد الأندلس كما سننبه عليه، و الله غالب على أمره.

و ما أحسن قول أبى إسحاق إبراهيم بن الدباغ الإشبلى فى هزيمة العقاب بإشبيلية: [الوافر]

و قائله أراك تطيل فكرا كأنك قد وقفت لدى الحساب

فقلت لها أفكر فى عقاب غدا سببا لمعركة العقاب

فما في أرض أندلس مقام وقد دخل البلا من كل باب

وقول القائد أبي بكر ابن الأمير ملك شلب أبي محمد عبد الله ابن وزيرها يخاطب منصور بن عبد المؤمن وقد التقى هو وأصحابه مع جماعة من الفرنج فتناصفوا، ثم كان الظفر للمسلمين: [الطويل]

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا فمنا ومنهم طائحون عديد

وجال غرار الهند فينا وفيهم فمنا ومنهم قائم وحصيد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٥٤

فلا صدر إلا فيه صدر مثقف وحول الوريد للحسام وروود

صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا كلانا على حرّ الجلاذ جليد

ولكن شددنا شدة فتبلدوا ومن يتبلد لا يزال يحيد

فولوا وللسم الطوال بهامهم ركوع وللبيض الرقاق سجود

وكان المذكور من فرسان الأندلس، وكان ابنه الفاضل أبو محمد غير مقصر عنه فروسيه وقدره وأدبا وشعرا، وولاه ناصر بن عبد

المؤمن مدينة قصر أبي دانس في الجهة الغربية، وقتله ابن هود بإشبيلية، وزعم أنه يروم القيام عليه، ومن شعره قوله في ابن عمرو

صاحب أعمال إشبيلية: [الكامل]

لا تياسن من الخلافة بعد ما ولي ابن عمرو خطّة الأشراف

تبا لدهر هذه أفعاله يضع النوافج في يدي كناف

[أخذ الإفرنج كورة ماردة و الملك المظفر محمد بن المنصور بن الأفطس ملك بطليوس و ماردة]

رجع: ودخل العدو كورة ماردة من محمد بن هود سنة ست وعشرين و ستمائة، وكان مفتتح المصائب على يده، أعادها الله تعالى

للإسلام! وهي قاعدة بلاد الجوف في مدة العرب والعجم، والحضرة المستجدة بعدها هي مدينة بطليوس، وبين ماردة و قرطبة

خمسة أيام.

و ملك بطليوس و ماردة و ما إليها المظفر محمد بن المنصور بن الأفطس مشهور، و هو من رجال «القلاند» و «الذخيرة» و هو أديب

ملوك عصره بلا مدافع و لا منازع، و له التصنيف الراقق، و التأليف الفائق، المترجم ب «التذكر المظفرى» خمسون مجلدا اشتمل على

فنون و علوم من مغاز و سير و مثل و خبر و جميع علوم الأدب، و قال يوما: و الله ما يمنعنى من إظهار الشعر إلا كونى لا أقول مثل

قول أبي العشائر بن حمدان: [الكامل]

أقرأت منه ما تخط يد الوغى و البيض تشكل و الأسنة تنقط

و قول أبي فراس ابن عمه: [الوافر]

و جرّنا العوالى فى مقام تحدّث عنه ربّات الحجال

كأنّ الخيل تعلم من عليها ففى بعض على بعض تعالى

فأين هذا من قولى: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٥٥

أنفت من المدام لأنّ عقلى أعزّ على من أنس المدام

و لم أرتح إلى روض و زهر و لكن للحمائل و الحسام

إذا لم أملك الشّهوات قهرا فلم أبغى الشّفوف على الأنام

و له رحمه الله تعالى: [الخفيف]

يا لحظه زد فتورا تزد على اقتدارا

فالحظ كالسيف أمضاه ما يرق غرارا

و ابنه المتوكل من رجال «القلائد» و «المسهب» و كان فى حضرة بطليوس كالمعتمد بن عباد بإشبيلية، قد أناخت الآمال بحضرتهما، و شدت رحال الآداب إلى ساحتها، يتردد أهل الفضائل بينهما كتردد النواسم بين جنتين، و ينظر الأدب منهما عن مقلتين، و المعتمد أشعر، و المتوكل أكتب.

[أبو عبد الله محمد الفاززى (ترجمة)]

رجع: و قال الفاضل الكاتب أبو عبد الله محمد الفاززى، و قيل: إنها وجدت برقعته فى جيبه يوم موته: [الكامل]

الروم تضرب فى البلاد و تغنم و الجور يأخذ ما بقى و المغرم

و المال يورد كله قشتالة و الجند تسقط و الرعية تسلم

و ذوو التعين ليس فيهم مسلم إلا معين فى الفساد مسلم

أسفى على تلك البلاد و أهلها الله يلفظ بالجميع و يرحم

و قيل: إن هذه الأبيات رفعت إلى سلطان بلده، فلما وقف عليها قال بعد ما بكى:

صدق رحمه الله تعالى، و لو كان حيا ضربت عنقه!

و هذا الفاززى أخو الشاعر الشهير الكاتب الكبير أبى زيد عبد الرحمن الفاززى صاحب الأمداح فى سيد الوجود محمد صلى الله عليه و سلم، و هو كما قال فيه بعضهم: صاحب القلم الأعلى، و القدح المعلى، أبرع من ألف و صنف، و أبدع من قرط و شنف، فقد طاع القلم لبنانه، و النظم و النثر لببانه، كان نسيج وحده رواية و أخبارا، و وحيد نسجه رواية و ابتكارا، و فريد وقته خبرا و إخبارا، و صدر عصره إيرادا و إصدارا، صاحب فهم، و رافع ألوية علوم، أما الأدب فلا يسبق فيه مضماره، و لا يشق غباره، إن شاء إنشاء أنشى و وشى، سائل الطبع، عذب التبع، له فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٥٦

مدح النبى صلى الله عليه و سلم، بدائع قد خضع لها البيان و سلم، أعجز بتلك المعجزات نظما و نثرا، و أوجز فى تحبير تلك الآيات البيئات فجلا سحرا، و رفع للقوافى راية استظهار تخير فيها الأظهر، فعجم و عشر و شفع و أوتر، و أما الأصول فهى التى من فروعه، فى متفرق منظومه و منشور مجموعه، و أما النسب، فإلى حفظه انتسب، و أما الأيام و الدول، ففى تاريخه الأواخر و الأول، و قد سبك من هذه العلوم فى منشوره و موزونه، ما يشهد بإضافتها إلى فنونه، و له سماع فى الحديث و رواية، و فهم بقوانينه و درايته، سمع من أبى الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقى القاضى، و من أبى الحسن جابر بن أحمد القرشى التاريخى، و هو آخر من حدّث عنه، و من أبى عبد الله التجيبى كثيرا و هو أول من سمع عنه فى حياة الحافظ أبى الطاهر السلفى إذ قدم عليهم تلمسان، و أجازة الحافظ السهلى و ابن خلف الحافظ و غيرهما، و ولد بعد الخمسين و الخمسمائة، و توفى بمراكش سنة ٦٣٧، رحمه الله تعالى! انتهى ملخصا.

[أخذ الإفرنج جزيرة ميورقة]

رجع: و لما ثارت الأندلس على طائفة عبد المؤمن كان الوالى بجزيرة ميورقة أبو يحيى بن أبى عمران التينملى فأخذها الفرنج منه، كذا قال ابن سعيد، و قال ابن الأبار: إنها أخذت يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع و عشرين و ستمائة، و قال المخزومى فى

تاريخ ميورقة: إن سبب أخذها من المسلمين أن أميرها في ذلك الوقت محمد بن علي بن موسى كان في الدولة الماضية أحد أعيانها، ووليها سنة ست و ستمائة، واحتاج إلى الخشب المجلوب من يابسة، فأخذ طريدة بحرية وقطعة حربية، فعلم بها والي طرطوشة، فجهز إليها من أخذها، فعظم ذلك على والي، وحدث نفسه بالغزو لبلاد الروم، وكان ذلك رأيا مشؤوما، ووقع بينه وبين الروم، وفي آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين و ستمائة بلغه أن مسطحا من برشلونة ظهر على يابسة، مركبا و آخر من طرطوشة انضم إليه، فبعث ولده في عدة قطع إليه حتى نزل [في] مرسى يابسة، ووجد فيه لأهل جنوة مركبا كبيرا، فأخذه و سار حتى أشرف على المسطح، فقاتله وأخذه، و ظن أنه غالب الملوكة، و غاب عنه أنه أشأم من عاقر الناقة، و أن الروم لما بلغهم الخبر قالوا لملكهم و هو من ذرية أذفونش: كيف يرضى الملك بهذا الأمر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٥٧

و نحن نقاتل بنفوسنا و أموالنا؟ فأخذ عليهم العهد بذلك، و جمع عشرين ألفا من أهل البلاد، و جهز في البحر ستة عشر ألفا، و شرط عليهم حمل السلاح، و في سنة ست و عشرين و ستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها والي، و ميز نيفا على ألف فارس من فرسان الحضرة و الرعية مثلهم، و من الرجال ثمانية عشر ألفا، و ذلك في شهر ربيع الأول من السنة، و من سوء الاتفاق أن والي أمر صاحب شرطته أن يأتيه بأربعة من كبراء المصر، فساقهم و ضرب أعناقهم، و كان فيهم ابنا خاله، و خالهما أبو حفص بن سيرى ذو المكانة الوجيهة، فاجتمعت الرعية إلى ابن سيرى، فأخبروه بما نزل، و عزوه فيمن قتل و قالوا: هذا أمر لا يطاق، و نحن كل يوم إلى الموت نساق، و عاهدوه على طلب الثأر، و أصبح والي يوم الجمعة منتصف شوال، و الناس من خوفه في أهوال، و من أمر العدو في إهمال، فأمر صاحب شرطته بإحضار خمسين من أهل الوجاهة و النعمة فأحضرهم، و إذا بفارس على هيئة النذير دخل إلى والي، و أخبره بأن الروم قد أقبلت، و أنه عد فوق الأربعين من القلوع، و ما فرغ من إعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر و قال: إن أسطول العدو قد تظاهر، و قال: إنه عد سبعين شرعا، فصح الأمر عنده، فسمح لهم بالصفح و العفو، و عرفهم بخبر العدو، و أمرهم بالتجهز، فخرجوا إلى دورهم، كأنما نشروا من قبورهم، ثم ورد الخبر بأن العدو قرب من البلد، فإنهم عدوا مائة و خمسين قلعا، و لما عبر و قصد المرسى أخرج والي جماعة تمنعهم النزول، فباتوا على المرسى في الرجل و الخيل، و في الثامن عشر من شوال، و هو يوم الاثنين، وقع المصاف، و انهزم المسلمون، و ارتحل النصارى إلى المدينة، و نزلوا منها على الحربية الحزينة من جهة باب الكحل، و لم يزل الأمر في شدة و قد أشرفوا على أخذ البلد، و لما رأى ابن سيرى أن العدو قد استولى على البلد خرج إلى البادية، و لما كان يوم الجمعة الحادى عشر من صفر قاتلوا البلد قتالا شديدا، و لما كان يوم الأحد أخذ البلد، و أخذ منه أربعة و عشرون ألفا قتلوا على دم واحد، و أخذ والي، و عذب، و عاش بعد ذلك خمسة و أربعين يوما، و مات تحت العذاب، و أما ابن سيرى فإنه صعد إلى الجبل، و هو منيع لا ينال من تحصن فيه، و جمع عنده سنة عشر ألف مقاتل، و ما زال يقاتل إلى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة ثمان و عشرين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٥٨

و ستمائة، و جده من آل جبله بن الأيهم الغسانى، و أما الحصون فأخذت في آخر رجب سنة ثمان و عشرين و ستمائة، و في شهر شعبان لحق من نجا من المسلمين إلى بلاد الإسلام، انتهى ما ذكره ابن عميرة المخزومي ملخصا.

[شعر بعض أهل جزيرة ميورقة]

و كان بميورقة جماعة أعلام و شعراء، و من شعر ابن عبد الولي الميورقى: [الخفيف]

هل أمان من لحظك الفتان و قوام يميل كالخيزران

مهجتى منك في جحيم، و لكن جفوني قد متت في جان

فتنتنى لواحظ ساحرات لست أخشى من فتنة الشيطان

ولما استولى النصارى على ميورقة في التاريخ المتقدم ثار بجزيرة منورقة، و هي قرية منها الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشى، و كان وليها من قبل الوالى أبى يحيى المقتول، و تصالح مع النصارى على ضريبة معلومة، و اشترط أن لا يدخل جزيرة أحد من النصارى، و ضبطها أحسن ضبط، قال أبو الحسن على بن سعيد: أخبرنى أحد من اجتمع به أنه لقي منه برا حجب إليه الإقامة في تلك الجزيرة المنقطعة، و ذكر أنه ركب معه فنظر إلى حمالة سيف ضيقه و قد أثرت في عنقه، فأمر له بإحسان و غنباز، و كتب معه: [البسيط]

حمالة السيف توهى جيد حاملها لا سيما يوم إسراع و إنجاز
و خير ما استعمل الإنسان يومئذ لحسم علتها إلباس غنباز
و الغنباز عند أهل المغرب: صنف من الملبوس غليظ يستر العنق.
و أصل أبى عثمان من مدينة طليبة من غرب الأندلس، و قد ألفت باسمه التآليف المشهورة بالمغرب ككتاب «روح الشحر، و روح الشعر» و غيره.
و أخذ العدو منورقة بعد مدة.

[أخذ العدو جزيرة شقر و أخذ مدينة سرقسطة]

و أخذ العدو جزيرة شقر صلحا سنة تسع و ثلاثين و ستمائة في آخرها.
و أخذ العدو- دمره الله تعالى!- مدينة سرقسطة يوم الأربعاء لأربع خلون من رمضان سنة اثنتى عشرة و خمسمائة.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٥٩

[أخذ شرق الأندلس شاطبة و غيرها و أخذ مدينة قرطبة و أخذ مدينة مرسية و حصار إشبيلية]

و كان استيلاء الإفنج على شرق الأندلس شاطبة و غيرها و إجلاؤهم من يشاركهم من المسلمين فيما تغلبوا عليه منها في شهر رمضان سنة خمس و أربعين و ستمائة.
و كان استيلاء العدو- دمره الله تعالى!- على مدينة قرطبة يوم الأحد الثالث و العشرين لشوال من سنة ست و ثلاثين و ستمائة.
و كان تملك العدو مرسية صلحا ظهر يوم الخميس العاشر من شوال قدم أحمد بن محمد بن هود ولد والى مرسية بجماعة من وجوه النصارى، فملكهم إياها صلحا و لا حول و لا قوة إلا بالله [العلى العظيم!].
و حصر العدو إشبيلية سنة خمس و أربعين و ستمائة.
و فى يوم الاثنين الخامس من شعبان للسنة بعدها ملكها الطاغية صاحب قشتالة صلحا بعد منازلها حولا كاملا و خمسة أشهر أو نحوها.
و قال ابن الأبار فى ترجمه أبى على الشلوين من «التكملة» ما صورته: و توفى بين يدى منازل الروم إشبيلية ليلة الخميس منتصف صفر سنة خمس و أربعين و ستمائة، و فى العام القابل ملكها الروم.

[واقعة أنيجه و لابن الأبار يرثى شيخه أبا الربيع الكلاعى، و قد مات فى حصار أنيجه]

و كانت وقعة أنيجه التى قتل فيها الحافظ أبو الربيع الكلاعى رحمه الله تعالى يوم الخميس لعشر بقين من ذى الحجة سنة أربع و ثلاثين و ستمائة، و لم يزل رحمه الله تعالى مقدما أمام الصفوف زحفا إلى الكفار مقبلا على العدو ينادى بالمنهزمين: أعن الجنة

تفرون؟ حتى قتل صابرا محتسبا برّد الله تعالى مضجعه! و كان دائما يقول: إن منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره، فكان كذلك، وراثه تلميذه الحافظ أبو عبد الله بن الأبار بقصيدته الميمية الشهيرة التي أولها: [الطويل]

ألمّا بأشلاء العلا و المكارم تقدّ بأطراف القنا و الصّوارم
و عوجا عليها مآربا و مفازة مصارع خصّت بالطلا و الجماجم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٦٠
نحّي و جوها في الجنان و جيهه مجاسد من نسج الطّبا و اللهاذم
و هي طويلة.

[من شعر الحافظ أبي الربيع الكلاعي]

و من شعر الحافظ أبي الربيع المذكور: [الطويل]

توالت ليال للغواية جون و وافي صباح للرّشاد مبين
ركاب شباب أزمعت عنك رحله و جيش مشيب جهّزته منون
و لا أكذب الرحمن فيما أجنّه و كيف و لا يخفى عليه جنين
و من لم يخل أن الرياء يشينه فمن مذهبي أن الرياء يشين
لقد ريع قلبي للشّباب و فقدته كما ريع بالعلق الفقيد ضنين
و آلمني و خط المشيب بلّمتي فخطّ بقلبي للشجون فنون
و ليل شبّابي كان أنضر منظرا و آتق مهما لا حظته عيون
فآها على عيش تكدر صفوه و أنس خلا منه صفا و حجون
و يا ويح فودي أو فؤادي كلّما تزّيد شيبى كيف بعد يكون
حرام على قلبي سكون بغرّه و كيف مع الشيب الممضّ سكون
و قالوا شباب المرء شعبه جنّه فما لى عراني للمشيب جنون
و قالوا شجّاك الشيب حدثان ما أتى و لم يعلموا أن الحديث شجون
و قال أيضا: [الطويل]

أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى و ما أحد يا ربّ منك بدا أولى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٦١
تبارك وجه و جّهت نحوه المنى فأوزعها شكرا و أوسعها طولا
و ما هو إلا وجهك الدائم الذى أقلّ جلى عليائه يخرس القولا
تبرأت من حولى إليك و قوتى فكن قوتى فى مطلبى و كن الحولا
و هب لى الرضا ما لى سوى ذاك مبتغى و لو لقيت نفسى على نيله الهولا

[ترجمة الحافظ الكلاعي و ذكر تصانيفه]

و كان- رحمه الله تعالى!- حافظا للحديث، مبرزًا فى نقده، تام المعرفة بطرقه، ضابطا لأحكام أسانيدده، ذاكرا لرجاله، ريان من الأدب،

خطب ببلنسية، واستقضى، و كان مع ذلك من أولى الحزم و البسالة، و الإقدام و الجزالة، حضر الغزوات و باشر القتال بنفسه، و أبلى بلاء حسنا، و روى عن أبي القاسم بن حبيش و طبقته، و صنف كتباً منها «مصباح الظلم» فى الحديث، و «الأربعون» عن أربعين شيخاً لأربعين من الصحابة، و «الأربعون السباعية» و «السباعيات» من حديث الصدقى، و «حلية الأمالى فى الموافقات و العوالى» و «تحفة الوراد، و نجعة الرّواد» و «المسلسلات» و «الإنشادات» و «كتاب الاكتفاء، فى مغازى رسول الله صلى الله عليه و سلم و مغازى الثلاثة الخلفاء» و «ميدان السابقين، و حلبة الصادقين، المصدقين» فى غرض كتاب الاستيعاب، و لم يكمله، و «المعجم» فىمن وافقت كنيته زوجه من الصحابة، و «الإعلام، بأخبار البخارى الإمام» و «المعجم، فى مشيخة أبى القاسم بن حبيش» و «برنامج رواياته» و «جنى الرطب، فى سنى الخطب» و «نكتة الأمثال، و نفثة السحر الحلال» و «جهد النصيح، فى معارضة المعرى فى خطبة الفصيح» و «الامثال لمثال المبهج فى ابتداع الحكم و اختراع الأمثال» و «مفاوضة القلب العليل، و منابذة الأمل الطويل، بطريقة المعرى فى ملقى السبيل» و «مجازفتى اللحن، لللاحن الممتحن» مائة مسألة ملغزة، «نتيجة الحب الصميم، و زكاة المنثور و المنظوم، فى مثال النعل النبوية على لابسها أفضل الصلاة و السلام» قال ابن رشيد: لو قال و زكاة النثر و التنظيم لكان أحسن، و له كتاب «الصحف المنتشرة، فى القطع المعشرة» و «ديوان رسائله» سفر، و «ديوان شعره» سفر، و كتب إلى الأديب الشهير أبى بحر صفوان بن إدريس المرسى عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥٨٧: [الطويل]

أحنّ إلى نجد و من حلّ فى نجد و ما ذا الذى يغنى حنينى أو يجدى
 و قد أوطنوها و ادعين و خلفوا محبهم رهن الصّباية و الوجد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٦٢
 تبين بالبين اشتياقى إليهم و وجدى فساوى ما أجنّ الذى أبدى
 و ضاقت علىّ الأرض حتى كأنها و شاح بخصر أو سوار على زند
 إلى الله أشكو ما ألقى من الجوى و بعض الذى لاقيته من جوى يردى
 فراق أخلاء و صدّ أحبّه كأنّ صروف الدهر كانت على وعد
 فيا سرحتى نجد، نداء متيم له أبدا شوق إلى سرحتى نجد
 ظمئت فهل ظل يبّرد لوعتى ضحيت فهل ظلّ يسكن من وجدى
 و يا زما قد بان غير مذمم لعلّ لأنس قد تصرّم من ردّ
 ليالى نجنى الأنس من شجر المنى و نقطف زهر الوصل من شجر الصّدّ
 و سقيا لإخوان بأكناف حاجر كرام السّجايا لا يحولون عن عهد
 و كم لى بنجد من سرى ممجد و لا كابن إدريس أخى البشر و المجد
 أخو همّة كالزهر فى بعد نيلها و ذو خلق كالزهر غبّ الحيا العدّ
 تجمّعت الأضداد فيه حميدة فمن خلق سبط و من حسب جعد
 أيا راحلا أودى بصبرى رحيله و فلل من عزمى و ثلم من حدّى
 أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدهم ألا مذ نأيتم ما يعيد و لا يبدى
 فيا ليت شعرى هل تعود لنا المنى و عيش كما نممت حاشيتى برد
 عسى الله أن يدنى السرور بقربكم فيدو، و منا الشمل منتظم العقد

[عبارة للقاضى أبى بكر بن العربى عن نزول العدو الكافر بلاد الأندلس]

و قال الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في «أحكام القرآن» عند تفسير قوله تعالى:

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا [التوبة: ٤١] ما صورته: و لقد نزل بنا العدو - قصمه الله تعالى! - سنة سبع و عشرين و خمسمائة، فجاس ديارنا، و أسر جيرتنا، و توسط بلادنا في عدد حدد الناس عدده فكان كثيرا، و إن لم يبلغ ما حدوده، فقلت للوالى و المولى عليه: هذا عدو الله قد حصل فى الشرك و الشبكة، فلتكن عندكم بركه، و لتكن منكم إلى نصره الدين المتعينه عليكم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٦٣

حركه، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا- يبقى منهم أحد فى جميع الأقطار، فيحاط بهم، فإنه هالك لا محاله، و إن يسركم الله له فغلبت الذنوب، و رجفت بالمعاصى القلوب، و صار كل أحد من الناس ثعلبا يأوى إلى وجاره، و إن رأى المكيدة بجاره، فإننا لله و إنا إليه راجعون، و حسبنا الله و نعم الوكيل!

و لا خفاء أن هذا كان قبل أخذ العدو الجزيرة و شرق الأندلس و سرقسطه و ميورقه و غيرها مما قدمنا ذكره، و البدايات، عنوان على النهايات.

[قصيدة لأبى جعفر الوقشى البلنسى يمدح يوسف بن تاشفين و يصف حال الأندلس و يحث على الجهاد]

و قال أبو جعفر الوقشى البلنسى نزيل مالقة يمدح أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على: [الطويل]

أبت غير ماء بالنخيل ورودا و هامت به عذب الجمام برودا

و قالت لحاديها أثم زيادة على العشر فى وردى له فأزيدا

غلبتك ما هذا القنوع و ما أنا عهدتك لا تشين عنه وريدا

أنونا إذا ما كنت منه قريبه و ضبنا إذا ما كان عنك بعيدا

ردى حضرة الملك الظليل رواقه لعمرى ففيها تحمدين ورودا

بحيث إمام الدين يوسع فضله جميع البرايا مبدئا و معيدا

أعاد إليها الأنس بعد شروده و أحيا لنا ما كان منه أييدا

و لئن أيام الزمان بعدله و كانت حديدا فى الخطوب حديدا

فلا ليلة إلا يروكك حسنها و لا يوم إلا عاد يفضل عيدا

و منها يصف حال الأندلس و يبعث على الجهاد: [الجهاد]

ألا ليت شعرى هل يمدلى المدى فأبصر شمل المشركين طريدا

و هل بعد يقضى فى التصارى بنصرة تغادرهم للمرهفات حصيدا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٦٤

و يغزو أبو يعقوب فى شنت ياقب يعيد عميد الكافرين عميدا

و يلقي على إفرنجهم عبء كلكل فيتركهم فوق الصعيد هجودا

يغادرهم جرحى و قتلى مبرحا ركوعا على وجه الفلا و سجودا

و يفتك من أيدى الطغاة نواعما تبدلن من نظم الحجول قيودا

و أقبلن فى خشن المسوح و طالما سحجن من الوشى الرقيق برودا

و غبر منهن التراب تراثبا و خدد منهن الهجير خدودا

فحقّ لدمعى أن يفيض لأزرق تملكها دمج المدامع سودا

و يا لهف نفسى من معاصم طفلة تجاور بالقدّ الأليم نهودا
و يا أسفى ما إن يزال مردّدا على شمل أعياد أعيد بديدا
و آها بمد الصوت منتحبا على خلوّ ديار لو يكون مفيدا
و قال فى آخرها، و هو مما استحسنة الناس:

حملت إليه من نظامى قلادةً يلقبها أهل الكلام قصيدا

غدت يوم إنشاد القريض وحيدة كما قصدت فى المعلومات وحيدا

و لما تمهدت الأندلس لعبد المؤمن و بنيه كان لهم فيها وقائع مع عدوّ الدين، و اجتاز إليها عبد المؤمن، ثم لما ولى بعده ملكه ابنه يوسف، دخل الأندلس سنة ٥٦٦هـ، و فى صحبته مائة ألف فارس من المغرب و الموحّدين، فنزل بإشبيلية، فخافه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الأندلس مرسيةً و أعمالها و ما انضاف إليها، فحمل على قلبه، فمرض، فمات، و شرع السلطان يوسف فى استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج، فأتسعت مملكته بالأندلس، و أغارت سراياه على طليطلة إذ هى قاعدة ملكهم، ثم إنه حاصرها، فاجتمعت طائفة الفرنج عليه، و اشتد الغلاء فى عسكره، فرحل عنها، و عاد إلى حضرة ملكه مراکش المحروسة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٦٥

[من القصائد الموجهة إلى أبى زكريا عبد الواحد بن أبى حفص ليغيت بلاد الأندلس من الإفرنج]

و لم يزل أهل الأندلس بعد ظهور النصارى - دمرهم الله تعالى! - على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك و السوقة لأخذ الثار، بالنظم و النثر، فلم ينفعم ذلك حتى اتسع الخرق، و أعضل الداء أهل الغرب و الشرق، فمن القصائد الموجهة فى ذلك قول بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب صاحب إفريقية أبا زكريا عبد الواحد بن أبى حفص: [الكامل]

نادتك أندلس فلبّ نداءها و اجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاحبها من عاطفاتك ما يقى حوباءها
و اشدد بجلبك جرد خيلك أزرها تردد على أعقابها أرزاءها
هى دارك القصوى أوت لإيالة ضمنت لها مع نصرها إيواءها
و بها عبيدك لا بقاء لهم سوى سبل الضراعة يسلكون سواءها
خلعت قلوبهم هناك عزاءها لما رأت أبصارهم ما ساءها
دفعوا لأبكار الخطوب و عونها فهم الغداة يصابرون عناءها
و تنكرت لهم الليالى فاقتضت سراءها و قضتهم سراءها
تلك الجزيرة لا بقاء لها إذا لم يضمن الفتح القريب بقاءها
رش أيها المولى الرحيم جناحها و اعقد بأرشية النجاة رشاءها
أشفى على طرف الحياة ذماؤها فاستبق للدين الحنيف ذماءها
حاشاك أن تغنى حشاشتها و قد قصرت عليك نداءها و رجاءها
طافت بطائفة الهدى آمالها ترجو بيحى المرتضى إحياءها
و استشرقت أمصارها لإمارة عقدت لنصر المستضام لواءها
يا حسرتى لعقائل معقولة سثم الهدى نحو الضلال هداءها

إيه بلنسية و في ذكراك ما يمرى الشئون دماءها لا ماءها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٦٦
كيف السبيل إلى احتلال معاهد شب الأعاجم دونها هيجاءها
و إلى ربا و أباطح لم تعر من حلل الربيع مصيفها و شتاءها
طاب المعرّس و المقيّل خلالها و تطلعت غرر المنى أثناءها
بأبى مدارس كالطلول دوارس نسخت نواقيس الصليب نداءها
و مصانع كسف الضلال صباحها فيخاله الرائي إليه مساءها
ناحت بها الورقاء تسمع شدوها و غدت ترجع نوحها و بكاءها
عجبا لأهل النار حلّوا جنّة منها تمدّ عليهم أفياءها
أملت لهم فتعجلوا ما أملوا أيامهم لا سوّغوا إملاءها
بعدا لنفس أبصرت إسلامها فتوكفت عن حزبها إسلأها
أما العلوج فقد أحالوا حالها فمن المطيق علاجها و شفاءها
أهدى إليها بالمكاره جارح للكفر كره ماءها و هواءها
و كفى أسى أن الفواجع جمّة فمتى يقاوم أسوها أسواءها
هيهات فى نظر الإمارة كف ما تخشاه، ليت الشكر كان كفاءها
مولاي هاك معادة أنباءها لتنبيل منك سعادة أبناءها
جرّد ظباك لمحو آثار العدا تقتل ضراغمها و تسب ظباءها
و استدع طائفة الإمام لغزوها تسبق إلى أمثالها استدعاءها
لا غرو أن يعزى الظهور لملّة لم يبرحوا دون الورى ظهراءها
إن الأعاجم للأعارب نهبة مهما أمرت بغزوها أحياءها
تالّله لو دبّت لها دبابها لطوت عليها أرضها و سماءها
و لو استقلت عوفها لقتالها لاستقبلت بالمقربات عفاءها
أرسل جوارحها تجنّك بصيدها صيدا و ناد لطحنها أرحاءها
هتّوا لها يا معشر التوحيد قد آن الهبوب و أحرزوا عليهاها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٦٧
إن الحفائظ من خلالكم التى لا يرهب الداعى بهن خلاءها
هى نكتة المحيا فحيّلا بها تجدوا سناها فى غد و سناءها
أولو الجزيرة نصره إن العدا تبغى على أقطارها استيلاءها
نقصت بأهل الشرك من أطرافها فاستحفظوا بالمؤمنين نماءها
حاشاكم أن تضمروا إلغاءها فى أزمه أو تضمروا إقصاءها
خوضوا إليها بحرها يصبح لكم رهوا و جوبوا نحوها بيداءها
وافى الصريخ مثوّبا يدعو لها فلتجملوا قصد الثواب ثواءها
دار الجهاد فلا تفتكم ساحة ساوت بها أحيائها شهداءها

هذى رسائلها تناجي بالتي وقفت عليها ريشها و نجاهها
 و لربما أنهت سوابل للنهي من كائنات حملت أنهاءها
 وفدت على الدار العزيزة تجتنى آلاءها أو تجتلي آراءها
 مستسقيات من غيوث غياثها ما وقعته يتقدم استسقاءها
 قد أمّنت في سبلها أهواءها إذ سوّغت في ظلّها أهواءها
 و بحسبها أن الأمير المرتضى مترقّب بفتوحها آناءها
 في الله ما ينويه من إدراكها بكلاءة يفدى أبي أكلاءها
 بشرى لأندلس تحبّ لقاءه و يحب في ذات الإله لقاءها
 صدق الرواة المخبرون بأنه يشفى ضناها أو يعيد رواءها
 إن دوّخ العرب الصعاب مقادة و أبي عليها أن تطيع إباءها
 فكأن بفيلقه العرمرم فالقاهام الأعاجم ناسفا أرجاءها
 أنذرهم بالبطش الكبري فقد نذرت صوارمه الرقاق دمائها
 لا يعدم الزمن انتصار مؤيد تتسوّغ الدنيا به سراءها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٦٨
 ملك أممّ التّيرين بنوره و أفاده لألاؤه لألاءها
 خضعت جابرة الملوكة لعزه و نضت بكف صغارها خيلاءها
 أبقى أبو حفص أمارته له فسما إليها حاملا أعباءها
 سل دعوة المهدي عن آثاره تنبيك أن ظباه قمن إزاءها
 فغزا عداها و استرقّ رقابها و حمى حماها و استرد بهاءها
 قبضت يدها على البسيطة قبضة قادت له في قدّه أمراءها
 فعلى المشارق و المغارب ميسم لهداه شرف و سمه أسماءها
 تظمو بتونسها بحار جيوشه فيزور زاخر موجها زوراءها
 وسع الزمان فضايق عنه جلاله و الأرض طرا ضنكها و فضاءها
 ما أزمع الإيغال في أكنافها إلا تصيد عزمه زعماءها
 دانت له الدنيا و شمّ ملوكها فاحتلّ من رتب العلا شمّاءها
 ردت سعادته على أدراجها ليل الزمان و نهنت غلواءها
 إن يعتم الدول العزيزة بأسه فالآن يولى جوده إعطاءها
 تقع الجلائل و هو راس راسخ فيها يوقّع للسعود جلاءها
 كالطود في عصف الرياح و قصفها لا رهوها يخشى و لا هوجاءها
 سامى الدّوائب في أعزّ ذؤابة أعلت على قمم النّجوم بناءها
 بركت بكل محلّة بركاته شفعا يبادر بذلها شفعاها
 كالغيث صبّ على البسيطة صوبه فسقى عمائرها و جاد قواءها
 ينميه عبد الواحد الأرضى إلى عليا فتجنح بأسها و سخاءها

في نبعه كرمت و طابت مغرسا و سمت و طالت نضرة نظراءها
 ظهرت لمحتدها السماء و جاوزت لسراقات فخارها جوزاءها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٦٩
 فنه كرام لا تكف عن الوغى حتى تصرع حولها أكفاءها
 و تكب في نار القرى فوق الذرا من عزة ألويها و كباءها
 قد خلّقوا الأيام طيب خلائق فنتت إليهم حمدها و ثناءها
 ينضون في طلب النفائس أنفسا حبسوا على إحرازها أمضاءها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٣٦٩
 و إذا انتضوا يوم الكريهة بيضهم أبصرت فيهم قطعها و مضاءها
 لا عذر عند المكرمات لهم متى لم تستبن لعفاتهم عذراءها
 قوم الأمير فمن يقوم بمالهم من صالحات أفحمت شعراءها
 صفحا جميلا أيها الملك الرضى عن محكمات لم نطق إحصاءها
 تقف القوافى دونهن حسيرة لا عتيا تخفى و لا إعياءها
 فعمل علياكم تسامح راجيا إصغاءها و مؤملا إغضاءها

[قصيدة لبعض الشعراء يندب طليطلة]

و من ذلك قول بعضهم يندب طليطلة أعادها الله تعالى للإسلام: [الوافر]
 لشكلك كيف تبتسم الثغور سرورا بعد ما بثت ثغور
 أما و أبى مصاب هد منه ثبير الدين فاتصل التبور
 لقد قصمت ظهور حين قالوا أمير الكافرين له ظهور
 ترى في الدهر مسرورا بعيش مضى عنا لطيته السرور
 أليس بها أبى النفس شهيم يدير على الدوائر إذ تدور
 لقد خضعت رقاب كنّ غلبا و زال عتوّها و مضى النفور
 و هان على عزيز القوم ذلّ و سامح في الحريم فتى غيور
 طليطلة أباح الكفر منها حماها، إن ذا نبأ كبير
 فليس مثالها إيوان كسرى و لا منها الخورنق و السدير
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٧٠
 محصنة محسنة بعيد تناولها و مطلبها عسير
 أ لم تك معقلا للدين صعبا فدلله كما شاء القدير
 و أخرج أهلها منها جميعا فصاروا حيث شاء بهم مصير
 و كانت دار إيمان و علم معالمها التي طمست تير
 فعاتت دار كفر مصطفاه قد اضطربت بأهلها الأمور
 مساجدها كنائس، أى قلب على هذا يقّر و لا يطير؟

فيا أسفاه يا أسفاه حزنا يكثر ما تكررت الدهور
وينشر كل حسن ليس يطوى إلى يوم يكون به النشور
أديلت قاصرات الطرف كانت مصونات مساكنها القصور
و أدركها فتور في انتظار لسرب في لواحظه فتور
و كان بنا و بالقينات أولى لو انضمت على الكل القبور
لقد سخنت بحالتهن عين و كيف يصح مغلوب قرير
لئن غبنا عن الإخوان إنا بأحزان و أشجان حضور
نذور كان للأيام فيهم بمهلكهم فقد وفت النذور
فإن قلنا العقوبة أدركتهم و جاءهم من الله النكير
فإننا مثلهم و أشد منهم نجور و كيف يسلم من يجور
أنا من أن يحل بنا انتقام و فينا الفسق أجمع و الفجور
و أكل للحرام و لا اضطرار إليه فيسهل الأمر العسير
و لكن جراءة في عقر دار كذلك يفعل الكلب العقور
يزول الستر عن قوم إذا ما على العصيان أرخيت الستور
يطول على ليلى، رب خطب يطول لهوله الليل القصير
خذوا ثار الديانة و انصروها فقد حامت على القتلى التسور
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٧١
و لا تهنوا و سلوا كل غضب تهاب مضاربا عنه التحور
و موتوا كلكم فالموت أولى بكم من أن تجاروا أو تجوروا
أصبرا بعد سبي و امتحان يلام عليهما القلب الصبور
فأم الصبر مذكار ولود و أم الصقر مقلات نزور
تخور إذا دهينا بالرزايا و ليس بمعجب بقر يخور
و نجبن ليس نزار، لو شجعنا و لم نجبن لكان لنا زئير
لقد ساءت بنا الأخبار حتى أمات المخيرين بها الخير
أتتنا الكتب فيها كل شر و بشرنا بأنحسنا البشير
و قيل تجمعوا لفراق شمل طليطلة تملكها الكفور
فقل في خطة فيها صغار يشيب لكريها الطفل الصغير
لقد صم السميع فلم يعول على نيا كما عمى البصير
تجادبنا الأعادي باصطناع فينجذب المخول و الفقير
فباق في الديانة تحت خزي تثبطه الشويهة و البعير
و آخر مارق هانت عليه مصائب دينه فله السعير
كفى حزنا بأن الناس قالوا إلى أين التحول و المسير
أترك دورنا و نفر عنها و ليس لنا وراء البحر دور

و لا ثم الضياع تروق حسنا نباكرها فيعجبنا البكور
 و ظلّ وارف و خريبر ماء فلا قرّ هناك و لا حرور
 و يؤكل من فواكهها طرىّ و يشرب من جداولها نمير
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٧٢
 يؤدى مغرم فى كل شهر و يؤخذ كلّ صائفة عشور
 فهم أحمى لحوزتنا و أولى بنا و هم الموالى و العشير
 لقد ذهب اليقين فلا يقين و غر القوم بالله الغرور
 فلا دين و لا دنيا و لكن غرور بالمعيشة ما غرور
 رضوا بالرقّ لله ما ذا رآه و ما أشار به مشير
 مضى الإسلام فابكك دما عليه فما ينفى الجوى الدمع الغزير
 و نح و اندب رفاقا فى فلاة حيارى لا تحطّ و لا تسير
 و لا تجنح إلى سلم و حارب عسى أن يجبر العظم الكسير
 أنعمى عن مرشدنا جميعا و ما إن منهم إلا بصير
 و تلقى واحدا و يفر جمع كما عن قانص فرت حمير
 و لو أنا ثبتنا كان خيرا و لكن ما لنا كرم و خير
 إذا ما لم يكن صبر جميل فليس بنافع عدد كثير
 ألا رجل له رأى أصيل به مما نحاذر نستجير
 يكر إذا السيوف تناولته و أين بنا إذا ولت كرور
 و يطعن بالقنا الخطّار حتى يقول الرمح ما هذا الخطير
 عظيم أن يكون الناس طرّا بأندلس قتيل أو أسير
 أذكر بالقراع الليث حرصا على أن يقرع البيض الذكور
 يبادر خرقها قبل اتساع لخطب منه تنحسف البدور
 يوسّع للذى يلقاه صدرا فقد ضاقت بما تلقى صدور
 تنقّصت الحياة فلا حياة و ودع جيرة إذ لا مجير
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٧٣
 قليل فيه همّ مستكنّ و يوم فيه شرّ مستطير
 و نرجو أن يتيح الله نصرا عليهم، إنه نعم النصير

[القصيدة أبي البقاء صالح بن شريف الرندى فى رثاء الأندلس]

و من مشهور ما قيل فى ذلك قول الأديب الشهير أبى البقاء صالح بن شريف الرندى رحمه الله تعالى: [البسيط]
 لكلّ شىء إذا ما تم نقصان فلا يغزّ بطيب العيش إنسان
 هى الأمور كما شاهدتها دول من سرّه زمن ساءته أزمان
 و هذه الدار لا تبقى على أحد و لا يدوم على حال لها شان

يمزق الدهر حتما كلّ سابعه إذا نبت مشرفيات و خرصان
 و ينتضى كل سيف للفناء و لو كان ابن ذى يزن و الغمد غمدان
 أين الملوك ذوو التيجان من يمن و أين منهم أكاليل و تيجان
 و أين ما شاده شدّاد فى إرم و أين ما ساسه فى الفرس ساسان
 و أين ما حازه قارون من ذهب و أين عاد و شداد و قحطان
 أتى على الكلّ أمر لا مرد له حتى قضوا فكأنّ القوم ما كانوا
 و صار ما كان من ملك و من ملك كما حكى عن خيال الطيف و سنان
 دار الزمان على دارا و قاتله و أمّ كسرى فما آواه إيوان
 كأنما الصعب لم يسهل له سبب يوما و لا ملك الدنيا سليمان
 فجائع الدهر أنواع منوعه و للزمان مسرّات و أحزان
 و للحوادث سلوان يسهلها و ما لما حلّ بالإسلام سلوان
 دهى الجزيرة أمر لا عزاء له هوى له أحد و انهذّ ثهلان
 أصابها العين فى الإسلام فارتزأت حتى خلت منه أقطار و بلدان
 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٧٤
 فاسأل بلنسية ما شأن مرسية و أين شاطبة أم أين جيان
 و أين قرطبة دار العلوم، فكم من عالم قد سما فيها له شان
 و أين حمص و ما تحويه من نزه و نهرها العذب فياض و ملآن
 قواعد كنّ أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان
 تبكى الحنيفة البيضاء من أسف كما بكى لفراق الإلف هيمان
 على ديار من الإسلام خالية قد أفقرت و لها بالكفر عمران
 حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس و صلبان
 حتى المحاريب تبكى و هى جامدة حتى المنابر ترثى و هى عيدان
 يا غافلا و له فى الدهر موعظة إن كنت فى سنه فالدهر يقظان
 و ماشيا مرحا يلبيه موطنه أبعد حمص تغر المرء أوطان
 تلك المصيبة أنست ما تقدمها و ما لها مع طول الدهر نسيان
 يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها فى مجال السبق عقبان
 و حاملين سيوف الهند مرهفة كأنها فى ظلام النقع نيران
 و راتعين وراء البحر فى دعه لهم بأوطانهم عز و سلطان
 أعندكم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان
 كم يستغيث بنا المستضعفون و هم قتلى و أسرى فما يهتر إنسان
 ما ذا التقاطع فى الإسلام بينكم و أنتم يا عباد الله إخوان
 ألا نفوس أبيات لها همم أما على الخير أنصار و أعوان
 يا من لذّة قوم بعد عزهم أحال حالهم كفر و طغيان

بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم و اليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل ألوان
و لو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الأمر و استهوتك أحزان
يا رب أم و طفل حيل بينهما كما تفرق أرواح و أبدان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٧٥
و طفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت كأنما هي ياقوت و مرجان
يقودها العالج للمكروه مكرهه و العين باكية و القلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام و إيمان

انتهت القصيدة الفريدة، و يوجد بأيدي [بعض] الناس زيادات فيها ذكر غرناطة و بسطة و غيرهما مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف، و ما اعتمده منها نقلته من خط من يوثق به على ما كتبه، و من له أدنى ذوق علم أن ما يزيدون فيها من الأبيات ليست تقاربها في البلاغة، و غالب ظني أن تلك الزيادة لما أخذت غرناطة و جميع بلاد الأندلس إذ كان أهلها يستنهضون همم الملوك بالمشرق و المغرب فكأن بعضهم لما أعجبه قصيدة صالح بن شريف زاد فيها تلك الزيادات، و قد بينت ذلك في «أزهار الرياض» فليراجع.

[من بديع نظم صالح بن شريف الرندي]

و صالح بن شريف الرندي صاحب القصيدة من أشهر أدباء الأندلس، و من بديع نظمه قوله: [السريع]
سلم على الحى بذات العرار و حى من أجل الحبيب الديار
و خل من لام على حبهم فما على العشاق فى الذل عار
و لا تقصر فى اغتنام المنى فما لىالى الأنىس إلاً قصار
و إنما العيش لمن رامة نفس تدارى و كؤوس تدار
و روحه الراح و ريحانه فى طيبه بالوصل أو بالعقار
لا صبر للشىء على ضده و الخمر و الهم كماء و نار
مدامه مدنية للمنى فى رقة الدمع و لون النصار
مما أبو ريق أباريقها تنافست فيها النفوس الكبار
معللتى و البرء من علتى ما أطيب الخمره لولا الخمار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٧٦
ما أحسن النار التى شكلها كالماء لو كف شرار الشرار
و بى و إن عدبت فى حبه ببعده عن اقتراب المزار
ظبى غرير نام عن لوعتى و لا أذوق النوم إلاً غرار
ذو و جنه كأنها روضة قد بهر الورد بها و البهار
رجعت للصبوة فى حبه و طاعة اللهو و خلع العذار
يا قوم قولوا بدمام الهوى أهكذا يفعل حب الصغار
و ليلة تبهت أجفانها و الفجر قد فجر نهر النهار

و الليل كالمهزوم يوم الوغى و الشهب مثل الشهب عند الفرار
 كأنما استخفى السها خيفة و طولب النجم بثار فتار
 لذاك ما شابت نواصي الدجا و طارح النسر أخاه فطار
 و فى الثريا قمر سافر عن غرة غير منها السفار
 كأن عنقودا تثنى به إذ صار كالعرجون عند السرار
 كأنها تسبك ديناراه و كفها يقتل منه السوار
 كأنما الظلماء مظلومة تحكم الفجر عليها فجار
 كأنما الصبح لمشتاقه عز غنى من بعد ذل افتقار
 كأنما الشمس و قد أشرقت وجه أبى عبد الإله استتار
 محمد محمد كاسمه شخص له فى كل معنى يشار
 أما المعالى فهو قطب لها و القطب لا شك عليه المدار
 مؤتل المجد صريح العلا مهذب الطبع كريم النجار
 تزهى به لحم و ساداتها و تنتمى قيس له فى الفخار
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٧٧
 يفيض من جود يديه على عافيه ما منه تحار البحار
 اليمن من يمناه حكم جرى و اليسر من شيمه تلك اليسار
 أخ صفا منه لنا واحد فالدهر مما قد جنى فى اعتذار
 فإن شكرنا فضله مرة فقد سكرنا من نداء مرار
 و نحن منه فى جوار العلا تدور للسعد بنا منه دار
 الحافظ الله و أسماؤه لذلك الجار و ذاك الجوار

[رسالة أبى المطرف بن عميرة المخزومى إلى ابن الأبار، فى أخذ الفرنج بلنسية]

رجع: و قد رأيت أن أثبت هنا رسالة خاطب بها الكاتب البارع القاضى أبو المطرف بن عميرة المخزومى الشيخ الحافظ أبا عبد الله بن الأبار، يذكر له أخذ العدو مدينة بلنسية و هى:

[الطويل]

ألا فينة للدهر تدنو بمن نأى و بقيا يرى منها خلاف الذى رأى

و يا من عذيرى منه يغدر من أوى إليه و لا يدرى سوى خلف من وأى

ذخائر ما فى البر و البحر صيده فلا لؤلؤا أبقى عليه و لا وأى

أيها الأخ الذى دهش ناظرى لكتابه، بعد أن أدهش خاطرى من إغبابه، و سرنى من بشره إيماض، بعد أن ساءنى من جهته إعراض، جرت على ذكره الصلة فقوم قرح نبعثها، و روى أكناف قلعته، و أحدث ذكرا من عهدنا الماضى فنقط وجه عروسه، و شعشع خمر كؤوسه، و سقى بماء الشيبه ثراه، و أبرز مثال مرآة الغريبة مرآه، فبورك فيه أحوزيا وصل رحمه، و كسا منظره من البهجة ما كان حرمه، و حيا الله تعالى منه وليا على سالف عهدى تمادى، و بشعار ودى نادى، و بين الإحسان شيمته، و أبان و البيان لا تنجاب عنه ديمته، و لا تغلو بغير قلمه قيمته و اعتذر عن كلمة تمنى تبدلها، و دعوة ذكر وجوم النادى لها، ثم أرسلها ترجف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٧٨

بوادرها من خيفة، و توغر زعم صدور قلم و صحيفة، و تندر من ريحانة قريش أن تمنعه عرفها، و تحدق إليه طرفها، و اتقى غارة على غرة، من الناجي برأس طمزة، و لم يأمن هجران المهاجر بعد وصله، و عكر عكرمة المغطى بحلمه على أبي جهله، و عند ذكر كتيبة خالد أحجم، و ذكر يوم أحاطت به فارس فاستلجم، فاعتذر عما قال، و أضر الحذر إلا أن يقال، فمهلا أيها الموفى على علمه، النافث بسحر قلمه، أ تظن منزلتك في البلاغة و مهيعها لاحب، و منزعا بالعقول لاعب، تسفل و قد ترفعت، أو تخفى و إن تلفعت عرفناك يا سودة، و شهرت حلمة عطارد الملاحه و الجودة، فلم حين تهيب الأخذ الأوح من قصي غطارفيها، و لو استثار من حفائظها تالدها و طارفها، لم يذكر يد قومه عند أبيها، و قد رام خطه أشرف على تأيها، حين أهاب بكم لمهمة، و دعا منكم أخاه لأمه، و لو ذلك لما خلا له وجه الكعبة، و لا خلص من تلك المضايق الصعبة، و بأن أعرتموه نجدتكم الموصوفة، غلب على ما كان بأيدي صوفه، فكيف نجحد اليد عند عمنا، أو نشحد أسنة الألسنة لذمنا، أو كيف نلقاكم بحدنا، و أبوكم بكر معدنا، و ما تيامنكم إلى سبأ بن يشجب، و إن أطلنا فيه التعجب، بالذي يقطع أرحامنا، و يمنع اشتباكتنا و التحامنا، بعد أن شددنا فعالنا بفعالكم، و رأينا أقدامنا في نعالكم، و لو شتمت توعدتكم بأسود سؤددكم عند الإقدام، و إلحاح إلحافكم في ضرب الهام، لكن نقول إن قومنا لكرام، و لو شأوا كان لنا منهم شره و عرام، و أعود من حيث بدأ الأخ الذي أبته شوقي، و أتطمع حلاوة عشرته باقية في حاسة ذوقي، طارحني حديث مورد جف، و قطين خف، فيا لله لأتراب درجوا، و أصحاب عن الأوطان خرجوا، قصت الأجنحة و قيل طيروا، و إنما هو القتل أو الأسر أو تسيروا، فتفرقوا أيدي سبا، و انتشروا ملء الوهاد و الربا، ففي كل جانب عويل و زفره، و بكل صدر غليل و حسره، و لكل عين عبره، لا ترقأ من أجلها عبره؛ داء خامر بلادنا حين أتاها، و ما زال بها حتى سجي على موتاها، و شجا ليومها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٧٩

الأطول كهلهما و فتاها، و أنذر بها في القوم بحران أنيجه، يوم أثاروا أسدها المهيجه، فكانت تلك الحطمة طل الشؤبوب، و باكورة البلاء المصبوب، أثكلتنا إخوانا أبكنا نعيمهم، و لله أحوذيتهم و ألمعيتهم، ذاك أبو ربيعنا، و شيخ جميعنا، سعد بشهادة يومه، و لم ير ما يسوءه في أهله و قومه، و بعد ذلك أخذ من الأم بالمخفق، و هي بنسبة ذات الحسن و البهجة و الرونق، و ما لبث أن أخرس من مسجدها لسان الأذان، و أخرج من جسدها روح الإيمان، فبرح الخفاء، و قيل: على آثار منح ذهب العفاء، و انعطفت النوائب مفردة و مركبة كما تعطف الفاء، فأودت الخفة و الحصافة، و ذهب الجسر و الرصافة، و مزقت الحله و الشملة، و أوحشت الجرف و الرمله، و نزلت بالحارة وقعة الحره، و حصلت الكنيسة من جآذرها و طبائها على طول الحسرة، فأين تلك الخمائل و نضرتها، و الجداول و خضرتها، و الأندية و أرجها، و الأودية و منرجها، و النواسم و هبوب مبتلها، و الأصائل و شحوب معتلها، دار ضاحكت الشمس بحرها و بحيرتها، و أزهار ترى من أدمع الطل في أعينها ترددها و حيرتها، ثم زحفت كتيبة الكفر بزرقها و شقرها، حتى أحاطت بجزيرة شقرها، فأها لمسقط الرأس هوى نجمه، و لفادح الخطب سرى كلمه، و يا لجنة أجرى الله تعالى النهر تحتها، و روضة أجاد أبو إسحاق نعتها، و إنما كانت داره التي فيها دب، و على أوصاف محاسنها أكب، و فيها أتمته منيته كما شاء و أحب، و لم تعدم بعده محبين قشيبهم إليها ساقوه، و دمعمهم عليها أراقوه، و قد أثبت من النظم ما يليق بهذا الموضع، و إن لم يكن له ذلك الموقع: [الطويل]

[قصيدة ختم بها أبو المطرف رسالته لابن الأبار]

أقلوا ملامى أو فقولوا و أكثروا ملوكم عما به ليس يقصر

و هل غير صب ما تنى عبراته إذا صعدت أنفاسه تتحدّر

يحن و ما يجدى عليه حينه إلى أربع معروفها متنكر

و يندب عهدا بالمشقر فاللوى و أين اللوى منه و أين المشقر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٨٠
تغير ذاك العهد بعدى و أهله و من ذا على الأيام لا يتغير
و أفقر رسم الدار إلا بقيته لسائلها عن مثل حالى تخبر
فلم تبق إلا زفرة إثر زفرة ضلوعى لها تنقد أو تنفطر
و إلا اشتياق لا يزال يهزنى فلا غاية تدنو و لا هو يفتر
أقول لسارى البرق فى جنح ليله كالانا بها قد بات يبكى و يسهر
تعرض مجتازا فكان مذكرا بعهد اللوى، و الشىء بالشىء يذكر
أ تأوى لقلب مثل قلبك خافق و دمع سفوح مثل دمعك يقطر
و تحمل أنفاسا كومضك نارها إذا رفعت تبدو لمن يتنور
يقر لعينى أن أعابن من نأى لما أبصرته منك عينى تبصر
و أن يتراءاك الخليط الذين هم بقلبي و إن غابوا عن العين حصر
كفى حزنا أنا كأهل محصب بكل طريق قد نفرنا و نفر
و أن كلينا من مشوق و شائق بنار اغتراب فى حشاه تسعر
ألا ليت شعرى و الأمانى ضلله و قولى ألا يا ليت شعرى تحير
هل النهر عقد للجزيرة مثل ما عهدنا و هل حصباؤه و هى جوهر
و هل للصبا ذيل عليه تجره فيزور عنه موجه المتكسر
و تلك المغانى هل عليها طلاوة بما راق منها أو بما رق تحسر
ملاعب أفراس الصبايه و الصبا تروح إليها تاره و تبكر
و قبلى ذاك النهر كانت معاهد بها العيش مطلول الخميلى أخضر
بحيث بياض الصبح أزرار جيبه تطيب و أردان النسيم تعطر
ليال بماء الورد ينضح ثوبها و طيب هواء فيه مسك و عنبر
و بالجبل الأدنى هناك خطا لنا إلى اللهو لا نكبو و لا نتعثر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٨١
جناب بأعلاه بهار و نرجس فأبيض مفتر الثنايا و أصفر
و موردنا فى قلب قلت كمقله حذارا علينا من قذى العين تستر
و كم قد هبطنا القاع ندعر وحشه و يا حسنه مستقبلا حين يدعر
نقود إليه طائعا كل جارح له منخر رجب و خصر مضمر
إذا ما رميناه به عبثت به مدله الأطراف عنهن تكشر
تضم لأروى التيق حزان سهلها و قد فقدت فيها مهاء و جوذر
كذاك إلى أن صاح بالقوم صائح و أنذر بالبيت المشت منذر
و فرقهم أيدى سبا و أصابهم على غرة منهم قضاء مقدر

و نعود إلى حيث كنا من تبدد شمل الجيره، و طى بساط الجزيرة:

أما شاطبة فكانت من قصبته شوساء الطرف، و ببطحائها عروسا في نهاية الظرف فتخلى عن الذرورة من أخلاها، و قيل للكافر: شأنك و أعلاها، فقبل أن تضع الحرب أوزارها، كشط عنها إزارها، فاستحلّ الحرمة أو تأولها، و ما انتظر أقصر المدّة و لا أطولها، و أما تدمير فجاد عودها على الهصر، و أمكنت عدوها من القصر، فداجى الكفر الإيمان، و ناجى الناقوس الأذان، و ما وراءها من الأصقاع التي باض الكفر فيها و فرّخ، و أنزل بها ما أنسى التاريخ و من أرخ، فوصفكم على الحادثه فيها أتى، و فى ضمان القدرة الانتصاف من عدوّ عثا و عتا، و إنا لنجوها كرة تفكّ البلاد من أسرها، و تجبرها بعد كسرها، و إن كانت الدولة العامريه منعت بالقراع ذمارها، و رفعت على اليقاع نارها، فهذه العمريه بتلك المنقبه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٨٢

أخلق، و العدو لها أهيب و منها أفرق، و ما يستوى نسب مع البقل نبت، و بالمستفيض من النقل ما ثبت، و آخر علت سماؤه على اللمس، و رسا ركنه فى الإسلام رسوّ قواعد الخمس، و كان كما قال أبو حنيفه فى خبر المسيح: جاءنا مثل الشمس، و الأيام العمريه هى أم الوقائع المحكيه، و من شاء عدها من اليرموكيه إلى الأركيه، و هذه الأيام الزاهره هى زبده حلاوتها، و سجده تلاوتها، و إمامتها العظمى أيدها الله تعالى، تمهل الكافر مدّه إملائه، ثم تشفى الإسلام من دائه، و تطهر الأرض بنجس دمائه، بفضل الله تعالى، المرجو زيادة نعمه قبلها و آلائه، راجعت سيدى مؤديا ما يجب أدائه، و مقتديا و ما كل أحد يحسن اقتداؤه، و إنما ناضلت ثعليا، و عهدى بالنضال قديم، و ناظرت جدليا، و ما عندى للمقال تقديم، و أطعته فى الجواب و لقريحتي يعلم الله تعالى نكول، و رويتى لو لا حق المسأله بطير الحوادث المرسله عصف مأكول، أتم الله تعالى عليه آلاءه، و حفظ مودته و ولاءه، و متع بخلته الكريمه أخلاءه، بمنه، و السلام، انتهت الرساله.

[لابن رشيد فى رحلته يصف أبا المطرف]

و رأيت فى رحله ابن رشيد لما ذكر أبا المطرف ما صورته: و أما الكتابه فقد كان حامل لوائها، كما قال بعض أصحابنا: ألان الله تعالى له الكلام، كما ألان الحديد لداود عليه السلام، و أخبرنى شيخنا أبو بكر أن شيخه أبا المطرف رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى النوم، فأعطاه حزمه أقلام، و قال: استعن بهذه على كتابتك، أو كما قال صلى الله عليه و سلم، انتهى.

[رساله الحافظ ابن الأبار التى أجابه عنها القاضى أبو المطرف برسالته السابقه]

و بعد كتبتى لهذه الرساله رأيت أن أذكر رساله الحافظ ابن الأبار التى هذه جواب عنها، و هى من غرض ما نحن فيه فلنقتبس نور البلاغه منها، و هى:

سيدى و إن وجم لها النادى، و جمجم بها المنادى، ذلك لصغرها عن كبره فى المعارف الأعلام، و صدرها يوغر صدور الصحائف و الأقلام، و أعيذ ريحانه قريش، أن تروح من حفيظتها فى جيش، قد هابتها مغاوير كل حى، و أجابتها الغطاريف من قصى، تدلف بين يديها كتيبه خالد، و تحلف لا-قدحت نار الهيجاء بزند صالد، أو تنصف من غامطها، و تقذف به وسط غطامطها، لا جرم أنى من جريمتى حذر، و عما وضحت به قيمتى للمجد معتذر، إلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٨٣

أن يصوح من الروض نبتة و جنّاته، و يصرح بالقبول حلمه و أناته، الحديث عن القديم شجون، و الشأن بتقاضى الغريم شؤون، فلا غرو أن أطارحه إياه، و أفاتحه الأمل فى لقياه، و من لى بمقاله مستقله، أو إخاله غير مخله، أبت البلاغه إلا-عمادها، و مع ذلك

فسأنيء عمادها، درجت اللمدات و الأتراب، و خرجت الروم بنا إلى حيث الأعراب، أيام دفعنا لأعظم الأخطار، و فجعنا بالأوطان و الأوطار، فالإلام ندارى برح الألم، و حتام نساى النجم فى الظلم، جمع أوصاب ما له من انفضاض، و مضض اغتراب شذ عن ابن مضاض، فلو سمع الأول بهذا الحادث، ما ضرب المثل بالحارث، يا لله من جلاء ليس به يدان، و ثناء قلما يسفر عن تدان، وعد الجدد العاثر لقاءه فأنجز، و رام الجلد الصابر انقضاه فأعجز، هؤلاء الأخوان، مكثهم لا يمتع به أوان، و بينهم كنبت الأرض ألوان، بين هائم بالسرى، و نائم فى الثرى، من كل صنديد بطل، أو منطبق غير ذى خطأ و لا- خطل، قامت عليه النوادب، لما قعدت [به] النوائب، و هجمت بيوتها لمنعاه الجماجم و الذوائب، و أما الأوطان المحبب عهدا بحكم الشباب، المشتبب فيها بمحاسن الأحباب، فقد ودعنا معاهدها وداع الأبد، و أخنى عليها الذى أخنى على لبد، أسلمها الإسلام، و انتظمها الانتثار و الاصطلام، حين وقعت أنسرهما الطائرة، و طلعت أنحسها الغائرة، فغلب على الجدل الحزن، و ذهب مع المسكن الشكن: [البسيط]

كرزع الريح صكك الدوح عاصفها فلم يدع من جنى فيها و لا غصن

و آها و واها يموت الصبر بينهما موت المحامد بين البخل و الجبن

أين بلنسية و مغانيها، و أغاريد ورقها و أغانيها، أين حلى رصافتها و جسرها، و منزلا عطائها و نصرها؟ أين أفيائها تندى غضارة، و ذكاؤها تبدو من خضارة؟ أين جداولها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٨٤

الطفاحة و خمائلها؟ أين جنائنها النفاحة و شمائلها؟ شذ ما عطل من قلائد أزهارها نحرها، و خلعت شعشعانية ضحاحا بحيرتها و بحرها، فأية حيلة لا حيلة فى صرفها مع صرف الزمان، و هل كانت حتى بانة إلا رونق الحق و بشاشة الإيمان، ثم لم يلبث داء عقرها، أن دب إلى جزيرة شقرها، فأمر عذبتها التميمير، و ذوى غصنها التضمير، و خرست حمائم أدواحها، و ركبت نواسم أرواحها، و مع ذلك اقتحمت دانية، فتزحت قطوفها و هى دانية، و يا لشاطبة و بطحائها، من حيف الأيام و إنحائها، و لهفاه ثم لهفاه على تدمير و تلاعها، و جيان و قلاعها، و قرطبة و نوديبها، و حمص و واديبها، كلها رعى كلؤها، و دهى بالتفريق و التمزيق ملؤها، عض الحصار أكثرها، و طمس الكفر عينها و أثرها، و تلك البيرة بصدد البوار، و رية فى مثل حلقة السوار، و لا مرية فى المرية و خفضها على الجوار، إلى بنيات، لواحق بالمهات، و نواطق بهاك لأول ناطق بهات، ما هذا النفخ بالمعمور؟ أهو النفخ فى الصور؟ أم التفر عاريا من الحج المبرور؟ و ما لأندلس أصيبت بأشرفها، و نقصت من أطرافها؟ قوض عن صوامعها الأذان، و صمت بالنواقيس فيها الأذان، أجت ما لم تجن الأصقاع؟ أعقت الحق فحاق بها الإيقاع؟ كلا بل دانت للسنة، و كانت من البدع فى أحسن جنه، هذه المروانية مع اشتداد أركانها، و امتداد سلطانها، ألت حب آل النبوة فى حبات القلوب، و ألوت ما ظفرت من خلعه و لا قلعه بمطلوب، إلى المرابطة بأقاصى الثغور، و المحافظة على معالى الأمور، و الركون إلى الهضبة المنيعه، و الروضة المريعة، من معاداة الشيعة، و موالة الشريعة، فليت شعرى بم استوثق تمحيصها؟ و لم تعلق بعموم البلوى تخصيصها، اللهم غفرا طالما ضر ضجر، و من الأنباء ما فيه مزدجر، جرى بما لم نقدره المقذور، فما عسى أن ينفث به المصدور؟ و ربنا الحكيم العليم، فحسبنا التفويض له و التسليم، و يا عجبا لبنى الأصفر أنسيت مرج الصفر، و رميها يوم اليرموك بكل أغلب غضنفر، دع ذا فالعهد به بعيد، و من أتعظ بغيره فهو سعيد، هلا تذكرت العامرية و غزواتها، و هابت العامرية و هبواتها، أما الجزيرة بخيلها محدقة، و بأحاديث فتحها مصدقة، هذا الوقت المرتقب، و الزمان الذى زجيت له الشهور و الحقب، و هذه الإمامة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٨٥

أيدها الله تعالى هى المنقذة من أسرها، و المنفذة لسلطانها مراسم نصرها، فيتاح الأخذ بالنار، و يراح عن الجنة أهل النار، و يعلم الكافر لمن عقبى الدار، حاورت سيدى بشار الفاجى الفاجع، و حاولت برء الجوى من جوابه بالعلاج الناجع، و بوذى لو تقع فى الأرجاء مصاقبه، فترفع من الإزراء معاقبه، أليس لديه أسو المكولوم، و تدارك المظلوم؟ و يديه أزمه المنتور و المنظوم، خيال يختر فى

إقناع إِياد، و صوغ ما لم يخطر على قلب زيد و لا يخاطر زياد، بستت الجبال الطوامح، لما بست و أبو فتحها، و غيظت البحار الطوافح فمن يعبأ بالركايا و متحها، أين أبو الفضل بن العميد من العماد الفاضل؟ و صمصامة عمرو من قلمه الفاضل، هذا مدرها الذي فعل الأفاعيل، و أحمدها الذي سما على إبراهيم و إسماعيل، و هما إماما الصناعة، و همأما البراعة و البراعة، بهما فخر من نطق بالضاد، و بسببهما حسدت الحروف الصاد، لكن دفعهم بالراح، و أعرى مدرّعهم من المراح، و شرف دونهم ضعيف القصب على صمّ الرماح، أبقاه الله تعالى و بيانه صادق الأنواء، و زمانه كاذب الأسواء، و لا زال مكانه مجاوزا ذؤابة الجوزاء، و إحسانه مكافئا بأحسن الجزاء، و السلام.

[من إنشاء ابن الأبار في كتابه المسمى «درر السمط، في خبر السبط»]

و قد عرفت بابن الأبار في «أزهار الرياض» بما لا مزيد عليه، غير أني رأيت هنا أن أذكر فصولا مجموعة من كلامه في كتابه المسمى «بدر السمط، في خبر السبط».

قال رحمه الله تعالى: رحمه الله و بركاته عليكم أهل البيت، فروع النبوة و الرسالة، و ينابيع السماحة و البسالة، صفوة آل أبي طالب، و سراة بنى لؤى بن غالب، الذين جاءهم الروح الأمين، و حلّاهم الكتاب المبين، فقل في قوم شرعوا الدين القيم، و منعوا اليتيم أن يقهر و الأيم، ما قدّم من أديم آدم أطيب من أبيهم طينته، و لا أخذت الأرض أجمل من مساعيمهم زينة، لو لا هم ما عبد الرحمن، و لا عهد الإيمان، و عقد الأمان، ذؤابة غير أشابه، فضلهم ما شأنه نقص و لا شابه، سراة محلّتهم سر المطلوب، و قرار محبتهم حبات القلوب، أذهب الله

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٨٦

عنهم الرجس، و شرف بخلقهم الجنس، فإن تميزوا فبشريعتهم البيضاء، أو تحيزوا فلعشيرتهم الحمراء، من كل يعسوب الكتيبة، منسوب لنجيب و نجيبه، تجاره الكرم، و داره الحرم، نمته العرائن من هاشم أبي النسب الأصرح الأوضح، إلى نبعه فرعها في السماء و مغرسها سرّة الأبطح، أولئك السادة أحيى و أهدى، و الشهادة بحبهم أوفى و أوودى، و من يكتمها فإنه آثم قلبه.

فصل: ما كانت خديجة لتأتى بخداج، و لا الزهراء لتلد إلا أزاهر كالسراج، مثل النحلة لا تأكل إلا طيبا، و لا تضع إلا طيبا، خلدت بنت خويلد ليزكو عقبها من الحاشر العاقب، و يسمو مرقبها على النجم الثاقب، لم تجد بمثلها المهاري، و لم يلد له غيرها من المهاري، آمت من بعولتها قبله، لتصل السعادة بحبلها حبله، ملاك العمل خواتمه، ربّ ربّات حجال، أنفذ من فحول رجال. [الوافر]

و ما التأنيث لاسم الشّمس عيب و لا التذكير فخر للهلال

هذه خديجة من أخيها حزام أحزم، و لشعار الصدق من شعارات القص ألزم، ركنت إلى الركن الشديد، و سدّدت للهدى كما هديت للتسديد، يوم نبيء خاتم الأنبياء، و أنبىء بالنور المنزل عليه و الضياء.

فصل: و كان قبيل المبعث بين يدي لم الشعث، يثابر على كل حسنى و حسنه، و يجاور شهرا من كل سنه، يتحرى حراء بالتعهد، و يزجى تلك المدة في التعبد، و ذلك الشهر المقصور على التبرر، المقدور فيه رفع الضرر، شهر رمضان، المتزل فيه القرآن، فيناه، لا ينام قلبه و إن نامت عيناه، جاءه الملك مبشرا بالنجح، و قد كان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، فغمره بالكلاءة، و أمره بالقراءة، و كلما تحبس له غطّه ثم أرسله، و إذا أراد الله بعبد خيرا عسله [الطويل].

تريدين إدراك المعالي رخيصة و لا بدّ دون الشّهد من إبر النّحل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٨٧

كذلك حتى عاذ بالأرق من الفرق، و قد علق فاتحة العلق، فلا يجرى غيرها على لسانه، و كأنما كتبت كتابا في جناه.

فصل: و لما أصبح يؤمّ الأهل، و توسط الجبل يريد السهل، و قد قضى الأجل، و ما نضا الوجل، نوجى بما فى الكتاب المسطور، و

نودي كما نودي موسى من جانب الطور، فعرض له في طريقه، ما شغله عن فريقه، فرفع رأسه متأملاً، فأبصر الملك في صورة رجل متمثلاً، يشرفه بالنداء، ويعرفه بالاجتماع، وإنما عضد خبر الليلة بعيان اليوم، وأرى في اليقظة مصداق ما أسمع في النوم، ليحق الله الحق بكلماته، وعلى ما ورد في الأثر، و سرد رواة السير، فذلك اليوم كان عيد فطرنا الآن وغير بدع ولا بعيد، أن يبدأ الوحي بعيد كما ختم بعيد اليوم أكملت لكم دينكم [المائدة: ٣] فبهت عليه السلام لما سمع نداءه وراءه، و ثبت لا يتقدم أمامه ولا يرجع وراءه [الكامل].

توقف الهوى بى حيث أنت، فليس لى متقدم عنه ولا متأخر
ثم جعل فى الخوف و الرجاء، لا- يقبل وجهه فى السماء، إلا- تعرض له فى تلك الصورة، و عرض عليه ما أعطاه الله سبحانه من السورة، فيقف موقف التوكل، و يمسك حتى عن التأمل. [الطويل]
تتوق إليك النفس ثم أردّها حياء، و مثلى بالحياء حقيق
أذود سواد الطرف عنك، و ما له إلى أحد إلا إليك طريق
فصل: و فطنت خديجة لاحتباسه، فأمعنت فى التماسه، تزوجوا الودود الولود، و لفورها بل لفوزها بعثت فى طلبه رسلها، و انبعثت تأخذ عليه شعاب مكة و سبلها. [البسيط]

إن المحب إذا لم يستتر زارا
طال عليها الأمد، فطار إليها الكمد، و المحب حقيقه، من لا يفوق فيقه، بالنفس
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٨٨
النفيسة سماحه وجوده، و فى وجود المحبوب الأشرف وجوده. [الطويل]
كأن بلاد الله ما لم تكن بها و إن كان فيه الخلق طرا بلاقع
أقصى نهاري بالحديث و بالمنى و يجمعنى و الهيم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى إذا دجى لى الليل هزنتى إليك المضاجع
لقد نبتت فى القلب منك محبة كما نبتت فى الزاحتين الأصابع
فصل: و بعد لأى ما ورد عليها، و قعد مضييفا إليها، فطفقت بحكم الإجلال تمسح أركانه، و تفسح مجال السؤال عما خلف له مكانه، فباح لها بالسر المغيب، و قد لاح و سم الكرامة على الطيب المطيب، فعلمت أنه الصادق المصدوق، و حكمت بأنه السابق لا المسبوق، اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، و ما زالت حتى أزال ما به من الغمّة، و قالت: إنى لأرجو تكون نبى هذه الأمة. [البسيط]

إن تفرست فيك الخير أعرفه و الله يعلم أن ما خاننى البصر
أنت النبى و من يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر
لا- ترهب فسوف تبهر، و سيبدو أمر الله تعالى و يظهر، أنت الذى سجعت به الكهان، و نزلت له من صوامعها الرهبان، و سارت بخبر كرامته الركبان، أنت الذى ما حملت أخف منه حامل، و درت ببركته الشاة فإذا هى حافل. [المنسرح]

و أنت لئما ولدت أشرق ال أرض و ضاءت بنورك الأفق
فحن فى ذلك الضياء و فى ال نور و سبل الرّشاد نخرق

فصل: و ما لبثت أن غلقت أبوابها، و جمعت عليها أثوابها، و انطلقت إلى ورقة بن نوفل، تطلبه بتفسير ذلك المجمع، و كان يرجع إلى عقل حصيف، و يبحث عن من يبعث بالدين الحنيف، فاستبشر به ناموسا، و أخبر أنه الذى كان يأتى موسى، فازدادت إيمانا،
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٨٩

و أقامت على ذلك زمانا، ثم رأت أن خبر الواحد قد يلحقه التنفيد، و درت أن المجتهد لا يجوز له التقليد، طلب العلم فريضة على

كل مسلم، فرجعت أدرجها في ارتياد الإقناع، و ألقى في روعها إلقاء الخمار و القناع، فهناك وضح لها البرهان، و صحّ لها أن الآتى ملك لا شيطان.

[الطويل]

تولى عليه الروح من عند ربّه ينزل من جوّ السماء و يرفع
نشاوره فيما نريد و قصدنا إذا ما اشتهى أنا نطيع و نسمع

فصل: سبقت لها من الله تعالى الحسنى، فصنعت حسنا و قالت حسنا، و من يؤمن بالله يهد قلبه، ما فتر الوحي بعدها، و لا مطل الحق الحى و عدها، وعد الله لا يخلف الله وعده، دانت لحب ذى الإسلام، فحياها الملك بالسلام، من الملك السلام، من كان لله كان الله له، أغنت غناء الأبطال، فغناها لسان الحال. [البسيط]

هل تذكّرين فدتك النفس مجلسنا يوم التقينا فلم أنطق من الحصر
لا أرفع الطرف حولي من مراقبه بقى علىّ، و بعض الحزم فى الحذر
يسرت لاحتمال الأذى و النصب، فبشرت بيت فى الجنة من قصب، هل أمنت إذ آمنت من الرعب، حتى غنيت عن الشيع بما فى
الشعب. [البسيط]

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا
واها لها احتملت عض الحصار، و ما أطاقت فقد النبى المختار. [الوافر]
يطول اليوم لا ألقاك فيه و شهر نلتقى فيه قصير

و الحبيب سمع المحبّ و بصره، و له طول معياه و قصره. [الرملى]
أنت كلّ الناس عندي فإذا غبت عن عيني لم ألق أحد
مكثت للرياسة مواسية و آسية، فثلثت فى بحبوحة الجنة مريم و آسية، ثم ربت البتول
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٩٠
فبرعت، نطقت بذلك الآثار و صدعت، خير نساء العالمين أربع.

فصل: إلى البتول سير بالشرف التالذ، و سبق الفخر بالأُم الكريمة و الوالد حلت فى الجيل الجليل، و تحلت بالمجد الأثيل، ثم تولت
إلى الظل الظليل [الوافر].

و ليس يصح فى الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
و أبيها إن أم أبيها، لا تجد لها شبيها، نثره النبى، و طلبه الوصى، و ذات الشرف المستولى على الأمد القصى، كلّ ولد الرسول درج فى
حياته، و حملت هى ما حملت من آياته، ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء، لا فرع للشجرة المباركة من سواها، فهل جدوى أوفر من
جدواها، و الله أعلم حيث يجعل رسالته، حفت بالتطهير و التكریم، و زفت إلى الكفو الكريم، فوردنا صفو العارفة و المنه، و ولدا
سيدى شباب أهل الجنة، عوضت من الأمتعة الفاخرة، بسيدى الدنيا و الآخرة، ما أثقل نحوها ظهرا، و لا بذل غير درعه مهرا، كان صفر
اليدى من البيضاء و الصفراء، و بحالة لا حيلة معها فى إهداء الحلة السّيراء، فصاهره الشارع و خالله.
و قال فى بعض صعلوك لا مال له، نرفع درجات من نشاء.

فصل: [الطويل]

أ تنتهب الأيام أفلاذ أحمد و أفلاذ من عاداهم تتعدّد
و يضحى و يظما أحمد و بناته و بنت زياد و ردها لا يصرد
أفى دينه فى أمنه فى بلاده تضيق عليهم فسحة تتورد

و ما الدين إلا دين جدّهم الذى به أصدروا فى العالمين و أوردوا

انتهى ما سنح لى ذكره من «درر السمط» و هو كتاب غاية فى بابه، و لم أورد منه غير ما ذكرته، لأن فى الباقي ما تشم منه رائحة التشيع، و الله سبحانه يسامحه بمنه و كرمه و لطفه.

رجع إلى ما كنا بصدده فنقول: قد ذكرنا فى الباب الثانى رسالته أبى المطرف بن عميرة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٩١

إلى أبى جعفر بن أمية، و هى مشتملة على التلهف على الجزيرة الأندلسية، حين أخذ العدو بلنسية، و ظهرت له مخايل الاستيلاء على ما بقى من الأندلس، فراجعها فيما سبق، و إن كان التناسب التام فى ذكرها هنا فالمناسبة هناك حاصلة أيضا، و الله سبحانه الموفق. و ذكرنا هنالك أيضا جملة غيرها من كلامه - رحمه الله تعالى! - تتعلق بهذا المعنى و غيره، فلتراجع ثمة.

[للأديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبى عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى نزيل تلمسان، فى ضياع بلاد الأندلس]

و رأيت أن أثبت هنا ما رأيته بخط الأديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبى عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى نزيل تلمسان رحمه الله تعالى ما صورته: حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن ابن القائد الزعيم الأفضل سيدى إبراهيم العراف أنه حضر مرة لإنزال الطلسم المعروف بفروج الرواح من العلية بالقصبة القديمة من غرناطة بسبب البناء و الإصلاح، و أنه عاينه من سبعة معادن مكتوبا فيه: [البيسط] إيوان غرناطة الغزاة معتبر طلسمه بولاء الحال دوار

و فارس روحه ريح تدبره من الجماد، و لكن فيه أسرار

فسوف يبقى قليلا ثم تطرقه دهيا يخرب منها الملك و الدار

و قد صدق قائل هذه الأبيات، فإنه طرقت الدهياء ذلك القطر الذى ليس له فى الحسن مثال، و نسل الخطب إليه من كل حدب و انثال، و كل ذلك من اختلاف رؤسائه و كبرائه، و مقدّميه و قضاته و أمرائه و وزرائه، فكلّ يروم الرياسة لنفسه، و يجر نارها لقرصه، و النصرى - لعنهم الله تعالى! - يضربون بينهم بالخداع و المكر و الكيد، و يضربون عمرا منهم يزيد، حتى تمكنوا من أخذ البلاد، و الاستيلاء على الطارف و التلاد، قال الرئاس القاضى العلامة الكاتب الوزير أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى فى كتابه «جنّة الرضا، فى التسليم لما قدر الله تعالى و قضى» ما صورة محل الحاجة منه: و من استقرأ التواريخ المنصوصة، و أخبار الملوك المقصوصة، علم أن النصرى - دمرهم الله تعالى! - لم يدركوا فى المسلمين ثارا، و لم يرحضوا عن أنفسهم عارا، و لم يخربوا من الجزيرة منازل و ديارا، و لم يستولوا عليها بلادا جامعة و أمصارا، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف، و اجتهادهم فى وقوع الافتراق بين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٩٢

المسلمين و الاختلاف، و تضريبهم بالمكر و الخديعة بين ملوك الجزيرة، و تحريشهم بالكيد و الخلافة بين حمايتها فى الفتن المبيرة، و مهما كانت الكلمة مؤتلفة، و الآراء لا مفترقة و لا مختلفة، و العلماء بمعاناة اتفاق القلوب إلى الله مزدلفة، فالحرب إذ ذاك سجال، و لله تعالى فى إقامة الجهاد فى سبيله رجال، و للممانعة فى غرض المدافعة ميدان رحب و مجال، و روية و ارتجال.

إلى أن قال: و تطاولت الأيام ما بين مهاندنة و مقاطعة، و مضاربة و مقارعة، و منازل و منازعة، و موافقة و ممانعة، و محاربة و موادة، و لا - أمل للطاغية إلا - فى التمرس بالإسلام و المسلمين، و أعمال الحيلة على المؤمنين، و إضممار المكيدة للموخردين، و استبطان الخديعة للمجاهدين، و هو يظهر أنه ساع للوطن فى العاقبة الحسنى، و أنه منطو لأهله على المقصد الأسنى، و مهتم بمراعاة أمورهم، و ناظر بنظر المصلحة لخاصتهم و جمهورهم، و هو يسرّ حسوا فى ارتغائه، و يعمل الحيلة فى التماس هلك الوطن و ابتغائه، فتبا لعقول تقبل مثل هذا المحال، و تصدق هذا الكذب بوجه أو بحال، و ليت المغرور الذى يقبل هذا لو فكر فى نفسه، و عرض هذا المسموع على مدركات حسه، و راجع أوليات عقله و تجريبات حدسه، و قاس عدوه الذى لا ترجى مودته على أبناء جنسه، فأنا أنا شدة الله هل

بات قط بمصالح النصرارى و سلطانهم مهتما، و أصبح من خطب طرقهم مغتما، و نظر لهم نظر المفكر فى العاقبة الحسنة، أو قصد لهم قصد المدبر فى المعيشة المستحسنة، أو خطر على قلبه أن يحفظ فى سبيل القرية أربابهم و صلبانهم، أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أجباهم و رهبانهم، فإن لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث، و لم يشرب قلبه حب التثليث، و يكون صادق اللهجة، منصفاً عند قيام الحجّة، فسيعترف أن ذلك لم يخطر له قط على خاطر و لا مر له ببال، و أن عكس ذلك هو الذى كان به ذا اغتباط و بفعله ذا اهتبال، و إن نسب لذلك المعنى فهو عليه أثقل من الجبال، و أشد على قلبه من وقع النبال، هذا و عقده التوحيد، و صلواته التحميد، و ملته الغراء، و شريعته البيضاء، و دينه الحنيف القويم، و نبيه الرؤوف الرحيم، و كتابه القرآن الحكيم، و مطلوبه بالهداية الصراط المستقيم، فكيف نعتقد هذه المريعة الكبرى، و المنقبة الشهري، لمن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٩٣

عقده التثليث، و دينه المليث، و معبوده التصليب، و تسميته التصليب، و ملته المنسوخة، و قضيته المنسوخة، و ختانه التغطيس، و غافر ذنبه القسيس، و ربه عيسى المسيح، و رأيه ليس البين و لا الصحيح، و أن ذلك الرب قد ضرج بالدماء، و سقى الخل عوض الماء، و أن اليهود قتلته مصلوبا، و أدركته مطلوبيا، و قهرته مغلوبا، و أنه جزع من الموت و خاف، إلى سوى ذلك مما يناسب هذه الأقاويل السخاف، فكيف يرجى من هؤلاء الكفرة، من الخير مقدار الذرة، أو يطمع منهم فى جلب المنفعة أو دفع المضرة؟ اللهم احفظ علينا العقل و الدين، و اسلك بنا سبيل المهتدين.

[وصف ابن الحداد لخزانة الدار النصرية و ما كان فيها من المتاع و التحف]

ثم قال بعد كلام ما صورته: كانت خزانة هذه الدار النصرية مشتملة على كل نفيسه من الياقوت، و يتيمة من الجوهر، و فريدة من الزمرد، و ثمينه من الفيروزج، و على كل واق من الدرود، و خام من العدة، و ماض من الأسلحة، و فاخر من الآلة، و نادر من الأمتعة، فمن عقود فذة، و سلوك جمه، و أقراط تفضل على قرطى مارية نفاسة فائقة و حسنا راتقاء، و من سيوف شواذ فى الإبداع غرائب فى الإعجاب، منسوبات الصفائح فى الطبع، خالصات الحلوى من التبر، و من درود مقدرة السرد، متلاحمة النسج، واقية للناس فى يوم الحرب، مشهورة النسبة إلى داود نبي الله، و من جواشن سابعة اللبسة، ذهبية الحلية، هندية الضرب، ديباجية الثوب، و من بيضات عسجديه الطرق، جوهرية التنزيد، زبرجدية التقسيم، ياقوتية المركز، و من مناطق لجينية الصوغ، عريضة الشكل، مزججة الصفح، و من درق لمطية، مصمته المسام، لينة المجسة، معروفة المنعة، صافية الأديم، و من قسى ناصعة الصبغة، هلالية الخلقه، منعطفة الجوانب، زارية بالحواجب، إلى آلات فاخرة من أوتار نحاسية، و منابر بلورية، و طيافير دمشقية، و سبحات زجاجية، و صحاف صينية، و أكواب عراقية، و أقداح طباشيرية، و سوى ذلك مما لا يحيط به الوصف، و لا يستوفيه العد، و كل ذلك التهبه شواظ الفتنة، و التقمه تيار الخلاف و الفرقة، فرزئت الدار منه بما يتعذر إتيان الدهور

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٩٤

بمثله، و تقصر ديار الملوك المؤتلة النعمة عن بعضه فضلا عن كله، انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

[انحياز المسلمين إلى غرناطة بعد استيلاء الفرنج على قواعد بلاد الأندلس]

رجع: و لما أخذت قواعد الأندلس مثل قرطبة و إشبيلية و طليطلة و مرسية و غيرها انحاز أهل الإسلام إلى غرناطة و المرية و مالقة و نحوها، و ضاق الملك بعد اتساعه، و صار تنين العدو يلتقم كل وقت بلدا أو حصنا، و يهصر من دوح تلك البلاد غصنا، و ملك هذا النزر اليسير الباقي من الجزيرة ملوك بنى الأحمر، فلم يزالوا مع العدو فى تعب و ممارسة كما ذكره ابن عاصم قريبا، و ربما أثنخوا فى

الكفار كما علم في أخبارهم، وانتصروا بملوك فاس بنى مرين، في بعض الأحيان.

[قصد ملوك الإفرنج غرناطة]

ولما قصد ملوك الإفرنج السبعة في المائة الثامنة غرناطة ليأخذوها اتفق أهلها على أن يبعثوا لصاحب المغرب من بنى مرين يستنجدونه، وعينوا للرسالة الشيخ أبا إسحاق بن أبي العاص و الشيخ أبا عبد الله الطنجالي و الشيخ ابن الزيات البلشي. نفع الله تعالى بهم! ثم بعد سفرهم نازل الإفرنج غرناطة بخمسة و ثلاثين ألف فارس و نحو مائة ألف راجل مقاتل، و لم يوافقهم سلطان المغرب، فقضى الله تعالى ببركة المشايخ الثلاثة أن كسر النصارى في الساعة التي كسر خواتمهم فيها صاحب المغرب، و ظهرت في ذلك كرامة لسيدى أبا عبد الله الطنجالي رحمه الله تعالى!.

[بنو الأحمراء و حروبهم و جهادهم إلى نهاية ملك المسلمين بالأندلس]

ثم إن بنى الأحمر ملوك الأندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجبل كانوا في جهاد و جلال في غالب أوقاتهم، و لم يزل ذلك شأنهم حتى أدرك دولتهم الهرم الذي يلحق الدول، فلما كان زمان السلطان أبا الحسن على بن سعد النصرى الغالبى الأحمرى، و اجتمعت الكلمة عليه بعد أن كان أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل قد بويح بمالقة، بعد أن جاء به [بعض] القواد من عند النصارى و بقى بمالقة برهه من الزمان، ثم ذهب إلى أخيه، و بقى من بمالقة من القواد و الرؤساء فوضى، و آل الحال إلى أن قامت مالقة بدعوة السلطان أبا الحسن، و انقضت الفتنة، و استقل السلطان أبو الحسن بملك ما بقى بيد المسلمين من بلاد الأندلس، و جاهد المشركين، و افتتح عدّه أماكن، و لاحت له بارقة الكرهة على العدو الكافر، و خافوه، و طلبوا هدنته، و كثرت جيوشه، فأجمع على عرضها كلها بين يديه، و أعدّ لذلك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٩٥

مجلساً أقيم له بناؤه خارج الحمراء قلعة غرناطة، و كان ابتداء هذا العرض يوم الثلاثاء تاسع عشر الحجة عام اثنين و ثمانين و ثمانمائة، و لم تزل الجنود تعرض عليه كل يوم إلى الثاني و العشرين من محرم السنة التي تليها، و هو يوم ختام العرض، و كان معظم المتزهين و المتفرجين بالسيكّة، و ما قارب ذلك، فبعث الله تعالى سيلا عرما على وادى حدرة بحجارة و ماء غزير كأفواه القرب، عقابا من الله سبحانه و تأديبا لهم لمجاهرتهم بالفسق و المنكر، و احتمل الوادى ما على حافتيه من المدينة من حوانيت و دور و معاصر و فنادق و أسواق و قناطر و حدائق، و بلغ تيار السيل إلى رحبة الجامع الأعظم، و لم يسمع بمثل هذا السيل في تلك البلاد، و كان بين رؤساء الإفرنج في ذلك الوقت اختلاف، فبعضهم استقل بملك قرطبة، و بعض بإشبيلية، و بعض بشريش، و على ذلك كان صاحب غرناطة السلطان أبو الحسن قد استرسل في اللذات، و ركن إلى الراحة، و أضاع الأجناد، و أسند الأمر إلى بعض وزرائه، و احتجب عن الناس، و رفض الجهاد و النظر في الملك، ليقضى الله تعالى ما شاء، و كثرت المظالم و المغارم، فأنكر الخاصة و العامة ذلك منه، و كان أيضا قد قتل كبار القواد و هو يظن أن النصارى لا يغزون بعد البلاد، و لا تنقضى بينهم الفتنة و لا ينقطع الفساد، و اتفق أن صاحب قشتالة تغلب على بلادها بعد حروب، و انقاد له رؤساء الشرك المخالفون، و وجدت النصارى السبيل إلى الإفساد، و الطريق إلى الاستيلاء على البلاد، و ذلك أن كان للسلطان أبا الحسن ولدان محمد و يوسف و هما من بنت عمه السلطان أبا عبد الله الأيسر، و كان قد اصطفى على أمهما رومية كان لها منه بعض ذرية، و كان حظية عنده مقدمة في كل قضية، فخير أن يقدم أولاد الرومية، على أولاد بنت عمه السنية، و حدث بين خدام الدولة التنافر و التعصب، لميل بعضهم إلى أولاد الحرّة، و بعض إلى أولاد الرومية، و كان النصارى أيام الفتنة بينهم هادنوا السلطان لأمد حدّوه و ضربوه، و لما تم أمد الصلح وافق وقته هذا الشأن بين أولياء

الدولة بسبب الأولاد، و تشكى الناس مع ذلك بالوزراء و العمال لسوء ما عاملوا به الناس من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٩٦

الحييف و الجور، فلم يصغ إليهم، و كثر الخلاف و اشتدّ الخطب، و طلب الناس تأخير الوزير، و تفاقم الأمر، و صح عند النصارى - لعنهم الله تعالى! ضعف الدولة و اختلاف القلوب، فبادروا إلى الحامة فأخذوها غدرا آخر أيام الصلح على يد صاحب قادس سنة سبع و ثمانين و ثمانمائة، و غدوا للقلعة، و تحصنوا بها، ثم شرعوا في أخذ البلد، فملؤوا الطرق خيلا و رجالا، و بذلوا السيف فيمن ظهر من المسلمين، و نهبوا الحريم، و الناس في غفلة نيام من غير استعداد كالسكارى، فقتل من قضى الله تعالى بتمام أجله، و هرب البعض، و ترك أولاده و حريمه، و احتوى العدو على البلد بما فيه، و خرج العامة و الخاصة من أهل غرناطة عند ما بلغهم العلم، و كان النصارى عشرة آلاف بين ماش و فارس، و كانوا عازمين على الخروج بما غنموه، و إذا بالسرعان من أهل غرناطة و صلوا، فرجع العدو إلى البلد، فحاصرهم المسلمون، و شدّدوا في ذلك، ثم تكاثر المسلمون خيلا و رجالا من جميع بلاد الأندلس، و نازلوا الحامة، و طمعوا في منع الماء عن العدو، و تبين للعامة أن الجند لم ينصحوها، فأطلقوا ألسنتهم بأقبح الكلام فيهم و في الوزير، و بينما هم كذلك و إذا بالندير جاء أن النصارى أقبلوا في جميع عظيم لإغاثة من بالحامة من النصارى، فأقنع جند المسلمين من الحامة، و قصدوا ملاقاة الواردين من بلاد العدو، و لما علم بهم العدو و لّوا الأدبار من غير ملاقاة محتجين بقلتهم، و كان رئيسهم صاحب قرطبة.

[موقعة «الحامة» و «لوشة» و «مالقة و بلش» و «رندة» و حصار «مالقة»]

ثم إن صاحب إشبيلية جمع جندا عظيما من جيش النصارى الفرسان و الرجالة، و أتى لنصرة من في الحامة من النصارى، و عند ما صح هذا عند العسكر اجتمعوا، و أشاعوا عند الناس أنهم خرجوا بغير زاد و لا استعداد، و الصلاح الرجوع إلى غرناطة ليستعد الناس و يأخذوا ما يحتاج إليه الحصار من العدة و العدد، فعندما أفلح المسلمون عنها دخلتها النصارى الواردون، و تشاوروا في إخراجها أو سكتها، و اتفقوا على الإقامة بها، و حصنوها، و جعلوا فيها جميع ما يحتاج إليه، و انصرف صاحب إشبيلية، و ترك أجناده، و فرق فيهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٩٧

الأموال، ثم عاد المسلمون لحصارها، و ضيقوا عليها، و طمعوا فيها من جهة موضع كان النصارى في غفلة عنه، و دخل على النصارى جملة وافرة من المسلمين، و خاب السعد بذلك بأن شعر بهم النصارى، فعادوا عليهم، و تردى بعضهم من أعلى الجبل، و قتل أكثرهم، و كانوا من أهل بسطة و وادي آش، فانقطع أمل الناس من الحامة، و وقع الإياس من ردها.

و في جمادى الأولى من السنة تواترت الأخبار أن صاحب قشتالة أتى في جنود لا تحصى و لا تحصر، فاجتمع الناس بغرناطة، و تكلموا في ذلك، و إذا به قد قصد لوشة و نازلها قصدا أن يضيفها إلى الحامة، و جاء بالعدة و العدد، و أغارت على النصارى جملة من المسلمين، فقتلوا من لحقوه، و أخذوا جملة من المدافع الكبار، ثم جاءت جماعة أخرى من أهل غرناطة، و ناوشوا النصارى، فالجؤوهم إلى الخروج عن الخيام، و أخذوها و غيرها، فهرب النصارى، و تركوا طعاما كثيرا و آلة ثقيلة، و ذلك في السابع و العشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة.

و في هذا اليوم بعينه هرب الأميران أبو عبد الله محمد و أبو الحجاج يوسف خوفا من أبيهما أن يفتك بها بإشارة حظيته الرومية ثريا، و استقرا بوادي آش، و قامت بدعوتهما، ثم بايعتهما تلك البلاد المرية و بسطة و غرناطة، و هب أبوهما السلطان أبو الحسن إلى مالقة. و في صفر سنة ثمان و ثمانين و ثمانمائة اجتمع جميع رؤساء النصارى، و قصدوا قرى مالقة و بلش، في نحو الثمانية آلاف، و فيهم صاحب إشبيلية و صاحب شريش و صاحب إستجة و صاحب أنتقيرة و غيرهم، فلم يتمكنوا من أخذ حصن، و نشبوا في أوعار و مضايق و خنادق و جبال، و اجتمع عليهم أهل بشل و مالقة، و صار المسلمون ينالون منهم في كل محل، حتى بلغوا مالقة، ففر

كبيرهم، و من بقى أسر أو قتل، و كان السلطان أبو الحسن فى ذلك الوقت قد تحرك لنواحي المنكب، و بقى أخوه أبو عبد الله بمالقة و معه بعض الجند، و قتل من النصارى فى هذه الوقعة نحو ثلاثة آلاف، و أسر نحو ألفين من جملتها خال السلطان و صاحب إشبيلية و صاحب شريش و صاحب أنتقيرة و غيرهم، و هم نحو الثلاثين من الأكابر، و غنم المسلمون غنيمه و افرة من الأنفس و الأموال و العدة و الذهب و الفضة، و بعقب ذلك سافر أهل مالقة لبلاد النصارى، فكسروا هنالك كسرة شنيعة قتل فيها أكثر قواد غرب الأندلس.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٩٨

و لما استقر السلطان أبو عبد الله بن السلطان أبى الحسن بغرناطة و طاعت له البلاد غير مالقة و الغريبة تحرك السلطان أبو الحسن على المنكب و نواحيها، و أتى ابنه السلطان أبو عبد الله فى جند غرناطة و الجهة الشرقية، و التقوا فى موضع يعرف بالدب، فكسر السلطان أبو عبد الله.

و لما سمع السلطان أبو عبد الله صاحب غرناطة بأن عمه بمالقة غنم من النصارى أعمال السفر للغزو بأهل بلاده من غرناطة و الشرقية، و ذلك فى ربيع الأول من السنة، إلى أن بلغ نواحي لشانه، و قتل و أسر و غنم، فتجمعت عليه النصارى من جميع تلك النواحي و معه كبير قبرة، و حالوا بين المسلمين و بلادهم فى جبال و أوعار، فانكسر الجند، و أسر من الناس كثير و قتل آخرون، و كان فى جملة من أسر السلطان أبو عبد الله، و لم يعرف، ثم علم به صاحب لشانه، و أراد صاحب قبرة أن يأخذه منه، فهرب به ليلا، و بلغه إلى صاحب قشتالة، و نال بذلك عنده رفعة على جميع القواد، و تفاعل به، فقلما توجه لجهة أو بعث سرية إلا و بعثه فيها.

و لما أسر السلطان أبو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة و أعيان الأندلس، و ذهبوا لمالقة للسلطان أبى الحسن، و ذهبوا به لغرناطة، و بايعوه، مع أنه كان أصابه مثل الصرع إلى أن ذهب بصره، و أصابه ضرر، و لما تعذر أمره قدم أخاه أبا عبد الله، و خلع له نفسه، و نزل بالمنكب، فأقام بها إلى أن مات، و استقل أخوه أبو عبد الله المعروف بالزغل بالملك بعده.

و أما أبو عبد الله ابن السلطان أبى الحسن فهو فى أسر العدو.

و فى شهر ربيع الآخر من سنة تسعين و ثمانمائة خرج العدو فى قوة إلى نواحي مالقة، بعد أن كان فى السنة قبلها استولى على حصون، فاستولى هذه السنة على بعض الحصون، و قصد ذكوان، فهد أسوارها، و كان بها جملة من أهل الغريبة، و رنده، و دخل ألف مدرع ذكوان عنوة، فأظفر الله تعالى بهم أهل ذكوان، فقتلهم جميعا، ثم طلبوا الأمان و خرجوا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٣٩٨

انتقل فى جمادى الأولى إلى رنده و حاصرها، و كان أهلها خرجوا إلى نصره ذكوان و سواها، فحاصر رنده و هد أسوارها، و خرج أهلها على الأمان، و طاعت له جميع تلك البلاد، و لم يبق بغربى مالقة إلا من دخل فى طاعة الكافر و تحت ذمته، و ضيق بمالقة، و فرق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٣٩٩

حصصه على بعض الحصون ليحاصروا مالقة، و عاد إلى بلاده.

و فى تاسع عشر شعبان من العام سافر صاحب غرناطة لتحصين بعض البلاد، و بينما هو كذلك إذا بالخبر جاءه أن محلة العدو خارجة لذلك الحصن.

[اشتداد المعارك بين الإفرنج و المسلمين و موقعة «البيرة» و عود إلى «مالقة و بلش»]

و فى صبيحة الثانى و العشرين من شعبان أصبحت جنود النصارى على الحصن، كانوا قد سروا إليه ليلا، و أصبحوا عند الفجر مع جند المسلمين، فقاتلهم المسلمون من غير تعب، فاختلف نظام المسلمين، و وصل النصارى إلى خباء السلطان، ثم التحم القتال و اشتد، و قوى

الله تعالى المسلمين فهزموا النصارى شرّ هزيمة، وقتل منهم خلائق، وقصر المسلمون خوفاً من محلة سلطان النصارى إذ كانت قادمة في أثر هذه، ولما رجعت إليهم الفلول رجعوا القهقري، واستولى المسلمون على غنائم كثيرة وآلات، وجعلوا ذلك كله بالحصن، ولم يحدث شيء بعد إلى رمضان، فتوجه الكافر لحصن قنبل ونازله وهدّ أسواره، ولما رأى المسلمون أن الحصن قد دخل طلبوا الأمان، وخرجوا بأموالهم وأولادهم مؤمنين، وفر الناس من تلك المواضع من البراجلة هارين، واستولى العدو على عدة حصون مثل مشاقر وحصن اللوز، وضيق العدو بجميع بلاد المسلمين، ولم يتوجه لناحية إلا استأصلها، ولا قصد جهة إلا أطاعته وحصنها، ثم إن العدو دبّر الحيلة مع ما هو عليه من القوة، فبعث إلى السلطان أبي عبد الله الذي تحت أسرِه وكساه ووعده بكل ما يتمناه، وصرفه لشرقي بسطة، وأعطاه المال والرجال، ووعده أن من دخل تحت حكمه من المسلمين وبايعه من أهل البلاد فإنه في الهدنة والصلح والعهد والميثاق الواقع بين السلاطين، وخرج لبلش فأطاعه أهلها، ودخلت بلش في طاعته، ونودي بالصلح في الأسواق، وصرخت به في تلك البلاد الشياطين، وسرى هذا الأمر حتى بلغ أرض البيازين من غرناطة، وكانوا من التعصب وحمية الجاهلية والجهل بالمقام الذي لا يخفى، وتبعهم بعض المفسدين المحيين تفريق كلمة المسلمين، ومن مال إلى الصلح عامة غرناطة لضعف الدولة، وسوس للناس شياطين الفتنة وسماسرتها بتقييح وتحسين، إلى أن قام ربض البيازين بدعوة السلطان الذي كان مأسورا عند المشركين، ووقعت فتنة عظيمة في غرناطة نفسها بين المسلمين لما أَرَادَهُ اللهُ تعالى من استيلاء العدو على تلك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٠٠

الأقطار، ورجموا البيازين بالحجارة من القلعة، وعظم الخطب، وكانت الثورة ثالث شهر ربيع الأول عام أحد وتسعين وثمانمائة، ودامت الفتنة إلى منتصف جمادى الأولى من العام، وبلغ الخبر أن السلطان الذي قاموا بدعوته قدم على لوشة ودخلها على وجه رجاء الصلح بينه وبين عمه الزّغل صاحب قلعة غرناطة، بأن العم يكون له الملك، وابن أخيه تحت إيلته بلوشة أو بأى المواضع أحب، ويكونون يدا واحدة على عدوّ الدين، وبينما هم كذلك إذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعدد، ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبد الله الذي كان أسيرا، وضيق عليها الحصار، وقد كان دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد والمعاضدة وليهم، وخاف أهل غرناطة وسواها من أن يكون ذلك حيلة، فلم يأت لنصرتهم غير البيازين، واشتد عليهم الحصار، وكثرت الأقاويل، وصرحت الألسن بأن ذلك باتفاق بين السلطان المأسور وصاحب قشتالة، ودخل على أهل لوشة في ربضهم، وخافوا من الاستئصال، فطلبوا الأمان في أموالهم وأنفسهم وأهليهم، فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك، وأخذ البلد في السادس والعشرين لجمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثمانمائة، وهي - أعنى لوشة - كانت بلد سلف الوزير لسان الدين بن الخطيب، كما ذكرناه مستوفى في غير هذا الموضع، وهاجر أهل لوشة إلى غرناطة، وبقي السلطان أبو عبد الله الذي كان مأسورا مع النصراني بلوشة، فصرح عند ذلك أهل غرناطة بأنه ما جاء للوشة إلا ليدخل إليها العدو الكافر، ويجعلها فداء له، وقيل: إنه سرح له حينئذ ابنه إذ كان مرهونا في الفداء، وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين في ذلك، وظهر بذلك ما كان كامنا في القلوب، ثم رجع صاحب قشتالة إلى بلاده ومع السلطان المذكور.

وفي نصف جمادى الثانية خرج إلى إلبيرة فهد بعض الأسوار، وتوعد الناس، فأعطاه أهله الحصن على الأمان، فخرجوا وقدموا على غرناطة، ثم فعل بحصن التلين مثل ذلك، وقاتلوا قتالا شديداً، ولما ضاقوا ذرعا أعطوه بالمقادة على الأمان، فخرجوا إلى غرناطة وأطاع أهل قلنبيرة من غير قتال، فخرجوا إلى غرناطة ثم وصل العدو إلى منت فريد، فرمى عليهم بالمحرقات وغيرها، وأحرق دار العدة، فطلبوا الأمان وخرجوا إلى غرناطة، وانتقل للصخرة فأخذها، وحصن هذه الحصون كلها، وشحنها بالرجال والعدة، ورتب فيها الخيل لمحاصرة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٠١

غرناطة، ثم عاد الكافر لبلاده، وتعاهد مع السلطان الذي في أسرِه بأن من دخل في حكمه وتحت أمره فهو في الأمان التام، وأشاعوا

أن ذلك بسبب فتنه وقعت بينه وبين صاحب إفرنسية، فخرج بلش و أطاعته، ثم بعث لمن والاه من البلاد أنه أتى بصلح صحيح و عقد وثيق، و أن من دخل تحت أمره أمن من حركة النصارى عليه، و أن معه وثائق بخطوط السلاطين، فلم يقبل الناس ذلك، إلا القليل منهم مثل أهل البيازين، فلهجوا بهذا الصلح، و أقاموا على صحته الدلائل، و تكلموا فى أهل غرناطة بالكلام القبيح، مع تمكن الفتنة و العداوة فى القلوب، فبعث له أهل البيازين أنه إذا قدم بهذه الحجج لتلك الجهات اتبعه الناس، و قاموا بدعوته من غير التباس، فأتى على حين غفلة، و لم يكن يظن إتيانه بنفسه، فأتى البيازين و دخلها و نادى فى أسواقها بالصلح التام الصحيح، فلم يقبل ذلك منه أهل غرناطة، و قالوا: ما بعهد لوشة من قدم، و دخل ربض البيازين بالرجال سادس شوال سنة إحدى و تسعين و ثمانمائة، و عمه بالحمراء، و انتقل للقلعة، و اشتد أمر الفتنة، ثم إن صاحب قشتالة أمّد صاحب البيازين بالرجال و العدة و المال و القمح و البارود و غيرها، و اشتد أمره بذلك، و عظمت أسباب الفتنة، و فشا فى الناس القتل و النهب، و لم يزل الأمر كذلك إلى السابع و العشرين من محرم سنة اثنتين و تسعين و ثمانمائة، فعزم أهل غرناطة مع سلطانهم على الدخول على البيازين عنوة، و تكلم أهل العلم فيمن انتصر بالنصارى و وجوب مدافعتهم، و من أطاعه عصى الله و رسوله، و دخلوا على أهل البيازين دخول فشل، ثم إن صاحب غرناطة بعث إلى الأجناد و القواد من أهل بسطة و وادى آش و المرية و المنكب و بلش و مالقة و جميع الأقطار، و تجمعوا بغرناطة، و تعاهدوا، و تحالفوا على أن يدهم واحدة على أعداء الدين، و نصره من قصده العدو من المسلمين، و خاف صاحب البيازين فبعث لصاحب قشتالة فى ذلك فخرج بمحلته قاصدا نواحي بلش، و كان صاحب البيازين بعث وزيره إلى ناحية مالقة و إلى حصن المنشأة يذكر و يخوف، و معه النسخة من عقود الصلح، فقامت مالقة و حصن المنشأة بدعوته، و دخلوا فى إيالته خوفا من صاحب قشتالة و صولته، و طمعا فى الصلح و صحته، ثم اجتمع كبار مالقة مع أهل بلش و ذكروا لهم سبب دخولهم فى هذه الدعوة، و السبب الحامل لهم على ذلك، فلم نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٠٢

يرجع أهل بلش عما عاهدوا عليه أهل غرناطة و سائر الأندلس من العهود و المواثيق.

و خرج صاحب قشتالة قاصدا بلش مالقة، و نزل عليها فى ربيع الثانى سنة اثنتين و تسعين و ثمانمائة و حاصرهما، و لما صح عند صاحب غرناطة ذلك اجتمع بالناس، فأشاروا بالمسير لإغاثة بلش للعهد الذى عقده، و أتى أهل وادى آش و غيرها و حشود البشرات، و خرج صاحب غرناطة منها فى الرابع و العشرين لربيع الثانى من السنة، و وصل بلش، فوجد العدو نازلا عليها برا و بحرا، فنزل بجبل هنالك، و كثر لغط الناس، و حملوا على النصارى من غير تعبئة، و حين حركتهم للحملة بلغ الرّغل أن غرناطة بايعت صاحب البيازين، فالتقوا مع النصارى فشلين و قبل الالتحام انهزموا، و تبسدت جموعهم مع كون النصارى خائفين و جلين منهم و لا حول و لا قوة إلا بالله، فرجعوا منهزمين، و قد شاع عند الخواص ثورة غرناطة على السلطان، فقصدوا وادى آش، و عاد النصارى إلى بلش بعد أن كانوا رتبوا جيوشهم للقاء السلطان، و أهل غرناطة، فلما عادوا إلى بلش دخلوا عنوة ربضها، و ضيقوا بها، و كانت ثورة غرناطة خامس جمادى الأولى.

و لما رأى أهل بلش تكالب العدو عليهم و إدبار جيوش المسلمين عنهم طلبوا الأمان، فخرجوا يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى من السنة، و أطاعت النصارى جميع البلاد التى بشرقى مالقة و حصن قمارش.

ثم انتقل العدو إلى حصار مالقة، و كان أهل مالقة قد دخلوا فى الصلح و أطاعوا صاحب البيازين، و أتى إليها النصارى بالميرة، و لما نزل بلش بعثوا هدية لصاحب قشتالة مع قائدهم وزير صاحب البيازين و قائد شريش الذى كان مأسورا عندهم، فلم يلتفت إليهم صاحب قشتالة لقيام جبل فار و هو حصن مالقة بدعوة صاحب وادى آش، و ارتحل صاحب قشتالة إلى مالقة و نازلها برا و بحرا، و قاتله أهلها قتالا عظيما بمدافعهم و عدتهم و خيلهم و رجلهم، و طال الحصار حتى أداروا على مالقة من البر الخنادق و السور و الأجناف من البحر، و منع الداخل إليها و لم يدخلها غير جماعة من المرابطين حال الحصار، و حاربوا حربا شديدا، و قربوا المدافع و دخلوا الأرباض، و ضيقوا عليهم بالحصار إلى أن فنى ما عندهم من الطعام فأكلوا المواشى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٠٣

والخيل والحمير، وبعثوا الكتب للعدوتين و هم طامعون في الإغاثة فلم يأت إليهم أحد، و أثر فيهم الجوع، و فشا في أهل نجدتهم القتل، و لم يظهروا مع ذلك هلعاً و لا ضعفاً، إلى أن ضعف حالهم، و يسوا من ناصر أو مغيث من البر و البحر فتكلموا مع النصارى في الأمان كما وقع ممن سواهم، فعتبوا على ما صدر منهم و ما وقع من الجفاء، و قيل لهم لما تحقق العدو التجاءهم: تؤمنون من الموت، و تعطون مفتاح القلعة و الحصن، و السلطان ما يعاملكم إلا بالخير إذا فعلتم، و هذا خداع من الكفار، فلما تمكن العدو منهم أخذهم أسرى، و ذلك أواخر شعبان سنة اثنتين و تسعين و ثمانمائة، و لم يبق في تلك النواحي موضع إلا و ملكه النصارى. و في عام ثلاثة و تسعين و ثمانمائة خرج العدو الكافر إلى الشريعة و بلش التي كانت في الصلح، فاستولى عليها، و احتجوا بالصلح، فلم يلتفت إليهم، و أخذ تلك البلاد كلها صلحاً، ثم رجع لبلاده.

[سقوط «بسطة» و غيرها]

و في عام أربعة و تسعين [و ثمانمائة] خرج لبعض حصون بسطة فأخذها بعد حرب، و استولى على ما هنالك من الحصون، ثم نازل بسطة، و كان صاحب وادى آش لما تعين العدو بمحلته بعث جميع جنده و قواده، و حشد أهل نجدة تلك البلاد من وادى آش و المرية و المنكب و البشرات، فلما نزل العدو بسطة أتت الحشود المذكورة و دخلوها و وقعت بين المسلمين و النصارى حروب عظيمة حتى تفهقر العدو عن قرب بسطة، و لم يقدر على منع الداخل و الخارج، و بقى الأمر كذلك رجا و شعبان و رمضان، و محلات المسلمين نازلة خارج البلد، ثم إن العدو شد الحصار و جد في القتال، و قرب المدافع و الآلات من الأسوار حتى منع الداخل و الخارج بعض منع، و اشتد الحال في القعدة و الحجّة و قل الطعام، و في آخر الحجّة اختبروا الطعام في خفية فلم يجدوا إلا القليل، و كانوا طامعين في إقلاع العدو عند دخول فصل الشتاء، و إذا بالعدو بنى و عزم على الإقامة، و قوى اليأس على المسلمين، فتكلموا في الصلح على ما فعل غيرهم من الأماكن، و ظن العدو أن الطعام لم يبق منه شيء، و أن ذلك هو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٠٤

الملجئ لهم للكلام، و فهموا عنه ذلك، فاحتالوا في إظهار جميع أنواع الطعام بالأسواق، و أبدوا للعدو القوة مع كونهم في غاية الضعف، و الحرب خدعة، فدخل بعض كبار النصارى للتكلم معهم و هو عين ليرى ما عليه البلد و ما صفة الناس، و عند تحققهم بقاء الطعام و القوة أعطوهم الأمان على أنفسهم دون من أعانهم من أهل وادى آش و المنكب و المرية و البشرات، فإن دفعوا هؤلاء عنهم صح لهم الأمان، و إلا فلا، فلم يوافق أهل البلد على هذا، و طال الكلام، و خاف أهل البلد من كشف الستر، فاتفقوا على أن تكون القعدة على بسطة و وادى آش و المرية و المنكب و البشرات، ففعلوا ذلك، و دخل جميع هؤلاء في طاعة العدو على شروط شرطوها و أمور أظهروا بعضها للناس و بعضها مكتوم، و قبض الخواص مالا، و حصلت لهم فوائد.

و في يوم الجمعة عاشر محرم سنة خمس و تسعين و ثمانمائة دخل النصارى قلعة بسطة، و ملكوها، و لم يعلم العوام كيفية ما وقع عليه الشرط و الالتزام، و قالوا لهم: من بقى بموضعه فهو آمن، و من انصرف خرج بماله و سلاحه سالماً، ثم أخرج العدو المسلمين؟؟؟؟ من البلد، و أسكنهم بالزبض خوف الثورة، ثم ارتحل العدو للمرية، و أطاعته جميع تلك البلاد، و نزل صاحب وادى آش للمرية ليلقاه بها فلقيه و أخذ الحصون و القلاع و البروج، و بايع له السلطان أبو عبد الله على أن يبقى تحت طاعته في البلاد التي تحت حكمه كما أحب، فوعده بذلك، و انصرف معه إلى وادى آش، و مكث من قلعتها أوائل صفر من العام المذكور، و أطاعته جميع البلاد، و لم يبق غير غرناطة و قرها، و جميع ما كان في حكم صاحب وادى آش صار للنصارى في طرفه عين، و جعل في كل قلعة قائدا نصرانياً، و كان قائداً من المسلمين أصحاب هذه البلاد دفع لهم الكفار مالا من عند صاحب قشتالة إكراماً منه لهم بزعمهم، فتبا لعقولهم، و ما ذلك منه إلا توفير لرجاله و عدته و دفع بالتى هى أحسن، ثم أخذ برج الملاحه و غيره، و بناه و حصنه، و شحن الجميع بالرجال و

الذخيرة، و أظهر الصحة و الصلح مع صاحب وادى آش، و أباح الكلام بالسوء فى حق صاحب غرناطة مكرامه و خداعا و دهاء، ثم بعث فى السنة نفسها رسلا لصاحب غرناطة أن يمكنه من الحمراء كما يمكنه عمه من القلاع و الحصون، و يكون تحت نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٠٥

إيالته، و يعطيه مالا جزيلا على ذلك، و أى بلاد شاء من الأندلس يكون فيها تحت حكمه، قالوا: و أطعمه صاحب غرناطة فى ذلك، فخرج العدو فى محلاته لقبض الحمراء و الاستيلاء على غرناطة، و هذا فى سر بين السلطانين، فجمع صاحب غرناطة الأعيان و الكبراء و الأجناد و الفقهاء و الخاصة و العامة و أخبرهم بما طلب منه العدو، و أن عمه أفسد عليه الصلح الذى كان بينه و بين صاحب قشتالة بدخوله تحت حكمه، و ليس لنا إلا- إحدى خصلتين: الدخول فى طاعته، أو القتال، فاتفق الرأى على الجهاد و الوفاء بما عقده من صلح، و خرج بمحلته. ثم إن صاحب قشتالة نزل على مرج غرناطة، و طلب من أهل غرناطة الدخول فى طاعته، و إلا أفسد عليهم زروعهم، فأعلنوا بالمخالفة، فأفسد الزرع، و ذلك فى رجب سنة خمس و تسعين، و ثمانمائة و وقعت بين المسلمين و العدو حروب كثيرة، ثم ارتحل العدو عند الإياس منهم ذلك الوقت، و هدم بعض حصون، و أصلح برج همدان و الملاحه، و شحنهما بما ينبغى، ثم رجع إلى بلاده، و عند انصرافه نزل صاحب غرناطة بمن معه إلى بعض الحصون التى فى يد النصارى ففتحتها عنوة، و قتل من فيها من النصارى، و أسكنها المسلمين، و رجع لغرناطة، ثم أعمل الرحلة إلى البشرات فى رجب المذكور، فأخذ بعض القرى، و هرب من بها من النصارى و المرتدين أصحابهم، ثم أتى حصن أندرش فتمكن منه، و أطاعته البشرات، و قامت دعوة الإسلام بها، و خرجوا عن ذمة النصارى، و هنالك عمه أبو عبد الله محمد بن سعد بجملته و افره، فقصدهم فى شعبان من غرناطة، و استقر عمه بالمريه، و أطاعت صاحب غرناطة جميع البشرات إلى برجه، ثم تحرك عمه مع النصارى إلى أندرش فأخذها لرمضان، و خرج صاحب غرناطة لقرية همدان، و كان برجها العظيم مشحونا بالرجال و العدة و الطعام، فحاصره أهل غرناطة، و نصبوا عليه أنواعا من الحرب، و مات به خلق كثير منهم، و نقبوا البرج الأول و الثانى و الثالث، و ألجؤوهم للبرج الكبير، و هو القلعة، فنقبوها ثم أسروا من كان بها، و هم ثمانون و مائة، و احتوا على ما هنالك من عدة و آلات حرب.

[موقعة «شلوبانية» و موقعة مرج غرناطة]

و فى آخر رمضان خرج صاحب غرناطة بقصد المنكب، فلما وصل حصن شلوبانية نزله، و أخذه عنوة بعد حصاره، و امتنعت القلعة، و جاءتهم الأمداد من مالقة بحرا فلم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٠٦

تقدر على شىء، و ضيقوا بالقلعة، فوصلهم الخبر أن صاحب قشتالة خرج بمحلته لمرج غرناطة، فارتحل صاحب غرناطة عن قلعة شلوبانية، و جاء غرناطة ثالث شوال، و بعد وصولهم غرناطة وصل العدو إلى المرج و معه المرتدون و المدجنون، و بعد ثمانية أيام ارتحل العدو لبلاده بعد هدم برج الملاحه و إخلائه و برج آخر، و توجه إلى وادى آش، فأخرج المسلمين منها، و لم يبق بها مسلم فى المدينة و لا الرّبض، و هدم قلعة أندرش، و حاف على البلاد، و لما رأى ذلك السلطان الرّغل و هو أبو عبد الله محمد بن سعد عم سلطان غرناطة همّ بالجواز لبر العدو فجاز لوهران، ثم لتلمسان، و استقر بها، و بها نسله إلى الآن يعرفون ببني سلطان الأندلس، و دخل صاحب قشتالة لأقصى مملكته بسبب فتنة بينه و بين الإفرنج ثم تحرك صاحب غرناطة على برشانة و حاصرها و أخذها؛ و أسر من كان بها من النصارى و أرادت فتياته القيام على النصارى، فجاء صاحب وادى آش ففتك فيهم.

و فى ذى القعدة من السنة رفع صاحب غرناطة من السند و خلت تلك الأوطان من الأفس.

و فى ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة ست و تسعين و ثمانمائة خرج العدو بمحلته إلى مرج غرناطة، و أفسد الزرع، و دوخ الأرض، و هدم القرى، و أمر ببناء موضع بالسور و الحفير، و أحكم بناءه، و كانوا يذكرون أنه عزم على الانصراف فإذا به صرف الهمة إلى

الحصار والإقامة، و صار يضيق على غرناطة كل يوم، و دام القتال سبعة أشهر، و اشتد الحصار بالمسلمين، غير أن النصارى على بعد، و الطريق بين غرناطة و البشراة متصله بالمرافق و الطعام من ناحية جبل شلير، إلى أن تمكن فصل الشتاء، و كلب البرد، و نزل الثلج، فانسد باب المرافق، و انقطع الجالب، و قل الطعام، و اشتد الغلاء، و عظم البلاء، و استولى العدو على أكثر الأماكن خارج البلد، و منع المسلمين من الحرث و السبب، و ضاق الحال، و بان الاختلال، و عظم الخطب، و ذلك أول عام سبعة و تسعين و ثمانمائة، و طمع العدو فى الاستيلاء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٠٧

على غرناطة بسبب الجوع و الغلاء دون الحرب، ففر ناس كثيرون من الجوع إلى البشراة، ثم اشتد الأمر فى شهر صفر من السنة، و قل الطعام، و تفاقم الخطب، فاجتمع ناس مع من يشار إليه من أهل العلم، و قالوا: انظروا فى أنفسكم و تكلموا مع سلطانكم، فأحضر السلطان أهل الدولة و أرباب المشورة، و تكلموا فى هذا المعنى، و أن العدو يزداد مدده كل يوم، و نحن لا مدد لنا، و كان ظننا أنه يقلع عنا فى فصل الشتاء فخاب الظن، و بنى و أسس، و أقام، و قرب منا، فانظروا لأنفسكم و أولادكم، فاتفق الرأى على ارتكاب أخف الضررين، و شاع أن الكلام وقع بين النصارى و رؤساء الأجناد قبل ذلك فى إسلام البلد خوفا على نفوسهم و على الناس، ثم عددوا مطالب و شروطا أرادوها، و زادوا أشياء على ما كان فى صلح وادى آس: منها أن صاحب رومة يوافق على الالتزام و الوفاء بالشرط إذا مكنه من حمراء غرناطة و المعاول و الحصون، و يحلف على عادة النصارى فى العهود، و تكلم الناس فى ذلك، و ذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام فى ذلك امتنّ عليهم النصارى بمال جزيل و ذخائر، ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة، فانقادوا إليها، و وافقوا عليها، و كتبوا البيعة لصاحب قشتالة، فقبلها منهم، و نزل سلطان غرناطة من الحمراء.

[استيلاء النصارى على الحمراء و صورة من شروط الصلح]

و فى ثانى ربيع الأول من السنة - أعى سنة سبع و تسعين و ثمانمائة - استولى النصارى على الحمراء و دخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان رهنا خوف الغدر، و كانت الشروط سبعة و ستين منها تأمين الصغير و الكبير فى النفس و الأهل و المال و إبقاء الناس فى أماكنهم و دورهم و رباعهم و عقارهم، و منها إقامة شريعتهم على ما كانت و لا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم و أن تبقى المساجد كما كانت و الأوقاف كذلك، و أن لا يدخل النصارى دار مسلم و لا يغصبوا أحدا، و أن لا يولى على المسلمين نصرانى أو يهودى ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل، و أن يفتك جميع من أسرف فى غرناطة من حيث كانوا، و خصوصا أعيانا نصّ عليهم، و من هرب من أسارى المسلمين و دخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكة و لا سواه، و السلطان يدفع ثمنه لمالكة، و من أراد الجواز للعدوة لا يمنع، و يجوزون فى مدة عينت فى مراكب السلطان لا يلزمهم إلا الكراء، ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٠٨

و الكراء، و أن لا يؤخذ أحد بذنب غيره، و أن لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى و دينهم، و أن من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله و يحضر له حاكم من المسلمين و آخر من النصارى، فإن أبى الرجوع إلى الإسلام تمادى على ما أراد، و لا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب، و لا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة، و لا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى، و لا - بسفر لجهة من الجهات، و لا يزيدون على المغارم المعتادة، و ترفع عنهم جميع المظالم و المغارم المحدثه، و لا يطلع نصرانى للسور، و لا يتطلع على دور المسلمين، و لا يدخل مسجدا من مساجدهم، و يسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا فى نفسه و ماله، و لا يجعل علامة كما يجعل اليهود و أهل الدجن، و لا - يمنع مؤذن و لا - مصلّ و لا صائم و لا غيره من أمور دينه، و من ضحك منهم يعاقب، و يتكون من المغارم سنين معلومة، و أن يوافق على كل الشروط صاحب رومة و يضع خط يده، و أمثال هذا مما تركنا ذكره.

و بعد انبرام ذلك و دخول النصارى للحمراء و المدينة جعلوا قائدا بالحمراء و حكاما مقدّمين بالبلد، و لما علم ذلك أهل البشرات دخلوا فى هذا الصلح، و شملهم حكمه على هذه الشروط، ثم أمر العدو الكافر ببناء ما يحتاج إليه فى الحمراء و تحصينها، و تجديد بناء قصورها و إصلاح سورها، و صار الطاغية يختلف إلى الحمراء نهارا و يبيت بمحلته ليلا إلى أن اطمأن من خوف الغدر، فدخل المدينة، و تطوّف بها، و أحاط خبرا بما يرومه، ثم أمر سلطان المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات و أنها تكون له فى سكناء بأندرش، فانصرف إليها و أخرج الأجناد منها، ثم احتال فى ارتحاله لبر العدو، و أظهر أن ذلك طلبه منه المذكور، فكتب لصاحب المرية أنه ساعة وصول كتابى هذا لا سبيل لأحد أن يمنع مولاي أبا عبد الله من السفر حيث أراد من بر العدو، و من وقف على هذا الكتاب فليصرفه و يقف معه و فاء بما عهد له، فانصرف فى الحين بنص هذا الكتاب، و ركب البحر، و نزل بمليّة، و استوطن فاسا، و كان قبل طلب الجواز لناحية مراکش، فلم يسعف بذلك و حين جوازه لبر العدو لقي شدة و غلاء و بلاء.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٠٩

[نقض النصارى للعهد]

ثم إن النصارى نكثوا العهد، و نقضوا الشروط عروء عروء، إلى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع و تسعمائة، بعد أمور و أسباب أعظمها و أقواها عليهم أنهم قالوا: إن القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهرا للكفر، ففعلوا ذلك، و تكلم الناس و لا جهد لهم و لا قوة، ثم تعدوا إلى أمر آخر، و هو أن يقولوا للرجل المسلم: إن جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع نصرانيا، و لما فحش هذا الأمر قام أهل البيازين على الحكام و قتلوهم، و هذا كان السبب للتنصر، قالوا: لأن الحكم خرج من السلطان أن من قام على الحاكم فليس إلا الموت إلا أن يتنصر فينجو من الموت، و بالجملة فإنهم تنصروا عن آخرهم بادية و حضره، و امتنع قوم من التنصر، و اعتزلوا النصارى، فلم ينفعهم ذلك، و امتنع قري و أماكن كذلك منها بلفيق و أندرش و غيرهما، فجمع لهم العدو الجموع، و استأصلهم عن آخرهم قتلا و سببا، إلا ما كان من جبل بلنقة فإن الله تعالى أعانهم على عدوهم، و قتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة، و أخرجوا على الأمان إلى فاس بعيالهم و ما خف من أموالهم دون الذخائر، ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله فى خفية و يصلى، فشدد عليهم النصارى فى البحث، حتى إنهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك، و منعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد، و قاموا فى بعض الجبال على النصارى مرارا و لم يقبض الله لهم ناصرا، إلى أن كان إخراج النصارى إياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر و ألف، فخرجت ألوف بفاس، و ألوف آخر بتلمسان من وهران، و جمهورهم خرج بتونس، فتسلط عليهم الأعراب و من لا يخشى الله تعالى فى الطرقات، و نهبوا أموالهم، و هذا ببلاد تلمسان و فاس، و نجا القليل من هذه المضرة، و أما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم، و هم لهذا العهد عمروا قراها الخالية و بلادها، و كذلك بتطاون و سلا و فيجة الجزائر، و لما استخدم سلطان المغرب الأقصى منهم عسكريا جرارا و سكنوا سلا كان منهم من الجهاد فى البحر ما هو مشهور الآن، و حصنوا قلعة سلا، و بنوا بها القصور و الحمامات و الدور، و هم الآن بهذا الحال، و وصل جماعة إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤١٠

القسطنطينية العظمى و إلى مصر و الشام و غيرها من بلاد الإسلام، و هم لهذا العهد على ما وصف، و الله وارث الأرض و من عليها هو خير الوارثين.

[ذكر السلطان الذى ضاعت على عهده بلاد الأندلس]

والسلطان المذكور الذي أخذت على يده غرناطة هو أبو عبد الله محمد الذي انقضت بدولته مملكة الإسلام بالأندلس، و محيت رسومها، ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان سعد ابن الأمير علي ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغني بالله، واسطة عقدهم، و مشيد مبانيهم الأنيقة، و سلطان دولتهم علي الحقيقة، و هو المخلوع الوافد علي الأصقاع المرينية بفاس، العائد منها لملكه في أرفع الصنائع الرحمانية العاطرة الأنفاس، و هو سلطان لسان الدين ابن الخطيب، و قد ذكرنا جملة من أخباره في غير هذا الموضع، ابن السلطان أبي الحجاج يوسف ابن السلطان إسماعيل قاتل سلطان النصارى دون بطرة بمرج غرناطة ابن فرج [بن إسماعيل] بن يوسف بن نصر بن قيس، الأنصاري، الخزرجي، رحمهم الله تعالى جميعا.

و انتهى السلطان المذكور بعد نزوله بمليئة إلى مدينة فاس بأهله و أولاده معتذرا عما أسلفه، متلهفا علي ما خلفه، و بنى بفاس بعض قصور علي طريق بنيان الأندلس، رأيتها و دخلتها، و توفي رحمه الله تعالى بفاس عام أربعين و تسعمائة، و دفن بإزاء المصلّى خارج باب الشريعة، و خلف ولدين اسم أحدهما يوسف و الآخر أحمد، و عقب هذا السلطان إلى الآن بفاس، و عهدى بذريته بفاس [إلى الآن] سنة ١٠٣٧، يأخذون من أوقاف الفقراء و المساكين، و يعدّون من جملة الشحاذين، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[رسالة سلطان الأندلس المخلوع إلى سلطان فاس، (إنشاء العقيلي)]

و قد رأيت أن أذكر هنا الرسالة التي كتب بها المخلوع المذكور إلى سلطان فاس الشيخ الوطاسي، و هي من إنشاء الكاتب المجيد البارع البليغ أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي رحمه الله تعالى و سماها «بالروض العاطر الأنفاس، في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس» و نصها بعد الافتتاح: [البيسط]

مولى الملوك ملوك العرب و العجم رعيًا لما مثله يرعى من الدّم
بك استجرنا و نعم الجار أنت لمن جار الزمان عليه جور منتقم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤١١

حتّى غدا ملكه بالرغم مستلبا و أفضع الخط ما يأتى علي الرّغم

حكم من الله حتم لا مردّ له و هل مردّ لحكم منه منحتم

و هي اللّيالي و قاك الله صولتها تصول حتّى علي الآساد في الأجم

كنا ملوكا لنا في أرضنا دول نمنا بها تحت أفنان من النّعم

فأيقظتنا سهام للزّدى صيب يرمى بأفجع حتف من بهنّ رمى

فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا و أيّ ملك بظلّ الملك لم ينم

بيكى عليه الذي قد كان يعرفه بأدمع مزجت أمواها بدم

كذلك الدهر لم يبرح كما زعموا يشمّ بو الصّغار الأنف ذا الشّم

وصل أواصر قد كانت لنا اشتبكت فالملك بين ملوك الأرض كالزّحم

و ابسط لنا الخلق المرجوّ باسطه و اعطف و لا تنحرف و اعذر و لا تلم

لا تأخذنا بأقوال الوشاة و لم نذنب و لو كثرت أقوال ذى الوخم

فما أطقنا دفاعا للقضاء، و لا أرادت انفسنا ما حلّ من نقم

و لا ركوبا يازعاج لسابحة في زاخر بأكفّ الموج ملتطم

و المرء ما لم يعنه الله أضيع من طفل تشكى بفقد الأم في اليتم

و كلّ ما كان غير الله يحرسه فإنّ محروسه لحم علي و ضم

كن كالسموأل إذ سار الهمام له في جحفل كسواد الليل مرتكم
 فلم يبع أدرع الكندي و هو يرى أن ابنه البرّ قد أشفى على الرّجم
 أو كالمعلّى مع الصّليل الأروع إذ أجاره من أعارب و من عجم
 و صار يشكره شكرا يكافىء ما أسدى إليه من الآلاء و النعم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤١٢
 و لا تعاتب على أشياء قد قدرت و خطّ مسطورها فى اللوح بالقلم
 و عدّ عمّا مضى إذ لا ارتجاع له و عدّ أحرارنا فى جملة الخدم
 إيه حنانيك يا ابن الأكرمين على ضيف ألم بفاس غير محتشم
 فأنت أنت، و لو لا أنت ما نهضت بنا إليها خطا الوخّادة الرّسم
 رحماك يا راحما ينمى إلى رحما فى النّفس و الأهل و الأتباع و العشم
 فكم مواقف صدق فى الجهاد لنا و الخيل عالكة الأشداق للجم
 و السيف يخضب بالمحمر من علق ما ابيضّ من سبل و اسود من لمم
 و لا ترى صدر غضب غير منقصف و لا ترى متن لدن غير منطم
 حتى دهينا بدهيا لا اقتدار بها سوى على الصون للأطفال و الحرم
 فقال من لم يشاهدها فربّتما يخال جامحها يقتاد بالخطم
 هيهات لو زبنته الحرب كان بها أعيبى يدا من يد جالت على رخم
 تالّله ما أضمرت غشا ضمائرنا و لا طوت صحّة منها على سقم
 لكن طلبنا من الأمر الذى طلبت و لاتنا قبلنا فى الأعصر الدّهم
 فخاننا عنده الجدّ الخوون، و من تقعد به نكبات الدّهر لم يقم
 فاسودّ ما اخضرّ من عيش دهته عدا بالأسمر اللدن أو بالأبيض الخدم
 و شتّت البين شملا كان منتظما و البين أقطع للموصول من جلم
 فربّ مبنى شديد قد أناخ به ركب البلا فقرته أدمع الدّيم
 قمنا لديه أصيلانا نائله أعيأ جوابا و ما بالرّبع من إرم
 و ما ظنّنا بأن نبقى إلى زمن نرى به غرر الأحباب كالحمم
 لكن رضا بالقضا الجارى و إن طويت منّا الضلوع على برح من الألم
 لتيك يا من دعانا نحو حضرته دعاء إبراهيم الحجّاج للحرم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤١٣
 و اعط الأمان الذى وصّت قواعده على أساس وفاء غير منهدم
 خليفة الله و افاك العبيد فكن فى كل فضل و طول عند ظنّهم
 و بين أسلافنا ما قد علمت به من اعتقاد بحكم الإرث مقتسم
 و أنت منهم كأصل مطلع غصنا أو كالشّراك الذى قد قدّ من آدم
 و قد خطوت خطاهم فى ماثرهم فلم يذمّوا إذن فيها و لم تدم
 وصيت مولى الورى الشيخ الإمام غدا فى الناس أشهر من نار على علم

سلاله الأمراء الجلّة الكبرياء العليّة الظهراء القادة البهم
 بنو مرين ليوث في عرين أبوا رؤيا قرين لهم في البأس و الكرم
 النازلين من البيضاء وسط حمى أحمى من الأبلق السامى و من إرم
 و الجائسين بدهم الخيل كلّ ذرا و الداعسين بسمر الخط كل كمي
 يريك فارسهم إن هز عامله في مارق بلظى الهيجاء مضطرم
 ليثا على أجدل عار من اجنحه يسطو بأرقم لدّاغ بغير فم
 فى اللام يدغم من عسّاله ألفا و لم نجد ألفا أصلا بمدغم
 أهل الحفيظة يوم الرّوع يحفظهم من عصمه الله ما يربى على العصم
 يا من تطير شرار منه محرقة لكلّ مدّرع بالحزم محتزم
 هم بطائفه التليلث قد فتكوا كمثل ما يفتك السرحان بالغنم
 و إن يلثمهم يوم الوغى رهج أنسوك ما ذكروه عن ذوى اللثم
 تضىء آراؤهم فى كلّ معضلة إضاءة السرج فى داج من الظلم
 هذا و لو من حياء ذاب محتشم لذاب منهم حياء كلّ محتشم
 طابت مدائجهم إذ طابت انفسهم فاشتتت النسمات اسما من التسم
 لله درهم و السحب باخلة بدرهنّ على الأنعام و النعم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤١٤
 بحيث الافق يرى من لون حمرة كالشيب يخضب بالحناء و الكتم
 هناك تنهلّ أيديهم بصوب حيا يحيا بالاحداث ما فيها من الرّم
 و أن بيتى زياد طالما ذكروا إذا ألمت أحاديث بذكرهم
 أحلام عاد و أجسام مطهرة من المعقة و الآفاق و الأثم
 يرون حقاً عليهم حفظ جارهم فلم يضر نازل فيهم و لم يضم
 فروعهم بالدواهى لا يراع، و لا يغمّ منها بما يعرف من الغنم
 هم البحار سماحا غير أن بها ما قد أناف على الأطواد من همم
 و ليس يسلم من حتف محاربهم حتى يكون إليهم ملقى السلم
 كم فيهم من أمير أوحد ندس يقرطس الغرض المقصود بالفهم
 و لا كسبط أبى حسون من حسنت أمداحه حسن ما فيه من الشيم
 هذا كم ابن أبى ذكرى الهمام فقل فى أصله المنتقى من مجده العمم
 خليفة الله حقا فى خليقته كنائب ناب فى حكم عن الحكم
 مهما تر قسمات منه تيرة تئل بنازله ما جل من نعم
 فوجهه بدجا أو كفه بجدى أبهى من الزهر أو أندى من الدّيم
 و فضله و له الفضل المبين جرى كجرى الأمثال فى الأقطار و الأمم
 وجوده المتوالى للبرية ما وجوده بينها طرا بمنهدم
 إذا ابتغت نعماً منه العفاة له لم يسمعوا كلمة منه سوى نعم

و إن يعبس زمان في وجوههم لم يبصروا غير وجه منه مبتسم
وجه تبين سمات المكرمات به كما تبين سمات الصدق في الكلم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤١٥
و راحه لم تزل في كل آونه في نيلها راحه الشاكي من العدم
لله ما التزمته من نوافله أيام لا فرض مفروض بملترم
أنسى الخلائف في حلم و في شرف و في سخاء و في علم و في فهم
فجاز معتمدا منهم و معتضدا و امتاز عن واثق منهم و معتصم
و ناصر الدين في الإقبال فاق، و في محبة العلم أزرى بابنه الحكم
أفعال أعدائه معتلة أبدا متى يرم جزمها بالحدف تنجزم
فويل أهل القلى من حيه ذكر للمثلث اللهم المجر ملتقم
راموا عداوة من شاء غادرهم مثل الأحاديث عن عاد و عن إرم
فسوف يأكلهم من جيشه لجب بكل قرم إلى لحيانهم قرم
و إن الاعراب إذ ساروا لغايته لسائرون إلى لقم على لقم
و هم كما قاله ماض «أرى قدمي بسعيه نحو حتفي قد أراق دمي»
فقل إذن للمناوى الناولان أذى يا غر غرك ما أبصرت في الحلم
له صوارم لو ناجتتك ألسنها لبشرتك بعمر منك منصرم
و أن روحك عن قرب سيقبضه قبض المسلم ما قد حاز من سلم
فهو الذى ما له ندى يشابهه من كل متصف بالدهى متسم
يدبر الأمر تدييرا يخلصه مما عسى أن يرى فيه من الوهم
و يبصر الغيب لحظ الذهن منه إذا تعمى عن ادراكه ألاحظ كل عمى
و ينعم النظر المفضى بناظره لصوب وجه صواب واضح اللقم
ذو منطق لم تزل تجلو نتائجه عن مبطل بخصام المبطل الخصم
و مسمع ليس يصغى للوشاء فلم ينفق لديه الذى عنهم إليه نمى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤١٦
فعقله لا توازيه العقول، و هل يوازن الطود ما قد طال من أكم؟
إيه جميع الورى من بدو او حضر نداء مرتبط بالنصر مرتسم
شدوا و جدوا و لا تعنوا و لا تهنوا قد لقمها الليل بالسواقه الحطم
هذا الإمام الميرنى السعيد له سعد يؤيده فى كل مصطدم
قد أقسمت أنه المنصور ألسنة من نخبة الأوليا مبرورة القسم
فشيعوه و والوه تروا عجبا و تظفروا معه بالأجر و الغنم
و الحمد لله إذ أبقى خلافته كهفا لنا من يخيم فيه لم يرم
حرز حريز و عز قائم و ندى غمر دراك بلا من و لا سأم
دامت و دام لها سعد يساعدها فى كل مبتدا منه و مختتم

فأله عز اسمه قد زانها بحلى من غرّ أمداحه كالدّر في النّظم
الواهب الألف بعد الألف من ذهب كالجمر يلمع في مستوقد الضّرم
والفاعل الفعل لم يهمم به أحد و القائل القول فيه حكمه الحكم
ذاكم هو الشيخ فاعجب إنه هرم جودا و حاشاه أن يعزى إلى هرم
و حسنا أن أيدينا به اعتصمت من حبله بوثق غير منقسم
فما محالفه يوما بمضطهد و لا مؤالفه يوما بمهتضم
و لا موافيه في جهد بمطرح و لا مصافيه في ودّ بمتهم
و لا محيا محييه بمنكسف و لا رجاء مرجيه بمنخرم
و ما تكزومه سرا بمنكشف و لا تنكره جهرا بمكتم
و ليس لامح مرآه بمكشب و ليس راضع جدواه بمنفطم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤١٧
و لا مقبل يمناه الكريمة في محلّ ممتهن بل دست محترم
و ما وسيلتنا العظمى إليه سوى ما ليس ينكر ما فيها من العظم
و إنّما هي و ما أدراك ما هي من وسيلة ردّها أدهى من الوخم
نبينا المصطفى الهادي بخير هدى محمد خير خلق الله كلّهم
داعى الورى من أولى خيم و أهل قرى إلى طريق رشاد لاحب أمم
عليه منا صلاة الله ما ذكرت (أمّن تذكر جيران بذي سلم)
و ما تشفع فيها بالشّفع له دخيل حرمة العلباء في الحرم

ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين، أنت ولينا فاغفر لنا و ارحمنا و أنت خير الغافرين، ربنا عليك
توكلنا، و إليك أبننا، و إليك المصير، ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا و أن الكافرين لا مولى لهم، نعم المولى و نعم النصير.
أما بعد حمد الله الذى لا يحمد على السراء و الضراء سواه، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد الذى طلع طلوع الفجر بل
البدر فلاح، يدعو إلى سبيل كل فلاح، أولى قلوب غافله و نفوس سواه، و الرضا عن آله و أصحابه و عترته الأكرمين و أحزابه الذين
تلقوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر و نواه و عزروه و نصروه فى حال قربه و نواه، فيا مولانا الذى أولانا من النعم ما أولانا لا حطّ
الله تعالى لكم من العزة أرواقا، و لا أذى لدوحه دولتكم أغصانا و لا أوراقا، و لا زالت مخضرة العود، مبتسمة عن زهرات البشائر
متحفة بثمرات السعود، ممتورة بسحاب البركات المتداركات دون برق و لا- رعود، هذا مقام العائذ بمقامكم، المتعلق بأسباب
ذمامكم، المترجى لعواطف قلوبكم و عوارف إنعامكم المقبل الأرض تحت أقدامكم، المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم،
و ما الذى يقول من وجهه خجل، و فؤاده وجل، و قضيته المقضية عن التنصل و الاعتذار تجلّ، بيد أنى أقول لكم ما أقوله لربى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤١٨

و اجترائى عليه أكثر، و اجترامى إليه أكبر: اللهم لا برىء فأعتذر، و لا قوى فأنصبر، لكنى مستقيل، مستنيل مستعتب مستغفر و ما أبرئ
نفسى، إنّ النفسَ لأمارةٌ بالسوء [يوسف: ٥٣]، هذا على طريق التنزل و الإنصاف، بما تقتضيه الحال ممن يتحيز إلى حيز الإنصاف، و
أما على جهة التحقيق، فأقول ما قالته الأم ابنة الصديق: و الله إنى لأعلم أنى إن أقررت بما يقوله الناس و الله يعلم أنى منه بريئة لأقول
ما لم يكن، و لئن أنكرت ما تقولون لا تصدقونى، فأقول ما قاله أبو يوسف: صبر جميل و الله المستعان على ما تصفون، على أنى لا
أنكر عيوبى فأنا معدن العيوب، و لا أجد ذنوبى فأنا جبل الذنوب، إلى الله أشكو عجرى و بجرى، و سقطاتى و غلطاتى، نعم كل

شيء ولا ما يقوله المتقول، المشنع المهول، الناطق بقم الشيطان المسؤل، و من أمثالهم «سبني و اصدق، و لا تفترو و لا تخلق» أفمئلى كان يفعل أمثالها، و يحتمل من الأوزار المضاعفة أحمالها؟ و يهلك نفسه و يحبط أعمالها، عيادا بالله من خسران الدين، و إثارة الجاحدين و المعتدين، قد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين، و ايم الله لو علمت شعرة فى فودى تيميل إلى تلك الجهة لقطعها، بل لقطفت ما تحت عمامتى من هامتى و قطعها، غير أن الرعاع فى كل وقت و أوان، للملك أعداء و عليه أحزاب و أعوان، كان أحق أو أجهل من أبى ثروان، أو أعقل أو أعلم من أشج بنى مروان، ربّ متهم برى، و مسربل بسربال و هو منه عرى، و فى الأحاديث صحيح و سقيم، و من التراكيب المنطقية منتج و عقيم، و لكن ثم ميزان عقل، تعتبر به أوزان النقل، و على الراجح الاعتماد، ثم إشاعة الأحماد، المتصل المتداد، و للمرجوح الاطراح، ثم التزام الصراح، بعد النفض من الراح، و أكثر ما تسمعه الكذب، و طبع جمهور الخلق إلا من عصمه الله تعالى إليه منجذب، و لقد قذفنا من الأباطيل بأحجار، و رمينا بما لا يرمى به الكفار، فضلا عن الفجار، و جرى من الأمر المنقول على لسان زيد و عمرو، ما لديكم منه حفظ الجار و إذا عظم الإنكاء، فعلى تكاءة التجلد الاتكاء، أكثر المكثرون، و جهد فى تعشيرنا المتعشرون، و رمونا عن قوس واحدة، و نظمونا فى سلك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤١٩

الملاحدة، أكفرا أيضا كفرا، غفرا اللهم غفرا، أعد نظرا يا عبد قيس، فليس الأمر على ما خيل لك ليس، و هل زدنا على أن طلبنا حقنا، ممن رام محقه و محقنا، فطاردنا فى سبيله عداة كانوا لنا غائطين، فانفتق علينا فتق، لم يمكن له رتق و ما كنا للغيّب حافِظين [يوسف:

٨١]، و بعد فاسأل أهل الحل و العقد، و التمييز و النقد، فعند جهيتهم تلقى الخبر يقينا، و قد رضينا بحكمهم يؤثنا فيوبقنا أو يبرثنا فيقينا، إيه يا من اشرب إلى ملائنا، و قدح حتى فى إسلامنا، رويدا رويدا، فقد وجدت قوة و أيدا، و يحك إنما طال لسانك علينا، و امتد بالسوء إلينا، لأن الزمان لنا مصغر و لك مكبر، و الأمر عليك مقبل و عنا مدبر، كما قال كاتب الحجاج الموبر، و على الجملة فهبنا صرنا إلى تسليم مقالك جدلا، و ذهبنا فأقررنا بالخطأ فى كل ورد و صدر، فله در القائل: [الرجز]

إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

و كأننا بمعترف إذا وصل إلى هنا، و عدم إنصافه يعلمه إلهنا، قد ازور متجانفا، ثم افتر متهانفا، و جعل يتمثل بقولهم: إذا عيروا قالوا مقادير قدرت، و بقولهم: المرء يعجزه المحال، فيعارض الحق بالباطل، و الحالى بالعاطل، و منزع بقول القائل: رب مسمع هائل، و ليس تحته من طائل، و قد فرغنا أول أمس من جوابه، و تركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به و سنلم الآن بما يوسعه تسكيتا، و يقطعه تبكيتا، فنقول له: ناشدناك الله تعالى، هل اتفق لك قط و عرض، خروج أمر ما عن القصد منك فيه و الغرض؟ مع اجتهادك أثناءه فى إصدارك و إيرادك، فى وقوعه على وفق اقتراحك و مرادك، أو جميع ما تزاوله بإدارتك، لا يقع إلا مطابقا لإرادتك، أو كل ما تقصده و تنويه، تحرزه كما تشاء و تحويه؟ فلا بد أن يقر اضطرارا، بأن مطلوبه يشد عنه مرارا، بل كثيرا ما يفلت صيده من أشراكه، و يطلبه فيعجز عن إدراكه، فنقول: و مسألنا من هذا القبيل، أيها النبي النبيل، ثم نسرد له من الأحاديث النبوية ماشينا، مما يسايرنا فى غرضنا منه و يماشينا، كقوله صلى الله عليه و آله و سلم «كل شيء بقضاء و قدر، حتى العجز و الكيس»

«لو اجتمع أهل السماوات و الأرض على أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدرُوا عليه، و لو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٢٠

اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدرُوا عليه» أو كما قال صلى الله عليه و سلم، فأخلق به أن يلود بأكناف الإحجام، و يزّم على نفثة فيه كأنما ألجم بلجام، حينئذ نقول له و الحق قد أبان وجهه و جلاه، و قهره بحجته و علاه: ليس لك من الأمر شيء قل إن الأمر كله لله، و فى محاجة آدم و موسى ما يقطع لسان الخصم، و يرخض عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من درن الوصم، و كيفما كانت الحال، و إن ساء رأى و الانتحال، و وقعنا فى أوجال و أوحال، فثّل عرشنا، و طويت فرشنا، و نكس

لوانا، وملك مثنوانا، فنحن أمثل من سوانا، وفي الشر خيار، ويد اللطائف تكسر من صولة الأغيار، فحتى الآن لم ن فقد من اللطيف تعالى لطفًا، ولا عدنا أدوات أدعية تعطف بلا مهلة على جملتنا المقطوعة جمل النعم الموصولة عطفًا، وإلا فتلك بغداد دار السلام، ومتبوا الإسلام، المحفوف بفرسان السيوف والأقلام، مثابة الخلافة العباسية، ومقر العلماء والفضلاء أولى السير الأويستية، والعقول الإياسية، قد نوزلت بالجوش ونزلت، وزوولت بالزحوف وزلزلت، وتحيف جوانبها الحيف، ودخلها كفار التتار عنوة بالسيف، ولا تسل إذ ذاك عن كيفية أيام تجلت عروس المنيئة كاشفة عن ساقها مبدية، وجرت الدماء في الشوارع والطرق كالأنهار والأودية، وقيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتصاة بالعمائم في رقابهم والأردية، وللنجيع سيول، تخوضها الخيول، فتخضبها إلى أرساغها، وتهم ظمؤها بوردها فنكل عن تجرعها ومساغها، فطاح عاصمها ومستعصمها، وراح ولم يغد ظالمها ومتظلمها، وخربت مساجدها وديارها، واصطلم بالحسام أشرارها وخيارها، فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف، حسبما عرفت أو حسبما تعرف، فلا تك متشككا متوقفا، فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من قفا، فأين تلك الجحافل، والآراء المدارة في المحافل؟ حين أراد الله تعالى بإدائه الكفر، لم تجد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٢١

ولا قلامه ظفر، إذن فمن سلمت له نفسه التي هي رأس ماله، وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله، وكل أو جل أو أقل ريشه، وأسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه وانتعاشه، ثم وجد مع ذلك سيلا إلى الخلاص، في حال مياسرة ومساهلة دون تصعب واعتياص، بعد ما ظن كل الظن أن لا محيد ولا مناص، فما أحقه حينئذ وأولاه، أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه، على ما أسداه إليه من رفده وخيره، ومعافاته مما ابتلى به كثير من غيره، ويرضى بكل إيراد وإصدار، تتصرف فيهما الأحكام الإلهية والأقدار، فالدهر غدار، والدنيا دار مشحونة بالأكدار، والقضاء لا يرد، ولا يصد، ولا يغالب، ولا يطالب، والدائرات تدور، ولا بد من نقص وكمال للبدور، والعبد مطيع لا مطاع، وليس يطاع إلا المستطاع، وللخالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيب للأذهان عن مداه انقطاع.

وما لي والتكلف لما لا أحتاج إليه من هذا القول، بين يدي ذى الجلال والمجادة والفضل والطول؟ فله من العقل الأرجح، ومن الخلق الأسجح، ما لا تلتاط معه تهتمى بصفره، ولا تنفق عنده وشايه الواشى لا عد من نفره، ولا فاز قدحه بظفره، والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب، وتجرب براحتها إلى المتاعب، وقديما للأكياس من الناس خدعت، وانحرفت عن وصالهم أعقل ما كانوا قطع، وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب تلك التي جبت وجدعت، ولئن رهصت وهصرت، فقد نبهت وبصيرت، ولئن قرعت ومعضت، لقد أرشدت ووعظت، ويا ويلنا من تنكرها لنا بمرءة، ورميها لنا في غمره أي غمره، أيام قلبت لنا ظهر المجن، وغيم أبقها المصحى وأدجن، فسرعان ما عاينا حبالها منبئة، ورأينا منها ما لم نحسب كما تقوم الساعة بغته، فمن استعاذ من شيء فليستعد مما صرنا إليه من الحور بعد الكور، وانحطاط من النجد إلى الغور. [الطويل]

فبيننا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتصّف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٢٢

فتبا لدينا لا يدوم نعيمها تقلّب تارات بنا وتصرف

وأبيها لقد أرهقتنا إرهاقا، وجرعتنا من صاب الأوصاب كأسا دهاقا، ولم نفرع إلى غير بابكم المنيع الجناب، المنفتح حين سدت الأبواب، ولم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الأثواب، وإلى أمه يلجأ الطفل لجأ اللهفان، وعند الشدائد تمتاز السيوف من الأجناف، ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان، وإلى هنا ينتهي القائل ثم يقول: حسبى هذا وكفان. ولا ريب في اشتغال العلم الكريم، على ما تعارفته الملوك بينها في الحديث والقديم، من الأخذ باليد عن زلة القدم، وقرع الأسنان وعض البنان من الندم، دينا تديننت [حتى] مع اختلاف الأديان، وعادة أطردت [فيهم] على تعاقب الأزمان والأحيان.

ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خير فيها، وأعطى من أمانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع النفوس ويكفيها، فلم نر و

نحن من سلالة الأحمر مجاورة الصفر، و لا سوغ لنا الإيمان الإقامة بين ظهراى الكفر، ما وجدنا عن ذلك مندوحة و لو شاعته، و أمنا من المطالب المشاغب حمة شر لنا لاسعة، و اذكرنا أى اذكار، قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الإنكار (ألم تكن أرض الله واسعة) و قول الرسول عليه الصلاة و السلام، المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام «أنا برىء من مؤمن مع كافر لا- تتراى ناراهما» و قول الشاعر الحاث على حث المطية، المتناقلة عن السير فى طريق منجاتها البطية: [الوافر]

و ما أنا و التلدد نحو نجد و قد غصت تهامة بالرجال

و وصلت أيضا من الشرق إلينا، كتب كريمة المقاصد لدينا، تستدعى الانحياز إلى تلك الجنبات، و تتضمن ما لا مزيد عليه من الرغبات، فلم نختر إلا- دارنا التى كانت دار آبائنا من قبلنا، و لم نرتض الانضواء إلا لمن بحبله وصل حبلنا، و بريش نبله ريش نبلنا، إدلالا على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٢٣

محل إياء متوارث لا عن كلاله، و امثالنا لوصاء أجداد لأنظارهم و أقدارهم أصالة و جلاله، إذ قد روينا عن سلف من أسلافنا، فى الإيضاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا، أن لا يبتغوا إذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلا، و لا يجدوا عن طريقها فى التوجه إلى فريقها معدلا، فاخترنا إلى الرياض الأريضة الفجاج، و ركبنا إلى البحر الفرات ظهر البحر الأجاج فلا غرو أن نرد منه على ما يقر العين، و يشفى النفس الشاكية من ألم البين، و من توصل هذا التوصل، و توسل بمثل ذلك التوسل، تطارحا على سدة أمير المؤمنين، المحارب للمحاربين، و المؤمن للمستأمنين، فهو الخليق الحقيق بأن يسوغ أصفى مشاربه، و يبلغ أوفى مآربه، على توالى الأيام و الشهور و السنين، و يخلص من الثبور إلى الجبور، و يخرج من الظلمات إلى النور، خروج الجنين، و لعل شعاع سعاده يفيض علينا، و نفحة قبول إقباله تسرى إلينا، فتخامرنا أريحية تحملنا على أن نبادر، لإنشاد قول الشريف الرضى فى الخليفة القادر:

[الكامل]

عظفا أمير المؤمنين فإنا فى دوحه العليا لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبدا، كلانا فى المعالى معرق

إلا الخلافة ميزتك، فإننى أنا عاطل منها و أنت مطوق

لا- بل الأحرى بنا و الأبحى، و الأنجح لسعينا و الأرجى، أن نعدل عن هذا المنهاج، و يقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع

المتواضع الضعيف المحتاج، و ينشد ما قال فى الشيرازى ابن حجاج: [مخلع البسيط]

الناس يقدونك اضطرارا منهم، و أفديك باختيارى

و بعضهم فى جوار بعض و أنت حتى أموت جارى

فعل لخبزى و عش لمائى و عش لدارى و أهل دارى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٢٤

و نستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه، و تعاظمت نعمائه، رحمة تجعل فى يد الهداية أعنتنا، و عصمة تكون فى مواقف المخاوف جنتنا، و قبولاً يعطف علينا نوافر القلوب، و صنعا يستنى لنا كل مرغوب و مطلوب، و نسأله و طالما بلغ السائل سؤالا و مأمولا، متابا صادقا على موضوع الندم محمولا، ثم عزاء حسنا و صبورا جميلا، عن أرض أورثها من شاء من عباده معقبا لهم و مديلا، و سادلا عليهم من ستور الإملاء الطويلة سدولا سئنه الله التى قد خلّت من قبل و لئن تجد لسئنه الله تبديلا [الفتح: ٢٣] فليطر طائر الوسواس المرفوف مطيرا، كان ذلك فى الكتاب مسطورا لم نستطع عن مورده صدورا، و كان أمر الله قدرا مقدورا، ألا و إن لله سبحانه، فى مقامكم العلى الذى أيدته و أعانه، سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل، و ترجع فروع البشائر الصادقة، بالفتوحات المتلاحقة، من قاعدته المتأصلة، إلى أصل، فبمثله يجب اللياذ، و العياذ، و لشبهه يحق الالتجاء، و الارتجاء، و لأمر ما آثرناه و اخترناه، بعد أن

استرشدنا الله سبحانه و استخرناه، و منه جل جلاله نرغب أن يخير لنا و لجميع المسلمين، و يؤب بنا من حمايته و وقايته إلى معقل منيع و جناب رفيع آمين آمين آمين، و نرجو أن يكون ربنا، الذى هو فى جميع الأمور حسبنا، قد خار لنا حيث أرشدنا و هدانا، و ساقنا توفيقه و حدانا، إلى الاستجارة بملك حفى، كريم و فى، أعز جارا من أبى دواد، و أحمى أنفا من الحارث بن عباد، يشهد بذلك الدانى و القاصى و الحاضر و الباد، إن أغاث ملهوفاً فما الأسود بن قنان يذكر، و إن أنعش حشاشه هالك فما كعب بن مامه على فعله وحده يشكر، جلسه كجلس القعقاع بن شور، و مذاكره كمذاكر سفيان المنتسب من الرباب، إلى ثور، إلى التحلى بأمهات الفضائل، التى أضدادها أمهات الرذائل، و هى الثلاث الحكمة و العدل و العفة التى تشملها الثلاثة الأقوال و الأفعال، و الشمائل، و ينشأ منها ما شئت من عزم و حزم، و علم و حلم، و تيقظ، و تحفظ، و اتقاء، و ارتقاء، و وصول، و طول، و سماح و نائل، فبنور حلاه المشرق،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٢٥

يفتخر المغرب على المشرق، و بمحتده السامى خطره فى الأخطار، و بيته الذى ذكره فى النباهة و النجابه قد طار، يباهى جميع ملوك الجهات و الأقطار، و كيف لا- و هو الرفيع المنتمى و التجار، الراضع من الطهارة صفو ألبان، الناشىء من السراوة وسط أحجار، فى ضئضىء المجد و بحبوح الكرم، و سراوة أسرة المملكة التى أكنافها حرم، و ذؤابه الشرف التى مجاذتها لم ترم، من معشر أى معشر بخلوا إن وهبوا ما دون أعمارهم، و جنبوا إن لم يحموا سوى ذمارهم، بنو مرين، و ما أدراك ما بنو مرين:

سمّ العداة و آفة الجزر التّازلون بكلّ معترك

و الطيبون معاقد الأزر

لهم من الهفوات انتفاء، و عندهم من السير النبوية اكتفاء، انتسبوا إلى بر بن قيس، فخرجوا فى البرّ عن القيس، ما لهم القديم المعروف، قد نفذ فى سبيل المعروف، و حديثهم الذى نقلته رجال الزحوف، من طريق القنا و السيوف، على الحسن من المقاصد موقوف، تحمد من صغيرهم و كبيرهم ذابلهم و لدنهم، فله آباء أنجبوهم و أمهات ولدنهم، شم الأنوف من الطراز الأول، إليهم فى الشدائد الاستناد و عليهم فى الأزمات المعول، و لهم فى الوفاء و الصفاء و الاحتفاء و العناية و الحماية و الرعاية الخطو الواسع و الباع الأطول، كأنما عناهم بقوله جرول: [الطويل]

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا و إن عاهدوا أوفوا و إن عقدوا شدّوا

و إن كانت التّعماء فيهم جزوا بها و إن أنعموا لا كدّروها و لا كدّوا

و تعدلنى أبناء سعد عليهم و ما قلت إلّا بالتى علمت سعد

و بقوله الوثيق مبناه، البليغ معناه: [البسيط]

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم شدّوا العجاج و شدّوا فوقه الكربا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٢٦

يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم، و ليس لهم منهم عائب و لا واصم، فهو أحق بما قاله فى منقر قيس بن عاصم: [الكامل]

لا يفطنون لعيب جارهم و همو لحفظ جوارهم فطن

حلاهم هذه الغريزة التى ليست باستكراه و لا جعل، و أمير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل، ثم هو عليهم و على من سواهم بالأوصاف الملوكية مستعل، ارفضّ مزنهم منه غيث ملثّ يمحو آثار اللزبة، و انشق غيلهم منه عن ليث صار متقبض على برائته للوثبة، فقل لسكان الفلاة لا- تغرنكم أعدادكم و أمدادكم، فلا- يبالى السرحان المواشى سواء مشى إليها التقرى أو الجفلى، بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين، ثم يتلع بعد أشلاءهم المعفرة ابتلاع التنين، فهو هو كما عرفوه، و عهدوه و ألفوه، أخو المنيا، و ابن جلا و طلّاع الثنايا، مجتمع أشده، قد احتنكت سنه و بان رشده، جاد مجدّد، محترم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد:

[البسيط]

لا يشرب الماء إلا من قليب دم ولا يبيت له جار على وجل

أسدى القلب آدمى الرواء، لابس جلد النمر يزوى العناد والنواء: [الطويل]

وليس بشاوى عليه دمامة إذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم

ولكنه يسعى عليه مفاضة دلاص كأعيان الجراد المنظم

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين، والوجل الوجل لاحقين به خاضعين، قبل أن تساقوا إليه مقرنين في الأصفاد، ويعيا الفداء بنفائس النفوس والأموال على الفاد، حينئذ يعض ذو الجهل والفدامة، على يديه حسرة وندامة، إذا رأى أبطال الجنود، تحت خوافق الرايات والبنود، قد لفحتهم نار ليست بذات خمود، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذى من قبلهم عاد و ثمود، زعقات توز الكتائب أزا، و همزا محققا للخيال بعد المد المشبح للأعنة همزا، و سلا للهندي سلا و هزا للخطية هزا، حتى يقول النسر للذئب هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا [مريم: ٩٨] ثق خليفه الله بذاك، فى كل من رام أذى رعيتك أو أذاك، فتلك عادة الله سبحانه و تعالى فى ذوى الشقاق و النفاق، الذين يشقون عصا المسلمين و يقطعون طريق الرفاق،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٢٧

و ينصبون حبال البغى و الفساد فى جميع النواحي و الآفاق، فلن يجعلهم الله عز و جل من الآمنين، أنى و كيف و قد أفسدوا و خانوا و هو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين، و لا يهدى كيد الخائنين، وها نحن قد وجهنا إلى كعبة مجدكم و جوه صلوات التقديس و التعظيم، بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدر ثناء أبهى من در العقد النظيم، منتظمين فى سلك أوليائكم، متشرفين بخدمة عليائكم، و لا فقد عزه و لا عدمها، من قصد متابعتكم العزيزة و خدمها، و إن المترامى على سنائكم، لجدير بمرمتكم و اعتنائكم، و كل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا، عاش بقيه عمره محروسا من الضيم مصونا، و قد قيل فى بعض الكلام: من قعدت به نكايه الأيام، أقامته إغائه الكرام، و مولانا أيدى الله تعالى ولى ما يرفه إلينا من مكرمة بكر، و يصنعه لنا من صنيع حافل يخلد فى صحائف حسن الذكر، و يروى معنعن حديث حمده و شكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر، و غيره من ينام عن ذلك فيوقف، و يسترسل مع الغفلة حتى يذكر و يوعظ، و ما عهد منذ وجد إلا سريعا إلى داعى الندى و التكرم، بريئا من الضجر بالمطالبة و التبرم، حافظا للجار الذى أوصى النبي صلى الله عليه و سلم بحفظه، مستفرغا وسعه فى رعيه المستمر و لحظه، آخذا من حسن الثناء فى جميع الأوقات و الآناء بحظه: [الخفيف]

فهو من دوحه السنن فرع عز ليس يحتاج مجتنيه لهز

كفه فى الأمحال أغزر وبل و ذراه فى الخوف أمنع حرز

حلمه يسفر اسمه لك عنه فتفهم يا مدعى الفهم لغزى

لا تسل شيئا و لا تستنله نظرة منه فيك تغنى و تجزى

فنداه هو الفرات الذى قد عام فيه الأنام عوم الأوز

و حماه هو المنيع الذى ترجع عنه الخطوب مرجع عجز

فدعوا ذهنه يزاول قولى فهو أدرى بما تضمن رمزى

دام يحيى بكل صنع و من و يعافى من كل بؤس و رجز

و كأننا به قد عمل على شاكله جلاله، من مد ظلاله، و تمهيد خلاله، و تلقى ورودنا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٢٨

بحسن تهلله و استهلاله، و تأنيسنا بجميل قبوله و إقباله، و إيرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله، و الله سبحانه يسعد مقامه العلى و يسعدنا به فى حله و ارتحاله، و مآله و حاله، و يؤيد جنده المظفر و يؤيدنا بتأييده على نزال عدوه و استنزاله، و هز الدوابل لإطفاء ذباله،

وهو سبحانه وتعالى المسؤول أن يريه قرّة العين في نفسه وأهله وخدامه وأمواله، وأنظاره وأعماله، وكافه شؤونه وأحواله، وأحق ما نصل بالسلام وأولى على المقام الجليل مقام الخليفة المولى، أزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه وأرساله، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله، صلاة وسلاماً دائماً بدوام الأبد واتصاله، ضامين لمجددهما ومرددهما صلاح فساد أعماله، وبلوغ غاية آماله، وذلك بمشيئة الله تعالى وإذنه وفضله وإفضاله، انتهى.

[كلمة عن أبي عبد الله العقيلي، منسئ الرسالة المذكورة و من شعره]

و كاتب هذه الرسالة على لسان السلطان المخلوع، قال الوادي آشى فى حقه: إنه إمام [هذه] الصناعات، و فارس حلبه القرطاس و اليراعة، و واسطة عقد البلاغة و البراعة، الذى كطف الكمال لما نور، و رتب محاسن البديع فى درر فقره و طور و غرف من بحر عجاج، و اقتطف من خاطر وهّاج، أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربى العقيلي، و ما أحسن قوله فيمن قد ظفر به المسلمون: [الطويل] الأرب مغرور تنصر ضلّة فحاق به شؤم الضلال و شرّه

فإن يرتفع عند التصارى بالابتدا فكم عندنا من حرف جبل يجرّه

و قال الوادي آشى أيضا فى موضع آخر ما نصه: و لشاعر العصر، و مالك زمامى النظم و النثر، و الفقيه العالم المتقن المتقن العارف الأواحد النبيه النبيل، سيدى محمد العربى وصل الله تعالى رفعة قدره، و حرس من غير الأيام أشعة بدره: [السريع]

الحبّ فى جمهور أنواره فأين الاخوان و الأحباب

و أين أين الاجتماعات، قد تهتأت لهنّ الاسباب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٢٩

و أين بنت الجبن؟ لما بدت طارت إليها شوقا الباب

و أين الالبان لأكوابها فى برم الأرزّ تسكاب

و اللحم بالبسباس قد ألفت لطبخه فى القدر الاحطاب

و العود ذو دندنه يطبى آثارها للطار دبداب

و ملح الأصوات قد طورحت و جاء معبد و زرياب

و فضّ للهو ختام و لم يسدّ فى وجه الهوى باب

و قيل للوقار قم قبل أن تسلب عنك الآن الاثواب

و كلّ إنسان و ما يشتهى ليس على مناه حجاب

مسترسلا ليس له عدلّ كلّا و لا عليه رقاب

فى راحة خلعت ارسانها لمثلها تعصر الاعناب

فكلّ بستان قد استأسدت فيه النواوير و الاعشاب

و أطلع التراب أدواحه كأنها العرب الاتراب

لما تحلّت بحلى زهرها داخلها بالحسن الاعجاب

عرانس ليس لها فى سوى مائه إذ ينه خطاب

إمام تبدى ثمرات بدا فى جنباتهنّ الارطاب

كأنه فى العين ياقوت أو كأنه فى الفم جلاب

هيهات هيهات أمان لها خلب برق لك خلاب

ما حوت الرؤوس أمثالها فكيف تحويهن الاذنان
 قد عاق عن ذلك دهر به تعدم الافراح و الاطراب
 يروم الإنسان غلابا له و الدهر للإنسان غلاب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٣٠
 و قال رحمه الله تعالى لما نزل النصارى لمحاصرة غرناطة: [المجتث]
 بالطبل فى كل يوم و بالتفكير نراع
 و ليس من بعد هذا و ذاك إلا القراع
 يا رب جبرك يرجو من هيض منه الذراع
 لا تسلبنى صبرا منه لقلبي ادراع
 و له رحمه الله تعالى فى الموشحات اليد الطولى، فمن ذلك قوله:
 بدر أهل الزمان الرفيع القدر لا تزل فى أمان من كسوف البدر
 و له من أخرى:

هل يصح الأمان من شبيه البدر
 و هو مثل الزمان منتم للغدر
 لم يغرّ الأغرّ غير غمر جاهل
 عيشه الحلو مرّ و هو فيه ناهل
 و الصبا الغض مرّ و هو عنه ذاهل
 مرشف البهرمان فوق ثغر الدرّ
 مطمع للأمان باقتراب الدرّ
 و عارض رحمه الله تعالى بهاتين الموشحتين الموشحة المشهورة:
 ضاحك عن جمان سافر عن بدر
 ضاق عنه الزمان و حواه صدرى
 و ممن عارض هذه الموشحة ابن أرقم إذ قال:
 مبسم البهرمان فى المحيّا الدرّى
 صاد قلبى و بان و أنا لم أدر
 و الإنصاف أن معارضة العربى أحسن من هذه.
 و له أيضا معارضتان غير ما تقدم: الأولى قوله:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٣١
 بان لى ثم بان ذا حدود حمر
 ينثنى مثل بان فى ثياب خضر
 و الثانية قوله:

هل لمرآك ثان فى سناه الدرّى
 أو لحوبائى ثان عن هواها العذرى

يا مليحا جلا عن محيا جميل
 همت فيه و لا هيما ن جميل
 مل قليلا إلى من إليك يميل
 عاشق فيك فان كاتم للسر
 لك منه مكان في صميم الصدر

و من نظم العربي المذكور لما عرض عليها السلطان رياسة كتابه من قصيدة: [السريع]
 أوجه سعدى انحط عنه اللثام أم بدر ألقى فض عنه الغمام
 أم أنا في حالي لا عقل لي أم حلم قد لاح لي في المنام
 يا لك مرأى من رأى حسنه هاج لقلبه غراما فهام
 كأنما أقبس نور البها من وجه مولانا الإمام الهمام
 ابن أبي الحسن الأسرى الذى قد كان للأملاك مسك الختام
 ضرغام قد أنجب شيها له فى صدق بأس و مضاء اعتزام
 حامى و سامى فأفاعيله تنقلها أبناء سام و حام
 دام له التصر الذى جاءه و السيف من طلى أعاديه دام
 فيا أمير المؤمنين الذى له بعروة اليقين اعتصام
 أبشر بجد مقبل لم يؤل إلى انصراف لا و لا لانصرام
 و عزة لم يفض بنيانها إلى انهداد لا و لا لانهدام
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٣٢
 لله منك ملك جنده زهر النجوم و هو بدر التمام
 و منها:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٤٣٢
 يطرب من مادحه مثل ما يطرب قلب الصب سجع الحمام
 فيفعل الشعر بأعطافه ما ليس تفعل بهن المدام
 و إن حكى فى مدحه يوسف فحسنة يشبه زهر الكمام
 و منها:

فداره ليست ببغدادهم مع أنها تدعى بدار السلام
 و منها:

أسأله الإعفاء من كل ما أعجز عن حمل له و الترام
 و منها:

مستشفعا له بخير الورى محمد عليه أزكى السلام
 و منها:

و كل إنسان و ما اختاره و رب ذى عذر قد اضحى يلام
 و آخرها:

فالحمد لله على أن غدا للشمل بعد الانصداع الثام
و لنختم هذه الترجمة بقوله: [المنسرح]
جز بالبساتين و الرياض فما أبهج مرثيها و أحلاه
و اعجب بها للنبات ولتك في أسفله ناظرا و أعلاه
و قدس الله عند ذاك و قل سبحانه لا إله إلا هو
سبحان وارث الأرض و من عليها و هو خير الوارثين و الحمد لله رب العالمين.
تم الجزء الخامس من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب و به تم القسم الأول من الكتاب و يليه الجزء السادس مفتتحا
بالقسم الثاني من الكتاب في التعريف بلسان الدين بن الخطيب.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٣٣.

فهرس الرسائل و الخطب و الاجازات للجزء الخامس من كتاب نفع الطيب

- ابن الأبار: رسالة منه إلى أبي المطرف ابن عميرة ٥ / ٣٨٢
ابن حبش، أبو بكر: إجازة من إنشائه ٥ / ٢٢٤
قطعة من إجازة أخرى ٥ / ٢٢٧
رسالة في ما ذا التكثرية ٥ / ٢٢٤
ابن العربي العقيلي: رسالة على لسان المخلوع النصرى إلى الشيخ الوطاسى ٥ / ٤١٠
أبو المطرف: رسالته إلى ابن الأبار عند سقوط بلنسية ٥ / ٣٧٧
أبو الحسن المريني: رسالة منه إلى الملك الصالح (لم يذكر منشؤها) ٥ / ٢٨٧
الصفدى، خليل بن أبيك رسالة عن الملك الصالح إلى أبي الحسن المريني ٥ / ٢٩٤
إجازة برواية رسالته السابقة و الواردة من أبي الحسن ٥ / ٢٩٨
لسان الدين بن الخطيب:
رسالة على لسان السلطان إلى السلطان المريني ٥ / ٣٠٣
رسالة في استنهاض السلطان المريني ٥ / ٢٠٨
رسالة إلى سلطان فارس ٥ / ٣١٢
رسالة في الاعتذار عن فرار أبي الفضل المريني ٥ / ٣١٥
رسالة عن الغنى إلى الأمير السعيد ٥ / ٣٢٣
رسالة إلى أبي عنان عن أبي الحجاج ٥ / ٣٢٥
رسالة في حاجة الأندلس إلى بر العدو ٥ / ٣٣١
رسالة عن أبي الحجاج إلى الرعايا ٥ / ٣٣٤
رسالة توضح ضيق الحال بالأندلس ٥ / ٣٣٦
قطعة من رسالة طويلة ٥ / ٣٣٧
ابن زيدون، أبو الوليد: من رسالة له إلى ولادة ٥ / ١٣٣
ابن سعيد، عبد الملك: رسالته إلى أبيه حين سجن ٥ / ١٢٠

رسالته يعتذر عن مجلس أنس ١٢١ /٥
 جواب على رسالة و صلته من اللص ١٥٣ /٥
 ابن سيد، اللص: رسالته إلى عبد الملك بن سعيد ١٢٢ /٥
 الأعلم الشتمتري: رسالة في لفظ «المسهب» ٢٤ /٥
 رسالة في المسألة الزبورية ٢٤ /٥
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٣٤

فهرس موضوعات الجزء الخامس

إشارة

- من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى أبو عبد الله بن عائشة: ترجمته و بعض شعره ٣
 من شعر أبي عمرو يزيد بن عبد الله اللخمي الإشبيلي ٥
 من شعر ابن الحداد ٦
 من شعر أبي الحسن بن حريق ٦
 من شعر على بن محمد الإيادي التونسي ٧
 من شعر أبي عمر القسطلي ٨
 من شعر ابن خفاجة ٨
 من شعر ابن الأبار ٨
 من شعر أبي العباس الأعمى ٩
 من شعر عبيد الجليل بن وهبون ٩
 من شعر ابن خفاجة ١٠
 من شعر عبيد الله بن جعفر الإشبيلي ١٠
 من شعر أبي الحسن على بن جحدر الزجال ١٠
 من شعر أحمد المعروف بالكساد ١١
 من شعر أبي القاسم الحضرمي المنيشي ١١
 من شعر أبي زيد عبد الرحمن العثماني ١١
 من شعر أبي زكريا يحيى بن محمد الأركشي ١٢
 من شعر أبي عمران الطرياني ١٢
 من شعر أبي عمرو بن الحكم ١٢
 من شعر أبي الحسن على بن الجعدي القرموني ١٢
 من شعر أبي الحسن بن لبال ١٣
 من شعر أبي العباس الشريشي ١٣
 من شعر أبي جعفر الشريشي ١٣

- من شعر عمرو بن غياث ١٣
- من شعر الوزير أبي بكر بن أبي مروان ١٤
- من شعر أبي القاسم بن أبي بكر ١٤
- من شعر عبد الله الجزيري ١٤
- من شعر عبد الملك الجزيري ١٥
- من شعر أبي الحسن علي بن حفص الجزيري ١٦
- من شعر أبي الحسن بن سعيد ١٧
- من شعر أحمد بن بلال ١٧
- من شعر أبي الوليد القسطلي ١٨
- من شعر أبي كثير الطريفي ١٨
- من شعر أبي عامر بن الجعد ١٨
- من شعر أبي عبد الله الشلبي ١٨
- من شعر أبي بكر محمد بن الملح ١٩
- من شعر أبي بكر محمد بن عبد القادر الشلبي ٢٠
- من شعر أبي الحسن علي ابن السيد البطليوسي ٢٠
- من شعر أبي بكر محمد بن الروح الشلبي ٢٠
- من شعر أبي بكر بن المنخل ٢١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٣٥
- من شعر أبي بكر بن عمار ٢١
- من شعر ابن صارة في ابن الأعلم ٢١
- من شعر الرمادي ٢٢
- من شعر أبي الفضل بن الأعلم و ترجمته و ترجمه أبيه ٢٢
- من شعر أبي علي إدريس بن اليماني العبدري ٢٣
- مهاجاة بين ابن طيفور و الحافظ الهيثم ٢٣
- من شعر الحجاري صاحب المسهب ٢٤
- بحث في ضبط كلمة المسهب ٢٤
- أخبار تتعلق بسبويه و كتابه في النحو ٢٧
- نسب سبويه و تفسير لقبه ٣٠
- من شعر الإلبيري ٣٢
- من شعر ابن صارة ٣٢
- من شعر ابن هانيء الأندلسي ٣٢
- من شعر القسطلي ٣٣
- من شعر أبي العباس الجراوي ٣٣

- من شعر أبي بحر صفوان بن إدريس ٣٣
 من شعر أبي بكر بن مجبر ٣٤
 من شعر بعضهم فى الباذنجان ٣٤
 من شعر ابن خروف فى وصف دمشق ٣٤
 من شعر أبى القاسم بن هشام ٣٥
 من شعر أبى الوليد الوقشى ٣٥
 من شعر أبى الحسن بن عيسى ٣٥
 من شعر أبى ذر الخشنى ٣٥
 من شعر محمد بن أبى خالص الرندى ٣٦
 من شعر عبد الملك بن مفوز ٣٦
 من شعر ابن زيدون ٣٦
 من شعر الهيثم فىمن أصابه جرب ٣٦
 من شعر أبى الحسين النفزى ٣٦
 من شعر ابن صارة ٣٧
 من شعر المعتمد بن عباد ٣٧
 من شعر ابن زيدون ٣٩
 من شعر المعتمد بن عباد ٣٩
 من تطير الرشيد بن المعتمد ٣٩
 من شعر المعتمد ٤٠
 بين المعتمد و ابن اللبانه ٤١
 من شعر ابن اللبانه ٤١
 من شعر لسان الدين بن الخطيب ٤٢
 ابن زيدون يمدح المعتمد بن عباد ٤٣
 من شعر أبى القاسم أسعد يمدح المعتصم ٤٤
 من شعر ابن خلصه المكفوف ٤٤
 من شعر ابن الحداد ٤٥
 من شعر ابن وهبون ٤٦
 من شعر ابن أبى وهب ٤٦
 من شعر ابن اللبانه ٤٦
 من شعر القزاز ٤٦
 من شعر أبى الحسن بن الحاج ٤٧
 من شعر ابن خفاجه ٤٩
 من شعر ابن الرفاء ٥١

- من شعر أبي محمد بن عبد البر ٥١
 من شعر أبي القاسم السميسر ٥١
 من شعر ابن شاطر السرقسطي ٥٢
 من شعر الحصري ٥٢
 من شعر عبد الصمد ٥٢
 من شعر ابن عبد الحميد البرجي ٥٢
 من شعر عبادة ٥٢
 من شعر ابن المطرف المنجم ٥٣
 من شعر أبي الحسن بن اليسع ٥٣
 بين المستنصر و ابن سيد الناس ٥٣
 من شعر أبي العباس الرصافي ٥٣
 من شعر أبي الربيع بن سالم ٥٤
 من شعر أبي القاسم بن الأبرش ٥٤
 من شعر أبي الحسن بن حريق ٥٤
 من شعر أبي القاسم بن العطار الإشبيلي ٥٤
 من شعر أبي العباس اللص ٥٥
 من شعر أبي إسحاق الإلبيري ٥٥
 من شعر الوزير أبي الوليد بن مسلمه ٥٥
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٣٦
 من شعر أبي الطاهر إسماعيل الخشني ٥٥
 من شعر أبي المعالي الإشبيلي ٥٦
 من شعر أبي القاسم بن الأنقر السرقسطي ٥٦
 من شعر أبي وهب الزاهد ٥٦
 من شعر أبي عبد الله بن محمد بن فتح ٥٦
 من شعر أبي القاسم محمد بن نصير ٥٦
 بين محمد بن ميمون و أبيه في جارية ٥٧
 من شعر المعتمد بن عباد ٥٧
 من شعر أبي عامر البرياني ٥٨
 من شعر السمسير ٥٨
 من شعر أبي بكر بن منخل ٥٨
 من شعر محمد بن عبد الحق الإشبيلي ٥٩
 من شعر أبي محمد بن صارة ٥٩
 من شعر أبي محمد الطائي ٥٩

- من شعر الحافظ ابن حزم ٥٩
 من شعر أبي عبد الله الجبلى الطيب ٥٩
 من شعر محمد بن عبد الله الحضرمى ٥٩
 من شعر ابن الأبار ٦٠
 من شعر التجانى ٦١
 من شعر أبي الحسين بن مفوز ٦٢
 من شعر أبي العباس بن مكنون ٦٢
 أول اتصال الحجارى بابن سعيد ٦٣
 من شعر ابن مرزقان فى وصف شمعة ٦٤
 من شعر ابن الأصغ الإشبلى ٦٥
 من شعر ابن حجاج الغافقى ٦٥
 من شعر أبي وهب النحوى ٦٦
 من شعر محمد بن يحيى القلقاط ٦٦
 من شعر أحمد بن المبارك الحبيبي ٦٦
 من شعر إبراهيم بن إدريس العلوى ٦٧
 من شعر أبي محمد المروانى ٦٧
 البازى الأشهب أحد اللصوص فى عصر المعتمد بن عباد ٦٨
 منصور بن عبد المؤمن و شيخ مغفل بناء ٦٨
 أحمد المقرينى المعروف بالكساد ٦٨
 محمد بن أحمد القرموطى المرسى ٦٩
 من شعر أبي عبد الله محمد بن سالم القيسى ٦٩
 من شعر أبي عبد الله الإشبلى الخطيب ٦٩
 من شعر أبي زيد العثمانى ٦٩
 من صاحب دانية إلى المنصور بن أبي عامر الأصغر ٧٠
 من شعر بعض الهجائين فى رندة ٧١
 من شعر جبلاص الشاعر الرندى ٧١
 من شعر أبي بكر الرندى ٧٢
 من شعر أرقم أحد بنى ذى النون ٧٢
 من شعر أبي محمد بن سفيان ٧٢
 من شعر ابن أرفع رأسه ٧٣
 من شعر أحمد عبد المؤمن الطليطلى ٧٣
 من شعر أبي محمد عبد الله بن العسال ٧٣
 من شعر الوزير أبي جعفر الوقشى ٧٤

- من شعر أبي الوليد هشام الوقشى ٧٥
 من شعر أبي الحسين بن أبي جعفر الوزير ٧٥
 من شعر أبي الحسين على بن الحماره ٧٧
 تبحر اهل الاندلس فى العلوم ٧٨
 بين ابن حبيش و اليفرنى فى استعمال ما ذا ٧٨
 أبو زكريا يحيى بن على بن سلطان اليفرنى ٨٢
 من شعر صالح بن شريف الرندى ٨٣
 نقد جماعة لكتاب المقرب لابن عصفور ٨٤
 من شعر أبي جعفر بن صفوان الملقى ٨٥
 من شعر محمد بن إدريس الأصطبونى ٨٥
 من شعر محمد التطيلي الهذلى ٨٦
 بين يحيى السرقسطى و ابن حسداى الوزير ٨٧
 من شعر أبي الحسن بن الحداد ٨٨
 من شعر أبي زكريا بن مطروح ٨٨
 من شعر أبي البركات بن الحاج البلفيقى ٨٩
 من شعر أبي الحجاج يوسف الفهرى ٨٩
 من شعر بعضهم فى الرثاء ٨٩
 من شعر أبي جعفر البغيل ٨٩
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٣٧
 من شعر أبي جعفر أحمد بن أيوب الملقى ٩٠
 من شعر أبي جعفر أحمد بن طلحة ٩٠
 من شعر أبي جعفر الغسانى ٩٠
 من شعر أبي بكر يحيى بن بقى ٩٠
 من شعر المتوكل بن الأفطس ٩٠
 من شعر أبي عبد الله بن خلصة ٩١
 من شعر ابن اللبانه ٩١
 من شعر أبي على بن اليمانى ٩١
 من شعر أبي جعفر بن الدودى ٩٢
 من شعر ابن أبي الخصال ٩٢
 من شعر غالب الحجام ٩٢
 من شعر ابن عائشه ٩٢
 من شعر أبي محمد بن سفيان ٩٣
 من شعر ابن الزرقانى ٩٣

- من شعر يحيى السرقسطى ٩٣
- من شعر الرصافي ٩٤
- من شعر أبي بكر الصابوني ٩٤
- من شعر ابن أبي ركب ٩٤
- من شعر الرصافي ٩٥
- بين ابن حزم و بعض الأدباء ٩٥
- من شعر أبي بكر بن مجبر ٩٦
- بين الوقشي و ابن سراج ٩٦
- من شعر أبي الحسن بن أضحي ٩٧
- الوزير أبو الحسن بن أضحي و بعض أخباره ٩٧
- أم السعد بنت عصام الحميري (سعدونة) ١٠٠
- حسانة التميمية ١٠٠
- أم العلاء بنت يوسف الحجارية ١٠٢
- أمة العزيز ١٠٢
- أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ١٠٣
- الشاعرة الغسانية البجانية ١٠٣
- العروضية مولاة عبد الرحمن بن غلبون ١٠٣
- حفصة الركونية ١٠٤
- أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي ١١٠
- بين أبي جعفر و ابن سيد المعروف باللص ١٢٣
- من شعر ابن سيد المعروف باللص ١٢٩
- بين أبي الحكم بن هرودس و أبي جعفر ١٣٠
- من نظم أبي الحكم بن هرودس ١٣٠
- من نظم أخيل بن إدريس ١٣١
- من أخبار أحمد بن سيد المعروف باللص ١٣٢
- عود إلى أخبار أبي جعفر بن سعيد ١٣٢
- ولادة بنت المستكفي ١٣٣
- اعتماد جارية المعتمد بن عباد ١٣٨
- حديث عن المعتمد بن عباد عن الفتح ١٤٠
- حديث آخر عن المعتمد ١٤٢
- ثورة عبد الجبار بن المعتمد بن عباد ١٤٤
- زيارة لسان الدين لقبير المعتمد ١٥٠
- من شعر ابن عبدون ١٥١

- من شعر اللورقي يهجو آل عباد ١٥١
الفتح يتحدث عن أولية بني عباد ١٥٢
الأديب أبو جعفر بن البني ١٥٣
أبو الحسن بن لسان ١٥٦
الأديب أبو بكر عبد المعطى ١٥٩
أبو بكر يحيى بن بقى ١٦١
لأبي عبد الله الحوضى يمدح سلطان تلمسان ١٦٥
عود إلى بني عباد ١٦٥
وصف ابن اللبانه للمعتضد ١٦٦
ابن جاح يرد على المعتضد ١٦٧
المعتمد على الله بن المعتضد بن عباد ١٦٨
ترجمة الفتح للراضى بالله بن المعتمد ١٧٢
أولاد المعتمد ١٧٨
من مدائح الدانى فى بني عباد مقتل بنى المعتمد ورتاء ابن حمديس ١٧٨
من شعر الدانى فى المعتمد ١٧٩
رتاء أبى بحر عبد الصمد للمعتمد ١٨١
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٣٨
بين الدانى و ابن عمار ١٨٢
امراه تلقى المعتمد و ابن عمار بغير حياء ١٨٢
ابن وهبون و المعتمد ١٨٣
أبو العرب الصقلى و المعتمد ١٨٣
بحث المعتمد فى بيت للمتنبى ١٨٣
كلام للصفدى فى بيت للمتنبى ١٨٤
المعتمد و جارية من جواريه ١٨٤
لابن وهبون فى وصف فيل من الفضة فى قصر المعتمد ١٨٥
من شعر العزيز ابن الملح ١٨٥
لابن زيدون يرثى المعتضد و يمدح المعتمد ١٨٦
من ابن زيدون إلى المعتمد بن عباد ١٨٩
أهدى ابن زيدون تفاحا إلى المعتمد و كتب معه ١٨٩
و كتب إليه أيضا ١٨٩
ابن زيدون يعمى بيت فيفكه المعتمد ١٩٠
مما كتب به ابن زيدون إلى المعتمد ١٩٠
بين ابن حمديس و المعتمد بن عباد ١٩٢

- من شعر ابن حمديس ١٩٢
- عود إلى ذكر اعتماد الرميكية حظية المعتمد ١٩٣
- بنات المعتمد يزرنه في سجنه بأغمت يوم عيد، كاسفات الببال، فيقول فيهن شعرا ١٩٤
- المعتمد يحمل في السفين من الأندلس إلى العدو، و شعر له في ذلك ١٩٥
- و في هذا يقول ابن اللبائنة ١٩٥
- القصر الزاهي من قصور المعتمد، و شعر له يشنقه فيه و هو أسير بسجن أغمت ١٩٥
- الحجاري يحدث عن جارية أهداها ابن تاشفين إلى المعتمد بن عباد ١٩٦
- الفتح بن خاقان يتحدث عن حصار المعتمد ١٩٧
- من حكايات مجالس أنس المعتمد ما حدث به الفتح بن خاقان عن ذخر الدولة ١٩٨
- و منها ما حكاه الفتح أيضا عن ابن اللبائنة ١٩٩
- حديث مجلس آخر يحكيه الفتح عن ذخر الدولة ١٩٩
- حديث مجلس آخر بالسند السابق ٢٠٠
- حديث مجلس آخر يحكيه الفتح عن إقبال الدولة بن مجاهد ٢٠١
- للمعتمد في غلام رآه طالعا من ثنيات الوغى ٢٠٢
- و له فيه أيضا ٢٠٢
- رجع إلى أخبار النساء ٢٠٢
- العبادية جارية المعتضد عباد ٢٠٢
- للمعتضد في العبادية و قد سهر هو ليلة و هي نائمة ٢٠٣
- العبادية تجيب المعتضد بديها ٢٠٣
- بشينة بنت المعتمد بن عباد ٢٠٣
- حفصة بنت حمدون الحجارية ٢٠٤
- زينب المرية ٢٠٥
- غاية المنى، جارية أندلسية قدمت للمعتصم بن صمادح ٢٠٥
- حمدة (و يقال حمدونة) بنت زياد المؤدب من وادي آش ٢٠٦
- نسب بعض الأدباء لحمدة بنت زياد أبياتا تنسب في المشرق إلى المنازي ٢٠٧
- كلمة عن المنازي الشاعر و قدومه على أبي العلاء المعري ٢٠٧
- عودة إلى حمدة بنت زياد و أختها زينب بنت زياد الوادي آشي ٢٠٨
- عائشة بنت أحمد القرطبية ٢٠٨
- مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري ٢٠٩
- أسماء العامرية، من أهل إشبيلية ٢٠٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٣٩
- أم الهناء بنت عبد الحق بن عطية القاضي ٢١٠
- مهجة القرطبية، صاحبة ولادة بنت المستكفي بالله ٢١٠

- هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي ٢١١
 الشلبية، و كانت فى عهد السلطان يعقوب المنصور ٢١١
 زوجة لبعض قضاة لوشة فاقت علماء عصرها فى معرفة الأحكام ٢١١
 نزهون الغرناطية ٢١٢
 بينها وبين الوزير أبى بكر بن سعيد ٢١٢
 بينها وبين المخزومى الهجاء ٢١٢
 حديث لابن سعيد عن اجتماع نزهون و ابن قزمان و ما جرى بينهما ٢١٣
 بين نزهون و أبى بكر الكتندى ٢١٤
 من شعر ابن الزقاق ٢١٥
 من شعر الخفاجى ٢١٧
 لابن صارة ٢١٧
 للأديب أبى القاسم بن العطار ٢١٨
 لأبى جعفر بن خاتمة ٢١٩
 للوزير ابن جزى ٢١٩
 لأبى الحجاج النصرى (السلطان) ٢١٩
 لأبى القاسم بن حاتم ٢٢٠
 للفقاه ابن سعيد يخاطب الفقيه الفخار ٢٢٠
 لابن جبير اليحصبى فىمن أهدى له تفاحا ٢٢٠
 لقاضى مالقة إبراهيم البدوى ٢٢٠
 حديث عن مصحف بجامع العديس بإشبيلية ٢٢٠
 من شعر ابن عبدون ٢٢١
 لأبى عبد الله بن المناصف قاضى بلنسية ٢٢١
 للوزير ابن عمار ردا على أبى المطرف بن الدباغ و قد شفع عنده فى غلام طر عذاره ٢٢١
 من شعر ابى الوليد الوقشى قاضى طليطلة ٢٢٢
 لأبى عبد الله بن الصفار، و هو من بيت القضاء و العلم بقرطبة ٢٢٢
 لأبى مروان الجزيرى ٢٢٢
 أبيات لأبى عمرو بن مهيب فى حمود بن إبراهيم الهرغى رواها محبى الدين بن عربى ٢٢٣
 أبيات لعبد الله الجذامى، و شىء من ترجمته عن «الإحاطة» للسان الدين ٢٢٣
 لعبد الله بن أحمد الملقى، أبيات كتبها إلى أبى نصر الفتح بن خاقان صاحب «قلائد العقيان» و «مطمح الأنفس» ٢٢٣
 لمحمد بن الحسن المذحجى ٢٢٤
 لمحمد بن عبد الرحمن الغرناطى ٢٢٤
 لأبى محمد الكلاعى الجيانى و قد دخل على القاضى ابن رشد فقام له ٢٢٤
 لأبى عبد الرحمن بن حجاج البلنسى ٢٢٥

- لأبي محمد بن برطله ٢٢٥
- لابن وضاح، و أنشده أبو بكر بن حيش ٢٢٥
- ترجمة أبي بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حيش، و بعض أخباره ٢٢٦
- للوزير الكاتب أبي بكر بن القبطرنة يستجدي بازيا من المنصور بن الأفطس ٢٢٧
- بين ابن عمار و المعتمد بن عباد و قد أهديت للمعتمد باكورة نرجس، فكتب يستدعى حضوره لمجلس أنس ٢٢٨
- ابن عمار يكتب للمعتمد و قد أصطح مع أم الربيع في يوم غيم و احتجب عن الندماء ٢٢٨
- بين ابن عمار و بعض إخوانه، و قد كتبوا له يستدعون منه شرابا ٢٢٩
- بين ذى الوزارتين القائد أبي عيسى بن لبون، و ابن اليسع ٢٢٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٤٠
- للحجاري في وصف زيه البدوي ٢٢٩
- لأبي العباس بن خليل ٢٢٩
- لأبي محمد عبد الحق الإشبيلي ٢٣٠
- لأبي عبد الله محمد بن صالح الكناني ٢٣٠
- لأبي العباس أحمد بن الغماز البنسي ٢٣٠
- لأبي إسحاق الإلبيري الغرناطي ٢٣١
- لأبي عبد الله بن العريف ٢٣٢
- لأبي القاسم بن الأبرش ٢٣٢
- لأبي العباس بن صقر الغرناطي ٢٣٢
- لأبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي ٢٣٣
- من ترجمة ابن الأبار عن الغبريني في كتابه «عنوان الدراية» ٢٣٣
- ابن علوان يحدث عن اتصال سنده به ٢٣٣
- المؤلف يحدث عن اتصال سنده به ٢٣٤
- لابن عبد ربه ٢٣٤
- للصدر أبي العلاء بن قاسم القيسي ٢٣٤
- للأعمى التطيلي ٢٣٤
- للقاضي أبي العباس بن الغماز البنسي ٢٣٤
- لأبي إسحاق الإلبيري ٢٣٥
- لأبي الطاهر الجياني المعروف بابن أبي ركب ٢٣٥
- بين ابن ركب و ابن زرقون ٢٣٦
- لأبي عبد الله بن خميس الجزائري ٢٣٦
- لأبي محمد بن هارون القرطبي ٢٣٧
- للأستاذ أبي محمد بن صارة ٢٣٧
- لأبي عبد الله بن الحاج البكري الغرناطي ٢٣٨

- لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي ٢٣٨
- لأبي بكر يحيى التطيلي ٢٣٩
- بين بعض المغاربة و الملك الكامل بن العادل بن أيوب ٢٣٩
- لأبي عمر بن عبد البر النمري القرطبي أبيات يرويها أبو الوليد المعروف بابن الخليفة ٢٣٩
- لأبي الحسن عبد الملك بن عياش الأزدي ٢٤٠
- لأبي إسحاق بن خفاجة و قد أربى على الثمانين ٢٤٠
- لأبي محمد عبد الوهاب بن محمد القيسي المالقي ٢٤٠
- لعبد الحق الإشبيلي الأزدي ٢٤٠
- لأبي الفضل عبد المنعم بن عمر الغساني الجلياني ٢٤٠
- لعبد العليم بن عبد الملك بن حبيب القضاعي الطرطوشي ٢٤١
- لأبي الحكم عبد المحسن البلنسي ٢٤١
- لأبي حاتم عمر بن محمد بن فرج يمدح كتاب «الشهاب» للقضاعي ٢٤١
- لأبي محمد غانم بن الوليد المخزومي المالقي ٢٤١
- لأبي العباس أحمد بن العريف ٢٤٢
- لأبي محمد المحاربي ٢٤٣
- لأبي عبد الله غريب الثقفي القرطبي ٢٤٣
- لأبي الحسن سليمان بن الطراوة النحوي المالقي ٢٤٣
- لأبي الربيع بن سالم ٢٤٤
- لأبي الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الإشبيلي ٢٤٤
- لأبي بكر الزبيدي اللغوي ٢٤٤
- لأبي الوليد هشام بن محمد، القيسي، الشلبي، المعروف بابن الطلاء ٢٤٤
- لابن حوط الله ٢٤٥
- ترجمة أبي محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله عن «الإحاطة» ٢٤٥
- لأبي المتوكل الهيثم بن أحمد السكوتي الإشبيلي، ورد و هم في نسبة أبياته ٢٤٥
- لأبي محمد القاسم بن الفتح الحجاري المعروف بابن أفريولة ٢٤٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٤١
- لأبي بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر ٢٤٦
- لأبي الحجاج يوسف بن أحمد الأنصاري المنصفي البلنسي ٢٤٦
- لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشي الأموي، مخمسا أبيات عز الدين بن جماعة قاضي القضاة ٢٤٧
- لأبي عبد الله الحميدي ٢٤٧
- بين الحميدي و من ذم أهل الحديث ٢٤٨
- لأبي بكر محمد بن محرز الزهري البلنسي ٢٤٩
- لأحمد بن سعيد بن حزم ٢٤٩

- للقاضي أبي العباس أحمد بن الغماز ٢٤٩
 لابن الزقاق ٢٥٠
 لأبي عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبى ٢٥٠
 لأيمن به محمد الغرناطى ٢٥٠
 لأبى بكر الزبيدى اللغوى ٢٥١
 لبعض فقهاء طليطلة ٢٥٢
 لأبى بكر بن مفاوز أبيات أوصى أن تكتب على قبره ٢٥٢
 لابن صفوان الخطيب ٢٥٢
 لبعض قدماء الأندلس ٢٥٢
 تذييل لآخر على هذا الشعر ٢٥٣
 لأبى جعفر أحمد السياسى القيسى المرى ٢٥٣
 لأبى إسحاق بن أبى العاصى ٢٥٣
 لأبى جعفر أحمد بن الزيات الملقى ٢٥٣
 لأبى محمد عبد الله بن محمد بن صارة البكرى الشنترينى ٢٥٤
 لأبى محمد بن صاحب الصلاة، الدانى ٢٥٤
 لأبى الحكم عبيد الله الأموى مولاهم ٢٥٤
 لأبى إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيرى ٢٥٥
 لأبى جعفر بن خاتمة ٢٥٥
 للحافظ أبى عبد الله الحميدى ٢٥٧
 لأبى بكر مالك بن جبير ٢٥٧
 لأبى عبد الله محمد بن جبير اليحصبى ٢٥٧
 لأبى زكريا يحيى بن سعد بن مسعود القلنى ٢٥٨
 تذييل المؤلف عليه ٢٥٨

الباب الثامن من القسم الأول فى خروج الأندلس عن يد المسلمين

- أول من جمع فلول النصارى ٢٥٩
 رواية عيسى بن أحمد الرازى ٢٦٠
 رواية المسعودى صاحب مروج الذهب ٢٦٠
 أول ما استرد الفرنج من بلادهم، و ما قيل فى ذلك من الشعر ٢٦٠
 وصف طليطلة ٢٦١
 وصف قصر بناه يحيى بن ذى النون فى طليطلة، عن ابن بدرون ٢٦٢
 تاريخ أخذ طليطلة، عن ابن خلكان وغيره ٢٦٢
 وقعة الزلاقة التى نشأت عن أخذ طليطلة ٢٦٢

كتب دارت بين ملوك الأندلس و ابن تاشفين ٢٦٣

رواية ابن الأثير في كتابه «الكامل» ٢٦٤

رواية أبي عبد الله الحميري في «الروض المعطار» ٢٦٥

رواية ابن خلكان ٢٦٨

عود إلى رواية صاحب «الروض المعطار» ٢٦٩

كتاب من ابن عباد إلى ابنه ياشبيلية ٢٧٤

مبدأ غدر ابن تاشفين بابن عباد وغيره ٢٧٥

بعض أخبار المعتمد بن عباد، عن ابن القطاع ٢٧٧

و عن ابن بسام في «الذخيرة» ٢٧٧

من غدر ابن تاشفين ٢٧٨

فتوى علماء الأندلس لابن تاشفين بجواز خلع المعتمد بن عباد ٢٧٨

حديث الفتح بن خاقان عما صنع مع المعتمد بن عباد و أهله ٢٧٨

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٤٢

ابن تاشفين في ضيافته ابن عباد ٢٧٨

رجل يدخل على المعتمد ينصحه في شأن ابن تاشفين ٢٧٩

ملك علي بن يوسف بن تاشفين، و الثورة عليه ٢٨١

ملك عبد المؤمن بن علي بالأندلس ٢٨١

يوسف بن عبد المؤمن بن علي ٢٨٢

لمطرف التجيبى في أبي إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ٢٨٣

ملك يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ٢٨٣

ملك محمد الناصر بن يعقوب ٢٨٥

المستنصر بن الناصر ٢٨٥

عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ٢٨٦

العادل بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، و من بعده من بنى تاشفين ٢٨٦

بنو الأحمر ٢٨٦

بنو مرين ٢٨٧

كتاب من السلطان أبي الحسن المريني إلى الملك الصالح بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر ٢٨٧

جواب سلطان مصر على هذا الكتاب من إنشاء خليل بن أيبك ٢٩٤

الصفدى شارح لامية العجم ٢٩٨

صورة إجازة من الصفدى لعز الدين أبي يعلى حمزة بن موسى بن أحمد بن شيخ السلامية برواية كتاب السلطان أبي الحسن المريني و

جواب سلطان مصر عليه ٢٩٨

السلطان أبو الحسن المريني يكتب بيده ثلاثة مصاحف و يهديها للمساجد الثلاثة ٢٩٩

وصف بعض المشاركة للسلطان أبي الحسن المريني ٢٩٩

- هدية من السلطان أبي الحسن المريني إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون برواية الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق ٣٠١
- رواية المقریزی مؤرخ مصر لهذه الهدية ٣٠١
- و من إنشاء لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه إلى أحد السلاطين من بني السلطان أبي الحسن المريني ٣٠٣
- و من إنشاء لسان الدين على لسان سلطانه في استنهاض عزم السلطان المريني صاحب فاس لنصرة الأندلس ٣٠٨
- و من إنشاء لسان الدين في مخاطبة سلطان فاس أيضا، في المعنى السابق ٣١٢
- و من إنشاء لسان الدين عن سلطان الأندلس إلى السلطان المريني صاحب فاس، يعتذر عن فرار الأمير أبي الفضل المريني الذي كان معتقلا بغرناطة ٣١٥
- و من إنشاء لسان الدين على لسان الفتى مخاطبا لسلطان فاس و المغرب أبي عنان ٣١٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٥؛ ص ٤٤٢
- نته من إنشاء لسان الدين على لسان سلطانه إلى الأمير أبي بكر السعيد بن أبي عنان سلطان المغرب و قد ولاه أبوه جبل الفتح ٣٢٣
- و من إنشاء لسان الدين على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان المغرب ٣٢٥
- و من إنشاء لسان الدين على لسان سلطانه أمير المسلمين عبد الله يوسف بن أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر إلى سلطان المغرب ٣٢٩
- و من إنشاء لسان الدين فيما يتعلق بالأندلس و انقطاعها، و أنها لا غنى لها عن بر العدو ٣٣١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٤٣
- و من إنشاء لسان الدين من جملة رسالة على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب الرعايا ٣٣٤
- و من إنشاء لسان الدين فيما يتعلق بضيق حال المسلمين ببلاد الأندلس ٣٣٦
- و من رسالة أخرى من إنشاء لسان الدين في المعنى السابق ٣٣٧
- أخذ الكفار قواعد بلاد الأندلس ٣٣٨
- أخذهم طليطلة ٣٣٨
- أخذهم بلنسية ٣٣٩
- أخذهم بربشتر قصبه بلد برطانية ٣٤٠
- ذكر بعض فظائع الإفرنج التي كانوا يعملونها حين يستولون على البلاد ٣٤١
- أخذ الإفرنج مدينتي تطيلة و طرشونه ٣٤٥
- القصيدة السينية التي ألقاها ابن الأبار القضاعي بين يدي أبي زكريا بن أبي حفص سلطان إفريقية و قد أقبل عليه يستغيثه ٣٤٦
- تغلب الإفرنج على بلنسية ٣٥٠
- وقعه كتندة ٣٥٠
- الاستيلاء على لوشة ٣٥١
- الاستيلاء على المرية ٣٥١
- أبو محمد بن عبد الله بن علي الرشاطي ٣٥١
- عودة المرية إلى المسلمين ثم فقدانها ٣٥٢
- أخذ الإفرنج كورة ماردة ٣٥٤
- الملك المظفر محمد بن المنصور بن الأفضس ملك بطليوس و ماردة ٣٥٤

- أبو عبد الله محمد الفازازي (ترجمة) ٣٥٥
- أخذ الإفرنج جزيرة ميورقة ٣٥٦
- شعر بعض أهل جزيرة ميورقة ٣٥٨
- أخذ جزيرة شقر ٣٥٨
- أخذ مدينة سرقسطة ٣٥٨
- أخذ شرق الأندلس شاطبة وغيرها ٣٥٩
- أخذ مدينة قرطبة ٣٥٩
- أخذ مدينة مرسية ٣٥٩
- حصار إشبيلية ٣٥٩
- واقعة أنيجه ٣٥٩
- لابن الأبار يرثي شيخه أبا الربيع الكلاعي، وقد مات في حصار أنيجه ٣٥٩
- من شعر الحافظ أبي الربيع الكلاعي ٣٦٠
- ترجمة الحافظ الكلاعي و ذكر تصانيفه ٣٦١
- من قصيدة له أرسل بها إلى الأديب أبي بحر صفوان بن إدريس المرسى عقب انفصاله من بلنسية ٣٦١
- عبارة للقاضي أبي بكر بن العربي عن نزول العدو الكافر بلاد الأندلس ٣٦٢
- قصيدة لأبي جعفر الوقشي البلنسي يمدح يوسف بن تاشفين و يصف حال الأندلس و يحث على الجهاد ٣٦٣
- عبد المؤمن و بنوه في الأندلس ٣٦٤
- من القصائد الموجهة إلى أبي زكريا عبد الواحد بن أبي حفص ليغيث بلاد الأندلس من الإفرنج ٣٦٥
- قصيدة لبعض الشعراء يندب طليطلة ٣٦٩
- القصيدة النونية الشهيرة التي أنشأها الأديب الشهير أبو البقاء صالح بن شريف الرندي يرثي فيها بلاد الأندلس ٣٧٣
- من بديع نظم صالح بن شريف الرندي ٣٧٥
- رسالة كتبها القاضي أبو المطرف بن عميرة المخزومي إلى الحافظ أبي عبد الله بن الأبار، يذكر فيها أخذ الفرنج بلنسية ٣٧٧
- قصيدة ختم بها أبو المطرف رسالته لابن الأبار ٣٧٨
- عود إلى الحديث عن تبدد شمل الجيرة، و طى بساط الجزيرة (الأندلس) ٣٨١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٥، ص: ٤٤٤
- وصف شاطبة و ضياعها (لأبي المطرف) ٣٨١
- لابن رشيد في رحلته يصف أبا المطرف ٣٨٢
- رسالة الحافظ ابن الأبار التي أجابه عنها القاضي أبو المطرف برسالته السابقة ٣٨٢
- من إنشاء ابن الأبار في كتابه المسمى «درر السمط، في خبر السبط» ٣٨٥
- للأديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبي عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي نزيل تلمسان، في ضياع بلاد الأندلس ٣٩١
- وصف ابن الحداد لخزانة الدار النصرية و ما كان فيها من المتاع و التحف ٣٩٣
- انحياز المسلمين إلى غرناطة بعد استيلاء الفرنج على قواعد بلاد الأندلس ٣٩٤
- قصد ملوك الإفرنج غرناطة ٣٩٤

بنو الأحرار و حروبهم و جهادهم إلى نهاية ملك المسلمين بالأندلس ٣٩٤

موقعة «الحامة» ٣٩٦

موقعة «لوشة» ٣٩٧

موقعة «مالقة و بلش» ٣٩٧

موقعة «رندة» ٣٩٨

حصار «مالقة» ٣٩٨

اشتداد المعارك بين الإفرنج و المسلمين ٣٩٩

موقعة «البيرة» ٤٠١

عود إلى «مالقة و بلش» ٤٠٢

سقوط «بسطة» و غيرها ٤٠٣

موقعة «شلوبانية» ٤٠٦

موقعة مرج غرناطة ٤٠٦

استيلاء النصارى على الحمراء و صورة من شروط الصلح ٤٠٧

نقض النصارى للعهد ٤٠٩

ذكر السلطان الذى ضاعت على عهده بلاد الأندلس ٤١٠

نص رسالته كتبها أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي على لسان سلطان الأندلس المخلوع إلى سلطان فاس، و تسمى هذه

الرسالة «الروض العاطر الأنفاس، و فى التوسل إلى الإمام سلطان فاس» ٤١٠

كلمة عن أبي عبد الله العقيلي، منشئ الرسالة المذكورة ٤٢٨

من شعر أبي عبد الله العربي ٤٢٩

نموذج من موشحاته ٤٣٠

و من شعره أيضا ٤٣١

[الجزء السادس]

[القسم الثانى فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب]

الباب الأول فى أولية لسان الدين و ذكر أسلافه

إشارة

فى أولية لسان الدين و ذكر أسلافه، الذين ورث عنهم المجد و ارتضع درّ أخلافه، و ما يناسب ذلك ممّا لا يعدل المنصف إلى خلافه.

[منزله فى الكتاب]

أقول: هو الوزير، الشهير الكبير، لسان الدين الطائر الصييت فى المغرب و المشرق المزرى عرف الشاء عليه بالعنبر و العبير، المثل

المضروب في الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم على اختلاف أنواعها، ومصنفاته تخبر عن ذلك ولا يبتك مثله خبير، علم الرؤساء الأعلام، الوزير الشهير الذي خدمته السيوف والأقلام، وغنى بمشهور ذكره عن مسطور

[للأمير إسماعيل بن يوسف بن الأحمر في شأن لسان الدين، من كتاب له يسمى «فرائد الجمان، فيمن نظمى وإياه الزمان»]

التعريف والإعلام، واعترف له بالفضل أصحاب العقول الراجحة والأحلام. قال سليل السلاطين الأمير العلامة إسماعيل بن يوسف ابن السلطان القائم بأمر الله محمد بن الأحمر نزيل فاس رحمه الله في كتابه المسمى ب «فرائد الجمان، فيمن نظمى وإياه الزمان» في حق المذكور ما نصه: ذو الوزارتين، الفقيه الكاتب أبو عبد الله بن محمد الرئيس الفقيه الكاتب المنتزى ببلده لوشة عبد الله ابن الفقيه الكاتب القائد سعيد بن عبد الله، ابن الفقيه الصالح ولي الله الخطيب سعيد، السلماني، اللوشي، المعروف بابن الخطيب.

[لابن خلدون في شأن لسان الدين]

وقال القاضي ابن خلدون المغربي المالكي رحمه الله في تاريخه الكبير، عند ما أجرى ذكر لسان الدين، ما نصه: أصل هذا الرجل من لوشة، على مرحلة من غرناطة في الشمال نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٤ من البسيط الذي في ساحتها، المسمى بالمرج، وعلى وادي شنجيل - ويقال شنيل - المخترق في ذلك البسيط من الجنوب إلى الشمال، كان له بها سلك معدود في وزرائها، وانتقل أبوه عبد الله إلى غرناطة، واستخدم لملوك بني الأحمر، واستعمل على مخازن الطعام؛ انتهى.

[لغير هذين في سلف لسان الدين]

وقال غيره: إن بيتهم يعرف قديماً ببني الوزير، وحديثاً ببني الخطيب، وسعيد جدّه الأعلى أول من تلقب بالخطيب، وكان من أهل العلم والدين والخير، وكذلك سعيد جدّه الأقرب كان على خلال حميدة من خطّ و تلاوة وفقه و حساب و أدب، خيراً صدراً، توفي عام ثلاثة وثمانين وستمائة، وأبوه عبد الله كان من العلماء بالأدب والطب، وقرأ على أبي الحسن البلوطي وأبي جعفر ابن الوزير وغيرهما وأجازه طائفة من أهل المشرق، وتوفي بطريف عام أحد وأربعين وسبعمائة شهيداً يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى من العام المذكور مفقوداً ثابت الجأش، شكر الله فعله!

[تعقيب للمؤلف]

قلت: وما ذكره هؤلاء أكثره مأخوذ من كلامه عند تعريفه رحمه الله بنفسه آخر «الإحاطة»، ولذكر ملخصه إذ صاحب البيت أدرى بالذي فيه، مع ما فيه من الزيادة على ما سبق، وهي تتم للطلاب أمله وتوفيه.

[تعريف لسان الدين بنفسه في آخر كتابه «الإحاطة» ونسب لسان الدين]

قال رحمه الله: يقول مؤلف هذا الديوان تغمّد الله خطله في ساعات أضعافها، وشهوة من شهوات اللسان أطاعها، وأوقات للاشتغال

بما لا يعنيه استبدال بها اللهو لما باعها: أما بعد حمد الله الذي يغفر الخطيئة، ويحث من النفس اللجوج المطيئة، فتحرك ركايبها البطيئة، والصلاة والسلام على سيدنا و مولانا محمد ميسر سبل الخير الوطيئة والرضا عن آله وصحبه و منتهى الفضل و مناخ الطيئة، فإننى لما فرغت من تأليف هذا الكتاب الذى حمل عليه فضل نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٥

النشاط، مع الالتزام لمراعاة السياسة السلطانية والارتباط، والتفت إليه فراقنى منه صوان درر، و مطلع غرر، قد تخلدت آثارهم مع ذهاب أعيانهم، وانتشرت مفاخرهم مع انطواء زمانهم، نافستهم فى اقتحام تلك الأبواب، و لباس تلك الأثواب، و قنعت باجتماع الشمل بهم و لو فى الكتاب، و حرصت على أن أنال منهم قربا، و أخذت أعقابهم أدبا و حبا، و كما قيل: ساقى القوم آخرهم شربا، فأجريت نفسى مجراهم فى التعريف، و حذوت بها حذوهم فى بابى النسب و التصريف، بقصد التشريف، و الله سبحانه لا يعدمنى و إياهم واقفا يترحم، و ركاب الاستغفار بمنكبه يزحم، عندما ارتفعت وظائف الأعمال، و انقطعت من التكتسيات حبال الآمال، و لم يبق إلّا رحمة الله التى تتناش النفوس و تخلصها، و تعينها بميسم السعادة و تخصصها، جعلنا الله ممّن حسن ذكره، و وقف على التماس ما لديه فكره، بمّنه.

[سعيد جد لسان الدين الأعلى]

محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، قرطبي الأصل، ثم طليطيه، ثم لوشية، ثم غرناطيه، يكنى أبا عبد الله، و يلقب من الألقاب المشرقية بلسان الدين. (أوليتي) يعرف بيتنا فى القديم بوزير، ثم حديثا بلوشة بنى الخطيب. انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية كحبي اللثي و أمثاله، عند وقعة الرّبض الشهيرة، إلى طليطلة، ثم تسربوا محومين على وطنهم قبل استيلاء الطاغية عليه، فاستقرّ منهم بالموسطة الأندلسية جملة من النبهاء تضمّن منهم ذكر خلق، كعبد الرحمن قاضى كورة باغنة، و سعيد المستوطن بلوشة الخطيب بها، المقرون اسمه بالتسويد عند أهلها، جاريا مجرى التسمية بالمركب فى تاريخ الغافقى و غيره، و سكن عقبهم بها، و سكن بعضهم منتقير مملكين إياها مختطين جبل التحصن و المنعة فنسبوا إليها.

و كان سعيد هذا من أهل العلم و الخير و الصلاح و الدين و الفضل و ذكاء الفطنة، أوقفنى الوزير أبو الحكم بن محمد المنتقيرى- و هو بقيه هذا البيت و إخباريه- على جدار برج بعض ربي أملاكنا بلوشة، تطؤه الطريق المارة من غرناطه إلى إشبيلية، و قال: كان جدك يذيع بهذا المكان فصولا من العلم، و يجهر بتلاوة القرآن، فيستوقف الرفاق المدلجة الحنين إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٦

نغمته، و الخشوع إلى صدقه، فتعّرس رحالها لصق جداره، و تريح ظهرها موهنا، إلى أن يأتى على ورده. و توفى و قد أصيب بأهله و حرمة عند ما تغلب العدو على بلده عنوة فى خبر طويل.

وقفت على مكتوبات من المتوكل على الله، محمد بن يوسف بن هود أمير المسلمين بالأندلس، فى غرض إعانتة و الشفاعة إلى الملكة زوج سلطان قشتالة بما يدلّ على نباهته قديما و يفيد إثارة عبرة، و استقاله عشرة.

[عبد الله بن سعيد]

و تخلف ولده عبد الله جاريا مجراه فى التجلّد و التمعش من حرّ النّشب، و التزيى بالانقباض، و التحلى بالنزاهة، إلى أن توفى

[سعيد بن عبد الله الجد الأقرب لسان الدين و والده]

و تخلف ولده سعيدا جدنا الأقرب، و كان صدرا خيرا مستوليا على خلال حميدة، من خط و تلاوة وفقه و حساب و أدب، نafs جبرته بنى الطنجالى الهاشميين، و تحوّل إلى غرناطة عند ما شعر بعملهم على الثورة، و استطلاعهم إلى النزوة التي خضدت الشوكة، و استأصلت منهم الشأفة، و صاهر بها الأعيان من بنى أضحى بن عبد اللطيف الهمداني، أشرف جند حمص، الداخلين إلى الجزيرة في طليعة بلج بن بشر القشيري، و لحقه من جزاء منافسيه لما جأهروا السلطان بالخلعان اعتقال أعتبه السلطان بعده، و أحظاه على تفتته، و لآه الأعمال التبيهة و الخطط الرفيعة.

حدّثني من أثق به قال: عزم السلطان أن يقعد جدك أستاذًا لولده، فأنفقت من ذلك أمّ الولد إشفاقا عليه من فظاظه كانت فيه. ثم صاهر القواد من بنى الجعدالة على أمّ أبي، و ممت إلى زوج السلطان بينوة الخوولة، فنبه القدر، و انفسحت الحظوة، و انثال على البيت الرؤساء و القرابة، و كان - على قوة شكيمته و صلابه مكسره - مؤثرا للخموم، محببا في الخير. حدّثني أبي عن أمه قالت: قلما تهنانا نحن و أبوك طعاما حافلا لإيثاره به من كان يكمن بمسجد جواره من أهل الحاجة و أحلاف الضرورة، يهجم علينا منهم بكل وارد، و يجعل يده مع يده، و يشركه في أكيلته، ملتذا بموقعها من فؤاده. و توفي في ربيع الآخر سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة، صهرته الشمس مستسقيا في بعض المحول، و قد استغرق في ضراعتة، فدلت الحتف على نفسه.

و تخلف والدى نابتا في الترف نبت العليق، يكنفه رعى أمّ تجر ذيل نعمة و تحنو منه على واحد تحذر عليه النسيم إذا سرى، ففاته لترفه حظ كبير من الاجتهاد، و على ذلك فقرا على الخطيب أبي الحسن البلوطي و المقرئ أبي عبد الله بن سمعون و أبي جعفر بن الزبير

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٧

خاتمة الجلة، و كان يفصله. و انتقل إلى لوشة بلد سلفه مخصوصا بلقب الوزارة إلى أن قصدها السلطان أبو الوليد متخطيا إلى الحضرة هاويا إلى ملك البيضة، فعضد أمره، و أدخله بلده، لدواع يطول استقصاؤها. و لما تم له الأمر سحب ركابه إلى دار ملكه، مستأثرا بشقص عريض من دنياه. و كان من رجال الكمال، طلق الوجه، مع الظرف، و تضمن كتاب «التاج المحلى» و «الإحاطة» رائقا من شعره، و فقد في الكائنة العظمى بطريف يوم الاثنين سابع جمادى الأولى سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، ثابت الجأش، غير جزوع و لا هيباء. حدّثني الخطيب بالمسجد الجامع من غرناطة، الفقيه أبو عبد الله بن اللوشى قال: كبا بأخييك الطرف، و قد غشى العدو، و جنحت إلى إردافه، فانحدر إليه والدك، و صرفني، و قال: أنا أولى به، فكان آخر العهد بهما، انتهى.

[بعض ما رثي به والد لسان الدين و قد استشهد في موقعة طريف، لأبي محمد عبد الله الأزدي]

و ممّا رثي به والد لسان الدين و أخوه ما ذكره في «الإحاطة» في ترجمة أبي محمد عبد الله الأزدي إذ قال ما نصّه: و ممّا كتب إلى فيما أصابني بطريف: [الكامل]

خطب ألم فأذهب الأخ و الأبأ رغما لأنف شاء ذلك أو أبي
قدر جرى في الخلق لا يجد امرؤ عمّا به جرت المقادر مهربا
إمّا جزعت له فعذر بين قضت الدواهي أن تحلّ له الحبا
لا كان يومهما الكريه فكم و كم فيه المجلى و المصلّى قد كبا
يوم لوى لئانه لم يبق لل إسلام حدّ مهتد إلّا نبا
و تجمعت فيه الضلال فقابلت فيه الهدى فتفرقت أيدي سبا
آها لعزّ المحتدين صرامة لأذلّ عزّ المهتدين و أذها
دهم المصاب فعمّ إلّا أنه فيما يخصك ما أمر و أصعبا

يا ابن الخطيب خطاب مكثرث لما قد ألزم البث الألد و أوجبا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٨
 قاسمتك الشجو المقاسمة التي صارت بخالص ما محضتك مذهبا
 لم لا و أنت لدى سابق حلبة تزهى بمن فى السابقين تأدبا
 لا عاد يوم نال منك و لا أت سنة به ما الليل أبدى كوكبا
 يهنى الشهيدى الشهادة إنها سبب يزيد من الإله تقربا
 وردا على دار النعيم و حورها كلفا بيزهما يزدن ترحبا
 فاستغن بالرحمن عمّن قد ثوى من حزب خير من ارتضى و من اجتبى

[قصيدة لسان الدين يجب بها أبا محمد الأزدي الذى رثى والده]

فأجبتة بقولى: [الكامل]

أهلا بمقدمك السنّى و مرحبا فلقد جبانى الله منك بما حبا
 وافيت و الدنيا على كأنها سمّ الخياط و طرف صبرى قد كبا
 و الدهر قد كشف القناع و لم يدع لى عدّة للروع إلا أذها
 صرف العنان إلى غير مدافع عنى، و أثبت دون نصرتى الشبا
 خطب تأوّننى يضيق لهوله رحب الفضا و تهى لموقعه الرّبا
 لو كان بالورق الصوادح فى الدّجى ما بى لعاق الورق عن أن تندبا
 فأثرت من ظلماء همى ما دجا و قدحت من زند اصطبارى ما حبا
 فكأننى لعب الهجير بمهجتى و بعثت لى من نفحها نفس الصّبا
 لا كان يومك يا طريف فطالما أطلعت للآمال برقا خلّبا
 و رميت دين الله منك بفادح عمّ البسيط مشرقا و مغربا
 و خصصتنى بالرزء و الثّكل الذى أوهى القوى منى و هدّ المنكبا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٩
 لا حسن للدنيا لدى و لا أرى للعيش بعد أبى و صنوى مأربا
 لو لا التعلل بالرحيل و أننا ننضى من الأعمار فيها مركبا
 فإذا ركضنا للشبيبة أدهما حال المشيب به فأصبح أشهبا
 و الملتقى كتب و فى ورد الرّدى نهل الورى من شاء ذلك أو أبى
 لجريت طوع الحزن دون نهاية و ذهبت من خلع التصبر مذهبا
 و الصبر أولى ما استكان له الفتى رغما، و حقّ العبد أن يتأدبا
 و إذا اعتمدت الله يوما مفزعا لم تلف منه سوى إليه المهربا

[ذكر موقعة طريف التى استشهد فيها والد لسان الدين]

و واقعة طريف هذه استشهد فيها جماعة من الأكابر وغيرهم، وكان سببها أن سلطان فاس أمير المسلمين أبا الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق الميرني أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس برسم الجهاد و نصره أهلها على عدوهم، حسبما جرت بذلك عادة سلفه وغيرهم من ملوك العدو، و شمر عن ساعد الاجتهاد، و جرّ من الجيوش الإسلامية نحو ستين ألفاً، و جاء إليه أهل الأندلس بقصد الإمداد، و سلطانهم ابن الأحمر و من معه من الأجناد، فقضى الله الذي لا مردّ لما قدره، أن صارت تلك الجموع مكسّرة، و رجع السلطان أبو الحسن مفلولاً و أضحى حسام الهزيمة عليه و على من معه مسلولاً، و نجا برأس طمرّة و لجام، و لا تسل كيف، و قتل جمع من أهل الإسلام، و لمة و افرّة من الأعلام، و أمضى فيهم حكمه السيف، و أسر ابن السلطان و حريمه و خدمه، و نهبت ذخائره، و استولت على الجميع أيدي الكفر و الحيف، و اشرب العدو الكافر لأخذ ما بقي من الجزيرة ذات الظلّ الوريث، و ثبتت قدمه إذ ذاك في بلد طريف، و بالجملة فهذه الواقعة من الدواهي المعضلة الداء، و الأرزاء التي تضعع لها ركن الدين بالمغرب، و قرّت بذلك عيون الأعداء، و لو لا خشية الخروج عن المقصود لأوردت قصتها الطويلة، و سردت منها ما يحقّ لسامعه أن يكثر بكاءه و عويله، و قد ألّم بها الولي قاضي القضاة ابن خلدون المغربي في كتاب «العبر، و ديوان المبتدأ و الخبر، في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٠

أيام العرب و العجم و البربر، و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» فليراجعه من أراد في المجلد الثامن من هذا التاريخ الجامع، فإنه ذكر حين ساق هذه الكائنة ما يخرس الألسن و يصم المسامع، و لله الأمر من قبل و من بعد. و قول لسان الدين رحمه الله في أوّليته سلفه: «إنهم انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية- إلى آخره» أشار بذلك إلى واقعة الرّبض الشهيرة التي ذكرها ابن حبان في تاريخه الكبير المسمّى ب «المقتبس، في تاريخ الأندلس» و قصّ أمرها غير واحد كابن الفرضي و ابن خلدون، و ملخصها أن أهل ربض قرطبة ثاروا على الأمير الحكم الأموي، و فيهم علماء أكابر مثل يحيى بن يحيى اللبثي صاحب إمامنا مالك رضي الله عنه وغيره، فكانت النصره للحكم، فلما ظفر و قتل من شاء أجلى من بقى إلى البلاد، و بعضهم إلى جزيرة إقريطش ببحر الإسكندرية، و في قصتهم طول، و ليس هذا محلّها.

[ترجمة لسان الدين لوالده عبد الله بن سعيد، و ذكر نماذج من شعره]

و قال لسان الدين رحمه الله أيضا في حقّ والده ما حاصله: عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السيلمانى، أبو محمد، غرناطى الولادة و الاستيطان، لوشى الأصل، طليطية قرطبية.

و قال في الإكليل: إن طال الكلام، و جمحت الأقلام، كنت كما قيل: مادح نفسه يقرئك السلام، و إن أحجمت، فما أسديت في الثناء و لا- ألحمت، و أضعت الحقوق، و خفت و معاذ الله العقوق. هذا و لو أنى زجرت طير البيان من أوكاره، و جئت بعون الإحسان و أبكاره، لما قضيت حقّه بعد، و لا- قلت إلّا بالتى علمت سعد، فقد كان رحمه الله ذمر عزم، و رجل رخاء و أزم، تروق أنوار خلاله الباهرة، و تضىء مجالس الملوك من صورته الباطنة و الظاهرة، ذكاء يتوقّد، و طلاقه يحسد نورها الفرقد. و كانت له في الأدب فريضة، و فى النادرة العذبة منادم عريضة، تكلمت يوما بين يديه فى مسائل من الطب، و أنشدته أبياتا من شعري و رقاعا من إنشائي فتهلّل، و ما برح أن ارتجل: [مخلع البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١١

الطبّ و الشعر و الكتابه سماتنا فى بنى النّجابه

هنّ ثلاث مبلّغات مراتبا بعضها الحجابه

و وقع لى يوما بخطّه على ظهر أبيات بعثتها إليه أعرض عليه نمطها: [الكامل]

وردت كما صدر النسيم بسحرة عن روضة جاد الغمام رباها

و كأنما هاروت أودع سحره فيها و آثرها به و حباها
مصقولة الألفاظ يبهر حسنها فبمثلتها افتخر البليغ و باهى
فقررت عينا عند رؤية حسنها إني أبوك، و كنت أنت أباها
و من نظمه قوله: [الوافر]

و قالوا قد دنا فاصبر ستشفى فترياق الهوى بعد الديار
فقلت هبوا بأنّ الحقّ هذا بقلبي يّمّموا فبم اصطباري
و قال: [السريع]

عليك بالصمت فكم ناطق كلامه أدّى إلى كلمه
إنّ لسان المرء أهدي إلى غرته و الله من خصمه
يرى صغير الجرم مستضعفا و جرمه أكبر من جرمه
و قال: [الخفيف]

أنا بالدهر يا بنّي خبير فإذا شئت علمه فتعال
كم مليك قد ارتعى منه روضا لم يدافع عنه الردى ما ارتعى لا
كلّ شيء تراه يفنى، و يبقى ربنا الله ذو الجلال تعالى

[رثاء لسان الدين لوالده]

مولده بغرناطة في جمادى الأولى عام اثنتين و سبعين و ستمائة، و فقد يوم الوقعة
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٢
الكبرى بظاهر طريف، يوم الاثنين سابع جمادى الأولى عام واحد و أربعين و سبعمائة. و رثيته بقصيدة أولها: [الطويل]
سهام المنيا لا تطيش و لا تخطى و للدهر كفّ تستردّ الذي تعطى
و إنا و إن كنا على ثبج الدنا فلا بدّ يوما أن نحلّ على الشطّ
تساوى على ورد الزدى كلّ وارد فلم يغن ربّ السيف عن ربّة القرط
و سيان ذلّ الفقر أو عزّة الغنى و من أسرع السّير الحثيث و من يبطل
و هي طويلة.

[رثاء أبي زكريا بن هذيل لوالد لسان الدين عبد الله بن سعيد]

قال: وراثه شيخنا أبو زكريا بن هذيل بقصيدة يقول فيها: [الطويل]
إذا أنا لم أرث الصديق فما عذرى إذا قلت أبياتا حسانا من الشعر
و لو كان شعري لم يكن غير ندبة و أجريت دمعى لليراع عن الحبر
لما كنت أقضى حقّ صحبته التي توخّيتها عونا على نوب الدهر
رمانى عبد الله يوم وداعه بداهية دهياء قاصمة الظاهر
قطعت رجائى حين صحّ حديثه فإن يوف لى دمعى فقد خاننى صبرى

و هل مؤنس كابن الخطيب لوحشتى أبث له همى و أودعه سرى
و منها:

تولى و أخبار الجلالة بعده مؤرجه الأنباء طيبة النشر
رضينا بترك الصبر من بعد بعده على قدر ما فى الصبر من عظم الأجر.
أتى بفتيت المسك فوق جبينه نجيعا يفوق المسك فى موقف الحشر
لقد لقي الكفار منه بعزمه لها لقيته الحور بالبرّ و البشر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٣
تجلت عروسا جنة الخلد فى الوغى تقول لأهل الفوز: لا يغلكم مهري
فكان من القوم الذين تبادروا إلى العالم الأعلى مع الرفقة الغرّ
تعالوا بنا نسقى الأباطح و الرّبا بقطر دموع غالبات على القطر
ألا لا تلم عيني لسكب دموعها فما سكبت إلّا على الماجد الحرّ
و منها:

أ إخواننا، جدّوا فكم جدّ غيركم و سيروا على خفّ من الحوب و الوزر
على سفر أنتم لدار تأخرت و ما الفوز فى الأخرى سوى خفة الظهر
و ما العيش إلّا يقظة مثل نومّه و ما العمر إلّا كالخيال الذى يسرى
على الحقّ أنتم قادمون فشمّروا فليس لمخذول هنالك من عذر
و هى طوبله، تجاوز الله عنا و عنهم أجمعين! انتهى ما لخصته من كلام لسان الدين رحمه الله.

[ترجمة أبى بكر بن عاصم، بقلم ابنه الوزير أبى يحيى بن عاصم القيسى]

قلت: على منوال كلامه فى تحليه أبيه النبيه نسج الوزير الكاتب الشهير القاضى أبو يحيى بن عاصم القيسى الأندلسى رحمه الله فى
وصف أبيه القاضى أبى بكر بن عاصم صاحب «التحفة فى علم القضاء»، و هو محمد بن محمد بن محمد بن عاصم الأندلسى
الغرناطى، قاضى الجماعة، الرئيس أبو بكر، و نصّ المحتاج إليه فى هذا المحلّ من كلام ولده قوله رحمه الله: إن بسطت القول، أو
عددت الطول، و أحكمت الأوصاف، و توخّيت الإنصاف، أنفدت الطروس، و كنت كما يقول الناس فى المثل من مدح العروس، و
إن أضربت عن ذلك صفحا فلبشما صنعت، و لشّر ما أمسكت المعروف و منعت، و لكم من حقوق الأبوة أضعت، و من ثدى للمعقة
رضعت، و من شيطان لغمصه الحقّ أطعت، و لم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٤

أرد إلّا الإصلاح ما استطعت، و إن توسّطت و اقتصرت، و أوجزت و اختصرت، فلا الحقّ نصرت، و لا أفنان البلاغة هصرت، و لا سبيل
الرشد أبصرت، و لا عن هوى الحسدة أقصرت، هذا و لو أنى أجهدت ألسنة البلاغة فجهدت، و أيقظت عيون الإجابة فسهدت، و
استعرت مواقف عكاظ على ما عهدت، لما قررت من الفضل إلّا ما به الأعداء قد شهدت، و لا استقصيت من المجد إلّا ما أوصت به
الفئة الشائنة لخلفها الأبرّ و عهدت، فقد كان - رحمه الله! - علم الكمال، و رجل الحقيقة، و قارا لا يخف راسيه، و لا يعرى كاسيه، و
سكونا لا يطرّق جانبه، و لا يرهّب غالبه، و حلما لا تزلّ حصاته، و لا تهمل وصاته، و انقباضا لا يتعدّى رسمه، و لا يتجاوز حكمه، و
نزاهة لا ترخص قيمتها، و لا تلين عزيمتها، و ديانة لا تحسر أذيالها، و لا يشفّ سربالها، و إدراكا لا يفلّ نصله، و لا يدرك خصله، و
ذهنا لا يخبو نوره، و لا ينبو مطروره، و فهما لا يخفى فلقه، و لا يهزم فيلقه، و لا يلحق بحره، و لا يعطل نحره، و تحصيلا لا يفلت

قنيصه، ولا يسام حريصه، بل لا يحلّ عقاله، ولا يصدأ صقاله، و طلبا لا تتحد فنونه، ولا تتعين عيونه، بل لا تحصر معارفه، ولا تقصر مصارفه، يقوم أتمّ قيام على النحو على طريقته متأخرى النحاء، جمعا بين القياس والسماع، وتوجيه الأقوال البصريه، واستحضار الشواهد العشريه، واستظهار اللغات والأعربه، واستبصارا في مذاهب المعربه، محلّيا أجياد تلك الأعراب، من علمي البديع والبيان بجواهر أسلاك، ومجلّيا في آفاق تلك الأساليب، من فوائد هذين الفنين زواهر أفلاك، إلى ما يتعلّق بذلك من قافية للعروض و ميزان، وما للشعر من بحور و أوزان، تضلع بالقراءات أكمل اضطلاع، مع التحقيق والاطلاع، فيقع ابن الباذش من إقناعه، ويشرح لابن شريح ما أشكل من أوضاعه، ويقصر عن رتبته الداني، ويحرز صدر المنصّه من حرز الأمانى، ويشارك في المنطق و أصول الفقه و العدد و الفرائض و الأحكام مشاركة حسنه، و يتقدّم في الأدب نظما و نثرا و شعرا، إلى براءة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٥

الخطّ، وإحكام الرسم، وإتقان بعض الصنائع العمليّه، كتفسير الكتب، و تنزيل الذهب، و غيرهما. نشأ بالحضره العليّه لا يغيب عن حلقات المشيخه و لا يريم عن مظان الاستفاده، و لا يفتر عن المطالعه و التقييد، و لا يسأم من المناظره و التحصيل، مع المحافظه التي لا تنخرم و لا تنكسر، و المفاوضات في الأدب و نظم القريض و الفكاهه التي لا تقدح في وقار انتهى ملخصا.

و قد أطال في تعريفه بأوراق عدّه، ثم قال: مولده في الربع الثالث من يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى من عام ستين و سبعمائه كما نقلته من خطّ ابنه، ثم قال: و له مسائل متعدّده في فنون شتى ضمّنها كلّ سديد من البحث و صحيح النظر، و أمّا كتبه فالدّر النفيس، و الياقوت الثمين، و الزّوض الأنف، و الزهر النضير، نصاعه لفظ، و إصابة غرض، و سهوله تركيب، و متانه أسلوب. انتهى.

ثم ذكر مشيخته و أطال، ثم سرد تأليفه: الأرجوزة المسماة ب «تحفة الحكام»، و الأرجوزة المسماة ب «مهيع الوصول في علم الأصول» أصول الفقه، و الأرجوزة الصغرى المسماة ب «مرتقى الوصول للأصول» كذلك، و الأرجوزة المسماة ب «نيل المنى في اختصار الموافقات»، و القصيدة المسماة ب «إيضاح المعاني في القراءات الثماني»، و القصيدة المسماة ب «الأمل المرقوب في قراءة يعقوب»، و القصيدة المسماة ب «كنز المفاوضات في علم الفرائض»، و الأرجوزة المسماة ب «الموجز في النحو»، حاذى بها رجز ابن مالك في غرض البسط له و المحاذاة لقصده، و الكتاب المسمّى ب «الحدائق في أغراض شتى من الآداب و الحكايات».

توفى بين العصر و المغرب يوم الخميس حادى عشر شوال عام تسعة و عشرين و ثمانمائه، انتهى كلام الوزير ابن عاصم، و إنما ذكرته، لأنّ أهل الأندلس يقولون في حقّه: إنه ابن الخطيب الثانى، و لو لا خوف الإطالة لذكرت بعض إنشائه و نظمه، فإنه في الذروة العليا، و قد ذكرت جملة من ذلك في «أزهار الرياض، في أخبار عياض، و ما يناسبها ممّا يحصل به للنفس ارتياح و للعقل ارتياض».

[عود إلى ترجمة لسان الدين و ذكر سلفه و ذكر نسبتهم «السلماى» و أنهم من حى من مراد من عرب اليمن القحطانيين]

و لنرجع إلى الترجمة المقصودة فنقول: و السلماى نسبة سلمان - ياسكان اللام على الصحيح - قال ابن الأثير: و المحدثون يفتحون اللام، و سلمان: حى من مراد من عرب اليمن القحطانيين، دخل الأندلس منهم جماعة من الشّام، و سلف لسان الدين رحمه الله تعالى ينتسبون

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٦

إليهم كما سبق في كلامه، و هو مشهور إلى الآن بالمغرب بابن الخطيب السلماى،

[بين لسان الدين و شيخه أبى الحسن بن الجياب]

و لذلك خاطبه شيخه شيخ الكتاب الرئيس أبو الحسن بن الجياب حين حلّ مالفه بقوله: [البسيط]

أيا كتابي، إذا ما جئت مالقة دار المكارم من مثني و وحدان
فلا تسلّم على ربع لذي سلم بها و سلّم على ربع لسلمان
فأجابه لسان الدين رحم الله تعالى الجميع بقوله: [البيسط]
يا ليت شعري هل يقضى تألّفنا و ينثى الشوق عن غاياته الثاني
أو هل يحنّ على نفسي معذبها أو هل يرقّ لقلبي قلبي الثاني

و على ذكر نسبة ابن الخطيب لسلمان فقد تذكّرت هنا بيتا أنشدنيه لنفسه صاحبنا الوزير الشهير الكبير البليغ صاحب القلم الأعلى سيدي أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، صبّ الله تعالى عليه شآبيب رحماه! من قصيدة نونية مدح بها سيد الوجود، صلّى الله عليه و سلّم! و تخلّص إلى مدح مولانا السلطان المنصور بالله أبي العباس أحمد الحسنى أمير المؤمنين صاحب المغرب رحمه الله تعالى، و هو: [الطويل]

أولئك فخرى إن فخرت على الورى و نافس بيتي فى الولايت سلمان
و أراد كما أخبرنى بيت سلمان القبيلة التى منها لسان الملة و الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى! أشار إلى ولاء الكتابة للخلافة، كما كان لسان الدين السلماني رحمه الله تعالى كذلك، و فيه مع ذلك توريه بسلمان الفارسي رضى الله عنه و أرضاه.
و قد رأيت أن أسرد هنا هذه القصيدة الفريدة، لبلاغتها التى بدت شعر «اليتيمة» و «الخريدة»، و لأنّ شجون الحديث الذى جزّ إليها، شوقتنى إلى معاهدى المغربية التى أكثر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٧

البكاء عليها، بحضرة المنصور بالله الإمام، سقى الله تعالى عهادها صوب الغمام، حيث الشباب غضّ يانع، و المؤمل لم يحجبه مانع، و السلطان عارف بالحقوق، و الزمان و هو أبو الورى لم يشب بزه بالعقوق، و الليالى مسالمة غير رامية من البين بنبال، و الغربة الجالبة للكربة لم تخطر ببال، و رؤساء الدولة الحسينية السنية ساعون فيما يوافق الغرض و يلائم، و الأيام ثغورها بواسم، و أوقاتها أعياد و مواسم، و أفراح و ولائم، فلله فيها عيش ما نسيناه، و عزّ طالما اقتبسنا نور الهدى من طور سيناه: [الطويل]
مضى ما مضى من حلو عيش و مرّه كأن لم يكن إلّا كأضغاث أحلام

[نونية للوزير أبي فارس عبد العزيز الفشتالي]

و هذا نص القصيدة [الطويل]

هم سلبونى الصبر و الصبر من شانى و هم حرموا من لذّة الغمض أجفانى
و هم أخفروا فى مهجتى ذم الهوى فلم يثنهم عن سفكها حبي الجانى
لئن أترعوا من قهوة البين أكوسى فشوقهم أضحى سميرى و ندمانى
و إن غادرتنى بالعراء حمولهم لقى إنّ قلبى جاهد إثر أظعان
قف العيس و اسأل ربهم أيه مضوا أ للجزع ساروا مدلجين أم البان
و هل باكروا بالسفح من جانب اللوى ملاعب آرام هناك و غزلان
و أين استقلّوا: هل بهضب تهامة أناخوا المطايا أم على كشب نعمان
و هل سال فى بطن المسيل تشوّقا نفوس ترامت للحمى قبل جثمان
و إذ زجروها بالعشى فهل ثنى أزمّتها الحادى إلى شعب بوان
و هل عزّسوا فى دير عبدون أم سروا يؤمّ بهم رهبانهم دير نجران

سروا و الدجى صبغ المطارف فانتنى بأحداجهم شتى صفات و ألوان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٨
و أدلج فى الأسحار بيض قبايهم فلحن نجوما فى معارج كئبان
لك الله من ركب يرى الأرض خطوة إذا زمها بدنا نواعم أبدان
أرحها مطايا قد تمشى بها الهوى تمشى الحميا فى مفاصل نشوان
و يمم بها الوادى المقدس بالحمى به الماء صدًا و الكلا نبت سعدان
و أهد حلول الحجر منه تحية تفواح عرفا ذاكى الزند و البان
لقد نفحت من شيع يثرب نفحة فهاجت مع الأسحار شوقى و أشجاني
و فتت منها الشرق فى الغرب مسكة سحبت بها فى أرض دارين أرداني
و أذكرنى نجدا و طيب عراره نسيم الصبا من نحو طيبة حيانى
أحنّ إلى تلك المعاهد، إنها معاهد راحتى و روحى و ريحانى
و أهفو مع الأشواق للوطن الذى به صحّ لى أنسى الهنى و سلوانى
و أصبو إلى أعلام مكة شائقا إذا لاح برق من شمام و ثهلان
أهيل الحمى دينى على الدهر زورة أحتّ بها شوقا لكم عزمى الوانى
متى يشتفى جفنى القريح بلحظة تزجّ بها فى نوركم عين إنسانى
و من لى بأن يدنو لقاكم تعطفًا و دهرى عنى دائما عطفه ثانى
سقى عهدهم بالخيف عهد تمده سوافح دمع من شؤونى هتّان
و أنعم فى شطّ العقيق أراكة بأفياها ظلّ المنى و الهوى دانى
و حيا ربوعا بين مروة و الصفا تحية مشتاق بها الدهر حيران
ربوعا بها تتلو الملائكة العلا أفانين و حى بين ذكر و قرآن
و أول أرض باكرت عرصاتها و طرّزت البطحا سحائب إيمان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٩
و عرّس فيها للنبوّة موكب هو البحر طام فوق هضب و غيطان
و أدّى بها الروح الأمين رسالة أفادت بها البشرى مدائح عنوان
هنالك فضّ ختمه أشرف الورى و فخر نزار من معدّ بن عدنان
محمد خير العالمين بأسرها و سيد أهل الأرض م الإنس و الجان
و من بشرت فى بعته قبل كونه نوامس كهّان و أخبار رهبان
و حكمه هذا الكون لولاه ما سمت سماء و لا غاضت طوافح طوفان
و لا زخرفت من جنة الخلد أربع تسبّح فيها آدم حور و والدان
و لا طلعت شمس الهدى غبّ دجيه تجهم من ديجورها ليل كفران
و لا أهدقت بالمذنبين شفاعه يزود بها عنهم زباني نيران
له معجزات أخرست كلّ جاحد و سلّت على المرتاب صارم برهان
له انشقّ قرص البدر شقين و ارتوى بماء همى من كفه كلّ ظمآن

و أنطقت الأصنام نطقا تبرأت إلى الله فيه من زخارف ميان
دعا سرحه عجمًا فلبت و أقبلت تجرّ ذيول الزهر ما بين أفنان
و ضاءت قصور الشام من نوره الذي على كلّ أفق نازح القطر أو داني
و قد بهج الأنوا بدعوته التي كست أوجه الغبراء بهجة نيسان
و إنّ كتاب الله أعظم آية بها افتضح المرتاب و ابتأس الشاني
و عدى على شأو البليغ بيانه فهيهاث منه سجع قسّ و سبحان
نبي الهدى من أطلع الحقّ أنجما محا نورها أسداف إفك و بهتان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٠
لعزتها ذل الأكاسرة الألى هم سلبوا تيجانها آل ساسان
و أحرز للدين الحنيفي بالظبا تراث الملوك الصّيد من عهد يونان
و نفع من سمر القنا السمّ قيصرًا فجرّعه منه مجاجه شعبان
و أضحت ربوع الكفر و الشكّ بلقعا يناغى الصدى فيهنّ هاتف شيطان
و أصبحت السّمحا ترفّ نضارة و وجه الهدى بادي الصبابة للرائي
أيا خير أهل الأرض بيتا و محتدا و أكرم كلّ الخلق: عجم و عربان
فمن للقوافي أن تحيط بوصفكم و لو ساجلت سبقا مدائح حسان
إليك بعثناها أمانى أجذبت لتسقى بمزن من أياديك هتان
أجرني إذا أبدى الحساب جرائمى و أثقلت الأوزار كفة ميزاني
فأنت الذى لو لا وسائل عزّه لما فتحت أبواب عفو و غفران
عليك سلام الله ما هبت الصبا و ماست على كتبائها ملد قضبان
و حمّل فى جيب الجنوب تحية يفوح بمسراها شذا كلّ توقان
إلى العمرين صاحبك كليهما و تلوهما فى الفضل صهر ك عثمان
و حيا علينا عرفها و أريجها و والى على سبطيك أوفر رضوان
إليك رسول الله صممت عزمه إذا أزمعت فالشّحط و القرب سيان
و خاطبت منى القلب و هو مقلّب على جمرة الأشواق فيك فلبتاني
فيا ليت شعري هل أزمّ قلائصى إليك بدارا أو أقلقل كيراني
و أطوى أديم الأرض نحوك راحلا نواجى المهارى فى صحاصح قيعان
يرنّحها فرط الحنين إلى الحمى إذا غرّد الحادى بهنّ و غنّانى
و هل تمحون عنى خطايا اقترفتها خطا لى فى تلك البقاع و أوطان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢١
و ما ذا عسى يثنى عنانى و إنّ لى بآلك جاها صهوة العزّ أمطاني
إذا ندّ عن زوارك البأس و العنا فوجود ابنك المنصور أحمد أغناني
عمادى الذى أوطا السماكين أخمصا و أوفى على السبع الطباق فإدنانى
متوّج أملاك الزمان و إن سطا أحلّ سيوفا فى معاقد تيجان

و قارى أسود الغاب بالصيد مثلها إذا اضطرب الخطي من فوق جدران
هزبر إذا زار البلاد زئيره تضاعل فى أخياسها أسد خقان
و إن أطلعت غيم القتام جيوشه و أرزم فى مركومه رعد نيران
صبين على أرض العداة صواعقا أسلن عليهم بحر خسف و رجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان
عديد الحصا من كل أروع معلم و كل كمي بالرديني طغان
إذا جنّ ليل الحرب عنهم طلى العدا هدتهم إلى أوداجها شهب خرصان
من اللاء جرّعن العدا غصص الردى و عقرن فى وجه الثرى وجه بستان
و فتحن أقطار البلاد فأصبحت تؤدى الخراج الجزل أملاك السودان
إمام البرايا من على نجاره و من عتره سادوا الورى، آل زيدان
دعائم إيمان و أركان سؤدد ذو و همم قد عرست فوق كيوان
هم العلويون الذين وجوههم بدور إذا ما أحلكت شهب أزمان
و هم آل بيت شيد الله سمكه على هضبة العلياء ثابت أركان
و فيهم فشا الذكر الحكيم و صرحت بفضلهم آيات ذكر و فرقان
فروع ابن عم المصطفى و وصيه فناهيك من فخرين: قربي و قربان
و دوحه مجد معشب الروض بالعلا وجود بأمواه الرسالة ريان
بمجدهم الأعلى الصريح تشرفت معد على العزباء عاد و قحطان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٢
أولئك فخرى إن فخرت على الورى و نafs بيتى فى الولا بيت سلمان
إذا اقتسم المداح فضل فخارهم فقسى بالمنصور ظاهر رجحان
إمام له فى جبهه الدهر ميسم و من عزه فى مفرق الملك تاجان
سما فوق هامات النجوم بهمة يحوم بها فوق السماوات نسران
و أطلع فى أفق المعالى خلافة عليها و شاح من علاه و سمطان
إذا ما احتبى فوق الأسره و ارتدى على كبرياء الملك نخوة سلطان
توسمت لقمان الحجا و هو ناطق و شاهدت كسرى العدل فى صدر إيوان
و إن هزه حرّ الثناء تدفقت أنامله عرفا تدفق خلجان
أيا ناظر الإسلام شم بارق المنى و باكر لروض فى ذرا المجد فينان
قضى الله فى عليك أن تملك الدنيا و تفتحها ما بين سوس و سودان
و أنك تطوى الأرض غير مدافع فمن أرض سودان إلى أرض بغداد
و تملؤها عدلا يرفّ لواؤه على الهرمين أو على رأس غمدان
فكم هنأت أرض العراق بك العلا و وافت بك البشرى لأطراف عمان
فلو شارفت شرق البلاد سيوفكم أتاك استلابا تاج كسرى و خاقان
و لو نشر الأملاك دهرك أصبحت عيالا على عليك أبناء مروان

و شايحك السّفاح يقتاد طائعا برايته السوداء أهل خراسان
فما المجد إلّا ما رفعت سماكه على عمدى سمر الطوال و مّرّان
و هاتيك أباكرا القوا في جليتها تغاز لهن الحور في دار رضوان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٣
أتتك أمير المؤمنين كأنها لطائم مسك أو خمائل بستان
تعاضن حسنا أن يقال شبيها فرائد درّ أو قلائد عقيان
فلا زلت للدنيا تحوط جهاتها و للدين تحميه بملك سليمان
و لا زلت بالنصر العزيز مؤزّرا تقاد لك الأملاك في زىّ عبدان

انتهت القصيدة التي في تغزّلها شرح الحال، و أعرب عمّا في ضمير الغربة و الارتحال، و لنعزّزها بأختها في البحر و الروى، قصيدة
القاضي الشهير الذكر، الأديب الذي سلبت النهى كواعب شعره إذ أبرزها من خدور الفكر، الشيخ الإمام سيدى أبو الفتح محمد بن
عبد السلام، المغربي التونسي نزيل دمشق الشام، صبّ الله على ضريحه سجال الرحمة و الإنعام! فإنها نفت مصدر غريب، و بثّ
مغдор أديب، فارق مثلى أوطانه و ما سلاها، و قرأ آيات الشجو و تلاها، و تمّنى أن يوجد له الدهر برؤية مجتلاها، و هى قوله رحمه
الله و أنشأها بدمشق عام واحد و خمسين و تسعمائة: [الطويل]

[نونية أخرى لأبي الفتح محمد بن عبد السلام المغربي التونسي نزيل دمشق]

سلوا البارق النجدى عن سحب أجفانى و عمّا بقلبي من لواعج نيران
و لا تسألوا غير الصّبا عن صبابتي و شدّه أشواقى إليكم و أشجانى
فما لى سواها من رسول إليكم سريع السرى فى سيره ليس بالوانى
فيا طال بالأسحار ما قد تكفلت بإنعاش محزون و إيقاظ و سنان
و تنفيس كرب عن كئيب متيم يحنّ إلى أهل و يصبو لأوطان
فلله ما أذكى شذا نسمة الصّبا صباحا إذا مرّت على الرّند و البان
و سارت مسير الشمس و هنا فأصبحت من الشرق نحو الغرب تجرى بحسبان
و قد وقفت بالشام وقفه حامل نوافج مسك من طباء خراسان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٤
لترتاض فى تلك الرياض هنيئة و تزداد من أزهارها طيب أردان
و ما غربت حتى تضاعف نشرها بواسطتى روح هناك و ريحان
فكم نحوكم حملتها من رساله مدوّنة فى شرح حالى و وجدانى
و ناشدتها بالله إلّا تفضّلت بتبليغ أحبابى السلام و جيرانى
تحية مشتاق إلى ذلك الحمى و سكّانه و النازحين بأطعان
سقى الله هاتيك الديار و أهلها سحائب تحكى صوب مدمعى القانى
و حيا ربوع الحىّ من خير بلدة تخيرها قدما أفاضل يونان
هى الحضرة العليا مدينة تونس أنيسة إنسان رآها بإنسان
لها الفخر و الفضل المبين بما حوت من الإنس و الحسن المنوط بإحسان

لقد حلّ منها آل حفص ملوكها مراتب تسمو فوق هامة كيوان
و سادوا بها كلّ الملوك و شيدوا بها من مباني العزّ أفر بنيان
و كان لهم فيها بهاء و بهجة و حسن نظام لا يعاب بنقصان
و كان لهم فيها عساكر جمّة تصول بأسياف و تسطو بمزّان
جيوش و فرسان يضيق بها الفضا و تحجم عنها الفرس من آل ساسان
و كان لأهلها المفاخر و العلا و كان بها حصنا أمان و إيمان
و كان على الدنيا جمال بحسنها و حسن بنيتها من ملوك و أعيان
و كانت لطلّاب المعارف قبله لما في حماها من أئمّة عرفان
و كان لأهل العلم فيها و جاهه و جاه و عزّ مجده ليس بالفانى
و كان بواديها المقدّس فتية تقدّس باريها بذكر و قرآن
و من أدباء النظم و النثر معشر تفوق بناديها بلاغة سبحان
و كانت على الأعداء فى حومة الوغى تطول بأبطال، و تسطو بشجعان
و ما برحت فيها محاسن جمّة و فى كلّ نوع أهل حذق و إتقان
إلى أن رمتها الحادثات بأسهم و سلّت عليها سيف بغى و عدوان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٥

فما لبثت تلك المحاسن أن عفت و أقفر ريع الأنس من بعد سكان
و شتّت ذاك الشمل من بعد جمعه كما انتشرت يوما قلائد عقيان
فأعظم برزء خصّ خير مدينه و خير أناس بين عجم و عربان
لعمري لقد كادت عليها قلوبنا تضرّم من خطب عراها بنيران
و قد عمّنا غمّ بعظم مصابها و إن خصّنى منه المضرّ بجثمانى
و ما بقيت فيما علمناه بلدة من الشرق إلّا ألبست ثوب أحزان
فصبرا أخی صبرا على المحنة التى رمتك بها الأقدار ما بين إخوان
فما الدّهر إلّا هكذا فاصطبر له رزيه مال أو تفرّق خلّان
أ أحببنا إن فرّق الدّهر بيننا و طال مغيبي عنكم منذ أزمان
فإنى على حفظ الوداد و حقّكم مقيم، و ما هجر الأحبة من شانى
و و الله و الله العظيم أئيه على صدقها قامت شواهد برهان
لقد زاد وجدى و اشتياقى إليكم و برّح بى طول البعاد و أضنانى
فلا تحسبوا أنى تسلّيت بعدكم بشيء من الدنيا و زخرفها الفانى
و لا أننى يوما تناسيت عهدكم بحال، و لا أنّ التكاثر ألهانى
و لا راقنى روض، و لا هسّ مسمعى لنغمة أطيار و رنة عيدان
و لا حلّ فى فكرى سواكم بخلوة و لا جلوة ما بين حور و ولدان
و لا اختلجت يوما ضمائر مهجتي لغيركم فى سرّ سرى و إعلانى
و لو لم أسلّ النفس بالقرب و اللقا لأدرج جسمى فى مقاطع أكفانى

فما أنا في عودى إليكم بأيس فما اليأس إلّا من علامة كفران
عليكم سلام الله في كلّ ساعة تحية صبّ لا يدين بسلوان
مدى الدهر ما ناحت مطوّقة و ما تعاقب بين الخافقين الجديدان

[نونية لسان الدين بن الخطيب في فتح تلمسان]

و لصاحب الترجمة لسان الدين ابن الخطيب قصيدة طنانة بهذا الوزن و القافية، مدح بها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٦
السلطان أبا سالم المريني حين فتح تلمسان، و قد رأيت إيرادها في هذا الباب، لما اشتمل عليه آخرها من شرح أمر الأعراب، الذي
حير الألباب، و للمناسبة أسباب، لا تخفى على من له فكر مصيب، و كلّ غريب للغريب نسيب، و هي: [الطويل]
أطاع لساني في مديحك إحساني و قد لهجت نفسي بفتح تلمسان
فأطعتها تفتّر عن شنب المنى و تسفر عن وجه من السعد حيتاني
كما ابتسم النور عن أدمع الحيا و جفّ بخدّ الورد عارض نيسان
كما صفّفت ريح الشمال شمولها فبان ارتياح السكر في غصن البان
تهنيك بالفتح الذي معجزاته خوارق لم تذخر سواك لإنسان
خففت إليها و الجفون ثقيلة كما خفّ شن الكفّ من أسد خفّان
و قدت إلى الأعداء فيها مبادرا ليوث رجال في مناكب عقبان
تمدّ بنود النصر منهم ظلالها على كلّ مطعام العشيات مطعان
ججاجحه غرّ الوجوه كأنما عمائمهم فيها معاقد تيجان
أمّدك فيها الله بالملاّ العلا فجيّشك، مهما حقّق الأمر، جيشان
لقد جليت منك البلاد لخاطب لقد جنيت منك الغصون إلى جاني
لقد كست الإسلام ببعثك الرضا و كانت على أهليه بيعه رضوان
و لله من ملك سعيد و نصبة قضى المشتري فيها بعزله كيوان
و سجّل حكم العدل بين بيوتها وقوفا مع المشهور من رأى يونان
فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها و لم تشكّ فيها الشمس من بنخس ميزان
و لم يعترض مبتزّها قطع قاطع و لا نازعت نوبهرا كفّ عدوان
تولّى اختيار الله حسن اختيارها فلم يحتج الفرغان فيها لفرغان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٧
و لا صرفت فيها دقائق نسبة و لو خفقت فيها طوال بلدان
وجوه القضايا في كمالك شأنها وجوب إذا خصّت سواك بإمكان
و من قاس منك الجود بالبحر و الحيا فقد قاس تمويها قياس سفطاني
و طاعتك العظمى بشاره رحمة و عصيانك المحذور نزغة شيطان
و حبّك عنوان السعادة و الرضا و يعرف مقدار الكتاب بعنوان
و دين الهدى جسم و ذاتك روحه و كم وصله ما بين روح و جثمان

تضنّ بك الدنيا و يحرسك العلا كأنك منها بين لحظ و أجفان
بنيت على أساس أسلافك العلا فلا هدم المبنى و لا عدم البانى
و صاحت بك العليا فلم تك غافلا و نادت بك الدنيا فلم تك بالوانى
و لم تك فى خوض البحار بهائب و لم تك فى نيل الفخار بكسلان
لقد هزّ منك العزم لما انتضيته ذوائب رضوى أو مناكب ثهلان
و لله عينا من رآها محلّة هي الحشر لا تحصى بعدّ و حسابان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٦؛ ص ٢٧
ار فى إثر دعوة يعمّ الأفصى و الأدانى بطوفان
عجائب أقطار، و مألّف شارد و أفلاذ آفاق، و موعد ركبان
إذا ما سرحت اللحظ فى عرصاتها تبلّد منك الذهن فى العالم الثانى
جنّى حان و النصر العزيز اهتصاره إذا انتظمت بالقلب منها جناحان
فمن سحب لاحت بها شهب القنا و من كذب بيض بدت فوق كئيبان
مضارب فى البطحاء بيض قباها كما قلبت للعين أزهار سوسان
و ما إن رأى الرءون فى الدهر قبلها قرارة عزّ فى مدينه كئيبان
تفوت التفات الطرف حال اقتبالها كأنك قد سخّرت جنّ سليمان
فقد أطرقت من خوفها كلّ بيعه و طأطأ من إجلالها كلّ إيوان
و قد ذعرت خولان بين بيوتها غداة بدت منها البيوت بخولان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٨
فلو رميت مصر بها و صعيدها لأضحت خلاء بلقعا بعد عمران
و لو يّممت سيف بن ذى يزن لما تقرّر ذاك السيف فى غمد غمدان
تراع بها الأوثان فى أرض رومه إذا خيّمت شرقا على طرق أوثان
و تجفل إجمال النعام بركة ليوث الشرى ما بين ترك و عربان
و عرضا كيوم العرض أذهل هوله عيانى، و أعيانى تعدّد أعيان
و جيشا كقطع الليل للخيّل تحته إذا سهلت مفتنه رجع ألحان
فيومض من بيض الظبا ببوارق و يقذف من سمر الرماح بشهبان
و يمطر من و دق السهام بحاصب سحائبه من كلّ عوجاء مرنان
و جردا إذا ما ضمّرت يوم غايه تعجّبت من ريح تقاد بأرسان
تسابق ظلمان الفلاة بمثلها و تدعر غزلان الرمال بغزلان
و دون مهبّ العزم منك قواضب أبى النصر يوما أن تلمّ بأجفان
نظرت إليها و النجيع لباسها فقلت: سيوف أم شقائق نعمان
تفتّح وردا خدّها حين جرّدت و لا ينكر الأقوام خجله عريان
كأنّ الوغى نادت بها لوليمه قد احتفلت أوضاعها منذ أزمان
فإن طعمت بالنصر كان وضوءها نجيعا و وافاها الغبار بأشنان

لقد خلصت لله منك سجيّة جزاك على الإحسان منك بإحسان
فسيفك للفتح المبين مصاحب و عزمك و النصر المؤزر إلفان
فرح واغد للرحمن تحت كلاءة و سرحان في غاب العدا كلّ سرحان
و دم و المنى تدنى إليك قطافها ميسر أوطار ممهد أوطان
و كن واثقا بالله مستنصرا به فسلطانه يعلو على كلّ سلطان
كفاك العدا كاف لملكك كافل فضدك نضو ميّت بين أكفان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٩

رضا الوالد المولى أبيك عرفته و قد أنكر المعروف من بعد عرفان
فكم دعوة أولاك عند انتقاله إلى العالم الباقي من العالم الفانى
فعرّفت في السّراء نعمه منعم و ألحفت في الصّراء رحمه رحمان
عجبت لمن يبغى الفخار بدعوة مجرّده من غير تحقيق برهان
و سنّه إبراهيم في الفخر قد أتت بكلّ صحيح عن عليّ و عثمان
و من مثل إبراهيم في ثبت موقف إذا ما التقى في موقف الحرب صفّان
إذا همّ لم يلفت بلحظة هائب و إن منّ لم ينفث بلفظة منّان
فصاحه قسّ في سماحة حاتم و إقدام عمرو تحت حكمه لقمان
شمانل ميمون النقيبه أروع له قصبات السّبق في كلّ ميدان
محبّته فرض على كلّ مسلم و طاعته في الله عقده إيمان
هنيئا أمير المسلمين بنعمة حبيت بها من مطلق الجود منّان
لزيت أجياد المنابر بالتي أتاح لها الرحمن في آل زيان
قلائد فتح هنّ، لكنّ قدرها ترّفّع أن يدعى قلائد عقيان
أمولاي، حبّى في علاك و سيلتى و لطفك بى دأبا بمدحك أغراني
أياديك لا أنسى على بعد المدى نعوذ بك اللهم من شرّ نسيان
فلا جحد ما خوّلتنى من سجيّتى و لا كفر نعماك العميمة من شانى
و مهما تعجّلت الحقوق لأهلها فإنك مولاي الحقيق و سلطاني
و ركنى الذى لّمّا نبأبى منزلى أجاب ندائى بالقبول و آوانى
و عالج أيامى و كانت مريضة بحكمة من لم ينتظر يوم بحران
فأمّنتى الدهر الذى قد أخافنى و جدّد لى السّعد الذى كان أبلانى
و خوّلنى الفضل الذى هو أهله و شيكا و أعطانى فأفعم أعطانى
تخوّننى صرف الحوادث فانثنى يقبل أردانى، و من بعد أردانى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٠

و أزعجنى من منشئى و مبوئى و معهد أحبابى و مألّف جيرانى
بلادى التى فيها عقدت تمائمى و جم بها و فرى و جل بها شانى
تحدّثنى عنها الشمال فتثنى و قد عرفت منى شمائل نشوان

و آمل أن لا أستفيق من الكرى إذا الحلم أوطاني بها ترب أوطاني
تلون إخواني عليّ و قد جنت عليّ خطوب جمّة ذات ألوان
و ما كنت أدري قبل أن يتنكروا بأنّ خواني كان مجمع خوّاني
و كانت، و قد حمّ القضاء، صنّاعي عليّ بما لا أرتضى شرّ أعواني
فلو لآك بعد الله يا ملك العلا و قد فتّ ما ألفت من يتلافاني
تداركت منّي بالشفاعة منعمًا بريثا رماه الدهر في موقف الجاني
فإن عرف الأقوام حقك و فّقوا و إن جهلوا بأووا بصفقة خسران
و إن خلطوا عرفا بنكر و قَصروا و زنت بقسطاس قويم و ميزان
و حرمة هذا اللحد يأبى كمالها هزيمة ردّ أو حطيطة نقصان
و قد نمت عن أمرى و تبّته همّة تحدّق من علو إلى صرح هامان
إذا دانت الله النفوس و أمّلت إقاله ذنب أو إناله غفران
فمولاك يا مولاي قبله و جهتي و عهده إسرارى و حجّة إعلاني
وقفت على مثواه نفسى قائما بترديد ذكر أو تلاوة قرآن
و لو كنت أدري فوقها من وسيلة إلى ملكك الأرضى لشمرت أرداني
و أبلغت نفسى جهدها غير أننى طلابى ما بعد النهاية أعيانى
قرأت كتاب الحمد فيك لعاصم فصّح أدائى و اقتدائى و إتقانى
فدونكها من بحر فكرى لؤلؤا يفصل من حسن النظام بمرجان
و كان رسول الله بالشعر يعتنى و كم حجّة فى شعر كعب و حسان
و و الله ما وقّيت قدرك حقّه و لكنه وسعى و مبلغ إمكانى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣١

[كتاب من لسان الدين يخاطب به السلطان أبا سالم بعد فتح تلمسان، و قد جعله مقدمة لنونيته السابقة]

و كتب لسان الدين رحمه الله قبل هذه القصيدة نثرا من إنشائه يخاطب به السلطان أبا سالم المذكور، و ذلك أنه ورد على لسان
الدين و هو بشالة سلا كتاب السلطان المذكور بفتح تلمسان، و كان وروده يوم الخميس سابع عشر شعبان عام واحد و ستين و
سبعمائه، و نصّ ما كتب به لسان الدين: «مولاي فتاح الأقطار و الأمصار، فائدة الأزمان و الأعصار، أثير هبات الله الآمنه من الاعتصار،
قدوة أولى الأيدي و الأبصار، ناصر الحقّ عند قعود الأنصار، مستصرخ الملك الغريب من وراء البحار، مصداق دعاء الأب المولى فى
الأصائل و الأسحار، أبقاكم الله سبحانه لا تقف إيالتكم عند حدّ، و لا تحصي فتوحات الله تعالى عليكم بعدّ، و لا تفيق أعداؤكم من
كدّ، ميسرا على مقامكم ما عسر على كل أب كريم و جدّ، عبدكم الذى خلص إبريز عبوديته لملك ملككم المنصور، المعترف
لأدنى رحمة من رحمتكم بالعجز عن شكرها و القصور، الداعى إلى الله سبحانه أن يقصر عليكم سعادة العصور، و يذلّ بعزّ طاعتكم
أنف الأسد الهصور، و يبقى الملك فى عقبكم و عقب عقبكم إلى يوم ينفخ فى الصور، فلان من الضريح المقدس بشالته، و هو الذى
تعدّدت على المسلمين حقوقه، و سطع نوره و تلالأ شروقه، و بلغ مجده السماء لما بسقت فروع و وشجت عروقه، و عظم بيوتكم
فخرا فما فوق البسيطة فخر يفوقه، حيث الجلال قد رست هضابه، و الملك قد كسيت بأستار الكعبة الشريفة قبايه، و البيت العتيق قد
ألحفت الملاحف الإمامية أثوابه، و القرآن العزيز ترتل أحزابه، و العمل الصالح يرتفع إلى الله ثوابه، و المستخبر يخفى بالهيبة سؤاله

فيجهر بنعرة العزّ جوابه، وقد تفتياً من أوراق الذكر الحكيم حديقه، و خميلة أنيقه، و حط بجودى الجود نفسا فى طوفان الضر غريقه، و التحف رفرق الهيئه التى لا تهتدى النفس فيها إلاّ بهدايه الله تعالى طريقه، و اعتزّ بعزّه الله و قد توسّط جيش الحرمة المرينيه حقيقه، إذ جعل المولى المقدّس المرحوم أبا الحسن مقدّمه و أباه و جدّه وثيقه، يرى بركم بهذا اللحد الكريم قد طنب عليه من الرضا فسطاطا، و أعلق به يد العناية المرينيه اهتماما و اغتباطا، و ضمن له حسن العقبى التزاما و اشتراطا، و قد عقد البصر بطريقه رحمتكم المنتظرة المرتقبه، و مدّ اليد إلى لطائف شفاعتكم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٢

التى تتكفل بعقّ المال كما تكفلت بعقّ الرقبه، و شرع فى المراح بميدان نعمتكم بعد اقتحام هذه العقبه، لما شنت الأذن البشرى التى لم يبق طائر إلاّ سجع بها و صدح، و لا شهاب دجنه إلاّ اقتبس من نورها و اقتدح، و لا صدر إلاّ انشرح، و لا غصن عطف إلاّ سرح، بشرى الفتح القريب، و خبر النصر الصحيح الحسن الغريب، فتح تلمسان الذى قلّد المنابر عقود الابتهاج، و وهب الإسلام منيحه النصر غتية عن الانتهاج، و ألحف الخلق ظلًا ممدودا، و فتح باب الحجّ و كان مسدودا، و أقرّ عيون أولياء الله الذين يذكرون الله قياما و قعودا، و أضرع بسيق الحقّ جباها أبيّه و خدودا، و ملككم حقّ أبيكم الذى أهان عليه الأموال، و خاض من دونه الأهوال، و أخلص فيه الضراعه و السؤال، من غير كدّ يغمز عطف المسرّه، و لا جهد يكدر صفو النعم الثره، و لا حصر ينفذ به المنجنيق ذؤابته، و يظهر بتكرار الركوع إنابته. فالحمد لله الذى أقال العثار، و نظم بدعوتكم الانتثار، و جعل ملككم يجدد الآثار، و يأخذ الثار، و العبد يهنئ مولاه، بما أنعم الله تعالى به عليه و أولاه، فإذا أجال العبيد قداح السرور فللعبد المعلىّ و الرقيب، و إذا استهّموا حظوظ الجدل فلى القسم الوافر و النصيب، و إذا اقتسموا فريضة شكر الله فلى الحظّ و التعصيب، لتضاعف أسباب العبوديه قبلى، و ترادف النعم التى عجز عنها قولى و عملى، و تقاصر فى ابتغاء مكافأتها و جدى و إن تطاول أملى، فمقامكم المقام الذى نفّس الكربه، و آنس الغربه، و رعى الوسيله و القربه، و أنعش الأرقام، و فكّ الوثاق، و أدرّ الأرزاق، و أخذ على الدهر بالاستقاله العهد و الميثاق. و إن لم يباشر العبد اليد العالیه بهذا الهناء، و يمثّل بين يدي الخلفه العظيمة السنا و السناء، و يمدّ بسبب اليد إلى تلك السماء، فقد باشر به اليد التى يحنّ مولاي لتذكر تقييلها، و يكمل فروض المجد بتوفيه حقوقها الأبويه و تكميلها، و وقفت بين يدي ملك الملوك الذى أجال عليها القداح، و وصل فى طلب وصالها بالمساء الصباح، و كان فتحه إياها أبا عذره الاقتتاح، و قلت: يهنيك يا مولاي ردّ ضالّتك المنشوده، و جبر لقطتك المعرفه المشهوده، ورد أمتك المودوده، فقد استحقّها وارثك الأرضى، و سيفك الأمضى، و قاضى دينك، و قرّه عينك، مستنقذ دارك من يد غاصبها، و رادّ ربتك إلى مناصبها، و عامر المثنوى الكريم، و ساتر الأهل و الحریم، مولاي، هذه تلمسان قد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٣

طاعت، و أخبار الفتح على ولدك الحبيب إليك قد شاعت، و الأمم إلى هنائه قد تداعت، و عدوك و عدوه قد شرّدتّه المخافه، و انضاف إلى عرب الصحراء فحفضته الإضافه، و عن قريب تتحكّم فيه يد احتكامه، و تسلّمه السلامة إلى حمامه، فلتطب يا مولاي نفسك، و ليستبشر رمسك، فقد نمت بركتك وزكا غرسك، نسأل الله أن يورد على ضريحك من أبناء نصره ما تفتح له أبواب السماء قبولا، و يترادف إليك مددا موصولا، و عددا آخرته خير لك من الأولى، و يعرفه بركه رضاك ظعنا و حلولا، و يضى عليك منه ستر مسدولا. و لم يقنع العبد بخدمه النثر، حتى أجهد القريحه التى ركضها الدهر فأنضاها، و استشفّها الحادث الجلل فتقضاها، فلفق من خدمه المنظوم ما يتغمد حلمكم تقصيره، و يكون إغضاؤكم إذا لقي معره العتب و لئيه و نصيره، و إحالة مولاي على الله فى نفسى جبرها، و وسيله عرفها مجده فما أنكرها، و حرمة بضريح مولاي والده شكرها، و يطلع العبد منه على كمال أمله، و نجح عمله، و تسويغ مقترحه و تميم جذله: [الطويل]

أطاع لسانى فى مديحك إحسانى

إلى آخر القصيدة التي تقدّمت.

[نونية الفقيه الزجال عمر التي سماها «تسريح النصال، إلى مقاتل الفصال»]

و حيث اقتضت المناسبة جلب هذه النونيات فلنصف إليها قصيدة أديب الأندلس الفقيه عمر صاحب الأرجال، إذ هو من فرسان هذا المجال، وقد وطأ لها بنثر، وجعل الجميع مقامه ساسانية، سماها «تسريح النصال، إلى مقاتل الفصال» و نصّها: يا عماد السالكين، و محطّ المستفيدين و المتبركين، و ثمال الضعفاء و المساكين المتروكين، في طريقك يتنافس المتنافس، و على أعطافك تزهى العباءات و تروق الدلائف، و بكتابتك تحيا جوامد الأفهام، و بمذبتك تشرد ذئاب الأوهام، و في زنبلك يدسّ التالد و الطارف، و بعضاك يهشّ على بدائع المعارف، الله الله في سالك، ضاقت عليه المسالك، و شاد، رمى بإبعاد، أدركته متاعب الحرفة، و أقيم من صف أهل الصفة، فلا يجد نشاطا، على ما يتعاطى، و لا يلقي اغتباطا، إن حلّ زاوية أو نزل رباطا، أقصى عن أهل القرب و التخصيص، و ابتلى بمثل حالة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٤

برصيص، فأحيل عليك، و توقفت إقالته على توبه بين يديك، فكاتبك استدعاء، و استوهب منك هداية و دعاء، ليسير على ما سويت، و يتحمّل عنك أشتات ما رويت، فيلقى الأكفاء الظرفاء عزيزا، و يباهى بك كلّ من خاطبك مستجيزا، فاصرف إلى محيا الرضا، وعد من إيناسك للعهد الذي مضى، و لا تلقني معرضا و لا معرضا، و أصخ لي سمعك كما قدر الله تعالى و قضى: [الطويل]

تعال نجددها طريقة ساسان نقض عليها ما توالى الجديدان
و نصرف إليها من مثار عزائم و نحلف عليها من مؤكّد أيّمان
و نعقد على حكم الوفاء هواءنا لنأمن من أقوال زور و بهتان
و نقسم على أن لا نصدق و اشيا يروح و يغدو بين إثم و عدوان
يطوف حوالينا ليفسد بيننا بمنطق إنسان و خدعه شيطان
على أننا من عالم كلّما بدا تعوذ منه عالم الإنس و الجان
و حاشاك أن تلفى عن الصلح معرضا إلى الصلح آلت حرب عيس و ذبيان
و إنى أهمتنى شؤون كثيرة و صلحك أولى ما أقدم من شانى
فأنت إمامى إن كلفت بمذهب و أنت دليلى إن صدعت ببرهان
سأرعاك فى أهل العباءات كلّما رأيتك فى أهل الطيالس ترعانى
و يا لابسى تلك العباءات إنها لباس إمام فى الطريقة دهقان
تفرقت الألوان منها إشارة بأنك تأتى من حلاك بألوان
و يا أبى الفصال شيخ طريقة خلوب لألباب لعب بأذهان
إذا جاء فى الثوب المحبّر خلته زنبيرة قد مدّ منها جناحان
فما تأمن الأبدان آفة لسعها و إن أقبلت فى سابغات و أبدان
سأدعوك فى حالات كيدى و كديتى بشيخى ساسان و عمى هامان
فإن كان فى الأنساب مئا تباين فما تنكر الآداب أنا نسيان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٥

الأفادع لى فى جنح ليلك دعوة لتنجح آمالى و يرجح ميزانى

لك الطائر الميمون في كل وجهه سرية إليها غير نكس ولا واني
فكم من فقير بائس قد عرفته فرقت عليه نعمة ذات أفنان
و كم من رفيع الجاه واليت أنسه فعاش قرير العين مرتفع الشان
فلو كنت للفتح بن خاقان صاحباً لما خانته المقذور في ليلة الخان
و لو كنت للصابي صديقاً ملاطفاً لما قبلت فيه مقالة بهتان
و لو كنت من عبد الحميد مقرّباً لما هزم السفاح أشياح مروان
و لو كنت قد أرسلتها دعوة على أنى مسلم ما حاز أرض خراسان
و لو كنت في يوم الغيظ مراسلاً لبسطام لم تهزم به آل شيبان
و لو كنت في حرب الأمين لطاهر لما هام في يوم اللقاء ابن ماهان
و لو كنت في مغزى أبى يوسف لما رماه بغدر عبده في تلمسان
و لو أن كسرى يزدرج عرفته لما لاح مقتولا على يد طحان
و لو أن لذريقاً وطئت بساطه لما أثرت فيه مكيدة إلبان
و فيما مضى في فاس أوضح شاهد غنى لدينا عن بيان و تبيان
و لما اعتنى منك السعيد بكاتب رأى ما ابتغى عن عز ملك و سلطان
فلا تنسنى من أهل ودك إنتى أخاف الليالى أن تطول فتنسانى
و لا خير إن تجعل كفاء قصيدتى كفاء ابن درّاج على مدح خيران
فجد بدنانير و لا تكن التى ألم بها الكندى في شعب بوان
فجودك فينا الغيث في رمل عالج و فضلك فينا الخبز في دار عثمان
و ما زلت من قبل السؤال مقابلاً مرادى يا حساب و قصدى يا حسان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٦
و لا تنس أياماً تقصت كريمة بزايه المحروق أو دار همدان
و تأليفنا فيها لقبض إتاوه و إغرام مسنون و قسمه حلوان
و قد جلس الطرقون بالبعد مطرقاً يقول نصيبى أو أبوح بكتمان
عريفى يلحانى إذا ما أتته و لم أنصرف عنكم بواجب ألحان
و قد جمعت تلك الطريقة عندنا أئمة حساب و أعلام كهان
إذا استنزوا الأرواح باسم تبادرت طوائف ميمون و أشياح برقان
و إن بخرؤا عند الحلول تأزجت مباخرهم عن زعفران و لوبان
و إن فتحوا الدارات فى ردّ أبى ثنت عزمه أو هام خوف و خذلان
فيحسب أن الأرض حيث ارتمت به ركائبه سرعان رجل و ركبان
و قد عاشرتنا أسره كيمويّه أقامت لدينا فى مكان و إمكان
فلله من أعيان قوم تألفوا على عقد سحر أو على قلب أعيان
و نحن على ما يغفر الله إنما نروح و نغدو من رباط إلى خان
مع الصبح نضيفها عباءة صفة و بالليل نلويها زنانير رهبان

أتذكر في سفح العقاب مبيتكم ثمانين شخصا من إناث و ذكران
لديكم من الألوان ما لم يجيء به ظهور ابن ذنون و لا عرس بوران
و كم شائق منكم إلى عقد تكّة و كم هائم فيكم على حلّ هميان
فأطفأت قنديل المكان تعمّدا و أوامت فانقصّوا كأمثال عقبان
و ناديت في القوم الركوب فأسرعوا فريق لنسوان، و قوم لذكران
فأقسم بالأيمان لو لا تعفّفى عن السوء لا نحلّت عقيدة إيماني
فعد للذي كنّا عليه فإنّ لى على الغير إن صاحبتة حقد غيران
فمن يوم إذ صيرت ودى جانبا و أعرضت عنى ما تناطح عتران
و لا روت الكتاب بعد نفارنا محاوره من ثعلبان لسرحان
و ما هو قصدى منك إلّا إجازة تخولنى التفضيل ما بين خلّانى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٧
و إنك إن سخرت لى و أجزتنى لنعم و لى صان ودى و جازانى
و لم لا تروينى و أنت أجلّ من سقانى من قبل الرحيق فروانى
ألا فأجزنى يا إمام بكلّ ما رويت لمدغليس أو لابن قرمان
و لا تنس للذبّاع نظما عرفته فإنكما فى ذلك النظم سيان
و مزدوجات ينسبون نظامها إلى ابن شجاع فى مديح ابن بطّان
و ألمم بشيء من خرافات عنتر و ألمع ببعض من حكايات سوسان
و إن كنت طالعت اليتيمه واسنى بلائيه فى الفحش من نظم واسانى
أجزنى بكشف الدك أرضى وسيله و خير جليس فى بساط و دكان
و ناولنى المصباح فهو لغربتى ميسر أغراضى و رائد سلوانى
و ألحق به شمس المعارف إننى أسائل عن إسناده كلّ إنسان
و قد كنت قبل اليوم عزّفتنى به و لكننى أنسيته بعد عرفان
و لا بدّ يا أستاذ من أن تجيزنى ببدء ابن سبعين و فصل ابن رضوان
و كتب ابن أحلى كيف كانت فإنها لوزن رقيق القول أكرم ميزان
و لا تنس ديوان الصبايه و الصفا لإخوان صدق فى الصبا خير إخوان
و زهر رياض فى صنوف أضاحك و جبد كساء فى مكاييد نسوان
كذاك فناولنى كتاب حبايب وزدنى تعريفا بها و ببرجان
ولى أمل فى أن أروى رساله مضمّنه أخبار حتى بن يقظان
و حبس على الكوز و الكاس و العصا فإنك مثر من عصي و كيزان
و صير لى الدلفاس أرفع لبسه فقد جلّ قدرى عن حرير و كتّان
و قد رقّ طبعى و اعترتنى خشيه تكاد بها روحى تفارق جثمانى
و خلّ مفاتيح الطريقه فى يدي و سوغ لهم حكى مزيدى و نقصانى
فإنى لم أخدمك إلّا بئيه و إنى لم أتبعك إلّا بإحسان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٨

فكن لي بالأسرار أفصح معلى فإنى قد أخلصت سرى و إعلانى

و ليس قصدى - علم الله - بجلب هذه القصيدة ما فيها من المجون، بل ما فيها من التلميحات التى يرغب فى مثلها أهل الأدب و الحديث شجون، على أن أمثال هؤلاء الأعلام، لا يقصدون بمثل هذا الكلام، إلا مجرد الإحماض، فىنبغى أن ينظر كلامهم الواقف عليه بعين الإغضاء عن النقد و الإغماض، و لا- يبادر بالاعتراض، من لم يعلم فى الأصول برهان القطع و الافتراض، و الله سبحانه المسئول فى التجاوز عن الزلمات، و النجاء من الأمور المضللات، فغفوه سبحانه وراء جميع ذلك، و الله تعالى المطلع على أسرار الضمائر، و الخير بما هنالك، لا رب غيره، و لا خير إلا خيره.

[نونية للوزير أبى عبد الله بن زمر ك أنشدها سلطان الأندلس يوم عيد]

و حيث ذكرنا هذه القصائد النونية التى اتفق فيها البحر و الروى، و جرت من البلاغة على النهج الشوى، فلا بأس أن نعزها بقصيدة الرئيس الوزير أبى عبد الله بن زمر ك - سامحه الله تعالى! - و هى قصيدة ميلادية أنشدها سلطان الأندلس عام خمسة و ستين و سبعمائة، و نجعلها مكفرة لما مر فى قصيدة الفقيه عمر من المجون، و مبلغه للناظرين فى هذا التأليف ما يرجون، و الحديث شجون، و هى قوله: [الطويل]

لعل الصبا إن صافت روض نعمان تؤدى أمان القلب عن ظيئه البان
و ما ذا على الأرواح و هى طليقة لو احتملت أنفاسها حاجة العانى
و ما حال من يستودع الريح سره و يطلبها، و هى التوم، بكتمان
و كالطيف أستقره فى سنه الكرى و هل تنقع الأحلام غله ظمان
أسائل عن نجد و مرمى صابتي ملاعب غزلان الصريم بنعمان
و أبدى إذا ربح الشمال تنفست شمائل مراتح المعاطف نشوان
عرفت بهذا الحب لم أدر سلوة و إنى لمسلوب الفؤاد بسلوان
فيا صاحبي نجواى و الحب غاية فمن سابق جلّى مداه و من و انى
وراء كما ما اللوم يشنى مقادتي فإنى عن شأن الملامه فى شان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٩

و إنى و إن كنت الأبى قياده ليأمرنى حب الحسان و ينهانى
و ما زلت أرى العهد فىمن يضيعة و أذكر إلفى ما حيت و ينسانى
فلا تنكرا ما سامنى مضض الهوى فمن قبل ما أودى بقیس و غيلان
لى الله إما أومض البرق فى الدجى أقلب تحت الليل أجفان و سنان
و إن سل من غمد الغمام حسامه برى كبدى الشوق الملم و أضنانى
ترأى بأعلام الثبئة باسماء فأذكرنى العهد القديم و أبكانى
أسامر نجم الأفق حتى كأننا و قد سدل الليل الرواق حليفان
و ممّا أناجى الأفق أعديه بالجوى فأرى له سرح النجوم و يرعانى
و يرسل صوب القطر من فيض أدمعى و يقدر زند البرق من نار أشجانى
و ضاعف و جدى رسم دار عهدتها مطالع شهب أو مراتع غزلان

على حين شرب الوصل غير مصرّد وصفوا الليالي لم يكدر بهجران
لئن أنكرت عيني الطلول فإنها تمتّ إلى قلبي بذكر و عرفان
و لم أر مثل الدمع في عرصاتها سقى تربها حين استهلّ و أظمانى
و ممّا شجاني أن سرى الركب موهنا تقاد به هوج الرياح بأرسان
غوارب في بحر السراب تخالها و قد سبحت فيه مواخر غربان
على كلّ نضو مثله فكأنما رمى منهما صدر المفازة سهمان
و من زاجر كوماء مخطفة الحشا توسّد منها فوق عوجاء مرنان
نشاوى غرام يستميل رؤوسهم من النوم و الشوق المبرح سكران
أجابوا نداء البين طوع غرامهم و قد تبلغ الأوطار فرقه أوطان
يؤمّون من قبر الشفيح مثابه تطلع منها جنّه ذات أفنان
إذا نزلوا من طيبة بجواره فأكرم مولى ضمّ أكرم ضيفان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٤٠
بحيث علا الإيمان و امتدّ ظلّه و زان حلى التوحيد تعطيل أوثان
مطالع آيات، مثابه رحمة معاهد أملاك، مظاهر إيمان
هنالك تصفو للقبول موارد يسقون منها فضل عفو و غفران
هناك تؤدّى للسلام أمانة يحييهم عنا بروح و ريحان
يناجون عن قرب شفيعهم الذى يؤمله القاصى من الخلق و الدانى
لئن بلغوا دونى و خلّفت إنه قضاء جرى من مالك الأرض ديان
و كم عزمه ملّيت نفسى صدقها و قد عرفت منى مواعد لئان
إلى الله نشكوها نفوسا أئبىة تحيد عن الباقي و تغتّر بالفانى
ألا ليت شعرى هل تساعدنى المنى فأترك أهلى فى رضاه و جيرانى
و أفضى لبانات الفؤاد بأن أرى أعفر خدى فى ثراه و أجفانى
إليك رسول الله دعوة نازح خفوق الحشا رهن المطامع هيمان
غريب بأقصى الغرب قيّد خطوه شباب تقضى فى مراح و خسران
يجدّ اشتياقا للعقيق و بانه و يصبو إليها ما استجدّ الجديدان
و إن أومض البرق الحجازى موهنا يردّد فى الظلماء أنه لهفان
فيا مولى الرحمى، و يا مذهب العمى و يا منجى الغرقى، و يا منقذ العانى
بسطة يد المحتاج يا خير راحم و ذنبى ألاجانى إلى موقف الجانى
وسيلتى العظمى شفاعتك التى يلوذ بها عيسى و موسى بن عمران
فأنت حبيب الله خاتم رسله و أكرم مخصوص بزلفى و رضوان
و حسبك أن سمّاك أسماءه العلا و ذاك كمال لا يشاب بنقصان
و أنت لهذا الكون علّة كونه و لو لآك ما امتاز الوجود بأكوان
و لو لآك للأفلاك لم تجل نيرا و لاقلدت لبانهنّ بشهبان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٤١
 خلاصة صفو المجد من آل هاشم و نكتة سرّ الفخر من آل عدنان
 و سيد هذا الخلق من نسل آدم و أكرم مبعوث إلى الإنس و الجان
 و كم آية أطلعت في أفق الهدى يبين صباح الرشد منها ليقظان
 و ما الشمس يجلوها النهار لمبصر بأجلى ظهور أو بأوضح برهان
 و أكرم آيات تحدّيتنا بها و لا مثل آيات لمحكم فرقان
 و ما ذا عسى يثنى البليغ و قد أتى ثناؤك في وحي كريم و قرآن
 فصلّى عليك الله ما انسكب الحيا و ما سجعت ورقاء في غصن البان
 و أيد مولانا ابن نصر فإنه لأشرف من ينمى لملك و سلطان
 أقام كما يرضيك مولدك الذي به سفر الإسلام عن وجه جدلان
 سمى رسول الله ناصر دينه معظّمه في حال سرّ و إعلان
 و وارث سرّ المجد من آل خزرج و أكرم من تنمى قبائل قحطان
 و مرسلها ملء الفضاء كتابا تدين لها غلب الملوك بإذعان
 حدائق خضر و الدروع غدائر و ما أنبتت إلّا ذوابل مرّان
 تجاوب فيها الصاهلات و ترتضى جوانبها بالأسد من فوق عقبان
 فمن كلّ خوار العنان قد ارتمى به كلّ مطعام العشيّات مطعان
 و موردها ظمأى الكعوب ذوابلا و مصدرها من كلّ أملد ريان
 و لله منها و الربوع مواحل غمام ندى كفت المحل كفّان
 إذا أخلف الناس الغمام و أمحلوا فإنّ نداءه و الغمام لسيان
 إمام أعاد الملك بعد ذهابه إعادة لا نأبى الحسام و لا وانى
 فغادر أطلال الضلال دوارسا و جدّد للإسلام أرفع بنيان
 و شيدها، و المجد يشهد، دوله محافلها ترهى بيمن و إيمان
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٤٢
 و راق من الثغر الغريب ابتسامه و هزله الإسلام أعطاف مردان
 لك الخير ما أسنى شمائلك التى يقصّر عن إدراكها كلّ إنسان
 ذكاء إياس فى سماحة حاتم و إقدام عمرو فى بلاغة سحبان
 أمولاي، ما أسنى مناقبك التى هى الشّهب لا تحصى بعدّ و حسابان
 فلا زلت يا غوث البلاد و أهلها مبلغ أوطار ممهد أوطان

[كلمة عن ابن زمرک الوزير]

و لابن زمرک المذكور ترجمة نأتى بها فى هذا التأليف، إن شاء الله تعالى، فى محلّها، و هو من تلامذة لسان الدين، و من عداد
 خدامه، فحين نبا به الزمان، و تعوّض الخوف بعد الأمان، كان أحد الساعين فى قتله كما سنذكره، و صرح بذمه و هجوه بعد أن كان
 ممّن يشكره، و هكذا عادة بنى الدنيا يدورون معها حيث دارت، و يسيرون حيث سارت، و يشربون من الكأس التى أدارت، و قد

تولّى المذكور الوزارة عوضاً عن ابن الخطيب، و صدح طير عزّه بعده على فنن من الإقبال رطيب، ثم آل الأمر به إلى القتل، كما سعى فى قتل لسان الدين، و كان الجزء له من جنس عمله، و المرء يدان بما كان به يدين، و عفو الله سبحانه مرجوّ للجميع فى الآخرة، و هو سبحانه و تعالى المسؤول أن ينيلنا و إياهم المراتب الفاخرة، فإنه لا يتعاضمه ذنب، و ليس للكُلّ غيره من ربّ.

[لوشة] التى ينسب إليها لسان الدين بن الخطيب

رجع إلى ما كنا بسبيله- و أما لوشة التى ينسب إليها لسان الدين فقد تقدّم من كلام ابن خلدون أنها على مرحلة من حضرة غرناطة فى الشمال من البسيط الذى فى ساحتها المسمّى بالمرج، و قد أجرى ذكرها لسان الدين فى الإحاطة و قال: إنها بنت الحضرة، يعنى غرناطة،

[ترجمة أبى عبد الله محمد بن إدريس المعروف بابن مرج الكحل]

و قال ذلك فى ترجمة ابن مرج الكحل، و لنذكر الترجمة بكمالها تميماً للغرض فنقول:
قال رحمه الله ما نصّه: محمد بن إدريس بن على بن إبراهيم بن القاسم، من أهل جزيرة شقر، يكنى أباً عبد الله، و يعرف بابن مرج الكحل. كان شاعراً مفلحاً غزلاً بارع التوليد، رقيق الغزل. و قال الأستاذ أبو جعفر: شاعر مطبوع حسن الكتابة ذاكر للأدب متصرف فيه. قال ابن عبد الملك: و كانت بينه و بين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها إجادته، و كان مبتذل اللباس، على هيئة أهل البادية، و يقال: إنه كان أمياً.

من أخذ عنه- روى عنه أبو جعفر بن عثمان الوزاد، و أبو الربيع بن سالم، و أبو

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٤٣

عبد الله بن الأبار، و ابن عسكر، و ابن أبى البقاء، و أبو محمد بن عبد الرحمن بن برطله، و أبو الحسن الرعيني.

[نماذج من شعر ابن مرج الكحل]

شعره و دخوله غرناطة- قال فى عشية نهر الغنداق من خارج بلدنا لوشة بنت الحضرة، و المحسوب من دخلها أنه دخل إلبيرة، و قد

قيل: إن نهر الغنداق من أحواز برجه، و هذا الخلاف داع لذكره: [الكامل]

عرج بمنعرج الكثيب الأعفر بين الفرات و بين شط الكوثر

و لتغبتها قهوة ذهبية من راحتى أحوى المرافش أحور

و عشية كم كنت أرقب وقتها سمحت بها الأيام بعد تعذر

فلنا بهذا ما لنا فى روضة تهدي لناشقتها شميم العنبر

و الدهر من ندم يسفه رأيه فيما مضى فيه بغير تكدر

و الورق تشدو و الأراكة تنثنى و الشمس ترفل فى قميص أصفر

و الروض بين مفضض و مذهب و الزهر بين مدرهم و مدتر

و النهر مرقوم الأباطح و الرّبا بمصنديل من زهره و معصفر

و كأنه و كأنّ خضرة شطه سيف يسلّ على بساط أخضر

و كأنما ذاك الحجاب فرنده مهما طفا فى صفحة كالجوهر

و كأنه، وجهاته محفوفة بالأس و النعمان، خدّ معدّر
نهر يهيم بحسنه من لم يهم و يجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفرّ وجه الشمس عند غروبها إلّا لفرقة حسن ذاك المنظر
و لا خفاء ببراعة هذا الشعر. و قال منها:

أرأت جفونك مثله من منظر ظلّ و شمس مثل خدّ معدّر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٤٤
و جداول كأرقام حصابؤها كبطونها و حبابها كالأظهر
و هذا تتميم عجيب لم يسبق إليه. ثم قال منها:

و قرارة كالعشر بين خميلة سالت مذانها بها كالأسطر
فكأنها مشكولة بمصنديل من يانع الأزهار أو بمعصفر
أمل بلغناه بهضب حديقه قد طرّزته يد الغمام الممطر
فكأنه و الزهر تاج فوقه ملك تجلّى في بساط أخضر
راق النواظر منه رائق منظر يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد خاطر خاطر مستوفر و كم استفرّ جماله من مبصر
لو لاح لى فيما تقادم لم أقل (عرج بمنعرج الكئيب الأعفر)
قال أبو الحسن الرعيني: و أنشدني لنفسه: [الكامل]

و عشية كانت قنيسة فتية ألفوا من الأدب الصريح شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لها من الانحناء إلى الوقوع فوخا
شملتهم آدابهم فتجاذبوا سرّ السرور محدثا و مصيخا
و الورق تقرأ سورة الطرب التي ينسيك منها ناسخ منسوخا
و النهر قد صفحت به نارنجة فتيّمت من كان فيه منيخا
فتخالهم خلل السماء كواكبا قد قارنت بسعودها المرّيخا
خرق العوائد في السرور نهارهم فجعلت أبياتي له تاريخا
و من أبياته في البديهة قوله: [الوافر]

و عندي من مراشفها حديث يخبر أنّ ريقتها مدام
و في أجفانها السكرى دليل و ما ذقنا و لا زعم الهمام
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٤٥
تعالى الله ما أجرى دموعي إذا عنّت لمقلتي الخيام
و أشجاني إذا لاحت بروق و أطربني إذا عنّت حمام
و من قصيدة: [الطويل]

عذيري من الآمال خابت قصودها و نالت جزيل الحظّ منها الأخابث
و قالوا: ذكرنا بالغنى، فأجبتهم خمولا و ما ذكر مع البخل ما كثر
يهون علينا أن يبيد أثاثنا و تبقى علينا المكرمات الأثاث

و ما ضرّ أصلاً طيباً عدم الغنى إذا لم يغيّره من الدهر حادث

و له يتشوّق إلى عمرو بن أبي غياث: [الوافر]

أيا عمرو، متى تقضى الليالي بلقىاكم و هنّ قصصن ريشى

أبت نفسى هوى إلّا شريشا و يا بعد الجزيرة من شريش

و له من قصيدة: [الكامل]

طفل المساء و للنسيم تضحّو و الأنس يجمع شملنا و يجمع

و الزهر يضحك من بكاء غمامة ريعت لشمس سيف برق تلمع

و النهر من طرب يصفّق موجه و الغصن يرقص و الحمامة تسجع

فانعم أبا عمران و اله بروضة حسن المصيف بها و طاب المربع

يا شادن البان الذى دون النقا حيث التقى وادى الحمى و الأجرع

الشمس يغرب نورها و لربما كسفت و نورك كلّ حين يسطع

إن غاب نور الشمس لسنا نتقى بسناك ليل تفرّق يتطلع

أقلت فتاب سناك عن إشراقها و جلا من الظلماء ما يتوقّع

فأمنت يا موسى الغروب و لم أقل «فوددت يا موسى لو أنك يوشع»

و قال: [الطويل]

ألا بشّروا بالصبح من كان باكيا أضرب به الليل الطويل مع البكا

ففى الصبح للصبّ المتيمّ راحة إذا الليل أجرى دمعته و إذا شكا

و لا عجب أن يمسك الصبح عبرتى فلم يزل الكافور للدم ممسكا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٤٦

و من بديع مقطوعاته قوله: [الرملى]

مثل الرزق الذى تطلبه مثل الظلّ الذى يمشى معك

أنت لا تدركه متّبعا و إذا وليت عنه تبعك

و قال: [الطويل]

دخلتم فأفسدتم قلوبا بملكها فأنتم على ما جاء فى سورة النمل

و بالجوّد و الإحسان لم تتخلّقوا فأنتم على ما جاء فى سورة النحل

و قال أبو بكر محمد بن محمد بن جمهور: رأيت لا بن مرج الكحل مرجا أحمر قد أجهد نفسه فى خدمته، فلم ينبج، فقلت: [البسيط]

يا مرج كحل و من هذى المروج له ما كان أحوج هذا المرج للكحل

ما حمرة الأرض من طيب و من كرم فلا تكن طمعا فى رزقها العجل

فإنّ من شأنها إخلاف آملها فما تفارقها كيفيّة الخجل

فقال مجيبا: [البسيط]

يا قائلًا إذ رأى مرجى و حمرة ما كان أحوج هذا المرج للكحل

هو احمرار دماء الروم سيّلتها بالبيض من مرّ من آبائى الأول

أحبته أن حكى من قد فتنت به فى حمرة الخدّ أو إخلافه أملى

[وفاة ابن مرج الكحل]

و فاته- توفي ببلده يوم الاثنين ليلتين خلتا من شهر ربيع الأول عام أربعة و ثلاثين و ستمائة، و دفن في اليوم بعده. انتهى ما في الإحاطة في شأن ابن مرج الكحل.
 و كتب أبو الحسن علي بن لسان الدين علي أول ترجمته ما نصه: شاعر جليل القدر، من مشايخ شعراء الأندلس، من أهل بلنسية، و سكن جزيرة شقر.
 و كتب علي قوله «و النهر مرقوم الأباطح» ما صورته: لم يصف أحد النهر بأرق ديباجة و لا أظرف من هذا الإمام، رحمة الله عليه؛ انتهى كلام ابن لسان الدين.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٤٧

[رأية لشمس الدين الكوفي الواعظ]

قلت: و ما رأيت رأية تقرب من التي لابن مرج الكحل السابقة التي أولها «عرج بمنعرج الكتيب الأعر» إلّا رأية شمس الدين بن الكوفي الواعظ، و هي قوله: [الكامل]
 روح الزمان هو الربيع فبكر و انهض إلى اللذات غير منكر
 هذا الربيع يبيع من لذاته أصناف ما تهوى، فأين المشتري
 فافرح به فلفرحه بقدمه رفل الشقائق في القباء الأحمر
 و الكون مبتهج و خفاق الصبا يحيى القلوب بنشره المتعطر
 و الغيم يبكي، و الأفاحي باسم لبكائه كتبسم المستبشر
 و السرو إن عبث النسيم فهزّ أع طاف الغصون يميمس ميس موقر
 و كأنما القداح فستق فضة يهدى إليك أريج مسك أذفر
 و كأنما المنثور في أثوابه ألوان ياقوت أنيق المنظر
 و ترى البهار كعاشق متخوف متشوق باد بوجه أصفر
 و كأنما النارج في أوراقه ال قنديل، و الأوراق شبه مسخر
 و كأنما الخشخاش قوم جاءهم خبر يسرهم بطيب المخبر
 فنوا ملابسهم لفرط سرورهم كي يخلعوا فرحا بقول المخبر
 فتعلقت أذيالها بأكفهم و تعلقت أزياقها بالمنحر
 و الطل من فوق الرياض كأنه درر نثرن على بساط أخضر
 و ترى الرّبي بالنور بين متوج و مدملج و مخلخل و مسور
 و رياضها بالزهر بين مقرط و مطوق و ممنطق و مزتر
 و الورد بين مضغف و مشنف و مكتف و ملطف لم يهصر
 و الزهر بين مفضض و مذهب و مرصع و مدرهم و مدرّ
 و النثر بين مطيب و ممسك و معطر و مصنل و معنبر
 و الورق بين مرجع و موجع و مفعج و مسجع في منبر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٤٨

و مغزّد و مردّد و معدّد و مبدّد في الخدّ ماء المحجر

و لكن قصيدة ابن مرج الكحل أعذب مذاقا، و كلّ منهما لم يقصّر، رحمهما الله تعالى! فلقد أجادا فيما قالاه إلى الغاية، و ليس الخبر كالعيان.

[من نظم ابن مرج الكحل]

و من نظم ابن مرج الكحل قوله: [الكامل]

الشمس يغرب نورها، و لربما كسفت و نورك كلّ حين يسطع

أفلت فتاب سناك عن إشراقها و جلا من الظلماء ما يتوقّع

فأمنت يا موسى الغروب و لم أقل «فوددت يا موسى لو أنك يوشع»

و لمّح بهذه الأبيات إلى قول الرصافي الأندلسي البلنسي يخاطب من اسمه موسى بقصيدة أولها: [الكامل]

ما مثل موضعك ابن رزق موضع زهر يرفّ و جدول يتدفع

و منها:

و عشية لبست ثياب شحوبها و الجوّ بالغيم الرقيق مقنّع

بلغت بنا أمد السرور تألّفا و الليل نحو فراقنا يتطلّع

فابلل بها ريق الغبوق فقد أتى من دون قرص الشمس ما يتوقّع

سقطت و لم يملك نديمك ردها فوددت يا موسى لو أنك يوشع

[بين ابن مرج الكحل و الأديب أبي بحر صفوان بن إدريس]

قلت: و من نثر ابن مرج الكحل المذكور ما كتبه إلى أديب الأندلس أبي بحر صفوان بن إدريس مراجعا له بعد نظم، و نصّ الجميع:

[البيسط]

يا من تبوأ في العلياء منزله جدّاه قد أسساها أيّ تأسيس

لم يتركا في العلا حظا لملمتمس سيان هذا و هذاك ابن إدريس

وافي كتابكم فارتدّ لي جذلي و اعتضت من فرط أشواقى بتأسيس

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٤٩

و للنوى لوعه تطفو فيطفئها مسك المداد و كافور القراطيس

حرس الله سناءك و سناك! و أظفر يميناك بمناك! ودى الأسلم كما تعلم، و عهدى الأقدم، لم تزلّ له قدم، و أنا دام عزّكم إن أتفق

معكم انتسابا فلم أتفق في شأ و الأدب باعا، و لا-قاربتكم طباعا و انطباعا، بل بذلك الاتفاق تشرفت، و سموت إلى ذروة العلا و

استشرفت، و أقررت بذلك الفضل و اعترفت، و كرعت في مناهله و اغترفت، و لقد وافى كتابكم فقلت و قد نثر الدرّ فيه من فيه، و

بلغ نفسى ممّا كانت تنويه من التنويه: [الطويل]

حديث لو أنّ الميت نودى ببعضه لأصبح حيا بعد ما ضمّه القبر

و لو لا- ما طالعتني وجه من رضاكم و سيم، و سقاني مزن اهتبالكم ما أروى به و أسيم، و حيانى منكم روض و نسيم، لما ساعدنى

الفكر بقسيم، لا زلتم في ظلّ من العيش وارف، مرتدين رداء المعارف، و السلام؛ انتهى.

و كانت مخاطبة صفوان له التي أجاب عنها بما نصّه: [البسيط]

يا قاطع البيد يطويها و ينشرها إلى الجزيرة ينضى بدن العيس

الشم بها عن أخي حبّ و ذى كلف يد العلا و القوافي و ابن إدريس

و أبلغها إليه تحية كالمسك صدرا و وردا، و كالماء الزلال عذوبة و بردا، يسرى بها إلى دار ابن نسيم، و يسفر منها بجزيرة شقر وجه

وسيم، و هي و إن كانت تذيب المسك خجلا، و تستفز بصوتها وجلا، فما هي إلّا خائفة تترقب، و سافرة تكاد تنتقب، تمشى على

استحياء، و تعثر من التقصير في ذيل إعياء، هذا لأنها جلبت إلى هجر تمرا، و إلى شبام و بيت رأس خمرا، و لكن على المجد أن يبدى

في قبول عذرها و يعيد، لعلمه أنه يتيم من لم يجد إلّا الصعيد، فله الفضل أن لا يلفحها بنار النقد، و لا يعرضها على ما هنالك من

الحلّ و العقد، و الله يبقى ذكره في مقلّة الأدب حورا، و في قلب الحسود حورا، و بديمه و القوافي طوع قريحته، و الأغراض الجميلة

ملء تعريضته و تصريحته، و زهر البيان تطلع في سماء جناه، و زهر التبيان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٥٠

يونغ في أنداء جناه، و عذرا إليه فإني كتبت و الحامل يمسك زمامه، و يلتفت في البيداء أمامه؛ و السلام.

[خطبة نكاح من إنشاء أبي بحر صفوان بن إدريس]

و من إنشاء صفوان خطبة نكاح نصّها: الحمد لله الذي تطول بالإحسان من غير جزاء و لا ثواب، و ألبس المخلوقات من فواضله سوايح

المطارف و كواسي الأثواب، و جاؤوا على أقدام الرجاء إلى محالّ نوافله فوجدوها مفتحة لهم الأبواب، و سألوه كفاية المؤنة فكان

الفاعل بدل القول و الإسعاف بدل الجواب، خلق البرية من غير افتقار و لا اضطرار، و نقلهم من الطفولية إلى غيرها نقل البدر من التمام

إلى السرار، و شرف هذه الطبقة الإنسانية، فرزقها الإدراكات العقلية، و الإبانات اللسانية، فضرب سرادق اعتنائه عليها، و أنشأها من

نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن إليها، و مع صنعه الرفيق بهم اللطيف، و تويبه الحاف بأرجائهم المطيف، رزقهم أحسن

الصور الحيوانية و أجملها، و أتاح لهم أتم أقسام الاعتناء و أكملها، و بعث إليهم الرسل صلوات الله عليهم صنعا منه جميلا، و ربّا

للصنعة لديهم و تكميلا، فبشروا و أنذروا، و آمنوا و حذروا، و بينوا بين الحرام و الحلال، مباينة إدراك البصير بين الكدر و الزلال، و

دلوا على السمات الأهدى، و نصبوا أعلام التوفيق و الهدى، و لم يدعوا شيئا سدى، بل توازنت بهم مقادير الأقوال و الأعمال، و كانت

إشاراتهم ثمال الهداية و أيّ ثمال، فأب كلّ متسحب إلى الارتباط، و شدّ كل موفّق على الاعتلاق بحالهم يد الاغتباط، فصلوات الله

الزاكية عليهم، و نوافح رحمته النامية تغدو و تروح إليهم، و أتم الصلاة و السلام، على علم أولئك الأعلام، الداعي على بصيرة إلى

دار السلام، السراج المنير، البشير النذير، محمد، صلّى الله عليه و على آله و صحبه صلاة تؤول بهم إلى فسيح رضوانه و رحبه، بعثه

الله رحمة للعالمين عامه، و أرسله نعمة للناس موفورة تامه، فأخذ بحجز مصدقيه عن التهافت في مداحض الأقدام، و التتابع في مزلات

الجرأة على العصيان و الإقدام، فأقام الحجّة، و أوضح المحجّة، و دلّ على المقامات التي تمحض الأولياء، و أفصح عن الكرامات التي

تنفذ الأتقياء، و قال و أهلا به من قائل: «تناكحوا فإني مكاثر بكم الأنبياء»، حرصا منه صلوات الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٥١

عليه على الزيادة في أهل الإسلام و التّماء، و دفعا في صدر الباطل بواضح الحقّ الصادع غيب الظلماء، و حصّ على ذات الدين

الحصان، و أغرى بالاعتصام و الإحصان، و نصب أعلام النكاح مشيدة المباني، و جاء بها سنّة عذبة المجاني، و قال: «من تزوّج فقد

كمل نصف دينه فليتيق الله في النصف الثاني»، و أمر بالنكاح الذي توافقت فيه الطبيعة و الشريعة، و لبته النفوس و هي سريعه، و

أخصبت به ربوة التناسل فهي مروضة مريعه، و سدّت به عن أتباع الهوى و ارتكاب المحارم الذريعه، و حفظت به الأنسال و الأنساب،

و فاض به نهر الالتتام السلسال المنساب، إذ لا سبيل لأن يستغنى بذاته، من كان أسير هواه و مأمور لذاته، و إنما الانفراد و الاستغناء، لمن له الكمال و الغنى، و لا- يجوز أن يتعاقب عليه الإني، لا- إله إلا- هو له السناء و السنا. و إن فلانا لما ارتقت همته إلى أتباع الصالحات و سمت، و سمتة النجابة من أعلامها اللاتحة بما و سمت، رأى أن الاعتصام بالنكاح أولى ما حمى به دينه و وقاه، و أهم ما رفع إليه اعتناؤه و رقاؤه، فخطب إلى فلان ابنته فلانة خطبة تظافر فيها اليمن و القبول، و نفتح بها شمال من الجد المصمم و قبول، و ارتقى بها إلى اللوح المحفوظ و الديوان المكنون عمل مقبول، فتلقى فلان خطبته بالإجابة، لما توسم فيه من مخايل النجابة، حرصا منه على المساعدة و العون، و اغتباطا بمباشرة أهل الرشد و الصون، و انعقد النكاح بينهما على بركة الله التي يتضاعف بها العدد القليل و يتزيد، و يمنه الذي ينتهض به من اعتمده و يتأيد، و حسن توفيقه الذي يرتبط به من أخلص ضميره و يتقيد، على أن أصدقها كذا، تزوجها بكلمة الله التي علت الكلمات و بهرتها، و على سنة نبيه التي أحييت الحنيفية و أظهرتها، و أنقت الملهة من أرجاس الجاهلية و طهرتها، و هداية مهديه التي غلبت الأباطيل و قهرتها، و لتكون عنده بأمانة الله التي هي جنه و اعتصام، و عهدته للزوجات على أزواجهن التي ليس لعروتها انفصام، و على إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، و تسلسل في ميدان التناصف و أرسان، و له عليها من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٦؛ ص ٥١

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٥٢

حسن العشرة التي هي بحقيق الاتفاق عائدة، مثل ذلك و درجة زائدة، و الله تعالى يمهد لهما مهاده نعمته الوثير، و يخلف منهما الطيب الكثير، و يرزقهما التوفيق الباعث لطول المرافقة المثير، بمنه و نعمته.

[رسالة عتاب من إنشاء صفوان بن إدريس]

و له رحمه الله من رسالة عتاب: أدام الله سبحانه مدة الأخ الذي استديم إخاءه، و إن واجهتنى زعازعه أرتقب رخاءه، و تجاوزت عن يومه لأمسه، و أغضيت عن ظلامه لشمسه، إنى واعتنا، و إنذارا، و إعدارا، و رحم الله من اعتمد على الأفهام، و عصى أوامر الأوام، و رأى الخليفة فى المعقول، لا- فى المختلف المنقول. و بعد فإنه وصل كلامك بل ملامك، و كتابك بل عتابك، و رسالتك بل بسالتك، سمتنى بألفاظك العذاب، سوء العذاب، و أريتنى لمعان الحسام، من فركك الوسام.

[ترجمة صفوان بن إدريس عن «الإحاطة» لسان الدين بن الخطيب]

و قال صفوان رحمه الله: اجتمعت مع ابن مرج الكحل يوما، فاشتكى إلى ما يجد لفراقى، و أطال عتب الزمان فى إشامه و إعرافى، فقلت: إذا تفرقتنا و النفوس مجتمعة، فما يضرب أن الجسم للرحيل مزمنة؟ ثم قلت له: [مخلع البسيط] أنت مع العين و الفؤاد دنوت أو كنت ذا بعاد فقال و هو من بارع الإجازة: [مخلع البسيط] و أنت فى القلب فى السويدا و أنت فى العين فى السواد و إذ جرى ذكر صفوان فلا حرج أن ترجمه، فنقول:

قال فى «الإحاطة» ما ملخصه: صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس، التجيبى، المرسى، أبو بحر، كان أديبا حسيبا، ممتعا من الظرف، ريان من الأدب، حافظا سريع البديهة، ترف النشأة، على تصاون و عفاف، جميلا، سريًا، ممن تساوى حظّه فى النظم و النثر، على تباين الناس فى ذلك. روى عن أبيه و خاله ابن عم أبيه القاضى أبى القاسم بن إدريس، و أبى بكر بن

مغاور، و أبي رجال بن غلبون، و أبي العباس بن مضاً،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٥٣

سمع عليه صحيح مسلم، و أبي القاسم بن حبيش، و ابن حوط الله، و أبي الوليد بن رشد، و أجاز له ابن بشكوال. و روى عنه أبو إسحاق بن اليابرى، و أبو الربيع بن سالم، و ابن عيشون، و له تواليف أدبية، منها «زاد المسافر»، و كتاب «الرحلة»، و كتاب «العجالة»، سفران يتضمّنان من نظمه و نثره أدبا لا كفاء له. و انفرد من تأيين الحسين و بكاء أهل البيت بما ظهرت عليه بركته من حكايات كثيرة.

[قصيدة لصفوان بن إدريس في تقديم مرسية على غيرها من البلدان]

ثم سرد لسان الدين جملة من نظمه إلى أن قال: و قال في غرض الرصافي من وصف بلده و ذكر إخوانه يساجله في الغرض و الروى عقب رسالة سماها «طراد الجياد في الميدان، و تنازع اللدات و الأخدان، في تقديم مرسية على غيرها من البلدان»: [الطويل]

لعلّ رسول البرق يغتنم الأجرأ فينثر عني ماء عبرته نثرا
معامله أربى بها غير مذنب فأفضيه دمع العين عن نقطة بحرا
ليسقى من تدمير قطرا محببا يقتر بعين القطر أن تشرب القطرا
و يقرضه ذوب اللجين، و إنما توفيه عيني من مدامعها تبرا
و ما ذاك تقصيرا بها غير أنه سجيئه ماء البحر أن يدوى الزهرا
خليلي قوما فاحسبا طرق الصبا مخافة أن يحمى بزفرتي الحرى
فإن الصبا ريح على كريمة بآية ما تسرى من الجنة الصغرى
خليلي أعنى أرض مرسية المنى و لو لا توخى الصدق سميتها الكبرى
محلّى بل جوى الذى عبقت به نواسم آدابى معطرة نثرا
و وكرى الذى منه درجت فليتنى فجعت بريش العزم كى ألزم الوكرا
و ما روضة الخضراء قد مثلت بها مجرتها نهرا و أنجمها زهرا
بأبهج منها و الخليج مجرة و قد فضحت أزهار ساحتها الزهرا
و قد أسكرت أعطاف أغصانها الصبا و ما كنت أعددت الصبا قبلها خمرا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٥٤

هنالك بين الغصن و القطر و الصبا و زهر الربى و لدت آدابى الغرا
إذا نظم الغصن الحيا قال خاطرى تعلم نظام النثر من ههنا شعرا
و إن نثرت ريح الصبا زهر الربا تعلمت حل الشعر أسبكه نثرا
فوائد أسحار هناك اقتبستها و لم أر روضا غيره يقرئ السحرا
كأن هزيز الريح يمدح روضها فملا فاهها من أزاهره درّا
أيا رنقات الحسن، هل فيك نظرة من الجرف الأعلى إلى السكة الغرا
فأنظر من هذى لتلك كأنما أغير إذ غازلتها أختها الأخرى
هى الكاعب الحسناء تتم حسننها و قدت لها أوراقها حللا خضرا
إذا خطبت أعطت دراهم زهرها و ما عادة الحسناء أن تنقد المهرا
و قامت بعرس الأنس قينة أيكها أغاريدها تسترقص الغصن النضرا

فقل في خليج يلبس الحوت درعه و لكنه لا يستطيع بها نصرا
إذا ما بدا فيها الهلال رأيته كصفحة سيف وسمها قبعه صفرا
و إن لاح فيها البدر شبهت منته بشط لجين ضم من ذهب عشرا
و في جرفى روض هناك تجافيا بنهر، يود الأفق لو زاره فجرا
كأنهما خلا صفاء تعاتبا و قد بكيا من رقة ذلك النهرا
و كم لى بأبيات الحديد عشية من الأنس ما فيه سوى أنه مرّا
عشيات كأن الدهر غص بحسناها فأجلت بساط البرق أفراسها شقرا
عليهن أجرى خيل دمعى بوجنتى إذا ركبت حمرا ميادينها الصفرا
أعهدى بالغرس المنعم دوحه سقتك دموعى إنها مزنة شكرى
فكم فيك من يوم أغرّ محجل تقضت أمانيه فخلدتها ذكرا
على مذنب كالبحر من فرط حسنه تود الثريا أن يكون لها نحرا
سقت أدمعى و القطر أيهما انبرى نقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا
و إخوان صدق لو قضيت حقوقهم لما فارقت عيني وجوههم الزهرا
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٥٥
و لو كنت أفضى حقّ نفسى و لم أكن لما بتّ أستحلى فراقهم المرّا
و ما اخترت هذا البعد إلّا ضرورة و هل تستجيز العين أن تفقد الشفرا
قضى الله أن تنأى بى الدار عنهم أراد بذاك الله أن أعتب الدهرا
و و الله لو نلت المنى ما حمدتها و ما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أ يأنس باللذات قلبى و دونهم مرام يجدد الكرب فى طيها شهرا
و يصحب هادى الليل راء و حرفه و صادا و نونا قد تقدس و اصفرّا
فديتهم بانوا و ضنوا بكتبهم فلا خبرا منهم لقيت و لا خبرا
و لو لا علا همّاتهم لعبتهم و لكن عراب الخيل لا تحمل الزجرا
ضربت غبار البيد فى مهرق السرى بحيث جعلت الليل فى ضربه حبرا
و حققت ذاك الضرب جمعا و عدّه و طرحا و تجميلا فأخرج لى صفرا
كأنّ زمانى حاسب متعسف يطارحنى كسرا و ما يحسن الجبرا
فكم عارف بى و هو يحسن رتبتي فيمدحنى سرا و يشتمنى جهرا
لذلك ما أعطيت نفسى حقّها و قلت لسرب الشعر لا ترم الذكرا
فما برحت فكرى عذارى قصائدى و من خلق العذراء أن تألف الخدرا
و لست و إن طاشت سهامى بأيس فإن مع العسر الذى يتقى يسرا

[قصيدة لصفوان يراجع فيها أبا الربيع بن سالم عن أبيات مثلها]

و قال يراجع أبا الربيع بن سالم عن أبيات مثلها: [الطويل]
سقى مضرب الخيمات من علمى نجد أسح غمامى أدمعى و الحيا الرغد

و قد كان فى دمعى كفاء، و إنما يجفّفها ما بالصلوع من الوقد
فإن فترت نار الصلوع هنيهة فسوف ترى تفجيره للحيا العدّ
و إن ضنّ صوب المزن يوما فأدمعى تنوب كما ناب الجميع عن الفرد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٥٦
و إن هطلا يوما بساحتها معاً فأروهما ما صاب من منتهى الودّ
أرى زفرتى تذكى و دمعى ينهمى نقيضين قاما بالصلاء و بالورد
فهل بالذى أبصرتم أو سمعتم غمام بلا أفق و برق بلا رعد
لى الله كم أهذى بنجد و أهلها و ما لى بها إلّا التوهّم من عهد
و ما بى إلى نجد نزوع و لا هوى خلا أنهم شئوا القوافى على نجد
و جاؤوا بدعوى حسن الشعر زورها فصارت لهم فى مصحف الحبّ كالحمد
شغلنا بأبناء الزمان عن الهوى و للدرع وقت ليس يحسن للبرد
إلى الله أشكو ريب دهر يغصّ فى نوائبه قد ألجمت ألسن العدّ
لقد صرفت حكم الفؤاد إلى الهوى كما فوّضت أمر الجفون إلى السهد
أما تتوقّى ويحها أن أصيبها بدعوة مظلوم على جورها يعدى
أما راعها أن زحزحت عن أكارم فراقهم دلّ القلوب على حدّى
أعاتبها فيهم فتزداد قسوة أجدك هل عاينت للحجر الصلد
أما علمت أنّ القساوة نافرت طباع بنى الآداب إلّا من الردّ
إذا وعدت يوما بتأليف شملنا فألمم بعرقوب و ما سنّ من وعد
و إن عاهدت أن لا تؤلّف بيننا تذكّرت آثار السموأل فى العهد
خليلي، أعنى النظم و النثر، أرسلنا جياذ كما فى حلبة الشكر و الحمد
قفا ساعدانى إنه حقّ صاحب برىء جمام الكتم من كدر الحقد
بأية ما قيدتما ألسن الورى بذكرى فىا ويح الكنائى و الكندى
فأين بيانى أو فأين فصاحتى إذا لم أعد ذكر الأكارم أو أبدى
فىا خاطرى وفّ الثناء حقوقه و صغه كما قالوا سوار على زند
و لا تلزمنى بالتكاسل حجّة تشببها نار الحياء على حدّى
ثكلت القوافى و هى أبناء خاطرى و غيبها الإقحام عنى فى لحد
لئن لم أصغ زهر النجوم قلادة و آت ببدر التّم واسطة العقد
إلى أن يقول السامعون لرفقتى نعم طار ذاك السقط عن ذلك الزند
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٥٧
أحیی بریّاها جناب ابن سالم فيقرع فيه الباب فى زمن الورد
و هى طوبلة.

و من مقطوعاته قوله: [السريع]

يا قمرا مطلعاه أضلعي له سواد القلب فيها غسق

و ربما استوقد نار الهوى فتاب فيها لونها عن شفق
مَلَكْتَنِي فِي دَوْلَةٍ مِنْ صَبَا وَ صَدْتَنِي فِي شَرْكَ مِنْ حَدَق
عِنْدِي مِنْ حَبِّكَ مَا لَوْ سَرْتُ فِي الْبَحْرِ مِنْهُ شَعْلَةٌ لَأَحْتَرَق
و قال: [الكامل]

قد كان لي قلب فلما فارقوا سوى جناحا للغرام و طارا
و جرت سحاب للدموع فأوقدت بين الجوانح لوعه و أوارا
و من العجائب أن فيض مدامعي ماء، و يثمر في ضلوعي نارا
و شعره الرمل و القطر كثرة، فلنختمه بقوله: [المنسرح]
قالوا و قد طال بي مدى خطئي و لم أزل في تجزّمي ساهي
أعددت شيئا ترجو النجاء به؟ فقلت: أعددت رحمة الله

[من رسال لصفوان بن إدريس يهنئ فيها قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقي]

و كتب يهنئ قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقي برسالة منها: لأن محلّه دام عمره، و امتثل نهيه الشرعي و أمره، أعلى رتبة و أكرم محلّا،
من أن يتحلّى بخطئه هي به تتحلّى، كيف يهنأ بالقعود لسماع دعاوى الباطل، و المعاناة لإنصاف الممتول من الماطل، و التعب في
المعادلة، بين ذوى المجادلةة. أما لو علم المشوّفون إلى خطئه الأحكام، المستشرفون إلى ما لها من التبسط و الاحتكام، ما يجب لها من
اللوازم، و الشروط الجوازم، كبسط الكنف، و رفع الجنف، و المساواة بين العدو ذى الذنب، و الصاحب بالجنب، و تقديم ابن السبيل،
على ذى الرحم و القبيل، و إثارة الغريب، على القريب، و التوسّع في الأخلاق، حتى لمن ليس له من خلاق، إلى غير ذلك ممّا علم
قاضي الجماعة أخصاه، و استعمل خلقه الفاضل أدناه و أقصاه، لجعلوا خمولهم، مأمولهم، و أضربوا عن ظهورهم، فنبذوه وراء
ظهورهم، اللهم إلّا من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٥٨

أوتى بسطة في العلم، و رسا طودا في ساحة الحلم، و تساوى ميزانه في الحرب و السلم، و كان كمولانا في المماثلة بين أجناس الناس،
فقصاراه أن يتقلد الأحكام للأجر، لا للتعنيف و الزجر، و يتولّاها للشواب، لا للغلظة في ردّ الجواب، و يأخذها لحسن الجزاء، لا لقيح
الاستهزاء، و يلتزمها لجزيل الذخر، لا للإزراء و السخر، فإذا كان كذلك، و سلك المتولّى هذه المسالك، و كان مثل قاضي الجماعة
و لا مثل له، و نفع الحقّ به علله و نفع غلله، فيومئذ تهنّى به خطئه القضاء، و تعرف ما لله تعالى عليها من اليد البيضاء.

[رحلة صفوان إلى مراكش]

و رحل إلى مراكش في جهاز بنت بلغت التزويج، و قصد دار الخلافة مادحا، فما تيسّر له شيء من أمله، ففكر في خيبة قصده، و قال:
لو كنت أمّلت الله سبحانه و مدحت نبيّه، صلّى الله عليه و سلّم، و آل بيته الطاهرين لبلغت أملّي، بمحمود عملي. ثم استغفر الله تعالى
من اعتماده في توجهه الأوّل، و علم أن ليس على غير الثاني معول، فلم يك إلّا أن صوّب نحو هذا المقصد سهمه، و أمضى فيه عزمه،
و إذا به قد وجهه عنه فأدخل على الخليفة فسأله عن مقصده، فأخبره مفصحا به، فأنفذه و زاده عليه و أخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله
صلّى الله عليه و سلّم، في النوم يأمر بقضاء حاجته، فانفصل موقى الأغراض، و استمرّ في مدح أهل البيت عليهم السلام، حتى اشتهر
بذلك. و توفي سنة ثمان و تسعين و خمسمائة، و سنّه دون الأربعين، و صلّى عليه أبوه، فإنه كان بمكان من الفضل و الدين، رحم الله

تعالى الجميع! انتهى كلام ابن الخطيب في حقّ المذكور ملخصاً.

[ترجمة صفوان بن إدريس، عن ابن سعيد و ابن الأبار]

و لا بأس أن نزيد عليه ما حضر، فنقول: قال ابن سعيد وغيره: ولد صفوان سنه ستين و خمسمائة، أو في التي بعدها، قال: و ديوان شعره مشهور بالمغرب؛ انتهى.

و من نظمه قوله: [مجزوء الرجز]

أومض ببرق الأضلع و اسكب غمام الأدمع

و احزن طويلاً و اجزع فهو مكان الجزع

و انثر دماء المقلتين تألماً على الحسين

و ابك بدمع دون عين إن قلّ فيض الأدمع

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٥٩

و هذا من قصيدة عارض بها الحريري في قوله [مجزوء الرمل]

«خلّ أذكار الأربع»

و له أيضاً مطلع قصيدة فيه: [مخلع البسيط]

يا عين سحى و لا تشحى و لو بدمع بحذف عين

و قال ابن الأبار: توفي صفوان بمرسية ليلة الاثنين السادس عشر من شوال سنة ثمان و تسعين و خمسمائة، و ثكله أبوه، و صلّى عليه، و هو دون الأربعين، إذ مولده سنة إحدى و ستين و خمسمائة، و كان من جلّة الكتاب البلغاء، و مهرة الأدباء الشعراء، ناقدًا فصيحًا، مدركا جليل القدر، متقدّما في النظم و النثر، ممّن جمع ذلك، و له رسائل بديعة، و قصائد جليّة، و خصوصا في مرثي الحسين رضى الله تعالى عنه!.

[من رثاء الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه لناهض بن محمد الوادى آشى]

و قد تذكّرت هنا قول ناهض بن محمد الأندلسى الوادى آشى في رثاء الحسين رضى الله تعالى عنه: [الكامل]

أمرئه سجعت بعود أراك قولى مولهه: علام بكاك

أجفاك إلفك أم بليت بفرقه أم لاح برق بالحمى فشجاك

لو كان حقاً ما ادّعت من الجوى يوما لما طرق الجفون كراك

أو كان روعك الفراق إذا لما ضنت بماء جفونها عيناك

و لما ألفت الروض يارج عرفه و جعلت بين فروعه مغناك

و لما اتخذت من الغصون منضه و لما بدت مخضوبه كفك

و لما ارتديت الريش بردا معلما و نظمت من قزح سلوكك طلاك

لو كنت مثلى ما أفقت من البكا لا تحسبى شكواى من شكواك

إيه حمامه خبرينى، إننى أبكى الحسين، و أنت ما أبكاك

أبكى قتيل الطّف فرع نبينا أكرم بفرع للنبوه زاكى

ويل لقوم غادروه مضرجا بدمائه نضوا صريع شكاك
متعفرا قد مزقت أشلاؤه فريا بكل مهند فتاك
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٦٠
أ يزيد لو راعيت حرمة جدّه لم تقتنص ليث العرين الشاكي
أو كنت تصغى إذ نقرت بثغره قرعت صماخك أنه المسواك
أ تروم ويك شفاعه من جدّه هيهات! لا، ومدبر الأفلاك
و لسوف تنبذ في جهنم خالدا ما الله شاء و لات حين فكاك
و توفي ناهض المذكور بوادي آش سنة ٦١٥.

[من شعر صفوان بن إدريس أيضا]

رجع إلى أخبار صفوان بن إدريس - رحمه الله تعالى! - فنقول: و من شعر صفوان قوله: [الكامل]
قلنا و قد شام الحسام مخوفا رشأ بعادية الضراغم عابث
هل سيفه من طرفه أم طرفه من سيفه أم ذاك طرف ثالث
و قوله: [مجزوء الكامل]

غيرى يروع بسيفه رشأ تشاجع ساخرا
إن كفّ عنى طرفه فالسيف أضعف ناصرأ
و قال صفوان المذكور رحمه الله تعالى: حثيت بعض أصحابنا بزهره سوسن، فقال:
[الكامل]

حيّا بسوسنّه أبو بحر
فقلت مجيزا:
نضراء تفضح يانع الزهر
عجبا لها لم تدوها يده من طول ما مكثت على الصدر

[بين صفوان بن إدريس و الوزير الكاتب أبي محمد بن حامد (إجازة)]

و قال أيضا: ماشيت الوزير الكاتب أبا محمد بن حامد يوما، فاتفق أن قال لأمر تذكّره:
[الكامل]

بين الكتيب و منبت السدر ريم غدا مثواه في صدرى
فقلت أجيزه: [الكامل]

لوشاحه قلم بلا ألم و لقرطه خفق بلا دعر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٦١
لو كنت قد أنصفت مقلته برأت هاروتا من السحر
أو كنت أقضى حقّ مرشفه أعرضت لا ورعا عن الخمر

و ناولته يوما وردة مغلقة، فقال: [الطويل]
 و محمزة تختال في ثوب سندس كوجنه محبوب أطل عذاره
 فقلت أجزيه: [الطويل]
 كتطريف كف قد أحاطت بنانها بقلب محب ليس يخبو أواره

[بين صفوان و الوزير أبي إسحاق و قد رآه يقيد أشعارا من ظهر دفتر (إجازة)]

و قال: رآني الوزير أبو إسحاق و أنا أقيد أشعارا من ظهر دفتر فقال: [مخلع البسيط]
 ما ذا الذي يكتب الوزير
 قلت:

بدائع ما لها نظير

فقال:

درّ و لكنه نظيم من خير أسلاكه السطور

فقلت:

من أظهر الكتب أقتها و خلّ ما تحوى البحور

بتلك تزهو النحور، لكن بهذه تزدهى الصدور

و لكن الإنصاف واجب، هو قال المعنى الأخير نثرا و أنا سبكته نظاما.

و قال: جلسنا بعض العشايا بالولجة خارج مرسية، و النسيم يهبّ على النهر، فقال أبو محمد بن حامد: [البسيط]

هبّ النسيم و ماء النهر يطرد

فقلت على جهة المداعبة، لا الإجازة:

و نار شوقى فى الأحشاء تتقد

فقال أبو محمد: ما الذى يجمع بين هذا العجز و ذاك الصدر؟ فقلت: أنا أجمع بينهما، ثم قلت:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٦٢

فصاغ من مائه درعا مفضضة و زاد قلبى و قدا للذى يجد

و إنما شبّ أحشائي لحاجته إذ ليس دون لهيب يصنع الزرد

[بين صفوان و الوزير أبي محمد بن حامد أيضا و من شعر صفوان]

و خطرنا بمقنت على ثمره تهزّها الريح فقال أبو محمد: [مخلع البسيط]

و سرحة كاللواء تهفو بعطفها هبّة الرياح

فقلت:

كأنّ أعطافها سقتها كفّ النعامى كؤوس راح

فقال:

إذا انتحاها النسيم هزّت أعطافها هزة السماح

فقلت:

كأنَّ أغصانها كرام تقابل الضيف بارتياح

و لصفوان رحمه الله: [السريع]

تحية الله و طيب السلام على رسول الله خير الأنام

على الذى فتح باب الهدى و قال للناس: ادخلوا بالسلام

بدر الهدى، غيم الندى و السدى و ما عسى أن يتناهى الكلام

تحية تهزأ أنفاسها بالمسك، لا أرضى بمسك الختام

تخصه منى و لا تشنى عن أهله الصييد السراة الكرام

و قدرهم أرفع لكننى لم ألف أعلى لفظه من كرام

و قال: [الطويل]

يقولون لى لئما ركبت بطالتي ركوب فتى جم الغواية معتدى

أعندك شىء ترتجى أن تناله؟ فقلت: نعم عندى شفاعه أحمد

صلى الله عليه و سلم، و شرف و كرم، و مجد و عظم، و بارك و أنعم، و والى و كمل و أتم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٦٣

الباب الثانى فى نشأة لسان الدين و ترقية و وزارته

إشارة

فى نشأته، و ترقية و وزارته و سعادته، و مساعدة الدهر له، ثم قلبه له ظهر المجن على عادته فى مصافاته، و منافاته، و ارتبائه، فى شبائه، و ما لقى من إحن الحاسد، ذى المذهب الفاسد، و محن الكائد المستأسد و آفاته، و ذكر قصوره و أمواله، و غير ذلك من أحواله فى تقلباته، عندما قابله الزمان بأهواله، فى بدئه و إعادته إلى وفاته.

[مولد لسان الدين، نقلا عن «الإحاطة» و نشأته نقلا عن ابن الأحمر]

أقول: كان مولد الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله، كما فى الإحاطة فى الخامس و العشرين من شهر رجب عام ثلاثة عشر و سبعمائة، و قال الرئيس الأمير أبو الوليد بن الأحمر رحمه الله: نشأ لسان الدين بن الخطيب على حالة حسنة سالكا سبيل أسلافه، فقرأ القرآن على المكتب الصالح أبى عبد الله بن عبد المولى العواد تكتبا، ثم حفظا، ثم تجويدا، ثم قرأ القرآن أيضا على أستاذ الجماعة أبى الحسن القيجاطى، و قرأ عليه العربيه و هو أول من انتفع به، و قرأ على الخطيب أبى القاسم بن جزى، و لازم قراءة العربيه و الفقه و التفسير على الشيخ الإمام أبى عبد الله بن الفخار البيرى شيخ النحويين لعهدده، و قرأ على قاضى الجماعة أبى عبد الله بن بكر، و تأدب بالرئيس أبى الحسن بن الجياب، و روى عن كثير من الأعيان، و سرد ابن الأحمر المذكور هنا جملة أعلام من مشايخ لسان الدين سيأتى ذكرهم إن شاء الله تعالى، ثم قال: و أخذ الطب و التعليم و صناعة التعديل عن الإمام أبى زكريا يحيى بن هذيل و لازمه؛ انتهى.

[لبعضهم فى ذكر منزلة لسان الدين]

وقال بعضهم في حق لسان الدين: هو الوزير العلامة المتحلي بأجمل الشمائل و أفضل المناقب، المتميز في الأندلس بأرفع المراقى و أعلى المراتب، علم الأعلام، و رئيس أرباب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٦٤

السيوف و الأفلام، جامع أشتات الفضائل، و المربى بحسن سياسته و عظيم رياسته على الأواخر و الأوائل، حائز رتبة رياسة السيف و القلم، و القائم بتدبير الملك على أرسخ قدم، صاحب القلم الأعلى، الوارد من البراعة المنهل الأحلى، صاحب الأحاديث التى لا تمل على كثرة ما تتلى، و المحاسن التى صورها على منصه التنويه تجلى؛ انتهى.

[من ترجمة لسان الدين بقلمه فى كتابه «الإحاطة، فى أخبار غرناطة»]

وقال لسان الدين فى «الإحاطة» بعد ذكر سلفه رحمهم الله تعالى، ما ملخصه:

و خلفنى - يعنى أباه عبد الله - على الدرجة، شهير الخطه، مشمولاً بالقبول، مكنوفاً بالعناية، فقلدنى السلطان سره، و لما يستكمل الشباب و يجتمع السن، معززة بالقيادة و رسوم الوزارة، و استعملنى فى السفارة إلى الملوك، و استتابنى بدار ملكه، ورمى إلى يدى بخاتمه و سيفه، و ائتمنى على صوان حضرته، و بيت ماله، و سجوف حرمه، و معقل امتناعه، و لما هلك السلطان ضاعف ولده حظوتى، و أعلى مجلسى، و قصر المشورة على نصحى، إلى أن كانت عليه الكائنة، فاقتدى فى أخوه المتغلب على الأمر به، فسجل الاختصاص، و عقد القلادة، ثم حمله أهل السحناء من أهل أعوان ثورته على القبض على، فكان ذلك، و تقبض على، و نكث ما أبرم من أمانى، و اعتقلت بحال ترفيه. و بعد أن كبست المنازل و الدور، و استكثر من الحرس، و ختم على الأغلاق، و أبرد إلى ما ناء، و استؤصلت نعمه لم تكن بالأندلس من ذوات النظائر و لا ربات الأمثال، فى تبخر الغلّة، و فراهه الحيوان، و غبطة العقار، و نظافة الآلات، و رفعة الثياب، و استجادة العدة، و وفور الكتب إلى الآنية و الفرش و الماعون و الزجاج و الطيب و الذخيرة و المضارب و الأبنية، و اكتسحت السائمة و ثيران الحرث و ظهر الحمولة و قوام الفلاحة و الخيل، فأخذ ذلك البيع، و تناهبتها الأسواق، و صاحبها البخس، و رزأتها الخونة، و شمل الخاصّة و الأقارب الطلب، و استخلصت القرى، و أعملت الحيل، و طوّقت الذنوب، و أمدّ الله تعالى بالعون، و أنزل السكينة، و انصرف اللسان إلى ذكر الله تعالى، و تعلقّت الآمال به و طبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات و سببها المال حسبما قلت عند إقالة العثرة و الخلاص من الهفوة: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٦٥

تخلصت منها نكبة مصحفية لفقدانى المنصور من آل عامر

و وصلت الشفاعة فى مكتبة بخط ملك المغرب، و جعل خلاصى شرطاً فى العقدة و مسالمة الدولة، فانقلت صحبة سلطانى المكفور الحق إلى المغرب، و بالغ ملكه فى بزى منزلاً رحباً، و عيشاً خفصاً، و إقطاعاً جما، و جراية ما وراءها مرمى، و جعلنى بمجلسه صدرا، ثم أسعف قصدى فى تهيؤ الخلوة بمدينة سلا، منوّه الصكوك، مهناً القرار، متفقداً باللها و الخلع، مخول العقار، موفور الحاشية، محلى بينى و بين إصلاح معادى، إلى أن ردّ الله تعالى على السلطان أمير المسلمين أبى عبد الله ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ملكه، و صير إليه حقه، فطالبنى بوعد ضربته، و عمل فى القدوم عليه بولده أحكمته، و لم يوسعنى عذراً، و لا فسح فى الترك مجالاً، فقدمت عليه بولده، و قد ساءه بإمساكه رهينة ضده، و نخص مسرة الفتح بعده، على كل حال من التقشف و الزهد فيما بيده، و عزف عن الطمع فى ملكه و زهد فى رفته، حسبما قلت من بعض المقطوعات: [الكامل]

قالوا لخدمته دعاك محمد فأنفتها و زهدت فى التنويه

فأجبتهم أنا و المهيمن كاره فى خدمة المولى محب فيه

عاهدت الله تعالى على ذلك، و شرحت صدرى للوفاء به، و جنحت إلى الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة أملى، و مرمى يتى و

عملي، فعلق بي، و خرج لي عن الضرورة، و أراني أن مؤازرته أبرّ القرب، و راكنني إلى عهد بخطه، فسح لعامين أمد الثواء، و اقتدى بشعيب صلوات الله عليه، في طلب الزيادة على تلك النسبة، و أشهد من حضر من العلية. ثم رمى إليّ بعد ذلك بمقاليد رأيه، و حكم عقلي في اختيارات عقله، و غطّي من جفائي بحلمه، و حثا في وجوه شهواته تراب زجري، و وقف القبول على وعظي، و صرف هواي في التحول ثانيا و قصدي، و اعترف بقبول نصحي، فاستعنت الله تعالى، و عاملت وجهه فيه، من غير تلبس بجرايه، و لا تشبّت بولايه، مقتصرًا على الكفاية، حذرا من النقد، حامل المركب، معتمدا على المنساء، مستمتعا بخلق النعل، راضيا بغير النبيه من الثوب، مشفقا من موافقة الغرور،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٦٦

هاجر الزخرف، صادعا بالحقّ في أسواق الباطل، كآفا عن السيخال براثن السباع. ثم صرفت الفكر إلى بناء الزاوية و المدرسة و التربة بكر الحسنات بهذه الخطّة، بل بالجزيرة، فيما سلف من المدة، فتأتى بمنّة الله تعالى من صلاح السلطان و عفاف الحاشية و الأمن و روم الثغور و تسمير الجباية و إنصاف الحماة و المقاتلة و مقارعة الملوكة المجاورة في إثارة المصلحة الدينية و الصّيدع فوق المنابر ضمانا من السلطان بترياق سم الثورة و إصلاح بواطن الخاصية و العامية ما الله تعالى المجازي عليه، و المعوض من سهر خلعتة على أعطافه، و خطر اقتحمته من أجله، لا للثريد الأعفر، و لا للجرد تمرح في الأرسان، و لا للبدر تثقل للأكتاد، فهو الذي لا يضيع عمل من عمل ذكر أو أنثى سبحانه و تعالى. و مع ذلك فلم أعدم الاستهداف للشرور، و الاستغراض للمحذور، و النظر الشزر المنبعث من خزر العيون، شيمه من ابتلاه الله تعالى بسياسة الدهماء، و رعاية سخطة أرزاق السماء، و قتله الأنبياء، و عبدة الأهواء، ممّن لا يجعل لله تعالى إرادة نافذة، و لا مشيئة سابقة، و لا يقبل معذرة، و لا يجمل في الطلب، و لا يتلبس مع الله بأدب، ربّنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا- يرحمنا، و الحال إلى هذا العهد- و هو منتصف عام خمسة و ستين و سبعمائة- على ما ذكرته، أداله الله بحال السلامة، و بفيئته العافية، و التمتع بالعبادة، و ربك يخلق ما يشاء و يختار: [مجزوء الكامل]

و عليّ أن أسعى و لي س عليّ إدراك النجاح

و لله سبحانه فينا علم غيب نحن صائرون إليه، ألحفنا الله بلباس التقوى، و ختم لنا بالسعادة، و جعلنا في الآخرة من الفائزين، نفتت عن بثّ، و تأوّهت عن حمّي، ليظهر بعد المنقلب قصدي، و يدلّ مكتبي على عقدي. انتهى، و جلّه بلفظه.

و كان- رحمه الله تعالى!- عارفا بأحوال الملوكة، سريع الجواب، حاضر الذهن، حادّ النادرة.

و من حكاياته في حضور الجواب ما حكاه عن نفسه قال: حضرت يوما بين يدي السلطان أبي عنان في بعض وفاداتي عليه لغرض الرسالة، و جرى ذكر بعض أعدائه، فقلت ما أعتقده في إطرأ ذلك العدو، و ما عرفته من فضله، فأنكر عليّ بعض الحاضرين ممّن لا يحطبالا في حبل السلطان، فصرفت وجهي و قلت: أيديكم الله! تحقير عدوّ السلطان بين يديه ليس من السياسة في شيء، بل غير ذلك أحقّ و أولى، فإن كان السلطان غالب عدوّه كان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٦٧

قد غلب غير حقير، و هو الأولى بفخره، و جلاله قدره، و إن غلبه العدو لم يغلبه حقير، فيكون أشدّ للحسرة، و أكد للفضيحة، فوافق- رحمه الله تعالى!- على ذلك و استحسنة، و شكر عليه، و خجل المعترض؛ انتهى.

و كان- رحمه الله تعالى!- مبتلى بداء الأرق، لا ينام من الليل إلّا النزر اليسير جدّا، و قد قال في كتابه «الوصول، لحفظ الصحة في الفصول»: العجب مني- مع تألّفي لهذا الكتاب الذي لم يؤلّف مثله في الطب، و عملي ذلك- لا أقدر على مداواة داء الأرق الذي بي، أو كما قال، و لذا يقال له «ذو العمرين»؛ لأنّ الناس ينامون في الليل و هو ساهر فيه، و مؤلفاته ما كان يصنّف غالبها إلّا بالليل، و قد سمعت بالمغرب بعض الرؤساء يقول: لسان الدين ذو الوزارتين، و ذو العمرين، و ذو الميتين، و ذو القبرين؛ انتهى. و سيأتي ما يعلم منه معنى الأخيرين.

[تعريف لسان الدين بالسلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج، أحد ملوك بني نصر]

وقد عزّف - رحمه الله تعالى! - بالسلطان أبي الحجاج في «الإحاطة» فقال ما حاصله: يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر، الأنصارى الخزرجى، أمير المسلمين بالأندلس، أبو الحجاج. تولّى الملك بعد أخيه بوادى السقائين من ظاهر الخضراء ضحوه يوم الأربعاء ثالث عشر ذى الحجة عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة، و سنّه خمسة عشر عاما و ثمانية أشهر. أمّه أمّ ولد و كان له ثلاثة أولاد كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده، و تلوه أخوه إسماعيل محجوره، و ثالثهم قيس شقيق إسماعيل. و ذكر لسان الدين أنه وزر له بعد شيخه ابن الجياب، و تولّى كتابه سرّه مضافه إلى الوزارة فى أخريات شوال عام تسعة و أربعين و سبعمائة؛ انتهى. و قد علم أنه وزر بعده لابنه محمد كما تقدّم و يأتي، و أما إسماعيل بن أبي الحجاج فهو الذى تغلب على الأمر، و انتهز الفرصة فى ملك أخيه محمد كما تقدّم، و فيه و فى أخيه قيس حين قتلا يقول لسان الدين: [الوافر] بإسماعيل ثم أخيه قيس البيتين.

وقد ذكر أيضا - رحمه الله تعالى! - حكاية وفاة السلطان أبي الحجاج ما محضله أنه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٦٨

هجم عليه رجل من عداد الممرورين، و هو فى الركعة الأخيرة من صلاة عيد الفطر عام خمسة و خمسين و سبعمائة، فطعنه بخنجر، و قبض عليه، و استفهم فتكلّم بكلام مخلّط، و احتمل إلى منزله على فور لم يستقرّ به إلّا و قد قضى، و أخرج قاتله إلى الناس فقتل لحينه، و أحرق بالنار، و دفن عشية اليوم المذكور فى مقبرة قصره، ضجيج والده، و ولى أمره ولده محمد، و رثيته فى غرض ناء عن الجزالة مختار ولده: [الكامل]

[قصيدة لسان الدين فى رثاء السلطان أبي الحجاج]

العمر نوم، و المنى أحلام ما ذا عسى أن يستمرّ مقام
و إذا تحقّقنا لشيء بدأه فله بما تقضى العقول تمام
و النفس تجمّح فى مدى آمالها ركضا، و تأبى ذلك الأيام
من لم يصب فى نفسه فمصابه بحبيبه، نفذت بذا الأحكام
بعد الشيبه كبره، و وراءها هرم، و من بعد الحياة حمام
و لحكمه ما أشرفت شهب الدجى و تعاقب الإصباح و الإظلام
دياك يا هذا محلّة نقله و مناخ ركب ما لديه مقام
هذا أمير المسلمين و من به وجد السّماح و أعدم الإعدام
سرّ الأمانة و الخلافة يوسف غيث الملوك و ليثها الضّرغام
قصدته عاديه الزمان فأقصدت و العزّ سام و الخميس لهام
فجعت به الدنيا و كدر شربها و شكا العراق مصابه و الشام
أسفا على الخلق الجميل كأنما بدر الدجّة قد جلاه تمام
أسفا على العمر الجديد كأنه زهو الحديقة زهره بسام
أسفا على الخلق الرضى كأنه زهر الرياض هما عليه غمام

أسفا على الوجه الذى مهما بدا طاشت لنور جماله الأفهام
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٦٩
يا ناصر الثغر الغريب و أهله و الأرض ترجف و السماء قتام
يا صاحب الصدقات فى جنح الدجى و الناس فى فرش النعيم نيام
يا حافظ الحرم الذى بظلاله ستر الأرامل و اكتسى الأيتام
مولاي، هل لك للقصور زيارة بعد انتزاح الدار أو إمام
مولاي هل لك للعييد تذكر حاشاك أن ينسى لديك ذمام
يا واحد الآحاد و العلم الذى خفقت بعزة نصره الأعلام
و افاك أمر الله حين تكاملت فيك النهى و الجود و الإقدام
و رحلت عنا الركب خير خليفه أثنى عليك الله و الإسلام
نعم الطريق سلكت كان رفيقه و الزاد فيه تهجد و صيام
و كسفت يا شمس المحاسن ضحوه فالיום ليل، و الضياء ظلام
و سقاك عيد الفطر كأس شهادة فيها من الأجل الوحى مدام
و ختمت عمرك بالصلاة فحبتنا عمل كريم سعيه و ختام
مولاي، كم هذا الرقاد؟ إلى متى بين الصفائح و التراب تنام
أعد التحية و احتسبها قربه إن كان يمكنك الغداة كلام
تبكى عليك مصانع شيدتها بيض كما تبكى الهديل حمام
تبكى عليك مساجد عمرتها فالناس فيها سجد و قيام
تبكى عليك خلايق أمتتها بالسلم و هى كأنها أنعام
عاملت وجه الله فيما رمته منها فلم يبعد عليك مرام
لو كنت تفدى أو تجار من الردى بذلت نفوس من لدنك كرام
لو كنت تمنع بالصوارم و القنا ما كان ركنك بالغلاب يرام
لكنه أمر الإله، و ما لنا إلّا رضا بالحكم و استسلام
و الله قد كتب الفناء على الورى و قضاؤه جفت به الأفلام
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٧٠
نم فى جوار الله مسرورا بما قدمت يوم تزلزل الأقدام
و اعلم بأن سليل ملكك قد غدا فى مستقر علاك و هو إمام
ستر تكتف منه من خلفته ظل ظليل فهو ليس يضام
كنت الحسام و صرت فى غمد الثرى و لنصر ملكك سل منه حسام
خلفت أمة أحمد لمحمد فقضت بسعد الأمة الأحكام
فهو الخليفة للورى فى عهده ترعى العهود و توصل الأرحام
أبقى رسومك كلها محفوظة لم ينتثر منها عليك نظام
العدل و الشيم الكريمة و التقى و الدار و الألقاب و الخدام

حسبى بأن أغشى ضريحك لاثما و أقول و الدمع السفوح سجام
يا مدفن التقوى و يا مثوى الهدى منى عليك تحية و سلام
أخفيت من حزني عليك، و فى الحشا نار لها بين الضلوع ضرام
و لو اننى أذيت حقك لم يكن لى بعد فقدك فى الوجود مقام
و إذا الفتى أذى الذى فى وسعه و أتى بجهد، ما عليه ملام
قال لسان الدين: و كتبت فى بعض معاهده: [السريع]
غبت فلا عين و لا مخبر و لا انتظار منك مرقوب
يا يوسف، أنت لنا يوسف و كلنا فى الحزن يعقوب
انتهى؛ و رحم الله تعالى الجميع بمنه! و قد قدمنا ما كتبه لسان الدين على لسان سلطانه إلى السلطان أبى عنان فى شأن قتل السلطان
أبى الحجاج فى الباب الثامن من القسم الأول.

[ذكر خلع سلطان لسان الدين و قيام أخيه مقامه، عن لسان الدين فى «اللمحة البدرية»]

و قال لسان الدين فى كتابه «اللمحة البدرية»، فى الدولة النصرية» فى ذكر ما يتعلق بخلع سلطانه و قيام أخيه عليه خلال ذلك، ما نصه:
كان السلطان أبو عبد الله عند مصير الأمر إليه قد ألزم أخاه إسماعيل قسرا من قصور أبيه بجوار داره مرفها، متممة وظائفه له، و أسكن
معه أمه و أخواته منها، و قد استأثرت يوم وفاة والده بمال جم من خزائنه الكائنة فى بيتها، فوجدت
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٧١

السييل إلى السعى لولدها، فجعلت تواصل زيارة ابنتها التى عقد لها الوالد مع ابن عمه الرئيس أبى عبد الله ابن الرئيس أبى الوليد ابن
الرئيس أبى عبد الله المبايع له بأندرش ابن الرئيس أبى سعيد جددهم الذى تجمعهم جرثومته. و شمّر الصهر المذكور عن ساعد عزمه
و جدّه و هو على ما هو عليه من الإقدام، و مداخلة ذؤبان الرجال، و استعان بمن أسفته الدولة، و هتفت به الأطماع، فتألف منهم زهاء
مائة قصدوا جهة من جهات القلعة متسّمين شفى صعب المرتقى، و اتخذوا آلة تدرك ذروته لعود بتيه كانت به عن التمام، و كبسوا
حرسيا بأعلاه بما اقتضى صماته، فاستووا به، و نزلوا إلى القلعة سحر الليلة الثامنة و العشرين من شهر رمضان عام ستين و سبعمائه،
فاستظفروا بالمشاعل و الصراخ، و عالجوا دار الحاجب رضوان، ففضوا أغلقها و دخلوها فقتلوه بين أهله و ولده، و انتهبوا ما اشتملت
عليه داره، و أسرع طائفه مع الرئيس فاستخرجت الأمير المعتقل إسماعيل، و أركبته، و قرعت الطبول، و نودى بدعوته.

و قد كان أخوه السلطان متحوّلا بولده إلى سكنى الجية المنسوبة للعرى لصق داره، و هى المثل المضروب فى الظل الممدود، و
الماء المسكوب، و النسيم البليل، يفصل بينها و بين معقل الملك السور المنيع و الخندق المصنوع، فما راعه إلّا النداء و العجيج و
أصوات الطبول، و هبّ إلى الدخول إلى القلعة فألفاها قد أخذت دونه شعابها كلّها و نقابها، و قذفته الحراب، و رشقته السهام، فرجع
أدراجه، و سدده الله تعالى فى محلّ الحيرة، و دسّ له عرق الفحول من قومه، فامتطى سهوة فرس كان مرتبطا عنده، و صار لوجهه
فأعيا المتّبع، و صبح مدينة وادى آش، و لم يشعر حافظ قصبته إلّا به، و قد تولج عليها، فالتفت به أهلها و أعطوه صفقتهم بالذبّ عنه،
فكان أملك بها، و تجهّزت الحشود إلى منازلته، و قد جدّد أخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة باحتياجه إلى سلم
المسلمين لجزء فتنه بينه و بين البرجلونيين من أمته. و اغتبط به أهل المدينة، فذبّوا عنه، و رضوا بهلاك نعمتهم دونه، و استمرت
الحال إلى يوم عيد النحر من عام التاريخ. و وصله رسول صاحب المغرب مستنزلا عنها و مستدعيا إلى حضرته، لما عجز عن إمساكها،
و راسل ملك الروم فلم يجد عنده من معول، فانصرف ثانى يوم عيد النحر المذكور، و تبعه الجمع الوافر من أهل المدينة خيلا و
رجلا إلى مربلة من ساحل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٧٢

إجازته. و كان وصوله إلى مدينة فاس مصحوبا من البرّ و الكرامة بما لا مزيد عليه في السادس من شهر محرّم فاتح عام أحد و ستين و سبعمائة. و ركب السلطان للقائه، و نزل إليه عند ما سلّم عليه، و بالغ في الحفاية به، و كنت قد ألحقت به مفلتا من شرك النكبة التي استأصلت المال، و أو همت سوء الحال، بشفاعة السلطان أبي سالم قدّس الله روحه. فقامت بين يديه في الحفل المشهود يومئذ و أنشدته: [الطويل]

[لسان الدين ينشد بين يدي سلطان فاس و قد التجأ هو و سلطانه إليه]

سلا هل لديها من مخبّرة ذكر و هل أعشب الوادى و نمّ به الزّهر
و هل باكر الوسمى دارا على اللوى عفت آيها إلّا التوهّم و الذّكر
بلادى التى عاطيت مشموله الهوى بأكنافها و العيش فينان مخضّر
و جوى الذى ربّى جناجى و كره فيها أنا ذا ما لى جناح و لا و كر
نبت بى لا عن جفوة و ملالة و لا نسخ الوصل الهنىء بها هجر
و لكنها الدنيا قليل متاعها و لذاتها دأبا تزور و تزور
فمن لى بقرب العهد منها و دوننا مدى طال حتى يومه عندنا شهر
و لله عينا من رآنا و للأسى ضرام له فى كلّ جانحة جمر
و قد بددت درّ الدموع يد النوى و للشوق أشجان يضيق لها الصدر
بكينا على النهر الشروب عشية فعاد أجاجا بعدنا ذلك النهر
أقول لأطعانى و قد غالها السرى و آنسها الحادى و أوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسر أن ابشرى بإنجاز وعد الله، قد ذهب العسر
و لله فينا سرّ غيب، و ربما أتى النفع من حال أريد بها الضّر
و إن تخن الأيام لم تخن النّهى و إن يخذل الأقوام لم يخذل الصبر
و إن عركت منى الخطوب مجرّبا نقابا تساوى عنده الحلو و المرّ
فقد عجمت عودا صليبا على الردى و عزما كما تمضى المهتدة البتر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٧٣

إذا أنت بالبيضاء قررت منزلى فلا اللحم حلّ ما حييت و لا الظهر
زجرنا بإبراهيم برء همومنا فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من آل يعقوب كلّما دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه فلما رأته صدق الخبر الخبر
ندى لو حواه البحر لدد مذاقه و لم يتعقب مدّه أبدا جزر
و بأس غدا يرتاع من خوفه الردى و ترفل فى أثوابه الفتكّة البكر
أطاعته حتى العصم فى قنن الرّبى و هشت إلى تأميله الأنجم الزّهر
قصداك يا خير الملوك على النوى لتنصفنا ممّا جنى عبدك الدهر
كفنا بك الأيام عن غلوائها و قد رابنا منها التعسف و الكبير

و عدنا بذاك المجد فانصرم الردى و لذنا بذاك العزم فانهمم الذعر
و لَمَا أتينا البحر يرهب موجه ذكرنا نذاك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى و من لم يدن بها فإيمانه لغو و عرفانه نكر
و وصفك يهدى المدح قصد صوابه إذا ضلّ فى أوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المؤمنين و أخلصت و قد طاب منها السرّ لله و الجهر
و مدّت إلى الله الأكفّ ضراعهُ فقال لهنّ الله: قد قضى الأمر
و ألبسها النعمى ببيعتك التى لها الطائر الميمون و المحتد الحرّ
فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا و قد كان ممّا نابه ليس يفتّر
و أمنت بالسلم البلاد و أهلها فلا ظبه تعرى و لا روعه تعرو
و قد كان مولانا أبوك مصرّحا بأنك فى أبنائه الولد البرّ
و كنت حقيقا بالخلافه بعده على الفور، لكن كلّ شىء له قدر
و أوحشت من دار الخلافه هاله أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
فردّ عليك الله حقّك إذ قضى بأن تشمل النعمى و ينسدل الستر
و قاد إليك الملك رفقا بخلقه و قد عدموا ركن الإمامه و اضطروا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٧٤

و زادك بالتمحيص عزّا و رفعة و أجرا، و لولا السبك ما عرف التبر
و أنت الذى تدعى إذا دهم الردى و أنت الذى ترجى إذا أخلف القطر
و أنت إذا جار الزمان محكم لك النقص و الإبرام و النهى و الأمر
و هذا ابن نصر قد أتى و جناحه مهيب، و من عليك يلتمس الجبر
غريب يرجى منك ما أنت أهله فإن كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
ففر يا أمير المسلمين بيعة مؤثقة قد حلّ عروتها الغدر
و مثلك من يرمى الدخيل و من دعا بيا لميرين جاءه العزّ و النصر
و خذ يا إمام الحقّ بالحقّ ثاره ففى ضمن ما تأتى به العزّ و الأجر
و أنت لها يا ناصر الحقّ فلتقم بحقّ فما زيد يرجى و لا عمرو
فإن قيل مال، مالك الدّثر وافر و إن قيل جيش، عندك العسكر المجر
يكفّ بك العادى، و يحيا بك الهدى و بينى بك الإسلام ما هدم الكفر
أعدّه إلى أوطانه عنك راضيا و طوّقه نعماك التى ما لها حصر
و عاجل قلوب الناس فيه بجبرها فقد صدّهم عنه التغلبّ و القهر
و هم يرقبون الفعل منك و صفقه تحاولها يمناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يؤودك كلفه سوى عرض ما إن له فى العلا خطر
و ما العمر إلّا زينه مستعارة تردّ، و لكنّ الثناء هو العمر
و من باع ما يفنى بباق مخلد فقد أنجح المسعى و قد ربح التجر
و من دون ما تبغيه يا ملك الهدى جياذ المذاكى و المحجّلة العزّ

وراد و شقر واضحات شياتها فأجسامها تبر و أرجلها درّ
و شهب إذا ما ضمّرت يوم غارة مطهّمة غارت بها الأنجم الزّهر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٧٥
و أسد رجال من مريم مخيفة عمائمها بيض و آسالتها سمر
عليها من الماذى كلّ مفاضة تدافع في أعطافها اللّجج الخضر
هم القوم إن هبّوا لكشف ملامّة فلا الملتقى صعب و لا المرتقى وعر
إذا سئلوا أعطوا، و إن نوزعوا سطوا و إن و اعدوا و قوا، و إن عاهدوا برّوا
و إن مدحوا اهترّوا ارتياحا كأنهم نشاوى تمشّت في معاطفهم خمر
و إن سمعوا العوراء فروا بأنفس حرام على هاماتها في الوغى الفرّ
و تبسم ما بين الوشيخ ثغورهم و ما بين قصب الدّوح يتسم الزّهر
أمولاي، غاضت فكرتى، و تبلّدت طباعى، فلا طبع يعين و لا فكر
و لو لا حنان منك داركتنى به و أحييتنى لم تبق عين و لا أثر
فأوجدت منى فائتا أى فائت و أنشرت ميتا ضمّ أشلاءه قبر
بدأت بفضل لم أكن لعظيمه بأهل، فجلّ اللطف و انفرج الصدر
و طوّقتنى النعمى المضاعفة التى يقلّ عليها منى الحمد و الشكر
و أنت بتتيمم الصنائع كافل إلى أن يعود الجاه و العزّ و الوفّر
جزاك الذى أسنى مقامك عصمه يفكّ بها عان و ينعش مضطرّ
إذا نحن أثينا عليك بمدحة فبهيات يحصى الرمل أو يحصر القطر
و لكننا نأتى بما نستطيعه و من بذل المجهود حقّ له العذر
فلا تسأل عن امتعاض و إنغاض، و سداد أنحاء فى التّأثر لنا و أغراض، و اللّهُ غالب على أمره.

[من خطاب من إنشاء لسان الدين عن سلطانه إلى سلطان مصر المنصور بن أحمد بن الناصر بن قلاوون]

و فى صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين و ستين و سبعمائة كان انصرافه إلى الأندلس. و قد ألحّ صاحب قشتالة
فى طلبه، و ترجح الرأى على قصده، فقعد السلطان بقبة العرض من جنّة المصارّة، و برز الناس و قد أسمعهم البريج، و استحضرت
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٧٦
البنود و الطبول و الآله، و ألبس خلعة الملك، و قيّدت له مراكبه، فاستقلّ، و قد التفّ عليه كلّ من جلا عن الأندلس من لدن الكائنة
فى جملة كثيفة، و رأى من رقة الناس و إجهاشهم و علوّ أصواتهم بالدعاء ما قدم به العهد، إذ كان مظنّة ذلك سكونا و عفافا و قربا
قد ظلّله الله برواق الرحمة، و عطف عليه و شائج المحبّة، إلى كونه مظلوم العقد، منتزع الحقّ، فتبعته الخواطر، و حميت عليه الأنفس، و
انصرف لوجهته. و هو الآن بريدة مستقلّ بها و بجهاتها، و مقتنع برسم سلطنتها، و قد قام له برسم الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن على
بن يوسف بن كماشة الحضرمى، و بكتابته الفقيه أبو عبد الله بن زمرك، و قد استفاض عنه من الحزم و التدرّب و التيقّظ للأموور و
المعرفة بوجوه المصالح ما لا ينكر، كان اللّهُ لنا و له بفضل! انتهى كلام لسان الدين بن الخطيب فى «اللمحة البدرية».

و قد علمت أنه بعد هذا التاريخ عاد سلطانه إلى حضرة غرناطة، و استبدّ بملك الأندلس، و عاد لسان الدين إليه حسبا أحسن سياق
ذلك لسان الدين رحمه الله تعالى فى كتاب من إنشائه على لسان سلطانه الغنى باللّهُ، و خاطب به ملك الحرمين و مصر و الشام

السلطان المنصور بن أحمد بن الناصر بن قلاوون، وقد ذكرنا منه ما يتعلّق بالأندلس في الباب الثاني من القسم الأول، وقال بعد ذلك فيما يتعلّق بالخلع المذكور ما نصّه: ولما صير الله إلينا تراثهم الهني، وأمرهم السني، وبناءهم العادي، وملكهم الجهادي، أجرانا - و له الطول - على سننهم، ورفع أعلامنا في هضابهم المشرفة وقننهم، وحملنا فيهم خير حمل، ونظم بنا لهم أي شمل، وألبس أيامنا سلما فسح الدارة، وأحكم الإدارة، وهنا الإمارة، ومكن العمارة، وأمن في البحر والبرّ السيارة والعبارة، لولا ما طرقهم فينا من تمحيص أجلى عن تخصيص، وتمخض تبره بعد تخلص و مرام عويص، نبثكم بثه، ونوالى لديكم حثه، ونجمع منبته، فإنّ في الحوادث ذكرا، ومعروف الدهر لا - يؤمن أن يعود نكرا، وشرّ الوجود معاقب بخيره، والسعيد من اتعظ بغيره، والحزم أفضل ما إليه ينتسب، وعقل التجربة بالمرانة يكتسب، وهو أنّ بعضا ممن ينسب إلينا بوشائج الأعراق، لا بمكارم الأخلاق، ويمت إلينا بالقرابة البعيدة، لا بالنسبة السعيدة، ممن كفلهنا يتيما، وصنّاه ذميما شثيما، وبوّأناه ميوأ كريما، بعد أن نشأ حرفوشا دميما، وملعوننا لثيما، ونوّهنا من خموله بالولاية، ونسخنا حكم نسجه بأية العناية، داخل إحاء لنا كئنا ألزمانه الاقتصار على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٧٧

قصره، ولم نجعل أداة تدل على حصره، وسامحناه في كثير من أمره، ولم نرتب بزيده ولا عمره، واغتررنا برماد علا على جمره، فاستدعى له من الصعاليك شيعة، كلّ درب بفكّ الأغلاق، وتسرب أنفاق النفاق، وخارق للإجماع والإصفاق، وخير بمكان الخراب ومذاهب الفساق، وتسور بهم القلعة من ثلم شرع في سده، بعد هذه، ولم تكمل الأقدار المميزة في ليلة آثرنا مييتنا ببعض البساتين خارج قصورنا، واستبنا من يضطلع بأمرنا، فاستتم الحيلة التي شرعها، واقتحم القلعة وافترعها، وجدل حرس النوبة وصرعها، وكبس محلّ النائب عنا وجدله، ولم ينشب أن جد له، واستخرج الأخ البائس فنصبه، وشدّ به تاج الولاية وعصبه، وابتز أمرنا وغصبه. وتوهم الناس أنّ الحادثة على ذاتنا قد تمت، والدائرة بنا قد أملت ولقد همت، فخذل الناصر، وانقطعت الأواصر، وأقدم المتقاصر، واقتحمت الأبهاء والمقاصر، وتفرقت الأجزاء وتحللت العناصر، وفقد من عين الأعيان النور الباصر، فأعطوه طاعة معروفة، وأصبحت الوجوه إليه مصروفة، وركضنا وسرعان الخيل تقفو أثر منجاتنا والظلام يخفيها، وتكفى علينا السماء والله يكفيها، إلى أن خلصنا إلى مدينة وادي آش خلوص القمر من السرار، لا - نملك إلما نفسا مسلمة لحكم الأقدار، ملقية لله مقادة الاختيار، مسلوبة بموجب الاستقرار، وناصحنا أهل تلك المدينة فعملوا على الحصار، واستبصروا في الدفاع عنا أتم الاستبصار، ورضوا لبيوتهم المصحرة، وبساتينهم المستبحرة، بفساد الحديد وعاث النار، ولم يرضوا لجوارهم بالإخفار، ولا لنفوسهم بالعار، إلى أن كان الخروج عن الوطن بعد خطوب تسبح فيها الأقلام سبحا طويلا، وتوسعها الشجون شرحا وتأويلا، وتلقى القصص منها على الآذان قولا ثقيلا، وجزنا البحر و ضلوع موجه إشفاقا علينا تخفق، وأكفّ رياحه حسرة تصفق، ونزلنا من جناب سلطان بنى مريّن على المشوى الذي رحب بنا ذرعه، ودلّ على كرم الأصول فرعه، والكريم الذي وهب فأجزل، ونزل لنا عن الصّيهوة وتنزل، وخير و حكم، وردّ على الدهر الذي تهكم، واستعبر وتبسم، وآلى وأقسم، وبسمل وقدم، واستركب لنا واستخدم. ولما بدا لمن وراءنا سيئات ما كسبوا، وحققوا ما حسبوا، وطفوا الغناء ورسبوا، ولم ينشب الشقى الخزى أن قتل البائس الذي مؤه بزيفه، وطوفه بسيفه، و دل ركب المخافة على خيفه، إذ أمن المضعوف من كيده، وجعل ضرغامه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٧٨

بازيا لصيده، واستقلّ على أريكته، استقلال الظليم على تريكته، حاسر الهامة، متنفقا بالشجاعة والشهامة، مستظها بأول الجهالة والجهامة، وساءت في محاولة عدوّ الدين سيرته، ولما حصحص الحقّ انكشفت سريرته، وارتابت لجبنه المستور جيرته، وفتح عليه طاغية الروم فمه، فالتقمه، ومدّ عليه الصليب ذراعه، فراعته، وشدّ الكفر عليه يده، فما عضده الله ولا أيده، وتخزمت ثغور الإسلام بعد انتظامها، وشكت إليه باهتضامها، وغصت بأشلاء عباد الله وعظامها، ظهور أوضاعها، وكلت السنّة والجماعة، وانقطعت من التّججح الطّماعه، واشتدّت المجاعة، وطلعت شمس دعوتنا من المغرب فقامت عليها الساعة، وركبنا البحر تكاد جهته تنقاربان تيسيرا،

و رياحه لا- تعرف في غير وجهتنا مسيرا، و كأنّ ماءه ذوب لقي إكسيرا، و نهضنا يتقدّمنا الرعب و يتقدّمنا الدعاء، و تجأجىء بنا الإشارة و يخفرنا الاستدعاء. و أقصر الطاغية عن البلاد بعد أن ترك ثغورها مهتومة، و الإخافة عليها محتومة، و طابعها مفضوضة و كانت بنا محتومة، و أخذت الخائن الصيحة فاختبل، و ظهر تهوّر الذي عليه جبل، فجمع أوباشه السفلة و أوشابه، و بهرجه الذي غش به المحض وشابه، و عمد إلى الذخيرة التي صانتها الأغلاق الحريزة، و المعافل العريزة، فملا بها المناطق، و خرج ليلا عن المدينة، و اقتضت آراؤه الفائلة، و نعمته الشائلة، و دوله بغيه الزائلة، أن يقصد طاغية الروم بقضه و قضيه، و أوجه و حضيضه، و طويله و عريضه، من غير عهد اقتضى وثيقته، و لا أمر عرف حقيقته، إلّا ما أمل اشتراطه من تبديل الكلمة، و استئصال الأمة المسلمة، فلم يكن إلّا أن تحصّل في قبضته، و دنا من مضجع ربضته، و استشار نصحاءه في أمره، و حكم الحيلة في جناية غدره، و شهره ببلده، و تولّى قتله بيده، و ألحق به جميع من أمده في غيّه، و ظاهره على سوء سعيه، و بعث إلينا برء وسهم فنصبت بمسور غدرها، و قلّدت لبه تلك البنية بشذرها، و أصبحت عبرة للمعتبرين، و آية للمستبصرين، و أحقّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٧٩

اللّه الحقّ بكلماته و قطع دابر الكافرين. وعدنا إلى أريكة ملكنا كما رجع القمر إلى بيته، بعد كيته و كيته، أو العقد إلى جيده، بعد انتشار فريده، أو الطير إلى وكره، مفلتا من غول الشرك و مكره، ينظر الناس إلينا بعيون لم ترو مذ غبنا من محيا رحمة، و لا طشّت عليها بعدنا غمامة رحمة، و لا باتت للسياسة في ذمّة، و لا ركنت لدين و لا همّة، فطوينا بساط العتاب طي الكتاب، و عاجلنا سطور المؤاخذه بالاضطراب، و آنسنا نفوس أولى الاقتراف بالاقتراب، و سهّلنا الوصول إلينا، و استغفرنا الله لنفسنا و لمن جنى علينا، فلا تسألوا عمّا أثار ذلك من استدراك ندم، و رسوخ قدم، و استمتاع بوجود بعد عدم، فسبحان الذي يمحصّ ليشيب، و يأمر بالدعاء ليحيب، و يتبّه من الغفلة و يهيب، و يجتبي إليه من يشاء و يهدى إليه من ينيب. و رأينا أن نطالع علومكم الشريفة بهذا الواقع تسيبا للمفاتحة المعتمدة، و تمهيدا للموالة المجددة، فأخبار الأقطار ممّا تنفقه الملوك على أسمارها، و ترقم ببدائعه هالات أقمارها، و تستفيد منه حسن السّير، و الأمان من الغير، و تستعين على الدهر بالتجارب، و تستدلّ بالشاهد على الغائب، و بلادكم ينبوع الخير و أهله، و رواق الإسلام الذي يأوى قريبه و بعيده إلى ظلّه، و مطلع نور الرسالة، و أفق الرحمة المثالة، منه تقدم علينا الكواكب تضرب آباط أفلاكها، و تتخلّل مداريها المذهبة غدائر أحلاكها، و تستعلى البدور، ثم يدعوها إلى المغرب الحدور، و تطلع الشمس متجردة من كمائم ليها، متهادية في دركات ميلها، ثم تسحب إلى الغروب فضل ذيلها، و من تلقائكم ورد العلم و العمل، و أرى الهمل. فنحن نستوهب من مظانّ الإجابة لديكم دعاء يقوم لنا مقام المدد، و يعدل منه الشيء بالمال و العدد، ففي دعاء المؤمن بظهر الغيب ما فيه ممّا ورد، و إياه سبحانه نسأل أن يدفع عنّا و عنكم دواعي الفتن، و غوائل المحن، و يحملنا على سنن السّين، و يلبسنا من تقواه أوقى الجن، و هو سبحانه يصل لأبوتكم ما تستقلّ لدى قاضي القضاة رسومه، فتكتب حقوقه و تكبت خصومه، و لا تكلفه الأيام و لا تسومه، بفضل الله و عزّته، و كرمه و منّته، و السلام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٦، ص: ٨٠

غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٨٠

الكريم الطيب المبارك بدءا بعد عود، وجودا إثر جود، و رحمة الله تعالى و بركاته؛ انتهى.

و للسان الدين بن الخطيب رحمه الله عن سلطانه المذكور كتاب آخر في هذه الكائنة إلى كبير الموحدين أبي محمد عبد الله بن تفرجين، و لعلنا نذكره إن شاء الله تعالى في الباب الخامس من هذا القسم، عند تعرّضنا لبعض نثر لسان الدين رحمه الله تعالى!.

[رواية ابن خلدون في خلع ابن الأحمر سلطان لسان الدين]

و قد ساق هذه القضية قاضي القضاة الشهير الكبير ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي رحمه الله تعالى في تاريخه الكبير

في ترجمة السلطان الشهير أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن المريني صاحب المغرب ممّا نصّه: الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان: لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبع مائة ونصب ابنه محمد للأمر واستبدّ عليه رضوان مولى أبيه، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته، فلما عدلوا بالأمر عنه حجبه ببعض قصورهم، وكان له صهر من ابن عمّه محمد بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد، فكان يدعوه سرّاً إلى القيام بأمره، حتى أمكنته فرصة في الدولة بخروج السلطان إلى بعض منتزهاته برياضه، فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في أوشب جمعهم من الطغام لثورته، وعمد إلى دار الحاجب رضوان، فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمة وبناته، وقربوا إلى إسماعيل فرسه وركب، فأدخلوه القصر وأعلنوا بيعته، وقرعوا طبولهم بسور الحمراء، وفرّ السلطان من مكانه بمنزله، فلحق بوادي آش. وغدا الخاصة والعامّة على إسماعيل فبايعوه، واستبدّ عليه هذا الرئيس ابن عمّه، فخلعه لأشهر من بيعته، واستقلّ بسلطان الأندلس. ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادي آش بعد مقتل حاجبه رضوان، واتصل الخبر بالمولى السلطان أبي سالم، امتعض لمهلك رضوان وخلع السلطان رعيًا لما سلف له في جوارهم.

وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه، فوصل إلى الأندلس، وعقد مع أهل الدولة على إجازة المخلوع من وادي آش إلى المغرب، وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله بن الخطيب، كانوا اعتقالوه لأوّل أمرهم لما كان رديفاً للحاجب رضوان وركنا لدولة المخلوع، فأوصى المولى أبو سالم إليهم بإطلاقه، فأطلقوه ولحق مع الرسول أبي القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادي آش للإجازة إلى المغرب، وأجاز لذي القعدة من سنته. وقدم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٨١

على السلطان بفاس، وأجلّ قدومه، وركب للقائه، ودخل به إلى مجلس ملكه، وقد احتفل ترتيبه، وغصّ بالمشيخة والعلية. ووقف وزيره ابن الخطيب فأنشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه، ويستحثّه لمظاهرة على أمره، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقته له ورحمة، ثم سرد ابن خلدون القصيدة، وقد تقدّمت.

ثم قال بعد ما صورته: ثم انفضّ المجلس وانصرف ابن الأحمر إلى نزله، وقد فرشت له القصور، وقربت الجياد بالمراكب الذهبية، وبعث إليه بالكسا الفاخرة، ورتبت الجرايات له ولمواليه من المعلوجي وبطانته من الصنائع، وحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلّا الآلة أدبا مع السلطان. واستقرّ في جملته إلى أن كان من لحاقه بالأندلس، وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين ما نحن نذكره؛ انتهى المقصود جلّه من كلام ابن خلدون في هذه الواقعة، وفيه بعض مخالفة لكلام لسان الدين السابق في اللمحة البدرية، إذ قال فيها: إن الثورة عليهم كانت ليلة ثمان وعشرين من رمضان، وابن خلدون جعلها ليلة سبع وعشرين منه، والخطب سهل، وقال في «اللمحة» إنّ انصراف السلطان من وادي آش كان ثاني يوم النحر، وقال ابن خلدون في ذي القعدة: ولعله غلط من الكاتب حيث جعل مكان الحجة القعدة. ورائية ابن الخطيب الذي ذكرها هي من حرّ كلامه وغرر شعره، على أنه كله غرر، إذ جمع فيها المطلوب في ذلك الوقت بأبدع لفظ وأحسن عبارة في ذلك المحفل العظيم، ولم نزل نسمع في المذاكرات بالمغرب أنه لما انتهى فيها إلى قوله «فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر» قال له بعض من حضر ولعله أراد الغصّ منه: أحسنت يا وزير فيما قلت، وفي وصف الحال والسلطان، غير أنه بقى عليك شيء، وهو ذكر قرابة السلطان مولينا بنى مرين وهم من هم، ولا ينبغي السكوت عنهم، فارتجل ابن الخطيب حينئذ قوله «ومن دون ما تبغيه - إلى آخره» حتى تخلّص لمدح بنى مرين أقارب السلطان بما لا مرمى وراءه، ثم قال بعد ذلك معتذرا «أمولاي غاضت فكرتي - إلى آخره» وهذا إن صحّ أبلغ ممّا وقع لأبي تمام في سنيته حيث قال «لا - تنكروا ضربى لى - البيتين» لأنّ أبا تمام ارتجل بيتين فقط، ولسان الدين ارتجل تسعة عشر بيتا، مع ما هو عليه من الخروج عن الوطن وذهاب الجاه والمال، فأين الحال من الحال؟

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٨٢

[رواية أخرى لابن خلدون في خلع ابن الأحمر تتضمن نشأة لسان الدين و نهايته]

وقد كرر ابن خلدون رحمه الله تعالى في تاريخه قضية اعتقال لسان الدين و خلع سلطانه في موضع آخر، و لذكراه و إن سبق بعضه لاشتماله على منشا الوزير لسان الدين، و جملة من أحواله إلى قريب من مهلكه فنقول: قال رحمه الله تعالى بعد ذكره عبد الله والد لسان الدين أنه انتقل من لوشة إلى غرناطة، و استخدم لملوك بني الأحمر، و استعمل على مخازن الطعام، ما حصّله: و نشأ ابنه محمد هذا، يعنى لسان الدين بن الخطيب، بغرناطة، و قرأ و تأدّب على مشيختها، و اختصّ بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل، و أخذ عنه العلوم الفلسفية، و برز في الطب، و انتحل الأدب، و أخذ عن أشياخه، و امتلأ من حول اللسان نظمه و نثره، مع انتقاء الجيد منه، و نبغ في الشعر و الترسيل بحيث لا يجارى فيهما، و امتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر لعصره، و ملأ الدنيا بمدائح، و انتشرت في الآفاق، فرّقه السلطان إلى خدمته، و أثبتته في ديوان الكتاب ببابه مرءوسا بأبي الحسن بن الجياب شيخ العدوتين في النظم و النثر و سائر العلوم الأدبية، و كاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عند ما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبدّ عليه، فاستبدّ ابن الخطيب برياسة الكتاب ببابه مثناة بالوزارة و لقبه بها، فاستقلّ بذلك، و صدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدو. ثم داخله السلطان في تولية العمال على يده بالمشارطات، فجمع له بها أموالا و بلغ به في المخالصة إلى حيث لم يبلغ بأحد ممّن قبله، و سفر عنه إلى السلطان أبي عنان ملك بني مرين بالعدوة معزيا بأبيه السلطان أبي الحسن، فجلّى في أغراض سفارته. ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس و خمسين و سبعمائة، عدا عليه بعض الزعانف في سجوده للصلاة، و طعنه فأشواه، و فاظ لوقته، و تعاورت سيوف الموالى المعلوجى هذا القاتل، فمزّقه أشلاء. و بويع ابنه محمد لوقته، و قام بأمره مولاهم رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم و كفالة الأصاغر من ملوكهم، و استبدّ بالدولة، و أفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لأبيه، و جعل ابن الخطيب رديفا لرضوان في أمره، و مشاركاً في استبداده معه، فجرت الدولة على أحسن حال و أقوم طريقة. ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا إلى السلطان أبي عنان مستمدّين منه على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه. فلما قدم على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٨٣

السلطان و مثل بين يديه، تقدم الوفد الذين معه من وزراء الأندلس و فقهاؤها و استأذنه في إنشاد شعر قدمه بين يدي نجواه، فأذن له، و أنشد و هو قائم: [المنسرح]

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجى قمر
و دافعت عنك كفّ قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى لنا و فى المحل كّفك المطر
و الناس طرا بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا و لا عمروا
و جملة الأمر أنه وطن فى غير عليك ما له وطر
و من به مذ وصلت حبلهم ما جحدوا نعمة و لا كفروا
و قد أهمتهم بأنفسهم فوجهونى إليك و انتظروا

فاهترّ السلطان لهذه الأبيات، و أذن له فى الجلوس، و قال له قبل أن يجلس: ما ترجع إليهم إلّا بجميع طلباتهم، ثم أثقل كاهلهم بالإحسان، و ردّهم بجميع ما طلبوه. و قال شيخنا القاضى أبو القاسم الشريف، و كان معه فى ذلك الوفد: لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلّا هذا. و مكثت دولتهم هذه بالأندلس خمس سنين. ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عمّ السلطان، شركه فى جدّه الرئيس أبى سعيد، و تحيّن خروج السلطان إلى منترهه خارج الحمراء، و تسوّر دار الملك المعروفة بالحمراء، و كبس رضوان فى بيته فقتله. و نصب للملك إسماعيل ابن السلطان أبى الحجاج بما كان صهره على شقيقته، و كان معتقلا بالحمراء، فأخرجه، و بايع

له، و قام بأمره مستتبداً عليه. و أحسّ السلطان محمد بقرع الطبول و هو بالبستان، فركب ناجيا إلى وادي آش، و ضبطها، و بعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملك آباءه بالمغرب. و قد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس. و اعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب و ضيق عليه في محبسه. و كانت بينه و بين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس. و كان غالبا على هوى السلطان أبي سالم، فزین له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش يعده زبونا على أهل الأندلس، و يكف به عادية القرابة الموشحين هنالك متى طمحووا إلى ملك المغرب، فقبل ذلك منه.

و خاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه، و بعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمساني، و حمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب. و حلّ معتقله، فأطلق، و صحب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٨٤

الشريف أبا القاسم إلى وادي آش، و سار في ركاب سلطانه، و قدموا على السلطان أبي سالم، فاهتزّ لقدوم ابن الأحمر، و ركب في الموكب لتلقيه، و أجلسه إزاء كرسيه. و أنشد ابن الخطيب قصيدته يستصرخ السلطان لنصرته، فوعده، و كان يوما مشهودا، ثم أكرم مثواه، و أرغد نزله، و وفر أرزاق القادمين مع ركابه، و أرغد عيش ابن الخطيب في الجراية و الأقطاع. ثم استيأس و استأذن السلطان في التجوال بجهات مراکش و الوقوف على أعمال الملك بها، فأذن له، و كتب إلى العمال بإتحافه، فتياروا في ذلك، و حصل منه على حظّ، و عند ما مرّ بسلا إثر قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة، و وقف على قبر السلطان أبي الحسن، و أنشد قصيدة على روى الرء يرثيه و يستجير به في استرجاع ضياعه بغرناطة، مطلعها: [الكامل]

إن بان منزله و شطّ داره قامت مقام عيانه أخباره

قسّم زمانك عبرة أو عبرة هدى ثراه و هذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة، فشفّعه، و استقرّ هو بسلا منتبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة. ثم عاد السلطان محمد المخلوع إلى ملكه بالأندلس سنه ثلاث و ستين و سبعمائة. و بعث عن مخلفه بفاس من الأهل و الولد، و القائم بالدولة يومئذ الوزير عمر بن عبد الله بن علي، فاستقدم ابن الخطيب من سلا، و بعثهم لنظره، فسرّ السلطان لقدومه، و ردّه إلى منزلته كما كان مع رضوان كافله. و كان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة و ابن أشياخهم، قد لحق بالطاغية ملك النصارى في ركاب أبيه عند ما أحسّ بالشّرّ من الرئيس صاحب غرناطة. و أجاز يحيى من هنالك إلى العدو، و أقام عثمان بدار الحرب، فصحب السلطان في مثنى اغترابه هنالك، و تقلّب في مذاهب خدمته. و انحرفوا عن الطاغية عند ما يسوا من الفتح على يده، فتحولوا عنه إلى ثغور بلادهم، و خاطبوا الوزير عمر بن عبد الله في أن يمكنهم من بعض الثغور الغربية التي لطاعتهم بالأندلس يرتقبون منها الفتح.

و خاطبني السلطان المخلوع في ذلك، و كانت بيني و بين عمر بن عبد الله ذمّة مرعيّة، و خاصة متأكّدة، فوفيت للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله، و حملته على أن يردّ عليه مدينة رندة إذ هي من تراث سلفه، فقبل إشارتي في ذلك، و تسوّغها السلطان المخلوع، و نزل بها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٨٥

و عثمان بن يحيى في جملته، و هو المقدم في بطانته. ثم غزوا منها مالقة، فكانت ركابا للفتح، و ملكها السلطان، و استولى بعدها على دار ملكه بغرناطة، و عثمان بن يحيى متقدّم القدم في الدولة، عريق في المخالصة، و له على السلطان دالة و استبداد على هواه. فلما وصل ابن الخطيب بأهل السلطان و ولده، و أعاده إلى مكانه في الدولة من علوّ يده، و قبول إشارته، أدركته الغيرة من عثمان، و نكر على السلطان الاستكفاء به، و أراه التخوّف من هؤلاء الأعياص على ملكه، فحذره السلطان، و أخذ في التدبير عليه، حتى نكبه و أباه و إخوته في رمضان سنه أربع و ستين و سبعمائة، و أودعهم المطبق، ثم غزبهم بعد ذلك؛ و خلا لابن الخطيب الجوّ، و غلب على هوى السلطان، و دفع إليه تدبير الدولة، و خلط بنيه بسبعمائة و أهل خلوته. و انفرد ابن الخطيب بالحلّ و العقد، و انصرفت إليه الوجوه، و

علقت به الآمال، و غشى بابه الخاصة والكافة، و غصت به بطانة السلطان و حاشيته، ففتنوا في السعائيات فيه، و قد همّ السلطان عن قبولها. و نَمَى الخبير بذلك إلى ابن الخطيب. فشمر عن ساعده في التفويض.

و استخدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ملك العدو يومئذ في القبض على ابن عمّه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ابن السلطان أبي علي [ابن السلطان أبي سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق]، كانوا قد نصبوه شيخاً على الغزاة بالأندلس، لما أجاز من العدو، بعد ما جاس خلالها لطلب الملك، و أضرم بها نار الفتنة في كلّ ناحية، و أحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله، القائم حينئذ بدولة بني مرين، فاضطرّ إلى الإجازة إلى الأندلس، فأجاز هو و وزيره مسعود بن ماساي، و نزلوا على السلطان المخلوع أعوام سبعة و ستين و سبعمائه، فأكرم نزلهم. و توفي علي بن بدر الدين شيخ الغزاة، فقدم عبد الرحمن مكانه. و كان السلطان عبد العزيز قد استبدّ بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله، فغصّ بما فعله السلطان المخلوع من ذلك، و توقّع انتقاض أمره منهم، و وقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسرّ بها في بني مرين، فجزع لذلك. و داخله ابن الخطيب في اعتقال ابن أبي يفلوسن و ابن ماساي و إراحه نفسه من شغبهم، على أن يكون له المكان من دولته متى نزع إليه، فأجابه إلى ذلك، و كتب له العهد بخطه، على يد سفيره إلى الأندلس، و كاتبه أبي يحيى بن أبي مدين. و أغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن يفلوسن و ابن ماساي، فقبض عليهما و اعتقلهما. و في خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه و السعاية، و ربما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٨٦

تخيّل أنّ السلطان مال إلى قبولها، و أنهم قد أحفظوه عليه، فأجمع التحوّل عن الأندلس إلى المغرب. و استأذن السلطان في تفقد الثغور، و سار إليها في لمة من فرسانه، و كان معه ابنه علي الذي كان خالصة للسلطان، و ذهب لطيته، فلما حاذى جبل الفتح فرضه المجاز إلى العدو مال إليه، و سرح إذنه بين يديه، فخرج قائد الجبل لتلقيه. و قد كان السلطان عبد العزيز أوعز إليه بذلك، و جهّز له الأسطول من حينه، فأجاز إلى سبتّه، و تلقاه ولاتها بأنواع التكرمة و امتثال المراسم. ثم سار لقصد السلطان، فقدم عليه سنة ثلاث و سبعين و سبعمائه بمقامه من تلمسان، فاهتزت له الدولة. و أركب السلطان خاصيته لتلقيه، و أحله من مجلسه بمحلّ الأمن و الغبطة، و من دولته بمكان التنويه و العزّة. و أخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس في طلب أهله و ولده، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن و التكرمة. ثم أكثر المنافسون له في شأنه، و أغروا سلطانه بتتبع عثراته، و إبداء ما كان كامناً في نفسه من سقطاته، و إحصاء معاييه. و شاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزندقة أحصوها عليه و نسبوها.

و رفعت إلى قاضي الحضرة أبي الحسن بن الحسن، فاسترهاها، و سجل عليه بالزندقة. و راجع صاحب الأندلس رأيه فيه، و بعث القاضي ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات، و إمضاء حكم الله فيه، فصمّ عن ذلك، و أنف لذمته أن تخفر، و لجواره أن يردّ، و قال لهم: هلّا انتقمتم منه و هو عندكم و أنتم عالمون بما كان عليه؟ و أما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جوارى. ثم وقرّ الجراية و الإقطاع له و لبيته و لمن جاء من أهل الأندلس في جملته. فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع و سبعين و سبعمائه و رجع بنو مرين إلى المغرب و تركوا تلمسان، سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غازي القائم بالدولة، فنزل بفاس، و استكثر من شراء الضياع، و تأتق في بناء المساكن و اغتراس الجنان. و حفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى، و اتّصلت حاله على ذلك، إلى أن كان ما نذكره؛ انتهى.

و قال ابن خلدون في تاريخه ما صورته: كان محمد بن الأحمر المخلوع قد رجع من رندة إلى ملكه بغرناطة في جمادى من سنة ثلاث و ستين، و قتل له الطاغية عدوّه الرئيس المنتزى على ملكهم حين هرب من غرناطة إليه و فاء بعهد المخلوع، و استوى على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٨٧

كرسيه، و استقلّ بملكه، و لحق به كاتبه و كاتب أبيه محمد بن الخطيب، فاستخلصه، و عقد له على وزارته، و فوّض إليه في القيام بملكه، فاستولى عليه، و ملك هواه. و كانت عينه ممتدة إلى المغرب و سكناه، إلى أن نزلت به آفة في رياسته، فكان لذلك يقدم

السوابق و الوسائل عند ملوكه. و كان لأبناء السلطان أبي الحسن كلهم غيره من ولد عمهم السلطان أبي علي، و يخشونهم على أمرهم. و لمّا لحق الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بالأندلس اصطفاه ابن الخطيب، و استخلصه لنجواه، و رفع في الدولة رتبته، و أعلى منزلته، و حمل السلطان علي أن عقد له علي الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بنى عمه من الأعياص، فكانت له آثار في الاضطلاع بها، و لما استبدّ السلطان عبد العزيز بأمره و استقلّ بملكه، و كان ابن الخطيب ساعيا في مرضاته عند سلطانه، فدسّ إليه باعتقال عبد الرحمن بن أبي يفلوسن و وزيره مسعود بن ماساي. و أدار ابن الخطيب في ذلك مكره، و حمل السلطان عليهما، إلى أن سطا بهما [ابن الأحمر]، و اعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز. و تغيّر الجو بين ابن الأحمر و وزيره ابن الخطيب و أظلم، و تنكّر له، فنزع عنه إلى عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين و سبعين و سبعمائة لما قدم من الوسائل، و مؤيد من السوابق، فقبله السلطان، و أحله من مجلسه محلّ الاصطفاء و القرب. و خاطب ابن الأحمر في أهله و ولده، فبعثهم إليه، و استقرّ في جملة السلطان، ثم تأكّدت العداوة بينه و بين ابن الأحمر، فرغب السلطان عبد العزيز في ملك الأندلس، و حمّله عليه، و تواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان إلى المغرب. و نمي ذلك إلى ابن الأحمر، فبعث إلى السلطان عبد العزيز بهدية لم يسمع بمثلهما، انتقى فيها من متاع الأندلس و ما عونها و بغالها الفارضة و معلوجي السبي و جواريه، و أوفد بها رسله يطلب إسلام وزيره ابن الخطيب إليه، فأبى السلطان من ذلك و نكره. و لمّا هلك السلطان و استبدّ الوزير ابن غازي بالأمر تحيّر إليه ابن الخطيب و داخله، و خاطبه ابن الأحمر بمثل ما خاطب به السلطان عبد العزيز، فليج و استنكف عن ذلك، و أقبح الرد. و انصرف رسوله إليه و قد رهب سطوته، فأطلق ابن الأحمر لحيته عبد الرحمن بن أبي يفلوسن و أركبه الأسطول، و قذف به إلى ساحل بطوية و معه الوزير مسعود بن ماساي، و نهض - يعني ابن الأحمر - إلى جبل الفتح، فنازله بعساكره، و نزل عبد الرحمن ببطوية.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٨٨

ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا تركته لطوله، و ملخصه أن الوزير أبو بكر بن غازي الذي كان تحيّر إليه ابن الخطيب ولى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة خوفا عليها من ابن الأحمر، و نهض هو - أعني الوزير - إلى منازل عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ببطوية إذ كانوا قد بايعوه، فامتنع عليه، و قاتله أياما ثم رجع إلى تازا، ثم إلى فاس، و استولى عبد الرحمن على تازا، و بينما الوزير أبو بكر بفاس يدبّر الرأي إذ وصله الخبر بأن ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبي سالم، و هو المعروف بذي الدولتين، و هذه هي دولته الأولى، و ذلك أن ابن عم الوزير و هو محمد بن عثمان لما تولّى سبتة كان ابن الأحمر قد طاول حصار جبل الفتح، و أخذ بمخنقه و تكرّرت المراسلة بينه و بين محمد بن عثمان و العتاب، فاستعجب له، و قبّح ما جاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازي من الاستغلاظ له في شأن ابن الخطيب و غيره، فوجد ابن الأحمر في ذلك السبيل إلى غرضه، و داخله في البيعة لابن السلطان أبي سالم من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة و الرقبة، و أن يقيمه للمسلمين سلطانا و لا يتركهم فوضى و هملا تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ و لا تصحّ ولايته شرعا، و هو السعيد بن أبي فارس الذي بايعه الوزير أبو بكر بن غازي بتلمسان حين مات أبوه و استبدّ عليه، و اختصّ ابن الأحمر أحمد بن أبي سالم من بين أولئك الأبناء لما سبق بينه و بين أبيه أبي سالم من الموات، و كان ابن الأحمر اشترط على محمد بن عثمان و حزبه شروطا؛ منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح الذي هو محاصر له، و أن يبعثوا إليه جميع أبناء الملوك من بنى مرين؛ ليكونوا تحت حوطته، و أن يبعثوا إليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا عليه، فانعقد أمرهم على ذلك، و تقبّل محمد بن عثمان شروطه، و ركب من سبتة إلى طنجة، و استدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله فبايعه، و حمل الناس على طاعته، و استقدم أهل سبتة للبيعة و كتابتها فقدموا و بايعوا، و خاطب أهل جبل الفتح فبايعوا، و أفرج ابن الأحمر عنهم، و بعث إليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح، و خاطب أهله بالرجوع إلى طاعته، فارتحل ابن الأحمر من مالقة إليه، و دخله، و محا دولة بنى مرين ممّا وراء البحر، و أهدى للسلطان أبي العباس و أمده بعسكر من غزاة الأندلس، و حمل إليه مالا للإعانة على أمره. و لمّا وصل الخبر بهذا كلّه إلى الوزير أبي بكر بن غازي قامت عليه القيامة، و كان ابن عمه محمد بن عثمان كتب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٨٩

إليه يمّوه بأنّ هذا عن أمره، فتبرأ من ذلك، و لاطف ابن عمّه أن ينقض ذلك الأمر، فاعتلّ له بانعقاد البيعة لأبي العباس، و بينما الوزير أبو بكر ينتظر إجابة ابن عمّه إلى ما رامه منه بلغه الخبر بأنه أشخص الأبناء المعتقلين كلّهم للأندلس، و حصلوا تحت كفالة ابن الأحمر، فوجم و أعرض عن ابن عمّه، و نهض إلى تازا لمحاصرة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن، فاهتبل في غيبته ابن عمّه محمد بن عثمان ملك المغرب و وصله مدد السلطان ابن الأحمر من رجال الأندلس الناشبة نحو ستمائة، و عسكر آخر من الغزاة، و بعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمّه السلطان أحمد و مظاهرتة و اجتماعهما على ملك فاس، و عقد بينهما الاتفاق على أن يختصّ عبد الرحمن بملك سلفه، فتراضيا. و زحف محمد بن عثمان و سلطانه إلى فاس، و بلغ الخبر إلى الوزير أبي بكر بمكانه من تازا، فانفضّ معسكره، و رجع إلى فاس، و نزل بكديّة العرائس و انتهى السلطان أبو العباس أحمد إلى زرهون، فصمد إليه الوزير بعساكره، فاقتلّ مصافه، و رجع على عقبه مفلولا، و انتهب عسكره، و دخل البلد الجديد، و جأجا بالعرب أولاد حسين فعسكروا بالزيتون ظاهر فاس، فنهض إليهم الأمير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الأجلاف، و شرّدهم إلى الصحراء، و شارف السلطان أبو العباس أحمد بجموعه من العرب و زناتة، و بعثوا إلى ولي دولتهم و نزار بن عريف بمكانه من قصره الذي اختطّه بملوية، فجاءهم، و أطلعوه على كامن أسرارهم، فأشار عليهم بالاجتماع و الاتفاق، فاجتمعوا بوادي النجا، و تحالفوا ثم ارتحلوا إلى كديّة العرائس في ذى القعدة من سنة خمس و سبعين و برز إليهم الوزير بعساكره، فانهمت جموعه، و أحيط به، و خلص إلى البلد الجديد بعد غصّ الريق، و اضطرب معسكر السلطان أبي العباس بكديّة العرائس و نزل الأمير عبد الرحمن بإزائه، و ضربوا على البلد الجديد سيجا بالبناء للحصار، و أنزلوا بها أنواع القتال و الإرهاب. و وصلهم مدد السلطان ابن الأحمر، فأحكموا الحصار، و تحكّموا في ضياع الوزير ابن الخطيب بفاس، فهدموها و عاثوا فيها. و لما كان فاتح سنة ست و سبعين داخل محمد بن عثمان ابن عمّه الوزير أبا بكر في النزول عن البلد الجديد و البيعة للسلطان، لكون الحصار قد اشتدّ به و يئس و أعجزه المال، فأجاب و اشترط عليهم الأمير عبد الرحمن التجافي له عن أعمال مراكش بدل سجدماسه، فعدّوا له على كره، و طووا على المكر، و خرج الوزير أبو بكر إلى السلطان و بايعه، و اقتضى عهده بالأمان و تخليّة سبيله من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٩٠

الوزارة، و دخل السلطان أبو العباس إلى البلد الجديد سابع المحرم، و ارتحل الأمير عبد الرحمن يومئذ إلى مراكش، و استولى عليها؛ انتهى.

و قال حفيد السلطان ابن الأحمر في تاريخه ما صورته: لما لحق الرئيس أبو عبد الله بن الخطيب بالمغرب عام اثنين و سبعين و سبعمائة، و كان من وفاة مجيره و المحامي عنه السلطان عبد العزيز ما ألمعنا بذكره، شدّ الوزير أبو بكر بن غازي يده على ابن الخطيب بانبا على أشدّ الأشياء ألا- يسلمه لمولانا جدنا مع توعّع البغضاء، و اقتدى هذا الوزير بالسلطان عبد العزيز في إعراضه عن العقود الموجهة من الأندلس بالمقدع من موبقات ابن الخطيب، ولج في الغلواء، و سجل موجبات الوفاء، و البواعث من مولانا جدنا تزايد، و الأساطيل تتجهّز، و الآراء بالقصد الخطير ينتقى منها الصواب و يتخيّر، حتى خيم مولانا جدنا بظاهر جبل الفتح، و كان إذ ذاك راجعا إلى إيالة المغرب، فأناخ عليه كلكل الجيش، و أهمهم ثقل الوطأة و لم يبال مولانا جدنا بما أرسلت آناء الليل و أطراف النهار من شآبيب الأنفاط، و الجوار من باب الشطائين قريب، و الخالصة من الثقات مستريب، و النجاة من تلك الأهوال من الأمر الغريب، و لم يبق بغرناطة من له خلوص، و لا- من تترامى به هميّة إلّا و أعمل السير الحثيث و لحق بمولانا جدنا لحاق المحبّ بالحبيب، حتى أهل العلم، و الرجاحة و الحلم، و لا كالسيد الإمام الأستاذ أبي سعيد قطب الجملة، و عميد الملة، و هو الذي بلغنا نظمه في هذه الوجهة، و عند ما ألقى عصا التسيار في الجهة القريبة من أولى العداوة، و من ذلك قصيدته المشهورة التي أولها: [الطويل]

أيا جبل الفتح استملت نفوسنا فلا قلب إلّا نحو مغناك قد سبق

فأرسلت إذ جئناك فينا صواعقا تخال بها جو السماء قد انطبق

و قوله في إجابة السفهاء من الهاتفين بالسور موطنًا معجبا رحمة الله تعالى عليه: [الطويل]

و ذموا و ما يعنون إلّا مذمّما و أنت - بحمد الله - تدعى محمدا

و قول حامل اللواء الآتي ذكره في تضاعيف الأسماء: [الكامل]

أمّا مرامك في عراض اليد فمبلّغ ما شئت من مقصود

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٩١

و الهجر إن ألفتة أسنة العدا يأباه فضل مقامك المحمود

سحقا لهم سفهاء كلّ قبيلة شدّت مقالتهنّ عن المعهود

قد ضلّت الأحلام منهم رشدّها هذا، و منك الحلم غير بعيد

مع عزمه لو شئت هدّت كلّ ما قد أحكموا من معلم و مشيد

إلى أن قال: الخبر عن اجتماع الأميرين أبي العباس و أبي زيد متصاحبين و مترافقين على استخلاص مدينة فاس من يد الوزير أبي بكر

بن غازي بن الكاس: و كتب الرئيس أبو عبد الله بن زمرك في ملخص هذه الكائنة حثّ الوزير محمد بن عثمان السير في وسط عام

خمس و سبعين و سبعمائة، و تلاقى بسلطانه أبي العباس مع الأمير أبي زيد عبد الرحمن، و استقلا بالطائفة، و حصلوا من التضييق على

السعيد الطفل الصغير و على وزيره أبي بكر بن غازي في متسع الخطّة و رحيب ذرع الخلافة، و تصالحا عن رضا و تسليم منهما و من

أشياءهما على تسليم السعيد إلى اللحاق بمن كان في طنجة من الأمراء، و اتّصل السلطان عبد الرحمن بمراكش، فكان ملكها، و جابى

أموالها، و تملك السلطان أبو العباس مدينة فاس و ما والى البلاد الساحلة و سواها ممّا يحتوى عليه ملك المدينة البيضاء بزا و بحرا.

و عبّر كاتب الدولة عن المدينة و عن الطفل متملكها بقوله: و إلى هذا فقد ارتفع الالتباس، و اطرّد القياس، و غير خفي عن ذي عقل

سليم، و ذى تفويض للحقّ و تسليم، أن دار الملك المريني كمامة بلا زهر، و رياض بلا نهر، إن لم يقتعد كرسياها، من يزيّن جديها و

يجيد حليها، و آن أوان البشرى لمن يمتعض للدين، و الآن قلادة التقوى منوطه بقلم أعلام الملوك المهتدين، ثم ذكر ما يطول من

فصول، و ربما اشتملت على فضول، و ملخصه مثل ما ذكر ابن خلدون.

[ابن خلدون يتحدث عن مقتل لسان الدين]

ثم ساق قاضى القضاة ابن خلدون - بعد ما تقدّم جلّبه من تاريخه - الكلام على محنة لسان الدين بن الخطيب و وفاته مقتولا رحمه الله

تعالى فقال ما صورته: و لما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ستّ و سبعين استقلّ بسلطانه، و الوزير محمد

بن عثمان مستبدّ عليه، و سليمان بن داود بن أعراب كبير بنى عسكر رديفه، و قد كان الشرط وقع بينه و بين السلطان ابن الأحمر - عند

ما بويع بطنجة - على نكبة الوزير ابن الخطيب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٩٢

و إسلامه إليه، لما نمى إليه عنه أنه كان يغرى السلطان عبد العزيز بملك الأندلس. فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة و لقيه أبو

بكر بن غازي بساحة البلد الجديد، فهزّمه السلطان، و لازمه بالحصار، أوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد خوفا على نفسه. فلما

استولى السلطان على البلد أقام أياما، ثم أغره سليمان بن داود بالقبض على ابن الخطيب، فقبضوا عليه، و أودعوه السجن، و طيروا

بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر. و كان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على

مشيخة الغزاة بالأندلس متى أعاده الله تعالى إلى ملكه، فلما استقرّ إليه سلطانه أجاز إليه سليمان سفيرا عن الوزير عمر بن عبد الله و

مقتضيا عهده من السلطان، فصده الوزير ابن الخطيب عن ذلك، محتجّا بأنّ تلك الرياسة إنما هي لأعياص الملك من بنى عبد الحق؛

لأنهم يعسوب زناتة، فرجع سليمان، و أثار حقد ذلك لابن الخطيب. ثم جاوز الأندلس لمحل إمارته من جبل الفتح، فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفث كل واحد منهما لصاحبه بما يحفظه ممّا كمن في صدورهما. و حين بلغ خبر القبض على ابن الخطيب إلى السلطان ابن الأحمر بعث كاتبه و وزيره بعد ابن الخطيب، و هو أبو عبد الله بن زمرك، فقدم على السلطان أبي العباس، و أحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة، و عرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في المحبة، فعظم النكير فيها، فوبخ و نكل، و امتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملاء، ثم نقل إلى محبسه. و اشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه، و أفتى بعض الفقهاء فيه، و دس سليمان بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله، فطرقوا السجن ليلا، و معهم زعانف جأؤوا في ليف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر، و قتلوه خنقا في محبسه، و أخرج شلوه من الغد، فدفن بمقبرة باب المحروق. ثم أصبح من الغد على مسافة قبره طريحا، و قد جمعت له أعواد، و أضرمت عليه نار، فاحترق شعره، و اسود بشره، فأعيد إلى حفرته، و كان في ذلك انتهاء محنته. و عجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان، و اعتدوها من هناته، و عظم النكير فيها عليه و على قومه و أهل دولته، و الله الفعال لما يريد.

[أبيات لسان الدين قالها و هو سجين]

و كان- عفا الله تعالى عنه!- أيام امتحانه بالسجن يتوقّع مصيبة الموت فتجهش هواتفه بالشعر يبكي نفسه. و ممّا قال في ذلك رحمه الله تعالى: [المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٩٣
بعдна و إن جاورتنا البيوت و جئنا بوعظ و نحن صموت
و أنفاسنا سكنت دفعه كجهر الصلاة تلاه القنوت
و كئنا عظاما فصرنا عظاما و كئنا نقوت فها نحن قوت
و كئنا شمس سماء العلا غربنا فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا و ذو البخت كم جدلته البخوت
و كم سيق للقبر في خرقة متى ملئت من كساه التّخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب وفات، و من ذا الذي لا يفوت
و من كان يفرح منهم له فقل: يفرح اليوم من لا يموت
انتهى كلام ابن خلدون في «ديوان العبر».

[حديث للحافظ ابن حجر عن مقتل لسان الدين]

و قال الحافظ ابن حجر في «أنباء الغمر» بعد أن ذكر ما قدمناه على سبيل الاختصار، ما نصّه: و اشتهر أنه- يعنى لسان الدين- نظم حين قدّم للمقتل الأبيات المشهورة التي يقول فيها:

[المتقارب]

و قل للعداء مضي ابن الخطيب وفات فسبحان من لا يفوت
فمن كان يشمت منكم به فقل: يشمت اليوم من لا يموت
و الصحيح في ذلك ما ذكره صديقه شيخنا ولى الدين ابن خلدون أنه نظم الأبيات المذكورة و هو في السجن، لما كان يستشعر من

التشديد؛ انتهى.

ثم حكى ابن حجر عن بعض الأعيان أن ابن الأَحمَر ووجهه إلى ملك الإفرنج في رسالته، فلتما أراد الرجوع أخرج له رسالة لابن الخطيب تشتمل على نظم و نثر، فلما قرأها قال له: مثل هذا كان ينبغي أن لا يقتل، ثم بكى حتى بلّ ثيابه؛ انتهى كلام الحافظ، و بعضه بالمعنى.

فانظر- سدّدك الله تعالى- بكاء العدو الكافر على هذا العلامه، و قتل إخوانه في الإسلام له على حظّ نفساني، و لا حول و لا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، لا ربّ غيره.

[تخميس بعض بنى الصباغ لأبيات لسان الدين التي قالها و هو فى السجن]

قلت: و رأيت بحضرة فاس- حاطها الله تعالى!- تخميسا لهذه الأبيات بديعا منسوبا إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٩٤

بعض بنى الصباغ، و زاد فى الأصل بعض أبيات على ما ذكره ابن خلدون من هذه القطعة، و المزيد يشبه نفس لسان الدين بن الخطيب، فعمل ابن خلدون اختصر منها، أو لم يقف على الزائد، و لثبت جملته تميمًا للمقصود، فنقول: قال رحمه الله تعالى:

[المتقارب]

أيا جاهلا غرّه ما يفوت و ألهاه حال قليل الثبوت

تأمل لمن بعد أنس يقوت بعدنا و إن جاورتنا البيوت

و جئنا بوعظ و نحن صموت

لقد نلت من دهرنا رفعة تقصّت كبرق مضى سرعه

فهيّاهات نرجو لها رجعة و أصواتنا سكنت دفعه

كجهر الصلاة تلاه القنوت

بدا لى من العزّ وجه شباب يؤمّل سيبى و بأسى يهاب

فسرعان مرّق ذاك الإهاب و مدّت و قد أنكرتنا الثياب

علينا نسائجها العنكبوت

فآها لعزّ تقصّى منا ما منحنا به الجاه قوما كراما

و كنّا نسوس أمورا عظاما و كنّا عظاما فصرنا عظاما

و كنّا نقوت فيها نحن قوت

و كنّا لدى الملك حلى الطلى فآها عليه زمانا خلا

نعوّض من جدّه بالبلى و كنّا شمس سماء العلا

غربنا فناحت علينا السّموت

تعوّدت بالرغم صرف الليالى و حملت نفسى فوق احتمالى

و أيقنت أن سوف يأتى ارتحالى و من كان منتظرا للزوال

فكيف يؤمّل منه الثبوت

هو الموت يا ما له من نبا يجوز الحجاب إلى من أبى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٩٥

و يألف أخذ سنّي الحبا فكم أسلمت ذا الحسام الظبا
و ذا البخت كم جدلته البخوت
هو الموت أفصح عن عجمه و أيقظ بالوعظ من خفته
و سلّى عن الحزن ذا حرقة و كم سيق للقبر فى خرقة
فتى ملئت من كساه التخوت
تقضى زمانى بعيش خصيب و عندى لذنبى انكسار المنيب
وها الموت قد صبت منه نصيبى فقل للعدا ذهب ابن الخطيب
وفات و من ذا الذى لا يفوت
مضى ابن الخطيب كمن قبله و من بعده يقتفى سبله
و هذا الردى ناثر شمله فمن كان يفرح منهم له
فقل: يفرح اليوم من لا يموت
هو الموت عمّ فما للعدا يسرون بى حين ذقت الردى
و من فاته اليوم يأتى غدا سيبلى الجديد إذا ما المدى
تتابع آحاده و السبوت
أخى توخّ طريق النجاة و قدّم لنفسك قبل الممات
و شمّر بجدّ لما هو آت و لا تغترر بسراب الحياة
فإنك عمّا قريب تموت

[أبيات لبعض الشاميين فى معنى بعض أبيات لسان الدين]

و قد ذكرنى قوله رحمه الله تعالى «فمن كان يفرح منهم له- إلى آخره» قول بعض العلماء الشاميين: [الكامل]
يا ضاحكا بمن استقلّ غباره سيثور عن قدميك ذاك العثير
لا فارس بجنودها منعت حمى كسرى، و لا للروم خلّد قيصر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٩٦
جدد مضت عاد عليه و جرحهم و تلاه كهلان و عقب حمير
وسطا بغسان الملوك و كنده فلها دماء عنده لا تتأثر
لعبت بهم فكأنهم لم يخلقوا و نسوا بها فكأنهم لم يذكروا

[كلام لأبى الخطاب بن دحية فى التسلى عن كوارث الزمان]

و ما أحسن قول أبى الخطاب بن دحية الحافظ بعد كلام ما صورته: و أخذت من طريق خوزستان إلى طريق حلوان، و قاسيت من
الغربة أصناف الألوان، و مررت على مدائن كسرى أنوشروان، وزرت بها قبر صاحب النبى، صلى الله عليه و سلم، الزاهد العابد المعمر
سلمان، و أعملت منها السير و الإغذاذ، إلى مدينة بغداد، فنظرت إليها معالم و ربوعا، و أقمت بها مرة عاما و مرة أسبوعا و أسبوعا، و
أنا أبدى فى ندائهم و أعيده، و الترب قد علا على منازلهم و الصعيد، و أسأل عن الخلفاء الماضين و أنشد، و لسان الحال يجاوبنى و

ينشد: [مخلع البسيط]

يا سائل الدار عن أناس ليس لهم نحوها معاد

مرّت كما مرّت الليالي أين جديس و أين عاد

بل أين أبو البشر آدم الذي خلقه بيده الكبير المتعال؟ أين الأنبياء من ولده و الأرسال؟

أهل النبوة و الرسالة، و الوحي من الله ذى الجلالة؟ أين سيدهم محمد الذى فضّله عليهم ذو العزة و الجلال، و جعله شفيعهم مع أمته و الناس فى شدائد الأهوال؟ أين القرون الماضية و الأجيال؟ أين التابعه و الأقبال؟ أين ملوك همدان؟ أين أولو الأبرق الفرد أو

غمدان؟ أين أولو التيجان و الأكاليل؟ أين الصّيد و البهاليل؟ بل أين النمارذة و أكبرهم نمرود إبراهيم الخليل؟

أين الفراعنة و من هو بالسحر عليم، الذين منهم فرعون موسى الكليم؟ أين ملك الهدنانية هدد بن بدد الكردى، الذى لم يكن صدره بمفيد له و لا مجدى؟ و قد أخبر الحقّ جلّ جلاله عنه أنه كان يأخذ كل سفينة غضبا، و زعم المؤرخون أنه كان أيضا يملأ القلوب

رعبا، و يسوم أصحابه قتلا و صلبا، مع الطمع فى المال، و عدم النظر فى عقبى المآل. أين الفرس و ملوكها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٩٧

و عدلها و عدولها؟ أين دارا بن دارا بن بهمان؟ أين إسكندر بن فلبس اليونانى الذى غلبه و ملك بلاده فى ذلك الزمان؟ و إطاعه

جميع ملوك الأقاليم، و قدر الله به امتحان الخلق ذلك تقدير العزيز العليم؟ أين كسرى و قيصر؟ غلبهما من الموت الأسد القصور، بعد

أن أخرجهما من بلادهما أمير المؤمنين أبو حفص عمر، لما ظهرت الملمة الحنيفة كما ظهرت الشمس و بدا القمر، أين أولاد جفنة و

ملوك غسان؟ أين ماديح زياد و حسان؟ أين هرم بن سنان؟ أين الملاعب بالسّينان؟ أين أولاد مضر بن نزار بن معد بن عدنان؟ أين

بنو عبد المدان؟ أين أرباب العواصم؟ أين قيس بن عاصم؟ أين العرب العرباء الأمة الفاضلة، و الجماعة المناضلة؟

أين أولو الباس و الحفاظ، و ذوو الحميّة و الإحفاظ؟ حيث الوفاء و العهد، و الحياء و الرّفد، إلى علوّ الهمم، و الوفاء بالذّمم، و العطاء

الجزل، و الضيف و النزّل، و هبة الأقال و البزل، و إنها لا تدين عزّا و لاتقاد، و لا ترام أنفة و لا تفاد، أين قريش المغرورة فى الجاهلية

بالحى اللقاح، و الشعب الوقاح؟ أين الماضون من ملوك بنى أمية ذوو الألسن الذلق، و الأوجه الطلق؟ و الحميّة؟ أين خلفاء بنى

العباس بن عبد المطلب، الذين شرفهم بالأصالة و ليس إليهم بالمنجلب؟ ذوو الشرف الشامخ، و الفخر الباذخ، و الخلافة السّنية الرضية،

و المملكة العامة المرضية. بلغتنا و الله وفاتهم، و لم يبق إلّا ذكرهم و صفاتهم، قبض ملك الموت أرواحهم قبضا، و لم يترك لهم

حراكا و لا نبضا، و مزّق الدود لحومهم قددا، و وجدوا ما عملوا حاضرا و لا يظلم ربك أحدا، إلّا ما كان من أجساد الأنبياء عليهم

أفضل الصلاة و التسليم، فإنّ الله تعالى حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، و قد تكلمت على هذا الحديث و أثبت أنه من

الصحيح لا السقيم، و خرجت طرقة فى كتابى «العلم المشهور» بعون من العزيز الرحيم، فما أبعد المرء عن رشده و ما أقصاه، كم وعظه

الدهر و كم وصاه، يخلط الحقيقة بالآل، و العاقل بالحال، و لا توبة حتى يشيب الغراب، و يألف الدم التراب، فى لهفى لبعث الدار، و

انقضاض الجدار، و أنت هامة ليل أو نهار، و قاعد من عمرك على شفا جرف هار، تقرأ العلم و تدعيه، و لا تفهمه و لا تعيه، فهو

عليك لا لك، فأولى لك ثم أولى لك، أما آن لليل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٩٨

الغى أن تنجلي أحلاكه، و لنظم البغى أن تنتثر أسلاكه، و أن يستفزع الجانى جناه، و يأسف على ما اقترفه و جناه، و أن يلبس عهاده

بتّا، و يطلق الدنيا بتّا و يفرّ منها فرار الأسد، و يتيقّن أنه لا بدّ من مفارقة الروح الجسد، نهنا الله تعالى من سنات غفلاتنا، و حسن ما

ساء من صنائعنا الذميمة و سلاتنا، و جعل التقوى أحصن عددنا و أوثق آلاتنا، اللهم إليك المآب، و بيدك المتاب، قد واقنا الخطايا،

و ركبنا الأجرام رواحل و مطايا، فتب علينا أجمعين، و أدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين الطائعين، و صلّى الله على سيد ولد آدم

محمد شفيعنا يوم القيامة، و صاحب الحوض المورود و المقام المحمود و الكرامة، و على آله الطاهرين، و أصحابه أهل الرضوان

المنتخبين، و سلام الله عليه و عليهم إلى يوم الدين؛ انتهى و هو آخر كتابه «النبراس، في تاريخ بنى العباس» و ذكرته بطوله لمناسبته. قلت: و قد سلكت هذا المنحى نظماً في خطبة هذا الكتاب كما مرّ، و لسان الدين رحمه الله تعالى كلام قريب من هذا سيأتى إن شاء الله تعالى.

[أبيات في الاعتبار – و ذكر الموت]

و أقول: إني قد تذكّرت هنا قول القائل: [البسيط]
 نظوى سبوتا و آحادا و نشرها و نحن في الطيّ بين السبت و الأحد
 فعد مات من سبت و من أحد لا بدّ أن يدخل المطوى في العدد
 قول الآخر: [الطويل]
 ألم تر أن الدهر يوم و ليلة يكرن من سبت عليك إلى سبت
 فقل لجديد العيش لا بدّ من بلى و قل لاجتماع الشمّل لا بدّ من شتّ
 و اعلم أنّ لسان الدين كانت الأيام له مسالمة، لم يقدر أحد أن يواجهه بما يدنّس معاليه أو يطمس معلمه، فلمّا قلبت الأيام له ظهر مجنّها، و عاملته بمنعها بعد منحها و منها، أكثر أعداؤه في شأنه الكلام، و نسبوه إلى الزندقة و الانحلال من ريقه الإسلام، بتنقص النبي عليه أفضل الصلاة و السلام، و القول بالحلول و الاتحاد، و الانخراط في سلك أهل الإلحاد، و سلوك مذاهب الفلاسفة في الاعتقاد، و غير ذلك ممّا أثاره الحقد و العداوة و الانتقاد، مقالات
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٩٩
 سبواها إليه خارجة عن السنن السويّ، و كلمات كدروا بها منهل علمه الزويّ، و لا يدين بها و يفوه إلّا الضالّ الغويّ، و الظنّ أنّ مقامه رحمه الله تعالى من لبسها برى، و جنبه سامحه الله تعالى عن لبسها عرى. و كان الذي تولى كبر محنته و قتله، تلميذه أبو عبد الله بن زمرك الذي لم يزل مضمرًا لخلته، فلقد وقفت على خطّ ابن لسان الدين على أنه تسبّب في قتل لسان الدين أبيه، و سيأتى الإلماع و الإلمام بابن زمرك المذكور في تلامذة لسان الدين، مع أنه - أعنى لسان الدين - حلاه في الإحاطة أحسن الحلّى، و صدقه فيما انتحله من أوصاف العلاء، و قد سبق في كلام ولي الدين ابن خلدون أنه قدم على السلطان أبي العباس أحمد المريني في شأن الوزير ابن الخطيب، و أخرج إلى مجلس الخاصة، و امتحن و المجالس بالأعيان غاصّة، و لا حول و لا قوة إلّا بالله.

[من أعداء لسان الدين القاضى أبو الحسن النباهى، و ما يتصل بذلك]

و من أعدائه الذين باينوه بعد أن كانوا يسعون في مرضاته سعى العبيد، القاضى أبو الحسن بن الحسن النباهى، فكم قبيل يده، ثم جاهره بعد انتقال الحال، و جدّ في أمره مع ابن زمرك حتى قتل لسان الدين، و انقضت دولته، فسبحان من لا يتحوّل ملكه و لا يبيد. و قد سبق فيما جلبناه من كلام ابن خلدون أن القاضى ابن الحسن قدم على السلطان عبد العزيز في شأن لسان الدين و الانتقام منه بسبب تلك السجلات و إمضاء حكم الله فيه بمقتضاها، فأبى السلطان من ذلك، و قال: هلمّا فعلتم أنتم ذلك حين كان عندكم؟ و امتنع لذمته أن يخفّره، فلمّا أراد الله بنفوذ الأمر، و عدم نفع زيد و عمرو، توفى السلطان عبد العزيز، و اختلّت الأحوال، و اضطربت بالمغرب نيران الأحوال، فقدم في شأنه الوزير الكاتب ابن زمرك خادمه الذى ربا و صنيعته، فكان ما كان ممّا سبق به الإلمام. و قد ذكرنا في الباب الأول قول لسان الدين رحمه الله تعالى في قصيدته النونية: [الطويل]

تلون إخوانى على و قد جنت على خطوب جمّة ذات ألوان

و ما كنت أدري قبل أن يتنكروا بأن خوانى كان مجمع خوانى

و كانت قد حمّ القضاء صنائعى على بما لا أرتضى شرّ أعوان

و لقد صدق رحمه الله تعالى، على أنه قال هذه القصيدة فى النكبة الأولى التى انتقل فيها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٠٠

مع سلطانه إلى المغرب، كما مرّ مفصّلاً، و كأنه عبّر عن هذه المحنة الأخيرة التى ذهبت فيها نفسه على يد صنائعه الكاتب ابن زمرك

و القاضى ابن الحسن، سامح الله الجميع!

و يرحم الله أبا إسحاق التلمسانى صاحب الرجز فى الفرائض حيث يقول: [المنسرح]

الغدر فى الناس شيمه سلفت قد طال بين الورى تصرفها

ما كلّ من قد سرت له نعم منك يرى قدرها و يعرفها

بل ربما أعقب الجزاء بها مضره عزّ عنك مصرفها

أما ترى الشمس كيف تعطف بالنور على البدر و هو يكسفها

[حكاية لسان الدين مع رسول ملك النصارى تدل على علو همته]

و قال لسان الدين، بعد ذكره أنّ ملك النصارى دون جانحه بن دون ألفتش استنصر على أبيه بالسلطان المجاهد أبى يوسف يعقوب

بن عبد الحق المرىنى، و لاذبه، و رهن عنده تاجه ذخيرة النصارى، و لقيه بصخرة عباد من أحواز رنده، فسلم عليه، و يقال: إن أمير

المسلمين لما فرغ من ذلك طلب بلسان زناته الماء ليغسل يده به من قبله ألفتش أو مصافحته، ما نصّه: و الشىء بالشىء يذكر، فأثبت

حكاية اتفقت لى بسبب ذلك، أستدعى بها الدعاء ممن يحسن عنده موقعها، و هى أنّ اليهودى الحكيم ابن زرزار، على عهد ملك

النصارى حفيد هذا الفنش المذكور، وصل إلينا بغرناطة فى بعض حوائجه، و دخل إلى بدار سكتاى مجاور القصر السلطانى بحمراء

غرناطة، و عندى القاضى اليوم بغرناطة و غيره من أهل الدولة، و بيده كتاب من سلطان المغرب محمد بن أبى عبد الرحمن ابن

السلطان الكبير المولى أبى الحسن، و كان محمد هذا قد فرّ إلى صاحب قشتالة، و استدعى من قبله إلى الملك، فسهل له ذلك، و

شرط عليه ما شاء، و ربّما وصله خطابه بما لم يقنعه فى إطرائه، فقال لى: «مولاى السلطان دن بطره يسلم عليك، و يقول لك: انظر

مخاطبة هذا الشخص، و كان بالأمس كلبا من كلاب بابه، حتى ترى خسارة الكرامة فيه». فأخذت الكتاب من يده و قرأته، و قلت له:

«أبلغه عنى أنّ هذا الكلام ما جرّك إليه إلّا خلوق بابك من الشيوخ الذين يعرفونك بالكلاب و بالأسود، و بمن تغسل الأيدي منهم إذا

قبلوها، فتعلم من الكلب الذى تغسل اليد منه و من لا. و إنّ جدّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٠١

هذا الولد هو الذى قبل جدّك يده و استدعى الماء لغسل يده منه بمحضر النصارى و المسلمين، و نسبة الجدّ إلى الجدّ كنسبة الحفيد

للحفيد، و كونه لجأ إلى بلادك ليس بعار عليه، و أنت معرّض إلى اللجأ إليه فيكافئك بأضعاف ما عاملته به». فقام أبو الحسن

المستقضى بيكى، و يقبل يدي، و يصفنى بولّى الله، و كذلك من حضرنى. و توجه إلى المغرب رسولا، فقصّ على بنى مرىن خبر ما

شاهده منى و سمعه، و بالحضرة اليوم ممن تلقى منه ذلك كثير، جعل الله تعالى ذلك خالصا لوجهه! انتهى.

[مدح لسان الدين للقاضى النباهى و ذم لسان الدين للقاضى النباهى بعد أن أظهر له العداوة]

و قد أثنى لسان الدين فى «الإحاطة» على القاضى ابن الحسن المذكور كما سيأتى، و قال فى ترجمة السلطان ابن الأحمر ما نصّه: ثم

قدّم للقضاء الفقيه الحسيب أبا الحسن، و هو عين الأعيان بمالقته، المخصوص برسم التجلّة و القيام بالعقد و الحلّ، فسدد و قارب، و حمل الكلّ، و أحسن مصاحبة الخطبة و الخطّة، و أكرم المشيخة مع النزاهة، و لم يقف في حسن الثأني على غايته، فاتفق على رجاحتها، و لم يقف في النصح عند غايته؛ انتهى.

و حين أظلم الجوّ بينه و بين لسان الدين ذكره في «الكتيبة الكامنة»، بما يباين ما سبق، و لقبه بالجعسوس، و لم يقنعه ذلك حتى ألف فيه «خلع الرسن في وصف القاضي ابن الحسن».

[خطاب تقرير من القاضي النباهي إلى لسان الدين]

و قد وقفت بفاس المحروسة على كتاب مطّول كتبه ابن الحسن لسان الدين بعد تحوّله عن الأندلس، و نص ما تعلق به الغرض هنا: «فشرعتم في الشراء، و تشييد البناء، و تركتم الاستعداد لهاذم اللذات، هيهات هيهات، تبنون ما لا تسكنون، و تدّخرون ما لا تأكلون، و تؤملون ما لا تدركون؟ أيّنا تكونوا يُدرِككم الموتُ و لو كنتم في بُرُوجٍ مُشَيِّدَةٍ [النساء: ٧٨] فأين المهرب ممّا هو كائن، و نحن إنّما نتقلّب في قدرة الطالب، شرقتم أو غربتم، و الأيام تتقاضى الدّين، و تنادى بالنفس الفزارة إلى أين إلى أين، و نترك الكلام مع الناقد فيما ارتكبه من تركية نفسه، و عدّ ما جلبه من مناقبه، ما عدا ما هدّد به من حديد لسانه، خشية اندراجه في نمط من قال فيه رسول الله صلّى الله عليه و سلّم «إنّ من شرّ الناس من تركه الناس اتّقاء فحشه» و لا غيبة فيمن ألقى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٠٢

جلباب الحياء عن وجهه، و زخمه على ما أبداه أو أهده من العيوب التي نسبها لأخيه، و استراح على قوله بها فيه، و نذكره على طريقة نصيحة الدين بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول الله صلّى الله عليه و سلم، و هو قوله «أ تدرّون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له و لا متاع، فقال: إنّ المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاة و صيام و زكاة، و يأتي قد شتم هذا، و قذف هذا، و أكل مال هذا، و سفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته، و هذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرح عليه، ثم طرح في النار».

و يعلم الله أنّ معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق، هو الذي حملني على نصحك، و مراجعتكم في كثير من الأمور: منها الإشارة عليكم بإذهاب عين ما كتبت به في التاريخ و أمثاله، فإنكم نفعتم بما وقعتم فيه من الغيبة المحرمة أحياء و أمواتا لغير شيء حصل بيدكم و ضررتم أنفسكم بما ربتتم لهم من المطالبات بنصّ الكتاب و السّنة قبلكم، و الرضا بهذه الصفة الخاسرة أمر بعيد من الدين و العقل. و قد قلت لكم غير مرة عن أطراسكم المسودة بما دعوتم إليه من البدعة و التلاعب بالشريعة إنّ حقّها التخريق و التحريق، و إنّ من أطراها لكم فقد خدع نفسه و خدعكم، و الله الشهيد بأني نصحتكم و ما غششتكم، و ليس هذا القول و إنّ كان ثقيلًا عليكم بمخالف كلّ المخالفة لما زنتم به من تقدّم المواجهة بالملاطفة و المعاملة بالمكارمة، فليست المداراة بقادحة في الدين، بل هي محمودة في بعض الأحوال، مستحسنه على ما بيّنه العلماء، إذ هي مقارنة في الكلام أو مجاملة بأسباب الدنيا لصلاحها أو إصلاح الدين، و إنّما المذموم المداهنة، و هي بذل الدين لمجرد الدنيا، و المصانعة به لتحصيلها، و من خالط للضرورة مثلكم، و زايله بأخلاقه و نصحه مخاطبة و مكاتبة، و استدللّ له بكتاب الله تعالى و سنّة رسول الله صلّى الله عليه و سلم، على صحّة مقالته، فقد سلم و الحمد لله من مداهنته، و قام لله تعالى بما يجب عليه في حقكم من التحذير و الإنكار مع الإشفاق و الوجل. و أكثرتم في كتابكم من المنّ بما ذكرتم أنكم صنعتم. و على تقدير الموافقة لكم ليتكم ما فعلتم، فسلمنا من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٠٣

المعرة و سلمتم، و جلّ القائل سبحانه: قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ [البقرة: ٢٦٣] و قلّما شاركتم أنتم في شيء إلّا بأغراض حاصلة في يدكم، و لأغراض دنيوية خاصة بكم، فالملام إذن في الحقيقة إنّما هو متوجه إليكم، و أمّا ما

أظهرتم بمقتضى حركانكم و كلامكم من التندّم على فراق محلّكم، و التعلّل بأخبار قطركم و أهلكم، فتناقض منكم و إن كنتم فيه بغدركم: [الطويل]

أتبكي على ليلي و أنت تركتها فكنت كآت غيه و هو طائع
و ما كلّ ما مَنّتك نفسك مخليا تلاقى، و لا كلّ له أنت تابع
فلا تبكين في إثر شيء ندامة إذا نزعته من يديك النوازع

و على أن تأسفكم لما وقعتم فيه من الغدر لسطانكم، و الخروج لا لضرورة غالبه عن أوطانكم، من الواجب بكلّ اعتبار عليكم، سيما و قد مددتم إلى التمتّع بغيرها عينيك، و لو لم يكن بهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة إلّا ما خصّت به من بركة الرباط و رحمة الجهاد لكفها فخرها على ما يجاورها من سائر البلاد، قال رسول الله صلّى الله عليه و سلم: «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه»، و قال عليه الصلاة و السلام «الزّوحة يروحها العبد في سبيل الله و الغدوة خير من الدنيا و ما فيها» و على كلّ تقدير فإذا لم يكن يا أخى فراركم من الأندلس إلى الله وحده بالتوبة المكملّة، و الاستغفار مع الانقطاع في أحد المواطنين المكرّمه المعظمه بالإجماع، و هي طيبة أو مكة أو بيت المقدس، فقد خسرت صفقه رحلتكم، و تبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم، اللهم إلّا إن كنتم قد لاحظتم مسألة الرجل الذى قتل مائة نفس، و سأل أعلم أهل الأرض فأشار عليه بعد إزمام التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب، و اكتسب بها العيوب، فأمر آخر، مع أن كلام العلماء في هذا الحديث معروف.

و يقال لكم من الجواب الخاص بكم: فعليكم إذا بترك القيل و القال، و كسر حربه الجدال و القتال، و قصر ما بقى من مدة العمر على الاشتغال بصالح الأعمال. و وقعت في مكتوبكم كلمات أوردتها النقد في قالب الاستهزاء و الازدراء، و الجهالة بمقادير الأشياء، و منها «ريح صرصر» و هو لغة القرآن، و «قاع قرقر» و هو لفظ سيد العرب و العجم محمد صلّى الله عليه و سلم، ثبت في الصحيح في باب التغليظ فيمن لا يؤدى زكاة ماله. قيل: يا رسول الله، و البقر و الغنم؟ قال «و لا صاحب بقر و لا غنم لا يؤدى منها حقّها إلّا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٠٤

منها شيئاً، تنطحه بقرونها، و تطؤه بأظلافها» - الحديث الشهير. قال صاحب المعلم: بطح لها بقاع قرقر: أى ألقى على وجهه، و القاع: المستوى من الأرض، و القرقر: كذلك، هذا ما حضر من الجواب، و بقى في مكتوبكم حشو كثير من كلام إقذاع و فحش بعيد من الحشمة و الحياء رأيت من الصواب الإعراض عن ذكره، و صون اليد عن الاستعمال فيه، و الظاهر أنه إنما صدر منكم و أنتم بحال مرض، فلا حرج فيه عليكم، أنسا الله تعالى أجلكم، و مكن أمنكم، و سكن وجلكم، و منه جلّ اسمه نسأل لى و لكم حسن الخاتمة، و الفوز بالسعادة الدائمة، و السلام الأتم يعتمدكم، و الرحمات و البركات من كاتبه على بن عبد الله بن الحسن و فقه الله، و ذلك بتاريخ أخريات جمادى الأولى من عام ثلاثة و سبعين و سبعمائه.

و قيّد رحمه الله تعالى في مدرج طى هذا الكتاب ما نصّه: «يا أخى - أصلحنى الله و إياكم!. بقى من الحديث شيء الصواب الخروج عنه لكم، إذ هذا أوانه، و تأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه، و ليكون البناء بعد أن كان على أصل صحيح بحول الله، و حاصله أنكم عددتم ما شاركتكم فيه بحسب الأوقات، و قطعتم بنسبة الأمور كلّها إلى أنفسكم، و أنها إنما صدرت عن أمركم و بإذنكم، من غير مشارك في شيء منها لكم، ثم منتتم بها المنّ القبيح المبطل لعمل بركم على تقدير التسليم في فعله لكم، و رميتم غيركم بالتقصير في حاله كلّ، طريقة من يبصر القذى في عين أخيه و يدع الجذع في عينه، و أقصى ما تسنى للمحبّ أيام كونكم بالأندلس تقلّد كلفة قضاء الجماعة، و ما كان إلّا أن وليتها بقضاء الله و قدره، فقد تبين لكلّ ذى عقل سليم أنه لا موجد إلّا الله، و أنه إذا كان كذلك كان الخير و الشّرّ و الطاعة و المعصية حاصلًا بإيجاده سبحانه و تخليقه و تكوينه من غير عاضد له على تحصيل مراده و لا معين، و لكنه جلت قدرته وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه، و أوعد فاعل الشّرّ بالعقاب عدلا منه، و كأنى بكم تضحكون من تقرير

هذه المقدمة، و ما أحوجكم إلى تأملها بعين اليقين، فكابدت أيام تلك الولاية النكدة من النكايه باستحقاركم للقضايا الشرعية، و تهاونكم بالأمور

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٠٥

الدينية، ما يعظم الله به الأجر، و ذلك في جملة مسائل: منها مسألة ابن الزبير المقتول على الزندقة بعد تقضى موجباته على كره منكم، و منها مسألة ابن أبي العيش المثقف في السجن على آرائه المضلّة التي كان منها دخوله على زوجته إثر تطليقه إياها بالثلاث، و زعمه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم، أمره مشافهة بالاستمتاع بها، فحملتم أحد ناسكم تناول إخراجها من الثفاف من غير مبالاة بأحد، و منها أنّ أحد الفتيان المتعلقين بكم توجهت عليه المطالبة بدم قتيل، و سيق المدعى عليه للذبح بغير سكين، فما وسعني بمقتضى الدين إلّا حبسه على ما أحكمته السّنة، فأنفتم لذلك، و سجنتم الطالب وليّ الدم، و سرحتم الفتى المطلوب على الفور، إلى غير ذلك ممّا لا يسع الوقت شرحه، و لا- يجمّل بي و لا- بكم ذكره. و المسألة الأخرى أنتم توليتم كبرها حتى جرى فيها القدر بما جرى به من الانفصال، و الحمد لله على كلّ حال، و أمّا الرمي بكذا و كذا ممّا لا علم لنا بسببه، و لا عذر لكم من الحقّ في التكلّم به، فشئىء قلّمّا يقع مثله من البهتان ممّن كان يرجو لقاء ربّه، و كلامكم في المدح و الهجو، هو عندي من قبيل اللغو، الذي نمّر به كراما و الحمد لله، فكثروا أو قلّلوا من أى نوع شئتم، أنتم و ما ترضونه لنفسكم، و ما فهت لكم بما فهت من الكلام، إلّا على جهة الإعلام، لا على جهة الانفعال، لما صدر أو يصدر عنكم من الأقوال و الأفعال، فمذهبي غير مذهبيكم، و عندي ما ليس عندكم. و كذلك رأيتم تكثرون في مخاطباتكم من لفظ الرقية في معرض الإنكار لوجود نفعها، و الرمي بالمنقصة و الحمق لمستعملها، و لو كنتم قد نظرت في شئىء من كتب السّنة و سير الأئمة المسلمة نظر مصدق لما وسعكم إنكار ما أنكرتم، و كتبه بخطّ يدكم، فهو قاذح كبير في عقيدة دينكم، فقد ثبت بالإجماع في سورة الفلق أنها خطاب للنبي صلى الله عليه و سلم، و أنه المراد بها هو و آحاد أمّته، و في أمهات الإسلام الخمس أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم «كان إذا اشتكى رقاها جبريل، فقال: بسم الله يريك، و من كلّ داء يشفيك، و من شرّ حاسد إذا حسد، و من شرّ كلّ ذى عين». و فى الصحيح أيضا أنّ ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، كانوا فى سفر، فمروا بحى من أحياء العرب، فاستضافوهم، فلم يضيفوهم، فقالوا: هل فيكم راق فإنّ سيد الحى لديغ، أو مصاب؟ فقال رجل من القوم: نعم، فأتاه فرقاها بفاتحة الكتاب، فبرىء الرجل، فأعطى قطيعا من غنم- الحديث الشهير، قال أهل العلم: فيه دليل على جواز أخذ الأجرة على الرقية و الطب و تعليم القرآن، و هو قول مالك و أحمد و الشافعى و أبى ثور و جماعة من السلف، و فيه جواز

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٠٦

المقارضة، و إن كان ضدّ ذلك أحسن، و فى هذا القدر كفاية. و ما رقيت قطّ أحدا على الوجه الذى ذكرتم، و لا استرقيت و الحمد لله، و ما حملنى على تبيين ما بينته الآن لكم فى المسألة إلّا إرادة الخير التام لجهتكم، و الطمع فى إصلاح باطنكم و ظاهركم، فإنى أخاف عليكم من الإفصاح بالظن فى الشريعة، و رمى علمائها بالمنقصة على عادتكم و عادة المستخف ابن هذيل شيخكم منكر علم الجزئيات، القائل بعدم قدرة الربّ جلّ اسمه على جميع الممكنات. و أنتم قد انتقلتم إلى جوار أناس أعلام قلّمّا تجوز عليهم- حفظهم الله!- المغالطات، فتأسركم شهادة العدول التى لا مدفع لكم فيها، و تقع الفضيحة، و الدين النصيحة، أعاذنا الله من درك الشقاء، و شماتة الأعداء، و جهد البلاء. و كذلك أحذركم من الوقوع بما لا- ينبغى فى الجناب الرفيع، جناب سيد المرسلين، و قائد الغرّ المحجلين، صلوات الله و سلامه عليه، فإنه نقل عنكم فى هذا الباب أشياء منكرة، يكبر فى النفوس التكلّم بها، أنتم تعلمونها، و هى التى زرعت فى القلوب ما زرعت من بغضكم، و إيثار بعدكم، مع استشعار الشفقة و الوجل من وجه آخر عليكم، و لو لا أنكم سافرتم قبل تقلصّ ظلّ السلطنة عنكم لكانت الأئمة المسلمة امتعاضا لدينها و دنياها، قد برزت بهذه الجهات لطلب الحقّ منكم، فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خدام الدّول ما صدر عنكم من العيث فى الأبخار و الأموال، و هتك الأعراس، و إفشاء الأسرار، و كشف الأستار، و استعمال المكر، و الحيل و الغدر، فى غالب الأحوال للشريف و المشروف، و الخادم و المخدوم، و لو لم يكن فى الوجود

من الدلائل على صحة ما رضيتم به لنفسكم من الاتّسام بسوء العهد و التجاوز المحض و كفران النعم و الركون إلى ما تحصل من الحطام الزائل إلّا عملكم مع سلطانكم مولاكم و ابن مولاكم أئده الله بنصره و ما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه و فى الكثير من أهل قطره لكفاكم و صمة لا يغسل دنسها البحر، و لا ينسى عارها الدهر، فإنكم تركتموه أولاً بالمغرب عند تلون الزمان، و ذهبتم للكديّة و الأخذ بمقتضى المقامة الساسانية إلى أن استدعاه الملك، و تخلصت له بعد الجهد الأندلس، فسقطتم عليه سقوط الذباب على الحلواء، و ضربتم وجوه رجاله بعضا ببعض، حتى فلا- لكم الجوّ، و تمكّن الأمر و النهى، فهمزتم و لمزتم، و جمعتم من المال ما جمعتم. ثم وريتم بتفقد ثغر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٠٧

الجزيرة الخضراء، مكرا منكم، فلتمّا بلغتم أرض الجبل انحرتم عن الجادة، و هربتم بأتقالكم الهروب الذى أنكره عليكم من بلغه حديثكم أو يبلغه إلى آخر الدهر فى العدوتين من مؤمن و كافر و برّ و فاجر، فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة بتصرفاتكم حازم، أو يثق بكم فى قول أو فعل صالح أو طالح؟ و لو كان قد بقى لكم من العقل ما تتفكرون به فى الكيفية التى ختمتم بها عملكم بالأندلس من الزيادة فى المغرم و غير ذلك مما لكم وزره و وزر من عمل به بعدكم إلى يوم القيامة حسبما ثبت فى الصحيح لحملكم على مواصلة الحزن، و ملازمة الأسف و الندم على ما أوقعتم فيه نفسكم الأمارة من التورط و التشبّ فى أشطان الآمال و دسائس الشيطان، و نعوذ بالله من شرور الأنفس و سيئات الأعمال.

و أمّا قولكم عن فلان «إنه كان حشرة فى قلوب اللوز» و «إن فلانا كان برغوئا فى تراب الخمول» فكلام سفساف، يقال لكم من الجواب عليه: و أنتم يا هذا، أين كنتم منذ خمسين سنة مثلاً؟ خلق الله الخلق لا استظهارا بهم و لا استكثارا، و أنشأهم كما قدر أحوالا و أطوارا، و استخلفهم فى الأرض بعد أمّة أمّا و بعد عصر أعصارا، و كلفهم شرائعه و أحكامه و لم يتركهم هملا، و أمرهم و نهاهم ليلوهم أيهم أحسن عملا إن أكرمكم عند الله أتقاكم [الحجرات: ١٣] و بكل اعتبار فلا نعلم فى نمط الطلبة تدريجا كان أسمح من تدريجكم، و نبدأ من كذا فإنه كان كذا و أكثر أهل زمانه تحملا و تقللا فى نفسه بالنسبة إلى منصبه كان الشيخ أبو الحسن بن الجياب، و لكنه حين علم رحمه الله تعالى من نشأتكم و حالتكم ما علم نبذ مصاهرتم و صرف عليكم صداقكم، و كذلك فعلت بنت جزى زوج الرهصى معكم، حسبما هو مشهور فى بلدكم، و ذكرتكم أنكم ما زلتم من أهل الغنى حيث نقرتم بذكر العرض- و هو بفتح العين و الراء، حطام الدنيا على ما حكى أبو عبيد، و قال أبو زيد: هو بسكون الراء، المال الذى لا ذهب فيه و لا فضة- و أى مال خالص يعلم لكم أو لأبيكم بعد الخروج من الثقافة على ما كان قد تبقى عنده من مجبى قرية مترايل؟ ثم من العدد الذى برز قبلكم أيام كانت أشغال الطعام بيدكم على ما شهد به الجمهور من أصحابكم. و أمّا الفلاحة التى أشرتكم إليها فلا حق لكم فيها إذ هى فى الحقيقة لبيت مال المسلمين، مع ما بيدكم على ما تقرّر فى الفقهيات، و المعدوم شرعا كالمعدوم حسا، و لو قبل من أهل المعرفة بكم بعض ما لديهم من سقطاتكم فى القول و القيل، و لم يصرف إلى دفع معرتها عنكم وجه التأويل، لكانت مسألتكم ثانية لمسألة أبى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٠٨

الخير، بل أبى الشرّ، الحادثة أيام خلافة الحكم، المسطورة فى نوازل أبى الأصبغ بن سهل، فاعلموا ذلك، و لا تهملوا إشارتى عليكم قديما و حديثا بلزوم الصلوات، و حضور الجماعات، و فعل الخيرات، و العمل على التخلص من التبعات إن وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ [لقمان: ٣٣]

و قلت فى كتابكم «أين الخطط المتوارثة عن الآباء و الأجداد؟» و قد أذهب الله عنّا بركة الملمة المحمدية عيبة الجاهلية فى التفاخر بالآباء، و لكنى أقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم: إن كانت الإشارة إلى المجيب بهذا فمن المعلوم المتحقّق عند أفاضل الناس أنه من حيث الأصالة أحد أمثال قطره، قال القاضى أبو عبد الله بن عسكر و قد ذكر فى كتابه من سلفى فلان بن فلان، ما نصّه: و بيته بيت قضاء و علم و جلالة لم يزالوا يرثون ذلك كابرا عن كابر، استقصى جدّه المنصور بن أبى عامر، و قاله غيره و غيره، و بيدى من

عهود الخلفاء و صكوك الأمراء المكتتبه بخطوط أيديهم من لدن فتح جزيرة الأندلس إلى هذا العهد القريب ما تقوم به الحجّة القاطعة للسان الحاسد و الجاحد، و المنة لله وحده. و إن كانت الإشارة للغير من الأصحاب في الوقت حفظهم الله فكل واحد منهم إذا نظر إليه بعين الحقّ وجد أقرب منكم نسبا للخطط المعتره، و أولى بميراثها بالفرض و التعصيب أو مساويا على فرض المسامحة لكم. قال رسول الله، صلّى الله عليه و سلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يخذله و لا يحقره، حرام دمه و ماله و عرضه».

و نرجع إلى طريقه أخرى فنقول: من كان يا فلان من قومكم في عمود نسبكم نبيها مشهورا، أو كاتباً قبلكم معروفاً، أو شاعراً مطبوعاً، أو رجلاً- نبيها مذكورا؟ و لو كان يا لوشى و كان، لكان من الواجب الرجوع إلى التناصف و التواصل و التواضع، و ترك التحاسد و التباغض و التقاطع: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم و أبدانكم، و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم». و كذلك العجب كلّ العجب، من تسميتكم الخبرات التي شرعتم في بنائها بدار السلام، و هيهات هيهات، المعروف من الدنيا أنها دار بلاء و جلاء و عناء و فناء، و لو لم يكن من الموعظة الواقعة بتلك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٠٩

الدار في الوقت إلّا موت سعيدكم عند دخولها، لأغناكم عن العلم اليقين بمآلها.

و أظهرتم سرورا كثيرا بما قلمتم إنكم نلتهم، حيث أنتم، من الشهوات التي ذكرت أن منها الإكثار من الأكل و الخرق و القعود بإزاء جارية الماء على نطح الجلد، و الإمساك أولى بالجواب على هذا الفصل، فلا خفاء بما فيه من الخسة و الخباثت و الخبث، و بالجملة فسرور العاقل إنما ينبغي أن يكون بما يجمل تقدّمه من زاد التقوى للدار الباقية، فما العيش - كما قال رسول الله، صلّى الله عليه و سلم: إلّا عيش الآخرة، فقدّموا إن قبلتم وصاة الحبيب أو البغيض بعضا عسى أن يكون لكم، و لا تخلفوا كلّا يكون عليكم، هذا الذي قلته لكم، و إن كان لدى من يقف عليه من نمطه الكثير، فهو باعتبار المكان و ما مرّ من الزمان في حيز اليسير، و هو في نفسه قول حقّ و صدق، و مستند أكثره كتاب الله و سنّة محمد رسول الله، صلّى الله عليه و سلم، و على سائر أنبيائه.

فاحمدوا الله العليّ العظيم على تذكيركم به إذ هو جار مجرى النصيحة الصريحة، يسّرني الله و إياكم لليسرى، و جعلنا ممّن ذكر فانتفع بالذكري، و السلام». انتهى كلام القاضي ابن الحسن النباهي في كتابه الذي خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى.

[صورة مرسوم من إنشاء لسان الدين بتولى القاضي أبي الحسن النباهي القضاء، و فيه من الثناء على القاضي ما يدل على أنه لم يشكر النعمة]

و أين هذا الكلام الذي صدر من ابن الحسن في حقّه من إنشاء لسان الدين رحمه الله تعالى في تولى ابن الحسن المذكور القضاء، و هو: «هذا ظهير كريم أنتج مطلوب الاختيار قياسه، و دلّ على ما يرضى الله عزّ و جلّ التماسه، و أطلع نور العناية الذي يجلو الظلام نبراسه، و اعتمد بمثابة العدل من عرف باقتراع هضبتها ناسه، و ألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه و أجناسه، و شيّد مبنى العزّ الرفيع، في قبة الحساب المنيع، و كيف لا- و الله بانيه، و المجد أساسه، أمر به و أمضى العمل بمقتضاه و حسبه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر- أيّد الله أوامره، و خلّم مفاخره!- لقاضي حضرته العلية، و خطيب حمرائه السيّة، المخصوص لديه بترفيع المزيّة، المصروف إليه خطاب القضاء بإيالته النصرية، قاضي الجماعة، و مصرّف الأحكام الشرعية المطاعة، الشيخ الكذا أبي الحسن ابن الشيخ الكذا أبي محمد بن الحسن- وصل الله سعادتته، و حرس مجادته، و سنّى من فضله إرادته!- عصب منه جبين المجد بتاج الولاية، و أجال قداح الاختيار حتى بلغ الغاية و تجاوز النهاية، ما ألقى منه يمين عرابه الراية، و أحله منه محلّ اللفظ من المعنى و الإعجاز من الآيه، و حشر إلى مدعاة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١١٠

ترفيعه وجوه البرّ و أعيان العناية، و أنطق بتبجيله، ألسن أهل جيله، بين الإفصاح و الكناية، و لما كان له الحساب الأصيل الذي شهدت

به ورقات الدواوين، والأصالة التي قامت عليها صحاح البراهين، والآباء الذين اعتدّ بمضاء قضاتهم الدين، وطبّق مفاصل الحكم بسيو فهم الحقّ المبين، وازدان بمجالسة وزراءهم السلاطين، فمن فارس حكم أو حكيم تدير، وقاض في الأمور الشرعية ووزير، أو جامع بينهما جمع سلامة لا جمع تكسير، تعدّد ذلك واطّرد، ووجد مشرع المجد عذبا فورد، وقصرت النظراء عن مداه فانفرد، و فرى الفرى في يد الشرع فأشبهه السيف البرد، وجاء في أعقابهم محييا لما درس، بما حقّق و درس، جانيا لما بذر السلف المبارك و اغترس، طاهر النشأة وقورها، محمود السجية مشكورها، متحلّيا بالسكينة، حالًا من النزاهة بالمكانة المكيئة، ساحبا أذيال الصّون، بعيدا عن الاتصاف بالفساد من لدن الكون، فخطبته الخطط العليّة، و اغتبطت به المجادة الأولى، و استعملته دولته التي تتراد أهل الفضائل للرتب، و استظهرت على المناصب بأبناء التقى و الحسب، و الفضل و المجد و الأدب، ممّن يجمع بين الطارف و التالد و الإرث و المكتسب، فكان معدودا من عدول قضاتها، و صدور نبهائها، و أعيان وزرائها، و أولى آرائها، فلما زان الله تعالى خلافته بالتمحيص المتحلى من التخصيص، و خلص ملكه الأصيل كالذهب الإبريز بعد التخليص، كان ممّن صحب ركابه الطالب للحقّ بسيف الحقّ، و سلك في مظاهره أوضح الطرق، و جادل من حادّه بأمضى من الحداد الذلق، و اشتهر خبر وفائه في الغرب و الشرق، و صلّى به صلاة السفر و الحضر، و الأمن و الحذر، و خطب به في الأماكن التي بعد بذكر الله عهدا، و خاطب عنه -أيده الله تعالى!- المخاطبات التي حمد قصدها، حتى استقلّ ملكه فوق سريره، و ابتهج منه الإسلام بأميره و ابن أميره، و نزل الستر على العباد و البلاد ببركته إيلته و يمن تديره، و كان المجلس المقرب المحلّ، و الحظّي المشاور في العقد و الحلّ، و الرسول المؤتمن على الأسرار، و الأمين على الوظائف الكبار، مزين المجلس السلطاني بالوقار، و متحف الملك بغريب الأخبار، و خطيب منبره العالي في الجمععات، و قارئ الحديث لديه في المجتمعات. ثم رأى، أيده الله تعالى، أن يشرك رعيته في نفعه، و يصرف عوامل الحظوة على مزيد رفعه، و يجلسه مجلس الشارح صلوات الله عليه لإيضاح شرعه، و أصله الوثيق و فرعه، و قدمه أعلى الله تعالى قدمه، و شكر آلاءه و نعمه، قاضيا في الأمور الشرعية، و فاصلا في القضايا الدينية، بحضرة غرناطة العليّة، تقديم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١١١

الاختيار و الانتقاء، و أبقى له فخر السلف على الخلف و الله سبحانه يمتعه بطول البقاء، فليتولّ ذلك عادلا في الحكم، مهتديا بنور العلم، مسويا بين الخصوم حتى في لحظه و التفاته، متصفا من الحلم بأفضل صفاته، مهيبا في الدين، رؤوفا بالمؤمنين. جزلا- في الأحكام، مجتهدا في الفصل بأمضى حسام، مراقبا لله، عزّوجلّ، في النقص و الإبرام. و أوصاه بالمشورة التي تقدح زناد التوفيق، و التثبت حتى ينتج قياس التحقيق، بارًا بمشيخة أهل التوثيق، عادلا إلى سعة الأقوال عند المضيق، سائرا من مشورة المذهب على أهدي طريق، وصيّة أصدرها له مصدر الذكري التي تنفع، و يعلى الله بها الدرجات و يرفع، و إلّا فهو عن الوصاء غنى، و قصده قصد سنى، و الله عزّوجلّ ولى إعانته، و الحارس من التبعات أكناف ديانته، و الكفيل بحفظه من الشبهات و صيانتها. و أمر أيده الله تعالى أن ينظر في الأحباس على اختلافها، و الأوقاف على شتى أصنافها، و اليتامى التي انسدت كفالة القضاة على إضعافها، فيزود عنها طوارق الخلل، و يجرى أمورها بما يتكفل لها بالأمل، و ليعلم أنّ الله عزّوجلّ يراه، و أنّ فلتات الحكم تعاوده المراجعة في أخراه، فيدّرع جنّة تقواه، و سبحان من يقول: إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ. فعلى من يقف عليه أن يعرف أمر هذا الإجلال، صائنا منصبه من الإخلال، مبادرا أمره الواجب بالامتثال، بحول الله، و كتب في الثالث من شهر الله المحرم، فاتح عام أربعة و ستين و سبعمائة، عرف الله سبحانه فيه هذا المقام العلى عوارف النصر المبين و الفتح القريب بمئه و كرمه فهو المستعان لا ربّ غيره؛ انتهى.

[مرسوم من إنشاء لسان الدين أيضا بتولى ابن زمرك كتابة السر]

و نظير هذا ما أنشأه لسان الدين على لسان سلطانه للكاتب أبى عبد الله بن زمرك حين تولّى كتابة السّر، و نصّه: «هذا ظهير كريم نصب المعتمد به للأمانة الكبرى ببابه فرفعه، و أفرد له متلو العزّ و جمعه، و أوتره و شفعه، و قربه في بساط الملك تقريبا فتح له باب

السعادة و شرعه، و أعطاه لواء القلم الأعلى فوجب على من دون رتبته من أولى صنعته أن يتبعه، ورعى له وسيلة السابقة عند استخلاص الملك لما ابتزّه الله من يد الغاصب و انتزعه، و حسبك من زمام لا يحتاج إلى شيء معه، أمر به أمير المسلمين محمد للكذا الكذا فلان، وصل الله سعادته، و حرس مجادته، أطلع الله تعالى له وجه العناية أبهى من الصبح الوسيم، و أقطعه جناب الإنعام الجسيم، و أنشقه آراج الحظوة عاطرة النسيم، و نقله من كرسى التدريس و التعليم، إلى مرقى التنويه و التكريم، و الرتبة التى لا يلقاها إلّا ذو حظّ عظيم، و جعل أقلامه جيادا لإجلالة أمره العلى، و خطابه السنى، فى ميدان الأقاليم، و وضع فى يده أمانة القلم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١١٢

الأعلى، جاريا من الطريقة المثلى، على المنهج القويم، و اختصّه بمزية التفوّق على كتاب باب و التقديم، لما كان ناهض الفكر فى طلبه حضرته زمن البداية، و لم تزل تظهر عليه لأولى التمييز مخايل هذه العناية، فإن حضر فى حلق العلم جلى فى حلبة الحفاظ إلى الغاية، و إن نظم أو نثر أتى بالقصائد المصقولة، و المخاطبات المنقولة، فاشتهر فى بلده و غير بلده، و صارت أزمية العناية طوع يده، بما أوجب له المزية فى يومه و غده. و حين ردّ الله عليه ملكه الذى جبر به جناح الإسلام، و زين وجوه الليالى و الأيام، و أدال الضياء من الظلام، كان ممّن وسمه الوفاء و شهره، و عجم الملك عود خلوصه و خبره، فحمد أثره، و شكر ظاهره و مضمرة، و استصحب على ركابه الذى صحب اليمن سفره، و أخلصت الحقيقة نفره، و كفل الله ورده و صدره، ميمون النقيّة، حسن الضريبة، صادقا فى الأحوال المرية، ناطقا عن مقامه بالمخاطبات العجيبة، و اصلا إلى المعانى البعيدة بالعبارة القريبة، مبرزا فى الخدم الغريبة، حتى استقام العماد، و نطق بصدق الطاعة الحى و الجماد، و دخلت فى دين الله أفواجا العباد و البلاد، لله الحمد على نعمه الثرة العهاد، و آلائه المتواليّة الترداد، رعى له أيده الله هذه الوسائل و هو أحقّ من يرعاها، و شكر له الخدم المشكور مسعاها، فنص عليه الرتبة الشماء التى خطبها بوفائه، و ألبسه أثواب اعتنائه، و فسح له مجال آلائه، و قدّمه، أعلى الله قدمه، كاتب السرّ، و أمين النهى و الأمر، تقديم الاختيار بعد الاختبار، و الاغتباط بخدمته الحسنه الآثار، و تيمّن باستخدامه قبل الحلول بدار الملك و الاستقرار، و غير ذلك من موجبات الإكبار. فليتولّ ذلك عارفا بمقداره، مقتفيا لآثاره، مستعينا بالكتم لأسراره، و الاضطلاع بما يحمد من أماتته و عفافه و وقاره، معطيا هذا الرسم حقّه من الرياسة، عارفا بأنه أكبر أركان السياسة، حتى يتأكد الاغتباط بتقريبه و إدنائه، و تتوفّر أسباب الزيادة فى إعلائه، و هو إن شاء الله غنى عن الوصاة فهما ثاقبا يهتدى بضيائه، و هو يعمل فى ذلك أقصى العمل، المتكفّل ببلوغ الأمل. و على من يقف عليه من حملة الأقلام، و الكتاب الأعلام، و غيرهم من الكافّة و الخدام، أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الأحكام، و التقديم الراسخ الأقدام، و يوجبوا ما أوجب من البرّ و الإكرام، و الإجلال و الإعظام، بحول الله. و كتب فى كذا». انتهى.

[مقارنة من المؤلف بين خلق لسان الدين و خلق القاضى النباهى و الكاتب ابن زمرک]

فانظر، صاننى الله و إياك من الأغيار، و كفانا شرّ من كفر الصنيعة التى هى على النقص

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١١٣

عنوان و معيار، إلى حال الوزير لسان الدين بن الخطيب مع هذين الرجلين، القاضى ابن الحسن و الوزير ابن زمرک اللذين تسببا فى هلاكه حتى صار أثرا بعد عين، مع تنويهه بهما فى هذا الإنشاء و غيره، و تفيئهما - كما هو معلوم - ظلال خيره، فقابلاه بالصدر، و أظهرها عند الإمكان حقد القلب و غلّ الصدر، و سدّدا لقتله سهامها و قسيئا، و صييرا سبيل الوفاء نسيئا منسيئا، و لا حول و لا قوة إلّا بالله.

و من إنشاء لسان الدين فى حقّ القاضى ابن الحسن أيضا - حين أضيفت إليه الخطابة إلى القضاء - على لسان سلطانه:

«هذا ظهير كريم أعلى رتبة الاحتراف اختيارا و اختبارا، و أظهر معانى الكرامة و التخصيص انتقاء و اصطفاء و إيتارا، و رفع لواء الجلالة

على من اشتمل عليه حقيقةً واعتباراً، ورقى في درجات العزّ من طاولها على بهر أنواراً، و دينا كرم في الصالحات آثاراً، و زكا في الأصاله نجاراً، و خلوصاً إلى هذا المقام العلى السعيد الذى راق إظهاراً و إضماماً، أمر به و أمضاه، و أنفذ حكمه و مقتضاه، أمير المسلمين عبد الله محمد، إلى آخره، للشيخ الكذا القاضى العدل الأرضى قاضى الجماعة، و خطيب الحضرة العلية، المخصوص لدى المقام العلى بالحظوة السنية، و المكانة الحفوية، الموقر الفاضل، الحافل الكامل، المبرور أبى الحسن، ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل، الأعرّ الماجد الأسنى المرفع الأحفل، الأصالح المبارك الأكمل، الموقر المبرور المرحوم أبى محمد بن الحسن، - وصل الله عزّته! و والى رفعتة و مبرّته! و وهب له من صلة العناية الربانية أمله و بغيته!- لما أصبح فى صدور القضاء العلماء مشاراً إلى جلاله، مستندا إلى معرفته المخصوصة بكماله، مطرزا على الإفادة العلمية و الأدبية بمحاسنه البديعة و خصاله، محفوا معقد الحكم النبوى ببركة عدالته و فضل خلالته، و حل فى هذه الحضرة العلية المحلّ الذى لا يرقاه إلّا عين الأعيان، و لا يتوى مهاده إلّا مثله من أبناء المجد الثابت الأركان، و موئل العلم الواضح البرهان، و المبرزين بالمآثر العلية فى الحسن و الإحسان، و تصدر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الأحكام الراجحة الميزان، و الأنظار الحسنه الأثر و العيان، و المقاصد التى وفت بالغاية التى لا تستطاع فى هذا الميدان- فكم من قضية جلا بمعارفه مشكلها، و نازلة مبهمه فتح بإدراكه مقفلها، و مسألة عرف نكرتها و قرّر مهملها، حتى قرّت بعدالته و جزالته العيون، و صدقت فيه الآمال الناجحة و الظنون، و كان فى تصديره لهذه الولاية العظمى من الخير و الخيرة ما عسى أن يكون، كان أحقّ بالتشفيح لولاياته

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١١٤

و أولى، و أجدر بمضاعفة النعم التى لا تزال تترادف على قدره الأعلى، فلذلك أصدر له أيده الله هذا الظهير الكريم مشيدا بالترفيح و التنويه، و مؤكدا للاحتفاء الوجيه، و قدّمه، أعلى الله قدمه، و شكر نعمه! خطيباً بالجامع الأعظم من حضرته، مضافاً ذلك إلى ولايته و رفيع منزلته، مرافقا لمن بالجامع الأعظم - عمره الله بذكره - من عليّة الخطباء، و كبار العلماء، و خيار النبهاء الصلحاء. فليتداول ذلك فى جمعاته، مظهرها فى الخطبة أثر بركاته و حسناته، عاملاً على ما يقربّه عند الله من مرضاته، و يظفره بجزيل مثوباته، بحول الله و قوته». انتهى.

[مرسوم من إنشاء لسان الدين أيضا بتولى القاضى النباهى الخطاب مع القضاء]

فهذا ثناء لسان الدين المرحوم على القاضى ابن الحسن، و إشادته بذكره، و بإشارته و تدبيره ولى قضاء القضاء و خطابة الجامع الأعظم بغرناطة، و هذان المنصبان لم يكن فى الأندلس فى ذلك الزمان من المناصب الدينية أجلّ منهما. و لما حصل لسان الدين، رحمه الله تعالى، ما حصل من النفرة عن الأندلس، و إعمال الحيلة فى الانفصال عنها؛ لعلمه أن سعايات ابن زمرك و ابن الحسن و من يعضدهما تمكّنت فيه عند سلطانه، خلص منها على الوجه الذى قدّمناه، و شمّر القاضى ابن الحسن عن ساعد إذائته، و التسجيل عليه بما يوجب الزندقة، كما سبق جميعه مفضّلا، فحينئذ أطلق لسان الدين عنان قلمه فى سبّ المذكور و ثلبه، و أورد فى كتابه «الكتيبة الكامنة» فى أبناء المائة الثامنة» من مثالبه ما أنسى ما سطره صاحب القلائد فى ابن باجة المعروف بابن الصائغ - حسبما نقلنا ذلك، أعنى كلام الفتح، فى غير هذا الموضع - و لم يقتنع بذلك حتى ألف الكتاب الذى سماه ب «خلع الرّسن» كما ألمعنا به فيما سبق، و الله سبحانه يتجاوز عن الجميع بمّنه و كرمه!.

[من هجو لسان الدين فى الوزير إبراهيم بن أبى الفتح الألع الغوى و فى ابن عمه محمد بن إبراهيم العقرب الردى]

و اعلم أن لسان الدين بن الخطيب، رحمه الله تعالى، الغاية فى المدح و القدح، فتارة على طريق الترسل، و طورا على غيرها، و قد

أقذع و بالغ رحمه الله تعالى في هجو أعدائه بما لا تحتمله الجبال، و هو أشدّ من وقع النبال، و منه ما وصف به الوزير، الذي كان استوزره السلطان إسماعيل بن الأحمر الثائر على سلطان ابن الخطيب، حسبما سبق الإلمام بذلك، و الوزير هو إبراهيم بن أبي الفتح الأصلع الغوى، إذ قال في المذكور و في ابن عمّه محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح العقرب الردى، بعد كلام، ما صورته: «و ما ظنك برجل مجهول الجدد، موصوم الأبوة؟ إلى أن قال: تنور خبز، و بركة مرقه، و ثعبان حلواء، و فاكهة مغى في شح النفس، متهالك في مسترذل الطبع عليه العذبوط الغبى ابن عمّه بسذاجة، زعموا، مع كونه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١١٥

قبيح الشكل، بشيع الطلعة، إلى أن قال: و في العشر الأول من رمضان عام واحد و ستين و سبعمائة تقبض على الوزير المشؤوم، و ابن عمّه الغوى الغشوم، و ولد الغوى مرسل الظفيرة أبعده الناس في مهوى الاغترار يختال في السرق و الحلية، سم من سم القوارير، و ابتلاء من الله لذوى الغيرة، يروح نشوان العشيات، يرقص بين يديه و من خلفه عدد من الأخلاف، يعاقرون النبيذ في السكك الغاصه، و ولد العقرب الردى بضده قماءة و تقطبا، تنبو عنهما العيون، و يبكى منهما الخز، كأنهما صمتا عند المحاوره و أظلمتا عند اللألاء، من أذلاء بنى النضير، و مهتضى خبير، فتقفا مليا، و بودر بهما إلى ساحل المنكب. قال المخبر: فما رأيت منكوبين أقبح شكلا، و لا أفقد صبورا، من ذينك التيسين الحقيقين، صلح الرءوس، ضخام الكروش، مبهورى الأنفاس، متلجلجى الألسنة، قد ربت بمحل السيف من عنق كل جبار منهما شحمة أترجيه كأنها سنام الحوار، لا يثيرون دعما، و لا يستزلون رحمة، و لا يمهدون عذرا، و لا يتزودون من كتاب الله آية، قد طبع الله على قلوبهم، و أخذهم ببغيهم، و عجل لهم سوء سعيهم. و للحين أركبهم و جراءهم - يعنى أولادهم - فى جفن غزوى تحف بهم المساعير من الرجال، و اقتفى بهم أثر قرقورة تحمل حاجا إلى الإسكندرية توريه بالقصد، فلما لججوا قذف بهم فى لجة بعد استخلاص ما ضبثوا به، و تلكا الأصلع الغوى فأتبت بجراحة أشعر بها هديه، و اختلط العقرب الردى فنال من جناب الله سخطا و ضيقا، تعالى الله عن نكيره، فكان فرعون هذا الزمان جيروتا و عتوا و ميتة، عجل الله لهم العذاب، و أغرقهم فى اليم. فانظر كيف كان عاقبة الظالمين، فسبحان من لا تضيع الحقوق مع عدله، و لا تنفسخ الآماد مع منازعة رداء كبريائه، مرغم الأنوف، و قاطع دابر الكافرين، و فى ذلك أقول مستريحا، و إن لم يكن - علم الله تعالى - شأنى، و لا تكترر فى ديوانى: [الطويل]

و ما كنت ممن يدخل العشق قلبه و لكن من يبصر جفونك يعشق

و من أمثالهم «من استغضب فلم يغضب فهو حمار» و الله سبحانه يقول و من أصدق من الله قила و جزاء سيئه سيئة مثلها [الشورى: ٤٠] و العفو أقرب للتقوى، و القرب و البعد بيده

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١١٦

سبحانه. و صدرت هذه الكلمة لحين تعرف إجلالهم فى الجفن إلى الإسكندرية، و بعد ذلك صح هلاكهم: [المنسرح]

كن من صروف الردى على حذر لا يقبل الدهر عذر معتذر

و لا تعول فيه على دعه فأنت فى قلعه و فى سفر

فكل رى يفضى إلى ظمأ و كل أمن يدعو إلى غر

كم شامخ الأنف ينثنى فرحا بال عليه زمانه و خرى

قل للوزير البليد قد ركضت فى ربعك اليوم غارة الغير

يا ابن أبي الفتح نسبة عكست فلا بفتح أتت و لا ظفر

وزارة لم يجد مقلدها عن شؤمها فى الوجود من وزر

فى طالع النحس حزت رتبها و كل شىء فى قبضة القدر

أى اختبار لم نبال نصبته فى جسد للنحوس أو نظر

بات له المشتري على غير و أحرقت فيه قرصه القمر
يا طللا ما عليه من عمل يا شجرا ما لديه من ثمر
يا مفرط الجهل و الغباوة لا يحسب إلا من جملة البقر
يا دائم الحقد و الفظاظه لا يفرق ما بين ظالم و برى
يا كمد اللون ينظفي كمدا من حسد يستطير بالشّرر
يا عدل سرج يا دنّ مقتعد ملآن من ريبه و من قدر
يا واصلا للجشاء ناشئه اللى ل و ربّ الصّراط فى السّحر
من غير لبّ و لا مراقبه لله فى مورد و لا صدر
يا خاملا جاهه الفروج يرى صهر أولى الجاه فخر مفتخر
كانوا نبيطا فى الأصل أو حبشا ما عنده عبرة بمعتبر
يا ناقص الدين و المروءة و العقول و مجرى اللسان بالهذر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١١٧
يا ولد السّحق غير مكتتم حديثه، يا ابن فاسد الدبر
يا بغل طاحونه يدور بها مجتهد السير مغمض البصر
فى أشهر عشرة طحتهم فى رحي الشؤم و البوار در
و الله ما كنت يا مشوم و لا أنت سوى عزة من العرر
و من أبو الفتح فى الكلاب و هل لجاهل فى الأنام من خطر
قد ستر الدهر منك عورته و كان لليوم غير مستتر
حانوت بزّ يمشى على فرش و ثور عرس يختال فى حبر
لا منه تتقى لمعترك و لا لسان يبين عن خبر
و لا يد تنتمى إلى كرم و لا صفاء يريح من كدر
عهدى بذاك الجبين قد ملئت غضونه الغبر بالدم الهدر
عهدى بذاك القفا الغليظ و قد مد لوقع المهند الذكر
أهدتك للبحر كفّ منتقم ألقتك للحوت كفّ مقتدر
يا يتم أولادك الصغار و يا حيرتهم بعد ذاك فى الكبير
يا ثكل تلك الصماء أمهم و طاعن الموت غير منتظر
و الله لا نال من تخلفه من أمل بعدها و لا وطر
و الله لا سخفان لا انتقلت رجلك منها إلا إلى سقر
ألحفك الله بالهوان و لا رعاك فيمن تركت من عرر
ما عوقب الليل بالصباح و ما تقدّم البرق عارض المطر

انتهى. و قال موزيا بدم الأخوين، فى شأن سلطان تلك الدولة الذى أضحى أثرا بعد عين: [الوافر]

ياسماعيل ثم أخيه قيس تأذن ليل همى بانبلج

دم الأخوين داوى جرح قلبى و عالجنى، و حسبك من علاج

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١١٨
و هذه توريه بديعه؛ لأنّ الأطباء يقولون: إنّ من خاصية دم الأخوين النفع من الجراح.

[من هجوه في قاض من قضاء دولة السلطان إسماعيل بن الأحمر]

و قال رحمه الله تعالى: قلت في رأس الغادر بالدولة حين عرض عليّ: [السريع]
في غير حفظ الله من هامة هام بها الشيطان في كلّ واد
ما تركت حمدا ولا رحمة في فم إنسان ولا في فؤاد
و قال أيضا في تلك الدولة بعد كلام، ما نصّه: «و انتدب قاضيهم الشيخ المتراخي الدين و الفك المنحل العصب و العقدة، المعرق
في العمومية، المشهور بقبول الرشوة، أبو فلان بن فلان، الغريب الاسم و الولاية، و مفتيهم معدن الرياء و الهوادة، و البعد عن
التخصيص و الحشمة، و المثل في العماء، و الطرف في التهاكك على الحطام، فلان البناء، المسخر في بناء الحفيرة، المستخدم في دار
ابنه أجيرا، مختصبا بالطين، مضيقا في رمق العيشة، و حبسك به دليلا على الحياء و فضل البتوة، فلفقوا من خيوط العناكب شبهات
تقلدوا بها حلّ العقد الموثق، ديدنهم في معارضة صلب الملة بالآراء الخبيثة، يتحكّم الوقاح منهم في الحكم الذي نزل به شديد القوى
على الذي لا ينطق عن الهوى، بحسب شهوته، تحكّمه في غزل أمه إيثارا للعاجل، و استرابه بالوعيد، ففسخوا النكاح، و حللوا محرم
البضع للدائل، و قد تاذن الله بفسخه، و أجرى دمه نقدا قبل دفع فقده، سبحانه حكم الحكام، و قاهر الظلام، و باء مشيخة السوء بلعنه
الله و سوء الأحداث، و من يلعن الله فلن تجد له نصيرا»؛ انتهى.

[من هجوه في وزير المغرب محمد بن علي بن مسعود]

و من كلامه في «نفاضة الجراب»، و قد ذكر وزير المغرب محمد بن علي بن مسعود ما ملخصه: «و أنه مجنون، أحول العين، وحش
النظرة، يظنّ به الغضب في حال الرضا، يهيج به المرار فيكمّن زمانا خلف كلّ مرقده، يدخل إليه وعاء الحاجتين خوفا من إصهاره إلى
فضاء منزله، و توخّشه من أهله و ولده، إلى أن تضعف سورة المرّة فيخفّ أمره، قد باين زوجه مع انسحاب رواق الشيبية، و توقّف داعية
الغبطة، لحلف جرّه الوسواس السوداوى، نستدفع بالله شرّ بلائته. فاستعان مستوزره منه برأى الفضل بن سهل و يحيى بن خالد و
أمثالهما، تدارك الله رمق الإسلام بلطفه»؛ انتهى.

[كتاب عتاب من لسان الدين بعث به إلى قاضي مكناسة الزيتون و قد تأخر عن لقائه يوم قدومه عليهم]

و لما دخل لسان الدين رحمه الله تعالى مدينة مكناسة الزيتون تأخر قاضيها الشيخ الفقيه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١١٩

أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي رمانة عن لقائه يوم وصوله، فكتب إليه بما نصّه: [الطويل]

جفا ابن أبي رمانة وجه مقدمى و نكب عني معرضا و تحاماني

و حجّب عني حبه غير جاهل بأني ضعيف و المبرّة من شاني

و لكن رأني مغربيا محققا و أنّ طعامي لم يكن حبّ رمان

زيارة القاضي أصلحه الله لمثلي ممّن لا يخافه ولا يرجوه، تجب من وجوه: أولها كوني ضيفا، ممّن لا يعدّ على الاختبار زيفا، و لا
تجرّ مؤانسته حيفا، فضلا عن أن تشرع رمحا أو تسلّ سيفا، و ثانيها أني أمّت إليه من الطلب بنسب، بين موروث و مكتسب، و قاعدة

الفضل قد قرّرها الحقّ وأصلها، و الرحم كما علم تدعو لمن وصلها، و ثالثها المبدأ في هذا الغرض، و لكن الواو لا ترتب إلّا بالعرض، و هو اقتفاء سنن المولى أيده الله في تأنيسى، و وصفه إياى بمقربى و جليسى، و رابعها- و هو عدّة كيسى، و هزبر خيسى، و قافية تجنيسى، و مقام تلوينى و تليسى- مودة رئيس هذا الصنف العلمى و رئيسى، فليت شعرى ما الذى عارض هذه الأصول الأربعة، و رجح مذهبها المتّبعة، إلّا أن يكون عمل أهل المدينة ينافيها، فهذا بحسب النفس و يكفيها، و إن تعذر لقاء أو استدعاء، و عدم طعام أو وعاء، و لم يقع نكاح و لا استرعاء، فلم يتعدّر عذر يقتضيه الكرم، و المنصب المحترم، فالجلّة إلى التماس الحمد ذات استباق، و العرف بين الله و الناس باق، و الغيرة على لسان مثله مفروضة، و الأعمال معروضة، و الله لا يستحى أن يضرب مثلاً ما بعوضه، و إن كان لدى القاضى فى ذلك عذر فليفده، و أولى الأعذار به أنه لم يقصده، و السلام؛ انتهى.

و يعنى بالمولى السلطان أبا سالم ابن السلطان أبى الحسن الميرنى، و برئيس هذا الصنف العلامة الخطيب أبا عبد الله بن مرزوق، رحم الله الجميع!.

[رسالة لسان الدين فى أحوال خدمة الدولة، و مصايرهم، و ما يجب عليهم، و كتب بها إلى ابن مرزوق]

و من كلام لسان الدين- رحمه الله تعالى!- رسالة فى أحوال خدمة الدولة و مصايرهم، و تنبيههم على النظر فى عواقب الرياسة بعيون بصائرهم، عبر فيها عن ذوق و وجدان، و ليس الخبر كالعيان، و خاطب بها الإمام الخطيب عين الأعيان، سيدى أنا عبد الله بن مرزوق، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٢٠

و كأنه- أعنى لسان الدين- أشار ببعض فصولها إلى نفسه، و نطق بالغيب فى نكته التى قادته إلى رسمه، و كان ذلك منه عند ما أراد التخلّى عن خدمة الملوك، و التحلى بزينة أهل التصوّف و السلوك، فلم يرد الله أن تكون مهجته نائية عن ساحة الظلمة خارجة، و أراد سامحه الله و غفر له عمرا و أراد الله خارجة، و صورة ما قال رحمه الله تعالى:

«و أحسست منه- يعنى ابن مرزوق- فى بعض كتبه الواردة إلى صاغية إلى الدنيا و حيننا لما بلاه من غرورها، فحملنى الطور الذى ارتكبته فى هذه الأيام، بتوفيق الله، على أن أحاطبه بهذه الرسالة، و حقّها أن يجعلها خدمة الملوك ممّن ينسب إلى نبل، و يلّم بمعرفة، مصحفا يدرسه، و شعارا يلتزمه، و هى: سيدى الذى يده البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافات، و لم تختلف فى مدحها الأفعال و لا تغايرت الصفات، و لا- تزال تعترف بها العظام الرّفات، أطلقك الله من أسر كلّ الكون كما أطلقك من أسر بعضه، و زهّيدك فى سمائه الفانية و فى أرضه، و حقر الحظّ فى عين بصيرتك بما يحملك على رفضه، اتصل بى الخبر السارّ من تركك لشأنك، و إجناء الله تعالى إياك ثمرة إحسانك، و انجياب ظلام الشدّة الحالك، عن أفق حالك، فكبرت، و فى الفرج من بعد الشدّة اعتبرت، لا بسوى ذلك من رضا مخلوق يؤمر فى أمر، و يدعوه القضاء فيبتدر، إنما هو فىء، و ظلّ ليس له من الأمر شىء، و نسأل الله جلّ و علا أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا و بنيتها، و أول معارج نفسك التى تقربها من الحقّ و تدنيها، و كأنى و الله أحسن بثقل هذه الدعوة على سمعك، و مضادتها و لا حول و لا قوة إلّا بالله لطبعك، و أنا أنافرك إلى العقل الذى هو قسطاس الله تعالى فى عالم الإنسان، و الآلة لبثّ العدل و الإحسان، و الملك الذى يبين عنه ترجمان اللسان، فأقول: ليت شعرى ما الذى غبط سيدى بالدنيا، و إن بلغ من زبرجدها الرتبة العليا، و نفرض المثال بحال إقبالها، و وصل جبالها، و خشوع جبالها، و ضراعة سبالتها، التوقّع المكروه صباحا و مساء، و ارتقاب الحوالة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٢١

التي تدبيل من النعيم البأساء، و لزوم المنافسة التى تعادى الأشراف و الرؤساء؟ أ لرتب العتب على التقصير فى الكتب، و ضعينة جار الجنب، و ولوع الصديق بإحصاء الذنب؟ أ لنسبة وقائع الدولة إليك و أنت برىء، و تطويقك الموبقات و أنت منها عرى؟ أ لاستهدافك للمضار التى تنتجها غيرة الفروج، و الأحقاد التى تضبطها ركة السروج، و سرحة المروج، و نجوم السماء ذات البروج؟ أ

لتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، و صحت إليه فاقتك، من حاجة لا يقتضى قضاءها الوجود، و لا يكفيها الركوع للملك و السجود؟ ألقطع الزمان بين سلطان يعبد، و سهام للغيوب تكبد، و عجاجة شرّ تلبد، و أقبوحه تخلد و تؤبد؟ ألوزير يصانع و يدارى، و ذى حجة صحيحة يجادل فى مرضاة السلطان و يمارى، و عورة لا- توارى؟ أ لمباكرة كلّ قرن حاسد، و عدوّ مستأسد، و سوق للإنصاف و الشفقة كاسد، و حال فاسد؟ أوفود تتزاحم بسدّتك مكلفه لك غير ما فى طوقك، فإن لم يقع الإسعاف قلبت عليك السماء من فوقك؟ أ لجلساء ببابك، لا يقطعون زمان رجوعك و إيابك؟ ألباقبيح اغتيابك، فالتصرفات تمقت، و القواطع توقت، و الألقى تبثّ، و السعايات تحثّ، و المساجد يشتكى فى حلقتها البثّ، يعتقدون أنّ السلطان فى يدك بمنزلة الحمار المدبور، و اليتيم المحجور، و الأسير المأمور، ليس له شهوة و لا غضب، و لا أمل فى الملك و لا أرب، و لا موجدة لأحد كامنه، و للشّرّ ضامنه، و ليس فى نفسه عن رأى نفره، و لا بإزاء ما لا يقبله نزوة و لا طفرة، إنما هو جارحة لصيدك، و عان فى قيدك، و آله لتصرف كيدك، و أنك علّه حيفه، و مسلّط سيفه: الشّرار يسملون عيون الناس باسمك، ثم يمزقون بالغيبة مزق جسمك، قد تتخلّهم الوجود أخبت ما فيه، و اختارهم السفية فالسفيه، إذ الخير يستره الله تعالى عن الدول و يخفيه، و يقنعه بالقليل فيكفيه، فهم يمتاحون بك و يولونك الملامه، و يفتحون عليك القول و يسدّون طرق السلامة، و ليس لك فى أثناء هذه إلّا ما لا يعوزك مع ارتفاعه، و لا يفوتك مع انقشاعه، و ذهاب صداعه، من غذاء يشع، و ثوب يقنع، و فراش ينيم، و خديم يقعد و يقيم، و ما الفائدة فى فرش تحتها جمر الغضا، و مال من ورائه سوء القضا، و جاه يحلق عليه سيف منتضى؟ و إذا بلغت النفس إلى الالتذاذ بما لا تملك، و اللجاج حول المسقط الذى تعلم أنها فيه تهلك، فكيف تنسب إلى نبل، أو تسير من السعادة فى سبل؟ و إن وجدت فى الجلوس بمجلس التحية، بعض الأريحية، فليت شعرى أى شىء زادها، أو معنى أفادها؟ أ لمباكرة وجه الحاسد، و ذى القلب الفاسد، و مواجهة العدو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٢٢

المستأسد، أو شعرت ببعض الإيناس، فى الركوب بين الناس، ما التذت إلّا بحلم كاذب، أو جذبها غير الغرور جاذب، إنما راكبك من يحدّق إلى الحلية و البرّة، و يستطيل مدة العزّة، و يرتاب إذا حدثت بخبرك، و يتتبع بالنقد و التجسس مواقع نظرك، و يمنعك من مسايرة أنيسك، و يحتال على فراغ كيسك، و يضمّر الشّرّ لك و لرئيسك، و أى راحة لمن لا يباشر قصده، و يمشى إذا شاء وحده؟ «و لو صحّ فى هذه الحال لله تعالى حظّ و هبه زهيدا، أو عين الرشد عملا حميدا، لساغ الصّاب، و خفّت الأوصاب، و سهل المصاب، لكن الوقت أشغل، و الفكر أوغل، و الزمن قد عمرته الحصص الوهمية، و استنفدت منه الكمية، أما ليله ففكر أو نوم، و عتب بحراء الضرائر و لوم، و أمّا يومه فتدبير، و قبيل و دبير، و أمور يعيا بها ثبير، و بلاء مبير، و لفظ لا يدخل فيه حكم كبير، و أنا بمثل ذلك خبير، و الله يا سيدى و من فلق الحبّ، و أخرج الأبّ، و ذرا من مشى و من دبّ، و سمى نفسه الربّ، لو تعلق المال الذى يجزّه هذا القدر، و يورى سقيطه هذا القدر، بأذيال الكواكب، و زاحمت البدر بدره بالمناكب، لما ورثه عقب، و لا خلص به محتقب، و لا فاز به سافر و لا منتقب، و الشاهد الدول، و المشائم الأول: فأين الرباع المقتناة؟ و أين الديار المبتناة؟ و أين الحوائط المغترسات؟ و أين الذخائر المختلسات؟ و أين الودائع المؤمّلة؟ و أين الأمانات المحمّلة؟ تأذن الله بتبويرها، و إدناء نار التّبار من دنانيرها، فقلّما تلقى أعقابهم إلّا أعراء الظهور، مترمقين لجريات الشهور، متعلّين بالهباء المنثور، يطردون من الأبواب التى حجب عنها آباؤهم، و عرف منها إباؤهم، و شم من مقاصيرها عنبرهم و كباؤهم، و لم تسامحهم الأيام إلّا فى إرث محرّر، أو حلال مقرّر، و ربما محقه الحرام، و تعدّر منه المرام. هذه- أعزّك الله!- حال قبولها مع الترفيه، و مالها المرغوب فيه، و على فرض أن يستوفى العمر فى العزّ مستوفيه، و أمّا ضدّه من عدوّ يتحكّم و ينتقم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٢٣

و حوت بغى يتلع و يلتقم، و مطبق يحجب الهواء، و يطيل فى التراب الثّواء، و ثعبان قيد يعصّ الساق، و شؤبوب عذاب يمزق الأبخار الرّقاق، و غيلة يهدبها الواقب الغاسق، و يجرعها العدوّ الفاسق، فصرف السوق، و سلعتة المعتادة الطروق، مع الأفول و الشروق، فهل فى

شئ من هذا مغتبط لنفس حزة، أو ما يساوى جرعة حال مرّة؟ وا حسرتا للأحلام ضلّت، و للأقدام زلّت، و يا لها مصيبة جلت. و لسيدى أن يقول: حكمت باستئصال الموعظة و استجفائها، و مراودة الدنيا بين خلّانها و أكفائها، و تناسى عدم وفائها، فأقول: الطيب بالعلل أدرى، و الشفيق بسوء الظنّ مغرى، و كيف لا و أنا أقف على السحاءات بخطّ يد سيدى من مطارح الاعتقال، و مثاقف التوب الثقال، و خطوات الاستعداد، للقاء الخطوب الشداد، و نوح الأسنّة الحداد، و حيث يجمل بمثله أن لا يصرف فى غير الخضوع لله تعالى بنانا، و لا- يثنى لمخلوق عنانا، و أتعرّف أنها قد ملأت الجوّ و الدوّ، و قصدت الجماد و البوّ، تقتحم أكفّ أولى الشّمات، و حفظة المذمات، و أعوان التوب الملمّيات، زيادة فى الشقاء، و قصدا بريّا من الاختيار و الانتقاء، مشتملة من التجاوز على أغرب من العنقاء، و من النفاق على أشهر من البلقاء، فهذا يوصف بالإمامة، و هذا يجعل من أهل الكرامة، و هذا يكلف الدعاء و ليس من أهله، و هذا يطلب منه لقاء الصالحين و ليسوا من شكله، إلى ما أحفظنى و الله من البحث عن السموم، و كتب النجوم، و المذموم من العلوم، هلا كان من ينظر فى ذلك قد قوطع بتاتا، و أعتقد أنّ الله قد جعل لزمان الخير و الشرّ ميقاتا، و أنا لا نملك موتا و لا نشورا و لا حياة، و أنّ اللوح قد حصر الأشياء محوا و إثباتا، فكيف نرجو لما منع منالا أو نستطيع ممّا قدر إفلاتا؟

أفيدونا ما يرجح العقيدة المتقرّرة فتحوّل إليه، و بينوا لنا الحقّ نعولّ عليه. الله الله يا سيدى فى النفس المرشحة، و الذات المحلاة بالفضائل الموشّحة، و السلف الشهير الخير، و العمر المشرف على الرحلة بعد حثّ السير؛ ودع الدنيا لبنيها فما أو كس حظوظهم! و أحسن لحوظهم! و أقلّ متاعهم! و أعجل إسرعهم! و أكثر عناءهم! و أقصر آناءهم! [مجزوء الكامل]

ما ثمّ إلّا ما رأى ت و ربّما، تعبى السلامه

و الناس إمّا جائر أو حائر يشكو ظلامه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٢٤

و إذا أردت العزّ لا ترزأ بنى الدنيا قلامه

و الله ما احتقب الحرى ص سوى الذنوب أو الملامه

هل ثمّ شكّ فى المعاد الحقّ أو يوم القيامة

قولوا لنا ما عندكم أهل الخطابة و الإمامه

«و إن رميت بأحجارى، و أوجرت المرّ من أشجارى، فو الله ما تلبست اليوم منها بشئ قديم و لا حديث، و لا استأثرت بطيب فضلا عن خبيث، و ما أنا إلّا عابر سبيل، و هاجر مرعى و بيل، و مرتقب وعدا قدر فيه الإنجاز، و عاكف على حقيقه لا تعرف المجاز، قد فررت من الدنيا كما يفرّ من الأسد، و حاولت المقاطعة حتى بين روى و الجسد، و غسل الله قلبى، و لله الحمد، من الطمع و الحسد، فلم أبق عادة إلّا قطعتها، و لا جنّة للصبر إلّا أدرعتها، أما اللباس فالصوف، و أما الزهد فيما بأيدي الخلق فمعروف، و أمّا المال الغيبط فعلى الصدقة مصروف، و و الله لو علمت أنّ حالى هذه تتصل، و أن عراها لا تنفصل، و أن ترتبى هذا يدوم، و لا يحيرنى الوعد المحتوم، و الوقت المعلوم، لمّت أسفا، و حسبى الله و كفى. و مع هذا يا سيدى فالموعظة تتلقّى من لسان الوجود، و الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود، و يأخذها من غير اعتبار بمحلّها المذموم و لا المحمود. و لقد أعملت نظرى فيما يكافى عنى بعض يدك، أو ينتهى فى الفضل إلى أمدك، فلم أر لك الدنيا كفاء هذا لو كنت صاحب دنيا، و ألفت بذل النفس قليلا لك من غير شرط و لا ثنيا، فلما ألهمنى الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة فى قالب الجفا، لمن يثبت عين الصفا، و لا يشيم بارقه الوفا، و لا يعرف قاذورة الدنيا معرفة مثلى من المتدنّسين بها المنهمكين، و ينظروا عوارها القارح بعين اليقين، و يعلم أنها المومسة التى حسنها زور، و عاشقها مغرور، و سرورها شرور، تبين لى أننى قد كافأت صنيعتك المتقدمة، و خرجت عن عهدتك الملتزمة، و أمحضت لك النصح الذى يعزّ بجز الله ذاتك، و يطيب حياتك، و يحيى مواتك، و يريح جوارحك من الوصب،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٢٥

و قلبك من النَّصب، و يحقر الدنيا و أهلها في عينك إذا اغتبرت، و يلاشى عظامها لديك إذا اختبرت. كل من تقع عينك عليه فهو حقير قليل، و فقير ذليل، لا يفضلك بشيء إلا باقتفاء رشد أو ترك غي، أثوابه النيهة يجردُها الغاسل، و عروة عزه يقصلها القاصل، و ماله الحاضر الحاصل، يعث فيه الحسام الفاصل، و الله ما تعين للخلف إلا ما تعين للسلف، و لا مصير المجموع إلا إلى التلف، و لا صح من الهياط و المياط، و الصياح و العياط، و جمع القيراط إلى القيراط، و الاستظهار بالوزعة و الأشرط، و الخبط و الخباط، و الاستكثار و الاغتباط، و الغلو و الإشطاط، و بناء الصرح و عمل الساباط، و رفع العمدة و إدارة الفسطاط، إلا أمل يذهب القوة، و ينسى الآمال المرجوة، ثم نفس يصعد، و سكرات تتردد، و حسرات لفراق الدنيا تتجدد، و لسان يثقل، و عين تبصر الفراق و تمقل قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون [ص]:

٦٧، ٦٨] ثم القبر و ما بعده، و الله منجز وعيده و وعده، فالإضراب الإضراب، و التراب التراب.

و إن اعتذر سيدي بقلمه الجلد، لكثرة الولد، فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق، و بيده من التسبب ما يتكفل بامساک الأرماق، أين التسخ الذي يتبلغ الإنسان بأجرته، في كن حجرته؟ لا بل السؤال الذي لا عار عند الحاجة بمعرفته. السؤال و الله أقوم طريقا، و أكرم رفيقا، من يد تمتد إلى حرام، لا يقوم بمرام، و لا يؤمن من ضرام، أحرقت فيه الحلل، و قلبت الأديان و الملل، و ضربت الأبشار، و نحرت العشار، و لم يصل منه على يدى واسطة السوء المعشار، ثم طلب عند الشدة ففضح، و بان شؤمه و وضح، اللهم طهر منها أيدينا و قلوبنا، و بلغنا من الانصراف إليك مطلوبنا و عرفنا بمن لا يعرف غيرك، و لا يسترفد إلا خيرك، يا الله.

«و حقيق على الفضلاء إن جنح سيدي منها إلى إشارة، أو أعمل في اجتلابها إضبارة، أو لبس منها شارة، أو تشوف لخدمة إماره، أن لا يحسنوا ظنونهم بعدها بابن ناس، و لا يغتروا بسمه و لا خلق و لا لباس، فما عدا عما بدا؟ تقضى العمر في سجن و قيد، و عمرو و زيد، و ضر و كيد، و طراد صيد، و سعد و سعيد، و عبد و عبيد، فمتى تظهر الأفكار، و يقرّ القرار، و تلازم الأذكار، و تشام الأنوار، و تستجلي الأسرار؟ ثم يقع الشهود الذي يذهب معه الإخبار، ثم يحقّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٢٦

الوصول الذي إليه من كل ما سواه الفرار، و عليه المدار. و حقّ الحقّ الذي ما سواه فباطل، و الفيض الرحمانى الذي ربابه الأبد هاطل، ما شابت مخاطبتى لك شائبة تريب، و لقد محضت لك ما يمحصه الحبيب للحبيب، فتحمل جفائى الذى حملت عليه الغيرة، و لا تظنّ بى غيره، و إن لم تعذرني مكاشفة سيادتك بهذا التّ، فى الأسلوب الرّت، فالحقّ أقدم، و بناؤه لا يهدم، و شأنى معروف فى مواجهه الجابرة على حين يدى إلى رفدهم ممدودة، و نفسى فى النفوس المتهافته عليهم معدودة، و شبابى فاحم، و على الشهوات مزاحم، فكيف بى اليوم مع الشيب، و نصح الجيب، و استكشاف العيب؟ إنما أنا اليوم على كل من عرفنى كلّ ثقل، و سيف العدل فى كفى صقيل، أعذل أهل الهوى، و ليست النفوس فى القبول سوا، و لا لكلّ مرض دوا، و قد شفيت صدرى، و إن جهلت قدرى، فاحملنى - حملك الله تعالى! - على الجادة الواضحة، و سحب عليك ستر الأبوّة الصالحه، و السلام». انتهت الرسالة البديعة فى بابها، الآتية من الموعظة بلبابها، ذات النصيحة الصريحة التى يتعين على كل عاقل خصوصا من يريد خدمة الملوك التمسك بأسبابها.

[تعليق لابن مرزوق على بعض ما جاء فى رسالة لسان الدين]

قلت: و قد رأيت بخط الإمام العلامة الخطيب ابن مرزوق على هامش قول لسان الدين أول الكلام «و أحسست منه فى بعض كتبه إلى آخره» ما صورته: توهم ما لا يقع، بل لما تجلّت عنى سحب النكبة و الامتحان جزمت بالرحلة، و عزمت على النقلة، و نفرت عن خدمة السلطان، و ملازمة الأوطان، قال ابن مرزوق: و العجب كلّ العجب أن جميع ما خاطبنى به - أبقاه الله تعالى! - تحلى به أجمع، و ابتلى بما منه حدّر، فكأنه خاطب نفسه و أنذرهما مما وقع له، فالله تعالى يحسن له الخاتمة و الخلاص؛ انتهى.

[تعليق لابن لسان الدين على تعليق ابن مرزوق]

و كتب تحت كلام ابن مرزوق هذا بخطه ابن لسان الدين عليّ، ما صورته: صدق و الله سيدي أبو عبد الله بن مرزوق، كان الله تعالى له! قاله ولده ابن المؤلف؟.

[تعليق للمؤلف على كلام ابن مرزوق]

قلت: و هذا الذي قاله ابن مرزوق كان في حياة ابن الخطيب، و لذلك دعا له بالبقاء، و بحسن الخاتمة و الخلاص، و قد أسفر الغيب عن محنته، ثم قتله على الوجه الذي وصفه أثناء هذه الرسالة، إذ قال: و أما ضده من عدو يتحكّم و ينتقم، و حوت بغى يبتلع و يلتقم، و مطبق يحجب الهواء، و يطيل في التراب الثواء، و ثعبان قيد يعصّ الساق، و شؤبوب عذاب يمزّق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٢٧

الأبشار الرقاق، و غيلة يهديها الواقب الغاسق، و يجرعها العدو الفاسق، فصرف السوق، و سلعته المعتادة الطروق، مع الأفول و الشروق، فإنه رحمه الله تعالى حصل له ما ذكر، ثم اغتاله ليلا و خنقه في محبسه عدوه الفاسق سليمان بن داود، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك، فالله تعالى يشبه بهذه الشهادة!.

[مرثية من شعر ابن صابر المنجنيقي]

و قد تذّكرت هنا مرثية ابن صابر المنجنيقي، و هي: [الخفيف]

هل لمن يرتجى البقاء خلود و سوى الله كلّ شيء يبيد
و الذي كان من تراب و إن عاش طويلا إلى التراب يعود
فمصير الأنام طرّا لما صار إليه آباؤهم و الجدود
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٦؛ ص ١٢٧

ين آدم إذ فا تهما الملك و الثوا و الخلود
أين هاييل أين قابيل؟ إذ ه ذا لهذا معاند و حسود
أين نوح و من نجا معه بال فلك و العالمون طرّا فقيد
أسلمته الأيام كالطفل للموت و لم يغن عمره الممدود
أين عاد بل أين جنة عاد إرم، أين صالح و ثمود
أين إبراهيم الذي شاد بيت ال له فهو المعظم المقصود
أين إسحاق أين يعقوب أم أي ن بنوه و عدّهم و العديد
حسدوا يوسفأ أخاهم فكادوه و مات الحشاد و المحسود
و سليمان في النبوة و المل كك قضى مثلما قضى داود
ذهبا بعد ما أطاع لذا الخلق و هذا له ألين الحديد
و ابن عمران بعد آياته التسع و شق الخضمّ فهو صعيد
و المسيح ابن مريم و هو روح الله كادت تقضى عليه اليهود
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٢٨

وقضى سيد النبيين و الها دى إلى الحقّ أحمد المحمود
و بنوه و آله الطاهرون ال زهر صلبى عليهم المعبود
و نجوم السماء منتثرات بعد حين و للهواء ركود
و لنار الدنيا التى توقد الصخ ر خمود و للمياه جمود
و كذا للثرى غداة يقوم ال ناس منها تزلزل و همود
هذه الأمهات نار و ترب و هواء رطب و ماء برود
سوف تفنى كما فنىنا فلا يب قى من الخلق والد و وليد
لا الشقى الغوى من نوب الأيام ينجو و لا السعيد الرشيد
و متى سلّت المنايا سيوفا فالموالى حصيدها و العبيد

[إشارة و نماذج من مرث أخرى]

و أما قصيدة ابن عبدون الأندلسى التى رثى بها ابن الأفظس و ذكر فيها كثيرا من الملوك الذين أبادهم الدهر و طحنهم برحاه و صيرهم أثرا بعد عين ففيها ما يوقظ التّوأم، و أولها:
[البسيط]

الدّهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح و الصّور
و بالجملة فالأمر كما قال ابن الهبارية: [مجزوء الرجز]
الموت لا يبقى أحد لا والدا و لا ولد
مات لبيد و لبد و خلد الفرد الصّمد

كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَاِنْ وَ يَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] اللهم اختم لنا بالحسنى، و ردنا إليك رداً جميلاً.
و تذكّرت هنا أيضا مرثية على روى مرثية المنجيقى السابقة منها: [الخفيف]

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم و ثمود
بينما هم على الأسرة و الآن ما ط أفضت إلى التراب الخدود
ثم لم ينقض الحديث و لكن بعد ذا الوعد كلّ و الوعيد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٢٩
و أطباء بعدهم لحقوهم ضلّ عنهم سعوطهم و اللدود
و صحيح أضحى يعود مريضاً و هو أدنى للموت ممّن يعود

و ما أحكم قول السلطان أبى على ابن السلطان أبى سعيد الميرنى يخاطب أخاه السلطان أبى الحسن و قد حصره بسجلماسة حتى أخذه
قسرا: [البسيط]

فلا يغرّتك الدهر الخزون فكم أباد من كان قبلى يا أبى الحسن
الدهر مذ كان لا يبقى على صفة لا بدّ من فرح فيه و من حزن
أين الملوك التى كانت تهابهم أسد العرين ثورا فى اللحد و الكفن
بعد الأسرة و التيجان قد محيت رسومها و عفت عن كلّ ذى حسن
فاعمل لأخرى و كن بالله مؤتمرا و استغن بالله فى سرّ و فى علن

واختر لنفسك أمرا أنت أمره كأنني لم أكن يوما ولم تكن

و دخل السلطان أبو الحسن سجالماسه عنوة على أخيه السلطان أبي علي عمر سنة ٧٣٤، و جاء به في الكبل لفاس، ثم قتله بالفصد و الخنق في ربيع الأول من السنة، و كان القبض عليه في المحرم، رحمه الله تعالى!.

و مما وجد مكتوبا على قصر بعض السلاطين: [البيسط]

قد كان صاحب هذا القصر معتبطا في ظلّ عيش يخاف الناس من باسه

فبينما هو مسرور بلذته في مجلس اللهو مغبوط بجلاسه

إذ جاءه بغته ما لا مردّ له فخرّ ميتا و زال التاج عن راسه

[زيارة المؤلف لقبر لسان الدين]

رجع إلى أخبار لسان الدين بن الخطيب - رحمه الله تعالى - قلت: و قد زرت قبره مرارا رحمه الله تعالى بفاس المحروسة فوق باب

المدينة الذي يقال له باب الشريعة، و هو يسمّى الآن باب المحروق، و شاهدت موضع دفنه غير مستو مع الأرض، بل ينزل إليه بانحدار

كثير، و يزعم الجلّ من عوام فاس أنّ الباب المذكور إنما سمي بباب المحروق لأجل ما وقع من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٣٠

حرق لسان الدين به حين أخرجه بعض أعدائه من حفرته كما مرّ، و ليس كذلك، و إنما سمي باب المحروق من دولة الموحدين،

قبل أن يوجد لسان الدين و لا أبوه، بسبب نائر ثار على الدولة، فأمسك و أحرق في ذلك المحلّ، و الله غالب على أمره. و حصل لي

من الخشوع و الحزن عند زيارة قبره - رحمه الله تعالى! - ما لا مزيد عليه، جعل الله له تلك المحن كفارة و طهرة، فإنه كان آية الله

علما و جلاله و حكمه و شهرة.

[رسالة لبعض أهالي المغرب في العزاء بأبي جعفر بن جبير]

و قد تذكرت عند كتيبي هذا المحلّ رسالة كتبها بعض أئمة المغرب في عزاء الوزير الشهير أبي جعفر بن جبير الأندلسي رحمه الله

تعالى إلى بنيه، و هي ممّا يصلح أن يوصف بمثلها لسان الدين رحمه الله تعالى، و فيها عزاء بمن مضى، و نصّها: «عزاء يا كواكب

الهدى، في بدركم الذي تخيفه الردى، و فجع به الفضل و الندى، فقل للشهب أن تنكدر على فراقه، و للصبح أن يخبو نور إشراقه، و

للريح أن تمزق صدارا، و للأهله أن لا تعرف إبدارا، و لليل أن يشتمل خميصه الحزن، و للسماء أن تبكيه بأدمع المزن، و للرعذ أن

ينتحب لوفاته، و للبرق أن يحكى برجفاته أفئدة عفاته، و للثريا أن ينقصم سوارها، و للشمس أن تنكسف أنوارها، و للثرة أن تنثر

كواكبها، و للجوزاء أن تنفض مناكبها، و للثيرات أن ترفض مواكبها، و للرامح أن يبيت أعزلا، و للبدر أن لا يالف منزلا، و للمجرّة أن

يفيض دمعها نهرها، و للغميصاء أن يطرد بكاؤها و سهرها، و للروض أن يفارق إمراعه، و للأورق أن يهتف بما راعه، و للغصون أن

تنهصر لهفته، و تتقصف أسفا على حتفه. و لكن هو الحمام يختل و يختر، و لا يحفل بمن يتر، لعدم ما أوجده الكون، و يذيل من

أكنفه الصون، و أين بنا عن مكافح لا نقاتله، و رام أرواحنا مقاتله، لا يده ناصره، و عزمته قاصرة للقياصرة، و يمينه كاسرة للأكاسرة،

لم يبق من رسم، لطسم، و لا - من إحسان، لغسان، و لا من أباد، لإياد، و لا من سلطان، لقحطان، و لا من نجيب، لتجيب، و لا شرف

ضحم، للخم، لم يكن له عن اليمينين إقصار، و منهم الأنصار، و هم أسمع للنبيّ و أبصار، و عمد إلى المصايح من مضر يطفئها، و

هذا و الوحي يتنزل فيها، و لم يصخ في الصديق، إلى التصديق، و أصمى الفاروق برداه، و حكم فيه أبا لؤلؤة و مداه، و أمكن صرف

الأقدار، من شهيد الدار، و لم يرع من عليّ بالبسالة، و الذّبّل العسالة، و لا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٣١

أبقى سبطيه و قد تفقأت عنهما بيضة الرسالة، و أذهب الزبير حوارى الرسول، و حنظلة و هو بأيدى الملائكة مغسول، و أفات ابن معاذ و لم يحفل بفوته، على أنه اهتزّ العرش لموته، و أودى بحمزه و مقعده من النبوة، مقعد الأبوة، و شفى من عمار صدور الأسل، و أردى مالكا بشربه من عسل، و لم يعبا بمضاء عمرو، و لا بحلم معاوية و دهاء عمرو. فيا له من خطب، مود بكلّ يابس و رطب، يشرب ماء الأعمار، و يجعل الأجداث منازل الأقمار، و يلوك السوقه و الأملاك، و لا يبالى أية لأك، و لا يقبل شفيعا، و لا يغادر منحطا و لا رفيعا، ها هو اعتمد نور علا فكسفه، و طود حلم فنسفه، و أعلق المجد فى حباله، و أقصد الفضل بنباله، و فجع كنانة، بسهم لم ينثله من كنانة، فيا طارق الأعين لقد بؤت بأنفس الأعلاق، و يا ناعيه لقد نعت باسقى الأخلاق، رويدا أسائلك، عمن لم تضع لديه و سائلك، أين سماحته و طلاقته؟ أين كلفه بالحمد و علاقته؟ ما الذى ثنى عطفه عن الارتياح؟ أم أين عافيه من ذلك الامتياح؟ أم من يؤلف أمنيته كما ألفت السحب أيدى الرياح؟ فيا هبة الحمد، اطوى عرفك فما تشق، و يا ربّه المجد، أقصرى طرفك فما تعشق، و يا معشر عفاته، كيف حيتيم و قد علمتم بوفاته؟ و يا زمر أماله، صفرت أيديكم من إجماله، و يا أخاير صحابه، أين مواقع صحابه؟ و يا بنى ولائه، من يتبوا مقام علائه؟ و يا منافسى شيمه، من وجود بمثل ديمه؟ و يا منازعى كرمه، من يطيف المعنفين بمثل حرمه؟ و يا حاسدى هممه، من له كحفاظه و ذممه؟ سيدى لقد أضاءت مساعيك و أشرق، و أغصت الحاسدين طرا و أشرق، و حسبهم أن لم ينتبهوا إلّا إذا نمت، و لا نطقوا إلّا حين مت، وليهن ملاكك و صحبك، أن أحيتك صنائعك و قد قضيت نحبك، و إن حمّ فناؤك، فقد أبقى الحياة الخالدة ثناؤك: [الكامل]

ردت صنائعه عليه حياته فكأنه من نشرها منشور

و الناس ماتمهم عليه واحد فى كلّ دار أنه و زفير

«سيدى، أما تجيب صرخة لهفان، أم عداك عن الجواب أنك فان؟ سيدى من لآملك، ببسط أنا ملك؟ من للمرملات الضرائك، يارشادك و آرائك؟ من لقربائك، بصلتك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٣٢

و حبايك؟ من لأخيك، بمواثق أو اخيك؟ من لأبنائك، بلطف إحنايك؟ انفضّ شملهم و كان جميعا، و نادوك لو نادوا منك سميعا، هذا كبيرهم يدعوك فلا تجيبه، و قد فتّ الأضلاع و جيبه، يبكى عند تلك الزجام، بأدمع سجام، و قد ألهمت الزفرات حشاه، و ألح الدمع بجفنه حتى أعشاه، و الأصاغر ما لهم بعدك مفرع، و رضيعهم تسلب به الأنفس رحمة و تنزع، لا يدرى ما جزع عليك فيجزع، لشد ما أذابتهم و قده الأوار، حين عدموا منك كرم النجوى و الجوار، أف لدهر رماهم بالأجوار، و تركهم أنجما مسلوبه الأنوار، لا جرم أن يحزنوا عليك و يكثرثوا، فلقد تسلّوا عنك ببعض ما ورثوا، و ما ورثتهم غير الحزن و البث، و أمل فى الحياة كالهباء المنبث، كما تتلى محاسنك فاسمع، طفقت عليك شؤون عيني تدمع، أيا ضريحه، كيف وجدت ريحه؟ لقد أرج بك ذلك المعفر، حتى ما ينافحه المسك الأذفر، و كما ظفرت بوجوده، فجد كلّ قبر بوجوده، ففيه سماء ثرة و غمام، و نور انضّم عليه منك كام، و لو علمت بمن بين جنبيك راقد، لعلوت حتى تلوح فى ذراك الفراق، و يا دافنيه كيف هلتم عليه الرغام؟ أو لم تنكروا على الشمس أن تغام؟ هيهات لقد سمحتم بإقبار، عفّ الشمائل طيب الأخبار، و إلحاد، من لا نزاع فى فضله و لا إلحاد، أى نفس اتخذتم له التراب مستودعا، فأضحى عرنين المكارم مجدعا: [الطويل]

[مقطوعات فى الزهد]

فتى مثل نصل السيف من حيث جئته لئانته نابتك فهو مضارب

فتى همّه حمد على النأى رابح و إن بات عنه ماله و هو عازب

«أما و إن ازدحمت بمهلكه الأوصاب، و فدح الرزء و جلّ المصاب، حتى لا نألف الناسا، فلقد سر الموت من حيث ساء، فلقد خلفنا بدهر ما فيه غير مصائب، و لا يبالي من أقصد سهمه الصائب، فيا فقيد الندى ما كان أجدرك بالخلود و أخلقك، و يا جواد عمره ما كان أقصر طلقك، ثوى، حين استوى، و توارى، إذ ملأ الأفق أنوارا، و كسف حين بلغ الكمال، فكان كالغصن عند ما اعتدل مال، أو كالشهاب عند ما استقام حار [الكامل]

و كذاك عمر كواكب الأسحار

هذه البراعة التحفت بعده الضنى، و الصحف تطوى على جهالة و تحنى، و عهدي به إن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٣٣

امتطى راحته اليراع، راع، أو ديبج الأوراق، راق، أو استدرّ طبعه السلسال، سال، و أى روض أراد، راد، و متى أراغ الإنشاء، أحسن إن شاء، فحقّ للفؤاد أن يستعر بوقده، و للمدامع أن تسيل دما على فقده، بيد أنه الموت لا بد أن نردّ مشرعه، و نسيغ على شرق به جرحه، فإننا زرع يحصده الذى ازدرعه. و صبرا يا ذوى أرحامه و بنيه، و من مرّ فى غلواء الوجد فالسلوان يثنيه، و شحّا على أجر كم لا يذهب به الجزع و يفنيه، و الله يزلف الفقيد من رحمة و يدنيه، و يقطفه زهر رضوانه و يجنيه، و يبسرّ لكم العزاء الأجل برحمته و يستيه، و السلام». انتهت.

و يرحم الله القائل: [الخفيف]

كلّ جمع إلى الشتات يصير أى صفو ما شابه تكدير
 أنت فى اللهو و الأمانى مقيم و المنايا فى كلّ وقت تسير
 و الذى غزه بلوغ الأمانى بسراب و خلب مغرور
 ويك يا نفس أخلصى إن ربّى بالذى أخفت الصدور بصير
 و لا خفاء على ذوى الأحلام، من الأعلام، أنّ الدنيا أضغاث أحلام: [الرملى]

يندم المرء على ما فاته من لبانات إذا لم يقضها
 و تراه فرحا مستبشرا بالتي أمضى كأن لم يمضها
 إنها عندى كأحلام الكرى لقريب بعضها من بعضها
 و قال أبو منصور أسعد النحوى: [الخفيف]

يجمع المرء ثم يترك ما يج مع من كسبه لغير شكور
 ليس يحظى إلّا بذكر جميل أو بعلم من بعده مأثور

[من شعر ابن الجوزى فى المعنى]

و قال الإمام الشهير أبو الفرج بن الجوزى: [مجزوء الكامل]

يا ساكن الدنيا تأب و انتظر يوم الفراق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٣٤

و أعدّ زادا للرحى ل فسوف يحدى بالرفاق

وابك الذنوب بأدمع تنهلّ من سحب المآق

يا من أضاع زمانه أرضيت ما يفنى بياق

و كان ابن الجوزى المذكور آية الله فى كثرة التأليف و الكتابة و الوعظ و الحفظ، و أقلّ من

[كلمة عن أبي الفرج بن الجوزي و مجالس وعظه، عن الذهبي وغيره]

كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وربما حضر عنده مائة ألف، و قال في آخر عمره على المنبر:
 كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة، و تاب على يدي مائة ألف، و أسلم على يدي عشرون ألف يهودي و نصراني، و أسمع رحمه الله تعالى الناس أكثر من أربعين سنة، و حدث بمصنفاته مرارا.
 و قال الحافظ الذهبي في حقه: الحافظ الكبير، الواعظ، المفتن، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في العلوم المتعددة، و عظم من صغره، وفاق فيه الأقران و نظم الشعر المليح، و كتب بخطه ما لا يوصف، و رأى من القبول و الاحترام ما لا مزيد عليه، و حزر مجلسه غير مرة بمائة ألف، و حضر مجلسه المستضيء مرارا من وراء السترة انتهى.
 و من كلامه في بعض مجالسه: و الله ما اجتمع لأحد أمله، إلا و سعى في تفريقه أجله، و عقارب المنايا تلسع الناس، و خدران جسم الأمل يمنع الإحساس.

و قال في قوله صلى الله عليه و سلم «أعمار أمتي من الستين إلى السبعين» إنما طالت أعمار القدماء لطول البادية، فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل: حثوا المطي.
 و قال في الذين عبدوا العجل: لو أن الله خار لهم، ما خار لهم.

و قال يوما و قد طرب أهل المجلس: فهمتم فهمتم.
 و قال في خلافة أبي بكر، رضى الله عنه، بعد أن ذكر أحاديث تدل على خلافته كقوله صلى الله عليه و سلم «مروا أبا بكر فليصل بالناس» و غيره، ما صورته: فهذه أحاديث تجرى مجرى النص، فهمها الخصوص، غير أن الراضة في إخفائها كاللصوص، فقال السائل: لما قال «أقبلوني» ما سمعنا مثل جواب على رضى الله عنه «و الله لا أقلناك» فقال: لما غاب على عن البيعة في الأول، أخلف ما فات بالمدح في المستقبل، ليعلم السامع و الرائي أن بيعته أبي بكر و إن كانت من ورائي، فهي رائي، و مثل ذلك الصدر لا يرائي.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٣٥

و قال في قول فرعون أليس لى ملك مضر [الزخرف: ٥١] يفتخر بما أجراه، ما أجراه.

و تواجد رجل في مجلسه فقال: عجباً! كلنا في إنشاد الضالة سواء، فلم وجدت و حدك ألم الجوى؟ و أنشد: [الرملة]

قد كتمت الحب حتى شفتنى و إذا ما كتتم الداء قتل

بين عينيك علالات الكرى فدع النوم لربات الحجل

و نظر يوما إلى أقوام يبكون في مجلسه و يتواجدون فأنشد: [الطويل]

و لو لم يهجنى الظاعنون لهاجنى حمام ورق في الديار وقوع

تداعين فاستبكين من كان ذا هوى نوائح لم تقطر لهنّ دموع

و كيف أطيق العاذلين و ذكرهم يؤرّقنى و العاذلون هجوع

و قام رجل و تواجد فأنشد: [الطويل]

و ما زال يشكو الشوق حتى كأنما تنفس من أحشائه و تكلمما

و بيكى فأبكى رحمه لبكائه إذا ما بكى دمعا بكيت له دما

و أعجبه يوما كلامه فأنشد: [الرجز]

تزدحم الألفاظ و المعانى على فؤادى و على لسانى

تجرى بى الأفكار فى ميدان أزامح النجم على مكان

و وعظ المستضيء يوما فقال: يا أمير المؤمنين، إن تكلمت خفت منك، و إن سكت خفت عليك، فأنا أقدم خوفاً عليك، على خوفاً منك، لمحبتى لدوام أيامك، إن قول القائل «أتق الله» خير من قول القائل: أنتم أهل بيت مغفور لكم. و قال الحسن البصرى: لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى تبلغ المأمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف. و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: إذا بلغنى عن عامل ظالم أنه قد ظلم الرعية و لم أغیره فأنا الظالم. يا أمير المؤمنين، كان يوسف عليه السلام، لا يشبع فى زمان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٣٦

القحط؛ لئلا ينسى الجياع، و كان عمر، رضى الله عنه، يصبر بطنه عام الرمادة فيقول: قرقرى إن شئت أو لا تقرقرى، فو الله لا شبع و المسلمون جياع. فتصدق الخليفة المستضيء بصدقات كثيرة، و أطلق من فى السجن.

و قال رحمه الله تعالى لبعض الولاة: اذكر عدل الله فيك، و عند العقوبة قدرة الله عليك، و إياك أن تشفى غيظك بسقم دينك. و قال: الطاعة تبسط اللسان، و المعاصى تذلل الإنسان.

و قال له قائل: ما نمت البارحة من شوقى إلى المجلس، فقال: نعم؛ لأنك تريد أن تتفرج، و إنما ينبغي أن لا تنام الليلة لأجل ما سمعت فيه.

و قيل له: إن فلانا أوصى عند الموت، فقال: طين سطوحه فى كانون.

و قال له قائل: أستبح أم أستغفر؟ فقال: الثياب الوسخة أحوج إلى الصابون من البخور.

و سأله سائل: ما الذى قر فى قلب أبى بكر، رضى الله عنه؟ فقال: قوله ليلة المعراج «إن كان قال فلقد صدق» فله السابق.

و لما قال له بعضهم «سيف على نزل من السماء فسعفه أبى بكر أين؟» أجابه بقوله: إن سعفه هزت يوم الردة فأثمرت سببا جاء منه مثل ابن الحنفية لأمضى من سيوف الهند، ثم قال:

يا عجباً للروافض، إذا مات لهم ميت تركوا معه سعفه، من أين ذا المصطلح؟.

و سئل عن معنى قوله صلى الله عليه و سلم «من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى أبى بكر» فقال: الميت يقسم ماله و يكفن، و أبو بكر أخرج ماله كله و تخلل بالعباء.

و قال فى قوله تعالى وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا [الحجر: ٤٧] قال على: إني و الله لأرجو أن أكون أنا و عثمان و طلحة و الزبير منهم، ثم قال أبو الفرج: إذا اصطاح أهل الحرب فما بال النظارة؟.

و قال: قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه و سلم: سلم على عائشة، و لم يواجهها بالخطاب احتراماً لزوجها، و واجه مريم لأنها لم يكن لها زوج، فمن يحترمها جبريل كيف يجوز فى حقها الأباطيل؟

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٣٧

قال أبو شامة: و كان ابن الجوزى - رحمه الله تعالى! - مبتلى بالكلام فى مثل هذه الأشياء، لكثرة الروافض ببغداد و تعنتهم بالسؤالات فيها، فكان بصيرا بالخروج منها لحسن إشارته.

و انقطع القراء يوما عن مجلسه فأنشد: [الطويل]

و ما الحلوى إلا زينة لنقيصة يتمم من حسن إذا الحسن قصراً

و أما إذا كان الجمال موفراً كحسنك لم يحتج إلى أن يزوراً

و قيل له: لم تعلل موسى عليه السلام بسوف ترانى؟ فأنشد: [الكامل]

إن لم يكن وصل لديك لنا يشفى الصباة فليكن وعد

و لما ذكر أن بلالا - رضى الله عنه! - لما منع الطواف بالبيت كان يقف من بعيد و ينظر إليه و يبكى أنشد: [الوافر]

أمر على منازلهم و إني بمن أضحي بها صب مشوق
و أومي بالتحية من بعيد كما يومي بأصبعه الغريق
و من شعر أبي الفرج رحمه الله تعالى: [المتقارب]
لعبت و مثلك لا يلعب و قد ذهب الأطيب الأطيب
و قد كنت في ظلمات الشباب فلما أضاء انجلي الغيب
ألا أين أقرانك الراحلون؟ لقد لاح، إذ ذهبوا، المذهب

[رجع إلى أخبار لسان الدين]

و لنقتصر على هذا المقدار، و نرجع إلى أحوال لسان الدين، رحمه الله تعالى، و ارتحاله، و الاعتبار بحاله، فنقول:
و مما يناسب أن نذكره في هذا المحلّ و نثبته فيه ما حكاه العالم العلامة بلدينا سيدي أبو الفضل ابن الإمام التلمساني رحمه الله تعالى
عن جدّي الإمام قاضي القضاء سيدي أبي عبد الله المقرّي التلمساني رحمه الله تعالى، و هو أحد أسيّخ لسان الدين كما يأتي إن شاء
الله ذلك في محلّه، قال: كنت مع ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب في جامع
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٣٨
إلبيرة من الأندلس إذ مرّ بنا الاعتبار، في تلك الآثار، فأنشد ابن الخطيب ارتجالاً: [الوافر]
أقمنا برهه ثم ارتحلنا كذاك الدهر حال بعد حال
و كلّ بداية فإلى انتهاء و كلّ إقامة فإلى ارتحال
و من سام الزمان دوام حال فقد وقف الرجاء على المحال

[من شعر لسان الدين و أخباره]

و حكى لسان الدين في «الإحاطة» عن نفسه أنه خطّط هذه الأبيات في مرحلة نزلها رحمه الله تعالى حسبما يأتي ذلك في شعره.
و ما أحسن قوله رحمه الله تعالى: [الطويل]
لبسنا فلم نبل الزمان و أبلانا يتابع أحرانا على الغي أولانا
و نغترّ بالآمال و العمر ينقضي فما كان بالرجعي إلى الله أولانا
و ما ذا عسى أن ينظر الدهر من عسا فما انقاد للزجر الحثيث و لا لانا
جزينا صنيع الله شرّ جزائه فلم نرع ما من سابق الفضل أولانا
فيا ربّ عاملنا بما أنت أهله من العفو و اجبر صدعنا أنت مولانا
و قد حكى غير واحد أنه رحمه الله تعالى رىء بعد موته في المنام، فقال له الرائي: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بيتين قلتها، و
هما: [الكامل]
يا مصطفى من قبل نشأة آدم و الكون لم تفتح له أغلاق
أ يروم مخلوق ثناءك بعد ما أثنى على أخلاقك الخلاق
و قد كرر، رحمه الله تعالى، هذا المعنى في قصيدة في حقّه صلّى الله عليه و سلم، و شرف و كرم، و مجد و عظم، و بارك و أنعم، و
هو قوله: [الكامل]

مدحتك آيات الكتاب فما عسى يثنى عليك نظم مديحي
و إذا كتاب الله أثنى مفصحا كان القصور قصار كل فصيح
و ستأتى هذه القصيدة فى نظمه إن شاء الله تعالى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٣٩

و قد رأيت بالمغرب تخميسا للبيتين الأولين منسوباً للأديب الشهير الذكر بالمغرب أبى عبد الله محمد بن جابر الغسانى المكناسى،
رحمه الله تعالى، و لا بأس أن نورد هنا، و هو قوله رحمه الله تعالى: [الكامل]

يا سائلا لضريح خير العالم ينهى إليه مقام صب هائم

بالله ناد و قل مقاله عالم يا مصطفى من قبل نشأة آدم

و الكون لم تفتح له أغلاق

بشناك قد شهدت ملائكة السما و الله قد صلى عليك و سلما

يا مجتبي و معظما و مكرما أ يروم مخلوق ثناءك بعد ما

أثنى على أخلاقك الخلاق

و ما أحسن قول لسان الدين - رحمه الله تعالى! - بعد ما عرّف بنفسه و سلفه: و كأن بالحى ممّن ذكر قد التحق بالميت، و بالقبر قد
استبدل بالبيت.

و قال رحمه الله تعالى بعد إيراد جملة من نظمه ما صورته: و قلت و البقاء لله وحده، و به يختم الهذر: [مجزوء الرمل]

عدّ عن كيت و كيت ما عليها غير ميت

كيف ترجى حالة البق يا لمصباح و زيت

و سيأتى ذلك.

و لقد صدق، رحمه الله تعالى، و رقى درجته فى الجنة!

و أما البيتان الشائعان على ألسنة أهل المشرق و المغرب و أنهما قيّلا فى لسان الدين رحمه الله تعالى، و بعضهم ينسبهما له نفسه،
فالصحيح خلاف ذلك كما سيأتى، و هما: [السريع]

قف كى ترى مغرب شمس الضحى بين صلاة العصر و المغرب

و استرحم الله قتيلا بها كان إمام العصر فى المغرب

و شرح بعضهم البيتين فقال: إن قوله «قتيلا بها» من باب الاستخدام: أى قتيلا بشمس الضحى التى هى المتغزل فيها.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٤٠

و قد رأيت و أنا بالمغرب بخطّ الشيخ الأغصاوى أنهما لم يعن بهما قائلهما لسان الدين بن الخطيب، و إنما هما مقولان فى غيره، و
نسبهما، و نسيت الآن ذلك لطول العهد، و الله أعلم.

[تحقيق فى شأن بيتين يقال إنهما قيّلا فى لسان الدين]

و يدلّ على ذلك أنه - رحمه الله تعالى! - لم يقتل بين صلاة العصر و المغرب و إنما قتل فى جوف الليل كما علم فى محله، على أنه
يمكن بتكلف تأويل ذلك بأنه قامت لقائلهما قرينه على أنه بصدد الموت فى ذلك الوقت، و هذا لو ثبت أنهما قيّلا فيه، و قد علمت
أن الأغصاوى نفى ذلك، فالله أعلم بحقيقة الأمر فى ذلك.

ثم رأيت فى كتاب إسماعيل بن الأحمر فى ترجمته بعض العلماء ما نصّه: فمن قوله يرثى الأمراء بالمغرب، و قد حلّ رمسه بين صلاة

العصر و المغرب: [السريع]

قف كي ترى مغرب شمس العلا بين صلاة العصر و المغرب

و استرحم الله دفيننا به كان مليك العصر في المغرب

و هذا مما يبعد أنهما في لسان الدين من وجوه لا تخفى على المتأمل: منها قوله «كان مليك العصر» فإنّ لسان الدين لم يكن كذلك، و قد تقدّم آنفا «كان إمام العصر في المغرب» و هو أحسن؛ لما فيه من التورية البديعة، و الله أعلم.

[عود إلى أخبار لسان الدين]

رجع إلى أخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى- و قد عرض عدوّه الرئيس ابن زمرك في بعض قصائده التي مدح بها سلطانه الغنى بالله أبا عبد الله بن نصر بما تسنى له من الظفر بابن الخطيب، و من حماه منه، و هو الوزير ابن الكاسي، على يد من عينه لملك الغرب، و أعانه بجنده و عضده، كما تقدّم، و هو السلطان أحمد المريني، فقال من قصيدة عيديه: [البسيط]

[من قصيدة لابن زمرك يعرض فيها بلسان الدين]

يهنى زمانك أعياد مجدّدة من الفتوح مع الأيام تغشاه
غضبت للدين و الدنيا بحقّهما يا حبذا غضب في الله أراضاه
فوّقت للغرب سهما راشه قدر و سدّد الله للأعداء مرماه
«سهم أصاب و راميه بذى سلم» لقد رمى الغرض الأقصى فأصماه
من كان بندك يا مولاي يقدمه فليس يخلفه فتح ترجاه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٤١
من كان جندك جند الله ينصره أناله الله ما يرجو و سنّاه
ملكك غربا به خلّدت من ملكك للشرق و الغرب منه ما تمّناه
و سام أعداءك الأشقيين ما كسبوا و من تردّى رداء الغدر أرداه
قل للذي رمدت جهلا بصيرته فلم تر الشمس، شمس الهدى، عيناه
غطّى الهوى عقله حتى إذا ظهرت له المرشد أعشاه و أعماه
هل عنده و ذنوب الغدر توبقه أنّ الذي قد كساه العزّ أعراه
لو كان يشكر ما أوليت من نعم ما زلت ملجأه الأحمى و منجاه
سلّ السعود و خلّ البيض مغمدة فالسيف مهما مضى فالسعد أقصاه
و اشرع من البرق نصلا راع مصلته و ارفع من الصبح بندا راق مجلاه
فالعديتان لنا قد ضمّ ملكهما أنصار ملكك، صان الله عليه
لا أوحش الله قطرا أنت مالكة و آنس الله بالألطف مغناه
لا أظلم الله أفقا أنت نيره لا أهمل الله سرحا أنت ترعاه
و اهنأ بشهر صيام جاء زائره مستنزلا من إله العرش رحماه
أهلّ بالسعد فانهلّت به منن و أوسع الصنع إجمالا و وفّاه

أما ترى بركات الأرض شاملةً و أنعم الله قد عمّت براياه
و عادك العيد تستحلى موارده و يجزل الأجر و الرحمى مصلاًه
جهّزت جيش دعاء فيه ترفعه لذى المعارج و الإخلاص رقّاه
أفضت فيه من النعماء أجزلها و أشرف البرّ بالإحسان زكّاه
و اليت للخلق ما أوليت من نعم والى لك الله ما أولى و والاه
و أول هذه القصيدة:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٤٢
هذى العوالم لفظ أنت معناه كلّ يقول إذا استنطقته الله
بحر الوجود و فللك الكون جاريةً و باسمك الله مجراه و مرساه
من نور وجهك ضاء الكون أجمعه حتى تشيد بالأفلاك مبناه
عرش و فرش و أملاك مسخرةً و كلّها ساجد لله مولاه
سيحان من أوجد الأشياء من عدم و أوسع الكون قبل الكون نعماه
من ينسب النور للأفلاك قلت له: من أين أطلعت الأنوار لولاه
مولاي مولاي بحر الجود أغرقني و الخلق أجمع في ذا البحر قد تاهوا
فالفلك تجرى كما الأفلاك جاريةً بحر السماء و بحر الأرض أشباه
و كلّهم نعم للخلق جاريةً تبارك الله لا تحصى عطاياه
يا فاتق الرّتق من هذا الوجود كما في سابق العلم قد خطت قضاياه
كن لى كما كنت لى إذ كنت لا عمل أرجو، و لا ذنب قد أذنت أخشاه
و أنت فى حضرات القدس تنقلنى حتى استقرّ بهذا الكون مثواه
ما أقبح العبد أن ينسى و تذكره و أنت باللطف و الإحسان ترعاه
غفرانك الله من جهل بليت به فمن أفاد وجودى كيف أنساه
مئى علىّ حجاب لست أرفعه إلّا بتوفيق هدى منك ترضاه
فعد علىّ بما عوّدت من كرم فأنت أكرم من أملت رحماه
ثم الصلاة صلاة الله دائمة على الذى باسمه فى الذكر سمّاه
المجتبى و زناد النور ما قدحت و لا ذكا من نسيم الروض مسراه
و المصطفى و كمام الكون ما فتقت عن زهر زهر يروق العين مرآه
و لا تفجّر نهر للنهار على درّ الدرارى فغطّاه و أخفاه
يا فاتح الرّسل أو يا ختمها شرفاً و الله قدّس فى الحالين معناه
لم أدخر غير حبّ فيك أرفعه وسيلةً لكريم يوم ألقاه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٤٣
صلّى عليك إله أنت صفوته ما طيبت بلذيد الذكر أفواه
و عمّ بالزّوح و الرّيحان صحبته و جاءهم من نمير العفو أصفاه
و خصّ أنصاره الأعلىين صفوته و أسكنوا من جوار الله أعلاه

أنصار ملته أعلام بيعته مناقب شرفت أثنى بها الله
و أيد الله من أحيا جهادهم و واصل الفخر أخراه بأولاه
المنتقى من صميم الفخر جوهره ما بين نصر و أنصار تهاده
العلم و الحلم و الإفضال شيمته و البأس و الجود بعض من سجايه
و هي طويلة، و لنقتصر منها على ما ذكر.

[قصيدة أخرى لابن زمر ك يهني فيها سلطانه الغنى بالله بفتح بلاد المغرب و ظفروه بابن كاس مجير لسان الدين]

و قد صرح ابن زمر ك المذكور في قصيدة أخرى مدح بها سلطانه الغنى بالله، و هنا بفتح المغرب على يد السلطان أحمد، و ذكر فيها
ظفروه بالوزير ابن الكاس، و هو - أعنى ابن الكاس - كان القائم بنصرة لسان الدين، و المانع له، و المجير له منهم حين طلبوه منه، فلما
لم يخفر ذمته تمكنت - كما سبق - أسباب العداوة، و جرّ ذلك أن أغرى السلطان أحمد على تملك فاس، و اشترطوا عليه كما مرّ
القبض على لسان الدين و إرساله إليهم، و قد نقلت هذه القصيدة من تأليف لحفيد السلطان الغنى بالله و نصّ محلّ الحاجة منه: و من
ذلك أيضا قوله - يعنى ابن زمر ك - هاء لمولانا الجدّ رحمه الله تعالى بالفتح المغربى للسلطان أبى العباس ابن السلطان أبى سالم
المرينى: [الكامل]

هي نفحة هبت من الأنصار أهدتك فتح ممالك الأمصار
في بشرها و بشارة الدنيا بها مستمتع الأسماع و الأبصار
هبت على قطر الجياد فروّضت أرجاءه بالنفحة المعطار
و سرت و أمر الله طي برودها يهدى البرية صنع لطف البارى
مرّت بأدواح المنابر فانبرت خطباؤها مفتتة الأطيّار
حنت معارجها إلى أعشارها لما سمعن بها حنين عشار
لو أنصفتك لكّلت أدواحها تلك البشائر يانع الأزهار
فتح الفتوح أتاك في حلل الرضا بعجائب الأزمان و الأعصار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٤٤
فتح الفتوح جنيت من أفنانه ما شئت من نصر و من أنصار
كم آية لك في السعود جليته خلّدت منها عبرة استبصار
كم حكمه لك في النفوس خفيته خفيت مداركها عن الأفكار
كم من أمير أم بابك فانتنى يدعى الخليفة دعوة الإكبار
أعطيت أحمد راية منصوره بركاتها تروى عن الأنصار
أركبته في المنشآت كأنما جهّزته في وجهه لمزار
من كلّ خافقة الشراع مصفق منها الجناح تطير كلّ مطار
ألقت بأيدي الرياح فضل عنانها فتكاد تسبق لمحة الأبصار
مثل الجياد تدافعت و تسابقت من طافح الأمواج في مضمار
لله منها في المجاز سوايح وقفت عليك الفخر و هي جوارى
لما قصدت بها مراسى سبته عطفت على الأسوار عطف سوار

لَمَّا رَأَتْ مِنْ صَبِيحِ عِزْمِكَ غَرَّةً مَحْفُوفَةً بِأَشْعَةِ الْأَنْوَارِ
وَأَتْ جَبِينًا دُونَهُ شَمْسُ الضُّحَى لِبَتِّكَ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِكْبَارِ
فَأَفْضَتْ فِيهَا مِنْ نَدَاكِ مَوَاهِبًا حَسَنَتْ مَوَاقِعَهَا عَلَى التَّكْرَارِ
وَأَرَيْتَ أَهْلَ الْغَرْبِ عِزْمَ مَغْرَبٍ قَدْ سَاعَدْتَهُ غَرَائِبُ الْأَقْدَارِ
وَخَطَبْتَ مِنْ فَاكِ الْجَدِيدِ عَقِيلَةً لِبَتِّكَ طَوْعَ تَسْرَعٍ وَبَدَارِ
مَا صَدَّقُوا مَتْنَ الْحَدِيثِ بِفَتْحِهَا حَتَّى رَأَوْهُ فِي مَتُونِ شِفَارِ
وَتَسَمَّعُوا الْأَخْبَارَ بِاسْتِفْتَاكِهَا وَالْخَبَرَ قَدْ يَغْنَى عَنِ الْأَخْبَارِ
قَوْلُوا لِقَرْدٍ فِي الْوِزَارَةِ غَرَّةً حَلْمٍ مَنَنْتَ بِهِ عَلَى مِقْدَارِ
أَسْكَنْتَهُ مِنْ فَاكِ جَنَّةً مَلِكُهَا مَتْنَعْمًا مِنْهَا بَدَارِ قَرَارِ
نَفْحِ الطَّيْبِ مِنْ غِصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٦، ص: ١٤٥
حَتَّى إِذَا كَفَرَ الصَّنِيعَةَ وَازْدَرَى بِحَقُوقِهَا أَلْحَقْتَهُ بِالنَّارِ
جَزَعْتَ نَجْلَ الْكَاسِ كَأَسَا مَرَّةً دَسَّتْ إِلَيْهِ الْحَتْفُ فِي الْإِسْكَارِ
كَفَرَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ مِنْ نَعْمَةٍ لَا تَأْنَسُ النَّعْمَاءُ بِالْكَفَّارِ
فَطَرَحْتَهُ طَرِحَ النَّوَاءِ فَلَمْ يَفْزَ مِنْ عِزِّ مَغْرِبِهِ بِغَيْرِ فِرَارِ
لَمْ يَتَّفِقْ لِخَلِيفَتِهِ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَى الْإِلَهَ خَلِيفَتَهُ الْأَنْصَارِ
لَمْ أَدْرُ وَالْأَيَّامُ ذَاتَ عَجَائِبٍ تَرْدَادُهَا يَحْلُو عَلَى التَّذْكَارِ
أَلْوَاءُ صَبِيحٍ فِي ثَنِيَّةٍ مَشْرِقِ أُمِّ رَايَةٍ فِي جِحْفَلِ جَرَّارِ
وَشَهَابِ أَفْقِ أُمِّ سَنَانٍ لَامِعٍ يَنْقُضُ نَجْمًا فِي سَمَاءِ غِبَارِ
وَمَنَاقِبِ الْمَوْلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ قَدْ أَشْرَقَتْ أُمُّ هَنْ زَهْرٍ دَرَارِ
فَاقَ الْمَلُوكَ بِهَيْمَةٍ عَلَوِيَّةٍ مِنْ دُونِهَا نَجْمُ السَّمَاءِ السَّارِ
لَوْ صَافِحَ الْكَفِّ الْخَضِيبَ بِكَفِّهِ فَخَرَتْ بِنَهْرِ الْمَجْرَةِ جَارِ
وَالشَّهْبِ تَطْمَعُ فِي مَطَالِعِ أَفْقِهَا لَوْ أَحْرَزَتْ مِنْهُ مَنِيْعَ جَوَارِ
سَلِّ بِالْمَشَارِقِ صَبْحَهَا عَنْ وَجْهِهِ يَفْتَرِّ مِنْهُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ
سَلِّ بِالْغَمَائِمِ صَوْبَهَا عَنْ كَفِّهِ تَنِييْكَ عَنْ بَحْرِهَا زَخَّارِ
سَلِّ بِالْبُرُوقِ صَفَاحَهَا عَنْ عِزْمِهِ تَخْبِرْكَ عَنْ أَمْضَى شَبَا وَغَرَارِ
قَدْ أَحْرَزَ الشِّيمَ الْخَطِيرَةَ عِنْدَ مَا أَمْطَى الْعِزَائِمَ صَهْوَةَ الْأَخْطَارِ
إِنْ يَلِقُ ذُو الْأَجْرَامِ صَفْحَةً صَفْحَهُ فَسَحَ الْقَبُولَ لَهُ خَطَا الْأَعْمَارِ
يَا مَنْ إِذَا هَبَّتْ نَوَاسِمُ حَمْدِهِ أَزْرَتْ بِعَرَفِ الرَّوْضَةِ الْمَعْطَارِ
يَا مَنْ إِذَا افْتَرَّتْ مَبَاسِمُ بَشْرِهِ وَهَبَ النِّفُوسَ وَعَاثَ فِي الْإِقْتَارِ
يَا مَنْ إِذَا طَلَعَتْ شَمُوسُ سَعُودِهِ تَعَشَى أَشْعَتَهَا قَوَى الْأَبْصَارِ
نَفْحِ الطَّيْبِ مِنْ غِصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٦، ص: ١٤٦
قَسْمًا بُوْجْهَكَ فِي الضِّيَاءِ فَإِنَّهُ شَمْسٌ تَمُدُّ الشَّمْسَ بِالْأَنْوَارِ
قَسْمًا بِعِزْمِكَ فِي الْمِضَاءِ فَإِنَّهُ سَيْفٌ تَجَرِّدُهُ يَدُ الْأَقْدَارِ

لسماح كَفَّك كَلِّمَ استوهبته يزرى بغيث الديمة المدرار
 لله حضرتك العليّة لم تزل يلقي الغريب بها عصا التسيار
 كم من طريد نازح قذفت به أيدي النوى فى القفر رهن سفار
 بلّغته ما شاء من آماله فسلا عن الأوطان بالأوطار
 صيّرت بالإحسان دارك داره متّعت بالحسنى و عقبى الدار
 و الخلق تعلم أنك الغوث الذى يضىف عليها وافى الأستار
 كم دعوة لك فى المحول مجابهة أغرت جفون المزن باستعبار
 جادت مجارى الدمع من قطر الندى فرعى الربيع لها حقوق الجار
 فأعاد وجه الأرض طلقا مشرقا متضاحكا بمباسم التّوار
 يا من مآثره و فضل جهاده تحدى القطار بها إلى الأقطار
 حطت البلاد و من حوته ثغورها و كفى بسعدك حاميا لذمار
 فلربّ بكر للفتوح خطبتها بالمشرفية و القنا الخطار
 و عقيلة للكفر لَمَّا رعتها أخرست من ناقوسها المهذار
 أذهبت من صفح الوجود كيائها و محتوها إلّا من التذكار
 عمروا بها جنّات عدن زخرفت ثم انثنوا عنها ديار بوار
 صبّحت منها روضة مطلولة فأعدتها للحين موقد نار
 و اسودّ وجه الكفر من خزى متى ما احمرّ وجه الأبيض البّثار
 و لربّ روض للغنى متأودّ ناب الصهيل به عن الأطيّار
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٤٧
 مهما حكّت زهر الأسنة زهره حكّت السيوف معاطف الأنهار
 متوقّد لهب الحديد بجوّه تصلى به الأعداء لفح أوار
 فبكلّ ملتفت صقال مشهر قدّاح زند للحفيظة وارى
 فى كفّ أروع فوق نهد سابح متموّج الأعطاف فى الإحضرار
 من كلّ منخفر بلمحة بارق حمل السلاح به على طيّار
 من أشهب كالصبح يطلع غرّة فى مستهلّ العسكر الجرار
 أو أدهم كالليل إلّا أنه لم يرض بالجوزاء حلى عذار
 أو أحمر كالجمر يذكى شعلته و قد ارتمى من بأسه بشرار
 أو أشقر حلى الجمال أديمه و كساه من زهو جلال نضار
 أو أشعل راق العيون كأنه غلس يخالط سدفة بنهار
 شهب و شقر فى الطراد كأنها روض تفتّح عن شقيق بهار
 عودتها أن ليس تقرب منهلا حتى يخالط بالدم الموار
 يا أيها الملك الذى أيامه غرر تلوح بأوجه الأعصار
 يهنى لواءك أن جدّك زاحف بلواء خير الخلق للكفّار

لا غرو أن فقت الملوك سيادة إذ كان جدك سيّد الأنصار
السابقون الأُولون إلى الهدى و المصطفون لنصرة المختار
متهلّلون إذا النزيل عراهم سفروا له عن أوجه الأعمار
من كلّ وضّاح الجبين إذا احتبى تلقاه معصوبا بتاج فخار
قد لاث صباحا فوق بدر بعدما لبس المكارم و ارتدى بوقار
فاسأل بيدر عن مواقف بأسهم فهم تلافوا أمره بيدار
لهم العوالى عن معالى فخرها نقل الرواة عوالى الأخبار
و إذا كتاب الله يتلو حمدهم أودى القصور بمنّة الأشعار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٤٨
يا ابن الذين إذا تذوكر فخرهم فخرها بطيب أرومته و نجار
حقاً لقد أوضحت من آثارهم لما أخذت لدينهم بالثار
أصبحت وارث مجدهم و فخارهم و مشرف الأعصار و الأمصار
يا صادرا فى الفتح عن ورد المنى رد ناجح الإيراد و الإصدار
و اهنأ بفتح جاء يشتمل الرضا جذلان يرفل فى حلى استبشار
و إليكها ملء العيون و سامه حيثك بالأبكار من أفكارى
تجرى حداة العيس طيب حديثها يتعلّلون به على الأكوار
إن مسهم لنفح الهجير أبلهم منه نسيم ثنائك المعطار
و تميل من أصغى لها فكأننى عاطيته منها كؤوس عقار
قذفت بحور الفكر منها جوهرها لما وصفت أناملا ببحار
لا زلت للإسلام سترا كلّما أمّ الحجيج البيت ذا الأستار
و بقيت يا بدر الهدى تجرى بما شاءت علاك سوابق الأقدار
انتتهت.

[قصيدة ثالثة لابن زمر ك يهنئ بها سلطانه، قالها بعد مقتل لسان الدين]

و لابن زمر ك السابق قصيدة أخرى قالها بعد موت لسان الدين بن الخطيب و خلع السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم الذى قتل
ابن الخطيب فى دولته، و كان سلطان الأندلس موثلا للسلطان أحمد المذكور، و لذلك امتعض لردّه لملكه، فقال ابن زمر ك وزير
صاحب الأندلس بعد ابن الخطيب هذه القصيدة يمدح بها سلطانه أثناء وجهته لتجديد الدولة الأحمدية المذكورة صدر عام تسعة و
ثمانين و سبعمائة: [الكامل]

هبّ النسيم على الرياض مع السّحر فاستيقظت فى الدّوح أجفان الرّهر
ورمى القضيّب دراهما من نوره فاعتاض من طلّ الغمام بها درر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٤٩
نثر الأزاهر بعدما نظم النّدى يا حسن ما نظم النسيم و ما نثر
قم هاتها و الجوّ أزهر باسم شمسا تحلّ من الزجاجه فى قمر

إن شجها بالماء كفّ مديرها ترميه من شهب الحباب بها شرر
 نارية نورية من ضوئها قدح السراج لنا إذا الليل اعتكر
 لم يبق منها الدهر إلّا صبغة قد أرعشت في الكأس من ضعف الكبير
 من عهد كسرى لم يفصّ ختامها إذ كان يدخر كنزها فيما دخر
 كانت مذاب التبر فيما قد مضى فأحالها ذوب اللجين لمن نظر
 جدّد بها عرس الصبوح فإنها بكر تحبها الكرام مع البكر
 وابلل بها رمق الأصيل عشيةً و الشمس من وعد الغروب على خطر
 محمّرة مصفرة قد أظهرت خجل المريب يشوبه وجل الحذر
 من كفّ شفاف تجسّد نوره من جوهر لألاء بهجته بهر
 تهوى البدور كماله و توّد أن لو أوتيت منه المحاسن و الغرر
 قد خطّ نور عذاره في خده قلمان من آس هناك و من شعر
 والى عليك بها الكؤوس، و ربما يسقيك من كأس الفتور إذا فتر
 سكر الندامى من يديه و لحظه متعاقب مهما سقى و إذا نظر
 حيث الهديل مع الهدير تناغيا فالطير تشدو في الغصون بلا وتر
 و القضب مالت للعناق كأنها و فد الأحنه قادمين من السفر
 متلاعبات في الحلّي ينوب في وجناتهنّ الورد حسنا عن خفر
 و النرجس المطلول يرنو نحوها بلواحظ دمع الندى منها انهمر
 و النهر مصقول الحسام متى يرد درع الغدير مصفقا فيه صدر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٥٠
 يجرى على الحصباء و هي جواهر متكسرا من فوقها مهما عثر
 هل هذه أم روضة البشرى التي فيها لأرباب البصائر معتبر
 لم أدر من شغف بها و بهذه من منهما فتن القلوب و من سحر
 جاءت بها الأجفان ملء ضلوعها ملء الخواطر و المسامع و البصر
 و مسافر في البحر ملء عنانه وافى مع الفتح المبين على قدر
 قادته نحوك بالخطام كأنه جمل يساق إلى القياد و قد نفر
 و أراه دين الله عزّه أهله بك يا أعفّ القادرين إذا قدر
 يا فخر أندلس و عصمة أهلها للناس سرّ في اختصاصك قد ظهر
 كم معضل من دائها عالجتة فشفيت منه بالبدار و بالبدر
 ما ذا عسى يصف البليغ خليفه و الله ما أيامه إلّا غرر
 ورّث هذا الفخر يا ملك الهدى من كلّ من آوى النبيّ و من نصر
 من شاء يعرف فخرهم و كمالهم فليتلى وحي الله فيهم و السّير
 أبناؤهم أبناء نصر بعدهم بسيوهم دين الإله قد انتصر
 مولاي سعدك و الصباح تشابها و كلاهما في الخافقين قد اشتهر

هذا وزير الغرب عبد آبق لم يلف غيرك في الشدائد من وزر
كفر الذى أوليته من نعمة و الله قد حتم العذاب لمن كفر
إن لم يمت بالسيف مات بغيظه و صلى سعيرا للتأسف و الفكر
ركب الفرار مطيةً ينجو بها فجرت به حتى استقر على سقر
و كذا أبوه و كان منه حماه قد حمّ و هو من الحياة على غر
بلغته و الله أكبر شاهد ما شاء من وطن يعزّ و من وطر
حتى إذا جحد الذى أوليته لم تبق منه الحادثات و لم تذر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٥١
فى حالة و الله أعظم عبرة لله عبد فى القضاء قد اعتبر
فاصبر تتل أمثالها فى مثله إن العواقب فى الأمور لمن صبر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٦؛ ص ١٥١
و غا ورد المنى فالله حسبك فى الورود و فى الصدر
لا زلت محروسا بعين كلاءة ما دام عين الشمس تعشى من نظر
و منها و قد أضاف إليه من التغزل طوع بداره، و حجة اقتداره، فقال:
و العود فى كفّ النديم بسرّ ما تلقى لنا منه الأنامل قد جهر
غنى عليه الطير و هو بدوحه و الآن غنى فوقه ظبى أغر
عود ثوى حجر القضيبي، رعى له أيام كانا فى الرياض مع الشجر
لا سيما لما رأى من ثغره زهرا، و أين الزهر من تلك الدرر
و يظنّ أنّ عذاره من آسه و يظنّ تفاح الخدود من الثمر
يسبى القلوب بلفظه و بلحظه و افتنتى بين التكلم و النظر
قد قيدته لأنسنا أوتاره كالظبي قيد فى الكناس إذا نفر
لم يبيل قلبى قبل سمع غنائه بمعذر سلب العقول و ما اعتذر
جسّ القلوب بجسّه أوتاره حتى كأنّ قلوبنا بين الوتر
نمت لنا ألحانه بجميع ما قد أودعت فيه القلوب من الفكر
يا صامتا و العود تحت بنانه يغنيك نطق الخبر فيه عن الخبر
أغنى غناؤك عن مدامك، يا ترى هل من لحاظك أم بنانك ذا السكر
باحث أناملك اللدان بكلّ ما كان المتيّم فى هواه قد ستر
و مقاتل ما سلّ غير لحاظه و الرمح هزّ من القوام إذا خطر
دانت له منّا القلوب بطاعة و السيف يملك ربّه مهما قهر
و سنلّم إن شاء الله تعالى بترجمه ابن زمرك هذا فى باب التلامذة، و نشير هناك إلى كثير من أحواله، و كيفية قتله، مع أولاده و
خدمه بمرأى و مسمع من أهله، فكان الجزاء من جنس العمل، و خاب منه الأمل، إذ لسان الدين قتل غيلة بليل غاسق، على يد مختلس
فى السجن

فاسق، و أما ابن زمرك فقتل بالسيف جهارا، و تناوشته سيوف مخدومه بين بناته إبداء للتشقى و إظهارا، و قتل معه من وجد من خدمه و ابنه، و أبعدته الدهر و طالما أدناه. و هكذا الحال فى خدام الدول و ذوى الملك، أنهم أقرب شىء من الهلك، و يرحم الله من قال: إياك و خدمه الملوكة فإنهم يستقلون فى العقاب، ضرب الرقاب، و يستكثرون فى الثواب، ردّ الجواب؛.

[رجع إلى أخبار لسان الدين]

رجع إلى ما كُنّا فيه من أحوال لسان الدين بن الخطيب: و كان رحمه الله تعالى قبيل موته - لَمّا توفى السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن المرينى بتلمسان و تغلب على الأمر الوزير أبو بكر بن غازى بن الكاس مبايعا لابن صغير السنّ من أولاد السلطان عبد العزيز - ألف كتابه المسمى ب «أعمال الأعلام، بمن بويج من ملوك الإسلام قبل الاحتلام» و مراده بذلك تثبيت دولة الوزير الذى أبى أن يخفر عهده و ذمته، و امتنع أن يمكّن منه أهل الأندلس، فأكثروا القالة فى الوزير بسبب مبايعته للصبي، و بنوا ظاهر الأمر على أن ذلك لا يجوز بالشرع، و أبدؤوا و أعادوا فى ذلك، و أسروا ما كان من أمرهم حسوا فى ارتغاء. و من جملة كلام لسان الدين بن الخطيب فى ذلك الكتاب قوله: فمتى نبس أهل الأندلس بإنكار بيعه صبي صغير، أو نيابة صاحب أو وزير، فقد عموا و صمّوا، و خطروا بربع الإنصاف فأعرضوا و ما ألموا، و بما سنوه لغيرهم ذموا؛ انتهى.

و كان رحمه الله تعالى ألف للسلطان عبد العزيز حين انحيازه إليه «المباخر الطيبة، فى المفاخر الخطيبة»: يذكر فيه نباهه سلفه، و ما لهم من المجد، و قصده الردّ على أهل الأندلس المجاهدين له بالعداوة، القادحين فى فخر سلفه. ثم ألف للسلطان المذكور كتاب «خلع الرسن، فى التعريف بأحوال ابن الحسن» لكونه تولّى كبر الحطّ منه، و السعى فى هلاكه كما مرّ، و قال فى حقّ هذا الكتاب: إنه لا شىء فوقه فى الظرف و الاستطراف، يسلى الثكالى، و نستغفر الله تعالى؛ انتهى.

و مع هذا كلّ لما أنشبت المتيّة أظفارها لم تنفعه ممّا كتب تميمه، و نال ما أمّله فيه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٥٣

أهل السعاية و النميمه، و سَجَلوا عليه المقالات الذميمة، و قد صار الجميع إلى حكم عدل قادر يحيى من العظم رميمه، و ينصف المظلوم من الظالم، و يجازى الجاهل و العالم، و يساوى بين المأمور و الأمر، و الشريف و المشروف، و العزيز و الحقير، و المنكر و المعروف، و عفوه سبحانه مؤمل بعد، و هو لا- يخلف الوعد، و من سبقت له العناية، لم تضره الجناية. و قد كان لسان الدين بن الخطيب - رحمه الله تعالى! - محبا فى العفو حتى إنه كان إذا جرى لديه ذكر عقوبة الملوكة لأتباعهم تشمئز نفسه من ذلك و يقول ما معناه: ما ضرهم لو عفو، و رأيت له - رحمه الله تعالى! -

[استعطاف الوزير أبى بكر بن عمار إلى المعتمد بن عباد حين قبض عليه]

فى بعض مؤلفاته قد أجرى ذكر استعطاف ذى الوزارتين أبى بكر بن عمار للسلطان المعتمد بن عباد حين قبض عليه بقوله: [الطويل] سجاياك إن عافيت أئدى و أسمح و عذرك إن عاقبت أولى و أوضح و إن كان بين الخطتين مزيّة فأنت من الأدنى إلى الله أجنح و ما ذا عسى الأعداء أن يتزايدوا سوى أن ذنبى ثابت و مصحح و إن رجائى أن عندك غير ما يخوض عدوى اليوم فيه و يمرح أقلنى بما بينى و بينك من رضا له نحو روح الله باب مفتح و لا تلتفت قول الوشاء و زورهم فكلّ إناء بالذى فيه يرشح

و قالوا: سيجزيه فلان بذنبه فقلت: و قد يعفو فلان و يصفح

ألا إن بطشا للمؤيد يرمى و لكنّ حلما للمؤيد يرجح

و بين ضلوعى من هواه تميمه ستشفع لو أنّ الحمام يجلح

سلام عليه كيف دار به الهوى إلى فيدنو أو على فينرح

و يهنيه إن رمت السلو فإنى أموت ولى شوق إليه مبرح

ما نصه: و لابن عمار كلمات شهيرة تعالج بمراهمها جراح القلوب، و تعفى على هضبات الذنوب، لو لا- ما فرغ عنه من القدر

المكتوب، و الأجل المحسوب، إلى أن قال: و ما كان أجمل بالمعتمد أن يبقى على جان من عبيده، قد مكّنه الله منن عنقه، لا يؤمل

الحصول على أمره، و لا يحذر تعصّب قبيله، و لا يزيد العفو عنه إلا ترفعا و عزّة و جلاله و همّة، و ذكرنا جميلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٥٤

و أجرا جزيلا، فلا شىء أمحى للسيئة من الحسنه، و لا أقتل للشّر من الخير، و رحم الله الشاعر إذ يقول: [الكامل]

و طعتهم بالمكرمات و باللها فى حيث لو طعن القنا لتكسرا

و قد تذكرت هنا قول الأديب أبى عبد الله محمد بن أحمد التجانى رحمه الله تعالى و رضى عنه: [الطويل]

أتعجب أن حطت يد الدهر فاضلا عن الرتبة العليا فأصبح تحتها

أما هذه الأشجار تحمل أكلها و تسقط منه كل ما طاب و انتهى

[نكبة عبد المؤمن بن على للوزير أبى جعفر بن عطية]

و حكى غير واحد من مؤرخى الأندلس أنّ الكاتب الشهير الوزير أبى جعفر بن عطية القضاعى لما تغيّر له عبد المؤمن و تذاكر مع

بعض من أهل العلم أبيات ابن عمار السابقة، قال:

ما كان المعتمد إلّا قاسى القلب حيث لم تعطفه هذه الأبيات إلى العفو، و وقع لابن عطية المذكور مثل قضية ابن عمار، و استعطف فما

نفع ذلك و قتل رحمه الله تعالى، و لنلّم بذلك فنقول:

كان أبو جعفر هذا من أهل مراکش، و أصله القديم من طرطوشة، ثم بعد من دانية و هو ممّن كتب عن على بن يوسف بن تاشفين

أمير لمتونة، و عن ابنه تاشفين و إسحاق، ثم استخلصه لنفسه سالب ملكهم عبد المؤمن بن على، و أسند إليه وزارته، فنهض بأعبائها،

و تحبب إلى الناس بإجمال السعى و الإحسان، فعمت صنائعه، و فشا معرفه، و كان محمود السيرة، مبيّخت المحاولات، ناجح

المساعى، سعيد المآخذ، ميسّر المآرب، و كانت وزارته زينا للوقت، و كمالا للدولة. و فى أيام توجّهه للأندلس وجد حسّاده السبيل

إلى التدبير عليه و السعى به، حتى أوغروا صدر الخليفة عبد المؤمن عليه، فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومى، و انبرى لمطالبة ابن

عطية، و جدّ فى التماس عوراته، و تشنيع سقطاته، و طرحت بمجلس السلطان أبيات منها: [البيسط]

قل للإمام أطل الله مدّته قولا تبيين لذى لبّ حقائقه

إنّ الزراجين قوم قد وترتهم و طالب الثأر لم تؤمن بوائقه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٥٥

و للوزير إلى آرائهم ميل لذاك ما كثرت فيهم علائقه

فبادر الحزم فى إطفاء نارهم فربما عاق عن أمر عوائقه

هم العدو و من والا هم كهم فاحذر عدوك واحذر من يصادقه

الله يعلم أنى ناصح لكم و الحقّ أبلغ لا تخفى طرائقه

[من اعتذارات ابن عطية لعبد المؤمن بن علي]

قالوا: ولما وقف عبد المؤمن على هذه الأبيات البليغة في معناها وغر صدره على وزيره أبي جعفر، وأسّر له في نفسه تغييراً، فكان من أقوى أسباب نكبته.

وقيل: أفضى إليه بسرّ فأفشاه، وانتهى ذلك كلّ إلى أبي جعفر وهو بالأندلس، فقلق وعبّج الانصراف إلى مراکش، فحجب عند قدومه، ثم قيد إلى المسجد في اليوم بعده حاسر العمامة، واستحضر الناس على طبقاتهم، وقرروا على ما يعلمون من أمره، وما صار إليه منهم، فأجاب كلّ بما اقتضاه هواه، وأمر بسجنه، ولفّ معه أخوه أبو عقيل عطية، وتوجّه في إثر ذلك عبد المؤمن إلى زيارة تربة المهدي محمد بن تومرت، فاستصحبهما منكوبين بحال ثقاف. وصدّرت عن أبي جعفر في هذه الحركة، من لطائف الأدب، نظماً ونثراً في سبيل التوسّل بتربة إمامهم المهدي عجائب لم تجد شيئاً مع نفوذ قدر الله تعالى فيه. ولما انصرف من وجهته أعادها معه، قافلاً- إلى مراکش، فلمّا حاذى تاقمرت، أنفذ الأمر بقتلهما بالشّعراء المتّصلة بالحصن على مقربة من الملاحه هنالك، فمضيا لسبيلهما، رحمهما الله تعالى!.

ومّا خاطب به الخليفة عبد المؤمن مستعظفاً له من رسالته تغالى فيه فغالته المتيّة، ولم ينل الأمانة، وهذه سنّة الله تعالى فيمن لم يحترم جناب الألوهية، ولم يحرس لسانه من الوقوع فيما يخدش في وجه فضل الأنبياء على غيرهم وعصمتهم، قوله سامحه الله: تالّله لو أحاطت بي كلّ خطيئة، ولم تنفكّ نفسي عن الخيرات بطيئة، حق سخرت بمن في الوجود، وأنفت لآدم من السجود، وقلت: إنّ الله تعالى لم يوح، في الفلك لنوح، و بریت لقدار ثمود نبلا، وأبرمت لحطب نار الخليل جبلا، وحطّطت عن يونس شجرة اليقطين، وأوقدت مع هامان على الطين، وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها، وافتريت على العذراء البتول فقذفتها، وكتبت صحيفة القطيعة بدار التدوّة، وظهرت الأحزاب بالقصوى من العدوّة، وذممت كلّ قرشى، وأكرمت لأجل وحشى كلّ حبشى، وقلت: إنّ بيعه السقيفة، لا توجب إمامة الخليفة،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٥٦

وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة، واعتلقت من حصار الدار و قتل أشمطها بشعبة، وقلت: تقاتلوا رغبة في الأبيض والأصفر، و سفكوا الدماء على الثريد الأعفر، وغادرت الوجه من الهامة خضيبا، وناولت من قرع سنّ الحسين قضيبا، ثم أتيت حضرة المعلوم لا ئذا، و بقبر الإمام المهديّ عائذا، لقد آن لمقاتلي أن تسمع، و تغفر لى هذه الخطيئات أجمع، [مع أنى مقترف، وبالذنب معترف]: [الطويل]

فعفوا أمير المؤمنين فمن لنا بردّ قلوب هذها الخفقان

و كتب مع ابن له صغير آخرة: [البيسط]

عظفا علينا أمير المؤمنين، فقد بان العزاء لفرط البتّ و الحزن

قد أغرقتنا ذنوب كلّها لجج و عطفة منكم أنجى من السفن

و صادفتنا سهام كلّها غرض و رحمة منكم أوقى من الجنن

هيئات للخطب أن تسطو حوادثه بمن أجارته رحماكم من المحن

من جاء عندكم يسعى على ثقة بنصره لم يخف بطشا من الزمن

فالثوب يطهر عند الغسل من درن و الطّرف ينهض بعد الركض فى سنن

أنتم بذلتهم حياة الخلق كلّهم من دون منّ عليهم لا و لا ثمن

و نحن من بعض من أحيت مكارمكم كلتا الحياتين من نفس و من بدن

و صبيته كفراخ الورق من صغر لم يألّفوا التّوح في فرع و لا فن
 قد أوجدتهم أياد منك سابقه و الكلّ لو لاك لم يوجد و لم يكن
 فوقّ عبد المؤمن على هذه القصيدة آلآن و قد عصيت قبّل و كنت من المفسدين [يونس: ٩١]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٥٧
 و ممّا كتب به من السجن: [الطويل]

أنوح على نفسى أم انتظر الصفحا؟ فقد آن أن تنسى الذنوب و أن تمحى
 فها أنا فى ليل من السخط حائر و لا أهتدى حتى أرى للرضا صباحا

[ذكر بعض الأدباء من آل عطية و إجازة بين عبد المؤمن بن على و وزيره أبى جعفر بن عطية]

و امتحن عبد المؤمن الشعراء بهجو ابن عطية، فلما أسمعوه ما قالوا، أعرض عنهم، و قال: ذهب ابن عطية، و ذهب الأدب معه.
 و كان لأبى جعفر أخ اسمه عطية قتل معه، و لعطية هذا ابن أديب كاتب، و هو أبو طالب عقيل بن عطية، و من نظمه فى رجل تعشّق
 قينه كانت ورثت من مولاها مالا فكانت تنفق عليه منه، فلما فرغ المال ملّها: [السريع]
 لا تلحه أن ملّ من حبّها فلم يكن ذلك من ودّ
 لما رآها قد صفا مالها قال: صفا الوجه مع الوجد
 و كان أبو جعفر بن عطية من أبلغ أهل زمانه، و قد حكى أنه مرّ مع الخليفة عبد المؤمن ببعض طرق مراکش، فأطلت من شباك جارية
 بارعة الجمال، فقال عبد المؤمن: [البسيط]

قدت فؤادى من الشّبّاك إذ نظرت

فقال الوزير ابن عطية مجيزا له:

حوراء ترنو إلى العشاق بالمقل

فقال عبد المؤمن:

كأنما لحظها فى قلب عاشقها

فقال ابن عطية:

سيف المؤيد عبد المؤمن بن على

و لا خفاء أنّ هذه طبقة عالية.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٥٨

[من رسالة لأبى جعفر بن عطية كانت السبب فى ظهور تفوقه]

و من فصول رسالته التى كتب بها عن أبى حفص، و هى التى أورثته الرتبة العلية السنية، و الوزارة الموحديّة المؤمنية، قوله: «كتابنا هذا
 من وادى ماسه بعد ما تجدد من أمر الله الكريم، و نصر الله تعالى المعهود المعلوم و ما النصير إلّا من عند الله العزيز الحكيم [آل
 عمران: ١٢٦] فتح بهر الأنوار إشراقا، و أحدق بنفوس المؤمنين إحدقا، و تبه للأمانى النائمة جفونا و أحداقا، و استغرق غاية الشكر
 استغراقا، فلا تطيق الألسن لكنه وصفه إدراكا و لا لحاقا، جمع أشتات الطلب و الأرب، و تقلّب فى النعم أكرم منقلب، و ملأ دلاء الأمل
 إلى عقد الكرب: [البسيط]

فتح تفتّح أبواب السماء له و تبرز الأرض في أثوابها القشب

و تقدّمت بشارتنا به جملة، حين لم تعط الحال بشرحه مهلة، كان أولئك الضالون المرتدون قد بطروا عدوانا و ظلما، و اقتطعوا الكفر معنى و اسما، و أملى لهم الله تعالى ليزدادوا إثما، و كان مقدّمهم الشقى قد استمال النفوس بخز عبالاته، و استهوى القلوب بمهولاته، و نصب له الشيطان من حبالته، فأتته المخاطبات من بعد و كتب، و نسلت إليه الرسل من كلّ حذب، و اعتقدته الخواطر أعجب عجب، و كان الذى قادهم إلى ذلك، و أوردتهم تلك المهالك، و وصول من كان بتلك السواحل، ممّن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام، و اشتغل على زعمه بالقيام و الصيام، آناء الليالى و الأيام، لبسوا الناموس أثوابا، و تدرّعوا الرياء جلبابا، فلم يفتح الله تعالى لهم للتوفيق بابا.

و منها فى ذكر صاحبهم الماسى المدعى للهداية: «فصرع بحمد الله تعالى لحينه، و بادرت إليه بوادر منونه، و أتته وافدات الخطيئات عن يساره و يمينه، و قد كان يدعى أنه بشرّ بأنّ المتيّة فى هذه الأعوام لا تصيبه، و النوائب لا تنوبه، و يقول فى سواه قولاً كثيراً، و يختلق على الله تعالى إفكا و زورا، فلما رأوا هيئة اضطجاعه، و ما خطته الأسنة فى أعضائه و أضلاعه، و نفذ فيه من أمر الله تعالى ما لم يقدروا على استرجاعه، هزم من كان لهم من الأحزاب، و تساقطوا على وجوههم تساقط الذباب، و أعطوا عن بكرة أبيهم صفحات الرقاب، و لم تقطر كلومهم إلّا على الأعقاب، فامتألت تلك الجهات بأجسادهم، و آذنت الآجال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٥٩

بانقراض آمادهم، و أخذهم الله تعالى بكفرهم و فسادهم، فلم يعاين منهم إلّا من خرّ صريعا، و سقى الأرض نجيعا، و لقي من أمر الهنديات فظيعا، و دعت الضرورة باقيهم إلى الترامى فى الوادى، ممن كان يؤمل الفرار و يرتجيه، و يسبح طامعا فى الخروج إلى ما ينبجيه، اختطفته الأسنة اختطافا، و أذاقته موتا ذعافا، و من لجّ فى الترامى على لججه، و رام البقاء فى ثبجه، قضى عليه شرقة، و ألوى بذقنه غرقه. و دخل الموحدون إلى البقية الكائنة فيه يتناولون قتالهم طعنا و ضربا، و يلقونهم بأمر الله تعالى هو لا عظيما و كربا، حتى انبسطت مراقات الداء، على صفحات الماء، و حكت حمرتها على زرقتها حمرة الشفق على زرقة السماء، و جرت العبرة للمعتبر، فى جرى ذلك الدم جرى الأبحر».

و بالجملة، فالرجل كان نسيج وحده رحمه الله تعالى و سامحه، و قصة لسان الدين تشبه قصته، و كلاهما قد ذاق من الذلّ بعد العزّ غصته، و بدّل الدهر نصيبه من الوزارة و حصّته، بعد أن اقتعد ذروة الأمر و منصّته، رحم الله تعالى الجميع، إنه مجيب سميع!

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٦٠

الباب الثالث فى ذكر مشايخ لسان الدين الجلة هداة الناس و نجوم الملة

إشارة

فى ذكر مشايخه الجلمة، هداة الناس و نجوم الملة، و ما يتعلّق بذلك من الأخبار الشافية من العلمة، و المواعظ المنجية من الأهواء المضلّة، و المناسبات الواضحة البراهين و الأدلّة.

أقول: لا خفاء أنّ الشيخ لسان الدين، رحمه الله تعالى، أخذ عن جماعة من أهل العدوّة و الأندلس عدة فنون، و حدّث عنهم بما يصدق الأقوال و يحقّق الظنون.

[محمد بن أحمد، الحسين، السبتي، قاضى الجماعة]

فمن أشياخه، رحمه الله تعالى، الفقيه الجليل الشريف النبيه الشهير، رئيس العلوم اللسانية بالأندلس، قاضى الجماعة أبو القاسم محمد

بن أحمد بن محمد الحسنى السبتي، رحمه الله تعالى! كان هذا الشريف آية الله الباهرة في العربية و البيان و الأدب، و يكفيه فضلا أنه شرح الخزرجية، و افترع هضاب مشكلاتها بفهمه، من غير أن يسبقه أحد إلى استخراج كنوزها، و إيضاح رموزها، و شرح مقصورة أديب المغرب الإمام أبي الحسن حازم بن محمد القرطاجنى الأندلسى التى مدح بها أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا عبد الله محمدا الحفصى، و سَمَّى هذا الشرح بـ «رفع الحجب المستورة»، عن محاسن المقصورة» و هذا الشرح فى مجلدين كبيرين، و فيه من الفوائد ما لا مزيد عليه، رأيتُه بالمغرب، و استفدت منه كثيرا.

و من فوائد الشريف المذكور أنه قال فيما جاء من الحديث فى صفه و ضوء رسول الله صلى الله عليه و سلم: «فأقبل بهما و أدبر» إن أحسن الوجوه فى تأويله أن يكون قدّم الإقبال تفاقولا، ثم فسّر بعد ذلك على معنى أدبر و أقبل، قال: و العرب تقدّم فى كلامها على ألفاظ أخرى، و تلتزمه فى بعض المواضع، كقولهم: قام و قعد، و لا تقول: قعد و قام، و كذلك أكل و شرب، و دخل و خرج، و على هذا النمط كلام العرب، فتكون هذه المسألة من هذا، قال: و يؤيد ما قلناه- و هو موضع النكتة- تفسيره لأقبل و أدبر فى باقى الحديث على معنى أدبر ثم أقبل، و لو كان اللفظ على ظاهره لم يحتج إلى تفسير؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٦١

و حدّث، رحمه الله تعالى، عن جدّه لأمه قال: كنت بالمشرق، فدخلت على بعض القرائين، فألفيت الطلبة يعربون عليه قول امرئ القيس: [الطويل]

كأنّ أبانا فى أفانين ودقه كبير أناس فى بجاد مزمل

فأنشد و لا أدري هل هى له أو لغيره: [الطويل]

إذا ما الليالى جاورتك بساقط و قدرك مرفوع فعنه ترخل

ألم تر ما لاقاه فى جنب جاره (كبير أناس فى بجاد مزمل)

و كان بعض الناس ينشد فى هذا المقصد قول الآخر: [الطويل]

عليك بأرباب الصدور، فمن غدا مضافا لأرباب الصدور تصدرا

و إياك أن ترضى بصحبة ساقط فتتحطّ قدرا من علاك و تحقرا

فرفع أبو من ثم خفض مزمل يبين قولى مغريا و محدرا

و هذا معنى قول الشاعر: [الطويل]

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم و لا تصحب الأردى فتردى مع الردى

و ما أحسن قول أبى بحر صفوان بن إدريس المرسى رحمه الله تعالى: [مخلع البسيط]

إنّا إلى الله من أناس قد خلعوا لبسة الوقار

جاورتهم فانخفضت هونا يا ربّ خفض على الجوار

و من نظم الشريف رحمه الله تعالى: [الوافر]

و أحور زان خديه عذار سبى الألباب منظره العجاف

أقول لهم و قد عابوا غرامى به إذ لاح للدمع انسكاب

أبعد كتاب عارضه يربّجى خلاص لى و قد سبق الكتاب

و من الغريب فى توارده الخواطر ما وجد بخطّ الأديب البارع المحدث الكاتب أبى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٦٢

عبد الله محمد ابن الشيخ الكبير أبى القاسم بن جزى الكلبي، رحمهما الله تعالى- و سيأتيان- ما معناه: قلت هذه القطعة: [الوافر]

و معسول اللّمي عادت عذابا على قلبي ثناياه العذاب

و قد كتب العذار بوجنتيه كتابا حظّ قارئه اكتتاب

و قالوا لو سلوت فقلت خيرا و أنى لى و قد سبق الكتاب

ثم عرضتها على شيخنا القاضى أبى القاسم الشريف بعد نظمها بمدّة يسيرة فقال لى: قد نظمت هذا المعنى بالعروض و القافية فى هذه الأيام اليسيرة، و أنشدنى:

و أحور زان خديه عذار

الأيّات السابقة.

و هذا يقع كثيرا، و منه ما وقع لابن الرقام حيث قال: من شعر عمى قوله:

جل فى البلاد تمل عزا و تكرمهُ فى أى أرض فكن تبلغ مناك بها

جلّ الفوائد بالأسفار مكتسب و الله قد قال فأمشوا فى منابجها

فقال له الفقيه ابن حذلم: مثل هذا وقع لأبى حيان إذ قال: [البيسط]

يا نفس ما لك تهوين الإقامة فى أرض تعدّر كلّ من مناك بها

أما تلوت و عجز المرء منقصه فى محكم الوحي فأمشوا فى منابجها

فحصل العجب من هذا الاتفاق الغريب.

و نقلت ممّن نقل من خطّ الفقيه محمد بن على بن الصباغ العيلى ما صورته: كان الشريف الغرناطى - رحمه الله تعالى! - آية زمانه، و

أزمية البيان طوع بنانه، له شرح المقصورة القرطاجنية أغرب ما تتحلى به الآذان، و أبدع ما ينشرح له الجنان، إلى العقل الذى لا

يدرك، و الفضل الذى حمد منه المسلك. حدّثنى بنادره جرت بينه و بين مولاي الوالد من أثق به من طلبة الأندلس و أعلامها، قال

دخل والدك يوما لأداء الشهادة عنده، فوجد بين يديه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٦٣

جماعة من الغزاة يؤدّون شهادة، فسمع القاضى منهم، و قال لهم: هل تمّ من يعرفكم؟ فقالوا:

نعم، يعرفنا على الصباغ، فقال القاضى: أتعرفهم يا أبا الحسن؟ فقال له: نعم يا سيدى، معرفة محمد بن يزيد، فما أنكر عليه شيئا بل قال

لهم: عرف الفقيه أبو الحسن ما عنده، فانظروا من يعرف معه رسم حالكم، فانصرفوا راضين، و لم يرتهن والدى فى شىء من حالهم، و

لا كشف القاضى لهم ستر القضية.

قال محمد بن على بن الصباغ: أمّا قول والدى «معرفة محمد بن يزيد» فإشارة إلى قول الشاعر: [الوافر]

أسائل عن ثماله كلّ حىّ فكلمهم يقول و ما ثماله

فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا الآن زدت بهم جهاله

فتفطن القاضى، رحمه الله تعالى، لجودة ذكائه إلى أنه لم يرتهن فى شىء من معرفتهم، ممتنعا من إظهار ذلك بلفظه الصريح، فكنى

و اكتفى بذكاء القاضى الصحيح، رحمهما الله تعالى! انتهى.

و من فوائد الشريف ما حكاه عنه تلميذه الإمام النّظار أبو إسحاق الشاطبى رحمه الله تعالى! و نصّه: قال لى الشيخ القاضى الكبير

الشهير أبو القاسم الحسنى يوما و قد جرى ذكر «حتى» التى للابتداء، و أنّ معناها التى يقع بعدها الكلام سواء كان ذلك متعلّقا بما

قبلها لم يتمّ دونه أو لا، بل لا يكون الأمر إلّا كذلك، قال: و قد حدّثنى بعض الأصحاب أنه سمع رجلا يصلى أشفاع رمضان، فقرأ من

سورة الكهف إلى قوله تعالى ثُمَّ أُنْبِئْ سَبِيًّا [الكهف: ٩٢] فوقف هنالك، و ركع و سجد، قال: فظننت أنه نسى ما بعد، ثم ركع و سجد

حتى يتذكّر بعد ذلك و يعيد أول الكلام، فلمّا قام من السجود ابتداء القراءة بقوله حتّى إذا بلغ [الكهف: ٩٠] فلما أتت الصلاة قلت له

فى ذلك، فقال: أليست حتى الابتدائية؟ قال القاضى الشريف المذكور: فيجب أن يفهم أن الاصطلاح فى «حتى» و فى غيرها من حروف الابتداء ما ذكر؛ انتهى.

و قال الشاطبى: أنشدنى أبو محمد بن حذلم لنفسه: [البسيط]

شأن المحيين فى أشجانهم عجب و حالتى بينهم فى الحبّ أعجبها
قد كنت أبعث من ريح الصّبا رسلا تأتى فتطفىء أشواقى فتذهبها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٦٤

و الآن أرسل دمعى إثرها ديما فتلتظى نار و جدى حين أسكبها

فاعجب لنار اشتياق فى الحشا و قفت الريح يذهبها و الماء يلهبها

ثم قال الشاطبى ما نصّه: أخذ هذا المعنى فتمّمه، من قطعة أنشدناها شيخنا القاضى أبو القاسم الشريف، رحمه الله تعالى، عليه! أذكر الآن آخر بيت منها و هو: [البسيط]

يا من رأى النار إن تطفأ مخالفةً فبالرياح، و إن توقد فبالماء

[مرثية الوزير ابن زمر ك لشيخه قاضى الجماعة الحسنى، المذكور]

و أخذ عن الشريف المذكور، رحمه الله تعالى، جماعة غير لسان الدين، من أشهرهم العلّامة النّظار أبو إسحاق الشاطبى، و الوزير الكاتب أبو عبد الله بن زمر ك. قال حفيد السلطان الغنى بالله ابن الأحمر، رحمه الله تعالى، فى حقّ ابن زمر ك: إنه كان يتردّد الأعوام العديدة إلى قاضى الجماعة أبى القاسم الشريف، فأحسن الإصغاء، و بدّ الأئمة البلغاء، بما أوجب أن رثاه عند الوقوف على قبره بالقصيدة الفريدة التى أولها: [الكامل]

أغرى سراه الحىّ بالإطراق

و قال فى موضع آخر: و ممّا بدّ به- يعنى ابن زمر ك- سبقا و تبريزا، و عرضه على نقده البيان، فرأت منه كلّ مذهب خلصت إبريزا، مرثيته للقاضى المعظم الشريف أبى القاسم الحسنى من شيوخه، و هى: [الكامل].

أغرى سراه الحىّ بالإطراق نبأ أصمّ مسامع الآفاق

أمسى به ليل الحوادث داجيا و الصبح أصبح كاسف الإشراق

فجع الجميع بواحد جمعت له شتى العلا و مكارم الأخلاق

هتّوا لحكمكم الرصين فإنه صرف القضاء فما له من واق

نقش الزمان بصرفه فى صفحة كلّ اجتماع مؤذن بفراق

ما ذا ترجى من زمانك بعد ما علق الفناء بأنفس الأعلاق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٦٥

من تحسد السبع الطباق علاه عالوا عليه من الثرى بطباق

إنّ المنايا للبرايا غاية سبق الكرام لخلصها بسباق

لمّا حسبنا أن تحوّل أبؤسا كشفت عوان حروبها عن ساق

ما كان إلّا البدر طال سراره حتى رمته يد الردى بمحاق

أنف المقام مع الفناء نراه فنى الرحيل إلى مقام باق

عدم الموافق فى مرافقه الدنا فنضى الركاب إلى الرفيق الباقي

أسفا على ذاك الجلال تقلّصت أفيأؤه و عهدن خير رواق
يا أمرى بالصبر، عيل تصبّرى دعنى عدتك لواعج الأشواق
و ذر اليراع تشى بدمع مدادها وشى القريض يروق فى الأوراق
وا حسرتا للعلم أقفر ربه و العدل جرّد أجمل الأطواق
ركدت رياح المعلوات لفقدها كسدت به الآداب بعد نفاق
كم من غوامض قد صدعت بفهمها خفيت مداركها على الحدّاق
كم قاعد فى اليد بعد قعوده قعدت به الآمال دون لحاق
لمن الركائب بعد بعدك تنتضى ما بين شام ترمى و عراق
تفلى الفلا بمناسم مفلولة تسم الحصى بنجيعها الرقاق
كانت إذا اشتكت الوجى و توقفت يهفو نسيم ثنائك الخفّاق
فإذا تنسّمت الثناء أمامها مدّت لها الأعناق فى الإعناق
يا مزجى البدن القلاص خوافقا رفقا بها فالسعى فى إخفاق
مات الذى ورث العلا عن معشر ورثوا تراث المجد باستحقاق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٦٦
رفعت لهم رايات كلّ جلاله فتميزوا فى حلبة السباق
علم الهداء و قطب أعلام التّهى حرم العفاه المجتنى الأرزاق
رقت سجاياه و راقى مجتلى كالشمس فى بعد و فى إشراق
كالزهر فى لألائه، و البدر فى عليائه، و الزهر فى الإبراق
مهما مدحت سواه قيد وصفه و صفاته حمد على الإطلاق
يا وارثا نسب النبوة جامعا فى العلم و الأخلاق و الأعراق
يا ابن الرسول و إنها لوسيلة يرقى بها أوج المصاعد راقى
ورد الكتاب بفضلكم و كمالكم و كفى ثناء الواحد الخلاق
مولاي إني فى علاك مقصّر قد ضاق عن حصر النجوم نطاقى
و من الذى يحصى مناقب مجدكم عدّ الحصى و الرمل غير مطاقى
يهنى قبورا زرتها فلقد ثوت منّا مصون جوانح و حداقى
خطّ الردى منها سطورا نصّها: لا بدّ أنك للفناء ملاقى
و لحقت ترجمه الكتاب و صدره و فوائد المكتوب فى الإلحاق
كم من سراة فى القبور كأنهم فى بطنها درّ ثوى بحقاقى
قل للسحاب اسحب ذبولك نحوه و العب بصارم برقك الخفّاق
أودى الذى غيث العباد بكفّه يزرى بواكف غيثك الغيداق
إن كان صوبك بالمياه فدرّها درّ يروّض محل الإملاق
بشر كثير قد نعوا لئنا نعى قاضى القضاة و غاب فى الأطباق
ألبيستهم ثوب الكرامة ضافيا و أرحت من كدّ و من إرهاق

يتفتؤون ظلال جاهك كلما لفحت سموم الخطب بالإحراق
 عدموا المرافق في فراقك و انطوى عنهم بساط الرفق و الإرفاق
 رفعوا سريرك خافضين رؤوسهم ما منهم إلا حليف سياق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٦٧
 لكن مصيرك للنعيم مخلدا كان الذى أبقى على الأرقام
 و من العجائب أن يرى بحر الندى طود الهدى يسرى على الأعناق
 إن يحملوك على الكواهل طالما قد كنت محمولا على الأحداق
 أو يرفعوك على العواتق طالما رفعت ظهر منابر و عتاق
 و لئن رحلت إلى الجنان فإننا نصلى بنار الوجد و الأشواق
 لو كنت تشهد حزن من خلفته لثنى عنانك كثرة الإشفاق
 إن جنّ ليل جنّ من فرط الأسى و سوى كلامك ما له من راق
 فابعث خيالك في الكرى يبعث به ميت السرور لثاكل مشتاق
 أغليت يا رزء التصبر مثل ما أرخصت درّ الدمع فى الآماق
 إن يخلف الأرض الغمام فإننى أسقى الضريح بدمعى المهراق
 و كانت وفاة الشريف المذكور سنة إحدى و ستين و سبعمائة.

قال ابن الخطيب القسطنطينى فى وفياته: و فى هذه السنة - يعنى سنة ٧٦١- توفى شيخنا قاضى الجماعة بغرناطة، حرسها الله تعالى، أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسنى، و كتب لى بالإجازة العامة بعد التمتع بمجلسه، و له شعر مدون سماه «جهد المقل» و له الشرح على الخزرجية فى العروض، و أقدم عليها بعد أن عجز الناس عن فكها، و كان إماما فى الحديث و الفقه و النحو، و هو على الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه، و لم يكن أحد بعده مثله بالأندلس؛ انتهى.

و قال فى «الإحاطة» إن مولد الشريف كان سنة سبع و تسعين و ستمائة، و إن وفاته سنة ستين و سبعمائة. و فى وفاته مخالفة لما تقدم، و الله أعلم.

و ما أحسن قول الشريف أبى القاسم المترجم به: [الوافر]

حدائق أنبتت فيها الغوادى ضروب النور رائقة البهاء

فما يبدو بها النعمان إلا نسبناه إلى ماء السماء

[أبناء القاضى الحسين المذكور]

و كان للشريف أبى القاسم المذكور ابنان نجيبان: أحدهما قاضى الجماعة أبو المعالى،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٦٨

و الآخر أبو العباس أحمد، قال الراعى فى كتابه «الفتح المنير، فى بعض ما يحتاج إليه الفقير» ما نصه: حكاية تتعلق بالانقطاع، نسأل الله تعالى العافية: وقع للسيد الشريف قاضى الجماعة بغرناطة أبى المعالى ابن السيد الشريف أبى القاسم الحسنى شارح الخزرجية و مقصورة حازم نفع الله تعالى بسلفهم الكريم، و كانت أم السيد أبى المعالى حسينية، فكان شريفا من الجهتين، أنه كان قد ترك كبار الوظائف و الرياضات، و تجرد للعبادة، و لبس المرقعة، و سلك طريق القوم، و كان من الدين و العلم و التعظيم فى قلوب أهل الدنيا و أهل الآخرة على جانب عظيم، يشار إليه بالأصابع، و كان أخوه شيخى و أستاذى أبو العباس أحمد قاضيا بشرقى الأندلس فكان أخوه

أبو المعالي المذكور لا يأكل في بيت شقيقه شيئاً لأجل ذلك، و لعيشه من خدم السلطان، و كان إذا احتاج إلى الطعام و هو في بيت أخيه أعطاني درهما من عنده أشتري له به ما يأكل، و أقام على هذه الحالة الحسنه سنين كثيرة، ثم إنه دخل يوماً على الفقراء بزاوية المحروق من ظاهر غرناطة، و كان شيخ الفقراء بها في ذلك الوقت الشيخ أبا جعفر أحمد المحدود، فقال لهم: يا سادتي، إنه كان معي قنديل أستضيء به، ففقدته في هذه الأيام، و ما بقيت أبصر شيئاً، فقال له شيخهم المذكور: يا شريف، أول رجل يدخل علينا في هذا المجلس يجيبك عن مسألتك، فدخل عليهم رجل من خيارهم من أهل البادية، فسلم و جلس، فقال له الشيخ: إن الشريف يسأل الجماعة، فقلت له: أول رجل يدخل علينا يجيبك، فوفقت أنت، فأجبه عن مسألته، فقال له: ما سؤالك يا شريف؟ فقال: إنه كان لي قنديل أستضيء به ففقدته، و ما بقيت أبصر شيئاً، فقال له الفقير: هذا لا يصدر إلّا عن سوء أدب، أخبرنا بما وقع منك، فقال له الشريف: ما أعلم أنه وقع مني شيء، غير أنّ المباشر فلانا طلبه السلطان للمصادرة، فاستخفى منه، فمررت ببابه يوماً، فناداني من شقة الباب: يا سيدي، اجعل خاطرک معي لله تعالى، فقلت له: اذكر الذكر الفلاني، قلت: و أنا أظنّ أنه أمره بذكر اسمه تعالى اللطيف فإنه سريع الإجابة في تفريج الشدائد و الكرب، نصّ عليه البوني في منتخبه، و هو مجرب في ذلك، و قد رواه لي عن بعض مشايخه السيد الشريف أحمد أخوه، فقال له الفقير: هل كان أذن لك في تلقينه؟ قال: لا، قال له الفقير: لا يعود إليك نورک أبداً؛ لأنك قد أسأت الأدب، فكان كما قال، فانقطع و ولي بعده قضاء الجماعة، و عزل عن سخط، و خدم الملوك، و أكل طعامهم، و حالته أولاً و آخراً معروفة بغرناطة، نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من المطرودين عن باب رحمته بمنّه و كرمه! انتهى كلام الراعي رحمه الله تعالى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٦٩

رجع إلى مشايخ لسان الدين، رحمه الله تعالى و رضى عنه و سامحه! فنقول:

[من شيوخ لسان الدين أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي]

و من مشايخ لسان الدين الإمام الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي؛ ولد بتونس، و هو محمد ابن الإمام المحدث معين الدين جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد القيسي، شيخ ممتع نبيل رحال متقن. قال الخطيب ابن مرزوق: و عاشرته كثيراً سفراً و حضراً، و سمعت بقراءته، و سمع بقراءتي، و قرأت عليه الكثير، و قيدت من فوائده، و أنشدني الكثير، فأول ما قرأت عليه بالقاهرة، و قرأت عليه بمدينة فاس، و بظاهر قسنطينة، و بمدينة بجاية، و بظاهر المهدية، و بمنزلي من تلمسان، و قرأت عليه أحاديث عوالي من تخريج الدمياطي، و فيها الحديث المسلسل بالأولية، و سلسلته عنه من غير رواية الدمياطي بشرطه، ثم قرأت عليه أكثر كتاب «الموطأ» رواية يحيى، و أعجله السفر فأتتمته عليه في غير القاهرة، و حدّثني به عن جماعة، و معوله على الشيخين قاضي القضاة أبي العباس بن الغماز الخزرجي و هو أحمد بن محمد بن حسن و الشيخ أبي محمد بن هارون و هو عبد الله بن محمد القرطبي الطائي الكاتب المعمّر الأديب، بحقّ سماعه لأكثره على الأول و قراءته بأجمعه على الثاني، قال الأول: أخبرنا أبو الربيع بن سالم بجميع طرقه فيه منها عن ابن مرزوق و أبي عبد الله بن أبي عبد الله الخولاني عن أبي عمرو عثمان بن أحمد المغافري عن أبي عيسى بسنده، و قال الثاني: أخبرنا أبو القاسم بن بقي بقرطبة، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الحقّ عن محمد بن فرج مولى الطلاع عن يونس بتمام سنده.

قال شيخنا: و في هذا السند غريبتان: إحداهما أنه ليس فيه إجازة، و الثانية أنّ شيوخه كلّهم قرطبيون.

قال ابن مرزوق: قلت و لا غرابة في اتصال سماع الموطأ و قراءته، فقد وقع لي على قلّة التحصيل متصلاً من طرق و لله الحمد، و قد روته عن قرطبي، و هو أبو العباس بن العشاء. ثم قرأت عليه كتاب «الشفاء» لعياض، و حدّثني به عن أبي القاسم عن أبي عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري الملقى نزيل سبتة و يعرف بها بابن حكم و بابن أخت أبي صالح، عن أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي، عن أبي جعفر أحمد بن حكم، عن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٧٠
 المؤلف، وحدثني به أيضا عن قاضي الجماعة ابن أبي الربيع بن سالم عن أبي جعفر بن حكيم.
 ثم قال ابن مرزوق بعد كلام ما صورته: ورويت عنه و أنشدني لأبي محمد بن هارون:
 [الكامل]

لا تطمعن في نفع آلك إنه ضرر، و قلّ النفع عند الآل
 أقصر، رويدك إنّ ما أعلقته بالآل من أهل كمثل الآل
 و لابن هارون المذكور: [مجزوء الوافر]
 أقلّ زيارة الأحباب تزدد عندهم قربا
 فإنّ المصطفى قد قال «زر غنبا تزد حبا»
 و لابن هارون أيضا: [مجزوء الوافر]
 رمانى بالنوى زمنى فشمّل الأنس مفترق
 و ليلى كلّ فكر فقلبي منه محترق
 و للآداب أبناء ببحر الفقر قد غرقوا
 و كلّ منهم وجل بما يلقاه أو فرق
 يغصّ بريقه منه و فيّ النطق أو شرق
 و قد صفرت أكفهم فلا ورق و لا ورق
 و لطف الله مرتقب به العادات تنخرق

قال ابن مرزوق: و شعره الفائق لا يحصر، و هو عندي في مجلّد كبير، و ولد ابن جابر سنه ٦٩٨، و سمع بمصر على جماعة، و كتب بخطه كثيرا، و له معرفة بالحديث و النحو و اللغة و الشعر، و له نظم حسن، و توفي بتونس سنه ٧٧٩، و أخذ القراءات عن ابن الزيات و غيره، و ترجمه الحافظ ابن جابر، رحمه الله تعالى، واسعة مشهورة، و قد ذكرناه في غير هذا الكتاب بما جمعناه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٧١

[بعض ما أنشده لسان الدين من شعر شيوخه، و لم يسمهم]

و ممّا أنشده لسان الدين، رحمه الله تعالى، لبعض المتصوفة من شيوخه و لم يسمه قوله: [الكامل]
 هل تعلمون مصارع العشاق عند الوداع بلوعة الأشواق
 و البين يكتب من نجيع دمائهم إنّ الشهيد لمن توى بفراق
 لو كنت شاهد حالهم يوم النوى لرأيت ما يلقون غير مطاق
 منهم كئيب لا يملّ بكاءه قد أحرقتة مدامع الآماق
 و محرّق الأحشاء أشعل نارها طول الوجيب بقلبه الخفّاق
 و موله لا يستطيع كلامه ممّا يقاسى فى الهوى و يلاقى
 خرس اللسان فما يطيق عبارة ألمّ و ما له من راق
 ما للمحبّ من المنون وقاية إن لم يجد محبوبه بتلاق
 مولاي، عبدك ذاهب بغرامه أدرك بفضلك من ذماه الباقي

إني إليك بذلتى متوسِّل فاعطف بلطف منك أو إشفاق

و هذه الأبيات أوردتها، رحمه الله تعالى، في «الروضه» في العشق، بعد أن حدّه و تكلم عليه، ثم أورد عدّه مقطوعات، ثم ذكر بعدها هذه الأبيات كما ذكر.

و أنشد لسان الدين، رحمه الله تعالى، لبعض أشياخه، و سمّاه، و أنسيته أنا الآن:

[الكامل]

بما بيننا من خلوة معنوية أرقّ من النجوى و أحلى من السلوى
قفى ساعة في ساحة الدار و انظري إلى عاشق لا يستفيق من البلوى
و كم قد سألت الريح شوقاً إليك فما حنّ مسراها علىّ و لا أوى
و قوله: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٧٢

أنست بوحدتى حتى لو انى أتانى الأنس لاستوحشت منه
و لم تدع التجارب لى صديقاً أميل إليه إلّا ملت عنه
و قوله رحمه الله تعالى: [السريع]

عليك بالعزلة إنّ الفتى من طاب بالقلّة في العزلة

لا يرتجى عزلة وال، و لا يخشى من الذلّة في العزلة

[من شيوخ لسان الدين قاضي قضاء فاس أبو عبد الله المقرئ جد المؤلف (ترجمة مستفيضة)]

و من أكابر شيوخ ابن الخطيب، رحمه الله تعالى، جدى الإمام العلامة قاضى القضاء بحضرة الخلافة فاس المحروسه أبو عبد الله. قال فى «الإحاطة»: محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن على القرشى المقرئ، يكنى أباً عبد الله، قاضى الجماعة بفاس، تلمسانى.

أوليته - نقلت من خطّه قال: و كان الذى اتّخذها من سلفنا قراراً، بعد أن كانت لمن قبله مزاراً، عبد الرحمن بن أبى بكر بن على المقرئ، صاحب الشيخ أبى مدين، الذى دعا له و لذريته بما ظهر فيهم قبوله و تبين. و هو أبى الخامس فأنا محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن يحيى بن عبد الرحمن، و كان هذا الشيخ عروى الصلاة، حتى أنه ربما امتحن بغير شىء فلم يؤنس منه التفات، و لا استشعر منه شعور. و يقال: إنّ هذا الحضور ممّا أدركه من مقامات شيخه أبى مدين؛ انتهى.

و كتب بعض المغاربة على هامش هذا المحلّ من «الإحاطة» ما صورته: القرشى وهم؛ انتهى.

فكتب تحته الشيخ الإمام أبو الفضل ابن الإمام التلمسانى، رحمه الله تعالى، ما نصّه:

بل صحيح، نطقت به الألسن و المكاتبات و الإجازات، و أعربت عنه الخلال الكريمة، إلّا أنّ البلدية يا سيدى أبى عبد الله و المنافسه تجعل القرشيه فى إمام المغرب أبى عبد الله المقرئ و هما، و الحمد لله؛ انتهى.

قلت: و ممّن صرّح بالقرشيه فى حقّ الجدّ المذكور ابن خلدون فى تاريخه، و ابن الأحمر فى «نثر الجمان» و فى شرح البرده عند قوله:

[البسيط]

لعلّ رحمه ربي حين ينشرها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٧٣

و الشيخ ابن غازى، و الولي الصالح سيدى أحمد زروق، و الشيخ علامه زمانه سيدى أحمد الوانشريسى، و غير واحد، و كفى بلسان

الدين شاهدا مزكى.

وقد أُلّف عالم الدنيا ابن مرزوق تأليفا استوفى فيه التعريف بمولاي الجدّ سَمَاه «النور البدرى، فى التعريف بالفقيه المقرئ» و هذا بناء منه على مذهبه أنه - بفتح الميم و سكون القاف - كما صرّح بذلك فى شرح الألفية عند قوله: [الرجز] و وضعوا لبعض الأجناس علم

و ضبطه غيره، و هم الأكثرون، بفتح الميم و تشديد القاف، و على ذلك عوّل أكثر المتأخرين، و هما لغتان فى البلدة التى نسب إليها، و هى مقرّة من قرى زاب إفريقية، و انتقل منها جدّه إلى تلمسان صحبه شيخه ولى الله سيدى أبى مدين رضى الله عنه!.
رجع إلى تكملة كلام مولاي الجدّ فى حقّ أوليته:

قال رحمه تعالى، بعد الكلام السابق فى حقّ جدّه عبد الرحمن، ما صورته: ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار و تأمين التجار، و اتخذوا طبالا للرحيل، و راية تقدم عند المسير. و كان ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال، فعقدوا الشركة بينهم فى جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم و الاعتدال، فكان أبو بكر و محمد و هما أرومتا نسبي من جميع جهات أمى و أبى بتلمسان، و عبد الرحمن و هو شقيقهما الأ-كبر بسجلماسه، و عبد الواحد و على و هما شقيقاهم الصغيران بإيالاتن، فاتخذوا بهذه الأقطار الحواط و الديار، و تزوّجوا النساء، و استولدوا الإمام. و كان التلمسانى يبعث إلى الصحراوى بما يرسم له من السلع، و يبعث إليه الصحراوى بالجلد و العاج و الجوز و التبر، و السجلماسى كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران و الرجحان، و يكاتبهما بأحوال التجار، و أخبار البلدان، حتى اتسعت أموالهم، و ارتفعت فى الضخامة أحوالهم، و لما افتتح التكرور كورة إيالاتن و أعمالها أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها، بعد أن جمع من كان فيها منهم إلى نفسه الرجال، و نصب دونها و دون مالهم القتال. ثم اتصل بملكهم فأكرم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٧٤

مثواه، و مكّنه من التجارة بجميع بلاده، و خاطبه بالصدىق الأحبّ، و الخلاصة الأقرب. ثم صار يكاتب من بتلمسان، يستقضى منهم مآربه، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة، و عندى من كتبه و كتب ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك، فلما استوثقوا من الملوك، تذلّت لهم الأرض للسلوك، فخرجت أموالهم عن الحدّ، و كادت تفوت الحصر و العدّ: لأنّ بلاد الصحراء، قبل أن يدخلها أهل مصر، كان يجلب إليها من المغرب ما لا بال له من السلع، فتعاوض عنه بما له بال من الثمن - أى مدبّر دنيا ضمّ جنبا أبى حمو و شمل ثوباه، كان يقول: لو لا الصناعة لم أزل فى بلادى تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السيلع، و يأتون بالتبر الذى كلّ أمر الدنيا له تبع، و من سواهم يحمل منها الذهب، و يأتى إليها بما يضمحل عن قريب و يذهب، و منه ما يغيّر من العوائد، و يجزّ السفهاء إلى المفاسد - و لما درج هؤلاء الأشياخ جعل أبناؤهم ينفقون ممّا تركوا لهم، و لم يقوموا بأمر التثمير قيامهم، و صادفوا توالى الفتن، و لم يسلموا من جور السلاطين، فلم يزل حالهم فى نقصان إلى هذا الزمن، فها أنا ذا لم أدرك من ذلك إلّا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشا، و أصوله حرمة. و من جملة ذلك خزائنه كبيرة من الكتب، و أسباب كثيرة تعين على الطلب، فتفرّغت بحول الله، عزّ و جلّ، للقراءة، فاستوعبت أهل البلد لقاء، و أخذت عن بعضهم عرضا و إلقاء، سواء المقيم القاطن، و الوارد و الطاعن. انتهى كلامه فى أوليته، و قد نقله لسان الدين فى «الإحاطة».

وقال مولاي الجدّ، رحمه الله تعالى: كان مولدى بتلمسان أيام أبى حمو موسى بن عثمان بن يعمر اسن بن زيان. و قد وقفت على تاريخ ذلك، و لكنى رأيت الصفح عنه؛ لأنّ أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفى عن سنّه فقال: أقبل على شانك، فإنى سألت أبا الفتح بن زيان عن سنّه فقال: أقبل على شانك، فإنى سألت على بن محمد اللبان عن سنّه فقال: أقبل على شانك، فإنى سألت حمزة بن يوسف السهمى عن سنّه فقال: أقبل على شانك، فإنى سألت أبا بكر محمد بن عدى المنقرى عن سنّه فقال: أقبل على شانك، فإنى سألت أبا إسماعيل الترمذى عن سنّه فقال: أقبل على شانك، فإنى سألت بعض أصحاب الشافعى عن سنّه فقال: أقبل على

شانك، فإني سألت الشافعي عن سنّه فقال: أقبل على شانك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنّه فقال: أقبل على شانك، ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنّه، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٧٥

قلت: ولما تذاكرت مع مولاي العمّ الإمام - صبّ الله تعالى على مضجعه من الرحمة الغمام - هذا المعنى الذي ساقه مولاي الجدّ رحمه الله تعالى أنشدني لبعضهم: [الكامل]

احفظ لسانك لا تبخ بثلاثة سنّ و مال ما استطعت و مذهب

فعلى الثلاثة تبلى بثلاثة بمكفّر و بحاسد و مكذّب

قال الوانشريسى فى حقّ الجدّ ما نصّه: القاضى الشهير الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد المقرئ، التلمسانى المولد و المنشأ، الفاسى المسكن، كان رحمه الله تعالى عالما عاملا طريفا نبيا ذكيا نبيا فهما متيقظا جزلا محصلا؛ انتهى.

وقد وقفت له بالمغرب على مؤلف عزّف فيه بمولاي الجد، و ذكر جملة من أحواله، و ذلك أنه طلبه بعض أهل عصره فى تأليف أخبار الجدّ، فألف فيه ما ذكر.

وقال فى «الإحاطة» فى ترجمه مولاي الجدّ بعد ذكره أوليته ما صورته: - حال هذا الرجل مشار إليه بالعدوة الغربية اجتهدا و دؤوبا و حفظا و عناية و اطلاعا و نقلا و نزاهة؛ سليم الصدر، قريب الغور، صادق القول، مسلوب التصنع، كثير الهشّة، مفرط الخفّة، طاهر السداجه، ذاهب أقصى مذاهب التخلق، محافظ على العمل، مثابر على الانقطاع، حريص على العبادة، مضايق فى العقد و التوجه، يكابد من تحصيل التّية بالوجه و اليدين مشقّة، ثم يغافض الوقت فيها و يوقعها دفعة متبعا إياها زعقة التكبير برجفة ينبو عنها سمع من لم تؤنسه بها العادة، بما هو دليل على حسن المعاملة، و إرسال السجّية، قديم النعمة، متّصل الخيرية، مكبّ على النظر و الدرس و القراءة، معلوم الصّيانة و العدالة، منصف فى المذاكرة، حاسر للذراع عند المباحثه، راحب عن الصدر فى و طيس المناقشه، غير مختار للقرن، و لا ضانّ بالفائدة، كثير الالتفات، متقلّب الحدقة، جهير بالحجّة، بعيد عن المراء و المباهته، قائل بفضل أولى الفضل من الطلبة، يقوم أتم القيام على العربية و الفقه و التفسير، و يحفظ الحديث، و يتهجّر بحفظ التاريخ و الأخبار و الآداب، و يشارك مشاركة فاضله فى الأصيلين و الجدل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٧٦

و المنطق، و يكتب و يشعر مصيبا غرض الإجادة، و يتكلم فى طريقة الصوفية كلام أرباب المقال، و يعتنى بالتدوين فيها. شرق و حجّ و لقي جلّه، و اضطن رحله مفيدة، ثم عاد إلى بلده فأقرأ به، و انقطع إلى خدمه العلم. فلما ولى ملك المغرب السلطان، محالف الصنع و نشيدة الملك و أثير الله من بين القرابة و الأخوة أمير المؤمنين أبو عنان اجتذبه، و خلطه بنفسه، و اشتمل عليه، و ولّاه قضاء الجماعة بمدينة فاس، فاستقلّ بذلك أعظم الاستقلال، و أنفذ الحق، و ألان الكلمة، و آثر التسديد، و حمل الكلّ، و خفض الجناح، فحسنت عنه القالة، و أحبته الخاصية و العامة. حضرت بعض مجالسه للحكم، فرأيت من صبره على اللمدد و تأنيه للحجج و رفته بالخصوم ما قضيت منه العجب.

دخوله غرناطة - ثم لما أخر عن القضاء استعمل بعد لأى فى الرسالة، فوصل الأندلس أوائل جمادى الثانية من عام سبعة و خمسين و سبعمائة. فلما قضى غرض رسالته، و أبرم عقد وجهته، و احتلّ مالمقه فى منصرفه، بدا له فى نبذ الكلفة، و أطراح وظيفة الخدمة، و حلّ التقيد، إلى ملازمه الإمرة، فتقاعد، و شهر غرضه و بتّ فى الانتقال، طمع من كان صحبته، و أقبل على شأنه، فخلّى بينه و بين همّه. و ترك و ما انتحله من الانقطاع إلى ربّه، و طار الخبر إلى مرسله، فأنف من تخصيص إيالته بالهجرة و العدول عنها بقصد التخلّى و العبادة، و أنكر ما حقه الإنكار من إبطال عمل الرسالة، و الانقباض قبل الخروج عن العهدة، فوغر صدره على صاحب الأمر، و لم يبعد حملة على الظنة و المواطأة على النفرة، و تجهزت جملة من الخدام المجلّين فى مأزق الشبهة المضطلعين بإقامة الحجّة، مولين خطّة

الملام، مخيرين بين سحائب عاد من الإسلام، مظنة إغراق النعمة، وإيقاع العقوبة، أو الإشادة بسبب إجارته بالقطيعة و المنابذة. و قد كان المترجم به لحق بغرناطة فتذم بمسجدها، و جأر بالانقطاع إلى الله، و توعد من يجبره بنكير من يجبر و لا يجار عليه سبحانه، فأهم أمره، و شغلت القلوب آبدته، و أمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعه اقتضى له فيها رفع التبعة و تركه إلى تلك الوجهة. و لما تحصيل ما تيسر من ذلك انصرف محفوفاً بعالمى القطر قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى المذكور قبله، و الشيخ الخطيب أبى البركات بن الحاج، مسلمين لوروده، مشافهين بالشفاعة فى غرضه، فانقشعت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٧٧

الغمة، و تنفست الكربة. و استصحبا من المخاطبة السلطانية فى أمره من إملائي ما يذكر حسبما ثبت فى الكتاب المسمى ب «كناسة الدكان، بعد انتقال السكان» المجموع بسلا ما صورته:

المقام الذى يحب الشفاعة و يرضى الوسيلة، و ينجز العدة و يتمم الفضيلة، و يصفى مجده المنن الجزيلة، و يعبى حمده الممدوح العريضة الطويلة، مقام محلّ والدنا الذى كرم مجده، و وضح سعده، و صحّ فى الله تعالى عقده، و خلص فى الأعمال الصالحة قصده، و أعجز الألسنة حمده، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرهاها، و شفاعه يكرم مسعاها، و أخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها، معظّم سلطانه الكبير، و ممجّد مقامه الشهير، المتشيع لأبوتة الرفيعة قولاً باللسان و اعتقاداً بالضمير، المعتمد منه بعد الله على الملجأ الأحمى و الولي النصير، فلان.

سلام كريم، طيب برّ عميم، يخصّ مقامكم الأعلى، و أبوتكم الفضلى، و رحمة الله و بركاته.

«أما بعد حمد الله الذى جعل الخلق الحميدة دليلاً على عنايته بمن حلاه حلاها، و ميز بها النفوس النفيسة التى اختصّها بكرامتها و تولّاها، حمداً يكون كفواً للنعم التى أولّاها، و أعادها و والّاها، و الصلاة على سيدنا و مولانا محمد عبده و رسوله المترقى من درجات الاختصاص أرفعها و أعلاها، الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها و أجلاها، مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها، و الرضا عن آله و صحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها، و غسل ذكرهم فى الأفواه فما أعذب أوصافهم على الألسن و أحلاها، و الدعاء لمقام أبوتكم حرس الله تعالى علاها، بالسعادة التى يقول الفتح أنا طلّاع الثنايا و ابن جلاها، و الصنائع التى تخترق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلى فلاها، فإنّا كتبنا إليكم - كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء، و حشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء، و قدّم من قلاند مكارم الأخلاق ما يشهد لذاتكم منه بسابقه الاعتناء! - من حمراء غرناطة حرسها الله و الودّ باهر السناء، ظاهر السناء، مجدّد على الآناء، و التشيع رحب الدسيعة و الفناء و إلى هذا- وصل الله تعالى سعدكم، و حرس مجدكم! - فإننا خاطبنا مقامكم الكريم فى شأن الشيخ الفقيه الحافظ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٧٨

الصالح أبى عبد الله المقرئ خار الله تعالى لنا و له، و بلغ الجميع من فضله العميم أمله، جواباً عمّا صدر عن مثابتم فيه من الإشارة الممتثلة، و المآرب المعملة، و القضايا غير المهملة، نصادر كم بالشفاعة التى مثلها بأبوابكم لا يردّ، و ظمّاها عن منهل قبولكم لا تحلّا و لا تصدّ، حسبما سنّه الأب الكريم و الجدّ، و القبيل الذى وضح منه فى المكارم الرسم و الحدّ. و لم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة، و تبلّج صبح الزهادة و الفضيلة، و جود النفس الشحيحة - بالعرض الأدنى - البخيلة، و ظهر تخليّه عن هذه الدار، و اختلاطه بالليف و الغمار، و إقباله على ما يعنى مثله من صلة الأوراد و مداومة الاستغفار. و كنّا لما تعرّفنا إقامته بمالقة لهذا الغرض الذى شهره، و الفضل الذى أبرزه للعيان و أظهره، أمرنا أن يعنى بأحواله، و يعان على فراغ باله، و يجرى عليه سيب من ديوان الأعشار الشرعية و صريح ماله، و قلنا أما أتاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله، ففرّ من مالقة على ما تعرّفنا لهذا السبب، و قعد بحضرتنا مستور المنتمى و المنتسب، و سكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لسكنى المتّسمين بالخير و المحترفين ببضاعة الطلب، بحيث لم يتعرّف وروده و وصوله إلّا ممّن لا يؤبه بتعريفه، و لم تتحقّق زوائده و أصوله لقلبه تصريفه. ثم تلاحق إرسالكم الجلمة فوجبت حينئذ

الشفاعة، و عرضت على سوق الحلم و الفضل من الاستلطاف و الاستعطاف البضاعة، و قررنا ما تحققتنا من أمره، و انقباضه عن زيد الخلق و عمره، و استقباله الوجهة التي من ولى وجهه شطرها فقد أثر أثيرا، و من ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلا كبيرا و خيرا كثيرا، و سألنا منكم أن تبيحوه ذلك الغرض الذى رماه بعزمه، و قصر عليه أقصى همّه، فما أخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه، و يحصل منه طالب الآخرة على حظّه الباقي و قسمه، و يتوسّل الزاهد بزهده و العالم بعلمه، و يعوّل البريء على فضله و يثق المذنب بحلمه. فوصل الجواب الكريم بمجرّد الأمان و هو أرب من آراب، و فائدة من جراب، و وجه من وجوه إعراب، فرأينا أن المطل بعد جفاء، و الإعادة ليس يثقلها خفاء، و لمجدكم بما ضمّنا عنه وفاء، و بادرنا الآن إلى العزم عليه فى ارتحاله، و أن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله، و أن يقتضى له ثمرة المقصد، و يبلغ طيئة الإسعاف فى الطريق إن قصد، إذ كان الأمان لمثله ممّن تعلق بجناب الله من مثلكم حاصلًا، و الدين المتين بين نفسه و بين المخافة فاصلا، و طالب كيمياء السعادة بإعانتكم واصلًا. و لما مدّت اليد فى تسويغ حاله هديكم عليها أبدا يحرض، و علمكم يصرّح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٧٩

بمزيتها و لا يعرض، فكملوا أبقاكم الله ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب، و ألقوا بالأصل حديث هذه الإباحة فهو أصحّ حديث فى الباب، و وقوا غرضنا من مجدكم، و خلّوا بينه و بين مراده من ترك الأسباب، و قصد غافر الذنوب و قابل التوب بإخلاص المتاب، و التشمير ليوم العرض، و موقف الحساب، و أظهروا عليه عناية الجناب، الذى تعلق به أعلق الله به يدكم من جناب، و معاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملّة الآراب. و قد بعثنا من ينوب عنّا فى مشافهتكم بها أحمد المناب، و يقتضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب، و هما فلان و فلان. و لو لا الأعذار لكان فى هذا الغرض إعمال الرّكاب، يسبق أعلام الكتاب، و أنتم تولون هذا القصد من مكارمكم ما يوفّر الثناء الجميل، و يربى على التأميل، و يكتب على الودّ الصريح العقد وثيقة التسجيل. و هو سبحانه يبيكم لتأييد المجد الأئيل، و إنالة الرّفد الجزيل. و السلام الكريم يخصّ مقامكم الأعلى، و مثابتم الفضلى، و رحمة الله تعالى و بركاته. فى الحادى و العشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة و خمسين و سبعمائة. انتهى كلام ابن الخطيب فى «الإحاطة».

و ذكر فى الريحانة أنه كتب فى هذا الغرض ما نصّه: «و إلى هذا فإننا وقفنا على كتابكم الكريم فى شأن الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبى عبد الله المقرئ - وقفنا الله و إياه لما يزلف لديه، و هداانا لما يقرب إليه - و ما بلغكم بتقاعده بمالقة، و ما أشرت به فى أمره، فاستوفينا جميع ما قررتم، و استوعبنا ما أجملتم فى ذلك و فسّرتهم، و اعلموا يا محلّ والدنا - أمتنا الله ببقائكم الذى فى ضمنه اتّصال السعادة، و تعرّف النعم المعادة! - أننا لما انصرف عن بابنا هو و من رافقه عن انشراح صدور و تكييف جذل بما تفضلتم به و سرور، تعرّفنا أنه تقاعد بمالقة عن صحبه، و أظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربّه، و صرف الوجه إلى التخلّى مشفقا من ذنبه، و احتجّ بأن قصده ليس له سبب، و لا- تعين له فى الدنيا أرب، و أنه عرض عليكم أن تسمحوا له فيما ذهب إليه، و تقرّوه عليه، فيعجل البدار، و يمهد تحت إيالتكم القرار، فلمّا بلغنا هذا الخبر، لم يخلق الله عندنا به مبالاة تعتبر، و لا أعددناه فيما يذكر، فكيف فيما ينكر، و قطعنا أنّ الأمر فيه هين، و أنّ مثل هذا الغرض لا تلتفت إليه عين، فإنّ بابكم غنى من طبقات أولى الكمال، ملّى بتسويغ الآمال، موفور الرجال، معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام و الحلال، و الصلحاء أولى المقامات و الأحوال، و الأدباء فرسان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٨٠

الرؤيّة و الارتجال، و لم ينقص بفقدان الحصى أعداد الرمال، و لا يستكثر بالقطرة جيش العارض المنثال، مع ما علم من إعانتكم على مثل هذه الأعمال، و استمساكمم بإسعاف غرض من صرف وجهه إلى ذى الجلال، و لو علمنا أنّ شيئا يهيجس فى خاطر من أمر مقامه، لقابلناه بعلاج سقامه. ثم لم ينشب أن تلاحق بحضرتنا بارزا فى طور التقلّل و التخفيف، خالطا نفسه باللّيف، قد صار نكرة بعد العلمية و التعريف، و سكن بعض مواضع المدرسة منقبضا عن الناس لا يظهر إلّا لصلاة يشهد جماعتها، و دعوة للعباد يخاف إضاعتها، ثم تلاحق إرسالكم الجلمة، الذين تحقّق لمثلهم التجلمة، فحضرنا لدينا، و أدّوا المخاطبة الكريمة كما ذكر إلينا، و تكلمنا معهم فى

القضية، و تنحلنا في الوجوه المرضية، فلم نجد وجهها أخلص من هذا الغرض، ولا علاجاً يتكفل ببراء المرض، من أن كلفناهم الإقامة التي يتبرك بيمن جوارها، ويعمل على إثارها، بخلاف ما نخاطب مقامكم بهذا الكتاب الذي مضمونه شفاعاً يضمن حباؤكم احتسابها، ويرعى انتماءها إلى الخلوص و انتسابها، ويعيدها قد أعملت الحظوة أثوابها، و نقصدكم و مثلكم من يقصد في المهمة، فأنتم المثل الذائع في عموم الحلم و علو المهمة، في أن تصدروا له مكتوباً مكمل الفصول، مقرّر الأصول، يذهب الوجمل، و يرفع الخجل، و يسوّغ من مآربه لديكم الأمل، و يخلص التية و يرتب العمل، حتى يظهر ما لنا عند أبوّتكم من تكميل المقاصد، جرياً على ما بذلتكم من جميل العوائد، و إذا تحصل ذلك كان بفضل الله إياها، و أناخت بعقوة وعدكم الوفي ركاها، و يحصل لمقامكم عزّه و مجده و ثوابه، و أنتم ممن يرضى أمور المجد حقّ الرعاية، و يجري في معاملته الله تعالى على ما أسس من فضل البداية، و تحقّق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الإسلام و الحماية، هذا ما عندنا أعجلنا به الإعلام، و أعملنا فيه الأرقام، بعد أن أجهدنا الاختيار و تنحلنا الكلام، و جوابكم بالخير كفيلاً، و نظركم لنا و للمسلمين جميل، و الله تعالى يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، و السلام». انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٨١

قلت: هذه آفة مخالطة الملوك، فإنّ مولاي الجّد المذكور كان نزل عن القضاء و غيره، فلما أراد التخلّي إلى ربّه لم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت.

و قد ذكر لسان الدين رحمه الله تعالى في «الإحاطة» شيوخ مولانا الجّد، فلنذكرهم في جزء الجّد الذي سمّاه «نظم اللاكلى»، في سلوك الأمامي» و منه اختصر لسان الدين ما في «الإحاطة» في ترجمة مشيخته فنقول: قال مولاي الجّد رحمه الله تعالى: فممن أخذت عنه، و استفدت منه، علماها- يعنى تلمسان- الشامخان، و عالماها الراسخان: أبو زيد عبد الرحمن، و أبو موسى عيسى، ابنا محمد بن عبد الله ابن الإمام، و كانا قد رحلا في شبابهما من بلدهما برشك إلى تونس فأخذنا بها عن ابن جماعة و ابن العطار و اليفرنى و تلك الحلبة، و أدركا المرجانيّ و طبقتهم من أعجاز المائة السابعة، ثم وردا في أوّل المائة الثامنة تلمسان على أمير المسلمين أبي يعقوب و هو محاصر لها، و فقيه حضرته يومئذ أبو الحسن على بن يخلف التنسي، و كان قد خرج إليه برسالة من صاحب تلمسان المحصورة فلم يعد، و ارتفع شأنه عند أبي يعقوب، حتى أنه شهد جنازته، و لم يشهد جنازة أحد قبله، و قام على قبره، و قال: نعم الصاحب فقدنا اليوم، حدّثني الحاج الشيخ بعباد تلمسان أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق العجيسى أنّ أبا يعقوب طلع إلى جنازة التنسي في الخيل حوالى روضة الشيخ أبي مدين فقال: كيف تتركون الخيل تصل إلى ضريح الشيخ؟ هلّا عرضتم هنا لك- و أشار إلى حيث المعراض الآن- خشبة- ففعلنا، فلما قتل أبو يعقوب و خرج المحصوران أنكرا ذلك، فأخبرتهما، فأما أبو زيان- و كان السلطان يومئذ- فتزل و طأطأ رأسه و دخل، و أما أبو حمّو- و كان أميراً- فوثب و خلفها، و لما رجع الملك إلى هذين الرجلين اختصّ ابني الإمام، و كان أبو حمّو أشدّ اعتناء بهما، ثم بعده ابنه أبو تاشفين، ثم زادت حظوتهما عند أمير المسلمين أبي الحسن، إلى أن توفي أبو زيد في العشر الأوسط من رمضان عام أحد و أربعين و سبعمائة بعد وقعة طريف بأشهر، فزادت مرتبة أبي موسى عند السلطان، إلى أن كان من أمر السلطان بإفريقية ما كان في أوّل عام تسعة و أربعين، و كان أبو موسى قد صدر عنه قبل الوقعة، فتوجّه صحبه ابنه أمير المسلمين أبي عنان إلى فاس، ثم رده إلى تلمسان، و قد استولى عليها عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيّان، فكان عنده إلى أن مات الفقيه عقب الطاعون العام. قال لى خطيب الحضرة الفاسية أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٨٢

عبد الله الرندي: لما أزمع الفقيه و من أطلق معه على القبول إلى تلمسان بتّ على تشييعهم، فرأيتني كأنني نظمت هذا البيت في المنام: [الطويل]

و عند وداع القوم ودّعت سلوتي و قلت لها بيني فأنت المودّع

فانتبهت و هو في فيّ، فحاولت قريحتي بالزيادة عليه فلم يتيسّر لي مثله. و لما استحکم ملك أبي تاشفين و استوثق رحل الفقيهان إلى المشرق في حدود العشرين و سبعمائة فلقيا علاء الدين القونوي، و كان بحيث إنني لما رحلت فلقيت أبا علي حسين بن حسين بجاية قال لي: إن قدرت أن لا يفوتك شيء من كلام القونوي حتى تكتب جميعه فافعل، فإنه لا نظير له، و لقيا أيضا جلال الدين القزويني صاحب البيان، و سمعا صحيح البخاري على الحجار، و قد سمعته أنا عليهما، و ناظرا تقى الدين بن تيمية، و ظهرا عليه، و كان ذلك من أسباب محنته، و كانت له مقالات فيما يذكر و كان شديد الإنكار على الإمام فخر الدين، حدّثني شيخى العلامة أبو عبد الله الأبلّى أن عبد الله بن إبراهيم الزموري أخبره أنه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه:

[البيسط]

محضّل في أصول الدين حاصله من بعد تحصيله علم بلا دين

أصل الضلالة و الإفك المبين، فما فيه فأكثره و حى الشياطين

قال: و كان في يده قضيب، فقال: و الله لو رأيت لضربته بهذا القضيب هكذا، ثم رفعه و وضعه. و بحسبك ممّا طار لهذين الرجلين من الصيت بالمشرق أني لما حللت بيت المقدس و عرف به مكاني من الطلب، و ذلك أني قصدت قاضيه شمس الدين بن سالم ليضع لي يده على رسم أستوجب به هنالك حقًا، فلمّا أطلت عليه عرفه بي بعض من معه، فقام إليّ حتى جلست، ثم سألتني بعض الطلبة بحضرته فقال لي: إنكم معشر المالكية تبيحون للشاميّ يمرّ بالمدينة أن يتعدّى ميقاتها إلى الجحفة، و قد قال رسول الله، صلّى الله عليه و سلم، بعد أن عين المواقيت لأهل الآفاق «هنّ لهنّ، و لمن مرّ عليهن من غير أهلهن» و هذا قد مرّ على ذى الحليفة و ليس من أهله فيكون له، فقلت له: إنّ النبيّ، صلّى الله عليه و سلم، قال «من غير أهلهن» أي من غير أهل المواقيت، و هذا سلب كلّى، و إنه غير صادق على هذا الفرد، ضرورة صدق نقيضه و هو الإيجاب الجزئيّ عليه؛ لأنّه من بعض أهل المواقيت قطعًا، فلمّا لم يتناوله النصّ رجعنا إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٨٣

القياس، و لا شكّ أنه لا يلزم أحدا أن يحرم قبل ميقاته و هو يمرّ به، لكن من ليس من أهل الجحفة لا يمرّ بميقاته إذا مرّ بالمدينة، فوجب عليه الإحرام من ميقاتها، بخلاف أهل الجحفة، فإنها بين أيديهم، و هم يمرّون عليها، فوعدت من نفوس أهل البلد بسبب ذلك، فلمّا عرفت أتاني آت من أهل المغرب فقال لي: تعلم أنّ مكانك في نفوس أهل هذا البلد مكين، و قدرك عندهم رفيع، و أنا أعلم انقباضك عن ابني الإمام، فإن سئلت فانتسب لهما، فقد سمعت منهما، و أخذت عنهما، و لا تظهر العدول عنهما إلى غيرهما فتضع من قدرك، فإنما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما و وارث علمهما و أن لا أحد فوقهما: [الطويل]

و ليس لما تبني يد الله هادم

و شهدت مجلسا بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حم ذكر فيه أبو زيد ابن الإمام أن ابن القاسم مقلد مقيد النظر بأصول مالك، و نازعه أبو موسى عمران بن موسى المشدالي، و ادّعى أنه مطلق الاجتهاد، و احتج له بمخالفته لبعض ما يرويه و يبلغه عنه لما ليس من قوله، و أتى من ذلك بنظائر كثيرة، قال: فلو تقيّد بمذهبه لم يخالفه لغيره، فاستظهر أبو زيد بنصّ لشرف الدين التلمسانيّ مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك و المزنيّ إلى الشافعيّ، فقال عمران: هذا مثال، و المثال لا تلزم صحته، فصاح به أبو موسى ابن الإمام و قال لأبي عبد الله بن أبي عمرو: تكلم، فقال: لا أعرف ما قال هذا الفقيه، الذي أذكره من كلام أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل، فقال أبو موسى للسلطان: هذا كلام أصوليّ محقق، فقلت لهما و أنا يومئذ حديث السنّ: ما أنصفتما الرجل، فإن المثل كما تؤخذ على جهة التحقيق كذلك تؤخذ على جهة التقريب، و من ثمّ جاء ما قاله هذا الشيخ، أعنى ابن أبي عمرو، و كيف لا و هذا سبويه يقول: و هذا مثال و لا يتكلّم به، فإذا صحّ أنّ المثال قد يكون تقريبا فلا يلزم صحته المثال و لا فساد الممثل لفساده، فهذان القولان من أصل واحد.

و شهدت مجلسا آخر عند هذا السلطان قرىء فيه على أبى زيد ابن الإمام حديث «لَقنوا موتاكم لا إله إلا الله» فى صحيح مسلم، فقال له الأستاذ أبو إسحاق بن حكم السلوى: هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازا، فما وجه ترك محتضريكم إلى موتاكم، و الأصل الحقيقة؟

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٨٤

فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه، و كنت قد قرأت على الأستاذ بعض «التنقيح» فقلت: زعم القرافى أن المشتق إنما يكون حقيقة فى الحال، مجازا فى الاستقبال، مختلفا فيه فى الماضى، إذا كان محكوما به، أما إذا كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقا إجماعا، و على هذا التقرير لا مجاز، فلا سؤال، لا يقال: إنه احتج على ذلك بما فيه نظر؛ لأننا نقول: إنه نقل الإجماع، و هو أحد الأربعة التى لا يطالب مدعيها بالدليل، كما ذكر أيضا، بل نقول: إنه أساء حيث احتج فى موضع الوفاق، كما أساء للخمى و غيره فى الاحتجاج على وجوب الطهارة و نحوها، بل هذا أشنع، لكونه ممّا علم من الدين بالضرورة، ثم إننا لو سلمنا نفي الإجماع فلنا أن نقول: إن ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التى يعقبها الموت عادة؛ لأن تلقينه قبل ذلك إن لم يدش فقد يوحش، فهو تنبيه على وقت التلقين: أى لقنوا من تحكمون بأنه ميت، أو نقول: إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإبهام، ألا ترى اختلافهم فيه: هل أخذ من حضور الملائكة، أو حضور الأجل، أو حضور الجلّاس، و لا شك أن هذه حالة خفية يحتاج فى نصبها دليلا على الحكم إلى وصف ظاهر يضبطها، و هو ما ذكرناه، أو من حضور الموت، و هو أيضا ممّا لا يعرف بنفسه، بل بالعلامات، فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية إشارة إليها، و الله تعالى أعلم.

كان أبو زيد يقول فيما جاء من الأحاديث من معنى قول ابن أبى زيد «و إذا سلم الإمام فلا يثبت بعد سلامه و لينصرف»: إن ذلك بعد أن ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه، لئلا يمر بين يدي أحد، و قد ارتفع عنه حكمه، فيكون كالدخل مع المسبوق، جمعا بين الأدلة، قلت: و هذا من ملح الفقيه.

اعترض عند أبى زيد قول ابن الحاجب «و لبس الأدمى و المباح طاهر» بأنه إنما يقال فى الأدمى لبان، فأجاب بالمنع، و احتج بقول النبى، صلى الله عليه و سلم، «اللبس للفحل» و أجيب بأن قوله ذلك لتشريكه المباح معه فى الحكم؛ لأن اللبان خاص به، و ليس موضع تغليب؛ لأن اللبان ليس بعافل، و لا حجة على تغليب ما يختص بالعافل.

تكلم أبو زيد يوما فى مجلس تدريسه فى الجلوس على الحرير، فاحتج إبراهيم السلوى للمنع بقول أنس: «فقمتم إلى حصير لنا قد اسودّ من طول ما لبس» فمنع أبو زيد أن يكون إنما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٨٥

أراد باللباس الافتراض فحسب؛ لاحتمال أن يكون إنما أراد التغطية معه أو وحدها، و ذكر حديثا فيه تغطية الحصير، فقلت: كلا الأمرين يسمّى لباسا، قال الله عزّ و جلّ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ و أَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ [البقرة: ١٨٧] و فيه بحث.

كان أبو زيد يصحف قول الخونجى فى الجمل و المقارنات التى يمكن اجتماعه معها فيقول «و المفارقات» و لعلّه فى هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للأصمعى لما قرأ عليه: [مجزوء الكامل]

و غررتنى و زعمت أنك لابن بالضيف تامر

فقال: [مجزوء الكامل]

و غررتنى و زعمت أنك لابن بالضيف تامر

فقال: أنت فى تصحيفك أشعر من الحطيئة، أو كما حكى عمّن صلى بالخليفة فى رمضان و لم يكن يومئذ يحفظ القرآن، فكان ينظر فى المصحف، فصحف آيات: صنعته الله، أصيب بها من أساء، إنما المشركون نحس، وعدّها أباه، تقيّة الله خير لكم، هذا أن دعوا للرحمن ولدا، لكلّ امرئ منهم يومئذ شأن يعنيه.

سمعت أبا زيد يقول: إنَّ أبا العباس الغماري التونسي أول من أدخل «معالم» الإمام فخر الدين للمغرب، و بسبب ما قفل به من الفوائد رحل أبو القاسم بن زيتون.

و سمعته يقول: إنَّ ابن الحاجب أَلَّف كتابه الفقهي من ستين ديوانا و حفظت من وجادة أنه ذكر عند أبي عبد الله بن قطرال المراكشي أنَّ ابن الحاجب اختصر «الجواهر» فقال: ذكر هذا لأبي عمرو حين فرغ منه فقال: بل ابن شاس اختصر كتابي، قال ابن قطرال: و هو أعلم بصناعة التأليف من ابن شاس، و الإنصاف أنه لا يخرج عنه و عن ابن بشير إلَّا في الشيء اليسير، فهما أصلاه و معتمداه، و لا شكَّ أنَّ له زيادات و تصرفات تنبىء عن رسوخ قدمه و بعد مداه.

و كان أبو زيد من العلماء الذين يخشون الله؛ حدَّثني أمير المؤمنين المتوكل ابن عنان أنَّ والده أمير المسلمين أبا الحسن ندب الناس إلى الإعانة بأموالهم على الجهاد، فقال له أبو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٨٦

زيد: لا يصحَّ لك هذا حتى تكنس بيت المال، و تصلِّي ركعتين كما فعل على بن أبي طالب، و سأله أبو الفضل بن أبي مدين الكاتب ذات يوم عن حاله، و هو قاعد ينتظر خروج السلطان، فقال له: أما الآن فأنا مشرك، فقال: أعيدك من ذلك، فقال: لم أَرِد الشرك في التوحيد، لكن في التعظيم و المراقبة، و إلَّا فأى شيء جلوسى ههنا؟

و الشيء بالشيء يذكر، قمت ذات يوم على باب السلطان بمراكش فيمن ينتظر خروجه، فقام إلى جانبي شيخ من الطلبة، و أنشدني لأبي بكر بن خطاب رحمه الله تعالى: [الكامل]

أبصرت أبواب الملوكة تغصّ بال راجين إدراك العلا و الجاه

مترقبين لها فمهما فتحت خزوا لأذقان لهم و جباه

فأنفت من ذاك الزحام و أشفت نفسي على إنضاء جسمى الواهى

و رأيت باب الله ليس عليه من متزاحم، فقصدت باب الله

و جعلته من دونهم لى عدّة و أنفت من غيبي و طول سفاهى

يقول جامع هذا المؤلف: رأيت بخطّ عالم الدنيا ابن مرزوق على هذا المحلّ من كلام مولاي الجدّ مقابل قوله «و رأيت باب الله» ما صورته: قلت ذلك: لسعته أو لقلّة أهله: [البسيط]

إنّ الكرام كثير فى البلاد، و إن قلّوا، كما غيرهم قلّ و إن كثروا

قلّ لا يستوى الخبيث و الطيب [المائدة: ١٠٠] - الآية انتهى.

رجع إلى كلام مولاي الجدّ- قال رحمه الله تعالى و رضى عنه: و حدَّثني شيخ من أهل تلمسان أنه كان عند أبي زيد مرة، فذكر القيامة و أهوالها، فبكى، فقلت: لا بأس علينا و أنتم أمامنا، فصاح صيحة، و اسودّ وجهه، و كاد يتفجّر دما، فلمّا سرى عنه رفع يديه و طرفه إلى السماء، و قال: اللهم لا تفضحنا مع هذا الرجل، و أخباره كثيرة.

و أمّا شقيقه أبو موسى فسمعت عليه كتاب مسلم، و استفدت منه كثيرا، فمما سألته عنه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٨٧

قول ابن الحاجب فى الاستلحاق «و إذا استلحق مجهول النسب» إلى قوله «أو الشرع بشهرة نسبه» كيف يصحّ هذا القسم مع فرضه مجهول النسب؟ فقال: يمكن أن يكون مجهول النسب فى حال الاستلحاق، ثم يشتهر بعد ذلك، فيبطل الاستلحاق، فكأنه يقول: ألحقه ابتداء و دواما، ما لم يكذبه أحد، هذه هى إحدى الحالتين، إلّا أنّ هذا إنما يتصوّر فى الدوام فقط.

و ممّا سألته عنه أنّ الموثقين يكتبون الصحة و الجواز و الطوع على ما يوهم القطع، و كثيرا ما ينكشف الأمر بخلافه، و لو كتبوا مثلا ظاهر الصحة و الجواز و الطوع لبرئوا من ذلك، فقال لى:

لما كان مبنى الشهادة وأصلها العلم لم يجمل ذكر الظنّ ولا ما في معناه احتمال، فإذا أمكن العلم بمضمونها لم يجر أن يحمل على غيره، فإذا تعدّر كما هنا بنى باطن أمرها على غاية ما يسعه فيه الإمكان عادة، وأجرى ظاهره على ما ينافي أصلها، صيانة لرونقها، و رعايته لما كان ينبغي أن تكون عليه لو لا الضرورة. قلت: ولذلك عقد ابن فتوح وغيره عقود الجوائح على ما يوهم العلم بالتقدير، مع أن ذلك إنما يدرك بما غايته الظنّ في الحزر والتخمين، وكانا معا يذهبان إلى الاختيار وترك التقليد.

[ترجمة أبي موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي (من شيوخ المقرئ الكبير)]

وَمَنْ أَخَذَتْ عَنْهُ أَيْضًا حَافِظُهَا وَمُدْرَسُهَا وَمُفْتِيهَا أَبُو مُوسَى عِمْرَانَ بْنِ مُوسَى بْنِ يُوْسُفَ الْمَشْدَالِي؛ صَهِرَ شَيْخَ الْمُدْرَسِينَ أَبِي عَلِيٍّ نَاصِرَ الدِّينِ عَلِيٍّ ابْنَتَهُ، وَكَانَ قَدْ فَرَّ مِنْ حِصَارِ بَجَايَةِ، فَتَزَلَ الْجَزَائِرَ، فَبِعَثَ فِيهِ أَبُو تَاشَفِينَ، وَأَنْزَلَهُ مِنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِحْسَانِ بِالْمَحَلِّ الْمَكِينِ، فَدَرَّسَ بَتَلْمَسَانَ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْأَصْلِينَ وَالنَّحْوِ وَالْمَنْطِقَ وَالْجَدَلَ وَالْفَرَائِضَ، وَكَانَ كَثِيرَ الْإِتْسَاعِ فِي الْفِقْهِ وَالْجَدَلِ، مَدِيدَ الْبَاعِ فِيمَا سِوَاهَا مِمَّا ذَكَرَ، سَأَلْتَهُ عَنْ قَوْلِ ابْنِ الْحَاجِبِ فِي السَّهْوِ «فَإِنْ أَخَالَ الْإِعْرَاضَ فَمَبْطَلٌ عَمْدُهُ» فَقَالَ: مَعْنَاهُ فَإِنْ أَخَالَ غَيْرَهُ أَنَّهُ مَعْرُضٌ، فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ لَجَوَازِهِ، وَأَقَامَ الْمَصْدَرَ مَقَامَ الْمَفْعُولِينَ كَمَا يَقُومُ مَقَامَهُ مَا فِي مَعْنَاهُ مِنْ أَنَّ وَأَنَّ، قَالَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَلَمْ أَعْزَبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا [العنكبوت: ١، ٢] قلت: وأقوى من هذا أن يكون المصدر هو المفعول الثاني، وحذف الثالث اختصاراً للدلالة المعنى عليه: أي فإن أخال الإعراض كائناً، كما قالوا: خلت ذلك، وقد أعربت الآية بالوجهين، وهذا عندي أقرب، ومن هذا الباب ما يكتب به القضاء من قولهم «أعلم باستقلاله فلان» أي أعلم فلان من يقف عليه بأن الرسم مستقل، فحذفوا الأول، وصاغوا ما بعده المصدر.

سئل عمران و أنا عنده عما صبغ من الثياب بالدم فكانت حمرة منه، فقال: يغسل، فإن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٨٨

لم يخرج شيء من ذلك في الماء فهو طاهر؛ لأنّ المتعلق به على هذا التقدير ليس إلّا لون النجاسة، وإذا عسر قلعه بالماء فهو عفو، وإلّا وجب غسله إلى أن لا يخرج منه شيء، قلت:

في البخاري قال معمر: رأيت الزهري يصلّي فيما صبغ بالبول من ثياب اليمن، وتفسيره على ما ذكره عمران. وكان قد صاهر لقاضي الجماعة أبي عبد الله بن هريبة على ابنته فلم تزل عنده إلى أن توفي عنها.

[ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن حكم السلوي]

و منهم مشكاة الأنوار، الذي يكاد زيتته يضيء ولو لم تمسسه نار، الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن حكم السلوي، رحمه الله تعالى! ورد تلمسان بعد العشرين، ثم لم يزل بها إلى أن قتل يوم دخلت على بنى عبد الواد، وذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان عام سبعة و ثلاثين و سبعمائة.

قال لي الشيخ ابن مرزوق: ابتداء أمر بنى عبد الواد بقتلهم لأبي الحسن السعيد، وكان أسمر لأمّ ولد تسمى العنبر، وختم بقتل أبي الحسن بن عثمان إياهم، وهو بصفته المذكورة حذوك النعل بالنعل، فسبحان من دقت حكمته في كل شيء!.

ولما وقف الرفيقان أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي في رحلتها على قبر السعيد بعباد تلمسان تناول ابن الحكيم فحمة ثم كتب بها على جدار هناك: [البيسط]

انظر ففّي إليك اليوم معتبر إن كنت ممن بعين الفكر قد لحظا

بالأمس أدعى سعيداً، والورى خولى واليوم يدعى سعيداً من بى اتعظا

قال ابن حكم: كان أول اتصالي بالأستاذ أبي عبد الله بن آجروم أنى دخلت عليه و قد حفظت بعض كتاب «المفصل» فوجدت الطلبة يعربون بين يديه هذا البيت: [الكامل]

عهدي به الحى الجميع و فيهم قبل التفزق ميسر و ندام

و قد عمى عليهم خبر «عهدي» فقلت له: قد سدت الحال - و هى الجملة بعده - مسده،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٨٩

فقال لى بعض الطلبة: و هل يكون هذا فى الجملة كما كان فى قولك «ضربى زيدا قائما»؟

فقلت له: نعم، قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم «أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد».

ذكر أبو زيد ابن الإمام يوما فى مجلسه أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين و لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ [الأنفال: ٢٣] فإنهما يستلزمان بحكم الإنتاج لو علم الله فيهم خيرا لتولوا، و هو محال، ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين، فقال ابن حكم: قال الخونجى: و الإهمال بإطلاق لفظ لو و إن فى المتصلة، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان، و المهملة فى قوة الجزئية، و لا قياس عن جزئيتين. فلما اجتمعت بجاية بأبى على حسين بن حسين و أخبرته بهذا، و بما أجاب به الزمخشري و غيره، مما يرجع إلى انتفاء تكرر الوسط، قال لى: الجوابان فى المعنى سواء؛ لأنّ القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرر الوسط، فأخبرت بذلك شيخنا الأبلى، فقال: إنما يقوم القياس على الوسط، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين، و لا سالتين، إلى سائر ما يشترط، فقلت: ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلا لمجمل ما ينبى عليه من الوسط و غيره، و إلا فلا مانع غير ما قاله ابن حسين، قال الأبلى: و قد أجبت بجواب السلوى، ثم رجعت إلى ما قاله الناس لوجوب كون مهملات القرآن كلية؛ لأنّ الشرطية لا تنتج جزئية، فقلت: هذا فيما يساق منها للحجة، مثل لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا [الأنبياء: ٢٢] أما فى مثل هذا فلا.

و لما ورد تلمسان الشيخ الأديب أبو الحسن بن فرحون نزيل طيبة على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين: [الوافر]

رأت قمر السماء فأذكرتنى ليالى وصلها بالرقمتين

كلانا ناظر قمرا و لكن رأيت بعينها و رأت بعيني

ففكر ثم قال: لعل هذا الرجل كان ينظر إليها، و هى تنظر إلى قمر السماء، فهى تنظر إلى القمر حقيقة، و هو لإفراط الاستحسان يرى أنها الحقيقة، فقد رأى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة، و أيضا فهو ينظر إلى قمر مجازا، و هو لإفراط الاستحسان لها يرى أن قمر السماء هو المجاز، فقد رأت بعينه؛ لأنها ناظرة المجاز.

قلت: و من ههنا تعلم وجه الفاء فى قوله «فأذكرتنى» لأنه لما صارت رؤيتها رؤيته،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٩٠

و صار القمر حقيقة إياها، كان قوله «رأت قمر السماء فأذكرتنى» بمثابة قولك أذكرتنى، فتأمله فإن بعض من لا يفهم كلام الأستاذ حقّ الفهم ينشده «و أذكرتنى» فالفاء فى البيت الأول مبنية على معنى البيت الثانى؛ لأنها مبنية عليه، و هذا النحو يسمّى الإيدان فى علم البيان.

و لما اجتمعنا بأبى الوليد بن هانىء مقدمه علينا من غرناطة سأل ابن حكم عن تكرار من فى قوله تعالى سِوَاءِ مَنْكُم مَّنْ أَسِرَّ الْقَوْلَ وَ مَن جَهَرَ بِهِ [الرعد: ١٠] دون ما بعدها، فقال:

لولا - تكررهما أولا - لتوهم التضاد بتوهم اتحاد الزمان، فارتفع بتكرار الموضوع، أما الآخر فقد تكرر الزمان، فارتفع توهم التضاد، فلم يحتج إلى زائد على ذلك، فقلت: فهلا اكتفى بسواء عن تكرار الموضوع؛ لأنّ التسوية لا تقع إلا بين أمرين، و إنما الجواب عندي أنها تكررت أولا على الأصل لأنهما صنفان يستدعيها كل واحد منهما أن تقع عليه، ثم اختصرت ثانيا لفهم المراد من التفصيل بالأول مع أمن اللبس، و قد أجاب الزمخشري بغير هذين فانظره.

سألني ابن حكم المذكور عن نسب المجيب في هذا البيت: [الكامل]

و مهفهف الأعطاف قلت له انتسب فأجاب ما قتل المحب حرام

ففكرت ثم قلت: أراه تميميًا؛ لإلغائه «ما» النافية، فاستحسنه مني لصغر سنّي يومئذ.

تذاكرت يوما مع ابن حكم في تكلمة البدر بن محمد بن مالك «شرح التسهيل» لأبيه، فضلت عليه كلام أبيه، و نازعني الأستاذ،

فقلت: [الطويل]

عهود من الآبا توارثها الأبا

فما رأيت بأسرع من أن قال: [الطويل]

بنوا مجدها لكن بنوهم لها أبنى

فبهت من العجب.

و توفي الشيخ ابن مالك سنة اثنتين و سبعين و ستمائة، و فيها ولد شيخنا عبد المهيمن الحضرمي، فقيل: مات فيها إمام نحو، و ولد فيها

إمام نحو.

سألت ابن حكم عن قول فخر الدين في أول المحصل «و عندي أن شيئا منها غير مكتسب» بمعنى لا شيء و لا واحد، هل له أصل في

العربية أو هو كما قيل من بقايا عجمته؟

فقال لي: بل له أصل، و قد حكى ابن مالك مثله عن العرب، فلم يتفق أن أستوقفه عليه، ثم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٩١

لم أزل أستكشف عنه كل من أظن أن لديه شيئا منه، فلم أجد من عنده أثاره منه، حتى مرّ بي في باب الأفعال الداخلة على المبتدأ و

الخبر الداخل عليها «كان» من «شرح التسهيل» قوله «فإن تقدّم على الاستفهام أحد المفعولين نحو «علمت زيدا أبو من هو» اختيار نصبه؛

لأنّ الفعل مسلّط عليه بلا مانع، و يجوز رفعه؛ لأنه و الذي بعد الاستفهام شيء واحد في المعنى فكأنه في حيز الاستفهام، و الاستفهام

مشمّل عليه، و هو نظير قوله: إن أحد إلّا يقول ذلك، و أحد هذا لا يقع إلّا بعد نفي، و لكن لما كان هنا و الضمير المرفوع بالقول شيئا

واحدا في المعنى تنزل منزلة واقع بعد نفي»، فعلمت أنه نحا إلى هذا؛ لأنّ شيئا ههنا و الضمير المرفوع بمكتسب المنفي في المعنى

شيء واحد، فكان شيئا كأنه وقع بعد غير: أي بعد النفي.

سأل ابن فرحون ابن حكم: هل تجد في التنزيل ست فاءات مرتبة ترتبها في هذا البيت:

[البسيط]

رأى فحبّ فرام الوصل فامتنعت فسام صبرا فأعيا نيله ففضى

ففكر ثم قال: نعم فطاف عليها طائف من ربك و هم نائمون [القلم: ١٩] - إلى آخره فمنعت له البناء في (فتنادوا) فقال لابن فرحون:

فهل عندك غيره؟ فقال: نعم «فقال لهم رسول الله» إلى آخر السورة فمنع له بناء الآخرة لقراءة الواو، فقلت له: امنع و لا تسند فيقال

لك: إن المعاني قد تختلف باختلاف الحروف، و إن كان السند لا يسمع الكلام عليه، و أكثر ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم إلى

هذا العدد، سواء بهذا الشرط و بدونه، كقول نوح عليه السلام:

فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ [يونس: ٧١] و كقول امرئ القيس [الطويل]:

غشيت ديار الحيّ بالبكرات

البيتين.

لا يقال: فالجبّ سابع؛ لأنّنا نقول: إنه عطف على «عاقل» المجرد منها، و لعلّ حكمه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٩٢

الستة أنها أول الأعداد التامة، كما قيل في حكمه خلق السماوات والأرض فيها، و شأن اللسان عجيب.

وقوله في هذا البيت «فحب» لغه قليلة جرى عليها محبوب كثيرا، حتى استغنى به عن محب، فلا تكاد تجده إلا في قول عنترة: [الكامل]

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

ونظيره محسوس من حس و الأكثر أحس و لا تكاد تجد محسا، وهذا التوجيه أحسن من قول القرافي في «شرح التنقيح»: إنهم أجروا محسوسات مجرى معلومات؛ لأن الحس أحد طرق العلم.

سمعت ابن حكيم يقول: بعث بعض أدباء فاس إلى صاحب له: [المجتث]

ابعث إليّ بشيء مدار فاس عليه

و ليس عندك شيء ممّا أشير إليه

فبعث إليه ببطة من مري، يشير بذلك إلى الرياء.

و حدثت أنّ قاضيها أبا محمد عبد الله بن أحمد بن الملقوم حضر وليمة، و كان كثير البلغم، فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الأشقر غضارا من اللون المطبوخ بالمري لمناسبته لمزاجه، فخاف أن يكون قد عرض له بالرياء.

و كان ابن الأشقر يذكر بالوقوع في الناس، فناوله القاضي غضار المقروض، فاستحسن الحاضرون فطنته.

[ترجمة أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم بن الناصر، المجاصي]

و منهم عالم الصلحاء، و صالح العلماء، و جليس النزيل، و حليف البكاء و العويل، أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم بن الناصر المجاصي؛ خطيب جامع القصر الجديد، و جامع خطتي التحديث و التجويد، و يسميه أهل مكة البكاء، و لما قدم أبو الحسن على بن موسى البحيري سأل عنه، فقيل له: لو علم بك أذاك، فقال: أنا آتى من سمعت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٩٣

سيدي أبا زيد الهزميري يقول له لأول ما رآه و لم يكن يعرفه قبل ذلك: مرحبا بالفتى الخاشع، أسمعنا من قراءة تك الحسنه.

دخلت عليه بالفقيه أبي عبد الله السطى في أيام عيد، فقدم لنا طعاما، فقلت: لو أكلت معنا، فرجونا بذلك ما يرفع من حديث «من أكل مع مغفور له غفر له» فتبسّم و قال لى: دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاسى بالإسكندرية، فقدم طعاما، فسألته عن هذا الحديث، فقال:

وقع في نفسى منه شيء، فرأيت النبى، صلى الله عليه و سلم، فى المنام، فسألته عنه، فقال لى: لم أقله، و أرجو أن يكون كذلك.

و صافحته بمصافحته الشيخ أبا عبد الله زيان بمصافحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعدي بمصافحته أبا العباس أحمد المثلث بمصافحته المعمر بمصافحته رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

و سمعته يحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصى أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد، فكان يخصه لدينه و عقله بالنداء باسمه، و إنما كان ينطق بمماليكه: يا ساقى، يا طباخ، يا مزين، فنادى به ذات يوم: يا فراش، فظن ذلك لموجده عليه، فلما لم ير أثر ذلك، و تصورت له به خلوة، سأله عن مخالفته لعادته معه، فقال: لا عليك، كنت حينئذ جنبا، فكرهت ذكر رسول الله، صلى الله عليه و سلم، فى تلك الحالة.

و ممّا نقلته من خطّ المجاصى ثم قرأته عليه فحدّثنى به قال: حدّثنى القاضى أبو زكريا يحيى بن محمد بن يحيى بن أبى بكر بن عصفور قال: حدّثنى جدّى يحيى المذكور، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن التجيبى المقرئ بتلمسان، حدّثنا الحافظ أبو محمد - يعنى و

الله أعلم عبد الحق الإشبلى - أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن المستعمل، أخبرنا أبو الفتوح عبد الغافر بن الحسين بن أبى الحسن بن خلف الألمعى، أخبرنا أبو نصر أحمد بن إسحاق النيسابورى، أملى علينا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى، أخبرنا محمد

بن علي بن الحسين العلوي، أخبرنا عبد الله بن إسحاق اللغوي و أنا سألته، أخبرنا إبراهيم بن الهيثم البلدي، أخبرنا عبد الله بن نافع بن عيسى بن يونس عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم: قال لي جبريل: ألا أعلمك الكلمات التي قالهنّ موسى حين انفلق له البحر؟ قلت: بلى، قال قل: اللهم لك الحمد، و إليك المشتكى، و بك المستغاث، و أنت المستعان، و لا حول و لا قوة إلا بالله، قال ابن مسعود: فما تركتهنّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٩٤

منذ سمعتهنّ من رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، ثم تسلسل الحديث على ذلك، كل أحد من رجاله يقول:

ما تركتهنّ منذ سمعتهنّ من فلان، لشيخه، و قد سمعت المجاصي يكرّرها كثيرا، و ما تركتهنّ منذ سمعتهنّ منه.

و أنشدني المجاصي قال: أنشدني نجم الدين الواسطي، أنشدني شرف الدين الدمياطي، أنشدني تاج الدين الأرموي مؤلف «الحاصل»، قال: أنشدني الإمام فخر الدين لنفسه: [الطويل]

نهاية إقدام العقول عقل و أكثر سعي العالمين ضلال

و أرواحنا في وحشة من جسمنا و حاصل دنيانا أذى و وبال

و لم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل و قالوا

و كم من رجال قد رأينا و دولة فبادوا جميعا مسرعين و زالوا

و كم من جبال قد علت شرفاتها رجال فماتوا و الجبال جبال

و توفي المجاصي في العشر الأخير من شهر ربيع الأول، عام أحد و أربعين و ستمائة.

[ترجمة الشريف القاضي أبي علي حسن بن يوسف بن يحيى، الحسيني السبتي]

و منهم الشيخ الشريف القاضي الرحلة المعمر أبو علي حسن بن يوسف بن يحيى الحسيني السبتي.

أدرك أبا الحسين بن أبي الربيع و أبا القاسم الغرقى، و اختصّ بآب بن عبيدة و ابن الشاط، ثم رحل إلى المشرق فلقى ابن دقيق العيد و حلبته، ثم قفل فاستوطن تلمسان إلى أن مات بها سنة أربع و خمسين، أو ثلاث و خمسين و سبعمائة، قرأ علينا حديث الرحمة و هو أول حديث سمعته منه، حدّثنا الحسن بن علي بن عيسى بن الحسن اللخمي، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا علي بن المظفر بن القاسم الدمشقي، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن بن أبي العز الواسطي، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو العز عبد المغيث بن زهير، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا زاهر بن طاهر بن محمد الشحامى، و هو أول حديث سمعته منه (ح). قال الحسن بن علي: و حدّثنا أيضا عاليا الحسن بن محمد البكرى، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو الفتوح محمد بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٩٥

محمد بن محمد بن الجنيد الصوفى، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا زاهر بن طاهر، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي الفضائل عبد الوهاب بن صالح، عرف بآب بن المغرم إمام جامع همذان بها، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو منصور عبد الكريم بن محمد بن حامد المعروف بآب بن الخيام، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك، و هو أول حديث سمعته منه، حفظا، أخبرنا أبو الطاهر محمد بن محمد بن مخمش الزيادى، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن هلال البزار، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، و هو أول حديث سمعته منه، أخبرنا سفيان بن عيينة، و هو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم، قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا

من فى الأرض يرحكمم من فى السماء».

(ح) و حدثنى الشريف أيضا كذلك بطريقه عن السيلفى بأحاديثه المشهورة فيه، و هذا الحديث أخرجه الترمذى و قال: حديث حسن صحيح. قال لى الشريف: قال لى القاضى أبو العباس الرندى: لَمَّا قدم أبو العباس بن الغماز من بلنسية نزل بجايه، فجلس بها فى الشهود مع عبد الحق بن ربيع، فجاء عبد الحق يوما و عليه برنس أبيض، و قد حسنت شارته و كملت هيئته، فلَمَّا نظر إليه ابن الغماز أنشده: [الخفيف]

لبس البرنس الفقيه فباهى و رأى أنه المليح فتاها

لو زليخا رأته حين تبدى لتمنته أن يكون فتاها

و به أن ابن الغماز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة، فنزل الشهود من المئذنة و أخبروا أنهم لم يهّلوه، و جاء حفيد له صغير، فأخبره أنه أهله، فردهم معه، فأراهم إياه، فقال: ما أشبه الليلة بالبارحة.

و قع لنا مثل هذا مع أبى الربيع بن سالم، فأنشدنا فيه: [الطويل]

توارى هلال الأفق عن أعين الورى و أرخى حجاب الغيم دون محياه

فلَمَّا تصدى لارتقاب شقيقه تبدى له دون الأنام فحياه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٩٦

سمعت الشريف يقول: أول زجل عمل فى الدنيا:

بالله يا طير مدلل مرّ بى وسط القفار

إياك تجدد لعاده ترمى حجيرة فى دارى

[ترجمة قاضى الجماعة أبى عبد الله محمد بن منصور بن على بن هديّة، القرشى]

و منهم قاضى جماعتها، و كاتب خلافتها، و خطيب جامعها، أبو عبد الله محمد بن منصور بن على بن هديّة القرشى؛ من ولد عقبه بن نافع الفهرى، نزلها سلفه قديما، و خلفه بها إلى الآن، توفى فى أواسط سنة خمس و ثلاثين و سبعمائه، و شهد جنازته سلطانها يومئذ أبو تاشفين، و ولى ابنه أبا على منصورا مكانه يومئذ، و لم ثقل لسانه دعا ابنه هذا فقال له: اكتب هذين البيتين فإنى نظمتها على هذه الحالة، فكتب: [الطويل]

إلهى مضت للعمر سبعون حجة جنيت بها لَمَّا جنيت الدواها

و عبدك قد أمسى عليل ذنوبه فجد لى برحمى منك، نعم الدواها

و لَمَّا ورد الأديب أبو عبد الله محمد بن محمد المكودى من المغرب رفع إليه قصيدة أولها: [الطويل]

سرت و الدجى لم يبق إلّا يسيرها نسيم صبا يحيى القلوب مسيرها

و فيها الأبيات العجاب التى سارت سير الأمثال، و هى قوله:

و فى الكلة الحمراء حمراء لو بدت لثكلى لو لى ثكلها و ثبورها

فما يستوى مثوى لها من سوى القنا خيام، و من بيض الصفاح ستورها

و ما بسوى صدق الغرام أرومها و لا بسوى زور الخيال أزورها

فأحسن إليه، و كلم السلطان حتى أرسل جرايته عليه، و قد شهدت المكودى و هذه القصيدة تقرأ عليه.

[ترجمة لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن على التميمى]

و منهم القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي؛ أدرك ابن زيتون، و أخذ عن أبي الطاهر بن سرور و حلبته، و عنه أخذت شرح المعالم له، و ولي القضاء بتلمسان مرات، فلم تستفزه الدنيا، و لا باع الفقر بالغنى. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٩٧

[ترجمة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور]

و منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور؛ قاضي الجماعة بعد ابن أبي عمرو، و كانت له رحلة إلى المشرق، لقي بها جلال الدين القزويني و حلبته، و توفي بتونس في الوباء العام في حدود الخمسين و سبعمائة.

[ترجمة لأبي عبد الله محمد بن الحسين البروني]

و منهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين البروني؛ قدم عليها من الأندلس، فأقام إلى أن مات. سمعته يقول: البقر العدوية كالإبل المهمله في الصحراء، لا يجوز أن تباع بالنظر إليها، لكن بعد أن تمسك و يستولى عليها.

[ترجمة لأبي عمران موسى المصمودي الشهير البخاري]

و منهم أبو عمران موسى المصمودي، الشهير بالبخاري؛ سمعت البروني يقول: كان الشيخ أبو عمران يدرّس صحيح البخاري، و رفيق له يدرّس صحيح مسلم، فكانا يعرفان بالبخاري و مسلم، فشهدا عند قاض، فطلب المشهود عليه الإعذار فيهما، فقال له أبو عمران: أتمكنه من الإعذار في الصحيحين؟ فضحك القاضي، و أصلح بين الخصمين. سألته عمّا ضرب به ابن هديّة عليه من إباحة الاستياك في رمضان بقشر الجوز، فقال لي:

نعم، و يبلع ريقه، تأول رحمه الله تعالى، أنّ الخصال المذكورة في السواك إنما تجتمع في الجوز، فكان يحمل كلّ ما روى فيه عليه، و هذا غلط فاحش؛ لأنّ العرب لا تكاد تعرفه، و نظر إلى ما في البخاري من قوله بعد أن ذكر جواز السواك للصائم «و لا بأس أن يبتلع ريقه» يعني الصائم في الجملة، فحملة على المستاك بالجوز، و كان رحمه الله تعالى قليل الإصاّب في الفتيا، كثير المصائب عليها.

[ترجمة لأبي عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار]

و منهم نادرة الأعصار: أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار؛ قال لي العلامة الأبلبي: ما قرأ أحد عليّ حتى قلت له: لم أبق عندي ما أقول لك غير ابن النجار.

سمعت ابن النجار يقول: مر عمل الموقّتين على تساوى فضلتى ما بين المغرب و العشاء و الفجر و الشمس، فيؤذنون بالعشاء لذهاب ثمانى عشرة درجة، و بالفجر لبقائها، و الجارى على مذهب مالك أن الشفق الحمراء، و أن تكون فضله ما بين العشاءين أقصر؛ لأنّ الحمراء ثانية الغوارب و الطوالع، فتزيد فضله الفجر بمقدار ما بين ابتداء طلوع الحمراء و الشمس، فعرضت كلامه هذا على المزوار أبي عبد الرحمن بن سليمان اللجائى، فصوّبه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٩٨

و ذكرت يوماً حكاية ابن رشد الاتفاق في الخمر إذا تخلّلت بنفسها أنها تطهر، و اعترضته بما فى «الإكمال» عن ابن وضاح أنها لا تطهر، فقال لي: لا معتبر بقول ابن وضاح هذا؛ لأنه يلزم عليه تحريم الخل؛ لأن العنب لا يصير خلًا حتى يكون خمرا، و فيه بحث.

و ذكرت يوما قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة «و هي أصول و فصول، و فصول أول أصوله، و أول فصل من كل أصل و إن علا» فقال: إن تركب لفظ التسمية العرفية من الطرفين حلت، و إلا حرمت، فتأملته فوجدته كما قال؛ لأن أقسام هذا الضابط أربعة: التركب من الطرفين كابن العم و ابنة العم مقابله كالأب و البنت، التركب من قبل الرجل كابنة الأخ و العم مقابله كابن الأخت و الخالة.

و أنشدت يوما عنده على زيادة اللام: [الرجز]

باعد أم العمر من أسيرها

البيت. فقال لي: و ما يدريك أنه أراد العمر الذي أراده المعري بقوله: [البيسط]

و عمر هند كأن الله صوره عمرو بن هند يعنى الناس تعنيتا

و أضاف اللام إليه كما قالوا: أم الحليس، قلت: و لا يندفع هذا بثبوت كون المغنية تكنى أم عمرو؛ لأن ذلك لا يمنع إرادة المعنى الآخر، فتكون: أم عمرو، و أم العمر.

قال ابن النجار: بعثت بهذه الأبيات من نظمي إلى القاضي أبي عبد الله بن هديء فأخرج لغزها: [المنسرح]

إن حروف اسم من كلفت به خفت على كل ناطق بقم

سائغة سهلة مخارجها من أجل هذا تزداد في الكلم

صحفه ثم اقلبن مصحفه فعل ذكى مهذب فهم

و اطلبه في الشعر جد مطلبه تجده كالصبح لاح في الظلم

فإن تأملت بت منه على علم، و إلا فأنت عنه عمى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ١٩٩

و اللغز «سلمان» و موضعه تأملت بت، و توفى رحمه الله تعالى بتونس أيام الوباء العام.

[ترجمة لأبي الحسن على بن أبي بكر بن سبع بن مزاحم، المكناسي]

و منهم الأستاذ المقرئ الراوية الرحلة أبو الحسن على بن أبي بكر بن سبع بن مزاحم المكناسي؛ ورد علينا من المشرق، فأقام معنا أعواما، ثم رحل إلى فاس، فتوفى بها في الوباء العام، جمعت عليه السبع، و قرأت عليه البخاري و الشاطبيتين و غير ذلك، فأما البخاري فحدثني به قراءة منه على أحمد بن الشحنة الحجار سنة ثلاثين و سبعمائة، و كان الحجار قد سمعه على ابن الزبيدي سنة ثلاثين و ستمائة، و هذا ما لا يعرف له نظير في الإسلام، و قد قال عبد الغني الحافظ: لا نعرف في الإسلام من وازاه عبد الله بن محمد البغوي في قدم السماع، فإنه توفى سنة سبع عشرة و ثلاثمائة، قال ابن خلاد: سمعناه يقول: أخبرنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني سنة خمس و عشرين و مائتين، و سمعه ابن الزبيدي على أبي الوقت بسنده، قال لي ابن مزاحم: هذا طريق كله سماع. و أما الشاطبيتان فحدثني بهما قراءة عليه لجميعهما عن بدر الدين بن جماعة، بقراءتهما عليه عن أبي الفضل هبة الله بن الأزرق، بقراءتهما عليه عن المؤلف كذلك، و حدثني بتسهيل الفوائد عن ابن جماعة عن المؤلف ابن مالك، و غير ذلك.

[ترجمة لأبي عبد الله محمد بن حسين، القرشي، الزبيدي، التونسي]

و ممن ورد عليها لا يريد الإقامة بها شيخي و بركتي و قدوتى أبو عبد الله محمد بن حسين القرشي الزبيدي التونسي. حدثني بالصحيحين قراءة لبعضهما و مناولة لجميعهما، عن أبي اليمن بن عساكر، لقيه بمكة سنة إحدى و ثمانين و ستمائة بسنده

المشهور، وحدثني أيضا أن أبا منصور العجمي حدثه بمحضر الشيخين والده حسين وعمه حسن و أثنى عليه دينا و فضلا، أنه أدخل ببعض بلاد المشرق على المعمر، أدخله عليه بعض ولد ولده، فألفاه ملفوفا في قطن، و سمع له دويًا كدوي النحل، فقيل له: ألقى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، و رأيت؟ قال: نعم، قلت: ليس في هذا ما يستراب منه إلا الشيخ المعمر، فإنا لا نعرف حاله، فإن صح فحدثنا عنه ثلاثي، و قد تركت سنة خمس و أربعين بمصر رجلا يسمى بعثمان معه تسعون حديثا يزعم أنه سمعها من المعمر و قد أخذت عنه، و كتبت منه، فهذا ثنائي، و أمر المعمر غريب، و النفس أميل إلى نفيه.

[ترجمة لإمام أهل الحديث في عصره أبي محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمي]

و منهم إمام الحديث و العربية، و كاتب الخلافة العثمانية و العلوية، أبو محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمي السبتي. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٠٠ جمع فأوعى، و استوهب أكثر المشاهير و ما سعى، فهو المقيم الطاعن، الضارب القاطن، سألتني عن الفرق بين علم الجنس و اسم الجنس، فقلت له: زعم الخسروشاهي أنه ليس بالديار المصرية من يعرفه غيره، و أنا أقول: ليس في الدنيا عالم إلا و هو يعلمه غيره؛ لأنه حكم لفظي أو جب تقديره المحافظة على ضبط القوانين كعدل عمر و نحوه، فاستحسن ذلك. و كان ينكر إضافة الحول إلى الله عز و جل، فلا يجوز أن يقال «بحول الله و قوته» قال: لأنه لم يرد إطلاقه، و المعنى يقتضى امتناعه؛ لأن الحول كالحيلة أو قريب منها. و توفي بتونس أيام الوباء العام.

[ترجمة أبي عبد الله محمد بن سليمان السطى]

و منهم الفقيه المحقق الفرضي المدقق أبو عبد الله محمد بن سليمان بن علي السطى. قرأت عليه كتاب الحوفى علما و عملا، قال لى فى قول ابن الحاجب «و الثمن و الثلث و السدس من أربعة و عشرين»: هذا لا يصح؛ إذ لا يجتمع الثلث و الثمن فى فريضة، و قد سبقه إلى هذا الوهم صاحب المقدمات، و سألت عنه ابن الأبار فقال لى: إنما أراد المقام؛ لأنه يجتمع مع الثلثين، و الإنصاف أنه لا- يحسن التعبير بما لا- تصح إرادة نفسه عن غيره، فكان الوجه أن يقول: و الثلثان، أو و مقام الثلث، أو نحو ذلك؛ لأن الثلث إنما يدخل هنا تقديرا لا تحقيقا كما فى الجواهر، و انظر باب المدبر من كتاب الحوفى، فإن فيه موافقة السبعة لعدد لا توافقه فهو من باب الفرض، و عليه ينبغى أن يحمل كلام ابن الحاجب. و منهم الأستاذ أبو عبد الله الرندى، و القاضى أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الرزاق الجزولى، و القاضى أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى يحيى، فى كثير من الخلق، فلنضرب عن هذا.

[ترجمة أبى عثمان سعيد بن إبراهيم بن على الخياط]

و من شيوخى الصلحاء الذين لقيت بها خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن على الخياط، أدرك أبا إسحاق الطيار، و قد صافحته و أنا صغير؛ لأنه توفى سنة تسع و عشرين، بمصافحته أباه، بمصافحته الشيخ أبى تميم، بمصافحته أبى مدين، بمصافحته أبى الحسن بن حرزهم، بمصافحته ابن العربى، بمصافحته الغزالي، بمصافحته أبى المعالى، بمصافحته أبى نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٠١ طالب المكى، بمصافحته أبى محمد الجريرى، بمصافحته الجنيد، بمصافحته سريًا، بمصافحته معروفا، بمصافحته داود الطائي، بمصافحته

حييا العجمي، بمصافحته الحسن البصري، بمصافحته علي بن أبي طالب، بمصافحته رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلم.

[ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن الجمال و ابنا أبي عبد الله محمد بن مرزوق العجيسى، و هما أبو عبد الله محمد، و أبو العباس أحمد]

و منهم خطيبها المصقع أبو عبد الله محمد بن علي بن الجمال، أدرك محمد بن رشيد البغدادي صاحب الزهر و الوتریات علی حروف المعجم و المذهبة و غيرها، حدثني عنه أنه تاب بين يديه لأول مجلس جلس به بتلمسان سبعون رجلا. و منهم الشقيقان الحاجان الفاضلان أبو عبد الله محمد، و أبو العباس أحمد، ابنا ولي الله أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسى.

كسانى محمد خرقة التصوف بيده، كما كساه إياها الشيخ بلال بن عبد الله الحبشى خادم الشيخ أبى مدين، كما كساه أبو مدين؛ قال محمد بن مرزوق: و كان مولد بلال سنة تسع و خمسين و خمسمائة، و خدم أبا مدين نحو من خمسة عشر عاما، إلى أن توفى فى عام تسعين و خمسمائة، ثم عاش بعده أكثر من مائة سنة، و لبس أبو مدين من يد ابن حرزهم، و لبس ابن حرزهم من يد ابن العربى، و اتصل اللباس اتصال المصافحة.

[أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب الصنهاجى و أبو عبد الله محمد بن محمد الغزمونى]

و منهم أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجى المكتب، حدثنا عن قاضيهما أبى زيد عبد الرحمن بن علي الدكالى أنه اختصم عنده رجلان فى شاء ادعى أحدهما أنه أودعها الآخر، و ادعى الآخر أنها ضاعت منه، فأوجب اليمين على المودع عنده، أنها ضاعت من غير تضييع، فقال: كيف أضيع و قد شغلتنى حراستها عن الصلاة حتى خرج وقتها؟ فحكم عليه بالغرم، فقبل له فى ذلك، فقال: تأولت قول عمر «و من ضيعها فهو لما سواها أضيع».

و منهم أبو عبد الله محمد بن محمد الغزمونى؛ مكتبى الأول، و وسيلتى إلى الله عزّ و جلّ، قرأ على الشيخين أبى عبد الله القصرى و أبى حريث، و حجّ حجّات، و كان عقد بقلبه أنه كلّما ملك مائة دينار عيوننا سافر إلى الحجّ، و كان بصيرا بتعبير الرؤيا، فمن عجائب شأنه فيه أنه كان فى سجن أبى يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فيمن كان فيه من أهل تلمسان أيام محاصرته لها، فرأى أبو جمعة بن علي التلالسى الجرائحى منهم كأنه قائم على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٠٢

ساقيه دائرة و جميع قواديسها يصب فى نقير فى وسطها، فجاء ليشرب، فلما اغترف الماء إذا فيه فرث و دم فأرسله، ثم اغترف فإذا هو كذلك، ثلاثا أو أكثر، فعدل عنه، فرأى حصّة ماء و شرب منها، ثم استيقظ و هو النهار، فأخبره، و قال: إن صدقت رؤياك فحن عمّا قليل خارجون من هذا المكان، قال: كيف؟ قال: الساقية الزمان، و النقير السلطان، و أنت جرائحى تدخل يدك فى جوفه فينالها الفرث و الدم، و هذا ما لا تحتاج معه، فلم يكن إلّا ضحوة النهار، و إذا النداء عليه، فأخرج فوجد السلطان مطعونا بخنجر، فأدخل يده فنالها الفرث و الدم، فخاط جراحته، ثم خرج، فرأى حصّة ماء، فغسل يديه و شرب، ثم لم يلبث السلطان أن توفى، و سرّحوا. و تعداد أهل هذه الصفة يكثر، فلنصفح عنهم، و لنختم فصل من لقيته بتلمسان بذكر رجلين هما بقيد الحياة أحدهما عالم الدنيا، و الآخر نادرتهما.

[أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدري]

أمّا العالم فشيخنا و معلّمنا العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الأبلّى، التلمسانى؛ سمع جدّه لأمه أبا الحسين بن

غلبون المرسي القاضي بتلمسان، و أخذ عن فقهاها أبي الحسين التنسي و ابني الإمام، و رحل في آخر المائة السابعة فدخل مصر و الشام و الحجاز و العراق، ثم قفل إلى المغرب فأقام بتلمسان مدة، ثم فرّ أيام أبي حم موسى بن عثمان إلى المغرب. حدّثني أنه لقي أبا العباس أحمد بن إبراهيم الخياط شقيق شيخنا أبي عثمان المتقدم ذكره، فشكا له ما يتوقّعه من شرّ أبي حم، فقال له: عليك بالجبيل، فلم يدر ما قال، حتى تعرّض له رجل من غماره، فعرض عليه الهروب به، قال: فخفت أن يكون أبو حم قد دسّ به عليّ، فتنكرت له، فقال لي: إنما أسير بك على الجبل، فتذكّرت قول أبي إسحاق، فواطأته، و كان خلاصى على يده، قال: و لقد وجدت العطش في بعض مسيرى به، حتى غلظ لساني و اضطربت ركبتي، فقال لي: إن جلست قتلتك لئلا أفتضح بك، فكنت أقوى نفسي، فمرّ على بالي في تلك الحالة استسقاء عمر بالعباس، و توسّله به، فوالله ما قلت شيئا حتى رفع لي غدير ماء، فأرْبِته إياه، فشربنا و نهضنا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٠٣

و لما دخل المغرب أدرك أبا العباس بن البناء، فأخذ عنه، و شافه كثيرا من علمائه، قال لي: قلت لأبي الحسن الصغير: ما قولك في المهدي؟ فقال: عالم سلطان، فقلت له: قد أمنت عن مرادى. ثم سكن جبال الموحّدين، ثم رجع إلى فاس، فلما افتتحت تلمسان لقيته بها، فأخذت عنه، فقال لي الأبلبي: كنت يوما مع القاسم بن محمد الصنهاجي، فوردت عليه طومارة من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها: [السريع]

خيرات ما تحويه مبدولة و مطلبى تصحيف مقلوبها

فقال لي: ما مطلبه؟ فقلت: نارنج.

دخل على الأبلبي و أنا عنده بتلمسان الشيخ أبو عبد الله الدباغ المالقي المتطبّب فأخبرنا أنّ أديبا استجدي وزيراً بهذا الشطر: [السريع] ثم حبيب قلما ينصف

فأخذته فكتبته، ثم قلبته و صحّفته، فإذا هو: قصبنا ملف شحى.

و مرّ الدباغ علينا يوما بفاس، فدعاه الشيخ، فلباه، فقال: حدّثنا بحديث اللطافة، فقال:

نعم، حدّثني أبو زكريا بن السراج الكاتب بسجلماسة أنّ أبا إسحاق التلمساني و صهره مالك بن المرحل، و كان ابن السراج قد لقيهما، اصطحبا في مسير، فأواهما الليل إلى مجشر، فسألا عن صاحبه، فدلاً، فاستضافاه فأضافهما، فبسط قطيفه بيضاء، ثم عطف عليهما بخبز و لبن، و قال لهما: استعمالاً من هذه اللطافة حتى يحضر عشاءكما، و انصرف، فتحاورا في اسم اللطافة لأى شيء هو منهما حتى ناما، فلم يرع أبا إسحاق إلّا مالك يوقظه و يقول: قد وجدت اللطافة، قال: كيف؟ قال: أبعدت في طلبها حتى وقعت بما لم يمرّ قطّ على مسمع هذا البدوى فضلا عن أن يراه، ثم رجعت القهقري حتى وقعت على قول النابغة: [الكامل]

بمخضّب رخص كأنّ بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد

فسنح لبالي أنه وجد اللطافة، و عليها مكتوب بالخطّ الرقيق اللين، فجعل إحدى النقطتين للطاء فصارت اللطافة اللطافة و اللين اللين و إن كان قد صحّف عنم بغنم، و ظنّ أن يعقد جن، فقد قوى عنده الوهم، فقال أبو إسحاق: ما خرجت عن صوبه، فلما جاء سألاه، فأخبر أنها اللين، و استشهد بالبيت كما قال مالك.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٠٤

و لا تعجب من مالك فقد ورد فاسا شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي، عرف بابن المسفر، رسولا عن صاحب بجايه، فزاره الطلبة، فكان فيما حدّثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاما وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين، و يستشكله الشيخ معهم، و هذا نصّه، ثبت في بعض العلوم العقلية أنّ المركّب مثل البسيط في الجنس، و البسيط مثل المركّب في الفصل، و أنّ الجنس أقوى من الفصل، فرجعوا به إلى الشيخ الأبلبي، فتأمّله ثم قال: هذا كلام مصحّف، و أصله أنّ المركّب قبل

البسيط في الحس، و البسيط قبل المركب في العقل، و أنّ الحسّ أقوى من العقل، فآخبروا ابن مسفر، فلجّ، فقال لهم الشيخ: التمسوا النسخ، فوجدوه في بعضها كما قال الشيخ، و الله يؤتى فضله من يشاء.

قال لى الأبلبي: لما نزلت تازى بتّ مع أبى الحسن بن بزى و أبى عبد الله الترجالى، فاحتجت إلى النوم، و كرهت قطعهما عن الكلام، فاستكشفتها عن معنى هذا البيت للمعري:

[الطويل]

أقول لعبد الله لما سقاؤنا و نحن بوادى عبد شمس و هاشم فجعلنا- يفكران فيه، فنمت حتى أصبحنا، و لم يجدها، فسألانى عنه، فقلت: معناه أقول لعبد الله لما و هى سقاؤنا، و نحن بوادى عبد شمس: شم لنا برقا. قلت: و فى جواز مثل هذا نظر.

سمعت الأبلبي يقول: دخل قطب الدين الشيرازى و الدبيران على أفضل الدين الخونجى ببلده، و قد تزيا بزى القونويّه، فسأله أحدهما عن مسأله، فأجابه، فتعايا عن الفهم، و قرب التقرير، فتعايا، فقال الخونجى متمثلاً: [البسيط]

علّى نحت المعانى من معادنها و ما علّى لكم أن تفهم البقر فقال له: ضمّ التاء يا مولانا، فعرّفهما، فحملهما إلى بيته.

قلت: سمعت الشيخ شمس الدين الأصبهاني بخانقاه قوصون بمصر يقول: إنّ شيخه القطب توفى عام أحد عشر و سبعمائه، و له سبع و سبعون سنه، و هذا يضعف هذه الحكايه عندي.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٠٥

سمعت الأبلبي يقول: إنّ الخونجى ولى قضاء مصر بعد عزّ الدين بن عبد السلام، فقدم شاهدا كان عزّ الدين آخره، فعذله فى ذلك، فقال: إنّ مولانا لم يذكر السبب الذى رفع يده من أجله، و هو الآن غير متمكّن من ذكره.

سمعت الشيخ الأبلبي يحدث عن قطب الدين القسطلاني أنه ظهر فى المائه السابعة من المفاسد العظام ثلاث: مذهب ابن سبعين، و تملك الططر للعراق، و استعمال الحشيشه.

سمعت الأبلبي يقول: قال أبو المطرف بن عميره: [الكامل]

فضل الجمال على الكمال بوجهه فالحق لا يخفى على من وسّطه و بطرفه سقم و سحر قد أتى مستظها بهما على ما استنبطه

عجبا له برهانه بشروطه معه فما مقصوده بالسفسطه

قال: فأجابه أبو القاسم بن الشاط فقال: [الكامل]

علم التباين فى النفوس و أنها منها مغلّطه و غير مغلّطه

فئه رأّت وجه الدليل و فرقه أصغت إلى الشبهات فهى مورّطه

فأراد جمعها معا فى ملكه هذى بمنتجه و ذى بمغلّطه

يعنى قولهم فى التام: هو ما تحمل فيه البرهان الفصل.

و أخبار الأبلبي و أسمعتى منه تحتل كتابا، فلنقف على هذا القدر منها.

[أبو عبد الله بن أحمد بن شاطر الجمحى]

و أمّا النادرة فأبو عبد الله محمد بن أحمد بن شاطر الجمحى المراكشى؛ صحب أبا زيد الهزميرى كثيرا، و أبا عبد الله بن تيجان، و أبا العباس بن البناء و أضرابه من المراكشيين و من جاورهم، و رزق بصحبه الصالحين حلاوة القبول، فلا تكاد تجد من يستثقله، و ربما

سئل عن نفسه فيقول: وليّ مفسود.

قلت له يوما: كيف أنت؟ فقال: محبوس في الروح، و قال: الليل و النهار حرسيان:

أحدهما أسود، و الآخر أبيض، و قد أخذنا بمجامع الخلق يجزّانهم إلى القيامة، و إنّ مردّنا إلى الله تعالى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٠٦

و سمعته يقول: المؤذنون يدعون أولياء الله إلى بيته لعبادته، فلا- يصدّهم عن دعائهم ظلمة و لا شتاء و لا طين، و يصرفونهم عن الاشتغال بما لم يبين لهم، فيخرجونهم و يغلقون الأبواب دونهم.

و وجدته ذات يوم في المسجد ذاكرا، فقلت له: كيف أنت؟ فقال فهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ [الروم: ١٥] فهممت بالانصراف، فقال: أين تذهب من روضه من رياض الجنّة يقام بها على رأسك بهذا التاج؟ و أشار إلى المنار مملوءا الله أكبر.

مرّ ابن شاطر يوما على أبي العباس أحمد بن شعيب الكاتب و هو جالس في جامع الجزيرة، طهره الله تعالى! و قد ذهبت به الكفرة، فصاح به، فلمّا رفع رأسه إليه قال له: انظر إلى مركب عزرائيل هذا، و أشار إلى نعش هنالك، قد رفع شرّاعه و نودى عليه الطلوع يا غزى.

و أكل يوما مع أبي القاسم عبد الله بن رضوان الكاتب جلجلانا، فقال له أبو القاسم:

إنّ في هذا الجلجلان لضربا من طعم اللوز، فقال ابن شاطر: و هل الجلجلان إلّا لوزة دقة؟

و سئل عن العلة في نضارة الحدائث، فقال: قرب عهدنا بالله، فقيل له: فممّ تغير الشيوخ؟ فقال: من بعد العهد من الله، و طول الصحبة مع الشياطين، فقيل له: فبخر أفواههم؟ فقال: من كثرة ما تغل الشياطين فيها.

و كان يسمّى الصغير: فأر المصطكى، قال لى ابن شاطر: لقيت عمى ميمونا المعروف بديبر لقرب موته و قد اصفرّ وجهه و تغيّرت حالته، فقلت له: ما بالك؟ و كان قد خدم الصالحين و رزق بذلك القبول، فقال: انسدت الزربطانة فطلع، يعنى العذرة، يشير إلى الاحتقان للطبيعة.

أنشدنى ابن شاطر قال: أنشدنى أبو العباس بن البناء لنفسه: [الوافر]

قصدت إلى الوجازة في كلامي

الأبيات.

و أخبار ابن شاطر عندي تحتل كراسه، فلنقع منها بهذا القدر.

[ذكر جماعة من شيوخ المقرئ الكبير بتلمسان]

فصل - و لما دخلت تلمسان على بنى عبد الواد تهيّأ لى السفر منها، فرحلت إلى بجاية،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٠٧

فلقيت بها أعلاما درجوا فأمت بعدهم خلاء بلقعا. فمنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى، عرف بابن المسفر، باحثه و استفدت منه، و سألتى عن اسم كتاب الجوهرى فقلت له: من الناس من يقول الصّيحاح بالكسر و منهم من يفتح، فقال: إنّما هو بالفتح بمعنى الصحيح، كما ذكره فى باب صح، قلت: و يحتمل أن يكون مصدر صح كحنان.

و كتب إلى بعض أصحابه بجواب رسالة صدره بهذين البيتين: [الكامل]

وصلت صحيفتكم فهزّت معطفى فكأنما أهدت كؤوس القرقف

و كأنها ليل الأمان لخائف أو وصل محبوب لصبّ مدنف

و منهم قاضيها أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبى يوسف يعقوب الزواوى؛ فقيه ابن فقيه، كان يقول: من عرف ابن الحاجب اقرأ به

المدونة قال: و أنا أقرأ به المدونة.

و منهم أبو على حسين بن حسين إمام المعقولات بعد ناصر الدين.

و منهم خطيبها أبو العباس أحمد بن عمران، و كان قد ورد تلمسان، و أورد بها على قول ابن الحاجب في حد العلم «صفة توجب تميزا لا يحتمل النقيض» الخاصة إلا أن يزداد في الحد «لمن قامت به»؛ لأنها إنما توجب فيه تميزا لا تميزا، و هذا حسن. و منهم الشيخان أبو عزيز و أبو موسى بن فرحان، و غيرهم من أهل عصرهم.

[ذكر شيوخه في تونس]

ثم رحلت إلى تونس فلقيت بها قاضي الجماعة و فقيها أبا عبد الله بن عبد السلام، فحضرت تدرسه، و أكثرت مباحثته، و لما نزلت بظاهر قسمطينة تلقاني رجل من الطلبة، فسألني عن هذه الآية و إن لم تفعل فما بلغت رسالته [المائدة: ٦٧] فإن ظاهرها أن الجزاء هو الشرط: أي و إن لم تبلغ فما بلغت، و ذلك غير مفيد، فقلت: بل هو مفيد، أي: و إن لم تبلغ في المستقبل لم ينفعك تبليغك في الماضي: لارتباط أول الرسالة بآخرها، كالصلاة و نحوها، بدليل قصة يونس، فعبّر بانتفاء ماهية التبليغ عن انتفاء المقصود منه، إذ كان إنما يطلب و لا يعتبر بدونه، كقوله عليه الصلاة و السلام «لا صلاة إلا بطهور» ثم اجتمعت بابن عبد السلام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٠٨

بجامع بوقير بتونس، فسألته عن ذلك، فلم يزد على أن قال: هذا مثل قوله عليه الصلاة و السلام «فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله» و قد علمتم ما قال الشيخ تقي الدين فيه. قلت: كلام تقي الدين لا يعطى الجواب عن الآية، فتأمله.

و قاضي المناكح أبا محمد الأجمي، و هو حافظ فقهاؤها في وقته، و الفقيه أبا عبد الله بن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه و الأصول، و الخطيب أبا عبد الله بن عبد الستار، و حضرت تدرسه بمدرسة المعروض، و العلامة أبا عبد الله بن الجباب الكاتب، و الفقيه أبا عبد الله بن سلمة، و الشيخ الصالح أبا الحسن المنتصر وارث طريقة الشيخ أبي محمد المرجاني آخر المذكورين بإفريقية، و رأيت الشيخ ابن الشيخ المرجاني، فحدثني أبو موسى ابن الإمام أنه أشبه من الغراب بالغراب، و سيدي أبا عبد الله الزبيدي المتقدم ذكره، و أوقفني على خطأ في كتاب الصيحاء، و ذلك أنه زعم أن السالم جلده ما بين العين و الأنف، قال: و فيه يقول ابن عمر في ابنه سالم: [الطويل]

يديروني عن سالم و أديرهم و جلده بين الأنف و العين سالم

قال: و هذا أراد عبد الملك حيث كتب إلى الحجاج «أنت مني كسالم» و هو خطأ فاحش، و كان يلزمه أن يسميها بالعمارة أيضا؛ لقوله عليه السلام «عمارة جلده ما بين عيني و أنفي» و إنما يراد بمثل هذا القرب و التحمد.

و لقيت بتونس غير واحد من العلماء و الصلحاء يطول ذكرهم، ثم قفلت إلى المغرب يسايرني رجل من أهل قسمطينة يعرف بمنصور الحلبي، فما رأيت رجلا أكثر أخبارا و لا أطرف نوادر منه، فمما حفظته من حديثه أن رجلا من الأدباء مرّ برجل من الغرباء، و قد قام بين ستة أطفال، جعل ثلاثة عن يمينه و ثلاثة عن شماله، و أخذ ينشد: [البيسط]

ما كنت أحسب أن أبقى كذا أبدا أعيش و الدهر في أطرافه حتف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٠٩

ساس بسنة أطفال توسطهم شخصي كأحرف ساس وسطها ألف

قال: فتقدمت إليه و قلت: فأين تعريفة السين؟ فقال: طالب و رب الكعبة، ثم قال للآخر من جهة يمينه: قم، فقام يجزّ رجله كأنه مبطل، فقال: هذا تمام تعريفة السين.

[شيوخه في فاس، و في أغمات]

ثم رحلت من تلمسان إلى المغرب، فلقيت بفاس الشيخ الفقيه الحاج أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم البرناسني، و الشيخ الفقيه أبا محمد عبد المؤمن الجاناتي، و الشيخ الفقيه الصالح أبا زرهون عبد العزيز بن محمد القيرواني، و الفقيه أبا الضياء مصباح بن عبد الله الياصوني، و كان حافظ وقته، و الفقيه أبا عبد الله بن عبد الكريم، و شيخ الشيوخ أبا زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي، و الأستاذ أبا العباس المكناسي، و كنت لقيت الأستاذ أبا العباس بن حزب الله، و الأستاذ أبا عبد الله ابن القصار بتلمسان، و لقيت غير هؤلاء ممن يكثر عددهم، و كنت قد لقيت بتازا الفقيه أبا عبد الله بن عطية، و الأستاذ أبا عبد الله المجاصي، و الشيخ أبا الحسين الجيار، و غيرهم.

ثم بلغت بالرحلة إلى أغمات، ثم وصلت إلى سبتة، فاستوعبت بلاد المغرب و لقيت بكل بلد من لا بدّ من لقائه من علمائه و صلحائه، ثم قفلت إلى تلمسان فأقمت بها ما شاء الله تعالى، ثم أعملت الرحلة إلى الحجاز، فلقيت بمصر الأستاذ أثير الدين أبا حيان الغرناطي، فرويت عنه، و استفدت منه، و شمس الدين الأصبهاني الآخر، و شمس الدين بن عدلان، و قرأ عليّ بعض شروحه لكتب المزني، و ناولني إياه، و شمس الدين بن اللبان آخر المذكورين بها، و الشيخ الصالح أبا محمد المنوفي فقيه المالكية بها، و تاج الدين التبريزي الأصم، و غيرهم ممن يطول ذكرهم.

[شيوخه في مكة، و في المدينة، و في الشام]

ثم حججت فلقيت بمكة إمام الوقت أبا عبد الله بن عبد الرحمن التوزري المعروف بخليل، و سألته يوم النحر حين وقف بالمشعر الحرام عن بطن محسير لأحرك فيه عليّ الجمل، فقال لي: تمالأ الناس عليّ ترك هذه السنّة، حتى نسى بتركها محلّها، و الأقرب أنه هذا، و أشار إلى ما يلي الجابية التي عليّ يسار المار من المشعر إلى منى من الطريق من أول ما يحاذيها إلى أن يأخذ صاعدا إلى منى، و ما رأيت أعلم بالمناسك منه، و الإمام أبا العباس بن رضى الدين الشافعي، و غير واحد من الزائرين و المجاورين و أهل البلد. و بالمدينة أعجوبة الدنيا أبا محمد عبد الوهاب الجبرتي و غيره.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢١٠

ثم أخذت على الشام، فلقيت بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب الفقيه ابن تيمية، و صدر الدين الغماري المالكي، و أبا القاسم بن محمد اليماني الشافعي، و غيرهم، و بيت المقدس الأستاذ أبا عبد الله بن مثبت، و القاضي شمس الدين بن سالم، و الفقيه المذكور أبا عبد الله بن عثمان، و غيرهم.

ثم رجعت إلى المغرب، فدخلت سجلماسة و درعة، ثم قطعت إلى الأندلس، فدخلت الجبل و أصطبونة و مربانة و مالقة و بلش و الحامة، و انتهت بي الرحلة إلى غرناطة، و في علم الله تعالى ما لا أعلم، و هو المسؤول أن يحملنا على الصراط الأقوم، و صلّى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلّم؛ انتهى كلام جدي رحمه الله تعالى في الجزء الذي ألفه في مشيخته، و قد لخصه لسان الدين في الإحاطة.

[رواية ابن خلدون عن شيخه أبي عبد الله المقرئ الكبير]

و لنذكر هنا زيادات لا بأس بها، فنقول: و لما ألمّ ولي الدين بن خلدون بذكر مولاي الجدّ في تاريخه الكبير عند تعريفه بنفسه، و صفه بأنه كبير علماء المغرب و نصّ محل الحاجة من تاريخه: لما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع و ثمانين أقمنا في البحر نحو من أربعين ليلة، ثم وافينا مرسى الإسكندرية يوم الفطر، و لعشر ليال من جلوس الملك الظاهر على التخت و اقتعاد كرسى الملك

دون أهله بنى قلاوون، وكنّا على ترقب ذلك لما كان يؤثر بقاصية البلاد من سموه لذلك و تمهيداً له، و أقمت بإسكندرية شهراً لتهيئة أسباب الحجّ، و لم يقدر عامئذ، فانتقلت إلى القاهرة أول ذى القعدة، فرأيت حضرة الدنيا، و بستان العالم، و محشر الأمم، و مدرج الذرّ من البشر، و إيوان الإسلام، و كرسى الملك، تلوح القصور و الأواوين فى أوجهه، و تزهو الخواتق و المدارس بآفاقه، و تضىء البدور و الكواكب من علمائه، و قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنة و مدفع مياه السماء يسقيهم النهل و العلل سيحه، و يجبى إليهم الثمرات و الخيرات ثبجه، و مررت فى سكك المدينة تغصّ بزحام المارة و أسواقها تزخر بالنعم، و ما زلنا نحدّث عن هذا البلد، و بعد مداه فى العمران، و اتّسع الأحوال، و لقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا و أصحابنا حاجهم و تاجرهم بالحديث عنه، سألت صاحبنا قاضى الجماعة بفاس و كبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقرئ فقلت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢١١

له: كيف هى القاهرة؟ فقال: من لم يرها لم يعرف عزّ الإسلام، و سألت شيخنا أبا العباس بن إدريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك، فقال: كأنما انطلق أهله من الحساب، يشير إلى كثرة أممه و أمنهم العواقب، و حضرت صاحبنا قاضى العسكر بفاس الفقيه الكاتب أبا القاسم البرجى بمجلس السلطان أبى عنان منصرفه من السّيفارة عنه إلى ملوك مصر و تأدية رسالته النبوية إلى الضريح الكريم سنة خمس و خمسين، و سأله عن القاهرة فقال: أقول فى العبارة عنها على سبيل الاختصار: إنّ الذى يتخيّله الإنسان فإنّ ما يراه دون الصورة التى تخيلها لا تتسع الخيال على كلّ محسوس إلّا القاهرة فإنها أوسع من كلّ ما يتخيّل فيها، فأعجب السلطان و الحاضرون بذلك؛ انتهى كلام ابن خلدون، و لا يخلو عن فائدة زائدة.

[من فوائد المقرئ الكبير فى مواضع مختلفة]

و لا- بأس أن نورد من فوائد مولاى الجدّ ما حضرني الآن: فمن ذلك ما حكاه عن عبد الرزاق عن ابن قطرال قال: سمع يهودى بالحديث المأثور «نعم الإدام الخلّ» فأنكر ذلك، حتى كاد يصرح بالقدح، فبلغ ذلك بعض العلماء، فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل و أسبابه سنه، قال: فما تمت حتى ظهر فيهم الجذام.

و منها أنه قال: أنشدنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد قال: أنشدنى الشيخ التقى ابن دقيق العيد لنفسه فى معنى لطيف حجازى: [الطويل]

إذا كنت فى نجد و طيب نعيمه تذكّرت أهلى باللّوى فمحسّر

و إن كنت فيهم زدت شوقاً و لوعة إلى ساكنى نجد و عيل تصبّرى

فقد طال ما بين الفريقين موقفى فمن لى بنجد بين أهلى و معشرى

و منها ما حكاه عن عبد الله بن عبد الحق عن ابن قطرال قال: كنت بالمدينة على ساكنها الصلاة و السلام إذ أقبل رافضى بفحمة فى يده، فكتب بها على جدار هناك: [البسيط]

من كان يعلم أنّ الله خالقه فلا يحبّ أبا بكر و لا عمر

و انصرف، فألقى علىّ من الفطنة و حسن البديهة ما لم أعهد مثله من نفسى قبل، فجعلت مكان يحب «يسب» و رجعت إلى مجلسى، فجاء فوجده كما أصلحته، فجعل يلتفت يمينا و شمالاً، كأنه يطلب من صنع ذلك، و لم يتهمنى، فلما أعياه الأمر انصرف.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢١٢

و منها أنه قال: حدّث أنّ الزاهد أبا عمرة بن غالب المرسى نزىل تلمسان، و قد لقيت غير واحد من أصحابه، سأله بعض أن يشهد عقد ابنته، فتعدّر عليه، فلم يزل به حتى أجاب بعد جهد، فحضر العقد، و طعم الوليمة، ثم لما حضرت ليلة الزفاف استحضره فى ركوبها إلى دار زوجها على عادة أهل تلمسان، فأجابه مسرعاً: فقيل له: أين هذا التيسير من ذاك التعسير؟

فقال: من أكل طعام الناس مشى في خدمتهم، أو كما قال.

و منها أنه قال: حدثت أن الفقيه أبا عبد الله بن العواد العدل بتونس التقى يوما مع القاضي أبي علي بن قداح، وكان ابن العواد شيخا، فقال له أبو علي: كبرت يا أبا عبد الله فصرت تمشي كل شبر بدينار، يورى بكثرة الفائدة في مشيه إلى الشهادة، فقال له: كنت إذ كنت في سنك أخرج رزقي من الحجر، يعرض لابن قداح بأنه جيار، وكذلك كان هو وأبوه، رحمهم الله تعالى جميعا! وهذا من مزاح الأشراف، كما جرى بين معاوية والأحنف، انظر صدر «أدب الكتاب».

و منها أنه قال: قال لي الحاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطي:

كنا عند الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، ففقد أحدنا نعليه: فقال الشيخ: كنا عند العلم التبريزي فدخل عليه رجل يدعى بشيرا فكلّمه ثم خرج فلم يجد نعليه، فرجع إلى العلم و أنشده: [الوافر]

دخلت إليك يا أملى بشيرا فلما أن خرجت خرجت بشرا

أعد يائي التي سقطت من اسمي فيائي في الحساب تعدّ عشرا

وقال رحمه الله تعالى: لما سعى أولاد الشيخ أبي شعيب بالقاضي أبي الحجاج الطروشى إلى السلطان وأمر بإشخاصه و كثر إرجاف المتشيعين فيهم من بعده و خرج الأمر على خلاف ما أملوا منه قال في ذلك: [الوافر]

حمدت الله في قوم أثاروا شرورا فاستحالت لي سرورا

وقالوا النار قد شبت فلما دنوت لها وجدت النار نورا

و منها: أنه حكى أن الشيخ أبا القاسم بن محمد اليمنى مدرّس دمشق و مفتيها حكى له

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢١٣

بدمشق أنه قال له شيخ صالح برباط الخليل عليه السلام: نزل بي مغربى فمرض حتى طال علقى أمره، فدعوت الله أن يفرج عني و عنه بموت أو صحه، فرأيت النبى صلى الله عليه و سلم، فى المنام فقال:

أطعمه الكسكسون، قال: يقوله هكذا بالنون، فصنعت له، فكأنما جعلت له فيه الشفاء، و كان أبو القاسم يقول فيه كذلك، و يخالف الناس فى حذف النون من هذا الاسم، و يقول: لا أعدل عن لفظ رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم قال: قلت: و وجه هذا من الطب أن هذا الطعام ممّا يعتاده المغاربة و يشتهونه، على كثرة استعمالهم له، فربما نبه منه شهوة أو رده إلى عادة.

وقال الجدد رحمه الله تعالى: رأيت بجامع القسطنطينية من مصر فقيرا عليه قميص إلى جانبه دفاضة قائمة و بين يديه قلنسوة، فذكر لي هنالك أنهما محشوتان بالبرادة، و أنّ زنة الدفاضة أربعمئة رطل مصرية، و هى ثلاثمئة و خمسون مغربية، و زنة القلنسوة مائتا رطل مصرية، و هى مائة و خمسة و سبعون مغربية، فعمدت إلى الدفاضة فأخذتها من طوقها أنا و رجل آخر، فأملناها بالجهد، ثم أقمناها، و لم نصل بها إلى الأرض، و عدت إلى القلنسوة فأخذتها من إصبع كان فى رأسها فلم أطق حملها، فتركتها، و كان يوم جمعة، فلما قضيت الصلاة مررنا فى جملة من أصحابنا بالفقير، فوجدناه لابسا تلك الدفاضة فى عنقه، واضعا تلك القلنسوة على رأسه، فقام إلينا و إلى غيرنا، و مشى بهما كما يمشى أحدنا بثيابه، فجعلنا نتعجب، و يشهد بعضنا بعضا على ما رأى من ذلك، و لم يكن بالعظيم الخلق. و قال رحمه الله تعالى: كان الأستاذ ابن حكيم قد بعث إلى بمحرّر لأبعث به إلى من يعرضه للبيع، ثم بلغه أنّ أحمالا من المتاع التونسي قد وصلت إلى البلد، فكتب إلى:

الحمد لله الذى أمر عند كل مسجد بأخذ الزينة، و صلواته الطيبة، و بركاته الصيبة، على من ختم به شريعته و أكمل دينه، و على آله و أصحابه الذين اتبعوه و الذين يتبعونه، و بعد فما تعلق به الإعلام، أن تعوضوا المحرر بإحرام، لا يخفى على مثلكم جنسه و مجانسه، و من كلام العرب: كلّ ثوب و لابس، و إن أربى على ثمن الأول ثمن الثانى، فلست عن الزيادة، و الحمد لله بالوانى.

و من فوائده أنه قال: كتب فى صدر رسالته إلى صاحبنا الشيخ الناسك أبى على منصور ابن شيخ عصره و فريد دهره ناصر الدين

المشذلي الشيخ الخاشع صاحبنا أبو الحسن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢١٤

على بن موسى البحيري يذكره شوقه إلى لقائه، لما كان يبلغه عنه، حتى قدر باجتماعهما بوهران أيام قضاء البحيري بها: [الكامل]

أوحشتني و لو أطلعت على الذي لك في فؤادي لم تكن لي موحشا

يا محرقا بالنار قلب محبته أنسيت أنك مستكن في الحشا

و قال رحمه الله تعالى: أنشدني محمد البلقي قال: أنشدني ابن رشيد قال: أنشدني أبو حفص ابن الخيمي المصري لنفسه: [الرميل]

لو رأى وجه حبيبي عاذلي لتفاصلنا على وجه جميل

و قال رحمه الله تعالى: قال لي محمد بن داود بن المكتب قال لي بلال الحبشي خادم الشيخ أبي مدين: كان الشيخ كثيرا ما ينشد هذا

البيت: [الكامل]

اللّه قل و ذر الوجود و ما حوى إن كنت مرتادا بصدق مراد

و قال رحمه الله تعالى: دخلت على عبد الرحمن بن عفان الجزولي، و هو يوجد بنفسه، و كنت قد رأيت قبل ذلك معافى، فسألته عن

السبب، فأخبرني أنه خرج إلى لقاء السلطان، فسقط عن دابته، فتداعت أركانه، فقلت: ما حملك أن تتكلف مثل هذا في ارتفاع

سنتك؟

فقال: حبّ الرياسة آخر ما يخرج من قلوب الصديقين.

و قال رحمه الله تعالى: قال لي محمد بن مرزوق: قال لي بعض أصحاب أبي إسحاق الطيار دفين عباد تلمسان: إنّ أبا إسحاق أقام

خمسا و عشرين سنة لا- ينام إلّا قاعدا، فسألته ابن مرزوق: لم لقب بالطيار؟ فحدّثني عن بعض أصحابه أنه نشر ذات يوم ثوبه في

الشمس على بعض السطوح، ثم قعد هنالك، فمرّ به رجل فقال له: طر، فقال: أعن أمرك؟ قال: نعم، فطار حتى وقع على الأرض و ما

به من باس، فقال الجدّ، رحمه الله تعالى، بعد هذا ما نصّه:

قلت: إذا ما صار الحقّ للعبد سمعا و بصرا، فسمع به و أبصر أصاخ إلى الأحوال، و اجتلى المعاني، فيرى من غير مبصر، و يسمع من غير

ناطق، كما قال الشيخ أبو عبد الله الشوذى الحلوى دفين تلمسان: [الوافر]

إذا نطق الوجود أصاخ قوم بآذان إلى نطق الوجود

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢١٥

و ذاك النطق ليس به انعجام و لكن دقّ من فهم البليد

فكن فطنا تنادي من قريب و لا تك من ينادى من بعيد

و قال رحمه الله تعالى: حدّث بمصر أنّ الشيخ سيدي عمر بن الفارض ولع بجمل، فكان يستأجره من صاحبه ليتأنس به، فقيل له: لو

اشتريته، فقال: المحبوب لا يملك، فسألته: في أي حال كان هذا منه؟ فقيل لي: في ابتداء أمره، فقلت: وجد اعتبار أ فلا ينظرون إلى

الأبل [الغاشية: ١٧] فوفقت به رؤية المعنى فيه عليه، فأحبته مدلا، و طلبه مجلا.

و قال رضى الله عنه: حفظت من خطّ أبي زيد والد صاحبنا أبي الحسن: قيل للغزالي:

ما تقول في الحلاج؟ فقال: و ما عسى أن أقول فيمن شرب بكأس الصفاء، على بساط الوفاء، فسكر و عربد، فاستوجب من الله الحدّ،

فكان حدّه شهادته؟ ثم قال بعد هذا: قلت عربد الحلاج في الحضرة لما نسي بسكره أوامره، فانتصر الظاهر لنفسه لصحة تعلق اسمه، و

سدل الباطن على عذره حجاب الغيرة من إفشاء سرّه: [الطويل]

على سمة الأسماء تجرى أمورهم و حكمه وصف الذات للحكم أجرت

و قال رحمه الله تعالى: سمعت شيخنا بيت المقدس يقول: تجلّى الله على المسجد الأقصى بالجمال، و على المسجد الحرام بالحلال،

و على مسجد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، بالكَمال، قلت: فذلك يوقف النواظر، و ذاك يملأ الخواطر، و هذا يفتح البصائر. و قال رحمه الله تعالى: أخبرني أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان فارس نصره الله أن جده أمير المسلمين أبا سعيد سأل كاتبه عبد المهيمن الحضرمي عن تهادي أهل الحب التفاح دون الخوخ، و كلاهما حسن المنظر، طيب المنظر، شديد شبيهه بأخيه، شديد تشبيه الوجنات به لمتوحيه، فقال: من عند مولانا؟ فقال: أرى ذلك لاشتغال التفاح على الحب الذي يذكر بالحب و الهوى، و الخوخ على النوى الذي يذكر اسمه صفرة الجوى.

و قال رحمه الله تعالى: قال لي أبو حيان بالقاهرة: قال لي عمر بن الخيمي: تجاذبت أنا و نجم الدين بن إسرائيل هذا البيت: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢١٦

يا بارقا بأعالي الرّقمتين بدا لقد حكيت، و لكن فاتك الشّنب

فتحاكنا إلى ابن الفارض، فأشار بأن ننظم قصيدة نضمّنها البيت، فنظم و نظمت:

[البسيط]

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب إليك آل التقضى و انتهى الطلب

فقضى به لي.

و قال رحمه الله تعالى: حدثت أن أبا يزيد الهزميري بعث إلى ابن عمران الشولي، و كان كثير الصلاة، أنه لم يبق بينك و بين الله حجاب إلا الركيعات، فرجع إليه، ما معناه: إن الاتصال كان منها، فلا كان الانفصال عنها، يعنى من رزق من باب فيلزمه.

و قال رحمه الله تعالى: كنت بجامع تلمسان، و إلى جانبي رجل ينتمى إلى طريقة العرفان، فجعل سائل يشكو الجوع و الألم، فتصدّق ذلك الرجل عليه بدرهم، و قال: إياك أن تشكو الرحمن إلى من لا يرحم، فقلت: أمره أن يسأل عزيزاً بمولاه، و نهاه أن يشكو ذليلاً إلى سواه.

و كان الفارابي كثيراً ما يقول: يا ربّ إليك المشتكى، حتى أنه يوجد أثناء كلامه في غير موضعه، فيعجب منه من لا علم عنده بمنزعه.

و قال رحمه الله تعالى: حدثت أن الفخر مَرَّ ببعض شيوخ الصوفية، فقبل للشيخ: هذا يقيم على الصانع ألف دليل، فلو قمت إليه، فقال: و عزّته لو عرفه ما استدلّ عليه، فبلغ ذلك الإمام، فقال: نحن نعلم من وراء الحجاب، و هم ينظرون من غير حجاب.

و قال رحمه الله تعالى: حدثت أن رجلاً كان يجلس إلى أبي الحسن الحراني، و كان يشرب الخمر، فسكر ذات يوم، فسقط على زجاجه، فشجّ وجهه، فاخفى إلى أن برىء، ثم عاد إلى مجالسة الشيخ، فلما رآه أنشد: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢١٧

أ جريح كاسات أرقّت نجيعها طلب الترات يعزّ منه خلاص

لا تسفكنّ دم الزجاجه بعدها إن الجروح كما علمت قصاص

ففهمها الشاب، فتاب.

و قال رحمه الله تعالى: كثيراً ما كنت أسمع أبا محمد المجاصي ينشد هذا البيت:

[البسيط]

هم الرجال و عيب أن يقال لمن لم يتّصف بمعاني وصفهم رجل

ثم يبكى، و كان أهل البلد يسمّونه «البكاء» و بعضهم «الخشع».

و وجدت بخطّ مولاي الجدّ على ظهر كتابه «القواعد» ما نصّه: الحمد لله تعالى جدّه، قرأت صدر كتاب «زهرة البساتين» للقاسم ابن الطيلسان، ثم سمعت ثلاثة أحاديث من أوله، بل حديثاً و أثراً و إنشادا من في الشيخ الخطيب الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد

ابن عياش الأنصاري، ثم تناولت منه جميع الكتاب المذكور، و أجازنيه بحق سماعه لبعضه، و تناوله لجميعه من جدّه محمد المذكور، بحق أخذه له عن مؤلفه صهره القاسم المذكور، و ذلك بالمسجد الجامع من مالقة المحروسة، قال ذلك و كتبه محمد بن محمد بن أحمد المقرئ في متم عشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة و خمسين و سبعمائة.

و بخطه، رحمه الله تعالى، حيث ذكر ما نصّه: الحمد لله، مخالفة القواعد الشرعية، للعوائد العرفية، كإنكار الحشر و فتنه القبر، و نحوها من الأمر بالمعروف، للركون إلى المشهور المألوف، أو كالتقليد مع الدليل، الذي ذمّه الشرع في محكم التنزيل.

و بخطه أيضا: الحمد لله، قد تتابع صفات العام حتى يصير كأنه أشير به إلى شخص بعينه فيختصّ، و من ثم قيل في قول الله عزّ و جلّ وَلَا تَطْعَمُ كُلُّ حَلَّافٍ مَهِينٍ [القلم: ١٠]: إنه الأخنس بن شريق، و في قوله تعالى: وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ [الهمزة: ١]: إنه أمية بن خلف، و في قوله تعالى: ذُرِّيٌّ وَمَنْ حَلَقْتُ وَحِيدًا [المدثر: ١١]: إنه الوليد بن المغيرة؛ انتهى.

و وجدت بخطه أيضا، رحمه الله تعالى، ما نصّه: الحمد لله، قال لي المتوكل على الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢١٨

أبو عنان أمير المؤمنين فارس بن علي: كان جدنا أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق يقول:

الولايات ست: ثلاث وقفها على اختياري: الحجاب، و القصب، و الشرط، و ثلاث موكولة إليكم: القضاء، و الإمامة، و الحسبة. ثم قال رحمه الله تعالى: و هذا تدبير حسن.

و من فوائده: حدّثني العدل أبو عبد الله محمد بن أبي زرع عن القاضي أبي عبد الله بن أبي الصبر أنه أمر الوالي بفاس أن يبني فندق الشماعين، و كان قد خرب، فتوقّف حتى يأذن السلطان، فقال له: أسلفني ما أبتيه به، فإن أجاز ذلك السلطان، و إلّا رددته عليك، ففعل، فلمّا طوّل ذكر ما قال له القاضي، فغضب السلطان، و بعث فيه، فجعل المبعوثون يأتونه واحدا بعد واحد و هو متمهل في وضوئه و إصلاح بزّته و مركوبه، ثم جعل يمشى الهوينا، فلقيه ابنه، فقال له: أسرع فقد أكثر السلطان من التوجيه إليك، و هو واجد عليك، فقال له:

مسكين أبو يحيى، خاف، و ثبت على حاله، فلما كان في الطريق لقي بعض العلماء، فتعرّض إليه، فقال: قل بخفي لطفك، بلطف صنعك، بجميل سترك، دخلت في كنفك، تشفّعت ببيتك، فحفظه، ثم طلبه فلم يجده، فجعل يقول ذلك، فلمّا رآه السلطان سكن ما به، ثم سأله عن ذلك برفق، فقال له القاضي: كرهت الخراب بقرب القرويين و بالشماعين الذي هو عين فاس، فسألته الوالي ذلك على أني أغرم إن لم تجز، و قلت له: المرجو من السلطان أن يجعله حبسا، فقال: قد فعلت، ثم بعث إلى الشهود و حبسه على الجامع، و شكر للقاضي صنيعه، و صرفه مغبوطا.

و هذا السلطان هو أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الميرني، و توفي محاصرا لتلمسان في ذى القعدة من عام ستة و سبعمائة، و كان ابتداء حصاره إياها سنة ثمان و تسعين و ستمائة، و كان جملة الحصار فيما حدّث ألف شهر؛ انتهى.

[من فوائده التي ذكرها تلميذه النظار أبو إسحاق الشاطبي في كتابه «الإنشاءات و الإفادات»]

و من فوائده مولاى الجدّ، رحمه الله تعالى، ما حكاه تلميذه أبو إسحاق الشاطبي في كتاب «الإنشاءات و الإفادات» و نصّه: إفادة- حضرت يوما مجلسا في المسجد الجامع بغرناطة مقدم الأستاذ القاضي أبي عبد الله المقرئ، في أواخر ربيع الأول عام سبعة و خمسين و سبعمائة، و قد جمع ذلك المجلس القاضي أبا عبد الله و القاضي أبا القاسم الشريف شيخنا و الأستاذ أبا سعيد بن لب و الأستاذ أبا عبد الله البلنسى و ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الخطيب و جماعة من الطلبة، فكان من جملة ما جرى أن قال القاضي أبو عبد الله المقرئ: سئلت عن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢١٩

مسألة في الأصول لم أجد لأحد فيها نصاً، و هي تخصيص العام المؤكّد بمنفصل، فأجبت بالجواز محتجاً بقول الله عزّ وجلّ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ [الأعراف: ٣٣] فهذا عام مؤكّد، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه و سلم «لم يحل الله من الفواحش إلّا مسألة الناسي». انتهى.

و من الكتاب المذكور ما نصّه: إفادة- حدّثني الشيخ الفقيه القاضي الجليل الشهير الخطير أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ، رحمه الله تعالى، و أملاه علينا، عن العالم الكبير أبي حيان بن يوسف بن حيان أنه قال: ورد كتاب من الأستاذ أبي عبد الله بن مثبت الغرناطي إلى صاحب له يسمّى حمزة، و فيه: سئل الشيخ، قال أبو حيان يعني وجدت على ظهر نسخة من المفصل بخط عتيق سئل ابن الأخضر بمحضر ابن الأبرش: علام انتصب قوله: [الطويل]

مقاله أن قد قلت سوف أناله

فقال: [الطويل]

و لا تصحب الأردى فتردى مع الردى

فقال: سألتك عن إعراب كلمه، فأجبتني بشرط بيت، فقال ابن الأبرش: قد أجابك لو كنت تفهم، قال أبو حيان: فوعدت عليه للحين: إن هذا الشطر من قول النابغة: [الطويل]

أتاني، أبيت اللعن، أنك لمتني و تلك التي تصطكّ منها المسامع

مقاله أن قد قلت سوف أناله و ذلك من تلقاء مثلك رائع

يروى «مقاله» بالرفع، على أنه بدل من «أنك لمتني» الفاعل، و بالفتح على ذلك إلّا أنه بناه لما أضافه إلى مبنى.

و منه: إفادة- حدّثني الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقرئ، رحمه الله تعالى، قال:

سئل أبو العباس بن البنا، رحمه الله تعالى، و كان رجلاً صالحاً، في قوله تعالى: قَالُوا إِن هَذَا لَسَاحِرٌ [طه: ٦٣] لم لم تعمل «إن» في «هذان» فقال: لمّا لم يؤثّر القول في المقول لم يؤثّر العامل في المعمول، فقال له: يا سيدي، هذا لا ينهض جواباً، فإنه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل إن، فقال له: إن هذا الجواب نواره لا تحتل أن تحكّ بين الأكف؛ انتهى.

و منه: إفادة- قال لنا الشيخ الأستاذ القاضي أبو عبد الله المقرئ، رحمه الله تعالى: إن أهل المنطق و غيره يزعمون أنّ الأسماء المعدولة لا تكاد توجد في كلام العرب، و هي موجودة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٢٠

في القرآن، و ذلك قوله لا- فإرض و لا بكرّ عوانٌ يبين ذلك [البقرة: ٦٨] فإن زعم زاعم أنّ ذلك على حذف المبتدأ، و دخلت «لا» على الجملة، و تقديره لا هي فإرض و لا هي بكرّ، قيل له: إن كان يسوغ لك ذلك في هذا الموضع فلا يسوغ في قوله تعالى لا شرفية و لا عزبية [النور: ٣٥] فصح أنّ الاسم المعدول موجود فصيح في كلام العرب.

و منه: إفادة- حدّثنا الأستاذ أبو عبد الله المقرئ، قال: سئل عن قوله تعالى وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [الأنبياء: ٣٣] لم عاد ضمير من يعقل إلى ما لا يعقل؟ فقال بعضهم: لما اشترك مع من يعقل في السباحة و هي العوم عومل لذلك معاملته، قال: و هذا لا ينهض جواباً، فإنّ السباحة لما لا يعقل كالحوت، و إنما لمن يعقل العوم، لا السباحة، و أيضاً فإلحاقه بما العوم له لازم كالحوت أولى من إلحاقه بما هو غير لازم له، قال:

و أجاب الأستاذ أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي بأنّ الشئ المعظم عند العرب تعامله معاملته العاقل، و إن لم يكن عاقلاً؛ لعظمه عندهم، و أجبت أنا بأنه لما عوملت في غير هذا الموضع معاملته من يعقل في نحو قوله تعالى وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ رَايْتُهُمْ لِي

ساجدين [يوسف: ٤] لصدور أفعال العقلاء عنها أجرى عليها هنا ذلك الحكم للأنس به في موضعه.

ومن: إفادة- لَقَمْنِي الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقرئ، رحمه الله تعالى، لقمته بيده المباركة، وقال: لَقَمْنِي الشيخ أبو عبد الله المسفر قال: لَقَمْنِي أبو زكريا المحياوي قال:

لَقَمْنِي أبو محمد صالح قال: لَقَمْنِي الشيخ أبو مدين قال: لَقَمْنِي أبو الحسن بن حرزهم قال:

لَقَمْنِي ابن العربي قال: لَقَمْنِي الغزالي قال: لَقَمْنِي أبو المعالي قال: لَقَمْنِي أبو طالب المكي قال: لَقَمْنِي أبو محمد الجريري قال: لَقَمْنِي الجنيد قال: لَقَمْنِي السقطي قال: لَقَمْنِي معروف الكرخي قال: لَقَمْنِي داود الطائي قال: لَقَمْنِي حبيب العجمي قال: لَقَمْنِي الحسن البصري قال: لَقَمْنِي علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه، قال: لَقَمْنِي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم. قلت: وبهذا السند صافحته أيضا رضي الله تعالى عنه؛ انتهى.

و للمحدثين في هذا السند كلام مشهور، وانتصر بعضهم للسادة الصوفية رضي الله تعالى عنهم!.

ومن: إنشاده- أنشدني الشريشي الفقيه أبو عبد الله قال: أنشدني القاضي المقرئ قال:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٢١

أنشدني الرباطي قال: أنشدني ابن دقيق العيد لنفسه من صدر رسالته كتب بها لبعض إخوانه بالحجاز: [السريع]

يهيم قلبي طربا عند ما أستلمح البرق الحجازيا

و يستميل الوجد قلبي و قد أصبح لي ثوب الحجازيا

يا هل أقصى من منى حاجتي فأنحر البدن المهاريا

و أرتوى من زمزم فهي لي ألد من ريق المهاريا

ومن: إفادة- حدثنا الأستاذ القاضي أبو عبد الله المقرئ، رحمه الله تعالى قال:

رأيت لبعض من ألفت على كتاب «الكشاف» للزمخشري فائده لم أرها غيره في قوله تعالى وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [آل عمران: ٧] إذ الناس يختلفون في هذا الموضوع اختلافا كثيرا، فقال قوم: الراسخون في العلم يعلمون تأويله، و الوقوف عند قوله وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [آل عمران: ٧] و قال قوم: إن الراسخين لا يعلمون تأويله، وإنما يوقف عند قوله وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ [آل عمران: ٧] فقال هذا القائل: إن الآية من باب الجمع و التفريق و التقسيم، من أنواع البيان، و ذلك لأن قوله تعالى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ [آل عمران: ٧] هو جمع، و قوله مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ [آل عمران: ٧] تفريق، و قوله تعالى فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ [آل عمران: ٧] إلى قوله تعالى: وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ [آل عمران: ٧] أحد طرفي التقسيم، و قوله تعالى وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [آل عمران: ٧] الطرف الثاني، و تقديره: و أميا الراسخون في العلم فيقولون آمنا به، و جاء قوله تعالى وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ [آل عمران: ٧] اعتراضا بين طرفي التقسيم، قال: و هذا مثل قوله تعالى وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ [الجن: ١٤] فقوله وَ أَنَا جمع، و قوله مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ مِنَ الْقَاسِطُونَ تفريق؛ و قوله فَمَنْ أَسْلَمَ وَ مِنَ الْقَاسِطُونَ تقسيم، و هو من بديع التفسير، قلت: و مثله أيضا قوله تعالى يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ [هود: ١٠٥] انتهى.

ومن: إنشاده- أنشدنا الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقرئ في القول بالموجب لبعض العلماء في وديعة: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٢٢

إن قال قد ضاعت فصدق أنها ضاعت، و لكن منه يعني لو يعي

أو قال قد وقعت فصدق أنها وقعت، و لكن منه أحسن موقع

ومن: إنشاده أيضا من القول بالموجب لبعض الحنابلة: [الطويل]

يحجون بالمال الذي يجمعونه حراما إلى البيت العتيق المحرم

و يزعم كل أن تحطّ ذنوبهم تحطّ و لكن فوقهم في جهنم

و منه: إفادة- كتب لي بخطّه شيخنا الفقيه القاضي الجليل أبو عبد الله المقرئ، رحمه الله تعالى، على ظهر «التسهيل» لابن مالك الذي كتبه بخطي بعد ما كتب لي بخطّه روايته فيه عن أبي الحسن بن مزاحم عن بدر الدين بن جماعة عن المؤلف، فكتب بعد ذلك ما نصّه: قال محمد بن محمد بن محمد المقرئ: بدر الدين بن جماعة المذكور يدعى بقاضى القضاء، على ما جرت به عوائد أهل المشرق في تسمية مثله، و أنا أكره هذا الاسم محتجاً بقول النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ تَسْمَى بِمَلِكِ الْمَلُوكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ»؛ انتهى ما انتقيته من كتاب «الإشادات و الإفادات» للشاطبي فيما يتعلّق بجدي رحمه الله تعالى.

[من فوائد المقرئ الكبير مما لم يذكر سابقاً]

و من فوائد مولاى الجدّ، رحمه الله، ممّا لم يذكر فيما سبق، أنه حكى أن ابن أمجوط المولّه، دخل في حلقة أبي عبد الله بن رشيد بجامع القرويين، و بين رجليه قصبه كأنها فرس، و بيده أخرى كأنها رمح، فانتهره رجل، فضربه برمحه على رأسه، و قال له: اسكت يا ميت، فأبهت الناس لكلامه، فقال له الشيخ: يا فقير، أنت في حال و نحن في مقال، و شأن أرباب الأحوال التسليم لأصحاب المقال فنظر إليه المولّه و انصرف، ثم لم ينشب المنتهر أن توفي بعد ذلك بأيام قلائل.

و منها: قلت لابن شاطر يوماً: كيف حالك؟ فقال: محبوس في الروح، و صدق؛ لأنّ الدنيا سجن المؤمن، و لا مخلص له من حبسه إلّا بمفارقة نفسه.

و قال: سألت ابن شاطر عن معنى قول ابن الفارض: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٢٣

فلم أله باللأهوت عن حكم مظهرى و لم أنس بالناسوت موضع حكمتى

فقال: يقول ما أنا بالحلاج و لا ببلعام، ثم قال مولاى الجدّ بعد هذا الكلام ما صورته:

قلت: و هذا هو الإنسان على الكمال و التمام، و لقد سمعته يقول فى الحلاج: نصف إنسان، يشير إلى البيت.

و قال أيضاً رحمه الله تعالى: سمع ابن شاطر إنساناً يقول: الجنّة رخيصة، فقال: كيف تكون رخيصة و الله عزّ و جلّ يقول إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّة [التوبة: ١١١] انتهى. ثم قال مولاى الجدّ بأثر هذا الكلام: قلت: ما الأنفس و الأموال فى جنب ما فيها ممّا لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر؟ لا سيما و فوق هذه الحسنى زيادة الإكرام بالنظر و الرضاء.

و قال أيضاً: قيل لابن شاطر: صف لنا الدنيا، فقال: كسرابٍ بقيّة [النور: ٣٩] الآيتين، فبلغ ذلك أبا زيد ابن الإمام، فأنكر عاباً لاستحسان سامعه، تالياً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ [المائدة: ١٣] و لقد أصيب المتعسّف بأدهى منها و أمرّ، فإنه أفحم يوماً ببعض أهل النظر فتلا عليه فبهت الذى كَفَرَ [البقرة: ٢٥٨] على أن له أن يقول: لم أخرج الآية عن مرادها، فالبهت من انقطاع المعاند، و الكفر من جحد الجاحد، و لنا أن نقول: التحريف المذموم هو التحويل للإبطال، و ليس هذا من قصد الممثل الأول بالمثال؛ انتهى.

و هذا كله على مذهب جمهور المالكية فى منع الاقتباس، و للكلام على ذلك موضع غير هذا، فليراجع فى كتب البيان و غيرها.

و قال رحمه الله تعالى: حدّثت أنّ المتوكّل على الله أبا عنان، رحمه الله تعالى، أعطى ابن شاطر ألف دينار ليحجّ بها، فمرّ بها إلى تلمسان، فصار يدفع منها شيئاً فشيئاً للمتفرجين بغدير الوريث شرقى عباد تلمسان العلوى، إلى أن نفدت، فلما ورد السلطان أبو عنان تلمسان لقيه بسوق العطارين من منشتر الجلد، فقال له: يا سيدى أبا عبد الله، حجّ مبرور، فقال له:

إذا جهلت أصل المال فانظر مصارفه، و يأبى الله إلّا أن ينفق الخبيث فى مثله، فضحك السلطان و انصرف؛ انتهى.

و كان لابن شاطر هذا عجائب، و لم يكن مخلّاً بشيء من الحقوق الشرعية، و كان معتقداً عند أهل وقته، و كان السلطان أبو عنان على

فقهه يعظّمه و يصله، و يسلم له، و بات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٢٤

عنده ليلة بقصره، و كان يدخل القصر، و لا تحتجب منه الجوارى، فاحتاج إلى البول، فبال في قبة في القصر عظيمة، فانتهرته إحدى الجوارى، و قالت له: أتبول في قبة مولانا؟ فقال لها: إن قبة مولانا الخضراء أعظم من هذه، و أنا أفعل تحتها ما هو أفضح من البول، و ما انتهرني قط، فذكرت ذلك الجارية للسلطان، فضحك و علم أنه يريد السماء. و كان يكتب القرآن و العمدة و لا يغلق حرفا مجوفا فإذا غلب على ذلك أصلحه، حتى حكى أنه سافر لإصلاح حرف مجوف أغلقه سهوا من نسخة كان باعها، و لم يتذكر ذلك حتى سافر مشتريها، فما رجع حتى جدّه.

و حكى الشيخ أبو القاسم بن داود الفخار السلوى أنّ الشيخ أبا عبد الله الشريف التلمساني صاحب «المفتاح في أصول الفقه» و شارح «الجمال الخونجية» المتوفى عام اثنين و سبعين و سبعمائة المدفون بالمدرسة اليعقوبية من تلمسان المحروسة افتتح شرح العمدة بما نصّه: اللهم احمد نفسك عمّن أمرته أن يتخذك و كيلا، حمدا عائدا منك إليك، متحدا بك، دائما بدوام ملكك، لا منقطعا و لا مفصولا. قال: فقال لى أبو عبد الله بن شاطر: ما هو انفصال عالم الملك؟ فقلت له: بالضرورة الوقتية فقال لى: ما أجهلك! و أجهل سيدك أبا عبد الله! و أجهل ابن سودكين الذى أخذ من كتابه هذا الحمد! إذ قال «لا منقطعا و لا مفصولا» بعد قوله «بدوام ملكك» و هو بالضرورة الوقتية، و هى منقطعة، فهلّا قال: «دائما بدوام قيوميتك، و عظيم قدرك، و مجدك الأعلى، و سبحات وجهك الأكرم، لا منقطعا و لا مفصولا» فبلغ ذلك أبا عبد الله الشريف، فبدله؛ انتهى.

و أخبار ابن شاطر كثيرة، و قد مرّ ذكره فى كلام مولاي الجدّ رحمه الله تعالى، و سيأتى ما ذكره لسان الدين به فى «الإحاطة». و من فوائد مولاي الجدّ، رحمه الله تعالى، ما قاله إثر قول الرازى فى التفسير «الحس أقوى من العقل» و نصّه: هذا على ما حكاه فى المحصل من أنّ المعقولات فرع المحسوسات، قال: و لذلك من فقد حسّا فقد فقد علما كالأكمه و العيين، و مذهب جمهور الفلاسفة أنّ اليقينيات هى المعقولات لا المحسوسات، انظر المحصل؛ انتهى.

و من فوائده، رحمه الله تعالى، أنه قال: أنشدت يوما الأبلّى قول ابن الرومى: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٢٥

أفنى و أعمى ذا الطيب ببطه و بكحله الأحياء و البصراء

فإذا مررت رأيت من عميانه أمما على أمواته قرّاء

فاستعادنى حتى عجبت منه، مع ما أعرف من عدم ميله إلى الشعر، و انفعاله له، و ظننت أنه أعجب بما تضمّنه البيت الأول من غريب اللفّ و النشر المكرر الذى لا أعرف له ثانيا فيه، فقال: أظننت أنى استحسن الشعر؟ فقلت: مثلك يستحسن مثل هذا الشعر، فقال: إنما تعرفت منه كون العميان كانوا فى ذلك الزمان يقرءون على المقابر، فإننى كنت أرى ذلك حديث العهد، فاستفدت التاريخ.

و قال مولاي الجدّ، رحمه الله تعالى: حدثنى الأبلّى أنّ أبا عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن أبى العيش الخزرجى الخطيب بتلمسان كان يقول فى خطبته: من يطع الله و رسوله فقد رشد بالكسر، و كان الطلبة ينكرون عليه ذلك، فلمّا ورد عليهم الرواية الرحلة أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى سمعه يقول ذلك، فأنكر عليه فى جملتهم، و بلغ الخطيب ذلك، فلم يرجع، فلمّا قفل ابن رشيد من وجهته تلك دخل على الأستاذ أبى الحسن بن أبى الربيع بسبته، فهنّأه بالقدوم، و قال له فيما قال: رشدت- يا ابن رشيد- و رشدت لغتان صحيحتان، حكاها يعقوب فى «الإصلاح»، ثم قال مولاي الجدّ: قلت: هذه كرامة للرجلين أو للثلاثة.

و قال رحمه الله تعالى: قال طالب لشيخنا الأبلّى يوما: مفهوم اللقب صحيح؟ فقال له الشيخ: قل زيد موجود، فقال: زيد موجود، فقال له الشيخ: أما أنا فلا أقول شيئا، فعرف الطالب ما وقع فيه، فخجل.

و هذا الأبلّى تقدّم فى كلام مولاي الجدّ، رحمه الله تعالى، أنه عالم الدنيا، و هو تلمسانى كما تقدّم، قال تلميذه أبو القاسم السلوى

الفخار: دخل عليّ شيخنا الأبلبي يوما، و أنا أعجن طين الفخارة، فقال لي: ما علامة قبول هذه المادة أكمل صورة ترد عليها؟ فقلت: أن تدفع عن نفسها ما هو من غير جنسها من حجر أو زبل أو غيره، فأدركه وجد عظيم، حتى أنه صاح و قام و قعد، و بقي هتية مطرقا برأسه مفكرا، ثم قال: هكذا هي النفوس البشرية.

قال: و قال لي يوما، و قد وجد الصبيان يصوتون بقضب رقاق على الذباب فإذا خرج قتلوه: الغلط الداخل عليه من أى أنواع المغلطات هو؟ فقلت له: من إيهام العكس، لما كان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٢٦

كلّ ذباب مصوتا ظلّ أنّ كل مصوّت ذباب، فاستحسن ذلك. قلت: و حدّثني مولاى العمّ الإمام شيخ الإسلام سيدى سعيد بن أحمد المقرئ، رحمه الله تعالى، عن شيخه ابن جلال مفتى حضرتى فاس و تلمسان، أنه كان يحكى أنّ الغلط جاءه من عدم كلية الكبرى فى الشكل الأوّل؛ لأنه ركه هكذا: هذا مصوّت، و كلّ مصوّت ذباب، و قد علمت أنها هنا إنما تصدق جزئية لا كلية، و إذا كانت جزئية بطل الإنتاج؛ لأن ذلك من الضروب العقيمة؛ انتهى.

و من فوائد مولاى الجدّ، رحمه الله تعالى، أنه قال: سمعت شيخنا الأبلبي يقول: ما فى الأمة المحمدية أشعر من ابن الفارض.

و قال أيضا، رحمه الله تعالى: سمعت شيخنا الأبلبي يقول: إنما أفسد العلم كثرة التواليف، و إنما أذهب ببيان المدارس، و كان ينتصف له من المؤلفين و البانين، و إنه لكما قال، غير أنّ فى شرح ذلك طولا، و ذلك أنّ التأليف نسخ الرحلة التى هى أصل جمع العلم، فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير، و قد لا يحصل له من العلم إلّا التزر اليسير؛ لأنّ عنايته على قدر مشقته فى طلبه، ثم صار يشتري أكبر ديوان بأبخس ثمن، فلا يقع منه أكثر من موقع ما عوض عنه، فلم يزل الأمر كذلك حتى نسي الأول بالآخر، و أفضى الأمر إلى ما يسخر منه الساخر، و أمّا البناء فلأنه يجذب الطلبة إلى ما يرتب فيه من الجريات، فيقبل بها على من يعينه أهل الرياسة للأجراء و الإقراء منهم أو ممّن يرضى لنفسه الدخول فى حكمهم، و يصرفونها عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون إلى ذلك، و إن دعوا لم يجيوا، و إن أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم. ثم قال مولاى الجدّ، رحمه الله تعالى: و لقد استباح الناس النقل من المختصرات الغربية أربابها، و نسبوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها، و قد تبّه عبد الحق فى «تعقيب التهذيب» على ما يمنع من ذلك لو كان من يسمع - و ذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع - ثم تركوا الرواية فكثرت التصحيف، و انقطعت سلسلة الاتصال، فصارت الفتاوى تنقل من كتب من لا يدري ما زيد فيها ممّا نقص منها؛ لعدم تصحيحها، و قامة الكشف عنها. و لقد كان أهل المائة السادسة و صدر السابعة لا يسوّغون الفتوى من «تبصرة» الشيخ أبى الحسن اللخمي لكونه لم يصحّح على مؤلفه و لم يؤخذ عنه، و أكثر ما يعتمد اليوم ما كان من هذا التّمط. ثم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٦؛ ص: ٢٢٦

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٢٧

انضاف إلى ذلك عدم الاعتبار بالناقلين، فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب المرضيين، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين، و لم يكن هذا فيمن قبلنا، فلقد تركوا كتب البراذعى على نبلها، و لم يستعمل منها، على كره من كثير منهم، غير «التهذيب» الذى هو «المدوّنة» اليوم؛ لشهرة مسائله و موافقته فى أكثر ما خالف فيه المدوّنة لأبى محمد. ثم كلّ أهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات و شقّ الشروح و الأصول الكبار، فاقترضوا على حفظ ما قلّ لفظه، و نزر حظّه، و أفنوا أعمارهم فى فهم رموزه، و حلّ لغوزه، و لم يصلوا إلى ردّ ما فيه إلى أصوله بالتصحيح، فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك و الصحيح، بل هو حلّ مقفل، و فهم أمر مجمل، و مطالعة تقييدات زعموا أنها تستنهض النفوس. فبينا نحن نستكبر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ، أتاحت لنا تقييدات للجهلة، بل مسودات المسوخ، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون، فهذه جملة تهديك إلى أصل العلم، و تريك ما غفل الناس عنه؛ انتهى.

و لنصلها بخاتمة تشير إلى حال العلماء أيضا اعلم أن شرّ العلماء علماء السلاطين، و للعلماء معهم أحوال؛ فكان الصدر الأول يفرون منهم، و هم يطلبونهم، فإذا حضر واحد منهم أفرغوا عليه الدنيا إفرغا ليقتنصوا بذلك غيره، ثم جاء أهل العصر الثاني، فطمحت أنفسهم إلى دنيا من حصل لهم، و منعهم قرب العهد بالخير عن إتيانهم، فكانوا لا يأتونهم، فإن دعوهم أجابوهم إلّا القليل، فانتقصوا مِمّا كان لغيرهم بقدر ما نقصوا من مناقبتهم، ثم كان فيمن بعدهم من يأتيتهم بلا دعوة، و أكثرهم إن دعى أجاب، فانتقصوا بقدر ذلك أيضا، ثم تطارح جمهور من بعدهم عليهم، فاستغنوا بهم عن دعاء غيرهم، لا على جهة الفضل أو محبة المدحة منهم، فلم يقبوا عليهم من ذلك إلّا النزر اليسير، و صرفوهم في أنواع السخر و الخدم إلّا القليل، و هم ينتظرون صرفهم، و التصريح بالاستغناء عنهم، و عدم الحاجة إليهم، و لا تستعظم هذا، فلعلّه سبب إعادة الحال جذعة، عجب الله من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل، و هذا كله ليظهر لك سرّ قول النبي صلى الله عليه و سلم «لتبعن سنن من قبلكم، شيئا بشير، و ذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه خلفهم» قيل: اليهود و النصارى؟ قال: «فمن؟» و قد قصّ علينا القرآن و الأخبار من أمرهم ما شاهدنا أكثره أو أكثر منه فينا، سمعت العلامة الأبلّى يقول: لو لا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر ممّا نزل فيهم؛ لأننا أتينا أكثر ممّا أتوا، يشير إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٢٨

افتراق هذه الأمة على أكثر ممّا افتردت عليه بنو إسرائيل، و اشتهاه بأسهم بينهم إلى يوم القيامة، حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم، و تعدّد ملوكهم لا تتسع أقطارهم و اختلاف أنسابهم و عوائدهم، حتى غلبوا بذلك على الخلافة، فزعت من أيديهم، و ساروا في الملك بسير من قبلهم، مع غلبة الهوى و اندراس معالم التقوى، لكننا آخر الأمم، أطلعنا الله من غيرنا على أقلّ ممّا ستر منا، و هو المرجو أن يتم نعمته علينا، و لا يرفع ستره الجميل عنا. فمن أشدّ ذلك إتلافا لغرضنا تحريف الكلم عن مواضعه الصحيحة أن ذلك لم يكن بتبديل اللفظ، إذ لا يمكن ذلك في المشهورات من كتب العلماء المستعملة، فكيف في الكتب الإلهية، و إنما كان ذلك بالتأويل كما قال ابن عباس و غيره، و أنت تبصر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف، و ما حملت الآي و الأخبار من التأويلات الضعاف، قيل لمالك: لماذا اختلف الناس في تفسير القرآن؟

فقال: قالوا بأرائهم فاختلفوا، أين هذه من قول الصديق «أى سماء تظلّنى؟ و أى أرض تقلّنى، إذا قلت في كتاب الله عزّ و جلّ برأى؟» كيف و بعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل إلى بعض الميل، و أقرب ما يحمل عليه جمهور اختلافهم أن يكون بعضهم قد علم بقصد إلى تحقيق نزول الآية من سبب أو حكم أو غيرهما، و آخرون لم يعلموا ذلك على التعيين، فلما طال بحثهم و ظلّوا عاجزهم أرادوا تصوير الآية بما يسكن النفوس إلى فهمها في الجملة؛ ليخرجوا عن حدّ الإبهام المطلق، فذكروا ما ذكره على جهة التمثيل، لا على سبيل القطع بالتعيين، بل منه ما لا يعلم أنه مراد لكن بحسب الشكّة و الخصوصية، مع جواز أن يكون هو المراد بحسب الخصوصية، ثم اختلط الأمران. و الحقّ أن تفسير القرآن من أصعب الأمور، فالإقدام عليه جراءة، و قد قال الحسن لابن سيرين: تعبر الرؤيا كأنك من آل يعقوب! فقال له: تفسير القرآن كأنك شهدت التنزيل! و قد صحّ أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، لم يكن يفتر من القرآن إلّا آيات معدودة، و كذلك أصحابه و التابعون بعدهم، و تكلم أهل النقل في صحة التفسير المنسوب لابن عباس إليه غير ذلك، و لا رخصة في تعيين الأسباب و النسخ و المنسوخ إلّا بنقل صحيح أو برهان صريح، و إنما الرخصة في تفهيم ما تفهمه العرب بطباعها من لغة و إعراب و بلاغة لبيان إعجاز و نحوها؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٢٩

[ترجمات قصار للمقرئ الكبير عن صاحب كتاب «نيل الابتهاج» و عن المرزوقى، و عن الوائشريسى]

و لنرجع إلى بقية أبناء مولاى الجدّ، رحمه الله، فنقول: قال صاحب «نيل الابتهاج، بتطريز الديقاج» ما صورته: محمد بن محمد بن

أحمد القرشي التلمساني الشهير بالمقرى - بفتح الميم، و تشديد القاف المفتوحة - كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في كتابه «العلوم الفاخرة» و ضبطه ابن الأحمر في فهرسته و سيدى أحمد زروق، بفتح الميم و سكون القاف - الإمام، العلامة، النظار، المحقق، القدوة الحجة، الجليل، الرحلة، أحد فحول أكابر علماء المذهب المتأخرين الأتبات، قاضى الجماعة بفاس، ذكره ابن فرحون فى الأصل، يعنى «الديباج»، و أثنى عليه؛ انتهى.

و قال الخطيب ابن مرزوق: كان صاحبنا المقرى معلوم القدر، مشهور الذكر بالخير، تبعه بعد موته من حسن الثناء، و صالح الدعاء، ما يرجى له النفع به يوم اللقاء، و عوارفه معلومة عند الفقهاء، و مشهورة بين الرعا؛ انتهى.

و قال أبو العباس الوانشرى فى بعض فوائده: و مقرة - بفتح الميم، بعدها قاف مفتوحة مشددة - قرية من قرى بلاد الزاب من أعمال إفريقية، سكنها سلفه، ثم تحوّلوا إلى تلمسان، و بها ولد الفقيه المذكور، و بها نشأ، و قرأ و أقرأ، إلى أن خرج منها صحبة الركاب المتوكلى العنانى أمير المؤمنين فارس عام تسعة و أربعين و سبعمائة إلى مدينة فاس المحروسة، فولاه القضاء، فنهض بأعبائه علما و عملا، و حمدت سيرته، و لم تأخذه فى الله لومة لائم، إلى أن توفى بها إثر قدومه من بلاد الأندلس فى غرض الرسالة لأبى عنان عام تسعة و خمسين و سبعمائة، ثم نقل إلى مسقط رأسه تلمسان.

و قال فى موضع آخر: إنه توفى، رحمه الله تعالى، يوم الأربعاء التاسع و العشرين من جمادى الأولى عام تسعة و خمسين و سبعمائة، بمدينة فاس المحروسة، ثم نقل إلى تلمسان محلّ ولادته و مقرّ أسلافه، و دفن بها فى البستان الملاصق لقبلى داره الكائنة بباب الصرف من البلد المذكور، و هو الآن على ملك بعض ورثة الشيخ أبى يحيى الشريف؛ انتهى.

و من أخبار مولاى الجدّ، رحمه الله تعالى، أنه قال: شهدت الوقفة سنة أربع و أربعين و سبعمائة، و كانت جمعة، و قام الخطيب فى سابع ذى الحجة فى الناس بالمسجد الحرام، و قال: إن جمعة وفتكتكم هذه خاتمة مائة جمعة وقف بها من الجمعة التى وقف فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم، فى حجة الوداع آخر عشر من الهجرة، و شاع ذلك فى الناس و ذاع، و كان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٣٠

علم ذلك ممّا تواتر عندهم، و الله أعلم، و هم يزعمون أنّ الجمعة تدور على خمس سنين، و هذا مناف لذلك، و لكن كثير منهم ينكر أطراد هذا و يقول: إنها قد تكون على خلاف ذلك، فلا أدرى.

و منها أنه قال: شهدت شمس الدين بن قيم الجوزية قيم الحنابلة بدمشق، و قد سأله رجل عن قوله عليه الصلاة و السلام «من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجابا من النار» كيف إن أتى بعد ذلك بكبيرة؟ فقال: موت الولد حجاب، و الكبيرة خرق لذلك الحجاب، و إنما يكون الحجاب حجابا ما لم يخرق، فإذا خرق فقد زال عن أن يكون حجابا، ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة و السلام «الصوم جنة» ما لم يخرقها، ثم قال: و هذا الرجل أكبر أصحاب تقي الدين ابن تيمية.

و من أخبار مولاى الجدّ الدالة على صرامته ما حكاه ابن الأزرق عنه: أنه كان يحضر مجلس السلطان أبى عنان لبث العلم، و كان نقيب الشرفاء بفاس إذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان و جميع من فى المجلس إجلالا له، إلا الشيخ المقرى فإنه كان لا يقوم فى جملتهم، فأحسّ النقيب من ذلك، و شكاه إلى السلطان، فقال له السلطان: هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله إلى أن ينصرف، فدخل النقيب فى بعض الأيام على عادته، فقام له السلطان على العادة و أهل المجلس، فنظر إلى المقرى، و قال له: أيها الفقيه، ما لك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله و أهل مجلسه إكراما لجدى و لشرفى؟ و من أنت حتى لا تقوم لى؟

فنظر إليه المقرى و قال له: أمّا شرفى فمحقّق بالعلم الذى أنا أبته و لا يرتاب فيه أحد، و أمّا شرفك فمظنون، و من لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة، و لو علمنا شرفك قطعا لأقمنا هذا من هنا، و أشار إلى السلطان أبى عنان، و أجلسناك مجلسه، فسكت؛ انتهى.

قال ابن الأزرق: و على اعتذاره ذلك بأن الشرف الآن مظنون، فمن معنى ذلك أيضا ما يحكى عنه أنه كان يقرأ بين يدى السلطان أبى عنان المذكور صحيح مسلم بحضرة أكابر فقهاء فاس و خاصتهم، فلما وصل إلى أحاديث «الأئمة من قريش» قال الناس: إن قال

الشيخ «الأئمة من قريش» وأفصح بذلك استوغر قلب السلطان، وإن ورى وقع في محذور، فجعلوا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٣١

يتوقعون له ذلك، فلمّا وصل إلى الأحاديث قال بحضرة السلطان والجمهور: إن الأئمة من قريش، ثلاثاً، ويقول بعد كل كلمة: وغيرهم متغلب، ثم نظر إلى السلطان وقال له: لا- عليك، فإن القرشى اليوم مظنون، أنت أهل للخلافة، إذ بعض الشروط قد توفرت فيك والحمد لله، فلمّا انصرف إلى منزله بعث له السلطان بألف دينار؛ انتهى.

قال أبو عبد الله بن الأزرق: قلت: ويلزم أيضاً من اعتذاره أن قيام السلطان لدى الشرف المحقق بالعلم أولى بالمحافظة على تعظيم حرمان الله، وقد روى عن بعض الأمراء أنه تكبر على ذلك، واستخف بمنزلة من عظم به غيره، فسلبه الله ملكه وملك نبيه من بعده؛ انتهى.

و من أجوبة مولاي الجدّ، رحمه الله تعالى، قوله: سألت السلطان عمّن أزمته يمينا على نفى العلم فحلف جهلا على البتّ، هل يعيد أم لا؟ فأجبت بإعادتها، وقد كان من حضر من الفقهاء أفتوا بأن لا تعاد؛ لأنه أتى بأكثر ممّا أمر به على وجه يتضمّن، فقلت له: اليمين على وجه الشكّ غموس، قال ابن يونس: والغموس: الحلف على تعيّد الكذب، أو على غير يقين، ولا- شكّ أن الغموس محرّم منهى عنها، والنهي يدلّ على الفساد، ومعناه في العقود عدم ترتب أثره؛ فلا أثر لهذه اليمين، ويجب أن تعاد، وقد يكون من هذا اختلافهم فيمن إذنها السكوت، فتكلّم هل يجتزأ بذلك؟ والإجزاء هنا أقرب؛ لأنه الأصل، والصفات رخصة لعلة الحياة، فإن قلت: البتّ أصل، ونفى العلم إنما يعتبر عند تعذره، قلت: ليس رخصة كالصفات.

و منها أنه قال: سألت بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم، إذ لم يل أمرهم من يسلك بهم الجادّة ويحملهم على الواضحة، بل من يغتر في مصلحة دنياه، غافلا عن عاقبة أخراه، فلا يرقب في مؤمن إلّا ولا ذمّة، ولا يراعى عهدا ولا حرمة، فأجبت بأن ذاك لأنّ الملك ليس في شريعتنا وذلك أنه كان فيمن قبلنا شرعا، قال الله تعالى ممتنا على بنى إسرائيل وجعلكم ملوكاً [المائدة: ٢٠] ولم يكن ذلك في هذه الأمة، بل جعل لهم خلافة، قال الله تعالى وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٣٢

الصّٰلِحٰتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ [النور: ٥٥] وقال تعالى وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا [ص: ٢٤٧] وقال سليمان رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا [ص: ٣٥] فجعلهم الله تعالى ملوكا، ولم يجعل في شرعنا إلّا الخلفاء، فكان أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لم يستخلفه نصّا، لكن فهم الناس ذلك فهما، وأجمعوا على تسميته بذلك، ثم استخلف أبو بكر عمر، فخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد، إلى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار، ونصّ في ذلك على عهده، ثم اتفق أهل الشورى على عثمان، فأخرج عمر لها عن بنيه إلى الشورى دليل على أنها ليست ملكا، ثم تعين على بعد ذلك، إذ لم يبق مثله، فبايعه من آثر الحقّ على الهوى، واصطفى الآخرة على الدنيا، ثم الحسن كذلك، ثم كان معاوية أول من حوّل الخلافة ملكا، والخشونة لينا، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم، فجعلها ميراثا، فلمّا خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها، ألا ترى أن عمر بن عبد العزيز، رضى الله عنه، كان خليفة لا ملكا، لأنّ سليمان، رحمه الله تعالى، رغب عن بنى أبيه إثارا لحقّ المسلمين، ولئلا يتقلدها حيا وميتا، وكان يعلم اجتماع الناس عليه، فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قطّ إلّا خليفة، وأمّا الملوك فعلى ما ذكرت إلّا من قل، وغالب أفعاله غير مرضية؛ انتهى.

وفوائد مولاي الجدّ و تحفه و طرفه و لطائفه و دقائقه يستدعى استقصاؤها مجلدات، فلنكتف بما قدّمناه: [البيسط]

و في الإشارة ما يغنى عن الكلم

و أما تأليفه فكثيرة: منها كتاب «القواعد» اشتمل على ألف قاعدة و مائتي قاعدة، قال العلامة الوائسري في حقه: إنه كتاب غزير العلم، كثير الفوائد، لم يسبق إلى مثله، بيد أنه يفتقر إلى عالم فتاح؛ انتهى.

وقد أشار فيه إلى مأخذ الأربعة، و هو قليل بهذه الديار المشرقية، و لم أر منه بمصر إلا نسخة عند بعض الأصحاب، و ذكر أنها من أوقاف رواق المغاربة بالأزهر المعمور، و أما قول

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٣٣

لسان الدين في «الإحاطة» عند تعرضه لذكر تأليف مولاي الجد ما صورته: «ألف كتابا يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية، ضمها كل أصل من الرأي و المباحثة» فهو غير القواعد بلا مرية.

و منها كتاب «الطرف و التحف» غاية في الحسن و الظرف، قاله الوائسري، و قد وقفت على بعضه فرأيت العجب العجيب.

و منها «اختصار المحصل» و لم يكمله، و شرحه لجمل الخونجي، كذلك، و منها كتاب «عمل من طب لمن حب» و هو بديع في بابه، مشتمل على أنواع: الأول فيه أحاديث حكمية كأحاديث «الشهاب» و «سراج المهتدين» لابن العربي، و النوع الثاني منه الكليات الفقهية على جملة أبواب الفقه في غاية الإفادة، و الثالث في قواعد و أصول، و الرابع في اصطلاحات و ألفاظ، قال الوائسري: و قد أطلعني الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الخالق على نسخة من هذا الكتاب، فتلطفت في استنساخها، فلم يسمح به؛ انتهى.

قلت: و قد رأيت هذا الكتاب بحضرة فاس عند بعض أولاد ملوك تلمسان و هو فوق ما يوصف، و فيه يقول مولاي الجد، رحمه الله تعالى: [البسيط]

هذا كتاب بديع في محاسنه ضمته كل شيء خلته حسنا

فكل ما فيه إن مرّ اللبيب به و لم يشم عبيرا شام منه سنا

فخذه و اشدد به كفّ الضنين و ذد حتى تحصّله، عن جفئك الوسنا

و هذه الأبيات كافية في وصف هذا الكتاب، إذ صاحب البيت أدري بالذي فيه.

[بعض فوائد المقرئ الكبير التي أودعها كتابه «المحاضرات»]

و منها كتاب «المحاضرات» و فيه من الفوائد و الحكايات و الإشارات كثير، و قد ملكت منه بالمغرب نسختين، فلنذكر منه بعض الفوائد، فنقول: قال رحمه الله تعالى: قيل لصوفي: لم تقول الله الله و لا تقول لا- إله إلا الله؟ فقال نفى العيب حيث يستحيل العيب عيب، و هذا إن لم يكن في هذه الكلمة؛ لأنها أفضل ما قالته الأنبياء فهو في كثير من التنزيه الذي يطلقه المتكلمون و غيرهم، حتى قال الشاشي عنهم: إنهم يتمندلون بأسماء الله عزّ و جلّ، ما عرفه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٣٤

من كيفه، و لا وحده من مثله، و لا عبده من شبهه، المشبه أعشى، و المعطل أعمى، المشبه متلوّث بفرث التجسيم، و المعطل نجس بدم الجحود، و نصيب المحقّق لبن خالص و هو التنزيه، انزل من علو التشبيه، و لا- تعل قلل أباطيل التعطيل، فالوادي المقدّس بين الجبلين.

أبو المعالي: من اطمأنّ إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه، و من سكن إلى النفي المحض فهو معطل، و في قطع بموجود و اعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد: [الرمل]

جلّ ربّ الأعراض و الأجسام عن صفات الأعراض و الأجسام

جلّ ربّي عن كلّ ما اكتنفته لحظات الأفكار و الأوهام

بريء الله من هشام و ممّن قال في الله مثل قول هشام

الدقاق: المرید صاحب ولّه؛ لأنّ المراد بلا شبه، وقيل: مثله الأعلى لیس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى: ١١].

الجنید: أشرف كلمة في التوحيد قول الصّديق: الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته.

القشيري: يعني أنّ العارف عاجز عن معرفته، والمعرفة موجودة فيه.

غيره: ما عرف سوى الله، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك: [الخفيف]

كلّ ما ترتقى إليه بوهم من جلال و قدرة و ثناء

فالذي أبدع البرية أعلى منه، سبحان مبدع الأشياء!

سئل المريسي الشافعي عن التوحيد بحضرة الرشيد، فقال: أن لا توهمه و لا تتهمه، فأبتهت. بشر.

الشبلي: من توهم أنه واصل، فليس له حاصل، و من رأى أنه قريب فهو بعيد، و من تواجد فهو ناقد، و من أجاب عن التوحيد بالعبارة

فهو غافل، و من سكت عنه فهو جاهل. ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلّا نادته هوائف الحقيقة: الذي تطلب

أمامك، و ما تبرجت ظواهر المكونات إلّا نادتك حقائقها: إنّما نحن فتنه فلا تكفر: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٣٥

ما ينتهي نظري منهم إلى رتب في الحسن إلّا و لاحت فوقها رتب

الجريري: ليس لعلم التوحيد إلّا لسان التوحيد.

الحسن: العجز عن درك الإدراك إدراك: [البسيط]

تبارك الله وارت غيبه حجب فليس يعرف إلّا الله ما الله

دعا نبي إلى الله، عزّ و جلّ، بحقيقته التوحيد، فلم يستجب له إلّا الواحد بعد الواحد، فعجب من ذلك، فأوحى الله، عزّ و جلّ، إليه:

تريد أن تستجيب لك العقول؟ قال: نعم، قال: احجني عنها، قال: كيف أحجبك و أنا أدعو إليك؟ قال: تكلم في الأسباب، و في

أسباب الأسباب، فدعا الخلق من هذا الطريق، فاستجاب له الجمّ الغفير.

و منه: سمع أعرابي اختلاف المتكلمين بمسجد البصرة في الإنسان و انتزاع كلّ واحد منهم الحجة على رأيه، فخرج و هو يقول:

[الرجز]

إن كنت أدري فعلى بدنه من كثرة التخليط في من أنه

و من عجز عن أقرب الأشياء نسبة منه، فكيف يقدر على أبعاد الأمور حقيقته عنه؟ من عرف نفسه عرف ربّه.

و منه: دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره، و إن كان عندك اعتذاره.

لما احتضر الوليد بن أبان، قال لبنيه: هل تعلمون أحدا هو أعلم بالكلام مني؟ قالوا:

لا، قال: فإني أوصيكم بما عليه أهل الحديث، فإني رأيت الحقّ معهم. و عن أبي المعالي نحوه.

و منه: هجر أحمد المحاسب لما صنّف في علم الكلام، فقال: إنّما قصدت إلى نصر السنّة، فقال: أ لست تذكر البدعة و الشبهة؟ قلت:

من تحقّق كلام فخر الدين الرازي و جده في تقرير الشبهة أشد منه في الانفصال عنها، و في هذا ما لا يخفى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٣٦

و منه: من آمن بالنظر إلى ظاهر الثعبان كفر بالاستماع إلى خوار العجل، و من شاهد مجاوزة القدرة الإلهية لمنتهى وسع القوة البشرية

لم يكثرث بوعيد الدنيا و لم يؤثر الهوى على الهدى و التقوى.

و منه: علي بن الحسين: من عرف الله بالأخبار، دون شواهد الاستبصار و الاعتبار، اعتمد على ما تلحقه التهم.

و منه: قيل لطبيب: بم عرفت ربك؟ قال: بالإهليلج، يجفف الحلق، و يلين البطن.

و قيل لأديب: بم عرفت ربك؟ قال: بنحلة في أحد طرفيها عسل، و في الآخر لسع، و العسل مقلوب اللسع، و سأل الدهرية الشافعي عن

دليل الصانع، فقال: ورقة الفرصاد تأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم، و النحل فيكون منها العسل، و الطّباء فينعقد في نوافجها المسك، و الشاء فيكون منها البعر، فأمنوا كلهم، و كانوا سبعة عشر.

قيل لأعرابي: بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدلّ على البعير، و الروث يدلّ على الحمير، و آثار الأقدام تدلّ على المسير، فسماء ذات أبراج، و بحار ذات أمواج، أمّا يدلّ ذلك على العليم التقدير: [الكامل]
قد يستدلّ بظاهر عن باطن حيث الدخان يكون موقد نار

قيل لأعرابي: بم عرفت الله؟ قال: بنقص عزائم الصدور، و سوق الاختيار إلى حبال المقذور.
و منه: الدقاق: لو كان إبليس بالحقّ عارفا، ما كان لنفسه بالإضلال و الإغواء واصفا.

و منه: التوحيد محو آثار البشرية، و تجديد صفات الألوهية. الحقّ واحد في ذاته لا ينقسم، واحد في صفاته لا يماثل، واحد في أفعاله لا- يشارك. لو كان موجودا عن عدم، ما كان موصوفا بالقدم. الحياة شرط القدرة، دلّت على ذلك الفطرة. لو لم يكن الصانع حيّا، لاستحال أن يوجد شيئا. لو لم يكن باقيا، لكان للألوهية منافيا. لو كان البارى جسما، ما استحقّ الإلهية اسما. لو كان البارى جوهرًا، لكان للحيز مفتقرا. العرض لا- يبقى، و القديم لا- يتغيّر و لا يفنى. لو لم يكن بصفه القدرة موصوفا، لكان بسمه العجز معروفا. لو لم يكن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٣٧

عالما قادرا، لاستحال كونه خالقا فاطرا. دلّت الفطرة و العبرة، أنّ الحوادث لا تحصل إلّا من ذى قدرة. لو لم يكن بالإرادة قاصدا، ما كان العقل بذلك شاهدا. من تنوع إيجاده، دلّ ذلك على أنّ الفعل مراده. لو لم يكن بالسمع و البصر موصوفا، لكان لضديهما مألوفا. لو جاز سامع لا سمع له، لجاز صانع لا صنع له. لو كان سمعه بأذن، لافتقرت ذاته إلى ركن. من صدرت عنه الشرائع و الأحكام، كان موصوفا بالكلام. ليس فى الصفات السبع ما لا يتعلّق إلّا الحياة، و لا ما يؤثّر إلّا القدرة و الإرادة. كما جاز أن يأمر بما لا يريد جاز أن يريد ما لا يحبّ.

لا يسأل عمّا يفعل. الواحد كاف، و ما زاد عليه متكاف. ليس مع الله تعالى موجودات؛ لأنّ الموجودات كلّها كالظّل. من نور القدرة له نور التبعية، لا رتبة المعية: [مجزوء الرمل]

إنّ من أشرك باللّ ه جهول بالمعاني

أحول العقل؛ لهذا ظنّ للواحد ثانى

قال جعفر بن محمد: لو كان على شىء لكان محمولا، و لو كان فى شىء لكان محصورا، و لو كان من شىء لكان محدثا.

قيل لثمامة بن الأشرس: متى كان الله؟ فقال: و متى لم يكن؟ فقيل: فلم كفر الكافر؟

فقال: الجواب عليه.

قال خادم أبى عثمان: قال لى مولاي: يا محمد، لو قيل لك أين معبودك ما كنت تجيب؟ قال: أقول بحيث لم يزل، قال: فإن قيل لك فأين كان فى الأزل؟ فقال: أقول بحيث هو الآن، فنزع قميصه و أعطانيه.

قيل لصوفى: أين هو؟ فقال: محقك الله! أ يطلب مع العين أين؟.

و منه، سمعت شيخنا يقول: نقصنا صفة كمال له فينا، يعنى إذا وجب له كلّ الكمال وجب لنا كلّ النقص، و هذا على أنه ليس فى الإمكان أبدع ممّا كان، و فيه كلام.

و منه: بلغ أحمد أنّ أبا ثور قال فى الحديث «خلق الله آدم على صورته»، إنّ الضمير لآدم، فهجره، فأتاه أبو ثور، فقال أحمد: أى صورة كانت لآدم يخلقه عليها؟ كيف تصنع بقوله «خلق الله آدم على صورة الرحمن»؟ فاعتذر إليه، و تاب بين يديه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٣٨

و منه: أتى يهودى المسجد فقال: أيكم وصى محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأشاروا إلى الصديق، فقال:

إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصى نبي، قال: سل، قال: فأخبرني عما ليس لله، و عما ليس عند الله، و عما لا يعلمه الله، فقال: هذه مسائل الزنادقة، و هم بقتله، فقال ابن عباس: ما أنصفتموه، إما أن تجيبوه و إما أن تصرفوه إلى من يجيبه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول لعلي «اللهم اهد قلبه، و ثبت لسانه» فقال أبو بكر: قم معه إلى علي، فقال له: أمّا ما لا يعلمه فقولكم في عزير إنه ابن الله، و الله، عزّ و جلّ، لا يعلم له ولدا، قال في التنزيل و يَقُولُونَ هُوَ لَآئِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ [يونس: ١٨] و أمّا ما ليس عند الله فالظلم، و أمّا ما ليس له فالشريك، فأسلم اليهودى، فقبل أبو بكر رأس علي، و قال له: يا مفرج الكربات، و وردت مثل هذه المسائل عن الصحابة، فالله تعالى أعلم.

و قال العتابي لأبي قرّة النصراني عند المأمون: ما تقول في المسيح؟ قال: من الله، قال:

البعض من الكلّ على سبيل التجزى، و الولد من الوالد على طريق التناسل، و الخلل من الخمر على وجه الاستحالة، و الخلق من الخالق على جهة الصنعة، فهل من معنى خامس؟

قال: لا، و لكن لو قلت بواحد منها ما كنت تقول؟ قال: البارى لا- يتجرأ، و لو جاز عليه ولد لجاز له ثان و ثالث و هلّم جزاً، و لو استحال فسد، و الرابع مذهبنا، و هو الحقّ.

و منه: أول ما تكلم به عيسى فى المهد أن قال: إني عبد الله [مريم: ٣٠] و هو حجّة على الغالين فيه، يقال لهم: إن صدق فقد كذبتهم، و إلّا فمن عبدتم؟ و لمن ادّعيتهم؟

قال القاضى ابن الطيب للقسيس لما وجهه عضد الدولة إلى ملك الروم: لم اتحد اللاهوت بالناسوت؟ فقال: أراد أن ينجى الناس من الهلاك، قال: فهل درى أنه يقتل و يصلب أولاً؟ فإن لم يدر لم يجوز أن يكون إلها و لا ابناً، و إن درى فالحكمة تمنع من التعرض لمثل ما قلتم إنه جرى.

سأل القاضى هذا البطرك عن أهله و ولده، فأنكر ذلك النصرانى، فقال: تبرءون هذا ممّا تثبتونه لربكم؟ سواءً لهذا الرأى، فانكسروا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٣٩

ابن العربى: سمعت الفقراء ببغداد يقولون: إن عيسى، عليه السلام، كان إذا خلق من الطين كهينة الطير طار شيئاً ثم سقط ميتاً؛ لأنه كان يخلق و لا يرزق، و لو رزق لم يبق أحد إلّا قال «هو الله» إلّا من أوتى هداة.

سأل ابن شاهين الجنيد عن معنى «مع» فقال: مع الأنبياء بالنظر و الكلاءة إني معكم [طه: ٤٦] و مع العامة بالعلم و الإحاطة إلّا هو معهم [المجادلة: ٧] فقال: مثلك يصلح دليلاً على الله.

و منه: سأل قدرى عليّاً، رضى الله عنه، عن القدر، فأعرض عنه، فألح عليه، فقال:

أخلقك كيف شئت، أو كيف شاء؟ فأمسك، فقال: أترونه يقول كيف شئت؟ إذن و الله أقتله، فقال: كيف شاء، قال: أ يحييك كيف تشاء أو كيف يشاء؟ قال: كيف يشاء، قال: فيدخلك حيث تشاء أو حيث يشاء؟ قال: حيث يشاء، قال: اذهب فليس لك من الأمر شىء.

أبو سليمان: أدخلهم الجنة قبل أن يطعوه، و أدخلهم النار قبل أن يعصوه، جلّ حكم الأزل، أن يضاف إلى العلل، سبق قضاؤه فعله إني جاعل في الأرض خليفة [البقرة: ٣٠] و أوقفت مشيئته أمره و لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً [يونس: ٩٩].

قال الشاذلى: أهبط آدم إلى الأرض قبل أن يخلقه؛ لأنه قال في الأرض و لم يقل في السماء و لا فى الجنة.

الأوزاعى: قضى بما نهى، و حال دون ما أمر، و اضطرّ إلى ما حرم [البسيط]

ألقاه فى اليمّ مكتوفاً و قال له إياك إياك أن تبطل بالماء

قال الأوزاعى لغيلان: مشيئتك مع مشيئة الله، عزّ و جلّ، أو دونها؟ فلم يجب، فقال هشام بن عبد الملك: فلو اختار واحدة، فقال: إن

قال معها فقد زعم أنه شريك، وإن قال وحدها فقد تفرّد بالربوبية، قال: لله درك أبا عمرو.

من بيان عظمته رفيع الدرجات [غافر: ١٥] من آثار قدرته بديع السماوات [البقرة: ١١٧] توقيع أمره يأمر بالعدل والإحسان [النحل: ٩٠] واقع زجره وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى [النحل: ٩٠] تنفيذ حكمه فعّال لما يريد [البروج: ١٦] دستور ملكه لا يسئل عما يفعل [الأنبياء: ٢٣].

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٤٠

إياس بن معاوية: ما خاصمت أحدا بعقلي كله إلا القدرية، قلت لقدرى: ما الظلم؟

فقال: أخذ ما ليس لك، قلت: فإن الله له كل شيء.

الواسطي: ادعى فرعون الربوبية على الكشف، وادعت المعتزلة الربوبية على الستر، تقول ما شئت فعلت.

ومنه: من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل، إذا كان القدر حقا فالحرص باطل، إذا كان الله، عز وجل، عدلا في قضائه فمصيبيات الخلق بما كسبت أيديهم: [البيسط]

ما عذر معتزلي موسى منعت كفاه معتزليا معسرا صفدا

أيزعم القدر المحتوم ثبطه؟ إن قال ذاك فقد حلّ الذي عقدا

ومنه: دخل محمد بن واسع على بلال بن فروة فقال: ما تقول في القدر؟ قال: تفكر في جيرانك أهل القبور فإن فيهم شغلا عن القدر:

[السريع]

و كل من أغرق في نعته أصبح منسوبا إلى العي

المقادير، تبطل التقدير، و تنقض التدبير.

قال معتزلي لسنى: لو أراد ثبوت أحد على الكفر لم يقل ليخرجكم من الظلمات إلى النور [الأحزاب: ٤٣] فقال السنى: لو لم يكن

الإيمان من فعله لم يقل ليخرجكم من الظلمات إلى النور [الأحزاب: ٤٣].

قال نفقور طاغية النصارى لأبي الحسن الشلبانى: أنت تقول إن الخير والشر من الله؟

و ذلك لأن النصارى كلهم على مذهب القدرية فى الاستطاعة، قال: نعم، قال: كيف يعذب عليه؟ هل كان حقا عليه أن يخلق؟ فقال:

لم يضطره إلى ما خلق مضطرا.

قيل: نزلت وما أضلنا إلا المجرمون فى القدرية؛ لأنهم أضافوا الحول والقوة فى الشر إلى البشر فأشركوهم فى الخلق، أما ترى قوله

تعالى: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ [القمر: ٤٧]

إلى قوله تعالى: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ [القمر: ٤٧] [الخبيف]

كنت دهرا أقول بالاستطاعة و أرى الجبر ضلة و شناعه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٤١

ففقدت استطاعتي فى هوى ظبى، فسمعا لمن أحب و طاعه

غيره: [الكامل]

ما لا يكون فلا يكون بحيلة أبدا، و ما هو كائن سيكون

غيره: [الوافر]

تريد النفس أن تعطى مناها و يأبى الله إلا ما يشاء

شفاء الصدور، فى التسليم للمقدور: [الطويل]

إذا لم يكن إلا الأسته مركب فلا رأى للمضطر إلا ارتكابها

غيره: [الرمل]

أى يومى من الموت أفرّ يوم لا يقدر أم يوم قدر
إذا كان الداء من السماء، بطل الدواء.

قال الحائط للوتد: لم تشقنى؟ قال: سل من يدقنى: [الكامل]

الناس يلحون الطيب، وإنما غلط الطيب إصابه المقدور

قيل لحكيم: أخرج الهمّ من قلبك، فقال: ليس بإذنى دخل: [الكامل]

نفسى تنازعى فقلت لها قرى موت يريحك أو صعود المنبر

ما قد قضى سيكون فاصطبرى له و لك الأمان من الذى لم يقدر

و لتعلمى أنّ المقدّر كائن لا بدّ منه صبرت أو لم تصبرى

و منه: الهارب من المقدور كالمقلّب فى كفّ الطالب. من كان السلطان يطلبه، ضاق عليه مذهبه و ما أنتم بمُعجزيّن [الأنعام: ١٣٤]

أسلى آية فى التنزيل ما أصاب من مُصيبة فى الأرض و لا فى أنفسكم إلى قوله تعالى: بما آتاكم [الحديد: ٢٣].

و منه: أخلّ رجل بخدمته صاحب الإسكندرية، فتغيّب، ثم ظفر به عرفاؤه، فقادوه،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٤٢

فانساب منهم، و رمى بنفسه فى بئر، و تحت الإسكندرية أسراب يسير فيها القائم من أول البلد إلى آخره، فلم يزل يمشى حتى وجد

بئرا صاعده، فتعلّق بها، فإذا هى فى دار السلطان، فأخذه فأذبه، فانظر كيف فرّ من قوده السلطان مكرها، و أتاه برجله طائعا: [الكامل]

ذهب القضاء بحيلة العقلاء

و منه: قال يزيد بن المهلب لموسى بن نصير: أنت أدهى الناس و أعلمهم، فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان؟ فقال: إن الهدهد

يهتدى للماء فى الأرض الفيفاء، و ينصب له الصبى الفخّ بالدودة أو الحبة فيقع فيه: [الوافر]

و لو جرت الأمور على قياس لوقى شرّها الفطن اللبيب

الواسطى: اختيار ما جرى لك فى الأزل، خير من معارضة الوقت.

ابن معاذ: عجبت من ثلاثة: رجل يريد تناول رزقه بتدبيره، و رجل شغله غده، و عالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط.

و منه: شكى لبعض الأنبياء امرأة كانت تؤذى أهل زمانها، فأوحى الله إليه: أن فرّ من قدامها حتى تنقضى أيامها.

و منه: ابن المعتز: كرم الله، عزّ و جلّ، لا ينقض حكمته، و لذلك لا تقع الإجابة فى كلّ دعوة و لو اتّبع الحقُّ أهواءهم [المؤمنون:

٧١]: [الطويل]

أريد فلا أعطى، و أعطى و لم أرد و قصر علمى أن أنال المغنيا

و منه: كان ابن مجاهد ينشد لبعضهم: [الخفيف]

أيها المعتدى ليطلب علما كلّ علم عبد لعلم الكلام

تطلب الفقه كى تصحّح حكما ثم أغفلت منزل الأحكام

و منه: قال الأحمد البغدادي للقاضي الباقلاني: هل لله، عزّ و جلّ، أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه؟ فقال: إن أردتم بالتكليف القول

المجرد فقد وجد، قلّ كونوا حجارة [الإسراء: ٥٠]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٤٣

أنبؤنى بأشياء هؤلاء [البقرة: ٣١] و يدعون إلى السجود فلا يشيطعون [القلم: ٤٢] و إن أردتم به ما يصحّ فعله و تركه فالكلام

متناقض، و هذا هو الذى نعرفه؛ لأنّ التكليف اقتضاء فعل ما فيه مشقّة، و ما لا يطاق لا يفعل البتّة، فقال: سئلت عن كلام مفهوم فطرحت

فى الاحتمالات، فقال: إني بينت الوجوه المحتملة، فإن كان معك شىء فهاته، فقال عضد الدولة: قد صدق، و ما جمعتمكم إلّا للفائدة، لا للمهاترة. ثم قال لقاضيه بشر بن الحسن المعتزلى: تكلم، فقال:

ما لا يطاق على ضريين: أحدهما ما لا يطاق للاشتغال بضده، و هذا سبيل الكافر، لا يطبق الإيمان للاشتغال بالكفر، و أمّا العاجز فما ورد فى الشريعة تكليفه، و لو ورد لكان جائزاً، و قد أثنى الله، عزّ و جلّ، على من سأله أن لا يكلفه ما لا يطيقه فقال ربّنا و لا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به [البقرة: ٢٨٦] لأنّ الله له أن يفعل فى ملكه ما يريد.

و منه: خرج عمر بن عبد العزيز فى سفر ليلا، فقال له رجل: انظر إلى القمر ما أحسنه، فنظر فقال: قد علمت أنك أردت نزوله بالدبران، و نحن لا نتطير بذلك و لا نعتقه: [الوافر]

إذا عقد القضاء عليك أمرا فليس يحله إلّا القضاء

يدبر بالنجوم و ليس يدري و ربّ النجم يفعل ما يشاء

و قال: [مجزوء الرمل]

ليس للنجم إلى ضرّ و لا نفع سبيل

إنما النجم على الأوقات و السمت دليل

و قال: [مجزوء الرجز]

من كان يخشى زحلا أو كان يرجو المشتري

فإننى منه- و إن كان أخى الأدنى- برى

لما و جه عضد الدولة القاضى ابن الطيب إلى ملك الروم قال له الوزير: أخذت الطالع لخروجك؟ فسأله القاضى عن ذلك، ففسره له، فقال: السعد و النحس بيد الله، ليس للكواكب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٤٤

فيه تأثير، و إنما وضعت كتب النجوم ليمتعش بها العامة، و لا حقيقة لها، فاستحضر الوزير ابن الصوفى و دعاه إلى مناظرة القاضى، فقال: لا أقدم على المناظرة، و إنما أقول: إذا كان من النجوم كذا كان كذا، و أمّا التعليل فمن علم المنطق، و الذى يتولّى المناظرة عليه أبو سليمان المنطقى، فأحضر و أمر، فقال هذا القاضى يقول: إذا ركب عشرة أنفس فى ذلك المركب الذى فى دجلة فالله تعالى قادر على أن يزيد فيهم آخر فى ذلك الوقت، فإن قلت له لا يقدر قطعتم لسانى، فأى معنى لمناظرتى؟ فقال القاضى للوزير: ليس كلامنا فى القدرة، لكن فى تأثير الكواكب، فانتقل هذا إلى ما ترى لعجزه، و أنا إن قلت إن الله تعالى قادر على ذلك فلا أقول إنه يخرق العادة الآن، و لا- يجوز عندنا ذلك، فهو فرار من الزحف، فقال المنطقى: المناظرة دربه، و أنا لا أعرف مناظرة هؤلاء القوم، و هم لا يعرفون مواضعاتنا، فقال الوزير: قد قبلنا اعتذارك، و الحق أبلج.

رأس الدين، صحة اليقين. من سابق القدر، عثر: [الكامل]

و إذا خشيت من الأمور مقدرا و فررت منه فنحوه تتوجه

قيل: لما وقع الوباء بالكوفة فرّ ابن أبى ليلى على حمار، فسمع منشدا ينشده: [الرجز]

لن يسبق الله على حمار و لا على ذى منسر طيار

أو يأتى الحتف على مقدار قد يصبح الله أمام السارى

فقال: إذا كان الله أمام السارى فلا مهرب، و رجع.

و منه: شكّا بعض الصالحين إلى الخليفة ضرر الأتراك، فقال: أنتم تعتقدون أن هذا من قضاء الله و قدره، فكيف أردّه؟ فقال: إن صاحب القضاء قال: و لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض [البقرة: ٢٥١] فردّهم عنهم.

القدر و الطلب كالعديلين على ظهر الدابة كل واحد منهما معين لصاحبه، فالقدر بالطلب، و الطلب بالقدر.

قيل لعارف: إن كنت متوكلاً فألق بنفسك من هذا الحائط فلن يصيبك إلا ما كتب الله لك، فقال: إنما خلق الله الخلق ليحزبهم، لا ليحزبوه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٤٥

الجوهري: كف الله النار عن يد موسى لثلاثا تقول النار: طبعي، و احترق لسانه لثلاثا يقول الكليم: مكاني، و قال غيره: لو لم يقل لنار إبراهيم سلاماً لهلك من برد النار.

قيل للجنيدي: أ نطلب الرزق؟ قال: إن علمتم أين هو فاطلبوه، قيل: فنسأل الله؟ قال: إن خشيتم أن ينساكم فذكروه، قيل: فلنلزم البيوت؟ قال: التجربة منك شك، قيل: فما الحيلة؟

قال: ترك الحيلة. يقول: ليكن تصرفك بإذنه، لا بشهوتك، فقد قيل: ترك الطلب يضعف الهمة، و يدل النفس، و يورث سوء الظن. الطرطوشي: القدر و الطلب كأعمى و مقعد في قرية، يحمل الأعمى المقعد، و يدل المقعد الأعمى.

قال رجل لبشر: إنني أريد السفر إلى الشام، و ليس عندي زاد، فقال: اخرج لما قصدت إليه، فإنه إن لم يعطك ما ليس لك، لم يمنعك ما لك.

الناس في هذا الباب ثلاثة: فرقة عاملت الله، عز و جل، على مقتضى شمول قدرته للشر و الخير، و أعرضوا عن الأسباب، فأدركوا التوكل، وفاتهم الأدب، و هم بعض الصوفية، و قد قيل: اجعل أدبك دقيقاً، و علمك ملحاً، و هذا إبليس لم تنفعه كثرة علمه لما دفعته قلة أدبه.

و فرقة عاملته على ذلك مع الجريان على عوائد مملكته، و التصرف بإذنه على مقتضى حكيمته، و هم الأنبياء و خواص العلماء، فأصابوا الأدب، و ما أخطأوا التوكل. و الفرقة الثالثة - و هم الجمهور - أقبلوا على الأسباب، و نسوا المسبب، ففاتهم الأمران، فهلكوا.

و منه: جل الواحد المعروف، قبل الحدود و الحروف: [البسيط]

لقد ظهرت فما تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمرا

كما بطنت بما أبديت من حجب و كيف يبصر من بالعة استترا

سئل النصيبى عن الرؤية بمجلس عضد الدولة، فأنكرها محتجاً بأن كل شيء يرى بالعين فهو في مقابلتها، فقال له القاضي ابن الطيب: لا يرى بالعين، قال له الملك: فيما ذا يرى؟

قال: بالإدراك الذى يحدثه الله فى العين و هو البصر، و لو أدرك المرئى بالعين لوجب أن يدرك بكل عين قائمه، و هذا الأجهر عينه قائمه و لا يرى بها شيئاً.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٤٦

و منه: ابن العربى: للصوفية فى إطلاق لفظ العشق على الحق تجاوز عظيم، و اعتداء كبير، و لو لا إطلاقه للمحبة ما أطلقناها، فكيف أن نتعداها؟

الدقاق: العشق مجاوزة الحد فى الحب، و لما كان الحق لا- يوصف بالحد لم يوصف بالمحدود، إذ لو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ما يستحقه قدر الحق من الحب.

خمسة أبهمت، فلم تعين لعظم أمرها: الاسم الأعظم، و ساعة الجمعة، و ليلة القدر، و الصلاة الوسطى، و الكباثر؛ لأن اجتنابها يكفر غيرها، يعنى على أحد الأقوال فى المسألة.

و منه: قيل فى التسعة و التسعين اسماً: إنها تابعة لاسم الله، و هو تمام المائة، فهى عدد درج الجنة؛ لما فى الصحيح من أن درجها مائة، بين كل درجتين مسيرة مائة عام، و لذلك قيل: من أحصاها دخل الجنة، و هذه الأسماء مفضلة على غيرها مما لا يحصى، ألا ترى قوله

عليه السلام في الصحيح: بأسمائه الحسنی ما علمت منها و ما لم أعلم؟.

ذكر القرآن في أربعة و خمسين موضعا منه، فلم يشر في شيء منها إلى خلقه، و ذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعا ثلث ذلك العدد فصّرح في جميعها بخلقها، قال ابن عطية:
و هذا يدلّ على أنه غير مخلوق.

أبو علي بن أبي اللحم: بتّ ليلة جمعة بمصر في أيام أبي حريش، و كان يقول بخلق القرآن، و أبي خلف المعافري، و كان يقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، أفكر عن أيهما آخذ، فلمّا نمت أتاني آت فقال لي: قم، فقمّت، قال: قل، فقلت: ما أقول؟ فقال: [مجزوء الكامل]

لا و الذي رفع السماء بلا عماد للنظر
فتزيّنت بالساطعات اللامعات و بالقمر
و المالىء السبع الطباق بكلّ مختلف الصور
ما قال خلق في القرآن بخلقها إلّا كفر
لكن كلام منزل من عند خلاق البشر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٤٧

ثم قال: اكتبها، فأخذت كتابا من كتبي و كتبتها فيه، فلمّا أصبحت وجدت ذلك بخطي على كتاب من كتبي، فجلست في البيت إلى الزوال، ثم خرجت، فسألني إنسان عمّا رأيت البارحة، فقلت: ما أخبرت أحدا، فقال: قد شاعت رؤياك في الناس.
الخواص: انتهيت إلى رجل مصروع، فجعلت أؤذن في أذنه، فناداني الشيطان من جوفه: دعني أقتله، فإنه يقول بخلق القرآن.
عمرو بن دينار: أدركت سبعة من الصحابة يقولون: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، قلت: قال مالك: يستتاب.
و منه: كان عضد الدولة يحبّ العلم و العلماء، فكان مجلسه يحتوي على عدد منهم أكثرهم الفقهاء و المتكلمون، و كان يعقد لهم مجالس للمناظرة، فقال لقاضيه بشر بن الحسن:

إنّ مجلسنا خال عن عاقل من أهل الإثبات ينصر مذهبه، فقال: إنّما هم عامة يرون الخير و ضده، و يعتقدونهما جميعا، و إنّما أراد ذمّ القوم، ثم أقبل يمدح المعتزلة، فقال عضد الدولة:

محال أن يخلو مذهب طّبّق الأرض من ناصر فانظر، قال: بلغني أنّ بالبصرة شيخا يعرف بأبي الحسن الباهلي، و في روايه بأبي بكر بن مجاهد، و شايّا بابن الباقلاني، فكتب إليهما، فلمّا وصل الكتاب قال الشيخ: قوم كفره؛ لأنّ الديلم كانوا روافض، لا يحلّ لنا أن نطأ بساطهم، فقال الشاب: كذا قال ابن كلاب و المحاسبي و من في عصرهم: إنّ المأمون فاسق لا يحضر مجلسه، حتى ساق أحمد بن حنبل إلى طرسوس، و جرى عليه ما عرف، و لو ناظروه لكفّوه عن هذا الأمر، و تبين له ما هم عليه بالحجة، و أنت أيضا، أيها الشيخ، تسلك سبيلهم حتى يجرى على الفقهاء ما جرى على أحمد، و يقولون بخلق القرآن و نفى الرؤية، وها أنا خارج إن لم تخرج، قال الشيخ: إن شرح الله صدرك لهذا فاخرج، فردّ الله به الكرة.

حفظ من كلام النبي صلى الله عليه و سلم، المنتقى و المرسل أمثال أمثال المنزل، ثم انتقى من ذلك صحه و فصاحة ما يبلغ حجم المصحف أو يربى عليه، فهل وجدت فيه ما يشبهه أو ينزع إليه؟ أشهد أنه من عند الله، تنزيل من لدنه.

أول إعجاز القرآن الجهل بنوعه من جنس الكلام، فإنه لا يدخل في مضمار الشعر،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٤٨

و لا- ينخرط في سلك الخطب، و لا- المواعظ و المقامات و الكتب، و لا في شيء ممّا يؤلف التخاطب به، و تعرف فيه طبقات أهل مذهبه، فإن لم يتبين ما رسمت لك فاعرض لكلامك في كلّ صنّف من هذه الأصناف تجد لنفسك مع فحولته حاله القصور أو

المماثلة أو الزيادة، ولا تجد لكلامك نسبة إلى القرآن، بل لا تدري ما تقول إن طلب منك البيان، إلّا أن تسلب العقل، كمسيلمه و أمثاله ممن ابتلى بالهذيان، وقد تفتن للدلالة كافر غلبت عليه الجهالة، انظر السيرة.

الزمخشري: ما أعجب شأن الضلال، لم يرضوا للنبوّة ببشر، وقد رضوا للإلهية بحجر.

سأل القاضي أبا بكر ملك الروم - حين وجهه عضد الدولة إليه - عن انشقاق القمر، كيف لم يره جميع الناس؟ فقال: لأنهم لم يكونوا على أهبة و وعد، قال: فما النسبة التي بينكم وبين القمر حتى لم يره غيركم من الروم وغيرهم؟ قال: النسبة التي بينكم وبين المائدة حتى رأيتموها دون اليهود و المجوس، فدعا القسيس، فأقرّ للقاضي، فقال له القاضي: أ تقول إنّ الكسوف يراه جميع أهل الأرض أم أهل الإقليم الذي في محاذاته؟ قال: لا يراه إلّا من في محاذاته، قال: فما تنكر من لا يرى انشقاق القمر إلّا في تلك الناحية ممّن تأهب لذلك؟

قال: هذا صحيح، إلّا أنّ الشأن في مثله أن لا ينقل آحادا، لكن تواترا، بحيث يصل العلم الضروري به إلينا و إلى غيرنا، و انتفاء ذلك يدلّ على افتعال الخبر، فقال الملك للقاضي:

الجواب، فقال: يلزمه في نزول المائدة ما لزمنا في انشقاق القمر، فبهت الذي كفر.

قال ملك الروم للقاضي ابن الطيب في هذه الرسالة: ما تقول في المسيح؟ قال: روح الله و كلمته و عبده، قال: تقولون المسيح عبدا؟ قال: بذلك ندين، قال: و لا تقولون إنه ابن الله؟ قال: ما اتخذ الله من ولد، قال: العبد يخلق و يحيى و يبرئ؟ قال: ما فعل المسيح ذلك قطّ، قال: هذا مشهور في الخلق، قال: لا، قال: ما قال أحد من أهل المعرفة إنّ الأنبياء يفعلون المعجزات، لكن الله تعالى يفعلها على أيديهم تصديقا لهم، قال: إنّ ذلك في كتابكم، قال: في كتابنا أنّ ذلك كلّه بإذن الله تعالى، و لو جاز أن يكون ذلك فعل المسيح لجاز أن يقال إن موسى قلب العصا، و أخرج يده بيضاء، و فلق البحر، قال: إنّ الأنبياء من لدن آدم كانوا يتضرّعون للمسيح حتى يفعل ما يطلبون، قال: أفي لسان اليهود عظم لا يقولون معه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٤٩

إن المسيح كان يتضرّع لموسى، و كذلك أمّة كلّ نبى، لا فرق بين الموضعين في الدعوى.

الجوزى في قوله عليه السلام «يوشك أن ينزل ابن مريم فيكم و إمامكم منكم» إنما كان الإمام منا لثنا يتدنّس بغبار الشبهة وجه «لا نبى بعدى».

كان بالبصرة يهودى يقّر المتكلمين على نبوّة موسى، فإذا أقرّوا جحد نبوّة محمد صلى الله عليه و سلم، و قال: نحن على ما اتّفقنا عليه، إلى أن تتفق على غيره، فسأل أبا الهذيل عن ذلك فقال: إن كان موسى هذا الذى أخبر بمحمد صلى الله عليه و سلم، و أقرّ بشرفه و أمر باتباعه فأنا أقرّ بنبوّته، و إن كان غيره فأنا لا أعرفه، فتحير اليهودى، ثم سأله عن التوراة، فقال: إن كانت التى نزلت على موسى المذكور فهى حقّ، و إلّا فهى عندى باطل.

و منه: قيل للحسن: الملائكة أفضل أم الأنبياء؟ فقال: أين أنت من هذه الآية و لا أقول إنّى ملكٌ [هود: ٣١].

و منه: و عن عمر و على - رضى الله عنهما! - أنّ الخضر لقيهما و علّمهما هذا الدعاء، و ذكر فيه خيرا كثيرا لمن قاله فى إثر كلّ صلاة: يا من لا يشغله سمع عن سمع، و يا من لا تغلظه المسائل، و من لا يتبرّم على إلحاح الملحّين، أذقنى برد عفوك، و حلاوة مغفرتك.

و منه: سمع إياس يهوديا يقول: ما أحقّ المسلمين! يزعمون أنّ أهل الجنة يأكلون و يشربون و لا يبولون و لا يتغوّطون، فقال: أو كل ما تأكله تحدّثه؟ قال: لا؛ لأنّ الله تعالى يجعل أكثره غداء، قال: فما تنكر أن يجعل جميع ما يأكل أهل الجنة غداء؟

الرزية كلّ الرزية، تضييع أمر المرأة الرّندية، و ذلك أنه وردت على تلمسان فى العشرة الخامسة من المائة الثامنة امرأة من رنده لا تأكل و لا تشرب و لا تبول و لا تتغوّط و تحيض، فلما اشتهر هذا من أمرها أنكره الفقيه أبو موسى ابن الإمام، و تلا كانا يأكلان الطّعام [المائدة: ٧٥] فأخذ الناس يبّتون ثقات نساءهم و دهاتهنّ إليها، فكشفن عنها بكلّ وجه يمكنهنّ، فلم يقفن على غير ما ذكر، و سنلت:

هل تشتهين الطعام؟ فقالت: هل تشتهون التبن بين يدي الدواب؟ و سئلت: هل يأتيها شيء؟ فأخبرت أنها صامت ذات يوم فأدركها الجوع و العطش،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٥٠

فنامت فأتاها آت في النوم بطعام و شراب، فأكلت و شربت، فلما أفاقت وجدت نفسها قد استغنت، فهي على تلك الحال، توتى في المنام بالطعام و الشراب إلى الآن، و لقد جعلها السلطان في موضع بقصره و حفظها بالعدول و من يكشف عما عسى تجيء أمها به إذا أتت إليها أربعين يوما، فلم يوقف لها على أمر، بيد أنى أردت أن يزداد في عدد العدول، و يجمع إليهم الأطباء، و من يخوض في المعقولات من علماء الملل المسلمين و غيرهم، و يوكل من نساء الفرق من يبالغ في كشف من يدخل إليها، و لا يترك أحد يخلو بها، و بالجملة يبالغ في ذلك، و يستدام رعيها عليه سنة؛ لاحتمال أن يغلب عليها طبع فتستغنى في فصل دون فصل، ثم يكتب هذا في العقود، و يشاع أمره في العالم، و ذلك لأنه يهدم حكم الطبيعة الذي هو أضر الأحكام على الشريعة، و يبين كيفية غذاء أهل الجنة، و أن الحيض ليس من فضلات الغذاء، و يبطل التأثير و التولد، و يوجب أن الاقتران بالعادات، لا باللزوم، و عند الأسباب، لا بها، إلى غير ذلك، إلما أنى لما أشرت بهذا انقسم من أشرت عليه بتبليغه إلى من لم يفهم ما قلت و من لم يرفع به رأسا؛ لإيثار الدنيا على الدين، فإننا لله و إننا إليه راجعون.

و قد ذكر أن امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة، و حدثني غير واحد من الثقات ممن أدرك عائشة الجزيرية أنها كانت كذلك، و أن عائشة بنت أبي يحيى اختبرتها أربعين يوما أيضا، و كم من آية أضيعت، و حجة نسيت، هذا مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة، و كذلك الوباء العام القريب فروطه، يوشك أن يطول أمره، فينسى ذكره، و يكذب المحدث به إذا انقضى عصره، و كم فيه أيضا من أدلة، على أصول الملة.

و منه- قال شيخ من صالحى الفقهاء فى عصرنا بغاس: أبو زهون عبد العزيز بن محمد القيروانى، رحمه الله تعالى: مات فقير عندنا بالمتدنة، فوجدوا عنده ربطه من دراهم، فوضعوها عند المؤذن، فلما نزل ليلحه سقطت من جيبه فى القبر، و لم يشعر حتى واره، فكشف عنه، فإذا الدرهم قد لصقت ببدنه درهما إلى درهم كالنجوم، فحاول قلع واحد منها فقامت معه قطعة من لحمه، و تبعها من ذلك المحل ربح منتنة، قال الشيخ: فاطلعت على ذلك و شاهدته ثم ردوا التراب عليه و انصرفوا.

قال عبد الله بن إدريس لغيلان الممرور: متى تقوم الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، غير أنه من مات فقد قامت قيامته، قال: فالمصلوب يعذب عذاب القبر؟

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٥١

قال: إن حقت عليه الكلمة، و ما تدرى لعل جسده فى عذاب لا تدره أبصارنا و لا أسمعنا، فإن لله لطف لا يدرك، و انظر الحديث «فلو لا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم ما أسمع من عذاب القبر».

و منه- المازرى: مسألة التكفير بالمال مشكلة، و قد اضطرب فيها قول مالك و هو إمام الفقهاء، و القاضى أبى بكر، و هو إمام المتكلمين.

الغزالي: لا يقطع بتكفير الفلاسفة إلا فى ثلاث مسائل: قدم العالم، و نفى العلم بالجزئيات، و إنكار المعاد البدنى و توابعه القطعية.

أصل الفلاسفة اعتقاد المحسوسات معقولات، و المعتزلة اعتقاد المشهورات قطعيات، و من ثم قيل لهم: مخنئة الفلاسفة.

لا يكفى التقليد، فى عقائد التوحيد، لا فرق بين إنسان ينقاد، و بهيمة تقاد.

و منه- كان أبو هاشم من أفسق الناس، فجلس ذات يوم يعيب الإرجاء و كان فى المجلس مرجىء، فأنشد: [الوافر]

يعيب القول بالإرجاء حتى يرى بعض الرجاء من الجرائر

و أعظم من ذوى الإرجاء ذنبا و عيدي يصر على الكبائر

كان مالك يشد كثيرا: [الطويل]

و خير أمور الدين ما كان سنّة و شرّ الأمور المحدثات البدائع

ابن عقيل: يشبه أن يكون واضح الإرجاء زنديقا، فإنّ صلاح العالم في إثبات الوعيد و اعتقاد الجزاء، فلمّا لم يكن هذا المائن جحد الصانع لمخالفة العقل، أسقط فائدة الإثبات، و هي الخشية و المراقبة، و هدم سياسة الشريعة، فهم شرّ طائفة على الإسلام.

سئل مالك عن أشرّ الطوائف، فقال: الروافض.

بيننا ابن المعلّم شيخ الرافضة في بعض مجالس المناظرة مع أصحابه أقبل ابن الطيب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٥٢

فقال: جاءكم الشيطان، فسمعه على بعد، فلمّا جلس إليهم تلا عليهم أ لم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزا [مريم: ٨٣].
مالك: أهل السنّة من لا لقب له: لا خارجي، و لا قدرى، و لا رافضى.

البديع: [المتقارب]

يقولون لي: ما تحبّ الوصيّ فقلت: الثرى بغم الكاذب

أحبّ النبيّ و آل النبيّ و أختصّ آل أبي طالب

و أعطى الصحابة حقّ الولاء و أجرى على السنن الواجب

فإن كان نصبا ولاء الجميع فإني كما زعموا ناصبي

و إن كان رفضا ولاء الجميع فلا برح الرفض من جاني

أحبّ النبيّ و أصحابه فما المرء إلّا مع صاحب

أ يرجو الشفاعة من سبهم بل المثل السوء للضارب

يوقى المكاره قلب الجبان و في الشبهات يد الحاطب

أخذ البيت الخامس من قول الشافعي: [الكامل]

إن كان رفضا حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضى

و منه - أبو حنيفة: لقيت عطاء فقال لي: ممّن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، فقال: من أهل القرية الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعة؟ قلت:

نعم، قال: فمن أنت منهم؟ قلت: ممن يؤمن بالقدر، و لا يسبّ السلف، و لا يكفر بالذنب، قال: عرفت، فالزم.

و منه: الإبرادة تطلق على المحبّة، و على قصد أحد الجائزين بالتخصيص، و كلّ واحد من المعنيين يوجد بدون الآخر، أما الأول

فكقوله: [الوافر]

تريد النفس أن تعطى مناها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٥٣

و هو ظاهر، و أمّا الثاني فكقصد المتوعّد بالإهلاك إلى أمر عبده الذي أمره بأمر لينظر امتثاله، و لدقّة الفرق بينهما ضلّ المعتزلة في

أمرهما فقالوا: إنّ الله، عزّ و جلّ، لا يريد المعاصي؛ لأنه لا يحبّ الفساد، و لا يرضى لعباده الكفر، قال عمار بن ياسر يوم صفين:

[الخفيف]

صدق الله و هو للصدق أهل و تعالى ربّي و كان جليلا

ربّ عجل شهادة لي بقتل في الذي قد أحبّ قتلا جميلا

و منه: العبدري: قتل الحسين دعا إلى حرب، و أخذ بثأره كذاب ثقيف، و نوه باسمه أعداء ملّة جدّه بنو عبيد ليقتص من قضية بمثلها،

فيقرأ الفهم سورة تلك الصورة، و يتهجّى الليب حروف تلك الحروب، فيعلم أنّ الكلّ آلات مستعملات، حسبما اقتضاه العلم القديم.

ومنه: أبو العباس الأيباني: ثلاث لو كتبت على ظفر لوسعهن، وفيهن خير الدنيا والآخرة: أتبع لا تبتدع، أتضع لا ترتفع، أتزع لا تتسع. ومنه: كانت سكينه بنى إسرائيل في التابوت، فغلبوا عليها، وسكينه هذه الأمة في القلوب، فغلبوا بها، استحفظوا كتابهم فحرفوا من أحكامه ووصفه، وحفظ كتابنا فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومنه: في الصحيح: كان أبو ذرّ يقسم قسما أن هذان خصمان اختصموا في ربهم [الحج]:

[١٩] نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة و علي و عبيدة، و عتبة و شيبه و الوليد، قلت: ففي الآية شهادة من الله تعالى لعلي بالجنة و الشهادة، أما الجنة فبنيصها، و أما الشهادة فلأنه و صاحبه استشهدوا، و خصمهم قتلوا، فهي رادة على الخوارج قطعاً.

ومنه: جاز أبو بكر بن نافع بالكرك أيام الديلم و قوة الرفض، فقالت له امرأة: سيدي أبو بكر، فقال: ليبيك يا عائشة، فقالت له: متى كان اسمي عائشة؟ فقال: أ يقتلونني و تخلصين؟

و في آخر هذا الكتاب ما صورته: فهذه جملة تراجم، و فيها مقنع لمن أراد المحاضرة، أو تنميق مجالس المناظرة، و كان الفراغ من جمعها في آخر يوم من شعبان المكرّم من عام سبعة و خمسين و سبعمائة؛ انتهى ما تعلق به الغرض من بعض كلام مولاي الجّد، رحمه الله تعالى، في كتابه «المحاضرات».

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٥٤

[رجع إلى سرد مؤلفات المقرئ الكبير]

و لنرجع إلى سرد بقيّة تواليفه، رحمه الله تعالى، فنقول: و منها «شرح لغة قصائد المغربي الخطيب»، و «مقالة في الطلعة المملكة»، و «شرح التسهيل»، و «النظائر»، و «كتاب المحرّك لدعاوى الشرّ من أبي عنان»، و «إقامة المريد»، و «رحلة المتبتل»، و حاشية بديعة جدّا على مختصر ابن الحاجب الفقهي، فيها أبحاث و تدقيقات لا- توجد في غيرها، و قد وقفت عليها بالمغرب، و من أشهر كتبه في التصوف كتاب «الحقائق و الرقائق»، و هو من الحسن بمكان لا يلحق، و قد شرّحه الشيخ الصالح شيخ شيوخ شيوخنا سيدي أحمد زروق رضی الله عنه و نفعنا به!

[من فوائد المقرئ الكبير التي أودعها في كتابه «الحقائق و الرقائق»]

و سنح لي أن أسرد هنا شيئاً من هذا الكتاب الفدّ في بابة فنقول:

قال فيه مولاي الجّد، رحمه الله تعالى: هذا كتاب شفعت فيه الحقائق بالرقائق، و مزجت المعنى الفائق باللفظ الرائق، فهو زبده التذكير، و خلاصة المعرفة، و صفوة العلم، و نقاوة العمل، فاحتفظ بما يوحيه إليك فهو الدليل، و على الله قصد السبيل.

حقيقه- عمل قوم على السوابق، و قوم على اللواحق، و الصوفي من لا ماضى له و لا مستقبل، فإن كان زجاجياً، فبخ بخ.

رقيقه- من لم يجد ألم البعد، لم يجد لذّة القرب، فإنّ اللذّة هي التخلّص من الألم.

حقيقه- لما انطبعت الصور في مرآة الخيال قال العقل: أنا الملك المكوّك، فقالت الرياضة: الزمنى و تعرف قدرك، فإذا العقل عقال.

رقيقه- من ضحك من نوم الغفلة بكى عند الانتباه، فإنّ الأضغاث أضداد.

حقيقه- أثر الزهد عقل دنّ سقراط على سراج غوطه أبي نصر، فقيل: فأين اعتبار أ فلا ينظرون [الغاشية: ١٧]؟ فقال: و في أنفسكم أ فلا تبصرون [الذاريات: ٢١].

رقيقه- طالب الدنيا يخاف الفوت، و صاحبها يترقب الزوال و لو بالموت، فإذا حمى الوطيس، و حجّ الرئيس، أنشأ الزاهد بينهما ينشد:

[الوافر]

عزيز النفس لا ولد يموت ولا أنس يحاذره يفوت
حقيقه- العابد طالب رياسه و حرمة، و الزاهد صاحب نفاسه و هممة، و المعنى للعارف يعادى فى الله تعالى و يوالى، و يرضى الله و لا يبالى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٥٥

رقيقه من سابق سبق، و من رافق ارتفق، و من لاحق التحق، و العجز و الكسل مقدمتا الخيبة، و: [الطويل]

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

حقيقه- العمل دواء القلب، و إذا كان الدواء لا يصلح إلا إذا كان على حمية البدن، فكذاك العمل لا ينجح إلا بعد صوم النفس، فارق نفسك و تعال.

رقيقه- مثل دواعى الخير و الشر فى الإنسان كمثل الخلط الفاعل و القوة الدافعه فى العليل، تغلب القوة فيسكن الخلط فيجد الراحة، و عن قليل يتحرّك فيجد الألم.

حقيقه- العمل على السلامة مسالمة، و على الغنيمه تجاره، و على الأمر قرض، فيضعف له أضعافا كثيرة.

رقيقه- تطهر من أدناس هواك، و تزين بلباس تقواك، و قم لمسجد انقطاعك على قدم شكواك، و أحرم بتوجيه قلبك إلى قبله نجواك، تجد الحق عندك و ليس بسواك.

حقيقه- وجد العارف فجاد بنفسه، فوجد الله عنده، و تواجد المرید فحاكى، و من لم يبك تباكى.

رقيقه- زكّ نفسك لقلبك، ترك عند ربك، بعها منه رخيصه، فهى على ثمنها لديه حريصه إن الله اشترى [التوبه: ١١١].

حقيقه- الزوال وقت المناجاة، فطهر قلبك قبله من الحاجات، و إياك و الحظّ، فذهاب نقطته أسرع من اللحظ.

رقيقه- الزاد لك و هو مكتوب، و الزائد عليك و هو مسلوب، فأجمل فى طلب المضمون، و لا تلزم نفسك صفقه المغبون.

حقيقه- أمر بالتوكل لتقصر الطرف عليه، و أذن فى التسبب لتصرف منه إليه، فذاك مخبر بحقيقه التفرد، و هذا مظهر لحكمة التبعّد.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٥٦

رقيقه- الملك أبو الدنيا، و هو مع ذلك محبوس فيها، تبهم عليه الأبواب، و يستدعى الحراس و الحجاب، فإذا خرج حدقت إليه الألباط، و أهدت بجهاته الحفاظ، أى حظّ حظّ من فقد نعمه فأمشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه [الملك: ١٥].

حقيقه- قال صاحب الزهر الأنيق: علامات المحبه أربع: الإفلاس، و الاستئناس، و الأنفاس، و الوسواس. قلت: الإفلاس التجرد إلا عنه كالخليل، و الاستئناس التوحش إلا منه كالكليم، و الأنفاس و الوسواس صلة الاسم و عائده.

رقيقه- ذكر مذكر بمالقه، فقام الخطيب الشيخ الولي أبو عبد الله الساحلى بهذا البيت:

[الخفيف]

ليت شعرى أفى زمام رضاكم كتب اسمى أم فى زمام الهوان؟

و كنت يوما مع السلطان و الجند يعرضون عليه، و كان يسقط و يثبت، و أنا أتفكر فى البيت، حتى خلت أن أفتضح، فقلت: واهمه من

هذا الإبهام، ثم كدت أخلد بقبح العمل إلى الأرض فينشلنى حسن الظنّ بالله، عزّ و جلّ، فأنهض: [السريع]

إنّ المقادير إذا ساعدت ألهقت العاجز بالقادر

حقيقه- إذا قابل إبرة القلب مغناطيس الحسن صبا فانجذب، فإذا اتّصل عشق فانقطع، فإذا انجذّ فنى فبقى، حاشا الصوفى أن يموت.

رقيقه- افتخر الغراب بإقامه قرآن الفجر، فقيل: حتى تغسل بول الشيطان من أذنك، فطرب الديك فرحا بالفوز، و ندب العصفور ترحا على الفوت.

حقيقة- الخلو بيت الاعتبار، و في بيته يؤتى الحكم، و باب هذا البيت العلم وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا [البقرة: ١٨٩].

رقيقة- واقع فقير هنا، ثم دخل خلوته، فبدت له نفسه بوجه مومسة، فقال: ما أنت؟

قالت: أم الحياة، فقال: ما أجمل أن تبدل هاؤك همزة، فقالت: إذن لم تصنع ما شئت، فانتبه لقرع العتاب، فتاب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٥٧

حقيقة- القلب إيوان الملك و يسعني، و عز الملك يأنف عن ذل المزاحمة، أنا أغنى الشركاء عن الشرك.

رقيقة- لما وضع البسطامي أوزار حوبه، فك طابع الصحيفة عن قلبه، فلم يجد بها غير الطفرى، فصاح بنفسه لك البشرى، انزل طيفور عما تريد، ليس في الدار أبو يزيد.

حقيقة- قال شيخنا أبو هادي يوما لأصحابه: بماذا يرتقى العبد عن مقامه إلى مقام أعلى منه؟ قالوا: بفضل الله و رحمته، فقال: إنما

سألتكم عن السبب الخاص بهذا الأمر، قالوا: من عند الشيخ؟ قال: يخلق الله له هممة فيرتقى بها إلى رتبة أسمى من رتبته.

و من هذا الكتاب:

حقيقة- التفت إلى مواهب الملوك تجدهم إنما يوسعون فيما قد يسترجعون، فأما العلماء و كل من يعطى بحق فإنما يعطون بقصد و

لا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ [طه: ١٣١] و اصبر نفسك دونهم فعن قريب تنصرف عنهم.

رقيقة- قلت لقلبي: كيف تجددك؟ فقال: أما من أمارتك ففي عناء الجهاد، و أما من لؤامتك فعلى جمر الصبر، قلت: فمتى الراحة؟

قال: إذا اطمأنت النفس، فاضمحل الوهم و غاب الحس.

حقيقة- قطع السوى طهارة المنيب، و لا يقبل الله صلاة بغير طهور، و كتابه النحيب، و المكاتب عبد ما بقى عليه، و بابه الدخول على

الحبيب.

نظر رجل إلى امرأة عفيفة فقالت: يا هذا، غض بصرك عما ليس لك، تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك.

رقيقة- لما حنكت الطينة بتمر الجنة، و غذيت بلبانها، فطرت على محبتها- انظروا إلى حب الأنصار التمر- فلم تطق الفطام عنها:

[المتقارب]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٥٨

و تأبى الطباع على الناقل

فذاك ما تجد من الحنين إلى التلاق، و الأنين على الفراق، و الشغف بمدح العابر، و ذم الغابر، و في ذلك: [الخفيف]

كم أردنا ذاك الزمان بمدح فشغلنا بدم هذا الزمان

و إن لم تعرف عصرا خاليا، و لا خلا نائيا، لم يمر عليك مما تشتهي، أطيب مما أنت فيه: [الكامل]

كم منزل في الأرض يألفه الفتى و حنينه أبدا لأول منزل

و منه: حقيقة- قيل: عرض الكليم بطلب القوت في رحلة الهجرة إنني لما أنزلت إلي من خير فقير [القصص: ٢٤] فحمل على كاهل إن

أبي يدعوك [القصص: ٢٥] و صرح في سفر التأديب لو شئت لاتخذت عليه أجرا [الكهف: ٧٧] فحمل على كاهل هذا فراق بيني و

بينك [الكهف: ٧٨] قلت: لما تمحض الطلب له اكتفى، فلما تعلق حق الغير به وفي، و لذلك قضى أبا المرأتين، الأجلين.

رقيقة- كان خرق السفينة إراءة لكرامة فأقذفه في اليم [طه: ٣٩] في مرآة و كان وراءهم ملك [الكهف: ٧٩]: [البيسط]

و ربما صحت الأجسام بالعلل

و قتل الغلام إشارة إلى اشتمال قتله ففضى عليه [القصص: ١٥] على رحمة فنجيناك من الغم [طه: ٤٠] برمز فحشينا أن يؤهقهما

[الكهف: ٨٠] و المحن الصم حبال المنح، و إقامة الجدار إثارة لفتوة فسقى لهما [القصص: ٢٤] ليخفف له جناح إنني لما أنزلت إلي

من خير فقير [القصص: ٢٤] فيستظل من حر لو شئت لاتخذت عليه [الكهف: ٧٧] في نيه هذا فراق بيني و بينك [الكهف: ٧٨].

حقيقة- قيل لمحمد بن الحسن الزبيدي التونسي و أنا عنده بها: كيف لم يصبر الكليم و قد ناط الصبر بالمشيئة سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا [الكهف: ٦٩] و قد جاء في الصحيح في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٥٩

قصة سليمان عليه السلام «لو قال إن شاء الله لكان كما قال» و المقام الموسوي أجلّ و اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي [طه: ٤١] و طلابه أفضل؟ ما جميع أعمال الصبر و الجهاد في طلب العلم إلّا كبصقة في بحر، فقال: كان موسى على علم من علم الله، و هو علم المعاملة، لا يعلمه الخضر، و كان الخضر على علم من علم الله لا يعلمه موسى، فلم يظنّ أنّ ما لم يحطّ به خبرا يأباه حكم الظاهر، و إلّا كيف يلتزم البر عليه، و قد أمر بصرف الإنكار إليه؟ ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا [طه: ٩٢] بل لم يعتد مثله من ملاقة المشاق، فيما كان عليه الخضر من اختراق الآفاق، و ركوب الطباق، فما علقه بقوله، فقد صدقه بفعله، و ما لم يستطع عليه صبرا، فلم يدخل في التزامه اعتقادا، و لا ذكرا. رقيقة- قال لي عبد الرحمن بن يعقوب المكتّب: كان عندنا بالساحل سائح هجّيراه:

إلهي بسطت لي أملي، و أحصيت عليّ عملي، و غيّبت عني أجلي، و لا- أدرى إلى أيّ الدارين يذهب بي، لقد أوقفنتي موقف المحزونين ما أبقيتني.

حقيقة- تنازع القلب و النفس الخلق، فقسمها بينهما قاضي العقل، فمن باع منهما حظّه فلا شفعة لصاحبه عليه.

و منه: حقيقة- الحجب ثلاثة: فحجاب الغيرة منع، و حجاب الحيرة دفع، و حجاب الغفلة قطع أولئك كالأنعام بل هم أضلّ.

رقيقة: اللحم أيام التشريق مكروه، و كل لذة عند أبواب الدنيا كاللحم عندك أيام الأضحى، فلا تريتك الغفلة عن سرك زيادة النعمة عندك.

حقيقة- الفقر إلى الله الاستغناء به عمّا سواه، و هوية الرضا بالله أن لا يخطر بالبال إلّاه.

و منه: حقيقة- التلون مجون، تارة طربا و طورا شجون، و التمكن معرفة، و أين الحال من الصفة؟

رقيقة- قال لي محمد بن عبد الواحد الرباطي: قال لي محمد بن عبد السيد الطرابلسي: دخلت على أبي الحسن الحراني فقلت له: كيف أصبحت؟ فأشد: [البيسط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٦٠

أصبحت أطف من مرّ النسيم سري على الرياض يكاد الوهم يؤلمني

من كلّ معنيّ لطيف أحتسى قدحا و كلّ ناطقة في الكون تطربني

حقيقة- قال الطالب: الوقت سيف، و قال الواصل: بل مقت، فتلا العارف قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرْهُمُ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ [الأنعام: ٩١]

رقيقة- لصاحب الوقت يومان: [الكامل]

يوم بأرواح يباع و يشتري و أخوه ليس يسام فيه بدرهم

و فصل الفضل بينهما: [الطويل]

و ما تفضل الأيام أخرى بذاتها و لكنّ أيام الملاح ملاح

و منه: حقيقة- قال لي الشيخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي بعباد تلمسان:

قال لي أبو عبد الله بن حيون: إنه وجد على ظهر كتاب بخطّ عتيق: قال أبو يزيد البسطامي:

يظهر في آخر الزمان رجل يسمّى شعيبا، لا تدرك له نهاية، قال: و هو أبو مدين، قلت: وقف بظاهره مع الشريعة، و ذهب بباطنه مع الحقيقة، فما انقطع لصحة البداية، و لا رجع لعدم الغاية.

رقيقة- قمت ببعض الأسحار، على قدم الاستغفار، و قد استشعرت الصبابة، و استدثرت الكآبة، فأملى الجنان على اللسان، بما نفث في

روعه روح الإحسان: [مخلع البسيط]

منكسر القلب بالجنايا يدعوك يا مانح العطايا
 أقعده الذنب عن رفيق حثوا لرضوانك المطايا
 و منه: أثر حقيقة في شأن الحلاج ما نصّه، ثم قلت: [الكامل]
 و لربّ داع للجمال أطعته و أبى الجلال علىّ أن أتقدّما
 فأطعت بالعصيان أمرهما معا و جنحت للتسليم كيما أسلما
 و منه: حقيقة- قلت للسرّ: ما لك تحسّ من خلف الموانع؟ فقال: خرق شعاعى سور العوائق، ثم انعكس إلىّ بصور الحقائق، فأصبحت
 كما قيل: [البيسط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٦١
 كأنّ مرآة عين الدهر فى يده يرى بها غائب الأشياء فلم يغيب
 رقيقة- الليل رداء الرهبة، تهاب الجبان فيه أسد الأبطال، و تتقى الحواسّ دونه الخيال إنّ ناشتته اللّيل هي أشدّ وطناً و أقومّ قبيلاً [المزمل]:
 [٦].

حقيقة- النهار معاش النفس، فهو استعداد إنّ لك فى النهار سبجاً طويلاً [المزمل: ٧] و الليل رياش الأنس، فهو معاد و أذكر اسم ربك
 وَ تَبْتَلُ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً [المزمل: ٨] فهذا جمع و ذاك فرق، و الحال أسرع ذهاباً من البرق.
 و منه: حقيقة- إن أكبرت النفس حالها، فذكرها أصلها و مآلها، فإنها تصغر عند ذلك، و تستقيم بك على أرض المسالك «احتوا
 التراب فى وجوه المدّاحين» منها خلّفناكم و فيها نُعيدكم [طه: ٥٥].
 رقيقة- إنما يتعاضم من يجد الحقارة من نفسه، و يتوهّم المهانة عند أبناء جنسه، فلذلك تراه مغمزاً للعيون، مهمزاً للظنون، من أسرّ
 سريرة حسنة كساه الله رداءها.

رقيقة- رأيت الملوك لا يشمتون، و لا يدعى لهم إلّا بما يتعلّق بأعراض الدنيا، و أكثر ذلك ممّا تحيل عقوده العوائد، فعلمت أنّ الدنيا
 ضدّ الآخرة.

حقيقة- من لم يفز خور و ذلك الجبن، من خاف أدلج و رجا، من لم يكرّ تمنّ و تلك الزمانه يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً
 [النساء: ٧٢].

رقيقة- سمعت أبا محمد المجاصى يقول: رويت بالسند الصحيح أنّ عابداً رابط ببعض الثغور مدّة فكان كلما طلع الفجر يسمع من
 ينشد دون أن يرى شيئاً: [البيسط]

لو لا رجال لهم سرد يصومونا و آخرون لهم ورد يقومونا
 لزلزلت أرضكم من تحتكم غضباً فإنكم قوم سوء لا تبالونا
 حقيقة- ما حمد الله حقّ حمده، إلّا من عرفه حقّ معرفته، و ذلك ممّا لا ينبغي لغيره «لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على
 نفسك».

رقيقة- قلت: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٦٢
 أشيم البرق من بين الثنايا و أشتّم العبير من الثناء
 فأبدو تاره و أغيب أخرى مثار الشوق مثنى الحياء
 حقيقة- تحقّق الحامد بكمال الذات فغاب عن حسّه فى بحار العظمة، و تعلق الشاكر بجمال الفعل فوقف مع نفسه بسوق النعمة، فهذا
 تاجر لئن شكّرتكم لأزيدنّكم [إبراهيم: ٧] و ذاك ذاكر و ما بكم من [النحل: ٥٣].

و منه: حقيقة- الصبر مطيئة المريد، و الرضا سجيئة المراد، فهذا يقوم للأمر، و ذاك يسعى للأجر.
 رقيقة- الحسنه بعشره أمثالها إلى سبعمائه ضعف، و الصبر بغير حساب، و الرضا بالرضا، و ذلك سدره المنتهى.
 حقيقة- النفس الأماره آبداه لا تملك إلا بلطائف الحيل، و المطمئنه ذلول لا تنفلت إلا ممن غفل و أخاف أن يأكله الذئب [يوسف: ١٣].

رقيقة- الدنيا معشوق الطالب، عاشق الهارب هذا يستخدمها، و ذاك يخدمها، يبنى الخادم المسجد ليقال، و يعمره المخدوم لينال، فعل الخادم السعى من غير جدوى: [الطويل]
 و ليس لرحل حطه الله حامل
 و للمخدوم الجدوى بغير سعى: [الطويل]
 و ليس لما تبني يد الله هادم
 إن السعادة أصلها التخصيص.

حقيقة- الجمال رياش، و الحسن صورة، و الملاحه روح، فذلك ستره عليك، و هذا سره فيك فإذا سؤيته و نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [الحجر: ٢٩]

رقيقة- أعطى يوسف شطر الحسن، يعنى حسن آدم؛ لأنه إن لم يكن فى الإمكان أبدع
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٦٣

مما كان فقد خلقه الحق بيده فى أحسن تقويم، ثم نفخ فيه من روحه لتتم علته الأمر بسجود التحيه و التكريم، فكان كما قال من أنزل عليه الفرقان «خلق الله آدم على صورة الرحمن» فآدم إذا كمال الحسن، و إلا فهو المراد؛ لأن الشطر، يقتضى الحصر، و النصف، ينزع عن الوصف، و أعطى محمد صلى الله عليه و سلم، كمال الجمال، فما أبصره أحد إلا هابه، و تمام الملاحه فما عرفه شخص إلا أحبه، مع أبناء نوره فى الآباء، بأن أبوة المعنى لسيد نجباء الأبناء، كما قال العارف عمر: [الطويل]
 و إني و إن كنت ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

حقيقة- لا يثنيتك الخوف عن قرع الباب فتأس، فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون، و لا يدنيتك الرجاء من الفتره فتأمن، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فإن لم تستطع بعد الحرص أن تعدل، فلا تمل كل الميل مع النفس إن النفس لأمارة بالسوء [يوسف: ٥٣].

رقيقة- ارفع قصتك فى رقعته الإقبال على كف الرجاء، خافضا من طرف الحياء و صوت الإدلال، عاكفا فى زاوية الانكماش من وراء ستر الخوف، يخرج عليك حاجب القدر من باب الكرم بتوقيع فاستجبنا له [الأنبياء: ٨٤].

و منه: حقيقة- صدق مجاهدة الفاروق أيقظ الوسنان، و طرد الشيطان، و أرضى الرحمن، ففاز بسلامه «ما سلكت فجا إلا سلك الشيطان فجا غير فجعك»؛ و حقق مشاهده الصديق أسمع من ناجى، فحاز غنيمه «لو كشف الغطاء ما ازداد يقينا».

رقيقة- ذهب أبو بكر فى السابقين، و لحق عمر بأهل اليقين، فما أدرك الصديق أداء التصلية، حتى استدرك الفاروق قضاء التقية: [الطويل]

و لو كنت فى أهل اليمين منعما بكيت على ما فات من زمن الصبا

حقيقة- النص سلاح، و النظر مطيئة، و الاتباع جنه، و الورع نجاه، و الخلاف فتنه، و البدع مهالك، و خير الأمور أوسطها.

و منه: حقيقة- تخير المساعد، و اختر المصاعد، و ليكن همك فى سفرك منك معرفتك كيف ترجع إليك، فلن يحقق صفة الربوبية، من لم يحقق نعت العبودية.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٦٤

رقيقة- حدثت أن سيدي أبا الحسن الشاذلي لما أزمع على التحول من طيبة على من بها الصلاة والسلام، أوقف فعله على إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، له فرآه في منامه فقال توحشنا يا علي؟

فأخذ يعتلّ، فأذن له، وقال: إذا جئت مصر فقرأ عز الدين بن عبد السلام مني السلام، قال:

فلما التقينا بلغته المألّكة سراً، فلم تظهر نفسه لذلك، فلما قام المزرم قال: [الكامل]

صدق المحدث والحديث كما جرى وحديث أهل الحب ما لا يفترى

فاستغفر الشيخ، ثم كذب نفسه، ثم حطّ للتسليم رأسه.

حقيقة- الوهم شيطان القلب يأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وسائر الجهات لمراقبة قل هو القادر [الأنعام: ٦٥]

فمن ثم كان أشدّ تقبلاً من المرجل على النار، فإذا ذكر الله سكن ألا يذكر الله تطمئنّ القلوب [الرعد: ٢٨].

رقيقة- فرق القلب من ذكر الله خوف وجلّت قلوبهم [الحج: ٣٥] ثم سكن لذكره رجاء وتطمئنّ قلوبهم [الرعد: ٢٨] فعاد داء تقشعر

منه دواء ثمّ تلبّن [الزمر: ٢٣] فنقع بلائمة:

[البسيط]

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء

ثم هتف بمنادمه:

و داوئي بالتي كانت هي الداء

حقيقة- العبودية صفة نفسك؛ لأنها حال أحد العبيد، والعبودية صفة قلبك؛ لأنها ملكة واحد العباد، والعبادة قصد وجهك؛ لأنها

نعت الفردوس من العباد.

ومنه: حقيقة- إنما تزيد في الدنيا بقدر ما تنقص من الآخرة، فإن تشييد الجدار على قدر انتقاص الجبل.

رقيقة- من جرّ لنفسه جار على قلبه، فلا تجوز شهادته عند ربّه؛ لأنّ العدل ترك العدول والميل.

رقيقة- لا تقدمنّ إلّا بدليل وإذن، واحذر ما لا ينفع ما استطعت فقد تم، انظر فلا حرج إن جهلت ما لم تكلف علمه، وأخاف عليك

سوء عاقبة الهجوم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٦٥

رقيقة- إذا اهتزّ العرش بالسحر لدعاء أهل تتجافى جنوبهم [السجدة: ١٦] انبعث من نسيمة ما أغشاهم طيبه الراحة آمنه منه [الأنفال: ١١]

وأهبّ المستغفر من نومه لإدراك فضل رضى الله عنهم ورضوا عنه [المائدة: ١١٩].

حقيقة- دع الغريب وما يريب، واركب الجادة، ولا تسلك بيات الطريق فتفرّق بكم عن سبيله [الأنعام: ١٥٣].

ومنه: حقيقة- سفر المرید تجارة، وسفر المعارف عمارة، فهذا يرحل للإقامة عند الحقيقة، وذاك يطلب الاستقامة على الطريقة.

رقيقة- إياك أيها المصلّي لنا، أن تلتفت إلى غيرنا، وأقبل علينا بصدق نيتك، وناجنا بخلوص سريرتك، فقد قمنا بينك وبين

قبلتك، وناجيناك بلسان تلاوتك فإن غبت عنا، فلست منا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٦؛ ص ٢٦٥

، والكرامة عناية، والاعتراض جنابة، وإياك ولم؟ فإن عرفت فاتبع، وإن جهلت فسلم.

رقيقة- الليل معاد الأنس إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قبلاً [المزمل: ٦] والنهار معاش النفس إن لك في النهار سبباً طويلاً

[المزمل: ٧] فهذا نشاط رغبة يتسع في مناكبه المجال، وتعتور على مراكبه الأحوال، وذلك حجاب رهبة تهوى إليه الأوجال، و

تجتمع فيه هموم الرجال، ألا ترى كيف تهاب الجبان دونه الأبطال، وتتقى الحواس خلفه الخيال؟ كما قال:

[الطويل]

نهارى نهار الناس حتى إذا دجا لى الليل هزّتنى إليك المضاجع

أقضى نهارى بالحديث و بالمنى و يجمعنى و الهّم بالليل جامع

حقيقة- حجب الطالب أربعة: فحجاب الغيرة قاذع؛ قيل لبعضهم: أ تحب أن تراه؟

فقال: لا، قيل: و لم؟ قال: أجلّ ذلك عن نظر مثلى، و حجاب التيه قاعم، نزل فقير على ابن عجوز، فبينما هى تصلح له الطعام غشى

على الفتى، فسألها الفقير فقالت له: إنه يهوى ابنه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٦٦

عمّ له بتلك الخيمة، فخطرت، فاشتّم غبار ذيلها، فذهب الفقير ليخطبها عليه، فقالت: إذا لم يطق غبار ذيلى فكيف يستطيع أن

يشاهدنى؟ و حجاب الحيرة دافع، و من ثم حلا لأرباب الغيبة، قال بعضهم: يا دليل الحائرين، زدنى تحيرا، و مر على أصحاب الرغبة و

الرهبه كما قال: [الخفيف]

قد تحيرت فيك خذ بيدى يا دليلا لمن تحير فيكا

و حجاب الغفلة قاطع، كان بعضهم يقول: إن عذبتنى بشيء فلا تعذبنى بذلّ الحجاب.

و نظر آخر إلى امرأة فوقع عليه سهم، فعوره و عليه مكتوب: نظرت بعين العورة فرميناك بسهم الأدب، و لو نظرت بعين الشهوة

لرميناك بسهم القطيعة.

رقيقة- حدّث أن ابن الفارض دخل على الشيخ عز الدين و قد ذهب به التفكير فيما له عند الله عزّ و جلّ، فكاشفه بأن أنشده من

قصيده له: [البيسط]

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج

فبدرته البشاشة، و أظنّ أن قد خلع قماشه.

حقيقة- وقفت ذات يوم بالجبانة، و استفهمت اسمى هل عرف منها مكانه، فأملى بعد هنيهة من نظمه، ما وقفت منه على حقيقة مبلغ

علمه: [الخفيف]

كلّ ميت رآته عيني فأنى ذلك الميت إن نظرت بقلبي

و جميع القبور قبرى لو لا جهل نفسى بما لها عند ربّى

رقيقة- أهم ما على السالك مراعاة قلبه، أن يتلف فى قلبه، فذلك فساد حاله، و ذهاب رأس ماله، تزوّج فقير فلبس ثياب العرس،

فطلب قلبه فلم يجده، فصاح: خلقتنى، فأعطوه، فأخذها و خرج.

حقيقة- حجب المطلوب ثلاثة: فحجاب التيه جمال، كما قال العارف عمر: [الخفيف]

ته دلالات فأنت أهل لذاكا و تحكّم فالحسن قد ولّاكا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٦٧

و حجاب العزة جلال: [البيسط]

همّت بإتياننا حتى إذا نظرت إلى المرأة نهاها وجهها الحسن

و حجاب الكبرياء كمال، أنشدت لرابعة: [المتقارب]

أحبك حنين حبّ الهوى و حبّا لأنك أهل لذاكا

فأما الذى هو حبّ الهوى فشغلى بذكرك عمّن سواكا

و أما الذى أنت أهل له فأن ترفع الحجب حتى أراكا

و ما الحمد فى ذا و لا ذاك لى و لكن لك الحمد فى ذا و ذاكا

و هذا معنى ما فى الصحيح «و ما بين أهل الجنة و بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن». و منه: حقيقة- الآثار منصة التجلى، فمن لم يزر مهلب و يتفكرون زار عمير يمرون و بطل رصد الحجاج. رقيقة- من تفكر تذكر، و من تذكر تبصر، فإن أكمل وقف، و إن قصر انصرف إنا هديناه السبيل [الإنسان: ٣]. حقيقة- الوحدة فهم، و التوحيد علم، و الاتحاد حكم، و الاثني عشر وهم: [الطويل]

و منه: حقيقة- أهم ما على السالك مراعاة قلبه، أن يتلف فى قلبه، فإن ذلك فساد حاله، و ذهاب رأس ماله، رثى فقير ينادى فى السوق: ارحموا صوفيا ذهب رأس ماله، فقيل له: و هل للصوفى رأس مال؟ فقال: نعم، كان لى قلب ففقدته. و منه: حقيقة- تنازع القلب و النفس الخلق، فترافعا إلى العقل، فقسمة بينهما، فانفردت النفس بالهوى، و القلب بالتقوى، فصرفت طرقهما إلى الجهتين، و قطعت الشفعة فيهما بين الفئتين. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٦٨ و منه، عند ختم الكتاب ما نصه: حقيقة- لا يودع السر إلا عند أهله، و لا يذيعه إلا من ضاق ذرعا بحمله، فإن عدا مودعه الرمز فقد زل، و إن تعدى مذيعه الغمز فقد ضل.

رقيقة- الحسن خلق، و الجمال خلق، و حسن الأدب فى الظاهر عنوان حسن الأدب فى الباطن، و حيث هو الجمال هو الجميل. حقيقة- تحقّق العلماء بالتوحيد فاستشعروا و الله خلقكم و ما تعلمون [الصفات: ٩٦] لكنهم اعتبروا خلق السبب و الابتلاء به، فتصرفوا بدلالة الإذن فى مذهبه، فاستقاموا على طريقة الأدب، و لم يفهم فضل التوكل، و لم تتسع معارف الزهاد لما عرفوا المسبب بكيفية الانصراف إلى السبب منه، لدقة الفرق بينه و بين الانصراف عنه، فوقفوا مع التوكل للعذر، و لم يستعملوا أدب الجريان مع ابتلاء الأمر، و عكف الغافلون على ظاهر السبب، ففاتهم التوكل و الأدب أولئك كالأنعام بل هم أضل [الأعراف: ١٧٩].

رقيقة- ألفت لعبد الحق الإشبلى بيتا هو عندى أفضل من قصيدة، و هو: [الخفيف]

قد يساق المراد و هو بعيد و يريد المرید و هو قريب

و من أراد معرفه قدر هذا البيت فليتل الله يجتبي إليه من يشاء و يهدي إليه من ينب.

[الشورى: ١٣]

حقيقة- أشرف أسمائك ما أضافك إليه، و أكرم صفاتك ما دلّ فيك عليه: [السريع]

لا تدعنى إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائى

و لا تصفنى بالهوى عندها فعندها تحقيق أنبائى

رقيقة: [الكامل]

أعزز بمن سوداء قلبى مغرب لخياله، و سواد عيني مشرق

إن غاب عن سرى فعنه لم يغب أو عن عيانى فهو فيه محقق

و العين تعجز أن ترى إنسانها و القلب بالروح اللطيف مصدق

صن عينك عن قلبك لربك، و قلبك عن نفسك لربك، و نفسك عن طبعك لربك، و طبعك عن هواك لعدوك، و هواك

عمن سواك، و قد كنت من نسل الجنة، و كان بينك و بين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٦٩

البلاء أوقى جنة، لطف الله تعالى بى و بكم فى مجارى أحكامه، و يسيرنا أجمعين للعمل بموجبات إكرامه، و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و على آله و سلم تسليما كثيرا إلى يوم لقائه؛ انتهى ما تعلق به الغرض من كتاب «الحقائق و الرقائق» لمولاي الجد الإمام،

سقى الله عهده صوب الغمام! وما ذكرته من كلامه غيظ من فيض، و قلّ من كثر، و يكفى من الحلّى ما قلّ و ستر العنق.

[من شعر المقرئ الكبير و لمحّة العارض لتكملة نائية ابن الفارض]

و لنذكر بعض نظمه، رحمه الله تعالى، و قد تقدّم بعضه أثناء ما سبق من كلامه رضى الله عنه، فراجعه إن شئت.
و من بديع نظمه، رحمه الله تعالى، ما فى الإحاطة و نصّه: نقلت من ذلك قوله:
«هذه لمحّة العارض، لتكملة ألفتها ابن الفارض، سلب الدهر من فرائدها مائة و سبعة و سبعين، فاستعنت على ردّها بحول الله المعين». من فصل الإقبال: [الطويل]

رفضت السوى و هو الطهارة عند ما تلفّعت فى مرط الهوى و هو زينتى
و جئت الحمى و هو المصلّى ميمّما بوجهه قلبى و وجهها و هو قبلى
و قمت و ما استفتحت إلّا بذكرها و أحرمت إحراما لغير تحلّ
فدينى إن لاحت ركوع، و إن دنت سجود، و إن لاهت قيام بحسرة
على أننا فى القرب و البعد واحد تؤلّفنا بالوصل عين التشتت
و كم من هجير خضت ظمان طاويا إليها و ديجور طويت برحلة
و فيها لقيت الموت أحمر و العدا بزرقه أسنان الرّماح و حدّة
و بينى و بين العذل فيها منازل تنسيك أيام الفجار و مؤتة
و لمّا اقتسمنا خطّتنا فحامل فجار بلا أجر و حامل بزّة
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٧٠
خلا مسمعى من ذكرها فاستعدته فعاد ختام الأمر أصل القضية
و كم لى على حكم الهوى من تجلّد دليل على أنّ الهوى من سجيّتى
يقول سميرى و الأسى سالم الأسى و لا توضع الأوزار إلّا لمحنة
لو أنّ مجوسا بتّ موقد نارها لما ظلّ إلّا منهلا ذا شريعة
و لو كنت بحرا لم يكن فيه نضحة لعين إذا نار الغرام استحرّت
فلا ردم من نقب المعاول آمن و لا هدم إلّا منك شيد بقوة
فمّم تقول الأسطقتسات منك أو علام مزاج ركبت أو طبيعة
فإن قام لم يثبت له منك قاعد و إلّا فأنت الدهر صاحب قعدة
فما أنت يا هذا الهوى؟ ماء أو هوا أم النار أم دساس عرق الأمومه
و إنى على صبرى كما أنا واصف و حالى أقوى القائمين بحجّة
أقلّ الضنى أن عجّ من جسمى الضنى و ما شاكه معشار بعض شكيتى
و أيسر شوقى أننى ما ذكرتها و لم أنسها إلّا احترقت بلوعه
و أخفى الجوى قرع الصواعق منك فى جواى و أخفى الوجد صبر المودّة
و أسهل ما ألقى من العذل أننى أحبّ أقلّى ذكرها و فضيحتى
و أوج حظوظى اليوم منها حضيضها بالأمس، و سل حرّ الحفون الغزيرة
و أوجز أمرى أنّ دهرى كلّه كما شاءت الحسناء يوم الهزيمة

أروح و ما يلقي التأسف راحتي و أغدو و ما يعدو التفجع خطتي
و كالبيض بيض الدهر و السمر سوده مساءتها في طي طيب المسرة
و شأن الهوى ما قد عرفت و لا تسل و حسبك أن لم يخبر الحب رؤيتي
سقام بلا براء، ضلال بلا هدى أوام بلا رى، دم لا بقيمة
و لا عتب فالأيام ليس لها رضا و إن ترض منها الصبر فهو تعنتي
ألا أيها اللوام عني، قوضوا ركاب ملامى فهو أول محنتي
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٧١
و لا تعذلوني في البكاء و لا البكى و خلوا سيلي ما استطعتم و لوعتي
فما سلسلت بالدمع عيني إن جنت و لكن رأيت ذاك الجمال فجئت
تجلى و أرجاء الرجاء حوالك و رشدى غاو و العمايات عمّت
فلم يستبن حتى كاني كاسف و راجعت إبصارى له و بصيرتى
و من فصل الاتصال: [الطويل]

و كم موقف لى في الهوى خضت دونه عباب الردى بين الطبا و الأسنة
فجاوزت في حدى مجاهدتى له مشاهدتى لما سمت بى هممتي
و حلّ جمالى في الجلال، فلا أرى سوى صورة التنزيه في كل صورة
و غبت عن الأغيار في تيه حالتي فلم أنتبه حتى امتحى اسمى و كنيته
و كاتب ناسوتى بأماره الهوى وعدت إلى اللاهوت بالمطمئنة
و علم يقينى صار عينا حقيقة و لم يبق دونى حاجب غير هيبتي
و بدلت بالتلوين تمكين عزة و من كل أحوالى مقامات رفعة
و قد غبت بعد الفرق و الجمع موقفى مع المحو و الإثبات عند تشبتي
و كم جلت في سم الخياط و ضاق بى لبسطى و قبضى بسط وجه البسيطة
و ما اخترت إلّا دن بقراط زاهدا و فى ملكوت النفس أكبر عبرة
و فقرى مع الصبر اصطفت على الغنى مع الشكر إذ لم يحظ فيه مثوبتي
و أكنتم حبي ما كنى عنه أهله و أكنى إذا هم صرحوا بالخبيّة
و إنى فى جنسى و منه لواحد كنوع، ففصل النوع علّه حصّتى
تسببت فى دعوى التوكل ذاهبا إلى أن أجدى حيلتى ترك حيلتى
و آخر حرف صار منى أولا مريدا و حرف فى مقام العبودة
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٧٢
تعرفت يوم الوقف منزل قومها فبت بجمع سدّ خرق التشتت
فأصبحت أفضى النفس منها منى الهوى و أفضى على قلبى برعى الرعيّة
فبايعتها بالنفس دارا سكنتها و بالقلب منه منزلا فيه حلّت
فخلص الاستحقاق نفسى من الهوى و أوجب الاسترقاق تسليم شفعة
فيا نفس، لا ترجع تقطع بيننا و يا قلب لا تجزع ظفرت بوحدة

و من فصل الإدلال: [الطويل]

تبدت لعيني من جمالك لمحّة أبادت فؤادي من سناها بلفحهُ
و مرّت بسمعي من حديثك ملحّة تبدت لها فيك القرآن و قرّت
ملامي أبن، عذرى استبن، وجدى استعن سماعى أعن، حالى أبن، قائلى اصمت
فمن شاهدى سخط، و من قائلى رضا و تلوين أحوالى و تمكين رتبتي
مرامى إشارات، مراعى تفكّر مراقى نهايات، مراسى تثبت
و فى موقفى و الدار أقوت رسومها تقرّب أشواقى تبعد حسرتى
معانى أمارات، مغانى تذكّر مبانى بدايات، مثنانى تلتفت
و بثّ غرام، و الحبيب بحضرة و ردّ سلام، و الرقيب بغفلة
و مطلع بدر فى قضيب على نقا فويق محلّ عاطل دون دجيه
و مكمّن سحر بابليّ له بما حوت أضلعي فعل القنا السّمهريّة
و منبت مسك من شقيق ابن منذر على سوسن غضّ بجنّه و جنّه
و رصف اللآلى فى اليواقيت كلّما تعلّ بصرف الراح فى كلّ سحرة
سل السلسيل العذب عن طعم ريقه و نكهته يخبرك عن علم خبره
و رمان كافور عليه طواع من النّد لم تحمل به بنت مزنة
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٧٣
و لطف هواء بين خفق و بانّه و رقّه ماء فى قوارير فضّه
لقد عزّ عنك الصبر حتى كأنه سراقه لحظ منك للمتلفّ
و أنت و إن لم تبق منى صباية منى النفس لم تقصد سواك بوجهه
و كلّ فصيح منك يسرى لمسمعى و كلّ مليح منك يبدو لمقلتي
تهون علىّ النفس فيك، و إنها لتكرم أن تغشى سواك بنظرة
فإن نظرينى بالرضا تشفّ علّتي و إن تظفرينى باللقا تطفّ غلّتي
و إن تذكرينى و الحياة بقيدها عدلت لأمنى منيتى بميتتى
و إن تذكرينى بعد ما أسكن الثرى تجلّت دجاه عند ذاك و ولّت
صلينى و إلّا جددى الوعد تدركى صباية نفس أيقنت بتفّلّت
فما أمّ بوّ هالك بتنوفّه أقيم لها خلف الحلاب فدرّت
فلما رأته لا ينازع خلفها إذا هى لم ترسل عليه و ضنّت
بكت كلّما راحت عليه و إنها إذا ذكرته آخر الليل حتّت
بأكثر منى لوعه غير أننى رأيت وقار الصبر أحسن حليه
فرحت كما أغدو إذا ما ذكرتها أطامن أحشائى على ما أجنّت
أهوّن ما ألقاه إلّا من القلى هوى و نوى نيل الرّضا منك بغيتى
أخوض الصّلا، أطفى العلا و العلو لا أصلّ السلا، أرى الخلى بين عبرتى
ألا قاتل الله الحمامة غدوه لقد أصلت الأحشاء نيران لوعه

و قاتل معناها و موقف شجوها على الغصن ما ذا هيجت حين غنت
 فغنت غناء أعجميًا فهيجت غرامى من ذكرى عهود تولت
 فأرسلت الأجفان سحبا و أوقدت جواى الذى كانت ضلوعى أكتت
 نظرت بصحراء البريقين نظرة وصلت بها قلبى فصل و صلت
 فيا لهما قلبا شجيا و نظرة حجازية لو جن طرف لجنت
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٧٤
 و وا عجا للقلب كيف اعترافه و كيف بدت أسراره خلف ستره
 و للعين لما سوئلت كيف أخبرت و للنفس لما و طنت كيف دلّت
 و كنا سلطنا فى صعود من الهوى يسامى بأعلام العلا كل رتبة
 إلى مستوى ما فوqe فيه مستوى فلما توافينا ثبت و زلت
 و كنا عقدنا عقده الوصل بيننا على نحر قربان لدى قبر شبيه
 مؤكده بالتذر أيام عهده فلما تواتقنا اشتدت و حلت

و من فصل الاحتفال: [الطويل]

أزور اعتمارا أرضها بتنسك و أقصد حجبا بيتها بتحله
 و فى نشأتى الأخرى ظهرت بما علت له نشأتى الأولى على كل فطره
 و لو لا خفاء الرمز من لا و لن و لم تجدها لشملى مسلكا بتشتت
 و لو لم يجدد عهدنا عقد خلّه قضيت و لم يقض المنى صدق توبه
 بعثت إلى قلبى بشيرا بما رأت على قدم عيناي منه فكفت
 فلم يعد أن شام البشارة شام ما جفا الشام من نور الصفات الكريمة
 فيا لك من نور لو أن التفاتة تعارض منه بالنفوس النفيسة
 تحدت أنفاس الصبا أن طيبها بما حملته من حراقة حرقة
 و تنبىء آصال الربيع عن الربا و أشجاره أن قد تجلت فجلت
 و تخبر أصوات البلابل أنها تغنت بترجيعى على كل أيكه
 فهذا جمالى منك فى بعد حسرتى فكيف به إن قربتنى بخله
 تبدى و ما زال الحجاب و لا دنا و غاب و لم يفقده شاهد حضرته
 له كل غير فى تجليه مظهر و لا غير إلا ما محت كف غيره
 تجلى دليل، و احتجاب تنزه و إثبات عرفان، و محو تثبت
 فما شئت من شىء و آليت أنه هو الشىء لم تحمد فجار أليتى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٧٥

و فى كل خلق منه كل عجيبة و فى كل خلق منه كل لطيفه
 و فى كل خاف منه مكن حكمة و فى كل باد منه مظهر جلوه
 أراه بقلب القلب و اللغز كامنا و فى الزجر و الفال الصحيح الأدلة
 و فى طى أوافق الحساب و سر ما يتم من الأعداد فابدأ بسنة

و في نفضات السحر في العقد التي تطوع لها كل الطباع الأبيّة
يصور شكلا مثل شكل و يعتلى عليه بأوهام النفوس الخبيثة
و في كلّ تصحيف و عضو بذاته اختلاج، و في التقيوم مجلى لرؤيته
و في خضرة الكمون تزجى شرابه مواعيد عرقوب على إثر صفره
و في شجر قد خوّف قطع أصلها فبان بها حمل لأقرب مدّة
و في النخل في تلقيحه و اعتبر بما أتى فيه عن خير البرية و اسكت
و في الطابع السبتي في الأحرف التي يبين منها النظم كلّ خفيّة
و في صنعة الطلسم و الكيمياء و ال كنوز و تغوير المياه المعينه
و في حرز أقسام المؤدّب محرز و حزب أصيل الشاذليّ و بكره
و في سيمياء الحاتمى و مذهب اب ن سبعين إذ يعزى إلى شرّ بدعه
و في المثل الأولى و في التحل الألى بها أوهموا لما تساموا بسنّه
و في كلّ ما فى الكون من عجب و ما حوى الكون إلّا ناطقا بعجيّه
فلا سرّ إلّا و هو فيه سريرة و لا جهر إلّا و هو فيه كحليه
سل الذكر عن أنصاف أصناف ما ابتنى عليه الكلام من حروف سليمة
و عن وضعها فى بعضها و بلوغ ما أتت فيه أمضى عدّها و تثبت
فلا بدّ من رمز الكنوز لذي الحجا و لا ظلم إلّا ظلم صاحب حكمه
و لو لا سلام ساق للأمن خيفتى لعاجل مسّ البرد خوفى لميتتى
و لو لم تداركنى و لكن بعطفها درجت رجائى أن نعنتى خيبتى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٧٦
و لو لم تؤانسنى عنا قبل لم و لم قضى العتب منى بغيّه بعد وحشتى
و نعم أقامت أمر ملكى بشكرها كما هوّنت بالصبر كلّ بليّه
و من فصل الاعتقال: [الطويل]

سرت بفؤادى إذ سرت فيه نظرتى و سارت و لم تن العنان بعطفه
و ذلك لما أطلع الشمس فى الدجى محيا ابنه الحيين فى خير ليله
يمانيه لو أنجدت حين أنجدت لما أبصرت عيناك حيا كميت
لأصحهمة فى نصحها قدم بنى لكلّ نجاشى بها حصن ذمه
ألّمت فحطّ رحلها ثم لم يكن سوى وقفه التوديع حتى استقلّت
فلو سمحت لى بالتفات و حلّ من مهاوى الهوى و الهون جدّ تفلّتى
و لكنها همّت بنا فتذكرت قضاء قضاء الحسن قدما فصدت
أجلت خيالاً إننى لا أجله و لم أنتسب منه لغير تعلّه
على أننى كلّى و بعضى حقيقه و باطل أوصافى و حقّ حقيقتى
و جنسى و فصلى و العوارض كلّها و نوعى و شخصى و الهواء و صورتى
و جسمى و نفسى و الحشا و غرامه و عقلى و روحانيتى القدسيه

و في كلّ لفظ عنه ميل لمسمعى و في كلّ معنى منه معنى للوعتى
و دهرى به عيد ليوم عروبه و أمرى أمرى و الورى تحت قبضتى
و وقتى شهود فى فناء شهادته و لا وقت لى إلّا مشاهد غيبه
أراه معى حسا و وهما و إنه مناط الثريا من مدارك رؤيتى
و أسمع من غير نطق كأنه يلقن سمعى ما توسوس مهجتى
ملأت بأنوار المحبته باطنى كأنك نور فى سرار سريرتى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٧٧
و جليت بالإجلال أرجاء ظاهرى كأنك فى أفقى كواكب زينه
فأنت الذى أخفيه عند تسترى و أنت الذى أبدية فى حين شهرتى
فته أحتمل، و اقطع أصل، و اعل أستفل و مر أمتل، و املل أمل، و ارم أثبت
فقلبى إن عاتبته فيك لم أجد لعبتى فيه الدهر موقع نكته
و نفسى تنبو عن سواك نفاسه فلا تنتمى إلّا إليك بمنه
تعلقت الآمال منك بفوق ما أرى دونه ما لا ينال بحيله
و حامت حوايلها و ما وافقت حمى سحائب يأس أمطرت ماء عبرتى
فلو فاتنى منك الرضا و لحقتنى بعفو بكيه الدهر فوت فضيله
و لو كنت فى أهل اليمين منعمًا بكيه على ما كان من سبقيته
و كم من مقام قمت عنك مسائلأرى كلّ حىّ كلّ حىّ و ميت
أتيت بفاراب أبا نصرها فلم أجد عنده علما يبرّد غلتي
و لم يدر ما قولى ابن سيناء سائلا فقل كيف أرجو عنده برء علتى
فهل فى ابن رشد بعد هذين مرتجى و فى ابن طفيل لاحثاث مطيتى
لقد ضاع- لو لا أن تداركنى حمى من الله- سعى بينهم طول مدّتى
فقيض لى نهجا إلى الحقّ سالكا و أيقظنى من نوم جهلى و غفلتى
فحصنت أنظار الجنيد جنيدها بترك فلى من رغبه ريه رهبه
و كسرت عن رجل ابن أدهم أدهما و أنقذته من أسر حبّ الأسره
و عدت على حلاج شكرى بصلبه و ألقيت بلعام التفاتى بهوه
فقولى مشكور، و رأبى ناجح و فعلى محمود، بكلّ محلّه
رضيت بعرفانى فأعليت للعلا و أجلسنى بعد الرضا فيه جلتي
فعشت و لا ضيرا أخاف و لا قلّى و صرت حيبا فى ديار أحبتى
فها أنا ذا أمسى و أصبح بينهم مبلغ نفسى منهم ما تمت
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٧٨

و من نظمه أيضا ما حكى عنه فى «الإحاطة» إذ قال: و أنشدنى قوله فى حال قبض، و قيدتها عنه: [الطويل]
إليك بسطت الكفّ أستنزل الفضلا و منك قبضت الطرف أستشعر الدلا
وها أنا ذا قد قمت يقدمنى الرجا و يحجم بى الخوف الذى خامر العقلا

أقدم رجلا إن يضىء برق مطمع و تظلم أرجائي فلا أنقل الرّجلا
ولى عثرات لست آمل إن هوت بنفسى أن لا أستقيل و أن أصلى
فإن تدركنى رحمته أنتعش بها و إن تكن الأخرى فأولى بى الأولى
و قوله رحمه الله تعالى: [مجزوء الكامل]

وجد تسعّره الضلوع و ما تبرّده المدامع
همّ تحرّكه الصّبا به و المهابة لا تطواع
أمل إذا وصل الرّجا أسبابه فالموت قاطع
بالله يا هذا الهوى ما أنت بالعشّاق صانع

[من شعره الذى رواه لسان الدين فى الإحاطة]

و قال رحمه الله تعالى كما فى «الإحاطة»: و ممّا كتبت به لمن بلغنى عنه بعض الشىء:
[الرملى]

نحن، إن تسأل بناس، معشر أهل ماء فجرته الهمم
عرب من بيضهم أرزاقهم و من السمر الطوال الخيم
عزّضت أحسابهم أرواحهم دون نيل العرض و هى الكرم
أورثونا المجد حتى إننا نرتضى الموت و لا نزدحم
ما لنا فى الناس من ذنب سوى أننا نلوى إذا ما اقتحموا

و قال: ممّا قلته مديلا به قول القاضى أبى بكر بن العربى: [الهزج الوافر]

أما و المسجد الأقصى و ما يتلى به نصّا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٧٩

لقد رقصت بنات الشوق بين جوانحى رقصا

قولى: [الهزج]

فأقلع بى إليه هوى جناحا عزمه قصّا

أقلّ القلب و استعدى على الجثمان فاستعصى

فقت أجول بينهما فلا أدنى و لا أقصى

قال رحمه الله تعالى: و ممّا قلته فى التورية بشأن راوى المدوّنة: [البسيط]

لا تعجبنّ لظبى قد دها أسدا فقد دها أسدا من قبل سخنون

و من نظم مولاي الجدّ ممّا لم يذكره فى «الإحاطة» قوله حسبما ألفى بخطّه على ظهر نسخة من تأليفه «القواعد»: [البسيط]

ناديت و القلب بالأشواق محترق و النفس من حيرة الأبعاد فى دهش

يا معطشى من وصال كنت آمله هل فيك لى فرج إن صحت و اعطشى

[و من شعره الذى لم يذكره فى الإحاطة]

و من نظمه ما أسنده الوانشريسى إليه: [الكامل]
 خالف هواك و كن لعقلك طائعا فخذ الحقيقة عند طرف الناظر
 و منه ممّا نسبه له المذكور، و رأيت من ينسبهما لغيره: [البيسط]
 لمّا رأيناك بعد الشيب يا رجل لا تستقيم و أمر النفس تمتثل
 زدنا يقينا بما كُنّا نصدقه بعد المشيب يشبّ الحرص و الأمل
 و فى «الإحاطة» فى ترجمه شعره ما صورته قال: و ممّا قلته من الشعر، و به نختم الكلام: [البيسط]
 أنبت عودا لنعماء بدأت بها فضلا و ألبستها بعد اللّحي الورقا
 فظلّ مستشعرا مستدثرا أرجا ريان ذا بهجة يستوقف الحدقا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٨٠
 فلا تشنه بمكروه الجنى فلکم عودته من جميل من لدن خلقا
 و انف القذى عنه و اثر الدهر منبته و غده برجا و اسقه غدقا
 و احفظه من حادثات الدهر أجمعها ما جاء منها على ضوء و ما طرقا
 انتهى ما قصدته من ترجمه مولاي الجدّ على ما اقتضاه الوقت، و لو أرسلت عنان القلم فى شأنه لضاق هذا الديوان عن ذلك، و يرحم
 الله شيخ شيوخ شيوخنا عالم المغرب سيدى أبا العباس الوانشريسى ثم التلمسانى نزيل فاس صاحب «المعيار» و غيره إذ قال فى تأليفه
 الذى عرّف فيه بمولاي الجدّ لمّا سأله بعضهم فى ذلك، و ذكر ما حضره، ما نصّه: و لقد استوفى شيخ شيوخنا المحقّق النظار أبو عبد
 الله بن مرزوق الحفيد ترجمه المقرئ فى كتاب سمّاه «النور البدرى، فى التعريف بالفقيه المقرئ» و قد تقدّمت الإشارة إلى أن اسم
 هذا التأليف مبنى على أنّ المقرئ بفتح الميم و سكون القاف، و قد علمت ما فى ذلك ممّا مضى.
 قلت: و قد ملكت بفاس مجلدا ضخما بخط مؤلفه، و هو أحد علماء مدينة فاس، ألفه برسم مولاي الجدّ، و سمّاه ب «الزهر الباسم» و
 أطال فيه فى مدح مولاي الجدّ، و الثناء عليه، و التنويه بقدره، و ذكر محاسنه، و لم يحضرنى الآن لكونى تركته مع جملة كتبى
 بالمغرب، و قد تعلّق بحفظى ما قاله فى أوله من جملة أبيات: [الوافر]
 إذا ذكرت مفاخر أهل فاس ذكرنا من أتى من تلمسان
 و قلنا هل رأيتم فى قضاء شبيها للفقيه العدل ثانى
 إلى أن قال:
 و نفس العلم إن شانت لشخص فما للمقرئ فى العلم شانى

[تلامذة المقرئ الكبير]

و قد أخذ عنه، رحمه الله تعالى، جماعة أعلام مشهورون، منهم لسان الدين بن الخطيب ذو الوزارتين، و الوزير أبو عبد الله بن
 زمرك، و الأستاذ العلامة أبو عبد الله القيحاوى الآيى فى علم القراءات، و الشيخ الفقيه القاضى الرّحال الحاج أبو عبد الله محمد بن
 سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجى الزمورى الدار المعروف بنقشابو، و الولي ابن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٨١

خلدون صاحب التاريخ، و فى بعض المواضع يعبر عنه بصاحبنا، و فى بعضها بشيخنا، و النظار أبو إسحاق الشاطبى، و العلامة أبو محمد
 عبد الله بن جزى، و الحافظ ابن علان، و غيرهم ممّن يطول تعدادهم، و لا كالشيخ الولي الشهير الكبير العارف بالله سيدى محمد بن
 عباد الرندى شارح حكم ابن عطاء الله فإنه ممّن يفتخر بمولاي الجدّ، رحمه الله تعالى، يكون مثله تلميذا له، و لا بأس أن نورد ترجمته

تبرّكاً به في هذا الكتاب، و لو لم تقتضه المناسبة التي راعيناها في هذا التأليف، فكيف و قد اقتضته؟ فنقول:

[ترجمة ابن عباد الرندي شارح حكم ابن عطاء الله الإسكندري]

قال في حقّه صاحبه الشيخ أبو زكريا السراج، ما صورته: هو شيخنا الفقيه الخطيب البليغ الخاشع الخاشي، الإمام العالم المصنّف السالك العارف المحقّق الرباني ذو العلوم الباهرة، و المحاسن المتظاهرة، سليل الخطباء، و نتيجة العلماء، أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه الواعظ الخطيب البليغ العلم الحظي الوجيه الحسيب الأصيل أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عباد، كان حسن السمت، طويل الصمت، كثير الوقار و الحياء، جميل اللقاء، حسن الخلق و الخلق، عالي الهمة، متواضعا، معظما عند الخاصة و العامة، نشأ ببلده رندة على أكمل طهارة، و عفاف و صيانة، و حفظ القرآن ابن سبع سنين، ثم تشاغل بعد بطلب العلوم النحوية و الأدبية و الأصولية و الفروعية، حتى رأس فيها، و حصل معانيها، ثم أخذ في طريق الصوفية و المباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه، و تكلم في علوم الأحوال و المقامات، و العلل و الآفات، و ألف فيه تواليف عجيبة، و تصانيف بديعة غريبة، و له أجوبة كثيرة في مسائل العلوم نحو مجلدين، و درس كتبا و حفظها أو جلّها كتهاب القضاء و الرسالة و مختصرى ابن الحاجب و تسهيل ابن مالك و مقامات الحريرى و فصيح ثعلب و غيرها، و قوت القلوب، أخذ ببلده رندة عن أبيه القرآن و غيره، و عن خاله الشيخ الفقيه القاضي عبد الله الفريسي العربية و غيرها، و عن الشيخ الفقيه الخطيب أبي الحسن على بن أبي الحسن الرندي حرف نافع، و عرض عليه الرسالة، و بتلمسان و فاس عن السيد الشريف الإمام العالم العلامة المحقق أبي عبد الله التلمساني الحسنى جمل الخونجى تفهما و غيره، و عن الشيخ الفقيه القاضي العالم أبي عبد الله المقرئ كثيرا من المختصر الفرعى لابن الحاجب و فصيح ثعلب و بعض صحيح مسلم كلّها تفقها، و عن الشيخ الفقيه العالم أبي محمد عبد النور العمراني الموطأ و العربية، و عن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٨٢

الإمام العالم أبي عبد الله الأبلّ «الإرشاد» لأبي المعالي و جميع كتاب ابن الحاجب الأصيل و عقيدة ابن الحاجب تفقها، و عن الشيخ الفقيه الحافظ أبي الحسن الصرصرى بعض «التهديب» تفقها، و عن الشيخ الأستاذ المقرئ الصالح أحمد بن عبد الرحمن المجاصى - شهر بالمكناسى - كثيرا من جمل الزجاج و تسهيل ابن مالك، و عن الشيخ الفقيه الصالح أبي مهدي عيسى المصمودى جميع كتاب ابن الحاجب و الحاجية له أيضا تفقها، و تفقّه على الفقيه العالم أبي محمد الواتعيلى فى كتاب ابن الحاجب الفقهى و أخذ عنه حرف نافع، و عن الشيخ الفقيه الصالح المدرس بالحلّفاويين أبي محمد عبد الله القشتالى كثيرا من «التهديب»، و عن قاضى الجماعة و خطيب الحضرة أبي عبد الله محمد بن أحمد القشتالى كثيرا من «التهديب» تفقها، و كذا عن غيرهم، و لقي بسلا الشيخ الحاج الصالح السنّى الزاهد الورع أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر، و أقام معه و مع أصحابه سنين عديدة، قال: قصدتهم لوجدان السلامة معهم، ثم رحل لطنجة فلقى بها الشيخ الصوفى أبا مروان عبد الملك، لازمته كثيرا، و قرأت عليه، و سمعت منه، و أنشدنى من شعره و شعر غيره، و ترددت بينى و بينه مسائل فى إقامته بسلا، و انتفعت به عظيما فى فى التصوّف و غيره، و أجازنى إجازة عامة. مولده برندة عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة، و توفى بعد العصر يوم الجمعة ثالث رجب عام اثنين و تسعين و سبعمائة، و حضر جنازته الأمير فمّن بعده، و همّت العامة بكسر نعشه تبرّكاً به، و لم أر جنازة أحفل و لا أكثر خلقا منها، و رثاه الناس بقصائد كثيرة؛ انتهى كلام السراج.

و قال غيره فى حقّه: محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن يحيى بن عباد، النفرى نسابا، الرندى بلدا، الشهير بابن عباد، الفقيه الصوفى الزاهد الولي العارف بالله تعالى.

و قال فى حقّه الشيخ ابن الخطيب القسطنطينى فى كتابه «أنس الفقير، و عز الحقير»: هو الخطيب الشهير، الصالح الكبير، و كان والده من الخطباء، الفصحاء النجباء، و لأبى عبد الله هذا عقل و سكون، و زهد بالصلاح مقرون، و كان يحضر معنا مجلس شيخنا الفقيه أبى عمران العبدوسى، رحمه الله تعالى، و هو من أكابر أصحاب ابن عاشر، و من خيار تلامذته، و أخذ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٨٣

عنه. و له كلام عجيب في التصوف، و صنف فيه، كما هو الآن يقرأ على الناس مع كتب التذكير، و له في ذلك قلم انفراد به، و سلم له فيه بسببه، و من تصانيفه «شرح كتاب الحكم» لابن عطاء الله في سفر، رأيته و على ظهر نسخة منه مكتوب: [البسيط]

لا يبلغ المرء في أوطانه شرفا حتى يكيل تراب الأرض بالقدم

و من كلامه فيه: الاستئناس بالناس، من علامات الإفلاس، و فتح باب الأنس بالله تعالى الاستيحاش من الناس. و من كلامه فيه: من لازم الكون و بقي معه و قصر همته عليه و لم تفتح له طريق الغيوب الملكوتية، و لا خلص له بسرّه إلى فضاء شهادة الوجدانية، فهو مسجون بمحطاته، و محصور في هيكل ذاته. إلى غير ذلك من كلامه. و كان يحضر السماع ليلة المولد عند السلطان، و هو لا يريد ذلك، و ما رأته قط في غير مجلس جالسا مع أحد، و إنما حظ من يراه الوقوف معه خاصا، و كنت إذا طلبته في الدعاء احمرّ وجهه و استحيا كثيرا، ثم يدعو لي، و أكثر تمتعه من الدنيا بالطيب و البخور الكثير، و يتولى أمر خدمته بنفسه، و لم يتزوج، و لم يملك أمة، و لباسه في داره مرقعة، فإذا خرج سترها بثوب أخضر أو أبيض، و له تلامذة كلهم أخصيار مباركون، و بلغني عن بعضهم أنه تصدق حين تاب على يده بعشرة آلاف دينار ذهباً، و هو الآن إمام جامع القرويين بفاس و خطيبه، و أكثر قراءته في صلاة الجمعة إذا جاء نصر الله و أكثر خطبته و عظه، و مثله من يعظ الناس؛ لأنه اتعظ في نفسه، و قد أوحى الله تعالى إلى عيسى، عليه الصلاة و السلام: يا عيسى، عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، و إلا فاستحي مني، ذكره الغزالي؛ و عهدى به أنه على صفة البدلاء، الصادقين النبلاء، كثر الله مثله في الإسلام؛ انتهى.

قلت: و قد زرت قبره مرارا بفاس، و دعوت الله تعالى عنده، و هو عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر، و من منن الله سبحانه عليّ أنى سكنت محلّه لما توليت الخطابة و الإمامة بجامع القرويين من فاس المحروسة مضافين إلى الفتوى، و الدار المعلومة للخطيب بالجامع المذكور إلى الآن تعرف بدار الشيخ ابن عباد، و أقمت على ذلك خمس سنين و أشهر، ثم قوّضت الرحال للمشرق، وها أنا إلى الآن فيها، و الله يبسرّ الخير حيث كان.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٨٤

و قال الشيخ سيدي أحمد زروق في شأن الشيخ ابن عباد: إنه ولد برنده، و بها نشأ في عفاف و صون، ثم رحل لفاس و تلمسان فقراً بهما الفقه و الأصول و العربية، ثم عاد فصحب بمدينة سلا أفضل أهل زمانه علما و عملا سيدي أحمد بن عاشر، نفعنا الله به! فأظهر الله تعالى من بركاته ما لا يخفى على متأمل، ثم نقل بعد وفاة الشيخ فجعل خطيبا بجامع القرويين من مدينة فاس، و بقي بها خمس عشرة سنة خطيبا، فتوفاه الله تعالى بها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة رابع رجب سنة اثنتين و تسعين و سبعمائة، و دفن بكديّة البراطل من داخل باب الفتوح. و كان، رضى الله عنه، ذا صمت و سمت، و تحمل و زهد، معظما عند الكافة، معولا في حلّ المشكلات على فتح الفتاح العليم: [الطويل]

و من علمه أن ليس يدعى بعالم و من فقره أن لا يرى يشتكى الفقرا
و من حاله أن غاب شاهد حاله فلا يدعى وصلا و لا يشتكى هجرا

كذا رأيت بخط من أثق به في تعريفه مختصرا مع زيادة ما تحققت، و كتبه شاهدة بكماله علما و عملا، فهي كافية في تعريفه، و كان الذي طلبه في وضع الشرح على الحكم سيدي أبو زكريا السراج الذي أكثر رسائله له و سيدي أبو الربيع سليمان بن عمر؛ انتهى.

و قال في موضع آخر: سيدنا العارف المحقق الخطيب البليغ نسيج وحده، و مقدم من أتى من بعده، أبو عبد الله، قرأ بفاس و تلمسان العربية و الأصول و الفقه ككتاب الإرشاد و مختصر ابن الحاجب الفقهى و الأصلي و تسهيل ابن مالك، و توفي بفاس، و قبره بها مشهور، و مزبته معروفة شرقا و غربا، و قد كتب مسائل معروفة أكثرها لسيدى يحيى السراج، و له كتب الشرح مع سيدي سليمان بن عمر الذي قال في حقّه: إنه ولى بلا شك، بطلبهما لذلك، و رأيت كتابا في الإمامة سمّاه «تحقيق العلامة، في أحكام الإمامة» فذكرته

لشيخنا القورى، رحمه الله تعالى، و كان معنيا بكتبه معولا عليها فى حاله، فقال: أظنه لوالده سيدى إبراهيم، و قد كان خطيبا بالقصبة إذ كانت عامرة، و له خطب عظيمة الفصاحة، حسنة الموقع؛ انتهى.

و قال الشيخ أبو يحيى بن السكاك: أما شيخى و بركتى أبو عبد الله بن عباد، رضى الله عنه، فإنه شرح الحكم و عقد درر منثورها فى نظم بديع، و جمعت من إنشائه مسائل مدارها على الإرشاد إلى البراءة من الحول و القوّة، فيها نبذ كأنفاس الأكابر، مع حسن التصرف فى طريق الشاذلى، و جودة تنزيل على الصور الجزئية، و بسط التعبير، مع إنهاء البيان إلى أقصى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٨٥

غاياته، و التفنن فى تقريب الغامض إلى الأذهان بالأمثلة الوضعية، فقرب بها حقائق الشاذلية تقريبا لم يسبق إليه، كما قرب الإمام ابن رشد مذهب مالک تقريبا لم يسبق إليه، و كان مع ذلك آية فى التحقق بالعبودية و البراءة من الحول و القوّة و عدم المبالاة بالمدح و الذم، بل له مقاصد نفيسة فى الإعراض عن الخلق، و عدم المبالاة بهم، و أعظم أخلاقه التى لا- يصبر عنها و يضطرب لها غاية الاضطراب أن يحضر حيث ينسى الحق، لا سيما إن كان نسيان الحق بالنسبة إليه، فهو الذى يقلقه، و يضيق صدره على اتساعه و وفور انشراحه عن ذلك، و لقد ذكر بعض من كان من أخصّ الناس به و منقطعاً إليه أحوال رجال الرسالة القشيرية و الحلية و ما منحوا من المواهب، قال: فلما مات الشيخ و استبصرت ما أشاهده منه من أفعال تدلّ على القطع بصدقيته لاح لى أن تلك الصفات التى يذكر مشخّصة فيه نشاهدها عيانا، و لو لم أر الشيخ لقلت: إننى لم أر كاملا، و على الجملة فهو واحد عصره بالمغرب. ذكر لى عن قطب المعقول بالمغرب و المشرق الأبلّى أنه كان يشير إليه فى حال قراءته عليه، أعنى الشيخ ابن عباد، و يقول: إنّ هناك علما جمّا لا يوجد عند مشاهير أهل ذلك الوقت، إلّا أنه كان لا يتكلّم، رضى الله عنه، و شهد له المقطوع بولايتهم بالتقدّم، و أقروا له بالشيخوخة، و تبرّكوا به، كسيدى سليمان اليازغى و سيدى محمد المصمودى و سيدى سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسى و أمثالهم، و كان شيخه الحجّة الورع أحمد بن عاشر يشيد بذكره، و يقدمه على سائر أصحابه، و يأمرهم بالأخذ عنه، و الانتفاع به، و التسليم له، و يقول: ابن عباد أمة وحده، و لا شكّ أنه كذلك كان، أعنى غريبا فإنّ العارف غريب الهمة بعيد القصد، لا يجد مساعدا على قصده. و كان الغالب عليه الحياء من الله تعالى، و التنزل بين يدى عظمته، و تنزله نفسه منزلة أقلّ الحشرات، لا يرى لنفسه مزية على مخلوق، لما غلب عليه من هيبة الجلال و عظمة المالك و شهود المنّة، نظارا إلى جميع عباد الله تعالى بعين الرحمة و الشفقة و النصيحة العامة، مع توفية المراتب حقّها، و الوقوف مع الحدود الشرعية، و اعتبارهم من حيث مراد الله تعالى بهم، هذا دأبه مع الطائع و العاصى ما لم يظهر له من أحد مخايل حبّ التعظيم و المدح و التجبّر على المساكين و رؤية الحقّ إذ هى دعوى لا تليق بالعبد، و من كانت هذه صفته فقد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٨٦

وصل حدّ الخذلان، بل هى علامة تقارب القطع على أنه شقى مسلم إلى غضب الله تعالى و مقته، أعادنا الله تعالى منه. و كان من حال هذا السيد تألف قلوب الأولاد الصغار، فهم يحبونه محبةً تفوق محبتهم لآبائهم و أمهاتهم، فينتظرون خروجه للصلاة و هم عدد كثير، يأتون من كلّ أوب و من المكاتب البعيدة، فإذا رأوه ازدحموا على تقبيل يده. و كذا كان ملوك زمانه يزدحمون عليه، و يتدلّلون بين يديه، فلا يحفل بذلك، و ذكر لى بعض تلامذته أنّ أقواله تشبه أفعاله، لما منحه الله تعالى من فنون الاستقامة، مع ما فى كلامه من النور و الحلاوة التى استغرقت ألباب المشاركة، بحيث صار لهم بحث عريض على تواليه؛ انتهى كلام ابن السكاك.

و له من التواليف: الرسائل الكبرى، و الصغرى، و شرح الحكم، و نظمها فى ثمانمائة بيت من الرجز.

و حدّث الشيخ أبو مسعود الهراس قال: كنت أقرأ فى صحن جامع القرويين و المؤذنون يؤذنون بالليل، فإذا أبو عبد الله بن عباد قد خرج من باب داره، و جاء يطير فى الصحن كأنه جالس متربّع حتى دخل فى البلاط الذى حول الصومعة، ثم مشيت فوجدته يصلّى حول المحراب، و سأله السراج عن أبى حامد الغزالى، فقال: هو فوق الفقهاء، و أقلّ من الصوفية.

و مما نقل من خطّه، رحمه الله تعالى، و لا يدري هل هي له أم لا: [الكامل]

الحزم قبل العزم فاحزم و اعزم و إذا استبان لك الصواب فصمّم

و استعمل الرفق الذى هو مكسب ذكر القلوب وجد و أجمل و احلم

و احرس و سر و اشجع وصل و امن وصل و اعدل و أنصف و اراع و احفظ و ارحم

و إذا وعدت فعد بما تقوى على إنجازهِ و إذا اصطنعت فتمّم

و ذكر الشيخ الفقيه الخطيب القاضى الحاج أبو سعيد بن أبى سعيد السلوى أنه رأى فى حائط جامع القرويين أبياتا مكتوبة بفحم بخطّ

الشيخ أبى عبد الله بن عباد و هى: [السريع]

أيتها النفس إليه اذهبي فحبّه المشهور من مذهبي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٨٧

مفضض الثغر له نقطه من عنبر فى خده المذهب

أيأسنى التوبه من حبه طلوعه شمسا من المغرب

قال الشيخ أبو سعيد: فاستشكلت هذه الأبيات لما اشتملت عليه من التغزل، و ذكر الخال و الخدّ و الثغر، و مقام الشيخ ابن عباد يجلّ

عن الاشتغال بمثل هذا، فلقيت يوماً أبا القاسم الصيرفي، فذاكرته بالقصه و وجه الإشكال فيها، فقال لى: مقامك عندى أعلى من أن

تستشكل مثل هذا، هذه أوصاف ولى الله القائم بأمر الله المهدي، فشكرته على ذلك؛ انتهى.

قلت: رأيت بخطّ الوانشريسى إثر هذه الحكاية ما نصّه: قلت فى صحه هذه الحكاية عن الشيخ نظر؛ لما احتوت عليه من تعبير الحسن،

و قدر الشيخ و ورعه أعلى من هذا، فهذان إشكالان، و الله أعلم.

و حكى أن الشيخ ابن عباد، رحمه الله تعالى، لما احتضر جعل رأسه فى حجر أبى القاسم هذا، و أخذ فى قراءة آية الكرسي إلى قوله

الْحَيُّ الْقَيُّومُ [البقرة: ٢٥٥] ثم يقول: يا الله، يا حيّ، يا قيوم، فيلقنه من حضر لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ [البقرة: ٢٥٥] فيمتنع الشيخ من

قراءتها و يقول: يا الله، يا حيّ، يا قيوم، فلما قربت وفاته سمع منه هذا البيت و كان آخر ما تكلم به: [البسيط]

ما عودونى أحبائى مقاطعة بل عودونى إذا قاطعتهم و صلوا

و لما توفى الشيخ ابن عباد، رضى الله عنه، فى التاريخ المتقدم حضر جنازته السلطان أمير المسلمين أبو العباس أحمد ابن السلطان أبى

سالم و أهل البلدتين - يعنى فاسا الجديد التى هى مسكن السلطان و خواص أتباعه، و فاسا العتيق التى هى محلّ الأعلام و الخاص و

العام من الناس فى ذلك القطر، إذ هى إذ ذاك حضرة الخلافة و قبة الإسلام فى المغرب - و تقدّم بعده للإمامة و الخطبة بجامع

القرويين نائبه أيام مرضه الشيخ الصالح الورع أبو زيد عبد الرحمن الزرهونى حسبما قاله الجاديرى رحمه الله تعالى!.

و حكى الوانشريسى، رحمه الله تعالى، أن الشيخ ابن عباد كَلَّمَ ابن دريدة الوالى فى مظلمة، فلم يقبل، فلما كان يوم الجمعة و نزل

السلطان أبو العباس للصلاة بجامع القرويين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٨٨

وراء الشيخ ابن عباد، قال الشيخ فى خطبته: من الأمور المستحسنة، أن لا يبقى الوالى سنة؛ انتهى.

و للشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب مشهورة بأيدى الناس، و يقرءون منها ما يتعلّق بالمولد النبوى الشريف بين يدي السلطان

تبركا بها، و كذا يقرءونها فى المجتمعات فى المواسم، كأول رجب و شعبان و نصفهما و السابع و العشرين منهما، كرمضان، و قد

حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر و ألف قراءة كراسه الشيخ فى المولد النبوى على صاحبه الصلاة و السلام بين يدي مولانا

السلطان المرحوم أحمد المنصور بالله الشريف الحسنى، رحمه الله تعالى، و قد احتفل لذلك المولد بأمر يستغرب وقوعها، جازاه الله

تعالى عن نيته خيرا، و قد أشرت إلى ذلك فى كتابى الموسوم ب «روضه الآس، العاطرة الأنفاس، فى ذكر من لقيته من أعلام

الحضرتين مراکش وفاس» و سردت جملة من القصائد و الموشحات في وصف ذلك الصنيع، و رحمة الله وراء الجميع.

[عود إلى شيوخ لسان الدين و ترجمة أبي محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد]

و لنرجع إلى مشايخ لسان الدين بن الخطيب، رحمه الله تعالى، فنقول: و منهم: الشيخ الفقيه القاضي بمكناسة الزيتون أبو محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد، ذكره في «نفاضة الجراب» و قال: إنه لقيه بمكناسة الزيتون سنة إحدى و ستين و سبعمائة، و كان من أهل المعرفة و الحصافة، قائما على كتاب أبي عمرو بن الحاجب في مذهب مالك، و كان ممتازا به فيما دون تلمسان، قرأه على الشيخين علمي الأفق المغربي أبي موسى و أبي زيد ابني الإمام عالمي تلمسان و المغرب جميعا. قال لسان الدين في «النفاضة»:

و تصدّر المذكور لإقراءه الآن، فما شئت من اضطلاع، و معرفة و اطلاع، و قيد جزءا نبيلًا على فتوى الإمام القاضي أبي بكر بن العربي المسماة ب «الحاكمة»، و سماه ب «الجازمة»، على الرسالة «الحاكمة» أجاد فيه و أحسن، و قرأت عليه بعضه و أذن لي في تحمله؛ انتهى.

[ترجمة الفقيه يونس بن عطية (ابن أبي عفيف) الوانشرسي]

و من أشيخ لسان الدين الذين لقيهم بمكناسة الزيتون الفاضل الخير يونس بن عطية الوانشرسي، له عناية بفروع الفقه، و ولي القضاء بقصر كتامة.

و منهم الفقيه الفاضل الخير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي عفيف، المتصدّر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٨٩

لقراءة كتاب الشفاء النبوي، لديه جملة حسنة من أصول الفقه أشف بها على كثير من نظرائه قراءة منه إياها على أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل الصباغ، و شاركه في قراءتها على الإمام أبي عبد الله الأبلبي.

[أبو علي عمر بن عثمان الوانشرسي]

و منهم الفقيه المدرك الأستاذ في فن العربية: أبو علي عمر بن عثمان الوانشرسي؛ قال لسان الدين: حضرت مذاكرته في مسألة

أعوزت عليه، و طال عنها سؤاله، و هي قول الشاعر: [البسيط]

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا ما لم يروا عنده آثار إحصان

و صورة السؤال: كيف وقوع أفعل بين شيئين لا اشتراك بينهما في الوصف؛ إذ أوقع الشاعر «أكيس» بين الناس و بين أن يمدحوا، و هو مؤول بالمصدر و هو المدح، و لا يوصف بذلك؛ انتهى.

قلت: الإشكال مشهور، و الجواب عنه بضرب من المجاز ظاهر، و قد أشار إليه أبو حيان في «الارتشاف» و جماعة آخرون في قول بعض المؤلفين كصاحب التلخيص «أكثر من أن تحصي» و لو لا السامة لذكرت ما قيل في ذلك، و خلاصة ما قالوه أن في الكلام تقديرا، و الله أعلم.

[أبو جعفر أحمد بن محمد، الجنان، الأوسى]

و ممن لقيه لسان الدين بمكناسة الزيتون الفقيه العدل الأخباري الأديب المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسى الجنان، من أهل الظرف و الانطباع و الفضيلة، و هو كاتب عاقد للشروط، ناظم ناثر مشارك في فنون من العلم، مؤلف، و قد ذكرنا في

غير هذا المحلّ ما دار بينه وبين لسان الدين من المحاورّة و المراجعة، فليراجع، قال لسان الدين رحمه الله تعالى: ناولني المذكور تأليفه الحسن الذي سمّاه «المنهل المورود»، في شرح المقصد المحمود» شرح فيه وثائق الجزرى فأربى بيانا وإفادة وإجادة، و أذن لى فى حملة عنه، و هو فى ثلاث مجلّدات، و أنشدنى كثيرا من شعره.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٩٠

[أبو عبد الله بن أبى رمانه]

و منهم القاضى بها أبو عبد الله بن أبى رمانه؛ قال لسان الدين: لقيته بمكناسه، و كان من أهل الحياء و الحشمة، و ذوى السداجه و العفة، ثم ذكر ما داعبه به حين تأخر عن لقائه، و قد ذكرنا ذلك فى غير هذا الموضوع.

[أبو على الحسن بن عثمان بن عطية الوانشرى]

و ممّن لقيه لسان الدين بمكناسه الفقيه العدل أبو على الحسن بن عثمان بن عطية الوانشرى، قال: و كان فقيها عدلا من أهل الحساب، و القيام على الفرائض، و العناية بفروع الفقه، و من ذوى السداجه و الفضل، و يقرض الشعر، و له أرجوزة فى الفرائض مبسوطه العبارة مستوفية المعنى؛ انتهى.

و قال ابن الأحمر فى حقّه: هو شيخنا الفقيه المفتى المدرس القاضى الفرضى الأديب، الحاج أبو على ابن الفقيه الصالح أبى سعيد عثمان التجانى المنعوت بالوانشرى، أجازنى عامه، أخذ عن الفقيه المفتى الأديب الخطيب المعمر القاضى المحدث الراوية خاتمة المحدثين بالمغرب أبى البركات ابن الحاج البلقى؛ انتهى. و مولده فى حدود أربع و عشرين و سبعمائة.

و ذكر صاحب «المعيار المغرب، و الجامع المغرب، عن فتاوى إفريقية و الأندلس و المغرب» جملة من فتاويه و قال فى وثائقه، و قد أجرى ذكره، ما صورته: إنّ بلدنا الشيخ القاضى العلامة أبا على الحسن وقعت له قضية مع عدول مكناسه، و ذلك أنّ السلطان أبا عنان فارسا كان أمر بالاقصّار على عشرة من الشهود بمدينة مكناسه و كتب اسم الشيخ أبى على هذا فى العشرة، فشقّ ذلك على بعض شيوخ العدول المؤخّرين لحدائث سنّ أبى على، فلمّا علم تشغيهم صنع رجزا و رفعه إلى مقام المتوكل على الله أبى عنان نصّه:

[الرجز]

نبداً أولاً بحمد الله و نستعينه على الدواهى

ثم نوالى بالصلاة و السلام على نبيّ دونه كلّ الأنام

و بعد ذا نسأل ربّ العالمين أن يهب النصر أمير المؤمنين

خليفة الله أبا عنان لا زال فى خير و فى أمان

ملكه الله من البلاد من سوس الأقصى إلى بغداد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٩١

و يسرّ الحجاز و الجهادا و جعل الكلّ له مهادا

يا أيها الخليفة المظفر دونك أمرى إنه مفسر

عبدكم نجل عطية الحسن قد قيل لا يشهد إلّا إن أسنّ

و هو فى أمركم المعهود من جملة العشرة الشهود

نصّ عليه أمركم تعيينا و سنّه قارب أربعينا
مع الذى ينتسب العبد إليه من طلب العلم و بحثه عليه
على الفرائض له أرجوزه أبرز في نظامها إبريزه
و مجلس له على الرساله فكيف يرجو حاسد زواله
حاشا أمير المؤمنين ذاكا و عدله قد بلغ السماكا
و علمه قد طبق الآفاقا و حلمه قد جاوز العراقا
و جوده مشتهر فى كلّ حىّ قصر عن إدراكه حاتم طىّ
و حكى بعض الحفاظ أنه لما بلغت الأبيات السلطان أمر بإقراره على ذلك، و قد وقفت على رجزه المذكور، و له شرح عليه لم أره، و
الظاهر أنه ممّن تدبّج معه لسان الدين، رحم الله الجميع! و هو معدود فى جملة من لقيه.

[أبو العباس أحمد بن عاشر]

و من مشايخ لسان الدين، رحمه الله، ذو الكرامات الكثيرة و المقامات الكبيرة، سيدى الحاج أبو العباس أحمد بن عاشر الصالح
المشهور، كان لسان الدين - رحمه الله تعالى! - حريصا على لقائه بسلا أيام كان بها، و قد لقيه، و لم يتملّ منه لشدة نفوره من الناس،
خصوصا أصحاب الرياسة، و لذا قال لسان الدين، لما ذكر أنه لقيه فى «نفاضة الجراب» ما صورته: يسر الله لقاءه على تعسره، انتهى.
و سترجم الولى المذكور فى نظم لسان الدين حيث وصفه بقوله: [الرملى]
بولىّ الله فابدأ و ابتدر

و قبره الآن بسلا محطّ رجاء الطالبين، و كعبة قصد الراغبين، تلوح عليه أنوار العناية،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٩٢

و تستمدّ منه أنواء الهداية، و هو على ساحل البحر المحيط بخارج مدينة سلا المحروسة، و قد زرته و لله الحمد عند توجّهى إلى
حضرة مراکش سنة ألف و تسعة، و الناس يشدّون الرحال إليه من أقطار المغرب، نفعنا الله تعالى به، و أعاد علينا من بركاته! بجاه نبينا
محمد صلى الله عليه و سلم.

رجع إلى مشايخ لسان الدين الوزير ابن الخطيب رحمه الله تعالى:

[أبو عبد الله محمد بن على الفخار البيرى]

و منهم الأستاذ المحقّق العلامة الكبير النحوى الشهير أبو عبد الله محمد بن على الفخار البيرى، رحمه الله تعالى!.
كان شيخ النحاة بالأندلس غير مدافع، و أخذ عنه خلق كثيرون كالشاطبى أبى إسحاق صاحب شرح الألفية و الوزير ابن زمرك و
غيرهما، و قد حكى عنه مسائل غريبة تلميذه الشاطبى، و قال لسان الدين فى «الإحاطة» فى ترجمته مشيخته ما صورته: و لازمت قراءة
العربية و الفقه و التفسير و المعتمد عليه العربية على الشيخ الأستاذ الخطيب أبى عبد الله بن الفخار البيرى، الإمام المجمع على إمامته
فى فنّ العربية، المفتوح عليه من الله تعالى فيها حفظا و اطلاعا و اضطلاعا و نقلا و توجيها بما لا مطمع فيه لسواه؛ انتهى.

و لنورد بعض فوائد ابن الفخار فنقول

: و من فوائد ابن الفخار المذكور التى حكاها عنه الشاطبى قوله: حدّثنى أن بعض الشيوخ كان إذا أتى بإجازة يشهد فيها سأل الطالب

المجاز عن لفظ إجازة ما وزنه و ما تصريفه؟ ثم قال الشاطبي: و لما حدّثنا بذلك سأله عنها فأملى علينا ما نصّه: وزن إجازة في الأصل إفعالة، و أصلها إجازة فأعلت بنقل حركة الواو إلى الجيم حملا على الفعل الماضى استثقلا، فتحركت الواو في الأصل و انفتح ما قبلها في اللفظ، فانقلبت ألفا، فصارت إجازة- بألفين- فحذفت الألف الثانية عند سيويه؛ لأنها زائدة و الزائد أولى بالحذف من الأصلي، و حذفت الأولى عند الأَخفش؛ لأنها لا تدلّ على معنى و هو المدّ، و قول سيويه أولى؛ لأنه قد ثبت عوض التاء من المحذوف في نحو «زنادقة» و التاء زائدة، و تعويض الزائد من الزائد أولى من تعويض الزائد من الأصلي، للتناسب، و وزنها في اللفظ عند سيويه إفعلة و عند الأَخفش إفالة؛ لأنّ العين عنده محذوفة؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٩٣

و قال الشاطبي رحمه الله تعالى: لما توفي شيخنا الأستاذ الكبير، العلم الخطير، أبو عبد الله بن الفخار سألت الله، عزّ و جلّ، أن يريني في المنام فيوصيني بوصية أنتفع بها في الحالة التي أنا عليها من طلب العلم، فلما نمت في تلك الليلة رأيت كأنى أدخل عليه في داره التي كان يسكن بها، فقلت له: يا سيدى، أوصنى فقال لى: لا تعترض على أحد، ثم سألتى بعد ذلك فى مسألة من مسائل العربية كالمؤنس لى، فأجبت عنها، و لا أذكرها الآن؛ انتهى.

و قال الشاطبي أيضا ما صورته: حدّثنا الأستاذ الكبير الشهير أبو عبد الله محمد بن الفخار شيخنا- رحمه الله تعالى!- قال: حدّثنى بسببته بعض المذاكرين أن ابن خميس لما ورد عليها بقصد الإقراء بها اجتمع إليه عيون طلبتها، فألقوا عليه مسائل من غوامض الاشتغال، فحاد عن الجواب عنها بأن قال لهم: أنتم عندى كرجل واحد، يعنى أن ما ألقوا عليه من المسائل إنما تلقوها من رجل واحد، و هو ابن أبى الربيع، فكأنه إنما يخاطب رجلا واحدا ازدرأ بهم، فاستقبله أصغر القوم سنّا و علما بأن قال له: إن كنت بالمكان الذى ترعم فأجبنى عن هذه المسائل من باب معرفة علامات الإعراب التي أذكرها لك، فإن أجبت فيها بالصواب لم تحظ بذلك فى نفوسنا لصغرنا بالنظر إلى تعاميك عن الإدراك و التحصيل، و إن أخطأت فيها لم يسعك هذا البلد، و هى عشر: الأولى: أنتم يا زيدون تغزون، و الثانية أنتنّ يا هندات تغزون، و الثالثة أنتم يا زيدون و يا هندات تغزون، و الرابعة أنتنّ يا هندات تخشين، و الخامسة أنت يا هند تخشين، و السادسة أنت يا هند ترمين، و السابعة أنتنّ يا هندات ترمين، و الثامنة أنتنّ يا هندات تمحون أو تمحين، كيف تقول؟ و التاسعة أنت يا هند تمحين أو تمحون، كيف تقول؟ و العاشرة أنتما تمحوان أو تمحيان، كيف تقول؟ و هل هذه الأفعال كلّها مبنية أو معربة أو بعضها مبنى و بعضها معرب؟ و هل هى كلّها على وزن واحد أو على أوزان مختلفة؟ علينا السؤال و عليك التمييز لنعلم الجواب، فبهت الشيخ، و شغل المحلّ بأن قال:

إنما يسأل عن هذا صغار الولدان، قال له الفتى: فأنت دونهم إن لم تجب، فانزعج الشيخ، و قال: هذا سوء أدب، و نهض منصرفا، و لم يصبح إلّا بمالقة متوجّها إلى غرناطة حرسها الله تعالى! و لم يزل بها مع الوزير ابن الحكيم إلى أن مات رحمه الله تعالى عليه! انتهى.

ثم قال الشاطبي: و الجواب عن هذه المسائل ما يذكر: أمّا الجواب عن «تغزون» الأولى فإنه معرب، و وزنه أصلا تفعلون، و لفظا تفعون، و عن الثانية فمبنى للحاق نون الإناث و وزنه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٩٤

تفعلن، و عن الثالثة على التغليب فعلى ردّه للأول يلحق بالأول، و للثاني كالثاني، و أما «تخشين» من الرابعة فمبنى للنون و وزنه تفعلن، و عن الخامسة فمعرب، و وزنه أصلا تفعلين، و لفظا تفعين، و أما «ترمين» من السادسة فمعرب، و وزنه أصلا تفعلين، و لفظا تفعين، و من السابعة مبنى للنون، و وزنه تفعلن، و أمّا «تمحون و تمحين» من الثامنة فهما لغتان، و هما مبنيان للنون، و التاسعة لا- يقال إلّا «تمحين» بالياء خاصة لتتفق اللغتان، و وزنها تفعين كتخشين، و أمّا تمحيان من العاشرة فعلى لغة الياء لا إشكال و على الواو فيظهر من كلام النحويين أنه لا يجوز إلّا بالواو؛ انتهى.

و قد أورد هذه الحكاية عالم الدنيا سيدى أبو عبد الله محمد بن مرزوق- رحمه الله تعالى!- فى شرحه الواسع العجيب المسمّى ب

«تمهيد المسالك، إلى شرح ألفية ابن مالك» و نصّ محلّ الحاجة منه: وقد حكى أنّ بعض طلبته سبته أورد على أبي عبد الله بن خميس عشر مسائل من هذا النوع، و هي: أنتم يا زيدون تغزون، و أنتنّ يا هندات تغزون، و أنتم يا زيدون و يا هندات تغزون، و أنتنّ يا هندات تخشين، و أنت يا هند تخشين، و أنت يا هند ترمين، و أنتنّ يا هندات ترمين، و أنتنّ يا هندات تمحون أو تمحين كيف تقول؟ و أنت يا هند تمحون أو تمحين، كيف تقول؟ و أنتما تمحوان أو تمحيان، على لغة من قال محوت، كيف تقول؟ و هل هذه الأمثلة كلّها مبنية أو معربة أو مختلفة؟ و هل وزنها واحد أو مختلف؟ قالوا:

و لم يجب بشيء، قلت: فلعله استسهل أمرها، فأما المثال الأول فمعرب، و وزنه تفعلون كتنظرون، إذ أصله تغزون، فاستثقلت ضمة الواو التي هي لام فحذفت، ثم حذفت الواو أيضا لالتقاءها ساكنة مع واو الضمير، و كانت أولى بالحذف؛ لأنّ واو الضمير فاعل، و لغير ذلك ممّا تقدّم بعضه، و أمّا الثاني فمبنى و وزنه تفعّلن كتخرجن، و أمّا الثالث فكالأول إعرابا و وزنا؛ لأنّ فيه تغليب المذكر على المؤنث، و أمّا الرابع فمبنى و وزنه تفعّلن مثل تفرحن؛ لأنه لما احتيج إلى تسكين آخر الفعل لإسناده إلى نون جماعة النسوة ردّت الياء إلى أصلها؛ لأنها إنما قلبت ألفا لتحركها و انفتاح ما قبلها، و الآن ذهب حركتها لاستحقاقها السكون، و أمّا الخامس فمعرب و وزنه تفعّلين كتفرحين، و أصله تخشين، فقلبت الياء ألفا لتحركها و انفتاح ما قبلها، ثم حذفت لالتقاءها ساكنة مع ياء الضمير، و ترك فتحة الشين دالة على الألف، و أمّا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٦؛ ص ٢٩٤

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٩٥

السادس فمعرب و وزنه تفعّلين كتضربين، و أصله ترمين، حذفت كسرة الياء لاستثقالها، ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير، و أمّا السابع فمبنى و وزنه تفعّلن كتضربين، و أمّا الثامن و التاسع فمضارع محي و رد بالأوزان الثلاثة، فمن يمحو قال في المضارع من جماعة النسوة تمحون مثله من غزا بناء و وزنا، و من قال يمحي قال فيه تمحين كترمين بناء و وزنا، و من قال يمحي قال فيه تمحين كتخشين بناء و وزنا، و يقال في المضارع للواحدة على اللغة الأولى تمحين كتدعين إعرابا و وزنا و تصريفا، و قد تقدّم في كلام المصنّف، و على الثانية كما يقال لها من رمى إعرابا و وزنا و تصريفا، و على الثالثة كما يقال لها من تخشى أيضا، و قد تقدّم، و ليس ما وقع في السؤال كما نقل من خطّ بعض الشارحين أنه يقال فيها تمحون كتفرحن بشيء، و أمر التثنية ظاهر؛ انتهى بحروفه. و ما قاله، رحمه الله تعالى، في الاعتذار عن ابن خميس و هو اللائق بمقامه، فإنّ مكان ابن خميس من العلوم غير منكر، و قد مدحه ابن خطاب بقوله: [الكامل]

رقت حواشي طبعك ابن خميس فهفا قريضك لي وهاج رسي

و لمثله يصبو الحليم و يمتري ماء الشؤون به و سير العيس

لك في البلاغة، و البلاغة بعض ما تحويه من أثر، محل رئيس

نظم و نثر لا تبارى فيهما عززت ذاك و ذا بعلم الطوسي

يعني أبا حامد الغزالي.

[أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني]

و قال لسان الدين بن الخطيب في «عائد الصلّة» في حقّ أبي عبد الله محمد بن خميس التلمساني المذكور ما صورته: كان رحمه الله تعالى نسيج وحده زهدا و انقباضا و أدبا و همّة، حسن الشبيبة، جميل الهيئة، سليم الصدر، قليل التصنّع، بعيدا عن الرّياء، عاملا على السياحة و العزلة، عارفا بالمعارف القديمة، مضطلعا بتفاريق النحل، قائما على العربية و الأصلين، طبقة الوقت في الشعر، و فحل الأوان في المطول، أقدر الناس على اجتلاب الغريب. ثم ذكر من أحواله جملة، إلى أن قال: و بلغ الوزير أبا عبد الله بن الحكيم أنه يروم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٩٦

السفر، فشق ذلك عليه، و كلفه تحريك الحديث بحضرته، و جرى ذلك، فقال الشيخ: أنا كالدّم بطبعي أتحرّك في كل ربيع؛ انتهى.
و قال ابن خاتمة في «مزية المريّة، على غيرها من البلاد الأندلسية»: إنه نظم في الوزير ابن الحكيم القصائد التي حليت بها لبات الآفاق،
و تنفّست عنها صدور الرفاق، و كان من فحول الشعراء، و أعلام البلغاء، يرتكب مستصعبات القوافي، و يطير في القريض مطار ذى
القوادم الباسقة و الخوافي، حافظاً لأشعار العرب و أخبارها، و له مشاركة في العقلية، و استشراف على الطلب، و قعد لإقراء العربية
بحضرة غرناطة، و مال بأخرة إلى التصوّف و التجوال، و التحلّي بحسن السيّم و عدم الاسترسال، بعد طيّ بساط ما فرط له من بلده
من الأحوال. و كان صنع اليدين، حدّثني بعض من لقيت من الشيوخ أنه صنع قدحا من الشمع على أبداع ما يكون في شكله و لطافة
جوهره و إتقان صنّعه، و كتب بدائر شفّته: [الطويل]

و ما كنت إلّا زهرة في حديقة تبسّم عنّي ضاحكات الكمائم
فقلّبت من طور لطور فها أنا أقبل أفواه الملوك الأعظم
و أهدها خدمة للوزير أبي عبد بن الحكيم.

و أنشدنا شيخنا القاضي أبو البركات ابن الحاج و حكى لنا قال: أنشدني أبو عبد الله بن خميس، و حكى لي، قال: لما وقفت على
الجزء الذي ألفه ابن سبعين و سمّاه ب «الفقرية» كتبت على ظهره: [البسيط]

الفقر عندي لفظ دقّ معناه من رامة من ذوى الغايات عنّاه
كم من غبّي بعيد عن تصوّره أراد كشف معناه فعّمّاه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٩٧

و أنشدنا شيخنا الأستاذ أبو عثمان بن لبون غير مرة قال: سمعت أبا عبد الله بن خميس ينشد، و كان يحسب أنهما له، و يقال: إنهما
لابن الرومي: [المديد]

ربّ قوم في منازلهم عرر صاروا بها غررا
ستر الإحسان ما بهم سترى لو زال ما ستر

ثم قال ابن خاتمة: و قد جمع شعره و دوّنه صاحبنا القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي في جزء سمّاه «الدرّ النفيس، في
شعر ابن خميس» و عرّف به صدره، و قدم ابن خميس المريّة سنة ست و سبعمائة فنزل بها في كنف القائد أبي الحسن بن كماشه من
خدّام الوزير ابن الحكيم، فوسّع له في الإيثار و المبرّة، و بسط له وجه الكرامة طلق الأسرّة، و بها قال في مدح الوزير المذكور قصيدته
التي أولها: [مجزوء الكامل]

العشى تعيا و النوابع عن شكر أنعمك السوابع
و وجه بها إليه [من المريّة]، و هى طويّلة، و منها:

و دسّاع ابن كماشه مع كل بازغة و بازغ
تأتى بما تهوى النغانغ من شهيات اللغانغ
و منها:

ما ذاق طعم بلاغة من ليس للحوشى ماضغ

و يقال: إنّ الوزير اقترح عليه أن ينظم قصيدة هائية، فابتدأ منها مطلعها، و هو قوله: [الكامل]

لمن المنازل لا يجيب صداها محيت معالمها و صمّ صداها

و ذلك آخر شهر رمضان من سنة ثمان و سبعمائة، ثم لم يزد على ذلك إلى أن توفي، رحمه الله تعالى، فكان آخر ما صدر عنه من

الشعر و قد أشار معناه إلى معناه، و آذن أولاه بحضور أخراه، و كانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلا ضحوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان و سبعمائة، و هو ابن نيف و ستين سنة، و ذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم، أصابه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٩٨

قاتله بحقده على مخدومه، و كان آخر ما سمع منه أ تُقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ [غافر: ٢٨] و استفاض من حال القاتل أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه، فكان يصيح و يستغيث: ابن خميس يطلبني، ابن خميس يضربني، ابن خميس يقتلني، و ما زال الأمر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال، نعوذ بالله من الورطات، و مواقف العثرات؛ انتهى ملخصا. و حكى غيره أن بعضهم كتب بعد قوله «لمن المنازل لا- يجيب صداها» ما نصه: لابن الحكيم، و من بديع نظم ابن خميس قوله: [الطويل]

تراجع من دنيالك ما أنت تارك و تسألها العتبي وها هي فارك
تؤمل بعد الترك رجوع و دادها و شرّ و داد ما تودّ الترائك
حلالك منها ما حلالك في الصبا فأنت على حلوائه متهالك
تظاهر بالسلوان عنها تجملا فقلبك محزون و ثغرك ضاحك
تنزّهت عنها نخوة لا زهاده و شعر عذارى أسود اللون حالك
و هي طويلة طنانة، و في آخرها يقول:

فلا تدعون غيري لدفع ملامة إذا ما دهى من حادث الدهر داعك
فما إن لذاك الصوت غيري سامع و ما إن لبيت المجد بعدى سامك
يغصّ و يشجي نهشل و مجاشع بما أورثتني حمير و السكاسك
تفارقني الروح التي لست غيرها و طيب ثنائي لاصق بي صائك
و ما ذا عسى ترجو لداتي و أرتجي و قد شمطت مني اللحي و الأفائك
يعود لنا شرخ الشباب الذي مضى إذا عاد للدنيا عقيل و مالك
و مما اشتهر من نظمه قوله: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٢٩٩

أرقّ عيني بارق من أثال كأنه في جنح ليلى ذبال
أثار شوقا في ضمير الحشا و عبرتي في صحن خدى أسال
حكى فؤادي قلقا و اشتعال و جفن عيني أرقا و انهمال
جوانح تلفح نيرانها و أدمع تنهلّ مثل العزال
قولوا و شاء الحبّ ما شتتم ما لذّة الحبّ سوى أن يقال
عذرا للوأمى و لا عذر لى فزلة العالم ما إن تقال
قم نطرد الهَمّ بمشمولة تقصّر الليل إذا الليل طال
و عاطها صفراء ذمّية تمنعها الذمّة من أن تنال
كالمسك ريحا و اللّمي مطعما و التبر لونا و الهوى فى اعتدال
عقّها فى الدنّ خمّارها و البكر لا تعرف غير الحجال
لا تتقب المصباح لا واسقنى على سنا البرق و ضوء الهلال

فالعيش نوم و الردى يقظة و المرء ما بينهما كالخيال
 خذها على تنعيم مسطارها بين خوابيها و بين الدوال
 فى روضة باكر و سميتها أحمل دارين و أنسى أوال
 كأن فأر المسك مفتوتة فيها إذا هبت صبا أو شمال
 من كف ساجى الطرف ألاحظه مفوقات أبدا للنضال
 من عاذرى و الكل لى عاذر من حسن الوجه قبيح الفعال
 من خلبي الوعد كذابه لئان لا يعرف غير المطال
 كأنه الدهر و أى امرئ يبقى على الدهر إذا الدهر حال
 أما ترانى آخذنا ناقضا عليه ما سوفنى من محال
 و لم أكن قط له عائبا كمثل ما عابته قبلى رجال
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٠٠
 يابى ثراء المال علمى، و هل يجتمع الضدان: علم و مال
 و تأنف الأرض مقامى بها حتى تهادانى ظهور الرحال
 لو لا بنو زيان ما لددلى ال عيش و لا هانت على الليال
 هم خوفوا الدهر و هم خففوا على بنى الدنيا خطاه الثقال
 لقيت من عامرهم سيذا غمر رداء الحمد جمّ النوال
 و كعبه للجود منصوبة يسعى إليها الناس من كل بال
 خذها أبا زيان من شاعر مستملح النزعة عذب المقال
 يلتفظ الألفاظ لفظ النوى و ينظم الآلاء نظم اللاك
 مجاريا مهيار فى قوله (ما كنت لو لا طمعى فى الخيال)
 و قصيدة مهيار مطلعها: [السريع]

ما كنت لو لا طمعى فى الخيال أنشد لىلى بين طول الليال
 و من نظم ابن خميس قوله: [الكامل]

نظرت إليك بمثل عيني جؤذر و تبسّمت عن مثل سمطى جوهر
 عن ناصع كالدّر أو كالبرق أو كالطلع أو كالأقحوان مؤشر
 تجرى عليه من لماها نطفة بل خمره لكنها لم تعصر
 لو لم يكن خمر سلافا ريقها تبرى و تلعب بالنهى لم تخطر
 و كذاك ساجى جفنها لو لم يكن فيه مهتد لحظها لم يحذر
 لو عجت طرفك فى حديقه خدّها و أمنت سطوة صدغها المتتمر
 لرتعت من ذاك الحمى فى جنه و كرعت عن ذاك اللّمي فى كوثر
 طرقتك و هنا و النجوم كأنها حصباء درّ فى بساط أخضر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٠١
 و الركب بين مصعد و مصوب و النوم بين مسكن و منقر

بيضا إذا اعتكرت ذوائب شعرها سفرت فأزرت بالصباح المسفر
 سرحت غلائلها فقلت سبيكة من فضة أو دمية من مرمر
 منحتك ما منعتك يقظانا فلم تخلف مواعدها و لم تتغير
 و كأنما خافت بغاء و شاتها فأنتك من أردافها فى عسكر
 و بجزع ذاك المنحنى أدمانه تعطو فتسطو بالهزبر القسور
 و تحية جاءتك فى طي الصبا أذكى و أطر من شميم العنبر
 جزت على واديك فضل رداها فعرفت فيها عرف ذاك الإذخر
 هاجت بلابل نازح عن إلفه متشوق ذاكى الحشا متسعر
 و إذا نسيت ليالى العهد التى سلفت لنا فتذكريها تذكري
 رحنا تغينا و نرشف ثغرها و الشمس تنظر مثل عين الأخر
 و الروض بين مفضض و معسجد و الجوّ بين ممسك و معصفر

و كان السلطان أمير المؤمنين أبو عنان الميرنى - رحمه الله تعالى! - كثير العناية بنظم ابن خميس و روايته، قال رحمه الله تعالى:
 أنشدنا القاضى خطيب حضرنا العلية أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بقصر المصاره يمنه الله قال: أنشدنا بلفظه شيخ الأدباء و فحل
 الشعراء، أبو عبد الله بن خميس لنفسه: [الطويل]

أنبت و لكن بعد طول عتاب و فرط لجاج ضاع فيه شبابى
 و ما زلت و العياء تعنى غريمها أعلل نفسى دائما بمتاب
 و هيهات من بعد الشباب و شرخه يلد طعامى أو يسوغ شرابى
 خدعت بهذا العيش قبل بلائه كما يخدع الصادى بلمع سراب
 تقول هو الشهد المشور جهالة و ما هو إلا السم شيب بصاب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٠٢
 و ما صحب الدنيا كبكر و تغلب و لا ككليب رىء فحل ضراب
 إذا كعت الأبطال عنها تقدّموا أعاريب غزا فى متون عراب
 و إن ناب خطب أو تفاقم معضل تلقاه منهم كل أصيد ناب
 تراءت لجساس مخيلة فرصة تأتت له فى جيئه و ذهاب
 فجاء بها شوهاء تنذر قومها بتشيد أرقام و هدم قباب
 و كان رغاء الصقب فى قوم صالح حديثا فأنساه رغاء سراب
 فما تسمع الأذان فى عرصاتهم سوى نوح ثكلى أو نعيب غراب
 و سل عروء الرّحال عن صدق بأسه و عن بيته فى جعفر بن كلاب
 و كانت على الأملاك منه وفادة إذا آب منها آب خير مآب
 يجير على الحيين قيس و خندق بفضل يسار أو بفصل خطاب
 زعامه مرجو النوال مؤمل و عزمه مسموع الدعاء مجاب
 فمرّ يزجّيها حواسر ظلعا بما حملوها من منى و رغب
 إلى فدك و الموت أغرب غاية و هذا المنى يأتى بكلّ عجاب

تبرّض صفو العيش حتى استشفه فدا ف له البرّاض قشف حباب
فأصبح فى تلك المعاطف نهزة لنهب ضباع أو لنهس ذئاب
و ما سهمه عند النضال بأهزج و لا سيفه عند الصراع بنابى
و لكنها الدنيا تكتر على الفتى و إن كان منها فى أعزّ نصاب
و عادتها أن لا توسّط عندها فإمّا سماء أو تخوم تراب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٠٣
فلا ترج من دنياك ودّا و إن يكن فما هو إلّا مثل ظلّ سحاب
و ما الحزم كلّ الحزم إلّا اجتنابها فأشقى الورى من تصطفى و تحابى
أبيت لها، ما دام شخصى، أن ترى تمرّ ببابى أو تطور جنابى
فكم عطلت من أربع و ملاعب و كم فرقت من أسرة و صحاب
و كم عفرت من حاسر و مدجج و كم أثكلت من معصر و كعاب
إليكم بنى الدنيا نصيحة مشفق عليكم بصير بالأمر نقاب
طويل مراس الدهر جذل مماحك عريض مجال الهّم جلس ركاب
تأتت له الأهوال أدهم سابقا و غصت به الأيام أشهب كابى
و لا تحسبوا أنى على الدهر عاتب فأعظم ما بى أيسر ما بى
و ما أسفى إلّا شباب خلعتة و شيب أبى إلّا نصول خضاب
و عمر مضى لم أحل منه بطائل سوى ما خلا من لوعه و تصابى
ليالى شيطانى على الغىّ قادر و أعذب ما عندى أليم عذاب
عكسنا قضايانا على حكم عادنا و ما عكسها عند النهى بصواب
على المصطفى المختار أزكى تحية فتلك التى أعتدّ يوم حساب
فتلك عتادى أو ثناء أصوغه كدرّ سحاب أو كدرّ سخاب
و من مشهور نظم ابن خميس قوله: [الكامل]
عجبا لها أ يذوق طعم وصالها من ليس يأمل أن يمرّ ببالها
و أنا الفقير إلى تعله ساعة منها، و تمنعنى زكاة جمالها
كم ذاد عن عيني الكرى متألّق بيدو و يخفى فى خفىّ مطالها
يسمو لها بدر الدجى متضائلا كتضاؤل الحسناء فى أسمالها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٠٤
و ابن السبيل يجىء يقبس نارها ليلا فتمنحه عقيلة مالها
يعتادنى فى النوم طيف خيالها فتصيبنى ألحاظها بنبالها
كم ليلة جادت به فكأنما زفت علىّ ذكاء وقت زوالها
أسرى فعطلها و عطّل شهبها بأبى شذا المعطار من معطالها
و سواد طرّته كجنج ظلامها و بياض غرّته كضوء هلالها
دعنى أشم بالوهم أدنى لمعة من ثغرها و أشمّ مسكها خالها

ما راد طرفي في حديقه خدّها إلّا لفتنته بحسن دلالتها
 أنسيب شعري رقّ مثل نسيما فشمول راحك مثل ربح شمالها
 و انقل أحاديث الهوى و اشرح غري لغاتها و اذكر ثقات رجالها
 و إذا مررت برامه فتوقّ من أطلائها و تمشّ في أطلالها
 و انصب لمغزلها حباله قانص ودع الكرى شركا لصيد غزالها
 و أسل جداولها بفيض دموعها و انضح جوانحها بفضل سجالها
 أنا من بقيه معشر عركتهم هذى النوى عرك الرّحى بثفالها
 أكرم بها فئه أريق نجيعها بغيا فراق العين حسن مآلها
 حلّت مدامه وصلها و حلت لهم فإن انتشوا فبحلوها و حلّالها
 بلغت بهرمس غايه ما نالها أحد و ناء لها لبعده منالها
 وعدت على سقراط سورة كأسها فهريق ما فى الدنّ من جريالها
 و سرت إلى فاراب منها نفحه قدسيه جاءت بنخبه آلهـا
 ليصوغ من ألحانه فى حانها ما سوغ القسيس من أرمالها
 و تغلغلّت فى سهورد فأسهرت عينا يؤرّقها طروق خيالها
 فخبأ شهاب الدين لّمّا أشرقت و خوى فلم يثبت لنور جلالها
 ما جنّ مثل جنونه أحد، و لا سمحت يد بيضا بمثل نوالها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٠٥
 و بدت على الشوذى منها نشوه ما لاح منها غير لمعه آلهـا
 بطلت حقيقته و حالت حاله فيما يعبر عن حقيقه حالها
 هذى صبابتهم ترّق صبابه فيروق شاربها صفاء زلالها
 و هى طويله.

قال السلطان أبو عنان رحمه الله تعالى: أخبرني شيخنا الإمام العالم العلامة وحيد زمانه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلّى، رحمه الله تعالى، قال: لّمّا توجه الشيخ الصالح الشهير أبو إسحاق التنيسى من تلمسان إلى بلاد المشرق اجتمع هنالك بقاضى القضاء تقى الدين بن دقيق العيد، فكان من قوله له: كيف حال الشيخ العالم أبى عبد الله بن خميس؟ و جعل يحليه بأحسن الأوصاف، و يطنب فى ذكر فضله، فبقى الشيخ أبو إسحاق متعجبا، و قال: من يكون هذا الذى حلّيموه بهذا الحلى و لا أعرفه ببلده؟ فقال له هو القائل:
 عجا لها أ يذوق طعم وصالها

قال: فقلت له: إن هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحاله التى وصفتهم، إنما هو عندنا شاعر فقط، فقال له: إنكم لم تصنفوه، و إنه لحقيق بما وصفناه به.

قال السلطان: و أخبرنا شيخنا الأبلّى المذكور أن قاضى القضاء ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيده المذكوره بخزانة كانت له تعلق موضع جلوسه للمطالعه، و كان يخرجها من تلك الخزانة، و يكثر تأملها و النظر فيها، و لقد تعرّف أنه لما وصلت هذه القصيده إلى قاضى القضاء تقى الدين المذكور لم يقرأها حتى قام إجلالا لها؛ انتهى.

و كان ابن خميس، رحمه الله تعالى - بعد مفارقة بلده تلمسان، سقى الله أرجاءها أنواء نيسان! - كثيرا ما يتشوق لمشاهدتها، و يتأوه عند تذكره لمعاهدتها، و ينشد القصائد الطنانه فى ذلك، سالكا من الحنين إليها المسالك، فمن ذلك قوله: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٠٦
 تلمسان لو أن الزمان بها يسخو منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ
 و دارى بها الأولى التى حيل دونها مثار الأسى لو أمكن الحق اللبخ
 و عهدى بها و العمر فى عنفوانه و ماء شبابى لا أجين و لا مطخ
 قرارة تهيام، و مغنى صباية و معهد أنس لا يلدّ به لطح
 إذ الدهر مشى العنان منهنه و لا ردع يثنى من عنانى و لا ردخ
 ليالى لا أصغى إلى عدل عاذل كأنّ وقوع العدل فى أذنى صمخ
 معاهد أنس عطّلت فكأنها ظواهر ألفاظ تعمدها النسخ
 و أربع آلاف عفا بعض آيها كما كان يعرو بعض ألواحنا اللطح
 فمن يك سكرانا من الوجد مرة فإنى منه طول دهرى لملتخ
 و من يقتدح زندا لموقد جذوة فرند اشتياقى لا عفار و لا مرخ
 أنسى وقوفى لاهيا فى عراضها و لا شاغل إلّا التودّع و السبخ
 و إلّا اختيالى ماشيا فى سماطها رخيا كما يمشى بطرته الرخ
 و إلّا فعدوى مثل ما ينفر الطلا وليدا و حجلي مثل ما ينهض الفرخ
 كانى فيها أردشير بن بابك و لا ملك لى إلّا الشيبىة و الشرخ
 و إخوان صدق من لداتى كأنهم جآذر رمل لا عجاف و لا بزخ
 و عاه لما يلقى إليهم من الهدى و عن كل فحشاء و منكراه صلخ
 هم القوم كلّ القوم سيان فى العلا شبابهم الفرغان و الشيخة السلخ
 مضوا و مضى ذاك الزمان و أنسه و مّر الصبا و المال و الأهل و البذخ
 كأن لم يكن يوما لأفلامهم بها صرير، و لم يسمع لأكعبهم جبخ
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٠٧

و لم يك فى أرواحها من ثنائهم شميم و لا فى القضب من لينهم ملح
 و لا فى محيا الشمس من هديهم سنا و لا فى جبين البدر فى طيبهم ضمخ
 سعيتم بنى عمّور فى شتّ شملنا فما تجرّكم ربح و لا عيشنا ربح
 دعيتم إلى ما يرتجى من صلاحكم فردّكم عنه التعجرف و الجمخ
 تعاليتمو عجا فطمّ عليكم عباب له فى رأس عليائكم جليخ
 و أوغلتمو فى العجب حتى هلكتم جماح غواه ما ينهنهم ففخ
 كفاكم بها سجننا طويلا و إن يكن هلاككم فيها فهى لكم فحّ
 فكم فنه مّا ظفرتم بنيلها بأبشارها من حجن أظفاركم برخ
 كأنكمو من خلفها و أمامها أسود غياض و هى ما بينكم أرخ
 فللسوق منها القيد إن هى أغربت و للهام إن لم تعط ما رعت النفخ
 كأن تحتها من شدّة القلق القطا و من فوقها من شدّة الحذر الفتخ
 و أقرب ما تهذى به الهلك و التوى و أيسر ما تشكو به الذلّ و الفخ

فماذا عسى نرجوه من لَمَّ شعثها و قد حَزَّ منها الفرع و اقتلع الشلخ
و ما يطمع الراجون من حفظ آيها و قد عصفت فيها رياحهم الشبخ
زعانف أنكاد لثام عناكل متى قبضوا كفا على إثره طخوا
و لَمَّا استقلوا من مهاوى ضلالهم و أوموا إلى أعلام رشدهم زخوا
دعاهم أبو يعقوب للشرف الذى يذل له رضوى و يعنو له دمخ
فلم يستجيبوه فذاقوا و بالهم و ما لامرئ عن أمر خالقه نخ
و ما زلت أدعو للخروج عليهم و قد يسمع الصم الدعاء إذا أصخوا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٠٨
و أبذل فى استئصالهم جهد طاقتى و ما لظنايب ابن سابقه قفخ
تركت لمينا سبته كل نجعه كما تركت للعز أهضامها شمخ
و آليت أن لا أرتوى غير مائها و لو حل لى فى غيره المن و المذخ
و أن لا أحط الدهر إلا بعقرها و لو بوأتنى دار إمرتها بلخ
فكم نقتع من غلة تلکم الاضى و كم أبرأت من علة تلکم اللبخ
و حسبى منها عدلها و اعتدالها و أبحرها العظمى و أريافها النفخ
و أملاكها الصيد المقاوله الألى لعزهم تعنو الطراخمة البلخ
كواكب هدى فى سماء رياسه تضىء فما يدجو ضلال و لا يطخو
ثواقب أنوار ترى كل غامض إذا الناس فى طخياء غيهم التخوا
و روضات آداب إذا ما تأرجت تضاءل فى أفياء أفنانها الرمخ
مجامر نذ فى حدائق نرجس تنم و لا لفح يصيب و لا دخ
و أبحر علم لا حياض روايه فيكبر منها النضح أو يعظم النضح
بنو الغرفيين الألى من صدورهم و أيديهم تملا القراطيس و الطرخ
إذا ما فتى منهم تصدى لغايه تأخر من ينحو و أقصر من ينخو
رياسة أختيار و ملك أفاضل كرام لهم فى كل صالحه رضخ
إذا ما بدا منا جفاء تعطفوا علينا، و إن حلت بنا شدة رخوا
نزورهم حدنا نحافا فنثنى و أجمالنا دلخ و أبادانا دلخ
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٠٩
يربونا بالعلم و الحلم و النهى فما خرجنا بز و لا حدنا برخ
و ما الزهد فى أملاك لحم و لا التقى ببدع، و للدنيا لزوق بمن يرخو
و إلا ففى رب الخورنق غنية فما يومه سر و لا صيته رضخ
تطلع يوما و السدير أمامه و قد نال منه العجب ما شاء و الجفخ
و عن له من شيعه الحق قائم بحجة صدق لا عبا و لا وشخ
فأصبح يجتاب المسوح زهاده و قد كان يؤذى بطن أخصمه النخ
و فى واحد الدنيا أبى حاتم لنا دواء، و لكن ما لأدوائنا نتخ

تخلى عن الدنيا تخلى عارف يرى أنها في ثوب نخوته لتخ
و أعرض عنها مستهينا لقدرها فلم يثنه عنها اجتذاب ولا مصخ
فكان له من قلبها الحبّ و الهوى و كان لها من كفه الطرح و الطخّ
و ما معرض عنها و هي في طلابه كمن في يديه من معاناتها نبخ
و لا مدرك ما شاء من شهواتها كمن حظّه منها التمجّع و النجخ
و لكننا نعمى مرارا عن الهدى و نصلج حتى ما لأذانا صمخ
و ما لامرئ عمّا قضى الله مزحل و لا لقضاء الله نقض و لا فسخ
أبا طالب لم تبق شيمه سؤدد يساد بها إلّا و أنت لها سنخ
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣١٠
تسوغت أبناء الزمان أياديا لدرتها في كلّ سامعه شخّ
و أجربتها فيهم عوائد سؤدد فما لهم كسب سواها و لا نخّ
غذتهم غواديا فهي في عروقهم دماء، و في أعماق أعظمهم مخّ
و عمّتهم حزنا و سهلا فأصبحوا و مرعاهم وزخ و مرعيهم ولخ
بنى الغرفيين أبلغوا ما أردتم فما دون ما تبغون و حل و لا زلخ
و لا تقعدوا عمّن أراد سجالكم فما غربكم جفّ و لا غرفكم وضخ
و خلّوا وراء كلّ طالب غايه و تيهوا على من رام شأوكم و انخوا
و لا تذروا الجوزاء تعلقو عليكم ففي رأسها من وطء أسلافكم شدخ
لأفواه أعدائي و أعين حسدى إذا جليت خائتي الغصّ و الفضخ
دعوها تهادى في ملاءه حسنها ففي نفسها من مدح أملاكها مدخ
يمائيه زارت يمانين فانتنت و قد جدّ فيها الزهو و استحكم الزمخ
و قد بسط في «الإحاطة» ترجمه ابن خميس المذكور، و ممّا أنشد له قوله: [الطويل]
سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء فعند صباها من تلمسان أنباء
و في خفقان البرق منها إشارة إليك بما تنمى إليها و إيماء
تمرّ اللبالي ليله بعد ليله و للأذن إصغاء و للعين إكلاء
و إنى لأصبو للصبأ كلّما سرت و للنجم مهما كان للنجم إصباء
و أهدى إليها كلّ يوم تحية و في ردّ إهداء التحية إهداء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣١١
و أستجلب النوم الغرار و مضجعى قتاد كما شاءت نواها و سلّاء
لعلّ خيالاً من لدنها يمرّ بى ففي مرّه بى من جوى الشوق إبراء
و كيف خلوص الطيف منها و دونها عيون لها في كلّ طالعه راء
و إنى لمشتاق إليها و منبئ ببعض اشتياقى لو تمكّن إنباء
و كم قائل تفنى غراما بحبها و قد أخلقت منها ملاء و أملاء
لعشرة أعوام عليها تجرّمت إذا ما مضى قيظ بها جاء إهراء

يطنّب فيها عاثون و خرّب و يرحل عنها قاطنون و أحياء
 كأنّ رماح الناهيين لملكها قداح، و أموال المنازل أبداء
 فلا تبغين فيها مناخا لراكب فقد قلّصت منها ظلال و أفياء
 و من عجب أن طال سقمى و نزعها و قسّم إضناء علينا و إطاء
 و كم أرجفوا غيظا بها ثم أرجؤوا فيكذب إرجاف و يصدق إرجاء
 يرّددها عيابها الدهر مثل ما يرّدّد حرف الفاء فى النطق فأفاء
 فيا منزلا نال الردى منه ما انتهى ترى هل لعمر الأانس بعدك إنساء
 و هل للظى الحرب التى فيك تلتظى إذا ما انقضت أيام بؤسك إطفاء
 و هل لى زمان أرتجى فيه عودة إليك و وجه البشر أزهر و ضاء
 و منها:

أحرّ لها ما أطت التيب حولها و ما عاقها عن مورد الماء أظماء
 فما فاتها منى نزع على التوى و لا فاتنى منها على القرب إجشاء
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣١٢
 كذلك جدى فى صحابى و أسرتى و من لى به فى أهل ودى إن فاؤوا
 و لو لا جوار ابن الحكيم محمد لما فات نفسى من بنى الدهر إقماء
 حمانى فلم تتب محلى نواب بسوء و لم ترزأ فؤادى أرزاء
 و أكفأ بيتى فى كفاله جاهه فصاروا عبيدا لى و هم لى أكفاء
 يؤمّون قصدى طاعه و محبّه فما عفته عافوا و ما شتته شاؤوا
 دعانى إلى المجد الذى كنت آملا فلم يك لى عن دعوة المجد إبطاء
 و بوأنى من هضبة العزّ تلعه يناجى السها منها صعود و طأطاء
 يشيعنى منها إذا سرت حافظ و يكلؤنى منها إذا نمت كلاء
 و لا مثل نومي فى كفاله غيره و للذنب إمام و للصلّ إلماء
 بغيضة لىث أو بمرقب خالب تبرّ كسا فيه و تقطع أكساء
 إذا كان لى من نائب الملك كافل ففى حيشما هوّمت كنّ و إدفاء
 و إخوان صدق من صنائع جاهه يبادرنى منهم قيام و إيلاء
 سراع لما يرجى من الخير عندهم و من كلّ ما يخشى من الشّرّ أبراء
 إليك أبا عبد الإله صنعتها لزوميه فيها لوجدى إفشاء
 مبرّاه ممّا يعيب لزومها إذا عاب إكفاء سواها و إبطاء
 أذعت بها السرّ الذى كان قبلها عليه لأحناء الجوانح إضناء
 و إن لم يكن كلّ الذى كنت آملا و أعوز إكلاء فما عاز إكماء
 و من يتكلّف مفحما شكر منّه فما لى إلى ذاك التكلّف إلباء
 إذا منشد لم يكن عنك و منشى فلا كان إنشاد و لا كان إنشاء

[عود إلى ترجمة ابن الفخار، و ذكر فوائده]

رجع إلى ترجمة ابن الفخار و فوائده:

قال الشاطبي: حدّثنا الأستاذ الكبير أبو عبد الله بن الفخار قال: جلس بعض الطلبة إلى بعض الشيوخ المقرئين، فأتى المقرئ بمسألة الزوائد الأربع في أول الفعل المضارع، وقال:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣١٣

يجمعها قولك «نأيت» فقال له ذلك الطالب: لو جمعتها بقولك «أنيت» لكان أملح، ليكون كل حرف تضعيف ما قبله، فالهمزة لواحد و هو المتكلم، و النون لاثنين و هما: الواحد و معه غيره، و الواحد المعظم نفسه، و الياء لأربعة: للواحد الغائب، و للغائبين، و للغائبات، و التاء لثمانية: للمخاطب، و للمخاطبين، و للمخاطبة، و المخاطبتين، و المخاطبات، و للغائبة، و للغائبتين، فاستحسن الشيخ ذلك منه.

و حكى الشاطبي أيضا أنّ شيخه ابن الفخار أورد عليهم سؤالاً، و هو: كيف يجمع بين مسألة رجل أوقع الصلاة بثوب حرير اختياراً و بين قوله: [الوافر]

جرى الدميان بالخبر اليقين

فلم ينقدح لنا شيء، فقال: الجواب أنّ الأول ممنوع عند الفقهاء شرعاً، ورد اللام في دم في التثنية ممنوع عند النحاة قياساً، و كلاهما في حكم المعدوم حساً، و إذا كان كذلك كان الأول بمنزلة من صلى بادي العورة اختياراً، فتلزمه الإعادة، و كان الثاني بمنزلة ما باشر فيه عين دم علم التثنية، فتلزمه الفتحة، و إن كان أصلها السكون، قال: و هذه المسألة تشبه مسألة ابن جنى في الخصائص، قال: ألقيت يوماً على بعض من كان يعتادني مسألة فقلت له: كيف تجمع بين قوله: [الكامل]

لذن بهز الكفّ يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

و بين قوله «اختصم زيد و عمرو»؟ فلم ينقدح له فيها شيء، و عاد مستفهماً، فقال له:

اجتماعهما أنّ الواو اقتصر به على بعض ما وضع له من الصلاحية الملازمة مطلقاً، و الطريق اقتصر به على بعض ما كان يصلح له.

قال الشاطبي: و حدّثني أيضاً قال: كان لقاضى القضاة علماً و جزالةً أبى جعفر ولد يقرأ على بمالقة، و كان ابناً نبيها فهما و نبلا، فسأل منى يوماً مسألة يذكرها لأقرانه، و كان معجباً بالغرائب، فجرى على لساني أن قلت له: بينّ على زيد فعل أمر و فاعل، و الأصل أبأين على زيد، ثم سهل بالنقل و الحذف، على قياس التسهيل، فصار بينّ كما ترى، فأعجب بالمسألة حتى ناظر فيها ليلة أباه، و كان أنحى نحاه أهل عصره، فأعجب ممّا يرى من ابنه من النبل و التحصيل، فبلغت المسألة الشيخ الأستاذ أباً بكر بن الفخار، رحمه الله تعالى، فاعتنى بها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣١٤

و حاول في استخراج وجه من وجوه الاعتراض على عادة المصلحين من طلبه العلم، فوجد في «مختصر العين» أنّ الكلمة من ذوات الواو، و لم يذكر صاحب المختصر غير ذلك، و لم يكن، رحمه الله تعالى، رأى قول أبى الحسن اللحياني في نوادره: إنه ممّا يتعاقب على لامه الواو و الياء فيقال: بأى يبأى بأوا و بأيا، كما يقال شأى يشأى شأوا و شأيا، فلم يقدم شيئاً على أن اجتمع بالقاضى المذكور فقال له: أم لم تسمع ما قال فلان بينّ على زيد و إنما هو بونّ على زيد؛ لأنه من ذوات الواو، و نصّ على ذلك صاحب المختصر، و حمله على أن يرسل إلى و يردني عن ذلك الذى قلته فى المسألة، و اجتمعت أنا معه، و حدّثني بما جرى له مع الأستاذ ابن الفخار، فذكرت له ما حكاه أبو الحسن اللحياني فى نوادره، و ما قاله ابن جنى فى «سرّ الصناعة»، فسرّ بذلك، و أرسل بعد إلى الأستاذ ابن الفخار، و ذكر له نصّ اللحياني و قول ابن جنى و جمع القاضى بيننا، و عقد فى قلوبنا مودةً، فكان الأستاذ ابن الفخار يومئذ يقصدنى

فى منزلى، و فى المواسم، و يستشيرنى فى أموره على سبيل التأنيس، رحمه الله عليه، فأواه على فقد الناس أمثاله.
و قال الشاطبى أيضا: أنشدنى الفقيه الأستاذ الكبير أبو عبد الله بن الفخار، رحمه الله تعالى، و قال: ألقى فى سرى بيت لم أسمعه قطّ
فى السادس عشر من شهر رجب عام ستّه و خمسين و سبعمائة: [الخفيف]
لتكن راجيا كما أنت ترجو و لأربى من الذى أنت راجى

قال الشاطبى: و قرّر لنا الأستاذ ابن الفخار المذكور يوما توجيه قول أبى الحسن الأخفش فى كسره الذال من نحو يومئذ إنها إعرابية لا
بنائية، إذ لم يذكر أحد وجه هذا المذهب قبل، قال ابن جنى: إنّ الفارسى اعتذر له بما يكاد يكون عذرا، فلما تمّ التوجيه قلت له و أنا
حينئذ صغير السنّ: هب أنّ الأمر على ما قاله الأَخفش من أنّ الكسرة إعرابية، فما يصنع ببناء الزمان المضاف إلى «إذ» فى أحد
الوجهين و الإضافة إلى المفرد المعرب تقتضى الإعراب دون البناء؟

فتعجب من صدور هذا السؤال منى لصغر سنّى، و أجاب عنه بأنه قد يذهب السبب و يبقى حكمه، كما قاله ابن جنى فى اسم الإشارة
فى ترجمه سيويوه «هذا علم ما الكلم من العربية» على أن يكون سيويوه وضعه غير مشير به و تركه مبيّنا، و أزال سبب البناء، و نظّر
ذلك بباب التسوية على ما هو مقرّر فى موضعه، قال: و نظير ذلك ما قرّره من إضافة حيث إلى المفرد مع بقاء البناء فيما ذكره
الزمخشري، و ذلك قوله: [الرجز]

أما ترى حيث سهيل طالعا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣١٥

و قوله أنشدنا ابن الأعرابى لبعض المحدثين: [الطويل]

و نحن سعيانا بالبلايا لمعقل و قد كان منكم حيث لى العمائم

و قد كان حقّها أن تعرب لزوال سبب البناء، و هو الإضافة إلى جملة، و حصول سبب الإعراب و هو الإضافة إلى المفرد، و لكنه لم
يعتبر النادر، و أبقى الحكم الشائع.

و قال الشاطبى أيضا: كان شيخنا ابن الفخار يأمرنا بالوقف على قوله تعالى فى سورة البقرة قَالُوا الْآنَ وَ نبتدئ جِئْتَ بِالْحَقِّ وَ كان يفسّر
لنا معنى ذلك قولهم الآن أى فهمنا و حصل البيان، ثم قيل: جئت بالحقّ، يعنى فى كلّ مرة، و على كل حال، و كان- رحمه الله
تعالى!- يرى هذا الوجه أولى من تفسير ابن عصفور له من أنه على حذف الصفة، أى: بالحقّ البين، و كان يحافظ عليه.

[أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حذلم، و ذكر نموذج من شعره]

و قال الشاطبى: أنشدنى صاحبنا الفقيه الأجلّ الأديب البارع أبو محمد بن حذلم لنفسه أبياتا، أنشدنيها يوم عيد على قبر سيّدنا الإمام
الأستاذ الكبير الشهير أبى عبد الله بن الفخار يرثيه بها: [الطويل]
أيا جدثا قد أحرز الشرف المحضا بأن صار مثوى السيّد العالم الأرضى
عجبت لما أحرزته من معارف و شتى معال لم تزل تعمر الأرضا
طويت عليه و هو عين زمانه فيا جفن عين الدهر كم تؤثر الغمضا
فحياك من صوب الحيا كلّ ديمه تديم له فى الجنّه الرفع و الخفضا
فها نحن فى عيد الأسى حول قبره و قوفا لنقضى من عيادته الفرضا
كمثل الذى كنّا و قوفا ببابه بعيد الأمانى زائرين له أيضا
و منّا سلام لا يزال يخصّه يذكره من بعض أشواقنا البعض

قلت: و ابن حذلم المذكور له باع مديد فى العلم و الأدب، و هو أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حذلم، و من نظمه قوله: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣١٦
 أبت المعارف أن تنال براحةً إلّا براحةً ساعد الجدّ
 فإذا ظفرت بها فلست بمدرك أربا بغير مساعد الجدّ
 وقوله رحمه الله: [السريع]
 كم من صديق حال في ودّه و لم أزل أرويه عن محضه
 حضوره عين على ودّه و غيبه عين على بغضه
 و لم أكن أجهل هذا و لا عجزت أن أجرى على قرضه
 لكنّ من قد سزنى بعضه أحبّ أن أصفح عن بعضه
 وقوله، رحمه الله، يوم عيد، و هو ممّا ألهج به أنا كثيرا: [المتقارب]
 يقولون لى خلّ عنك الأسى ولد بالسرور فذا يوم عيد
 فقلت لهم و الأسى غالب و وجدى يحيى و شوقى يزيد
 توعدنى مالكى بالفراق فكيف أسرّ وعيدى وعيد
 وقوله رحمه الله: [الوافر]
 حبيب زارنى فى الليل سرّا فأحيا نفس مشتاق إليه
 و علّنى بنشر المسك منه و حيانى بصفحة و جنتيه
 و عانقنى عناق الودّ صفحا و فارقنى فىا لهفى عليه

[وفاء ابن الفخار]

رجع - و توفي الأستاذ سيبويه زمانه أبو عبد الله محمد بن على بن الفخار أستاذ الجماعة بغرناطة ليلة الاثنين ثانى عشر رجب عام أربعة
 و خمسين و سبعمائة، رحمه الله تعالى!
 رجع - إلى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى.

[من مشايخ لسان الدين أبو عبد الله بن عبد الولى العواد]

و منهم الأستاذ ابن العواد - قال فى «الإحاطة»: قرأت كتاب الله، عزّ و جلّ، على المكتب نسيج وحده، فى تحمّل المنزّل حقّ حمله،
 تقوى، و صلاحا و خصوصيّة، و إتقانا و نعمة و عناية و حفظا و تبخرا فى هذا الفن، و اضطلاعا بغرائب، و استيعابا لسقطات الأعلام،
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٦؛ ص ٣١٦
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣١٧
 الأستاذ الصالح أبى عبد الله بن عبد الولى العواد تكتيبا ثم حفظا، ثم تجويدا، على مقرأ أبى عمرو، ثم نقلنى إلى أستاذ الجماعة، و
 مطيئة الفنون، و مفيد الطلبة، الشيخ الخطيب المتفنن أبى الحسن على القيجاطى، فقرأت عليه القرآن و العريئة، و هو أوّل من انتفعت به؛
 انتهى.

[و منهم أبو عبد الله بن بيش]

و من أشياخه، رحمه الله الشيخ العلامة أبو عبد الله بن بيش، و له، رحمه الله تعالى، نظم جيد، فمنه قوله ملغزا في مسطرة الكتابة:
[الطويل]

و مقصورة خلف الحجاب و سرّها مضاع، فما يلقاك من دونها ستر
لها جثّة بيضاء أسبل فوقها ذوائب زانتها، و ليس لها شعر
إذا ألبست مثل الصباح و برقت رأيت سواد الليل لم يمحه الفجر
عقيلهُ صون لا يفرّق شملها سوى من أهمته الخطابهُ و الشعر
و قوله في ترتيب حروف الصحاح: [الطويل]
أ ساجعة بالواديين تبوّئى ثمارا جنتها حاليات خواضب
دعى ذكر روض زاره سقى شربه صباح ضحى طير ظماء عواصب
غرام فؤادى قاذف كلّ ليلة متى ما نأى وهنا هداه يراقب
و له جواب عن البيتين المشهورين: [مخلع البسيط]
يا ساكنا قلبى المعنى و ليس فيه سواك ثانى
لأى معنى كسرت قلبى و ما التقى فيه ساكنان
فقال: [مخلع البسيط]

نحلتنى طائعا فؤادا فصار إذ حزته مكانى

لا غرو إذ كان لى مضافا أتى على الكسر فيه بانى

و قد ذكرت ذلك فى غير هذا الموضوع مع زيادة بلفظ لسان الدين، فليراجع فى الباب الخامس من هذا الكتاب.

و من أشياخ لسان الدين، رحمه الله تعالى، قاضى الجماعة الصدر المتفتن أبو عبد الله بن أبى بكر؛ قال فى «الإحاطة» و قرأت على
قاضى الجماعة أبى عبد الله بن أبى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣١٨

بكر، رحمه الله تعالى؛ انتهى.

[و منهم قاضى الجماعة أبو عبد الله بن أبى بكر، الأشعرى، المالقى]

و قاضى الجماعة عند المغاربة هو بمعنى قاضى القضاة عند المشاركة، فليعلم ذلك.

و ابن أبى بكر المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن بكر بن سعد الأشعرى المالقى، من ذرية أبى موسى الأشعرى،
كان من صدور العلماء، و أعلام الفضلاء، سذاجه و نزاهه و معرفة و تفننا، فسيح الدرس، أصيل النظر، واضح المذهب، مؤثرا
للإنصاف، عارفا بالأحكام و القراءة، مبرزاً فى الحديث تاريخاً و إسناداً و تعديلاً و جرحاً، حافظاً للأنسب و الأسماء و الكنى، قائماً
على العربية، مشاركاً فى الأصول و الفروع، و اللغة و العروض و الفرائض و الحساب، مخفوض الجناح، حسن الخلق، عطوفا على
الطلبة، محباً فى العلم و العلماء، مطّرحاً للتصنّع، عديم المبالاة بالملبس، بادى الظاهر، عزيز النفس، نافذ الحكم، تقدّم ببلده مالقة، ناظراً
فى أمور العقد و الحلّ و مصالح الكافة. ثم ولى القضاء بها، فأعزّ الخطه، و ترك الشوائب، و أنفذ الحق ملازماً للقراءة و الإقراء،
محافظاً للأوقات، حريصاً على الإفادة. ثم ولى القضاء بغرناطة المحروسة، سنة ٧٣٧، فقام بالوظائف و صدع بالحق، و بهرج الشهود،
فزيف منهم ما ينيف على سبعين، و استهدف بذلك إلى معادة و مناضله خاض ثبجها، و صادم تيارها، غير مبال بالمعبة، و لا حافل
بالتبعة، فناله لذلك من المشقة و الكيد العظيم ما نال مثله، حتى كان لا يمشى إلى الصلاة ليلاً، و لا يطمئن على حاله.

و جرت له في ذلك حكايات، إلى أن عزم عليه الأمير أن يرّد للعدالة بعض من آخره، فلم يجد في قناته مغمزا، ولا في عوده معجما، و تصدّر لبث العلم بالحضرة، يقروى فنونا جمّة، فنفخ، و خرّج، و أقرأ القرآن، و درّس الفقه و الأصول و العربية و الفرائض و الحساب، و عقد مجالس الحديث شرحا و سماعا على انشراح صدره، و حفظ تجمل، و خفض جناح. قال القاضي ابن الحسن: إنه كان صاحب عزم و مضاء، و حكم صادق، و قضاء، أحرق قلوب الحسد، و أعز الخطّة بإزالة الشوائب، و ذهب و فضّض الحقّ بمعارفه، و نفذ في المشكلات، و ثبت في المعضلات، و احتج و بكت، و تفقّه و نكت.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣١٩

و حدّثنا صاحبنا أبو جعفر الشّقورى قال: كنت جالسا بمجلس حكمه، فرفعت إليه امرأة رقعة مضمنها أنها محبّة في مطلقها، و تبتغى الشفاعة لها في ردّها، فتناول الرقعة، و وقّع على ظهرها بلا مهلة: الحمد لله، من وقف على ما بالقلوب فليصخ لسماعه إصاخة مغيث، و ليشفع للمرأة عند زوجها تأسيّا بشفاعة الرسول صلّى الله عليه و سلم، لبريرة في مغيث. و الله يسلم لنا العقل و الدين، و يسلك بنا سبيل المهتدين، و السلام من كاتبه.

قال الشقورى: قال لى بعض الأصحاب: هلما كان هو الشفيح لها، فقلت: الصحيح أن الحاكم لا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه على المنصوص.

قرأ ابن أبي بكر المذكور على الأستاذ ابن أبي السداد الباهلى القرآن جمعا و أفرادا و العربية و الحديث، و لازمه، و تأدّب به، و على الشيخ الصالح أبى عبد الله بن عياش كثيرا من كتب الحديث، و سمع عليه جميع صحيح مسلم إلّا دولة واحدة. و أخذ عن الأستاذ أبى جعفر بن الزبير و الخطيب ابن رشيد و الولى الصالح أبى الحسين بن فضيلة، و الأستاذ أبى عبد الله بن الكماد، و أجازته العدل الراوية أبو فارس عبد العزيز بن الهوارى و أبو إسحاق التلمسانى.

و من أهل إفريقية المعمر أبو محمد بن هارون و محمد بن سيد الناس.

و من أهل مصر الشرف الدمياطى، و جماعة من أهل الشام و الحجاز، فقد رحمه الله تعالى فى المصافّ يوم المناجزة بطريف، زعموا أنه وقع عن بغلة ركبها، و أشار عليه بعض المنهزمين بالركوب، فلم يقدر، و قال له: انصرف، هذا يوم الفرح، إشارة لقوله تعالى فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [آل عمران: ١٧٠] و ذلك ضحى يوم الاثنين ٧ جمادى الأولى سنة ٧٤١ رحمه الله تعالى!.

[و منهم ابن أبى يحيى، و اسمه إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر، التسولى]

و من أشياخ لسان الدين ابن الخطيب، رحمه الله تعالى، الشيخ أبو إسحاق بن أبى يحيى الشهرى الذكر فى المغرب، و قد عرّف به فى «الإحاطة» فى اسم إبراهيم من ترجمة الغرباء بما نصّه: إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر التسولى، من أهل تازا، يكنى أبا سالم، و يعرف بابن أبى يحيى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٢٠

حاله من الكتاب المؤتمن - كان هذا الرجل قيما على «التهذيب» و «رسالة ابن أبى زيد»، حسن الإقراء لهما، و له عليهما تقييدان نييلان قيّدهما أيام قراءته إياهما على أبى الحسن الصّغير، حضرت مجالسه بمدرسة عدوة الأندلس من فاس، و لم أر فى متصدّرى بلده أحسن تدريسا منه. كان فصيح اللسان، سهل الألفاظ، موفيا حقوقها، و ذلك لمشاركته الحضر فيما بأيديهم من الأدوات، و كان مجلسه وقفا على «التهذيب» و «الرسالة»، و كان - مع ذلك - سمحا فاضلا، حسن اللقاء، على خلق بائنة على أخلاق أهل مصره. امتحن بصحبة السلطان، فصار يستعمله فى الرسائل، فمرّ فى ذلك حظّ كبير من عمره ضائعا لا فى راحة دنيا و لا فى نصب آخره. ثم قال: و

هذه سنّة الله فيمن خدم الملوك، ملتفتا إلى ما يعطونه، لا إلى ما يأخذون من عمره، وراحته أن يبوء بالصفقة الخاسرة، لطف الله بمن ابتلى بذلك وخلصنا خلاصا جميلا!

و من كتاب «عائد الصلّة»: الشيخ الفقيه الحافظ القاضي، من صدور المغرب، مشاركة في العلم، و تبحرا في الفقه، كان وجيها عند الملوك، صحبهم و حضر مجالسهم و استعمل في السفارة، فلقيناه بغرناطة، و أخذنا بها عنه، تام السراوة، حسن العهد، مليح المجالس، أنيق المحاضرة، كريم الطبع، صحيح المذهب.

تصانيفه - قيّد على «المدوّنة» بمجلس شيخه أبي الحسن كتابا مفيدا، و ضمّ أجوبته على المسائل في سفر، و شرح كتاب «الرسالة» شرحا عظيم الإفادة.

مشيخته - لانزم أبا الحسن الصيّ غير، و هو كان قارئ كتب الفقه عليه، و جلّ انتفاعه في التفقه به، و روى عن أبي زكريا بن يس، قرأ عليه كتاب «الموطأ» إلّا كتاب «المكاتب» و كتاب «المدبّر» فإنه سمعه بقراءة الغير، و عن أبي عبد الله بن رشيد، قرأ عليه «الموطأ» و «شفاء» عياض، و عن أبي الحسن بن عبد الجليل السرواتي، قرأ عليه «الأحكام الصغرى» لعبد الحق، و أبي الحسن بن سليمان، قرأ عليه «رسالة ابن أبي زيد»، و عن غيرهم.

وفاته - فليح بأخرة فالترم منزله بفاس يزوره السلطان و من دونه، و توفي بعد عام ثمانية و أربعين و سبعمائة؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٢١

و قال ابن الخطيب القسطيني: إن ابن أبي يحيى المذكور توفي سنة تسع و أربعين و سبعمائة؛ انتهى.

[و منهم محمد بن أحمد الطنجالي الهاشمي]

و من أشياخ لسان الدين الطنجالي الهاشمي، و هو محمد بن أحمد. قال في «عائد الصلّة»: كان على سنن سلفه كثرة حياء، و سمة صلاح، و شدة انقباض، و إفراط وقار و حشمة، بذّ الكهولة على حدائه سنّه في باب الورع و الدين و الإغراق في الصلاح و الخير، و تقدّم خطيبا ثم قاضيا ببلده، فأظهر من النزاهة و العدالة ما يناسب منصبه، ففرغ الناس إليه في كائنه الوباء العظيم بأموالهم، و قلّده عهود صدقاتهم، فاستقرّ في يده من المال الصامت و الحلّي و الذخيرة و العدة ما تضيق بيوت أموال الملك عنه و صرف ذلك مصارفه، و وضعه وفق عهده، فلم يتلبّس منه بنقير و لا قطمير، و كان مدركا أصيل الرأي، قائما على الفرائض و الحساب، ثم تخرج و طلب الإعفاء فأسعف به على حال ضنائه، و في ذلك يقول قريبه صاحبنا الفقيه القاضي أبو الحسن بن الحسن يخاطبه: [الطويل]

لك الله يا بدر السّماحة و البشر رفعت بأعلى رتبة راية الفخر

و لا سيما لما وليت أمورها فروّيتها من عذب نائلك الغمر

و دارت قضايها عليك بأسرها على حين لا برّ يعين على برّ

فقلت بها خير القيام مصمّما على الحقّ تصميم المهندة البتر

فسرّ بك الإسلام يا ابن حمامة و أمست بك الأيام باسمه الثغر

تعيد عليك الحمد ألسن حالها و تتلو لما يرضيك من سور الشكر

لذاك أمير المسلمين بعدله أقامك تقضى في الزمان على جبر

فأحييت رسم العلم بعد مماته و غادرت وجه الحكم أسنى من البدر

و لكنك استعفيت عنه توزّعا و تلك سبيل الصالحين كما تدرى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٢٢

فكم من وليّ فرّ عنه لعلمه به كأبي الحجاج جدّك من ذخر

فزاد اتصلاً عزّه باجتنابه له و سما قدرا على قنّة النسر
جريت على نهج السلامة في الذي تبعته له فابشر بأمنك في الحشر
و أراضاك مولاك الإمام بفضلته و أعفاك إعفاء الكرامة و البرّ
فأنت على الحالين أفضل من قضى و أشرف من يعفى إلى آخر الدهر
لما حزت من شتى المعالي التي بها تحليت عن أسلافك السادة الغرّ
صدور مقامات المعارف كلّها بحور النوال الجمّ في اليسر و العسر
هم النفر الأعلون من آل هاشم و ناهيك من مجد أثيل و من فخر
و هي طويلة: انتهى.

[و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق (ترجمته باستفاضة عن لسان الدين)]

و من أشياخ لسان الدين، رحمه الله تعالى، الشيخ الإمام الخطيب الرئيس سيدي أبو عبد الله بن مرزوق، و لنلخص ترجمته من «الإحاطة» و غيرها، فنقول: هو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق، العجيسى، التلمسانى، يكنى أبا عبد الله، و يلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين. قال أبو الحسن على بن لسان الدين بن الخطيب في حقه: سيدي، و سند أبي، فخر المغرب، و بركة الدول، و علم الأعلام، و مستخدم السيوف و الأقاليم، و مولى أهل المغرب على الإطلاق، أبقاه الله تعالى و أمتع بحياته و أعانى على ما يجب في حقه! قاله تربيته و ولده على ابن المؤلف؛ انتهى، يعنى ابن الخطيب.

و قال لسان الدين: هذا الرجل من طرف دهره طرفا و خصوصية و لطافة، مليح التوسّل، حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير التودّد، نظيف البرّة، لطيف التأتى، خير البيت، طلق الوجه، خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على صحبة الملوك و الأشراف، متفاض لا يثار السلاطين و الأمراء، يسحرهم بخلاصة لفظته، و يقتلهم فى الذروة و الغارب بتزّله، و يهتدى إلى أغراضهم الكمينية بحذقه، و يصطنع غاشيتهم بتلطّفه، ممزوج الدّعاة بالوقار و الفكاهة بالتسك و الحشمة بالبسط، عظيم المشاركة لأهل وده، و التعصّب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٢٣

لإخوانه، ألف مألوف، كثير الأتباع و العلق، مسخر الرقاع فى سبيل الوساطة، مجدى الجاه، غاصّ المنزل بالطلبية، منقاد للدعوة، بارع الخطّ أنيقه، عذب التلاوة، متّسع الرواية، مشارك فى فنون من أصول و فروع و تفسير، يكتب و يشعر و يقيد و يؤلف، فلا يعدو السداد فى ذلك، فارس منبر، غير جزوع و لا هياب. رحل إلى المشرق فى كنف حشمة من جناب والده، رحمه الله تعالى، فحجّ و جاور و لقي الجلبّة، ثم فارقه و قد عرف بالمشرق حقه، و صرف وجهه إلى المغرب، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره اشتمالا خلطه بنفسه، و جعله مفضى سرّه، و إمام جمعته، و خطيب منبره، و أمين رسالته، فقدم فى عرضها على الأندلس أواخر عام ثمانية و أربعين و سبعمائة، [و لما حالت بالأمر المذكور الحال استقرّ بالأندلس مفلتا من النكبة، فى وسط عام اثنين و خمسين و سبعمائة]، [فاجتذبه سلطانتها، رحمه الله، و أجراه على تلك الوتيرة فقلّده الخطبة بمسجده فى السادس لصفّر عام ثلاثه و خمسين و سبعمائة] و كان قد أقعده للإقراء بالمدرسة من حضرته، و فى أخريات عام أربعة و خمسين صرف عنه وجه برّه فى أسلوب طماح، و دالّة و سبيل هوى وقعه، فاعتنم الفترة، و انتهز الفرصة، و أنفذ فى الرحيل العزيمة، و انصرف عزيز الرّحلة، مغبوط المنقلب، فاستقرّ بباب ملك المغرب، أمير المؤمنين أبى عنان فارس فى محلّ تجلّته و بساط قرب، مشترك الجاه، مجدى التوسّط، ناجع الشفاعة، و الله يتولّاه و يزيدته من فضله!.

مشيخته- من كتابه المسمى «عجالة المستوفز المستجاز، فى ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز، من أئمة المغرب و الشام و

الحجاز): فممن لقيه بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام الإمام العالم العلامة عز الدين محمد أبو الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي، صاحب خطبتي الإمامة والخطابة بالمسجد الكريم النبوي، وأفرد جزءا في مناقبه.

ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السعدي العبّادي، تحمّل عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع و أبي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٢٤

اليمن وغيره. و الشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم، و نائب الإمامة و الخطابة به، و منشد الأمداح النبوية هنالك. و الشيخ الصالح الثقة المعمر محيي الدين أبو زكريا يحيى بن محمد المغراوي التونسي سمع ابن حامل و التوزري. و الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الحجار الفراهي بحرم رسول الله و الوقاد به، و كان مقصودا من كل قطر. و الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الصنعاني نائب القضاء بالمدينة. و الشيخ الإمام قاضي القضاء بالمدينة شرف الدين بن محرز الإخميمي بن الأسيوطي. و الشيخ الصالح عز الدين خالد بن عبد الله الطواشي. و الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله المعيشي، سمع ابن مزروع البصري وغيره. و الشيخ بهاء الدين موسى بن سلامة الشافعي المصري، الخطيب بالمسجد الكريم بها.

و الشيخ الخطيب أبو طلحة الزبير بن أبي صعصعة الأسواني. و الشيخ عفيف الدين المطري.

و الشيخ الأديب أبو البركات أيمن بن محمد بن محمد، إلى أربعة عشر، ابن أيمن، التونسي، المجاور. و الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون، اليعمرى، التونسي، المجاور.

و الشيخ أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن أبي ركبون التونسي، و قرأ بها على أبيه القرآن العظيم، قال: و كانت قراءتي عليه بالمدينة عند قبره عليه الصلاة والسلام.

و بمكة شرفها الله تعالى الشيخ المعمر الثقة شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله، الحجبي، المكي، المتوفى و قد قارب المائة. و الشيخ زين الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر، الطبري، المكي. و الشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن، العجمي. و شيخ شيوخ رباط الأعاجم حيدر بن عبد الله، المقرئ. و الشيخ مقرئ الحرم برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الأيلي المصري. و الشيخ مصلح الدين الحسن بن عبد الله العجمي. و الإمام الصالح أبو الصفاء خليل بن عبد الله، القسطلاني، التوزري. و الشيخ الإمام الصالح أبو محمد عبد الله بن أسعد، الشافعي، الحنفي، انتهت إليه الرياسة العلمية و الخطط الشرعية بالحرم. و الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي بكر، النويري، المالكي. و الشيخ الإمام المدرس بالحرم شهاب الدين أحمد بن الحرازي، اليمنى. و الشيخ قاضي القضاء نجم الدين محمد بن جمال الدين بن عبد الله بن المحب الطبري. و الشيخ جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن براجين، القشيري، التلمساني، و قرأ بها على أبيه و ألبسه بها الخرقة. و الشيخ الملك شرف الدين عيسى بن محمد بن أبي بكر بن أيوب. و الشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر بن أيوب. و الشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري، المكية. و الشيخ أبو الربيع سليمان بن يحيى بن سلمان، المراكشي، السفاح..

و الشيخ قاضي القضاء و خطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٢٥

الكناني، قاضي القضاء بالديار المصرية.

و بمصر الشيخ علاء الدين القونوي. و التقى السعدي. و قاضي القضاء القزويني، و هو شهير الذكر، رفيع القدر. و قاضي القضاء البرهان الحنفي. و الشرف أفضى القضاء الإخميمي.

و الشيخ المحدث المسند البدر محمد بن محمد الفارقي. و القطب الحافظ أبو محمد بن منير.

و الشهاب أحمد الجوهري الحلبي. و المعمر الشرف يحيى المقدسي بن المصري. و الشيخ محسن القرشي. و الشهاب الحنبلي. و فتح

الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس، اليعمرى. و الشيخ المسند شمس الدين أبو بكر بن سيد الناس أخوه. و الإمام أبو حيان. و المؤرخ النسابة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن علي بن حاتم بن خليش، الزبيرى، المصرى، يبلغ شيوخه نحو من ألفى شيخ.

و الشيخ الشمس بن عدلان. و الشهاب البوشى المالكى. و الشيخ المتصوف تاج الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ثعلب، المصرى، مدرس المالكية. و الشمس ابن كنفري، الخطابى، الصيرفى. و العماد ابن المنجم الدمياطى. و التاج الأشعرى. و التقى الثعلبى.

و الفتاح بن عبد القوى. و الشمس الورجمى. و التقى الأشمونى. و العلامة التقى السبكى. و المعروف ابن بنت الشاذلى. و أبو الحسن التميمى. و البرهان الخيمى. و الشمس الأسوانى. و البرهان الحكرى. و الشمس ابن جابر الوادى آشى. و أبو محمد عبد الكريم الطوسى. و أبو فارس الزروالى التونسى. و صالح بن عبد العظيم بن يونس. و أبو عبد الله بن القماح. و التاج التبريزى. و الشيخ محمود الأصبهانى و الشرف المقيلى. و البرهان السفاقسى.

و من النساء الشيخة المسندة ست الفقهاء فاطمة بنت محمد الفيومى البكرى.

و بلبليس أسد الدين يوسف بن داود الأيوبى، من أبناء الملوك.

و من الشاميين بالمقدس علاء الدين أبو الحسن على بن أيوب، و خطيب القدس النور ابن الصائغ المقدسى، و محمد بن على بن مثبت الأندلسى، و البرهان الجعبرى إمام الخليل.

و من أهل دمشق البرهان بن الفركاح، و الشمس بن مسلم قاضى الحنابلة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٢٦

و بالإسكندرية أحمد المرادى بن العشاب، و أبو القاسم بن على بن البراء، و الناصر بن المنير.

و بطرابلس الخطيب أبو محمد جابر بن عبد الغفار.

و بتونس الزبيدى، و القاضى ابن عبد الرفيع، و القاضى ابن عبد السلام، و ابن راشد، و أبو موسى هارون، و المحدث أبو عبد الله التلمسانى، و الحافظ أبو زكريا يحيى بن عصفور التلمسانى نزيل تونس، و أبو محمد بن سعد الله بن أبى القاسم بن البراء.

و ببلاد الجريد الشيخ الخطيب أبو عبد الملك بن حيون.

و بالزاب ابن أبى، و الشيخ أبو محمد بن راشد.

و ببجاية الإمام النظار المجتهد أبو على ناصر الدين المشدالى، و الحافظ فقيه زمانه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بالبخت الزواوى، و الشيخ الفقيه أبو عبد الله الخطيب المسفر، و غيرهم.

و بتلمسان الشيخان الإمامان ابنا الإمام، و قاضى القضاة بها أبو عبد الله بن هديء، و الخطيب أبو محمد المجاصى، و الشريف أبو على حسن بن يوسف بن يحيى الحسنى، و الشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن على، المعروف بابن إسحاق، الخياط و غيرهم.

محنته - اقتضى الخوض الواقع بين يدي تأميل الأمير أبى الحسن رحمه الله تعالى عودة الأمر إليه و قد ألقاه اليم إلى الساحل بمدينة الجزائر أن قبض عليه بتلمسان أمراؤها المتوثبون عليها فى هذه الفترة من بنى زيان، إرضاء لقبيلهم المتهم بمدخلته، و قد رحل عنهم دسيسا من أميرهم عثمان بن يحيى، فصرف مأخوذا عليه طريقه، متتبا رحله، منتهكة حرمة، و أسكن قراره مطبق عميق القعر، مقفل

المسلك، حريز القفل، ثانى اثنين؛ انتهى ملخصا.

و رأيت بخط ابن مرزوق على قوله «و قد رحل عنهم دسيسا - إلى آخره» ما نصه: لم أرحل عنهم إلما بإذنتهم، و اقتراحهم على فى الإصلاح بينهم، لكنهم غدروا تقيء على أنفسهم، قاله ابن مرزوق، انتهى. و كتب تحته ولد ابن الخطيب ما صورته: نعم ما ترى:

[الوافر].

و عند الله تجتمع الخصوم

انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٢٧

رجع إلى كلام لسان الدين في حقه - قال بعد الكلام السابق ما ملخصه: ولأيام قتل ثانيه ذبحا بمقربة من شفا تلك الركبة، وانقطع أثره، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه، ولزمان من محتته ظهرت عليه بركة سلفه في خبر ينظر بطرفه إلى الكرامة فنجا ولا تسل كيف، وخلصه الله خلاصا جميلا، وقدم على الأندلس، والله ينفعه بتيته؛ انتهى.

و كتب ابن مرزوق على هذا المحل ما نصه: لم يكن المقتول - حين قتل - معي، ولا قتل ذبحا، قاله ابن مرزوق؛ انتهى. و كتب بعض علماء مصر تحته ما نصه: هذه دعوى، والمؤرخ أعرف، انتهى، فكتب آخر بعد هذا ما نصه: أ تخبرني عنى؟ انتهى.

[نماذج من شعر ابن مرزوق]

رجع - ثم قال لسان الدين في ترجمه شعره ما صورته: ركب مع السلطان بخارج الحمراء أيام ضربت اللوز قبابها البيض، وزينت الفحص العريض، والروض الأريض، فارتجل في ذلك: [الكامل]

انظر إلى التوار في أغصانه يحكى النجوم إذا تبدت في الحلوك

حيًا أمير المسلمين وقال: قد عميت بصيرة من بغيرك مثلك

يا يوسف حزت الجمال بأسره فمحاسن الأيام تومي هيت لك

أنت الذى سعدت به أوصافه فيقال فيه: ذا مليك أو ملك

إلى أن قال: ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه ما أنشد عنه و بين يديه ليلة الميلاد المعظم من عام ثلاثه و ستين و سبعمائة: [مجزوء
الرجز]

قل لنسيم السحر لله بلغ خبري

إن أنت يوما بالحمى جررت فضل المئزر

ثم حثت الخطو من فوق الكتيب الأعفر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٢٨

مستقر يا في عشبه مخفى وطء المطر

تروى عن الضحاك في ال روض حديث الزهر

مخلق الأذيال بال عبير أو بالعنبر

وصف لجيران الحمى و جدى بهم و سهرى

و حقهم ما غيرت و دى صروف الغير

لله عهد فيه قضيت حميد الأثر

أيامه هي التي أحسبها من عمرى

و يا لليل فيه ما عيب بغير القصر

العمر فينان و وج ه الدهر طلق الغرر

و الشمل بالأحباب من ظوم كنظم الدرر

صفو من العيش بلا شائبة من كدر
 ما بين أهل تقطف ال أنس جنى الثمر
 و بين آمال تبي ح القرب صافى الغدر
 يا شجرات الحى حى اك الحيا من شجر
 إذا أجال الشوق فى تلك المغانى فكرى
 خرّجت من خدى حدى ث الدمع فوق الطّور
 و قلت يا خدّ ارو من دمعى صحاح الجوهرى
 عهدى بحادى الركب كال ورقاء عند السّحر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٢٩
 و العيس تجتاب الفلا و اليعملات تنبرى
 تخبط بالأخفاف مظ لوم البرى و هو برى
 قد عطفت عن ميد و التفتت عن حور
 قسى سير ما سوى ال عزم لها من وتر
 حتى إذا الأعلام حلّت لحفى البشر
 و استبشر النازح بال قرب و نيل الوطر
 و عين الميقات للس فر نجاح السّفر
 فالناس بين محرم بالحجّ أو معتمر
 لبيك لبيك إل ه الخلق بارى الصّور
 و لاحت الكعبة بى ت الله ذات الأثر
 مقام إبراهيم و ال مامن عند الدّعر
 و اغتنم القوم طواف القادم المبتدر
 و أعقبوا ركعتى السّ عى استلام الحجر
 و عزّفوا فى عرفات كلّ عرف أذفر
 ثم أفاض الناس سع يا فى غد للمشعر
 فوقفوا و كبروا قبل الصّباح المسفر
 و فى منى نالوا المنى و أيقنوا بالظّفر
 و بعد رمى الجمرات كان حلق الشّعر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٣٠
 أكرم بذاك السّفر و ال له و ذاك السّفر
 يا فوزه من موقف يا ربحه من متجر
 حتى إذا كان الوداع و طواف الصّدر
 فأى صبر لم يخن أو جلد لم يغدر
 و أى وجد لم يصل و سلوة لم تهجر

ما أفجع البين لقل ب الواله المستعبر
 ثم ثنوا نحو رسول الله سير الضمير
 فعانوا في طيبة لألاء نور تير
 زاروا رسول الله واس تشفوا بلثم الجدر
 نالوا به ما أملوا وعرجوا في الأثر
 على الضجيعين أبي بكر الرضا و عمر
 زيارة الهادي الشفي ع جنة في المحشر
 فأحسن الله عزاء قاصد لم يزر
 ربع ترى مستنزل ال آى به و السور
 و ملتقى جبريل بال هادي الزكى العنصر
 و روضة الجنة بي ن روضة و منبر
 منتخب الله و مخ تار الورى من مضر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٣١
 و المنتقى و الكون من ملابس الخلق عرى
 إذ لم يكن فى أفق من زحل و مشرى
 ذو المعجزات الغر أم ثال النجوم الزهر
 يشهد بالصدق له منها انشفاق القمر
 و الضب و الطيبى إلى نطق الحصى و الشجر
 من أطمع الألف بصاع فى صحيح الخبر
 و الجيش رواه بما ء الراحة المنهمر
 يا نكتة الكون التى فاتت منال الفكر
 يا حجة الله على ال رائح و المبتكر
 يا أكرم الرسل على ال له و خير البشر
 يا من له التقدّم ال حق على التأخر
 يا من لدى مولده المقدس المطهر
 إيوان كسرى ارتج إذ ضاءت قصور قيصر
 و موقد النار طفى كأنه لم يسعر
 يا عمدتى يا ملجئى يا مفزعى يا وزرى
 يا من له اللواء و ال حوض و ورد الكوثر
 يا منقذ الغرقى و هم رهن العذاب الأكبر
 إن لم تحقّق أملى يؤت بسعى المخسر
 صلّى عليك الله يا ثمال كل معسر
 صلّى عليك الله يا نور الدجى المعتكر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٣٢

يا ويح نفسي كم أرى فى غفلة من عمرى
 وا حسرتى من قلة ال زاد و بعد السفر
 يحجنى و الله بال برهان وعظ المنبر
 يا حسنها من خطب لو حرّكت من نظرى
 يا حسنها من شجر لو أورقت من ثمر
 أوّمل الأوبه و ال لأمر بكفّ القدر
 أسوّف العزم به من شهر لشهر
 من صفر لرجب من رجب لصفر
 ضيّعت فى الكبره ما أعددته فى صغرى
 و ليس ما مرّ من ال لأيام بالمنتظر
 و قلّما أن حمدت سلامة فى غرر
 ولى غريم لا ينى فى طلب المنكسر
 يا نفس جدّى قد بدا الصبح ألا فاعتبرى
 و اتّعظى بمن مضى و ارتدعى و ازدجرى
 ما بعد شيب الفود من مرتقب فشمرى
 أنت و إن طال المدى فى قلعه و سفر
 و ليس من عذر يقى م حجّه المعتذر
 يا ليت شعرى و المنى تسرق طيب العمر
 هل أرتجى من عودة أو رجعه أو صدر
 فأبرد الغله من ذاك الزلال الخصر
 مقتديا بمن مضى من سلف و معشر
 نالوا جوار الله و ه و الفخر للمفتخر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٣٣

أرجو يا إبراهيم مو لانا بلوغ الوطر
 فوعده لا يمتري فى الصدق منه ممتري
 و هو الإمام المرتضى و الخير ابن الخير
 أكرم من نال العلا بالمرهفات البتر
 ممهد الملك و سى ف الحقّ و الليث الجرى
 خليفة الله الذى فاق بحسن السير
 و كان منه الخير فى ال علياء وفق الخبر
 فصّدق التصديق من مرآه للتصور
 و مستعين الله فى ورد له و صدر

فاق الملوك الصّيد بالم جد الرفيع الخطر
فأصبحت ألقابهم منسيّة لم تذكر
و حاز منه أوحد وصف العديد الأكثر
برأيه المأمون أو عسكره المظفر
بسيفه الشّفاح أو بعزمه المقتدر
بالعلم المنصور أو بالذابل المنتصر
يا ابن الإمام الطاهر الب رّ الزكيّ السّير
مدحك قد علّم نظ م الشّع من لم يشعر
جهد المقلّ اليوم من مثلي كوسع المكثّر
فإن يقصّر ظاهري فلم يقصّر مضمرى

قلت: قول لسان الدين فى حقّ هذه القصيدة «إنها من الشعر المنسوب إلى محاسنه» تعريض خفى بأنّ هذه القصيدة يحتمل أن تكون
قيلت على لسانه حسبما جرت بذلك عادة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٣٤

الأكابر والرؤساء أن ينسب إليهم ما ليس من كلامهم فى نفس الأمر، و ليس الواقع عندى كذلك؛ لأنّ باع ابن مرزوق فى النظم و
النثر مديد، فأنتى يقصر عن هذا القصيدة؟ و من يصدر منه على البديهة قوله: [الكامل]
انظر إلى النّوار فى أغصانه

الآيات السابقة فى اللوز- لا يستغرب منه مثل هذا، و لذا كتب ابن لسان الدين على قول والده «من الشعر المنسوب إلى محاسنه» ما
صورته: حضرت إنشاءها و إنشادها ليلة الميلاد الشريف فى التاريخ المذكور، و استحسناها شعراء العدوتين، و هى ممّا لا ينكر على
مدارك سيدى أبى عبد الله و رسوخه فى علم النظم و النثر، قاله على بن الخطيب؛ انتهى.

و كتب بعضهم على قوله فى هذه القصيدة: [مجزوء الرجز]

أيامه هى التى أعدّها من عمرى

ما نصّه: ولت و الله، انتهى، فكتب ابن مرزوق بعده ما نصّه: لكنها بدلت بخير منها و الحمد لله، و حصلت الخاتمة ببركة رسول الله،
صلّى الله عليه و سلم، تسليماً؛ انتهى.

و كتب ابن لسان الدين على قوله:

و قلّما أن حمدت سلامة فى غرر

ما نصّه: كذلك كان، و لى و الذى رحمه الله تعالى كذلك؛ انتهى.

و كتب على قوله «برأيه المأمون- إلخ» ما نصّه: لو كان له رأى مأمون ما نزل على قلعة الملك لسكنى القصبه بدخيلة طلب الراحة،
فضربت عنقه، و كانت الراحة منه؛ انتهى.

و كتب بعض إثر هذا ما صورته: القدر لا يغالب، الحذر ينفع ما لم يأتك القدر، فإذا أتى قدر، لم ينفع حذر؛ انتهى.

و كتب ابن لسان الدين على قوله «فلم يقصر مضمرى» ما صورته: صدق و الله؛ انتهى.

ثم قال لسان الدين: و وردت باب السلطان الكبير أبى عنان، فبلوت من مشاركته و حميد سعيه ما يليق بمثله، و لمّا نكبه لم أقصّر عن
ممكن حيلة فى أمره. فلما هلك السلطان أبو عنان و صار الأمر لأخيه المتلاحق من الأندلس أبى سالم بعد الولد المسمّى بالسعيد كان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٣٥

دانت له الطاعة، و أناخ راحلة الملك، و حلب ضرع الدولة، و خطب عروس الموهبة، فأنشب ظفره في متات معقود من لدن الأب، مشدود من لدن التقرب، فاستحكم عن قرب، و استغلظ عن كئيب، فاستولى على أمره، و خلطه بنفسه، و لم يستأثر عنه بيته، و لا انفرد بما سوى بضع أهله، بحيث لا- يقطع في شيء إلا عن رأيه، و لا يمحو و يثبت إلا واقفا عند حدّه، فغشيت بابه الوفود، و صرفت إليه الوجوه و وقفت عليه الآمال، و خدمته الأشراف، و جلبت إلى سدّته بضائع العقول و الأموال، و هادته الملوكة، فلا تحدو الحداء إلا إليه، و لا تحطّ الرّحال إلا لديه، إن حضر أجرى الرسم، و أنفذ الأمر و النهى، لحظا أو سرارا أو مكاتبه، و إن غاب ترددت الرّقاع، و اختلفت الرّسل، ثم انفرد أخيرا ببيت الخلوة و منتبذ المناجاة من دونه مصطفّى الوزراء، و غايات الحجاب، فإذا انصرف تبعته الدنيا، و سارت بين يديه الوزراء، و وقفت ببابه الأمراء، قد وسع الكلّ لحظه، و شملهم بحسب الرّتب و الأحوال رعيه، و وسم أفذاذهم تسويده، و عقدت ببنان عليّتهم بنانه. لكن رضا الناس الغاية التي لا تدرك، و الحسد بين بنى آدم قديم، و قبيل الملك مباين لمثله، فطويت الجوانح على سل، و حنيت الضلوع على بثّ، و أغمضت الجفون على قذى، إلى أن كان من نكبته الثالثة ما هو معروف، جعلها الله له طهورا. و لما جرت الحادثة على الدولة بالأندلس و كان لحاق جميعنا بالمغرب جنيت ثمرة ما أسفته من وده، فوفى الكيل، و أشرك في الجاه، و أدّر الرّزق، و رفع المجلس، بعد التّسبب في الخلاص و السّعي في الجبر، جبره الله تعالى، و كان له أحوج ما يكون إلى ذلك يوم لا ينفع مالٌ و لا بَنُونٌ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء: ٨٩] انتهى.

[خطاب من لسان الدين إلى ابن مرزوق حين قدم على بنى مريّن مفلتا من الأندلس]

و كتب ابن لسان الدين على هذا المحلّ ما صورته: هذا لسان أبي عليه في الغيبة و الحضور؛ انتهى.

و ممّا خاطبه به لسان الدين مهنتا من طريق القدوم على الأبواب المرينية، مفلتا من البلية

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٣٦

بشفاعته، ما نصّه: سيدى الذى إليه انقطاعى و انحياشى، و ملاذى و ملجئى الذى يسّر خلاصى و سنى انتياشى، و منعمى الذى جبر جناحى و أنبت رياشى، و مولى هذا الصنف العلمى و لا أحاشى، كتبه صنيع نعمتكم الخالصة الحرّة، و مسترقّ فضلكم الذى تألّقت منه فى ليل الخطوب الغرّة، ابن الخطيب لطف الله به من كذا، و قد شدّ إلى إبلاغ النفس عذرها فى مباشرة تقبيل اليد التى لها اليد العظمى، و السجّية الرّحمى، فلکم طوقت من نعمى، و جبال النعم قد أثقلت الظهر، و استغرقت السّرّ و الجهر، فبأى لسان أو بأى بنان، و لا أثر بعد عيان، تقابل نعمه تداركت الرّمق و قد أشفى، و أبقت الدّماء و الشروع فى استئصالها لا يخفى، فيا لك من فرد هزم ألفا، و وعد نصر لم يعرف خلفا، و نية خلصت بتبغى إلى الله زلفى، لقد صدع بها مولاي غريبة فى الزمن، بالغا حسن صنيعها صنعاء اليمن، مترفّعة عن الثمن، و إن لم يقم بها مثله فمن، فليهن سيدى ما ذاع لمجده بها من فخر، و ما قدم يوم تزلّ الأقدام من ذخر، و ما جلب للمقام المولوى الإبراهيمى من طيب ذكر، و استفاضة حمد و شكر، لقد ارتهن دعاء الحافى و الناعل، و الدالّ على الخير شريك الفاعل، و الذى أحيا النفس جدير برد جدتها، و إنجاز عدتها، و أنا قد قويت بجاهكم و إن كنت ضعيفا، و استشعرت سعدا جديدا و قدرا منيفا، و أيقنت أنّ الله، عزّ و جلّ، كان بى لطيفا، إذ هتأ لى من رحمة ذلك المقام المولوى على يدكم نصرا عزيزا، و بوأنى من جاهه حرزا حريزا، و قد استأسدت الأعداء، و أعضل الداء، و أعمل الاعتداء، و عزّ الفداء، فانفرج الضيق، و تيسّرت للخير الطريق، و ساغ الريق، و نجا الغريق، غريبة لا تمثّل إلا فى الحلم، و لطيفة فيها اعتبار لأولى العلم، اللهمّ جاز سيدى فى نفسه و ولده، و حاله و بلده، و معاده بعد طول عمره و انفساح أمده، و كن له نصيرا أحوج ما يكون إلى نصر، و اجعل له سعة من كلّ حضر، و اقصر عليه جاه كلّ قصر، كما جعلت ذاته فوق كلّ ذات و عصره فوق كل عصر. و ليعلم سيدى أنّ من أراد بى منافسة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٣٧

وحسدا، و زأر عليّ أسدا، لما استقلّ على الكرسي جسدا، من غير ذنب تبين، و لا حدّ تعين، أصابه من خلاصى المقيم المقعد، و وعد النفس بأمل أخلف منه الموعد، لما استنقذنى الله برحمته من بين ظفروه و نابه، و غطانى بستر جناه، و كثرنى فى العيون على قلّة، و أعزنى بعزّ نصره على حال ذلّمه، لم يدع حيلة إلّا نصبها أمامى، ليحبط ذلك المقام الكريم ذمامى، و يكدر جمامى، و يستدرك حمامى، و زعم أنّ بيده على البعد زمامى، و يابى ذلك رأى يفرق بين الحقّ و ضده، و عدل لا يخرج الشىء عن حدّه، فنبهت سيدى خوفا أن تتجه حيلة، أو تفسد وسيلة، و أنا قادم بالأهل و الولد ليعمل فى رب الصنيعه على شاكله المجد الذى هو له أهل، فما بابتدائه جهل، و لا يختلف فى عظم ما أسداه عزّ و لا كهل، و لا يتبه مثله على تميم، و إجزال فضل عميم، و مؤانسه غريب، و صلّه نصر عزيز و فتح قريب، بحول الله تعالى.

و قال لسان الدين بعد ما سبق نقله عنه فى حقّ ابن مرزوق: و لما انقضى أمر سلطانه، رحمه الله تعالى، متجنّى عليه بسببه، محمولا عليه من أجله، تقبّض عليه و أجمع الملاء على قتله، و شدّد اعتقاله، و طلب بالمال العريض و انتهب أمواله و اعتقلت رباعه، و جنبت مراكبه، و اصطفت أمهات أولاده، و تمادى به الاعتقال و الشدّه، إلى أن عادته عوائد الله فى الخلاص من الشدّه، و الانتياش عن الورطه ظاهره عليه بركه سلفه، قائمه له حجه الكرامه فى أمره.

حكى أمير المسلمين سلطاننا أعزّه الله قال: عرض لى والدى، رحمه الله تعالى، فى النوم فقال: يا ولدى، اشفع فى الفقيه ابن مرزوق، فقبلت يده، و اقتضيت حظّه، و حكيت داعيته، و عينت للوجهه فى ذلك قاضى الحضرة، فكان ذلك ابتداء الفرج.

[نكبة ابن مرزوق و خلاصه منها]

و حدّثنى الثقة من خدام السلطان أبى عنان عنه مخبرا عن نفسه لما نفس عنه من نكبته، و أجاره من سخطته، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأمرنى بذلك، و كفى بها جاها و حرمة، قلت: فترك سبيله، و أتيح له ركوب البحر إلى البلاد المشرقية بأهله و ولده، فسار فى كنف الستر، و تحت جناح الرقابه، فى وسط رجب من عام أربعة و ستين و سبعمائة من ساحل باديس، صحب الله وجهته، و ختم عصمته! انتهى ما لخصته من كلام لسان الدين بلفظه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٣٨

و رأيت على هامش هذا المحل من «الإحاطة» بخط المذكور ما صورته: أقول و أنا ابن مرزوق المسمّى فيه: إنى قد وصلت إلى تونس المحروسة فى شهر رمضان من سنه خمس و ستين، فلقيت بها من المبرّه و الكرامه و الوجاهه فوق ما يعهده أمثالى، و وليت خطابه جامع ملكها، و تدرّس أم المدارس فيها، و هى المعروفة بمدرسه الشماعين، كلّ ذلك تحت رعايه و عناية و ملازمه لمجلس ملكها، إلى أن توفى سنه إحدى و سبعين، ثم مع ولده و ابن أخيه، إلى أن رحلت فى البحر فى شهر ربيع الأول سنه ثلاث و سبعين، فحللت فى الديار المصريه، و لقيت من ملكها الذى لم أر فى الملوك مثله حلما و فضلا و حياء و جودا و تلطفا و رحما، السلطان المالك الملك الأشرف ناصر الدين و الدنيا شعبان بن حسين، فأحسن لى و أجرى عليّ و على أولادى ما قام به الحال، و قلّمدنى دروسا و مدارس، و أهلى للثمول بين يديه، و الحال مستمرّ على ذلك حتى الآن، و ذلك من فضل الله و معهود إحسانه، و المرجو من الله حسن العاقبه، و كتب فى رمضان سنه خمس و سبعين؛ انتهى.

و كتب بعده أبو الحسن على بن لسان الدين، رحمهما الله تعالى، ما صورته: صدق، و هو فوق ذلك كلّه، فقدرة معروف، و لطالما كان ملك المغرب يفتخر به، فصار يفتخر بتقليد الدروس: [السريع]

و الدهر لا يبقى على حاله

انتهى.

قال فى «الإحاطة»: و لما شرح كتاب «الشفاء» للقاضى عياض، رحمه الله تعالى، و استبحر فيه، [و أكثر النقل، و بذل الجهد]، طلب أهل

العدوتين نظم مقطوعات تتضمن الشاء على الكتاب المذكور، و إطرء مؤلفه، فائثال عليه من ذلك الطمّ و الزم، بما تعددت منه الأوراق، و اختلفت فى الإجادة و غيرها الأرزاق، إيثارا لغرضه، و مبادرة من كلّ الجهات لإسعاف أربه، و طلب منى أن ألمّ فى ذلك بشىء، فكتبت له فى ذلك: [الطويل]

شفاء عياض للصدور شفاء فليس بفضل قد حواه خفاء
هدية برّ لم يكن لمديها سوى الأجر و الذكر الجميل كفاء
و فى لنبىّ الله حقّ وفائه و أكرم أوصاف الكرام و فاء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٣٩
و جاء به بحرا يقول بفضلله على البحر طعم طيب و صفاء
و حقّ رسول الله بعد وفاته رعاه، و إغفال الحقوق جفاء
هو الذّخر يغنى فى الحياة عتاده و يترك منه للبين رفاء
هو الأثر المحمود ليس يناله دثور، و لا يخشى عليه عفاء
حرصت على الإطناب فى نشر فضله و تمجيده لو ساعدتنى فاء

و استراد من هذا الغرض الذى لم يقنع فيه بالقليل، فبعثت إليه من محلّ انتقالى من مدينة سلا حرسها الله تعالى: [مجزوء الرمل]

أ أزاهير رياض أم شفاء لعياض
جدلّ الباطل للحقّ بأسياف مواض
و جلا الأنوار برها نا بحقّ و افتراض
و شفى من يشتكى ال غلّة فى زرق الحياض
أىّ بنیان مقال آمن خوف انقضاض
أىّ عهد ليس يرمى بانتكاث و انتقاض
و معان فى سطور كأسود فى غياض
و شفاء لصدور من ضنى الجهل مراض
حرّر القصد فما شين بنقد و اعتراض
يا أبا الفضل ادر أنّ الله عن سعيك راض
فاز عبد أقرض اللّ ه برجحان القراض
وجبت غرّ المزايا من طوال أو عراض
لكك يا أصدق راو لكك يا أعدل قاض
لرسول الله و فى ت بجدّ و انتهاض
خير خلق الله فى حال و فى آت و ماض
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٤٠
سدّد الله ابن مروزق إلى تلك المراضى
زبده العرفان، معنى كلّ نسك و ارتياض
فتولّى بسط ما أجم لت من غير انقباض
ساهرا لم يدر فى استخ لاصه طعم اغتماض

إن يكن دينا على الأيام قد حان التقاضى
 دام فى علو و من عاداه يهوى فى انخفاض
 ما وشى الصبح الدياتجى بسواد فى بياض
 ثم نظمت له أيضا فى الغرض المذكور، و الإكثار من هذا النمط، فى هذا الموضوع، ليس على سبيل التبجّح بإجاداته و غرابته، و لكن
 على سبيل الإشادة بالشرح المشار إليه، فهو بالغ غاية الاستبحار: [السريع]
 حيتت يا مختطّ سبت ابن نوح بكلّ مزن يغتدى أو يروح
 و حمل الزيحان ريح الصبا أمانة فيك إلى كلّ روح
 دار أبى الفضل عياض الذى أضحت برياه رياضاً تفوح
 يا ناقل الآثار يعنى بها و واصلا فى العلم جرى الجموح
 طرفك فى الفضل بعيد المدى طرفك للمجد شديد الطموح
 كفاك إعجازا كتاب الشفا و الصبح لا ينكر عند الوضوح
 لله ما أجزلت فينا به من منحة تقصر عنها المنوح
 روض من العلم همى فوقه من صيب الفكر الغمام السفوح
 فمن بيان الحقّ زهر بدا و من لسان الصدق طير صدوح
 تأرّج العرف و طاب الجنى و كيف لا يثمر أو لا يفوح
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٤١
 و حلّة من طيب خير الورى فى الجيب و الأعطاف منها نضوح
 و معلم للدين شيدته فهذه الأعلام منها تلوح
 فقل لها مان كذا أو فلا يا من أضلّ الرشد تبنى الصروح
 فى أحسن التقويم أنشأته خلقا جديدا بين جسم و روح
 فعمره المكتوب لا ينقضى إذا تقضى عمر سام و نوح
 كأنه فى الحفل ريح الصبا و كلّ عطف فهو غصن مروح
 ما عذر مشغوف بخير الورى إن هاج منه الذكر أن لا يبوح
 عجبت من أكباد أهل الهوى و قد سطا البعد و طال التزوح
 إن ذكر المحبوب سالت دما ما هنّ أكباد و لكن جروح
 يا سيّد الأوضاع يا من له بسيد الإرسال فضل الرجوح
 يا من له الفضل على غيره و الشمس تخفى عند إشراق يوح
 يا خير مشروح وفى و اكتفى و من ابن مرزوق بخير الشروح
 فتح من الله حباه به و من جناب الله تأتى الفتوح
 ثم قال: و على الجملة و التفصيل، فهذا الرجل نسيح وحده شهرة و جلاله و خصالا و أبوة صالحه، تولاه الله! و كان له! و انصرف
 بجملته إلى بلاد المشرق عام أربعة و ستين و سبعمائة، تولاه الله تعالى، و أسعد منقلبه! و مولده بتلمسان عام أحد عشر و سبعمائة؛
 انتهى كلام لسان الدين.

[ترجمة أبي عبد الله بن مرزوق عن المؤرخ ابن خلدون]

و لنزد في هذه الترجمة على ما ذكره فنقول: قال ابن خلدون: صاحبنا الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق، من أهل تلمسان، كان سلفه نزلاء الشيخ أبي مدين بالعباد، و متوارثين تربته من لدن جدّهم خادمه في حياته، و كان جدّه الخامس أو السادس أبو بكر بن مرزوق معروفا بالولاية فيهم، و نشأ محمد هذا بتلمسان، و مولده فيما أخبرني عام عشرة و سبعمائة؛ انتهى.

و هو مخالف لما ذكره لسان الدين فيما مرّ عنه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٤٢

ثم قال ابن خلدون: و ارتحل مع والده إلى المشرق سنة ثلاث عشرة، [و سمع ببجاية على الشيخ ناصر الدين]، و لما جاور أبوه بالحرمين رجع إلى القاهرة، فأقام و برع في الطلب و الرواية، و كان يجيد الخطين، و رجع سنة ثلاث و ثلاثين إلى المغرب، و لقي السلطان أبا الحسن محاصرا لتلمسان، و قد شيد بالعباد مسجدا عظيما و كان عمّه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم في العباد، و توفي، فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمّه، و سمعه يخطب على المنبر، و يشيد بذكره، و يثنى عليه، فحلى بعينه، فقربه، و هو مع ذلك يلازم ابني الإمام، و يأخذ نفسه بلقاء الأفاضل و الأكابر و الأخذ عنهم، و حضر مع السلطان وقعة طريف، ثم استعمله في الرسالة إلى الأندلس، ثم إلى ملك قشتالة في تقرير الصلح، و استنقاذ ولده المأسور يوم طريف، و رجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصراري، فرجع إلى المغرب. و وفد على السلطان أبي عنان بفاس مع أمّه حظية أبي الحسن. ثم رجع إلى تلمسان، و أقام بالعباد، و على تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن و أخوه أبو ثابت، و السلطان أبو الحسن بالجزائر، و قد حشد هناك، فأرسل أبو سعيد ابن مرزوق المذكور إليه سرّا في الصلح، فلما أطلع أخوه أبو ثابت على الخبر أنكره على أخيه، فبعثوا من حبس ابن مرزوق، ثم أجازوه البحر إلى الأندلس، فنزل على أبي الحجاج سلطانها بغرناطة، فقربه، و استعمله على الخطبة بجامع الحمراء، فلم يزل خطيبه إلى أن استدعاه أبو عنان سنة أربع و خمسين بعد مهلك أبيه و استيلائه على تلمسان و أعمالها، فقدم عليه، ورعى له وسائله، و نظمه في أكابر أهل مجلسه، ثم بعثه لتونس عام ملكها سنة ثمان و خمسين ليخطب له ابنه السلطان أبي يحيى، فردّت الخطبة، و اختفت بتونس، و وشى إلى السلطان أبي عنان أنه كان مطلعا على مكانها، فسخطه لذلك، و أمر بسجنه، فسجن مدة، ثم أطلقه قبل موته.

و لما استولى أبو سالم على السلطنة آثره، و جعل زمام الأمور بيده، فوطىء الناس عتبه، و غشى أشراف الدولة ببابه، و صرفوا إليه الوجوه، فلما وثب عمر بن عبد الله بالسلطان آخر عام اثنين و ستين حبس ابن مرزوق، ثم أطلقه بعد أن رام كثير من أهل الدولة قتله، فمنعه منهم، ثم لحق بتونس سنة أربع و ستين، و نزل على السلطان أبي إسحاق و صاحب دولته أبي محمد بن تافراكين، فأكرموه و لوّه الخطبة بجامع الموحدين، و أقام بها إلى أن هلك السلطان أبو يحيى سنة سبعين و ولى ابنه خالد، ثم لما قتل السلطان أبو العباس خالدا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٤٣

و استولى على السلطنة، و كان بينه و بين ابن مرزوق شيء لميله مع ابن عمّه محمد صاحب بجاية، عزله عن الخطبة، فوجم لها، فأجمع الرحلة إلى المشرق، و سرحه السلطان، فركب السفينة، و نزل بالإسكندرية، ثم ارتحل إلى القاهرة، و لقي أهل العلم و أمراء الدولة، و نفقت بضائعهم، و أوصلوه إلى السلطان الأشرف، فولاه الوظائف العلمية، فلم يزل بها موقّر الرتبة، معروف الفضيلة، مرشحا لقضاء المالكية، ملازما للتدريس، إلى أن هلك سنة إحدى و ثمانين؛ انتهى ملخصا.

[ترجمة ابن مرزوق عن الحافظ ابن حجر]

و قال الحافظ ابن حجر: إنه لما وصل تونس أكرم إكراما عظيما، و فوّضت إليه الخطابة بجامع السلطان و تدريس أكبر المدارس، ثم

قدم القاهرة، فأكرمه الأشرف شعبان، ودرّس بالشيخونية و الصرغتمشية و النجمية، و كان حسن الشكل، جليل القدر، مات في ربيع الأول سنة إحدى و ثمانين؛ انتهى.

[ترجمته عن الخطيب القسطيني]

و قال ابن الخطيب القسطيني: هو شيخنا الفقيه الجليل الخطيب، توفي بالقاهرة، و دفن بها بين ابن القاسم و أشهب، و له طريق واضح في الحديث، و لقي أعلاما، و سمعنا منه البخاري و غيره في مجالس، و لمجلسه لباقة و جمال، و له شرح جليل على «العمدة» في الحديث؛ انتهى.

و كتب بخطه بلدنا أبو عبد الله بن العباس التلمساني ما نصّه: نقلت من خط بعض السادات كتبه للإمام زعيم العلماء الحفيد ابن مرزوق أنه وجد بخط جدّه الخطيب ابن مرزوق لما ثقفه عمر بن عبد الله على الشيخ أبي يعقوب كتب ما نصّه: الحمد لله على كلّ حال، خرّج الطبري في منسكه و أبو حفص الملاي في سيرته عن عبد الله بن عمر بن الخطاب و عبد الله بن عمرو بن العاص، رضى الله تعالى عنهم، قال: وقف رسول الله، صلى الله عليه و سلم، على الثنية التي بأعلى مكة، و ليس بها يومئذ مقبور، فقال: يبعث الله من ههنا سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كلّ واحد منهم في سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب و لا عقاب، و جوههم كالقمر ليلة البدر، فقال أبو بكر: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الغرباء من أمّتي الذين يدفنون ههنا، ففي هذا الموضع دفن والدي، رحمه الله تعالى، و بعد سماعه لهذا الحديث بسبعة أيام دفن فيه، أفتراه لا يشفع فيمن أقال عثره ولده؟ أفما يشتري هذا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٤٤

بأموال الأرض؟ أفلا يرعى لى ثمانية و أربعين منبرا في الإسلام شرقا و غربا و أندلسا؟ أفلا يرعى لى أنه ليس اليوم يوجد من يسند أحاديث الصحاح سماعا من باب إسكندرية إلى البرين و الأندلس غيرى و نحو من مائتين و خمسين شيخا؟ و الله تعالى أعلم، لكن حرمنى الله تعالى نبذة الاشتغال به، و آثرت اتباع الهوى و الدنيا، فهويت، اللهم غفرانك! أفلا يرعى لى مجاورة نحو اثني عشر عاما و ختم القرآن في داخل الكعبة، و الإحياء في محراب النبي، صلى الله عليه و سلم، و الإقراء بمكة، و لا أعلم من له هذه الوسيلة غيرى؟ أفلا يرعى لى الصلاة بمكة سنين، و غربتي بينكم، و محتى في بلدي، على محبتكم و خدمتكم، من ذا الذى خدمكم من الناس يخرج على هذا الوجه؟ أستغفر الله، أستغفر الله، من ذنوبى، و ذنوبى أعظم، و ربّى أعلم، و ربّى أرحم، و السلام؛ انتهى.

ففى هذا دليل على عظم قدره و مكانته فى الدين و الدنيا.

قلت: و لقد رأيت مصحفه بتلمسان عند أحفاده و عليه خطه الراقى الذى أعرفه، و هو يقول: قرأت فى هذا المصحف تجاه الكعبة المشرفة اثني عشر ألف ختمه؛ انتهى.

و مع هذا فقد نسى فى المصحف المذكور لفظه إليك من قوله تعالى يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ [الملك: ٤] حتى كتبه بخطه فوق السطر حفيده العلامة سيدى أبو عبد الله محمد بن مرزوق، رحمه الله على الجميع!

و قال الخطيب المذكور، رحمه الله تعالى، فى بعض تعاليقه ما صورته: و من أشياخ والدى سيدى محمد المرشدى، لقيه فى ارتحالنا إلى الشرق، و حين حملنى إليه و أنا ابن تسع عشرة سنة نزلنا عنده، و وافقنا صلاة الجمعة، و من عادته أن لا يتخذ للمسجد إماما، و حضر يومئذ من أعلام الفقهاء من لا- يمكن اجتماع مثلهم فى غير ذلك المشهد، قال: فقرب وقت الصلاة، فتشوّف من حضر من الفقهاء و الخطباء إلى التقديم، فإذا الشيخ قد خرج فنظر يمينا و شمالا و أنا خلف والدى، فوقع بصره علىّ، فقال لى: يا محمد، تعال، قال: فقامت معه حتى دخلت معه فى موضع خلوة، فباحثنى فى الفروض و الشروط و السنن، قال: فتوضأت و أخلصت التية، فأعجبه وضوئى، و دخل معى المسجد، و قادنى إلى المنبر، و قال لى: يا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٤٥

محمد، ارق المنبر، فقلت له: يا سيدى، والله لا أدري ما أقول، فقال لى: ارق، وناولنى السيف الذى يتوكأ عليه الخطيب عندهم، وأنا جالس مفكر فيما أقول إذا فرغ المؤذنون، فلتميا فرغوا نادانى بصوته، وقال لى: يا محمد، قم، وقل بسم الله، قال: فقامت، وانطلق لسانى بما لا- أدري ما هو، إنما أنى كنت أنظر إلى الناس ينظرون إلىى ويخشعون من موعظتى، فأكملت الخطبة، فلما نزلت قال لى: أحسنت يا محمد، قراك عندنا أن نوليك الخطاب، وأن لا تخطب بخطبة غيرك ما وليت وحييت، ثم سافرنا فحججنا، وأراد والدى الجوار، وأمرنى بالرجوع لأونس عمى وقرابتى بتلمسان، وأمرنى بالوقوف على سيدى المرشدى هنالك، فوقفت عليه، وسألنى عن والدى، فقلت له: يقبل أيدىكم، ويسلم عليكم، فقال لى: تقدّم يا محمد، واستند إلى هذه النخلة، فإن شعيبا- يعنى أبا مدين- عبد الله عندها ثلاث سنين، ثم دخل خلوته زمانا، ثم خرج فأمرنى بالجلوس بين يديه، ثم قال لى: يا محمد، أبوك من أحبنا وإخواننا، إلا أنك يا محمد، إلا أنك يا محمد، فكانت هذه إشارة إلى ما امتحنت به من مخالطتى أهل الدنيا والتخليط، ثم قال لى: يا محمد، أنت مشوش من جهة أبيك، تتوهم أنه مريض، ومن بلدك، أما أبوك فبخير وعافيه، وهو الآن عن يمين منبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعن يمينه خليل المالكى، وعن يساره أحمد قاضى مكه، وأمرى بلدك، فسم الله، فخط دائرة فى الأرض، ثم قام فقبض إحدى يديه على الأخرى وجعلهما خلف ظهره يطوف بتلك الدائرة، ويقول: تلمسان، تلمسان، حتى طاف بتلك الدائرة مرات، ثم قال لى:

يا محمد، قد قضى الله الحاجة فيها، فقلت له: كيف يا سيدى؟ فقال: ستر الله إن شاء الله على من فيها من الذرارى والحريم، و يملكها هذا الذى حصرها، يعنى السلطان أبا الحسن، وهو خير لهم، ثم جلس و جلست بين يديه، فقال لى: يا خطيب، فقلت: يا سيدى، عبدك ومملوكك، فقال لى: كن خطيبا، أنت الخطيب، وأخبرنى بأمرى، وقال لى: لا بد أن تخطب بالجامع الغربى، وهو الجامع الأعظم بالإسكندرية، ثم أعطانى شيئا من كعيكات صغار، وزودنى بها وأمرنى بالرحيل. وأمرى خبر تلمسان فدخلها الميرنى كما ذكر، و ستر الله من فيها من الذرارى والحريم، وكان هذا المرشدى يتصرف فى الولاية كتصرف سيدى أبى العباس السبتي، نفعنا الله بهما!

وللخطيب ابن مرزوق المذكور تأليف: منها شرحه الجليل على العمدة فى خمسة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٤٦

أسفار، جمع فيه بين ابن دقيق العيد والفاكهانى مع زوائد، و شرحه النفيس على الشفاء، ولم يكمل، و شرحه على الأحكام الصغرى لعبد الحق، و شرحه على ابن الحاجب الفرعى، سّماه «إزالة الحاجب»، عن فروع ابن الحاجب» وله غيرها، و ديوان خطب بالغرب مشهور كقصيدته التى قالها فى نكته بتلمسان، وأولها: [المقارب]

رفعت أمورى لبارى التسم ووجدنا بعد سبق العدم

و من نظمه عند وداعه أهل تونس: [الوافر]

أودّعكم و أثنى ثم أثنى على ملك تطاول بالجميل

و أسأل رغبة منكم لربى بتيسير المقاصد و السبيل

سلام الله يشملنا جميعا فقد عزم الغريب على الرحيل

و من نظم أبى المكارم ابن آجروم يسلى المذكور عند ما سجن بعد مقتل السلطان أبى سالم: [السريع]

يا شمس علم أفلت بعدما أضاءت المشرق و المغرب

حجبت قسرا عن عيون الورى و الشمس لا ينكر أن تحجبا

[ترجمة ابن مرزوق (و يعرف بابن مرزوق الكفيف، و هو والد أم جد المؤلف) و ترجمة عالم الدنيا أبى عبد الله محمد بن مرزوق (المعروف بابن

مرزوق الحفيد)]

و بيتهم بيت علم و ولاية و صلاح كعمّه و جدّه و أبيه و جدّ أبيه، و كولديه محمد و أحمد و حفيده عالم الدنيا البحر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق، و ولد حفيده المعروف بالكفيف، و حفيد حفيده المعروف بالخطيب، و هو آخر المذكورين منهم فيما نعلم.

قلت: كان مرادى أن أعرف بجمعهم، و لكنى خشيت الطول، فلنلمّ بذكر الحفيد عالم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٤٧

الدنيا، و ابنه العلامة المشهور بالكفيف؛ لأنه- أعنى الكفيف- والد أمّ جدى أحمد؛ لأنى أحمد بن محمد بن أحمد، فوالده الجدّ أحمد بنت الكفيف المذكور، و هو- أعنى الكفيف- محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الرئيس أبى عبد الله بن مرزوق المتقدم الذكر، و كان الكفيف إماما عالما علامة، و وصفه ابن داود البلوى بأنه الشيخ الإمام، علم الأعلام، فخر خطباء الإسلام، سلاله الأولياء، و خلف الأتقياء الأرضياء، المسند الراوية المحدث العلامة المتفتن القدوة الحافل الكامل، و أخذ العلم عن جماعة: منهم عالم الدنيا أبوه، قرأ عليه الصحيحين و الموطأ و غير ما كتاب من تأليفه و غيرها، و تفقه عليه و أجازه عموما، و عن عالمى تلمسان أبوى الفضل ابن الإمام و العقبانى، و غيرهما و اللجائى و الثعالبى، و النظار أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم المشدالى، و قاضى الجماعة ابن عقاب و حافظ الإسلام ابن حجر العسقلانى، و كلّ هؤلاء أجازوه، و قرأ عليهم مشافهة، إلّا ابن حجر فمكاتبته. و مولده غرة ذى القعدة عام أربعة و عشرين و ثمانمائة، نصف ليلة الثلاثاء، و من شيوخه العلامة ابن العباس التلمسانى و غيره.

و قال السخاوى: قدم الكفيف مكة سنة إحدى و ستين و ثمانمائة، و سمعت سنة إحدى و سبعين و ثمانمائة أنه فى الأحياء؛ انتهى.

و أخذ عنه جماعة أئمة كالسنوسى صاحب العقائد الشهيرة و غيرها، و الوانشريسى صاحب «المعيار»، و العلامة أبى عبد الله بن العباس، و حلاه بشيخنا و مفيدنا علم الأعلام و حجة الإسلام آخر حفاظ المغرب، و قال: قرأت عليه الصحيحين و بعض مختصرى ابن الحاجب الفرعى و الأصلى، و حضرت عليه جملة من التهذيب و بعض الخونجى و غيرها، و أخذ عنه بالإجازة عالم فاس ابن غازى حسبا ذكره فى كتابه المسمى ب «التعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال الساكن و الناد».

و قال بعض الحفاظ: إن وفاته عام أحد و تسعمائة بتلمسان. و زرت قبره مرارا، رحمه الله تعالى! و نقل عنه المازونى فى نوازله المسماة ب «الدرّة المكنونة، فى نوازل مازونة».

و أمّا والده عالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق الشهير بالحفيد فهو البحر الإمام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٦؛ ص: ٣٤٧

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٤٨

المشهور الحجة الحافظ العلامة المحقق الكبير النظار المطلع المصنف المنصف التقى الصالح الناصح الزاهد العابد الورع البركة الخاشع الخاشى النبيه القدوة المجتهد الأبرع الفقيه الأصولى المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية الأستاذ المقرئ المجود النحوى اللغوى البيانى العروضى الصوفى الأواب الولى الصالح العارف بالله، الآخذ من كلّ فنّ بأوفر نصيب، الراعى فى كلّ علم مرعاه الخصيب، حجة الله على خلقه، المفتى الشهير، الرحلة، الحاج، فارس الكراسى و المنابر، سليل الأكابر، سيد العلماء الأخيار، و إمام الأئمة، و آخر الشيوخ، ذوى الرسوخ، بدر التمام، الجامع بين المعقول و المنقول، و الحقيقة و الشريعة بأجل محصول، و آخر النظار الفحول، شيخ المشايخ، صاحب التحقيقات البديعة، و الاختراعات الأنيقة، و الأبحاث الغريبة، و الفوائد الغزيرة، المتفق على علمه و صلاحه و هديه، الذكى الفهامة القدوة الذى لا- يسمح الزمان بمثله أبدا، أوحد الأفراد فى جميع الفنون الشرعية، ذو المناقب العديدة، و الأحوال السديدة، شيخ الإسلام، و إمام المسلمين و مفتى الأنام، الذى له القدم الراسخ فى كلّ مقام ضيق، و الرحب الواسع فى حلّ كلّ مشكل مقفل، صاحب الكرامات و الاستقامات، السننى السننى، الحريص على تحصيل السنّة، و مجانية البدعة، السيف المسلول على أهل البدع

و الأهواء الزائغة، الذي أفاض الله تعالى على خلقه به بركته، و رفع بين البرية محلّه و درجته، و وسع على خليقته به نحلته، معدن العلم، و شعله الفهم، و كيمياء السعادة، و كنز الإفادة، ابن الشيخ الفقيه العالم أبي العباس أحمد، ابن الإمام العلامة الرئيس الكبير الخطيب الحافظ الرحلة الفقيه المحدث الشهير شمس الدين محمد، ابن الشيخ العالم الصالح الولي المجاور أبي العباس أحمد، ابن الفقيه الولي الصالح الخاشع محمد، ابن الولي الكبير ذى الكرامات و الأحوال الصالحة محمد بن أبي بكر بن مرزوق، العجيسى، التلمسانى. كان رحمه الله تعالى آية الله فى تحقيق العلوم، و الأطلاع المفرط على النقول، و القيام التام على الفنون بأسرها، أمّا الفقه فهو فيه مالِك، و لأزمنة فروع حائز و مالِك، فلو رآه الإمام لقال له:

تقدّم، فلِك العهد و الولاية فتكلّم، فمنك يسمع فقهى و فروعى، و مثلك من راعى ما ينبغى فروعى، أو ابن القاسم لقربه عينا، و قال له: طالما دفعت عن المذهب عينا و شيئا، أو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٤٩

المازرى، لعلم أنه بمنظرته حرى، أو الحافظ ابن رشد، لقال: هلّم يا حافظ الرشد، أو اللخمى لأبصر منه محاسن «التبصرة»، أو القرطبى لنال منه «التذكرة»، أو القرافى لاستفاد منه قواعد المقررة، أو ابن الحاجب لاستند إلى بابه فى كشف الإشكالات المحرّرة، إلى ما انضمّ إلى ذلك من معرفة التفسير و درره، و الاضطلاع بحقائق التأويل و غرره، فلو رآه مجاهد، لعلم أنه فى التحقيق خير جاهد، أو مقاتل، لقال: مثلك طيّب من الفهوم الكلى و أصاب المقاتل، أو الزمخشرى لعلم أنه كشاف الخفيات على الحقيقة، و قال لكتابه: تنحّ لهذا الحبر عن سلوك الطريقة، أو ابن عطية، لركب فى الرحلة إلى الاستفادة منه المطية، أو أبو حيان لغرق فى نهره، و لم تسل له نقطة من بحره، إلى الإحاطة بالحديث و فنونه، و الأطلاع على أسانيد و متونه، و معرفة منكره و معروفه، و نظم أنواعه و رصف صنوفه، إذ إليه الرحلة انتهت فى رواياته و دراياته، و عليه المعول فى حلّ مشكلاته و فتح مقفلاته. و أمّا الأصول فالعضد ينقطع عند مناظرته ساعده، و السيف يكّل عند بحثه حدّه حتى يترك ما عنده و يساعده، و البرهان لا يهتدى معه لحجّة، و المقترح لا يركب فى بحره لجّة. و أمّا النحو فلو رآه محمود لتلجج فى قراءة «المفصل»، و استقل ما عنده من القدر المحضّل، أو الرمانى لاشتاق إلى مفاكته و ارتاح، و استجدى من ثمار فوائده و امتاح، أو الزجاج لعلم أنّ زجاجه لا يقوم بجواهره، و أنه لا يجرى معه فى هذا العلم إلّا فى ظواهره، بل لو رآه الخليل، لقال: هذا هو المقصد الجليل، و أثنى عليه بكلّ جميل، و قال لفرسان النحو: ما لكم إلى لحوق عربيته من سبيل، و أمّا البيان فالمصباح لا يظهر له نور عند هذا الصبح، و صاحب المفتاح لا يهتدى معه إلى الفتح، و القزوينى يلقى علومه لإيضاح المعانى، و السعد يرقى بفهومه فى مطالع المثانى، و كم له من مناقب، تنحطّ عن منالها الثواقب، و مواهب، تجلو بأنوارها الغياهب، و أمّا زهده و صلاحه فقد سارت به الركبان، و اتفق عليه الثقلان، فمن وصفه بالبحر، فقل له: دون علمه البحر، أو البدر، فما يصل خلقه البدر، أو الدرّ، فأنى يشبه منطقه الدرّ، و بالجملة فالوصف يتقاصر عن صفاته و فضلاء عصره لا يرتقون إلى صفاته، فهو شيخ العلماء فى أوانه، و إمام الأئمة فى عصره و زمانه، شهد بنشر علومه العاكف و البادى، و ارتوى من بحار تحقيقاته الظمان الصادى: [الكامل]

حلف الزمان ليأتينّ بمتله حنثت يمينك يا زمان فكفّر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٥٠

هكذا وصفه بعض العلماء، و هو فوق ذلك كلّه.

و قال فى حقّه بلدنا الشيخ أبو الفرج بن أبى يحيى الشريف التلمسانى، رحمه الله تعالى: هو شيخنا الإمام العالم العلم، جامع أشتات العلوم الشرعية و العقلية حفظا و فهما و تحقيقا راسخ القدم، رافع لواء الإمامة بين الأمم، ناصر الدين بيده و لسانه و بنانه و بالقلم، محبى السنّة بالفعال و المقال و الشيم، قطب الوقت فى الحال و المقام، و النهج الواضح و السبيل الأمم، مستمرّ على الإرشاد و الهداية، و التبليغ و الإفادة، ذو الرواية و الدراية و العناية، ملازم الكتاب و السنّة على نهج الأئمة المحفوظين من البدع فى زمن لا عاصم فيه من

أمر الله إلّا من رحم، ذو همية عليّة، ورتبة ستيّة، وأخلاق مرضيّة، وفضل وكرم، إمام الأئمة، وعالم الأمة، الناطق بالحكم، و منير الظلم، سليل الصالحين، وخلاصة مجد التقى والدين، نتيجة مقدمات المهتمدين، حجّة الله على العلم والعالم، جامع بين الشريعة والحقيقة، على أصحّ طريقته، متمسك بالكتاب لا يفارق فريقه، الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد، اتّصلت به فأويت منه إلى ربوة ذات قرار ومعين، وقصرت توجهي عليه، ومثلت بين يديه، فأنزلى - أعلى الله قدره - منزله ولده رعاية للذمم، وحفظاً على الودّ الموروث من القدم، فأفادني من بحار علمه ما تقصر عنه العبارة ويكلّ دونه القلم، فقرأت عليه جملة من تفسير القرآن ومن الحديث صحيح البخاري بقراءتي وقراءة غيري مرارا وصحيح مسلم كذلك و سنن الترمذي وأبي داود بقراءتي، و«الموطأ» سماعاً وتفقهاً و«العمدة»، ومن علم الحديث أرجوزة «الحديقة» وبعض الكبرى وهي «الروضة» تفقهاً، ومن العربية نصف «المقرب» تفقهاً وجميع كتاب سيبويه كذلك، وألفية ابن مالك، وأوائل «شرح الإيضاح» لابن أبي الربيع، وبعض «المغني» لابن هشام، ومن الفقيه «التهذيب» كلّه تفقهاً، وابن الحاجب الفرعي، وبعض مختصر الشيخ خليل، و«التلقين»، وثلاثي الجلاب، وجملة من «المتيطة»، و«البيان» لابن رشد، وبعض الرسائل، وكلّ ذلك قراءة تفقه، وتفقهت عليه من كتب الشافعية في «تنبية» الشيرازي و«وجيز» الغزالي من أوله إلى كتاب الإقرار، ومن كتب الحنفية «مختصر القدوري» تفقهاً، ومن كتب الحنابلة «مختصر الخرقى» تفقهاً، ومن أصول الفقه «المحصول»، و«مختصر» ابن الحاجب،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٥١

و«التنقيح»، وكتاب «المفتاح» لجدي، وقواعد عز الدين، وكتاب «المصالح والمفاسد» له، و«قواعد» القرافي، وجملة من «النظائر والأشياء» للعلائي، و«إرشاد» العميدى، ومن أصول الدين «المحصل» و«الإرشاد» تفقهاً، وفي القراءات قصيدة الشاطبي تفقهاً، وابن بري، ومن البيان «التلخيص»، و«الإيضاح»، و«المصايح»، وكلّها تفقهاً، ومن التصوف «الإحياء» للغزالي سوى الربع الأخير منه، وأبسنى خرقة التصوف كما ألبسه أبوه وعمّه، وهما ألبسهما أبوهما جدّه؛ انتهى ملخصاً.

وكتب المذكور تحت هذا ما نصّه: صدق السيد بن السيد [بن السيد] أبو الفرج المذكور فيما ذكر من القراءة والسماع والتفقه وبرز، وقد أجزته في ذلك كلّه، فهو حقيق بها مع الإنصاف وصدق النظر، جعلني الله وإياه مّمن علم وعمل لآخرته واعتبر، قاله محمد بن مرزوق؛ انتهى.

وقال تلميذه الولي أبو زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي: قدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق فأقام بها، فأخذت عنه كثيراً، وسمعت عليه جميع الموطأ بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشاني، وختمت عليه أربعينيات النوى، قرأتها عليه في منزله قراءة تفهم، فكان كلّما قرأت عليه حديثاً يعلوه خشوع وخضوع، ثم يأخذ في البكاء، فلم أزل أقرأ وهو يبكي إلى أن ختمت الكتاب، وكان من أولياء الله الذين رؤوا ذكر الله، وأجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية، واشتهر ذكره في البلاد، فكان بذكره تطرز المجالس، وجعل الله تعالى حبه في قلوب العامة والخاصة فلا يذكر في مجلس إلّا والنفوس متشوقة إلى ما يحكى عنه، وكان في التواضع والإنصاف والاعتراف بالحق في الغاية وفوق النهاية، لا أعلم له نظيراً في ذلك في وقته، ثم ذكر كثيراً جداً من الكتب ممّا سمعه عليه، وأطال في ذلك.

وقال في موضع آخر: هو سيدي الشيخ الإمام، والحبر الهمام، حجّة أهل الفضل في وقتنا وخاتمتهم، ورحلة النقاد وخلصتهم، ورئيس المحققين وقادتهم، السيد الكبير، والذهب الإبريز، والعلم الذي نصبه التمييز، ابن البيت الكبير، والفلك الأثير، ومعدن الفضل الكثير، سيدي أبو عبد الله محمد ابن الإمام الجليل الأوحّد الأصيل، جمال الفضلاء، سليل الأولياء، أبي العباس أحمد، ابن العالم الكبير، العلم الشهير، تاج المحدثين، وقدوة المحققين، أبي عبد الله محمد بن مرزوق.

وقال أيضاً في موضع آخر: هو شيخى الإمام العلم الصدر الكبير، المحدث الثقة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٥٢

المحقق بقيّة المحدثين، وإمام الحفظه الأقدمين و المحدثين، سيد وقته، وإمام عصره و ورع زمانه، و فاضل أقرانه، أعجوبة أوانه، و فاروق زمانه، ذو الأخلاق المرضية، و الأحوال الصالحة الستية، و الأعمال الفاضلة الزكية، أبو عبد الله.

و قال في حقّه المازوني في أول نوازله: شيخنا الإمام الحافظ بقيّة النظار و المجتهدين، ذو التوايف العجيبة، و الفوائد الغريبة، مستوفى المطالب و الحقوق، أبو عبد الله بن مرزوق.

و قال تلميذه الحافظ العلامة أبو عبد الله التنيسي عند ذكره: إن إمامنا مالكا سئل عن أربعين مسألة فقال في ست و ثلاثين «لا أدري»، و جنة العالم لا أدري» ما نصّه: و لم نر فيمن أدركنا من شيوخنا من تمرّن على هذه الخصلة الشريفة و يكثر استعمالها غير شيخنا العالم العلامة رئيس علماء المغرب على الإطلاق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق.

و قال الشيخ أبو الحسن القلصادي في رحلته: أدركت بتلمسان كثيرا من العلماء و العباد و الزهاد و الصالحاء، أولاهم في الذكر و التقديم الشيخ الفقيه الإمام العلامة الكبير الشهير شيخنا و بركتنا أبو عبد الله بن مرزوق، حلّ كنف العلم و العلا، و جلّ قدره في الجلة و الفضلا، قطع الليالي ساهرا، و قطف من العلم أزاهرا، فأثمر و أورك، و غرّب و شرّق، حتى توغّل في فنون العلم و استغرق، إلى أن أطلع للأبصار هلالا لأنّ الغرب مطلع، و سما في النفوس موضعه و موقعه، فلا ترى أحسن من لقائه، و لا أسهل من إلقائه، لقي الشيوخ الأكبر، و بقي حمده مغترفا من بطون الكتب و ألسنة الأقلام و أفواه المحابر، و كان رضى الله عنه من رجال الدنيا و الآخرة، و كانت أوقاته كلّها معمورة بالطاعات ليلا و نهارا من صلاة و قراءة قرآن و تدريس علم و فتيا و تصنيف، و كانت له أوراد معلومة و أوقات مشهودة، و كانت له بالعلم عناية، تكشف بها العمياء، و دراية، تعضدها الرواية، و نباهة، تكسب النزاهة، قرأت عليه - رضى الله عنه! - بعض كتابه في الفرائض و أواخر إيضاح الفارسي و شيئا من شرح التسهيل، و عرضت عليه إعراب القرآن و صحيح البخارى و الشاطبيتين و أكثر ابن الحاجب الفرعى و التلقين و التسهيل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٥٣

ابن مالك و الألفية و الكافية و ابن الصلاح في علم الحديث و منهاج الغزالي و بعض الرسالة و غيرها، ثم توفى يوم الخميس بمصر رابع عشر شعبان عام اثنين و أربعين و ثمانمائة، و صلى عليه بالجامع الأزهر بعد صلاة الجمعة، و حضر جنازته السلطان فمن دونه، و لم أر مثلا قبل، و أسف الناس لفقده، و آخر بيت سمع منه قبل موته: [البسيط]

إن كان سفك دمي أقصى مرادكم فما غلت نظرة منكم بسفك دمي

انتهى ملخصا.

و في فهرست ابن غازى في ترجمه شيخه أبى محمد الورياجلى ما صورته: و ممّن لقي من شيوخ تلمسان المحروسة الإمام العلم العلامة الصدر الأجلّ الأوحّد المحقق النظار الحجّة العالم الربانى أبو عبد الله محمد بن مرزوق، و قد حدّثنى بكثير من مناقبه و صفه إقرانه، و قوة اجتهاده، و تواضعه لطلبة العلم، و شدّته على أهل البدع، و ما اتّفق له مع بعضهم، إلى غيرها من شيمه الكريمة، و محاسنه العظيمة؛ انتهى.

و قال بعضهم في حقّه: إنه كان يسير سيرة سلفه في العلم و التخلق و الحلم و الشفقة و حبّ المساكين، آية الله في الفهم و الذكاء و الصدق و العدالة و النزاهة و أتباع السنّة في الأقوال و الأفعال، و محبّة أهلها في جميع الأحوال، مبغضا لأهل البدع و محبا سدّ الذرائع، له كرامات؛ انتهى.

و أما شيوخه منهم العلامة السيد عبد الله الشريف التلمسانى، و عالم المغرب القاضى سيدى سعيد العقبانى التلمسانى، و الولي العابد الصالح أبو إسحاق سيدى إبراهيم المصمودى، و أفرد ترجمته بتأليف، و عن أبيه و عمّه، و يروى عن جدّه بالإجازة و ابن عرفه و أبى العباس القصار التونسى، و بفاس عن النحوى أبى حيان و أبى زيد المكودى، و جماعة غيرهما، و بمصر عن السراج البلقينى، و الزين الحافظ العراقى، و الشمس الغمارى، و السراج ابن الملقن، و صاحب القاموس، و المحب ابن هشام ابن صاحب «المغنى»، و النور

النويري، والولي ابن خلدون، والقاضي التنيسي، وغيرهم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٥٤

وأخذ عنه جماعة كالثعالبي، والقاضي عمر القلشاني، وابن العباس والعلامة نصر الزواوي، والولي سيدي الحسن بن كان، وابنه، وأبي البركات الغماري، وأبي الفضل المشدالي، وقاضي غرناطة أبي العباس بن أبي يحيى الشريف، وإبراهيم بن فائد، وأبي العباس التدرومي، وابنه الكفيف، وسيدي علي بن ثابت، والشهاب ابن كحيل التجاني، والعلامة أحمد بن يونس القسطيني، والعلامة يحيى بن بدير، وأبي الحسن القلصادي، والشيخ عيسى بن سلامة البكري، وغيرهم، كالحافظ التنيسي التلمساني.

قلت: وسندي إليه عن عمي الإمام سيدي سعيد المقرئ، عن الشيخ أبي عبد الله التنيسي، عن والده الحافظ أبي عبد الله محمد التنيسي المذكور، عن ابن مرزوق المذكور بكل مروياته وتأليفه.

وقال السخاوي في حقه: هو أبو عبد الله، يعرف بحفيد ابن مرزوق، وقد يختص بابن مرزوق، وقد تلا لنافع على عثمان الزروالي، وانتفع في الفقه بأبي عبد الله بن عرفه، وأجازه أبو القاسم محمد بن الخشاب ومحمد بن علي الحفار الأنصاري ومحمد القيحاطي، وحج قديما سنة تسعين وسبعمئة رفيقا لابن عرفه، وسمع من البهاء الدماميني والنور العقيلي بمكة، وفيها قرأ البخاري على ابن صديق، ولزم المحب ابن هشام في العربية، وكذا حج سنة تسع عشرة وثمانمئة، ولقيه الزيني رضوان بمكة، وكذا لقيه ابن حجر؛ انتهى.

وأما تأليفه فكثيرة منها شروحه الثلاثة على البردة، وسمى الأكبر «إظهار صدق المودعة» في شرح البردة» واستوفى فيه غاية الاستيفاء، وضمّنه سبعة فنون في كل بيت، والأوسط، والأصغر المسمى ب «الاستيعاب، لما فيها من البيان والإعراب» ومنها «المفاتيح القراطيسية، في شرح الشقراطيسية» و «المفاتيح المرزوقية، في استخراج رجز الخزرجية» و رجز في علوم الحديث سماه «الروضة» و مختصره في رجز سماه «الحديقة» و رجز في الميقات سماه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٥٥

«المقنع الشافي» مشتمل على ألف وسبعمئة بيت، و «نهاية الأمل، في شرح الجمل» أي جمل الخونجي، و «اغتنام الفرصة، في محادثة عالم قفصة» و هو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من علامة قفصة أبي يحيى بن عقبه فأجابها عنها، و «المعراج، إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج» في كراسه ونصف، أجاب به أبا القاسم بن سراج الغرناطي عن مسائل نحوية ومنطقية، و «أنوار اليقين، في شرح حديث أولياء الله المتقين» و هو حديث أول حلية أبي نعيم في شأن البدلاء وغيرهم، و «الدليل المومي، في ترجيح طهارة الكاغد الرومي» و «النصح الخالص، في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص» في سبعة كرايس، ردّ به على عصريه الإمام أبي الفضل قاسم العقباني في فتواه في مسألة الفقراء الصوفية لما صوب العقباني صنيعهم، وخالفه هو، و «مختصر الحاوي في الفتاوى» لابن عبد النور، و «الروض البهيج، في مسائل الخليج» و «أنوار الدراري، في مكررات البخاري» [و رجز تلخيص ابن البناء]، و رجز تلخيص المفتاح، نظمه في حال صغره، و رجز «حرز الأماني» و رجز جمل الخونجي، و رجز اختصار ألفية ابن مالك، و تأليفه في مناقب شيخه المصمودي، و تفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء، و هذه كلها تامة.

وأما ما لم يكمل من تأليفه فالمتجر الرياح والسعي الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح، و روضة الأريب في شرح التهذيب، و المنزع النبيل في شرح مختصر الخليل، شرح منه كتاب الطهارة في مجلدين، و من الأفضية إلى آخره في سفرين، و إيضاح السالك، على ألفية ابن مالك، إلى اسم الإشارة أو الموصول مجلد كبير في قدر شرح المرادي، و شرح شواهد شراح الألفية إلى باب «كان» مجلد، و له خطب عجيبة.

وأما أجوبته و فتاويه على المسائل المتنوعة فقد سارت بها الركبان شرقا و غربا بدوا و حضرا، و قد نقل المازوني و الوانشرسي منها جملة وافرة.

و من تأليفه أيضا عقيدته المسماة «عقيدة أهل التوحيد، المخرجة من ظلمة التقليد» و «الآيات الواضحات، في وجه دلالة المعجزات» و «الدليل الواضح المعلوم، في طهارة كاغد الروم» و «إسماع الصم، في إثبات الشرف من قبل الأم» و ذكر السخاوى أن من تولى شرح ابن الحاجب الفرعى، و شرح التسهيل؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٥٦

و مولده كما ذكره في شرحه على البردة ليلة الاثنين رابع عشر ربيع الأول عام ستته و ستين و سبعمائة قال: حدّثنى أمى عائشة بنت الفقيه الصالح القاضى أحمد بن الحسن المديونى، و كانت من الصالحات ألفت مجموعا على أدعية اختارتها، و كانت لها قوة على تعبير الرؤيا اكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب الفن، أنه أصابنى مرض شديد أشرفت منه على الموت، و من شأنها و أبيها أنهما لا يعيش لهما ولد إلّا نادرا، و كانوا أسمونى أبا الفضل أول الأمر، فدخل عليها أبوها أحمد المذكور، فلمّا رأى مرضى و ما بلغ بى غضب و قال: ألم أقل لكم لا تسموه أبا الفضل، ما الذى رأيتم له من الفضل حتى تسموه أبا الفضل؟ سمّوه محمدا، لا أسمع أحدا يناديه بغيره إلّا فعلت به و فعلت، يتوعّد بالأدب، قالت: فسّميناك محمدا، ففرج الله عنك؛ انتهى.

و من فوائده ما حكى فى بعض فتاويه قال: حضرت مجلس شيخنا العلامة نخبة الزمان ابن عرفه، رحمه الله تعالى، أول مجلس حضرته فقرأ و مَنْ يَعِشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ [الزخرف]:

[٣٦] فجرى بيننا مذاكرات رائقة، و أبحاث حسنة فائقة، منها أنه قال: قرىء (يعشو) بالرفع و (نقيض) بالجزم، و وجهها أبو حيان بكلام ما فهمته، و ذكر أن فى النسخة خلافا، و ذكر بعض ذلك الكلام، فاهتديت إلى تمامه فقلت: يا سيدى، معنى ما ذكره أن جزم نُقْيِضُ بمن الموصول لشيئها بالشرطية لما تضمنت من معنى الشرط، و إذا كانوا يعاملون الموصول الذى لا يشبه لفظه لفظ الشرط بذلك فما يشبه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة، فوافق رحمه الله تعالى و فرح - لما أن الإنصاف كان طبعه - و عند ذلك أنكر على جماعة من أهل المجلس و طالبونى بإثبات معاملة الموصول معاملة الشرط، فقلت: نصهم على دخول الفاء فى خبر الموصول فى نحو «الذى يأتينى فله درهم» من ذلك، فنازعونى فى ذلك، و كنت حديث عهد بحفظ التسهيل، فقلت: قال ابن مالك فيما يشبه المسألة: و قد يجزم متسبب عن صلة الذى تشبها بجواب الشرط، و أنشدت من شواهد المسألة قول الشاعر: [الطويل]

كذاك الذى يبغى على الناس ظالما تصبه على رغم عواقب ما صنع
فجاء الشاهد موافقا للحال؛ انتهى بنقل تلميذه المازونى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٥٧

و قد ذكر الشيخ ابن غازى الحكاية فى فهرسته فى ترجمه شيخه الأستاذ الصغیر، و فيها بعض مخالفة لما تقدم، فلسقه، قال: حدّثنى أنه بلغه عن ابن عرفه أنه كان يدرّس من صلاة الغداة إلى الزوال، يقرئ فنونا، و يبتدىء بالتفسير، و أن الإمام ابن مرزوق أول ما دخل عليه و جده يفسر هذه الآية و مَنْ يَعِشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ فكان أول ما فاتحه أن قال له: هل يصحّ كون من هنا موصولة؟ فقال ابن عرفه: كيف و قد جزمت؟ فقال له: تشبها لها بالشرط، فقال ابن عرفه: إنما يقدم على هذا بنصّ من إمام أو شاهد من كلام العرب، فقال: أمّا النصّ فقول التسهيل كذا، و أمّا الشاهد فقول الشاعر: [الطويل]

فلا تحفرن بثرا تريد أبا بها فإنك فيها أنت من دونه تقع

كذاك الذى يبغى على الناس ظالما تصبه على رغم عواقب ما صنع

فقال ابن عرفه: فأنت إذا ابن مرزوق، قال: نعم، فرحب به؛ انتهى. و هو خلاف ما تقدم، و الأول أصوب لنقل غير واحد أن جزم الموصولات إنما يكون فى الجواب، لا فى الشرط، و الله تعالى أعلم.

و فى بعض المجاميع أن ابن عرفه اشتغل بضيافته لما انفصل المجلس.

و من فوائده أنه كان يصرف لفظ «هريرة» من «أبى هريرة» بناء على أن جزء العلم غير علم، و خالفه أهل فاس فى ذلك لما بلغهم، و

مال الأستاذ الصغير و الحافظ القورى إلى منع الصرف لوجوه ليس هذا موضعها، و منها قول ابن مالك: [الرجز]
و لاضطرار كينات الأوبر

فإنه مؤذن بأن جزء العلم علم، و قد ألف فى المسألة أبو العباس التلمسانى تأليفا سماه «الاعتراف»، فى ذكر ما فى لفظ أبى هريرة من
الانصراف؛ انتهى.

و من نظمه: [الكامل]

بلد الجدار ما أمر نواها كلف الفؤاد بحبها و هواها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٥٨

يا عاذلى كن عاذرى فى حنبا يكفيك منها ماؤها و هواها

و يعنى ببلد الجدار تلمسان، و لذلك قال فى رجز فى علم الحديث ما صورته: [الرجز]

و أهلها أهل ذكاء و فطن فى رابع من الأقاليم قطن

يكفيك أن الداودى بها دفن مع ضجيعه ابن غزلون الفطن

قلت: و حدثنى عمى الإمام سيدى سعيد المقرئ - رحمه الله تعالى! - أن العلامة ابن مرزوق لما قدم تونس فى بعض الرسائل السلطانية
طلب منه أهل تونس أن يقرأ لهم فى التفسير بحضرة السلطان؛ فأجابهم إلى ذلك، و عتينا له محلّ البدء، فطالع فيه، فلما حضروا قرأ
القارئ غير ذلك، و هو قوله تعالى فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ [الأعراف: ١٧٦] و أرادوا بذلك إفحام الشيخ، و التعريض به، فوجم هنيهة، ثم
تفجر بينابيع العلم، إلى أن أجرى ذكر ما فى الكلب من الخصال المحموده، و ساقها أحسن مساق، و أنشد عليها الشواهد، و جلب
الحكايات، حتى عدّ من ذلك جملة، ثم قال فى آخرها: فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب و خصاله، غير أن فيه خصلة ذميمة، و
هى إنكاره للضيف، ثم افترق المجلس، و أخبرنى أنه أطال فى ذلك المجلس من الصبح إلى قرب الظهر، و قد طال عهدى بالحكاية،
و إنما نقلتها بمعناها من حفظى، و هى من الغرائب، و لولا الإطالة لذكرت ما وقع له مع بعض علماء برصية فى الحجاز حسبما ذكره
فى مناقب شيخه المصمودى، رحم الله الجميع!

رجع إلى ذكر مشايخ لسان الدين، فنقول:

[و من شيوخ لسان الدين أبو الحسن على بن الجياب، الأنصارى، الغرناطى]

و من مشايخ لسان الدين الرئيس أبو الحسن على بن الجياب، و هو كما فى «الإحاطة» على بن محمد بن سليمان بن على بن سليمان
بن الحسن، الأنصارى، الغرناطى، أبو الحسن، قال: و هو شيخنا و رئيسنا العلامة البليغ. و من مشايخه أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن
الزبير الثقفى، و خلق، قال: و قد دوت شعره، فمن معشراته قوله فى حرف الجيم: [الطويل]

جريت على الزلات غير مفكر جانا على الطاعات غير معرج

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٥٩

جمعت لما يبنى اغترارا بجمعه و ضيعت ما يبقى سجيئه أهوج

جنونا بدار لا يدوم سرورها فدعها سدى ليست بعشك فادرجى

جياذك فى شأ الضلال سوابق تفوت مدى سنّ الوجيه و أعوج

جهلت سبيل الرشد فاقصد دليله تجد دار سعد بابها غير مرتج

جناب رسول ساد أولاد آدم و قرب فى السبع الطباق بمعرج

جمال أنار الأرض شرقا و مغربا فكلّ سنا من نوره المتبلج

جلا صداً المرتاب أن سبّح الحصى لديه بنطق ليس بالمثلج
 جعلت امتداحي و الصلاة عليه لى وسائل تحظيني بما أنا مرتج
 و قال من الأغراض الصوفية السلطانية: [الكامل]
 هات اسقنى صرفا بغير مزاج راحى التى هى راحتى و علاجى
 إن صبّ منها فى الزجاجه قطره شفّ الزجاج عن السنّ الوهاج
 و إذا الخليج أصاب منها شربه حاجاه بالسّرّ المصون محاجى
 و إذا المرید أصاب منها جرعه ناجاه بالحقّ المبين مناجى
 تاهت به فى مهمه لا يهتدى فيه لتأويب و لا إدلاج
 يرتاح من طرب بها فكأنما غنته بالأرمال و الأهزاج
 هبت عليه نفحة قدسيه فى ء باب دائم الإرتاج
 فإذا انتشى يوما و فيه بقيته سارت به قصدا على المنهاج
 و إذا تمكّن منه سكر معربد فليصبرنّ لمصرع الحلّاج
 قصرت عبارة فيه عن وجدانه فعدا يفيض بمنطق لجلاج
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٦٠
 أعشاه نور للحقيقه باهر فتراه يخبط فى الظلام الداجى
 رام الصعود بها لمركز أصله فرمت به فى بحرها المّواج
 فلئن أمدّ برحمه و سعادة فليخلصن من بعد طول هياج
 و ليرجعن بغنيمه موفوره ما شيب عذب شرابها بأجاج
 و لئن تخطّاه القبول لما جنى فليرجعن نكسا على الأدرج
 ما أنت إلّا درّه مكنونه قد أودعت فى نطفه أمشاج
 فاجهد على تخليصها من طبعها تعرّج بها فى أرفع المعراج
 و اشدد يديك معا على حبل التقي فإن اعتصمت به فأنت الناجى
 ولدى العزيز ابط بساط تذلل و إلى الغنى امدد يد المحتاج
 هذا الطريق له مقدّمتان صا دقتان أنتجتا أصحّ نتاج
 فاجمع إلى ترك الهوى حمل الأذى و اقنع من الإسهاب بالإدماج
 حرفان قد جمعا الذى قد سطروا من بسط أقوال و طول حجاج
 و المشرب الأصفى الذى من ذاقه فقد اهتدى منه بنور سراج
 أن لا ترى إلّا الحقيقه وحدها و الكلّ مضطرّ إليها لاجى
 هدى بدائع حكمه أنشأتها بإشارة المولى أبى الحجّاج
 وسع الأنام بفضله و بعدله و بحمله و بجوده الشّجاج
 من آل نصر نخبه الملك الرّضا أمن المروّع هم و غيث الراجى
 من آل قيله ناصرى خير الورى و الخلق بين تخاذل و لججاج
 ما ذا أقول و كلّ قول قاصر فى وصف بحر زاخر الأمواج

منه لبأخي العرف درّ فاخر و لمن يعادى الدين هول فاجى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٦١
داست سعودك فى مزيد، و المنى تأتيك أفواجا على أفواج
و قال من المطولات: [الكامل]
لمن المطايا فى السراب سوابحا تطفى الفلاة غواديا و روائحا
عوج كأمثال القسيّ ضوامر يرمين فى الآفاق مرمى نازحا
و قال يمدح، و يصف مصنعا سلطانيا: [الكامل]
زارت تجرّ لنحوه أذيالها هيفاء تخلط بالثفار دلالها
فالشمس من حسد لها مصفرة إذ قصرت عن أن تكون مثالها
وافتك تمزج لينها بقساوة قد أدرجت طيّ العتاب نوالها
كم رمت كتم مزارها لكنه صحّت دلائل لم تطلق إعلالها
تركت على الأرجاء عند مسيرها أرجا كأنّ المسك فتّ خلالها
ما واصلتك محبّة و تفضّلا لو كان ذاك لواصلت إفضالها
لكن توقّعت السلوّ فجددت لك لوعه لا تتقى ترحالها
فوحبها قسما يحقّ بروره لتجشّمك فى الهوى أهوالها
حسنت نظم الشعر فى أوصافها إذ قبحت لك فى الهوى أفعالها
يا حسن ليلة وصلها، ما ضرّها لو أتبت من بعدها أمثالها
لما سكرت بريقها و جفونها أهملت كأسك لم ترد إعمالها
هذا الربيع أتاك ينشر حسنه فافسح لنفسك فى مداه مجالها
و اخلع عذارك فى البطالة جامحا و اقرن بأسحار الهنا آصالها
فى جنّه تجلو محاسنها كما تجلو العروس لدى الزفاف جمالها
شكرت أيدى للحيا شكر الورى شرف الملوک همامها مفضالها
و صميمها أصلا و فرعا، خيرها ذاتا و خلقا، سمحها بذالها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٦٢
الطاهر الأعلى الأمين المرتضى بحر المكارم غيبتها سلسالها
حاز المعالى كابر عن كابر و جرى لغايات الكرام فنالها
إن تلقه فى يوم بذل هباته تلقى الغنائم أرسلت هطالها
أو تلقه فى يوم حرب عداته تلق الضراغم فارقت أشبالها
ملك إذا ما صال يوما صولة خلت البسيطة زلزلت زلزالها
فبسيه و بسيفه نلت المنى و استعجلت أعداؤه آجالها
الواهب الآلاف قبل سؤالها فكفى العفاء سؤالها و مطالها
القاتل الآلاف قبل قراعها فكفى العداة قراعها و نزالها
إن قلت بحر كفه قصرت إذ شبّهت بالملح الأجاج نوالها

ملاً البسيطة عدله و أمانه فالوحش لا تعدو على من غالها
و سقى البرية فيض كفيه فقد عم البلاد سهولها و جبالها
جمع العلوم عناية بعيونها آدابها و حسابها و جدالها
منقولها، معقولها، و أصولها و فروعها، تفصيلها إجمالها
فإذا عفاتك عاينوك تهللوا لِمَا رأوا من كَفِّكَ استهللها
و إذا عداتك أبصروك تيقنوا أن المتيه سلطت ربالها
بددت شملهم بيض صوارم رويت من علق الكماء نصالها
و أبحث أرضهم فأصبح أهلها خورا تغادر نهبة أموالها
فتحت إمارتك السعيدة للورى أبواب بشرى واصلت إقبالها
و بنت مصانع رائقات ذكرت دار النعيم جنانها و ظلالها
و أجلها قدرا و أرفعها مدى هذا الذى سامى النجوم و طالها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٦٣
هو جنة فيها الأمير مخلد بلغت إمارته بها آمالها
و لأرض أندلس مفاخر، أنتم أربابها، أضفيتم سربالها
فحميتمو أرجاءها، و كفيتمو أعداءها، و هديتمو ضلالها
فبال نصر فاخرت لا غيرهم لم تعتمد من قبلهم أقيالها
بمحمد و محمد و محمد قصرت على الخصم الألد نضالها
فهم الألى ركبو لكل عظيمه جردا كسين من النجيع جلالها
و هم الألى فتحوا لكل ملمة بابا أزاح بفتحه إشكالها
متقلدون من السيوف عضابها متأبطون من الرماح طولها
الراكبون من الجياد عرابها و الضاربون من العدا أبطالها
أولى عهد المسلمين و نخبة ال لأملاك صفوة محضها و زلالها
إن العباد مع البلاد مقرة بفضائل لك مهتد أحوالها
فتفك عانيها، و تحمى سربها و تفيد حلما دائما جهالها
و قال يرثى ولده أبا القاسم رحمهما الله تعالى: [الطويل]
هو البين حتما، لا لعل و لا عسى فما بال نفسى لم تفض عنده أسى
و ما لفؤادى لم يذب منه حسرة فتبا لهذا القلب سرعان ما قسا
و ما لجفونى لا تفيض موردا من الدمع يهمنى تارة و مورسا
و ما للسانى مفصحا بخطابه و ما كان لو أوفى بعهد لينبسا
أمن بعد ما أودعت روى فى الثرى و سدت منى فلذة القلب مرمسا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٦٤
و بعد فراق ابنى أبى القاسم الذى كسانى ثوب التكل لا كان ملبسا
أوئل فى الدنيا حياة و أرتضى مقبلا لدى أبنائها و معرسا

فآها و للمفجوع فيها استراحة و لا بدّ للمصدور أن يتنفسا
على عمر أفنيت فيه بضاعتي فأسلمني للقبر حيران مفلسا
ظلت به في غفلة و جهالة إلى أن رمى سهم الفراق فقرطسا
إلى الله أشكو برح حزني فإنه تلبس منه القلب ما قد تلبسا
و هدّة خطب نازلتنى عشية فما أغت الشكوى و لا نفع الأسا
فقد صدّعت شملى و أصمت مقاتلى و قد هدّمت ركنى الوثيق المؤسسا
ثبت لها صبرا لشدة وقعها فما زلزلت صبرى الجميل و قد رسا
و أطمع أن يلقي برحمته الرضا و أجزع أن يشقى بذنب فينكسا
أبا القاسم اسمع شكوى والدك الذى حسا من كؤوس البين أفضع ما حسا
وقفت فؤادى مذ رحلت على الأسى فأشهد لا ينفكّ وقفا محبسا
و قطّعت آمالى من الناس كلّهم فلست أبالى أحسن المرء أم أسا
تواريت يا شمسى و بدرى و ناظرى فصار وجودى مذ تواريت حندسا
و خلّقت لى عبئا من الثكل فادحا فما أتعب الثكلان نفسا و أتعسا
أحقا ثوى ذاك الشباب فلا أرى له بعد هذا اليوم حولى مجلسا
فيا غصنا نضرا ثوى عند ما استوى فأوحشنى أضعاف ما كان آنسا
و يا نعمه لما تبلّغتها انقضت فأنعم أحوالى بها صار أباسا
لودّعته و الدمع تهمنى سحابه كما أسلم السلوك الفريد المخمّسا
و قبلت فى ذاك الجبين مودعا لأكرم من نفسى على و أنفسا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٦٥
و حقّقت من وجدى به قرب رحلتى و ما ذا عسى أن ينظر الدهر من عسا
فيا رحمة للشيب يبكى شبيبة قياس لعمرى عكسه كان أقيسا
فلو أنّ هذا الموت يقبل فديه جوناها أموالا كراما و أنفسا
و لكنه حكم من الله واجب يسلم فيه من بخير الورى اتسى
تغمذك الرحمن بالعفو و الرضا و كرم مثواك الجديد و قدّسا
و ألفت منّا الشملى فى جنة العلا فنشرب تسنيمًا و نلبس سندسا
و كتب إلى القاضى الشريف و هو بوادى آش: [الطويل]
أهزلا و قد جدت بك اللمة الشمطا و أمنا و قد ساورت يا حية رقطا
أغرّك طول العمر فى غير طائل و سرّك أنّ الموت فى سيره أبطا
رويدا فإنّ الموت أسرع وافد على عمرك الفانى ركائبه خطّا
فإذ ذاك لا تسطيع إدراك ما مضى بحال، و لا قبضا تطبيق و لا بسطا
تأهب فقد وافى مشيبيك منذرا وها هو فى فوديك أحرفه خطّا
فرافقت منه كاتب السرّ و اشيا له القلم الأعلى يخطّ به و خطّا
معّمى كتاب فكّه «احذر» فهذه سفينة هذا العمر قاربت الشّطا

و إن طالما خاضت به اللجج التي خبطت بها في كل مهلكة خبطا
و ما زلت في أمواجها متقلبا فأونه رفعا و آونه حطا
فقد أوشكت تلقيك في قعر حفرة تشد عليك الجانبين بها ضغطا
و لست على علم بما أنت بعدها ملاق، أ رضوانا من الله أم سخطا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٦٦
و أعجب شيء منك دعواك في النهى و هذا الهوى المردى على العقل قد غطى
قسط عن الحق المبين جهالة و قد خالفتك النفس فادعت القسطا
و طاوعت شيطانا تجيب إذا دعا و تقبل إن أغوى و تأخذ إن أعطى
تئاءى عن الأخرى و قد قربت مدى تدانى من الدنيا و قد أزمعت شحطا
و تمنحها حبا و فرط صباؤه و ما منحت إلّا القتادة و الخرطا
فها أنت تهوى وصلها و هى فارك و تأمل قربا من حماها و قد شطا
صراط هدى نكبت عنه عمايه و دار ردى أوعيت فى سجنها سرتا
فما لك إلّا السيد الشافع الذى له فضل جاه كل ما يرتجى يعطى
دليل إلى الرحمن، فانهج سبيله فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخطا
محبتة شرط القبول، فمن خلت صحيفته منها فقد فقد الشرطا
و ما قبلت منه لدى الله قربه و لا زكت الأعمال، بل حبطت حبطا
به الحق و ضاح، به الإفك زاهق به الفوز مرجو، به الذنب قد حطا
هو الملجأ الأحمى، هو الموئل الذى به فى غد يستشفع المذنب الخطا
لقد مازجت روحى محبتة التى بقلبي خطت قبل أن أعرف الخطا
إليك ابن خير الخلق بنت بديهة تقبل تبجيلا أنا ملك السبطا
وحيدة هذا العصر وافت وحيدة لتبسط من شتى بدائعها بسطا
و تتلو آيات التشيع إنها لموثقة عهدا و محكمه ربطا
لك الشرف المأثور يا ابن محمد و حسبك أن تنمى إلى سبطه سبطا
إلى شرفى دين و علم تظاهرا تبارك من أعطى و بورك فى المعطى
و رهطك أهل البيت، بيت محمد فأعظم به بيتا و أكرم به رهطا
بعثت به عقدا من الدرّ فاخرا و ذكر رسول الله درّته الوسطى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٦٧
و أهديت منها للسيادة غادة نظمت من الدرّ الثمين بها سمطا
و حاشيتها من كل ما شأنها، فإن تجعد حوشى تجد لفظها سبطا
و فى الطيبين الطاهرين نظمتها فساعدتها من أجل ذلك حرف الطا
عليك سلام الله ما ذرّ شارق و ما ردّدت ورقاء فى غصنها لغطا
و قال: [مخلع البسيط]

لله عصر الشباب عصرا فتح للخير كل باب

حفظت ما شئت فيه حفظا كنت أراه بلا ذهاب
حتى إذا ما المشيب وافى ندد و لكن بلا إياب
لا تعتنوا بعدها بحفظ و قيدوا العلم بالكتاب
و قال: [مخلع البسيط]

يا أيها الممسك البخيل إلهك المنفق الكفيل
أنفق وثق بالإله تريح فإن إحصانه جزيل
و قدم الأقرين و اذكر ما روى إبدأ بمن تعول
و قال: [المتقارب]

و قائله لم عراق المشيب و ما إن بعهد الصبا من قدم
فقلت لها لم أشب كبره و لكنه الهمة نصف الهرم
و قال: [الطويل]

أ يعتادني سقم و أنت طيب و تبعد آمالي و أنت قريب
يقيني أن الله جل جلاله يقيني فراجى الله ليس يخيب
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٦٨
و قال: [المتقارب]

هي النفس إن أنت سامحتها رمت بك أقصى مهاوى الخديعه
و إن أنت جشمتها خطه تنافى رضاها تجدها مطيعه
فإن شئت فوزا فناقض هواها و إن واصلتك اجزها بالقطيعه
و لا تعبان بميعادها فميعادها كسراب بقيعه
و قال: [الكامل]

من أنت يا مولى الورى مقصوده طوبى له قد ساعدته سعوده
فليشهدنك له فؤاد صادق و شهوده قامت عليه شهوده
و ليفنين عن نفسه و رسومه طرا، و فى ذاك الفناء وجوده
و ليحفظنه بارق يرقى به فى أشرف المعراج ثم يعيده
حتى يظل و ليس يدري دهشة تقريبه المقصود أم تبعيده
لكنه ألقى السلاح مسلما فمراده ما أنت منه تريده
فلقد تساوى عنده إكرامه و هوانه و مفيده و ميده
و قال ملغزا فى حجل: [الرجز]

حاجيت كل فطن لبيب ما اسم لأنثى من بنى يعقوب
ذات كرامات فزرها قربه فزورها أحق بالتقريب
تشرکہا فى الاسم أنثى لم تزل حافظه لسرها المحجوب
و قد جرى فى خاتم الوحى الرضا لها حديث ليس بالمكذوب
و هو إذا ما الفاء منه صحنفت صبغ الحياء لا الحيا المسكوب

فهاكها واضحة أسرارها فأمرها أقرب من قريب

و قال أيضا في آب: [مجزوء الرجز]

حاجيتكم ما اسم علم ذو نسبة إلى العجم

يخبر بالرجعة و ه و راجع كما زعم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٦٩

وصف الحبيب هو بالتصحيح أو بدء قسم

دونكه أوضح من نار على رأس علم

و قال في كانون: [الهبزج]

و ما اسم لسميين و لم يجمعهما جنس

فهذا كلما يأتي فبالآخر لى أنس

و هذا ما له شخص و هذا ما له حس

و هذا ما له سوم و ذا قيمته فلس

و هذا أصله الأرض و هذا أصله الشمس

و هذا واحد من سب عة تحيا بها النفس

فمن محموله الجنّ و من موضوعه الإنس

فقد بان الذى ألغزت ما فى أمره لبس

و قال فى سلّم: [الرجز]

ما اسم مركّب مفيد الوضع مستعمل فى الوصل لا فى القطع

ينصب لكن أكثر استعمال من يعنى به فى الخفض أو فى الرفع

هو إذا خففته مغيرا تراه شملا لم يزل ذا صدع

فالا اسم إن طلبته تجده فى خامسة من الطوال السبع

و هو إذا صحفته يعرب عن مكسر فى غير باب الجمع

له أخ أفضل منه لم تزل آثاره محمودة فى الشرع

هما جميعا من بنى النجار و الأف ضل أصل فى حنين الجذع

فهاكه قد سطعت أنواره لا سيما لكلّ ذاكى الطبع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٧٠

و قال فى مائدة: [الرجز]

حاجيت كلّ فطن نظار ما اسم لأثنى من بنى النجار

و فى كتاب الله جاء ذكرها فقلما يغفل عنها القارى

فى خبر المهديّ فاطلبها تجد إن كنت من مطالعى الأخبار

ما هى إلّا العيد عيد رحمة و نعمة ساطعة الأنوار

يشركها فى الاسم وصف حسن و من وصف قضب الروضة المعطار

فهاكه كالشمس فى وقت الصّحى قد شقّ عنها حجب الأستار

[رثاء لسان الدين لشيخه ابن الجباب]

ثم قال لسان الدين: و أميا نثره فمطوّلات عرفت بما تخلّلتها من الأحوال متونها، و قلت لمكان البديهة و الاستعجال عيونها، و قد اقتنصت جزءا منها سميته «تافه من جم، و نقطه من يم». و ولد بغرناطة في جمادى الأولى عام ثلاثه و سبعين و ستمائة. و توفي ليلة الأربعاء الثالث و العشرين من شوال عام تسعة و أربعين و سبعمائة. و أنشدت من نظمي في رثائه خامس يوم دفنه على قبره هذه القصيدة: [الكامل]

ما لليراع خواضع الأعناق طرق النعي فهنّ في إطراق
و كأنما صبغ الشحوب وجوها و السقم من جزع و من إشفاق
ما للصحائف صوّحت روضاتها أسفا و كنّ نصيرة الأوراق
ما للبيان كؤوسه مهجورة غفل المدير لها و نام الساقى
ما لي عدمت تجلدى و تصبّرى و الصبر في الأزمان من أخلاقي
خطب أصاب بنى البلاغة و الحجا شبّ الزفير به عن الأطواق
أما و قد أودى أبو الحسن الرضا فالفضل قد أودى على الإطلاق
كنز المعارف لا تبيد نقوده يوما و لا تفنى على الإنفاق
من للبدائع أصبحت سمر السرى ما بين شام للورى و عراق
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٧١
من لليراع يجيل من خطيها سمّ العدا و مفاتيح الأرزاق
قضب ذوابل مثمرات بالمنى و أراقم ينفثن بالترياق
من للرقاع الحمر يجمع حسننها خجل الخدود و صبغة الأحداق
تغتال أحشاء العدو كأنها صفحات دامية الغرار رفاق
و تهزّ أعطاف الوليّ كأنها راح مشعشعة براحه ساقى
من للفنون يجيل في ميدانها خيل البيان كريمه الأعراف
من للحقائق أبهمت أبوابها للناس يفتحها على استغلاق
من للمساعي الغرّ تقصد جاهه حرما فينصرها على الإخفاق
كم شدّ من عقد وثيق حكمه في الله أو أفتى بحلّ و ثاق
رحب الذراع بكلّ خطب فادح أعيت رياضته على الحدّاق
صعب المقادة في الهوادة و الهوى سهل على العافين و الطّراق
ركب الطريق إلى الجنان و حورها يلقينه بتصافح و عناق
فاعجب لأنس في مظنة وحشة و مقام وصل في مقام فراق
أ مطييا بمحامد العمل الرضا و مكفنا بمكارم الأخلاق
ما كنت أحسب قبل نعشك أن أرى رضوى نسير به على الأعناق
ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أن اللحد خزائن الأعلاق
يا كوكب الهدى الذى من بعده ركد الظلام بهذه الآفاق

يا واحدا مهما جرى في حلبة جلى بغيره سابق السباق
يا ثاويبا بطن الضريح و ذكره أبدا رفيق ركائب و رفاق
يا غوث من وصل الصريخ فلم يجد في الأرض من وزر و لا من واق
ما كنت إلّا ديمه منشوره من غير إرعاد و لا إبراق
ما كنت إلّا روضه ممطوره ما شئت من ثمر و من أوراق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٧٢
يا مزمعا عنا العشي ركابه هلا ثويت و لو بقدر فواق
رفقا أبانا جلّ ما حملتنا لا تنس فينا عادة الإشفاق
و اسمح و لو بمزار لقياء في الكرى تبقى بها منا على الأرقام
و إذا اللقاء تصرّمت أسبابه كان الخيال تعلّهُ المشتاق
عجبا لنفس و دعتك و أيقنت أن ليس بعد نواك يوم تلاقى
ما عذرها إن لم تقاسمك الردى في فضل كأس قد شربت دهاق
إن قصرت أجفاننا عن أن ترى تبكى النجيع عليك باستحقاق
و استوقفت دهشا فإنّ قلوبنا نهضت بكلّ وظيفه الآماق
ثق بالوفاء على المدى من فتيه بك تفتدى في العهد و الميثاق
سجعت بما طوقتها من منة حتى زرت بحمام الأطواق
تبكى فراقك خلوه عمّرتها بالذكر في طفل و في إشراق
أما الثناء على علاك فذائع قد صحّ بالإجماع و الإصفاق
و الله قد قرن الثناء بأرضه بثائه من فوق سبع طباق
جادت ضريحك ديمه هطّاله تبكى عليه بواكف رقرق
و تعمّدتك من الإله سعادة تسمو بروحك للمحلّ الراقي
صبرا بنى الجياب إنّ فقيدكم سيسرّ مقدمه بما هو لاق
و إذا الأسى لفح القلوب أواره فالصبر و التسليم أى رواق

[رثاء الفقيه أبي عبد الله بن جزي لأبي الحسن بن الجياب]

و أنشد في هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله بن جزي: [الطويل]
ألم تر أنّ المجد أقوت معالمه فأطنابه قد قوّضت و دعائه
هوى من سماء المعلوات شهابها و خانت جواد المكرمات قوائمه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٧٣
و ثلث من الفجر المشيد عروشه و فلت من العزّ المنيع صوارمه
و عطلّ من حلى البلاغة قسها و عرى من جود الأنامل حاتم
أجل إنه الخطب الذى جلّ وقعه و ثلّم غرب الدين و العلم داهمه
و إلّا فما للنوم طار مطاره و ما للزيم الحزن قصّت قوادمه

و ما لصباح الأنس أظلم نوره و ما لمحيتا الدهر قُطِبَ باسمه
و ما لدموع العين فضّت كأنها فواقع زهر و الجفون كمائمه
قضى الله فى قطب الرياسة أن قضى فشّت ذاك الشمل من هو ناظمه
و من قارع الأيام سبعين حجّة ستنبو غراره و يندقّ قائمه
و فى مثلها أعيان الطاسى طبه و ضلّ طريق الحزم فى الرأى حازمه
تساوى جواد فى رداه و باخل فلا الجود واقيه و لا البخل عاصمه
و ما نفعت ربّ الجياد كرامه و لا منعت منه الغنى كرائمه
و كلّ تلاق فالفراق أمامه و كلّ طلوع فالغروب ملازمه
و كيف مجال العقل فى غير منفذ إذا كان بانى مصنع هو هادمه
لييك علينا مستجير بعدله يصاخ لشكواه و يمنع ظالمه
لييك علينا مائح بحر علمه يروى بأنواع المعارف هائمه
لييك علينا مظهر فضل نصحه يحلّا عن ورد المآثم حائمه
لييك علينا معتف جود كفّه يواسيه فى أمواله و يقاسمه
لييك علينا ليله و هو قائم يكابده أو يومه و هو صائمه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٧٤
لييك علينا فضل كلّ بلاغه يخلّده فى صفحه الطرس راقمه
و شخص ضئيل الجسم يرهب نفثه ليوث الشرى فى خيسها و ضراغمه
تكفل بالرزق المقدر للورى إذا الله أعطى فهو فى الناس قاسمه
يسدده سهما و ينضوه صارما و يشرعه رمحا فكلّ يلائمه
إذا سال من شقيه سائل حبره بما شاء منه سائل فهو عالمه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٦؛ ص ٣٧٤
وم من كان باكيا فتلك مغانيه خلت و معالمه
تقلد منه الملك غضب بلاغه يقد السلوقى المضاعف صارمه
و قلده مثنى الوزارة فاكتفى بها ألمعى حازم الرأى عازمه
ففى يده و هو الزعيم بحقها براعته و المشرفى و خاتمه
سخى على العافين سهل قياده أبى على العادين صعب شكائمه
إذا ضلّت الآراء فى ليل حادث رآها برأى يصدع الخطب ناجمه
و قام بأمر الدين و الملك حاميا فذلّ معاديه و ضلّ مراغمه
و قد كان نيط العلم و الحلم و التقى به و هو ما نيطت عليه تماثمه
و دوخ أعناق الليالى بهمه بيت و نجم الأفق فيها يراحمه
و زاد على بعد المنال تواضعا أبى الله إلا أن تتمّ مكارمه
سقيت الغوادى! أى علم و حكمه و دين متين ذلك القبر كاتمه
و ما زال يستسقى بدعوتك الحيا وها هو يستسقى لقبرك ساجمه

بكت فقدك الكتاب إذ كان شملهم يؤلفه من دوح فضلك ناعمه
و طوقتهم بالبر ثم سقيتهم نداك فكنت الروض ناحت حمائمه
و يبيك منى ذاهب الصبر موجه توقد في جنبه للحزن جاحمه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٧٥
فتى نال منه الدهر إلّا وفاءه فما وهنت في حفظ عهد عزائمه
عليل الذى زرت عليه جيوبه قريح الذى شدت عليه حزائمه
فقد كنت ألقى الخطب منه بجنة تعارض دونى بأسه و تصادمه
سأصبر مضطراً و إن عظم الأسى أحارب حزنى مرّة و أسالمة
و أهديك إذ عزّ اللقاء تحية و طيب ثناء كالعبير نواسمه

[مطالع ثلاث مرات في ابن الجباب]

و أنشد الفقيه القاضى أبو جعفر بن جزى قصيدة أولها: [الطويل]
أبتكما و الصبر للعهد ناكث حديثاً أملت على الحوادث
و أنشد القاضى أبو بكر بن على القرشى قصيدة أولها: [الوافر]
هى الآمال غايتها نفاذ و فى الغايات تمتاز الجياد

و أنشد الفقيه الكاتب القاضى أبو القاسم بن الحكم قصيدة أولها: [الطويل]
لينع الحجا و الحلم من كان ناعيا و يرع العلا و العلم من كان راعيا

[و هذه ثلاث] قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض، فكان هذا التأين غريبا لم يتقدم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك، و
التجلة فى مثل هذا مقصورة على أولى الأمر؛ انتهى ما لخصته من ترجمته فى «الإحاطة».

[من شعر ابن الجباب فى الألفاظ]

و لنزد فنقول: و من أغازه فى الدرهم: [الخفيف]
ما بغيض إلى الكرام خصوصا و حبيب إلى الأنام عموما
فاعجبوا منه كيف يحمى و يحمى و يكفّ العدا و يغنى العديما
إن تغير شطريه فالأول اسم يألف الضرع و الغمام السجوما
و يكون الثانى كبير أناس حطمته حياته تحطيما
فإذا ما قلبت أول شطر ردّ منطوق لغزه مفهوما
فإذا ما قلبت ثانى شطر كان كفا و ليس كفا رقيما
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٧٦
قلبه بعد حذفك الفاء منه هو شىء يحلل التحريما
أو صغير مستحسن لم يؤدّب إن تعلمه يقبل التعليما
فلتبين ما قلته و لتعين و به فلنقم مقاما كريما

و قال في المسك: [مخلع البسيط]
 ما طاهر طيب و لكن ما أصله من ذوى الطهاره
 من الطّباء الحسان لكن إذا تأملته ففاره
 نصّ حديث الرسول فيه شهادة تقتضى بشاره
 تصحيفه بعد حذف حرف منزلك الأهل العماره
 يعنى مبنى.

و قال في فلک: [مجزوء الرجز]
 ما اسم لشيء مرتقى فى مغرب و مشرق
 إذا حذفت فاءه كان لك الذى بقى
 و قال أيضا فى الفئار: [مجزوء الرجز]
 ما اسم إذا حذفت من ه فاء المنوعه
 فإنه ابنه الزنى مضافه لأربعه
 يعنى ابنه الزناد، و هى النار.

و قال فى النوم: [مجزوء الرجز]
 ما اسم مسماه به يسقط حكم التكليف
 و إن دخلت البيت بالتص حيف حقّ التعنيف
 و إن أردت شبهه فقلبه بالتصحيح
 بيّنه فهو فى كتاب الله بادی التعريف
 و قال فى غزال: [المجتث]

حاجيتكم ما اسم شىء يروق فى الوصف حسنا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٧٧
 له محاسن شتى منها فرادى و مثنى
 ...له بل الشعر أثنى

مهما تنله بحذف أتاك حرفا لمعنى
 إن زال أول حرف زال الذى منه يعنى
 أو زال ثانيه منه فالقتل أدهى و أفنى
 أو زال ثالثه فه و لغو صبّ معنى
 فأوضح القصد يا من قد فاق عقلا و ذهنا
 و قال فى النمل: [مجزوء الرجز]

ما حيوان اسمه قد جاء فى الذكر الحكيم
 و هو إذا قلبته لمن به أنت عليم
 و إن تصحّف اسمه فبعض أوصاف اللثيم
 و قال فى دواء: [الوافر]

و ما أنثى بها رعى الرعايا و إمضاء المنايا و القضايا
و تقصدها بنوها من رضاع إذا انبعثوا لإبرام القضايا
لها اسم إن أزلت النقط منه فعذ بالله من شرّ البلايا
و إن أبدلت آخره بهمز فقد أبرأت نازلة الشكايا
و إن بدّلت أوّله بنون أتيت ببعض أرزاق المطايا
فأوضح ما رمزناه بفكر سديد القصد مبد للخفايا
و قال فى سفينة: [السريع]

ما ذات نفع و غناء عظيم لها حديث فى الزمان القديم
أوحى بها الله إلى عبده فحبذا فعل الرسول الكريم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٧٨
دعا بها فيما مضى صالح حسبك ما نصّ الكتاب الحكيم
و فى كتاب الله تردادها فاقراً تجده فى قضايا الكليم
إن أنت صحّفت اسمها تلقه محلّ أنس أو بلاء مقيم
أو هو فعل لك فيما مضى لكن إذا أبرأت داء السقيم
فهاكه قد لاح برهانه مبيّن لكلّ فكر سليم
و قال فى المسك أيضاً: [المتقارب]

كتبتم كثيرا و لم تكتبوا كهذا الذى سبله واضحه
فما اسم جرى ذكره فى الكتاب فإن شئت فاقرا الفاتحه
ففيها مصحف مقلوبه يعبر عن حاله صالحه
و ليست بغادية فاعلموا و لكنها أبدا رائحه
و يعنى بقوله فى الفاتحة قوله أول الأبيات «كتبتم» فافهم.
و قال فى صقر: [السريع]

حاجيتكم ما اسم لبعض السباع تصحيفه ما لك فيه ارتفاع
و عكسه إن شئت عكسا له يوجد لكن عند دور السماع
و إن تصحف بعد قلب له فمذهب يعزى لأهل النزاع
فبين الألغاز و ارفع لنا بنور فكر منك عنه القناع
و قال فى الحوت: [مجزوء الرجز]

ما حيوان فى اسمه إن اعتبرته فنون
أحرفه ثلاثه و الكلّ منها هو نون
إن أنت صحّفت اسمه فما جناه المذنبون
أو أبيض أو أسود أو صفه النفس الخؤون
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٧٩
قلب اسمه مصحفا عليه دارت السنون

كانت به فيما مضى عبرة قوم يعقلون
أودع فيه زمنا سرّ من السرّ المصون
فهاكه كالنار في ال زند له فيها كمون
و قال في لبن: [المجتث]

أفديك ما اسم إذا ما صحفته فهو سبع
و إن تصحف بعكس ففيه للقبط شرع
و الاسم يعرب عمّا لديه رىّ و شع
في النحل يلفى و لكن لا يتقى فيه لسع
فليس للنحل أصل و لا لها فيه فرع
فهاكه قد تبدى لحجبه عنه رفع
و قال في القلم: [الوافر]

و مأموم به عرف الإمام كما باهت بصحبته الكرام
له إذ يرتوى طيشان صاد و يسكن حين يعروه الأوام
و يذرى حين يستسقى دموعا يرقن كما يروق الابتسام
و له- رحمه الله تعالى!- كثير من هذا، و لم أر أحدا أحكم الألغاز مثل ما أحكمه ابن الجياب المذكور، و لولا الإطالة لذكرت منها
ما يستدلّ به على صحة الدعوى، و فيما ذكرنا كفاية.

[من نظم ابن الجياب في رثاء عمر بن علي بن عتيق القرشي الغرناطي]

و من نظم الرئيس ابن الجياب المذكور في رثاء عمر بن علي بن عتيق القرشي الهاشمي الغرناطي قوله: [الرمل]
قضى الأمر فيا نفس اصبرى صبر تسليم لحكم القدر
و عزاء يا فؤادى إنه حكم ملك قاهر مقتدر
حكمه أحكمها تديره نحن منها في سبيل السفر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٨٠
أجل مقدر ليس بمس تقدم يوما و لا مستأخر
أحسن الله عزاء كلّ ذى خشية لربه في عمر
في إمامنا التقى الخاشع الطاهر الذات الزكى التير
قرشى هاشمى منتقى من صميم الشرف المطهر
يشهد الليل عليه أنه دائم الذكر طويل السهر
في صلاة بعثت وفودها زمرا للمصطفى من مضر
قائما و راكعا و ساجدا لطلوع فجره المنفجر
جمع الرحمن شملنا غدا بحبيب الله خير البشر
و تلقته وفود رحمة اللّ ه تأتي بالرضا و البشر
قلت: هذا النظم- و إن برد بما فيه من الزحاف- فله من الوعظ و ذكر الله و رسوله، صلى الله عليه و سلم، خير لحاف.

[بين ابن الجياب و ابن شيرين و ابن أبي العافية و غيرهم]

قال لسان الدين: و لما نظم القاضي أبو بكر بن شيرين بيت الكتابة و مألّف الجملة هذين البيتين: [الطويل]
 ألا يا محبّ المصطفى زد صباؤه و ضمّخ لسان الذكر منك بطيبه
 و لا تعبان بالمبطلين فإنما علامة حبّ الله حبّ حبيبه
 و أخذ الأصحاب في تذييل ذلك، قال الشيخ الرئيس أبو الحسن بن الجياب، رحمه الله تعالى و رضى عنه: [الطويل]
 فمن يعمر الأوقات طرّاً بذكره فليس نصيب في الهدى كنصيبه
 و من كان عنه معرضاً طول عمره فكيف يرجيه شفيع ذنوبه
 و قال أبو القاسم بن أبي العافية: [الطويل]
 أليس الذى جلّى دجى الجهل هديه بنور أقمنا بعده نهتدى به
 و من لم يكن من ذاته شكر منعم فمشهده فى الناس مثل مغيبه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٨١
 و قال أبو بكر بن أرقم: [الطويل]
 نبىّ هداانا من ضلال و حيرة إلى مرتقى سامى المحلّ خصيبه
 فهل ينكر الملهوف فضل مجيره و يغمط شاكى الداء شكر طبيبه
 فانتهى القول إلى الخطيب أبى محمد بن أبى المجد فقال: [الطويل]
 و من قال مغرورا حجابك ذكره فذلك مغمور طريد عيوبه
 و ذكر رسول الله فرض مؤكّد و كلّ محقّ قائل بوجوبه

[بين ابن الجياب و أبى محمد بن أبى المجد]

و قال يوما الشيخ أبو الحسن بن الجياب تجرّبهُ للخاطر على العادة: [الخفيف]
 جاهد النفس جاهدا فإذا ما فئت منك فهو عين الوجود
 و ليكن حكمها المسدّد فيها حكم سعد فى قتله لليهود
 فأجابه أبو محمد بن أبى المجد بقوله: [الخفيف]
 أيها العارف المعبر ذوقا عن معان عزيزة فى الوجود
 إنّ حال الفناء عن كلّ غير كمقام المراد غير المرید
 كيف لى بالجهاد غير معان و عدوى مظاهر بجنود
 و لو انى حكمت فيمن ذكرتم حكم سعد لكنت جدّ سعيد
 فأراها حبابه بى فتونا و أرانى فى حبها كيزيد
 كيف أسلو بنصحكم عن هواها و لو أبدت فعل المحبّ الودود
 ليس شىء سوى إلهك يبقى و اعتبر صدق ذا بقول لبيد

[ترجمة عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان الرعيني (المعروف بابن أبي المجد)]

و ابن أبي المجد المذكور هو عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان بن محمد بن أشعب الرعيني، من أرجدونه من كورة ريه، يكنى أبا محمد، و يعرف بابن أبي المجد، كان من أعلام الكورة سلفا و صلاحا و نية في الصالحين، كثير الإيثار بما تيسر، مليح التخلق، حسن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٨٢

السّيمت، طيب النفس، حسن الظنّ، له حظّ من الأدب و الفقه و القراءات و الفرائض، و خوض في التصوّف، قطع عمره خطيبا و قاضيا ببلده و وزيرا، قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير و ابن أبي فضيلة المعافري و ابن رشيد، و أجازة طائفة كبيرة. توفي ليلة النصف من شعبان عام تسعة و ثلاثين و سبعمائه، رحمه الله تعالى!.

تم الجزء السادس و يليه الجزء السابع مبتدئا بقول المؤلف:

من نظم ابن الجياب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٨٣

فهرس الرسائل و الخطب و المراسيم للجزء السادس من كتاب نفع الطيب

ابن حكم السلوى: رسالته إلى المقرئ الجد ٢١٣

ابن دحية، أبو الخطاب: فصل في الاعتبار ٩٦

ابن عطية، أبو جعفر:

رسالته إلى الخليفة عبد المؤمن يستعطفه ١٥٥

رسالته عن أبي حفص في موقعة وادي ماسه ١٥٨

ابن مرج الكحل: رسالته إلى صفوان بن إدريس ٤٨

أبو الحسن النباهي: رسالة منه إلى لسان الدين (يكيّل له فيها التهم) ١٠٢

تعليقة في مدرج طي الرسالة السابقة ١٠٤

صفوان بن إدريس، أبو البحر

رسالته إلى ابن مرج الكحل ٤٩

خطبة نكاح ٥٠

رسالة عتاب ٥٢

رسالة تهنئة إلى أبي القاسم بن بقي ٥٧

لسان الدين بن الخطيب

رسالة إلى السلطان أبي سالم ٣١

رسالة عن الغنى بالله إلى سلطان مصر ابن قلاوون ٧٥

مرسوم بتولية النباهي القضاء ١١٠

مرسوم بتولية ابن زمرك كتابة السر ١١١ مرسوم بتولية النباهي الخطابة مع القضاء ١١٣

رسالة في عتاب ابن أبي رمانة ١١٩

رسالة إلى ابن مرزوق برفض الدنيا ١١٢

رسالة إلى أبي عنان في الاعتذار عن المقرئ الجد ١٨٥

رسالة في الموضوع السابق ١٨٦

رسالة إلى ابن مرزوق عند قدومه على المرينيين ٣٣٥

يوسف بن تاشفين رسالة في العزاء بأبي جعفر بن الزبير ١٣١

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٨٤

فهرس الجزء السادس من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرئ التلمساني

الباب الأول: في أولية لسان الدين و ذكر أسلافه ٣

منزلته في الكتابة ٣

للأمير إسماعيل بن يوسف بن الأحمر في شأن لسان الدين، من كتاب له يسمى «فرائد الجمان، فيمن نظمني و إياه الزمان» ٣

لابن خلدون في شأن لسان الدين ٣

لغير هذين في سلف لسان الدين ٤

تعقيب للمؤلف ٤

تعريف لسان الدين بنفسه في آخر كتابه «الإحاطة» ٥

نسب لسان الدين ٥

سعيد جد لسان الدين الأعلى ٥

عبد الله بن سعيد ٦

سعيد بن عبد الله الجد الأقرب للسان الدين ٦

والد لسان الدين بن الخطيب ٦

بعض ما رثي به والد لسان الدين و قد استشهد في موقعه طريف، لأبي محمد عبد الله الأزدي ٧

قصيدة للسان الدين يجيب بها أبا محمد الأزدي الذي رثي والده ٨

ذكر موقعه طريف التي استشهد فيها والد لسان الدين ٩

ترجمة لسان الدين لوالده عبد الله بن سعيد، و ذكر نماذج من شعره ١٠

رثاء لسان الدين لوالده ١٢

رثاء أبي زكريا بن هذيل لوالد لسان الدين عبد الله بن سعيد ١٢

ترجمة أبي بكر بن عاصم، بقلم ابنه الوزير أبي يحيى بن عاصم القيسي ١٣

عود إلى ترجمة لسان الدين و ذكر سلفه ١٥

ذكر نسبتهم «السلاماني» و أنهم من حي من مراد من عرب اليمن القطحانيين ١٦

بين لسان الدين و شيخه أبي الحسن بن الجياب ١٦

نونية للوزير أبي فارس عبد العزيز الفشتالي ١٧

تونية أخرى لأبي الفتح محمد بن عبد السلام المغربي التونسي نزيل دمشق ٢٣

نونية لسان الدين بن الخطيب في فتح تلمسان ٢٦

كتاب من لسان الدين يخاطب به السلطان أبا سالم بعد فتح تلمسان، و قد جعله مقدمة لنونته السابقة ٣١

- نونية الفقيه الزجال عمر التي سماها «تسريح النصال، إلى مقاتل الفصال» ٣٤
- نونية للوزير أبي عبد الله بن زمرك أنشدها سلطان الأندلس يوم عيد ٣٨
- كلمة عن ابن زمرك الوزير ٤٢
- «لوشة» التي ينسب إليها لسان الدين بن الخطيب ٤٢
- ترجمة أبي عبد الله محمد بن إدريس المعروف بابن مرج الكحل ٤٢
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٨٥
- نماذج من شعر ابن مرج الكحل ٤٣
- وفاة ابن مرج الكحل ٤٤
- رائية لشمس الدين الكوفي الواعظ ٤٧
- من نظم ابن مرج الكحل ٤٨
- بين ابن مرج الكحل و الأديب أبي بحر صفوان بن إدريس ٤٩
- خطبة نكاح من إنشاء أبي بحر صفوان بن إدريس ٥٠
- رسالة عتاب من إنشاء صفوان بن إدريس ٥٢
- ترجمة صفوان بن إدريس عن «الإحاطة» للسان الدين بن الخطيب ٥٢
- قصيدة لصفوان بن إدريس في تقديم مرسية على غيرها من البلدان ٥٣
- قصيدة لصفوان يراجع فيها أبا الربيع بن سالم عن أبيات مثلها ٥٥
- من رسال لصفوان بن إدريس يهنئ فيها قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقى ٥٧
- رحلة صفوان إلى مراکش ٥٨
- ترجمة صفوان بن إدريس، عن ابن سعيد و ابن الأبار ٥٨
- من رثاء الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه لناهض بن محمد الوادى آشى ٥٩
- من شعر صفوان بن إدريس أيضا ٦٠
- بين صفوان بن إدريس و الوزير الكاتب أبي محمد بن حامد (إجازة) ٦٠
- بين صفوان و الوزير أبي إسحاق و قد رآه يقيد أشعارا من ظهر دفتر (إجازة) ٦١
- بين صفوان و الوزير أبي محمد بن حامد أيضا ٦٢
- من شعر صفوان ٦٢
- الباب الثانى من القسم الثانى من الكتاب، فى نشأة لسان الدين بن الخطيب ٦٣
- مولد لسان الدين، نقلا عن «الإحاطة»
- و نشأته نقلا عن ابن الأحمر ٦٣
- لبعضهم فى ذكر منزلة لسان الدين ٦٣
- من ترجمة لسان الدين بقلمه فى كتابه «الإحاطة»، فى أخبار غرناطة» ٦٤
- تعريف لسان الدين بالسلطان أبى الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج، أحد ملوك بنى نصر ٦٧
- قصيدة لسان الدين فى رثاء السلطان أبى الحجاج ٦٨
- ذكر خلع سلطان لسان الدين و قيام أخيه مقامه، عن لسان الدين فى «اللمحة البدرية» ٧٠

- لسان الدين ينشد بين يدي سلطان فاس و قد التجأ هو و سلطانه إليه ٧٢
- من خطاب من إنشاء لسان الدين عن سلطانه إلى سلطان مصر المنصور بن أحمد بن الناصر بن قلاوون ٧٥
- رواية ابن خلدون في خلع ابن الأحمر سلطان لسان الدين ٨٠
- رواية أخرى لابن خلدون في خلع ابن الأحمر تتضمن نشأة لسان الدين و نهايته ٨٢
- ابن خلدون يتحدث عن مقتل لسان الدين ٩١
- أبيات لسان الدين قالها و هو سجين ٩٢
- حديث للحافظ ابن حجر عن مقتل لسان الدين ٩٣
- تخميس بعض بنى الصباغ لأبيات لسان الدين التي قالها و هو في السجن ٩٤
- أبيات لبعض الشاميين في معنى بعض أبيات لسان الدين ٩٥
- كلام لأبي الخطاب بن دحية في التسلي عن كوارث الزمان ٩٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٨٦
- أبيات في الاعتبار- و ذكر الموت ٩٨
- تهم ألصقها أعداء لسان الدين به ٩٩
- من أعداء لسان الدين القاضي أبو الحسن النباهي، و ما يتصل بذلك ٩٩
- حكاية لسان الدين مع رسول ملك النصارى تدل على علو همته ١٠٠
- مدح لسان الدين للقاضي النباهي ١٠١
- ذم لسان الدين للقاضي النباهي بعد أن أظهر له العداوة ١٠١
- خطاب تقرع من القاضي النباهي إلى لسان الدين ١٠١
- صورة مرسوم من إنشاء لسان الدين بتولى القاضي أبي الحسن النباهي القضاء، و فيه من الثناء على القاضي ما يدل على أنه لم يشكر النعمة ١٠٩
- مرسوم من إنشاء لسان الدين أيضا بتولى ابن زمرك كتابة السر ١١١
- مقارنة من المؤلف بين خلق لسان الدين و خلق القاضي النباهي و الكاتب ابن زمرك ١١٣
- مرسوم من إنشاء لسان الدين أيضا بتولى القاضي النباهي الخطابة مع القضاء ١١٤
- من هجو لسان الدين في الوزير إبراهيم بن أبي الفتح الأصلع الغوي و في ابن عمه محمد بن إبراهيم العقرب الردي ١١٥
- من هجوه في قاض من قضاة دولة السلطان إسماعيل بن الأحمر ١١٨
- من هجوه في وزير المغرب محمد بن علي بن مسعود ١١٨
- كتاب عتاب من لسان الدين بعث به إلى قاضي مكناسة الزيتون و قد تأخر عن لقائه يوم قدومه عليهم ١١٩
- رسالة لسان الدين في أحوال خدمة الدولة، و مصايرهم، و ما يجب عليهم، و كتب بها إلى ابن مرزوق ١١٩
- تعليق لابن مرزوق على بعض ما جاء في رسالة لسان الدين ١٢٦
- تعليق لابن لسان الدين على تعليق ابن مرزوق ١٢٦
- تعليق للمؤلف على كلام ابن مرزوق ١٢٦
- مرثية من شعر ابن صابر المنجنيقي ١٢٧
- إشارة و نماذج من مرث أخرى ١٢٨

- زيارة المؤلف لقبر لسان الدين ١٢٩
- رسالة لبعض أهالي المغرب في العزاء بأبي جعفر بن جبير ١٣٠
- مقطوعات في الزهد ١٣٢
- من شعر ابن الجوزي في المعنى ١٣٤
- كلمة عن أبي الفرج بن الجوزي و مجالس وعظه، عن الذهبي وغيره ١٣٤
- رجع إلى أخبار لسان الدين ١٣٧
- من شعر لسان الدين و أخباره ١٣٨
- تحقيق في شأن بيتين يقال إنهما قيلتا في لسان الدين ١٤٠
- عود إلى أخبار لسان الدين ١٤٠
- من قصيدة لابن زمرق يعرض فيها بلسان الدين ١٤٠
- قصيدة أخرى لابن زمرق يهنئ فيها سلطانه الغنى بالله بفتح بلاد المغرب و ظفروه بابن كاس مجير لسان الدين ١٤٣
- قصيدة ثالثة لابن زمرق يهنئ بها سلطانه، قالها بعد مقتل لسان الدين ١٤٨
- رجع إلى أخبار لسان الدين ١٥٢
- تصنيفه كتابا يحتج فيه لجواز المبايعه بالملك لمن لم يبلغ الحلم و قد سماه «إعلام الأعلام، بمن يبيع من ملوك الإسلام، قبل الاحتلال» ١٥٢
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٨٧
- تصنيفه كتابا يذكر فيه نباهة سلفه و قد سماه «المباخر الطيبية، في المفاخر الخطيبية» و قدمه للسلطان عبد العزيز حين انجيازه إليه ١٥٢
- استعطاف الوزير أبي بكر بن عمار إلى المعتمد بن عباد حين قبض عليه ١٥٣
- نكبة عبد المؤمن بن علي للوزير أبي جعفر بن عطية ١٥٤
- من اعتذارات ابن عطية لعبد المؤمن بن علي ١٥٥
- ذكر بعض الأدباء من آل عطية ١٥٧
- إجازة بين عبد المؤمن بن علي و وزيره أبي جعفر بن عطية ١٥٧
- من رسالة لأبي جعفر بن عطية كانت السبب في ظهور تفوقه ١٥٨
- الباب الثالث من القسم الثاني من الكتاب، في ذكر شيوخ لسان الدين بن الخطيب ١٦٠
- محمد بن أحمد، الحسين، السبتى، قاضي الجماعة ١٦٠
- مرثية الوزير ابن زمرق لشيخه قاضي الجماعة الحسنى، المذكور ١٦٤
- أبناء القاضي الحسين المذكور ١٦٧
- من شيوخ لسان الدين أبو عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى ١٦٩
- بعض ما أنشده لسان الدين من شعر شيوخه، و لم يسمهم ١٧١
- من شيوخ لسان الدين قاضي قضاء فاس أبو عبد الله المقرئ جد المؤلف (ترجمة مستفيضة) ١٧٢
- ترجمة أبي موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي (من شيوخ المقرئ الكبير) ١٨٧
- ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن حكم السلوى ١٨٨
- ترجمة أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم بن الناصر، المجاصى ١٩٢

- ترجمة الشريف القاضي أبي علي حسن بن يوسف بن يحيى، الحسينى السبتي ١٩٤
- ترجمة قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هديئة، القرشي ١٩٦
- ترجمة لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي التميمي ١٩٦
- ترجمة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور ١٩٧
- ترجمة لأبي عبد الله محمد بن الحسين البروني ١٩٧
- ترجمة لأبي عمران موسى المصمودي الشهير بالبخاري ١٩٧
- ترجمة لأبي عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار ١٩٨
- ترجمة لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن سبع بن مزاحم، المكناسي ١٩٩
- ترجمة لأبي عبد الله محمد بن حسين، القرشي، الزبيدي، التونسي ١٩٩
- ترجمة لإمام أهل الحديث في عصره أبي محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمي ٢٠٠
- ترجمة أبي عبد الله محمد بن سليمان السطى ٢٠٠
- سرد جماعة من شيوخ المقرئ الكبير ٢٠٠
- ترجمة أبي عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي الخياط ٢٠٠
- ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن الجمال ٢٠١
- ابن أبي عبد الله محمد بن مرزوق العجيسى، و هما أبو عبد الله محمد، و أبو العباس أحمد ٢٠١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٨٨
- أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب الصنهاجي ٢٠١
- أبو عبد الله محمد بن محمد الغزموني ٢٠١
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدري ٢٠٢
- أبو عبد الله بن أحمد بن شاطر الجمحي ٢٠٥
- ذكر جماعة من شيوخ المقرئ الكبير بتلمسان ٢٠٧
- ذكر شيوخه في تونس ٢٠٨
- شيوخه في فاس، و في أغمات ٢٠٩
- شيوخه في مكة، و في المدينة، و في الشام ٢٠٩
- رواية ابن خلدون عن شيخه أبي عبد الله المقرئ الكبير ٢١٠
- من فوائد المقرئ الكبير في مواضع مختلفة ٢١١
- من فوائده التي ذكرها تلميذه النظار أبو إسحاق الشاطبي في كتابه «الإنشاءات و الإفادات» ٢١٨
- من فوائد المقرئ الكبير مما لم يذكر سابقا ٢٢٢
- ترجمات قصار للمقرئ الكبير عن صاحب كتاب «نيل الابتهاج» و عن المرزوقي، و عن الوانشرسي ٢٢٩
- مؤلفات المقرئ الكبير ٢٣٢
- بعض فوائد المقرئ الكبير التي أودعها كتابه «المحاضرات» ٢٣٣
- رجع إلى سرد مؤلفات المقرئ الكبير ٢٥٤
- من فوائد المقرئ الكبير التي أودعها في كتابه «الحقائق و الرقائق» ٢٥٥

- من شعر المقرئ الكبير ٢٦٩
- لمحة العارض لتكملة تائية ابن الفارض ٢٦٩
- من شعره الذى رواه لسان الدين فى الإحاطة ٢٧٨
- و من شعره الذى لم يذكره فى الإحاطة ٢٧٩
- تلامذة المقرئ الكبير ٢٨٠
- ترجمة ابن عباد الرندى شارح حكم ابن عطاء الله الإسكندرى ٢٨١
- عود إلى شيوخ لسان الدين ٢٨٨
- ترجمة أبى محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد ٢٨٨
- ترجمة الفقيه يونس بن عطية (ابن أبى عفيف) الوائشيسى ٢٨٨
- أبو على عمر بن عثمان الوائشيسى ٢٨٩
- أبو جعفر أحمد بن محمد، الجنان، الأوسى ٢٨٩
- أبو عبد الله بن أبى رمانة ٢٩٠
- أبو على الحسن بن عثمان بن عطية الوائشيسى ٢٩٠
- أبو العباس أحمد بن عاشر ٢٩١
- أبو عبد الله محمد بن على الفخار البيرى ٢٩٢
- أبو عبد الله محمد بن خميس التلمسانى ٢٩٥
- عود إلى ترجمة ابن الفخار، و ذكر فوائده ٣١٢
- أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حذلم، و ذكر نموذج من شعره ٣١٥
- وفاة ابن الفخار ٣١٦
- من مشايخ لسان الدين أبو عبد الله بن عبد الولى العواد ٣١٦
- و منهم أبو عبد الله بن بيش ٣١٧
- و منهم قاضى الجماعة أبو عبد الله بن أبى بكر، الأشعري، الملقى ٣١٨
- و منهم ابن أبى يحيى، و اسمه إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر، التسولى ٣١٩
- و منهم محمد بن أحمد الطنجالى الهاشمى ٣٢١
- و منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق (ترجمته باستفاضة عن لسان الدين) ٣٢٢
- نماذج من شعر ابن مرزوق ٣٢٧
- عود إلى الحديث عن ابن مرزوق ٣٣٥
- خطاب من لسان الدين إلى ابن مرزوق حين قدم على بنى مرين مفلتا من الأندلس ٣٣٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٦، ص: ٣٨٩
- نكبة ابن مرزوق و خلاصه منها ٣٣٧
- تقريظ لسان الدين لشرح شفاء القاضى عياض لابن مرزوق ٣٣٨
- ترجمة أبى عبد الله بن مرزوق عن المؤرخ ابن خلدون ٣٤١
- ترجمة ابن مرزوق عن الحافظ ابن حجر ٣٤٣

ترجمته عن الخطيب القسطيني ٣٤٣

ترجمه محمد بن محمد بن أحمد بن أبي عبد الله بن مرزوق (و يعرف بابن مرزوق الكفيف، و هو والد أم جد المؤلف) ٣٤٦

ترجمه عالم الدنيا أبي عبد الله محمد بن مرزوق (المعروف بابن مرزوق الحفيد) ٣٤٧

و من شيوخ لسان الدين أبو الحسن

علي بن الجياب، الأنصاري، الغرناطي ٣٥٨

رثاء لسان الدين لشيخه ابن الجياب ٣٧٠

رثاء الفقيه أبي عبد الله بن جزى لأبي الحسن بن الجياب ٣٧٢

مطالع ثلاث مرات في ابن الجياب ٣٧٥

من شعر ابن الجياب في الألباز ٣٧٥

من نظم ابن الجياب في رثاء عمر بن علي بن عتيق القرشي الغرناطي ٣٧٩

بين ابن الجياب و ابن شيرين و ابن أبي العافية و غيرهم ٣٨٠

بين ابن الجياب و أبي محمد بن أبي المجد ٣٨١

ترجمه عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان الرعيني (المعروف بابن أبي المجد) ٣٨١

[الجزء السابع]

[تنمة القسم الثاني]

صلة الباب الثالث من القسم الثاني شيوخ لسان الدين بن الخطيب

[عود إلى ذكر نماذج من نظم ابن الجياب]

و من نظم ابن الجياب ما كتبه علي باب المدرسة العلمية بغرناطة: [البيسط]

يا طالب العلم هذا بابه فتحا فادخل تشاهد سناه لاح شمس ضحي

و اشكر مجيرك من حلّ و مرتحل إذ قرب الله من مراكم ما نرحا

و شرفت حضرة الإسلام مدرسه بها سبيل الهدى و العلم قد وضحا

أعمال يوسف مولانا و تيته قد طرزت صحفا ميزانها رجحا

و منه قوله: [الطويل]

أبي الله إلاً أن تكون اليد العليا لأندلس من غير شرط و لا ثنيا

و إن هي عصّتها بنوب نوائب فصيرت الشهد المشور بها شريا

فما عدمت أهل البلاغة و الحجا يقيمون فيها الرسم للدين و الدنيا

إذا خطبوا قاموا بكلّ بليغة تجلّي القلوب الغلف و الأعين العميا

و إن شعروا جاءوا بكلّ غريبة تخال النجوم التيرت لها حليا

فأسأل في الدنيا من الله ستره علينا و في الأخرى إذا حانت اللقيا

و قال أبو الحسن بن الجياب: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٤

أرى الدهر في أطواره متقلبا فلا تأمنن الدهر يوما فتخدعا

فما هو إلّا مثل ما قال قائل: (مكرّر مفرّ مقبل مدبر معا)

و حكى أنه أهدى له الفقيه ابن قطبة رمانا ثم دخل عليه عائدا، فلَمّا رآه قال له: يا فقيه، نعم بالهدنة زمانك، أراد: نعمت الهدية زمانك، و كان هذا قبل موته من مرضه بيسير، و هو ممّا يدلّ على ثبوت ذهنه حتى قرب الموت، سامحه الله تعالى!.

[ذكر نماذج من نثر ابن الجياب]

و من نثر ابن الجياب، رحمه الله تعالى، ما كتبه عن سلطانه إلى بعض سلاطين وقته، و هو السلطان أبو سعيد المريني صاحب فاس، و نصّه: المقام لدى الملك المنصور الأعلام، و الفضل الثابت الأحكام، و المجد الذى أشرفت به وجوه الأيام، و الفخر الذى تتدارس أخباره بين الركن و المقام، و العزّ الذى تعلو به كلمة الإسلام، مقام محلّ الأب الواجب الإكبار و الإعظام، السلطان الكذا أبقاه الله فى ملك منيع الذمار، و سعد باهر الأنوار، و مجد رفيع المقدار، و سلطان عزيز الأنصار، كريم المآثر و الآثار، كفيل بالإعلاء لدين الله و الإظهار! معظمّ مقامه و موقره، و مجلّ سلطانه و مكبره، المثنى على فضله الذى أربى على ظاهره مضمرة، الشاكر لمجده الذى كرم أثره، المعتمد بأبوتّه العلية فى كلّ ما يقدّمه و يؤخره، و يورده و يصدره، الداعى إلى الله تعالى بطول بقائه فى سعد سام مظهره، حام عسكره، فلان:

«سلام كريم، طيب برّ عميم، يخصّ مقامكم الأعلى، و رحمه الله و بركاته.

أمّا بعد حمد الله الذى أولاكم ملكا منصورا، و فخرا مشهورا، و أحيا بدولتكم العلية لمكارم الأخلاق ذكرا مستورا، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسول الله الذى اختاره بشيرا و نذيرا، و شرح بهديته صدورا، و جعل الملائمة الأعلى له ظهيرا، و الرضا عن آله و صحبه الذين ظاهروه فى حياته، و خلفوه فى أمته بعد وفاته، فنالوا فى الحالين فضلا مستورا، و أجرا موفورا، و الدعاء لمقامكم الأعلى أسماء الله تعالى بنصر لا يزال به الإسلام محببًا محبوبًا، و سعد يملأ أرجاء البسيطة نورا، فكاتبته - كتب الله لكم عوائد السعادة، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٥

و حباكم من آلائه بالحسنى و الزيادة - من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى، و ليس - بفضل الله سبحانه ثم ببركة مقامكم أيد الله تعالى سلطانه - إلّا الخير الأكمل، و البر الأشمل، و الحمد لله كثيرا كما هو أهله، فلا فضل إلّا فضله. و أمّا الذى عند معظم أمركم من الإعظام لمقامكم و الإكبار، و الثناء المردد المجدد على توالى الأعصار، و الشكر الذى تتلى سورة آناء الليل و النهار، و العلم بما لكم من المكارم التى سار ذكرها فى الأقطار أشهر من المثل السيار، و الاعتداد بسلطانكم العلى فى الإعلان و الإسرار، و الاستناد إلى جنابكم الكريم فى الأقوال و الأفعال و الأخبار، فذلك لا يزال بحمد الله تعالى محفوظا ملحوظا بعين الاستبصار، و الله ولى العون على ذلك بفضل و طوله. و إلى هذا أيد الله تعالى سلطانكم، و مهد أوطانكم، فقد تقدّمت مطالعة مقامكم أسماء الله أن ملك قشتالة دسّ من يتحدّث فى عقد صلح يعود بالهدنة على البلاد، و يرتفع به عنها مكابדתه من جهة الأعداء، و قدّرنا أولا أنّ ذلك ليس على ظاهر الحال فيه، و إنه بيدى به غير ما يخفيه، و لكن جرينا معه فى ذلك المضمار قصدا للتشوف على الأخبار، فلَمّا دار الحديث فى هذا الحكم، ظهر منه أنه قد جنح للسليم، و كان خديمتنا نقروز بحكم الاتفاق قد ورد إشبيلية لبعض أشغاله، فاستحضره و أخذ معه فى أمر الصلح و شرح أحواله، و أعاده إلى معظمكم ليستفهم ما عنده، و يعلم مذهبه و قصده، فأعيد إليه بأنه إن أراد المصالحة على صلح والده مع هذه الدار التصرية من غير زيادة على شروط تلك القضية، و لا يعرض لاسترجاع معقل من المعائل التى أخلصت من يد النصرانية، و أن يكون عقده على الجزيرة الخضراء و رندة و غيرها من البلاد الأندلسية، فلا بدّ من مطالعة محلّ والدنا السلطان أمير المسلمين أبى سعيد أيد الله و استطاع ما يراه، و حينئذ نعمل بحسب نظره الجميل و مقتضاه، و أكد على نقروز فى أنه إن انقاد لهذا

الأمر فليعقد معه هدنة لأمد من الدهر بقدر ما يتسع لتعريفكم بهذه الحال و إعلامكم، و يستطلع فيها نظر مقامكم، فما هو إلا أن عاد يوم تاريخ هذا بكتاب ملك قشتالة، و قد أجاز إلى الصلح و انقاد إليه، على حسب ما شرط عليه، و أعطى مهادنة مدة شهر فبراير ليَعْرِف فيها مقامكم، و يعلم ما لديه، و وافق ذلك وصول الشيخ الفقيه الأجلّ أبى عبد الله بن حبشية أعزّه الله من بابكم الكريم أسماء الله، فأخذ معه فى هذا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٦

القصد، و استفهم عمّا لديه من مقامكم فى ذلك من الإمضاء أو الردّ، فذكر أنكم قد أذنتم لمعظمكم فى عقد السلم على ما يراه من الأحكام، إذ ظهر فيها المصلحة لأهل الإسلام، فلما عرف مذهبكم الصالح، و قصدكم الناجح، رأى أن يوجه إلى ملك النصارى من يخلص معه حال الصلح، على ما يعود إن شاء الله تعالى على المسلمين بالتّجج، و قدم تعريفكم بما دار من الحديث بين يدي جوابكم الوافد من مقامكم صحبة الفقيه أبى عبد الله أعزّه الله تعالى و لا يخفى على مقامكم حاجة هذه البلاد فى الوقت إلى هدنة مستدرّك بها رمقها ممّا لقيته من جهد الحرب، و ما حلّ بها فى هذه السنين من القحط و الجذب، فالصلاح بحمد الله فى هذه الحال بادية الظهور، و إلى الله عاقبة الأمور. هذا ما تزيّد لدى معظم مقامكم، و ما يتزيد بعد فليس إلا المبادرة إلى مطالعتكم و إعلامكم، و ما كان إمساك الفقيه أبى عبد الله بن حبشية فى هذه الأيام إلا لانتظار خبر الصلح، حتى يأتيكم به مستوفى الشرح، وها هو قد أخذ فى الرجوع إلى بابكم الأسمى، و القدوم إلى حضرتكم العظمى، و الله يصل سعودكم، و يحرس وجودكم، و يبلغكم أملككم مقصودكم، و السلام».

و من إنشاء ابن الجياب، رحمه الله تعالى، فى العزاء بالسلطان أبى الحسن الميرنى ما صورته بعد الصدر:

«أما بعد حمد الله الواحد القهّار، الحىّ القيوم حياة لا- تتقيّد بالأعصار، القادر الذى كل شىء فى قبضة قدرته محصور بحكم الاضطرار، الغنى فى ملكوته فلا يلحقه لاحق الافتقار، المرید الذى يارادته تصريف الأقدار، و تقدير الآجال و الأعمار، العالم الذى لا تعزب عن علمه خفايا الأسرار، و خبايا الأفكار، مالك الملك و أهله، و مدبّر الأمور بحكمته و عدله، تذكرة لأولى الألباب و عبرة لأولى الأبصار، خالق الموت و الحياة لينقلنا من دار الفناء إلى دار القرار، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله المصطفى المختار، الذى نهتدى بهديه الكريم فى الإيراد و الإصدار، و الإحلاء و الإمرار، فى الشدّة و الرخاء، و السراء و الضراء، بسيره الكريمة الآثار، و نغزى بالمصيبة به عمّا دهم من المصائب الكبار، و نقدم منه إلى ربنا شفيعا ماحيا للأوزار، و آخذا بالحجز عن النار، و نعلم أننا باتّباع سبيله نسعد سعادة الأبرار، و بإقامه ملّته و حمايته شرعته ننال مرضاة الملك الغفار، و الرضا عن آله و صحبه، و أوليائه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٧

و حزبه، الذين ظاهره فى حياته على إقامة الحق الساطع الأنوار، و خلفوه فى أمته قائمين بالعدل حامين للدّمار، و الدعاء لمحلّ أينا و الدكم المقدّس قدس الله روحه، و برد ضريحه، بالرحمة التى تتعهد روضته التى هى أذكى من الروض المعطار، و الرضوان الذى يتبوأ به مبوأ صدق فى الملوك المجاهدين الأخيار، و لمقامك الأعلى بسعادة المقدار، و تمهيد السلطان و بلوغ الأوطار، فإنّا كتبناه- كتب الله لكم عوائد النصر، و ربط على قلبكم بالصبر!- من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عند ما تحقّق لدينا النبأ الذى فتّ فى الأعضاء، و شبّ نار الأكباد، و الحادث الذى هدّ أعظم الأطواد، و زلزل الأرض الراسية الأوتاد، و الواقع الذى لو لا وجودكم لمحا رسم الأجواد، و عطّل رسوم الجهاد، و كسا الآفاق ثوب الحداد، و الخطب الذى ضاقت له الأرض بما رحبت، و أمرت الدنيا بما عذبت، من وفاة محلّ أينا أكبر ملوك المسلمين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، و الدكم أتخفه الله تعالى برود رضاه، و جعل جنّته نزله و مثواه! و نفعه بما أسلف من الأعمال الكريمة، و ما خلّده من الآثار العظيمة! فإنّا لله و إنا إليه راجعون تسليما لما قضاه، و رضا بما أنفذه و أمضاه، و عند الله نحتسب منه والدا شفيقا، حانيا رفيقا، لم يزل يولى الجميل قوله و فعله، و يصل لنا من أسباب عنايته ما

اقتضاه فضله، و ما هو أحق به و أهله. و كنا طول حياته لم نجد أثرا لفقد الوالد، لما أولانا من جميل العوائد، و كرم المقاصد، جزاه الله أحسن جزائه! و أعاننا على توفية حقه و أدائه! و لمثل هذه المصيبة- و لا مثل لها- تظلم الأرجاء، و يضيق الفضاء، و تبكيه مسومة الجياد، و معالم الجهاد، و السيوف فى الأعماد، و شتى العباد و البلاد، فلا تسألوا كيف هو عندنا موقع هذا الخطب العظيم، و الحادث المقعد المقيم، و الرزية التى لا رزية مثلها، و الحادثة التى أصيبت بها الملة و أهلها، فوجدنا لفقده يتضاعف مع الآناء، و يتجدد تذكّار ما أسلف من أعمال الملوك الفضلاء، و لكنه أمر حتم، و قضاء من الله جزم، و سبيل يسلك عليها الأول و الآخر، و الآنى و الغابر، و ليس إلّا التسليم، لما حكم به الحكيم العليم، و لما انتهى إلينا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٨

هذا النبأ الذى ملأ القلب حسرة و العين عبرة، و تواترت شتى الأنباء، و غلب اليأس فيها على الرجاء، و وجدنا له ما يوجد لفقد الأب الذى ابتدأ بالإحسان و الإجمال، و أولى عوارف القبول و الإقبال، و لكنه ما أطفأ نار ذلك الوجد، و جبر كسر ذلك الفقد، إلّا ما من الله به علينا و على المسلمين من تقلدكم ذلك الملك الذى بكم سمعت معالمه، و قامت مراسمه، و عليكم انعقد الإجماع، و بولايتكم استبشرت الأصفاع، و كيف لا تستبشر بولاية الملك الصالح الخاشع الأواب، صاحب الحرب و الحراب، عدّة الإسلام، و علم الأعلام، من ثبتت فضائله أوضح من محيّا النهار، و سارت مكارمه فى الآفاق أشهر من المثل السيار. و قد كان محلّ أبنائنا و الدكم رضى الله عنه لما علم من فضائلكم الكريمة الآثار، و ما قتمت به من حقه الذى و فيتموه توفية الصلحاء الأبرار، ألقى إليكم مقاليد سلطانه، و آثر إليكم أثر قبوله و رضوانه، حتى انفصل عن الدنيا و قد ألبسكم من أثواب رضاه ما تنالون به قرّة العين، و عزّ الدارين، و الظفر بكتنا الحسينين، فتلك المملكة بحمد الله تعالى قد قام بها حامى ذمارها، و ابن خيارها، و مطلع أنوارها، الملك الرضى العدل الطاهر، قوام الدياجى و صوام الهواجر، حسنة هذا الزمان، و نخبة ذلك البيت المؤسس على التقوى و الرضوان، فالحمد لله على أن جبر بكم صدع الإيمان، و انتضى منكم سيفا مسلولا على عبدة الصلبان، و أقرّ بكم ملك آباءكم الملوك الأعظم، و تدارك بولايتكم أمر هذا الرزء المتفاقم، فإن فقدنا أعظم مفقود، فقد ظفرنا بأكرم مقصود، و ما مات من أبقى منكم سلالة طاهرة تحيى سنن المعالى و المكارم، و تعمل على شاكله أسلافها الأكارم، فتلك المملكة قد أصبحت بحمد الله و نور سعدكم فى أرجائها طالع، و سيف بأسكم فى أعدائها قاطع، و عزمكم الأمضى لأمرها جامع مانع، قد أوت منكم إلى الملجأ الأحمى، و استمسكت بإيالتكم العظمى، و عرفت أنكم ستبدون فيها من آثار دينكم المتين، و فضلكم المبين، و معاليكم القاطعة البراهين، ما يملؤها عدلا و إحسانا، و تبلغ به آمالها مثنى و وحدانا، فهيننا لنا و لها أن صارت فى ملككم، و أن تشرفت بملككم، و ألفت مقاليدها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٩

إلى من يحمى حماها، و يدفع عداها، و ليهن ذلك المقام الأعلى ما أولاه من العزّ المكين، و ما قلده من الملك الذى هو نظام الدنيا و الدين، و أن أعطاه راية الجهاد فتلقاها باليمين، لينصر بها ملة الرسول الصادق الأمين، فله الفخر بذلك على جميع السلاطين. و أمّا هذه البلاد الأندلسية- حماها الله!- فهى و إن فقدت من السلطان الأعلى أبى سعيد أكرم ظهير، و وقع مصابه منها بمحلّ كبير، فقد لجأت منكم إلى من يحميها، و يكف بأس أعاذها، و يبتغى مرضاة خالقها فيها، فملككم بحمد الله تعالى مقبيل الشباب، جديد الأثواب، عريق الأنساب، أصيل الأحساب، و مجدكم جار على أعراقه جرى الجياد العراب. و إنّا لما ورد علينا هذا النبأ معقبا بهذه البشرى، و وفد علينا ذلك الخبر مردفا بهذه المسرة الكبرى، علمنا أن الله سبحانه قد رآب ذلك الصّدع بهذا الصنع الجميل، و تلافى ذلك الخطب بذلك الخير الجزيل، فأخذنا من مساهمتكم فى الأمور النصيب الوافر، و رأينا أن آمالنا منكم قد جلت عن محيّاها السافر، و عينا للوفادة على بابكم لينوب عنا فى العزاء و الهناء عين الأعيان الفضلاء، و وجه القواد و الكرماء.

و لنقتصر على هذا المقدار من كلام الرئيس ابن الجياب رحمه الله تعالى! و يظهر لى أن نظمه أعلى طبقة من نثره، و على كل حال فهو لا يتكلّف نظما و لا نثرا رحمه الله تعالى، و رضى عنه، و عامله بمحض فضله!.

[من أشياخ لسان الدين أبو محمد عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم الحضرمي]

و من أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى الفقيه الكاتب البارع العلامة النحوى اللغوى صاحب العلامة بالمغرب الشهير الرئيس أبو محمد عبد المهيم الحضرمي، قال فى «الإحاطة» فيه ما ملخصه: عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم بن محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي، أبو محمد، شيخنا الرئيس، صاحب القلم الأعلى بالمغرب.

من «الإكليل»: تاج المفرق، و فخر المغرب على المشرق، أطلع منه نورا أضاءت له الآفاق، و أثر منه بذخيرة حملت أحاديثها الرفاق، ما شئت من مجد سامى المصاعد و المراقب، عزيز عن لحاق النجم الثاقب، و سلف زينت سماؤه بنجوم المناقب. نشأ بسبته بلده بين علم يفيده، و فخر يشيده، و طهارة يلتحف مطارفها، و رياسة يتفتأ وارفها، و أبوه رحمه الله تعالى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠

قطب مدارها، و مقام حجها و اعتمارها، فسلك الوعور من المعارف و السهول، و بد على حدائث سنه الكهول، فلما تحلى من الفوائد العلمية بما تحلى، و اشتهر اشتهار الصباح إذا تجلى، تنافست فيه همم الملوك الأخير، و استأثرت به الدول على عاداتها فى الاستئثار بالذخائر، فاستقلت بالسياسة ذراعها، و أخدم الذوابل و السيوف يراعها، و كان عين الملك التى بها يبصر، و لسانه الذى يسهب به أو يختصر. و قد تقدمت له إلى هذه البلاد الوفادة، و جلّت به عليها الإفادة، و كتب عن بعض ملوكها، و انتظم فى عقودها الرفيعة و سلوكها، و له فى الآداب الرأية الخافقة، و العقود المتناسقة. و مشيخته حافلة تزيد عن الإحصاء، و شعره منحط عن محلّه من العلم و الشهرة، و إن كان داخلا تحت طور الإجابة، فمن ذلك قوله: [الطويل]

ترأى سحيرا و النسيم عليل و للنجم طرف بالصباح كليل

و للفجر نهر خاضه الليل فاعتلت شوى أدهم الظلماء منه حجول

بريق بأعلى الرّقمّتين كأنه طلائع شهب فى السماء تجول

فمزق ساجى الليل منه شرارة و خرّق ستر الغيم منه نصول

تبسم ثغر الروض عند ابتسامه و فاضت عيون للغمام همول

و مالت غصون البان نشوى كأنها يدار عليها من صباه شمول

و غنت على تلك الغصون حمام لهنّ حفيف فوقها و هديل

إذا سجعت فى لحنها ثم قرقرت يطيح خفيف دونها و ثقيل

سقى الله ربعا لا يزال يشوقنى إليه رسوم دونها و طول

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١١

و جاد رباة كلما ذرّ شارق من الودق هتان أجش هطول

و مالى أستسقى الغمام و مدمعى سفوح على تلك العراض همول

و عاذلة باتت تلوم على السرى و تكثر من تعذالها و تطيل

تقول إلى كم ذا فراق و غربه و نأى على ما خيلت و رحيل

ذرينى أسعى للتى تكسب العلا سناء و تبقى الذّكر و هو جميل

فإما ترينى من ممارسه الهوى نحيلا فحدّ المشرفى نحيل

و فوق أنابيب اليراعة صعدة تزين، و فى قدّ القنّاء ذبول

و لو لا السرى لم يجتل البدر كاملا و لا بات منه للسعود نزيل

و لو لا اغتراب المرء في طلب العلى لما كان نحو المجد منه وصول
و لو لا نوال ابن الحكيم محمد لأصبح ربع المجد و هو محيل
وزير سما فوق السماك جلاله و ليس له إلا النجوم قبيل
من القوم: أما في الندى فإنهم هضاب و أما في الندى فسيول
حووا شرف العلياء إرثا و مكسبا و طابت فروع منهم و أصول
و ما جونه هطالة ذات هيدب مرتها شمال مرجف و قبول
لها زجل من رعداها و لوامع من البرق عنها للعيون كلول
كما هدرت وسط القلاص و أرسلت شقاشقها عند الهياج فحول
بأجود من كفّ الوزير محمد إذا ما توالى للسنين محول
و لا روضة بالحسن طيبة الشذا ينم عليها إذخر و جليل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٢
و قد أذكيت للزهر فيها مجامر تعطر منها للنسيم ذيول
و في مقل التّوار للطلّ عبرة تردّها أجفانها و تحيل
بأطيب من أخلاقه الغرّ كلما تفاقم خطب للزمان يهول
حويت أبا عبد الإله مناقبا تفوت يدا من رامها و تطول
فغرناظه مصر و أنت خصيها و نائل يملك الكريمة نيل
فداك رجال حاولوا درك العلا ببخل، و هل نال العلاء ببخل
تخبرك المولى وزيرا و ناصحا فكان له ممّا أراد حصول
و ألقى مقاليد الأمور مفوّضا إليك فلم يعدم يمينك سول
و قام بحفظ الملك منك مؤيّد نهوض بما أعياء سواك كفيل
و ساس الرعايا منك أشوس باسل مبيد العدا للمعتفين منيل
و أبلج وقاد الجبين كأنما على و جنتيه للنضار مسيل
تهيم به العلياء حتى كأنها بثنته في الحبّ و هو جميل
له عزمات لو أعير مضاءها حسام لما نالت ظباه فلول
سرى ذكره في الخافقين فأصبحت إليه قلوب العالمين تميل
و أعدى قريضى جوده و ثناؤه فأصبح فى أقصى البلاد يجول
إليك أيا فخر الوزارة أرقلت برحلى هو جاء النجاء ذلول
فليت إلى لقياك ناصية الفلا بأيدى ركاب سيرهنّ ذميل
تسدّنى سهما لكلّ ثنية ضوامر أشباه القسى نحول
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٣
و قد لفظتني الأرض حتى رمت إلى ذراك برحلى هوجل و هجول
فقتيدت أفراسى به و ركائبى و لدّ مقام لى به و حلول
و قد كنت ذا نفس عزوف و همّة عليها لأحداث الزمان ذحول

و تهوى العلا حظي و تغرى بضده لذاك اعترته رقة و نحول
و تأبى لى الأيام إلّا إداله فصونك لى، إن الزمان مدبل
فكلّ خضوع فى جنابك عزّة و كلّ اعتزاز قد عداك خمول
و قال: [المتقارب]

أبت همّتى أن يرانى امرؤ على الدهر يوما له ذا خضوع
و ما ذاك إلّا لأنى اتّقيت بعزّ القناعه ذلّ الخشوع

مولده بسبته عام ستّة و سبعين و ستمائة، و توفى بتونس ثانى عشر شوال عام تسعة و أربعين و سبعمائة فى الطاعون، و كانت جنازته مشهورة رحمه الله تعالى، انتهى.

و حكى أنّ السلطان أبا الحسن المرينى سبّ الشيخ عبد المهيمن الحضرمى بمجلس كتّابه، فأخذ عبد المهيمن القلم و كسره، و قال: هذا هو الجامع بينى و بينك، ثم إن السلطان أبا الحسن ندم، و أفضل عليه، و خجل ممّا صدر منه.

و كان عبد المهيمن ينطق بالكلام معربا، و يرتفع نسبه إلى العلاء بن الحضرمى صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أصل سلفه من اليمن، و كان جدّهم الأعلى عبدون لحقه الضّيم ببلده، فارتحل إلى المغرب، فنزل سبته.

و لعبد المهيمن الحضرمى شيوخ أجلاء كابن أبى الربيع النحوى و ابن الشاط و ابن مسعود و غيرهم. و كان ذا سعد و سوّد، حسن الخطّ، رأيت خطّه بإجازته لأبى عبد الله بن مرزوق و غيره. و كان عالى الهمة سريّا، أعطى المنصب حقّه، و كان لا يحتمل الضّيم و احتقار العلم، و كان سريع الجواب؛ حكى أنّ القاضى المليلى و أبا محمد عبد المهيمن الحضرمى المذكور صاحب العلامة للسلطان أبى الحسن حضرا مجلس السلطان، فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرزاق، فقال المليلى: جمع من الفنون كذا، حتى وضع يده على أبى محمد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٤

عبد المهيمن، و قال مخاطبا للسلطان: و يكتب لك أحسن من ذا، فوضع عبد المهيمن يده على المليلى و قال: نعم يا مولاي، و يقضى لك أحسن من ذا.

و قال ابن الخطيب القسطنطينى الشهير بابن قنفذ فى وفياته ما نصّه: و فى سنة تسع و أربعين و سبعمائة توفى الشيخ الراوية المحدث الكاتب أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن على بن محمد، الحضرمى، السبتى، و من أشياخه الأستاذ ابن أبى الربيع و ابن الغماز و ابن صالح الكنانى و غيرهم من الأعلام، انتهى.

و قال غيره: إنّ والد عبد المهيمن توفى عزّة صفر سنة اثنتى عشرة و سبعمائة، رحمه الله تعالى!.

و حكى أنّ الشيخ أبا محمد عبد المهيمن ذكر يوما بنى العزفى، فأثنى عليهم، فقال له أحد الحسينيين، و كان بينهم شىء: إنهم كانوا يحبون أهل البيت، فكيف حبّك أنت لهم؟

يعنى لأهل البيت، فقال: أحبّهم حبّ التشرع، لا حبّ التشيع، انتهى.

قيل: يعنى بالعزفيين أهل الدولة الثانية، و أمّا أهل الأولى فكانوا من المختصّين بمحبّة الآل، و هم أحدثوا بالمغرب تعظيم ليلة الميلاد النبوى على صاحبه الصلاة و السلام.

و من أغرب ما وقع للرئيس عبد المهيمن الحضرمى من التشبيه قوله: [الطويل]

لقد راقتى مرأى سجالماسه الذى يقرّ له فى حسنه كلّ منصف

كأن رؤوس النخل فى عرصاتها فواتح سوروات بآخر مصحف

و هذا من التشبيه العقيم الذى لم يسبق إليه فيما أظنّ، و كان سبب قوله ذلك أنّ السلطان أمير المسلمين أبا الحسن المرينى لما

تحرّك لقتال أخيه السلطان أبي علي عمر بسجلماسه و ظفر به استمطر أنواء أفكار الكتيّاب وغيرهم في تشبيه النخل، فقال عبد المهيمن ما مرّ، فلم يترك مقالا لقائل.

وقد أنشد الحافظ ابن مرزوق الحفيد قال: أنشدني شيخنا ولي الدين الرئيس أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي لشيخه الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي رحمه الله تعالى قوله: [البيسط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٥

يجفى الفقير و يغشى الناس قاطبةً باب الغنى، كذا حكم المقادير

و إنما الناس أمثال الفراش، فهم يلفون حيث مصايح الدنانير

قلت: و رأيت هذين البيتين في كتاب «دوح الشجر، و روح الشعر» للعالم الكاتب ابن الجياب منسويين لأبي المتوكل الهيثم بن أحمد السكوني الإشبيلي، قال: أنشدني أبو الحجاج الحافظ قال: أنشدني الهيثم، فذكر البيتين، و كان تاريخ وفاته قبل أن يخلق عبد المهيمن، فتعین أن البيتين ليسا من نظمه، و إنما تمثّل بهما، و نسبتهما له و هم لا محالة، و الله أعلم.

و أما ما اشتهر على الألسنة بالمغرب من أن أبا حيان مدح عبد المهيمن بقوله: [مجزوء الخفيف]

ليس في الغرب عالم مثل عبد المهيمن

نحن في العلم أسوء أنا منه و هو مني

فقد نسبة ابن غازي إلى أبي حيان كما اشتهر، لكن تاريخ مرور أبي حيان بالمغرب كان قبل ظهور عبد المهيمن بلا خفاء، و هو عندي محمول على أحد أمرين: أن المراد عبد المهيمن جدّ عبد المهيمن المذكور، أو أن أبا حيان كتب بالبيتين من مصر بعد ما ظهر عبد المهيمن و صارت له الرياسة بالمغرب إذ أبو حيان عاش إلى ذلك الزمان بلا ريب، و لذا لما ذكر لسان الدين بن الخطيب في كتابه «الكتيبة الكامنة، في أبناء أهل المائة الثامنة» الشيخ أبا حيان قال: و هذا الرجل طالت حياته حتى أجاز ولدي.

و لعبد المهيمن المذكور أخبار غير ما قدّمناه منع منها الاختصار. و قد ألف الخطيب ابن مرزوق باسم ولد ولده فهرسته المشهورة، و حلاه في صدرها أحسن حلية، و هو أهل لذلك.

وقد ذكره مولاي الجد في شيوخه كما تقدّم، و قال فيه: إنه إمام الحديث و العربيّ، و كاتب الدولة العثمانية و العلوية، فليراجع ذلك فيما سبق في ترجمة الجدّ.

[أبو سعيد بن عبد المهيمن الحضرمي]

و أبو سعيد بن عبد المهيمن كان عالي الهمة كآبائه، و لما بويج السلطان أبو عنان طلب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٦

منه أن يكون مرتسما في جملة كتاب بابه، فامتنع، و قال: لا- أكون تحت حكم غيري، و عنى بذلك أن أباه كان رئيس الكتاب، فكيف يكون هو مرءوسا بغيره؟ فلم ترض همته، رحمه الله تعالى، إلّا برتبة أبيه أو الترك، و ارتحل أبو سعيد محمد المذكور، و كان فقيها عالما، من فاس لسبتة إلى أن توفي بها سنة ٨٨٧، و كان قليل الكلام، جميل الزواء، حسن الهيئة و البرة و الشكل، روى عن والده و عن الحجار و كتب له سنة ٧٢٤، و روى عن الفقيه أبي الحسن بن سليمان و الرحالة ابن جابر الوادي آشي و ابن رشيد وغيرهم.

و ابن أبي سعيد هذا اسمه عبد المهيمن كجدّه، و كان صاحب القلم الأعلى، روى عن أبيه و جدّه وغيرهما، رحم الله الجميع.

[و من أشياخ لسان الدين قاضي الجماعة أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البليقي]

و من أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى الإمام العلامة قاضى الجماعة أبو البركات بن الحاج البلّفيقي: نادرة الزمان، و شاعر ذلك الأوان، و هو محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن الشيخ الولي أبي إسحاق بن الحاج البلّفيقي، و كان أبو البركات أحد رجال الكمال علما و مجدا و سؤددا موروثا و مكتسبا، و قد عرف به فى «الإحاطة» بترجمة مدّ فيها النفس، و كتب ابنه على أول الترجمة ما صورته: رحمك الله تعالى يا فقيه الأندلس، و حسيبها، و صدرها، و شيخها، و برّد ضريحك، فله ما أفدت من نادرة، و أكسبت من فائدة، انتهى.

و حكى فى «الإحاطة» أنه لما استسقى و حصلت الإجابة أنشده لسان الدين: [الكامل]

ظمئت إلى السّقى الأباطح و الرّبا حتى دعونا العام عاما مجدبا
و الغيث مسدول الحجاب، و إنما علم الغمام قدومكم فتأدّبا

ثم ذكر فى «الإحاطة» تأليف أبى البركات و شعره، إلى أن قال حاكيا عن أبى البركات ما صورته: و ممّا نظمته و قد أكثروا من التعجّب لملازمتى البناء و حفر الآبار: [الخفيف]

فى احتفار الأساس و الآبار و انتقال التراب و الجيّار
و قعودى ما بين رمل و آجر و جصّ و الطوب و الأحجار
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٧
و امتهانى بردىّ بالطين و الماء و رأسى و لحيتى بالغبّار
نشوة لم تمرّ قطّ على قل ب خليع و ما لها من خمّار
من غريب البناء أنّ بنيه متعبون يهون طول النهار
يبتغون الوصال من صانعيه و البدار إليه كلّ البدار
فإذا حلّ فى ذراهم تراهم يشتهون منه بعيد المزار
من عذيرى من لائم فى بنائى و هو لى الترجمان عن أخبارى
ليس يدرى معناه من ليس يدرى أنّ ما عنده على مقدار
أقتدى بالذى يقول بناها ذلك الخالق الحكيم البارى
و بمن يرفع القواعد من بى ت عتيق للحجّ و الزوار
و بمن كان ذا جدار و قد كان أبوه من صالحى الأبرار
و بما قد أقامه الخضر المخ صوص علما بباطن الأسرار
كان تحت الجدار كنز، و ما أد راك ما كان تحت كنز الجدار
و بمن قد مضى من آبائى العزّ الألى شيدوا رفيع المنار
فالذى قد بنوه نبى له مث لا و نجرى له على مضمار
قد بنينا من المساجد دهرا ثم بنى لجارها خير جار
مثل ما قد بنيت للمجد أمثال مبانيهم بكلّ اعتبار
فالمباني لسان حالى و لى فى ها لعمرى ذكر من الأذكار
روح أعمالنا المقاصد، لكن حيث تخفى تخفى مع الأعدار
فعسى من قضى ببيان هذى ال دار يقضى لنا بعقبى الدار

ثم قال فى «الإحاطة» بعد كلام: و من نظمه فى الإنحاء على نفسه، و استبعاد وجود المطالب فى جنسه، قال ممّا نظمته يوم عرفه عام

خمسين و سبعمائة و أنا منزو في غار ببعض
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٨
جبال المرية: [الخفيف]
زعموا أنّ في الجبال رجالا صالحين قالوا من الأبدال
و ادعوا أنّ كلّ من ساح فيها فسيلقاهم على كلّ حال
فاخترقنا تلك الجبال مرارا بنعال طورا و دون نعال
ما رأينا بها خلاف الأفاعى و شبا عقرب كمثّل النبال
و سباع يجرون بالليل عدوا لا تسلنى عنهم بتلك الليالى
و لو أنّا كنّا لدى العدوّة الأخ رى رأينا نواجذ الرئبال
و إذا أظلم الدّجا جاء إبلى س إلينا يزور طيف خيال
هو كان الأنيس فيها و لو لا ه أصيبت عقولنا بالخبال
خلّ عنك المحال يا من تعنى ليس يلقى الرجال غير الرجال
و جمع شعره و سمّاه «العذب و الأجاج، من كلام أبى البركات بن الحاج» و سمى أبو القاسم الشريف ما استخرجه منه «بالؤلؤ و
المرجان، من بحر أبى البركات بن الحاج يستخرجان».
و من نظم الشيخ أبى البركات بن الحاج قوله رحمه الله تعالى: [الطويل]
ألا ليت شعرى هل لما أنا أرتجى من الله فى يوم الجزاء بلاغ
و كيف لمثلنى أن ينال وسيلة لها فى سبيل الصالحين مراغ
و كم رمت دهرى فتح باب عبادة يكون بها فى الفائزين مساغ
فكدت و لم أفعل و كيف و ليس لى المعينان فيها صحّة و فراغ
لأصبحت من قوم دعاهم إلى الرضا منادى الهدى فاستنكروه فراغوا
أباغ ترى أخراه من يزدهيه من زخارف دنياه الدنية باغ
و يضرب صفحا عن حقيقة ما طوت فيلهيه زور قد أته مصاغ
إذا ما بدا للرشد نهج بيانه يراع به من وحشة فيراغ
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٩
فيا ربّ برد العفو هب لى إذا غلت من الحرّ فى يوم الحساب دماغ
فمن حرق للنفس فيه لواعج و من خجل للوجد فيه صباغ
و عظتك نفسى لو أنبت، و فى الذى و عظت به لو ترعوين بلاغ
و أنشد القاضي أبو البركات فى هذا الروى قول شيخه الأستاذ أبى على بن سليمان القرطبي: [الطويل]
ألا هل إلى ما أرتضيه بلاغ و كيف يرى يوما إليه فراغ
و قد قطعت دونى قواطع جمّة أراع لها مهما جرت و أراع
و ما لى إلّا عفو ربّ و فضله ففيه إلى ما أرتجيه بلاغ
و كان القاضي أبو البركات من بيت كبير علما و صلاحا و زهدا، و جدّه الإمام الولي العارف سيدى أبو إسحاق بن الحاج أشهر من
نار على علم، و قبره مشهور بمراكش و قد زرته بها، و له كرامات مشهورة.

و حكى فى «مزيه المريمه» من كراماته جمله؛ قال حفيده الشيخ أبو البركات: دخلت على الشيخ الصالح العابد المجتهد الحاج أبى عبد الله محمد بن على البكرى، المعروف بابن الحاج، فى منزله بالمريمه عائدا قال: أظنه فى مرضه الذى مات فيه فقال له حين سأله عن حاله: أدع لى، فقلت له: يا سيدى، بل أنت تدعو لى، فقال لى: شرح الله صدرك! و تور قلبك بنور معرفته! فمن عرف الله لم يذكر غيره، فقد حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جدك قال: كنت مع سيدى أبى إسحاق بن الحاج بمراكش فقال لى: هل ترى فى المنام شيئا؟

فقلت: نعم، أرى كأنى فى المريمه أمشى من الدار إلى المسجد، و من كذا إلى كذا، فأعرض عنى و قال: ألا ترى إلا الله؟ قال: ثم مر به فى أثناء كلامه ابنه محمد، فقال لى: رأيت هذا؟

و الله ما أدرى أن لى ابنا حتى يمر بى، و لا أذكره إذا غاب عنى، و لا أرى إلا الله، انتهى.

و من تأليف أبى البركات، رحمه الله تعالى، كتاب ذكر فيه أخبار سلفه رضى الله عنهم، و ذكر جمله من كرامات جدّه سيدى أبى إسحاق المذكور، نفعنا الله به.

و من شعر جدّه المذكور قوله: [الطويل]

ألا كرم الله البلاد بخطبه هم حسنات الدهر لا نابهم خطب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٠

رعايتهم فرض على كل مسلم و حبهم حقا قد أوجه الرب

إذا ما سألت الله شيئا فسل بهم فتعظيمهم قرب و غيبتهم حرب

و قوله: [الطويل]

شكا فشكا قلبى خبالا مبرحا على غير علم كان منى بشكواه

و ما التقت الأسرار إلا بجامع من النعت سلطان الحقيقه سواه

فيا فرحة المجهود إن بات سرّه و سرّ الذى يهواه مأواه مأواه

و من أجله قد كان بالبعد راضيا فكيف ترى مغناه و القلب مثواه

بدا فبدت أعلام ضدين فى الهوى هما عجب لو لا الدليل و فحواه

برؤيته فارقت موتى لبعده و متّ بها من أجل علمى ببلواه

فها أنا حىّ ميت بلقائه و لم ينج من لم يسعد الفهم نجواه

إذا لم تكن أنت الحبيب بعينه رضا و عتابا ضلّ من قال يهواه

و أكذب ما يلغى الفتى و هو صادق إذا لم يحقّق بالأفاعيل دعواه

و قوله رضى الله تعالى عنه: [البسيط]

الحبّ فى الله نور يستضاء به و الهجر فى ذاته نور على نور

جئب أخا حدث فى الدين ذا غير إنّ المغيّر فى نكس و تغيير

حاشى الديانة أن تبنى على خبل سبحان خالقنا من قول مشهور

إنّ الحقائق لا تبدو لمبتدع كذا المعارف لا تهدى لمغرور

تالله لو أبصرت عيناه أو ظفرت يميناه ما ظلّ فى ظنّ و تقدير

حقّق تر عجا إن كنت ذا أدب و لا يغرنك الجهال بالزور

إنّ الطريقة فى التنزيل واضحة و ما تواتر من وحى و مشهور

فافهم هديت هدى الرحمن و اهد به هدى يفيدك يوم النفخ فى الصور

و قوله صدر رسالته ووجه بها إلى ابنه محمد أيام قراءته بإشيلية: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢١

إذا شئت أن تحظى بوصلى و قربتى فجنب قرين السوء و اصرم حباله

و سابق إلى الخيرات و اسلك سبيلها و حصّل علوم الدين و اعرف رجاله

و كان رحمه الله تعالى كثيرا ما يتمثل بيئتي مهيار الديلمى، و هما: [الطويل]

و من عجب أنى أحزن إليهم و أسأل شوقا عنهم و هم معى

و تبكيهم عيني و هم فى سوادها و يشكو النوى قلبى و هم بين أضلعي

و حدّث القاضى أبو البركات حفيده عن ابن خميس التلمسانى المتقدّم الذكر قال: سمعت بعض الأشياخ يقول: كان الشيخ أبو

إسحاق البلفيقى الكبير يقول: اجتمع لنا فى الله أربعون ألف صاحب.

و حكى الشيخ أبو البركات المذكور عن الشيخ الصالح الحاج الصوفى أبى الأصبح بن عزرة قال: هذه صلاة على النبى صلى الله عليه

و سلم أخذتها عن رابك الشيخ الصالح الحاج أبى عبد الله محمد بن على بن الحاج مشافهه، و قال لى: إنها صلاة أبى إسحاق بن

الحاج جدك، و هى:

اللهم صلّ على محمد و على آل محمد صلاة دائمة مستمرة تدوم بدوامك، و تبقى ببقائك، و تخلد بخلودك، و لا غاية لها دون

مرضاتك، و لا جزاء لقائلها و مصلحتها غير جنتك و النظر إلى وجهك الكريم.

و نقل أبو البركات المذكور عن جده أنه كان يستفتح مجلسه بالمرية بهذا الدعاء: اللهم اجعلنا فى عياد منك منيع، و حصن حصين، و

ولاية جميلة، حتى تبلغنا آجالنا مستورين محفوظين، مبشرين برضوانك يوم لقاءك، قال: و فى وسط الدعاء و آخره: و اكفنا عدونا

إبليس، و أعداءنا من الجن و الإنس بعافيتنا و سلامتنا.

و كان الشيخ رضى الله عنه يواصل أربعين يوما.

و من مآثره أنه بنى ثمانية عشر جبنا فى مواضع متفرقة و نحو عشرين مسجدا و بنى أكثر سور حصن بلفيق، كل ذلك من ماله.

و قال رضى الله عنه فى بعض رسائله: الصوفى عبارة عن رجل عدل تقى صالح زاهد،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٢

غير منتسب لسبب من الأسباب، و لا مخلّ بأدب من الآداب، قد عرف شأنه و زمانه، و ملكت مكارم الأخلاق عنانه، لا ينتصر لنفسه، و

لا يتفكر فى غده و أمسه، العلم خليله، و القرآن دليله، و الحقّ حفيظه و وكيله، نظره إلى الخلق بالرحمة، و نظره إلى نفسه بالحذر و

التهمة، انتهى.

و أحوال هذا الشيخ عجيبه، و كراماته شهيرة، و إنما ذكرنا هذا التّزر اليسير تبرّكا بذكره رضى الله عنه فى هذا الكتاب، و تطفلا على

رب الأرباب أن ينفعنا بأمثاله و يحقّق لنا النجاة و المتاب، إنه على ذلك قدير.

رجع إلى أخبار أبى البركات- و لمّا وقع بينه و بين ابن صفوان ما يقع بين المتعاصرين ردّ عليه ابن صفوان، فانتصر لأبى البركات

بعض طلبته بتأليف سمّاه «شواظ من نار و نحاس، يرسل على من لم يعرف قدره و قدر غيره من الناس» و هو قدر رسالته الشيخ أو

أطول، و ألقى على ظهره بخطّ الشيخ أبى البركات ما صورته: [السريع]

قد شبع الكلب كما ينبغى من حجر صلد و من مفرع

فإن يعد من بعد ذا للذى قد كان منه فهو ممن نعى

و من بديع نظم الشيخ أبى البركات رحمه الله تعالى قوله: [الطويل]

يلوموننى بعد العذار على الهوى و مثلى فى وحدى له لا يفند
يقولون أمسك عنه قد ذهب الصبا و كيف أرى الإمساك و الخيط أسود

و قوله فى المجنات: [الطويل]

و مصفرة الخدين مطوية الحشا على الجبن و المصفر يؤذن بالخوف
لها بهجة كالشمس عند طلوعها و لكنها فى الحين تغرب فى الجوف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٣

و فى هذين البيتين تورية متعددة.

و حدث القاضى أبو البركات أنه لما أراد الانصراف عن سبته قال له السيد الشريف أبو العباس رحمه الله: متى عزمت على الرحيل؟
فأنشد أبو البركات: [الكامل]

أما الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا

فأنشد الشريف رحمه الله تعالى: [الكامل]

لا مرحبا بغد و لا أهلا به إن كان تفريق الأحبة فى غد

و حكى أن السيد أبا العباس الشريف المذكور ساير القاضى أبا البركات فى بعض أسفاره زمن الشباب ببر الأندلس - أعاده الله
تعالى! - فلما انتهيا إلى قرية ترليانه، و أدركهما النصب، و اشتد عليهما حرّ الهجير، نزلا و أكلا من باكر التين الذى هناك، و شربا من

ذلك الماء العذب، و استلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها، ثم التفت إلى السيد أبى العباس و قال: [البيسط]

ما ذا تقول فدتك النفس فى حالى يفنى زمانى فى حلّ و ترحال

و أرتج عليه، فقال لأبى العباس: أجز، فقال بديها: [البيسط]

كذا النفوس اللواتى العزّ يصحبها لا ترضى بمقام دون آمال

دعها تسر فى الفيافى و القفار إلى أن تبلغ السؤل أو موتا بتجوال

الموت أهون من عيش لدى زمن يعلى اللئيم و يدنى الأشرف العالى

و لما أوقع الشيخ أبو البركات على زوجه الحرّة العربية أم العباس عائشة بنت الوزير المرحوم أبى عبد الله محمد بن إبراهيم الكنانى
ثم المغيلي طلقه كتب نسختها بما نصّه: بسم الله الرحمن الرحيم، و صلّى الله على محمد و على آل محمد، يقول عبد الله الراجى

رحمته محمد المدعوّ بأبى البركات بن الحاج خار الله له و لطف به: إنّ الله جلت قدرته لما أنشأ خلقه على طبائع مختلفة و غرائز
شتى، ففيهم السخىّ و البخيل، و الشجاع و العبان، و الغبىّ و الفطن، و الكيس و العاجز، و المسامح و المناقش، و المتكبر و المتواضع،

إلى غير ذلك من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٤

الصفات المعروفة من الخلق، كانت العشرة لا- تستمرّ بينهم إلّا بأحد أمرين: إمّا بالاشتراك فى الصفات أو فى بعضها، و إمّا بصبر
أحدهما على صاحبه إذا عدم الاشتراك، و لما علم الشارع أن بنى آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح إليه من عيل صبره

على صاحبه، توسعه عليهم، و إحسانا منه إليهم، فلأجل العمل على هذا طلق كاتب هذا عبد الله محمد المذكور زوجه الحرّة العربية
المصونة عائشة ابنة الشيخ الوزير الحسيب النزيه الأصيل الصالح الفاضل الطاهر المقدّس المرحوم أبى عبد الله محمد المغيلي، طلقه

واحدة، ملكت بها أمر نفسها دونه، عارفا قدره، قصد بذلك إراحتها من عشرته، طالبا من الله أن يغنى كلّا من سعته، مشهدا بذلك
على نفسه فى صحته و جواز أمره يوم الثلاثاء أوّل يوم من شهر ربيع الثانى عام أحد و خمسين و سبعمائة، انتهى.

و من نوادره رحمه الله تعالى أنه لما استتاب بعض قضاة ألمرية الفقيه أبا جعفر المعروف بالقرعة فى القضاء من عمله بخارج ألمرية،

فاتفق أن جاء بعض الجنانين بفحص ألمرية يشتكى من جائحة أو أذاية أصابت جنانه، ففسدت غلته لذلك، فأخذ ذلك الجنان قرعة و أشار إليها متشكيا، و قال: هذه القرعة تشهد بما أصاب جناني، فقال الشيخ أبو البركات عند ذلك: غريبتان في عام واحد: القرعة تقضى، و القرعة تشهد. و كان له رحمه الله تعالى من هذا النمط كثير.

و قال رحمه الله تعالى: نظمت صبيحة يوم السبت السابع و العشرين لرجب عام خمس و أربعين و سبعمائة، و قد رأيت في النوم كأني أريد إتيان امرأة لا تحلّ لي، فيأتي رقيب فيحول بيني و بين ذلك المرأة بعد المرة، قولي: [الطويل] ألا كرم الله الرقيب فإنه كفاني أمورا لا يحل ارتكابها و بالغ في سدّ الذريعة فاغتنى يلاحظني نوما ليغلق بابها

و قال رحمه الله: أنشدني شيعي أبو عبد الله بن رشيد عند قراءتي عليه شرحه لقوافي أبي الحسن حازم، و قد باحثه يوما، مناقشه في بعض ألفاظه من الشرح المذكور: [الطويل]

تسامح و لا نستوف حَقَّك كلّه و أغض فلم يستوف قطّ كريم
و من نظم الشيخ أبي البركات قوله: [الطويل]

ألا خلّ دمع العين يهمي بمقلتي لفرقة عين الدمع وقف على الدم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٥

فللماء فيه رنة شجيتة كرنة مسلوب الفؤاد متيم
و للطير فيه نغمة موصلية تذكري عهد الصبا المتقدم
و للحسن أقمار به يوسفية تردّ إلى دين الهوى كلّ مسلم

و له رحمه الله تعالى: [السريع]

ما كلّ من شدّ على رأسه عمامة يحظى بسمت الوقار
ما قيمة المرء بأثوابه السرّ في السكان لا في الديار

و له سامحه الله تعالى: [الطويل]

إذا ما كتمت السرّ عمّن أودّه توهم أنّ الودّ غير حقيقي

و لم أخف عنه السرّ من ضنّه به و لكنني أخشى صديق صديقي

و له و قد جلس في حلقة بعض المشايخ و استدبر بعض الفضلاء و لم يره بسبته: [السريع]

إن كنت أبصرتك لا أبصرت بصيرتي في الحقّ برهانها

لا غرو أني لم أشاهدكم فالعين لا تبصر إنسانها

و ممّا يعجبه رحمه الله من قوله قال في «الإحاطة» و يحقّ أن يعجبه: [الطويل]

تطالبني نفسي بما ليس لي به يدان فأعطيها الأمان فتقبل

عجبت لخصم لِحّ في طلباته يصلح عنها بالمحال فيفصل

و ممّا أورد له في «الإحاطة» و ذكر أنه لو رحل راحل إلى خراسان لما أتى إلّا بهما:

[الطويل]

رعى الله إخوان الخيانة إنهم كفونا مؤونات البقاء على العهد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٦

فلو قد وفوا كانوا أسارى حقوقهم نراوح ما بين النسيئة و النقد

و قد تمثّل القاضي أبو بركات فى مخاطبة له لسان الدين بقول القائل: [السريع]

أيتها النفس إليه أذهبي فحبه المشهور من مذهبي

أيأسنى التوبة من حبه طلوعه شمساً من المغرب

و حكى غير واحد منهم ابن داود البلوى أنّ القاضي أبا البركات لما عزم على الرحلة إلى المشرق كتب إليه ابن خاتمة بما صورته:

[الوافر]

أشمس الغرب، حقا ما سمعنا بأنك قد سئمت من الإقامة

و أنك قد عزمت على طلوع إلى شرق سموت به علامه

لقد زلزلت منا كلّ قلب بحقّ الله لا تقم القيامة

قال الحاكي: فحلف أبو البركات أن لا يرحل من إقليم فيه من يقول مثل هذا، انتهى.

يشير بقوله «لقد زلزلت- الخ» إلى طلوع الشمس من مغربها.

قلت: و لما عزمت على هذه الرحلة كتب إليّ بعض أصحابنا المغاربة بالأبيات المذكورة متمثلاً، و لم أرجع عن العزم، و الله غالب

على أمره.

قال الوزير لسان الدين رحمه الله تعالى: و ما أحسن قول شيخنا أبي البركات معذرا عن زرقه عينيه: [الكامل]

حزنت عليك العين يا مغنى الهوى فالدمع منها بعد بعدك ما رقا

و لذاك ما ظهرت بلون أزرق أو ما ترى ثوب المآتم أزرقا

قال رحمه الله تعالى: و هو من الغريب.

و قال بعض الشيوخ: كنت أقرأ على الشيخ أبي البركات التفسير، فنسيت ذات ليلة السفر الذى كنت أقرأ فيه بمنزلى، فاتفق أن حضر

الجامع الصحيح للبخارى، فقال الشيخ بعد أن أردت القراءة عليه من أوله: افتح فى أثناء الأوراق و لا تعين، و ما خرج لك من ترجمة

لجهة اليمين فاقرأها، ففعلت، فإذا غزوة أحد، فقرأت الحديث الأول من الباب، و هو من عقبه بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٧

عامر قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم، صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء و الأموات، ثم طلع المنبر فقال:

«إني بين أيديكم فرط، و أنا شهيد عليكم، و إنّ موعدكم الحوض، و إني لأنظر إليه من مقامي هذا، و إني لست أخشى عليكم أن

تشرکوا، و لكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها» قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال الشيخ

قوله «صلى على قتلى أحد» لفظ الصلاة يطلق لغة على الدعاء، و شرعا على الأفعال المخصوصة المعلومة، و إذا دار اللفظ بين الشرعى

و اللغوى فحمله على الشرعى أولى حتى يدلّ الدليل على خلافه، فقوله «صلى على قتلى أحد» يحتمل الصلاة الشرعية، و يكون ذلك

منسوخا إذ قد تقرر أنه لا يصلى على شهيد المعترك و لا على من قد صلى عليه، و لمن يعارضه أن يقول: إنّ قتلى أحد متفرقون فى

أماكن، فلا تتأتى الصلاة الشرعية عليهم، إذ الصلاة الشرعية إنما تتأتى لو كانوا مجتمعين، و الجواب أنهم و إن كانوا متفرقين تجمعهم

جهة واحدة، و ليس بعد ما بينهم بحيث لا تتأتى معه الصلاة عليهم، هذا، و إن احتمل حمله على الصلاة اللغوية. و قوله «كالمودع

للأحياء و الأموات» أما وداعه للأحياء فلا إشكال فيه، و أما الأموات فمعنى وداعه لهم وداع الدعاء لهم؛ لأنه إذا مات فقد حيل بينه و

بين الدعاء لهم، فلا جرم يودعهم بالدعاء لهم قبل أن يحال بينه و بين ذلك. و قوله صلى الله عليه و سلم «إني بين أيديكم» أى أتقدم

قبلكم، و قوله صلى الله عليه و سلم «بين أيديكم فرط» أى متقدم، و بين إذا أضيفت إلى الأيدي تستعمل فيما قبل زمانك و فيما

بعده، و المعنى هنا فى قوله «بين أيديكم» أى أتقدم قبلكم. و قوله صلى الله عليه و سلم «و أنا شهيد عليكم» فيه و جهان، أحدهما: أن

يخلق الله في قلبه علما ضروريا يميز به بين البرّ والفاجر، فيشهد بما خلق الله في قلبه من ذلك، إذ لا تكون الشهادة إلّا على أمر مشاهد، و معلوم أنه لم يشاهد ما فعل بعده من أمته فيخلق الله له علما بذلك، الوجه الثاني: أن يخبره الله تعالى بذلك كما في حديث الحوض «ليذادّ عنه أقوام، كما يذاد البعير الضالّ» فأقول: ألا هلم، ألا هلم، فيقال:

إنهم قد غيروا بعدك، فأقول: فسحقا فسحقا فسحقا، فيشهد بما أخبره الله تعالى به، و هو نظير ما روى في تفسير قوله تعالى وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيْطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا [سورة البقرة، الآية: ١٤٣] من أن قوم نوح يقولون: كيف تشهدون علينا و زمانكم متأخر عن زماننا؟ فيقولون: لأن الله تعالى قصّ علينا أخباركم في كتابه، فقال إنّنا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨

أرسلنا نوحاً إلى قومه [سورة نوح، الآية: ١] إلى آخره و قوله صلى الله عليه و سلم «و إن موعدهم الحوض، و إنّى لأنظر إليه من مقامى هذا» نظره صلى الله عليه و سلم إلى الحوض فيه و جهان، أحدهما: أن يكون نظره إليه بقلبه، إذ كان قد أطلع الله عليه ليلة الإسراء، فصار مرتسما في قلبه، فيكون نظره إليه بعين قلبه، كما يرتسم في قلب أحدنا شكل بيته و ما فيه من المتاع و الثياب و غير ذلك، الثاني: أن يكون الله تعالى قد كشف له عنه، فيكون نظره إليه بعينه مشاهدة. و قوله صلى الله عليه و سلم «و إنّى لست أخشى عليكم أن تشركوا» إن قيل: كيف قال ذلك و قد ارتدّ عن الإسلام من ارتدّ من العرب بعده؟ فالجواب أنه إنما خاطب بذلك من لم يشرك من أصحابه و من بعدهم من التابعين و غيرهم من أمته، و لم يراع رعاى العرب و جهّالهم، إذ لا اعتبار بهم لاحتقارهم. و قوله عليه الصلاة و السلام «و لكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها» قد وقع ما خشى منه عليه الصلاة و السلام من المنافسة في الدنيا، فكان كما ذكر صلى الله عليه و سلم، انتهى.

و حدّث الشيخ أبو البركات قال: كنت ببجاية بمجلس الإمام ناصر الدين المشدالي أيام قراءتى عليه، و قد أفاض طلبة مجلسه بين يديه: هل الملائكة أفضل أم الأنبياء؟ فقلت:

الدليل؛ لأنّ الملائكة أفضل أن الله أمرهم بالسجود لآدم، قال: فجعل الطلبة ينظر بعضهم إلى بعض، حتى قال لى بعضهم: استند يا سيدنا، كأنه يقول: استند إلى حائط ليزول هوس رأسك، و كانت عبارتهم فى ذلك، و كل منهم يقول لى نحو ذلك إزاء، و قال لى الإمام ناصر الدين: أبصر فإنهم يقولون لك الحق، و كانت لغته أن يقول: أبصر، قال: فقلت:

أ تقولون إن أمر الله للملائكة بالسجود لآدم أمر ابتلاء و اختبار؟ قالوا: نعم، قلت: أفيختبر العبد بتقبيل يد سيده ليرى تواضعه؟ قالوا: لا، فإن ذلك من شأن العبد دون أن يؤمر، بل السيد يختبر تواضعه بأن يؤمر بالسجود للعبد، قلت: فكذا الملائكة، لو أمرت بالسجود لأفضل منها لكان بمنزلة أمر العبد بالسجود لسيده، قال: فكأنما ألقمتهم حجرا.

قال الشيخ أبو البركات: و هذه كحكاية أبى بكر بن الطيب مع بعض رؤساء المعتزلة، و ذلك أنه اجتمع معه فى مجلس الخليفة، فناظره فى مسألة رؤية البارى، فقال له رئيسهم: ما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٩

الدليل أيها القاضى على جواز رؤية الله تعالى؟ قال قوله تعالى لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ فنظر بعض المعتزلة إلى بعض و قالوا: جنّ القاضى، و ذلك أنّ هذه الآية هى معظم ما احتجوا به على مذهبهم، و هو ساكت، ثم قال لهم: أ تقولون إنّ من لسان العرب قولك «الحائط لا يبصر» قالوا: لا، قال: أ تقولون إنّ من لسان العرب «الحجر لا يأكل»؟ قالوا: لا، قال: فلا يصحّ إذا نفى الصفة إلّا عمّا من شأنه صحّة إثباتها له، قالوا: نعم، قال: فكذلك قوله تعالى لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٣] لو لا جواز إدراك الإبصار له لم يصحّ نفيه عنه، فأذعنوا لما قال، و استحسوه.

و قال الشيخ أبو البركات: كنت ببجاية، و قدم علينا رجل من فاس برسم الحجّ يعرف بابن الحدّاد، فركب الناس فى الأخذ عنه و الرواية لما يحمله كلّ صعب و ذلول، مع أنه لم تكن منزلته هناك فى العلم، فعجبت لذلك، حتى قلت لبعض الطلبة: لقد أخذتموه

بكلتا اليدين، و لم أركم مع من هو أعلى قدرا منه كذلك، فقالوا لى: لأنه قدم علينا و نحن لا- نعرفه، و هو فى زى حسن؛ بخادم يخدمه، يظنّ من يراه أنّ أباه من أعيان أهل بلده، فسألناه أ حىّ أبوه أم لا؟ قال: بل حىّ، قلنا: أهو من أهل العلم؟ قال: لا، هو دلال فى سوق الخدم، فلذلك آثرناه على من هو فوقه فى العلم، قال: فقلت لهم: حق له أن ترتفع منزلته و يعلو صيته لتخلّقه و فضله. و فوائد أبى البركات كثيرة.

و من تأليفه «المؤتمن، على أنباء أبناء الزمن»؛ كتاب مفيد جدا، و هو رضى الله عنه من ذرية العباس بن مرداس السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم و على آله و صحبه أجمعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال الشيخ أبو البركات: ذكر لى أنّ الشيخ الفقيه الكاتب أبا الحسن بن الجياب يحدث عنى، و لا أذكر الآن أنى قلت ذلك، و لكننى لما سمعته علمت أنه ممّا من شأنى أن أقوله و هو أنى قلت: مثل العالم مثل رجل يصبّ ماء فى قفء، إن واطب على صبّ الماء بقيت القفء ملاءى، و إن ترك صبّ الماء بقيت القفء لا شىء فيها من الماء؛ فكذلك العالم: إن واطب على طلب العلم بقى العلم لم ينقص منه شىء، و إن ترك الطلب ذهب علمه، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٠

و نقلت ممّن رأى كلام ابن الصباغ فى ترجمة أبى البركات ما نصّه: لما ورد مدينة فاس فى غرض الهناء و العزاء على أمير المسلمين أبى بكر السعيد بن أمير المؤمنين أبى عنان، و أبصر الدار غاصّة بأرباب الدولة الفاسية و لم يعدم منها عدا شخصه، و الولد على أريكة أبیه أنشد: [الكامل]

لما تبدلت المجالس أوجها غير الذين عهدت من جلسائها
و رأيتها محفوفة بسوى الألى كانوا حماة صدورها و بنائها
أنشدت بيتا سائرا متقدّما و العين قد شرقت بجارى مائها
(أما القباب فإنها كقبايهم و أرى نساء الحىّ غير نسائها)

و أظن أنه تمثّل بالأبيات فى سرّه، و إلّا فيبعد أن يقولها فى ذلك الحفل لما فى ذلك من التعرّض للهلك، و الله سبحانه أعلم. و حكى بعضهم أنه كان جالسا فى دهليز بيته مع بعض الأصحاب، فدخلت زوجته من الحمام و هى بغير سراويل لقرب الحمام من البيت، فانكشف ساقها، فدخل خلفها مسرعا، و غاب ساعة ثم خرج و أنشد: [الكامل]

كشفت على ساق لها فرأيته متلأثنا كالجوهر البراق
لا تعجبوا إن قام منه قيامتى إنّ القيامة يوم كشف الساق
و له فى خديم اسمه يحيى احتجم محجمة واحدة: [الطويل]
أرانى يحيى صنعة فى قفائه مهذبّة لما تبادل للباب
أرى الخمس فيها لا تفارق ساعة فصوّر بالموسى بها شكل محراب
و توفى الشيخ القاضى أبو البركات المذكور بشوأل سنة ٧٧١ رحمه الله تعالى!.

[من أشياخ لسان الدين أبو زكريا يحيى بن هذيل (ترجمة)]

و من أشياخ لسان الدين، رحمه الله تعالى، الشيخ الحكيم العلامة التعاليمى، الشاعر البليغ، أعجوبة زمانه فى الاطلاع على علوم الأوائل، أبو زكريا يحيى بن هذيل، و قد قال فى «الإحاطة» فى حقّه ما ملخصه: يحيى بن أحمد بن هذيل، التجيبى، أبو زكريا، شيخنا، جرى ذكره فى «التاج المحلى» بما نصّه: درّة بين الناس مغفلة، و خزانه على كل فائدة مقلّة،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣١

و هدية من الدهر الضنين لبنيه محتفلة، أبداع من رتب التعاليم و علمها، و ركض في الألواح قلمها، و أتقن من صور الهيئة و مثلها، و أسس قواعد البراهين و أثلها، و أعرف من زاول شكايه، و دفع عن جسم نكايه، إلى غير ذلك من المشاركة في العلوم، و الوصول من المجهول إلى المعلوم، و المحاضرة المستفزة للحلوم، و الدعابة التي ما خالغ العذار فيها بالملوم، فما شئت من نفس عذبة الشيم، و أخلاق كالزهر من بعد الديم، و محاضرة تتحف المجالس و المحاضر، و مذاكرة يروق في النواظر زهرها الناضر، و له أدب ذهب في الإجابة كل مذهب، و ارتدى من البلاغة بكل رداء مذهب، و الأدب نقطه من حوضه، و زهرة من زهرات روضه، و سيمر له في هذا الديوان ما يبهر العقول، و يحاسن بروائه و رائق بهائه الفرند المصقول، فمن ذلك ما خرجته من ديوانه المسمى بالسليمانيات و العزفيات قوله: [الطويل]

ألا استودع الرحمن بدرا مكملا بفاس من الدرب الطويل مطالعه
ففي فلك الأزرار يطلع سعده و في أفق الأكباز تلفى مواقعه
يصير مرآه منجم مقلتي فتصدق في قطع الرجاء قواطعه
تجسم من ماء الملاحه خده و ماء الحيا فيه ترجح مائعه
تلون كالحرباء في خجلاته فيحمر قانيه و بيض ناصعه
إذا اهتر غنى حليه فوق نحره كغصن التقا غنت عليه سواجعه
يذكر حتف الصب عامل قدّه و تعطف من واو العذار توابعه
أعدّ الورى سيفا كسيف لحاظه فهذا هو الماضى و ذاك يضارعه
و قال: [الطويل]

و صالك هذا أم تحية بارق و هجر ك أم ليل السليم لتائق
أياديك و الأشواق تركض حجرها بصفحة خدى من دموع سوابق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٢
أبارق ثغر من عذيب رضابه قضت مهجتي بين العذيب و بارق
و منها:

فلا تتعبن ريح الصبا في رسائه و لا تخجل الطيف الذى كان طارقى
متى طعمت عيني الكرى بعد بعدكم فإنى فى دعوى الهوى غير صادق
و قال: [الطويل]

بدا بدر تم فوقه الليل عسعسا و جنه أنس فى صباح تنفسا
حوى النجم قرطا و الدرارى مقلدا و أسبل من مسك الذوائب خندسا
كأن سنا الإصباح رام يزورنا و خاف العيون الرامقات فغلسا
أتى يحمل التوراة ظيبا مزترا لطيف الثنى أشنب الثغر العسا
و قابل أحبار اليهود بوجهه فبارك مولانا عليه و قدسا
فصير دمعى أعينا شرب سبطه و عمرى تيبها و الجوانح مقدسا
و قال منها:

رويت و لوعى عن ضلوعى مسلسلا فأصبحت فى علم الغرام مدرسا
نفى النوم عنى كى أكون مسهدا فأصبحت فى صيد الخيال مهندسا

غزال من الفردوس تسقيه أدمعى و يأوى إلى قلبى مقيلا و مكنسا
 طعى ورد خدييه بجنات صدغه فأضعفه بالأس نبتا و ما أسا
 و هذا البيت محال على معنى فلاحي، قال أهل الفلاحة: إنَّ الأس إذا اغترس بين شجر الورد أضعفه بالخاصية.
 و قال رحمه الله تعالى و رضى عنه: [الرمل]

نام طفل النبت فى حجر النعامى لاهتزاز الطلّ فى مهد الخزامى
 و سقى الوسمى أغصان النقا فهوت تلتهم أفواه الندامى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧؛ ص ٣٢
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٣
 كحلّ الفجر لهم جفن الدجى و غدا فى و جنه الصبح لثاما
 تحسب البدر محيا ثمل قد سقته راحة الصبح مداما
 حوله الزهر كؤوس قد غدت مسكة الليل عليهنّ ختاما
 يا عليل الريح رفقا علنى أشف بالسقم الذى حزت سقاما
 أبلغن شوقى عريبا باللوى همت فى أرض بها حلّوا غراما
 فرشوا فيها من الدرّ حصى ضربوا فيها من المسك خياما
 كنت أشفى غلّه من صدكم لو أذنتم لجفونى أن تناما
 و استفدت الزّوح من ريح الصبا لو أتت تحمل من سلمى سلاما
 و قال منها أيضا:

نشأت للصبّ منها زفرة تسكب الدمع على الزرع سجاما
 طرب البرق مع القلب بها و بها الأناث طارحن الحماما
 طلل لا تشتفى الأذن به و هو للعينين قد ألقى كلاما
 ترك الساكن لى من وصله ضمّة الجدران لثما و التراما
 نزعات من سليمان بها فهم القلب معانيها فهاما

شادن يرعى حشاشات الحشا حسب حظى منه أن أرى الدّاما
 و قال: [الطويل]

أ أرجو أمانا منك و اللحظ غادر و يثبت عقلى فيك و الطرف ساحر
 و منها:

أعدّ سليمان أليم عذابه لطائر قلبى فهو للبين صائر
 أشاهد منه الحسن فى كلّ نظرة و ناظر أفكارى بمغناه ناظر
 دعت للهوى أنصار سحر جفونه فقلبي له عن طيب نفس مهاجر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٤
 إذا شقّ عن بدر الدجى أفق زرّه فإنى بتمويه العواذل كافر
 و فى حرم السلوان طابت خواطرى و قلبى لما فى و جنتيه مجاور
 و قد ينزع القلب المبلى لسلوّه كما اهترّ من قطر الغمامه طائر

يقابل أغراضى بضد مرادها و لم يدر أن الضد للضد قاهر
و نار اشتياقى صعّدت مزن أدمعى فمضمّر سزى فوق خدّى ظاهر
و قد كنت باكى العين و البين غائب فقل لى كيف الدمع و البين حاضر
و ليس النوى بالطبع مرّاء، و إنما لكثرة ما شقت عليه المرائر
و قال: [الكامل]

يا بارقا قاذ الخيال فأومضا اقصد بطيفك مدنفا قد غمّضا
ذاك الذى قد كنت تعهد نائما بالسهد من بعد الأجنه عؤضا
لا تحسبى معرضا عن طيفه لكن منامى عن جفونى أعرضا
و منها:

عجب الوشاء لمهجتى أن لم تذب يوم التوى و تشككت فيما مضى
خفيت لهم من سرّ صبرى آيه ما فهّمت إلّا سليمان الرضا
لله درّك ناهجا سبل الهوى فلمثله أمر الهوى قد فؤضا
أمّنت نملا فوق خدك سارحا و سللت سيفا من جفونك منتضى
و قال فى المدح: [الطويل]

حريص على جرّ الذوائب و القنا إذا كعت الأبطال و الجوّ عابس
و تعتق الأبطال، لو لا سقوطها لقلت لتوديع أته الفوارس
إذا اختطفهم كفه فسروجهم مجال، و هم فى راحته فرائس

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥
و قال يمدح السلطان أبا الوليد بن نصر عند قدومه من فتح أشكر: [الطويل]
بحيث البنود الحمر و الأسد الورد كتائب، سكان السماء لها جند
و تحت لواء النصر ملك هو الورى تضيق به الدنيا إذا راح أو يغدو
تأمّنت الأرواح فى ظلّ بنده كأنّ جناح الروح من فوقه بند
فلو رام إدراك النجوم لنالها و لو همّ لانقادت له السند و الهند
و منها:

بعينى بحر النقع تحت أسنة تمنمه وهنا كما نمم البرد
سما عجاج و الأسنة شهبها و وقع القنا رعد إذا برق الهند
و ظنوا بأنّ الرعد و الصّعق فى السما محاق به من أيده الصّعق و الرعد
عجائب أشكال سما هرمس بها مهندسه تأتى الجبال فتنهدّ
ألا إنها الدنيا تريك عجائبا و ما فى القوى منها فلا بدّ أن يبدو
و قال و هو معتقل: [الطويل]

تباعد عنى منزل و حبيب و هاج اشتياقى و المزار قريب
و أنى على قرب الحبيب مع النوى يكاد إذا اشتدّ الأئين يجيب
لقد بعدت عنى ديار قريبه عجبت لجار الجنب و هو غريب

أعاشر أقواما تقرّ نفوسهم فللهمّ فيها عند ذاك ضروب
 إذا شعروا من جارهم بتأؤّه أجابته منهم زفرة و نحيب
 فلا ذاك يشكو همّ هذا تأسفا لكلّ امرئ مما دهاه نصيب
 كأنى فى غاب الليوث مسالم يروّعى منه الغداة وثوب
 يحكم فيها الدهر و العقل حاضر بكلّ قياس و الأديب أديب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٦
 و لو مال بالجهال ميلته بنا لجاى بعدر؛ إنّ ذا لعجيب
 رفيق بمن لا ينشئ عن جريمة بطوش بمن ما أوبقته ذنوب
 و يطمعنا منه بوارق خلّب تقول عساه يرعوى فيؤوب
 إذا ما تشبّنا بأذيال برده دهتنا إذا جرّ الخطوب خطوب
 أدار علينا صولجانا، و لم يكن سوى أنه بالحادثات لعوب
 و منها:

أيا دهر، إنى قد سئمت تهدّفى أجرنى فإنّ السهم منك مصيب
 إذا خفق البرق الطروق أجابه فوادى و دمع المقتلين سكوب
 و إن طلع الكفّ الخضيب سحيرة فدمعى بحنّاء الدماء خضيب
 تذكرنى الأسحار دارا ألفتها فيشتدّ حزنى و الحمام طروب
 إذا علقت نفسى بليت و ربما تكاد تفيض أو تكاد تذوب
 دعوتك ربّى و الدعاء ضراعته و أنت تناجى بالدعا فتجيب
 لئن كان عقبى الصبر فوزا و غبطة فإنى على الصبر الجميل دروب
 قال: و بعثت إليه هديّة من البادية، فقال يصف منها ديكا: [المنسرح]
 أيا صديقا جعلته سندا فراح فيما أحبه و غدا
 طلبت منكم سرىد كا خنثا و جئتم لى مكانه لبدا
 صير منى مؤرخا و لكم ظللت فى علمه من البلدا
 قلت له: آدم أتعرفه؟ قال: حفيدى بعصرنا ولدا
 نوح و طوفانه رأيتهما قال: علونا بفيضه أحدا
 فقلت: هل لى بجرهم خير؟ فقال: قومى و جيرتى السعدا
 فقلت: قحطان هل مررت به؟ قال: نفثنا ببرده العقدا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٧
 فقلت: صف لى سبا و ساكنها فعند هذا تنفّس الصعدا
 فقال: كم لى بدجنهم سحرا من صرخة لى و للتووم هدا
 فقلت: هاروت هل سمعت به؟ فقال: ريشى لسهمه نفدا
 فقلت: كسرى و آل شرعته؟ فقال: كنا بجيشه وفدا
 و لّوا و صاروا وها أنا لبد فهل رأيتم من فوقهم أحدا

ديك إذا ما انثنى لفكرته رأى وجودا طرائقا قددا
يرفل في طيلسانه و لها و قد صير الدهر لونه كمدا
إذا دجا الليل غاب هيكله كأنّ حبرا عليه قد جمدا
كأنما جلنار لحيته برجان جازا من الهواء مدى
كأنّ حصنا علا بهامته أعدّه للقتال فيه عدا
يرنو بياقوتتى لواحظه كأنما اللحظ منه قد رمدا
كأنّ منجالتى ذوائبه قوس سماء من أصله بعدا
و عوسج مدّ من مخالبه طغى بها فى نقاره وعدا
فذاك ديك جلت محاسنه له صراخ بين الديوك بدا
يطلبنى بالذى فعلت به فكم فللنا بلبتية مدى
وجّهته محنة لآكله و الله ما كان ذاك منك سدى

و لم نزل بعد نستعدى عليه فأقراره بقتله، و نطلبه بالعود عند تصرفه بالعمل، فيوجه الديّة لنا فى ذلك رسائل.

و قال فى غرض أبى نواس: [الطويل]

طرقنا ديور القوم وهنا و تغليسا و قد شرفوا الناسوت إذ عبدوا عيسى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٨

و قد رفعوا الإنجيل فوق رؤوسهم و قد قدسوا الروح المقدس تقديسا

فما استيقظوا إلّا لصكّة بابهم فأدهش رهبانا و روع قسيسا

و قام بها البطريق يسعى ملتيا و قد لئن الناقوس رفعا و تأنيسا

فقلنا له أمنا فإنّا عصابة أتينا لتثليث و إن شئت تسديسا

و ما قصدنا إلّا الكؤوس و إنما لحنا له فى القول خبثا و تدليسا

ففتحت الأبواب بالرحب منهم و عزّس طلاب المدامّة تعريسا

فلما رأى رقى أمامى و مزهرى دعانى أتأنيسا لحتت و تلبيسا

و قام إلى دنّ يفضّ ختامه فكبس أجرام الغياهب تكييسا

و طاف بها رطب البنان مزترّ فأبصرت عبدا صير الحرّ مرءوسا

سلافا حواها القار لبسا فخلتها مثلا من الياقوت فى الحبر مغموسا

و منها:

إلى أن سطا بالقوم سلطان نومهم و رأس فتيل الشمع نكس تنكيسا

و ثبت إليه بالعناق فقال لى: بحق الهوى هب لى من الضّمّ تنفيسا

كتبت بدمع العين صفحة خده فطلّس حبر الشعر كتبتى تطليسا

فبئس الذى احتلنا، و كدنا عليهم و بئس الذى قد أضمرنا قبل ذا بيسا

فتبنا يرانا الله شرّ عصابة نطيع بعصيان الشريعة إلبيسا

و قال بديهة فى غزاله من النحاس ترمى الماء على بركة: [الكامل]

عنت لنا من وحش وجره ظبية جاءت لورد الماء ملء عنانها

و أظنّها إذ حدّدت آذانها ريعت بنا فتوقفت بمكانها
 حيث بقرنى رأسها إذ لم تجد يوم اللقاء تحيةً بينانها
 حتّت على الندمان من إفلاسهم فرمت قضيب لجينها لحنانها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٩
 لله درّ غزاةً أبدت لنا درّ الحجاب تصوغه بلسانها
 قال لسان الدين: و فلج المذكور، فلزم منزلى لمكان فضله و وجوب حقّه، و قد كانت زوجه توفّيت، و صحبه عليها وجد، فلمّا ثقل و
 قربت وفاته استدعاني و كاد لسانه لا يبين، فأوصاني و قال: [الطويل]
 إذا متّ فادفنيّ حذاء حليلتي يخالط عظمي في التراب عظامها
 و لا تدفنيّ في البقيع فإنني أريد إلى يوم الحساب التزامها
 و ربّ ضريحي كيفما شاء الهوى تكون أمامي أو أكون أمامها
 لعل إله العرش يجبر صدعتي فيعلني مقامي عنده و مقامها
 و مات رحمه الله تعالى في الخامس و العشرين لذي قعدة عام ثلاثه و خمسين و سبعمائة، و دفن بحذاء زوجه كما عهد رحمه الله
 تعالى، انتهى.

و من نظم ابن هذيل: [الوافر]

و ظبي زارني و الليل طفل إلى أن لاح لي منه اكتهال
 و ألغى الشك من وصل فقلنا بليل الشك يرتقب الهلال

[و منهم الوزير أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي]

و من أشياخ لسان الدين: الشيخ أبو بكر بن ذي الوزارتين، و هو أعنى أبا بكر، الوزير الكاتب الأديب الفاضل المشارك المتفنن
 المتبحر في الفنون، أبو بكر محمد بن الشيخ الشهير ذي الوزارتين أبي عبد الله الحكيم الرندي، و من نظمه قوله: [الطويل]
 تصبر إذا ما أدركتك ملمةً فصنع إله العالمين عجب
 ما يلحق الإنسان عار بنكبة ينكب فيها صاحب و حبيب
 ففى من مضى للمرء ذى العقل أسوء و عيش كرام الناس ليس يطيب
 و يوشك أن تهمل سحائب نعمة فيخصب ربع للسرور جديب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٤٠
 إلهك يا هذا قريب لمن دعا و كلّ الذى عند القريب قريب
 قال ابن خاتمة: و أنشدني الوزير أبو بكر مقدمه على المريّة غازيا مع الجيش المنصور قال: أنشدني أبي: [الطويل]
 و لمّا رأيت الشيب حلّ بمفرقي نذيرا بترحال الشباب المفارق
 رجعت إلى نفسي فقلت لها انظري إلى ما أرى، هذا ابتداء الحقائق

و بيتهم بيت كبير، و أخذ عن غير واحد و عن والده، و هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى،
 اللخمي، الرندي، الكاتب البليغ الأديب الشهير الذكر بالأندلس، و أصل سلفه من إشبيلية من أعيانها، ثم انتقلوا إلى رندة في دولة بنى
 عباد، و يحيى جدّ والده هو المعروف بالحكيم لطفه، و قدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن
 محمد بن نصر إثر قفوله من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد الفهرى، فألحقه السلطان بكتابه، و أقام يكتب

له في ديوان الإنشاء إلى أن توفي هذا السلطان و تقلد الملك بعده ولي عهده أبو عبد الله المخلوع، فقلده الوزارة و الكتابة، و أشرك معه في الوزارة أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني، فلتما توفي أبو سلطان أفرده السلطان بالوزارة، و لقبه ذا الوزارتين، و صار صاحب أمره إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلا نفعه الله تعالى غدوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان و سبعمائة، و ذلك لتاريخ خلع سلطانه و خلفه أخيه أمير المسلمين أبي الجيوش مكانه، و مولده برنده سنة ستين و ستمائة. و كان رحمه الله تعالى علما في الفضيلة و السراوة و مكارم الأخلاق، كريم النفس، واسع الإيثار، متين الحرمة، عالي الهمة، كاتباً بليغاً أديباً شاعراً، حسن الخط، يكتب خطوطاً على أنواع كلها جميلة الانطباع، خطيباً فصيح القلم، زاكي الشيم، مؤثراً لأهل العلم و الأدب، براً بأهل الفضل و الحسب، نفقت بمدته للفضائل أسواق، و أشرفت بإمداده للأفاضل آفاق.

و رحل للمشرق كما سبق، فكانت إجازته البحر من المريء، فقضى فريضة الحج، و أخذ عمّن لقي هنالك من الشيوخ، فمشيخته متوافرة، و كان رفيقه - كما مرّ - الخطيب أبا عبد الله بن رشيد الفهري، فتعاوننا على هذا الغرض، و قضيا منه كل نفل و مفترض، و اشتركا فيمن أخذنا عنه من الأعلام، في كل مقام، و كانت له عناية بالرواية و ولوع بالأدب، و صبابه باقتناء الكتب، جمع من أمهاتها العتيقة، و أصولها الرائقة الأنيقة، ما لم يجمعه في تلك الأعصر أحد سواه، و لا ظفرت به يداه، أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحاق بن أبي العاصي، و تدبج معه رفيقه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٤١

أبو عبد الله بن رشيد و غير واحد، و كان ممدحا، و مّم مدحه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي و الرئيس أبو الحسن بن الجياب، و ناهيك بهما.

[مما مدح به أبو الحسن بن الجياب الوزير أبا بكر بن الحكيم]

و من بديع مدح ابن الجياب له قصيدة رائئة رائقة يهنيه فيها بعيد الفطر منها في أولها:
[البيسط]

يا قادما عمّت الدنيا بشائره أهلا بمقدمك الميمون طائره

و مرحبا بك من عيد تحفّ به من السعاد أجناد تظافره

قدمت فالخلق في نعمي و في جدل أبدى بك البشر باديه و حضره

و الأرض قد لبست أثواب سندسها و الروض قد بسمت منه أزاهره

حاكت يد الغيث في ساحاته حللا لما سقاها دراكا منه باكره

فلاح فيها من الأنوار باهرها وفاح فيها من التّوار عاطره

و قام فيها خطيب الطير مرتجلا و الزهر قد رصعت منه منابره

موشى ثوب طواه الدهر آونة فها هو اليوم للأبصار ناشره

فالغصن من نشوة يثنى معاطفه و الطير من طرب تشدو مزاهره

و للكمام انشقاق عن أزاهرها كما بدت لك من خلّ ضمائرته

لله يومك ما أذكى فضائله قامت لدين الهدى فيه شعائرته

فكم سريره فضل فيك قد خبثت و كم جمال بدا للناس ظاهره

فافخر بحقّ على الأيام قاطبة فما لفضلك من نذّ يظاهره

فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا قيست بفخر أولى العليا مفاخره

يلتاح منه بأفق الملك نور هدى تضاءل الشمس مهما لاح زاهره
مجد صميم على عرش السماك سما طالت مبانيه و استعلت مظاهره
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٤٢
و زارة الدين و العلم الذى رفعت أعلامه و الندى الفيض زاهره
و ليس هذا ببدع من مكارمه ساوت أوائله فيه أو اخره
يلقى الأمور بصدر منه منشرح بحر و آراؤه العظمى جواهره
راعى أمور الرعايا معملا نظرا كمثل عليه معدوما نظائره
و الملك سير فى تدبيره حكما تنال ما عجزت عنه عساكره
سياسة الحلم لا بطش يكدرها فهو المهيّب و ما تخشى بواذره
لا يصدر الملك إلّا عن إشارته فالرشد لا تتعداه مصايريه
تجرى الأمور على أقصى إرادته كأنما دهره فيه يشاوره
و كم مقام له فى كلّ مكرمه أنست موارده فيها مصادره
ففضلها طبق الآفاق أجمعها كأنه مثل قد سار سائره
فليس يجحده إلّا أخو حسد يرى الصباح فيعشى منه ناظره
لا ملك أكبر من ملك يدبره لا ملك أسعد من ملك يوازره
يا عزّ أمر به اشتدّت مضاربه يا حسن ملك به ازدانت محاضره
تثنى البلاد و أهلوها بما عرفوا و يشهد الدهر آتیه و غابره
بشرى لآمله الموصول مأمله تعسا لحاسده المقطوع دابره
فالعلم قد أشرقت نورا مطالعه و الجود قد أسبلت سحّا مواطره
و الناس فى بشر و الملك فى ظفر عال على كلّ عالى القدر قاهره
و الأرض قد ملئت أمانا جوانبها بيمن من خلصت فيها سرائره
و إلى أياديه من مثنى و موحدّه تساجل البحر إن فاضت زواخره
فكلّ يوم تلقّانا عوارفه كسائه أمواله الطولى دفاتره
فمن يؤدّي لما أولاه من نعم شكرا و لو أنّ سحبانا يظاهره
يا أيها العيد بادر لثم راحته فلتمها خير مأمول تبادلره
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٤٣
و افخر بأن قد لقيت ابن الحكيم على عصر يباريك أو دهر تفاخره
ولّى الصيام و قد عظمت حرمته فأجره لك وافيه و وافره
و أقبل العيد فاستقبل به جدلا و اهناً به قادما عمّت بشائره

[من نثر ذى الوزارتين ابن الحكيم و من شعره]

و من نثر ذى الوزارتين آخر إجازة ما صورته: وها أنا أجرى معه على حسن معتقده، و أكله فى هذا الغرض إلى ما رآه بمقتضى
تودّده، و أجزله و لولديه، أقر الله بهما عينه، و جمع بينهما و بينه، رواية جميع ما نقلته و حملته، و حسن اطلاعه يفصل من ذلك ما

أجملته، فقد أطلقت لهم الإذن في جميعه، و أبحت لهم الحمل عنى و لهم الاختيار فى تنويعه، و الله سبحانه يخلص أعمالنا لذاته، و يجعلها فى ابتغاء مرضاته، قال هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامدا لله عزّ و جلّ، و مصليا و مسلما.

و من شعر ذى الوزارتين ابن الحكيم قوله: [السريع]

ما أحسن العقل و آثاره لو لازم الإنسان إيثاره

يصون بالعقل الفتى نفسه كما يصون الحرّ أسراره

لا سيما إن كان فى غربه يحتاج أن يعرف مقداره

و قوله رحمه الله: [البسيط]

إنى لأعسر أحيانا فيلحقنى يسر من الله إن العسر قد زالا

يقول خير الورى فى سنّه ثبتت «أنفق و لا تخش من ذى العرش إقلا»

و هو من أحسن ما قال رحمه الله.

و من شعر ذى الوزارتين المذكور قوله: [الطويل]

فقدت حياتى بالعراق و من غدا بحال نوى عمّن يحبّ فقد فقد

و من أجل بعدى عن ديار ألفتها جحيم فوادى قد تلظى و قد وقد

و قد سبقه إلى هذا القائل: [الطويل]

أوارى أوارى بالدموع تجلّدا و كم رمت إطفاء اللهب و قد وقد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٤٤

فلا تعدلوا من غاب عنه حبيبه فمن فقد المحبوب مثلى فقد فقد

كذا رواه ابن خاتمه، و رواه غيره هكذا:

أوارى أوارى و الدموع تبينه و هو الصواب، قال: ابن خاتمه و أنشدنى رئيس الكتّاب الصدر البليغ الفاضل أبو القاسم عبد الله بن

يوسف بن رضوان البخارى، قال: أنشدنى رئيس الكتّاب الجليل أبو محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمى، قال: أنشدنى رئيس

الكتّاب ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم رحمه الله: [مجزوء الكامل]

صحّ الكتاب و عنّه و اختم على مكنته

و احذر عليه من مخالسة الرقيب بجفنه

و اجعل لسانك سجنه كيلا ترى فى سجنه

قال ابن خاتمه: و فى سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل.

و حكى أنّ ذا الوزارتين المذكور لما اجتمع مع الجليل الفقيه الكاتب ابن أبى مدين أنشده ابن أبى مدين: [الطويل]

عشقتكم بالسمع قبل لقاكم و سمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه

و حبنى ذكر المجلس إليكمو فلما التقينا كنتمو فوق وصفه

فأنشده ذو الوزارتين بن الحكيم: [البسيط]

ما زلت أسمع عن عليك كلّ سنا أبهى من الشمس أو أجلى من القمر

حتى رأى بصرى فوق الذى سمعت أذنى فوق بين السمع و البصر

و يعجبني فى قريب من هذا المعنى قول الحاج الكاتب أبى إسحاق الحساوى رحمه الله: [البسيط]

سحر البيان بنانى صار يعقده و الثفت فى عقده من منطقى الحسن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٤٥
لا أنشد المرء يلقاني و يبصرني أنا المعيدى فاسمع بى و لا ترنى

[ترجمة ذى الوزارتين ابن الحكيم (عن عائد الصلة) لابن الخطيب]

رجع - و قال لسان الدين فى «عائد الصلة» فى حق ذى الوزارتين ابن الحكيم ما صورته: كان رحمه الله فريد دهره سماحةً، و بشاشةً، و لودعيةً، و انطباعاً، رقيق الحاشية، نافذ العزمه، مهترًا للمديح، طلقاً للآمل، كهفاً للغريب، برمكى المائدة مهلبى الحلوى، ريان من الأدب، مضطلعاً بالرواية، مستكثرًا من الفائدة، يقوم على المسائل الفقهية، و يتقدم الناس فى باب التحسين و التقبيح، و رفع رايه الحديث و التحديث، نفع بضاعة الطلب، و أحيا معالم الأدب، و أكرم العلم و العلماء، و لم تشغله السياسة عن النظر، و لا عاقه تدبير الملك عن المطالعة و السماع، و أفرط فى اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها، و أثرت أنديته من ذخايرها. قام له الدهر على رجل، و أخدمه صدور البيوتات و أعلام الرياسات، و حوطف من البلاد النازحة، و أمل فى الآفاق النائية؛ انتهى المقصود منه.

و من أحسن ما رثى به الوزير ابن الحكيم رحمه الله قول بعضهم: [مجزوء الكامل]

قتلوك ظلما و اعتدوا فى فعلهم حدّ الوجوب

و رموك أشلاء، و ذا أمر قضته لك الغيوب

إن لم يكن لك سيدى قبر فقبرك فى القلوب

[رحلة ابن الحكيم (عن الإحاطة) لسان الدين]

و قال لسان الدين فى «الإحاطة» فى حق رحلة ذى الوزارتين ابن الحكيم ما صورته:

رحل إلى الحجاز الشريف من بلده على فناء سنه أول عام ثلاثة و ثمانين و ستمائة، فحجّ و زار، و تجول فى بلاد المشرق منتجعاً عوالى الرواية فى مظانها، و منقراً عنها عند مسنّى شيوخها، و قيد الأناشيد الغربية و الأبيات المرقصة، و أقام بمكة شرفها الله من شهر رمضان إلى انقضاء الموسم، فأخذ بها عن جماعة، و انصرف إلى المدينة المشرفة، ثم قفل مع الركب الشامى إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٤٦

دمشق، ثم كثر إلى المغرب، لا- يمرّ بمجلس علم أو تعلم إلّا روى أو روى، و احتلّ رنده حرسها الله أواخر عام خمسة و ثمانين و ستمائة، فأقام بها عينا فى قرابته، و علما فى أهله، معظماً لديهم، إلى أن أوقع السلطان بالوزراء من بنى حبيب الواقعة البرمكية. و ورد رنده فى أثر ذلك، فتعرض إليه و هنأه بقصيدة طويلة من أوليات شعره أولها: [الرمل]

هل إلى ردّ عشيات الوصال سبب أم ذاك من ضرب المحال

فلما أنشدها إياه أعجب به و بحسن خطّه و نصاعة ظرفه، فأثنى عليه، و استدعاه إلى الوفادة على حضرته، فوفد آخر عام ستة و ثمانين، فأثبته فى خواص دولته، و أحظاه لديه، إلى أن رقاها إلى كتابة الإنشاء ببابه. و استمرت حاله معظم القدر، مخصوصاً بالمزية، إلى أن توفى السلطان ثانى الملوك من بنى نصر، و تقلد الملك بعده ولى عهده أبو عبد الله، فزاد فى إحظائه و تقريبه، و جمع له بين الكتابة و الوزارة، و لقبه بذى الوزارتين، و أعطاه العلامة، و قلبه الأمر، فبعد الصيت و طاب الذكر، إلى أن كان من أمره ما كان، انتهى ملخصاً.

[شئ من ترجمة ذى الوزارتين ابن الحكيم، و عن الإحاطة]

وقال في «الإحاطة» بعد كلام طويل في ترجمته: قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ولده: وجدت بخطه رحمه الله تعالى رسالة خاطب بها أخاه الأكبر أبا إسحاق إبراهيم افتتحها بقصيدة أولها: [الكامل]
 ذكر اللوى شوقا إلى أقماره ففضى أسي أو كاد من تذكاره
 و علا زفير حريق نار ضلوعه فرمى على و جناته بشراره
 وقد ذكرناها في غير هذا المحلّ.

و من نظمه مما يكتب على قوس: [الكامل]
 أنا عدّة للدين في يد من غدا لله منتصرا على أعدائه
 أحكى الهلال و أسهمى في رجمها لمن اعتدى تحكى نجوم سمائه
 قد جاء في القرآن أنى عدّة إذ نصّ خير الخلق محكم آيه
 و إذا العدو أصابه سهمى فقد سبق القضاء بهلكه و فنائه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٤٧

قال لسان الدين: و من توقيعه ما نقلته من خطّ ولده، يعنى أبا بكر، في كتابه المسمّى ب «الموارد المستعذبة» و كان بوادى آش الفقيه الطريفي، فكتب إلى خاصة والدى أبي جعفر بن داود، قصيدة على روى السنين، يتشكى فيها من مشرف بلدهم إذ ذاك أبي القاسم بن حسان منها: [البيسط]

فيا صفى أبا العباس، كيف ترى و أنت أكيس من فيها من أكياس
 و لوّه إن كان ممّن ترتضون به فقد دنا الفتح للأشراف فى فاس
 و منها يستطرد ذكر ذى الوزارتين:

للشرق فضل فمنه أشرقت شهب من نورهم أقبسونا كلّ مقباس
 فوقع عليها رحمه الله تعالى: [البيسط]

إن أفرطت بابن حسان غوائله فالأمر يكسوه ثوب الذكر و الباس
 و إن تزلّ به فى جوره قدم كان الجزاء له ضربا على الراس
 فقد أقامنى المولى بنعمته لبثّ أحكامه بالعدل فى الناس

ثم أطال فى أمره، إلى أن قال فى ترجمته قتله ما صورته: و استولت يد الغوغاء على منازلها، شغلهم بها مدبر الفتنة خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره، فضاع بها مال لا يكتب، و عروض لا يعلم لها قيمة من الكتب و الذخيرة و الفرش و الأنيّة و السلاح و المتاع و الخرثى، و أخفرت ذمته، و تعدى به عدوّه القتل إلى المثلة، و قانا الله مصارع السوء، فطيف بشلوه، و انتهب، فضاع، و لم يقبر، و جرت فيه شناعة كبيرة، رحمه الله تعالى! انتهى المقصود منه.

رجع - و من مشايخ لسان الدين الأستاذ أبو الحسن على القيجاطى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٤٨

[ترجمة أبي الحسن على بن عمر القيجاطى]

وقال فى حقه فى «الإحاطة» ما محصّيه: على بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكنانى، القيجاطى، أبو الحسن، أوحد زمانه علما و تخلقا و تواضعا و تفننا. ورد على غرناطة مستدعى عام اثنى عشر و سبعمائه، و قعد بمسجدها الأعظم يقرئ فنونا من العلم من قراءات وفقه و عربية و أدب. و ولى الخطابة، و ناب عن بعض القضاة بالحضرة، مشكور المأخذ، حسن السيرة، عظيم النفع، و قصده الناس و أخذوا

عنه. و كان أديبا لودعيا، فكها حلوا، و هو أول أستاذ قرأت عليه القرآن و العريية و الأدب إثر قراءة المكتب. و له تأليف فى فنون و شعر و نثر، فمن شعره قوله: [الكامل]

روض المشيب تفتحت أزهاره حتى استبان ثغامه و بهاره
 و دجى الشباب قد استبان صباحه و ظلامه قد لاح فيه نهاره
 فأتى حمام لا يعاف وقوعه و مضى غراب لا يخاف مطاره
 و العمر مثل البدر يبدو حسنه حيناً و يعقب بعد ذاك سراره
 ما للإخاء تقلصت أفاؤه ما للصفاء تكدرت آثاره
 و الحرّ يصفح إن أخلّ خليله و البر يسمح إن تجرأ جاره
 فتراه يدفع إن تمكّن جاهه و تراه ينفع إن علا مقداره
 و لأنت تعلم أننى زمن الصبا ما زلت زندا و الحياء سواره
 و لأنت تعلم أننى زمن الصبا ما زلت ممّن عفّ فيه إزاره
 و الهجر ما بين الأحبّه لم يزل ترك الكلام أو السلام مثاره
 و لكم تجافى عن جفاء خليله فطن، و قد ظفرت به أظفاره
 و لكم أصرّ على التدابر مدبر أفضى إلى ندم به إصراره
 فأقام كالكسعى بان نهاره أو كالفرزدق فارقت نواره
 أنكرتم من حقّ معترف لكم بالحقّ ما لا ينبغى إنكاره
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٤٩
 و الشّرع قد منع التقاطع نصّه قطعاً، و قد وردت به أخباره
 و السنّ سنّ تورّع و تبرّع و تسرّع لتشرّعه تختاره
 ما يومنا من أمسنا متدارك ذهب الشباب فكيف يبقى عاره
 هلاً حظرتم أو حذرتم منه ما حقّ عليكم حظره و حذاره
 عجباً لمن يجرى هواه لغايه محدوده إضماره مضماره
 يأتى ضحى ما كان يأتيه دجى فكأنه ما شاب منه عذاره
 فيعدّ ما تفنى به حسناته و يعيد ما تبقى به أوزاره
 فالنفس قد أجزته ملء عنانها يشتدّ فى مضمارها إحضاره
 و المرء من إخوانه فى جنّه بل جنّه تجرى بها أنهاره
 و اليمن قد مدّت إليه يمينه و اليسر قد شدّت عليه يساره
 شعر به أشعرت بالنصح الذى يهديه من أشعاره إشعاره
 و لو اخترتم نقده بمحكّه لامتاز بهرجه و لاح نضاره
 هذا هدى فيه اقتده تنل المنى أو أنت فى هذا و ما تختاره
 و عليكم منى سلام مثل ما أرجت بروض يانع أزهاره
 و قال من قصيدة رثائية: [الطويل]

حمام حمام فوق أيك الأسى تشدو تهيج من الأشجان ما أوجد الوجد

و ذلك شجو في حناجرنا شجي و ذلك هزل في ضمائرنا جد
أرى أرجل الأرزاء تشتدّ نحونا و أيديها تسعى إلينا فتمتدّ
و نحن أولو سهو عن الأمر ما لنا سوى أمل إيجابنا عنده جحد
فإن خطرت للمرء ذكرى بخاطر فتسيحه الساهي إذا سمع الرعد
مصاب به قدت قلوب و أنفوس لدينا إذا في غيره قطعت برد
تلين له الصمّ الصلاب و تنهمي عيون و يبكي عنده الحجر الصلد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٥٠
فلا مقلّة ترنو و لا أذن تعي و لا راحة تعطو و لا قدم تعدو
و قد كان يبدو الصبر منّا تجلدا و هذا مصاب صبرنا فيه ما يبدو
مولده عام خمسين و ستمائة، و توفي بغرناطة ضحى السبت في السابع و العشرين لذي حجة عام ثلاثين و سبعمائة، و حضره السلطان
فمن دونه، رحمه الله تعالى! انتهى.
و منهم العلامة شيخ الشيوخ أبو سعيد فرج بن لب.

[ترجمة أبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب]

قال في «الإحاطة» في حقه ما محصّله: فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، قال ابن الصباغ: من شعر ابن لب يمدح رسول الله صلى الله عليه و سلم: [المتقارب]

إذا القلب ثار أثار اذكارا لقلبي فأذكي عليه أوارا
تروم جفوني لنار الهوى خمودا فتهمي دموعا غزارا
فماء جفوني تسخّ انهمالا و نار فؤادي تهيج استعارا
أطيل العويل صباحا مساء كئيبا، و لست أطيق اصطبارا
رقيت مراقى للحب شتى فأفنى مرارا و أحيا مرارا
أحنّ اشتياقا لريح سرت و أبدى هياما لبرق أنارا
حيننا و شوقا إلى معلم حوى شرفا خالدالا يجارى
به أسكن الله أسمى الورى نبيا كريما و صحبا خيارا
هو المصطفى المنتقى المجتبى أرى معجزات و آيا كبارا
يحقّ علينا ركوب البحار و جوب القفار إليه ابتدارا
و منها:

فيا فوز من فاز في طيبة بلشم المغاني جدارا جدارا
و ألصق خدّا على تربها و أكمل حجّا و اعتمارا
و أهدى السلام لخير الأنام على حين وافى عليه مزارا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٥١
فيا هادى الخلق دار نعيم تناهت جمالا و طابت قرارا
لأنت الوسيلة و المرتجى ليوم يرى الناس فيه سكارى

و ما هم سكارى، و لكنهم دهتهم دواه فهموا حيارى

ترى المرء للهول من أمه و من أقربيه يطيل الفرارا

و كلّ يخاف على نفسه فيكسوه خوف الإله انكسارا

فصلّى الإله رسول الهدى عليك، و أبقى هداك منارا

و قدس ربّى ثرى روضة يعمّ الجهات سناها انتشارا

أعير شذا المسك منها الثرى بك المسك منه شذاه استعارا

هنيئا لمن بهداك اهتدى و مغناك وافى، و إياك زارا

و قصد رحمه الله تعالى بهذه القصيدة معارضة قصيدة الشهاب محمود التي نظمها بالحجاز فى طريق المدينة المشرفة على ساكنها الصلاة و السلام، و هى طويلة، و مطلعها:

[المتقارب]

وصلنا السرى و هجرنا الديارا و جئناك نطوى إليك القفارا

و قد تبارى الشعراء فى هذا الوزن و هذا الروى، و منه القصيدة المشهورة:

أقول و آنست بالحيّ نارا و لابن لب رحمه الله تعالى الفتاوى المشهورة.

و قال فى «الإحاطة» فى حقه ما محصلة: فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، التغلبى، غرناطى، أبو سعيد، من أهل الخير و الطهارة و الذكاء

و الديانة و حسن الخلق، رأس بنفسه، و برز بمزية إدراكه و حفظه، فأصبح حامل لواء التحصيل و عليه مدار الشورى، و إليه مرجع

الفتوى، لقيامه على الفقه، و غزارة علمه و حفظه، إلى المعرفة بالعربية و اللغّة، و معرفة التوثيق، و القيام على القراءات، و التبريز فى

التفسير، و المشاركة فى الأصولين و الفرائض و الأدب، و جودة الحفظ، و أقرأ بالمدرسة النصرية فى الثامن و العشرين لرجب عام أربعة

و خمسين و سبعمائة، معظما عند الخاصّة و العامّة، مقرونا اسمه بالتسويد، قعد للتدريس ببلده على و فور

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٥٢

الشيوخ، و ولى الخطابة بالجامع. قرأ على القيجاطى، و العريية على ابن الفخار، و أخذ عن ابن جابر الوادى آشى، فمن شعره فى

النسب: [الطويل]

خذوا للهوى من قلبى اليوم ما أبقى فما زال قلبى كلّ للهوى رقا

دعوا القلب يصلّى فى لظى الوجد ناره فنار الهوى الكبرى و قلبى هو الأشقى

سلوا اليوم أهل الوجد ما ذا به لقوا فكلّ الذى يلقون بعض الذى ألقى

فإن كان عبد يسأل العتق سيدا فلا أبتغى من مالكى فى الهوى عتقا

بدعوى الهوى يدعوا أناس و كلّهم إذا سئلوا طرق الهوى جهلوا الطرقا

فطرق الهوى شتى و لكنّ أهله يحوزون فى يوم السباق بها السبقا

و كم جمعت طرق الهوى بين أهلها و كم أظهرت عند السوى بينهم فرقا

بسيما الهوى تسمو معارف أهله فحيث ترى سيما الهوى فاعرف الصدقا

فمن زفرة تزجى سحائب عبرة إذا زفرة ترقى فلا عبرة ترقا

إذا سكتوا عن وجدهم أعربت به بواطن أحوال و ما عرفت نطقا

و قال فى وداع شهر رمضان: [الطويل]

أ أزمعت يا شهر الصيام رحىلا و قاربت يا بدر الزمان أفولا

أجدك قد جدت بك الآن رحله رويدك أمسك للوداع قليلا
 نزلت فآزمت الرحيل كأنما نويت رحيلاً إذ نويت نزولاً
 و ما ذاك إلا أن أهلك قد مضوا تفانوا فأبصرت الديار طولاً
 تفكرت في الأوقات ناشئه التقى أشد به وطأ و أقوم قيلاً
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٥٣
 و هي طويله.

و كان موجوداً عند تأليف «الإحاطة» رحمه الله تعالى! انتهى بالمعنى.

و قال الحافظ ابن حجر: إنه صنّف كتاباً في الباء الموحدة، و أخذ عنه شيخنا بالإجازة قاسم بن علي المالقي، و مات سنة ثلاث و ثمانين و سبعمائة، انتهى.

و قال تلميذه المنتوري ما نصّه: من شيوخه الشيخ الأستاذ الخطيب المقرئ المتفنن المفتي أبو سعيد بن لب، مولده سنة إحدى و سبعمائة، و توفي ليلة السبت لسبع عشرة ليلة مضت من ذى الحجة عام اثنين و ثمانين، انتهى.

و هو مخالف لما سبق عن ابن حجر، لكن صاحب البيت أدري، إذ المنتوري تلميذه، و نحوه للشيخ أبي زكريا السراج في فهرسته، إذ قال: شيخنا الفقيه الخطيب الأستاذ المقرئ العالم العلم الصدر الأوحى الشهير، كان شيخ الشيوخ و أستاذ الأساتذة بالأندلس، إليه انتهت فيها رئاسة الفتوى في العلوم، كان أهل زمانه يقفون عندما يشير إليه، قرأ على أبي علي القيجاطي بالسبع، و تفقه عليه كثيراً في أنواع العلوم، و لازمه إلى أن مات، و أجازته عامه، و عليه اعتمد، و أخذ عن أبي جعفر بن الزيات، و أبي إسحاق بن أبي العاصي، و ابن جابر الوادي آشي، و قاضي الجماعة أبي بكر، سمع عليه البخاري، و تفقه عليه، و قرأ عليه أكثر عقيدة المقترح تفهماً، و بعض «الإرشاد» و بعض «التهديب»، و عن أبي محمد بن سلمون، و البركة أبي عبد الله الطنجالي الهاشمي، و أجازته، انتهى بمعناه.

و بالجملة فهو من أكابر علماء المالكية بالمغرب حتى قال المواق فيه: شيخ الشيوخ أبو سعيد بن لب، الذي نحن على فتاويه في الحلال و الحرام، انتهى.

و قلّ من لم يأخذ عنه في الأندلس في وقته، فمن أخذ عنه الشاطبي، و ابن علاف، و أبو محمد بن جزى، و الأستاذ القيجاطي، و الأستاذ الحفار، و الشيخ الوزير ابن الخطيب السلماني، و الكاتب ابن زمرك، في خلق كثير من طبقتهم، ثم من الطبقة الثانية أبو يحيى بن عاصم، و أخوه القاضي أبو بكر بن عاصم، و الشيخ أبو القاسم بن سراج، و المنتوري، في خلق لا يحصون.

و له تاليف، فمنها شرح جمل الزجاجي، و شرح تصريف التسهيل، و كتاب «ينبوع عين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٥٤

الثرة، في تفريع مسألة الإمامة بالأجرة»، و له فتاوى مدونة بأيدي الناس، و ممن جمعها الشيخ ابن تراكط الأندلسي، و له تابة في مسألة الأدعية إثر الصلوات على الهيئة المعروفة، و قد ردّ عليه في هذا التأليف تلميذه أبو يحيى بن عاصم الشهيد في تأليف نبيل انتصاراً لشيخه أبي إسحاق الشاطبي، رحم الله تعالى الجميع!

[ترجمة أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى، الكلبي]

و من أشياخ لسان الدين بن الخطيب أبو القاسم بن جزى؛ ففي «الإحاطة» ما ملخصه:

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى، الكلبي، أبو القاسم، من أهل غرناطة، و ذوى الأصالة و النباهة فيها، شيخنا، و أصل سلفه من و لبة من حصن البراجلة، نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريتهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي، و عند خلع دولة المرابطين كان لجدّهم يحيى رياسةً و انفراداً بالتدبير، و كان رحمه الله تعالى على طريقة مثلى من

العكوف على العلم، و الاقتصار على الاقتيات من حرّ النسب، و الاشتغال بالنظر و التقييد و التدوين، فقيها، حافظا، قائما على التدريس، مشاركا في فنون من عربية و فقه و أصول و قراءات و أدب و حديث، حفظة للتفسير، مستوعبا للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن، تقدّم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده على حدائث سنّه، فاتفق على فضله، و جرى على سنن أصالته. قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن جعفر بن الزبير العربية و الفقه و الحديث و القرآن، و على ابن الكمام، و لازم الخطيب أبا عبد الله بن رشيد و طبقتهم كالحضرمي و ابن أبي الأحوص و ابن برطال و أبي عامر بن ربيع الأشعري و الولي أبي عبد الله الطنجالي و ابن الشاط.

و له تواليف منها «وسيلة المسلم، في تهذيب صحيح مسلم» و «الأنوار السنية؛ في الكلمات السنّية» و «الدعوات و الأذكار، المخرجة من صحيح الأخبار» و «القوانين الفقهية، في تلخيص مذهب المالكية» و «التنبيه على مذهب الشافعية و الحنفية و الحنبلية» و كتاب «تقريب الوصول، إلى علم الأصول» و كتاب «النور المبين، في قواعد عقائد الدين» و كتاب «المختصر البارع، في قراءة نافع» و كتاب «أصول القراءة الستة غير نافع» و كتاب «الفوائد العامة، في لحن العامة» إلى غير ذلك مما قيده في التفسير و القراءات و غير ذلك، و له فهرسة كبيرة اشتهرت و اشتملت على جملة كبيرة من علماء المشرق و المغرب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٥٥

و له شعر، فمن شعره قوله في الأبيات الغينية ذاهبا مذهب المعري و ابن المظفر و السلفي و أبي الحجاج بن الشيخ و أبي الربيع بن

سالم و ابن أبي الأحوص و غيرهم: [الطويل]

لكلّ بنى الدنيا مراد و مقصد و إنّ مرادى صحه و فراغ

لأبلغ من علم الشريعة مبلغا يكون به لى للجنان بلاغ

ففى مثل هذا فلينافس أولو النهى و حسبى من دار الغرور بلاغ

فما الفوز إلّا فى نعيم مؤيد به العيش رغد و الشراب يساغ

و قال: [الطويل]

أروم امتداح المصطفى فيردّنى قصورى عن إدراك تلك المناقب

و من لى بحصر البحر و البحر زاخر و من لى بإحصاء الحصى و الكواكب

و لو أنّ كلّ أعضائى غدت ألسنا إذا لما بلغت فى المدح بعض مآربى

و لو أنّ كلّ العالمين تسابقوا إلى مدحه لم يبلغوا بعض واجب

فأمسكت عنه هيبه و تأدبا و عجزا و إعظاما لأرفع جانب

و ربّ سكوت كان فيه بلاغه و ربّ كلام فيه عتب لعاب

و قال: [البيسط]

يا ربّ إنّ ذنوبى اليوم قد كثرت فما أطيق لها حصرا و لا عددا

و ليس لى بعذاب النار من قبل و لا أطيق لها صبرا و لا جلدا

فانظر إلهى إلى ضعفى و مسكنتى و لا تديقننى حرّ الجحيم غدا

و قال: [الوافر]

و كم من صفحة كالشمس تبدو فيسلى حسنها قلب الحزين

غضضت الطرف عن نظرى إليها محافظة على عرضى و دينى

مولده يوم الخميس تاسع ربيع الثانى عام ثلاثه و تسعين و ستمائة، و فقد و هو يحرض

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٥٦

الناس يوم الكائنة بطريف ضحوه يوم الاثنين تاسع جمادى الأولى عام أحد و أربعين و سبعمائة، و عقبه ظاهر بين القضاء و الكتابة، انتهى.

[أربعة أبيات على روى الغين لابن لؤلؤة]

و أذكرنى روى الغين الصعب قول الشيخ أبى عبد الله محمد بن على بن يوسف السكونى الأندلسى المعروف بابن لؤلؤة رحمه الله و رضى عنه: [الطويل]

أمن بعد ما لاح المشيب بمفرقى أميل لزور بالغرور يصاغ
و أرتاح للذات و الشيب منذر بما ليس عنه للأنام مراغ
و من لم يمت قبل الممات فإنه يراع بهول بعده و يراع
فيا ربّ و فنى إلى ما يكون لى به للذى أرجوك منه بلاغ
توفى المذكور بالطاعون سنة ٧٥٠، و كان خطيباً بحصن قمارش رحمه الله تعالى.

[من نظم ابن جزى فى التبليغ]

و من نظم ابن جزى المذكور قوله: [الطويل]
أيا من كفت النفس عنه تعففاً و فى النفس من شوقى إليه لهيب
(غرام)

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧؛ ص ٥٦
ألا إنما صبرى كصبر، و إنما على النفس من تقوى الإله رقيب
(لجام) و هما من التخيير المعلوم فى فن البديع.

[ترجمة أبى بكر أحمد بن محمد بن جزى]

و قول لسان الدين رحمه الله تعالى: «و له عقب ظاهر بين القضاء و الكتابة» يريد به بنيه البارح أبى بكر و العلامة أبى عبد الله و القاضى أبى محمد عبد الله.

و لنذكرهم فنقول: أما أبو بكر أحمد فهو الذى ألف أو أبوه «الأنوار السنية» و هو من أهل الفضل و النزاهة و حسن السمت و الهمة و استقامة الطريقة، غرب فى الوقار، و مال إلى الانقباض، و له مشاركة حسنة فى فنون من فقه و عريية و أدب و خط و رواية و شعر تسمو ببعضه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٥٧

الإجادة إلى غاية بعيدة، و قرأ على والده و لازمه، و استظهر ببعض تأليفه، و تفقه و تأدب به، و قرأ على بعض معاصرى أبيه، ثم ارتسم فى الكتابة السلطانية لأول دولة السلطان أبى الحجاج بن نصر، و ولى القضاء ببرجة و بأندرش ثم بوادى آش، مشكور السيرة، معروف النزاهة.

و من شعره: [الطويل]

أرى الناس يولون الغنى كرامةً و إن لم يكن أهلاً لرفعة مقدار
و يلوون عن وجه الفقير وجوههم و إن كان أهلاً أن يلاقى يا كبار
بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمّة فما صحّحوا إلّا حديث ابن دينار

قصيدة له صدر بها أعجاز لامية امرئ القيس «ألا عم صباحا»

و من بديع نظمه الصادر عنه تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس بن حجر الكندي بقوله:

[الطويل]

أقول لعزى أو لصالح أعمالى (ألا عم صباحا أيها الطلل البالى)
أما واعظى شيب سما فوق لمتى (سموّ حباب الماء حالا على حال)
أنار به ليل الشباب كأنه (مصاييح رهبان تشبّ لقفال)
نهانى عن غىّ و قال متبها (أ لست ترى السّمّار و الناس أحوالى)
يقولون غيره لتنعّم برهه (و هل يعمن من كان فى العصر الخالى)
أغالط دهرى و هو يعلم أننى (كبرت و أن لا يحسن اللهو أمثالى)
و مؤنس نار الشيب يقبح لهوه (بآنسه كأنها خطّ تمثال)
أ شيخا و تأتى فعل من كان عمره (ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال)
و تشغفك الدنيا و ما إن شغفتها (كما شغف المهووءة الرجل الطالى)
ألا إنها الدنيا إذا ما اعتبرتها (ديار لسلمى عافيات بذى خال)
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٥٨
فأين الذين استأثروا قبلنا بها (لناموا فما إن من حديث و لا صال)
ذهلت بها غيا فكيف الخلاص من (لعوب تنسينى إذا قمت سربالى)
و قد علمت منى مواعد توبتى (بأنّ الفتى يهذى و ليس بفعل)
و مذ وثقت نفسى بحبّ محمد (هصرت بغصن ذى شماريخ ميال)
و أصبح شيطان الغواية خاسئا (عليه قتام سيء الظنّ و البال)
ألا ليت شعرى هل تقول عزائى (لخيلى كرى كرى بعد إجفال)
فأنزل دارا للرسول نزيلها (قليل هموم ما يبيت بأوجال)
فطوبى لنفس جاورت خير مرسل (بيثرب أدنى دارها نظر عالى)
و من ذكره عند القبول تعطّرت (صبا و شمال فى منازل قفال)
جوار رسول الله مجد مؤثّل (و قد يدرك المجد المؤثّل أمثالى)
و من ذا الذى يثنى عنان السرى و قد (كفانى، و لم أطلب، قليل من المال)
ألم تر أنّ الطبيئة استشفعت به (تميل عليه هونّة غير مجفال)
و قال لها عودى فقالت له نعم (و لو قطعوا رأسى لديك و أوصالى)
فعدت إليه و الهوى قائل لها (و كان عداؤ الوحش منى على بالى)
رثى لبعير قال أزمع مالكى (ليقتلنى و المرء ليس بفعل)

و ثور ذبيح بالرسالة شاهد (طويل القرا و الزوق أخنس ذئال)
و حنّ إليه الجذع حنّه عاطش (لغيث من الوسمي رائده خال)
و أصلين من نخل قد التأما له (فما احتبسا من لين مسّ و تسهال)
و قبه ترب منه ذلت لها الطبا (و مسنونه زرق كأنياب أغوال)
و أضحي ابن جحش بالعسيب مقاتلا (و ليس بذي رمح و ليس بتبال)
و حسبك من سوط الطفيل إضاءة (كمصباح زيت في قناديل ذبال)
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٥٩
و بدت به العجفاء كل مطهم (له حجبات مشرفات على الفال)
و يا خسف أرض تحت باغيه إذ علا (على هيكل نهد الجزيرة جوال)
و قد أخدمت نار لفارس طالما (أصابت غضى جزلا و كفت بأجدال)
أبان سبيل الرشد إذ سبل الهدى (يقلن لأهل الحلم ضللا بتضلال)
لأحمد خير العالمين انتقيتها (و ريضت فذلت صعبه أيّ إذلال)
و إن رجائي أن ألقيه غدا (و لست بمقلّي الخلال و لا قالي)
فأدرك آمالي و ما كلّ آمل (بمدرك أطراف الخطوب و لا آلي)
و لا خفاء ببراءة هذا النظم، و إحكام هذا النسج، و شدّة هذه العارضة.

[قصيدة لحازم صاحب المقصورة صدر بها أعجاز معلقة امرئ القيس (قفا نبك)]

قلت: و قد أذكرني هذا التصدير قصيدة الأديب حازم صاحب المقصورة، إذ صدر قصيدة امرئ القيس «قفا نبك» و لنذكرها هنا، قال
رحمه الله تعالى: [الطويل]

لعينيك قل إن زرت أفضل مرسل (قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل)
و في طيبة فانزل و لا تغش منزلا (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)
و زر روضة قد طالما طاب نشرها (لما نسجتها من جنوب و شمال)
و أثوابك اخلع محرما و مصدقا (لدى الستر إلا لبسة المتفضل)
لدى كعبة قد فاض دمعي لبعدها (على النحر حتى بلّ دمعي محملي)
فيا حادي الآبال سر بي و لا تقل (عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل)
فقد حلفت نفسي بذاك و أقسمت (عليّ و آلت حلفه لم تحلل)
فقلت لها لا شكّ أني طائع (و أنك مهما تأمرى القلب يفعل)
و كم حملت في أظهر العزم رحلها (فيا عجا من رحلها المتحمل)
و عاتبت العجز الذي عاق عزمها (فقال لك الويلات إنك مرجلي)
نبى هدى قد قال للكفر نوره (ألا أيها الليل الطويل ألا انجل)
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٦٠
تلا سورا ما قولها بمعارض (إذا هي نصته و لا بمعطل)
لقد نزلت في الأرض ملّة هديه (نزول اليماني ذى العياب المحمل)

أتت مغربا من مشرق و تعرّضت (تعرّض أثناء الوشاح المفصّل)
 ففازت بلاد الشرق من زينه بها (بشقّ و شقّ عندنا لم يحوّل)
 فصلّى عليه الله ما لاح بارق (كلمع اليدين فى حبّى مكمل)
 نبىّ غزا الأعداء بين تلائع (و بين أكام، بعد ما متأمل)
 فكّم ملكك وافاه فى زىّ منجد (بمنجد قيد الأوابد هيكل)
 و كم من يمان واضح جاءه اكتسى (بضاف فوق الأرض ليس بأعزل)
 و من أبطحى نيط منه نجاده (بجيد معّم فى العشيرة مخول)
 أزالوا ببدر عن بروجهم العدا (كما زلّت الصفواء بالمتزل)
 و فادوا طلباهم لا بفتكك فتى و لا (كبير أناس فى بجاد مزمل)
 و فضّى جموعا فدفا جامعا بها (لنا بطن حقف ذى ركام عقنقل)
 و أحموا و طيسا فى حنين كأنه (إذا جاش فيه حميه غلى مرّجل)
 و نادوا بنات النبع بالنصر أثمرى (و لا تبعدينا من جناك المعلل)
 و ممن له سدّدت سهمين فاضربى (بسهميك فى أعشار قلب مقتل)
 فما أغنت الأبدان درع بها اكتست (ترائبها مصقولة كالسجنجل)
 و أضحت لواليتها و مالكها العدا (يقولون لا تهلك أسى و تجمل)
 و قد فرّ منصاع كما فرّ خاضب (لدى سمّرات الحىّ ناقف حنظل)
 و كم قال يا ليل الوغى طلت فانبلج (بصبح و ما الإصباح منك بأمثل)
 فليت جوادى لم يسر بى إلى الوغى (و بات بعينى قائما غير مرسل)
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٦١
 و كم مرتق أوطاس منهم بمسرح (متى ما ترقّ العين فيه تسهل)
 و قرطه خرصا كمصباح مسرح (أمال السليط بالدّبال المفتل)
 فيرون لهاد فوق هاديه طرفه (بناظرة من وحش و جرة مطفل)
 و يسمع من كافورتين بجانبى (أثيث كقنو النخلة المتعكل)
 ترفع أن يعزى له شدّ شادن (و إرخاء سرحان و تقريب تنفل)
 و لكنه يمضى كما مرّ مزبد (يكبّ على الأذقان دوح الكنهبل)
 و يغشى العدا كالسهم أو كالشهاب أو (كجلمود صخر حطّه السيل من عل)
 جياذ أعادت رسم رستم دارسا (و هل عند رسم دارس من معول)
 و ريعت بها خيل القياصر فاخفت (جواحرها فى صرّة لم تزيل)
 سبت عربا من نسوة العرب تستبى (إذا ما اسبكرت بين درع و مجول)
 و كم من سبايا الفرس و الصّفر أسهرت (نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضّل)
 و حزن بدورا من ليالى شعورها (تضلّ العقاص فى مثنى و مرسل)
 و أبقت بأرض الشام هاما كأنها (بأرجائها القصوى أنابيش عنصل)
 و ما جفّ من حبّ القلوب بغورها (و قيعانها كأنه حبّ فلفل)

لخضراء ما دبّت ولا نبتت بها (أساريع ظبي أو مساويك إسحل)
 شدا طيرها في مثمر ذى أرومة (و ساق كأنبوب السقيّ المذلّل)
 فشدّت بروض ليس يذبل بعدها (بكلّ مغار الفتل شدّت يذبل)
 و كم هجرت في القيظ تحكى ذوارعا (عذارى دوار فى ملاء مذيل)
 و كم أدلجت و القتر يهفو هزيره (و يلوى بأثواب العنيف المثقل)
 و خضن سيولا فضن بالبيد بعد ما (أثرن غبارا بالكديد المرّكل)
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٦٢
 و كم ركروا رمحا بدعص كأنه (من السيل و الغثاء فلكة مغزل)
 فلم تبين حصنا خوف حصنهم العدا (و لا أطما إلّا مشيدا بجندل)
 فهذّت بعضب شيب بعد صقاله (بأمراس كتّان إلى صمّ جندل)
 و جيش بأقصى الأرض ألقى جرانه (و أردف أعجازا و ناء بكلكل)
 يدكّ الصفا دكّا و لو مرّ بعضه (و أيسره عالى الستار و يذبل)
 دعا النصر و التأييد راياته أسحبي (على أثرينا ذيل مرط مرّحل)
 لواء منير النصل طاو كأنه (منارة ممسى راهب متبتل)
 كأنّ دم الأعداء فى عذباته (عصارة حنّاء بشيب مرّجل)
 صحاب بروا هام العداة و كم قروا (صفيق شواء أو قدير معجل)
 و كم أكثروا ما طاب من لحم جفرة (و شحم كهذاب الدّمقس المفتل)
 و كم جين من غرباء لم يسق نبتها (دراكا و لم ينضح بماء فيغسل)
 حكى طيب ذكراهم و مرّ كفاحهم (مداك عروس أو صلاية حنظل)
 لأمداح خير الخلق قلبى قد صبا (و ليس فؤادى عن هواها بمنسل)
 فدع من لأيام صلحن له صبا (و لا سيما يوم بداره جلجل)
 و أصبح عن أمّ الحويرث ما سلا (و جارتها أمّ الرباب بمأسل)
 و كن فى مديح المصطفى كمدبّج (يقلب كفيه بخيط موصل)
 و أمل به الأخرى و دنياك دع فقد (تمتعت من لهو بها غير معجل)
 و كن كنيث للفؤاد منابث (نصيح على تعذاله غير مؤتل)
 ينادى إلهى إنّ ذنبى قد عدا (علّى بأنواع الهموم لبيتلى)
 فكن لى مجيرا من شياطين شهوة (علّى حراص لو يسرون مقتلى)
 و ينشد دنياه إذا ما تدلّت (أفاطم مهلا بعض هذا التدلّل)
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٦٣
 فإنّ تصلى حبلى بخير وصلته (و إن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى)
 و أحسن بقطع الحبل منك و بتّه (فسلّى ثيابى من ثيابك تنسل)
 أيا سامعى مدح الرسول تشّقوا (نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل)
 و روضة حمد للنبيّ محمد (غذاها نمير الماء غير المحلّل)

و يا من أبى الإصغاء ما أنت مهتد (و ما إن أرى عنك الغواية تنجلي)
 فلو مطفلا أنشدتها لفظها ارعوت (فألهيته عن ذى توائم محول)
 و لو سمعته عصم طود أمالها (فأنزل منها العصم من كل منزل)
 و قد عرفت بحازم هذا في «أزهار الرياض» و ذكرت جملة من نظمه.

[جيمية بارعة لحازم صاحب المقصورة]

و من بارع ما وقع له قوله: [الكامل]
 أدر المدامه فالنسيم مؤرج و الروض مرقوم البرود مدبج
 و الأرض قد ليست برود جمالها فكأنما هي كاعب تتبرج
 و النهار ممّا ارتاح معطفه إلى لقايا النسيم عبا به متموج
 يمسى الأصيل بعسجدى شعاعه أبدا يوشى صفحه و يدبج
 و تروم أيدى الريح تسلب ما اكتسى فتزيده حسنا بما هي تنسج
 فارتح لشرب كؤوس راح نورها بل نارها فى مائها تتوهج
 و اسكر بنشوة لحظ من أحبته أو كأس خمر من لماه تمزج
 و اسمع إلى نغمات عود تصطبى قلب الخلى إلى الهوى و تهيج
 بّم وزير يسعدان مثانيا و مثلثا طبقاتها تتدرج
 من لم يهيج قلبه هذا فما للقلب منه محرّك و مهيج
 فأجب فقد نادى بألسن حاله للأنس دهر للهموم مفرج
 طربت جمادات و أفصح أعجم فرحا و أصبح من سرور يهزج
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٦٤
 أيفضل الحى الجماد مسرة و الحى للسراء منه أحوج
 ما العيش إلّا ما نعمت به و ما عطاك فيه الكأس طبى أدعج
 ممّن يروقك منه ردف مردف عبل و خصر ذو اختصار مدمج
 فإذا نظرت لطرّة و لغرة و لصفحة منه بدت تتأجج
 أيقنت أنّ ثلاثهنّ و ما غدا من تحتها يتآد أو يتموج
 ليل على صبح على بدر على غصن تحمله كتيب رجرج
 كأس و محبوب يظلّ بلحظه قلب الخلى إلى الهوى يستدرج
 يا صاح، ما قلبى بصاح عن هوى شيثان بينهما المنى تستنتج
 و بمهجتي الطّبي الذى فى أضلعى قد حلّ و هو يشبها و يؤجج
 ناديت حادى عيسه يوم النوى و العيس تحدى و المطايا تحدج
 قف أيها الحادى أودّع مهجة قد حازها دون الجوانح هودج
 لمّا توافقنا و فى أحداجها قمر منير بالهلال متوج
 ناديتهم: قولوا لبدر كم الذى بضياته تسرى الركاب و تدلج

يحيى العليل بلفظه أو لحظة تطفى غليلا في الحشا يتأجج
قالوا نخاف يزيد قلبك لاعجا فأجبتهم خلوا اللواعج تلعب
و بكيت و استبكيت حتى ظلّ من عبراتنا بحر ببحر يمرج
و بقيت أفتح بعدهم باب المنى ما بيننا طورا، و طورا يرتج
و أقول يا نفس اصبري فعسى النوى صباح قرب ليلها يتبلج
فترقب السراء من دهر شجا و الدهر من ضدّ لضدّ يخرج
و ترجّ فرجه كلّ همّ طارق فلكلّ همّ في الزمان تفرّج

[جيمية لابن قلاقس]

و تذكرت هنا جيمية ابن قلاقس، و هي: [الكامل]
عرضت لمعترض الصباح الأبلج حوراء في طرف الظلام الأدعج
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٦٥
فتمزقت شيم الدجى عن غزتي شمسين في أفق و كلة هودج
و وراء أستار الحمول لواحظ غازلن معتدل الوشيج الأعوج
من كلّ مبتسم السنان إذا جرى دمع النجيع من الكمى الأهوج
و لقد صحبت الليل قلص برده لعباب بحر صباحه المتموج
و كأنّ منتشر النجوم لآلىء نظمت على صرح من الفيروزج
و سهرت أرقب من سهيل خافقا متفرّدا، و كأنه قلب الشجى
و استعبرت مقل السحاب فأضحكت منها ثغور مفوّف و مدبّج

[عود لترجمة أبي بكر أحمد بن محمد بن جزى الكلبى]

و لنعد إلى ذكر أبي بكر بن جزى فنقول:

و له تقييد فى الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية، و رجز فى الفرائض، و إحسانه كثير، و تقدّم قاضيا للجماعة بحضرة
غرناطة ثامن شوال عام ستين و سبعمائة، ثم صرف عنها، ثم لما توفى الأستاذ الخطيب العالم الشهير أبو سعيد فرج بن لب- رحمه الله
تعالى!- و كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، ولى عوضا عنه أستاذا و خطيبا عام اثنين و ثمانين و سبعمائة، فبقى فى الخطابة ثلاثة
أعوام، ثم توفى، و أظنّ وفاته آخر عام خمسة و ثمانين و سبعمائة، رحمه الله تعالى!.

[ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد بن جزى الكلبى]

و أما أخوه أبو عبد الله محمد فهو الكاتب المجيد، أعجوبة الزمان، و توفى بفاس رحمه الله تعالى عام ثمانية و خمسين و سبعمائة، و
قيل- و هو الصواب:- إن وفاته آخر شوال من السنة قبلها حسبما ألفيته بخطّ بعض أكابر الثقات بداره من البيضاء، و هى فاس
الجديدة، قرب مغرب يوم الثلاثاء التاسع و العشرين من شوال من عام سبعة و خمسين و سبعمائة، و كان دفنه يوم الأربعاء بعد صلاة
العصر وراء الحائط الشرقى الذى بالجامع الأعظم من المدينة البيضاء، و كان مولده فى شوال من عام واحد و عشرين و سبعمائة،

انتهى.

قال الأمير ابن الأحمر في «نثر الجمان»: أدركته ورأيتة، و هو من أهل بلدنا غرناطة،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٦٦

و كان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها عالم الأندلس الطائفة فتياه منها إلى طرابلس، و قتل شهيدا بطريف بعد أن أبلى بلاء حسنا، و أبو عبد الله ابنه هذا كتب بالأندلس في حضرة ابن عمّ أبينا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف، و له فيه أمداح عجيبة، و لم يزل كاتباً في الحضرة الأحمديّة النصرية إلى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج، انتهى.

و يعنى ابن الأحمر بهذا الامتحان أنه ضرب به بالسيّاط، من غير ذنب اقترفه بل ظلّمه ظلماً مبيّناً، هكذا ألقىته في بعض المقيدات.

ثم قال ابن الأحمر: فقوض الرحال عن الأندلس، و استقرّ بالعدوة، فكتب بالحضرة المرينية لأمر المسلمين أبي عنان، إلى أن توفي بها رحمه الله تعالى! و كان رحمه الله تعالى طلع في سماء العلوم بدرًا مشرقاً، و سارت براعته مغرباً و مشرقاً، و سما بشعره فوق الفرقدين، كما أربى بثره على الشعري و البطين، له باع مديد في التاريخ و اللغة و الحساب، و النحو و البيان و الآداب، بصير بالفروع و الأصول و الحديث، عارف بالماضي من الشعر و الحديث، إن نظم أنساك أبا ذؤيب برقته، و نصيباً بمنصبه و نخوته، و إن كتب أربى على ابن مقلّة بخطه، و إن أنشأ رسالته أنساك العماد بحسن مساقها و ضبطه، و هو ربّ هذا الشأن، و فارس هذا الميدان، و مع تفننه في الشعر فهو في العلوم قد نبغ، و ما بلغ أحد من شعراء عصره منه ما بلغ، بل سلموا التقدّم فيه إليه، و ألقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه، و دخلوا تحت راية الأدب التي حمل، إذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس في الحمل، أنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل عمّ أبينا ابن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج هذه القصيدة البارعة، و حذف منها الرءاء المهملة: [الكامل]

[قصيدة من نظمه يمدح بها أمير المسلمين أبا الحجاج و حذف منها الرءاء]

قسما بوضّاح السنن الوهاج من تحت مسدول الذوائب داج
و بأبلج بالمسك خطت نونه من فوق و سنان اللواظ ساجي
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٦٧
و بحسن حدّ دبجت صفحاته فعدت تحاكي مذهب الديباج
و بمبسم كالعقد نظم سلكه و لمى حكي الصهباء دون مزاج
و بمنطق تصبو القلوب لحسنه أنسى المسامع نغمة الأهازج
و بمائس الأعطاف تشبه الصبا فيميس كالخطّي يوم هياج
و منعّم مثل الكتيب يقلّه مستضعف يشكو من الإدماج
و بموعد للوصل أنجز فجأة من بعد طول تمنّع و لججاج
و بأكؤس أطلعن في جنح الدجى شمس السلافة في سماء زجاج
و حدائق سحب السحاب ذيوله فيها و بات لها النسيم يناجي
و جداول سلّت سيوفا عندما فجئت بجيش للصبا عجاج
و بأقحوان قد تضاحك إذ بكت عين الغمام بمدمع تجاج
و قدود أغصان يملن كأنها تخفى حديثاً بينها و تناجي
و حمام يهتفن شجوا بالضحي فهديلهنّ لذي الصبا شاجي

إنّ المعالي و العوالى و الندى و البأس طوع يدى أبى الحجاج
ملك تتوّج بالمهابة عندما لم يستجز فى الدين لبس التاج
و أفاض حكم العدل فى أيامه فالحقّ أبلج واضح المنهاج
هو منقذ العانى، و معنى المعتنى و مدلل العاتى، و غوث اللاجى
ماضى العزيمة، و السيوف كليله طلق المحيّا، و الخطوب دواجى
علم الهدى و الناس فى عمياء قد ضلّوا لوقع الحادث المهتاج
غيث الندى و السحب تبخل بالحيا و المحل ييدى فاقه المحتاج
ليث الوغى، و الخيل تزجى بالقنا و البيض تنهل فى دم الأوداج
يتفشع الإظلام إذ يبدو له وجه كمثل الكوكب الوهاج
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٦٨
من آل قيلة من ذؤابة سعدا أعلى بنى قحطان دون علاج
حيث العلا ممدوة الأطناب لم تخلق معالمها يد الإنهاج
و الأعوجيات السوابق تمتطى فتظلل الآفاق سحب عجاج
و البيض و الأسل العوامل تقتضى مهج الكماة بأبلغ الإزعاج
مجد ليوسف جمعت أشتاته أعياء سواه بعد طول علاج
مولاي هاك عقيلة تزهو على أخواتها كالغادة المغناج
إنشاء عبد خالص لك حبه و من العبيد مداهن و مداجى
آوى إلى أكناف نعماك التى ليست إليه صلاتها بخداج
سباق ميدان البلاغة و الوغى لشعاب كلّ منهما و لّاج
جانبت أخت الزاى منها عامدا فأتت من الإحسان فى أفواج
فاتح لها باب القبول و أول من أهدا كها ما يبتغى من حاج

[قصيدة له يمدح فيها أبا عنان ملك المغرب]

ثم قال ابن الأحمر: و أنشدنى أيضا لنفسه يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان فارس ملك المغرب: [الخفيف]
إن قلبى لعهدة الصبر ناكث عن غزال فى عقدة السحر نافث
أضرم النار فى فؤادى و ولى قائلا لا تخف فىنى عابث
و رمانى من مقلتيه بسهم ثم قال اصطبر لثان و ثالث
كم عدول أتى يناظر فيه كان تعذاله على الحبّ باعث
و يمين آليتها بالتسلّى فقضى حسنه بأنى حانث
جبر الله صدع قلب عميد صدعت شمله صروف الحوادث
فهو يهفو إلى البروق و يروى عن نسيم الصبا ضعاف الأحادث
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٦٩
سلبته الأشجان إلّا بقايا من أمانى جبالهنّ رثائث

و بكاء على عهود مواض ملأت صدره هموما حداث
لست وحدي أشكو بليلة وجدى أن داء الغرام ليس بحادث
يا مضيع العهود و الله يعفو عنك أنى ارتضيت خطه ناكث
غزنى منك و الجمال غرور و ظبا اللحظ فى القلوب عواث
مقل يقتسمن أعشار قلبى بالرضا منى اقتسام الموارد
كيف غيرت بانتزاحك حالى و تغيرت لى، و لست بحارث
فرط حبى و فرط بخلك آلى أن عينيك بالفتور نوافث
و ندى فارس و حسبك رداً قول من قال سد باب البواعث
ملك البأس و الندى، فهو باليس يف و بالسبب عاث أو غاث
محرز المجد و الثناء، فهذا سائر فى الورى، و ذلك لاث
أوطأ الشهب رجله و ترقى صاعدا فى سموه غير ماكث
فدرار تسرى و ما لحقته و نجوم خلف القصور لوابث
و له المقربات لا بل هى العق بان من فوقها الليوث الدلاهث
مطلعات من كل نعل هلالا فلهدا تجلو دجى كل حادث
إن ترافعن فالجبال الرواسى أو تسابقن فالعيوث الحثاث
و المواضى كأنها قد أعيرت حده الذهن منه عند المباحث
هى نار محرقات الأعادى و هى ماء مطهرات الخباث
فيردن الوغى ذكورا عطاشا ثم يصدرن ناهلات طوامث
من معانيه قد رأينا عيانا كل فضل ينصه من يحادث
خلق كالنسيم مرّ سحيرا بالأزاهير فى البطاح الدماث
فى سبيل الإله يقصى و يدنى و يوالى فى ذاته و يناكث
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٧٠
شرف الملك منه سام و حام فقدته سام و حام و يافث
هاكها من بنات فكرى بكرى ليس يسمو لها من الناس طامث
ذات لفظ لا يعتريه اختلال و معان لا تنتحيا المباحث
زعماء القريض أبقوا بقايا كنت دون الورى لهنّ الوراث
من أراد انتقادها فهى هذى عرضة البحث فليكن جدّ باحث
و رأيت بخطّ ابن الصباغ العقيلي على هامش قوله «و ندى فارس و حسبك رداً...»

البيت» ما نصّه: ما أبدع تخلّصه للمدح و أطبعه! فإنه أشار إلى قول الشاعر راداً عليه بالتبكيث، و معقبا له بالتعنيث: [الكامل]
قالوا تركت الشعر قلت ضرورة باب السماحة و الملاحه مغلق
مات الكرام فلا كريم يرتجى منه النوال و لا مليح يعشق

وقيل: إن السلطان أبا عنان أطل من برج يشاهد الحرب بين الثور والأسد على ما جرت به عادة الملوك. فقال ابن جزى المذكور في وصف الحال: [البسيط]

لله يوم بدار الملك مرّ به من العجائب ما لم يجر في خلدي
لاح الخليفة في برج العلا قمرًا يشاهد الحرب بين الثور والأسد
و من بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله: [الطويل]

أبا حسن، إن شئت الدهر شملنا فليس لوّد في الفؤاد شتات
و إن حلت عن عهد الإخاء فلم يزل لقلبي على حفظ العهود ثبات
وهبنى سرت منى إليك إساءة أ لم تتقدّم قبلها حسنات
و قوله و هو بحال مرض: [البسيط]

إن يأخذ السقم من جسمي مآخذه و أصبح القوم من أمرى على خطر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٧١

فإنّ قلبى بحمد الله مرتبط بالصبر والشكر والتسليم للقدر

فالمراء فى قبضة الأقدار مصرفه للبرء والسقم أو للنفع والضرر

و حكى أنّ الفقيه الرحال أبا إسحاق إبراهيم بن الحاج النميرى بقى فى خلوته جميع شهر رمضان المعظم من عام سبعة و خمسين و سبعمائة، فلما خرج فى يوم عيد الفطر أنشده صهره أبو عبد الله بن جزى المذكور لنفسه: [الخفيف]

ما سرار البذور إلّا ثلاث فلما ذا أرى سرارك شهرا

أتعجلته سرارا لعام ثم تبقى فى سائر العام بدرا

و حكى أنه كتب للرئيس صاحب القلم الأعلى و العلامة بفاس أبى القاسم بن رضوان يطلب منه شراب سكنجيين، و قصد التصحيف بقوله «أحسن زان بيتك، نجيب تسرّ به مرضى» تصحيفه: أحب شراب سكنجيين شربه برء مرضى، قال فجاوبنى ابن رضوان بقوله: إنّ برك نفيس، تصحيفه مقلوبا: يشفيك ربنا.

و من نظم ابن جزى المذكور قوله: [الطويل]

رعى الله عهدا بالمرية ما أرى به أبدا ما عشت فى الناس بالناسى

و كيف ترى بالله صحبة معشر مجاهد بعض منهم و ابن عباس

و قوله فى الزاوية التى أنشأها السلطان أبو عنان: [الكامل]

هذا محلّ الفضل و الإيثار و الرفق بالسكان و الزوار

دار على الإحسان شيدت و التقى فجزاؤها الحسنى و عقبى الدار

هى ملجأ للواردين و مورد لابن السبيل و كلّ ركب سارى

آثار مولانا الخليفة فارس أكرم بها فى المجد من آثار

لا زال منصور اللواء مظفرا ماضى العزائم سامى المقدار

بنيت على يد عبدهم و خديم با بهم العلى محمد بن جدار

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٧٢

فى عام أربعة و خمسين انقضت من بعد سبع مئين فى الأعصار

[من شعر ابن الجزى الذى ورى به]

و من نظمه قوله مورّيا: [الوافر]

و ما أنسى الأحبة يوم بانوا تخوض مطيهم بحر الدموع
و قالوا: اليوم منزلنا الحنايا فقلت: نعم و لكن من ضلوعى

و قوله مورّيا أيضا: [الطويل]

و ربّ يهودىّ أتى متطببا ليأخذ ثارات اليهود من الناس
إذا جسّ نبض المرء أودى بنفسه سريعا، أ لم تسمع بفتكّه جسّاس
و قوله: [الكامل]

و من أىّ أشجاني التي جنت النوى أشكو العذاب و هنّ فى تنويع
من وصلّى الموقوف أو من هجرى ال موصول أو من نوى المقطوع
أو من حديث تولّهى و تولّعى خبرا صحيحا ليس بالموضوع
يرويه خدى مسندا عن أدمعى عن مقلتى عن قلبى المفجوع
و أول هذه القصيدة:

ذهبت حشاشه قلبى المصدوع بين السلام و وقفه التوديع
و قد ضمن شطرها الفقيه عبيد شارح الحلبة، إذ قال من قصيدة مطلعها: [الكامل]
اهمى دموعك ساعة التوديع يا مقلتى ممزوجة بنجيع
بقوله:

يوم استقلّت عيسهم و ترحلوا (ذهبت حشاشه قلبى المصدوع)
و قوله: [الطويل]

بخدى و جسمى و الفؤاد و أدمعى شهود بهم دعوى الغرام تصحّح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٧٣
و من عجب أن رجّح الناس نقلهم و كلهم ذو جرحه فيه تقدح
فجسمى ضعيف، و الفؤاد مخلط و دمعى مطروح، و خدى مجرّح
و قوله: [الرملى]

يا محيا كتب الحسن به أحرفا أبدع فيها و برع
ميم ثغر، ثم نون حاجب ثم عين هى تتميم البدع
أنا لا أطمع فى وصلك لى و على وجهك مكتوب «منع»
[من إنشائه موريا بأسماء كتب و رفعها لأبى عنان فارس]

ثم قال ابن الأحمر: و من إنشائه البارع مورّيا بالكتب، و رفعها لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبى عنان فارس رحمه الله تعالى يهنيه
بإبلال ولده ولى عهده الأمير أبى زيان محمد من مرض: [البسيط]
ما ذا عسى أدب الكتاب يوضح من خصال مجدك و هو الزاهر الزاهى
و ما الفصيح بكليات موعبها كاف فيأتى بأنباء و إنباه

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة وسعادته القدح المعلى، ولزاهر كماله التاج المحلى، تجلى من حلاه زهه الناظر، و يسير بعلاه المثل السائر، ويتسق من سناه العقد المنظم، ويتضح بهده القصد الأمم، ولا زالت مقدمات النصر له مبسوطة، ومعونه السعد بإشارته منوطة، و هدايته متكفلة بإحياء علوم الدين، وإيضاح منهاج العابدين، وإرشاده يتولى تنبيه الغافلين، ويأتى من شفاء الصدور بالنور المبين، وميقات الخدمة ببابه مطمح الأنفس، وملخص الجود من كفه بغيه التلمس، قد حكم أدب الدين والدنيا بأنك سراج الملوك، لما أتت عوارفك بالمشرع السلسل ومعارفك بنظم السلوك، و وضحت معالم مجدك وضوح أنوار الفجر، وزهت بعدلك المسالك والممالك زهو خريده القصر، فلك فى جمهرة الشرف النسب الوسيط، ومن جمل المآثر الخلاصة والبسيط، وسبل الخيرات لها برعايتك تيسير، ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحبير، وأنت حجة العلماء، الذى تقصر عن تقصى مآثره فطن الأذكياء، إن انبهم التفسير ففى يديك ملاك التأويل، أو اعتاص تفریح الفقه فعندك فصل البيان له والتحصيل، وإن تشعب التاريخ فلديك استيعابه، أو تناول الأدب ففى إيجاز بيانك اقتضابه، وإن ذكر الكلام ففى انتقائك من برهانه المحصول، أو المنطق ففى موجز آمالك لبابه المنحول، وليس

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٧٤

أساس البلاغة إلما ما تأتى به من فصل المقال، ولا- جامع الخير إلما ما حزته من تهذيب الكمال، ولذلك صارت خدمتك غاية المطلوب، وحبك قوت القلوب، ولا- غرو إن كنت من العلياء درتها المكنونة، فأسلافك الكرام هم جواهرها الثمينه، بحماستهم أصيبت مقاتل الفرسان، و بوجود جودهم تسنى رى الظمان، و بتسهيل عدلهم وضحت شعب الإيمان، وأنت المنتقى من سمط جمانهم، والواسطة فى قلائد عقيانهم، عنك تؤثر سيرة الاكتفاء، وعن فروعك السعداء تروى أخبار نجباء الأبناء، فهم لمملكته العلية بهجة مجالسها، وأنس مجالسها، وقطب سرورها، ومطالع نورها، وولى عهدك درتهم الخطيرة، و ذخيرتهم الأثيرة، لا زال كامل سعادته بطول مقامك محكما، و حرز أمانيه بالجمع بين الصحيحين حبك و رضاك معلما، وقد وجبت التهئة بما كان فى حيلة برئه من التيسير، و ما تهياً فى استقامة قانون صحته من نجاح التدبير، و لم يكن إلما أن بعدت به عنك المسالك، و أعوز نور طرفه تقرب المدارك، و تذكر ما عهده من الإيناس الموطأ جنبه عند أفضل مالک، فورى من شوقه سقط الزند، و التهب فى جوانحه قيس الوجد، فأمددته من دعائك الصالح بحلية الأولياء، فظفر لما شارف مشارق الأنوار من حضرتك بالشفاء، و قد حاز إكمال الأجر بذلك العارض الوجيز، و كان له كتشيب الإبريز، وها هو قادم بالطالع السعيد، آتب بالمقصد الأسنى من الفتح و التمهيد، يطلع بين يديك طلوع الشهاب، و يبسم عن مفصل الثناء فى الهناء بذلك زهر الآداب، فأعد له تحفة القادم من إحسانك الكامل، و اخصصه بالتكملة من إيناسك الشامل، فهو الكوكب الدررى المستمد من أنوارك السنية، و فى تهذيب شمائله إيضاح للخلق الكريمة الفارسية، لا زالت تزدان بصحاح مآثرک عيون الأخبار، و تتعطر بنفحة الزهر من ثنائک روضة الأزهار، و تتلى من محامدک الآيات البينات، و تتوالى عليك الألفاظ الإلهيات، بمن الله سبحانه و فضله، و السلام الكريم يعتمد المقام العلى، و رحمة الله تعالى و بركاته، انتهى.

[عدة مقطعات من نظمه يورى فيها بأسماء كتب]

و للمذكور عدة مقطعات يورى فيها بأسماء الكتب، فمنها قوله: [السريع]

ظبى هو الكامل فى حسنه و ثغره أبهى من العقد

جماله المدهش لكنما أخلاقه تحكى صبا نجد

و قوله أيضا: [الطويل]

لك الله من خل حبانى برقعة جبتنى من آياتها بال نوادر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٧٥

رسالة رمز في الجمال نهاية ذخيرة نظم أتحتف بالجواهر

وقوله سامحه الله تعالى: [الخفيف]

قصتي في الهوى المدوّنة الكب رى و أخبار عشقى المبسوطة

حجّتى فى الغرام واضحة إذ لم تزل مهجتي بوجد منوطه

و تذكّرت بالتورية بأسماء الكتب قول الأرجاني: [الكامل]

لما تألق بارق من ثغره جادت دموعى بالسحاب الممطر

فكأنّ عقد الدّر حلّ قلائد ال عقيان منه على صحاح الجواهر

وقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى: [الطويل]

و ظبى لأوضاع الجمال مدرّس عليم بأسرار المحاسن ماهر

أرى جیده نصّ المحلّى، و قررت ثناياه ما ضمّت صحاح الجواهر

وقول ابن خاتمة: [الكامل]

و معطر الأنفاس يبسم دائما عن درّ ثغره زانه ترتيب

من لم يشاهد منه عقد جواهر لم يدر ما التنقيح و التهذيب

وقوله أيضا: [مخلع البسيط]

سّفهنى عاذلى عليه و قال لى ودّه عليل

فقلت معتلّ أو صحيح يودعه عينه الخليل

وقوله أيضا: [الكامل]

حاز الجمال بصورة قمرية تجلو عليك «مشارك الأنوار»

و حوى الكمال بصورة عمرية تتلو عليك «مناقب الأبرار»

وقول الرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمي: [الرجز]

من اغتدى موطئا أكنافه صحّ له التمهيد فى أحواله

و قابل استذكاره بالمنتقى من رأيه المختار من أعماله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٧٦

و أوضحت المسالك الحسنى له تدنى تقصيا قصى آماله

و سار من مشارق الأنوار فى أدنى المدارك أو إلى إكماله

و لّما وقف على هذه القطعة الفاضل أبو على حسين بن صالح بن أبى دلامة عارضها و زاد ذكر القبس و المعلم: [الكامل]

قل للموطىء للورى أكنافه بشراه بالتمهيد فى الأحوال

و إذا اكتفى بالمنتقى استذكاره و فى له المختار فى الأعمال

و مسالك الحسنى تؤدّيه إلى أقصى التقصى من قصى الآمال

و يلوح من قيس الهداية رشده من معلم التفصيل و الإجمال

رجع إلى ابن جزى، و من نظمه: [البسيط]

يا دوحه الأنس من بطحاء واسجة هل من سبيل إلى أيامك الأول

إذ نجتلى أوجه الإيناس مسفرة و نجتنى ثمر اللذات و الغزل

و من نظمه رحمه الله تعالى عند خروجه إلى بلاد المغرب، و ورى بكتابى «تحفة القادم» و «زاد المسافر» فقال: [الطويل]
 و إنى لمن قوم يهون عليهم ورود المنايا فى سبيل المكارم
 يطرون مهما ازورّ للدهر جانب بأجنحة من ماضيات العزائم
 و ما كل نفس تحمل الذلّ، إننى رأيت احتمال الذلّ شأن البهائم
 إذا أنا لم أظفر بزاد مسافر لديكم فعند الناس تحفة قادم
 و زاد المسافر لصفوان، و التحفة لابن الأبار.

و من نظمه قوله: [الكامل]

نصب الجائل للورى بالحسن إذ رفع اللثام و ذيله مجرور
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٧٧
 و أماله عنى العواذل غيلة فهو الممال و قلبى المكسور
 و قوله أيضا: [الكامل]

تلك الذوائب ذبت من شوقى لها و اللّحظ يحميها بأى سلاح
 يا قلب فانج و ما إخالك ناجيا من فتنة الجعدى و السفاح
 و قوله أيضا: [السريع]

و عاشق صلّى و محرابه وجه غزال ظلّ يهواه
 قالوا تعبتت فقلت نعم تعبتا يفهم معناه
 و قوله رحمه الله تعالى: [الكامل]

لا تعد ضيفك إن ذهبت لصاحب تعتده لكن تخير و انتق
 أو ما ترى الأشجار مهما ركبت إن خولفت أصنافها لم تعلق
 و قوله رحمه الله تعالى: [السريع]

أيتها النفس ففى عندما ألزمت، فعلا كان أو قولاً
 فمن يكن يرضى بما ساءه أو سرّه فهو له الأولى
 لا يترك العبد و ما شاء إلّا إذا أهمله المولى
 و قوله أيضا [سامحه الله تعالى]: [الكامل]

لو لا ثلاث قد شغفت بحبها ما عفت فى حوض المتيّة موردى
 و هى الرواية للحديث، و كتبه، و الفقه فيه، و ذاك حسب المهتدى

[ترجمة القاضى أبى محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن جزى، الكلبي]

و أما أخوهما القاضى أبو محمد عبد الله بن أبى القاسم بن جزى فهو الإمام العالم العلامة المعمر، رئيس العلوم اللسانية، قال فى
 «الإحاطة»: هذا الفضل قريع بيت نبيه، و سلف شهير، و أبوة خير، و أخوة بليغة، و خوولة، أديب حافظ قائم على فنّ العربية، مشارك
 فى فنون لسانية، ظرف فى الإدراك، جيد النظم، مطواع القريحة، باطنه نبل و ظاهره غفلة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٧٨

قعد للإقراء ببلده غرناطة معيدا و مستقلاً، ثم تقدّم للقضاء بجهات نبيهة على زمن الحداثة. أخذ عن والده الأستاذ الشهير الشهيد أبى
 القاسم أشياء كثيرة، و عن القاضى أبى البركات ابن الحاج، و قاضى الشريف السبتي، و الأستاذ البيانى، و الأستاذ الأعراف أبى سعيد

بن لب، و الشيخ المقرئ أبى عبد الله بن بيش، و أجازة رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجياب، و قاضى الجماعة أبو عبد الله أبو بكر، و أبو محمد بن سلمون، و القاضى ابن شبرين، و الشيخ أبو حيان، و قاضى الجماعة أبو عبد الله المقرئ، و أبو محمد الحضرمى، و جماعة آخرون، و شعره نبيل الأغراض، حسن المقاصد، انتهى المقصود منه.

و ممن أخذ عنه العباس البقنى شارح البردة، و القاضى أبو بكر بن عاصم، و بالإجازة الإمام ابن مرزوق الحفيد، و غيرهم. و قد عرّف ابن فرحون فى «الديباج المذهب» بأبيه الشهيد أبى القاسم و أخيه القاضى أبى بكر دونه، و عرّف ابن الخطيب فى «الإحاطة» بأبيه و أخويه أبى بكر و أبى عبد الله، و فيما ذكرنا من أمرهم كفاية.

و ممّا نسبه الوادى آشى لأبى محمد عبد الله بن جزى قوله: [السريع]

يا من أتانى بعده بعد ما عاملته بالبرّ و اللطف

إنى تأملت و قد سرّنى بجملة من سورة الكهف

و له أيضا: [الوافر]

لقد قطعت قلبى يا خليلى بهجر طال منك على العليل

و لكن ما عجب منك هذا إذ التقطع من شأن الخليل

[من شيوخ لسان الدين أبو بكر بن شبرين]

رجع إلى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى.

و منهم القاضى الأديب جملة الظرف أبو بكر بن شبرين.

و قد استوفى ترجمته فى «الإحاطة» و ذكره أيضا فى ترجمه ذى الوزارتين بن الحكيم بأن قال بعد حكايته قتل ابن الحكيم ما صورته:

و ممّن رثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين رحمه الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٧؛ ص ٧٨

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٧٩

تعالى بقوله: [الطويل]

سقى الله أشلاء كرم على البلا و ما غضّ من مقدارها حادث البلا

و ممّا شجانى أن أهين مكانها و أهمل قدر ما عهدناه مهملًا

ألا أصنع بها يا دهر ما أنت صانع فما كنت إلّا عبدها المتذلّلا

سفكت دما كان الرقوء نواله لقد جئنا شعاء فاضحة الملا

بكفى سبنتى أزرق العين مطرق عدا فغدا فى غيّه متوغلا

لنعم قتيل القوم فى يوم عيده قتيل تبكيه المكارم و العلا

ألا إنّ يوم ابن الحكيم لمثكل فؤادى، فما ينفكّ ما عشت مثكلا

فقدناه فى يوم أغرّ محجّل فى الحشر نلقاه أغرّ محجّلا

سمت نحوه الأيام و هو عميدها فلم تشكر التّعنى و لم تحفظ الولا

تعاورت الأسياف منه ممدّحا كريما سما فوق السماكين مرجلا

و خانته رجل فى الطواف به سعت فناء بصدر للعلوم تحملا

و جدلّ لم يحضره فى الحى ناصر فمن مبلغ الأحياء أنّ مهلهلا

يد الله فى ذاك الأديم ممزّقا تبارك ما هبت جنوبا و شمّالا

و من حزني أن لست أعرف ملحدا له فأرى للترب منه مقبلا
 رويدك يا من قد غدا شامتا به فبالأمس ما كان العماد المؤملا
 و كئنا نغادي أو نراوح بابه و قد ظلّ في أوج العلا متوقلا
 ذكرناه يوما فاستهلت جفوننا بدمع إذا ما أمحل العام أخضلا
 و مازج منه الحزن طول اعتبارنا و لم ندر ما ذا منهما كان أطولا
 و هاج لنا شجوا تذكّر مجلس له كان يهدى الحى و الملاء الألى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٨٠
 به كانت الدنيا تؤخر مدبرا من الناس حتما أو تقدّم مقبلا
 لتبك عيون الباقيات على فتى كريم إذا ما أسبغ العرف أجزلا
 على خادم الآثار تتلى صحائفها على حامل القرآن يتلى مفضلا
 على عضد الملك الذى قد تضرّعت مكارمه فى الأرض مسكا و مندلا
 على قاسم الأموال فينا على الذى وضعنا لديه كلّ إصر على علا
 و أنى لنا من بعده متعلّل و ما كان فى حاجاتنا متعلّلا
 ألا يا قصير العمر يا كامل العلا يمينا لقد غادرت حزنا مؤثلا
 يسوء المصلّى أن هلكت و لم تقم عليك صلاة فيه يشهدها الملا
 و ذاك لأنّ الأمر فيه شهادة و سنّتها محفوظة لن تبدلا
 فى أيها الميت الكريم الذى قضى سعيدا حميدا فاضلا و مفضلا
 لتنهك من ربّ السماء شهادة تلاقى بيشرى وجهك المتهللا
 رثيتك عن حبّ ثوى فى جوانحى فما ودّع القلب العميد و ما قلا
 و يا ربّ من أوليته منك نعمه و كنت له ذخرا عتيدا و مؤثلا
 تناساك حتى ما تمرّ بباله و لم يدّكر ذاك الندى و التفصلا
 يرابض فى مثواك كلّ عشية صفيق شواء أو قديرا معجلا
 لحي الله من ينسى الأذمة رافضا و يذهل مهما أصبح الأمر مشكلا
 حنانيك يا بدر الهدى فلشدّ ما تركت بدور الأفق بعدك أفلا
 و كنت لآمالى حياة هنيئة فغادرت منى اليوم قلبا مقتلا
 فلا و أيبك الخير ما أنا بالذى على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
 فأنت الذى آويتنى متغزبا و أنت الذى أكرمتنى متطفلا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٨١
 فأليت لا ينفكّ قلبى مكمدا عليك و لا ينفكّ دمعى مسبلا

و كتب ابن لسان الدين على هامش هذه القطعة ما صورته: شكر الله وفاءك يا ابن شيرين! و قدّس لحدك! و أين مثلك فى الدنيا
 حسنا و وفاء و علما؟ لا كما صنع ابن زمرك فى ابن الخطيب مخدومه، قاله على بن الخطيب، انتهى.

[من أشياخ لسان الدين أبو عثمان سعد بن أحمد بن ليون التجيبى]

و من أشياخ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى الشيخ الأستاذ العلامة العلم الأوحد الصّدر المصنّف المحدث الأفضّل الأصلح

الأورع الأتقى الأكمل أبو عثمان سعد ابن الشيخ الصالح التقى الفاضل المبرور المرحوم أبي جعفر أحمد بن ليون، التجيبي، رضى الله عنه!

و هو من أكابر الأئمة الذين أفرغوا جهدهم فى الزهد و العلم و النصح، و له تواليف مشهورة، منها اختصار «بهجة المجالس» لابن عبد البر، و اختصار «المرتبة العليا» لابن راشد القفصى، و كتاب فى الهندسة، و كتاب فى الفلاحة، و كتاب «كمال الحافظ، و جمال الالفاظ، فى الحكم و الوصايا و المواعظ»، و كان مولعا باختصار الكتب، و تواليفه تزيد على المائة فيما يذكر، و قد وقفت منها بالمغرب على أكثر من عشرين.

و مِمَّا حكى عن بعض كبراء المغرب أنه رأى رجلا- طوالا- فقال لمن حضره: لو رآه ابن ليون لاختصره، إشارة إلى كثرة اختصاره للكتب.

[نبذة من شعره الذى حكاه فى كتابه «نصائح الأحباب، و صحائح الآداب»]

و من تواليفه كتاب «نفع السحر، فى اختصار روح الشحر و روح الشعر» لابن الجلاب الفهرى، رحمه الله! و منها كتاب «أنداء الديق، فى الوصايا و المواعظ و الحكم» و كتاب «الآبيات المهذبة، فى المعانى المقربة» و كتاب «نصائح الأحباب، و صحائح الآداب» أورد فيه مائتى قطعة من شعره تتضمن نصائح متنوعة، و لنفح منها نبذة فنقول: منها فى التحريض على العلم قوله رحمه الله تعالى:

[المجتث]

زاحم أولى العلم حتى تعتد منهم حقيقه

و لا يردك عجز عن أخذ أعلى طريقه

فإن من جد يعطى فيما يحب لحوقه

و قوله: [السريع]

شفاء داء العي حسن السؤال فاسأل تمل علما و قل لا تبال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٨٢

و اطلب فالاستحياء و الكبر من موانع العلم فما إن ينال

و قوله: [البسيط]

(علمت شيئا و غابت عنك أشياء) فانظر و حقق فما للعلم إحصاء

للعلم قسمان: ما تدرى و قولك لا أدرى، و من يدعى الإحصاء هذاء

و قوله: [البسيط]

من لم يكن علمه فى صدره نشبت يده عند السؤالات التى ترد

العلم ما أنت فى الحتماء تحضره و ما سوى ذلك التكليف و الكمد

و قوله: [السريع]

الدرس رأس العلم فاحرص عليه فكل ذى علم فقير إليه

من ضيع الدرس يرى هاذيا عند اعتبار الناس ما فى يديه

فعرّة العالم من حفظه كعرّة المنفق فيما عليه

و قال رحمه الله تعالى فى غير ما سبق: [الوافر]

ثلاث مهلكات لا محاله هوى نفس يقود إلى البطاله

و شح لا يزال يطاع دأبا و عجب ظاهر فى كل حاله

و قال: [الكامل]

اللهو منقصة بصاحبه فاحذر مذلة مؤثر اللهو
و اللغو نزه عنه سمعك لا تجنح له، لا خير فى اللغو

و قال: [الخفيف]

لا تماليء على صديقك و ادرا عنه ما اسطعت من أذى و اهتمام
ما تناسى الذمام قط كريم كيف ينسى الكريم رعى الذمام
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٨٣
تطعم الكلب مرة فيحامي عنك، و الكلب فى عداد اللئام

و قال: [الكامل]

احذر مؤاخاة الدنيا فإنها عار يشين و يورث التضريرا
فالماء يخبث طعمه لنجاسة إن خالطته و يسلب التطهيرا

و قال: [المتقارب]

تحفظ من الناس تسلم و لا تكن فى تقربهم ترغب
و لا تترك الحزم فى كل ما تريد، و لا تبغ ما يصعب

و قال: [البسيط]

إخوانك اليوم إخوان الضرورة لا تتق بهم يا أخى فى قول او فعل
لا خير فى الأخ إلا أن يكون إذا عرتك نائبة يقيك أو يسلى

و قال: [مجزوء الرمل]

طلب الإنصاف من قلة إنصاف فساھل

لا تناقش و تغافل فالليب المتغافل

قلما يحظى أخو الإن صاف فى وقت بطائل

و قال: [مخلع البسيط]

من خافه الناس عظموه و أظهروا برّه و شكره

و من يكن فاضلا حليما فإنما حظّه المضرّه

فامرر و كن صارما مبيرا يهبك من قد تخاف شرّه

و قال: [البسيط]

إن تبغ عدلا فما ترضى لنفسك من قول و فعل به اعمل فى الورى تسد

و كل ما ليس ترضاه لنفسك لا تفعله مع أحد تكن أخا رشد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٨٤

و قال: [الرمل]

حسبى الله لقد ضللت بنا عن سبيل الرشد أهواء النفوس

عجبا أن الهوى هون و أن تؤثر الهون و إذلال الرءوس

و قال: [الخفيف]

من يخف شره يوف الكرامه و يوالى الرعايه المستدامه
و أخو الفضل و العفاف غريب يحمل الدّلّ و الجفا و الملامه
و قال: [الكامل]

دع من يسىء بك الظنون و لا تحفل به إن كنت ذا همّه
من لم يحسن ظنه أبدا بك أطرحه تكتفى همّه
و قال: [البيسط]

نزه لسانك عن قول تعاب به و ارغب بسمعك عن قيل و عن قال
لا تبغ غير الذى يعينك و أطرح ال فضول تحيا قرير العين و البال
و قال: [الخفيف]

كثره الأصدقاء كثره غرم و عتاب يعيب و إدخال هم
فاغن بالبعض قانعا و تغافل عنهم فى قبيح فعل و ذمّ
و قال: [السريع]

ذلّ المعاصى ميتة يا لها من ميتة لا ينقضى عارها!
عزّ التقى هو الحياة التى ذو العقل و الهمة يختارها
و قال: [الخفيف]

لا تسمع يوما صديقك قولا فيه غضّ ممن يحبّ الصديق
إن بزّ الصديق لا شكّ منه لصديق الصديق أيضا فريق
و قال: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٨٥
للجار حقّ فاعتمد بزّه و احمل أذاه مغضيا ساترا
فالله قد وصّى به فاغترف زله الباطن و الظاهرا
و قال: [الخفيف]

سالم الناس ما استطعت و دارى أخسر الناس أحقق لا يدارى
ضركّ الناس ضرّ نفسك يجنى لا يقوم الدخان إلّا لنار
و قال: [السريع]

النصح عند الناس ذنب فدع نصح الذى تخاف أن يهجر
الناس أعداء لنصّاحهم فاترك هديت النصح فيمن ترك
و قال: [الكامل]

تجرى الأمور على الذى قد قدرا ما حيلة أبدا تردّ مقدرا
فارض الذى يجرى القضاء به و لا تضجر فمن عدم الرضا أن تضجرا
و قال: [الطويل]

أخوك الذى يحميك فى الغيب جاهدا و يستر ما تأتى من السوء و القبح
و ينشر ما يرضيك فى الناس معلنا و يغضى و لا يألو من البرّ و النصح

و قال: [السريع]

لا تصحب الأردى فتردى معه و ربما قد تفتفى منزعه
فالجبل إن يجزر على صخرة أبدى بها طريقة مشرعه

و قال: [البسيط]

ما فات أو كان لا تندم عليه فما يفيد بعد انقضاء الحادث الندم
ارجع إلى الصبر تغنم أجره و عسى تسلو به فهو مسلاة و مغتتم

و قال: [الكامل]

السخط عند النائبات زيادة في الكرب تنسى ما يكون من الفرج
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٨٦
من لم يكن يرضى بما يقضى فيا لله ما أشقى و أصعب ما انتهج

و قال: [السريع]

إن تبغ الإخوان ما إن تجد أخا سوى الدينار و الدرهم
فلا تهنهما و عزّهما تعش عزيزا غير مستهضم

و قال: [مجزوء الكامل]

من يستعن بصديقه يعن العدو على أذاته
برّ الصديق مهابة للمرء تحمل من عداته
فاحفظ صديقك و لتكن تبنى المحاسن من صفاته

و قال: [البسيط]

نعوذ بالله من شرّ اللسان كما نعوذ بالله من شرّ البريات
يجنى اللسان على الإنسان ميتته كم للسان من آفات و زلات

و قال: [السريع]

من لم يكن مقصده مدحه فقد أتى بحبوحه العافيه
محبّه المدحه رق بلا عتق و ذلّ يا له داهيه
من لا يبالي الناس مدحا و لا ذمّا أصاب العيشه الراضيه

و قال: [مجزوء الرمل]

شرّ إخوانك من لا تهتدى فيه سيلا
يظهر الودّ و يخفى مكره داء دخيلا
يتقى منك اتقاء و هو يوليئك الجميلا

و قال: [الوافر]

قوام العيش بالتدبير فاجعل لعيشك منه فى الأيام قسطا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٨٧
و خذ بالصبر نفسك فهو عزّ تلوذ به إذا ما الخطب شطا

و قال: [مجزوء الكامل]

العيش ثلث فطنة و الغير منه تغافل
فتغافل ان كنت امرأ إيثار عيشك تأمل

و قال: [الرملة]

ينفذ المقذور حتما لا يردّ فعلام الحرص دأبا و الكمد
أرح النفس تعش في غبطة و كل الأمر إلى الله فقد

و قال: [البسيط]

زر من تحبّ وزره ثم زره و لا تملّ و اجعله دأبا موضع النظر
لو لا متابعة الأنفاس ما بقيت روح الحياة و لا دامت مدى العمر

و قال: [البسيط]

لا تترك الحزم في شيء فإنّ به تمام أمرك في الدنيا و في الدين
من ضيّع الحزم تصحبه الندامة في أيامه و يرى ذلّ المهاوين

و قال: [الخفيف]

كن إذا زرت حاضر القلب و احذر أن تملّ المزور أو أن تطيلا
لا تثقل على جليس و خفف إنّ من خفّ عدّ شخصا نبيلاً

و قال: [مجزوء الرمل]

من خلا عن حاسد قد مات في الأحياء ذكره

إنما الحاسد كالنار لعود طاب نشره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٨٨

لا عدمنّا حاسدا في نعمة ليست تسره

و قال: [الوافر]

حبيبك من يغار إذا زللتا و يغلظ في الكلام متى أسأتا

يسرّ إن اتّصفت بكلّ فضل و يحزن إن نقصت أو انتقصتا

و من لا يكثرث بك لا يبالي أحدث عن الصواب أم اعتدلتا

و قال: [مجزوء الرمل]

لن لمن تخشى أذاه و ألقه في باب داره

إنما الدنيا مداراة فمن تخشاه داره

و قال: [مجزوء الرمل]

حسد الحاسد رحمه لا يرى إلّا لنعمه

إنما الحاسد يشكو حرّ أكباد و غمّه

لا عدمنّا حاسدا في نعمة تكثر همّه

و قال: [المجتث]

تبديل شخص بشخص خسران الاثنين جملة

فاشدد يديك على من عرفت، و ارفع محلّه

فإن قطع خليل بعد التوصل زلّه

و قال: [السريع]

أنت بخير ما تركت الظهور و القال و القيل و طرق الشرور
من خاض بحرا فهو لا بدّ يب تلّ و من يجر يصبه العثور
سلامة المرء اشتغال بما يهّمه لنفسه من أمور

و قال: [الرمل]

أنت حرّ ما تركت الطمعا و عزيز ما تبعت الورعا
و كفى بالعزّ مع حرّية شرفا يختاره من قنعا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٨٩

و قال: [مجزوء الرجز]

خلّ بتيات الطرق و وافق الناس تفق
من خالف الناس أتى أعظم أبواب الحمق
فكن مع الناس فترك جملة الناس خرق

و قال: [مجزوء الرمل]

لا تضق صدرا بحاسد فهو في نار يكابد
من يرى أنك خير منه تعرفه شدايد
إنما الحاسد يشقى و هو لا يحظى بعائد

و قال: [البسيط]

من يستمع في صديق قول ذي حسد لا شك يقصيه فاحذر غيلة الحسد
يهابك الناس ما تدنى الصديق فإن أقصيته زدت للأعداء في العدد

و قال: [مجزوء الرجز]

كم من أخ صحبته و النفس عنه راغبه
خشيت، إن فارقتك بالهجر، سوء العاقبه

و قال: [الوافر]

إذا كانت عيوبك عند نقد تعدّ فأنت أجدر بالكمال
متى سلمت من النقد البرايا و حسبك ما تشاهد في الهلال

و قال: [الوافر]

إذا انطوت القلوب على فساد فإنّ الصمت ستر أيّ ستر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٩٠
فلا تنطق و قلبك فيه شيء بغير الحقّ، و احذر قول شرّ

و قال: [المنسرح]

إن كنت لا تنصر الصديق فدع سماعك القول فيه و اجتنب
سماع عرض الصديق منقصه لا يرضيها الكريم ذو الحسب

و قال: [مجزوء الرمل]

أنت في الناس تقاس بالذى اخترت خليلا
فاصحب الأخيار تعلو و تنل ذكرا جميلا
صحبهُ الخامل تكسو من يواخيه خمولا

و قال: [المجتث]

اسمح يزئك السماح إن السماح رباح
لا تلق إلّا ببشر فالبشر فيه النجاح
تقطيبك الوجه جدّ أجلّ منه المزاح

و قال: [البسيط]

من كنت تعرفه كن فيه مثندا يكفيك من خلقه ما أنت تعرفه
لا تبغ من أحد عرفته أبدا غير الذى كنت منه قبل تألفه

و قال: [الكامل]

حاسب حبيبك كالعدوّ تدم له منك المحبّة، فالتناصف روحها
من كان يغمض فى حقوق صديقه نقصت مودّته و شيب صريحها

و قال: [الوافر]

تغافل فى الأمور و لا تناقش فيقطعك القريب و ذو المودّه
مناقشه الفتى تجنى عليه و تبدله من الراحات شدّه

و قال: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٩١
إن شئت تعرف نعمه الله التى أولاك فانظر كلّ من هو دونكا
لا تنظر الأعلى فتنسى ما لدى ك و من من الضعفاء يستجدونكا

و قال: [الخفيف]

عجبا أن ترى قبيح سواكا و تعادى الذى يرى منك ذاكا
لو تناصفت كنت تنكر ما فى ك و ترضى الوصاء ممّن نهاكا

و قال: [الخفيف]

جرب الناس ما استطعت تجدهم لا يرى الشخص مناهم غير نفسه
فالسعيد السعيد من أخذ العف و ودارى جميع أبناء جنسه

و قال: [الرمل]

فرط حبّ الشىء يعمى و يصمّ فليكن حبك قصدا لا يصم
نقص عقل أن يغطّى حسك الحدبّ أو يلهيك عن أمرهم

و قال: [المجتث]

سلم و غضّ احتسابا فذا هو اليوم أسلم
النقد نار تجلى فى القلب جمرا تضرّم

فاطو اعتراضك و اغفل عن عيب غيرك تسلم

و قال: [مجزوء الكامل]

عدة الكريم عطية لا مطل في عدة الكريم

المطل تحريض العداة، و ذاك من فعل اللئيم

فدع المطال إذا وعدت فإنه عمل ذميم

و قال: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٩٢

من تناسى ذنوبه قتلته و أبانت عنه الولي الحميما

ذكرك الذنب نفره عنه تبقى لك إنكار فعله مستديما

و قال: [الكامل]

عجبا لمادح نفسه لا يهتدى لتنقص يديه فيه مدحها

مدح الفتى عند التحدث نفسه ذكرى معايه فيدرى قبجها

و قال: [السريع]

من حسنت أخلاقه عاش في نعمى و فى عز هنىء و ودّ

و من تسؤ للخلق أخلاقه يعيش حقيرا فى هموم و كدّ

و قال: [السريع]

من كان يحمى ناسه صار ذا عزّ و هابته نفوس البشر

و من يكن يخذل أحبابه هان، و من هان فلا يعتبر

و قال: [البسيط]

قارب و سدّد إذا ما كنت فى عمل إنّ الزيادة فى الأعمال نقصان

ما خالف القصد فى كلّ الأمور هوى نفس، و كلّ هوى شؤم و حرمان

و قال: [البسيط]

بقدر همّته يعلو الفتى أبدا لا خير فى حامل الهّمات ممتهن

هيئات يعلو فتى خمول همّته يقوده لابتدال النفس و المهن

و قال: [السريع]

اصحب ذوى الحدة و ارغب عن ال خبيث فالصحة ذا داؤها

و انظر إلى قول نبى الهدى «خيار أمتى أحداؤها»

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٩٣

و قال: [الخفيف]

ما صديق الإنسان فى كلّ حال يا أخى غير درهم يقتنيه

لا تعول على سواه فتغدو خائب القصد دون ما تتبغيه

و قال: [الخفيف]

يستفّر الهوى للانسان حتى لا يرى غير محنة أو ضلال

و يرى الرشد غير رشد، و يغدو يحسب الحقّ من ضروب المحال
و قال: [الخفيف]

لا تبالغ في الشّرّ مهما استطعتا و تغافل و احلم إذا ما قدرتا
فانقلاب الأمور أسرع شيء و تجازى بضعف ما قد صنعتا
و قال: [البسيط]

مثل عواقب ما تأتي و ما تذر و احذر فقد ترتجى أن ينفع الحذر
لا تقدمنّ على أمر بلا نظر فإنّ ذلك فعل كلّ خطر
و انظر و فكّر لما ترجو توقّعه فعمدّة العاقل التفكير و النظر
و قال: [السريع]

حافظ على نفسك من كلّ ما يشينها من خلل أو زلل
و احرص على تخليصها بالذى تنجو به من قول أو من عمل
و قال: [الكامل]

سكر الولاية ما له صحو و كلامها و حراكها زهو
يهذى الفتى أيام عزّتها فإذا تقصّصت نابه شجو
فحذار لا تغررك صولتها و زمانها فثبوتها محو
و قال: [البسيط]

دع الجدل و لا تحفل به أبدا فإنه سبب للبغض ما وجدنا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٩٤
سلمّ تعش سالما من كلّ متعبه قرير عين إذا لم تعترض أحدا
و قال: [البسيط]

إذا ترى المبتلى أشكر أن نجوت و لا تشمت به و لتسل من ربّك العافيه
و خف من أن تبلى كما ابتلى فترى كما تراه و ما تقيك من واقيه
و قال: [السريع]

العمر ساعات تقضى فلا تقضيه في السهو و الغفله
و اعمل لما أنت له صائر ما دمت من عمرك في مهله
و لا تكن تأوى لدنيا و قل لا بدّ لا بدّ من النقلة
و قال: [الخفيف]

كن رفيقا إذا قدرت حلّما و تغافل تسلك طريقا قويا
لا تظنّ الزمان يبقى على من سرّه أن ينيل عزا سليما
إنّ للدهر صولةً و انقلابا و لهذا نعيمه لن يدوما
و قال: [السريع]

من لم يكن ينفع في الشدّه فلا تكن معتمدا ودّه
لا تعتمد إلّا أخوا حرمه إن ناب خطب تلفه عدّه

و خلّ من يهزأ في ودّه و لا ترى في معضل جدّه

و قال: [الطويل]

أخوك الذى تلفيه فى كل معضل يدافع عنك السوء بالمال و العرض
و يستر ما تأتى من القبح دائما و ينشر ما يرضى و إن سؤته يغضى

و قال: [الكامل]

لا تنه عمّا أنت فاعله و انظر لما تأتیه من ذنب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٩٥

و ابدأ بنفسك فانها فإذا تقفو الصواب فأنت ذو لبّ

و قال: [البسيط]

ليس الصديق الذى يلقاك مبتسما و لا الذى فى التهانى بالسرور يرى
إنّ الصديق الذى يولى نصيحته و إن عرت شدّة أغنى بما قدرا

و قال: [الكامل]

عجبا لمستوف منافع نفسه و يرى منافع من سواه تصعب

ما ذاك إلّا عدم إنصاف و من عدم التناصف كيف يرحو يصحب

و قال: [السريع]

من عدم الهمة فى راحة من أمره يكرم أو يهتضم

و إنما يشقى أخو همّة فإنّ الانكاد بقدر الهمم

و قال: [الخفيف]

قلّمّا تنفع المداراة إلّا عند أهل الحفاظ و الأحساب

من يدارى اللثيم فهو كمن يس تعمل الدّرّ فى نحور الكلاب

و قال: [السريع]

دنياك هذى عرض زائل تفتن ذا العزّة و الغفله

فاعمل لأخراك و قدّم لها ما دمت من عمرك فى مهله

و قال: [السريع]

نصيحة الصديق كنز فلا تردّ ما حيت نصح الصديق

و خذ من الأمور ما ينبغى ودع من الأمور ما لا يليق

و قال: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٩٦

أنت حرّ ما لم يقيدك حبّ أو تكن فى الورى يرى لك ذنب

الهوى كلّهُ هوان و شغل و المعاصى ذلّ يعانى و كرب

و قال: [المجتث]

هوّن عليك الأمورا تعش هنيئا قريبا

و اعلم بأنّ الليالى تبلى جديدا خطيرا

و تستبيح عظيما و لا تجير حقيرا

و قال: [المجتث]

ألف صديق قليل و الودّ منهم جميل

كما عدوّ كثير إذ ضرّه لا يزول

فلا تضيّع صديقا فالنفع فيه جليل

و قال: [البسيط]

دع الحسود تعاتبه لظى حسده حتى تراه لقي يموت من كمده

ما للحسود سوى الإعراض عنه و أن يبقى إلى كربه فى يومه و غده

و قال: [البسيط]

الناس حيث يكون الجاه و المال فخلّ عنك و لا تحفل بما قالوا

و عدّ عمّن يقول العلم قصدهم أو الصلاح أما تبدو له الحال

انظر لماذا هم يسعون جهدهم بين لك الحقّ لا يعرفه إشكال

و قال: [الوافر]

توسّط فى الأمور و لا تجاوز إلى الغايات فالغايات غي

كلا الطرفين مذموم إذا ما نظرت و أخذك المذموم عي

و قال: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٩٧

عامل جميع الناس بالحسنى إن شئت أن تحظى و أن تهنا

و لا تسيء يوما إلى أحد فتجمع الراحة و الأمانا

و قال: [الخفيف]

لا تفكّر فلأموور مدبّر و ارض ما يفعل المهيمن و اصبر

أنت عبد و حكم مولاك يجرى بالذى قد قضى عليك و قدّر

و قال: [المجتث]

إذا رأيت القبيحا فقل كلاما مليحا

و اغض و استر و سلّم و كن حلّيفا صفوحا

تعش هنيئا و تلقى بّرا و شكرا صريحا

و قال: [السريع]

من ينكر الإحسان لا توله ما عشت إحسانا فلا خير فيه

البذر فى السّباخ ما إن له نفع فذره فهو فعل السفية

و قال: [السريع]

من لم يكن ينفع فى ودّه دعه و لا تقم على عهده

ودّ بلا نفع عناء فلا تعن بشيء حاد عن حدّه

و قال: [الخفيف]

در مع الدهر كيفما دار إن شئت تصحبه
 ودع الحذق جانبا ليس بالحذق تغلبه
 و حذار انقلابه فكثير تقلبه
 و قال: [الكامل]

من ليس يغنى في مغيب عنك لا تحفل به فوداده مدخول
 يثنى عليك و أنت معه حاضر فإذا تغيب يكون عنك يميل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٩٨
 و قال: [السريع]

دع نصح من يعجبه رأيه و من يرى ينجحه سعيه
 النصح إرشاد فلا توله إلا فتى يحزنه غيئه
 لا يقبل النصح سوى مهتد يقوده لرشده هديه
 و قال: [البسيط]

البخت أفضل ما يؤتى الفتى فإذا يفوته البخت لا ينفك يتتبع
 يكفيك في البخت تيسير الأمور و أن يكون ما ليس ترضى عنك يندفع
 و قال: [الخفيف]

افعل الخير ما استطعت ففعل ال خير ذكر لفاعليه و ذخر
 و تواضع تنل علاء و عزًا فاتضاع النفوس عزّ و فخر
 و قال: [مجزوء الوافر]

صديق المرء درهمه به ما دام يعظمه
 فصنه ما استطعت و لا تكن في اللهو تعدمه
 ففقر المرء ميتته لذا تغدو فترحمه
 و قال: [الخفيف]

لا تقرب ما اسطعت خلّ عدوّ فخليل العدو حلف عداوه
 و تحفظ منه و داره و انظر هل ترى من سيماه إلا القساوه
 و قال: [الخفيف]

لا تعد ذكر ما مضى فهو أمر فقد تقضى و قد مضى لسبيله
 و تكلم فيما تريد من الآتى و دبّر للشىء قبل حلوله
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٩٩
 و قال: [البسيط]

قساوة المرء من شقائه فإذا يلين ساد بلا أين و لا نصب
 لا يرحم الله إلا الراحمين، فمن يرحم ينل رحمة في كل منقلب
 و قال: [البسيط]

جىء بالسماح إذا ما جئت في غرض ففي العبوس لدى الحاجات تصعيب

سماحة المرء تنبى عن فضيلته فلا يكن منك مهما اسطعت تقطيب

و قال: [الخفيف]

لا تسامح يوما دنيا إذا ما قال فى فاضل كلاما رديا
إن قصد الدنى إنزال أهل ال فضل حتى يرى عليهم علينا

و قال: [الخفيف]

خذ من القول بعضه فهو أولى و تحفظ ممّا يقول العداة
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧؛ ص ٩٩
ربما تأخذ الكلام بجذّ و هو هزل قد نمّته عداة
فاحترز من غرور الاقوال و اعلم أنّ الاقوال بعضها كذبات

و قال: [مجزوء الرمل]

نافس الأخيار كيما تحرز المجد الأثيلا
لا تكن مثل سراب رىء لم يشف غليلا
إنما أنت حديث فلتكن ذكرا جميلا

و قال: [مجزوء الكامل]

الصمت عزّ حاضر و سلامة من كلّ شرّ
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠٠
فإذا نطقت فلا تك ثر و اجتنب قول الهذر
و حذار ممّا يتقى و حذار من طرق الغرر

و قال: [السريع]

سلامة الإنسان فى وحدته و أنسه فيها و فى حرفته
ما بقى اليوم صديق و لا من ترتجى النصره فى صحبته
فقرّ فى بيتك تسلّم و دع من ابتلى بالناس فى محنته

و قال: [الوافر]

مطوعة النساء إلى الندامه و توقع فى المهانه و الغرامه
فلا تطع الهوى فيهنّ و اعدل ففى العدل الترضى و السلامه

و قال: [البسيط]

كانت مشاورة الإخوان فى زمن قول المشاور فيهم غير متهم
و الآن قد يخدع الذى تشاوره إشماتا أو حسدا يلقىك فى الندم
فاضرع إلى الله فيما أنت تقصده يهديك للرشد فى الأفعال و الكلم

و قال: [الخفيف]

عدّ عمّن يراك تصغر عنه و تحفظ من قربه و أبنه
إنّ من لا يراك فى الناس خيرا منه فالخير فى التحفظ منه

و قال: [البسيط]

رزائه المرء تعلی قدره أبدا و طيشه مسقط له و إن شرفا
 فاربا بنفسك من طيش تعاب به و إن تكن حزت معه العلم و الشرفا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠١
 و قال: [البسيط]

الصدق عزّ فلا تعدل عن الصدق و احذر من الكذب المذموم في الخلق
 من لازم الصدق هابته الوری و علا فالزمه دأبا تفز بالعزّ و السبق
 و قال: [الكامل]

ليس التفضّل يا أخى أن تحسنا لأخ يجازى بالجميل من الثنا
 إنّ التفضّل أن تجازى من أسا لك بالجميل و أنت عنه في غنى
 و قال: [السريع]

من واصل اللذات لا بدّ أن تعقبه منها الندامات
 فخذ من اللذات و اترك و لا تسرف ففي الإسراف آفات
 و قال: [مجزوء الرجز]

دع معجبا بنفسه في غيه و لبسه
 لا يقبل النصح لها من نخوة برأسه
 فخله لكيده و عجه بنفسه

و قال: [مجزوء الكامل]

عتب الصديق دلالة منه على صدق المودّه
 فإذا يقول فقصدته الت نزيه عمّا قام عنده
 فاحلم إذا عتب الصديق و لا تخيب فيك قصده
 و قال: [الخفيف]

ترتجى في النوائب الإخوان هم لدى كلّ شدّة أعوان
 فإذا لم يشاركوا فسواء هم و الأعداء كيفما قد كانوا
 و قال: [البسيط]

انصر أخاك على علّاته أبدا تهب و تسلك سبيل العزّ و الظفر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠٢
 و لا تدعه إلى الإشمت مطّرحا فإنّ ذلك عين الدلّ و الصغر
 و قال: [البسيط]

من عزّ كانت له الأيام خادمة تريه آماله في كلّ ما حين
 و من يهن أولغت فيه المدى و أرت له النوائب في أثوابها الجون
 و قال: [البسيط]

خلّ المنجم يهذى في غوايته و اقصد إلى الله ربّ النجم و الفلك
 لو كان للنجم حكم لم تجد أحدا يخالف النجم إلّا انههدّ في درك

و قال: [السريع]

حماية المرء لمن يصحب تدلّ أن أصله طيب
لا خير فيمن لا يرى ناصرا صديقه و هو له ينسب

و قال: [السريع]

يا عاتبا من لا له همّة ألا أتند إلى متى تعتب
هل يسمع الميت أو يبصر ال لأعمى؟ محال كلّ ما تطلب

و قال: [الرجز]

لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلّا أولو الفضل من أهل العقل
هيهات يدرى الفضل من ليس له فضل، و لو كان من أهل التّبل

و قال: [السريع]

لا تطلب المرء بما اعتدت من أخلاقه و المرء في وهن
تنتقل الأخلاق لا شكّ مع تنقل الحالات و السنّ

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠٣

و قال: [الخفيف]

لا تعامل، ما عشت، غيرك إلّا بالذى أنت ترتضيه لنفسك
ذاك عين الصواب فالزمه فيما تبتغيه من كلّ أبناء جنسك

و قال: [مجزوء الرمل]

باعد الناس يوالوكا و اعتزل عنهم يهابوكا
فإذا ما تصطفاهم وقعوا فيك و عابوكا

و قال: [مخلع البسيط]

إياك لا تخذل الصديقا و اراع له العهد و الحقوق

نصرته ما قدرت عزّ تمهده للعلا طريقا

فلا تسامح به عدوا و كن له ناصرا حقيقا

و قال: [البسيط]

حدّث جليسك ما أصغى إليك، فإن تراه يعرض فاقطع عنه و انصرف

خفّف فقد يضجر الذي تجالسه طول المقام أو التحديث في سرف

و قال: [الوافر]

جماع الخير في ترك الظهور و إظهار التواضع و البرور

و في أضدادها من غير شكّ جميع وجوه أنواع الشرور

و قال: [السريع]

محبّة الدرهم طبع البشر فاقنع من المرء بما قد حضر

و قس على نفسك في بذله تقف على تحقيق عين الخبر

و قال: [الخفيف]

لا يلم غير نفسه كل من قد عرض النفس أن تهان فذلًا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠٤

ينظر العاقل الأمور فيأبى أن يرى منه غير ما هو أولى

و قال: [الخفيف]

أعذر الناس من أتته المضره من أخ كان يرتجى منه نصره

مثل من غصّ بالشراب ف كان الهلك فيما رجاه يدفع ضره

و قال: [السريع]

سلمّ تعش سالما ممّا يقال من يعترض يعترض فى كلّ حال

نقد الفتى غافلا عن عيبه لا يرتضى عند أرباب الكمال

و قال: [البسيط]

تواضع المرء ترفيع لرتبته و كبره ضعفه من غير ترفيع

فى نخوة الكبر ذلّ لا اعتزاز له و فى التواضع عزّ غير مدفوع

و قال: [الكامل]

إياك لا تنكر فضيله كلّ من تدرى فضيلته فترمى بالحسد

إنكارها يجنى عليك تنقّصا و يزيده شرفا يديم لك الكمد

و قال: [الكامل]

انصر أخوا لك ما استطعت فإنما تعتزّ بالإخوان ما عزّوا

من يخذل الإخوان يخذل نفسه و يهن و ما لهوانه عزّ

و قال: [البسيط]

إذا جزاك بسوء من أسأت له فذاك عدل و ما فى العدل من زلل

جزاء سيئه بالنصّ سيئه لا حيف فى ذاك فى قول و لا عمل

و قال: [الكامل]

نفس و شيطان و دنيا و الهوى يا ربّ سلم من شرور الأربعة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠٥

أنت المخلص من رجاك و إننى أرجوك فيما أتقى أن تدفعه

و قال: [مجزوء الرمل]

لا تعظّم يا أخى نف سكك إن شئت السلامه

من يعظّم نفسه يج ن امتهانا و ملامه

فتواضع تلق عزّا و احتفاء و كرامه

و قال: [السريع]

دع لذّة الدنيا فمن يبتلى بحبّها ذاق عذاب السّموم

لذاتها حلم، و أيامها لمح، و لكن كم لها من هموم

محبّة الدنيا هلاك، فمن يرومها أهلكه ما يروم

و قال: [الخفيف]

كلّ خلّ يعدّ ما أنت تخطى لا تعول على صفاء وداده
إنما الخلّ من تناسى خطاياك و يبقى له جميل اعتقاده

و قال: [البسيط]

من عامل الناس بالإنصاف شاركهم فى مالهم و أحبّوه بلا سبب
إنصافك الناس عدل لا تزال به تعلقو إلى أن ترى فى أرفع الرتب

و قال: [الرملى]

قل جميلا إن تكلمت و لا تقل الشرّ فعقبى الشرّ شر
من يقل خيرا ينل خيرا، و من يقل الشرّ إذا يخشى الضرر

و قال: [الوافر]

إذا التأمت أمورك بعض شىء بأرضك فاستقم فيها و لازم
فما فى غربه الإنسان خير و ما بالغربه الدنيا تلازم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠٦

و قال: [السريع]

إلى متى تسرح مرخى العنان قل يا أخى حتى متى ذا الحران
ارجع إلى الله و خلّ الهوى فما الهوى يا صاح إلّا هوان
قد أنذر الشيب فهل سامع أنت فمصغ للذى قد أبان

و قال: [السريع]

من يكفر النعمة لا بدّ أن يسلبها من حيث لا يشعر
و من يكن يشكرها معلنا دامت له نامية تكثر

و قال: [المجتث]

اعذر أخوا الفقر فى أن يضيق ذرعا بنفسه

الفقر موت، و لكن من للفقر برمسه

إنّ الفقير لميت ما بين أبناء جنسه

و قال: [السريع]

كما تدين أنت يا صاحبي تدان فاعمل عمل الفاضل

أنت كما أنت فخلّ الذى يزين النفس من الباطل

و أين أنت ثم أنت ادر ذا حسبك فاحذر زلل العاقل

و قال: [السريع]

مالك ما أنفقته قربه لله، و الباقي حساب عليك

فقدّم المال ترد آمننا من بعده و هو ثواب لديك

و قال: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠٧

دع مدح نفسك إن أردت زكاءها فبمدح نفسك من مقامك تسقط
ما أنت تخفضها يزيد علاؤها والعكس، فانظر أيما لك أحوط
و قال: [مجزوء الكامل]

ذو النقص يصحب مثله فالشكل يألف شكله
فاصحب أخوا الفضل كيما تقفو بفعلك فعله
أما ترى المسك دأبا يكسب طيبا محلّه
و قال: [البسيط]

من عيني المرء يبدو ما يكتمه حتى يكون الذي يراعه يفهمه
ما يضم المرء يبدو من شمائله لناظر فيه يهديه توسمه
و قال: [مجزوء الرمل]

إنما الدنيا خيال و أمانها خيال
حبها سكر، و لكن وصلها ما إن ينال
فتنزّه عن هواها فهوى الدنيا ضلال
و قال: [الرمل]

قلّما يؤذيك من لا يعرفك فتحفظ من صديق يألفك
لا تتق بالودّ ممّن تصطفى كم صديق تصطفيه يتلفك
و قال: [المنسرح]

لا تضجرن في الأمور و ارض بما يقضى به الله فهو مكتتب
ما قدّر الله لا مردّ له فما يفيد العناء و التعب
و قال: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٠٨
تنزّه عن دنيات الأمور و خذ بالحزم في الأمر الخطير
فأشرف الأمور لها جمال و خطر في البهاء و في الظهور
و في سفاسفها لا شكّ و هن و تمهين يشين مدى الدهور
و قال: [الكامل]

من يتلى من أهله بمنعص يصبر، فما أحد بغير منعص
من أزمنت بالوجه منه قرحة يعزم على ضرر يشين مخصص
و قال: [السريع]

من كان في عزّته داره و كرّر المشى إلى داره
قبّل يدا تعجز عن قطعها و لن لمن تخشى من اضاراه
و قال: [السريع]

لا تبغ النعمة من جائف لم يرها قبل لآبائه
لا يرشح الإناء ما لم يكن ملآن قد أفعم من مائه

و قال: [مخلع البسيط]

مروءة المرء رأس ماله و صونه أشرف اعتماله
من لم يصن نفسه تردى و زال عن رتبة اكتماله

و قال: [المجتث]

ترك المطامع عزّه و اليأس أهنا و أنزه
هيهات يعتزّ مثر أضحى للأطماع نهزه
نزاهة النفس عزّ ما ذلّ من يتنزّه

و قال: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠٩
تعظيمك الناس تعظيم لنفسك في قلوب الأعداء طرا و الأوداء
من يعظم الناس يعظم في نفوس بلا مؤونته و ينل عزّ الأعداء

و قال: [السريع]

اقنع من الناس بمقدار ما يعطون لا تتبغ منهم مزيد
حسبك من كلّ امرئ قدر ما يعطيك فالأطماع ما إن تفيد

و قال: [الخفيف]

لن إذا كانت الأمور صعبا و تواضع لها تجدها قريبا
دار من شئت تنتفع منه و اترك صولة الكبر فهي تجنى عذابا
لا تكن تأخذ الأمور بعنف من يعانى الأمور بالعنف خابا

و قال: [الخفيف]

سامح الناس إن أساؤوا إليك و تغافل إذا تجنّوا عليك
ما ترى كيف أنت تعصى و مولاك يزيد الإنعام دأبا لديك

و قال: [مجزوء الرمل]

اغتنم ساعة أنس و انس ما كان بأمس
ليس للمرء من دن ياه سوى راحة نفس
من يكن حلف هموم باع دنياه ببخس

و قال: [الرمل]

حبك الشيء يغطى قبحة فتراه حسنا في كلّ حال
لا يرى المحبوب إلّا حسنا كان قبح فيه مع ذا أو جمال
حتمّ الحب على ذى الحبّ أن لا يرى المحبوب إلّا فى كمال

و قال: [الرمل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١١٠
يحسب الناقص أن الناس قد غفلوا عن حاله فى وضعته
لا يرى الناقص إلّا أنه كامل من نعته فى صفته

غلط المرء يغطى عقله أن يرى النقص الذى فى جهته

و قال: [المجتث]

أيام عمرک هذى ساعاتها رأس مالک

فاحرص على الخیر فیها قبل أوان ارتحالك

فإنما أنت طیف تجتاب سبل المهالك

و قال: [الرمل]

تجد الناس على النقص و لا تجد الكامل إلا من و من

زمن الباطل وافی أهله و كذاک الناس أشباه الزمن

و قال: [الخفيف]

قل جمیلا إذا أردت الكلاما تجن عزاً مهناً مستداما

إن قول القبیح یورث بغضا و صغارا عند الوری و ملاما

و قال: [الرمل]

حسن الظنّ تعش فى غبطة إن حسن الظنّ من أقوى الفطن

من یظنّ السوء یجزى مثله قلما یجزى قبیح بحسن

و قال: [السريع]

إن تبع إخوان الصفاء فهم تحت التراب انتقلوا للقبور

إخوانک الیوم کأزمانهم مشتبهون فى جمیع الأمور

و قال: [المتقارب]

و مستقبح من أخ خلّه و فیہ معایب تسترذل

كأعمى یخاف على أعور عثارا و عن نفسه یغفل

نفع الطیب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١١١

و قال: [السريع]

من یتغ الوء من الناس یکن لما قالوه بالناسی

أغض عن الناس تنل ودهم إنک لا تغنى عن الناس

و قال: [مجزوء الرجز]

أعیت مع الناس الحیل و بار فیهم العمل

فى أى وجه أملوا یخیب منهم الأمل

فأثر العزلة عن هم تنج من کلّ خلل

و قال: [الكامل]

لا ترج غیر الله فى شىء تنل ما تبتغیه و تكف کلّ مخوف

الله أعظم من رجوت فتق به فهو الذى أعطى و أنجى من كفى

و قال: [المتقارب]

توسّل إلى الله فى کلّ ما تحبّ بمحبوبه المصطفى

تنل ما تحب كما تبتغي و حسبك جاها به و كفى

انتهى ما لخصت و اخترت من الكتاب المذكور.

[نبذة من كتابه «الآبيات المهدبة، فى المعانى المقربة»]

و هذه نبذة من كتابه «الآبيات المهدبة، فى المعانى المقربة» فمن ذلك قوله: [الخفيف]

اكتم السرّ و اجعل الصدر قبره لا تبج ما حييت منه بذره

أنت ما لم تبج بسرّك حرّ فإذا بحت صرت عبدا بمره

من يرد أن يعيش عيشا هنيئا يتحفّظ ممّا عسى أن يضرّه

و قال: [السريع]

عداوة العاقل مع عسرها آمن من صداقة الأحمق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١١٢

يمكن الأحمق من نفسه عمدا و من أحبابه يتقى

لا يحفظ الأحمق خلا و لا يرضاه للصحة إلا شقى

و قال: [الوافر]

إذا أمعنت فى الدنيا اعتبارا رأيت سرورها رهن انتخاب

بعاد عن تدان، و افتقار عن استغنا، و شيب عن شباب

حياة كلّها أضغاث حلم و عيش ظلّه مثل السراب

و قال: [السريع]

من تره يسرف فى ماله يتلفه فى لذّة و انهماك

فذلك المغبون فى رأيه يسلك بالنفس سبيل الهلاك

و قال: [البسيط]

من لا يرى نفسه فى الناس قاصرة عن الكمال لم يكمل له أدب

و من يكن راضيا عن نفسه أبدا فذاك غرّ عن الآداب محتجب

آداب الانسان تحقيقا تواضعه و جريه دائما على الذى يجب

و قال: [الوافر]

يحقّ الحقّ حتما دون شكّ و إن كره المشكّك و الملدّد

صريح الحقّ قد يخفى و لكن بعيد خفائه لا شكّ يبدو

و قال: [الرمّل]

كلّ ما قد فات لا ردّ له فلتكن عن ذاك مصروف الطمع

أ يعود الحسن من بعد الصبا قلما أدبر شيء فرجع

و قال: [الخفيف]

اغتنم غفلة الزمان و بادر لذّة العيش ما بقيت سليما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١١٣

أمر هذى الحياه أيسر من أن تغتدى فيه لائما أو ملوما

و قال: [الخفيف]

لا تغزّ نك صولة الجاه يوما أو تظنّ أنها تتماذى
صولة الجاه لفتح نار و لكن كلّ نار لا بدّ تلفى رمادا

و قال: [المتقارب]

تنحّ عن الناس مهما استطعت و لا تك فى الناس بالزّاغ
من اعتمد الناس يشقى و لا يرى غير منتقد عائب

و قال: [مجزوء الرمل]

لا تقل يوما فتقاسى محنا

من يعظّم نفسه يلق هونا و عنا

شرّ ما يأتى الفتى مدحه لو فطنا

و قال: [البسيط]

الناس إخوان ذى الدنيا و إن قبحت أفعاله، و غدا لا يعرف الدنيا

يعظّمون أخوا الدنيا و إن عثرت يوما به أولغوا فيه السكاكينا

و قال: [البسيط]

العدل روح به تحيا البلاد كما هلاكها أبدا بالجور ينحتم

الجور شين به التعمير منقطع و العدل زين به التمهيد ينتظم

يا قاتل الله أهل الجور كم خربت بهم بلاد و كم بادت بهم أمم

و قال: [المجث]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١١٤

اليأس أسلى و أغنى من نيل ما يتمنى

يسلو أخوا اليأس حتى يهنا و لا يتعنى

لليأس برد فمن لم يذقه لم يتهنا

و قال: [الطويل]

إذا عظمت نفس امرئ صار قدره حقيرا، و حيث احتلّ فالذلّ صاحبه

يسود و يعلو ذو التواضع دائما و يحظى كما يرضى و تقضى مآربه

و قال: [الخفيف]

ودّ من يصطفيك للنفع زور و الجميل الذى يريك غرور

إنما الودّ ودّ من ليس يخشى فيك ممّن يلوم أو من يضير

و قال: [السريع]

اشكر لمن والاك معروفا تكن بفضل النفس معروفا

شكر أخوا المنّة عدل فكن بالعدل مهما اسطعت موصوفا

من يكفر الإحسان لا بدّ أن يلقى عن الإحسان مصروفا

و قال: [مجزوء الرمل]

حسب الإنسان ماله و هو فى الدنيا كماله
يضجر الفقر أخوا الحل م و إن طال احتماله
عزة المرء غناه و به تحسن حاله
و قال: [مجزوء الرمل]

لا تصاحب أبدا من عقله غير متين
إن نقص العقل داء يتقى مثل الجنون
صحبة الأحقق عار لاحق فى كل حين
و قال: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١١٥
وافق الناس إن أردت السلامة إن روح الوفاق روح كرامه
من يوافق يعيش هنيئا قريبا آمنا من أذية و ملامه
فتوق الخلاف و احذر أذاه فركوب الخلاف عمدا ندامه
و قال: [الخفيف]

ظلمات الخطوب مهما ادلهمت يجلها كالصباح فجر انفراج
أرح النفس لا تبت حلف هم كم هموم فيها السرور يفاجى
و قال: [السريع]

من لم يكن يقصد أن يحمدا يعيش هنيئا و ينل أسعدا
من يتغى المدحة لا بد أن يلحقه الذل و أن يجهدا
عيش الفتى فى ترك تقيده و موته البحت إذا قيذا
و قال: [الخفيف]

قل لأهل الحاجات مهما ابتغوها حسبكم ما أتى من التنبيه
إن تريدوا الحاجات من غير بطاء فاطلبوها عند الحسان الوجوه
و قال: [البسيط]

خذ الأمور برفق و اتند أبدا إياك من عجل يدعو إلى و صب
الرفق أحسن ما تؤتى الأمور به يصيب ذو الرفق أو ينجو من العطب
من يصحب الرفق يستكمل مطالبه كما يشاء بلا أين و لا تعب
و قال: [السريع]

من يتغى السؤدد لا بد أن يرهقه الجهد فلا يضجر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١١٦
يصعب إدراك المعالى فمن يرم لحاق بعضها يصبر
لا يحصل السؤدد هينا و لا يظفر بالبغية إلّا جرى
و قال: [الخفيف]

عاش فى الناس من درى قدر نفسه ثم دارى جميع أبناء جنسه

علم الانسان قدره نبل عقل و ذكاء يبين عن فضل حدسه

و قال: [الرملة]

عظم الناس تنل تعظيمهم و اجتنب تحقيرهم فهو الردى

من ير الناس بتحقير يكن عندهم مؤذى حقيرا أبدا

لا يعزتك إهمال امرئ ربما يؤذى الذباب الأسدا

و قال: [الكامل]

حبّ الرياسة يا له من داء كم فيه من محن و طول عناء

طلب الرياسة فتّ أعضاد الورى و أذاق طعم الدّل للكبراء

إنّ الرياسة دون مرتبة التّقى فإذا اتّقيت علوت كلّ علاء

و قال: [مجزوء الكامل]

لا تركننّ إلى بشر إن شئت تأمن كلّ شرّ

ذهب الذين إذا ركنت لهم أمنّت من الضرر

لم يبق إلّا شامت أو من يضّر إذا قدر

و قال: [الخفيف]

خلّ رأى الجهّال ما اسطعت و اتبع رأى أهل الحلوم و التجريب

لا تحد عن مشورة فى مهمّ فهى ممّا تنمى حياة القلوب

رأى أهل الصلاح نور يجلى ظلمة الكرب فى ليالى الخطوب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١١٧

و قال: [السريع]

لا يرتضى بالدون إلّا امرء مقصّر ذو همّة خامله

الموت خير من حياة الفتى مهتضما ذا رتبة سافله

روح حياة المرء فى عزّه من ذلّ مات الميتة العاجله

و قال: [المجتث]

استغن عمّن تشاء فالله يغنيك عنه

من أمّل الناس يشقى و ليس يقنع منه

فإن ظفرت بحرّ فاحفظ عليه و صنه

و قال: [الكامل]

خذ من صديقك قدر ما يعطيك لا تبغ أزيد و احذر أن يجفوكا

من يبع مقدار الذى يحتاجه من أخيه يبق مخيبا متروكا

شأن الألى رزقوا الحجا أن يقنعوا فابغ القناعة إنها تغنيكا

و قال: [مجزوء الرمل]

هن إذا عزّ أخوكا و اخش أن يقرض فيكا

إن من عاند أقوى منه قد ضلّ سلوكا

نقص عقل أن تعادى بشرا لا يتقيكا

و قال: [الوافر]

تنزه ما حبيت عن القبيح و خالف من يرى ردّ النصيح
و خذ بالحزم مهما اسطعت و احذر من ان يلقيك حزمك في فضوح
فلا تعدل عن الحقّ التفاتا لغير الحقّ من بعد الوضوح

و قال: [مجزوء الرمل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١١٨

لا تخف في الحقّ لو ما صدقه ينجيك حتما

ينجلي الحقّ و يبدو نوره لا يتعمى

شأن ذى الحقّ اهتداء و أخو الباطل أعمى

و قال: [البسيط]

عامل بجّد جميع الناس تحظ به و جنّب الهزل إنّ الهزل يردىكا
الجّد أحسن ما تديده من خلق و الجّد أشرف ما فى الناس يعلىكا
من لازم الجّد هابته النفوس و من يهزل يكن أبدا فى الناس مهتوكا

و قال: [الوافر]

كفاك الله شرّ من اصطفيتا و ضرّ من اعتمدت و من عرفنا

جميع الناس موتى عنك إلّا معارفك الذين لهم ركتنا

تحفظ من قريب أو صديق و كن فى الغير دهر ك كيف شتتا

و قال: [البسيط]

من كان يرغب عن أحبابه و يرى تقرب أعدائه لا شكّ يهتضم

يدنى العدوّ فلا تدنو مودّته هيهات كلّ معاد قر به ندم

فاحفظ صديقك و احذر أن تعاديه إنّ الصديق إذا عاديته يصم

و قال: [الكامل]

جامل عدوك كى يلين حقه فيكفّ بعض البعض من إيذاءكا

و احفظ صديقك ما استطعت فإنه أدرى بطرق الضرّ من أعدائكا

و قال: [البسيط]

إذا ظفرت بمن أخنى عليك فخذ بالحلم فيه ودع ما منه قد فرطا

إنّ المسىء إذا جازيته أبدا بفعله زدته فى غيّه شططا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١١٩

العفو أحسن ما يجزى المسىء به يهينه أو يريه أنه سقطا

و قال: [الكامل]

قاتل عدوك بالفضائل إنها أعدى عليه من السهام التّفذ

كسب الفضائل عدّة تعليقك فى رتب بها سبل السعادة تحتذى

فاحرص على نيل الفضائل جاهدا إن الفضيلة صعبة في المأخذ

و قال: [المجتث]

وعد الكريم وفاء تجنيه كيف تشاء

ما حال قطّ كريم ولا ثناء التواء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧؛ ص ١١٩

فأنجز الوعد مهما وعدت فهو الزكاء

و قال: [الكامل]

ليس الغنى عن كثرة العرض إن الغنى في النفس إن ترض

رأس الغنى ترك المطامع عن زهد بلا ميل ولا غرض

فازهد تعش أغنى البريء في عزّ بلا همّ ولا مضض

و قال: [الكامل]

زمن الفضائل قد مضى لسيله و لوى بطيب العيش و شك رحيله

ركدت رياح الجدّ بعد هبوبها و علا فريق الهزل بعد خموله

هيهات ما زمن الكرام و ما هم ذهبوا و جدّ الدهر في تحويله

و قال: [المجتث]

مروءة المرء ثوبه و العرى في الناس عيبه

بثوبه المرء يعلو قدرا و يحفظ قربه

من لم يصن ثوبه لم يصن و إن لاح شبيهه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٢٠

و قال: [الخفيف]

لا تصخ ما بقيت حيا لقول ليس يجنى عليك إلا المضره

و أطرح ما أتاك منه و جنّب من يرى بالفضول و اتق ضره

و قال: [الطويل]

ثقل تراه النفس في العين كالقذى و كالجيل الراسي على الصدر و القلب

تثير غموم المرء رؤية وجهه و تشكو جفاه الأرض شكوى ذوى الكرب

و قال: [السريع]

أما ترى الأشجار مصفرة أوراقها كالشمس عند المغيب

ما هي إلا صفرة آذنت بأنها ترحل عمّا قريب

و قال: [مجزوء الكامل]

كل ما تحبّ و تشتهي ودع الطيب و ما يرى

حفظ الغذاء مشقة ليست تردّ مقدّرا

كم عدّ من متحفّظ كم صحّ ممّن قصّرا

كلّ التحفّظ زائد لا بدّ ممّا قدّرا

و قال: [مجزوء الكامل]

من كان يأكل ما اشتهى و يرى مخالفة الطيب
سيرى مضرة ما أتى بطرا و يندم عن قريب
إن التحفظ في الأمور لشيمة الفطن اللبيب
من لم يكن متحفظا يخطى و يبعد أن يصيب

و قال: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٢١
و للحمام حاءات إذا ما ظفرت بها عثرت على النعيم
فحناء و حكاك مجيد و قل حجر يمرّ على الأديم
و حوض مفعم ماء لذيذا و حجام على النهج القويم
و للحلق الحديدية حين تنمى و أطيبها حديث أخ كريم
و قال في الغزل، و هي آخر كتابه المذكور: [البسيط]

الله أكبر جلت فتنة البشر بنور غرتك المغنى عن البصر
شمس تطلع في أفق الجمال لها نور تألق في داج من الشعر
و وردة الخد في أبراد سوسنها شقائق زانها التغليف بالدرر
و مسكة الخال فوق الخد شاهدة بأن إبداعها إحكام مقتدر

[نبذة من كتابه «أنداء الدير، في المواعظ و الوصايا و الحكم»]

و هذه نبذة من كتابه «أنداء الدير، في المواعظ و الوصايا و الحكم» و كل ما فيه كالذى قبله من نظمه رحمه الله تعالى، فمن ذلك

قوله رحمه الله: [مجزوء الرجز]

العلم نور و هدى فكن بجّد طالبه
و احرص عليه و اعتمد فيه الأمور الواجبه
من لازم العلم علا على الأنام قاطبه

و قال: [الخفيف]

خالف النفس عند قصد هواها تبق ما عشت سالما من أذاها
فاتباع الهوى هوان و لكن هان للنفس كى تنال مناها

و قال: [الخفيف]

من يخالف في شىء الناس يرجع هدفا للشهام من كلّ راشق
كن مع الناس كيف كانوا، و وافق إن من لا يوافق الناس مائق

و قال: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٢٢
أرح النفس تنتفع بحياتك و اغنم العيش قبل وفاتك
و أطرح عيب من سواك، و سالم جملة الناس يغفلوا عن أذاتك
و اعتبر بالذين بادوا، و بادر ما يدانيك من سبيل نجاتك

و قال: [الخفيف]

سالم الناس ما استطعت، و جامل من يعاديك إن أردت السلامه
و تنزه عن القبيح و جنب من يرى بالفضول و احذر كلامه

و قال: [الوافر]

صديقي أنت ما أبقي بخير و موتى غير محتاج إليك
فإن أحتج إليك فأنت منى برىء لا صداقه لى عليك

و قال: [المجتث]

من أنت عنه غنى كن فيه مثل اعتقاده
فإن يكن منه ود فجازه بوداده
و إن يكن منه بعد فخله لبعاده

و قال: [المتقارب]

عليك بنفسك لا تشتغل بشىء سواها و خل الفضول
تعش رائح القلب فى غبطة فلا من يضّر و لا من يقول

و قال: [الخفيف]

أترك الفكر فى الأمور ودعها فكما قدرت تكون الأمور
كل فكر و كل رأى و حزم غير مجد إذا جرى المقذور

و قال: [البسيط]

هون عليك خطوب الدهر إن لها نهاية و التناهى عنده الفرج
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٢٣
و اصبر فإن لحسن الصبر عاقبة بصحبها ظلمة المكروب تنبلج

و قال: [الخفيف]

احذر البخل إنه شر خلق يتحلّى به و شر طريقه
من يجد غير مسرف فهو فى الناس موقى تشى عليه الخليقه

و قال: [الكامل]

الذلّ فى طلب الإفاده عزة فاحرص على نيل الإفاده ترشد
إن التعزّز فى الذى تحتاجه كبير، و كبير المرء أقبح مقصد

و قال: [البسيط]

دع من عرفت و لا تشدد عليه يدا و داره و تحفظ منه ما بقيا
أما ترى البلد الذى نشأت به محقرا كلما أصبحت معتليا
و غيره من بلاد الله قاطبة يعليك، لا سيما إن كنت متقيا

و قال: [الخفيف]

ينبغى للذى تحلّى بعقل أن يرى كالبازى مدة عمره
بين أيدى الملوك أو فى فلاة خيفة من شرور أبناء دهره

و قال: [مجزوء الكامل]

العزل يضحك ذلّه من تيه سلطان الولاية
فإذا وليت فسر على نهج الدماثة و الرعايه
و اقصد مداراة الورى و احذر كيود ذوى السعايه

و قال: [السريع]

لا تقبل الحكم على بلدة نشأت فيها؛ إنه يحقد
رياسة المرء على الأهل و ال جيران و الخلان لا تحمد

و قال: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٢٤
هى الدنيا إذا فكّرت فيها رأيت نعيمها سماً نقيعا
فلا تحفل بها و احذر أذاها فإنّ لسمّها قتلا ذريعا
و لا تأسف على ما فات منها و بادر فى حياتك أن تطيعا

و قال: [الخفيف]

كن وحيدا ما عشت تحيا بخير سالما من شرور كلّ البرية
إنّ من لا يخالط الناس يبقى دهره لا تعرفه منهم أذيه

و قال: [الخفيف]

لا تبج ما حيت يوما بسرّ لصديق و لا لغير صديق
إنّ سراً يجاوز الصدر فاش يدريه العدا و من فى الطريق

و قال: [الخفيف]

لا تصاحب ما عشت إلّا الكبارا تنم ذكرا و تعتلى مقدارا
إنّ من ماشى فى طريق حقيرا يكتسى منه مهنة و احتقارا
فتحفّظ من أن تواخى دتيا فهو يعديك ذلّه و صغارا

و قال: [الخفيف]

محدثات الأمور أردى الشرور فتحفّظ من محدثات الأمور
إنما المحدثات غيّ فدعها و اجتهد أن ترى مع الجمهور
كلّ من يتبع الحوادث يشقى و يرى نفسه بغير نظير

و قال: [مجزوء الرمل]

من تفضّلت عليه أنت لا شكّ أميره
و من احتجت إليه أنت بالرغم أسيره
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٢٥
و من استغنيت عنه أنت فى الدنيا نظيره

و قال: [السريع]

لم يبق من يطمع فى ودّه كلّا و لا من ترتضى صحبته

الناس أشباه ذئاب فهل يعلم ذئب حسنت عشرته
من يتغى اليوم صديقا كما يرضى فقد زلت به بغيته
و قال: [الرمل]

فاعل الخير موقى كل ما يتقى من ضرر أو من فتنه
ليس يخشى فاعل الخير أذى إن فعل الخير أوقى جنه
و قال: [الوافر]

تحفظ من صديقك في أمور فربتما يضر بك الصديق
من اعتمد الصديق و لم يبال يصبه الضر و هو به خليق
و قال: [البسيط]

لا تركزن لمخلوق و كن أبدا ممن توكل في الدنيا على الله
و لا تمل لسواه ما حيت فمن يرجو سوى الله هاو حبله واهى
و قال: [الخفيف]

طلب الغاية أتباع غوايه فاعتمد في الأمور ترك النهايه
من يكن راضيا بما يتسنى عاش عيش الملوك دون إذايه
و قال: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٢٦
لا تعتمد أبدا على مخلوق أن تبغ النجاح و تقصد الرشدا
من يرج غير الله يحرم رشده و يذل و هو مخيب قصدا
و قال: [الخفيف]

سفر المرء قطعاً من عذابه فيه تخليق جسمه و ثيابه
إنما العيش للفتى بين أهلى ه و خلّانه و فى أحبابه
من يردّه بخير الله يكفه كرب تجواله و ذلّ اغترابه
و قال: [البسيط]

سلم و لا تعترض يوما على أحد إن شئت تسلم من حقد و أضرار
من يعترض يعترض لا شك و هو حر بذاك فالشر مقدار بمقدار
و قال: [المجتث]

إنّ الصديق لعون فى كلّ ما تبغيه
فلا تسيء لصديق و احذر وقوعك فيه
فالمرء قيل كثير بنفسه و أخيه
و قال: [الخفيف]

افعل الخير ما استطعت نل ما تبغيه من الثناء الجميل
فاعل الخير آمن ليس يخشى صرف دهر و لا حلول جليل
و قال: [الوافر]

يحقّ الحقّ حتما دون شكّ و إن كره المشكّك و الملدّد
صريح الحقّ قد يخفى، و لكن بعيد خفائه لا شكّ يبدو
و قال: [مجزوء الكامل]

إن شئت عزّا دائما فاسلك سبيل من اقتنع
إنّ القناعة عزّة و الدّلّ عاقبة الطمع
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٢٧
المرء إن قنع اعتلى قدرا و إن طمع اتّضع
و قال: [الخفيف]

استعن في الأمور بالكتمان و تحفّظ من شرّ كلّ لسان
كلّ ما لا يدري من امرك فضل ليس فيه شيء من الخسران
و قال: [المجتث]

من مال عنك بشير مل أنت عنه بميل
فالله يغنيك عنه فمنه كلّ جميل
فليس في الودّ خير مع ترك حسن القبول
و قال: [المجتث]

لا تقطعنّ صديقا و إن يضق بك صدرا
و احرص عليه وزده إن يجف بزا و شكرا
فإنّ قطع صديق لا شكّ يعقب ضرّا
و قال: [الكامل]

خلّ التأنق في اللباس و سر على نهج الأفاضل في اختصار الملابس
إنّ التأنق في اللباس يكثر ال حساد و الأعداء للمتلبس
فالبس كمثّل الناس لا تخرج عن الم عتاد في شيء فتخطيء أو تسي
و قال: [المجتث]

لا تحقرنّ عدوّا و لو يكون كذره
و احذره ما اسطعت و اجهد أن لا تحرك شره
إنّ البعوضة تؤذى ال ملوك فوق الأسره
و قال: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٢٨
ما أهنا الإنسان في عيشه ما بين أهليه و في منزله
الدّلّ في الغربه يا كربها و كرب من قوّض عن معقله
و في اقتلوا أو اخرجوا شاهد ساوى خروج المرء مع مقتله
و قال: [البسيط]

المال يستر عيب المرء فاقتنه و احفظه تبقى موقى مدة الزمن

من ضييع المال أبدى عيبه و جنى تمهينه أبدا من كل ممتهن

و قال: [البسيط]

سريرة المرء تبديها شمائله حتى يرى الناس ما يخفيه إعلانا
فاجعل سريرتك التقوى ترى أملا في كل ما أنت تبغيه و برهانا

و قال: [السريع]

ما تمت الدنيا لشخص و لا أمل ذا فيها سوى من فتن
عادتها الفتك بمن رامها و كل من أعرض عنها أمن
فلا تغرنك بلداتها فإن من غر بها قد غبن

و قال: [الخفيف]

لا يكن عندك الخديم نديما إن قدر الخديم دون النديم
من ينادم خديمه يتأذى و يصير الخديم غير خديم
إنما يصلح الخديم ابتعاد و اشتغال بشأنه المعلوم

و قال: [الوافر]

تثبت في الأمور و لا تبادر لشيء دون ما نظر و فكر
قبيح أن تبادر ثم تخطى و ترجع للثبت دون عذر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٢٩

و قال: [الكامل]

كن في زمانك كيف يرضى أهله لا تعد طورهم و لا تتبدل
فإذا ترى الحمقى تحامق معهم و إذا ترى العقلاء فلتتعقل
من لم يكن أبدا كأهل زمانه يشقى، و لا يحظى بنيل مؤمل

و قال: [السريع]

الفاضل اليوم غريب بلا عون على شيء من الحق
إن غاب لم يحضر و إن قال لم يسمع و لم يؤبه بما يلقي
ما أضيع الفاضل يا ويحه كأنه ليس من الخلق

و قال و هو آخر «أنداء الديم»: [مجزوء الكامل]

العز عاقبة التقى و الذل عاقبة الرياسة

فإذا اتقيت علوت في أهل المجادة و النفاسه

و إذا رأست نزلت في طرق التخلق و السياسه

فلتختر التقوى و لا ترأس فتخطيك الكياسه

و كان تاريخ فراغه من كتاب «أنداء الديم» نصف شعبان عام واحد و ثلاثين و سبعمائة.

[بعض أناشيده التي كان ينشدها أهل مجلسه، لشعراء متعددين]

و لنذكر بعض أناشيده التي كان ينشدها أهل مجلسه ببلد قصبه ألمريه أعادها الله تعالى، فما أنشده رحمه الله تعالى لأبي العباس

أحمد بن العريف صاحب «محاسن المجالس»:

[الكامل]

من لم يشاور عالما بأصوله فيقينه في المشكلات ظنون
من أنكر الأشياء دون تيقن و تثبت فمعاند مفتون
الكلّ تذاكار لمن هو عالم و صوابها بمحالها معجون
و الفكر غوّاص عليها مخرج و الحقّ فيها لؤلؤ مكنون
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٣٠
و أنشد رحمه الله تعالى من و جادة: [مخلع البسيط]

أعوذ بالله من أناس تشيخوا قبل أن يشيخوا
احدودبوا و انحنوا رياء فاحذرهم إنهم فخور
و أنشد لنفسه رحمه الله تعالى: [مجزوء الرمل]
أقلل العشرة تغبط إن من أكثر ينحطّ

و عليك الصدق و احذر أن ترى في القول تشتطّ
و الزم الصمت إذا ما خفت أن تلحى فتغلط
فعلى الفاضل يلقى كلّ مفضول مسلط
و أنشد لنفسه أيضا: [مجزوء الرمل]

جنّة العالم «لا أدري» إذا ما احتاج جنّه
فإذا ما ترك الجنّة بانت فيه جنّه
فالزم الجنّة تسلم إنما الجنّة جنّه
و أنشد للحلاج رحمه الله تعالى: [مخلع البسيط]

يا بدر يا شمس يا نهار أنت لنا جنّة و نار
تجنّب الإثم فيك إثم و خشية العار فيك عار
يخلع فيك العذار قوم فكيف من لا له عذار
و أنشد ممّا ينسب للحلاج أيضا: [المديد]

سقمى فى الحب عافيتى و وجودى فى الهوى عدمى
و عذاب ترتضون به فى فمى أحلى من النعم
ما لضرّ فى محبتكم عندنا و الله من ألم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٣١

و أنشد لسيدى أبى العباس بن العريف فى «محاسن المجالس» و هى أحسن ما قيل فى طول الليل: [الخفيف]

لست أدري أطال ليلى أم لا كيف يدرى بذاك من يتقلّى
لو تفرغت لاستطالة ليلى و لرعى النجوم كنت مخلّا

إن للعاشقين عن قصر اللى ل و عن طوله من الفكر شغلا

و أنشد رحمه الله تعالى ممّا أنشده بعض الوعّاظ الغرباء: [الخفيف]

عانقت لام صدغها صاد لثمى فأرتها المرأة فى الخدّ لصا

فاسترايت لما رأت ثم قالت أكتابا أرى و لم أر شخصا
 قلت بالكشط ينمحي، قالت اكشط بالثايا و تابع الكشط مَصًا
 ثم لما ذهبت أكشط قالت كان لَصًا فصار و الله فَصًا
 قلت إن الفصوص تطبع باللث م على خَد كل من كان رخصا
 و أنشد لابن خفاجة: [الكامل]

و أعزّ كاد، لطافه و طلاقه، ينساب ماء بيننا مسكوبا
 قد قام في سطر الندامى فاستوى فحسبته ألفا به مكتوبا
 و أكب يشربها و تشرب ذهنه فرأيت منه شاربا مشروبا
 مشموله، بينا ترى في كفه ماء، ترى في خده ألهوربا
 و أنشد لابن عبد ربه صاحب العقد ممّا نسبه له الفتح في «مطمح الأنفس، و مسرح التأنس»: [الكامل]
 يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا و رشا بتقطيع القلوب رفيقا
 ما إن رأيت و لا سمعت بمثله درّا يعود من الحياء عقيقا
 و إذا نظرت إلى محاسن وجهه ألفيت وجهك في سناه عريقا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٣٢
 يا من تقطع خصره من رقه ما بال قلبك لا يكون رقيقا
 و أنشد لابن عبد ربه أيضا: [الخفيف]

ودعنتى بزورة و اعتناق ثم قالت: متى يكون التلاقى
 و تصدّت فأشرق الصبح منها بين تلك الجيوب و الأطواق
 يا سقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشاق
 إن يوم الفراق أفضح يوم ليتنى متّ قبل يوم الفراق
 و أنشد له أيضا: [الرمّل]

هيج البين دواعى سقمى و كسا جسمى ثوب الألم
 أيها البين أقلنى مرّة فإذا عدت فقد حلّ دمي
 يا خلّي الذرع نم في غبطه إن من فارقت لم ينم
 و لقد هاج لقلبي سقما حبّ من لو شاء داوى سقمى
 و أنشد للمصحفى: [الكامل]

صفراء تطرق فى الزجاج، فإن سرت فى الجسم دبّت مثل صلّ لادغ
 عبث الزمان بجسمها فتسترت عن عينه برداء نور سابغ
 خفت على شرابها فكأنما يجدون ريا فى إناء فارغ
 و أنشد لابن شهيد: [الرمّل]

هبّ من رقدته منكسرا مسيل للكمّ مرخ للردا
 يمسح النعسة عن عيني رشا صائد فى كلّ يوم أسدا
 شربت أعطافه خمر الصبا و سقاه الحسن حتى عربدا

رشأ بل غادة ممكورة عممت صباحا بليل أسودا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٣٣
 أحجمت من عضتي في نهدها ثم عصت حرّ وجهي عمدا
 فأنا المجروح من عصتها لا شفاني الله منها أبدا
 و أنشد لصفوان بن إدريس: [مخلع البسيط]
 حمى الهوى قلبه و أوقد فهو على أن يموت أوقد
 و قال عنه العذول سال قلده الله ما تقلد
 و باللوى شادن عليه جيد غزال و لحظ فرقد
 علله ريقه بخمر حتى انتشى طرفه فعربد
 لا تعجبوا لانهمام طرفي فجيش أجفانه مؤيد
 أنا له كالذي تمتى عبد، نعم، عبده و أزيد
 إن بسملت عينه لقتلى صلى فؤادي على محمد
 و أنشد لأبي على إدريس بن اليماني: [مخلع البسيط]
 علّته شادنا صغيرا و كنت لا أعشق الصغارا
 يسفر عن مستنير وجه صير جنح الدجى نهارا
 لم أر من قبل ذاك ماء أضرم فيه الحياء نارا
 و أنشد للزّمادى، أو لابن برد القرطبي: [مجزوء الكامل]
 لما بدا في لازور دىّ الحرير و قد بهر
 كبرت من فرط الجمال و قلت: ما هذا بشر
 فأجابني: لا تنكروا ثوب السماء على القمر
 و أنشده من وجادة: [السريع]
 يا ذا الذى عدب محبوبه أنخت عيس العزّ مغنى الهوان
 لم ينبت الشعر على خده بل دبّ فى أصداعه عقربان
 رفقا على نفسك لا تفنّها فجوهر الأنفوس درّ يسان
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٣٤
 و أنشد من حديقه ابن يربوع: [المجتث]
 غزا القلوب غزال حجّت إليه العيون
 خطت بخديه نون و آخر الحسن نون
 و أنشد من وجادة: [السريع]
 أودع فؤادي حرقا أو دع ذاتك تؤذى، أنت فى أضلعي
 و ارم سهام اللّحظ أو كفّها أنت بما ترمى مصاب معي
 موقعها قلبى، و أنت الذى مسكنه فى ذلك الموضع
 و أنشد من حديقه ابن يربوع: [الوافر]

يخطّ الشوق شخصك في ضميرى على بعد التزاور خطّ زور

و تدنيك الأمانى من فوادى دنوّ البرق من لمح البصير

فلا تذهب فإنك نور عيني إذا ما غبت لم تطرف بنور

و أنشد للوزير المصحفى: [الطويل]

لعينيك فى قلبى على عيون و بين ضلوعى للشجون فنون

لئن كنت صبّا مخلقا فى يد الهوى فحبك غصّ فى الفؤاد مصون

نصيبى من الدنيا هواك، و إنه عذابى، و لكنى عليه ضنين

و أنشد لصالح بن شريف: [الرملى]

أيها العاذل بالله أتند لك قلب فى ضلوعى أو كبد

هى أجفانى فذرها تنهمى هى أحشائى فدعها تتقد

لا تظنّ الحبّ شيئا هينا ليس فى الحبّ قياس يطرد

أنت خلو و أنا صبّ شج فإذا حدثت عنى قل وزد

فاترك اليوم ملامى إنه يترك الشىء إذا ما لم يفد

أنا أسلو عن حبيبي ساعة يا عدولى، قل هو الله أحد

و أنشد له أيضا: [مخلع البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٣٥

وافى و قد زانه جمال فيه لعشاقه اعتذار

ثلاثة ما لها شبيه: الوجه و الخدّ و العذار

فمن رآه رأى رياضا الورد و الآس و البهار

و أنشد من حديقه ابن يربوع: [الطويل]

عليك يا كرام و بزّ لستة من الناس و احذر شرهم و توقّه

طيب و حجّام و شيخ و شاعر و صاحب ديوان و من يتفقّه

و أنشد لبعض الصوفية: [مجزوء الخفيف]

ما ترى عند أحرق فى أمور توسطا

بل تراه فى أمره مفرطا أو مفرطا

و أنشد لبعض الأدباء: [السريع]

الصبر أولى بوقار الفتى من قلق يهتك ستر الوقار

من لازم الصبر على حاله كان على أيامه بالخيار

[خاتمة الباب الثالث، و فيها سرد لجماعة من شيوخ لسان الدين]

و لنقتصر من ترجمة ابن ليون على هذا القدر، فقد حصلت الإطالة، بل و نكتفى من مشايخ لسان الدين بمن ذكرنا، و لنورد ما فى

الإحاطة فى ترجمة مشيخته و إن تكرر مع ما تقدّم، و نصّه: المشيخة- قرأت كتاب الله عزّ و جلّ على المكتب نسيج وحده فى تحمّل

المنزل حقّ حملة تقوى و صلاحا و خصوصية و إتقانا و نعمة و عناية و حفظا و تجرّفا فى هذا الفن و اطلاعا لغرائب، و استيعابا لسقطات

الأعلام، الأستاذ الصالح أبى عبد الله بن عبد المولى العواد، تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا إلى مقررات أبى عمرو رحمة الله عليهما. ثم

نقلني إلى أستاذ الجماعة ومطية الفنون، ومفيد الطلبة، الشيخ الخطيب المتفنن أبي الحسن على القيجاطي، فقرأت عليه القرآن و العربية، وهو أول من انتفعت به. وقرأت على الخطيب الحسيب الصدر أبي القاسم بن جزى رحمه الله تعالى. ولازمت قراءة العربية و الفقه و التفسير، و المعتمد عليه العربية، على الشيخ الأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن الفخار البيري، الإمام المجمع على إمامته في فن العربية، المفتوح عليه من الله حفظا و اطلاعا و نقلا و توجيها، بما لا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٣٦

مطمع فيه لسواه. وقرأت على قاضي الجماعة الصدر المتفنن أبي عبد الله بن بكر رحمه الله.

و تأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الأعلى، الصالح الفاضل، أبي الحسن بن الجياب.

و رويت عن الكثير ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرواية، كالمحدث أبي عبد الله بن جابر، و أخيه أبي جعفر، و القاضي الشهير الشيخ بقيه السلف شيخنا أبي البركات بن الحاج، و الشيخ المحدث الصالح أبي محمد بن سلمون، و أخيه القاضي أبي القاسم بن سلمون، و أبي عمرو ابن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، و له رواية عالية، و الأستاذ اللغوي أبي عبد الله بن بيش، و المحدث الكاتب أبي الحسن التلمساني المسن، و الحاج أبي القاسم بن المهني الملقى، و العدل أبي محمد السعدي، تحمل عن الإمام ابن دقيق العيد، و القائد الكاتب ابن ذي الوزارتين أبي بكر بن الحكيم، و القاضي المحدث الأديب، جملة الظرف، أبي بكر بن شبرين، و الشيخ أبي عبد الله بن عبد الملك، و الخطيب أبي جعفر الطنجالي، و القاضي أبي بكر بن منظور، و الرواية أبي عبد الله بن حزب الله، كلهم من مالقة، و القاضي أبي عبد الله المقرئ التلمساني، و الشريف أبي علي حسن بن يوسف، و الخطيب الرئيس أبي عبد الله بن مرزوق، كلهم من تلمسان، و المحدث الفاضل الحسيب أبي العباس بن يربوع، و الرئيس أبي محمد الحضرمي السبتيين، و الشيخ المقرئ أبي محمد بن أيوب الملقى آخر الرواة عن ابن أبي الأحوص، و أبي عثمان بن ليون من أهل ألمرية، و القاضي أبي الحجاج المتشاقري من أهل رندة، و طائفة كبيرة من المعاصرين [تحملا و تدبجا]، و من أهل العدو الغربية و المشرق و إفريقية الكثير بالإجازة. و أخذت الطب و التعاليم و المنطق، و صناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا بن زهير، و لانزمت. هذا على سبيل الإلماع، و لو تفرغت لذكر أفذاذهم، لخرج هذا التأليف عما وضع له. انتهى كلامه في «الإحاطة».

و قد ذكرت في هذا الباب زيادة في بعض التراجم على ما في «الإحاطة» على ما اقتضاه الحال، إذ ذاك لا يخلو من فائدة زائدة، و حكمة بالخير عائدة.

و لو لم يكن في هذا الكتاب غير هذا الباب لكان كافيا؛ لاشتماله على تصوف و حكم و كرامات و آداب و وصايا و إنشادات و غيرها، مما يغني عن خبره العيان، و يشاق إلى الوقوف عليه ذوو الملكة في البيان، و لو لم يشتمل إلا على المدائح النبوية التي فيه لتمت محاسنه، و الله سبحانه و تعالى ينفع به، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و على آله و صحبه و تابعيه و حزبه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٣٧

الباب الرابع [من القسم الثاني] في مخاطبات الملوك و الأكابر

إشارة

في مخاطبات الملوك و الأكابر الموجهة إلى حضرته العلية، و ثناء غير واحد من أعلام أهل عصره عليه، و صرف القاصدين وجوه التأميل إليه، و اجتلائهم أنوار رياسته الجليلة، و كتبهم بعض المؤلفات باسمه، و وقوفهم عند إشارته و رسمه، و ما يضاها ذلك في حظه و قسمه، و سعيهم بين يديه.

[من السلطان أبي زيان المريني إلى لسان الدين و ترجمة السلطان أبي زيان المريني عن «الإحاطة» لسان الدين]

اعلم - سلك الله بي و بك الطريق الأقوم الأقوى! و حلّى صدور جميعنا بزينة التقوى! - إن لسان الدين ذكر في كتبه كالإحاطة و نفاضة الجراب و غيرها جملة ممّا خاطبه به الملوك و غيرهم، من تبجيل و تنويه، و لنذكر بعض ذلك من كتبه و من غيرها تميماً للمقصود، و تبليغا لنفوس الناظرين في هذه العجالة ما تؤمله و تنويه.

فمن ذلك ما ذكره في «الإحاطة» من إكرام السلطان أبي زيّان المريني ابن الأمير أبي عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن له، و سرد ما كتب له به من قوله: هذا ظهير، إلى قوله:

أيده الله و نصره! و سنّى له الفتح المبين و يسّره! و بعد ما صورته: «للشيخ الفقيه الأجلّ الأسنى، الأعزّ الأخطى الأرفع الأبعد الأسمى الأوحّد الأنوه الأرقى، العالم العلم الرئيس، الأعرّف المتفنن الأبرع المصنّف المفيد الصدر الأحفل الأفضل الأكمل أبي عبد الله بن الشيخ الفقيه الوزير الأجلّ الأسنى الأعزّ الأرفع الأبعد الوجه الأنوه الأحفل الأفضل الحسيب الأصيل الأكمل المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب، قابله أيده الله بوجه القبول و الإقبال، و أضفى عليه ملابس الإنعام و الإفضال، و رعى له خدمة السلف الرفيع الجلال، و ما تقرّر من مقاصده الحسنه في خدمة أمرنا العال، و أمر في جملة ما سوّغه من الآلاء الوارفة الظلال، الفسيحة المجال، بأن يجدد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدّم تاريخها المتضمنة تمشية خمسمائة دينار

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٣٨

من الفضة العشرية في كل شهر عن مرتب له و لولده الذي نظره من مجبى مدينة سلا حرسها الله في كل شهر، و من حيث جرت العادة أن يتمسّى له، و رفع الاعتراض بابها فيما يجلب من الأدم و الأقوات على اختلافها من حيوان و سواه، و فيما يستفيده خدامه بخارجها و أحوازها من عنب و قطن و كتّيان و فاكهة و خضر و غير ذلك، فلا يطلب في شيء من ذلك بمغرم و لا وظيف، و لا يتوجّه فيه إليه بتكليف، يتّصل له حكم جميع ما ذكر في كل عام تجديدا تاماً، و احتراماً عامّاً، أعلن بتجديد الحظوة و اتّصالها، و إتمام النعمة و إكمالها، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن، و من الآن إلى ما يأتي على الدوام، و اتّصال الأيام، و أن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعى و المحاشاة في السّخر مهما عرضت، و الوظائف إذا افترضت، حتى يتّصل له تالد العناية بالطارف، و تتضاعف أسباب المنن و العوارف، بفضل الله، و تحرّر له الأزواج التي يحرثها بتالمغت من كل وجيبة، و تحاشى من كلّ مغرم أو ضريبة، بالتحريير التام بحول الله و عونه، و من وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه، و ليمض ما أمضاه، إن شاء الله، و كتب في العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة و ستين و سبعمائة، و كتب في التاريخ، انتهى.

و قوله «و كتب في التاريخ» هو العلامة السلطانية في ذلك الزمان، يكتب بقلم غليظ، و بعض ملوك المغرب يكتب عنه العلامة «صحّ في التاريخ».

و قد عرّف لسان الدين في «الإحاطة» بهذا السلطان بما نصه: محمد بن يعقوب بن عبد الرحمن بن علي أمير المسلمين بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أمير المسلمين بالمغرب إلى هذا العهد، يكنى أبا زيّان، وصل الله نصره على عدوّ الدين! و أرشده إلى سنن الخلفاء المهتدين!.

حاله - فاضل سكون منقاد، مشتغل بخاصية نفسه، قليل الكلام، حسن الشكل، درب برقص الخيل، مفوض للوزراء، عظيم الثأني لأغراضهم، و وكلّ الأمور لمن استكفاه منهم، استقدم من أرض النصارى بالأندلس و قد فرّ إليهم خوفاً على نفسه، فسمح به ملك الروم بعد اشتراط و اشتطاط، فكان وصوله إلى مدينة الملك بفاس يوم الاثنين الثاني و العشرين لصفّر عام ثلاثة و ستين و سبعمائة، و دخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان و به السعد الأعظم كوكب المشتري من الكواكب السيّارة، و قد كان الوزير قيم الأمر و المثل في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٣٩

الكفاية والاستطلاع بالعظيمة عمر بن عبد الله بن علي الياباني لَمَّا ثار بعمه السلطان أبي سالم رحمه الله تعالى و أقام الرسم بأخيه المعتوه المدعو بأبي عمر استدعى هذا المترجم به، و قد نازله الأمير عبد الحليم ابن عمهم، و توجه عنه رسوله أثناء الحصار لَمَّا رأى الأمر لا يستقيم بمن نصبه، فتلطف فيه إلى طاغية النصارى، و استعان بالسلطان أبي عبد الله بن نصر، و قد جمعتهما إيالته، فتم له اللحاق بالمغرب، و انصرف الأمير عبد الحليم إلى سجلماسة فتملكها، و تم الأمر للأمير أبي زيان يقوم به عنه وزيره و مستدعيه المذكور مصنوعا له في خدمته، أعانه الله تعالى! و أصلح حاله و أحوال الخلق على يديه! و وفدت عليه من محلّ الانقطاع بسلا و أنشدته قولي: [الطويل]

لمن علم في هضبة الملك خفاق أفاقت به من غشية الهرج آفاق
تقلّ رياح النصر عنه غمامة تمدّ لها أيد و تخضع أعناق
و بيعه شورى أحكم السعد عقدها و أعمل إجماع عليها و إصفاق
قضى عمر فيها بحقّ محمد فسجل عهد للوفاء و ميثاق
أ حلما ترى عيناى أم هي فترة؟ أعند كما في مشكل الأمر مصداق
و فاض لفضل الله في الأرض تبتغي و مجتمعات لا تريب و أسواق
و سرح تهنيه الكلاءة بالكلا و فلاح لسقى الغيث قام له ساق
و قد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا و للفتنة العمياء في الأرض إطباق
و للغيث إمساك و في الأرض رجّة و للدين و الدنيا و جوم و إطراق
فكلّ فريق فيه للبغي رايه و كلّ طريق فيه للغيث طراق
أجل إنه من آل يعقوب وارث يحنّ له البيت العتيق و يشناق
له من جناح الروح ظلّ مسجف و من رفرغ العزّ الإلهي رستاق
أطلّ على الدنيا و قد عاد ضوءها دجى و على الأحداق للذعر إحداق
فأشرقت الأرجاء من نور ربّها و ساح بها لله لطف و إشفاق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٤٠
فمن ألسن لله بالشكر أعلنت و كان لها من قبل همس و إطباق
و ليس لأمر أبرم الله ناقض و ليس لمسعى النجاح في الله إخفاق
محمد قد أحييت دين محمد و للخلق أذماء تفيض و أرماق
و لو لم تثب غطى على شفق الضحى دم لسيوف البغى في الأرض مهراق
فأيمن بمشحون من الفلك سابع له باختيار الله حطّ و إيساق
أقلّك و الدماء تظهر طاعة إليك و صفح الماء أزرق رقرق
إلى هدف السعد أنبرى منه و الدجى يضلّ الحجا سهم من السعد رشاق
فخطت لتقويم القوام جداول و صحت من التوفيق و اليمن أوفاق
تبارك من أهداك للخلق رحمة و مستبعد أن يهمل الخلق خلاق
هو الله يبلو الناس بالخير فتنة و بالشرّ، و الأيام سمّ و ترياق
سمت منك أعناق الورى لخليفه له في مجال السعد عدو و إعناق
و قالوا بنان ما استقلّ بكفه تفيض على العافين أم هي أرزاق

و أظنّب فيكّ المادحون و أغرقوا فلم يجد إطناب و لم يغن إغراق
ألست من القوم الذين أكفهم غمام ندى إن أخلف الغيث غيداق
ألست من القوم الذين وجوههم بدور لها في ظلمة الروح إشراق
رياض إذا العافي استظلّ ظلّالها ففيها جنّى ملء الأكف و إبراق
أبوك وليّ العهد لو سالم الردى و جدّك قد فاق الملوك و إن فاقوا
فمن ذا له جدّ كجدّك أو أب لآلئ و المجد المؤثّل نساق
و حسب العلافى آل يعقوب أنهم هم الأصل فى العلياء و الناس ألقاق
أسود سروح أو بدور أسرة فإن حاربوا راعوا و إن سالموا راقوا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٤١
يطول لتحصيل الكمال سهادهم فهم للمعالى و المكارم عشاق
و منها:

لئن نسيت إحسان جدّك فرقه تزرّ على أعناقهم منه أطواق
أجازت خروج ابن ابنه عن تراثه و لم تدر ما ضمت من الذكر أوراق
و من دون ما راموه لله قدرة و من دون ما أموه للفتح أغلاق
خذ العفو و ابذل فيهم العرف و لتسع جريرة من أبدى لك الغدر أخلاق
فربّما تنبو مهتدة الطبا و تهفو حلوم القوم و القوم حدّاق
و ما الناس إلّا مذنب و ابن مذنب و لله أرفاد عليهم و إرفاق
و لا ترج فى كلّ الأمور سوى الذى خزائنه ما ضرّها قطّ إنفاق
إذا هو أعطى لم يضر منع مانع و إن حشدت طسم و عاد و عملاق
عرفت الردى و استأثرت بك للعدا تخوم بمخبط الصليب و أعماق
فيسرّ ليسرى و أحيا بك الورى و للروع إرعاد عليك و إبراق
فجاز صنع الله و ازدد بشكره مواهب جود غيثها الدهر دفاق
و أوف لمن أوفى و كاف الذى كفى فأنت كريم طهرت منك أعراق
و تهنيك يا مولى الملوك خلافة شجتها تباريح إليك و أشواق
فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها و كم فاز بالوصل المهنا مشتاق
فلا راع منها السرب للدهر رائع و لا نال منها جدّة السعد إخالق
أمولاي راع الدهر سرى و غالنى فطرفى مذعور و قلبى خفاق
و ليس لكسرى غيرك اليوم جابر و لا ليدى إلّا بمجدك أعلاق
و لى فيك ودّ و اعتداد غرسته فراقت به من يانع الحمد أوراق
و قد عيل صبرى فى ارتقابى خليفه تحلّ به للضرّ عنى أوهاق
و أنت حسام الله و الله ناصر و أنت أمين الله و الله رزاق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧، ص: ١٤١
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٤٢

و أنت الأمان المستجار من الردى إذا راع خطب أو توقع إملاق
و أهون ما ترجى لديك شفاعته إذا لم يكن عزم حثيث و إرهاق
و دونكها من ذائع الحمد مخلص له فيك تقييد يروق و إطلاق
إذا قال أما كل سمع لقوله فمصغ، و أما كل أنف فنشاق
و دم خافق الأعلام بالنصر كلما ذهب لمسعى لم يكن فيه إخفاق
و عدت منه ببر كثير، و احترام شهير.

دخوله غرناطة- لحق بها مفلتا عند القبض على قرابته و بنى عمه و تقريبيهم إلى مصارعهم، فكان وصوله في رمضان من عام خمسين و سبعمائة، ثم رابه رائب لحق لأجله بصاحب قشتالة، و أقام في جملته إلى حين استدعائه المتقرر آنفا، و هو لهذا العهد أمير المسلمين بالمغرب، أعانه الله تعالى على الخير، و أطلق به يده، و ألهمه إلى ما يرضى منه بفضله و كرمه، انتهت الترجمة.

تعقيب لابن مرزوق على كلام لسان الدين في «الإحاطة»

و رأيت على هامش هذا المحل من «الإحاطة» بخط الخطيب الشهير الإمام أبي عبد الله بن مرزوق التلمساني رحمه الله ما صورته: توفي- يعنى السلطان أبا زيان- معتالا عام ست و ستين، على يد مظاهره الخائن عمر بن عبد الله بن علي الوزير، رداه في بئر، و أشاع أنه أفرط في السكر، و ألقى نفسه في البئر المعروفة برياض الغزلان، و بايع لعمه عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن، فسأله الله عليه، و أخذ حقوق الخلائق على يديه، فقتله غيلة بعد أن كان تغلب عليه، فأعمل الحيلة في قتله، و استمر ملك عبد العزيز ظاهرا ظافرا قد جمع بين المغرب إلى أقصاه و بين ملك تلمسان و قد شرّد أهلها كل مشرد، فعندما أقبلت الدنيا عليه، و استقام ملكه، و كاد يلحق ملك أبيه أو يزيد مات رحمه الله تعالى، قيل: مطعونا، و قيل غير ذلك، و ذلك في حدود أربع و سبعين، و ولى ولده، ثم عزل بابن عمه أبي العباس بن السلطان أبي سالم، و حاز ملك المغرب إلى حين كتب هذا سنة سبع و سبعين و سبعمائة؛ انتهى ما ألفيته بخط سيدى أبي عبد الله بن مرزوق.

و رأيت تحته بخط ابن لسان الدين أبي الحسن على ما صورته: رحمه الله عليك يا عمر بن عبد الله بن علي، فلقد كنت غسلت ملك المغرب من درن كبير، و قمت على ملك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٤٣

لهو و ضعف شهير، و شهرت سيف الحق، على الزواكرة الخرق، فابتهج منبر الدين، انتهى.

و مراده بهذا الكلام الردّ على ابن مرزوق في ذمه للوزير عمر، و قوله «الزواكرة» لفظ يستعمله المغاربة، و معناه عندهم المتلبس الذى يظهر النسك و العبادة و يبطن الفسق و الفساد، و عند الله تجتمع الخصوم.

من السلطان أبي سالم المريني إلى لسان الدين

و لنرجع إلى ما كنّا بسبيله فنقول:

و ممّا خوطب به ابن الخطيب رحمه الله تعالى! من قبل سلطان المغرب المستعين بالله أبي سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن المريني ما صورته بعد البسملة و الصلاة:

«من عبد الله المستعين بالله إبراهيم أمير المسلمين، المجاهد فى سبيل ربّ العالمين، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل ربّ العالمين، أبي الحسن، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل ربّ العالمين، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، أريد الله أمره! و

أعز نصره! إلى الشيخ الفقيه الأجلّ الأسنى الأعزّ الأخطى الأوجه الأنوه الصدر الأحفل المصنّف، البليغ الأعراف، الأكمل أبى عبد الله بن الشيخ الأجلّ الأعزّ الأسنى الوزير الأرفع الأنجد الأصيل الأكمل المرحوم المبرور أبى محمد بن الخطيب، وصل الله عزّته! وإلى رفعتة!

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

«أمّيا بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم المصطفى، والرضا عن آله وصحبه أعلام الإسلام، وأئمة الرشد والهدى، وصلته الدعاء لهذا الأمر العليّ العزيز المنصور المستعينيّ بالنصر الأعزّ والفتح الأسنى، فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله تعالى لكم بلوغ الأمل، ونجح القول والعمل! - من منزلنا الأسعد بصفة تازا ملوية يمنه الله، وصنع الله جميل، ومنه جزيل، والحمد لله، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل، والعناية المتكفلة برعى الوسائل، ذلكم لما تميّزتم به من التمسّك بالجناب العليّ، المولوى العلوى، جدّد الله تعالى عليه ملابس غفرانه! وسقاه غيوث رحمته وحنانه! وما أهديتم إلينا من التقرب لدينا، بخدمه ثراه الطاهر، والاشتمال بمطارف حرمة السامية المظاهر. وإلى هذا وصل الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٤٤

حظوتكم وإلى رفعتكم، فإنه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده، المقابل بالإسعاف المستعذب وردّه، فوقفنا على ما نصّه، واستوفينا ما شرّحه وقصّه، فأثرنا حسن تلطّفكم فى التوسّل بأكبر الوسائل إلينا، ورعينا أكمل الرعاية حقّ ذلكم الجناب العزيز علينا، وفى الحين عيّنا لكمال مطلبكم، وتمام مأربكم، والتوجّه بخطابنا فى حقّكم، والاعتماد بوفيقكم، خديمينا أبا البقاء بن ناسكورت وأبا زكريا بن فرجائه، أنجدهما الله وتولّاهما! وأمس تاريخه انفصلا مودعين إلى العرض المعلوم، بعد التأكيد عليهما فيه، وشرح العمل الذى يوفيه، فكونوا على علم من ذلكم، وابتسوا له جملة آمالكم، وإنّا لنرجو ثواب الله فى جبر أحوالكم، وبرء اعتلالكم، والله سبحانه وتعالى يصل مبرّتكم، ويتولّى تكرمتكم! والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كتب فى الرابع والعشرين لرجب عام واحد وستين وسبعمئة».

من لسان الدين إلى السلطان أبى سالم المرينى

فراجعه ابن الخطيب بما نصه: «مولاي خليفة الله بحق، وكبير ملوك الأرض عن حجّة، ومعدن الشفقة والحرمة ببهان وحكمة، أبقاكم الله تعالى عالى الدرجة فى المنعمين! وافر الحظّ عند جزاء المحسنين، وأراكم ثمرة برّ أبيكم فى البنين، وصنع لكم فى عدوكم الصنع الذى لا يقف عند معتاد، وأذاق العذاب الأليم من أراد فى مثابتمك بالحداد، عبدكم الذى ملكتم رقه، وآويتم غربته، وسترتم أهله ولده، وأسنتم رزقه، وجبرتم قلبه، يقتيل موطن الأخصم الكريم من رجلكم الطاهرة، المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر، الفارعة هضبة العز، المعملة الخطو فى مجال السعد، وميسر الحظّ ابن الخطيب، من شالته التى تأكد بملككم الرضى احترامها، وتجدد برعيكم عهدها، واستبشر بملككم دفينها، وأشرق بحسناتكم نورها. وقد ورد على العبد الجواب المولوى البرّ الرحيم، المنعم المحسن بما يليق بالملك الأصيل، والقدر الرفيع، والهمة السامية، والعزة القعساء، من رعى الدخيل، والنصرة للدّمام، والاهتزاز لبرّ الأب الكريم، فتاب الرجاء، وانبعث الأمل، وقوى العصد، وزار اللطف، فالحمد لله الذى أجرى الخير على يدكم الكريمة، وأعانكم على رعى ذمام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٤٥

الصالحين، المتوسّل إليكم أولا بقبورهم، ومتعباتهم وتراب أجداثهم، ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق أجمعين الذى تسبب فى جودكم، واختصّكم بحبّه، وغمركم بلطفه وحنانه، وعلمكم آداب الشريعة، وأورثكم ملك الدنيا، وهياتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة بعد طول المدى وانبساط البقاء، وفى علومكم المقدسة ما تضمّنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر

داست أفراخه ناقه في جوار رئيس منهم، و ما انتهى إليه الامتعاض لذلك مدياً أهنت فيه الأنفس و هلكت الأموال، و قصارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خدامكم من عرب تامسنا، فما الظن بكم و أنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن لجأ أولاً- إلى رحماكم بالأهل و الولد عن حسنة تبرعتم بها، و صدقة حملتكم الحرية على بذلها؟ ثم فيمن حطّ رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم دافع العين خافق القلب واهى الفرعة، يتغطى بردائه، و يستجير بعليائه، كأننى تراميت عليهم فى الحياة أمام الذعر الذى يذهب العقل و يحجب عن التمييز بقصر داره و مضجع رقادته، ما من يوم إلّا و أجهر بعد التلاوة: يا يعقوب، يا لمين، نسأل الله تعالى أن لا يقطع عنى معروفكم، و لا- يسلبنى عنايتكم، و يستعملنى ما بقيت فى خدمتكم، و يتقبل دعائى فيكم. و لحين وصول الجواب الكريم نهضت إلى القبر المقدّس و وضعت يازائه، و قلت: يا مولاي، يا كبير الملوك، و خليفة الله، و بركة بنى مرين، صاحب الشهرة و الذكر فى المشرق و المغرب، عبدك المنقطع إليك، المترامى بين يدى قبرك، المتوسّل إلى الله ثم إلى ولدك بك، ابن الخطيب، وصله من مولاه و ولدك ما يليق بمقامه من رعى وجهك، و التقرب إلى الله تعالى برعيتك، و الاشتهار فى مشرق الدنيا و مغربها ببرك، و أنتم من أنتم من إذا صنع صنيعه كملها، و إذا منّ منه تممها، و إذا أبدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة و لا ممنونة و لا منتقصه، و أنا بعد تحت ذيل حرمتك و ظلّ دخيلك، حتى يتمّ أملى، و يخلص قصدى، و تحفّ نعمتك بى، و يطمئنّ إلى مأمّلك قلبى. ثم قلت للطلبه: أيها السادة، بينى و بينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام و مناسبة النحلة و أخوة التأليف بهذا الرباط المقدّس و السكنى بين أظهركم، فأتمنوا على دعائى بإخلاص من قلوبكم، و اندفعت فى الدعاء و التوسّل الذى نرجو أن يتقبله الله تعالى، و لا يضيعه، و خاطب العبد مولاه شاكرًا لنعمته مشيدًا بصنيعته، مسرورا بقبوله، و شأنه من التعلّق و التطارح شأنه حتى يكمل القصد و يتمّ الغرض، معمور الوقت بخدمة يرفعها، و دعاء يرّده، و الله المستعان؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٤٦

من لسان الدين إلى السلطان أبى سالم]

و كان تقدّم من لسان الدين كتاب للسلطان المذكور، و كان ما سبق من كتاب السلطان جوابا له، و ذلك بعد رجوع لسان الدين من مراکش و استقراره فى مدينه سلا برباط شالة مدفن السلاطين من بنى مرين، و منهم السلطان أبو الحسن والد السلطان أبى سالم المذكور، و نصّ الكتاب:

«مولاي المرجو لإتمام الصنيعه و صلة النعمة و إحراز الفخر، أبقاكم الله تعالى تضرب بكم الأمثال فى البرّ و الرضا و علوّ الهمة و رعى الوسيلة، مقبل موطئ قدمكم المنقطع إلى تربة المولى والدكم ابن الخطيب من الضريح المقدّس بشالاه، و قد حطّ رحل الرجاء فى القبة المقدّسة، و تيمّم بالتربة الزكية، و قعد بإزاء لحد المولى أبيكم ساعة إياه من الوجهة المباركة و زيارة الرّبط المقصودة و الترب المعظمة، و قد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم و الدخيل المرعى حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الأرض ثم عليكم، و التماس شفاعته من أمر سهل عليكم لا- يجر إنفاذ مال و لا اقتحام خطر، إنما هو إعمال لسان، و خطّ بنان، و صرف عزم، و إحراز فخر و أجر، و إطابة ذكر، و ذلك أنّ العبد عرفكم يوم وداعكم أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدّس بلسان المقال ما يحضر ممّ يفتح الله تعالى فيه، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقّى عنه من الجواب، و قال لى صدر دولتكم و خالصتكم و خالصه المولى والدكم سيدى الخطيب- يعنى ابن مرزوق- سنّى الله تعالى أمله من سعادة مقامكم و طول عمركم: أنت يا فلان و الحمد لله ممّن لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين، و صدر عنكم من البشر و القبول و الإنعام ما صدر، جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين! و قد تقدّم تعريف مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله إلى التربة الزكية عنكم حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم، و العبد الآن يعرض عليكم الجواب، و هو أنى لّمّا فرغت من مخاطبته بمرأى من الملاّ الكبير، و الجمّ الغفير، أكببت على اللحد الكريم داعيا و مخاطبا، و أصغيت بأذنى نحو قبره، و جعل فؤادى يتلقّى ما يوحيه إليه لسان حاله،

فكأنى به يقول لى: قل لمولاك: يا ولدى و قره عيني، المخصوص برضاى و بزى و ستر حريمى ورد ملكى الذى صان أهلى و أكرم صنائعى و وصل عملى، أسلم عليك، و أسأل الله تعالى أن يرضى عنك و يقبل عليك، الدنيا دار غرور، و الآخرة خير لمن اتقى: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٤٧

و ما الناس إلّا هالك و ابن هالك «و لا تجد إلّا ما قدمت من عمل يقتضى العفو و المغفرة، أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة، و مثلك من ذكر فتذكر، و عرف فما أنكر، و هذا ابن الخطيب قد وقف على قبرى، و تهّم بى، و سبق الناس إلى رثائى، و أنشدنى و مجدنى و بكانى، و دعا لى و هنأنى بمصير أميرى إليك، و عفر وجهه فى تربى، و أملنى لما انقطعت منى آمال الناس، فلو كنت يا ولدى حيّا لما وسعنى أن أعمل معه إلّا ما يليق بى، و أن أستقلّ فيه الكثير، و أحتقر العظيم، لكن لما عجزت عن جزائه و كلته إليك، و أحلته يا حبيب قلبى عليك، و قد أخبرنى أنه سلب المال، كثير العيال، ضعيف الجسم، قد ظهر فى عدم نشاطه أثر السن، و أمل أن ينقطع بجوارى، و يستتر بدخيلى و خدمتى، و يرد عليه حقّه بخدمتى، و وجهى و وجوه من ضاجعنى من سلفى، و يعبد الله تعالى تحت حرمتك و حرمتى، و قد كنت تشوّفت إلى استخدامه فى الحياة حسبما يعلمه حبيينا الخالص المحبّ، و خطيبنا العظيم المزيّة القديم القربة، أبو عبد الله بن مرزوق، فأسأله يذكرك، و استخبره يخبرك، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خديمى بعد الممات، إلى أن نلحق جميعا برضوان الله تعالى و رحمته التى وسعت كل شىء، و له يا ولدى ولد نجيب يخدم ببابك، و ينوب عنه فى ملازمة بيت كتابك، و قد استقرّ ببابك قراره، و تعين بأمرك مرتبه و دناره، فيكون الشيخ خديم الشيخ و الشاب خديم الشاب، هذه رغبتى منك، و حاجتى إليك، و اعلم أنّ هذا الحديث لا بدّ له أن يذكر و يتحدّث به فى الدنيا و بين أيدي الملوك و الكبار، فاعمل ما يبقى لك فخره، و يتخلّد ذكره، و قد أقام مجاورا ضريحى، تاليا كتاب الله تعالى علىّ، منتظرا ما يصله منك و يقرؤه علىّ، من السعى فى خلاص ماله، و الاحتجاج بهذه الوسيلة فى جبره، و إجراء ما يليق بك من الحرمة و الكرامة و النعمة، فالله الله يا إبراهيم، اعمل ما يسمع عنى و عنك فيه، و لسان الحال أبلغ من لسان المقال، انتهى. و العبد يا مولاي مقيم تحت حرمة و حرمة سلفه، منتظر منكم قضاء حاجته، و لتعلموا و تتحقّقوا أنى لو ارتكبت الجرائم، و رزأت الأموال، و سفكت الدماء، و أخذت حسائن الملوك الأعزّة ممّن وراء النهر من الططر و خلف البحر من الروم و وراء الصحراء من الحبشة و أمكنهم الله تعالى منى من غير عهد بعد أن بلغهم تدمّى بهذا الدخيل، و مقامى بين هذه القبور الكريمة، ما وسع أحدا منهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٤٨

من حيث الحياء و الحشمة من الأحياء و الأموات و إيجاب الحقوق التى لا يغفلها الكبار للكبار إلّا الجود الذى لا يتعبه البخل، و العفو الذى لا تفسده المؤاخذه، فضلا عن سلطان الأندلس أسعده الله تعالى بمواليتكم؛ فهو فاضل، و ابن ملوك أفاضل، و حوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم و قدر سلفكم، لا سيما مولاي والدكم الذى أتوسّل به إليكم و إليهم، فقد كان يتبنّى مولاي أبا الحجاج، و يشمله بنظره، و صارخه بنفسه، و أمده بأمواله، ثم صير الله تعالى ملكه إليكم، و أنتم من أنتم ذاتا و قبيلة، فقد قرّرت يا مولاي عين العبد بما رأت فى هذا الوطن المراكشى من وفور حشودكم، و كثرة جنودكم، و ترادف أموالكم و عددكم، زادكم الله تعالى من فضله! و لا شكّ عند عاقل أنكم إن انحلت عروة تأميلكم، و أعرضتم عن ذلك الوطن، استولت عليه يد عدوّه. و قد علم تطارحى بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان، و تعلقى بثوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاي والدكم، و شهرة حرمة شالّة معروفة، حاش لله أن يضيعها أهل الأندلس، و ما توسّل إليهم قطّ بها إلّا الآن، و ما يجهلون إلّا اغتنام هذه الفضيلة الغريبة، و أملى منكم أن يتعين من بين يديكم خديم، بكتاب كريم، يتضمّن الشفاعة فى ردّ ما أخذ لى، و يخبر بمشواى متراميا على قبر والدكم، و يقّرر ما ألزمتكم بسبب هذا الترامى من الضرورة المهمّة، و الوظيفة الكبيرة عليكم و على قبيلكم حيث كانوا، و تطلبون منه عادة المكارمة بحلّ هذه العقدة، و من المعلوم أنى لو طلبت بهذه الوسائل من صلب أموالهم ما وسعهم بالنظر العقلى إلّا حفظ الوجه مع

هذا القبيل و هذا الوطن، فالحياء و الحشمة بأبيان العذر عن هذا في كل مله و نحلة. و إذا تم هذا الغرض - و لا شك في إتمامه بالله تعالى - تقع صدقتكم على القبر الكريم بى و تعينونى لخدمه هذا المولى و زيارته و تفقده، و مدح النبى صلى الله عليه و سلم ليلة المولد فى جواره و بين يديه، و هو غريب مناسب لبركم به، إلى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم، و أعود داعيا مثنيا مستدعيا للشكر و الثناء من أهل المشرق و المغرب، و أتعوّض من ذمتى بالأندلس ذمّة بهذا الرباط المبارك يرثها ذريتى، و قد ساومت فى شىء من ذلك منتظرا ثمنه ممّا يباع بالأندلس بشفاعتكم، و لو ظننت أنهم يتوقفون لكم فى مثل هذا أو يتوقّع فيه وحشة أو جفاء و الله ما طلبته، لكنهم أسرى و أفضل، و انقطاعى أيضا لوالدكم ممّا لا يسع مجدكم إلّا عمل ما يليق بكم فيه، وها أنا أرتقب جوابكم بما لى عندكم من القبول، و يسعنى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٤٩

مجدكم فى الطلب و خروج الرسول، لاقتضاء هذا الغرض، و الله سبحانه يطلع من مولاي على ما يليق به، و السلام. و كتب فى الحادى عشر من رجب عام أحد و ستين و سبعمائة.

و فى مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة: [الكامل]

مولاي، ها أنا فى جوار أبيكا فابذل من البر المقدر فيكا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى و الله يسمعك الذى يرضيكا
و اجعل رضاه إذا نهدت كتيبة تهدى إليك النصر أو تهديكا
و اجبر بجبرى قلبه تنل المنى و تطالع الفتح المبين و شيكا
فهو الذى سنّ البرور بأمه و أبيه فاشرع شرعه لبنيكا
و ابعث رسولك منذرا و محذرا و بما تؤمل نيله يأتىكا
قد هزّ عزمك كل قطر نازح و أخاف مملوكا به و مليكا
فإذا سموت إلى مرام شاسع فغصونه ثمر المنى تجنيكا
ضمنت رجال الله منك مطالبى لَمَا جعلتك فى الثواب شريكا
فلئن كفيت وجوهها فى مقصدى و رعيتها بركانها تكفيكا
و إذا قضيت حوائجى و أريتنى أملا فربك ما أردت يريكا
و اشدد على قولى يدا فهو الذى برهانه يقبل التشكيكا
مولاي، ما استأثرت عنك بمهجتى إنى و مهجتى التى تفديكا
لكن رأيت جناب شاله مغنما يضىفى على العزّ فى نادىكا
و فروض حقك لا تفوت فوقتها باق إذا استجزيته يجزيكا
و وعدتتى و تكزّر الوعد الذى أبت المكارم أن يكون أفيكا
أضفى عليك الله ستر عناية من كل محذور الطريق يفيكا
ببقائك الدنيا تحاط و أهلها فالله جلّ جلاله يبيكا
فلما وصل الكتاب إلى السلطان أجابه بما مرّ آنفا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٥٠

و رأيت بخطّ الفقيه الأديب المؤرّخ أبى عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى نزيل تلمسان على هامش قول ابن الخطيب فى هذه الرسالة «و لا- شكك عند عاقل أنكم إن انحلت عروة تأمليكم - إلخ» ما صورته: كذلك وقع آخر الأمر، و كان الاستيلاء على مدينة

غرناطة آخر ما بقي من بلاد الأندلس للإسلام في محرم عام سبعة و تسعين و ثمانمائة، فرحم الله تعالى ابن الخطيب، العاقل اللبيب، و غفر له برحمته، انتهى.

و مما خاطب به لسان الدين السلطان أبا سالم في الغرض المتقدم قوله: [الكامل]
 عن باب والدك الرضا لا أبرح بأسو الزمان لأجل ذا أو يجرح
 ضربت خيامي في حماه فصيتي تجنى الجميم به و بهمي تسرح
 حين يراعى وجهه في وجهتي بعناية تشفى الصدور و تشرح
 أ يسوغ عن مثواه سيرى جائباً و منابر الدنيا بذكرك تصدح
 أنا في حماه و أنت أبصر بالذى يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
 في مثلها سيف الحمية ينتضى في مثلها زند الحفيظة يقدح
 و عسى الذى بدأ الجميل يعيده و عسى الذى سدّ المذاهب يفتح

تعريف لسان الدين في «الإحاطة» بالسلطان أبي سالم المريني، و ذكر مقتله

و قد عرّف في «الإحاطة» بالسلطان أبي سالم فقال بعد كلام: أملاك المسلمين، و حماة الدين، و أمراء المغرب الأقصى من بنى مرين، غيوث المواهب و ليوث العرين، و معتمد الصريخ و سهام الكافرين، حفظ الله تعالى على الإسلام و المسلمين ظلّهم، و زين بيدور الدنيا و الدين هالتهم، و أبقى الكلمة فيمن أخباره منهم أو من أقاربهم، فما عسى أن يطنب اللسان في مدحهم؟ و أين تقع العبارة؟ و ما ذا يحصر الوصف؟ إلى أن قال: وفاته- في ليلة العشرين من ذى القعدة من عام اثنين و ستين و سبعمائة ثار عليه بدار الملك و بلد الإمارة المعروف بالبلد الجديد من مدينة فاس الخائن الغادر مخلفه عليها عمر بن عبد الله بن علي نسمة السوء، و جملة الشؤم، و المثل البعيد في الجراءة على الله تعالى، و قد اهتبل غزّة انتقاله إلى القصر السلطاني بالبلد القديم متحولاً إليه حذراً من قطع فلكى كان يحذر منه، استعجله بضعف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٥١

نفسه، و أعانه على فرض صحّة الحكم به، و سدّ الباب في وجهه، و دعا الناس إلى بيعه أخيه المعتوه، و أصبح حائراً بنفسه، يروم ارتجاع أمر ذهب من يده، و يطوف بالبلد يلتمس وجهها إلى نجاح حيلة، فأعياه ذلك، و رشقت من معه السهام، و فرت عنه الأجناد و الوجوه، و أسلمه الدهر، و تبرأ منه الجدّ، و عند ما جنّ عليه الليل فرّ لوجهه، و قد التفتّ عليه الوزراء، فسفّحت حلومهم، و قالت آراؤهم، و لو قصدوا به بعض الجبال المنيعة لولّوا أوجههم شطر مظنة الخلاص، و اتّصفوا بإبلاغ الأعداء، و لكنهم نكلوا عنه، و رجعوا أدراجهم و تسلّوا راجعين إلى يد غادر الجملة، و قد سلبهم الله سبحانه لباس الحياء و الرجولية و تأذن الله تعالى لهم بعد بسوء العاقبة، و قصد بعض بيوت البادية و قد فضحه نهار الغد، و اقتفى المتبعة أثره حتى وقعوا عليه، فسيق إلى مصرعه، و قتل بظاهر البلد ثانى اليوم الذى غدر به فيه، جعلها الله تعالى له شهادة و نفعه! فلقد كان بقيه البيت و آخر القوم دماثة و حياء، و بعدا عن الشرور، و ركونا للعاقبة.

و أنشدت على قبره الذى و ريت به جثته بالقلعة من ظاهر المدينة قصيدة أدّيت فيها بعض حقه:

[الوافر]

بنى الدنيا بنى لمع السراب لدوا للموت و ابنوا للخراب

انتهى المقصود من الترجمة.

و كان يصف لسان الدين بمقرّبي و جليسى، كما سبقت الإشارة إليه من كلام لسان الدين فيما خاطب به ابن أبي رمانة، و الله يسبل

على الجميع رداء عفوه سبحانه.

و قد تقدم أنه شفيع لابن الخطيب عند أهل الأندلس، و لذلك قال يخاطبهم: [الطويل]

سمى خليل الله أحييت مهجتي و عاجلني منك الصريح على بعد
فإن عشت أبلغ فيك نفسى عذرها و إن لم أعش فالله يجزيك من بعدى

ترجمة لسان الدين من إنشاء الأمير أبى الوليد إسماعيل بن الأحمر

و قال الرئيس الأمير الأديب أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر فى حق ابن الخطيب ما صورته.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٥٢

هو شاعر الدنيا، و علم المفرد و الثنيا، و كاتب الأرض، إلى يوم العرض. لا يدافع مدحه فى الكتب، و لا يجنح فيه إلى العتب. آخر من تقدم فى الماضى، و سيف مقوله ليس بالكهام إذ هو الماضى، و إلّا فانظر كلام الكتاب الأول من العصبه، كيف كان فيهم بالإفاده صاحب القصبه، للبراعه، بالبراعه. و به أسكت صائلهم، و ما حمدت بكرهم و أصائلهم، للجزالة المشربه بالحلاوه، الممكنه من مفاصل الطلاوه. و هو نفيس العدوتين، و رئيس الدولتين، بالاطلاع على العلوم العقلية، و الإمتاع بالفهوم الثقليه، لكن صلّ لسانه فى الهجاء ألح، و نجاد نطقه فى ذلك أنسع، حتى صدمنى، و على القول فيه أقدمنى؛ بسبب هجوه فى ابن عمى ملك الصقع الأندلسى، سلطان ذلك الوطن فى النفر الجنىسى، المعظم فى الملوك بالقول الجنى و الإنسى. ثم صفحت عنه صفحة القادر، الوارد من مياه الظفر غير القادر؛ لأنّ مثلى لا- يليق به إظهار العورات، و لا يجمل له تتبع العثرات، أتباعا للشرع فى تحريم الغيبه، و ضربا عن الكريهه و إثباتا لحظوظ النقيه الرغيبه، فما ضره لو اشتغل بذنوبه، و تأسف على ما شربه من ماء اللهو بذنوبه، و قد قال بعض الناس: من تعرض للأعراض، صار عرضه هدفا لسهام الأعراض؛ انتهى.

و مثل هذا فى لسان الدين لا يقدر، و ما زالت الأشراف تهجى و تمدح، و على تقدير صدور ما يخذش وجه جنابه الرفيع؛ فالأولى أن ينشد: [الكامل]

و إذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيح

رد اعتراض أورده ابن الأحمر على لسان الدين

و ممّن أثنى على لسان الدين بن الخطيب- رحمه الله تعالى!- بعض أكابر علماء تلمسان، و لم يحضرنى الآن اسمه، فى تأليف عزّف فيه بالشيخ العلّامة سيدى أبى عبد الله الشريف التلمسانى و ابنه العالمين أبى يحيى و سيدى عبد الله، فقال بعد كلام فى حقّ الشريف ما نصّه: و كان علماء الأندلس أعرف الناس بقدره، و أكثرهم تعظيما له، حتى إنّ العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب صاحب الأنباء العجيبه، و التأليف البديعه، كلّما ألف تأليفا بعثه إليه، و عرضه عليه، و طلب أن يكتب عليه بخطه، و كان الشيخ الإمام الصدر المفتى أبو سعيد بن لب شيخ علماء الأندلس و آخرهم كلّما أشكلت عليه مسأله كاتبه بها، و طلب منه بيان ما أشكل عليه، مقرا له بالفضل؛ انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٥٣

رجع:

و كتب لسان الدين بن الخطيب متمثلا بشيخه الأوحى قاضى الجماعة أبى البركات بن الحاج البليقى رحمهما الله تعالى: [السريع]

أيتها النفس إليه اذهبي فحبه المشهور من مذهبي

أيأسنى التوبة من حبه طلوعه شمسا من المغرب
و يغلب على ظنى أنه خاطبه بذلك عند قدومه، أعنى لسان الدين، من المغرب إلى الأندلس، و الله تعالى أعلم.

ثناء قاضى القضاة برهان الدين الباعونى على لسان الدين بن الخطيب اتهام لسان الدين بالإطئاب]

و كان قاضى القضاة برهان الدين الباعونى الشامى، كثير الثناء على لسان الدين رحمه الله تعالى؛ لأنه تلقى أخباره من قاضى القضاة ابن خلدون حسبما ذكرناه فى غير هذا الموضع، و لقد رأيت بخطه على هامش بعض تأليف لسان الدين فى الإنشاء ما نصّه: هذا بليغ إلى الغاية، انتهى.

و كتب أثره بعض أكابر علماء المشرق ما نصّه: هذا خطّ العلامة قاضى القضاة برهان الدين الباعونى، و هو شديد الاعتناء و المدح للمصنّف ابن الخطيب الأندلسى، معظّم له و لإنشائه، و هو خليق بالتعظيم، جدير بمزيد التمجيد و التكريم و كيف لا و هو شاعر مفلق، و خطيب مصقع، و كاتب مترسل بليغ، لو لا- ما فى إنشائه من الإكثار، الذى لا يكاد يخلو من عثار، و الإطئاب، الذى يفضى إلى الاجتناب، و الإسهاب، الذى يقدّ الإهاب، و يورث الالتهاب؛ انتهى.

الرد على هذا الاتهام]

قلت: و هذا الانتقاد غير مسلم؛ فإنّ لسان الدين و إن أطنب و أسهب، فقد سلك من البلاغة أحسن مذهب، و يرحم الله تعالى العلامة البرهان الباعونى المذكور أعلاه؛ إذ كتب بخطه فى آخر بعض تأليف لسان الدين فى الإنشاء ما صورته: قال كاتبه إبراهيم بن أحمد الباعونى لطف الله تعالى به: الحمد لله على ما ألهم من البيان و علم، و صلّى الله على سيدنا محمد و على آله و سلم، و قفت على هذا الكتاب من أوّله إلى آخره، و عمت من بحر بلاغته فى زاخره، و عددته من مناقب مؤلفه و مفاخره، فإنه برز فيه غاية التبريز، و أتى بما هو أحسن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٥٤

من الذهب الإبريز، لا- بل بما هو أبهى من الجواهر، و النجوم الزواهر، و عجت من تلك الألفاظ، المشبهة لسحر الألفاظ، و رقة المعانى، المحكمة المباني؛ انتهى.

فانظر- أيديك الله تعالى!- بعين الإنصاف إلى كلام هذا الفاضل، المنصف الكامل، و قسه مع كلام ذلك المنتقد المتعصب الناقص الخامل، مع أنّ الكلام الذى تعرّض له ذاك بالقدح، هو الذى تصدّى له الباعونى بالمدح، و كل إناء بالذى فيه ينضح، و إنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل، و الأمر أجلى من أن يقام عليه دليل و أوضح.

بين لسان الدين و السلطان الغنى بالله سلطانه]

رجع إلى ما كنّا بصدده:

و قال الوزير ابن عاصم عندما أجرى ذكر سلطان ابن الخطيب أمير المسلمين الغنى بالله بعد كلام كثير ما صورته محلّ الحاجة منه: و كان هذا السلطان من نيل الأغراض على أكمل ما يكون عليه مثله ممن نزع غرقا فى قوس الخلافة، و حكى لى شيخنا القاضى أبو العباس الحسنى أنّ كبير ولده الأمير أبا الحجاج طلب من الشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب أن يطلب من أبيه الغنى بالله أن يبادر بإعذاره، إذ كان قد جاوز سنّ الإثغار، دون إعذار، لمكان ما لحق والده من التمحيص و غير ذلك من الحوادث المهمّة، فأسعده الشيخ بذلك، و قال للغنى بالله: يا مولانا، إنّ سيدى يوسف وكنى على طلب إعذاره من مولانا نصره الله على ما يليق بك و به، فقال

له الغنى بالله: حسبي الله! و سكت سكتة لطيفة تشعر بفصل الكلام بعضه من بعض، ثم قال: و نعم الوكيل! فعدها الأكياس من مدارك نبلة، و محاسن قوله و فعله؛ انتهى.

قلت: هذا من السلطان في حقّ لسان الدين غاية التبجيل، أعنى قوله «و نعم الوكيل» فأين هذا من سماع كلام أعدائه فيه بعد، حتى آل أمره إلى النحس بعد ذلك السعد؟ و سقاه دهره بعد الحلاوة ما مرّ، و لمن يكن قتله إلّا بتسبب السلطان المذكور كما مرّ: [الرجز] ثلاثة ليس لها أمان البحر و السلطان و الزمان

و قال لسان الدين رحمه الله تعالى و لما قضى الله عزّ و جلّ بالإدالة، و رجعنا إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٥٥

أوطاننا من العدو، و اشتهر عنى ما اشتهر من الانقلاب عن الخدمة، و التّيه على السلطان و الدولة، و التّكبر على أعلى رتب الخدمة، و تطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة، و رغبت في تبرئة الذمة، و نفرت عن الأندلس بالجملة، خاطبي - يعنى أبا جعفر بن خاتمة- بعد صدر بلغ من حسن الإشارة، و براعة الاستهلال الغاية، بقوله: «و إلى هذا يا سيدى و محلّ تعظيمى و إجلالى، أمتع الله تعالى الوجود بطول بقائكم! و ضاعف في العزّ درجات ارتقائكم! فإنه من الأمر الذى لم يغب عن رأى العقول، و لا اختلف فيه أرباب المعقول، أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، و تاج مفرقها، و واسطة سلكها، و طراز ملكها، و قلادة نحرها، و فريدة دررها، و عقد جيدها المنصوص، و تمام زينتها على العموم و الخصوص، ثم أنتم مدار أفلاكها، و سرّ سياسة أملاكها، و ترجمان بيانها، و لسان إحسانها، و طيب مارستانها، و الذى عليه عقد إدارتها، و به قوام إمارتها، و لديه يحلّ المشكل، و إليه يلجأ فى الأمر المعضل، فلا غرو أن تتقيّد بكم الأسماع و الأبصار، و تحدّق نحوكم الأذهان و الأفكار، و يزرع عنكم السانح و البارح، و يستنبأ ما تطرف عنه العين و تختلج الجوارح، استقراء لمرامكم، و استطلاعاً لطالع اعتزامكم، و استكشافاً عن مرامى سهامكم، لا- سيما مع إقامتكم على جناح خفوق، و ظهوركم فى ملتعب بروق، و اضطراب الظنون فيكم مع الغروب و الشروق، حتى تستقرّ بكم الديار، و يلقى عصاه التسيار، و له العذر فى ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل، و سرورها بلقائكم لم يكتمل، و لم يبرأ بعد جناحها المهيض، و لا- جمّ ماؤها المغيض، و لا تميّزت من داجيها لياليها البيض، و لا استوى نهارها، و لا تألفت أنهارها، و لا اشتملت نعمائوها، و لا نسيت غمائمها، بل هى كالناقفة، و الحديث العهد بالمكاره، يستشعر نفس العافية، و يتمسح منكم باليد الشافية، فبحناكم عليها، و عظم حرمتكم على من لديها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٥٦

لا- تشوبوا لها عذب المجاج بالأجاج، و تفضموها عما عوّدت من طيب المزاج، فما لدائها و حياة قربكم غير طبّكم من علاج. و إنى ليخطر بخاطري محبة فيكم، و عناية بما يعينكم، ما نال جانبكم صانه الله تعالى بهذا الوطن من الجفاء، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد و كرم الوفاء، و أنّ الوطن إحدى المواطن الأظّار التى يحقّ لهنّ جميل الاحتفاء، و ما يتعلّق بكم من حرمة أولياء القرابة و أوداء الصفاء، فيغلب على ظنى أنكم لحسن العهد أجنح، و بحقّ نفسكم عن حقّ أوليائكم أسمح، و للنتى هى أعظم قيمة من فضائلكم أوهب و أسجح، و هب أنّ الدّرّ لا- يحتاج فى الإثبات، إلى شهادة النّحور و اللّيّات، و الياقوت غنى المكان، عن مظاهرة القلائد و التيجان، أليس أنه أعلى للعيان، و أبعد عن مكابرة البرهان، تألقها فى تاج الملك أنوشروان؟

فالشمس و إن كانت أمّ الأنوار، و جلاء الأبصار، مهما أغمى مكانها من الأفق قيل: أليل هو أم نهار، و كما فى علمكم ما فارق ذوو الأرحام، و أولو الأحلام، مواطن استقرارهم، و أماكن قرارهم، إلّا برغمهم و اضطرارهم، و استبدال دار خير من دارهم؟، و متى توازن الأندلس بالمغرب، أو يعوّض عنها إلّا بمكة أو يثرب؟ ما تحت أديمها أشلاء أولياء و عبّاد، و ما فوقه مرابط جهاد، و معاهد ألوية فى سبيل الله و مضارب أوتاد، ثم يبوأ ولده ميوأ أجداده، و يجمع له بين طارفه و تلاده، أعيد أنظاركم المسدّدة من رأى فائل، و سعى طويل لم يحل منه بطائل، فحسبكم من هذا الإياب السعيد، و العود الحميد؛ و هى طويلة.

جواب لسان الدين على أبي جعفر بن خاتمة]

قال لسان الدين رحمه الله تعالى: فأجبت بقولي: [السريع]
لم في الهوى العذريّ أو لا تلم فالعذل لا يدخل أسماعي
شأنك تعينفي و شأني الهوى كلّ امرئ في شأنه ساعي

«أهلا بتحفة القادم، و ريحانة المنادم، و ذكر الهوى المتقادم، لا يصغّر الله مسراك! فما أسراك، لقد جبت إليّ من همومي ليلا، و
جست رجلا- و خيلا، و وقّيت من صاع الوفاء كيلا، و ظننت بي الأسف على ما فات، فأعملت الالتفات، لكيلا، فأقسم لو أنّ الأمر اليوم
بيدي، أو كانت اللّميّة السوداء من عددي، ما أفلتّ أشراكي المنصوبة لأمثالك، حول المياه و بين المسالك، و لا علمت ما هنالك،
لكنك طرقت حمي كسعت الغارة الشعواء، و غيرت ربعة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٥٧

الأنواء، فحمد بعد ارتجاجه، و سكت أذنين دجاجه، و تلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه، و طال عهده بالزمن الأوّل، و هل عند رسم
دارس من معول؟، و حيا الله ندبا إلى زيارتي ندبك، و بادابه الحكمة أذبك: [الوافر]

فكان و قد أفاد بك الأمانى كمن أهدى الشفاء إلى العليل

و هي شيمه بوركت من شيمه، و هبة الله تعالى قبله من لدن المشيمه، و من مثله في صلّه رعي، و فضل سعي، و قول وعي: [مجزوء
الخفيف]

قسما بالكواكب ال زهر و الزهر عاتمه

إنما الفضل ملّة ختمت بابن خاتمه

كساني حلّة فضله، و قد ذهب زمان التجمل، و حملني شكره، و كتدي واه عن التحمل، و نظرنى بالعين الكليله عن العيب، فهلا أجاد
التأمل، و استطلع طلع نثي، و والى في مبرك المعجزه حتى؟ إنّما أشكوا بئى [سورة يوسف، الآية: ٨٦]: [الوافر]

و لو ترك القطا ليلا لنا ما و ما حال شمل وتده مفروق، و قاعدته فروق، و صواع بنى أبيه مسروق، و قلب قرحه من عضه الدهر دام، و
جمره حسرته ذات احتدام، هذا و قد صارت الصغرى، التي كانت الكبرى، لمشيب لم يرع أن هجم لّميا نجم، ثم تهلل عارضه و
انسجم: [الكامل]

لا تجمعي هجرا على و غربه فالهجر في تلف الغريب سريع

نظرت فإذا النفس فريسه ظفر و ناب، و المال أكيله انتهاب، و العمر رهن ذهاب، و اليد صفر من كل اكتساب، و سوق المعاد متراميه،
و الله سريع الحساب: [الوافر]

و لو نعطى الخيار لما افترقنا و لكن لا خيار مع الزمان

وهب أنّ العمر جديد، و ظلّ الأمن مديد، و رأى الاغتباط بالوطن سديد، فما الحجّه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٥٨

لنفسى إذا مرّت بمطارح جفوتها، و ملاعب هفوتها، و مثاقف قناتها، و مظاهر عزّاها و مناتها، و الزمان ولود، و زناد الكون غير صلود:
[الكامل]

و إذا امرؤ لدغته أفعى مرّة تركته حين يجزّ جبل يفرق

ثم إن المرغّب قد ذهب، و الدهر قد استرجع ما وهب، و العارض قد اشتبه، و آراء الاكتساب مرجوحه مرفوضه، و أسماؤه على
الجوار مخفوضه، و التيه مع الله على الزهد فيما بأيدي الناس معقوده، و التوبه بفضل الله عزّ و جلّ منقوده، و المعامله سامريّه، و دروع

الصبر سابريّة، و الاقتصاد قد قرّت العين بصحبته، و الله قد عوّض حبّ الدنيا بمحبّته، فإذا راجعها مثلى من بعد الفراق، و قد رقى لدغتها ألف راق، و جمعتنى بها الحجره، ما الذى تكون الأجره؟ جل شانى، و إن رضى الوامق و سخط الشانى، إنى إلى الله تعالى مهاجر، و للعرض الأدنى هاجر، و لأطعان السّيرى زاجر، لنجد إن شاء الله تعالى و حاجر، لكن دعانى للهوى، إلى هذا المولى المنعم هوى، خلعت نعلى الوجود و ما خلعت، و شوقى أمرنى فأطعته، و غالب و الله صبرى فما استطعته، و الحال أغلب، و عسى أن لا يخيب المطلب، فإن يسّر رضاه فأمر كمل، و راحل احتمال، و حاد أشجى الناقه و الجمل، و إن كان خلاف ذلك فالزمان جمّ العلائق، و التسليم بمقامى لائق: [البسيط]

ما بين غمضة عين و انتباهتها يصرف الأمر من حال إلى حال

و أما تفضيله هذا الوطن ليمن طيره، و عموم خيره، و بركة جهاده، و عمران رياه و وهاده، بأشلاء عباده و زهاده، حتى لا يفضله إلا أحد الحرمين، فحقّ برىء من المين، لكننى للحرمين جنحت، و فى جزّ الشوق إليهما سنحت، فقد أفضت إلى طريق قصدى محبّته، و نصرتنى و المنة لله تعالى حجّته، و قصد سيدى أسنى قصد، توخّاه الحمد و الشكر، و معروف عرف به النكر، و الآمال من فضل الله بعد تمّار، و الله تعالى يخلق ما يشاء و يختار، و دعاؤه بظهر الغيب مدد، و عدّه و عدد، و برّه حالى الظّعن و الإقامة معتمل و معتمد، و مجال المعرفة بفضل لا يحصره أمد، و السلام؛ انتهى.

و من خط ابن الصباغ ما صورته: يكفى ابن خاتمة الغايه التى سلمها له إمام الطريقة، و واحدها الفذ على الحقيقة، حيث قال: [مجزوء الخفيف]

إنما الفضل ملّة ختمت بابن خاتمه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٥٩

و من نظمه و قد تخلّى عن الكتابة و طلب منه أن يعود فأبى و أنشد: [الوافر]

تقضى فى الكتابه لى زمان كشأن العبد ينتظر الكتابه

فمنّ الله من عتقى بما لا يطيق الشكر أن يملا كتابه

و قالوا هل تعود فقلت كلا و هل حرّ يعود إلى الكتابه

فانظر حسن هذه التوريه العجيبه، انتهى.

من أبى جعفر بن خاتمة إلى ابن جزى

و لابن خاتمة يخاطب ابن جزى: يا أخى الذى سما وده أن يجازى، و سيدى الذى علا مجده عن أن يوازى، وصل الله تعالى لك أسباب الاعتلاء و الاعتزاز! و كافاً ما لك من الاختصاص بالفضائل و الامتياز! أما إنه لو وسع التخلف عن جواب أخ أعز، و لم يجب التكلّف بإجابته من أبان فأعجز، لغطيت عجزى عن عين تعجيزك، و لما تعاطيت المشول بين يدي مناهزك أو مجيزك، لكنه فى حكم الودّ المكنون المكنوز، ممّا لا يحلّ و لا يجوز، فلکم الفضل فى الإغضاء عن عاجز، دعاه حكم التكلّف إلى القيام قيام مناجز، و إن لم يكن ذلك عند الإنصاف، و حميد الأوصاف، من السائغ الجائر، فعن جهد ما بلغ وليك إلى هذه الأحواز، و لم يحصل الحقيقة إلا على المجاز. و أما ما ذهبتم إليه من تخميس القصيدة التى أعجزت، و بلغت من البلاغه الغايه التى عزت مناهضتها و أعوزت، فلم أكن لأستهدف ثانيا لمضاضة الإعجاز، و أسجل على نفسى بالإفلاس و الإعواز؛ انتهى.

و كتب قبلها قصيدة زائيه أجابه بها عن قصيدة زائيه، التزم فيها ابن جزى ترك الراء؛ لأنه كان ألثغ يبدلها غينا، رحم الله تعالى الجميع!.

ترجمة أبي جعفر بن خاتمة من إنشاء لسان الدين]

وقال لسان الدين في ترجمة ابن خاتمة المذكور: إنه الصدر المتفنن المشارك، القوى الإدراك، السديد النظر، الثاقب الذهن، الكثير الاجتهاد، الموفور الأدوات، المعين الطبع، الجيد القريحة، الذى هو حسنة من حسنات الأندلس، أحمد بن على بن خاتمة، من أهل المرية. إلى أن قال: ومما خاطبني به بعد إمام الركاب السلطاني ببلده وأنا صحبته، و لقاؤه إياي بما يلقي به مثله من تأنيس و برّ، و تودّد، و تردّد: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٦٠
يا من حصلت على الكمال بما رأيت عيناى منه من الجمال الرائع
قمر يروق و فى عطاى برده ما شئت من كرم و مجد بارع
أشكو إليك من الزمان تحاملا فى فضّ شمل لى بقربك جامع
هجم البعاد عليه ضننا باللّقا حتى تقلص مثل برق لامع
فلو اننى ذو مذهب لشفاعه ناديته: يا مالكى يا شافعى

«شكواى إلى سيدى و معظمى - أقرّ الله تعالى بسنائه أعين المجد! و أدّرّ بثنائه ألسن الحمد! - شكوى ظمان صدّ عن القراح العذب لأول وروده، و الهيمان ردّ عن استرواح القرب لمعضل صدوده، من زمان هجم علىّ بإبعاده، على حين إسعاده، و دهمنى بفراقه، غبّ إنارة أفقى به و إشراقه، ثم لم يكفه ما اجترم فى ترويع خياله الزاهر، حتى حرم عن تشييع كماله الباهر، فقطع عن توفيه حقه، و منع من تأديه مستحقه، لا جرم أنه أنف لشعاع ذكائه، من هذه المطالع النائية عن شريف الإنارة، و بخل بالإمتاع بذكائه، عن هذه المسامع النائية عن لطيف العبارة، فراجع أنظاره، و استرجع معاره، و إلّا فعهدى بغروب الشمس إلى الذلوع، و أنّ البدر يتصرّف بين الإقامة و الرجوع. فما بال هذا الثّير الأسعد، غرب ثم لم يطلع من الغد، ما ذاك إلّا لعدوى الأيام و عدوانها، و شأنها فى تغطية إساءتها وجه إحسانها، و كما قيل:

عادت هيف إلى أديانها، أستغفر الله أن لا يعدّ ذلك من المغتفر، فى جانب ما أولت من الأثر، التى أزرى العيان فيها بالأثر، و أربى الخبر على الخير، فقد سرّت متشوّفات الخواطر، و أقرت مستشرفات النواظر، بما حوت من ذلكم الكمال الباهر، و الجمال الناضر، الذى قيّد خطى الأبصار، عن التشوّف و الاستبصار، و أخذ بأزمة القلوب، عن سبيل كلّ مأمول و مرغوب، و أنّى للعين، بالتحوّل عن كمال الزين؟ أو الطرف، بالتّنقل عن خلال الظرف؟ أو للسمع من مراد، بعد ذلكم الإصدار الأدبى و الإيراد، أو للقلب من مراد، غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم فى حلال و أبراد، و هل هو إلّا الحسن جمع فى نظام، و البدر طالع لتمام، و أنواع الفضل ضمّها جنس اتّفاق و الثّام، فما ترعى العين منه فى غير مرعى خصيب،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٦١

و لا تستهدف الأذن بغير سهم فى حدق البلاغة مصيب، و لا تستطلع النفس سوى مطلع له فى الحسن و الإحسان أو فر نصيب. لقد أزرى بناظم حلاه فيما يتعاطاه التقصير، و انفسح مدى علاه بكل باع قصير، و سفه حلم القائل: إنّ الإنسان عالم صغير، شكرا للدهر على يد أسداها بقرب مزاره، و تحفة أهداها بمطلع أنواره، على تغاليه فى ادخاره، نفائسه و تحليه بنفائس ادخاره، لا غرو أن يضيق عنّا نطاق الذكر، و لا يتسع لنا سوار الشكر، فقد عمّت هذه الأقطار بما شاءت من تحف بين تحف و كرامه، و اجتنت أهلها ثمرة الرحلة فى ظل الإقامة، و جرى لهم الأمر فى ذلك مجرى الكرامة. ألا و إنّ مفاتحتى لسيدى و معظمى - حرس الله تعالى مجده، و ضاعف سعده! - مفاتحة من ظفر من الدهر بمطلوبه، و جرى له القدر على وفق مرغوبه، فشرع له إلى أهله بابا، و رفع له من خجله جلابا، فهو يكلف بالاقتحام، و يأنف من الإحجام، غير أنّ الحصر عن درج قصده يقيدده، و البصر يبهرج نقده فيقعده، فهو يقدّم رجلا و يؤخر

أخرى، و يجدد عزمًا ثم لا يتحرى، فإن أبطأ خطايبى فلواضح الأعدار، و مثلكم من قبل جليات الأقدار، و الله سبحانه يصل لكم عوائد الإسعاد و الإسعاف، و يحفظ بكم ما للمجد من جوانب و أكناف، إن شاء الله تعالى. و كتب فى عاشر ربيع الأول عام ثمانية و أربعين و سبعمائة؛ انتهى.

من أبى جعفر بن خاتمة إلى لسان الدين

و من خاتمة رسالة من إنشاء ابن خاتمة المذكور: فلنصرف عنان البطالة عن الإطالة، و نسلّم على السيادة الطاهرة الأصالة، بأطيب تسليم، ختامه مسك و مزاجه من تسنيم.

و من نظم ابن خاتمة المذكور: [الطويل]

هو الدهر لا يبقى على عائد به فمن شاء عيشا يصطير لنوائبه
فمن لم يصب فى نفسه فمصابه بفوت أمانيه و فقد حبايبه
و منه قوله: [الوافر]

ملاك الأمر تقوى الله، فاجعل تقاه عدّة لصلاح أمرك

و بادر نحو طاعته بعزم فما تدرى متى يقضى بعمرك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٦٢

و قال لسان الدين: و كتب إلى - يعنى ابن خاتمة المذكور - عقب انصرافه من غرناطة فى بعض قدماته عليها ما نصّه: «مما قلته بديهة عند الإشراف على جنابكم السعيد و دخوله مع نفر الذين أتحتفتم سيادتكم بالإشراف عليه، و الدخول إليه، و تنعيم الأبصار فى المحاسن المجموعة لديه، و إن كان يوما قد غابت شمس، و لم يتفق أن كمل أنسه، و أنشدته حينئذ بعض من حضر و لعلّه لم يبلغكم، و إن كان قد بلغكم ففضلكم يحملنى فى إعادة الحديث: [الطويل]

أقول و عين الدمع نصب عيوننا و لاح لبستان الوزارة جانب

أهدى سماء أم بناء سماؤه كواكب غصّت عن سناها الكواكب

تناظرت الأشكال منه تقابلا على السعد وسطى عقده و الحبايب

و قد جرت الأمواه فيه مجرّة مذانها شهب لهنّ ذوائب

و أشرف من عليها بهو تحفّه شماسى زجاج وشيها متناسب

يطلّ على ماء به الآس دائرا كما افتّر ثغر أو كما اخضرّ شارب

هنالك من شاء العلاء من جلاله بها يزدهى بستانها و المراتب

و لما أحضر الطعام هنالك دعى شيخنا القاضى أبو البركات فاعتذر أنه صائم قد بيّته من الليل، فحضرنى أن قلت: [المتقارب]

دعونا الخطيب أبا البركات لأكل طعام الوزير الأجلّ

و قد ضمّنا فى نداءه جنان به احتفل الحسن حتى كملّ

فأعرض عنّا لعذر الصيام و ما كلّ عذر له مستقلّ

فإنّ الجنان محلّ الجزاء و ليس الجنان محلّ العمل

و عندما فرغنا من الطعام أنشدت الأبيات شيخنا أبا البركات، فقال لى: لو أنشدتنيها و أنتم بعد لم تفرغوا منه لأكلت معكم، برا بهذه

الأبيات، و الحوالة فى ذلك على الله تعالى، انتهى.

من نظم ابن خاتمة]

و من نظم ابن خاتمة المذكور في فزان: [الرمل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٦٣
 ربّ فزان جلا صفحته لهب الفرن جلاء العسجد
 يضرم النار بأحشاء الورى مثل ما يضرم فى المستوقد
 فكأنّ الوجه منه خبزة فوقها الشّعر كقدر أسود

قصيدة من أحمد بن صفوان إلى لسان الدين ضمنها غرضا تعجل له قضاءه]

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى: و لما قدمت مالقة آتبا من السفارة إلى ملك المغرب محفوفاً بفضل الله تعالى و جميل صنعه،
 موفى المآرب، مصحبا بالإعانة، لقينى على عادته مهنيا، يعنى أحمد بن صفوان أحد أعلام مالقة و بقيه أدبائها و صدور كتابها، و
 أنشدنى معيدا فى الودّ و مبديا، و ضمّن غرضا له تعجل قضاءه و الحمد لله تعالى: [الطويل]
 قدمت بما سرّ النفوس اجتلاؤه فهنيت ما عمّ الجميع هناؤه
 قدوما بخير وافر و عناية و عزّ مشيد بالمعالى بناؤه
 و رفعة قدر لا يدانى محلّها رفيع و إن ضاهى السماك اعتلاؤه
 عنيت بأمر المسلمين فكلّهم بما يرتجيه قد توالى دعاؤه
 بلغت الذى أمّلته من صلاحهم فأدركت مأمولا عظيما جزاؤه
 فيا واحدا أغنت عن الجمع ذاته و قام بأعباء الأمور غناؤه
 تشوّقك الملك الذى بك فخره و أنت حقيقا حسنه و بهاؤه
 فلا زال مزدانا بحلييك جوده و لا زال موفورا عليك اصطفاؤه
 و خصّصت من ربّ العباد بنعمة ينيلكها تخصيصه و احتفاؤه
 و عشت عزيزا فى النفوس محببا يلبنى بتبجيل و برّ نداؤه
 و قد جاءنى داعى السرور مؤدّيا لحقّ هناه فرض عين أدائه
 و لى بعد هذا مأرب متوقّف على فضلك الرحب الجناح قضاؤه
 هزرت له عطف البطرنيّ راجيا له النجح فاستعصى و خاب رجاؤه
 و لم يدر أنى من علاك لمنتض حساما كفيلا بالنجاح انتضاؤه
 يصمم إن هزّته كفى لمعضل فيكفى العنا تصميمه و مضائه
 فحقّق له دامت سعودك حرمتى لديك يرحنى مطله و التواؤه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٦٤
 و شارك محبّا خالصا لك حبه قديما كريما عهدته و وفاؤه
 وصل بجزيل الرعى جبل ذمامه يصلك جزيلا شكره و ثناؤه
 بقيت و صنع الله يدنى لك المنى و يولييك من مصنوعه ما تشاؤه
 بحرمة من حقّت سيادته على بنى آدم و الخير منه ابتداؤه

إجازة من ابن صفوان للسان الدين و ولده عبد الله

و جمعت ديوان شعره أيام مقامى بمالقه عند توجهى صحبه الركاب السلطانى إلى إصراخ الخضراء عام أربعة و أربعين و سبعمائه، و قدّمت صدره خطبه، و سميت الجزء ب «الدرر الفاخرة، و اللّجج الزاخرة»، و طلبت منه أن يجيزنى و ولدى عبد الله رواية ذلك عنه، فكتب بخطه الرائق، بظهر المجموع ما نصّه: الحمد لله مستحقّ الحمد، أجتب سؤال الفقيه الأجلّ الأفضل السرى الماجد الأوحّد الأحفل الأديب البارع الطالع فى أفق المعرفة و النباهة، و الرفعة المكيئة و الوجاهة، بأبهى المطالع، المصنّف الحافظ العلّامة الحائز فى فنى النظم و النثر، و أسلوبى الكتابة و الشعر، رتبة الرياسة و الإمامة، محلّى جيد العصر بتأليفه الباهرة الرّواء، و مجلّى محاسن بنيه الرائقة على منصّة الإشاره و الأنباء أبى عبد الله بن الخطيب، و صل الله تعالى سعادته، و حرس مجادته، و ستنى من الخير الأوفر، و الصنع الأبر، مقصده و إرادته، و بلغه فى نجله الأسعد، و ابنه الراقى بمحتده الفاضل و منشئه الأظهر محلّ الفرقد، أفضل ما يؤمل نحلته إياه من المكرمات و إفادته، و أجزت له و لابنه عبد الله المذكور، أبقاهما الله تعالى فى عزّة ستيّة الخلال، و عافية ممتدّة الأفياء و ارفه الظلال، رواية جميع ما تقيّد فى الأوراق المكتتب على ظهر أوّل ورقة منها من نظمى و نثرى، و ما تولّيت إنشاءه، و اعتمدت بالارتجال و الرواية اختياره و انتقاءه، أيام عمرى، و جميع ما لى من تصنيف و تقييد، و مقطوعه و قصيد، و جميع ما أحمله من أشياخى رضى الله تعالى عنهم من العلوم، و فنون المنثور و المنظوم، بأى وجه تأدى ذلك إلى، و صحّ حملى له و ثبت إسناده لى، إجازة تامه، فى ذلك كلّ عاميّة، على سنن الإجازات الشرعى، و شرطها المأثور عند أهل الحديث المرعى، و الله ينفعى و إياهما بالعلم و حملة، و ينظما جميعا فى سلك حزبه المفلح و أهله، و يفيض علينا من أنوار بركته

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٦٥

و فضله. قال ذلك و كتبه بخطّ يده الفانيّة العبد الفقير إلى الله الغنى به، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان، ختم الله تعالى له بخير! حامداً لله تعالى، و مصليا و مسلما على نبيه المصطفى الكريم، و على آله الطاهرين ذوى المنصب العظيم، و صحابته البررة أولى الأثره و التقديم، فى سادس ربيع الآخر عام أربعة و أربعين و سبعمائه، و حسبنا الله و نعم الوكيل؛ انتهى.

من أبى جعفر العذرى إلى لسان الدين

و كتب الفقيه أبو جعفر بن عبد الملك العذرى من أهل بلنسية إلى لسان الدين رحمه الله تعالى فى بعض الأغراض: [الكامل]

إنى بمجدك لم أزل مستيقنا أن لا يهدم بالتغير ما بنى
إذ أنت أعظم ماجد يعزى له صفح و أكرم من عفا عمّن جنى
و كتب أيضا: [الكامل]

إن كان دهرى قد أساء و جارا فذمام مجدك لا يضيع جارا
فلأنت أعظم ملجأ ينجى إذا ما الدهر أنجد موعدا و أغارا

من لسان الدين إلى ابن نفيس

و قال لسان الدين رحمه الله تعالى: خاطبت الشيخ الشريف الفاضل أبا عبد الله بن نفيس صحبه ثمن مسكن اشتريته منه، و كان قد أهدانى فرسا عتيقا: [البيسط]

جزيت يا ابن رسول الله أفضل ما جزى الإله شريف البيت يوم جزى

إن أعجز الشكر مني منه ضعفت عن بعض حقك شكر الله ما عجزا

«سیدی، أبقى الله شرفك تشهد به الطباع، إذا بعدت المعاهد المقدسة والزجاج! وتعترف به الأبصار والأسماع، وإن جحدت عارضها الإجماع، بأى لسان أثنى؟ أم أى الأفنان أهصر وأجنى؟ أم أى المقاصد الكريمة أعنى؟ أمطيت جوادك المبارك، وأسكنت دارك، وأوسعت مطلبى اصطبارك، وهضمت حقك وبؤأت جوارك، ووصلت للغرباء إيثارك، أشهد بأنك الكريم ابن الكريم، لا أقف فى تعدادها عند حد، إلى خير جد، فإن أعان الدهر على مجازاه، وإن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٦٦

ترفع كرمك عن موازاه، فحاجة نفس قضيت، وأحكام آمال أمضيت، وإن اتصل العجز فعين على القذى أغضيت، ومناصل عزم ما انتضيت، وعلى كل حال فالثناء ذائع والحمد شائع، واللسان والحمد لله طائع، والله مشتر ما أنت بائع، وقد وجهت من يحاول لسيدى ثمن ما اكتسبه مجده، وسفر عنه حمده، والعقيدة بعد التراضى، وكمال التقاضى، وحميد الصبر وسعة التغاضى، وكونه الخصم والقاضى، أنه هبة سوغها إناعامه، وأكله هاهنا طعامه، نسأل الله تعالى أن يعلى ذكره، ويتولى شكره، وينمى ماله، ويرفع قدره، والولد جاره الغريب الذى برز إلى مقارعة الأيام عن خبرة قاصرة، وتجربة غير منجدة على الدهر وناصرة، قد جعلته وديعة فى كرم جواره، ووضعت فى حجر إيثاره، فإن زاع فیده العليا فى تبصيره، ومؤاخذته بتقصيره، ومن تبه مثله نام، ومن استنام إليه بمهمة أكرم بمن إليه استنام، وإن تشوف سيدى لحال محبه فمطلق للدنيا من عقال، ورافض أثقال، ومؤمل اعتياض بخدمه الله تعالى وانتقال؛ انتهى.

من لسان الدين إلى أبى القاسم بن رضوان

وقال رحمه الله تعالى: مما خاطبت به صدر الفضلاء الفقيه المعظم أبا القاسم بن رضوان بما يظهر داعيته من فحواه: [الطويل]

مرضت فأيامى لديك مريضة وبرؤك مقرون ببراءة اعتلالها

فلا راع تلك الذات للضرر رافع ولا وسمت بالسقم عزّ خلالها

«وردت على من فنتى التى إليها فى معرك الدهر أتحيز، وبفضل فضلها فى الأقدار المشتركة أتميز، سحاءة سرّت وساءت، وبلغت من القصدین ما شاءت، أطلع بها سيدى صنيعه وده من شكواه على كلّ عابث فى السويداء، موجب اقتحام البيداء، مضمم نار الشفقة فى فؤاد لم يبق من صبره إلّا القليل، ولا من إفصاح لسانه إلّا الأنين والأليل، ونوى مدت لغير ضرورة يرضاها الخليل، فلا تسأل عن ضنين تطرقت اليد إلى رأس ماله، أو عابد نوزع متقبل أعماله، أو أمل ضويق فى فذلكه آماله، لكننى رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق، وعارضت القواعد الموحشة بالفروق، ورأيت الخطّ يبهر والحمد لله تعالى و يروق،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٦٧

واللفظ الحسن تومض فى حبره للمعنى الأصيل بروق، فقلت: ارتفع الوصب، ورد من الصحة المغتصب، وآله الحسّ والحركة هى العصب، وإذا أشرق سراج الإدراك دلّ على سلامة سليطه، والروح خليط البدن والمرء بخليطه، وعلى ذلك فلا يقنع بليد احتياطى إلّا الشرح، ففيه يسكن الظمأ البرح، وعذرا عن التكليف فهو محلّ الاستقصاء والاستفسار، والإطناب والإكثار، وزند القلق فى مثلها أورى، والشفيق بسوء الظن مغرى، وسيدى هو العمدة التى سلمت لى الأيام فيها، وقالت: حسب آمالك وكفيها، فكيف لا أشفق، ومن أنفق من عينه فأنا من عينى لا أنفق، والله لا يحبط سعى فى سؤال عصمتها ولا يخفق، ويرشد إلى شكره على ما وهب منها ويوفق، والسلام الكريم على سيدى البر الوصول، الذى زكت منه الفروع لما طابت الأصول، وخلص من ودّه لابن الخطيب المحصول، ورحمة الله تعالى وبركاته».

من ابن رضوان إلى لسان الدين]

قال: فراجعني حفظ الله سيادته بما نصّه: [الطويل]
 متى شئت ألقى من علائك كل ما ينيل من الآمال خير منالها
 كبير اعتلال من دعائك زارني و عادات برّ لم ترم عن وصالها
 «أبقى الله ذلك الجلال الأعلى متطولا بتأكيد البرّ، متفضّلا بموجبات الحمد و الشكر، ورددتني سحاءته المشتملة على معهود تشريفه، و
 فضله الغنى عن تعريفه، متحفيا في السؤال، عن شرح الحال، و معلنا بما تحلى به من كرم الخلال، و الشرف العال، و المعظم على ما
 يسّر ذلك الجلال الوزاري الرياسي أجراه الله تعالى على أفضل ما عوّده، كما أعلى في كلّ مكرمة يده، ذلك ببركة دعائه الصالح، و
 حبه المخيم بين الجوانح، و الله سبحانه المحمود على نعمه، و مواهب لطفه و كرمه، و هو سبحانه المسؤول أن يهيئ لسيدى قرار
 المخاطر، على ما يسره في الباطن و الظاهر، بمنّ الله و فضله، و السلام الكريم على جلاله الأعلى و رحمة الله و بركاته، كتبه المعظم
 الشاكر الداعي الذاكر المحبّ ابن رضوان، و فقه الله تعالى! في ذى الحجة ختام عام واحد و ستين و سبعمائة؛ انتهى.

من لسان الدين إلى الشيخ الجنان]

و قال رحمه الله تعالى: و فاتحته- يعني الشيخ الجنان- محرّكا قريحته و مستثيرا ما عنده، بقولي: [الكامل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٦٨
 إن كانت الآداب أضحت جنة فلقد غدا جناها الجنان
 أقلامه القضب اللدان بدوحها و الزهر ما رقمته منه بنان
 و ذكر في البيتين سجعا بليغا،

من الشيخ الجنان إلى لسان الدين]

ثم قال: فراجعني الجنان بما نصّه: [السريع]
 يا خاطب الآداب مهلا فقد ردك عن خطبتها ابن الخطيب
 هل غيره في الأرض كفاء لها و شرطها الكفاءة قول مصيب
 أصبح للشرط بها معرسا فاستفت في الفسخ فهل من مجيب
 «أيها السيد الذي يتنافس في لقائه و يتغالي، و يصادم بولائه صرف الزمان و يتعالى، و تستنتج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه، و تقتنص
 شوارد العلوم بروايات كلامه فكيف بمداناه عيانه، جلوت على من بنات فكرك عقائل نواهد، و أقتت بها على معارفك الجمة دلائل
 و شواهد، و اقتنصت بشرك بديهتك من المعاني أوابد شوارد، و فجرت من بلاغتك و براعتك حياضا عذبة الموارد، ثم كلفتني من
 إجراء ظالعي في ميدان ضليعها، مقابلة الشمس المنيرة بسراج عند طلوعها، فأخلدت إخلاذ مهيب الجناح، و فررت فرار الأعزل عن
 شاكي السلاح، و علمت أنني إن أخذت نفسي بالمقابلة، و أدليت دلو قريحتي للمساجلة، كنت كلف الأيام مراجعة أمسها، أو
 طلب ممّن علتها السماء محاولة لمسها، و إن رضيت من القريحة بسجيتها، و أظهرت القدر الذي كنت امتحت من ركيته، أصبحت
 مسخرة للراوين و السامعين، و نبت عن أسمى دواوينهم كما تنبو عن الأشيب عيون العين، ثم إن أمرك يا سيدى لا يحلّ وثيق مبرمه،
 و لا- يحلّ نسخ محكمه، فامثلته امثال من لم يجد في نفسه حرجا من قضائك، و رجوت حسن تجاوزك و إغضائك، أبقاك الله
 تعالى قطبا لفلك المكارم و المآثر، و فضا لخاتم المحامد و المفخر، و السلام؛ انتهى.

ترجمة الشيخ أحمد بن محمد الجنان الأوسى]

و الجنان المذكور مغربى من مكناسة الزيتون، و هو الشيخ الفقيه العدل الأديب الأخبارى المشارك، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسى، الجنان، من أهل الظرف
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٦٩
 و الانطباع و الفضيلة، كاتب عاقل ناظم نادر مشارك فى فنون من العلم، له تصنيف حسن فى ثلاث مجلدات سماه «المنهل المورود، فى شرح المقصد المحمود» شرح فيه و ثائق أبى القاسم الجزيرى المالكى، فأربى على غيره بيانا و إفادة. قال فى «نفاضة الجراب»: و ناولنى إياه، و أذن لى فى حملى عنه، و أنشدنى كثيرا من شعره، فمن ذلك ما صدر به رسالته يهنئ بها ناقها من مرض: [المديد]
 البس الصحة بردا قشيبا و ارشف النعمة نغرا شنبيا
 و اقطف الآمال زهرا نضيرا و اعطف الإقبال غصنا رطيبا
 إن يكن ساءك و عكك تقضى تجد الأجر عظيما رحيبا
 فانتعش فى دهرنا ذا سرور يصبح الحاسد منه كئيبا

أبيات رآها المؤلف على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التى بناها ابن تاشفين]

و قال أيضا لسان الدين فى النفاضة: قرأت بالدور الخشبي فى الدار التى نزلت بها بمكناسة الزيتون أبياتا منقشة استحسنتها لسهولتها فأخبرنى أنها من نظمه، و هى: [المنسرح]
 انظر إلى منزل متى نظرت عيناك يعجبك كل ما فيه
 ينبئ عن رفعة لمالكه و عن ذكاء الحجا لبانيه
 يناسب الوشى فى أسافله ما يرقم النقش فى أعاليه
 كأنه روضة مدبجة جاد لها و ابل بما فيه
 فأظهرت للعيون زخرفها و وافقتها على تجليه
 فهو على بهجة تلوح به و رونق للجمال يبيده
 يشهد للساكين أن لهم من جنة الخلد ما يحاكيه
 قلت: قد تذكرت هنا، و الشىء بالشىء يذكر، ما رأيت مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التى بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزيانى، و هى من بدائع الدنيا، و هو:
 [الكامل]

انظر بعينك بهجتى و سنائى و بديع إتقانى و حسن بنائى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٧٠
 و بديع شكلى و اعتبر فيما ترى من نشأتى بل من تدفق مائى
 جسم لطيف ذائب سيلانه صاف كذوب الفضة البيضاء
 قد حفّ بى أزهار و شىء نمقت فعدت كمثل الروض غبّ سماء

أبيات كتبت على القبة التى أنشأها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسنى]

و ما أنشده بعض أهل العصر في المغرب بقصد أن يرسم في الأستار المذهبة المحكمة الصنعة التي جعلها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسنى رحمه الله تعالى لكى يستر بها النواحي الأربع من القبنة الكبيرة بالبديع، و تسمى هذه الستور عند أهل المغرب بالحائطي، ففي الجهة الأولى: [الكامل]

متّع جفونك من بديع لباسى و أدر على حسنى حميًا الكاس
هذى الزبا و الروض من جرعائها ممّا اغتذى بالعارض البجاس
أتى لروض أن يروق بهاؤه مثلى و أن يجرى على مقياس
فالروض تغشاه السوام، و إنما تأوى إلى كنفى ظباء كناس
و على الجهة الثانية:

من كلّ حسنا كالقضيبي إذا انثنى تترى بغصن البانئة الميأس
و لقد نشرت على السماك ذوائبي و نظرت من شزر إلى الكناس
و جررت ذيلي بالمجرّة عابثا فخرا بمخترعى أبى العباس
ما نيط مثلى فى القباب و لا ازدهت بفتى سواه مراتب و كراسى
و على الجهة الثالثة:

ملك تقاصرت الملوك لعزّه و رماهم بالدّلّ و الإتعاس
غيث المواهب بحر كلّ فضيلة ليث الحروب مسعر الأوطاس
فرد المحاسن و المفاجر كلّها قطب الجمال أخو الندى و الباس
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٧١
ملك إذا وافى البلاد تأرّجت منه الوهاد بعاطر الأنفاس
و على الجهة الرابعة:

و إذا تطلّع بدره من هالة يغشى سناه نواظر الجلّاس
أيامه غرر تجلّت كلّها أبهى من الأعياد و الأعراس
لا زال للمجد السنّى يشيده و يقيم مبناه على الأساس
ما مال بالغصن النسيم و حبيت درر الندى فى جيده الميأس

أبيات للفقير أبى محمد المسفيومى المراكشى مما كتب على أحد مباني الوزير عبد العزيز الفشتالى

و ما أنشدنيه بعض العصريين من المغاربة لصاحبنا المرحوم الفقيه الكاتب المحقق أبى محمد الحسن بن أحمد المسفيومى المراكشى أحد مشاهير الكتّاب بباب أمير المؤمنين المنصور بالله أبى العباس الشريف الحسنى ملك المغرب، صبّ الله تعالى على الجميع أمطار الرضوان ممّا كتب فى بعض مباني صاحبنا الوزير العلامة الأجلّ سيدى عبد العزيز الفشتالى رحمه الله تعالى! و هو: [الكامل]

أجل المعلّى من قداح سرورى و أدر كؤوس الأنس دون شرور
خلعت على عطف البهاء محاسنى فكست به الآفاق ثوب جبور
و تناسق الوشى المقوّف حلّتى نسق الشذور على نحور الحور
شأو القصور قصورها عن رتبة لى بالسنا الممدود و المقصور

فى المبتنى المراكشى و أفقه أزرى على الزوراء و الخابور
أعلى مقامى البارع الأسمى الذى قد حاز سبق النظم و المنشور
فإذا أقلّ بنانه أقلامه نفثت عقود السحر بين سطور
عبد العزيز أخو الجلالة كاتب سرّ الخليفة أحمد المنصور
لا زال فى يمن و أمن ما شدت ورق بروض بالتدى ممطور
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٧٢

أبيات للوزير أبى فارس عبد العزيز الفشتالى تبت فى المباني المنصورية بمراكش]

و بعضه كتبتة بالمعنى من حفظى لطول العهد، و الغاية فى هذا الباب ما أنشدنيه لنفسه الوزير أبو فارس عبد العزيز الفشتالى المذكور،
و هى جملة من قصائد كتبت فى المباني الملوكية المنصورية بالحضرة المراكشية حاطها الله تعالى! فمنها ما كتب خارج القبة
الخمسينية أى التى فيها خمسون ذراعا بالعمل، و ذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان القبة: [الطويل]
سموت فخرَ البدر دونى و انحطّ و أصبح قرص الشمس فى أذنى قرطا
و صغت من الإكليل تاجا لمفرقى و نيطت بى الجوزاء فى عنقى سمطا
و لاحت بأطواقى الثريا كأنها نثير جمان قد تتبعته لقطا
و عدّيت عن زهر النجوم لأننى جعلت على كيوان رحلى منحطّا
و أجريت من فيض السماحة و الندى خليجا على نهر المجزة قد غطّى
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت إليه وفود البحر تغرق ما أنطى
ففضّض ما بين الغروس كأنه و قد رقرقت حصباؤه حيث رقطا
حواليه من دوح الرياض خرائد و غيد تجرّ من خمائلها مرطا
إذا أرسلت لدن الفروع و فتحت جنى الزهر لاح فى ذوائبها و خطا
يرنحها مرّ النسيم إذا سرى كما مال نشوان تشرب إسفنتا
يشقّ رياضها جادها الجود و الندى سواء لديها الغيث أسكب أم أخطا
و سالت بسلسال اللجين حياضه بحارا غدا عرض البسيط لها شطا
تطلع منها وسط وسطاه دمية هى الشمس لا تخشى كسوفها و لا غمطا
حكّت و حباب الماء فى جنباتها سنا البدر حلّ من نجوم السما وسطا
إذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها على جسمها الفضى نهرها بها لطا
توسمت فيها من صفاء أديمها نقوشا كأنّ المسك ينقطها نقطا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٧٣
إذا اتسقت بيض القباب قلادة فإنى لها فى الحسن درتها الوسطى
تكتننى بيض الدّمى فكأنها عذارى نضت عنها القلائد و الريطا
قدود و لكن زانها الحسن عريها و أجمل فى تنعيمها النحت و الخرطا
نمت صعدا تيجانها فتكسرت قوارير أفلاك السماح بها ضغطا
فيا لك شأوا بالسعادة أهلا بأكنافه رحل العلا و الهدى حطا

و كعبه مجد شادها العزّ فانبرت تطوف بمغناها أمانى الورى شوطا
 و مسرح غزلان الصّريم كناسها حنايا قباب لا الكثيب و لا السّقطا
 فلكن به ما طاب لا الأثل و الخمطا و وسدن فيه الوشى لا الشدر و الأرتى
 تراه من المسك الفتيت مدبرا إذا مازجته السّحب عاد بها خلطا
 و إن باكرته نسمة لسرى بها إلى كل أنف عرف عنبره قسطا
 أقرت له الزهراء و الخلد و انتقت أواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا
 جناب رواق المجد فيه مطّنب على خير من يعزى لخير الورى سبطا
 إمام يسير الدهر تحت لوائه و ترسى سفان للعلا حيشما وطّا
 و فتّاح أقطار البلاد بفيلق يفلق هامات العدا بالطّبا خبطا
 تطلّع من خرصانه الشّهب فانثنت ذوائب أرض الزنج من ضوئها شمطا
 كتائب نصر إن جرت لملمة جرت قبلها الأقدار تسبقها فرطا
 إذا ما عقدن راية علوية جعلن ضمان الفتح فى عقدها شرطا
 فما للسما تلك الأهله إنما سنابكها أبقت مثالا بها خطّا
 يطاوع أيدي المعلوات عنانها فيعتاض من فيض الزمان بها بسطا
 يد لأمير المؤمنين بكفّها زمام يقود الفرس و الروم و القبطا
 أدار جدارا للعلا و سرادقا يحوط جهات الأرض من رعيه حوطا

آيات للوزير الفشتالى مما كتب ببهو المبنى المنصوري بمرمر أسود فى أبيض

و قوله ممّا كتب ببهوها بمرمر أسود فى أبيض: [الكامل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٧٤
 لله بهو عزّ منه نظير لّمّا زها كالروض و هو نصير
 رصفت نقوش حلاه رصف قلائد قد نضدتها فى النحور الحور
 فكأنها و التبر سال خلالها و شى و فضة تربها كافور
 و كأنّ أرض قراره ديباجة قد زان حسن طرازها تشجير
 و إذا تصعد نده نوءا ففى أنماطه نور به ممطور
 شأو القصور قصورها عن وصفه سيان فيه خورنق و سدیر
 فإذا أجلت اللحظ فى جنباته يرتدّ و هو بحسنه محسور
 و كأنّ موج البركتين أمامه حركات سجف صافحته دبور
 صفت بصفتها تماثل فضة ملكك النفوس بحسنها تصوير
 فتدير من صفو الزلال معتقا يسرى إلى الأرواح منه سرور
 ما بين آساد يهيج زئيرها و أسود يسلى لهنّ صفير
 ودحت من الأنهار أرض زجاجة و أظّلها فلكك يضىء منير
 راقت فمن حصائنها و فواقع تطفو عليها اللؤلؤ المنثور

يا حسنه من مصنع فيهاؤه باهى نجوم الأفق و هى تنور
و كأنما زهر الرياض بجنبه حيث التفت كواكب و بدور
و لدسته الأسمى تخير رصفه فخر الورى و إمامها المنصور
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧، ص ١٧٤
ملك أناف على الفراقد رتبه و أقله فوق السماك سرير
قطب الخلافة تاج مفرق دوله رميت بجحفلها اللهم الكور
و جرى إلى أقصى العراق لرعبها جيش على جسر الفرات عبور
نجل النبى ابن الوصى سليل من حقن الدماء و عفّ و هو قدير
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٧٥
بحر الندى لكنه متموج سيف العلا لكنه مطرور
طود يخف لحلمه و وقاره و لجيشه يوم النزال ثبير
دامت معاليه و دام و مجده طوق على جيد العلا مزور
و تعاهدته عن الفتوح بشائر يغدو عليه بها المسا و بكور
ما دام منزل سعده يرتاده نصر يرفّ لواؤه المنشور
و مشت به مرحا جياذ مسرة و أدار كأس الأنس فيه سمير

أبيات له كتبت بداخل القبة

و قوله ممّا كتب بداخل القبة المذكورة: [الوافر]
جمال بدائعى سحر العيانا و رونق منظرى بهر الجفونا
و قد حسنت نقوشى و استطارت سنا يعشى عيون الناظرينا
و أطلع سمكى الأعلى نجوما ثواقب لا تغور الدهر حيناً
و جوى من دخان الندّ ألقى على أرضى الغياهب و الدّجونا
علوت دوائر الأفلاك سبعا لذاك الدهر ما ألفت سكونا
فصغت من الأهلة و الحنايا أساور و الخلاخل و البرينا
تكتفنى حياض مائحات أمامى و الشمال أو اليمينا
يقتد حسنها الطرف انفساحا و يجرى الفلكك فيها و السفينا
تدافع نهرها نحوى فلما تلاقى البحر فى جرى دفينا
ترى شهب السماء بهنّ غرقى فتحسبها بها الدّر المصونا
و قد نشر الحجاب على سماها لآلىء تزدرى العقد الثمينا
فخرت و حقّ لى لما اجتبانى لمجلسه أمير المؤمنين
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٧٦
هو المنصور حائر خصل سبق و بانى المعجد بنيانا مكينا
و ليث و غى إذا زار امتعاضا يروع زئيره هنداً و صينا

إذا أمت كتابه الأعادي بعثن برعبه جيشا كميناً
 يدير عليهم من كلّ حرب تدقّهم رحي أو منجنونا
 إمام بالمغرب لاح شمساً بها الشرق اكتسى نورا مينا
 بقيت بذى القصور الغرّ بدرا تلوح بأفقهنّ مدى السينا
 تحفّ بكم عواكف عند بابي ملائكة كرام كاتبونا
 لك البشرى أمير المؤمنين أدخلوها مع سلام آمينا

أبيات له في بعض المباني المنصورية

وقوله في بعض المباني المنصورية: [الوافر]
 معاني الحسن تظهر في المغاني ظهور السحر في حدق الحسان
 مشابه في صفات الحسن أضحت تمتّ بها المغاني للغواني
 بكلّ عمود صبح من لجين تكوّن في استقامة خوط بان
 مفصّلة القدود مثلثات مواصلة العناق من التدانى
 تردّت سابريّ الحسن يزرى بحسن السابريّ الخسروانى
 وتعطو الخيزرانة من دماها بسالفه القطيع البرهماني
 لمجدك تنتمى لكن نماها إلى صنعاء ما صنع اليدان
 يدين لك ابن ذى يزن و يعنو لها غمدان في أرض اليمان
 غدت حرما و لكن حلّ فيها لوفدكم الأمان مع الأمانى
 مبان بالخلافة آهلات بها يتلو الهدى السبع المثاني
 هي الدنيا و ساكنها إمام لأهل الأرض من قاص و داني
 قصور ما لها في الأرض شبه و ما في المجد للمنصور ثاني
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٧٧

أبيات له مما كتب في المصرية المطلّة على الرياض

وقوله رحمه الله تعالى ممّا كتب في المصرية المطلّة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من بديع المنصور، و كان أنشأها في
 جمادى الأولى من عام خمسة و تسعين و سبعمائة: [الكامل]
 باكر لدى من السرور كؤوسا و ارض النديم أهله و شموسا
 و اعرج على غرفى المنيف سماؤها تلق الفراقذ في حماى جلوسا
 و إذا طلعت بأوجها قمر العلالا لا ترتضى غير النجوم جليسا
 شرق القصور بريقها لثما اجتلت منى على بسط الرياض عروسا
 و اعتضت بالمنصور أحمد ضيغما وردا تحيز من بديعى خيسا
 ملك أرى كلّ الملوک ممالكا لعلاه و الدنيا عليه حبيسا

دامت وفود السعد و هي عواكف تصل المقييل لدى و التعريسا
و هناك يا شرف الخلافة دولة تلقى برايتها طلائع عيسى
و قوله من جملة قصيده من نمط ما تقدم لم أستحضر أولها: [الكامل]
سلبت تماثلها الحجا لما اغتدت تزهو بحسن طرازها تذهيبا
و لقد تشامخ في العلو سماكها فجرى على الفلك المنير جنيا
و سما إلى الشهب الزواهر فاغدى ال إكليل منها تاجها المعصوبا
هذا البديع يعزّ شبه بدائع أبدعتنّ به فجاء غريبا
أضنى الغزاة حسنه حسدا لذا أبدى عليها للأصيل شحوبا
و انقضت الزهر المنيرة إذ رأت زهر الرياض به ينور عجبيا
شيدتهنّ مصانعا و صنائعا أنجزن و عدك للعلا المرقوبا
و جريت في كلّ الفخار لغاية أدر كتتهنّ ما مسست لغوبا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٧٨
فانعم بملكك فيه دام مؤبدا تجنى به فنن النعيم رطيبا
و إليكها عذراء فكر أهديت و جعلت مدحك مهرها الموهوبا
و نظمت من درر البلاغة عقدها فغدا يروق بجيدها ترتيبا
و رفعتها لمقامكم تمشى على اس تحيا فيز عجبها الولا ترغيبا
فأنت على شرف لكم فتوقفت لما رأت ذاك الجلال مهيبا
شفعت إليك بحبّ جدك أحمد لتنبليها منك الرضا المرغوبا
دامت بك الدنيا يروق جمالها و إلى القيامة أمركم مرهوبا
و كلاكم الله العظيم كلاءة يرعى بها خلفا لكم و عقيبا

من الوزير عبد العزيز الفشتالي إلى مؤلف هذا الكتاب

و محاسن صاحبنا المذكور في النظم و النثر يضيق عنها هذا التأليف، و كنت أثبتت منها جملة في غير هذا الموضوع. و لما أحسّ بعزى على الرحلة إلى الحجاز، و اقتضائي من سلطان المغرب في وعده لى بها التجاز، كتب إلى من حضره مراکش و أنا حينئذ بفاس، ما صورته بعد سطر الافتتاح: [الكامل]

يا نسمة عطست بها أنف الصبا فتضمخت بغيرها فنن الرّبا
هبي على ساحات أحمد و اشرحى شوقى إلى لقياه شرحا مطنبا
وصفى له بالمنحنى من أضلعي قلبا على جمر الغضا متقلبا
بان الأحنه عنه، حتى قد توى منهم، و آخر قد نأى و تغيبا
فعساك تسعد يا زمان بقربهم فأقول أهلا باللقاء و مرحبا

«السيادة التي سواها الله من طينة الشرف و الحسب، و غرس دوحها الطيبة بمعدن العلم الزاكي المحتد و النسب، سيادة العالم الذي تمشى تحت علم فتياه العلماء الأعلام، و تخضع لفصاحته و بلاغته صيارفة النثر و النظام، و حملة الأقلام، كلما خط أو كتب، و إذ استطار بفكره الوقاد سواجع السجع اثالت عليه من كل أوكارها و نسلت من كل حدب، و حكمت بانسجامها السيل و القطر في صيب،

الفقيه العالم العلم، و المحصل الذي ساجلت العلماء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٧٩

لتدرك في مجال الإدراك شأوه فلم، سيدنا الفقيه الحافظ حامل لواء الفتيا، و مالك المملكة في المنقول و المعقول من غير شرط و لا- ثنيا، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد المقرئ أبقاه الله تعالى للعلم يفتض أبكاره، و يجنى من روضه اليناع ثماره، سلام الله عليكم و رحمه الله تعالى و بركاته، كتبه المحب الشاكر عن و د راسخ العماد، ثابت الأوتاد مزهو الأغوار و الأنجاد، و لا جديد إلا الشوق الذي تحن إلى لقياكم ركائبه و ترتاح، و تحوم على مورد الأنس بكم حوم ذات الجناح على العذب القراح، جمع الله تعالى الأرواح المؤتلفة على بساط السرور و أسرة الهنا، و أتاح للنفوس من حسن محاضرتكم قطف المشتهى و هو غض الجنى. و قد اتصل بالمحب الودود الرقيم الذي راقت من سواد النقش و بياض الطرس شياته، و أرانا معجز أحمد فبهرت آياته، و خبا سقط الزند لما أشرفت من سماء فكركم آياته، فأطربنا بتغريد طيور همزاته على أغصان ألفاته، و عوذنا بالسبع المثاني بنانا أجادت نثر زهراته على صفحاته، ثم مررنا بتضاعيفه بسوق الرقيق، فرمنا السلوك على منحها فعمى علينا الطريق، و قلنا: واهها على سوق ابن نباته و كساد رقيقها، و استلاب البهجة عن نفيس دررها و أنيقها، لا كسوق نفق فيها سوق الغزل، و علا كعب الرامح و الأعزل، و تضافر على سحر النفوس و الأبواب هاروت الجد و ماروت الهزل، و قد ألقينا السلاح و جنحنا للسلم، و تهيننا للسباحة فوقنا بساحل اليم، و سلمنا لمن استوت به سفينة البلاغة على الجودي، فأبنا و الحمد لله على السلامة بالفهامة و العي، و قلنا: مالنا و للإنشاء، فهو فضل الله يؤتیه من يشاء. و عذرا أيها الشيخ عن البيت الذي عطست به أنف الصيبا فقذفت به البديهة من الفم، و شرقت به صدر قناة القلم، كما شرقت صدر القناة من الدم. و أميا ما تحمّل الرسول من كلام، فى صورة ملام، لا بل مدام، أترع به من سلاف المحية كأس و جام، فلا و ربك ما هي إلا نفحة نفحت، لا سموم لفحت، هزنا بها جذع أدبكم كى يتساقط علينا رطبا جتيا، و يهمى ودقه على الزرع المحيل من أفكارنا و سميا و ولييا، فجاد و أروى، و أجاد فيما روى، و أحيا من القرائح ميتا كان حديثا يروى، و طرسا بين أنامل الأيام ينشر و يطوى، أحيا الله تعالى قلوبنا بمعرفته و نواسم رحمته، و عرج

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٨٠

بأرواحنا عند الممات إلى المحل الأخصّ بالمؤمن من حضرته. و أهدي السلام، المزرى بمسك الختام، إلى الفقيهين الأمجدين، الصدرين الأنجدين، الفذّين التوأمين، الفاضلين المجيدين، فارسى البراعة و اليراعة، و رئيسى الجماعة فى هذه الصناعة، رضيعى لبنان الأدب و واسطتى عقده، و مجيلى قدحه المعلى و موربى زنده، الممتعين بشميم عراره و رنده، الكارعين بالبحر الفيض من هزله و جدّه، الآتين بالجنس و الفصل من رسمه وحده، الكاتب البارح أبى الحسن سيدي على بن أحمد الشامى، و الكاتب البليغ أبى عبد الله سيدي محمد بن على الوجدى، و أقرّ لهما الودّ المستحکم المعاهد، الصافى المناهل العذب الموارد، و إنى قائم بورد الثناء عليكم و عليهما لدى المقام العلى، الإمامى الناصرى، دام سلطانه، و تمهدت أوطاره و أوطانه! و نهى إليكم أن الفقيه المحب الأستاذ سيدي محمد بن يوسف طلق اللسان بالشكر، صادح على أيك الثناء عن تلكم السيادة بما أوليتموه به من جزيل الإحسان، و قابلتموه به عند الورود و الصدر من البشر و الكرامة و جميل الامتنان، و السلام التامّ معاد عليكم، و رحمه الله تعالى و بركاته، و به وجب الكتب إليكم، و الله سبحانه يراعكم، فى يوم الخميس موفى عشرين من محرم الحرام فاتح سبعة و عشرين و ألف، المحب للودود الشاكر عبد العزيز بن محمد الفشتالى لطف الله تعالى به، و خار له بمته و كرمه!؛ انتهى.

و من أراد شيئا من أخباره فعليه بكتابى الموسوم ب «روضه الآس، العاطر الأنفاس، فى ذكر من لقيته من أعلام مراکش و فاس»، و قد بلغتني وفاته رحمه الله تعالى و أنا فى مصر بعد عام ثلاثين و ألف، رحمه الله تعالى! فلقد كان أوحد عصره، حتى إن سلطان المغرب كان يقول: إن الفشتالى نفتخر به على ملوك الأرض، و نبارى به لسان الدين بن الخطيب، رحم الله تعالى الجميع!.

و الشامى الذى أشار إليه هو من أعيان أهل فاس و ذوى البيوت بها، و جدّه قدم من الشام على حضرة فاس، فشهر بنوه بالنسبة إلى

الشام، وقد بلغتني وفاته أيضا بعد الثلاثين بعد الألف، وقد أجاب عن الأبيات البائية التي خاطبني بها الوزير سيدي عبد العزيز الفشتالي المذكور رحم الله تعالى الجميع بقوله: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٨١

نمت نوافح عرف أنفاس الصبا فمما بها روض الوداد و أخصبا
 نثرت جواهر سلكها فتتوج ال غصن النضير بدرها و تعصبا
 و رمت محاجر منحنى ذاك الحمى فغدا بها خيف القلوب محصبا
 و روت أحاديث الغرام صحيحة فشفت فؤادا من عبادك موصبا
 لا غرو أن طارت حشاشة لبه طربا فما خلو الغرام كمن صبا
 لا زلتم و الزهر ينشق عرفكم و الزهر تحسد من كمالك منصبا
 و لنمسك عنان البنان، و نرجع إلى ما كنا بصدده من شأن لسان الدين بن الخطيب المريع منه بمزن البلاغ و الفصاحة جنان الجنان، فنقول و الله سبحانه ولى التوفيق و الإمداد، و ليس إلّا عليه الاعتماد:

ابن الصباغ العقيلي في لسان الدين و اختصاصه بابن الجياب

و قال ابن الصباغ العقيلي: كان أبو الحسن بن الجياب رئيس كتاب الأندلس و هم رؤساء غيرهم، و اختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب اختصاصا تاما، و أورثه رتبة من بعده، و عهد بها إليه، مشيرا بذلك على من استشاره من أعلام الحجاب عند حضور عمره، و تدرّب بكائه حتى استحقّ أزمته فأنسى بحسن سياسته شيخه المذكور، و نال التي لا فوقها من الحظوة، و بعد الصيت و سعادة البخت، اتفق له يوما بعد ما عزم النصراني على ورود البلد و ضاقت به الصدور، فأنشد ابن الجياب بديها بمحضر الكتاب: [مجزوء الرجز]

هذا العدو قد طغى و قد تعدى و بغى

إجازة بين ابن الجياب و لسان الدين

و قال لابن الخطيب: أجزأبا عبد الله، فأنشده بديها: [مجزوء الرجز]

و أظهر السلم و قد أسرّ حسوا في ارتغا
 فبلغ الرحمن سى ف النصر فيه ما ابتغى
 و رده ردّ ثمود و الفصيل قد رغا
 حتى يرى وليمة لكل مرهوب الثغا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٨٢

فقال الجياب: هكذا و إلّا فلا، و عجب الحاضرون من هذه البديهة، انتهى.

من أبي يحيى البلوى لسان الدين

و ممّا خوطب به لسان الدين قول الفقيه أبي يحيى البلوى المرى رحم الله الجميع:

[الخفيف]

عللوني و لو بوعد محال و صلوني و لو بطيف خيال
و اعلموا أننى أسير هواكم لست أنفكك دائما عن عقال
فدموعى من بينكم فى انسكاب و فؤادى من هجركم فى اشتعال
يا أهيل الحمى كفانى غرامى لا تزيدوا حسبى بما قد جرى لى
من مجيرى من لحظ ريم ظلوم حلل الهجر بعد طيب الوصال
ناعس الطرف أسهر الجفن منى طال منه الجفا بطول الليالى
بابلى اللحاظ أصمى فؤادى و رماه من غنجه بنبال
و كسا الجسم من هواه نحولا قصده فى النوى بذاك انتحالى
ما ابتدى فى الوصال يوما بعطف مذ روى فى الغرام باب اشتغالى
ليس لى منه فى الهوى من مجير غير تاج العلا و قطب الكمال
علم الدين عزه و سناه ذروة المجد بدر أفق الجلال
هو غيث الندى و بحر العطايا هو شمس الهدى فريد المعالى
إن وشى فى الرقاع بالنقش قلنا صفحة الطرس حللت باللالى
أو دجا الخطب فهو فيه شهاب زانه الصبح فى ظلام الضلال
أو نبا الأمر فهو فى الأمر غضب صادق العزم عند ضيق المجال
لست تلقى مثاله فى زمان جلّ فى الدهر يا أخى عن مثال
قد نأى بى حبى له عن ديارى لا لجدوى و لا لنيل نوال
لكن اشتقت أن أرى منه وجها نوره فاضح لنور الهلال
و كما همت فيه ألثم كفا جاد لى بالنوال قبل السؤال
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٨٣
هاكها ابن الخطيب عذراء جاءت تلثم الأرض قبل شسع النعال
و توفى حق الوزارة عمن هو ملك لها على كل حال

تهنئة من أبى يحيى البلوى للسان الدين فى إعداره أولاده

و من نظمه قوله يخاطبه مهنتا فى إعداره أولاده بعد نثر نصه: يعتذر عن خدمة الإعدار، و يصل المدح و الثناء على بعد الدار، بتاريخ
الوسط من شهر شعبان عام تسعة و أربعين و سبعمائة: [الكامل]
لا عذر لى عن خدمة الإعدار و لئن نأى وطنى و شطّ مزارى
أو عاقنى عنه الزمان و صرفه تقضى الأمانى عادة الإعصار
قد كنت أرغب أن أفوز بخدمتى و أحطّ رحلى عند باب الدار
بأدى المسرة بالصنيع و أهله متشمرا فيه بفضل إزارى
من شاء أن يلقي الزمان و أهله و يرى جلالا شاع فى الأقطار
فليات حى ابن الخطيب مليبا فيفوز بالإعظام و الإكبار
كم ضمّ من صيد كرام قدرهم يسمو و يعلو فى ذوى الأقدار

إن جئت ناديه فنب عنى و قل نلت المنى بتلطف و وقار
يا من له الشرف القديم و من له ال حسب الصميم العدّ يوم فخار
يهنيك ما قد نلت من أمل به فى الفرقدين التيرين لسارى
نجلاك قطبا كلّ مجد باذخ أملا ن مرجوان فى الإعسار
عبد الإله و صنوه قمر العلا فرعان من أصل زكا و نجار
ناهيك من قمرين فى أفق العلا ينميها نور من الأنوار
زاكى الأرومة معرق فى مجده جمّ الفضائل طيب الأخبار
رقت طباعه وراق جماله فكأنما خلقا من الأزهار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٨٤
و حلت شمائل حسنه فكأنما خلعت عليه رقة الأسحار
فإذا تكلم قلت ظل ساقط أو وقع درّ من نحور جوارى
أوفت حبر المسك فى قرطاسه فالروض غبّ الواكف المدرار
تتبسم الأقلام بين بنانه فتريك نظم الدرّ فى الأمطار
فتخال من تلك البنان كئانما ظلت تفتح ناضر التوار
تلقاه فياض الندى متهللا يلقاك بالبشرى و الاستبشار
بحر البلاغة قسها و إياها سبحانها حبر من الأحبار
إن ناظر العلماء فهو إمامهم شرف المعارف، واحد النظار
أربى على العلماء بالصيت الذى قد طار فى الآفاق كلّ مطار
ما ضره أن لم يجيء متقدّما بالسبق يعرف آخر المضمار
إن كان أخره الزمان لحكمة ظهرت و ما خفيت كضوء نهار
الشمس تحجب و هى أعظم تير و ترى من الآفاق إثر درارى
يا ابن الخطيب خطبتها لعلاكم بكرا تزف لكم من الأفكار
جاءتك من خجل على قدم الحيا قد طيبت بشنائك المعطار
و أتت تؤدى بعض حقّ واجب عن نازح الأوطان و الأوطار
مدّت يد التطفيل نحو علاكم فتوشحت من حليكم بنضار
فابذل لها فى النقد صفحك إنها تشكو من التقصير فى الأشعار
لا زلت فى دعة و عزّ دائم و مسرّة ترى مع الأعمار

ترجمة أبى يعبى البلوى من إنشاء لسان الدين فى «الإحاطة»

قال لسان الدين فى حق المذكور فى «الإحاطة»: هو محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى، من أبناء النعم و ذوى البيوتات، كثير السكون و الحياء، آل به ذلك أخيرا إلى لوثة لم يستفق منها، لطف الله به، حسن الخط، مطبوع الأدب، سيال الطبع معينه. و ناب عن بعض القضاء، و هو الآن رهين ما ذكر، يتمنى أهله موته، و الله ولى المعافاة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٨٥

و جرى ذكره في «الإكليل» بما نصّه: من أولى الاتصال، بأولى الخلال البارعة و الخصال، خطًا رائقًا، و نظماً بمثله لائقًا، و دعابة يسترها تجهّم، و سكونًا في طيّه إدراك و تفهّم، عني بالدراية و التقييد، و مال في النظم إلى بعض التوليد، و له أصالة نبتت في السر و عروقتها، و تألقت في سماء المجادة بروقتها، و تصرّف بين النيابة في الأحكام الشرعية، و بين الشهادات العلمية المرعية؛ انتهى.

و رأيت بخطّ أبي الحسن علي بن لسان الدين علي هامش هذا المحل من «الإحاطة» ما صورته: رحمه الله عليه! ما أعذب حلاوته، و أعظم مروءته، و أكرم أصالته، و بنو البلوى ذوو حسب، و أهل نعيم، و تربية ملوكية، حيّاهم الله و يتّاهم! قال ذلك حبيهم و أخوهم علي بن الخطيب، انتهى.

من أبي عبد الله بن مرزوق إلى لسان الدين و منه إلى ابن مرزوق

و قال لسان الدين رحمه الله تعالى عند ذكر الخطيب الرئيس أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ما صورته: و لما قدمت على مدينة فاس في غرض الرسالة، خاطبني بمنزل الشاطبي علي مرحله منها بما نصّه: [الكامل]

يا قادما وافي بكلّ نجاح أبشر بما تلقاه من أفراح
 هدى ذرا ملك الملوك فلذ بها تمل المنى و تفر بكلّ سماح
 مغنى الإمام أبي عنان يّمن تظفر ببحر في العلا طّفاح
 من قاس جود أبي عنان في الندى بسواه قاس البحر بالضّحاح
 ملكك يفيض على العفاة نواله قبل السؤال و قبل بسطة راح
 فلجود كعب و ابن سعدى في الندى ذكر محاه عن نداء ماحي
 ما إن سمعت و لا رأيت بمثله من أريحي للندى مرتاح
 بسط الأمان على الأنام فأصبحوا قد ألحفوا منه بظلّ جناح
 و همى على العافين سيب نواله حتى حكى سخّ الغمام الساحي
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٨٦
 فنواله و جلاله و فعاله فاقت و أعيت ألسن المدّاح
 و به الدّنا أضحت تروق و أصبحت كلّ المنى تنقاد بعد جماح
 من كان ذا ترخ فرؤية وجهه متلافة الأحران و الأتراح
 فانفض أبا عبد الإله تفر بما تبغيه من أمل و نيل نجاح
 لا زلت ترتشف الأمانى راحة من راحة المولى بكلّ صباح

فالحمد لله يا سيدي و أخي على نعمه التي لا تحصى، حمدا يؤمّ به جميعنا المقصد الأسنى، فيبلغ الأمد الأقصى، فطالما كان معظم سيدي للأسى في خبال، و للأسف بين اشتغال بال، و اشتغال بلبال. و لقدومكم على هذا المحل المولوي في ارتقاب، و لمواعيدكم بذلك في تحقّق وقوعه من غير شكّ و لا ارتياب، فها أنت تجتلي، من هذا المقام العلي، بتشيعك وجوه المسرة صباحا، و تتلقّى أحاديث مكارمه و مواهبه مسندة صحاحا، بحول الله تعالى.

و لسيدي الفضل في قبول مركوبه الواصل إليه بسرجه و لجامه، فهو من بعض ما لدى المعظم من إحسان مولاه و إنعامه. و لعمرى لقد كان وافدا على سيدي في مستقرّه مع غيره، فالحمد لله الذي يسّر في إيصاله، على أفضل أحواله. فراجعته بما نصّه: [الكامل]

راحت تذكرني كؤوس الراح و القرب يخفض للجنوح جناحي
 و سرت تدلّ على القبول كأنما دلّ النسيم على انبلاج صباح

حسنا قد غنيت بحسن صفاتها عن دملج وقلادة ووشاح
 أمست تحض على اللياذ بمن جرت بسعوده الأقلام فى الألواح
 بخليفة الله المؤيد فارس شمس المعالى الأزهر الوضاح
 ما شئت من شيم و من همم غدت كالزهر أو كالزهر فى الأدواح
 فضل الملوك فليس يدرك شأوه أتى يقاس الغمر بالضحاح؟
 أسنى بنى عباسهم بلوائه ال منصور، أو بحسامه السفاح
 و غدت مغانى الملك لما حلها تزرى بيدر هدى و بحر سماح
 و حياة من أهداك تحفة قادم فى العرف منها راحة الأرواح
 ما زلت أجعل ذكره و ثناءه روحى و ريحانى الأريج و راحى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٨٧
 و لقد تمازج حبه بجوارحى كتمازج الأجسام بالأرواح
 و لو أننى أبصرت يوما فى يدى أمرى لطرت إليه دون جناح
 فالآن ساعدنى الزمان و أيقنت من قربه نفسى بفوز قداحى
 إيه أبا عبد الإله، و إنه لنداء و د فى علاك صراح
 أما إذا استنجدتنى من بعد ما ركدت لما خبت الخطوب رياحى
 فإليكها مهزولة و أنا امرؤ قررت عجزى و أطرحت سلاحى

«سیدی أبقاك الله لعهد تحفظه، و ولاء بعين الوفاء تلحظه، و صلتنى رفعتك التى أبدعت، و بالحق من مولى الخليفة صدعت، و
 ألفتنى و قد سبط بى الأوجال، حتى كادت تتلف الرّحال، و الحاجة إلى الغذاء قد شمّرت كشح البطين، و ثانية العجاوين قد توقع
 فوات وقتها، و إن كانت صلاتها صلاة الطّين، و الفكر قد غاض معينه، و ضعف و على الله جزاء المولى الذى يعينه، فغزتنى بكتيبة
 بيان أسدها هصور، و علمها منصور، و ألفاظها ليس فيها قصور، و معانيها عليها الحسن مقصور، و اعتراف مثلى بالعجز فى المضايق
 حول و منة، و قول «لا أدرى» للعالم فكيف لغيره جنّة، لكنها بشرتنى بما يقلّ لمؤديه بذل النفوس و إن جلت، و أطلعتى من السراء
 على وجه تحسده الشمس إذا تجلت، بما أعلمتنى به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله فى عبده، و صدق المخيلة فى
 كرم مجده. و هذا هو الجود المحض، و الفضل الذى شكره هو الفرض، و تلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال، من
 قبل الضراعة و السؤال، من غير اعتبار للأسباب، و لا مجازاة للأعمال. نسال الله تعالى أن يبقى منها على الإسلام أوفى الظلال، و يبلغها
 من فضله أقصى الآمال. و وصل ما بعثه سیدی صحبتها من الهدية، و التحفة الودية، و قبلتها امتثالا، و استجلت منها عتقا و جمالا.
 و سیدی فى الوقت أنسب لاتخاذ ذلك الجنس، و أقدر على الاستكثار من إناث البهم و الإنس، و أنا ضعيف القدرة، غير مستطيع على
 ذلك إلا فى النيرة، فلو رأى سیدی و رأيه سداد، و قصده فضل و وداد، أن ينقل القضية إلى باب العارية من باب الهبة، مع وجود
 الحقوق المترتبة، لبسط خاطرى و جمعه، و عمل فى رفع المؤونة على شاكلة حالى معه، و قد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٨٨

استصحتت مرکوبا يشق على هجره، و يناسب مقامى شكله و نجره، و سیدی فى الإسعاف على الله أجره، و هذا أمر عرض، و فرض
 فرض، و على نظره المعول، و اعتماد إغضائه هو المعقول الأول، و السلام على سیدی من معظّم قدره، و ملتزم بزه، ابن الخطيب، فى
 ليله الأحد السابع و العشرين لذي قعدة خمس و خمسين و سبعمائة، و السماء قد جادت بمطر سهرت منه الأجفان، و ظن أنه طوفان، و
 اللّحاق فى غدها بالباب المولوى مؤمل بحول الله؛ انتهى.

من أبي القاسم البرجي إلى لسان الدين، في شفاعه

و كتب القاضي أبو القاسم البرجي لسان الدين في غرض الشفاعه لبعض قرابته قوله:
[المتقارب]

أيا سابقا في مجال البراعه و فارس ميدان أهل البراعه
و من بدره في سماء المعالي يزين بوصف الكمال ارتفاعه
بما لك في الفضل من حجة و من إمره في ذويه مطاعه
قضاؤك في معسر حلّ دين عليه فإرجاءه قد أضاعه
و قد كان يبغى لديكم شفيعا توسّط عندكم في شفاعه
على أنه في اقتضاء الوداد يوفى موازينه أو صواعه
و ما هو في سوق تقريركم و نشر حلاكم بمزجي البضاعه

كتبت يا سيدي - أدام الله تعالى علاكم، و حرس مجدكم الطاهر و سناكم!- و أنا بين خجل مفحم، و عجل مفحم، أتذكر تسويفي بلقائكم، حين سمح الدهر باقترابكم، فأحجم و أفكر في أن إحجامي عند ذلك بإرجائي، عسى أن يكون وفق رجائي، أفاتني المقصود فأرى الحزم في أن أقدم، و موقفها بين يديكم، فلان يطالبني مطالبه الغريم، و أروم مطاله فلا يبرح و لا يريم، و الانقياد في زمام طاعته ممّا توجه المرؤه بعد ما أوجه الشارع إذ جعل له حظا في الأبوة، و قد أعلقته من ذمام علائكم بالحبل المتين، و أنزلته من حماكم بربوة ذات قرار و معين، فإن أعرتموه من لحظكم الجميل طرف اهتبال، و أقبلتموه من اعتنائكم الجزيل وجه نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٨٩

إقبال، فقد عاد دهره بعد النفار مواتيا، و نزل على أهل المهلب شاتيا، و مجدكم كفيل بتبليغ أمله، و توسيع جدله، و ذلكم يد على معظمكم شكرها، و على الله أجرها؛ انتهى.

ترجمه أبي القاسم محمد بن يحيى البرجي، عن «الإحاطة» لسان الدين

و البرجي المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم، الغساني البرجي، يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة؛ قال في «الإحاطة»: هو فاضل مجمع على فضله، صالح الأبوة، طاهر النشأة، بادي الصيانة و العفة، طرف في الخير و الحشمة، صدر في الأدب، جَمّ المشاركة، ثاقب الفهم، جميل العشرة، ممتع المجالسة، حسن الشعر و الخط و الكتابة، فدّ في الانطباع، صنّاع اليدين، محكم العمل الكثير من الآلات العلمية، و يجيد تفسير الكتب. رحل إلى العدو و لقي جلّه، و توسّل إلى ملكها مجدّد الرسم، و مقام أولى الشهرة، و عامر دست الشعر و الكتابة، أمير المسلمين أبي عنان، فاشتمل عليه، و نوّه به، و ملأ بالخير يده، فاقتنى جدّه و حظوة، و ذكرا و شهرة، و انقبض مع استرسال الملك لفضل عقله، حتى تشكى إلى سلطانه بثّ ذلك عند قدومي عليه، و آثر الراحة، و جهد في التماس الرحلة الحجازية، و نبذ الكل، و قصر الخطوة، و سلا الخطوة، فأسعفه سلطانه بغرضه، و جعل حبل همّه على غاربه، و أصحابه إلى النبي الكريم صلوات الله عليه رساله من إنشائه و قصيدة من نظمه، و كلاهما يعلن في الخلفاء ببعده شأوه، و رسوخ قدم علمه، و عراقه البلاغة في نسب خصله، و لما هلك و ولي ابنه ملكه و ضاعف له التنويه، فأجرى الخطه على سبيل من السداد و النزاهة، ثم لما ولي السلطان أبو سالم عمّه أجراه على الرسم المذكور، و استجلى المشكلات بصدقه، و هو الآن بحاله الموصوفه مفخر من مفاخر ذلك الباب السلطاني على تعدّد مفاخره.

شعره- ثبت في كتاب «نفاضة الجراب» من تأليفنا عند ذكر المدعى الكبير باب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه و

سلم، و ذكر من أنشد ليلتشد من الشعراء ما نصّه: و تلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي جملة السذاجة و كرم الخلق و طيب النفس و خدن العافية و ابن الصلاح و العبادة و نشأه القرآن، المتحيز إلى حزب السلامة المنقبض عن الغمار، العزوف عن فضول القول و العمل جامع المحاسن، من عقل رصين و طلب ممتع و أدب نقاوة و يد صناع أبو القاسم بن أبي زكريا البرجي، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة: [البيسط]

أصغى إلى الوجد لما جدّ عاتبه صبّ له شغل عمّن يعاتبه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٩٠
 لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا فضلّ من ظلّ إرشادا يخاطبه
 لو لا النوى لم بيت حرّان مكتئبا يغالب الوجد كتما و هو غالبه
 يستودع الليل أسرار الغرام و ما تمليه أشجانه فالدمع كاتبه
 لله عصر بشرقى الحمى سمحت بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
 يا جيرة أودعوا إذ ودّعوا حرقا يصلى بها من صميم القلب ذائبه
 يا هل ترى تجمع الأيام فرقتنا كعهدنا أو يردّ القلب ساكبه
 و يا أهيل ودادى، و النوى قذف و القرب قد أبهت دونى مذاهبه
 هل ناقض العهد بعد البعد حافظه و صادع الشمل يوم الشعب شاعبه
 و يا ربوع الحمى لا زلت ناعمة يبكى عهودك مضنى الجسم شاحبه
 يا من لقلب مع الأهواء منعطف فى كلّ أوب له شوق يجاذبه
 يسمو إلى طلب الباقي بهمته و النفس بالميل للفانى تطالبه
 و فتنه المرء بالمألوف معضلة و الأنس بالإلف نحو الإلف جاذبه
 أبكى لعهد الضبا و الشيب يضحك بى يا للرجال سبت جدى ملاعبه
 و لن ترى كالهوى أشجاه سالفه و لا كوعد المنى أحلاه كاذبه
 و همّة المرء تغليه و ترخصه من عزّ نفسا لقد عزّت مطالبه
 ما هان كسب المعالى أو تناولها بل هان فى ذاك ما يلقاه طالبه
 لو لا سرى الفلك السامى لما ظهرت آثاره و لما لاحت كواكبه
 فى ذمّة الله ركب للعلا ركبوا ظهر السرى فأجابتهم نجائبه
 يرمون عرض الفلا بالسير عن عرض طىّ السجّل إذا ما جدّ كاتبه
 كأنهم فى فؤاد الليل سرّ هوى لو لا الضّرام لما خفّت جوانبه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٩١
 شدّوا على لهب الرّمضاء و طأتهم فغاص فى لجة الظّلماء راسبه
 و كلّفوا الليل من طول السرى شططا فخلّفوه و قد شابت ذوائبه
 حتى إذا أبصروا الأعلام مائله بجانب الحرم المحمى جانبه
 بحيث يأمن من مولاه خائفه من ذنبه و ينال القصد راغبه
 فيها و فى طيبة الغراء لى أمل يصاحب القلب منه ما يصاحبه
 لم أنس لا أنس أياما بظلمهما سقى ثراه عميم الغيث ساكبه

شوقى إليها و إن شطّ المزار بها شوق المقيم و قد سارت حبايبه
 إن ردّها الدهر يوما بعد ما عبثت فى الشّمل منّا يداه لا نعاتبه
 معاهد شرفت بالمصطفى فلها من فضله شرف تعلو مراتبه
 محمد المجتبى الهادى الشّفيح إلى ربّ العباد أمين الوحي عاقبه
 أوفى الورى ذمما، أسماهم همما أعلاهم كرما، جلّت مناقبه
 هو المكّمّل فى خلق و فى خلق زكت حلاه كما طابت مناسبه
 عناية قبل بدء الخلق سابقه من أجلها كان آتبه و ذاهبه
 جاءت تبشّرنا الرّسل الكرام به كالصّبح تبدو تباشيرا كواكبه
 أخباره سرّ علم الأولين وسل بدير تيماء ما أبداه راهبه
 تطابق الكون فى البشرى بمولده و طبّق الأرض أعلاما تجاوبه
 فالجنّ تهتف إعلانا هواتفه و الجنّ تقذف إحراقا ثواقبه
 و لم تزل عصمه التأييد تكنفه حتى انجلى الحقّ و انزاحت شوائبه
 سرى و جنح ظلام الليل منسدل و النّجم لا يهتدى فى الأفق ساربه
 يسمو لكلّ سماء منه منفرد عن الأنام و جبرائيل صاحبه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٩٢
 لمتتهى وقف الروح الأمين به و امتاز قريبا فلا خلق يقاربه
 لقاب قوسين أو أدنى فما علمت نفس بمقدار ما أولاه واهبه
 أراه أسرار ما قد كان أودعه فى الخلق و الأمر باديه و غائبه
 و آب و البدر فى بحر الدّجى غرق و الصّبح لَمّا يؤب للشرق آييه
 فأشرقت بسناه الأرض و اتّبع سبل النّجاة بما أبدت مذاهبه
 و أقبل الرشد و التاحت زواهره و أدبر الغي فانجابت غياهبه
 و جاء بالذّكر آيات مفصّلة يهذى بها من صراط الله لاجبه
 نور من الحكم لا تخبو سواطعه بحر من العلم لا تفنى عجائبه
 له مقام الرّضا المحمود شاهده فى موقف الحشر إذ نابت نوابه
 و الرّسل تحت لواء الحمد يقدمها محمد أحمد السامى مراتبه
 له الشّفاعات مقبولا و سائلها إذا دهى الأمر و اشتدّت مصاعبه
 و الحوض يروى الصّدى من عذب مورده، لا يشتكى غلّة الظّمآن شاربه
 محامد المصطفى لا ينتهى أبدا تعدادها، هل يعدّ القطر حاسبه
 فضل تكفّل بالدارين يوسعها نعمى و رحمى فلا فضل يناسبه
 حسبى التوسل منها بالذى سمحت به القوافى و جلّتها غرائبه
 حياه من صلوات الله صوب حيا تحدى إلى قبره الزاكي نجائبه
 و خلّد الله ملك المستعين به مؤيد الأمر منصورا كتائبه
 إمام عدل بتقوى الله مشتمل فى الأمر و النهى يرضيه يراقبه

مسدد الحكم ميمون نقيته مظفر العزم صدق الرأي صائبه
 مشمر للتقى أذيال مجتهد جزار أذيال سحب الجود ساحبه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٩٣
 قد أوسعت أمل الراجي مكارمه و أحسبت رغبة العافي رغائبه
 و فاز بالأمن محبورا مسالمه و باء بالخزي مقهورا محاربه
 كم وافد آمل معهود نائله أثنى و أثنت بما أولى حقائبه
 و مستجير بعز من مثابته عزت مراميه و انقادت مآربه
 و جاء الدهر يسترضيه معتذرا مستغفرا من وقوع الذنب تائبه
 لو لا الخليفة إبراهيم لانبهت طرق المعالي و نال الملك غاصبه
 سمت لنيل تراث المجد همته و الملك ميراث مجد و هو غاصبه
 ينميه للعز و العليا أبو حسن سمح الخلائق محمود ضرائبه
 من آل يعقوب حسب الملك مفتخرا بباب عزهم السامى تعاقبه
 أطواد حلم رسا بالأرض محتده و زاحمت منكب الجوزا مناكبه
 تحفها من مرين أبحر زحرت أمواجهها و غمام ثار صائبه
 بكل نجم لدى الهيجاء ملتهب ينقض وسط سماء التنع ثاقبه
 أكفهم فى دياجيتها مطالعه و فى نحور أعاديهم مغاربه
 يا خير من خلصت لله تيته فى الملك أو خطب العلياء خاطبه
 جزدت و الفتنة الشعواء ملبسة سيفا من العزم لا تنبو مضاربه
 و خضتها غير هياب و لا وكل و قلما أدرك المطلوب هائبه
 صبرت نفسا لعقبى الصبر حامدة و الصبر مذ كان محمود عواقبه
 فليهن دين الهدى إذ كنت ناصره أمن يواليه أو خوف يجانبه
 لا زال ملكك و التأيد يخدمه تقضى بخفض مناويه قواضيه
 و دمت فى نعم تضيفو ملابسها فى ظل عز علا تصفو مشاربه
 ثم الصلاة على خير البرية ما سارت إليه بمشتاق ركائبه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٩٤

و من شعره ما قيده لى بخطه صاحب قلم الإنشاء بالحضرة المرينية الفقيه الرئيس الصدر المتفتن أبو زيد بن خلدون: [الطويل]

صحا القلب عمّا تعلمين فأقلعا و عطلّ من تلك المعاهد أربعا
 و أصبح لا يلوى على حدّ منزل و لا يتبع الطرف الخلى المودعا
 و أضحى من السلوان فى حرز معقل بعيد عن الأيام أن يتضعضا
 يردّ الجفان النجل عن شرفاته و إن لحظت عن كلّ أجيد أتلعا
 عزيز على داعى الغرام انقياده و كان إذ ناداه للوجد أهطعا
 أهاب به للشيب أنصح واعظ أصاخ له قلبا منيا و مسمعا
 و سافر فى أفق التفكر و الحجا زواهره لا تبرح الدهر طلعا

لعمرى لقد أنضيت عزمى تطلبا وقصيت عمرى رقبه و تطلعا
و خضت عباب البحر أخضر مزبدا و دست أديم الأرض أغبر أسفعا
و قال حسبما قيده المذكور: [المتقارب]

نهاه التهي بعد طول التجارب و لاح له منهج الرشده لاجب
و خاطبه دهره ناصحا بالسنة الوعظ من كل جانب
فأضحى إلى نصحه واعيا و ألغى حديث الأمانى الكواذب
و أصبح لا تستيه الغوانى و لا تزدرية حظوظ المناصب

ثم قال فى «الإحاطة» و إحسانه كثير فى النثر و النظم، و القصار و المطولات، و استعمل فى السيفارة إلى ملك مصر و ملك قشتالة، و هو الآن قاضى حضرة الملك، نسيج وحده فى السلامة و التخصص و اجتناب فضول القول و العمل، كان الله له! انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٩٥

و كتب ابن المصنف بهامش ترجمه المذكور من «الإحاطة» ما صورته: سيدى و شيخى علامه المغرب اليوم، و حائز رتبه العلية من خطابه و قضاء و علامه و هو أحق بها؛ لخلاله الحميدة، أبقاه الله تعالى! قاله محبه على بن الخطيب؛ انتهى.

و كتب على القصيدة الميلادية المتقدمة ما نصه: رويتها عنه، و سمعتها من لفظه، و أجازنى إياها بتلمسان، انتهى.

و كتب على حاشية قصيدته «صحا القلب - إلى آخره» ما صورته: سمعتها من لفظ سيدى و شقيق روحى الإمام العلامة الرئيس أبى زيد بن خلدون بالأندلس أمتع الله به تعالى! قال ذلك أخوه على بن الخطيب، انتهى.

من الوزير ابن زمرک إلى لسان الدين

و قال فى «الإحاطة» فى ترجمه ابن زمرک ما صورته. و شعره مترام إلى هدف الإجادة، خفاجى النزعة، كلف بالمعانى البديعة و الألفاظ الصقيلة، غزير المادة. فمن ذلك ما خاطبنى به و هى من أول ما نظمه قصيدة مطلعها: [الطويل]

أما و انصداع النور من مطلع الفجر يقول فيها بعد أبيات:

لك الله من فدّ الجلالة أوجد تطاوعه الآمال فى النهى و الأمر

لك القلم الأعلى الذى طال فخره على المرهفات البيض و الأسل السمر

يقلد أجياد الطروس تماثما بصنفي لآل من نظام و من نثر

تهيبك القرطاس فاحمرّ إذ غدا يقلّ بحورا من أناملك العشر

كأنّ رياض الطرس خدّ مورّد يطرّزه و شى العذار من الحبر

فشارة هذا الملك رائقة الحلّى بألوية حمر و بالصّحف الحمر

و ما روضة غنّاء عاهدها الحيا تحوك بها و شى الربيع يد القطر

تغنى قيان الطير فى جنباتها فيرقص غصن البان فى حلال خضر

تمدّ لأكواس العرار أناملا من السوسن الغضّ المختمّ بالتبر

و يحرس خدّ الورد صارم نهرها و يمنع ثغر الثور بالذابل النضر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ١٩٦

يفاخر مرآها السماء محاسنا و تزرى نجوم الزهر منها على الزهر

إذا مسحت كفّ الصبا جفن نورها تنفس ثغر الزهر عن عنبر الشحر

بأعطر من رِيَا ثنائِكَ في السّرى و أبهر حسنا من شمائلِكَ العزّ
عجبت له يحكى خلال خميلة و تفرق منه الأسد في موقف الدّعر
إذا أضرمت من بأسها الحرب جاحما تأجج منه العضب في لجة البحر
و إن كلح الأبطال في حومه الوغى ترقق ماء البشر في صفحة البدر
لك الحسب الوضاح و السؤدد الذى يضيق نطاق الوصف فيه عن الحصر
تشرّف أفق أنت بدر كماله فغناطة تختال تيهها على مصر
تكّل تاج الملك منك محاسنا و فاخرت الأملاك منك بنو نصر
بعزّمة مضمون السعادة أوحد و غرّة وضاح المكارم و النجر
طوى الحيف منشور اللواء مؤيدا فعزّ حمى الإسلام بالطّى و النشر
و مدّ ظلال الأمن إذ قصر العدا فيتلى سناء الملك بالمدّ و القصر
إذا احتفل الإيوان يوم مشورة و تضطرب الآراء من كلّ ذى حجر
صدعت بفصل القول غير منازع و أطلعت آراء قبسن من الفجر
فإن تظفر الخيل المغيرة بالضحي فعن رأيك الميمون تظفر بالنصر
فلا زلت للعلياء تحمى ذمارها و تسحب أذيال الفخار على النسر
و للعلم فخر الدين و الفتك بالعدا بأوت به يا ابن الخطيب على الفخر
فيهنيك عيد الفطر من أنت عيد و يثنى بما أوليت من نعم عزّ
جبرت مهیضا من جناحى و رشته و سهّلت لى من جانب الزمن الوعر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٩٧
و بوأتنى من ذروة العزّ معتلى و شرفتنى من حيث أدرى و لا أدرى
و سوغتنى الآمال عذبا مسلسلا و أسميت من ذكرى و رفعت من قدرى
فدهرى عيد بالسرور و بالمنى و كلّ ليالى العمر لى ليله القدر
فأصبحت مغبوطا على خير نعمه يقلّ لأدناها الكثير من الشكر
و هى طوبله، انتهى.

تعليق للمؤلف على قصيدة ابن زمرک

قلت: هذا الرئيس ابن زمرک صرح هنا بأنه بجاه لسان الدين بن الخطيب أدرك من العزّ ما أدرك، ثم انقلب عليه مع الدهر و كفر نعمته و بها أشرك، و حرّك من دواعى قتله ما حرّك، و كم من صديق لك ضرّك، و عقّك بعد ما برّك، و ساءك إثر ما سرّك، و لذا رأيت بخطّ ابن لسان الدين على هامش قوله فى هذه القصيدة «و مدّ ظلال الأمن - إلخ» ما صورته: هذا مدحه لحاه الله، و على قوله «و بوأتنى من ذروة العزّ - إلخ» ما مثاله: هكذا شهادتك لحقه، ثم تحوّلك عنه، و كفر نعمته، اغرب أخزاک الله! انتهى.
و كتب بهامش أول ترجمته من «الإحاطة» ما نصّه: أتبعه الله خزيا، و عامله بما يستحقّه! فهذا ترجمة والدى مولاه الذى رفع من قدره فيه، و لم يقتله أحد غيره، و كفانا الله تعالى شرّ من أحسنّا إليه.

و كتب أيضا تحت هذا ما مثاله: هذا الوغد ابن زمرک من شياطين الكتاب ابن حداد بالبيازين، قتل أباه بيده، أوجعه ضربا فمات من ذلك، و هو أخسّ عباد الله تربية، و أحقرهم صورة، و أحملهم شكلا، استعمله أبى فى الكتابة السلطانية، فجنينا أيام تحوّلنا عن

الأندلس منه كل شرّ، و هو كان السبب في قتل أبي مصنّف هذا الكتاب الذي ربّاه و أدّبه و استخدمه، حسبما هو معروف، و كفانا الله شرّ من أحسنّا إليه و أساء إلينا؛ انتهى.
و قد ألممنا بترجمته في هذا الكتاب في باب تلامذة لسان الدين فلتراجع هنالك.

من الوزير ابن زمرك إلى لسان الدين أيضا

و ممّا كتب به ابن زمرك المذكور إلى لسان الدين بن الخطيب جوابا عن رسالة قوله:
[البسيط]

حيّت صباحا فأحيت ساكني القصبه و استرجعت أنفسا بالشوق مغتصبه
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧؛ ص ١٩٧
قضى البيان لها أن لا نظير لها فأحرزت من معاني خصله قصبه
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٩٨
ناجت طليح سرى لا يستفيق لها هدّت جوارحه و استوهنت عصبه
فحرّكته على فتك الكلال به و أذهبت بسرور الملتقى نصبه
و أذكرت عهد مهديها على شحط فعاود القلب من تذكاره و صبه
ما كنت أسمح من دهرى بجوهره لو كان يسمح لى بالقلب من غصبه
سل أدمع الصّب من أعدى السحاب بها و قلبه بجمار الشوق من حصبه
فالله يحفظ مهديها و يشكره فوجهها بعصاب الحسن قد عصبه
من كان وارث آداب يشعشعها بالفرض إنى فى إرثى لها عصبه
هو الملاذ ملاذ الناس قاطبه سبحان من لغيث الخلق قد نصبه
و خاطبه كذلك بقوله: [الطويل]

يكلّفنى مولاي رجع جوابه و ما لتعاطى المعجزات و ما ليا
أجيبك للفضل الذى أنت أهله و أكتب ممّا قد أفدت الأماليا
فأنت الذى طوّقتنى كلّ منّ و أحسبت آمالى و أكسبت ماليا
و أنت الذى أعدى الزمان كماله و صيرت أحرار الزمان مواليا
فلا زلت للفعل الجميل مواصلا و لا زلت للشكر الجزيل مواليا
و خاطبه كذلك بقوله: [الكامل]

طالعتها دون الصباح صباحا لما جلت غرر البيان صباحا
و لقد رأيت و ما رأيت كحسنها وجهها أغرّ و مبسما و ضّاحا
عذراء أروضها البيان لبانه و أطال مغدى عندها و مراحا
فأنت كما شاءت و شاء نجيبها تذكى الحجا و تنعم الأرواحا
لا بل كمثل الروض باكره الحيا و سقى به زهر الكمام ففاحا
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٩٩
و طوت بساط الشوق منى بعدما نشرت على من القبول جناحا

من مخاطبات ابن زمرك للسان الدين]

و خاطبه كذلك بقوله: [الطويل]
 ذروني فإني بالعلاء خبير أسير فإن الثيرات تسير
 و كم بتّ أطوى الليل في طلب العلا كأنى إلى نجم السماء سفير
 بعزم إذا ما الليل مدّ رواقه يكرّ على ظلماته فينير
 أخو كلف بالمجد لا يستفزه مهاد إذا جنّ الظلام و ثير
 إذا ما طوى يوما على السرّ كشحه فليس له حتى الممات نشور
 و إني و إن كنت الممنع جاره لتسى فؤادى أعين و ثغور
 و ما تعتريني فترة في مدى العلا إلى أن أرى لحظا عليه فتور
 و فى السرب من نجد تعلقت ظبيةً تصول على ألبابنا و تغير
 و تمنع ميسور الكلام أخوا الهدى و تبخل حتى بالخيال يزور
 أسكان نجد جادها و اكف الحيا هواكم بقلبي منجد و مغير
 و يا سكنى بالأجرع الفرد من منى و أيسر حظّ من رضاك كثير
 ذكرتك فوق البحر و البعد بيننا فمدته من فيض الدموع بحور
 و أومض خفاق الذؤابة بارق فطارت بقلبي أنه و زفير
 و يهفو فؤادى كلما هبت الصبا أما لفؤادى فى هواك نصير
 و والله ما أدرى أذكرك هزنى أم الكأس ما بين الخيام تدور
 فمن مبلغ عنى النوى ما يسوءها و للبين حكم يعتدى و يجور
 بأنا غدا أو بعده سوف نلتقى و نمسى و منّا زائر و مزور
 إلى كم أرى أكنى و وجدى مصرّح و أخفى اسم من أهواه و هو شهير
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٠٠
 أ منجد آمالي، و مغلى كاسدى و مصدر جاهى، و الحديث كثير
 أنسى، و لا أنسى، مجالسك التى بها تلتقيني نضرة و سرور
 نزورك فى جنح الظلام و نشنى و بين يدينا من حديثك نور
 على أننى إن غبت عنك فلم تغب لطائف لم يحجب لهنّ سفور
 نروح و نغدو كلّ يوم و عندها رواح علينا دائم و بكور
 فظلك فوقى حيثما كنت وارف و مورد آمالى لديك نمير
 و عذرا فإنى إن أطلت فإنما قصاراي من بعد البيان قصور
 و كتب إليه خاتمة رسالته كذلك: [الطويل]
 و حقك ما استطعت بعدك غمضه من النوم حتى آذن النجم بالغروب
 و عارضت مسرى الريح قلت لعلها تنم برّيا منك عاطرة الهبوب
 إلى أن بدا وجه الصباح كأنه محتياك إذ يجلو بغرته الخطوب

فقلت لقلبي استشعر الأنس و ابتهج فإن تبعد الأجسام لم تبعد القلوب
و سر في ضمان الله حيث توجهت ركابك لا تخش الحوادث أن تنوب
قلت: هذه غاية في معناها، لو لا خروجها عن القواعد في ترتيب قافيتها و مبناها، فانظر إلى تحوُّله عن لسان الدين بعد هذه المدائح، و
نسبته بعده القبائح، و الإنسان خوآن، إلّا النادر من الإخوان، و لا حول و لا قوّة إلّا بالله.

من ابن سلطور إلى لسان الدين]

قال في «الإحاطة» في ترجمه ابن سلطور ما نصّه: و ممّا خاطبني به: [الرجز]

تالله ما أوري زناد القلق سوى بريق لاح لي بالأبرق
أيقنت بالحين فلو لا نفضة نجدية منكم تلافيت رمقي
لكنت أفضى بتلظى زفرة و حسرة بين الضلوع تلتقي
فآه من هول التوى و ما جنى على القلوب موقف التفريق
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٠١
يا حاكي الغصن اثنتي متوجا بالبدر تحت لثمه من غسق
الله في نفس معني أقصدت من لاعج الشوق بما لم تطق
أتى على أكثرها برح الأسي دع ما مضى منها و أدرك ما بقي
و لو بالمام خيال في الكرى إن ساعد الجفن رقيب الأرق
فرب زور من خيال زائر أقر عيني و إن لم يصدق
شقيت من برح الأسي لو أنّ من أصبح رقي في يديه معتقى
ففي معاناة الليالي عائق عن التصابي و فنون القلق
و في ضمان ما يعانى المرء من نوائب الدهر مشيب المفروق
هذا لعمرى مع أنى لم أبت منها بشكوى روعه أو فرق
فقد أخذت من خطوط غدرها بابن الخطيب الأمن ممّا أتقى
فخر الوزارة الذى ما مثله بدر علا من مغرب أو مشرق
و مذ أرائيه زمانى لم أبل من صرفه بمرعد أو مبرق
لا سيما منذ حطت في حمى مقامه الأمتع رحل أينقى
أيقنت أنى في رجائي لم أخب و أنّ مسعى بعيتي لم يخفق
ندب له في كلّ حسن آية تناسبت في الخلق أو في الخلق
في وجهه مسحة بشر إن بدت تبهرجت أنوار شمس الأفق
تعتبر الأبصار في اللألاء ما عليه من نور السماح المشرق
كالدهر في استينائه و بطشه كالسيف في حدّ الطبا و الرونق
إن بخل الغيث استهلّت يده بوابل من غيث جود غدق
و إن وشت صفحة طرس انجلي ليل دجاها عن سنى مؤتلق
بمثلها من حبرات أخجلت حواشى الروض حدود المهرق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٠٢
 ما راق في الآذان أشناف سوى ملتقطات لفظه المفترق
 توّد أجياد الغوانى أن يرى حليتها من درّ ذاك المنطق
 فسل به هل آده الأمر الذى حمّل فى شرح الشباب المونق
 إذا رأى الرأى فلا يخطئه يمن اختيار للطريق الأوفق
 إيه أبا عبد الإله هاكها عذراء تحثو فى وجوه السبق
 خذها إليك بكر فكر يزدري لديك بالأعشى لدى المحلق
 لا زلت مرهوب الجنب مرتجى موصول عزّ فى سعود ترتقى
 مبلغ الآمال فيما تبغى مؤمن الأغراض ممّا تتقى

ترجمة أبي عبد الله بن سلبطور، عن «الإحاطة» لسان الدين

و ابن سلبطور هو: محمد بن محمد بن أحمد بن سلبطور، الهاشمى.

قال فى «الإحاطة» من أهل ألمرية، يكنى أبا عبد الله، من وجوه بلده و أعيانه، نشأ نبيه البيت ساحبا بنفسه و بماله ذيل الحظوة، متحليا
 بخصل من خطّ و أدب، وزيراً، متجنّداً، ظريفاً، دربا على ركوب البحر و قيادة الأساطيل، ثم انحطّ فى هواه انحطاطاً أضع مروءته، و
 استهلك عقاره، و هدّ بيته، و ألجأه أخيراً إلى اللحاق بالعدوة فهلك بها.

و جرى ذكره فى «الإكليل» بما نصّه: مجموع شعر و خطّ، و ذكاء عن درجة الظرفاء غير منحطّ، إلى مجادة أثيلة البيت، شهيرة الحى و
 الميت، نشأ فى حجر الثرف و النعمة، محفوظاً بالمالية الجمّة، فلما عقل عن ذاته، و ترعرع بين لداته، أجرى خيول لدّاته، فلم يدع منها
 ربعا إلّا أقفره، و لا عقارا إلّا عقره، حتى حطّ بساحلها، و استولى بسفر الإنفاق على جميع مراحلها، إلّا أنه خلص بنفس طيبه، و سراوة
 سماؤها صيبه، و تمتّع ما شاء من زير و بمّ، و تأنس لم يعط القيادة لهمّ، و فى عفو الله سعه، و ليس مع التوكل عليه ضعه.

شعره- من شعره قوله يمدح السلطان، و أنشدها أياه بالمضارب من وادى الغيران، عند قدومه ألمرية: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٠٣

أ ثغرك أم سمط من الدّرّ ينظم؟ و ريقك أم مسك به الراح تختم
 و وجهك أم باد من الصبح تير؟ و فرعك أم داج من الليل مظلم
 أعلل منك الوجد و الليل ملتقى و هل ينفع التعليل و الخطب مؤلم
 و أقنع من طيف الخيال بزورة لو أنّ جفونى بالمنام تنعم
 ثم سرد لسان الدين القصيدة، و هى طويلة.

ثم قال: و من شعره مذيلاً على البيت الأخير حسبما نسب إليه بلده: [البيسط]

نامت جفونك يا سؤلى و لم أنم ما ذاك إلّا لفرط الوجد و السقم
 أشكو إلى الله ما بى من محبتكم فهو العليم بما ألقى من الألم
 «إن كان سفك دمي أقصى مرادكم فما غلت نظرة منكم بسفك دمي»

و ممّا ينسب إليه كذلك: [السريع]

قف بى و ناد بين تلك الطلّول أين الألى كانوا عليها نزول

أين ليالينا بهم و المنى نجنيه غصّاً بالرضا و القبول

لا حملوا بعض الذي حملوا يوم تولت بالقباب الحمول
 إن غبتم يا أهل نجد ففى قلبى أنتم و ضلوعى حلول
 ثم قال: ناب فى القيادة البحرية عن خاله القائد أبى على الرنداحى، و لى أسطول المركب برهه، و توفى بمراكش عام خمسه و
 خمسين و سبعمائه، رحمه الله تعالى! انتهى.

من أبى عبد الله بن راجح التونسي إلى لسان الدين]

و قال لسان الدين: كتب إلى أبو عبد الله بن راجح التونسي بما يظهر من أبياته، و هى:
 [الطويل]

أما و الذى لى فى حلاك من الحمد و مالك ملاكى لى من الرفد
 لقد أشعرتنى النفس أنك معرض عن المسرف الآتى لفضلك يستجدى
 فإن زلة منى بدت لك جهرة فصفحا فما و الله أذنبت عن قصد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٠٤
 فراجعته بقولى: [الطويل]

أجلك عن عتب يغض من الودّ و أكرم وجه العذر منك عن الردّ
 و لكننى أهدي إليك نصيحتى و إن كنت قد أهديتها ثم لم تجد
 إذا مقول الإنسان جاوز حدّه تحوّلت الأغراض منه إلى الضدّ
 فأصبح منه الجدّ هزلا مذمّما و أصبح منه الهزل فى معرض الجدّ
 فما اسطعت قبضا للعنان فإنه أحقّ السجايا بالعلاء و بالمجد

ترجمة أبى عبد الله محمد بن على بن راجح]

و قال فى «الإحاطة» فى حق ابن راجح المذكور ما محصّله: محمد بن على بن الحسن بن راجح، الشريف الحسنى باعترافه و لا تزُر
 وازرة و زر أخرى [سورة الإسراء، الآية]:

١٥، سورة الزمر، الآية: ٧ و غيرها] تونسى، أبو عبد الله، يعرف بابن راجح، صاحب رواء و أبته، نظيف البزة، فاره المركب، مطفّف
 مكيال الإطراء، جموح فى إيجاب الحقوق، مترام إلى أقصى آماذ التوغّل، سخى اللسان بالثناء ثرثاره، مرسل لعنانه فى كلّ المحافل،
 متواضع متودّد فكه مطبوع حسن الخلق عذب الفكاهة، مخصوص حيث حلّ من الملوكة و الأمراء بالأثرة، و ممّن دونهم بالمداخلة و
 الصّحبة، ينظم الشّعور، و يحاضر بالآبيات، و يقوم على تاريخ بلده، و يثابر على لقاء أهل المعرفة، و الأخذ عن أولى الرواية. قدم
 الأندلس عام خمسين و سبعمائه، مفلتا من الوقعة بالسلطان أبى الحسن، فمهد له سلطانها كنف برّه، و آواه إلى سعه رعيه، و تأكّدت
 بينى و بينه صحبة.

من لسان الدين إلى ابن راجح (قصيدة)

كُتبت إليه أول قدومه بما نصّه أحذو حذو أبيات ذكر أنّ شيخنا أبا محمد الحضرمى خاطبه بها: [الطويل]
 أمن جانب الغربى نفحة بارح سرت منه أرواح الجوى فى الجوارح

قدحت بها زند الغرام و إنما تجافيت في دين السلو لقادح
و ما هي إلا نسمة حاجرية رمى الشوق منها كل قلب بفادح
رجحنا لها من غير شك كأنها شمائل أخلاق الشريف ابن راجح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٠٥
فتي هاشم سبقا إلى كل غاية و صبوا، مغار الفتل في كل فادح
أصيل العلاجم السيادة، ذكره طراز نضار في برود المدائح
و فرقان مجد يصدع الشك نوره جبا الله منه كل صدر بشارح
و فارس ميدان البيان إذا انتضى صحائفه أنست مضاء الصفائح
رقيق كما راقتك نعمة ساجع و جزل كما راعتك صولة جارح
إذا ما احتبى مستحضرا في بلاغة و خوض خضم القول منه بسابح
و قد شرعت في مجمع الحفل نحوه أسنه حرب للعيون اللوامح
فما ضعفت منه لصوله صادع و لا ذهبت منه بحكمة ناصح
تذكرت قسا قائما في عكاظه و قد غص بالشم الأنوف الججاجح
ليهنك شمس الدين ما حزت من علا خواتمه موصولة بالفواتح
رعى الله ركبا أطلع الصبح مسفرا المرآك من فوق الزبا و البطائح
و لله ما أهدته كوماه أوضعت برحلك في قفر عن الأنس نازح
أقول لقومي عندما حط كورها و ساعدها السعدان وسط الأباطح
ذروها و أرض الله لا تعرضوا لها بمعرض سوء فهي ناقة صالح
إذا ما أردنا القول فيه فمن لنا بطوع القوافي و انبعاث القرائح
بقيت منى نفس و تحفة قادم و مورد ظمان و كعبة مادح
و لا زلت تلقى البر و الرحب حيثما أرحت السرى من كل غاد و رائح

من ابن راجح إلى لسان الدين (قصيدة)

فأجابني بما نصه: [الطويل]
أمن مطلع الأنوار لمحة لامح تعاد لمفؤود عن الحي نازح
و هل بالمنى من مورد الوصل يرتوى غليل عليل للتواصل جانح
فيا فيض عين الدمع ما لك و الحمى و رند الحمى و الشيخ شيخ الأشايح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٠٦
مرايح آرامي و مورد ناقتي فسقيا لها سقيا لناقة صالح
سقى الله ذاك الحي ودقا فإنه حمى لمحات العين عن لمح لامح
و أبدى لنا حور الخيام تزف في حلى الحسن و الحسنى و حلى الملامح
ترى حي تلك الحور للهور مهيع يدل، و هل حسم لداء التبارح
و يا دوحه الريحان هل لي عودة لعفر عفار الأنس بين الأباطح

و هل أنت إلّا حلّة حاتميّة تغصّ نواديبها بغاد ورائح
أقام بها الفخر الخطيب منبرا لترتيل آيات التّدى و المنائح
و شفّع بالإنجيل حمد مديحه و أوتر بالتوراة شفّع المدائح
و فوّق بالفرقان كلّ فريقه نأت عن رشاد فيه محض النصائح
و هل هو إلّا للبريّة مرشد لكلّ هدى هاد لأرجح راجح
فبشرى لسان الدين ساد بك الورى و أورى الهدى للزّشد أوضح واضح
متى قلت لم تترك مقالا لقائل و إن لم تقل لم يغن مدح لمادح
فمن حام بالحىّ الذى أنت ربّه و عام ببحر من عطاياك طافح
يحقّ له أن يشفع الحمد بالثنا و يغدو بذاك البحر أسبح سابح
و يا فوز ملكك دمت صدر صدوره و بشرى له قد راح أريج راجح
بآرائك اللاتى تدلّ على الهدى و تبدى لمن خصصت سبل المناجح
ملكك خصال السبق فى كلّ غاية و ملكت ما ملكت يا ابن الحجاجح
مطامح آمال لأشرف همّة أقلّ مراميهما أجلّ المطامح
فدونكها يا مهدي المدح مدحه أجبت بها عن مدح أشرف مادح
تهنّيك بالعام الذى عمّ مدحه مواهب هاتيك البحار الطوافح
فخذها سمىّ الفخر يا خير مسبل على الخلق إغضاء ستور التسامح
و دم خاطب العليا بها خير خاطب و أتوق تواق و أطمح طامح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٠٧

ثم قال لسان الدين: توفى يوم الخميس ثالث شعبان سنة خمس و ستين و سبعمائة، و قد ناهز السبعين، و دفناه بروضتنا بباب إلبيرة، و أعفى شارب الشعر من ثانى مقصّه، عفا الله تعالى عنّا و عنه! انتهى.

قلت: رأيت بخطّ البدر البشتكى فى اختصاره لإحاطة لسان الدين و سّماه ب «مركز الإحاطة» فى هذا المحلّ ما نصّه: قال كاتبه: لو وّفّق الله تعالى هذا الرجل لم يجب عن مثل تلك الحائية بهذا الهداء، و لعلّ ما فى كتاب أبى البركات الذى اسمه «شعر من لا شعر له» أنزل من هذه الطبقة؛ انتهى.

و قد أشار لسان الدين لهذا بقوله السابق: و أعفى شارب الشعر من ثانى مقصّه، فله درّه من لودعى زان خاتم البراعة بفصّه، فلكم له من عبارة و جيزة يقضى بها ما لم يستطع غيره أن يعبر عنه بإطنابه، فعلى كل من يروم التعبير، عمّا فى الضمير، أن يتمسك بأطنابه.

و قال ابن خاتمة: حدّثنى الشريف الأديب أبو عبد الله بن راجح التونسى مقدمه علينا بالمرية قال: سجن القاضى أبو عبد الله بن عبد السلام شابا و سيما لحقّ تعين عليه، فأنشده مداعبا: [الوافر]

أقاضى المسلمين، حكمت حكما غدا و جه الزمان له عبوسا
سجنت على الدراهم ذا جمال و لم تسجنه إذ غضب النفوسا
فأجابنى بأن قال: إنما شكاه لى أرباب الدراهم، دون أرباب النفوس، انتهى.
رجع إلى ما خوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى:

و ممّا خاطبه به أبو عبد الله العشاب التونسي في بعض الأعياد قوله: [الطويل]
 يمين أبي عبد الإله محمد تيمّن هذا القطر و انسجم القطر
 أفاض علينا من جزيل عطائه بحورا تديم المدّ ليس له جزر
 و آنسنا لّمّا عدمننا مغانيا إذا ذكرت في القلب ليس لها دعر
 هنيئا بعيد الفطر يا خير ماجد كريم به تسمو السيادة و الفخر
 و دمت مدى الأيام في ظلّ نعمة تطيع لك الدنيا و يعنو لك الدهر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٠٨

من ابن عبد الملك المراكشي إلى لسان الدين

و قال لسان الدين في ترجمة ابن عبد الملك المراكشي ما صورته: و خاطبني بقوله:
 [الوافر]

و ليت ولاية أحسنت فيها ليعلم أنها شرفت بقدرك
 و كم وال أساء فليل فيه دنى القدر ليس لها بمدرك
 و قال أيضا يخاطبني في المعنى: [الوافر]
 و ليت فليل أحسن خير وال ففاق مدى مداركها بفضلها
 و كم وال أساء فليل فيه دنا فمحا محاسنها بفعله

ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملك، الأنصاري، الأوسى، عن «الإحاطة» لسان الدين

و في «الإحاطة» ما محصّيه له أنّ المذكور محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسى، كان شديد الانقباض، محبوب المحاسن، تنبو العين عنه جهامة و وحشة ظاهرة و غرابة شكل، و في طي ذلك أدب غضّ، و نفس حرّة، و حديث ممتع، و أبوة كريمة، أحد الصابرين على الجهد، المستمسكين بأسباب الحشمة، الراضين بالخصاصة، و أبوه قاضى القضاء نسيج وحده الإمام العالم التاريخى المتبحر فى الآداب، تقلّبت به أيدي الليالى بعد وفاته لتبعه سلّطت على نشبه، فاستقرّ بمالقة مقدورا عليه، لا يهتدى لمكان فضله إلّا من عشر عليه. و من شعره قوله: [السريع]
 من لم يصن فى أمل وجهه عنك فصن وجهك عن ردّه
 و اعرف له الفضل و عرّف له حيث أحلّ النفس من قصده
 ثم قال: توفى فى ذى القعدة عام ثلاثة و أربعين و سبعمائة، انتهى.

من أبى عبد الله محمد المكودى الفاسى إلى لسان الدين

و ممّا مدح به لسان الدين قول أبى عبد الله محمد المكودى الفاسى رحمه الله تعالى:
 [البسيط]

رحماك بى فلقد خلّدت فى خلدى هوى أكابد منه حرقة الكبد
 حللت عقد سلوى عن فؤادى إذ حللت منه محلّ الروح من جسدى

مرآك بدرى و ذكراك التذاذ فمى و دين حبك إضمارى و معتقدى
و من جمالك نور لاح فى بصرى و من ودادك روح حل فى خلدى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٠٩
لا تحسبن فؤادى عنك مصطبرا فقبل حبك كان الصبر طوع يدى
و هاك جسمى قد أودى التحول به فلو طلبت وجودا منه لم تجد
بما بطرفك من غنج و من حور و ما بثغرك من درّ و من برد
كن بين طرفى و قلبى منصفا فلقد حايت بعضهما فاعدل و لا تحد
فقال لى: قد جعلت القلب لى وطنا و قد قضيت على الأجنان بالشهد
و كيف تطلب عدلا و الهوى حكم و حكمه قطّ لم يعدل على أحد
من لى بأغيد لا يرثى لذى شجن و ليس يعرف ما يلقاه ذو كمد
ما كنت من قبل إذعانى لسطوته إخال أن الرشا يسطو على الأسد
إن جاء بالوعد لم تصدق مواعده فإن قنعت بزور الوعد لم يعد
شكوته علتى منه فقال: ألا سر للطيب فما برء الضنى بيدي
فقلت: إن شئت برئى أو شفا ألمى فبارتشاف لماك الكوثرى جد
و إن بخلت فلى مولى وجود على ضعفى و يبرى ما أضنيت من جسدى
و خرج بعد هذا إلى مدح لسان الدين فأطال و أطاب، و كيف لا و قد ملأ من إحسانه الوطاب؟ رحم الله تعالى الجميع!

من أبى عبد الله اليتيم إلى لسان الدين]

و قال لسان الدين: كتبت إلى عبد الله اليتيم أسأل منه ما أثبت فى كتاب «التاج» من شعره، فكتب إلى بهذه الأبيات: [البسيط]
أما الغرام فلم أخلل بمذهبه فلم حرمت فؤادى نيل مطلبه
يا معرضا عن فؤاد لم يزل كلفا بحبه ذا حذار من تجنّبه
قطعت عنه الذى عودته فغدا و حظّه من رضاه برق خلبه
أيام وصلك مبذول، و برّك بى مجدّد، قد صفا لى عذب مشربه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢١٠
و سمع ودك عن إفك العواذل فى شغل و بدر الدجى ناس لمغربه
لا أنت تمنعنى نيل الرضا كرما و لا فؤادى بوان فى تطلبه
لله عرفك ما أذكى تنسّمه لو كنت تمنحنى استنشاق طيبه
أنت الحبيب الذى لم أتخذ بدلا منه و حاشا لقلبى من تقلّبه
يا ابن الخطيب الذى قد فقت كلّ سنا أزال عن ناظرى إظلام غيبه
محمد الحسن فى خلق و فى خلق أكملت باسمك معنى الحسن فازه به
حضرت أو غبت ما لى عن هواك غنى لا ينقص البدر حسنا فى تغيبه
سيان حال التدانى و البعاد، و هل لمبصر البدر نيل فى ترّقبه
يا من أحسن ظنّى فى رضاه و ما ينفك يهدى قبيحا من تغضبه

إن كان ذنبي الهوى فالقلب منى لا يصغى لسمع ملام من مؤنّبه

رسالة من لسان الدين إلى أبي عبد الله اليتيم جواباً عن قصيدته

فأجبت بهذه الرسالة، وهى ظريفة فى معناها: «يا سيدى الذى إذا رفعت رايه ثنائهُ تلقّيتها باليدين، وإذا قسمت سهام وداده على ذوى اعتقاده كنت صاحب الفريضة والدين، دام بقاؤك لطفه تبيدها، وغريبة تردفها بأخرى تليها، وعقيلة بيان تجليها، ونفس أخذ الحزن بكظمها، وكلف الدهر بشت نظمها، تؤنسها وتسليها، لم أزل أشدّ على بدائعك يد الضنين، وأقتنى درر كلامك، ونفثات أقلامك، اقتناء الدرّ الثمين، والأيام بلفائك تعد ولا تسعد، وفى هذه الأيام انثالت على سماؤك بعد قحط، وتواترت لدى الآؤك على شحط، وزارتنى من عقائل بيانك كلّ فاتنة الطرف، عاطرة العرف، رافلة فى حلل البيان والظرف، لو ضربت بيوتها بالحجاز، لأقرت لها العرب العاربة بالإعجاز، ما شئت من رصف المبنى، ومطوعة اللفظ لغرض المعنى، وطيب الأسلوب، والتشبيث بالقلوب، غير أنّ سيدى أفرط فى التنزّل، وخلط المخاطبة بالتنزل، وراجع الالتفات، ورام استدراك ما فات، ويرحم الله تعالى شاعر المعرّة فلقد أجاد فى قوله، وأنكر مناجاة الشوق بعد انصرام حوله: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢١١

أبعد حول تناجى الشوق ناجية هلاً ونحن على عشر من العشر

«ولقد تجاوزت فى الأمد، وأنسيت أخبار صاحبك عبد الصمد، فأقسم بألفات القدور، وهمزات الجفون السود، وحامل الأرواح مع الألواح، بالغدوّ والزواح، لو لا- بعد مزارك، ما أمنت غائله ما تحت إزارك، ثم إنى حققت الغرض، وبحثت عن المشكل الذى عرض، فقلت: للخواطر انتقال، ولكلّ مقام مقال، وتختلف الحوائج باختلاف الأوقات، ثم رفع اللبس خبر الثقات».

ومنها- «و تعرفت ما كان من مراجعة سيدى لحرفة التكتيب والتعليم، والحنين إلى العهد القديم، فسررت باستقامة حاله، وفضل ماله، وإن لاحظ اللاخط، ما قال الجاحظ، فاعتراض لا يرد، وقياس لا يطرد، حتّىذا والله عيش التأديب، فلا بالصنك ولا بالجديب، معاهدة الإحسان، ومشاهدة الصور الحسان، يمينا إن المعلمين، لسادة المسلمين، وإنى لأنظر منهم كلّما خطرت على المكاتب، أمراء فوق المراتب، من كل مسيطر الدرّة، متقطّب الأسرّة، متممّ للوارد تنمّر الهزّة، يغدو إلى مكتبه، كالأمير فى موكبه، حتى إذا استقلّ فى فرشه، واستوى على عرشه، وترنّم بتلاوة قالونه وورشه، أظهر للخلق احتقاراً، وأزرى بالرجال وقاراً، ورفعت إليه الخصوم، ووقف بين يديه الظالم والمظلوم، فتقول: كسرى فى إيوانه، والرشيد فى أوانه، أو الحجّاج بين أعوانه، فإذا استولى على البدر السرار، وتبين للشهر الغرار، تحرّك إلى الخرج، تحرّك العود إلى الفرج، أستغفر الله ممّا يشقّ على سيدى سماعه، وتشمّت من ذكره طباعه، شيم اللسان، خلط الإساءة بالإحسان، والغفلة من صفات الإنسان، فأى عيش كهذا العيش وكيف حال أمير هذا الجيش؟ طاعة معروفة، وجوه إليه مصروفة، فإن أشار بالإنصات، لتحقق القصّيات، فكأنما طمس على الأفواه، ولأم بين الشّفاه، وإن أمر بالإفصاح، وتلاوة الألواح، علا- الضجيج والعجيج، وحفّ به كما حفّ بالبيت الحجيج، وكم بين ذلك من رشوة تدسّ، وغمزة لا تحسّ، و وعد يستنجز، وحاجة تستعجل وتحفز، هنا الله سيدى ما خوله، وأنساه بطيب أخراه أوله، وقد بعثت بدعابتى هذه مع إجلال قدره، والثقة بسعة صدره، فليتلقّها بيمينه، ويفسح لها فى المرتبة بينه وبين خدينه، ويفرغ لمراجعتها وقتاً من أوقاته عملاً بمقتضى دينه، وفضل يقينه، والسلام».

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢١٢

بين أبي عبد السلام وأبي عبد الله اليتيم (مداعبة)

ثم قال: و من المداعبة التي وقعت إليها الإشارة ما كتب به صديقه إليه أبو عبد السلام: [الوافر]
أبا عبد الإله نداء خلّ و فيّ جاء يمنحك النصيحة
إلى كم تألف الشبان غيا و خذلانا، أما تخشى الفضيحة
فأجابه بقوله: [الوافر]

فديتك صاحب السمة المليحة و من طابت أرومته الصريحه
و من قلبي وضعت له محلاّ فما عنه يحلّ بأن أزيحه
نأيت فدمع عيني في انسكاب و أكبادي لفرقتكم قريحه
و طرفي لا يتاح له رقاد و هل نوم لأجفان جريحه
و زاد تشوّقي أبيات شعر أتت منكم بألفاظ فصيحه
و لم تقصد بها جدا، و لكن قصدت بها مداعبة و قيحه
فقلت: أتألف الشبان غيا و خذلانا، أما تخشى الفضيحة
ففيهم حرفتي و قوام عيشي و أحوالي بخلطتهم نجيحهم
و أمرى فيهم أمر مطاع و أوجههم مصاييح صبيحه
و تعلم أنني رجل حضور و تعرف ذاك معرفة صحيحة

ثم قال لسان الدين - بعد إirاده ما مرّ - ما صورته: و لما اشتهر المشيب بعارضه و لمته، و خفر الدهر صباه و أذمته، أقلع و استرجع، و تألم لما فرط و توجّع، و هو الآن من جلبة الخطباء طاهر العرض و الثوب، خالص من الشوب، باد عليه قبول قابل التوب، و توفي في أخريات صفر سنة خمسين و سبعمائة في الطاعون، رحمه الله تعالى و غفر له! انتهى.

ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي العبدري، الملقب، المعروف باليتيم]

و اليتيم المذكور هو أبو عبد الله محمد بن علي العبدري الملقب، و في حقه يقول لسان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢١٣

الدين في «التاج» ما مثاله: هو مجموع أدوات حسان، من خط و نغمة لسان، أخلاقه روض تتصوّع نسّماته، و بشره صبح تتألق قسماته، و لا تخفى سماته، يقرطس أغراض الدعابة و يصميهها، و يفوق سهام الفكاهة إلى مراميهها، فكلما صدرت في عصره قصيدة هازلة، أو أبيات منحطة عن الإجابة نازلة، خمّس أبياتها و ذيلها، و صرف معانيها و سيلها، و تركها سمر الندمان، و أضحوكة الأزمان، و هو الآن خطيب المسجد الأعلى بمالقة، متحلّ بوقار و سكينه، حالّ من أهلها بمكانة مكينة، لسهولة جانبه، و اتضاح مقاصده في الخير و مذاهبه، و اشتغل لأوّل أمره بالكتيب، و بلغ الغاية في التعليم و الترتيب، و الشباب لم ينصل خضابه، و لا سلت للمشيب عضابه، و نفسه بالمحاسن كلفة صبّه، و شأنه كله هوى و محبه، و لذلك ما خاطبه بعض أودائه، و كلاهما رمى أخاه بدائه، حسما يأتي خلال هذا القول و في أثنائه، انتهى.

و ذكر نحو ما تقدّم ذكره، سامح الله الجميع بفضله!

من أبي عبد الله الكرسوطي لسان الدين]

و قال لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي الفاسي نزيل مالقة ما صورته: و أنشدني و أنا بمالقة

أحاول لوث العمامة، وأستعين بالغير على الإحكام لها: [الكامل]

أ معمما قمرا تكامل حسنه أربي على الشمس المنيرة في البها

لا تلمس ممن لديك زيادة فالبدر لا يمتار من نور السها

قال لسان الدين: وهو فقيه محدث متكلم، ألف كتباً منها «الغرر، في تكميل الطرر» طرر أبي إبراهيم الأعرج، ثم كتاب «الدّرر، في اختصار الطّرر» المذكور، و تقييدان على الرسالة، كبير و صغير، و لخص «التهذيب» لابن بشير، و حذف أسانيد المصنّفات الثلاثة، و التزم إسقاط التكرار، و استدرك الصّحاح الواقعة في الترمذى على البخارى و مسلم، و قيد على مختصر الطيطلى، و شرع في تقييد على قواعد الإمام أبي الفضل عياض بن موسى برسم ولدى. و يصدر منه الشعر مصدّرا لا تكيفه منه العناية. و كانت له اليد الطولى في عبارة الرؤيا، و مولده بفاس عام تسعين و ستمائة، انتهى ملخصا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢١٤

ترجمة أبي عبد الله الكرسوطى من أبي عمرو بن الزبير إلى لسان الدين

و قال في ترجمته أبي عمرو بن الزبير ما صورته: و ممّا خاطبني به عند إيابي من العدوّة في غرض الرسالة قوله: [الوافر]

نوالى الشكر للرحمن فرضا على نعم كست طولاً و عرضاً

و كم لله من لطف خفيّ لنا منه الذى قد شا و أمضى

بمقدمك السعيد أتت سعود ننال بها نعيم الدهر محضا

فيا بشرى لأندلس بما قد به والاك بارينا و أرضى

و يا لله من سفر سعيد قد اقرضك المهيمن فيه قرضا

و رحبت بتيه أخلصت فيها فأبت بكلّ ما يبغى و يرضى

و ثبت لنصرة الإسلام لئما إليك علمت أنّ الأمر أفضى

لقد أحيت بالتقوى رسوما كما أرضيت بالتمهيد أرضاً

و قمت بسنة المختار فينا تمهد سنة و تقيم فرضاً

و رضت من العلوم الصّعب حتى جنيت ثمارها رطباً و غصّاً

فرأيتك راجح فيما تراه و عزمك من مواضى الهند أمضى

تدبرّ أمر مولانا فيلقى ال مسيء لديك إشفافاً و إغصاً

فأعقبنا شفاء و انبساطاً و قد كانت قلوب الناس مرضى

و من أضحى على ظمياً و أمسى يرد إن شاء من نعماك حوضاً

أبا عبد الإله إليك أشكو زمانى حين زاد الفقر عصّاً

و من نعماك أستجدى لباساً تفيض به علىّ الجاه فيضاً

بقيت مؤملاً ترجى و تخشى و مثلك من إذا ما جاد أرضى

ترجمة أبي عمرو و محمد بن أحمد بن الزبير

و أبو عمرو المذكور هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير، أبوه الأستاذ أبو جعفر بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢١٥

الزبير أستاذ الزمان شيخ أبي حيان وغيره. وقال في «الإحاطة» في حقه: إنه فكه، حسن الحديث، ركض طرف الشبيبة في ميدان الراحة، منكباً على سنن أبيه وقومه، مع شفاف إدراك، وجودة حفظ، كانا يطعمان والده في نجابته، فلم يعدم قادحا في شرف فنال حظوة، و جرت عليه خطوب. ثم عاد إلى الأندلس، فتطور بها، وهو الآن قد نال منه الكبر يزجي لوقته بمالقة متعللاً برمق من بعض الخدم المخزونية، استجاز له والده الطم والرم من أهل المغرب والمشرق، وبضاعته في الشعر مزجاء. ثم قال: مات تاسع المحرم عام خمسة وستين وسبعمائه؛ انتهى.

من ترجمة أبي يحيى محمد بن أحمد بن الأكل

وقال في ترجمة أبي يحيى محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل ما صورته: شيخ هدورى الذقن، خدوع الظاهر، خلوب اللفظ، شديد الهوى إلى الصوفية، والكلف بإطراء أهل الخير، من بيت صون وحشمة، متقدم في معرفة الأمور العلمية، خائض في غمار التصوف، وانتحال كيمياء السعادة، راكب متن دعوى عريضة في مقام التوحيد، تكذبها أحواله الراهنة، لمعاصاة خلقه على الرياضة، واستيلاء الشرة، وغلبة سلطان الشهوة، والمشاحة أيام الولاية، والسباب الشاهد بالشدة، والحلف المتصل بياض اليوم في ثمن الخردلة باليمين التي فيها فساد الأنكحة، والغضب الذي يقلب العين. خاطبنى بين يدي نكبته ولم أكن أظن الشعر مما تلوكه جحفلته، ولكنه من أهل الكفاية: [الطويل]

رجوتك بعد الله يا خير منجد و أكرم مأمول و أعظم مرفد
و أفضل من أملت للحادث الذي فقدت به صبرى و ما ملكت يدي
و حاشا و كلاً أن يخيب مؤملى و قد علقت بابن الخطيب محمد
و ما أنا إلّا عبد نعمته التي عهدت بها يمنى و إنجاح مقصدى
و أشرف من حضّ الملوك على التقى و أبدى لهم رشدا نصيحة مرشد
و ساس الرعايا الآن خير سياسة مباركة في كلّ غيب و مشهد
و أعرض عن دنياه زهدا و إنها لمظهرة طوعا له عن تودّد
و ما هو إلّا الليث و الغيث إن أتى له خائف أو جاء مغناه مجتدى
و بحر علوم درّه كلماته إذا رددت في الحفل أى تردّد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢١٦

صقيل مرأى الفكر ربّ لطائف محاسنها تجلى بحسن تعبد
بديع عروج النفس للملا الذي تجلّت له الأسرار في كلّ مصعد
شفيق رفيق دائم الحلم راحم و رأى جميل للجميل معود
صفوح عن الجانى على حين قدرة مواصل تقوى الله فى اليوم و الغد
أيا سيدى يا عمدتى عند شدّتى و يا مشربى مهما ظمئت و موردى
حنانيك و الطف بى و كن لى راحما و رفقا على شيخ ضعيف منكّد
رجاك رجاء للذى أنت أهله و وافاك يهدى للثناء المجدّد
و أمك مضطراً لرحماك شاكيا بحال كحرّ الشمس حال توقّد
و عندى افتقار لا يزال مواصلاً لأكرم مولى حاز أجرا و سيّد

ترفق بأولاد صغار بكاؤهم يزيد لوقع الحادث المتزيد
 وليس لهم إلّا إليك تطلع إذا مسهم ضرّ أليم التعهد
 أنلهم أيا مولاي نظرة مشفق وجد بالرضا و انظر لشمّل مبدّد
 و عامل أخوا الكرب الشديد برحمه و أسعف بغفران الذنوب و أسعد
 و لا نظرن إلّا لفضلك، لا إلى جريمة شيخ عن محلّك مبد
 و إن كنت قد أذنبت إني تائب فعود لي الفعل الجميل و جدّد
 بقيت بخير لا يزال و عزة و عيش هنىء كيف شئت و أسعد
 و سخرّك الرحمن للعبد؛ إنه لمتن وداع للمحلّ المجدد
 ثم قال: و هو الآن من مسطرى الأعمال على تهوّر و اقتحام كبره، من خطّ لا نهاية وراءه فى الركاكه، كما قال المعرى: [الوافر]
 تمسّت فوقه حمر المنايا و لكن بعد ما مسخت نمالا

من أبي عبد الله محمد بن علي بن عياش إلى لسان الدين]

و قال فى ترجمه أبى عبد الله محمد بن علي بن عياش بن مشرف الأمي: إنه من أهل الأصالة و الحسب، ظهرت منه على حدائثه السنّ
 أبيات، و نسب إليه شعر توّسل به، و تصرّف فى الإشراف، فحمدت سيرته، و كتب إلى بقوله: [الكامل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢١٧
 سفرت شمس اليمن و الإقبال و بدت بدور السعد ذات كمال
 لقدوم سيدنا الوزير محمد أعزز به من سيّد مفضل
 قمر تجلّى بين زهر تجتلى يهدى لفعل الخير لا الإضلال
 سر آمنة لا تكثرث، فلأنت فى حفظ الإله الواحد المتعالى
 بزّا و بحرا لا تخاف ملامه و عدوّ ذاتك خلف ظهرك صالى
 لا يستقرّ له قرار بعدكم ممّا يحلّ به من الأوجال
 و الآن ترجع سالما و مبشرا ببلوغ كلّ مسرّة و منال
 و هى طويلة، نمطها متخلف عن الإجادة، و هى من مثله ممّا يستظرف؛ انتهى.

من محمد بن محمد الوادى آشى إلى لسان الدين]

و قال فى ترجمه أبى عبد الله محمد بن محمد العراقي الوادى آشى: فاضل الأبوة، بادي الاستقامة، حسن الأخلاق، تولى أعمالا، كتب
 إلى و قد أبى عملا عرض عليه بقوله: [الطويل]
 أصمت ألفا ثم أنطق بالخلف و أفقد إلفا ثم آنس بالجلف
 و أمسك دهرى ثم أفطر علقما و يمحق بدرى ثم ألحق بالخسف
 و عزّكم لا كنت بالذلّ عاملا و لو أنّ ضعفى ينتهى بي إلى الحتف
 فإن تعملونى فى تصرّف عزة و عدل و إلّا فاحسموا علّه الصّرف
 بقيت و سحب العفو منكم تظّلنى و حظّ ثنائى دائما ثانى العطف

من أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأزدي إلى لسان الدين و من شعر أبي محمد الأزدي]

وقال في ترجمته أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأزدي ما صورته: و خاطبني لما وليت خطبة الإنشاء و غيرها في أواخر عام تسعة و أربعين و سبعمائة بما نصّه: [الطويل]

حشاشة نفس أعلنت لمذيبها بتذكار أيام الوصال و طيبها
و نادته رحمة أختها نفس مدنف تموت إذا لم تحيها بوجيها
فداو بقرب منك لاعج وجدها و فيض أماقبها و طول نحيبها
و قد بلغت حدًا به صحّ في الهوى و أحكامه ثوب الضنى في نصيبها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢١٨

و هل يتداوى داء نفس تعيسة إذا كان يوما داؤها من طيبها
لعلّ أوار الوجد تخمد ناره فيبرد عنها ما بها من لهيها
إليك حذاها الشوق يا بدرها الذي يعزّ عليها منه طول مغيبها
سلكت بها سبل الهوى فهي تبتغي لقاك و تبغى غفلة من رقيبها
أجبتها بإبقاء عليها فإنها ستفنى إذا لم تكن بمجيبها
و مل نحوها بالودّ فهي قد اذعنت كما تذعن الأقلام لابن خطيبها
وحيد الزمان الماهر الباهر الحلبي و جهيد آداب العلا و أديبها
إمام معاليها، و بحر علومها و بدر دياجيبها، و صدر شعوبها
مصرفها كيف انثنت و معيدها و مبدئها حيث انتهت و مصيبها
و رافع أعلام البلاغة و الذي أتى نائرا أو ناظما بعجيبها
و حامل رايات الرياسة رفعة قضى المجد تخصيصا له بوجوبها
من الغرّ ممّن أوجبت لشبابها معاليهم الفضل العظيم و شيبها
من أبناء أرباب الزمان الألى بها سما فخرهم بين الورى بركوبها
خلال ابن عبد الله طود الحجا أبي محمد باد حسنهما من ضرورهما
أجاد و أجدى فاسل عن ذكر طيء و حاتمها زهوا به و حبيبها
ففى كلّ ما يبدي محمد عبرة محاسنها تنبى بسرّ غيوبها
تجيب القوافى إن دعا ببعيدها و تنقاد طوعا إن دعا بقربها
تخيّر أخلاق الكرام فلم يكن بها و لها يرضى بغير رحيبها
تقدّم فى دار الخلافة حاجبا لينجدها فى سلمها و حروبها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢١٩

و قام لها فى ساحة العزّ كاتبا بمحضرها أسرارها و مغيبها
فأبدي من أنواع الفضائل أوجها تقرّ لها بالحسن عين لبيبها
هنيئا به يمنا بأسعد مائل لغرناطة قاض بصرف خطوبها
فللسعد تأثير يجىء إذا جرى به قدر كالريح عند هبوبها

أموقد نار الفكر يقدح زندها فيسبى به الألباب سحر نسيها
 حدانى إليك الحبّ قدما و مال بى حديث لآمال خلت عن غريبها
 فقدّمتهما نظما قوافى قصرت لديك بذاوى فكرتى و رطيبها
 و كنت كمن وافى لدى الدار بالحصى يرفّع منها ساهيا عن عيوبها
 فصلها و خذ بالعفو فيها فلم أصل لأبلغ منها فاغفر من ذنوبها
 و صاحب هذا النظم من أهل بلش، و له اقتدار على النظم و النثر؛ قال فى «الإحاطة» ما محصّيه: و ممّا وقع له أثناء مقامات و أغراض
 تشهد باقتداره مهملا: [المتقارب]

رعى الله عهدا حوى ما حوى لأهل الوداد و أهل الهوى
 أراهم أمورا حلا وردها و أعطاهم السؤل كلّا سوى
 و لمّا حلا الوصل صالوا له و راموه مأوى و ماء روى
 و أوردهم سرّ أسرارهم و ردّ إلى كلّ داء دوا
 و ما أمل طال إلّا و هى و ما أمل صال إلّا هوى
 و قال معجمة: [الخفيف]

بثّ بينى يبتنى فيض جفنى شغفى شغفى فشبت بينى
 فتنتنى بغنج ظبى تجنّى تبغى نقض نيتى بتجنّى
 بزّة زينت قضيب تنّى قضيت بغيتى ففزت بفنّ
 خفت تشيت بنيتى فجفتنى ثقة تننى فخيب ظنى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٢٠
 و قال كلمة و كلمة: [الخفيف]

الهوى شغفى و أهمل جفنى أدعا تننى دما بتنى
 أحور شبّ حرّ بئى لمّا نقض العهد بين طول تجنى
 حاكم يتقى و لا ذنب إلّا شغف لم يخب لمسعاه ظنى
 ما له ينقض العهود فيشجى و لها ينثنى مسهد جفن
 لم يجوز وصله فبتّ محالا يقتضى حلّ بغيتى كلّ فنّ

و قال يرثى ديكا فقده، و يصف الوجد الذى وجده، و يبكى عدم أذانه، إلى غير ذلك من مستظرف شانه: [البيسط]
 أودى به الحنف لمّا جاءه الأجل ديكا فلا عوض منه و لا بدل
 قد كان لى أمل فى أن يعيش فلم يثبت مع الحنف فى بقياه لى أمل
 فقدته فلعمرى إنها عظة و بالمواعظ تدرى دمعها المقل
 ما كان أبداع مرآه و منظره وصفا به كلّ حين يضرب المثل
 كأنّ مطرف وشى فوق ملبسه عليه من كلّ حسن باهر حلل
 كأنّ إكليل كسرى فوق مفرقه و تاجه فهو عالى الشكل محتفل
 موقت لم يكن يعزى له خطأ فيما يرتّب من ورد و لا خلل
 كأنّ زرقال فيما مرّ علمه علم المواقيت ممّا رتب الأول

يرحل الليل، يحيى بالصراخ فما يصده كلل عنه ولا ملل
 رأيته قد وهت منه القوى فهوى للأرض فعلا يريه الشارب الثمل
 لو يفتدى بديوك الأرض قل له ذاك الفداء ولكن فاجأ الأجل
 قالوا الدواء فلم يغن الدواء ولم ينفعه من ذاك ما قالوا وما فعلوا
 أمّلت فيه ثوبا أجر محتسب إن نلت ذلك صحّ القول والعمل
 وأمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النصريين، وقد نظر إلى شلير وقد تردى بالثلج
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٢١
 وتعمّم، وكمل ما أراد من بزّته وتعمّم، أن ينظم في وصفه، فقال بديها: [الطويل]
 وشيخ جليل القدر قد طال عمره وما عنده علم بطول ولا قصر
 عليه لباس أبيض باهر السنن وليس بثوب أحكمته يد البشر
 فطورا تراه كلّه كاسيا به وكسوته فيها لأهل النهى عبر
 وطورا تراه عاريا ليس يكتسى بحرّ ولا بد من الشمس والقمر
 وكم مرّت الأيام وهو كما ترى على حاله لم يشك ضعفا ولا كبر
 وذاك شلير شيخ غرناطة التي لبهجتها في الأرض ذكر قد اشتهر
 بها ملك سامي المراقى، أطاعه كبار ملوك الأرض في حالة الصغر
 تولاه ربّ العرش منه بعصمة تقيه مدى الأيام من كلّ ضرر
 وتوفى المذكور في بلده بلش في طاعون عام خمسين وسبعمائه، انتهى.

من لسان الدين إلى أبي قاسم بن رضوان، النجاري

وقال في «الإحاطة» في ترجمته صاحب القلم الأعلى بالمغرب أبي القاسم بن رضوان النجاري ما صورته: ولما ولي الإنشاء بباب ملك
 المغرب ظهر لسلطاننا بعض قصور في المراجعات، فكتبت إليه: [الطويل]
 أبا قاسم، لا زلت للفضل قاسما بميزان عدل ينصر الحق من نصر
 مدادك وهو المسك طيبا ومنظرا وإلا سواد القلب والفود والبصر
 عهدناه في كلّ المعارف مطنبا فما باله في حرمة الودّ مختصر
 أظنك في ليل الوصال انتخبته إلينا، وذاك الليل يوصف بالقصر
 أردنا بك العذر الذي أنت أهله ومثلك لا يرمى بعى ولا حصر

من ابن رضوان إلى لسان الدين

فراجعني، ولا أدري أهي من نظمه أم نظم غيره: [الطويل]
 حقيق أبا عبد الإله بك الذي لمذهبه في البرّ يتضح الأثر
 وإنّ الذي تبّهت منى لم يكن نؤوما وحاشا الودّ أن أغمط الأثر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٢٢

و ربّ اختصار لم يشن نظم ناظم و ربّ اقتصار لم يعب نثر من نثر
و عذرك عنى من محاسنك التى نظام حلاها فى الممداح ما انتشر
و من عرف الوصف المناسب منصفاً تأتى له نهج من العذر ما دثر

ترجمة أبى القاسم بن رضوان]

و هو عبد الله بن يوسف بن رضوان النجارى، من أهل مالقة، صاحب العلامة العلمية، و القلم الأعلى بالمغرب، قرأ على جماعة منهم
بتونس قاضى الجماعة ابن عبد السلام. قال فى «التاج» فيه أيام لم يفهق حوضه، و لا أزهر روضه، ما نصه:
أديب أحسن ما شاء، و منح قلبه فملاً للدلو و بلّ الرشاء، و عانى على حدائته الشعر و الإنشاء، و له ببلده بيت معمور بفضل و أمانه، و
مجد و ديانته، و نشأ هذا الفاضل على أتم العفاف و الصّون، فما مال إلى فساد بعد الكون، و له خطّ بارع، و فهم إلى الغوامض مسارع،
و قد أثبت من كلامه، و نثبات أقلامه، كلّ محكم العقود، زار بابنة العنقود، فمن ذلك قوله: [الطويل]
لعلكما أن ترعيا لى مسائل فبالله عوجا بالركاب و سائلا
و منها:

لقد خان دهرى إذ نأى بمطالبي و ظلّ بما أبغى من القرب ماطلا
عتبت عليه فاغتندى لى عاتبا و قال: أصخ لى لا تكن قطّ عاذلا
أتعبتنى أن قد أفدتك موقفا لدى أعظم الأملاك حلما و نائلا
مليك حباه الله بالخلق الرضا و أعلى له فى المكرمات المنازلا
و هى طويلة.

و من نظم ابن رضوان المذكور: [الطويل]
تبرأت من حولى إليك و أيقنت برحماك آمالى أصحّ يقين
فلا أرب الأيام إذ كنت ملجأ و حسبى يقينى باليقين يقينى
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٢٣
و كلفه أبو عنان و وصف صيد من غدیر فقال من أبيات: [الكامل]
و لربّ يوم فى حماك شهدت و السرح ناشرة عليك ظلالها
حيث الغدير يريك من صفحاته درعا تجيد به الرياح صفالها
و المنشآت به تدير حبالا للصيد فى حيل تدير حبالها
و تريك إذ يلقي بها اليمّ الذى أخفت جوانحه و غاب خلالها
فحسبتها زردا و أنّ عواليا تركت به عند الطعان نصالها
و قال فيه أيضا: [الكامل]

أبصرت فى يوم الغدير عجائبا جاءت بآيات العجائب مبصره
سمكا لدى شبك فقل ليل بدت فيه الزواهر للنواظر تيره
فكأنّ ذا زرد تضاعف نسجه و كأنّ تلك أسنة متكسره

و ممّا نظمه عن أمر الخلافة المستعينة ليكتب فى طرّة قبة رياض الغزلان من حضرته: [البسيط]
هذا محلّ المنى بالأمن معمور من حلّه فهو بالأمال مجبور

مأوى النعيم به ما شئت من ترف تهوى محاسنه الولدان و الحور
 و يطلع الروض منه مصنعا عجا يضاحك النور من لألائه النور
 و يسطع الزهر من أرجائه أرجا ينافح الندّ نشر منه منشور
 مغنى السرور سقاه الله ما حملت غرّ الغمام و حلته الأراهير
 انظر إلى الروض تنظر كلّ معجبة ممّا ارتضاه لرأى العين تحبير
 مرّ النسيم به يبغي القرى فقري دراهم النور تبيد و تنشير
 و هامت الشمس في حسن الظلال به ففرّقت فوقها منه دنائير
 و الدوح ناعمة تهترّ من طرب همسا، و صوت غناء الطير مجهور
 كأنما الطير في أفنانها صدحت بشكر مالكها، و الفضل مشكور
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٢٤
 و النهر شقّ بساط الروض تحسبه سيفاً و لكنه في السلم مشهور
 ينساب للّجّة الخضراء أزرقه كاليم جدّ انسياب و هو مذعور
 هذى مصانع مولانا التي جمعت شمل السرور، و أمر السعد مأمور
 و هذه القبة الغراء ما نظرت لشكلها العين إلّا عزّ تنظير
 و لا يصوّرها في الفهم ذو فكر إلّا و منه لكلّ الحسن تصوير
 و لا يرام بحصر وصف ما جمعت من المحاسن إلّا صدّ تقصير
 فيها المقاصير تحميها مهابته لله ما جمعت تلك المقاصير
 كأنها الأفق تبدو النيرات به و يستقيم بها في السعد تسيير
 و ينشأ المزن في أرجائه و له من عنبر الشجر إنشاء و تسخير
 و ينهمى القطر منه و هو منسكب ماء من الورد يذكو منه تقطير
 و تخفق الريح منه و هي ناسمة ممّا أهبّ به مسك و كافور
 و يشرق الصبح منه و هو من غرر غرّ تلاً منهنّ الأسارير
 و تطلع الشمس فيه من سنا ملك تبسم الدهر منه و هو مسرور
 لله منه إمام عادل بهرت أوصافه فهي للأمداح تحبير
 غيث السماح و ليث البأس فائق به محيي الهدى و هو للعادين تتبير
 قل للمبارى و إن لم تلقه أبدا و ربّ فرض محال و هو تقدير
 فخر الأنام أحلّ الفخر منزله فكلّ مدح على عليه مقصور
 إذا أبو سالم مولى الملوك بدا بدرا تضىء بمرآه الدياتجير
 فأى خطب يخاف الدهر آمله و أى سؤل له فى النيل تعذير
 بشراك بشراك يا نجل الخلافة ما خوّلت من نيلها و الضدّ مقهور
 لك الخلود بعزّ الملك فى نعم لا يعترى صفوها فى الدهر تكدير
 فانعم هنيئاً بلذات مواصلة لا تأتليهنّ إمام و تكرير
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٢٥

لا زلت تلقى المنى فى غبطة أبدا ما دام الله تهليل و تكبير

و قال و كتب به على قلم فضة: [الطويل]

إذا شهدت بالنصر خطية القنا فملكك أمر الفتح من غير ما شرط
كفى شاهدا منى بفضلك ناطقا لسانى مهما أفصحت ألسن الخطى

و قال و كتب به على سكين: [الطويل]

أروح بأمر المستعين و أعتدى لإذهاب طغيان اليراع الرواقم
و يفعل فى الأقلام حدى مصلحا كفعل ظبا أسيافه فى الأقالم
قال: و مما كتب به على قصيدة عيدية: [البسيط]

لما رأيت هدايا العيد أعظمها هدية الطيب فى حسن و تعجيب
و لم أجد فى ضروب العاطرات شذى يحكى ثناءك فى نشر و فى طيب
أهديت نحوك منه كل ذى أرج أنفاسه بين تشريق و تغريب
و فى القبول منال السعد فالتق به تلق الأمانى بتأهيل و ترحيب
و قال فى رجل يلقب بالبعير: [الطويل]

و ذى لقب عنت له عند صحبه مآرب لم يسعد عليهن مسعد
دعوه بعيرا فاستشاط فقال مه أبا أحمد، و ارتد عنهم يهدهد
فقلت له عد نحوهم لتعود من مرامك بالمطلوب توفى و تحمد
فقال و قد غصّ الفضاء بصوته و قد هدرت منه الشقاشق تزيد
لئن عدت نادونى بعيرا كمثلته فقلت له لا تخش فالعود أحمد
و قال: [الخفيف]

و بخيل لما دعوه لسكنى منزل بالجنان ضنّ بذلك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٢٦

قال لى مخزن بدارى فيه كلّ مالى فلست للدار تارك
قلت و فقت للصواب فحاذر قول خلّ مرغب فى انتقالك
لا تعرّج على الجنان بسكنى و لتكن ساكنا بمخزن مالك

و قال رحمه الله تعالى فى مركب: [الكامل]

يا ربّ منشأه عجبت لشأنها و قد احتوت فى البحر أعجب شان
سكنت بجنيها عصابة شدة حلّت محلّ الروح فى الجثمان
فتحرّكت بإرادة مع أنها فى جنسها ليست من الحيوان
و جرت كما قد شاءه سكاها فعلمت أن السرّ فى السكّان
و قال رحمه الله تعالى: [الوافر]

و ذى خدع دعوه لاشتغال و ما عرفوه غثا من سمين

فأظهر زهده و غنى بمال و جيش الحرص منه فى كمين

و أقسم لا فعلت يمين خبّ فىا عجا لحلاف مهين

يغزّ يسره و يمين حنث ليأكل باليسار و باليمين
و هو الآن بحاله الموصوفة؛ انتهى.

بين أبي بكر عبد الرحمن بن عبد الملك و لسان الدين بن الخطيب

و قال لسان الدين رحمه الله تعالى: خاطبني أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الملك مستدعياً إلى إعدار ولده بقوله: [البسيط]
أريد من سيدى الأعلى تكلفه إلى الوصول إلى دارى صباح غد
يزيدنى شرفاً منه و يبصر لى صناعة القاطع الحجاج فى ولدى
فأجبتة: [البسيط]

يا سيدى الأوحى الأسمى و معتمدى و ذا الوسيلة من أهلى و من بلدى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٢٧
دعوت فى يوم الاثنين الصّحاب ضحى و فيه ما ليس فى سبت و لا أحد
يوم السلام على المولى و خدمته فاصفح و إن عثرت رجلى فخذ بيدي
و العذر أوضح من نار على علم فعّد إن غبت عن لوم و عن فند
بقيت فى ظلّ عيش لا نفاذ له مصاحباً غير محصور إلى أمد

ترجمة أبي بكر عبد الرحمن بن عبد الملك

و أبو بكر المذكور أصله من باغ، و نشأ بلوشة، و هو محسوب من الغرناطين.
و فى «التاج» فى حقه ما صورته: مادح هاجى، مداهن مداجى، أخبث من نظر من طرف خفى، و أعذر من تلبس بشعار و فى، إلى
مكيدة مبثوثة الحباثل، و إغراء يقطع بين الشعوب و القبائل، من شيوخ طريقة العمل، المتقلّبين من أحوالها بين الصّبح و الثمل،
المتعلّين برسومها حين اختلط المرعى بالهمل. و هو ناظم أرجاز، و مستعمل حقيقة و مجاز، نظم مختصر السيرة، فى الألفاظ اليسيرة، و
نظم رجزاً فى الرّجز و الفال، نبه به تلك الطريقة بعد الإغفال؛ انتهى.

قال: و من شعره: [الكامل]

إنّ الولاية رفعة لكنها أبدا إذا حققتها تنتقل
فانظر فضائل من مضى من أهلها تجد الفضائل كلّها لا تعزل
توفى بالطاعون بغرناطة عام خمسين و سبعمائة؛ انتهى.

من أبي سلطان عبد العزيز بن على بن يشث الغرناطى إلى لسان الدين

و قال فى ترجمته أبي سلطان عبد العزيز بن على الغرناطى بن يشث ما صورته: و ممّا خاطبني به قوله: [البسيط]
أطلت عتب زمان قلّ من أملى و سمته الدّم فى حلّ و مرتحل
عاتبته ليلين العتب جانبه فما تراجع عن مطل و لا بخل
فعدت أمنحه العتبى ليشفق لى فقال لى إنّ سمعى عنك فى شغل
فالعتب عندى كالعتبى فلست أرى أصغى لمدحك إذ لم أصغ للعذل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٢٨
 فقلت للنفس كفى عن معاتبه لا تنقضى و جواب صيغ من وجل
 من يعتلق في الدنيا بآبن الخطيب فقد سما عن الذل و استولى على الجدل
 قالت فمن لى بتقريبى لخدمته فقد أجاب قريبا من جوابك لى
 فقال للناس كفوا عن محادثتى فليس ينفعكم حولى و لا حيلى
 قد اشتغلت عن الدنيا بآخرتى و كان ما كان من أيامى الأول
 و قد رعيت و ما أهملت من منح فكيف يختلط المرعى بالهمل
 و لست أرجع للدنيا و زخرفها من بعد شيب غدا فى الرأس مشتعل
 أ لست تبصر أطمارى و بعدى عن نيل الحظوظ و إغذاذى إلى أجلى
 فقلت ذلك قول صح مجمله لكن من شأنه التفصيل للجمل
 ما أنت جالب أمر تستعين به على المظالم فى حال و مقبيل
 و لا تحل حراما أو تحرّم ما أحل ربك فى قول و لا عمل
 و لا تبع آجل الدنيا بعاجلها كما الولاية تبع اليم بالوشل
 و أين عنك الرشا إن ظلت تطلبها هذا لعمرى أمر غير منفعل
 هل أنت تطلب إلا أن تعود إلى كتب المقام الرفيع القدر فى الدول
 فما لأوحد هذا الكون قاطبة و أسمح الخلق من حاف و منتعل
 لم يلتفت نحو ما تبغيه من وطر و لم يسد الذى قد بان من خلل
 إن لم تقع نظرة منه عليك فما يصفو لديك الذى أملت من أمل
 فدونك السيد الأعلى فمطلبكم قد نيط منه بفضل غير منفصل
 فقد خبرت بنى الدنيا بأجمعهم من عالم و حكيم عارف و ولى
 فما رأيت له فى الناس من شبه قلّ النظير له عندى فلا تسل
 و قد قصدتك يا أسمى الورى همما و ليس لى عن حمى عليك من حول

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٢٩

فما سواك لما أملت من أمل و ليس لى عنك من زيغ و لا ميل
 فانظر لحالى قد رقّ الحسود لها و احسم زمانه ما قد ساء من علل
 و دم لنا ولددين الله ترفعه ما أعقت بكر الإصباح بالأصل
 لا زلت معتليا عن كلّ حادثة كما علت ملّة الإسلام فى الملل
 انتهى.

ترجمة أبي سلطان بن يشث

و المذكور هو عبد العزيز بن على بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يشث، من غرناطة، يكنى أبا سلطان؛ قال فى «الإحاطة» فى حقّه: فاضل حيبى حسن الصورة، بآدى الحشمه، فاضل البيت سرّيه، كتب فى ديوان الأعمال فأتقن، و ترقى إلى الكتابة السلطانية، و سفر فى بعض الأغراض الغربيه، و لازم الشيخ أبا بكر عتيق بن مقدم من مشيخة الصوفيه بالحضره فظهرت عليه آثار ذلك

فى نظمه و مقاصده. فمن نظمه ما أنشده ليلة الميلاد المعظم: [الكامل]
 القلب يعشق و المدامع تنطق برح الخفاء فكلّ عضو منطوق
 إن كنت أكتنم ما أكنّ من الجوى فشحوب لوني فى الغرام مصدق
 و تذللنى عند اللقا و تملقنى إنّ المحبّ إذا دنا يتملّق
 فلکم سترت عن الوجود محبتى و الدمع يفضح ما يسرّ المنطق
 و لكم أموه بالطلول و بالكنى و أخوض بحر الكتم و هو الأليق
 ظهر الحبيب فلست أبصر غيره فبكلّ مرئى أرى متحقق
 ما فى الوجود تكثّر لمكثّر إنّ المكثّر بالأبطل يعلق
 فمتى نظرت فأنت موضع نظرتى و متى نطقت فما بغيرك أنطق
 يا سائلنى عن بعض كنه صفاته كلّ اللسان و كلّ عنه المنطق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٣٠
 فاسلك مقامات الرجال محققا إنّ المحقق شأوه لا يلحق
 مزق حجاب الوهم لا تحفل به فالوهم يستر ما العقول تحقق
 و اخلص إذا شئت الوصول و لا تسل فالعجز عن طلب المعارف موبق
 إن التخلّى فى التخلّى فاقصد ذاك الجناب، فبابه لا يعلق
 و لتقتبس نار الكليم و لا تخف و الغ السوى إن كنت منها تفرق
 و متى تجلّى فيك سرّ جماله و صعقت خوفا فالمكلم يصعق
 دع رتبته التقليد عنك و لا تته تلق الذى قيدت و هو المطلق
 و اقطع حبال علائق و عوائق إنّ العوائق بالمكاره تطرق
 جزّد حسام النفس عن جفن الهوى إنّ العوائد بالتجرّد تخرق
 فإذا فهمت السرّ منك فلا تبح فالسيف من بتّ الحقائق أصدق
 بالذوق لا بالعلم يدرك علمنا سرّ بمكنون الكتاب مصدق
 و بما أتى عن خير من وطئ الثرى سرّ الوجود و غيئه المتدفق
 خير الورى و ابن الذبيحين الذى أنواره فى هديها تتألّق
 من أخير الأنباء قبل بيعته و لنصه سرّ الكتاب يصدق
 رفعت له الحجب التى لم ترتفع إلّا إليه فكلّ ستر يخرق
 ورقى مقاما قصرت عن كنهه رتب الوجود و كع عنه السبق
 وطى البساط تدلّلا و جرى إلى أمد تناهى ما إليه مسبق
 إنسان عين الكون مبلغ سرّه قطب الجمال و غيئه المتدفق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٣١
 سرّ الوجود و نكتة الدهر الذى كلّ الوجود بجوده يتعلّق
 من جاء بالآيات يسطع نورها و الذكر فهو عن الهوى لا ينطق
 يا سيد الأرسال غير مدافع و أجلهم سبقا و إن هم أعنفوا

بالفقر جئتك موئلي لا بالغنى فالذلّ والإذعان عندك ينفق
فاجبر كسير جرائر و جرائم فالقلب من عظم الخطايا يقلق
أرجوك يا غوث الأنام فلا تدع باب الرضا دوني يسدّ و يعلق
حاشاك تطرد من أتاك مؤملاً فلائت لى منى أحنّ و أرفق
و محبتي تقضى بأنك منقذى ممّا أخاف فما بغيرك أعلق
يا هل تساعدنى الأمانى و المنى و أحلّ حيث سنا الرسالة يشرق
إن كان تُبطنى القضا بمقيد فعنان عزمى نحو مجدك مطلق
و لئن نوى شخص بأقصى مغرب فتشوقى منى إليك يشرق
فعليك يا أسنى الوجود تحية من طيب نفتحها البسيطة تعبق
و على صحابتك الذين تأتقوا رتب الكمال و مثلهم يتأتق
و على الألى آووك فى أوطانهم نالوا بذلك رتبة لا تلحق
أعظم بأنصار النبىّ و حزبه و بمن أتى بعباءة يتعلّق
من مثل سعد أو كقيس نجله عرف السيادة من حماهم ينشق
أكرم بهم و بمن أتى من سرهم عزّ النظر فمجدهم لا يلحق
من مثل نصر أو بنيه ملوكنا كلّ الأنام لعزهم يتملّق
بمحمد نجل الخليفة يوسف عزّ الهدى فحماه ما إن يطرق
مولى الملوک و تاج مفرق عزهم و أجلّ من تحدى إليه الأيتق
ملك يرى أنّ التقدّم مغنم مهما تعرّض موكب أو فيلق
تروى أحاديث الوغى عن بأسه فالسيف يسند و العوالى تطلق
ملك البسالة و المكارم و التّهى فعداته منه تغصّ و تشرق
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٣٢
ملئت قلوب عداه منه مهابة فمغرّب من خوفه و مشرق
مولاي يا أسمى الملوک و من غدت عين الزمان إلى سناه تحدّق
لا تقطعوا عنى الذى عودتم فالعبد من قطع العوائد يشفق
لا تحرمونى مطلبى فمحبّتى تقضى لسعبي أنه لا يخفق
فانعم بردى فى بساطك كاتباً و أعد لما قد كنت فهو الأليق
فاسلم أمير المسلمين لأمة أفواهم ما إن بغيرك تنطق
و اهناً بها من ليلة نبويّة جاءت بأكرم من به يتعلّق
صلّى عليه الله ما هبت صبا و اهترّ غصن فى الحديثه مورك
ثم قال: و هو الآن بحالته الموصوفة؛ انتهى.

من أبى الحسن النباهى إلى لسان الدين

و ممّا خوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ما حكاه فى «الإحاطة» فى ترجمة القاضى أبى الحسن النباهى، إذ قال ما نصّه: و خاطبنى

بسبته و أنا يومئذ بسلا بقوله: يا أيتها الآية البالغة و قد طمست الأعلام، و الغرّة الواضحة و قد تنكرت الأيام، و البقيّة الصالحة و قد ذهب الكرام، أبقاكم الله تعالى البقاء الجميل، و أبلغكم غاية المراد و منتهى التأميل، أبى الله أن يتمكن المقام بالأندلس بعدكم، و أن يكون سكون النفس إلّا عندكم، سرّ من الكون غريب، و معنى فى التشاكل عجيب، أختصر لكم الكلام، فأقول بعد التحيّة و السلام: تفاقمت الحوادث، و تعاظمت الخطوب الكوارث، و استأسدت الذناب الأخابث، و نكت الأكثر من ولد سام و حام و يافث، فلم يبق إلّا كاشح باحث، أو مكافح عابث، و يا ليت شعرى من الثالث؟ فحينئذ وجهت وجهى للفاطر الباعث، و نجوت بنفسى لكن منجى الحارث، و قد عبرت البحر كسير الجناح، دامى الجراح، و إنى لأرجو الله سبحانه بحسن نيتكم أن يكون الفرج قريبا، و الصنع عجيبا، فعمادى أعان الله على القيام بواجبه، هو الركن الذى ما زلت أميل على جوانبه، و لا تزيد فى الأيام إلّا بصيرة فى الإقرار بفضلته و الاعتداد به، و قد وصلنى خطاب سيدى الذى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٣٣

جلّى الشكوك بنور يقينه، و نصح النصح اللائق بعلمه و دينه، و كأنه نظر إلى الغيب من وراء حجاب، فأشار بما أشار به على ساريه عمر بن الخطاب، و من العجب أنى عملت بمقتضى إشارته، قبل بلوغ إضبارته، فله ما تضمّنه مكتوبكم الكريم من الدّرّ، و حرّره من الكلام الحرّ، و ايم الله لو تجسم لكان ملكا، و لو تنسّم لكان مسكا، و لو قبس لكان شهابا، و لو لبس لكان شهابا، فحلّ منى علم الله تعالى محل البرء من المريض، و أعاد الأنس بما تضمّنه من التعريض، و الكلم المزريه بقطع الروض الأريض، فقبلته عن راحتكم، و تخيلت أنه مقيم بساحتكم، ثم وردت معينه الأصفى، و كلت من بركات مواعظه بالمكيال الأوفى، و ليست بأول أياديكم، و إحالتكم على الله فهو الذى يجازيكم، و بالجملة فالأمور بيد الأقدار، لا إلى المراد و الاختيار: [الطويل]

و ما كلّ ما ترجو النفوس بنافع و لا كلّ ما تخشى النفوس بضرار انتهى.

ترجمة القاضى أبى الحسن النباهى

قلت: أين هذا الكتاب من الذى قدّمناه عنه فى الباب الثانى، حين أظلم بينه و بين لسان الدين الجوّ و عطفه إلى مهاجته ثانى، و سفر فى أمره إلى العدو، و اجتهد فى ضرره بعد أن كان له به القدوة، و قد قابله لسان الدين بما أذهب عن جفنه الوسن، و ألّف فيه كما سبق «خلع الرسن». على أنه عزّف به فى «الإحاطة» أحسن تعريف، و شرّفه بحلاه أجمل تشریف، إذ قال ما ملخصه: على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن، الجذامى، المالقى، أبو الحسن، و يعرف بالنباهى، هذا الفاضل قريع بيت مجادة و جلاله، و بقيه تعين و أصالة، عَفّ النشأة، طاهر الثوب، مؤثر للوقار و الحشمة، خاطب للشيوخوخه، مستعجل للشيبه، ظاهر الحياء، متحرّك مع السكون، بعيد الغور، مرهف الجوانب مع الانكماش، مقتصد فى الملبس و الآله، متظاهر بالسداجه، برىء من النوك و الغفلة، يقظ للمعاريف، مهتد إلى الملاحن، طرف فى الجود، حافظ مقيّد طلعه إخبارى، قائم على تاريخ بلده، شرع فى تكميل ما صنّف فيه، ملازم للتقييد و التطريف، منقر عن الإجازات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٣٤

و الفوائد، استفدت منه فى هذا الغرض و غيره كثيرا، حسن الخطّ، ناظم ناثر، نثره يشف على نظمه، ذاكر للكثير، استظهر محفوظات منها «النوادر» للقالى، و ناهيك به محفوظا مهجورا، و مسلكا غفلا، فما ظنك بسواه، نشأ ببلده حرّ الطعمه، فاضل الأبوة، و قرأ به، ثم ولى القضاء بملتماس ثم ببلش و عملها، فسيح الخطّة، مطلق الجرايه، بعيد المدى فى باب النزاهه، ماضيا غير هيب حتى أربى فى الزمن القريب على المحتكين، و غيّر فى وجوه أهل الدربه، و جرت أحكامه مستنده إلى الفتيا، جاريه على المسائل المشهوره، ثم نقل منها إلى النظر فى أمور الحلّ و العقد بمالقه مضافة إليه الخطط النبيهه، و صدر له منشور من إملائي، إلى أن قال فى ترجمه نظمه: قال

نظمت سمح الله تعالى لى قطعتين موطنًا فيهما على البيتين المشهورين:

إحداهما: [الطويل]

بنفسى من غزلان حزوى غزاله جمال محيّاها عن النّسك زاجر
تصيد بلحظ الطرف من رام صيدها و لو أنه النّسر الذى هو طائر
معطره الأنفاس رائقه الحلّى هواها بقلبي فى المهامه سائر
«إذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحبّ: ميعاد السّلوّ المقابر»

و الأخرى: [الطويل]

و قائله لما رأت شيب لمتى لئن ملت عن سلمى فعذرك ظاهر
زمان التّصابى قد مضى لسبيله و هل لك بعد الشّيب فى الحبّ عاذر
فقلت لها: كلّا و إن تلف الفتى فما لهواها عند متلى آخر
«سببقى لها فى مضمر القلب و الحشا سريره و دّ يوم تبلى السرائر»
و كتب على مثال النعل الكريم، و أهدها لمزمع سفر: [الطويل]
فديتك لا يهدى إليك أجلّ من حديث نبىّ الله خاتم رسله
و من ذلك الباب المثل الذى أتى به الأثر المأثور فى شأن نعله
و من فضله مهما يكن عند حامل له نال ما بهواه ساعة حملة
و لا سيما إن كان ذا سفر به فقد ظفرت يمناه بالأمن كلّه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٣٥
فدونك منه أيها العلم الرّضا مثالا كريما لا نظير لمثله
و قال مراجعا عن أبيات يظهر منها غرضها: [الطويل]

إذا كنت بالقصد الصحيح لنا تهوى فسلمّ لنا فى حكمنا ودع الشكوى
و لا تتبّع أهواء نفسك و التفت لنا حيث كنّا فى الرخاء و فى اللّأوا
و كم من محبّ فى رضانا و حبّنا محّا كلّ ما يبدو سوانا له محوا
رآنا عيانا عين معنى وجوده فعاج عن الشكوى و فوّض فى البلوى
و قال تحكّم كيف شئت بما ترى رضيت بما تقضى و همت بما تهوى
فحلّ لدينا بالخلوص و بالرضا محلّ اختصاص نال منه المنى صفوا
فإن كنت ترجو فى الصبابة و الهوى لحاقا بهم فاسلك طريقهم الأضوا
و مت فى سبيل الحبّ إن كنت مخلصا لنا فى الهوى تحيا حياة أولى التقوى
هنالك تؤتى ما تريد و تقتضى ديونك مّا دون مطل و لا دعوى
و تشرب من عين اليقين و تغتدى بخمر الصفا الصرف الزلال لكى تروى
و قال: [البيسط]

لا تلجانّ لمخلوق من الناس من يافث كان أصلا أو من الياس
و ثق بربك لا تياس تجد عجبا فلا أضّر على عبد من الياس

و قال: [الطويل]

فديتك لا تصحب لثيما، ولا تكن معينا له إن اللثيم خؤون
فلا عهد يرعى، لا، ولا نعمة يرى ولا سرّ خلّ عن عداه يصون
وقال يخاطب أبا القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان: [الطويل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٣٦
لك الله قلبى فى هواك رهين وروحى عنى إن رحلت ظعين
ملكك بحكم الفضل كلّى خالصا وملكك للحزّ الصريح يزين
فهب لى من نطقى بمقدار ما به يترجم سرّ فى الفؤاد دفين
فقد شملتنا من رضاك ملابس و سحّ لدينا من نداك معين
أعنت على الدهر الغشوم و لم تزل بدنياك فى الأمر المهمّ تعين
وقصّر من لم تعلم النفس أنه خذول إذا خان الزمان يخون
وإنى بحمد الله عنه لفى غنى و حسبى صبر عن سواك يصون
أبى لى مجد عن كرام وورثته وقوفا بباب للكريم يهين
ونفس سمت فوق السماكين همّة و ما كلّ نفس بالهوان تدين
ولما رأت عيني محياك أقسمت بأنك للفعل الجميل ضمين
وعاد لها الأنس الذى كان قد مضى بريّة إذ شرخ الشباب خدين
بحيث نشأنا لابسين حلى التقى و كلّ بكلّ عند ذاك ضنين
أما وسنا تلك الليالى و طيها و وجد غرامى، و الحديث شجون
وفتيان صدق كالشموس و كالحيا حديثهم ما شئت عنه يكون
لئن نزحت تلك الديار فوجدنا عليها له بين الضلوع أنين
إذا مرّ حين زاده الشوق جدّة و ليس بعاب للربوع حنين
و أنى بمسلاها و للبين لدعة أقلّ إذاها للسليم جنون
لقد عبثت أيدى الزمان بجمعنا و حان افتراق لم نخله يحين
وبعد التقينا فى محلّ تغزّب و كلّ الذى دون الفراق يهون
فقابلت بالفضل الذى أنت أهله و ما لك فى حسن الصنيع قرين
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٣٧
وغبت و ما غابت مكارمك التى على شكرها الربّ العظيم يعين
يمينا لقد أوليتنا منك نعمة تلدّ بها عند العيان عيون
و يقصر عنها الوصف إذ هى كلّها لها وجه حرّ بالحياء مصون
ولما قدمت الآن زاد سرورنا و مقدمك الأسنى بذاك قمين
لأنك أنت الروح منّا و كلنا جسوم، فعند البعد كيف نكون
و لو كان قدر الحبّ فيك لقاؤنا إليك لكننا باللزوم ندين
ولكن قصدنا راحة المجد جهدنا فراحته شمل الجميع تصون
هنيئا هنيئا أيها العلم الرضا بما لك فى طيّ القلوب كمين

لك الحسن و الإحسان و العلم و التقى فحبك دنيا للمحب و دين
و كم لك في باب الخلافة من يد أقرت لها بالصدق منك مريم
و قامت عليها للملوك أدلة فأنت لديها ما حيتت مكين
فلا وجه إلا و هو بالبشر مشرق و لا نطق إلا عن علاك ميين
بقيت لربع الفضل تحمى ذماره صحيحا كما قد صح منك يقين
و دونك يا قطب المعالي بتيه من الفكر عن حال المحب تبين
أنتك ابن رضوان تمت بوذها و ما لسوى الإغضاء منك ركون
فخل انتقاد البحث عن هفواتها و مهدها بالسمح حيث تكون
و خذها على علاتها فحديثها حديث غريب قد عراه سكون
و هو بحاله الموصوفة؛ انتهى باختصار.

[بين لسان الدين و أبي الحسن بن الجياب]

و لما كتب لسان الدين إلى شيخه الرئيس الكاتب أبي الحسن الجياب قصيدة أولها:
[الطويل]

أ مستخرجا كنز العقيق بآماقي أناشدك الرحمن في الرّمق الباقي
فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى عليك و ضاقت عن زفيرى أطواقى
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٣٨
و هى طويلة، أجابه عنها بقوله: [الطويل]
سقانى فأهلا بالمدامة و الساقى سلافا بها قام السرور على ساق
و لا نقل إلا من بدائع حكمه و لا كأس إلا من سطور و أوراق
فقد أنشأت لى نشوة بعد نشوة تمد بروحانية ذات أذواق
فمن خطها الفانى متاع لناظرى و سمعى و حظّ الروح من خطها الباقي
أعدت شبابى بعد سبعين حجة فأثوابه قد جدّدت بعد إخلاق
و ما كنت يوما للمدامة صاحبا و لا قبلتها قطّ نشأة أخلاقى
و لا خالطت لحمى و لا مازجت دمي كفى شرّها مولاي فالفضل للواقى
و هذا على عهد الشباب فكيف لى بها بعد ماء للشيبه مهراق
تبصر فحكما القهوتين تخالفا فكم بين إثبات لعقل و إزهاق
و شتان ما بين المدامة فاعتبر فكم بين إنجاح لسعى و إخفاق
فتلك تهادى بين ظلم و ظلمة و هذى تهادى بين عدل و إشراق
أيا علم الإحسان غير منازع شهادة إجماع عليها و إصفاق
فضائلك الحسنى على تواترت بمنهم من سحب فكرك غيداق
خزائن آداب بعثت بدرّها إلى و لم تمنن بخشية إنفاق
و لا مثل بكر حزة عربيه زكية أخلاق كريمه أعراق

فأقسم ما البيض الحسان تبرجت تناجيك سراً بين وحي و إطراق
بدور بدت من أفق أطواقها على رياض شدت في قطبها ذات أطواق
فناظر منها الأحقوان ثغورها و قابل منها نرجس سحر أحداق
و ناسب منها الورد حدًا مورّدا سقاه الشباب النضر بورك من ساق!
و ألبسن من صنعاء وشيا منمنما و حلّين من درّ نفائس أعلاق
بأحلى لأفواه، و أبهى لأعين و أحبي لألباب، و أشهى لعشاق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٣٩
رأيت بها شهب السماء تنزلت إلّي تحييني تحية مشتاق
ألا إنّ هذا السحر لا سحر بابل فقد سحرت قلبي المعنى فمن راق
لقد أعجزت شكرى فضائل ماجد أبرّ بأحباب و أوفى بميثاق
تقاضى ديون الشعر منى متبها رويدك لا تعجل على يارهاق
فلو نشر الصادان من ملحديهما لإنصاف هذا الدّين لاذا ياملاق
فخذ بزمام الرّفق شيخا تقاصرت خطاه و عاهده بمعهود إشفاق
فلا زلت تحيي للمكارم رسمها و قدرك في أهل العلا و التّهي راقى
قال: و كتبت إليه في غرض العتاب قصيدة أولها: [الطويل]
أدرنا وضوء الأفق قد صدع الفضا مدامه عتب بيننا نقلها الرضا
فله عينا من رآنا و للحيا جنى بأفاق البشاشة أومضا
نفرّ إلى عدل الزمان الذى أتى و نبرأ من جور الزمان الذى مضى
و نأسو كلوم اللغظ باللفظ عاجلا كذا قدح الصهباء داوى و أمرضا
فراجعنى عنها بهذه القصيدة: [الطويل]
ألا حبذا ذاك العتاب الذى مضى و إن جرّه واش بزور تمضمضا
أغارت له خيل فما ذعرت حمى و لكنها كانت طلائع للرضا
تألّق منه بارق صاب مزنه على معهد الحبّ الصميم فروّضا
تلاّأ نورا للصدّاقه حافظا و إن ظنّ سيفا للقطيعة منتضى
فإن سوّد الشيطان منه صحيفة أتى ملك الرّحمى عليها فيّضا
و ما كان حبّ أحكم الصدق عهده ليرمى بوسواس الوشاة فيرفض
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٤٠
أعيد و دادا زاكى القصد و افايا تخلّص من أدرانه فتمخّضا
و تيّ صدق فى رضا الله أخلصت سناها بأفاق البسيطة قد أضا
من الآفك الساعى ليخفى نورها أ يخفى شعاع الشمس قد ملأ الفضا
و كيف يحلّ المبطلون يافكهم معاقد حبّ أحكمتها يد القضا
تعرض يبغى هدمها فكأنه لتشييد مبناها الوثيق تعرّضا
و حرّض فى تنفيره فكأنما على البرّ و التسكين و الحبّ حرّضا

و أوقد ناراً فهو يصلى جحيمها يقَلبُ منها القلب في موقد الغضا
 أيا واحدى المعدود بالألف وحده و يا ولدى البرّ الزكى إن ارتضى
 بعثت من الدّرّ النفيس قلاندا على ما ارتضى حكم المحبة و اقتضى
 نتيجة آداب و طبع مهذب أطال مداه فى البيان و أعرضاً
 و لا مثل بكر باكرتنى أنفا كزورة خلّ بعد ما كان أعرضاً
 هى الروضة الغناء أيع زهرها تناظر حسنا مذهباً و مفضّضاً
 أو الغادة الحسناء راقت فينقضى مدى العمر فى وصفى لها و هو ما انقضى
 تطابق منها شعرها و جبينها فذا الليل مسوداً و ذا الصبح أبيضاً
 أو الشهب منها زينة و هداية و رجم لشيطان إذا هو قيضاً
 أتت ببدیع الشعر طوراً مصرّحاً بآياتك الحسنی، و طوراً معروضاً
 و مهّدت الأعدار دون جنایه و لو أنك الجانى لكنت المغمضاً
 لك الله من برّ وفی و صاحب محضت له صدق الضمير فأمحضاً
 لسانك فى شكرى مفيض تفضلاً فى حسن ما أهدي و أسدى و أقرضاً
 و قلبك فاضت فيه أنوار خلّتى فألقى يدي تسليمه لى مفوضاً
 و قصدك مشكور و عهدك ثابت و فضلك منشور و فعلك مرتضى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧؛ ص ٢٤٠

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٤١

فهل مع هذا ريبه فى مودة بحال؟ و إن رابت فما أنا معرضاً
 فتق بولائى إننى لك مخلص هوى ثابتا يبقى فليس له انقضا
 عليك سلام الله ما هبت الصبا و ما بارق جنح الدجّة أومضاً
 و قال لسان الدين: من غريب ما خاطبنى به قوله: [الرجز]

أقسم بالقيسين و النابغتين و شاعرى طيء المولدين

و بابن حجر و زهير و ابنه و الأعشيين بعد ثم الأعميين

ثم بعشاق الثريا و الرق يات و عزه و مئ و بئين

و بأبى الشيص و دعبل و من كشاعرى خزامه المخضرمين

و ولد المعتزّ و الرضىّ و الس رىّ ثم حسن و ابن الحسين

و اختم بقسّ و بسحبان و إن أوجب حقّ أن يكونا أولين

و حلبتى نثرهم و نظمهم فى مشرقى أقطارهم و المغربين

إنّ الخطيب ابن الخطيب سابق بنشره و نظمه للحلبتين

راقتنى الصحيفة الحسناتى التى شاهدت فيها المكرمات رأى عين

تجمع من براعة المعنى إلى براعة الألفاظ كلتا الحسينين

أشهد أنك الذى سبقت فى طريقى الآداب أقصى الأمدين

شعر حوى جزاله و رقّه تصاغ منه حلّة للشعريين

رسائل أزهارها منثورة سرور قلب و متاع ناظرين
يا أحوذينا يا نسيج وحده شهادة تنزهت عن قول مين
بقيت في مواهب الله التي تقرّ عينيك و تملأ اليدين
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٤٢

[من سعيد بن محمد الغرناطي إلى لسان الدين على ظهر كتاب استعاره منه]

و حكى لسان الدين أن سعيد بن محمد الغرناطي الغساني استعار منه كتابا، فأرسله إليه، و على ظهره هذه الأبيات: [السريع]
هذا كتاب كله معجم أفحمني معناه إفحاما
أعجمه منشئه أولا و زاده الناسخ إعجاما
أسقط من إجماله جملة و زاد في التفصيل أقساما
و غير الألفاظ عن وضعها و صير الإيجاد إعداما
فليس في إصلاحه حيلة ترجى، و لو قوبل أعواما
و لم أفق على جواب لسان الدين له عنها، و الله تعالى أعلم.
و ولد سعيد المذكور سنة ٦٩٩.

[بين أبي الحسن على بن محمد بن البناء الوادي آشى و لسان الدين]

و مّا خوطب به لسان الدين لَمَّا تقلّد الكتابة العليا قول أبي الحسن على بن محمد بن علي بن البناء الوادي آشى رحمه الله تعالى:
[البسيط]

هو العلاء جرى باليمن طائرته فكان منك على الآمال ناصره
و لو جرى بك ممتدا إلى أمد لأعجز الشمس ما آبت عساكره
لقد حباه منيع العزّ خالقه بفاضل منك لا تحصي ماثره
فليزه فخرا فما خلق يعارضه و لا علاء مدى الدنيا يفاخره
لله أوصافك الحسنى لقد عجزت من كلّ ذى لسن عنها خواطره
هيهات ليس عجيبا عجز ذى لسن عن وصف بحر رمى بالدّرّ زاخره
هل أنت إلّا الخطيب بن الخطيب و من زانت حلى الدين و الدنيا مفاخره
فإن يقصّر عن الأوصاف ذو أدب فما بدا منك في التقصير عاذره
يا ابن الكرام الألى ما شبّ طفلهم إلّا و للمجد قد شدت مآزره
مهلا عليك فما العلياء قافية و لا العلاء بسجع أنت ناثره
و لا المكارم طرسا أنت راقمه و لا المناقب طبّا أنت ماهره
ما ذا على سابق يسرى إلى سنن إن كان في رفقه خلّ يسايره
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٤٣
سر حيث شئت من العلياء متّندا فما أمامك سباق تحاذره

أنت الإمام لأهل الفخر إن فخرُوا أنت الجواد الذي عزّت أوافره
 ما بعد ما حزته من عزّة و علا شأو يطارد فيه المجد كابره
 نادت بك الدولة النصرى محتدها نداء مستنجد أزرا يوازره
 حليتها برداء البر مرتديا و صبح يمنك فجر السعد سافره
 فالملك يرفل في أبراده مرحا قد عمّت الأرض إشراقا بشائره
 فاهنا بها نعمة ما إن يقوم لها من اللسان ببعض الحق شاكره
 و ليهنها أنها ألفت مقالدها إلى زكى زكت منه عناصره
 فإنه بدر تمّ في مطالعها قد طبّق الأرض بالأنوار نائره
 و قال لسان الدين: و أهدى إلى قباقب خشب جوز و كتب معها: [الخفيف]
 هاكها ضمّرا مطايا حسانا نشأت في الرياض قضا لدا
 و ثوت بين روضة و غدير مرضعات من التّمير لبانا
 لايسات من الظلال برودا دونها القضب رقة و لبانا
 ثم لما أراد إكرامها الله و سنّى لها المنى و الأمانا
 قصدت بابك العلى ابتدارا و رجت في قبولك الإحسانا
 قال: فأجبتة: [الخفيف]

قد قبلنا جياذك الدهم لما أن بلونا منها العتاق الحسانا
 أقبلت خلف كل حجر تبيع خلعت و صفها عليه عيانا
 فعنينا برعيها و فسحنا في ربوع العلا لها ميدانا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٤٤
 و أردنا امتطاءها فاتخذنا من شراك الأديم فيها عنانا
 قدمت قبلها كتيبة سحر من كتاب سبت به الأذنانا
 مثل ما تجنب الجيوش المذاكى عدّة للقاء مهما كانا
 لم يرق مقتلى و لا راق قلبى كعلاها براعه و بيانا
 من يكن مهديا فمثلك يهدى لم أجد للتنا عليك لسانا
 و قال لسان الدين: و من أبداع ما هزّ به إلى إقامة سوقه، و رعى حقوقه، قوله: [البسيط]
 يا معدن الفضل موروثا و مكتسبا و كلّ مجد إلى عليائه انتسبا
 بباب مجدكم الأسمى أخو أدب مستصرخ بكم يستنجد الأدبا
 ذلّ الزمان له طورا فبلّغه من بعض آماله فوق الذى طلبا
 و الآن أركبه من كلّ نائبة صعب الأعتة لا يألو به نصبا
 فحملته دواعى حبكم و كفى بذاك شافع صدق يبلغ الأربا
 فهل سرى نسمة من جاهكم فيها خليفة الله فينا يمطر الذهبا

وقال لسان الدين في «الإكليل» في حق المذكور ما صورته: فاضل يروكك وقاره، و صقر بعد مطاره. قدم من بلده يروم اللحاق بكتّاب الإنشاء و توسل بنظم أنيق، و نسيب في نسب الإجابة عريق، تعرب براعته عن لسان ذليق، و طبع طليق، و ذكاء بالأثرة خليق، و بينما هو يلحم في ذلك الغرض و يسدى، و يعيد و يبدي، و قد كادت وسائله أن تنجح، و ليل رجائه أن يصبح، اغتاله الحمام، و خانته الأيام، و البقاء لله تعالى و الدوام. توفى بالطاعون في عام واحد و خمسين و سبعمائة و سنّه دون الثلاثين، رحمه الله تعالى! انتهى.

[من لسان الدين إلى سلطان تونس]

و لما خوطب لسان الدين من سلطان تونس بما لم يحضرني الآن أجاب عنه بما نصّه:

«المقام الإمامي الإبراهيمي المولوي المستنصري الحفصي، الذي كرم فرعا و أصلا، و شرف جنسا و فصلا، و تملّى في رعايته المجد، من لدن المهدي، كرما و خصلا، و صرفت متجذّدة الأقاليم، إلى مثابة خلافته المنصورة الأعلام، و جوه عبارة الكلام، فاتخذ من مقام إبراهيم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٤٥

مصلّى، مقام مولانا أمير المؤمنين الخليفة الإمام أبي إسحاق بن مولانا أبي يحيى أبي بكر بن الخلفاء الراشدين، أبقاه الله تعالى تهوى إليه الأفتدة كلما انتشت بذكره! و تتنافس الألسنة في إحراز غاية حمده و شكره! و تتكفل الأقدار بإنفاذ نهييه وأمره! و تغرى عوامل عوامله بحذف زيد عدوّه و عمره! و يتبرّع أسمر الليل و أبيض النهار بإعمال بيضه و سمره! و لا زال حسامه الماضي يغني يومه في النصر عن شهره، و الروض يحييه بمباسم زهره، و يرفع إليه رقع الحمد بينان قضبه الناشئة من معصم نهره، و ولي الدنيا و الآخرة يمتعنا بهما بعد الإعانة على مهرة، يقبل بساطه المعوّد الاستلام بصفحات الخدود، الرافع عماده ظلّ العدل الممدود، عبد مقامه المحمود، و ارد غمر إنعامه غير المنزور و لا المثمود، المثني على نعمه العميمة، و منحه الجسيمة، ثناء الروض الموجود، على العهود، ابن الخطيب، من باب المولى الموجب حقّه، المتأكد الفروض، الثابت العهود، المعتدّ منه بالوّد الجامع الرسوم و الحدود، و الفضل المتوارث عن الآباء و الجدود، يسلم على مثابتها سلام متلو على مثلها إن وجد المثل في الثاني.

و يعوّد كمالها بالسبع المثاني، و يدعو الله تعالى لسلطانها بتشديد المباني، و تيسير الأماني، و ينهى إلى علوم تلك الخلافة الفاروقية المقدّسة بما يناسب التوحيد، المستولية من مدارك الآمال على الأمد البعيد، أنّ مخاطبتها المولوية تاهت على الملوك فارعة العلا، مزعفرة الحلل و الحلّي، ذهبية المجلي، تفيد العزّ المكين، و الدنيا و الدّين، و ترعى في الآباء و البنين، على مرّ السنين صفراء فاقع لونها تسيّر الناظرين [سورة البقرة، الآية: ٦٩]، قد حملت من مدحها الكريم ما أخفى للملوك من قرّة عين، و درّة زين، جبين الشرف الوضاح، و مستوجب الحقّ على مثله من الخلق بالنسب الصّيراح، و الغرر و الأوضاح، و الأبرج الفوّاح، فاقتنى درّه النفيس، و وجد المروع في جانب الخلافة التنفيس، و قرأه لما قرأه التعظيم و التقديس، و قال يا أيّها المملأ إني ألقى إليك كتاب كريم [سورة النمل، الآية: ٢٩] و إن لم يكن بلفيس، أعلى الله تعالى تلك اليد مطوّقة الأيادي، و مخجلة الغمام و الغوادي، و أبقاها عامرة النوادي، غالبه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٤٦

الأعادي، و جعل سيفها السّفاح و رأيها الرشيد و علمها الهادي، و وصل ما أطف به رعيها من أشتات برّ بلغت، و موارد فضل سوّغت، أمّدتها سعادة المولى بمدد لم يضر معه البحر الهائل، و لا العدو الغائل، و أقام أودها عند الشدائد الفلك المائل، لا بل الملك الذي له إلى الله الوسائل، و حسب الجفن رسالتكم الكريمة لحظا فسان و أكرم، و عوذة فتعوّذ بها و تحرّم، و تولى المملوك تنفيق عروضها بانسراح صدره، و على قدره، فوقعت الموقع الذي لم يقعه سواها، فأما الخيل فأكرم مثواها، و جعلت جنان الصون مأواها، و لو كسيت الربيع المزهر حللا، و أوردت في نهر المجرة علّا و نهلا، و قلّدت النجوم العواتم صحلا، و مسحت أعطافها بمنديل النسيم، و ألحفت بأردية الصباح الوسيم، و افترشت لمرباطها الحشايبا، و أقضمت حبات القلوب بالعشايبا، لكان بعض ما يجب، لحقّها الذي لا يجحد و لا

يحتجب، و ما عداها من الرقيق و القيان، رعاة ذلك الفريق تكفله الاستحسان، و أظن الاعتقاد و إن قصر اللسان، توّلى الله تعالى تلك الخلافة بالشكر الذى يحسب العطاء، و الحفظ الذى يسيل الغطاء، و الصنع الذى ييسر من مطا الأمطل الامتطاء، و أمّا ما يختصّ بالملوك فقد خصّه بقبوله تبرّكا بتلك المقاصد التى سدّدها الدّين، و عدّدها الفضل المبين، و أنشد الخلافة التى راق من مجدها الجبين:

[الكامل]

قلّدتى بفرائد أخرجتها من بحر جودك و هو ملتطم الثّيج

و رعيت نسبتها فإنّ سبيكهُ ممّا يلائم لونها قطع السّج

و المملوك بهذا الباب النصرى أعزّه الله تعالى على قدم خدمته، و قائم يشكر منه لكم و نعمه، و حاضر فى جملة الأولياء بدعائه و حبه، و متوسّل فى دوام بقاء أيامكم و نصر أعلامكم إلى ربّه، و إن بعد بجسمه فلم يبعد بقلبه، و السلام الكريم، الطيب البرّ العميم، يخصّها دائما متصلا، و رحمة الله تعالى و بركاته؛ انتهى.

[من أبي الحسن على بن يحيى الفزاري الملقب المعروف بابن البرزى، إلى لسان الدين]

و ممّا خطب به لسان الدين قول أبي الحسن على بن يحيى الفزاري الملقب المعروف بابن البرزى، و كان ممن يمدح الملوك و الكبراء: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٤٧

لبابك أمّ الآملون و يّمّموا و فى ساحتى رحماك حطّوا و خيّموا

و من راحتى كفيك جدواك تنهمى فتروى عطاش من نداك و تنعم

و أنت لما راموه كعبه حجّهم إذا شاهدوا مرآك لبوا و أحرّموا

يطوفون سبعا حول بابك عندما يلوح لهم ذاك المقام المعظم

فيمنّاك يمن للرعايا و منّهُ و يسراك يسر للعفّاء و مغنم

و لقياك بشر للنفوس و جنّهُ ترنّ بها ورق المنى و ترنّم

فيا واحد الأزمان علما و منصبا و يا من به الدنيا تروق و تبسم

و من وجهه كالبدر يشرق نوره و من جوده كالغيث بل هو أكرم

و من ذكره كالمسك فضّ ختامه و كالشمس نورا بشره المتوسّم

لقد حزت فضل السبق غير منازع فأنت على أهل السباق مقدّم

حويت من العلياء كلّ كريمه بها الروض يندى و الرّبا تتبسّم

و باهيت أقلام الفئام براعة فلا قلم إلّا يراعىك يخدم

إذا فاخر الأمجاد يوما فإنما لمجدك فى حال الفخار يسلم

و إن سكتوا كنت البليغ لديهم تعبّر عن سرّ العلا و تترجم

و منها:

فيا صاحبي نجواى عوجا برامة على ربه حيث التدى و التكرم

و قولاً له عبد ببابك يرتجى قضاء لبانات لديك تتمم

فليس له إلّا علاك وسيلة و لا شيء أسمى من علاك و أعظم

فجد بالذى يرجوه منك فما له كعقد ثمين من ثنائك ينظم
 بقيت و نجم السعد عندك طالع يضىء له بدر و تشرق أنجم
 توفى المذكور بالطاعون عام خمسين و سبعمائة، انتهى.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٤٨

[من أبي القاسم قاسم بن محمد الحرالى الملقى إلى لسان الدين و ترجمته]

و مما خوطب به قول أبي القاسم قاسم بن محمد الحرالى الملقى القاضى قبل وفاته:
 [الطويل]

عليك قصرت المدح يا خير ماجد و أفضل موصوف بكل المحامد
 و يا كهف ملهوف و ملجأ خائف و مورد جود قد كفى كل وارد
 لقد شهرت بالمجد منك شمائل محاسنها أزكى و أعدل شاهد
 و كل الذى يبدو من الفضل بعض ما حبيت به، أعظم بها من مشاهد
 إذا أملت منك المكارم ألفت تنادى هلموا فتم بالمساعد
 عطاؤكم جزل فمن أمل الغنى فمثلكم يبغى فيا سعد قاصد
 وراثته مجد كابر بعد كابر و أصل زكى الفرع عذب الموارد
 و توفى المذكور بالطاعون عام خمسين و سبعمائة. و فى حقه يقول فى «الإكليل»: مشمر فى الطلب عن ساق، مشابر على اللحاق،
 بدرجات الحداق، منتحل للعربية، جاد فى إحصاء خلافتها، و معاطاة سلافها، و ربما شرست فى المذاكرة أخلاقه، إذا بهرجت أعلاقه، و
 نوزع تمسكه بالحجّة و اعتلاقه.
 و قال لسان الدين فى ترجمته شعر المذكور: إنه ضعيف مهزول، انتهى.

[من أبي الحجاج يوسف بن موسى الجذامى الرندى، إلى لسان الدين]

و مما خوطب به قول أبي الحجاج يوسف بن موسى الجذامى المنتشاقرى من أهل رنده، و نصه: [الطويل]
 حباك فؤادى نيل بشرى و أحياكا وحيد بآداب نفائس حياكا
 بدائع أبداها بديع زمانه فطاب بها يا عاطر الروض رياكا
 أمهديتها أودعت قلبى علاقة و إن لم يزل مغرى قديما بعلياكا
 إذا ما أشار العصر نحو فريده فإياك يعنى بالإشارة إياكا
 لأتحفى لقياك أسنى مؤملى و هل تحفه فى الدهر إلا بلقياكا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٤٩
 و أعقبت إتحافى فرائدك التى وجوب ثناها يا لسانى أعيكا

و وصل هذا النظم بنثر صورته: «خصصتنى أيها المخصوص بماثر أعياء عدها و حصرها، و مكارم طيب أرواح الأزاهر عطرها، و سارت
 الركبان بثنائها، و شملت الخواطر محبة علائها، بفرائدك الأنيقة، و فوائدك المزريه جمالا على أزهار الحديقه، و معارفك التى زكت
 حقًا و حقيقه، و هدت الضال عن سبيل الأدب مهيعه و طريقه، و سبق تحفتك أعلى التحف عندى و هو مأمول لقائك، و التمتع

بالتماح سناك الباهر و سنائك، على حين امتدّت لذلك اللقاء أشواقى، و عظم من فوت استنارتى بنور محياك إشفاقى، و تردّد لهجى بما يبلغنى من معاليك و معانيك، و ما شاده فكرك الوقاد من مبانيك، و ما أهلت به بلاغتك من دارسه، و ما أضفيت على الزمان من رائق ملبسه، و ما جمعت من أشاتته، و أحييت من أمواته، و أيقظت من سناته، و ما جاد به الزمان من حسناته. فلترداد هذه المحاسن من أنبائك، و تصرّف الألسنة بشنائك، عقلت النفس من هواها بأشدّ علاقه، و جنحت إلى لقائك جنوح والهة مشتاقه، و الحوادث الجارية تصرفها، و العوائق الحادثة كلّما عطفت أملهيا إليه لا تحفها به و لا تعطفها، إلى أن ساعد الوقت، و أسعد البخت، بلقائكم فى هذه السفره الجهاديه، و جاد إسعاف الإسعاد من أمنيى بأسنى هديّه، فلقيتكم لقيا خجل، و لمحت أنواركم لمحّه على وجل، و محبتى فى محاسنكم الرائقه، و معاليكم الفائقه، على ما يعلمه ربنا عزّ و جلّ، و تذكرت عند لقائكم المأمول، إنشاء قائل يقول: [البسيط]

كانت مساءلة الركبان تخبر عن محمد بن الخطيب أطيّب الخبر
حتى التقينا فلا و الله ما سمعت أذنى بأحسن ممّا قد رأى بصرى

«قسم لعمري أقوله و أعتقده، و أعتدّه و أعتمده، فلقد بهرت منك المحاسن، وفقت من يحاسن، و قصير عن شأوك كلّ بليغ لسن، و سبقت فطنتك النارية الثورية بلاغه كلّ فطن، و شهد لك الزمان أنك وحيد، و رئيس عصبة الأديبه و فريده، فبورك لك فيما أنلت من الفضائل، و أوتيت من آيات المعارف التى بها نور الغزاة ضائل، و لا زلت ترقى فى مراتب المعالى، موقى صروف الأيام و الليالى»؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٥٠

[من لسان الدين إلى أبى الحجاج الجدامى]

و هذا الخطاب جواب من المذكور لكلام خاطبه به لسان الدين نصّه: [الطويل]

حمدت على فرط المشقة رحله أتاحت لعينى اجتلاء محياكا

و قد كنت بالتذكار فى البعد قانعا و بالريح أن هبت بعاطر رياكا

فحلّت لى النعمى بما أنعمت به علىّ فحياها الإله و حياكا

«أياها الصدر الذى بمخاطبته يباهى و يتشرف، و العلم الذى بالإضافه إليه يتعرّف، و الروض الذى لم يزل على البعد بأزهاره الغصه يتحف. دمت تتراحم على موارد ثنائك الألسن، و يروى الرواه من أنبائك ما يصحّ و يحسن، طالما مالت إليك النفوس منّا و جنحت، و زجرت الطائر الميمون من رقاعك كلّما سنحت. فالآن أتضح البيان، و صدق الأثر العيان، و لقد كنّا للمقام بهذه الرّحال نرتمض، و يجنّ الظلام فلا نغتمض، هذا يقلقه إصفار كيسه، و هذا يتوجّع لبعده أنيسه، و هذا تروّعه الأهوال، و تضجره بتقلباتها الأحوال. فمن أنّه لا- تنفع، و شكوى إلى الله تعالى ترفع. فلمّا ورد بقدمك البشير، و أشار إلى تبيّه طلوعك المشير، تشوفت النفوس الصديّه إلى جلائها و صقالها، و العقول إلى حلّ عقالها، و الأنفس المفحمة إلى فصل مقالها، ثم إنّ الدهر راجع التفاته، و استدرك ما فاتته، فلم يسمح من لقائك إلّا بلمحه، و لا بعث من نسيم روضك بغير نفحه، فما زاد أن هيج الأشواق فالتهب، و شنّ غاراتها على الجوانح فانتهدت، و أعلّ القلوب و أمرضها، و رمى ثغره الصبر فأصاب غرضها، فإن رأيت أن تنفس عن نفس شدّ الشوق مخنقها، و كدر مشارب أنسها و أذهب رونقها، و تحف من آدابك بدرر تقنتى، و روضه طيبه الجنى، فليس بدع من شيمك، و لا شاذة فى باب كرمك. و لو لا شاغل لا يبرح، و عوائق أكثرها لا يشرح، لنافست هذه السّجاءة فى القدوم عليك، و المثول بين يديك، فتشوقى إلى اجتلاء أنوارك شديد، و تشيى إلى إبلاء الزمان جديد»؛ انتهى.

[ترجمة أبي الحجاج الجذامي]

و وصف لسان الدين في «التاج المحلى» أبا الحجاج المذكور بما صورته: حسنة الدهر الكثير العيوب، و توبه الزمان الجَم الذنوب، ما شئت من أدب يتألق، و فضل تتعطر به النسومات و تتخلق، و نفس كريمة الشمائل و الضرائب، و قريحه يقذف بحرهما بدرر الغرائب، إلى خشية

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٥١

لله تعالى تحول بين القلوب و قرارها، و تننى النفوس عن اغترارها، و لسان ييوح بأشواقه، و جفن يسخو بدرر آماقه، و حرص على لقاء كل ذى علم و أدب، و من يمت إلى أهل الديانة و العبادة بسبب، سبق بقطره الحلبه، و فرع من الأدب الهضبه، و رفع الراية، و بلغ فى الإحسان الغاية، فطارت قصائده كل المطار، و تغنى بها راكب الفلك و حادى القطار، و تقلد خطه القضاء ببلده، و انتهت إليه رياسه الأحكام بين أهله و ولده، فوضحت المذاهب بفضل مذهبه، و حسن مقصده. و له شيمه فى الوفاء تعلم منها الأس، و مؤانسه عذبه لا تستطيعها الأكوّس، و قد أثبت من كلامه ما تتحلى به مراتب المهارق، و يجعل طيبه فوق المفارق.

و كنت أتشوق إلى لقائه، فلقيته بالمحلّه من جبل الفتح لقياً لم تبلّ صدا، و لا شفت كمداء، و تعذر بعد ذلك لقاءه، فخاطبته بهذه الرقعه:

حمدت على فرط المشقة رحله فذكر لسان الدين ما قدّمنا إلى آخره.

و قد أورد جملة من مطولاته و غيرها و مؤلفاته، و لنلخص بعض ذلك فنقول:

و من شعر أبى الحجاج المذكور يمدح الجهة الكريمة النبوية، مصدرًا بالنسب لبسط الخواطر النفسانية، قوله: [الكامل]

لما تناهى الصّب فى تشويقه درر الدموع اعتاضها بعقيقه

متلهّف و فؤاده متلهّب كيف البقا بعد احتدام حريقه

متموج بحر الدموع بخده أتى خلاص يرتجى لغريقه

متجرع صاب النوى من هاجر ما إن يحنّ للاعجات مشوقه

يسبى الخواطر حسنه بديعه يصبى النفوس جماله بأنيقه

قيد النواظر إذ يلوح لرامق لا تنشى الأحداق عن تحديقته

للبدر لمحتة كبشر ضيائه للمسك نفتحته كنشر فتيقه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٥٢

سكرت خواطر لامحيه كأنهم شربوا من الصهباء كأس رحيقه

عطشوا لثغر لا سبيل لريقه إلا كلمحهم للمع بريقه

ما ضرّ مولى عاشقوه عبيده لو رقّ إشفاقاً لحال رقيقه

عنه اصطبارى ما أنا بمطيعه مثل السلو و لا أنا بمطيعه

سجع الحمام يشوق ترجيع الهوى فأثار شجو مشوقه بمشوقه

و بكت هديلاً راعها تفريقه و يحقّ أن يبكى أخو تفريقه

و بكاء أمثالى أحقّ لأننى لم أقض للمولى أكيد حقوقه

و غفلت فى زمن الشباب المنفضى أقبح بنسخ بروره بعقوقه

و بدا المشيب و فيه زجر ذوى النهى لو كنت مزدجراً لشم بروقه

حسبى ندامة آسف مما جنى يصل الشيخ لوزره بشهيقه
و يروم ما خرم الهوى زمن الصبا و يروم من مولاه رتق فتوقه
و يردد الشكوى لديه تذلا عل الرضا يحييه درك لحوقه
فيصح من سكر التصابي سكره نسخا لحكم صبوحه و غبوقه
لو كنت يمت التقي و صحبته و سلكت إثارا سواء طريقه
لأفدت منه فوائد و فرائدا عرضت تسام لرائج فى سوقه
لله أرباب القلوب فإنهم من حزب من نال الرضا و فريقه
قاموا و قد نام الأنام فنورهم هتك الدجى بضياته و شروقه
و تأنسوا بحبيبيهم فلهم به بشر لصدق الفضل فى تحقيقه
قصرت عنهم عندما سبقوا المدى و لسابق فضل على مسبوقه
لو لا رجاء تلمح من نورهم يحيى الفؤاد بسيره و طروقه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٥٣
و تأرج يستاف من أرواحهم سبب انتعاش الروح طيب خلقه
لعنيت من جزا جرائرى التى من خوفها قلبى حليف خفوقه
و معى رجاء توصل أعدده ذخرا لصدمات الزمان و ضيقه
حبنى و مدحى أحمد الهادى الذى فوز الأنام يصح فى تصديقه
أسمى الورى فى منصب و بمنسب من هاشم زاكى النجار عريقه
الحق أظهره عقيب خفائه و الدين نظمه لدى تفريقه
و نفى هداه ضلاله من جائر مستوثق بيغوته و يعوقه
سبحان مرسله إلينا رحمه يهدى و يهدى الفضل من توفيقه
و المعجزات بدت بصدق رسوله و حقيقه بالمأثرات خليقه
كالطبي فى تكليمه و الجذع فى تحنينه و البدر فى تشقيقه
و النار إذ خمدت بنور ولادة و أجاج ماء قد حلا من ريقه
و الزاد قل فزاد من بر كاته فكفى الجيوش بتمره و سويقه
و نبوع ماء الكف من آياته و سلام أحجار بدت بطريقه
و النخل لما أن دعاه مشى له ذا سرعه بعدوقه و عروقه
و الأرض عاينها و قد زويت له فقريب ما فيها رأى كسحيقه
و كذا ذراع الشاة قد نطقت له نطق اللسان فصيححه و ذليقه
و رمى عداه بكف حصبا فانشت هربا كمدعور الجنان فروقه
و عليه آيات الكتاب تنزلت تتلى بعلو جنابه و بسوقه
و أذيق من كأس المحبة صرفها سبحان ساقيه بها و مذيقه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٥٤
حاز السناء و ناله بعروجه جاز السماء طباقها بخروقه

و لكم له من آية من ربه و عناية و رعاية بحقوقه
يا خيرة الأرسال عند إلهه يا محرز العليا على مخلوقه
علقت آمالي بجاهك عدو و القصد ليس يخيب في تعليقه
و علقت من جبل اعتمادى عمدة لتمسكى بقويته و وثيقه
و لئن غدوت أخيد ذنبي إننى أرجو بقصدك أن أرى كطليقه
و كساد سوقى مذ لجأت لبابكم يقضى حصول نفوذه و نفوقه
و يحنّ قلبى و هو فى تغريبه لمزاره لرباك فى تشريقه
و تزيد لوعته متى حثّ السرى حاد حدا بجماله و بنوقه
و أرى قشيب العمر أمسى باليا و مرور دهرى جدّ فى تمزيقه
و أخاف أن أفضى و لم أفض المنى بنفوذ سهم ميتتى و مروقه
فمتى أحطّ على اللوى رحلى و قد بلغت ركابى للحمى و عقيقه
و أمرغ الخدين فى ترب غدا كالمسك فى أرج شذا منشوقه
و أعيد إنشائى و إنشادى الثنا بديع نظم قريحتى و رقيقه
حتى أميل العاشقين تطرّبا كالغصن مرّ صبا على ممشوقه
و تحية التسليم أبلغ شافع و ثنا المديح حديثه و عتيقه
و لذى الفخار و ذى الحلّى و وزيره صدّيقه و أخى الهدى فاروقه
منى السلام عليهم كالزهر فى تأليفها و الزهر فى تأنيقه
و قال: [الطويل]

هواكم بقلبي ما لأحكامه نسخ و من أجله جفنى بدمعه يسخو
و من نشأتى ما إن صحت منه نشوتى سواء به عصر المشيب أو الشرخ
عليه حياتى مذ تمادت و ميتتى و بعثى إذا بالصّور يتفق النفخ
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٥٥
ولى خلد أضحى يبيض غرامه و لا شرك يدنى إليه و لا فحّ
قتلت سلوى حين أحيت لوعتى و ما اجتيج بالإقرار فى حالتى لطح
و أغدو إلى سعدى بكرخ علاقتى و قصدى قصدى ليس سعدى و لا الكرخ
و ناصح كتمى إذ زكت بيناته يجول عليه من دموع الأسى نضخ
و أرجو بتحقيقى هواكم بأن أفى فعهد و لا نقض و عقد و لا فسخ
و ما الحبّ إلّا ما استقلّ ثبوته لمبناه رصّ فى الجوانح أو رسخ
إذا مسلك لم يستقم بطريقه سلكت اعتدالا مثل ما يسلك الرخ
بدا للضميرى من سناكم تلمح فيخّ لعقل لم يطر عندها بخّ
على عود ذاك اللّمح ما زلت نادبا كما تندب الورقاء فارقها الفرخ
يدى بأياديكم و قلبى شاغل فمن فكرتى نسج و من أنملى نسخ
و قال: [الطويل]

إليك تحنّ النّجب و النّجباء فهم وهى فى أشواقهم شركاء
تخبّ برّكاب تحبّ وصولها لأرض بها باد سنا و سناء
فأنفاسها ما إن تنى صعداؤها و أنفسهم من فوقها سعداء
هم عالجوا إذ عجلّ السير داءهم و أشباه مثلى مدنّفون بطاء
فعدت و دونى للحبيب ترخّلوا و ما قاعد و الراحلون سواء
له و عليه حبّ قلبى و أدمعى و قد صحّ لى حبّ و سحّ بكاء
بطيبة هل أرضى و تبدو سماؤها؟ و أن تك أرضا فالحبيب سماء
شذا نفحها و اللّمع منها كأنه ذكاء عبير و الضياء ذكاء
فيا حاديا غنى و للركب حاديا عنائى بعد البعد عنك عناء
بسّلع فسل عمّا أقالسى من الهوى و سل بقاء إذ يلوح بقاء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٥٦
و فى علاج منى بقلبي لاعج فهل لى علاج عنده و شفاء
و فى الرقمتين أرقم الشوق لاذع و درياقه أن لو يباح لقاء
أماكن تمكين و أرض بها الرضا و أرجاء فيها للمشوق رجاء
و قال: [الكامل]

أدب الفتى فى أن يرى متيقظاً لأوامر من ربّه و نواه
فإذا تمسّك بالهوى يهوى به و الحبل منه لمن تيقن واه
و قال: [المنسرح]

يا من بدنياه ظلّ فى لجج حقق بأنّ النّجاء فى الشاطى
تطمع فى إرثك الفلاح و قد أضعت ما قبله من اشراط
كن حذرا فى الذى طمعت به من حجب نقص و حجب إسقاط
و قال: [الطويل]

ترى شعروا أنى غبطت نسيمة ذكت بتلاقي الروض غبّ الغمام
كما قابلت زهر الرياض و قبّلت ثغور أقاحيه بلا لوم لائم
و قال: [الكامل]

ورد المشيب مبيضا بوروده ما كان من شعر الشيبه حالكا
يا ليته لو كان يبيض بالتقى ما سودته ما ثم من حالكا
إنّ المشيب غدا رداء للردى فإذا علاك أجدّ فى ترحالكا
و قال: [الخفيف]

لوعه الحبّ فى فؤادى تعاصت أن تداوى و لو أتى ألف راق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٥٧
كيف يبرا من علّة و عليها زائد علّة النوى و الفراق
فانسكاب الدموع جار فجار و التهاب الضلوع راق فراق

و من غرائب الاتفاق أنه قال: كنت جالسا بين يدي الخطيب أبي القاسم التاكروني صبيحة يوم بمسجد مالقة، فقال لنا في أثناء حديثه: رأيت البارحة في عالم النوم كأنّ أبا عبد الله الجلياني يأتيني بيتي شعر في يده، و هما: [الخفيف]

كلّ علم يكون للمرء شغلا بسوى الحق قادح في رشاده
فإذا كان فيه لله حظّ فهو ممّا يعدّه لمعاده

قال: فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الأديب أبو عبد الله الحلياني، و البيتان معه، فعرضهما على الشيخ، فأخبره أنه صنعهما البارحة، فقال له كلّ من في المجلس: أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك، فكان هذا من العجائب.

و لأبي الحجاج المذكور تأليف، منها كتاب «ملاذ المستعين، في بعض خصائص سيد المرسلين» أربعون حديثا، و كتاب «تخصيص القرب، و تحصيل الأرب» و «قبول الرأي الرشيد، في تخميس الوترية النبوية لابن رشيد» و «انتشاق النسمة النجدية، و اتساق النزعات الجدية» و «غرر الأمانى المسفرت، في نظم المكفّرات» و «النفحات الزندية، و اللمحات الزندية» مجموع شعره، و «حقائق بركات المنام، في مرأى المصطفى خير الأنام» و «الاستشفاء بالعمدة، و الاستشفاع بالعمدة، في تخميس البردة» و «توجع الراثي، في تنوع المراثي» و «اعتلاق السائل، بأفضل الوسائل» و «لمح البهيج، و نوح الأريج» في ترجيز كلام الشيخ أبي مدين من عبارات حكمية و إشارات صوفية، و كتاب «تجريد رؤوس مسائل البيان و التحصيل، لتيسير البلوغ لمطالعتها و التوصيل» و فهرسة روايته، و رجز ذكر مشايخ أبي عمر الطنجي، و كتاب «أرج الأرجاء، في مزج الخوف و الرجاء» أربعون حديثا في الرجاء و الخوف.

و كان رحمه الله تعالى حيا حين أُلّف لسان الدين «الإحاطة» رحم الله تعالى الجميع!

و رأيت على ظهر أوّل ورقة من «الريحانة» بخط الإمام الكبير الشهير الشيخ إبراهيم الباعوني الدمشقي رحمه الله تعالى ما نصّه: قال كاتبه إبراهيم بن أحمد الباعوني - غفر الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٥٨

ذنبه، و ستر عيوبه، و بلغه من فضله مطلوبه!- صاحب كتاب الريحانة، آية من آيات الله سبحانه، لوجه أدبه طلاقه، و لسانه ذلاقه، و للقلوب به علاقة، و في خطّه غلاقة، يعرفها من عرف اصطلاحه بمطالعه، و يفتح له باب فهمها بتكرير مراجعته، فليتأمل الناظر إليه، و المقبل عليه، ما فيه من الجواهر، و النجوم الزواهر، بل الآيات البواهر، و ليسبح الله تعالى تعجبا من قدرته جلّ و علا، و مواهبه التي عذب ماؤها التّمر و حلا، و ليقبل عند تأمل درّه التنظيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم [سورة الحديد، الآية: ٢١] انتهى.

و قوله رحمه الله تعالى «و في خطّه غلاقة» ليس المراد به إلّا صعوبة الخطّ المغربي على أهل المشرق حسبما يعلم ممّا بعده، و إلّا فإنّ خطّ لسان الدين رحمه الله تعالى محمود عند المغاربة، و لنقتصر من هذا الغرض على ما ذكر، فإنّ تتبعه يطول؛ إذ هو بحر لا ساحل له.

[ثناء ابن عاصم على لسان الدين]

و كان لسان الدين رحمه الله تعالى مؤثرا لقضاء حاجة من أمّله، و قصد بابه و أمّ له، سواء كان من أودائه، أو من أعدائه، و قد ذكر الوزير الرئيس الكاتب أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى عنه في ذلك حكاية في أثناء كلام رأيت أن أذكر جملته لما اشتمل عليه من الفائدة، و هو أنه ذكر في ترجمه شمس العصر من ملوك بني نصر من كتابه المسمّى ب «الروض الأريض» في اسم السلطان الذي كان ابن الخطيب وزيره، و هو الغنى بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر الخزرجي، بعد كلام ما صورته: كان قد جرى عليه التّمحيص الذي أزعجه عن وطنه إلى الدار البيضاء بالمغرب من إيالة بني مرين، فأفادته الحنكة و التجربة هذه السيرة التي وقف شيوخنا على حقيقتها، و انتهجوا واضح طريقتها، و بلغتنا منقولاً بالسنّة صدقهم، معبرا عنها في عرف التخاطب بالعادة، فلم يكن

الوزير الكيس و الرئيس الجهذ يجريان من الاستقامة على قانون، و لا يطردان من الصواب على أسلوب، إلّا بالمحافظة على ما رسم من القواعد، و المطابقة لما ثبت من العوائد، و كان ذوو النبل من هذه الطبقة و أولو الحدق من أرباب هذه المهن السياسية يتعجبون من صحه اختياره لما رسم، و جودة تميزه لما قصد، و يرون المفسدة فى الخروج عنها ضربة لازب، و أنّ الاستمرار على مراسمها أكد واجب، فيتحرّونها بالالتزام كما تتحرّى السنن، و يتوخّونها بالإقامة كما تتوخّى الفرائض، و سواء تبادر لهم معناها ففهموه، أو خفى عليهم وجه رسمها فجهلوه، حدثنى شيخنا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٥٩

القاضى أبو العباس أحمد بن أبى القاسم الحسنى أن الرئيس أبا عبد الله بن زمرك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب يستأذنه فى جملة مسائل مميّا يتوقّف عادة على إذن الوزير، و كان معظمها فيما يرجع إلى مصلحة الرئيس أبى عبد الله بن زمرك، قال الشريف: فأضاها كلها له، ما عدا واحدة منها تضمّنت نقض عادة مستمرّة، فقال له ذو الوزارتين بن الخطيب: لا، و الله يا رئيس أبا عبد الله لا آذن فى هذا، لأنّ ما استقمنا فى هذه الدار إلّا بحفظ العوائد.

ثم قال صاحب الروض: فلما تأذّن الله تعالى للدولة بالاضطراب، و استحکم الوهن بتمكّن الأسباب، عدل عن تلك القواعد الراسخة، و استخفّ بتلك القوانين الثابتة، فنشأ من المفاصد ما أعوز رفعه، و تعدّد و تره و شفعه، و استحکم ضرره حتى لم يمكن دفعه، و تعذر فيه الدواء الذى يجرى نفعه، و كان قد صحبه من الجد ما سنّى آماله، و أنجح بإذن الله تعالى أقواله و أفعاله، فكان يجرى الأمر على رسم من السياسة واضح، و نظر من الآراء السديده راجح، ثم يحفّه من الجد سياج لا يفارقه إلى تمام الغاية المطلوبة من حصوله، و تمكن مقتضى الإرادة السلطانية من فروع و أصوله؛ انتهى كلام ابن عاصم.

[ترجمة الوزير أبى يحيى محمد بن محمد بن عاصم]

و إذ جرى ذكره فلا بأس أن نلمع بشيء من أحواله؛ لأنّ أهل الأندلس كانوا يسمّونه ابن الخطيب الثانى، فنقول: هو الإمام العلامة الوزير الرئيس الكاتب الجليل البليغ الخطيب الجامع الكامل الشاعر المفلق الناثر الحجّة، خاتمة رؤساء الأندلس بالاستحقاق، و مالك خدم البراعة بالاسترقاق، أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم، القيسى، الأندلسى، الغرناطى، قاضى الجماعة بها، كان - رحمه الله تعالى! - من أكابر فقهاؤها و علمائها و رؤسائها، أخذ عن الإمام المحقّق أبى الحسن بن سمعت، و الإمام القاضى أبى القاسم بن سراج، و الشيخ الراوية أبى عبد الله المنثورى، و الإمام أبى عبد الله البيانى، و غيرهم، و من تأليفه شرح تحفة والده، و ذكر فيه أنه ولى القضاء سنه ثمان و ثلاثين و ثمانمائة، و منها كتاب «جنه الرضا، فى التسليم لما قدر الله تعالى و قضى» و كتاب «الروض الأريض، فى تراجم ذوى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٦٠

السيوف و الأفلام و القريض» كأنه ذيل به إحاطة لسان الدين بن الخطيب، و له غير ذلك، و قد أطلت الكلام فى ترجمته من كتابى «أزهار الرياض، فى أخبار عياض، و ما يناسبها ممّا يحصل للنفس به ارتياح و للعقل ارتياض».

و وصفه ابن فرج السبتي بأنه الأستاذ العلم الصدر المفتى القاضى رئيس الكتاب، و معدن السماحة، و منبع الآداب؛ انتهى. و قد تقدّم بعض كلامه فيما مرّ، و من بديع نثره الذى يسلك به نهج ابن الخطيب رحمه الله تعالى قوله من كلام جلبت جملته فى «أزهار الرياض»، و اقتصر هنا على قوله بعد الحمدلة الطويلة ما صورته: أمّا بعد، فإن الله على كل شيء قدير، و إنه بعباده لخبير بصير، و هو لمن أهل تبيته، و أخلص طويته، نعم المولى و نعم النصير، بيده الرفع و الخفض، و البسط و القبض، و الرش و الغى، و النشر و الطى، و المنع و النفع، و البطء و العجل، و الرزق و الأجل، و المسرّة و المساءة، و الإحسان و الإساءة، و الإدراك و القوت، و الحياة و الموت، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، و هو الفاعل على الحقيقة و تعالى الله عمّا يقول

الآفكون، و هو الكفيل بأن يظهر دينه على الدين كله و لو كره المشركون، و إن فى أحوال الوقت الداهية لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد، و عبرة لمن يفهم قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ [سورة الحج، الآية: ١٨] و إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ [سورة المائدة، الآية: ١] بينما الدسوت عامرة، و الولاة آمرة، و الفئة مجموعة، و الدعوة مسموعة، و الإمرة مطاعة، و الأجوبة سمعا و طاعة، و إذا بالنعمة قد كفرت، و الذمة قد خفرت، إلى أن قال:

و السعيد من اتعظ بغيره، و لا- يزيد المؤمن عمره إلا خيرا جعلنا الله تعالى ممن قضى عمره بخيره، و بينما الفرقة حاصله، و القطيعة فاصلة، و المضرة واصله، و الحبل فى انبتات و الوطن فى شتات، و الخلاف يمنع رعى متات، و القلوب شتى من قوم أشتات، و الطاغية يتمطى لقصم الوطن و قضمه، و يلحظه لحظ الخائف على هضمه، و الأخذ بكظمه، و يتوقع الحسرة أن يأذن الله بجمع شمله و نظمه، على رغم الشيطان و رغمه، و إذا بالقلوب قد ائتلفت، و المتنافرة قد اجتمعت بعد ما اختلفت، و الأفتدة بالألفة قد اقتربت إلى الله تعالى و ازدلفت، و المتضرعة إلى الله تعالى قد ابتهلت، فى إصلاح الحالة التى سلفت، فألقت الحرب أوزارها، و أدنت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٦١

الفرقة النافرة مزارها، و جلت الألفة الدينية أنوارها، و أوضحت العصمة الشرعية آثارها، و رفعت الوحشة الناشبة أظفارها أعدارها، و أرضت الخلافة الفلانية أنصارها، و غضت الفئة المتعرضة أبصارها، و يصلح الله تعالى أسرارها، فجمعت الأوطان بالطاعة، و التزمت نصيحة الدين بأقصى الاستطاعة، و تسابقت إلى لزوم السينة و الجماعة، و ألفت إلى الإمامة الفلانية يد التسليم و الضراعة، فتقبلت فيئاتهم، و أحمدت جيئاتهم، و أسعدت آمالهم، و ارتضيت أعمالهم، و كملت مطالبهم، و تمتت مآربهم، و قضيت حاجاتهم، و استمعت مناجاتهم، و ألسنتهم بالدعاء قد انطلقت، و وجهتهم فى الخلوص قد صدقت، و قلوبهم على جمع الكلمة قد اتفقت، و أكفهم بهذه الإمامة الفلانية قد اعتقلت، و كانت الإدالة فى الوقت على عدو الدين قد ظهرت و برقت، إلى أن قال: و كفت القدرة القاهرة، و العزة الباهرة، من عدوان الطاغية غوائل، بإعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح و أوائل، و معلوم بالضرورة أن الله تعالى لطيف بعباده حسبما شهد بذلك برهان الوجود، (و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) دليل على ما سوغ من الكرم و الجود؛ انتهى المقصود منه، و هو كلام بليغ، و من أراد جملمته فعليه بأزهار الرياض.

و من نظم ابن عاصم المذكور قوله مخاطبا شيخه قاضى الجماعة أبا القاسم بن سراج، و قد طلب الاجتماع به زمن فتنه، فظن أنه يستخبره عن سر من أسرار السلطان، فأعدّه معتذرا، و لم يصدق الظن: [الطويل]

فديتك لا تسأل عن السرّ كاتباً فتلقاه فى حال من الرشد عاطل

و تضطرّه إمّا لحالة خائن أمانته أو خائض فى الأباطل

فلا فرق عندى بين قاض و كاتب و شى ذا بسرّ أو قضى ذا بباطل

و من بديع ما نظم فى مدح الرئيس أبى يحيى بن عاصم المذكور قول العلامة ابن الأزرق رحمه الله تعالى: [الكامل]

خضعت لمعطفه الغصون الميسر و رنا فهم بمقلتيه النرجس

ذو مبسم زهر الزبا فى كسبه متنافس عن طيبه متنفس

و مورّد من ورده أو ناره يتنعم القلب العميد و يئأس

فالورد فيه من دموعى يرتوى و النار فيه من ضلوعى تقبس

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٦٢

كملت محاسنه فقدّ ناظر و لواحظ نجل و ثغر ألعس

صعب التعطف بالگرام حبيته فالحبّ يجبى و التعطف يجبس

غرس التشوّق ثم أغرى الوجد بى فالوجد يغرى و التشوّق يغرس

ما كنت أشقى لو حللت بجنة من وصله تحيا لديها الأنف
 الحاظه و رضابه و عذاره حور بها أو كوثر أو سندس
 و ليال أنس قد أمنت بهن من واش ينم و من رقيب يحرس
 أطلعت شمس الراح فيها فاهتدى عاش إلينا فى الدجى و مغلس
 صفراء كالعقيان فى الألوان لل ندمان كالشهبان منها أكوس
 صبّت شقيقا فاستحالت نرجسا فى مزجها فمورّد و مورّس
 و حبابها يغنى بأسنى جوهر أنفى لغمّ المعدمين و أنفس
 يجلى بها للغمّ منها حندسا قمر عليه من الدؤابة حندس
 حتى إذا عمشت مرأة البدر من صبح بدا تلقاه إذ يتنفس
 ناديته و سنا الصباح محصحص ينجاب عنه من الظلام معسوس
 يا مطلع الأنوار زهرا يجتنى و مشعشع الصهباء نارا تلمس
 بك مجلس الأنس اطمأن و بابن عا صم اطمأن من الرياسة مجلس
 بدر بأنوار الهدى متطلع غيث بأشتات الندى متبجس
 حامى فلم نرتع لخطب يعترى و وفى فلم نحفل بدهر يبخص
 شيم مهذب و علم راسخ و مكارم هتن و مجد أفس
 لو كان شخصا ذكره لبداء على أعطافه من كلّ حمد ملبس
 ذاكم أبو يحيى به تحمى العلا و به خلال الفخر طرا تحرس
 بيت على عمد الفخار مطنب مجد على متن السماك مؤسس
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٦٣
 خيم و عرس فى حماه فكم حوى فيه المراد مخيم و معرس
 إننا لنغدو هيما فينيلنا ريا و يوحشنا النوى فيؤنس
 حتى أقمنا و الأمانى منهضات و ابتسمننا و الزمان معبس
 لم نذر قبل يراعه و بنانه أن الذوابل بالغمام تبجس
 هنّ اليراع بها يؤمن خائف و يحاط مذعور و يغنى مفلس
 مهما انبرت فهى السهام يرى لها وقع لأغراض البيان مقرطس
 يشفى بمأمله الشكى المعترى يحيى بمأمنه الحمام المؤيس
 فتقص حين تشقّ منها ألسن و تسير حين تقطّ منها رؤس
 من كلّ و شاء بأسرار التهى درب بإظهار السرائر يهجس
 قد جمّع الأصداد فى حر كاته فلذا اطراد فخاره لا يعكس
 عطشان ذو رى، يبيس متمر، غضبان ذو صفح، فصيح أخرس
 لله من تلك اليراع جواذب للسحر منك كأنها المغنيطس
 رضنا شماس القول فى أوصافها فهى التى راضت لنا ما يشمس
 و إليكها حللا تشابه نسجها مثلى يفصلها و مثلك يلبس

و اهنأ بعيد باسم متهلل و افاك و مثلك يلبس
 و اهنأ بعيد باسم متهلل و افاك يجهر بالسرور و يهمس
 و احبس لواء الفخر موقوفا فإن الحمد موقوف عليك محبس
 قلت: و عندى الآن شكك فى صاحب هذه القصيدة، هل هو قاضى الجماعة بغرناطة محمد بن الأزرق أو ابن الأزرق الثانى القائل فيما
 يكتب على السيف: [البسيط]

إن عمّت الأفق من نفع الوغى سحب فشم بها بارقا من لمع إيماضى
 و إن نوت حركات النصر أرض عدا فليس للفتح إلّا فعلى الماضى
 و الله سبحانه أعلم.

و من إنشاء الرئيس ابن عاصم المذكور ما كتب به يخاطب الكاتب أبا القاسم بن طر كاط،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٦٤

و هو: «القضاء - حفظ الله تعالى كمالك، و أنجح آمالك!- إذا لم يحطه العدل من كلا جانبيه سبيل معوج، و مذهب لا يوافق عليه
 مناظر و لا ينصره محتج، كما أنه إذا حاطه العدل جادة للنجاه، و سبب فى حصول رحمة الله تعالى المرتجاء، و سوق لنفاق بضاعة
 العبد المزجاء، و أجمل العدل ما تحلى به فى نفسه الحكم، و جرى على مقتضى ما شهدت به الآراء المشهورة و الحكم، حتى يكون
 عن البغى رادعا، و بالقسط صادعا، و لأنف الأنفة من الإذعان للحق جادعا، و أنت أجلك الله تعالى على سعة اطلاعك، و شدة ساعد
 قيامك بالطريقة و اضطلاعك، ممن لا يتب على ما ينبغى، و لا- يرد على طلبته من الإنصاف المبتغى، فلك فى الطريقة القاضوية
 التبريز، و أنت إذا كان غيرك الشبه الذهب الإبريز، و لعلمية عدلك التوشية بالنزاهة و التطريز، و ليتنى كنت لمظهرك الحكمى
 حاضرا، و لإعلام القضاء بأرائك المرتضاه محاضرا، و الوازع قد تمرس بالخصوم، و جعل المتصدى للإذن فى محلّ المخصوم، و
 أنت حفظك الله تعالى قد قمت من غلظ الحجاب بالمقام المعصوم، و مثلت من سعة المنزل فى الفضل و الطول كالشهر المصوم، و
 الباب قد سدّ، و داعى الشفاعة قد ردّ، و الميقات للإذن قد حدّ، و مطلب الأجرة المتعارفة قد بلغ الأشدّ، حتى إذا قضى الواجب، و أذن
 فى دخول الخصمين الحاجب، و أولج السابقين إلى الحدّ الذى لا يعدونه، و حفز إيماؤه من تعداه أو وقف دونه، و قد حصل باللحظ
 و اللفظ التساوى، و أنتج المطالب الأربعة هذا اللازم المساوى، و مجلسك قد رجح وقاره برضوى، و مجتلاك قد فضح نوره البدر
 الأضوا، و قد امتزت عن سواك من القضاء بمراسم لا- تليق بجملتهم معارفها، و تخصّصت عنهم بملابس تعجّ عجيجا من جذامهم
 مطارفها، بحيث تحدّ لخلع النعلين حدّا لا- يتجاز طواه، و تسدّ فى بعض الأوقات الباب سدّا لا- ترقع بالمحاجر كواه، و تفصل بين
 الخصمين أحيانا بالتيه دون الكلام و لكل امرئ ما نواه. و هذه أعانك الله تعالى مكملات من العدل فى الحكم وقف عياض دون
 تحقيق مناطها، و أعيت ابن رشد فلم يهتد بيانه و لا تحصيله لاستنباطها، فما بال النازحة عنك حسا و معنى، النازلة من تقاضى دينك
 بمنزلة الممطول المعنى، المعتقلة من ملكة رقك بحيث

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٦٥

أقصاها لاعج الشوق، المعذبة من الصبابة فيك بما شبّ عمره عن الطوق، تتنفس الصعداء ممّا تشاهده منك من مبتدعات الجور، و
 تردّد البكاء على ضياع ما استعار الحسن لصفاتها من النجد و الغور، و تقضى العجب ممّا تسمع من عدلك الذى لم تجتل لمحّة من
 نوره، و من حلمك الذى أشقاها فلم تحضر لدكّه طوره، و تستصوب أنظار النحاة فى منع التهيئة و القطع فى العامل، و تستجلب
 اصطلاح العروضيين فى المديد و البسيط دون الطويل و الكامل، فهلا راجعت فيها النظر، و أنجزت لها الوعد المنتظر، و كففت من
 عيونها دموعا مستهله، و اجتليت من جبينها الوضاح ما أخجل بدورا مشرقة و أهله، و لم تحوجها إلى أن ينطق قرينها الروحاني بالشعر
 على لسانها و لسانك، و لم تضطرّها فى هذه المعاملة إلى ما لا ترتضيه من كفر إحسانك، و العذر أظهر، و البرهان أبهر، و خلافك

فى العالم أشهر، و أنت إن لم يكن ما يعصم الله تعالى منه لمقتضى الطبيعة أقهر. وقد أدرجت لك فى طى هذا ما يصل إلى يدك، و تلهج به فى يومك و غدك، منتظرة منك إطفاء الجوى بالجواب، و محو ما سبق من الخطأ بالخطاب، إن شاء الله تعالى، و الله تعالى يصل سعادته، و يحفظ مجادته، و معاد السلام من الشاكر الذاكر ابن عاصم وفقه الله تعالى فى أوائل ذى الحجة عام خمسة و أربعين و ثمانمائة، انتهى، و هو ممّا لم أذكره فى «أزهار الرياض».

[ظهير بتعيين ابن عاصم للقضاء]

و لنذكر هنا الظهير الذى جلبته فيها بتقديم المذكور للنظر فى أمور الفقهاء و غيرهم، و نصّه: هذا ظهير كريم إليه انتهت الظواهر شرفا عليّ، و به تقرّرت المآثر برهانا جليّا، و راقّت المفاخر قلائد و حلّيا، و تميّزت الأكابر الذين افتخرت بهم الأقلام و المحابر، اختصاصا مولويّا. فهو و إن تكاثرت المرسومات و تعدّدت، و توالّت المنشورات و تجددت، أكرم مرسوم تمم فى الاعتقاد نظرا خطيرا، و أحكم فى التفويض أمرا كبيرا، و أبرم فى الاختصاص عزا أيّا.

اعتمد بمسطوره العزيز، و اختصّ بمنشوره الذى تلقّاه اليمن بالتعزير، من لم يزل بالتعظيم حقيقا، و بالإكبار خليقا، و بالإجلال حريّا. فهو شهير لم يزل فى الشهرة سابقا، هاد لم يزل بالهدى ناطقا، بليغ لم يزل بالبلاغة دريّا. عظيم لم يزل فى النفوس معظما، علم لم يزل فى الأعلام مقدّما، كريم لم يزل فى الكرام ستيّا. اشتملت منه محافل الملك على العقد الثمين، و حلّت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٦٦

به المشورة فى الكنف المحوط و الحرم الأمين، فكان فى مشكاة الأمور هاديا، و فى ميدان المرشد جريّا. فإلى مقاماته تبلغ مقامات الإخلاص، و إلى مرتبته تنتهى مراتب الاختصاص، فيمن حاز خصلا، و زين حفلا، و شرف نديّا. و استكمل همما، و استعمل قلما، و استخدم مشرفيا. فله ما أعلى قدر هذا الشرف، الجامع بين المتلد و المطرف، السابق فى الفضل أمدا قصيّا. الحالّ من الاصطفاء مظهرًا، الفارع من العلاء منبرا، الصاعد من العزّ كرسيا. حاز الفضل إرثا و تعصيبا، و استوفى الكمال حقًا و نصيبا، ثناء أرجه كالروض لو لم يكن الروض ذابلا و هديّا. نوره كالبدور لو لم يكن البدر آفلا، و مجد علوه كالسّها لو لم يكن السّها خفيّا. فما أشرف الملك الذى اصطفاه، و كمل له حقّ التقريب و وفاه، و أحله قرارة التمكين، و منّ باختصاصه بالمكان المكين، فسبق فى ميدان التفويض و سما، و رأى من الأنظار الحميدة ما رأى، صادعا بالحقّ إماما علما، موضحا من الدين نهجا أمما، هاديا من الواجب صراطا سويّا. بانبا المجد صرحا مشيدا، مشهرا للعدل قولا مؤيدا، مبرما للخير سببا قويّا. فالله تعالى يصل لمقام هذا الملك الذى طلع فى سمائه بدرا دونه البدور، و صدرا تلوذ به الصدور، سعدا لا تمطله الأيام فى تقاضيه، و نصرا يمضى به نصل الجهاد فلا يزال ماضيه، على الفتح مبتيا. و يوالى له عزّا يذود عن حرم الدين و يمنحه تأييدا يصبح فى أعناق الكفر حديث سيفه قطعيا. أمر به مرسوما عزيزا لا تبلغ المرسومات إلى مداه، و لا يبدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه، عبد الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله أيد الله تعالى مقامه، و نصر أعلامه، و شك إنعامه، و يسّر مرامه، لإمام الأئمة و علم الأعلام، و عماد ذوى العقول و الأحلام، و بركة حملة السيوف و الأفلام، و قدوة رجال الدين و علماء الإسلام، الشيخ الفقيه أبى يحيى ابن كبير العلماء، شهير العظماء، حجة الأكابر و الأعيان، مصباح البلاغة و البيان، قاضى القضاء و إمامهم، أوحد الجلّة و طود شمامهم، الشيخ الفقيه أبى بكر بن عاصم أبقاه الله تعالى، و مناطق الشكر له فصيحة اللسان، و مواهب الملك به معهودة الإحسان، و قلائد الأيدى منه متقلّدة بجيد كلّ إنسان، قد تقرّر و المفاخر لا تنسب إلّا لبنيها، و الفضائل لا تعتبر إلّا بمن يشيد أركانها و يبينها، و الكمال لا يصفى شره، إلّا لمن يؤمن سره، أنّ هذا العلم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٦٧

الكبير، الذى لا يفى بوصفه التعبير، علم بآثاره يقتدى، و بأنظاره يهتدى، و بإشارته يستشهد، و بإدارته يسترشد، إذ لا أمد علو إلّا و قد تخطاه، و لا مركب فضل إلّا و قد تمطّاه، و لا شارقة هدى إلّا و قد جلاها، و لا لبّة فخر إلّا و قد حلّاها، و لا نعمة إلّا و قد أسداها، و لا

سومة إلبا وقد أبادها، لما له في دار الملك من الخصوصية العظمى، و المكانة التي تسوغ النعمى، و الرتب التي تسمو العيون إلى مرتقاها، و تستقبلها النفوس بالتعظيم و تتلقاها، حيث سرّ الملك مكتوم، و قرطاسه مختوم، و أمره محتوم، و الأقاليم قد روضت الطروس و هي ذاوية، و قسّمت الأرزاق و هي طاوية، شقّت ألسنتها فنطقت، و قطّت أرجلها فسبقت، و يبست فأثمرت إنعاما، و نكست فأظهرت قواما، و خطّت فأعطت، و كتبت فوهبت، و مشقت فرفقت، و أبرمت فأنعمت، فكم يسرت الجبر، و عقرت الهزبر، و شنتفت المسامع، و كيفت المطامع، و أقلّت فيما ارتفع من المواضع، و أحلّت لما امتنع من الأمراض، فهي تنجز النعم، و تحجز النقم، و تبثّ المذاهب، و تحثّ المواهب، و تروض المراد، و تنهض المراد، و تحرس الأكناف، و تغرس الأشراف، مصيخة لنداء هذا العماد الأعلى، طامحة لمكانه الذي سما و استعلى، فيما يملى عليها من البيان الذي يقرّ له بالفضل، الملك الضّليل، و يشهد له بالإحسان، لسان حسان، و يحكم له ببرى القوس، حبيب بن أوس، و يهيم بما من الأساليب عنده، شاعر كنده، و يستمطر سحبه الثّرة، فصيح المعرّة، إلى منشور تزيل الفقر فقره، و تدّرّ الرزق درره، لو أنهى إلى قس إباد لشكر في الصنعية أياديته، و استمطر سحبه و غواديه، أو بلغ إلى سحبان لسحره، و ما فارقه عشيته و لا سحره، و لو رآه الصابى لأبدى إليه من صوته ما أبدى، أو سمعه ابن عباد لكان له عبدا، أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائعه، و استنزر بضائعه، أو تحف به البستي لاتّخذة بستانا، أو عرض على عبد الحميد لأحمد من صوبه هتانا، فأعظم به من عال لا ترقى ثنيتيه، و لا تحاز مزيتته، و لا يرجم أفته، و لا يكتم حقه، و لا ينام له عن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٦٨

اكتساب الحمد ناظر، و لا- ينقاس به في الفضل مناظر، و هل تقاس الأجادل بالبعث، أو الحقائق بالأضغاث؟ ألا و إن بيته هو البيت الذي طلع في أفته كلّ كوكب وقّاد، ممّن وشج به للعلوم اتّقاء و اتّقاد، و ترامى به للمدارك ذكاء و انتقاد، فأعظم بهم أعلاما و صدورا، و أهله و بدورا، خلدت ذكرهم الدواوين المسطرة، و سرت في محامدهم الأنفاس المعطرة، إلى أن نشأ في سمائهم هذا الأوحّد، الذي شهره فضله لا تجحد، فكان قمرهم الأزهر، و تيرهم الأظهر، و وسيطة عقدهم الأنفس، و نتيجة مجدهم الأفعس، فأبعد في المناقب آماده، و رفع الفخر و أقام عماده، و بنى على تلك الأساس المشيدة، و جرى لإدراك تلك الغايات البعيدة، فسبق و جلّى، و شنتف بذكره المسامع و حلّى، و رفع المشكل ببيانه، و حرّر الملتبس ببرهانه، إلى أن أحلّه قضاء الجماعة ذروة أفته الأصعد، و بوّاه عزيز ذلك المقعد، فشرّف الخطّة، و أخذ على الأيدي المشتطّة، لا يراقب إلّا ربّه، و لا يضمر إلّا العدل و حبه، و المجلس السلطاني أسماء الله تعالى يختصّه بنفسه، و يفرغ عليه من حلل الاصطفاء و لبسه، و يستمطر فوائده، و يجزّب بأنظاره حقوق الملك و عوائده، فكان بين يديه حكما مقسطا، و مقسما لحظوظ الإنعام مقسّطا، إلى أن خصّه بالكتابة المولوية، و رأى له ذلك حقّ الأولوية، إذ كان والده المقدّس نعم الله تعالى ثراه، و منحه السعادة في أخراه، مشرّف ذلك الديوان، و معلّى ذلك الإيوان، يحبّر رقاع الملك فتروق، و تلوح كالشمس عند الشروق، فحلّ ابنه هذا الكبير شرفا، الشهر سلفا، مرتبته التي سمت، و افترت به عن السعد و ابتسمت، فسحبت به للشرف مطارف، و أحرزت به من الفخر التالد و الطارف، فهو اليوم في وجهها غزه، و في عينها قرّة، و لله هو في ملاحظة الحقائق و رعيها، و سمع الحجج و وعيها، فلقد فضل بذلك أهل الاختصاص، و سبقهم في تبين ما يشكل منها و ما يعتاص، إذ المشكله معه جلية الأغراض، و الآراء لديه آمنه من مأخذ الاعتراض، فكم رتبة عمرها بذويها، فأكسبها تشريفا و تنويها، و على ذلك فأعلام قضاء الوطن، و من عبر منهم و قطن، مع أقدارهم السامية، و معاليهم التي هي للزهر مسامية، إنما رقتهم وساطته التي أحسنت، و زينت بهم المجالس و حسّنت، فيه أمضوا أحكامهم، و أعملوا في الأباطيل احتكامهم، و كتبوا الرسوم، و كتبوا الخصوم، و حلّوا دست القضاء،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٦٩

و سلّوا سيف المضاء، و في زمانه تخرّجوا، و في بستانه تأرّجوا، و من خلقه اكتسبوا، و إلى طرقة انتسبوا، و على موارد حاموا، و حول فوائده قاموا، و بتعريفه عرفوا، و بتشريفه شرفوا، و بصفاته كلفوا، و بعرفاته وقفوا، فأمنوا مع انسكاب سحب إفادته من الجذب، و قاموا بذلك الفرض بسبب ذلك الندب، و هل العلماء و إن عمّت فوائدهم، و انتظمت بجياد الأذهان فرائدهم، إلّا من أنواره مستمدّون، و

إلى الاستفادة من أنظاره ممتدّون، و بركاته معتدّون، و بأسبابه مشتدّون، فيه اجتنيت من أفنان المنابر ثمراتهم، و تأرّجت في روضات المعارف زهراتهم، و به عمروا الحلق، و ائلق من أنوارهم ما ائلق، إذ كلّ من اصطناعه محسوب، و إلى بركنه منسوب، فهو بدرهم الأهدى، و غيئهم الأجدى، و عقدهم المقتنى، و روضهم المجتنى، و بدر منازلهم، و صدر محافلهم. و على ما أعلى المقام المولوى من مكانه، و قضى به من استمكانه، و اعتمد من إبرامه، و أبرم من اعتماده، و مهد من إكرامه، و كرم من مهاده، و اختصّ من علاه، و أعلى من اختصاصه، و استخلص من حلاه، و حلا من استخلاصه، و وفى من تكزّمه، و كرم من وفائه، و اصطفى من مجده، و مجد من اصطفائه، و قدم من براعته، و حكم من يراعته، و شقق من كتابته، و أنطق من خطابته، و سجل من أنظاره، و عجل من اختياره، فذكا ذكره، و سطا سطره، و أمعن معناه، و أغنى مغناه، أشار أيده الله تعالى باستئناف خصوصيته و تجديدها، و إثبات مقاماته و تحديدها، لتعرف تلك الحدود فلا تتخطى، و تكبر تلك المراتب فلا تستعطي، فأصدر له شكر الله تعالى إصداره، و عمر بالنصر داره، هذا المنشور الذى تأرّج بمحامده نشره، و تضمّن من مناقبه البديع فراق طيه و نشره، و غدا و فرائد المآثر لديه موجدة مكنونه، و أصبح للمفاخر مالكا لما أتى به مدونه، و خصّه فيه بالنظر المطلق الشروط، الملازم للتفويض ملازمة الشرط للمشروط، المستكمل الفروع و الأصول، المستوفى الأجناس و الفصول، فى الأمور التى تختصّ بأعلام القضاة الأكابر، و كتاب القضاة ذوى الأقالم و المحابر، و شيوخ العلم و خطباء المنابر، و سائر أرباب الأقالم القاطن منهم و العابر، بالحضرة العلية، و جميع البلاد النصيرية، تولّى الله تعالى جميع ذلك بمعهود ستره، و وصل لديه ما تعود من شفيع اللطف و وتره، يحوط مراتبهم التى قطفت من روضاتها ثمرات الحكم و جنيت، و يراعى أمورهم التى أقيمت على العوائد و بنيت، و حقوقهم التى حفظت لهم فى المجالس السلطانية و رعيت، و يحلّ كلّ واحد منهم فى منزلته التى تليق، و مرتبته التى هو بها خليق، على ما يقتضى ما يعلم من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٧٠

أدواتهم، و يخبر من تباين ذواتهم، و يرشّح كلّ واحد إلى ما استحقّه، و يؤتى كلّ ذى حقّ حقّه، اعتمادا على أغراضه التى عدلت، و صدحت على أفنائها من الأفواه طيور الشكر و هدلت، و استنادا فى ذلك إلى آرائه، و تفويضا له فى هذا الشأن بين خالص الملك و ظهرائه، و ذلك على مقتضى ما كان عليه أعلام الرياسة الذين سبقوا، و انتهضوا بهمهمهم و استبقوا، كالشيخ الرئيس الصالح أبى الحسن بن الجيّاب، و الشيخ ذوى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب، رحمهما الله تعالى! فليقم أبقاه الله تعالى بهذه الأعمال التى سمت و اعتزّت، و مالت بها أعطاف العدل و اهتزّت، و سار بها الخبر حثيث السرى، و صار بها الحقّ مشدود العرى، و على جميع القضاة الأمضياء، و العلماء الأرضيلاء، و الخطباء الأولياء، و المقرئين الأركيلاء، و حملة الأقالم الأحظيلاء، أن يعتمدوا هذا الولى العماد فى كلّ ما يرجع إلى عوائدهم، و يختصّ فى دار الملك من مرتباتهم و فوائدهم، و ما يتعلّق بولاياتهم و أمنياتهم، و يليق بمقاصدهم و نياتهم، فهو الذى يسوّغهم المشارب، و يبلغهم المآرب، و يستقبل العلى بالعلى، و العاطل بالحلى، و المشكل بالجلّى، و المفرق بالتاج، و المقدمة بالإنتاج، و على ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرّهم على ولاياتهم و أبقاهم، و لقاهم من حفظ المراتب ما رقاهم، فليجروا على ما هم بسبيله، و ليهتدوا بمرشد هذا الاعتناء و دليله، و كتب فى صفر عام سبعة و خمسين و ثمانمائة، انتهى.

قلت: و إنما أتيت به لوجوه: أحدها، ما يتعلّق بلسان الدين إذ وقعت الإشارة إلى مرتبته فى آخره، و الثانى ما اشتمل عليه من الإنشاء الغريب، و الثالث معرفة حال الرئيس أبى يحيى بن عاصم و تمكّنه من الرياسة؛ لأننا بنينا هذا الكتاب على ذكر ما يناسبه من أبناء أهل المغرب، لكون أهل هذه البلاد المشرقية ليس لهم بها عناية، و الرابع أن بعض أكابر شيوخنا ممّن أُلّف فى طبقات المالكية لما عرّف بأبى يحيى ذكره فى نحو أسطر عشرة، و قال: هذا الذى حضرنى من التعريف به، و الخامس أن ابن عاصم المذكور كما قاله الوادى آشى و غيره كان يدعى فى الأندلس بابن الخطيب الثانى، و يعنون بذلك البلاغة و البراعة و الرياسة و السياسة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٧؛ ص ٢٧٠

ع إلى أخبار لسان الدين فنقول:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٧١

و أمّا كتب التأليف باسم لسان الدين رحمه الله تعالى، فقد قال في الإحاطة لما أجرى ذكر ذلك ما صورته: و أمّا ما رفع إليّ من الموضوعات العلمية، و الوسائل الأدبية، و الرسائل الإخوانية، لمّا أقامني الملك صنما يعتمد، و خيالاً إليه يستند، صادرة عن الأعلام، و حملة الأقلام، و رؤساء الثّار و النظام، فجمّ يضيق عنه الإحصاء، و يعجز عن ضمّ نشره الاستقصاء، و ربما تضمّن هذا الكتاب كتاب «الإحاطة» منه كثيراً، و منظوماً أثيراً، و درّاً نثيراً، جرى في أثناء الأسماء، و انتهى إلى الإجابة أكرم الانتماء، غفر الله تعالى لي و لقائله، فما كان أولاني و إياه بستر زوره، و إغراء الإضراب بغروره فأهون بما لا- ينفع، و إن ارتفع الكلم الطّيب لا- يرفع، اللهمّ تجاوز عنّا بفضلك و كرمك، انتهى.

و قد تقدّم في ترجمه أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي الفاسي نزيل مألقة و صاحب التآليف العديدة أنه أُلّف تقييداً على قواعد الإمام القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله تعالى برسم ولد لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى، و كذلك غير واحد من أهل عصره، قصدوه بالنظم و النثر، و هي سنّة الله سبحانه و تعالى في عبادته، إذ السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق فيها، و الله- سبحانه و تعالى- وليّ المكافأة، لا إله غيره، و لا مأمول سواه؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٧٢

الباب الخامس [من القسم الثاني] في إيراد جملة من نثر لسان الدين

إشارة

في إيراد جملة من نثره الذي عقب أريج البلاغة من نفعاته، و نظمه الذي تألّق نور البراعة من لمحاته و صفحاته، و ما يتصل به من أزجاله و موشحاته، و مناسبات رائقه في فنون الأدب و مصطلحاته.

اعلم- سلك الله تعالى بي و بك أوضح محجّه، و جعلنا ممّن انتحى صوب الصواب و نهجه!- أن هذا الباب، هو المقصود بتأليف هذا الكتاب، و غيره كالتبع له، وها أنا أذكر ما حضرني الآن من بنات أفكار لسان الدين التي هي بالمحاسن متقنعة، و للبدائع منتعلة، فأقول:

[وصف نثر لسان الدين تحميد من إنشاء لسان الدين]

أمّا نثره فهو البحر الزخار، بل الدرّ الذي به الافتخار، و ناهيك أن كتبه الآن في المغرب قبله أرباب الإنشاء التي إليها يصلّون، و سوق دررهم النفيسة التي يزينون بها صدور طروسهم و يحلون، و خصوصاً كتابه «ريحانة الكتاب، و نجعة المنتاب» فإنه، و إن تعدّدت مجلّداته، على فنّ الإنشاء و الكتابة مقصور، و قد اشتمل على السلطانيات و غيرها و مخاطباته لأهل المشرق و المغرب على لسان ملوك الأندلس الذين علم بلاغتهم منصور، و قد تركت نسختي منه في المغرب، و لو حضرتني لكفتني عن هذه الفوائد التي أتعبت خاطرني في جمعها من مقيداتي التي صحبتها معي، و هي قليلة.

و قد مرّ في هذا الكتاب جملة من نثره و نظمه، و الذي نجلبه هنا زيادة على ما سبق.

و قال رحمه الله تعالى في «الإحاطة» عند ترجمه نثره ما صورته: و أمّا النثر فبحر زاخر، و مدى طوله مستأخر، و إنك لم يفخر عليك كفاحر، و قد مرّ منه في تضاعيف هذا الديوان كثير، و نحن نجلب منه ما يشير إليه مشير؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٧٣

فمن ذلك قوله في غرض التحميد ممّا افتتح به الكتاب في التاريخ المتضمّن دولة بني نصر: «الحمد لله الذي جعل الأزمنة كالأفلاك،

و دول الأملاك كأنجم الأحلاك، تطلعها من المشارق تيرة، و تلعب بها مستقيمة أو متحيرة، ثم تذهب بها غائرة متغيرة، السائق عجل، و طبع الوجود مرتجل، و الحى من الموت وجل، و الدهر لا- معتذر ولا- خجل، بينما ترى الدست عظيم الزحام، و الموكب شديد الالتحام، و الوزعة تشير، و الأبواب يقرعها البشير، و السرور قد شمل الأهل و العشير، و الأطراف تلتهمها الأشراف، و الطاعة يشهرها الاعتراف، و الأموال يحوطها العدل أو يبيحها الإسراف، و الرايات تعقد، و الأعطيات تنقد، إذ رأيت الأبواب مهجورة، و الدسوت لا مؤملة و لا مزورة، و الحركات قد سكنت، و أيدي الإدالة قد تمكنت، فكأنما لم يسمر سامر، و لا نهى ناه و لا أمر أمر، ما أشبه الليلة بالبارحة، و الغادية بالرائحة، إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح [سورة الكهف، الآية: ٤٥].

[من نثره فى الحز فى الجهاد]

و من نثره قوله فى استدعاء إمداد و حَضَّ على الجهاد: «أيها الناس، رحمكم الله تعالى، إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهم العدو قصمه الله تعالى ساحتهم، و رام الكفر خذله الله تعالى استباحتهم، و زحفت أحزاب الطواغيت إليهم، و مدّ الصليب ذراعيه عليهم، و أيديكم بعزة الله تعالى أقوى، و أنتم المؤمنون أهل البرّ و التقوى، و هو دينكم فانصروه، و جواركم الغريب فلا- تحقروه، و سبيل الرشد قد وضح فلتبصروه، الجهاد الجهاد فقد تعين، الجار الجار فقد قرّر الشرع حقّه و بين، الله الله فى الإسلام، الله الله فى أمّه محمد عليه الصلاة و السلام، الله الله فى المساجد المعمورة بذكر الله، الله الله فى وطن الجهاد فى سبيل الله، قد استغاث بكم الدين فأغيثوه، قد تأكّد عهد الله و حاشاكم أن تنكثوه، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة أعانكم الله تعالى عند الشدائد، جدّدوا عوائد الخير يصل الله تعالى لكم جميل العوائد، صلوا رحم الكلمة، و آسوا بأنفسكم و أموالكم تلك الطوائف المسلمة، كتاب الله بين أيديكم، و السنة الآيات تناديكم، و سنّة رسول الله صلى الله عليه و سلم قائمة فيكم، و الله سبحانه يقول فيها يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ [سورة الصف، الآية: ١٠] و ممّا صحّ عنه قوله «من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرّمهما الله على النار» «لا يجتمع غبار فى سبيل الله و دخان جهنّم» «من جهّز غازيا فى سبيل الله فقد غزا» أدر كوا رمق الدين قبل أن يفوت، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٧٤

احفظوا و جوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عبادته، جاهدوا فى الله بالألسن و الأقوال حق جهاده: [الكامل]

ما ذا يكون جوابكم لنبيكم و طريق هذا العذر غير ممهد

إن قال لم فرطتم فى أمّتى و تركتموهم للعدوّ المعتدى

تالله لو أن العقوبة لم تخف لكفى الحيا من وجه ذاك السيد

اللهم اعطف علينا قلوب العباد، اللهم بثّ لنا الحميّة فى البلاد، اللهم دافع عن الحريم و الضعيف و الأولاد، اللهم انصرنا على أعدائك، بأحبابك و أوليائك، يا خير الناصرين، اللهم أفرغ علينا صبرا و ثبت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين، و صلّى الله على سيّدنا محمد و على آله و صحبه و سلّم تسليمًا كثيرًا؛ انتهى.

[من إنشائه فى ذكر أولية شريف فاس]

و من ذلك قوله فى صداق أمره السلطان بإنشائه لكبير الشرفاء بفاس فى فصل منه تضمّن ذكر أوليتهم و استيطانهم لتلك المدينة ما صورته: «فضرب بفاس - عمرها الله تعالى! - حلته، و أورث منها بالبقعة الزكية الرفيعة سراته و جلّته، فتبوؤوا من ذلك الغور، المعشب الروض الأرج الثور، هاله سعد، و أفق برق و رعد، و دست وعيد و وعد، يتناقلون رتب الشرف الصريح كابرًا عن كابر، و يروى

مسلسل المجد عن بيتهم الرفيع الجد كل حريص على عوالم المعالي مثابر: [البسيط]

فالكف عن صلته، والأذن عن حسن والعين عن قرّة، والقلب عن جابر

حيث الأنوف الشّم والوجه الغرّ، والعزّة القعساء والنسب الحرّ، والفواطم في صدف الصون من لدن الكون كأنهنّ الدّر، آل رسول الله ونعم الآل، والموارد الصادقة إذا كذب الآل، ومن إذا لم يصلّ عليهم في الصلاة حبطت منها الأعمال، طلبه الراكب، ونشدة الطالب، وسراء لؤى بن غالب، وملتقى نور الله تعالى ما بين فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب؛ انتهى، وهو طويل لم يحضرني منه الآن سوى ما ذكرته.

ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى: كتبت إلى بعض السادة الفضلاء، وقد بلغني مرضه أيام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٧٥

كان الانزعاج عن الأندلس إلى الإيالة المرينية: وردت عليّ من فتى التي إليها في معركة الدهر أتحيز، وبفصل فضلها في الأقدار المشتركة أتميز، سحابة سرّت و ساءت، وبلغت من القصد ما شاءت، أطلع بها صنيعة ودّه من شكواه على كلّ عابث في السويداء، موجب اقتحام البيداء، مضرم نار الشفقة في فؤاد لم يبق من صبره إلّا القليل، ولا من إفصاح لسانه إلّا الأنين والأليل، ونوى مدّت لغير ضرورة يرضاهما الخليل، فلا تسأل عن ضنين تطرقت اليد إلى رأس ماله، أو عابد نوزع في تقبل أعماله، أو آمل ضويق في فذلّة آماله، لكنني رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق، و عارضت القواعد الموحشة بالفروق، ورأيت الخطّ يبهر والحمد لله تعالى و يروق، واللفظ الحسن تومض في حبره للمعنى الأصيل بروق، فقلت:

ارتفع الوصب، وردّ من الصحة المغتصب، وآله الحسّ والحركة هي العصب، وإذا أشرق سراج الإدراك دلّ على سلامة سليطه، والروح خليط البدن والمرء بخليطه، وعلى ذلك فتليد احتياطي لا يقنعه إلّا الشرح، فبه يسكن الظمأ البرح، و عذرا عن التكليف فهو محلّ الاستقصاء والاستفسار، والإطناب والإكثار، وزند القلق في مثلها أوري، والشفيق بسوء الظن مغرى، والسلام.

[من إنشاء لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله الشديد و كتب له و قد ولي الحسبة]

ومن نثر لسان الدين ما ذكره في «الإحاطة» في ترجمة أبي عبد الله الشديد وهو محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الجياني الأصل ثم المالقي، إذ قال ما صورته:

جملة جمال من خطّ حسن و اضطلاع بحمل كتاب الله، بلبل دوح السبع المثاني، و ماشطة عروس أبي الفرج بن الجوزي، و آية صقعه، و نسيج وحده، في حسن الصوت و طيب النغمة، اقتحم لذلك دسوت الملوك، و جرّ أذيال الشهرة عذب الفكاهة، ظريف المجالسة، قادرا على المحاكاة، متسورا حمى الوقار، مليبا داعي الانبساط، قلّم شهادة الديوان بمالقه فكان مغار جبل الأمانة، شامخ مارن النزاهة، لوحا للألقاب، و عززت ولايته ببعض الألقاب النبيهة، وهو الآن الناظر في أمور الحسبة ببلده، و لذلك خاطبته برقعة أداعبه بها و أشير إلى أضداده بما نصّه: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٧٦

يا أيها المحتسب الجزل و من لديه الجدّ و الهزل

يهنيك و الشكر لمولى الورى ولاية ليس لها عزل

كتبت أيها المحتسب، الممتنى إلى النزاهة المنتسب، أهنيك ببلوغ تمّيك، و أحذرك من طمع نفس بالغرور تمّيك، فكأننى بك و قد طافت بركابك الباعة، و لزم أمرك السمع و الطاعة، و ارتفعت في مصانعتك الطماعة، و أخذت أهل الرّيب بغته كما تقوم الساعة، و نهضت تقعد و تقيم، و سطوتك الريح العقيم، و بين يديك القسطاس المستقيم، و لا بدّ من شرك ينصب، و جماعة على ذى جاه تعصب، و دالّه يمتّ بها الجناب الأخصب، فإن غت طرفك، أمنت على الولاية صرفك، و إن ملأت طرفك، رحلت عنها حرفك، و

إن كفت فيها كَفَّكَ، حَفَّكَ العزَّ فيمن حَفَّكَ، فكن لقالى المجنبه قاليا، و لحوت السلَّة ساليا، و أبد لدقيق الحوَّارى زهد حوَّارى، و ازهد فيما بأيدي الناس من العوَّارى، و سر فى اجتناب الحلواء، على السبيل السواء، و ارفض فى الشَّواء، دواعى الأهواء، و كن على الهَرَّاس و صاحب ثريد الرأس شديد المراس، و ثب على طيخ الأعراس ليثا مرهوب الافتراس، و أدب أطفال الفسوق فى السوق، سيما من كان قبل البلوغ و البسوق، و صمَّ على استخراج الحقوق، و الناس أصناف فمنهم خسيس يطمع منك فى أكله، و مستعد عليك بوكزة أو ركلة، و حاسد فى مطيئة تركب، و عطية تسكب، فاخفض للحاسد جناحك، و سدّد إلى حربته رماحك، و أشبع الخسيس منهم مرقه فإنه حنق، و دسّ له فيها عظما لعله يختنق، و احفر لشريهم حفرة عميقة، فإنه العدو حقيقه، حتى إذا حصل، و علمت أنّ وقت الانتصار قد اتّصل، فأوقع و أوجع و لا ترجع، و أولياءه من الشياطين فأفجع، و الحق أقوى، و أن تعفو أقرب للتقوى، سدّدك الله تعالى إلى غرض التوفيق، و أعلقك من الحقّ بالسبب الوثيق، و جعل قدومك مقرونا برخص اللحم و الزيت و الدقيق؛ انتهى.

[مما كتب به لسان الدين إلى على بن بدر الدين بن موسى بن عبد الحق من مدينة سلا]

و ممّا كتب به لسان الدين إلى على بن بدر الدين الطوسى بن موسى بن حو بن عبد الله بن عبد الحق من مدينة سلا ما نصّه:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٧٧

يا جملة الفضل و الوفاء ما بمعاليك من خفاء

عندى بالودّ فيك عقد صحفه الدهر باكتفاء

ما كنت أفضى حلاك حقا لو جئت مدحا بكلّ فاء

فأول وجه القبول عذرى و حسبك الشكّ فى صفاء

سيدى الذى هو فصل جنسه، و مزية يومه على أمسه، فإن افتخر الدين من أيبك ببدرة افتخر منك بشمسه، رحلت على المنشأ و القرارة، و محلّ الصبوة و الفرارة، فلم تتعلّق نفسى بذخيرة، و لا- عهد جيرة خيرة، كنتعلّقها بتلك الذات التى لطفت لطافة الراح، و اشتملت بالمجد الصّيراح، شفقه أن تصيها معرة، و الله تعالى يقيها، و يحفظها و يقيها، إذ الفضائل فى الأزمان الرذلة غوائل، و الضدّ عن ضده منحرف بالطبع و مائل، فلمّا تعرّفت خلاص سيدى من ذلك الوطن، و إلقاءه وراء الفرضة بالعطن، لم تبق لى تعلّمه، و لا أحرصتني له علة، و لا أوتى جمعى من قلة، فكنت أهنئ نفسى الثانية بعد هناء نفسى الأولى، و أعترف للزمان باليد الطولى، فالحمد لله الذى جمع الشمل بعد شتاته، و أحيا الأانس بعد مماته، سبحانه لا مبدل لكلماته. و إياه أسأل أن يجعل العصمة حظّ سيدى و نصيبه، فلا يستطيع حادث أن يصيبه، و أنا أخرج له بثّ كمين، و نصح أنا به قمين، بعد أن أسبر غوره، و أخبر طوره، و أرصد دوره، فإن كان له فى التشريق أمل، و فى ركب الحجاز ناقة و جمل، و رأى فيه قد نجحت منه نية و عمل، فقد غنى عن عرف البقرات، بأزكى الثمرات، و أطفأ هذه الجمرات، برمى الجمرات، و تأنس بوصل السرى و وصال السراء، و أنا به إن رضيني أراضى مرافق، و لواء عزى به خافق، و إن كان على السكون بناؤه، و انصرف إلى الإقامة اعتناؤه، فأمر له ما بعده، و الله يحفظ من الغير سعده، و الحقّ أن تحذف الأبهة و تختصر، و يحفظ اللسان و يغضّ البصر، و ينخرط فى الغمار، و يخلى عن المضمار، و يجعل من المحظور مداخلة من لا خلاق له، ممّن لا يقبل الله تعالى قوله و لا عمله، فلا يكتم سرا، و لا يتطوق من الرجولة زرا، و يرفض زمام السلامة، و ترك العلامة على النجاة علامة. و أما حالى فكما علمتم ملازم كنّ، و مهبط تجربة و سن،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٧٨

أزجى الأيام، و أروم بعد التفريق الائتام، خالى اليد، ملئ القلب و الخلد، بفضل الواحد الصّمد، عامل على الرّحلة الحجازية التى اختارها لكم و لنفسى، و أصل فى التماس الإعانة عليها يومى بأمسى، أوجب ما قرّرت لكم ما أنتم أعلم به من ودّ قرّرت الأيام و الشهور، و الخلوص المشهور، و ما أطلت فى شىء عند قدومى على هذا الباب الكريم إطالتي فيما يختصّ بكم من موالاته، و بذل

مجهود القول و العمل فى مرضاته. و أما ذكركم فى هذه الأوضاع فهو ممّا يقَرّ عين المجادة، و الوظيفة التى ينافس فيها أولو السيادة، و الله يصل بقاءكم، و يبسر لقاءكم، و السلام؛ انتهى.

و من نثر لسان الدين ما أثبتته فى «الإحاطة» فى ترجمة ابن خلدون صاحب التاريخ الذى تكرر نقلنا منه فى هذا التأليف.

[ترجمة ابن خلدون من إنشاء لسان الدين]

و لنذكر الترجمة بجملتها فنقول: قال رحمه الله تعالى فى «الإحاطة» ما نصّه:

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى، من ذرية عثمان أخى كريب المذكور فى نبهاء ثوار الأندلس، و ينسب سلفهم إلى وائل بن حجر، و حاله عند القدوم على رسول الله صلى الله عليه و سلم معروفة. انتقل سلفه من مدينة إشبيلية عن نباهة و تعين عند الحادثة بها أو قبل ذلك، فاستقر بتونس منهم ثانى المحمدين محمد بن الحسن، و تناسلوا على حشمة و سراوة و رسوم حسنة، و تصرّف جدّ المترجم به فى القيادة. و أما المترجم به فهو رجل فاضل، حسن الخلق، جمّ الفضائل، باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، و قور المجلس، خاصى الزى، على الهمة، عزوف عن الضيم، صعب المقادة، قوى الجأش، طامح لقنن الرياسة، خاطب للحظّ، متقدّم فى فنون عقلية و نقلية، متعدّد المزاي، سيد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصوّر، بارع الخطّ، مغرى بالتجلى، جواد حسن العشرة، مبذول المشاركة، مقيم لرسم التعين، عاكف على رعى خلال الأصاله، مفخر من مفاخر التخوم المغربية. قرأ القرآن ببلده على المكتب ابن برال، و العربية على المقرئ الزواوى و غيره، و تأدّب بأبيه، و أخذ عن المحدث أبى عبد الله بن جابر الوادى آشى. و حضر مجلس القاضى أبى عبد الله بن عبد السلام، و روى عن الحافظ أبى عبد الله السطى، و الرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى، و لازم العالم الشهير أبى عبد الله الأبلى و انتفع به. انصرف من إفريقية منشئه بعد أن تعلق بالخدمة السلطانية على الحدائث، و إقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة، عام ثلاثة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٧٩

و خمسين و سبعمائة، و عرف فضله، و خطبه السلطان منفق سوق العلم و الأدب أبو عنان فارس بن على بن عثمان، و استحضره بمجلس المذاكرة، و عرف حقه، و أوجب فضله، و استعمله على الكتابة أوائل عام ستّ و خمسين، ثم عظم عليه حمل الخاصه من طلبه الحضرة لبعده عن حسن التانى، و شغوفه بثقوب الفهم و جودة الإدراك، فأغروا به السلطان إغراء عضده ما جبل عليه عهدئذ من إغفال التحفظ ممّا يريب لديه، فأصابته شدة تخلّصه منها أجله، كانت مغربة فى جفاء ذلك الملك و هناة جواره، و إحدى العواذل لأولى الهوى فى القول بفضله و عدم الخشوع و إهمال التوسّل و إبادة المكسوب فى سبيل النفقة و الإرضاخ على زمن المحنة و جار المنزل الخشن، إلى أن أفضى الأمر إلى السعيد ولده، فأعته قيم الملك لحينه، و أعاده إلى رسمه، و دالت الدولة إلى السلطان أبى سالم، و كان له به الاتصال قبل تسوّع المحنة بما أكد حظوته، فقلّده ديوان الإنشاء مطلق الجرايات، محرّر السهام، نبيه الرتبة، إلى آخر أيامه.

و لما ألت الدولة مقادها بعده إلى الوزير عمر بن عبد الله مدبر الأمر، و له إليه وسيلة، و فى حليه شركة، و عنده حقّ، رابه تقصيره عمّا ارتمى إليه أمله، فساء ما بينهما بما آل إلى انفصاله عن الباب المرينى. و ورد على الأندلس فى أوّل ربيع الأوّل عام أربعة و ستين و سبعمائة، و اهتزّ له السلطان، و أركب خاصيته لتلقيه، و أكرم وفادته، و خلع عليه و أجلسه بمجلسه. و لم يدخر عنه برًا و مؤاكله و مراكبة و مطايبة و فكاهاة.

و خاطبنى لما حلّ بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرنى الآن، فأجبتة عنها بقولى: [الطويل]

حللت حلول الغيث فى البلد المحل على الطائر الميمون و الرحب و السهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه من الشيخ و الطفل المهديّ و الكهل

لقد نشأت عندي للقياك غبطة تنسى اغتباطى بالشبية والأهل

أقسمت بمن حجت قريش لبيته، و قبر صرفت أزمه الأحياء لميته، و نور ضربت الأمثال بمشكاته و زيتته، لو خيرت أيها الحبيب الذى زيارته الأمنية، السنية، و العارفة، الوارفة،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨٠

و اللطيفة، المطيفة، بين رجع الشباب يقطر ماء، و يرفّ نماء، و يغازل عيون الكواكب، فضلا عن الكواعب، إشارة و إيماء، بحيث لا الوخط يلّم بسياج لمتته، أو يقدح ذبالة فى ظلمته، أو يقوم حواريه فى ملتته، من الأحابش و أمته، و زمانه روح وراح، و مغدى فى النعيم و مراح، و قصف صراح، و رقى و جراح، و انتحاب و اقتراح، و صدور ما بها إلّا انشراح، و مسرات تردفها أفراح، و بين قدومك خليع الرّسن، ممتعا و الحمد لله باليقظة و الوسن، محكما فى نسك الجنيد أو فتك الحسن، ممتعا بظرف المعارف، مالتا أكف الصيارف، ماحيا بأنوار البراهين شبه الزخارف، لما اخترت الشباب و إن راقنى زمنه، و أعيانى ثمنه، و أجدت سحائب دمعى دمنه، فالحمد لله الذى رقى جنون اغترابى، و ملكنى أزمه آرابى، و غبطنى بمائى و ترابى، و مألّف أترابى، و قد أغصّنى بلذيد شرابى، و وقّع على سطره المعبرة إضرابى، و عجلت هذه مغبّطة بمناخ المطية، و منتهى الطية، و ملتقى السعود غير البطية، و تهتّى الآمال الوثيرة الوطنية، فما شئت من نفوس عاطشه إلى ريك، متجمله بزيك، عاقله خطى مهرىك، و مولى مكارمه نشيده أمثالك، و مظانّ مثالك، و سيصدق الخبر ما هنالك، و يسع فضل مجدك فى التخلف عن الإصحار، لا بل اللقاء من وراء البحار، و السلام».

و لما استقرّ بالحضرة جرت بينى و بينه مكاتبات أقطعها الطرف جانبه، و أوضح الأدب مذاهبه، فمن ذلك ما خاطبته به و قد تسرى

جارية رومية اسمها هند صبيحة الابتاء بها: [السريع]

أوصيك بالشيخ أبى بكره لا تأمن فى حاله مكره

و اجتنب الشكّ إذا جئته جنبك الرحمن ما تكره

سدى لا- زلت تتصف بالوالج، بين الخلاخل و الدمالج، و تركض فوقها ركض الهمالج. أخبرنى كيف كانت الحال، و هل حطت بالقاع من خير البقاع الرّحال، و أحكم بمرود المراودة الاكتحال، و ارتفع بالسّيقا الإمحال، و صحّ الانتحال، و حصص الحقّ و ذهب المحال، و قد طولعت بكلّ بشرى و بشر، و زفت هند منك إلى بشر، فله من عشية، تمتعت من الربيع بفرش موشية، و أبدلت منها أى آساد و حشية، و قد أقبل طيبى الكناس، من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨١

الدّيماس، و مطوق الحمام، من الحمايم، و قد حسّنت الوجه الجميل التطرية، و أزيلت عن الفرع الأثيث الإبرية، و صقلت الخدود فكأنها الأمرية، و سلطت الدلك على الجلود، و أغريت النورة بالشعر المولود، و عادت الأعضاء يزلق عنها اللّمس، و لا تنالها البنان الخمس، و السّحنة يجول فى صفحتها الفضية ماء النعيم، و المساوك يلبى من ثنية التّعيم، و القلب يرمى من الكفّ الرقيم بالمقعد المقيم، و ينظر إلى نجوم الوشوم فيقول: إنى سقيم، و قد تفتّح ورد الخفر، و حكم لزنجى الظّفيرة بالظّففر، و اتّصف أمير الحسن بالصّيدود المغتفر، و رشّ بماء الطيب، ثم أعلق بباله دخان العود الرطيب. و أقبلت الغادة، يهديها اليمن و ترفّها السعادة، فهى تمشى على استحيا، و قد ذاع طيب الريا وراق حسن المحيا، حتى إذ نزع الخفّ، و قبلت الأكفّ، و صخب المزمار و تجاوب الدّفّ، و ذاع الأرج، و ارتفع الحرج، و تجوّز اللوا و المنعرج، و نزل على بشر بزيارة هند الفرج، اهتزت الأرض و ربت، و عوصيت الطّباع البشرية فأبت، و لله درّ القائل: [المتقارب]

و مرّت فقالت: متى نلتقى؟ فهشّ اشتياقا إليها الخيث

و كاد يمزق سرباله فقلت: إليك يساق الحديث

فلما انسدل جنح الظلام، و انتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة السلام، و خاطت خيوط المنام عيون الأنام، تأتّى دنوّ الجلسة، و

مسارقة الخلسة، ثم عضه النهد، وقبله الفم والخذ، وإرسال اليد من النجد إلى الوهد، وكانت الإمالة القليلة قبل المد، ثم الإفاضة فيما يغط ويرغب، ثم الإماطة لما يشوش ويشغب، ثم إعمال المسير، إلى السرير: [الطويل]

و صرنا إلى الحسنی، و رقّ كلامنا و رضت فذلت صعبة أیّ إذلال

و هذا بعد منازعة للأطواق يسيرة، يراها الغيد من حسن السيرة، ثم شرع في التكة، و نزع الشكة، و تهيئة الأرض العزاز عمل السكة، ثم كان الوحى و الاستعجال، و حمى الوطيس و المجال، و علا- الجزء الخفيف، و تضافت الخصور الهيف، و تشاطر الطبع العفيف، و تواتر التقيل، و كان الأخذ الويل، و امتاز الأنوك من النبيل، و منها جائر و على الله قصد السبيل، فيا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨٢

لها من نعم متداركة، و نفوس في سبيل القحة متهاككة، و نفس يقطع حروف الحلق، و سبحان الذى يزيد فى الخلق، و عظمت الممانعة، و كثرت باليد المصانعة، و طال التراوغ و التزاور، و شكى التحاور، و هنالك تختلف الأحوال، و تعظم الأهوال، و تخسر أو تربح الأموال، فمن عصا تنقلب ثعبانا مينا، و نونة تصير تينا، و بطل لم يهمله المعترك الهائل، و الوهم الزائل، و لا حال بينه و بين قرنه الحائل، فتعدى فتكه السليك إلى فتكه البراض، و تقلد مذهب الأزارقة من الخوارج فى الاعتراض، ثم شق الصف، و قد خضب الكف، بعد أن كان يصيب البوسى بطعنته، و يبوء بمقت الله و لعنته: [الطويل]

طعنت ابن عبد الله طعنة تائر لها نفذ لو لا الشعاع أضاءها

و هناك هدأ القتال، و سكن الخبال، و وقع المتوقع فاستراح البال، و تشوف إلى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد بمبال، و كثر السؤال عن المبال، بما بال، و جعل الجريح يقول و قد نظر إلى دمه، يسيل على قدمه: [البيسط]

إنى له عن دمي المسفوك معترذر أقول حملته فى سفكه تعباً

و من سنان عاد عنانا، و شجاع صار جباناً، كلما شابهت شائبة ربية، أدخل يده فى جيبه، فأنحجرت الحية، و ماتت الغريزة الحية، و هناك يزيغ البصر، و يخذل المنتصر، و يسلم الأسر، و يغلب الحصر، و يجفّ اللعاب، و يظهر العاب، و يخفق الفؤاد، و يكبو الجواد، و يسيل العرق، و يشتد الكرب و الأرق، و ينشأ فى محل الأمن الفرق، و يدرك فرعون الغرق، و يقوى اللجاج و يعظم الخرق، فلا تزيد الحال إلّا شدة، و لا تعرف تلك الجائحة المؤمنة إلّا ردة: [الطويل]

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فكم مغرى بطول اللبث، و هو من الخبث، يؤمل الكثرة، ليزيل المعزة، و يستنصر الخيال، و يعمل باليد الاحتيال: [الرجز]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨٣

إنك لا تشكو إلى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

و معتذر بمرض أصابه، جرّعه أوصابه، و وجع طرقة، جلب أرقه، و خطيب أرتج عليه أحيانا، فقال: سيحدث الله بعد عسر يسرا و بعد عى بياناً، اللهم إنا نعوذ بك من فضائح الفروج إذا استغلقت أقفالها، و لم تتسم بالنجيع أغفالها، و من معرات الأقدار، و النكول عن الأبيكار، و من النزول عن البطون و الشرر، و الجوارح الحسنه الغرر، قبل ثقب الدرر، و لا تجعلنا ممن يستحى من البكر بالغداه، و تعلم منه كلال الأداة، و هو مجال فضحت فيه رجال، و فراش شكيت فيه أوجال، و أعملت رويّه و ارتجال، فمن قائل: [السريع]

أرفعه طورا على إصبعي و رأسه مضطرب أسفله

كالحنش المقتول يلقي على عود لكى يطرح فى مزبله

و قائل: [السريع]

عدمتم من أيرى قوى حشه يا حسرة المرء على نفسه!

تراه قد مال على أصله كحائط خرّ على أسه

و قائل: [الطويل]

أ يحسدنى إبليس داءين أصبحا برجلي و رأسى دملا و زكاما
فليتهما كانا به و أزيده رخاوة أير لا يطيق قياما
إذا نهضت للنيك أزاب معشر توسد إحدى خصيتيه و ناما

و قائل: [الطويل]

أقول لأيرى و هو يرقب فتكته به: خبت من أير و عالتك داهيه
إذا لم يكن للأير بخت تعدرت عليه وجوه النيك من كل ناحيه
و قائل: [الطويل]

تعقف فوق الخصيتين كأنه رشاء إلى جنب الركية ملتف
كفرخ ابن ذى يومين يرفع رأسه إلى أبويه ثم يدركه الضعف
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨٤
و قائل: [الطويل]

تكزش أيرى بعد ما كان أملسا و كان غتيا من قواه فأفلسا
و صار جوابى للمها إن مررن بى «مضى الوصل إلا منية تبعث الأسي»
و قائل: [الطويل]

بنفسى من حيتته فاستخف بى و لم يخطر الهجران يوما على بالى
و قابلنى بالغور و التجد بعد ما حططت به رحلى و جرّدت سربالى
و ما أرتجى من موسر فوق تكة عرضت له شيئا من الحشف البالى

هموم لا- تزال تبكى، و علل الدهر تشكى، و أحاديث تقصّ و تحكى، فإن كنت أعزك الله سبحانه من النمط الأول، و لم تقل:
[الطويل]

و هل عند رسم دارس من معول فقد جنيت الثمر، و استطبت السمر، فاستدع الأبواق من أقصى المدينة، و اخرج على قومك فى ثياب
الزينة، و استبشر بالوفود، و عرّف المسمع عازفة الجود، و تبجح بصلابه العود، و إنجاز الوعود، و اجن رميان النهود، من أغصان
القدود، و اقطف بينان اللثم أقاح الثغور و ورد الخدود، و إن كانت الأخرى فأخف الكمد، و ارض الشمد، و انتظر الأمد، و أكذب
التوسم، و استعمل التّبسم، و استكتم النسوة، و أفض فيهنّ الرشوة، و تقلد المغالطة و ارتكب، و جىء على قميصه بدم كذب، و استنجد
الرحمن، و استعن على أمرك بالكتمان: [الكامل]

لا تظهرنّ لعاذل أو عاذر حاليك فى الضراء و السراء

فلرحمة المتفجعين حرارة فى القلب مثل شماتة الأعداء

و انشق الأرج، و ارتقب الفرج، فكم غمام طما و ما رميت إذ رميت و لكنّ الله رمى [سورة الأنفال، الآية: ١٧] و املك بعدها عنان
نفسك حتى تمكّنك الفرصة، و ترفع إليك القصية، و لا- تسرع إلى عمل لا تفيء منه بتمام، و خذ عن إمام، و لله درّ الحارث بن
هشام: [الكامل]

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهري بأشقر مزبد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨٥

و علمت أنى إن أقاتل دونهم أقتل، و لم يضرر عدوى مشهدى

ففررت منهم و الأحنه فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

و اللبانات تلين و تجمح، و المآرب تدنو و تنزح، و تحرن ثم تسمع، و كم من شجاع خام، و يقظ نام، و دليل أخطأ الطريق، و أضلّ الفريق، و الله عزّ و جلّ يجعلها خلّه موصوله، و شملا أكنافه بالخير مشموله، و بنيه أركانها لركائب اليمن مأموله، حتى تكثر خدم سيدي و جواريه، و أسرته و سراريه، و تصفو عليه نعم باريه، ما طورد قنيص، و اقتحم عيص، و أدرك مرام عويص، و أعطى زاهد و حرم حريص، و السلام.

تواليفه- شرح البرده شرحا بديعا دلّ به على انفساخ ذرعه، و تفنن إدراكه، و غزارة حفظه، و لخص كثيرا من كتب ابن رشد، و علق للسلطان أيام نظره في العقليات تقييدا في المنطق، و لخص محصل الإمام فخر الدين الرازي، و به داعبته أول لقيه، فقلت له: لى عليك مطالبة فإنك لخصت «محصيلي». و ألف كتابا في الحساب، و شرع في هذه الأيام في شرح الرجز الصادر عنى في أصول الفقه بشيء لا غاية فوقه في الكمال.

و أما نثره و سلطانياته السجعية فخلج بلاغه، و رياض فنون، و معادن إبداع، يفرغ عنها يراعه الجريء، شبيهة البداءات بالخواتم، في نداوة الحروف، و قرب العهد بحريه المداد، و نفوذ أمر القريحه، و استرسال الطبع.

و أما نظمه فنهض لهذا العهد قدما في ميدان الشعر، و نقده باعتبار أساليبه فانثال عليه جوه، و هان عليه صعبه، فأتى منه بكل غريبه.

خاطب السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الكريم عام اثنين و ستين و سبعمائة بقصيدة طويلة أولها: [الكامل]

أسرفن في هجرى و فى تعذيبى و أظن موقف عبرتى و نحيبى

و أبين يوم البين وقفه ساعة لوداع مشغوف الفؤاد كئيب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨٦

لله عهد الظاعنين و غادروا قلبى رهين صبايه و وجيب

غربت ركائبهم و دمعى سافح فشرقت بعدهم بماء غروبى

يا ناقعا بالعتب غلة شوقهم رحماك فى عدلى و فى تأنيبى

يستعذب الصّب الملام و إننى ماء الملام لدى غير شريب

ما هاجنى طرب و لا اعتاد الجوى لو لا تذكر منزل و حبيب

أهفو إلى الأطلال كانت مطلعا للبدر منهم أو كناس ريب

عبثت بها أيدى البلى و ترددت فى عطفها للدهر آى خطوب

تبلى معاهدها و إنّ عهدها ليجدها و صفى و حسن نسيبى

و إذا الديار تعرّضت لمتيم هزنة ذكرها إلى التشيب

إيه على الصبر الجميل فإنه ألوى بدين فؤادى المنهوب

لم أنسها و الدهر يثنى صرفه و يغض طرفى حاسد و رقيب

و الدار موقنة محاسنها بما لبست من الأيام كل قشيب

يا سائق الأظعان تعتسف الفلا و تواصل الإسآد بالتأويب

متهافتا عن رحل كل مدلل نشوان من أين و مس لغوب

تتجاذب النفحات فضل ردايه فى ملتقاها من صبا و جنوب

إن هام من ظميا الصبايه صحبه نهلوا بمورد دمعهم المسكوب

أو تعترض مسراهم سدف الدجى صدعوا الدجى بغرامه المشبوب

فى كلّ شعب منية من دونها هجر الأمانى أو لقاء شعوب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨٧
 هلمّا عطفت صدورهنّ إلى التى فيها لبانة أعين و قلوب
 فتؤمّ من أكناف يثرب مأمنا يكفيك ما تخشاه من تثريب
 حيث النبوة آيها مجلوة تلو من الآثار كلّ غريب
 سرّ غريب لم يحجبه الثرى ما كان سرّ الله بالمحجوب
 و منها بعد تعديد معجزاته صلى الله عليه و سلم:
 يا سيد الرّسل الكرام ضراعة نقضى منى نفسى و تذهب حوبى
 عاقت ذنوبى عن جنابك و المنى فيها تعللتى بكلّ كذوب
 لا كالألى صرفوا العزائم للتقى فاستأثروا منها بخير نصيب
 لم يخلصوا لله حتى فرقوا فى الله بين مضاجع و جنوب
 هب لى شفاعتك التى أرجو بها صفحا جميلا عن قبيح ذنوبى
 إنّ النجاة و إنّ أتيحت لامرئ فبفضل جاهك ليس بالتسيب
 إني دعوتك و اتقا يا جابتى يا خير مدعوّ و خير مجيب
 قصرت فى مدحى فإن يك طيبا فيما لذكرك من أريج الطيب
 ما ذا عسى يبعي المطيل و قد حوى فى مدحك القرآن كلّ مطيب
 يا هل تبغنى الليالى زورة تدنى إلى الفوز بالمرغوب
 أمحو خطيئاتي يا خلاصى بها و أحطّ أوزارى و إصر ذنوبى
 فى فتيه هجروا المنى و تعودوا إنضاء كلّ نجيبه و نجيب
 يطوى صحائف ليلهم فوق الفلا ما شئت من خيب و من تقريب
 إن رنم الحادى بذكرك ردّدوا أنفاس مشتاق إليك طروب
 أو غرّد الرّكب الجلى بطيبه حنّوا لمغناها حنين التيب
 ورثوا اعتساف البيد عن آبائهم إرث الخلافة فى بنى يعقوب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨٨
 الطاعنون الخيل و هى عوايس يغشى مثار التّع كلّ سيب
 و الواهبون المقربات هواتنا من كلّ خوار العنان لعوب
 و المانعون الجار حتى عرضهم فى متدى الأعداء غير معيب
 تخشى بوادرهم و يرجى حلمهم و العزّ شيمه مرتجى و مهيب
 و منها:

سائل به طامى العباب و قد سرى تزجى بريح العزم ذات هبوب
 تهديه شهب أسنة و عزائم يصدعن ليل الحادث المرهوب
 حتى انجلت ظلم الضلال بسعيه وسطا الهدى بفريقها المغلوب
 يا ابن الألى شادوا الخلافة بالتقى و استأثروك بتاجها المعصوب

جمعوا بحفظ الدين آى مناقب كرموا بها فى مشهد و مغيب
 لله مجدك طارفا أو تالدا فلقد شهدنا منه كلّ عجيب
 كم رهبة أو رغبة لك و العلا تقتاد بالترغيب و الترهيب
 لا زلت مسرورا بأشرف دولة يبدو الهدى من أفقها المرقوب
 تحيى المعالى غاديا أو رائحا و جديد سعدك ضامن المطلوب
 و قال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هديّة ملك السودان إليه و فيها الزرافة: [الكامل]

قدحت يد الأشواق من زندى و هفت بقلبي زفرة الوجد
 و نبذت سلوانى على ثقة بالقرب فاستبدلت بالبعد
 و لربّ وصل كنت آمله فاعتضت منه مؤلم الصّد
 لا عهد عند الصبر أطلبه إنّ الغرام أضع من عهدى
 يلحى العذول فما أعنّفه و أقول ضلّ فأبتغى رشدى
 و أعارض التّفحات أسألها برد الجوى فتزيد فى الوجد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨٩
 تهدى الغرام إلى مسالكها لتعلّى بضعيف ما تهدى
 يا سائق الوجناء معتسفا طىّ الفلاة لطية الوجد
 أرح الركاب ففى الصّبا نبأ يغنى عن المستنّة الجرد
 وسل الربوع برامة خيرا عن ساكنى نجد و عن نجد
 ما لى تلام على الهوى خلقى و هى التى تأبى سوى الحمد
 لأبيت إلّا الرشد مذ وضحت بالمستعين معالم الرشد
 نعم الخليفة فى هدى و تقى و بناء عزّ شامخ الطود
 نجل السّراه الغرّ شأنهم كسب العلا بمواهب الوجد
 و منها:

لله منى إذ تأوّبنى ذكراه و هو بشاهق فرد
 شههم يفلّ بواترا قضا و جموع أقيال أولى أيد
 أوريت زند العزم فى طلبى و قضيت حقّ المجد من قصدى
 و وردت عن ظميا مناهله فرويت من عزّ و من رقد
 هى جنّة المأوى لمن كلفت آماله بمطالب المجد
 لو لم أعلّ بورد كوثرها ما قلت هذى جنّة الخلد
 من مبلغ قومى و دونهم قذف النوى و تنوفة البعد
 أنى أنفت على رجائهم و ملكت عزّ جميعهم وحدى
 و منها:

و رقيمة الأعطاف حالية موشية بوشائع البرد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٩٠

وحشيئة الأنساب ما أنست في موحش البيداء بالقرد
تسمو بجيد بالغ صعدا شرف السروح بغير ما جهد
طالت رؤوس الشامخات به و لربما قصرت عن الوهد
قطعت إليك تائفًا وصلت إسآدها بالنصّ و الوحد
تحدى على استصعابها ذللا و تبيت طوع القرن و القدّ
بسعودك اللائي ضمّن لنا طول الحياة بعيشه رغد
جاءتك في وفد الأحابش لا يرجون غيرك مكرم الوفد
وافوك أنضاء تقلّبهم أيدي السرى بالغور و النجد
كالطيف يستقرى مضاجعه أو كالحسام يسلّ من غمد
يثنون بالحسنى التي سبقت من غير إنكار و لا حجد
و يرون لحظك من وفادتهم فخرا على الأتراك و الهند
يا مستعينا جلّ في شرف عن رتبة المنصور و المهدي
جازاك ربك عن خليقته خير الجزاء فنعم ما تسدى
و بقيت للدنيا و ساكنها في عزّة أبدا و في سعد
و قال يخاطب عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب: [الكامل]
يا سيد الفضلاء دعوة مشفق نادى لشكوى البثّ خير سميع
ما لي و للإقصاء بعد تعلّ بالقرب كنت لها أجلّ شفيع
و أرى اللبالي رنقت لي صافيا منها فأصبح في الأجاج شروعي
و لقد خلصت إليك بالقرب التي ليس الزمان لشملمها بصدوع
و وثقت منك بأى وعد صادق أنى المصون و أنت غير مضيع
و سما بنفسى للخليفة طاعه دون الأنام هواك قبل نزوع
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٩١
حتى انتحاني الكاشحون بسعيهم فصددتهم عنى و كنت منيعي
رغمت أنوفهم بنجح و سائلى و تقطعت أنفاسهم بصنيعي
و بغوا بما نقموا على خلائقى حسدا فرامونى بكل شنيع
لا تطمعنهم ببذل فى التى قد صنتها عنهم بفضل قنوعى
أنى أضام و فى يدي القلم الذى ما كان طيعة لهم بمطيع
ولى الخصائص ليس تأبى رتبة حسبى بعلمى ذاك من تفريعى
قسما بمجدك و هو خير أليئه أعتدها لفؤادى المصدوع
إنى لتصطحب الهموم بمضجعى فتحول ما بينى و بين هجوعى
عطفًا على بوحدتى عن معشر نفت الإباء صدودهم فى روعى
أغدو إذا باكرتهم متجلدا و أروح أعثر فى فضول دموعى
حيران أو جس عند نفسى خيفة فتسرّ فى الأوهام كلّ مروع

أطوى على الزفرات قلبا آده حمل الهموم تجول بين ضلوعى
و لقد أقول لصرف دهر رابنى بحوادث جاءت على تنويع
مهلا عليك فليس خطبك ضائرى فلقد لبست له أجنّ دروع
إنى ظفرت بعصمه من أوحد بدّ الجميع بفضلها المجموع
و قال يخاطب بعض الوزراء فى حال وحشة: [الطويل]
هنيئا بصوم لا عداه قبول و بشرى بعيد أنت فيه منيل
و هنيئها من عزّة و سعادة تتابع أعوام بها و فصول
سقى الله دهرا أنت إنسان عينه و لا مسّ ربعا فى حماك محول
فعصرك ما بين الليالى مواسم لها غرر و ضاحه و حجول
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٩٢
و جانبك المأمول للوجود مشرع يحوم عليه عالم و جهول
عساک و إن ضنّ الزمان منوّلى فرسم الأمانى من سواك محيل
أجرنى و ليس الدهر لى بمسالمة إذا لم يكن لى فى ذراك مقيل
و أوليتنى الحسنى بما أنا آمل فمثلك يولى راجيا و ينيل
و و الله ما رمت الترحّل عن قلبى و لا سخط للعيش فهو جزيل
و لا رغبة فى هذه الدار إنها لظلّ على هذا الأنام ظليل
و لكن نأى بالشعب عنى حباب دعاهنّ خطب للفراق طويل
يهيج بهنّ الوجد أنى نازح و أن فؤادى حيث هنّ حلول
عزيز عليهنّ الذى قد لقيته و أن اغترابى فى البلاد يطول
توارت بأنبائى البقاع كأننى تخطفّت أو غالت ركابى غول
ذكرتك يا مغنى الأحبّه و الهوى فطارت بقلبى أنّه و عويل
و حييت عن شوق رباك كأنما يمثّل لى نوى بها و طول
أحبابنا و العهد بينى و بينكم كريم، و ما عهد الكريم يحول
إذا أنا لم ترض الحمول مدامعى فلا قرّبتنى للقاء حمول
إلام مقامى حيث لم ترد العلا مرادى و لم تعط القيادة ذلول
أجاذب فضل العمر يوما و ليلة و ساء صباح بينها و أصيل
و يذهب فيما بين يأس و مطمع زمان بنيل المكرمات بخيل
تعلّنى منه أمان خوادع و يؤيسنى لئان منه مطول
أما لليال لا تردّ خطوبها ففى كبدى من وقعهنّ فلول
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٩٣
يروّعنى من صرفها كلّ حادث تكاد له صمّ الجبال تزول
أدارى على رغم العدا لا لريبة يصانع واش خوفها و عدول
و أغدو بأشجانى عليلا كأنما تجود بنفسى زفرة و غليل

و إني و إن أصبحت في دار غربه تحيل الليالي سلوتي و تزيل
و صدّتنى الأيام عن خير منزل عهدت به أن لا يضام نزيل
لأعلم أنّ الخير و الشّرّ ينتهي مداه و أنّ الله سوف يدل
و أنى عزيز بابن ماساى مكثّر و إن هان أنصار و بان خليل
و قال يمدح: [الكامل]

هل غير بابك للغريب مؤمل أو عن جنابك للأمانى معدل
هى همّة بعثت إليك على النوى عزمًا كما شحذ الحسام الصّيقل
متبوّأ الدنيا و منتجّع المنى و الغيث حيث العارض المتهلّل
حيث القصور الزاهرات منيفه تعنى بها زهر النجوم و تحفل
حيث الخيام البيض ترفع للعلا و المكرمات طرفها المتهدّل
حيث الحمى للعزّ دون مجاله ظلّ أقاءته الوشيع الذّبّل
حيث الكرام ينوب عن نار القرى عرف الكباء بحيّهم و المندل
حيث الجياد أمّلهنّ بنو الوغى ممّا أطالوا فى المغار و أوغلوا
حيث الوجوه الغرّ قنّعها الحيا و البشر فوق جبينها يتهلّل
حيث الملوّك الصّيد و النفر الألى عزّ الجوار لديهم و المنزل

و أنشد السلطان أبا عبد الله بن أبى الحجاج لأول قدومه ليله الميلاد الكريم عام أربعة و ستين و سبعمائة هذه القصيدة: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٩٤
حيّ المعاهد كانت قبل تحيينى بواكف الدمع يرويهما و يظمينى
إنّ الألى نزحت دارى و دارهم تحمّلوا القلب فى آثارهم دونى
وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم فيهم و أسأل رسما لا يناجينى
أمثل الربع من شوق و ألثمه و كيف و الفكر يدينه و يقصينى
و ينهب الوجد منى كلّ لؤلؤة ما زال جفنى عليها غير مأمون
سقت جفونى مغانى الرّبّ بعدهم فالدمع وقف على أطلاله الجون
قد كان للقلب عن داعى الهوى شغل لو أنّ قلبى إلى السلوان يدعونى
أحبابنا، هل لعهد الوصل مدّكر منكم و هل نسمه منكم تحيينى
ما لى و للطفيف لا يعتاد زائره و للنسيم عليلا لا يداوينى
يا أهل نجد، و ما نجد و ساكنها حسنا سوى جنّه الفردوس و العين
أعندكم أننى ما مرّ ذكركم إلّا انثيت كأنّ الراح تشينى
أصبو إلى البرق من أنحاء أرضكم شوقا، و لولاكم ما كان يصبينى
يا نازحا و المنى تدنيه من خلدى حتى لأحسبه قربا يناجينى
أسلى هواك فؤادى عن سواك و ما سواك يوما بحال عنك يسلينى
ترى الليالى أنستك أذكارى يا من لم يكن ذكره الأيام تنسينى
و منها:

أبعد مرّ الثلاثين التي ذهبت أولى الشباب بإحسانى و تحسينى
أضعت فيها نفيسا ما وردت به إلّا سراب غرور لا يروّينى
وا حسرتا من أمان كلّها خدع تريش غيبي و مرّ الدهر يبرينى
و منها فى وصف المشور المبني لهذا العهد:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٩٥
يا مصنعا شيدت منه السعود حمى لا يطرق الدهر مبناه بتوهين
صرح يحار لديه الطّرف مفتتنا فيما يروقك من شكل و تكوين
بعدا لإيوان كسرى إنّ مشورك ال سامى لأعظم من تلك الأواوين
ودع دمشق و مغناها فقصرك ذا «أشهى إلى القلب من أبواب جيرون»
و منها فى التعريض بالوزير الذى كان انصرافه بسببه:

من مبلغ عنى الصّحب الألى جهلوا ودى وضاع حماهم إذ أضاعونى
أنى أويت من العليا إلى حرم كادت مغانيه بالبشرى تحيّننى
و أننى ظاعن لم ألق بعدهم دهرا أشاكي و لا خصما يشاكي
لا كالتى أخفرت عهدى ليالى إذ أقلب الطّرف بين الخوف و الهون
سقىا ورعىا لأيامى التى ظفرت يداى منها بحظّ غير مغبون
أرتاد منها مليئا لا يماطلنى وعدا و أرجو كريما لا يعيّننى
و منها:

و هاك منها قواف طيّها حكم مثل الأزاهر فى طيّ الرياحين
تلوح إن جليت درّا، و إن تليت تننى عليك بأنفاس البساتين
عانيت منها بجهدى كلّ شاردة لو لا سعودك ما كانت تواتينى
يمانع الفكر عنها ما تقسّمه من كلّ حزن بطى الصدر مكنون
لكن بسعدك ذلت لى شواردها فرضت منها بتحبير و تزيين
بقيت دهرك فى أمن و فى دعه و دام ملكك فى نصر و تمكين
و هو الآن بحالته الموصوفة من الوجاهة و الحظوة قد استعمل فى السفارة إلى ملك قشتالة فراقه و عرف حقه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٩٦
مولده بتونس بلده فى شهر رمضان عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة؛ انتهى كلام لسان الدين فى حقّ ابن خلدون.

[تعليق للمؤلف على ترجمة لسان الدين لابن خلدون]

قلت: هذا كلام لسان الدين فى حقّ المذكور فى مبادئ أمره و أواسطه، فكيف لو رأى تاريخه الكبير الذى نقلنا منه فى مواضع و سمّاه «ديوان العبر، و كتاب المبتدأ و الخبر، فى تاريخ العرب و العجم و البربر، و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» و رأيت به فاس و عليه خطّه فى ثمانى مجلّدات كبار جدّا، و قد عزّف فى آخره بنفسه، و أطال، و ذكر أنه لما كان بالأندلس و حظى عند السلطان أبى عبد الله شَم من وزيره ابن الخطيب رائحة الانقباض، فقوض الرحال، و لم يرض من الإقامة بحال، و لعب بكرته صوالجّه الأقدار، حتى حلّ بالقاهرة المعزّية و اتخذها خير دار، و تولّى بها قضاء القضاء و حصلت له أمور، رحمه الله تعالى!.

و كان- أعنى الولى ابن خلدون- كثير الثناء على لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى!.

[من كلام الشيخ إبراهيم الباعونى فى حق لسان الدين]

و لقد رأيت بخط العالم الشهير الشيخ إبراهيم الباعونى الشامى فيما يتعلّق بابن خلدون ما نصّ محل الحاجة منه: تقلّبت به الأحوال حتى قدم إلى الديار المصرية، و ولى بها قضاء قضاء المالكية، فى الدولة الشريفة الظاهرية، و صحبته- رحمه الله تعالى!- فى سنة ٨٠٣ عند قدومه إلى الشام صحبة الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق فى فتنه تمرلنك عليه من الله تعالى ما يستحقّه، و أكرمه تمرلنك غاية الإكرام، و أعاده إلى الديار المصرية، و كنت أكثر الاجتماع به بالقاهرة المحروسة للمودّة الحاصلة بينى و بينه، و كان يكثر من ذكر لسان الدين بن الخطيب، و يورد من نظمه و نثره ما يشنف به الأسماع، و ينعقد على استحسانه الإجماع، و تتفاصر عن إدراكه الأطماع، فرحمة الله تعالى عليهما، و أزكى تحياته تهدى إليهما! و لقد كان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان، و له من النظم و النثر ما يزرى بعقود الجمال، مع الهمة العلية، و التبخر فى العلوم النقلية و العقلية، و كانت وفاته بالقاهرة المعزية سنة ٨٠٧، سقى الله تعالى عهده! و وطأ فى الفردوس مهده! قاله و كتبه الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن أحمد الباعونى الشافعى، غفر الله تعالى له زلله، و أصلح خلله! انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٢٩٧

[ترجمة يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى، من إنشاء لسان الدين]

و من نثر لسان الدين ما ذكره فى «الإحاطة» فى ترجمة يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى من بنى الترجمان، و لنذكر الترجمة بجملتها لاشتمالها على ما ذكر و غيره فى حق المذكور بعد قوله «إنه من بنى الترجمان» ما صورته: «عزف عنهم و انقطع إلى لقاء الصالحين، و صحبة الفقراء المتجرّدين، و كان نسيج وحده فى طلاقة اللسان، حافظاً لكل غريبة من غرائب الصوفية، يتكلم فى مشكلاتهم، حفظ «منازل السائرين» للهروى، و تائية ابن الفارض، مليح الملبس، مترفع عن الكدية، حسن الحديث، صاحب شهرة، و مع ذلك فمغضوض منه، محمول عليه، لما جبل عليه من رفض الاصطلاح، و أطراح التغافل، مولع بالنقد، و المخالفة فى كل ما يطرق سمعه، مرشحاً ذلك بالجدل المبرم، ذاهباً أقصى مذاهب القحّة، كثير الفلتات، نالته بسبب هذه البلية محن، و وسم بالرهق فى دينه مع صحبة العقل، و هو الآن عامر الرباط المنسوب إلى اللجام على رسم الشياخة، عديم التابع، مهجور الفناء. قيّد الكثير من الأجزاء، منها فى نسبة الذنب إلى الذاكر، جزء نبيل غريب المأخذ، و منها فيما أشكل من كتاب أبى محمد بن الشيخ، و صنّف كتاباً كبير الحجم فى الاعتقادات جلب فيه كثيراً من الحكايات، رأيت عليه بخط شيخنا أبى عبد الله المقرئ ما يدلّ على استحسانه. و من البرسام الذى يجرى على لسانه، بين الجد و القحّة و الجهالة و المجانة، قوله لبعض خدام باب السلطان و قد ضويق فى شىء أضجره منقولاً من خطّه، بعد ردّ كثير منه للإعراب، ما نصّه: الله نور السماوات من غير نار و لا غيرها، و السلطان ظلّ له و سراجة فى الأرض، و لكل منهما فراش ممّا يليق به و يتهافت عليه، فهو تعالى محرق فراشه بذاته، مغرفهم بصفاته و سراجة، و ظلّه هو السلطان محرق فراشه بناره، مغرفهم بزيتة و نواله، ففراش الله تعالى ينقسم إلى حافين و مسبحين و مستغفرين و أمناء و شاخصين، و فراش السلطان ينقسمون إلى أقسام لا يشدّ أحدهم عنها، و هم وزعة ابن وزعة، و كلب ابن كلب، و كلب مطلقاً، و عار ابن عار، و ملعون ابن ملعون، و قطّ، فأما الوزعة فهو المغرق فى زيت نواله المشغول بذلك عمّا يليق بصاحب النعمة من النصح و بذل الجهد، و الكلب ابن الكلب هو الكيس المتحرّز فى تهافته من إحراق و إغراق يعطى بعض الحقّ و يأخذ بعضه، و أمّا الكلب مطلقاً فهو المواجه و هو المشرد للصفهاء عن الباب المعظم القليل النعمة، و أما العار ابن العار فهو المتعاطى فى تهافته ما فوق الطوق، و لهذا امتاز هذا الاسم بالرياسة عند العامة إذا

مرّ بهم جلف أو متعاطم يقولون: هذا العار ابن العار، يحسب نفسه رئيسا، و ذلك لقرب المناسبة؛ فهو موضوع لبعض

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٩٨

الرياسة، كما أنّ الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة، و أما الملعون ابن الملعون فهو المغالط المعاند المشارك لربّه المنعم عليه في كبريائه و سلطانه، و أما القطّ فهو الفقير مثلى المستغنى عنه لكونه لا تختصّ به رتبة، فتارة في حجر الملك، و تارة في السنداس، و تارة في أعلى الرتب، و تارة محسن، و تارة مسيء، تغفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة، إذ هو من الطّوافين، متطيّر بقتله و إهانتته، تياه في بعض الأحيان بعزّة يجدها من حرمة أبقاها له الشارع، و كل ذلك لا يخفى.

و أما الفراش المحرق فهو عند الدول نوعان: تارة يكون ظاهرا و حصته مسح المصباح و تصفية زيتته، و إصلاح فتيله و ستر دخانه و مسايسته ما يكون من المطلوب منه، و وجود هذا شديد الملازمة ظاهرا، و أما المحرق الباطن فهو المشار إليه في دولته بالصلاح و الزهد و الورع فيعظمه الخلق و يترك لما هو بسبيله، فيكون وسيلة بينهم و بين ربّهم و خليفته الذي هو مصباحهم، فإذا أراد الله تعالى إهلاك المروءة و إطفاء مصباحها تولّى ذلك أهل البطالة و الجهالة، و كان الأمر كما رأيتم، و الكل فراش متهافت، و كلّ يعمل على شاكلته».

قال الوزير لسان الدين: و طلب منى الكتب عليه بمثل ذلك فكتبت ببعض أوراقه إثارة لضجره، و استدعاء لفكاهة انزعاجه، ما نصّه: «وقفت من الكتاب المنسوب لصاحبنا أبي زكريا البرغواطى على برسام محموم، و اختلاط مذموم، و انتساب زنج في روم، و كان حقّه أن يتهبّ طريقا لم يسلكها، و يتجنّب عقيله لم يملكها، إذ المذكور لم يتلقّ شيئا من علم الأصول، و لا نظر من الإعراب في فصل من الفصول، إنما هي قحّة و خلاف، و تهاون بالمعارف و استخفاف، غير أنه يحفظ في طريق القوم كلّ نادرة، و فيه رجولية ظاهرة، و عنده طلاقة لسان، و كفاية قلما تتأتى لإنسان. فإلى الله نضرع أن يعرّفنا مقادير الأشياء، و يجعلنا بمعزل عن الأغبياء. و قد قلت مرتجلا

من أول نظرة، و اجترأ بقليل من كثرة: [الخفيف]

كلّ جار لغاية مرجوة فهو عندي لم يعد حقّ الفتوة
و أراك اقتحمت ليلا بهيما مولجا منك ناقة في كوه
لا أتباعا و لا اختراعا أتتنا إذ نظرنا عروسك المجلوه
كلّ ما قلته فقد قاله الناس مقالا آياته متلوه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٩٩

لم تزد غير أن أبحث حمى الإعراب في كلّ لفظه مقروء
نسأل الله فكرة تلزم العقول إلى حشمة تحوط المروء
و عزيز على أن كنت يحيى ثم لم تأخذ الكتاب بقوة

[من لسان الدين إلى السلطان بن يغمراسن]

و من بديع نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما كتبه لسلطان تلمسان إثر قصيده سينية حازت قصب السبق، و لنثبت الكلّ هنا فنقول: قال الإمام الحافظ أبو عبد الله التنيسي نزيل تلمسان رحمه الله تعالى، عند ما جرى ذكر أمير المسلمين السلطان أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن بن زيان رحمه الله تعالى، ما صورته: و كان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب كثيرا ما يوجه إليه بالأمداح، و من أحسن ما وجه له قصيدة سينية فائقة، و ذلك عند ما أحسّ بتغيّر سلطانه عليه، فجعلها مقدّمة بين يدي نجواه، لتمهد له مثواه، و تحصل له المستقرّ، إذ ألجأ الأمر إلى المفرّ، فلم تساعده الأيام، كما هو شأنها في أكثر الأعلام، و هي هذه: [الكامل] أطلعن في سدف الفروع شموسا ضحك الظلام لها و كان عبوسا

و عطفن قضيبا للقدود نواعما بوئن أدواح النعيم غروسا
و عدلن عن جهر السلام مخافه ال واشى فجئن بلفظه مهموسا
و سفرن من دهش الوداع و قوم هنّ إلى الترحل قد أناخوا العيسا
و خلسن من خلل الحجال إشارة فتركن كلّ حجالها مخلوسا
لم أنسها من وحشّه و الحىّ قد زجر الحمول و آثر التغلّيسا
لا الملتقى من بعدها كتب و لا عوج الركائب تسأم التجنيسا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٠٠
فوقفت وقفه هائم برحاؤه وقفت عليه و حبست تحيسا
و دعوت عيني عاتبا و عيونها بعضا النوى قد بجست تبجيسا
نافست يا عينيّ درّ دموعهم فعرضت درّا للدموع نفيسا
ما للحمى بعد الأحبّه موحشا و لكم تراءى أهلا مانوسا
و لسربه حول الخميله نافرا عمّن يحسّ به و كان أنيسا
و لظله المورد غمر قليبه لا يقتضى وردا و لا تعريسا
حيثه فأجابني رجع الصدى لا فرق بينهما إذا ما قيسا
ما إن يزيد على الإعادة صوته حرفا فيشفى بالمزيد نسيسا
نضب المعين و قلص الظلّ الذى ظلنا عكوكا عنده و جلوسا
نتواعد الرجعى و نغتمم اللقا و ندير من شكوى الغرام كؤوسا
فإذا سألت فلا تسائل مخبرا و إذا سمعت فلا تحسّ حسيسا
عهدى به و الدهر يتحف بالمنى و قد اقتضت نعماه أن لا بوسا
و العيش غصّ الرّيع و الدنيا قد اج تليت بمغناه علىّ عروسا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧؛ ص ٣٠٠
أ ترى يعيد الدهر عهدا للصبّا درست مغانى الأنس فيه دروسا
أوطان أوطار تعوّض أفقها من رونق البشر البهّى عبوسا
هيها لا تغنى لعلّ و لا عسى فى مثلها إلّا لآيه عيسى
و الدهر فى دست القضاء مدرّس فإذا قضى يستأنف التدريسا
تفننّ فى جمل الورى أبحاثه لا سيما فى باب نعم وبيسا
و سجيّه الإنسان ليس بناصل من صبغها حتى يرى مرموسا
يغترّ مهما ساعدت آماله فإذا عراه الخطب كان يؤوسا
فلو أن نفسا مكنت من رشدها يوما و قدسها الهدى تقديسا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٠١
لم تستفرّ رسوخها النعمى و لا هلعت إذا كشرت إليها البوسا
قل للزمان إليك عن متدّم بضمّان عزّ لم يكن ليخيسا
فإذا استحرّ جلاده فأنا الذى اس تغشيت من سرد اليقين لبوسا

و إذا طغى فرعونه فأنا الذى من ضرّه و أذاه عدت بموسى
أنا ذا أبو مثواه من يحمى الحمى ليثا و يعلم بالزئير الخيسا
بحمى أبى حمو حططت ركائبى لَمَا اختبرت الليث و العرّيسا
أسد الهياج إذا خطا قدما سطا فتخلف الأسد الهزبر فريسا
بدر الهدى يابى الضلال ضياؤه أبدا فيجلو الظلمة الحنديسا
جيل الوقار رسا و أشرف و اعتلى و سما فطأطأت الجبال رؤوسا
غيث النوال إذا الغمام حلوبة مثلت بأيدي الحالين بسوسا
تلقاه يوم الأنس روضا ناعما و تراه بأسا فى الهياج بئيسا
كم غمرة جلى و كم خطب كفى إن أوطأ الجرد العتاق و طيسا
كم حكمه أبدى و كم قصد هدى للسالكين أبان منه دريسا
أعلى بنى زيان و القدر الذى لبس الكمال فزّين الملبوسا
جمع الندى و البأس و الشّيم العلا و السؤدد المتواتر القدموسا
و الحلم ليس يباين الخلق الرضى و العلم ليس يعارض الناموسا
و السعد يغنى حكمه عن نصبة تستخير التريبع و التسديسا
كم راض صعبا لا يراض معاصيا كم خاض بحرا لا يخاض ضروسا
بلغ التى لا فوقها متمهّلا و علا السّها و استسفل البرجيسا
يا خير من خفقت عليه سحابة للنصر تمطره أجشّ بجيسا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٠٢
و أجلّ من حملته صهوة سابح إن كّر ضعضع كره الكردوسا
قسما بمن رفع السماء بغير ما عمد و رفّع فوقها إدريسا
و دحا البسيطة فوق لّجّ مزيد ما إن يزال على القرار حبيسا
حتى يهيب بأهله الوعد الذى حشر الرئيس إليه و المرؤوسا
ما أنت إلّا دخر دهر ك دمت فى ال صون الحرير ممتعا محروسا
لو ساومته الأرض فيك بما حوت لراك مستاما بها مبخوسا
حلف البرور بها أليّة صادق و يمين من عقد اليمين غموسا
من قاس ذاتك بالذوات فإنه جهل الوزان و أخطأ التقييسا
لا تستوى الأعيان فضل مزيّة و طبيعته فطر الإله وسوسا
لعناية التخصيص سرّ غامض من قبل ذرء الخلق خصّ نفوسا
من أنكر الفضل الذى أوتيته جحد العيان و أنكر المحسوسا
من دان بالإخلاص فيك فعقده لا يقبل التمويه و التلييسا
و المنتمى العلوى عيصك لم تكن لترى دخيلا فى بنيه دسيسا
بيت البتول و منبت الشرف الذى تحمى الملائك روحه المغروسا
أمّا سياستك التى أحكمتها و رميت بالتقصير أسطاليسا

فلو أن كسرى الفرس أبصر بعضها ما كان يطمع أن يعدى سوسا
لو سار عدلك في السنين لما اشتكت بخسا، و لم يك بعضهن كيبسا
و لو الجوارى الخنس انتسبت إلى إقدام عزمك ما خسن خنوسا
قدت الصعاب فكل صعب سامح لك بالقياد و كان قبل شموسا
تلقى الليوث و للقتام غمامة قدح الصفيح وميضها المقبوسا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٠٣
و كأنها تحت الدروع أراقم ينظرن من خلل المغافر شوسا
ما لابن مامة في القديم و حاتم ضرب الزمان بجودهم ناقوسا
من جاء منهم مثل جودك كلما حسبوا المكارم كسوة أو كيبسا
أنت الذى فتك السفين و أهله إذ أوسعت سبل الخلاص طموسا
أنت الذى أمددت ثغر الله بالص دقات تبلس كزة إلبيسا
و أعنت أندلسا بكل سبيكة موسومه لا تعرف التدنيسا
و شحنته بالبر فى سبل الرضا و البر قارب قاعها القاموسا
إن لم تجز بها الخميس فطالما جهزت فيها للنوال خميسا
و ملأت أيديها و قد كادت على حكم القضاء تشافه التفليسا
صدقت للآمال صنع جابر و كفيتها التشميع و التشميسا
و الحل و التقطير و التصعيد و ال تخمير و التصويل و التكليسا
فسكبت من آمالها مالا، و من أوراقها ورقا، و كن طروسا
بهتوا فلما استخبروا لم ينكروا وزنا و لا لونا و لا ملموسا
و تدير من قلب السطور سبائكا منها و من طبع الحروف فلوسا
و نحوت نحو الفضل تعضد منه بال مسموع ما ألفت منه مقيسا
و جبرت بعد الكسر قومك جاهدا تغنى العديم و تطلق المحبوسا
و نشرت رايه عزهم من بعد ما دال الزمان فسامها تنكيسا
أحكمت حيلة برئهم بلطافة قد أعجزت فى الطب جالينوسا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٠٤
و فللت من حد الزمان و إنه أوحى و أمضى من غرار الموسى
و شحذت حدًا كان قبل مثلما و نعشت جدًا كان قبل تعيسا
لم ترج إلا الله جل جلاله فى شدة تكفى و جرح يوسى
قدمت صباحا فاستضأت بنوره و وجدت عند الشدة التنفيسا
ما أنت إلا والى متيقن بالنجح تعمر ممرعا و يببسا
و مناجز جعل الأريكة صهوة عربيّة و المتكا القربوسا
ما إن تباع أو تشارى واثقا بالربح إلا المالك القدوسا
و العزم يفترع النجوم بناؤه مهما أقام على التقى تأسيسا

و مقام صبرك و اتكالك مذكر بحديثه الشبلي أو طاوسا
و من ارتضاه الله وفق سعيه فرأى العظيم من الحظوظ خسيسا
ما ازددت بالتمحيص إلا جدّه و نضوت من خلع الزمان لبيسا
و لطالما طرق الخسوف أهله و لطالما اعترض الكسوف شموسا
ثم انجلت نسماها عن مشرق للسعد ليس بحاذر تنعيسا
خذها إليك على النوى سيته ترضى الطباق و تشكر التجنيسا
إن طولت بالدّر من حول الطلى يوما تشكّت حظّها الموكوسا
لولاك ما أصغت لخطبه خاطب و لعنست فى بيتها تعنيسا
قصدت سليمان الزمان و قاربت فى الخطو تحسب نفسها بلقيسا
لى فيك ودّ لم أكن من بعد ما أعطيت صفقه عهده لأخيسا
كم لى بصحه عقده من شاهد لا يحذر التجريح و التدليسا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٠٥
يقفو الشهاده باليمين، و إنه لمؤمن من أن يعدّ قسيسا
لا يستقرّ قرار أفكارى إلى أن أستقرّ لدى علاك جليسا
و أرى تجاهك مستقيم السير لل قصد الذى أعملته معكوسا
هى دين أيامى فإن سمحت به لم يبق من شىء عليه يوسى
لا زال صنع الله محبوبا إلى مثواك يهدى البشر و التأنيسا
متابعا كتتابع الأيام لا يذر التعاقب جمعه و خميسا
فلو انصفتك إيالة الملك التى رضت الزمان لها و كان شريسا
قرنت بذكرك و الدعاء لك الذى تختاره التسييح و التقديسا
القلب أنت لها رئيس حياتها لم تعتبر مهما صلحت رئيسا

ثم قال الحافظ التنيسى رحمه الله تعالى بعد سرد هذه القصيدة ما معناه: إن لسان الدين بن الخطيب هذا فى هذه القصيدة السينية حذو
أبى تمام فى قصيدته التى أولها:

[الكامل]

أقشيب ربعمهم أراك دريسا تقرى ضيوفك لوعه و رسيسا
و اختلس كثيرا من ألفاظها و معانيها، انتهى.

و وصل لسان الدين هذه القصيدة بنثر بديع نصّه: «هذه القصيدة- أبقى الله تعالى أيام المثابة المولوية الموسوية ممتعة بالشمل
المجموع، و الثناء المسموع، و الملك المنصور الجموع!- نفته من باح بسرّ هواه، و لبتى دعوة الشوق العاثر بلته و قد ظفر بمن يهدى
خبر حواه إلى محلّ هواه، و يختلس بعث تحيته، إلى مثير أريحته، و هى بالنسبة إلى ما يعتقد من ذلك الكمال، الشاذّ عن الآمال،
عنوان من كتاب، و ذواق من أوقار ذات أقتاب، و إلما فمن يقوم بحقّ تلك المثابة لسانه، أو يكافىء إحسانها إحسانه، أو يستقلّ
بوصفها يراعه، أو تنهض بأيسر وظيفها ذراعاه؟ و لا مكابرة بعد الاعتراف، و البحر لا ينفد بالاغتراف، لا سيما و ذاتكم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٠٦

اليوم و الله تعالى يبقياها، و من المكاره يبقياها، و فى معارج القرب من حضرة القدس يرقياها، ياقوته اختارها و اعتبرها، ثم ابتلاها

بالتحصيص في سبيل التخصيص واختبرها، و سبيكة أخلصها و سخرها، فخلصها لتسخيره من الشوب، و أبرزها من لباب الذوب، و قصرت عن هذه الأثمان، و سرّ بصدق دعواه البهرمان، ليفاضل بين الجهام و الصيّب، و يميز الله الخبيث من الطيب، فأراكم أن لا جدوى للعديد و لا للعدة، و عرفكم بنفسه في حال الشدة، ثم فسح لكم بعد ذلك في المدّة، لتعرفوه إذا دال الرخاء، و هبت بعد تلك الزعازع الريح الرّخاء، و ملاكم من التجارب، و أوردكم من ألطافه أعذب المشارب، و نقلكم بين إمرار الزمان و إحلاته، و لم يسلبكم إلّا حقيرا عند أوليائه، و أعادكم المعاد المطهر، و ألبسكم من أثواب اختصاصه المعلم المشهّر، فأنتم اليوم بعين العناية، بالإفصاح و الكناية، قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف بالجناية، فإن كان الملك اليوم علما يدرس، و قوانين في قوّة الحفظ تغرس، و بضاعة برصد التجارب تحرس، فأنتم مالك دار هجرته المحسوبة، و أصمعي شعوبه المنسوبة، إلى ما حزتم من أشتات الكمال، المربية على الآمال، فالبيت علوى المنتسب، و الملك بين الموروث و المكتسب، و الجود يعترف به الوجود، و الدين يشهد به الركوع و السجود، و البأس تعرفه التّهائم و التّجود، و الخلق يحسده الروض المجود، و الشعر يغترف من عذب نمير، و يصدق من قال: بدىء بأمر و ختم بأمر، و إنّ مملوككم حوم من بابكم على العذب البرود، فعاقه الدهر عن الورود، و استقبل أفقه ليحقق الرّصد، و لكنه أخطأ القصد، و من أخطأ الغرض أعاد، و رجا من الزمان الإسعاد، فربما خبيء نصيب، أو كان مع الخواطيء سهم مصيب، و كان يؤمل صحبه ركاب الحجاز، فانقلت الحقيقة منه إلى المجاز، و قطعت القواطع التي لم ينلها الحساب، و منعت الموانع التي خلص منها إلى الفتنة الانتساب، و من طلب الأيام أن تجرى على اقتراحه، و جب العمل على أطراحه، فإنما هي البحر الزاخر، الذي لا يدرك منه الآخر، و الرياح متغايرة، و السفينة الحائرة، فتارة يتعدّر من المرسى الصرف،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٠٧

و تارة تقطع المسافة البعيدة قبل أن يرتدّ الطرف، هذا إن سالمها عطبها، و أعفى من الوقود حطبها، و لقد علم الله جلّ جلاله أن لقاء ذلك المقام الكريم عند الملوك تمام المطلوب، ممّن يجبر كسر القلوب، فإنه ممّا انعقد على كماله الإجماع، و صحّ في عوالم معاليه السّماع، و ارتفعت في وجود مثاله الأطماع، أخلاقا هدّ بها الكرم الوضّاح، و سجيّة كلف بها الكمال الفضاح، و حرصا على الذكر الجميل و ما يتنافس فيه إلّا من سمت هممه، و كرمت ذممه، و ألقت الخلد رومه، إذ الوجود سراب، و ما فوق التراب تراب، و لا يبقى إلّا عمل راق، أو ذكر بالجميل يسطرّ في أوراق، حسبما قلت من قصيدة كتبته على ظهر مكتوب موضوع أشار به من كانت له طاعة، فوفت بمقترحه استطاعة: [الكامل]

يمضى الزمان و كلّ فان ذاهب إلّا جميل الذكر فهو الباقي

لم يبق من إيوان كسرى بعد ذاك الحفل إلّا الذكر في الأوراق

هل كان للسفاح و المنصور و ال مهديّ من ذكر على الإطلاق

أو للرشيد و للأمين و صنوه لو لا شباة يراعة الوراق

رجع التراب إلى التراب بما اقتضت في كلّ خلق حكمه الخلاق

إلّا الثناء الخالد العطر الشّدى يهدى حديث مكارم الأخلاق

و الرغبة من مقامكم الرفيع الجناب، أن يمكنها من حسن المثاب، فتحظى بحلول ساحتها، ثم بلثم راحتها، ثم بالإصغاء، و لا- مزيد للابتغاء، إلى أن ترتفع الوساطة، و تغنى عن التركيب البساطة، و ينسى الأثر بالعين، و يحسن الدهر قضاء الدين، و نسأل الذي أغرى بها القريحة، و لم يجعل الباعث إلّا المحبّة الصريحة، أن يبقى تلك المثابة زينا للزمان، و ذخرا مكنوفا باليمن و الأمان، مظلا برحمة الرحمن، بفضلته و كرمه؛ انتهى.

[من إنشاء لسان الدين ما كتب به إلى شيخه أبي عبد الله بن مروزق]

و مِمَّا كُتِبَ بِهِ لِسَانِ الدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى الشَّيْخِ الرَّئِيسِ الْخَطِيبِ شَيْخِهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مَرْزُوقِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى حِينَ كَانَتْ أَرْزَمَةُ أَمْرَ الْمَغْرِبِ بِيَدِهِ أَيَّامَ السُّلْطَانِ أَبِي سَالِمِ بْنِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمُرِينِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الْجَمِيعِ! مَا صَوَّرَتْهُ:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٠٨

«سیدی بل مالکی بل شافعی، و منتشلی من الهفوة و رافعی، عاصمی عند تجوید حروف الصنائع و نافعی، الذی بجاهه أجزلت المنازل قرای، و فضلت أولای و المنة لله تعالی أخرای، و أصبحت و قول أبي الحسن هجیرای: [الطویل]

علقت بحبل من حبال محمد أمنت به من طارق الحدثان

تغطيت من دهرى بظل جناحه فعينى ترى دهرى و ليس يرانى

فلو تسأل الأيام ما اسمى ما درت و أين مكاني ما عرفن مكاني

وصلت مكناسه حرسها الله تعالى حداني حدو نداك، سحائب لولا الخصال المبرة قلت بذاك، و كان الوطن لاغتباطه بجواري، أو ما رآه من انتياب زواري، أوغر إلى بهت يقطع الطريق، و أطلع يده على التفريق، و أشرق القوافل مع كثرة الماء بالريق، فلم يسع إلّا المقام أياما قعودا فى البر و قياما، و اختيارا لضروب الأنس و اعتياما، و رأيت بلدة معارفها أعلام، و هواؤها برد و سلام، و محاسنها تعمل فيها ألسنة و أقلام، فحيّا الله تعالى سيدى فلکم من فضل أفاد، و أنس أحياء و قد باد، و حفظ منه على الأيام الذخر و العتاد، كما ملكه زمام الكمال فاقتاد، و أنا أتطرح عليه فى صلوات تفقده، و موالة يده، بأن يسهمنى فى فرض مخاطبته مهما خاطب معتبرا بهذه الجهات، و يصحبنى من مناصحته بكووس مسرة يعمل فيها هاك و هات، فالعز بعزه معقود، و السعد بوجوده موجود، و منهل السرور بسروره مورود، و الله عزّ و جلّ يبقية بقاء الدهر، و يجعل حبه وظيفه السيرة و حمده وظيفه الجهر، و يحفظ على الأيام من زمنه زمن الزهر، و يصل لنا تحت إيالته العام بالعام و الشهر بالشهر، آمين آمين؛ انتهى.

[من إنشائه تهنئة إلى أبي عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين]

و مما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى صاحب الأشغال بالمغرب أبا عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين يهنيه بتقلد المنصب من رسالته قوله: [المتقارب]

تعود الأمانى بعد انصراف و يعتدل الشىء بعد انحراف

فإن كان دهرى يوما جنى فقد جاء ذا خجل و اعتراف

طلع البشير أبقاك الله تعالى بقبول الخلافة المرينية، و الإمامة النسيئة، خصّها الله تعالى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٠٩

ببلوغ الأمانة، على تلك الذات التى طابت أرومتها و زكت، و تأوّهت العلياء لتذكر عهدا و بكت، و كاد السرور يتقطع لولا أنها تركت منك الوارث الذى تركت، فلو لا العذر الذى تأكدت ضرورته، و المانع الذى ربما تقررت لديكم صورته، لكنت أول مشافه بالهناء، و مصارف لهذا الاعتناء، الوثيق البناء، بنقود الحمد لله و الثناء، و هى طويلة.

[من إنشائه ما كتب به إلى قاضى الجماعة، و قد نالته مشقة]

و ممّا خاطب به رحمه الله تعالى قاضى الجماعة و قد نالته مشقة جزها غلط الخدام السوء و اشتراك الأسماء، أعتبه عندها السلطان و خلع عليه و أشاد بقدره بما نصّه: [الطویل]

تعرفت أمرا ساءنى ثم سرنى و فى صحّة الأيام لا بدّ من مرض

تعمدك المحبوب بالذات بعد ما جرى ضده، والله يكفيه بالعرض

«في مثلها سيدى يحمد الاختصار، و تقصر الأنصار، و تصرف الأبصار، إذ لم يتعين ظالم، و لم يتبين يقظ و لا حالم، و إنما هي هدية أجر، و حقيقة وصل أعقت مجاز هجر، و جرح جبار، و أمر ليس به اعتبار، و وقية لم يكن فيها إلّا غبار، و عثرة القدم لا تنكر، و الله سبحانه يحمد في كلّ حال و يشكر، و إذا كان اعتقاد الخلافة لم يشبه شائب، و حسن الولاية لم يعبه عائب، و الرعى نائب، و الجانى نائب، فما هو إلّا الدهر الحسود، لمن يسود، خمش بيد ثم سترها، و رمى عن قوس ما أصلحها- و الحمد لله- و لا أوترها، إنما باء بشينه، و جنى من مزيد العناية محنة عينه، و لا اعتراض على قدر، أعقب بحظ معتذر، و ورد نغص بكدر، ثم أنس يا كرام صدر، و حسبنا أن نحمد الدفاع من الله تعالى و الذب، و لا نقول مع الكظم إلّا ما يرضى الرب، و إذا سابق أولياء سيدى فى مضمار، و حماية ذمار، و استباق إلى برّ و ابتدار، بجهد اقتدار، فأنا و لا فخر متناول القصبه، و صاحب الدين من بين العصبه، لما بلوت من برّ أوجه الحسب، و الفضل الموروث و المكتسب، و نصح و ضح منه المذهب، و تنفيق راق منه الرداء المذهب، هذا مجمل و بيانه إلى وقت الحاجة مؤخر، و نبذة شره لتعجيلها يراع مسخر، و الله سبحانه يعلم ما أنطوى عليه لسيدى من إيجاب الحق، و السير من إجلاله على أوضح الطرق، و السلام؛ انتهى.

[و كتب إلى بعض الفضلاء]

و قال رحمه الله تعالى: خاطبت بعض الفضلاء بقولى ممّا يظهر من الجملة غرضه:

[الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣١٠

تعرفت قرب الدار ممن أحبه فكنت أجدّ السير لو لا ضروره

لأنلو من آى المحامد سورة و أبصر من شخص المحاسن صوره

كنت أبقاك الله تعالى لاغتباطى بولائك، و سرورى بلبائك، أودّ أن أطوى إليك هذه المرحلة، و أجدد العهد بلبياك المؤمّلة، فممنع مانع، و ما ندرى فى الآتى ما الله صانع، و على كل حال فشأنى قد وضح منه سبيل مسلوک، و علمه مالک و مملوک، و اعتقادى أكثر ممّا تسعه العبارة، و الألفاظ المستعاره، و موصلها ينوب عنى فى شكر تلك الذات المستكملة شروط الوزارة، المتصفه بالعفاف و الطهاره، و السلام.

[و كتب إلى السلطان أبى عبد الله بن نصر، و قد عاد ولده من الأندلس]

و قال سامحه الله تعالى يخاطب السلطان أبا عبد الله بن نصر جبره الله تعالى عند وصول ولده من الأندلس: [الكامل]

الدهر أضيّق فسخه من أن يرى بالحزن و الكمد المضاعف يقطع

و إذا قطعت زمانه فى كربته ضيقت فى الأوهام ما لا يرجع

فاقنع بما أعطاك ربك و اغتنم منه السرور و خلّ ما لا ينفع

مولاي الذى له المنز، و الخلق الجميل و الخلق الحسن، و المجد الذى وضح منه السنن، كتبه عبدك مهنتاً بنعم الله تعالى التى أفاضها عليك، و جلبها إليك، من اجتماع شملك، بنجلك، و قضاء دينك، من قرّة عينك، إلى ما تقدّم من إفلاتك، و سلامه ذاتك، و تمزّق أعدائك، و انفرادك بأودائك، و الزمن ساعه فى القصر، لا بل كلمح البصر، و كأنى بالبساط قد طوى، و التراب على الكلّ قد سوى، فلا تبقى غبطة و لا حسرة، و لا كربته و لا يسره، و إذا نظرت ما كنت فيه تجدك لا تنال منه إلّا أكله و فراشا، و كنا و رياشا، مع

توقع الوقائع، وارتقاب الفجائع، ودعاء المظلوم وصداع الجائع، فقد حصل ما كان عليه التعب، وأمن الرهب، ووضح الأمر والمذهب، والقدرة باقية، والأدعية واقية، وما تدرى ما تحكم به الأقدار، ويتمخض عنه الليل والنهار، وأنت اليوم على زمانك بالخيار، فإن اعتبرت الحال

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣١١

واجتنبت المحال، لم يخف عليك أنك اليوم خير منك أمس، من غير شك ولا لبس، وكان من أملى التوجه إلى رؤية ولدكم ولكن عارضتني موانع، ولا ندرى فى الآتى ما الله تعالى صانع، فاستنبت هذه فى تقبيل قدمه، والهناء بمقدمه، والسلام.

[و كتب إلى محمد بن نوار، وقد أعرس بنت مزوار الدار السلطانية]

وقال رحمه الله تعالى: قلت أخاطب محمد بن نوار وقد أعرس بنت مزوار الدار السلطانية، وهو معروف بالوسامة وحسن الصورة: [مخلع البسيط]

إن كنت فى العرس ذا قصور فلا حضور ولا دخاله
ينوب نظمي مناب تيس والشعر عن قفة النخاله
هناكم الله سبحانه دعاء وخبراء، وأبسكم من السرور خبراء، وعودكم بالخمس، حتى من عين الشمس، فلعمري لقد حصلت النسبة، ورضيت هذه المعيشة الحسبة، ومن يكن المزوار ذواقه، كيف لا يشق البدر أطواقه، وينشر القبول عليه رواقه، وأنتم أيضا بركان جمال، وبقية رأس مال، ويمين فى الانطباع وشمال، بمنزلكم اليوم بدر وهلال، ولعقد التوفيق بفضل الله تعالى استقلال، فأنا أهنيكم بتسنى أمانيكم، والسلام.

[و كتب إلى عامر بن محمد بن علي الهنتاني]

وقال رحمه الله تعالى مخاطبا عميد مراکش المتميز بالرأى والسياسة والهيبة وإفاضة العدل وكف اليد والتجافى عن مال الجباية عامر بن محمد بن علي الهنتاني: [الطويل]

تقول لى الأظعان والشوق فى الحشاله الحكم يمضى بين ناه وأمر
إذا جبل التوحيد أصبحت فارعا فخيم فرار العين فى دار عامر
وزر تربة المعلوم إن مزارها هو الحج يفضى نحوه كل ضامر
ستلقى بمثوى عامر بن محمد ثغور الأمانى من ثنايا البشائر
ولله ما تبلوه من سعد وجهه ولله ما تلقاه من يمن طائر
وتستعمل الأمثال فى الدهر منكما بخير مزور أو بأغبط زائر

لم يكن همى أبقاك الله تعالى مع فراغ البال، وإسعاف الآمال، ومساعدة الأيام والليال، إذ الشمل جميع، والزمان كله ربيع، والدهر مطيع سميع، إنما زيارتك فى جبلتك الذى يعصم من الطوفان، ويواصل أمانه بين النوم والأجفان، وأن أرى الأفق الذى طلعت منه الهداية،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣١٢

وكانت إليه العودة ومنه البداية، فلما حتم الوقوع، وعجز عن خرق الدولة الأندلسية الراقع، وأصبحت ديار الأندلس وهى البلاقع وحسنت من استدعائك إياى المواقع، وقوى العزم وإن لم يكن ضعيفا، وعرضت على نفسى السفر بسببك فألفيته خفيفا، والتمست

الإذن حتى لا نرى في قبة السداد تحريفاً، واستقبلتك بصدر مشروح، و زند للعزم مقدوح، و الله سبحانه يحقق السؤل، و يسهل بمشوى الأمائل المثل، و يهيى من قبل هنتائه القبول، بفضله.

[من إنشائه في وصف البلاد الأندلسية (مقامة)]

و للسان الدين بن الخطيب مقامة عظيمة بديعة وصف بها بلاد الأندلس و العدو، و أتى فيها من دلائل براعته بالعجب العجاب، و قد تركتها مع كتبي بالمغرب، و لم يحضرني منها الآن إلّا قوله في وصف مدينة سبتة ما صورته: «قلت فمدينته سبتة، قال: عروس المجلى، و ثنية الصباح الأجلى، تبرجت تبرج العقيلة، و نظرت وجهها من البحر في المرآة الصقيلة، و اختص ميزان حسناتها بالأعمال الثقيلة، و إذا قامت بيض أسوارها، و كان جبل بنيونش شمامة أزهارها، و المنارة منارة أنوارها، كيف لا ترغب النفوس في جوارها، و تهيم الخواطر بين أنجادهها و أغوارها؟ إلى المنيا الفلكية، و المراقى الفلكية، و الذكية الزكية، غير المنزورة و لا البكية، ذات الوقود الجزل، المعدّ للأزل، و القصور المقصورة على الجدّ و الهزل، و الوجوه الزهر السّحن، المضمون بها عن المحن، دار الناشئة، و الحامية المفرمة للحرب المناشبة، و الأسطول المرهوب، المحذور، الألهوب، و السلاح المكتوب المحسوب، و الأثر المعروف المنسوب، كرسى الأمراء و الأشراف، و الوسيطة، لخامس أقاليم البسيطة، فلا حظّ لها في الانحراف، بصره علوم اللسان، و صنعاء الحلل الحسان، و ثمره امتثال قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ [سورة النحل، الآية: ٩٠] الأمانة على الاختزان، القويمه المكيال و الميزان، محشر أنواع الحيتان، و محطّ قوافل العصير و الحرير و الكتّيان، و كفاها السكنى بينونش في فصول الأزمان، و وجود المساكن النيهة بأرخص الأثمان، و المدفن المرحوم، غير المزحوم، و خزائنه كتب العلوم، و الآثار المنبئة عن أصالة الحلوم، إلّا أنها فاعرة أفواه الجنوب، للغيث المصبوب، عرضة للرياح ذات الهبوب، عديمة الحرث فقيرة من الحبوب، ثغر تنبو فيه المضاجع بالجنوب، و ناهيك بحسنه تعدّ من الذنوب، فأحوال أهلها رقيقة، و تكلفهم ظاهر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣١٣

مهما ظهرت وليمه أو عقيقه، و اقتصادهم لا تلتبس منه طريقه، و أنساب نفقاتهم في تقدير الأرزاق عريقه، فهم يمضون البلالة مصّ المحاجم، و يجعلون الخبز في الولاثم بعدد الجماجم، و فتنهم ببلدهم فتنه الواجم بالبشير الهاجم، و راعى الجديب بالمطر الساجم، فلا يفضّلون على مدينتهم مدينة، الشكّ عندى في مكه و المدينة؛ انتهى.

[كلام له مرسل في وصف البلاد و وصف مكناسة الزيتون]

و قد سلك في هذه المقامة وصف بلدان المغرب بالسجع و التقفية، و وفاها من المدح و ضده أكمل توفيه، و عكس هذه الطريقة في «نفاضة الجراب» فوصف فيها الأماكن بكلام مرسل جزل غير مسجع، مع كونه أقطع من السيف إذا بان عنه القراب. فمن ذلك قوله حين أجرى ذكر مدينة «مكناسة الزيتون»: «و أطلت مدينة مكناسة في مظهر النجد، رافله في حلل الدوح، مبتسمة عن شنب المياه العذبة، سافرة عن أجمل المراد، قد أحكم وضعها الذى أخرج المرعى، قيد النص و فذلكه الحسن، فنزلنا بها منزلا لا تستطيع العين أن تخلفه حسنا و وضعاً، من بلد دارت به المدارس المغلّبة، و التفت بسوره الزياتين المفيدة، و راق بخارجه للسلطان المستخلص الذى يسمو إليه الطرف، و رحب ساحة و التفاف شجرة و نباهه بنيه و إشراف ربوه، و مثلت يازائها الزاوية القدمى المعده للوارد، ذات البركة النامية، و المئذنة السامية، و المرافق المتيسرة، يصاقبها الخان البديع المنصب الحصين الغلق الخاصّ بالسابلة و الجوابه في الأرض يبتغون من فضل الله تعالى، تقابلها غربا الزاوية الحديدية المريبة بروتق الشيبه و مزية الجدة و الانفساح و تفنّن الاحتفال، إلى أن قال: و بداخلها مدارس ثلاث لبث العلم، كلفت بها الملوك الجلة الهمم، و أخذها التنجيد، فجاءت فائقه الحسن، ما

شئت من أبواب نحاسية، و برك فياضة تقذف فيها ضافى الماء أعناق أسديئة، وفيها خزائن الكتب و الجراية الدارة على العلماء و المتعلمين، و تفضل هذه المدينة كثيرا من لداتها بصحة الهواء و تبخر أصناف الفواكه و تعمير الخزائن و مداومة البر لجوار ترابها سليما من الفساد معافى من العفن، إذ تقام ساحات منازلها غالبا على أطباق الآلاف من الأقوات تتناقلها الموارث و يصحبها التعمير و تتجافى عنها الأرض، و محاسن هذه البلدة المباركة جمّة، قال ابن عبدون من أهلها و لله درّه: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣١٤

إن تفتخر فاس بما فى طيّها و بأنها فى زيّها حسناء

يكفيك من مكناسة أرجاؤها و الأطيان: هواؤها و الماء

و يسامتها شرقا جبل زرهون، المنبجس العيون، الظاهر البركة، المتراحم العمران، الكثير الزياتين و الأشجار، قد جلّله سكر و رزقا حسنا، فهو عنصر الخير، و مادة المجبى، و فى المدينة دور نبيهة، و بنى أصيلة، و الله سبحانه و لى من اشتملت عليه بقدرته، و فيها أقول:

[الكامل]

بالحسن من مكناسة الزيتون قد صحّ عذر الناظر المفتون

فضل الهواء و صحة الماء الذى يجرى بها و سلامة المخزون

سحت عليها كلّ عين ثرة للمزن هامية الغمام هتون

فاحمّر خدّ الورد بين أباطح و افتّر تغر الزهر بين غصون

و لقد كفاها شاهدا مهما ادّعت قصب السباق القرب من زرهون

جبل تضاحكت البروق بجوّه فبكت عذاب عيونه بعيون

و كأنما هو بربرى وافد فى لوحه و التين و الزيتون

حييت من بلد خصيب أرضه مثنوى أمان أو مناخ أمون

وضعت إليك من الإله عناية تكسوك ثوبى أمنة و سكون

[المؤلف يدخل مكناسة و يصفها]

و قد وصفها فى مقامة البلدان على منوال السجع فقال: مكناسة مدينة أصيلة، و شعب للمحاسن و فضيلة، فضّلها الله تعالى و رعاها، و أخرج منها ماءها و مرعاها، فجانبها مربع، و خيرها سريع، و وضعها له فى قنة الفضائل تفرّيع، اعتدل فيها الزمان، و انسدل الأمان، و فاقت الفواكه فواكهها و لا-سيما الرمان، و حفظ أقواتها الاختزان، و لطف فيها الأوانى و الكيزان، و دنا من الحضرة جوارها، فكثرت قصادها من الوزراء و زوّارها، و بها المدارس و الفقهاء، و لقصبته الأبهة و المقاصير و الأبهاء.

و يعنى بالحضرة مدينة فاس المحروسة، لأنها إذ ذاك كرسى الخلافة، و مكناسة مقرّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣١٥

الوزارة، و أهل المغرب يعبرون عن المدينة التى فيها كرسى الخلافة بالحضرة.

قلت: دخلت مكناسة هذه مرارا عديدة، و قد أبلى الدهر محاسنها التى كانت فى زمان لسان الدين بن الخطيب جديدة، و استولى عليها الخراب، و تكدر منها بالفتن الشراب، و عاث فى ظاهرها الأعراب، و فى باطنها سماسرة الفتنه العائقة عن كثير من الآراب، حتى صار أهلها حزينين، لبس كثير من أهلها ثياب البعد عنها و البين، و الله تعالى يجبر حالها، و يعقب بالخصب إمحالها، و يرحم الله تعالى ابن

جابر إذ قال: [الكامل]

لا تنكرن الحسن من مكناسة فالحسن لم يبرح بها معروفا
و لئن نحت أيدي الزمان رسومها فلربما أبتقت هناك حروفا
على أن ضواحيها كانت في زمان لسان الدين مأوى للمحاربين و اللصوص، و مئوى للأعراب الذين أعضل داؤهم بأقطار المغرب على
العموم و الخصوص، و لذلك يقول لسان الدين رحمه الله تعالى: [الكامل]
مكناسة حشرت بها زمر العدا فمدى يريد فيه ألف مرید
من واصل للجوع لا لرياضة أو لابس للصوف غير مرید
فإذا سلكت طريقها متصوفا فانو السلوك بها على التجريد

[شيء عن السلطان أبي الحسن المريني]

و ما أشار إليه رحمه الله تعالى فيما سبق من ذكر الزاوية القدمى و الجديدة أشار به إلى زاويتين بناهما السلطان أبو الحسن المريني
الكثير الآثار بالمغرب الأقصى و الأوسط و الأندلس، و كان بنى الزاوية القدمى في زمان أبيه السلطان أبي سعيد و الجديدة حين تولّى
الخلافة، و له في هذه المدينة غير الزاويتين المذكورتين عدّة آثار كثيرة جميلة من القناطر و السقايات و غيرها، و من أجل ماثره بها
المدرسة الجديدة، و كان قدّم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة، و لما أخبر السلطان بتمام بنائها جاء إليها من فاس ليراه،
فقعد على كرسيّ من كراسى الوضوء حول صهريجها، و جرى بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها، فغرقها في الصهريج قبل أن
يطالع ما فيها، و أنشد: [الرجز]

لا بأس بالغالى إذا قيل حسن ليس لما قررت به العين ثمن

و هذا السلطان أبو الحسن أشهر ملوك بنى مرين، و بعدهم صيتا، و كان قد ملك

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣١٦

رحمه الله تعالى المغرب بأسره و بعض الأندلس، و امتدّ ملكه إلى طرابلس الغرب، ثم حصلت له الهزيمة الشنعاء قرب القيروان حين
قاتل أعراب إفريقية، فغدره بنو عبد الواد الذين أخذ من يدهم ملك تلمسان، و انتهزوا الفرصة فيه، و هربوا إلى الأعراب عند المصافّة،
فاختلّ مصافه، و هزم أقيح هزيمة، و رجع إلى تونس مغلوبا، و ركب البحر في أساطيله، و كانت نحو الستمائة من السفن، فقضى الله
تعالى أن غرقت جميعا، و نجا على لوح، و هلك من كان معه من أعلام المغرب، و هم نحو أربعمائة عالم، منهم السطى شارح
الحوافى، و ابن الصباغ الذى أملى فى مجلس درسه بمكناسة على حديث «يا أبا عمير، ما فعل التغير» أربعمائة فائدة.

قال الأستاذ أبو عبد الله بن غازى رحمه الله تعالى: حدّثنى بعض أعيان الأصحاب أنه بلغه أن الفقيه ابن الصباغ المذكور سمع
بمنصورة تلمسان المحروسة ينشد كالمعاتب لنفسه:

[الكامل]

يا قلب، كيف وقعت فى أشراكهم و لقد عهدتك تحذر الأشراكا

أرضا بذلّ فى هوى و صباية؟ هذا لعمر الله قد أشقاكا

و مات رحمه الله تعالى غريقا فى أسطول السلطان أبى الحسن المرينى على ساحل تدلس هو و الفقيه السطى و الأستاذ الزواوى و غير
واحد فى نكبة السلطان أبى الحسن المعروفة.

[نظم لابن الصباغ يحصر فيه علاقات المجاز]

و من نظم ابن الصباغ المذكور في العلاقات المعترية في المجاز و في المرجحات له قوله رحمه الله تعالى: [الكامل]
يا سائلا حصر العلاقات التي وضع المجاز بها يسوغ و يجمل
خذها مرتبة و كلّ مقابل حكم المقابل فيه حقًا يحمل
عن ذكر ملزوم يعوّض لازم و كذا بعلمته يعاض معلل
و عن المعمّم يستعاض مخصّص و كذاك عن جزء ينوب المكمل
و عن المحلّ ينوب ما قد حلّه و الحذف للتخفيف ممّا يسهل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣١٧
و عن المضاف إليه ناب مضافه و الضدّ عن أضداده مستعمل
و الشبه في صفة تبيين و صورة و من المقيد مطلق قد يبدل
و الشيء يسمى باسم ما قد كانه و كذاك يسمى بالبدل المبدل
وضع المجاور في مكانه جاره و بهذه حكم التعاكس يكمل
و اجعل مكان الشيء آله، و جىء بمنكر قصد العموم فيحصل
و معرّف عن مطلق و به انتهت و لجّلها حكم التداخل يشمل
و بكثرة و بلاغة و لزومه لحقيقته رجحانه يتحصّل
انتهى كلام شيخ شيوخنا الإمام أبي عبد الله محمد بن غازي رحمه الله تعالى!.

و قد حكى ابن غازي المذكور عن شيخه القوري عن شيخه ابن جابر أنّ ابن الصباغ المذكور اعترض على القاضي ابن عبد السلام التونسي، قال: لما لقي ابن الصباغ بتونس اعترض عليه ابن الصباغ أربع عشرة مسألة لم ينفصل عن واحدة منها، بل أقرّ بالخطأ فيها، إذ ليس ينبغي اتّصاف بالكمال، إلّا لربي الكبير المتعال؛ انتهى.

[حكاية عن رجل عائن]

و ذكر الشيخ أبو عبد الله الأبي رحمه الله تعالى في «شرح مسلم» عند تكلمه على أحاديث العين ما معناه أنّ رجلا كان بتلك الديار معروفا بإصابة العين، فسأل منه بعض الموتورين للسلطان أبي الحسن أن يصيب أساطيله بالعين، و كانت كثيرة نحو الستمائة، فنظر إليها الرجل العائن، فكان غرقها بقدره الله الذي يفعل ما يشاء، و نجا السلطان بنفسه، و جرت عليه محن، و استولى ولده السلطان أبو عنان فارس على ملكه، و كان خلفه بتلمسان، و لم يزل في اضطراب حتى ذهب إلى سجلماسة، و منها خلاص إلى جبل هنتانة قرب مراکش، فذهب إلى حربه ابنه السلطان أبو عنان فارس بجيوشه، و أناخ على الجبل بكلكله، و لم تخفر أهل هنتانة جواره لديهم، و لا كبيراهم عامر بن محمد و أخوه، و صبروا على الحصار، و خراب الديار، و حرق الأماكن، حتى مات هناك رحمه الله تعالى و نقل بعد إلى شالة سلا مدفن أسلافه، و من أراد الوقوف على أخباره فعليه بكتاب الخطيب ابن مرزوق الذي ألفه فيه و سّماه «المسند الصحيح الحسن، من أحاديث السلطان أبي الحسن».

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣١٨

[زيارة لسان الدين لقبر السلطان أبي الحسن، و قصيدة له فيه]

و لما ذهب لسان الدين بن الخطيب إلى عامر بن محمد بجبله المشهور زار محل وفاة السلطان المذكور، و قد ألمّ بذكر ذلك في

«نفاضة الجراب» إذ قال: و شاهدت بجبل هنتانه محلّ وفاة السلطان المقدّس أمير المسلمين أبي الحسن رحمه الله تعالى! حيث أصابه طارق الأجل، الذى فصل الخطّة، و أصمت الدعوة، و رفع المنازعة، و عاينته مرفّعا عن الابتدال بالسكنى مفترشا بالحصباء، مقصودا بالابتهاال و الدعاء، فلم أبرح يوم زيارة محلّ وفاته أن قلت: [الكامل]

يا حسنها من أربع و ديار أضحت لباغى الأمن دار قرار
و جبال عزّ لا تدلّ أنوفها إلّا لعزّ الواحد الفهّار
و مقرّ توحيد و أسّ خلافة آثارها تنبى عن الأخبار
ما كنت أحسب أنّ أنهار الندى تجرى بها فى جملة الأنهار
ما كنت أحسب أنّ أنوار الحجا تلتاح فى قنن و فى أحجار
مجتّ جوانبها البرود، و إن تكن شبتّ بها الأعداء جذوة نار
هدّت بناها فى سبيل و فائها فكأنها صرعى بغير عقار
لما توعدّها على المجد العدا رضيت بعث النار لا بالعار
عمرت بجلّة عامر و أعزّها عبد العزيز بمرهف بتار
فرسا رهان أحرزا قصب الندى و البأس فى طلق و فى مضمار
ورثا عن التدب الكبير أبيهما محض الوفاء و رفعة المقدار
و كذا الفروع تطول و هى شبيهة بالأصل فى ورق و فى أثمار
أزرت و جوه الصّيد من هنتانه فى جوّها بمطالع الأقمار
لله أى قبيلة تركت لها ال نظراء دعوى الفخر يوم فخر
نصرت أمير المسلمين و ملكه قد أسلمته عزائم الأنصار
وارت عليّا عندما ذهب الردى و الروع بالأسماع و الأبصار
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣١٩
و تخاذل الجيش اللّهام و أصبح ال أبطال بين تقاعد و فرار
كفرت صنائعه فيمّ دارها مستظهرا منها بعزّ جوار
و أقام بين ظهورها لا يتقى وقع الرّدى و قد ارتمى بشرار
فكأنها الأنصار لمّا أن سمت فيما تقدّم غربّة المختار
لمّا غدا لحظا و هم أجفانه نابت سفارهم عن الأشفار
حتى دعاه الله بين بيوتهم فأجاب ممتثلا لأمر البارى
لو كان يمنع من قضاء الله ما خلصت إليه نوافذ الأقدار
قد كان يأمل أن يكافىء بعض ما أولوه لو لا قاطع الأعمار
ما كان يقنعه لو امتدّ المدى إلّا القيام بحقّها من دار
فيعيد ذاك الماء ذائب فضّة و يعيد ذاك التّرب ذوب نضار
حتى تفوز على النوى أوطانها من ملكه بجلائل الأوطار
حتى يلوح على وجوه و جوههم أثر العناية ساطع الأنوار
و يسوّغ الأمل القصى كرامها من غير ما ثنيا و لا استعصار

ما كان يرضى الشمس أو بدر الدجى عن درهم فيهم ولا دينار
أو أن يتوج أو يقلد هامها ونحوها بأهلها و درارى
حقّ على المولى ابنه إيثار ما بذلوه من نصر و من إيثار
فلمثلها ذخر الجزاء، و مثله من لا يضيع صنائع الأحرار
و هو الذى يقضى الديون و بزه يرضيه فى علن و فى إسرار
حتى تحجّ محلّه رفعوا بها علم الوفاء لأعين النظار
فيصير منها البيت بيتا ثانيا للثائفين إليه أى بدار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٢٠
تغنى قلوب القوم عن هدى به و دموعهم تكفى لرمى جمار
حيّت من دار تكفل سعيها ال محمود بالزلفى و عقبى الدار
وضفت عليك من الإله عناية ما كزّ ليل فيك إثر نهار
و يعنى بالمولى ابنه السلطان أبا سالم ابن السلطان أبى الحسن.

[من كلام لسان الدين يعد فيه بتصنيف كتاب كبير فى التاريخ]

و من العجائب أنّ الرئيس عامر بن محمد الذى جرى فى هذه الأبيات ذكره كان يؤمل بإيوائه للسلطان أبى الحسن و نصرته له و عدم
إخفار ذمته فيه أن ينال من أولاده الملوك بذلك عزّا مستطيلا و رياسة زائدة على ما كان فيه، فقضى الله تعالى أن كان حتفه على يد
السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن، إذ نازله بجنوده، و حاصره بمعقله، حتى استولى عليه و قتله، حسبما استوفى ذلك الشيخ
الرئيس قاضى القضاء أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المغربى نزيل مصر فى تاريخه الكبير الذى سمّاه ب «كتاب العبر، و
ديوان المبتدئ و الخبر، فى أيام العرب و العجم و البربر، و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» فمن شاء فليراجعه ثمّة.
و كان الرئيس أبو ثابت عامر بن محمد الهنتانى المذكور خرج على السلطان عبد العزيز بالسلطان المعتمد على الله أبى الفضل محمد
ابن أخى السلطان عبد العزيز المذكور، فكان من قتله ما ذكر، و الله غالب على أمره.

و لنرجع إلى ما كنا فيه من نشر لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى و رضى عنه! فنقول:
و من كلام لسان الدين رحمه الله تعالى فى كتابه «إعلام الأعلام» ما صورته: و فى غرضى إذا منّ الله تعالى بانفراج الضيقة الوقتية، و
معاودة الأزمان الهتية، و النسبة النقية، أن نصنّف فى التاريخ كتابا مبتيا على التطويل، مستوعبا للكثير و القليل، نسميه «بضاعة المهولين،
فى أساطير الأولين» يكون هذا الكتاب بالنسبة إليه الحصاء من الرمال، و القطرة من الغيث المنثال، بإعانة ذى القدرة و الجلال؛ انتهى.
و من كلامه رحمه الله تعالى: فما استبعد المرام، من قصد الكرام، و ما فقد الإيناس، من أمّل الناس، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٢١

[أمثلة من إنشاء لسان الدين فى التراجم، على طريقة الفتح بن خاقان]

و قد سلك لسان الدين رحمه الله تعالى فى كثير من كتبه ك «الكتيبة الكامنة» و «التاج المحلى» و «الإكليل الزاهر» و غيرها تحلية
الأعلام، من حملة السيوف و الأعلام، بالكلام المسجّع الآخذ بحظّه من الإتقان على طريقة صاحب «القلائد» و «المطمح» أبى نصر
الفتح بن عبيد الله المدعو بابن خاقان بليغ الأندلس غير مدافع، و على نهج مباريه ابن بسّام صاحب «الذخيرة»، فى محاسن أهل

الجزيرة» و هو كتاب ينبغي أن يراجع، و قد رأيت أن آتى بشيء من كلام لسان الدين فيما ذكر، و نلّم بعد تحليلته بالتعريف بحال من حلاه من الأعلام، بحسب ما من به و يسره لى الملك العلام، سبحانه و تعالى، فنقول:

قال لسان الدين رحمه الله تعالى فى بعض كتبه فى وصف بعض من عزّف به ما نصّه:

أى نفس صافية من الكدر، و صدر طيب الورد و الصدر، و دوحه عهد تندى أوراقها، و مشكاه فضل يستطلع إشراقها، تمسك برضاع الكأس، يرى ذلك من حسن عهده، و قسم لحظاته بين آس الرياض و ورده، فلما حوّم حمامه للوقوع، و كان يقوّض رحله عن الربوع، و شعر بحبائل المنية تعلقه، و سرعان خيل الأجل ترهقه، أقلع عن فنه، و أمر بسفك دنه، و لجأ إلى الله تعالى بأوبته، و ضرع إلى الله تعالى فى قبول توبته و غفران حوبته، فكان ذلك عنوان الرضا، و علامة عفو الله تعالى عمّا مضى، دخلت عليه فى مرضه، و أشرت باستعمال الدواء المسمى بلحية التيس عند الأطباء، فاستعمله، فوجد بعض خفة.

و قال فى آخر: كثيف الحاشية، معدود فى جنس السائمة و الماشية، تليت على العمال به سورة العاشية، تولى الأشغال السلطانية فذعرت الجباة لولايته، و قامت قيامتهم لطلوع آيته، و قنطوا كلّ القنوط، و قالوا: جاءت الدابة تكلمنا و هى إحدى الشروط، من رجل صائم الحشوة، بعيد من المصانعة و الرشوة، يتجنب الناس، و يقول عند المخاطبة: لا مساس، و على مسافة نجبه، و تجهّم وجهه، فكان خالطاً إساءته بإحسانه، مشتغلاً بشانه، غاضباً من عنان لسانه، عهدى به فى الأعمال يقدر فيها و يدبر، و يرجح و يعبر، و يحبط و يتبر، و هو مع ذلك يكبر، و يحسن من الأزمنة و يفتح، و هو يسبح، و لما شرع فى البحث و التنقير، و المحاسبة على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٢٢

القطمير و التنقير، أتاه قاطع الأجل، فحنّ ركابه فأقضى العجل، و صدرت عنه أبيات خضم فيها و قضم، و حصل تحت القدر المشترك مع من نظم.

و قال فى آخر: كركدن حلبة الآداب، و ستور عبد الله بيع بقيراط لّمّا شاب، هام بوادى الشعر مع من هام، و استمطر منها الجهام، فجاء بأبيات أوهى من بيت العنكبوت نسجا، و مقاصد لا تبين قصدا و لا نهجا، و له بيت معمور بقضاء أكابر، فرسان أقلام و محابر، و عمال قادوا الدهر بأزمية أزمتهم، و فرعوا الزهر بهمتهم، و تكاثرت عليه رحمه الله الإحن، و تعاورته المحن، و تصرّف آخر عمره فى بعض الأعمال المخزنية فتعلّل بنز القوت، إلى الأجل الموقوت.

و قال فى آخر: معدود فى وقته من أدبائه، و محسوب فى أعيان بلده و حسابائه، كان رحمه الله تعالى من أهل العدالة و الخير، سائرا على منهج الاستقامة أحسن السير، و له أدب لا يقصر عن السداد، و إن لم يكن بطلا فمن يكثر السواد، قد أثبت له ما عثرت عليه، ممّا ينسب الناس إليه.

و قال فى آخر: معتر غير قانع، و منجع كلّ شهيم و خانع، نشأ ببلده مالمقه أبرع من أورد البراعة فى نفس، و هزّ غصنها فى روضة طرس، إلّا ما كان من سخافة عقله، و قعوده تحت المثل «أخبر تله» لا يرتبط إلى رتبة، و لا ينتمى إلى عصبه، و لا يتلبس بسمت، و لا يستقيم من أمت، أخبرنى من عنى بخبره، و ذكر عبره، من صباه إلى كبره، أنه رشح فى بعض الدول، و عرض لاكتساب الخيل و الخول، و خلعت عليه كسوة فاخرة، و شاره بزهر الرياض ساخرة، فانقاد طوع حرمانه، و نبذ صفة زمانه، و حمله فرط النهم، على أن ابتاع فى حجره طعاما كثير الدسم، و أقبل و أذياه منه تقطر، كما اختلفت باللبن الأشطر، فطرد و نبذ، و طرح بعد ما جذب، لقيته بمالمقه و قد قلب له زمانه عينيه، و سقط فى يديه، فانتابنى بأمداحه، و تعاورنى بأجاجه و أقراحه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٢٣

و قال فى آخر: أديب نار فكره تتوقّد، و أريب لا يعترض كلامه و لا ينقد، أمّا الهزل فهو طريقته المثلى، ركض فى ميدانها و جلّى، و طلع فى أفاقها و تجلّى، فأصبح علم أعلامها، و عابر أحلامها، إن أخذ بها فى وصف الكاس، و ذكر الورد و الآس، و ألم بالربيع و فصله، و الحبيب و وصله، و الروض و طيبه، و الغمام و تقطيه، شقّ الجيوب طربا، و علّ النفوس شربا و ضربا، و إن ابتغى لاعتلال

العشيّة، في فرش الربيع الموشية، ثم تعدّها إلى وصف الصّيبوح، و أجهز على الزّق المجروح، و أشار إلى نغمات الورق، يرفلن في الحلل الزّرق، و قد اشتعلت في عنبر الليل نار البرق، و طلعت بنود الصباح في شرفات الشرق، سلب الحليم و قاره، و ذكّر الخليع كأسه و عقاره، و حرّك الأشواق بعد سكونها، و أخرجها من ركونها، بلسان يتراحم على موارد الخيال، و يتدقّق من حافته الأدب السّيال، و بيان يقيم أود المعاني، و يشيد مصانع اللفظ محكمة المباني، و يكسو حلل الإحسان جسوم المثالث و المثاني، إلى نادرة لمثلها يشار، و محاضرة يجنى بها الشهد و يشار، و قد أثبتّ من شعره المعرب و إن كان لا يتعاطاه إلّا قليلا، و لا يجاور إلّا تعليلا، أبياتا لا تخلو من مسحة جمال على صفحاتها، و هبة طيب ينمّ في نفحاتها.

و قال أيضا في آخر: ظريف السجّية، كثير الأريحية، ارتحل من لورقة فتحها الله تعالى و اتّخذ ألمرية دارا، و ألف بها استقرارا، إلى أن دعاه بها داعيه و قام فيها ناعيه.

و قال في وصف آخر: شيخ أخلاقه لينة، و نفسه - كما قيل في نفس المؤمن - هينة، ينظم الشعر عذبا مساقه، محكما اتّساقه، على قاقه و حال مالها من إفاقه، أنشد المقام الكريم بظاهر بلده قصيدة استغرب منها مترعها، و استعذب من مثله مشرعها.

و قال في آخر: من أئمة أهل الزمام، خليق برعى الميثاق و الدّمام، ذو خطّ كما تفتّح زهر الكمام، و أخلاق أعذب من ماء الغمام، كان ببلده رحمه الله تعالى بدار إشرافه محاسبا، و درّة في لجة الإغفال راسبا، صحيح العمل، يلبس الطروس من براعته حسن الحلل، و له شعر لا بأس به، و لا خفاء بفضل مذهبه.

و قال في آخر: خير من استبق إلى داعي الفلاح استباقا، و انتمى إلى القوم الذين هم في الآخرة أطول أعناقا، و إن كانوا في الدنيا أضيق أرزاقا، مردّد أذكارا، و مسبح أسحارا، و عامر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٢٤

مئذنة و منار، كان ببلده مؤذنا بجامعها، و مؤقتا بأصوامعها، و معتبرا فيمن كان بها من السّدنة، و من مثله قوله: فكأنما قرّب بدنه، و له لسان مخيف، و شعر سخيف، توشّح بحليته، و جعله وسيلة كديته.

و قال في آخر: عظيم الهيئة حسن اللقاء، أغرب في حسن المداراة من العنقاء، استمرّ عمره للحكم، و صبر على حجج الصّم و البكم، و أفرط في هشّته و هزّته، و تنزل عن نخوة القضاء و عزّته، و له سلف في القضاء عالي المراقب، مزاحم للنجم الثاقب، و قد أثبتّ من شعره ما تيسّر إثباته، و نجح بروض هذا المجموع نباته.

و قال في آخر: قاض توارث كلّ جلاله، لا - عن كلاله، و جمع في العلم الحسب، بين الموروث و المكتسب، أشرق بجيد معّم في العشيّة مخول، و ألقت عليه مقاليدها من منقول و متأوّل، إلى نزاهة لا - تغرها البيضاء و لا الصفراء، و حلم لا تستهويه السعاية و لا يستفزّه الإغراء، و وقار يستخفّ الجبال الراسية، و نظر يكشف الظلم القاسية، تولى قضاء الحضرة فأنفذ الأحكام و أمضاها، و شام سيوف الجزالة و انتضاها، و لبس أثواب النزاهة و الانقباض فما نضاها، و سلك الطريق التي اختارها السلف و ارتضاها، فاجتمت الأهوال المفترقة عليه، و صرف الثناء أعنة الألسن إليه، ثم كّر إلى بلده، و استقرّ خطيبا بقرارة أهله و ولده.

و قال في آخر: منتم إلى معرفة، متّصف من الذكاء بأحسن صفه، أقرأ ببلده علم اللسان، و ما حاد عن الإحسان، و عانى الشعر فنظم قوافيه، و ما تكلف فيه، و على غزارة مادته، و وضوح جادّته، فشعره قليل البشاشة، ذاهب الحشاشة، و ذو الإكثار، كمثل العثار، و له سلف يخوض في الحقائق، و ينتحل بعض الكلام الرائق.

و قال في آخر: منتم لدين و عفة، و إلى نفس بالعرض الأدنى مستخفه، ممّن نزع إلى سلوك و رياضة، و يفيض في طريق القوم بعض إفاضة.

و قال في آخر: ممّن يتشوف إلى المعارف و المقالات، و يرتاح إلى الحقائق و المحالات، و يشتمل على نفس رقيقة، و يسير من تعليم القرآن على خير طريقة، و يعانى من الشعر ما يشهد بنبه، و يستطرف من مثله.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٢٥

وقال في آخر: مشتمر في الطلب عن ساق، مشابر على اللحاق بدرجات الحدّاق، منتحل للعربية جادّ في إحصاء خلافتها، و معاطة سلافها، وربما شرست في المذاكرة أخلاقه، إذا بهرجت أعلاقه، و نوزع تمسّكه بالحجّة و اعتلاقه، و رحل إلى المغرب فاستجدى بالشعر سلطانه، ثم راجع أوطانه.

وقال في آخر: منتّم إلى زهد، باذل في التماس الخير الجهد، نظمه لا يخلو من حلاوة، و معانيه في طريقه عليها بعض طلاوة. وقال في آخر: كاتب سجلات لا- يساجل في صحّة فصولها، و توقيع فروعها على أصولها، و كلّما طلب بالنظم القريحة، و أعمل الفكرة الصريحة، مع إقلاله، و عدم استعماله، أجابت و لبّت، و تنسّمت رياحها و هبّت. وقال رحمه الله تعالى و سامحه في بعض العدول الصوفية الأخيار، الذين وحدوا الله و فنوا عن سائر الأغيار: خير عدل، و ممّن له وقار و فضل، متّسم بخيره، معرض عن غيره، مشتمل بصفات مرضية، ملّم بالنظم في الطريقة الصوفية. و للسان الدين رحمه الله تعالى ركض في هذا الميدان لا يجارى فيه، و ثبوت فضل لا يستند إلى دليل جاحده و نافية.

[من ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب، بقلم لسان الدين في كتابه «التاج المحلي»]

وقال رحمه الله تعالى في كتابه «التاج المحلي، في مساجلة القدح المعلى» في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأُمى الميرنى، ما صورته: «لج معرفة لا يغيب، و صاحب فنون يأخذ فيها و يفيض. نشأ ببلده مشمرا عن ساعد اجتهاده، و سائرا في قنن العلم و وهاده، حتى أئنع روضه، و فهق حوضه، ثم أخذ في راحة ذاته، و شام بارق لذاته، ثم سار في البطالة سير الجموح، و واصل الغبوق بالصّبوح، حتى قضى وطره، و سئم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٢٦

بطره، و ركب الفلك، و خاض اللّجج الحلّك، و استقرّ بمصر على النعمة العريضة، على شكّ في قضاء حجة الفريضة، و هو اليوم بمدرستها الصالحيّة نبيه المكانة، معدود في أهل العلم و الديانة؛ انتهى.

وقال في «الإحاطة» في حقّ المذكور ما نصّه: من خطّ شيخنا أبى البركات في الكتاب «المؤتمن، على أبناء أبناء الزمن»: كان سهلا سلس القياد، لذيد العشرة، دمث الأخلاق، ميّالا- إلى الدّعة، نفورا عن النّصب، يركن إلى فضل نباهة و ذكاء، يحاسب بهما عند التحصيل و الدراسة و الدؤوب على الطلب، من رجل يجرى من الألحان على مضمار لطيف، و لم يكن له صوت رخيم، يساوق انطباعه في التلحين، فجبّر ذلك بالأوتار، و حاول من ذلك بيده مع أصحابه ما لاذ به الظرفاء منهم، و استعمل بدار الأشراف بالمرية، فأحكّم تلك الطريقة في أقرب زمان، و جاء زمامه يروق من ذلك العمل من شأنه. ثم نهضت به همّته إلى أرفع من ذلك، فسار إلى غرناطة، فقرأ بها العربية و غيرها، و انخرط في سلك نهاء الطلبة لأدنى مدة.

ثم رحل إلى بلاد المشرق في حدود العشرين و سبعمائه، فلم يتجاوز القاهرة لموافقه هوائها علّة كان يشكوها، و أخذ في إقراء العربية بها، و عرف بها إلى أن صار يدعى بأبى عبد الله النحوى.

قال شيخنا المذكور: و رأى في صغره فأرة أنثى فقال: هذه قرينه، فلّقّب بذلك، و صار هذا اللقب أغلب عليه من اسمه و معرفته. ثم قال لسان الدين في حقّ المذكور ما ملّخصه أنه قرأ بالحضرة على الخطيب أبى على القيطاجى و طبقتة، و أخذ بالقاهرة عن الأستاذ أبى حيان، و انتفع بجاهه، نقل إلينا الحاج الحافظ أبو جعفر بن غصن من شعره حسبما قيده عنه بمصر: [الكامل]

بعد المزار و لوعه الأشواق حكما بفيض مدامع الآماق

و خفوق نجدى النسيم إذا سرى أذكى لهيب فؤادى الخفّاق

أ معلّى أن التواصل في غد من ذا الذى لغد فديتك باقى

إنَّ الليالي سبَّقت إنَّ أقبَلت و إذا توَلَّت لم تنل بلحاق
 عَج بالمطَى على الحمى، سقى الحمى صوب الغمام الواكف الرقراق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٢٧
 فيه لذي القلب السليم وداده قلب سليم ما له من راق
 قلب غداة فراقهم فارقت لا كان في الأيام يوم فراق
 يا ساريا و الليل ساج عاكف يفري الفلا بنجائب و نياق
 عزج على مثنوى النبى محمد خير البرية ذى المقام الراقى
 و رسول رب العالمين و من له حفظ العهود و صحه الميثاق
 الظاهر الآيات قام دليلها و الطاهر الأخلاق و الأعراق
 بدر الهدى و هو الذى آياته و جبينه كالشمس فى الإشراق
 الشافع المقبول من عم الورى بالجود و الإرفاد و الإرفاق
 الصادق المأمون أكرم مرسل سارت رسالته إلى الآفاق
 أعلى الكرام ندى و أبسطهم يدا قبضت عنان المجد باستحقاق
 و أشد خلق الله إقداما إذا حمى الوطيس و شمّرت عن ساق
 أمضاهم و الخيل تعثر فى الوغى و تجول سبحا فى الدّم المهرق
 من صير الأديان دينا واحدا من بعد إشراك مضى و نفاق
 و أحلنا من حرمة الإسلام فى ظلّ ظليل وارف الأوراق
 لو أن لبدر المنير كماله ما ناله كسف و نكس محاق
 لو أن للبحرين جود يمينه أمن السفين غوائل الإيساق
 لو أن للأساد شدة بأسه لثنت عن الإنجاد و الإعراق
 لو أن للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم من الإشفاق
 ذو العلم و الحلم الخفى المنجلى و الجاه و الشرف القديم الباقي
 آياته شهب و غرّ بنانه سحب النوال تدرّ بالأرزاق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٢٨
 ماجت فتوح الأرض و هو غياثها و رب ربها الإيمان و هو الساقى
 ذو رافة بالمؤمنين و رحمة و هدى و تأديب بحسن سياق
 و خصال مجد أفردت بالخصل فى مرمى الفخار و غاية السباق
 ذو المعجزات الغرّ و الآى التى كم آية فقدت و هنّ بواقى
 ثنت المعارض حائرا لما حكمت فلق الصباح و كان ذا إفلاق
 يقظ الفؤاد سرى و قد هجع الورى لمقام صدق فوق ظهر براق
 و سما و أملاك السماء تحفّه حتى تجاوزهنّ سبع طباق
 و منها:
 يا ذا الذى اتّصل الرجاء بحبله و انبتّ من هذا الورى بطلاق

حبي إليك وسيلتي و ذخيرتي إني من الأعمال ذو إملاق
و إليك أعلمت الرواحل ضمرا تختال بين الوحد والإعناق
نجبا إذا نشدت حلى تلك العلا تطوى الفلا ممتدة الأعناق
يحدو بهن من النحيب مردد و تقودهن أزمه الأشواق
غرض إليه فوقتنا أسهما و هي القسي برين كالأفواق
فأختها بفنائك الرّحب الذي وسع الوري بالنائل الدفاق
و قري مؤملك الشفاعة في غد و كفى بها هبة من الرزاق
و عليك يا خير الأنام تحية تحيي النفوس بنشرها الفتاق
تتأرج الأرجاء من نفحاتها أرج الندى بمدحك المصداق
و منها:

قسما بطيب تراب طيبه؛ إنه مسك الأنوف و إثم الأهداق
و بشأن مسجدها الذي برحابه لمعامل الرحمن أي نفاق
لأجود فيه بأدمع أسلاكها منظومة بترائب و تراق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٢٩
أغدو بتقبيل على حصائه و على كرائم جدره بعناق
و منها:

و عليك ذا التورين تسليم له نور يلوح بصفحة المهرق
كفو النبي و كفو أعلى جنه حيزت له بشهادة و صداق
و كفاه ما في الفتح جاء و مصحف في الفتح يحمده و في الإطباق
و على أبي السبطين من سبق الألى سبقوا إلى الإسلام يوم سباق
الطاهر الطهر ابن عم المصطفى شرف على التخصيص و الإطلاق
مبدى القضايا من وراء حجابها و مفتح الأكماء عن أغلاق
يغزو العداة بغلظة فيهدهم بصوارم تفرى الفقار رفاق
راياته لا شيء من عقبانها بمطار يوم و غى و لا بمطاق
و على كرام ستة عشرت بهم عند النظام لآلىء النساق
ما بين أروع ماجد نيرانه جنح الظلام تشب للطرّاق
و أخى حروب صده رشق القنا عمّا قدود مثلهن رفاق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٧، ص: ٣٢٩
ما غرّدت شجوا مطوّقة و ما شقت كمام الروض عن أطواق
و على القرابة و الصحابة كلّهم و التابعين لهم ليوم تلاق
و ذكر في «الإحاطة» غير هذه.

و قال لسان الدين في «التاج» في ترجمة محمد بن عبد الرحيم الوادى آشى ما صورته:
ناظم أبيات، و موضح غرر و شيات، و صاحب توقيعات و قيعات، و إشارات ذوات شارات،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٣٠

و كان شاعرا مكثارا، و جوادا لا يخاف عثارا، دخل على أمير بلده المخلوع عن ملكه، بعد انتشار سلكه، و خروج الحضرة عن ملكه، و استقراره بوادى آش مروّع البال، متعلّلا بالآمال، و قد بلغه دخول طبرنش في طاعته، فأنشده من ساعته: [مجزوء الكامل]

خذها إليك طبرنشا شفع بها وادى الأشا

و الأم تأتي بنتها و الله يفعل ما يشا

و من نوادره العذبة، ما كتبه إليه يطلب منه الحسبة: [الطويل]

أنلنى أيا خير البرية خطه ترفعى قدرا و تكسبنى عزا

فأعتزّ فى أهلى كما اعتزّ بيدق على سفرة الشطرنج لما انثنى فرزا

فوقع له بما ثبت فى ترجمته، انتهى.

[من إنشائه فى ترجمة أبى عبد الله بن العطار المزنى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد الله بن العطار المزنى ما صورته: ممّن نبغ و نجب، و حقّ له البرّ بذاته و وجب، تحلّى بوقار، و شعشع للأدب كأس عقار، إلّا أنه اخترم فى اقتبال، و أصيب للأجل بنبال؛ انتهى.

[من إنشائه فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن على بن خاتمة]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن على بن محمد بن على بن يحيى بن خاتمة الأنصارى المزنى، ما صورته: ممن
ثكلته اليراعة، و فقدته البراعة، تأدّب بأخيه و تهذّب، و أراه فى النظم المذهب، و كساه من التفهّم و التعليم الرداء المذهب، فاقتفى و
اقتدى، و راح فى الحلبة و اغتدى، حتى نبل و شدا، و لو أمهله الدهر لبلغ المدى. و أما خطّه فقيد الأبصار، و طرفه من طرف الأمصار،
و اعتبط يانع الشبيبة، مخضّر الكتيبة. مات عام خمسين و سبعمائة.

و أورد له فى «الإحاطة» قوله: [الرملى]

و مض البرق فثار القلق و مضى النوم و حلّ الأرق

مذ تذكّرت لأيام خلت ضمّنا فيها الحمى و الأبرق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٣١

و عشيت تقصّت باللوى فى محيّا الدهر منها روتق

إذ شبابى و التصابى جمعا و رياض الأئس غصّ مورق

شّت يوم البين شملى ليت ما خلق البين لقلب يعشق

آه من يوم قضى لى فرقة شاب منى يوم حلّت مفرق

و قوله: [البيسط]

الرفع نعتكم لا خانكم أمل و الخفض شيمه مثلى و الهوى دول

هل منكم لى عطف بعد بعدكم؟ إذ ليس لى منكم يا سادتى بدل

قلت: البيت الثاني غاية في معناه، وأما الأول فسافل وإن أسس على الرفع مبناه، والله أعلم.

[من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد الملقى]

وقال في «الإكليل» في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري الملقى ما صورته: «علم من أعلام هذا الفن، ومشعشع راح هذا الدنّ، ومجموع أدوات، وفارس براعة و دواة، ظريف المنزع، أنيق المرأى والمسمع، اختصّ بالرياسة فأدار فلک إمارتها، واتّسم باسم كتابتها و وزارتها، ناهضا بالأعباء، صاعدا في درج التقريب والاجتباء، مصانعا دهره في راح و راحه، آويا إلى فضل و سماحة، و خصب ساحة، كلّما فرغ من شأن خدمته، وانصرف عن ربّ نعمته، عقد ثربا، و أطفأ من الاهتمام بغير الأيام حربا، وعكف على صوت يستعيده، و ظرف يديه ويعيده. فلمّا تقلّبت بالرياسة الحال، وقوّضت منها الرجال، استقرّ بالمغرب غريبا، يقلّب طرفا مستريبا، و يلحظ الدنيا تبعه عليه و تتريبا، وإن كان لم يعدم من أمرائه حظوة و تقريبا، و ما برح ييوح بشجنه، و يرتاح إلى عهود وطنه. و ممّا أعرب به، عن براعة أدبه، قوله: [الكامل]

يا نازحين و لم أفارق منهم شوقا تأجج في الضلوع ضرامه
غثيتم عن ناظرى و شخصكم حيث استقرّ من الضلوع مقامه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٣٢
رمت النوى شملى فشئت نظمه و البين رام لا تطيش سهامه
و قد اعتدى فيها وجدّ مبالغا و جرت بمحكم جوره أحكامه
أ ترى الزمان مؤخرا في مدّتى حتى أراه قد انقضت أيامه

تحملها يا نسيم نجدية التفحات، وجدية اللفحات، تؤدى عنى إلى الأجابة نفحها سلاما، و تورّد عليهم لفحها بردا و سلاما، و لا تقل كيف تحملى نارا، و ترسل على الأجابة منى إعصارا. كلّا إذا أهديتهم تحية إيناسى، و آنسوا من جانب هبوبك نار ضرام أنفاسى، و ارتاحوا إلى هبوبك، و اهتزوا فى كفّ مسرى جنوبك، و تعللوا بك تعليلاب و أوسعوا آثار مهّبك تقبيلا، أرسلها عليهم بليلا، و خاطبهم بلطافة تلطفك تعليلاب. أم لم ترونى كيف جئتكم بما حملنى عليلا: [الوافر]

كذاك تركته ملقى بأرض له فيها التعلل بالرياح
إذا هبت إليه صبا إليها و إن جاءته من كلّ النواحي
تساعده الحمام حين يبكى فما ينفكّ موصول النواحي
يخاطبهنّ مهما طرن شوقا أما فيكنّ واهبه الجناحي

و لو لا تعلله بالأمانى، و تحدّث نفسه بزمان التدانى، لكان قد قضى نجه، و لم أبلغكم إلّا نعيه أو ندبه، لكنه يتعلل من الآمال بالوعد الممطول، و يتطرح باقتراحاته على الزمن المجهول، و يحدّث نفسه و قد قنعت من بروق الآمال بالخلب، و وثقت بمواعيد الدهر القلب، فيناجيه بوحي ضميره، و إيماء تصويره، كيف أجدك يوم الالتقاء بالأحباب، و التخلّص من ربة الاغتراب، أ بانه الحضور أم بادية الاضطراب، كأنى بك و قد استفزك و له السرور، فصرفك عن مشاهدة الحضور، و عاقتك غشاوة الاستعبار للاستبشار، عن اجتلاء محيا ذلك النهار: [البسيط]

يوم يداوى زماناتى من ازمانى أزال تنغيص أحيانى فأحيانى
جعلت لله نذرا صومه أبدا أفى به و أوفى شرط إيمانى
إذا ارتفعنا و زال البعد و انقطعت أشطان دهر قد التفت بأسطانى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٣٣

أعدّه خير أعياد الزمان إذا أوطاني السعد فيه ترب أوطاني

أ رأيت كيف ارتياحي إلى التذكار، و انقيادي إلى معلّلات توهمات الأفكار؟ كأنّ البعد باستغراقها قد طويت شقّته، و ذهبت عنى مشقّته، و كأنى بالتخيّل بين تلك الخمائل أنتسّم صباحها، و أنتسّم رباها، و أجتني أزهارها، و أجتلى أنوارها، و أجول فى خمائلها، و أتعمّ ببكرها و أصائلها، و أطوف بمعالمها، و أنتشّق أزهار كمائمها، و أصيخ بأذن الشوق إلى سجع حمائمها، و قد داخلتنى الأفراح، و نالت منى نشوة الارتياح، و دنا السرور لتوهم ذهاب الأتراح، فلمّا أفقت من غمرات سكرى، و وثبت من هفوات فكرى، وجدت مرارة ما شابه لى فى استغراق دهرى، و كأنى من حينئذ عالجت وقفه الفراق، و ابتدأت منازعة الأشواق، و كأنما أغمضنى النوم، و سمح لى بتلك الفكرة الحلم: [الكامل]

ذكر الديار فهاجه تذكاره و سرت به من حينه أفكاره

فاحتلّ منها حيث كان حلوله بالوهم منها و استقرّ قراره

ما أقرب الآمال من غفواته لو أنها قضيت بها أوطاره

فإذا جتتها أيها القادم، و الأصيل قد خلع عليها بردا مورّسا، و الربيع قد مدّ على القيعان منها سندسا، فأتخذها- فديتك- معرّسا، و اجرر ذيولك فيها متبخترا، و بثّ فيها من طيب نفحاتك عنبرا، و افتق عليها من نوافج أنفاسك مسكا أذفرا، و اعطف معاطف بانها، و أرقص قضب ريحانها، و صافح صفحات نهرها، و نافح نفحات زهرها، هذه كلّها أمارات، و عن أسرار مقاصدى عبارات، هنالك تنتعش بها صبايات، تعالج صبايات، تتعلّل بإقبالك، و تعكف على لثم أذبالك، و تبدو لك فى صفة الفانى المتهالك، لاطفها بلطافة اعتلالك، و ترفّق بها ترفّق أمثالك، فإذا مالت بهم إلى هواك الأشواق، و لووا إليك الأروس و الأعناق، و سألوك عن اضطرابى فى الآفاق، و تقلّبى بين الإشام و الإعراق، فقلّ لهم: عرض له فى أسفاره، ما يعرض للبدر فى سراره، من سرار السرار، و لحاق المحاق، و قد تركته و هو يسامر الفرقدين، و يساير التّيرين، و ينشد إذا راعه البين: [البسيط]

و قد نكون و ما يخشى تفرّقنا فاليوم نحن، و ما يرجى تلاقينا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٣٤

لم يفارق و عثاء الأسفار، و لا ألقى من يده عصا التسيار، يتهداه الغور و النجد، و يتداوله الإرقال و الوخد، و قد لفحته الرّمضاء، و سئمه الإنضاء، فالجهات تلفظه، و الآكام تبهظه، يحمل همومه الرواسم، و تحياته البواسم: [البسيط]

لا يستقرّ بأرض حين يبلغها و لا له غير حدو العيس إيناس

ثم إذا استوفوا سؤالك عن حالى، و تقلّبى بين حلّى و ترحالى، و بلغت القلوب منهم الحناجر، و ملأت الدموع المحاجر، و ابتلت ذيولك بمائها، لا بل تضرّجت بدمائها، فحيّهم عنى تحيّه منفصل، و داع مرتحل، ثم اعطف عليك ركابك، و مهّد لهم جنابك، و قلّ لهم إذا سألتنى عن المنازل بعد سكانها، و الربوع بعد ظعن أظعانها، بماذا أجيبه؟ و بماذا يسكن وجيبه، فسيقولون لك هى البلاقع المقفّرات، و المعارف التى أصبحت نكرات: [السريع]

صمّ صداها و عفا رسمها و استعجمت عن منطق السائل

قلّ لهم: كيف الروض و آسه؟ و عمّ تتأرّج أنفاسه؟ عهدى به و الحمام يردّد به أسجاعه، و الذباب يغنى به هزجا فيحكّ بذراعه ذراعه، و غصونه تعتق، و أحشاء جداوله تصطفق، و أشجاره تنتسّم، و آصاله تتوسّم، كما كانت بقيه نضرته، و كما عهدتها أنيقة خضرته، و كيف التفاته عن أزرق نهره، و تأنّقه فى تكليل إكليله بيانع زهره، و هل رقّ نسيم أصائله، و صفت موارد جداوله؟ و كيف انفساح ساحاته، و التفاف دوحاته؟ و هل تمتدّ كما كانت مع العشىّ فينانه سرحاته؟ عهدى بها المديدة الظلال، المزعفرة الشربال، لم تحدّق الآن به عيون نرجسه، و يمدّ بساط سندسه؟ و أين منه مجالس لذاتى، و معاهد غدواتى و روحاتى؟ إذ أبارى فى المجون لمن أبارى، و أسابق إلى اللهدّات كلّ من أبارى. فسيقولون لك: ذوت أفنانه، و انقصفت أغصانه، و تكدّرت غدراجه، و تغبّر روحه و

ريحانه، و أفقرت معالمه، و أخرست حمائمه، و استحالت حلل خمائله، و تغيّرت وجوه بكره و أصائله، فإن صلصل حنين رعد فعن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٣٥

قلبي لفراقه خفق، و إن تلاً برق فعن حر حشاي ائتلق، و إن سحت السحب فمساعدة لجفني، و إن طال بكاؤها فعني، حياها الله تعالى منازل، لم تزل بمنظوم الشمل أو اهل، و حين انتثرت نثرت أزهارها أسفا، و لم تن الریح من أغصانها معطفا، أعاد الله تعالى الشمل فيها إلى محكم نظامه، و جعل الدهر الذي فرقه يتأق في أحكامه، و هو سبحانه يجبر الصّيدع، و يعجل الجمع، إنه بالإجابة جدير، و على ما يشاء قدير.

إيه بنّي، كيف حال من استودعتهم أمانتك، و ألزمتهم صونك و صيانتك، و ألبيتهم نسبك، و مهّدت لهم حسبك؟ الله في حفظهم فهو اللائق بفعالك، و المناسب لشرف خلالك، ارع لهم الاغتراب لديك، و الانقطاع إليك، فهم أمانة الله تعالى في يديك، و هو سبحانه يحفظك بحفظهم، و يوالى بلحظك أسباب لحظهم، و إن ذهبتم إلى معرفة الأحوال، فنعم الله تعالى ممتدة الظلال، و خيراته و ارفه السربال، لو لا الشوق الملازم، و الوجد الذي سكن الحيازم.

[من إنشائه في ترجمة أبي بكر محمد بن مقاتل المالقي]

و قال في «الإكليل» في ترجمة أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل المالقي ما نصّه: نابغة مالقيه، و خلف و بقيه، و مغربي الوطن أخلاقه مشرقية. أزمع الرحيل إلى المشرق، مع اخضرار العود و سواد المفرق، فلما توسّطت السفينة اللّجج، و قارعت التّيج، هال عليها البحر فسقاها كأس الحمام، و أولدها قبل التمام، و كان فيمن اشتملت عليه أعوادها، و انضّم على نوره سوادها، من جملة الطلبة و الأدباء، و أبناء السراة الحسباء، أصبح كلّ منهم مطيعا، لداعى الردى و سميعا، و أحيوا فرادى و ماتوا جميعا، فأجروا الدموع حزنا، و أرسلوا العبرات عليهم مزنا، و كأنّ البحر لما طمس سبيل خلاصهم و سدّها، و أهال هضبة سفينتهم و هدّها، غار على نفوسهم النفيسة فاستردّها. و الفقيه أبو بكر مع إكثاره، و انقياد نظامه و نثاره، لم أظفر من أدبه إلّا بالقليل التافه، بعد وداعه و انصرافه. فمن ذلك قوله و قد أبصر فتى عاثرا: [الكامل]

و مهفهف هافى المعاطف أحوار فضحت أشعة نوره الأقمارا

زلت له قدم فأصبح عاثرا بين الأنام لعا لذاك عاثرا

لو كنت أعلم ما يكون فرشت في ذاك المكان الخدّ و الأشفارا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٣٦

و قال: [الطويل]

أيا لبنى الرفاء تنضى ظباؤهم جفون ظباهم فالفؤاد كليم

لقد قطع الأحشاء منهم مهفهف له التبر خدّ و اللّجين أديم

يسدّد إذ يرمى قسى حواجب و أسهمها من مقلتيه تسوم

و تسقمنى عيناه و هى سقيمة و من عجب سقم جناه سقيم

و يذبل جسمى فى هواه صباية و فى وصله للعاشقين نعيم

كان غرقه فى أخريات عام تسعة و ثلاثين و سبعمائة؛ انتهى.

[من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن الشديد المالقي]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد الشّديد الملقى ما نصّه:
 شاعر مجيد حوك الكلام، و لا يقصر فيه عن درجة الأعلام. رحل إلى الحجاز لأوّل أمره فطال بالبلاد المشرقية ثواؤه، و عميت أنباؤه،
 و على هذا العهد وقفت له على قصيدة بخطه غرضها نبيل، و مرعاها غير وبيل، تدلّ على نفس و نفس، و إضاءة قبس، و هى: [الوافر]
 لنا فى كلّ مكرمة مقام و من فوق النجوم لنا مقام
 و منها:

روينا من مياه المجد لّمّا وردناها و قد كثر الزحام
 فنحن هم، و قل لى من سوانا، لنا التقديم قدما و الكلام
 لنا الأيدى الطّوال بكلّ صوب يهزّ به لدى الروح الحسام
 و نحن اللابسون لكلّ درع يصيب السمر منهّن انثلام
 بأندلس لنا أيام حرب واقفهنّ فى الدنيا عظام
 ثوى منها قلوب الروم خوف يخوف منه فى المهد الغلام
 حمينا جانب الدين احتسابا فيها هو لا يهان و لا يضام
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٣٧
 و تحت الراية الحمراء منّا كتائب لا تطاق و لا ترام
 بنو نصر و ما أدراك ما هم أسود الحرب و القوم الكرام
 لهم فى حربهم فتكات عمرو فلأعمار عندهم انصرام
 يقول عداتهم مهما ألموا أتونا ما من الموت اعتصام
 إذا شرعوا الأسنه يوم حرب فحقّق أنّ ذاك هو الحمام
 كأنّ رماحهم فيها نجوم إذا ما أشبه الليل القتام
 أناس تخلف الأيام ميتا بحىّ منهم فلهم دوام
 رأينا من أبى الحجاج شخصا على تلك الصفات له قيام
 موقى العرض محمود السجيا كريم الكفّ مقدام همام
 يجول بذهنه فى كلّ شىء فيدركه و إن عزّ المرام
 قويم الرأى فى نوب الليالى إذا ما الرأى فارقه القوام
 له فى كلّ معضلة مضاء مضاء الكفّ ساعدها الحسام
 رؤوف قادر يغضى و يعفو و إن عظم اجتناء و اجترام
 تطوف بيت سؤدده القوافى كما قد طاف بالبيت الأنام
 و تسجد فى مقام علاه شكرا و نعم الركن ذلك و المقام
 أفارسها إذا ما الحرب أختت على أبطالها ودنا الحمام
 و ممطرها إذا ما السحب كفت و كفّ أخى الندى أبدا غمام
 لك الذكر الجميل بكلّ قطر لك الشرف الأصيل المستدام
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٣٨
 لقد جبنا البلاد فحيث سرنا رأينا أنّ ملكك لا يرام

فضلت ملوكها شرقا و غربا و بتّ لملكها يقظا و ناموا
فأنت لكلّ معلوّة مدار و أنت لكلّ مكرمة إمام
جعلت بلاد أندلس إذا ما ذكرت تغار مصر و الشام
مكان أنت فيه مكان عزّ و أوطان حلت بها كرام
وهبتك من بنات الفكر بكرها لها من حسن لقياك ابتسام
فنزّه طرف مجدك في حلالها فللمجد الأصيل بها اهتمام

[من إنشائه في ترجمة محمد بن الحسن العمراني، الفاسي]

و قال في «الإكليل» في ترجمة الشريف محمد بن الحسن العمراني من أهل فاس ما صورته: كريم الانتماء، متظلّل بأغصان الشجرة
الشماء، من رجل سليم الضمير، ذي باطن أصفى من الماء النّيمير، له في الشعر طبع يشهد بعريّة أصوله، و مضاء نصوله.
و ذكر في «الإحاطة» أن الشريف المذكور توفي في حدود ثمانية و ثلاثين و سبعمائة.

[من إنشائه في ترجمة محمد بن محمد، المرادي، العشاب]

و قال في «الإكليل» في ترجمة محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم المرادي العشاب، و هو قرطبي الأصل تونسي المولد و المنشأ، ما
نصّه: «جواد لا- يتعاطى طلقه، و صبح فضل لا- يماثل فلقه، كانت لأبيه رحمه الله تعالى من الدول الحفصية منزلة لطيفة المحلّ، و
مفاوضة في العقد و الحلّ، و لم يزل تسمو به قدم النجابة، من العمل إلى الحجابة، و نشأ ابنه هذا مقصّيّ الديون، مفدىّ بالأنفس و
العيون، و الدهر ذو ألوان، و مارق حرب عوان، و الأيام كرات تتلقّف، و أحوال لا تتوقف، فألوى بهم الدهر و أنحى، و أغام جوهم
بعقب ما أصحى، فشملهم الاعتقال، و تعاورتهم التوب الثقال، و استقرت بالمشرق ركابه، و حطت به

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٣٩

أقتابه، فحجّ و اعتمر، و استوطن تلك المعاهد و عمر، و عكف على كتاب الله تعالى فجود الحروف، و قرأ المعروف، و قيد و أسند، و
تكرّر إلى دور الحديث و تردّد، و قدم على هذا الوطن قدوم النسيم البليل، على كبد العليل، و لمّا استقرّ به قراره، و اشتمل على جفنه
غزاره، بادرت إلى مؤانسته، و ثابت على مجالسته، فاجتليت للسيرة شخصا، و طالعت ديوان الوفاء مستقصى. و شعره ليس بحائد عن
الإحسان، و لا غفل عن النكت الحسان؛ انتهى.

[من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر، المليكي]

و قال في «الإكليل» في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكي ما صورته: كاتب الخلافة، و مشعشع الأدب
الذي يزرى بالسّلافة، كان بطل مجال، و ربّ رويّة و ارتجال، قدم على هذه البلاد و قد نبا به وطنه، و ضاق ببعض الحوادث عطنه،
فتلوم النسيم بين الخمائل، و حلّ منها محلّ الطيف من الوشاح الجائل، و لبث مدة إقامته تحت جراية واسعة، و ميرة يانعة، ثم آثر
قطره، فولّى وجهه شطره، و استقبله دهره بالإنابة، و قلّده خطّة الكتابة، فاستقامت حاله، و حطّ رحاله، و له شعر أنيق، و تصوّف و
تحقيق، و رحلة إلى الحجاز سعيها في الخير وثيق، و نسبها في الصالحات عريق، و من شعره قوله: [الطويل]

رضا نلت ما ترضين من كلّ ما يهوى فلا توقيني موقف الذلّ و الشكوى

وصفحا عن الجاني المسيء لنفسه كفاه الذي يلقاه من شدة البلوى

بما بيننا من خلوة معنوية أرق من النجوى و أحلى من السلوى
 قفى أتشكى لوعه البين ساعة و لا يك هذا آخر العهد بالنجوى
 قفى ساعدنى عرصه الدار و انظرى إلى عاشق ما يستفيق من البلوى
 و كم قد سألت الريح شوقا إليكم فما حن مسراها على و لا ألوى
 فيا ريح، حتى أنت ممّن يغار بى و يا نجد، حتى أنت تهوى الذى أهوى
 خلقت ولى قلب جليد على النوى و لكن على فقد الأحبه لا يقوى
 و حدث بعض من عنى بأخباره، أيام مقامه بمالقه و استقراره، أنه لقى بباب الملعب من أبوابها طيبة من طبيبات الإنس، وقينه من قينات
 هذا الجنس، فخطب وصالها، و اتقى بفؤاده

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٤٠

نصالها، حتى همّت بالانقياد، و انعطفت انعطاف الغصن الميتاد، فأبقى على نفسه و أمسك، و أنف من خلع العذار بعد ما تنسك، و
 قال: [الكامل]

لم أنس وقفنا بباب الملعب بين الرجا و اليأس من متجنّب
 وعدت فكنت مراقبا لحديثها يا ذلّ وقفه خائف مترقّب
 و تدللت فذللت بعد تعرّز يأتى الغرام بكلّ أمر معجب
 بدويه أبدى الجمال بوجهها ما شئت من خدّ شريق مذهب
 تدنو و تبعد نفره و تجنّيا فتكاد تحسبها مهأة الزبرب
 ورنّت بلحظ فاتن لك فاتر أنضى و أمضى من حسام المضرب
 و أرتك بابل سحرها بجفونها فسبت، و حقّ لمثلها أن تستبى
 و تضاحكت فحكت بتير ثغرها لمعان نور ضياء برق خلّب
 بمنظّم فى عقد سمطى جوهر عن شبه نور الأقحوان الأشنب
 و تمايلت كالغصن أخضله الندى ريان من ماء الشيبه مخصب
 تشبه أرواح الصبابة و الصبا فتراه بين مشرق و مغرب
 أبت الروادف أن تميل بميله فرست و جال كأنه فى لولب
 متوّجا بهلال وجه لاح فى خلل السحاب لحاجب و محجّب
 يا من رأى فيها محبا مغرما لم ينقلب إلّا بقلب قلب
 ما زال مذ ولى يحاول حيله تدنيه من نيل المنى و المطلب
 فأجال نار الفكر حتى أوقدت فى القلب نار تشوق و تلهب
 فتلاقت الأرواح قبل جسومها و كذا البسيط يكون قبل مرّكّب
 و قال: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٤١

أرى لك يا قلبى بقلبي محبة بعثت بها سرى إليك رسولا
 فقابله بالبشرى، و أقبل عشية فقد هب مسك للنسيم عليلا
 و لا تعتذر بالقطر أو بلل الندى فأحسن ما يأتى النسيم بليلا

توفى عام أربعين و سبعمائة بتونس، رحمه الله تعالى! انتهى.

[من إنشائه في ترجمة محمد بن علي، العبدري، التونسي]

و قال في «الإكليل» في ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر العبدري التونسي الشاطبي الأصل، ما نصّه: غزى نعمة هامية، و فريع رتبة سامية، صرفت إلى سلفه الوجوه، و لم يبق من إفريقية إلّا من يخافه و يرجوه، و بلغ هو مدة ذلك الشرف، الغاية من الترف، ثم قلب الدهر له ظهر المجنّ، و اشتدّ به الخمار عند فراغ الدنّ، و لحق صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوب مبيرة، و شدّة كبيرة، فامتزج بسكانه و قطّانه، و نال من اللذات به ما لم ينله في أوطانه، و اكتسب الشمائل العذاب، و كان كابن الجهم بعث إلى الرصافة ليرقّ فذاب، ثم حوّم على وطنه تحويم الطائر، و ألمّ بهذه البلاد إمام الخيال الزائر، فاعتنمت صفقه ودهّ لحين وروده، و خطبت موالاته على انقباضه و شروده، فحصلت منه على درّة تقتنى، و حديقه طيبة الجنى. أنشدني في أصحاب له بمصر قاموا بيزه: [الطويل]

لكلّ أناس مذهب و سجيّة و مذهب أولاد النظام المكارم

إذا كنت فيهم ثاويًا كنت سيّدا و إن غبت عنهم لم تنلك المظالم

أولئك صحتي، لا عدمت حياتهم! و لا عدموا السعد الذي هو دائم!

أغنى بذكراهم و طيب حديثهم كما غزدت فوق الغصون الحمام

و قال: [الوافر]

أحبّتنا بمصر لو رأيتهم بكائي عند أطراف النهار

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٤٢

لكنتم تشفقون لفرط وجدى و ما ألقاه من بعد الديار

[من إنشائه في ترجمة محمد بن يحيى العزفي، السبتي]

و قال في «الإكليل» في ترجمة أبي القاسم محمد بن أبي زكريا يحيى بن أبي طالب عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي السبتي، ما صورته: فرع تأود من الرياسة في دوحه، و تردّد بين غدوة في المجد و روحه، نشأ و الرياسة العزفية تعلّه و تنهله، و الدهر يسيّر أمله الأقصى و يسهّله، حتى اتسقت أسباب سعده، و انتهت إليه رياسته سلفه من بعده، فألقت إليه رحالها و حطّت، و متعته بقربها بعد ما شطّت، ثم كلع له الدهر بعد ما تبسّم، و عاد زعزعا نسيمه الذي كان يتنّسم، و عاق هلاله عن تمه، ما كان من تغلّب ابن عمه، و استقرّ بهذه البلاد نازح الدار، بحكم الأقدار، و إن كان نبيه المكانة و المقدار، و جرت عليه جراية واسعة، و رعاية متتابعة، و له أدب كالروض باكرته الغمام، و الزهر تفتّحت عنه الكمام، رفع منه راية خافقه، و أقام له سوقا نافقه، و على تدقّق أنهاره، و كثرة نظمه و اشتهاره، فلم أظفر منه إلّا باليسير التافه، بعد انصرافه؛ انتهى.

[من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن المكودي، الفاسي]

و قال في «الإكليل» في ترجمة أبي عبد الله محمد بن المكودي الفاسي ما نصّه: شاعر لا يتقاصى ميدانه، و مرعى بيان ورف عضاهه و أينع سعدانه، يدعو الكلام فيهطع لداعيه، و يسعى في اجتلاب المعاني فتنجح مساعيه، غير أنه أفرط في الانهماك، و هوى إلى السمكة من أوج السماك، قدم على هذه البلاد مفلتا من رهق تلمسان حين الحصار، صفر اليمين و اليسار من اليسار، ملئ هوى أنحى على طريفه و تلالده، و أخرجه من بلادده، و لمّا جذبه اليبين، و حلّ هذه البلدة بحال تقبّحها العين، و السيف بهزّته، لا بحسن بزّته،

دعونا إلى مجلس أعاره البدر هالته، و خلع عليه الأصيل غلالته، و روض تفتح كمامه، و همى عليه غمامه، و كأس أنس تدور، فتلقى نجومها البدور، فلما ذهبت المؤانسة بخجله، و تذكر هواه و يوم نواه حتى خفنا حلول أجله، جذبنا للمؤانسة زمامه، و استسقيناه منه غمامه، فأمتنع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٤٣

و أحسب، و نظر و نسب، و تكلم في المسائل، و حاضر بطرف الأبيات و عيون الرسائل، حتى نشر الصباح رايته، و أطلع النهار آيته، فمما نسبه إلى نفسه و أنشدناه قوله: [الوافر]

غرامى فيك جلّ عن القياس و قد أسقيتني بكل كاس
و لا أنسى هواك و لو جفاني عليك أقاربى طرا و ناسى
و لا أدرى لنفسى من كمال سوى أنى لعهدك غير ناسى
و قال: [الطويل]

بعثت بخمر فيه ماء و إنما بعثت بماء فيه رائحة الخمر
فقلّ عليه الشكر إذ قلّ سكرنا فنحن بلا سكر و أنت بلا شكر

[من إنشائه في ترجمة محمد بن محمد بن بيش، العبدري]

و قال لسان الدين رحمه الله تعالى في ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري الغرناطى ما صورته: معلّم مدرّب، مسهّل مقرب، له في صنعة العربية باع مديد، و فى هدفها سهم سديد، و مشاركة فى الأدب لا يفارقها تسديد، خاصّى المنازع مختصرها، مرتّب الأحوال مقرّرها، تميّز أول وقته بالتجارة فى الكتب فسّلت منه عليها أرضة آكلة، و سهم أصاب من رميتها الشاكلة، أترّب بسببها و أثرى، و أغنى جهه و أفقر أخرى، و انتقل لهذا العهد الأخير إلى سكنى مسقط رأسه، و منبت غرسه، و جرت عليه جريئه من أحباسها، و وقع عليه قبول من ناسها، و بها تلاحق به الحمام، فكان من ترابها البداية و إليها التمام. و له شعر لم يقصر فيه عن المدى، و أدب توشح بالإجادة و ارتدى. أنشدنى بسبته تاسع جمادى الأولى عام اثنين و خمسين و سبعمائة يجيب عن بيتى ابن العفيف التلمسانى: [مخلع البسيط]

يا ساكنا قلبى المعنى و ليس فيه سواك ثانى

لأى معنى كسرت قلبى و ما التقى فيه ساكنا

فقال: [مخلع البسيط]

نحلتنى طائعا فؤادا فصار إذ حزته مكانى

لا غرو إذ كان لى مضافا أنى على الكسر فيه بانى

و قال يخاطب الشريف أبا العباس و أهدى أقلاما: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٤٤

أناملك الغرّ التى سيب جودها يفيض كفيض المزن بالصيّب القطر

أتنتى منها تحفة مثل عدها إذا انتضيت كانت كمرهفة السمر

هى الصفر لكن تعلم البيض أنها محكمه فيها على النفع و الضرّ

مهذبة الأوصال ممشوقة كما تصوغ سهام الرّمى من خالص التبر

فقبلتها عشرا و مثلت أننى ظفرت بلثم فى أناملك العشر

و قال في ترتيب حروف الصحاح: [الطويل]

أ ساجعة بالواديين تبوئي ثمارا جنتها حاليات خواضب
دعى ذكر روض زانه سقى شربه صباح ضحى طير ظباء عصائب
غرام فؤادى قاذف كلّ ليلة متى ما نأى وهنا هواه يراقب
مولده في حدود ثمانين و ستمائة، و توفي بغرناطة في رجب عام ثلاثه و خمسين و سبعمائة؛ انتهى.

قلت: رأيت بخطّ الجلال السيوطى على هامش جوابه عن بيتى ابن العفيف التلمسانى ما صورته: قلت: فى هذا البيت تصريح بأنّ المضاف إلى الياء مبنى على الكسر، و هو رأى مرجوح عند النحاة، ذهب إليه الجرجانى، و الصحيح أنه معرب، على أنّ ذاك لا يحتاج إلى جواب كما يظهر بالتأمل، قاله عبد الرحمن السيوطى؛ انتهى. و يعنى بذلك أنّ الساكنين إنما يكسر أحدهما، لا محلّهما، و الله سبحانه أعلم.

[من إنشائه فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن هانىء، اللخمي]

و قال لسان الدين فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن هانىء اللخمي السبتي و أصله من إشبيلية، ما صورته: علم تشير إليه الألف، و يعمل إلى لقائه الحافر و الخفّ،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٤٥

رفع للعريئة ببلده راية لا تتأخر، و مرج منها لجة تزخر، فانفسح مجال درسه، و أثمرت أدواح غرسه، فركض ما شاء و برح، و دون و شرح، إلى شمائل يملك الظرف زمامها، و دعابة راشت الحلاوة سهامها، و لما أخذ المسلمون فى منازل الجبل و حصاره، و أصابوا الكفر منه بجارحة إبطاره، و رموا بالثكل فيه نازح أمصاره، كان ممّن انتدب و تطوّع، و سمع النداء فأطع، فلأزمه إلى أن نفذ لأهله القوت، و بلغ من فسحة الأجل الموقوت، فأقام الصلاة بمحراه، و حياه و قد غير محياه طول اغترابه، و بادره الطاغية قبل أن يستقرّ نصل الإسلام فى قرابه، أو يعلق أصل الدين فى ترابه. و انتدب إلى الحصار به و تبرّع، و دعاه أجله فلبى و أسرع، و لما هدر عليه الفنيق، و ركع إلى قبله المنجنيق، أصيب بحجر دوّم عليه كالجراح المحلق، و انقضّ إليه انقضاض البارق المتألق، فاقتنصه و اختطفه، و عمد إلى زهره فاقتطفه، فمضى إلى الله تعالى طوع نيته، و صحبته غرابه المنازع حتى فى أمنيته؛ انتهى.

و قد جود ترجمته فى «الإحاطة» و قال: إنه ألف كتباً منها شرح «تسهيل الفوائد» لابن مالك، مبدع تنافس الناس فيه، و كتاب «الغرة الطالعة»، فى شعراء المائة السابعة» و كتاب «إنشاد الضّوال، و إرشاد السّؤال» فى لحن العامة، و هو مفيد، و كتاب «قوت المقيم» و دون ترسيل أبى المطرف بن عميرة و ضمّه فى سفرين، و له جزء فى الفرائض. و حدّثنى شيخنا الشريف القاضى أبو القاسم قال: خاطبت ابن هانىء بقصيدة من نظمى أولها: [البسيط]

هات الحديث عن الركب الذى شخصاً فأجانبى بقصيدة على رويها، أولها: [البسيط]

لولا مشيب بفودى للفؤاد عصى أنضيت فى مهمه التشيب لى قلصا
و استوقفت عبراتى و هى جارية و كفاء توهم ربعا للحبيب قصا
مسائلا عن لياليه التى انتهزت أيدى الأمانى بها ما شتته فرصا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٤٦

و كنت جاريت فيه من جرى طلقاً من الإجادة لم يجمع و لا نكصا
أصاب شاكلة المرمى حين رمى من الشوارد ما لولاه ما اقتنصا
و من أعدّ مكان النبل نبل حجا لم يرض إلّا بأبكار النهى قنصا

ثم انتنى ثانيا عطف النسب إلى مدح به قد غلا ما كان قد رخصا
 فظلت أرقل فيها لبسة شرفت ذاتا و منتسبا أعزز بها قمصا
 يقول فيها و قد خوّلت منحتها و جرّع الكاشح المغرى بها غصصا
 هذى عقائل وافت منك ذا شرف لو لا أياديه بيع الحمد مرتخصا
 فقلت هلا عكست القول منك له و لم يكن قابلا فى مدحه الرخصا
 و قلت ذى بكر فكر من أخى شرف يردى و يرضى بها الحساد و الخلصا
 لها حلّى حستيات على حلل حستية تستبى من حلّ أو شخصا
 خوّلتها و قد اعتزّت ملابسها بالبخت ينقاد للإنسان ما عوصا
 خذها أبا قاسم منى نتيجة ذى ودّ إذا شئت ودّا للورى خلصا
 جاءت تجاوب عمّا قد بعثت به إن كنت تأخذ من درّ النحور حصا
 و هى طويلة.

و مما ينسب إليه: [الكامل]

ما للنوى مدّت لغير ضرورة و لقبيل ما عهدى بها مقصوره
 إنّ الخليل و إن دعته ضرورة لم يرض ذاك فكيف دون ضروره
 و قال مضمنا للثانى: [الرمل]

لا تلمنى عاذلى حين ترى وجه من أهوى فلومى مستحيل
 لو رأى وجه حبيبي عاذلى لتفارقنا على وجه جميل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٤٧

و أجاب الشريف المذكور عن قصيدة مهموزة بقوله: [الكامل]
 يا أوحد الأدباء أو يا أوحد ال فضلاء أو يا أوحد الشرفاء
 من ذا تراه أحقّ منك إذا التوت طرق الحجاج بأن يجيب ندائى
 أدب أرقّ من الهواء و إن تشأ فمّن الهواء و الماء و الصّهباء
 و ألدّ من ظلم الحبيب و ظلّمه بالظاء مفتوحا و ضمّ الظاء
 ما السّحر إلّا ما تصوغ بنانه و لسانه من حليه الإنشاء
 و هى طويلة، يقول فيها بعد جملة أبيات:

لله نفثه سحر ما قد شدت لى من نفث سحرك فى مشاد ثناء

عارضت صفوانا بها فأريت ما يستعظم الراوى لها و الرائي

لو راء لؤلؤك المنظّم لم يفز من نظم لؤلؤه بغير عناء

بوأتنى منها أجلّ ميوّا فلاخمصى مستوطى الجوزاء

و سما بها اسمى سائرا فأنا بما أسديت ذو الأسماء فى الأسماء

و أشدت ذكرى فى البلاد فلى بها طول الثناء و إن أطلت ثوائى

و لقومى الفخر المشيد بنيته يا حسن تشييد و حسن بناء

فليهن هانيهم يد بيضاء ما إن مثلها لك من يد بيضاء

حليت أبياتا له لخمية بحلى على مضرية غزاء

فليشمخوا أنفا بما أوليتهم يا محرز الآلاء بالإيلاء

و وصلها بنثر نصه: «هذا بنى - وصل الله سبحانه لك ولى بك علو المقدار! و أجرى وفق [أو فوق] إرادتك و إرادتى لك جاريات الأقدار! - ما سنج به الذهن الكليل، و اللسان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٤٨

القليل، فى مراجعة قصيدتك الغزاء، الجالبه السراء، الآخذة بمجامع القلوب، الموفية بجوامع المطلوب، الحسنه المهيع و الأسلوب، المتحليه بالحلى السنيه، العريقه المنتسب فى العلا الحسنيه، الجاليه لصد القلوب ران عليها الكسل، و خانها المسعدان السؤل و الأمل، فمتى حامت المعانى حولها، و لو أقامت حولها، شكت ويلها و عولها، و حرمت من فريضه الفضيله عولها، و عهدى بها و الزمان زمان، و أحكامها الماضيه أمانى مقضيه و أمان، تتوارد ألفها، و يجمع إجماعها و خلافها، و يساعدها من الألفاظ كل سهل ممتنع، مفترق مجتمع، مستأنس غريب، بعيد الغور قريب، فاضح الحلى، واضح العلاء و ضاح الغزه و الجبين، رافع عمود الصبح الميين، أيد من الفصاحه بأيد، فلم يحفل بصاحبى طيء و إيد، و كسى نصاعه البلاغه، فلم يعبا بهمام و ابن المراغه، شفاء المحزون، و علم سر المخزون، ما بين منثور و الموزون، و الآن لا ملهج و لا مبهج، و لا مرشد و لا منهج، عكست القضايا فلم تنتج، فتلبد القلب الذكى، و لم يرشح القلم الزكى، و عم الإفحام و عم الإحجام، و تمكّن الإكداء و الإجمال، و كورت الشمس و سيرت الجبال، و علت سامة، و غلبت ندامه، و ارتفعت ملامه، و قامت لنوعى الأدب قيامه، حتى إذا ورد ذلك المهرق، و فرع غصنه المورق، و تغنى به الحمام الأورق، و أحاط بعداد عاداته الغصص و الشروق، و أمن من الغصب و السرق، و أقبل الأمن و ذهب لإقباله الفرق، نفخ فى صور أهل المنظوم و المنثور، و بعثر ما فى القبور و حصل ما فى الصدور، و تراءت للأدب صور، و عمرت للبلاغه كور، و همت للبراعه درر، و نظمت للبراعه درر، و عندما تبين أنك واحد حله البيان، و السابق فى ذلك الميدان يوم الرهان، فكان لك القدم، و أقر لك مع التأخر السابق الأقدم، فوحد فصاحه ألفاظ أجدتها حين أوردتها، و أرسلتها حين أرسلتها، و أزنتها حين وزنتها، و براعه معان سلكتها حين ملكتها، و أوريتها حين رويتها أو رويتها، و أصلتها حين فصلتها أو وصلتها، و نظام جعلته بجسد البيان قلبا، و لمعصمه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٤٩

قلبا، و هصرت حدائقه غلبا، و ارتكبت رويّه صعبا، و نثار أتبعته له خديما، و صيرته لمدير كأسه نديما، و لحفظه ذمامه المدامى أو مدامه الذمامى مديما، لقد فتننى حين أتتنى، و سبتنى حين هبتنى، فذهبت خفتها بوقارى، و لم يرعها بعد شيب عذارى، بل دعت للتصابى فقلت مرحبا، و حللت لفتنتها الحبا، و لم أحفل بشيب، و ألفت ما ردّ تصابى نصيب، و إن كنا فرسى رهان، و سابقى حله ميدان، غير أن الجلده بيضاء، و المرجو الإغضاء بل الإرضاء. بنى، كيف رأيت للبيان هذا الطوع، و الخروج فيه من نوع إلى نوع؟ أين صفوان بن إدريس، و محلّ دعواه بين رحله و تعريس؟ كم بين ثغاء بقر الفلاة و بين ليث الفريس؟ كما أنى أعلم قطعا و أقطع علما، و أحكم مضاء و أمضى حكما، أنه لو نظر إلى قصيدتك الرائقه، و فريدتك الحاليه الفائقه، المعارضه بها قصيدته، المنتسخه بها فريدته، لذهب عرضا و طولا، ثم اعتقد لك اليد الطولى، و أقرّ فارتفع النزاع، و ذهبت له تلك العلامات و الأطماع، و نسى كلمته اللؤلؤيه، و رجع عن دعواه الأديبه، و استغفر ربّه من تلك الإلهيه. بنى و هذا من ذلك، من الجرى فى تلك المسالك، و التبسط فى تلك المآخذ و المتارك، أيتزع غيرى هذا المنزع؟ أم المرء بنفسه و ابنه مولع؟ حيا الله الأدب و بنيه، و أعاد علينا من أيامه و سنه! ما أعلى منازعه، و أكبى منازعه، و أجلّ مآخذه، و أجهل تاركه و أعلم آخذه، و أرقّ طباعه، و أحقّ أشياعه و أتباعه، و أبعد طريقه، و أسعد فريقه، و أقوم نهجه، و أوثق نسجه، و أسمح ألفاظه، و أفصح عكاظه، و أصدق معانيه و ألفاظه، و أحمد نظامه و نثاره، و أغنى شعاره و دثاره، فعائبه مطرود، و عاتبه مصفود، و جاهله محصود، و عالمه محسود، غير أن الإحسان فيه قليل، و لطريق الإصابه فيه علم و دليل، من ظفر بهما وصل، و على الغايه القصوى منه حصل، و من نكب عن الطريق، لم يعدّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥٠

من ذلك الفريق، فليهنك أيها الابن الذكي، البرّ الزكي، الحبيب الحفيّ، الصفيّ الوفيّ، أنك حامل رايته، واصل غايته، ليس أولوه و آخروه لذلك بمنكرين، و لا- تجد أكثرهم شاكرين. و لو لا- أن يطول الكتاب، و ينحرف الشعراء و الكتاب، لفاضت ينابيع هذا الفضل فيضا، و خرجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضا، قرّت عيون أودائك، و ملئت غيظا صدور أعدائك، و رقيت درج الآمال، و وقيت عين الكمال، و حفظ منصبك العالي، بفضل ربك الكبير المتعالى. و السلام الأتمّ الأتمّ الأتمّ، يخصّك به من طال فى مدحه إرقالك و إغذاذك، و ارد روض حمدك و ابلك و طلّك و رذاذك، و غدت مصالح سعيه فى سعى مصالحك، و سينفعك بحول الله و قوته و فضله و منته معاذك، و وسمت نفسك بتلميذه فسمت نفسه بأنه أستاذك، ابن هانىء، و رحمة الله تعالى و بر كاته».

و كانت وفاته شهادة فى أواخر ذى القعدة عام ثلاثة و سبعمائة، و رثاه شيخنا أبو القاسم الحسنى بقصيدة أثبتت فى اسمه منها:
[الطويل]

سقى الله بالخضراء أشلاء سؤدد تضمّنهنّ التّرب صوب الغمام

و رثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين فقال: [مجزوء الكامل]

قد كان ما قال البريد فاصبر فحزنك لا يفيد

أودى ابن هانىء الرضى فاعتادنى للشكل عيد

بحر العلوم و صدرها و عميدها إذ لا عميد

قد كان زينا للوجو دفيه قد فجع الوجود

العلم و التحقيق و الت و فيق و الحسب التليد

تندى خلائقه فقل فيها هى الروض الموجود

مغض عن الإخوان لا جهم اللقاء و لا كنود

أودى شهيدا باذلا مجهوده، نعم الشهيد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥١

لم أنسه حين المعارف باسمه فينا تشيد

و له صبوب فى طلاب العلم يتلوه صعود

لله وقت كان ين ظمنا كما نظم الفريد

أيام نغدو أو نروح و سعينا السعى الحميد

و إذا المشيخة جثم هضبات حلم لا تميد

و مرادنا جمّ النبات و عيشنا خضر برود

لهفى على الإخوان و ال أتراب كلهم فقيد

لو جئت أوطانى لأن كرنى التّهائم و التّجود

و لراع نفسى شيب من غادرتة و هو الوليد

و لطف ما بين اللحد و قد تكاثرت اللحد

سرعان ما عاث الحمام و نحن أيقاظ هجود

كم رمت إعمال المسى رفقيدت عزمى قيود

و الآن أخلقت الوجود، و أخلقت تلك البرود
 ما للفتى ما يبتغى فالله يفعل ما يريد
 أعلى القديم الملك يا ويلاه يعترض العبيد
 يا بين قد طال المدى أبردق و أرعد يا يزيد
 و لكل شىء غاية و لربما لان الحديد
 إيه أبا عبد الإله و دوننا مرمى بعيد
 أين الرسائل منك تأتينا كما نسق العقود
 أين الرسوم الصالحات؟ تصرمت، أين العهود؟
 أنعم مساء لا تخطى كك البشائر و السعود
 و أقدم على دار الرضا حيث الإقامة و الخلود
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥٢
 والحق الأحياء حيث دار الملك و القصر المشيد
 حتى الشهادة لم تفتك فنجمك النجم السعيد
 لا تبعدن وعدا لو أن البدء فى الدنيا يعود
 فلئن بليت فإن ذكرك فى الدنيا غصن جديد
 تالله لا تنساك أن دية العلا ما اخضر عود
 و إذا تسومح فى الحقوق فحقك الحق الأكيد
 جادت صداك غمامة يرمى بها ذاك الصعيد
 و تعهدتك من المهيم ن رحمة أبدا وجود

[همزية صفوان بن إدريس مشهورة بين أدباء المغرب]

و قوله أول هذه الرسالة «عارضت صفوان بها إلى آخره» يعنى بذلك همزية صفوان بن إدريس المشهورة بين أدباء المغرب، و
 لنذكرها إفادة للغرض، و هى: [الكامل]

جاد الرّبا من بانة الجرعاء نوءان من دمعى و غيم سماء
 فالدمع يقضى عندها حقّ الهوى و الغيم حقّ البانة الغناء
 خلت الصدور من القلوب كما خلت تلك المقاصر من مها و ظباء
 و لقد أقول لصاحبى و إنما ذخر الصديق لآكد الأشياء
 يا صاحبى و لا أقلّ إذا أنا ناديت من أن تصغيا لندائى
 عوجا نجارى الغيث فى سقى الحمى حتى يرى كيف انسكاب الماء
 و نسّن فى سقى المنازل سنّه نمضى بها حكما على الظرفاء
 يا منزلا نشطت إليه عبرتى حتى تبسّم زهره لبكائى
 ما كنت قبل مزار ربعك عالما أن المدامع أصدق الأنواء
 يا ليت شعرى، و الزمان تنفّل و الدهر ناسخ شدة برخاء

هل نلتقى في روضة موشية خفاقة الأغصان و الأفياء
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥٣
 و ننال فيها من تألفنا و لو ما فيه سخنة أعين الرقباء
 في حيث أتلت الغصون سوالفا قد قلدت بالآلى الأنداء
 و بدت ثغور الياسمين فقبلت عنى عذار الآسه الميساء
 و الورد فى شطّ الخليج كأنه رمد ألم بمقله زرقاء
 و كأنّ غصّ الزهر فى خضر الرّبا زهر النجوم تلوح بالخضراء
 و كأنما جاء النسيم مبشرا للروض يخبره بطول بقاء
 فكساه خلعة طيبه و رمى له بدراهم الأزهار رمى سخاء
 و كأنما احتقر الصنيع فبادرت للعدر عنه نعمة الوراق
 و الغصن يرقص فى حلى أوراقه كالخود فى موشية خضراء
 و افتّر ثغر الأقحوان بما رأى طربا و قهقه منه جرى الماء
 أفديه من أنس تصرّم فانقضى فكأنه قد كان فى الإغفاء
 لم يبق منه غير ذكرى أو منى و كلاهما سبب لطول عناء
 أو رقة من صاحب هى تحفة إن الرقاع لتحفة التّبهاء
 كبطاقة الوقشى إذ حيا بها إن الكتاب تحية الخلاء
 ما كنت أدرى قبل فضّ ختامها أنّ البطائق أكّوس الصّهباء
 حتى ثنيت معاطفى طربا بها و جررت أذيالى من الخيلاء
 فجعلت ذاك الطرس كأس مدامه و جعلت مهديه من الندماء
 و عجبت من خلّ يعاطى خلّه كأسا وراء البحر و البيداء
 و رأيت روتق خطها فى حسنها كالوشى نَمَق معصم الحسناء
 فوحقها من تسع آيات لقد جاءت بتأييدى على أعدائى
 فكأننى موسى بها، و كأنها تفسير ما فى سورة الإسراء
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥٤
 لو جاد فكر ابن الحسين بمثلها صحت نبوته لدى الشعراء
 سوداء إذ أبصرتها لكنها كم تحتها لك من يد بيضاء
 و لقد رأيت و قد تأوّبنى الكرى فى حيث شابت لمة الظلماء
 أنّ السماء أتى إلى رسولها بهديّة ضاءت بها أرجائى
 بالفرقدين و الثريا أدرجا فى الطي من كافورة بيضاء
 فكفى بذاك الطرس من كافورة و بنظم شعرك من نجوم سماء
 قسما بها و بنظمها و بنثرها لقد انتحت لى ملء عين رجائى
 و علمت أنك أنت فى إبداعها لفظا و خطا معجز النبلاء
 لا ما تعاطت بابل من سحرها لا ما ادّعاها الوشى من صنعاء

و لقد رميت لها القياد و إنها لقضيته أعيت على البلغاء
و طلبت من فكرى الجواب فعقنى و كبا بكفّ الذهن زند ذكائى
فلذا تركت عروضها و رويها و هجرت فيها سنه الأدباء
و بعثتها ألفتيه همزيه خدعا لفكر جامع إبيائى
علمت بقدرك فى المعارف فانبرت من خجله تمشى على استحياء
انتتهت القصيدة، و من خطّ ناظمها صفوان نقلتها.

[من إنشاء لسان الدين فى ترجمه أبى محمد عبد الله الأزدي]

رجع- و قال لسان الدين رحمه الله تعالى فى ترجمه أبى محمد عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي فى «التاج» ما صورته: طويل
القوادم و الخوافى، كلف على كبر سنه بعقائل القوافى، شاب فى الأدب و شب، و نشق ريح البيان لمّا هب، فحاول رقيقه و جزله، و
أجاد جدّه و أحكم هزله، فإن مدح، صدح، و إن وصف، أنصف، و إن عصف، قصف، و إن أنشأ و دون، و تقلّب فى أفانين البلاغه و
تلون، أفسد ما شاء الله و كوّن، فهو شيخ الطريقة الأديبه و فتاها، و خطيب حفلها كلما أتاها، لا يتوقّف عليه من أغراضها غرض، و لا
يضيع لديه منها مفترض، و لم تزل بروقه تتألق، و معانيه بأذيال الإحسان تتعلّق، حتى برز فى أبطال الكلام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥٥

و فرسانه، و ذعرت القلوب بسطوة لسانه، و ألفت إليه الصنائه زمامها، و وقفت عليه أحكامها.

و عبر البحر منتجعا بشعره، و منفقا فى سوق الكساد من سعره، فأبرق و أردد، و حدّر و أردد، و بلغ جهد إمكانه، فى التعريف بمكانه،
فما حرّك و لا هزّ، و ذلّ فى طلب الزفد و قد عزّ، و ما برح أن يرجع إلى وطنه الذى اعتاده، رجوع الحديث إلى قتاده. و قد أثبتّ من
نزعاته، و بعض مخترعاته، ما يدلّ على سعته باعه، و نهضة ذراعه، فمن النسيب قوله: [البسيط]

ما للمحبّ دواء يذهب الألما عنه سوى لمم فيه ارتشاف لمى
و لا يردّ عليه نوم مقتله إلاّ الدنوّ إلى من شفّه سقما
يا حاكما و الهوى فينا يؤئده هواك فى بما ترضاه قد حكما
ثم سردها و قال فى المديح:

إليك جدّ بى التسيار تأميلا فى على فضلك المأمول تعويلا
الحمد لله حمدا لا كفاء له بسعد أيامك المأمول قد نيلا
يا راغبا من حجاه دفع معضله فصبه بصروف الدهر قد عيلا
ألمم بحضرة ملك كلّ مفتخر بالملك يوليه بالتعظيم ترسيلا
فرع من الدوحة النصرية اجتمعت فيه الفضائل تميما و تكميلا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧؛ ص ٣٥٥
لديه ممّا لدى الصديق تسمية و ميسم و كفاه ذاك تفضيلا
و هى طويله؛ انتهى.

[و فى ترجمه أبى الحسن على بن إبراهيم السكاك، الغرناطى]

وقال لسان الدين في «الإكليل» في ترجمة أبي الحسن علي بن إبراهيم بن علي بن خطاب السكاك من أهل غرناطة، ما صورته: متسور على بيوت القريض، في الطويل من الكلام والعريض، ممن أطاعته براعة الخط، و سلمت لأقلامه رماح الخط، عانى كتابة الشروط لأول أمره، ثم أظت به محنته على توفّر خصاله، و نبل خلاله، و هو الآن من كتاب ديوان الحساب، يتعين من الأمور المخزنية ببعض الألقاب؛ انتهى.

[و في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن الصباغ، العقيلي، الغرناطي]

وقال في «التاج» في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥٦

الغرناطي ما صورته: اللسن العارف، الناقد لجواهر المعاني كما يفعل بالسكة الصيارف، و الأديب المجيد، الذي تحلى به للعصر النحر والجيد، إن أجال جياذ براعته فضح فرسان المهارق، و أخجل بين بياض طرسه و سواد نقسه الطّرر تحت المفارق، و إن جلا أباكرا أفكاره، و أثار طير البيان من أوكاره، سلب الرحيق المقدم فضل إسكاره، إلى نفس لا يفارقها ظرف، و همية لا يرتد إليها طرف، و إبانة لا يفل لها غرب و لا حرف. و له أدب غضّ، زهره على مجتنيه منفض، كتبت إليه أستنجز وعده في الإتحاف برائقه، و الإمتاع بزهر حدائقه، قولى: [الكامل]

عندى لموعدك افتقار محرج و عهدك افتقرت إلى إنجازها

و الله يعلم فيك صدق مودتي و حقيقة الأشياء غير مجازها

فأجابني بقوله: [الكامل]

يا مهدي الدرّ الثمين منظما كلما حلال السحر في إنجازها

أدركت حلبات الأوائل وانيا و رددت أولها على أعجازها

أحرزت في المضممار خصل سباقها و أنت أسبقهم إلى إحرازها

حليت بالسّمطين منى عاطلا و بعثت من فكرى فتاة مفاها

فلأنجزن مواعدي مستعظفا فاسمح، و بالإغضاء منك فجازها

وقال في «الإحاطة» في حقّ المذكور: إنه من أهل الفضل و السراوة و الرجولة و الجزالة.

فدّ في الكفاية، ظاهر السداجة و السلامة، مصعب لأضداده، شديد العصبية لأولى و داه، يشتمل على خلال من خطّ بارع و كتابة حسنة و شعر جيد و مشاركة في فقه و أدب و وثيقة و محاضرة ممتعة. ناب عن بعض القضاة و كتب الشروط، و ارتسم في ديوان الجند، و كتب عن شيخ الغزاة أبي زكريا يحيى بن عمر على عهده، ثم انصرف إلى العدو سابع عشر جمادى الأولى من عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، فارتسم في الكتاب السلطانية منوها به، مستعملا في خدم مجديّة بان غناؤه فيها و ظفرت كفايته، انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥٧

وقد وصفه بصاحبنا. ثم قال: و من شعر المذكور قوله: [المديد]

ليت شعري و الهوى أمل و أمانى الصّب لا تقف

هل لذاك الوصل مرتجع أو لهذا الهجر منصرف

وقال: [الطويل]

و ظبي سبي بالطرف و العطف و الجيد و ما حاز من غنج و لين و من غيد

أشرت إليه بالدنو مداعبا فقال: أيدنو الظبي من غابة الأسد

و قال في مبدإ قصيدة مطوّلة: [الطويل]
 حديث المغاني بعدهنّ شجون و أوجه أيام التباعد جون
 لحا الله أيام الفراق فكّم شجت و غادرت الجدلان و هو حزين
 و حيا ديارا في ربا غرناطه و إنى بذاك القرب منك ضنين
 لأرخصت فيها من شبابى ما غلا و عزمى على مال العفاف أمين
 خليلي، لا أمر، بأربعها قفا فعندى إلى تلك الربوع حنين
 أ لم تريانى كلّما ذرّ شارق تضاعف عندى عبرة و أنين
 إذا لم يساعدنى أخ منكما فلا حدث لخؤون بعد ذاك أمون
 ليس عجيبا فى البرية من له إلى عهد إخوان الزمان ركون
 فلا تتقن من ذى وفاء بعهدة فقد أجن السلسال و هو معين
 لقلبي عذر فى فراق ضلوعه و للدمع فى ترك الشؤون شؤون
 و من ترك الحزم المعين فإنه لعان بأيدى الحادثات رهين
 رعى الله أيامى الوثيق ذمامها فإنّ مكانى فى الوفاء مكين
 و لم أر مثل الدهر أمّا عدوّه فحبّ، و أمّا خلّه فخؤون
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٥٨
 و لو لا أبو عمرو و وجود بنانه لما كان فى هذا الزمان معين
 و قال: [الكامل]

زار الخيال و يا لها من لذّة لكنّ لذات الخيال منام
 ما زلت ألتّم مبسما منظومه درّ و مورده الشّهى مدام
 و أضّم غصن البان من أعطافه و أشّم مسكا فضّ عنه ختام
 مولده عام ستّة و سبعمائه، و توفى بفاس، و قد تحلّفه السلطان كاتب ولده عند توجّهه لإفريقيّة فى العشرين من رمضان عام ثمانية و
 خمسين و سبعمائه، رحمه الله تعالى!.

و قد وهم لسان الدين فى شهر وفاة المذكور، و إنما الصواب أنه توفى يوم الأحد ثامن شوّال، فاعلم ذلك، و الله سبحانه أعلم.

[و فى ترجمة شيخه أبى الحسن بن الجياب]

رجع- و قال فى «التاج المحلّى، فى مساجلة القدح المعلّى» و فى «الإكليل الزاهر، فيمن فضل عند نظم التاج من الجواهر» و غيرهما ممّا
 ثبت فى حلى رؤسائه الكتّاب، و حاملى ألوية الآداب، فى ترجمة شيخه ابن الجياب، ما نصه: «صدر الصدور الجلّة، و علم أعلام هذه
 الملة، و شيخ الكتابة و بانيها، و هاصر أفنان البدائع و جانيها، اعتمدهت الرياسة فناء بها على جبل ذراعاه، و استعانت به السياسة فدارت
 أفلاكها على قطب من شباه يراعاه، فتفتيا للعناية ظللا ظليلا، و تعاقبت الدول فلم تر به بديلا، من ندب على علوه متواضع، و حبر لثدى
 المعارف راضع، لا- تمرّ مذاكرة فى فن إلا- و له فيه التبريز، و لا- تعرض جواهر الكلام على محكات الأفهام إلّا و كلامه الإبريز، حتى
 أصبح الدهر راويا لإحسانه، و ناطقا بلسانه، و غرّب ذكره و شرّق، و أشأم و أعرق، و تجاوز البحر الأخضر و الخليج الأزرق، إلى نفس
 هذبت الآداب شمائلها، و جادت الرياضه خمائلها، و مراقبة لرّبه، و استنشاق لروح الله من مهّبه، و دين لا يعجم عوده، و لا تخلف و
 عوده، و كلّ ما ظهر علينا- معشر بنيه- من شارة تجلى بها العين، أو إشارة كما سبك اللّجين، فهى إليه منسوبة، و فى حسناته محسوبة،

فإنما هي أنفوس راضها بآدابه، و أعلقها بأهدابه، و هذب طباعها، كالشمس تلقى على النجوم شعاعها، و الصور الجميلة، تترك في الأجسام الصقيلة انطباعها، و ما عسى أن أقول في إمام الأئمة، و نور نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥٩

الدياجي المدلهمة، و المثل السائر في بعد الصيت و علو الهمة. و قد أثبت من عيون قصائده، و أدبه الذي علق الإحسان في مصايد، كل وثيق المعنى، كريم المجنى جامع بين حصافة للفظ و لطافة المعنى؛ انتهى.

و المذكور له ترجمة في هذا الكتاب في باب مشيخة لسان الدين فلتراجع.

[و من إنشائه في ترجمة عمر بن علي، المنتقري]

و قال في «الإكليل» في حق عمر بن علي بن غفرون الكلبى من أهل منتقير ما صورته:

شيخ خدم، قام له الدهر فيها على قدم، و صاحب تعريض، و دهاء عريض، و فائز من الدول النصرية بأياد بيض، أصله من حصن منتقير، خدم به الدولة النصرية عند انتزاع أهله، و كان ممن استزلهم من حزنه إلى سهله، و حكم الأمر الغالبى فى يافعه و كهله، فكسب حظوة أرضته، و وسيلة أرهفته و أمضته، حتى عظم جاهه و ماله، و بسقت آماله، ثم دالت الدول، و تنكرت أيامه الأول، و تغلب من يجانسه، و شقى بمن كان ينافسه، فجف عوده، و الثالث سعوده، و هلك و الخمول يظله، و الدهر يقوته من صبابه حرث كان يستغله، و له شعر لم يتقنه النظر، و لا وضحت منه الغرر. توفى فى ذى الحجة عام أربعة و أربعين و سبعمائة؛ انتهى.

[من إنشائه في ترجمة قاسم بن محمد بن الجدى، الفهرى]

و قال فى «الإكليل» فى حق قاسم بن محمد بن الجدى الفهرى المرى ما صورته: هو من أئمة أهل الزمام، خليف برعى الذمام، ذو حظ كما تفتح زهر الكمام، و أخلاق أعذب من ماء الغمام، كان بيلده حاسبا، و درًا فى لجة الإغفال راسبا، صحيح العمل، يلبس الطروس من براعته أسنى الحلل، قال يمدح السلطان: [الطويل]

أرى أوجه الأيام قد أشرقت بشرا فقل لى رعاك الله ما هذه البشرى
و ما بال أنفاس الخزامى تعطرت فأزجت الأرجاء من نفعها عطرا
و نقتب الشمس المنيرة و جهها قصورا عن الوجه الذى أحجل البدرا
و هى طويلة. توفى المذكور عام خمسين و سبعمائة بالطاعون.

[من إنشائه في ترجمة أبى عثمان سعيد، الغسانى]

و قال فى «الإكليل» فى حق أبى عثمان سعيد الغسانى ما صورته: «هو ممن يتشوق إلى المعرفة و المقالات، و يتسوق إلى الحقائق و المحالات، و يشتمل على نفس رقيقة، و يسير من نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٦٠

تعليم القرآن على خير طريقه، و يعانى من الشعر ما يشهد بنبه، و يستظرف من مثله؛ انتهى.

[و فى ترجمة الطروشى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى الحجاج يوسف بن على الطروشى ما صورته:

روض أدب لا- تعرف الذواء أزهاره، و مجموع فضل لا تخفى آثاره، كان في فنون الأدب مطلق الأعنيّة، و في معاركه ماضى الظبا و الأسنّة، فإن هزل، و إلى تلك الطريقة اعتزل، أبرم من الغزل ما غزل، و بزل من دنان راحه ما بزل، و إن صرف إلى المغرب غرب لسانه، و أعاره لمحة من إحسانه، أطاعه عاصيه، و استجمعت لديه أقاصيه. ورد على الحضرة الأندلسية و الدنيا شائبة، و ربح القبول هائيّة، فأتلى محاسن أوطانها، و كتب عن سلطانها، ثم كزّ إلى أوطانه و عطف، و أسرع للحاق كالبارق إذا خطف. و توفي عن سنّ عالية، و برود من العمر غاليّة.

[و في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد العذري، الوادي آشي]

و قال في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن المتأهل العذري من أهل وادي آش ما صورته: رجل غليظ الحاشية، معدود في جنس السائمة و الماشية، تليت على العمال به سورة الغاشية، ولى الأشغال السلطانية فدعرت الجبّة لولايته، و أيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته، و قنطوا كلّ القنوط، و قالوا: جاءت الدابة تكلمنا و هي إحدى الشروط، من رجل صائم الحشوة، بعيد عن المصانعة و الرشوة، يتجنّب الناس، و يقول عند المخالطة لهم: لا مساس، عهدى به في الإعمال يحبط و يتبر، و هو يهّلل و يكبر، و يحسن و يقبح، و هو يسبح. و قال يخاطب بعض أمراء الدولة: [الطويل]

عمادي، ملاذي، موئلي، و مؤملي ألا انعم بما ترضاه للمتأهل
و حقّق نبيل القصد منك رجاءه على نحو ما يرضيك يا ذا التفضّل
فأنت الذي في العلم يعرف قدره بخير زمان فيه لا زلت تعتلي
فهنيّت يا معنى الكمال برتبة تقرّ لكم بالسبق في كلّ محفل
توفي عام ثلاثة و أربعين و سبعمائة، انتهى.

و تذكرت بقوله «و يحسن و يقبح، و هو يسبح» قول الآخر: [مجزوء الرمل]

قد بلينا بأمر ظلم الناس و سبّح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٦١

فهو كالجزار فيهم يذكر الله و يذبح

[و في ترجمة أبي عبد الله بن باق]

رجع- و قال لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله بن باق من «التاج» ما صورته: «مدير أكؤس البيان المعقّ، و لعوب بأطراف الكلام المشقّق، انتحل لأول أمره الهزل من أصنافه، فأبرز درّ معانيه من أصدافه، و جنى ثمرة الإبداع لحين قطافه. ثم تجاوزه إلى المغرب و تخطّاه، فأدار كأسه المترع و عاطاه، فأصبح لفنيّه جامعا، و في فلكيه شهابا لامعا، و له ذكاء يطير شرره، و إدراك تبّلج غرره، و ذهن يكشف الغوامض، و يسبق البارق الوامض، و على ذلاقة لسانه، و انفساح أمد إحسانه، فشديد الصباية بشعره، معل لسعره»؛ انتهى.

و المذكور هو محمد بن إبراهيم بن علي باق الأموي، مرسى الأصل، غرناطيّ النشأة، مالمقى الاستيطان.

و قال في «عائد الصلّة»: «كان رحمه الله تعالى كاتباً ذكياً لودعياً يجيد الخطّ و يرسل النادرة، و يقدم على العمل، و يشارك في الفريضة، و بدّ السبّاق في الأدب الهزليّ المستعمل بالأندلس، غبر زماناً من عمره محارفاً للفاقة، يعالج بالأدب الكديّة، ثم استقام له الميسم، و أمكنه البخت من امتطاء غاربه، فأنشبت الحظوة فيه أناملها بين كاتب و شاهد و محاسب و مدير تجر، فأثرى و نما ماله، و عظمت حاله، عهد عندما شارف الرحيل بجملة تهاز الألف من العين، لتصرف في وجوه من البرّ، فتوهم أنها كانت زكاة أمسك بها»؛

انتهى.

وقال أيضا: أخبرني الكاتب أبو عبد الله بن سلمة أنه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله في رويته: [الخفيف]
أحرز الخصل من بنى سلمه كاتب تخدم الطبا قلمه
يحمل الطرس من أنامله أثر الحسن كلما رقمه
و يمدّ البيان فكرته مرسلا حيث يمت ديمه
خصني متحفا بخمس إذا بسم الرّوض ففن مبتسمه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٦٢
قلت أهدى زهر الرّبا خضلا فإذا كلّ زهرة كلمه
أقسم الحسن لا يفارقها فأبّر انتقاؤها قسمه
خطّ أسطارها و تمقها فأت كالعقود منتظمه
كاسيا من حاله لى حللا رسمها من بديع ما رسمه
طالبها عند عاطش نهالا و لديه الغيوث منسجمه
يبتغى الشعر من أخى بله أحرص العي و القصور فمه
أيها الفاضل الذي حفظت ألسن المدح و الثنا شيمه
لا تكلف أخاك مقترحا نشر عار لديه قد كتبه
وابق في عزّة و في دعه ضافى العيش واردا شيمه
ما ثنى الغصن عطفه طربا و شدا الطير فوقه نغمه

و رأيت على هامش هذه القصيدة بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين ما صورته: نعم ما خاطب به شيخنا و بركة أهل الأندلس و صدر صدورهم أبا عبد الله بن سلمة، و من لفظه سمعتها بالقاهرة، و إنها لمن النظم العالى المتسق نسق الدرّ في العقود، رحمه الله تعالى! قاله ابن المؤلف؛ انتهى.

و قرأ ابن باق المذكور على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير و الخطيب أبي عثمان بن عيسى.

و توفي بمالقة في اليوم الثامن و العشرين لمحرم فاتح عام اثنين و خمسين و سبعمائة، و أوصى بعد أن حفر قبره بين شيخيه الخطيبين أبي عبد الله الطنجالي و أبي عثمان بن عيسى أن يدفن به، و أن يكتب على قبره هذه الأبيات: [الطويل]

ترحم على قبر ابن باق وحيه فمن حق ميت الحيّ تسليم حيه
و قل آمن الرحمن روعة خائف لتفريطه في الواجبات وغيه
قد اختار هذا القبر في الأرض راجيا من الله تخفيفا بقدر وليه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٦٣
فقد يشفع الجار الكريم لجاره و يشمل بالمعروف أهل نديه
و إني بفضل الله أوثق واثق و حسبي و إن أذنت حبّ نبيّه
انتهى.

[و في ترجمة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة، المعافى، المرى]

رجع - و قال لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافى المرى المدعو بالتوء من «الإكليل» ما

نصّه: شيخ أخلاقه لينه، و نفسه كما قيل هينه، ينظم الشعر سهلا مساقه، محكما اتساقه، على فاقه، ما لها من إفاقه، أنشد المقام السلطاني بظاهر بلده قوله: [الطويل]

سرت ريح نجد من ربا أرض بابل فهاجت إلى مسرى سراها بلابلى
و ذكرنى عرف النسيم الذى سرى معاهد أحباب سراه أفاضل
فأصبحت مشغوفاً بذكر منازل ألفت، فواشوقى لتلك المنازل
فيا ريح هبى بالبطاح و بالزبا و مرى على أغصان زهر الخمائل
و سيرى بجسمى للتى الروح عندها فروحى لديها من أجلّ الوسائل
و قولى لها عنى معنّاك بالنوى له شوق معمود و عبرة تاكل
فيا أبى هيفاء كالغصن تنشى تقدّ بقّد كاد ينقّد مائل
و هى طويلة.

و من شعر المذكور قوله من قصيدة: [الكامل]

بهرت كشمس فى غلالة عسجد و كبدر تمّ فى قضيب زبرجد
ثم انشت كالغصن هزّته الصبا طربا فتزرى بالغصون الميّد
حوراء بارعة الجمال غريرة تزهى فتزرى بالقضيب الأملد
إن أدبرت لم تبق عقل مدبر أو أقبلت قتلت و لكن لا تدى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٦٤

قال القاضى أبو البركات بن الحاج: و ابتلى باختصار كتب الناس، فمن ذلك مختصره المسمى «الدرر الموسوم»، فى اشتقاق الحروف المرسومة» و كتاب حكايات يسمى «دوحة الجنان، و راحة الجنان» و غير ذلك.

قال أبو البركات: و سأله عن مولده، فقال: لى اليوم ستون سنة، و قال ذلك ليله الخميس السابع و العشرين لذى قعدة عام أربعين و سبعمائة، و توفى آخر رمضان من عام تسعة و أربعين، رحمه الله تعالى! انتهى.

رجع - قال لسان الدين فى «الإكليل» فى ترجمة الكاتب صاحب العلامة أبى العباس أحمد بن على المليانى المراكشى ما نصّه: «الصارم الفاتك، و الكاتب الباتك، أى اضطراب فى وقار، و تجهم تحته أنس العقار! أتخذ ملك المغرب صاحب علامته، و توجه تاج كرامته، و كان يطالب جملة من أشياخ مراكش بثأر عمه، و يطوفهم دمه بزعمه، و يقصر على الاستنصار منهم بنات همّه، إذ سعا فيه حتى اعتقل، ثم جدوا فى أمره حتى قتل، فترصد كتابا إلى مراكش يتضمّن أمرا جزما، و يشمل من أمور الملك عزمًا، جعل فيه الأمر بضرب رقابهم، و سبى أسبابهم، و لما أكد على حامله فى العجل، و ضايقه فى تقدير الأجل، تأنى حتى علم أنه قد وصل، و أن غرضه قد حصل، فز إلى تلمسان و هى بحال حصارها، فاتصل بأنصارها، حالا بين أنوفها و أبصارها، و تعجّب من فراره، و سوء اغتراره، و رجمت الظنون فى آثاره.

ثم وصلت الأخبار بتمام الحيلة، و استيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة، فتركها شنيعة على الأيام، و عارا فى الأقاليم على حملة الأقالام، و أقام بتلمسان إلى أن حلّ مخنق حصرها، و أزيل هيمان الضيقة عن خصرها، فلحق بالأندلس و لم يعدم بزّا، ورعا مستمرا، حتى أتاه حمامه، و انصرفت أيامه»؛ انتهى.

و المذكور ترجمه فى «الإحاطة» بقوله: صاحب العلامة بالمغرب، الكاتب الشهير البعيد الشأو فى اقتضاء الثرة، المثل المضروب فى الهمة، و قوة الصريمة، و نفاذ العزيمة.

حاله - كان نبيه البيت، شهير الأصاله، رفيع المكانه، على سجيّه غريبة من الوقار و الانقباض و الصمت، آخذًا بحظّ من الطبّ، حسن

الخط، مليح الكتابة، قارضا للشعر، تذهب نفسه فيه كلّ مذهب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٦٥

وصمته - فتك فتكه شهيرة أساءت الظن بحملة الأقلام على ممرّ الدهر، وانتقل إلى الأندلس بعد مشقة. شعره - من شعره الذى يدلّ على بأوه، و انفساح خطاه فى النفساء و بعد شأوه، قوله:

[الكامل]

العزّ ما ضربت عليه قبابى و الفضل ما اشتملت عليه ثيابى

و الزهر ما أهدها غصن براعتى و المسك ما أبداه نقس كتابى

فالمجد يمنع أن يزاحم موردى و العزم يأبى أن يضام جنابى

فإذا بلوت صنيعة جازيتها بجميل شكرى أو جزيل ثوابى

و إذا عقدت مودّة أجريتها مجرى طعامى من دمي و شرابى

و إذا طلبت من الفراقد و السها ثأرا فأوشك أن أنال طلابى

وفاته - توفى بغرناطة يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر و سبعمائة و دفن بجبانة باب البيرة، تجاوز الله تعالى عنه! انتهى.

[و فى ترجمة أبى العباس المليانى من نثره فى كتاب «الروض» فى ترجمة عنوانها «ضخام الغصون من شجرة السر المصون»]

رجع إلى نثر ابن الخطيب رحمه الله تعالى:

فمن ذلك قوله، فى «الروض» فى ترجمة «ضخام الغصون، من شجرة السر المصون» ما صورته: و هى التى أفادت الظل الظليل، و زانت المرأى الجميل، و تكفّلت لمحاسن الشجرة الشماء بالتكفيل، و تعدّد إلى غصون المحبوبات، و أقسام موضوعاتها المكتوبات، و

غصن المحبين، أصنافهم المرتبين، و غصن علامات المحبّة، و شواهد النفوس الصّبيّة، و غصن الأخبار المنقولة، عن ذوى النفوس المصقولة، و عند تعيين هذه الأغصان المقسومة المقمومة، كمل شكل الشجرة المرسومة، و السّرحة الموصوفة الموسومة، ففادت

الظلال، و كرمت الخلال، فحى من تفرّد و توحد، و استظلّ من استهدى و استرشد، و وقف الهائم فخطب و أنشد: [مخلع البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٦٦

يا سرحة الحىّ يا مطول شرح الذى بيننا يطول

عندى مقال فهل مقام تصغين فيه لما أقول

ولى ديون عليك حلّت لو أنه ينفع الحلول

ماض من العيش كان فيه منزلنا ظلّك الظليل

زال و ما ذا عليه ما ذا يا سرح لو لم يكن يزول

حيا عن المذنب المعنى منتك القطر و القبول

و قال رحمه الله تعالى: فصول فى المعرفة تغازل بها عيون الإشارة، إذا قصرت عن تمام المعنى ألسن العبارة، و لله درّ القائل: [الكامل]

و إذا العقول تقاصرت عن مدرك لم تتكلّ إلّا على أذواقها

المعرفة اختراق المراتب الحسيّة، و النفوس الجنسيّة، و العقول القدسيّة، و البروز إلى فضاء الأزل، إذا فنى من لم يكن و بقى من لم

يزل، مع عمران المراتب، و رؤية الجائر فى الواجب: [الطويل]

و من عجب أنى أحنّ إليهم و أسأل شوقا عنهم و هم معى

و تبكيهم عينى و هم فى سوادها و يشكو النوى قلبى و هم بين أضلعي

المعرفة مقام يأتلف من جمع مفروق، و أفول و شروق، و سلّ عروق، ورد مسروق، حتى يذهب الكيف و الأين، و يتعين العين، فيجمع العدد و يجمل، و ينحى السوى و مع ذلك لا يهمل: [مجزوء الرمل]

للعدا منك نصيب و لك السهم المصيب

إنما يومك يوما ن: خصيب و عصب

المعرفة مقام سامى المنعرج، عاطر الأرج، ينقل من السعة إلى الحرج، و من الشدة إلى الفرج: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٦٧

طريقك لا تخفى به إن تتبعت خطاك و لا يخفى مبيتك فيه

متاعك منشور على كل خيمة و رؤياك أمن من ترفع تيه

المعرفة عين إن لم تبصر أجزاءها، أحسن الله عزاءها، و حقيقة إن لم يجعل الفراق إزاءها، كانت الغيرة جزاءها، فهي دائرة مركزها يجمع، و محيطها فى التفريق يطمع، يستقل الملك أجمع، و يرى من يرى و يسمع من يسمع: [الكامل]

بعد المحيط من المحدد واحد و الكل فى حق الوجود سواء

و الحق يعرف ذاته من ذاته صحّ الهوى فتلاشت الأهواء

المعرفة صعود و نزول، و وقوف و وصول، فلا الوصول عن البداية يقطع، و لا البداية عن النهاية تمنع: [السرّيع]

من له الأمر أجمع كل ما شاء يصنع

حصل القصد و استقرّ فلم يبق مطمع

العارف فى البداية يشكر الراكح و الساجد، ثم يعذر الواجد و المتواجد، ثم يرحم المنكر الجاحد، فإذا انتهى و ردّ العدد إلى الواحد، قال لسان حاله: [مجزوء السرّيع]

من رأى لى نشيدة أو على عينها أثر

فله الحكم قل له ذهب العين و الأثر

إلى أن قال: قال الرئيس: العارف هسّ بش بسام، فيجلّ الصغير من تواضعه مثل ما يجلّ الكبير، و يبسط من الخامل مثل ما يبسط من النبیه، ثم علل فقال: و كيف لا يهسّ و هو فرحان بالحقّ، و بكلّ شيء فإنه يرى فيه الحقّ إنى لأجد ريح يوسف [سورة يوسف، الآية: ٩٤]: [الخفيف]

لمعت نارهم و قد عسعس اللى ل و ضجّ الحادى و حار الدليل

فتأملتتها و قلت لصحبي هذه النار نار ليلى فميلوا

العارف شجاع، و كيف لا- و هو بمعزل عن هيبه الموت، و جواد، و كيف لا و هو بمعزل عن صحبة الباخل، و صفّاح، و كيف لا و نفسه أكبر من أن تخرجها زلة بشر، و نساء للأحقاد، و كيف لا و ذكره مشغول بالحقّ، و قالوا: من عرف الله تعالى صفا له العيش،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٦٨

و طابت له الحياة، و هابه كلّ شيء، و ذهب عنه خوف المخلوقين، و أنس بالله رب العالمين.

الشبلى: ليس لعارف علاقة، و لا- لمحّب شكوى، و لا لعبد دعوى، من عرف الله سبحانه انقطع، بل خرس و انقمع، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك؛ انتهى.

و قال رحمه الله تعالى فى بعض تراجم الروضة: الفرع الصاعد إلى الهواء، على خطّ الاستواء، من رأس العمود القائم، إلى منتهى الوجود الدائم، و يشتمل على قشر لطيف، و جرم شريف، و أفنان ذوات ألوان، قنوان و غير قنوان، و طلع نضيد، و جنى سعيد، فالقشر الحدود و الرسوم، و خواص العارف الذى هو المعروف بها و الموسوم، و الفنون التى يقوم عليها و العلوم، و الجزم ظاهر الخلق

المقسوم، و علاجه كما تعالج الجسوم، و باطنه المجاهدات التي عليها يقوم، و قلبه الرياضة و الغصون المقامات فيها المقام المعلوم، و مادتها السلوك الذي بتدرج غذائه تبلغ الأفنان و الورقات ما تروم، و الزهرات اللوائح و الطوالع و البواده التي لها الهجوم، و الواردات التي تدوم أو لا تدوم، ثم الجنى و هو الولاية التي كان الغارس عليها يحوم؛ انتهى.

ثم فصل الكل رحمه الله تعالى فليراجعه من أراه.

[من إنشائه إلى الأمير يلبغا]

و من نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما كتبه على لسان سلطانه للأمير يلبغا الخاصكى، و هو: «إلى الأمير المؤتمن على أمر سلطان المسلمين، المقام بتدبيره السديد قلادة الدين، المثنى على رسوم بَرّه لمقامه لسان الحرم الأمين، الآوى من مرضاة الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم إلى ربوة ذات قرار و معين، المستعين من الله تعالى على ما تحمله و أمله بالقوى المعين، سيد الدعوة، ركن الدولة، قوام الملة، مؤمل الأمة، تاج الخواص، أسد الجيوش، كافي الكفاة، زين الأمراء، علم الكبراء، عين الأعيان، حسنة الزمان، الأجل المرفع الأسنى الكبير الأشهر الأسمى الحافل الفاضل الكامل المعظم الموقر الأمير الأوحده يلبغا الخاصكى، وصل الله له سعادة تشرق غزتها! و صنائع تسخّ فلا تشخّ درتها! و أبقى تلك المثابة قلادة الله تعالى و هو درتها.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٦٩

«سلام كريم، طيب عميم، يخص إمارتكم التي جعل الله تعالى الفضل على سعادتها أماره، و اليسر لها شاره، فيساعد الفلك الدوار مهما أعملت إدارة، و تمتثل الرسوم كلما أشارت إشارة.

«أما بعد حمد الله تعالى الذي هو يعلمه في كل مكان، من قاص ودان، و إليه توجه الوجوه و إن اختلفت السير و تباعدت البلدان، و منه يلتمس الإحسان، و بذكره ينشرح الصدر و يطمئن القلب و يمرح اللسان، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله العظيم الشأن، و نبئه الصادق البيان الواضح البرهان، و الرضا عن آله و أصحابه و أحزابه أحلاس الخيل، و رهبان الليل، و أسود الميدان، و الدعاء لإمارتكم السعيدة بالعزّ الرائق الخبر و العيان، و التوفيق الوثيق البنيان، فإنّا كتبنا إليكم - كتب الله تعالى لكم حظاً من فضله وافر، و صنيعة عن محيّا السرور سافرا، و في جوّ الإعلام بالنعم الجسام مسافرا! - من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الأندلس دافع الله سبحانه عن حوزتها كيد العداة، و أتحنف نصلها بيوكر النصر المهداة، و لا رائد إلّا الشوق إلى التعارف بتلك الأبواب الشريفة التي أنتم عنوان كتابها المرقوم، و بيت قصيدها المنظوم، و التماس بركتها الثابتة الرسوم، و تقرير المثول في سبيل زيارتها بالأرواح عند تعذره بالجسوم، و إلى هذا فإننا كانت بين سلفنا تقبل الله تعالى جهادهم، و قدس نفوسهم، و أمن معادهم، و بين تلك الأبواب كما عرفتم من عدلها و إفضالها، مراسلة يتم عرف الخلوص من خلالها، و تسطع أنوار السعادة من آفاق كمالها، و تلتمح من أسطار طروسها محاسن تلك المعاهد الزاكية المشاهد، و تعرب عن فضل المذاهب و كرم المقاصد، اشتقنا إلى أن نجددها بحسن منابكم، و نواصلها بمواصله جنابكم، و نغتم في عودها الحميد مكانكم، و تؤمل لها زمانكم، فخاطبنا الأبواب الشريفة في هذا الغرض مخاطبة خجلة من التقصير، و جلة من الناقد البصير، و تؤمل الوصول في خفارة يدكم التي لها الأيادي البيض، و الموارد التي لا تغيض، و مثلكم من لا تخيب المقاصد في شمائله، و لا تضحى المآمل في ظلّ خمائله، فقد اشتهر من حميد سيركم ما طبق الآفاق، و سحب الزفاق، و استلزم الإصفاق، و هذه البلاد مباركة، ما أسلف أحد فيها مشاركة، إلا وجدها في نفسه و دينه و ماله و عياله، و الله سبحانه أكرم من و في لامرء بمكياله، و الله عز و جل يجمع القلوب على طاعته، و ينفع بوسيلة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٧٠

النبي صلى الله عليه و سلم الذي نعول على شفاعته، و يبقى تلك الأبواب ملجأ للإسلام و المسلمين، و ظلّ الله تعالى على العالمين، و إقامة لشعائر الحرم الأمين، و يتولى إعانة إمارتكم على وظائف الدين، و يجعلكم ممن أنعم الله تعالى عليه من المجاهدين، و السلام

الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته، انتهى.

[كتاب أرسله لسان الدين لرجل من الموثقين امتنع عن تناول طعامه]

ومن نشر لسان الدين رحمه الله تعالى قوله في قضية امتناع بعض المؤثقين من أكل طعامه بمدينة سلا، وقد صدر به كتابه المسمى «بمثلى الطريقة»، في ذم الوثيقة» وهذا نصه: أما بعد حمد الله الذى قرر الحكم وأحكمه، وبيّن الحلال من الحرام بما أوضحه من الأحكام وعلمه، ونوع جنس المعاش وقسمه، وماز كل نوع منه ووسمه، فأثبتته متفاوتا في درجات التفضيل ورسومه، والصلاة والسلام على مولانا محمد رسوله الذى فضله على الأنبياء وقربه وطهره من دنس الشبهات شيمه، فما استعمله فى غير طاعته ولا استخدمه، ولا أعمل فى سوى البر والهدى بنانه ولا قدمه، والرضا عن آله وأصحابه الذين رعوا ذممه، واستمطروا ديمه، وتواصوا من أجله بالبر وتواصوا بالمرحمة، فهذا كتاب «مثلى الطريقة»، فى ذم الوثيقة» دعا إلى جمعه قلة الإنصاف من المداهن والمعاصر، والمباهت فى درك النور الباصر، ورضى مظنة النيل منهم بالباع القاصر، والمناضلة عن الحمى الذى لم يؤيده الحق بالولى ولا بالناصر، ولوضعه حكاية، ولنفته شكاية، إذ معرفة الأشياء بعلمها مما يتشوق إليه، ويحرص عليه، وهو أنى لما قدمت على مدينة فاس حرسها الله تعالى، مستخلصا بشفاعه الخلافة، ذات الإناقة، مستدعى برسالة الإيالة، ذات الجلالة، فانسحب والمنه لله الستر، وانفسح الفتر، وشفع من النعم الوتر، واقتدى المرؤوس بالرئيس، وتنافس الأعلام فى التأنيس، واتصل الاحتفاء والاستدعاء، وانتخب الموعى والوعاء، وأخذ أعقاب الطيبات الوضوء والطيب والدعاء، تعرفت فىمن جمعته الأخونة، والمداعى المتعينة، برجل من نبهاء موثقيها غزنى بمخيلة البشاشة التى يستفز بها الغريب، ويستخلص هوى من لم يعمل التجريب، فأنست بمكانه، واستظهرت على ما يعرض من مكتتب بدكانه، وشأنى فى الاغتباط بمن عرفت شأنى، فليست للمقمة بشانى، واسترسالى، حتى لمن أسالى، طوع عنانى: [الطويل]

أفادتكم النعماء منى ثلاثة ضميرى و يتلوه يدي و لسانى

و لم يك إلا أن حلت بمدينة سلا حرسها الله تعالى مقصود المحل و إن رغم الدهر الذى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٧١

رمى فأقصد، معتمدا بفتوحات الله تعالى و إن أرتج الباب بزعمه و أوصد، مصحبا بمدد عنايته و إن كمن و أرسد، لا يمر فاضل إلا عزج على مئوى، و أتى من البر فوق هواى و إن تعيدوا نعمت الله لا- تُحْصُوها و تعرفت عن صاحبي الفاسى أنه قدم علينا من سخر عملية فلالها الدسر المنهوبة، وتخللها المسبعة المرهوبة، و اغتذى الأظعمة التى مرقتها الدموع، و مطبختها الحمى المروع، و استقر بالمدينة بعد أن لان و ضرع، و جدل و صرع، نافق البقلة كاسد الورع، و نزل بمئوى خمول، و محط مجهول، و كنف ممتوت، و جوار لا يبخل بغيبة و لا يسمح بقوت، فبادرت استدعاءه بفاضل من الطلبة ممن يتلقى به الوارد، و يقتاد الشارد، و قد أغرب بقراءة الاحتفاء و الاحتفال، و أجنب الإغفاء و الإغفال، و جهزت السرايا إلى التماس نعم الله تعالى فحلت الأنفال، فلما عرض عليه الدعوة تعجرف و نفر، و لمّا مسح عطفه بالاستئزال نزا و طفر، حتى بهت الرسول كما بهت الذى كفر، و آب يحمل عذرا باردا، و احتجاجا شاردا، فأقطعت جانب شماسه، و خلعت بينه و بين وسواسه، و من الغد قصدنى فاعتذر، و أكثر الهدر، و لم ينبت الله النبات الحسن شيئا ممّا بذر، و كان جوابى إياه ما نصّه: [الوافر]

أبيتم دعوتى إمّا لشأو و تأبى لومه مثلى الطريقه

و بالمختار للناس اقتداء و قد حضر الوليمة و العقيقه

و غير غريبه أن رق حرّ على من حاله مثلى رقيقه

و إمّا زاجر الورع اقتضاها و يأبى ذاك دكان الوثيقه

و غشيان المنازل لاختيار يطالب بالجليلة و الدقيقة
شكرت مخيلة كانت مجازا لكم و حصلت بعد على الحقيقة
و ذاع خبرها فقلبت عنها الجنوب، و كلف بها الطالب و المطلوب، و هتس إلى المراجعة عنها أحد الموثقين بسلا ممن يحوم حول
حمى الإدراك، و يروم درجة الاختصاص ببعض الفنون و الاشتراك، و له فى الأدب مساس، و جلب الباس، بما نصّه: [الوافر]
رسولك لم بين لى عن طريقه تقرّب من حديقتك الأنيقه
فلا بأو لدى و لا إباء و لكن ساء فى الغرض الطريقه
و هب أنى أسأت فكم صديق تدلّل و اعتدى فجفا صديقه
فلا عجب فديت لرفق حرّ يسكن عند خجلته رفيقه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٧٢
و إنى فيك معتقد، و لكن أرى الأيام حاقدة حنيقه
على ذى الودّ فيمن ودّ حتى يفارقه و إن أضحي رفيقه
فراجعت بما نصّه لّمّا أسلفته من جزاء مصاعه، و كلت له بصاعه: [الوافر]
من استغضبت من هذى الخليقه بمغضبه يانكار خليقه
و لم يغضب فليس أو حمار مجازا، لا، لعمرى، بل حقيقه
بعثت بمرسل لك مع عتيقى فلم تطع الرسول و لا عتيقه
و طوّقت السفير الذنب لّمّا عجلت به و لم تبلعه ريقه
إمام جماعه و قريع تقوى و ملغ حجّه، و حفيظ سيقه
فبؤت بها على الأيام داء عضالا لا تفيق عليه فيقه
و قد عارضت عذرك باعتراف فزدت مذمه تسم الطريقه
و هل بعد اعتراف من نزاع و هل بعد افتصال من وثيقه
و من جهل الحقوق أطاع نفسا ببحر الجهل راسبه غريقه
و منجى نيقه أمر بعيد إذا نصب المهندس منجنيقه
فأمسك حينئذ و أقصر، و رأى الأمر يطول فاختصر، إلّا أنه نمى لى عنه قوله: إنّ دكان الوثيقه إن نافي الورع فبغير بلده، و أذهلته لذه
لده، عما هو بصده، فارتهنت له أن أنصر الدعوى بما يسلمه المنصف المساهل، و ينكره الأرعن الجاهل، و تشدّ به المنازل
المناهل، و المعالم و المجاهل، مستندا إلى الحكم الشرعى، و السنن المرعى، و المشاهده و الحسّ، و شهادة الجنّ و الإنس: [الوافر]
و لو ترك القطا ليلا لناما و الله يجعله موقظا من السّنات، وازعا عن كثير من الهنات، و ينفع فيه بالتيه فإنما
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٧٣
الأعمال بالتيات، وها أنا أبتدىء و على الله الإعانة، و بحوله و قوّته الإفصاح و الإبانة.
قلت: ينحصر الكلام فيه فى سبعة أبواب؛ الباب الأول: فى جواز الإجارة فيها عند العلماء. الباب الثانى: فى الشركة المستعمله بين
أربابها. الباب الثالث: فى محلّها من الورع إن سوغها الفقه. الباب الرابع: فى منزلتها من الصنائع و المهن. الباب الخامس: فى أحوال
منتحلها من حيث العلم غالبا. الباب السادس: فى أحوالهم من جهة استقامة الرزق و انحرافه.
الباب السابع: فى ردّ بعض ما يحتجّ به فيها. انتهت الخطبة المقتطعة من تأليف لسان الدين رحمه الله تعالى.
و هذا التأليف فى نحو كراسه، و قال فى آخره ما صورته: فإن قيل: ترك الأجر و قبول العوض فى هذا الأمر يدعو إلى تعطيله، فيفقد

الناس منفعه هذه الطريقة و غناءها، قلت:

الإنصاف فيها اليوم أن لو كان متوّلها يرتزق من بيت المال و أموال المصالح و الأوقاف التي تسع ذلك، و حال الجماهير في فقدانها و الاضطراب إليها و رفع أمورهم بها إلى السلطان و رغبتهم في نصب من يتوّل ذلك حالهم في فقدان أئمة الصلاة في المساجد الراتبه في جريانه من بيت المال بعلمه التزامهم و ارتباطهم فقط، حسبما نقل الإجماع فيه القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى و منع الارتزاق من غيره إجماعاً، و قد كان بالمدن المعبره من بلاد الأندلس - جبرها الله تعالى! - ناس من أولى التعفف و التعين، كبنى الجدّ بإشبيلية، و بنى الخليل و غيرهم غيرها، يتعشّشون من فضول أملاكهم، و وجائب رباعهم، و يقعدون بدورهم عاكفين على بزّ، متباين لروايه و فتيا، يقصدهم الناس في الشهاده فيجاملونهم، و يركون على صفقاتهم، و يهدونهم إلى سبيل الحقّ فيها من غير أجر و لا كلفه، إلّا الحفظ على المناصب، و ما يجريه السلطان من الحرمة و التفقد في الضرورة، و ما يهديهم الناس من الإطراء و التجلّه، و الله سبحانه من الأجر و المثوبه، و بلغنى اليوم أنّ حالها بمدينة سجلماسة ينظر إلى هذا الحال من طرف خفي، و لم يفسد بها كلّ الفساد، و كذلك لم نزل نتعرّف أنّ الأمر في شأنها بمدينة تونس أقرب، و بعض السدّ أهون من بعض، و لو بقيت بحالها لوجب تقرير فضلها و تقريظ منتحلها، فالصدق أنجى، و الحقّ عند الله أحجى، و الله عزّ و جلّ يستعملنا فيما يرضيه، و يلفظ بنا فيما يجريه علينا من أحكامه و ما يقضيه، و يجعلنا ممّن ختم له بالحسنى، و يقربنا إلى ما هو أقرب من رحمته و أدنى، و صلوات الله على سيدنا محمد و آله و صحبه؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٧٤

و كتب على ظهر الورقه الأولى من هذا التأليف شيخ شيوخنا الإمام الكبير المؤلف الشهير سيدى أحمد الوائشيسى رحمه الله تعالى ما صورته: الحمد لله جامع هذا الكلام المقيّد هذا بأوّل ورقه منه قد كدّ نفسه في شىء لا يعنى الأفاضل، و لا يعود عليه في القيامة و لا في الدنيا بطائل، و أفنى طائفه من نفيس عمره في التماس مساوىء طائفه بهم تستباح الفروج، و تملك مشيدات الدور و البروج، و جعلهم أضحوكه لذوى الفتك و المجانّه، و انتزع عنهم جلباب الصدق و الديانه، سامحه الله تعالى و غفر له! قال ذلك و خطّه ييمنى يديه عبيد ربه أحمد بن يحيى بن محمد بن على الوائشيسى خار الله سبحانه له! انتهى ما ألفيته.

و قد كان لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرا ما يعرّض و يصرّح بهجو بعض أهل سلا أو كلّهم حتى قال: [السريع]

أهل سلا صاححت بهم صائحه غاديه في دورهم رائحه

يكفيهم من عوز أنهم ريحانهم ليست له رائحه

و الله المرجو للعفو عن الزلات.

تم الجزء السابع من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب و يليه الجزء الثامن مبتدئا: بقوله: و من نثر لسان الدين رحمه الله تعالى خطبه كتاب له في المحبه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٧٥

فهرس الرسائل و الخطب و المراسيم للجزء السابع من كتاب نفع الطيب

ابن جزى، أبو عبد الله: رسالته إلى السلطان أبى عنان ٩٨

ابن الجياب: رساله عن السلطان إلى أبى سعيد المرينى ٤

رساله في العزاء بأبى الحسن المرينى ٦

ابن الحاج: نسخه كتاب طلاق ٢٣

ابن الحكيم: إجازة من إنشائه ٤٣

- ابن خاتمة، أبو جعفر: رسالة إلى لسان الدين ١٥٥
- ابن خاتمة، أبو جعفر: رسالة إلى ابن جزى ١٥٩
- ابن خاتمة، أبو جعفر: رسالة أخرى إلى لسان الدين ١٥٩
- ابن خاتمة، أبو جعفر: رسالة ثالثة إلى لسان الدين ١٦١
- ابن داود الحميري: رسالة من إنشائه ٣٣١
- ابن رضوان، أبو القاسم: جواب على رسالة من لسان الدين ١٦٧
- ابن صفوان: إجازته للسان الدين بن الخطيب ١٦٤
- ابن عاصم، أبو يحيى، نموذج من نثره ٢٥٨
- ابن عاصم، أبو يحيى: رسالته إلى ابن طر كاط ٢٦٣
- ابن مرزوق الخطيب: رسالة إلى لسان الدين ١٨٥
- ابن هانيء اللخمي السبتي: رسالة له ٢٤٦
- أبو الحجاج المنتشاقري: رسالته إلى لسان الدين ٢٤٨
- أبو الحسن النباهي: رسالة منه إلى لسان الدين ٢٣٢
- أبو زيان المريني: ظهير منه للسان الدين ١٣٧
- أبو سالم المريني: رسالة منه إلى لسان الدين ١٤٣
- أبو القاسم البرجي: رسالته إلى لسان الدين ١٨٨
- الشيخ الجنان: رسالة منه إلى لسان الدين ١٦٧
- عبد العزيز الفشتالي: رسالته إلى المقرئ مؤلف الكتاب ١٧٨
- لسان الدين بن الخطيب:
- جواب لسان الدين عن رسالة من أبي سالم ١٤٤
- رسالة إلى أبي سالم ١٤٦
- جوابه عن رسالة ابن خاتمة ١٥٦
- رسالة إلى ابن نفيس ١٦٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٧٦
- رسالة إلى رضوان ١٦٦
- جواب عن رسالة من ابن مرزوق ١٨٦
- رسالة إلى أبي عبد الله اليتيم ٢١٠
- رسالة إلى سلطان تونس ٢٤٤
- رسالة إلى المنتشاقري ٢٥٠
- في استدعاء إمداد و حض على جهاد ٢٧٢
- في صداق لكبير الشرفاء بفاس ٢٧٤
- رسالة إلى أبي عبد الله الشديد ٢٧٥
- رسالة إلى علي بن بدر الدين الطوسي ٢٧٧

- رسالة إلى ابن خلدون أبي زيد ٢٧٩
رسالة مداعبة إلى ابن خلدون ٢٨٠
رسالة إلى السلطان ابن يغمراسن ٢٩٩
رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب ٣٠٧
رسالة إلى ابن أبي مدين ٣٠٨
رسالة إلى قاضي الجماعة ٣٠٩
رسالة إلى بعض الفضلاء ٣١٠
رسالة إلى أبي عبد الله بن نصر ٣١٠
رسالة لمحمد بن نوار في عرس ٣١١
رسالة إلى عامر الهنتاتي ٣١١
وصف سبتة من مقامة بلدانية ٣١٢
وصف مكناسة من نفاضة الجراب ٣١٣
وصف مكناسة من مقامة بلدانية ٣١٤
رسالة على لسان السلطان إلى ابن يلغا ٣٦٨
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٧٧

فهرس الجزء السابع من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب

- صلة الباب الثالث من القسم الثاني ٣
عود إلى ذكر نماذج من نظم ابن الجياب ٣
ذكر نماذج من نثر ابن الجياب ٤
من أشياخ لسان الدين أبو محمد عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم الحضرمي ٩
أبو سعيد بن عبد المهيم الحضرمي ١٥ عبد المهيم بن أبي سعيد بن عبد المهيم الحضرمي ١٦
و من أشياخ لسان الدين قاضي الجماعة أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقي ١٦
من أشياخ لسان الدين أبو زكريا يحيى بن هذيل (ترجمة) ٣٠
و منهم الوزير أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي ٣٩
مما مدح به أبو الحسن بن الجياب الوزير أبا بكر بن الحكيم ٤١
من نثر ذي الوزارتين ابن الحكيم ٤٣
و من شعره ٤٣
ترجمة ذي الوزارتين ابن الحكيم (عن عائذ الصلة) لابن الخطيب ٤٥
رحلة ابن الحكيم (عن الإحاطة) للسان
الدين ٤٥
شيء من ترجمة ذي الوزارتين ابن الحكيم، و عن الإحاطة ٤٦
ترجمة أبي الحسن علي بن عمر القيحاوي ٤٨

ترجمة أبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب ٥٠

ترجمة أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى، الكلبي ٥٤

أربعة أبيات على روى الغين لابن لؤلؤة ٥٦

من نظم ابن جزى فى التبليغ ٥٦

ترجمة أبى بكر أحمد بن محمد بن جزى ٥٦

قصيدة له صدر بها أعجاز لامية امرئ القيس «ألا عم صباحا» ٥٧

قصيدة لحازم صاحب المقصورة صدر بها أعجاز معلقة امرئ القيس (قفا نبك) ٥٩

جيمية بارعة لحازم صاحب المقصورة ٦٣

جيمية لابن قلاقس ٦٤

عود لترجمة أبى بكر أحمد بن محمد بن جزى الكلبي ٦٥

ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد بن جزى الكلبي ٦٥ قصيدة من نظمه يمدح بها أمير المسلمين أبا الحجاج و حذف منها الراء ٦٦

قصيدة له يمدح فيها أبا عنان ملك المغرب ٦٨ مقطعات من نظمه فى أغراض شتى ٧٠ من شعر ابن الجزى الذى ورى به ٧٢ من

إنشائه موريا بأسماء كتب و رفعها لأبى عنان فارس ٧٣ عدة مقطعات من نظمه يورى فيها بأسماء كتب ٧٥ ترجمة القاضى أبى محمد

عبد الله بن محمد بن أحمد بن جزى، الكلبي ٧٧

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٧٨

من شيوخ لسان الدين أبو بكر بن شبرين ٧٨

من أشياخ لسان الدين أبو عثمان سعد بن أحمد بن ليون التجيبى ٨١

نبذة من شعره الذى حكاه فى كتابه «نصائح الأحياء، و صحائح الآداب» ٨٢

نبذة من كتابه «الأبيات المهذبة، فى المعانى المقربة» ١١١

نبذة من كتابه «أنداء الديم، فى المواعظ و الوصايا و الحكم» ١٢١

بعض أناشيده التى كان ينشدها أهل مجلسه، لشعراء متعددين ١٢٩

خاتمة الباب الثالث، و فيها سرد لجماعة من شيوخ لسان الدين ١٣٥

الباب الرابع من القسم الثانى: فى مخاطبات الملوك و الأكابر لسان الدين، و ثناء أهل عصره عليه ١٣٧

من السلطان أبى زيان المرينى إلى لسان الدين ١٣٧

ترجمة السلطان أبى زيان المرينى عن «الإحاطة» لسان الدين ١٣٧

تعقيب لابن مرزوق على كلام لسان الدين فى «الإحاطة» ١٤٢

من السلطان أبى سالم المرينى إلى لسان الدين ١٤٣

من لسان الدين إلى السلطان أبى سالم المرينى ١٤٤

من لسان الدين إلى السلطان أبى سالم ١٤٦

تعريف لسان الدين فى «الإحاطة» بالسلطان أبى سالم المرينى، و ذكر مقتله ١٥٠

ترجمة لسان الدين من إنشاء الأمير أبى الوليد إسماعيل بن الأحمر ١٥١

رد اعتراض أورده ابن الأحمر على لسان الدين ١٥٢

ثناء قاضى القضاة برهان الدين الباعونى على لسان الدين بن الخطيب ١٥٣

- اتهام لسان الدين بالإطئاب ١٥٣
- الرد على هذا الاتهام ١٥٣
- بين لسان الدين و السلطان الغنى بالله سلطانه ١٥٤
- من أبى جعفر بن خاتمة إلى لسان الدين ١٥٥
- جواب لسان الدين على أبى جعفر بن خاتمة ١٥٦
- من أبى جعفر بن خاتمة إلى ابن جزى ١٥٩
- ترجمة أبى جعفر بن خاتمة من إنشاء لسان الدين ١٥٩
- من أبى جعفر بن خاتمة إلى لسان الدين ١٦١
- من نظم ابن خاتمة ١٦٢
- قصيدة من أحمد بن صفوان إلى لسان الدين ضمنها غرضاً تعجل له قضاءه ١٦٣
- إجازة من ابن صفوان لسان الدين و ولده عبد الله ١٦٤
- من أبى جعفر العذرى إلى لسان الدين ١٦٥
- من لسان الدين إلى ابن نفيس ١٦٥
- من لسان الدين إلى أبى القاسم بن رضوان ١٦٦
- من ابن رضوان إلى لسان الدين ١٦٧
- من لسان الدين إلى الشيخ الجنان ١٦٧
- من الشيخ الجنان إلى لسان الدين ١٦٨
- ترجمة الشيخ أحمد بن محمد الجنان الأوسى ١٦٨
- أبيات رآها المؤلف على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التى بناها ابن تاشفين ١٦٩
- أبيات أخرى أنشدها بعض أهل المغرب لتكتب على النواحي الأربع من القبة المعروفة بالبديع التى أنشأها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسنى ١٧٠
- أبيات للفقير أبى محمد المسفيومى المراكشى مما كتب على أحد مباني الوزير عبد العزيز الفشتالى ١٧١
- أبيات للوزير أبى فارس عبد العزيز الفشتالى
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٧٩
- كتبت فى المباني المنصورية بمراكش ١٧٢
- أبيات للوزير الفشتالى مما كتب ببهو المبنى المنصورى بممرم أسود فى أبيض ١٧٤
- أبيات له كتبت بداخل القبة ١٧٥
- أبيات له فى بعض المباني المنصورية ١٧٦
- أبيات له مما كتب فى المصرية المطلة على الرياض ١٧٧
- من جملة قصيدة له ١٧٧
- من الوزير عبد العزيز الفشتالى إلى مؤلف هذا الكتاب ١٧٨
- لابن الصباغ العقيلى فى لسان الدين و اختصاصه بابن الجياب ١٨١
- إجازة بين ابن الجياب و لسان الدين ١٨١

- من أبي يحيى البلوى للسان الدين ١٨٢
- تهنئة من أبي يحيى البلوى للسان الدين فى إعداره أولاده ١٨٣
- ترجمة أبي يحيى البلوى من إنشاء لسان الدين فى «الإحاطة» ١٨٤
- من أبي عبد الله بن مرزوق إلى لسان الدين ١٨٥
- من لسان الدين إلى ابن مرزوق ١٨٦
- من أبي القاسم البرجى إلى لسان الدين، فى شفاعته ١٨٨
- ترجمة أبي القاسم محمد بن يحيى البرجى، عن «الإحاطة» لسان الدين ١٨٩
- من الوزير ابن زمرك إلى لسان الدين ١٩٥
- تعليق للمؤلف على قصيدة ابن زمرك ١٩٧
- من الوزير ابن زمرك إلى لسان الدين أيضا ١٩٧
- من مخاطبات ابن زمرك لسان الدين ١٩٩
- من ابن سلبطور إلى لسان الدين ٢٠٠
- ترجمة أبي عبد الله بن سلبطور، عن «الإحاطة» لسان الدين ٢٠٢
- من أبي عبد الله بن راجح التونسي إلى لسان الدين ٢٠٣
- ترجمة أبي عبد الله محمد بن على بن راجح ٢٠٤
- من لسان الدين إلى ابن راجح (قصيدة) ٢٠٤
- من ابن راجح إلى لسان الدين (قصيدة) ٢٠٥
- من أبي عبد الله العشاب التونسي إلى لسان الدين فى بعض الأعياد ٢٠٧
- من ابن عبد الملك المراكشى إلى لسان الدين ٢٠٨
- ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملك، الأنصارى، الأوسى، عن «الإحاطة» لسان الدين ٢٠٨
- من أبي عبد الله محمد المكودى الفاسى
- إلى لسان الدين ٢٠٨
- من أبي عبد الله اليتيم إلى لسان الدين ٢٠٩
- رسالة من لسان الدين إلى أبي عبد الله اليتيم جوابا عن قصيدته ٢١٠
- بين أبي عبد السلام و أبي عبد الله اليتيم (مداعبة) ٢١٢
- ترجمة أبي عبد الله محمد بن على العبدرى، الملقى، المعروف باليتيم ٢١٢
- من أبي عبد الله الكرسوطى لسان الدين ٢١٣ ترجمة أبي عبد الله الكرسوطى من أبي عمرو بن الزبير إلى لسان الدين ٢١٤
- ترجمة أبي عمرو محمد بن أحمد بن الزبير ٢١٥
- من ترجمة أبي يحيى محمد بن أحمد بن الأكلحل ٢١٥
- من أبي عبد الله محمد بن على بن عياش إلى لسان الدين ٢١٦
- من محمد بن محمد الوادى آشى إلى لسان الدين ٢١٧
- من أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأزدى إلى لسان الدين ٢١٧

- من شعر أبي محمد الأزدي ٢١٧
- من لسان الدين إلى أبي قاسم بن رضوان، النجاري ٢٢١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٧، ص: ٣٨٠
- من ابن رضوان إلى لسان الدين ٢٢١
- ترجمة أبي القاسم بن رضوان ٢٢٢
- بين أبي بكر عبد الرحمن بن عبد الملك و لسان الدين بن الخطيب ٢٢٦
- ترجمة أبي بكر عبد الرحمن بن عبد الملك ٢٢٧
- من أبي سلطان عبد العزيز بن علي بن يشت الغرناطي إلى لسان الدين ٢٢٧
- ترجمة أبي سلطان بن يشت ٢٢٩
- من أبي الحسن النباهي إلى لسان الدين ٢٣٢
- ترجمة القاضي أبي الحسن النباهي ٢٣٤
- بين لسان الدين و أبي الحسن بن الجياب ٢٣٧
- من سعيد بن محمد الغرناطي إلى لسان الدين على ظهر كتاب استعاره منه ٢٤٢
- بين أبي الحسن علي بن محمد بن البناء الوادي آشي و لسان الدين ٢٤٢
- ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن البناء ٢٤٤
- من لسان الدين إلى سلطان تونس ٢٤٤
- من أبي الحسن علي بن يحيى الفزاري المالقي المعروف بابن البرزي، إلى لسان الدين ٢٤٦
- من أبي القاسم قاسم بن محمد الحرالي المالقي إلى لسان الدين ٢٤٨
- ترجمة أبي القاسم الحرالي ٢٤٨
- من أبي الحجاج يوسف بن موسى الجذامي الرندي، إلى لسان الدين ٢٤٨
- من لسان الدين إلى أبي الحجاج الجذامي ٢٥٠
- ترجمة أبي الحجاج الجذامي ٢٥٠
- ثناء ابن عاصم على لسان الدين ٢٥٨
- ترجمة الوزير أبي يحيى محمد بن محمد بن عاصم ٢٥٩
- ظهير بتعيين ابن عاصم للقضاء ٢٦٥
- الباب الخامس من القسم الثاني: في إيراد جملة من نثر لسان الدين و شعره ٢٧٢
- وصف نثر لسان الدين ٢٧٢ تحميد من إنشاء لسان الدين ٢٧٢
- من نثره في الحوض في الجهاد ٢٧٢
- من إنشائه في ذكر أولية شريف فاس ٢٧٤
- من إنشاء لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله الشديد و كتب له و قد ولي الحسبة ٢٧٥
- مما كتب به لسان الدين إلى علي بن بدر الدين بن موسى بن عبد الحق من مدينة سلا ٢٧٧
- ترجمة ابن خلدون من إنشاء لسان الدين ٢٧٨

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧؛ ص ٣٨٠
- ليق للمؤلف على ترجمة لسان الدين لابن خلدون ٢٩٦
- من كلام الشيخ إبراهيم الباعوني في حق لسان الدين ٢٩٦
- ترجمة يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى، من إنشاء لسان الدين ٢٩٧
- من لسان الدين إلى السلطان بن يغمراسن ٢٩٩
- من إنشاء لسان الدين ما كتب به إلى شيخه أبي عبد الله بن مرزوق ٣٠٧
- من إنشائه تهنئة إلى أبي عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين ٣٠٨
- من إنشائه ما كتب به إلى قاضى الجماعة، و قد نالته مشقة ٣٠٩
- و كتب إلى بعض الفضلاء ٣١٠
- و كتب إلى السلطان أبي عبد الله بن نصر، و قد عاد ولده من الأندلس ٣١٠
- و كتب إلى محمد بن نوار، و قد أعرس بنت مزوار الدار السلطانية ٣١١
- و كتب إلى عامر بن محمد بن علي الهنتاني ٣١١
- من إنشائه في وصف البلاد الأندلسية (مقامة) ٣١٢
- كلام له مرسل في وصف البلاد ٣١٣
- وصف مكناسة الزيتون ٣١٣
- المؤلف يدخل مكناسة و يصفها ٣١٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٨١
- شئ عن السلطان أبي الحسن المريني ٣١٥
- نظم لابن الصباغ يحصر فيه علاقات المجاز ٣١٦
- حكاية عن رجل عائن ٣١٧
- زيارة لسان الدين لقبر السلطان أبي الحسن، و قصيدة له فيه ٣١٨
- من كلام لسان الدين يعد فيه بتصنيف كتاب كبير في التاريخ ٣٢٠
- أمثلة من إنشاء لسان الدين في التراجم، على طريقة الفتح بن خاقان ٣٢١
- من ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب، بقلم لسان الدين في كتابه «التاج المحلى» ٣٢٥
- من إنشاء لسان الدين في ترجمة محمد بن عبد الرحيم الوادى آشى ٣٢٩
- من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله بن العطار المزنى ٣٣٠
- من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن خاتمة ٣٣٠ من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد المالقي ٣٣١
- من إنشائه في ترجمة أبي بكر محمد بن مقاتل المالقي ٣٣٥
- من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن الشديد المالقي ٣٣٦
- من إنشائه في ترجمة محمد بن الحسن العمراني، الفاسى ٣٣٨
- من إنشائه في ترجمة محمد بن محمد، المرادى، العشاب ٣٣٨
- من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر، المليكىشى ٣٣٩
- من إنشائه في ترجمة محمد بن علي، العبدري، التونسى ٣٤١

- من إنشائه في ترجمة محمد بن يحيى العزفي، السبتى ٣٤٢ من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن المكودي، الفاسي ٣٤٢
 من إنشائه في ترجمة محمد بن محمد بن بيش، العبدري ٣٤٣
 من إنشائه في ترجمة أبي عبد الله محمد بن هانيء، اللخمي ٣٤٤ همزية لصفوان بن إدريس مشهورة بين أدباء المغرب ٣٥٢
 من إنشاء لسان الدين في ترجمة أبي محمد عبد الله الأزدي ٣٥٤
 وفي ترجمة أبي الحسن علي بن إبراهيم السكاك، الغرناطي ٣٥٥
 وفي ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن الصباغ، العقيلي، الغرناطي ٣٥٦
 وفي ترجمة شيخه أبي الحسن بن الجياب ٣٥٨
 و من إنشائه في ترجمة عمر بن علي، المنتقيري ٣٥٩
 من إنشائه في ترجمة قاسم بن محمد بن الجدي، الفهري ٣٥٩
 من إنشائه في ترجمة أبي عثمان سعيد، الغساني ٣٥٩
 وفي ترجمة الطروشى ٣٦٠
 وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد العذري، الوادي آشي ٣٦٠
 وفي ترجمة أبي عبد الله بن باق ٣٦١
 وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة، المعافري، المري ٣٦٣
 وفي ترجمة أبي العباس الملياني من نثره في كتاب «الروض» في ترجمة عنوانها «ضخام الغصون من شجرة السر المصون» ٣٦٥
 من إنشائه إلى الأمير يلغا ٣٦٨ كتاب أرسله لسان الدين لرجل من الموثقين امتنع عن تناول طعامه ٣٧٠

[الجزء الثامن]

[تتمة القسم الثاني]

[صلة الباب الخامس من القسم الثاني في إيراد جملة من نثر لسان الدين]

إشارة

الباب الخامس

[خطبة كتاب في المحبة لسان الدين]

و من نثر لسان الدين رحمه الله تعالى خطبة كتاب في المحبة الذي ما ألف في فته أجمع منه، و لنوردها فإن فيها دلالة على فضله و عظم قدر الكتاب، و هي: «اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا الناشقة، و علل بجريال حبك جوانح أرواحنا العاشقة، و سدّد إلى أهداف معرفتك نبال نبلنا الراشقة، و استخدم في تدوين حمدك شبا أقلامنا الماشقة، و دلّ على حضرة قدسك خطرات خواترنا الذائقة، و أبن لنا سبل السعادة التي جعلت فيها الكمال الأخير لهذه الأنفس الناطقة، و اصرفنا عند سلوكها عن القواطع العائقة، حتى نأمن مخاوف أجبالها الشاهقة، و أحزابها المنافقة، و أوهامها الطارقة، و برازخها الغاسقة، فلا تسرق بضائعنا العوائد السارية السارقة، و لا تحجبنا عنك العوارض الجسمية اللاحقة، و لا الأنوار المغلظة البارقة، و لا العقول المفارقة، يا من له الحكمة البالغة و العناية السابقة، و صلّ على عبدك و رسولك محمد درّة عقود أحبابك المتناسقة، و جالب بضائع توحيدك النافقة، المؤيد بالبراهين الساطعة و

المعجزات الخارقة، ما أطلعت أفلاك الأدواح زهر أزهارها الرائقة، وحدث قطار السحاب حداً رعوها السائفة، وجمعت ريح الصبا بين قدود أغصانها المتعانقة.

«أما بعد، فإنه لما ورد على هذه البلاد الأندلسية المحروسة بحدود سيوف الله حدودها، الصادقة بنصر الله للفتنة القليلة على الفتنة الكثيرة وعودها، وصل الله تعالى عوائد صنعه الجميل لديها، وأبقاها دار إيمان إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها-«ديوان الصبابة» - وهو الموضوع الذي اشتمل من أبطال العشاق على الكثير، واستوعب من أقوالهم الحديثة والقديمة كل تنظيم ونثر، وأسدى في غزل غزله وألحم، ودل على مصارع شهدائهم من وقف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٤

و ترخم، فصدّق الخبر المخبر، وطمت اللججة التي لا- تعبر، وتأرجح من مسراه المسك والعنبر، وقالت العشاق عند طلوع قمره: الله أكبر: [السرير]

مررت بالعشاق قد كبروا و كان بالقرب صبى كريم

فقلت: ما بالهم؟ قال لى ألقى للحب كتاب كريم

ولا- غرو أن أقام بهذه الآفاق، أسواق الأشواق، وزاحم الزفرات فى مسالك الأطواق، وأسأل جواهر المدامع من بين أطباق تلك الحقائق، وفتك نسيمها الضعيف العهد والميثاق بالنفوس الرقاق: [المجتث]

جنى النسيم علينا و ما تبينت عذره

إذ صير الخلق نجدا و الأرض أبناء عذره

فوقع للحجّة المصريّة التسليم، وقالت ألسنة الأقلام معرّباً عن ألسنة الأقاليم:

سلمت لمصر فى الهوى من بلد يهديه هواؤه لدى استنشاقه

من ينكر دعواى فقل عنى له تكفى امرأة العزيز من عشاقه

فغمر المحافل والمجالس، واستجلس الراكب واستركب الجالس، يدعو الأدب إلى مآدبه فلا يتوقف، و يلقى عصا سحره المصرى فتلقّف، ما شئت من ترتيب غريب، و تطرب من بنان أريب، يشير إلى الشعر فتتقاد إليه عيون، و يصيح بالأدب الشريد فتليبه فنونه، و أنهى خبره للعلوم المقدّسة، و مدارك العزّ الموطّدة المؤسّسة، سما به الجدّ صعوداً إلى المجلس السلطاني مقرّ الكمال، و مطمح الأبصار و الآمال، حيث رفارف العزّ قد انسدت، و موازين القسط قد عدلت، و فصول الفضل قد اعتدلت، و ورق أوراق المحامد قد هدلت، مجلس السلطان المجاهد، الفاتح الماهد، المتحلّى فى ريعان العمر الجديد، و الملك السعيد، بحلى القانت الزاهد، شمس أفق الملمّة، و فخر الخلفاء الجلمّة، بدر هالات السروج المجاهدة، أسد الأبطال البارزة إلى حومة الهياج الناهدة، معشى الأبصار المشاهدة، مظهر رضا الله تعالى عن هذه الأمة الغريبة عن الأنصار و الأقطار، من وراء أمواج البحر الزخار، باختياره لها و اعتيامه، و ملبسها برود اليمن و الأمان ببركة أيامه، و من أطلع الله تعالى أنوار الجمال من أفق جبينه، و أنشأ أمطار السماح من غمام يمينه، و أجرى فى الأرض المثل السائر بحلمه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٥

و بسالته و دينه، أمين الله تعالى على عهدة الإسلام بهذا القطر و ابن أمينه و ابن أمينه، فخر الأقطار و الأمصار، و مطمح الأيدي و ملمح الأبصار، و سلالة سعد بن عبادة سيد الأنصار، و من لو نطق الدين الحنيفى لحيّاه و فدّاه، أو تمثّل الكمال صورة ما تعدّاه، مولانا السلطان الإمام العالم العامل المجاهد أمير المسلمين أبو عبد الله ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر الأنصارى الخزرجى، جعل الله تعالى ثغر الثغر مبتسماً عن شنب نصره! و الفتح المبين مذخوراً لعصره! كما قصر آداب الدين و الدنيا على مقاصير قصره! و سوّغه من أشتات مواهب الكمال ما تعجز الألسن عن حصره! و لا زالت أفنان

أقلامه تتحف الأقاليم بجنى فنون هصره! فخصته عين استحسانه أبقاه الله تعالى بلحظة لحظ، و ما يلقاها إلّا ذو حظ، و صدرت إليّ منه الإشارة الكريمة بالإملاء فى فنه، و المنادمة على بنت دنه، و حسب الشحم من ذى ورم و الله سبحانه يجعلنى عند ظنه، و متى قورن المثرى بالمترب، أو وزن المشرق بالمغرب؟ شتان بين من تجلى الشمس منه فوق منصتها، و بين من يشرق أفقه الغربى لابتلاع قرصتها، لكنى امتثلت، ورشت و نثلت، و مكرها لا بطلا مثلت، و كيف يتفرغ للتأليف، و يتفرغ للوفاء بهذا التكليف، من حمل الدنيا فى سنّ الكهولة على كاهله، و ركض طرف الهوى بين معارفه و مجاهله، و اشترى السهر بالنوم، و استنفد سواد الليل و بياض اليوم، فى بعث يجهز، و فرصة تنهز، و ثغر للدين يسدّ، و أزر للملك يشدّ، و قصية ترفع، و وساطة تنفع، و عدل يحرص على بذله، و هوى يجهد فى عدله، و كريم قوم ينصف من نذله، و دين تراح الشوائب عن سبله، و سياسة تشهد للسلطان بنبه و إصابة نبه، ما بين سيف و قلم، و راحة و ألم، و حرب و سلم، و نشر علم أو علم، و جيش يعرض، و عطاء يفرض، و قرض حسن لله تعالى يقرض، فى وطن توافر العدو على حصره، و دار به دور السوار على حصره، و ملك قصر الصبر و التوكل على قصره، و عدد نسبه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٦

من العدد العظيم الطاقة، الشديد الإضاقة، نسبة الشعرة من جلد الناقة، و بالله نستدفع المكروه، و إليه نمذ الأيدي و نصرف الوجوه، و سألت منه- أئده الله تعالى!- القنوع بما يسيره الوقت، ممّا لا يناله المقت، و الذهاب بهذا الغرض لما يليق بالترب و السنّ، و يؤمن من اعتراض الإنس و الجنّ، و ما كنت ممّن أثر على الجدّ الهزل، و اعتاض من الغزل الرقيق الغزل بشيمة الجزل، و لا آنف من ذكر الهوى بعد أن خضت غماره، و اجتنيت ثماره، و أقيمت مناسكه و رميت جماره، و ما أبرئ نفسى إنّ النفس لأماره، فالهوى أولّ تميمه قلّدتنى الدايه، و الترب التى عرفتها فى البدايه، و أنا الذى عن عروته نبت، و بعثت إلى الرصافه لأرقّ فذبت، إلى أن تبين الرشد من الغي، و صار النشر إلى الطي، و تصايح ولدان الحى، كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم كما منّ على: [الطويل]

جزى الله عنى زاجر الشيب خير ما جزى ناصحا فازت يداه بخيره

ألقت طريق الحبّ حتى إذا انتهى تعوّضت حبّ الله عن حبّ غيره

حال السواد بحال الفؤاد، و صوّح المرعى فانقطعت الرّواد، و نهانى ازورار خيال الزوراء، و التفات عاذل الشيب عن المقلّة الحوراء، و كيف الأمان، و قد طلع منه النذير العريان، يدلّ على الخبر بخبره، و ينذر بهاذم اللذات على أثره، و لله درّ القائل: [المتقارب]

دعتنى عيناك نحو الصّبا دعاء يرّد فى كلّ ساعه

فلو لا، و حقّك، عذر المشيب لقلت لعينيك: سمعا و طاعه

و لو لا- أن طيف هذا الكتاب الوارد طرق مضاجعى و قد كاد يبدو الحاجب، و يضيع من الفرض الواجب، و يعجب من نوم الغفلة العاجب، لجرّيت معه فى ميدانه، و عقدت بنانى بينانه، و تركت شانى و إن رغم الشانى لشانه، و قلت معتذرا عن التهويم فى بعض أحيانه: [الكامل]

أهلا بطيفك زائرا أو عائدا تفديك نفسى غائبا أو شاهدا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٧

يا من على طيف الخيال أحالنى أتظنّ جفنى مثل جفنك راقدا

ما نمت، لكنّ الخيال يلّم بى فيجلّه طرفى فيطرق ساجدا

و من العصمه أن لا تجد، هلاّ قبل المشيب، و مع الزمن القشيب، و قبل أن تمخض القربة، و تبنى الخانقاه و التربة، و تونس بالله الغربه، و على ذلك فقد أثر، و بآء قلبى المعثر، اللهم لا أكثر: [الكامل]

و بدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تألّق موهنا لمعانه

يبدو كحاشية الرداء و دونه صعب الذرا متمنّع أركانه

فبدا لينظر كيف لاح، فلم يطق نظرا إليه ورددت أشجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه و الماء ما سمحت به أجفانه

وجعلت الإملاء على حمل مؤازرته أئده الله تعالى علاوة، و بعد الفراغ من ألوان ذلك الخوان حلاوة، و قلت أخطب مؤلف كتاب «الصبابة» بما يعتمده جانب إنصافه، و يغطي على نقصى إن وقع فيه كمال أوصافه: [الكامل]

يا من أدار من الصبابة بيننا قدحا ينم المسك من رياه

و أتى بريحان الحديد فكلمما سمح النديم براحه حياه

أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى لكن أهيم بذكر من أحياه

و عن لي أن أذهب بهذا الحب المذهب المتأدى إلى البقاء، الموصول إلى ذروة السعادة في معارج الارتقاء، الذي غايته نعيم لا ينقضى أمده، و لا ينفد مدده، و لا يفصل وصله، و لا يفارق الفرع أصله، حب الله المبلغ إلى قربته، المستدعى لرضاه و حبه، المؤثر بالنظر إلى وجهه، و يا لها من غايه، الملقى رحل المتصف به بعد قطع بحار الفناء على ساحل الولاية.

«و كنت وقفت من الكتب المؤلفة في المحبة على جملة منها كتاب يشهده العوام، و يستخفه الهوام، و رساله ابن واصل رساله مهذاره، تطفو من داره إلى داره، في مطاردة هز و فاره، و كتاب ابن الدباغ القيرواني كتاب مفرقع، و وجه المقصود منه متبرقع، و كتاب ابن خلصون و هو أعدلها لولا- بداهة تسم الخرطوم، و تناسب الجمل المخطوم، فكنت بما ذكر لا أقنع، و أقول ما أصنع، فالله يعطى و يمنع: [مجزوء الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٨

قلت للساخر الذي رفع الأنف و اعتلى

أنت لم تأمن الهوى لا تعير فتبتلى

شعر: [الكامل]

و عدلت أهل العشق حتى ذفته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

و من المنقول: لا تظهر الشماتة بأخيك، فيعافيه الله و يبتليك: [الوافر]

بلاني الحب فيك بما بلاني فشاني أن تفيض غروب شاني

أجل بلاني بالعرض الذي هو من القلوب سر أسرارها، و من أفنان الأذهان بمنزلة أزهارها، و من الموجودات و أطوارها قطب مدارها؛ ليكون كتابي هذا المقدم على المأزق المهلك، المتشعب بما لا يملك، و أن يقنع الإنصاف، فعسى أن يشفع الإنصاف، و الاعتراف، يدرؤه الاعتراف، أنا عند المنكسرة قلوبهم، و لا توجد يد، إلا بما تجد، و كل ينفق ممّا آتاه الله: [البسيط]

و ابن اللبون إذا ما لَزَّ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

و عسى الذي أنطق شوقا، أن ينطق ذوقا، و الذي حرّك سفلا أن يحرك فوقا، و الذي يسره مقالا، أن يكفيه حالا: [البسيط]

فأول الغيث طلّ ثم ينسكب

[الوافر]

الحرب أول ما تكون لجاجة

[الوافر]

و إن الحرب أولها الكلام

نحمد الله سبحانه على الكلف بهذه الطريقة و ما يلقاها إلا ذو حظ عظيم [سورة فصلت، الآية: ٣٥] و للأرض نصيب من كأس الكريم:

[الطويل]

أليس قليلا نظرة إن نظرتها إليك؟ و كلاً ليس منك قليل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٩

[الخفيف]

فاتنى أن أرى الديار بطرفى فلعلى أرى الديار بسمعى

وعلى ذلك فذهبت فى ترتيبه أغرب المذاهب، وقرعت فى التماس الإعانة باب الجواد الواهب، و أطلعت فصوله فى ليل طلوع نجوم الغياهب، و عرضت كتائب العزيمة عرضاً، و أقرضت الله قرضاً، و جعلته شجرة و أرضاً، فالشجرة المحببة مناسبة و تشبيهاً، و إشارة لما ورد فى الكتب المنزلة و تنبيهاً، و الأرض النفوس التى تغرس فيها، و الأغصان أقسامها التى تستوفىها، و الأوراق حكاياتها التى تحكيها، و أزهارها أشعارها التى تحييها، و الوصول إلى الله تعالى ثمرتها التى ندرها بفضل الله و نقتنيها، شجرة لعمر الله يانعة، و على الزعازع متمانعة، ظلها ظليل، و الطرف عن مداها كليل، و الفائز بجناها قليل، رست فى التخوم، و سمت إلى النجوم، و تنزهت عن أعراض الجسوم، و الرياح الحسوم، و سقيت بالعلوم، و غذيت بالفهوم، و حملت كمائمها بالزهر المكتوم، و وفيت ثمرتها بالغرض المروم، فاز من استأثر بجناها، و تعنى من عنى بلفظها دون معناها، فمن استصبح بدهنها استضاء بسناها، ما أبعداها و ما أدناها، عينا ملأت الأ-كف بغناها، كم بين أوراقها من قلب مقلب، و فى هوائها من هوى مغلب، و كم بين أفنانها من صادق، و كم فى التماس سقيطها من كادح، و كم دونها من خطب فادح، و لأربابها من هاج و مادح، تنوعت أسماؤها، و لم تنوع أرضها و لا سماؤها، فسميت نخلة تهز و تجنى، و زيتونة مباركة يستصبح بزيتها الأسنى، و سدره إليها ينتهى المعنى، أصلها للوجود أصل، و ليس لها كالشجر جنس و لا فصل، و تربتها روح و نفس و عقل، و شرفها يعضده بديهته و نقل، يحط الهائمون بفنائها، و يصعد السالكون حول بنائها، تخترق السبع الطباق ببراقها، و تمحى ظلم الحس بنور إشراقها، فسبحان الذى جعلها قطب الأفلاك، و مدافن الأضواء و الأحلاك، و مغرد طيور الأملاك، و سبب انتظام هذه الأسلاك، لم يحل فيها طريد بعيد، و لا أتصف بصفاتنا إلا سعيد، و لا اعتلق بأوجها هاو فى حضيض، و لا بمحض برهانها مختبط فى شرك نقيض، و لا تعرض لشيم بوارقها متسم بسمه بغيض، الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله، و منه نستزيد الاستغراق فى بحارها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٠

و الاستنشاق لنواسم أسحارها، و الاستدلال بذرى أفنانها عليه، و الوصول بسبب ذلك إليه، إنه ولى ذلك سبحانه، فطاب لعمري المنبت و النبات، و سما الفرع الباسق ورسا الأصل الثابت، و فاءت الأفنان، و زخرفت الجنان، و تعددت الأوراق و الزهرات و الأغصان، و لم أترك فننا إلا جمعت بينه و بين مناسبه، و لا فرعا إلى ضممته إلا ما يليق به، و استكثرت من الشعر لكونه من الشجرة بمنزلة النسيم الذى يحرك عذبات أفنانها، و يؤدى إلى الأنوف روائح بستانها، و هو المزمارة الذى ينفخ الشوق فى يراعتة، و العزيمة التى تنطق مجنون الوجد من ساعتها، و سلعة ألسن العشاق، و ترجمان ضمير الأشواق، و مجلى صور المعانى الرقاق، و مكامن قناص الأذواق، به عبر الواجدون عن وجدهم، و مشى المحبون إلى قصدهم، و هو رسول الاستلطاف، و منزل الألطاف، اشتمل على الوزن المطرب، و الجمال المعجب المغرب، و كان للأوطان مركبا، و لانفعال النفوس سببا، فلا شىء أنسب منه للحديث فى المحبة، و لا أقرب للنفوس الصيبة، و اجتلبت الكثير من الحكايات و هى نوافل فروض الحقائق، و وسائل مجالس الرقائق، و مراوح النفوس من كد الأفكار، و إحماض مسارح الأخبار، و حظ جارحة السمع من منح الاعتبار، و بعض الجواذب لنفوس المحبين، و البواعث لهمم السالكين، و حجتها واضحة بقوله تعالى: وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ [سورة هود، الآية: ١٢٠] فى القرآن المبين، و نقلت شواهد من الحديث و الخبر تجرى صحاحها مجرى الزكاة من الأموال، و الخواطر من الأحوال، و يجرى ما سواها من غير الصحيح مجرى الأمثال، ليكون هذا الكتاب لعموم خبره، مسرحا للفاره و غيره، و يجد كل ميدانا لسيره، و ملتقطا لطيره، و محكا لغيره، فمن فاق كلف بأصوله، و من قصر قنع بفصوله، و من وصل حمد الله تعالى على وصوله، و سميته «روضة التعريف، بالحجب الشريف» و يحتوى على أرض زكية، و

شجرات فلكية، و ثمرات ملكية، و عيون غير بكية.

«و الحب حياة النفوس الموات، و علمه امتزاج المركبات، و سبب ازدواج الحيوان و النبات، و سرّ قوله عزّ و جلّ أ و مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢] ليس كالحب الذي دون فيه المدونون، و لعبت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١١

بكرة أقباسه صوالج الجنون، و قاد الهوى أهله بحبل الهون، و ساقته فيه المنى للمنون، حين نظرت النفوس من سفلى الجنبتين، و رضيت الأثر عن العين، و باعت الحق باليمين، و لم يحصل إلّا على خفى حنين، و رحمتا لعشاق الصور، و سباق ملاعب الهوى و الهور، لقد كلفوا بالزخارف الحائنة الحائلة، و المحاسن الزائفة الزائلة، و سلع الجبانة، و بضائع الإهانة، أزمان التمتع بهم قصيرة، و الأنكاد عليهم مغيرة، فتراهم ما بين طعين بعامل قد، و مضرج بدم خد، و أسير ثغر قد أعوز فداؤه، و سقيم طرف قد أعضل داؤه، و ما شئت من ليل يسهر، و نداء به يجهر، و جيوب تشق، و بصائر تخطف أبصارها إذا لمع البرق، و نواسم تحمل التحيات، و خلع أيك تتلقى بخلع الأريحيات، و ربما اشتد الختل، و أصابت التبل فكان الخبل، قلوب اشتغلت عن الله فشغلها الله بغيره، و هب الحب الجسماني لا يبعث عليه شهوة بهيمية، و لا تدعو إليه قوة و همية، أليست الداعية مرتفعة، و الباعثة منقطعة، و صورة الحسن دائرة، و أجزاءه المتناظمة متناثرة؟ أليس الجراب العنصرى عائدا إلى أصله؟ أليس الجنس مفارقا لفصله؟ و لله درّ على رضى الله تعالى عنه، و قد نظر إلى قرح الماء و قد أراد أن يشرب، و عن الاعتبار أعرب، فقال: كم فيك من خد أسيل، و طرف كحيل؟ فأواه مكررة مرددة، و والهفاه معادة مجددة، على قلب أصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها و هى خاوية على عروشها، و يقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً [سورة الكهف، الآية: ٤٢] و حسبنا مرارة الفراق ذلاً، و فقد النقد قلاً، و الغفلة عن الله شقاء محتوماً، و الكآبة على الفائت شوما: [الخفيف]

صدنى عن حلاوة التشيع اتقائى مرارة التوديع

لم يقم أنس ذا بوحشة هذا فرأيت الصواب ترك الجميع

و إن كانت الشهوة فأخسس بها داعية، و إلى الفضيحة ساعية، حسبك من حمار يعلن بنداء المحبة نهاقه، و يقذفه على السباق احتياجه إلى السيفاد و اشتياقه، أسير خبال، و صريع مبال، أولى له ثم أولى لو تأمل محاسن الجسوم ما أكذب رائدها المطرى، و أخبت زخرفها المغرى، و أقصر مدة استمتاعها، و أكثر المساعي تحت قناعها: [الطويل]

على وجه مئى مسحة من ملاحه و تحت الثياب العار لو كان باديا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٢

ما ثم إلّا أنفاس تركد و تخبت، و علل تنشأ و تحدث، و زخارف حسن تعاهد ثم تنكث، و تركيب يطلبه التحليل بدينه، و يأخذ أثره بعد عينه، و أنس يفقد، و اجتماع كأن لم يعقد، و فراق إن لم يكن فكأن قد: [الطويل]

و من سرّه أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

[البيسط]

منغص العيش لا يأوى إلى دعه من كان ذا بلد أو كان ذا ولد

و الساكن النفس من لم ترض همته سكنى مكان و لم يسكن إلى أحد

و قلت و قد مات سكن عزيز على أيام التغرب بسلا عظم جزعى عليه: [السرّيع]

يا قلب، كم هذا الجوى و الخفوت ذماء ك استبق لئلا يفوت

فقال لا حول و لا قول لى قد كان ما كان فحسبى السكوت

فارقنى الرشد و فارقته لَمَّا تعشقت بشيء يموت

و الزمان لا يعتبر، و حاصله خبر، و الحازم من نظر فى العواقب، نظر المراقب، و عرف الإضاعة، و لم يجعل الحلم بضاعة، إنما الحبّ الحقيقى حبّ يصعدك و يرقيك، و يخلدك و يبيحك، و يطعمك و يسقيك، و يخلصك إلى فئة السعادة ممن يشقيك، و يجعل لك السكون روضا، و مشرب الحقّ حوضا، و يجنيك زهر المنى، و يغنيك عن أهل الفقر و الغنى، و يخضع التيجان لنعلك، و يجعل الكون متصرف فعلك، ليس إلّا الحب، ثم الوصل و القرب، ثم الشهود، ثم البقاء بعد ما اضمحلّ الوجود، فشفيت الآلام، و سقط الملام، و ذهب الأضغاث و الأحلام، و اختصر الكلام، و محيت الرسوم و خفيت الأعلام، و لمن الملك اليوم و السلام، فالحذر الحذر أن يعجل النفس سيرها، و يفارق القفص طيرها، و هى بالعرض الفانى متبطة، و بناى الثقيل مرتبطة، و بصحبة الفانى مغتبطة أنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [سورة الزمر، الآية: ٥٦، ٥٨] و فى ذلك قلت: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٣

أعشاق غير الواحد الأحد الباقي جنونكم و الله أعياء على الراقى
جننتم بما يفنى و تبقى مضاضة تعذب بين البين مهجته مشتاق
و تربط بالأجسام نفسا حياتها مباينة الأجسام بالجواهر الراقى
فلا هى فازت بالذى علقت به و لا رأس مال كان ينفعها باقى
فراق و قسر و انقطاع و ظلمة قنى البعد من نيل السعادة يا واقى
كأنى بها من بعد ما كشف الغطا صريعها أحزان لديغها أشواق
تقلب كفيها بخيط موصل رشيقة قد دون سبعة أطباق
فلا تطعموها السمّ فى الشهد ضلّة فذلك سمّ لا يداوى بدرياق
بما اكتسبت تسعى إلى مستقرّها فإما بوقر محسب أو ياملاق
و ليس لها بعد التفرق حيلة سوى ندم يذرى مدامع آماق
و لو كان مرمى الحزن منها إلى مدى لهان الأسى ما بين وخذ و إعناق
فجدوا فإنّ الأمر جدّ، و شمروا بفضل ارتياض أو بإصلاح أخلاق
و لا تطلقوا فى الحسّ ثنى عنانها و شيموا بها للحقّ لمحّة إشراق
و دسّوا لها المعنى رويدا و أيقظوا بصيرتها من بعد نوم و إغراق
و مهما أفاقت فافتحوا لاعتبارها مصاريع أبواب و أقفال أغلاق
و عاقبة الفانى اشرحوا و تلطّفوا بأخلاقها المرضى تلطّف إشفاق
فإن سكرت و استشرفت عند سكرها لماهيّة المسقى و معرفة الساقى
أطيلوا على روض الجمال خطورها إلى أن يقوم الوجد فيها على ساق
و خلّوا لهيب الشوق يطوى بها الفلا إلى الوجد فى مسرى رموز و أذواق
فما هو إلّا أن تحطّ رحالها بمثوى التجلىّ و الشهود بإطلاق
و تفنى إذا ما شاهدت عن شهودها و قد فنى الفانى و قد بقى الباقي
هنالك تلقى العيش تضيفو ظلاله و تنعم من عين الحياة برقراق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٤

و ما قسم الأرزاق إلّا عجيبه فلا تطرد السّؤال يا خير رزاق

وقد أخذ الكلام في هذا الافتتاح حدّه، و بلغ النهر مدّه، فلاخذ أثر هذا الذي سردت، في تقرير ما أردت، و ما توفيقى إلّا بالله، عليه توكلت، و إليه أنيب، فنقول: ينقسم هذا الموضوع إلى أرض، و شجر غصّ، و كلّ منها ميسور جدّه، و فنّ على حدّه، ما شئت من مرأى و مستمع، فمن شاء أفرد و من شاء جمع، فلنبدأ بالأرض و الفلاحة، و التفسير و المساحة، و تعيين حدود تلك الساحة، ثم نأتى بالشجرة التي تؤمل جناها، و ننظر إناها، و نجعل الزاد المبلغ معناها، قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير ممّا يجمعون. برنامج هذا الكتاب الذي يحصر الأجناس و الفصول، و يردّ الفروع إلى الأصول، و يسر الباحث عن مسائله بسبب الوصول، بحول الله و قوته:

خطبة الأعراس، و توطئة الغراس، و تنحصر في جملتين:

الجملة الأولى: في صفة الأرض و أجزائها، و جعل الاختيار بإزائها، و فيها رتب:

الرتبة الأولى- رتبة الأطباق المفروضة، و الاعتبار المعروضة، و فيه مقدمة و أطباق:

المقدمة في تعيين الأرض المذكورة. الطبقة الأولى: طبق القلب. الطبقة الثانية: طبق الروح.

الطبق الثالث: طبق النفس. الطبقة الرابعة: طبق العقل.

الرتبة الثانية- رتبة العروق الباطنة، و الشعب الكامنة، و فيها فصول: الفصل الأول: في العروق المعدنية. الفصل الثاني: في المقررات العينية. الفصل الثالث: في المدبرات البدنية.

الفصل الرابع: في البحوث البرهانية.

الجملة الثانية: في صفة الفلاحة و العمل، المتكفل فيها بنيل الأمل، و فيها اختيارات:

الاختيار الأول: فيما يصلح للاعتماد من هذه الأرض، و فيه فصول: الفصل الأول: في أرض النفس المطمئنة. الفصل الثاني: في أرض النفس الأمارة. الفصل الثالث: في أرض النفس اللوامة.

الاختيار الثاني: في محركات العزيمة، لاعتماد هذه الأرض الكريمة، و فيه فصول: في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٥

الفصل الأول: في الجذب و ما يتصل بذلك. الفصل الثاني: في الوعظ المثمر لليقظة. الفصل الثالث: في ذمّ الكسل.

الاختيار الثالث: يشتمل على جلب الماء لسقى هذه الأرض من عين العلم في جدولي العقل المحرر و النقل المقرّر، و فيه مقدمة في فضل العلم و تعدّد أجناسه، و فصول: الفصل الأول: في جدول العقل. الفصل الثاني: في جدول النقل، الفصل الثالث: في مقدار الماء المطلوب، للفلاح المطلوب. الفصل الرابع: في غبار التكوين، و سبب التلوين.

الاختيار الرابع: في الحرث، و إخراج لبن هذه الفلاحة من بين الدم و الفرث، و فيه أقسام: أولها: القليب الأول. ثانيها القليب الثاني الذي عليه المعول. ثالثها: في سكة الازدراع و التعمير، و هو مظنة التثمير.

الاختيار الخامس: في تنظيف الأرض المعتمرة من الأرض الخبيثة، و الجدر المعترضة و الشعب المذمومة، و فيه فصول: الفصل الأول: في إزالة شوك تسبق إلى المعتقد غالباً.

الفصل الثاني: في قلع الشجر الذي يضر بهذه الأرض و يعاديه بالطبع.

الاختيار السادس: في أمور ضرورية تلزم لهذه الفلاحة، و فيه فصول: الفصل الأول: في أمراض يشترط في علاجها، ممّا يرجع لطبع الأرض و مزاجها. الفصل الثاني: في اختبار أنواعها و أجزائها. الفصل الثالث: في أقوال تليق بأفحاص الفلاح و إصحاره، عند ملاحظه عجائب الكون و آثاره. الفصل الرابع: في الوقت المختار لغراسه الأسباب، في الحبّ اللباب، و تنحصر في مقدمة علمية، و جرثومة

جرمية: المقدمة العلمية في ترتيب المحبة والمعرفة، الجرثومة الجرمية تنقسم إلى بيان يعطى الصورة، و يشرح الضرورة، و إلى بطن و ظهر، و سرّ و جهر، و باسط، و برزخ و اسط، فالباطن الشرع و النقل، و ينقسم إلى أصول: الأصل الأول: الكلام في النبوة من حيث النقل. و الأصل الثاني: في الإيمان و الاعتبار العامي. الأصل الثالث: فيما يتبع ذلك من اليقظة و التوبة في حقّ غير المحتاج إلى ذلك. الأصل الرابع: في تقرير العناية و التوفيق في حقّ غير المحتاج إلى ذلك. الأصل الخامس: في الموعظة و السماع من حيث تهذيب الجميع، و الظاهر الطبع و العقل، و ينقسم إلى أصول: الأصل الأول: جزء الفلسفة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٦

العلمي و العملي. الأصل الثاني: سلامة الفطرة في حقّ المستغنى عن ذلك. الأصل الثالث:

في معرفة الجمال و الكمال. الأصل الرابع: في الاعتبار الخاصي. الأصل الخامس: السلوك بالفكر. الأصل السادس: في التشبيه بالمبدأ الأول، باسط الذكر الباسط، و البرزخ الواسط، الصاعد من التخوم، إلى النجوم، و هو من أخصّ الأشياء بباطن الشجرة، و أصولها المعبرة، و يشتمل على مقدمه و ثلاثة أصول: الأصل الأول: الأدعية و الأذكار، و له عشر شعب. الأصل الثاني: أصل الأسماء، و هي أصول الأرض و السماء، و له تسع و تسعون شعبه. الأصل الثالث:

أصل السيمياء، و هو الذي عفن بعضه و بقي الانتفاع ببعضه. العمود المشتمل على القشر و العود، و الجني الموعود، ينقسم قسمين: قشر، و خشب، و در مخشلب، و القشر ظاهر يكسر و يحذو، و باطن ينمي و يغذو، فظاهره الذي يكسر و يحذو يتضمّن الكلام في المحبة و أقسامها من حيث اللسان، لا من حيث نوع الإنسان، و باطنه الذي ينمي و يغذو يتضمّن الثناء على المحبة طبعاً و عقلاً، و شرعاً و نقلاً. الخشب الذي يتخذ منه النشب ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: في الحدود و المعرفات، و الأسماء الدالة عليها و الصفات. القسم الثاني: معقول معناها، المتجلى فيه نور سناها. القسم الثالث: ارتباطها بالمقامات، و اختصاصها فيها بالكرامات. القسم الرابع: تبين ضرورتها، و إيضاح مزيتها. الفرع الصاعد في الهواء، على خطّ الاستواء، من رأس العمود القائم، إلى منتهى الوجود الدائم، و يشتمل على قشر لطيف، و جرم شريف. القشر: الحدود للمعرفة و الرسوم، و خواصّ العارف الذي هو المعروف بها و الموسوم، و ينقسم إلى فصول: الفصل الأول: في حدود المعرفة و رسومها و ما قيل فيها.

الفصل الثاني: في أوصاف العارف. الفصل الثالث: في تفضيل العارف. الفصل الرابع: في علوم العارف. و الجرم الشريف، من الفرع المنيف، ينقسم إلى ظاهر، و باطن، و قلب.

فالظاهر ينقسم إلى أقسام: الكلام في الأخلاق و منشئها و طباعها بحسب القوى النفسانية و إفراطها و تفريطها و اعتدالها و علاجها، و فيه المجاهدات. و الباطن يتضمّن الكلام في أنّ النظر إلى وجه الله تعالى هو السعادة الكبرى بكل نظر و اعتبار. و القلب قلب الغصن يتضمّن الرياضة و السلوك على المقامات كلّها، و يتفرّع منه عشرة غصون: الغصن الأول: غصن فروع البدايات. الغصن الثاني: غصن فروع الأبواب. الغصن الثالث: غصن فروع المعاملات.

الغصن الرابع: غصن فروع الأخلاق. الغصن الخامس: غصن فروع الأصول. الغصن السادس: غصن فروع الأدوية. الغصن السابع: غصن فروع الأحوال. الغصن الثامن: غصن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٧

فروع الولايات. الغصن التاسع: غصن فروع الحقائق. الغصن العاشر: غصن فروع النهايات، و لكل فروع أوراق، و يلحق به صورة السلوك بالذكر حتى يتأتى الوصول، و على المقصود الحصول، و الكلام على زهرات الطوالع و اللوائح و البواده و الواردات، و نختم بالجني، المقترن بنيل المنى، و هي الولاية.

تفرع ضخام الغصون، من شجرة السرّ المصون، و هي: غصن المحبوبات و أقسامها، و تنقسم إلى أربعة أفنان: الفن الأول: فرع الرب

المحجوب. الفن الثاني: فن العبد المحجوب.

الفن الثالث: فن الدنيا المحبوبة. الفن الرابع: فن الآخرة المحبوبة. غصن المحبين، و أصنافهم المرتبين، ينقسم إلى مقدمة بيان، و ستة أفنان: الفن الأول: فى رأى الفلاسفة الأقدمين. الفن الثانى: فى رأى أهل الأنوار و الإشرقيين. الفن الثالث: فى رأى الحكماء الإسلاميين. الفن الرابع: فى رأى المكملين بزعمهم المتممين. الفن الخامس: فى أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين. الفن السادس: فى الصوفية سادة المسلمين.

غصن علامات المحبة، و شواهد النفوس الصبّة، و ينقسم إلى ثلاثة أفنان: الفن الأول:

فيما يرجع إلى حقوق المحجوب. الفن الثانى: فيما يرجع إلى باطن المحب. الفن الثالث: فيما يرجع إلى ظاهره.

غصن اختيار المحبين فى ميدان جهادهم، و تباين أحوال أفرادهم، و هو ثلاثة أفنان: الفن الأول: فن المجاهد الصريح. الفن الثانى: فن المنبت الجريح. الفن الثالث: فن الصريح الطريح.

جوائع الشجرة، و مضار فلاحتها المعتره، و ينقسم إلى جوائع من نسبتها، بالنظر إلى مائها و تربتها، و إلى ما هو راجع إلى الخواطر- و هى على عدد الرياح- و إلى ما سببه غفلة الفلاح، عذر الطائر الصادح، على فرض القادح، وجود الهاجى و المادح.

صورة الشجرة ذات الحسن الباهر، و الجنى و الأزاهر، و آثارها للحسن الظاهر، بفضل المريد القاهر، لا إله إلا هو سبحانه له الحمد، انتهت الخطبة التى تدل على ما وراءها.

و قال رحمه الله تعالى فى آخر هذا الكتاب ما نصه: و نختم الكلام فى هذه الشجرة و الاستدلال على شرف هذه الفلاحة الضمنية بهذه الأبيات: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٨

فلاحتنا لها القدح المعلى و سرحتنا الضمنية للنجاح

أ لست ترى منادى الخمس نادى بمختلف الجهات أو النواحي

يردد فى الأذان لكل واع على الأذان حتى على الفلاح

و هذا طائر على الشجرة صادح، و لا حق كادح، و معتذر إن قدح قادح، و تعارض هاج و مادح. قال المؤلف: و لا بد لنا من درى على صادح هذه الأفنان، و شاد يهيج أشجان الجنان، و يثير شجو الرأفة و الحنان، و يبين مجال الضرورة لذوى الأتصاف، بكرم الأوصاف، و الناظرين إلى الهنات بعيون الإنصاف، فيرحم من قد كان شره التقد، و يعذر من تشوق لاستضعاف هذا القصد، و الأعدار التى تقرر عنّا هذا الطائر عديده، و مبدئه فى الصدق معيده، و قريبه من الحق لا بعيدة، فمنها أن هذا الفرض، اليوم بأكثر الأرض، ميدان عدم فيه و لا حول و لا قوة إلا بالله من بخيل كما يحب جوادا، و نفير لا يجيبه إلا من يكثر سوادا، قد طمست الأعلام، و سقط الحمد و الملام، و ما لجرح بميت إيلام، فمدلول هذا الفن بهذه التخوم عنقاء مغرب، و إكسير يحدث عنه غير واصل و لا مجرب، إنما يرجع فيه إلى كتب مقفلة، و أغراض مغفلة، و ما عسى أن يعول المسكين مثلى على قاصر إدراكه، مع اقتسام باله و اشتراكه؟ قصير العلم و العمل، فاختلط المرعى و الهمل، و أخفق المسعى و خاب الأمل، و منها شواغل الدنيا التى اختطفت من المكاتب، و مؤهت بالمراتب، و لقبّت بالوزير و الكاتب، و أقامت العبد الذى لا يملك شيئا مقام العاتب، و من كان بهذه المثابة و إن عدّ يقظا حازما، و نحريرا عالما، فإنما هو غريق، و تائه لا يبدو له طريق، و لا ينسأخ له ريق، و لا يطفأ ببرد اليقين منه حريق، و لا يربح عليه من قصاد الله تعالى فريق، و نستغفر الله! فالذى ألهم لهذه العيوب، يتكفل بإصلاح القلوب، و مكاشفة الغيوب، و إن كانت النفوس للحق جاحدة، فما أمرى إلا واحدة: [الكامل]

لا تعجبين لطالب نال العلا كهلا و أخفض فى الزمان الأول

فالخمر تحكم فى العقول مسنة و تداس أول عصرها بالأرجل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٩

ومنها الاشتغال بالهدر، عن العلم والنظر، ومنذ أزمان عديدة، ومدد مديدة، فلم يبق ممّا حصّل، وإليه ممّا في الزمان القديم توصل، إلّا رسم بلقع، وسمل ما له مرقّع، ومنها أننى لم أنتدب إلى هذا الوظيف الذى قلّ من يتعاطاه، ويثير قطاه، ويقتعده مطاه، من تلقاء نفس جاهلة ببعده مداه، ومطل جداه، ومطالبة مدعيه بما كسبت منه يداه، فلا يتجاوز طوره ولا يتعداه، وإن طالب الحقّ من شرط وصوله، سلب فصوله، وحاله موته، وانقطاع حسّه فضلا عن صوته، لكنى خضت على عدم السباحة غمرا، وامثلت مع سقوط الاستطاعة أمرا، وجئت بما فى وسعى انقيادا وامتثالا، ومثلت مثالا فضرورتى بفضل الله تعالى مشروحة، والدعوى من كفى مطروحة، وعلى ذلك فقد علم الذى يعلم الأسرار، ويقرب الأبرار، ويقيل العثار، ويقبل الأعذار، أنّ مدة الاشتغال به لم تتجاوز شهرين اثنين، بين كتب وكتم، وابتداء وختم، مع ما يتخلّل الزمان من حمل لو رمى به رضوى لتدعده، أو أنزل على ثبير لخشع من خشية الله تعالى وتصدّع: مداراة عدو قد تكالب على الإسلام، وسياسة سواد صم عن الملام، وتعدّى حدود النهى والأحلام، وارتقاب هجوم جيش الآجال وراية الشيب من الأعلام، وقد أنذر بالفجر انقشاع الظلام، وكاد يصعد الخطيب فينقطع الكلام، جعلت لنقله حصّة من جنح الظلام الغاسق، والليل الواسق، وعاطيت حميا نديم الغارق، وتعرّضت لاقتناص خياله الطارق، وسرقته من أيدي الشواغل، والليل معين السارق، ولم يعمل فيه عبد القيس نظرا معادا، ولا أنجز من تصحيحه علم الله تعالى ميعادا، إنما هو كراس يفرغ من تسويده رجراج الحبر، مختلط الترب بالتبر، فيدفع ملوم الماسخ، إلى يد الناسخ، وكلفة المتناقل، إلى كفّ الناقل، وتقذف صحيفته من الزبرة إلى الصاقل، إذ كان الأمر - أيده الله تعالى ونفعه - حريصا على تعجيل المعارضة، ومتحرّيا سبيل الشرع فى هذه المصارفة والمقارضة، والجفن المشرق يعلن بالتبريح، ويتنظر مساعدة الريح، فمن وقف عليه من فاضل أنار الصلّه بصيرته، و جبل على الإنصاف سيرته، أو من كان من أهل الله الذى يعلم أن ما سوى الله تعالى ظلّ وفىء، ويتحقّق معنى قوله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [سورة آل عمران، الآية: ١٢٨]،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٠

فقد أوجب الإنصاف أن يمحو اقترافى باعترافى، ويغضى أوصافى يانصافى، والرحماء يرحمهم الرحمن، وقد عذر القنبرة سليمان، ومع الاستسلام الأمان، ولا حول ولا قوة إلّا بالله. ولا بأس أن نعزّض بتلك الأحونة الخصيبة المثوى والمروج، والجمل والفروج، وفى السماء البروج، وفى الأرض الفروج، والأعرج يستندر منه العروج، ونمدّ الأيدي المستعملة فى التقصير، إلى الولى النصير والناقد البصير. اللهم استر بسترك فضائنا المخلفه، وقبائنا المجمعه المؤلّفه، فهو كلّ تحويم حول حماك، ودندنه يا كريم بباب رحماك، وزند أنت قدحته، وتألّق بارق أنت أlichtه، فصل السبب يا واصل الأسباب، واجعلنا ممّن تذكّر فنفعته الذكرى وما يتدكّر إلّا أولو الألباب، اللهم أطلع نفوسنا الحائرة على عين الخبر، واجذبها إلى المؤثر بزمام الأثر، اللهم اجبر الضالّة المثقله الظهر، و ارفع عنها ملكة القهر، وحيطة الدهر، والسفر من بلد السرّ إلى بلد الجهر، اللهم أعلق بعروة الحقّ أيدينا الخابطة، وأظفر بعدوّ الهوى عزائمنا المرابطة، اللهم أوصل سبينا بسبيك، واحملنا إليك بك، لا إله إلّا أنت، وصلّى على عبدك و نبيك محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله والصحابة أجمعين؛ انتهى.

[خاتمة خطبة كتاب المحبة]

وقال - رحمه الله تعالى! - آخر بعض تراجم هذا الكتاب ما صورته: خاتمة تشتمل على إشارات، وتختال من الحقّ فى شارات، قال بعض من يظا بمطيّة السلوك، حمى الملوك، وينقض زوايا الغيوب، عن المطلوب، ببصر بصائر القلوب: شهدت أصناف المحيين والعشاق، على اختلاف البلاد وتباين الآفاق، لا أدرى أقال كسفا وشهودا، أو فرضا وجودا، أو يقظة أو هجودا، وقد ركضوا مطايا الأشواق، و ضربوا آباطها بعصى المشارب والأذواق، وتزودوا أزواد الحقائق، وودعوا أحباب العوائد والعلائق، وتساهلوا فى

المحجوب اعتراض العوائق، و تفاضلوها في اختيار الجواد و اقتحام المضائق، و الطرق إلى الله تعالى عدد أنفاس الخلائق، فمن خابط عشواء، و مسقط أهواء، يقول: [السريع]

يا ليت أنى أوقد النارا فإن من يهواك قد حارا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢١

فيجيبه الصدى: [الوافر]

و من طلب الوصول لدار ليلي بغير طريقها وقع الضلال

و مثبت بحيث لا يبدو علم، و لا يقتصّ خفّ و لا قدم، في مفازة وجود من حلّها عدم، و هو يصيح: [الكامل]

بأبى و أمى و الذى ملكت يدي أفدى الذى يهدى الطريق اللاحبا

ثم يقول: [الكامل]

و لقد سریت إليك لكن حين لم يكن الدليل أجلّ قصد السالك

و من طاو نفذ زاده، و فرغ مزاده، قد استسلم، و عجز أن يتكلم، و لسان حاله ينشد:

[الطويل]

إذا أنت لم تزرع و أبصرت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

و راکض يقطع الدوّ، و يعزف فى الجوّ، يثبت الأعلام الخافية، و يقصد الموارد الصافية و الظلال الضافية، حاديه أمله، و دليله علمه، و

الراحلة عمله، ينشد بأعلى صوته:

[الكامل]

قرب اللقاء فكيف لا تراتح للقاء سكان الحمى الأرواح

و مرافق يركض البريد، و يصحب التفريد، بلغ الطية، و أناخ المطية، قبل وصول الرفقة البتية: [الطويل]

سرى سلخ شهر فى فواق حلوبه فله ما أنأى سراه و ما أدنى

لَوِ اَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَ لَمَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُعبًا [سورة الكهف، الآية: ١٨].

و قلت: [الكامل]

نهضوا و قد جنّ الدجى و تخالفت سبل الردى فمسددون و ضلل

سلى عن المنبت حين تقطعت أسبابه تيهها و لا من يسأل

قوم سطت بهم السباع، و فرقة عطشوا، و أين من الظماء المنهل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٢

لفح الهجير وجوههم بسعيه فتهافتوا ببلالة و تعللوا

و جماعة ركبوا المفاوز دائما عثروا على أثر فشط المنزل

و ركائب جعلوا الدليل أمامهم و سروا ففازوا بالذى قد أملوا

و الليل متلفه، و مدرجة الهوى لا يستقل بها المطى الذلل

و الواصلون هم القليل و كيف لا قفر و مسبعة و ليل أليل

يا رحمة للعاشقين تقحموا خطر النوى و على الشدائد عولوا

طارت بهم أشواقهم فعقولهم معقولة عن شأنها لا تعقل

عذرا لكم يا أهل عذرة شأنكم سلمت فيه لكم فقولوا و افعولوا

حتى إذا خرجوا إلى قضاء القدر المشترك، وأفلت من أفلت من الشرك، و سلم من قتل المعترك، و أشرفوا بركاب الآمال، على ثنية الجمال، زعقوا بإزاء الباب، و نادوا من وراء الحجاب: [الكامل]

كلّ كنى عن شوقه بلغاته و لربما أبكى الفصيح الأعجم

و أوصلوا رقع شكواهم، بسرائر هواهم، و برزوا صفًا، و استظهروا بشفعائهم التى ظنّوا أنها لا تخفى ما نَعَبِدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [سورة الزمر، الآية: ٣] و قد تعينت الأوصاف و تميّزت، و انتبذت الأصناف و تحيّزت، و العشاق نجت و سلمت، مذ علمت، منهم الصفوة و المجان، و الحرافيش و البهلوان، ممّن يعول على ذراعه، و ملاكمته و صراعه، و طول باعه، و صلابه طباعه، و سلاطه لسانه، و امتزاج إساءته بإحسانه، شأنه البحث عن المحبوب، مع الشروق و الغروب، و التوصل إلى وصله المطلوب، بالحركة الشريفة و اللفظ الخلوب، و من اتّسم بإذاعة الأسرار، و صحبة الشرار، و اللسان المهذار، حسب من الأغيار، و منهم بذاءة، ليس لهم إلّا المنادمة أداة، تعذر عليهم تميّز المحبوب فغلطوا، و عكفوا على تزيهه فأفراطوا: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٣

ربما ضرّ عاشق معشوقا و من البرّ ما يكون عقوقا

و غلبت على سجيّتهم السلامة، و لم تلهم لعدم الموصل و المعرف الملامة، و ليس للقبول عليهم علامة، و منهم من شعاره الحشمة، و لزيمة العفاف و العصمة، أولو الحياء و الوقار، و الكتم للأسرار، و مخالطة الأبرار، و التوسّل إلى المحبوب بالافتقار، و صفاء الضمائر من الأكدار، لا تختلجهم الشواغل، و لا يطرق شرابهم الواغل، أغتتهم الشواهد عن الدعوى، و أصمّتهم الرضا عن الشكوى، و تقسّمت معاملاتهم الآداب، و صحّ منهم إلى مراتب المراقبة الانتداب، و الناقد بصير، و كلام التيات قصير، و منهم المغلوب الحال، المحمول من فوق الرحال، رقص و شطح، و سكر فافتضح، فهو بلخ الرفقة، و ملوع الحرقه، دعنى و عبدى بلخ، فإنه يضحكنى سبع مرات فى اليوم، و منه من لم يأخذه نعت، و لا- تعين له فوق و لا- تحت، و لا- حمد و لا- مقت، و لا- حين و لا- وقت، لو نطق قال: أنا المعدوم الموجود، و الشاهد المشهود ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود [سورة هود، الآية: ٩٥]: [الطويل]

قضى وصلها لى، و ابتلاكم بحبها و هل يأخذ الإنسان غير نصيبه

و لم يكن إلّا أن خرجت الرقع، و فضلت البقاع و وُفّيت كلّ نفس ما كسبت و هم لا يظلمون [سورة آل عمران، الآية: ٢٥].

فكان فى رقعة طائفه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و ما كان ليشّر أن يكلمه الله إلّا وحيًا أو من وراء حجاب أو يُرسل رسولًا فيوحى بإذنه ما يشاء [سورة الشورى، الآية: ٥١] قلّدتم العقل و له طور، و رأيتم الحركات لا يتناهى لها دور، و عالم الجزئيات لا يسبر له غور، و حور المعاد فى بعض الفروض لا يكون له كور، و ياشّر ما أصبحتم فى المعاد الأول تعتقدونه، أن جعلتم التصرف فى عالم الملك لمن دونه، قفوا مكانكم، و لوموا أنفسكم و دعوا شأنكم.

و كان فى أخرى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً [سورة الحديد، الآية: ١٣] أساطين الحكمة المشرقية، و فراش الأنوار الحقيقية، دعونا من استكثار الأنوار،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٤

و احتشاد الأطوار، الحقّ نور إرشاد لا يطيق حسن ذاته، إلّا من ركب ظهر شتاته، فارفعوا الكلف، و اذكروا مجرى من تقدّم و سلف. و كان فى أخرى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قلّ الله ثمّ ذرهم فى حوضهم يلعبون [سورة الأنعام، الآية: ٩١] لم تتركوا البراهين على أصلها، و لا ناسبتهم جنس هذه الموضوعات بفصلها، و آثرتم شغبا طويلا، و أوسعتم المتشابه تأويلا، و لم تعتمدوا من العقل دليلا، و لا وقفتم فى مجازات العقول قليلا، و هوّلتهم باصطلاح غيركم تهويلا، و ادّعيتهم الشهود و لم يجعل الله تعالى فى الاحتجاج به إلّا للأنبياء سيلا، و بنيتم الحقائق على قياس و نظر، من غير عين للعقل و النقل و لا أثر: [الخفيف]

ربّ خلّ أدار فى اعتقادا لم أكن قبله عرفت بفته

حكمت نفسه على علم غيبى جعل الله باطنى عند ظنّه

وعسى أن تكونوا ممن أخطأ في اجتهاده فأثيب، واستغفر فسمع لا تثريب [سورة يوسف، الآية: ٩٢]، فمتركم صحيحة، و المقاصد من التبعة مريحة، إذا كانت صريحة، و لولا الاقيتات، لوضحت في ميدان السبق لكم الشيات، لكن شأنكم الهديان، و قلبت منكم بضعفائكم من المتأخرين الأعيان، كابن قسى و ابن برجان، فتبرؤوا من أتباعكم المطيفة، و أحزابكم المخيفة، و أخلصوا فعل الأنصار يوم قتال بنى حنيفة، و حبّذا الحكم المقتدى، و من يهد الله فهو المهتدى، و اكبحوا الألسن عن طلاقها و ذلاقتها، و لا تكلفوا العقول فوق طاقتها، فلا بدّ من توقيف و تسليم، و فوق كل ذى علم عليهم، و إذا محيتم فأثبتوا، أو نطق الناس فاسكتوا، و لا ترضوا أن تكبتوا مع الذين كبتوا، و لكم الحظّ السنّى، و الوصل الهنى.

و كان فى أخرى: أعود بالله من الشيطان الرجيم و ما خلّقنا السماء و الأرض و ما بيّنهما لآيين [سورة الأنبياء، الآية: ١٦] ما خلّقناهما إلاّ بالحقّ [سورة الدخان، الآية: ٣٩] ذهب بوجودكم العدم، و ابتلع حدوئكم القدم، و رضيتم بالإشراف، فى الاستشراق، و التوغّل لزيمة الانحراف، من جعل الحسّ و هما، فقد كابر العيان ظلما، و العقل الذى غلطكم هو آله حكمكم، و أداء علمكم، و العوالم أوثق من أن تكون تمويه راقش، و الوجود المطلق أبسط من أن يصير أبا براقش ثم ما لكم و التبجح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٥

و التشيع، و التعقّب و التتبع، و لم يغن العراى، و وقع فى ثمرتكم الاشتراك، فالفيلسوف يتحد بالعلّة القريبة من الخلق، ثم يتلاشى فى ذات الحقّ، و الحكيم يجوز إلى عين الحقّ رتبة الفناء المطلق، و المتشرّع قد عضده و نصره، «كنت سمعه و بصره»، و إن كان معظم القول الهذر، ففيكم بعد نظر.

و كان فى أخرى: أعود بالله من الشيطان الرجيم و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا و إنّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [سورة العنكبوت، الآية: ٦٩] أنتم الأحباب، و لكم يفتح من الجنان الأبواب، ركبتم ظهور الأعمال، و ركب غيركم ظهور الآمال، و فزتم بسحب الأذيال، و من دونكم يحرك مناكب الخيال، فبدايتكم الأساس الوثيق، الذى يبنى عليه التحقيق، و نهايتكم إليها ينتهى الطريق، و بها يحطّ فريق الله تعالى و نعم الفريق، أولكم المقرب المدرّب، و أوسطكم الفرد المعرب، و آخركم الولّى المقرب، حضرتم بذكر محبوبكم حتى غبتم، فهنيئا لكم طبتم، حواسّ مسدودة، و خيوط أفكار كلّها ممدودة، و مشاهد مشهودة، و مغلطات تتجاوز حراسها، و قواطع معترضة بحلّ مراسها، إلى أن لا توجد تقيّة، و لا تبقى بقيّة، عند تجلّى المعالم الخفية؛ لو اشتمل العلم على عملكم، لكان الكلّ من هملكم، بحيث تتعين المراتب و تميّز، و تتفرق المشارب و تتحيز، فلا يعترض قاطع إلاّ و قد علم شأنه، و تعين وقته و مكانه، و لا تمثل غاية إلاّ و درجها محدودة، و مراحلها معدودة، و مشاهدها قبل دخول الطريق مشهودة، فهناك تطوى المراحل، و يلوح فى اللّمة القريبة الساحل، و يأمن طول الطريق الواصل.

و كان فى رقعة المحبين الذين قربوا قبل هذا اليوم و أدخلوا، من بعد ما تخيروا للاصطفاء و انتخلوا: أعود بالله من الشيطان الرجيم إنّ الله اضيّطى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين (٣٣) ذرّيةً بعضّها من بعض و الله سميعٌ عليم [سورة آل عمران، الآية: ٣٣، ٣٤] أنتم الأحباب، و لباب اللباب، و بواسطتكم اتصلت بين النفوس و بين الحقّ الأسباب، لولاكم لم يفتح الباب، فلا يصل إلاّ من أوصلتم، و لا يحجب إلاّ من قطعتم و فصلتم، أنتم الرعاء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٦

و الخلق الهمل، و أنتم الدعاء لمن يريد نيل الأمل، مهّدت لكم سرر القرب تمهيدا، و بعثتم إلى الناس ليؤخّدوا الله توحيدا و ليكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً [سورة البقرة: الآية: ١٤٣] فطوبى لمن أصاخ منكم إلى نداء، و استضاء بنور هدى، صلوات الله عليكم أبدا، أنتم أولو الأولوية المعقودة، و العساكر المحشورة المحشودة، و رؤساء أهل المحبّة، و أدلاء مبتغى الوسيلة و القربة، و مسالككم قد بينتها الصحف المنزلة، و الملائكة المرسلّة، و دخلت على العذارى خدورها، و عمت السماء بدورها، و أغنت

عن تقرير نحلها المكاتب المائجة بالصبيان، و السنن المعقودة لها حلق التبيان، و القواعد المفترضة على الأعيان، و الخزائن المرصوة بعلوم الأديان اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رزيت لكم الإسلام ديناً [سورة المائدة، الآية: ٣] و قيل لأتباعهم من الجمهور، و أقطاب فلهم المشهور: على قدر أتباعكم، مناقل أبواعكم، و بحسب اقتدائكم، يكون سماع ندائكم، و المهاد لمن و ثره، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ [سورة الزلزلة، الآية: ٧]، و تأخيركم في التوقيع هو التقديم، و «ساقى القوم آخرهم شرباً» مثل قديم؛ قال المخبر: فرأيت وجوههم قد تهللت، و نواسم المسرات نحوهم قد أقبلت.

و من سواهم من خالص و زائف، بين راج و خائف، و سمعت أن طائفة استدعيت بحث حفي، و أدخلت من باب حفي، قيل لهم: هم أصحاب الخير المكتوم، و أرباب المقام غير المعلوم، جعلنا الله تعالى منهم برحمته! [الوافر]

و لو لا الحب ما قطعوا الفيافي و لو لا الحب ما قطعوا البحارا

فدعهم و الذي ركبوا إليه و بحثا عن خلاصك و اختبارا

فلا تشغل بحب ديار ليلي و لكن حب من سكن الديارا

و قال قبل هذه الخاتمة بعد كلام كثير ما نصه: و قد أتينا على ما شرطنا من تقرير ما أمكن من هذه الآراء، و هم ما بين سابق للخيرات و مقتصد و ظالم لنفسه، و مع ذلك محبون، و على آثار الحبيب مكتوبون، ما كل طريق توصل، و لا كل تجارة على الربح تحصل، و من العشاق مهجور و مطرود، و موصل و موعود، و مغبوط و محسود، و محروم و مجدود، و مرحوم و مردود: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٧

يا غايتي، و لكل شئ غايته، و الحب فيه تأخر و تقدم

قل لي بأى وسيلة يحظى بما يرجوه غيرى من رضاك و أحرم

[من كلام لسان الدين في عدد فرق الاعتزال]

ورقة: و لكل دائرة مفروضة، و هالة حول قمر الحق معروضة، تعود الخطوط من محيطها المسدد، إلى مركزها المحدد، فالفيلسوف يروم التشبث بالعلمة الأولى، و يعنى بها ذات الحق، أو أن يتحد بالثانية، و هى مرآة وجه الحق، و الإشرافي يروم التجوهر بنور الأنوار المعبر عنه بالحق، و الاتصال به إما بواسطة من الحق أو بغير واسطة من الحق؛ و الحكيم أن يؤديه فكره إلى الحق، ثم يفنى في الحق، ثم يبقى بالحق، و المتشرع أن يجن في جنه الحق، و يحصل على جوار الحق، و ينظر إلى جوار الحق؛ و صاحب الوحدة المطلقة أن يكون المتفرق عين الحق، فسبحان الحق، المعبود بالحق، الموجد الجمع في الفرق! لا إله إلا هو. و زيد في هذا المحض الذي كثر في قربه الدعداع، و طال على الرؤوس منه الصيداع، ما تفرّد له المقالة المختصرة، و العناية الميسرة، بحول من لا حول و لا قوة إلا به. انتهى.

و قال رحمه الله تعالى في عد ما عدد من فرق الاعتزال ما نصه: [الكامل]

و الحب حرّكهم لكل جدال و الحب أقحمهم على الأهوال

و الحب قاطع بينهم و أضلهم عن نيل ما راموه كل ضلال

و الحب أنشأ فيهم عصبية بالليل أضرم نارها و القال

و إنما استكثرنا من ذكرهم عبرة لمن تأمل حركات هذا الفراش المختلف الآراء عن ذبال الحق، يبتغون إليه الوسيلة، قوم بالطاعة، و قوم بالمعصية، و ما منهم إلا مدع في المحبة، متهالك، حريص على السعادة بزعمه و جوة يومئذ خاشعة عاملة ناصية [سورة الغاشية،

الآية: ٢ و ٣] ممن قصد الحق فأخطأه، و أراد الصواب فضل عنه، و اشتهر بالحكمة بعد في الملة الإسلامية جماعة بالمشرق و الأندلس،

فمن المشاركة: أبو الفرج، و يعقوب الكندي،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٨

وحنين بن إسحاق، و ثابت بن قرّة، فكان عندهم مباشرتها من حيث الترجمة والمزاولة، إلى أن قال: و من أهل الأندلس: محمد بن مسعدة السرقسطي، و أحمد بن طاهر الطروشى، و يحيى بن عمران القرطبي، و طفيل بن عاصم، و كليب بن همام البياسي، و الحسن بن حرب الداني، و ابن مسرّة، و مسلمة المجريطي، و أبو بكر بن الصائغ، و أبو بكر بن طفيل، و أبو الوليد بن رشد، و كل هؤلاء من المتقدمين و المتأخرين محب عاشق مستهلك، قال الشاعر:

[مجزوء الكامل]

و على أن أسعى و لى س على إدراك النجاح

[المتقارب]

حيارى يمد بهم شجوهم كأنهم ارتضعوا الخندريسا

[الطويل]

إذا لم يكن عون من الله للفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد

و لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة و لا يزالون مختلفين (١١٨) إنا من رحم ربك و لذلك خلقهم و تمت كلمته ربك لأملأن جهنم من الجنة و الناس أجمعين [سورة هود، الآية: ١١٨، ١١٩] فريقا هدى و فريقا حق عليهم الضلالة [سورة الأعراف، الآية: ٣٠] قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين [سورة الأنعام، الآية: ١١] قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين [سورة الأنعام، الآية: ١٤٩] و الخلق قد مدوا أبصارهم و آمالهم، و تحركوا طوعا و كرها يغشون إلى نور الله تعالى، فمن أعمى أصم لا يسمع و لا يبصر، و أعمى فقط يجتزئ عن العيان بالمخبر، و أحول يبصر الشئ شيئين، و الواحد اثنين، كما قال الشاعر: [الكامل]

أحوى الجفون له رقيب أحول الشئ فى إدراكه شيان

فيلوح فى عينى منه واحد و يلوح فى عينيه منه اثنان

يا ليته ترك الذى أنا مبصر و هو المخير فى الحبيب الثانى

و ضعيف لا يبصر من بعيد، و أجهل لا يبصر من قريب، و أعشى تكثر فى عينيه الأشعة، و ربما تندر، و زرقاء اليمامة: [مجزوء الكامل]

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب و لا ملامه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٩

أعمى و أعشى، ثم ذو بصر، و زرقاء اليمامة

لو لا استقامته من هداه لما تبينت العلامة

و مجاور الغرر المخى ف له البشارة بالسلامه

أقام سبحانه الحجة، و فرق بين الأمر و الإرادة، و أعطى الكفاية من القدرة فمنهم مهتد و كثير منهم فاسقون [سورة الحديد، الآية: ٢٦] اقتصرنا من هذا البحر على نقطة، و من هذا الودق على قطرة: [البيسط]

و من يسد طريق العارض الهطل

[الكامل]

عدّ الحصى و القطر ليس يرام

و ذكرنا الرسل و الأنبياء و الأتباع ذكرا من غير تبويب و لا- تعيين، لشىاع آرائهم، و العلم بمقاصد ملهم، و أغراض دعواتهم، من توحيد الله تعالى و تنزيهه و صفاته و أسمائه، و كيف يحشر الناس ليوم لا ريب فيه و لتجزى كل نفس بما كسبت [سورة الجاثية، الآية: ٢٢] و تعليم طرق النجاة، و إيضاح سبيل الله تعالى، و التحذير من الغفلة عن إليه الرجعى، و له الآخرة و الأولى، و التخويف من

كلّ ما يقطع عنه، و التريغيب فيما يوصل إليه، و شأن الرياضة و التدريج في أحوالها حتى تنتقل من الظواهر إلى البواطن، و تسرى في الخلف من السيلف، و الندب إلى الاقتصار على الضرورة و القناعة بالبلاغ، و تبين الرسم فيها، و التعيين لحدودها، قد تضمّنت ذلك كله آيات الله التي تكفل بحفظها، و سنّه رسوله التي قيص مناخل الصدق لتصحيح نقلها، فالمكاتب- و المنه لله تعالى- مائجة، و المدارس حافلة، فما لنا و الإطالة في الموجود الذائع، و المشهور الشائع: [البسيط]

و الشمس تكبر عن حلي و عن حلل فهي الدراري في التقليد بالدرر
ما أغنى الشمس عن مدح المادح! تحصيل الحاصل عناء هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون [سورة التوبة، الآية: ٣٣].

فلنذكر بعض أرباب الآراء من قريب و بعيد، و خلق جديد، على صورة المثل المفروض و ليكون كعرض الحبوب الذي تجزى منه الحفنة عن الجفنة، و القربة عن القربة، و تقتصر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٠

على اليسير لإقامة الترتيب، و إحكام التبويب، و ليري الواقف عليه أننا قد نفضنا الزوايا، و رشفنا الزوايا، و امتكنا العظام، و استقصينا النظام، حرصا على نشيدة الحق أن تعقل، و على الطباع أن تنقل، و على المرائي الصديئة أن تصقل، و على صورة النجاة أن تمقل، و نسأل الله تعالى هداية توصل إليه، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم؛ انتهى.

و قال رحمه الله تعالى فيما قبل هذا الكلام بكلام ما صورته: غصن المحيين، و أصنافهم المرتبين، و يشتمل على مقدمه بيان، و ستة أفنان.

فالمقدمة ... فنقول: أصناف المحيين و العشاق كثير، و هباء نثير، و جراد آثارها نير، بحيث يشق إحصاؤهم، و لا يتأتى استقصاؤهم: [الطويل]

فقلت كما شئت و شاء لها الهوى: قتيلك، قالت: أيهم فهم كثر

ثم مدّ النفس بما لا يقتضى المقام الاختصاري ذكره في هذا الموضع.

و قال رحمه الله تعالى في بعض تراجم الروضة، و هي الخاتمة التي تنبه النفوس الصيبة، على حكم المحبة ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حي عن بينة [سورة الأنفال، الآية: ٤٢] بعد كلام ما صورته: ففر في معنى هذه الخاتمة فيها حكم تتال، و تجرى مجرى الأمثال:

المحبة بحر بعيد الشط، و خطّ و الفناء منتهى الخطّ إنّنا عرضنا الأمانة [سورة الأحزاب، الآية:

٧٢] إلخ. المحبة مهوى بعيد، و مجال وعد و وعيد، من خل يقلى، ثم خيال يولى، و ليس له حدّ عليه يعول. المحبة ظهر لا يركبه، من يرى الموت فينتكبه، و لا يعلوه، من يأتي إلى وادي الفناء فيسلوه إنّ الله مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ [سورة البقرة، الآية: ٢٤٩]. كم قصمت المحبة من ظهر؟ و كم سرّ صيرت إلى جهر؟ أولها العاقل المشهور، و آخرها الطي المنشور، ثم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣١

الموت ثم النشور و أشرقت الأرض بنور ربها و وُضِعَ الْكِتَابُ [سورة الزمر، الآية: ٦٩]. المحبة أنس يستدرج، ثم شوق يلجم و يسرج، ثم فناء يزعج، عن الوجود و يخرج: [الطويل]

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

المحبة كاس، كم جردت من كاس؟ و آس، من شمّه لم يجد من آس: [الطويل]

متى أرتجى يوما شفائي من الصّنى إذا كان من يجنى على طيبى

تراحم أنفاس المحيين على خطرات الصّبا، تراحم الهباء على مطارح شعاع الدّبا، فلو لا بليها لانتهدت، و تعليل عليها لتلك الأرقام

لذهبت: [البسيط]

عليلة في حواشي مرطها بلل يهدى لكلّ عليل منه إبلال

المحبة رقه، ثم فكرة مسترقة، ثم ذوق، يطير به شوق، ثم وجل لا يبقى معه طوق، ثم لا تحت و لا فوق: [الخفيف]

أينما كنت لا أخلف رحلا من رأني فقد رأني ورحلى

الهوى هوان، و حمام له ألوان، دمع ساجم، و وجد هاجم، و هيام لا يبرح، ثم وراءه ما لا يشرح: [السريع]

قال: بمن جنّ؟ و هل في الورى ما يبعث الخيل سوى حبه

من اقتحم بحر الهوى، هوى. لا تدخل في بحر الهوى حتى تشاور صبرك، و تجاوز قبرك، فإن كنت منّا أو فرح بسلام. الهوى طريق،

و لسلوكه فريق. الزاد سرّ مكتوم، و وفاء معلوم: [البسيط]

و للميادين أبطال لها خلقوا و للدواوين حساب و كتاب

الحبّ حجّ ثان، لا يثنى نفس المرید عنه ثان، طريقه التجريد، و زاده الذكر، و طوافه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٢

المعرفة، و إفاضته الفناء فإذا أفضتكم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام و اذكروه كما هداكم و إن كنتم من قبيله لمن الضال،

ين [سورة البقرة، الآية: ١٩٨]. الغرام، صعب المرام، و الدخول فيه حرام، ما لم يكن فيه شروط كرام. من عرف ما أخذ، هان عليه ما

ترك و ربك يخلق ما يشاء و يختار [سورة القصص، الآية: ٦٨] ظهر الهوى طريقا سهلا، فكثير التائهون جهلا: [الطويل]

إذا لم يكن عون من الله للفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد

و العكس: [الكامل]

قد يخبا المحبوب في مكروهها من يخبا المكروه في المحبوب

و قال الشيخ: [الطويل]

هو الحبّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختاره مضنى به و له عقل

و عش خاليا فالحبّ راحته عنى و أوله سقم و آجره قتل

نصحتك علما بالهوى و الذى أرى مخالفتى، فاختر لنفسك ما يحلو

فمن لم يمت فى حبه لم يعيش به و دون اجتناء النحل ما جنت النحل

طريق القوم مبنية على الموت، و إليه الإشارة بقوله: «موتوا قبل أن تموتوا». بيدى لا بيد عمرو، و قال بعضهم: رأيت ربّ العزة فقلت: يا

ربّ؛ بم أصل إليك؟ قال: فارق نفسك و تعال: [الكامل]

رفض السوى فرض على العين لا تخلطنّ الحقّ باليمين

و الأين و الكيف سوى ظاهر فاستغن عن كيف و عن أين

الخشب، الذى يتخذ منه النشب، ينقسم إلى أقسام، و أجزاء جسام: القسم الأول: فى الحدود و المعرفات، و الأسماء الواقعة و الصفات.

و للسان الدين رحمه الله تعالى فى المواعظ اليد الطولى؛ قال فى الروضة فى الفصل الثانى فى محرّكات العزيمة، و هى اليقظة، ما

نصّه: قلت: و المحرّكات المشتركة فى باعث اليقظة كثيرة: منها الوعظ السائق بمقود الشارد عن الله تعالى إلى مربط التوبة، و

محرّك العزيمة يرّد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٣

أذانه على نؤام أهل الكهف، و قد ضرب نوم الغفلة على آذانهم، حتى يحول بينهم و بين آذانهم، و يركبهم ظهر الرياضة حتى تلحقهم

بالمجذوبين من إخوانهم، و لما كان حبّ الدنيا هو المانع عن الشروع فى إطلاق العمل، و القاطع به بعده لم يجد أساء خبل الهوى و

جنون الكسل أنجع من رقى العذل و التأنيب، و تقيح المحبوب، سيما إذا انزعجت نبال نبهه عن حنيات ضلوع الصدق، و قال بعضهم:
الكلام إذا خرج من القلب دخل القلب: [الخفيف]
أوقد النار من رسالة ليلي و احذر الشيل بعدها من دموعي
و لا تعدل الوعظ البليغ باللسان الفصيح، و القلب القريح، فإذا رأيت الأرض قد اهتزت و ربت، و هضاب القلوب القاسية قد تقلبت،
فشمّر للغراس و الزراع عن الذراع، و اغتتم السراع و الإسراع: [الوافر]
إذا هبت رياحك فاغتمها فإن لكل خافقه سكونا
[الكامل]

حفر لها ماء يريها بدءاً و اضمن لها حوضاً و إن لم تحفر
و اربأ بنفسك عن تسامح بائع و اغنم إذا سامتك شهوة مشتري
قالوا: الوعظ يضرب وجه النفس عن التثبط في بساط اللذات، و ينقل خطراتها عن الخطو في ملعب الخطيئات، و يمثل لها الصبر عياناً،
و يبين العواقب المحجوبة بيانا، و ينشئ سحاب الحزن في أجواف أجزائها، و يذكرها بمآلها و انتهائها، و يعرض عليها مصارع فنائها، و
خراب بنائها، و فراق حبايبها و أبنائها، عند نزول هادم اللذات بفنائها، فترجع إلى الله تعالى بحكم الاضطرار أفكارها، و تخشع من
خيفة الله تعالى و جلاله أبصارها.

و الوعظ يكون بلسانين، و يوجد فنين: لسان حال، و لسان مقال، و ربما كان لسان الحال أبلغ، و هو يسمع من القبور الموحشة، و
القصور الخالية، و العظام البالية، و فيه حكايات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٤

و أخبار، و لسان مقال كقوله سبحانه و تعالى: وَ سَيَكْتُمُ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَمْثَالَ [سورة إبراهيم، الآية: ٤٥] و هو سبيل الله تعالى التي بعث بها النبيين، و ضمن فصولها الكتاب المبين، و السوط الذي يحمل
على الأوبة، و يسوق ذود المتطهرين إلى غدير التوبة، و نحن نجعله هينمة بين يدي الفراسة، لتزكية النفوس إن صدق حكم الفراسة،
فمن ذلك ما صدر عنى على لسان واعظ:

«الحمد لله الولي الحميد، المبدىء المعيد، البعيد فى قربه من العبيد، القريب فى بعده فهو أقرب من جبل الوريد، محيي ربوع العارفين
بتحيات حياة التوحيد، و مفنى نفوس الزاهدين بكنوز احتقار الافتقار إلى العرض الزهيد، و مخلص خواطر المحققين من سجون دجون
التقييد، إلى فسح التجريد، نحمده و له المنتظمة درره فى سلوك الدوام و سموط التأيد، حمد من نزه أحكام وحدانيته، و أعلام
فردانيته، عن مرابط التقييد، و مخابط الطبع البليد، و نشكره شكر من افتتح بشكره أبواب المزيد، و نشهد أنه الله الذى لا إله إلا هو
شهادة نتخطى بها معالم الخلق إلى حضرة الحق على كبد التفريد، و نشهد أن محمدا عبده و رسوله قلادة الجيد المجيد، و هلال
العيد، و فذلكه الحساب و بيت القصيد، المخصوص بمنشور الإدلال، و إقطاع الكمال، بين مقام المراد و مقام المريد، الذى جعله
السبب الأوصل فى نجاه الناجى و سعادة السعيد، و خاطب الخلائق على لسانه الصادق بحجتي الوعد و الوعيد، فكان ممّا أوحى به
إليه، أنزل الملك به عليه، من الذكر الحميد، لياخذ بالحجز و الأطواق من العذاب الشديد و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به
نفسه و نحن أقرب إليه من حبل الوريد [سورة ق، الآية: ١٦] إلى قوله حديد صلى الله عليه و على آله صلاة تقوم ببعض حقه الأكيد،
و تسرى إلى تربته الزكية من ظهور المواجد الجائية على البريد: [الطويل]

قعدت لتذكير و لو كنت منصفا لذكرت نفسى فهى أحوج للذكرى
إذا لم يكن منى لنفسى واعظ فيا ليت شعرى كيف أفعال فى الأخرى

[موعظة من إنشاء لسان الدين]

آه! أى وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبنا يسمع؟ وفي ما ذا وقد تبين الرشد من الغي يطمع؟ يا من يعطى و يمنع، إذ لم تقم الصنعة فماذا نصنع؟ اجمعنا بقلوبنا يا من يفرق و يجمع، ولين حديدها بنار خشيتك فقد استعاذ نبيك صلى الله عليه و سلم من قلب لا يخشع، و من عين لا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٥

تدمع، اعلموا- رحمكم الله!- أن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الأقوال و الأحوال، و من الجماد و الحيوان، و ما أملاه الملوان، فإن الحق نور لا يضره أن صدر من الخامل، و لا يقصر بمحموله احتقار الحامل، و أنتم تدرّون أنكم فى أطوار سفر لا تستقر لها دون الغاية رحلة، و لا تتأتى معها إقامة و لا مهلة، من الأصلاب، إلى الأرحام، إلى الوجود، إلى القبور، إلى النشور، إلى إحدى دارى البقاء، أفى الله شك؟ فلو أبصرتم مسافرا فى البرية بينى و يفرش، و يمهد و يعرش، ألم تكونوا تضحكون من جهله، و تعجبون من ركائه عقله؟ و و الله ما أموالكم و لا- أولادكم و شواغلكم عن الله التى فيها اجتهدكم إلما بقاء سفر فى قفر، أو إعراس فى ليلة نفر، كأنكم بها مطرحة تعبر فيها المواشى، و تنبو العيون عن خبرها المتلاشى إنما أموالكم و أولادكم فتنة و الله عنده أجر عظيم [سورة التغابن، الآية: ١٥] ما بعد المقييل إلما الرحيل، و لا بعد الرحيل إلما المنزل الكريم أو المنزل الوبيل، و إنكم تستقبلون أهوالا سكرات الموت بواكر حسابها، و عتب أبوابها. فلو كشف الغطاء عن ذرة منها لذهلت العقول و طاشت الأبواب، و ما كل حقيقة يشرحها الكلام يا أيها الناس إن وعيد الله حق فلا تعزّنكم الحياة الدنيا و لا يعزّنكم بالله العزور [سورة فاطر، الآية: ٥] أفلا أعددتكم لهذه الورطة حيلة، و أظهرتم للاهتمام بها مخيلة؟ أ تعويلا على عفوه مع المقاطعة و هو القائل فى مقام التهديد إن عذابى لشديد [سورة إبراهيم، الآية: ٧]؟ أ أمنا من مكره مع المنابذة فلا يأمّن مكر الله إلما القوم الخاسرون [سورة الأعراف، الآية: ٩٩]؟ أطمعنا فى رحمته مع المخالفة و هو يقول فسأكتبها للذين يتقون [سورة الأعراف، الآية: ١٥٦]؟ أمشاقه و معانده و من يساق الله فإن الله شديد العقاب [سورة الحشر، الآية: ٤]؟ أشكا فى الله دفتعالوا نعيد الحساب، و نقرّر العقد و نتصف بدعوة الحق أو غيرها، من اليوم تفقد عقد العقائد عند التساهل بالوعيد، فالعامى يدمى الأصبع الوجعة، و العارف يضمدها مبدأ العصب: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٦

هكذا هكذا يكون التعامى هكذا هكذا يكون الغرور

يا حشيرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلما كانوا به يشتهزون [سورة يس، الآية: ٣٠] و ما عدا، عمّا بدا؟ و رسولكم الحريص عليكم الرؤوف الرحيم يقول لكم «الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و الأحمق من أتبع نفسه هواها، و تمنى على الله الأمانى» فعلام بعد هذا المعول؟ و ما ذا يتأول؟ اتقوا الله سبحانه فى نفوسكم و انصحوها، و اغتنموا فرص الحياة و اربحوها أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله و إن كنت لمن السّاخرين [سورة الزمر، الآية: ٥٦] و تنادى أخرى هل إلى مرد من سبيل [سورة الشورى، الآية: ٤٤] و نستغيث أخرى: يا ليتنا نرد فنعمل غير الذى كُنّا نعمل [سورة الأعراف، الآية: ٥٣]، و تقول أخرى ربّ ارجعون [سورة المؤمنون، الآية: ٩٩] فرحم الله من نظر لنفسه، قبل غروب شمس، و قدّم لعدّه من أمسه، و علم أن الحياة تجرّ إلى الموت، و الغفلة تقود إلى الفتور، و الصحة مركب الألم، و الشبيبة سفينة تقطع إلى ساحل الهرم.

و إن شاء قال بعد الخطبة: إخوانى، ما هذا التوانى، و الكلف بالوجود الفانى عن الدائم الباقي و الدهر يقطع الأمانى، و هاذم اللذات قد شرع فى نقض المبانى؟ ألا معتبر فى عالم هذه المعانى؟ ألا مرتحل عن مغابن هذه المغانى؟: [الطويل]

ألا أذن تصغى إلى سميعة أحدثها بالصدق ما صنع الموت

مددت لكم صوتى فأواه حسرة على ما بدا منكم فلم يسمع الصوت

هو القدر الآتى على كل أمة فتوبوا سراعا قبل أن يقع الفوت

يا كلفا بما لا يدوم، يا مفتونا بغرور الوجود المعدوم، يا صريع جدار الأجل المهذوم، يا مشتغلا ببيان الطرق قد ظهر المناخ و قرب القدوم، يا غريقا فى بحار الأمل ما عساک تعوم، يا معلل الطعام و الشراب و لمع السراب، لا بد أن تهجر المشروب و تترك المطعوم. دخل سارق الأجل بيت عمرک فسلب النشاط و أنت تنظر، و طوى البساط و أنت تكرب، و اقتلع جواهر الجوارح و قد وقع بك النهب، و لم يبق إلا أن يجعل الوسادة على أنفك و يقعد:

[المجتث]

لو خفف الوجد عنى دعوت طالب ثارى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٧

كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا [سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠] كيف التراخى و الفوت مع الأنفاس ينتظر؟ كيف الأمان و هاجم الموت لا يبقى و لا- يذر؟ كيف الركون إلى الطمع الفاضح و قد صحَّ الخبر؟ من فكَّر فى كرب الخمار تنغصت عنده لذة النيذ، من أحسَّ بلغظ الحريق فوق جداره لم يصغ بصوته لنغمة العود، من تيقن بذلَّ العزلة هان عليه ترك الولاية: [الكامل]

ما قام خيرك يا زمان بشره أولى لنا ما قلَّ منك و ما كفى

أوحى الله سبحانه إلى موسى صلوات الله و سلامه عليه أن ضع يدك على متن ثور، فبعدد ما حاذته من شعره تعيش سنين، فقال: يا رب، و بعد ذلك؟ قال تموت، قال: يا رب فالآن: [المتقارب]

رأى الأمر يفضى إلى آخر فصير آخره أولا

إذا شعرت نفسك بالميل إلى شىء فاعرض عليها غصه فراقه ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حي عن بينة [سورة الأنفال، الآية: ٤٢] فالمفروح به هو المحزون عليه، أين الأحباب؟ مرّوا، فيا ليت شعري أين استقرّوا؟ استكانوا و الله و اضطروا، و استغاثوا [من سبقك] بأوليائهم ففرّوا، وليتهم إذ لم ينفعوا ما ضرّوا، فالمنازل من بعدهم خالية خاوية، و العروش ذابله ذابله، و العظام من بعد التفاضل متشابهة متساوية، و المساكن تندب فى أطلالها الذئاب العاوية: [المديد]

صحت بالزّبع فلم يستجيبوا ليت شعري أين يمضى الغريب

و بجنب الدار قبر جديد منه يستسقى المكان الجديد

غاض قلبى فيه عند التماحى قلت هذا القبر فيه الحبيب

لا تسل عن رجعتى كيف كانت إن يوم البين يوم عصيب

باقتراب الموت عللت نفسى بعد إلفى كل آت قريب

أين المعمّر الخالد؟ أين الولد أين الوالد؟ أين الطارف أين التالد؟ أين المجادل أين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٨

المجالد؟ هل تحسّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً [سورة مريم، الآية: ٩٨] وجوه علاهن الثرى، و صحائف تفض، و أعمال على الله تعرض. بحث الزهاد و العباد، و العارفون و الأوتاد، و الأنبياء الذين يهدى بهم العباد، عن سبب الشقاء الذى لا سعادة بعده، فلم يجدوا إلا البعد عن الله تعالى، و سببه حبّ الدنيا «لن تجتمع أمتى على ضلالة»: [الوافر]

هجرت حبائى من أجل ليلى فما لى بعد ليلى من حبيب

و ما ذا أرتجى من وصل ليلى ستجزى بالقطيعة عن قريب

و قالوا: ما أورد النفس الموارد، و فتح عليها باب الحنف، إلا الأمل، كلما قومتها مثاقف الحدود فتح لها أركان الرخص، كلما عقدت صوم العزيمة أهداها طرف الغرور فى أطباق:

حتى، و إذا، و لكن، و ربما، فأفطر القلب في تقلبيها حتى أفطر: [الرجز]
 ما أوبق الأنفس إلّا الأمل و هو غرور ما عليه عمل
 يفرض منه الشخص و هما ما له حال و لا ماض و لا مستقبل
 ما فوق وجه الأرض نفس حيّة إلّا قد انقضّ عليها الأجل
 لو أنهم من غيرها قد كوّنوا لامتلاء السهل بهم و الجبل
 ما ثم إلّا لقم قد هيئت للموت، و هو الأكل المستعجل
 و الوعد حقّ و الورى في غفلة قد خودعوا بعاجل و ضلّوا
 أين الذين شيدوا و اغترسوا و مهّدوا و افترشوا و ظلّوا
 أين ذوو الراحات زادت حسرة إذ جنّبوا إلى الثرى و انتقلوا
 لم تدفع الأحباب عنهم غير أن بكوا على فراقهم و أعولوا
 الله في نفسك أولى من له ذخرت نصحا و عتابا يقبل
 لا تركنها في عمى و حيرة عن هول ما بين يديها تغفل
 حقر لها الفانى و حاول زهدها و شوقها إلى الذى تستقبل
 وفد إلى الله بها مضطّرة حتى ترى السير عليها يسهل
 هو الفناء و البقاء بعده و الله عن حكمته لا يسأل
 يا قرّة العين و يا حسرتها يوم يوفى الناس ما قد عملوا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٩

يا طرد المخالفة، إنكم مدركون فاستبقوا باب التوبة، فإن ربّ تلك الدار يجير و لا يجار عليه، فإذا أمنتهم فاذكروا الله كما هداكم، يا
 طفيليّة الهمة، دسوا أنفسكم بزمر التائين، و قد دعوا إلى الله دعوة الحبيب، فإن لم يكن أكل فلا أقلّ من طيب الوليمة، قال بعض
 العارفين: إذا عقد التائبون الصلح مع الله تعالى انتشرت رعايا الطاعة في عماله الأعمال و أشرقت الأرض بنور ربّها و وُضِعَ الكتابُ
 [سورة الزمر، الآية: ٦٩]. معانى هذا المجلس و الله نسيم سحر، إذا استنشقه مخمور الغفلة أفاق، سوط هذا الوعظ يبغض إن شاء الله
 زكمه البطالة، إن الذى أنزل الداء أنزل الدواء، إكسير هذا الكتاب يلقب بحكمه جابر القلوب المنكسرة عين من كان له قلب إنما
 يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَ الْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ [سورة الأنعام، الآية: ٦] إلهى دلنا من حيرة يضلّ فيها- إلّا إن هديت- الدليل، و أجرنا
 من غمرة و كيف إلما بإعانتك السيل؟ نفوس صدى على مرّ الأزمان منها الصّ قيل، و نبا بجنوبها عن الحقّ المقيّل، و آذان أنهضها
 القول الثقيل، و عثرات لا يقيلها إلّا أنت يا مقيّل العثرات يا مقيّل، أنت حسبنا و نعم الوكيل؛ انتهى.

و من مواعظ لسان الدين رحمه الله سبحانه ما أورده فى الروضة إثر ما سبق، إذ قال:

إخوانى صمّت الآذان و النداء جهير، و كذب العيان و المشار إليه شهير، أين الملك و أين الظهير؟ أين الخاصة أين الجماهير؟ أين
 القبيل و العشير؟ أين كسرى بن أردشير؟ صدق و الله الناعى و كذب البشير! و غشّ المستشار و اتهم المشير، و سئل عن الكلّ فأشار
 إلى التراب المشير: [الكامل]

خذ من حياتك للممات الآتى و بدار ما دام الزمان مواتى
 لا تغترر فهو السراب بقيعة قد خودع الماضى به و الآتى
 يا من يؤمّل واعظا و مذكرا يوما ليوقظه من الغفلات
 هلّا اعتبرت و يا لها من عبرة بمدافن الآباء و الأمّات

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٤٠
 قف بالبقيع و ناد في عرصاته فلکم به من جيرة ولدات
 درجوا و لست بخالد من بعدهم متميز عنهم بوصف حياة
 و الله ما استهللت حيا صارخا إلا و أنت تعد في الأموات
 لا فوت عن درك الحمام لهارب و الناس صرعى معرك الآفات
 كيف الحياة لدارج متكلف سنه الكرى بمدارج الحيات
 أسفا علينا معشر الأموات لا ننفك عن شغل بهاك و هات
 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٨؛ ص ٤٠
 و يغرنا لمع السراب فنغتندي في غفلة عن هاذم اللذات
 و الله ما نصح امرأ من غشه و الحق ليس بخافت المشكاة

يا من غدا و راح، و ألف الراح، يا من شرب الراح، ممزوجة بالعذب القراح، و قعد لعيان صروف الزمان مقعد الاقتراح، كأنك و الله
 باختلاف الرياح، و سماع الصياح، و هجوم غارة الاجتياح، فأذيل الخفوت من الارتياح، و نسيت أصوات الغناء برنات الرياح، و
 عوضت عرر التوب القباح، من غرر الوجوه الصباح، و تناولت الجسوم الناعمة أيدي الأطراح، و تنوسيت العهود الكريمة بمز المساء
 عليها و الصباح، و أصبحت كماة النطاح، من تحت البطاح، و حملت المهتدة و الرماح، ذليلة من بعد الجماح: [الطويل]
 و لو كان هول الموت لا شيء بعده لهان علينا الأمر و احتقر الهول
 و لكنه حشر و نشر و جنه و نار، و ما لا يستقل به القول

يا مشتغلا بداره، ورم جداره، عن إسرعه إلى النجاة و بداره، يا من صاح بإنذاره شيب عذاره، يا من صرف عين اعتذاره بأقذاره، يا من
 قطعه بعد مزاره و ثقل أوزاره، يا معتلقا ينتظر هجوم جزاره، يا مختلسا للأمانة يرتقب مفتش ما تحت إزاره، يا من أمعن في خمر الهوى
 خف من إسكاره، يا من خالف مولى رقه توق من إنكاره، يا كلفا بعارية ترد، يا مفتونا بأنفاس تعد، يا
 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٤١

معوّلا على الإقامة و الرحال تشد، كأنى بك و قد أوثق الشد، و ألصق بالوسادة الخد، و الرّجل تقبض و الأخرى تمد، و اللسان يقول يا
 لَيْتِنَا تُرَدُّ [سورة الأنعام، الآية: ٧٢]: [السرّيع]
 إِنَّا إِلَى اللَّهِ و إِنَّا لَهُ ما أشغل الإنسان عن شأنه
 يرتاح للأثواب يزهي بها و الخيط مغزول لأكفانه
 و يخزن الفلس لوزائه مستنفدا مبلغ أكوانه
 قوّض عن الفانى رحال امرئ مد إليه عين عرفانه
 ما ثمّ إلا موقف زاهد قد وكل العدل بميزانه
 مفترط يشقى بتفريطه و محسن يجزى بإحسانه

[من إنشاء لسان الدين يخاطب طالب موعظة]

يا هذا، خفى عليك مرض اعتقادك فالتبس الشحم بالورم، جهلت قيم المعادن فبعت الشبه بالذهب، فسد حس ذوقك فتفككت
 بحنظله، أين حرصك من أجلك؟ أين قولك من عملك؟ يدر كك الحياء من الطفل فتتحامى حمى الفاحشه في البيت بسببه، ثم
 توقعها بعين خالق العين، و مقدر الكيف و الأين، تالله ما فعل فعلك بمعبوده، من قطع بوجوده ما يكون من نجوى ثلاثه [سورة

المجادلة، الآية: ٧] إلى عَلِيمٍ [سورة المجادلة، الآية: ٧] تعود عليك مساعي الجوارح التي سخرها لك بالقناطر المقنطرة من الذهب و الفضة، فتبخل منها في سبيله بفلس، و أحد الأمرين لازم: إما التكذيب، و إما الحماقة، و جمعك بين الحالتين عجيب، يرزقك السنين العديدة من غير حقّ و جب لك، و تسيء الظنّ به في يوم؛ توجب الحقّ، و تعتذر بالغفلة، فما بال التماذي؟ تعترف بالذنب فما الحجّة في الإصرار؟ و الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يُخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي حَبَّتْ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِيداً [سورة الأعراف، الآية: ٣٥] يا مدعى النسيان، ما ذا فعلت بعد التذكير؟ يا معتذرا بالغفلة، أين ثمرة التنبه؟ يا من قطع بالرحيل، أين الزاد؟ يا ذبابه الحرص، كم ذا تلجج في ورطة الشهد؟ يا نائما ملء عينيه، حذار الأجل قد أنذر، يا ثمل الاغترار قرب خمار الندم، تدعى الحذق بالصنائع و تجهل هذا القدر، تبذل النصح لغيرك و تغشّ نفسك هذا الغشّ، اندمل جرح توبتك على عظم، قام بناء عزمك على رمل، نبتت خضراء دعوتك على دمنه، عقدت كفك من الحقّ على قبضة ماء أ فَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسِينًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ [سورة فاطر، الآية: ٨]، إذا غام جوّ هذا المجلس، و ابتداء رشّ غمام الدموع، قالت النفس الأمّارة: حوالينا لا علينا، فدالت رياح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٤٢

الغفلة، و سحاب الصيف هفاف، كلما شدّ طفل العزيمة على درّة التوبة صانعه ظنر الشهوة عن ذلك بعصفور، إذا ضيق الخوف فسحة المهل سرق الأمل حدود الجار، قال بعض الفضلاء:

كانوا إذا فقدوا قلوبهم، تفقدوا مطلوبهم، و لو صدق الواعظ لأثر، اللهم لا أكثر: [الطويل]

طبيب يداوى الناس و هو عليل

و الخطب جليل، و المتفطن قليل، فهل إلى الخلاص سبيل؟ اللهم انظر إلينا بعين رحمتك التي وسعت الأشياء، و شملت الأموات و الأحياء، يا دليل الحائرين دلّنا، يا عزيز ارحم دلّنا، يا وليّ من لا وليّ له كن لنا كلنا، إن أعرضت عنا فمن لنا؟ نحن المذنبون و أنت غفّار الذنوب، فقلّب قلوبنا يا مقلّب القلوب، و استر عيوبنا يا ستار العيوب، يا أمل الطالب و يا غاية المطلوب؛ انتهى.

و من كلام لسان الدين رحمه الله تعالى في المواعظ ما خاطب به بعض من استدعى منه المواعظ، و نصّه: [الطويل]

إذا لم أنح يوما على نفسى التى بحرّائها أحببت كلّ حبيب

و قد صحّ عندى أنّ عادية الردى تدبّ لها و الله كلّ ديب

فمنذا الذى يبكى عليها بأدمعى إذا كنت موصوفا برأى لبيب

كم قد نظرت إلى حبيب تغار من إرسال طرفك بكتاب الهوى إلى إنسانه، و قد ذبلت بالسقم نرجسة لحظه، و ذوت وردة خده، و اصفرت لمغيب الفراق شمس حسنه، و هو وجود بنفسه التى كان يبخل منها بالنفس، يخاطب بلسان حاله مسترحما: «و ليت الفجل يهضم نفسه»، و أنت على أثر مسجبه إلى دست الحكم، و ما أدري ما يُفعل بى و لا بكم [سورة الأحقاف، الآية: ٩].

و منها: تالله لو لم يكن المخبر صادقا لنشب بحلق العيش بعده شوكة الشك: [الوافر]

و لو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كلّ حى

و لكننا إذا متنا بعثنا و نسأل بعده عن كلّ شى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٤٣

فالحازم من بتر الآمال طوعا، و قال: بيدي لا بيد عمرو يا أيّها الناس إنّ وعد الله حقّ فلا تُعزّنكم الحياة الدنيا و لا يُغزّنكم بالله العزور [سورة فاطر، الآية: ٥].

و قال أمير الوعاظ رحمه الله تعالى: [الكامل]

و بضدّها تتميز الأشياء

يا مقتولا، ما له طالب ثار، يريد الموت مطلق الأعنة في طلبك، و ما يحميك حصن، ثوب حياتك منسوج من طاقات أنفاسك، و

الأنفاس تستلب ذرات ذاتك، و حركات الزمان قويّة في النسج الضعيف، فيا سرعة التمزق، يا رابطا مناه بخيط الأمل، إنه ضعيف
القتل، صياد التلف قد بثّ الصقور، و أرسل العقيان، و نصب الأشراك، و قطع المواد، فكيف السلامة؟ تهتياً لسرعة الموت و أشدّ منها
قلب القلب، ليت شعري لما يؤول الأمر: [الطويل]

فو الله لا أدري أي يغلبني الهوى إذا جدّ جدّ البين أم أنا غالبه

فإن أستطع أغلب و إن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

مركب الحياة يجرى في بحر البدن برخاء الأنفاس، و لا بدّ من عاصف قاصف بفلكه و يغرق الركاب: [الكامل]

فاقصوا ما ربكم عجالاتاً إنما أعماركم سفر من الأسفار

و قال: كأنك بحرب التلف قد قامت على ساق، و انهزمت بجنود الأمل، و إذا بملك الموت قد بارز الروح يجذبها بخطاطيف الشدائد
من قيان العروق، قد شدّ كتاف الذبيح، و حار البصر لشدة الهول، و ملائكة الرحمة عن اليمين قد فتحو أبواب الجنة، و ملائكة العذاب
عن اليسار قد فتحو أبواب النار، و جميع المخلوقات تستوكف الخبر، و الكون كله قد قام على صيحه: سعد فلان، أو شقى فلان،
تهناك تنجلي أبصار الذين كانت أعينهم في غطاء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٤٤

عن ذكرى، و يحك! تهتياً فتلك الساعة، حصل زاداً قبل الفوت: [الوافر]

تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار

مثل لعينيك سرعة الموت، و ما قد عزمت أن تفعل حينئذ في وقت الأسر فافعله في وقت الإطلاق، و قال أبو العتاهية: [مجزوء الرمل]

خانك الطرف اتّدد أيها القلب الجموح

لدواعي الخير و الشرّ دنوّ و نزوح

كيف إصلاح قلوب إنما هنّ قروح

أحسن الله بنا إنّ الخطايا لا تفوح

فإذا المستور منّا بين أيديه فضوح

كم رأينا من عزيز طويت عنه الكشوح

صاح منه برحيل صالح الدهر الصّدوح

موت بعض الناس في الأرض على بعض فتوح

سيصير المرء يوماً جسدا ما فيه روح

بين عيني كلّ حيّ علم الموت يلوح

كلّنا في غفلة و ال موت يغدو و يروح

لبنى الدنيا من الدن يا غبوق و صبح

رحن في الوشى و أصبح ن عليهنّ المسوح

كلّ نطّاح من الدّه ر له يوماً نطوح

نح على نفسك يا مس كين إن كنت تنوح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٤٥

لتنوحنّ و لو عمّ رت ما عمّر نوح

و قال في المعنى: [مجزوء الوافر]

لمن طلل أسائله معطله منازله
غداه رأيته تنعى أعاليه أسافله
و كنت أراه مأهولا و لكن باد أهله
و كل لا عتساف الدهر معرضه مقاتله
و ما من مسلك إلا و ريب الدهر شامله
فيصرع من يصارعه و ينضل من يناضله
ينازل من يهيم به و أحيانا يخاتله
و أحيانا يؤخره و تارات يعاجله
كفاك به إذا نزلت على قوم كلا كله
و كم قد عز من ملك تحف به قنابله
و يثنى عطفه مرحا و تعجبه شمائله
فلما أن أتاه الحق ولى عنه باطله
فغمض عينه للموت و استرخت مفاصله
فما لبث السياق به إلى أن جاء غاسله
فجهزه إلى جدث سيكثر فيه خاذله
و يصبح شاحط المثوى مفعجه ثواكله
مخمشه نوادبه مسلبة غلائله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٤٦

و كم قد طال من أمل فلم يدركه آمله
رأيت الحق لا يخفى و لا تخفى شواكله
ألا فانظر لنفسك أى زاد أنت حامله
لمنزل و حدة بين الم قابر أنت نازله
قصير السمك قد رمضت عليك به جنادله
بعيد تجاوز الجيران ضيقه مداخله
أ أيتها المقابر فى ك من كنا ننازله
و من كنا نتاجرهم و من كنا نعامله
و من كنا نعاشره و من كنا نداخله
و من كنا نشاربه و من كنا نؤاكله
و من كنا نفاخره و من كنا نطاوله
و من كنا نراقبه و من كنا نرايله
و من كنا نكارمه و من كنا نجامله
و من كنا له إلفا قليلا ما نزاوله
و من كنا له بالأمر س أحيانا نواصله

فحلّ محلّهُ من حل لها صرمت حباله

ألا إنّ المتية من هل و الخلق ناهله

أواخر من ترى تفنى كما فنيت أوائله

لعمر ك ما استوى فى الأم ر عالمه و جاهله

ليعلم كلّ ذى عمل بأنّ الله سائله

فأسرع فائزا بالخي رقائله و فاعله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٤٧

ثم قال لسان الدين رحمه الله تعالى، بعد ما سبق، ما صورته: وهذا الغرض بحر، و يكفى من خزائنه عرض، و من بيت ماله قرض، إن شاء الله تعالى.

ثم قال: تنبيه يشتمل على سؤالين: أحدهما أن يقال: الوعظ غير مناسب للمحيّة، إذ لا يحصل إلّا بعد الفراغ و اليقظة، الثانى: أن يقال: عظمت الحسرة لفراق عالم الحسّ، و أطلت في قشور، فنجيب عن الأول: إنّنا لم نجلب الوعظ إلّا بين يدي تأميل حضور المحبّة، فكأنه يجرى مجرى الأسباب، فإن الغرض به وجهة النفس من جوّ السرور، و اللعب بالزور، إلى جوّ الحزن و الارتماض، و من هنالك تأخذ بخطامها أيدي الاضطراب، فتحصل اليقظة، ثم التوبة، و منها يستقيم الطريق فى منازل السائرين إلى الحقّ: [الكامل] و النفس راغبة إذا رغبتها و إذا تردّ إلى قليل تقنع

و عند ذلك يطوى بساط الزجر و الوعظ، و يمدّ بساط الاعتبار و الحبّ، إن شاء الله تعالى، فإنها كالتكلى بطبعها لما فارقت من عنصر نور الله تعالى، و العوالم الروحانية التى هى الشعار و الدثار، و الأمل و الدار، و الحياة و الجمال، و الوجود و الكمال، و إن كانت لا تشعر بالسبب، و لا تستحضر ذكر العلة، فإذا ذكر الفراق أنت أو تنوشدت الآثار حتّت، و يطرقتها الحزن عند الألحان الشجيّة، و تحسّ بعض الأحيان بالمواجد العشقية: [الطويل]

و قالوا أتبكي كلّ قبر رأيت له قبر ثوى بين اللوى و الدكادك

فقلت لهم: إنّ الأسى يبعث الأسى دعونى فهذا كلّ قبر مالك

و عن الثانى: إنّ كثيرا من النفوس لا تشعر بوجود عالم الحسّ، فضلا عن النظر فيه، و إن شعرت بذلك عدّ منها نبلا، و من كان بهذه المثابة لا سبيل لندائه إلّا من باب القشور أو لئلك يُنادون من مكان بعيد [سورة فصلت، الآية: ٤٤] إلى أن يتأتى النداء من باب الله تعالى بفضل الله تعالى، فالنفوس الشخصية غير متساوية، و هى بهوى الهوى هاوية، فالقريب منها يجذب بالأنامل، و البعيد بالجزل الكوامل، و على قدر المحمول تكون قوّة الحامل: [الكامل]

يضع الهناء مواضع النقب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٤٨

[الكامل]

يكفى اللبيب إشارة مكتومة و سواه يدعى بالنداء العالى

و سواهما بالزجر من قبل العصا ثم العصا هى رابع الأحوال

و قال رحمه الله تعالى فى فصل ذمّ الكسل، ما صورته: و نحن نجلب بعض الأمثال فى ذمه، ممّا يسهل حفظه، و يجب لحظه، فمن ذلك: الكسل مزلقه الريح، و مسخرة الصبح إذا رقدت النفس فى فراش الكسل استغرقها نوم الغفلة لو كُنّا نَسِمَعُ أو نَعْقِلُ ما كُنّا فى أَصِحَابِ السَّعِيرِ [سورة الملك، الآية: ١٠]. الندامة فى الكسل، كالسّم فى العسل. الكسل آفة الصنائع، و أرضه فى البضائع. العجز و الكسل، يفتحان الخمول و لا تسل. الفلاح إذا ملّ الحركة، عدم البركة: [البيسط]

ظهران لا يبلغان المرء إن ركبا باب السعادة: ظهر العجز، و الكسل

و في اغتنام الأنام: من أضاع الفرصة، تجرّع الغصية. إن كان لك من الزمان شيء فالحال، و ما سواه فمحال. تارك أمره إلى غد، لا يفلح للأبد. الإنسان ابن ساعته، فليحطها من إضاعته. التسوية سمّ الأعمال، و عدوّ الكمال. لم يحرم المبادر، إلّا في النادر. ما درجت أفرخ ذلّ إلّا من وكر طماعه، و لا بسقت فروع ندم إلّا من جرثومة إضاعه. العزم سوق، و التاجر الجسور مرزوق. من وثق بعهد الزمان، علقت يده بحبل الحرمان. الربح في ضمن الجسارة، و المضيع أولى بالخسارة.

و من أمثالهم - في نظر الإنسان لنفسه، قبل غروب شمس - قولهم: اعلم أنّ كلّ حكيم صانع إذا فكّر في أمره و نظر في العواقب علم أنه لا بدّ يوماً أن يخرب دكانه الذي هو محلّ بضاعته، و تنحلّ أنقاضه، و تكلّ أدواته، و تضعف قوّته، و تذهب أيام شبابه، فمن بادر و اجتهد قبل خراب الدكان، و استغنى عن السعي، فإنه لا يحتاج بعد ذلك إلى دكان آخر، و لا إلى أدوات مجددة، فليتجر بما اقتناه و يشتغل بالانتفاع و الالتذاذ بما اكتسبت يده، و هذه حالة النفس بعد خراب الجسد، فبادر و اجتهد و احرص و استعجل، و تزود قبل خراب دكانك و هدم بنيته، فإنّ خير الزاد التقوى، قال حسان: [الطويل]

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقي و أبصرت بعد اليوم من قد تزودا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٤٩

ندمت على أن لا تكون كمثلته و لم تترصد مثل ما كان أرسدا

قال أبو الفرج بن الطيب البغدادي في اغتنام الوقت في كتابه «في السياسة و الآراء الفاضلة»: يجب أن تعيد و تمثّل، فإنّ الفكر مضطرب متشوّش بكثرة نوازع النفس و اختلاف قواها، و العمى في بعض الأوقات، فإذا سنح للنفس وقت فاضل بصفاء جوهرها، و أبرمت قانونا أو صورة متوسطة فاضلة، يجب أن يقيد بذلك وقت سعد ربما لا يعاود أو يعاود؛ انتهى.

[رسالة منه إلى شيخ الموحدين بتونس]

و من نشر لسان الدين رحمه الله تعالى ما كتب به على لسان سلطانه إلى شيخ الموحدين بتونس ابن تفرجين، يخبره بالتمحيص الجارى عليه، و نصّه: «من أمير المسلمين أيده الله و نصره، و أعلى أمره و أظهره، إلى ولينا في الله تعالى الذي له القدم الرفيع المناصب، و المجد السامى الذوائب، و السياسة التي أخبارها سمر الركبان و حدو الركائب، الشيخ الجليل الكبير، الشهير الخطير، الهمام الأمضى، الرفيع الأعلى، الأمد الأوحده، الأسعد الأصعد، الأوفى الظاهر الطاهر الفاضل الباسل الأرضى الأنقى المعظم الموقر المبرور، علم الأعلام، سلالة أكابر أصحاب الإمام، معيد دولة التوحيد إلى الانتظام، أبى محمد عبد الله بن الشيخ الجليل الكبير الشهير الماجد الخطير الرفيع الأسعد الأمد الحسيب الأصيل الأمضى الأرضى الأفضل الأكمل المعظم المقدس المرحوم أبى العباس تفرجين، وصل الله تعالى له عزّة تناسب شهره فضله! و سعادة تتكفل له في الدارين برفعه محلّه:

«سلام كريم يخصّ مجادتك الفاضلة، و ربتكم الحافلة، و رحمه الله تعالى و بركاته.

أمّا بعد حمد الذي يمحصّ لثيب، و يأمر بالاستقالة ليجيب، و يعقب ليل الشدة بصبح الفرج القريب، و يجنى من شجر التوكل عليه، و التسليم إليه، ثم الصنع العجيب، و يظهر العبر مهما كسر ثم جبر لكلّ ذى قلب منيب، و الصلاة على سيدنا و مولانا محمد رسوله الذي نلجأ إلى ظلّ شفاعته في اليوم العصيب، و نستظهر بجاهه على جهاد عبدة الصليب، و نستكثر عدد بركاته في هذا الثغر الغريب، و نصول منه على العدو بالحبيب، و الرضا عن آله و صحبه نجوم الهداية من بعد الأمانة من الأفول و المغيب، فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله لكم عزّة متّصلة، و عصمة بالأمان من نوب الزمان متكفلة! - من حمراء غرناطة حرسها الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٥٠

تعالى، و لا زائد بفضل الله تعالى الذي لطف و جبر، و أظهر في الإقالة و حسن الإدالة العبر، ممّن كتب الله تعالى له العقبى لما صبر،

إلما الخبر الذي كسا الأعطاف الحبر، و الصنع الذي صدق خبره الخبر، و الحمد لله تعالى كثيرا كما هو أهله فلا فضل إلا فضله، و لمكاتكم عندنا المحل الذي قررت شهرة فضلكم قواعده، و أعلت مصاعده، و أثبت التواتر شواهد، إذ لا نزال نتحف بسيركم الذي في التدبيرات يقتفى، و علم يسترشد به إذا العلم اختفى، و السبيل عفا، و إن تلك الدولة بكم استقام أودها، و قامت و الحمد لله عمدتها، و إنكم رعيتهم في البنين حقوق آبائنا، و حفظتم عليها ميراث عليائها، و لو لم تتصل بنا أنباؤكم الحميدة، و آراؤكم السديده، بما يفيد العلم بفضل ذاتكم، و يغرى قوى الاستحسان بصفاتكم، لغبطنا بمخاطبتكم و مفاتحتكم، ما نجده من الميل لكم طبعاً و جبله، من غيرين نعتبر سبياً أو علمه، فالتعارف بين الأرواح لا ينكر، و الحديث الكريم يؤيد من ذلك ما ينقل و يذكر. و بحسب ذلك نطلعكم على غريب ما جرى به في ملكنا القدر، و حيث بلغ الورد و كيف كان الصّدر، و ربما اتّصلت بكم الحادثة التي أكفأها على دار ملكنا من لم يعرف غير نعمتها غاديا، و لا- برح في جوانب إحسانها رائحا و غاديا، يتيم حجرها الكافل، و رضيع درّها الحافل، الشقى الخاسر، الخائن الغادر، محمد بن إسماعيل بن محمد المستجير بنسبنا من لؤم غدره، الخفيّة عنا حيل مكره لخموم قدره، إذ دعاه محتوم الحين ليهلك إلى أن يهلك، و سوّلت له نفسه الأمانة بالسوء أن يملك أخانا الخاسر ثم يملك، و سبحان الذي يقول يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ [سورة هود، الآية: ٤٦] و كيف تمّ له ما أبرمه من تسوّر الأسوار، و اقتحام البوار، و تملك الدار، و الاستيلاء على قطب المدار، و أننا كفتنا عصمه الله تعالى بمتحوّلنا الذي كان به ليلتذ محلّ ثواننا، و كفت القدرة الإلهية أكفّ أعدائنا، و خلصنا غالباً بحال انفراد الأمر عناية و نعم الرفيق، و صدق اللجأ إلى رحمة الله تعالى التي ساحتها عن مثلنا لا تضيق، فمهما تنكّر الزمان أو تفرّق الفريق، و شردمة الغدر تأخذ علينا كلّ فحج عميق، حتى أويانا من مدينة وادى آش إلى الجبل العاصم، و الحجّة المرغمة أنف المخاصم، ثم أجزنا البحر بعد معاناة خطوب، و تجمّم من الدهر و قطوب، و بلا الله هذا الوطن بمن لا يرجو لله وقارا، و لا يألو شعائره المعظمة احتقارا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٥١

فأضرمه ناراً، و جلل وجهه وجوه خزيا و عارا، حتى هتك الباطل حماه، و غير اسمه و مسماه، و بدّد حاميته المتخيرة و شدّبها، و سخّم دواوينه التي محصها الترتيب و التجريب و هدّبها، و أهلك نفوسها و أموالها، و أساء لو لا تدارك الله تعالى أحوالها. و لما تأذن جلّ جلاله في إقاله العثار، و درك الثار، و أنشأت نواسم رضاه إدامة الاستغفار، و رأينا قلادة الإسلام قد آن انتشارها، و الملة الحنيفية كادت تذهب آثارها، و مسائل الخلاف يتعدّد مثارها، و جعلت الملتان نحونا تشير، و الملك يأمل أن يوافيه بقدمونا البشير، تحررنا حركة خفيفة تشعر أنها حركة الفتح، و نهضنا نبتدر ما كتب الله تعالى من المنح، و قد امتعض لنا الكون بما حمل، و استخدم الفلك نفسه بمشيئته تعالى و اكتمل، و كاد يقرب لقرى ضيفنا الثور و الحمل، و ظاهرنا محلّ أخينا السلطان الكبير الرفيع المعظم المقدس أبي سالم الذي كان وطنه مأوى الجنوح، و مهبّ النصر الممنوح- رحمة الله تعالى عليه!- مظهرة مثله من الملوك الأعظم، و ختم الجميل بالجميل و الأعمال بالخواتم، و أنف حتى عدوّ الدين لنعمتنا المكفورة، و حقوقنا المحجوبة المستورة، فأصبح بعد العدو حبيبا، و عاد بعد الإباية منيبا، و سخر أساطيله تحضيضا على الإجازة و ترغيبا، و استقبلنا البلاد و بحر البشر يزخر موجه، و ملك الإسلام قد خرّ على الحضيض أوجه، و الروم مستولية على الثغور، و قد ساءت ظنون المؤمنين بالعقبى و لله عاقبة الأمور، و الخبيث الغادر الذي كان يمّوه بالإقدام قد ظهر كذب دعواه، و هان مثواه، و تورّط في أشراك المندمة تورّط مثله ممّن أتبع هواه، و جحد نعمة مولاه، فلو لا أن الله عزّ و جلّ تدارك جزيرة الأندلس بركابنا، و عاجل أوارها بانسكابنا، لكانت القاضية، و لم تر لها من بعد تلك الريح العقيم من باقية، لكننا بفضل الله تعالى رفعنا عنها وطأة العدو و قد دنا بكلكل، و ابتزناه منها أى مشرب و مأكّل، و اعترزنا عليه بالله تعالى الذي يعزّ و يذلّ، و يهدى و يضلّ، فلم نسامحه في شرط يجزّ غضاضه، و لا يخلف في القلوب مضاضه، و خضنا بحر الهول، و برئنا إلى الله تعالى ربنا عن القوّة و الحول، و ظهرت للمسلمين ثمره سريرتنا، و ما بذلنا في مصانعة العدو من الإجهاز عليهم من حسن سيرتنا، فقويت فينا أطماعهم، و انعقد على التحزّم بنا إجماعهم. و قصدنا مالمقه بعد أن اثالت الجهة الغربية، و أذعنت المعازل الأبيّة،

فيسر الله تعالى فتحها، وهياً منحها، ثم توالى البيعات، وصرحت بماآذن البلاد الدّعاء، واضطرب أمر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٥٢

الخائن وقد دلفت المخاوف إليه، وحسب كلّ صيحة عليه، فاقتضت نعمته الشائنة، ودولة بغيه الزائلة، وآراؤه الفائلة، أن ضمّ ما أمكنه من ذخيرة مكنونه، وآله للملك مصونه، واستركب أوباشه الذين استباح الحقّ دماءهم، وعرف الخلق اعتراءهم للغدر و انتماءهم، وقصد سلطان قشتالة من غير عهد ولا وثيقة، ولا مثلى طريقه، ولا شيمه بالرّعى خليقه، لكن الله، عزّ وجلّ، حمله على قدمه، لإرافة دمه، وزين الوجود بعدمه، فلحين قدومه عليه راجيا أن يستفّزه بعرض، أو يحيل صحه عقده المبرم إلى مرض، ومؤملا هو و شيعته الغادرة كزّه على الإسلام مجهزه، ونصره لمواعيد الشيطان منجزه، تقبض عليه وعلى شيعته، وصم عن سماع خديعته، وأفحش بهم المثله، وأساء بحسن رأيه فيهم القتله، فأراح الله تعالى يبادتهم نفوس العباد، وأحيا بهلاكهم أرقام البلاد. وحثنا السير إلى دار ملكنا فدخلناها فى اليوم الأغرّ المحجّل، وحصلنا منها على الفتح الهنى المعجّل، وعدنا إلى الأريكة التى نبأنا عنها التمحيص فما حسبناه إلّا سرورا أعقبه الكمال، و مرضا عاجله الإبلال، فثابت للدين الآمال، ونجحت الأعمال، وبذلنا فى الناس من العفو ما غفر الذنوب، وجبر القلوب، وأشعنا العفو فى القريب والقصى، وألبسنا المريب ثوب البرى، وتألفنا الشارد، وأعدبنا الموارد، وأجرينا العوائد، وأسبنا الفوائد، إلّا ما كان من شردمه عظمت جرائمهم، وخبث فى معامله الله تعالى سرائرهم، وعرف شؤمهم، وصدق من يلومهم، فأقصيناهم وشرّدناهم، وأجليناهم عن هذا الوطن الجهادى وأبعدناهم. ولما تعرّف سلطان قشتالة باستقلالنا، واستقرارنا بحضرة الملك و احتلالنا، بادر يعرّف بما كان من عمله فيمن لحق به من طائفة الغدر، وإخوان الخديعة والمكر، وبعث إلينا برءوسهم، ما بين رئيسهم الشقى ومرءوسهم، وقد طفا على جداول السيوف حبابها، وراق بحنّاء الدماء خضابها، وبرز الناس إلى مشاهدتها معتبرين، وفى قدرة الله تعالى مستبصرين، ولدفاع الناس بعضهم ببعض شاكرين، وأحقّ الله تعالى الحقّ بكلماته

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٥٣

وقطع دابر الكافرين، فأمرنا بنصب تلك الرءوس بمسور الغدر الذى فرعته، وجعلناه علما على عاتق العمل السيئ الذى اخترعته، وشرعنا فى معالجة العلم، وأفضنا على العباد والبلاد حكم السلم، فاجتمع الشمل كأحسن أحواله، وسكن هذا الوطن بعد زلزاله، وأفاق من أهواله.

ولعلمنا بفضلكم الذى قضياه شائعه، ومقدّماته ذائعه، أخبرناكم به على اختصار، واجتزاء واقتصار، ليسر دينكم المتين بتماسك هذا الثغر الأقصى بعد استرساله، وإشرافه على سوء مآله، وكنا نخاطب محلّ أحنينا السلطان الجليل المعظم الأسعد الأوحى الخليفة أمير المؤمنين أبى إسحاق ابن الخليفة أمير المؤمنين المعظم المقدّس أبى يحيى بن أبى بكر ابن الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين - وصل الله تعالى أسباب سعده! وحرس أكناف مجده! - لو لا أننا تعرفنا كونه فى هذه المدة مقيما بغير تلك الحضرة التونسية، فاجتزأنا بمخاطبة جهتكم السئية، وبين سلفنا وسلفكم من الودّ الراسخ البنيان، والكريم الأثر والعيان، ما يدعو إلى أن يكون سبب المخاطبة موصولا، وآخرة الودّ خيرا من الأولى، لكن الطريق جمّ العوائق، والبحر مفروق البوائق، وقبول العذر بشواغل القطر بالفضل لائق، ومرادنا أن يتصل الودّ، ويتجدّد العهد، والله عزّ وجلّ يتولّى أمور المسلمين بمتوارد إحسانه! ويجمع قلوبهم حيث كانوا على طاعة الله تعالى ورضوانه! وهو سبحانه يطيل سعادتكم، ويحرس مجادتكم، وينجج إدارتكم، ويسئى إرادتكم! والسلام الكريم يخصّكم، ورحمه الله تعالى وبركاته».

[خطبة له يبشر فيها بالفتح]

ومن نشره رحمه الله تعالى قوله: «أيها الناس، ضاعف الله تعالى بمزيد النعم سروركم! وتكفل بلطفه الخفى فى مثل هذا القطر الغريب أموركم! أبشركم بما كتب به سلطانكم السعيد إليكم، المترادفة بيمينه وسعادته نعم الله تعالى عليكم! أمتع الله تعالى الإسلام ببقائه! و

أَيَّدَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ! وَ نَصْرَهُ فِي أَرْضِهِ بِمَلَائِكَةِ سَمَائِهِ! وَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَحَ لَهُ الْفَتْحَ الْمَبِينِ، وَ أَعَزَّ بِحِرْكَهٖ جِهَادَهُ الدِّينِ، وَ بَيَّضَ وَجْهَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَ أَظْفَرَهُ بِإِطْرِيرَةِ الْبَلَدِ الَّذِي فَجَعَ الْمُسْلِمِينَ بِأَسْرِهِمْ فَجِيعَةً تُثِيرُ الْحَمِيَّةَ، وَ تَحْرِّكُ النَّفْسَ الْأَبِيَّةَ، فَانْتَقَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ عَلَى يَدِهِ، وَ بَلَغَهُ مِنْ اسْتِئْصَالِهِمْ غَايَةَ مَقْصَدِهِ، فَصَدَّقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَ عَلَى أَعْدَائِهِ، الْوَعْدَ وَ الْوَعِيدَ، وَ حَكَمَ بِإِبَادَتِهِمْ الْمَبْدِيَّ الْمَعِيدَ وَ كَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَ هِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [سورة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٥٤

هود، الآية: ١٠٢] وَ تَحْصُلُ مِنْ سَبِيهِ بَعْدَ مَا رُوِيَ السِّيُوفُ مِنْ دِمَائِهِمْ آلَافٌ عَدِيدَةٌ، لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِهَا فِي الْمَدَدِ الْمَدِيدَةِ، وَ الْعَهْدِ الْبَعِيدَةِ، وَ لَمْ يَصِبْ مِنْ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ عَدَدٌ يَذْكَرُ، وَ لَا رَجُلٌ يَعْتَبَرُ، فَتَحَ هُنَى، وَ صَنَعَ سُنَى، وَ لَطَفَ خَفَى، وَ وَعَدَ وَفَى، فَاسْتَبَشَرُوا بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ نِعْمَتِهِ، وَ قَفُوا عِنْدَ الْاِفْتِقَارِ وَ الْاِنْقِطَاعِ لِرَحْمَتِهِ، وَ قَابَلُوا نِعْمَهُ بِالشُّكْرِ يَزِدُّكُمْ، وَ اسْتَبْصَرُوا فِي الدِّفَاعِ عَنْ دِينِكُمْ يَنْصِرُكُمْ وَ يُؤَيِّدُكُمْ، وَ اغْتَبَطُوا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَمْ تَعْدَمُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَعَهَا عَيْشًا خَصِيْبًا، وَ لَا رَأْيًا مُصِيبًا، وَ لَا نَصْرًا عَزِيزًا وَ لَا فَتْحًا قَرِيبًا، وَ تَضَرَّعُوا فِي بَقَائِهَا، وَ نَصَرَ لَوَائِهَا، إِلَى مَنْ لَمْ يَزَلْ سَمِيعًا لِلدَّعَاءِ مُجِيبًا، وَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَجْعَلُ الْبَشَائِرَ الْفَاشِيَةَ فِيكُمْ عَادَةً، وَ لَا يَعْزِمُكُمْ وَ لَا أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ تَوْفِيقًا وَ سَعَادَةً، وَ السَّلَامَ الْكَرِيمَ يَخْصِيَكُمْ، وَ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَ بَرَكَاتِهِ مِنْ مَبْلَغِ ذَلِكَ فَلَانًا. انتهى.

[خطابه إلى سلطان فاس]

وَ مِنْ نَشْرِ لِسَانِ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى! - مَا أَنْشَأَهُ عَنِ سُلْطَانِهِ الْغَنَى بِاللَّهِ تَعَالَى - حِينَ وَصَلَهُ ابْنُهُ الَّذِي كَانَ بِفَاسٍ - يَخَاطَبُ سُلْطَانَ فَاسٍ، مَا نَصَّهُ:

«المقام الذى تقلد نافله الفضل شفعا، و جود صورة الكمال إفرادا و جمعا، و استولى و جمع بين المنح، و التهنته بالفتح، فأحرز أصلا و فرعا، و استحق الشكر عقلا و شرعا، و أغرى أيدى جوده، بالقصد الذى هو حظ و لئيه من وجوده، فأثار من جيش اللقاء نقعا، و وسط به جمعا، مقام محل أحنينا الذى أقلام مقاصده ذربه بحسن التوقيع، و عيون فضله مذكاة لإحكام الصنيع، و عذبات فخره تهفو بذروة العلم المنيع، و مكارمه تتفنن فيها مذاهب التنوع، أبقاه الله تعالى و ألسن فضله ناطقه، و أفيسه سعده صادقه، و أوليته بالنصر العزيز خافقه، و بضائع مكارمه فى أسواق البر نافقه، و عصائب التوفيق لرئائى أغراضه موافقه! السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا.

«سلام كريم، طيب برّ عميم، يخصّ مقامكم الأعلى، و طريقتكم المثلى، و أخوتكم الفضلى، و رحمته الله تعالى و بركاته، مجلّ قدركم، و ملتزم برّكم، و موجب حمدكم و شكركم، فلان.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٥٥

«أما بعد حمد الله تعالى الذى جعل الشكر على المكرمات وقفا، و نهج منه بإزائها سبيلا لا تلتبس و لا تخفى، و عقد بينه و بين المزيد سببا و حلفا، و جعل المودة فى ذاته ممّا يقرب إليه زلقى، مريح تجارة من قصد وجهه بعمله حتى يرى الشىء ضعفا، و ناصر هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السيرة بمن يوسعها فضلا و عطا، و مدنى ثمار الآمال لتتمتع بها اجتناء و قطفًا، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد النبى العربى الكريم، الرؤوف الرحيم، الذى مدّ من الرحمة على الأمة سجفا، و ملأ قلوبها تعاطفا و تعارفا و لطفًا، القائل «من أيقن بالخلف جاد بالعطيّة» و وعد من عامل الله تعالى بربح المقاصد السيّئة، وعدا لا يجد خلفا، و الرضا عن آله و أصحابه الذين كانوا من بعده للإسلام كهفا، و على أهله فى الهواجر ظلًا ملتفًا، غيوث الندى كلّما شاموا سماحا و ليوث العدى كلّما شهدوا زحفا، و الدعاء لمقام أخوتكم الأسعد بالنصر الذى يكف من عدوان الكفر كفًا، و المجد الذى لا يغادر كتابه من المفخر الذى ترك الأول للآخر حرفا، و إلى هذا - أيّدكم الله بنصر من عنده، و حكم لملككم الأسمى باتّصال سعده، و أنجز فى ظهوره على من عاند أمره

سابق وعده!- فإننا نقرّر لدى مقامكم و إن كان الغنى بأصالة عقله، عن اجتلاء الشاهد و نقله، و جلاء البيان و صقله، أن الهدايا و إن لم تحل العين منها كما حلت، أو تناولها الاستنزار فما نهت في لحظ الاعتبار و لا جلت، أو كانت زيفا كلما أغرى بها الاختبار قلت، لا بدّ أن تترك في النفوس ميلا، و أن تستدعي من حسن الجزاء كيلا، و أن تنال من جانب التراحم و التعاطف نيلا، و أى دليل أوضح محجّز، و أبين حجّة، من قوله صلّى الله عليه و سلم: «تهادوا تحابوا» من غير تبين مقدار، و لا إعمال اعتبار، و لا تفرقة بين لجين و لا نضار؟ فكيف إذا كانت الهدية فلذة الكبد التي لا يلدّ العيش بعد فراقها، و لا تضىء ظلم الجوانح إلّا بطلوع شمسها و إشراقها، و جمع الشمل الذي هو أقصى آمال النفوس الآلفة، و البواطن المصاحبة للحنين المحالفة، لا سيما إذا اقتعدت محلّ الهنا، بالفتح الرائق السنّ، و حفّت بها من خلفها و أمامها صنائع البرّ و قومه الاعتناء، فهنالك تفخر ألسن الثناء، و تتطابق أعلام الشكر السامية البناء. و إننا ورد علينا كتابكم الذي سطره البرّ و أملاه، و كنفه اللحظ و تولّاه، و وشّحه البيان و حلّاه، مهنتا بما منح الله جلّ جلاله من ردّ الحقّ، و تعيين الجمع و رفع الفرق، و تطويق الأمان و أمان الطوق، و إسعاد السّعد، و بلوغ القصد، و قطع دابر من جحد نعمه الأب و الجدّ، و سلّ سيف البغي دامي الحدّ، و الحمد لله تعالى حمدا يلهمه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٥٦

و يتيحه، و نسأله إمدادا يسوّغه و يبيحه، على أن أحسن العقبى و أعقب الحسنى، و أرى النعم بين فرادى و مثنى، و جمع الشمل الذي قد تبدّد، و جدّد رسم السعادة لهذا القطر فتجدّد، و أخذ الظالم فلم يجد من محيص، و جمع لنا الأجر و الفخر بين تخصيص و تمحيص، و قلّم براءوس الفجرة الغدرة الفرضة التي فرعوها، و أطفأ بمراق دماهم نار الضلالة التي شرعوها، و كتب لقييلكم الفضل الذي يحمد و يشكر، و الحقّ الذي لا يجحد و لا ينكر، فلقد أوى لما تبرأت الخلصان، و تحقّى عند ما تنكّر الزمان، و سبّب الإدائه، و طواع الأصاله و الجلاله، حتى فرج الله تعالى الكربة، و آنس الغربه، و أقال العثره و تقبل القربة، له الحمد على آلائه، و صلة نعمائه، ملء أرضه و سمائه. و وصل صحبته الولد مكنوفا بجناح اللطف، ممهدا له ببركتكم مهاده العطف، فبرزنا إلى تلقّيه تنويها لهديتكم و إشادة، و إبداء في برّكم و إعادة، و أركبنا الجيش الذي آثرنا لحين استقلالنا عرضه، و قرّنا بموجب الاستحقاق فرضه، فبرز إلى الفضاء الأفيح حسن الترتيب، سافرا عن المرأى العجيب، و لو لا الحنان الذي تجده النفوس للأبناء و تستشعره، و التثوق إلى اللقاء الذي لا يجحده منصف و لا ينكره، لما شقّ علينا طول مقامه في حجركم، و لا ثواؤه لصق أريكة أمركم، فجواركم محلّ لاستفادة رسوم الإمارة، و تعلّم السياسة و الإدارة، حتى يرد علينا بقدم كتيبة جهادكم، و يقود إلينا طليعة نصركم إيانا و إمدادكم، فنحن الآن نشكر مقاصدكم التي اقتضى الكمال سياقها، و زين المجد آفاقها، و قدرها فأحکم طباقها، و نقرّر لديكم أن حظنا من ودادكم، و محلّنا من جميل اعتقادكم، حظّ بان رجحانه و فضله، و لم يتأتّ بين من سلف من السلف مثله، من الصحبة في المنزل الخشن و هى الوسيلة، و فى رعيها تظهر الفضيلة، و الاشتراك فى لازم الوصول إلى الحقّ، و ضمّ أشتات الخلق، و المودة الواضحة الطرق، إلى ما بين السيلف، من الودّ الآمن بدره من الكلف، المذخورة أذمته للخلف، فإذا كانت المعاملة جارية على حسبه، و شعبها راجعة إلى مذهبه، جنى الإسلام ثمرة حافلة، و استكفى الدين إيالة كافلة، فالله عزّ و جلّ، يمهد البلاد بيمن تدبيركم، و يجرى على مهيع السداد جميع أموركم، و يجعلكم ممّن زين الجهاد عواتق أعماله، و كان رضا الله تعالى عنه أقصى آماله، حتى تربى ماثركم على ماثر أسلافكم الذين عرف هذا الوطن الجهادى إمدادهم، و شكر جهادهم، و قبل الله تعالى فيه أموالهم و أولادهم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٥٧

و حسن من أجله معادهم. و قد حضر بين يدينا رسولكم الذى وجهتم الولد- أسعده الله تعالى- لنظرة، و تخيرتموه لصحبة سفره، فلان، و هو من الأمانة و الفضل، و الرّجاحة و العقل، بحيث طابق اختياركم، و استحقّ إثباركم، فأطنب فى تقرير ما لديكم من عناية بهذه الأوطان عينت الرّفد، و ضربت الوعد، و أخلصت فى سبيل الله تعالى القصد، و غير ذلك ممّا يؤكّد المودة المستقرّة الأركان، المؤسّسة على التقوى و الرضوان، فأجبناه بأضعاف ذلك ممّا لدينا لكم، و قابلنا بالثناء الجميل قولكم و عملكم، و الله تعالى يصل

سعدكم، و يحرس مجدكم، و السلام الكريم يخصكم، و رحمه الله تعالى و بركاته».

[من إنشائه على لسان ابن سلطانه]

و من ذلك ما كتبه - رحمه الله تعالى! - على لسان الأمير سعد ابن سلطانه الغنى بالله تعالى إليه و هو:

«مولاي و مولى كبيرى و مولى المسلمين، و رحمتى المتكفلة بالسعد الرائق الجبين.

يقبل قدمكم التى جعل الله تعالى العز في تقيلها، و السعد فى اتباع سبيلها، عبدكم الصغير فى سنه، الكبير فى خدمتكم و خدمه كبيره فى حياتكم بفضل الله تعالى و منه، الهاش لتمرغ و وجهه فى كتابكم من الذراع، المنبئه طباعه عن العبوديه الكامنه بالبدار إلى ذلك و الإسراع، عبدكم و ولدكم سعد، كتبه من بابكم، المحوط بعز أمركم، المتحف إن شاء الله تعالى بأبناء نصركم، و قد وصل إلى عبدكم تشريفكم السابغ الحلل، و تنويهكم المبلغ غايه الأمل، و خط يدكم الكريمه، و غمامه رحمتكم الهاميه الديمة، فيا له من عز أثبت لى الفخر فى أبناء الملوك، و سار بى من الترشيح لرتب حظوتكم على المنهج المسلوک، قرر من عافيه مولاي و سعاده، و اقتران السعود حيث حل بوفادته، ما تكفل ببلوغ الآمال، و تمم لسان الحال فى شكر الله تعالى لسان المقال، و الله تعالى يديم أيام مولاي حتى يقوم بحق شكر النعم لسانه، و تؤدى بعده جوارحه من الدفاع بين يدى سلطانه ما يسر به سلطانه، و بعث جوابه منقولاً ليد حامله من يده ليهنئ تقبيل اليد الكريمه بحال تأكيد، و يقرر ما لعبده إلى وجهه الكريم من شوق شديد، و يعرف شمول نعمه الله تعالى و نعمته لمن ببابه من خدم و حرم و عبيد، و يمد يد الرغبة لمولاه فى صله الإنعام بتشريفه، و إعلامه بتزايدات حركاته و تعريفه، ففى ضمن ذلك كل عز مشيد، و خير جديد، و يهدى تحية أهل منزل مولاي على اختلافهم بحسب منازلهم من نعمه لحظه، التى يأخذ منها كل بحظه، و السلام الكريم و رحمه الله تعالى و بركاته».

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٥٨

و قال رحمه الله تعالى: و من نثرى ما خاطبت به السلطان على لسان ولده من مالمقه، و قد وصلت به إليه من المغرب:

«مولاي الذى رضا الله تعالى مقترن برضاه، و النجح مسبب عن نيته و دعاه، و طاعته مرتبطة بطاعه الله، أبقى الله تعالى على بكم ظل رحماه، و غمام نعماه! و زادنى من مواهبه هدايه فى توفيه حقه الكبير فإن الهدى هدى الله!

«يقبل مواطئ أقدامكم التى ثراها شرف الخدود، و فخر الجباه، و يقرر من عبوديته ما يسجل الحق مقتضاه، و يسلم على مثابه رحمتكم السلام الذى يحببه الله تعالى و يرضاه، ولدكم و عبدكم يوسف، من منزل تأييدكم بظاهر مالمقه حرسها الله، و الوجود ألسن بالعز بالله ناطقه، و الأعلام و الشجر ألوية بالسعد خافقه، و أنواع التوفيق متوافقه، و صنائع اللطيف الخبير مصاحبه مرافقه. و قد وصل، يا مولاي، لعبدكم المفتخر بالعبودية لكم ما بعث به على مقامكم، و جادت به سحائب إنعامكم، و لمن تحت حجه ستركم المسدول، و فى ظل اهتمامكم الموصول، و لمن ارتسم بخدمه أبوابكم الشريفة من الخدام، و أولى المراقبة و الالتزام، ما يضيق عنه بيان العبارة، و يفتضح فيه لسان القول و الإشارة، من عنايات ستيه، و نعم باطنه و جليته، و ملاحظه مولويه، و مقاصد ملكيه، فما شئت من قباب مذهبه، و ملابس منتخبه، و أسره مرتبه، و محاسن لا مستوره و لا محجبه، و اللواء الذى نشرتم على عبدكم ظلّه الظليل، و مددتم عليه جناح العز الجليل، جعله الله تعالى أسعد لواء يسير فى خدمتكم! و مدد على و عليه لواء حرمتكم! حتى يكون لجهادى بين يديكم شاهداً، و بالنصر العزيز و الفتح المبين عليكم عائداً، و لطائفه الخلوص لأمركم قائداً، و لأولياء بابكم هادياً و لأعدائكم كائداً.

و اتفق يا مولاي أن كان عبدكم قد ركب مغتتما برد اليوم، و مؤثراً للرياضه فى عقب النوم، و التف عليه الخدام، و الأولياء الكرام، فلما عدنا تعرضت لنا تلك العنايات المجلوه الصور، المتلوّه السور، و قد حشر الناس، و حضرت منهم الأجناس، فعلا الدعاء، و انتشر الشاء، و راق الأبخار تلك الهمة العليا، فنسأل الله تعالى يا مولاي أن يكافىء مقامكم بالعز الذى لا يتبدل، و النصر الذى يستأنف و يستقبل، و السعد الذى محكمه لا يتأول، و العبد و من له على حال اشتياق للورود على أبوابكم الرفيعه المقدار، و ارتياح لقرب المزار:

[الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٥٩

و أبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

و العمل على تيسير الحركة متّصل، و الدهر لأوامر سعدكم محتفل، بفضل الله تعالى، و السلام على مقام مولاي مقام الشفقة و الرحمة، و المنة و النعمة، و رحمة الله تعالى و بركاته؛ انتهى.

[ظهير من إنشائه بتولية ابن سلطانه مشيخة الغزاة]

و من إنشاء لسان الدين في تولية الأمير يوسف المذكور مشيخة الغزاة على لسان السلطان والده ما نصّه:

«هذا ظهير كريم فاتح بنشر الأولوية و البنود، و قود العساكر و الجنود، و أجال في ميدان الوجود، جياذ الباس و الجود، و أضفى ستر الحماية و الوقاية بالتهائم و النجود، على الطائفين* و العاكفين و الرّكع السجود*، عقد للمعتمد به عقد التشريف، و القدر المنيف، زاكي الشهود، و أوجب المنافسة بين مجالس السروج و مضاجع المهود، و بشر السيوف في الغمود، و أنشأ ريح النصر آمنة من الخمود، أمضى أحكامه، و أنهد العزّ أمامه، و فتّح عن زهر السرور و الحبور كاماه، أمير المسلمين عبد الله محمد بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر- أيد الله تعالى أمره! و خلّد ذكره!- لكبير ولده، و سابق أمده، و ريحانة خلده، و ياقوته الملك على يده، الأمير الكبير الطاهر الظاهر الأعلى، واسطة السلوك، و هلال سماء الملك، و مصباح الظلم الحلك، و مظنة العناية الأزلية من مدبر الفلك و مجرى الفلك، عنوان سعده، و حسام نصره و عضده، و سميّ جدّه، و سلاله فضله و مجده، السعيد المظفر الهمام الأعلى الأمضى، العالم العامل الأرضي، المجاهد المؤمل المعظم أبي الحجاج يوسف، ألبسه الله تعالى من رضاه عنه حللا لا تخلق جدتها الأيام، و لا تبلغ كنهها الأفهام، و بلّغه في خدمته المبالغ التي يسرّ بها الإسلام، و تسبح في بحار صنائعها الأفلام، و حرس معاليها الباهرة بعينه التي لا تنام، و كنفه بركنه الذي لا يضام، فهو الفرع الذي جرى فصله على أصله، و ارتسم نصره في نصله، و اشتمل حدّه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٦٠

على فصله، و شهدت ألسن خلاله، برفعة جلاله، و ظهرت دلائل سعادته، في بدء كلّ أمر و إعادته، لّمّا صرف وجهه إلى ترشيحه، لاقتراع هضاب المجد البعيد المدى و توشيحه، بالصبر و الحلم و الباس و الندى، و أرهف منه سيفاً من سيوف الله تعالى لضرب هام العدا، و أطلعه في سماء الملك بدر هدى، لمن راح و غدا، و أخذه بالآداب التي تقيم من النفوس أودا، و تبذر في اليوم فتجنى غدا، و رقاها في رتب المعالي طورا فطورا، ترقى النبات و رقا و نورا، ليجده بحول الله تعالى يدا باطشة بأعدائه، و لسانا مجيبا عند ندائه، و طرازا على حلّة علائه، و غماما من غمام آلائه، و كوكبا وهاجا بسمائه، و عقد له لواء الجهاد على الكتيبة الأندلسية من جنده، قبل أن ينتقل عن مهده، و ظلّله بجناح رايته، و هو على كتف دابّته، و استركب جيش الإسلام ترحيبا بوفادته، و تنويها بمجادته، و أثبت في غرض الإمارة النصرية سهم سعادته، رأى أن يزيد من عنايته ضروبا و أجناسا، و يتبع أثره ناسا فناسا، قد اختلفوا لسانا و لباسا، و أنفقوا ابتغاء لمرضاة الله و التماسا، ممّن كرم انتماؤه، و زينت بالحسب العلى سماؤه، و عرف غناؤه، و تأسّيس على المجادة بناؤه، حتى لا يدع من العناية فناً إلّا و جلبه إليه، و لا مقادة فخر إلّا جعلها في يديه، و لا حلّة عزّ إلّا أضفى ملابسها عليه. و كان جيش الإسلام في هذه البلاد الأندلسية- أمّن الله سبحانه خلالها، و سكن زلزالها، و صدق في رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء آمالها!- كلف همّته و مرعى ذمّته، و ميدان اجتهاده، و متعلّق أمل جهاده، و معراج إرادته، إلى تحصيل سعادته، و سبيل خلاله، إلى بلوغ كماله، فلم يدع له علّة إلّا أزاحها، و لا طلبه إلّا أجال قداحها، و لا عزيمة إلّا أورى اقتداحها، و لا رغبة إلّا فسح ساحها، آخذاً مدوّنته بالتهذيب، و مصافّه بالترتيب، و آماله بالتقريب، محسنا في تلقى الغريب، و تأنيس المريب، مستنجزا له و به وعد النصر العزيز و الفتح القريب، و

رفع عنه لهذا العهد نظر من حَكَم الأَغراض في حماته، و استشعر عروق الخسائف لتشذيب كمامته، و اشتغل عن حسن الوساطة لهم بمصلحة ذاته، و جلب جباته، و تثير ماله و توفير أقاته، ذاهبا أقصى مذاهب التعمير بأمد حياته، فانفرج الضيق، و خلص إلى حسن نظره الطريق، و ساغ الريق، و رضى الفريق، رأى- و الله الكفيل لنجح رأيه، و شكر سعيه، و صلة حفظه و رعيه- أن يجهد لهم اختياره، و يحسن لديهم آثاره، و يستنيب فيما بينه و بين سيوف جهاده، و أبطال خلاله، و حماة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٦١

أحوازه، و آلات اعتزازه، من يجرى مجرى نفسه النفيسة في كل مبنى، و يكون له لفظ الولاية و له- أيده الله تعالى!- المعنى، فقدمه على الجماعة الأولى كبرى الكتائب، و مقادة الجنائب، و أجمه الأبطال، و مزنة الودق الهطال، المشتمة من الغزاة على مشيخة آل يعقوب نساء الملوك الكرام، و أعلام الإسلام، و سائر قبائل بني مرين، ليوث العرين، و غيرهم من أصناف القبائل، و أولى الوسائل، ليحوط جماعتهم، و يعرف بتفهمه إطاعتهم، و يستخلص لله تعالى و لأبيه- أيده الله تعالى!- طاعتهم، و يشرف بإمارته مواكبهم، و يزين بهلاله الناهض إلى الإبدار على فلك سعادة الأقدار كواكبهم، تقديمًا أشرق له وجه الدين الحنيف و تهلل، و أحسن باقتراب ما أمل، فللخيل اختيال و مراح، و للأسل السمر اهتزاز و ارتياح، و للصدور انشراح، و للآمال مغدى في فضل الله تعالى و رواح. فليتول ذلك- أسعده الله تعالى- تولى مثله ممن أسرة الملك أسرته، و أسوة النبي صلوات الله تعالى عليه أسوته، و الملك الكريم أصل لفرعه، و النسب العربي محتد لطيب طبعه، آخذًا أشرافهم بترفيح المجالس بنسبة أقدارهم، مغريا حسن اللقاء بإيثارهم، شاكرًا غناءهم، مستدعيًا ثناءهم، مستدرا لأرزاقهم، موجبا المزية بحسب استحقاقهم، شافعا لديه في رغباتهم المؤملة، و وسائلهم المتحملة، مسهلا الإذن لوفودهم المتلاحقة، منفقا لبضائعهم النافقة، مؤنسا لغرائبهم، مستجليا أحوال أهلهم و آبائهم، مميزا بين أغفالهم و نبهائهم. و على جماعتهم- رعى الله تعالى جهادهم، و وفر أعدادهم!- أن يطيعوه في طاعة الله تعالى و طاعة أبيه، و يكونوا يدا واحدة على دفاع أعداء الله تعالى و أعاديته، و يشدوا في مواقف الكريهة أزره، و يمتثلوا نهيته و أمره، حتى يعظم الانتفاع، و يشهر الدفاع، و يخلص المصال لله تعالى و المصاع، فلو وجد- أيده الله تعالى!- غاية في تشریفهم لبلغها، أو موهبة لسوغها، لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب، و لا وراء مباشرتهم بنفسه مغرب، و الله تعالى منجح الأعمال، و مبلغ الآمال، و الكفيل بسعادة المآل.

«فمن وقف هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمنه من أمر مطاع، و فخر مستند إلى إجماع، و وجوب اتباع، و ليكن خير مرعى لخير راع، بحول الله تعالى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٦٢

«و أقطعه- أيده الله تعالى!- ليكون بعض المواد لأزواد سفره، و سماط نفره، في جملة ما أولاه من نعمه، و سوغه من موارد كرمه، جميع القرية المنسوبة إلى عرب عنان، و هي المحلة الأثيرة، و المنزلة الشهيرة، تنطلق عليها أيدي خدامه و رجاله، جارية مجرى صريح ماله، محررة من كل وظيفة لاستغلاله، إن شاء الله تعالى، فهو المستعان سبحانه، و كتب في كذا؛ انتهى.

[ظهير من إنشائه في تقليد الأمير سعد]

و كتب لسان الدين- رحمه الله تعالى!- في شأن تقليد الأمير سعد أخى المذكور الأصغر منه سنًا ما صورته:
«هذا ظهير جعل الله تعالى له الملائكة ظهيرا، و عقد منه في سبيل الله تعالى لواء منصورا، و أعطى المعتمد به باليمن كتابا منشورا و ما كان عطاء ربك مخطورا [سورة الإسراء، الآية: ٢٠]، و أطلع صبح العناية المبصرة الآية يبهر سفورا، و يسطع نورا، و أقر عيوننا للمسلمين و شرح صدورنا، و وعد الأهل أن تصير بإمداد شمس الهدى إياها بدورا، و بشر الإسلام بالنصر المنتظر، و الفتح الرائق الغرر، مواسط و ثغورا، و أتبع حماة الدين لواء الإمارة السعيدة النصرية فأسعد بها آمرا و أكرم بها مأمورا، أمر به، و أمضى العمل بمقتضاه و حسبه، أمير المسلمين عبد الله محمد بن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب

العالمين أبي الوليد بن فرج بن نصر، أعلى الله تعالى رايته و سدّد رأيه! و شكر عن الإسلام و المسلمين سعيه! لقرّة عينه، و مقتضى حقّه من العدوّ و دينه، و غصن دوحه، و آية لوحه، و درّة فلادته، و درّيّ أفلاك مجادته، و سيف نصره، و هلال قصره، و زينة عصره، و متقبل هديه و رشده، و مظنة إشراق سعده، و إنجاز وعده، ولده الأسعد، و سليل ملكه المؤبد، الأمير الأجلّ الأعزّ الأسنى الأظهر الأظهر الأعلى، لابس أثواب رضاه و نعمته، و منحة الله لنصره و خدمته، و مظهر عزّه و بعد همّته، التقى الرضى العالم العامل الماجد حامى الحمى تحت ظلّ طاعته، و كافى الإسلام الذى يأمن من إضاعته، المحرز مزايا الأعمار الطويلة حظّ الشهر فى يومه و حظّ اليوم فى ساعته، الموقر المهيب المؤمل المعظم أبى النصر سعد عزّفه الله تعالى بركة سعد بن عبادة جدّه، خال رسول الله صلى الله عليه و سلم و أعظم بمجده، و وزيره فى حلّه و عقده، و أجناه ثمرة النصر الذى كناه به و وصل سببه بسببه فما النصر إلّا من عنده، و أنتج له الفتح المبين من مقدمتى نصره و سعده، لما صرف وجه عنايته إليه فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٦٣

هذه البلاد الأندلسية التى خلص لله انفرادها و انقطاعها، و تمخّص - لأن تكون كلمة الله هى العليا- قراعها، و صدق مصالها فى سبيله جلّ و علا و مصاعها، إلى ما يمهد أرجاءها، و يحقّق رجاءها، من سلم يعقد، و لا يعدم الحزم معه و لا يفقد، و عطاء ينقد، و رأى لا يتعقّب و لا ينقد، و حرب تضمّر له الجياد، و يعتقل الأسل المياد، و كأن الجيش روض أملة الذى فى جناه يسرح، و مرمى فكره الذى عنه لا يبرح، فديوانه ديوان أمانيه الذى تسهب فيه و تشرح، أسهمه من سياسته أوفى الحظوظ و أسناها، و قصر عليه لفظ العناية و معناها، و وقف عليه موحداه و مثناها، فأزاح علله، و أحيا أملة، و أنشأ جذله، و رفع عنه من لم يبذل الجدّ له، و لا أخلص لله فيه عمله. و اختار لقيادة مغانيه المنصورة، و إمارة غزواته المبرورة، أقرب الناس إلى نفسه نسبا، و أوصلهم به سببا، و أحقّهم بالرتب المنيفة و المظاهر الشريفة، ذاتا و أباً، و جدّا و حسبا، و أمره على أشرافه، و دلّ به الأنفال على أعرافه، و صرف إليه آماله، و استعمل فى أسنته يمينه و فى أعتته شماله، و عقد عليه أوليته الخافقة لعزّة نصره، و رأى الظهور على أعداء الله تعالى جتى فهياها لهصره، و أدار هالة قتام الجهاد عن قرب بالولادة على بدره، و تبه نفوس المسلمين على جلاله قدره، و قدّمه على الكتيبة الثانية من عسكر الغزاة المشتملة على الأشياخ من أولاد يعقوب كبار بنى مريّن، و سائر قبائلهم المكرمين، و غيرهم من القبائل المحترمين، ينوب عن أمره فى عرض مسائلهم، و قرى وافدهم، و إجراء عوائدهم، تقديماً تهلل له الإسلام و استبشر، و تيقّن الظفر فاستبصر، لما علم بمن استنصر، فليخلصوا له فى طاعته الكبرى الطاعة، و ليعلقوا ببنان نداءه بنان الطماعة، و يؤملوا على يديه نجح الوسيلة إلى مقامه و الشفاعة، و يعلموا أنّ اختصاصهم به هو العنوان على رفع محالهم لديه، و عزّة شأنهم عليه، فلو وجد هضبة أعلى لرفعها لهم و أعلاها، أو عزّة أعزّ لجلالها، أو قبله أزكى لصرف وجوههم شطرها و ولاها، حتى تجنى ثمرة هذا القصد، و تعود بالسعد حركة هذا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٦٤

الرصد و تعلقو ذؤابة هذا المجد، و تشهد بنصر الدين على يده ألسنة الغور و التجد، بفضل الله سبحانه. و عليه- أسعد الله الدولة باستعماله مكافحا بأعلامها، و زينا لأيامها، و سيفاً فى طاعة إمامها!- أن يقدم منهم فى مجلسه أهل التقديم، و يقابل كرامهم بالتكريم، و يستدعى آراء مشايخهم فى المشكلات فى أمور الحرب، و يغضى جفون عزائمهم فى موقف الصبر و الضرب، و يتفقدهم بإحسانه عند الغناء، و يقابل حميد سعيهم بالثناء، على هذا يعتمد و بحسبه يعمل، و هو الواجب الذى لا يهمل، و قصده بالإعظام و الإجلال، و الانقياد الذى يعود بالأمال و ينجح الأعمال، بحول الله تعالى متقبل، و كتب فى كذا؛ انتهى.

[من إنشائه إلى سلطانه و قد عاد لملكه]

و ممّا اشتمل على نظم لسان الدين و نثره ما كتب به من سلا إلى سلطانه الغنى بالله تعالى، و قد بلغه ما كان من صنع الله سبحانه له و عودته إلى سلطانه: [الطويل]

هنيئاً بما حوّلت من رفعة الشان وإن كره الباغي وإن رغم الشّانى
و أن خصّك الرحمن جلّ جلاله بمعجزة منسوبة لسليمان
أغار على كرسيه بعض جنّه فألقت له الدنيا مقالداً إذعان
فلما رآها فتنه خرّ ساجداً وقال إلهي امن على بغفران
وهب لى ملكا بعدها ليس ينبغي تقلده بعدى لإنس ولا جان
فآتاه لما أن أجاب دعاءه من العزّ ما لم يؤت يوماً لإنسان
و إن كان هذا الأمر فى الدهر مفرداً فأنت له لما اقتديت به الثانى
فقابل صنيع الله بالشكر واستعن به واجز إحسان الإله بإحسان
و حقّ الذى سمّاك باسم محمد لو أنّ الصّبا قد عاد منه بريعان
لما بلغ النعمى عليك سروره أئيه واف لا أئيه خوآن
فإنى أنا العبد الصريح انتسابه كما أنت مولاي العزيز و سلطاني
إذا كنت فى عزّ و ملك و غبطة فقد نلت أوطارى و راجعت أوطانى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٦٥

«مولاي الذى شأنه عجب، و الإيمان بعناية الله تعالى به قد وجب، و عزّه أظهره من برداء العزة احتجب، إذا كانت الغاية لا تدرى، فأولى أن تسلّم و تترك، و منّ الله تعالى عليك ليست ممّا يشرح، قد عقل العقل فما يبرح، و قيد اللسان فما يرمى فى مجال العبارة و لا يسرح، اللهم ألهمنا على هذه النعمة شكراً ترضاه، و إمداداً من لدنك نتقاضاه، يا الله يا الله. سعود أنارت بعد أفول شهابها، و حياة كرت بعد ذهابها، و أحباب اجتمعت بعد فراقها، و أوطان دنت بعد شامها من عراقها، و أعداء أذهب الله تعالى رسم بغيهم و محاه، و بغاه أدار عليهم الدهر رحاه، و عباد أعطوا من كشف الغمّ ما سألوه، و نازحون لو سئلوا فى إتاحة القرب بما فى أرقامهم لبذلوه، و سبحان الذى يقول و لو أنّا كتبتنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه [سورة النساء، الآية: ٦٦] فليهن الإسلام بياض وجهه بعد اسوداده، و تغلب إياله من لا يؤمن بالله و لا باليوم الآخر على بلاده، و عودة الملك المظلوم إلى معتاده، و استواء الحقّ النائي جنبه فوق مهاده، و ردّ الإرث المغصوب إلى مستحقّه عن آباءه و أجداده، و الحمد لله الذى غسل عن وجه الأئمة الحنيفة العار، و أنقذ عهدتها و قد ملكها الذعار، فردّ المعار، و أعيد الشّعار، نحمدك اللهم حمداً يليق بقديسك، لا بل لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. و العبد، يا مولاي، قد بهرت عقله آلاء الله تعالى قبلك، فالفكر جائل و اللسان ساكت، و العقل ذاهل و الطرف باهت، فإن أقام رسماً للمخاطبة فقلّم مرح و ركض، و طرس هزّ جناح الارتياح و نفض، ليس هذا المرام ممّا يرام، و لا هذه العناية التى تحار فيها الأفهام، ممّا تصمى غرضه السّهام، فنسأل الله تعالى أن يجعل مولاي من الشاكرين، و بأحكام تقلبات الأيام من المعتبرين، حتى لا يغرّه السّراب الخادع، و الدهر المرغم للأتوف الجادع، و لا يرى غير الله فى الوجود من صانع، و لا معط و لا مانع، و يمتعه بالعزّ الجديد، و يوفقه للنظر السديد، و يلهمه للشكر فهو مفتاح المزيد، و السلام»؛ انتهى.

[و من إنشائه ما خاطب به عبد الله التونسى]

و ممّا خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى أبا عبد الله بن عمر التونسى قوله:
«سیدی الذى عهدہ لا ینسى، و ذکره یصبح فى ترديده بالجميل و یمسى، أبقاكم الله تعالى تجلون من السعادة شمسا، و تصرفون فى طاعته لسانا فردا و بنانا خمسا:
وصلنى كتابكم الأشعث الأغر، و مقتضیکم الذى أضغاثه لا تعبر، شاهده بعدم الاعتناء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٦٦

أوضاعه، معدوما إمتاعه، قصيرا في التعريف بالحال المتشوّف إليها باعه، مضمّنا الإحالة على خلتى من معناها، غير متلبس بموحدها و لا- مثاها، سألته كما يسأل المريض عمّا عند الطيب، و يحرض الحبيب على تعرّف أحوال الحبيب، فذكر أنه لم يتحمّل غير تلك السيّحة المغنيّة في الاختصار، المجحفه بحظّي الأسماع و الأبصار، فهمت بالعتب، على البخيل بالكتب، ثم عذرت سيدي بما يعترى مثله من شواغل تطرق، و خواطر تومض و تبرق، و إذا كان آمنا سره، مهتأ شربه، فهو الأمل، و يقنع هذا المجمل، و إن كان التفسير هو الأكمل، و ما ثمّ ما يعمل، و ودّه في كلّ حال ودّه، و الله سبحانه بالتوفيق يمدّه، و السلام». و كانت لسان الدين رحمه الله تعالى مخاطبات كثيرة لسلطان الدولة و أعيانها، دلّت على قوة عارضته في البلاغة، و قد ألمعنا بجملته منها في هذا الكتاب في مواضع و لم نكثر منها طلبا للاختصار أو التوسّط بحسب ما اقتضاه الباعث في الحال، و الله سبحانه و تعالى يبلغ الآمال، و يزكى الأعمال.

[من إنشائه على لسان سلطانه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم]

و من نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما كتبه عن السلطان أبى الحجاج يوسف بن نصر إلى سيد العالمين صلى الله عليه و سلم إثر نظم، و نصّ الكلّ هو: [الطويل]

إذا فاتنى ظلّ الحمى و نعيمه فحسب فؤادى أن يهبّ نسيمه
و يقنعنى أنى به متكّنّف فزمزمه دمعى و جسمى حطيمه
يعود فؤادى ذكر من سكن الغضا فيقعده فوق الغضا و يقيمه
و لم أر شيئا كالنسيم إذا سرى شفى سقم القلب المشوق سقيمه
نعللّ بالتذكار نفسا مشوقه ندير عليها كأسه و نديمه
و ما شفنى بالغور قد مرّح و لا شاقنى من وحش و جرة ريمه
و لا سهرت عيني لبرق ثنيته من الثغر يبدو موهنا فأشيمه
برانى شوق للنبيّ محمد يسوم فؤادى برحه ما يسومه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٦٧

ألا يا رسول الله ناداك ضارع على النأى محفوظ الوداد سليمان
مشوق إذا ما الليل مدّ رواقه تهّم به تحت الظلام همومه
إذا ما حديث عنك جاءت به الصبا شجاه من الشوق الحثيث قديمه
أ يجهر بالتجوى و أنت سميعها و يشرح ما يخفى و أنت عليه
و تعوزه السقيا و أنت غياثه و تتلفه الشكوى و أنت رحيمه
بنورك نور الله قد أشرق الهدى فأقماره و ضاحه و نجومه
لك انهلّ فضل الله بالأرض ساكبا فأنواؤه ملتفه و غيومه
و من فوق أطباق السماء بك اقتدى خليل الذى أوطا كها و كلمه
لك الخلق الأرضى الذى جلّ ذكره و مجدك فى الذكر العظيم عظيمه
يجلّ مدى عليك عن مدح مادح فموسر درّ القول فيك عديمه
ولى يا رسول الله فيك وراثه و مجدك لا ينسى الذمام كريمه

و عندى إلى أنصار دينك نسبةً هي الفخر لا يخشى انتقالاً مقيمه
و كان بوذى أن أزور موباً بك افتخرت أطلاله و رسومه
و قد يجهد الإنسان طرف اعترامه و يعوزه من بعد ذاك مرومه
و عذرى فى تسويف عزمى ظاهر إذا ضاق عذر العزم عمن يلومه
عدتنى بأقصى الغرب عن تربك العدا جلالقه الثغر الغريب و رومه
أجاهد منهم فى سبيلك أمه هي البحر يعيب أمرها من يرومه
فلو لا اعتناء منك يا ملجأ الورى لربح حماه و استييح حريمه
فلا تقطع الحبل الذى قد وصلته فمجدك موفور التوال عميمه
و أنت لنا الغيث الذى نستدره و أنت لنا الظل الذى نستديمه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٦٨
و لما نأت دارى و أعوز مطمعى و ألقنى شوق يشب جحيمه
بعثت بها جهد المقل معولا على مجدك الأعلى الذى جل خيمه
و كلت بها همى و صدق قريحتي فساعدنى هاء الروى و ميمه
فلا تنسنى يا خير من وطئ الثرى فمثلك لا ينسى لديه خديمه
عليك صلاة الله ما ذر شارق و ما راق من وجه الصباح و سيمه

«إلى رسول الحق، إلى كافه الخلق، و غمام الرحمه الصادق البرق، الحائز فى ميدان اصطفاء الرحمن قصب السبق، خاتم الأنبياء، و إمام
ملائكة السماء، و من وجبت له النبوة و آدم بين الطين و الماء، شفيع أرباب الذنوب، و طيبب أدواء القلوب، و الوسيلة إلى علمام
الغيوب، نبي الهدى الذى طهر قلبه، و غفر ذنبه، و ختم به الرسالة ربّه، و جرى فى النفوس مجرى الأنفاس حبه، الشفيع المشفع يوم
العرض، المحمود فى ملا السماء و الأرض، صاحب اللواء المنشور يوم الثشور، و المؤتمن على سر الكتاب المسطور، و مخرج الناس
من الظلمات إلى النور، المؤيد بكفاية الله و عصمته، الموفور حظّه من عنايته و نعمته، الظل الخفاق على أمته، من لو حازت الشمس
بعض كماله ما عدت إشراقا، أو كان للآباء رحمه قلبه ذابت نفوسهم إشفاقا، فائدة الكون و معناه، و سر الوجود الذى بهر الوجود
سناء، و صفى حضرة القدس الذى لا ينام قلبه إذا نامت عيناه، البيرق الذى سبقت له البشرى، و رأى من آيات ربّه الكبرى، و نزل عليه
سبحان الذى أشيرى [سورة الإسراء، الآية: ١] من الأنوار من عنصر نوره مستمدّه، و الآثار تخلق و آثاره مستجدّه، من طوى بساط
الوحى لفقده، و سد باب الرسالة و النبوة من بعده، و أوتى جوامع الكلم فوقفت البلغاء حسرى دون حدّه، الذى انتقل فى الغرر
الكريمة نوره، و أضاءت لميلاده مصانع الشام و قصوره، و طفقت الملائكة تجيئه و فودها و تزوره، و أخبرت الكتب المنزلة على
الأنبياء بأسمائه و صفاته، و أخذ عهد الإيمان به على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته، المفزع الأمتع يوم الفرع الأكبر، و السند
المعتمد عليه فى أهوال المحشر، ذو المعجزات التى أثبتتها المشاهدة و الحس، و أقر بها الجنّ و الإنس، من جماد يتكلم، و جذع
لفراقه يتألم، و قمر له ينشق، و حجر يشهد أن ما جاء به هو الحق، و شمس بدعائه عن مسيرها تجبس، و ماء من بين أصابعه يتبجس، و
غمام باستسقائه يصب،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٦٩

و طوى بصق فى أجاجها فأصبح ماؤها و هو العذب المشروب، المخصوص بمناقب الكمال و كمال المناقب، المسمى بالحاشر العاقب،
ذى المجد البعيد المرامى و المراقب، أكرم من رفعت إليه وسيلة المعترف المغترب، و نجحت لديه قربة البعيد و المقرب، سيد الرسل
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذى فاز بطاعته المحسنون، و استنقذ بشفاعته المذنبون، و سعد باتباعه الذين لا خوف عليهم و لا

هم يحزنون، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لمع برق، و همع ودق، و طلعت شمس، و نسخ اليوم أمس:

«من عتيق شفاعته، و عبد طاعته، المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به، المستشفى بذكره كلما تألم، المفتتح بالصلاة عليه كلما تكلم، الذى إن ذكر تمثّل طلوعه بين أصحابه و آله، و إن هبّ النسيم العاطر وجد فيه طيب خلاله، و إن سمع الأذان تذكّر صوت بلاله، و إن ذكر القرآن استشعر تردّد جبريل بين معاهده و خلاله، لا-ثم تربه، و مؤمل قربه، و رهين طاعته و حبه، المتوسّل به إلى رضا الله ربّه، يوسف بن إسماعيل بن نصر:

«كتبه إليك يا رسول الله و الدمع ماح، و خيل الوجد ذات جماح، عن شوق يزداد كلما نقص الصبر، و انكسار لا يتاح له إلا بدنو مزارك الجبر، و كيف لا- يعيب مشوقك الأمر، و توطأ على كبده الجمر، و قد مطلت الأيام بالقدوم على تربك المقدّسة للحد، و وعدت الآمال و دانت بإخلاف الوعد، و انصرفت الرفاق و العين بنور ضريحك ما اكتحلت، و الركائب إليك ما رحلت، و العزائم قالت و ما فعلت، و النواظر فى تلك المشاهد الكريمة لم تسرح، و طيور الآمال عن و كور العجز لم تبرح، فيا لها من معاهد فاز من حيّاه، و مشاهد ما أعطر رباها! بلاد نيّط بها عليك التمام، و أشرقت بنورك منها النجود و التهائم، و نزل فى حجراتها عليك الملك، و انجلى بضيء فرقانك فيها الحلّك، مدارس الآيات و السور، و مطالع المعجزات السافرة الغرر، حيث قضيت الفروض و حتمت، و افتتحت سورة الرحمن و ختمت، و ابتدئت الملة الحنيفية و تمّت، و نسخت الآيات و أحكمت:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٧٠

«أما و الذى بعثك بالحقّ هاديا، و أطلعك للخلق نورا باديا، لا يطفى غلتي إلا شربك، و لا يسكن لوعتي إلا قربك، فما أسعد من أفاض من حرم الله إلى حرمك، و أصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيف كرمك، و عقر الخدّ فى معاهدك و معاهد أسرّتك، و تردّد ما بين دارى بعثتك و هجرتك! و إنى لما عاقتنى عن زيارتك العوائق و إن كان شغلى عنك بك، و عدتني الأعداء فيك عن وصل سببى بسببك، و أصبحت بين بحر تتلاطم أمواجه، و عدوّ تتكاثف أفواجه، و يحجب الشمس عند الظهيرة عجاجة، فى طائفة من المؤمنين بك و طنوا على الصبر نفوسهم، و جعلوا التوكّل على الله و عليك لبوسهم، و رفعوا إلى مصارحتك رؤوسهم، و استعذبوا فى مرضاه الله تعالى و مرضاتك بوسهم، يطيرون من هية إلى أخرى، و يلتفتون و المخاوف عن يمنى و يسرى، و يقارعون و هم الفئة القليلة جموعا كجموع قيصر و كسرى، لا يبلغون من عدوّ هو الدّرّ عند انتشاره، عشر معشاره، قد باعوا من الله تعالى الحياة الدنيا، لأن تكون كلمة الله تعالى هى العليا، فيا له من سرب مروع، و صربخ إلا منك ممنوع، و دعاء إلى الله و إليك مرفوع، و صبية حمر الحواصل، تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل، و الصليب قد تمطى فمدّ ذراعيه، و رفعت الأطماع بضبعيه، و قد حجبت بالقتام السماء، و تلاطمت أمواج الحديد، و البأس الشديد، فالتقى الماء، و لم يبق إلا الذّماء، و على ذلك فما ضعفت البصائر و لا ساءت الظنون، و ما وعد به الشهداء تعتقده القلوب حتى تكاد تشاهده العيون، إلى أن نلقاك غدا إن شاء الله تعالى و قد أبلينا العذر، و أرغمنا الكفر، و أعملنا فى سبيل الله تعالى و سبيلك البيض و السيمر. استنبت رقتى هذه لتطير إليك من شوقى بجناح خافق، و تسعد من نيتى التى تصحبها برفيق موافق، فتؤدّى عن عبدك و تبلى، و تعفر الخدّ فى تربك و تمرغ، و تطيب برّيا معاهدك الطاهرة و بيوتك، و تقف و قوف الخضوع و الخشوع تجاه تابوتك، و تقول بلسان التملق، عند التشبّت بأسبابك و التعلّق، منكسرة الطّرف، حذرا بهرجها من عدم الصرف:

يا غياث الأمة، و غمام الرحمة، ارحم غربتى و انقطاعى، و تغمّد بطولك قصر باعى، و قو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٧١

على هيبتك خور طباعى، فكم جزت من لّج مهول، و جبت من حزون و سهول، و قابل بالقبول نيابتي، و عجزل بالرضا إجابتي. و معلوم من كمال تلك الشّيم، و سجاياتييك الدّيم، أن لا يخيب قصد من حطّ بفنائها، و لا يظمأ وارد أكبّ على إنائها.

اللّهم، من جعلته أول الأنبياء بالمعنى و آخرهم بالصورة، و أعطيته لواء الحمد يسير آدم فمن دونه تحت ظلّاله المنشورة، و ملكت أمته

ما زوى له من زوايا البسيطة المعمورة، و جعلتني من أمته المجلولة على حبه المفطورة، و شوقتنى إلى معاهده المبرورة، و مشاهده المزورة، و وكلت لسانى بالصلاة عليه، و قلبى الحنين إليه، و رغبتنى بالتماس ما لديه، فلا تقطع منه أسابى، و لا تحرمنى من حبه ثوابى، و تداركنى بشفاعته يوم أخذ كتابى.

«هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت داره، و شطّ مزاره، و لم يجعل بيده اختياره. فإن لم تكن للقبول أهلا فأنت للإغضاء و السماح أهل، و إن كانت ألفاظها و عره فجنابك للقاصدين سهل، و إن كان الحب يتوارث كما أخبرت، و العروق تدسّ حسبما إليه أشرت، فلى بانتسابى إلى سعد عميد أنصارك مزىة، و وسيلة أثيرة حفيّة، فإن لم يكن لى عمل ترتضيه فلى نية، فلا تنسنى و من بهذه الجزيرة المفتحة بسيف كلمتك، على أيدى خيار أمتك، فإنما نحن بها وديعة تحت بعض أفعالك، نعوذ بوجه ربك من إغفالك، و نستنشق من ريح عنايتك نفحة، و نرتقب من محيا قبولك لمححة، ندافع بها عدوا طغى و بغى، و بلغ من مضايقتنا ما ابتغى، فمواقف التمحيص قد أعت من كتب و ورّخ، و البحر قد أصمت من استصرخ، و الطاغية فى العدوان مستبصر، و العدو محلّق و الولّى مقصّر. و بجاهك ندفع ما لا نطيق، و بعنايتك نعالج سقيم الدّين فيفيق، فلا تفردنا و لا تهملنا، و ناد ربك فىنا، ربنا و لا تحمّلنا [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦]، و طوائف أمتك حيث كانوا، عناية منك تكفيهم، و ربك يقول لك و قوله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٧٢

الحقّ و ما كان الله ليعدّ بهم و أنت فيهم [سورة الأنفال، الآية: ٣٣] و الصلاة و السلام عليك يا خير من طاف و سعى، و أجاى داعيا إذا دعا، و صلى الله على جميع أحزابك و آلك، صلاة تليق بجلالك، و تحقّ لكمالك، و على ضجيعيك و صديقيك، و حبيبيك و رفيقيك، خليفتك فى أمتك، و فاروقك المستخلف بعده على جلتك، و صهرك ذى الثورين المخصوص ببرك و نحلتك، و ابن عمك سيفك المسلول على حلتك، بدر سمائك و والد أهلتك، و السلام الكريم عليك و عليهم كثيرا أثيرا، و رحمة الله تعالى و بركاته. و كتب بحضرة جزيرة الأندلس غرناطة، صانها الله تعالى و وقاها! و دفع عنها ببركتك كيد عداها! انتهت الرسالة.

و كتب أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم على لسان مخدومه السلطان الغنى بالله محمد بن السلطان أبى الحجاج- رحم الله تعالى الجميع!- ما صورته: [الطويل]

دعاك بأقصى المغربين غريب و أنت، على بعد المزار، قريب

مدلّ بأسباب الرجاء و طرفه غضيض على حكم الحياء مريب

يكلف قرص البدر حمل تحية إذا ما هوى و الشمس حين تغيب

لترجع من تلك المعالم غدوة و قد ذاع من ردّ التحية طيب

و يستودع الريح الشمال شمائل من الحب لم يعلم بهنّ رقيب

و يطلب فى جيب الجيوب جوابها إذا ما أطلت و الصباح جنب

و يستفهم الكفّ الخضيب و دمه غراما بحناء النجيع خضيب

و يتبع آثار المطى مشيعا و قد زمزم الحادى و حنّ نجيب

إذا أتر الأخفاف لاحت محاربا يخزّ عليها راكعا و ينيب

و يلقي ركاب الحجّ و هى قوافل طلاح و قد لئى النداء لبيب

فلا قول إلا أنه و توجّع و لا حول إلا زفرة و نحيب

غليل و لكن من قبولك منهل عليل و لكن من رضاك طيب

ألا ليت شعرى و الأمانى ضلّة و قد تخطىء الآمال ثم تصيب

أ ينجد نجد بعد شحط مزاره و يكثب بعد البعد منه كثيب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٧٣
و تقضى ديونى بعد ما مطل المدى و ينفذ بيعى و المبيع معيب
و هل أقتضى دهرى فيسمح طائعا و أدعو بحظى مسمعا فيجيب
و يا ليت شعرى هل لحومى مورد لديك؟ و هل لى فى رضاك نصيب
و لكنك المولى الجواد و جاره على أى حال كان ليس يخيب
و كيف يضيق الذرع يوما بقاصد و ذاك الجناب المستجار رحيب
و ما هاجنى إلّا تألق بارق يلوح بفود الليل منه مشيب
ذكرت به ركب الحجاز و جيرة أهاب بها نحو الحبيب مهيب
فبتّ و جفنى من لآلىء دمه غنى و صبرى للشجون سليب
ترنحنى الذكرى و يهفو بى الهوى كما مال غصن فى الرياض رطيب
و أحضر تعليلا لشوقى بالمنى و يطرق وجد غالب فأغيب
مرامى، لو أعطى الأمانى، زوره بيتّ غرام عندها و وجيب
فقول حبيب إذ يقول تشوقا عسى وطن يدنو إلى حبيب
تعجبت من سيفى و قد جاور الغضا بقلبى فلم يسبكه منه مذيب
و أعجب أن لا يورق الرمح فى يدى و من فوّه غيث المشوق سكيب
فيا سرح ذاك الحى لو أخلف الحيا لأغناك من صوب الدموع صيب
و يا هاجر الجوّ الجديد تلبثنا فعهدى رطب الجانبين خصيب
و يا قادح الزند الشّحاح ترفقا عليك فشوقى الخارجى شيب
أيا خاتم الرسل المكين مكانه حديث الغريب الدار فيك غريب
فؤادى على جمر البعاد مقلّب يماح عليه للدموع قلب
فو الله ما يزداد إلّا تلهبا أ أبصرت ماء ثار عنه لهيب
فليلته ليل السليم و يومها إذا شدّ للشوق العصاب عصب
هو اى هدى فيك اهتديت بنوره و منتسبى للصحب منك نسيب
و حسبى على أنى لصحبك منتم و للخزرجيين الكرام نسيب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٧٤
عدت عن مغانيك المشوقة للعدا عقارب لا يخفى لهنّ ديب
حراص على إطفاء نور قدحته فمستلب من دونه و سليب
فكم من شهيد فى رضاك مجدل يظللّه نسر و يندب ذيب
تمرّ الرياح الغفل فوق كلومهم فتعقب من أنفاسها و تطيب
لنصرك عنك الشغل من غير منّه و هل يتساوى مشهد و مغيب
فإن صحّ منك الحظّ طاوعنى المنى و يبعد مرمى السهم و هو مصيب
و لو لاك لم يعجم من الروم عودها فعود الصليب الأعجمى صليب
و قد كانت الأحوال، لو لا مراغب ضمنت و وعد بالظهور، تريب

فما شئت من نصر عزيز و أنعم أثاب بهن المؤمنين مثيب
 مناير عز أذن الفتح فوقها و أفصح للعضب الطرير خطيب
 نقود إلى هيجائها كل صائل كما ريع مكحول اللحاظ ريب
 و نجات من سرد اليقين مدارعا يكفتها من يجتنى و يثيب
 إذا اضطرب الخطى حول غدورها يروقك منها لجة و قضيب
 فعذرا و إغضاء و لا تنس صارخا بعزك يرجو أن يجيب مجيب
 و جاهك بعد الله نرجو، و إنه لحظ مليء بالفاء رغب
 عليك صلاة الله ما طيب الفضا عليك مطيل بالثناء مطيب
 و ما اهتر قد للغصون مرّح و ما افتّر ثغر للبروق شيب

«إلى حجّة الله تعالى المؤيّد ببراهين أنواره، و فائدة الكون و نكته أدواره، و صفوة نوع البشر و منتهى أطواره، إلى المجتبي و موجود
 الوجود لم يغن بمطلق الوجود عديمه، المصطفى من ذرّيّة آدم قبل أن يكسو العظام أديمه، المحتوم فى القدم، و ظلمات العدم، عند
 صدق القدم، تفضيله و تقديمه، إلى وديعة النور المنتقل فى الجباه الكريمة و الغرر، و ذرة الأنبياء التى لها الفضل على

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٧٥

الدّرر، و غمام الرحمة الهامية الدّرر، إلى مختار الله تعالى المخصوص باجتماعه، و حبيبه الذى له المزية على أحبائه، و ذرّيّة أنبياء الله
 تعالى آبائه، إلى الذى شرح صدره و غسله، ثم بعثه واسطة بينه و بين العباد و أرسله، و أتمّ عليه إنعامه الذى أجز له، و أنزل عليه من
 الهدى و النور ما أنزله، إلى بشرى المسيح و الذبيح، و من لهم التجر الرياح، المنصور بالرعب و الريح، المخصوص بالنسب الصريح،
 إلى الذى جعله فى المحول غماما، و للأنبياء إماما، و شقّ صدره لتلقّى روح أمره غلاما، و أعلم به فى التوراة و الإنجيل إعلاما، و علم
 المؤمنين صلاة عليه و سلاما، إلى الشفيح الذى لا تردّ فى العصاة شفاعته، و الوجيه الذى قرنت بطاعة الله تعالى طاعته، و الرؤوف
 الرحيم الذى خلصت إلى الله تعالى فى أهل الجرائم ضراعتة، صاحب الآيات التى لا يسع ردها، و المعجزات التى أربى على الألف
 عدّها، فمن قمر شقّ، و جذع حنّ له و حقّ، و بنان يتفجّر بالماء، فيوقم برىّ الظماء، و طعام يشبع الجمع الكثير يسيره، و غمام يظلل به
 مقامه و مسيره، خطيب المقام المحمود إذا كان العرض، و أول من تشقّق عنه الأرض، و وسيلة الله تعالى التى لولاها ما أقرض القرض،
 و لا- عرف التفل و الفرض، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المحمود الخلال من ذى الجلال، الشاهد
 بصدقه صحف الأنبياء و كتب الأرسال، و آياته التى أثلجت القلوب ببرد اليقين السلسال، صلى الله عليه و سلم ما ذرّ شارق، و أومض
 بارق، و فرّق بين اليوم الشامس و الليل الدامس فارق، صلاة تتأرّج على شذى الزهر، و تتبّلع عن سنا الكواكب الزهر، و تتردّد بين
 السّرّ و الجهر، و تستغرق ساعات اليوم و أيام الشهر، و تدوم بدوام الدهر:

«من عبد هداه، و مستقرى مواقع نداءه، و مزاحم أبناء أنصاره فى منتداه، و بعض سهامه المفوقه إلى نحور عداه، مؤمل العتق من النار
 بشفاعته، و محرز طاعة الجبار بطاعته، الآمن باتصال رعيه من إهمال الله تعالى و إضاعته، متخذ الصلاة عليه وسائل نجاه، و ذخائر فى
 الشدائد مرتجاء، متاجر بضائعها غير مزجاء، الذى ملأ بحبه جوانح صدره، و جعل فكره هالة لبدرة، و أوجب حقه على قدر العبد لا
 على قدره، محمد بن يوسف بن نصر الأنصارى الخزرجى، نسيب سعد بن عبادة من أصحابه، و بوارق سحابه، و سيوف نصرته، و
 أقطاب دار هجرته، ظلّله الله تعالى يوم الفزع الأكبر من رضاك عنه بظلال الأمان! كما أنار قلبه من هدايتك بأنوار الهدى و الإيمان،
 و جعله من أهل السياحة فى فضاء حبك و الهيمن!

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٧٦

«كتبه إليك يا رسول الله و اليراع تقتضى الهيبة صفرة لونه، و المداد يكاد أن يحول سواد جونه، و ورقة الكتاب يخفق فزادها حرصا

على حفظ اسمك الكريم و صونه، و الدمع يقطر فتنقط به الحروف و تفصل الأسطر، و توهم المشول بمشواك المقدس لا يمر بالخاطر سواء و لا يخطر، عن قلب بالبعد عنك قريح، و جفن بالبكاء جريح، و تأوه عن تبريح، كلما هب من أرضك نسيم ريح، و انكسار ليس له إلا جبرك، و اغتراب لا يؤنس فيه إلا قربك، و إن يقض فقبرك، و كيف لا يسلم في مثلها الأسى، و يوحش الصباح و المساء، و يرجف جبل الصبر بعد ما رسا، لو لا لعل و عسى، فقد سارت الركبان إليك و لم يقض مسير، و حومت الأسراب عليك و الجناح كسير، و وعدت الآمال فأخلفت، و حلفت العزائم فلم تف بما حلفت، و لم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأثيل، إلا على التمثيل، و لا- من المعالم الملمتسة التنوير، إنما على التصوير، مهبط وحى الله تعالى و منتزل أسمائه، و متردد ملائكة سمائه، و مدافن أوليائه، و ملاحد أصحاب خيرة أنبيائه، رزقنى الله تعالى الرضا بقضائه، و الصبر على جاحم البعد و رمضائه. من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الإسلام بالأندلس قاصية سيلك، و مسحبه رجلك يا رسول الله و خيلك، و أنأى مطارح دعوتك و مساحب ذيلك، حيث مصاف الجهاد فى سبيل الله و سبيلك قد ظللها القتام، و شهبان الأسنه أطلعها منه الإعتم، و أسواق بيع النفوس من الله تعالى قد تعدد بها الأيامى و الأيتام، حيث الجراح قد تحلت بعسجد نجيعها النحور، و الشهداء تحف بها الحور، و الأمم الغريبة قد قطعها عن المدد البحور، حيث المباسم المفتره، تجلوها المصارع البره، فتحيها بالعراء ثغور الأزاهر، و تندبها صوادح الأدواح برنات تلك المزاهر، و تحمل السحاب أشلاءها المعطله من ظلها بالجواهر، و حيث الإسلام من عدوه المكاييد بمنزلة قطره من عارض غمام، و حصاه من ثبير أو شمام، و قد سدت الطريق، و أسلم الفراق الفریق، و أغص الریق، و يس من الساحل الغریق، إلا أن الإسلام بهذه الجهه المتمسكه بحبل الله تعالى و حبلك، المهديه بأدله سبلك، سالم و الحمد لله تعالى من الانصداع، محروس بفضل الله تعالى من الابتداع، مقدود من جديد المله، معدوم فيه وجود الطوائف المضله، إلا ما يخص الكفر من هذه العله،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٧٧

و الاستظهار على جمع الكثره من جموعه بجمع القله. و لهذه الأيام، يا رسول الله، أقام الله تعالى أوده بازًا بوجهك الوجيه و رعيا، و إنجازا لوعدك و هو الذى لا يخلف و عدا و لا يخيب سعيا، و فتح لنا فتوحا أشعرتنا برضاه عن وطننا الغيب، و بشرتنا منه تعالى بغفر التقصير و رفع التثريب، و نصرنا و له المنه على عبده الصليب، و جعل لألفنا الردينى و لامنا السردى حكم التغليب، و إذا كانت الموالى التى طوقت الأعناق منها، و قررت العوائد الحسان سيرها و سننها، تبادر إليها نوابها الصرحاء و خدامها النصحاء بالبشائر، و المسرات التى تشاع فى العشائر، و تجلو لديها نتائج أيديها، و غايات مباديها، و تتاحفها و تهاديها، بمجانى جناتها و أزاهر غواديهها، و تطرف محاضرها بطرف بواديها، فبابك يا رسول الله أولى بذلك و أحق، و لك الحق الحق، و الحر منا عبدك المسترق، حسبما سبجله الرق، و فى رضاك من كل من يلتمس رضاه المطمع، و مشواك المجمع، و ملوك الإسلام فى الحقيقة عبيد سدتك المؤمله، و خول مثابتك المحسنه بالحسنات المجمله، و شهب تشو إلى بدورك المكمله، و بعض سيوفك المقلده فى سبيل الله تعالى المحمله، و حرسه مهادك، و سلاح جهادك، و بروق عهادك. و إن مكفول احترامك الذى لا يخفر، و ربى إنعامك الذى لا يكفر، و ملتحف جاهك الذى يمحي ذنبه بشفاعتك إن شاء الله تعالى و يغفر، يطالع روضه الجنه المفتحة أبوابها بمشواك، و يفتح صوان القدس الذى أجتك و حواك، و ينثر بضائع الصلاة عليك بين يدي الضريح الذى طواك، و يعرض جنى ما غرست و بذرت، و مصداق ما بشرت به لما بشرت و أندرت، و ما انتهى إليه طلق جهادك، و مصب عهادك، لتقر عين نصحك التى أنام العيون الساهره هجوعها، و أشع البطون و رواها ظمؤها فى الله تعالى و جوعها، و إن كانت الأمور بمرأى من عين عنايتك، و غيبها متعزف بين إفصاحك و كنايتك، و مجمله يا رسول الله صلى الله عليك، و بلغ وسيلتى إليك، هو أن الله سبحانه لَمَّا عرفنى لطفه الخفى فى التمحيص، المقتضى عدم المحييص، ثم فى التخصيص، المغنى بعيانه عن التنصيص، وفق ببركاتك الساربه رحمتها فى القلوب، و وسائل محبتك العائده بنيل المطلوب، إلى استفادة عظه و اعتبار، و اغتنام إقبال بعد إدبار، و مزيد استبصار، و استعانه بالله تعالى و انتصار، فسكن هبوب الكفر بعد إعصار، و حل محقق الإسلام بعد حصار، و جرت على سنن السنه بحسب الاستطاعه و المنه السيره، و جبرت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٧٨

بجاهك القلوب الكسيرة، وسهلت المآرب العسيرة، ورفع بيد العزة الضيم، وكشف بنور البصيرة الغيم، وظهر القليل على الكثير، وباء الكفر بخطّة الثعثير، واستوى الدين الحنيف على المهاد الوثير، فاهتبلنا يا رسول الله غرة العدو وانتزناها، وشمنا صوارم غرة العدو وهزناها، وأزحنا علل الجيوش و جهزناها. فكان ممّا ساعد عليه القدر، والخطب المبتدر، والورد الذى حصل بعده الصّيدر، أننا عاجلنا مدينة برغه، وقد جرّعت الأختين ما علقه و رنده، من مدائن دينك، و مزابن ميادينك، أكؤس الفراق، و أذكرت مثل من بالعراق، و سدّت طرق التزاور عن الطّراق، و أسالت المسيل بالنجيع المراق، فى مراصد المراد و المراق، و منعت المراسلة مع هذى الحمام، لا- بل مع طيف المنام عند الإلمام، فيسير الله تعالى اقتحامها، و ألحمت بيض الشفار فى زرق الكفار إحامها، و أزال بشر السيوف من بين تلك الحروف إقامها، فانطلق المسرى، و استبشرت القواعد الحسرى، و عدمت بطريقها المخيف مصارع الصّرعى و مثاقف الأسرى، و الحمد لله على فتحه الأسنى و منحه الأسرى، و لا إله إلا هو منقل قيصر و كسرى، و فاتح مغلقاتها المنيعه قسرا، و استولى الإسلام منها على قرار جنات، و أم بنات، و قاعدة حصون، و شجرة غصون، طهّرت مساجدها المغتصبه المكرهه، و فجع بحفظها الفيل الأفيال و أبرهه، و انطلقت بذكر الله الألسنة المدرهه، و فاز بسبق ميدانها جياذك الفرّهه، هذا و طاغية الروم على توفّر جموعه، و هول مرثيه و مسموعه، قريب جواره، بحيث يتصل خواره، و قد حرّك إليها الحنين حواره. ثم نازل المسلمون بعدها شجا الإسلام الذى أعيا النطاسى علاجه، و كرك هذا القطر الذى لا- تطاول أعلامه و لا تصاول أعلاجه، و ركاب الغارات التى تطوى المراحل إلى مكايده المسلمين طى البرود، و حجر الحيات التى لا- تخلع على اختلاف الفصول جلود الزرود، و منغص الورود فى العذب المورد، و مغصّ المضاجع، و حلم الهاجع، و مجهّز الخطب الفاجىء الفاجع، و مستدرّك فاتكه الراجع، قبل هبوب الطائر الساجع، حصن أشب حماه الله تعالى دعاء لا خبرا، كما جعله للمتفكرين فى قدرته معتبرا،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٨؛ ص ٧٨

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٧٩

فأحاطوا به إحاطة القلادة بالجيد، و أذلّوا عزّه بعزة ذى العرش المجيد، و حفت به الرايات يسمها وسمك، و يلوح فى صفحاتها اسم الله تعالى و اسمك، فلا ترى إلا نفوسا تتزاحم على مورد للشهادة أسرابها، و ليوثا يصدق فى الله تعالى ضرابها، و أرسل الله عليها رجزا إسرائيليا من جراد السهام، تشد آياته عن الأفهام، و سدّد إلى الجبل النفوس القابلة للإلمام، من بعد الاستغلاق و الاستبهاج، و قد عبثت جوارح صخوره فى قنائص الهام، و أعيا صعبه على الجيش اللّهام، فأخذ مسائغه النقض و النقب، و رغا فوق أهله السيقب، و نصبت المعارج و المراقى، و قرعت المناكب و التراقى، و اغتمت الصادقون مع الله تعالى الحظّ الباقي، و قال الشهيد السابق: يا فوز استباقي، و دخل البلد فالتحم السيف، و استلب البحت و الزيف، ثم استخلصت القصبه فعلت أعلامك فى أبراجها المشيده، و ظفر ناشد دينك منها بالنشيده، و شكر الله تعالى فى قصدها مساعى النصائح الرشيده، و عمل ما يرضيك يا رسول الله فى سدّ ثلمها، و صون مستلمها، و مداواة ألمها، حرصا على الاقتداء فى مثلها بأعمالك، و الاهتداء بمشكاة كمالك، و رتب فيها حماه تشجى العدو، و تصل فى مرضاه الله تعالى و مرضاتك برواحها الغدوّ. ثم كان الغزو إلى مدينة إطريرة بنت حاضرة الكفر إشبيلية التى أظلتها بالجنح الساتر، و أنامتها فى ضمان الأمان للحسام الباتر، و قد وتر الإسلام من هذه المومسه البائسه بوتر الواتر، و أحفظ منها بأذى الوقاح المهاتر، لما جرّته على أسراه من عمل الخائل الخاتر، حسب المنقول لا بل المتواتر، فطوى إليها المسلمون المدى النازح، و لم تشك المطى الروازح، و صدق فى الجدّ جدّها المازح، و خفقت فوق أوكارها أجنحة الأعلام، و غشيتها أفواج الملائكة الموسومه و ظلال الغمام، و صابت من السهام ودق الرّهام، و كاد يكفى السهام على الأرض ارتجاج أطواها بكلمة الإسلام، و قد صمّ خاطب عروس الشهادة عن الملام، و سمح بالعزير المصون مبيع الملك العلام، و تكلم لسان الحديد الصامت و صمت إلا بذكر الله لسان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٨٠

الكلام، و وقت الأوتار بالأوتار، و وصل بالخطى درع الأبيض البتار، و سلطت النار على أربابها، و أذن الله تعالى فى تبار تلك الأمة و تبابها، فنزلوا على حكم السيف آلافا، بعد أن أتلفوا بالسلاح إتلافا، و استوعب المقاتلة أكنافا، و قرنوا فى الجدل أكتافا، و حملت العقائل و الخرائد، و الولدان و الولائد، إركابا من فوق الظهور و إردافا، و أقلت منها أفلاك الحمول بدورا تضىء من ليالى المحاق أسدافا، و امتلأت الأيدى من المواهب و الغنائم، بما لا- يصوره حلم النائم، و تركت العوافى تتداعى إلى تلك الولائم، و تفتن من مطاعمها فى الملائم، و شنت الغارات على حمص فجللت خارجها مغارا، و كست كبار الروم بها صغارا، و أجحرت أبطالها إجحارا، و استاقت من النعم ما لا يقبل الحصر استبحارا. و لم يكن إلّا أن عدل القسم، و استقلّ بالقفول العزيز الرسم، و وضح من التوفيق الوسم، فكانت الحركة إلى قاعدة جيان قيعه الظل الأبرد، و نسيجه المنوال المفرد، و كناس الغيد الخرد، و كرسى الإمارة، و بحر العماره، و مهوى هوى الغيث الهتون، و حزب التين و الزيتون، حيث خندق الجنة تدنو لأهل النار مجانيه، و تشرق بشواطئ الأنهار إشراق الأزهار زهر مبانيه، و القلعة التى تختمت بنان شرفاتها بخواتم النجوم، و همت من دون سحابها البيض سحائب الغيث السجوم، و العقيلة التى أبدى الإسلام يوم طلاقها، و هجوم فراقها، سمة الوجوم لذلك الهجوم، فرمتها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها الوادعة، و أجابت منادى دعوتك الصادقة الصادعة، و حبتها بالفادحة الفادعة، فغصت الرّبا و الوهاد بالتكبير و التهليل، و تجاوزت الخيل بالصّهيل، و انهالت الجموع المجاهدة فى الله تعالى انهيال الكتيب المهيل، و فهمت نفوس العباد المجاهدة فى الله تعالى حقّ الجهاد معانى التيسير من ربّها و التسهيل، و سفرت الرايات عن المرأى الجميل، و أربت المحلات المسلمة على التأميل، و لما صبحتها النواصى المقبلة الغرر، و الأعلام المكتبة الطّور، برز حاميتها مصحرين، و للحوزة المستباحة مستنصرين، فكأثرهم من سرعان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٨١

الأبطال رجل الدّبى، و نبت الوهاد و الرّبا، فأقحمهم من وراء السور، و أسرعت أقلام الرماح فى بسط عددهم المكسور، و تركت صرعاهم ولائم للسور، ثم اقتحموا ربض المدينة الأعظم فافترعوه، و جدلوا من دافع عن أسواره و صرعوه، و أكؤس الحتوف جرّعوه، و لم يتصل أولى الناس بأخراهم، و يحمد بمخيم النصر العزيز سراهم، حتى خذل الكافر الصبر و أسلم الجلد، و أنزل على المسلمين النصر فدخل البلد، و طاح فى السيل الجارف الوالد منه و الولد، و أتهم المطرف و المتلد، فكان هولاء بعيد الشناعة، و بعثا كقيام الساعة، أعجل المجانيق عن الركوع و السجود، و السلالم عن مطولة النجود، و الأيدى عن ردم الخنادق و الأغوار، و الأكبش عن مناطق الأسوار، و النفوط عن إصعاق الفجار، و عمد الحديد، و معاول البأس الشديد، عن نقب الأبراج و نقض الأحجار، فهيلت الكتبان، و أبيد الشيب و الشبان، و كسرت الصّلبان، و فجع بهدم الكنائس الرهبان، و أهبطت النواقيس من مراقبها العالية و صروحها المتعالية، و خلعت ألسنتها الكاذبة، و نقل ما استطاعته الأيدى المجاذبة، و عجزت عن الأسلاب ذوات الظهور، و جلل الإسلام شعار العزّ و الظهور، بما خلت عن مثله سواف الدهور و الأعوام و الشهور، و أعرست الشهداء و منوا النفوس المبيعة من الله تعالى نحل الصدقات و المهور، و من بعد ذلك هدم السور، و محيت عن محيطه المحكم السطور، و كاد يسير ذلك الجبل الذى اقتعدته المدينة و يدك ذلك الطور، و من بعد ما خرب الوجار، عقرت الأشجار، و عقر المنار، و سلطت على بنات التراب و الماء النار، و ارتحل عنها المسلمون و قد عمّتها المصائب، و أصمى لبتّها السهم الصائب، و جللتها القشاعم العصائب، فالذئاب فى الليل البهيم تغسل، و الضباع من الحذب البعيد تنسل، و قد ضاقت الجدل عن المخائق، و بيع العرض الثمين بالدائق، و سبكت أسورة الأسوار، و سوّيت الهضاب بالأغوار، و اكتسحت الأحواز القاصية سرايا المغوار، و حجبت بالدخان مطالع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٨٢

الأنوار، و تخلفت قاعتها عبرة للمعتبرين، و عظة للنظارين، و آية للمستبصرين، و نادى لسان الحمية، يا لثارات الإسكندرية، فأسمع أذان المقيمين و المسافرين، و أحقّ الله الحقّ بكلماته و قطع دابر الكافرين.

«ثم كانت الحركة إلى أختها الكبرى، ولدتها الحزينة عليها العبرى، مدينة أبدة ذات العمران المستبحر، و الربض الخرق المصحّر، و

المباني الشّم الأنوف، و عقائل المصانع الجمّة الحلى و الشنوف، و الغاب الأنوف، بلدة التجر، و العسكر المجر، و أفق الضّلال الفاجر الكاذب على الله تعالى الكذب الفجر، فخذل الله تعالى حاميتها التي يعيى الحساب عدّها، و سجر بحورها التي لا يرام مدّها، و حقّت عليها كلمة الله تعالى التي لا يستطيع ردّها، فدخلت لأوّل وهلة، و استوعب جمّها و المنة لله تعالى في نهلة، و لم يكف السيف من عليها و لا مهلة، فلمّا تناولها العفا و التخريب، و استباحها الفتح القريب، و أسند عن عواليها حديث النصر الحسن الغريب، و أقعدت أبراجها من بعد القيام و الانتصاب، و أضرعت مسايها لهول المصاب، انصرف عنها المسلمون بالفتح الذى عظم صيته، و العزّ الذى سما طرفه و اشربّ ليته، و العزم الذى حمد مسراه و ميته، و الحمد لله ناظم الأمر و قد رأب شتيته، و جابر الكسر و قد أفات الجبر مفيته.

«ثم كان الغزو إلى أمّ البلاد، و مثنى الطارف و التلاد، قرطبة، و ما قرطبة؟ المدينة التي على عمل أهلها في القديم بهذا الإقليم كان العمل، و الكرسي الذى بعصاه رعى الهمل، و المصر الذى له في خطّة المعمور الناقه و الجمل، و الأفق الذى هو لشمس الخلافة العبشمية الحمل، فخيم الإسلام بعقوتها المستباحة، و أجاز نهرها المعبي على السباحة، و عمّ دوحها الأشب بوارا، و أدار الكماء بسورها سوارا، و أخذ بمخفقها حصارا، و أعمل النصر بشجر نصلها اجتناء ما شاء و اهتصارا، و جدل من أبطالها من لم يرض انجحارا، فأعمل إلى المسلمين إصحارا، حتى فرع بعض جهاتها غلابا جهارا، و رفعت الأعلام إعلاما بعزّ الإسلام، و إظهارا، فلو لا استهلال الغوادى، و أن أتى الوادى، لأفضت إلى فتح الفتوح تلك المبادى، و لقضى تفته العاكف و البادى، فاقضى الرأى- و لذنب الزمان فى اغتصاب الكفر إياها متاب، تعمل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٨٣

بشره بفضل الله تعالى أفتاد و أقتاب، و لكل أجل كتاب- أن يراض صعبها حتى يعود ذلولا، و تعفى معاهدها الآهله فتترك طولولا، فإذا فجع الله تعالى بمارج النار طوائفها المارجة، و أباد بخارجها الطائره و الدارجة، خطب السيف منها أمّ خارجة، فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار و مفارق الهضاب بالهشيم قد شابت، و الغلات المستغلات قد دعا بها الفصل فما ارتابت، و كأنّ صحيفة نهرها لما أضرمت النار حافى ظهرها ذابت، و حيته فرط أمام الحريق فانسابت، و تخلفت لغمائم الدخان عمائم تلويها برءوس الجبال أيدي الرياح، و تنشرها بعد الركود أيدي الاجتياح، و أغريت بأقطارها الشاسعة، و جهاتها الواسعة، جنود الجوع، و توعدت بالجوع، فسلب أهلها لتوقع الهجوم منزور الهجوم، فأعلامها خاشعة خاضعة، و ولدانها لثدى البؤس راضعة، و الله سبحانه يوفد بخبر فتحها القريب ركاب البشرى، و ينشر رحمته قبلنا نشرا.

«ثم تنوّعت يا رسول الله لهذا العهد أحوال العدو تنوعا يوهم إفاقته من الغمره، و كادت فتنته تؤذن بخمود الجمره، و توقع الواقع، و حذر ذلك السّم الناقع، و خيف الخزق الذى يحار فيه الراقع، فتعرفنا عوائد الله سبحانه ببركه هدايتك، و موصول عنايتك، فأنزل النصر و السكينة، و مكن العقائد المكيئة، فثابت العزائم و هبت، و أطردت عوائد الإقدام و استتبت، و ما راع العدو إلّا خيل الله تعالى تجوس خلاله، و شمس الحق توجب ظلاله، و هداك الذى هديت يدحض ضلاله، و نازلنا حصنى قبيل و الحائر، و هما معقلان متجاوران يتناحى منهما الساكن سرارا، و قد اتّخذنا بين النجوم قرارا، و فصل بينهما حسام النهر يروق غرارا، و التفّ معصمه فى حلّة العصب و قد جعل الجسر سوارا، فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه، و ارتفعت أعلام الإسلام بأعلاه، و تبرّجت عروس الفتح المبين بمجلاه، و الحمد لله تعالى على ما أولاه.

«ثم تحرّكنا على تفتئة تعدى ثغر الوسطة على عدوّه المساور فى المضاجع، و مصبحة بالفاجيء الفاجع، فنازلنا حصن روطه الآخذ بالكظم، المعترض بالشّجا اعتراض العظم، و قد شحنه العدو مددا بئيسا، و لم يأل اختياره رأيا و لا تليسا، فأعيا داؤه، و استقلّت بالمدافعة أعداؤه، و لما أتلع إليه جيد المنجنيق، و قد برك عليه بروك الفنيق، و شدّ عصام المنع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٨٤

الوثيق، لجأ أهله إلى التماس العهود والمواثيق، وقد غصوا بالريق، و كاد يذهب بأبصارهم لمعان الريق، فسكناه من حامية المجاهدين بمن يحمى ذماره، و يقزّر اعتماره، و استولى أهل الثغور إلى هذا الحدّ على معاقل كانت مستغلقة ففتحوها، و شرعوا أرشية الرماح إلى قلب قلوبها فنحوها.

«و لم تكد الجيوش المجاهدة تنفض عن الأعراف متراكم الغبار، و ترخى عن آباط خيلها شدّ حزم المغار، حتى عاودت النفوس شوقها، و استتبت ذوقها، و خطبت التي لا- فوقها، و ذهبت بها الآمال إلى الغاية القاصية، و المدارك المتصعبة على الأفكار المتعاصية، فقصدنا الجزيرة الخضراء باب هذا الوطن الذي منه طرق وادعه، و مطلع الحق الذي صدع الباطل صادعه، و ثنية الفتح التي برق منها لامعه، و مشرف الهجوم الذي لم تكن لتعثر على غيره مطامعه، و فرضة المجاز التي لا تنكر، و مجمع البحرين في بعض ما يذكر، حيث يتقارب الشيطان، و يتوازي الخطان، و كاد أن تلتقى حلقتا البطان، و قد كان الكفر قدّر قدر هذه الفرضة التي طرق منها حماه، و رماه الفتح الأول بما رماه، و علم أن لا تتصل أيدي المسلمين بإخوانهم إلّا من تلقائها، و أنه لا يعدم المكروه مع بقائها، فأجلب عليها برجله و خيله، و سدّ أفق البحر بأساطيله، و مراكب أباطيله، بقطع ليله، و تداعى المسلمون بالعدوتين إلى استنقاذها من لهواته، أو إمساكها من دون مهواته، فعجز الحول، و وقع بملكه إياها القول، و احتازها قهرا، و قد صابرت الضيق ما يناهز ثلاثين شهرا، و أطرق الإسلام بعدها إطراق الواجم، و اسودّت الوجوه لخبرها الهاجم، و بكتها حتى دموع الغيث الساجم، و انقطع المدد إلّا من رحمة من ينفس الكرب، و يغرى بالإدالة الشروق و الغروب، و لما شكنا بشبا الله تعالى نحرها، و أغصصنا بجيوش الماء و جيوش الأرض تكاثر نجم السماء برّها و بحرها، و نازلنا نذيقها شديد النزال، و نجحنا بصدق الوعيد في سبيل الاعتزال، رأينا بأوا لا يظهر إلّا بالله تعالى و لا يطال، و ممنعة يتحاماها الأبطال، و جنابا روضه الغيث الهطال، أمّا أسواقها فهي التي

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٨٥

أخذت النجد و الغور، و استعدت بخلاء الجلالد عن البلاد فارتكبت الدور، تحوز بحرا من العمارة ثانيا، و تشكك أن يكون الإنس لها بانبا، و أمّا أبراجها فصوف و صنوف، تزيّن صفحات السائف منها أنوف، و آذان لها من دوامع الصخر شنوف، و أمّا خندقها فصخر مجلوب، و سور مقلوب، فصدقها المسلمون القتال بحسب محلّها من نفوسهم، و اقتران اغتصابها ببوسهم، و أقول شمسهم، فرشقوها من النبال بظلال تحجب الشمس فلا يشرق سناها، و عرجوا في المراقى البعيدة لفرعون مبنها، و نفوسها أنقابا، و حصونها عقابا، و دخلوا مدينة إبنه بنتها غلابا، و أحسبوا السيوف استلالا و الأيدي اكتسابا، و استوعب القتل مقاتلتها السابغة الجنن، البالغة المنن، فأخذهم الهول المتفاهم، و جدّلوا كأنهم الأرقام، لم تفلت منهم عين تطرف، و لا لسان يلبى من يستطلع الخبر أو يستشرف.

«ثم سمت الهمم الإيمانية إلى المدينة الكبرى فداروا سوارا على سورها، و تجاسروا على اقتحام أودية الفناء من فوق جسورها، و دفوا إليها بالضروب، من حيل الحروب، بروجا مشيدة، و مجانيق توثق جبالها منها نشيدة، و خفقت بنصر الله تعالى عذبات الأعلام، و أهدت الملائكة مدد السلام، فخذل الله تعالى كفّارها، و أكهم شفارها، و قلم بيد قدرته أظفارها، فالتمسوا الأمان للخروج، و نزلوا على مراقى العروج، إلى الأباطح و المروج، من سمائها ذات البروج، فكان بروزهم من العراء إلى الأرض، تذكرة بيوم العرض، و قد جلّس المقاتلة الصيغار، و تعلّق بالأمان النساء و الصيغار، و بوردت المدينة بالتطهير، و نطقت المآذن العالية بالأذان الشهير، و الذكر الجهير، و طرحت كفّارها التماثيل عن المسجد الكبير، و أزرى بألسنة النواقيس لسان التهليل و التكبير، و أنزلت عن الصروح أجرامها، يعي الهندام مرامها، و ألقى منبر الإسلام بها مجفوا فأنست غربته، و أعيد إليه قربه و قربته، و تلا واعظ الجمع المشهود،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٨٦

قول منجز الوعود و مورق العود و ما ظلّمناهم و لكنّ ظلّموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لَمَّا جاء أمر ربك و ما زادوهم غير تّيب (١٠١) و كذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى و هي ظالمة إن أخذة أليم شديد (١٠٢) إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الأخره ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود (١٠٣) [سورة هود، الآية: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣] فكان الدمع

يغرق الآماق، و الوجد يستأصل الأرقام، و ارتفعت الرغبات، و علت السبات، و جىء بأسرى المسلمين يرسفون فى القيود الثقال، و ينسلون من أجدات الاعتقال، ففكّت عن سوقهم أساود الحديد، و عن أعناقهم فلكات البأس الشديد، و ظلّوا بجناح اللطف العريض المديد، و ترتبت فى المقاعد الحامية، و أزهرت بذكر الله تعالى المآذن السامية، و عادت المدينة لأحسن أحوالها، و سكنت من بعد أهوالها، و عادت الجالية إلى أموالها، و رجع إلى القطر شبابه، و ردّ على دار الإسلام بابه، و اتّصلت بأهل لا إله إلاّ الله أسبابه، فهى اليوم فى بلاد الإسلام قلادة النحر، و حاضرة البرّ و البحر، أبقى الله تعالى عليها و على ما وراءها من بيوت أمتك، و دائع الله تعالى فى ذمتك، بكلمة دينك الصالحة الباقية! و سدل عليه أستار عصمته الواقية! وعدنا و الصلاة عليك شعار البروز و القفول، و هجىرى الشروق و الأفول، و الجهاد يا رسول الله الشأن المعتمد، ما امتدّ بالأجل الأمد، و المستعان الفرد الصمد.

«و لهذا العهد يا رسول الله صلّى الله عليك، و بلّغ و سىلتى إليك، بلغ من هذا القطر المرتدى بجاهك الذى لا يذلّ من أدّرع، و لا يضلّ من اهتدى بالسبيل الذى شرعه، إلى أن لاطفنا ملك الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها، و رفع التماثيل ببيوت الله تعالى و نصبها، فانجاب عنها بنورك الحلّك، و دار بإدالتها إلى دعوتك الفلّك، و عاد إلى مكاتبتها القرآن الذى نزل به على قلبك الملك، فوجبت مطالعة مقرّك النبوى بأحوال هذه الأمة المكفولة فى حجرّك، المفضلة بإدارة تجرّك، المهتدية بأنوار فجرّك، و هل هو إلاّ ثمرات سعيك، و نتائج رعيك، و بركة حبّك؟ و رضاك الكفيل برضا ربّك، و غمام رعدك، و إنجاز وعدك، و شعاع من نور سعدك، و بذر يجنى ريعه من بعدك، و نصر رايتك، و برهان آيتك، و أثر حمايتك و رعايتك؟

و استنبت هذه الرسالة مائحة بحر الندى الممنوح، و مفاتحة باب الهدى بفتح الفتوح، و فارعة المظاهر و الصروح، و ملقية الرحل بمتنزل الملائكة و الروح، لتمدّ إلى قبولك يد استمناح،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٨٧

و تطير إليك من الشوق الحثيث بجناح، ثم تقف بموقف الانكسار، و إن كان تجرّها آمنة من الخسار، و تقدم بأنس القربة، و تحجم بوحشة الغربة، و تتأخّر بالهيبة، و تجهش لطول الغيبة، و تقول: ارحم بعد دارى، و ضعف اقتدارى، و انتزاح أوطانى، و خلّو أعطانى، و قلّة زادى، و فراغ مزادى، و تقبل وسيلة اعترافى، و تغمد هفوة اقترافى، و عجل بالرضا انصراف متحملى لانصرافى، فكم جبت من بحر زاخر، و قفر بالركاب ساخر، و حاش لله تعالى أن يخيب قاصدك، أو تتخطانى مقاصدك، أو تطردنى موائدك، أو تضيق عنى عوائدك، ثم تمدّ مقتضية مزيد رحمتك، مستدعية دعاء من حضر من أمتك، و أصحبتها يا رسول الله عرضا من النواقيس التى كانت بهذه البلاد المفتحة تعين الإقامة و الأذان، و تسمع الأسماع الضالّة و الآذان، ممّا قبل الحركة، و سالم المعركة، و مكّن من نقله الأيدى المشتركة، و استحقّ بالقدوم عليك، و الإسلام بين يديك، السابقة فى الأزل البركة، و ما سواها فكانت جبالا عجز عن نقلها الهندام، فنسخ وجودها الإعدام، و هى يا رسول الله جنى من جنانك، و رطب من أفنانك، و أثر ظهر علينا من مسحة حنانك.

«هذه هى الحال و الانتحال، و العائق أن تشدّ إليك الرحال، و يعمل الترحال، إلى أن نلّقاك فى عرصات القيامة شفيعا، و نحلّ بجاهك إن شاء الله تعالى محلا رفيعا، و نقدّم فى زمرة الشهداء الدامية كلومهم من أجلك، الناهلة غلّهم من سجلّك، و نبتهل إلى الله تعالى الذى أطلعك فى سماء الهداية سراجا، و أعلى لك فى السبع الطباق معراجا، و أم الأنبياء منك بالنبي الخاتم، و قفى على آثار نجومها المشرقة بقمرّك العاتم، أن لا- يقطع عن هذه الأمة الغريبة أسبابك، و لا يسدّ فى وجوها أبوابك، و يوقفها لاتباع

هداك، و يثبت أقدامها على جهاد عداك، و كيف تعدم ترفيها، أو تخشى بخسا و أنت موفّيا، أو يعذبها الله تعالى و أنت فيها؟

و صلاة الله و سلامه تحطّ بفنائك رحال طيبها، و تهدر فى ناديك شقاشق خطيبها، ما أذكر الصباح الطلق هداك، و الغمام السكب نداك، و ما حنّ مشتاق إلى لثم ضريحك، و بليت نسّمات الأسحار عمّا استرقت من ريحك، و كتب فى كذا». انتهت الرسالة، و فيها ما لا خفاء به من براعة لسان الدين، رحمه الله تعالى و قدّس روحه الطاهرة! آمين.

و ممّا علق بحفظى من نثره رحمه الله تعالى أثناء رسالة فى العزاء خاطب بها ملك المغرب قوله بعد كلام: أين مروان بن الحكم و

دهاؤه، و عبد الملك بن مروان و بهاؤه،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٨٨

و الوليد و بناؤه، و سليمان و غذاؤه، و عمر بن عبد العزيز و ثناؤه، و يزيد و نساؤه، و هشام و خيلاؤه، و الوليد و ندماؤه، و الجعدى و آراؤه؟ أم أين السفاح و حسامه، و المنصور و اعتزامه، و المهدي و إعظامه، و الهادي و إقدامه، و الرشيد و أيامه، و الأمين و ندامه، و المأمون و كلامه، و المعتصم و إسراجه و إجماعه؟ انتهى.

و قد تقدّم كلام أبي الخطاب بن دحية في هذا المعنى بطوله في الباب الثاني من هذا القسم، فليراجع ثمة.

[خطبة للمقرئ على منوال لسان الدين]

قلت: و قد تقدّم في الخطبة نظمي لمثل هذا، و قد كنت نسجت على منوال لسان الدين و أنا بالمغرب نثرا ممّا لم يحضرني منه الآن غير قولى: أين الإسكندر و يونانه، و شدّاد و بنيانه، و النمرود و عدوانه، و فرعون و هامانه، و قارون و طغيانه، و كسرى أنوشروان و إيوانه، و قيصر و بطارقتة و أعوانه، و سيف بن ذى يزن و غمدانه، و المنذر و نعمانه؟ إلى أن قلت: و أين أبو بكر رضى الله تعالى عنه و ثباته، و عمر رضى الله تعالى عنه و وثباته، و عثمان رضى الله تعالى عنه و رهباته، أم أين على رضى الله تعالى عنه و شجاعته و علمه، و أين معاوية رضى الله تعالى عنه و حلمه، و أين يزيد و ظلمه؟ ثم ذكرت ما تقدّم لسان الدين، و قلت بعده: و أين الواثق و غناؤه، و المتوكل و مواليه و أوليائه و أبناؤه، و المنتصر و أماله، و المعتزّ و جماله، و المستعين و عمّاله، و المهدي و أعماله، و المعتضد و ذكاؤه و إحاطته بالأخبار و اشتماله، و المقتدر و نساؤه و إهماله؟ إلى أن قلت: و أين بنو عبيد و ضلالهم، و بنو بويه و جلالهم، و بنو سلجوق و نظامهم، و بنو سامان و إعظامهم، و بنو أيوب و صلاحهم، و الجراكسة و مبانيهم و سلاحهم؟ ثم قلت فى ملوك المغرب: و أين عبد الرحمن الداخل و أمراؤه، و الناصر و زهراؤه، و الحكم و وزراؤه، و المؤيد و ظهراؤه، أم أين المنصور بن أبى عامر و غزواته و مواليه، و المظفرّ و أدواته و معاليه، أم أين بنو حمّود و علاهم، و أوصافهم و حلاهم، و بنو جهور و حزمهم، و بنو باديس و عزمهم، و أين معتضد بنى عبّاد، و معتمدهم الذى سنا كرمه للمعتفين باد، و بنو ذى النون و مزيتهم، و بنو صمّادح و مريتهم، و بنو الأفضس و بنو هود، و ما كان لهم من المكارم فى الحفل المشهود، و أين لمتونه، و صبرهم الذى ركبوا متونه، أم أين الموحدون و ناصرهم و منصورهم، و مصانعهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٨٩

و قصورهم، أم أين بنو الأحمر و غرناطتهم، و إزالتهن عن حوزة الدين أدناس المعتدين و إماتتهم، و جعلهم الأمور لمثل ابن الحكيم و لسان الدين و إناطتهم، أم أين بنو مرين و فارسهم، و مغانيهم و مدارسهم، و أين بنو زيان و منازلهم الشاهقة، و أشجار عزهم الباسقة، و أين الحفصيون، و مستنصرهم الذى قضى للمعالى الديون، و أبو فارس، الذى شئت بأخباره آذان الطروس و الفهارس؟ طحنت و الله تعالى الجميع رحى المنون، و تأيمنت الأزواج و يتّم البنون، و طالت الأيام و السنون؛ و بقيت القصور العالية، خالية، و الرسوم المتكاثرة، دائرة، و السلوك المنظومة متناثرة، و عن قريب يقف الكلّ بين يدي ربّ الأرباب، فى يوم تذهل فيه الأبواب، و تنقطع إلّا من رسول الله صلّى الله عليه و سلم الأسباب، و يقتصّ للمظلوم من الظالم، و تنبهم للنجاة الطرق و المعالم، و تبلى السرائر لدى من هو بها عالم، يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خيرٍ محضراً و ما عملت من سوءٍ تودّ لو أنّ بينها و بينه أميداً بعيداً [سورة آل عمران، الآية: ٣٠] يوم يحكم الله تعالى فى الخلق، بالحقّ، حسبما سبق فى علمه إذ جعلهم قريبا و بعيدا، و شقيئا و سعيدا، اللهم اجعلنا فى ذلك اليوم الصعب ممّن فاز بالنجاء، و حاز شفاعته نبيك و مصطفىك ذى الحرمة و الجاه، صلّى الله عليه و سلم و شرف و كرم؛ انتهى.

[من كلام لسان الدين يخاطب السلطان أبا زيان]

رجع لنثر لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى:
 ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى ما خاطب به سلطان المغرب أبا زيان لما تم له الأمر، وهو مشتمل على نظم و نثر، و نصّه:
 [الكامل]

يا ابن الخلائف، يا سمى محمد يا من علاه ليس يحصر حاصر
 أبشر فأنت مجدد الملك الذى لولاك أصبح و هو رسم دائر
 من ذا يعاند منك وارثه الذى بسعوده فلك المشيئة دائر
 ألفت إليك يد الخلافة أمرها إذ كنت، أنت لها الولي الناصر
 هذا و بينك للصريخ و بينها حرب مضرسة و بحر زاخر
 من كان هذا الصنع أول أمره حسنت له العقبي و عز الآخر
 مولاي عندي فى علاك محبة و الله يعلم ما تكن ضمائر
 قلبى يحدثنى بأنك جابر كسرى، و حظى منك حظ وافر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٩٠

بشرى جدودك قد حطت حقيتى فوسيلتى لعلاك نور باهر
 و بذلت وسعى و اجتهادى مثل ما يلقي لمملكك سيف أمرك عامر
 فهو الولي لدى الذى اقتحم الردى و قضى العزيمة و هو سيف باتر
 و ولي جدك فى الشدائد عندما خذلت علاه قبائل و عشائر
 فاستهد منه النصح و اعلم أنه فى كل معضلة طيب ماهر
 إن كنت قد عجلت بعض مدائحى فهى الرياض، و للرياض بواكر

«مولانا، و عمدة ديننا و دنيانا، الذى سخر الله تعالى البرّ و البحر بأمره، و حكم فوق السماوات السبع بعز نصره، و أغنى يوم سعده عن
 سلّ السلاح و شهره، و فتق عن زهر الصنع الجميل كامامة تسليمه و صبره، و قيض له فى علم غيبه وزيراً مدخوراً لشدّ أزره، و قود
 الملك إليه على حال حصره، الخليفة الإمام، الذى استبشر به الإسلام، و خفقت بعزّه الأعلام، و لاح بدر محياه فافتضّ الظلام،
 المقتدى بالنبي الكريم سمّيه فى المرشد التى تألق منها الصبح، و المقاصد التى لازمها النجح، و التمحيص الذى نبغ منه المنح، حتى
 فى الهجرة التى جاءه بعدها الفتح، أبو زيان، ابن مولانا السلطان ولى العهد ترشيحاً و مآلاً، و مؤمل الإسلام تقلداً للمذهب الصريح و
 انتحالاً، و أمير المسلمين لو أوسع القدر إمهالاً، و وسطى عقد البنين خلائق متعدّدة و خلالاً، المتحف بالشهادة و لما يعرف بده
 هلالاً، المعوّض بما عند الله تعالى سعادة ألبسته سربالاً، و أبلغته من رضوان الله تعالى آمالاً، أبى عبد الرحمن بن مولانا أمير المسلمين
 عظيم الخلفاء، و عنصر الصبر و الوفاء، و ستر الله تعالى المسدول على الضعفاء، و المجاهد فى سبيل الله تعالى بنفسه و ماله، المنيف
 على مراكز النجوم بهممه و آماله، المقدس أبى الحسن بن موالينا الخلفاء الطاهرين و الأئمة المرضيين، من قبيل بنى مرين، و صفوة
 الله تعالى فى هذا المغرب الأقصى من أوليائه المؤمنين، و زينة الدنيا و عمدة الدين، هنأه الله تعالى ما أورثه من سرير الملك الأصيل،
 و خوّه من سعادة الدنيا و الدين على الإجمال و التفصيل، و توجّه من تاج العزّة القعساء عند اشتباه السبيل، و عوّضه من قبيل الملائكة
 عند تشتت القبيل، و جعل قدمه الراسخة، و آياته الناسخة، و ربوته السامية الباذخة، و عزة نصره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٩١

الشادخة، وأوزعه شكر آلائه، في الخلاص من ملكة أعدائه، وخطر البحر وعدوان مائه، وغول السفر، وارتكاب الغرر، وثبات أقدام أوليائه الذين ما بدّلوا تبديلاً، ولا ارتضوا لقلبه طاعته بعد أن ولّوا وجوههم شطرها تحويلاً، بل صبروا صبراً جميلاً، وباعوا نفوسهم تميمًا لعقدة إيمانهم وتكميلاً.

«يسلم على مقامكم الذى وسم السعد مشرق جبينه، وذخرت قبل الطاعة ليمينه، وأقسم السعد بمظاهرة أمره السعيد فبرّ - والشكر لله تعالى - فى يمينه، عبدكم الذى اعتلق منكم بالوسيلة الكبرى، وقزّ بملككم عينا وشرح صدرا، وبذل الجهد وإن قل قدرة وقدر، و التمس لكم الدعاء علنا و سرًا، ابن الخطيب الذى حطّ رحل اقتصاده بتراب الملوك الكرام جدودكم، محاريب بركم وأسباب وجودكم، وآبائكم الذين فى مظاهرتهم ورعيهم يظهر للناس مخايل هداكم وتدرّ سحائب جودكم، ملتحقا منذ سنتين بأصونته قبورهم و ثيابها، مستظلًا بأفنيته المعظمة وقابها، ممرغا خده بترابها، مواصلا الصراخ بالمرين و يا يعقوب متطارحا على أبوابها، فلم يتح الله تعالى له نعمة ترعى الضيف و تحمى الدخيل، أو حمية تدفع الضيم و تشفى العليل، إلّا على يدكم يا أيها الكريم ابن الكريم ابن الكريم، و بطل الميدان فى موقف الهول العظيم، المدخور لنصر المظلوم و إنصاف الغريم، و إجلاله أقلام الفتح بفتح الأقاليم.

«كتبه مهنتنا بما سئى الله تعالى لملككم من الصنع الذى خرق حجاب العادة، و أرى إعجاز السعادة، معجلا ذلك بين يدى المبادرة إلى لثم بساطكم الذى لشرف وجوهها تلمته الوجوه، و تخشاه الأملاك الجابرة و ترجمه، و أداء الواجب من القيام بمنظوم ثنائه فى الحفل المشهود، و إبلاغ لسان الحمد وسع المجهود، و إلقاء ما عند العبد من خلوص و جنوح، و حبّ واضح أى وضوح، فولّى دعوتكم الشيخ أبو ثابت أعزه الله تعالى يقزّره، و يبين مجمله و يفسّره، و العبد واثق بفضل الله تعالى على يدكم، و ملتمس النصر لديكم، و قاطع أن طلبته بكم تتسنى، و أنكم سبب عاقبته الحسنى، إنا بالظهور على الوطن الذى تجرّأ به المنقلب على ملككم، و مدّ اليد إلى نثر سللككم، و نقص إرثكم المسلم المحرر، و زلزل وطنكم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٩٢

المؤسس على الطاعة المقرّر، و أضرم النار فى بسائطكم و جبالكم، و أطلق يد الفتنة على بيوت أموالكم متكثرا عليكم بالقلّة، متعززا بالذلّة، جانيا على داركم بما لا تبيحه الملمّة، أو بالشفاعة الجازمة إن لم يأذن الله تعالى فى الانتصاف، و الله يجعل الظهور بكم من الأوصاف، و يعينكم على جبر الكسير، و تيسير الأمر العسير، و يهنيكم منيحة الملك الكبير، و يبقى كلمته فى عقبكم بعد تملؤ التعمير، و السلام».

و له رحمه الله تعالى فى مخاطبة السلطان أبى زيان المذكور: «المولى الذى طوق المنن، و أحيا السنن، و أنبت الله تعالى حبه فى القلوب النبات الحسن، ناظم كلمة الدين بعد انتشارها، و مقيل عثارها، و الآخذ بثارها، و المخلد لآثارها، السلطان أبو زيان ... إلى آخره - أبقاكم الله تعالى على القدم، منصور العلم، ظاهرا على الأمم، مقصود الحمى كالركن الملتزم. عبد مقامكم الذى أويتموه غريبا، و أنستموه مريبا، و أنتموه على عدوه الدهر نصرا عزيزا و فتحا قريبا، فلم يخش دركا و تريبا، و لا عدم حظوة و شفقة و نعمة و تقريبا، ابن الخطيب عن ثناء يعطر الآفاق، و يرقم الأوراق، و يخرق الجيوب و الأطواق، و حبّ بهر نورا و راق، و جاس اشتهاره الشام و العراق. و يطالع العبد محلّ مولاة الذى خلف ببابه قلبه و ولده، و صبره و جلده، و صيرّ وطنه داره الحقيقية و بلده، أنه لما قدم على محلّ أخيه، المعتدّ بما أودع الله تعالى من الخلال الشريفة فيه، مولاى ابن مولاى أبى عبد الله - كفل الله تعالى جميل رعيه و كرم عهده! و حكم بإعلاء جدّه و مضاء حدّه - رعى الوسيلة، و صدّق المخيلة، و جلا عند اجتلاء مخاطبتكم أسارى الفضيلة، فلم يدع حقّا إلّا صرفه، و لا نكرة إلّا عرفه، و لا نعمة إلّا سكبها، و لا مزية إلّا أوجبها، و لا رتبة إلّا أعلاها، و لا نعمة إلّا أولاهها، و ما ذاك يا مولاى و إن تعددت الرسائل و الأذمية، و اذكرت القرب بعد أمية، إلّا بوصاتكم التى لا تهمل، و حرمتكم التى لا تجهل، و عطف مقامكم الذى اشتهر، و اعتنائكم بعبدكم الذى راق و بهر، فالعبد عبدكم بكلّ اعتبار، و خديمكم و إن نأت الدار، و محسوب على نعمه مقامكم الرفيع المقدار، و الأمل فى مقامكم غير منقطع السبب، و الأهل و الولد تحت كنف مقامكم الأصيل الحسب، حتى يمنّ الله

تعالى بحجّ بيته وزيارة رسوله على يديكم، و يكون قضاء هذا الوطر منسوبا إليكم، و بعد هذا يستقرّ القرار، حيث يختار من يخلق ما يشاء و يختار، بحول الله تعالى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٩٣

«و العبد يذكر مولاه بما بشره به بين يدي وداعه، و بمراى وزيره السعيد و استماعه، من انجلاء الحركة عن عزّه و ظهوره، و نجاح أحواله و استقامه أموره، و يهنيه بصدق الوعد، و إبطار الرعد، و ظهور السعد، و هى وسيلة إذا عدت الوسائل، و روعيت الدّم الجلائل، و مثل مولاى من رعى و أبقى، و سلك التى هى أبزّ و أتقى، و ما قصير عنه القلم من حقّ مولاى فالرسول أعزّه الله تعالى يتممه، و ما قصر عنه الرسول فالله تعالى يعلمه، و هو جلّ و علا يديم أيام مولاى و يبقى مجده، و يصل سعده، و السلام؛ انتهى.

[من كلامه يخاطب شيخ الدولة يحيى بن رحو]

و ممّا خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى شيخ الدولة يحيى بن رحوّ قوله: سيدى الذى له المزية العظمى، و المحلّ الأسمى، شيخ قبيل بنى مرين، و قطب مدار الأحرار على الإجمال و التعيين، و المتميز بالدهاء و الرّجاحة، و المعرفة الفسيحة الساحة، و الصدقة المباحة، و شروط الصوفية من ترك الأذى و وجود الراحة، أسلم على ذاتكم الطاهرة التى بخلت الأزمان و الله أن تأتى بنظيرها، و تنافست الدول فى تكبيرها، و سارت المواكب الملوكية بمسيرها، و أثنت الألسن بفضلها و خيرها، و أقرر لديها أنى أعددت من معرفتها بالأندلس كنزاً لم أنفق منه إلى اليوم وزناً، إعداداً له و خزناً، إذ لا يخرج العتاد الكبير إلّا عن حاجة و فاقه، و لا تردّ اليد إلى الذخيرة إلّا فى إضافة و عجز طاقه، و ما كانت الوصلة بمثلها ليهملها مثلى جهلاً بقيمتها العالية، و إزرأ بجهتها الكافلة الكافية، لكن نابت عن يدها أيد، و كفى عن ابتذالها ما كفّ الله تعالى من عمرو و زيد، و الآن أقرر أنى قد كادت حاجتى إلى ذلك العتاد أن تتمخض، و زبدته أن تتمخض، إذ هو حظى من رعى ذلك القبيل الذى قصرت عليه رياسته، و الوزير الذى من رأيه تستمد سياسته، و إذا وفد خاصه هذه المدينة مهينين، و بشكر إيلته الكريمة مثنين، فخيمته ظلّ ظليل، و مشاركتة معتمدى فى الكثير، فكيف و لا غرض لى إلّا فى القليل، و عندى أن رعيه لمثلى لا يفتقر إلى وسيلة تجلب، و لا ذمام يحسب، فمثله من قدر قدر الهناء، و شدّ أعلام الحمد و الثناء، سامية البناء، و عرف أن الدنيا على الله تعالى أحقر الأشياء، و قد رفعت أمرى كلّ بعد الله تعالى إلى رأيك، و غنيت عن سعى لنفسي بجميل سعيك، و السلام».

[من كلامه يخاطب شيخه ابن مرزوق فى شفاعه]

و ممّا خاطب به لسان الدين شيخه سيدى أبا عبد الله بن مرزوق التلمسانى رضى الله تعالى عنه قوله شافعا: «يا سيدى، أبقاكم الله تعالى محطّ الآمال و قبلة الوجوه، و بلغ سيادتكم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٩٤

ما تؤمّله من فضل الله تعالى و ترجوه، و كلاً بعين حفظه ذاتكم الفاخرة، و جعل عزّ الدنيا متّصلاً لكم بعزّ الآخرة، بعد تقبيل يديكم التى يدها لا تزال تشكر، و حسنتها عند الله تعالى تذكر، أنهى إلى مقامكم أن الشيخ الكذا أبا فلان- مع كونه مستحقّ التجلّه بهجرة إلى أبواكم الكريمة قدمت، و وسائل من أصالة و حشمة كرمته، و فضل و وقار، و تنويه للولاية إن كانت ذات احتقار، و سن اقتضى الفضل بزه، و أدب شكر الاختبار عليه و سرّه- له بمعرفة سلفكم الأراضى وسيلة مرعية، و فى الاعتراف بنعمتكم مقامات مرضية، و توجّه إلى بابكم، و التمسك بأسبابكم، و المؤمل من سيدى ستره بجناح رعيه فى حال الكبره، و لحظه بطرف المبرّه، إمّا فى استعمال يليق بدوى الاحتشام، أو سكون تحت رعى و اهتمام، و إعانة على عمل صالح يكون مسكّه ختام، و هو أحقّ الغرضين بالتزام، و إحالة

سیدی فی حفظه رسم مثله، علی الله تعالی الذی یجزی المحسنین بفضلہ، و منه نسأل أن یدیم أيام المجلس العملی محروسا من النوائب، مبلّغ الآمال و المآرب، و المملوک قد قرّر شأنه فی إسعاف المقاصد المأمولة من الشفاعة إلیکم، و التحسب فی هذه الأبواب علیکم، و تقلیب القلوب بید الله تعالی الذی یعطى و یمنع، و یملک الأمر أجمع، و السلام».

و كتب إلیه أيضا فی الشفاعة بما نصّه: «سیدی الأعظم، و ملاذی الأعصم، و عروة عزی الوثقی التي لا تفصم، أبقاک الله تعالی بقاء آثارک آیه للعزّ تأمر الدهر فیأتمر، و یلبى بفنائک الطائف و المعتمر، بأى لسان أثنى علی فواضلك و هی أمّهات المنن، و طرف الشام و الیمن، و مقامات بدیع الزمن، و التحف المترفعة عن الثمن؟ فحسبى دعاء أردده و أولیه، و أرتقب مطلوب الإجابة من مقدّمه و تالیه، و إن تشوّف المنعم للحال الموقوف خیره بمشيئة الله تعالی علی جمیل سعيه، الموسّد علی وطاء لطفه المغشى بغطاء رعيه، قلب خافق، و قلب مؤمن یجول به و سواس منافق، و قد تجاوز موسى مجمع البحرین، و أصبح سرىّ بابہ سرىّ العین، و لقد كانت مراحل الزّمل قصيرة قبل أن یکسبها زجلى ثقل الحركة، و یخلط خاصیّ فی وظائفها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٩٥

المشتركة، و لیت أمرى برز إلى طرف، و أفضى إلى منصرف، و ربما ظفر آیس بما یرجوه، و برز المحبوب من المكروه، و الله تعالی لا یفضح جاه الكتاب الذی أحیا و أنشر، و حیّا و بشر، و أعطى صحيفته بالیمن و قد جمعت مثابکم المحشر، و موصل کتابی، ینوب فی تقییل الید العلیا منابى.

و لیعلم سیدی أن هذا القطر علی شهرته، و تألق مشتریه و زهرته، إذا انتحل کرامه، و عهد الفضل لم یبق إلما انصرامه، فهو لبابه المتخیر، و زلاله الذی لا یتغیر، أصالة معروفة، و همّة إلى الإیثار مصروفة، و نبلا علی السنّ و الکبره، و رجولية خلیقة بصله الحرمة و المبره، و الوسيلة لا تطرح، و المعنى الذی لا یفسر لوضوحه و لا یشرح، و هو انتماؤه إلى جناب سیدی حدیثا و قديما، و اعترافه بنعمه مدیرا لها و مديما، و الله تعالی یوفى من إیثار سیدی حظّه، و یجدّد لده رعيه و لحظه، حتى یعود خافقا علم إقباله، معلما برد اهتباله، مسرورا ببلوغ آماله، فلعمری إن محلّ ولايته لكفى، و إن عهد أماته لوفى، و إن عامل جدّه لظاهر و خفی، و ما یفعله سیدی من رعيه، و إنجاح سعيه، محسوب من مناقبه، و معدود فی فضل مذاهبه، و السلام الکریم یخصکم و رحمته الله و برکاته؛ انتهى.

و قد تکررت فی کتابنا هذا مخاطبات لسان الדיن رحمہ الله تعالی للخطیب ابن مرزوق المذكور نظما و نثرا؛ إذ کان - أعنى ابن مرزوق - رئیس الدولة، و معتمد الجلة، و سبق منّا التعریف ببعض أحواله فی باب مشایخ لسان الדיن ممّا جرّته المناسبه، فلیرجع إلیه من أرادہ، و الله تعالی یجعل الجمیع من أهل السعادة!

[من کلامه یخاطب أبا زید بن خلدون الرئیس]

و ممّا اشتمل علی نثر لسان الדיن و نظمه ما خاطب به الرئیس أبا زید بن خلدون، لما ارتحل من بحر المریه و استقرّ ببلد بسکره عند رئیسها أبى العباس بن مزنی، صحبه رساله خطبها أخوه أبو زکریا، و قد تقلّد کتابه صاحب تلمسان، و وصل الكتاب عنه من إنشائه، و هذه صورة ما كتبه لسان الדיن رحمہ الله تعالی: [الطویل]

بنفسى و ما نفسى علىّ بهینه فینزلنى عنها المكاس بأثمان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٩٦

حبيب نأى عنى و صمّ لأنتى وراش سهام الیبن عمدا فأصمانى

و قد کان همّ الشیب، لا کان، كافیا فقد آدنى لّمّا ترحل همّان

شرعت له من دمع عینی موردا فکدّر شربى بالفراق و أظمانى

و أروعته من حسن عهدى جمیمه فأجذب آمالى و أوحش أزمانى

حلفت على ما عنده لى من رضا قياسا بما عندى فأحنت أيمانى
و إنى على ما نالنى منه من قلى لأشتاق من لقيه نغبه ظمان
سألت جنونى فيه تقرب عرشه فقست بجنّ الشوق جنّ سليمان
إذا ما دعا داع من القوم باسمه و ثبت و ما استثبت شيمه هيمان
و تا الله ما أصغيت فيه لعاذل تحاميته حتى ارعوى و تحامانى
و لا استشعرت نفسى برحمه عاند تظلل يوما مثله عبد رحمن
و لا شعرت من قبله بتشوق تخلل منها بين روح و جثمان

أما الشوق فحدّث عن البحر و لا- حرج، و أميا الصبر فسل به أية درج، بعد أن تجاوز اللوى و المنعرج، لكن الشدة تعشق الفرج، و
المؤمن ينشق من روح الله تعالى الأرج، و أنى بالصبر، على إبر الدبر، لا بل الضرب الهبر، و مطاوله اليوم و الشهر، حتى حكم القهر؟ و
هل للعين أن تسلو سلو المقصر، عن إنسانها المبصر، أو تذهل ذهول الزاهد، عن سرّها الرائي و المشاهد؟ و فى الجسد بضعة يصلح إذا
صلحت، فكيف حاله إن رحلت عنه و نزحت، و إذا كان الفارق هو الحمام الأول، فعلام المعول؟ أعتت مراوضه الفراق، على الراق، و
كادت لوعه الاشتياق، أن تفضى إلى السياق: [السريع]

تركتمونى بعد تشييعكم أوسع أمر الصبر عصيانا
أقرع سنّى ندما تارة و أستميح الدمع أحيانا

و ربما تعلّت بغشيان المعاهد الخالية، و جددت رسوم الأسى بمباكرة الرسوم البالية، أسأل نون النوى عن أهليه، و ميم الموقد المهجور
عن مصطليه، و ثاء الأثافي المثلثة عن منازل الموحّدين، و أحرار بين تلك الأطلال حيرة الملحدين، لقد ضللت إذا و ما أنا من
المهتدين،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٩٧

كلفت لعمر الله بسال عن جفونى المؤرقة، و نائم عن همومى المتجمعة المتفرقة، ظعن عن ملال، لا متبرما منى بشرّ خلال، و كدر
الوصل بعد صفائه، و ضرج النصل بعد عهد وفائه:

[الطويل]

أقلّ اشتياقا أيها القلب ربّما رأيتك تصفى الودّ من ليس جازيا

فها أنا أبكى عليه بدم أساله، و أنهل فيه أسى له، و أعلل بذكراه قلبا صدعه، و أودعه من الوجد ما أودعه، لئما خدعه، ثم قلاه و ودّعه،
و أنشق رياه أنف ارتياح قد جدعه، و أستعدى به على ظلم ابتدعه: [الطويل]

خليلى، هل أبصرتما أو سمعتما قتيلا بكى، من حبّ قاتله، قبلى

فلو لا- عسى الرجاء و لعله، لا- بل شفاعه المحلّ الذى حلّه، لمزجت الحنين بالعتب، و بثت كتابه كمناء فى شعاب الكتب، تهزّ من
الألفات رماحا حذر الأسنة، و توتر من النونات أمثال القسى المرته، و تقود من بياض الطرس و سواد التفس بلقا تردى فى الأعنة، و
لكنه أوى إلى الحرم الأمين، و تفتيا ظلال الجوار المؤمن من معزة العوار عن الشمال و اليمين، حرم الخلال المزينة، و الظلال اليزنية، و
الهمم الستية، و الشيم التى لا ترضى بالدون و لا بالدنية، حيث الرفد الممنوح، و الطير الميامن يزجر لها السنوح، و المثوى الذى إليه-
مهما تقارع الكرام على الضيفان، حول جوابى الجفان- الميل و الجنوح: [الكامل]

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى نورا، و من فلق الصباح عمودا

و من حلّ بتلك المثابة فقد اطمأنّ جنبه، و تعمّد بالعمو ذنبه، و لله درّ القائل حيث يقول: [الكامل]

فوحقه لقد انتدبت لوصفه بالبخل لو لا أنّ حمصا داره

بلد متى أذكره تهتج لوعتي و إذا قدحت الزند طار شراره

اللهم غفرا، لا كفرا، و أين قرارة النخيل، من مثوى الأقلق البخيل، و مكذبة المخيل؟

و أين ثانية هجر، من متبواً من ألد و فجر؟: [المتدارك]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٩٨

من أنكر غيثا منشؤه في الأرض و ليس بمخلفها

فبنان بنى مزني مزن مثل؟؟؟ بلطف مصرفها

شكرت حتى بعبارتها و بمعناها و بأحرفها

مزن مذحل ببسكرة يوما نطقت بمصحفها

ضحكت بأبي العباس من ال أيام ثنايا زخرفها

و تنكرت الدنيا حتى عرفت منه بمعرفها

بل نقول: يا محل الولد لا أقسم بهذا البلد و أنت حل بهذا البلد [سورة البلد، الآية: ١، ٢]، لقد حل بينك عرى الجلد، و خلد الشوق

بعدك يا ابن خلدون في الصميم من الخلد، فحيا الله تعالى زمنا شفيت برقى قربك زمانته، و اجتليت في صدف مجدك جمانته، و يا

من لمشوق لم تقض من طول خلّتك لبانته، و أهلا بروض أظلت أشتات معارفك بانته، فحمامه بعدك تندب، فيساعدتها الجندب، و

نواسمه ترق فتغاشي، و عشياته تتخافت و تتلاشي، و مزنه باك، و دوحه في ماتم ذى اشتباك، كأن لم تكن قمر هالات قبابه، و لم

يك أنسك شارع بابه، إلى صفوة الظرف و لبابه، و لم يسبح إنسان عينك في ماء شبابه، فلهفى عليك من درة اختلستها يد النوى، و

مطل بردّها الدهر و لوى، و نعق الغراب بينها في ربوع الجوى، و نطق بالزخرف فما نطق عن الهوى، و بأى شيء نعتاض منك أيتها

الرياض، بعد أن طمى نهرك الفيض، و فهقت الحياض؟ و لا كان الشانئ المشنوء، و الجرب المهنوء، من قطع ليل أغار على الصبح

فاحتمل، و شارك في الذمّ الناقه و الجمل، و استأثر جنحه بيدر النادى لما كمل، نشر الشارع فراع، و أعمل الإسراع، كأنما هو تمساح

الليل ضايق الأحباب في البرهه، و اختطف لهم من الشطّ نزهة العين و عين الزهه، و ليجج بها و العيون تنظر، و الغمر على الاتباع

يخطر، فلم يقدر إلا على الأسف، الأثر المنشف، و الرجوع بملء العيبة، من الخيبة، و وقر الجسرة، من الحسرة، و إنما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٩٩

أشكو إلى الله البثّ و الحزن، و نستمطر من عبارتنا المزن، و بسيف الرجاء نصول، إذا شرعت لليأس النصول: [البيسط]

ما أقدر الله أن يدنى على شحط من داره الحزن ممّن داره صول

فإن كان كلم الفراق رغبيا، لما نويت مغيبا، و جللت الوقت الهنيء تشغيبا، فلعلّ الملتقى يكون قريبا، و حديثه يروى صحيحا غريبا. إيه

ثقة النفس كيف حال تلك الشمائل، المزهره الخمائل؟ و الشيم، الهامية القديم، هل يمرّ ببالها من راعت بالبعد باله، و أخدمت

بعاصف البين ذباله، أو ترثي لشؤون شأنها سكب لا يفتر، و شوق بيتّ جلال الصبر و يبت، و ضنى تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء و

تستر، و الأمر أعظم و الله يستر، و ما الذى يضيرك؟ صين من لفتح السموم نضيرك! بعد أن أضمرت و أشعلت، و أوقدت و جعلت، و

فعلت فعلتك التى فعلت، أن تترفق بذما، أو تردّ بنغبه ما، أرماق ظما، و تتعاهد المعاهد بتحيه يشم منها شذا أنفاسك، أو تنظر إلينا

على البعد بمقله حوراء من سواد أنفاسك، و بياض قرطاسك، فربما قنعت الأنفس المحبّه بخيال زور، و تعلّت بنوال منزور، و رضيت

لما لم تصد العنقاء بزورور: [الكامل]

يا من ترخل و النسيم لأجله تشتاق إن هبت شذا رياها

تحى النفوس إذا بعثت تحيه فإذا عزمت اقرأ و من أحيها

[سورة المائدة، الآية: ٣٢]

ولئن أحيت بها فيما سلف نفوسا تفديك- والله تعالى إلى الخير يهديك- فنحن نقول معشر مرديك: ثنّ ولا تجعلها بيضة الديك، و عذرا فإنني لم أجتز على خطابك بالفقر الفقيرة، و أدلت لدى حجراتك برفع العقيرة، لا عن نشاط بعثت مرموسه، و لا اغتباط بالأدب تغرى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٠٠

بسياسته سوسه، و انبساط أوحى إلى على الفترة ناموسه، و إنما هو اتفاق جزّته نفثه المصدر، و هناء الجرب المجذور، و خارق لا مخارق، فشم قياس فارق، أو لحن غنى به بعد الممات مفارق، و الذى سببه، و سوغ منه المكروه و حبيبه، ما اقتضاه الصنو يحيى مدّ الله تعالى حياته، و حرس من الحوادث ذاته!- من خطاب ارتشف به لهذه القريحة بلالتها، بعد أن رضى علالتها، و رشح إلى الصيهر الحضرمي سلالتها، فلم يسع إلّا إسعافه، بما أعافه، فأملت مجيبا، ما لا يعدّ فى يوم الرهان نجيبا، و أسمعت وجيبا، لما ساجلت هذه الترهات سحرا عجيبا، حتى إذ ألفت القلم العريان سبحة، و جمح بردون الغرارة فلم أطق كبحة، لم أفق من غمرة علوه، و موقف متلوه، إلما و قد تحيز إلى فنتك معترا بل معترا، و استقبلها ضاحكا مفترا، و هسّ لها بّرا، و إن كان لونه من الوجل مصفرا، و ليس بأول من هجر، فى التماس الوصل ممّن هجر، أو بعث التمر إلى هجر، و أى نسب بينى اليوم و بين زخرف الكلام، و إجاله جياذ الأقالم، فى محاورة الأعلام؟ بعد أن حال الجريض، دون القريض، و شغل المريض، عن التعريض، و استولى الكسل، و نسلت الشعرات البيض كأنها الأسل، تروع بمرط الحيات، سرب الحياة، و تطرق بذوات الغرر و الشيات، عند البيات، و الشيب الموت العاجل، و إذا ايضّ زرع صبّحته المناجل، و المعتبر الآجل، و إذا اشتغل الشيخ بغير معاده، حكم فى الظاهر بإبعاده، و أسره فى ملكة عاده، فأغض أبقاك الله و اسمح، لمن قصير عن المطمح، و بالعين الكليله فالمح، و اغتم لباس ثوب الثواب، و اشف بعض الجوى بالجواب، تولّك الله تعالى فيما استضفت و ملكت، و لا بعدت و لا هلكت، و كان لك آية سلكت، و سملك من السعادة بأوضح السيمات، و أتاح لقاءك من قبل الممات، و السلام الكريم يعتمد جلال ولدى، و ساكن خلدى، بل أخى و إن عتبه و سيدى، و رحمة الله تعالى و بركاته؛ انتهى.

قلت: هذه الرسالة الرافلة فى حلل البلاغة لم أر مثله و لم أقف عليه، فرحم الله تعالى لسان الدين و وجه سحائب الرحمة إليه! فلقد كان آية الله فى النظم و النثر و جميع العلوم على اختلافها.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٠١

[من رسالة له كتب بها إلى الفقيه أبي زكريا بن خلدون لما ولى الكتابة عند أبي حمو سلطان تلمسان]

و كما خاطب الولي ابن خلدون خاطب أخاه أبا زكريا يحيى حسبما قال فى بعض كتبه:
و ممّا خاطبت به الفقيه أبا زكريا بن خلدون، لمّا ولى الكتابة عن السلطان أبي حمو سلطان تلمسان من بنى زيان و اقترن بذلك نصر و صنع غبطته به و أشدت به قصد تنفيقه و إنهاضه لديه:

«نخصّ الحبيب الذى هو فى الاستظهار به أخ و فى الشفقة عليه ولد، و الولي الذى ما بعد قرب مثله أمل و لا- على بعده جلد، و الفاضل الذى لا يخالف فى فضله ساكن و لا بلد، أبقاه الله تعالى و فاز فوزه و عصمته لها من توفيق الله سبحانه عمدا، و مورد سعادته المسوغ لعادته لا غور و لا ثمد، و مدى إمداده من خزائن إلهام الله تعالى و سداده ليس له أمد، و حمى فرح قلبه بمواهب من ربّه أن يطرقه كمد.

«تحية محلّه، من صميم قلبه بمحلّه، المنشئ رواق الشفقة، مرفوعا بعمد المحبّة و المقّة، فوق ظعنه و حلّه، مؤثره و مجلّه، المعنى بدقّ أمره و جلّه، ابن الخطيب، من الحضرة الجهادية غرناطه، صان الله تعالى خلالها، و وقى هجير هجر الغيوم ظلالها! و عمر بأسود الله تعالى أغيالها، كما أغرى بمن كفر بالله تعالى صيالها! و لا زائد إلّا ممن من الله تعالى تصوب، و قوة يسترّد بها المغصوب، و يخفض

الصليب المنصوب، والحمد لله تعالى الذى بحمده ينال المطلوب، و بذكره تطمئن القلوب، و مودتكم المودّة التى غذتها ثدى الخلوص بلبانها، و أحلتها حلائل المحافظة بين أعينها و أجفانها، و مهّدت موات أخواتها الكبرى أساس بانيانها، و استحقت ميراثها مع استصحاب حال الحياة إن شاء الله تعالى و اتّصال زمانها، و اقتضاء عهد الأيام بيمينها و أمانها، و لله درّ القائل: [الطويل]

فإن لم يكنها أو تكنه فإنه أخوها غذته أمه بلبانها

«وصل الله تعالى ذلك من أجله و فى ذاته، و جعله وسيلة إلى مرضاته، و قربته تنفع عند اعتبار ما روعى من سنن الجبار و مفترضاته. و قد وصل كتابكم الذى فاتح بالريحان و الرّوح، و حلّ من مرسوم الولاء محلّ البسملة من اللوح، و أذن لنوافح الثناء بالبوح، يشهد عدله بأنّ البيان يا آل خلدون سكن من مثواكم دار خلود، و قدح زندا غير صلود، و استأثر من محابركم السيالة، و قضب أقلامكم الميائة الميائة، بأب منجب و أمّ ولود، يقفو شانیه غير المشنوّ،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٠٢

و فضيله غير الجرب و لا المهنوّ، من الخطاب السلطاني سفينه منوح، إن لم نقل سفينه نوح، ما شئت من آل أزواج، و زمر من الفضل و أفواج، و أمواج كرم تطفو فوق أمواج، و فنون بشائر، و إهطاع قبائل و عشائر، و ضرب للمسرّات أعياء الشائر، فلله هو من قلم راعى نسب القنا فوصل الرحم، و أنجد الوشيح و الملتحم، و ساق بعصاه من البيان الذود المزدحم، و أخاف من شدّ عن الطاعة مع الاستطاعة فقال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رجم [سورة هود، الآية: ٤٣] و لو لم يوجب الحق برقه و رعه، و وعيده و وعده، لأوجه يمينه و سعده، فلقد ظهرت مخايل نجحه، علاوة على نصحه، و وضحت محاسن صبحه، فى وحشة الموقف الصعب و قبحه، و صل الله تعالى له عوائد منحه! و جعله إقليدا كلما استقبل باب أمل و كله الله تعالى بفتحته!

«أما ما قرره و لاؤكم من حبّ زكا على حبة القلب حبه، و أنبته النبات الحسن ربّه، و ساعده من الغمام سكبّه، و من النسيم اللدن مهّبه، فرسم ثبت عند المولى نظيره، و من غير معارض يضيره، و ربما أربى بتذليل مزيد، و شهادة ثابت و يزيد، و لم لا يكون ذلك، و للقلب على القلب شاهد؟ و كونها أجنادا مجنّدة لا يحتاج تقريره إلى ماهد، أو جهد جاهد، و مودّة الأخوة سبيلها لا حب، و دليلها للدعوة الصادقة مصاحب، إلى ما سبق من فضل و لقاء، و نظافة سقاء، و اعتقاد، لا يراع سربه بذئب انتقاد، و اجتلاء شهاب وقاد، لا يحوج إلى إيقاد، إنما عاق عن مواصلة ذلك نوى شطّ منها الشطن، و تشذيب لم يتعين معه الوطن، فلما تعين، و كاد الصبح أن يتبين، عاد الوميض ديجورا، و الثماد بحرا مسجورا، إلى أن أعلق الله تعالى منكم اليد بالسبب الوثيق، و أحلكم منجى نيق، لا يخاف من منجنيق، و جعل يراكم لسعادة موسى معجزة تأتي على الخبر بالعيان، فتخرّ لثعبانها سحرة البيان: [مجزوء الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٠٣

أ يحيى، سقى، حيث لحت، الحيا فنعم الشعاب و نعم الركون
و حيا يراعك من آية فقد حرّك القوم بعد السكون
دعوت لخدمة موسى عصاه فجاءت تلقّف ما يأفكون
فأذعن من يدعى السحر رغما و أسلم من أجلها المشركون
و ساعدك السعد فيما أردت فكان كما ينبغى أن يكون

«فأنتم أولى الأصدقاء بصله السبب، و رعى الوسائل و القرب، أبقاكم الله تعالى و أيدي الغبطة بكم عاليه، و أحوال تلکم الجهات بدر ككم المهمات حاليه، و ديم المسرّات من إنعامكم المدرّات على معهود المبرات متواليه!

«و أميا ما تشوّفتم إليه من حال وليكم فأمل متقلّص الظلّ، و ارتقاب لهجوم جيش الأجل المطلّ، و مقام على مساورة الصلّ، و عمل يكذب الدعوى، و طمأنينه تنتظر الغارة الشعواء، و يد بالمدخور تفتّح، و أخرى تجهد و تمنح، و مرض يزور فيثقل، و ضعف عن الواجب يعقل، إلا أنّ اللطائف تستروح، و القلب من باب الرجاء لا يبرح، و ربما ظفر البائس، و لم تطرد المقاييس، تداركنا الله تعالى

بعفوه! و أوردنا من منهل الرضا و القبول على صفوه! و أذن لهذا الخرق فى رفوه!

«و أما ما طلبتم من انتساح ديوان، و أعمال بنان فى الإتحاف ببيان، فتلك عهود لدى مهجورة، و معاهد لا متعهدة و لا مزورة، شغل عن ذلك خوض يعلو لجهه، و حرص يقضى من لغط المانح عجبه، و هول جهاد تساوى جمادياه و رجهه، فلو لا التماس أجر، و تعلل بريح تجر، لقلت: أهلا بذات التحين، فلئن شكت، و بذلت المصون بسبب ما أمسكت، فلقد ضحكت فى الباطن ضعف ما بكت، و نستغفر الله تعالى من سوء انتحال، و إيثار المزاح بكل حال، و ما الذى ينتظر مثلى ممن عرف المآخذ و المتارك، و جرب لما بلا المبارك، و خبر مساءة الدنيا الفارك؟

«هذا أيها الحبيب ما وسعه الوقت الضيق، و قد ذهب الشباب الرقيق، فليسمح فيه معهود كمالك، جعل الله تعالى مطاوعة آمالك، مطاوعة يمينك لشمالك! و وطأ لك موطأ العز

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٠٤

بباب كل مالك! و قرن التجح بأعمالك! و حفظك فى نفسك و أهلك و مالك! و السلام!؛ انتهى.

[من مخاطباته ما كتب به إلى صاحبه العلامة أبي القاسم بن رضوان]

و من مخاطبات لسان الدين لصاحبه العلامة أبي القاسم بن رضوان: [الكامل]

قد كنت أجهد فى التماس صنيعة نفسا شهاب ذكائها وقاد

و أقول لو كان المخاطب غيركم عند الشدائد تذهب الأحقاد

«سیدی، أبقاكم الله تعالى علم فضل و إنصاف، و مجموع كمال أو صاف: كلام قصير، و الله تعالى بحسنات الأقوال و الأفعال بصير، و إليه بعد هذا الخطاب كله المرجع و المصير، و ليس لنا إلا مولى و نصير، و هذا الرجل سيدى الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق - جبره الله تعالى! - بالأمس كنا نقف ببابه، و نتمسك بأسبابه، و نتوسل إلى الدنيا به، فإن كنا قد عرفنا خيرا و جبت المشاركة، أو كفافا تعينت المتاركة، أو شرا اهتبلت غرة الهدى الأنفس المباركة، و اتصفت بصفه من يعصى فيسمح، و يسأل فيمنح، و يعود إلى القبح بالفعل الجميل، و يجب يد التأمل، و مع هذا فلم ندر إلا خيرا كرم منه المورد و المصرف، و من عرف حجة على من لا يعرف، و أنتم فى الوقت سراج علم لا يخبو سناه، و مجموع تحف عرفنا منه ما عرفناه، و هذه هى الشهرة التى تغتم إذا سرفت، و الهنة التى تسبر عليها النفس إذا نفرت، حتى لا تجد بعون الله تعالى عارضا يعوقها عن الخير، و سبيل الكمال الأخير، و الأجر فى استيفاء كتاب الشفاعة، و تحرى المقاصد النفاة، و تفيق البضاة، قد ضمنه من وعد بقيام الساعة، و الجزاء على الطاعة و غير الطاعة، و هذه المشاركة تسجيل لفصلكم قبلى، و هى فى الحقيقة لى، فكيف و الله تعالى يرى عملكم و عملى، و المتروك حقير، و الوجود إلى رحمة من رحمت الله تعالى فقير، و السلام!؛ انتهى.

[من كلامه يخاطب شيخ العرب المبارك بن إبراهيم]

و من كلام لسان الدين رحمه الله تعالى قوله فى مخاطبة شيخ العرب مبارك بن إبراهيم رحمه الله تعالى: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٠٥

ساحات دارك للضياف مبارك و بضوء نار قراک يهدى السالك

و نوالك المبدول قد شمل الورى طرا، و فضلک ليس فيه مشارک

قل للذى قال الوجود قد انطوى و البأس ليس له حسام فاتك

و الجود ليس له غمام هاطل و المجد ليس له همام بانك
 جمع الشجاعة و الرجاحة و الندى و البأس و الرأي الأصيل مبارك
 للدين و الدنيا و للشيم العلا و الجود إن شح الغمام السافك
 عند الهياج ربيعهُ بن مكدم في الفضل و التقوى الفضيل و مالك
 ورث الجلالة عن أبيه و جدّه فكأنهم ما غاب منهم هالك
 فجياده للآملين مراكب و خيامه للقاصدين أرائك
 فإذا المعالي أصبحت مملوكة أعناقها بالحق فهو المالك
 يا فارس العرب الذي من بيته حرم لها حجّ به و مناسك
 يا من يبشّر باسمه قصّاده فلهم إليه مسارب و مسالك
 أنت الذي استأثرت فيك بغبطى و سواك فيه مآخذ و متارك
 لا زلت نورا يهتدى بضياءه من جنّه للروع ليل حالك
 و يخصّ مجدك من سلامى عاطر كالمسك صاك به الغوالى صائك

«الحمد لله تعالى الذى جعل بيتك شهيرا، و جعلك للعرب أميرا، و جعل اسمك فالاً، و وجهك جمالا، و قربك جاها و مالا، و آل رسول الله صلى الله عليه و سلّم لك آلا، أسلم عليك يا أمير العرب و ابن أمرائها، و قطب سيادتها و كبرائها، و أهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى، و مكرمة لا- يضلّ المتّصف بها و لا- يشقى، إذ جعل خيمتك فى هذا المغرب على اتّساعه، و اختلاف أشياعه، مأمنا للخائف، على قياس المذاهب و الطوائف، و صرف الألسنة إلى مدحك، و القلوب إلى حبّك، و ما ذلك إلّا لسريرة لك عند ربّك، و لقد كنت أيام تجمعنى و إياك المجالس السلطانية على معرفتك متهالكا، و طوع الأمل سالكا، لما يلوح لى على وجهك من سيما المجد و الحياء، و الشيم الدالة على العلياء، و زكاء الأصول و كرم الآباء، و كان والدى- رحمه الله تعالى!- قد عيّن للقاء خال السلطان قريبيكم لما توجه فى الرسالة إلى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٠٦

الأندلس نائبا فى تأنيسه عن مخدومه، و منوّها حيث حلّ بقدمه، و اتّصلت بعد ذلك بينهما المهاداة و المعرفة، و الوسائل المختلفة، فعظم لأجل هذه الوسائل شوقى إلى التشرّف لزيارة ذلك الجنب الذى حلّوه شرف و فخر، و معرفته كنز و دخر، فلما ظهر الآن لمحلّ الأخ الكذا القائد فلان اللحاق بك، و التعلّق بسبيك، رأيت أنه قد اتّصل بهذا الغرض المؤمل بعضى و الله تعالى يبشّر فى البعض، عند تقرير الأمن و هدنة الأرض، و هذا الفاضل بركة حيث حلّ لكونه من بيت أصالة و جهاد، و ما جدا و ابن أمجاد، و مثلك لا يوصى بحسن جواره، و لا يتبّه على إثاره، و قبيلك فى الحديث- من العرب- و القديم، و هو الذى أوجب لها مزينة التقديم، لم يفتخر قطّ بذهب يجمع، و لا دخر يرفع، و لا قصر بينى، و لا غرس يجنى، إنما فخرها عدوّ يغلب، و ثناء يجلب، و جزر تنحر، و حديث يذكر، و جود على الفاقة، و سماحة بحسب الطاقة، فلقد ذهب الذهب، و فنى النشب، و تمزقت الأثواب، و هلكت الخيل العراب، و كلّ الذى فوق التراب تراب، و بقيت المحاسن تروى و تنقل، و الأعراض تجلى و تصقل، و لله درّ الشاعر إذ يقول: [الرجز]

و إنما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

هذه مقدمة إن يسّر الله تعالى بعدها لقاء الأمير، فيجلى اللسان عمّا فى الضمير: [الطويل]

و مدحى على الأملاك مدح، و إنما رأيتك منها فامتدحت على و سمى
 و ما كنت بالمهدى لغيرك مدحتى و لو أنه قد حلّ فى مفرق النجم

[من كلامه يخاطب شيخه أبا عبد الله بن مرزوق]

و من ذلك ما خاطب به شيخه الخطيب سيدى أبا عبد الله بن مرزوق، و هو: [السريع]

راش زمانى و برى نبلة فكنت لى من وقعها جنّه

و لو قهرت الموت أمتنتى منه و أدخلتني الجنّه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٠٧

فكيف لا أنشرها منّه قد عرفتها الإنس و الجنّه

«بماذا أخاطب به تلك الجلالة، فيتيسر الخطاب و تحصل الدلالة، أبسيدي و يشركنى فيه، من قال لا إله إلا الله بفيه؟ أو بروح حياتى، و ماهية ذاتى، و ذخرى الكبير الكثير، لا بل فلكى الأثير، و هو تضيق على الولد و الأهل، و تعدى المراتب المحدودة من الجهل، فلم يبق إلما الإشارة الخارجة عن وظائف اللسان، و هى بعض دلالات الإنسان، أفدت الإكسير، و جبرت الكسير، و رويت يا أبا العلا التيسير، و غمرت بالكرم و أمن حمام الحرم الطعن و المسير، فمن رام شكر بعض أيديك فلقد شدّ حقائق الرحال، إلى نيل المحال، و الحق أن نكل جزاك، لمن جعل إلى المجد اعتراك، و نولى شكرك و ثناك، إلى من عمر بما يرضيه من الرق بالخلق و إقامة الحق إناك، و ندعو منك بالبقاء إلى الروض الموجود، و غمام الجود، و إمام الرّكع السجود، لا بل لنور الله تعالى المشرق على التهام و النّجود، و رحمته المبتوثة أثناء هذا الوجود.

«و ليعلم سيدى أن النفس طماعة جماعة، و سراب آمالها بحاره لّماعة، فلا تفيق من كدّ، و لا تقف عند حدّ، سيما إذا لم يهدبها السلوك و التجريد، و لم يسر منها فى عالم الغيب البريد، و لا تجلّت لها السعادة التى يجذب بها المراد و يشمّر لها المرید، إلى أن يتأتى عمّا دون الحقّ المحيد، و يصحّ التوحيد، و قد مثلت الآن خصما، يوسع ظهر استظهارى بالتسليم قصما، و يقول: المال عدلى عند القيمة، و طبيبى فى الأحوال السقيمة، و هو نتيجة كدى عند الأقيسة العقيمة، و من استخلصنى على شرفى إذا تفاضلت الجواهر، و تبيّنت للحقّ المظاهر، و تعيّنت المراتب التى يقتعدها على رأى البراهمة النور الأصفهندي و النور القاهر، فخلاص المال طوع يديه، و هو كما قال الله تعالى أهون عليه، فألطفها، حتى تلين معاففها، و أخادعها، حتى تلوى أخادعها، و أقول: قد وقع الوعد، و أشرق السعد، و لادن الجعد، و سكن الرعد، و لله تعالى الأمر من قبل و من بعد، فتجيبنى: العمر المنام، و أيام الجاه و القدرة قد يحقّ لها الاغتنام، و همّ العاقل إلى وقته الحاضر مصروف، و «إذا لم يغير حائط» مثل معروف،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٠٨

و فى الوقت زبون يرجى به استخلاص الحقوق، و يستبعد وقوع العقوق، فإن رأى مولاي أن يشفع المنّة، و يقرع بابا ثانيا من أبواب الجنّة، قبل أن يشغل شاغل، أو يكدر الأكل و الشرب و اشى أو واغل، أو يثوب للمتعدى نظر فى اللجاج، أو يدسّ له ما يحمله على الاحتجاج - أو متسع مناطها، فسيح استنباطها، كثير هياطها و مياطها - فهو تمام صنيعته التى لم ينسج على منوالها الأحرار، و لا اهتدت إلى حسنتها الأبرار، و لا عرف بدر مجدها السرار، فإنه كان الفرار، و لله تعالى ثم له خلص الاضطرار، و يستقرّ تحت دخيله القرار، و تظمئنّ الدار فإنّ ما ابتدأ به من عزّ ضرب على الأيدى العادية منه حكم الحكام، و فارع الهضام و الآكام، على ملا و مجمع، و بمرأى من الخلق و مسمع، يقتضى أطراد قياس العزة القعساء، و سعادة الإصباح و الإمساء، و ظهور درجات الرجال على النساء، فهو جاه حارت فيه الأوهام و هذه أذياله، و من ركب حقيقة أمرها هان عليه خياله، و المال ماله، و العيال عياله، و الوجود سريع زياله، و الجزاء عند الله تعالى مكياله، و عروض المغصوب باقية الأعيان، مستقلة الشجر قائمة البنيان، تمنع عن شرائها قاعدة الأديان، و غيرها من مكيل و موزون، بين مأكول و مخزون، و الكتب ملقاء بالقاع، مطروحة بأخبث البقاع، فإن تأتى الجبر، و إلّا فالصبر، على أن وعد عمادى لا- يفارق الإنجاز، و مكرمه التى طوّقها قد بلغت الشام و الحجاز، و حقيقة التزامه تباين المجاز، و آية مجده تستصحب

الإعجاز، والله درّ إبراهيم بن المهدي يخاطب المأمون، لما أكذب في العفو عنه الظنون: [البيسط]

وهبت مالي و لم تبخل عليّ به و قبل ذلك ما إن قد وهبت دمي

«و قد كانت هذه المنقبه غريبه فعززتها بأختها الكبرى، و فريده فجئت بأخرى، و شفعت و ترا، أبقاك الله تعالى لتخليد المناقب، و

إعلاء المراتب! و جعل أخص نعلك تاجا للنجم الثاقب! و تكفل لك في النفس و الولد بحسن العواقب: [البيسط]

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

«و أمّا تنبيه سيدي على إنشاء رزق، و تقرير رفق و رفق، فلا أنبه حاتما و كعبا، أن يملا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٠٩

قعبا، لمن خاض بحرا أو ركب صعبا، هذا أمر كفانيه الكافي، و داء لوخز الأشافي، أذهب الشافي، و السلام؛ انتهى.

[من إنشائه ظهير كتابه على لسان سلطانه لأحد الفقهاء و قد ولاه استكشاف أحوال الرعية]

و من إنشاء لسان الدين رحمه الله تعالى على لسان السلطان قوله:

«هذا ظهير كريم، متضمنه استجلاء لأمر الرعية و استطلاع، و رعاية كرم منها أجناس و أنواع، و عدل بهر منه شعاع، و وصايا يجب

لها إبطاع، أصدرناه للفقهاء فلان لما تقرر لدينا دينه و عدله و فضله، رأينا أنه أحق من نقله الأمر الأكيد، و نرمي به من أغراض البر

الغرض البعيد، و نستكشف به أحوال الرعايا حتى لا- يغيب عنا شيء من أحوالها، و لا- يتطرق إليها طارق من أهوالها، و ينهي إلينا

الحوادث التي تنشأ فيها إنهاء يتكفل بحياطة أبنائها و أموالها.

و أمرناه أن يتوجه إلى جهة كذا حاطها الله تعالى فيجمع الناس في مساجدهم، و يندبهم من مشاهدتهم، و يبدأ بتقرير غرضنا في

صلاح أحوالهم، و إحساب أموالهم، و مكابدتنا المشقة في مداراة عدوهم الذي نعلم من أحواله ما غاب عنهم دفعه الله تعالى بقدرته،

و وقى نفوسهم و حريمهم من معرته، و لما رأينا من انبئات الأسباب التي تؤمل، و عجز الحيل التي كانت تعمل؛ و يستدعي إنجادهم

بالدعاء، و إخلاصهم فيه إلى ربّ السماء، و يسأل عن سيرة القواد، و ولاة الأحكام بالبلاد، فمن نالته مظلمة فليرفعها إليه، و يقصّها

عليه، ليلغها إلينا، و يوفدها مقررة الموجبات لدينا، و يختبر ما افترض صدقه للجبل، و ما فضل عن كريم ذلك العمل، ليعين إلى بناء

الحصن بجبل فازه يسير الله تعالى لهم في إتمامه، و جعل صدقتهم تلك مسكّة ختامه، و غيره ممّا افترض إعانة للمسافرين، و إنجادا

لجهاد الكافرين، فيعلم مقداره، و يتوكّل اختباره، حتى لا يجعل منه شيء على ضعيف، و لا يعدل به لمشروف عن شريف، و لا تقع فيه

مضايقة ذى الجاه، و لا مخادعة غير المراقب لله، و متى تحقّق أن غتيا قصير به عن حقه، أو ضعيفا كلف منه فوق طوقه، فيجبر الفقير

من الغنى، و يجرى من العدل على الشنن السوى، و يعلم الناس أنّ هذه المعونة و إن كانت بالنسبة إلى محلّ ضرورتها يسيرة، و أنّ الله

تعالى يضاعفها لهم أضعافا كثيرة، فليست ممّا يلزم، و لا من المعاون التي بتكريرها يجزم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١١٠

و ينظر في عهود التوفيق فيصرفها في مصارفها المتبينة، و طرقها الواضحة البيّنة.

«و يتفقد المساجد تفقدا يكسو عاريها، و يتم منها المآب تميمًا يرضى باريها، و يندب الناس إلى تعليم القرآن لصبيانهم، فذلك

أصل أديانهم، و يحذرهم المغيب على كلّ شيء من أعمارهم، فالزكاة أخت الصلاة و هما من قواعد الإسلام، و قد اخترنا لهم

بأقصى الجدّ و الاعترام، و رفعنا عنهم رسم التعريف نظرا إليهم بعين الاهتمام، و قدّمنا الثقات لهذه الأحكام، و جعلنا الخوض شرعيًا

في هذا العام، و فيما بعده إن شاء الله تعالى من الأعوام.

«و من أهم ما أسندناه إليه، و عولنا فيه عليه، البحث بتلك الأحواز عن أهل البدع و الأهواء، و السائرين من السبيل على غير السواء، و

من ينز بفساد العقد، و تحريف القصد، و التلبس بالصوفية و هو في الباطن من أهل الفساد، و الذاهبين إلى الإباحة و تأويل المعاد، و

المؤلفين بين النساء والرجال، والمتبعين لمذاهب الضلال، فمهما عثر على مطوق بالتهمة، منبذ بشيء من ذلك من هذه الأمة، فليشد ثقافه شداً، ويسد عنه سبيل الخلاص سداً، ويسترع في شأنه الموجبات، ويستوعب الشهادات، حتى ينظر في حسم دائه، ويعاجل المرض بدوائه، فليتول ما ذكرنا نائباً بأحسن المناب، ويقصد وجه الله تعالى راجياً منه جزيل الثواب، ويعمل عمل من لا يخاف في الله لومة لائم ليجد ذلك في موقف الحساب.

«و على من يقف عليه من القواد والأشياخ والحكام أن يكونوا معه يدا واحدة على ما حررنا في هذه الفصول، من العمل المقبول، والعدل المبذول، ومن قصر عن غاية من غاياته، أو خالف مقتضى من مقتضياته، فعقابه عقاب من عصى أمر الله وأمرنا فلا يلم إلا نفسه التي عزته، وإلى مصرع النكير جزته، والله تعالى المستعان»؛ انتهى.

[من إنشائه عند قبر السلطان أبي الحسن المديني وقد لجأ إلى ولده]

ومن ذلك ما خاطب به تربة السلطان الكبير أبي الحسن الميرني لما قصدتها عقب ما شرع في جواره وتوسل إلى أغراضه بذلك إلى ولده رحم الله تعالى الجميع:

«السلام عليك ثم السلام، أيها المولى الهمام، الذي عرف فضله الإسلام، وأوجبت حقه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١١١

العلماء الأعلام، وخفقت بعز نصره الأعلام، وتنافست في إنفاذ أمره ونهيه السيوف والأقلام.

والسلام عليك أيها المولى الذي قسم زمانه بين حكم فصل، وإمضاء نصل، وإحراز خصل، وعبادة قامت من اليقين على أصل. السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية، ومشبع البطون الجائعة وكاسي الظهور العارية، وقادح زناد العزائم الوارية، ومكتب الكتاب الغازية، في سبيل الله تعالى والسرايا السارية. السلام عليك يا حجة الصبر والتسليم، وملتقى أمر الله تعالى بالخلق المرضى والقلب السليم، ومفوض الأمر في الشدائد إلى السميع العليم، ومعمل البنان الطاهر في اكتاب الذكر الحكيم. كرم الله تعالى تربتك وقدها، وطيب روحك الزكية وآنسها.

فلقد كنت للدهر جمالا، وللإسلام ثمالا، وللمستجير مجيرا، وللمظلوم وليا ونصيرا، لقد كنت للمحارب صدرا، وفي المواكب بدرا، وللمواهب بحرا، وعلى العباد والبلاذ ظلما ظليلا. وسترا؛ لقد فرغت أعلام عزك الثنايا، وأجزلت هممتك لملوك الأرض الهدايا، كأنك لم تعرض الجنود، ولم تنشر البنود، ولم تبسط العدل المحدود، ولم توجد الجود، ولم تزين الزرع السجود، فتوسدت الثرى، وأظلت الكرى، وشربت الكأس التي يشربها الورى، وأصبحت ضارع الخد، كليل الحد، سالكا سنن الأب والجد، لم تجد بعد انصرام أجلك، إلا صالح عملك، ولا أصبحت لقبرك، إلا رابح تجرك، وما أسلفت من رضاك وصبرك، فانسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك، ويجود بسحاب الرحمة ترابك! وينفعك بصدق اليقين! ويجعلك من الأئمة المتقين! ويعلى درجتك في عليين! ويجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين.

وليهنك أن صير الله تعالى ملكك من بعدك، إلى نير سعدك، وبارق رعدك، ومنجز وعدك، أرضى ولدك، وريحانة خلدك، وشقة نفسك، والسرحة المباركة من غرسك، ونور شمسك، وموصل عملك البر إلى رمسك، فقد ظهر عليه أثر دعواتك، في خلواتك وأعقاب صلواتك، فكلمتك والمنية لله تعالى باقية، وحسنتك إلى محلّ القبول راقية، يرعى بك الوسيلة، ويتّم مقاصدك الجميلة، أعانه الله تعالى ببركة رضاك على ما قلده، وعمر بتقواه يومه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١١٢

وغده، وأبعد في السعد أمده، وأطلق بالخير يده، وجعل الملائكة أنصاره والأفدال عدده.

«و إننى أيها المولى الكريم، البر الرحيم، لما اشتراى، وراشنى وبراننى، وتعبدى بإحسانه، واستعمل فى استخلاصى خطّ بنانه، و

وصيته لسانه، لم أجد مكافأة إلا التقرب إليك وإليه برثائك، وإغراء لسانى بتخليد عليائك، و تعفير الوجنة فى حرمك، والإشادة بعد الممات بمجدك و كرمك، ففتحت الباب فى هذا الغرض، إلى القيام بحققك المفترض، الذى لولاه لا تصلت الغفلة عن أدائه و تمادت، فما يبست الألسن ولا كادت، متحيزا بالسبق، إلى أداء هذا الحق، بادئا بزيارة قبرك الذى هو رحلة الغرب ما نويته من رحلة الشرق، و ما عرضت عنه فأقطعه أثر مواقع الاستحسان، و قد جمع بين الشكر و التثويه و الإحسان، و الله سبحانه يجعله عملا مقبولا، و يبلغ فيه من القبول مأمولا، و يتغمد من ضاجعته من سلفك الكرام بالمغفرة الصيبيه، و التحيات الطيبة، فنعم الملوك الكبار، و الخلفاء الأبرار، و الأئمة الأخيار، الذين كرمت منهم السير و حسنت الأخبار، و سعد بعزما تهم الجهادية المؤمنون و شقى الكفار، و صلوات الله تعالى عودا و بدءا على الرسول الذى اصطفاه و اختاره فهو المصطفى المختار، و على آله و أصحابه الذين هم السادة الأبرار، و سلم تسليمًا؛ انتهى.

[من إنشائه يخاطب الوزير المتغلب على بلاد المغرب]

و قال لسان الدين رحمه الله تعالى: و مما خاطبت به الوزير المتغلب على الملك بالمغرب ما نصه: [السريع]

لا ترج إلا الله فى شدة وثق به فهو الذى أيدك
حاشاك أن ترجو إلا الذى فى ظلمة الأحشاء قد أوجدك
فاشكره بالرحمة فى خلقه و وجهك ابسط بالرضا أو يدك
و الله لا تهمل أطفاه قلادة الحق الذى قلدك
ما أسعد الملك الذى سسته يا عمر العدل، و ما أسعدك!

«نخض الوزير الذى بهر سعده، و حمد فى المضاء قصده، و عول على الشيم التى اقتضاها مجده، و أورثه إياها أبوه و جدّه، الوزير عمر الكذا ابن الشيخ الكذا، أبقاه الله تعالى ثابت القدم، خافق العلم، شهيرا حديث سعده فى الأمم، مثلا خبر بسالته و جلالته فى العرب و العجم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١١٣

«تحية معظم مجده الكبير، المستند إلى عهده الوثيق و حسبه الشهير؛ المسرور بما سنّاه الله تعالى له من نجاح التدبير، و النصر العديم النظر، و إنجاده إياه عند إسلام النصير، و فراق القبيل و العشير، ابن الخطيب، و اليد ممدودة إلى الله تعالى فى صلة سعد الوزير - أبقاه الله تعالى! - و دوام عصمته، و اللسان يطنب و يسهب فى شكر نعمته، و الأمل متعلق بأسبابه الكريمة و أذمته، و قد كان شيعه مع الشفقة التى أذابت الفؤاد، و ألزمت الأرق و السهاد، على علم بأنّ عناية الله تعالى عليه عاكفه، و ديم آلائه لديه و اكفه، فإن الذى أقدره و أيده و نصره، و أنفذت مشيئته ما دبّره، كفيل يأمداه، و ملئ يأسعاده، و مرجو لإصلاح دنياه و معاده، و فى أثناء هذه الأراجيف استولى على معظم وزارته الجزع، و تعاورته الأفكار تأخذ و تدع، فإنى كما يعلم الوزير أعزه الله تعالى منقطع الأسباب، مستوحش من الجهة الأندلسية على بعد الجناب، و مستعدى على بكونى من المعدودين فيمن له من الخلاء و الأحباب، فشرعت فى نظر أحصل منه على زوال اللبس، و أمان النفس، و اللحاق بمأمن يرعانى برعى الوزير، بخلال ما يدبّر الأمر من له التدبير، ففى أثناءه، و تمهيد أساس بنائه، ورد البشير بما سنّاه الله تعالى لسيدى و جابر كسرى، و منصفى بفضل الله تعالى من دهرى، من الصنع الذى ظهر، و راق نوره و بهر، فأمنت و إن لم أكن ممّن جنى، و حفنتى المسرّات بين فرادى و ثنى، و انشرح بفضل الله تعالى صدرى، و زارتنى النعم و التهانى من حيث أدرى و لا أدرى، و وجهت الولد الذى شملته نعمة الوزير و إحسانه، و سبق إليه امتنانه، نائبا عنى فى تقبيل يده، و شكر يده، و الوقوف ببابه، و التمسك بأسبابه، آثرته بذلك لأمر: منها المزاوله فيما كان يلزمنى من إخوته الأصاغر، و تدريبه على خدمة الجلال الباهر، و إفرادى له بالبركة، و لعائق ضعف عن الحركة، و بعد ذلك أشرع بفضل الله تعالى فى العمل على

تجديد العهد بباب الوزارة العلية، عارضا من ثنائها ما يكون وفق الأمنية، و ربّ عمل أغنى عنه فضل نبيّه، والسلام الكريم على سيدي ورحمة الله تعالى وبركاته».

[من إنشائه أيضا إلى وزير المغرب على أثر الفتح الذي تكيف له]

قال: و كتبت إليه أيضا على أثر الفتح الذي تكيف له:

«سيدي الذي أسرّ بسعادته، و ظهور عناية الله تعالى به في إبدائه و إعادته، و أعلم كرم مجادته، و أعترف بسيادته، الوزير الميمون الطائر، الجارى حديث سعده و مضائه مجرى المثل
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١١٤
السائر، أبقاه الله تعالى عزيز الأنصار! جاريه يمين نقيته حركة الفلك الدوّار، معصوما من المكاره بعصمة الواحد القهار، معظم سيادته الرفيعة الجانب، و موقر وزارته الشهيرة المناسب، الداعي إلى الله تعالى بطول بقائه في عزّ واضح المذاهب، و صنع و اكف السحاب، ابن الخطيب، عن الذي يعلم سيدي من لسان طلق بالثناء، و يد ممدودة إلى الله تعالى بالدعاء، و التماس لما يعدّ من جزيل النعماء، و الفتح الذي تفتح له أبواب السماء، و قد اتصل ما سنّاه الله تعالى له من النصر و الظهور، و الصنع البادى السفور، لما التقى الجمعان، و تهوّدت أكّوس الطعان، و تبين الشجاع من الجبان، و ظهر من كزّات سيدي و بسالته ما تحدّث به ألسنة الركبان، حتى كانت الطائفة لحزبه، و ظهرت عليه عناية ربّه، فقلت: الحمد لله الذي جعل سعد عمادى متّصل الآيات، واضح الغرر و الشّيات. و قد كنت بعثت أهنته بما قدم من صنع جميل، و بلوغ تأميل، فقلت: اللهم أهد علينا التهاني تترى، و اجعل الكبرى من نعمتك السالفه بنعمتك الرادفة الخالفة هي الصغرى، و اجمع له بين نعم الدنيا و الأخرى، و الناس - أبقى الله تعالى سيدي! - لهم مع الاستناد إليك جهات، و أمور مشتهيات، إلّا المحب المتشيع فجهتك هي التي آنست الغربية، و فرّجت الكربة، و وعدت بالخير، و ضمنت عاقبة الضير، و أنا أرتقب ورود التعريف المولوى على عبيده بهذه المدينة واصل الله تعالى لمباشرتها الهناء! و قرت العين بمشاهدة الآلاء! و الله عزّ و جلّ يديم سعادة سيدي و يطيل بقاءه! و يرادف قبله نعمه و آلاءه، بفضلته»؛ انتهى.

[من إنشائه إلى وزير المغرب بسلا]

و قال: و ممّا خاطبت به المذكور و أنا ساكن بسلا: [الطويل]

أيا عمر العدل الذي مطل المدى بوعد الهدى حتى وفيت بدينه
و يا صارم الملك الذي يستعدّه لدفع عداه أو لمجلس زينه
هنت عينك اليقظى من الله عصمة كفت وجه دين الله موقع شينه
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١١٥
و هل أنت إلّا الملك و الدين و الدنا و لا يلبس الحقّ المبين بمينه
إذا نال منك العين ضرّ فإنما أصيب به الإسلام في عين عينه

«الوزير الذى هو للدين الوزر الواقى، و العلم السامى المراقب و المراقى، و الحلى المقلّد فوق الترائب و التراقى، و الكنز المؤمّل و الذخر الباقي، حجب الله تعالى العيون عن عين كمالك! و صير الفلك الدوّار مطيئة آمالك! و جعل اتّفاق اليمين مقرونا بيمينك، و انتظام الشمل معقودا بشمالك!».

«اعلم أنّ مطلق لسان الثناء على مجدك، و المستضىء على البعد بنور سعدك، و معقود الرجاء بعروء وعدك، لا يزال فى كلّ ساعة

يسحب الفلك فيه ذيلها، و يعاقب يومها و ليلها، مصغى الأذن إلى نيا يهدى عنك لله تعالى دفاعا، أو يمدّ في ميدان سعدك باعا، و أنت اليوم النصير على الدهر الظلوم، و آسى الكلوم، و ذو المقام المعلوم، فتعرفت أن بعض ما يتلاعب به بين أيدي السادة الخدام، و تتفكّه به المثاقفة و الأقدام، من كرة مرسله الشهاب، أو نارنجة ظهر عليها من اسمها صبغة الالتهاب، حوّمت حول عينك لا كدر صفاؤها، و لا هدم فوق مهاد الدعة و الأمن إغفاؤها، فرعت حول حماها، و رامت أن تصيب فخيّب الله تعالى مرماها: [الطويل]

نرى السوء ممّا نتقى فنهاهه و ما لا نرى ممّا يقى الله أكثر

«فقلت: مكروه أخطأ سهمه، و تنبيه من الله تعالى لمن نبيل عقله و فهمه، و دفاع قام دليله، و سعد أشرق جليله، و أيام أعربت عن إقبالها، و عصمة غطت بسربالها، و جوارح جعل الله تعالى الملائكة تحرسها، فلا تغتالها الحوادث و لا تفترسها، و الفطن يشعر بالشيء و إن جهل أسبابه، و الصوفى يسمع من الكون جوابه، فبادرت أهنته تهنته من يرى تلك الجوارح الكريمة أعزّ عليه من جوارحه، و يرسل طير الشكر لله تعالى فى مساقط اللطف الخفى و مسارحه، و سألته سبحانه أن يجعلك عن النوائب حجرا لا يقرب، و ربعك ربعا لا يخرب، ما سبح الحوت و دبّ العقرب، ثم إننى شفعت الهناء و وترته، و أظهرت السرور فما سترته، بما سنّاه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١١٦

لتدبيرك من مسالمة تكذب الإرجاف، و تغنى عن الإيجاف، و تخصب للإيل العجاف، و تريح من كيد، و تفرغ إلى مجادله عمرو و زيد، و كأتى بسعدك قد سدل الأمان، و عدل الزمان، و أصلح الفاسد، و نفق الكاسد، و قهر الروع المستأسد، و سرّ الحبيب و ساء الحاسد، و السلام»؛ انتهى.

[من إنشائه معزيا الرئيس عامر بن محمد الهنتانى]

و من إنشاء لسان الدين رحمه الله تعالى ما خاطب به الرئيس عامر بن محمد بن على الهنتانى معزيا له عن أخيه عبد العزيز: [الطويل]

أبا ثابت، كن فى الشدائد ثابتا أعيدك أن يلقى حسودك شامتا
عزاؤك عن عبد العزيز هو الذى يلقى بعزّ منك أعجز ناعتا
فدوحتك الغناء طالت ذوائبا و سرحتك الشّماء طابت منابتا
لقد هدّ أركان الوجود مصابه و أنطق منه الشجو من كان صامتا
فمن نفس حرّ أوثق الحزن كظمها و من نفس بالوجد أصبح خافتا
هو الموت للإنسان فصل لحده و كيف ترجى أن تصاحب مائتا
و للصبر أولى أن يكون رجوعنا إذا لم نكن بالحزن نرجع فائتا

«أتصل بى أيها الهمام، و بدر المجد الذى لا يفارقه التمام، ما جنته على عليائك الأيام، و اقتنصه محلّق الردى بعد أن طال الخيام، و ما استأثر به الحمام، فلم يغن الدفاع و لا نفع الدمام، من وفاة صنوك الكريم الصفات، و هلاك وسطى الأسلاك، و بدر الأحلاك، و مجير الأملاك، و ذهاب السيمح الوهباب، و أنا لديغ صلّ الفراق، الذى لا يفيق بألف راق، و جريح سهم البين، و مجارى العيون الجارية بدمع العين، لفقده أنيس سهّل على مضض النكبة، و نحى ليث الخطب عن فريستى بعد صدق الوثبة، و آنسنى فى الاغتراب، و صحبنى إلى منقطع التراب، و كفّل أصاغرى خير الكفالة، و عاملنى من حسن العشرة بما سجّل عقد الوكالة، انتزع الدهر من يدي حيث لا أهل و لا وطن، و الاغتراب قد ألقى بعطن، و ذات اليد يعلم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١١٧

حالتها من يعلم ما ظهر و ما بطن، و رأيت من تطارح الأصاغر على شلو الغريب، النازح عن النسيب و القريب، ما حملنى على أن جعلت البيت له ضريحا، و مدفنا صريحا، لأخدع من يرى أنه لم يزل مقيما لديه، و أن ظلّ شفقتة منسحب عليه، فأعيا مصابى عند

ذلك الفرح، و أعظم الظمأ البرح، و نكأ القرح القرح، إذ كان ركننا قد بنته لى يد معرفتك، و متصفا فى البرى و الرعى لصاغيتى بكرىم صفتك، فوالهفا عليه من حسام، و عزّ سام، و أباد جسام، و شهرة بين بنى حام و سام، أى جمال خلق، و وجه للقاصد طلق، و شيم تطمح للمعالى بحق؟ و أى عضد لك يا سيدى لا يهن إذا سطا، و لا يقهر إذا خطا، يوجب لك على تحليه بالشية، ما توجه النبوة من الهيبة، و يرد ضيفك آمنة من الخيبة، و يسدّ ثغرك عند الغيبة، ذهبت إلى الجزع فرأيت مصابه أكبر، و دعوت بالصبر فولّى و أدبر، و استنجدت الدمع ففضب، و استصرخت الرجاء فأنكر ما روى و اقتضب، و بأى حزن يلقى عبد العزيز و قد جلّ فقده، أو يطفأ لاعجه و قد عظم وقده، اللهم لو بكى بندى أباديه، أو بغمائم غواديه، أو بعباب واديه، و هى الأيام أى شامخ لم تهدّه، أو جديد لم تبله و إن طالت المدة؟ فرقت بين التيجان و المفارق، و الخدود و النمارق، و الطلى و العقود، و الكأس و ابنة العقود، فما التعلل بالفان، و إنما هى إغفاءة أجمان، و التشبّت بالحبائل، و إنما هو ظلّ زائل؟ و الصبر على المصائب، و وقوع سهمها الصائب، أولى ما اعتمد طلابا، و رجع إليه طوعا أو غلابا، فأنا يا سيدى أقيم رسم التعزية، و إن بؤت بمضاعف المرزية، و لا عتب على القدر، فى الورد من الأمر و الصّيدر، و لو لا- أن هذا الواقع ممّا لا يجدى فيه الخلصان، و لا يغنى فيه اليراع و لا الخرصان، لأبلى جده من اقترضتموه معروفا، و كان بالتشيع إلى تلك الهضبة معروفا، و كان بالتشيع إلى تلك الهضبة معروفا، لكنها سوق لا ينفق فيها إلّا سلعة التسليم، للحكيم العليم، و طىّ الجوانح على المضض الأليم، و لعمري لقد خلّدت لهذا الفقيد و إن طمس الحمام محاسنه الوضاحة، لما كبس منه الساحة، صحفا منشرة، و ثغورا بالحمد مؤشّرة، يفخر بها بنوه، و يستكثر بها مكتسبو الحمد و مقتنوه، و أنتم عماد البازة، و علم المفازة، و قطب المدار، و عامر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١١٨

الدار، و أسد الأجمة، و بطل الكتيبة الملجمة، و كافل البيت، و الستر على الحى و الميت، و مثلك لا يهدى إلى نهج لاجب، و لا ترشده نار الحباب، و لا يتبه على سنن نبى كريم أو صاحب، قدرك أعلى، و فضلك أجلى، و أنت صدر الزمان بلا مدافع، و خير معل و علام الفضل و رافع، و أنا و إن أخرت فرض بيعتك لما خصّنى من المصاب، و نالنى من الأوصاب، و نزل بى من جور الزمان الغضاب، ممّن يقبل عذره الكرم، و يسعه الحرم المحترم، و الله سبحانه الكفيل لسيدى و عمادى ببقاء يكفل به الأبناء و أبناء الأبناء، و يعلى لقومه رتب العزّ سامية البناء، حتى لا يوحش مكان فقيد مع وجوده، و لا يحسّ بعضّ زمان مع جوده، و يقرّ عينه فى ولده و ولد ولده، و يجعل أيدى مناويه تحت يده؛ و السلام.

[من إنشائه يخاطب الرئيس عامر بن محمد الهتاني]

و خاطبه لسان الدين أيضا بما نصّه:

«سيدى الذى هو رجل المغرب كلّه، و المجمع على طهارة بيته و زكاء أصله، علم أهل المجد و الدين، و بقيه كبار الموحدين. بعد السلام الذى لتلك الجلالة الراسخة القواعد، السامية المصاعد، و الدعاء لله أن يفتح لك فى مضيقات هذه الأحوال مسالك التوفيق، و يمسكك من عصمته بالسبب الوثيق، أعرفك أن جبلك اليوم و قد عظم الرّجفان، و فاض التنور و طغى الطوفان، تؤمل النفوس الغرقى جودى جوده، و تغتبط غاية الاغتباط بوجوده. و والله لو لا- العلائق التى يجب لها الالتزام، ما وقع على غير قصدك الاعترام، و الله تعالى يمدّك بإعانتة على تحمّل القصّاد، و يبقى محلّك رفيع العماد كثير الرماد، و يجعل أبا يحيى خلفا منك بعد عمر النهاية البعيد الآماد، و يبقى كلمة التوحيد فيكم إلى يوم التناد. و حامله القائد الكذا معروف النباهة و الجهاد، و محلّه لا ينكر فى الفؤاد، لما استبهمت السبل، و التبس القول و العمل، لم يجد أنجى من الركون إلى جنابك، و التمسك بأسبابك، و الانتظام فى جملة خواصك و أحبابك، حتى ينبلج الصبح،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١١٩

و يظهر النَّجْح، و يعظم المنح، و يكون بعد هجرته الفتح، و مثلكم من قصد و أمل، و أنضى إليه المطا و أعمل، و أمّا الذى عندى من القيام بحقّ تلك الذات الشريفة، و القول بمناقبها المنيفة، فهو شىء لا- تفى به العبارة، و لا تؤدّيه الألفاظ المستعارة، و الله تعالى المسؤول فى صلّة عزّ سيدى و دوام سعده، و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته؛ انتهى.

[من إنشائه يخاطب شيخ الدولة و قد أبل من مرضه]

و قال لسان الدين رحمه الله تعالى: و ممّا خاطبت به شيخ الدولة- و قد استقلّ من مرض- ما نصّه: [البيسط]

لا أعدم الله دار الملك منك سنا يجلى به الحالكان الظلم و الظلم
و أنشدتك الليالى و هى صادقة «المجد عوفى إذ عوفيت و الكرم»

«من علم- أعلى الله تعالى قدرك!- أنّ المجد جواد حلاك شياته، لا بل الملك بدر أنت آياته، لا بل الإسلام جسم أنت حياته، دعا منك بالبقاء لمجد يروق بك جبينه، و ملك تثيره و تزينه، و لدين تعامل الله تعالى بإعزازه و تدينه، فلقد أمت نفوس المؤمنين لآلامك، و وجم الإسلام لتوقع إسلامك، و تأخرت الأعلام لتأخر أطرافك بمصالح الملك و أعلامك، فإنما أنامل الدين و الدنيا متشبّهة بأذيال أيامك، و رحال الأمل مخيمه بين حلالك و خيامك، فإذا قابلت الأشراف نعم الله تعالى بشكر، و رمت الغفلة عن ذلك بنكر، فاشكره جلّ و علا بملء لسانك و جنانك، و اجر فى ميدان حمده مطلقا من عنانك، على ما طوّقتك من استرقاق حرّ، و إفاضة أياد عزّ، و اقتناء عسجد من الحمد و درّ، و إتاحة نفع و دفع ضرّ، و إداله حلو من مرّ، و كن على ثقة من مدافعة الله تعالى عن حماك، و عزّ تبلغ ذوائبه السيامك، و رزق يجزه فال متمماك، و دونك مجلس الإمامة فقد تديره بزمامك، و حظوة الخلافة فاستحقها بوسائلك القديمة و ذمامك، و محاسن الدولة فاجلها على منضية إمامك، و رسوم البرّ فأغر بها عين اهتمامك، و ذروة المنبر فأمض بها طبة حسامك، و أجز الأعمالين زهر الأيدى البيض من كمائم أكمامك، فيا عزّ دوله بك- يا جملة الكمال- قد استظهرت، و أذلت المعاند و قهرت، و بأعمال آرائك اشتهرت، فراقت فضائلها و بهرت: جزاله كما شقّ الجوّ جارح، و لطافه كما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٢٠

طارح بفن التأليف مطارح، و فكر فى الغيب سارح، و دين لغوامض الحلم و العدل شارح، و مكارم محت آثار الكرماء و نسخت، و حلّت عقود أخبار الأجواد فى الأعصار و فسخت، فلم تدع لفضل الفضل ذكرا، و تركت معروف يحيى بن خالد نكرا، لا بل لم يبق لكعب، من علو كعب، و أنست دعوة حاتم، بأىّ ماح و خاتم، فصارت سبى جوار، و منع جوار، و عقر ناب، عند اقشعرار جناب، و أين يقع من كبر قدر ترفع عن الكبر، و جود خضب الأيدى بحناء التبر، و عزّ استخدم الأسل الطوال بيراع أقلّ من الشبر، و حقن الدماء المراقبة بإرافة نجيع الحبر، و فكّ العقال، و رفع التوب الثقال، و راعى الذرّة و المثقال، و عثر الزمان فأفال، و وجد لسان الصدق فقال:
«أقسم ببارئ التسم، و هو أبرّ القسم، ما فازت بمثلك الدول، و لا ظفرت بمثلك الملوك الأواخر و الأول، و لو تقدّمت لم يضرب إلّا بك المثل، و لم يقع إلّا على سنتك و كتابك و الإجماع المنعقد على آدابك العمل، و المملوك لّمّا شام مالكة برق العافية، و تدرّع بالألطف الخافية، كتب مبشرا بالهناء، و مذيعا ما يجب من الحمد و الثناء، و شاكرا ماله بوجوده من الاعتناء، فقد بادر ركن الدين بالبناء، و أبقى الستر و المنّة على الآباء و الأبناء، فنسأل الله تعالى أن يمتّع منك بأثير الملوك، و وسطى السلوك، و سلاله أرباب المقامات و السلوك، و يبيحك و حصّية الصحّة و افره، و غرّة العزّة القعساء سافره، و غادة عادة السعادة غير نافره، و كتيبة الأمل فى مقامك السعيد غانمة ظافره، ما زحفت للصبح شهب المواكب، و تفتّحت بشطّ نهر المجرّة أزهار الكواكب، و السلام؛ انتهى.

[من إنشائه يخاطب شيخه ابن مرزوق جوابا عن كتاب منه]

و من ذلك ما خاطب به سيدى أبا عبد الله بن مرزوق، جوابا عن كتابه، و قد استقرّ خطيب السلطان بتونس: [الوافر]

ولما أن نأت منكم ديار و حال البعد بينكم و بينى

بعثت لكم سوادا فى بياض لأنظر كم بشيء مثل عيني

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٢١

«بم أفاتحك يا سيدى، و أجلّ عددى؟ كيف أهدى سلاما، فلا أأحذر ملاما؟ أو أنتخب لك كلاما، فلا أجد لتبعه التقصير فى حقك

الكبير إيلاما؟ إن قلت: تحية كسرى فى الثناء و تبع، فكلمة فى مربع العجمة تربع، و لها المصيف فيه و المربع، و الجميم و المنيع،

فتروى متى شاءت و تشبع، و إن قلت: إذا العارض خطر، و مهما همى أو قطر، سلام الله يا مطر، فهو فى الشريعة بطر، و ركه خطر، و

لا يرعى به وطن و لا يقضى به وطر، و إنما العرق الأوشج، و لا يستوى البان و البنفسج، و العوسج و العرفج: [الطويل]

سلام و تسليم و روح و رحمة عليك و ممدود من الظلّ سجسج

«و ما كان فضلك ليمنعنى الكفران أن أشكره، و لا لينسبني الشيطان أن أذكره، فأأخذ فى البحر سببا. أو أسلك غير الوفاء مذهبا، تأبى

ذلك- و المنة لله تعالى- طباع، لها فى مجال الرعى باع، و تحقيق و إشباع، و سوائم من الإنصاف، ترعى فى رياض الاعتراف، فلا

يطرقها ارتياح، و لا تخيفها سباع، و كيف نجحد تلك الحقوق و هى شمس ظهيره، و أذان عقيرة جهيرة، فوق مئذنة شهيرة، آدت

الأكتاد لها ديون تستغرق الدمم، و تسترق حتى الرمم، فإن قضيت فى الحياة فهى الخطئة التى نرتضيها، و لا نقنع من عامل الدهر

المساعد إلا أن ينفذ مراسمها و يمضيها، و إن قطع الأجل فالغنى الحميد- من خزائنه التى لا تبيد- يقضيها، و يرضى من يقتضيها. و

حيا الله تعالى أيها العلم السامى الجلال، زما بمعرفتك المبرة على الآمال. برّ و أتحف، و إن أساء بفراقك و أجحف، و أعرى بعد ما

ألحف، و أظفر باليتيمة المذخورة للشدائد و المزائن، ثم أوحش منها أصونه هذه الخزائن، فأب حنين الأمل بخفيه، و أصبح المغرب

غربيا يقبّ كفيه، و نستغفر الله تعالى من هذه الغفلات، و نستهديه دليلا فى مثل هذه الفلوات، و أى ذنب فى الفراق للزمن، أو لعراب

الذمن، أو للرواحل المدلجة ما بين الشام إلى اليمن، و ما منها إلا عبد مقهور، و فى رمة القدر مبهور، عقد و الحمد لله مشهور، و حجة

لها على النفس

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٢٢

اللّوامة ظهور، جعلنا الله تعالى ممّن ذكر المسبب فى الأسباب! و تذكر و ما يدكّر إلا أولوا الألباب [سورة البقرة، الآية: ٢٦٩] قبل غلق

الزهن و سدّ الباب، و بالجملة فالفراق ذاتى، و وعده مأتى، فإن لم يكن فكأن قد، ما أقرب اليوم من الغد، و المرء فى الوجود غريب، و

كل آت قريب، و ما من مقام إلا لزيال، من غير احتيال، و الأعمار مراحل و الأيام أميال: [الوافر]

نصيبك فى حياتك من حبيب نصيبك فى منامك من خيال

جعل الله تعالى الأدب مع الحق شأننا! و أبعد عنا الفراق الذى شأننا! و إنى لأسر لسيدى بأن رعى الله تعالى صالح سلفه، و تداركه

بالتلقى فى تلفه، و خلّص سعادته من كلفه، و أحله من الأمن فى كنفه، و على قدرها تصاب العلياء، و أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم

الأولياء.

هذا، و الخير و الشّرّ فى هذه الدار، المؤسّسة على الأكدار، ظلّان مضمحلّان، فقد ارتفع، ما ضرّ أو نفع، و فارق المكان، فكأنه ما كان،

و من كلمات الملوك، البعيدة عن الشكوك، إلى أن يشاء ملك الملوك: [مجزوء الكامل]

خذ من زمانك ما تيسر و اترك بجهدك ما تعسر

و لربّ مجمل حالة ترضى به ما لم يفسر

و الدهر ليس بدائم لا بدّ أن سيسوء إن سرّ

و اكنتم حديثك جاهدا شمت المحدث أو تحسّر

و الناس آنية الزجاج إذا عثرت به تكسر
لا تعدم التقوى فمن عدم التقى في الناس أعسر
و إذا امرؤ خسر الإله فليس خلق منه أخسر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٨، ص ١٢٢

إنَّ لله تعالى في رعيك لسراً، و لطفاً مستمراً مستقراً، إذ ألقاك اليم إلى الساحل، فأخذ بيدك من ورطة الواحل، و حرّك منك عزيمته الراحل، إلى الملك الحلال، فأدالك من إبراهيمك سمياً، و عرفك بعد الولي و سمياً، و نقلك من عناية إلى عناية، و هو الذي يقول و قوله الحقّ ما ننسخ من آية [سورة البقرة، الآية: ١٠٦].

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٢٣

«و قد وصل كتاب سيدى يحمده - و لله الحمد - العواقب، و يصف المراقى التي حلها و المراقب، و ينشر المفاخر الحفصية و المناقب، و يذكر ما هيأه الله تعالى لديها من إقبال، و رخاء بال، خصيصى اشتمال، و نشوة آمال، و أنه اغتبط و ارتبط، و ألقى العصا بعد ما خبط، و مثل تلك الخلافة العلية من تزن الذوات، المخصوصة من الله تعالى بتشريف الأدوات، بميزان تمييزها، و تفرق بين شبه المعادن و إبريزها، «و شبه الشيء» مثل معروف، و لقد أخطأ من قال: الناس ظروف، إنما هم شجرات مربع فى بقعة ماحلة، و إبل مائة لا تجد فيها راحلة، و ما هو إلا اتفاق، و نجح للملك و إحقاق، و قلما كذب إجماع و إصفاق، و الجليس الصالح لرب سياسة أمل مطلوب، و حظ إليه مجلوب، و إن سئل أطرف، و عمر الوقت ببضاعة أشرف، و سرق الطباع، و مدّ فى الحسنات الباع، و سلّى فى الخطوب، و أضحك فى اليوم القطوب، و هدى إلى أقوم الطرق، و أعان على نواب الحق، و زرع له المودة فى قلوب الخلق، زاد الله تعالى سيدى لديها قرباً أثيراً، و جعل فيه للجميع خيراً كثيراً، بفضلته و كرمه.

«و لعلمى بأنه - أبقاه الله تعالى! - يقبل نصحى، و لا يرتاب فى صدق صبحى، أغبطه بمثواه، و أنشده ما حضر من البديهة فى مسارة هداه و نجواه: [الكامل]

بمقام إبراهيم عذ و اصرف به فكرا تورق عن بواعث تنبرى
فجواره حرم و أنت حمامة ورقاء و الأغصان عود المنبر
فلقد أمنت من الزمان و ريبه و هو المروّع للمسيء و للبرى

«و إن تشوف سيدى فلعمرو ليه لو كان المطلوب دنيا لوجب وقوع الاجتراء، و لاغتبط بما تحصل فى هذه الجزور، المبيعة فى حانوت الزور، من السهام الوافرة الأجزاء، فالسلطان - رعاه الله تعالى! - يوجب ما فوق مزية التعليم، و الولد - هداهم الله تعالى! - قد أخذوا بحظ قل أن ينالوه بغير هذا الإقليم، و الخاصة و العامة تعامل بحسب ما بلته من نصح سليم، و ترك لما بالأيدى و تسليم، و تدبير عاد على عدوها بالعذاب الأليم، إلا من أبدى السلامة و هو من إبطان

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٢٤

الحسد بحال السليم، و لا ينكر ذلك فى الحديث و لا فى القديم، و لكن النفس منصرفه عن هذا الغرض، نافضة يدها من العرض، قد فوّتت الحاصل، و وصلت فى الله تعالى القاطع و قطعت الواصل، و صدقت لما نصح الفود الناصل، و تأهبت للقاء الحمام الواصل، و قلت:

[المنسرح]

انظر خضاب الشباب قد نصلا و زائر الأونس بعده انفصلا
و مطلبى و الذى كلفت به حاولت تحصيله فما حصلا
لا أمل مسعف و لا عمل و نحن فى ذا و الموت قد وصلا

و الوقت إلى الإمداد منكم بالدعاء في الأصائل و الأسحار، إلى مقيل العثار، شديد الافتقار، و الله عزّ و جلّ يصل لسيدى رعى جوانبه، و يتولّى تيسير آماله من فضله العميم و مآربه، و أقرأ عليه من التحيات، المحملة من فوق رحال الأريحيات، أزكاها، ما أوجع البرق الغمام فأكباها، و حسد الروض جمال النجوم الزواهر فقاسها بمباسم الأزهار و حكاها، و اضطبر هرم الليل عند الميل عصا الجوزاء و توّكّاه، و رحمه الله تعالى و بركاته؛ انتهى.

و ممّا خاطب به لسان الدين - رحمه الله تعالى! - ابن مرزوق المذكور قوله:

«سيدى، و عمادى، كشف قناع النصيحة من وظائف صديق، أو خديم لصيق، و أنا بكلتا الجهتين حقيق، و يتلجلج في صدرى كلام أنا إلى نفثه ذو احتياج، و لو فى سبيل هياج، و خرق سياج، و خوض دياج، و قد أصبحت سعادتى عن أصل سعادتك فرعا، فوجب النصح طبعا و شرعا، فليعلم سيدى أنّ الجاه ورطه، و الاستغراق فى تيار الدول غلظة، و بمقدار العلو - إلا أن يقى الله تعالى - تكون السقطة، و أنه - و الله تعالى يعصمه من الحوادث، و يقيه من الخطوب الكوارث! - و إن تبعه الجمع فهو مفرد، و بسهام الحسدة مقصد، و أنّ الذى يقبل يده، يضم حسده، و ما من يوم إلا و العلل تستشرى، و الحيل تريش و تبرى، و سموم المكاييد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٢٥

تسرى، و العين الساهرة تطرق العين النائمة من حيث تدرى و لا تدرى، و هذا الباب الكريم مخصوص بالزيارة و البركة، و خصوصا فى مثل هذه الحركة، فتمّ ظواهر تخالف السرائر، و حيل تصيب فى الجوّ الطائر، و ما عسى أن يتحفّظ المحسود، و قد عوت الكلاب و زارت الأسود، و إن ظنّ سيدى أنّ الخطئة الدينية تدبّ عن نفسها، أو تنفع مع غير جنسها، فذلك قياس غير صحيح، و هبوب ربح، و إنما هى درجة فوق الوزارة و الحجابة، و دهر يدعى فيبادر بالإجابة، و جاه يجزّ على القبيل الأذبال، و يفيد العزّ و المال، و بحر هال، و صدور تحمل الجبال، و إن قطع بالأمان، من جهة السلطان، لم يؤمن أن يقع فيه، و الله سبحانه يقيه، و يمتّع به و يبقيه، ما البشر بصدده، و الحى يجرى إلى أمده، فيستظهر الغير بقبيل، و يجرى من التغلب على سبيل، و يبقى سيدى - و الله تعالى يعصمه! - طائرا بلا جناح، و محاربا دون سلاح، ينادى من كان يثق بوّده فى طلل، و يقرع سنّ النادم و الأمر جلل، و مثله بين غير صنفه - ممّن لا يتصف بطرف، و لا يلتفت إلى الإنسانية بطرف، و لا يعبد الله تعالى و لو على حرف - محمول عليه من حيث الصنفية، متعمّد بالعداوة الخفية، و إن ظنّ غير هذا فهو مخدوع مسحور، و مفتون مغرور، و بالفكر فى الخلاص تفاضلت النفوس، و استدفع البوس، و له وجوه كلّها متعدّز الحصول، دونه بيض النصول، و إلا ما كان من الغرض الذى بان فيه بعد الجدّ الفتور، و عدل عنه و قد أخذ الدستور، و تيسرت الأمور، و تقرّرت الأيمان و النذور، فإنه عرض قريب و سفر قاصد، و مسعى لا ينفق فيه سيدى من المال درهم واحد، و وطن لحركته راصد، لا يمنح عليه أهله، و لا - يستصعب سهله، و أميره جبره الله تعالى يتطرح فى تعيينكم لاقتضائه، و إحكام آرائه، و تأمين خائفه، و استخدام أصنافه و طوائفه، و يتحرّكون حركة العزّ و التّويه، و القدر النبى، لا يعوزكم ممّن وراءكم مطلب، و لا يلقى عن مخالفتكم مذهب، و لا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٢٦

يكدّر لكم مشرب. و تمرّ أيام و شهور، و تظهر بطون للدهر و ظهور، و تفتح أبواب، و تسبّب أسباب، من رجوع يتأتى بعد السكون و الفتور، و قد سكنت الخواطر و تنوّعت الأمور، أو مقام تمهّد به البلاد، و يعمل فى ترتيب الصلّة الحسنه الاجتهاد، و تستغرق فى هذا الغرض الآماد، و يتأتى أن حدث و تراكم حادث الاستقلال و الاستبداد، تنهات الأعمار، و يكون لمن ينتقل به على الشرق و الغرب الخيار، أو التحكّم فى ذخيرة سما منها المقدار، و ذهل عند مشاهدتها الاعتبار، و خزانه الكتب بجملتها و فيها الأمهات الكبار، قد تجافت عنها الحاجة و عدم إليها الاضطرار، و الربع الذى يسوّغ بالشرع و العقار، فهذا كلّ حاصل، و ثمّ ضامن لا يتهم و كافل، و عهود صبغها غير ناصل. و بالجملة فالوطن لأغراض الملك جامع، و لمقاصده من المقام أو الانتقال مطبع و سامع، و إن توقّع إثارة فتنة، أو ارتكاب إحنة، فالأمر أقرب، و حالة التيسير أغرب، و هذه الحجة فى تلمسان غير معتبرة، و أجوبتها مقرّرة، و قدوم رسول

الطاغية وإعانتة تحصل في الغالب، على هذه المطالب، وبالجملة فالدنيا قد اختلت، والأقدام قد زلت، والأموال قد قلت، وشيئة الدهر ولت، وذلك القطر على علته أحكم لمن يروم الجاه وأمنع، وأجدي بكل اعتبار وأنفع، وقد حضرت لاستخلاصكم إياه الآلة التي لا تتأتى في كل زمان، وتهيأ إمكانه أى إمكان، واقتضيت أيمان، وعرضت سلع تقل لها أثمان، وارتهنت الوفاء مروءات وأديان، وتحقق بذلك القطر الفساد الذى اشتهر به مأموره وأميره، والمنكر الذى يجب على كل مسلم تغييره، فإن شئت شرعا فالحكم ظاهر، أو طبعا فالطبع حاضر، وما ثم عاذل بل عاذر، والمؤونة التي تلزم أقل من أن تكون ثمن بعض الحصون، فضلا عن الشجرة ذات الغصون، وما يستهلك في هذا الغرض شيء له خطر، ولا يستنقذ من الصحيفة سطر، واليد محكمة بكل أو سطر. وما يخص المملوك من هذا الأمر إلا استنقاذ نشب، واستخلاص مؤمل بين موروث ومكتسب، وبعيد أن لا ينفر له في زمن من الأزمان، ملوك في كل وقت وأعيان، ومروءات وأحساب وأديان، والله سبحانه كل يوم هو في شأن، وأما خدمته دوله فهي على حرام، لا ينجح لى فيها أن أعتدها مرام، وكأنى بالمشرق لا-حق، ولأنفاسه الذكيه ناشق، فما هي إلا أطماع، سراها لماع، فإذا انقطعت، انفسحت الدنيا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٢٧

وأتسعت، ومعاش فى غمار، أو عكوف فى كسر دار، لمدامه استقاله واستغفار، والله ما توهم أن من بتلك البلاد يستنسر بغائه عليكم، أو يحتقر ما لديكم، فقد ظهر الكائن، وتطابق المخبر والمعائن، فسبحان من يقوى الضعيف ويهين المخيف، ويجرى يد المشروف والشريف، والهمم بيد الله تعالى ينجدها ويخذلها، والأرض فى قبضته يرعاها ويهملها. هذا بث لا يسع إفشاؤه، وسر إن لم يطو سقط به على السرحان شأوه، وفيه ما ينكره الأمر، وتتعلق به الظنون وتعمل الخواطر، فتدبروه واعتبروه، وبعقلكم فاسبروه، ثم غطوه بالاحراق واستروه، والله تعالى يرشدكم للتي هي أسعد، ويحملكم على ما فيه لكم العز السرد، والفخر الذى لا ينفد، والسلام» انتهى.

[من إنشائه جواب عن كتاب ورد إليه من الفقيه الكاتب ابن الثغرى على لسان سلطان تلمسان]

وقال رحمه الله تعالى: ومما صدر عنى ما أجبت به عن كتاب بعث به إلى الفقيه الكاتب عن سلطان تلمسان أبى عبد الله بن يوسف القيسى الثغرى: [الكامل]

حيا تلمسان الحيا فربوعها صدف وجود بدره الممكنون
ما شئت من فضل عميم إن سقى أروى ومن ليس بالممنون
أو شئت من دين إذا قرح الهدى أورى و دنيا لم تكن بالدون
ورد النسيم لها بنشر حديقه قد أزهرت أفنانها بفنون
و إذا حبيبه أم يحيى أنجبت فلها الشفوف على عيون العين

«ما هذا النشر، والصف والحشر، واللف والنشر، والفجر والليالى العشر، شذا كما تنفست دارين، و سطور رقم خللها التزيين، و بيان قام على إبداعه البرهان المبين، ونفس، وشى به طرس، فجاء كأنه العيون العين، لا بل ما هذه الكتاب الكتيبة التي أطلقت علينا الأعنة، وأشرعت إلينا الأسنة، وراعت الإنس والجنه، فأقسم بالرحمن، لو لا أنها رفعت شعار الأمان، وحيث بتحية الإيمان، لراعت السرب، و عاقت الذود أن يرد السرب، أظنها مدد الجهاد قدم، وشارد العرب استعمل فى سبيل الله واستخدم، والمتأخر على ما فاته ندم، والعزم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٢٨

وجد بعد ما عدم، نستغفر الله! إنما هي رقاع الرقاع، وصلات صلاة ليس فيها سبق ولا إرقاع، وبقاع لها بطل الطباع الكريمة انتفاع، و

ألحان بيان يعضدها إيقاع، و درّ منسوق، و رطب لنخلها بسوق، و لله درّ القائل: «الملك سوق»، و من نصر الشيخ على كتيبة تعقبها كتيب، و اقتضاء وجيبة من ذى غلبه غير نجيبه، بينا هو يكابد من مراجعة الحي من حضر موت الموت، و لا يكاد يرجع الصوت، إذ صبحته قيس و هى التى شدّت عن القياس، و أحجبت عن مبارزتها أسود الأخياس، فلو لا امتثال أمر، و صبر على جمر، لأعاد ما حكى فى مبارزة الوصى عن عمرو، فتحرّج من الخطل، و بين عذر المكره عن مناجزة البطل، ألم يدر قائد رعيها، و زائر غيلها، أنى أمّت بدمه من عميده لا تحقر، و أن ذنب إضافتى إليه لا يغفر، و حقّ الحق الذى لا يجحد و لا يكفر: [البسيط]

لما رأته رايه القيسى زاحفه إلى ريعت و قالت لى و ما العمل
 قلت الوغى ليس من رأى و لا عملى لا ناقة لى فى هذا و لا جمل
 قد كان ذاك و رنات الصهيل ضحى تهزّ عطفى كأنى شارب ثمل
 و الآن قد صوّح المرعى و قيضت ال خيمات و الركب بعد اللبث محتمل
 قالت أ لست شهاب الدين تضرمها حاشا العلاء أن يقال: استنوق الجمل
 و إن أحسن من هذا و ذا وزر بمثله فى الدواهى يبلغ الأمل
 هو الحمى لأبى حمّو استجره فى ه الأمن منسدل و الفضل مكتمل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٢٩
 و الله لو أعمل الراعى التّقاد به ما خاف من أسد خفان به همل
 تكون من قوم موسى إن قضوا عدلوا و إن تقاعد دهر جائر حملوا
 هم الجبال الرواسى كلّما حكموا هم البحار الطوامى كلّما جملوا
 فقلت: كان لك الرحمن بعدى ما سواه معتمد و الرأى معتمل
 فها أنا تحت ظلّ منه يلحفنى و الشمل منى بستر العزّ يشتمل
 فقل لقيس لقد خاب القياس فلا تذكو المصاع و تحت الليل فاحتملوا
 دامت له ديم النعمى مساجلة يمانه، تنهلّ باليمنى فتنهمل
 و آمنت شمس عليها الأفول إلى طىّ الوجود فلا شمس و لا حمل

«و لو حوى- و العوذ بالله- نجم هذا المتات، و لم يتّصف السبب- و حاشاه- بالاتّصال و لا بالانبتات، فمرعى العدل مكفول، و سبب الرفق موصول، و إن اشتجرت نصول، و الهرم تأبى الأبطال التنزل إلى نزاله، و الناسك التائب يدين ضرب الغارات باعتزاله، إلّا من أعرق فى مذهب الخارجى الأخرق، نافع بن الأزرق، و حسبى، و قد ساء كسبى، أن أترك الخطر لراكبه، و أخلى الطريق لمن يبنى المنار به، و نسير بسير أمثالى من الضعفاء، و نكفّ فهو زمان الانكفاء، و نسلم مخطوبه هذا الفنّ إلى الأكفاء، و نقول: بالبنين و الرفاء، فقد ذهب الزمن المذهب، و تبين المذهب، و شاخ البازى الأشهب، و عتاد العمر ينهب، و مرهب الفوت من فوق الفود يرهب، اللهم ألهم هذه الأنفس رشدها، و أذكرها السكرات و ما بعدها. إيه أخى و الفضل و صنفك و نعتك، و الزيف يبهرجه بحتك، و سهام البراعة انفرد بها بريك و نحتك، و صلتنى رسالتك البرّة، بل غمامتك الثرة، و حيتنى ثغور فضلك المفترّة، فعظمت بورودها المسرّة، جدّدت العهد بمحجوب لقائك، و أنهلت ظامى الاستطلاع من سقائك، و اقتضت تجديد الدعاء ببقائك، إلّا أنها ربما ذهلت عند وداعك، و أبهر عقلها نور إبداعك، فلم تلقن الوصيّة، و سلكت المسالك القصيّة، و أبعدت من التطوّف، و جاءت تبتغى من أسرار التصوّف، و متى تقرن هيبه السبع الشداد، بحانوت الحدّاد، أو تنظر أحكام الاعتكاف، بدكان الإسكاف،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٣٠

أو يتعلّم طبع المثقال، بحانوت البقال؟ و الظنّ للغالب - و قد تلتبس المطالب - أنكم أمرتموها، لما أصدرتموها، بإعمال التّشوّف،

فطردت حكم الأبدال، غائبة عما يلزم من الجدال، وسمت الشين صادًا، وعينت لزراع الوصيَّة حصادًا، والله تعالى يجعل المحب عند ظن من نظر بمرآته، أو وصفه ببعض صفاته، وهي تزلق عن صفاته، فالتصوِّف أشرف، وظلاله أورف، من أن يناله كلف بباطل، و مغرور بسراب ماطل، لا- برباب هاطل، و مفتون بحال حال أو عاطل، و من قال و لم يتَّصف بمقاله، فعقله لم يرم عن عقاله، و جبال أثقاله، مانعة له عن انتقاله. و على ذلك، و بعد تقرير هذه المسالك، فقد عمرت يدها كيلا تعود بها صفرا بعد إعمال السفر، أو ترى أنها قد طولبت بذنب الغلط المغتفر، و أصبحت المراجعة بمجلس وعظ فتحت به باب الحرج، إلى إنكار الإمام أبي الفرج و فنّ الوعظ لما سأل الأخ هو الصديق المسعد، و المبرق قبل غمام رحمته و المرعد، و لله درّ القائل: لست به و لم تبعه، و الاعتراض بعد ملازم، لكن الإسعاف لقصده لازم، و عامله عند الاعتلال بالعدر جازم، و إغضاؤه ملتمس، و فضله لا يخبو منه قبس، و عذرا أيها الفاضل، و بعد الاعتذار، عن القلم المهدار، و إغفال الحذار، اقرأ عليهم من طيب السلام، ما يخجل أزهار الكمام عقب الغمام، و رحمة الله تعالى ممّن يمليه على الكاتب، و لعلها تفتأ من عتب العاتب، ابن الخطيب؛ فإني كتبتة و الليل دامس، و بحر الظلام طامس، و عادة الكسل طبع خامس، و النافخ بشكوى البرد هامس، و الذبال المنادم خافت، لا يهتدى إليه الفراش المتهافت، يقوم و يقعد، و يفيق ثم يردد، و يزفر ثم يخمد، و ربّما صار ورقة آس، أو مبضع آس، و ربما أشبه العاشق في البوح بما يخفيه، و ظهوره من فيه، فتميله الآمال و تلويه، و تميته النواسم الهفافة بعد ما تحييه، و المطر، قد تعذّر معه الوطر، و ساقه الخطر، و فعل في البيوت المتداعية ما لا تفعل الترك و الططر، و النشاط، قد طوى منه البساط، و الجوارح بالكلال تعتذر، و وظائف الغد تنتظر، و الفكر في الأمور السلطانية جائل، و هي بحر هائل، و مثلي مقنوع منه باليسير، و معذور في قصر الباع و ضعف المسير، و السلام؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٣١

[من إنشائه في السياسة، قصة عن الرشيد]

و هي من البلاغة في الدرورة.

و من نثر لسان الدين رحمه الله تعالى قوله: و ممّا صدر عنى فى السياسة: «حديث من امتاز باعتبار الأخبار، و حاز درجة الاشتهار، بنقل حوادث الليل و النهار، و ولج بين الكمام و الأزهار، و تلطف لخبج الورد من تبسم النهار، قال: سهر الرشيد ليله، و قد مال فى هجر النيذ ميله، و جهد ندمائه فى جلب راحته، و إمام النوم بساحته، فشحت عهادهم، و لم يغن اجتهادهم، فقال: اذهبوا إلى طرق سماها و رسمها، و أمهات قسمها، فمن عثرتم عليه من طارق ليل، أو غشاء سيل، أو ساحب ذيل، فبلغوه، و الأمانة سوغوه، و استدعوه، و لا- تدعوه، فطاروا عجالي، و تفرقوا ركبانا و رجلا، فلم يكن إلّا ارتداد طرف، أو فواق حرف، و أتوا بالغنيمه التى اكتسحوها، و البضاعة التى ربحوها، يتوسطهم الأشعث الأغر، و اللج الذى لا يعبر، شيخ طويل القامة، ظاهر الاستقامة، سبلته مشمطة، و على أنفه من القبع مطّة، و عليه ثوب مرقوع، لطير الحرق عليه وقوع، يهينم بذكر مسموع، و ينبى عن وقت مجموع، فلما مثل سلم، و ما نبس بعدها و لا تكلم، فأشار إليه الملك فقعد، بعد أن انشمر و ابتعد، و جلس، فما استرق النظر و لا اختلس، إنما حركة فكره، معقودة بزمام ذكره، و لحظات اعتباره، فى تفاصيل أخباره، فابتدرة الرشيد سائلا، و انحرف إليه مائلا، و قال: ممّن الرجل؟ فقال: فارسى الأصل، أعجمى الجنس عربى الفصل، قال: بلدك و أهللك و ولدك؟ قال: أمّا الولد فولد الديوان، و أمّا البلد فمدينه الإيوان، قال: النحلة، و ما أعملت إليه الرحلة؟ قال: أمّا الرحلة فالاعتبار، و أمّا النحلة فالأمر الكبار، قال: فنك، الذى اشتمل عليه دنك؟ فقال: الحكمة فنى الذى جعلته أثيرا، و أضجعت فيه فراشا و ثيرا، و سبحان الذى يقول و مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا [سورة البقرة، الآية: ٢٦٩] و ما سوى ذلك فتبع، و لى فيه مصطاف و مرتب، قال: فتعاصد جذل الرشيد و توفّر، كأنما أعشى وجهه قطعة من الصبح إذا أسفر، و قال: ما رأيت كالليلة أجمع لأمل شارد، و أنعم بمؤانسه وارد، يا هذا إني سائلك، و لن تخيب بعد وسائلك، فأخبرنى ما عندك فى هذا الأمر الذى بلينا بحمل أعبائه، و منينا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٣٢

بمراوضة إبانته، فقال: هذا الأمر قلادة ثقيلة، و من خطّة العجز مستقيلاً، و مفتقرة لسعة الذرع، و ربط السياسة المدنية بالشرع، يفسده الحكم في غير محلّه، و يكون ذريعة إلى حلّه، و يصلحه مقابلة الشكل بشكله، و من لم يكن سبعا آكلا تداعت سباع إلى أكله. «فقال الملك: أجملت فضيل، و برت فضيل، و كلت فأوصل، و انثر الحب لمن يحوصل، و اقسام السياسة فنونا، و اجعل لكل لقب قانونا، و ابدأ بالرعية، و شروطها المرعية».

فقال: رعيتك و دائع الله تعالى قبلك، و مرآة العدل الذي عليه جبلتك، و لا تصل إلى ضبطهم إلا بإعانة الله تعالى التي وهب لك، و أفضل ما استدعت به عونهم فيهم، و كفايته التي تكفيهم، تقويم نفسك عند قصد تقويمهم، و رضاك بالسهر لتوويمهم، و حراسة كهلمهم و رضيعهم، و الترفع عن تضييعهم، و أخذ كل طبقة بما عليها و مالها، أخذاً يحوط مالها، و يحفظ عليها كمالها، و يقصر عن غير الواجبات آمالها، حتى تستشعر عليتها رأفتك و حنانك، و تعرف أوساطها في التصب امتنانك، و تحذر سفلتها سنانك، و حطر على كل طبقة منها أن تتعدى طورها، أو تخالف دورها، أو تجاوز بأمر طاعتك فورها، و سدّ فيها سبل الذريعة، و أقصر جميعها عن خدمة الملك بموجب الشريعة، و امنع أغنيائها من البطر و البطالة، و النظر في شبهات الدين بالتمشيق و الإطالة، و ليقل فيما شجر بين الناس كلامها، و يرفض ما تنبذ به أعلامها، فإن ذلك يسقط الحقوق، و يرتب العقوق، و امنعهم من فحش الحرص و الشره، و تعاهدهم بالمواعظ التي تجلو البصائر من المره، و احملهم من الاجتهاد في العمارة على أحسن المذاهب، و انهم عن التحاسد على المواهب، و رضهم على الإنفاق بقدر الحال، و التعزّي عن الفات فرده من المحال، و حدّد البخل عن أهل اليسار، و السخاء على أولى الإعسار، و خذهم من الشريعة بالواضح الظاهر، و امنعهم من تأويلها منع القاهر، و لا تطلق لهم التجمّع على من أنكروا أمره في نواديهم، و كفّ عنهم أكفّ تعدّيهم، و لا تبخ لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم، و لتكن غايتهم، فيما توجّهت إليه إبايتهم، و نكصت عن الموافقة عليه رايتهم، إنهاءه إلى من وكلته بمصالحهم من ثقاتك، المحافظين على أوقاتك، و قدّم منهم من أمنت عليهم مكره، و حمدت على الإنصاف شكره، و من كثر حياؤه من التأنيب، و قابل الهفوة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٣٣

باستتابة المنيب، و من لا يتخطى عن محلّه الذي حلّه، فربما عمد إلى المبرم فحلّه، و حسن التية لهم بجهد الاستطاعة، و اغتفر المكاره في جنب حسن الطاعة، و إن ثار جوادهم، و اختلف في طاعتك مرادهم، فتحصّن لثورتهم، و اثبت لفورتهم، فإذا سالوا و سلّوا، و تفرّقوا و انسلّوا، فاحتقر كثرتهم، و لا تقل عثرتهم، و اجعلهم لما بين أيديهم و ما خلفهم نكالا، و لا تترك لهم على حلمك اتكالا. «ثم قال: و الوزير الصالح أفضل عددك، و أوصل مددك، فهو الذي يصونك عن الابتذال، و مباشرة الأندال، و يثب لك على الفرصة، و ينوب في تجرع الغصة، و استجلاء القصة، و يستحضر ما نسيته من أمورك، و يغلب فيه الرأي بموافقة مأمورك، و لا يسعه ما تمكّنك المسامحة فيه، حتى يستوفيه، و احذر مصادمة تياره، و التجوّز في اختياره، و قدّم استخارة الله تعالى في إيثاره، و أرسل عيون الملاحظة على آثاره، و ليكن معروفا بالإخلاص لدولتك، معقود الرضا و الغضب برضاك و صوتك، زاهدا عمّا في يديك، مؤثرا لكل ما يزلف لديك، بعيد الهمة، راعيا للأدمنة، كامل الآلة، محيطا بالإيالة، رحيب الصدر، رفيع القدر، معروف البيت، نبيه الحى و الميت، مؤثرا للعدل و الإصلاح، دريا بحمل السلاح، ذا خبرة بدخل المملكة و خرجها، و ظهرها و سرجها، صحيح العقد، متحرّزا من النقد، جادا عند لهوك، متيقظا في حال سهوك، يلين عند غضبك، و يصل الإسهاب بمقتضبك، قلقا من شكره دونك و حمده، ناسبا لك الإصابة بعمده، و إن أعيا عليك وجود أكثر هذه الخلال، و سبق إلى نقضها شيء من الاختلال، فاطلب منه سكون النفس و هدونها و أن لا يرى منك رتبة إلا رأى قدره دونها، و تقوى الله تعالى تفضل شرف الانتساب، و هي للفضائل فذلكة الحساب، و ساو في حفظ عيبه بين قربه و نأيه، و اجعل حظّه من نعمتك موازيا لحظّك من حسن رأيه، و اجتنب منهم من يرى في نفسه إلى الملك سيلا، أو يقود من عيصه للاستظهار عليك قبلا، أو من كثر مالك ماله، أو من تقدّم لعدوك استعماله، أو من سمت لسواك آماله،

أو من يعظم عليه إعراض وجهك، ويهّمه نادر نجهك، أو من يداخل غير أحبابك، أو من ينافس أحدا ببابك.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٣٤

و أما الجند فاصرف التقديم منهم للمقاتلة، و المكايده و المخاتلة، و استوف عليهم شرائط الخدمة، و خذهم بالثبات للصدمة، و وف ما أوجبت لهم من الجراية و النعمة، و تعاهدهم عند الغناء بالعلفة و الطعمة، و لا تكرم منهم إلا من أكرمه غناؤه، و طاب في الذب عن ظنك ثناؤه، و ولّ عليهم النبهاء من خيارهم، و اجتهد في صرفهم عن الافتتان بأهليهم و ديارهم، و لا توطئهم الدعة مهادا، و قدّمهم على حصصك و بعوثك مهما أردت جهادا، و لا تلتين لهم في الإغماض عن حسن طاعتك قيادا، و عودهم حسن المواساة بأنفسهم اعتيادا، و لا تسمح لأحد منهم في إغفال شيء من سلاح استظهاره، أو عدّة اشتهاره، و ليكن ما فضل من شعبهم و ريّهم، مصروفا إلى سلاحهم و زيّهم، و التزيّد في مراكبهم و غلمانهم، من غير اعتبار لأثمانهم، و امنعهم من المشغلات و المتاجر، و ما يتكسّب به غير المشاجر، و ليكن من الغزو اكتسابهم، و على المغانم حسابهم، كالجوارح التي تفسد باعتيادها، أن تطعم من غير اصطيادها.

و اعلم أنها لا- تبذل نفوسها من عالم الإنسان، إلا لمن يملك قلوبها بالإحسان و فضل اللسان، و يملك حركاتها بالتقويم، و رتبها بالميزان القويم، و من تثق بإشفاقه على أولادها، و يشتري رضا الله تعالى بصبره على طاعته و جلادها، فإذا استشعرت لها هذه الخلال تقدمتك إلى مواقف التلف، مطيعه دواعي الكلف، واثقة منك بحسن الخلف، و استبق إلى تمييزهم استبقا، و طبّقهم طباقا، أعلاها من تأملت منه في المحاربة عنك أخطارا، و أبعدهم في مرضاتك مطارا، و أضبطهم لما تحت يده من رجالك حزما و وقارا، و استهانة بالعظام و احتقارا، و أحسنهم لمن تقلّده أمرك من الرعيّة جوارا، إذا أجدت اختبارا، و أشدّهم على ملاحظة من مارسه من الخوارج عليك اضطبارا، و من بلا في الذي عنّ لك إحلاء و إمرارا، و لحقه الضر في معارض الدفاع عنك مرارا، و بعده من كانت محبّته لك أزيد من نجاته، و موقع رأيه أنفع من موقع صعده، و بعدهما من حسن انقياده لأمرائك، و إحماه لآرائك، و من جعل نفسه من الأمر حيث جعله، و كان صبره على ما عراه أكثر من اعتداده بما فعله.

و احذر منهم من كان عند نفسه أكبر من موقعه في الانتفاع، و لم يستحي من التزيّد بأضعاف ما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٣٥

بذله من الدفاع، و شكّا البخس فيما تعدّر عليه من فوائدك، و قاس بين عوائد عدوك و عوائدك، و توعدّ بانتقاله عنك و ارتحاله، و أظهر الكراهية لحاله.

و أما العمال فإنهم ينبؤون عن مذهبك، و حالهم في الغالب شديدة الشبه بك، فعزّفهم في أمانتك السعادة، و ألزمهم في رعيتك العادة، و أنزلهم من كرامتك بحسب منازلهم في الأتصاف، بالعدل و الإنصاف، و أحلّهم من الحفاية، بنسبة مراتبهم من الأمانة و الكفاية، وقفهم عند تقليد الأرجاء، مواقف الخوف و الرجاء، و قرّر في نفوسهم أن أعظم ما به إليك تقربوا، و فيه تدرّبوا، و في سبيله أعجموا و أعربوا، إقامة حقّ و دحض باطل، حتى لا يشكو غريم مظل ماطل، و هو آثر لديك من كل رباب هاطل، و كفّهم من الرزق الموافق، عن التصدّي لدنيء المرافق، و اصطنع منهم من تيسرت كلفته، و قويت للرعايا ألفتة، و من زاد على تأميله صبره، و أربى على خبره خبره، و كانت رغبته في حسن الذكر، تشفّ على بنات الفكر، و اجتنب منهم من يغلب عليه التخرق في الإنفاق، و عدم الإشفاق، و التنافس في الاكتساب، و سهل عليه سوء الحساب، و كانت ذريعته المصانعة بالنفاية، دون التقصى و الكفاية، و من كان منشؤه خاملا، و لأعباء الدناءة حاملا، و ابغ من يكون الاعتذار في أعماله، أوضح من الاعتذار في أقواله، و لا يفتنّك ممّن قلّمدته اجتلاب الحظّ المقنع، و التنفق بالسعى المسموع، و مخالفة السنن المرعيّة، و أتباعه رضاك بسخط الرعيّة، فإنه قد غشّك، من حيث بلّك و رشّك، و جعل من يمينك في شمالك، حاضر مالك، و لا تضمّن عاملا مال عمله، و حل بينه فيه و بين أمله، فإنك تميت رسومك بمحيّاه، و تخرجه من خدمتك فيه إلا أن تملكه إياه، و لا تجمع له بين الأعمال فيسقط استظهارك ببلد على بلد، و الاحتجاج على والد بولد، و احرص على أن يكون في الولاية غريبا، و منتقله منك قريبا، و رهينة لا يزال معها مريبا، و لا تقبل مصالحته على شيء

اختانه، و لو برغيبه فتنانه، فتقبل المصانعة في أمانتك، و تكون مشاركا له في خيانتك، و لا تطل مدّة العمل، و تعاهد كشف الأمور ممّن يرعى الهمل، و يبلغ الأمل.

و أما الولد فأحسن آدابهم، و اجعل الخير دأبهم، و خف عليهم من إشفاقك و حنانك، أكثر من غلظة جنانك، و اكنم عنهم ميلك، و أفض فيهم جودك و نيلك، و لا تستغرق بالكلف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٣٦

بهم يومك و لا- ليلك، و أثبهم على حسن الجواب، و سبّ لهم خوف الجزاء على رجاء الثواب، و علّمهم الصبر على الضرائر، و المهلة عند استخفاف الجرائر، و خذهم بحسن السرائر، و حبّب إليهم مراس الأمور الصعبة المراس، و حسن الاصطناع و الاحتراس، و الاستكثار من أولى المراتب و العلوم، و السياسات و الحلوم، و المقام المعلوم، و كره إليهم مجالسة الملهين، و مصاحبة الساهين، و جاهد أهواءهم عن عقولهم، و حدّر الكذب على مقولهم، و رشّحهم إذا آنت منهم رشدا أو هديا، و أرضعهم من المؤازرة، و المشاورة ثديا، لتمزّنهم على الاعتياد، و تحملهم على الازدياد، و رضهم رياضه الجياد، و احذر عليهم الشهوات فهى داؤهم، و أعداؤك فى الحقيقة و أعداؤهم، و تدارك الخلق الذميمة كلما نجمت، و اقدعها إذا هجمت، قبل أن يظهر تضعيفها، و يقوى ضعيفها، فإن أعجزتك فى الصغر الحيل، عظم الميل: [البسيط]

إنّ الغصون إذا قومتها اعتدلت و لن تلين إذا قومتها الخشب

و إذا قدروا على التدبير، و تشوّفوا للمحلّ الكبير، إياك أن توطنهم فى مكانك، جهد إمكانك، و فرقهم فى بلدانك، تفريق عبدانك، و استعملهم فى بعوث جهادك، و النيابة عنك فى سبيل اجتهادك، فإنّ حضرتك تشغلهم بالتحاسد، و التبارى و التفاسد، و انظر إليهم بأعين الثقات، فإنّ عين الثقة، تبصر ما لا تبصر عين المحبّة و المقّة.

و أما الخدم فإنهم بمنزلة الجوارح التى تفرق بها و تجمع، و تبصر و تسمع، فرضهم بالصدق و الأمانة، و صنهم صون الجمانه، و خذهم بحسن الانقياد إلى ما آثرته، و التقليل ممّا استكثرته، و احذر منهم من قويت شهواته، و ضاقت عن هواه لهواته، فإنّ الشهوات تنازعك فى استرقاقه، و تشاركك فى استحقاقه، و خيرهم من ستر ذلك عنه بلطف الحيلة، و أداب للفساد محيلة، و أشرب قلوبهم أنّ الحقّ فى كلّ ما حاولته و استنزته، و أنّ الباطل فى كلّ ما جانبته و اعتزلته، و أنّ من تصفّح منهم أمورك فقد أذنب، و باين الأدب و تجنّب، و أعط

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٣٧

من أكددته، و أضقت منه ملكه و شددته، روجه يشتغل فيها بما يعنيه، على حسب صعوبة ما يعانیه، تغبطهم فيها بمسارحهم، و نجم كليله جوارحهم، و لتكن عطاياك فيهم بالمقدار الذى لا- يبطر أعلامهم، و لا يؤسف الأصاغر فيفسد أحلامهم، و لا ترم محسنهم بالغاية من إحسانك، و اترك لمزيدهم فضله من رفدك و لسانك و حدّر عليهم مخالفتك و لو فى صلاحك، بحدّ سلاحك، و امنعهم من التواثب و التشاجر، و لا تحمد لهم شيم التقاطع و التهاجر، و استخلص منهم لسرك من قلت فى الإفشاء ذنوبه، و كان أصبر فى إحسانك، و ضبطه لما تقلّم من وديعتك، أحبّ إليه من حسن صنيعتك، و للسفارة عنك من حلا الصدق فى فمه، و آثره و لو باختطار دمه، و استوفى لك و عليك فهم ما تحمّله، و عنى بلفظه حتى لا يهمله، و لمن تودعه أعداء دولتك من كان مقصور الأمل، قليل القول صادق العمل، و من كانت قسوته زائدة على رحمته، و عظمه فى مرضاتك آثر من شحمته، و رأيه فى الحذر سديد، و تحرّزه من الحيل شديد؛ و لخدمتك فى ليلك و نهارك من لانت طباعه، و امتدّ فى حسن السجّية باعه، و أمن كيده و غدرة، و سلم من الحقد صدره، و رأى المطامع فما طمع، و استثقل إعادة ما سمع، و كان بريئا من الملال، و البشر عليه أغلب الخلال، و لا تؤنسهم منك بقبیح فعل و لا- قول، و لا تؤيسهم من طول، و مكن فى نفوسهم أن أقوى شفعاثهم، و أقرب إلى الإجابة من دعائهم، إصابه الغرض فيما به و كلوا، و عليه شكّلوا، فإنك لا تعدم بهم انتفاعا، و لا يعدمون لديك ارتفاعا.

وأما الحرم فهنّ مغارس الولد، ورياحين الخلد، وراحة القلب الذي أجهده الأفيكار، و النفس التي تقسّـمها الإحماد إلى المساعي و الأفكار، فاطلب منهنّ من غلب عليهنّ من حسن الشيم، المترفعة عن القيم، ما لا يسوءك في خلدك، أن يكون في ولدك، و احذر أن تجعل لفكر بشر دون بصر إلهنّ سبيلا، و انصب دون ذلك عذابا وبيلا، و أرعهنّ من النساء العجز من بانت في الديانة و الأمانة سبله، و قويت غيرته و نبله، و خذهنّ بسلامة التيات، و الشيم الستيات، و حسن الاسترسال، و الخلق السلسال، و حذر عليهنّ التغامز و التغاير، و التنافس و التخاير، و آس بينهنّ في الأغراض، و التصامم عن الإعراض، و المحاباة بالأعراض، و أقلل من مخالطتهنّ فهو أبقى لهمتك، و أسبل لحرمتك، و لتكن عشرتك لهنّ عند الكلال و الملال، و ضيق الاحتمال، بكثرة الأعمال، و عند الغضب و النوم، و الفراغ من نصب اليوم، و اجعل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٣٨

مبيتك بينهنّ تنم بركاتك، و تستتر حر كاتك، و افصل من ولدت منهنّ إلى مسكن يختبر به استقلالها، و يعتبر بالتفرد خلالها، و لا تطلق لحرمه شفاعه و لا تدبيرا، و لا تنط بها من الأمر صغيرا و لا كبيرا، و احذر أن يظهر على خدمهنّ في خروجهنّ عن القصور، و بروزهنّ من أجمه الأسد الهصور، زى بارع، و لا- طيب للأنوف مسارع، و اخصص بذلك من طعن في السنّ، و يئس من الإنس و الجنّ، و من توفر النزوع إلى الخيرات قبله، و قصر عن جمال الصورة و رسم بالبله.

ثم لما بلغ إلى هذا الحدّ حمى و طيس استجفاره، و ختم حزبه باستغفاره، ثم صمت مليا، و استعاد كلاما أوليا.

ثم قال: و اعلم يا أمير المؤمنين - سدّد الله تعالى سهمك لأغراض خلافته! و عصمك من الزمان و آفته!- أنك في مجلس الفصل، و مباشرة الفرع من ملكك و الأصل، في طائفه من عزّ الله تعالى تدبّ عنك حماتها، و تدافع عن حوزتك كماتها، فاحذر أن يعدل بك غضبك عن عدل تزرى منه بضاعة، أو يهجم بك رضاك على إضاعة، و لتكن قدرتك وقفا على الاتّصاف، بالعدل و الإنصاف، و احكم بالسوية، و اجنح بتدبيرك إلى حسن الروية، و خف أن تقعد بك أناتك عن حزم تعين، أو تستفزّك العجلة في أمر لم يتبين، و أطع الحجة ما توجهت إليك، و لا تحفل بها إذا كانت عليك، فانقيادك إليها أحسن من ظفرك، و الحقّ أجدى من نفرك، و لا تردّد النصيحة في وجهه، و لا تقابل عليها بنجه، فتمنعها إذا استدعيتها، و تحجب عنك إن استوعبتها، و لا تستدعها من غير أهلها، فيشغبك أولو الأغراض بجهلها، و احرص على أن لا ينقضى مجلس جلسته، أو زمن اختلسته، إلّا و قد أحرزت فضيلة زائده، أو وثقت منه في معادك بفائده. و لا- يزهّدك في المال كثرته، فتقل في نفسك أثرته، و قس الشاهد بالغائب، و اذكر وقوع ما لا يحتسب من النوائب، فالمال المصون، أمنع الحصون، و من قلّ ماله، قصرت آماله، و تهاون بيمينه شماله، و الملك إذ فقد خزينه، أخنى على أهل الجده التي تزينه، و عاد على رعيته بالإجحاف، و على جبايته بالإلحاف، و ساء معتاد عيشه، و صغر في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٣٩

عيون جيشه، و منوا عليه بنصره، و أنفوا من الاقتصار على قصره، و في المال قوة سماوية تصرف الناس لصاحبه، و تربط آمال أهل السلاح به، و المال نعمة الله تعالى فلا تجعله ذريعة إلى خلافه، فتجمع بالشهوات بين إتلافك و إتلافه، و استأنس بحسن جوارها، و اصرف في حقوق الله تعالى بعض أطوارها، فإن فضل المال عن الأجل فأجلّ، و لم يضر ما خلف منه بين يدي الله عزّ و جلّ، و ما ينفق في سبيل الشريعة، و سدّ الذريعة، مأمول خلفه، و ما سواه فمتعين تلفه. و استخلص לנוاديك الغاصية، و مجالسك العامية و الخاصية، من يليق بولوج عتباها، و العروج لرتبها، أما العامية فمن عظم عند الناس قدره، و انشرح بالعلم صدره، أو ظهر يساره، و كان الله تعالى إخباته و انكساره، و من كان للفتيا منتصبا، و بتاج المشورة معتصبا، و أما الخاصية فمن رقت طباعه، و امتدّ فيما يليق بتلك المجالس باعه، و من تبخر في سير الحكماء، و أخلاق الكرماء، و من له فضل سافر، و طبع للدنيّة منافر، و لديه من كلّ ما تستتر به الملوك من العوامّ حظّ وافر، و وصف ألبابهم بمحصول خيرك، و سكن قلوبهم بيمين طيرك، و أغنهم ما قدرت عن غيرك.

و اعلم بأنّ مواقع العلماء من ملكك مواقع المشاعل المتألقه، و المصايح المتعلقة، و على قدر تعاهدها تبدل من الضياء، و تجلو بنورها

صور الأشياء، و فرّعها لتحرير ما يزين مدتك، و يحسن من بعد البلاء جدّتك، و بعناية الأواخر ذكرت الأول، و إذا محيت المفاجر خربت الدول.

و اعلم أنّ بقاء الذكر مشروط بعمارة البلدان، و تخليد الآثار الباقية في القاصى و الدان، فاحرص على ما يوضح في الدهر سبلك، و يحرز المزية على من قبلك، و أنّ خير الملوك من ينطق بالحجّة و هو قادر على القهر، و يبذل الإنصاف في السيّر و الجهر، مع التمكن من المال و الظهر، و يسار الرعيّة جمال للملك و شرف، و فاقتهم من ذلك طرف، فغلب أليق الحالين بمحلّك، و أولاهما بظعنك و حلّك.

و اعلم أنّ كرامة الجور دائره، و كرامة العدل متكاثرة، و الغلبة بالخير سيادة، و بالشّرّ هواده، و اعلم أنّ حسن القيام بالشرعية يحسم عنك نكايه الخوارج، و يسمو بك إلى المعارج،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٤٠

فإنها تقصد أنواع الخدع، و تورى بتغيير البدع، و أطلق على عدوك أيدي الأقوياء من الأكفاء، و ألسنة الليف من الضعفاء، و استشعر عند نكته شعار الوفاء.

و لتكن ثقته بالله تعالى أكثر من ثقته بقوة تجدها، و كتيبه تنجدها، فإنّ الإخلاص يمنحك قوى لا تكتسب، و يمهد لك مع الأوقات نصرا لا يحتسب.

و التمس أبدا سلم من سالمك بنفيس ما في يدك، و فضّل حاصل يومك على منتظر غدك، فإنّ أبى وضحت محجّتك، و قامت عليه للناس بذلك حجّتك، فللنفوس على الباغين ميل، و لها من جانبه نيل، و استهد في كلّ يوم سيره من يناويك، و اجتهد أن لا يوازيك في خير و لا يساويك، و أكذب بالخير ما يشيعه من مساويك، و لا تقبل من الإطراء إلّا ما كان فيك فضل عن إطالته، و جدّ يزرى على بطالته، و لا- تلق المذنب بحميّتك و سبّك، و اذكر عند حركة الغضب ذنوبك إلى ربّك، و لا تنس أنّ ربّ المذنب أجلسك مجلس الفصل، و جعل في قبضتك رياس النصل. و تشاغل في هدنة الأيام بالاستعداد، و اعلم أنّ التراخي منذر بالاشتداد، و لا- تهمل عرض ديوانك، و اختبار أعوانك، و تحصين معاقلك و قلاعك. و عمّ إيالتك بحسن اطلاعك، و لا تشغل زمن الهدنة بلداتك، فتجنّى في الشدّة على ذاتك، و لا- تطلق في دولتك ألسنة الكهانة و الإرجاف، و مطاردة الآمال العجاف، فإنه يبعث سوء القول، و يفتح باب العول، و حذر على المدرسين و المتعلمين، و العلماء و المتكلمين، حمل الأحداث على الشكوك الخالجه و المزلات الوالجه، فإنه يفسد طباعهم، و يغرى سباعهم، و يمدّ في مخالفة الملهّ باعهم، و سدّ سبيل الشفاعات فإنها تفسد عليك حسن الاختيار، و نفوس الخيار، و ابذل في الأسرى من حسن ملكتك ما يرضى من ملكك رقابها، و قلّمك ثوابها و عقابها، و تلقّ بدء نهارك بذكر الله تعالى في ترفّعك و ابتذالك، و اختم اليوم بمثل ذلك.

و اعلم أنّك مع كثرة حجّابك، و كثافة حجّابك، بمنزلة الظاهر للعيون، المطالب بالديون، لشدّة البحث عن أمورك، و تعرّف السرّ الخفى بين أمرك و مأمورك، فاعمل في سرّك ما لا تستفبح أن يكون ظاهرا، و لا تأنف أن تكون به مجاهرا، و أحكم بريك في الله و نحتك،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٤١

و خف من فوقك يخف من تحتك، و اعلم أنّ عدوك من أتباعك من تناسيت حسن قرضه، أو زادت مؤونته على نصيبه منك و فرضه، فأصمت الحجج، و توقّ اللجج، و استرب بالأمل، و لا يحملنك انتظام الأمور على الاستهانة بالعمل، و لا تحقرن صغير الفساد، فإخذ في الاستسداد، و احبس الألسنة عن التخالى باغتيالك، و التشبّ بأذيال ثيابك، فإنّ سوء الطاعة ينتقل من الأعين الباصرة، إلى الألسن القاصرة، ثم إلى الأيدي المتناصرة، و لا تثق بنفسك في قتال عدوّ ناواك، حتى تظفر بعدوّ غضبك و هواك، و ليكن خوفك من سوء تدبيرك، أكثر من عدوّك الساعى في تبيرك، و إذا استنزلت ناجما، أو أمنت نائرا هاجما، فلا تقلده البلد الذى فيه نجم، و

همي عارضه فيه و انسجم، يعظم عليك القدح في اختيارك، و الغص من إيثارك، و احترز من كيده في حوارك و مأمك، فإنك أكبر همّه و ليس بأكبر همّك، و جمّل المملكة بتأمين الفلوات، و تسهيل الأقوات، و تجديد ما يتعامل من الصرف في البياعات، و إجراء العوائد مع الأيام و الساعات، و لا تبخس عيار قيم البضاعات، و لتكن يدك عن أموال الناس محجورة، و في احترامها إلّا عن الثلاثة مأجورة: مال من عدا طوره طور أهله، و تخارق في الملابس و الزينه، و فضول المدينة، يروم معارضتك بحمله؛ و من باطن أعداك، و أمن اعتداك؛ و من أساء جوار رعيتك بإحساره، و بذل الأذايه فيهم يمينه و يساره. و أضرّ ما منيت به التعادى بين عبدانك، أو في بلد من بلدانك، فسدّ فيه الباب، و أسأل عن الأسباب، و انقلهم بوساطة أولى الألباب، إلى حالة الأحياب، و لا تطوّق الأعلام أطواق المنون، بهواجس الظنون، فهو أمر لا يقف عند حدّ، و لا ينتهي إلى عدّ، و اجعل ولدك في احتراسك، حتى لا يطمع في افتراسك.

ثم لمّا رأى الليل قد كاد ينتصف، و عموده يريد أن ينقصف، و مجال الوصايا أكثر ممّا يصف، قال: يا أمير المؤمنين، بحر السياسة زاخر، و عمر المتمتع بناديك مستأخر، فإن أذنت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٤٢

في فنّ من فنون الأنس يجذب بالمقاد، إلى راحة الرقاد، و يعتق النفس بقدره ذى الجلال، من ملكة الكلال.

«فقال: أما و الله قد استحسنا ما سردت، فشأنك، و ما أردت.

«فاستدعى عودا فأصلحه حتى حمده، و أبعده في اختباره أمده، ثم حرّك بمه، و أطال الجسّ ثمّه، ثم تغنى بصوت يستدعى الإنصات، و يصدع الحصاة، و يستفزّ الحليم عن وقاره، و يستوقف الطير و رزق بنيه في منقاره، و قال: [الخفيف]

صاح، ما أعطر القبول بنمه أ تراها أطالت اللبث ثمّه

هي دار الهوى منى النفس فيها أبد الدهر و الأمانى جمّه

إن يكن ما تأرجج الجوّ منها و استفاد الشذا و إلّا فمّمّه

من لطفى بنظرة و لا نفى في رباها و فى تراها بشمّه

ذكر العهد فانتفضت كأنى طرقتى من الملائك لّمّه

وطن قد نضيت فيه شبابا لم تدنس منه البرود مذمّه

بنت عنه و النفس من أجل من قد خلفته خلاله معتمّه

كان حلما فويح من أمل الله ر و أعماه جهله و أصمّه

تأمل العيش بعد أن خلق الجس م و بنيانه عسير المرمّه

و غدت وفرة الشبيبة بالشى ب على رغم أنفها معتمّه

فلقد فاز سالك جعل الله ه إلى الله قصده و مأّمّه

من بيت من غرور دنيا بهمّ يلدغ القلب أكثر الله همّه

«ثم أحال اللحن إلى لون التنويم، فأخذ كلّ فى النعاس و التهويم، و أطال الجس فى الثقل، عاكفا عكوف الضاحى فى المقييل، فخاط عيون القوم، بخيوط النوم، و عمر بهم المراقد، كأنما أدار عليهم الفراقد، ثم انصرف، فما علم به أحد و لا عرف، و لمّا أفاق الرشيد جدّ فى طلبه، فلم يعلم بمنقلبه، فأسف للفراق، و أمر بتخليد حكمه فى بطون الأوراق، فهى إلى اليوم تتلى و تنقل، و تجلى القلوب بها و تصقل، و الحمد لله رب العالمين»؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٤٣

و قال فى «الإحاطة» بعد إيراد نبذة من نثره ما صورته: فهذا ما حضر من المثور و حظّه عندى من الإجادة ضعيف، و غرضه كما شاء

الله تعالى سخيف، لكن الله سبحانه بعباده لطيف؛ انتهى.

[نماذج قصار من نثر لسان الدين في عليه أهل زمانه وفي وصف بعض البلدان]

و مما علق بحفظي من نثره قوله في تحليلته لبعض أهل زمانه: هو إمام الفئته، و عين أعيان هذه المائة. و قوله في وصف فاس: نعم العرين، لأسود بنى مرين، ذات المشاهد التي منها مطرح الجنة و مسجد الصابرين: [الكامل] بلد أعارته الحمامة طوقها و كساه ريش جناحه الطاووس فكأتما الأنهار فيه مدامه و كأأن ساحات الديار كؤوس جمعت ما ولد سام و حام، و كثرة الالتئام و الالتحام، و اشتد الزحام، إلى أن قال: يلقي الرجل أبا مثواه فلا يدعوه لبيته، و لا يطعمه من بقله و زيته، و لا يطرق الضيف حماهم، و لا يعرف اسمهم و لا مستأهم إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم [سورة ص، الآية: ٢٤].

و قوله في وصف مراكش المحروسة: ذات المقاصر و القصور، و مأوى الليث الهصور، و مسكن الناصر و المنصور، إلى أن قال: و منارها في الفلاة، بمنزلة والى الولاية. ثم قال بعد كلام: إلا أن خرابها هائل، و زحامها حرب وائل، و عقاربها كثيرة الدبيب، منغصة لمضاجعة الحبيب؛ انتهى ما كتبت من حفظي لطول العهد. و قال رحمه الله تعالى في وصف مدينه بسطة من كلام لم يحضرني جميعه الآن: محل خصيب، و منزل رحيب، و كفاها مسجد الجنة دليلا. على البركة و باب المسك دليلا على الطيب، و لها من اسمها نصيب، إذ هي بحر الطعام، و ينبوع العيون المتعددة بتعدد أيام العام؛ انتهى.

[وصف بسطة للقصادي و لابن مرزوق]

و لمّا أجرى ذكر بسطة الإمام أبو الحسن القلصادي في رحلته قال: سقى الله تعالى أرجاءها المشرقة، و أغصانها المورقة، شايب الإحسان، و مهدها بالهدنة و الأمان، دار تخجل منها الدور، و تتقاصر عنها القصور، و تقر لها بالقصور، مع ما حوته من المحاسن نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٤٤ و الفضائل، من صحة أجسام أهلها و ما طبعوا عليه من كرم الشمائل، و حسبك فيها من عدم الحرج، أن داخلها باب الفرج، ثم قال: و لله درّ القائل: [الكامل]

دار مشى الإتقان في تنجيدها حتى تناسب روضها و بناؤها

مرقومة الجنبات ذات قرارة يمتدّ قدام العيون فضاؤها

ما زال يضحك دائما نوارها في وجه ساحته و يلعب ماؤها

و لبعض أصحابنا فيها و هو الأديب الكاتب أبو عبد الله بن الأزرق: [الكامل]

في بسطة حيث الأباطح مشرقه أضحت جفوني بالمحاسن مغلقة

و له أيضا في تورية: [الرمل]

قل لمن رام النوى عن وطن قوله ليس بها من حرج

فرج الهّم بسكنى بسطة إن في بسطة باب الفرج

رجع.

[من إنشاء لسان الدين ما خاطب به السلطان على لسان جدته]

و من نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما خاطب به السلطان على لسان جدته، و هو:

إلى قرّة أعيننا و أعين المؤمنين، و فلذة كبدا الذي نصل للقائه الحنين بالحنين، و عزّنا الذي حللنا من كنفه بالحرم الأمين، و سترنا الذي خلفنا رضاه من أفقده الدهر من كرم البنين، و وارثنا المستأثر بعدنا بطول السنين، أمير المسلمين الأسعد المؤيد الموفق الطاهر البرّ الرحيم الأَرْضِي الكافل الفاضل حفيدنا محمد بن ولدنا الرضى و واحدنا الكريم الحفى السلطان الكبير الجليل السعيد الطاهر الظاهر المقدّس، جعل الله تعالى من عصمته لزيما يرافقه! و أجرى القدر بما يوافق! و حفظ عليه الكمال الذى تناسب فيه خلقه و خلأته! و البرّ الذى حسنت فيه طرقة و طرائقه!

من المستظلة بظلال رضاه و برّه، المبتهلة إلى الله تعالى فى عزّ نصره و سعادة أمره، الداعية إلى الله تعالى أن يسترها فى الحياة و ما بعدها بستره، و ما يفضل عمرها من عمره، جدّته التائقة إليه، كتبت من كنفه العزيز بحمرائه العليّة عن الخير الدائم بدوامه، و اليسر الملازم ببركة أيامه، و لا- زائد بفضل الله تعالى إلّا الشوق إليه، و تحويم الكبد الخافقة خفوق رايته عليه، و تجهيز مواكب الدعاء المقبول من خلفه و من بين يديه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٤٥

و قد وصل كتابه العزيز الوفاة و الوصول، الكريم الجمل و الفصول، مطلع وجه السرور و الجذل، و مهدى قصي الأمل، و مجدّد العهد بحديته الذى فى ضمنه شفاء الغلل، و براء العلل، مهديا تحفة عافيته و هى الهدية التى جلت عن المكافاة، و ترفعت عن المجازاة، إنما يجازى عليها من يصل بفضل عاداتها، و يوالى بعد الإبداء إعادتها، و وصفتم يا ولدى ما عرفتم من نعم الله تعالى التى ائثالت عليكم سحابها، و عنايته التى يلقي ركابكم تسهالها و ترحابها، و استبشار الجهات بقدمكم الميمون، و اجتلاء وجهكم الذى فيه للإسلام قرّة العيون، و كيف لا- يكون ذلك و أنتم ذخرهم العزيز، و حرزهم الحريز، و الندرة التى خلصها من معادن سلفكم الذهب الإبريز، فى أيامكم و الحمد لله نامت أجفانهم، و تكيف أمانهم، نسأل الله تعالى أن يديم لنا و لهم نعمة بقائكم، و يعلى الدين بعلوكم فى معارج العزّ و ارتقائكم، فقابلنا ما قرّره سلطانكم بالحمد و الثناء، و الشكر المتصل على الآناء، و محضتكم من خالص الدعاء، ما يتكفل لكم بالحسنى و ما وعد الله تعالى من نيل الرجاء، و تمهيد الأرجاء، و أصدرت هذا الجواب لكم مصدر الهناء، بنعم الله تعالى المغدقة و الآلاء، و نسأل من فضلكم و برّكم صلة التعريف بمثل هذه الأخبار السارة و الأنباء، و إنحافنا بمثلها مع الصباح و المساء، و إن كان مجدكم غتيا عن الشبه لمثل هذه الأشياء، أدام الله تعالى لكم أسباب البقاء، و كان لكم فى كلّ حال، من إقامة و ارتحال، بعزّة وجهه و قدرته؛ انتهى.

و يرحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب، فإنه يعبر فى كلّ مقام بما يليق، فتارة يترقى فى أدراج البراعة، و طورا يهتك عنان البراعة. و أما شعر لسان الدين رحمه الله تعالى فهو من النهاية فى الحسن، و قد قدّمنا فى هذا الكتاب منه نبذة فى أثناء نثره و كلامه الذى جلبناه، و فى مواضع غيرهما؛ جملة مفيدة من شعره رحمه الله تعالى.

[من شعر لسان الدين فى مدح الرسول صلى الله عليه و سلم]

و قال رحمه الله تعالى فى «الإحاطة» ما نصّه: الشعر- و لثبت جملة من مطولاته، و نثله بشىء من مقطوعاته، و تقدّم من المطولات

أمداح رسول الله صلى الله عليه و سلم تبركا بها، فمن ذلك قولى: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٤٦

هل كنت تعلم فى هبوب الريح نفسا يؤجج لاجع التبريح

أهدتك من شيخ الحجاز تحية فاحت لها عرض الفجاج الفيح
بالله قل لى كيف نيران الهوى ما بين ريح فى الفلاة و شيخ
و خضيبه المنقار تحسب أنها نهلت بمورد دمعى المسفوح
باحت بما تخفى و ناحت فى الدجى فرأيت فى الآماق دعوة نوح
نطقت، بما يخفيه قلبى، أدمعى و لطالما صمتت عن التصريح
عجبا لأجفانى حملن شهادة عن خافت بين الضلوع جريح
و لقلما كتبت رواه مدامعى فى صفحاتها حلية التجريح
جاد الحمى بعدى و أجراء الحمى جود تكل به متون الريح
هنّ المنازل، ما فؤادى بعدها سال، و لا وجدى بها بمريح
حسبى ولو عا أن أزور بفكرتى زوارها و الجسم رهن نزوح
فأبت فيها من حديث صبايتى و أحت فيها من جناح جنوحى
و دجته كادت تضل بها السرى لولا وميضا بارق و صفيح
رعشت كواكب جوها فكأنها ورق تقلبها بنان شحيح
صابرت منها لجة مهما ارتمت و طمت رميت عباها بسبوح
حتى إذا الكف؟؟؟ الخضيب بأفقها مسحت بوجه للصباح صبيح
شمت المنى و حمدت إدلاج السرى و زجرت للآمال كلّ سنيح
فكأنما ليلى نسيب قصيدتى و الصبح فيه تخلصى لمديح
لما حططت لخير من وطئ الثرى بعنان كلّ مولد و صريح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٤٧
رحمى إله العرش بين عباده و أمينه الأرضى على ما يوحى
و الآية الكبرى التى أنوارها ضاءت أشعتها بصفحة يوح
ربّ المقال الصدق و الآى التى راقت بها أوراق كلّ صحيح
كهف الأنام إذا تفاقم مغصل مثلوا بساحة بابه المفتوح
يردون منه على مثابه راحم جمّ الهبات عن الذنوب صفوح
لهفى على عمر مضى أنضيته فى ملعب للترهات فسيح
يا زاجر الوجناء يعتسف الفلا و الليل يعثر فى فضول مسوح
يصل السرى سبقا إلى خير الورى و الركب بين مؤسد و طريح
لى فى حمى ذاك الضريح لبانه إن أصبحت لبنى أنا ابن ذريح
و بمهبط الروح الأمين أمانه اليمن فيها و الأمان لروحي
يا صفوة الله المكين مكانه يا خير مؤتمن و خير نصيح
أقرضت فيك الله صدق محبتي أ يكون تجرى فيك غير ربيح
حاشا و كلاً أن تخيب وسائلى أو أن أرى مسعاى غير نجيح
إن عاق عنك قبيح ما كسبت يدي يوماً فوجه العفو غير قبيح

واخجلتني من حلبة الفكر التي أغريتها بغرامى المشروح
 قصرت خطاها بعد ما ضمّرتها من كلّ موفور الجمام جموح
 مدحتك آيات الكتاب فما عسى يثنى على عليك نظم مديحي
 وإذا كتاب الله أثنى مفصحا كان القصور قصار كلّ فصيح
 صلّى عليك الله ما هبّت صبا فهفت بغصن فى الرياض مروح
 واستأثر الرحمن جلّ جلاله عن خلقه بخفى سرّ الروح
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٤٨

[قصيدة له فى يوم ميلاد الرسول صلّى الله عليه و سلم عام ٧٦٢]

و أنشدت السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الأعظم من عام ثلاثة و ستين و سبعمائة هذه القصيدة: [الطويل]
 تألّق نجدياً فأذكرنى نجدا و هاج بي الشوق المبرّح و الوجد
 و ميض رأى برد الغمامة مغفلا فمدّ يدا بالتبر أعلمت البردا
 تبسّم فى بحريّة قد تجهّم فما بذلت وصلا و لا ضربت وعدا
 و راود منها فاركا قد تنعمت فأهوى لها نصلا و هدّدها رعدا
 و أغرى بها كفّ الغلاب فأصبحت ذلولا و لم تسطع لإمرته ردّا
 فحلّتها الحمراء من شفق الضحى نضاها و حلّ المزن من جيدها عقدا
 لك الله من برق كأنّ و ميضه يد الساهر المقرور قد قدحت زندا
 تعلم من سكانه شيم الندى فغادر أجراع الحمى روضة تندى
 و توج من نوارها قنن الرّبا و ختم من أزهارها القضب الملدا
 لسرعان ما كانت مناسف للصبّا فقد ضحكت زهرا و قد خجلت وردا
 بلاد عهدنا فى قرارتها الصّبا يقلّ لذاك العهد أن يألف العهدا
 إذا ما النسيم اعتلّ فى عرصاتها تناول فيها البان و الشّيح و الرّندا
 فكم فى مجانى وردها من علاقة إذا ما استثيرت أرضها أنبتت و جدا
 إذا استشعرتها النفس عاهدت الجوى إذا التمحتها العين عاقدت السّهدا
 و من عاشق حرّ إذا ما استماله حديث الهوى العذرى صيره عبدا
 و من ذابل يحكى المحيّين رقة فيثنى إذا ما هبّ عرف الصّبا قدّا
 سقى الله نجدا ما نضحت بذكرها على كبدي إلّا وجدت لها بردا
 و آنس قلبى فهو للعهد حافظ و قلّ على الأيام من يحفظ العهدا
 صبور و إن لم يبق إلّا ذبالة إذا استقبلت مسرى الصّبا اشتعلت وقدا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٤٩
 صبور إذا الشوق استجاد كتيبة تجوس خلال الصبر كان لها بندا
 و قد كنت جلدا قبل أن يذهب النوى ذمائي و أن يستأصل العظم و الجلدا
 أ أجحد حقّ الحبّ و الدمع شاهد و قد وقع التسجيل من بعد ما أدّى

تناثر في إثر الحمول فريده فلله عينا من رأى الجوهر الفرد
جرى يققا في ملعب الخدّ أشهباً و أجهده ركض الأسي فجرى وردا
و مرتحل أجريت دمعى خلفه ليرجعه فاستنّ فى إثره قصدا
و قلت لقلبى طر إليه برقعتى فكان حماما فى المسير بها هدّا
سرت صواع العزم يوم فراقه فلجّ و لم يرقب سواعا و لا ودّا
و كحلت عيني من غبار طريقه فأعقبها دمعا و أورثها سهدا
إلى الله كم أهدى بنجد و حاجر و أكنى بدعد فى غرامى أو سعدى
و ما هو إلا الشوق ثار كمينه فأذهل نفسا لم تبين عنده قصدا
و ما بى إلا أن سرى الركب موهنا و أعمل فى رمل الحمى النّصّ و الوحدا
و جاشت جنود الصّبر و البين و الأسي لدى فكان الصّبر أضعفها جندا
و رمت نهوضا و اعترمت مودّعا فصدنى المقدور عن وجهتى صدّا
رقيق بدت للمشترين عيوبه و لم تلتفت دعواه فاستوجب الرّدا
تخلّف عنى ركب طيبة عانيا أما آن للعانى المعنى بأن يفدى
مخلّف سربى قد أصيب جناحه و طرن فلم يسطع مراحا و لا مغدى
نشدتك يا ركب الحجاز، تضاءلت لك الأرض مهما استعرض السّهب و امتدّا
و جمّ لك المرعى و أذعنت الصّوى و لم تفتقد ظلّا ظليلا و لا وردا
إذا أنت شافهت الديار بطيبة و جئت بها القبر المقدّس و اللحدا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٥٠
و آنست نورا من جناب محمد يجلى القلوب الغلف و الأعين الرّمدا
فنب عن بعيد الدار فى ذلك الحمى و أذر به دمعا و عقر به حدّا
و قل يا رسول الله عبد تقاصرت خطاه و أضحى من أحبته فردا
و لم يستطع من بعد ما بعد المدى سوى لوعه تعتاد أو مدحه تهدى
تداركه يا غوث العباد برحمة فوجودك ما أجدى و كفّك ما أندى
أجار بك الله العباد من الرّدى و بوأهم ظلّا من الأمن ممتدّا
حمى دينك الدنيا و أقطعك الرّضا و توجك العليا و ألبسك الحمدا
و طهر منك القلب لّمّا استخصّه فجلّله نورا و أوسعه رشدا
دعاه فما ولى، هداه فما غوى سقاه فما يظما، جلاه فما يصد
تقدّمت مختارا، تأخرت مبعثا فقد شملت علياوك القبل و البعدا
و علّه هذا الكون أنت، و كلّ ما أعاد فأنت القصد فيه و ما أبدا
و هل هو إلا مظهر أنت سرّه ليمتاز فى الخلق المكبّ من الأهدى
ففى عالم الأسرار ذاتك تجتلى ملامح نور لاح للطور فانهدّا
و فى عالم الحسّ اغتديت مبوّاً لتشفى من استشفى و تهدى من استهدى
فما كنت لو لا أن ثبتّ هداية من الله مثل الخلق رسما و لا حدّا

فماذا عسى يثنى عليك مقصّر و لم يأل فيك الذكر مدحا و لا حمدا
بماذا عسى يجزيك هاو على شفى من النار قد أوردته بعدها الخلدا
عليك صلاة الله يا كاشف العمى و مذهب ليل الروع و هو قد اربدا
إلى كم أرانى فى البطالة كانعا و عمرى قد ولّى، و وزرى قد عدا
تقضى زمانى فى لعلّ و فى عسى فلا عزمه تمضى و لا لوعه تهدا
حسام جبان كلما شيم نصله تراجع بعد العزم و التزم الغمدا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٥١
ألا ليت شعرى هل أرانى ناهدا أقود القلاص البدن و الضامر التهدا
رضيع لبان الصدق فوق شمله مضمره و سدت من كورها مهدا
فتهدى بأشواقى السراه إذا سرت و تحدى بأشعارى الركاب إذا تحدى
إلى أن أحطّ الرّحل فى تربك الذى تضوع ندا ما رأينا له ندا
و أطفىء فى تلك الموارد غلّتى و أحسب قريبا مهجة شكت البعدا
لمولدك اهترّ الوجود فأشرق قصور بصرى ضاءت الهضب و الوهدا
و من رعبه الأوثان خرت مهابة و من هو له إيوان كسرى قد انهدا
و غاض له الوادى و صبح عزّه بيوتا لنار الفرس أعدمها الوقدا
رعى الله منها ليلة أطلع الهدى على الأرض من آفاقها القمر السعدا
و أقرض ملكا قام فينا بحقها لقد أحرز الفخر المؤثّل و المجدا
و حيّا على شطّ الخليج محلّة يحالف من ينتابها العيشة الرّغدا
و جاد الغمام العدّ فيها خلائفا ما أثرهم لا تعرف الحصر و العدّا
علينا و عثمانا و يعقوب، لا عدا رضا الله ذاك النجل و الأب و الجدا
حموا و هم فى حومة البأس و الندى فكانوا الغيوث المستهلّة و الأسدا
و لله ما قد خلفوا من خليفه حوى الإرث عنهم و الوصية و العهدا
إذا ما أراد الصّعب أغرى بنيله صدور العوالى و المطهّمه الجردا
و كم معتد أردى و كم تائه هدى و كم حكمه أخفى و كم نعمة أبدى
أبا سالم، دين الإله بك اعلى أبا سالم، ظلّ الإله بك امتدا
قدم من دفاع الله تحت وقاية كفاك بها أن تسحب الحلق السردا
و دونكها منى نتيجة فكرة إذا استرشت للنظم كانت صفا صلدا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٥٢
و لو تركت منى الليالى صباة لأجهدها ركضا و أرهقتها شدا
و لكنه جهد المقلّ بلغته و قد أوضح الأعذار من بلغ الجهدا

[من نظم لسان الدين يخاطب السلطان أبا عنان على أثر انصرافه من بابه]

و قلت أخاطب السلطان الملك الكبير العالم أبا عنان على أثر انصرافى من بابه رحمه الله تعالى: [الكامل]

أبدى لداعى الفوز وجه منيب و أفاق من عدل و من تأنيب
كلف الجنان إذا جرى ذكر الحمى و البان حنّ له حنين التيب
و النفس لا تنفك تكلف بالهوى و الشيب يلحظها بعين رقيب
رحل الصبا فطرحت فى أعقابه ما كان من غزل و من تشيب
أ ترى التغزل بعد أن ظعن الصبا شأنى الغداة أو النسيب نسيبى
أتى لمثلئى بالهوى من بعد ما للوخط فى الفودين أى ديب
لبس البياض و حلّ ذروه منبر منى و والى الوعظ فعل خطيب
قد كان يسترنى ظلام شيبتي و الآن يفضحنى صباح مشيبى
و إذا الجديدان استجدّا ألبيا من لبسة الأعمار كلّ قشيب
سلنى عن الدهر الخؤون و أهله تسل المهلب عن حروب شيب
متقلب الحالات فاخبر تقله مهما أعدت يدا إلى تقلب
فكل الأمور إذا اعترتك لرّبها ما ضاق لطف الرّب عن مربوب
قد يخبأ المحبوب فى مكروهها من يخبأ المكروه فى المحبوب
و اصبر على مضض الليالى إنها لحوامل سيلدن كلّ عجيب
و اقنع بحظّ لم تنله بحيلة ما كلّ رام سهمه بمصيب
يقع الحريص على الردى و لكم غدا ترك التسبب أنفع التسبب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٥٣
من رام نيل الشىء قبل أوانه رام انتقال يلملم و عسيب
فإذا جعلت الصبر مفزع معضل عاجلت علته بطبّ طيب
و إذا استعنت على الزمان بفارس لى نداءك منه خير مجيب
بخليفة الله الذى فى كفه غيث يروّض ساح كلّ جديب
المنتقى من طينه المجد الذى ما كان يوما صرفه بمشوب
يرمى الصعاب بصعبه فيقودها ذللا على حسب الهوى المرغوب
و يرى الحقائق من وراء حجابها لا فرق بين شهادة و مغيب
من آل عبد الحقّ حيث توشّحت شعب العلا و ربت بأى كتيب
أسد الشرى سرج الورى فمقامهم لله بين محارب و حروب
إما دعا الداعى و توب صارخا تابوا و أموا حومة التوب
شهب ثواقب فى سماء عجاجه مأثورها قد صحّ بالتجريب
ما شئت فى آفاقها من رامح يبدو و كفّ بالنجيع خضيب
عجبت سيوفهم لشدة بأسهم فتبسمت و الجوّ فى تقطيب
نظموا بلبات العلا و استوسقوا كالزّرح أنبوبا على أنبوب
تروى العوالى و المعالى عنهم أثر الندى المولود و المكسوب
من كلّ موثوق به إسناده بالقطع أو بالوضع غير معيب

فأبو عنان عن عليّ نصّه للنقل عن عثمان عن يعقوب
جاؤوا كما أتسق الحساب أصالة و غدوا فذالك ذلك المكتوب
متجسدا من جوهر النور الذي لم ترم يوما شمسه بغروب
متألقا من مطلع الحقّ الذي هو نور أبصار و سرّ قلوب
قل للزمان و قد تبسّم ضاحكا من بعد طول تجهمّ و قطوب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٥٤
هي دعوة الحقّ التي أوضاعها جمعت من الآثار كلّ غريب
هي دعوة العدل الذي شمل الورى فالشاة لا تخشى اعتداء الذيب
لو أنّ كسرى الفرس أدرك فارسا ألقى إليه بتاجه المعصوب
لما حللت بأرضه مستمليا ما شئت من برّ و من ترحيب
شمل الرضا فكان كلّ أقاحه تومى بثغر للسلام شنيب
و أتيت فى بحر القرى أمّ القرى حتى حطت بمرفأ التقريب
فرايت أمن الله فى ظلّ التقى و العدل تحت سرادق مضروب
و رأيت سيف الله مطرور الشبا يمضى القضاء بحده المرهوب
و شهدت نور الحقّ ليس بأفل و الدين و الدنيا على ترتيب
و وردت بحر العلم يقذف موجه للناس من درر الهدى بضروب
لله من شيم كأزهار الرّيا غبّ انثيال العارض المسكوب
و جمال مرأى فى رداء مهابة كالسيف مصقول الفرند مهيب
يا جنّة فارقت من غرفاتها دار القرار بما اقتضته ذنوبى
أسفى على ما ضاع من حظّى بها لا تنقضى ترحاته و نجيبى
إن أشرفت شمس شرقت بعبرتى و تفيض فى وقت الغروب غروبى
حتى لقد علّمت ساجعة الضحى شجوى و جانحة الأصيل شجوبى
و شهادة الإخلاص توجب رجعتى لنعيمها من غير مسّ لغوب
يا ناصر الدين الحنيف و أهله إنضاء مسغبة و فلّ خطوب
حقّق ظنون بنيه فيك فإنهم يتعلّلون بوعدك المرقوب
ضاقت مذاهب نصرهم فتعلّقوا بجناب عزّ من علاك رحيب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٥٥
و دجا ظلام الكفر فى آفاقهم أو ليس صبحك منهم بقريب
فانظر بعين العزّ من ثغر غدا حذر العدا يرنو بطرف مرّيب
نادتك أندلس و مجدك ضامن أن لا يخيب لديك ذو مطلوب
غضب العدو بلادها و حسامك ال ماضى الشبا مسترجع المغصوب
أرض السوابح فى المجاز حقيقة من كلّ قعدة محرب و جنيب
يتأودّ الأسل المثقّف فوقها و تجيب صاهلة رغاء نجيب

و النصر يضحك كل ميسم غرة و اليمن معقود بكل سيب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٨، ص ١٥٥
و الروم فارم بكل نجم ثاقب يذكي بأربعها شواظ لهيب
بدوابل السلب التي تركت بنى زيان بين مجدل و سلب
و أضف إلى لام الوغى ألف القنا تظهر لديك علامة التغليب
إن كنت تعجم بالعزائم عودها عود الصليب اليوم غير صليب
و لك الكتاب كالمائل أطلعت زهر الأسنه فوق كل قضيب
فمرنح العطفين لا من نشوة و مورّد الخدين غير مريب
يبدو سداد الرأي في راياتها و أمورها تجرى على تجريب
و ترى الطيور عصائباً من فوقها لحلول يوم في الضلال عصب
هدبتها بالعرض يذكر يومه عرض الورى للموعد المكتوب
و هى الكتاب إن تنوسى عرضها كانت مدونه بلا تهذيب
قدّمت سالبه العدو و بعدها أخرى بعز النصر ذات و جوب
حتى إذا فرض الجلال جداله و رأيت ربح النصر ذات هبوب
و إذا توسط وصل سيفك عندها جزأى قياسك فزت بالمطلوب
و تبرأ الشيطان لما أن علا حزب الهدى من حزبه المغلوب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٥٦
الأرض إرث و المطامع جمه كل يهش إلى التماس نصيب
و خلائف التقوى هم وراثها فإليكم بالحظّ و التعصيب
لكأنى بك قد تركت ربوعها قفرا بكر الغزو و التعقيب
و أفتت فيها مأتما لكنه عرس لنسر بالفلاة و ذيب
و تركت مفلتها بقلب واجب رهبا و حدّ بالأسى مندوب
تبكى نوادبها و ينقلن الخطا من شلو طاغية لشلو سلب
جعل الإله البيت منك مثابة للعاكفين و أنت خير مثيب
فإذا ذكرت كأن هبات الصبا قضت بمدرجها لطيمة طيب
لو لا ارتباط الكون بالمعنى الذى قصر الحجا عن سره المحجوب
قلنا لعالمك الذى شرفته حسد البسيط مزية التركيب
و لأجل قطر ك شمسها و نجومها عدلت من التشريق للتغريب
تبدو بمطل أبقها فضية و تغيب عندك و هى فى تذهب
مولاي، أشواقى إليك تهزنى و النار تفضح عرف عود الطيب
بحلى علاك أطلتها و أطبتها و لكم مطيل و هو غير مطيب
طالبت أفكارى بفرض بديها فوفت بشرط الفور و الترتيب
متنبئ أنا فى حلى تلك العلا لكن شعرى فيك شعر حبيب

و الطبع فحل، و القريحة حرّة فاقبله بين نجية و نجيب
هابت مقامك فاطنيت صعبها حتى غدت ذللا على التدريب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٥٧
لكنني سهلتها و أدلتها من كلّ وحشي بكلّ ريب
إن كنت قد قاربت في تعديلها لا بدّ في التعديل من تقرب
عذرى لتقصيري و عجزى ناسخ و يجلّ منك العفو عن تثرير
من لم يدن لله فيك بقربة هو من جناب الله غير قريب

[قصيدة له يهنئ بها السلطان و قد أعذر أولاده]

ولما احتفل السلطان لإعذار ولده نظمت هذه القصيدة مساعدة لمن نظم من الأصحاب، و تشتمل على أوصاف من ذكر الحلبة التي أرسلها، و الطلبة التي نصبها في الهواء للفرسان يرسلون العصي إليها، و الثيران التي أرسل عليها الأكلب الرومية تمسكها في صورة القرط من آذانها، و هي آخر النظم في الأغراض السلطانية، قصر الله تعالى ألسنتنا على ذكره، و شغلها به عن غيره: [الطويل]

شحطت وفود الليل بان به الوخط و عسكره الزنجي همّ به القبط
أتاه وليد الصبح من بعد كبرة أ يولد أجنى ناحل الجسم مشمط
كأنّ النجوم الزهر أعشار سورة و من خطرات الرجم أثناءها مطّ
و قد وردت نهر المجرّة سحرة غوائص فيه مثل ما تفعل البطّ
و قد جعلت تفتلي بأنملها الفلا و يرسل منها في غدائه مشط
يشفّ عباب الليل عنها جواهرها فيكثر فيها التهب للحين و اللقط
فسارت خيالاً مثلها، غير أنه من البثّ و الشكوى يبين له لغط
سرت سلخ شهر في تلقت مقله على قتب الأحلام تسمو و تنحط
لى الله من نفس شعاع و مهجة إذا قدحت لم يخب من زندها سقط
و نقطة قلب أصبحت منشأ الهوى و عن نقطة مفروضة ينشأ الخطّ
فأقسم لو لا زاجر الشيب و النهى و نفس لغير الله ما خضعت قطّ
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٥٨
لريع لها الأحراس متى بطارق مفارقه شمط و أسيافه شمط
تناقله كوما سامية الذرا و يقذفه شهم من التيق منحطّ
و لو لا النهى لم تستهن سبل الهدى و كاد وزان الحقّ يدركه الغمط
و لو لا عوادى الشيب لم يبرح الهوى يهيجه نوء على الرمل مختطّ
و لو لا أمير المسلمين محمد لهالت بحار الزوع و احتجب الشطّ
ينوب عن الإصباح إن مطل الدجى و يضمن سقى السرح إن عظم القحط
تقرّ له الأملاك بالشيم العلا إذا بذل المعروف أو نصب القسط
أرادوه فارتدّوا و جاروه فانتنوا و ساموه في مرقى الجلالة فانحطّوا
تبرّ على المدّاح غرّ خلاله و ما رسموا فوق الطروس و ما خطّوا

تعلّم منه الدهر حاله في الورى: فأونه يسخو، و آونه يسطو
و يجمع بين القبض و البسط كفه بحكمه من في كفه القبض و البسط
خلاتق قد طابت مذاقا و نفعه كما مزجت بالبارد العذب إسفنط
أسبط الإمام الغالبى محمد و يا فخر ملك كنت أنت له سبط
وقتك أواقى الله من كلّ غائل فأى سلاح ما المجنّ و ما اللّمط
لقد زلزلت منك العزائم دولة أناخت على الإسلام تجنى و تشتطّ
إيالة غدر ضيع الله ركنها و نادى بأهلها التبار فلم يبطوا
على قدر جلى بك الله بؤسها و لا يكمل البحران أو ينضج الخلط
و كانوا نعيم الجنتين تفيؤوا و لما يقع منها النزول و لا الهبط
فقد عوّضوا بالأثل و الخمط بعدها و هيهات أين الأثل منها أو الخمط
فمن طائح فوق العراء مجدلّ و من راسف فى القيد أرهقه الضغط
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٥٩
و أتحف منك الله أمه أحمد أمانا كما يصفو على الغادة المرط
أنمت على مهد الأمان عيونها فيسمع من بعد السهاد لها غطّ
و صمّ صدى الدنيا فلما رحمتها تراحم مر تاد عليها و محتطّ
و أحكمت عقد السلم لم تأل بعده و جاء فصّح العقد و استوثق الرّبط
و أيقن مراتب، و أصحب نافر و أذعن معتاص، و أقصر مشتطّ
و لله ميناك الذى معجزاته سمت أن توافيها الشّفاء أو الخطّ
و أنست غريب الدار مسقط رأسه و من دون فرخيه القتادة و الخرط
تناسبت الأوضاع فيك و أحكمت على قدر حتى الأرائك و البسط
فجاء على وفق العلا رائق الحلى كما سمّط المنظوم أو نظم السّمط
و لله إعدار دعوت له الورى فهبوا لداعيه المهيب و إن شطّوا
تقودهم الرّلفى، و يدعوهم الرّضا و يحدوهم الخصب المضاعف و الغبط
و أغريت بالبهيم العلاج تحفيا فلم يدخر الشىء الغريب و لا السّمط
أت صورت معلولة عن مزاجها و أصل اختلاف الصورة المزج و الخطط
قضيت بها دين الزمان، و لم يزل أكّد كذوب الوعد يلوى و يشتطّ
و أرسلت يوم السّبق كلّ طمره كما قذف الملمومه النار و التّفط
رنت عن كحيل كالغزال إذا رنا و أوفت بهاد كالظّليم إذا يعطو
و قامت على منحوتة من زبرجد تخطّ على الصّم الصّلاب إذا تخطو
و كلّ عتيق من تماثل رومه تأتق فى استخطاطه القسّ و القمط
و طاعنه نحر السّكاك أعانها على الكون عرق واشج و لحي سبط
تلّف حيات العصى إذا هوت فثعبانها لا يستقيم له سرط
أزرت بها بحر الهواء سفينة على الجوّ لا الجودى كان لها حطّ

و طاردت مقدم الصّوار بجارج يصاب به منه الصّماخ أو الإبط
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٦٠
 متين الشوى فى رأسه سمهريئة مقصرة عنهنّ ما يثبت الخطّ
 و قد كان ذا تاج فلما تعلّقا بسمعته زانه منهما قرط
 و جىء بشبل الملك ينجذ عزمه عليه الحفاظ الجعد و الخلق السّبط
 سمحت به لم ترع فرط ضنائه و فى مثلها من سنّه يترك الفرط
 فأقدم مختاراً، و حكّم عاذرا و لم يشتمل مسك عليه و لا ضبط
 و لو غير ذات الله رامته نضنضت قنا كالأفاعى الرّقط أو دونها الرّقط
 و أسد نزال من ذؤابة خزرج بهاليل لا روم القديم و لا قبط
 جلادهم مثنى إذا اشتجر الوغى كأنّ رعاء بالعضاه لها خبط
 كتائب أمثال الكتاب تتاليا فمن بيضها شكل، و من سمرها نقط
 دليلهم القرآن، يا حبّذا الهدى و رهطهم الأنصار يا حبّذا الرّهط
 و بيض كأمثال البروق غمامها إذا وشحت سحب القتام دم عبط
 و لكنه حكم يطاع و سنّه و أعمال برّ لا يليق بها الحبط
 و ربّت نقص للكمال مآله و لا غرو فالأفلام يصلحها القطّ
 فهنيته صنعا و دمت مملّكا عزيزا تشيد المعلوات و تختطّ
 و دون الذى يهدى ثناؤك فى الورى من الطيب ما تهدى الألوّة و القسط
 رضيت و من لم يرض بالله حاكما ضاللا فله الرضا و له السّخط
 حياتك للإسلام شرط حياته و لا يوجد المشروط إن عدم الشّروط

[من نظمه عن كتاب أبيات الأبيات و الكتاب المسمى: الصيب و الجهام]

هذا كاف فى المطوّلات لنجلب منها عرضا يدلّ على حبوبها، و نتحف منها أنفس الظرفاء بمطوبها، منقوله من الكتاب المسمى ب
 «أبيات الأبيات» و من الكتاب المسمى ب «الصّيب و الجهام».
 فمن التوريه على طريقه المشارقه قولى: [الخفيف]
 مضجعى فيك عن قتاده يروى و روى عن أبى الرّناد فؤادى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٦١
 و كذا النوم شاعر فيك أمسى من دموعى يهيم فى كلّ وادى
 و من هذا الباب أيضا: [الطويل]
 و لمّا رأت عزمى حيثما على السرى و قد رابها صيرى على موقف البين
 أت بصحاح الجوهريّ دموعها فعارضت من دمعى بمختصر العين
 و فى هذا المعنى: [الوافر]
 كتبت بدمع عينى صفح خدى و قد منع الكرى هجر الخليل
 و راب الحاضرين، فقلت: هذا كتاب العين ينسب للخليل

و من الأغراض الظريفة فيها: [الطويل]

تعجّلت وخط الشيب في زمن الصبا لخوضي غمار الهم في طلب المجد
فمهما رأيتم شبيهة فوق مفرقي فلا تنكروها إنها شبيهة الحمد
و من التورية بالنجوم و الكاتب بيته بيت شرفه: [المتقارب]

بأوت على زمني همّة فأعتبني الزمن العاتب
و شرفني الله في موطني و في بيته يشرف الكاتب
و أبدع منها قولي لمن يدعى بشمس الدين: [الرملي]

قل لشمس الدين وقيت الردى لم يدع سقمك عندي جلدا
رمدت عينك هذا عجب أو عين الشمس تشكو الرمد
و قلت في غرض التورية بما يظهر من الأبيات: [مجزوء الكامل]

أفل الألي كانوا نجو ما للورى فالكون مظلم
و تناكر الناس الحدى ث الحق و افتقد المعلم
أنا كاتب السلطان ما طالعت قط كتاب مسلم
إلا سخاما قادحا في الدين و الله المسلم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٦٢

و في معنى الدعابة مع بعض الطلبة: [الخفيف]

قال لي عندما أتى بجدال و شكوك على أصول الدين
و لساني بيدل الدال تاء عاجز في الأمور عن تبين
التمس مخرجا يوافق قولي قلت: أحسنت يا جلال التين
و في التورية: [السريع]

اذم ذوى التطفيل مهما أتى و إن تكن أجملتهم فاعنه
يمشى على رجليه مع أنه من جنس من يمشى على بطنه
و قلت: [السريع]

أفقد جفني لذيد الوسن من لم أزل فيه خليع الرسن
عذاره المسكي في خده أنبته الله النبات الحسن
و قلت في رثاء من اسمه حسن: [البسيط]

أشكو إلى الله من بتي و من شجني لم أجن من محنتي شيئا سوى محن
أصابته الحسن العين التي رشقت و عادة العين لا تصمى سوى الحسن
و في الشيب: [الطويل]

تفر عن الشيب الغواني تعززا كما يعترها إن رأت سام أبرصا
بدا وضحا في جدة العمر شانيا فمن سام شيئا فهو قد سام أبرصا
و قلت في السها من النجوم الجوفية: [الكامل]

قالوا السها بادي النحول كأنه متستر تبدو مخايل خوفه

أ تراه يشكو؟ قلت: هذا ممكن و الله يعلم داره من جوفه

و قلت: [المنسرح]

عابوا و قالوا: بساقه شعر لقد عداه الكمال من ساق

قلت انظروا ورد روض و جنته و كل ورد مشوك الساق

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٦٣

و قلت فى التضمين: [الخفيف]

رفعت قصة اشتياقى ليحى فزوى الوجه رافضا للفتوه

و رمى بالكتاب ضعف اهتبال قلت يحيى خذ الكتاب بقوه

و قلت: [الطويل]

و ذى حيل يعى التقيته أمره مكايده فى لجه الليل تسبح

يدب شبول اللبث و الليث ساهر و يسرق ناب الكلب و الكلب ينبح

و قلت: [الكامل]

لما رأوا كلفى به و دروا مقدار ما لى فيه من حب

قالوا الفتى حلو فقلت لهم طلعت حلاوته على قلبى

و قلت، و لهما حكاية: [الطويل]

و ذى زوجه تشكو فقلت له اسقها دواء من الحب الملين للبطن

فقال: أبت شرب الدواء بطبعها فقلت اسقها إن عافت الشرب بالقرن

و قلت: [الكامل]

لعنوا برياً من خباث ظنهم فالله يلعن أهل سوق العنبر

و الله لا أوطأت ساقى سوقهم أبد الزمان فتلك سوق العن برى

و من الفكاهات: [المتقارب]

و لما دعانى داعى الهوى و أخلف ما كنت أملتته

و لم يبق غير البكا حيلة بكيت بمقدار ما نلتته

و قلت، و قد رفع للسلطان باكورة بنفسج: [الكامل]

قدم البنفسج و هو نعم الوارد قد نم منه إلى طيب زائد

فسألته: ما باله؟ فأجبنى و الحق لا يبغى عليه شاهد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٦٤

أقبلت أطلب من بنان محمد صله فعاد على منه عائد

و قلت من التشبيه: [الطويل]

سهرنا و فى سير النجوم اعتبارنا إلى أن ضفا لليل من فوقنا ريط

فخلنا شهاب الرجم إبرة خائط مسوحا و ما يبقى من الذنب الخيط

و قلت أودع صديقا أنست به: [المتقارب]

فلاحة مثلى ممقوته و إن أعجب البدء منها وراق

زرعت اللقاء و عالجتة فلم أستفد منه إلا الفراق

و من تضمين المثل: [المديد]

لا تهج بالذکر فی کبدی نار وجد شقّ محتمله

و يقول الناس فی مثل لا تحرّک من دنا أجله

و من المدح: [الكامل]

عجبا لراحتک الملتئ بالندی أن لا تكون علی الغمام غماما

یهمی و وجهک نوره متألق و القطر إن سحب السحاب أغاما

و من آیات المدح: [البسيط]

یا ناصر الدین لَمَا قَلَّ ناصره و مطلع الجود فی الدنيا و قد أفلا

لولا التشهد و الترداد منك له لم یسمع الناس یوما من لسانک لا

و من أوصاف صنیع سلطانی: [الكامل]

ما ذا أحدث فی صنیع خلافة هشت إليه الشهب فی آفاقها

فكأنما الجوزاء حین تعرّضت شدت لتخدم فی عقد نطاقها

و من قصيدة فی وصف فرس: [الطویل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٦٥

فبؤاته من مهجتي متبوا خفينا على سرّ الفؤاد المکتم

و یا عجبا منی و فرط تشیعی أهيم بوجدی فيه و هو ابن ملجم

و من الحماسة فی التورية بالمنطق: [الكامل]

حتى إذا فرض الجلال جداله و رأيت ریح النصر ذات هبوب

قدّمت سالبه العدو و بعدها أخرى بعزّ النصر ذات وجوب

و إذا توسط حدّ سيفک عندها جزأی قیاس فزت بالمطلوب

و فی خاتمة قصيدة: [الكامل]

ما ضرّنی إن لم أجيء متقدّما السبق يعرف آخر المضمار

و لئن غدا ربح البلاغة بلقعا فلربّ كنز فی أساس جدار

و من المدح: [البسيط]

إن أبهم الخطب جلی فی دجنّته رأيا یفرّق بین الغی و الرشد

و إن عتا الدهر أبدی من أسرّته و كفه هدی حیران وری صد

و إن نظرت إلى لألاء غرّته یوم الهیاج رأیت الشمس فی الأسد

و من الأوصاف فی قصيدة: [الرمل]

کم لیال بتّ فی ظلماتها أمتطی من نار شوقی فرشا

و كأنّ النجم شرب ثمل واصل الثملة حتى ارتعشا

و من التورية بالكفتين من الحیل العددية: [البسيط]

لا عدل فی الملك إلا و هو قد نصبه و صیر الخلق فی ميزانه عصبه

و الكفتان ترى من كفه درتا أن تخرج العدد المجهول للطلبه

و في رجال يحتال على الولاية: [الوافر]

حلفت لهم بأنك ذو يسار و ذو ثقة و برّ في اليمين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٦٦

ليستندوا إليك بحفظ مال فتأكل باليسار و باليمين

و قلت، و لهما حكاية تظهر من الأبيات: [الخفيف]

قلت لما استقلّ مولاى زرعى و رأى غلّة الطعام قليله

دمنتى لانتجاعى الحرث كلت فهى اليوم دمنه و كليله

و ممّا صدرت به كتابا لأحد الفضلاء: [الكامل]

يا من تقلد للعلاء سلوكا و الفضل صير نهجه مسلوكا

كاتبنتى متفضلا فملكنتى لا زلت منك مكاتبا مملوكا

و قلت فى غرض يظهر منه: [الرملى]

جلس المولى لتسليم الورى و لفصل البرد فى الجوّ احتكام

فإذا ما سألوا عن يومنا قلت: هذا اليوم برد و سلام

و قلت من التورية: [المجتث]

يا مالكى بخلال تهدي إلى القلب حيره

أضمرت قلبى نارا يا مالك بنويره

و قلت أيضا: [الوافر]

أضاف إلى الجفون السود شعرا كجبح الليل أو صبغ المداد

فقلت أمير هذا الحسن تزكوا الأ جور له بتكثير السواد

و قلت أيضا: [مجزوء الرمل]

بأبى بدر غزاني مستيححا شرح صدرى

فأنا اليوم شهيد ال حبّ من غزوة بدر

و قلت، و لهما حكاية: [الطويل]

أيا ليلة بالخصب لم تأل شهرة كما اشتهرت فى فضلها ليلة القدر

فأمن قلب اللوز من غلّة النوى و أصبح فيها التين منشرح الصدر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٦٧

و من النزعات المشرقية فى التورية: [الكامل]

يا قائدى نحو الغرام بمقله نفقت حلاوتها بكلّ فؤادى

ما ذا جنيت علىّ من مضمض الهوى الله ينصف منك يا قوادى

و من هذا النمط المشرقى: [الطويل]

و قالت حلقت الكسّ منى بنورة فقلت لها استنصرت من ليس ينصر

ألا فابلغى عنى فديتك و اصدقى محلّق ذاك الكسّ أنى مقصر

و منها: [الخفيف]

قال لى و الدموع تنهلّ سخا في عراض من الخدود محول
بك ما بى فقلت مولاي عافاك المعافى من عبرتى و نحولى
أنا جفنى القريح يروى عن الأع مش، و الجفن منك عن مكحول
و من أبيات التورية أو ما داخلته: [الكامل]

فى مصر قلبى من خزائن يوسف حبّ و غير مدامعى تمتاره
حلّيت شعرى باسمه فكأنه فى كلّ قطر حلّه ديناره
و من المدح أيضا و لا أستحضر لقبه: [المتقارب]

رأيت بكفك اعتبارا بأسا و ندى ما إن يبارى
فقلت و قد عجبت منها يا بحر، متى تدعو نوارا

و قلت ممّا يجرى مجرى الحكم: [الكامل]

إنّ الهوى لشكايه معروفه صبر التصبر من أجلّ علاجها
و النفس إن ألفت مرارة طعمه ضمنت بذاك له صلاح مزاجها
و من الغرائب فى الأوصاف: [المجتث]

كأنما الروض ملك باهى به جلساه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٦٨

يرضى النديم فمهما سقى الرياض كساه

و فى غرض النسب: [الخفيف]

أصبح الخدّ منك جنّه عدن مجتلى أعين و شمّ أنوف

ظلّته من الجفون سيوف جنّه الخلد تحت ظلّ السيوف

و قلت فى النسب: [الكامل]

أرسلت طرفى فى حلاك بنظره هى كانت السبب الغريب لما بى

و أراك بالعبرات قد عاقبتها ليس الرسول بموضع لعقاب

و من تحسين القبيح: [الطويل]

و أحول يعدى القلب سهم جفونه فتضحى صحيجات القلوب به مرضى

رأى الحسن أنّ اللحظ منه مهنّد فحرّفه كيما يكون له أمضى

و من النزعات الحسنه: [الكامل]

من لى بذكرى كلّما أوجستها تمحو سلوى و اشتياقى تثبت

و سحاب دمع كلّما أمطرته غير القتاد بمضجعى لا يثبت

و من النسب: [البسيط]

جاء العذار بطلّ غير ممدود فمنتهى الحسن منه غير محدود

ناديت قلبى إذ لاحت طلائعه يا صبر أيوب هذا درع داود

و فى نقيضه: [البسيط]

ما ضرّ منّي أن أخلفت موعودي و روض خدّك أضحى ذاوى العود
و قال قوس عذار فوق صفحته سفينة الحسن قد حطت على الجودي
و من التضمين: [السريع]

يا من بأكناف فؤادى ريع قد ضاق بى عن حبّك المتسع
ما فيك لى جدوى و لا أروعى «شخ مطاع و هوى متبع»
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٦٩

و من الأغراض المخترعة: [المنسرح]

أنكرت لّمّا أطلّ عارضه فقال لى حين رابه نظرى
ألم تقل لى بأننى قمر فانظر إلى وبر أرنب القمر

و من التضمين: [البسيط]

يا كوكب الحسن يا معناه يا قمره يا روضه المتناهى الرّيع يا ثمره
أمرتنى بسلوّ عنك ممتنع «مأمور حسنك لّمّا يقض ما أمره»

و قلت: [الكامل]

لّمّا رضيت بفرقتى و بعادى و صرمت آمالى و خنت و دادى
لاعت أمّ الصبر فيك و بعده ورّثت للأشجان كتر فؤادى
فالصبر منى أجنبى بعدها و لواعج الأشجان من أولادى

و من الأغراض المشرقية: [الخفيف]

سار بى للأمير يشكو اعتراضى يوسف و الشهود أبناء جنسه
قال لى ما تقول قلت مجيبا لم نخف من نكاله أو لحبسه
حصحص الحقّ يا خوند فدعنى أنا راودت يوسف عن نفسه

و من الأوصاف: [البسيط]

بتنا نظارح همّ القحط ليلتنا و أيد الهمّ و السهد البراغيثا
و كان يحمد ما كنّا نكابه من المشقّة لو أنّ البراغيثا

و فى قريب من المعنى: [الطويل]

و قالوا بدت منكم على الجسم حمرة فقلت براغيث لكم رقّطونا
عدت نحونا ليلا و من بعدنا اغتدت كما رققت فى القلوب بزر قطونا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٧٠

و من التضمين: [مجزوء الرجز]

قال جوادى عند ما همزت همزا أعجزه

إلى متى تهمننى ويّل لِكُلِّ هُمَزَةٍ

و فى رثاء السلطان أبى الحجاج رحمه الله تعالى: [السريع]

غبت فلا عين و لا مخبر و لا انتظار منك مرقوب

يا يوسف، أنت لنا يوسف و كلنا فى الحزن يعقوب

و قلت، و لهما حكاية: [الرمل]
 طال حزني لنشاط ذاهب كنت أسقى دائما من حانه
 و شباب كان يندى نضرة نزل الثلج على ريحانه
 و قلت، و قد أعجبنى نشاط ولدى: [الرمل]
 سرق الدهر شبابي من يدي ففؤادي مسعر بالكمد
 و حمدت الأمر إذ أبصرته باع ما أفقدني من ولدى
 و قلت، و لهما حكاية: [الخفيف]
 قلت للشيب لا يربك جفائي في اختصاري لك البرور و مقتك
 أنت بالعتب يا مشيبي أولى جئني غفلة و في غير وقتك
 و ممّا خططته في رملة نزلتها: [الوافر]
 أقمنا برهه ثم ارتحلنا كذاك الدهر حال بعد حال
 و كلّ بدايه فإلى انتهاء و كلّ إقامة فإلى ارتحال
 و من سام الزمان دوام أمر فقد وقف الرجاء على المحال
 و قلت أيام مقامي بسلا: [الطويل]
 أيا أهل هذا القطر ساعده القطر بليت فدلوني لمن يرفع الأمر
 تشاغل بالدينا و نمت مفرّطا و في شغلي أو نومتي سرق العمر
 و قلت، و البقاء لله وحده، و به نختم الهذر: [مجزوء الرمل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٧١
 عدّ عن كيت و كيت ما عليها غير ميت
 كيف ترجو حالة البق يا لمصباح و زيت

انتهى ما نقلته من «الإحاطة» من ترجمه نظمه، و بعض ما ذكر هنا قد تقدّم، و كررته لكونه بلفظة في «الإحاطة»، و قد ذكرت أثناء
 الأبواب غير هذا الباب من نظم لسان الدين - رحمه الله تعالى! - كثيرا، و لنعزّ ذلك هنا بذكر ما لم يتقدّم ذكره، إذ نظمه بحر لا
 ساحل له، و لذا كتب ابنه أبو الحسن على هذا المحلّ من الإحاطة ما صوته: و لوالدى أيضا المترجم به - رحمه الله تعالى! - في سكين
 الأضحى لسلطانه أبي الحجاج يوسف بن نصر فيما يكتب بالسكين المضحية: [الطويل]
 لى الفخر إن أبصرتنى أو سمعت بى على كلّ مصقول الغرايين مرهف
 كفانى فخرا أن ترانى قائما بسنة إبراهيم فى كفّ يوسف
 و مقطوعاته كثيرة لم يتضمّن هذا الديوان منها إلّا القليل بسبب الاختصار، و من أراد الوقوف على جملتها فعليه بكتاب «الصيّب و
 الجهام» فى شعره، رحمه الله تعالى! قال ذلك ولده على، لطف الله تعالى به! آمين؛ انتهى.

[من شعره ينشوق إلى قصر باديس]

فمن ذلك قوله رحمه الله تعالى: [الطويل]
 عسى خطرة بالركب يا حادى العيس على الهضبة الشّماء من قصر باديس
 لنظفر من ذك الزلال بعلّة و نعم فى تلك الظلال بتعريس

حبست بها ركبي فواقا، و إنما عقدت على قلبي بها عقد تحييس
لقد رسخت آى الجوى فى جوانحى كما رسخ الإنجيل فى قلب قسيس
بميدان جفنى للسهاد كتيبهُ تغير على سرح الكرى فى كراديس
و ما بى إلّا نفعهُ حاجرِيه سرت و الدجى ما بين وهن و تغليس
ألا نفس يا ريح من جانب الحمى تنفس من نار الجوى بعض تنفيس
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٧٢
و يا قلب لا تلق السلاح فرما تعدّر فى الدهر أطراد المقاييس
و قد تعبت الأيام بعد عتابها و قد يعقب الله النعيم من البوس
و لا تخش لِحّ الدمع يا خطرهُ الكرى إلى الجفن بل قيسى على صرح بلقيس
تقول سليمى ما لجسمك شاحبا مقالهُ تأنيب يشاب بتأنيس
و قد كنت تعطو كلّما هبت الصبا برّيان فى ماء الشيبه مغموس
و من رايح الأيام يا ابنهُ عامر بجوب الفلا راحت يداه بتفليس
فلا تحسى و الصدق خير سجيّه ظهور النوى إلّا بطون النواميس
و فقراء أمّا ركبها فمضلل و مربعا من آنس غير مأنوس
سحبنا بها من هضبه لقراره ضلالا و ملنا من كناس إلى خيس
إذا ما نهضنا عن مقيل غزاله نزلنا فعزّسنا بساحه عزّيس
أدرنا بها كأسا دهاقا من السرى أملنا بها عند الصباح من الزوس
و حانه خمّار هدانا لقصدها شميم الحميا و اصطكاك النواقيس
تطلّع ربّانيتها من جداره يهيم فى جنح الظلام بتقديس
بكرنا و قلنا إذ نزلنا بساحه عن الصافنات الجرد و الصّمّر العيس:
أيا عابد الناسوت إنّنا صبا به أتيّنا لتثليث، بلى، و لتسدّيس
و ما قصدنا إلّا المقام بحانه و كم ألبس الحقّ المبين بتلبّيس
فأنزلنا فورا على جنباتها محارِب شتى لاختلاف النواميس
بدرنا بها طين الختام بسجده أردنا بها تجديد حسره إبليس
و دار العذارى بالمدام كأنها قطا تتهادى فى رياش الطواويس
و صارفنا فيها نضارا بمثله كأننا ملأنا الكاس ليلا من الكيس
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٧٣
و قمنا نشاوى عند ما متع الضحى كما نهضت غلب الأسود من الخيس
فقال لبّس المسلمون ضيوفنا أما و أيبك الحبر ما نحن بالبيس
و هل فى بنى مثواك إلّا ميرز بحلبه شورى أو بحلقه تدرّيس
إذا هزّ عسال اليراعه فاتكا أسال نجيع الحبر فوق القراطيس
يقلب تحت التّع مقله ضاحك إذا التفت الأبطال عن مقل شوس
سبينا عقار الروم فى عقر دارها بحليه تمويه و خدعه تدليس

لئن أنكرت شكلي ففضلي واضح وهل جائز في العقل إنكار محسوس
رسبت بأقصى الغرب ثغر مضلة و كم درة علياء في قاع قاموس
و أغريت سوسى بالعذيب و بارق على وطن داني الجوار من السوس

[من لاميته المسماة، المنح الغريب في الفتح القريب، التي خاطب بها سلطانه حين عاد لملكه من المغرب]

من أبداع ما صدر عن لسان الدين رحمه الله تعالى لاميته المشهورة التي خاطب بها سلطانه حين عاد من المغرب إلى الأندلس، و أعاد
الله تعالى عليه ملكه الذي كان خلع منه، و يقال: إن السلطان أمر بكتب هذه القصيدة على قصوره بالحمراء إعجابا بها، و إنها إلى الآن
لم تزل مكتوبة بتلك القصور التي استولى عليها العدو الكافر، أعادها الله تعالى للإسلام! و أول هذه القصيدة: [الكامل]
الحق يعلو و الأباطل تسفل و الله عن أحكامه لا يسأل
قال لسان الدين رحمه الله تعالى: نظمتها للسلطان - أسعده الله تعالى! - و أنا بمدينة سلا، لما انفصل طالبا حقه بالأندلس، كان صنع
الله تعالى براءة استهلالها، و وجهت بها إليه إلى رندة قبل الفتح، ثم لما قدمت أنشدتها بعد الفتح و فاء بنذرى، و سميتها «المنح
الغريب، في الفتح القريب» و منها:

و إذا استحالت حالة و تبدلت فالله عزّ و جلّ لا يتبدل
و اليسر بعد العسر موعود به و الصبر بالفرج القريب موكل
و المستعدّ لما يؤمل ظافر و كفاك شاهد «قيدوا و توكّلوا»
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٧٤
أ محمد و الحمد منك سجيّة بحليتها دون الورى تتجمل
أمّا سعودك فهو دون منازع عقد بأحكام القضاء مسجل
و لك السجايا الغرّ و الشيم التي بغريها يتمثل المتمثل
و لك الوقار إذا تزلزلت الرّبا و هفت من الروع الهضاب الميل
عوذ كمالك ما استطعت فإنه قد تنقص الأشياء ممّا يكمل
تاب الزمان إليك ممّا قد جنى و الله يأمر بالمتاب و يقبل
إن كان ماض من زمانك قد مضى بإساءة قد سرّك المستقبل
هذا بذاك فشقق الجاني الذي أرضاك فيما قد جناه الأول
و الله قد وّلاك أمر عباده لما ارتضاك و لايه لا تعزل
و إذا تغمدك الإله بنصره و قضى لك الحسنى فمن ذا يخذل
و منها:

و ظعنت عن أوطان ملكك راكبا متن العباب فأى صبر يجمل
و البحر قد حنيت عليك ضلوعه و الريح تقطع للزفير و ترسل
و لك الجوارى المنشآت و قد غدت تختال في برد الشباب و ترفل
جوفاء يحملها و من حملت به من يعلم الأثنى و ما ذا تحمل
و منها:

صبّحتهم غرر الجياد كأنما سدّ الثبية عارض متهلّل

من كل منجرد أغرّ محجّل يرمى الجلاّد به أغرّ محجّل
 زجل الجناح إذا أجدّ لغايه و إذا تغتّى للصهيل فبلبل
 جيد كما التفت الظليم وفوقه أذن ممشّقه و طرف أكحل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٧٥
 فكأنما هو صورة في هيكل من لطفه و كأنما هو هيكل
 و منها:

و خليج هند راق حسن صفائه حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
 غرقت بصفحته النمال و أوشكت تبغى النجاة فأوثقتها الأرجل
 فالصرح منه ممرد، و الصنح من ه مورّد، و الشطّ منه مهدلّ
 و بكلّ أزرق إن شكت الحافظه مره العيون فبالعجاجة تكحل
 متأود أعطافه في نشوة ممّا يعلّ من الدماء و ينهل
 عجا له أن النجيع بطرفه رمد، و لا يخفى عليه مقتل
 و منها:

لله موقفك الذى و ثباته و ثباته مثل به يتمثل
 و الخيل خطّ، و المجال صحيفه و السمر تنقط، و الصوارم تشكل
 و البيض قد كسرت حروف جفونها و عوامل الأسل المثقف تعمل
 لله قومك عند مشتجر القنا إذ ثوب الداعى المهيب و أقبلوا
 قوم إذا لفح الهجير و جوههم حجبا برايات الجهاد و ظلّوا
 و هى طويله لم يحضرنى الآن منها سوى ما كتبه.
 و من نظمه رحمه الله تعالى قوله: [الخفيف]
 يا إمام الهدى و أىّ إمام أوضح الحقّ بعد إخفاء رسمه
 أنت عبد الحليم، حلمك نرجو فالمسمّى له نصيب من اسمه

[من نظمه يخاطب عبد الواحد بن زكريا ابن سلطان إفريقية]

و قال يخاطب عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحيانى أبا مالك ابن سلطان إفريقية مودّعا: [المتقارب]
 أبا مالك، أنت نجل الملوّك غيوث الندى و ليوث النزال
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٧٦
 و مثلك يرتاح للمكرّمات و ما لك بين الورى من مثال
 عزيز بأنفسنا أن نرى ركابك مؤذنه بارتحال
 و قد خبرت منك خلقا كريما أناف على درجات الكمال
 و فازت لديك بساعات أنس كما زار فى الليل طيف الخيال
 و لو لا تعللنا أننا نزورك فوق بساط الجلال
 و نبلغ فيك الذى نبتغى و ذاك على الله سهل المنال

لما فترت أنفوس من أسى و لا برحت أدمع فى انهمال
تلقّتك حيث احتللت السعود و كان لك الله فى كلّ حال
و توفى أبو مالك المخاطب بهذا فى بلاد الجريد سنة ٧٤٠.
و من نظم ابن الخطيب قوله لما أشرف على الحضرة المراكشية حاطها الله تعالى:
[البيط]

ما ذا أحدثت عن بحر سبحت به من البحار فلا إثم و لا حرج
و عاه مبتدع الأشياء مستويا ما إن به درك كلّ و لا درج
حتى إذا ما المنار الفرد لاح لنا صحت ابشرى يا مطايا جاءك الفرج
قربت من عامر دارا و منزلة و الشاهد العدل هذا الطيب و الأرج
و قال رحمه الله تعالى: [الطويل]
كأنّا بتامسنا نجوس خلالها و ممدودها فى سيرنا ليس يقصر
مراكب فى البحر المحيط تخبّطت و لا جهة تدرى و لا البرّ تبصر

[من نظمه ما كتب على مدرسة بناها السلطان أبو الحجاج و إجازة بينه و بين ابن الحجاج و قد مرا ببعض مسالك غرناطة]

و قال سامحه الله تعالى، و هو مكتوب بالمدرسة التى بناها السلطان أبو الحجاج بن نصر رحمه الله تعالى: [الطويل]
ألا هكذا تبنى المدارس للعلم و تبقى عهود المجد ثابتة الرسم
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٧٧
و يقصد وجه الله بالعمل الرضا و تجنى ثمار العزّ من شجر العزم
تفاخر منى حضرة الملك كلما تقدم خصم فى الفخار إلى خصم
فأجدى إذا ضنّ الغمام من الحيا و أهدى إذا جنّ الظلام من النجم
فيا طاعنا للعلم يطلب رحلة كفيت اعتراض البيد أو لجج اليمّ
ببابى حطّ الرحل لا تنو و جهة فقد فزت فى حال الإقامة بالغنم
فكم من شهاب فى سمائى ثاقب و من هاله دارت على قمر تمّ
يفيضون من نور مبین إلى هدى و من حكمة تجلو القلوب إلى حكم
جزى الله عنى يوسف خير ما جزى ملوك بنى نصر عن الدين و العلم
و قال رحمه الله تعالى: مررت يوما مع شيخنا أبى البركات ابن الحاج ببعض مسالك غرناطة حرسها الله تعالى فأنشدنى من نظمه:
[السريع]

غرناطة ما مثلها حضره الماء و البهجة و الخضره
و استجازنى رحمه الله تعالى، فقلت: [السريع]
سكانها قد أسكنوا جنّة فهم يلقون بها نصره

[من نظمه فى توريه طيبة، و يخاطب ابن مرزوق، و يخاطب أحد الشرفاء]

و قال في توريه طيبة: [مخلع البسيط]
 إني و إن كنت ذا اعتلال رثّ القوى بين الهزال
 في عارض التيس لي شفاء فكيف في عارض الغزال
 و قال رحمه الله تعالى يخاطب شيخه سيدى أبا عبد الله بن مرزوق موطننا على بيت المشاركة في العذار: [الطويل]
 أما و الذى تبلى لديه السرائر لما كنت أرضى الخسف لو لا الضرائر
 غدوت لضيم ابن الريب فريسه أما ثار من قومي لنصرى ثائر
 إذا التمتست كفى لديه جرايتى كأنى جان أوبقته الجرائر
 و ما كان ظنى أن أنال جراية يحكم من جزائها فى جائر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٧٨
 متى جاد بالدينار أخضر زائفا و دارته دارت عليها الدوائر
 و قد أخرج التعنيت كيس مرارتى و رقت لبلواى النفوس الأمائر
 تذكرت بيتا فى العذار لبعضهم له مثل بالحسن فى الأرض سائر
 «و ما اخضر ذك الخد نبتا، و إنما لكثرة ما شقت عليه المرائر»
 و جاه ابن مرزوق لدى ذخيرة و للشدة العظمى تعدّ الذخائر
 و لو كان يدري ما دهانى لساءه و أنكر ما صارت إليه المصائر
 و قال رحمه الله تعالى يخاطب أحد الشرفاء: [الكامل]
 أعياء اللقاء على إلّا لمحّه فى جملة لا تقبل التفصيلا
 فجعلت بابك عن يمينك نائبا أهديه عند زيارتى تقيلا
 فإذا وجدتك نلت ما أملت أو لم أجدك فقد شفيت غليلا

[من نظمه: و قد مر بدار أحد الأغنياء، و فى الشيخ ابن بطن]

و لمّا دخل رحمه الله تعالى مدينة أنفا، و مرّ منها على دار عظيمة تنسب إلى والى جبايتها عبّو من بنى الترجمان قارون قومه و غنى
 صنعه، قال: [الخفيف]

قد مررنا بدار عبّو الوالى و هى ثكلى تشكو صروف الليالى
 أقصدت ربّها الحوادث لما رشقته بصائبات زوال
 كان بالأمس واليا مستطيلا و هو اليوم ما له من وال
 و قال فى الشيخ ابن بطن الصنهاجى: [الكامل]
 لله درك يا ابن بطن فما لشهير جودك فى البسيطة جاحد
 إن كان فى الدنيا كريم واحد يزن الجميع فانت ذك الواحد
 أجريت فضلك جعفرًا يحيا به ما كان من مجد فذكرك خالد
 فالقوم منك تجمّعوا فى مفرد ولد كما شاء العلاء و والد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٧٩
 و هى الليالى لا تزال صروفها يشقى بموقعها الكريم الماجد

و بمستعين الله يصلح منك ما قد كان أفسده الزمان الفاسد
و قال رحمه الله تعالى و قد انتابه البرغوث: [الكامل]
زحفت إلى ركائب البرغوث نمّ الظلام بركبها المحثوث
بالحبة السوداء قابل مقدمي لله أي قري، أعدّ، حيث
كسحت بهنّ ذباب سرح تجلدى ليلا فحبل الصبر جدّ ريث
إن صابرت نفسى أذاه تعبّدت أو صحت منه أنفت من تخنيشى
جيشان من ليل و برغوث فهل جيش الصباح لصرختى بمغيث

[و من نظمه عند ما انتابه برغوث و يخاطب ابن حسون فى صدر رسالة]

و قال يخاطب الوالى محمد بن حسون بن أبى العلاء، و صدّر بها رسالة: [الكامل]
لم يبق لى جود الولاية حاجة فى الأمن أو فى الجاه أو فى المال
بعد اللقاء أولو الفضائل بغيتى و رأيت هذا القصد شرط كمال
أجملته و تشوّفت لبيانه همم فكنت مفسّر الإجمال
و خصصت بالإلقاء غيرك غيره و جعلت ذكرك شاهد الأعمال
لبست يا ابن أبى العلا قشب الملا و تركت أهل الأرض فى أسمال
إن دوّن الفضلاء فضلا معلما فلقد أتيت عليه بالإكمال
تثنى عليك رعيّة آمالها فى أن تفوز يداك بالآمال
أرعيتهما هملا فلم يطرق لها بمنيع سورك طارق الإهمال
من كنت و اليه تولّته العلا و من أطرحت فما له من والى
و قال فى عثمان بن يحيى بن عمر بن روح: [الكامل]
أسمّى ذى النورين وجهك فى الوغى شمس الضحى حلّت بليث عرين
أن تفتخر بمرين أرض العدو ال قصوى فإنك أنت فخر مرين
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٨٠

[من نظمه فى عثمان بن يحيى و من نظمه و قد وقف على مراکش من نظمه يخاطب أحمد بن يوسف]

و قال رحمه الله تعالى عند وقوفه على مراکش و اعتباره بما صار إليه أمرها: [الخفيف]
بلد قد غزاه صرف الليالى و أباح المصون منه مبيع
فالذى خرّ من بناه قتيل و الذى خرّ منه بعض جريح
و كأنّ الذى يزور طيب قد تأتّى له بها التشريح
أعجمت منه أربع و رسوم كان قدما بها اللسان الفصيح
كم معان غابت بتلك المغانى و جمال أخفاه ذاك الضريح
و ملوك تعبّدوا الدهر لّمّا أصبح الدهر و هو عبد صريح

دَوْخُوا نازح البسيطة حتى قال ما شاء ذابل و صفيح
حين شبت لهم من البأس نار ثم هبت لهم من النصر ريح
أثر يندب المؤثر لما طال بعد الدتو منه التزوح
ساكن الدار روحها، كيف يبقى جسد بعد ما تولى الروح
وقال رحمه الله تعالى يخاطب أحمد بن يوسف حفيد الولي الصالح سيدي أبي محمد صالح النائم في ظل صيته رحمه الله تعالى:
[الخفيف]

يا حفيد الولي يا وارث الفخ الذي نال في مقام و حال
لك يا أحمد بن يوسف جبنا كل قطر يعيى أكف الرّاح
وقال في «نفاضة الجراب»: لما خرجت من أسفى سرت إلى منزل ينسب إلى أبي حدّو، وفيه رجل من بنى المنسوب إليه اسمه
يعقوب، فألطف و أجزل، و آنس في الليل، و طلبنى بتذكرة تثبت عندى معرفته فكتبت له: [الطويل]
نزلنا على يعقوب نجل أبى حدو فعرفنا الفضل الذى ما له حدّ
وقابلنا بالبشر و احتفل القرى فلم يبق لحم لم نله و لا زيد
يحقّ علينا أن نقوم بحقه و يلقاه منا البرّ و الشكر و الحمد
وقال: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٨١
ألقى إلى الأيام فضل مقادتي فتجنبنى ما بين كدّ و إرهاق
و أتلف بين الخلق و الرزق فكرتى و لست بخلاق و لست برزاق
إذا كنت بالإثراء لى فى تملق رضيت بعزّ النفس فى عزّ إملاق

[و من نظمه نماذج صغار شتى]

وقال: [الطويل]
لك الملك ملك الحسن فاقض بنا الذى تشاء فما يعصى لأمرك واجبه
إذا ما كسرت اللحظ من تحت حاجب تحكّم فى الأبواب كسرى و حاجبه
وقال: [الطويل]

سألنا ربيع العام للعام رحمة فضنّ و لم يسمح بذرة إنعام
فقلنا و قد ردّ الوجوه لم يبيل قليل الحيا قبحت و الله من عام
وقال: [الطويل]

تخونه صرف الزمان و هل ترى بقاء لحيّ أو دواما على أمر
هو الدهر ذو وجهين يوم و ليلة و من كان ذا وجهين يعتب فى غدر
وقال رحمه الله تعالى فى شجر الجوز: [الكامل]

انظر إلى ينعى و حسن بسوقى يهفو النسيم بقدى الممشوق
يجلو اللواظ منظرى حسنا كما يجلو ثغور الغايات عروقى
وقال رحمه الله تعالى فى ساق: [الخفيف]

كيف آمنتما على الشرب ظبياً لحظه في القلوب غير أمين
 راح يسقى فصب في الكأس نورا ثقة منه بالذي في العيون
 وقال يخاطب السلطان: [الخفيف]

أنت للمسلمين خير عماد و ملاذ و أى حرز حريز
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٨٢
 لو رأى ما شرعت للخلق فيه عمر الفاضل بن عبد العزيز
 لجزى ملكك المبارك خيراً و قضى بالشفوف و التبريز
 فاشكر الله ما استطعت بفعل و بقول مطول أو و جيز
 كل ملك يرى بصحبه أهل ال علم قد باء بالمحل العزيز
 فإذا ما ظفرت منهم بإكسيد ر ملأت البلاد من إبريز
 و البرايا تبيد و الملك يفنى أين كسرى الملوك مع أبرويز
 وقال رحمه الله تعالى: [البيسط]

ما لي أهدب نفسي في مطامعها و النفس تأنف تهذيبي و تهذي بي
 إذا استعنت على أهلي بتجربة تأبى المقادير تجريبى و تجرى بي
 وقال: [الكامل]

من لا نصيب لصحبه فى خيره و إذا سعى لم يقض حاجه غيره
 فاقصد أباه متى أردت و قل له الله يلهمه العزاء بأيره
 وقال رحمه الله تعالى: [الطويل]

أ مستخرجا كنز العقيق بآماقى أناشدك الرحمن فى الرّمق الباقى
 فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى عليك و ضاقت عن زفيرى أطواقى
 وقال رحمه الله تعالى: [الطويل]

إذا لم أشاهد منك قبل منيتى نهاية آمالى و غايه غاياتى
 فحسن عزائى حيل بينى و بينه و قره عيني لم تحل بمرأتى
 شهودك أمنى من عداة خواطرى و قربك حرزى من توقع آفات
 فإن لم يكن وصل فهبها إشارة فيا حسن شاراتى بها من إشارات
 وقال رحمه الله تعالى يخاطب الدنيا: [المنسرح]

دنيا خدعت الذى سمرت له عن صفحة لم يحل بها كرم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٨٣
 سرقت حظ الإله من يده فهان ما كان منه يحترم
 هذا الذى نال منك ليس له منقطع دائم و منصرم
 و هبه نال الذى أراد أما بين يديه المشيب و الهرم
 و لَمَا أورد رحمه الله تعالى قول القائل فى وصف الدنيا: [الخفيف]
 كلّمَا أنبت الزمان قنأه ركب المرء فى القنأه سنانا

و كأننا لم نرض فيها برى ب الدهر حتى أعانه من أعانا
قال أثره ما نصّه: و الحقّ ما قلته من أبيات تناسب ذلك، و لا حول و لا قوة إلّا بالله:
[البسيط]

و الله إن لم يداركها و قد وحلت بلمحّة أو بلطف من لدنه خفى
و لم يجد بتلافيتها على عجل ما أمرها صائر إلّا إلى تلف
فحب الدنيا رأس كل بليّة، و لولاه لم تزل النفس صافيةً عاليه عن سجّيتها الأولى.

و من نظمه رحمه الله تعالى قوله: [الخفيف]

إن رأى الحقّ فيك منه بقيه فاتق البعد فيه حقّ التقيّه

و إذا لم يكن لذاتك رسم قائم تلك حاله حقّيه

و قوله رحمه الله تعالى: [الطويل]

فسامح إذا ما لم تفدك عبارة و إن أشكلت يوماً فخذها كما هيا

و تلخيص ما دندنت بالقول حوله إذا قمت بالباقي فما زلت باقيا

و قال رحمه الله تعالى: [الطويل]

ففى عالم الأسرار ذاتك تجتلى ملامح نور لاح للطور فانهدا

و فى عالم الحسن اغتديت مبعوثاً لتشفى من استشفى و تهدي من استهدى

فما كنت لو لا أن ثبت هداية من الله مثل الخلق رسماً و لا حدّاً

و هذه الأبيات فى مدح النبي صلّى الله عليه و سلم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٨٤

و قال رحمه الله تعالى: [البسيط]

حمامة البان، ما هذا البكاء على مرّ الليالى و ما ذا البثّ و الحزن

لا منزل بنت عنه أنت تندبه و لا حبيب و لا خلّ و لا سكن

لو كنت تنفث عن شوق منيت به إذا لصار رمادا تحتك الغصن

و قال رحمه الله تعالى مضمّنا: [الطويل]

أطع عنك مهما اسطعت كلّ إرادة و إلّا فمغنى القوم عنك بعيد

تكون مريدا ثم فيك إرادة إذا لم ترد شيئاً فأنت مرید

و قال رحمه الله تعالى: [الطويل]

تعلّفته من دوحه الجود و الباس قضيباً لعوبا بالرجاء و بالياس

ضروباً بضرب لليراعة و القنا طروباً بحمل المشرفية و الكاس

يذكرنيه الصبح عند انصداعه جمال رواء فى تأرج أنفاس

و يبدو لعيني شعره و جبينه إذا ما سفحت الحبر فى صفح قرطاس

و قال رحمه الله تعالى: [الوافر]

أحبّ لحبّها جملى و رحلى و عزمى و القتادة و الطريقا

و من أخشاه من سبع و لصّ فكيف فريقيها؟ سلموا فريقاً!

و كيف أخصّ باسم الحبّ إن لم أحبّ لأجلها إلّا صديقا

و قال رحمه الله تعالى: و قلت من قصيدة: [الطويل]

أنا نسخة الأكوان أدمج خطّها فسّر ذوى التحقيق فى طيّ أوراقى

فمن عالم الأشباح ليلى و ظلمتى و من عالم الأرواح نورى و إشراقى

و قال رحمه الله تعالى: [البسيط]

مولاي مولاي إن أرضاك بذل دمي فقد أتيت به أسعى على قدمي

و إن تعاضم ذنب قد جنته يدي و طال قرعى عليه السنّ من ندم

فهبه لى و اغتفر ما كان من خطي و زلّه و اراع لى حبي على القدم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٨٥

و قال رحمه الله تعالى من قصيدته العينية السلوية التي وجهها إلى سلا أيام خلف بها أهله و ولده: [الرمل]

بولي الله فابدأ و ابتدر واحد الأحاد فى باب الورع

[ترجمة العارف بالله أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر، الأندلسي، نزيل سلا]

قلت: هذا الولي هو العارف بالله تعالى سيدي الحاج أحمد بن عاشر أحد الصلحاء أصحاب الكرامات المشهورة بالمغرب، و قد زرت

قبره بسلا عام تسعة و ألف، و هو أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر، الأندلسي، نزيل سلا، الولي الزاهد المشهور بالمناقب و الأحوال.

قال ابن عرفة: ما أدركت مبرزا في زماننا هذا إلّا الشيخ أبا الحسن المنتصر و أحمد بن عاشر بسلا؛ انتهى.

و قال بلدتي أبو عبد الله بن سعد التلمساني في كتابه «النجم الثاقب، فيما لأولياء الله تعالى من المناقب»: كان أحد الأولياء الأبدال،

معدودا في كبار العلماء، مشهورا بإجابة الدعاء، معروفا بالكرامات، مقدّما في صدور الزهاد، منقطعا عن الدنيا و أهلها، و لو كانوا من

صالحى العباد، ملازما للقبور فى الخلاء المتّصل ببحر مدينه سلا، منفردا عن الخلق، لا- يفكر فى أمر الرزق، و له أخبار جليله، و

كرامات عجيبة مشهورة، ممّن جمع له العلم و العمل، و ألقى عليه القبول من الخلق، شديد الهيئه، عظيم الوقار، كثير الخشية، طويل

التفكر و الاعتبار، قصده أمير المؤمنين أبو عنان، و ارتحل إليه عام سبعة و خمسين و سبعمائة، فوقف ببابه طويلا، فلم يأذن له، و

انصرف و قد امتلأ قلبه من حبه و إجلاله، ثم عاود الوقوف ببابه مرارا، فما وصل إليه، فبعث له بعض أولاده بكتاب كتبه إليه يستعطفه

لزيارته و رؤيته، فأجابه بما قطع رجاءه منه، و أيس من لقائه، و اشتدّ حزنه، و قال: هذا ولي من أولياء الله تعالى حجه الله عنّا؛ انتهى.

و لمّا أجرى ذكره لسان الدين فى «نفاضة الجراب» قال ما ملخصه: و لقيت من أولياء الله تعالى بسلا الولي الزاهد الكبير المنقطع

القرين، فرارا عن زهرة الدنيا، و عزوفا عنها، و إغفاء فى الورع، و شهرة بالكشف، و إجابة الدعوة و ظهور الكرامة، أبا العباس بن

عاشر، يسّر الله تعالى لقاءه على تعدّره لصعوبة تأتية، و كثف هيئته، قاعدا بين القبور فى الخلاء، رثّ الهيئه، مطرق اللحظ، كثير

الصمت، مفرط الانقباض و العزلة، قد ضرسه أهل الدنيا و تطارحهم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٨٦

فهو شديد الاشتمزاز من قاصده، مجرمز للوثبة من طارقه، نفع الله تعالى به!

و قال ابن الخطيب القسطيني الشهير بابن قنفذ: لقيته بسلا سنة ٧٦٣، و هو على أتمّ حال فى الورع، و الفرار من الأمراء، و التمسك

بالسنّة، و هو الشيخ الفقيه الولي، توفي فى سنة خمس و ستين و سبعمائة؛ انتهى.

و ممّن انتفع به و نال بركته الولي العارف بالله سيدي أبو عبد الله بن عباد شارح الحكم، و قد ترجمناه فى هذا الكتاب.

و قال ابن عباد المذكور فى رسائله: و قد كنت قدما خرجت فى يوم مولده صلى الله عليه و سلم صائما إلى ساحل البحر، فوجدت

هناك سيدى الحاج ابن عاشر رحمه الله تعالى و جماعه من أصحابه معهم طعام يأكلونه، فأرادوا منى الأكل، فقلت: إني صائم، فنظر إلى سيدى الحاج نظرة منكروه، وقال لى: هذا يوم فرح و سرور يستقبح فى مثله الصوم كالعيد، فتأملت قوله فوجدته حقًا، و كأنه أيقظنى من النوم؛ انتهى.

و قال ابن قنفذ السابق فى رحلته ما صورته: و كان ابن عاشر رحمه الله تعالى فريدا فى الورع، مىسرا عليه فى ذاك أتم تيسير، محفوظا من كل ما فيه شبهة، كثير النفور من الناس، و خصوصا أصحاب الولاية فى الأعمال، و خرجت على يده تلامذة نجباء أختيار، و طريقه أنه جعل «إحياء علوم الدين» بين عينيه، و اتبع ما فيه بجد و اجتهاد، و صدق و انقياد، و كان الحجّة فى ذلك الطريق، و أول اجتماعى به نفر منى، فحبسته بيدي و هززه، فبتسم و وقف معى، و سألتنى عن نسبى، و دعا لى، و طلبته بما يطمعنى، فاعتذر لى بالإقلال، ثم قال:

أمهل، فدخل و أخرج لى حبات تين يابسة فى يده اليمنى، و غطاها باليد اليسرى، و دفعها لى، و ضحك معى، و عجب الحاضرون من ليانته و انشراحه معى؛ لأنه لا ينبسط إلى أحد، و حصل لى بذلك فخر لا يدرى قدره إلا من حاول بعضه معه، و قصدنى كثير من الخواص فسألنى عن مجلسى معه و ما وقع من جوابه و سؤاله، و قد حاول ملك المغرب لما ارتحل إليه فى عام سبعة و خمسين و سبعمائة على لقائه فلم يقدر عليه بوجه، و حجه الله تعالى حتى تبعه يوم جمعة من الجامع الأعظم على قدمه، و الناس ينظرونه، و هو لم يره، فرجع، و لم يكن قوته إلا من نسخ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٨٧

العمدة فى الحديث، و كيف يبيعها، و لمن يبيعها، و لا يأخذ إلا قيمتها، و لم تزل حالته و بركته فى زيادة إلى أن توفى سنة ٧٦٥، و سأله بعض الأختيار بمحضرى عن الفرق بين مكاشفة المسلم و مكاشفة النصرانى؛ لوجود ذلك من بعضهم، فقال: المسلم الذى له هذه الدرجة يبرئ من العاهة، و النصرانى لا يبرئ، ثم قال: و هل يبرئ الفقيه من العاهة؟ فقال له:

نعم، ثم نظر يمينا و شمالا ليجد صاحب عاهة فىأتى بالعيان، فلم يجد أحدا، و كأنه اغتاض لهذا السؤال، ثم أخرج يده و قال: يأتى لمن يقعد عن الحركة، فيحبسه بيده، و يقيمه و قد ذهب ألمه بعد أن جثا إلى الأرض فى الصفة، ثم قال: و سئل بعضهم عن هذا، و كان السائل نصرانيا فى زى المسلم، فقال له: الفرق بينهما سقوط الزنار من وسطك، قال: فسقط، و فضحه الله تعالى! و أسلم بسبب ذلك؛ انتهى كلام ابن قنفذ القسطينى، رحمه الله تعالى!

و ترجمه لى الله تعالى سيدى الحاج ابن عاشر - نفعنا الله تعالى ببركاته! - متسعة جدا، و كراماته و مناقبه لا نبغ لها حدا، و لا نطيق لها حدا، و إنما ألمعنا بذكره قصدا للتبرك به، و الله ولى التوفيق، و هو الهادى إلى سواء الطريق.

[رجع إلى نظم لسان الدين: مداعباته و من شعره عند ما وقف على قبر المعتمد بالله فى مدينة أغمات]

رجع إلى نظم لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى - فنقول: و من مداعباته رحمه الله تعالى قوله: [السريع]

و مولع بالكتب يتاعها بأرخص السوم و أغلاه

فى نصف الاستذكار أعطيته مختصر العين فأرضاه

و يعنى بمختصر العين الزبيدى فافهم. و قال رحمه الله تعالى من قصيدة: [الطويل]

و و الله ما اعتل الأصيل، و إنما تعلم من شجوى فبان اعتلاله

و هذا غاية فى المبالغة و حسن التعليل.

و قال رحمه الله تعالى: و قفت على قبر المعتمد بالله فى مدينة أغمات فى حركة حاجة أعملتها إلى الجهات المراكشية، باعثها لقاء الصالحين و مشاهدة الآثار، عام واحد و ستين و سبعمائة، و هو بمقبرة أغمات فى نشز من الأرض، و قد حفت به سدره، و إلى جنبه

قبر «اعتماد» حظيَّة مولاة رميك، و عليهما أثر التغرّب و معاناة الخمول من بعد الملك، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما، فأنشدت في الحال: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٨٨

[من نظمه: يخاطب ضريح السلطان أبا الحسن بشأله لاستنهاض عزيمته في قضاء غرضه]

قد زرت قبرك عن طوع بأغمت رأيت ذلك من أولى المهمّات
 لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا و يا سراج الليالي المدلهّمات
 و أنت من لو تخطى الدهر مصرعه إلى حياتي لجادت فيه أبياتي
 أناف قبرك في هضب يميّزه فتنتحيه حفّيات التحيات
 كرمت حيا و ميتا و اشتهرت علا فأنت سلطان أحياء و أموات
 ما رىء مثلك في ماض، و معتقدى أن لا يرى الدهر في حال و لا آت
 و قد تقدّم هذا في القسم الأول في الباب السابع منه، و كرّرت هنا، و الله الموفق.
 و قال رحمه الله تعالى موزّيا حين أكل مشرف الدار القابض: أى أكل ماله: [السريع]
 مشرف دار الملك ما باله منتفخ الجوف شكا نافضا
 فقيل لى ليس به علّة لكنه قد أكل القابضا
 و قال: [السريع]

يا نفس، لا تصغى إلى سلوة كم أخلف الموعد عرقوب
 و أنت يا قلبى وصّاك إب راهيم بالحزن و يعقوب
 و قال فى السعيد أبى بكر ابن السلطان أبى عنان: [المتقارب]
 أمير كأنّ قمير الدّجى أفاض الضياء على صفحته
 تملأ قلبى من حبّه غداة نظرت بعينى إليه
 فلا بسط الدهر كفّ الردى لذاك الشخيص و ذاك الوجيه
 و قال يخاطب الخطيب ابن مرزوق: [الطويل]
 تعلّم طيفورى خلال سمّيه و إن كان منسوبا إلى غير بسطام
 و جاء فقير الوقت لابس خرقة فليس براض غير صحبه صوام
 فديتك لا ترده عنك مخيا و درّسه يا مولاى قصّة بلعام
 و قال: ممّا كتبت به إلى ابن مرزوق المذكور، و قد وصل ولده إلى سلا و منع ابن الخطيب عن لقائه عذر مرض، و كان نزوله بزأوية
 النساك: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٨٩
 صدّنى عن لقاء نجلك عذر يمنع الجسم عن تمام العباده
 و اختصرت القرى لأن حطّ رحلا فى محلّ الغنى و دار الزّهاده
 و لو انى احتفلت لم يعن الدهر و لا نلت بعض بعض أراده
 و على كلّ حالة فقصورى عادة إذ قولك العذر عاده

لا عدمت الرضى من الله و الحس نى كما نصّ و حيه و الزيادة
و قال يخاطبه من ضريح السلطان أبى الحسن بشالة لاستنهاض عزيمته فى قضاء غرضه:
[البسيط]

برئت لله من حولى و من حيلى إن نام عنى و لى فهو خير و لى
أصبحت ما لى من عطف أو مله من غيره فى مهمات و لا بدل
ما كنت أحسب أن أرمى بقاصيه للهجر أقطع بها جانب الأمل
من بعد ما خلصت نحوى الشفاعة ما بين العلا و الدجا و البيض و الأسل
إن كنت لست بأهل للذى طمحت إليه نفسى و أهوى نحوه أملى
فكيف يلغى و لا ترعى وسيلته؟ دخيل قبر أمير المسلمين على
من بعد ما اشتهرت حالى به و سرت بها الركائب فى سهل و فى جبل
و الرسل تترى و لا تخفى نتائجها عند التأمل من قول و لا عمل
و لا ليلى من صبح أطلعه كأن همى قد مدّ الدجته لى
لو أننى باين مرزوق عقدت يدى و كان محتكما فى خيرة الدول
لكان كرى قد أفضى إلى فرج و كان حزنى قد أوفى على جذلى
ألمحت بالعتب لم أحذر مواقعه «أنا الغريق فما خوفى من البلبل»
و لست أجد ما خوّلت من نعم لكنها النفس لا تنفك عن أمل
و لست أياس من وعد و عدت به «و إنما خلق الإنسان من عجل»

[من نظمه: يخاطب السلطان أبى الحجاج و فى التورية]

و قال رحمه الله تعالى يخاطب السلطان أبى الحجاج: [الطويل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٩٠
أمولاي إن الشعر ديوان حكمه يفيد الغنى و العزّ و الجاه من كانا
و قد وجد المختار فى الحفل منصتا له و حبا كعبا عليه و حسانا
و فيما رواه الناقلون و أثبتوا بذلك ديوانا صحيحا فديوانا
بأن أبى بكر خليفته الرضا و فاروقه الأذننى إليه و عثمانا
و أن عليا قدس الله جمعهم و كرمنا بالقرب منهم و حيانا
لهم فى ضروب القول إذ هم فحوله خطاب و شعر يستقران تيانا
و فاض على أهل القريض نوالهم فروض روض القول سحا و تهتانا
و أنت أحق الناس أن تفعل الذى به فعل المختار دينا و إيماننا
فما زلت تهدى فى البرية هديه و تقضى بما يرضيه سرا و إعلانا
و إن قيل قدر المرء ما هو محسن فصنعه نظم القول أرفعه شاننا

[من نظمه فى التورية و التجنيس]

و قال موزّيا: [الطويل]

بنفسى حبيب فى ثناياه «بارق» و لكنها للواردين عذاب
إذا كان لى منه عن الوصل «حاجر» فدمعى «عقيق» بالجفون مذاب
و قال: [الكامل]

عذبت قلبى بالهوى فقيامه فى نار هجرى دائما و قعوده
و لقد عهدت القلب و هو موحد فعلام يقضى فى العذاب خلوده
و قال فى التجنيس: [الطويل]

دعوتك للودّ الذى جنباته تداعت مبانها و همّت بأن تهى
و قلت لعهد الوصل و القرب بعد ما تناءى و هل أسلو حياتى و أنت هى
و من شام من جوّ الشيبى بارقا و لم تنهه عنه النهى كيف ينتهى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٩١
و قال: [البيسط]

ناديت دمعى إذ جدّ الرحيل بهم و القلب من فرق التوديع قد وجبا
سقطت يا دمع من عينى غداة نأى عنى الحبيب و لم تقض الذى وجبا
و قال: [المتقارب]

شلىر، لعمرى أساء الجوار و سدّ علىّ رحيب الفضا
هو الشيخ أبرد شىء يرى إذا لبس البرنس الأبيضا
و قال: قلت أخاطب بعض من أدلّ عليه و ما أولانى بذلك: [المتقارب]

إذا قمت قل بعقيب الكرى إلهى أنت إله الورى
تباركت أنشأتهم من تراب و أنشأتى بينهم من خرا
قلت: و لا خفاء بيشاعة هذا، فحذفه أولى من إثباته.
و قال يداعب بعض أصحابه: [السريع]

شيخ رباط إن أتى شادن خلوته عند انسداد الظلام
أدلى و قد أبصره دلوه و قال يا بشرى هذا غلام
و قال فى غرض يظهر: [الخفيف]

لم أجد فيه لين بثّ لقلبى و قبولا لحجّتى و اعتذارى
ثقل الله ظهره بعيال سوّد الله وجهه بعدار
و قال من قصيدة: [الطويل]

أخذت و أمواج الردى متلاطمه بضبعى يا نجل الوصى و فاطمه
و قال: [الطويل]

و وجه غرست الورد فيه بنظرة فىا لى كفى متعت بجنى غرسى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٩٢
كأنّ سواد الخال فى وجناته علامة مولانا على أحمر الطرس

و بينهما في باطن الأمر نسبةً لذلك أمضيت الغرام على نفسي
و قال يشير إلى بعض طبقات الغناء: [الكامل]
ضرب الفقيه فقلت ذاك غريباً ما كان ذلك منه بالمعلوم
فدنا إلى و قال قد أصرفتكم من شرطتي بغريبه المزموم

[من نظمه: يهنئ سلطان تلمسان أبا حم]

و في آخر سنة أربع و سبعين وجّه إلى السلطان أبي حم سلطان تلمسان أبياتا لزوميه في غرض الهناء، و هي: [الكامل]
وقف الغرام على ثناك لساني رعيًا لما أوليت من إحسان
فكأنما شكري لما أوليته شكر الرياض لعارض النيسان
أنا شيعه لك حيث كنت، قضيه لم يختلف في حكمها نفسان
و لقد تشاجرت الرماح فكنت في ميدان نهرك فارس الفرسان
و رويت غرّ ما أثر أسندتها لعلاك بين صحائح و حسان
و لأنت أولى بالتشيع شيمه لم تتفق لسواك من إنسان
الشمس أنت قد انفردت و هل يرى بين الوري في مطلع شمسان
جبرت بجبرك كلّ نفس حرّه و شدا بشكر الله كلّ لسان
و بدت سعودك مستقيما سيرها و علت فقرّ أمامها النحسان
فاستقبل السعد المعاود سافرا عن أيّ وجه للرضا حسان
و ابغ المزيّد بشكر ربّك و لتثق بمضاعف الإنعام و الإحسان
فالشكر يقتاد المزيّد ركائبًا تتتاب بابك منه في أرسان
ثمّ السلام عليك يزري عرفه طيبا بعرف العود و اللسان
و قال: [البيسط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٩٣
بحقّ ما بيننا يا ساكني القصبه ردّوا علىّ حياتي فهي مغتصبه
ما ذا جنيتم علىّ قلبي بينكم و أنتم الأهل و الأحباب و العصبه
قلت: و لعل ابن زمرك قال أبياته التي على هذا الروي المذكورة في غير هذا الموضع من هذا الكتاب جوابا لهذه حين كان ابن
زمرك من جملة أتباع لسان الدين، رحم الله تعالى الجميع!
و قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى: [الخفيف]
حين ساروا عني و قد حنقتني عبرات قد أعربت عن ولوعي
صحت من ينصر الغريب؟ فلما لم أجد ناصرا بلعت دموعي
و قال: [الخفيف]

قال لي و الدموع تنهلّ سحبا في عراض من الخدود محول
بك ما بي فقلت مولاي عافاك المعافى من عبرتي و نحولي
أنا جفني القريح يروي عن الأع مش و الجفن منك عن مكحول

و قال: [الكامل]

أشكو لمبسمه الحريق و قد حمى عنى لمامه المشتهى و رحيقه

يا ريقه حيرتنى و مطلتنى ما أنت إلّا بارد يا ريقه

و قال فيمن ركب البحر و ماد: [الكامل]

ركب السفينه و استقلّ بأفقه فكأنما ركب الهلال الفرقد

و شكوا إليه بميده فأجبتهم لا غرو إن ماد القضيب الأملد

و قال عندما خرج السلطان ابن الأحمر من فاس متوجّها إلى الأندلس لطلب حقّه:

[الطويل]

و لما حثت السير و الله حاكم لملكك فى الدنيا بعزّ و فى الأخرى

حكى فرس الشطرنج طرفك لا يرى ينقل من بيضاء إلّا إلى حمرا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٩٤

و يعنى بالبيضاء فاسا الجديدة، و بالحمراء حمراء غرناطة.

[بين أبى عبد الله بن جزى و بعض أهل فاس]

و تذكّرت هنا أنّ بعض علماء الأندلس، و أظنّه أبى عبد الله بن جزى، لما رمدت عين بعض أهل فاس سأله عنها، فقال: [مجزوء الرجز]

يا سيدى عينى قد أودى قذاها بالأنس

فانظر إليها ترها دار مليك الأندلس

يعنى حمراء، فأجابه بقوله: [مجزوء الرجز]

وقيت ممّا تشتكى من القذى و الوصب

ما رمدت عيناك بل عين العلا و الأدب

فلتحمدن إن لم تكن دار مليك المغرب

يعنى بيضاء، و هذا من غريب ما يحاضر به.

رجع - و قال لسان الدين رحمه الله تعالى: [الطويل]

أجاد يراع الحسن خطّ عذاره و أودعه السّرّ المصون الذى يدرى

و لم يفتقر فيه لختم و طابع فمبسمه أغناه عن طابع السّرّ

و قال فى غرناطة: [الطويل]

أحييك يا معنى الكمال بواجب و أقطع فى أوصافك الغرّ أوقاتى

تقسّم منك الترب قومى و جيرتى ففى الظّهر أحيائى و فى البطن أمواتى

و قال فى غرض ينحو نحو المشاركة: [المتقارب]

رموا بالسلو حليف الغرام و أدمعه كالحيا الهاطل

أعوذ بعزّك يا سيدى لذلى من دعوة الباطل

و قال: [الكامل]

يا ليل طلت و لم تجد بتبسّم و أريتنى خلق العيوس النادم

هَلَا رَحِمْتَ تَغْرَبِي وَ تَفَرَّقِي لِلَّهِ مَا أَقْسَاكَ يَا ابْنَ الْخَادِمِ
 نَفْحَ الطَّيِّبِ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٨، ص: ١٩٥
 وَقَالَ فِي مَرْوَحَةَ سُلْطَانِيَّةً: [الطويل]
 كَأَنِّي قَوْسَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَ قَدْ قَدِمْتُ مِنْ قَبْلِهَا نَسْمَةُ الْفَجْرِ
 وَ إِلَّا فَمَا هَبَّتْ بِمَحْتَدَمِ الْوَعْيِ بِنَصْرِ وَ لَكِنْ مِنْ بَنُودِ بَنِي نَصْرِ
 وَ قَالَ يَخَاطِبُ شَيْخَهُ ابْنَ الْجِيَّابِ: [الكامل]
 بَيْنَ السَّهَامِ وَ بَيْنَ كِتْبِكَ نَسْبَةٌ فِيهَا يَصَابُ مِنَ الْعَدُوِّ الْمَقْتَلِ
 وَ إِذَا أُرِدَتْ لَهَا زِيَادَةٌ نَسْبَةٌ هَذِي وَ هَذِي فِي الْكِنَانَةِ تَجْعَلُ
 وَ قَالَ يَتَغَزَّلُ، وَ فِيهِ مَعْنَى غَرِيبٍ: [الكامل]
 إِنَّ اللَّحَاطَ هِيَ السِّيُوفُ حَقِيقَةٌ وَ مِنْ اسْتِرَابٍ فَحَجَّتِي تَكْفِيهِ
 لَمْ يَدْعُ غَمْدَ السَّيْفِ جَفْنَا بِاطْلَا إِلَّا لِشَبهِ اللَّحْظِ يَغْمَدُ فِيهِ
 قِيلَ: وَ أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُ غَيْرِهِ: [الكامل]
 إِنَّ الْعَيُونَ النَّجْلَ أَمْضَى مَوْقَعًا مِنْ كُلِّ هِنْدِيٍّ وَ كُلِّ يَمَانِيٍّ
 فَضَّلَ الْعَيُونَ عَلَى السِّيُوفِ بِأَنَّهَا قَتَلَتْ وَ لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الْأَجْفَانِ
 وَ أَصْلُ مَا قَالَ لِسَانَ الدِّينِ قَوْلُ الْأَوَّلِ: [البسيط]
 بَيْنَ اللَّحَاطِ وَ عَيْنِيهِ مَنَاسِبَةٌ مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ لِلْأَعْمَادِ أَجْفَانِ
 وَ قَالَ لِسَانَ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّاعَةِ، وَ تَسْمِيهَا الْمَغَارِبَةُ الْمَنْجَانَةُ: [البسيط]
 تَأْمَلُ الرَّمْلَ فِي الْمَنْجَانِ مَنْقَطَعًا يَجْرِي وَ قَدْ رَدَّ عَمْرًا مِنْكَ مَنْتَهَبًا
 وَ اللَّهُ لَوْ كَانَ وَادِي الرَّمْلِ يَنْجِدُهُ مَا طَالَ كَامِلُهُ إِلَّا وَ قَدْ ذَهَبَا
 وَ قَالَ: [الوافر]
 أَقُولُ لِعَاذَلِي لَمَّا نَهَانِي وَ قَدْ وَجَدَ الْمَقَالَةَ إِذْ جَفَانِي
 عَلِمْتُ بِأَنَّهُ مَرَّ التَّجْنِيَّ وَ فَاتَكَ أَنَّهُ حَلُوُ اللِّسَانِ
 وَ قَالَ فِي غَرَضِ صَوْفِي: [الكامل]
 نَفْحَ الطَّيِّبِ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٨، ص: ١٩٦
 لَا تَنْكُرُوا إِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْبَبْتُمْ أَوْ أَنْنِي اسْتَوْلَى عَلَيَّ هَوَاكُمِ
 طَوْعًا وَ كَرْهًا مَا تَرُونَ فَإِنِّي طَفْتُ الْوُجُودَ فَمَا وَجَدْتُ سِوَاكُمْ
 وَ قَالَ يَمْدَحُ، وَ فِيهِ تَوْرِيَةٌ: [البسيط]
 وَ إِنْ نَظَرْتُ إِلَى لِأَلَاءِ غَرَّتْهُ يَوْمَ الْهِيَاجِ رَأَيْتَ الشَّمْسَ فِي الْأَسَدِ
 وَ قَالَ مِمَّا يَكْتُبُ عَلَى طَاقِ الْمَاءِ بِيَابِ الْقُبَّةِ: [الخفيف]
 أَنَا طَاقُ تَزْهُوِ بِي الْأَيَّامِ تَعَبْتُ فِي بَدَائِعِي الْأَفْهَامِ
 وَ تَبَدَّيْتُ لِلنَّوَاطِرِ مَحْرًا بِأَنَّ الْإِنَاءَ فِيَّ إِمَامِ
 وَاقِفٌ لِلصَّلَاةِ حَتَّى إِذَا مَا جِئْتُ لِلشَّرْبِ حَانَ مِنْي سَلَامِ
 وَ قَالَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا: [الكامل]

يا صانعي لله ما أحكمته فلأنت بين العالمين رئيس
أحكمت تاجي يوم صغت رقوشه فصبت إليه مفارق و رؤوس
و أقمت في محرابه فكأنه مجلى إناء الماء فيه عروس
و قال في المشيب: [الكامل]

إني لمبلى بالهوى من بعد ما للوخط في الفودين أى ديب
لبس البياض و حلّ ذرّوه منبر منى و والى الوعظ، فعل خطيب
و قال رحمه الله تعالى: [السريع]

و الله ما جان على ماله أو جاهه من ذبّ عن عرضه
و الناس فى خير و فى ضده هم شهداء الله فى أرضه
و قال: [الطويل]

إلهى بالبيت المقدّس و المسعى و جمع إذا ما الخلق قد نزلوا جمعا
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٩٧

و بالموقف المشهود يا ربّ فى منى إذا ما أسال الناس من خوفك الدّمع
و بالمصطفى و الصّحب عجل إقالتى و أنجح دعائى فيك يا خير من يدعى
صدعت و أنت المستغاث جنبه أقل عثرتى يا موئلى و اجبر الصدعا
و قال رحمه الله تعالى فى بنيونش سبتة: [الكامل]

بنيونش أسنى الأماكن رقعة و أجلّ أرض الله طرّا شانا
هى جنّة الدنيا التى من حلّها نال الرضا و الرّوح و الريحانا
قالوا القروود بها فقلت فضيلة حيوانها قد قارب الإنسانا
و فى بنيونش هذه يقول أبو عبد الله بن مجبر: [مخلع البسيط]

بنيونش جنّة و لكن طريقها يقطع النياطا

و جنّة الخلد لا يراها إلّا فتى يقطع الصراطا

و قال ابن الخطيب رحمه الله تعالى: [الكامل]

إنّ الهوى لشكايه معروفه صبر التصبر من أجلّ علاجها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٨، ص ١٩٧

و النفس إن ألقت مرارة طعمه يوما ضمننت لها صلاح مزاجها

و قال رحمه الله تعالى: [الطويل]

و لما رأت عزمى حيثنا على السرى و قد رابها صبرى على موقف البين

أت بصحاح الجوهرى دموعها فقابلت من دمعى بمختصر العين

و قال رحمه الله تعالى: [الطويل]

تذكرت عهدا كان أحلى من الكرى و أقصر من إمام طيف خياله

فيما لیت شعرى من أتاح لى المنى و عدّب بالى هل أمرّ بياله

و قال رحمه الله تعالى: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٩٨
 عيني جنت فعلام تحرق أضلعي؟ أ بما جنى جار يعذب جار
 يا قلب لا تدهشك نيران الهوى فكنار إبراهيم تلك النار
 فاصبر على ما حملوا تمل المنى بالسبك أدرك نقشه الدينار
 وقال رحمه الله تعالى: [الطويل]

و ما كان إلّا أن جنى الطرف نظرة غدا القلب رهنا فى عقوبه ذنبه
 و ما العدل أن يأتى امرؤ بجريرة فيؤخذ فى أوزارها جار جنبه
 وقال رحمه الله تعالى: [الطويل]

برى جسدى فيكم غرام و لوعه إذا سكن الليل البهيم تنور
 فلو لا أنينى ما اهتدى نحو مضجعى خيالكم بالليل حين يزور
 و لو شئت فى طي الكتاب لزرتكم و لم تدر عنى أحرف و سطور
 وقال رحمه الله تعالى: [الكامل]

بلد تحفّ به الرياض كأنه وجه جميل و الرياض عذاره
 و كأنما واديه معصم غادة و من الجسور المحكمات سواره
 وقال رحمه الله تعالى يخاطب السلطان أبا حمّو صاحب تلمسان و يشكره على ما كان أعان به أهل الأندلس: [الوافر]

لقد زار الجزيرة منك بحر يمدّ فليس تعرف منه جزرا
 أعدت لها بعهدك عهد موسى سميك فهى تتلو منه ذكرا
 أقمت جدارها و أفدت كنزا و لو شئت اتّخذت عليه أجرا
 وقال أيضا: [المتقارب]

و قالوا الجزيرة قد صوّحت فقلت غمام الندى تنتظر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ١٩٩
 إذا و كفت كفّ موسى بها غماما يعود الجنب الخضر
 وقال رحمه الله تعالى عقب الإياب من الرحلة المراكشية: [الوافر]

أفادت وجهتى بنداك مالا قضى دينى و أصلح بعض حالى
 و متّعت الخواطر بانسراح و أطرفت النواظر باكتحال
 و أبت خفيف ظهر، و المطايا بجاهك تشكى ثقل الرحال
 و شانى للمعالم غير شان و حالى بالمكارم جدّ حال
 فحبّ علاك إيمانى و عقدى و شكر نداك دينى و انتحالى
 كما قد صحّ لله انقطاعى بتأميلي جنابك و ارتحالى
 و ما يبقى سوى فعل جميل و حال الدهر لا تبقى بحال
 و كلّ بداية فإلى انتهاء و كلّ إقامة فإلى ارتحال
 و من سام الزمان دوام أمر فقد وقف الرجاء على المحال
 وقال رحمه الله تعالى فى الصّراعة إلى ربّه، و الاعتراف بذنبه: [الكامل]

مولاي، إن أذنبت ينكر أن يرى منك الكمال و منى التَّقْصان
و العفو عن سبب الذنوب مسبب لو لا الجناية لم يكن غفران
و قال رحمه الله تعالى: [الطويل]

سلام على تلك المراجع؛ إنها معاهد أَلْفَى و عهد صحابي
و يا أسء المغنى انعمى فلطالما سكبت على مثواك ماء شبابى
و قال سامحه الله تعالى: [الوافر]

أموطنى الذى أزعجت عنه و لم أرزأ به مالا و لا دم
لئن أزعجت عنك بغير قصد فقبلى فارق الفردوس آدم
و من ميلادياته رحمه الله تعالى قوله: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٠٠
ما على القلب بعدكم من جناح أن يرى طائرا بغير جناح
و على الشوق أن يشب إذا هبَّ بأنفاسكم نسيم الصباح
جيرة الحى، و الحديث شجون و الليالى تلين بعد الجماح
أ ترون السلو خامر قلبى بعدكم؟ لا و فالى الإصباح
و لو أتى أعطى اقتراحى على ال أيام ما كان بعدكم باقتراحى
ضايقتنى فيكم صروف الليالى و استدارت على دور الوشاح
و سقتنى كأس الفراق دهاقا فى اغتباق مواصل و اصطباح
و استباححت من جدتى و فتائى حرما لم أخله بالمستباح
و منها:

يا ترى و النفوس أسرى أمان ما لها من وثاقها من سراح
هل يباح الورود بعد ديار أو يتاح اللقاء بعد انتراح
و إذا أعوز الجسم التلقى ناب عنه تعارف الأرواح
و هى طوبله لم يحضرنى منها الآن سوى ما ذكرته.

[قصيدة لأبى زكريا يحيى بن خلدون يحذو فيها حذو لسان الدين]

و قد حذا حذوها الفقيه الكاتب أبو زكريا يحيى بن خلدون أخو قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون صاحب التاريخ، فقال فى مولد
عام ثمانية و سبعين و سبعمائة، و استترد لمدح السلطان أبى حمّو موسى صاحب تلمسان الذى تقدّم ذكره قريبا: [الخفيف]
ما على الصبّ فى الهوى من جناح أن يرى حلف عبرة و افتضاح
و إذا ما المحبّ عيل اصطبارا كيف يصغى إلى نصيحة لاح
يا رعى الله بالمحصّب ربا آذنت عهده النوى بانتراح
كم أدرنا كأس الهوى فيه مزجا ربّ جدّ من الجوى فى المزاح
هل إلى رسمه المحيل سبيل يا حداة المطى تلك الطّلاح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٠١

نسأل الدار بالخليط و نسقى ذلك الربع بالدموع الشفاح
 أى شجو عاينت بعد نواها من أسى لازم و صبر مزاح
 أهل ودى إن رابكم برح و جدى من صبا بارق و برق لباح
 فاسألوا البرق عن خفوق فؤادى و الصبا عن سقام جسمى المتاح
 يا أهيل الحمى نداء مشوق ما له عن هوى الدمى من براح
 طالما استعذب المدامع وردا فى هواكم عن كلّ عذب قراح
 عاده بالطلول للشوق عيد من حمام بدو جهنّ صداح
 من لقلب من الجوى فى ضرام و لجفن من البكا فى جراح
 و لصبّ يهيجه الذكر شوقا فهو سكر ا يرتاد من غير راح
 و ليال قضيت للهو فيها وطرا و الشباب ضافى الجناح
 راكبا فى الهوى ذلول نقاب ساحبا فى الغرام ذيل مراح
 و نجوم المنى تنير إلى أن روع الشيب سربها بالصباح
 أى مسرى حمدت لم أخل منه بسوى حسرة و طول افتضاح
 و لخسارى يوم القيامة إن لم يغفر الله زلتى و اجتراحى
 لم أقدم وسيلة فيه إلّا حبّ خير الورى الشفيح الماحى
 سيّد العالمين دنيا و أخرى أشرف الخلق فى العلا و السماح
 سيّد الكون من سماء و أرض سرّه بين غاية و افتتاح
 زهرة الغيب مظهر الوحي معنى ال نور كنه المشكاة و المصباح
 آية المكرمات قطب المعالى مصطفى الله من قریش البطاح
 أول الأنبياء تخصيص زلفى آخر المرسلين بعث نجاح
 صفوة الخلق أرفع الرسل قدرا و سراج الهدى و شمس الفلاح
 من لميلاده بمكة ضاءت من قرى قيصر جميع الضواحي
 و خبت نار فارس و تداعت من مشيد الإيوان كلّ النواحي
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٠٢
 من رقى فى السماء سبعا طباقا و رأى آى ربّه فى اتّضاح
 و دنا منه قاب قوسين قريبا ظافرا فى العلا بكلّ اقتراح
 من هدى الخلق بين حمر و سود و جلا ليل غيهم بالصباح
 من يجير الورى غدا يوم يجزى كلّ عاص و طائع باجتراح
 من إلى حوضه و ظلّ لواه يلجأ الناس بين ظام و ضاحى
 أحمد المجتبى حبيبا، و أتى فوق عزّ الحبيب مرمى طماح
 فى أنا جيله المسيح تلاه باسمه، و الكلیم فى الألواح
 و لكم حجة و برهان صدق فى سماع أتى بها و التماح
 إنّ فى النجم و النبات لآيا بهرت و الجماد و الأرواح

معجزات فتن المدارك وصفا و حسابا كالزهر أو كالصباح
يا رواة القريض و الشعر عجزا ما عسى تدركون بالأمداح
إنما حسبنا الصلاة عليه و هي للفوز آية استفتاح
يا إلهي بحق أحمد عفوا عن ذنوب جنيتهم قباح
و آدم دولة الخليفة موسى ذى المعالي المبينة الأوضح
مفخر الملك مستقر المزايا مظهر اللطف ذو التقى و الصلاح
ناصر الحق خاذل الجور عدلا ملجأ الخائفين بحر السماح
يتلقى الندى بوجه حيي و يلقى العدا بباس صفاح
و له المكرمات إرثا و لبسا حاز حمدا بها معلى القداح
من علا باذخ و فخر صميم و كمال بحت و مجد صراح
و أحاديث فى المعالى حسان رويت عنه فى العوالى الصّحاح
عاقد صفقة العلا كل حين فائز فيه سعيه بالرياح
للندى و الهدى يروح و يغدو أى مغدى إلى العلا و مراح
ملك تشرق الأسرّة منه فى سماء السرير نور صباح
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٠٣
و إذا ما علا بعالى العوالى سهوة الجرد فهو ليث الكفاح
لبس الدهر منه حلّة حسن و ثنى للسرور عطف مراح
و على عاتق الخلافة منه طرز فخر سبى النهى بالتماح
ورث الملك شامخا عن سراة شيدوا ركنه بأيد الصفاح
من بنى القاسم الذين تحلّوا بالمعالي و استأثروا بالفلاح
فرعوا هضبة الخلافة مجدا رفعا سقفه على الأرماح
نشروا راية المفاجر حمدا خافق النور بالزبا و البطاح
يا إماما بدّ الملوك جلالا و جمالا فديت بالأرواح
أنت شمس الكمال دمت عليها فى اغتياق من المنى و اصطباح
و بنوك الأعلون أنجم سعد زاهرات بنورك الوضّاح
و أبو تاشفين بدر منير زانه الله بالخلال الصّباح
أكمل العالمين خلقا و خلقا أشرف الناس فى الندى و الكفاح
و بكم زينت سماء المعالى و اهتدى الناس فى الدّجى و الصباح

[حديث عن احتفال السلطان أبى حمو بالمولد النبوى الشريف]

و كان السلطان أبو حمو الممدوح بهذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه و سلم غاية الاحتفال، كما كان ملوك المغرب و الأندلس فى ذلك العصر و ما قبله.

و من احتفاله له ما حكاه شيخ شيوخ شيوخنا الحافظ سيدى أبو عبد الله التنسى ثم التلمسانى فى كتابه «راح الأرواح»، فيما قاله المولى

أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح، وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح» و نصّه: أنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي - على صاحبه الصلاة والسلام! - بمشورة من تلمسان المحروسة مدعاة حفيظة يحشر فيها الناس خاصة و عامة، فما شئت من نمارق مصفوفة، و زرابي مبنوثة، و بسط موشاة، و وسائد بالذهب مغشاة، و شمع كالأسطوانات، و موائد كالهالات، و مباخر منصوبة كالقباب، يخالها المبصر تبرا مذاب، و يفاض على الجميع أنواع الأطعمة، كأنها أزهار الربيع المنمنمة، فتشتهيها الأنفس و تستلذها النواظر، و يخالط حسن رباها الأرواح و يخامر، رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٠٤

و قد علت الجميع أبهة الوقار و الإجلال، و بعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة و السلام، و مكفّرات ترغّب في الإقلاع عن الأنام، يخرجون فيها من فنّ إلى فن و من أسلوب إلى أسلوب، و يأتون من ذلك بما تطرب له النفوس و ترتاح إلى سماعه القلوب، و بالقرب من السلطان رضوان الله تعالى عليه خزنة المنجاة قد زخرت كأنها حلّة يمانية، لها أبواب موجفة على عدد ساعات الليل الزمانية، فمهما مضت ساعة وقع التقر بقدر حسابها، و فتح عند ذلك باب من أبوابها، و برزت منه جارية صوّرت في أحسن صورة، في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة، فتضعها بين يدي السلطان بلطافة، و يسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حقّ الخلافة، هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصباح، و نداء المنادى حتى على الفلاح؛ انتهى.

و قال التنسي المذكور في كتابه المسمّى ب «نظم الدّرّ و العقيان، في شرب بنى زيّان، و ذكر ملوكهم الأعيان» ما نصّه: و كان السلطان أبو حمو يقوم بحقّ ليلة مولد المصطفى صلّى الله عليه و سلّم، و يحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم، يقيم مدعاة يحشر لها الأشراف و السوقة، فما شئت من و نمارق مصفوفة (١٥) و زرابي مبنوثة (١٦) [سورة العاشية، الآية: ١٥، ١٦]، و شمع كالأسطوانات، و أعيان الحضرة على مراتبهم تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخزّ الملون و بأيديهم مباخر و مرشاة ينال كل منها بحظّه، و خزنة المنجاة ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة، بأعلاها أيكه تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه، و يختله فيها أرقم خارج من كوة بجذر الأيكه صاعدا، و بصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزمانية، يصاقب طرفيها بابان كبيران، و فوق جميعها دوين رأس الخزنة قمر أكمل يسير على خطّ الاستواء سير نظيره في الفلك، و يسامت أول كل ساعة بابها المرتج، فينقض من البابين الكبيرين عقابان في يد كلّ واحد منهما صنجة صفر يلقيها إلى طست من الصفر مجوّف بوسطه ثقب يفضى بها إلى داخل الخزنة فيرنّ، و ينهش الأرقم أحد الفرخين، فيصفر له أبوه، فهناك يفتح باب الساعة الذهبية، و تبرز

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٠٥

منه جارية محترمة كأظرف ما أنت راء، يمينها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوما، و يسراها موضوعه على فيها كالمبايعة بالخلافة، و المسمع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين و خاتم النبيين سيدنا و مولانا محمد صلّى الله عليه و سلّم، ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دورا، و الرياض نورا، و قد اشتملت من أنواع محاسن المطاعم على ألوان تشتهيها الأنفس و تستحسنها الأعين، و تلذّ بسماع أسمائها الآذان، و يشره مبصرها للقرب منها و تناول و إن كان ليس بغرثان، و السلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتداء جلوسه فيه، و كل ذلك بمراى منه و مسمع حتى يصلّى هنالك صلاة الصبح. على هذا الأسلوب تمضي ليلة المصطفى صلّى الله عليه و سلّم في جميع أيام دولته، أعلى الله تعالى مقامه في علّين! و شكر له في ذلك صنيعه الجميل آمين! و ما من ليلة مولد مرّت في أيامه إلّا و نظم فيها قصيدا في مديح مولد المصطفى صلّى الله عليه و سلّم، أول ما يبتدئ المسمع في ذلك الحفل العظيم بإنشاده، ثم يتلوه إنشاد من رفع إلى مقامه العلى في تلك الليلة نظما؛ انتهى و هو أتم مساقا ممّا في «راح الأرواح».

[مقطوعات لأبي زكريا يحيى بن خلدون]

و لا بأس أن نلّم ببعض المقطوعات التي أنشأها الكاتب أبو زكريا يحيى بن خلدون المذكور على لسان جارية المنجاة في مخاطبة

السلطان أبي حمّو معلمه بما مرّ من ليل، ففي مضي ساعتين قوله: [الكامل]
 أ خليفه الرحمن و الملك الذى تعنو لعزّ علاه أملاك البشر
 لله مجلسك الذى يحكى علا بك مالكى أفق السماء لمن نظر
 أو ما ترى فيه النجوم زواهرا وجه الخليفه بينهنّ هو القمر
 و الليل منه ساعتان قد انقضت تشنى عليك ثنا الرياض على المطر
 لا زال هذا الملك منصورا بكم و بلغت ممّا ترتجى أسنى الوطر
 و قوله فى مضي ثلاث ساعات: [المتقارب]

أمولاي يا ابن الملوك الألى لهم فى المعالى سنّى الرّتب
 تولّت ثلاث من الليل أبقت لك الفخر فى عجمها و العرب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٠٦
 قدم حجّة الله فى أرضه تنال الذى شتته من أرب
 و قوله فى مضي ست ساعات: [المجتث]

يا ماجدا و هو فرد تخاله فى عساكر
 ستّ من الليل ولّت ما إن لها من نظائر
 دامت لياليك حتى إلى المعاد نواضر

و قوله فى مضي ثمانى ساعات: [المجتث]
 يا أكرم الخلق ذاتا و أشرف الناس أسره
 مرّت ثمان و أبقت فى القلب منى حسره
 فيهنّ كان شبابى أخا نعيم و نصره
 ولّى بها الدهر عنى ترى لها بعد كره
 فالله يبيحك مولى يطيل فى السعد عمره
 و قوله فى مضي عشر ساعات: [البيسط]

يا مالك الخير و الخيل التى حكمت له بعزّ على الأيام مقبل
 هذا الصباح الذى لاحت بشائره و الليل ودّعنا توديع مرتحل
 لله عشر من الساعات باهرة مضين لا عن قلبى منّا و لا ملل
 كذا تمرّ ليالى العمر راحله عنّا و نحن من الآمال فى شغل
 نمسى و نصبح فى لهو نسرّ به جهلا و ذلك يدنينا من الأجل
 و العمر يمضى و لا ندرى فوا أسفى عليه إذ مرّ فى الآثام و الزلل
 يا ليت شعرى غدا كيف الخلاص به و لم نقدّم له شيئا من العمل
 يا ربّ، عفوك عما قد جنته يدي فليس لى بجزاء الذنب من قبل
 يا ربّ و انصر أمير المسلمين أبا حمّوا الرضا و أنه غايه الأمل
 و أبق فى العزّ و التمكين مدّته و أعل دولته الغرّا على الدول

[حديث عن الموشحات و الأزجال: نشأتها، تدرجها، أنواعها]

رجع إلى نظم لسان الدين رحمه الله تعالى، فنقول:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٠٧

و أما موشحاته و أزجاله فكثيرة، و قد انتهت إليه رياسة هذا الفن، كما صرح بذلك قاضي القضاة ابن خلدون في مقدمة تاريخه الكبير، و لنذكر بعض كلامه، إذ لا يخلو من فائدة زائدة، قال رحمه الله تعالى ما ملخصه: و أما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم، و تهذبت مناحيه و فنونه، و بلغ التمييق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح، ينظمونه أسماطا أسماطا و أغصانا أغصانا، يكثرون منها و من أعاريضها المختلفة، و يسمون المتعدد منها بيتا واحدا، و يلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان و أوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة، و أكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات، و يشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض و المذاهب، و ينسبون فيها، و يمدحون، كما يفعل في القصائد. و يتجاوزون في ذلك إلى الغاية، و استظرفه الناس و جملة الخاصة و الكافة؛ لسهولة تناوله، و قرب طريقه.

و كان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافى القبرى من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني، و أخذ عنه ذلك ابن عبد ربه صاحب العقد، و لم يذكر لهما مع المتأخرين ذكر، و كسدت موشحاتهما، فكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المريّة. و قد ذكر الأعلام البطليوسى أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول: كلّ الوشّاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله:

بدر تمّ شمس ضحى غصن نقا مسك شمّ

ما أتمّ ما أوضحا ما أوقا ما أتمّ

لا جرم من لمحا قد عشقا قد حرم

و زعموا أنه لم يسبق عبادة و شاح من معاصريه الذين كانوا في زمان ملوك الطوائف.

و جاء مصليا خلفه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون بن ذى النون، صاحب طليطلة. قالوا:

و قد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له حيث يقول:

قد ترنّم بأبدع تلحين و شقّت المذانب رياض البساتين

و في انتهائه حيث يقول:

تخطر و لم تسلّم عساك المأمون مروّع الكتائب يحيى بن ذى النون

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٠٨

ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة الملثمين فظهرت لهم البدائع، و فرسان حلبتهم:

الأعمى التطيلي، ثم يحيى بن بقى، و للتطيلي من الموشحات المذهبة قوله:

كيف السبيل إلى صبرى و فى المعالم أشجان

و الركب وسط الفلا بالخرد النواعم قد بانوا

[من اشتهر من الوشّاحين]

و ذكر غير واحد من المشايخ أنّ أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أنّ جماعة من الوشّاحين اجتمعوا فى مجلس بإشبيلية، و كان كلّ واحد منهم قد صنع موشحة و تأنق فيها، فتقدم الأعمى التّطيليّ للإشاد، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضاحك عن جمان سافر عن بدر

ضاق عنه الزمان و حواه صدرى

خزق ابن بقى موشحته، و تبعه الباقون.

و ذكر الأعلام البطليوسى أنه سمع ابن زهر يقول: ما حسدت قطّ و شأحا على قول إلّا ابن بقى حين وقع له:

أما ترى أحمد فى مجده العالى لا يلحق

أطلعه المغرب فأرنا مثله يا مشرق

و كان فى عصرهما من الوشّاحين المطبوعين أبو بكر الأبيض، و كان فى عصرهم أيضا الحكيم أبو بكر بن باجّة صاحب التلاحين المعروفة. و من الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة، فألقى عليه بعض موشحته: جرّ الزيل أيما جرّ فطرب الممدوح لذلك، و ختمها بقوله:

عقد الله رايه النصر لأمير العلاء أبى بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح «وا طرباه» و شقّ ثيابه، و قال: ما أحسن ما بدأت و ما ختمت، و حلف الأيمان المغلظة أن لا يمشى ابن باجّة لداره إلّا على الذهب، فخاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهبا فى نعله و مشى عليه.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٠٩

ثم قال ابن خلدون بعد كلام: و اشتهر بعد هؤلاء فى صدر دولة الموحّدين محمد بن أبى الفضل بن شرف، إلى أن قال: و ابن هردوس الذى له:

يا ليلة الوصل و السعود بالله عودى

و ابن مؤهل الذى له:

ما العيد فى حلّه و طاق و شمّ طيب

و إنما العيد فى التلاقى مع الحبيب

و أبو إسحاق الدوينى. قال ابن سعيد: سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول: إنه دخل على ابن زهر، و قد أسنّ، و عليه زىّ البادية، إذ كان يسكن بحصن سبتة، فلم يعرفه، فجلس حيث انتهى به المجلس، و جرّت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها:

كحل الدجى يجرى من مقلة الفجر

على الصباح

و معصم النهر فى حلال خضر

من البطاح

فتحرّك ابن زهر، و قال: أنت تقول هذا؟ قال: اختبر، قال: و من تكون؟ فأخبره، فقال:

ارتفع، فو الله ما عرفتك.

قال ابن سعيد: و سابق الحلبه التى أدركت هو أبو بكر بن زهر، و قد شرّقت موشحاته و غرّبت. قال: و سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول: قيل لابن زهر: لو قيل لك: ما أبدع ما وقع لك فى التوشيح؟ فقال: كنت أقول:

ما للموّه من سكره لا يفيق؟

يا له سكران

[من غير خمر ما للكثير المشوق

يندب الأوطان]

هل تستعاد أيامنا بالخليج

و ليالينا

إذ يستفاد من النسيم الأريج

مسك دارينا

و إذ يكاد حسن المكان البهيج

أن يحيينا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢١٠

روض أظله دوح عليه أنيق

مورق الأفنان

و الماء يجرى و عائم و غريق

من جنى الريحان

و اشتهر بعده ابن حيون. إلى أن قال: و بعد هؤلاء ابن حزمون بمرسيه. ذكر ابن الرئس أن يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه، فأشده موشحة لنفسه، فقال له ابن حزمون: ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا من التكلف فقال علي مثل ما ذا؟ فقال: علي مثل قولي:

يا هاجري، هل إلى الوصال

منك سبيل

أو هل يرى عن هواك سال

قلب العليل

و أبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة؛ قال ابن سعيد: كان والدي يعجب بقوله:

إن سيل الصباح في الشرق عاد بحرا في أجمع الأفق

فتداعت نوادب الورق أ تراها خافت من الغرق

فبكت سحرة على الورق

و اشتهر بإشيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل؛ قال ابن سعيد عن والده: سمعت سهل بن مالك يقول له: يا ابن الفضل، لك على الوشاحين الفضل، بقولك:

أوا حسرتي لزمان مضى عشية بان الهوى و انقضى

و أفردت بالرغم لا بالرضا و بتّ على جمرات الغضا

أعانق بالفكر تلك الطلول و أثم بالوهم تلك الرسوم

قال: و سمعت أبا بكر بن الصابوني ينشد الأستاذ أبا الحسن الدباج موشحاته غير ما مرّة، فما سمعته يقول «لله درك» إلّا في قوله:

قسما بالهوى لذي حجر ما لليل المشوق من فجر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢١١

جمد الصبح ليس يطرد ما لليلى فيما أظنّ غد

صحّ يا ليل أنك الأبد

أو نقصت قوادم النسر فنجوم السماء لا تسرى

و من موشحات ابن الصابوني قوله:
 ما حال صبّ ضني و اكتتاب أمرضه يا ويلتاه الطيب
 عامله محبوبه باجتتاب ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
 جنا جفوني النوم لكنني لم أبكه إلّا لفقد الخيال
 و ذو الوصال اليوم قد غزّني منه كما شاء و شاء الوصال
 فلتست باللائم من صدّني بصورة الحقّ و لا بالمحال
 و اشتهر ببيّ العدوّة ابن خلف الجزائري صاحب الموشحة المشهورة:
 يد الإصباح قد قدحت زناد الأنوار من مجامر الزهر
 و ابن خزر البجائي، و له من موشحة:
 ثغر الزمان موافق حياك منه بابتسام

[موشحة ابن سهل التي عارضها لسان الدين و موشحة لسان الدين التي يعارض بها ابن سهل]

و من محاسن الموشحات موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية و سبته من بعدها:
 هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صبّ حلّه عن مكنس
 فهو في حرّ و خفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس
 و قد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب، شاعر الأندلس و المغرب لعصره فقال:
 جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس
 لم يكن وصلك إلّا حلما في الكرى أو خلسة المختلس
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢١٢
 إذ يقود الدهر أشتات المنى ينقل الخطو على ما يرسم
 زمرا بين فرادى و ثنا مثل ما يدعو الوفود الموسم
 و الحيا قد جللّ الروض سنا فتغور الزهر منه تبسم
 و روى النعمان عن ماء السّما كيف يروى مالک عن أنس
 فكساه الحسن ثوبا معلما يزدهى منه بأبهي ملبس
 في ليال كتمت سرّ الهوى بالدّجى لو لا شمس ملبس
 مال نجم الكأس فيها و هوى مستقيم السّير سعد الأثر
 وطر ما فيه من عيب سوى أنه مرّ كلمح البصر
 حين لدّ الأّنس شيئا أو كما هجم الصّبح هجوم الحرس
 غارت الشّهب بنا أو ربّما أتّرت فينا عيون التّرجس
 أيّ شيء لا مرئ قد خلصا فيكون الروض قد مكّن فيه
 تنهب الأزهار منه الفرصا أنت من مكره ما تتقيه
 فإذا الماء تناجى و الحصى و خلا كلّ خليل بأخيه
 تبصر الورد غيورا برما يكتسى من غيظه ما يكتسى

و ترى الآس لبيبا فهما يسرق السمع بأدنى فرس
يا أهيل الحى من وادى الغضا و بقلبي سكن أنتم به
ضاق عن وجدى بكم رحب الفضا لا أبالى شرقه من غربه
فأعيدوا عهد أنس قد مضى تعتقوا عانيكم من كربه
و اتقوا الله و أحيوا مغرما يتلاشى نفسا فى نفس
حبس القلب عليكم كرما أفترضون عفاء الحبس
و بقلبي منكم مقترب بأحاديث المنى و هو بعيد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢١٣
قمر أطلع منه المغرب شقوة المغرى به و هو سعيد
قد تساوى محسن أو مذنب فى هواه بين وعد و وعيد
ساحر المقلة معسول اللمي جال فى النفس مجال النفس
سدّد السهم و سمى و رمى ففؤادى نهبة المفترس
إن يكن جار و خاب الأمل و فؤاد الصب بالشوق يذوب
فهو للنفس حبيب أول ليس فى الحب لمحبوب ذنوب
أمره معتمل ممثّل فى ضلوع قد براها و قلوب
حكّم اللحظ بها فاحتكما لم يراقب فى ضعاف الأنفس
منصف المظلوم ممّن ظلما و مجازى البرّ منها و المسى
ما لقلبي كلّما هبت صبا عاده عيد من الشوق جديد
كان فى اللوح له مكتتبا قوله: «إن عذابى لشديد»
جلب الهمّ له و الوصبا فهو للأشجان فى جهد جهيد
لا عج فى أضلعي قد أضر ما فهى نار فى هشيم اليبس
لم يدع فى مهجتي إلّا ذما كبقاء الصبح بعد الغلس
سلمى يا نفس فى حكم القضا و اعمرى الوقت برجعى و متاب
دعك من ذكرى زمان قد مضى بين عتبي قد تقصّت و عتاب
و اصرفى القول إلى المولى الرضا ملهم التوفيق فى أمّ الكتاب
الكريم المنتهى و المنتمى أسد السرج و بدر المجلس
ينزل النصر عليه مثل ما ينزل الوحي بروح القدس
إلى هذا الحدّ انتهى ابن خلدون من موشحة لسان الدين، و لا أدري لم لم يكملها، و تمامها قوله:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢١٤

مصطفى الله سمى المصطفى الغنى بالله عن كلّ أحد

من إذا ما عقد العهد وفى و إذا ما فتح الخطب عقد

من بنى قيس بن سعد و كفى حيث بيت النصر مرفوع العمد

حيث بيت النصر محمى الحمى و جنى الفضل زكى المغرس

و الهوى ظلّ ظليل خيما و الندى هبّ إلى المعترس
هاكها يا سبط أنصار العلا و الذي إن عثر الدهر أقال
غادة ألبسها الحسن ملا تبهر العين جلاء و صقال
عارضت لفظا و معنى و حلى قول من أنطقه الحبّ فقال:
«هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صبّ حله عن مكنس
«فهو في حرّ و خفق مثل ما لعبت ريح الصبا بالقبس»

ثم قال ابن خلدون: و أما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات، و من أحسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سناء
الملك المصري التي اشتهرت شرقا و غربا، و أولها:

حبيبي ارفع حجاب النور عن العذار
تنظر المسك على كافور في جلتار
كللي يا سحب تيجان الرّبا بالحلى و اجعلى سوارك منعطف الجدول

[استحداث العامة فن الزجل]

و لمّا شاع فنّ التوشيح في أهل الأندلس، و أخذ به الجمهور لسلاسته، و تنميق كلامه، و تصريح أجزائه، نسجت العامة من أهل
الأمصار على منواله، و نظموا في طريقتهم بلغتهم الحضريّة من غير أن يلتزموا فيه إعرابا، و استحدثوا فنا سموه بالزجل، و التزموا النظم
فيه على مناحيهم إلى هذا العهد، فجاؤوا فيه بالغرائب، و اتّسع فيه للبلاغه مجال، بحسب لغتهم المستعجمه. و أوّل من أبدع في هذه
الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان، و إن كانت قيلت قبله بالأندلس، لكن لم تظهر حلاها، و لا انسبكت معانيها، و اشتهرت رشاقتها، إلّا
في زمانه.

و كان لعهد المثلثين، و هو إمام الزجالين على الإطلاق؛ قال ابن سعيد: رأيت أزراله مروية ببغداد أكثر ممّا رأيتها بحواضر المغرب،
قال: و سمعت أبا الحسن بن جحدر الإشبيلي إمام

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢١٥

الزجالين في عصرنا يقول: ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة، و قد خرج إلى منتره مع بعض
أصحابه، فجلسوا تحت عريش، و أمامهم تمثال أسد من رخام يصبّ الماء على صفائح من الحجر، فقال:

و عريش قد قام على دكان بحال رواق

و أسد قد ابتلع ثعبان من غلظ ساق

و فتح فمو بحال إنسان به الفواق

و انطلق من ثم على الصفاح و ألقى الصياح

و كان ابن قزمان، مع أنه قرطبي الدار، كثيرا ما يتردّد إلى إشبيلية، و ينتاب نهرها. إلى أن قال ابن خلدون: و جاءت بعدهم حلبة كان
سابقها مدغليس، وقعت له العجائب في هذه الطريقة، فمن قوله في زجله المشهور:

ورذاذ دق ينزل و شعاع الشمس يضرب

فترى الواحد يفصّض و ترى الآخر يذهب

و النبات يشرب و يسكر و الغصون ترقص و تطرب

و تريد تجي إلينا ثمّ تستحي و ترجع

و من محاسن أزجاله قوله:

لاح الضياء والنجوم سكارى

ثم قال: و ظهر بعد هؤلاء فى إشبيلية ابن جحدر الذى فضل على الرجالين فى فتح ميورقة بالزجل المشهور الذى أوله:

من يعاند التوحيد بالسيف يحقق أنا برى ممن يعاند الحق

قال أبو سعيد: لقيته و لقيت تلميذه البعج صاحب الزجل المشهور الذى أوله:

يا ليتنى إن ريت حبيبي أقتل أذنو بالرسلا

لش أخذ عنق الغزير و سرق فم الحجلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢١٦

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك إمام الأدب، ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب إمام النظم و النثر فى الملة الإسلامية غير مدافع، فمن محاسنه فى هذه الطريقة:

امزج الأكواس و املالى نجدد ما خلق المال إلا أن يبدد

و من قوله على طريقة الصوفية و ينحو منحى الشورى منهم:

بين طلوع و بين نزول اختلطت الغزول

و مضى من لم يكن و بقى من لم يزول

و من محاسنه أيضا قوله فى ذلك المعنى:

البعد عنك يا ابنى أعظم مصائبى و حين حصل لى قربك سيبت قارى

انتهى المقصود جلبه من كلام ابن خلدون، و قد أطال رحمه الله تعالى فى هذا المقصد، و لم أرد إيراد جميع كلامه لطوله و عدم تعلق الغرض به، و فيما ذكرته منه كفاية لتعلقه بأمر لسان الدين رحمه الله تعالى، و شهادته له أنه شاعر الإسلام غير مدافع، و أنه انتهت إليه رياسة الصناعة الزجلية و التوشيفية.

[ترجمة أبى بكر بن باجة آخر فلاسفة الإسلام ببلاد الأندلس (ابن الصائغ)]

و أبو بكر بن باجة الذى أشار إليه ابن خلدون: هو أبو بكر بن الصائغ التجيبى الشرسطى، الذى قال فى حقه لسان الدين فى «الإحاطة»: إنه آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس. و كان بينه و بين الفتح بن خاقان صاحب «القلائد» معاداة فلذلك هجاه فى القلائد، و جعله آخر ترجمه فيها إذ قال ما نصه: الأديب أبو بكر بن الصائغ، هو رمد عين الدين، و كمد نفوس المهتمدين، اشتهر سخفا و جنونا، و هجر مفروضا و مسنونا، فما يتشرع، و لا يأخذ فى غير الأضاليل و لا يشرع، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابه، و لا أظهر مخيلة إنابه، و لا استنجى من حدث، و لا أشجى فؤاده بتوار فى حدث، و لا أقر بباريه و مصوره، و لا قر بتباريه فى ميدان تهوره، الإساءة إليه أجدى من الإحسان، و البهيم عنده أهدي من الإنسان، نظر فى تلك التعاليم، و فكر فى أجرام الأفلاك و حدود الأقاليم، و رفض كتاب الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢١٧

الحكيم العليم، و نبذه وراء ظهره ثانى عطفه، و أراد إبطال ما لا يأتیه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و اقتصر على الهيئه، و أنكر أن تكون منه إلى الله تعالى فيئه، و حكم للكواكب بالتدبير؛ و اجترم على الله اللطيف الخبير، و اجترأ عند سماع النهى و الإيعاد، و استهزأ بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ [سورة القصص، الآية: ٨٥] فهو يعتقد أن الزمان دور، و أن الإنسان نبات أو نور، حمامه تمامه، و اختطافه قطافه، قد محى الإيمان من قلبه فما له فيه رسم، و نسى الرحمن لسانه فما يمر له عليه اسم، و

انتمت نفسه إلى الضلال وانتسبت، و نفت اليَوْمَ تُجْزَى كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ [سورة غافر، الآية: ١٧]، فقصر عمره على طرب و لهو، و استشعر كلَّ كبير و زهو، و أقام سوق المويسيقى، و هام بحادى القطار و سقى، فهو يعكف على سماع التلاحين، و يقف عليه كلَّ حين، و يعلن بذلك الاعتقاد، و لا يؤمن بشىء قادنا إلى الله تعالى فى أسلس مقاد، مع منشأ وخيم، و لؤم أصل و حيم و صورة شوهاها الله تعالى و قبحها، و طلعة إذا أبصرها الكلب نبجها، و قدار يؤذى البلاد نفسها، و وضارة يحكى الحداد دنسها، و فند لا يعمر إلّا كنفه، و لدد لا- يقيم إلّا الصيّع ماد جنفه، و له نظم أجاد فيه بعض إجاده، و شارف الإحسان أو كاده، فمن ذلك ما قاله فى عبد حبشى كان يهواه، فاشتمل عليه أسر سعى حشاه، و نقله إلى حيث لم يعلم مثواه، فقال: [البيسط]

يا شائقى حيث لا أسطيع أدركه و لا أقول غدا أغدو فألقاه

أما النهار فليلى ضمّ شملته على الصباح فأولاه كأخراه

أغرّ نفسى بآمال مزورة منها لقاؤك و الأيام تأباه

و له فيه حين بلغه موته، و تحقّق عنده فوته: [الوافر]

ألا يا رزق و الأقدار تجرى بما شاءت نشأ أو لا نشأ

هل انت مطارحى شجوى فتدرى و أدرى كيف يحتمل القضاء

يقولون الأمور تكون دورا و هذا فقده فمتى اللقاء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢١٨

و له فى الأمير أبى بكر بن إبراهيم قدّس الله تعالى تربته، و آنس غربته، مدائح انتظمت بلبّيات الأوان، و نظمت على كل شتيت من الإحسان، فمن ذلك قوله: [الوافر]

توضّح فى الدجى طرف ضرير سنا بلوى الصريمة يستطير

فيا بأبى و لم أبذل يسيرا و إن لم يكفهم ذاك الكثير

بريق لا تقل هو ثغر سلمى فتأثم، إنه حوب وزور

فكيف و ما أطلّ الليل منه و لا عبقت بساحته الخمور

ترأى بالسدير فزاد قلبى من البرحاء ما شاء السدير

فلو لا أنّ يوم الحشر يقضى علىّ بحكم مولى لا يجور

دعوت على المشقّر أن يجازى بما تجزى به الدار الغرور

و منها:

لقد وسع الزمان عليه عدوى و ضرّ بشله الليث الهصور

و قلبنا الزمان فلا بطون تضمّنت الوفاء و لا ظهور

سوى ذكر أطارحه فلو لا أمير لقد عفا لو لا الأمير

همام جوده يصف السوارى و سطوته يعبرها البحر

و قلنا نحن كيف و راحتاه بحور يلتطى فيها سرور

فهل فيما سمعت به خصام يكون الخصم فيه هو العذير

و كان الأمير أبو بكر يعتقد له هذه المائة و يراها، و وجود أبدا ثراها، فلما ولى الثغر و الشرق لم يغفله من رعى، و لم يكله إلى شفاعه و سعى، و حمله على ما كان يعتقد فيه من المقت، و استعمله على ما كان يقتضيه خلق الوقت، من إقامة الوعد، و تسويغه كل نعيم

رغد، و تغليب حجة داحضة، و إنهاض عثرة غير ناهضة، فتقلد وزارته و دولته تزهى منه بأندى من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢١٩

الوسمى المبتكر، وأهدى من النجم فى الليل المعتكر، وألويته تميمس زهوا ميس الفتاة، و رعيتته تبتهج بملكه ابتهاج حىي باين الموماء، و مذاهبه يبسطها الفضل و ينشرها، و كتابه لا يكاد العدو يعشرها، فجاش إليه و انبرى، و راش فى تنكيلهم و برى، و أقطعهم ما شاء من مقابحته، و أسمعهم ما يصم بين ختمه و مفاتحته، فوغرت صدورهم السليمة، و اعتلت صحة ضمائرهم بنفوسهم الأليمة، و لم يزل يأخذ فى الإضرار بهم و لم يدع، و يعلن به و يصدع، حتى تفرق ذلك الجمع، و ألقاه بين بصر السباب و السمع، و أفرد الدولة من ولاتها، و جردها من حماتها، فاستعجل العدو بذلك و استشرى، و زار منه على سرقسطة ليث شرى، و لما رأى الشر قد ثار قتامة، و بدا من ليله إعتامه، ارتحل و احتمل، و قال «لا ناقة لى فى هذا و لا جمل»، و أقام ببلنسية يشفى نفسه، و يستوفى أنسه، و نجوم سعدا كل يوم غائرة، و العدو يتربص بها أسوأ دائرة، و يروم منازلها ثم يدع الاقتحام، و يريد التقدم إليها فيؤثر الإحجام، تهيبا لذلك الملك السرى، و الليث الجرى، و فى خلال هذه المحاولة، و أثناء تلك المطاولة، عاجل الأمير أبا بكر حمامه، و استسر فيها تمامه، و أجنه الثرى، و حاز منه بدر دجنه و ليث شرى، فعطلت الدنيا من علاء وجود، و أطلت عليها بفقده حوادث أجدبت تهائمها و النجود، و فيه يقول يرثيه بما يسيل الفؤاد نجيعا، و يبيت به الأسى لسامعه ضجيجا: [الخفيف]

أيها الملك قد لعمرى نعى المجد نواعيك يوم قمن فنحنا

كم تقارعت و الخطوب إلى أن غادرتك الخطوب فى الترب رهنا

غير أنى إذا ذكرتك و الده ر إخال اليقين فى ذاك ظنا

و سألنا متى اللقاء فليل ال حشر قلنا: صبرا إليه و حزنا

و كثيرا ما يغير هذا الرجل على معانى الشعراء، و ينبذ الاحتشام من ذلك بالعاء، و يأخذها من أربابها أخذ غاصب، و يعوضهم منها كل هم ناصب، فهذا ممّا أطال به كمد أبى العلاء و غمه، فإنه أخذه من قوله يرثى أمه: [الوافر]

فيا ركب المنون ألا رسول يبلغ روحها أرج السلام

سألت متى اللقاء فليل حتى يقوم الهامدون من الرجام

و لمّا فاتت سرقسطة من يد الإسلام، و باتت نفوس المسلمين فرقا منهم فى يد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٢٠

الاستسلام، ارتاب بقبح أفعاله، و برئ من احتذائه بتلك الآراء و انتعاله، و أخافه ذنبه، و نبا عن مضجع الأمن جنبه، ففكر إلى الغرب ليتوارى فى نواحيه، و لا يتراى لعين لائمه و لاحيه، فلما وصل شاطبة حضرة الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين وجد باب نفاذه و هو مبهم، و عاقه عنه مدلول عليه ملهم، فاعتقله اعتقالا شفى الدين من آلامه، و شهد له بعقيدة إسلامه، و فى ذلك يقول، و هو

معقول، و يصرح بمذهبه الفاسد، و غرضه المستأسد: [الكامل]

خفض عليك فما الزمان و ريبه شىء يدوم، و لا الحياة تدوم

و اذهب بنفس لم تضع لتحلها حيث احتلت بها و أنت عليم

يا صاحبى لفظا و معنى خلته من قبل حتى بين التقسيم

دع عنك من معنى الإخاء ثقيله و انبذ بذاك العبء و هو ذميم

و اسمح و طارحنى الحديث فإنه ليل كأحداث الزمان بهيم

خذنى على أثر الزمان فقد مضى بؤس على أبنائه و نعيم

فعسى أرى ذاك النعيم و ربه مرح و ربّ البؤس و هو سقيم

هيهات ساوت بينهم أجدانهم و تشابه المحسود و المحروم

و لما خلص من تلك الحباله و نجا، و أنار من سلامته ما كان دجا، احتال في إخفاء ماله، و استيفاء آماله، فأظهر الوفاء للأمير أبي بكر بالثناء له و التأيين، و تداهيه في ذلك واضح مستبين، فإنه وصل بهذه النزعة من الحماية إلى حرم، و حصل في ذمة ذلك الكرم، و اشتمل بالزعي، و أمن من كل سعي، فاقتنى قيانا، و لقنهن أعاريض من القريض و ركّب عليها ألحانا أشجى من النوح، و لطف بها إلى إشادة الإعلان باللوعة و البوح، فسلك بها أبداع مسلك، و أطلعها تيرات ما لها غير القلوب من فلك، فمن ذلك قوله: [المنسرح]

إن غرابا جرى بينهم جاوبه بالثنية الصرد

طاروا فها أنت بعدهم جسد قد فارق الروح ذلك الجسد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٢١

و اكتتموا صيحة بينهم أليس لله بئس ما اعتمدوا

و كقوله: [الطويل]

سلام و إمام و وسمي مزنة على الجحدث النائي الذي لا أزوره

أحقاً أبو بكر تقضى فلا يرى تردّ جماهير الوفود ستوره

لئن أنست تلك القبور بلحده لقد أوحشت أنصاره و قصوره

و من قلّة عقله و نزارته، أنه في مدة وزارته، سفر بين الأمير أبي بكر رحمه الله تعالى و بين عماد الدولة بن هود رحمه الله تعالى بعد سعايات عليه أسلفها، و ذخائر كانت له على يديه أتلّفها، فوافاه أوغر ما كان عليه صدرا، و أصغر ما كان لديه قدرا، فأل به ذلك الانتقال، إلى الاعتقال، فأقام فيه شهورا يغازله الحمام بمقلّة شوهاء، و تنازله الأوهام بفطرتة الورهاء، و في ذلك يقول: [الوافر]

لعلك يا يزيد علمت حالي فتعلم أيّ خطب قد لقيت

و إني إن بقيت بمثل ما بي فمن عجب الليالي أن بقيت

يقول الشامتون شقاء بخت لعمر الشامتين لقد شقيت

أعندهم الأمان من الليالي و سالمهم بها الزمن المقيت

و ما يدرون أنهم سيسقوا على كره بكأس قد سقيت

و عزم عماد الدولة يوما على قتله، و ألزم المرقبين به التحيل على ختله، فمني إليه الأمر الوعر، و ارتمي به في لجج اليأس الذعر، فقال: [الطويل]

أقول لنفسي حين قابلها الردي فراغت فرارا منه يسرى إلى يمني

قرى تحمدى بعض الذي تكرهينه فقد طالما اعتدت الفرار إلى الأهنى

ثم قضى له قدر قضى بإنظاره، و ما أمضى من إباحته ما كان رهين انتظاره، و يمهل الفاجر حكمة من الله تعالى و علما و إنّما نُغلي لهم ليزدادوا إنّما [سورة آل عمران، الآية: ١٧٨] انتهى نص القلاندي.

و اين هذا من تحليته له في بعض كتبه بقوله فيه ما صورته: نور فهم ساطع، و برهان علم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٢٢

لكل حجة قاطع، تتوجت بعصره الأعصار، و تأرّجت من طيب ذكره الأمصار، و قام وزن المعارف و اعتدل، و مال للأفهام فنا و تهدل، و عطّل بالبرهان التقليد، و حَقّق بعد عدمه الاختراع و التوليد، إذا قدح زند فهمه أورى بشرر للجهل محرق، و إن طما بحر خاطره فهو لكل شيء مغرق، مع نزاهة النفس و صونها، و بعد الفساد من كونها، و التحقيق، الذي هو للإيمان شقيق، و الجد، الذي يخلق العمر و هو مستجد، و له أدب يودّ عطارده أن يلتحفه، و مذهب يتمنى المشتري أن يعرفه، و نظم تعشقه اللبات و النحور، و تدّعيه مع نفاسة جوهرها البحور، و قد أثبت منه ما تهوى الأعين النجل أن يكون إثمدها، و يزيل من النفوس حزنها و كمدتها، فمن ذلك

قوله يتغزل: [الطويل]

أسكان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم في ربع قلبي سكان
و دوموا على حفظ الوداد فطالما بلينا بأقوام إذا استحفظوا خانوا
سلوا الليل عنى إذ تناءت دياركم هل اكتحلت لى فيه بالنوم أجفان
و هل جرّدت أسياف برق سمائكم فكانت لها إلّا جفونى أجفان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٨؛ ص ٢٢٢
له: [الطويل]

أ تاذن لى آتى العقيق اليمانيا أسائله ما للمعالى و ما ليا
و هل داركم بالحزن قفراء؟ إننى تركت الهوى يقتاد فضل زماميا
فيا مكرع الوادى أما فيك شربه لقد سال فيك الماء أزرق صافيا
و يا شجرات الجزع هل فيك وقفه و قد فاء فيك الظل أخضر ضافيا
و أورد له فى «المطمح» أنه استأذن على المستعين بالله، فوجده محجوبا، فقال: [السرّيع]

من مبلغ خير إمام نشا ذا عزة و ساميا قدرا
قول امرئ لو قاله للصفاء أنبت فيه ورقا خضرا
عبدك بالباب له خجله لو أنها بالترجس أحمرّا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٢٣

و حكى غير واحد أنه مات له سكن كان يهواه، فبات مع بعض أصحابه عند ضريحه و مثواه، و كان قد عرف وقت كسوف البدر
بصناعة التعديل، فزور فى نفسه بيتين فى خطاب القمر أتقنهما و لحنهما، حتى إذا كان قبيل وقت الكسوف بقليل تغنى فيهما بذلك
الصوت المشجى، و اللحن يسوق الشوق و يزجى، و هما: [المتقارب]
شقيقك غيب فى لحدّه و تشرق يا بدر من بعده
فهلا كسفت فكان الكسوف حدادا لبست على فقده
فكسف القمر فى الحال، و عدت هذه من نوادره التى جيد الأخبار بفرائدها حال، سامحه الله تعالى!!

[ترجمة أبى بكر بن باجة آخر فلاسفة الإسلام ببلاد الأندلس (ابن الصائغ)]

ثم رأيت فى «الإحاطة» نسبة ذلك لغيره و نصّه: محمد بن أحمد بن الحداد، الوادى آشى، يكنى أبا عبد الله.
حاله: شاعر مفلق، و أديب شهير، مشار إليه فى التعاليم، منقطع القرين منها فى الموسيقى، مضطلع بفكّ المعنى، سكن المريّة، و اشتهر
بمدح رؤسائها من بنى صمادح.
و قال ابن بسّام: كان أبو عبد الله هذا شمس ظهيره، و بحر خبر و سيرة، و ديوان تعاليم مشهورة، وضح فى طريق المعارف ووضوح
الصّبح المتهلّل، و ضرب فيها بقдах ابن مقبل، إلى جلاله مقطع، و أصالة منزع، ترى العلم ينمّ على أشعاره، و يبين فى منازعه و آثاره.
تأليفه: ديوان شعره كبير معروف، و له فى العروض تصنيف مشهور مزج فيه بين الألحان الموسيقية و الآراء الخليلية.
بعض أخباره- حدّث بعض المؤرخين ممّا يدلّ على ظرفه أنه فقد سكننا عزيزا عليه، و أحوجت الحاجه إلى تكلف سلوة، فلمّا حضر
الندماء، و كان قد رصد الخسوف القمري، فلمّا حقّق أنه ابتدأ أخذ العود و غنى «شقيقك غيب- إلى آخره» و جعل يردّها و يخاطب
البدر، فلم يتمّ ذلك إلّا و اعترضه الخسوف، و عظم من الحاضرين التعجّب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٢٤

ثم قال لسان الدين في ترجمة شعره: وقال: [الكامل]
أقبلن في الحبرات يقصرن الخطا ويرين في حلل الوراشين القطا
سرب الجوى لا الجوى، عود حسنه أن يرتعى حبّ القلوب و يلقطا
مالت معافهنّ من سكر الصبا ميلا يخيف قدودها أن تسقطا
و بمسقط العلمين أوضح معلم لمهفهف سكن الحشا و المسقطا
ما أخجل البدر المنير إذا مشى يختال، و الغصن النضير إذا خطا!
و منها فى المدح:

يا وافدى شرق البلاد و غربها أكرمتما خيل الوفادة فاربطا
و رأيتما ملك البرية فاهنا و وردتما أرض المريّة فاخططا
يدمى نحور الدارين إذا ارتأى و يذلّ عزّ العالمين إذا سطا
انتهى المقصود منه، و أورد له فى الإحاطة قصيدة ثائية أولها:
حديثك ما أحلى! فزيدى و حدّثى
و هى طويلة.

و كتب عليها ابن المؤلف ما صورته: سمعتها من لفظ شيخى أبى جعفر بن خاتمة بالمريّة فى سنة خمس و ستين و سبعمائة، قاله على بن الخطيب؛ انتهى.

[من نظم ابن باجة الصائغ الفيلسوف]

رجع إلى أخبار ابن الصائغ: و من نظمه قوله: [الكامل]
ضربوا القباب على أقاحى روضه خطر النسيم بها ففاح عيرا
و تركت قلبى سار بين حملهم دامى الكلوم يسوق تلك العيرا
هلا سألت أميرهم هل عندهم عان يفكّ و لو سألت عبورا
لا و الذى جعل الغصون معاطفا لهم و صاغ الأقحوان ثغورا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٢٥
ما مرّ بى ربح الصبا من بعدهم إلّا شهقت له فعاد سعيرا

و توفى ابن الصائغ فى شهر رمضان سنة ٥٢٣، و قيل: سنة خمس و عشرين، مسموما فى باذنجان بمدينة فاس، و هو تجيبى بضمّ التاء و فتحها، و باحثة: بالباء الموحدة، و بعد الألف جيم مشددة، ثم هاء ساكنة، و هى القصّة بلغة الفرنج. و سرقسطة - بفتح السين و الراء و ضمّ القاف و سكون السين الثانية و بعدها طاء مهملة - مدينة كبيرة بالأندلس، استولى عليها العدو سنة ٥١٢.

و قال الأمير ركن الدين بيبس فى تأليفه «زبدة الفكرة»، فى تاريخ الهجرة: إنّ ابن الصائغ كان عالما فاضلا، له تصانيف فى الرياضات و المنطق، و إنه وزر لأبى بكر الصحراوى صاحب سرقسطة، و وزر أيضا ليحيى بن يوسف بن تاشفين عشرين سنة بالمغرب، و إنّ سيرته كانت حسنة، فصلحت به الأحوال، و نجحت على يديه الآمال، فحسده الأطباء و الكتّاب و غيرهم، و كادوه، فقتلوه مسموما؛ انتهى.

و أنشد له بعضهم: [الطويل]

هم رحلوا يوم الخميس عشيةً فودعتهم لما استقلوا وودعوا
ولما تولوا ولت النفس معهم فقلت ارجعي قالت إلى أين أرجع
إلى جسد ما فيه لحم ولا دم وما هو إلا أعظم تتقعق
وعينين قد أعماههما كثرة البكا و أذن عصت عدالها ليس تسمع
وقد قال بعضهم في تعزيز بيتي الحريري: إنه لابن الصائغ الأندلسي، وليس هو بهذا فيما أعلم: [السريع]
انقذ مهوى أزره فانتنى مه يا عدولي في الذي انقذ مه
مندمة قتل المعنى فلا ترسل سهام اللحظ تأمن دمه

[ترجمة الفتح بن خاقان وفيها ذكر سبب العداوة التي كانت بينه وبين ابن باجة]

رجع إلى ابن باجة: وقد ذكر لسان الدين في «الإحاطة» سبب العداوة بينه وبين الفتح في ترجمة الفتح و لذكرها بنصه فنقول: قال
رحمه الله تعالى: الفتح بن محمد بن عبيد الله،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٢٦

الكاتب، من قرية تعرف بقلعة الواد من قرى يحصب، يكنى أبا نصر، و يعرف بابن خاقان.

حاله: كان آية من آيات البلاغة لا يشقّ غباره، ولا يدرك شأوه، عذب الألفاظ ناصعها، أصيل المعاني وثيقها، لعوبا بأطراف الكلام،
معجزا في باب الحلّى والصفات، إلا أنه كان مجازفا مقدورا عليه، لا يملّ من المعارقة والقصف، حتى هان قدره، وابتذلت نفسه و
ساء ذكره، و لم يدع بلدا من بلاد الأندلس إلا دخله مسترفدا أميره واغلا في عليته؛ قال الأستاذ في «الصلة»: و كان معاصرا للكاتب أبي
عبد الله بن أبي الخصال، إلا أنّ بطالته أخذت به عن مرتبته. و قال ابن عبد الملك: قصد يوما إلى مجلس قضاء أبي الفضل عياض
مخمرا، فتنسّم بعض حاضري المجلس رائحة الخمر، فأعلم القاضي بذلك، فاستثبت، و حدّه حدّا تاما، و بعث إليه بعد أن أقام عليه
الحدّ بثمانية دنانير و عمامة، فقال الفتح حينئذ لبعض أصحابه:

عزمت على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل من كتابي المرسوم ب «قلائد العقيان»، قال:

فقلت: لا تفعل، و هي نصيحة، فقال: و كيف ذلك؟ فقلت له: قصّتك معه من الجائر أن تنسى، و أنت تريد أن تتركها مؤرخة، إذ كلّ
من ينظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله و دونه في العلم و الصيت، فيسأل عن ذلك، فيقال له، فيتوارث العلم عن
الأكابر الأصاغر، قال: فتبين ذلك، و علم صحته و أقر اسمه.

و حدّثني بعض الشيوخ أنّ سبب حقه على ابن باجة أبي بكر آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس ما كان من إزرائه به في تكذيبه
إياه في مجلس إقرائه، إذ جعل يكثر ذكر ما وصله به أمراء الأندلس و وصف حليا، و كان يبدو من أنفه فضلة خضراء اللون، فقال له:
فمن تلك الجواهر إذن الزمردة التي على شاربك؟ فثلبه في كتابه بما هو معروف، و على ذلك فأبو نصر نسيج وحده، غفر الله تعالى
له!.

مشيخته: روى عن أبوي بكر: بن سليمان بن القصيرة، و ابن عيسى بن اللبانه، و أبي جعفر بن سعدون الكاتب، و أبي الحسن بن سراج،
و أبي خالد بن بشتغير، و أبي الطيب بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٢٧

زرقون، و أبي عبد الله بن خلسة الكاتب، و أبي عبد الرحمن بن طاهر، و أبي عامر بن سرور، و أبي محمد بن عبدون، و أبي الوليد
بن حجاج، و ابن دريد الكاتب.

توآلفه: و مصنّفاته شهيرة: منها «قلائد العقيان» و «مطمح الأنفس» و «المطمح أيضا، و ترسيله مدوّن، و شعره وسط، و كتابته فائقة.

شعره- من شعره قوله، و ثبت في قلائده، يخاطب أبا يحيى بن الحاج: [الطويل]

أكعبه علياء و هضبة سؤدد و روضة مجد بالمفاخر تمطر
هنيئاً لملك زار أفقك نوره و في صفحته من مضائك أسطر
و إنى لخفاق الجناحين كلماً سرى لك ذكر أو نسيم معطر
و قد كان واش هاجنا لتهاجر فبت و أحشائي جوى تنفطر
فهل لك في ودّ ذوى لك ظاهرا و باطنه يندى صفاء و يقطر
و لست بعلق بيع بخسا و إننى لأرفع أعلق الزمان و أخطر
فروجع عنه بما ثبت أيضا في قلائده مما أوله: [الطويل]
ثبت أبا نصر عناني، و ربما ثنت عزمه السهم المصمم أسطر

[من نثر الفتح بن خاقان]

نثره: و نثره شهير، و ثبت له من غير المتعارف من السيلطانيات ظهيرا كتبه عن بعض الأعمراء لصاحب الشرطه، و لا- خفاء بإدلاله و براعته، [و هو هذا]: كتاب تأكيد اعتناء، و تقليد ذى مئة و غناء، أمر بإنفاذه فلان، أيده الله تعالى! لفلان ابن فلان، صانه الله تعالى! ليتقدم لولاية المدينة الفلانية و جهاتها، و يصوح ما تكاثف من العدوان في جنباتها، تنويها أحظاه بعلائه، و كساه رائق ملائه، لما علمه من سنائه، و توسمه من غنائه، و رجاه من حسن منابه، و تحققه من طهارة ساحته و جنباه، و تيقن -أيده الله تعالى!- أنه مستحق لما ولاه، مستقلاً بما تولاه، لا يعتره الكسل، و لا تشبهه عن المضاء الصوارم و الأسل، و لم يكل الأمر منه إلى وكل، و لا ناطه بمناط عجز و لا فشل، و أمره أن يراقب الله تعالى في أوامره و نواهيه،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٢٨

و ليعلم أنه زاجره عن الجور و ناهيه، و سائله عما حكم به و قضاها، و أنفذه و أمضاه يوم لا تملكك نفس لنفس شئناً و الأمر يومئذ لله [سورة الانفطار، الآية: ١٩] فليتقدم إلى ذلك بحزم لا يخمد توقده، و عزم لا ينفد تفقده، و نفس مع الخير ذاهبه و على متن البر و التقوى راكبه، و يقدم للاحتراس من عرف اجتهاده، و علم أرقه في البحث و سهاده، و حمدت أعماله، و أمن تفریطه و إهماله، و يضم إليهم من يحذو حذوهم، و يقفو شأوهم، ممن لا يستراب بمناحيه، و لا يصاب خلل في ناحية من نواحيه، و أن يذكر العيون على الجنة، و ينفي عنها لذيذ السينات، و يفحص عن مكامنهم، حتى يغص بالريق نفس آمنهم، فلا يستقر بهم موضع، و لا يفر منهم خب و لا موضع، فإذا ظفر منهم بمن ظفر بحث عن باطنه، و بت السؤال في مواضع تصرفه و مواطنه، فإن لاحت شبهة أبادها الكشف و الاستبراء، و تعداها البغي و الافتراء، نكله بالعقوبة أشد نكال، و أوضح له منها ما كان ذا إشكال، بعد أن يبلغ أنه، و يقف في طرفه مداه، و حد له أن لا يكشف بشرة إلا في حد يتعين، و إن جاءه فاسق أن يتبين، و أن لا يطمع في صاحب مال موفور، و أن لا يسمع من مكشوف في مستور، و أن يسلك السنين المحمود، و ينزه عقوبته من الإفراط و عفوه من تعطيل الحدود. و إذا انتهت إليه قصة مشكلة أخرها إلى غده، فهو على العقاب أقدر منه على رده، فقد يتبين في وقت ما لا يتبين في وقت، و المعالجة بالعقوبة من المقت، و أن يتعمد هفوات، ذوى الهيئات، و أن يستشعر الإشفاق، و يخلع التكبر فإنه من ملابس أهل النفاق، و ليحسن لعباد الله تعالى اعتقاده، و لا يرفض زمام العدل و لا مقاده، و أن يعاقب المجرم قدر زلته، و لا يعتز عند ذلته، و ليعلم أن الشيطان أغواه، و زين له مثواه، فيشفق من عشاره، و سوء آثاره، و ليشكر الله تعالى على ما وهبه من العافية، و ألبسه من ملابسها الضافية، و يذكره جل و علا في جميع أحواله، و يفكر في الحشر و أهواله، و يتذكر وعدا ينجز فيه و وعيدا يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضراً و ما عملت من سوءٍ تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً [سورة آل عمران، الآية: ٣٠] و الأمير أيده الله تعالى ولي له ما عدل و أقسط، و برىء منه إن جار و

قسط، فمن قرأه فليقف عند حدّه و رسمه، و ليعرف له حقّ قطع الشّرّ و حسمه، و من وافقه من شريف أو مشروف، و خالفه في نهى عن منكر أو أمر بمعروف، فقد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٢٩

تعرض من العقاب لما يذيقه و بال خبله، و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله [سورة فاطر، الآية: ٤٣] و كتب في كذا.

وفاته- بمراكش ليلة الأحد لثمان بقين من محرم، من عام تسعة و عشرين و خمسمائة، ألقى قتيلا بيت من بيوت فندق أحد فنادقها، و قد ذبح و عبث به، و ما شعر به إلا بعد ثلاث ليال من قتله؛ انتهى نصّ الإحاطة.

[ترجمه الفتح بن خاقان عن المغرب و من شعره]

و قال في «المغرب» ما ملخصه: فخر أدباء إشبيلية بل الأندلس: أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي، الإشبيلي، صاحب «القلائد» و «المطمح»، ذكره الحجارى فى المسهب، الدهر من رواة قلائده، و حملة فرائده، طلع من الأفق الإشبيلي شمسا طبق الآفاق ضياؤها، و عمّ الشرق و الغرب سناها و سناؤها، و كان فى الأدب أرفع الأعلام، و حسنة الأيام، و له كتاب «قلائد العقيان» و من وقف عليه لا يحتاج فى التنبيه على قدره إلى زيادة بيان، و هو و أبو الحسن بن بسام الشستمرى مؤلف الذخيرة فارسا هذا الأوان، و كلاهما قسّ و سحبان، و التفضيل بينهما عسير، إلا أن ابن بسام أكثر تقييدا، و علما مفيدا، و إطنابا فى الأخبار، و إمتاعا للأسماع و الأبصار، و الفتح أقدر على البلاغة من غير تكلف، و كلامه أكثر تعلقا و تعشقا بالأنفس، و لو لا ما اتسم به مما عرف من أجله باين خاقان، لكان أحد كتاب الحضرة المرابطية بل مجليها المستولى على الرهان، و إنما أخلّ به ما ذكرناه، مع كونه اشتهر بدمّ أولى الأحساب، و التميرين بالطنع على الأدباء و الكتّاب، و قد رماه الله تعالى بما رمى به إمام علماء الأندلس أبا بكر بن باجّه، فوجد فى فندق بحضرة مراكش قد ذبحه عبد أسود خلا معه بما اشتهر عنه، و تركه مقتولا، و فى دبره وتد، و الله سبحانه يتغمّده برحمته.

و من شعره قوله من أبيات فى المدح: [الطويل]

إلى أين ترقى قد علوت على البدر و قد نلت غايات السيادة و القدر

وجدت إلى أن ليس يذكر حاتم و أغنيت أهل الجذب عن سبل القطر

و كم رام أهل اللوم باللوم وقفه و بحرك مدّ لا يؤول إلى جزر

و لو لم يكن فيك السماح جبلة لأثر ذاك اللوم فيك مع الدهر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٣٠

و ذكره ابن الإمام فى «سمط الجمال» و أنشد له: [الكامل]

ظبي من جنابك زارنى يختال زهوا فى ملاء مراح

ولى التماسك فى هواه كأنه مروان خاف كتائب السفّاح

فخلعت صبرى بالعرا و نبذته و ركبت و جدى فى عنان جمّاح

أهدى لى الورد المضعف خده فقطفته باللحظ دون جناح

و أردت صبرا عن هواه فلم أطق و أريت جدّا فى خلال مزاح

و تركت قلبى للصبابة طائرا تهفو به الأشواق دون جناح

و ذكره ابن دحية فى «المطرب» و نعته باين خاقان؛ قال: و الشيخ أبو الحجاج البياسى ينكر هذا، و قيل: إنما قيل له ابن خاقان لما تقدّم

ذكره فى كلام الحجارى، و قال ابن دحية:

إنه قتل ذبحاً بمسكنه في فندق بيت من حضرة مراكش صدر سنة تسع و عشرين و خمسمائة، أشار بقتله على بن يوسف بن تاشفين. وقال أبو الحسن بن سعيد: رأيت فضلاء الأندلس ينتقدون على الفتح أول افتتاحه في خطبة قلانده «الحمد لله الذي راض لنا البيان حتى انقاد في أعنتنا، و شاد مثواه في أجتتنا» لكون ما تضمنته الفقرة الأولى أصوب مما تضمنته الفقرة الثانية، و الصواب ضد ذلك؛ انتهى.

و قال ابن الأبار في «معجم أصحاب الصدفى»: إنه لم يكن مرضياً، و حذفه أولى من إثباته؛ انتهى. و لذا لم يذكره في التكملة.

و قال ابن خاتمة: إنه لم يعرف من المعارف بغير الكتابة و الشعر و الآداب.

و ما حكاها في «الإحاطة» من تاريخ وفاته مخالف لما حكاها ابن الأبار أنه ليلة عيد الفطر من سنة ثمان و عشرين و خمسمائة، قال: و قرأت ذلك بخط من يوثق به.

و حكى ابن خلكان قولاً آخر أنه توفي سنة خمس و ثلاثين و خمسمائة، قيل: و هو خطأ، على أنه حكى القول الآخر أيضاً. و دفن بباب الدباغين، رحمه الله تعالى!.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٣١

و قد قيل: إن قتله كان بإشارة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين أخى إبراهيم الذى ألف برسمه «قلانده العقيان». و قد ذكر ابن خلكان أن المطمح ثلاث نسخ: صغرى، و وسطى، و كبرى، و الذى قاله ابن الخطيب و ابن خاتمة، و غير واحد من المغاربة أنه نسختان فقط: صغرى، و كبرى، و لعله الصواب، إذ صاحب البيت أدري بما فيه. و من تأليف الفتح «بداية المحاسن، و غاية المحاسن» و مجموع فى ترسيله، و تأليف صغير فى ترجمة ابن السيد البطلوسى نحو الثلاثة كراريس على منهاج القلانده.

[من بديع إنشاء ابن خاقان]

و من بديع إنشاء الفتح المذكور سامحه الله تعالى قوله: أطال الله تعالى بقاء الوزير الأجل، عتادى الأسرى، و زنادى الأورى، و أيامه أعياد، و للسعد فى زمانه انقياد، أمّا أنا- أدام الله تعالى عزّه!- فجوى عاتم، و أعيادى ماتم، و صبحى عشاء، و ما لى إلّا من الخطوب انتشاء، أبيت بين فؤاد خافق و طرف مسهد، نائى المحلّة من مزار العود، حين لا- أرى الروض المنور، و لا أحس سهيلاً إذا لاح ثم تهوّر، و قد بعدت دار إلى حبيبه، و دنت منى حوادث بأدناها تؤذى الشيبه، و أى عيش لمن لزم المفاوز لا يريمها، حتى ألفه ريمها، قد رمته النوائب فما اتقى، و ارتقت له الجوائح فى وعور المرتقى، يواصل النوى و لا يهجر سيرا، و لم يزر فى الإراحة طيرا، قد هام بالوطن، هيام ابن طالب بالحوض و العطن، و حنّ إلى تلك البقاع، حينه إلى أثلاث القاع، و لا سبيل أن يشعب صدر بينه شاعب، أو تكلمه أحجار للدار و ملاعب، و ليس له إلى أن يجنح، و لا يرى أمله يسنح، قد طوى البلاد و بسطها، و تطرف الأرض و توسيطها، و لم يلف مقيلاً، و لا وجد مقيلاً، إلى الله أشكو ما أقاسى و أقاصى، و بيده الأقدام و النواصى، و لقاؤه موعد لكل موعد، و كل معمر سيدركه يوماً

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٣٢

حمام الموعد، و أنفذته و قد صدرت عن فلانته بعد أهوال لقيتها، و أنكال سقيتها، و سفر لقيت منه نصبا، و كدر أعقبني وصبا، و إلى متى يعتزنى السعد؟ و لله الأمر من قبل و من بعد؛ انتهى.

و كتب رحمه الله تعالى من رسالته: سيدى لا عدمت ارتفاعا، و لا حرمت تكيفا من السعد و اتفاقا، أنا الآن مشتغل البال، لا أفترق بين الإعراض و الإقبال، و عند توجهى أفرغ لك ما حضر، و مثلك أرجأ الأمر و أنظر، و فى علم الله تعالى لو أمكنتى لحملتك على

كاهل، و أوردتك منه أعذب المناهل، و أبحث لك السعد ثغرا ترشفه، و خلعتك بردا عليك تلتحفه، لكن الزمان لا يجد، و صروفه لا تنجد، و على أى حال فلا بد أن تجد قراك، و تحمد سراك، إن شاء الله تعالى.

و كتب إلى أبى بكر بن على عند ولايته إشبيلية: أطال الله تعالى بقاء الأمير الأجل أبى بكر للأرض يمتلكها! و يستدير بسعده فلکها! استبشر الملك و حق له الاستبشار، و أوما إليه السعد فى ذلك و أشار، بما اتفق له من توليتك، و خفق عليه من ألويتك، فلقد حبى منك بملك أمضى من السهم المسدّد: طويل نجاد السيف رحب المقلد يقدم حيث يتأخر الذابل، و يكرم إذا بخل الوابل، و يحمى الحمى كربيعة بن مكدّم، و يسقى الطبا نجيعا كلون العندم، فهنيئا للأندلس! لقد استردت عهد خلفائها، و استمدت تلك الإمامة بعد إغفائها، حتى كأن لم تمر أعاصرها، و لم يمت حكمها و لا ناصرها، اللذان عمرا الرصافة و الزهراء، و نكحا عقائل الروم و ما بدلا إلا المشرفية مهرا، و الله تعالى أسأله انتصار أيامك، و به أرجو انتشار أعلامك، حتى يكون عصرك أعجب من عصرهم، و نصرک أعز من نصرهم، و السلام؛ انتهى.

و قال بعضهم: من أحسن ما رأيت له قوله: معاليك أشهر رسوما، و أعطر نسима، من أن يغرب شهاب مسعاها، أو يجذب لرائد مرعاها، فإن نبهتك فإنما نبهت عمرا، و إن استترتك

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٣٣

فإنما أستنير قمرا، و الأمير أيده الله تعالى أجل من أعتصم فى ملكه، و أنتظم فى سلكه، فإنه حسام بيد الملك، طلاقته فرنده، و شهامته حدّه، و قضيب، فى دوحه الشرف رطيب، بشره زهره، و برّه ثمره، و قد توسّمت نارك لعلّى أفوز منها بقبس، أو تكون كنار موسى بالوادى المقدّس، و عسى الأمل أن تعلقو بكم قداحه، و يشف من أفقكم مصباحه، فجرد - أيديك الله تعالى! - صارم عزم لا يفلّ غروبه، و أطلع كوكب سعد لا يخاف غروبه؛ انتهى.

و لنذكر بعض كلامه فى «المطمح» لغرابته فى هذه البلاد المشرقية بخلاف «الفلاند» فإنها موجودة بأيدى الناس فيه.

[من ترجمة أبى بكر الزبيدي اللغوى]

قال رحمه الله تعالى فى ترجمه أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدي:

إمام اللغه و الإعراب، و كعبه الآداب، أوضح منها كلّ إبهام، و فضح دون الجهل بها محلّ الأوهام، و كان أحد ذوى الإعجاز، و أسعد أهل الاختصار و الإيجاز، نجم و الأندلس فى إقبالها، و الأنفس أول تهّمها بالعلم و اهتبالها، فنفتت له عندهم البضاعة، و اتفقت على تفضيله الجماعة، و أشاد الحكم بذكره، فأورى بذلك زناد فكره، و له اختصار «العين» للخليل، و هو معدوم النظير و المثل، و «لحن العامه» و «طبقات النحويين» و كتاب «الواضح» و سواها من كلّ تأليف مخجل لمن أتى بعده فاضح، و له شعر مصنوع و مطبوع، كأنما يتفجر من خاطره ينبوع، و قد أثبت له منه ما يقترح، و لا يطرح، فمن ذلك قوله: [مجزوء الرمل]

كيف بالدين القديم لك من أمّ تميم

و لقد كان شفاء من جوى القلب السقيم

يشرق الحسن عليها فى دجى الليل البهيم

و كتب مراجعا: [مخلع البسيط]

أغرقتنى فى بحور فكر فكدت منها أموت لّما

كلّفتنى غامضا عويصا أرجم فيه الظنون رجما

ما زلت أسرو السجوف عنه كأننى كاشف لظلما

أقرب من ليله، و أنأى مستبصرا تارة و أعمى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٣٤

حتى بدا مشرق المحيّا لما اعتلى طالعا و تما

لله من منطلق و جيز قد جلّ قدرا و جلّ فهما

أخلصت لله فيه قولاً سلّمت لله فيه حكما

إذ قلت قول امرئ حكيم مراقب للإله علما

الله ربّي وليّ نفسي في كل بوس و كلّ نعمي

و كتب إلى أبي مسلم بن فهد و كان كثير التكبر، عظيم التجبر، متغيّرا لسانه، مقفرا من المعالم جناه: [الطويل]

أبا مسلم، إنّ الفتى بفؤاده و مقوله لا، بالمراكب و اللبس

و ليس رواء المرء يغنى قلامه إذا كان مقصورا على قصر النفس

و ليس يفيد الحلم و العلم و الحجا أبا مسلم طول القعود على الكرسي

و استدعاه الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين فعمل إليه و أسرع، فأمرع من آماله ما أمرع، فلما طالت نواه، و استطالت عليه لوعته و

جواه، و حنّ إلى مستكته بإشبيلية و مثواه، استأذنه في اللحوق بها فلومه و لواه، فكتب إلى من كان يألفه و يهواه: [مخلع البسيط]

و يحكك يا سلم لا تراعى لا بدّ للبين من مساع

لا تحسبيني صبرت إلّا كصبر ميت على النزاع

ما خلق الله من عذاب أشدّ من وقفه الوداع

ما بينها و الحمام فرق إلّا المناحات في النواعي

إن يفترق شملنا و شيكا من بعد ما كان في اجتماع

فكلّ شمل إلى افتراق و كلّ شعب إلى انصداع

و كلّ قرب إلى بعاد و كلّ وصل إلى انقطاع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٣٥

[من ترجمة أبي مروان عبد الله بن المعتصم بن صمادح]

و قال- سامحه الله تعالى!- بعد ترجمة السلطان بالمرية المعتصم بن صمادح ما نصّه:

ابنه عزّ الدولة أبو مروان عبد الله، فتى الراح المعافر لدنانها، المهتصر لأغصان الفتوة و أفنانها، المهجر لفلاة الطباء و الآرام، المشتهر في

باب الصّيبانة و الغرام، نشأ في حجر أبيه نديم قهوه، و مديم صبوه، و خديم شهوه، لا يريم كاسا، و لا يروم إلّا اقتضاء و انتكاسا، ما

شهد قتلا و لا قتالا، و لا تقلّد صارما إلّا مختالا، قد أمن منه جنان الجبان، و عدّت له غصون البان، و ما زال مرتضعا لأخلاف البطالة،

مقتطعا ما شاء من إطاله، متوغّلا في شعاب الفئّاك، متغلغلا في طريق الانتهاك، إلى أن وجهه أبوه إلى أمير المسلمين سفيرا عندما

بدت له وجوه الفتنة تسفر، و معاهد الهدنة تقفر، مع أكامل أصحابهم نقصانه، و ذوى أديان جعلهم خلصانه، يسمعون بوادر بذاذته، و

ينظرون مناكر لذاذاته، فألت سفرته إلى الاعتقال، و قصرت نخوته ما بين قيد و عقال، فجاء كالمهر لا يعرف لجاما، و صار حبيس قوم

لا يألونه استعجاما، و حين شالت نعمته، و سالت عليه ظلامته، كتب إلى أبيه: [المتقارب]

أبعد السنّا و المعالي خمول و بعد ركوب المذاكي كبول

و من بعد ما كنت حرا عزيزا أنا اليوم عبد أسير ذليل

حللت رسولا بغرناطة فحلّ بها في خطب جليل

وثققت إذ جئتها مرسلا و قبلى كان يعزّ الرسول

فقدت المريّة أكرم بها فما للوصول إليها سبيل

فراجعه أبوه بقطعه منها: [المتقارب]

عزيز علىّ و نوحى دليل على ما أقاسى و دمعى يسيل

و قطعت البيض أغمادها و شقت بنود و ناحت طول

لئن كنت يعقوب فى حزنه و يوسف أنت فصبر جميل

و لم يزل يتحيل فى تخلّصه، و أخذه من يد مقتنصه، فسرق و حرّسه منه بمكان السلوك من النحر، و طرق به على ثبج البحر، فوافى

المريّة، و قد أخذ البحث عليه آفاق البريّة، فهنيء

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٣٦

المعتصم بخلاصه، و بقى مستقرّاً بعراضه، إلى أن أخلوها و مضوا لطلبه ما نووها، فنجا أخوه إلى حيث ذكرنا من بلاد الناصر و لجأ هو

إلى أحد المرابطين لأذمة كانت بينهما و أواصر، و أقام معه سمير لهوه، و أمير سهوه، إلى أن انقرض أمده، و طواه سروره لا كمدته، فلم

ير إلّا خالعا لعذاره، طالعا فى ثنّيات اغتراره، غير مكترث باتّضاعه، و لا منحرف عن ارتشاف الغيّ و ارتضاعه، و بدا منه فى هذه الحال

ندى كاثر به السحاب، و ظاهر بسببه الصّحاب، و تخدم الأوطار، و تقدم لذوى الرتب فيها و الأخطار، حسنا من ذكره، و أولع الألسن

بشكره، فارتفع عنه الكدح، و شفع له فى الذمّ ذلك المدح، و كان نظمه بديع الوصف، رفيع الرّصف، و قد أثبت له ما يشهد بإجاده

و إحسانه، شهادة الرّوض بجود نيسانه.

أخبرنى ابن القطان أنه سائر الأمير يحيى بن أبى بكر إلى طليطله فى جيوش فاضت سيلا، و خاضت المطايا قتامها ليلا، و كان ملكا لم

يعقد على مثله لواء، و لم يحتو على شبه حواء، جمال محيّيا، و كمال عليا، و حسن شيم، و بعد همم، أغنى العفاه، و أحيا الرفات، و

ألغى الأجواد، و أنسى كعب بن مامة و ابن أبى دواد، فلمّا شارف طليطله و كشفها، و اشتفّ بلالتها و ارتشفها، و ضرب بكنفها

مضاربه، و أجال بساحتها زنجه و أعاربه، سقط أحد ألويته عن يد حامله، و انكسر عند عامله، فطائفه تفاءلت، و طائفه تطيرت، و فرقة

ابتهجت، و أخرى تغيرت، فقال: [الكامل]

لم ينكسر عود اللّواء لطيرة يخشى عليك بها و أن تتأولا

لكن تحقّق أنه يندقّ فى نحر العدا ولدى الوغى فتعجلا

و أخبرنى أخوه رفيع الدولة أن ابن اللبانه كتب إليه و الخلع قد نضا لبوسه، و قصر بوسه، و كدر صفاءه، و عذر وفاءه، و طوى ميدان

جوده، و أذوى أفنان و جوده، قوله: [البسيط]

يا ذا الذى هزّ أمداحى بحليته و عزّه أن يهزّ المجد و الكرما

واديك لا زرع فيه اليوم تبدله فخذ عليه لأيام المنى سلما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٣٧

فدعته دواعى الندى، و أولعته بالجداء فى ذلك المدى، فتحيل فى برّ طبعه، و كتب معه:

[البسيط]

المجد يخجل من نقديك فى زمن ثناه عن واجب البرّ الذى علما

فدونك التّر من مصف مودّته حتى يوفّيك أيام المنى سلما

[من ترجمه أبى يحيى بن المعتصم، رفيع الدولة ابن صمادح]

ابنه الثاني: رفيع الدولة أبو يحيى بن المعتصم:

من بيت إماره، و إلى السعد طوافه بها و اعتماره، عمرت أنديته، و نشرت به رايات العزّ و ألويته، إلى أن خوى كوكبهم، و هوى مرقبهم، فنفروا أيادي سبا، و فرقوا من وقع الأسنّة و الطّبا، و فارقوا أرضا كأرض غسان، و وافقوا أياما كيوم أهل اليمامة مع حسان، بعد ما خامرت النفوس مكارمهم مخامرة الرحيق، و أمهم الناس من كلّ مكان سحيق، و انتجعوا انتجاع الأنواء، و استطعموا في المحل و اللأواء، و صالوا بالدهر و سطوا، و بين النهي و الأمر فيه خطوا، و رفيع الدولة هذا فجر ذاك الصباح، و ضوء ذلك المصباح، و غصن تلك الدّوحة، و عرف تلك النفحة، لم يمتهن و الدهر قد بذله، و لا ترك الانتصار و الأمر قد خذله، فالتحف بالصّون و ارتدى، و راح على الانقباض و اغتدى، فما تلقاه إلّا سالكا جددا، و لا تراه إلّا لابسا سؤدا، و له أدب كالروض المجود إذا زهر، و نظم كزهر التهائم و النجود بل كالصبح إذا أسفر و اشتهر، أوقفه على النسيب، و صرفه إلى المحبوبة و الحبيب، فمن ذلك قوله: [البسيط]

ما لي و للبدرا لم يسمح بزورته لعلّه ترك الإجمال أو هجرا

إن كان ذاك لذنب ما شعرت به فأكرم الناس من يعفو إذا قدرا

و له أيضا: [السريع]

يا عابد الرحمن كم ليلة أرقتني وجدا و لم تشعر

إذ كنت كالغصن ثنته الصّبا و صحن ذاك الخدّ لم يشعر

و له أيضا: [الطويل]

و أهيف لا يلوى على عتب عاتب و يقضى علينا بالظنون الكواذب

يحكمّ فينا أمره فنطيعه و نحسب منه الحكم ضربة لازب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٣٨

و له أيضا رحمه الله تعالى: [الكامل]

و علقته حلو الشمائل ماجنا خنث الكلام مرّح الأعطاف

ما زلت أنصفه و أوجب حقّه لكنه يأبى من الإنصاف

و له أيضا: [الطويل]

حبيب متى ينأى عن العين شخصه يكاد فؤادي أن يطير من البين

و يسكن ما بين الضلوع إذا بدا كأنّ على قلبي توائم من عين

و له أيضا: [الطويل]

أفدى أبا عمرو و إن كان جانبا عليّ ذنوبا لا تعدّد بالعتب

فما كان ذك الودّ إلّا كبارق أضياء لعيني ثم أظلم للقلب

و له و قد بلغه موتي، و تحقّق عنده فوتي:

مثنى الوزارة قد أودى فما فعلت تلك المحابر و الأقلام و الطّرس

ما كنت أحسب يوما قبل ميته أنّ البلاغة و الآداب تختلس

و استأذن ليّلى على أحد الأمراء و أنا عنده في أسنى موضع، و أبهى مطلع، و جوانب حفده بين يديّ محتلّة، و سحائب رفته عليّ منهلّة،

و كان أجمل من مقل، و أكمل من من المهد إلى سرير الملك قد نقل، و كتب إليّ يهنيني بقدم من سفر: [الطويل]

قدمت أبا بكر على حال وحشة فجاءت بك الآمال و اتّصل الأئس

و قرّت بك العينان و اتّصل المنى و فازت على يأس ببغيتها النفس

فأهلا وسهلا بالوزارة كلها و من رأيه في كل مظلمة شمس

[من ترجمة الوزير أبي الوليد بن حزم]

و قال في المطمح في ترجمة الوزير أبي الوليد بن حزم:

واحد دونه الجمع، و هو للجلالة بصر و سمع، روضة علاه رائقة السنا، و دوحة بهاه طيبة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٣٩

الجنى، لم يتزر بغير الصون، و لم يشتهر بفساد بعد الكون، مع نفس برئت من الكبر، و خلصت خلوص التبر، و عفاف التحف به برودا، و ما ارتشف به ثغرا برودا، فعفت مواطنه، و ما استرابت ظواهره، و لا- بواطنه، و أميا شعره ففي قالب الإحسان أفرغ، و على وجه

الاستحسان يلقي و يبلغ، و كتب إليه ابن زهر: [الكامل]

أبا الوليد و أنت سيد مذحج هلمّا فككت أسير قبضة وعده

و حياة من أمد الحياة بوصله و ذهابها حتما بأيسر صدّه

لأفانئك إن قطعت بمرهف من جفنه و بصعدة من قدّه

فراجعه أبو الوليد: [الكامل]

لبيك يا أسد البرية كلّها من صادق عبث المطال بوعدّه

يمضى بأمرك سار أو سد الفضا و يقلّ حدّ النائبات بحدّه

إيه و وافقت الصبا في معرض ذهب المشيب بهزله و بجده

[من ترجمة أبي بكر الغساني و أبي عامر بن عقال]

و قال في المطمح في ترجمة أبي بكر الغساني، ما صورته:

صليب العود، مهيب الوعود، لو دعى له الأسد الورد لأجاب، و لو رمى بذكره الليل البهيم لانجاب، و لو قعدت بين يديه الأطواد لتحرّك سكونها، و لو عصته الطيور ما أوتها و كونها، مع وقار تخاله يذبل، و فخار يفضح بلبلا، و شيم لو كانت بالروض ما ذوى، أو

تقاسمت في الخلق ما رمد أحد بعد ما شوى، و سجايا تنجلي عنها الظلماء، كأنّ مزاجها عسل و ماء؛ انتهى.

و هذا الغساني هو صاحب تفسير القرآن و قد عرّف به في «الإحاطة» فليراجع ثمة.

و قال أيضا في المطمح ما صورته: أبو عامر بن عقال.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٤٠

كان له بنى قاسم تعلق، و في سماء دولتهم تألق، فلمّا خوت نجومهم، و عفت رسومهم، انحطّ عن ذلك الخصوص، و سقط سقوط الطائر المقصوص، و تصرّف بين وجود و عدم، و تحرّف قاعدا حينا و حينا على قدم، و في خلال حاله، و أثناء انتحاله، لم يدع حظه

من الحبيب، و لا- ثنى لحظه عن الغزال الربيب، و لم يزل يطير و يقع، و الدهر يخرق حاله و يرقع، إلى أن أرقاه الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى أعلى ربوة، و أراه أبهى حظوة، فأدرك عنده رتبة أعلام التحبير و الإنشاء، و ترك الدهر قلق

الحشا، و تسنّم منزلة لا- يتسنّمها إلّا من تطهّر من درنه، و جمح إحسانه في ميدان حرنه، و الحظوظ أقسام لا تسام، و الدنيا إنارة و إعتام: [الوافر]

و لو لم يعل إلّا ذو محلّ تعالى الجيش و انحطّ القتام

و قد أثبت عنه بعض ما انتقيته، و الذي أخذته مباين لما أبقيته، فمن ذلك قوله: [مجزوء الكامل]

يا ويح أجسام الأنام فما تطيق من الأذى

خلقت لتقوى بالغذاء و سقمها ذاك الغدا

و تنال أيام السلامة بالحياة تلذذا

فإذا انقضى زمن الصبا و رمى المشيب فأنفذا

وجد السقام إلى المفاصل و الجوانح منفذا

و يقول مهما يعط شيئا ناولوني غير ذا

و هذا في هذه القصيدة حذو الصابي في قوله: [مجزوء الكامل]

وجع المفاصل و هو أي سر ما لقيت من الأذى

ردّ الذي استحسنته و الناس من حظي كذا

و العمر مثل الكاس ير سب في أواخره القذى

و له يعتذر عن زيارة اعتمادها، و مواصلة اعتقادها، فعاقته عنها حوادث لوتها، و عدته عن ذلك وثنته: [الخفيف]

بينما كنت راجيا للقائه و التشفّي بالبشر من تلقائه

و ترقت من سماء نزاعي قمر الأنس طالعا من سمائه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٤١

إذ دهاني اعتراض خطب ثنائي عن غمام يشفى الغليل بمائه

فتدلّهت و انزويت حياء منه و العذر واضح لسناؤه

و له فصل كتب به عن الأمير إبراهيم يصف إجازة أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة و خمسمائة: و في الساعة الثانية من يوم

الجمعة كان جوازه- أيده الله تعالى!- من مرسى جزيرة طريف على بحر ساكن قد ذلّ بعد استصعابه، و سهل بعد أن أرى الشامخ من

هضابه، و صار حيّه ميتا، و هذره صمتا، و جباله لا ترى فيها عوجا و لا أمتا، و ضعف تعاطيه، و عقد السلم بين موجه و شاطئه، فعب

آمنا من لهواته، متملكا لصهواته، على جواد يقطع الجوّ سبحا، و يكاد يسبق البرق لمحا، لم يحمل لجاما و لا سرجا، و لا عهد غير

اللجة الخضراء مرجا، عنانه في رجله، و هذب العين يحكى بعض شكله، فلله هو من جواد، له جسم و ليس له فؤاد، يخرق الهوى و لا

يرهبه، و يركض الماء و لا يشربه.

[من ترجمة أبي مروان الطنبلي]

و قال في ترجمة الفقيه أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي، ما نصّه:

«من ثبته شرف و حسب، و من أهل حديث و أدب، إمام في اللغة متقدّم، فارغ لرتب الشّعر متسنّم، له رواية بالأندلس و رحلة إلى

المشرق، ثم عاد و قد توجّ بالمعارف المفرق، و أقام بقربة علما من أعلامها، و متسنّما لترفعها و إعظامها، تؤثره الدّول، و تصطفيه

أملاكها الأول، ما زال فيها مقيما، و لا برح عن طريق أحانيها مستقيما، إلى أن أختيل في إحدى الليالي بقضية يطول شرحها فأصبح

مقتولا- في فراشه، مذهولا كلّ أحد من انبساط الضرب إليه على انكماشه، و قد أثبت من محاسنه ما يعجب السامع، و تصغى إليه

السامع، فمن ذلك قوله: [الطويل]

و ضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم على ما به منهم حنين الأباغر

و أصبر عن أحباب قلب ترحلوا ألا إنّ قلبي سائر غير صابر

ولما رجع إلى قرطبة و جلس ليرى ما احتقبه من العلوم، اجتمع إليه في المجلس خلق عظيم، فلما رأى تلك الكثرة، و ماله عندهم من الأثرة، قال: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٤٢
 إني إذا حضرتني ألف محبرة يكتبن حدثني طورا و أخبرني
 نادت بمفخرى الأقلام معلنة هذى المفاخر لا قعبان من لبن
 و كتب إلى ذى الوزارتين أبى الوليد بن زيدون: [البسيط]
 أبا الوليد و ما شطت بنا الدار و قلّ منّا و منك اليوم زوّار
 و بيننا كلّ ما تدريه من ذمم و للصبأ ورق خضر و أنوار
 و كلّ عتب و إعتاب جرى فله بدائع حلوة عندي و آثار
 فاذكر أحاك بخير كلما لعبت به الليالى فإنّ الدهر دوّار

[من ترجمة الفقيه أبى عمر أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد]

و قال فى ترجمته صاحب العقد الفقيه العالم أبى عمر أحمد بن عبد ربه:
 عالم ساد بالعلم و رأس، و اقتبس به من الحظوة ما اقتبس، و شهر بالأندلس حتى سار إلى المشرق ذكره، و استطار شرر الذكاء فكره،
 و كانت له عناية بالعلم و ثقته، و رواية له متسقة، و أمّا الأدب فهو - كان - حجته، و به غمرت الأفهام لجته، مع صيانه و ورع، و ديانته
 ورد ماها فكرع، و له التأليف المشهور الذى سماه ب «العقد»، و حماه عن عشرات النقذ؛ لأنه أبرزه مثقف القناه، مرهف الشباه، تقصر
 عنه ثواقب الألباب، و تبصر السحر منه فى كل باب، و له شعر انتهى منتهاه، و تجاوز سماك الإحسان و سماه.

أخبرنى ابن حزم أنه مرّ بقصر من قصور قرطبة لبعض الرؤساء فسمع منه غناء أذهب لئبه، و ألهب قلبه، فبينما هو واقف تحت القصر إذ
 رشّ بماء من أعاليه، فاستدعى رقعة، و كتب إلى صاحب القصر بهذه القطعة: [البسيط]
 يا من يضنّ بصوت الطائر الغرد ما كنت أحسب هذا الضنّ فى أحد
 لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة أصغت إلى الصوت لم ينقص و لم يزد
 فلا تضنّ على سمعى و منّ به صوتا يجول مجال الروح فى الجسد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٤٣
 أمّا النبيذ فإني لست أشربه و لا أحبل إلّا نسوتى بيدي
 و عزم فتى كان يتألفه، و خامره كلفه، على الرحيل فى غده، فأذهبت عزمته قوى جلده، فلما أصبح عاقته السماء بالأنواء، و ساقته
 مكرها إلى الثواء، فاستراح أبو عمر من كمده، و انفسح له من التواصل ضائق أمده، فكتب إلى المذكور، العازم على البكور:
 [البسيط]

هلا ابتكرت ليين أنت مبتكر هيهات يابى عليك الله و القدر
 ما زلت أبكى حذار اليين ملتها حتى رثى لى فيك الريح و المطر
 يا برده من حيا مزن على كبد نيرانها بغليل الشوق تستعر
 آليت أن لا أرى شمسا و لا قمرا حتى أراك فأنت الشمس و القمر
 و من شعره الذى صرح به تصريح الصبّ، و برح به وقائع اسم الحبّ، قوله: [البسيط]
 الجسم فى بلد و الروح فى بلد يا وحشة الروح بل يا غربه الجسد

إن تبك عيناك لى يا من كلفت به من رحمة فهما سهماك فى كبدى
و منه قوله: [الخفيف]

ودعنتى بزفرة و اعتناق ثم نادى متى يكون التلاقى
و بدت لى فأشرق الصبح منها بين تلك الجيوب و الأطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشاق
إنّ يوم الفراق أفضع يوم ليتنى متّ قبل يوم الفراق
و له أيضا: [الكامل]

يا ذا الذى خطّ الجمال بخدّه خطّين هاجا لوعه و بلا بلا
ما صحّ عندى أنّ لحظك صارم حتى لبست بعارضيك حمائلا
و أخبرنى بعضهم أنّ الخطيب أبا الوليد بن عيال حجّ، فلمّا انصرف، تطّلع إلى لقاء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٤٤
المتنبى و استشرف، و رأى أنّ لقياه فائده يكتسبها، و حلمه فخر لا يحتسبها، فصار إليه فوجده فى مسجد عمرو بن العاص، ففاوضه
قليلا، ثم قال: أنشدنى لمليح الأندلس، يعنى ابن عبد ربه، فأنشده: [الكامل]

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رقيقا
ما إن رأيت و لا سمعت بمثله درّا يعود من الحياء عقيقا
و إذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطّع خصره من رقّة ما بال قلبك لا يكون رقيقا
فلمّا أكمل إنشادها استعادها منه، و قال: يا ابن عبد ربه، لقد تأتيتك العراق حبوا.
و له أيضا: [الكامل]

و معدّر نقش الجمال بخطّه خدّا له بدم القلوب مضرجا
لمّا تيقن أنّ سيف جفونه من نرجس جعل التّجاد بنفسجا
و له أيضا: [الطويل]

و ساحبه فضل الذّيول كأنها قضيب من الريحان فوق كثيب
إذا ما بدت من ثغرها قال صاحبى أظعننى و خذ من وصلها بنصيب
و له أيضا: [الرملى]

هيج الشوق دواعى سقمى و كسا الجسم ثياب الألم
أيها البين أفلنى مرّة فإذا عدت فقد حلّ دمي
يا خلّى الروع نم فى غبطه إنّ من فارقت لم ينم
و لقد هاج بجسمى سقما حبّ من لو شاء داوى سقمى

و بلغ سنّ عوف بن محمّم، و اعترف بذلك اعتراف متألّم، عند ما وهت شدّته، و بليت جدّته، و هو آخر شعر قال، ثم عثر فى أذيال
الردى و ما استقال: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٤٥
كلانى لما بى عادلى كفانى طويت زمانى برهه و طوانى

بليت و أبلت الليالي مكرها و صرفان للأيام معتوران
 و ما لى لا أبلى لسبعين حجة و عشر أتت من بعدها سنتان
 فلا تسألانى عن تباريح علتى و دونكما منى الذى تريان
 و إنى بحول الله راج لفضله ولى من ضمان الله خير ضمان
 و لست أبالى من تباريح علتى إذا كان عقلى باقيا و لسانى
 و فى أيام إقلاعه عن صبوته، و ارتجاعه عن تلك الغفلة و أوبته، و انثنائه عن مجون المجون إلى صفاء توبته، مخص أشعاره فى الغزل
 بما ينفياها، و نصل من قوادمها و خوفاها، بأشعار فى الزهد على أعاريضها و قوافيها، منها القطعة التى أولها: [البسيط]
 هلا ابتكرت ليين أنت مبتكر
 مخصها بقوله: [البسيط]

يا راقدا ليس يعفو حين يقتدر ما ذا الذى بعد شيب الرأس ينتظر
 عاين بقلبك إن العين غافله عن الحقيقة و اعلم أنها سقر
 سوداء تزفر من غيظ إذا سمرت للظالمين فلا تبقى و لا تذر
 لو لم يكن لك غير الموت موعظة لكان فيه عن اللذات مزدجر
 أنت المقول له ما قلت مبتدئا: «هلا ابتكرت ليين أنت مبتكر»

[من ترجمة أبي القاسم المنيشى]

و قال فى ترجمة أبى القاسم المنيشى، ما صورته:
 أبو القاسم المنيشى، أحد أبناء حضرة إشبيلية المقلين، الناهضين بأعباء الضرائر المستقلين، لم يزل يعيشو لكل ضوء، و ينتجع مصاب
 كل نوء، فيوما يخصب، و يوما يجذب، و آونة يفرح و أخرى ينتدب، إلى أن صدقت مخايله، فرمقت بخوته و تحايله، و أتى من
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٤٦
 العجب، بمنسدل الحجب، و من الأشهر، ما لم يأت من بشر، و ما تصرف إلّا فى أنزل الأعمال، و لا تعرف إلّا بأخون العمال، لم يفرع
 ربوة ظهور، و لم يفرع باب رجل مشهور، و له أدب و لسن، و مذهب فيهما يستحسن، لكنه نكب عن المقطع الجزل، و ذهب مذهب
 الهزل، إلّا فى النادر فرما جدّ، ثم أخلق منه ما استجدّ، و عاد إلى ديدنه، عودة أبى عباد إلى واواته و مدنه، و أخذ فى ذلك الغرض،
 و ليس شرط كتابى بذاه، و لا أن يقف حذاه، و قد أثبت له ما هو عندى نافق، و لغرض كتابى موافق، فمن ذلك قوله: [البسيط]
 يا روضة باتت الأنداء تخدمها أتى النسيم و هذا أول السحر
 إن كان قدك غصنا فالشراء به مثل الكمائم قد زرت على الزهر
 اربأ بخديك عن ورد و عن زهر و اغن بقرطيك عن شمس و عن قمر
 يا قاتل الله لحظى كم شقيت به من حيث كان نعيم الناس بالنظر
 و له من رثاء فى والدتى رحمة الله عليها: [البسيط]
 يا ناصحى غير مفتات و لا شجن على النصائح و النصائح مفتات
 لا أستجيب و لو ناديت من كذب و قد قدنتى تعلات و علات
 إن كان رأيك فى بزى و تكرمتى بحيث قد ظهرت منه علامات
 لا ترض لى غير شجو لا أفارقه فذاك أختاره و الناس أشتات

و منها:

يا ذا الوزارات من مثني و واحدة لله ما اصطنعت منك الوزارات
لله منك أبا نصر أخو جلد إذا ألمت ملّمت مهمّات
أستودع الله نورا ضمّه كفن كما توارى بدور التّم هالات
قضت و ليت شبابي كان موضعها هيهات! لو قضيت تلك اللّبانات
مضت و لمّا يقيم من دونها أحد هلّا و قد أعذرت فيها المروءات
و له يصف زرزورا: [مخلع البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٤٧
أمبر ذاك أم قضيب يفرعه مصقع خطيب
يختال في بردتي شباب لم يتوضّح بها مشيب
كأنما ضمّخت عليه أبراده مسكّه و طيب
أخرس لكنه فصيح أبله لكنه لبيب
جهم على أنه وسيم صعب على أنه أريب

[من ترجمة أبي الحسن البرقي]

أبو الحسن البرقي:

بلنسى الدار، نفيسى المقدار، ما سمعت له بشرف، و لا علمت له بسلف، و لا أطلعت منه على غير سرف، ورد إشبيلية سنة تسع و تسعين و أربعمائ، و اتّصل بابن زهر، فناهيك من حظّ في أكنافه جال، و من لحظ فيما أراده أجال، و من أمل استوفر، و حظّ مسك أذفر، و من وجه جاه له أسفر، سلك به ساحة الرغائب، و تملك بسببه إباحة الحاضر و الغائب، و قال فما نبذت مقالته، و أقال فما قيدت إقالته، و كان حلو المجالسة، مجلّو المؤانسة، ذا نشب وافر، و مذهب في المساهمة سافر، إلّا أنه كان كلفا بالفتيان، معنّى بهم في كل الأحيان، و تيف على السبعين و هو برداء الصبوة مرتدّ، و بعترها معتدّ، مع أدب زهرته ترفّ، و كأنه بحر و الألباب منه تغترف، و قد أثبتّ له بعض ما وجدت له في الغلمان، و أنشدت له في تلك الأزمان، فمن ذلك قوله رحمه الله تعالى: [الخفيف]

إن ذكرت العقيق هاجك شوق ربّ شوق يهيجه الاذكار
يا خليلي حدثاني عن الركّ ب سحيرا أ أنجدوا أم أغاروا
شغلونا عن الوداع و ولّوا ما عليهم لو ودّعوا ثم ساروا
أنا أهواهم على كلّ حال عدلوا في هواهم أم جاروا

و علق بإشبيلية فتى يعرف باين المكر، و بات من حبّه طريحا بين أيدي الوسوس و الفكر، لا يمشى إلّا صبّا، و لا يفشى إلّا غراما و حبا، و ما زال يقاسى لوعته، مقاساة يناجى بها صرعته، و يكابد جواه، و يلازم هواه، حتى اكتسى خدّه بالعدار، و انمحت عنه بهجة آذار،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٤٨

فسلا من كلفه، و تصدّى ذلك لمواصلته بصلته، فقال: [الكامل]

الآن لمّا صوّحت و جناته شوكا و أضحت سلوة العشاق
و استوحشت منه المحاسن و اكتست أنوار وجهك واهن الأخلاق

أمسيت تبذل لى الوصال تصنعا خلق اللئيم و شيمه المذاق
هلا وصلت إذ الشمائل قهوة و إذ المحيا روضة الأحداق
يا كم أطلت غرام قلب موجع كم قد ألّب إليك بالأشواق
ما كنت إلّا البدر ليلة تمه حتى قضت لك ليلة بمحاق
لاح العذار فقلت وجد نازح إن ابن دايه مؤذن بفراق
و له فيه مناقضا لذلك الغرض، معارضا للوعه سلوه الذى كان عرض: [الطويل]

يلومون فى ظبى تزايد حسنه بخطين خطا لوعتى و غراميا
و قد كنت أهوى خده و هو عاطل فكيف و قد أضحى لعينى حاليا
و له أيضا فى مثله: [الوافر]

أجيل الطرف فى خد نضير يرّد ناظرى نظرى إليه
إذا رمدت بحمرته جفونى شفاها منه إثم عارضيه

[من ترجمة أبى الحسن على بن جودى]

أبو الحسن على بن جودى:

برز فى الفهم، و أحرز منه أوفر سهم، و عانى العلوم بقريحه ذكّية، و واخى بنفس فى المعارف زكية، و له أدب واسع مداه، يانع
كالروض بلله نداء، و نظم أرق من دمع العانى، و لطيف المعانى، و أعقب من نفس الخمائل، فى أكف الصّيبا و الشمائل، و نشر كالزهر
المطلول أو السلوك المحلول، إلّا أنه سها فأسرف، وزها بما لا يعرف، و تصدى إلى الدين بالافتراء، و لم يراقب الله تعالى فى ذلك
الاجتراء، و اشتهرت عنه فى ذلك أقوال سدّد إلى الملة نصالها،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٤٩

و أبدى بها ضلالها، فعظمت به المحنة، و كمنت له فى كل نفس إحنه، و ما زال يتدرّج فيها و ينتقل، حتى عثر و ما كاد يستقل، فمرّ
لا يلوى على تلك النواحي، و فز لا ينثنى إلى لوائى و لواحي، و ما زال يركب الأهواء و يخوضها، و يذلّ النفس بها و يروضها، حتى
أسمحت ببعض الإسماح، و كفت عن ذلك الجماح، و استقرّ عند أبى مالك فأواه، و مهّد له مشواه، و جعله فى جملة من اختصّ من
المبطلين، و استخلص من المعطلين، فكثيرا ما يصطفئهم، و لا يدري أى يدخرهم أم يقتنيهم، و قد أثبت له ما يبهر سامعا، و يظهر برقا
لامعا، فمن ذلك قوله: [الطويل]

أحنّ إلى ريح الشمال فإنها تذكّرنا نجدا و ما ذكرنا نجدا
تمرّ على ربيع أقام به الهوى و بدّل من أهليه جائمه ريدا
فيا ليت شعرى هل تقضى لبانه فأرتشف اللّميا و أعتق القدا
خليلى، لا و الله ما أحمل الهوى و إن كنت فى غير الهوى رجلا جلدا
و قوله أيضا: [الطويل]

سل الركب عن نجد فإنّ تحية لساكن نجد قد تحمّلها الركب
و إلّا فما بال المطى على الوجى خفافا و ما للريح مرجعها رطب
و قوله أيضا: [الطويل]

إذا ارتحلت غربيّة فاعرضا لها فبالغرب من نهوى له البلد الغربا

لقد ساءنا أنا بعيد و أننا بأرضين شتى لا مزارا و لا قربا
 يفجّعنا إما بعدا مبرّح و إما أمور باعثات لنا كربا
 ظعنا على حكم الليالى و خطبها فيا ليت لم ندر الليالى و لا الخطبا
 و كنت أرجى الدهر بعد الذى مضى ديارا و قربا و الأصادق و الصحبا
 أ حقا يسير الركب لم ترتحل بنا إليك و لم تحد الحداة لنا ركبا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٨؛ ص ٢٤٩
 قوله أيضا: [الطويل]

لقد هيّج النيران يا أمّ مالك بتدمير ذكرى ساعدتها المدامع
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٥٠
 عشية لا أرجو لقاءك عندها و لا أنا أن يدنو مع الليل طامع
 و قوله أيضا: [الطويل]

حننت إلى البرق اليماني، و إنما نعالج شوقا ما هنالك هانيا
 فيا راكبا يطوى البلاد تحمّلن تحيتنا إن كنت تلجأ لاقيا
 ليالينا بالجزع جزع محجّر سقى الله يا فيحاء تلك اللياليا
 و ما ضرّ صحبى وقفه بمحجّر أحبى بها تلك الرسوم البواليا
 و له أيضا: [الطويل]

خليلى من نجد فإنّ بنجدهم مصيفا لبيت العامرى و مربعا
 ألا رجعا عنها الحديث فإننى لأغبط من ليلى الحديث المرجعا
 عزيز علينا يا ابنه القوم أننا غريبان شتى لا نطق التجمعا
 فريق هوى متايمان و مشتم يحاول ياسا أو يحاول مطمعا
 كأننا خلقنا للنوى، و كأنما حرام على الأيام أن نتجمعا

[نماذج من شعر الفتح بن خاقان]

و وجدت له فى بعض نسخ «المطمح» قوله أيضا: [الطويل]
 سقى دارك اللائى بطن محصّب مئاكيل من وفد الغمام المرّح
 ألم تعلمى يا فتنة القلب أننى تطارحت من حبى لكم كلّ مطرح
 إذا نعبت غريبان دار وجدتنى و شوقى مقيم بين ناء و نّرح
 و له أيضا: [الوافر]

ألا خبر و للبلوى ضروب و فيك لكلّ مشتاق حبيب
 حباك الله بالنعمة فنونا و جرّ لكم مع النعمى خطوب
 متى تقضى بخسفتك الليالى و تعصف فيكم ربح هبوب
 فإنكم تجزّون المنايا و تعمر من مجانكم قلوب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٥١

وقد ذكر في «المطمح» له تخميسا جاريا على ألسنة الناس إلى الآن، و هو: [المتقارب]

أيا ساكنين بأرض اللوى وصالكم لسقامى دوا
و عافاكم الله من ذا الجوى ملكتم فؤادى فصار الهوى
على رقيب رقيب رقيب
ولما تبدت لهم حالتى و ما حرّك الهجر من زفرتى
بكوا رحمة لى من ساعتى فقلت متى الوصل يا سادتى
فقالوا قريب قريب قريب

و هو و إن لم يكن فى ذروة البلاغة فقد ذكرته؛ لأنه مطروق بالمغرب عند أهل التلاحين و غيرهم.

[نماذج من نثر الفتح بن خاقان]

ولنذكر بعض نصّ خطبة المطمح، قال رحمه الله تعالى فيه: أما بعد حمد الله الذى أشعرنا إيماناً وإلهاماً، و صير لنا أفهاماً، و يسر لنا برود آداب، و نشرت للانبغات لإثباتها و الانتداب، و صلى الله على سيدنا محمد الذى بعثه رحمة، و نبأه مئة مئة منه و نعم، و سلم تسليمًا، فإنه كان بالأندلس أعلام، فتنوا بسحر الكلام، و لقوا منه كلّ تحية و سلام، فشعشعوا البدائع و روقوها، و قلّدها بمحاسنهم و طوقوها، ثم هوروا فى مهاوى المنايا، و انطوا بأيدي الرزايا، و بقيت مآثرهم الحسان، غير مثبتة فى ديوان، و لا مجملّة فى تصنيف تجتلى فيه العيون، و تجتنى منه زهر الفنون، إلى أن أراد الله تعالى إظهار إعجازها، و اتصال صدورها بأعجازها، فحلت من الوزير أبى العاصى حكم بن الوليد عند من رحب و أهل، و أعلّ بمكارمه و أنهل، و ندبني إلى أن أجمعها فى كتاب، و أدركنى من التنشط إلى إقبال ما ندب إليه، و كتابة ما حثّ عليه، فأجبت رغبته، و حليت بالإسعاف لثبته، و ذهبت إلى إبدائها، و تخليد عليائها، و أمليت منها فى بعض أيام، ثلاثة أقسام: القسم الأول يشتمل على سرد غرر الوزراء، و تناسق درر الكتاب و البلغاء. القسم الثانى: يشتمل على محاسن أعلام العلماء، و أعيان القضاء و الحكماء. القسم الثالث: يشتمل على ذكر محاسن الأدباء، النوايغ النجباء؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٥٢

و هذه خطبة «المطمح الصغير»، و أمّا الكبير و الأوسط فضمنهما ذكر الملوك و السلاطين حسبما نقلنا بعضه فيما مرّ من هذا الكتاب، على أننا نقلنا بعضاً من الصغير أيضاً، فليعلم ذلك من يقف على هذا الكتاب، و من له أدنى ممارسة، و ليراجع من الترجمة الفرق بين كلامه فى الصغير و غيره، و بالجملة فما رأيت و لا سمعت أحلى من عبارة الفتح رحمه الله تعالى فى تحلية الناس، و وصف أيام الأئس، و ليس الخبر كالعيان، و قد سردنا بعض كلامه فى «القلائد» و فى «المطمح».

[نماذج من نثر الفتح بن خاقان]

و لنرجع الآن إلى ما كتنا بصدده من أمر التوشيح فنقول: و تمام موشحة ابن سهل التى عارضها لسان الدين هو قوله:

هل درى ظبى الحمى أن قد حمى قلب صبّ حلّه عن مكنس
فهو فى حرّ و خفق مثل ما لعبت ريح الصبا بالقبس
يا بدورا أطلعت يوم النوى غررا تسلك فى نهج الغرر
ما لقلبي فى الهوى ذنب سوى منكم الحسن و من عيني النظر
أجتني اللذات مكلوم الجوى و التذاذى من حبيبي بالفكر

كلّما أشكوه وجدا بسما كالرّبا بالعارض المنبجس
 إذ يقيم القطر فيها مأتما و هي من بهجتها في عرس
 غالب لي غالب بالتؤده بأبي أفديه من جاف رقيق
 ما رأينا مثل ثغر نضده أقحوانا عصرت منه رحيق
 أخذت عيناه منه العريده و فؤادي سكره ما إن يفيق
 فاحم الجمّة معسول اللمي أكحل اللحظ شهّي اللّمس
 وجهه يتلو «الضحى» مبتسما و هو من إعراضه في «عبس»
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٥٣
 أيها السائل عن ذلّي لديه لي يجنى الذنب و هو المذنب
 أخذت شمس الضّحى من وجنتيه مشرقا للصبّ فيه مغرب
 ذهبت أدمع أجفاني عليه و له خدّ بلحظي مذهب
 يطلع البدر عليه كلّما لاحظته مقلتي في الخلس
 ليت شعري أيّ شيء حرّما ذلك الورد على المغترس
 كلّما أشكو إليه حرقى غادرتني مقلتاه دنفا
 تركت ألحاظه من رمقى أثر النمل على صمّ الصفا
 و أنا أشكره فيما بقي لست ألحاه على ما أتلفا
 فهو عندي عادل إن ظلما و عدولي نطقه كالخرس
 ليس لي في الحبّ حكم بعد ما حلّ من نفسي محلّ التّفنّس
 منه للنار بأحشائي اضطرّام يلتظي في كلّ حين ما يشا
 و هي في خديّه برد و سلام و هي ضرّ و حريق في الحشا
 أتقى منه على حكم الغرام أسد الغاب و أهواه رشا
 قلت لَمَا أن تبدّي معلما و هو من ألحاظه في حرس
 أيها الآخذ قلبي مغنما اجشاء الوصل مكان الخمس

[بعض أهل المغرب يعارض موشحة ابن سهل]

و قد عارض هذا الموشح أيضا بعض متأخري المغاربة فقال:
 يا عريب الحيّ من حيّ الحمى أنتم عيدي و أنتم عرسي
 لم يحل عنكم ودادي بعد ما حلتم لا و حياة الأنفس
 من عذيري في الذي أحببته مالك قلبي شديد البرحا
 بدر تمّ أرسلت مقلته سهم لحظ لفؤادي جرحا
 إن تبدّي أو تتنّى خلته غصن بان فوقه شمس ضحي
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٥٤
 تطلع الشمس عشاء عند ما تنجلي منه بأبهي ملبس

و ترى الليل أيضا منهزما و ترى الصبح أيضا فى الغلس
يا حياة النفس صل بعد النوى و الها مضنى شديد الشغف
قد براه السقم حتى ذا الهوى كاد أن يفضى به للتلف
آه من ذكر حبيب باللوى و زمان بالمنى لم يسعف
كنت أرجو الطيف يأتى حلما عائدا يا نفس من ذا فإياسى
هل يعود الطيف صبّا مغرما ساهرا أجفانه لم تنعس
همت فى أطلال ليلى و أنا ليس فى الأطلال لى من أرب
ما مرادى رامة و المنحنى لا و لا ليلى و سعدى مطلبى
إنما سؤلى و قصدى و المنى سيد العجم و تاج العرب
أحمد المختار طه من سما أشرىف ابن الشرىف الكيس
خاتم الرسل الكرىم المسمى طاهر الأصل زكى النفس
و قال فى مباراه هذه الموشحات السابقه:
لا تلمنى يا عدولى تأثما ما ترى جسمى بسقم قد كسى
مثل ما شرح غرامى علما حيث أشكو وحشه من مؤنس
ظبى أنس عن فؤادى نفرا و فؤادى مكتو من صدّه
و عدولى فى هوى الحبّ فرى بلام مذ نهى عن ودّه
أنت أعمى يا عدولى ما ترى يانع الورد بدا من خدّه
و له ثغر إذا ما ابتسما كبروق أو مضت فى الغلس
و ثناياه كدرّ نظما فضياها فى الدّجى كالقبس
كم ترى سحرا بجفنيه بدا لفؤاد فى الهوى أضحى كليم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٥٥
ليس سحر مقلتى هذا سدى يا فؤادى إن شفى السحر السقيم
خيفه أوجس قلبى و غدا راحلا صبرى وها شوقى مقيم
يا إله العرش يا ربّ السما يا عليما بضمير الأنفس
قلبى الولهان يشكو ألما من جفا ظبى أغنّ أكيس
أعيد يسبى البرايا بالمقل أدعج الجفن بعينه حور
لو رأته الشمس أضحت فى خجل و هو للبدر بوجه قد قمر
من معانى حسنه رقّ الغزل فى غزال قد غزاني بالنظر
أخذ بالروح منى كلّما رمق الصبّ بطرف أنعس
يقنص الأسد بلحظ قد رمى أسهما تفتك من غير قسى
يا رعى الله زمانا سلفا بلويلات تقصّت بانسراح
مثل دينار و هاقد صرفا فى الدّ العيش مع حبّ وراح
فاعذروا القلب الذى قد شغفا بحبيب ما له عنه براح

بدر تمّ أهيف حلو اللمي ريقه شهد شهىّ اللّمس
كسلاف عهدها قد قدما تنجلي في كأسها كالعرس
قهوة بكر عجوز عتقت زمنا في دنّها من قبل نوح
هى لّمّا في زجاج أشرقت شمس راح غربت في كل روح
جددت بسطا و كم قد مزّقت قلب صبّ في غبوق و صبوح
حلف الخّمّار عنها قسما أنّها بالمكث كادت تنتسى
فاسقنى صرفا و لا تمزج بما راحة كم أذهبت من عبس
في رياض قد شدا شحروره عاطنيها بين أكناف الشجر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٥٦
و انظم الشمل ودع منتوره حول ورد و أقاح و زهر
و إذا الطلّ بدا شبروره كلّ الأوراق منه بالدرر
ما ترى الريحان عبدا خدما حيث أضحى واقفا في المجلس
جلس النسرين لكن ربّما استحت منه عيون النرجس
فتنزه في رياض خضر و غصون غرّدت فيها هزار
و انتشق عرف زهور عطر ياسمين زيتته الجلنار
و شذا الزهر كمسك أذفر و اقبل العذر لابن البزدار
طامع في رحمة الله و ما خاب عبد طامع لم يياس
يا إلهى جد علينا كرما يا كريما قبل أخذ الأنفس

[موشحة لسان الدين بن الخطيب]

رجع إلى موشحات ابن الخطيب:

قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى: و ممّا قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون و طمس الآن رسمها:

ربّ ليل ظفرت بالبدر و نجوم السماء لم تدر
حفظ الله ليلنا و رعى أى شمل من الهوى جمعا
غفل الدهر و الرقيب معا ليت نهر النهار لم يجر
حكّم الله لى على الفجر
عللّ النفس يا أبا العرب بحديث أحلى من الضرب
فى هوى من وصاله أربى كلّما مرّ ذكر من تدرى
قلت يا برده على صدرى
صاح لا تهتمم بأمر غد و أجز صرفها يدا بيد
بين نهر و بلبل غرد و غصون تميل من سكر
أعلنت يا غمام بالشكر
يا مرادى و منتهى أملى هاتها عسجدية الحلل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٥٧
 حلّت الشمس منزل الحمل و برود الربيع فى نشر
 و الصبا عنبرية النّشر
 غرّة الصبح هذه وضحت و قيان الغصون قد صدحت
 و كأنّ الصبا إذا نفحت و هفا طيها عن النّصر
 مدحة فى علا بنى نصر
 هم ملوك الورى بلا ثنيا مهّدوا الدين زينوا الدنيا
 و حمى الله منهم العليا بالإمام المرفّع الخطر
 و الغمام المبارك القطر
 إنّما يوسف إمام هدى حاز فى المعلوات كلّ مدى
 قل لدهر بملكه سعدا افتخر جملة على الدهر
 كافتخار الربيع بالزهر
 يا عماد العلاء و المجد أطلع العيد طالع السعد
 و وفى الفتح فيه بالوعد و تجلّت فيه على القصر
 غرر من طلائع النّصر
 فتهنأ من حسنه البهج ب حياة النفوس و المهج
 و استمعها ودع مقال شجى قسما بالهوى لذى حجر
 ما لليل المشوق من فجر
 و من بديع موشحات لسان الدين رحمه الله تعالى قوله:
 كم ليوم الفراق من غصّه فى فؤاد العميد
 نرفع الأمر فيه و القصّه للولى الحميد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٥٨
 رحل الرّكب يقطع البيدا بسفين النّياق
 كلّ و جنا تتلع الجيدا و تبدّ الرفاق
 حسبت ليلة اللقا عيدا فهى ذات اشتياق
 صائمات لا تقبل الرّخصه قبل فطر و عيد
 فهى مذ أمّلته مختصّه بجهد جهيد
 و منه فى آخره:
 يا إمام العلاء و الفخر ذا السنّا المبهج
 هاكها لا عدمت فى الدهر آملا يرتجى
 عارضت قول بايع التمر بمقال شجى
 غرّبوك الجمال يا حفصه من مكان بعيد
 من سجلماسه و من قفصه و بلاد الجريد

[لسان الدين يؤلف كتاب: جيش التوشيح، ثم يذيل عليه وزير القلم بالمغرب عبد العزيز القشتالي و موشحة أبي العقاد]

وقد أُلّف - رحمه الله تعالى! - في هذا الفن كتابه المسمى بـ «جيش التوشيح»، و أتى فيه بالغرائب، و ذُيّل عليه صاحبنا وزير القلم بالمغرب العلم الشهير المنفرد في عصره بحيازة قصب السبق في البلاغة سيدي عبد العزيز بن محمد القشتالي - رحمه الله تعالى! - بكتاب سماه «مدد الجيش» و استهله بقوله: حمدا لمن أمدّ جيش محمد بعترته. و أتى فيه بكثير من موشحات أهل عصرنا من المغاربة، و ضمّنه من كلام أمير المؤمنين مولانا المنصور أبي العباس أحمد الشريف الحسنى - رحمه الله تعالى و رضوانه عليه! - ما زاده زينا، و أخبرنى - رحمه الله تعالى! - أنه ذكر فيه لأهل العصر فى أمير المؤمنين و لأمير المؤمنين المذكور أزيد من ثلاثمائة موشح، و لا حرج فى إيراد بعضها هنا، فمنها قول أحد الوافدين من أهل مكّة على عبته السلطان مولانا المنصور، و هو رجل يقال له «أبو الفضل بن محمد العقاد» و قد عارض بها موشحتى لسان الدين و ابن سهل السابقتين:

ليت شعرى هل أروى ذا الظما من لمى ذاك الثغير الألعس

و ترى عيناى ربّات الحمى باهيات بقدود ميس

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٥٩

يدخلون السقم من دار اللوى كلم الهجر فؤادى و أسر

هدّ من ركن اصطبارى و القوى مبدلا أجفان نومى بالسّهر

حين عزّ الوصل عن وادى طوى هملت أعين دمعى كالمطر

فعاكم أن تجودوا كرما بلقاكم فى سواد الحنّس

و تداووا قلب صبّ مغرما من جراحات العيون النّعس

كلّما جنّ ظلام الغسق هزّنى الشوق إليكم شغفا

و اعترانى من جفاكم قلّقى مذ تذكرت جيادا و الصفا

و تناهت لوعتى من حرقى ثم زاد الوجد فى التلّفا

فانعموا لى ثم جودوا لى بما يطف نيران الجوى ذى القبس

ساعة لى من رضاكم مغنما و تداوى جتتى مع نفسى

كنت قبل اليوم فى زهو وتيه مع أحبابى بسلع ألعب

و معى ظبى بإحدى و جنتيه مشرق الشمس و أخرى مغرب

فرمانى بسهام من يديه ضارب البين فقلبى متعب

لست أرجو للقاهم سلّما غير مدحى للإمام الأراس

أحمد المحمود حقّا من سما الشريف ابن الشريف الكيس

[موشحة لبعض أهل مراکش]

و منها قول بعض المراكشيين:

و اخجلتنا للصبح و الشمس إذ لاح جؤذر

ساق يدير الكؤوسا تضىء خمرا و تزهر

تقادت فى الدنان من عهد نوح ترؤق

فى لونها البهرمانى تدار فىنا و تعبق
 قد أطلعت من عنان من عن صبح يرقق
 يسعى بها من ملاح من كان باللحظ يسكر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٦٠
 بالحسن يصبى الجليسا و يستخف الموقر
 يثير كامن وجد فى قلب كل سقيم
 يسطو علينا بقد يزرى بغصن قويم
 أشقى بعشقى و ودى فى جنه و نعيم
 من ذى الوجوه الصباح يا شادنا غن و اذكر
 و هات لحنا نفيسا نرويه عنك و نأثر
 فى مدح من ساد طفلا هذى البرايا وفاقا
 من حاز مجدا و فضلا بين الأنام وفاقا
 فى عدله قال قولا يسرى فيعدو العراقا
 فى أحمد ذى السماح فى الشرق و الغرب ينصر
 أحيا الهدى و النفوسا و ذل مله قيصر
 تراه سلما و حربا من رأيه فى جنود
 يختال لم يبع عجا من عزه فى برود
 يهوى المعالى كسبا و يقتنيها بجود
 فخار أهل البطاح و عز من قد تمصر
 ثناه يملا الطروسا عن صورة المجد عبر
 ملك بنى فى البديع منازل كالدراى
 فى له من صنيع الروض و الماء جارى
 و قل بصوت رفيع إذ بان فجر النهار
 أهدي نسيم الصباح مسكا شميما و عنبر
 و جىء بها خندريسا من خد ساقه تعصر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٦١

[موشحة للسلطان منصور و مقطوعات أخرى من نظمه]

و من موشحات السلطان المنصور المذكور:
 ريان من ماء الصبا أهيف و ممتلى البرد
 كالغصن هزته الصبا فوق الربا الشهب
 قد قلت لما أن سبى بحسنه يسبى
 من عينه سل ظبا و غمدها قلبى

أسرني ماضى الشبا أوظف مرّح القدّ
يا فاضح الروض سنا و مخجل البدر
و قاطعى ظلما عنا و من مقرّه صدرى
ألم تكن شمس دنا فإنها تجرى
علّفته من الظبا أسجف يسطو على الأسد
قلت له و قد نهّد و جدّ فى حربى
و غلب الظبى الأسد و فاز بالغلب
الشمس برجها الأسد فاسعى إلى قلبى
و لم يحضرنى الآن تمامها.

و منها قوله يعارض لسان الدين و ابن الصابونى:
و ليالى الشعور إذ تسرى ما لنهر النهار من فجر
حبّذا الليل طال لى وحدى لو ترانى جعلته بردى
فاطميا فى خلعة الجعدى هى ليلى أخت بنى بشر
فأين أنت يا أبا بدر

كم سقطنا أطف من ظلّ و اجتمعنا و ما در ظلّى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٦٢
و استرحنا من كاشح نذل ربّ ليل ظفرت بالبدر
و نجوم السماء لم تدر
و بنفسى مهفهف ألمى و مطيع قد غزنى لَمَا
سألته و قانعى ممّا فى رباط قسمتى صدرى
لحنين و ناظرى بدر

و هلال فى حسنه اكتملا هو شمس و أضلعى الحملا
قام يشدو ينثنى فى ملاقسما بالهوى لذى حجر
ما لليل المشوق من فجر

ثم عنّ لنا أن نورد هنا جملة من مقطوعات مولانا السلطان المنصور ممّا تلقيناه عنه أيام كوننا فى إيالته الشريفة؛ فمن ذلك قوله رادًا
على من قال فى ابن أبى الحديد: [مخلع البسيط]
لقد أتى باردا ثقيلًا و لم يرث ذاك من بعيد
فهو كما قد علمت شىء أشهر ما كان فى الحديد
ما صورته: [مخلع البسيط]
لقد أتى صارما صقيلا و لم يرث ذاك من بعيد
شديد بأس متى يعادى و شدّة البأس فى الحديد
و من نظمه قوله: [مجزوء الرجز]
لله تمر طيب وافى على البشرى انطوى

يا حسنه مجتمعا يحلو لنا بلا نوى

و قوله معتميا في «قمر» على طريقه الاكتفاء: [السريع]

معدّبي أعجزني نيله من لى بمن مسكنه فى السما

لم أنس إذ قال ألا تكتفى؟ قلت بمن بالطرف قلبى رمى

و قوله: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٦٣

تبدى و زند الشوق تقدحه النوى فتوقد أنفاسى لظاه و تضرم

و هسّ لتوديعى فأعرضت مشققا على كبد حرّى و قلب يقسم

و لو لا ثواه بالحشا لأهنتها و لكنها تعزى إليه فتكرم

فأعجب لآساد الشرى كيف أحجمت على أنه ظبى الكناس و يقدم

و قال قدس الله تعالى روحه مورّيا: [الخفيف]

إنّ يوما لناظرى قد تبدى فتملّى من حسنه تكحيفا

قال جفنى لصنوه لا تلاقى إنّ بينى و بين لقياك ميلا

و قد تبارى خدام حضرة هذا السلطان فى تخميس هذين البيتين، و من أشهر ذلك قول الأستاذ الحافظ سيدى أحمد الزمورى رحمه

الله تعالى، و كان يصلّى بالسلطان التراويح:

[الخفيف]

و رقيب يردّد اللحظ رداً ليس يرضى سوى ازديادى بعدا

ساه الطرف مذجنى الخدّ وردا إنّ يوما لناظرى قد تبدى

فتملّى من حسنه تكحيفا

و تصدّى من فحشه فى استباق يمنع اللحظ من جنّى و اعتناق

أياس العين من لحاظ ائتلاق قال جفنى لصنوه لا تلاقى

إنّ بينى و بين لقياك ميلا

و من نظم السلطان المذكور، و هو من أوّليات شعره قوله فى وردة مقلوبة بين يدى محبوبه: [البسيط]

و وردة شفعت لى عند مرتهنى راقى و قد سجدت لفاتر الحدق

كأنّ خضرتها من فوق حمرتها خال على خده من عنبر عقب

و قال أيضا من أوّلياته: [الرملى]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٦٤

شادن نمّ عليه عرفه من خلاصى من سهام كامنه

أحلال فيه أنى خائف و حلالى بعد خوفى آمنه

و قال فى وصف رقيب ملازم: [الطويل]

رقيبى كأنّ الأرض مرآة شخصه فأين توّلّى الطرف منى يراه

مقيم بوجه الوصل حتى كأنما وصالى هلال و السواد صداه

و قال: [الطويل]

أيا روضة ضنت على بزهرها و لم يتلق ناظرى سواك
أبيحى لنفسى من شداك بقاءها إذا فت طرفى علّ الانف يراك
و قال أيضا: [الطويل]

على جدول غطت عليه بشعرها لثلا يرى الشمس الرقية لى طرف
فبت أرى فى جدول بدر وجهها غريقا و نقطات العبير به كلف
و قال: [الطويل]

طرقت حماه و الأسود خوادر به فتولّى بالظبا و هو يبعد
فعلّمت آساد الشرى كيف تقدم و علم غزلان النقا كيف تشرد
و قال: [الكامل]

لما نأى المحبوب رق لى الدجى و أتى يعللنى برعى كواكبه
أولى غراب البين ردك يا حشا و البين مزنى الصباح كواك به
و قال معميا باسم حظيته الشهيرة الحسن و الإحسان «نسيم»: [الخفيف]

يا هلالا طلوعه بين جفنى و غزالا كناسه بين جنبى
إنّ سهما رميت غادر هما لو تناهى ما شكّ آخر قلبى
و رأيت بخطه على هذا المحلّ ما صورته: قولى «إنّ سهما» تنصيص، و «غادر هما»
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٦٥

إسقاط، و هو إشارة لإسقاط «هما» من هذا الاسم، و قولى «لو تناهى» انتقاد، و الانتقاد:

الإشارة إلى بعض أجزاء الكلمة ليؤخذ جزء الاسم المطلوب، كأن يذكر الوجه أو الصدر أو التاج أو الرأس، و يعنى به الحرف الأول
من الكلمة، و القلب و الجوف و الحشا و الخصر، و يراد به الوسط، و الآخر و المنتهى و الختام، و يقصد به آخر الكلمة، فقولى «لو
تناهى» معناه أنه أخذ لفظه هم غير متناه، فبقيت الميم من «هما»، و قولى «ما شكّ آخر قلبى» انتقاد أيضا، و أردت بآخر قلبى الياء، و
يسمى أيضا التسمية، و هو: أن تذكر الاسم و تريد المسمى، أو تذكر المسمى و تريد الاسم، و قد تمّ الاسم.

و اعلم أنهم لم يشترطوا فى استخراج الاسم بطريق التعمية حصولها بحركاتها و سكناتها، بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة
لهيئاتها الخاصة فإذا وقع ذلك فمن المحسنات، و يسمى العمل «التذليل». انتهى كلامه على البيتين فى اسم نسيم.

و قال فى اسم «غزال» و قد جمع تعميمين و لغزا: [الطويل]

و أمد مطوى الحشا زال ردفه فلا خصر إلّا أن ذا لم يكن وصما
بنصف اسمه يرمى القلوب و عكس ما بقى أبدا أذن المحبّ به أصمى

و كتب عليه ما صورته: قولى «أمد» أردت به بعمل الترادف غصن، و «مطوى الحشا» انتقاد، و «زال ردفه» قضيت به غرضين، أزلت به
النون بعمل الإسقاط الباقي بعد طى الصاد التى بوسطه، و أثبتته - أعنى «زال» - فى موضعها: أى النون من غصن، و الحال أنّ الصاد
محذوفة، و ذلك بعمل الانتقاد، و أوضحت ذلك بقولى «فلا خصر» و إن كنت لا أحتاج إليه، لثلا يكون فى البيت شىء خارج عن
التعمية؛ انتهى تفسيره، رحمه الله تعالى!.

و يعنى بقوله «بنصف اسمه يرمى القلوب» غز؛ لأنه نصف غزال، و يعنى بقوله «و عكس ما بقى إلى آخره» لفظه «لا» لأنها مقلوب ما
بقى و هو «أل».

و قال فى اسم «سلاف» على منهاج ما تقدّم: [الطويل]

و أحور و سنان الجفون كأنما سقى لحظه من ريق فيه بقرقف

نضا صارما لا فل صارم لحظه تزايد فيه منذ سلّ تلاه في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٦٦

و فسّره بقوله: قولي «تلاه في» من طريق التسمية، و «في» من العمل التذييلي و هو أن يأتي بالكلمة بحركاتها أو سكّنتها، و هي من المحسنات كما سبق.

و قال في اسم «آمنة» من التعمية أيضا: [الخفيف]

من شقائي قنصته و هو خشف في رضاه عن الملوك ابتدلت

أملد منه مذ تحلل خصر و تشنى عن حبه ما عدلت

و كتب عليه ما صورته: قولي «أملد» أردت الألف بعمل التشبيه، و «خصر منه» انتقاد، و أردت بالخصر وسط لفظه «منه» و تحلله: أن ينحلّ منه السكون الذي على النون، و قولي «و تشنى» أي الألف من التثنية، لا التثني، فتمّ الاسم بحركاته و عدده؛ انتهى تفسيره.

و قال و قد لبس منصورية من النوع الذي يقال له «قلب حجر» و المنصورية: نوع لبس معروف بالمغرب استخرجه السلطان المذكور و أضافه إلى اسمه: [الكامل]

وصفوا اشتياقي للحبيب و سرهم قول الحبيب أنا أنا فيه

قلبي له حجر، فقلت مغالطا للعادل المؤذى أنا فيه

قال: و في هذين البيتين عدّة من المحسنات غير التعمية: منها جناس التركيب المسمّى بالملفق، و حدّوه: بأن يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين، و هذا هو الفرق بينه و بين المركب، و قلّ من فرّق بينهما، و منها الانسجام، و منها الاستخدام.

و عهدى بالفقيه على بن منصور الشيطمي تعرض إلى شرحهما في كراسه.

و التعمية في هذين البيتين بالعمل الحسابي و هو كثير، إلّا أنّ هذا العمل أحسبني أبا عذرتة إذ لم أره لغيري، و مادة التعمية فيه «أنا أنا فيه، قلبي له حجر» فقولي «أنا أنا فيه» معناه أن تضرب «أنا» في ه، و قولي «في ه» نصّ في الضرب، و يخرج من هذا مائتان و ستون عدد

حروف هيماني و حقّك ي، و قولي «قلبي له حجر» بعمل القلب يصير «رجح» فصار المجموع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٦٧

«هيماني و حقّك يرجح»، و فيه التورية، و «هيماني و حقّك» الخارج من هذا الضرب فيه تهكم بالواشى، فهو من المحسنات أيضا، أعنى قوله «و حقّك» و يصلح أن تسمى هذه التعمية بالافتتان؛ لأنّ الافتتان عندهم: أن يفتن الشاعر فيأتي بفنّين متضادين من فنون

الشعر في بيت واحد، و هذا وقع التضادّ فيه في كلمة واحدة، فظاهر «أنا أنا فيه» يضاد «هيماني و حقّك يرجح» الذي يخرج بطريق الحساب، فافهمه، و يمكن استخراج تعمية أخرى من قولي للعادل المؤذى «أنا فيه»؛ انتهى.

و الاستخدام الذي أشار إليه هو في قوله «أنا فيه» أي في هذا الثوب المسمّى بقلب حجر، كما دلّت عليه الحكاية، و أمّا المعنى الثاني لقوله «أنا فيه» فظاهر.

و قال و قد قطف وردة من روض المسرة في زمن النرجس: [الكامل]

وافي بها البستان صنوك وردة يقضى بها لثما مطلت وعودا

أهدى البهار محاجرا و أتى بها في وقته كيما تكون خدودا

فبعثتها مرتادة بنسيمها تشي من الروض النضير قدودا

و قال: [الخفيف]

لى حبيب يأتي بكلّ غريب هو عندي منكّر و معرّف

لست أشكو لصيرفتي و نحوى إنه بى نحا و فيّ تصرّف
فعله فيّ لازم متعد و مزيد مجرّد و مضعّف
و قال: [الرمل]

لا و طيف علمّ السيف فقد في قوام كقنا الخطّ نهد
و وميض لاح لّما بسمت فأرتنا منه درّا أو برد
ما هلال الأفق إلّا حاسد منه حسنا و علاء و غيد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٦٨
و لذا عاش قليلا ناحلا كيف لا يفنى نحولا من حسد

و قد ضمّن قوله «ما هلال الأفق» أديب زمانه الشيخ إمام الدين الخليلي الوافد على حضرته من بيت المقدس فقال: [الرمل]
قسما بالبيت و الركن الذي طاب حجّا و استلاما للأبد
«ما هلال الأفق إلّا حاسد منه حسنا و علاء و غيد»

و قد اتفق لإمام الدين هذا أنه اجتمع بالحضرة المنصورية، هو و العقاد المكي السابق و الشريف المدني، و هو رجل وافد من أهل
المدينة انتمى إلى الشرف، فقال إمام الدين: يا أمير المؤمنين، إنّ المساجد الثلاثة التي تشدّ إليها الرحال شدّ أهلها إليك الرحال: هذا
مكيّ، و ذاك مدنيّ، و أنا مقدسيّ، ثم أنشد: [الرجز]
إنّ أمير المؤمنين أحمد بحر الندى و فضله لا يجحد
فطية و مكة أهلها و المسجد الأقصى بذاك شهدوا
رجع إلى نظم المنصور، و قال: [الطويل]

و كيف بقلب في هواه مقلّب و أنّي له بين الضلوع مقام
فيا شادنا يرعى الحشا أنت بالحشا أما لمحلّ أنت فيه ذمام

و قال يخاطب رئيس كتّابه صاحبنا سيدي عبد العزيز القشتالي السابق الذكر: [مجزوء الرجز]
يا كاتباً ألقاظه تغرس روضاً ذا فتن
إنّ جوابي للذي يشكو دناه اردد حزن

و قال موزّياً بمصانعه الثلاثة: البديع، و المسرّة، و المشتهى: [الكامل]
بستان حسنك أبدعت زهراته و لكم نهيت القلب عنه فما انتهى
و قوام غصنك بالمسرّة ينشئ يا حسنه رمانة للمشتهى

و لو لا خوف الإطالة المملّمة لذكرت من محاسن مولانا أمير المؤمنين المنصور- رحمه الله تعالى!- بعض ما أؤدى به حقّه، سقى الله
تعالى عهاده! و قد بسطت الكلام على السلطان المذكور في كتابي «روضة الآس، العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام
مراكش وفاس»

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٦٩

و أطال الكلام على ترجمته صاحبنا الوزير الكبير الشهيد سيدي عبد العزيز بن محمد القشتالي في كتابه المسمّى ب «مناهل الصفا، في
فضائل الشرفاء» و عهدي به أكمل منه ثمانى مجلدات، و هو مقصور على دولة السلطان المذكور و ذويه، و ألف كاتب أسراره الرئيس
أبو عبد الله محمد بن عيسى فيه كتابا سماه «الممدود و المقصور، من سنا السلطان المنصور» و هذه التسمية وحدها مطربة، رحم الله
تعالى الجميع!

[موشحة بعض أذكىاء الأصحاب فى مديح المقرئ]

رجع إلى التوشيح:

كتب إليّ بعض أذكىاء الأصحاب الأعيان موشحاً يمدحني به فى آخره عارض به موشح لسان الدين السابق الذى أوله:
جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس
و نصّه:

عطر الأرجاء لما نسما شمال للصبح عند الغلس
و أنت شمس الضحى تنسخ ما يقرأ الليل لنا من عبس
طاف بالكأس من الزهر فتى مولع بالصدّ عنى مذفتى
فتن الألباب لما التفتا و احتسى منه ببعض الشفة
و أنا ما بين حتّى و متى صدّه تيه الهوى عن الفتى
و كؤوس الراح بين الندما أرتجت بالعرف أفق المجلس
خمرة صفراء فى البلور ما أشبه الحان بروض النرجس
بدر اللذة و اجمع شملها بمدام و غلام مطرب
ذى عيون ناعسات كم لها من فنون السحر ما يلعب بى
وافر الأرداف عانى حملها ناحل الخصر، و ذا من عجب
كلما أترع كأسا قال ما أنت بالشارى حياة الأنفس
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٧٠
فابذل الجهد و كن مغتتما لنفيس النفس طيب الأنفس
فرص الأيام كن منتهزا مبتدأها قبل حذف الخبر
و رحاب الأنس لج منتجرا قبل أن تمضى كلمح البصر
و اجن من زهر الهوى محترزا من جنایات هجوم الكبير
لا تخف لوما و يتم حيثما لاحت اللذات كالمختلس
ما مضى أنس و وافى مثلما كان ذا الدهر لنا بالحرس
للرياض اذهب ترى بلبلها لاشتياق الورد مثل الثكل
و حدود الورد قد كللها دمع ظل لاشتياق البلب
و قدود البان قد قام لها مانع الوصل بحدّ الأسل
و الزيا فاحت تحاكى خدما و عليهنّ ثياب السندس
جيبها زرّ بالزهر كما زرّ بالفضة ثوب الأطلس
وجلا الروض لنا أشجاره مائسات فى قباء أخضر
و ترى فى جيدها نواره يتلالا كعقود الجوهر
خلع الليل به أطماره فغدا كالصبح باهى المنظر
و بقاياها زهت فيه أما فى شفاه الغيد حسن اللعس

كعذار في محيا علما فبدا للغير لا الملتمس
حبذا الصبوة أيام الصبا و عيون الشيب في سهو الوسن
فإذا أيقظها دهر صبا لصررف حد شفريها و سن
جرّد الشيب لنا بيض الشبا و اقتفى شرح شباب و ظعن
و غدا الإنسان شيخا هرما و اعتراه لاعج من وجس
فات إذ مات فيقضى ندما و اغتنام الوقت شغل الكيس
لا تدع عمرك يمضى هدرا أنت إذ ذاك جبان غافل
و ارق بالجهد من السؤل الذرا و اجتهد و الضرع ضخم حافل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٧١
إنما الأيام أمثال السرى و الجرىء الشهم ليث باسل
و وحوش الإنس تسعى مغنما باردا للأسد المفترس
ترك الوهم و خاض الظلما و له العزم أضأ كالقبس
ليس يحظى بالمنى إلّا الذى كابد الأهوال حتى ظفرا
كان للراحة كالمتبذ من وراء الظهر أنى ظهرا
مثلما قد بات ذا طرف قذى يقطع الليل جميعا سهرا
فى طلاب العلم حتى علما أنه يملا بروح القدس
أحمد الناصب فينا علما لللقى فاز به من يأتسى
حلّ فى مصر و إن كان العلا قد عفت لما اعترها فى خلل
و رياض الفضل لّمّا أن علا نفع جهل جفّ منهّن البلل
ازدرت أعصانها حتى خلا قاعها من عذب ما يشفى العلل
نفرت إذ حلّ فيها كالسما و هو بدر بكمال مكتس
حوله الطلاب كالشهب سما قدرها من نوره المقتبس
أيها الطالب للعلم اتند ليس إلّا بابه ينفعا
إن ترم نيل المرجى فاجتهد فى اتّباع للذى يرفععا
علم من يعمل إكسير فزد منه و اترك حاسدا يدفععا
و الزم الأعتاب و انزل بالحمى خالع الربقة من قول المسى
باعتماد فاز من قد لثما نعله و الكبر شأن المبلس
مذ خبرت الناس طرا نظرا لمناط الأمر فى هذا الزمان
لم أحد إلّا مقالا صدرا عن دعاو أخلفت عند العيان
غير ما يمليه فانظر لترى درر الألفاظ فى سمط البيان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٨؛ ص ٢٧١
بيديع التطق لّمّا نظما بهت المنطيق مثل الأخرس
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٧٢

و أتى يخضع جمع العلما نحو ذا المفرد فى الملتمس
 إنما المجد الرفيع الممتطى أرؤس الآساد قسرا مثل ذا
 يدع المرفوع كالمنهبط ثم للنازل يعلى منفذا
 ناظرا فى أمره بالأحوط خافض الطرف على حرّ القذى
 كلّ من أمّ حماه قد حمى بحسام العزم هسّ الملمس
 فإذا جرّد منه انفصما جلمد الصخر بذاك الميس
 حينذا المغرب قطرا بالسنا فضله يبهر بدر الأفق
 قطره الشامخ قد أهدى لنا سيّدا قد فاق شمس المشرق
 كلّ من فاتته أسباب المنى بعلاه للثريا يرتقى
 قل لمن يرجو سوى المذكور ما ينبت الزهر بأرض اليبس
 لا، و لا الناس سواء إنما رأى من سواهم فى هوس
 لذ بشهم فاز من أمّله بنوال فاق سحّ الهامل
 أثقل السؤدد إذ حمّله وقر فضل مستبين شامل
 و حماه الأمن، من أمّله بلغ القصد، فبشرى الآمل
 بجره الوافر بالعلم طما كامل الأمداد لم يحتبس
 نال منه الناس حتى عمّما مشرقا و الغرب للأندلس

[من موشحات لسان الدين]

رجع إلى موشحات لسان الدين بن الخطيب، رحمه الله تعالى!
 فمن المنسوب إلى محاسنه قوله:

قد حرّك الجليل بازى الصباح و الفجر لاح
 فيا غراب الليل حتّ الجناح

و هذا مطلع موشح بديع له لم يحضرني الآن تمامه؛ لكوني تركته و جملة من كلام لسان الدين فى كتبى بالمغرب جبرها الله تعالى
 على، و هو معارض للموشح الشهير الذى أوله:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٧٣
 بنفسج الليل تذكى وفاح بين البطاح
 كأنه يسقى بمسك وراح

و هذا المنحى هو الذى سلكه الجمال ابن نباتة إذ قال مادحا لجلال الدين الخطيب رحم الله تعالى الجميع:

ما سخّ محمّر دموى و ساح على الملاح
 إلّا و فى قلبى المعنى جراح

بى من بنى الأتراك حلوا الشباب مرّ السطا
 عشقته حين عدمت الصواب من الخطا
 تشكو حشا الغزلان منه التهاب إذا عطا

و ربّما تشكو الغصون اكتئاب إذا خطا
 ما ماس ذاك الغصن بين الوشاح إلّا وراخ
 قول عدولى كلّه فى الرياح
 آها لصب دمه حيث كان دمع أريق
 هذا أسير فى وجوه الحسان و ذا طليق
 أرّق جسمى بالصّنا يوم بان بدر الفريق
 فها أنا اليوم له يا فلان عبد رقيق
 يزيد أجفانى ندى و ارتياح نهى اللّواح
 مثل جلال الدين يوم السّماح
 حبر له فى الخلق ذكر جميل لا يفترى
 ماح على غيظ الغمام البخيل محل الثرى
 ما رأت العين له من مثل و لا ترى
 يوقد فى أوطانه للنزىل نار القرى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٧٤
 شرارها فى الكيس حمر صحاح لها اقتداح
 لكنها فى القلب عذب قراح
 يا مالک العلم و فيض الندى جزت المدى
 فابق و كلّ العالمين الفدا دع العدا
 أنت الذى أصبح غيث الجدا صبح الهدى
 كم يقفى منك و كم يقتدى و يجتدى
 علم جلىّ و نوال صراح صفو مباح
 يروى به راوى الرّجا عن رباح
 و مغرم لا يختشى من رقيب و لا عدول
 معلّق القلب بشجو عجيب و لا وصول
 يسكر لكن بصفات الحبيب لا بالشّمول
 لمّا رنا الطّيبى و ماس القضيب أضحى يقول
 كم ينتضى جفنك و عطفك صفاح على رماح
 ما ذى محاسن ذى خزائن سلاح

[موشحة لعثمان الملطى فى مدح القاضى الفاضل]

و من الموشحات الصادرة من المشاركة المعارضة للمغاربة قول عثمان الملطى يمدح القاضى الفاضل:
 و يلاه من رواغ بجوره يقضى
 ظبى له إغذاذ منه الجفا حظّى

و لم أقف على تمامها، و قد بارى بها التوشيح المشهور للمغاربة، و هو:
 عقارب الأصداع في السوسن الغصّ
 تسبى تقى من لاذ بالنسك و الوعظ
 من قبل أن يعدو علىّ لم أحسب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٧٥
 أن تخضع الأسد لجؤذر الربرب
 ظبي له خدّ مفصّض مذهب
 و شادن يبدو في صدغه عقرب
 رقة زهر الباغ في جسمه الفصّي
 و قسوة الأفلاذ في قلبه الفظ
 مهفهف بدع أصبحت مغرى به
 قلبي له ربع لو كنت في قلبه
 أصابني صدع مذليج في عتبه
 السهد و الدمع حظّي من قربه
 و العين لا ينساع لها جنى الغمض
 و الدمع ذو إغذاذ ناهيك من حظّ

[موشحة للشهاب العزازی]

و من أحسن ما للمشاركة من التوشيح قول الشهاب العزازی يعارض أحمد بن حسن الموصلي:
 يا ليلة الوصل و كأس العقار دون استتار
 علمتmani كيف خلع العذار
 اغتتم اللذات قبل الذهاب و اشرب فقد طابت كؤوس الشراب
 تحكى ثغورها الثنايا العذاب
 على حدود تبتت الجلنار ذات احمرار
 طرّزها الحسن بأس العذار
 الراح لا شكّ حياة النفوس فحلّ منها عاطلات الكؤوس
 و استجلها بين الندامى عروس
 تجلى على خطّابها في إزار من النّضار
 حبابها قام مقام الثّثار
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٧٦
 أما ترى وجه الهنا قد بدا و طائر الأشجار قد غرّدا
 و الروض قد وشاه قطر الندى
 فكمل اللهو بكأس تدار على افترار

مباسم التّوار غبّ القطار
 إجن من الوصل ثمار المنى و أوصل الكأس بما أمكنا
 مع طيب الريقة حلو الجنى
 بمقله أفتك من ذى الفقار ذات احورار
 منصوره الأجفان بالانكسار
 زار و قد حلّ عقود الجفا و افتّر عن ثغر الرضى و الوفا
 فقلت و الوقت لنا قد صفا
 يا ليلة أنعم فيها و زار شمس النهار
 حيت من بين الليالى القصار
 و يعجبني من موشحات العزازى المذكور قوله:
 ما على من هام وجداد بدوات العلا
 مبتلى بالحدق السّود و بيض الطلا
 باللوى ملئى حسن لديونى لوى
 كم نوى قتلى و كم عدّبنى بالتوى
 قد هوى فى حبه قلبى بحكم الهوى
 و اصطفى نار تجنيه و نار القلى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٧٧
 كيف لا يذوب من هام بريم الفلا
 هل ترى يجمعنا الدهر و لو فى الكرى
 أم ترى عينى محيا من لجسمى برى
 بالسرى يا حادى ركب منى بلبلى سرى
 علّا قلبى بتذكار اللقا علّلا
 و انزلا دون الحمى، حى الحمى منزلا
 بى رشا دمعى جرى فى هواه فشا
 لو يشا برّد منى جمرات الحشا
 ما مشى إلّا انثنى فى سكره و انتشى
 عطّلا من الحميا يا مدير الطّلا
 ما حلا إذا أدار الناظر الأكحلا
 هل يلام من غلب الحبّ عليه فهام
 مستهام بفاتر اللحظ رشيق القوام
 ذى ابتسام أحسن نظما من حباب المدام
 لو حلا من ريقه كأسا لأحيا الملا
 أو جلا وجهها رأيت القمر المجتلى

لو عفا قلبك عمّن زلّ أو من هفا
 أو صفا ما كان كالجلمد أو كالصفا
 بالوفا سل عن فتى عدّته بالجفا
 هل خلا فؤاده من خطرات الولا
 أو سلا أو خان ذاك الموثق الأوّلا
 و قوله أيضا يعارض الموصلي:

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٧٨
 ما سلّت الأعين الفواتر من غمد أجفانها الصفاح
 إلّا أسالت دم الحناجر من غير حرب و لا كفاح
 تالله ما حرّك السواكن غير الظباء الجآذر
 لما استجاشت بكلّ طاعن من القدود النواضر
 و فوّقت أسهم الكنائن من كلّ جفن و ناظر
 عرب إذا صحن يا لعامر بين سرايا من الملاح
 طلّت علينا من المحاجر طلائع تحمل السلاح
 أحب بما تطلع الجيوب منها و ما تبرز الكلل
 من أقمر ما لها مغيب و أغصن زانها الميل
 هيهات أن تعدل القلوب عنها و لو جارت المقل
 لما توشّحن بالغدائر سفرن عن أوجه صباح
 فانهمز الليل و هو عاثر بذيله و اختفى الصباح
 و أهيف ناعم الشمائل تهزّه نسمة الشمال
 فينثني كالقضيبي مائل كما انثني شارب و مال
 له عذار كالتدّ سائل لله كم من دم أسال
 شقّت على نبتة المرائر من داخل الأنفس الصحاح
 تكلّ في وصفه الخواطر و تخرس الألسن الفصاح
 ظبي إلى الأنس لا يميل الشمس و البدر من حلاه
 الحسن قالوا و لم يقولوا مبداه منه و منتهاه
 و طرفه الناعس الكحيل هيهات من سيفه النّجاه
 أذلّ بالسحر كلّ ساحر فهو له خافض الجناح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٧٩
 يجول في باطن الضمائر كما يجول القضا المتاح
 أما ترى الصبح قد تطّلع مذ غمضت أعين الغسق
 و البدر نحو الغروب أسرع كهارب ناله فرق
 و البرق بين السحاب يلمع كصارم حين يمتشق

و تحسب الأنجم الزواهر أسنّه ألقّت الرماح
فانهزم النهر و هو سائر فدرّعته يد الرياح

[موشحة الموصلى التي عارضها الشهاب العزازى]

و موشحة الموصلى التي عارضها العزازى هي قوله:
رنا بأجفانه الفواتر لَمَا انثنى واحد الملاح
فسلّ من طرفه بواتر و هزّ من عطفه رماح
ناظره جرّد المهند و غمده متى الحشا
و عامل القدّ فهو أملد يطعن للقلب إن مشى
و العارض القائم المزرد لفتنّه الناس قد نشا
و الحاجب القوس بالفواتر لنبله فى الحشا جراح
و مشرف الصدغ فهو جائر سلطانه للدهما أباح
فجفنه الفاتك الكنانى من ثعل راش لى نبال
و هو الخفاجى قد غزاني و وجهه من بنى هلال
عيسى لحظ له سباني جسم زيديّ بالدلال
و الردف يدعى من آل عامر و أوضح الصّلت من صباح
و خصره من هشيم ضامر يدور من حوله و شاح
فوجهه جنّه و كوثر رضابه العذب لى حلا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٨٠
و النار فى وجنتيه تسعر و الخال خيالها اصطلى
عجبت من خاله المعنبر إذ يعبد النار كيف لا
يحرق بالنار و هو كافر و ما سقى ريقه القراح
كامل حسن معناه وافر بسيط و وصف كالمسك فاح
ما اخضرّ نبت العذار إلّا بأسه سيّج الشقيق
و هو كمنل سعى و ولى و لم يجد للجنى طريق
من ربقه البدر إذ تجلّى فى هاله العارض الأنيق
لَمَا تبدّى بالوجه دائر و حير العقل حين لاح
شقّ على خدّه المرائر و قطع الأنفس الصّحاح
و ربّ يوم أتى و حيا كالشمس و النجم و القمر
بالكأس و الراح و المحيا ثلاثة تفتن البشر
و قال قم يا نديم هيا افض بنا لذّة الوطر
فالخمر تجلى على المزاهر من اغتباق إلى اصطباح
و طافت الراح بالمجامر من عنبر الزهر فى البطاح

و مما يطربني من الموشحات قول بعضهم:
 ما لي شمول إلا شجون مزاجها في الكاس دمع هتون
 لله ما بذر من الدموع صبّ قد استعبر من الولوع
 أودى به جؤذر يوم الطلوع
 فهو قتيل بلا طعين بين الرجا و الياس له منون
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٨١
 جرحت للحين كفى بكفى و حيل ما بينى و بين إلقى
 لا شكك بالبين يكون حتفى
 حال الرحيل ولى ديون إن ردها العباس فهو الأمين
 أما ترى البدرا بدر السعود قد اكتسى خضرا من البرود
 إذا انثنى نضرا من القدود
 أضحى يقول مت يا حزين قد اكتسى بالآس الياسمين
 قلت و قد شرّد النوم عنى و أياس العود السقم منى
 صدّ فلما صدّ قرعت سنّى
 جسمى نحيل لا يستبين يطلبه الجلّاس حيث الأئين
 تجاوز الحدّ قلبى اشتياقا و كلف السهد من لا أطاقا
 قلت و قد مدّ ليلى رواقا ليلى طويل و لا معين
 يا قلب بعض الناس أما تلين
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٨٢

[الباب السادس من القسم الثانى من الكتاب فى مصنفات لسان الدين]

الباب السادس فى مصنفاته فى الفنون، و مؤلفاته المحقّقة للواقف عليها الآمال و الظنون، و ما كمل منها أو اخترمته دون إتمامه المنون.

اعلم أنّ تصانيف لسان الدين التى علمت نحو الستين، و كلّها فى غاية البراعة، بحيث إنه لم يأت أحد من أهل عصره بمثل ما جاء به، بل و كثير من غير أهل عصره رحمه الله تعالى، و قد وقفت بالمغرب على كثير منها، و فيها أقول مضمّنا ببعض تغيير: [الوافر]
 تصانيف الوزير ابن الخطيب ألذّ من الصبا الغصّ الرطيب
 فأية راحة و نعيم عيش توازى كتبه أم أىّ طيب

[لسان الدين يذكر مؤلفاته فى الترجمة التى عقدها لنفسه فى الإحاطة]

قال رحمه الله تعالى فى تعريفه بنفسه آخر «الإحاطة» ما صورته:

التوليف: «التاج المحلّى، فى مساجلة القدح المعلى»، و «الكتيبة الكامنة، فى أدباء المائة الثامنة». و «الإكليل الزاهر، فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر» ثم «النقاية، بعد الكفاية» هذا فى نحو «الفلاند» و «المطمحين» لأبى نصر الفتح بن محمد، و «طرفه العصر، فى دولة

بنى نصر» فى أسفار ثلاثة، و «بستان الدول» موضوع غريب ما سمع بمثله، قل أن شدّ عنه فنّ من الفنون، يشتمل على شجرات عشر: أولها شجرة السلطان، ثم شجرة الوزارة، ثم شجرة الكتّاب، ثم شجرة القضاء و الصلاة، ثم شجرة الشرطة و الحسبة، ثم شجرة العمل، ثم شجرة الجهاد و هى فرعان: أسطول، و خيول، ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه من الأطباء و المنجمين و البيازرة و البيطرة و الفلاحين و الندماء و الشطرنجيين و الشعراء و المعنّين، ثم شجرة الرعايا، و تقسيم هذا كله غريب يرجع إلى شعب، و أصول، و جراثيم، و عمد، و قشر، و لحاء، و غصون، و أوراق، و زهرات مثمرة، و غير مثمرة، مكتوب على كلّ جزء من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٨٣

هذه الأجزاء بالصيغ اسم الفن المراد به، و برنامجه صورة بستان، كمل منه نحو من ثلاثين سفرا، ثم قطع عنه الحادث على الدولة، و ديوان شعري فى سفرين سمّيته «الصيّب و الجهام»، و الماضى و الكهام» و النثر فى غرض السلطانيات كثير، و الكتاب المسمى ب «اليوسفى فى صناعة الطب» فى سفرين كبيرين، كتاب ممتع، و «عائد الصلّة» وصلت به صلّة الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، فى سفرين، و كتاب «الإحاطة»، بما تيسّر من تاريخ غرناطة» كتاب كبير فى أسفار تسعة، هذا متّصل بآخرها، و «تخليص الذهب، فى اختيار عيون الكتب الأدبيات الثلاثة»، و «جيش التوشيح» فى سفرين. و من بعد الانتقال من الأندلس و ما وقع من كساد الدولة: «نفاضة الجراب، فى علالة الاغتراب» موضوع جليل فى أربعة أسفار، و كتاب «عمل من طب لمن حبّ» و منزلته فى الصناعة الطبيّة بمنزلة كتاب أبى عمرو بن الحاجب المختصر فى الطريقة الفقهيّة، لا نظير له، و من الأراجيز، المسماة «برقم الحلل، فى نظم الدول» و الأرجوزة المسماة ب «الحلل المرقومة، فى اللمع المنظومة» ألفية من ألف بيت فى أصول الفقه، و الأرجوزة المسماة ب «المعلومة» معارضة للمقدمة المسماة بالمجهولة فى العلاج من الرأس إلى القدم إذا أضيفت إلى رجز الرئيس أبى على كملت بها الصناعة كمالا-لا-يشينه نقص، و الأرجوزة المسماة ب «المعمّدة، فى الأغذية المفردة» و الأرجوزة «فى السياسة المدنيّة»، إلى ما يشدّ عن الوصف كالرجز «فى عمل الترياق الفاروقى»، و «الكلام على الطاعون المعاصر»، و «الإشارة»، و «قطع السلوك»، و «مثلى الطريقة، فى ذمّ الوثيقة» حتى فى الموسيقى، و البيطرة و البيزرة، هذر كثف به الحجاب، و لعب بالنفس الإيجاب، و ضاع الزمان و لا تسل بين الردّ و القبول و النفى و الإيجاب، و لله درّ القائل: [السريع]

و الكون أشراك نفوس الورى طوبى لنفس حرّة فازت

إن لم تحز معرفة الله قد أورها الشىء الذى حازت

و كلّ ميسر لما خلق له، و لا حول و لا قوة إلّا بالله العلى العظيم؛ انتهى ما له فى آخر «الإحاطة» بحروفه.

[استدراك للمؤلف بذكر مؤلفات لسان الدين بعد كتابته ترجمته و ابن الأحمر يتحدث عن مصنفات لسان الدين]

قلت: و لنذكر ما تأخّر تأريخه عن «الإحاطة» أو أشير إليه فيها مجملا فنقول:

من أشهر تواليفه رحمه الله تعالى كتاب «ريحانة الكتاب، و نجعة المنتاب» فى عدة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٨٤

مجلّدات، و هو داخل فى قوله السابق فى «الإحاطة»: و النثر فى غرض السلطانيات كثير، و هذا الكتاب قد اشتمل من الإنشاء على كثير فى أغراض شتى من مخاطبات الملوك على اختلاف أجناسهم و صدقاتهم و غير ذلك من أحوالهم و أحوال الكبراء و مخاطباتهم حتى ملوك النصارى، و ذكر فى صدره خطب بعض كتبه، و فى آخره بعض مقاماته و تحليته لأهل عصره، و غير ذلك، و بالجملة فهو كتاب مفرد فى باب.

و قال الأمير الشهير العلامة أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر رحمه الله تعالى فى كتابه «نثر فرائد الجمان، فيمن يضمنى و إياه الزمان» ما صورته: لابن الخطيب الأوضاع المصنّفات، التى آذان إحسانها هى المقرّطات المشنّفات، منها فى التصوف، الذى أكثر أهل الحقائق

إليه نظر التشوّف «روضه التعريف، بالحبّ الشريف»؛ انتهى، و سرد غير هذا الكتاب ممّا قدّمنا ذكره و غيره.

[حديث عن روضه التعريف، أحد مؤلفات لسان الدين و بقيه مؤلفاته]

و هذا الكتاب - أعني «روضه التعريف» - غريب المنزع، و عارض به «ديوان الصباية» لابن أبي حجله صاحب «السكردان»، و ضمّنه من التصوف و عبارات أهله العجب العجاب، و تكلم فيه على طريقه أهل الوحدة المطلقة، و بذلك سجّل عليه أعداؤه في نكته الآخرة التي ذهبت فيها نفسه، و نسبوه إلى مذهب الحلول و غيره، ممّا ذكره يطول حسبما ألمعنا بذلك، و قد جعل هذا الكتاب شجرة ذات أفنان و عمود، مشتمل على القشر و العود، و أوراق، و صورة طائر فوقها، و لم أر في فنه مثله، جازه الله تعالى عن نيته! فإنه في الحب الشريف الرباني، مبلغ الناظر فيه غاية أمنيته.

و من تواليفه رحمه الله تعالى غير ما سبق «اللمحة البدرية، في الدولة النصرية» و كتاب «السحر و الشعر» و «معيار الأخبار» و «مفاضلة مالمقة و سلا» و «خطرة الطيف، و رحلة الشتاء و الصيف» و قد ذكرهما في الريحانة بنصّيهما، و جعلهما من جملة ما اشتملت عليه، و «المسائل الطبية» في مجلد، و «الكتيبة الكامنة، في شعراء المائة الثامنة» و رسالة «تكوّن الجنين»، و «الوصول، لحفظ الصحة في الفصول» و كتاب «الوزارة» و «مقامة السياسة» و «الغيرة، على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٨٥

أهل الحيرة» و «حمل الجمهور، على السنين المشهور» و «الزبدة الممخوضه» و «الردّ على أهل الإباحه» و «سدّ الذريعة، في تفضيل الشريعة» و «تقرير الشبه، و تحرير الشبه» و «استنزال اللطف الموجود، في سرّ الوجود» و «أبيات الأبيات» فيما اختاره رحمه الله تعالى من مطالع ما له من الشعر، و «فتات الخوان، و لقط الصوان» في سفر يتضمّن المقطوعات فقط، و «كناسة الدكان، بعد انتقال السكان» و «الدرر الفاخرة، و اللجج الزاخرة» جمع فيه نظم ابن صفوان، و «أعمال الأعلام، فيمن بويح قبل الاحتلام، من ملوك الإسلام، و ما يجزّ ذلك من شجون الكلام» و «و المباخر الطيبية، في المفاخر الخطيبية» و «خلع الرسن، في أمر القاضي ابن الحسن» و تدوين شعر شيخه ابن الجياب، و جمع نثر المذكور و سمّاه «تافه من جمّ، و نقطه من يّم» و شرحه لكتاب نفسه «رقم الحلل في نظم الدول»؛ فهذا ما حضرني علمه من تواليف لسان الدين رحمه الله تعالى، فأما «البيزرة» ففي مجلد، و أما «البيطرة» فكذلك في مجلد جامع لما يرجع إليه من محاسن الخيل و غير ذلك، و أما «رجز الأصول» فقد شرحه قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ المشهور، و أمّا «رقم الحلل، في نظم الدول» فهو في غاية الحلاوة و العذوبة و الجزالة، و قد كنت بالمغرب أحفظ أكثره، فنسيتّه الآن، و ابتدأه بقوله: [الرجز]

الحمد لله الذي لا ينكره من سرحت في الكائنات فكره

و علق بحفظي الآن منه قوله في الوليد بن يزيد: [الرجز]

ثم الوليد بن يزيد العاث قد نقلت من فعله خباث

و في آخر دولة بني أمية قوله: [الرجز]

و صار قصر الملك من أمية أقر ربا من ديار ميه

و في الأمين: [الرجز]

باع العلا بشادن و كاس و صحبة الشيخ أبي نواس

و في المعتصم: [الرجز]

و هو الذي تألّف الأتراكا فنصبوا لقومه الأشراكا

و من أبيات هذا الكتاب قوله: [الرجز]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٨٦
 و يفسد الملك بالاحتجاب كذاك بالزهو و بالإعجاب
 و ما أحسن قوله فيه عند ذكر موت بعض الملوك: [الرجز]
 و أفقرت من ملكه أوطانه سبحان من لا ينقضى سلطانه

[حديث عن كتاب الإحاطة أحد تأليفه، ومختصره: مركز الإحاطة في أدباء غرناطة، للبدر البشتكي]

و أما كتاب «الإحاطة» فهو الطائر الصيت بالمشرق و المغرب، و المشاركة أشد إعجابا به من المغاربة، و أكثر لهجا بذكره، مع قلته في هذه البلاد الشرقية، و قد اعتنى باختصاره الأديب الشهير البدر البشتكي، و سماه «مركز الإحاطة، في أدباء غرناطة» و هو في مجلدين بخطه، رأيت الأخير منهما بمصر، و قال في آخره ما نصه: هذا آخر ما أردت إيراده، و قوّت أبراده، من كلّ طرفه و تحفة و فائدة أدبية، و نادرة تاريخية، في كتاب «الإحاطة، بتاريخ غرناطة» و لما كان المعول عليه، و الباعث الداعي إليه، ذكر أدبائه، و مآثر علمائه، سمّيته «مركز الإحاطة، بأدباء غرناطة» و الحمد لله أولا و آخرا، و باطنا و ظاهرا، علقه لنفسه ثم لمن شاء الله تعالى من بعده الفقير إلى عفو ربّه محمد بن إبراهيم بن محمد البدر البشتكي، لطف الله تعالى به بمنّه و كرمه! مستهل صفر سنة ثلاث و تسعين و سبعمائة، و حسبنا الله و نعم الوكيل؛ انتهى.

و قد جعل كلّ أربعة أجزاء من الأصل في مجلد، إذ هو في مجلدين كما سبق، و نسخة الأصل في ثمان مجلّدات، فنقص من الأصل ثلاثة أرباع أو نحوها.

[حجة سلطانية بوقف كتاب الإحاطة]

و لما وقف سلطان الأندلس من كتاب «الإحاطة» نسخة على بعض مدارس غرناطة كتب ابن عاصم حجة الوقفية بخطه، و لنبتها لما فيها من الفوائد، قال الأديب الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادى آشى نزيل تلمسان المحروسة: كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال، و الفائقة الكمال، من «الإحاطة» بتاريخ غرناطة» المحبسة على المدرسة اليوسفية، من الحضرة العلية، بخط قاضى الجماعة، و منفذ او حكام الشرعية المطاعة، صدر البلغاء، و علم العلماء، و وحيد الكبراء، و أصيل الحسباء، الوزير الرئيس المعظم أبى يحيى بن عاصم - رحمه الله تعالى عليه! - ما نصه: الحمد لله الجاعل الاستدلال بالأثر على المؤثر ممّا سلمه الأعلام، و شهدت به العقول الراجحة و الأحلام، و هو الحجّة المعتمدة حين تتفاضل الأبواب و تتقاصر الأرقام، و به الاستمسك إن طرقت الشكوك أو عرضت الأوهام، و حسبك بما يسلم فى هذا المقام العالى من الأدلّة، و ما يعتمد فى هذا المجال المتضايق من البراهين المستقلّة، فحقيق أن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٨٧

يتلقى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفنّ المشار إليه بالقبول، و يستنبط المهتدى لاستنباطه لما فيه من التبادر للأفهام و التسابق للعقول، و إذا ثبت أن المستدلّ بهذه الأدلّة سالك على سواء سبيل، و متمم من صحه النظر إلى أكرم قبيل، فلا خفاء أن كتاب «الإحاطة» للشيخ الرئيس ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب - رحمه الله تعالى! - من أثر هذه الدولة النصيرية أدامها الله تعالى بكل اعتبار، و مآثرها التى هى عبرة لأولى الأبواب و ذكرى لذوى الأبصار، أما الأول فلأنّ الأنباء التى أظهرت بهجتها، و أوضحت حجتها، و شرفت مقصدها، و كرمت مصعدها، إنما هى مناقب ملوكها الكرام، و مكارم خلفائها الأعلام، أو أخبار من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور حملة السيوف و الأقلام، و أفذاذ حفظة الدين و الدنيا، و الشرف و العليا، و الملك و الإسلام، أو ما يرجع إلى

مفاخر حضرة الملك، و ينتظم نظم الجمان في ذلك السلوك، من حصانة قلعته، و أصالة منعتها، و قديم اختطاطها، و كريم جهادها و رباطها و حسن ترتيبها و وضعها، و ما اشتمل عليه من مقاصد الأنس أهل ربعاها، و ما سوى هذه الأقسام الثلاثة فمن قبيل القليل، و ممّا يرجع إلى شرف الحضرة ممّن انتابها من أهل الفضل الواضح و المجد الأثيل، و أمّا ثانياً فإن راسم آياتها المتلوّة، و مبدع محاسنها المجلّوة، و ناقل صورتها من الفعل إلى القوّة، إنّما هو حسنه من حسنات هذه الدولة النصريّة الكريمة، و نشأة من نشآت جودها الشامل النعمة الهامل الدّيمة، فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف، على الإنصاف، فأخلاف هذه المكارم النصريّة أضرعت، و عناياتها الجميلة أسمته فوق الكواكب و رفعت، و إليها ينسب إحسانه إن انتسب، و من كريم تشریفها اكتسب، و الحضرة هي منشؤه الذي عظم فيه قدره، بل أفاقه الذي أشرق فيه بدره، و التشريفات السلطانية التي فتقت اللّها باللّها، و احتلت من مراقى العزّ فوق السها، و أمكنت الأيدي من الذخائر و الأعلاق، و طوّقت المنن كالقلائد في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٨٨

الأعناق، و قلّدت الرياسة و الأقاليم أعلام، و ثنت الوزارة و الأعلام أعلام، فبهرت أنواع المحاسن، و ورد معين البلاغ غير المطروق و لا الآسن، و برعت التوايف في الفنون المتعدّدة، و اشتهرت التصانيف و منها هذا التصنيف المشار إليه لما له من الأذمة المتأكّدة، إذ أظهر هذا الاستدلال، و أوضح البيان ما كتبه الإجمال، فلنفسح الآن بما قصد، و لنحقّق من أنجم السعادة ما رصد، و ذلك أنّ لمولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل ربّ العالمين، الغالب بالله المؤيّد بنصره أبي عبد الله محمد ابن الخلفاء النصريين، أيده الله و نصره! و سنّى له الفتح المبين و يسّره! ما أثر لم يسبق إليها، و مكارم لم يجر أحد ممّن وسم بالكرم عليها، لجلالة قدرها، و ضخامة أمرها، من ذلك هذا المقصد الذي أثر لها كالكتاب المذكور و سواه، ممّا هو واحد في فنه و فدّ في معناه، عقد في جميعها التحسيس على أهل العلم و الطلبة بحضرته العليا هنالك ليشمل به الإمتاع، و يعمّ به الانتفاع، و الله تعالى ينفع بهذا القصد الكريم، و يتولّى المثوبة على هذا العقد الجسيم، و هذه النسخة في اثني عشر سفراً متّفقه الخطّ و العمل، اكتتب هذا على ظهر الأول منها، و بتاريخ رجب الفرد من عام تسعة و عشرين و ثمانمائة، عزّف الله تعالى بركته بمنّه! انتهى.

[لسان الدين يقف نسخة من كتاب الإحاطة بخانقاه سعيد السعداء بمصر]

و كان لسان الدين بن الخطيب - رحمه الله تعالى - أرسل في حياته نسخة من «الإحاطة» إلى مصر، و وقفها على أهل العلم، و جعل مقرّها بخانقاه سعيد السعداء، و قد رأيت منها المجلّد الرابع، و هذا نصّ و قفيته: الحمد لله وحده، و وقف الفقير إلى رحمة الله تعالى الشيخ أبو عمرو بن عبد الله بن الحاج الأندلسي - نفع الله تعالى به! - عن موكله مصنّفه الشيخ الإمام العلامة بركة الأندلس لسان الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخطيب الأندلسي السليمانى - فسح الله تعالى في مدّته! و فتح لنا و له أبواب رحمته! و منحنا و إياه من رفته و عطيته! و أسكننا و إياه أعالي جنّته! - جميع هذا الكتاب «تاريخ غرناطة»، و هو ثمانية أجزاء، هذا رابعها، عن مصنّفه المذكور بمقتضى التفويض الذي أحضره، و هو أنه فوّض إليه النيابة عنه في جميع أموره الماليّة كلّها، و شؤونه أجمعها، و النظر في أحواله على اختلافها و تباين أجناسها، تفويضا تامّا على العموم و الإطلاق، و الشمول و الاستغراق، لم يستثن شيئا ممّا تجوز النيابة فيه إلّا أسنده إليه، و هو ثابت على سيّدنا و مولانا قاضى القضاء يومئذ بئغر الإسكندرية المحروس - أدام الله تعالى أيامه! - كمال الدين خالصة أمير المؤمنين أبي عبد الله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٨٩

الله محمد بن الربيع المالكي ثبوته مؤرخ بثالث ذى الحجة عام سبعة و ستين و سبعمائة، وقفا شرعيًا على جميع المسلمين ينتفعون به قراءة و نسخا و مطالعة، و جعل مقرّه بالخانقاه الصالحية سعيد السعداء، رحم الله تعالى واقفها! و جعل النظر في ذلك للشيخ العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حجلة، حرسه الله تعالى! ثم من بعده لناظر أوقاف الخانقاه المذكورة، فلا يحلّ لأحد، يؤمن بالله

العظيم، و يعلم أنه صائر إلى ربّه الكريم، أن يبطله و لا شيئا منه، و لا يبده و لا شيئا منه، فمن فعل ذلك أو أعان عليه فإنما إثمه على الذين يدلونه، إن الله سميع عليم، و من أعان على إبقائه على حكم الوقف المذكور جعله الله تعالى من الفائزين المظمئين الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و أشهد الواقف الوكيل عليه في ذلك في الثاني و العشرين لشهر الله تعالى المحرم عام ثمانية و ستين و سبعمائة؛ انتهى.

[المؤلف يرى خطوط جماعة من العلماء على نسخة الإحاطة بمصر]

و قد رأيت بظهر أول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء، فمن ذلك ما كتبه الحافظ المقرئ المورخ، و نصّه: انتقى منه داعيا لمؤلفه أحمد بن علي المقرئ في شهر ربيع سنة ثمان و ثمانمائة.

و ما رقمه الحافظ السيوطي و نصّه: الحمد لله وحده، طالعت على طبقات النحاة و اللغويين، و كتبه عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي سنة ثمان و ستين و ثمانمائة؛ انتهى.

و بعد هذين ما صورته: انتقى منه داعيا لمؤلفه محمد بن محمد القوصوني سنة أربع و خمسين و تسعمائة.

و بعده ما صورته: أنهاه نظرا و انتقاء على الحموي الحنفي، لطف الله به.

و بخط مولانا العارف الرباني علامة الزمان و بركة الأوان الشيخ محمد البكري الصديقي ما نصّه: طالعت مبهتجا برياضه المونقة، و أزهار معانيه المشرقة، مرتقيا في درج كلماته العذاب سماء الاقتباس، مقتنيا من لطائفه دررا و جواهر بل أحاشيها بذلك القياس، كتبه محمد الصديقي غفر الله له! انتهى.

و رأيت بهامش هذه النسخة كتابة جماعة من أهل المشرق و المغرب كابن دقماق و الحافظ ابن حجر و غيرهما من أهل مصر، و من المغاربة ابن المؤلف أبي الحسن علي الخطيب، و الخطيب الكبير سيدي أبي عبد الله بن مرزوق، و العلامة أبي الفضل ابن الإمام التلمساني،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٩٠

و النحوى الراعى، و الشيخ الفهامة الشهير يحيى العجيسى شارح الألفية و صاحب التأليف، و غير هؤلاء ممن يطول تعدادهم، رحم الله تعالى جميعهم!

[ابن الأحمر يبين أصول ابن الخطيب في كتابه الإحاطة]

و قد أشار ابن الأحمر حفيد الغنى بالله تعالى الذي كان ابن الخطيب وزيرا له ثم انفصل عنه حسبما تقدّم إلى ما يتعلّق بكتاب «الإحاطة» في جملة كلام نصّه: و تلقينا ممن نثق به أنّ الكاتب المجيد الأصيل حسبا، البارع أدبا، أبا عبد الله بن جزى وفد على السلطان أبي عنان صاحب المغرب في حدود عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، فأكرم جنابه، و كمل من تقريبه و اصطناعه آرابه، فانتدب إلى ذكر وطنه الأندلسي، و صاح بمن عدله: [الوافر]

أيا و يح الشجى من الخلى

و برع غاية البراعة في التاريخ الذي جمعه، و رفع رايه البلاغة لما كلف به و وضعه، فلم يكن شيء من الكلام إلّا قال الإحسان و أنا معه، استوعب ما شاء، و أبدع في كلّ ما نقل سواء كان شعرا أو إنشاء، لكنّ سابق أجله منع من الإمتاع بمجمله و مفصّله، و جاءت الحادثة العظمى من وفاة مولانا والد جدنا أمير المسلمين أبي الحجاج في غرة شوال من عام خمسة و خمسين و سبعمائة فعين لتعريف صاحب المغرب بالكائنة خاصّ الدولة و رئيس الجملة أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب، فوقف من تاريخ ابن جزى على

شاطيء نهر فياض، وانتشق من ورقاته أزاهر رياض، و حمله النظر في بدائعه على أن يأخذ في جمع كتابه المسمى ب «الإحاطة فيما تيسر من تاريخ غرناطة»، و وجد لذلك موجبا أغراه بجمعه، و هو أن الشيخ الحجة الشاعر المفلق أبا إسحاق بن الحاج وفد على الأندلس بعد جوبه الآفاق، و ترخله إلى ما وراء الشام و العراق، و إعلامه أنه يذهب في بداية تاريخ مذهب ابن جزى و غيره، و كان وحيدا في فنون الآداب، و المساجلة لأعلام الكتاب، و بحكم الاتفاق على أثر وصول ابن الخطيب من الرسالة للسلطان أبي عنان وجد الحاجب الخطير أبا النعيم رضوان قد استولى على وظيفة الحجابة و الرياسة و أقنعه بالاسم من ذلك المسمى، و بأن وقفه دون طموحه إلى عادته من المرقب الأسمى، فأنتج الانتباز من تلك الرياسة الخطيبية أن ألقى الخطبة على جلاله مقدارها، و توضح أنوارها، في مرتقى إجلالها و إكبارها، و أخذ في تأليف «الإحاطة» مستدعيا تصحيح

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٩١

الموالد و الوفيات، و الأسماء و المسميات، و مستكثرا من طرف المصنفات، ليتيم قصده من الإطناب، و نقله العيون الرائقة من كل كتاب، و ألقى جميع مقاصده، و المعظم من تنظيم فرائده، بيد الشيخ العمدة معلم الجملة منا كتاب الله و سنه رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا عبد الله الشريشى، قدس الله تعالى ضريحه! و هذا الشيخ الذى لم يجاوز سن الكهولة في ذلك الوقت هو الذى تولى من المييزات نقله، و أحكم جنسه و فصله، و انختم على مجلدات سته. و لما عاد ابن الخطيب إلى الأندلس بعودة جدنا الغنى بالله تعالى إلى ملكه عام ثلاثة و ستين و سبعمائة تلاحقت الفروع من كتاب «الإحاطة» بالأصول، و أنجز من التبخر فيه الوعد الممطول، و وضعت بخانقاه سعيد السعداء النسخة المتممة من اثني عشر سفرا؛ انتهى كلامه.

و قد علمت أن المكتوب في الوقفية كما مر ثمانية مجلدات، لا اثنا عشر، فلعل ذلك الاختلاف بسبب الكبر و الصغر، و الله سبحانه و تعالى أعلم.

و الكاتب أبو عبد الله بن جزى الذى أشار إليه قد عرفنا به فيما سبق فليراجع.

[ترجمة أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الحاج الغرناطى (عن الإحاطة)]

و أما العلامة ابن الحاج، فهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم الكاتب القاضى النميرى، و يعرف بابن الحاج الغرناطى؛ قال فى الإحاطة: نشأ على عفاف و طهارة، و برّ و صيانته، و بلغ الغاية فى جودة الخط، و ارتسم فى كتاب الإنشاء عام أربعة و ثلاثين و سبعمائة، مع حسن صمت، و جودة أدب و خط، و ظهور كفاية، يقيده و لا يفتر، و يروى الحديث مع الطهارة و النزاهة، مليح الدعابة، طيب الفكاهة، شرق و حج و تطوف و قيد و استكثرت و دون رحلة سفره، و ناهيك بها طرفه، و قفل لإفريقية، و خدم بعض ملوكها، و كتب ببجاية، ثم خدم سلطان المغرب أبا الحسن، ثم كتب عن صاحب بجاية، ثم تنزه عن الخدمة، و انقطع بتربة الشيخ أبا مدين مؤثر الخمول، ذاهبا مذهب العكوف بباب الله تعالى، حجة على أهل الحرص و التهافت، ثم جبر على الخدمة عند أبا عنان، ثم أفلت عند موته فالحق بالأندلس، و ألقى بيز و تنويه و عناية، و ولى القضاء بقرب الحضرة، و هو الآن من صدور القطر و أعيانه،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٩٢

متوسط الاكتهال، روى عن مشيخة بلده و استكثرت، و أخذ فى رحلته عن ناس شتى، و ألف تواليف منها «إيقاظ الكرام، بأخبار المنام» و جزء فى بيان الاسم الأعظم كثير الفائدة، و «نزهة الحدق، فى ذكر الفرق» و كتاب «اللباس و الصحبة»، فى جمع طرق المتصوفة، المدعى أنه لم يجمع مثله، و جزء فى الفرائض على الطريقة البديعة التى ظهرت بالمشرق، و جزء فى الأحكام الشرعية سماه ب «الفصول المقتضية، فى الأحكام المنتخبة» و رجز فى الجدل، و رجز صغير فى الحجب و السلاح، و رجز صغير سماه ب «مثالب القوانين، فى التورية و الاستخدام و التضمن».

مولده بغرناطة سنة ثلاث عشرة و سبعمائة، و امتحن بالأسر مع جماعة بعد قتال عام ثمانية و ستين، ثم فكّه الله تعالى؛ انتهى ملخصاً. و أخذ عنه جماعة كالقاضي أبي بكر بن عاصم صاحب «التحفة» و غيره، و هو من الأدباء المكثرين، و كان عندي بالمغرب مجلّد من رحلته التي بخطّه، و قد أتى فيه بالعجب العجائب، و تمهّر في الحديث على طريقة أهل المشرق؛ لأنه لقي جماعة من الحفاظ كالذهبي و البرزالي و المزى، و ناهيك بالثلاثه، و غيرهم ممّن يطول تعداده، و له النظم الرائق، العذب الجامع بين جزالة المغاربة و رقة المشاركة، كما ستره، فمن نظمه يمدح الحفاظ جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزى، و قد أبصره على أسرة دار الحديث الأشرفية بدمشق: [الوافر]

جمال الدين للإقراء يعلو أسرته إذا اصطف الرجال

فمدّ جليت محاسنه بدا لي محيّا في أسرته الجمال

ضمّن قول المعزّي: [الوافر]

أهل فبشّر الأهلين منه محيّا في أسرته الجمال

و قوله في الحفاظ علم الدين أبي القاسم محمد بن يوسف البرزالي: [البسيط]

نوى النوى علم الدين الرضا فأنا من بعد فرقته بالشام ذو ألم

فلا تلمني على حبي دمشق فقد أصبحت فيها زمانا صاحب العلم

و قال فيه أيضا: [البسيط]

نوى النوى علم الدين الرضا فذكت نار اشتياقي حتى استعظموا ألمي

فقلت: إنني من قوم شعارهم جود، فلا تنكروا نارى على علم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٩٣

و قال في الحفاظ شمس الدين الذهبي: [البسيط]

رحلت نحو دمشق الشام مبتغيا روايه عن ذوى الأحلام و الأدب

ففزت في كتب الآثار حين غدت تروى بسلسلة عظمى من الذهب

و قال في الحفاظ المزى أيضا: [الوافر]

جمال الدين أضحى في دمشق إماما نحوه طال الذميل

فلم أعدم بمنزله جميلا فحيث هو الجمال هو الجميل

و قال حين بدوره على الأمير الصالح المحدث الجليل قطب الدين أبي إسحاق إبراهيم ابن الملك المجاهد سيف الدين إسحاق بن

السلطان الملك الرحيم بدر الدين بن لؤلؤ بن عبد الله النورى صاحب الموصل ليروى عنه: [الطويل]

إلى قصد قطب الدين وافيت عندما أقمت على الترحال في الشرق و الغرب

و أصبحت كالأفلاك في السير و السرى فها أنا في مصر أدور على القطب

و قال في قاضى القضاة العالم الشهير صاحب التفسير عماد الدين الكندى، و هو ممّن أخذ عنه بغير الإسكندرية: [المتقارب]

ولما اختبرت ذوات الورى تعجبت من حسن ذات العماد

فتلك التي لم أكن مبصرا مدى عمرنا مثلها في البلاد

و قال في القاضى وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجى: [الكامل]

أضحى وجيه الدين أسبق سابق في العلم و العلياء و الخلق النبیه

عجب الورى من سبقه و تعجبوا فأجبتهم لا تنكروا سبق الوجيه

و من بديع نظمه رحمه الله تعالى قوله: [الكامل]

قد قارب العشرين ظبي لم يكن ليرى الورى عن حبه السلوانا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٩٤

و بدا الربيع بخده فكأنما وافى الربيع ينادم التعمانا

و قوله: [الرجز]

و عارض فى خده نباته بحسنه بين الورى يسحرنا

أجرى دموعى إذ جرى شوقا له فقلت هذا عارضٌ مُطِرُنَا

[سورة الأحقاف: الآية: ٢٤]

و قال و قد توفى أبو يحيى أبو بكر صاحب تونس و ولى ابنه أبو حفص عمر بعد قتله لإخوته: [الطويل]

و قالوا أبو حفص حوى الملك غاصبا و إخوته أولى و قد جاء بالثكر

فقلت لهم كفوا فما رضى الورى سوى عمر من بعد موت أبى بكر

و قال: [الطويل]

أتونى فعاابوا من أحب جماله و ذاك على سمع المحب خفيف

فما فيه عيب غير أن جفونه مراض، و أن الخصر منه ضعيف

و قال: [المتقارب]

أيا عجبا كيف تهوى الملوک محلى و موطن أهلى و ناسى

و تحسدنى و هى مخدومه و ما أنا إلّا خديم بفاس

و قال: [الطويل]

لى المدح يروى منذ كنت كأنما تصوّرت مدحا للورى و ثناء

و ما لى هجاء فاعجبن لشاعر و كاتب سرّ لا يقيم هجاء

و قال فى حقه القاضى أبو البقاء خالد البلوى: نقلت من خطّ سيدى و رفيقى و صديقى إمام المسلمين، برهان الدين، أبى إسحاق بن

إبراهيم بن عبد الله بن الحاج، و أكثره ممّا كان أنشدنيه قديما من نظمه فى التوریه قوله: [الخفيف]

و مهاء تقول إن هى كلت و دعا للمزاح خلّ مرازج

وازر الردف إن فى الأزر منى رمل يبرين يا طبيب و عالج

و قوله: [الوافر]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٩٥

و روض ممحل جذب المراعى سريع القيظ وقدا و التهابا

حكى ابن أبى ربيعة لا شجوننا و لكن كونه يهوى الربابا

و قوله: [الوافر]

و ظبى طرّ عارضه و أعفى عذارا بعد يزهو باخضرار

رأى سقما بمقلته فوافى بأس عاد لكن من عذار

و قوله: [الطويل]

أتونى بنّام من الروض يانع سفته الغوادى كلّ أسجم مدرار

فلا غرو إن أصليته نار زفرتى و حكم على النّمّام الالقاء فى النار

و قوله: [الخفيف]

هذه الشمس بالحجاب توارت بعد نور لها و رحب و بشر

و أتى الليل بالنسيم عليلا فهو يمشى من أفقه لابن زهر

يعنى بذلك الوزير الكبير الشهير الطيب ابن زهر الإشبلى الأندلسى، فإنه كان وحيد دهره فى الطب، فجاءت التورية بسبب ذلك محكمه إلى الغاية.

و قال أبو إسحاق النميرى المذكور: [الوافر]

أيا ضوء الصباح ارفق بصبّ تسيل دموعه فى الخدّ سيلا

و كنت بليلة ليلاء طالت فها أنا فى الورى مجنون ليلي

و قال يخاطب شيخه سيف الدين: [الطويل]

لمولاي سيف الدين فى الفقه بيننا مقام اجتهاد ليس يلحقه الحيف

فتقليده فرض على أهل عصرنا و لا عجب عندي إذا قلّد السيف

و قال: [الطويل]

رعى الله معطار النسيم فإنه رأى من غصون البان ما شاء من عطف

و أبدى حديث الغيث و هو مسلسل لذاك لعمرى ليس يخلو من الضعف

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٩٦

و ترشحت التورية بكون المحديثين يقولون «الحديث المسلسل لا يخلو من الضعف، و لو فى التزام التسلسل، مع كون متن الحديث صحيحا» كما قرّر فى محلّه.

و قال رحمه الله تعالى: [الطويل]

نظرت إلى روض الجمال بوجهه و سقّيته دمعا به العين تكلف

فصحّ حديث الحسن عن ورد خدّها و إن كان أضحى و هو راو مضعف

و قال رحمه الله تعالى: [الطويل]

بدا عارض المحبوب فاحمرّ خجله و أهدى لنا وردا به الحسن ناهض

فقلت له لا تنكر الورد ناضرا فقد سال فى خديك من قبل عارض

و قال: [الكامل]

النوم عن إنسان عيني نافر كالوحش ليس يقارب الإنسانا

و الدمع منها فاض طوفانا فلا عجب إذا ما غرّق الأجفانا

و قال رحمه الله تعالى: [الوافر]

بكت شجنا ففاض الدمع يحكى يتامى الدرّ إذ يهوى تؤاما

و سلّت من محاجرها سيوفا فحقت على المحاجر و اليتامى

و قال القاضى خالد البلوى رحمه الله تعالى: من نظم صاحبنا أبى إسحاق بن الحاج النميرى يخاطب شيخه و شيخنا أيضا صاحب

ديوان الإنشاء الإمام جمال الدين إبراهيم بن الإمام العلامة صاحب ديوان الإنشاء ملك الكلام قسّ الفصاحة شهاب الدين محمود بن

سليمان الحلبي، و قد تقرّب إليه فى قصد الرواية عنه: [الطويل]

إلى ابن شهاب الدين طال تغزبي فلما سرت عيسى له و ركابي
 رويت حديث الفضل عنه فصَح لي كما شئت مرويًا عن ابن شهاب
 وقوله يخاطب كمال الدين بن جمال الدين المذكور: [الكامل]
 أشبهت والدك الرضا في فضله وأخذته عنه بخير مناب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٩٧
 و ملكتنى فحديث فضلك في الوري عن مالك يروى عن ابن شهاب
 وقال رحمه الله تعالى: [المتقارب]
 لعمر ك ما ثغره باسم ولكنه حب لآعب
 ولو لم يكن ريقه مسكرا لما دار من حوله الشارب
 وقال رحمه الله تعالى ملغزا في القلم: [الطويل]
 سألتك ما واش يرا د حديثه ويهوى الغريب النازح الدار إفصاحه
 تراه مدى الأيام أصفر ناحلا كمثل عليل وهو قد لازم الراحه
 وقال وقد وقف حاجب السلطان على عين ماء ببعض الثغور و شرب منها: [المتقارب]
 تعجبت من ثغر هذى البلاد و مولاي من عينها شارب
 فله ثغر أرى شاربا و عين بدا فوقها حاجب
 وقال: [المتقارب]
 و حمراء في الكأس مشموله تحث على العود في كل بيت
 فلا غرو أن جاءني سابقا إلى الأنس خلّ يحث الكميت
 وقال: [الطويل]
 بروضتنا الظمياء طال اكتئابنا فله غيث ميت آمالنا أحيا
 و أشبه مهيارا فيها تلك عينه تفيض إذا شام البروق على ظميا
 وقال: [البسيط]
 اثنان عزا فلم يظفر بنيلها و أعوزا من هما في الدهر مطلبه
 أخ مودته في الله صادقه و درهم من حلال طاب مكسبه
 وقال موريا بالقائد نافع على ما اختاره البخارى و جماعة أن أصح الأسانيد مالك عن نافع: [الكامل]
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٩٨
 عن نافع أسند حديث أحبتي يا مالكا رقي بحسن صنائع
 فأجلّ إسناد و خير روايه عندي روايه مالك عن نافع
 وقال: [الكامل]
 إنى لأعجب من فعالك في الهوى لما حلت بحسن ذاتك ذاتي
 و نفيت نومى ثم أثبتت الأسى فجمعت بين النفى و الإثبات
 وقال: [الطويل]
 ألا معصم للصب من وشى معصم أطلت إليه نظرة المتوسم

فأبقت به عيني حلبي من سوادها و بعض سواد وسط قلبي المتيتم
و ليس خضابا ما علاه، و إنما جرى فيه بعد الدمع ما عزّ من دمي
و لم يعد مني اللون لون سواده خلا أنني أشقى و قيل له انعم
و قال و قد جاء الشاعر المفلق أبو العباس أحمد بن عبد المّان بيت الكتاب و في عينه خضرة: [المتقارب]
أيا أحمد المرتضى للعلا و من حاز في صنعه كلّ زين
ترأيت في العلم روضا نصيرا فلا تنكرن خضرة حول عين
و له فيه: [الطويل]
لك الخير عدم السبك أبدل ناظري زمردة مخضرة من لجينه
فلا تنكروا ما راع من ذاك إنني لصانع تبر القول ناقد شينه
و لا عجب إن أعوز السبك صائغا فأوجب عدم السبك خضرة عينه
و قال فيمن يعرف بالصّهال: [الطويل]
ألا ربّ فرسان توافوا فأدر كوا مع الليل أوتارا لهم دون إمهال
و أجروا بصّهال كميّتا كما ابتغوا فلا تنكروا الإجراء منهم بصّهال
و لما كتب الرئيس الكاتب الجليل أبو عبد الله العزفي مداعبا: [الرجز]
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٢٩٩
يا عصبه كلّ فتى منهم علم فرغتم من كتبكم ردّوا القلم
أجابه ابن الحاج المذكور بقوله: [الطويل]
ألا احتسبوا ما قد أعرتم لفتية تكرمكم بالصفح عن فعلهم قاضي
و لا تظمعو في الرّدّ فالناس كلّهم رأوا أنّ مولانا له القلم الماضي
و قال الوادي آشي: مما نقلت من خطّ الكاتب العلّامة الصدر البارع الحاج القاضي الناظم النائر الجامع للمحاسن و المفخر أبي
إسحاق إبراهيم بن الحاج النميري ما نصّه: كتب إليّ الفاضل النخبه أبو الفضل بن رضوان متمثلا بقول المأمون: [الكامل]
ملك الثلاث الأنسات عناني
فكتبت إليه في التورية: [الطويل]
هنيئا لك البشري بهنّ قدم كما تريد بنعمي للسعادة جامعه
و إن كنت من أهل الصلاح فلا تكن بمائل قلب منك عن حبّ رابعه
فأجابني بقوله: [الرجز]
يا سيدي ذكّرتني بالرابعه لعلّها لكلّ خير جامعه
إني أخاف أن تكون باقعه فتفرك المغازل المطاوعه
و لابن الحاج المذكور من قصيده طويّله: [الكامل]
لمن الخيام سطت ببيض صفاح وارت سوادا غال كلّ صباح
إن مزّقت رقعت بنقع كتائب أو قوّضت عمدت بسمر رماح
و له في رثاء الطيب ابن عمار، و اقترح عليه ذلك ابن جزى: [الطويل]
ألا أسعدا عيني على السهد و البكا فقد واصل السهد المبرّح تذكارى

و أبدى الردى فتك ابن عباد إذ سطا فلا غرو أن أبكى لفقد ابن عمار
و قال ممّا يكتب في الترس: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٠٠
أنا الترس قد أنشأت بالأمر عدّه ليوم جهاد مطلع غزّه النَّصر
فلاقوا بي الأعداء في زحفهم ولا تبالوا بقرع الزّرق و البيض و السّمر
ولا تنكروا سترى لمقتل حاملي ففى اسمى كما شاهدتم أحرف السّتر
و له يهنى السلطان أبا عنان أمير المؤمنين المرينى بالإبلال من المرض: [الطويل]

مطالب إلّا أنهنّ مواهب قضى الله أن تقضى، فنعم المطالب
شفاء أمير المؤمنين و إنه لأكرم من تحدى إليه الركائب
و كم قلت غاب البدر و الشمس ضلّه و رانت على قلبى الهموم النواصب
و لم يغبا لكن شكا الضّرّ فارس و أوحش منه مجلس الملك غائب
لك الله يا خير الملوك و خير من تحنّ له حتى العتاق الشواذب
و قلّ لمن وافى بشيرا نفوسنا فما هى إلّا بعض ما أنت واهب
أقول لجرد الخيل قبا بطونها معقدة منها لحرب سباب
طوالع من تحت العجاج كأنها نعام بكتبان الصّريم خواصب
محجّله غزّا كأنّ رعالها بحار جرت فيها الصّبا و الجنائب
من الأعوجيات الصّوافن ترتى إذا رجفت يوم القراع مقاب
هنيئا فقد صحّ الإمام الذى به تفلّ السيوف المرهفات القواضب
و مستأصل الفل المغدّ جواده لضرب كما ترغو القحول الضوارب
و من حطّم السّمر الطوال كعوبها بطعن كما امتاح الركيه شارب
و كزّ على أرض العدا بفوارس كأنهم فى الحرب أشدّ غوالب
كأنّ ظباهم فى الهياج أكفهم تجود و أرواح العدا مواهب
كأنّ رماح الخطّ أحسابهم، و ما حوت من نفوس المعتدين مناقب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٠١

هم ما هم، حدّث عن البحر أو بنى مرين فنهج القول أبلج لاحب
من البيت شادت قيس عيلان فخره فطالت معاليه و طابت مناسب
و أحيا له ملك الخليفة فارس ماثر غالتها الليالى الذواهب
كريم فلا الحادى النجائب مخفق لديه، و لا المضنى الركائب خائب
أرى بذله النعمى ففضّت مكاسب أرى بأسه الأنضى ففضّت كتائب
أنامله يروى الورى صوب جودها فلو لا دوام الرأى قلت السحائب
و كم خلت برقاً فى الدّجى نور بشره تشيم سناه الناجيات النجائب
فأخجلنى أنى أرى البرق خلّبا فلا الصوب هام لا و لا الجود ساكب
أعرنى أمير المؤمنين بلاغه فإنى عن عجز لمدحك هائب

و أنطق لسانى بالبيان معلماً فإنى فى التعليم للوجود راغب
و كيف ترى لى بعد فى الجود رغبةً و جودك لى فوق الذى أنا طالب
و قد شبت الآمال إذ شبت ثم إذ تفقدتها لم يدر ما شبّ شائب
بلغت بك الآمال حتى كأنها و قد صدقت ما شئت صدقا كواذب
عجبت و ما تولى، و أوليت معجبا فلا برحت تنمو لديك العجائب
و حسبى دعاء لو سكت كفيته كما قيل لكن فى الدعاء مذاهب
و ما أنا إلّا عبدك المخلص الذى يراقب فى إخلاصه ما يراقب
فخذها تبث العذر لا المدح؛ إنه هو البحر قل هل يجمع البحر شاحب
بقيت بقاء الدهر ملكك قاهر و سيبك فياض، و سيفك غالب
و عوفيت من ضرّ و أعطيت أجره و لا روعت إلّا عداك النوائب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٠٢
و قال رحمه الله تعالى: [الطويل]

و لو لا ثلاث جاء جبريل سائل لخير الورى عنها لآثرت فقدانى
مقامات إسلام أزيد لفعله ثوبا و إيمان أديم و إحسانى
و قال رحمه الله تعالى: أنشدنى السلطان أمير المؤمنين أبو عنان فارس ابن أمير المسلمين أبى الحسن المرينى رحمهما الله تعالى
لنفسه: [الخفيف]

يا ملما بأرض تلك البلاد حى فاسا و حى أهل الوداد
إن تناءت بشخصها عن عيانى فحماها مصور فى فؤادى

[قصيدة لمحمد بن الثغرى يمدح فيها أبا حمو سلطان تلمسان]

قلت: تذكرت بهذا البحر و الروى و الغرض قول الفقيه الكاتب العلامة الناظم الناثر أبى عبد الله محمد بن يوسف الثغرى كاتب
سلطان تلمسان أمير المسلمين أبى حمو موسى بن يوسف الزبائى يمدحه و يذكر تلمسان المحروسة: [الخفيف]
أيها الحافظون عهد الوداد جدّدوا أنسنا بباب الجياد
وصلوها أصانلا بليال كلال نظمن فى الأجياد
فى رياض منضّات المجانى بين تلك الرّبا و تلك الوهاد
و بروج مشيدات المبانى باديات السنا كشهد بواد
رقّ فيها النسيب مثل نسيبى و صفا النهر مثل صفو و دادى
و زها الزهر و الغصون تثت و تغنت عليه ورق شواد
و انبرى كلّ جدول كحسام عارى الغمد سندسى النجاد
و ظلال الغصون تكتب فيه أحرفا سطرّت بغير مداد
تذكر الوشم فى معاصم خود نصبت فوقه ذوات امتداد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٠٣
و كووس المنى تدار علينا بجنى عفة و نقل اعتقاد

واصفرار الأصيل فيها مدام و صفير الطيور نغمة شاد
 كم غدونا بها لأنس و رحنا جادها رائح من المزن غاد
 و لكم روحه على الدوح كادت أن تريح الصبا لنا و هو غاد
 رقت الشمس في عشايه حتى أحدثت منه رقة في الجماد
 جددت بالغروب شجو غريب هاجه الشوق بعد طول البعاد
 يا حيا المزن حيها من بلاد غرس الحب غرسها في فؤادى
 و تعاهد معاهد الأنس منها و عهدود الصبا بصوب العهاد
 حيث مغنى الهوى، و ملهى الغوانى و مراد المنى، و نيل المراد
 و مقر العلا و مرقى الأمانى و مجر القنا، و مجرى الجياد
 كل حسن على تلمسان وقف و خصوصا على ربي العباد
 ضحك الثور فى رباها و أربى كهف ضحاكها على كل ناد
 و سما تاجها على كل تاج و نما وهدها على كل واد
 يدعى غيرها الجمال فيقضى حسنها أن تلك دعوى زياد
 و بشعري فهمت معنى علاها من حلالها فهمت فى كل وادى
 حضرة زانها الخليفة موسى زينة الحللى عاطل الأجياد
 و حباها بكل بذل و عدل و حماها من كل باغ و عاد
 ملك جاوز المدى فى المعالى فالنهايات عنده كالمبادى
 معقل للهدى منبع النواحي مظهر للعلا رفيع العماد
 قاتل المحل و الأعادى جميعا بفرار الطبا و غر الأيادى
 كلما ضنت السحائب أغنت راحتاه عن السحاب الغوادى
 كم هبات له و كم صدقات عائدات على العفاه بواد
 فأيدى خليفه الله موسى أبحر عذبه على الورد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٠٤
 ركب الجود فى بسيط يديه فتلافى به تلاف العباد
 جل باريه ملجأ للبرايا كالحيا ضامنا حياة البلاد
 جل من خصه بتلك المزايا باهرات من طارف و تلاد
 شيم حلوه الجنى و سجايا شهد المجد أنها كالشهاد
 يا إمام الهدى و شمس المعالى و غمام الندى و بدر النادى
 لك بين الملوک سر خفى ليس معناه للعقول بباد
 فكأن البلاد كفك مهما كان فيها من ينتمى لعناد
 قبضت كفك البنان عليه فأتى بالإذعان حلف انقياد
 بكم تصلح البلاد جميعا إن آراءكم صلاح البلاد
 لم تزل دائما تحن إليكم كحنين السقيم للعواد

لو أعينت بمنطق شكرتكم مثل شكر العفاء للأجواد
 قد أطاعتكم البلاد جميعا طاعة أرغمت أنوف الأعدى
 فأريحوا الجياد أتعبتموها و أقروا السيوف فى الأعماد
 و اهتؤوا خالدين فى عز ملك قائم السعد دائم الإسعاد
 و إليكم من مذهبات القوافى حكما سهلت ليان المقاد
 كل بيت من النظام مشيد عطر الأفق بالثناء المجداد
 ذو ابتسام كزهر روض موجود و انتظام كسلوك درّ مجاد

[قصيدة أبى المكارم قنديل ابن صاحب المقدمة الأجرومية فى فاس]

و لأبى المكارم منديل ابن الإمام الشهير صاحب «المقدمة الأجرومية» قصيدة فى المنحى وافقت قصيدة الثغرى فى البحر و بعض
 المطلع، فلا ندرى أيهما نسج على منوال الآخر؛ إذ هما متعاصران، إلّا أنّ ذاك قالها فى تلمسان، و هذا فى مدينة فاس، و هى:
 [الخفيف]

أيها العارفون قدر الصّبح جدّوا أنسنا بباب الفتوح
 يعنى بباب الفتوح أحد أبواب فاس، كما أنّ باب الجياد فى كلام الثغرى أحد أبواب تلمسان.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٠٥
 ثم قال ابن آجروم بعد المطلع:
 جدّوا ثم أنسنا ثم جدّوا يسرح الطرف فى مجال فسيح
 حيث شابت مفارق اللوز نورا و تساقطن كاللّجين الصريح
 و بدا منه كلّما احمرّ يحكى شفقا مرّفته أيدي الريح
 و كأنّ الذى تساقط منه نقط لحن من دم مسفوح
 و إذا ما وصلتكم للمصلّى فتحلّوا بموضع التسيح
 و بطيفورها فطوفوا لكيما تبصروا من ذراه كل سطوح
 و لتقيموا هناك لمحّة طرف لتردّوا به ذماء الروح
 ثم حطّوا رحالكم فوق نهر كلّ فى وصفه لسان المديح
 فوق حافاته حدائق خضر ليس عنها لعاشق من نزوح
 و كأنّ الطيور فيها قيان هتفت بين أعجم و فصيح
 و هى تدعوكم إلى قبّة الجو زهلموا إلى مكان مليح
 فيه ما تشتهون من كلّ لون مغلق فى الكمام أو مفتوح
 و غصون تهيج رقصا إذا ما سمعت صوت كلّ طير صدوح
 فأجيبوا دعاءها أيّها السرب و خلّوا مقال كلّ نصيح
 و اجنحوا للمجون فهو جدير و خليق من مثلكم بالجنوح
 و اخلعوا ثمّ للتصابى عذارا إنّ خلع العذار غير قبيح
 و إذا شتمت مكانا سواه هو أجلى من ذلكم فى الوضوح

فاجمعوا أمركم لنحو خليج جاء كالصّل من قفار فسيح
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٠٦
 عطرت جانيه كفّ الغواذى بشذا عرف زهرها الممنوح
 قل لمهيار إن شممت شذاها قول مستخبر أخى تجريح
 أين هذا الشذا الذكى من القى صوم و الرند و الغضا و الشيخ
 حبذا ذلك المهاد مهادا بين دان من الرّبا و نزوح
 ثم من ذلك المهاد أفيضوا نحو هضب من الهموم مريح
 فيه للحسن دوحه و روايا و انشراح لذي فواد قريح
 و حجار تدعى حجار طبول غير أنّ التطيل غير صحيح
 تنثر الشمس نم كلّ غدیر زعفرانا مبللا بنضوح
 و سوى من هناك يسبى عقولا و يجلى لحاظ طرف طموح
 و عيون بها تقرّ عيون و كلاها بأسو كلوم الجريح
 فرشت فوقها طنافس زهر ليس كالعهن نسجها و المسوح
 كلما مرّ فوقهنّ طليح عاد من حسنهنّ غير طليح
 فانفضوا أيها المحبّون مثلى لئرى ذات حسنها الملموح
 هكذا يربح الزمان و إلّا كلّ عيش سواه غير ربيح

[قصيدة أخرى للثغرى يمدح تلمسان و سلطانها]

و ما أحسن قول الكاتب الثغرى يمدح تلمسان و سلطانها المذكور آنفا: [الكامل]
 تاهت تلمسان بحسن شبابها و بدا طراز الحسن فى جلبابها
 فالبشر يبدو من حباب ثغورها متبسما أو من ثغور حبابها
 قد قابلت زهر النجوم بزهرها و بروجها بروجها و قبابها
 حسنت بحسن مليكها المولى أبى حمّو الذى يحمى حمى أربابها
 ملك شمانله كزهر رياضها و نداه فاض بها كفيض عبابها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٠٧
 أعلى الملوک الصّيد من أعلامها و أجّلها من صفوها و لبابها
 غارت بغرّة وجهه شمس الضحى و تنقبت خجلا بثوب ضبابها
 و البدر حين بدت أشعتها له حسنا تضاءل نوره و خبابها
 لله حضرته التى قد شرفت خدامها فسموا بخدمه بابها
 فاللثم فى يمناه يبلغها المنى و المدح فى علياه من أسبابها
 و للثغرى المذكور قصيدة لامية بديعه فى مدح السلطان أبى حمّو، و وصف بلاد تلمسان، و أجاد فيها إلى الغايه، و هى: [الكامل]
 قم مبصرا زمن الربيع المقبل تر ما يسرّ المجتنى و المجتلى
 و انشق نسيم الروض مطلولا و ما أهداك من عرف و عرف فاقبل

و انظر إلى زهر الرياض كأنه درّ على ثبات ربّات الحلى
 فى دوله فاضت يداها بالندى و قضت بكلّ منى لكلّ مؤمل
 بسطت بأرجاء البسيطة عدلها وسطت بكلّ معاند لم يعدل
 سلطانها المولى أبو حمو الرضا ذو المنصب السامى الرفيع المعتلى
 تاهت تلمسان بدولته على كلّ البلاد بحسن منظرها الجلى
 راقت محاسنها و رقّ نسيمها فحلا بها شعرى و طاب تغزلى
 عزّج بمنعرجات باب جيادها و افتح بها باب الرجاء المقفل
 و لتغد للعباد منها غدوة تصبح هموم النفس عنك بمعزل
 و ضريح تاج العارفين شعبيها زره هناك فحبذا ذاك الولى
 فمزاره للدين و الدّنيا معا تمحى ذنوبك أو كروبك تنجلى
 و بكهفها الضحّاك قف متزّها تسرح نفوسك فى الجمال الأجل
 و تمشّ فى جناتها و رياضها و اجنح إلى ذاك الجناح المخضّل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٠٨
 تسليك فى دوحاتها و تلاعها نغم البلابل و أطراد الجدول
 و بربوة العشّاق سلوة عاشق فتنت و ألاحظ الغزال الأكلحل
 بنواسم و بواسم من زهرها تهديك أنفاسا كعرف المندل
 فلو امرؤ القيس بن حجر راءها قدما تسلى عن معاهد مأسل
 لو حام حول فنائها و ظبائها ما كان محتفلا بحومه حومل
 فاذا كر لها كلفى بسقط لوائها فهوای عنها الدهر ليس بمنسل
 كم جاد لى فيها الزمان بمطلب جادته أخلاق الغمام المسبل
 و اعمد إلى الصّفصيف يوما ثانيا و به تسلّ و عنه دأبا فاسأل
 واد تراه من الأزاهر خاليا أحسن به عطلا و غير معطل
 ينساب كالأيّم انسيابا دائما أو كالحسام جلاه كفّ الصّيقل
 فزاله فى كلّ قلب قد حلا و جماله فى كلّ عين قد حلى
 و اقصد بيوم ثالث فوّارة و بعذب منهلها المبارك فانهل
 تجرى على درّ لجينا سائلا أحلى و أعذب من رحيق سلسل
 و اشرف على الشّرف الذى يازائها لترى تلمسان العليّة من عل
 تاج عليه من المحاسن بهجة أحسن بتاج بالبهاء مكّلل
 و إذا العشيّة شمسها مالت فمل نحو المصلّى ميله المتمهل
 و بملعب الخيل الفسيح مجاله أجل النواظر فى العتاق الحفّل
 فلحلبه الأشراف كلّ عشيّة لعب بذاك الملعب المتسهّل
 فترى المجلىّ و المصلّى خلفه و كلاهما فى جريه لا يأتلى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٠٩

هذا يكرّ و ذا يفرّ فينثى عطفًا على الثانى عنان الأول
من كلّ طرف كلّ طرف يستبى قيد النواظر فتنة المتأمل
ورد كأنّ أديمه شفق الدّجى أو أشهب كشهاب رجم مرسل
أو من كميت لا نظير لحسنه سام معّم فى السوابق مخول
أو أحمر قانى الأديم كمسجد أو أشقر يزهو بعرف أشعل
أو أدهم كالليل إلّا غرّة كالصبح، بورك من أغرّ محجّل
جمع المحاسن فى بديع شياته مهما ترقّ العين فيه تسهل
عقبان خيل فوقها فرسانها كالأسد تنقضّ انقضاض الأجدل
فرسان عبد الواد آساد الوغى حامو الذمار أولو الفخار الأطول
فإذا دنت شمس الأصيل لغربها فإلى تلمسان الأصيله فادخل
من باب ملعبها لباب حديدها متنزّها فى كلّ ناد أحفل
و تأنّ من بعد الدخول هنيهة و اعدل إلى قصر الإمام الأعدل
فهو المؤمل و الديار كناية و السّرّ فى السكان لا فى المنزل
فإذا أمير المؤمنين رأيته فالثم ثرى ذاك البساط و قبل
فالحمد لفظ فى الحقيقة مجمل و حلاه تفصيل لذاك المجمل
بشرى لعبد الواد بالملك الذى خلصوا به من كلّ خطب معضل
بأعزّهم جاراء، و أمنعهم حمى و أجلّهم مولى، و أعظم موئل
بالعادل المستنصر المنصور و ال مأمون و المهديّ و المتوكّل
و كفاهم سعدا أبو حمو الذى يحمى حماهم بالحسام الفيصل
و بحسن نيته لهم و بجده و بسعده و بسعيه المتقبل
ذو الهمة العليا التى آثارها حلّت به فوق السماك الأعزل
بحر الندى الأحلى و فخر المنتدى و سنا الدّجى الأجلّى وزين المحفل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣١٠
ينهلّ منه لنا الجدا و به الدّجى تجلى بمشرق وجهه المتهلّل
هنىء به زمن الربيع و قل له بشرى بأملح من حلاك و أجمل
و على علاه من صنيعه فضله تراد نافحة السلام الأكمل

[القاضى المزدغى يمدح فاس، و لسان الدين يمدح تلمسان]

و كأنه عارض بهذه القصيدة قطعة فى بحرهما و رويها فى مدح مدينة فاس لبعض العلماء، و أظنه القاضى المزدغى، و هى: [الكامل]
يا فاس، حيّا الله أرضك من ثرى و سقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنّة الدنيا التى أربت على حمص بمنظرها البهىّ الأجل
غرف على غرف و يجرى تحتها ماء اللذّ من الرحيق السلسل
و بساتن من سندس قد زخرفت بجداول كالأيام أو كالفيصل

و بجامع القرويين شرف ذكره أنس بذكراه يهيج تلملى
و بصحنه زمن المصيف عجائب فمع العشى الغرب فيه استقبال
و اشرب بتلك البيلة الحسنه به و اكرع بها عنى فديتك و انهل
و قد تمثّل لسان الدين رحمه الله تعالى فى مدينه فاس بقول القائل: [الكامل]
بلد أعارته الحمامة طوقها و كساه ريش جناحه الطاووس
فكأتما الأنهار فيه مدامه و كأنّ ساحات الديار كؤوس
و ما أحسن قوله- أعنى لسان الدين- فى مدح تلمسان: [الكامل]
حيّا تلمسان الحيا فربوعها صدف وجود بدرها المكنون
ما شئت من فضل عميم إن سقى أروى و منّ ليس بالممنون
أو شئت من دين إذا قدح الهدى أورى و دنيا لم تكن بالدون
ورد النسيم لها بنشر حديقه قد أزهرت أفنانها بفنون
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣١١
و إذا حبيبه أم يحيى أنجبت فلها الشفوف على عيون العين
يعنى بحبيبه أم يحيى عين ماء بتلمسان من أعذب المياه و أخفها، و كانت جارية بالقصور السلطانية، و لم تنزل إلى الآن منها بقيه آثار
و رسوم، و البقاء لله تعالى وحده.

[أبى عبد الله التاليسى فى تلمسان]

و ممّن مدح تلمسان الحاجّ الطيب أبو عبد الله محمد بن أبى جمعة الشهير بالتاليسى رحمه الله تعالى، إذ قال: [الطويل]
سقى الله من صوب الحيا هاطلا وبلا ربوع تلمسان التى قدرها استعلى
ربوع بها كان الشباب مصاحبى جررت إلى اللذات فى دارها الذيلا
فكم نلت فيها من أمان قصيه و كم منح الدهر الضنين بها النيلا
و كم غازلتنى الغيد فيها تلاعبا و كل عذول لا أطيع له قوللا
و كم ليلة بتنا على رغم حاسد ندير كؤوس الوصل إذ بالصفّا تما
و كم ليلة بتنا بصفصيفها الذى تسامى على الأنهار إذ عدم المثلا
و كديه عشاق لها الحسن ينتهى يعود المسنّ الشيخ من حسننا طفلا
نعم، و غدیر الجوزة السالب الحجا نعمت بها طفلا و همت بها كهلا
و منه و من عين أم يحيى شرابنا لأنهما فى الطيب كالنيل بل أحلى
و عبادهما ما القلب ناس ذمامه به روضه للخير قد جعلت حلّا
به شيخنا المذكور فى الأرض ذكره أبو مدين أهلا به دائما أهلا
لها بهجه تترى على كلّ بلدة بتاج عليها كالعروس إذا تجلى
فيا جنة الدنيا التى راق حسننا فحازت على كلّ البلاد به الفضلا
و لا عجب أن كنت فى الحسن هكذا و موسى الإمام المرتضى فيك قد حلّا
و لاحت لدينا فيك منه محاسن كأنّ سناها حاجب الشمس إذ جلّى

مطاع شجاع في الوغى ذو مهابة حسام على الباغين في الأرض قد سلّا
 كريم حليم حاتمى نواله سعيد حميد يصدق القول و الفعلا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣١٢
 له راحة كالغيث ينهلّ ودقها و صارم نصر مرهف الحدّ لا فلّا
 هو الملك الأرقى هو الملك الرضا هو الملك الأسنى هو الملك الأعلى
 و من هذه الأوصاف فيه تجمّعت حقيقا على كلّ المعالى قد استولى
 إمام حباه الله ملكا مؤزرا فلا ملك إلا لعزته ذلّا
 من الزاب وافانا عزيزا مظفرا يجزّ من النصر المنوط به ذيلا
 بدت لمليك الغرب شدة بأسه و إنعامه للمعتفين و ما أولى
 فبادره بالصلح خوف فواته و سالمه إذ كان ذاك به أولى
 فكان بحمد الله صلحا مهتأ به طابت الدنيا و جزنا به السبلا
 له فى المعالى رتبة لا ينالها سواه و كتب فى فضائله تتلى
 لطاعته كلّ الأنام تبادرت فى سعد من وافى و يا ويح من ولّى
 أحساده موتوا فإنّ قلوبكم بجمر الغضا ممّا بها أبدا تصلى
 لقد جبر الله البلاد بملكه به ملئت أمنا، به ملئت عدلا
 فلا زال هذا الملك فيه مخلّدا و صارمه الأضى و خادمه الأعلى

[قصيدة ابن خميس فى مدح تلمسان]

و ممّا مدحت به تلمسان قول الإمام الصوفى أبى عبد الله محمد بن خميس الذى قدمنا ذكره فى هذا الكتاب و بعض ما يتعلّق به، و
 ذكرنا أيضا فيما مرّ بعض أمداحه لها: [الطويل]
 تلمسان جادتك السحاب الروائح و أرسى بواديك الرياح اللواقح
 و سحّ على ساحات باب جيادها ملثّ يصابى تربها و يصافح
 يطير فؤادى كلّما لاح لامع و ينهلّ دمعى كلّما ناح صادح
 ففى كلّ شفر من جفونى مائح و فى كلّ شطر من فؤادى قادح
 فما الماء إلا ما تسحّ مدامعى و لا النار إلا ما تجنّ الجوانح
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣١٣
 خليلي، لا طيف لعلوة طارق بليل و لا وجه لصبحى لائح
 نظرت فلا ضوء من الصبح ظاهر لعينى و لا نجم إلى الغرب جانح
 بحقّكما كفّا الملام و سامحا فما الخلل كلّ الخلل إلا المسامح
 و لا تعذلانى و اعذرانى فقلّما يردّ عنانى عن عليّة ناصح
 كتمت هواها ثم برّح بى الأسى و كيف أطيق الكتم و الدمع فاضح
 لساقية الرومى عندى مزية و إن رغمت تلك الرواسى الرواشح
 فكم لى عليها من غدوّ و روحة تساعدنى فيها المنى و المنائح

فطرف على تلك البساتين سارح و طرف إلى تلك الميادين جامع
تحار بها الأذهان و هي ثواقب و تهفو بها الأحلام و هي بوارح
ظباء مغانيها عواط عواطف و طير مجانيها شواد صوادح
تقتلهم فيها عيون نواظر و تبكيهم منهم عيون نواضح
على قرية العباد منى تحية كما فاح من مسك اللطيمة فائح
و جاد ثرى تاج المعارف ديمه تغص بها تلك الرّبا و الأباطح
إليك شعيب بن الحسين قلوبنا نوازع لكنّ الجسوم نوازح
سعت فما قصرت عن نيل غايه فسعيك مشكور و تجرك رابح
نسيت و ما أنسى الوريط و وقفه أنافح فيها روضه و أفواح
مطلًا على ذاك الغدير و قد بدت لإنسان عيني من صفاه صفائح
أماؤك أم دمعي عشية صدقت عليته فينا ما يقول المكاشح
لئن كنت ملآنا بدمعي طافحا فإني سكران بحبك طافح
و إن كان مهري في تلاعك سائحا فذاك غزالي في عبايك سابح
قراح أتى ينصب من رأس شاهق بمثل حلاه تستحث القرائح
أرق من الشوق الذي أنا كاتم و أصفى من الدمع الذي أنا سافح
أما و هوى من لا أسميه إننى لعرضى كما قال النصيح لناصح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣١٤
أبعد صيامي و اعتكافي و خلوتي يقال فلان ضيق الصدر بائح
لبعت رشادي فيه بالغى ضلّه و كم صالح مثلى غدا و هو طالح
و أى مقام ليس لي فيه حاسد و أى مقال ليس فيه مادح
ألا قل لفرسان البلاغة أسرجوا فقد جاء كم منى المكافى المكافح
أ يخمل ذكرى عندهم و هو ناب و يغمط شجوى عندهم و هو شائح
بدور إذا جنّ الظلام كوامل و أشد إذا لاح الصباح كوالح
تركتك سوق البرّ لا عن تهاون و كيف و ظبي سانح فيك بارح
و إنى و قلبى فى ولائك طامع و ناظر و همى فى سماطك طامح
أيا أهل ودّى و العشير مؤمن أ تقضى ديونى أم غريمى فالح
و هل ذلك الظبي النصاحى للذى يقطع من قلبى بعينه ناصح
كنت بها عنه حياء و حشمه و وجه اعتذارى فى القضية واضح

و تلمسان هذه هي مدينتنا التي علقت بها التمام، و قد نزلها من سلفنا عبد الرحمن بن أبى بكر المقرئ بن على صاحب الشيخ أبى
مدين، الذى دعا له و لذريته بما ظهر فيهم قبوله و تبين، و هو الأب الخامس كما سبق فى ترجمه أخبارهم، و هي من أحسن مدائن

المغرب ماء و هواء حسبما قال ابن مرزوق: [الكامل]

يكفيك منها ماؤها و هواؤها

[حديث عن تلمسان لأبي زكريا يحيى بن خلدون في كتابه: بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد، و أيام أبي حمو الشامخة الأطواد]

وقال الكاتب أبو زكريا يحيى بن خلدون في كتابه «بغية الرواد، في أخبار بني عبد الواد، و أيام أبي حمو الشامخة الأطواد» بعد كلام في شأن البربر، ما صورته: و دار ملكهم وسط بين الصحراء و التلّ تسمى بلغة البربر تلمسن، كلمة مركبة من «تلم» و معناها تجمع، و «سن» و معناها اثنان: أى الصحراء و التلّ فيما ذكره شيخنا العلامة أبو عبد الله الأبلّى، رحمه الله تعالى! و كان حافظا بلسان القوم، و يقال «تلمشان» و هو أيضا مركب من «تلم» و معناها لها، و «شان» أى لها شأن، و هى مدينة عريقة فى التمدن، لدنة الهواء، عذبة الماء، كريمة المنبت، اقتعدت بسفح جبل، و دوين رأسه بسيط أطول من شرق إلى غرب، عروسا فوق منصّة، و الشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين، و يطلّ منها على فحص أفيح معدّ للفلاحة تشقّ ظهوره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣١٥

الأسلحة عن مثل أسنمة المهارى، و تبقر فى بطونه عند تدميث الغمائم عن مثل بطون العذارى، و بها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقة، و الصروح الشاهقة، و البساتين الرائقة، ممّا زخرت عروشه، و نمقت غروسه، و نوسبت أطواله و عروضه، فأزرى بالخورنق، و أخرج الرصافة، و عبث بالسدير. و تنصب إليها من عل أنهار من ماء غير آسن، تتجاذبه أيدي المذانب و الأسراب المكفورة خالها، ثم ترسله بالمساجد و المدارس و السقايات بالقصور و عليه الدور و الحمامات، فيفعم الصهاريج، و يفهق الحياض، و يسقى ريعه خارجها مغارس الشجر و منابت الحبّ، فهى التى سحرت الألباب رواء، و أصبت التهى جمالا، و وجد المادحون فيها المقال فأطالوا و أطابوا، إلى أن قال: فأنا أنشد ساكنها قول ابن خفاجة لاستحقاقها إياها عندي: [البسيط]

ما جنّ الخلد إلّا فى منازلكم و هذه كنت لو خيّرت أختار

لا تتقوا بعدها أن تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنّة النار

و توسّطت قطرا ذاكور عديده تعمرها أمشاج البربر و العرب مريعة الجنبات، منجبة للحيوان و النبات، كريمة الفلاحة، زاكية الإصابة، فربما انتهت فى الروح الواحد منها إلى أربعمائة مدّ كبير، ثم أطال فى ذلك ابن خلدون المذكور بما يوقف عليه فى الكتاب المذكور.

[وصف لسان الدين لمدينة تلمسان]

و ممّا ينسب للسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فى وصفها ما صورته: تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء و الريف، و وضعت فى موضع شريف، كأنها ملك على رأسه تاجه، و حواليه من الدوحات حشمه و أعلاجه، عبّادها يدها و كهفها كفّها، و زيتنها زيانها، و عينها أعيانها، هواها المقصور بها فريد، و هواؤها الممدود صحيح عتيد، و ماؤها برود صريد، حجبتها أيدي القدرة عن الجنوب، فلا نحول فيها و لا شحوب، خزائن زرع، و مسرح ضرع، فواكهها عديده الأنواع، و متاجرها فريدة الانتفاع، و برانسها رفاق رفاع، إلّا أنها بسبب حبّ الملوك، مطمعة للملوك، و من أجل جمعها الصييد فى جوف الفرا، مغلوبه للأمرأ، أهلها ليست عندهم الراحة، إلّا فيما قبضت عليه الراحة، و لا فلاحه، إلّا لمن أقام رسم الفلاحة، ليس بها لسع العقارب، إلّا فيما بين الأقارب، و لا شطارة، إلّا فىمن ارتكب الخطارة؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣١٦

و قد كنت بالمغرب نويت أن أجمع فى شأنها كتابا ممتعا أسميه ب «أنواء نيسان، فى أبناء تلمسان» و كتبت بعضه، ثم حالت بينى و بين ذلك العزم الأقدار، و ارتحلت منها إلى حضرة فاس حيث ملك الأشرف ممتدّ الزواق، فشغلت بأمور الإمامة و الفتوى و الخطابة و غيرها، ثم ارتحلت بتيّة الحجاز، و جعلت إلى الحقيقة المجاز، وها أنا ذا إلى الآن فى البلاد المصرية، و فى علم الله تعالى ما لا نعلم،

و التسليم لأحكام الأقدار أسلم، و الله تعالى يختم لنا بالحسنى بجاه نبيه و مصطفىاه صلى الله عليه و سلم. و بها ولدت أنا و أبى وجدى و جدّ جدى، و قرأت بها و نشأت إلى أن ارتحلت عنها فى زمن الشيبه إلى مدينه فاس سنه تسع و ألف، ثم رجعت إليها آخر عام عشره و ألف، ثم عاودت الرجوع إلى فاس سنه ثلاث عشره و ألف، إلى أن ارتحلت عنها للمشرق أواخر رمضان سنه سبع و عشرين و ألف، و دخلت مصر بربح من عام ثمانيه و عشرين و ألف، و الشام بشعبان عام سبعة و ثلاثين و ألف، و أبت منها إلى مصر أواخر شوال من العام، و شرعت فى هذا المؤلف بالقعه من العام.

[المقرى مؤلف الكتاب يتحدث عن تقياته فى البلاد و تواريخها و ترجمه أبى مدين]

و قد تخرّج بتلمسان من العلماء و الصلحاء ما لا ينضب، و يكفيها افتخارا دفن وليّ الله سيدى أبى مدين بها، و هو شعيب بن الحسين الأندلسى، شيخ المشايخ، و سيّد العارفين، و قدوة السالكين؛ قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن التلمسانى فى كتابه «النجم الثاقب»، فيما لأولياء الله تعالى من المناقب: «كان الشيخ سيدى أبو مدين فردا من أفراد الرجال، و صدرا من صدور الأولياء الأبدال، جمع الله له علم الشريعة و الحقيقه، و أقامه ركن الوجود هاديا و داعيا للحق، فقصد بالزيارة من جميع الأقطار، و اشتهر بشيخ المشايخ، و ذكر التادلى و غيره أنه خرج على يده ألف شيخ من الأولياء أولى الكرامات، و قال أبو الصبر كبير مشايخ وقته: كان أبو مدين زاهدا فاضلا عارفا بالله تعالى، خاض بحار الأحوال، و نال أسرار المعارف، خصوصا مقام التوكل، لا يشق غباره، و لا تجهل آثاره، قال التادلى: كان مبسوطا بالعلم، مقبوضا بالمراقبه، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم له بذلك، أخبرنى من شهد وفاته أنه رآه فى آخر الرمق يقول: الله الحق. و كان من أعلام العلماء، و حفاظ الحديث، خصوصا جامع الترمذى، و كان يقوم عليه، و رواه عن شيوخه عن أبى ذر، و كان يلزم كتاب «الإحياء» و يعكف عليه، و ترد عليه الفتاوى فى مذهب مالك فيجيب عنها فى الوقت، و له مجلس و عظم يتكلم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣١٧

فيه، فتجتمع عليه الناس من كل جهه، و تمرّ به الطيور و هو يتكلم فتقف تسمع، و ربما مات بعضها، و كثيرا ما يموت بمجلسه أصحاب الحب، تخرّج عليه جماعه كثيره من العلماء و المحدثين و أرباب الأحوال، و كان شيخه أبو يعزى يثنى عليه جميلا و يخصه بين أصحابه بالتعظيم و التبجيل، قرأ بفاس بعد قدومه من الأندلس على الشيخ الحافظ أبى الحسن بن حرزهم، و على الفقيه الحافظ العلامة أبى الحسن بن غالب. و ذكر عنه أنه قال: كنت فى أول أمرى و قرأت على الشيوخ إذا سمعت تفسير آيه أو معنى حديث فقلت به و انصرفت لموضع خال خارج فاس أتخذها مأوى للعمل بما فتح به علىّ، فإذا خلوت به تأتيني غزاله تأوى إلىّ و تؤنسى، و كنت أمرّ فى طريقى بكلاب القرى المتصلة بفاس، فيدورون حولى، و يبصبصون لى، فبينما أنا يوما بفاس إذا برجل من معارفى بالأندلس سلّم علىّ، فقلت: وجبت ضيافته، فبعت ثوبا بعشره دراهم، فطلبت الرجل لأدفعها له، فلم أجده هنالك، فخلّيتها معى، و خرجت لخلوتى على عادتى، فمررت بقريتى، فتعرض لى الكلاب، و منعونى الجواز، حتى خرج من القرية من حال بينى و بينهم، و لمّا وصلت لخلوتى جاءتنى الغزاله على عادتها، فلمّا شممتنى نفرت عنى، و أنكرت علىّ، فقلت: ما أتى علىّ إلّا من أجل هذه الدراهم التى معى، فرميتها، فسكنت الغزال، و عادت لحالها معى، و لمّا رجعت لفاس جعلت الدراهم معى، و لقيت الأندلسى، فدفعتهإليه، ثم مررت بالقرية فى خروجى للخلوة، فدار بى كلابها و بصبصوا على عادتهم، و جاءتنى الغزاله فشممتنى من مفرقى لقدمى، و أنست بى كعادتها، و بقيت كذلك مدّه، و أخبار سيدى أبى يعزى ترد علىّ، و كراماته يتداولها الناس و تنقل إلىّ، فملا قلبى حبّه؛ فقصدته مع جماعه الفقراء، فلمّا وصلنا إليه أقبل على الجماعه دونى، و إذا حضر الطعام منعنى من الأكل معهم، و بقيت كذلك ثلاثه أيام، فأجهدنى الجوع، و تحيرت من خواطر ترد علىّ، ثم قلت فى نفسى: إذا قام الشيخ من مكانه أمرغ وجهى فى المكان، فقام، و مرغت وجهى فقامت و أنا لا أبصر شيئا، و بقيت طول ليلتى باكيا، فلمّا أصبح دعانى و قرّبنى، فقلت له: يا سيدى، قد عميت و لا أبصر شيئا، فمسح بيده على عيني،

فعاد بصرى، ثم مسح على صدرى، فرالت عنى تلك الخواطر، وفقدت ألم الجوع، و شاهدت فى الوقت عجائب من بركاته، ثم استأذنته فى الانصراف بتيه أداء الفريضة، فأذن لى، وقال: ستلقى فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣١٨

طريقك الأسد فلا يرعك فإن غلب خوفه عليك فقل له: بحرمة يد نور إلاً انصرفت عنى، فكان الأمر كما قال، فتوجه الشيخ أبو مدين للشرق و أنوار الولاية عليه ظاهرة، فأخذ عن العلماء، و استفاد من الزهاد و الأولياء، و تعرف فى عرفه بالشيخ سيدى عبد القادر الكيلانى، فقرأ عليه فى الحرم الشريف كثيرا من الحديث، و ألبسه خرقة الصوفية، و أودعه كثيرا من أسرار، و حلاه بملابس أنواره، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته، و يعدّه أفضل مشايخه الأكابر.

و عن بعض الأولياء قال: رأيت فى النوم قائلاً يقول: قل لأبى مدين: بث العلم و لا تبال، ترتع غدا مع العوالى، فإنك فى مقام آدم أبى الذرارى، فقصصتها عليه فقال لى: عزمت على الخروج للجبال و الفيافى حتى أبعث عن العمران، و رؤياك هذه تعدل بى عن هذا العزم، و تأمرنى بالجلوس، فقولك «ترتع غدا مع العوالى» إشارة لحديث «خلق الذكر مراتع أهل الجنة»، و العوالى: أصحاب عليين، و معنى قوله «أبى الذرارى» أن آدم أعطى قوه على النكاح و أمر به، و لم يجعل له قوه على كون ذريته مطيعين مؤمنين، و كذا نحن أعطانا الله العلم و أمرنا بيه و تعليمه، و لا قدرة لنا على كون أتباعنا موفقين.

و كان يقول: كرامات الأولياء نتائج معجزات نبينا صلى الله عليه و سلم، و طريقتنا هذه أخذناها عن أبى يعزى بسنده عن الجنيد عن سرى السقطى عن حبيب العجمى بالسند إلى رب العزة جل جلاله.

و عن العارف عبد الرحيم المغربى قال: سمعت سيدى أبا مدين يقول: أوقفنى ربي عزّ و جلّ بين يديه و قال لى: يا شعيب، ما ذا عن يمينك؟ قلت: يا ربّ عطاؤك، قال: و عن شمالك؟ قلت: يا ربّ قضاؤك، فقال: يا شعيب، قد ضاعفت لك هذا، و غفرت لك هذا، فطوبى لمن رآك أو رأى من رآك.

و عن سيدى أبى العباس المرسى: جلت فى ملكوت الله تعالى، فرأيت سيدى أبا مدين متعلقاً بساق العرش و هو يومئذ أشقر أزرق، فقلت له: و ما علومك؟ و ما مقامك؟ فقال:

علمى أحد و سبعون علما، و أما مقامى فراجع الخلفاء، و رأس السبعة الأبدال.

و سئل، رضى الله عنه، عمّا خصّه الله تعالى به، فقال: مقامى العبودية، و علمى الألوهية، و صفاتى مستمدة من الصفات الربانية، ملأت علمه سرى و جهرى، و أضاء بنوره

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣١٩

بى و بحرى، فالمقرب من كان به عليما، و لا يسمو إلاً من أوتى قلبا سليما، الذى يسلم ممّا سواه، و لا يكون فى الوعاء إلا ما جعل فيه مولاه، فقلب العارف يسرح فى الملكوت بلا شك و ترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمرّ مرّ السحاب [سورة النمل، الآية: ٨٨].

و سئل عن الحياء، فقال: أوله دوام الذكر، و أوسطه الأنس بالمدكور، و أعلاه أن لا ترى شيئا سواه.

و اختلف أهل مجلسه: هل الخضر ولى أم نبى؟ فرأى رجل صالح منهم معروف بالولاية النبى صلى الله عليه و سلم تلك الليلة فقال صلى الله عليه و سلم: الخضر نبى، و أبو مدين ولى.

و ذكر التادلى و غيره أن رجلا جاءه ليعترض عليه، فجلس فى الحلقة، فأخذ صاحب الدولة فى القراءة، فقال له أبو مدين: أمهل قليلا، ثم التفت للرجل، و قال له: لم جئت؟

فقال: لأقتبس من نورك، فقال له: ما الذى فى كمك؟ قال له: مصحف، فقال له: افتحه و اقرأ فى أول سطر يخرج لك، ففتحه و قرأ أول سطر فإذا فيه الذين كذبوا شعييا كأن لم ينعوا فيها الذين كذبوا شعييا كانوا هم الخاسرين [سورة الأعراف، الآية: ٩٢] فقال له أبو مدين: أما يكفيك هذا؟ فاعترف الرجل، و تاب، و صلح حاله.

و ذكر صاحب «الروض» عن الشيخ الزاهد أبي محمد عبد الرزاق أحد خواص أصحابه قال: مرّ شيخنا أبو مدين في بعض بلاد المغرب، فرأى أسداً افترس حماراً وهو يأكله، و صاحبه جالس بالبعد على غايه الحاجة و الفاقة، فجاء أبو مدين و أخذ بناصيه الأسد، و قال لصاحب الحمار: أمسك الأسد [و اذهب به] و استعمله في الخدمة موضع حمارك، فقال له: يا سيدي أخاف منه، فقال: لا تخف، لا يستطيع أن يؤذيك، فمرّ الرجل يقوده و الناس ينظرون إليه، فلما كان آخر النهار جاء الرجل و معه الأسد للشيخ و قال له: يا سيدي، هذا الأسد يتبعني حيث ذهبت، و أنا شديد الخوف منه، لا طاقة لي بعشرته، فقال الشيخ للأسد: اذهب و لا تعد، و متى آذيت بني آدم سلطتهم عليكم.

و من مشهور كراماته أنه كان ماشياً يوماً على ساحل، فأسره العدو، و جعلوه في سفينة فيها جماع من أسرى المسلمين، فلما استقرّ في السفينة توقفت عن السير، و لم تتحرك من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٢٠

مكانها، مع قوة الريح و مساعدتها، و أيقن الروم أنهم لا يقدرّون على السير، فقال بعضهم:

أنزلوا هذا المسلم فإنه قسيس، و لعله من أصحاب السرائر عند الله تعالى، و أشاروا له بالنزول، فقال: لا أفعل إلا إن أطلقتكم جميع من في السفينة من الأسارى، فعلموا أن لا بدّ لهم من ذلك، فأنزلوهم كلّهم، و سارت السفينة في الحال.

و من كراماته أنه لمّا اختلف طلبه بجاية في حديث «إذا مات المؤمن أعطى نصف الجنة» و أشكل عليهم ظاهره: أ بموت مؤمنين يستحقّان كلّ الجنة، فجأوا إليه و هو يتكلّم على رسالة القشيري، فكاشفهم في الحال بلا سؤال، و قال لهم: المراد أنه يعطى نصف جنّته هو، فيكشف له عن مقعده ليتنعم به، و تقرّ عينه، ثم النصف الآخر يوم القيامة.

و كان أولياء وقته يأتونه من البلدان للاستفتاء فيما يعرض لهم من المسائل.

و ذكر تلميذه الصالح سيدي عبد الخالق التونسي عنه أنه قال: سمعت برجل يسمّى موسى الطيار يطير في الهواء و يمشى على الماء، و كان رجل يأتيني عند صدع الفجر فيسألني عن مسائل لا يفهمها الناس، فوقع لي في نفسي أنه موسى الطيار الذي سمعت به، و طال عليّ الليل في انتظاره، فلما طلع الفجر نقر الباب رجل، فإذا هو الذي يسألني، فقلت له: أنت موسى الطيار؟ فقال: نعم، ثم سألتني و انصرف، ثم جاءني مع رجل آخر فقال لي: صلينا الصبح ببغداد، و قدمنا مكة فوجدناهم في صلاة الصبح، فأعدنا معهم، و جلسنا حتى صلينا الظهر، و أتينا القدس فوجدناهم في الظهر، فقال لي صاحبي هذا: نعيد معهم، فقلت: لا، فقال لي: و لم أعدنا الصبح بمكة؟ فقلت له: كذلك كان شيخى يفعل، و به أمرنا، فاختلفنا و أتيناك للجواب، فقال أبو مدين: فقلت لهم: أمّا إعادة الصبح بمكة فلأنها بها عين اليقين، و ببغداد علم اليقين، و عين اليقين أولى من علم اليقين، و صلاتكم الظهر بمكة - و هي أم القرى - فلذلك لا تعاد في غيرها، قال: ففنعنا به و انصرفا.

و كان استوطن بجاية و يقول: إنها معينة على طلب الحلال، و لم يزل بها يزداد حاله على مرّ الليالي رفعة، ترد عليه الوفود و ذوو الحاجات من الآفاق، و يخبر بالوقائع و الغيوب، إلى أن وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور، و قال له: إننا نخاف منه على دولتكم، فإن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٢١

له شبة بالإمام المهدي، و أتباعه كثيرون بكلّ بلد، فوقع في قلبه، و أهمّه شأنه، فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره، و كتب لصاحب بجاية بالوصية به و الاعتناء، و أن يحمل خير محمل، فلما أخذ في السفر شقّ على أصحابه، و تغيروا، و تكلموا، فسكتهم و قال لهم: إن ميتي قربت، و لغير هذا المكان قدرت، و لا بدّ لي منه، و أنا شيخ كبير ضعيف، لا قدرة لي على الحركة، فبعث الله تعالى من يحملني إليه برفق، و يسوقني إليه أحسن سوق، و أنا لا أرى السلطان و لا - يراني، فطابت نفوسهم، و ذهب بؤسهم، و علموا أنه من كراماته، فارتحلوا به على أحسن حال، حتى وطئوا به حوز تلمسان، فبدت له رابطة العباد، فقال لأصحابه: ما أصلحه للرقاد، فمرض مرض موته،

فلما وصل وادى يسر اشتد به المرض، و نزلوا به هناك، فكان آخر كلامه: الله الحق.

و توفي رحمه الله تعالى سنة أربع و تسعين و خمسمائة، فحمل إلى العباد، مدفن الأولياء الأوتاد، و سمع أهل تلمسان بجنائزته، فكانت من المشاهد العظيمة، و المحافل الكريمة، و في ذلك اليوم تاب الشيخ أبو علي عمر الجباك، و عاقب الله تعالى السلطان، فمات بعده بسنة أو أقل.

و نقل المعتنون بأخباره أن الدعاء عند قبره مستجاب، و جرّ به جماعة، و قد زرته مئين من المرات، و دعوت الله تعالى عنده بما أرجو قبوله.

و قد أطال في ترجمته التادلي في كتابه «التشوّف، لرجال التصوّف» و قد أفردا ابن الخطيب القسطيني بتأليف سماه «أنس الفقير». و من كلامه: من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم، و من اشتغل بطلب الدنيا ابتلى فيها بالذلّ، و من لم يجد من قلبه زاجرا فهو خراب.

و قوله: بفساد العائمة تظهر ولاء الجور، و بفساد الخاصة تظهر دجاجلة الدين المفتاتون.

و قوله: من عرف نفسه لم يغترّ بثناء الناس عليه، و من خدم الصالحين ارتفع، و من حرمه الله تعالى احترامهم ابتلاه الله بالمقت من خلقه، و انكسار العاصي خير من صولة المطيع.

و قوله: من علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٢٢

و سئل عن المحو و الشيخ، فقال: المحو من شهدت له ذاتك بالتقديم، و سرّك بالاحترام و التعظيم، و الشيخ من هداك بأخلاقه، و أيديك بإطرافه، و أنار باطنك بإشراقه، إلى غير ذلك من كلامه الثّير، و هو بحر لا ساحل له.

و له نظم كثير مشهور بأيدي الناس، و ممّا ينسب له قوله: [الكامل]

بكت السحاب فأضحكت لبكائها زهر الرياض و فاضت الأنهار

و قد أقبلت شمس النهار بحلّة خضراء، و في أسرارها أسرار

و أتى الربيع بخيله و جنوده فتمتعت في حسنه الأبصار

و الورد نادى بالورود إلى الجنى فتسابق الأطيّار و الأشجار

و الكأس ترقص و العقار تشعشت و الجوّ يضحك و الحبيب يزار

و العود للغيد الحسان مجاوب و الطار أخفى صوته المزمّار

لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا مزارنا التسييح و الأذكار

و شرابنا من لطفه، و غناؤنا نعم الحبيب الواحد القهار

و العود عادات الجميل، و كأسنا كأس الكياسة، و العقار وقار

فتألّفوا و تطيبوا و استغنموا قبل الممات فدهر كم غدار

و الله أرحم بالفقير إذا أتى من والديه فإنه غفار

ثم الصلاة على الشفيح المصطفى ما رنمت بلغاتها الأطيّار

و إنما ذكرت ترجمه سيدي الشيخ أبي مدين للتبرّك به، و لكونه شيخ جدّي، فأنا في برّكته لقول جدّي: إنه دعا له و لذريّته بما ظهر قبوله، و لأننا ذكرنا في هذا التأليف كثيرا من أبناء أبناء الدنيا، فأردنا كفارة ذلك بذكر الصالحين، و الله الموفق بمنّه و كرمه، آمين.

انتهى الجزء الثامن من كتاب نفع الطيب و يليه الجزء التاسع مبتدئا بالباب السابع من القسم الثاني من الكتاب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٢٣

فهرس الرسائل و الخطب و الظواهر للجزء الثامن من كتاب نفع الطيب

- * ابن عقال: وصف إجازة إبراهيم اللمتوني البحر ٢٤١
- * الفتح بن خاقان: ظهير من إنشائه ٢٢٦
- قطعة من رسالة له ٢٢٧
- رسالته إلى أبي بكر بن علي بن يوسف ٢٣٢
- من رسالة أخرى له ٢٣٢
- * لسان الدين بن الخطيب رسال على لسان السلطان إلى ابن تفرجين ٤٩
- رسالة على لسان الغنى بالله ٥٤
- رسالة على لسان الغنى بالله إلى سلطان فاس ٥٤
- رسالة على لسان الأمير سعد بن الغنى بالله ٥٧
- رسالة على لسان ولد السلطان من مالقة ٥٨
- ظهير بتولية يوسف مشيخة الغزاة ٥٩
- ظهير بتقليد الأمير سعد مشيخة الغزاة ٦٢
- رسالة إلى الغنى بالله من سلا ٦٤
- رسالة إلى أبي عبد الله بن عمر التونسي ٦٥
- رسالة على لسان أبي عبد الله بن عمر التونسي ٦٦
- رسالة على لسان أبي الحجاج إلى الرسول صلى الله عليه و سلم ٦٦
- رسالة على لسان الغنى بالله إلى الرسول صلى الله عليه و سلم ٧٢
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٨؛ ص ٣٢٣
- عه من رسالة في الغزاة ٨٧
- رسالة إلى أبي زيان سلطان المغرب ٨٩
- رسالة أخرى إلى أبي زيان ٩٢
- رسالة إلى يحيى بن رحو ٩٣
- رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب في شفاعه ٩٤
- رسالة أخرى إليه في الشفاعه أيضا ٩٥
- رسالة إلى أبي زيد بن خلدون ٩٥
- رسالة إلى أبي زكريا بن خلدون ١٠٠
- رسالة إلى أبي القاسم بن رضوان ١٠٣
- * لسان الدين بن الخطيب رسالة إلى شيخ العرب مبارك بن إبراهيم ١٠٤
- رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب ١٠٦
- ظهير سلطاني ١٠٩
- رسالة للوزير عمر وزير بلاد المغرب ١١٢

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٢٤
 رسالة أخرى للوزير عمر على أثر فتح ١١٣
 رسالة ثالثة للوزير عمر من سلا ١١٤
 رسالة إلى عامر الهنتاتي ١١٦
 رسالة أخرى إلى عامر الهنتاتي ١١٨
 رسالة إلى شيخ الدولة ١١٩
 رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب ١٢٠
 رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب أيضا ١٢٤
 جواب عن كتاب وصل من سلطان تلمسان ١٢٧
 حديث له في السياسة ١٣١
 رسالة إلى السلطان على لسان جدته ١٤٤
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٢٥

فهرس موضوعات الجزء الثامن من كتاب نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى

صلة الباب الخامس من القسم الثاني

- في إيراد جملة من نثر لسان الدين ٣
 خطبة كتاب في المحبة لسان الدين ٣
 خاتمة خطبة كتاب المحبة ٢٠
 من كلام لسان الدين في عدد فرق الاعتزال ٢٧
 موعظة من إنشاء لسان الدين ٣٤
 من إنشاء لسان الدين يخاطب طالب موعظة ٤١
 رسالة منه إلى شيخ الموحدين بتونس ٤٩
 خطبة له يبشر فيها بالفتح ٥٣
 خطابه إلى سلطان فاس ٥٤
 من إنشائه على لسان ابن سلطانه ٥٧
 ظهير من إنشائه بتولية ابن سلطانه مشيخة الغزاة ٥٩
 ظهير من إنشائه في تقليد الأمير سعد ٦٢
 من إنشائه إلى سلطانه وقد عاد لملكه ٦٤
 و من إنشائه ما خاطب به عبد الله التونسي ٦٥
 من إنشائه على لسان سلطانه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ٦٦
 خطبة للمقرى على منوال لسان الدين ٨٨
 من كلام لسان الدين يخاطب السلطان أبا زيان ٨٩

- من كلامه يخاطب شيخ الدولة يحيى بن رحو ٩٣
- من كلامه يخاطب شيخه ابن مرزوق في شفاعته ٩٣
- من كلامه يخاطب أبا زيد بن خلدون الرئيس ٩٥
- من رسالته له كتب بها إلى الفقيه أبي زكريا بن خلدون لما ولي الكتابة عند أبي حمو سلطان تلمسان ١٠٠
- من مخاطباته ما كتب به إلى صاحبه العلامة أبي القاسم بن رضوان ١٠٣
- من كلامه يخاطب شيخ العرب المبارك بن إبراهيم ١٠٤
- من كلامه يخاطب شيخه أبا عبد الله بن مرزوق ١٠٦
- من إنشائه ظهير كتابه على لسان سلطانه لأحد الفقهاء و قد ولاه استكشاف أحوال الرعية ١٠٩
- من إنشائه عند قبر السلطان أبي الحسن المدني و قد لجأ إلى ولده ١١٠
- من إنشائه يخاطب الوزير المتغلب على بلاد المغرب ١١٢
- من إنشائه أيضا إلى وزير المغرب على أثر الفتح الذي تكيف له ١١٣
- من إنشائه إلى وزير المغرب بسلا ١١٤
- من إنشائه معزيا الرئيس عامر بن محمد الهنتاني ١١٦
- من إنشائه يخاطب الرئيس عامر بن محمد الهنتاني ١١٨
- من إنشائه يخاطب شيخ الدولة و قد أبل من مرضه ١١٩
- من إنشائه يخاطب شيخه ابن مرزوق جوابا عن كتاب منه ١٢٠
- من إنشائه جواب عن كتاب ورد إليه من الفقيه الكاتب ابن الثغرى على لسان سلطان تلمسان ١٢٧
- من إنشائه في السياسة، قصة عن الرشيد ١٣١
- نماذج قصار من نثر لسان الدين في عليته أهل زمانه و في وصف بعض البلدان ١٤٣
- وصف بسطة للقلصادى و لابن مرزوق ١٤٣
- من إنشاء لسان الدين ما خاطب به السلطان على لسان جدته ١٤٤
- من شعر لسان الدين في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم ١٤٥
- قصيدة له في يوم ميلاد الرسول صلى الله عليه و سلم عام ١٤٨٧٦٢
- من نظم لسان الدين يخاطب السلطان أبا عنان على أثر انصرافه من بابه ١٥٢
- قصيدة له يهنئ بها السلطان و قد أعذر أولاده ١٥٧
- من نظمه عن كتاب أبيات الأبيات و الكتاب المسمى: الصيب و الجهام ١٦٠
- من شعره يتشوق إلى قصر باديس ١٧١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٢٦
- من لاميته المسماة، المنح الغريب في الفتح القريب، التي خاطب بها سلطانه حين عاد لملكه من المغرب ١٧٣
- من نظمه يخاطب عبد الواحد بن زكريا ابن سلطان إفريقية ١٧٥
- من نظمه ما كتب على مدرسة بناها السلطان أبو الحجاج و إجازة بينه و بين ابن الحجاج و قد مرا ببعض مسالك غرناطة ١٧٦
- من نظمه في تورية طيبة، و يخاطب ابن مرزوق، و يخاطب أحد الشرفاء ١٧٧
- من نظمه: و قد مر بدار أحد الأغنياء، و في الشيخ ابن بطان ١٧٨

- و من نظمه عند ما انتابه برغوث و يخاطب ابن حسون في صدر رسالة ١٧٩
- من نظمه في عثمان بن يحيى و من نظمه و قد وقف على مراکش من نظمه يخاطب أحمد بن يوسف ١٨٠
- و من نظمه نماذج صغار شتى ١٨١
- ترجمة العارف بالله أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر، الأندلسي، نزيل سلا ١٨٥
- رجع إلى نظم لسان الدين: مداعباته و من شعره عند ما وقف على قبر المعتمد بالله في مدينة أغمات ١٨٧
- من نظمه: يخاطب ضريح السلطان أبا الحسن بشالة لاستنهاض عزمته في قضاء غرضه ١٨٩
- من نظمه: يخاطب السلطان أبي الحجاج و في التورية ١٩٠
- من نظمه في التورية و التجنيس ١٩٠
- من نظمه: يهنئ سلطان تلمسان أبا حم ١٩٢
- بين أبي عبد الله بن جزى و بعض أهل فاس ١٩٣
- قصيدة لأبي زكريا يحيى بن خلدون يحذو فيها حذو لسان الدين ٢٠٠
- حديث عن احتفال السلطان أبي حمو بالمولد النبوي الشريف ٢٠٣
- مقطوعات لأبي زكريا يحيى بن خلدون ٢٠٥
- حديث عن الموشحات و الأزجال: نشأتها، تدرجها، أنواعها ٢٠٦
- مقدم بن معافى القبرى، مبدع الموشح ٢٠٧
- من اشتهر من الوشاحين ٢٠٨
- موشحة ابن سهل التي عارضها لسان الدين ٢١١
- موشحة لسان الدين التي يعارض بها ابن سهل ٢١٢
- استحداث العامة فن الزجل ٢١٤
- ترجمة أبي بكر بن باجة آخر فلاسفة الإسلام ببلاد الأندلس (ابن الصائغ) ٢١٦
- ترجمة محمد بن أحمد الوادى آشى ٢٢٣
- من نظم ابن باجة الصائغ الفيلسوف ٢٢٤
- ترجمة الفتح بن خاقان و فيها ذكر سبب العداوة التي كانت بينه و بين ابن باجة ٢٢٥
- من نثر الفتح بن خاقان ٢٢٧
- ترجمة الفتح بن خاقان عن المغرب و من شعره ٢٢٩
- من بديع إنشاء ابن خاقان ٢٣١
- من ترجمة أبي بكر الزبيدي اللغوي ٢٣٣
- من ترجمة أبي مروان عبد الله بن المعتصم بن صمادح ٢٣٥
- من ترجمة أبي يحيى بن المعتصم، رفيع الدولة ابن صمادح ٢٣٧
- من ترجمة الوزير أبي الوليد بن حزم ٢٣٨
- من ترجمة أبي بكر الغساني و أبي عامر بن عقال ٢٣٩
- من ترجمة أبي مروان الطنبى ٢٤١
- من ترجمة الفقيه أبي عمر أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد ٢٤٢

- من ترجمة أبي القاسم المنيشى ٢٤٥
 من ترجمة أبي الحسن البرقى ٢٤٧
 من ترجمة أبي الحسن على بن جودى ٢٤٨
 نماذج من شعر الفتح بن خاقان ٢٥٠
 نماذج من نثر الفتح بن خاقان ٢٥١
 موشحة ابن سهل التي عارضها لسان الدين ٢٥٢
 بعض أهل المغرب يعارض موشحة ابن سهل ٢٥٣
 موشحة لسان الدين بن الخطيب ٢٥٦
 لسان الدين يؤلف كتاب: جيش التوشيح، ثم يذيل عليه وزير القلم بالمغرب عبد العزيز القشتالى ٢٥٨
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٨، ص: ٣٢٧
 موشحة أبي العقاد ٢٥٨
 موشحة لبعض أهل مراکش ٢٥٩
 موشحة للسلطان منصور و مقطوعات أخرى من نظمه ٢٦١
 موشحة بعض أذكىاء الأصحاب فى مديح المقرئ ٢٦٩
 من موشحات لسان الدين ٢٧٢
 موشحة لعثمان الملقى فى مدح القاضى الفاضل ٢٧٤
 موشحة للشهاب العزازى ٢٧٥
 موشحة الموصلى التي عارضها الشهاب العزازى ٢٧٩

الباب السادس من القسم الثانى من الكتاب

- : فى مصنفات لسان الدين ٢٨٢
 لسان الدين يذكر مؤلفاته فى الترجمة التي عقدها لنفسه فى الإحاطة ٢٨٢
 استدراك للمؤلف بذكر مؤلفات لسان الدين بعد كتابته ترجمته و ابن الأحمر يتحدث عن مصنفات لسان الدين ٢٨٣
 حديث عن روضة التعريف، أحد مؤلفات لسان الدين و بقيه مؤلفاته ٢٨٤
 حديث عن كتاب الإحاطة أحد تأليفه، و مختصره: مركز الإحاطة فى أدباء غرناطة، للبدر اليشتكى ٢٨٦
 حجة سلطانية بوقف كتاب الإحاطة ٢٨٦
 لسان الدين يقف نسخة من كتاب الإحاطة بخانقاه سعيد السعداء بمصر ٢٨٨
 المؤلف يرى خطوط جماعة من العلماء على نسخة الإحاطة بمصر ٢٨٩
 ابن الأحمر يبين أصول ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة ٢٩٠
 ترجمة أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الحاج الغرناطى (عن الإحاطة) ٢٩١
 قصيدة لمحمد بن الثغرى يمدح فيها أبا حمو سلطان تلمسان ٣٠٢
 قصيدة أبى المكارم قنديل ابن صاحب المقدمة الآجرومية فى فاس ٣٠٤
 قصيدة أخرى للثغرى يمدح تلمسان و سلطانها ٣٠٦

القاضي المزدغى يمدح فاس، و لسان الدين يمدح تلمسان ٣١٠

لأبي عبد الله التلايسى فى تلمسان ٣١١

قصيدة ابن خميس فى مدح تلمسان ٣١٢

حديث عن تلمسان لأبى زكريا يحيى بن خلدون فى كتابه: بغية الرواد فى أخبار بنى عبد الواد، و أيام أبى حمو الشامخة الأطواد ٣١٤

وصف لسان الدين لمدينة تلمسان ٣١٥

المقرى مؤلف الكتاب يتحدث عن تقلباته فى البلاد و تواريخها و ترجمه أبى مدين ٣١٦

[الجزء التاسع]

[تنمة القسم الثانى]

الباب السابع فى ذكر تلامذة لسان الدين

إشارة

فى ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلّين به على المنهاج، المستفيدين أنواع العلوم منه و المقتبسّين أنوار الفهوم من سراج الوهاج.

اعلم أنّ تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرون، إلّا أنه لم يرزق السعادة فى كثير منهم، بل بارزوه بالعداوة، و اجتهدوا فى إيصال المكروه إليه.

[الوزير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرک، الصريحى، ترجمه عن «الإحاطة»]

فمن أشهرهم الوزير الكاتب أبو عبد الله بن زمرک، وارث مرتبته من بعده، و مقتعد أريكة سعده، و قد ألمع به فى «الإحاطة» و كان إذ ذاك من جملة أتباعه، إذ قال ما محصّله:

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحى، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن زمرک.

أصله من شرقى الأندلس، و سكن سلفه ربض البيازين من غرناطة، و به ولد و نشأ، و هو من مفاخره.

حاله- هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس، و أفراد نجائها، مختصر مقبول، هشّ، خلوب، عذب الفكاهة، حلو المجالسة، حسن التوقيع، خفيف الروح، عظيم الانطباع، شره المذاكرة، فطن بالمعاريض، حاضر الجواب، شعله من شعل الذكاء، تكاد تحتدم جوانبه، كثير الرقة، فكه، غزل مع حياء و حشمة، جواد بما فى يده، مشارك لإخوانه. نشأ عفاً طاهراً، كلفا بالقراءة، عظيم الدؤوب، ثاقب الذهن، أصيل الحفظ، ظاهر التّبل، بعيد مدى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٤

الإدراك، جيد الفهم، فاشتهر فضله، و ذاع أوجه، و فشا خبره، و اضطلع بكثير من الأغراض، و شارك فى كثير من الفنون، و أصبح متلقّف كرة البحث، و صارخ الحلقة، و مظنّة الكمال. ثم ترقّى فى درجة المعرفة و الاضطلاع، و خاض لحيّة الحفظ، و ركض قلم التقييد و التسويد و التعليق، و نصب نفسه للناس متكلمًا فوق الكرسي المنسوب، و فوق المحفل المجموع، مستظهرًا بالفنون التى بعد فيها شأوه من العربية و البيان، و ما يقذف به فى لج النقل من الأخبار و التفسير، متشوّفاً مع ذلك إلى السلوك، مصاحبًا للصوفية آخذًا نفسه بارتياض و مجاهدة، ثم عانى الأدب فكان أملك به، و أعمل الرحلة فى طلب العلم و الازدياد، فترقّى إلى الكتابة عن ولد

السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبي سالم إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب، ثم عن السلطان، و عرف في بابه بالإجادة. ولما جرت الحادثة على السلطان صاحب الأمر بالأندلس، واستقرّ بالمغرب، أنس له، وانقطع إليه، و كثر في صحبة ركابه إلى استرجاع حقّه، فلفظ منه محلّه، و خصّه بكتابة سرّه، و ثابت الحال، و دالت الدولة، و كانت له الطائفة، فأقرّه على رسمه معروف الانقطاع و الصاغية، كثير الدالّة، مضطلعا بالخطّة خطأ و إنشاء و لسنا و نقدا، فحسن منابه، و اشتهر فضله، و ظهرت مشاركته، و حسنت وساطته، و وسع الناس تخلفه، و أرضى للسلطان حمله، و امتدّ في ميدان النظم و النشر بابعه، فصدر عنه من المنظوم في أمداحه قصائد بعيدة الشأو في مدى الإجادة، و هو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد، أعانه الله تعالى و سدده!

شيوخه- قرأ العربية على الأستاذ رحلة إلى المغرب في فنّها أبي عبد الله بن الفخار، ثم على القاضي الشريف إمام الفنون اللسانية أبي القاسم محمد بن أحمد الحسنى، و الفقه و العربية على الأستاذ المفتى أبي سعيد بن لب، و اختصّ بالفقيه الخطيب الصّدر المحدث أبي عبد الله بن مرزوق فأخذ عنه كثيرا من الرواية، و لقي القاضي الحافظ أبا عبد الله المقرئ عند ما قدم من الأندلس، و ذاكره، و قرأ الأصول الفقهية على أبي منصور الزواوى، و يروى عن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٥

جماعه منهم القاضي أبو البركات بن الحاج، و المحدث أبو الحسين بن التلمساني، و الخطيب أبو عبد الله بن اللوشى، و المقرئ أبو عبد الله بن بيش، و قرأ بعض الفنون العقلية بمدينة فاس على الشريف الرحلة الشهير أبي عبد الله العلوى التلمساني، و اختصّ به اختصاصا لم يخل فيه من استفادة مران و حنكة في الصنعة.

[نماذج من قصائد ابن زمرك المطولة]

شعره- و شعره مترام إلى هدف الإجادة، خفافجي النزعة، كلف بالمعاني البديعة و الألفاظ الصقيلة، غزير المادة، فمن ذلك ما خاطبني به، و هو من أوّل ما نظمته قصيدة مطلعها: [الطويل]

أما و انصداع النور من مطلع الفجر
و هي طوبلة.

و من بدائعها التي عقم عن مثلها قياس قيس، و اشتهرت بالإحسان اشتها الزهد بأويس، و لم يحل مجاريه و مباريه إلّا بويح و ويس، قوله في إعدار الأمير ولد سلطانه، المنوّه بمكانه، و هي من الكلام الذي عنيت الإجادة بتذميه و تهذيبه، و ناسب الحسن بين مديحه و نسيبه: [الطويل]

معاذ الهوى أن أصحاب القلب ساليا و أن يشغل اللوام بالعدل باليا
دعاني أعط الحبّ فضل مقادتي و يقضى علىّ الوجد ما كان قاضيا
و دون الذي رام العواذل صبوة رمت بي في شعب الغرام المراميا
و قلب إذا ما البرق أومض موهنا قدحت به زندا من الشوق و اريا
خليلىّ إنى يوم طارقة النوى شقيت بمن لو شاء أنعم باليا
و بالخيف يوم نفر يا أمّ مالك تخلفت قلبى في جبالك عانيا
و ذى أشر عذب الثنايا مخصر يسقى به ماء النعيم الأقاحيا
أحوم عليه ما دجا الليل ساهرا و أصبح دون الورد ظمآن صاديا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٦

يضىء ظلام الليل ما بين أضلعي إذا البارق النجدى وهنا بدا ليا

أجبرتنا بالزّمل و الزّمل منزل مضى العيش فيه بالشيبه حاليا
و لم أر ربعا منه أفضى لبانه و أشجى حمامات، و أحلى مجانيا
سقت طله الغرّ الغوادى و نظمت من الطر فى جيد الغصون لآليا
أبتكم أنى على النأى حافظ ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا
أناشدكم و الحرّ أوفى بعهدة و لن يعدم الإحسان و الخير جازيا
هل الودّ إلّا ما تحاماه كاشح و أخفق فى مسعاه من جاء و اشيا
تأوبنى و الليل يذكى عيونه و يسحب من ذيل الدّجنه ضافيا
و قد مثلت زهر النجوم بأفقه حبابا على نهر المجرة طافيا
خيال على بعد المزار ألمّ بى فأذكرنى من لم أكن عنه ساليا
عجبت له كيف اهتدى نحو مضجعى و لم يبق منى السقم و الشوق باقيا
رفعت له نار الصبايه فاهتدى و خاض لها عرض الدّجنه ساريا
و ممّا أجدّ الوجد سرب على النقا سوانح يصقلن الطّلا و التراقيا
نزعن عن الألاحظ كلّ مسدّد فغادرن أفلاذ القلوب دواميا
و لمّا تراءى الشرب قلت لصاحبى و أيقنت أنّ الحبّ ما عشت دائيا
حذارك من سقم الجفون فإنه سيعدى بما يعى الطيب المداويا
و إنّ أمير المسلمين محمدا ليعدى نداء الساريات الهواميا
تضىء النجوم الزاهرات خلاله و ينفث فى روع الزمان المعاليا
معال إذا ما النجم صوّب طالبا مبالغها فى العزّ حلق و انيا
يسابق علوىّ الرياح إلى الندى و يفضح جدوى راحته الغواديا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٧
و يغضى عن العوراء إغضاء قادر و يرجح فى الحلم الجبال الرواسيا
همام يروع الأسد فى حومه الوغى كما راعت الأسد الظباء الجوازيا
مناقب تسمو للبخار كأنما تجارى إلى المجد النجوم الجواريا
إذا استبق الأملاك يوما لغايه أبيت و ذاك المجد إلّا التناھيا
بهرت فأخفيت الملوک و ذكرها و لا عجب فالشمس تخفى الدراريا
جلوت ظلام الظلم من كلّ معتد و لا غرو أن تجلو البدور الدياتيا
هديت سبيل الله من ضلّ رشده فلا زلت مهديا إليه و هاديا
أفدت وحيّ الملك ممّا أفدته و طوّقت أشراف الملوک الأياديا
و قد عرفت منها مرين سوابقا تقرّ لها بالفضل أخرى اللباليا
و كان أبو زيّان جيدا معظّلا فزيّنته حتى اغتدى بك حاليا
لك الخير لم تقصد بما قد أفدته جزاء و لكن همّه هي ما هيا
فما تكبر الأملاك غيرك آمرا و لا ترهب الأشراف غيرك ناھيا
و لا تشتكى الأيام من داء فتنه فقد عرفت منك الطيب المداويا

و أندلسا أوليت ما أنت أهله و أوردتها وردا من الأمن صافيا
تلافيت هذا الثغر و هو على شفا و أصبحت من داء الحوادث شافيا
و من بعد ما ساءت ظنون بأهلها و حاموا على ورد الأمانى صواديا
فما يأملون العيش إلّا تعلّلا و لا يعرفون الأمن إلّا أمانيا
عظفت على الأيام عطفه راحم و ألبتها ثوب امتنانك ضافيا
فآنس من تلقائك الملك رشده و نال بك الإسلام ما كان راجيا
وقفت على الإسلام نفسا كريمة تصدّ عدوّا عن حماه و عاديا
فراى كما انشقّ الصباح، و عزمه كما صقل القين الحسام اليمانيا
و كانت رماح الخطّ خمصا ذوابلا فأنهلت منها فى الدماء صواديا
و أوردت صفح السيف أبيض ناصعا فأصدرته فى الروع أحمر قانيا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٨

لك العزم تستجلى الخطوب بهديه و يلقى إذا تنبو الصوارم ماضيا
إذا أنت لم تفخر بما أنت أهله فما الصبح وضّاح المشارق عاليا
و يهنيك دون العيد عيد شرعته نبثّ به فى الخافقين التهانيا
أقمت به من فطره الدين سنّه و جددت من رسم الهداية عافيا
صنيع تولى الله تشييد فخره و كان لما أوليت فيه مجازيا
تودّ النجوم الزّهر لو مثلث به و قصّصت من الزّلفى إليك الأمانيا
و ما زال وجه اليوم بالشمس مشرقا سرورا به و الليل بالشّهب حاليا
على مثله فليعقد الفخر تاجه و يسمو به فوق النجوم مراقيا
به تغمر الأنواء كلّ مفوّه و يحدو به من كان بالقفر ساريا
و يوسف فيه بالجمال مقنّع كأنّ له من كلّ قلب مناجيا
و أقبل ما شاب الحياء مهابة يقلب وجه البدر أزهر باهيا
و أقدم لا هتابة الحفل واجما و لا قاصرا فيه الخطا متوانيا
شمائل فيه من أبيه و جدّه ترى العزّ فيها مستكنا و باديا
فيا علقا أشجى القلوب لو اننا فدينناك بالأعلاق ما كنت غاليا
جريت فأجريت الدموع تعطفنا و أطلعت فيها للسرور فواشيا
و كم من ولى دون بابك مخلص يفديه بالنفس النفيسة واقيا
و صيد من الحيين أبناء قيلة تكفّ الأعداى أو تبيد الأعدايا
بها ليل عزّ إن أعدوا لغارة أعادوا صباح الحى أظلم داجيا
فو الله لو لا أن توخيت سنّه رضيت بها إن كان ربك راضيا
لكان بها للأعوجيات جولة تشيب من الغلب الشباب النواصيا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٩

و تترك أوصال الوشيج مقصدا و بيض الطّيبى حمر المتون دواميا

و لَمَّا قَضَى مِنْ سَنَةِ اللَّهِ مَا قَضَى وَ قَدْ حَسَدَتْ مِنْهُ النُّجُومُ الْمَسَاعِيَا
أَفْضَلْنَا نَهْنَى مِنْكَ أَكْرَمَ مَنْعَمٍ أَبِي لَعَمِيمٍ الْجُودِ إِلَّا تَوَالِيَا
فِيهِنِي صَفَاحَ الْهِنْدِ وَ الْبَاسِ وَ الْوَدَى وَ سَمَرَ الْعَوَالِي وَ الْعَتَاقِ الْمَذَاكِيَا
وَ يَهْنِي الْبِنُودِ الْخَافِقَاتِ فَإِنَّهَا سَيَعْقِدُهَا فِي ذِمَّةِ النَّصْرِ غَازِيَا
كَأَنِّي بِهِ قَدْ تَوَجَّحَ الْمَلِكُ يَافِعَا وَ جَمَعَ أَشْتَاتَ الْمَكَارِمِ نَاشِيَا
وَ قَضَى حَقُوقَ الْفَخْرِ فِي مِيعَةِ الصَّبَا وَ أَحْسَنَ مِنْ دِينِ الْكَمَالِ التَّقَاضِيَا
وَ مَا هُوَ إِلَّا السَّعْدُ إِنْ رَمَتْ مَطْلَعَا وَ سَدَّدَتْ سَهْمَا كَانَ رَبِّكَ رَامِيَا
فَلَا زَلْتَ يَا فَخْرَ الْخَلَافَةِ كَافِلَا وَ لَا زَلْتَ يَا خَيْرَ الْأَثْمَةِ كَافِيَا
وَ دَمْتَ قَرِيرَ الْعَيْنِ مِنْهُ بَغْبِطَةً وَ كَانَ لَهُ رَبُّ الْبَرِيَّةِ وَاقِيَا
نَظَمْتَ لَهُ حَزَّ الْكَلَامِ تَمَائِمًا جَعَلْتَ مَكَانَ الدَّرِّ فِيهَا الْقَوَافِيَا
لَا لَآلَ بِهَا تَبَأَى الْمَلُوكِ نَفَاسَةً وَ جَلَّتْ لِعَمْرِي أَنْ تَكُونَ لَآلِيَا
أَرَى الْمَالَ يَرْمِيهِ الْجَدِيدَانِ بِالْبَلِي وَ مَا إِنْ أَرَى إِلَّا الْمَحَامِدَ بَاقِيَا

[قصيدة له يصف فيها «الزرافة» وقد وفد بها الأحاديث على أبي سالم ملك المغرب]

و ورد على السلطان أبي سالم ملك المغرب رحمه الله تعالى عليه وفد الأحابيش بهديئة من ملك السودان، و من جملتها الحيوان الغريب المسمى «الزرافة»، فأمر من يعانى الشعر من الكتاب بالنظم فى ذلك الغرض، فقال و هى من بدائع: [الكامل]

لو لا تألَّقَ بَارِقَ التَّذْكَارِ مَا صَابَ وَ اكْفَ دَمْعِي الْمَدْرَارِ
لَكِنَّهُ مَهْمَا تَعَرَّضَ خَافِقًا قَدَحَتْ يَدَ الْأَشْوَاقِ زَنْدَ أَوَارِي
وَ عَلَى الْمَشُوقِ إِذَا تَذَكَّرَ مَعْهَدَا أَنْ يَغْرَى الْأَجْفَانَ بِاسْتِعْبَارِ
أُ مَذَكَّرِي غَرْنَاطَةَ حَلَّتْ بِهَا أَيْدِي السَّحَابِ أَرْزَةَ النَّوَارِ
نَفَحَ الطَّيِّبِ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلَسِ الرَّطِيبِ، ج ٩، ص: ١٠
كَيْفَ التَّخَلَّصَ لِلْحَدِيثِ وَ بَيْنَنَا عَرَضَ الْفَلَاةِ وَ طَافِحَ الزَّرَّخَارِ
هَذَا عَلَى أَنَّ التَّغْرَبَ مَرْكَبِي وَ تَوَلَّجَ الْفَيْحَ الْفَسَاحِ شِعَارِي
فَلَكُمْ أَقْمَتَ غَدَاةٍ زَمَّتْ عَيْسَهُمْ أَبْغَى الْقَرَارِ وَ لَاتَ حِينَ قَرَارِ
وَ طَفَقَتْ أَسْتَقْرَى الْمَنَازِلَ بَعْدَهُمْ يَمْحُو الْبِكَاءَ مَوَاقِعَ الْآثَارِ
إِنَّا بَنَى الْأَمَالَ تَخَدَعْنَا الْمَنَى فَنَخَادِعَ الْأَمَالَ بِالتَّسْيَارِ
نَتَجَشَّمُ الْأَهْوَالَ فِي طَلَبِ الْعَلَا وَ نَرُوعُ سَرْبَ النُّومِ بِالْأَفْكَارِ
لَا يَحْرُزُ الْمَجْدَ الْخَطِيرِ سِوَى امْرئِي يَمْطِي الْعَزَائِمَ صَهْوَةَ الْأَخْطَارِ
إِنَّمَا يَفَاخِرُ بِالْعَتَادِ فَفَخْرَهُ بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَ الْقَنَا الْخَطَّارِ
مُسْتَبْصِرٌ مَرْمَى الْعَوَاقِبِ وَاصِلٌ فِي حَمَلِهِ الْإِيرَادِ بِالْإِصْدَارِ
فَأَشَدُّ مَا قَادَ الْجَهُولِ إِلَى الرَّدَى عَمَهُ الْبَصَائِرُ لَا عَمَى الْأَبْصَارِ
وَ لَرَبِّ مَرَبِّدِ الْجَوَائِحِ مَزِيدِ سَبِيحِ الْهَلَالِ بَلَجَةِ الزَّرَّخَارِ
فَتَقَّتْ كَمَاثِمَ جَنَحِهِ عَنِ أَنْجَمِ سَفَرْتِ زَوَاهِرِ هُنَّ عَنِ أَزْهَارِ

مثلت على شاطى المجرّة نرجسا تصطفّ منه على خليج جارى
و كأنما بدر التمام بجنحه وجه الإمام بجحفل جرّار
و كأنما خمس الثريا راحة ذرعت مسير الليل بالأشبار
أسرحت من عزمى مصايحا بها تهدى السراء لها من الأقطار
و ارتاع من بازى الصباح غرابه لما أطلّ فطار كلّ مطار
و منها:

و غريبة قطعت إليك على الونى بيذا تبيد بها هموم السارى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١١
تنسيه طيته التى قد أمّها و الركب فيها ميّت الأخبار
يقتادها من كلّ مشتمل الدّجى و كأنما عيناه جدوة نار
تشدو بحمد المستعين حداتها يتعلّلون به على الأكوار
إن مسهم لفح الهجير أبلهم منه نسيم ثنائك المعطار
خاضوا بها لجج الفلا فتخلّصت منها خلوص البدر بعد سرار
سلمت بسعدك من غوائل مثلها و كفى بسعدك حاميا لدمار
و أتتك يا ملك الزمان غريبة قيد النواظر نزهة الأبصار
موشية الأعطاف رائقة الحلّى رقمت بدائعها يد الأقدار
راق العيون أديمها فكأنه روض تفتح عن شقيق بهار
ما بين مبيضّ و أصفر فاقع سال اللّجين به خلال نضار
يحكى حدائق نرجس فى شاهق تنساب فيه أراقم الأنهار
تحذو قوائم كالجدوع و فوقها جبل أشمّ بنوره متوار
و سمت بجيد مثل جذع مائل سهل التعطف لئن خوار
تستشرف الجدران منه ترابا فكأنما هو قائم بمنار
ناءت بكلكلها و أتلع جيدها و مشى بها الإعجاب مشى وقار
خرجوا لها الجمّ الغفير، و كلهم متعجب من لطف صنع البارى
كلّ يقول لصحبه قوموا انظروا كيف الجبال تقاد بالأسيار
ألقت ببابك رحلها و لطالما ألقى الغريب به عصا التسيار
علمت ملوك الأرض أنك فخرها فتسابقن لرضاك فى مضمار
يتبوؤون به و إن بعد المدى من جاهك الأعلى أعزّ جوار
فارع لواء الفخر غير مدافع و اسحب ذبول العسكر الجزار
و اهنأ بأعياد الفتوح مخولا ما شئت من نصر و من أنصار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٢
و إليكها من روض فكرى نفحة شفّ الثناء بها على الأزهار
فى فصل منطقتها و رائق رسمها مستمتع الأسماع و الأبصار

و تميل من أصغى لها فكأننى عاطيته منها كؤوس عقار
و أنشد السلطان فى ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه و سلم عقب ما فرغ من البنية الشهيرة ببابه رحمه الله تعالى: [الطويل]
تأمل أطلال الهوى فتألما و سيما الجوى و السقم منها تعلمنا
أخو زفرة هاجت له نار ذكرة فأنجد فى شعب الغرام و أتهما

[قصيدة أخرى لابن زمر ك أنشدها السلطان]

و سرد لسان الدين هذه القصيدة بطولها، و هى تقارب التسعين بيتا، ثم قال ما نصه:
و أنشد السلطان فى وجهه للصيد أعملها، و أطلق أعتة الجياد فى ميادين ذلك الطراد و أرسلها، قوله: [الكامل]
حيّاك يا دار الهوى من دار نوء السماك بديمة مدرار
و أعاد وجه رباك طلقا مشرقا متضاحكا بمباسم التّوار
أ مذكرى دار الصبابة و الهوى حيث الشباب يرفّ غصن نضار
عاطيتنى عنها الحديث كأنما عاطيتنى عنها كؤوس عقار
إيه و إن أذكيت نار صبابتى و قدحت زند الشوق بالتذكار
يا زاجر الأظعان و هى مشوقة أشبهتها فى زفرة و أوار
حنّت إلى نجد و ليست دارها و صبت إلى هندیه و الغار
شافت به برق الحمى و اعتادها طيف الكرى بمزارها المزوار
هل تبلغ الحاجات إن حمّلتها إنّ الوفاء سجيّة الأحرار
عروض بذكري فى الخيام و قل إذا جئت العقيق مبلّغ الأوطار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٣
عار بقومك يا ابنه الحيين أن تلوى الديون و أنت ذات يسار
أمنعت ميسور الكلام أخوا الهوى و بخلت حتى بالخيال السارى
و أبان جارى الدمع عذر هيامه لكن أضعت له حقوق الجار
هذا و قومك ما علمت خلالهم أوفى الكرام بدمّة و جوار
الله فى نفس شعاع كلما هبّ النسيم تطير كلّ مطار
بالله يا لمياء ما منع الصبا أن لا تهبّ بعرفك المعطار
يا بنت من تشدو الحداء بذكره متعللين به على الأكوار
ما ضرّ نسمة حاجر لو أنها أهدت لنا خيرا من الأخبار
هل بانه من بعدنا متأود متجاوب مترنم الأطيّار
و هل الظباء الأنسات كعهدنا يصرعن أسد الغاب و هى ضوار
يفتكّن من قاماتها و لحاظها بالمشرفيّة و القنا الخطار
أشعرت قلبى حبهنّ صبابة فرميننى من لوعتى بجمار
و على الكثيب سوانح حمر الحلى بيض الوجوه يصدن بالأفكار
أدنى الحجيج جمارهنّ ثلاثة بمنى لو أن منى بدار قرار

لكن يوم النَّفر جدن لنا بما عودنا من جفوة و نفار
يا ابن الألى قد أحرزوا خصل العلا و سموا بطيب أرومة و نجار
و تنوب عن صوب الغمام أكفهم و تنوب أوجههم عن الأقمار
من آل سعد رافعى علم الهدى و المصطفين لنصرة المختار
أصبحت وارث مجدهم و فخارهم و مشرف الأعصار و الأمصار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٤
وجه كما حسر الصباح نقابه و يد تمد أناملا ببحار
جددت دون الدين عزمه أروع جدت منها سنه الأنصار
حطت البلاد و من حوته ثغورها و كفى بسعدك حاميا لدمار
لله رحلتك التى نلنا بها أجر الجهاد و نزهة الأبصار
أوردتنا فيها لجودك موردا مستعذب الإيراد و الإصدار
و أفضت فينا من نداك مواها حسنت مواقعها على التكرار
أضحكت ثغر الثغر لما جئته و خصصته بخصائص الإيثار
حتى الفلاة تقيم يوم وردتها سنن القرى بثلاثة الأثوار
و سرت عقاب الجوّ تهديك الذى تصطاد من وحش و من أطيّار
و الأرض تعلم أنك الغوث الذى تضىف عليها واقى الأستار
و لربّ ممتدّ الأباطح موحش عالى الرّبا متباعد الأقطار
همل المسارح لا يراع قنيصه إلّا لنبأه فارس مغوار
سرحت عنان الريح فيه و ربما ألقى بساحته عصا التسيار
باكرته و الأفق قد خلع الدّجى مسحا ليلبس حلّة الإسفار
و جرى به نهر النهار كمثل ما سكب النديم سلافة من قار
عرضت به المستنفرات كأنها خيل عراب جلن فى مضمار
أبعثها غرر الجياد كواكبا تنقضّ رجما فى سماء غبار
و الهاديات يؤمها عبل الشوى متدقّق كتدقّق التّيار
أزجيتها شقراء رائقة الحلّى فرميته منها بشعلة نار
أثبتّ فيه الرمح ثم تركته خضب الجوانح بالدم الموار
حامت عليه الذابلات كأنها طير أوت منه إلى أوكار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٥
طفقت أرانبه غداة أثرتها تبغى الفرار و لات حين فرار
هل ينفع الباع الطويل و قد غدت يوم الطراد قصيرة الأعمار
من كلّ منحفر بلمحة بارق فانت خطاه مدارك الأبصار
و جوارح سبقت إليه طلابها فكأنما طالبنه بالثار
سود و بيض فى الطراد تتابعت كالليل طارده بياض نهار

ترمى بها و هي الحنايا ضمّرا مثل السهام نزعن عن أوتار
ظنّت بأن ينجو لها، كلاً! و لو أغرّيته بأرانب الأقمار
و بكلّ فتخاء الجناح إذا ارتمت فكأنها نجم السماء السارى
زجل الجناح مصفّق كمن الردى فى مخلب منه و فى منقار
أجلى الطريد من الوحوش و إن رمى طيرا أتاك به على مقدار
و أريتنا الكسب الذى أعداده ملأت جمالا أعين النّظار
بيض و صفر خلت مطرح سرحها روضا تفتّح عن شقيق بهار
من كلّ موشى الأديم مفوّف رقمت بدائعه يد الأقدار
خلط البياض بصفرة فى لونه فترى اللّجين يشوب ذوب نضار
أو أشعل راق العيون كأنه غلس تخالط سدفة بنهار
سرحت بمخضّر الجوانب يانع تنساب فيه أرقام الأنهار
قد أرضعته الساريات لبانها و حللن فيه أزرة النّوار
أخذت سعودك حذرها فلحكمة أغرت جفون المزن باستعمار
لما أرتك الشمس صفرة حاسد لجينك المتألّق الأنوار
نفثت عليك السّحب نفثة معوذ من عينها المتوقّع الإضرار
فارفع لواء الفخر غير مدافع و اسحب ذيول العسكر الجّار
و اهنأ بمقدمك السعيد مخوّلا ما شئت من عزّ و من أنصار
قد جئت دارك محسنا و مؤمّلا متّعت بالحسنى و عقبى الدار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٦
و إليكها من روض فكرى نفحة شفّ الثناء بها على الأزهار

[من شعره فى غير المطولات]

و من شعره فى غير المطولات قوله: [الطويل]
لقد زادنى وجدا و أغرى بى الجوى ذبال بأذيال الظلام قد التّفّا
تشير وراء الليل منه بنانه مخضّبة و الليل قد حجب الكفّا
تلوح سنانا حين لا تنفح الصّبا و تبدى سوارا حين تشنى له العطفا
قطعت به ليلا يطارحنى الجوى فأونه يبدو و آونه يخفى
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه و إن قلت لا يخفى الضياء به كفّا
إلى أن أفاق الصبح من غمرة الدّجى و أهدى نسيم الروض من طيبه عرفا
لك الله يا مصباح أشبهت مهجتي و قد شفّها من لوعه الحبّ ما شفّا
و ممّا ثبت له صدر رسالة: [الطويل]
أزور بقلبي معهد الأنس و الهوى و أنهب من أيدي النسيم رسائلنا
و مهما سألت البرق يهفو من الحمى يبادره دمعى مجيبا و سائلا

فيا ليت شعري و الأمانى تملأ أيرعى لى الحى الكرام الوسائلا
و هل جيرتى الأولى كما قد عهدتهم يوالون بالإحسان من جاء سائلا
و من أبياته الغراميات: [الوافر]:

قيادى قد تملكه الغرام و وجدى لا يطاق و لا يرام
و دمعى دونه صوب الغوادى و شجوى فوق ما يشكو الحمام
إذا ما الوجد لم يبرح فؤادى على الدنيا و ساكنها السلام
و فى غرض يظهر من الأبيات: [الطويل]
و مشتمل بالحسن أحوى مهفهف قضى رجع طرفى من محاسن الوطر
فأبصرت أشباه الرياض محاسنا و فى خده جرح بدا منه لى أثر
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٧
فقلت لجلأسى خذوا الحذر إنما به و صب من أسهم الغنج و الحور
و يا وجنه قد جاورت سيف لحظه و من شأنها تدمى من الملح بالبصر
تخيل للعنين جرحا و إنما بدا كلف منه على صفحة القمر
و ممّا يرجع إلى باب الفخر، و لعمرى لقد صدق: [الطويل]
ألائمة فى الجود و الجود شيمه جبلت على إيثارها يوم مولدى
ذرىنى فلو آتى أخلد بالغنى لكنت ضنينا بالذى ملكت يدى
و قال: [المتقارب]

لقد علم الله أنى امرؤ أجزر ذيل العفاف القشيب
فكم غمض الدهر أجفانه و فازت قداحى بوصل الحبيب
و قيل رقيبك فى غفلة فقلت أخاف الإله الرقيب

[تقريظ لكتاب الشفاء عند ما شرحه ابن مرزوق]

و فى مدح كتاب «الشفاء» و قد طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عند ما شرع فى شرحه:
[الطويل]

و مسرى ركاب للصبا قد ونت به نجائب سحب للتراب نزوعها
تسلّ سيوف البرق أيدى حداتها فتنهلّ خوفا من سطاها دموعها
تعرضن غربا يبتغين معرّسا فقلت لها: مراکش و ربوعها
لتسقى أجداثا بها و ضرائحا عياض إلى يوم المعاد ضجيعها
و أجدر من تبكى عليه يراعة بصفحة طرس، و المداد نجيعها
فكم من يد فى الدين قد سلفت له يرضى رسول الله عنه صنيعها
و لا مثل تعريف الشفاء حقوقه فقد بان فيه للعقول جميعها
بمرآة حسن قد جلّتها يد النهى فأوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء، و المداد يجنّها و أسرار غيب، و اليراع تذييعها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٨

لقد حزت فضلا يا أبا الفضل شاملا فيجزيك عن نصح البرايا شفيعتها

و لله ممن قد تصدّى لشرحه فلباه من غر المعاني مطيعها

فكم مجمل فصلت منه و حكمه إذا كنتم الإدماج منه تشيعها

محاسن و الإحسان يبدو خلالها كما افتتر عن زهر البطاح ربيعها

إذا ما أجلت العين فيها تخالها نجوما بأفاق الطروس طلوعها

معانيه كالماء الزلال لذي صدى و ألفاظه درّ يروى نصيعها

رياض سقاها الفكر صوب ذكائه فأخصب للوراد منها مريعها

تفجر عن عين اليقين زلالها فلذ لأرباب الخلوص شروعا

ألا يا ابن جار الله يا ابن وليه لأنت ذا عد الكرام ربيعها

إذا ما أصول المرء طابت أرومه فلا عجب أن أشبهتها فروعها

بقيت لأعلام الزمان تنيلها هدى، و لأحداث الخطوب تروعها

مولده رابع عشر شوال من عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة؛ انتهى كلام لسان الدين في الإحاطة في ترجمة تلميذه أبي عبد الله بن زمرک.

قلت: و رأيت بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين - رحمهما الله تعالى! - على هامش هذه الترجمة من «الإحاطة» كلاما في حق ابن زمرک رأيت أن أذكره بجملته الآن، و إن تقدّم بعضه في هذا الكتاب:

فمن ذلك أنه كتب على حاشية أول الترجمة ما صورته: أتبعه الله تعالى خزيا! و عامله بما يستحقّه! فبهذا ترجمة والدي مولاه الذي رفع من قدره فيه، و لم يقتله أحد غيره، كفانا الله تعالى شرّ من أحسنّا إليه! انتهى.

[تعليقات من كلام علي بن لسان الدين علي ما كتبه أبوه في ترجمة الوزير ابن زمرک]

و كتب علي قوله «نشأ عفا طاهرا- إلى آخره» ما نصّه: هذا الوغد ابن زمرک من شياطين الكتاب، ابن حداد بالبيازين، قتل أباه بيده، أوجعه ضربا فمات من ذلك، و هو أخسّ عباد الله تربيته، و أحقرهم صورة، و أخملهم شكلا، استعمله أبي في الكتابة السلطانية، فجنينا أيام تحوّلنا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٩

عن الأندلس منه كل شرّ، و هو كان السبب في قتل أبي مصّنف هذا الكتاب، الذي ربّاه و أدبه و استخدمه، حسبما هو معروف، و كفانا الله تعالى شرّ من أحسنّا إليه و أساء إلينا! انتهى.

و كتب علي قول والده «فترقى إلى الكتابة إلى آخره» ما صورته: علي يد سيدي أبي عبد الله بن مرزوق، و لا حول و لا قوة إلّا بالله؛ انتهى.

و كتب علي قوله «معاذ الهوى أن أصحاب القلب ساليا- إلى آخره» ما نصّه: هذه القصيدة نظم له مولاي الوالد تغمّده الله تعالى برحمته منها النسيب كلّ، و هكذا جرت عادته معه في الأمداح السلطانية حضرة الملك، الله المطلع على ذلك، قاله ابن المصنف علي ابن الخطيب؛ انتهى.

و كتب علي قوله «لو لا- تألق بارق التذكار- إلى آخره» ما صورته: هذا الرجس الشيطان كثيرا ما ينظم في هذا الوزن، و يتبع حمارة هذه الرءاء، حتى لا يتركها جملة، إذ الرجل ابن حمار مكارى حداد، فالنفس تميل بالطبع؛ انتهى.

و كتب على قوله «حيّاك يا دار الهوى من دار- إلى آخره» ما صورته: انظر إلى كثرة تحريكه لحماره هذه الرءاء، علقته له بها مالخوليا؛ انتهى.

و كتب على قوله «و جوارح سبقت إليه طلابها- إلى آخره» ما صورته: سرق طردية إبراهيم بن خفاجة، فانظرها تجده سرق المعاني و الألفاظ، مع أن والدي نظم له أكثرها على حسب عادته معه، قاله على بن الخطيب؛ انتهى.

و كتب على قوله «يا مصباح» ما نصّه: كان يحبّ صبيا اسمه مصباح، و هو الآن مجنون العقل بتونس يحترف بالحيّاك؛ انتهى.

و كتب على قوله «ألائمة في الجود- إلى آخره» ما صورته: كذبت يا نجس، من أين الفخر لك و لبيتك، لست و الله من الجود في شيء، نعم سخنته عين الجود؛ انتهى.

و كتب على قوله «لقد علم الله أني امرؤ- إلى آخره» ما معناه: لا و الله، فأنت مشهور بكذا، يا قرد، فمن أين العفاف و أنت بالأندلس كذا و كذا؟ إلى أن قال: و أنحسهم بيتا، قاله

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٠

مولاك الذي ربيت في نعمته و نعمه الله على ابن الخطيب بالقاهرة؛ انتهى.

و قد نسبه إلى ما لا يليق، فالله أعلم بحقيقه الأمر.

و كتب غيره على قول ابن زمرك «أزور بقلبي- الأبيات المتقدمة» عند قوله «سائلا» في موضعين: هما من السؤال، فحصل على الإيطاء المذموم؛ انتهى.

قلت: أمّا ما ذكره ابن لسان الدين من أن أباه كان ينظم لابن زمرك فذلك و الله أعلم كان في ابتداء أمره، و إلّا فقد جاء ابن زمرك في آخر أيام لسان الدين و بعد موته بالبدائع التي لا تنكر، كما سنذكره، و أمّا كونه سعى في قتل لسان الدين مع إحسانه إليه فقد جوزى من جنس عمله، و قتل بمرأى من أهله و مسمع، و أزهدت معه روح ابنه، حسبما نذكره، و هذا قصاص الدنيا، و عفو الله تعالى في الآخرة منتظر للجميع.

[ترجمة ابن زمرك عن الأمير ابن الأحمر]

و لنذكر ترجمة ابن زمرك من كلام ابن السلطان ابن الأحمر في مجلّد ضخّم رأيتّه بالمغرب جمع فيه شعر ابن زمرك و موشحاته، و عزّف به في أوله، إذ قال ما نصّه: أمّا بعد ما يجب من حمد الله تعالى في كل حال، و شكره على ما أولى و يسر من صلاح الأحوال، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد صفوة الأنبياء و سيد الأرسال، و الرضا عمّن له من صحب و أنصار و آل، فإنّ من المعلوم أن الأدب له بالنفس علاقة تؤدّيه إلى الاستحسان، و تؤثر من اشتهر به من الملاحظة بلحظ الحظّ مع تعاقب الأحيان، و لا خفاء أن أيام مولانا الجدّ المقدّس الغنى بالله- تولّاه الله تعالى برضوانه!- كانت غررا في وجوه الأيام، و مواسم تجمع الطمّ و الرّم من الرؤساء الأعلام، الآخذين بأعنيّة الكلام، السابقين في حلبة النثار و النظام، و أنّ الفقيه الرئيس المدرّك، الناظم الناثر أبا عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك- عفا الله تعالى عنه!- و حسبك بمن ارتضاه مولانا الجدّ رحمه الله تعالى لكتابته، و صرّفه في الوجوه المتعدّدة من رسالته و حجابته، و كان بذلك خليقا، لما جمع من أدوات الكمال علما و تحقيقا، و إدراكا و نبلا وفقها و أصولا و فروعا و أدبا و تحصيلا، و بيانا و تفسيريا و نظما و ترسيلا- لما كان قد أخفت الأيام سنيّ صبحه، و خابت وسائل نصحه، و عادت بعدوانها بعد فوز قدحه، و عثر بين أقدام أقوام لا يعرفون أيّ ذخر فقدوا، و لا أيّ مطلق عن تصريفاته الجميلة قيّدوا، مستبصرين بالجهل في دياجي غيهم، معجيين بما ارتكبوه من جياذ بغيهم، جميعهم يلحظه بمقلّ دامية، و ألفاظ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢١

حامية، يصاحبونه بأوجه خلت عن الوجاهة سيماها الحسد، و ضميرها السخط بما قدره الواحد الصمد: [الوافر]

فخرّ على الألاءة لم يوسد كأنّ جبينه سيف صقيل

فيا لله من أشلاء هنالك ضائعه، و أعلق غير مصنونه، و وسائل مخفوره، و أذميّة قطعت أرحامها، و لم يرع ذمامها، و عاثت الأيدي

الفاتكة حينئذ على بنيه، و ارتكبوها شنعاء في أهله و ذويه: [البيسط]

هل كان إلّا حيا تحيا العباد به؟ هل كان إلّا قذى في عين ذى عور

إن قال قولاً ترى الأبصار خاشعة لما يخبر من وحى و من أثر

يا لهف قلبى لو قد كنت حاضره غداً جرّعه أدهى من الصبر

لما تركت له شلوا بمضيعة و لا تولّى صريع الناب و الظفر

«و كان ما كان ممّا لست أذكره فظنّ خيراً و لا تسأل عن الخبر»

و إن سأل سائل عن الخبر الذى ألمعنا بذكره، و ضمّنا هذا البيت رزاً من فطيع أمره، فذلك عند ما نسب صاحب الأمر إليه ما راب، و

تلّه و ابنه للجبين معفرين بالتراب، و صدمه فى جنح الليل و المصحف بين يديه يتوسّل بآياته، و يتشفع بعظيم بركاته، فأخذته

السيوف، و تعاورته الحتوف، و أذهبه سلبا قتيلا، مصيّراً مصراع منزله كثيباً مهيباً، و كئنا على بعد من هذه الآزفة التى أورثت القلوب

شجنا طويلاً، و ذكرتنا بعنايه مولانا الجد الغنى بالله لجانبه أعظم ذكراً، فأغرنا برثائه خلداً و فكراً، و ارتجلنا عند ذكره الآن هذه

الآيات إشارة مقنعة، و كناية فى السلوان مطمعة، و أرضينا بالشفقة أوداءه، و أرغما بتأيينه أعداءه، و لما تبلج الصبح لذى عينين، و

تلقينا راية الفرج بالراحتين، عطفتنا على أبنائه عواطف الشفقة، و أطلقنا لهم ما عاثت الأيدي عليه صلة لرحم طالما أضعها من جهل

الأذميّة، و أخفر عهود تخدمه لمن سلف من الأئمة، و صرفنا للبحث و التفتيش وجوه آمالنا، و جعلنا ضمّ ما نثرته الحوادث من

منظوماته من أكيد أعمالنا، و كان تعلق بمحفوظنا جملة وافرة من كلامه، مشتملة على ما راق و حسن من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٢

نشاره و نظامه، فأضفنا ذلك إلى ما وقع عليه اجتهادنا من رقايع الحائلة المنتهية بأيدي النوايب، الدائرة المستتلة بتعدى النواصب،

فخلص من الجملة قلائد عقيان، و عقود درّ و مرجان، تتراح النفوس النفيسة لإنشادها، و تحضر الأبصار و الأسماع عند إيرادها، إلى ما

يتخللها من تخليد ما أثر سلفنا، و الإشارة بعظيم ملكنا، فشرعنا فى تقييد أوابدها الشاردة، و إحياء رسومها البائدة، كلفنا بالأدب لوضوح

فضله، و تأدية لما يجب من رعاية أهله. و لنبدأ بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبه عليه، و نظهر ما كئنا نضمه من الميل إليه، فى كل ما

له أو عليه، فنقول:

هو الفقيه الكاتب، الفذّ الأوحّد، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن يوسف الصريحى، و يعرف بابن زمرك.

أصله من شرق الأندلس، و سكن سلفه بالبيازين من غرناطة، و بها ولد، فنشأ ضئيلاً كالشهاب يتوقّد، مختصر الجرم و الأعين بإطالة

فواضله تشهد، و مكتب الفئه القرآنية يؤثره بالجناب الممهّد، فاشتغل أول نشأته بطلب العلم و الدؤوب على القراءة، و أخذ نفسه

بملازمة حلقات التدريس، و لم يبلغ حدّ وجوب المفترضات إلّا و هو متحمّل الرواية، و ملتصق لفرائد الدراية، و مصابح كلّ يوم

أعلام العلوم، و مستمدّ بمصاييح الحدود العلمية و الرسوم، فافتتح أبواب الكتب النحوية بالإمام أبى عبد الله بن الفخار الآيه الكبرى

فى فنّ العربية، و تردّد الأعوام العديدة إلى قاضى الجماعة أبى القاسم الشريف فأحسن الإصغاء، و بذ النحاء البلغاء، بما أوجب رثاءه

عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة التى أولها: [الرجز]

أغرى سراة الحىّ بالإطراق

و اهتدى فى طريق الخطبة و مناهج الصوفية بالخطيب المعظم أبى عبد الله بن مرزوق الوافد على مولانا الجدّ أبى الحجاج، رضى الله

عنه، فى عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، و إليه جنح، و إياه قصد عند تعرّبه إلى المغرب فى دولة السلطان أبى سالم، فتوجّه بالعمامة

التي ارتجل بين يديه فيها: [المجتث]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٣

تَوَجَّتني بعمامه تَوَجَّت تاج الكرامه

فروض حمدك يزهي منى بسجع الحمامه

و أخذ علم الأصلين عن الحافظ الناقد أبي علي منصور الزواوي، و برع في الأدب، أثناء الانقطاع و أول الطلب لأبي عبد الله بن الخطيب، و لكن لم يحمد بينهما المآل، و اقتدى في العلوم العقلية بالشريف أبي عبد الله التلمساني قدوة الزمان، و حصلت له الإجازة و التحديث بقاضى الجماعة و شيخ الجملة أبي البركات بن الحاج، و بالخطيب البليغ أبي عبد الله اللوشى، و بالخطيب الورع أبي عبد الله بن بيش العبدري، رضى الله تعالى عنه و عن جميعهم، و بواجب محافظتنا على عهودهم، إذ نحن وردنا بالإجازة التامة عذب وردهم، وصل سبينا بهم الكثير من شيوخنا مثل الإمام المعظم أبي محمد عبد الله بن جزى، و معلمنا الثقة المجتهد أبي عبد الله الشريشى، و القاضى الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن علاق، و غيرهم، رحمة الله تعالى عليهم! لذلك صار صدرا فى نوادى طلبه الأندلس و أفراد نجبائها، فما شاءه المحاضر يجده فى خضله، و يتلقاه من باهر فضله، فكاهه و مجالسه أنيقة ممتعة و محادثة أريضة مزهرة، و جوابا شافيا للمعضل، و ذهنا سابقا لإيضاح المشكل، مع انقياد الطبع، و إرسال الدمعة فى سبيل الخشوع و الرقة، و رشح الجبين عند تلقى الموعظة، و صون الوجه بجلباب الحياء، و مقابلة الناظر إليه بالاحتشام، و المبادرة للاستدعاء، على طهارة و بذل و سع و كرم نفس، لم يعهد أجمل مشاركة منه لإخوانه، و لا أمتع منه بجاهه، إلى مبالغة فى الهشّة و المبرّة و الإيثار بما منح، و جنوح إلى حبّ الصالحين، و ذلك بالانضواء إلى شيخ الفرق الصوفية الولي أبي جعفر بن الزيات، و أخيه الفاضل الناسك شيخنا أبي مهدى، قدس الله تعالى مغناه! و سواهما من أهل الأندلس و العدو، و حمله أشدّ الحمل على كل ملتبس كأبي زكريا البرغواطى و سواه.

و من تنديراته- زعموا- على أبي الحسن المحروق لميله عنه: [الخفيف]

ولد الفقر و الرباط و لكن نفسه للسلوك ذات افتقار

و خطب الأدب يافعا و كهلا، و حاز علمه إدراكا و نبلا، و لما كانت الحادثة على مولانا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٤

الجدّ- رحمه الله تعالى!- و اجتاز إلى المغرب كما تقرّر فى غير هذا، كلف به، و أنس إليه؛ لحلاوة منطق و رفع استيحاش و مروضة خلق، ثم كزّ فى صحبة ركابه فعلت منزلته، و لطف محلّه.

وقفنا على رقعة من رقاعه و هو يبدئ فيها و يعيد، و يقول: خدمته سبعا و ثلاثين سنة:

ثلاثا بالمغرب، و باقيا بالأندلس، أنشدته فيها ستا و ستين قصيدة فى ستّة و ستين عيدا، و كلّ ما فى منازل السعيدة من القصر و الرياض و الدشار و السيكة من نظم رائق، و مدح فائق، فى القباب و الطاقات و الطرز و غير ذلك فهو لى، و كنت أواكله و أواكل ابنه مولاي أبا الحجاج، و هما كبيرا ملوك أهل الأرض، و هنأته بكذا و كذا قصيدة، و فوّض لى فى عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين، و صلح النصارى عقده تسع مرات، أ لخصّة فوّض إلى ذلك؟

قلنا: صدق فى جميع ما ذكره، و العقود بذلك شاهدة له. و خصّه عام ثلاثة و سبعين بكتابة سرّه، و استعمله بعد أعوام فى السفارة بينه و بين ملوك عصره، فحمد منابه، و نمت أحواله و رغد جنابه، و كان هنالك بعض تقولات تشين وجه اجتهاده، و تومىء بما احتقبه من سوء مقاصده و ما صرفه من قبيح أغراضه، و هاجت الفتنة، فكانت سفارته أعظم أسبابها.

و عند الأشدّ من عمره عرضت لأفكاره تقلبات، و أقعدته عن قداح السياسة آفات مختلفات، و أشعرته حدّة ذهنه أن يتخبط فى أشراك رقعات، فقعد بجامع مالمقة ثم بمسجد الحمراء ملقيا على الكرسي فنونا جمّة، و علوما لم يزل يتلقاها عن أولياء التعظيم و التجلّة، فانحاز إلى مادة أمم بمالقة طما منهم البحر، و تراءى لأبصارهم و بصائرهم الفخر، و كان التفسير أغلب عليه لفرط ذكائه، و ما كان قيده و حصله أيام قراءته و إقرائه، فما شئت من بيان، و إعجاز قرآن، و آيات توحيد و إخلاص، و مناهج صوفية تؤذن بالخلاص،

يوم الأخذ بالنواص، و مرارا عدة سمع ما يلقيه ولئى الأمر، و يا شدة البلوى التى أذاقه مرّها، و أمطاه إلى طيبة الهلاك ظهرها، و يا قرب ما كان الفوت، و الحسام الصّلت، من متباعد هذه القرب التى ألغيت.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٥

قلنا: لقد جمع جواد القلم فأطلقنا و نحن نشير إلى هذا الرئيس و تبدل طباعه، بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطلاع، و إحراز شيم أدت إلى علوّ مقداره، و استقامه مداره، فأل عمر مولانا جدنا إلى النفاذ، و رمت رئيس كتابه هذا أسهم الحساد، فظهر الخفى، و سقط به الليل على سرحان، و قد طالما جرّب الوفىّ و الصفىّ. و كان من شأنه الاستخفاف بأولياء الأمر من حجاب الدولة، و الاسترسال فى الردّ عليهم بالطبع و الجبلة، مع الاستغراق فى غمار الفتن أندلسا و غربا، و مراعاة حظوظ نفسه استيلاء و غصبا، أما الجراءة فانتضى سيوفها، و أما إكفاء السماء على الأرض فقواصم نوع صنوفها، و أما المجاهرة فوقف بميدان الاعتراض صفوفها، و أما المجاملة فنكر معروفها، أداه هذا النبا العظيم إلى سكنى المعتقل بقصبة ألمرية، و على الأثر كان الفرج قريبا، و سطور المؤاخذة قد أوسعها العفو تضريبا، و نالته هذه المحنة عند وفاة مولانا الجد الغنى بالله، و كانت وفاته غرة شهر صفر عام ثلاثه و تسعين و سبعمائة؛ لأسباب يطول شرحها أظهرها شراسة فى لسانه، و اغترار بمكانه، و تضريب بين خدام السلطان و أعوانه، فكبا لليدين و الفم، إلى أن منّ الله تعالى بسراجه، و أعاده إلى الحضرة فى أول شهر رمضان المعظم من عام أربعة و تسعين و سبعمائة، فكان ما كان من وفاة مولانا الوالد رحمه الله تعالى! و قيام أخينا محمد مقامه بالأمر، فاستمرّ الحال أياما قلائل، و قدم للكتابة الفقيه ابن عاصم لمدة من عام، ثم أعاد المذكور إلى خطته و قد دمت بعض أخلاقه، و خمدت شراسته و حلا بعض مذاقه، فما كان إلّا كلا وليت و إذا به قد ساء مشهدا و غيبا، و أوسع الضمائر شكّا و ريبا، و غلبت الإحن عليه، و غلت مراجلها لديه، فصار يتقلّب على جمر الغضى، و يتبرّم بالقضا، و يظهر النصح و فى طيبة التشفى، و يسم نفسه بالصلاح، و يعلن بالخشوع، و يشير بأنه الناصح الأمين، و يتلو قوله تعالى و لَكِنَّ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ [سورة الأعراف، الآية: ٧٩] و رتب على المشتغلين كبيرهم و صغيرهم ذنوبا لم يقترفوها، و نسب إليهم نسبا من التضييع لم يعرفوها، و أنهم احتجوا الأموال، و أساءوا الأعمال و الأقوال، فلم يظفر من ذلك بكبير طائل، و لا حصل على تفاوت أعداده على حاصل، هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية، و عدم اضطلاع بالأمور الجبائية، فمن نفس يروّع سربها، و يكدر بالامتحان و الامتحان شربها، و من ضارعة خاشعة لله تعالى سلبت، و طولبت بغير ما اكتسبت، و تعدّت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٦

الأيدي إلى أقوام جلّهم سعدوا بشقائه، و امتحنوا و هم المبرؤون من تزويره و اعتدائه، و سيسألون يوم لا يغنى مال و لا بنون. و صار يصرف أغراضه، و يظهر أحقاده، بين إفصاح بما كان الإعجام خيرا من إلقاءه، و إن عمر المسكين المستضعف لا حاجة فى طول بقائه، إلى مجاهرة عهد منه أيام شيبته نقيضها، و انعكس فى شاخته تصريحها المنغص و تعريضها، لا يريح نفسه من جهد، و لا يقف من اللجلجة عند حدّ، و قد كان ثقل سمعه فسأت إجابته، و طغت أخلاقه فسئمت و ساطته، و ربما استحلف فلم يكن بين اللازمة و اللازمة إلّا الحنث عن قصد و غير قصد، و دعا على نفسه و أبناؤه بإنجاز وعد، و أن يقبض الله له و لهم قاتل عمد، فسبحان القاهر فوق عباده، الرحيم بهذا الشخص و بالأموات من شيعة و أولاده، فاستمرّ على ذلك إلى إحدى الليالى، فهلك فى جنح الليل فى جوف داره على يد مخدمه، تلقاه - زعموا - عند الدخول عليه، و هو بالمصحف رافع يديه، فجذلته السيوف، و تناولته الحتوف، فقضى عليه، و على من وجد من خدامه و ابنه، كل ذلك بمرأى عين من أهله و بناته، و لم يتقوا الله فيه حقّ تقاته، فكانت أنكى الفجائع، و أفضع الوقائع، و ساءت القالة، و عظم المصاب، و كل شىء إلى أجل نافذ و كتاب. انتهى كلام ابن الأحمر فى مقدمته كتابه.

و قد اطلعت منه على تصاريق أحوال ابن زمرك، و قتله على الوجه الذى يعلم منه أن نأر لسان الدين بن الخطيب لديه لا يترك، بل قتله أفضع من قتله لسان الدين؛ لأنّ هذا قتل بين عياله و أهله، و قتل معه أبناؤه و من وجد من خدمه، و لسان الدين رحمه الله تعالى خنق بمفرده، و عند الله تجتمع الخصوم، و هو العفو الغفور.

و قد فهم من مضمون ما سبق أنّ قتل ابن زمرك بعد عام خمسة و تسعين و سبعمائة، و لم أقف من أمر على غير ما تقدّم. و لا- بأس أن نلم بشيء من نظمه البارع ممّا كنت انتقيته بالمغرب من تأليف ابن الأحمـر المذكور، و أوردت كثيرا منه في «أزهار الرياض».

[قصيدة لابن زمرك في التهئة بالعيد]

فمن ذلك قوله في ذكر غرناطة العلية، و تهنته سلطانه الغنى بالله ببعض المواسم العيديه، و وصف كرائم جياده، و آثار ملكه و جهاده:
[البسيط]

يا من يحنّ إلى نجد و ناديها غرناطة قد ثوت نجد بواديهـا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٧

قف بالسبيكة و انظر ما بساحتها عقيله و الكثيب الفرد جاليها

تقلدت بوشاح النهر و ابتسمت أزهارها و هي حلى في تراقيها

و أعين النرجس المطلول يانع تفرق الطلّ دمعاً في مآقيها

و افتّر ثغر أقاح من أزهارها مقبلاً خدّ ورد من نواحيها

كأنما الزهر في حافاتها سحرا دراهم و النسيم اللدن يحييها

و انظر إلى الدّوح و الأنهار تكنفها مثل الندامى سواقيها سواقيها

كم حولها من بدور تجتنى زهرا فتحسب الزهر قد قبلن أيديها

حسباؤها لؤلؤ قد شفّ جوهرها و النهر قد سال ذوبا من لآليها

نهر المنجم و الزهر المطيف به زهر النجوم إذا ما شئت تشبيها

يزيد حسنا على نهر المجرة قد أغناه درّ حباب عن دراريها

يدعى المنجم رائيه و ناظره مسميات أبانتها أساميهـا

إنّ الحجاز مغانيه بأندلس ألفاظها طابقت منها معانيها

فتلك نجد سقاها كلّ منسجم من الغمام يحييها فيحييها

و بارق و عذيب كلّ مبتسم من الثغور يحليها مجليها

و إن أردت ترى وادى العقيق فرد دموع عشاقها حمرا جواريهـا

و للسبيكة تاج فوق مفرقها توذّ درّ الدرارى لو تحليها

فإنّ حمراءها و الله يكلؤها ياقوته فوق ذاك التاج يعليها

إنّ البدور لتيجان مكلفة جواهر الشهب في أبهى مجاليها

لكنها حسدت تاج السبيكة إذ رأت أزهاره زهرا يجليها

بروجها لبروج الأفق مخجلة فشهبها في جمال لا تضاهيها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٨

تلك القصور التي راقت مظاهرها تهوى النجوم قصورا عن معاليها

لله عينا من رأى سحرا تلك المنارة قد رقت حواشيها

و الصبح في الشرق قد لاحت بشائره و الشهب تستنّ سبقا في مجاريها

تهوى إلى الغرب لَمَّا غالها سحر و غَمَضَ الفجر من أجفان و اشيتها
و ساجع العود في كَفِّ النديم إذا ما استوقف الطير يديها و يقريها
يبدى أفانين سحر في ترنمه يصبى العقول بها حسنا و يسيها
يجسسه ناعم الأطراف تحسبها لآلئا و هي نور في تلاليتها
مقاتل بلحاظ قوس حاجبها ترمى القلوب بها عمدا فتصميمها
فباكر الروض و الأغصان مائله يثنى النفوس لها شوقا تنثيها
لم يرقص الدوح بالأكمام من طرب حتى شدا من قيان الطير شاديتها
و أسمعته فنون السحر مبدعة ورق الحمام و غناها مغنيها
غرناطه آنس الرحمن ساكنها باحت بسر معانيها أغانيها
أعدى نسيمهم لطفا نفوسهم فرقة الطبع طبع منه يعديها
فخلد الله أيام السرور بها صفرا عشياتها بيضا لياليها
و روض المحل منها كل منبجس إذا اشتكت بغليل الجذب يرويها
يحكى الخليفة كفا كلما و كفت بالجود فوق موات الأرض يحييها
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٩؛ ص ٢٨
تغنى العفاة و قد أمت مكارمه عن السؤال و بالإحسان يغنيها
لها بنان فلا غيث يساجلها جودا و لا سحبه يوما تدانيها
فإن تصب سحبه بالماء حين همت بعسجد و لجين صاب هاميتها
يا أيها الغيث أنت الغوث في زمن ملوكه تلفت لو لا تلافيتها
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٩
إن الرعايا جزاك الله صالحه ملكت شرقا و غربا من يراعيها
إن الخلائق في الأقطار أجمعها سوائم أنت في التحقيق راعيها
فكل مصلحه للخلق تحكمتها و كل صالحه في الدين تنويها
إذا تيممت أرضا و هي مجدبه فرحمه الله بالسقيا تحييها
يا رحمه بثت الرحمتي بأندلس لولاك زلزلت الدنيا بمن فيها
في فضل جودك قد عاشت مشيختها في ظل أمنك قد نامت ذراريها
في طول عمرك يرجو الله آملها بنصر ملكك يدعو الله داعيها
عوائد الله قد عودت أفضلها لتبلغ الخلق ما شاءت أمانيتها
سلّ السعود و خلّ البيض مغمدة و اضرب بها فريه التلثت تفريها
لله أيامك الغز التي اطردت فيها السعود بما ترضى و يرضيها
لله دولتك الغزاء إن لها لكافلا من إله العرش يكفيها
هيئات أن تبلغ الأعداء مأربه في جريها و جنود الله تحميها
هذى سيوفك في الأجفان نائمة و المشركون سيوف الله تفنيها
سريره لك في الإخلاص قد عرفت حسنى عواقبها حتى أعاديتها

لم يحجب الصبح شهب الأفق عن بصر إلّا و هديك للأبصار يديها
 يا ابن الملوك و أبناء الملوك إذا تدعو الملوك إلى طوع تلتئها
 أبناء نصر ملوك عزّ نصرهم و أوسعوا الخلق تنويها و ترفيها
 هم المصاييح نور الله موقدها تضيء للدين و الدنيا مشاكيها
 هم النجوم و أفق الهدى مطلعها فوزا لمهديها عزّا لهاديها
 هم البدور، كمال ما يفارقها هم الشموس، ظلام لا يواربها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٠
 قضت قواضبها أن لا انقضاء لها و أمضت الحكم في الأعدا مواضبيها
 و خلّدت في صفاح الهند سيرتها و أسندت عن عواليها معاليها
 و أورثتك جهادا أنت ناصره و الأجر منك يرصّيها و يحظيها
 كم موقف ترهب الأعداء موقعه و الخيل تردى و وقع السيف يرديها
 ثارت عجاجته و اليوم محتجب و النقع يؤثر غيما من دياجيها
 و للأسنة شهب كلما غربت في الدار عين تجلّت من عواليها
 و للسيوف بروق كلما لمعت ترحى الدماء و ريح النصر يزجيها
 أطلعت وجهها تريك الشمس غرّته تبارك الله ما شمس تسامبها
 من أين للشمس نطق كلّ حكم يفيدها كلّ حين منك مبدبها
 لك الجياد إذا تجرى سوابقها فللرياح جياذ ما تجاريها
 إذا انبرت يوم سبق في أعتتها ترى البروق طلاحا لا تباربها
 من أشهب قد بدا صباحا تراخ له شهب السماء فإنّ الصبح يخفيها
 إلّا التي في لجام منه قتيدها فإنه سامها عزّا و تنويها
 أو أشقر مرّ عن شقر البروق و قد أبقى لها شققا في الجوّ تنبيها
 أو أحمر جمره في الحرب متقدّ يعلو لها شرر من بأس مذكيها
 لون العقيق و قد سال العقيق دما بعطفه من كماء كاد يدمبها
 أو أدهم ملء صدر الليل تنعله أهله فوق وجه الأرض يديها
 إن حارت الشهب ليلا في مقلّده فصبح غرّته بالنور يهدبها
 أو أصفر بالعشيتات ارتدى مرحا و عرفه بتمادى الليل ينبيها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣١
 ممّوه بنضار تاه من عجب فليس يعدم تنويها و لا تيها
 و ربّ نهر حسام رقّ رائقه متى ترده نفوس الكفر يرديها
 تجرى الرءوس حبابا فوق صفحته و ما جرى غير أنّ البأس يجريها
 و ذابل من دم الكفّار مشربه يجنى الفتوح و كفّ النصر تجنيها
 و كم هلال لقوس كلما نبضت ترى النجوم رجوما في مراببها
 أئمة الكفر ما يمتّ ساحتها إلّا و قد زلزلت قسرا صياصبها

يا دولة النصر هل من مبلغ دولا مضين أنك تحيها و تنسيها
أو مبلغ سالف الأنصار مألكة و الله بالخلد في الفردوس يجزيها
إنّ الخلافة أعلى الله مظهرها أبقت لنا شرفا و الله يبقياها
يا ابن الذين لهم في كلّ مكرمه مفاخر و لسان الدهر يملياها
أنصار خير الوري، مختار هجرته جيران روضته، أكرم بأهليها
سمتهم الملة السمحاء تكرمه أنصارها، و بهم عزت أوالياها
ففي حنين و في بدر و في أحد تلقى مفاخرهم مشهورة تياها
و لتسأل السير المرفوع مسندا فعن مواقفهم تروى مغازياها
مآثر خلد الرحمن أثرها ينصها من كتاب الله قارياها
ما ذا يجيد بليغ أو ينمقه من الكلام و وحى الله تالياها
له الجهاد به تسرى الرياح إلى ممالك الأرض من شتى أقاصياها
تحدى الركاب إلى البيت العتيق به فمكة عمرت منه نواديها
بشائر تسمع الدنيا و ساكنها إذا دعا باسمك الأعلى منادياها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٢
كفى خلافتك الغراء منقبة أن الإله يوالى من يوالياها
و قد أفاد بنيه الدهر تجر به أن السعود تعادى. من يعادياها
إذا رميت سهام العزم صائبة فما رميت، بل التوفيق رامياها
شكرا لمن عظمت منّا مواهبه و إن تعدّ فليس العدّ يحصياها
عما قريب ترى الأعياد مقبلة من الفتوح و وفد النصر حادياها
و تبلغ الغاية القصوى بشائرها فقد أظلت بما ترضى مبادياها
فاهنا بما شئت من صنع تسرّ به و انو الأمانى فالأقدار تدنياها
مولاي، خذها كما شاءت بلاغتها و لو تباع لكان الحسن يشرياها
أرسلتها حيثما الأرواح مرسله نوادرا تنشر البشرى أمالياها
جاءت تهنيك عيد الفطر معجبة بحسنها و لسان الصدق يطرياها
البشر في وجهها، و اليمن في يدها، و السحر في لفظها، و الدّر في فيها
لو رضع البدر منها تاج مفرقه لم يرض درّ الدرارى أن تحلياها
فإن تكن بنت فكرى و هو أوجدها نعماك في حجره كانت تريبها
في روض جودك قد طوّقتنى منّا طوق الحمام فما سجعى موفياها
و لو أعرت لسان الدهر يشكرها لكان يقصر عن شكر يوفياها
بقيت للدين و الدنيا إمام هدى مبلغ النفس ما ترجو أمانياها
و السعد يجرى لغايات تؤملها ما دامت الشهب تجرى في مجارياها

و قال رحمه الله تعالى شاكرًا لنعم وصلته من المذكور في عاشوراء: [الكامل]

مولاي يا ابن السابقين إلى العلا و الرافعين لواءها المنشورا
 إن لوحظوا في المعلوات فإنهم طلَعوا بآفاق العلاء بدورا
 أو فوخرُوا في المكرمات فإنهم نظموا بأسلاك الفخار شذورا
 أبناء أنصار النبي و صحبه في الذكر أصبح فخرهم مذكورا
 و المؤثرين، و ربنا أثنى بها في الحشر خلد و صفهم مسطورا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٣
 فاضت علينا من نداك غمائم و تفجرت من راحتك بحورا
 من كف شفاف الضياء تخاله لصفاء جوهره تجسّد نورا
 نعم منوّعه تعدّد وفرها أعجزت عنها شكرى الموفورا
 فى موسم للدين قد جدّدته و أقمت فينا عيده المشهورا
 أضعاف ما أهديتنا من منّة تهدي إليك ثوابها عاشورا
 و على الطريق بشائر محمودة ألقاك جدلانا بها مسورا

[مقطوعات لابن زمرک فى وصف زهر القرنفل]

و قال يصف زهر القرنفل الصعب الاجتباء بجبل الفتح، و قد وقع له السلطان الغنى بالله المذكور بذلك، فارتجل قطعا منها: [الطويل]

أتونى بنّوار يروق نضارة كخَدّ الذى أهوى و طيب تنفّسه
 و جاؤوا به من شاهق متمنّع تمنّع ذاك الطبى فى ظلّ مكنسه
 رعى الله منى عاشقا متفتّعا بزهر حكى فى الحسن خدّ مؤنسه
 و إن هبّ خفّاق النسيم بنفحه حكّت عرفه طيبا قضى بتأنسه
 و منها:

رعى الله زهرا ينتمى لقرنفل حكى عرف من أهوى و إشراق خدّه
 و منبته فى شاهق متمنّع كما امتنع المحبوب فى تيه صدّه
 أميل إذا الأغصان مالت بروضة أعانق منها القضب شوقا لقدّه
 و أهفو لخفّاق النسيم إذا سرى و أهوى أريج الطيب من عرف نده
 و منها:

أقرّ بعينى أن أرى الزهر يانعا و قد نازع المحبوب فى الحسن وصفه
 و ما أبصرت عينى كزهر قرنفل حكى خدّ من يسبى الفؤاد و عرفه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٤
 تمنّع فى أعلى الهضاب لمجتن تمنّعه منى إذا رمت إلفه
 و فى جبل الفتح اجتنوه تفاؤلا بفتح لباب الوصل يمنح عطفه
 و ما ضرّ ذاك الغصن و هو مرّح إذا ما ثنى نحو المتيم عطفه

[قصيدة له يمدح فيها ابن الأحمر و يهنئه]

قال ابن الأحمر في الكتاب المذكور فيما مرّ: و من قصائده التي يودّ الصبح سناها، و النسيم اللدن رقّة معناها، يهنئ مولانا الجّد رضى الله تعالى عنه عند وصول خالصة مقامه، و كبير خدامه، القائد خالد رحمه الله تعالى من تلمسان بالهدية، و تجديد المقاصد الودية، و وافق استئناف راحة من الذات العلية، و من بعض فروع دوحته الزكية: [الطويل]

أدرها ثلاثا من لحاظك و احبس فقد غال منها السكر أبناء مجلس
إذا ما نهاني الشيب عن أكؤس الطلا تدير على الخمر منها بأكؤس
عذيري من لحظ ضعيف و قد غدا يحكمّ منّا فى جسوم و أنفس
و روض شباب ماس غصن قوامه و فتح فيه اللحظ أزهار نرجس
و ما زال ورد الخدّ و هو مضعّف يعير أقاح الثغر طيب تنفس
و كم جال طرف الطرف فى روض حسنه يقينه فيه العذار بسندس
أما و لىالى الوصل فى روضة الصبا و مألّف أحبابى و عهد تأنسى
لئن نسيت تلك العهود أحبّتى فقلبى عهد العامريّة ما نسى
و حاشا لنفسى بعد ما افتتر فودها من الشيب عن صبح به متنفس
و ألبسها ثوب الوقار خليفه به لبس الإسلام أشرف ملبس
و جدّد للفتح المبين مواسما أقام بها الإيمان أفرّاح معرس
و أورثه العلياء كلّ خليفه نماه إلى الأنصار كلّ مقدّس
فيا زاجر الأظعان و هى ضوامر بغير الفلا و الوحش لم تتأنس
إذا جئت من دار الغنى برّبّه مناخ العلا و العزّ فاعقل و عزّس
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٥

فإن شئت من بحر السماحة فاغترف و إن شئت من نور الهداية فاقبس
أمولاي إنّ السعد منك لآية أنارت بها الأكوان جذوة مقبس
إذا شئت أن ترمى القصي من المنى تدور لك الأفلاك مرفوعة القسي
فترمى بسهم من سعودك صائب سديد لأغراض الأمانى مقرطس
أهنيك بالإبلال ممّن شفاؤه شفاؤك فاشكر من تلافى و قدّس
و دعنى أرد يمناك فهى غمامة تبخل صوب العارض المتبجّس
أقبل منها راحة إثر راحة أتتك بها الركبان من بيت مقدس
و من نسب الفتح المبين ولادة إليه بغير الفخر لم يتأسس
فيا أيها المولى الذى بكماله خلائف هذا العصر فى الفخر تأتسى
لآمنت موسى من عوادي سمّيه و لولاك لم يبرح بخيفه موجس
بعثت بميمون النقيبة فى اسمه خلود لعزّ ثابت متأسس
فجاءك بالمال العريض هديّة بها الدين أثواب المسرة يكتسى
و شفّعها بالصافنات كأنها و قد راق مرآها جاذر مكنس

تنصّ من الإشراف جيد غزاله و ترنو من الإيجاس عن لحظ أشوس
لكك الخير موسى مثل موسى، كلاهما بغير شعار الودّ لم يتلبس
فلا زلت في ظلّ النعيم و كلّ من يعاديك لا ينفكّ يشقى بأبؤس
عليك سلام مثل حمدك عاطر تنفّس وجه الصبح عنه بمعطس

[قصيدة له في المولد النبوي]

و قال في مولد عام سبعة و ستين و سبعمائة و ألمّ في أخرياتها بوصف المشور الأسنى، الرفيع المبني: [الكامل]
زار الخيال بأيمن الزوراء فجلا سناه غياهب الظلماء
و سرى مع النسمات يسحب ذيله فأتت تنم بعنبر و كباء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٦
هذا و ما شيء ألدّ من المنى إلّا زيارته مع الإغفاء
بتنا خياليين التحفنا بالضنى و السقم ما تخشى من الرقباء
حتى أفاق الصبح من غمراته و تجاذبت أيدي النسيم ردائي
يا سائلي عن سرّ من أحببته السرّ عندي ميّت الأحياء
تالله لا أشكو الصباية و الهوى لسوى الأحبة أو أموت بدائي
يا دين قلبي لست أبرح عانيا أرضى بسقمي في الهوى و عنائي
أبكي و ما غير النجيع مدامع أذكي، و لا ضرم سوى أحشائي
أهفو إذا تهفو البروق، و أنثنى لسرى النواسم من ربا تيماء
بالله يا نفس الحمى رفقا بمن أغريته بتنفس الصّعداء
عجبا له يندى على كبدي و قد أذكي بقلبي جمرة البرحاء
يا ساكني البطحاء أيّ إبانة لي عندكم يا ساكني البطحاء
أ ترى النوى يوما تخيب قداحها و يفوز قدحي منكم بلقاء
في حيكم قمر فؤادي أفقه تفديه نفسي من قريب نائي
لم تنسني الأيام يوم وداعه و الركب قد أوفى على الزوراء
أبكي و يبسم و المحاسن تجتلي فعلقت بين تبسم و بكاء
يا نظرة جادت بها أيدي النوى حتى استهلّت أدمعي بدماء
من لي بثانية تنادي بالأسى (قدك اتّند أسرفت في الغلواء)
و لربّ ليل بالوصول قطعته أجلو دجاه بأوجه الندماء
أنسيت فيه القلب عادة حلمه و حثت فيه أكؤس السراء
جاريت في طلق التصابي جامحا لا أنثنى لمقادة النصحاء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٧
أطوى شبابي للمشيب مراحل برواحل الإصباح و الإمساء
يا ليت شعري هل أرى أطوى إلى قبر الرسول صحائف البيداء

فتطيب في تلك الربوع مدائحى و يطول في ذاك المقام ثوائى
حيث النبوة نورها متألق كالشمس تزهى في سننى و سناء
حيث الرسالة في ثنية قدسها رفعت لهدى الخلق خير لواء
حيث الضريح ضريح أكرم مرسل فخر الوجود و شافع الشفاء
المصطفى و المرتضى و المجتبى و المنتقى من عنصر العلياء
خير البرية مجتباها ذخرها ظل الإله الوارف الأفياء
تاج الرسالة ختمها و قوامها و عمادها السامى على النظراء
لولاه للأفلاك ما لاحت بها شهب تنير دياجى الظلماء
ذو المعجزات الغز و الآى الألى أكبرن عن عد و عن إحصاء
و كفاك رد الشمس بعد مغيبها و كفاك ما قد جاء فى الإسراء
و البدر شق له و كم من آية كأنامل جاءت بنبع الماء
و بليلة الميلاد كم من رحمة نشر الإله بها و من نعماء
قد بشر الرسل الكرام ببعثه و تقدم الكهان بالأنباء
أكرم بها بشرى على قدم سرت فى الكون كالأرواح فى الأعضاء
أمسى بها الإسلام يشرق نوره و الكفر أصبح فاحم الأرجاء
هو آية الله التى أنوارها تجلو ظلام الشك أى جلاء
و الشمس لا تخفى مزيه فضلها إلا على ذى المقله العمياء
يا مصطفى و الكون لم تعلق به من بعد أيدى الخلق و الإنشاء
يا مظهر الحق الجلى و مطلع ال نور السننى الساطع الأضواء
يا ملجأ الخلق المشفق فيهم يا رحمة الأموات و الأحياء
يا آسى المرضى و منتجج الرضا و مواسى الأيتام و الضعفاء
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٨
أشكو إليك و أنت خير مؤمل داء الذنوب و فى يديك دوائى
إنى مددت يدى إليك تضرعا حاشا و كلاً أن يخيب رجائى
إن كنت لم أخلص إليك فإنما خلصت إليك محبتى و ندائى
و بسعد مولاي الإمام محمد تعد الأمانى أن يتاح لقائى
ظل الإله على البلاد و أهلها فخر الملوك السادة الخلفاء
غيث العباد و ليث مشتجر القنا يوم الطعان و فارح الغماء
كالدهر فى سطواته و سماحه تجرى صباه بززع و رخاء
رقت سجاياه و رقت مجتلى كالنهر وسط الروضة الغناء
كالزهر فى إيراقه، و البدر فى إشراقه، و الزهر فى لألاء
يا بن الألى إجمالهم و جمالهم فلق الصباح و واكف الأنواء
أنصار دين الله حزب رسوله و السابقون بحلبه العلياء

يا ابن الخلائف من بنى نصر و من حاطوا ذمار الملة السمحاء
 من كل من تقف الملوك ببابه يستمطرون سحائب النعماء
 قوم إذا قادوا الجيوش إلى الوغى فالرعب رائدهم إلى الأعداء
 و العزّ مجلوب بكلّ كتيبه و النصر معقود بكلّ لواء
 يا وارثا عنها مناقبها التي تسمو مراقبها على الجوزاء
 يا فخر أندلس و عصمه أهلها يجزيك عنها الله خير جزاء
 كم خضت طوع صلاحها من مهمه لا تهتدى فيه القطا للماء
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٩
 تهتدى بها حادى السرى بعزائم تهتدى نجوم الأفق فضل ضياء
 فارع لواء الفخر غير مدافع و اسحب ذيول العزة القعساء
 و اهنأ بمبناك السعيد فإنه كهف ليوم مشوره و عطاء
 لله منه هاله قد أصبحت حرم العفاء و مصرع الأعداء
 تتنابها طير الرجاء فتجتنى ثمر المنى من دوحه الآلاء
 لله منه قبه مرفوعه دون السماء تفوت لحظ الرائي
 راقت بدائع وشيها فكأنها وشيء الربيع بمسقط الأنداء
 عظمت ميلاد النبى محمد و شفيعته بالليله العزراء
 أحييت ليلك ساهرا فأفدتنا قوت القلوب بذلك الإحياء
 يا أيها الملك الهمام المجتبى فانت علاك مدارك العقلاء
 من لى بأن أحصى مناقبك التي ضاقت بهنّ مذاهب الفصحاء
 و إليك منى روضه مظلولة أرجت أزاهرها بطيب ثناء
 فافسح لها أكناف صفحك إنها بكر أتت تمشى على استحياء

و قال ابن الأحمر: و من إعداريات ابن زمرك المحكمه نسقا و رصفا، المتناهيه فى كل فن حسن تحليه غريبه و وصفا، حسبما اقتضته
 ملاحظه النسبه الرفيعه مولانا رحمه الله تعالى عليه و احتفاله المناسب لعز ملكه من تعميم الخلق بالجفلى فى دعواهم، و استدعاء
 أشرف الأمم من أهل المغرب و سواهم، تفننا فى مكارم متعدده أيامها عن أصالة المجد معربه، و إغراء لهم الملك بما لتتميم الأنس
 من أوضاع مغريه، و مباهاة بعرض الجيوش و الكتائب للعدو الكافر، و تكاثرا من مماليك دولته بالعدد الوافر، ممّا أجم اللسن الذكى
 عينا، و غادر الإعدار الذنونى منسيا، كافأ الله سبحانه أبوته المولويه عنا و عن آبائنا، و تلقى بالقبول الكفيل بتجديد الرضوان ما نصل له
 من خالص دعائنا، إنه منعم جواد- قوله فى الصنيع المختص من ذلك بمولانا الوالد قدس الله تعالى روحه! و ذلك سنه أربع و ستين
 و سبعمائه: [الطويل]

معاذ الهوى أن أصحاب القلب ساليا
 القصيده، و قد تقدمت بتمامها فراجعها.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٤٠

[قصيده له فى النهئه، و فيها يصف الجند]

ثم قال: و من ذلك ما أنشد في الصنيع الثاني المخصوص بعَمينا السيدين الأميرين سعد و نصر، رحمة الله تعالى عليهما! و أجاد في وصف الجند و الجرد و الطلبة و غرائب الأوضاع:

[الكامل]

أ للمحّة من بارق متبسّم أرسلته دمعا تضرّج بالدم
و للمحّة تهفو ببنات اللوى يهفو فؤادك عن جوانح مغرم
هى عادة عذريّة من يوم أن خلق الهوى تعناد كلّ متيم
قد كنت أعذل ذا الهوى من قبل أن أدري الهوى، و اليوم أعذل لؤمى
كم زفرة بين الجوانح ما ارتقت حذر الرقيب و مدمع لم يسجم
إن كان واشى الدمع قد كنتم الهوى هيهات واشى السقم لَمّا يكتم
و لقد أجدّ هواى رسم دارس قد كاد يخفى عن خفىّ توهم
و ذكرت عهدا فى حماه قد انقضى فأطلت فيه ترددى و تلؤمى
و لربما أشجى فؤادى عنده و رقاء تنفث شجوها بترنم
لا أجدب الله الطلول فطالما أشجى الفصيح بها بكاء الأعجم
يا زاجر الأظعان يحفزها السرى قف بى عليها وقفه المتلوم
لترى دموع العاشقين برسمها حمرا كحاشية الرداء المعلم
دمن عهدت بها الشبية و الهوى سقيا لها و لعهدا المتقدم
و كتيبة للشوق قد جهّزتها أغزو بها السلوان غزو مصمم
و رفعت فيها القلب بندا خافقا و أريت للعشاق فضل تهّمى
فأنا الذى شاب الحماسة بالهوى لكنّ من أهواه ضايق مقدمى
فطعنت من قدّ القوام بأسمر و رميت من غنج اللحاظ بأسهم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٤١
يا قاتل الله الجفون فإنها مهما رمت لم تخط شاكلة الرمى
ظلمت قتيل الحبّ ثم تبينت للسقم فيها فترة المتظلم
يا ظبية سنحت بأكناف الحمى سقى الحمى صوب الغمام المسجم
ما ضرّ إذ أرسلت نظرة فاتك أن لو عطفت بنظرة المترحم
فأريت جسما قد أصيب فؤاده من مقلتيك و أنت لم تتأثم
و لقد خشيت بأن يقاد بجرحه فوهبت لحظك ما أحلك من دمي
كم خضت دونك من غمار مفازة لا تهتدى فيها الليوث لمجثم
و النجم يسرى من دجاه بأسهم رحب المقلد بالثرىا ملجم
و البدر فى صفح السماء كأنه مرآة هند وسط لبح ترتدى
و الزهر زهر و السماء حديقة فتقت كرائم جناحها عن أنجم
و الليل مربدّ الجوانح قد بدا فيه الصباح كغزة فى أدهم
فكأنما فلق الصباح و قد بدا مرأى ابن نصر لاح للمتوسّم

ملك أفاض على البسيطة عدله فالشاة لا تخشى اعتداء الضيغم
هو منتهى آمال كلّ موفق هو مورد الصادى و كنز المعدم
لاحت مناقبه كواكب أسعد فرأت ملامح نوره عين العمى
و لقد تراءى بأسه و سماحه فأتى الجلال من الجمال بتوأم
مثل الغمام و قد تضاحك برقه فأفاد بين تجهم و تبسم
أنسى سماحة حاتم، و كذاك فى يوم اللقاء ربيعة بن مكدّم
سير تسير التّيرات بهديها و تعير عرف الروض طيب تنسم
فالبدر دونك فى علا و إنارة و البحر دونك فى ندى و تكرم
و لك القباب الحمر ترفع للندى فترى العمائم تحتها كالأنجم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٤٢
يذكى الكباء بها كأنّ دخانه قطع السحاب بجوّها المتغيّم
و لك العوالى السمر تشرع للعدا فتخرّ صرعى لليدين و للفم
و لك الأيادى البيض قد طوقتها صيد الملوك ذوى التلاد الأقدم
شيم يقرّ الحاسدون بفضلها و الصبح ليس ضياؤه بمكتم
ورث السماحة عن أبيه و جدّه فالأكرم ابن الأكرم ابن الأكرم
نقلوا المعالى كابرا عن كابر كالرمح مطرد الكعوب مقوم
و تسّموا رتب العلاء بحقّها ما بين جدّ فى الخلافة و ابنم
يا آل نصر أنتم سرج الهدى فى كلّ خطب قد تجهم مظلم
الفاتحون لكلّ صعب مقفل و الفارجون لكلّ خطب مبهم
و الباسمون إذا الكماء عوابس و المقدمون على السواد الأعظم
أبناء أنصار النبى و حزبه و ذوى السوابق و الجوار الأعصم
سل عنهم أحدا و بدرا تلقهم أهل الغناء بها و أهل المغنم
و بفتح مكة كم لهم فى يومه بلواء خير الخلق من متقدّم
أقسمت بالحرم الأمين و مكة و الركن و البيت العتيق و زمزم
لو لا ما أثرهم و فضل علاهم ما كان يعزى الفضل للمتقدّم
ما ذا عسى أثنى و قد أثنى على عليائهم آى الكتاب المحكم
يا وارثا عنها ما أثرها التى قد شيّدت للفخر أشرف معلم
يا فخر أندلس لقد مدّت إلى عليك كفّ اللانذ المستعصم
أما سعودك فى الوغى فتكفّلت بسلامة الإسلام فاخلد و اسلم
وافيت هذا الثغر و هو على شفى فشفيت معضل دائه المستحكم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٤٣
و رعيته بسياسة دارت على مختطّه دور السوار بمعصم
كم ليلة قد بتّ فيها ساهرا تهدى الأمان إلى العيون التوم

يا مظهر الألفاظ و هي خفيّة و مهبّ ريح النصر للمتسنّم
لله دولتك التي آثاها سير الركاب لمنجد أو متهم
ما بعد يومك في المواسم بعد ما أتبع عيد الفطر أكرم موسم
وافتك أشراف البلاد ليومه من كلّ ندب للعلا متسنّم
صرفوا إليك ركابهم و تيمّموا من بابك المنتاب خير ميّم
و تبوّءوا منه بدار كرامه فالكلّ بين مقرب و منعم
ودّت نجوم الأفق لو مثلت به لتفوز فيه برتبة المستخدم
و الروض مختال بحليه سندس من كلّ موشى الرقوم منمنم
و رياحه نسمت بنشر لطيمه و أقاحه بسمت بثغر مسلم
و أريتنا فيه عجائب جمّه لم تجر في خلد و لم تتوهم
أرسلت سرعان الجياد كأنها أسراب طير في التّوفه حوم
من كلّ منحفر بخطفه بارق قد كاد يسبق لمحّه المتوهم
طرف يشكّ الطرف في استنباته فكأنه ظنّ بصدر مرجم
و مسافر في الجوّ تحسب أنه يرقى إلى أوج السماء بسلم
رام استراق السمع و هو ممّع فأصيب من قضب العصيّ بأسهم
رجمته من شهب النصال حواصب لو لا تعرّضه لها لم يرحم
و مداره الأفلاك أعجز كنهها إبداع كلّ مهندس و مهندس
يمشى الرجال بجوفها و جميعهم عن مستوى قدميه لم يتقدّم
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٤٤
و منوع الحركات قد ركب الهوا يمشى على خطّ به متوهم
فإذا هوى من جوّه ثم استوى أبصرت طيرا حول صورة آدم
يمشى على فنن الرشاء كأنه فيه مساور ذابل أو أرقم
و إليك من صون العقول عقيله و قفت ببابك وقفه المسترحم
ترجو قبولك و هو أكبر منحه فاسمح به خلّدت من متكرم
طاردت فيها وصف كلّ غريبة فنظمت شارده الذي لم ينظم
و دعوت أرباب البيان أريهم (كم غادر الشعراء من متردّم)
ما ذاك إلّا بعض أنعمك التي قد علمتنا كيف شكر المنعم

[قصيدة أخرى في التهنة، و فيها يصف دار الملك]

ثم قال: و أشد من ذلك في الصنيع المخصوص بعنّا الأمير أبي عبد الله - رحمه الله تعالى عليه! - و أظن في وصف دار الملك و
غير ذلك من ضخامة آثار مولانا رضى الله تعالى عنه: [الطويل]
سل الأفق بالزهر الكواكب حاليا فإني قد أودعته شرح حاليا
و حملت معتلّ النسيم أمانة قطع بها عمر الزمان أمانيا

فيا من رأى الأرواح و هي ضعيفه أحملها ما يستخف الرواسيا
 و ساوس كم جدت و جدّ بي الهوى فعّد به القلب المقّلب هازيا
 و من يطع الأّلحاظ في شرعة الهوى فلا بدّ أن يعصى نصيحا و لا حيا
 عدلت بقلبي عن ولاية حكّمه غداه ارتضى من جائر اللحظ واليا
 و ما الحبّ إلّا نظرة تبعث الهوى و تعقب ما يعيى الطيب المداويا
 فيا عجباً للعين تمشى طليقة و يصبح من جزائها القلب عانيا
 ألا فى سبيل الله نفس نفيسة يرخص منها الحبّ ما كان غاليا
 و يا ربّ عهد للشباب قضيته و أحسنت من دين الوصال التقاضيا
 خلوت بمن أهواه من غير رقبة و لكن عفافي لم أكن عنه خاليا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٤٥
 و يوم بمستنّ الظباء شهدته أجدّ وصالا باليا فيه باليا
 و لم أصح من خمر اللحاظ و قد غدا به الجوّ و ضاح الأسرّة صاحيا
 و جرّد من غمد الغمامة صارما من البرق مصقول الصفيحة صافيا
 تبسم فاستبكي جفوني غمرة ملأت بدرّ الدمع منها ردايا
 و أذكرني ثغرا ظمئت لورده و لا و الهوى العذرى ما كنت ناسيا
 وراح خفوق القلب مثلى كأنما ببرق الحمى من لوعه الحبّ ما بيا
 و ليلة بات البدر فيها مضاجعى و باتت عيون الشهب نحوى روانيا
 كرعت بها بين العذيب و بارق بمورد ثغرات بالدرّ حاليا
 رشفت به شهد الرضاب سلافه و قبّلت فى ماء النعيم الأقاحيا
 فيا برد ذاك الثغر روّيت غلّتى و يا حرّ أنفاسى أذبت فؤاديا
 و روضة حسن للشباب نضيره هصرت بغصن البان فيها المجانيا
 و بتّ أسقى وردة الخدّ أدمعى فأصبح فيها نرجس اللحظ ذاويا
 و مالت بقلبي مائلات قدودها فما للقدود المائلات و ما ليا
 جزى الله ذاك العهد عودا فطالما أعاد على ريع الظباء الجوازيا
 و قل لليال فى الشباب نعمتها و قضيتها أنسا: سقيت لياليا
 و يا واديا رفّت علىّ ظلاله و نحن ندير الوصل فدّيت واديا
 رمتنى عيون السّرب فيه و إنما رمين بقلبي فى الغرام المراميا
 فلو لا اعتصامى بالأمر محمد لما كنت من فتك اللواظ ناجيا
 فقل للذى يبنى على الحسن شعره عليه مع الإحسان لا زلت بانيا
 فكم من شكاه فى الهوى قد رفّأتها و رفّعتها بالمدح إذ جاء تاليا
 و كم ليلة فى مدحه قد سهرتها أباهى بدرّ النظم فيه الدراريا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٤٦
 و لاح عمود الصبح مثل انتسابه رفعت عليه للمديح المبانيا

إمام أفاد المكرمات زمانه و ساكنه فوق النجوم العواليا
 و جاوز قدر البدر نورا و رفعة و لم يرض إلّا بالكمال مواليا
 هو الشمس بثت في البسيطة نفعها و أنوارها أهدت قريبا و قاصيا
 هو البحر بالإحسان يزخر موجه و لكنه عذب لمن جاء عافيا
 هو الغيث مهما يمسك الغيث سحبه يرؤى بسحب الجود من كان صاديا
 شمائل لو أنّ الرياض بحسنها لما صار فيها زهرها الغصّ ذاويا
 فيا ابن الملوك الصّيد من آل خزرج و ذا نسب كالصبح عزّ مساميا
 أ لست الذي ترجو العفأة نواله فتخجل جدواه السحاب الغواديا
 أ لست الذي تخشى البغاة صياله فتوجل عليها الصعاب العواديا
 و هديك مهما ضلت الشّهب قصدها تولته في جنح الدجّة هاديا
 و عزمك أمضى من حسامك في الوغى و إن كان مصقول الغارين ماضيا
 فكم قادح في الدين يكفر ربّه قدحت له زند الحفيظة و اريا
 و ما راعه إلّا حسام و عزمة يضيئان في ليل الخطوب الدواجيا
 فلولاك يا شمس الخلافة لم يبين سبيل جهاد كان من قبل خافيا
 و لولاك لم ترفع سماء عجاجة تلوح بها بيض النصول دراريا
 و لولاك لم تنهل غصون من القنا و كانت إلى ورد الدماء صواديا
 فأثمر فيها النصل نصرا مؤزرا و أجنى قطاف الفتح غصّا و دنيا
 و مهما غدا سفّاح سيفك عاريا يغادر وجه الأرض بالدم كاسيا
 قضى الله من فوق السماوات أنه على من أبى الإسلام في الأرض قاضيا
 فكم معقل للكفر صبحت أهله بجيش أعاد الصبح أظلم داجيا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٤٧
 رقيت إليه و السيوف مشيحة و قد بلغت فيه النفوس التراقيا
 ففتحت مرقاه الممتّع عنوة و بات به التوحيد يعلو مناديا
 و ناقوسه بالقسر أمسى معطلا و منبره بالذكر أصبح حاليا
 عجائب لم تخطر ببال و إنما ظفرنا بها عن همّة هي ما هيا
 فمك استفاد الدهر كلّ عجيبة تخطّ على صفح الزمان الأماليا
 و لله مبناك الجميل فإنه يفوق على حكم السعود المبانيا
 فكم فيه للأبصار من متزّه تجدّ به نفس الحليم الأمانيا
 و تهوى النجوم الزّهر لو ثبتت به و لم تك في أفق السماء جواريا
 و لو مثلت في سابقه لسابقت إلى خدمته ترضيك منها الجواريا
 به البهو قد حاز البهاء و قد غدا به القصر آفاق السماء مباحيا
 و كم حلّة قد جلّته بحليها من الوشى تنسى السابريّ اليمانيا
 و كم من قسيّ في ذراه ترفّعت على عمد بالنور باتت حواليا

فتحسبها الأفلاك دارت قسيها تظل عمود الصبح إذ بات باديا
سوارى قد جاءت بكل غريبة فطارت بها الأمثال تجرى سواريا
به المرمر المجلو قد شف نوره فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
إذا ما أضاءت بالشعاع تخالها على عظم الأجرام منها لآليا
به البحر دقاع العباب تخاله إذا ما انبرى وفد النسيم مباريا
إذا ما جلت أيدي الصبا متن صفحه أرتنا دروعا أكسبتنا الأياديا
وراقصة في البحر طوع عنانها تراجع ألحان القيان الأغانيا
إذا ما علت في الجو ثم تحدرت تحلى بمرفص الجمان النواحيا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٩؛ ص ٤٧
يذوب لجين سال بين جواهر غدا مثلها في الحسن أبيض صافيا
تشابه جار للعيون بجامد فلم أدر أيًا منهما كان جاريا
فإن شئت تشيها له عن حقيقة تصيب بها المرمى و بوركت راميا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٤٨
فقل أرقصت منها البحيرة متنها كما يرقص المولود من كان لاهيا
أرتنا طباع الجود و هي وليدة و لم ترض في الإحسان إلا تغاليا
سقت ثغر زهر الروض عذب برودها و قامت لكى تهدي إلى الدهر ساقيا
كأن قد رأت نهر المجزة ناضبا فقامت بأن تجرى إليه السواقيا
و قامت بنات الدوح فيه موثلا فرادى و يتلو بعضهم مثنيا
رواضع في حجر الغرام ترعرعت و شبت، فشبت حبها في فؤاديا
بها كل ملتف الغدائر مسبل تجيل به أيدي النسيم مداريا
و أشرف جيد الغصن فيها معطلا فقلدت التوار منه التراقيا
إذا ما تحلت درّ زهر غروسه يبيت لها التمام بالطيب واشيا
مصارفة النقدين فيها بمثلها أجاز بها النقدين منها كما هيا
فإن ملأت كف النسيم بمثلها دراهم نور ظل عنها مكافيا
فيملا حجر الروض حول غصونها دنانير شمس تترك الروض حاليا
تعود في أفنانها الطير كلما تجس به أيدي القيان الملاهيا
تراجعها سجعا فتحسب أنها بأصواتها تملى عليها الأغانيا
فلم ندر روضا منه أنعم نضرة و أعطر أرجاء، و أحلى مجانيا
و لم نرقصا منه أعلى مظاهرا و أرفع آفاقا، و أفسح ناديا
معانى من نفس الكمال انتقيتها و زينت منها بالجمال المغانيا
و فاتحت مبناه بعيد شرعته تبث به في الخافقين التهانيا
و لئما دعوت الناس نحو صنيعه أجاؤا لهم من جانب الغور داعيا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٤٩

و أموه من أقصى البلاد تقربا و ما زال منك السعد يدنى الأقصيا
و أذكرت يوم العرض جودا و منعه بموقف عرض كنت فيه المجازيا
جزيت به كلاً على حال سعيه فما غرست يمناه أصبح جانيا
و أطلعت من جزل الوقود هوادجا تذكر يوم النفر من كان ساهيا
و حين غدا يذكى مائثر للقرى فلا غرو أن أجريت فيه المذاكيا
و طامحة في الجوّ غير مطالة يردّ مداها الطرف أحسر عاريا
تمدّ لها الجوزاء كفّ مسارح و يدنو لها بدر السماء مناجيا
و لا عجب أن فاتت الشهب بالعلا و أن جاوزت منها المدى المتناها
فبين يدي مثواك قامت لخدمته و من خدم الأعلى استفاد المعاليا
و شاهد ذا أنى بيابك واقف و قد حسدت زهر النجوم مكانيا
و قد أرضعت ثدى الغمام قبلها بحجر رياض كنّ فيه نواشيا
فلما أبيت عن قرارة أصلها أرادت إلى مرقى الغمام تعاليا
و عدت لقاء السحب عيدا و موسما لذاك اغتدت بالزمر تلهي الغواديا
فأضحكت البرق الطروب خلالها و بات لأكواس الدراري معاطيا
رأت نفسها طالت فظنت بأنها تفوت على رغم اللحاق المراميا
فخفت إليها الزائلات كأنها طيور إلى و كر أطلن تهاويا
حكّت شبها للنحل و النحل حوله عصي إلى مثواه تهوى عواليا
فمن مثبت منها الرميّة مدرّك و من طائش في الجوّ حلق وانيا
و حصن منيع في ذراها قد ارتقى فأبعد في الجوّ الفضاء المراقيا
كأن بروق الجوّ غارت و قد أرت بروج قصور شدتهنّ سواميا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٥٠
فأنشأت برجا صاعدا متنزّلا يكون رسولا بينهنّ مداريا
تطوّر حالات أتى في ضرورها بأنواع حلى تستفزّ الغوانيا
فحجل برجليها و شاح بخصرها و تاج إلى ما حلّ منها الأعاليا
و ما هو إلّا طير سعد بذروة غدا زاجرا من أشهب الصبح بازيا
أ مولالي، يا فخر الملوك و من به سيبلغ دين الله ما كان راجيا
بنوك على حكم السعادة خمسة و ذا عدد للعين ما زال واقيا
تبيت لهم كفّ الثريا معيذه و يصبح معتلّ النواسم راقيا
أسام عليها للسعادة ميسم ترى العزّ فيها مستكنا و باديا
جعلت أبا الحجاج فاتح طرسهم و قد عرفت منك الفتوح التواليا
و حسبك سعد ثم نصر يليهم محمد الأرضي، فما زلت راضيا
أقمت به من فطرة الدين سنّة و جددت من رسم الهداية عافيا
و جاؤوا به ملء العيون و سامة يقبل وجه الأرض أزهر باهيا

فيا عاذلا ما كان أجراً مثله فمثلك لا يدمى الأسود الضواريا
و جاءتك من مصر التحايا كرائما فما فتقت أيدي التجار الغواليا
و وافتك من أرض الحجاز تميمة تتم صنع الله لا زال باديا
و ناداك بالتمويل سلطان طيبة فيا طيب ما أهدى إليك مناديا
و قام و قد وافى ضريح محمد لسلطانك الأعلى هنالك داعيا
سريرتك الرحى جزاك بسعيها إله يوفى في الجزاء المساعيا
فو الله لو لا سنة نبوية عهدناه مهديتا إليها و هاديا
و عذر من الأعذار قرر حكمه من الشرع أخبار رفعن عواليا
لراعت بها للجزر أهوال موقف تشيب بمبيض النصول العواليا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٥١
لك الحمد فيه من صنيع تعدّه فثالته في الفخر عزز ثانيا
تشد له الجوزاء عقد نطاقها لتخدم فيه كى تنال المعاليا
و هنت بالأمداح فيه و قد غدا و جودك فيه بالإجادة و افيا
و دونك من بحر البيان جواهرها كرم من فما يشرين إلّا غواليا
و طاردت فيها وصف كلّ غريبة فأعجزت من يأتي و من كان ماضيا
فيا وارث الأنصار لا عن كلاله تراث جلال يستخف الرواسيا
بأمداحه جاء الكتاب مفصلا يرتله في الذكر من كان تاليا
لقد عرف الإسلام ممّا أفدته مكارم أنصاريه و أياديا
عليك سلام الله فاسلم مخلدا تجدد أعيادا و تبلى أعاديا

[تخميس له يهنئ فيه ابن الأحمر بعوده من سبتة]

ثم قال: و من ذلك في الصنيع المختص بالأمرء الجلمة: أخينا المعزّ لدولتنا أبي الحسن، و أخينا أبي العباس، و ابن عمنا أبي عبد الله،
وصل الله تعالى سعادتهم! و لقد أبدع في تشييده و تأسيسه، و بسط يد الحسن من براعته و تخميسه، و ذلك على أثر عودة مولانا
رحمة الله تعالى عليه من سبتة لَمَا عادت إلى ملكه: [الطويل]

أرقت لبرق مثل جفنى ساهرا
ينظّم من قطر الغمام جواهرها
فيسم ثغر الروض عنه أزاهرا
و صبح حكى وجه الخليفة باهرا تجسم من نور الهدى و تجسدا
شفانى معتلّ النسيم إذا انبرى
و أسند عن دمعى الحديث الذى جرى
و قد فتق الأرجاء مسكا و عنبرا
كأنّ الغنى بالله فى الروض قد سرى فهبت به الأرواح عاطرة الرّدا
عذيرى من قلب إلى الحسن قد صبا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٥٢
 تهتجه الذكري و يصبو إلى الصبا
 و يجرى جياذ الله و في ملعب الصبا
 و لو لا ابن نصر ما أفاق و أعتبا رأى وجهه صبح الهداية فاهتدى
 إليك أمير المسلمين شكايه
 جنى الحسن فيها للقلوب جنايه
 و أعظم فيها بالعيون نكايه
 و أطلع في ليل من الشعر آيه محيا جميلا بالصباح قد ارتدى
 بهديك تهدي التيرات و تهتدى
 و أنواؤها جدوى يمينك تجتدى
 و عدلك للأملاك أوضح مرشد
 بآثاره في مشكل الأمر تقتدى فما بال سلطان الجمال قد اعتدى
 تحكم منا في نفوس ضعيفه
 و سل سيفوا من جفون نحيفه
 ألم يدر أنا في ظلال خليفه
 و دوله أمن لا تراع منيفه بها قد رسا دين الهوى و تمهدا
 خذوا بدم المشتاق لحظا أراقه
 و برقا بأعلام الثيئه شاقه
 و إن كلفوه فوق ما قد أطاقه
 بيت حديثا ما ألد مساقه خليفتنا المولى الإمام محمدا
 تقلد حكم العدل دينا و مذهبا
 و جور الليالي قد أزاح و أذهبا
 فيا عجبا للشوق أذكى و ألها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٥٣
 و سل صباحا صارم البرق مذهبا و قد بات في جفن الغمامه مغمدا
 يذكرنى ثغرا لأسماء أشنبا
 إذا ابتسمت تجلو من الليل غيها
 كعزم أمير المسلمين إذا احتبى
 و أجرى به طرفا من الصبح أشهبا و أصدر في ذات الإله و أوردنا
 فسبحان من أجرى الرياح بنصره
 و عطر أنفاس الرياض بشكره
 فبرد الصبا يطوى على طيب نشره
 و مهما تجلى وجهه وسط قصره ترى هاله بدر السماء بها بدا

إمام أفاد المعلوات زمانه
 فما لحقت زهر النجوم مكانه
 و مدّ على شرق و غرب أمانه
 و لا عيب فيه غير أنّ بنانه تغرّق مستجديه فى أبحر الندى
 هو البحر مدّ العارض المتهللاً
 هو البدر لكن لا يزال مكّماً
 هو الدهر لا يخشى الخطوب و لا ولا
 هو العلم الخفّاق فى هضبة العلا هو الصارم المشهور فى نصره الهدى
 أما و الذى أعطى الوجود وجوده
 و أوسع من فوق البسيطة جوده
 لقد أصحب النصر العزيز بنوده
 و مدّ بأمالك السماء جنوده و أنجز للإسلام بالنصر موعداً
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٥٤
 أمولاي، قد أنجحت رأيا و راية
 و لم تبق فى سبق المكارم غاية
 فتهدى سجايا كابن رشد نهاية
 و إن كان هذا السعد منك بداية سيقى على مرّ الزمان مخلّدا
 سعودك تغنى عن قراع الكتائب
 وجودك يزرى بالغمام السواكب
 و إن زاحمتها شهبها بالمناكب
 و وجهك بدر المنتدى و المواكب و قد فسحت فى الفخر أبنائك المدى
 بنوك كأمثال الأنامل عدّة
 أعدت لما يخشى من الدهر عدّة
 و زيد بهم يرد الخلافة جدّة
 أطال لهم فى ظلّ ملكك مدّة إله يطيل العمر منك مؤبدا
 بدور بأوصاف الكمال استقلت
 غمام بفتياض النوال استهلّت
 سيوف على الأعداء بالنصر سلّت
 نجوم بأفاق العلاء تجلّت و لاحت كما شاءت سعودك أسعدا
 و إنّ أبا الحجاج سيفك منتضى
 و بدر بأفاق الجمال تعرّضا
 بنورك يا شمس الخلافة قد أضأ
 و راق على أعطافه حلال الرضا فحلّ محلّا من علاك ممهدا

ملكك له تعنو الملوک جلالة
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٥٥
 يجزّر أذيال الفخار مطالة
 و تفرق أسد الغاب منه بسالة
 و ترضاه أنصار الرسول سلاله فأبناؤه طابوا فروعا و محتدا
 أزاهر فى روض الخلافة أینعت
 زواهر فى أفق العلاء تطلعت
 جواهر أغيث فى الجمال و أبدعت
 و عن قيمة الأعلاق قدرا ترفعت يسرّ بها الإسلام غيبا و مشهدا
 بعهد ولى العهد كرم عهده
 و أنجز فى تخليد ملكك وعده
 تنظّم منهم تحت شملك عقده
 و أورثهم فخرا أبوه و جدّه فأعلى عليّا حين أحمد أحمدا
 تحوط بهم ملكا عزيزا و مله
 و تلحظ عين السعد منهم أهله
 ستبدو على أفق العلاء مستقلة
 و سحبا بفتياض العلاء مستهله تفجر بحرا للسماحة مزبدا
 و نجلک نصر يقتفى نجل رسمه
 أمير يزین العقل راجح حلمه
 أتاك بنجل يستضاء بنجمه
 لحبّ رسول الله سمّاه باسمه و باسمك فى هدى الموافقة اقتدى
 أقمت بإعذار الإمارة سنّه
 و طوّقت من حلى بفخرک منّه
 و أسكنتها فى ظلّ برک جنّه
 و ألحفتها برد امتنانک جنّه و عمّرت منها بالتلاوة مسجدا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٥٦
 فله عينا من رآهم تطلّعا
 غصونا بروض الجود منك ترعرعوا
 و فى دوحه العلياء منك تفرّعوا
 ملوک بجلباب الحياء تقنّوا أضاء بهم من أفق قصرک منتدى
 و قد أشعروا الصبر الجميل نفوسهم
 و أضفوا به فوق الحلى لبوسهم
 و قد زینوا بالبشر فيه شمسهم

و عا طوا كؤوس الأانس فيه جليسهم و أبدوا على هول المقام تجلدا
 شمائل فيهم من أبيهم وجدهم
 تفضل آى الفخر فيها بحمدهم
 و تنسبها الأنصار قدما لسعدهم
 تضىء بها نورا مصابيح سعدهم و لم لا و من صحب الرسول توقدا
 فوالله لو لا سنه قد أقمته
 و سيره هدى للنبي علمتها
 و أحكام عدل للجنود رسمتها
 لجالت بها الأبطال تقصد سمتها و تترك أوصال الوشيع مقصدا
 و يا عاذرا أبدى لنا الشرع عذره
 طرقت حمى قد عظم الله قدره
 و أجريت طيبا يحسد الطيب نشره
 لقد جئت ما تستعظم الصيد أمره و تفديه إن يقبل خليفته فدا
 رعى الله منها دعوة مستجابة
 أفادت نفوس المخلصين إنابه
 و لم تلف فى دون القبول حجابه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٥٧
 و عاذرها لم يبد عذرا مهابة فأوجب عن نقص كمالا تزيدا
 فنقص كمال المال و فر نصابه
 و ما السيف إلا بعد مشق ذبابه
 و ما الزهر إلا بعد شق إهابه
 بقطع يراع الخط حسن كتابه و بالقص يزداد الذبال توقدا
 و لما قضا من سنه الشرع واجبا
 و لم نلق من دون الخلافة حاجبا
 أفضنا نهنى منك جذلان واهبا
 أفاض علينا أنعما و مواهبا تعود بذل الجود فيما تعودا
 هنيئا هنيئا قد بلغت مؤملا
 و أطلعت نورا يبهر المتأملا
 و أحرزت أجر المنعمين مكملا
 تبارك من أعطى جزيلا و أجملا و بلغ فيك الدين و الملك مقصدا
 ألا فى سبيل العز و الفخر موسم
 يظل به ثغر المسرة يبسم
 و عرف الرضا من جوّه يتنسم

و أرزاق أرباب السعادة تقسم ففى وصفه ذهن الذكى تبّدا
 و جلّت فى هذا الصنيع مصانعا
 تمنى بدور التّم منها مطالعا
 و أبديت فيها للجّمال بدائعا
 و أجريت للإحسان فيها مشارعا يودّ بها نهر المعجّرة موردا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٥٨
 و أجريت فيها الخيل و هى سوابق
 و إن طلبت فى الروع فهى لواحق
 نجوم و آفاق الطّراد مشارق
 يفوت التّماح الطّرف منها بوارق إذا ما تجارى الشّهب تستبق المدى
 و تطلع فى ليل القتام كواكبا
 و قد وردت نهر النهار مشاربا
 تقود إلى الأعداء منها كواكبا
 فترسم من فوق التراب محاربا تحور رؤوس الروم فهنّ سجّدا
 سوابح بالنصر العزيز سوانح
 و هنّ لأبواب الفتوح فواتح
 تقود إليك النصر و الله مانح
 فما زلت باب الخير و الله فاتح و ما تمّ شىء قد عدا ما بدا
 رياح لها مثنى البروق أعنّه
 ظباء فإنّ جنّ الظلام فجنّه
 تقيها من البدر المتمّم جنّه
 و تشرع من زهر النجوم أسنّه فتقذف شهب الرّجم فى أشعر العدا
 فأشهب من نسل الوجيه إذا انتمى
 جرى فشأى شهب الكواكب فى السما
 و خلّف منها فى المقلّد أنجما
 تردّى جمالا بالصباح و ربما يقول له الإصباح: نفسى لك الفدا
 و أحمر قد أذكى به البأس جمرة
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٥٩
 و قد سلب الياقوت و الورد حمرة
 أدار به ساق من الحرب خمرة
 و أبدى حبابا فوقها الحسن غرّة يزين بها خدّا أسىلا مورّدا
 و أشقر مهما شعشع الركض برقه
 أعار جواد البرق فى الأفق سبقه

بدا شفقا قد جَلَّلَ الحسن أفاقه
 أ لم تر أن الله أبدع خلقه فسأل على أعطافه الحسن عسجدا
 و أصفر قد ودَّ الأصيل جماله
 و قد قدَّ من برد العشيَّ جلاله
 إذا أسرجوا جنح الظلام ذباله
 فغزته شمس تضيء مجاله و في ذيله ذيل الظلام قد ارتدى
 و أدهم في مسح الدجى متجزد
 يجيش بها بحر من الليل مزبد
 و غزته نجم به تتوقد
 له البدر سرج و النجوم مقلد و في فلق الصبح المبين تقيدا
 و أبيض كالقرطاس لاح صباحه
 على الحسن مغداه و فيه مراحه
 و للظيبيات الآنسات مراحه
 تراه كنشوان أمالته راحه و تحسبه وسط الجمال معريدا
 و ذاهبة في الجوّ ملء عنانها
 و قد لفعت السحب برد عنانها
 يفوت ارتداد الطرف لمح عيانها
 و ختمت الجوزاء سبط بنانها و صاغت لها حلّى النجوم مقيدا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٦٠
 أراها عمود الصبح علو المصاعد
 و أوهمها قرب المدى المتباعد
 ففاته سبقا في مجال الرواعد
 و أتحت الكفّ الخضيب ساعد فطوّقت الزهر النجوم بها يدا
 و قد قدفتها للعصي حواصب
 قد انتشرت في الجوّ منها ذوائب
 تراور منها في الفضاء حباب
 فيبينهما من قبل ذاك مناسب لأنهما في الروض قبل تولدا
 بنات لأم قد حبين لروحها
 دعاها الهوى من بعد كتم لبوحها
 فأقلامها تهوى لخطّ بلوحها
 فبالأمس كانت بعض أغصان دوحها فعادت إليها اليوم من بعد عودا
 و يا ربّ حصن في ذراها قد اعتلى
 أنارت بروج الأفق في مظهر العلا

بروج قصور شدتها متطولا
 فانشأت برجا صاعدا متنزلا يكون رسولا بينها مترددا
 و هل هي إلا هالة حول بدرها
 يصوغ لها حلينا يليق بنحرها
 تطور أنواعا تشيد بفخرها
 فحجل برجليها و شاح بخصرها و تاج بأعلى رأسها قد تنصدا
 أراد استراق السمع و هو ممنع
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٦١
 فقام بأذيال الدجى يتلفع
 و أصغى لأخبار السما يتسمع
 فأتبعه منها ذوابل شرع لتقذفه بالزعب مثنى و موحدا
 و ما هو إلا قائم مد كفه
 ليسأل من رب السماوات لطفه
 لمولى تولاه و أحكم رصفه
 و كلف أرباب البلاغة و صفه و أكرم منه القانت المتهجدا
 ملاقى ركب فى وفود النواسم
 مقبل ثغر للبروق البواسم
 مختم كف بالنجوم العواتم
 مبلغ قصد من حضور المواسم تجدده مهما صنيع تجددا
 و مضطرب فى الجوى أثبت قامه
 تقدم يمشى فى الهواء كرامه
 تطلع فى غصن الرشاء كمامه
 و تحسبه تحت الغمام غمامه يسيل على أعطافها عرق الندى
 هوى و استوى فى حاله و تقلبا
 كخاطف برق قد تألق خلبا
 و تحسبه قد دار فى الأفق كوكبا
 و مهما مشى و استوقف العقل معجبا تقلب فيه العين لحظا مرددا
 لقد رام يرقى للسماء بسلم
 فيمشى على خط به متوهم
 أجل فى الذى يديه فكر توهم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٦٢
 ترى طائرا قد حل صورة آدمى و جنا بمهواة الفضاء تمردا
 و منتسب للخال سموه ملجما

له حكومات حكمها فاه ألجما
 تخالف جنسا والداه إذا انتمى
 كما جنسه أيضا تخالف عنهما عجبت له إذ لم يلد و تولدا
 ثلاثها في الذكر جاءت مبينة
 من اللاء سماها لنا الله زينة
 و أنزل فيها آية مستبينة
 و أودع فيها للجھول سكينه و آلاءه فيها على الخلق بددا
 كسوه من الوشى اليماني هودجا
 يمد على ما فوقه الظل سجسجا
 و كم صورة تجلى به تبهر الحجا
 و جزل و قود ناره تصدع الدجى و قلب حسود غاظ مذكيه موقدا
 و ما هي إلا مظهر لجهاده
 أرتنا بها الأفراح فضل اجتهاده
 ملاعبها هزت قدود صعاده
 و أذكرت الأبطال يوم طراده فما ارتبت فيه اليوم صدقته غدا
 ألا جدد الرحمن صنعا حضرته
 و دوح الأمانى فى ذراه هصرته
 بقصر طويل الوصف فيه اختصرته
 يقيد طرف الطرف مهما نظرته «و من وجد الإحسان قيدا تقيدا»
 دعوت له الأشراف من كل بلدة
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٦٣
 فجاؤوا بآمال لهم مستجدة
 و خصوا بالطف لديه معدة
 أياد بفياض الندى مستمدة فكلهم من فضله قد تزودا
 و جاءتك من آل النبي عصابة
 لها فى مرامى المكرمات إصابت
 أحببتك حبا ليس فيه استرابه
 و لبث دواعى الفوز منها إجابة و ناداهم التخصيص فابتدروا النداء
 أجازوا إليك البحر و البحر يزخر
 لبحر سماح مده ليس يجزر
 فرؤاهم من عذب جودك كوثر
 و واليت من نعماك ما ليس يحصر و عظمتهم ترجو النبي محمدا
 عليه صلاة الله ثم سلامه

به طاب من هذا النظام اختتامه
و جاء بحمد الله حلوا كلامه
يعزّ على أهل البيان مرامه و تمسى له زهر الكواكب حسدا
أبثّ به حادى الركاب مشرقا
حديث جهاد للنفوس مشوقا
رميت به من بالعراق مفوقا
و أرسلت منه بالبديع مطوقا حماما على دوح الثناء مغزدا
ركضت به خيل البيان إلى مدى
فأحرزت خصل السبق فى حلبة الهدى
و نظمت من نظم الدرارى مقلدا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٦٤
و طوّقت جيد الفخر عقدا منضدا و قمت به بين السماطين منشدا
نسقت من الإحسان فيه فرائدا
و أرسلت فى روض المحاسن رائدا
و قلّدت عطف الملك منه قلائدا
تعوّدت فيه للقبول عواندا فلا زلت للفعل الجميل معودا
و لا زلت للصنع الجميل مجددا
و لا زلت للفخر العظيم مخلدا
و عمّرت عمرا لا يزال مجددا
و عمّرت بالأبناء أوحد أوحدنا و قرّت بهم عيناك ما سائق حدا

[قصيدة لابن زمر ك يهنئ فيها بالعيد]

و قال فى عيد: [الكامل]
بشرى كما وضح الزمان و أجمل يعشى سناها كلّ من يتهلّل
أبدى لها وجه النهار طلاقة و افتّر عن ثغر الأفاق مقبل
و منابر الإسلام يا ملك الورى بحلاك أو بحليها تتكلّل
تجلو لنا الأكوان منك محاسنا تروى على مرّ الزمان و تنقل
فالشمس تأخذ من جبينك نورها و البشر منك بوجهها يتهلّل
و الروض ينفح من ثنائك طيبه و الورق فيه بالممادح تهدل
و البرق سيف من سيوفك منتضى و السّحب تهمنى من يدىك و تهمل
يا أيها الملك الذى أوصافه درّ على جيد الزمان يفصل
الله أعطاك التى لا فوقها و حباك بالفضل الذى لا يجهل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٦٥

وجه كما حسر الصباح نقابه لضيائه تعشو البدور الكمل
 تلقاه في يوم السماحة و الوغى و البشر في جنباته يتهلل
 كفّ أبت أن لا تكفّ عن الندى أبدا فإن ضنّ الحيا تسترسل
 و شمائل كالروض باكره الحيا و سرت برياه الصبا و الشّمال
 خلق ابن نصر في الجمال كخلقه ما بعدها من غاية تتكمل
 نور على نور بأبهى منظر في حسنه لمؤمل ما يأمل
 فاق الملوک بسيفه و بسية فبعده و بفضلہ يتمثل
 و إذا تطاول للعميد عميدهم فله عليه تطاول و تطول
 يا آية الله التي أنوارها يهدى بها قصد الرشاد الضلل
 قل للذي التبتست معالم رشده هيهات قد وضح الطريق الأمثل
 قد ناصح الإسلام خير خليفة و حمى عزيز الملك أغلب أشمل
 فلقد ظهرت من الكمال بمستوى ما بعده لذوى الخلافة مامل
 و عناية الله اشتملت رداءها و علقت منها عروة لا تفصل
 فالجود إلّا من يديك مقتر و الغيث إلّا من نداك مبخل
 و العمر إلّا تحت ظلّك ضائع و العيش إلّا في جنابك ممحل
 حيث الجهاد غدا علت راياته حيث المغانم للعفاء تنفل
 حيث القباب الحمر ترفع للقري قد عام في أرجائهنّ المندل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٦٦
 يا حجة الله التي برهانها عزّ المحقّ به و ذلّ المبطل
 قل للذي ناواك يرقب نومه فوراءه ملكك يقول و يفعل
 و الله جلّ جلاله إن أمهلت أحكامه مستدرجا لا تهمل
 يا ناصر الإسلام و هو فريسه أسد الفلا من حولها تتسلل
 يا فخر أندلس و عصمة أهلها لك فيهم النعمى التي لا تجهل
 لا يهمل الله الذين رعيتهم فلأنت أكفى و العناية أكفل
 لا يبعد النصر العزيز فإنه آوى إليك و أنت نعم الموئل
 لو لا نداك لها لما نفع الندى و لجفّ من ورد الصنائع منهل
 لولاك كان الدين يغمط حقّه و لكان دين النصر فيه يمطل
 لكن جنيت الفتح من شجر القنا و جنى الفتوح لمن عداك مؤمل
 فلطالما استفتحت كلّ ممّتع من دونه باب المطامع مقفل
 و متى نزلت بمعقل متأشبّ فالعصم من شعفاته تستنزل
 و إذا غزوت فإنّ سعدك ضامن أن لا تخيب و أنّ قصدك يكمل
 فمن السعود أمام جيشك موكب و من الملائك دون جندك جحفل
 و كتيبه أردفتها بكتيبة و الخيل تمرح في الحديد و ترفل

من كلّ منحفر كلمعه بارق بالبدر يسرج و الأهله ينعل
أوفى بهاد كالظليم و خلفه كفل كما ماج الكتيب الأهيل
حى إذا ملك الكمى عنانه يهوى كما يهوى بجوّ أجدل
حملت أسود كريهه يوم الوغى ما عابها إلاّ الوشيج الذبل
لبسوا الدروع غدائرا مصقولة و السمر قضب فوقها تتهدل
من كلّ معتدل القوام مثقف لكنه دون الضريبه يعسل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٦٧
أذكيت فيه شعله من نصله يهدى بها إن ضلّ عنه المقتل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٩؛ ص ٦٧
و لربّ لَماع الصقال مشهّر ماض، و لكن فعله مستقبل
رقت مضاربه وراق فرنده فالحسن فيه مجمل و مفصل
فإذا الحروب تسعرت أجزالها ينساب فى يمانك منها جدول
و إذا دجا ليل القتام رأيته و كأنه فيه ذبال مشعل
فاعجب لها من جدوة لا تنطفى فى أبحر زخرت و هنّ الأنمل
هى سنّه أحييتها و فريضه أديتها قرباتها تتقبل
فإذا الملوك تفاخرت بجدودها فلائت أحفى بالجهاد و أحفل
يا ابن الذين جمالهم و نوالهم شمس الضحى و العارض المتهلل
يا ابن الإمام ابن الإمام ابن الإمام، و قدرها لا يجهل
آباؤك الأنصار تلك شعارهم فليحيم آوى النبى المرسل
فهم الألى نصررو الهدى بعزائم مصقولة و بصائر لا تخذل
ما ذا يحبر شاعر فى مدحهم و بفضلهم أثنى الكتاب المنزل
مولاي لا أحصى ما أثرك التى بحديثها تنضى المطى الدلل
و إذا الحقائق ليس يدرك كنهها سيات فيها مكث و مقلل
فإليك من شوال غرّه وجهه أهداكها يوم أغرّ محجل
عذراء راق العيد رونق حسنها فغدا بنظم حليها يتجمل
رضعت لبان العلم فى حجر النهى فوفت لها منه ضروع حفّل
سلك البيان بها سبيل إجاده لو لا صفاتك كان عنها يعدل
جاءت تهنى العيد أيمن قادم وافى بشهر صيامه يتوسل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٦٨
و طوى الشهور مراحل معدودة كيما يرى بفناء جودك ينزل
و أتى و قد شفّ النحول هلاله و لشوقه للقاء وجهك ينحل
عقدت بمرقبه العيون مسرّه فمكبر لطلوعه و مهلل
فاسلم لألف مثله فى غبطه ظلّ المنى من فوقه يتهدل

فإذا بقيت لنا فكلّ سعادة في الدين و الدنيا بها تتكفل

[قصيدة له في التهنة أيضا]

و قال ابن الأحرمر: و من جياذ أناشيدته المتميزة بالسبقية، و بارقات تهانيه في المواسم العقيقية، قوله يهنئه - رضوان الله تعالى عليه! - بطلوع مولانا الوالد قدس الله تعالى روحه:

[الكامل]

طلع الهلال و أفقه متهلل فمكبر لطلوعه و مهلل
أوفى على وجه الصباح بغزة فغدا الصباح بنورها يتجمل
شمس الخلافة قد أمدت نوره و بسعدها يرجو التمام و يكمل
لله منه هلال سعد طالع لضيائه تعشو البدور الكمل
و ألحت يا شمس الهداية كوكبا يعشى سناه كل من يتأمل
و التاج تاج البدر في أفق العلا ما زال بالزهر النجوم يكمل
و لئن حوى كل الجمال فإنه بالشهب أبهى ما يكون و أجمل
أطلعت يا بدر السماح هلاله و الملك أفق و الخلافة منزل
يبدو بهالات السروج و إنه من نور وجهك في العلا يستكمل
قلدت عطف الملك منه صارما بغنائه و مضائه يتمثل
حليته بحلى الكمال و جوهر ال خلق النفيس و كل خلق يجمل
يغزو أمامك و السعود أمامه و ملائك السبع العلا تنزل
من مبلغ الأنصار منه بشأنه غرّ البشائر بعدها تسترسل
أحيا جهادهم و جدّد فخرهم بعد المثين فملكهم يتأمل
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٦٩
فيه إلى الأجر الجزيل توصلوا و بهم إلى ربّ السما يتوسل
من مبلغ الأذواء من يمن و هم قد توجوا و تملكوا و تقبلوا
أنّ الخلافة من بنينهم أطلعت قمرا به سعد الخليفة يكمل
من مبلغ قحطان آساد الشرى ما غابها إلّا الوشيخ الذبل
أنّ الخلافة و هو شبل ليونهم قد حاط منها الدين ليث مشبل
يهنى بنى الأنصار أنّ إمامهم قد بلغته سعوده ما يأمل
يهنى البنود فإنها ستظله و جناح جبريل الأمين يظلل
يهنى الجياذ الصافنات فإنها بفتوحه تحت الفوارس تهدل
يهنى المذاكى و العوالى و الظبا فيها إلى نيل المنى يتوصل
يهنى المعالى و المفاجر أنه في مرتقى أوج العلا يتوقل
سبقت مقدّمة الفتوح قدومه و أتاك و هو الوداع المتمهل
و بدت نجوم السعد قبل طلوعه تجلو المطامع قبله و تؤثّل

و روت أحاديث الفتوح غرائباً و النصر يملى و البشائر تنقل
ألقت إليك به السعود زمامها فالسعد يمضى ما تقول و تفعل
فالفتح بين معجل و مؤجل ينسيك ماضيه الذى يستقبل
أو ليس فى شأن المشير دلالة أنّ المقاصد من طلابك تكمل
ناداهم داعى الضلال فأقبلوا و دعاهم داعى المنون فجدلوا
عصوا الرسول إيايه و تحكمت فيهم سيوفك بعدها فاستمثلوا
كانوا جبالا قد علت هضباتها نسفتهم ريح الجلال فزلزلوا
كانوا بحارا من حديد زاخر أذكتهم نار الوغى فتبسّلوا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٧٠
ركبت أرجلها الأدهم كلما يتحرّكون إلى قيام تصهل
كان الحديد لباسهم و شعارهم و اليوم لم تلبسه إلّا الأرجل
الله أعطاك التى لا فوقها فتحا به دين الهدى يتأثّل
جددت للأنصار حلى جهادها فالدين و الدنيا به تتجمل
من يتحف البيت العتيق و زمزما و الوفد وفد الله فيه ينزل
متسابقين إلى مثابه رحمة من كلّ ما حذب إليه تسئل
هيما كأفواج القطا قد ساقها ظمأ شديد و المطاف المنهل
من كلّ مرفوع الأكفّ ضراعه و القلب يخفق و المدامع تهمل
حتى إذا روت الحديث مسلسلا بيض الصوارم و الرماح العسل
من فتحك الأسنى عن الجيش الذى بثباته أهل الوغى تتمثل
أهدتهم السراء نصره دينهم و استبشروا بحديثها و تهلّوا
و تناقلوا عنك الحديث مسرّة بسماعه و اهترّ ذاك المحفل
و دعوا بنصرك و هو أعظم مفخرا إنّ الحجيج بنصر ملكك يحفل
فاهناً بملكك و اعتمد شكرا به لطف الإله و صنعه تتخول
شرفت منه باسم والدك الرضا يحيا به منه الكريم المفضل
أبديت من حسن الصنيع عجائبا تروى على مرّ الزمان و تنقل
خفقت به أعلامك الحمر التى بخقوقها النصر العزيز موكل
هدرت طبول العزّ تحت ظلالها عنوان فتح إثرها يستعجل
و دعوت أشراف البلاد و كلّهم يثنى الجميل و صنع جودك أجمل
وردوا وروود الهيم أجهدا الظما فصفا لهم من ورد كفّك منهل
و أثرت فيه للطراد فوارسا مثل الشموس و جوههم تتهلّل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٧١
من كلّ وضح الجبين كأنه نجم و جنح النّقع ليل مسبل
يرد الطراد على أغرّ محجّل فى سرجه بطل أغرّ محجّل

قد عودوا قنص الكماء كأنما عقبانها ينقضّ منها أجل
 يستتبعون هوادجا موشية من كلّ بدع فوق ما يتخيل
 قد صوّرت منها غرائب جمّة تنسى عقول الناظرين و تذهل
 و تضمّنت جزل الوقود حمولها و النصر في التحقيق ما هي تحمل
 و العاديات إذا تلت فرسانها آى القتال صفوفها تترتل
 لله خيلك؛ إنها لسوايح بحر القتام و موجه متهيل
 من كلّ برق بالثريا ملجم بالبدر يسرج و الأهله ينعل
 أوفى بهاد كالظليم و خلفه كفل كما لاح الكثيب الأهيل
 هنّ البوارق غير أنّ جياها عن سبق خيلك يا مؤيد تنكل
 من أشهب كالصبح يعلو سرجه صبح به نجم الضلالة يأفل
 أو أدهم كالليل قلّد شبهه خاض الصباح فأثبتته الأرجل
 أو أشقر سال النصار بعطفه و كساه صبغه بهجة لا تنصل
 أو أحمر كالجمر أضمر بأسه بالركض فى يوم الحفيظة يشعل
 كالخمر أترع كأسها لندامها و بها حباة غرة تتسيل
 أو أصفر لبس العشى ملاءة و بذيله الليل ذيل مسبل
 أجملت فى هذا الصنيع عوائد الجود فيها مجمل و مفصل
 أنشأت فيها من نداك غمائم بالفضل تنشأ و السماحة تهمل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٧٢
 فجرت من كفيك عشرة أبحر تزجى سحاب الجود و هى الأنمل
 من قاس كفك و الغمام فإنه جهل القياس و مثلها لا يجهل
 تسخو الغمام و وجهها متجهّم و الوجه منه مع الندى يتهلّل
 و السحب تسمح بالمياه وجوده ذهب به أهل الغنى تتمول
 من قاس بالشمس المنيرة وجهه ألفتته فى حكمه لا يعدل
 من أين للشمس المنيرة منطق بيانه درّ الكلام يفصل
 من أين للشمس المنيرة راحة تسخو إذا بخل الزمان الممحل
 من قاس بالبدر المنير كماله فالبدر ينقص و الخليفة يكمل
 من أين للبدر المنير شمائل تسرى بريّها الصبا و الشمال
 من أين للبدر المنير مناقب بجهاها تنضى المطى الدّل
 يا من إذا نفحت نواسم حمده فالمسك يعبق طيبه و المندل
 يا من إذا لمحت محاسن وجهه تعشو العيون و يبهر المتأمل
 يا من إذا تليت مفاخر قومه آى الكتاب بذكرها تنزل
 كفل الخلافة منك يا ملك العلا و الله جلّ جلاله بك أكفل
 مأمونها و أمينها و رشيدها منصورها مهديها المتوكل

حسب الخلافة أن تكون وليها و مجيرها من كل من يتخيل
حسب الزمان بأن تكون إمامه فله بذلك عزّة لا تهمل
حسب الملوك بأن تكون عميدها ترجو الندى من راحتك و تكمل
حسب المعالي أن تكون إمامها فعليك أطناب المفاخر تسدل
يا حجّة الله التي برهانها عزّ المحقّ به و ذلّ المبطل
أنت الإمام ابن الإمام ابن الإمام ابن الإمام و فخرها لا يعدل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٧٣
علّمت حتى لم تدع من جاهل أعطيت حتى لم تدع من يسأل
و عناية الله اشتملت رداءها و علقت منها عروة لا تفصل
و منها:

أخذت قلوب الكافرين مهابةً فعقولهم من خوفها لا تعقل
حسبوا البروق صوارما مسلوله أرواحهم من بأسها تتسلّل
و ترى النجوم مناصلا مرهوبةً فيقرّ منها الخائف المتنصّل
يا ابن الألى إجمالهم و جمالهم شمس الضحى و العارض المتهلّل
مولاي لا أحصى ما تركت التي بجهادها يتوصّل المتوسّل
أصبحت في ظلّ امتداحك ساجعا ظلّ المنى من فوقه يتهدّل
طوّقته طوق الحمام أنعما فغدا بشكرك في المحافل يهدل
فإليك من صون العقول عقيلة أهدا كها صنع أغرّ محجّل
عذراء راق الصنع رونق حسنها فغدا بنظم حلّيتها يتكلّل
خيرتها بين المنى فوجدتها أقصى مناها أنها تتقبّل
لا زلت شمسا في سماء خلافة و هلالك الأسمى يتمّ و يكمل

[قصيدة له يصف فيها نزهة لابن الأحمر]

قال: و من رقيق منازعه في بعض نزه مولانا رضوان الله عليه بالقصر السلطاني في شينيل قوله: [الكامل]
نفسى الفداء لشادن مهما خطر فالقلب من سهم الجفون على خطر
فضح الغزاة و الأقاحه و القنا مهما تثنى أو تبسم أو نظر
عجبا لليل ذوائب من شعره و الوجه يسفر عن صباح قد سفر
عجبا لعقد الثغر منه منظما و العقد من دمعى عليه قد انتثر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٧٤
ما رمت أن أجنى الأقاح بثغره إلّا و قد سلّ السيوف من الحور
لم أنسه ليل ارتقاب هلاله و القلب من شك الظهور على غر
بتنا نراقبه بأول ليلة فإذا به قد لاح من نصف الشّهر
طالعه في روضة كخاله و الطيب من هذى و تلك قد اشتهر

و كلاهما يدي محاسن جمّة ملء التنسّم و المسامع و البصر
و الكأس تطلع شمسها فى خده فتكاد تعشى بالأشعة و النظر
نورية كجيبينه، و كلاهما يجلو ظلام الليل بالوجه الأغر
هى نسخه للشيخ فيها نسبة ما إن يزالا يرعشان من الكبر
أفرغت فى جسم الزجاجه روحها فرأيت روح الأنس منها قد بهر
لا تسق غير الروض فضله كأسها فالغصن فى ذيل الأزاهر قد عثر
ما هبّ خفاق النسيم مع السحر إلّا و قد شاق النفوس و قد سحر
ناجى القلوب الخافقات لمثله و وشى بما تخفى الكمام من الزهر
و روى عن الضحاك عن زهر الربا ما أسند الزهرى عنه عن مطر
و تحملت عنه حديث صحيحه رسل النسيم و صدق الخبر الخبر
يا قصر شينيل و ربعك أهل و الروض منك على الجمال قد اقتصر
للّه بحرك و الصبا قد سرّدت منه دروعا تحت أعلام الشجر
و الآس حفّ عذاره من حوله عن كل من يهوى العذار قد اعتذر
قبل بتغر الزهر كفّ خليفه يغنيك صوب الجود منه عن المطر
و افرش حدود الورد تحت نعاله و اجعل بها لون المضاعف عن خفر
و انظم غناء الطير فيه مدائحا و انثر من الزهر الدراهم و الدرر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٧٥
المنتقى من جوهر الشرف الذى فى مدحه قد أنزلت آى السور
و المجتبى من عنصر النور الذى فى مطلع الهدى المقدّس قد ظهر
ذو سطوة مهما كفى، ذو رحمة مهما عفا، ذو عفة مهما قدر
كم سائل للدهر أقسم قائلا: و الله ما أيامه إلّا غر
مولاي سعدك كالمهتد فى الوغى لم يبق من رسم الضلال و لم يذر
مولاي وجهك و الصباح تشابها و كلاهما فى الخافقين قد اشتهر
إنّ الملوك كواكب أخفيها و طلعت و حدك فى مظاهرها قمر
فى كل يوم من زمانك موسم فى طيه للخلق أعياد كبر
فاستقبل الأيام يندى روضها و يرفّ و النصر العزيز له ثمر
قد ذهب منها العشايا ضعف ما قد فضّضت منها المحاسن فى السحر
يا ابن الذين إذا تعدّ خلالهم نغد الحساب و أعجزت منها القدر
إن أوردوا هيم السيوف غدائرا مصقولة فلطالما حمدوا الصدر
سائل بيدر عنهم بدر الهدى فيهم على حزب الضلال قد انتصر
و اسأل مواقفهم بكلّ مشهّر و اقر المغازى فى الصحيح و فى السير
تجد الثناء بآسهم و بجودهم فى مصحف الوحى المنزل مستطر
فبمثل هديك فلتتر شمس الضحى و بمثل قومك فليفاخر من فخر

ما ذا أقول و كلّ وصف معجز و القول فيك مع الإطالة مختصر
 تلك المناقب كالثواقب في العلا من رامها بالحصر أدركه الحصر
 إن غاب عبدك عن حماك فإنه بالقلب في تلك المشاهد قد حضر
 فاذكر فإنّ الذكر منك سعادة و بها على كل الأنام قد افتخر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٧٦
 و رضاك عنه غاية ما بعدها إلّا رضا الله الذي ابتدع البشر
 فاشكر صنيع الله فيك فإنه سبحانه ضمن المزيد لمن شكر
 و عليك من روح الإله تحية تهفو إليك مع الأصائل و البكر

[مقطوعات له في الشكر]

ثم قال: و في أغراضه الوقتية- استرسالا مع الطبع البديهي في الشكر عن ضرور من التحف التي يقتضيها التحفي السلطاني بأولياء
 خدمته- نبذ متعدده فيما يظهر فيها، فمنها قوله:

[الكامل]

يا خير من ملك الملوك بجوده و بفضله قد أشبه الأملاك
 و الله ما عرف الزمان و أهله أمانا و يمنا دائما لولاكا
 وافيت أهلي بالرياض عشية في روض جاهك تحت ظل ذراكا
 فوجدته قد طله صوب الندى بسحاب تنهلّ من يمناكا
 و سفائن مشحونه ألقى بها بحر السماح يجيش من نعمكا
 رطب من الطلع النضيد كأنها قد نظمت من حسنهما أسلاكا
 من كل ما كان النبيّ يحبها و أحبها الأنصار من أولاكا
 و بدائع التحف التي قد أطلعت مثل البدور أنارت الأحلاكا
 نطف من النور المبين تجسّمت حتى حسبنا أنهنّ هداكا
 يحلو على الأفواه طيب مذاقها لو لا التجسد خلتهنّ ثناكا
 طافت بها النشأ الصغار كأنها سرب القطا لّمّا وردن نداكا
 نجواهم مهما سمعت كلامهم و نداؤهم: مولاي، أو مولاكا
 بلّغت في الأبناء عبدك سؤله لا زلت تبلغ في بنيك مناكا
 يتدارسون من الدعاء صحائفها كيما يطيل الله في بقياكا
 فبقيت شمسا في سماء خلافة و هم البدور أمدهنّ سناكا
 و منها و قد أهداه نعمه الله أطباقا من حبّ الملوك: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٧٧
 كتب الإله على العباد محبة لك كان فرض كتابها موقوتا
 و أنا الذي شرفته من بينهم حتى جعلت له المحبة قوتا
 ما زلت تتحفه بكلّ ذخيرة حتى لقد أتحفته الياقوتا

و إلى الملوک قد اعترى من عزّه فغدا له يا قوتها ممقوتا

و منها فى مثل ذلك: [مجزوء الكامل]

يا خير من ملك الملوک أهديتنى حبّ الملوک

فكأتما يا قوتها نظمت لنا نظم السلوك

إنّ الملوک إذا لجوا فغياثهم أن أملوک

و كذا العفاء إذا شكوا فغناهم أن يسألوك

فألله يقبل من دعا لعلاک من أهل السلوك

لا زلت تطلع غرّة كالشمس فى وقت الدلوک

و منها، و قد أهدها صيدا ممّا صاده أولاده: [الكامل]

يا خير من ورث السماح عن الألى نصروا الألى و تبوّءوا الإيما

فى كلّ يوم منك تحفه منعم والى الجميل و أجزل الإحسانا

قد أذكرت دار النعيم عبيده و تضمّنت من فضله رضوانا

تهدى موالى الذين تفرّعوا عن دوح فخرک فى العلا أغصانا

لجلالك الأعلى قنيصا أتعبوا فى صيده الأرواح و الأبدانا

فتخصّنى منه بأوفر قسمة فسحت لعبدک فى الرضا ميدانا

لله من مولى كريم بالذى تهدى الموالى يتحف العبدانا

تدعو بنى إلى الغنى برّبّه يا ربّنا أغن الذى أغنانا

و عليك من قدس الإله تحية تهديک منه الرّوح و الريحانا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٧٨

و منها، و قد أهدها أصنافا من الفواکه: [الكامل]

يا من له الوجه الجميل إذا بدا فاقت محاسنه البدور كما

و المنتقى من جوهر الفخر الذى فات الخلائف عزّه و جلالا

ما أبصرت عينای مثل هديّة أبدت لنا صنع الإله تعالى

فيها من التفاح كلّ عجيبه تذكى برّياها صبا و شمالا

يهدى لنا نهج الحبيب و خده و ترى من الورد الجنى مثلا

و بها من الأترج شمس أطلعت من كلّ شطر للعيون هلالا

و يحفّها ورق يروق كأنه ورق النّصار و قد أجاد نبالا

لون العشيّة ذهبت صفحاتها رقت و راقبت بهجة و جمالا

و بها من النّقل الشهيّ مذکر عهدا تولّى ليته يتوالى

لله منها خضرة من حضرة تغنى العفاء و تحسب الآمالا

أذكرتنى العهد القديم و معهدا كانت شمس الراح فيه تلالا

فأدرت تجديد العهود و إنما كتب المشيب على عذارى لالا

فأدرت من ذكراک كأس مدامه و شربت من حبي لها جريالا

فبقيت شمسا في سماء خلافة لا يستطيع لها الزمان زوالا

و منها يوم عاشوراء: [الكامل]

يا أيها المولى الذى بركاته رفعت لواء للندى منشورا

لك راحة تزجى الغمام بأنمل فجرت منها بالنوال بحورا

و اليوم موسم قربة و عبادة و غدا، ظفرت بأجره، عاشورا

راعت فيه سنة نبوية تروى الثقافات حديثه المشهورا

لا زلت عامك كله فى غبطة لقيت منها نضرة و سرورا

و منها فى بعض قطعة: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٧٩

و اليت ما أوليت يا بحر الندى و وحقّ جودك ما رأيت كهذه

فإذا يهزّ لها اللسان حسامه فصفاة فخر ك قد قضت بنفاذه

علمت فرسان الكلام نظامها كتعلم التلميذ من أستاذه

و البحر تمتاز السحاب ماء فتجوده من غيثها برداذه

و منها، و قد أهداه باكورا: [الكامل]

يا وارث الأنصار و هى مزية بفخارها أثنى الكتاب المنزل

أهديتنى الباكور و هى بشارة ببواكر الفتح الذى يستقبل

و ولادة لهلال تمّ طالع وجه الزمان بوجهه يتهلّل

هو أوّل الأنوار فى أفق الهدى و ترى الأهلّة بعده تسترسل

مولاي صدق الفال قد جرّبه من لفظ عبدك، و العواقب أجمل

و منها فى جفنة: [الطويل]

طعامك من دار النعيم بعثته فشرّفته من حيث أدرى و لا أدرى

بهضبة نعمى قد سمونا لأوجها فصدنا بأعلاها الشهي من الطير

و قوراء قد درنا بهالة بدرها كما دارت الزهر النجوم على البدر

و قد حملت فوق الرؤوس لأنها هديّة مولى حلّ فى مفرق الفخر

فما شئت من طعم زكى مهنيًا و ما شئت من عرف ذكى و من نشر

فلو أنها قد قدمت لخليفة لأعظمها قدرا و بالغ فى الشكر

و كم لك من نعمى على عميمة يقلّ لأدناها الجميل من الذكر

فلا زلت يا مولى الملوك مبلغًا أمانىّ ترجوها إلى سالف الدهر

و منها شكرا عن كتاب: [مجزوء الرجز]

مولاي يوم الجمعة سعوته مجتمعه

فانعم صباحا و اغتنم أوقاته المجتمعه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٨٠

و ابشر بصنع عاجل أعلامه مرتفعه

و انتظر الفتح الذى يأتيك بالنصر معه
و بيضه و سمره إلى العداة مشرعه
و اللطف مرجو فرد بفضل ربي مشرعه
فاتحتنى شرفتنى برقعهُ مرفعه
بل روضهُ ممطورة أزهارها منوعه
حديقه قد جدتها بصوب جود مترعه
و رايهُ منشوره و آيه مستبدعه
كم حكم لطيفهُ فى طيها مستودعه
عقيله صورتها من الجمال مبدعه
سقيتنى من فضلها بفضل كاس مترعه
قدم و أملاك الورى على علاك مجمعه
و منها شكرا على خلعة: [الكامل]

يا بدر تمّ فى سماء خلافة حفّت نجوم السعد هالة قصره
ألبيت عبدك من ثيابك ملبسا قد قصرت عنه مدارك شكره
و رضاك عنه خير ما ألبيته فلقد أشاد بجاهه و ببره
ألبيتنى، أركبتنى، شرفتنى أهديتنى ما لا أقوم بحصره
نظرى لوجهك و هو أجمل تير يزرى على شمس الزمان و بدره
أعلى و أعظم منه لا سيما و أنا المنعم فى الحضور بيشره
لا زلت مولى للملوك مؤملا و حلاك للإسلام مفخر دهره
و منها، و قد خلع - رضوان الله تعالى عليه! - على رسول من أرساله: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٨١
أبحر سماح مدّ عشرة أبحر تفيض غمام الجود و هى الأنامل
بكفك غيث للبلاد و أهلها يروض محل الأرض و العام ماحل
لك الخير إن أصبحت بحر سماحه يعم نداء فالمواهب ساحل
خلعت على هذا الرسول ملبسا بها تتسنى فى علاك المآمل
و بلّغته آماله كيف شاءها فبلّغت يا مولاي ما أنت آمل

[مقطوعات فى معان مختلفه]

و منها، و قد مرض بعض أبنائه رحمه الله تعالى على الجميع، قوله سائلا عن حاله:
[الطويل]

أسائل بدر التّم كيف هلاله و أدعوه له الرحمن جلّ جلاله
و أسأله تعجيل راحته التى وسيلتنا فيها النبى و آله
ستبلغ فيه ما تؤمل من منى و يرضيك يا بدر الكمال كماله

و في مثله: [الطويل]

أقول لبدر التّم كيف هلالكا نعمت صباحا بالسعود و آلکا
و بلّغت في النجل الكريم سعادة تقرّ بها عينا و ينعم بالکا
و خصّصت بالبشرى من الله ربّنا كما عمّ أقطار البلاد نوالکا
و من التورية باسم قائد ولّاه على جماعة من الجند: [الكامل]
يا أيها المولى الذى أيامه تهيمى بسحب الجود من آلائه
أبشر لجيشك بالسعادة كلّما يغزو و نصر الله تحت لوائه
و أنشده في ملبس اتّخذه: [الطويل]

أمولای یا ابن السابقین إلى العلا و من نصرُوا الدين الحنيفى أولا
غنيت بنور الله عن كلّ زينته و ألبست من رضوانه أشرف الحلّى
و قارك زاد الملك عزّا و هيبه و سوّغه من رحمة الله منهلا
و یا شمس هدى في سماء خلافة و أبناؤه الزهر المنيرة تجتلى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٨٢
تبارك من أباداك في كلّ مظهر جميلا جليلا مستعاذا مؤمّلا
فتخجل منك الشمس شمس هداية و يحسد منك البدر بدرا مكتملا
إذا أنت ألبست الزمان و أهله ملابس عزّ ليس يدرکها البلى
و طوّقت أجياد الملوک أياديا و توجّتهم بالفخر تاجا مكلّلا
فما شئت فالبس في المشاهد كلها تبارك ما أبهى و أسنى و أجملا
ألا كلّ من صلّى و ضحّى و من دعا و مدّ يديه ضارعا متوسّلا
وجودك شرط في حصول قبوله وجودك أثرى كفه فتتفّلا

و قال برسم ما يرسم على ثوب في بعض هدايا مولانا رحمه الله تعالى للسلطان أبى العباس: [مجزوء الكامل]

أهدى أبا العباس ملك الندى و الباس

ثوب السماء لأنه بدر بدا للناس

فلق الصباح بوجهه عوذته بالناس

يكسو إماما لم يزل بحلى المحامد كاسى

فيا له من مرتد ثوب التّقى لبّاس

أذياه من حمده مسكينة الأنفاس

و بطرزه مدح زرى بالمدح فى القرطاس

إن كنت فى لون السماء بنسبه و قياس

فلأنت يا بدر العلا شرّفتنى بلباس

أنا منشد (ما فى وقوفك ساعة من باس)

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٨٣

لترى رياضاً أطلعت زهرا على أجناس

أوراقها توريقها بقضيبيها الميَّاس
و من المديح مدامتي و من المحابر كاسي
فالله يمتع لابسى بالبشر و الإيناس
و قال فى مثل ذلك: [مجزوء الكامل]
إنَّ الإمام محمداً أهدى الخليفةً أحمداً
لللباسه ثوباً، و قد لبس المحامد و ارتدى
و عمامة الشفق التى من فوقها شمس الهدى
يا حسنها إذ أرسلت من كفه غيث الندى
و كأنَّ و شى رقومها بالبرق طرّز عسجداً
و بطرزه لون السماء و وجهه قمر بدا
لله منه نير حلّ المنازل أسعداً
مستنصر، أعلى له فوق المنازل أسعداً
ثم قال: و أنشده و هو على جواد أدهم: [الطويل]
تجلّى لنا المولى الإمام محمد على أدهم قد راق حسن أديمه
فأبصرت صباحاً فوق ليل و قد حكى مقلد ذاك الطرف بعض نجومه
و كتب له مع هديّة زهر: [الطويل]
أمولاي تقبيلي ليمناك شاقنى و لا ينكر الظمان شوقاً إلى البحر
و لما رأيت الدهر ماطلنى بها و شوقنى من حيث أدرى و لا أدرى
بعثت لك الزهر الجنى لعله يقبلها عنى ثغور من الزهر
و كتب إليه أيضاً متشوقاً: [الطويل]
كنت و دمعى بلل الركب قطره و أجرى به بين الخيام السواقيا
حينما لمولى أتلّف المال جوده و لكنه قد خلد الفخر باقيا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٨٤
و ما عشت بعد البين إلّا لأننى أرجى بفضل الله منه التلاقيا
و أنشده أيضاً و هو بحال تألم: [الطويل]
كأنى بلطف الله قد عمّ خلقه و عافى إمام المسلمين و قد شفى
و قاضى القضاء الحتم سجّل ختمه و خطّ على رسم الشفاء له «اكتفى»
و له فى مثل ذلك: [الطويل]
لك الخير يا مولاي أبشر بعصمه عقدت مع الأيام فى حفظها صلحا
و عافيه فى صحه مستجده تجدد للدين السعادة و النجحا
و وجه التهاني مشرق متهلل و جوّ التهاني بعد ما غام قد أضحى
و فى مثل ذلك: [مجزوء الرمل]
يا إماماً قد تخذنا ه من الدهر ملاذاً

خطّ يمناك ينادى صحّ هذا صحّ هذا
و قال مهنتًا بالشفاء: [السريع]
الحمد لله بلغنا المنى لَمَّا رأيناك، و زال العنا
و فزت بالأجر و كبت العدا و فزت بالعزّ و طيب الثنا
فالحمد لله على ما به منّ علينا من ظهور السنّا
و قال أيضا في نحوه: [الطويل]
نعم قرّت العينان و انشرح الصدر و قد لاح من وجه الإمام لنا البدر
سرينا بليل التيه يكذب فجره فلَمَّا تجلّى فجره صدق الفجر
أغرّ المحيّا بالحياء مقنّع زهاه الكلام الحرّ و النسب الحرّ
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٨٥
إمام الهدى قد خصّه بخلافه إله له فى خلقه النهى و الأمر
و قال فى مثله، و قد ركب رحمه الله تعالى لمعاهد حضرته: [الطويل]
هنيئا هنيئا لا نفاذ لعدّه و بشرى لدين الله إنجاز وعده
فقد لاح بدر التّم فى أفق العلا و حلّ كما يرضى منازل سعده
و طاف أمير المسلمين محمد بحضرته العليا مبلغ قصده
و لاحت بها الأنوار من بشر وجهه و فاح بها النّوار من نشر حمده
و أبصرت الأبصار شمس هداية و أشرقت الأرجاء من زهر رفته
و لوّحت الأعلام فيها بنصره كما لوّح الصبح المنير بينده
ستهدى لك الأيام كلّ مسرّة و يحيى به الرحمن آثار جدّه
فسلّ حسام السعد و اضرب به العدا و خلّ حسام الهند فى كتر غمده
فسيفك سيف الله مهما سللته يقيم حدود الله قائم حدّه
و قال، و قد عاد رحمه الله تعالى من بعض متوجّهاته الجهاديّة لجبل الشوار: [الطويل]
على الطائر الميمون و الطالع السعد قدمت مع الصّنع الجميل على وعد
و قد عدت من جبل الشوار لتجتلى عقائل للفتح المبين بلا عدّ
و قال ممّا رسم فى طيقان الأبواب بالمبانى السعيدة التى ابتناها رحمه الله تعالى: [مجزوء الرمل]
أنا تاج كهلال أنا كرسيّ جمال
ينجلي الإبريق فيه كعروس ذى اختيال
جود مولانا ابن نصر قد حبانى بالكمال
و فى مثله: [مجزوء الرمل]
من رأى التاج الرفيعا قد حوى الشكر البديعا
تحسد الأفلاك منه قوسه السهل المنيعا
دمت ربعا للتهانى أنظم الشمل الجميعا
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٨٦

و فيه: [مجزوء الرمل]

للغنى بالله قصر للتّهانى يصطفيه
فيه محراب صلاة يقف الإبريق فيه
تاليا سورة حسن و المعالى تقتفيه

و فيه: [مجزوء الرمل]

أى قوس ذى جمال سهمه سهم السعاده
ملك الإبريق فيه عود الإحسان عاده
ذو صلاة من صلوات كلّها دأبا معاده

و قال فى المعنى ممّا كتب لعمتنا الأمير سعد رحمه الله تعالى عليه: [المجتث]

انظر لأفق جمال به الأباريق تصعد
حسن بديع حباه به الأمير الممجد
فخر الإمارة سعد به الخليفة يسعد
و كيف لا و أبوه فخر الملوك محمد
عليه حلى رضاه فى كلّ يوم يجدد

و قال فيه أيضا: [المجتث]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٩؛ ص ٨٦

رفعت قوس سمائي يزهى بتاج الهلال
قد قلّدتَه نقوشى درّ الدرارى العوالى
ترى الأباريق فيه تهديك عذب الزلال
قد زان قصرى سعد بسعده المتوالى
فدام يعمر ربعى فى كلء مولى الموالى

و فى الغرض: [الخفيف]

ما ترى فى الرياض أشباهى يسحر العقل حسنى الزاهى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٨٧
زان روضى أميره سعد و هو نجل الغنى بالله
دام منه بمرتقى عزّ أمر بالسعود أو ناهى

و قال فى غرض الشكر عن مغطى صنهاجى أهده إياه: [الطويل]

لمن قبة حمراء مدّ نضارها تطابق منها أرضها و سماؤها
و ما أرضها إلّا خزائن رحمه و ما قد سما من فوق ذاك غطاؤها
و قد شبّه الرحمن خلقتنا به و حسبك فخرا بان منه اعتلاؤها
و معروشة الأرجاء معروشة بها صنوف من النعماء منها و طاؤها
ترى الطير فى أجوافها قد تصفّت على نعم عند الإله كفاؤها
و نسبتها صنهاج غير أنها تقصّر عمّا قد حوى خلفاؤها

حبتنى بها دون العبيد خلافة على الله فى يوم الجزاء جزاؤها
و منها: [الكامل]

ما للعوالم جمعت فى قبة قد شادها كرم الإمام محمد
ما إن رأيت ولا سمعت كطائر عن ثوب موسى الرياش مجرد
إن لم تكن تلك الطيور تغردت فلشكر هذا العبد سجع مغرد
صفت عليها للفواكه كل ما قد عاهدته بدوحها المتعود
لو شاهدت صنعها أوضاعه دانت له أملاكها بتعب
عودتنى الصنع الجميل تفضلا لا زلت خير معوذ و معوذ
و بسورة الأنعام كم من آية فيها لقار بالنوال مجود
و قال تذيلا لبيتى ابن المعتز: [الطويل]

سقتنى فى ليل شبيهه بشعرها شبيهه خديها بغير رقيب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٨٨
«فأمسيت فى ليلين للشعر و الدجى و شمسين من خمر و خد حبيب»
إلى أن بدا الصبح المبين كأنه محيا ابن نصر لم يشن بغروب
شمانله مهما أديرت كؤوسها قلاند أسماع و أنس قلوب
و قال مذيلا على بيت ابن وكيع: [الخفيف]

«هى فى أوجه الندامى عقيق و هى مثل النضار فى الأقداح»
كابن نصر تراه فى الحرب ليثا و هو بدر الندى و غيث السماح
ذكره قد ثنى قدود الندامى و أعاد الحياة فى الأرواح
و قال مما يرسم للغنى بالله: [مجزوء الرمل]
للغنى بالله ملك برده بالعز مذهب
دام فى رفعة شان ما جلا الإصباح غيب
و قال أيضا: [مجزوء الرمل]

يا ابن نصر لك ملك ليس تعدوه الفتوح
دمت روحا للمعالى ما سرى فى الجسم روح
و من مقطوعاته: [الخفيف]

و ابن نصر له محيا كصبح إن تجلى جلا لنا كل كرب
ذو حسام كأنه لمع برق فى بنان كأنها غيث سحب
و من أخرى: [الخفيف]

و كأن النجوم فى غسق اللي ل جمان يلوح فى آبنوس
و كأن الصباح فى الأفق يجلى بحلى النجوم مثل العروس
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٨٩
و كأن الرياض تهدي ثناء للغنى بالله فوق الطروس

و قال من قصيدة أولها: [الكامل]

أضياء هدى أم ضياء نهار و شذا المحامد أم شذا الأزهار
قسما بهديك في الضياء، و إنه شمس تمدّ الشَّهب بالأنوار
و منها:

كم من لطائف للهدى أوضحتها خفيت لطائفها على الأفكار
كم من جرائم قد غفرت عظيمها مستنزلا من رحمة الغفار
علمت ملوك الأرض أنك فخرها فتسابق لرضاك في مضمار
و منها يصف الجيش:

سالت به تحت العجاج سفينة لفتحت بريح العزّ من أنصار
أرست بجودي الجود في يوم الندى و جرت بيوم الحرب في تيار
و منها:

ألقي بأيدي الريح فضل عنانه فيكاد يسبق لمحّة الأبصار
و منها:

فهى العراب متى انبرت يوم الوغى قد أعربت عن لطف صنع البارى
و منها:

إن خاض في ليل العجاج رأيته يجلو دجّته بوجه نهار
و منها:

كم فيهم من قار ضيف طارق و ضحت شواهد فضله للقار
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٩٠
و منها:

يا أيها الملك الذى أيامه غرر تلوح بأوجه الأعصار
قد زارك العيد السعيد مبشرا فاسمح لألف منهم بمزار
لما ازدهته عواطف ألطفقتها عطف الإله عليك عطف سوار
فأتى يؤمّم منك هديا صالحا كى يستمدّ النور بعد سرار
و أتاك يسحب ذيل سحب أغدقت تغرى جفون المزن باستعبار
جادت بجارى الدمع يقطر بالندى فرعى الربيع لها حقوق الجار
فأعاد وجه الأرض طلقا مشرقا متضاحكا بمباسم النوار
لما دعاك إلى القيام بسنّه حكمت داعى الجود و الإيثار
فأفضت فينا من نداك مواهبا حسنت مواقعها على التكرار
فاهنا بعيد عاد يشتمل الرضا جذلان يرفل فى حلى استبشار
و منها:

لا عذر لى إن كنت فيه مقصّرا سدّت صفاتك أوجه الأعذار
فإذا نظمت من المناقب درّها شرّفنتى منها بنظم درارى

فلذاك أنظّمها فلأند لؤلؤ لألاؤها قد شفت بالأنوار

[مما أنشده على لحد ابن الأحمر]

و أنشده على لحد المقدس رحمه الله تعالى: [الطويل]
 ضريح أمير المسلمين محمد يخصّك ربّي بالسلام المرّد
 و حيتك من روح الإله تحية مع الملا الأعلى تروح و تغتدى
 و شقت جيوب الزهر فيك كمائم يرف بها الريحان عن خضل ندى
 و صابت من الرّحمى عليك غمائم تروى ترى هذا الضريح المنجد
 و زارتك من حور الجنان أوانس نواعم فى كلّ النعيم المخلد
 و جاءتك بالبشرى ملائكة الرضا كما جاء فى الذكر الحكيم الممجّد
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٩١
 و صافح منك الروض أطيب تربة و عاهد منك المزن أكرم معهد
 رضا الله و الصفح الجميل و عفوه يوالى على ذاك الصفيح المنصد
 و يا صدفا قد فاز من جوهر العلا بكلّ نفيس بالنفاسه مفرد
 أعندك أن العلم و الحلم و الحجا و زهر الحلّى قد أدرجت طي ملحد
 و هل أنت إلّا هالة القمر الذى بنور هداه الشهب تهدي و تهتدى
 و يا عجا من ذلك الترب كيف لا يفيض ببحر للسماحة مزبد
 لقد ضاقت الأكوان و هى رحيه بما حزت من فخر عظيم و سودد
 قدمت على الرحمن أكرم مقدم و زودت من رحماه خير مزود
 أقام بك المولى الإمام محمد مؤمل فوز بالشفيع محمد
 فجاى كما ترضى و ترضى به العلا و أنجز للآمال أكرم موعد
 و مدّ ظلال العدل فى كل وجهه و كفّ أكفّ البغى من كلّ معتد
 و قام بمفروض الجهاد عن الورى و عود دين الله خير معود
 قضى بعد ما قضى الخلافة حقها و عامل وجه الله فى كلّ مقصد
 و فتح بالسيف الممالك عنوة و مدّت له أملاكها كفّ مجتد
 و كسر تمثال الصليب و أخرست نواقيس كانت للضلال بمرصد
 و طهر محرابا و جدّد منبرا و أعلن ذكر الله فى كلّ مسجد
 و دانت له الأملاك شرقا و مغربا و كلّهم ألقى له الملك باليد
 و طبق معمور البسيطة ذكره و سارت به الركبان فى كلّ فدغد
 و سافر عن دار الفناء ليجتلى بما قدّم اليوم السعادة فى غد
 و قام بأمر الله حقّ قيامه بعزمه لا وان و لا متردّد

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٩٢

لئن سار للرحمن خير مودع و حلّ من الفردوس أشرف مقعد

فقد خَلَفَ المولى الخليفةُ يوسفًا يعيد له غرَّ المساعى و يتدى
 سبيلك فى سبل المكارم يقتفى و هديك يا خير الأئمة يقتدى
 محمد جلَّ الخطب من بعد يوسف و يوسف جلى الخطب بعد محمد
 و لو وجد الناس الفداء مسوِّغا فداك ببذل النفس كلَّ موحد
 ستبكيك أرض كنت غيث بلادها و تبكيك حتى الشَّهب فى كلَّ مشهد
 و تبكى عليك السحب ملء جفونها بدمع يروى غلَّةَ المعجب الصدى
 و تلبس فيك النيرات ظلامها حدادا و يذكى النجم جفن مسهَد
 و ما هى إلَّا أعين قد تسهَّدت فكحلها نجم الظلام يَأْتُمِد
 فلا زلت فى ظلِّ النعيم مخلدا و نجلك يحيا بالبقاء المخلد
 و أوردك الرحمن حوض نبيّه و أصدر من خلفت من خير مورد
 عليك سلام مثل حمدك عاطر يفصّ ختام المسك عن تربك الندى
 و صلّى على المختار من آل هاشم صلاةً بها نرجو الشفاعة فى غد

[له يستعطف السلطان أبا الحجاج]

و قال يستعطف الوالد السلطان أبا الحجاج: [الوافر]
 بما قد حزت من كرم الخلال بما أدركت من رتب الجلال
 بما خوَّلت من دين و دنيا بما قد حزت من شرف الجمال
 بما أوليت من صنع جميل يطابق لفظه معنى الكمال
 تغمّدى بفضلك، و اغفرها ذنوبا فى الفعال و فى المقال
 و قال أيضا: [الطويل]
 أ تعطش أولادى و أنت غمامة تعمّ جميع الخلق بالنعف و السقيا
 و تظلم أوقاتي و وجهك نير تفيض بها الأنوار للدين و الدنيا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٩٣
 و جدك قد سماك ربك باسمه و أورثك الرحمن رتبته العليا
 و قد كان أعطانى الذى أنا سائل و سوغنى من غير شرط و لا ثنيا
 و شعرى فى غير المصانع خالد يحييه عنى فى الممات و فى المحيا
 و ما زلت أهدى المدح مسكا مفتقا فتحمله الأرواح عاطرة الريا
 و قد أكثر العبد التشكى و إنه و حقك يا فخر الملوك قد استحيا
 و ما الجود إلَّا ميت، غير أنه إذا نفخت يمناك فى روحه يحيا
 فمن شاء أن يدعو لدين محمد فيدعو لمولانا الخليفة بالبقيا

[من شعره فى أبى الحجاج]

و قال أيضا فيه و قد نزل بالولجة من مرج الحضرة: [الخفيف]
 منزل اليمن و الرضا و السعود أنجزت فيه صادقات الوعود
 كل يوم نزاها إن تقصت أنشدتها السعود: بالله عودى
 جمع المسلمين وصف كمال بين بأس عمّ الملوك وجود
 فاهن في غبطة و عزة ملك أنت و الله فخر هذا الوجود
 و قال أيضا مشيرا لتوليته العلامة: [الكامل]

لك غرة و الصباح جمالها و محاسن تهوى البدور كمالها
 و شمائل تحكى الرياض خلالها و أنامل تزجى الأنام خلالها
 للمستعين خلافة نصريّة عرفت ملوك العالمين جلالها
 و أنا الذى قد نال منك معاليا تهدى النجوم الزاهرات منالها
 تهديه ما قد نلت من بعضها فالفخر كل الفخر فيمن نالها
 فى كل يوم منك منة منعم لو طاوت سمك السما ما طالها
 بلغت آمال العبيد فبلغت فيك العبيد من البقا آمالها
 و قال أيضا و كتبها إليه مع خمسة أقلام: [الطويل]

أيا مالكا لم بيد للعين حسنه سوى ملك قد حلّ من عالم القدس
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٩٤
 لك الخير خذها كالأنامل خمسة تعوذ مرآك المكمل بالخمس
 فمن أبصرت عيناك مرآه فليقل أعوذ ربّ الناس أو آية الكرسي
 ثم قال ابن الأحمر: و قال يخاطب مولانا الوالد رحمة الله تعالى عليه و قد مرّ معه بفحص رية، و الثلج قد عمّ أنديته، و بسط أرديته،
 فى وجهه توجهها مولانا الجدّ تغمده الله تعالى إلى مالمقه: [الكامل]

يا من به رتب الإمارة تعلى و معالم الفخر المشيدة تبنتى
 ازجر بهذا الثلج حالا إنه ثلج اليقين بنصر مولانا الغنى
 بسط البياض كرامة لقدمه و افتّر ثغرا عن مسرة معتنى
 فالأرض جوهره تلوح لمعتل و الدوح مزهرة تفوح لمجتنى
 سبحانه من أعطى الوجود وجوده ليدلّ منه على الجواد المحسن
 و بدائع الأكوان فى إتقانها أثر يشير إلى البديع المتقن
 ثم قال: و من أوليات نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب مادحا قوله:
 [الطويل]

أما و انصداع النور من مطلع الفجر
 إلى آخره، و قد تقدّمت.

[له يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبي دلامة]

ثم قال: و قال يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبي دلامة: [الطويل]

على الطائر الميمون و الطالع السعد أتتني مع الصنع الجميل على وعد
و أحيت يا يحيى بها نفس مغرم يجيل جياذ الدمع فى ملعب السهد
نسيت و ما أنسى وفائى و خلّتى و أقفر ربع القلب إلّا من الوجد
و ما الطلّ فى ثغر من الزهر باسم بأزكى و أصفى من ثنائى و من ودّى
فأصدقتها من بحر فكرى جواهرها تنظّم من درّ الدرارىّ فى عقد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٩٥
و كنت أطيل القول إلّا ضرورة دعتنى إلى الإيجاز فى سورة الحمد
و أنشد السلطان أبا العباس المرسى فى غراب من إنشائه: [الطويل]
أ إنسان عين الدهر جفنك قد غدا يحفّك منه طائر اليمن و السعد
إذا ما هفا فوق الرءوس شراعه أراك جناحا مدّ للجزر و المدّ
و أنشد فيه أيضا: [الطويل]

لك الخير شأن الجفن يحرس عينه و هذا بعين الله يحرس دائما
تبيت له خمس الثريا معيدة تقلده زهر النجوم تماثما
فيا جفن، لا تنفك فى الحفظ دائما و إن كنت فى لَج من البحر عائما
انتهى ما لخصته من كلام ابن الأحمر فى حقّ ابن زمرك، و ذلك جملة من نظمه.
و قد رأيت أن أعزّز ذلك ببعض موشحات ابن زمرك المذكور ممّا انتقته من كلام ابن الأحمر.

[موشحة لابن زمرك، يتشوق فيها إلى غرناطة]

فمنها قوله متشوقا إلى غرناطة و يمدح الغنى بالله:
بالله يا قامه القضيّب و مخجل الشمس و القمر
من ملك الحسن فى القلوب و أيد اللحظ بالهور
من لم يكن طبعه رقيقا لم يدر ما لذّة الصبا
فربّ حرّ غدا رقيقا تملكه نفحة الصبا
نشوان لم يشرب الرحيقا لكن إلى الحسن قد صبا
فعذب القلب بالوجيب و نعم العين بالنظر
و بات و الدمع فى صيب يقده من قلبه الشرر
عجبت من قلبى المعنى يهفو إذا هبت الرياح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٩٦
لو كان للصب ما تمنى لطار شوقا بلا جناح
و بلبل الدوح إن تغنى أسهر ليلى إلى الصباح
عساك إن زرت يا طيبى بالطيف فى رقده السحر
أن تجعل النوم من نصيبى و العين تحمى من السهر
كم شادن قاد لى الحتوفا بمربع القلب قد سكن

يسلّ من لحظه سيوفا فالقلب بالروع ما سكن
 خلقت من عادتي ألوفا أحنّ للالف و السكن
 غرناطة منزل الحبيب و قربها السؤل و الوطر
 تبهر بالمنظر العجيب فلا عدا ربعها المطر
 عروسه تاجها السبيكه و زهرها الحلى و الحلل
 لم ترض من عزها شريكه بحسنها يضرب المثل
 أيدها الله من مليكه تملكها أشرف الدول
 بدولة المرتجى المهيب الملك الظاهر الأغز
 تختال من بردها القشيب فى حله النور و الزهر
 كرسيتها جنة العريف مرآتها صفحة الغدير
 و جوهر الطلّ عن شنوف تحكّمها صنعهُ القدير
 و الأنس فيها على صنوف فمن هديل و من هدير
 كم خرق الزهر من جيوب و كلل القضب بالدرر
 فالغصن كالكاعب اللعوب و الطير تشدو بلا وتر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٩٧
 و لائم النصر فى احتفال و فرح دين الهوى جديد
 سلطانها معمل العوالى محمد الظافر السعيد
 و مخجل البدر فى الكمال سلطانها المجتبى الفريد
 أصفح مولى عن الذنوب أكرم عاف إذا قدر
 و شمس هدى بلا مغيب و بحر جود بلا حسر
 مولاي يا عاقد البنود تظلّل الأوجه الصّباح
 أوحشت يا نخبة الوجود غرناطة هاله السماح
 سافرت باليمن و السعود و عدت بالفتح و النجاح
 يا ملهم القلب للغيوب و مطعم النصر و الظفر
 أسمعك الله عن قريب: «على السلامه من الشفر»

[موشحة أخرى لابن زمرک]

و قال أيضا من الموشحات الرائقة، فى مثل أغراض هذه السابقة، و أشار إلى محاسن من وصف الرشاد:

نسيم غرناطة عليل لكنه يبرئ العليل
 و روضها زهره بليل و رشفه ينقع الغليل
 سقى بنجد ربا المصلّى مباكرا روضه الغمام
 سقى بنجد ربا المصلّى تبسم الزهر فى الكمام
 و الروض بالحسن قد تجلّى و جزّد النهر عن حسام

و دوحها ظلّه ظليل يحسن في ربه المقييل
و البرق و الجوّ مستطيل يلعب بالصارم الصقييل
عقيلته تاجها السبيكه تطلّ بالمرقب المنيف
كأنها فوقه مليكه كرسيتها جنة العريف
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٩٨
تطيع من عسجد سبيكه شموها كلما تطيف
أبدعك الخالق الجميل يا منظرا كله جميل
قلبي إلى حسنه يميل و قلبنا قد صبا جميل
و زاد للحسن فيك حسنا محمد الحمد و السّماح
جدّد للفخر فيك مبني في طالع اليمن و النجاح
تدعى رشادا و فيك معنى يخصّك الفأل بافتتاح
فالنصر و السعد لا يزول لأنه ثابت أصيل
سعد و أنصاره قبيل آباؤه عتره الرسول
أبدى به حكمه القدير و توجّ الروض بالقباب
و درّع الزهر بالغدير و زين النهر بالحباب
فمن هديل و من هدير ما أولع الحسن بالشباب
كبت على روضها القبول و طرفها بالسرى كليل
فلم يزل بينها يجول حتى تبدّت له حجول
للزهر في عطفها رقوم تلوح للعين كالنجوم
و للندی بينها رسوم عقد الندى فوقه نظيم
و كلّ واد بها يهيم و لم يزل حولها يحوم
شليلها مدّ منه نيل و الشين ألف لمستليل
و عين واد بها تسيل من فوق خدّ له أسيل
كم من ظلال به ترفّ تضيفو له فوقها ستور
و من زجاج به يشفّ ما بين نور و بين نور
و من شموها بها تصفّ تديرها بينها البدور

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٩٩
مزاجها العذب سلسيل يا هل إلى رشفها سليل
و كيف و الشيب لى عدول و صبغه صفرة الأصيل
يا سرحه في الحمى ظليله كم نلت في ظلّك المنى
روّضك الله من خميله يجنى بها أطيب الجنى
و برقها صادق المخيله ما زال بالغيث محسنا
أنجز لى وعدك القبول فلم أقل مثل من يقول

«يا سرحة الحى يا مطول شرح الذى بيننا يطول»

[موشحة كتب بها إلى الغنى بالله]

و من ذلك ما كتب به إلى الغنى بالله:
أبلغ لغرناطة السلام وصف لها عهدى السليم
فلو رعى طيفها ذمام ما بتّ فى ليلة السليم
كم بتّ على اقتراح أعلّ من خمرة الرضاب
أدير فيها كؤوس راح قد زانها الثغر بالحباب
أختال كالمهر فى الجماح نشوان فى روضه الشباب
أضحك الزهر فى الكمام مباحيا روضه الوسيم
و أفضح الغصن فى القوام إن هبّ من جوّها النسيم
بيننا أنا و الشباب ضاف و ظلّه فوقنا مديد
و مورد الأنس فيه صاف و برده رائق جديد
إذ لاح فى الفود غير خاف صبح به تبه الوليد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٠٠
أيقظ من كان ذا منام لئما انجلى ليله البهيم
و أرسل الدمع كالغمام فى كلّ واد به أهيم
يا جيرة عهدهم كريم و فعلهم كلّ جميل
لا تعذلوا الصّبّ إذ يهيم فقبله قد صبا جميل
القرب من ربيعكم نعيم و بعدكم خطبه جليل
كم من رياض به و سام يزهى بها الرائص المسيم
غدورها أزرق الجمام و نبتها كلّ جميم
أعندكم أننى بفاس أكابد الشوق و الحنين
أذكر أهلى بها و ناسى و اليوم فى الطول كالسنين
الله حسبى فكم أقاسى من وحشه الصب و البنين
مطارحا ساجع الحمام شوقا إلى الإلف و الحميم
و الدمع قد لّجّ فى انسجام و قد و هى عقده التنظيم
يا ساكنى جنّه العريف أسكنتم جنّه الخلود
كم تمّ من منظر شريف قد حفّ باليمن و السعود
و ربّ طود به منيف أدواحه الخضر كالبنود
و النهر قد سلّ كالحسام لراحة الشرب مستديم
و الزهر قد راق بابتسام مقبلا راحة النديم
بلّغ عبيد المقام صحبى لا زلتم الدهر فى هنا

لقاكم بغية المحبّ و قربكم غاية المنى
 فعندكم قد تركت قلبي فجدد الله عهدنا
 و دارك الشمل بانتظام من يرتجى فضله العميم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٠١
 فى ظلّ سلطاننا الإمام الطاهر الظاهر الحميم
 مؤمن العدو تين ممّا يخاف من سطوة العدا
 و فارح الكرب إن أَلَمّا و مذهب الخطب و الردى
 قد راق حسنا و فاق حلما و ما عدا غير ما بدا
 مولاي يا نخبة الأنام و حائز الفخر فى القديم
 كم أرقب البدر فى التمام شوقا إلى وجهك الكريم

[موشحة أخرى عارض بها موشحة ابن سهل]

منها موشحة عارض بها موشحة ابن سهل التى أولها «ليل الهوى يقظان» و هى:

نواسم البستان تنثر سلك الزهر
 و الطلّ فى الأغصان ينظمه بالجواهر
 و راحة الإصباح أضاء منها المشرق
 تنشرها الأرواح فلا تزال تخفق
 و الزهر زهر فاح لها عيون ترمق
 فأيقظ الندمان يبصرون ما لم يبصر
 جواهر الشبان قد عرضت للمشتري
 قدحت لى زندا يا أيهذا البارق
 أذكرتنى عهدا إذ الشباب رائق
 فالشوق لا يهدا و لا الفؤاد الخافق
 و كيف بالسّلوان و القلب رهن الفكر
 و سحب الهجران تحجب وجه القمر
 لو لا شمس الكاس نديرها بين البدور
 و عرّج الإيناس منّا على ربع الصدور
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٠٢
 لكن لها وسواس يغرى برّبات الخدور
 كم واله هيمان بصبح وجه مسفر
 ضياؤه قد بان من تحت ليل مقمر
 يا مطلع الأنوار كم فيك من مرأى جميل
 و نزّهة الأبصار ما ضرّ لو تشفى الغليل

يا روضة الأزهار و عرفها يبرى العليل
 قضيبك الفتان يسقى بدمع همر
 فلاعج الأشجان فيض الدموع يجرى
 هل فى الهوى ناصر أو هل يجار الهائم
 لو كان لى زائر طيف الخيال الحائم
 ما بتّ بالساهر و دمع عيني ساجم
 و الحبّ ذو عدوان يجهد فى ظلم البرى
 و صارم الأجنان مؤيدّ بالحوار
 رحماك فى صبّ أذكرته عهد الصبا
 بواعث الحبّ قادت إليه الوصبا
 لم تهف بالقلب ريح الصبا إلّا هبا
 بليلة الأردن قد ضمّخت بالعنبر
 يشير غصن البان منها بفضل المثرر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٠٣
 طيبها حمد فخر الملوك المجتبى
 من يرجح الطود من حلمه إذا احتبى
 قد جرّد السعد منه حساما مذهبا
 فالبأس و الإحسان و الغوث للمستنصر
 تحمله الركبان تحية للمنبر
 عصابة الكتاب حقّ لها الفوز العظيم
 تختال فى أثواب حق لها الفخر الجسيم
 فحسبها الإطناّب فى الحمد و الشكر العميم
 خليفة الرحمن لا زلت سامى المظهر
 يا مورد الظمان و رأس مال المعسر
 خذها على دعوى تزرى على الروض الوسيم
 جاءت كما تهوى أرقّ من لدن النسيم
 قد طارحت شكوى من قال فى الليل البهيم
 «ليل الهوى يقظان و الحبّ ترب السهر»
 «و الصبر لى خوآن و النوم من عيني برى»

[من موشحات ابن زمرک فى الصبوحيات]

و له فى الصبوحيات:
 ريحانة الفجر قد أطلت خضراء بالزهر تزهر

و رايه الصبح قد أظلت في مرقب الشمس تنشر
فالشهب من غارة الصباح ترعد خوفا و تخفق
و أدهم الليل في جماح أعنة البرق يطلق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٠٤
و الأفق في ملتقى الرياح بأدمع الغيث يشرق
و السحب بالجواهر استهلّت فالبرق سيف بجوهر
صفاحه المذهبات حلّت في راحة الجوّ تشهر
كم للصبأ ثم من مقيل بطيبه الزهر يشهد
و النهر كالصارم الصّقيل في حليه النور يغمد
و ربّ قال به و قيل للطير في حين تشد
فألسن الورق قد أمّلت مدائحا عنه تشكر
و نسمة الصبح قد تجلّت في سندس الروض تعثر
و الكاس في راحة النديم يجلو بها غيبهم الهموم
أقبست النار في القديم من قبل أن تخلق الكروم
و النهر في ملعب النسيم للزهر في عطفه رقوم
فلتبه الحلّى قد تجلّت و الطلّ في الحلّى جوهر
و بهجة الكون قد تجلّت و الطلّ في الحلّى جوهر
و بهجة الكون قد تجلّت و الروض بالحسن يبهر
يذكرني و جنه الحبيب و الآس في صفحة العذار
و شارب الشارب العجيب بين أقاح و جلنار
يدير من ثغره الشنيب سلافه دونها العقار
حلّت لأهل الهوى و جلّت بالذكر و الوهم تسكر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٠٥
كم من نفوس بها تسلّت فما لها الدهر منكر
يا غصن بان يميل زهوا ريان في روضة الشباب
لو كنت تصغى لرفع شكوى أطلت من قصة العقاب
و من لمتلى بيتّ نجوى للبدر في رفر السحاب
عزائم الصبر فيك حلّت و عقده الصبر تذخر
قد أكثرت منك ما استقلّت و ليت لو كنت تشعر
كم ليلة بتها و بتا ضدّين في السهد و الرقاد
أسامر النجم فيك حتى علّمت أجفانها السهاد
أرقب بدر الدّجى، و أنتا قد لحت في هالة الفؤاد
نفسى وليت ما تولّت دعها على الشوق تصبر

لو سمتها الهجر ما تولت و لم تكن عنك تنفر
علمها الصبر في الحروب سلطاننا عاقد البنود
معقر الصيد للجنوب أعز من حف بالجنود
نصرت بالرعب في القلوب و البيض لم تبرح الغمود
عناية الله فيه حلت بسعده الدين ينصر
و الخلق في عصره تملت غنائما ليس تحصر
مولاي يا نكتة الزمان دار بما ترتضى الفلك
جللت باليمن و الأمان كل ملك و ما ملك
لم يدر وصفى و لا عياني أملك أنت أم ملك
جنودك الغلب حيث حلت بالفتح و النصر تحمر
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٠٦
و عادة الله فيك دلت إنك بالكفر تظفر
يا آية الله في الكمال و مخجل البدر في التمام
قدمت بالعز و الجلال و الدهر في ثغره ابتسام
يختال في حلة الجمال و البدر قد عاد في اختتام
ريحانه الفجر قد أطلت خضراء بالزهر تزه
و راية الصبح قد أظلت في مرقب الشرق تنشر
و قال سامحه الله تعالى:
قد طلعت راية الصباح و آذن الليل بالرحيل
فباكر الروض باصطباح و اشرب على زهره البليل
فالورق هبت من السنات لمنبر الدوح تخطب
تسجع مفتته اللغات كل عن الشوق يعرب
و الغصن بعد الذهب يأتي لأكؤس الطل يشرب
و أدمع السحب في انسياح في كل روض لها سبيل
و الجؤ مستبشر النواحي يلعب بالصارم الصقيل
قم فاغتنم بهجة النفوس ما بين نور و بين نور
و شفّع الصبح بالشّمس تديرها بيننا البدور
و تبه الشرب للكؤوس تمزج من ريقه الثغور
ما أجمل الراح فوق راح صفراء كالشمس في الأصيل
تغادر الصدر ذا انشراح للأنس في طيه مقيل
و لا تذر خمرة الجفون فسكرها في الهوى جنون
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٠٧
و لتخش من أسهم العيون فإنها رائد المنون

عرضت منها إلى الفتون و كلّ خطب لها يهون
 أهيم بالغادة الرذاح و الجسم من حُبها عليل
 لو بتّ منها على اقتراح نعتت من ريقها الغليل
 أواعد الطّيف للمنام و من لعينيّ بالمنام
 أسهر في ليلة التمام و أنت يا بدر في التمام
 و أثلّم الزهر في الكمام عليه من ثغرك ابتسام
 سفرت عن مبسم الأفاق و ريقك العذب سلسيل
 قل لى يا ربّه الوشاح هل لى إلى الوصل من سبيل
 يا كعبه الحسن زدت حسنا و للهوى حولك المطاف
 و غصن بان إذا تتنّى لو حان من زهرك القطاف
 ألا انعطاف على المعنى فالغصن يزهى بالانعطاف
 أصبحت تزهو على الملاح بذلك المنظر الجميل
 و وجهك الشمس فى اتّضاح لو أنها لم تكن تميل
 ما الزهر إلّا بنظم درّ تحسد فى حسنه العقود
 للملك الظاهر الأغرّ أكرم من حفّ بالسعود
 محمد الحمد و ابن نصر و باسط العدل فى الوجود
 مساجل السّحب فى السماح بالغيث من رفته الجليل
 و مخجل البدر فى اللّياح بغرّه ما لها مثيل
 يا مشرب الحبّ فى القلوب و واهب الصفح للصفاح
 نصرت بالرعب فى الحروب و الرعب أجدى من السلاح
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٠٨
 قد لحت من عالم الغيوب لم تعدم الفوز و الفلاح
 مراکش نهبة افتتاح و الصنع فى فتحها جليل
 بشراك بالفتح و النجاح و الشكر من ذلك القبيل
 و قال أيضا رحمه الله تعالى:
 فى كؤوس الثغر من ذاك اللّعس راحة الأرواح
 و تغشى الروض مسكئّ النّفس عاطر الأرواح
 و كسا الأدواح و شيا مذهبا يبهر الشّمس
 عسجد قد حلّ من فوق الرّبا يبهب النّفس
 فاتخذ لله فيه مركبا تلحق الأنسا
 منبر الغصن عليه قد جلس ساجع الأدواح
 حلل السندس خضرا قد لبس عطفه المرتاح
 قم ترى هذا الأصيل شاحبا حسنه قد راق

ولأذيال الغصون ساحبا في حلى الأوراق
و نديم قال لي مخاطبا قول ذى إشفاق
عادة الشمس بغرب تختلس هات شمس الراح
إن أرانا الجوّ وجهها قد عبس أوقد المصباح
و وجوه الشرب تغنى عن شمس كلما تجلى
بلحاظ أسكرتنا عن كؤوس خمرها أحلى
مظهرات من خفايا في النفوس سورا تتلى
ما زمان الأّنس إلّا مختلس فاغتنم يا صاح
و عيون الشّهب تذكى عن حرس تخصم النّصاح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٠٩
ما ترى ثغر الوميض باسم يظهر البشرا
و ثناء الروض هبّ ناسما عاطرا نشرا
بثّ من أزهاره دراهما قائلا: بشرى
ركب المولى مع الظهر الفرس و سقى و ارتاح
بجنود الله دأبا يحترس إن غدا أو راح
وجب الشكر علينا و الهنا بعضنا بعضا
فزمان السعد و ضاح السنّى وجهه الأرضى
أثمرت فيه العوالى بالمنى ثمرا غضا
يجتنى الإسلام منها ما اغترس سيفه السّفاح
فى ضمير النقع منها قد هجس شهب تلتاح
يا إماما بالحسام المنتضى نصر الحقّا
ثغرك الوضّاح مهما أو مضا أخجل البرقا
و ديون السعد منه تقتضى توسع الحقّا
لك و جه من صباح مقتبس بشره و ضاح
و جميل الصفح منه ملتمس منعم صفّاح
هاكها تمزج لطفًا بالنسيم كلّما هبّا
قد أتت بالبرّ و الصنع الجسيم تشكر الرّبّا
أخجلت من قال فى الصبح الوسيم مغرما صبّا
«غرّد الطير فتبه من نعس» يا مدير الراح
و تعرّى الفجر عن ثوب الغلس و انجلى الإصباح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١١٠
و قال أيضا سامحه الله تعالى:
قد أنعم الله بالشفاء و استكملت راحة الإمام

فلتنطق الطير بالهناء و ليضحك الزهر في الكمام
وجوده بهجة الوجود و برؤه راحة النفوس
قد لاح في مرقب السعود و استبشرت أوجه الشمس
فالدوح قومي إلى البنود أكامه غطت الرؤوس
و الزهر في روضة السماء كالزهر قد راق بابتسام
و الصبح مستشرف اللواء و البدر مستقبل التمام
محاسن الكون قد تجلت جمالها العقل يبهر
عرائس بالبها تحلت و الطل في الحلى جوهر
و ألسن الورق قد أملت مدائحا عنه تشكر
تستوقف الخلق بالغناء كأنها تحسن الكلام
تطب لله في الثناء تقول سلمت يا سلام
كم من ثغور لها ثغور تبسم إذ جاءها البشير
و من خدور بها بدور يشير منها له المشير
تقول إذ حفها السرور تبارك المنعم القدير
قد أنعم الله بالبقاء في ظل مولى به اعتصام
قد صادف التّجح في الدواء فالداء عنا له انفصام
يهنيك مولاي بل يهني بربك الدين و الهدى
فالغرب و الشرق منك يعنى بمذهب الخطف و الردى
و الله لولاك ما تهنا ما فيه من سطوة الردى
يا مورد الأنفس الظماء قد كان يشتفها الأوام
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١١١
و قرة العين بالبهاء رددت للأعين التمام
لو أبذل الروح في البشاره بذلت بعض الذى ملك
فأنت يا نفس مستعاره مولاي بالفضل جمّلك
لم أدر إذ سطر العبارة أملك هو أم ملك
لا زلت مولاي في هناء مبلغ القصد و المرام
و دمت للملك في اعتلاء تسحب أذياله الغمام

[موشحة لابن زمرق في مالفه]

و قال في مالفه:

عليك يا رية السلام و لا عدا ربك المطر
مذ حل في قصرك الإمام فقربك السؤل و الوطر
و الدوح في روضك الأنيق للشكر قد حطت الرؤوس

و الغصن في نهرة غريق و في حلاه كما عروس
و الجوّ من وجهه الشريق تحسده أوجه الشموس
و أعين الزهر لا تنام تستعذب السهد و السهر
ينفث من تحتها الغمام يريقك من أعين الزهر
عروسه أنت يا عقيله تجلى على مظهر الكمال
مدّت لك الكفّ مستقيه تمسح أعطافك الشمال
و البحر مرآتك الصقيه تشفّ عن ذلك الجمال
و الحلبي زهر له انتظام يكلّل القضب بالدّرر
قد راق من ثغره ابتسام و الورد في خدّها خفر
إن قيل من بعلمها المفدى و من له وصلها مباح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١١٢
أقول أسنى الملوک رفا مخلص الفخر بالصفاح
محمد الحمد حين يهدى ثناؤه عاطر الرياح
تخبر عن طيبه الكمام و الخير يغنى عن الخير
فالسعد و الرعب و الحسام و النصر آياته الكبير
ذو غزّة تسحر البدورا و طلعه تخجل الصّباح
كم رايه سامها ظهورا تظلل الأوجه الصّباح
و كم جهاد جلاه نورا أظفر بالفوز و النجاح
الظاهر الظاهر الهمام أعزّ من صال و افتخر
لسيفه في العدا احتكام جرى به سابق القدر
يا مرسل الخير في الغوار لو تطلب البحر تلحق
لك الجوارى إذا تجارى سوابق الشّهب تسبق
تستنّ في لجة البحار فالكفر منهّن يفرق
فالدین و ليقصر الكلام بسيفك اعتزّ و انتصر
كذاک أسلافک الکرام هم نصرُوا سيّد البشر

[موشحة أخرى لابن زمرک في مالمقة]

و قال من غير هذا البحر في المحدث بمالمقة:
قد نظم الشمل أتم انتظام و اغتنم الأحباب قرب الحبيب
و استضحك الروض ثغور الغمام عن مبسم الزهر البرود الشّيب
و عمّم الثور رؤوس الرّبا و جلل الثور صدور البطاح
و صافح القضب نسيم الصّبا فالزهر يرنو عن عيون وقاح
و عاود النهر زمان الصّبا فقلّد الزهر مكان الوشاح

و أطلع القصر برود التمام فى طالع الفتح القريب الغريب
 حدودها قامت مقام الغمام فلا اشتكى من بعدها بالمغيب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١١٣
 أصبحت يا رية مجلى النفوس جمالك العين بها يبهر
 و البشر يسرى فى جميع الشموس و راية الأنس بها تشهر
 و الدوح للشكر تحطّ الرءوس و أنجم الزهر بها تزهّر
 و راجع النهر غناء الحمام و قد شدت تسجع سجع الخطيب
 بمنبر الغصن الرشيق القوام لما انثنى يهفو بقدر طيب
 يا حبذا ميناك فخر القصور بوجه طالت بروج السما
 ما مثله فى سالفات العصور و لا الذى شاد ابن ماء السما
 كم فيه من مرأى بهيج و نور فى مرتقى الجوّ به قد سما
 خليفة الله و نعم الإمام أتحنك الدهر بصنع عجيب
 يهنيك شمل قد غدا فى التمام ممهدا فى ظلّ عيش خصيب
 نواسم الوادى بمسك تلوح و نفضة الندّ به تعبق
 و بهجة السكان فيه تلوح و جوّه من نورهم يشرق
 و روضه بالسّرّ منه ييوح بلابل عن وجده تنطق
 لو أنّ من يفهم عنها الكلام فهى تهنيك هناء الأديب
 و نهرة قد سلّ منه الحسام يلحظه النرجس لحظ المريب
 فأجمل الأيام عصر الشباب و أجمل الأجمال يوم اللقا
 يا درّة القصر و شمس القباب و هازم الأحزاب فى الملتقى
 بشرك الربّ بحسن المآب متّعك الله بطول البقا
 و لا يزال القصر قصر السلام يختال فى برد الشباب القشيب
 يتلو عليك الدهر فى كلّ عام نصّر من الله و فتح قريب
 [سورة الصف، الآية: ١٣]

[موشحة لابن زمرق فى الشفاء]

و قال من المخلّع فى الشفاء:
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١١٤
 فى طالع اليمن و السعود قد كملت راحة الإمام
 فأشرق النور فى الوجود و ابتسم الزهر فى الكمام
 قد طلعت راية النجاح و انهزم البؤس و العنا
 و قال حى على الفلاح مؤذن القوم بالمنى
 فالدهر يأتى بالاقتراح مستقبلا أوجه الهنا

تخفق منشورة البرود و السعد يقدم من أمام
و الأنس مستجمع الوفود و اللطف مستعذب الجمام
و أكؤس الطلّ مترعات بأنمل السوسن الندى
و الطير مفتنة اللغات تشدو بأصوات معبد
و الغصن يذهب ثم يأتي بالسندس الغضّ مرتدى
و الدوح يومى إلى السجود شكرا لذي الأنعم الجسام
و الريح خفاقة البنود تباكر الروض بالغمام
مظاهر للجمال تجلى قد هزّ أعطافها السرور
و باهر الحسن قد تجلى ما بين نور و بين نور
قد هنأت بالشفاء مولى بعصره تفخر العصور
ما بين بأس و بين جود قد مهّد الأمن للأنام
فالدین ذو أعین رقود و كان لا يطعم المنام
و الكاس فى راحة السقاء تروح طورا و تغتدى
يهديكها رائق السمات ما بين برق و فرقد
و الشمس تذهب للبيات قد لبست ثوب عسجد
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١١٥
و الزهر فى اليانح المجود يقابل الشرب بابتسام
و الروض من حلية الغمود قد جرد النهر عن حسام
مولاي، يا أشرف الملوك و عصمة الخلق أجمعين
أهديك من جوهر السلوك يقذفه بحرك المعين
جعلت تنظيمه سلوكى و أنت لى المنجد المعين
تحية الواحد المجيد و رحمة الله و السلام
عليك من راحم ودود يا مخجل البدر فى التمام
و قال من الرمل المجزوء:
وجه هذا اليوم باسم و شذا الأزهار ناسم
هاتها صاح كؤوسا جالبات للسرور
و ارتقب منها شموسا طالعات فى حبور
ما ترى الروض عروسا فى حلى نور و نور
و أتت رسل النواسم تجتلى هذى النواسم
قد أهلت بالبشائر أضحكت ثغر الأزهار
سنحت فى يمن طائر و نظمن كالجواهر
فانشروها فى العشائر إن هذا الصنع باهر
و أشيعوا فى العوالم الغنى بالله سالم

أى نور يتوقّد أى بدر يتلّالا
 أى فخر يتخلّد أى غيث يتوالى
 إنما المولى محمد رحمة الله تعالى
 كفّه بحر المقاسم و بها حجّ المباسم
 خير أملاك الزمان من بنى سعد و نصر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١١٦
 ما ترى أنّ الشّوانى فى صعيد البرّ تجرى
 قد أطارتها التهاني دون بحرّى و بحر
 مذ رأّت بحر النعائم كلّها جار وعائم
 فهنيئا بالشفاء يا أمير المسلمين
 و لنا حقّ الهناء و جميع العالمين
 إن جهرنا بالدعاء ينطق الدهر أمين
 دمت محروس المكارم بظبا البيض الصوارم

[موشحة لابن زمرک يهنئ فيها السلطان موسى بن أبى عنان]

و قال يهنئ السلطان موسى ابن السلطان أبى عنان، و قد وجه إليه الغنى بالله أمّه و عياله عند تملكه المغرب من قبله:
 قد نظم الشمل أتم انتظام و لاحت الأقمار بعد المغيب
 و أضحك الروض ثغور الغمام عن مبسم الزهر البرود الشيب
 و عاود الغصن زمان الصبا و أشرب الأنس جميع النفوس
 و عمم الثور رؤوس الرّبا و جلل الثور وجوه الشموس
 و أطرب الغصن نسيم الصبا فالدوح للشكر تحطّ الرءوس
 و استقبل البدر لىالى التمام و صافح الصبح بكفّ خضيب
 و راجع الأطيّار سجع الحمام بكلّ ذى لحن بديع غريب
 نواسم الوادى بمسك تفوح و نفحة اللدّ به تعقب
 و بهجه السكان فيه تلوح و جوّه من نوره يشرق
 و عرفه بالطيب منه يفوح كأنه من عنبر يفتق
 و النهر قد سلّ كمثل الحسام حبابه تطفو و طورا تغيب
 و ثغره قد راق منه ابتسام يهنئ الحبّ بقرب الحبيب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١١٧
 كواكب أبراجهن الخدور يلوح منها كلّ بدر لياح
 جواهر أصدافهنّ القصور نظمها السعد كنظم الوشاح
 يا حبّذا و الله ركب السرور يبشّر المولى بنيل اقتراح
 ابتهج الكون بموسى الإمام و اختال فى برد الشباب القشيب

و عاده يخدم مثل الغلام شبابه قد عاد بعد المشيب
أكرم به و الله وفد الكريم مولى سنا «الحره» فى مقدمه
مرضاتها تحظى بدار النعيم و توجب التوفيق من منعمه
بشره النصر و فتح جسيم و خيره أجمع فى مقدمه
لقاؤها المبرور مسك الختام بشرك الله بصنع عجيب
و قصر ك الميمون قصر السلام خطّ بحفظ من سميع مجيب
مولاي، يهنيك و حقّ الهنا قد نظم الشمل كنظم السعود
قد فزت بالفخر و نيل المنى و أنجز السعد جميع الوعود
و قرت العين و زال العنا و كلما مر صنيع يعود
و لا يزل ملكك حلف الدوام يحوز فى التخليد أو فى نصيب
يتلو عليك الدهر بعد السلام نصر من الله و فتح قريب
[سورة الصف، الآية: ١٣]

[موشحة لابن زمر ك أخرى فى وصف غرناطة]

و قال رحمه الله تعالى فى وصف غرناطة و الطرد و غيرهما:
لله ما أجمل روض الشباب من قبل أن يفتح زهر المشيب
فى عهده أدرت كأس الرضاب حبابها الدرّ بثغر الحبيب
من كلّ من يخجل بدر التمام إذا تبدى وجهه للعيون
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١١٨
و يفضح الغصن بلين القوام و أين منه لين قدّ الغصون
و لحظه يمضى مضى الحسام و يذهل العقل بسحر الجفون
أبصرت منه إذ يحطّ النّقاب شمسا و لكن ما لها من مغيب
إذا تجلّت بعد طول ارتقاب صرفت عنها اللحظ خوف الرقيب
من عاذرى منه فؤادا صبا للامع البرق و خفق الرياح
يطير إن هبّ نسيم الصّبا تعيره الريح خفوق الرياح
ما أولع الصّب بعهد الصّبا و هل على من قد صبا من جناح
فقلبه من شوقه فى التهاب قد أحرق الأكباد منه الوجيب
و الجفن منه سحبه فى انسكاب قد روض الخدّ بدمع سكيب
غرناطة ربع الهوى و المنى و قربها السؤل و نيل الوطر
و طيها بالوصل لو أمكنا لم أقطع الليل بطول السهر
عمّا قريب حقّ فيها الهنا ييمن ذى العوده بعد السّفر
و يحمد الناس نجاح الإياب بكلّ صنع مستجدّ غريب
و يكتب الفال على كلّ باب نصر من الله و فتح قريب

[سورة الصف، الآية: ١٣]

ما لذّة الأملاك إلّا القنص لأنه الفال بصيد العدا
 كم شارد جرّع فيه الغصص و أورد المحروب ورد الردى
 و كم بدا الفحص لنا من حصص قد جمع البأس بها و الندى
 و منها بعد أبيات من الوزن و الروى:
 مولاي مولاي، و أنت الذى جدّدت للأملاك عهد الجلال
 و الشمس و البدر من العود لما رأت منك بديع الجمال
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١١٩
 و الروض فى نعمته يفتدى بطيب ما قد حزته من خلال
 بشراك بشراك بحسن المآب تستضحك الروض بثغر شبيب
 و دمت محروس العلا و الجناب بعصمة الله السميع المجيب
 انتهى ما انتقيته من كلام ابن زمرك من كتاب ابن الأحمر، رحمه الله تعالى. و قد عرفت منه ما تستنى للغنى بالله بن الأحمر من
 الفتوحات و السعود و نفاذ الأمر على ملوك المغرب، فهو الأحقّ بقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى: [الكامل]
 ملكك إذا عانيت منه جبينه فارقته و النور فوق جبينى
 و إذا لثمت يمينه و خرجت من أبوابه لثم الملوك يمينى
 و كان الغنى بالله المذكور معتقدا فى الصالحين، حتى إنه كتب و هو بفاس مخلوع إلى ضريح ولى الله سيدى أبى العباس السبتي
 بمراكش، و من إنشاء وزيره لسان الدين على لسانه:

[الخفيف]

يا ولىّ الإله أنت مطاع

الأبيات و النثر بعدها، و قد ذكرتهما فى الباب الخامس فراجع، و كان ذلك بفضل الله تعالى عنوان رجوعه إلى ملكه، و نظم تلك
 الأماكن فى سلّكه، حتى حصل له من السعد ما لم يحصل لغيره حسبما يعلم ذلك من كلام لسان الدين و ابن زمرك و غيرهما.

[ترجمة أبى العباس أحمد بن جعفر، السبتي، الخزرجي، و ذكر بعض أحواله]

و السبتي المذكور: هو سيدى أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي الخزرجي، الولي الصالح العالم العارف بالله، القطب، ذو الكرامات
 الشهيرة، و المناقب الكثيرة، و الأحوال الباهرة، و الفضائل الظاهرة، و الأخلاق الطاهرة، نزيل مراكش، و بها توفى سنة إحدى و ستمائة،
 و ولادته بسبته عام أربعة و عشرين و خمسمائة، و دفن خارج مراكش، و قبره مشهور مقصود بإجابة الدعاء، و قد زرته مرارا كثيرة،
 فرأيت عليه من ازدحام الناس ما لا يوصف، و هو ترياق مجرّب.

قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى: كان سيدى أبو العباس السبتي -رضى الله عنه!- مقصودا فى حياته، مستغاثا به فى
 الأزمات، و حاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٢٠

و مبنى أمره على انفعال العالم عن الوجود، و كونه حكمة فى تأثير الوجود، له فى ذلك أخبار ذائعة و أمثال باهرة؛ و لما توفى ظهر
 هذا الأثر على تربته، و تشبّث بلحده، و انسحب على مكانه عادة حياته، و وقع الإجماع على تسليم هذه الدعوى، و تخطى الناس
 مباشرة قبره بالصدقة إلى بعثها له من أماكنهم على بعد المدى، و انقطاع الأماكن القصوى، تحملهم أجنحة نياتهم فتهدى إليه

بمقاصدهم من كل فج عميق، فيجدون الثمرة المعروفة و الكرامة المشهورة.

وقال ابن الزيات: كان أبو العباس قد أعطى بسطة في اللسان، و قدرة على الكلام، لا يناظره أحد إلا أفحمه، و لا يسأله إلا أجابه، كأن القرآن و الحجج على طرف لسانه حاضرة، يأخذ بمجامع القلوب، و يسحر العامة و الخاصة ببيانه، يأتيه المنكرون للإنكار فما ينصرفون إلا مسلمين متقادين، و شأنه كله عجيب، و هو من عجائب الزمان.

و حدثني مشايخنا أنهم سمعوه يقول: أنا القطب.

و حدثني أبو الحسن الصنهاجي من خواص خدامه قال: خرجت معه مرة لصهرج غابة الرمان يوم عرفه، فجلسنا هناك و صلينا، فقال لي: إنما سمي هذا اليوم يوم عرفه؛ لانتشار الرحمة فيه لمن تعرّف إليه بالطاعات، و قد فاتنا عرفه، فتعال نمثل بهذا المكان و نعمل كما يعملون، لعل الله تعالى يتغمدنا برحمته معهم، فعمل مكانا دائرا بعين الكعبة، و محلّ عنصر الماء الحجر، و موضعا آخر مقام إبراهيم، فطاف بالعين أسبوعا و أنا أطوف بطوافه، و كبر على العنصر في كل طواف، و صلّى قبل المقام ركعتين تامتين، و أطال في سجود الثانية، ثم استند إلى الشجرة ثم قال لي: يا عليّ، اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تقض، فإن الله تعالى وعد في هذا اليوم من تعرّف له أن يقضى حوائجه، فقلت له: ما أريد إلا التوفيق، فقال لي: ما خرجت معك من باب المدينة حتى وفقت، فسألته عن حاله من بدايته إلى نهايته، و بم تنفعل له الأشياء و يستجاب له الدعاء؟ و لم صار يأمر بالصدقة و الإيثار من شكا إليه حالا أو

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٢١

تعدّر عليه مطلب في هذه الدار؟ فقال لي: ما أمر الناس إلا بما ينتفعون به، و إنى لمتا قرأت القرآن و قعدت بين يدي الشيخ أبي عبد الله الفخار تلميذ القاضي عياض و نظرت في كتب الأحكام و بلغت من السنّ عشرين سنة و وجدت قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ [سورة النحل، الآية: ٩٠] فتدبرته و قلت: أنا مطلوب، فلم أزل أبحث عنها إلى أن وقفت على أنها نزلت حين آخى النبي صلى الله عليه و سلم بين المهاجرين و الأنصار، و أنهم سألوا النبي صلى الله عليه و سلم أن يعلمهم حكم المواخاة، فأمرهم بالمشاطرة، ففهمت أن العدل المأمور به في الآية هو المشاطرة، ثم نظرت إلى حديث «تفرق أمتي على ثلاثين فرقة - الحديث» و أنه صلى الله عليه و سلم قاله صبيحة اليوم الذي آخى فيه بين المهاجرين و الأنصار، و ذكر له الأنصار أنهم شاطروا المهاجرين، فقال لهم ذلك بأثره، فعلمت أن الذي هو عليه و أصحابه المشاطرة و الإيثار، فعقدت مع الله تعالى نية أن لا يأتيني شيء إلا شاطرت فيه الفقراء، فعملت عليه عشرين سنة، فأثمر لي الحكم بالخاطر، فلا أحكم على خاطري بشيء إلا صدق، فلما أكملت أربعين سنة راجعت تدبر الآية فوجدت الشطر هو العدل، و الإحسان ما زاد عليه، فعقدت مع الله تعالى نية لا يأتيني قليل و لا كثير إلا أمسكت ثلثه و صرفت الثلثين لله تعالى، فعملت عليه عشرين سنة، فأثمر لي الحكم في الخلق بالولايه و العزل فأولى من شئت، و أعزل من شئت، ثم نظرت بعد ذلك في أول ما فرضه الله تعالى على عباده في مقام الإحسان، فوجدت شكر النعمة، بدليل إخراج الفطرة عن المولود قبل أن يفهم، و وجدت أصناف من تصرف إليهم الصدقات الواجبة سبعة و سبعة أصناف أخر أصرفها فيها للإحسان و الزيادة، و ذلك أن لنفسك عليك حقًا، و للزوجة حقًا، و للرحم حقًا، و لليتيم حقًا، و للضيف حقًا، و ذكر صنفين آخرين، فانتقلت لهذه الدرجة، و عقدت مع الله تعالى عقدا أن كل ما يأتيني أمسك سبعة حق النفس و حق الزوجة و أصرف الخمسة أسباع لمستحقّيها، فأقمت عليه أربعة عشر عاما، فأثمر لي الحكم في السماء، فمتى قلت «يا رب» قال لي: لبيك، ثم قال لي: إنها نهايتي بتمام عمري، و هو أن تنقضى لي ستة أعوام تكمله العشرين عاما.

قال الصنهاجي: فأرخت ذلك اليوم، فلما مات و حضرت جنازته تذكرت التاريخ المكتوب، و حققت العدد، فنقصت من ستة أعوام ثلاثة أيام خاصة، فيحتمل أن تكون من الشهور الناقصة، و الله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٢٢

و قال أبو بكر بن مساعد: جاء بعض السلاطين إلى أبي العباس و هو راكب، و قال له:

إلى متى تحبنا ولا تصرح لنا عن الطريق؟ فقال له: هو الإحسان، فقال له: بين لي، فقال له: كل ما أردت أن يفعله الله تعالى معك فافعله مع عبده.

وقال له أبو الحسن الخباز: أما ترى ما فيه الناس من القحط والغلاء؟ فقال: إنما حبس المطر لبخلهم، فلو تصدقوا لمطروا، فقل لأصحابك الفلاحين: تصدقوا بمثل ما أنفقتم مطروا، فقال له: لا يصدقني أحد، ولكن مرني في خاصة نفسي، فقال له: تصدق بمثل ما أنفق، فقال له: إن الله تعالى لا يعامل بالدين، ولكن أستسلف، فاحتال وصدق بها كما أمره، قال: فخرجت إلى البحيرة التي عمرتها والشمس شديدة الحر، فأيست من المطر، ورأيت جميع ما غرست مشرفا على الهلاك، فأقمت ساعة فإذا سحابة أمطرت البحيرة حتى رويت، وظننت أن الدنيا كلها مطرت، فخرجت فإذا المطر لم يتجاوزها؛ انتهى.

والحكايات عنه في مثل ذلك كثيرة.

وقال ابن الخطيب القسطيني في رحلته: حضرت عند الحاج الصالح الورع الزاهد أبي العباس أحمد بن عاشر بمدينة سلا، وقد سأله بعض الفقهاء عن كرامة الأولياء، فقال له: لا تنقطع بالموت الكرامة، انظر إلى السبتى، يشير إلى الشيخ الفقيه العالم المحقق أبي العباس السبتى المدفون بمراكش، وما ظهر عند قبره من البركات في قضاء الحاجات بعقب الصدقات، سمعت يهوديا بمراكش يلجأ لذكره وينادي باسمه في أمر أصابه مع المسلمين، فسألته عن سببه، فأخبر أنه وجد بركته في غير موطن، فسألته عما بدا له في وقت، فقال لي: وحق ما أنزل على موسى بن عمران ما أذكر لك إلّا ما اتفق لي، سررت ليله مع قافلة في مفازة، فخرجت دابتي، فما شككت في قتلي و سلب مالي، فجلست و بكيت، و بيني و بين الناس بعد، و قلت: يا سيدي أبا العباس، خاطر كك، قال لي: و الله ما أتممت الكلام إلّا و أهل القافلة أصابهم سبب وقفوا به، و ضربت دابتي، و خفّ عرجها، ثم زال، و اتصلت بالناس، فقلت له: لم لم تسلم؟ فقال: حتى يريد الله تعالى، و عجت من كون ذلك من يهودي، و هذه شهادة من عدوّ في الدين.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٢٣

و لقد وقفت على قبره مرات، و سألت الله تعالى في أشياء يسيّر لي فيها سؤلي: منها أن أكون ممن يشتغل بالعلم و يوصف به، و أن يسيّر عليّ فهم كتب عينتها، فيسرّ الله تعالى عليّ ذلك في أقرب مدة.

و كان السبتى آية في أحواله، ما أدرك صحبته إلّا الخواص من الناس، و كان أصل مذهبه الحضّ على الصدقة، و كان أمره عجبا في إجابة الدعاء بنزول المطر، و اختصاصه بمكان دون آخر، و قال لأصحابه: أنا القطب، و كان تفقه على أبي عبد الله الفخار، و وقفت على قبره، و له بركات و أنوار.

و كان السبتى آية في المناظرة، و أودى باللسان كثيرا جدا فصفح و تجاوز.

و رأى عبد الرحمن بن يوسف الحسن بن النبي صلى الله عليه و سلم في النوم، فقال له: يا رسول الله، ما تقول في السبتى؟ قال: و كنت سييء الاعتقاد فيه، فقال لي بعد أن تبسم: هو من السبّاق، قال: فقلت بين لي يا رسول الله، فقال: هو ممن يمرّ على الصراط كالبرق، قال: فخرجت بعد الصبح، فلقيني أبو العباس، فقال لي: ما رأيت و ما سمعت؟ و الله لا تركتك حتى تعرفني، فعرفته، فصاح: كلمة الصفا من المصطفى صلى الله عليه و سلم؛ انتهى ببعض اختصار.

و قال ابن الزيات: و حدّثني أبو العباس الصنهاجي و غيره أن رجلا يعرف بابن الشكاك، و كان غتيا فدار عليه الزمان و افتقر، حدّث أنه وصل لأبي العباس السبتى، و عليه ثوب خلق تظهر منه عورته، فشكا إليه حالته، فأخذ بيده إلى أن خرج معه من باب تاغزوت، فجاء إلى مطهرة هنالك، قال: فدخل أبو العباس المطهرة و تجرّد من أثوابه و ناداني، و قال لي: خذ هذه الثياب، فأخذتها، و كان بعد العصر، فأردت أن أرى ما يكون من أمره، فصعدت إلى حائط هناك إلى قرب المغرب، فإذا بفتي خرج من الباب على دابة معه رزمة ثياب، فلما رأته نزلت إليه، فقال لي: أين الفقيه أبو العباس؟ فقلت: ها هو في الساقية عريان، فقال لي: أمسك الدابة، فسمعت الفقيه يقول له: أين تلك الثياب؟ فأخذها منه، و خرج، فلما رأني قال لي: و ما لك هنا؟ قلت: يا سيدي، خفت عليك، فلم أقدر على

الانصراف و أتركك، فقال لى: أفترى الذى فعلت ما فعلت له يتركنى؟ ثم سألت الفتى عن سبب وصوله إليه، فذكر له أن إحدى الكرائم أمرته أن يحمل إليه تلك الثياب، وقالت له: لا تدفعها إلّا للفقير، و لا يلبسها إلّا هو، و هذه قصّة صحيحة مشهورة.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٢٤

و قال ابن الخطيب: و روضته بباب تاغزوت أحد أبواب مراکش غير حافلة البناء، ربما يتبرّع متبرّع باحتفالها فلا تساعده الأقدار، و زرتها، فرأيت فى داخلها أشياخا من أهل التعفّف و التصوّف يسارقون خفية الناظر إلى مساقط رحمات الله تعالى عليها لكثرة زائريها، فيقتحم ذو الحاجة بابها خالعا نعله مستحضرا تيبته و يقعد بإزاء القبر و يخاطبه بحاجته، و يعين بين يدي النجوى صدقة على قبره، و يدسّها فى أوانى فى القبر معدّة لذلك، و من عجز عن التقدين تصدّق بالطعام و نحوه، فإذا خفّ الزائرون آخر النهار عمد القائم إلى التربة إلى ما أودع هناك فى تلك الأوانى و فرقه على المحاويج الحافين بالروضة، و يحصون كلّ عشيّة، و يعمّمهم الرزق المودع فيها، و إن قصر عنهم كملوه فى غده.

قال ابن الخطيب لسان الدين: و ترفع خدام الروضة لقاضى البلد، و تخاصموا فى أمر ذلك الرزق المودع هناك، فسألهم القاضى عن خروجه اليوم، فقالوا: يحصل فى هذه الأيام فى اليوم الواحد ثمانمائة مثقال ذهبنا عينا، و ربما وصل فى بعض الأيام لألف دينار فما فوقها، فروضة هذا الولي ديوان الله تعالى فى المغرب لا- يحصى دخله و لا- تحصر جبايته، فالتبر يفرض، و اللجين يسيل، و ذوو الحاجات كالطير تغدو خماسا و ترجع بطانا، يختصّ برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

و قال: و أنا ممّن جرّب المنقول عن القبر، فأطرد القياس، و تزيّفت الشبهة، و تعرفت من بدء زيارته ما تحققت من بركته، و شهد على برهان دعوته؛ انتهى.

و قال الشيخ أبو الحجاج يوسف التادلى فى كتابه «التشوّف»، إلى رجال التصوّف: كان أبو العباس جميل الصورة، أبيض اللون، حسن الثياب، فصيح اللسان، مقتدرا على الكلام، حلّما، صبورا، يحسن إلى من يؤذيه، و يحلم على من يسفه عليه، رحيمًا عطوفا محسنا إلى اليتامى و الأرمال، يجلس حيث أمكنه الجلوس من الطرق و السوق، و يحضّ على الصدقة، و يذكر فى فضلها آيات و أحاديث، و يأخذها و يفرقها على المساكين، و يرد أصول الشرع إلى الصدقة، و يفسرّها بها، و يقول: معنى قول المصلّى «الله أكبر» أى: من أن نضنّ عليه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٢٥

بشيء، فمن رأى شيئا من متاع الدنيا فى نفسه أكبر فلم يحرم و لا كبر، و معنى رفع اليدين للتكبير: تخليت من كلّ شيء لا قليلا و لا كثيرا، و هكذا يتكلّم بنحو هذا فى جميع العبادات، و يقول: سرّ الصوم أن تجوع، فإذا جعت تذكّرت الجائع، و ما يقاسيه من نار الجوع، فتصدّق عليه، فمن صام و لم يعطف على الجائع فكأنه لم يصم، إلى غير ذلك من كلامه فى مثل هذا. و كان إذا أتاه امرؤ يأمره بالصدقة، و يقول له: تصدّق، و يتفق لك ما تريده، و أخباره فى ذلك كثيرة عجيبة.

قال التادلى: و حدّثنى ولده الفقيه أبو عبد الله عن أبيه أنه قال: كان ابتداء أمرى و أنا صغير أنى سمعت كلام الناس فى التوكل، ففكّرت فى دقيقه فرأيت أنه لا يصحّ إلّا بترك شيء، و لم يكن عندى منه بدّ، فتركت الأسباب، و أطرحت العلائق، و لم تتعلّق نفسى بمخلوق، فخرجت سائحا متوكّلا، و سرت نهارى كلّ، فأجهدنى الجوع و التعب، و قد نشأت فى رفاهىة من العيش، و ما مشيت قطّ على قدمى، فبلغت قرية فيها مسجد، فتوضّأت و دخلت المسجد فصليت المغرب ثم العشاء، و خرج الناس، فقامت لأصلّى، فلم أقدر من شدّة الجوع و التألم بالمشى، فصليت ركعتين، و جلست أقرأ القرآن إلى أن مضى جزء من الليل، فإذا قارع يقرع الباب بعنف، فاستجاب له صاحب الدار، فقال له: هل رأيت بقرتى؟ فقال: لا، فقال:

إنها ضلّت، و قد أكثر عجلها من الحنين فطلبها فلم نجدها فى القرية، فقال أحدهم: لعلّها فى المسجد وقت العتمة، ففتحوا باب المسجد و دخلوا فوجدونى، فقال صاحب البقرة: ما أظنّك أكلت الليلة شيئا، فذهب و جاءنى بكسرة خبز و قدح لبن، ثم ذهب ليأتينى بالماء

فوجد بقبرته في داخل الدار، فخرج لجيرانه وقال لهم: ما زالت البقرة من الدار، و ما كان خروجي إلا لهذا الفتى الجائع في المسجد، ثم رغبني أن أمشي معه لمنزله، فأبيت.

و كان من أول أمره يسكن في الفندق و يعلم الحساب و النحو و يأخذ الأجرة على ذلك، و ينفقها على طلبة العلم الغرباء، و يمشى في الأسواق، و يذكر الناس، و يضربهم على ترك الصلاة، و يأتي بالطعام على رأسه.

و بات ليلة عند الطلبة فارتفعت أصواتهم بالمذاكرة، فإذا بالحرس قد قرعوا باب الفندق، فقام إليهم القيم بخدمته، فقالوا له: ما تعلمون أن من رفع صوته بالليل يقتل؟ ثم قعد اثنان من

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٢٦

الحرس على باب الفندق ليحملونا إذا طلع الفجر للقصر، فجاء القيم فأخبرنا فأدر كنا خوف عظيم، و أيقنا بالهلاك، فأخذ أبو العباس في الضحك و لا يبالي، ثم خلا بنفسه عند السحر ساعة ثم قال لنا: لا خوف عليكم، قد استوهبتكم من الله تعالى، و هذان الحرسيان الواقفان غدا يقتلان إن شاء الله تعالى، فقبل له: الجزاء عندك على الأفعال من الخير و الشر، و هما لم يفعلوا ما يوجب قتلهما، بل جزاؤهما يرؤعان كما رؤعاننا، فقال: العلماء ورثة الأنبياء، و ترويعكم عظيم لا يقابله منكم إلا القتل، فما زلنا نعارضه في ذلك حتى قال: عقوبتهما أن يضرب كل واحد منهما مائة سوط، ثم اجتاز عبد الله الخزاز صاحب الوقت بالجامع الأعظم، فوجد تابوته مفتوحا، و رأى الحرسيين على قرب، فلم يشك أنها حلأه، فحملا إلى رحبة القصر قبل طلوع الفجر، فقال لنا أبو العباس: احضروا على ضربهما كما أراد قتلكم، فتبعناهما، و حضرنا حتى ضرب كل واحد مائة سوط. و كراماته و مناقبه كثيرة لا تحصى.

و كان يقول: أصل الخير في الدنيا و الآخرة الإحسان، و أصل الشر فيهما البخل، قال الله تعالى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى [سورة الليل، الآية: ٥] الآية و قال عن إبليس ثُمَّ لَأَيَّبْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ [سورة الأعراف، الآية: ١٧] الآية و قال وَ مِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ [سورة التوبة، الآية: ٧٥] الآية و قال وَ يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [سورة الحشر، الآية: ٩] و قال إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ [سورة القلم، الآية: ١٧] و قال وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ [سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

و قال لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ [سورة البقرة، الآية: ١٧٧] و قال إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٢] الآية فهذه الأمانة هي الرزق، فأعطت السماوات ما فيها من الماء و هو المطر، و الأرض ما فيها من الماء النازل من الجبال، و الجبال ما فيها كذلك، و أنبت الأرض و أبت إمساكها، فحزن الإنسان جميعها عنده و منع المساكين إنه كان ظلوما جهولا، و في الحديث «هم الأقلون و رب الكعبة، إلا من قال هكذا و هكذا- الحديث» و لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون و قومه دعا عليهم موسى بالبخل، فقال رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ [سورة يونس، الآية: ٨٨] إلى قوله: دَعَوْتُكُمْ [سورة يونس، الآية: ٨٩] و كان رضى الله عنه في آخر عمره كثيرا ما يقرأ هذه الآية أقرأت الذي تولى [سورة النجم، الآية: ٣٣] إلى قوله:

سَوْفَ يُرَى [سورة النجم، الآية: ٤٠] و كان يقول: من قال إن الله تعالى لا يجازى على الصدقات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٢٧

فقد وافق اليهود على الفرية على الله تعالى لأنهم قالوا يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ [سورة المائدة، الآية: ٦٤] أى لا- يجازى على الصدقات، قال الله تعالى غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ إلى آخره أى يجازى على العطاء كيف شاء. و كان يقول في قوله تعالى وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ [سورة التوبة، الآية: ٣٤] الآية. إنما كويت هذه المواضع لأن الغنى يعرض عن المسكين بوجهه، ثم بجنبه، ثم بظهره، فعوقبت هذه المواضع بالكى بالنار لإعراضه عن الفقير، و منازعه رحمه الله تعالى في أمثال هذا كثيرة؛ انتهى ملخصا.

و حدث أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يعمور أنه دخل صحبة الشيخ سيدي أبي العباس السبتي إلى الأمير السيد أبي سعيد عثمان يعوده، فقال له: ادع الله تعالى لى أيها الشيخ، فقال له: ارجع إلى الله تعالى حق الرجوع بحيث تتحقق أنه الممرض و المعافى، و اخرج عن

بعض ما عندك من فضول الدنيا لأبناء الجنس، لتكون ممن وقى شخ نفسه، فحينئذ يحصل لك ما ترجوه من الدعاء، ثم التفت إلى الحاضرين و قال: في المرض فوائد لا ينبغي أن تجهل:

الأولى معرفة قدر العافية، الثانية تمحيص بعض الذنوب، الثالثة توقّع الثواب، الرابعة تنقية الجسم من فضول الأخلاط، الخامسة كثرة ذكر الله تعالى و التضرع إليه، السادسة حدوث الرقة و الشفقة، السابعة - و هي العظمى - الصدقة و الخروج عن رذيلة البخل؛ انتهى.

و حدث الكاتب أبو القاسم بن رضوان عن أبي بكر بن منظور عن بعض أعيان مراكش أنه توفي و أوصى ابنا له كان من أهل البطالة أن يعمد إلى ألف دينار من متخلفه، فیدفعها للشيخ سيدي أبي العباس السبتي، ففعل، و قال للشيخ: إن أبي توفي و أوصاني أن أدفع إليك هذه الألف دينار تضعها حيث شئت، فقال له الشيخ: قد قبلتها و صرفتها إليك، فقال له: يا سيدي، و ما تأمرني أن أفعل بها؟ قال: خذها، قال: فانصرفت من عنده و سؤت ظنًا بقوله، ثم قلت:

و أنا أنفق مثل ذلك على عادتني في الوجه الذي يلد لي، فلأفعلن بها ما أفعل بغيرها، فأخذتها في محفظه، و خرجت ألتمس الزني، فإذا امرأة على دابة و غلام يقودها، فأشرت إلى الغلام، فقال لي: نعم، و اتبعني إلى بستان لي، فنزلت المرأة، فأدخلتها إلى قبه كانت في البستان، و أخذ الغلام الدابة و صار ناحيه، و قال: أغلق الباب، ففعلت، ثم أقبلت إلى القبه فإذا المرأة تبكي بكاء شديدا حتى طال بكاءها، و بكيت لبكائها، فقلت لها: ما شأنك؟ فقالت: افعل ما دعوتني لأجله، ودع عنك هذا، و نحيبها يزيد، فقلت لها: إن المعنى الذي دعوتك لأجله لا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٢٨

يصلح مع البكاء، بل مع الأفس و انشراح الصدر و زوال الانقباض و رفع الخجل، فقالت: نترك البكاء و نرجع للأفس على ما تحب و يوفى غرضك، فقلت: لا، حتى أعلم سبب بكائك، و ألححت عليها، فقالت: أتعرف حاجب الملك الذي سجنه؟ قلت: نعم، قالت: فأنا أبنته، و لم يبق له أحد غيري، و قد سجنه الملك و أخذ أمواله، فما زلت أبيع ما ترك أبي و أنفقه عليه، حتى لم يبق بيدي شيء، فلما أعتيتي الحيلة فيما أنفقه ألجأت نفسي و وقفت هذا الموقف و أنا بكر ما رأى لي أحد وجهًا قط، فرميت لها بالألف دينار و قلت لها: و الله لا قربت منك على هذا الوجه أبدا، فأنفقى الدنانير على والدك إلى أن تنفد، و ابعتي لي غلامك أعلمه بمنزلي، و لازمي دارك، و استمرى على صيانتك و إلّا فضحتك، و تريني و الله لا أزال أبيع أملاكى و أنفقها على والدك حتى أموت أو يفنى كل ما أملكه، ثم خرجت ألتمس الغلام و إذا بجماعه يطلبون البنت، و قالوا: إن الملك رضى عن والدها، و ردّ عليه ضياعه و أملاكه، و وصله بعشرة آلاف دينار، و قعد يلمس بنته فلم توجد، فسقط في يد الغلام الذي كان مع الدابة، و ظنّ أنّ الأمر على ما جرى بيني و بين البنت، فبادرته و قلت له: لا عليك، فتجاهل في خبرها حتى ينصرفوا، و دخلت إلى البنت و قلت لها: إن الملك قد رضى عن والدك، و ردّ عليه ماله، و وصله، فسيري إلى دارك، فركبت دابتها و انصرفت، فدخلت على والدها فقال لها: أين كنت؟ و ما الذي أخرجك من دارك؟ و همّ بها، فقالت له: أخرج عنى كل من فى الدار، ففعل، فأخبرته أمرها مع الشاب من أوله إلى آخره، و رمت إليه بالألف دينار، و قالت له: هذا الذى أعطاني لأنفق عليك، فقال أبوها: هذا و الله هو الكبريت الأحمر، و الله لو كان أبوه كنافا ما أنفت أن أزوجك منه، فوجه العبد الذى كان معها إلى الشاب، و قال له: إن سيدي يدعوك، قال:

فخفت أن يوضع عنده الأمر على غير وجهه، ثم أقدمت إقدام من علم براءة نفسه، فدخلت عليه، فقام إليّ و عانقني، و قد عرف لي مقامي، و قال: أما الآن و أنت من أعيان الناس فقد قرّت بك عيني، و قال: و الله لو كان أبوك كنافا ما أنفت لبنتي أن أزوجك منها، فما قام من المجلس حتى وجه إلى العدول و أشهد على نفسه بأنه زوج ابنته فلانة من هذا الشاب، و نقدها عنه الشطر الأول من العشرة آلاف دينار التى وصله بها الملك و أجلّ لها عنه الشطر الثانى، و أهدي لها من الحلّى كذا و كذا، و من الثياب كذا و كذا، حتى أتى على أكثر أملاكه حتى أنفقها على ذلك، فحصل من إشارة الشيخ السبتي - رضى الله عنه! - فى تلك الألف دينار على

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٢٩

أضعاف مضاعفة من الأموال، و ظفر بينت حاجب الملك؛ انتهى.

[رجع إلى ترجمة ابن زمرك وبعض فوائده، عن الشاطبي]

رجع إلى ابن زمرك رحمه الله تعالى.

قال الشاطبي في الإشارات والإفادات ما صورته: إفادة- أفادني صاحبنا الفقيه الكاتب أبو عبد الله بن زمرك إثر إيباه إلى وطنه من رحلة العدو في علم البيان فوائده أذكر منها الآن ثلاثا:

الفقه في اللغة، و هو النظر في مواقع الألفاظ و أين استعملتها العرب، و من مثل هذا الوجه «قرم» و «عام» إذا انتهى، لكن لا يستعمل «قرم» إلما مع اللحم، و لا- يستعمل «عام» إلما مع اللبن، فتقول: عمت إلى اللبن، و كذلك قولهم: أصفر فاقع، و أحمر قان، و لا يقال بالعكس، و هذا كثير. و الثانية تحرى الألفاظ البعيدة عن طرفي الغرابية و الابتذال، فلا يستدل بالحوشى من اللغات و لا المبتذل في ألسن العامة. و الثالثة اجتناب كل صيغة تخرج الذهن عن أصل المعنى أو تشوش عليه؛ إذ المقصود الوصول في بيان المعنى إلى أقصاه، و الإتيان بما يحصله سريعا و يمكنه في الذهن، و تحرى كل صيغة تمكن المعنى و تحرض السامع على الاستماع، و أخبرني أن كتاب المغرب يحافظون في شعرهم و كتابتهم على طريقة العرب، و يذمون ما عداها من طريقة المولدين، و أنها خارجة عن الفصاحة، و هذه المعاني الثلاثة لا توجد إلّا فيها.

و ذكر من شرح بديعية الحلى من المغاربة و هو الشيخ النحوى عبيد الثعالبي في شواهد حسن الختام أن منه ختام قصيدة للكاتب البارع أبي عبد الله المعروف بابن زمرك الأندلسى مدح بها ملك المغرب عبد العزيز حين قدم عليه رسولا من صاحب الأندلس، و هو قوله:

[الطويل]

و لو أنشدت بين العذيب و بارق لقال رواة الغرب يا حَبذا الشرق
و لم يظهر لى كل الظهور دلالتة لى على حسن الختام، و لا بد، فالله سبحانه أعلم.

[موشحة لابن زمرك في مدح الرسول]

و قد أطلنا في ترجمة ابن زمرك فلنختم نظامه بموشحة له زهيرية مولديته تضمنت مدح المصطفى صلى الله عليه و سلم، و هى هذه:

لو ترجع الأيام بعد الذهاب لم تقدح الأيام ذكرى حبيب
و كل من نام بليل الشباب يوقظه الدهر بصبح المشيب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٣٠
يا راكب العجز ألا نهضة قد ضيق الدهر عليك المجال
لا تحسبن أن الصبا روضة تنام فيها تحت فيء الظلال
فالعيش نوم و الردى يقظة و المرء ما بينهما كالخيال
و العمر قد مرّ كمرّ السحاب و الملتقى بالله عمّا قريب
و أنت مخدوع بلمع السراب تحسبه ماء و لا تستريب
و الله ما الكون بما قد حوى إلّا ظلال توهم الغافلا
و عادة الظل إذا ما استوى تبصره منتقلا زائلا

إِنَّا إِلَى اللَّهِ عبيد الهوى لم نعرف الحقَّ ولا الباطلا
 فكلٌّ من يرجو سوى الله خاب و إنما الفوز لعبد منيب
 يستقبل الرّجعى بصدق المتاب و يرقب الله الشهيد الرقيب
 يا حسرتا! مَرَّ الصّبا و انقضى و أقبل الشيب يقصّ الأثر
 و اخجلتا و الرحل قد قوّضا و ما بقى فى الخبر غير الخبر
 و ليتنى لو كنت فيما مضى أدخر الزاد لطول السّفر
 قد حان من ركب التصابى إياب و رائد الرشد أطال المغيب
 يا أكمه القلب بغين الحجاب كم ذا أناديك فلا تستجيب
 «هل يحمل الزاد لدار الكريم» و المصطفى الهادى شفيح مطاع
 فجاهه ذخر الفقير العديم و حبه زادى و نعم المتاع
 و الله سماء الرؤوف الرحيم فجاره المكفول ما إن يضاع
 عسى شفيح الناس يوم الحساب و ملجأ الخلق لرفع الكرب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٣١
 يلحقتى منه قبول مجاب يشفع لى فى موبقات الذنوب
 يا مصطفى و الخلق رهن العدم و الكون لم يفتق كمام الوجود
 مزية أعطيتها فى القدم بها على كلّ نبىّ تسود
 مولدك المرقوم لَمَّا نجم أنجز للأمة وعد السعود
 ناديت لو يسمح لى بالجواب شهر ربيع يا ربيع القلوب
 أطلعت للهدى بغير احتجاب شمسا، و لكن مالها من غروب

[من تلامذة لسان الدين الطيب ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا و الأديب أبو بكر بن جزى الكلبى]

و من تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى، الطيب العالم ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا، و شرحه عليها من أبداع الشروح، و قد نقل فيه عن لسان الدين كثيرا، و اعتمد عليه فى أمور الطب، و قد طال عهدهى به الآن، و هو من الكتب المشهورة بالمغرب، و لم أره بهذه الديار المشرقية.

و من تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى: الأديب الكاتب العالم العلامة القاضى أبو بكر بن جزى الكلبى، و أبوه الشيخ أبو القاسم بن جزى شيخ لسان الدين، و بيت بنى جزى بيت كبير مشهور بالمغرب و الأندلس، و قد عرّفنا فيما سبق بالشيخ أبى القاسم و ابنه العلّامتين الناظمين الناثرين الكاتب أبى عبد الله محمد و القاضى أبى بكر المذكور، فليراجع فى الباب الثالث.

و رأيت بخطّ بعض علماء المغرب أنّ أبا بكر المذكور روى عن لسان الدين بن الخطيب- رحمه الله تعالى!- جميع تواليفه مع أنه مقاربه فى السنّ، و لكن الإنصاف فى ذلك الزمان غير معدوم، و قد عرّف به لسان الدين فى «الإحاطة» و الذى فهمت من عبارته فى «الإحاطة» أنه إن عبر بصاحبنا فلا يطلقها غالبا إلّا على تلامذته، و ربما أطلقها على غيرهم كما لا يخفى على من مارس كلامه، رحمه الله تعالى! و أتقن تاريخ أهل المغرب و الأندلس، رحم الله تعالى الجميع!.

[من تلامذة لسان الدين أبو عبد الله الشريشى]

و من تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى: مؤدّب أولاد الملوك و معلمهم القرآن و سنّة رسول الله صلى الله عليه و سلم أبو عبد الله الشريشى، و هو الذى تولّى أولاً نقل «الإحاطة» من مبيضتها، كما سبقت الإشارة إليه فى كلام حفيد السلطان ابن الأحمر، و أحكم نسخه، فكانت فى مجلّدات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٣٢

سنّه، و كان لسان الدين ألقى إليه بالمبيضات اعتماداً منه عليه، و ثقة به؛ لاشتغال لسان الدين بأمر المملّكة.

و من تلامذة لسان الدين: القاضى الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى.

قال فى «الإحاطة»: صاحبنا الفقيه الخطيب، كاتب الإنشاء بالباب السلطانى أبو محمد، نسيح وحده فى أصالة البيت و عفاف النشأة، مقصود المنزل، نبيه الصهر، معّم مخول فى الأصالة، بارع الخطّ، جيّد القريحة، سيّال المداد، نشيط البنان، جلد على العمل، خطيب ناظم ناثر، قرأ بغرناطة، و ولى الخطابة بالمسجد الأعظم و القضاء سنتين ببلده فى حدائث السنّ، ثم انتقل إلى غرناطة فجأجات به الكتابة السلطانية داخضة بالحقّ، آوته إلى هضبة أمانة مستظهرة بطل كفاية، فاستقلّ رئيساً فى غرض إعانتى و انتشالى من هفوة الكلفة على جلال الضعف و إمام المرض. ثم كشفت الخبرة منه عند الحدائث على الدولة، و إزعاجها من الأندلس عن سوءة لا توارى، و عورة لا يرتاب فى أشنوعتها و لا- يتمارى، فسبحان من علم النفس فجورها و تقواها، إذ لصق بالدهى الفاسق فكان آله انتقامه، و جارحة صيده، و أحبولة كيده، فسفك الدماء، و هتك الأستار، و مزّق الأسباب، و بدل الأرض غير الأرض، و هو يزقه فى أذنه زقوم النصيحة، و يستحله لقب الهداية، و يبلغ فى شدّ أزره إلى الغاية، عنوان عقل الفتى اختياره، يجرى فى سبيل دعوته طوالاً، أخرق يسىء السمع فىسّىء الإجابة، بدويًا قحًا جهوريًا ذاهلاً عن عواقب الدنيا و الآخرة، طرفاً فى سوء العهد و قلّة الوفاء، مردوداً فى الحافرة، منسلخاً من آية السعادة، تشهد عليه بالجهل يده، و يقيم عليه الحجج شرهه، و تبوئه هفوات الندم جهالته، ثم أسلم المحروم مصطنعه أحوج ما كان إليه، و تبرأ منه، و لحقته بعده مطالبة مالية لقى لأجلها ضغطاً، و هو الآن بحال خزى، و احتقاب تبعات، و استعداد شيتاً من نظمه و نثره حال التصنيف ليترجم به، فكتب إلى ما نصّه: [البيسط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٩، ص ١٣٢

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٣٣

يا سيّدا فاق فى مجد و فى شرف و فات سبقاً بفضل الذات و السلف و فاضلاً عن سبيل الذمّ منحرفاً و عن سبيل المعالى غير منحرف و تحفّه الزمن الآتى به فلقد ربا بما حازه منها على التحف و معدنا لنفيس الدرّ فهو لما حواه منه لدى التشبيه كالصدف و بحر علم جميع الناس مغترف منه، و نيل المعالى خير مؤتلف و سابقاً بدّ أهل العصر قاطبة فالكلّ فى ذاك منهم غير مختلف من ذا يخالف فى نار على علم أو يجحد الشمس نورا و هو غير خفى ما أنت إلّا وحيد العصر فى شيم و فى ذكاء و فى علم و فى ظرف لله من متم للمجد منتسب بالفضل متّسم، بالعلم متّصف لله من حسب عدّ و من كرم قد شاده السلف الأختيار للخلف إيه أيا من به تبأى الوزارة إذ كنت الأحقّ بها فى الذات و الشرف

يا صاحب القلم الأعلى الذى جمعت فيه المعالى فبعض البعض لم أصف
يا من يقصر وصفى فى علاه و من أنسى مديح حبيب فى أبى دلف
شرفتني عند ما استدعيت من نظمي نظما تدونه فى أبداع الصحف
و ربما راق ثغر فى تبسمه حتى إذا ناله إمام مرتشف
أجل قدرك أن ترضى لمنتجع بسوء كيلته حظا مع الحشف
هذا، و لو أننى فيما أتيت به نافحت بالطيب زهر الروضة الأنف
لكنت أفضى إلى التقصير من خجل إذ لست بالبعض مما تستحق أفى
فحسبى العجز عما قد أشرت به فالعجز حتما قصارى كل معترف
لكن أجبث إلى المطلوب ممتثلا و إن غدوت بمرمى القوم كالهدف
فانظر إليها بعين الصفح عن زلل و اجعل تصفحها من جملة الكلف
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٣٤
بقيت للدهر تطويه و تنشره تسمو من العز باسم غير منصرف

ثم ذكر نثرا، و أن مولده بوادى آش آخر عام تسعة و سبعمائة، و تولى الخطابة و الإمامة بها عام ثمانية و ثلاثين و سبعمائة، ثم ولى
القضاء بها و بأعمالها عام ثلاثة و أربعين و سبعمائة، ثم انتقل للحضرة آخر رجب عام ستة و خمسين و سبعمائة، و من شعره قوله:
[الطويل]

ألا أيها الليل البطيء الكواكب متى ينجلي صبح بليل المآرب
و حتى متى أرى النجوم مراقبا فمن طالع منها على إثر غارب
أحدث نفسى أن أرى الركب سائرا و ذنبي يقصيني بأقصى المغارب
فلا فرت من نيل الأمانى بطائل و لا قمت فى حق الحبيب بواجب
فكم حدثتني النفس أن أبلغ المنى و كم عللتني بالأمانى الكواذب
و ما قصرت بي عن زيارة قبره معاهد أنس من وصال الكواعب
و لا حب أوطان نبت بي ربوعها و لا ذكر خل حل فيها و صاحب
و لكن ذنوب أثقلتني بها أنا من الوجد قد ضاقت علي مذهبى
إليك رسول الله شوقى مجددا فيا ليتنى يمت صدر الركائب
فأعملت فى تلك الأباطح و الربا سراى مجددا بين تلك السباب
و قضيت من لثم البقيع لبانتى و جبت الفلا ما بين ماش و راكب
و رويت من ماء بزمزم غلتي فله ما أشهاه يوما لشارب
حبيبي شفيعى منتهى غايتي التى أرجى و من يرجوه ليس بخائب
محمد المختار و الحاشر الذى بأحمد حاز المجد من كل جانب
رؤوف رحيم خصنا الله باسمه و أعظم براح فى الثناء و عاقب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٣٥
رسول كريم رفع الله قدره و أعلى له قدرا رفيع الجوانب
و شرفه أصلا و فرعا و محتدا يزاحم آفاق السما بالكواكب

سراج الهدى ذو الجاه و المجد و العلا و خير الورى الهادى الكريم المناسب
هو المصطفى المختار من آل هاشم و ذو الحسب العد الرفيع المناصب
هو الأمد الأقصى، هو الملجأ الذى ينال به مرغوبه كل راغب
إمام النبیین الكرام، و إنه لكالبدر فيهم بين تلك الكواكب
بشير نذير مفضل متطول سراج منير بذكر نور الكواكب
شريف منيف باهر الفضل كامل نفيس المعالى و الحلى و المناقب
عظيم المزايا ما له من مماثل كريم السجايا ما له من مناسب
ملاذ منيع ملجأ عاصم لمن يلوذ به من بين آت و ذاهب
جليل جميل الخلق و الخلق ما له نظير، و وصف الله حجة غالب
و ناهيك من فرع نمته أصوله إلى خير مجد من لؤى بن غالب
أولى الحسب العد الرفيع جنابه بدور الدياجى أو صدور الكتاب
له معجزات ما لها من معارض و آيات صدق ما لها من مغالب
تحدى بهن الخلق شرقا و مغربا و ما ذاك عمّن حاد عنها بغائب
فدونكها كالأنجم الشهب عدة و نور سنا لا يخفى للمراقب
و إحصاؤها مهما تتبعت معوز و هل بعد نور الشمس نور لطالب
لقد شرف الله الوجود بمرسل له فى مقام الرسل أعلى المراتب
و شرف شهرا فيه مولده الذى جلا نوره الأسنى دياجى الغياهب
فشهر ربيع فى الشهور مقدّم فلا غرو أن الفخر ضربه لازب
فله منه ليلة قد تلالأت بنور شهاب يبين الأفق شاهب
ليهن أمير المسلمين بها المنى و أن نال من مولاه أسنى الرغائب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٣٦
على حين أحيها بذكر حبيبه و ذكر الكرام الطاهرين الأطايب
و ألف شملا للمحبين فيهم فسار على نهج من الرشد لاحب
فسوف يجازى عن كريم صنيعه بتخليد سلطان و حسن عواقب
و سوف يريه الله فى نصر دينه غرائب صنع فوق تلك الغرائب
فيحمى حمى الإسلام عمّن يرومه بسمر العوالى أو ببيض القواضب
و يعتزّ دين الله شرقا و مغربا بما سوف يبقى ذكره فى العجائب
إلهى ما لى بعد رحماك مطلب أراه بعين الرشد أسنى المطالب
سوى زورة القبر الشريف و إنه لموهبة فاقت جميع المواهب
عليه سلام الله ما لاح كوكب و ما رافق الأظعان حادى الركائب

و قال لسان الدين رحمه الله تعالى: و ليس لهذا الرجل انتحال لغير الشعر و الكتابه و غير هذا الشعر قران، فقل أن ينتهى هذا الشعر فى الضعة و الاستبدال إلى ما دون هذا النمط، فهو بغير ثان شعرا و شكلا و بلدا، لطف الله تعالى بنا و به! انتهى باختصار.

[من تلامذة لسان الدين الكاتب أحمد بن سليمان بن فركون]

و من تلامذة لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى الكاتب أحمد بن سليمان بن فركون، و من نظمه على لسان من يرمى بالداء العضال في فرج عبد بن زمرك الوزير بعد ابن الخطيب: [الكامل]

قالوا كلفت به غلاما حالكا فأجبتهم في فيه ما يرمى المهج
 مهما جنت بحسنه و بحبه علقت فوقى منه حرزا من سبج
 و رأيت بخط الوادى آشى ما صورته: وجدت بخط لسان الدين، و خاتمه أعلام البيان المجيد، ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى فى طرة اسم الكاتب أحمد بن سليمان بن فركون، المختص به، المتأدب بما انفرد به من انتساخ تواليف ابن الخطيب ما نصه: يسقط هذا الساقط من الديوان؛ انتهى.

و لعل لسان الدين إنما أمر بإسقاطه من «الإحاطة» لما يتهم به من معنى بيتيه السابقين، و يحتمل أن يكون لغير ذلك، و الله سبحانه و تعالى أعلم.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٣٧

الباب الثامن [من القسم الثانى] فى ذكر أولاد لسان الدين**إشارة**

فى ذكره أولاده الرافلين فى حلال الجلالة، المقتفين أوصافه الحميدة و خلاله، الوارثين العلم و العمل و الرياسة و المجد عن غير كلاله، و وصيته لهم الجامعة لأداب الدين و الدنيا، المشتملة على النصائح الكافية و الحكم الشافية من كل مرض بلا ثنيا، المنقذة من أنواع الضلالة، و ما يتبع ذلك من المناسبات القوية، و الأمداح النبوية، التى لها على حسن الختام أظهر دلاله.

[عدة أولاد لسان الدين و ترجمتهم بقلمه]

اعلم- و فقى الله تعالى و إياك لمرضاته! و جعلنا ممن يعتبر بالدهر فى معضاته!- أن أولاد لسان الدين ثلاثة: عبد الله، و محمد، و على، و كلهم حدث عن أبيه و عن ابن الجياب.

أما محمد فقد نال حظّه من التصوّف، و لم يكن له إلى خدمة الملوك تشوّف، و لم يحضرنى الآن نصّ من أنبائه أكتبه لعدم وجود الكتب التى هى مظان ذلك، إذ قد تركتها بالمغرب.

و قد سبق فيما مرّ من كلام ابن خلدون أن أولاد لسان الدين كانوا من ندماء السلطان و أهل خلوته، و أنّ عليّا كان خالصة السلطان، رحم الله تعالى الجميع!

و أما عبد الله فقد كتب بالعدوتين، لملوك الحضرتين، و تولّى القيادة و الكتابة بالأندلس أيام كان أبوه مدبر الدولة، و أكثر الناس بها كالخواصّ حوله، و لا أعلم الآن ما آل إليه أمره بعد وفاه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٣٨

أبيه، و قد ألمّ ببعض التعريف بمبدأ أحواله أبوه لسان الدين فى كتاب «الإحاطة»، فى تاريخ غرناطة، فقال فى حقّه ما ملخصه: عبد الله بن محمد بن على بن سعيد بن الخطيب التلمسانى، حسن الشكل، جيّد الفهم، يغطّى منه رماد السكون جمره حركة، منقبض عن الناس، قليل البشاشة، حسن الخطّ، وسط النظم، كتب عن الأمراء بالمغرب، و أنشدهم، و أقبض صكوكهم بالإقطاعات و الإحسان، و

اختال في خلعهم. ثم لمّا كانت الفتنة كتب عن سلطان وطنه، معزّز الخطّة بالقيادة. قرأ على قاضي الجماعة الخطيب أبي القاسم الحسنى، و الخطيب أبى سعيد فرج بن لب التغلبى، و استظهر ببعض المبادئ فى العريية، و استجيز له من أدركه ببلاده من أهل المشرق و المغرب. و شعره مترفع عن الوسط إلى الإجابة، يكمله عذر الحدائة.

[قصيدة فى مدح الرسول من شعر عبدالله بن لسان الدين]

فمنه قوله فى مولد أربعة و ستين و سبعمائة: [المتقارب]
بحقّ الهوى يا حداة الحمول قفوها قليلا بتلك الطلول
معاهد مرّت عليها السحاب ببرق خفوق و دمع همول
أحنّ إليها حنين العشار و أبكى عليها بشجو طويل
فيا سعد، عزّج عليها الركاب ففيها لقلبي شفاء الغليل
سقاها من المزن صوب الغمام و حيا يعرف النسيم العليل
و لا زال فيها يجزّ الذبول فيحيى النفوس بجزّ الذبول
لئن حلت يا ربع عن عهدنا فعهد الهوى ليس بالمستحيل
و ممّا شجانى و ميض خفوق كقلبي غداة النوى و الرحيل
و ميض إذا بلّه المزن و هنا يضىء سناه كعضب صقيل
أطار الفؤاد فؤاد المشوق و أغرى الشهاد بطرف كليل
فبتّ أطاول ليل التمام بوجد جديد و صبر محيل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٣٩
و دمع يساجل دمع الغمام و شجو الحمائم عند الهديل
فيا ليت شعرى و هل من سبيل على الوجد يوما بصبر جميل
و هل يسمح الدهر بعد العناد بجير الكسير و عزّ الذليل
و هل راجع عهدنا بالحمى على رغم دهر ظلوم جهول
فيا حسن مأوى عزاء جميل و يا طيب مأوى بظلّ ظليل
و فى ذمّة الله ركب سروا يجذّون و الليل مرخى السدول
نشاوى بكأسين كأس الهوى و كأس من الأمن مثل الشمول
يؤمّون بالعيس أمّ القرى و قبر النبى الشفيح الرسول
ديار بها الوحى وحى السما تنزل، أكرم به من نزول
بها أشرق الدين كالشمس نورا و آن من الشرك وقت الأفول
فيا حادى العيس يطوى الفلا بوخذ القلاص و نصّ الدّميل
سفائن آل طواها السرى و شقّ الحزون و قطع السهول
نشدتك بالبان بان الحمى و بالمورد العذب و السلسيل
إذا ما حللت لدى طيبة و جئت محلّ الرضا و القبول
و قبرا ثوى فيه خير الورى و بشرى الكلیم و فخر الخليل

فأبلغ تحية صب مشوق عدته عوادي الزمان الخدول
و قل يا رسول الهدى و الشفيح إذا ضاق صدر أب عن سليل
عليك الصلاة و طيب السلام يحييك عند الضحى و الأصيل
نبي كريم رؤوف رحيم بنص الكتاب و حكم العقول
إمام الهدى المجتبي المصطفى بأزكى شهيد و أهدي دليل
به يظهر الله دين الهدى و علم كيف سواء السبيل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٤٠
و قام بأعباء دين الإله أتم القيام بفعل و قيل
فأكرم بليلة ميلاده على كل وقت و عصر و جيل
لك الله من ليلة فضلها يجز على النجم فضل الذبول
و أيد بالنصر مولى أقام مواسمها فعل برّ و صول
أعاد بها الليل مثل النهار بوجه كريم و فعل جميل
و أبدى الرضا نحوها و القبول و أكرم به من حفى كفيل
سمى النبي الكريم الرسول و سيف الإله العليّ الجليل
محمد المرتجى المستجار مبيد العدا و منيل الجزيل
من نفر الغرّ أسد الكفاح و أهل السماح عشى النزول
تراهم لدى السلم أطواد حلم و يوم الكريهة آساد غيل
مبيد العدا، و محيي العفاة و مأوى الغريب، و مدني الدخيل
فبأس حكي النار عند احتدام وجود حكي السحب عند الهمول
فيصلي عداه لدى الحرب نارا و يروي نداه زمان المحول
إذا قلت البيض يوم الوغى فلست ترى عزمه ذا فلول
مليك كفيل لمن يرتجيه بكل مرام بعيد و سول
و فرع كريم حميد الخلال نماه إلى المجد طيب الأصول
فدام لنا ما سرى في الرياض نسيم الصبا و مهب القبول
و حن مشوق لأرض الحجاز إذا لاح إيماض برق كليل

[و منه قصيدة يمدح بها السلطان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر]

و قال يمدح السلطان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر من مدينة فاس: [الطويل]
لمن طلل بالزقمتين محيل عفت دمتيه شمأل و قبول
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٤١
يلوح كباقي الوشم غيره البلى و جادت عليه السحب و هي همول
فيا سعد، مهلا بالركاب لعلنا نسائل ربعا فالمحبّ سؤل
قف العيس نظر نظرة تذهب الأسي و يشفى بها بين الضلوع غليل

و عرّج على الوادى المقدس بالحمى فطاب لديه مربع و مقيل
 فيا حبذا تلك الديار و حبذا حديث بها للعاشقين طويل
 دعوت لها سقى الحمى و ربوعه و ميض و عرف للنسيم عليل
 و أرسلت دمعى للغمام مساجلا فسال على الخدين منه مسيل
 فأصبح ذاك الزّبع من بعد محله رياضها بها الغصن المروح يميل
 لئن حال رسم الدار عمّا عهدته فعهد الهوى فى القلب ليس يحول
 و ممّا شجانى بعد ما سكن الهوى بكاء حمامات لهنّ هديل
 توسّدن فرع البان و النجم مائل و قد آن من جيش الظلام رحيل
 فيا صاحبي دع عنك لومى فإنه كلام على سمع المحبّ ثقيل
 تقول: اصطبارا عن معاهدك الألى و هيهات صبرى ما إليه سبيل
 فله عينا من رآنى و للأسى غداة استقلّت بالخليط حمول
 يطاول ليل التّم منى مسهّد و قد بان عنى منزل و خليل
 فيا ليت شعرى هل يعودنّ ما مضى؟ و هل يسمحنّ الدهر و هو بخيل
 و هل راجع عهد الحمى؟ سقى الحمى و ظلّ بعين الدمع فيه ظليل
 و أيام أنس كم نعمنا بقربها و قد غاب عنّا حاسد و عدول
 حلفت برّب الراقصات إلى متى لهنّ إلى البيت العتيق ذميل
 لوجود أمير المسلمين محمد بكلّ مرام فى الزمان كفيل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٤٢
 مليك أناه الله فى الملك عزمة يروع الأعادى بأسها و يهول
 هو الملك المنصور و البطل الذى يهون عليه الخطب و هو جليل
 إذا قلت البيض الرقاق وجدته أخوا عزمات ما لهنّ فلول
 يقصّر باع المدح دون صفاته و يرجع عنها الفكر و هو كليل
 من نفر البيض الوجوه لدى الوغى لهم غرر وضاحه و حجول
 همو ما همو و الحرب قد شبّ نارها و للخليل فى جنح العجاج سهيل
 إذا سئلوا يوم الندى فتوالهم تفيض شآبيب له و سيول
 بهم عزّ دين الله شرقا و مغربا و أصبح دين الكفر و هو ذليل
 هم السادة الأنصار و العرب الألى حمى الدين حتى منهم و قبيل
 لهم يوم بدر و الرسول أميرهم تصول به أرماعهم و تطول
 فأصبح أصحاب القلب كأنهم كثيب لوطء المرهفات مهيل
 و قد أمن الإسلام كيد عدوّه و غودر ريع الكفر و هو محيل
 و عدّوا رواحا للمدينة و الرضا لهم منه فوز عاجل و قبول
 فمن ذا يجارى أو يدانى عصابة جزاؤهم عند الإله جزيل
 لكم يا بنى نصر من المجد هضبة تزول الرواسى و هى ليس تزول

فيا سيد الأملاك و الواحد الذي إذا عدّ فخر ليس عنه عدول
لقد قرع الأعداء منك مؤيدا له الذعر نصر و الحسام دليل
فلم يدر كوا ما أملاوا غير ساعة كذاك متاع الأخسرين قليل
تعاون في باب البنود بسحرة كلاب عليهم بعد ذاك عويل
أبي الله إلا أن يموتوا بغیظهم فويل لهم من مكرهم و أليل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٤٣
فأضحوا حديثا في البلاد و يومهم و ساء صباح عندهم و أصيل
بسعد إمام ينزل العصم سعده و يروى نداء و الزمان محول
و فرع كمال في الخلافة ثابت نمته إلى المجد الزكي أصول
حكى وجهه شمس النهار إذا بدا و رياه عرف الروض و هو بليل
أعاد لنا بالعدل أيامه التي عهدنا، فدارت للسرور شمول
فدام لنا ما هبّ عرف من الصبا و أومض برق في الظلام كليل
و حنّ مشوق للحجاز إذا بدت لعينيه منه شامة و طفيل
و أشرق نجم مثل قلبي خافق و حان له عند الغروب أقول
و ما زالت الأقدار تجرى بأمره و صنع إله العرش فيه جميل

[لعبد الله ابن لسان الدين في إعدار ابن السلطان]

و قال في إعدار ابن السلطان رحمه الله تعالى و رضى عنه: [الوافر]
أثرها عزمة تنضى الركابا و إن دميت لها العين انسكابا
لعلّ الوجد تطفأ منه نار أبت إلا زفيرا و التهابا
أما بعد الألى ترجو قلوب تسارع نحو أرضهم انقلابا
فيا أخويّ، كفّا عن عتابي فلست بسامع أبدا عتابا
تذكرت العقيق فسأل دمعى عقيقا من تذكره مذابا
أقول لنسمة مرّت صباحا يعطر عرفها القفر البيابا
ألا يا هذه كوني رسولى و كوني إن رجعت لى الجوابا
نشدتك بلغى صحبى سلامى إذا جئت المعاهد و القبابا
يلومنى العواذل فى اشتياقى إذا ما القلب من وجدى تصابى
و كم بين الأباطح من مهاة تروع بلحظها الأسد الغضابا
رمتنى ثم قالت و هى تترى و لم تحذر بفكتها العقابا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٤٤
إذا ما الشهب للغرب استمالت وفود الليل بالإصباح شابا
أوجه، إن رقدت، إليك طيفى كلمع البرق يخترق السحابا
فقلت: لقد بخلت على مشوق أبى إلا غراما و اكتتابا

و كيف له بنوم بعد وجد يذيب لهيبه الصمّ الصلابا
سينصره من الأنصار ملكك إذا ناداه مظلوم أجابا
كريم الذات من ملأ كرام لقد طابت سجاياهم و طابا
تواضع رحمته و علا محلّا و سهّل منه للناس الحسابا
فليس يصدّ عن جدواه راج و ليس يسدّ عن عافيه بابا
له عطف على الراجي جميل يفلّ من الردى ظفرا و نابا
و ملك آمن الأرجاء حتى ترى الغزلان لا تخشى الذئابا
أمولاي الذي أحيا المعالي و قد بليت و ألحفت الترابا
مددت على البلاد جناح عدل و كفّ الجور تستلب استلابا
و تاب الدهر ممّا قد جناه فجدت له بعفوك حين تابا
و سكّن عزّ دولتك الدواهي فكانت رحمه دفعت عذابا
و يا لله إغذار سعيد دعوت السعد فيه فاستجابا
عجبت لمقدم و الروع يهفو بأفئدة الكمأة و ما استرابا
و من شبل أطاع أخا سلاح و حكّمه اصطبارا و احتسابا
و هل عذر لعاذر ليث غاب أظنّ فؤاده و العقل غابا
فلو لا سنّه حكمت و هدى أصبت و قد سلكت به الصوابا
لحامت عصبه الأنصار عنه بأسياف تقدّ بها الرقابا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٤٥
من الصّيد الذين لهم نفوس لغير الفخر لا تصل الطلّابا
تنير الليل أوجههم إذا ما أرادوا السير أو حثّوا الركابا
دعوت به الأنام ليوم حشر و لم تذخر لهم إلّا الثوابا
رأوا من زخرف الدنيا مقاما يذكّر بالجنان لمن أنابا
و أبهتهم فما عاطوا حديثا و لا عرفوا السؤال و لا الجوابا
و لو مكثوا به دهرا طويلا لما ذكروا الطعام و لا الشرابا
و طاردت الصّوار بكلّ ضار كما أتبع عفريتا شهابا
ضربت به على الآذان منها فلم تسطع حراكا و اضطرابا
و معصوب الجبين بتاج روق يروع خواره الأسد الغضابا
تعرف أنّ تحت الأرض ثورا فرام بأن يشقّ له الترابا
و كلت به هضيم الكشح أجنى حديد الناب تحسبها حرابا
تباعد مجمع الشدقين منه و سال الموت بينهما لعابا
فأثبته كوحى الطرف حتى توثق منه جازره غلابا
و صاح به الصّوار و قد رآه حبيس الكلب قد منع الإيابا
(فغصّ الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا)

و أرسلت الجياد إلى استباق كأن بوارقا شقت سحبا
فمن ورد أقب و من كميت و أشهب يلهب الأرض التهابا
و ساقية العماد إذا أطلت إلى الأدواح تنساب انسيابا
تحوم بها العصي فراش ليل تروم بسمعه منه اقترابا
تحف بها خيول القوم مئا فترسل نحوها الجرد العربا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٤٦
عجائب أبدعت عليك فيها و مثلك يدع الأمر العجبا
محمد لا عدت الدهر حمدا فقد أحسنت في الملك المنابا
و زكى نفسك الرحمن لئا رآك ملكة للمجد التصابا
تداركت البلاد و من عليها فأمنت التنائف و الشعابا
لقد أوليتنا بيض الأيادي لقد طوّقتنا المنن الرغابا
روت عنك العوالي في المعالي حديث الفخر حقا لا انتسابا
ستفتح من بلاد الشرك أرضا قد اعتقلت عقائلها اغتصابا
و تعمل في العدا بيض المواضي إلى أن ينكر السيف القرابا
فما كأس من الصهباء صرف تعيد الشيخ من طرب شبابا
و طاف بها من الرهبان بدر يهتك من دجى الليل الحجابا
تجدد الأنس عودا بعد بدء و ربع الهم تتركه خرابا
بأعذب من ثنائك حين يطوى به الركب الأباطح و الهضابا
أمولاي استمعها بنت فكر تخيرها فأبرزها لبابا
و غاص على فرائدها العوالي و شق على نفائسها العبابا
و هناك الإله بكلّ نعمى تقود لك الأمانى الصعابا
و دمت لعزة الإسلام ركنا إلى أن يشمل الشيب الغرابا

[وله، و أنشده السلطان ليلة الميلاد فى سنة ٧٦٥]

و قال، و قد أنشدها السلطان ليلة الميلاد عام خمسة و ستين و سبعمائة: [الكامل]

نفس الصبا أهدى إلى نسيمها قد رام ممتنعا و رام عظيما
يا هل يبلغنى السرى خير الورى فأرى معاهد للهوى و رسوما
و أسابق الركبان فوق نجيبه تفرى من البيد العراض أديما
و أحط رحلى فى كريم جواره أرجو نعيما فى الجنان مقيما
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٤٧
حتى إذا بلغوا الذى قد أملاوا و رأوا مقاما بالرضا موسوما
و تراحمو فى التراب يستلمونه أ رأيت فى الورد الظماء الهيما
قبلت ذاك التراب من شوقى إلى من حلّه و أقت فيه لزيما

و بكيت من دمع المآقى زمزما و تركت جسمى كالحطيم حطيما
صلى عليه الله ما هبت صبا تهدى من الطيب الذكى شميما
لله مولده الذى أنواره صدعت ظلاما للضلال بهيما
شرعت من التأيد سيف هداية أردت ظباه فارسا و الروما
كسر الأكاسر بالعراء و لم يدع أن رد قيصر قاصرا مهزوما
لله منها ليلة أضحى بها شمل الهدى لأولى الهدى منظوما
أبدا أمير المسلمين أعدها بدعا من القصر الكريم جسيما
ملك أقام الله منه لخلقه مولى رؤوفا بالعباد رحيفا
يحمى ذمار المسلمين من الردى و يبيح ربعا للعدا و حريفا
بمحمد قد عاد دين محمد غضّ الرياض و كان قبل هشيما
أحيا به الله الخلافة بعد ما كانت بأطباق التراب رميما
من آل سعد الخزرج بن عبادة طابوا فروعا فى العلا و أروما
تلقاه فى يوم الكريهة و الوغى و الخيل عابسة أغرّ و سيفا
و تخال كفيه إذا شخّ الحيا أفقا بعامية الغيوث غيوما
تأبى خلال العدل و الشيم العلا من أن يرى فى دهره مظلوما
كهف العباد و فخرها و ثناؤه ترك المديح على الطروس رقيما
لا زال يلقي العيش طلقا و العلا مرقى و صرف الحادثات خديما
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٤٨
ما اهترّ غصن فى الحديد ناعم لّمّا أحسّ من الشمال شميما
مولده بغرناطه، يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثه و أربعين و سبعمائه؛ انتهى.

[بين لسان الدين و ابنه عبد الله]

و ممّا خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ولده عبد الله المذكور ما فى «النفاضة» من قوله: أنشدت ابنى عبد الله و قد وصل
لزيارتى من الباب السلطانى حيث جرايته و وظيفته، و انجرّ حديث ما فقد بغرناطه فى شجون الكلام: [الخفيف]
يا بنى عبد الإله احتسابا عن أثاث و منزل و عقار
كيف يأسى على خسارة جزء من يرى الكلّ فى سبيل الخسار
هدف لا تنى سهام الليالى عن سباق تجاهه و بدار
واحد طائش و سهم مصيب ليس ينجى منها اشتمال حذار
غير ذى الدار صرّف الهّمّ فيها فمناخ الرحيل ليس بدار
انتهى. و قال أيضا رحمه الله تعالى: ممّا أنشدته ولدى عبد الله، و أمرته بحفظه و التأدّب به و اللهج بحكمته: [الوافر]
إذا ذهب يمينك لا تضيع يسارك فى البكاء و لا المصيبة
و يسراك اغتنم فالقوس ترمى و ما تدرى أرشقتها قريبه
و ما بغريبة نوب الليالى و لكنّ النجاة هى الغريبه

قال: و من المنظوم فى قريب من هذا قولى: [الطويل]
 أيا أهل هذا القطر ساعده القطر دهيت فدلونى لمن يرفع الأمر
 تشاغلت بالدنيا و نمت مفترطاً و فى شغلى أو نومتى سرق العمر
 و قال رحمه الله تعالى: و ممّا قلته و قد انصرف عني الولد عبد الله إلى مدينة فاس لإقامته رسمه من الخدمة. و أشجاني انصرافه لوقوع
 قرحة على قرح، و الله المستعان: [الخفيف]
 بان يوم الخميس قرّة عيني حسبي الله أى موقف بين
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٤٩
 لو جنى موقف النوى حين حيا حان يوم الوداع و الله حينى
 ضايقتنى صروف هذى الليالى و أطالت همى و ألوت بدينى
 وطن نازح و شمل شتيت كيف يبقى معذب بعد ذين
 يا إلهى، أدرك بلطفك ضعفى إن ما أشكيه ليس بهين
 و قال رحمه الله تعالى: أنشدت يوماً ولدى عبد الله و قد رأيت منه نشاطاً و مرحاً انتقل منى إليه بعد السنّ: [الرملى]
 سرق الدهر شبابى من يدي و فؤادى مشعر بالكمد
 جملة الأمر إذا أبصرته باع ما أفقدنى من ولدى
 و قد سبق هذان البيتان عند ذكر بعض نظم لسان الدين رحمه الله تعالى.

[على بن لسان الدين]

و أمّا على بن لسان الدين رحمه الله تعالى فهو شاعر البيت بعد أبيه النبيه، و كان مصاحباً للسلطان أحمد المريني المستنصر بالله ابن
 السلطان أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المريني، رحمهم الله تعالى!.
 و حكى بعضهم أنه حضر معه فى بستان، سحّ فيه ماء المذاكرة الهتان، و قد أبدى الأصيل شواهد الاصفار، و أزمع النهار لما قدم
 الليل على الفرار، فقال المستنصر لَمّا لان جانبه، و سالت بين سرحات البستان جداوله و مذانبه: [البيسط]
 يا فاس، إنى و أيم الله ذو شغف فى كلّ ربع به مغناه يسينى
 و قد أنست بقرب منك يا أملى و نظرة فيكم بالأنس تحيينى
 فأجابه أبو الحسن على بن الخطيب، بقوله المصيب: [البيسط]
 لا أوحش الله ربعا أنت زائره يا بهجة الملك و الدنيا مع الدين
 يا أحمد الحمد، أبقاك الإله لنا فخر الملوك و سلطان السلاطين
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٥٠

[تذييلات له على كتاب «الإحاطة» لأبيه]

و قد رحل، رحمه الله تعالى، إلى مصر، و لم يحضرنى الآن من أحواله بعد دخوله مصر ما أعول عليه، و قد كان وقف بالقاهرة على
 نسخة «الإحاطة» التى وجهها أبوه إلى مصر و وقفها بخانقاه سعيد السعداء كما أشرنا إليه فيما مرّ، فكتب بالحواشى كتابات مفيدة، و قد
 ذكرنا بعضها فيما أسلفناه من هذا الكتاب، فليراجع: إمّا تكميل لما أغفله أبوه، و إمّا إخبار عمّا شاهده هو، أو رواية له عن المترجم به،

أو جواب عن أبيه فيما انتقد عليه. و لذكر شيئا منها غير ما تقدّم بعد إيراد نصّ «الإحاطة» فنقول:
قال في «الإحاطة» في حرف الميم في ترجمة شمس الدين الهوارى الضرير شارح ألفية ابن مالك و صاحب البديعية المشهورة بالأعمى و البصير، ما صورته:
محمد بن أحمد بن علي الهوارى، يكنى أبا عبد الله، و يعرف بابن جابر، من أهل المريّة.

[في ترجمة محمد بن أحمد الهوارى، الشهير بابن جابر]

حاله- رجل كفيف البصر، مدل على الشعر، عظيم الكفاية و المنة على زمانته، رحل إلى المشرق، و تظاهر برجل من أصحابنا يعرف بأبى جعفر الإلبيرى، صارا روحين فى جسد، و وقع الشعر منهما بين لحي أسد، و شمّر للعلم و طلبه، فكان وظيفه الكفيف النظم، و وظيفه البصير الكتب، و انقطع الآن خبرهما؛ انتهى.
فكتب المذكور على أول الترجمة ما صورته: نعم الرجل و رفيقه أبو جعفر، أحسن الله تعالى إليهما، فلقد أحسننا الصحبة، فى الغربية، و انفردا بالنزاهة و الفضل و علو الهمة، إلا أن المصنّف قصّر فيهما بعض قصور، و منهما يطلب الإغضاء و الصفح، فالرجل مات، و ذكر الأموات بالخير مشروع، و هما و الله الشرف الباهر بقطرهما علما و عملا، أمتع الله تعالى بهما! قاله ولد المؤلف على بن الخطيب بالقاهرة؛ انتهى.

و كتب على قول أبيه «و انقطع الآن خبرهما» ما نصّه: هما الآن بالبيرة من حلب، تحت إنعام و لطف، تحثّ إليهما الرواحل، و تضرب إليهما آباط النّجب؛ انتهى.

رجع لتكميل ترجمة الشمس ابن جابر من «الإحاطة»:

قال لسان الدين بعد ما مضى ما نصّه، و جرى ذكره فى الإكليل بما نصّه: محسوب من طلبتها الجلة، و معدود فيمن طلع بأفقهها من الأهلّة، رحل إلى المشرق و قد أصيب ببصره،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٥١

و استهان فى جنب الإفادة بمشقة سفره، على بيان عذره، و وضوح ضرّه.

[من شعر ابن جابر الذى لم يذكره لسان الدين]

شعره- و شعره كثير، فمنه قوله: [الطويل]

سلوا حسن ذاك الخال فى صفحة الخدّ متى رقموا بالمسك فى ناعم الورد

و قولوا لذاك الثغر فى ذلك اللمى متى كان شأن الدّرّ يوجد فى الشهد

و من هزّ غصن القدّ منها لفتنتى و أودعه رمّانتي ذلك النهد

و من متّع القضب اللدان بوصفها إلى أن أعرن الحسن من ذلك القدّ

فتاء تفتّ القلب متى بمقله لها رقة الغزلان فى سطوة الأسد

تمنيت أن تهدى إلى نهودها فقالت رأيت البدر يهداه أو يهدى

فقلت أ للزمان بدّ من الجنى فتاهت و قالت: بالواظ لا الأيدي

فقلت أليس القلب عندك حاصلًا فقالت قلوب الناس كلّهم عندي

فقلت اجعلينى من عبيدك فى الهوى فقالت كفانى كم لحسنى من عبد

إذا شئت أن أرضاك عبدا فمت جوى ولا تشتكى واصبر على ألم الصّد
 ألم تر أن النحل يحمل ضرّها لأجل الذى تجنيه من خالص الشهد
 كذلك بذل النفس سهل لذى النهى لما يكسب الإنسان من شرف الحمد
 أ لست ترى كيف ابن جانه طالما أضع كريم المال فى طلب المجد
 و كتب ابن المؤلف على هذه القصيدة ما صورته: عارضة قوية، و نزعة خفاجية، و كيف لا و الشيخ أبو عبد الله صدر صدور الأندلس
 علما و نظما و نحوا، زاده الله تعالى من فضله! انتهى.

رجع إلى الترجمة- قال لسان الدين: و قال، يعنى ابن جابر: [الكامل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٥٢
 عرّج على بان العذيب و نادى و انشد فديتك أين حلّ فؤادى
 و إذا مررت على المنازل بالحمى فاشرح هنالك لوعتى و سهادى
 إيه فديتك يا نسيمه خبرى كيف الأحبه و الحمى و الوادى
 يا سعد، قد بان العذيب و بانه فانزل فديتك قد بدا إسعادى
 خذ فى البشارة مهجتى يوما إذا بان العذيب و نور حسن سعاد
 قد صحّ عيدى يوم أبصر حسنها و كذا الهلال علامة الأعياد
 و ممّا نقلته من جزء قيده لى صاحبنا الفقيه الأستاذ أبو على الزاوى ممّا ادّعا لنفسه:
 [الوافر]

علّى لكلّ ذى كرم ذمام ولى بمدارك المجد اهتمام
 و أحسن ما لددى لقاء حرّ و صحبه معشر بالمجد هاموا
 و إنى حين أنسب من أناس على قمم النجوم لهم مقام
 يميل بهم إلى المجد ارتياح كما مالت بشاربها المدام
 همو لبسوا أديم الليل بردا ليسفر عن أديمهم الظلام
 هم جعلوا متون العيس أرضا فمذ عزموا الرحيل فقد أقاموا
 فمن كلّ البلاد لنا ارتحال و فى كلّ البلاد لنا مقام
 و حول موارد العلياء منّا لنا مع كلّ ذى شرف زحام
 تصيب سهامنا غرض المعالى إذا ضلّت عن الغرض السهام
 و ليس لنا من المجد اقتناع و لو أنّ النجوم لنا خيام

ثم سرد لسان الدين القصيدة بتمامها، و ذكر بعد ما سبق اثنين و ستين بيتا، و لم تثبتها لطولها، ثم قال بعدها: نجزت و ما كادت، ثم
 قال بعدها أيضا: و قد وطأ لإمطاء قروحها، و أعيا لإكثار سروحها، ثم قال بعده: و الله ولى النجاة بفضله؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٥٣

و كتب ابنه على أول القصيدة و هو: «علّى لكلّ ذى كرم ذمام» ما نصّه: نزعة معرّية، قاله ابن المؤلف، رحمه الله تعالى! انتهى.
 و كتب الشيخ ابن مرزوق على قوله «نجزت إلى آخره» ما صورته: ما أنصف المصنّف هذا الفاضل فى ترجمته، و قدره شهير، و مكانه
 من الفضيلة كبير، و علمه غزير، و لعلّه لم يطلع إلّا على ما أودعه.
 و كتب إثره ابن لسان الدين ما صورته: نعم يا سيدى أبا عبد الله بن مرزوق، لم ينصف المترجم به المؤلف، و لو لا أنهما بالحياة ما

صدر منكم التنبيه، و لو حصلنا تحت الصفيح لم تعملوا فيهما قلما، هكذا شأن الدنيا بقله الوفاء شنشنة معروفة، و الحقد على الأموات شأن المغاربة، قاله على ابن المصنّف رحمه الله تعالى! انتهى.

و لا خفاء أنّ لسان الدين لم يستوف حقوق الشمس ابن جابر الهوّارى المذكور مع أنّ له محاسن جمّة.
و من محاسنه رحمه الله تعالى: [الطويل]

هناؤكم يا أهل طيبة قد حقا فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرّك ساكن منكم إلى سواها و إن جار الزمان و إن شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما وصلتتم فلم يقدر و لو ملك الخلقا
فبشراكم نلتهم عناية ربّكم فيها أنتم فى بحر نعمته غرقى
ترون رسول الله فى كلّ ساعة و من يره فهو السعيد به حقّا
متى جتتم لا يغلق الباب دونكم و باب ذوى الإحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم و يكشف ضرّكم و لا يمنع الإحسان حرّا و لا رقّا
بطيبة مثواكم و أكرم مرسل يلاحظكم فالدهر يعجرى لكم دفقا
فكم نعمة لله فيها عليكم فشكرا، و شكر الله بالشكر يستبقى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٥٤
أمتتم من الدجّال فيها فحولها ملائكة يحمون من دونها الطّرقا
كذاك من الطاعون أنتم بمأمن فوجه الليالى لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا إلّا لوجه حبيبكم و إن جاءت الدنيا و مرّت فلا فرقا
حياة و موتا تحت رحماه أنتم و حشرا فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلا عنها لدنيا يريدّها أتطلب ما يفنى و تترك ما يبقى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٩، ص ١٥٤
أ تخرج عن حرز النبىّ و حوزة إلى غيره؟ تسفيهه مثلك قد حقّا
لئن سرت تبغى من كريم إعانته فأكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزائل و لو سرت حتى كدت تخترق الأفقا
فكم قاعد قد وسّع الله رزقه و مرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش فى حمى خير الأنام و مت به إذا كنت فى الدارين تطلب أن ترقى
إذا قمت فيما بين قبر و منبر بطيبة فاعرف أين منزلتك الأرقى
لقد أسعد الرحمن جار محمد و من جار فى ترحاله فهو الأشقى

[مقصورة عجيبة من شعر ابن جابر رتبها على حروف المعجم فيما قبل الألف المقصورة، و أتى من كل حرف بعشرة أبيات]

و من محاسنه رحمه الله تعالى المقصورة الفريدة، و هى قوله: [الرجز]
بادر قلبى للهوى و ما ارتأى لئما رأى من حسنها ما قد رأى
فقرّب الوجد لقلبي حبّها و كان قلبى قبل هذا قد نأى
يا أيها العاذل فى حبى لها أقصر فلى سمع عن العذل بأى

لو أبصر العاذل منها لمحمة ما فضَّ باب عدله ولا فأى
 سرّحت طرفي طالبا شأو العلا و تابعا في حبتها ما قد شأى
 إنى لأرعاها على تتبيعتها عهدى، و مثلى من وفى إذا وأى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٥٥
 من منصفى من شادن لم أرجه لحاجة من وصله إلّا زأى
 و إن قبضت النفس عن سلوانه مدّ أديم هجره لى و سأى
 لأقطعنّ البيد أفرى حاذها بضامر يفرى الحصا إذا جأى
 حتى أزور ربّ الخدر و قد زاد الكرى عنى الوشاة و ذأى
 يا ربّ ليل قد تعاطينا به حديث أنس مثل أزهار الرّبا
 فى روضه تعانقت أغصانها إذ واصلت ما بينها ريح الصّبا
 نادمت فيها من بنى الحسن رشا يصبو له من لم يكن قطّ صبا
 حلو رخيم الدلّ فى أعطافه لين و فى ألحاظه بيض الظّبا
 أيام كان العيش غصّنا حسنه عذب الجنى ريان من ماء الصّبا
 أى زمان و محلّ للمنى ما ضاق مغناه بنا و لا نبا
 يا مربعا ما بين نجد و الحمى و يا زمانا قد حبانى ما حبا
 الله يرعاه زمانا لم يحل عن بذل ما نأمله و لا أبى
 فأى مغنى أهل يّمته لمقصد حلّت لنا فيه الحبا
 هل ترجع الأيام عيشا باللوى فراقه كان اللّهم الأربى
 تالله لا أعبا بعيش قد مضى و لا زمان قد تعدّى و عتا
 مذ علقت كفى بالهادى الذى ساد الورى طفلا و كهلا و فتى
 كالبحر لا يغيض يوما ورده لوارد إذا أصاف أو شتا
 متّصل البرّ لمن قد أمه لا يكره العوده ممّن قد أتى
 و لا يناجى نفسه فى ضيقه أىّ نهار سرّ هذا و متى
 إنّ رسول الله مصباح هدى يهدى به من فى دجى الليل متا
 كفّ بنى الجور بعدل واضح كما تكفّ اليد كفا من فتى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٥٦
 كم ذو هوى قد راضه بهديه فانقاد كالعبد إذا العبد قتا
 قد خالط الحلم سجايا طبعه كمثل ما قد خالط الثوب السّتا
 أقسمت لا زلت أوالى مدحه ما اشتدّ بالناس زمان و رتا
 لو لا اشتياقى لديار كرمت لبعدها يرثى لنا من قد رثى
 و مدح من أرجو بأمداحى له إصلاح ما قد عاث منى و عثا
 لم أجعل الشعر لنفسى خلّة و لم يجش فكري به و لا غثا
 فما أرى الأيام تبدى منصفاً و لو حكيت الدر من حسن الثّتا

يا ضيعه الألباب في دهر غدا فيه فتيت المسك يعلوه الخثي
يا ويل أم ليس ترجى ضيمها مثلى بما تبديه من منع الحثا
هل مارست إلّا أخوا عزم إذا ما قعد الناس عن الخطب جثا
تسيل من جهد السرى أعطافه كمثل ما سال من الدوح اللثي
له اعتصام بالرسول المجتبي أجود من أضفى العطايا و حثا
من ليس للدنيا محلّ عنده ولا ينيل المال إلّا بالحثا
أنا الفتى لا يطيبني طمع فأبذل الوجه لنيل يرتجى
لكن إذا اضطرّ زمان جائر أملت من ليس يردّ من رجا
لا أسأل النذل و لو أتى به أملك ما حاز النهار و الدجا
حسبى بنو عبد مناف بهم يغنى من استغنى و ينجو من نجا
أولئك القوم الألى من أمهم أمن مّمن لام يوما و هجا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٥٧
يلقاك منهم كلّ وجه مشرق كأنه البدر إذا الليل سجا
إنى مذ أملتهم لم يثنى عن طلب المجد زمان قد شجا
إن أنا قد نكرنى دهر عدا فطالما عرّفنى فضل الحجا
يطوى العدا ذكرى و مجدى ناشرا آليت لا زال لهم منى شجا
أنا الذى أعملت للمجد السرى لا أسأم الأين و لا أشكو الوجى
كم سرت فى البيداء لا يقلقنى حرّ الهجير لا و لا يرد الضّحا
أرسلها غرّ الذرا تسرى بنا كلّ عويص السير صعب المنتحى
يطيح مفتوت الحصا من دونها كأنه سهم عن القوس طحا
فكم بذلت الجهد فى كسب العلا و جدت بالنفس لحانى من لحا
أرغم أعدائى بحزم نافذ يعرّكهم عرك الثفال بالرحى
أذود عن عرضى و أحمى حسبى بكرم جزل و مجد قد ضحا
أقسم بالبيت و من طاف به و من نحا وجهته فيمن نحا
و كلّ من أعمل لله الخطا محا بها من الخطايا ما محا
و معشر ثجوا و عجبوا فلهم بمرتقى المروءة ذكر و وحى
لا زلت أزجيتها لإدراك العلا حتى ترى من جهدها مثل اللّحا
يا عجا من حاسد لى قد زها بعيشه الغضّ علىّ و انتخى
كأننى لم أعرف العزّ و لا صاحبت دهرى فى سرور و رخا
و إنّما الدهر له تقلّب إن ارتخى شدّ و إن شدّ ارتخى
إنّ الذى لا يثنى عن جوده إن بخل الدهر لنا و إن سخا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٥٨
خير الورى طرّا من الله به أذهب عنّا كلّ غىّ فامتخى

شرفه الله و حلّى جوده بجوهر من كل مجد موتخى
 زينه تواضع على علا فما ازدهى بعزة و لا نخا
 فكم حمى بهديه و كم وقى و كم أفاد آملا و كم نخا
 خلص من أسر الخطايا جاهه فما على قلب امرئ منها طخا
 خفف عنا ثقل ما نحمله فلم نبت من ثقله نشكو السخا
 إن تحسب الرّسل سماء قد بدت فإنه فى أفقها نجم هدى
 و إن يكن كلّ كريم قد مضى ظلّا فقد أضحى لنا غيث جدا
 و إن يكونوا أنجما فى فللك فإنه من بينهم بدر بدا
 واسطة السلك إذا ما نظموا و ملجأ القوم إذا الخطب عدا
 كالبحر بل كالبدر جودا و سنى فحبنا من اجتدى أو اقتدى
 أحسن أخلاقا من الروض إذا ما اختال فى برد الصبا أو ارتدى
 و ساقط القطر عليه دمه فابتلّ برد الزهر منه و انتدى
 تفديه نفسى من شفيح للورى و قلت النفس له منى فدا
 هو الذى أنعشنا من بعد ما قد يبس الغصن و أدواه الصدى
 و كنت فى ليل الهوى ذا حيرة فجاء بالحقّ و أنجى و هدى
 فكم كسا من ثوب نعمى قد ضفا و كم هدى بعلمه و كم غدا
 من اقتدا بغيره فإنه لم يتبع سبل الهدى و لا حذا
 هل هى إلا سنّة الحقّ التى أرشد من لاذ بها أو احتدى
 كفّ اللسان و انبساط الكف بال خير و طيب الذكر عرف قد شذا
 أحسن ما نال الفتى من كرم أن لا يرى من أجله من اتدى
 و الصمت عمّا لا يفيد قوله من كلم يهذى به فيمن هذى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٥٩
 لا شىء كالصمت وقارا للفتى يوما و لا أنجى له من الأذى
 من عيبه يشغله عن غيره بات سليم العرض نفّاح الشذا
 و من يعب عيب و من يحسن إذن لان له كلّ عصى و خذا
 و من تكن دنياه أقصى همّه لم يرو من ثدى الحجا و لا اغتدى
 لا تنفق العمر سوى فى حبّ من هو الذى فى سنن الحقّ جرى
 يهديك من رشد و مجد واضح روضين من علم و ذكر قد سرى
 أجاد هديا و أفاد نائلا و جاد حتى عمم الجود الورى
 ترى بنى الحاجات نحو بابه قد أعملوا العيس بحزن فى البرى
 لهم إلى رؤيته تشوّق تشوّق السارى إلى نار القرى
 ذا يبتغى علما و هذا نائلا و خائب من قصده ليس يرى
 كأنهم إذا رأوا غزته وفد حجيج عاينوا أمّ القرى

وجه لديه يحمد السير، كذا عند الصباح يحمد القوم السرى
هذا إذا ما أخلف الناس وفي نائي المدى في مجده سامى الذرا
إذا شددت الكفّ في أمر به فليس بالوانى و لا الواهى العرا
أنهضنى بهديه إلى التقي بعد قصور العزم و الباع الوزى
هو الشفيح المجترى بجاهه بمثل ذاك الجاه حقاً يجترى
مذ زرته لم أشك من شحط النوى إذ كان لى فيه غنى و مجترى
و ما وجدت غربة و لم يجد مس اغتراب من إلى الجود اعترى
متصل البشر غضوب للهدى إذا رأى من زاغ عنه أو نزا
أصبح من أيامه فى مأمن من قد لجأ يوماً إليه أو رزى
تخذته كهفا فبتّ آمنا جزاه ربّ العرش خير ما جزى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٦٠
أدبنا بسنة أفلح من نمت إليها النفس يوماً أو عزا
يجزى أخا الحسنى على إحسانه شكر امرئ راض الأمور و حزا
لست أجازى الشّرّ بالشّرّ، و لا أغزو لناوى السوء مثل ما غزا
لم تر عين كرسول الله ذا حزم، و لا أحلم إن دهر غزا
إذا ملّمت الأمور أقلت أفيته كأنه طود رسا
بخلقه فليقتد المرء فما أكرمها من مقتدى و مؤتسى
كن حذرا و إن رأيت تمرة فمثلها توقد جمرة الأسا
لا تياسنّ إن تناءى أمل و كلّما عثا زمان قد عسا
و إن بدا صبح المشيب فأطرح ما كان إذ ليل الشباب قد غسا
و لا تظنّ الشيب يرجى طبه بزور صبغ أو مدام يحتسى
إذا الفتى قوس و اعتدّ العصا لقوسه عن وتر أعيا الأسا
فاذكر زمان الشيب فى حال الصبا عسى يلين لللقى قلب قسا
ما أقبح اللهو على المرء إذا ما اشتعل الرأس مشيبا و اكتسى
لا تحسب الراحة راحا قرقفا للشرب منها قيس و منتشى
إذا أداروها و قد جنّ الدجى و شى بهم نيرها فيمن و شى
قد حجبت فى دنّها دهرا إلى أن برزت كأنها صبح فشا
لم يبق من جوهرها إلّا سنى ينشئ أفراس الفتى إذا انتشى
كأنها و الكأس قد حفّت بها متيم أصبح مضروم الحشى
يديرها مختلف الحسن إذا أقبل بدر و إذا تاه رشا
يحكى القطا و الظبى و الغصن إذا ما قد تشّى أو تجنّى أو مشى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٦١
و إنما الراحة زهد المرء فى أعراض دنيا تورث العين غشا

والمجد إيقادك نيران القرى يعيشو لها في الأزمان من عشا
و الجود أن تعطى قباء للندى لا لافتخار أو لجاه يختشى
خاب امرؤ لم ير أرضا حلها من اصطفى رب السماء و افتصى
أرسله الله هدى و رحمه أوصى و والى الخير فينا و وصى
و خلص الأنفس من أسر الهوى في يوم هول فاز فيه من فصى
ذو رافه تلقاه يوم العرض قد مال بنا عن الجحيم و مصى
صلى عليك الله يا من جاهه يوم الحساب ملجأ لمن عصى
يا من جرى من كفه الماء و من حن له الجذع و سبح الحصى
بك اعتصامى يوم يدنو من دنا من رحمه الله و يقصى من قصا
هل غير إحسانك يرجو مذنب طال به خوف الخطايا و انتصى
يا من سما في يوم بدر بدره عزًا ليشقى كل من شق العصا
أحصاهم رب السماء عددا و إنهم أدنى الفريقين حصا
يا مجتبي من خير قوم حسبا فيما أتى من زمن و ما مضى
يا من تدانى قاب قوسين و من قيل له سل تعطى قد نلت المضى
و من أتى و الناس من ظلمهم فى ظلمة ليس لها من مرتضى
فكان كالصبح جلا جنح الدجى فأذهب الإظلام عنا و انتضى
رضيت للإرسال إذ آدم بى ن الماء و الطين فكننت المرتضى
اختارك الله رسولا هاديا أكرم بما اختار لنا و ما ارتضى
يا أحلم الناس على من قد جنى و أعدل الخلق إذا ما قد قضى
يا مصغر الألف إذا ما جاد أو جرّد فى الهيجاء سيفا أو نضا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٦٢
يا ناصحا أحكم تشييد الهدى عزما فلما ينتقض و لا انقضى
يا مضمفيا للناس ظلّ رحمه بات العدا منها على جمر الغضى
ادفع الشرّ بحسنى فإذا به أخو صدق و إن كان سطا
و أنف لنفس كرهت أعمالها كمن يريك قدرها حث الخطا
إن يدرك الهوى الفتى فى بيته ليس كمن سعى إليه و خطا
و إن خيرا من صديق سيء أن يصحب الإنسان فى البيد القطا
و لا ترم ما لا تطيق نبيله فخجله الخيبة شرّ ممتطى
و بت من الدنيا مبات خائف فليلالى عدوات وسطا
و خلها عنك و لا تعبأ بما تبوأ المكث منها و عطا
و جنب الحرص تعش ذا عزّة أفلح من إن شدّه الحرص نطا
و لا تجد للنفس حظا و أطرح من امتطى الكبر فبئس ما امتطى
لا تطرينّ صاحبا بغير ما فيه فإطراء الفتى كسر المطا

لا يحسن المدح سوى لمن يرى مادحه بمدحه قد احتظى
خير عباد الله ذو العزّ الذي لظله يأوى الشريف و الشطى
كم آمن ببابه و قبل أن يلقاه لاقى ما عجا و ما عطا
أصبح من حرمة فى حرم يرفل فى ظل هبات و حظا
فى منزل سيان فيه ربّه و ضيفه فيما اقتنى و ما حظا
إنّ رسول الله غيث و اكف إذا لهيب الضيف داج و التظى
إذا أعدّ للملمين القرى لم يدخر عن ضيفه و لا حظا
لما علمت جوده الجزل و ما هناك من علم و حلم و بظا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٦٣
يّمته فوق طمرّ ضامر منتظم الأعضاء ملموم الشظا
ليس يمّس الأرض من سرعته كأنما يخشى بها مسّ اللظى
يا موسع الألف بصاع شبعاً و من مشى الدّوح إليه و سعى
و أخصب الضرع بلمس كفه و بادر المزن له لما دعا
و سلّم الظبى عليه كرماً و كلّم الميت فقام و رعى
و استشهد الضبّ فحيتاً معلنا بصدقه
و مثبتاً لما ادّعى
إليك أعملت المطايا فى الفلا تنساب ما بين أراك و لعا
مسرعاً جاهك على فى غد أكون ممّن قد أجاد و رعى
أزكى صلاة و سلام أبدا عليك ما ارتاح الظليم و ارتعى
و سبّح الرعد بحمد من سقى صوب الحيا فقال للأرض لعا
فاشتملت بالثور كلّ فدغد لم يك للسارح فيه مرتعى
و باكر البيداء غيث مسبل فأخلف النبت الهشيم و رعى
و دق سحاب تحسب البرق به أسنّه قد أشرعت يوم و غى
و اخضرتّ الدوح و مدّت قضبها فيبينها حسن التّمام و صغا
و ساقطت لها السحاب حملها إذ خوّف الرعد تساقط الفغا
ترى خرير الماء فى قضيبه كأنه ميّت ذود قد رغا
فسكّن القيظ لهيب حرّه و فرّ لما أن رأى الماء طغى
غيث حمى الرضاء عتاً مثل ما حمى رسول الله جور من بغى
ناه عن الفحشاء داع للهدى و لم يفه بباطل و لا لغا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٦٤
هذا إذا استكفيت فى أمر به أجداك فيما تنتحيه و كفى
تهفو به ريح العلا إلى الندى كأنه ناعم غصن قد هفا
محى الهدى و العدل فى زمانه من بعد ما ألفاهما على شفا

أخفى الهدى قوم فأضحى و هو قد أظهره بعدله فما اختفى
إن يقض يعدل أو متى يسأل يهب و إن يقل يصدق و إن يعد وفي
و إن يجد يجزل و إن جاد يعد و إن تسيء يحسن و إن تجن عفا
بحر طما، بدر سما، غضب حمى، روض نما، طب أفاد و شفى
لمجتد أو مقتد أو معتد أو مجذب أو مشتك خطبا جفا
ما لى لا أضفى له المدح و قد أضحى به الحق علينا قد ضفا
أسس خلق الجود فينا فاغتنى به لنا ورد المعالى قد صفا
الجود يعلى المرء و البخل لقد يحط عن رتبته من ارتقى
و العز ما أحسنه لكته إن كان هذا مع علم و تقا
و الجهل للإنسان عيب قادح و لو حوى مالا ككثبان نقا
و العلم فى حال الغنى و الفقر لا يزال يرقى بك كل مرتقى
و لا ألوم المال فالمال حمى من جاهل يلقاك شر ملتقى
قد جبل الناس على حب الغنى فربه فيهم مهاب متقى
و ما لذى الفقر لديهم ربه و لو أفاد و أجاد و اتقى
إن الغنى طب لعلات الفتى و الفقر داء لا تداويه الرقى
و الحزم أحرى ما به المرء اقتدى فى أمره و ما به النفس وقى
من لم بيت مع الليالى حازما لغدرها غادرنه فيها لقى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٦٥
أمضيت طرفى كى يرى طرفى ما أخبرته من طيب مجد قد زكا
فصدق الحاكى ما أبصرته وفاق ما عاينته ما قد حكى
فسهلت رؤيته جهد السرى و أسكت الإنعام من كان شكى
عجبت للأيام من عز بها ذل، و من يضحك بها يوما بكى
فكم لها من كره على فتى جلد إذا ما لهب الحرب ذكا
تجنب الأسد سواه فى الوغى فذل حتى صار قصواه بكى
و كم صريع غادرت ليس له من ملجأ يوما و لا من مشتكى
عدت على نفس عدى و سقت منها ابن حجر كأس سم كالذكا
و استلبت ملك بنى ساسان لم تترك له على الليالى مرتكى
لم يأمن المأمون من صولتها و لا ابن هند من عواديه خلا
و أتبع جعفر الفضل و كم بات الطلا يسقيهما صرف الطلا
و غالت الزباء فى منعته فأظفرت عمرا بها فما ألا
و أنفذت فى آل بكر حكمها و جرعت مهلهلا كأس البلى
و كم سبت من سبيا من نعمة فمزقوا فى كل كفر وفلا
و أهلكت عادا و أفنت جرهما و زودت منها تمينا بالصلى

فرعون موسى أولجت في لجة فمات قهرا بعد عز و علا
 و أظفرت بابن زياد مثل ما أفنت يزيد حسرة لما اعتلى
 و سيف استلته من غمدانه من بعد ما قد خضعت له الطلى
 ثم أعادته فخر الجيش عن حوزته حرّ النبات المختلى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٦٦
 هى اللبالي ليس يرعى صرفها لا خاملا فيها و لا من قد سما
 و لا رسول الله فينا لم يزل كهف حمى، فهو لنا نعم الحمى
 لله ما أكرمه من سيد ينمى من المجد لأعلى منتمى
 سليم صدر ذو وفاء لم يجش فى صدره غش امرئ و لا غمى
 أوسعنا فضلا فما خاب امرؤ أوى إلى ذاك الجناح و انتمى
 يا من غدا للخلق كهفا و حمى فيكرم المثوى و آوى و حمى
 إننا أتينا من ديار دونها موحشة ببداء أو بحر طما
 و إننى من قبج ما أسلفته ذو كبد رصت و دمع قد همى
 فلا تخيبنى ممّا لك من شفاعه ترجى و فضل قد نما
 إنك من قوم بهم يشفى العنا و يدرك الشأو البعيد المرتمى
 أعرض عن الجاهل مهما قد أسا و حسبه من جهله ما قد حوى
 و لا تلم ذا سفه فإنه إن لمته لم يتند و لا أرعوى
 و إن رأيت من كريم عثرة فقل لعا و لا تعب بما احتوى
 و إن ترعك من زمان فرقة فاصبر لها فالصبر أشفى للجوى
 لم أشكر البعد على خير حمى قد صدنى عن أنسه شحط النوى
 يا منزلا ما بين نجد و الحمى و يا ديارا بين كئبان اللوى
 هل لى إلى تلك المعالى عودة أو جرعه من ذلك الماء الروى
 لا تعجبوا من لعب الدهر بنا فأى إنسان على حال سوى
 إن عشت لاقيتهم و إن أمت فإنما الدنيا فناء و توى
 إن رسول الله قد أمّلته فالدهر قد أضمر نصحى و نوى
 إى و الذى ما زال يسرى جاهدا حتى أتى ميقاته و ما ونى
 فقدّم الغسل و صلّى و نضا أثوابه مستغفرا ممّا جنى
 ثم نوى ملبيا ثم مضى حتى رأى ذات السناء و السنى
 ثم أتى باب بنى شيبه قد أبصر ما أمل قدما مذ دنا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٦٧
 فقتل الركن و طاف و سعى ثم مضى مرتحلا نحو منى
 ثم أتى الموقف يدعو راغبا حتى إذا ما نفر القوم انثنى
 ثم رمى ثم أفاض و انبرى معتمرا قد نال غايات المنى

ثم مضى مرتحلاً فيمن مضى ميمماً طيبة لا يشكو العنا
يبغي التي شرفها الله بمن شاد به الدين القويم وابتنى
فلم يكن ممن إذا حج جفا بل يتم القبر وزار واعتنى
خلق علا لم يحوها إلا امرؤ نهاه عن نبذ العلا رعى النهى
فإن يقل: من حازها؟ قل: الذي له تسامى كل مجد و انتهى
معتصم الراجين إن خطب دنا و كهفهم إن راع أمر و دهى
المرشد الناصح لله فما قصر في نصر الهدى و لا لها
من جد في إدراك ما رام يجد و لم يصب من قد توانى و سها
فلا يقصر بك خوف خيبة من خيل الخيبة في البدء و هى
و اكتسب الحمد بما تبديه من فتح الله بمستدامات الله
و احرص على المجد و دنياك أطرح فأمرها أمر زهيد المشتهى
و المرء من إن فاته لم يكتب و إن ينل لم يفتخر و لا ازدهى
من لازم الكبير على الناس اغتدى متضع القدر و لو نال السها
أنى تخيب اليوم آمالى ولى من كفه أكرم من صوب الحيا
يدنى الفتى إلى مدى آماله و لو غدا من دونها الأرض الليا
إن أهزل القوم زمان معوز أنعشهم حتى يرى لهم حيا
و إن أمات الجذب كل مخصب بدا لنيران القرى منه حيا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٦٨
أرسل سحب هديه جارية بالحق حتى حيا الدر حيا
أوقع فى الأنفس من ماء لدى ظام إذا ما اشتد بالشمس الحيا
لم تعى من فعل جميل كفه و لا له من المكرمات معتيا
مالى لا أبلغ أقصى غايه فى مدح من بالغ جودا و اغتيا
لكل شخص غايه يبلغها و ما له فى المعلوات مغتيا
تعي يد السائل من معرفه و لم يقصر كرما و لا اعتيا
و الآن قد أكملتها فى مدحه مقصورة يقصر عنها من خلا
ضممتها من كل فن دررا نظما فأضحت من نفيسات الحلوى
حليتها جيد معاليه و ما أملح حلى الحمد فى جيد العلا
جعلتها منى وداعا فاعتجب لنظمها الحلوى الجنى كيف حلا
من قارب الرحلة عن ذاك الحمى كيف أجاد النظم يوما أو درى
أرسلتها من خاطر خامره وجد جلا عن مقلتى طيب الكرى
و كيف لا آسى على بعدى عن قوم جرى من جودهم ما قد جرى
أنصار دين الله و الهادى الذى لو لا وضوح هديه ضلّ الورى
فالقلب بين مشرق و مغرب مقسم اللوعة مجذوب العرى

إذا ذكرت الغرب حنت مهجتي و بلّ دمعى من جوى الشوق الثرى
 وإن ذكرت حبّ من فى مشرق أبطأ بى حبهم عن السرى
 إن يصف من وجه لشخص مورد كدر من أخرى فلا صفو يرى
 فإن ترخلت فقلبى عندكم لم يرتحل عن بابكم و لا سرى
 و لا تزال رسل شوقى أبدا تترى على مجدكم الجزل الندى
 و لن تمرّ ساعة إلّا هفا بذكركم مفصح نظمى و شدا
 فليس عندى للنجاة مخلص إن لم يكن منكم نوال وجدا
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٦٩
 بكم ملاذى و حماكم ملجئى ليس سوى ذاك السماح المجتدى
 و ما ذخرنّا عدّة سواكم مثلكم من يرتجى و يجتدى
 لا أوحش الله ديارا أنتم فيها و لا أزرى بمرعاها الصدى
 و لا نأت داركم و لا خلا ربكم ما راح يوم و اغتدى

[قصيدة لابن جابر تتضمن التورية بأسماء سورة القرآن الكريم]

و من محاسنه أيضا البديعة المشهورة، و هى المعروفة ببديعة العميان، و لو لم يكن من محاسنه إلّا قصيدته التى فى التورية بسور
 القرآن و مدح النبى، صلى الله عليه و سلم، لكفى، و هى من غرر القصائد، و كثر من الناس ينسبها للقاضى الشهير عالم المغرب أبى
 الفضل عياض، و كنت أنا فى أوّل الاشتغال ممن يعتقد صحّة تلك النسبة، حتى وقفت على شرح البديعة الموصوفة لرفيقه أبى جعفر،
 فإذا هى منسوبة للناظم ابن جابر، و هى: [البسيط]

فى كل فاتحة للقول معتبره حقّ الثناء على المبعوث بالقرّة
 فى آل عمران قدما شاع مبعثه رجالهم و النساء استوضحوا خبره
 من مدّ للناس من نعماه مائدة عمّت فليس على الأنعام مقتصره
 أعراف نعماه ما حلّ الرجاء بها إلّا و أنفال ذاك الجود مبتدره
 به توّسل إذ نادى بتوبته فى البحر يونس و الظلماء معتكره
 هود و يوسف كم خوف به أمنا و لن يروّع صوت الرعد من ذكره
 مضمون دعوة إبراهيم كان، و فى بيت الإله و فى الحجر التمس أثره
 ذو أمّة كدوى النحل ذكرهم فى كلّ قطر، فسبحان الذى فطره
 بكهف رحماه قد لاذ الورى، و به بشرى ابن مريم فى الإنجيل مشتهره
 سمّاه طه، و حصّ الأنبياء على حجّ المكان الذى من أجله عمره
 قد أفلح الناس بالنور الذى غمروا من نور فرقانه لئلا جلا غرره
 أكابر الشعراء اللسن قد عجزوا كالنمل إذ سمعت آذانهم سوره
 و حسبه قصص للعنكبوت أتى إذ حاك نسجا بباب الغار قد ستره
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٧٠
 فى الروم قد شاع قدما أمره و به لقمان وفقّ للدّر الذى نثره

كم سجدة في طلى الأحزاب قد سجدت سيوفه فأراهم ربّه عبره
 سباهم فاطر السبع العلا كرما لمن يباسين بين الرّسل قد شهره
 في الحرب قد صفتّ الأملاك تنصره فصاد جمع الأعدى هازما زمره
 لغافر الذنب في تفضيله سور قد فصلت لمعان غير منحصره
 شوراه أن تهجر الدنيا فزخر فيها مثل الدخان فيعشى عين من نظره
 عزّت شريعته البيضاء حين أتى أحقاف بدر و جند الله قد نصره
 فجاء بعد القتال الفتح متّصلا و أصبحت حجرات الدين منتصره
 بقاف و الذاريات الله أقسم في أنّ الذي قاله حقّ كما ذكره
 في الطّور أبصر موسى نجم سؤدده و الأفق قد شقّ إجلالا له قمره
 أسرى فنال من الرحمن واقعه في القرب ثبت فيه ربّه بصره
 أراه أشياء لا يقوى الحديد لها و في مجادلته الكفّار قد أزره
 في الحشر يوم امتحان الخلق يقبل في صفّ من الرّسل كلّ تابع أثره
 كفّ يسبح لله الحصة بها فأقبل إذ جاءك الحقّ الذي قدره
 قد أبصرت عنده الدنيا تغابنها نالت طلاقا و لم يصرف لها نظره
 تحريمه الحبّ للدنيا، و رغبته عن زهرة الملك حقّا عند ما نظره
 في نون قد حقّت الأمداح فيه بما أثنى به الله إذ أبدى لنا سيره
 بجاهه سال نوح في سفينته سفن النجاء و موج البحر قد غمره
 و قالت الجنّ جاء الحقّ فاتبعوا مزملا تابعا للحقّ لن يذره
 مدّثرا شافعا يوم القيامة هل أتى نبيّ له هذا العلا ذخره
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٧١
 في المرسلات من الكتب انجلى نبأ عن بعثه سائر الأخبار قد سطره
 اللطافه النازعات الضيم في زمن يوم به عبس العاصي لما ذعره
 إذ كوّرت شمس ذاك اليوم و انفطرت سماؤه و دعت ويل به الفجره
 و للسماء انشقاق و البروج خلت من طارق الشهب و الأفلاك منتشره
 فسبح اسم الذي في الخلق شفعه و هل أتاك حديث الحوض إذ نهره
 كالفجر في البلد المحروس غرّته و الشمس من نوره الوضاح مستتره
 و الليل مثل الضحى إذ لاح فيه، ألم نشرح لك القول في أخباره العطره
 و لو دعا التين و الزيتون لابتدرا إليه في الحين و اقرأ تستبين خبره
 في ليله القدر كم قد حاز من شرف في الفخر لم يكن الإنسان قد قدره
 كم زلزلت بالجياد العاديات له أرض بقارعه التخويف منتشره
 له تكاثر آيات قد اشتهرت في كلّ عصر فويل للذي كفره
 ألم تر الشمس تصديقا له حبست على قريش، و جاء الروح إذ أمره
 أريت أنّ إله العرش كرمه بكوثر مرسل في حوضه نهره

و الكافرون إذا جاء الورى طردوا عن حوضه فلقد تبّت يدا الكفره
 إخلاص أمداحه شغلى، فكم فلق للصبح أسمعت فيه الناس مفتخره
 أزكى صلاتى على الهادى و عترته و صحبه، و خصوصا منهم عشرة
 صدّيهم عمر الفاروق أحزمهم عثمان ثم على مهلك الكفره
 سعد سعيد عبيد طلحة و أبو عبيده و ابن عوف عاشر العشره
 و حمزة ثم عباس و آلهما و جعفر و عقيل سادة خيره
 أولئك الناس آل المصطفى و كفى و صحبه المقتدون السادة البرره
 و فى خديجه و الزهرا و ما ولدت أزكى مديحى سأهدى دائما درره
 عن كل أزواجه أرضى، و أوتر من أضحت براءتها فى الذكر منتشره
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٧٢
 أقسمت لا زلت أهديهم شذا مدحى كالروض ينثر من أكمامه زهره
 انتهت القصيده.

[معارضة لقصيدة ابن جابر، على وزنها و رويها]

و قد عارض منحاهما جماعة فما شقوا لها غبارا، و من معارضاتها قول بعضهم: [البسيط]
 بسم الإله افتتاح الحمد و البقره مصليا بصلاة لم تزل عطره
 على نبى له الرحمن ممتدح فى آل عمران أيضا و النسا ذكره
 كذا بمائدة الأنعام فضله و وصفه التم فى الأعراف قد نشره
 أنفاله نزلت أيضا براءة من يحبه و هو مشغول بما أمره
 به نجا يونس من حوته و نجا هود و يوسف من سجن به عبره
 أقسم برعد بإبراهيم أن له فى حجر نحل ترى الآيات مشتهره
 سبحان جاعله كهفا لأئمة و مريم زوجة فى جنه نصره
 طه به الأنبياء للحجّ قد وفدوا و المؤمنون على النور اقتفوا أثره
 آيات فرقانه ذلت لها الشعرا و سورة النمل قد قصت لنا سيره
 و العنكبوت على غار له نسجت و الروم و لت برعب منه منكسره
 لقمان حكيمته من بعض حكيمته فاسجد لرب على الأحزاب قد نصره
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٩؛ ص ١٧٢
 كم فى سبا عبرة للقلب قد فطرت فلذ بياسين تنجو يا أخوا البرره
 قد صفت الأنبياء و الرسل قاطبة خلف النبى بأمر الله مؤتمره
 إن صاد قلبى الهوى تنزيل منقذه و غافر الذنب كم ذنب له غفره
 كم خلعه فصلت للطائعين له و أمرهم بينهم شورى بلا نكره
 لم تلههم زينة الدنيا و زخرفها كانوا يروها كدخان له قتره
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٧٣

إذا جثا الخلق و الأحقاف قد شرفت فذاك يوم على الكفار قد نصره
محمد خصّ بالفتح المبين و قد أتاه في الحجرات الوحي بالخيره
قاف الوفاق و ذر الطور نجم هدى و شقّ ربّ السما للمصطفى قمره
رحمن واقعه كلّ الحديد بها كم من مجادله في الحشر محتذره
من يمتحن صفنا في يوم جمعتنا فليس يلقى به غشّ و لا كدره
مطهر من نفاق ليس بينهم تغابن طلقوا دنياهم القدره
و حرموها و في ملك لها زهدوا كزهد صاحب نون حقن خبره
إن تسألوني عن نوح نبى هدى و المصطفى سامع الجنّ الذى جهره
مزمل اسمه مدّثر، و له يوم القيامة للإنسان ما ضمّره
للمرسلات نبا في يوم نازعه عبوس تكوير شمس فيه منفطره
مطفف الكيل قد بانت خسارته يوم تشقّ السما أبراجها النضره
كم طارق سبّح الأعلى بغاشية و الفجر بلدته بالشمس مستتره
و الليل قمه و لا تترك صلاة ضحى يشرح لك الصدر و الخيرات مدّخره
بسورة التين اقرأ أنها نزلت في ليلة القدر، و الأنوار منتشره
و لم يكن مثل خير الرسل أحمدنا منه تزلزلت الكفار و الفجره
بعاديات لها قرع بهامته أعمى التكاثر من قلب له بصره
من كان في عصره همّازة لمزا يلقاه قبل قريش قاهر قهره
ويل لمانع ماعون تراه غدا مباعدا كوثر الهادى الذى أثره
الكافرون إذا جا نصر خالقنا تبا لهم لعنوا هم أمة كفره
أخلص لربّ فلق الناس تنج إذا يوم المعاد غدا من شرّة عسره
و صلّ ربّ على الهادى و عترته و آله و على أصحابه العشره

[قصيدة للشيخ القلقشندى جرى فيها مجرى ابن جابر]

و ممّن سلك هذا المنهج الشيخ القلقشندى إذ قال: [البسيط]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٧٤
عوذت حبي برّب الناس و الفلق المصطفى المجتبى الممدوح بالخلق
إخلاص و جدى له و العذر يقلقنى تبّت يدا عاذل قد جاء بالملق
يهدى لأمته و النصر يعضده و الكافرون و عدّالى على نسق
هذا له كوثر و الدين شرعته و المصطفى من قريش دين و تقى
ألم تر الماء قد سحت أصابعه ويل لكل جهول بالنبي و شقى
فى كلّ عصر ترى آياته كثرت أضحى تكاثرها فى سائر الأفق
و عند قارعه فهو الشفيح لنا و العاديات من الأجفان فى طلق
و زلزلت من غرامى كلّ جارحة و كلّ بينة تحكى لكم علقى

يا على القدر رفقا مسنى ضرر فالله قد خلق الإنسان من علق
و لو دعا التين و الزيتون جاء له و الشرح عنه طويل غير مختلق
يبدو كشمس الضحى و الليل طرته كالشمس فى بلد و الفجر فى أفق
إنى بغاشية لولاك يا أملى أنت الشفيح إلى الأعلى و خير تقى
كم طارق منك بالإحسان يطرفنى مثل البروج أتى فى أحسن الطرق
و فى انشفاق فؤادى عبرة، و به ويل من الصّد، و الأجنان فى أرق
و الانفطار به ممّا يكابده و الشمس قد كورت فى القلب ذى الحرق
و الصّبّ فى عبس و النازعات به و قد أتى نبأ من دمعه الغدق
و مرسلات دم الإنسان جارية إلى القيامة من دمعى و من حرقى
و بالمدثر إنى ماسك أبدا و بالمزمل إن ألجمت بالعرق
فالجنّ و الإنس فى خير ببعثته هذا و نوح به أنجى من الغرق
و فى المعارج معراج الرسول علاحقًا، و فى حاقه كتر لمخترق
و الله مرسله فى نون بشره و الملك خيره حتى رأى و لقى
و جاء بالحلّ و التحريم أمته و بالطلاق من الدنيا لمنطلق
و فى التغابن تجار به ربّحوا إذ المنافق فى خسر و فى نفق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٧٥

يا صاحب الجمعة الغراء يا أملى فى الصف عند امتحانى أنج من زلقى
و أنت فى الحشر عونى فى مجادلتى عسى تزيل حديد النار من عنقى
و عند واقعة إن كان لى رمق فاشفع إلى ربك الرحمن من رمقى
لم أراع يا قمرى للنجم فى سهر إلّا لعلك من نار الجحيم تقى
قلبى الكليم غدا للطور مرتقيا و درّ دمعى غدا بالذاريات سقى
وقاف يعجز عن حمل الغرام بكم و ليس فى حجرات الدمع من رمق
إنّا فتحنا قتالا للعدول ففى أحقاف جائيه فى الغيظ و الحنق
دخان زخرف ما العذال فيه هبا شوراي تتركه فى أنف محترق
و عزّ من فصلت فى مدحه سور نبينا المصطفى الهادى إلى الطرق
فغافر الذنب كم أهدى به زمرا و كم سقى كفه صاد بمنندق
و ليس غيرك فى الصافات أقصده و أنت ياسين لى من سائر الفرق
يا فاطرا قد سبا الأحزاب طلعتة كم سجدة لك فى الأسحار و الغسق
لقمان يشهد أن الروم تعرفه و العنكبوت فقد سدّت عن الغلق
هذا ولى قصص بالنمل قد كتبت هامت بها الشعراء فى خده اليقق
تبارك الله من بالنور جمّله قد أفلح الحج لما زاره فوقى
يا أيها الأنبياء طه ختامكم و يا ابن مريم خذ من مسكه العبق
لاذوا بكهف لهم سبحان خالقه حتى أتى الأمر بعد الخوف و الفرق

فالركن و الحجر حقاً قد أضاء له و ذاك دعوة إبراهيم ذى الخلق
و الله ربى برّب الرعد ينصره مسير شهر بلا سيف و لا درق
فيوسف مع هود و الخليل إذا و يونس شربوا من كأسه الدهق
لتوتبتى أرتجى الأنفال منه غدا فإننى رجل أضحيت فى قلق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٧٤
أعراف أنعام إنعام له اشتهرت و كم لمائدة أسدى لمرتزق
كلّ النسا لم تلد مثل الرسول إذا فينا و فى آل عمران و لم تطق
أعطيت خاتمة من سورة البقرة لم يعطها أحد فيما مضى و بقى
فأنت فاتحة الأنباء و خاتمهم و كلّهم قد أتوا بالودّ و الملق
و القلقشندى محبّ قال سيرته فى مدح خير الورى الممدوح بالخلق
فأقبل هدية عبد أنت مالكة و انظر إليه فإنّ العبد فى قلق
صلّى عليك إله العرش ما طلعت ورقا على فتن و الورق فى الورق
و هذه القصيدة و إن لم تلحق بلاغة قصيدة ابن جابر فهى ممّا يتبرّك به، و الأعمال بالتيات.

[معارضة أخرى لقصيدة ابن جابر]

و وقفت على أخرى من هذا النمط هى بالنسبة إلى هذه كنسبة هذه إلى قصيدة ابن جابر، و هى: [الطويل]
بحمد إله العرش أستفتح القولا و فى آية الكرسي أستمنح الطولا
و فى آل عمران بدا ذكر أحمد نساؤهمو بالعقد قد أنعموا القولا
بأعراف رحماه بأنفال جوده شرفنا و فضلنا و تبنا إلى المولى
له يونس نادى و هود و يوسف و ذاكره فى الرعد لا يسمع الهولا
و دعوة إبراهيم كان محمد و فى الحجر خير الخلق قد فضل الرسلا
له أمة كالنحل قد صحّ فضلهم فسبحان من أسرى بأحمدنا ليلا
علا فضله و الناس فى كهف نيله و مريم فى الأخرى يكون لها بعلا
و طه له فضل على الخلق كلّهم و لكن جميع الأنبياء علا فضلا
و لولاه ما حجّ المقام و كعبة فأفلح من قد طاف فيها و من حلا
و من نوره الوهاج كلّ منور و فرقانه قد أخذ الكفر و البطلا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٧٧
ترى الشعرا كالنمل حول محمد إذا قصص فى العنكبوت لهم تتلى
علا ديننا روما و لقمان عالم بأنّ السيوف أسجدت كلّ من ضلّا
و الأحزاب يسيهم بحكمة فاطر و ياسين قد صفت له الملاء الأعلى
و صاد جميع الكافرين بزمره له غافر فى الحرب قد فصلت فصلا
و شوره فى الدنيا بها كلّ زلفه و قد زخرف الكفار فى دينهم جهلا
لقد رأوا الدخان حول بيوتهم بجائية الأحقاف قد قتلوا قتلا

محمدنا لم يخلق الله مثله و في الحجرات فضله أبدا يتلى
و قد أنزل الجبار قافا بذكره كما تذر الكفار ريح بها تبلى
بطور سما و النجم ما ضوء أحمد كما قمر بل نور خير الورى أجلى
به الله رحمن و فى وقعه جرى حديد به الكفار يجعلهم جدلا
و قد سمع الغفار دعوة أحمد بحشر، و لكن بامتحان به تبلى
صففنا بجمع للأعدى فمنهم منافق إن الكفر فى درك سفلى
يرى غبته فى الخير منهم مطلق و لكن من يحرم نعيما فقد ضلّا
لأحمد ملك لا يوازيه سيد و نون لقد قلنا مقالا به استعلى
بحق لقد سالت أباطح مكة بفضل الذى قد كان نوح به استعلى
صحيح بأن الجرن جاءت لأحمد و مزمل كان الغمام له ظلّا
لمدثر فضل القيامة واضح أتاه، و جمع المرسلات أتت سبلا
و عمّ بجدواه فلا من منازع فحيث تراه لا عبوسا و لا بخلا
لقد كورت شمس بها انفطر السما لويل أتى الكفار و انشق و استولى
و لكن بروج الجوّ ترهوا بأحمد و فى طارق الأفلاك فضله الأعلى
و غاشية كالفجر حلت ببلده بها حرم أمن كشمس جلت ليلا
و فاق الصّحى حقّا جبين محمد كما بانشرح الصدر قد خصه المولى
فأقسم بالتين الذى عمّ نفعه و بالقلم الأعلى لقدر له أعلى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٧٨
أ لم يكن الكفار قد ضلّ سعيهم و قد زلزلوا بالعاديات كما يتلى
و قارعة جلت و ألهاهم الهوى و و العصر إن الويل يقريهم نزل
أ لم تر أنّ الله فضّل أحمدا لأمن قريش حيثما سلكوا السبلا
أريت بأنّ الكوثر العذب خصه به، و جميع الكفر لن يردوا أصلا
لقد نصر الرحمن ربى محمدا فأردى أبا لهب و لم يكتسب نيلا
فيا أحد إنى بفضلك عائذ إذا غسق الديجور ناديت يا مولى
و لم أقف على غير هذه الأبيات من هذه القصيدة، و قد سقط منها كما رأيت سورة الناس، فقلت مكملًا على نمطه: [الطويل]

و يا مالكا للناس إنى لاند بعفوك فاغفر عمد عبدك و الجهلا
و يا ربّ عاملنا بما أنت أهله من الجود و الرحمى و إن لم نكن أهلا
و صلّ على مسك الختام محمد أتم صلاة تملأ الحزن و السهلا

[خطبة نثرية للقاضي عياض تتضمن التوراة بأسماء السور]

و تذكّرت بهذا الموضوع خطبة القاضي أبى الفضل عياض التى ضمّنها سور القرآن على المهيع الماضى آنفا، و هى: الحمد لله الذى
افتتح بالحمد كلامه، و بين فى سورة البقرة أحكامه، و مدّ فى آل عمران و النساء مائدة الأنعام ليتمّ إنعامه، و جعل فى الأعراف أنفال
توبة يونس و أله كتاب أحكمت آياته بمجاورة يوسف الصديق فى دار الكرامة، و سيح الرعد بحمده، و جعل النار بردا و سلاما على

إبراهيم، ليؤمن أهل الحجر أنه إذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ إلا إليه ولا يظلمون قلامه، وجعل في حروف كهيعص سراً مكتوناً قدم بسببه طه صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء ليظهر إجلاله وإعظامه، وأوضح الأمر حتى حجّ المؤمنون بنور الفرقان والشعراء صاروا كالنمل ذلاً وصغاراً لعظمته، وظهرت قصص العنكبوت فآمن به الروم، وأيقنوا أنه كلام الحى القيوم، نزل به الروح الأمين على زين من وافى القيامة، وأوضح لقمان الحكمة بالأمر بالسجود لربّ الأحزاب فسبا فاطر السماوات أهل الطاغوت، وأكسبهم ذلاً

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٧٩

وخزياً وحسرة وندامة، وأمد ياسين صلى الله عليه وسلم بتأييد الصافات فصاد الزمر يوم بدره وأوقع بهم ما أوقع صناديدهم فى القلب مكدوس ومكبوب حين شالت بهم التعامة، وغفر غافر الذنب وقابل التوب للبدرين رضى الله عنهم ما تقدّم وما تأخر حين فصّلت كلمات الله فذلّ من حقّت عليه كلمة العذاب وأيس من السلامة، ذلك بأن أمرهم شورى بينهم وشغلهم زخرف الآخرة عن دخان الدنيا فجتوا أمام الأحقاف لقتال أعداء محمد صلى الله عليه وسلم يمينه وشماله وخلفه وأمامه، فأعطوا الفتح وبوّثوا حجرات الجنان وحين تلاوا ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ [سورة ق: ١] وتدبروا جواب قسم الداريات والطور لآح لهم نجم الحقيقة وانشق لهم قمر اليقين فانفروا السامة، ذلك بأنهم أمنهم الرحمن إذا وقعت الواقعة واعترف بالضعف لهم الحديد وهزم المجادلون وأخرجوا من ديارهم لأول الحشر يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين حين نافروا السلامة.

أحمده حمد من امتحتته صفوف الجموع فى نفق التغابن فطلق الحرمات حين اعتبر الملك وعامه، وقد سمع صريف القلم وكأنه بالحاقة والمعارج يمينه وشماله وخلفه وأمامه، وقد ناح نوح الجنّ فتزمل وتدثر فرقا من يوم القيامة، وأنس بمرسلات النيا فتزع العبوس من تحت كور العمامة، وظهر له بالانفطار التطفيف فانشقت بروج الطارق بتسييح الملك الأعلى وغشيته الشهامة، فو ربّ الفجر والبلد والشمس والليل والضحي لقد انشاحت صدور المتقين، حين تلاوا سورة التين، وعلق الإيمان بقلوبهم فكلّ على قدر مقامه يمين، ولم يكونوا بمنفكين دهرهم ليله ونهاره وصيامه وقيامه، إذا ذكروا الزلزلة ركبوا العاديات ليطفئوا نور القارعة، ولم يلههم التكاثر حتى تلاوا سورة العصر والهمزة وتمثلوا بأصحاب الفيل فليعبدوا ربّ هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أ رأيتهم كيف جعلوا على رؤوسهم من الكور عمامة، فالكوثر مكتوب لهم والكافرون خذلوا وهم نصرروا وعدل بهم عن لهب الطامة، وبسورة الإخلاص قرؤوا وسعدوا وبربّ الفلق والناس استعاذوا فأعينوا من كلّ حزن وهمّ وغمّ وندامة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة نال بها منازل الكرامة، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ما غرّدت فى الأيك حمامة؛ انتهت.

وممن نسبها للقاضى عياض الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبى العباس أحمد بن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٨٠

أبى جمعة الوهرانى، وفى نفسى من نسبتها له شىء لأنّ نفس القاضى فى البلاغة أعلى من هذه الخطبة، والله تعالى أعلم.

[خطبة لسعيد بن أحمد المقرئ عم المؤلف عارض بها خطبة القاضى عياض]

و كنت رأيت بتلمسان المحروسة بخط عمى ومفيدى ولّى الله تعالى العارف المعروف بشيخ الشيوخ الإمام المفتى الخطيب سيدى سعيد بن أحمد المقرئ - صبّ الله عليه سجال الرضوان! - خطبة من هذا النمط نصّها:

الحمد لله الذى افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ليصطفى من آل عمران رجالا ونساء وفضّلهم تفضيلا، ومدّ مائدة أنعامه ورزقه ليعرف أعراف أنفال كرمه وحقّه على أهل التوبة وجعل ليونس فى بطن الحوت سيلا ونجى هودا من كربه وحزنه، كما خلص يوسف من سجنه وجبه، وسبح الرعد بحمده ويمنه، واتخذ الله إبراهيم خليلا، الذى جعل فى حجر الحجر من النحل شرابا نوع

باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بخفى لطفه سبحانه، واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه، وأرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلا، وفضل طه على جميع الأنبياء فأتى بالحج والكتاب الممكنون، حيث دعا إلى الإسلام قد أفلح المؤمنون، إذ جعل نور الفرقان دليلا، وصدق محمدا صلى الله عليه وسلم الذى عجزت الشعراء فى صدق نعته، وشهدت النمل بصدق بعثه، وبين قصص الأنبياء فى مدء مكته، ونسج العنكبوت عليه فى الغار ستر مسدولا، وملئت قلوب الروم رعبا من هيبتة، وتعلم لقمان الحكمة من حكمتة، وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوتة، وهزم الأحزاب وسباهم وأخذهم أخذا وبيلا، فلعبه فاطر السماوات والأرض بياسين كما نفذ حكمه فى الصافات، وبين صاد صدقه بإظهار المعجزات، وفرق زمر المشركين وصبر على أقوالهم وهجرهم هجرا جميلا، فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفصلت رقاب المشركين إذ لم يكن أمرهم شورى بينهم وزخرف منار الإسلام وخفى دخان الشرك وخزت المشركون جائية كما أنذر أهل الأحقاف فلا يهتدون سيلا، وأذل الذين كفروا بشدة القتال وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز، وحجر الحجرات الحريز، وبقاف القدرة قتل الخراصون تفتيلا، كلّم موسى على جبل الطور، فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم فاقتربت بطاعته مبادئ السرور، وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور، فتعجب الحديد من قوته، وكثرة المجادلة فى أمته، إلى أن أعيد فى الحشر بأحسن مقيلا، امتحنه فى صف الأنبياء وصلى بهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٨١

إماما، وفى تلك الجمعة ملئت قلوب المنافقين من التغابن خسرا وإرغاما، فطلق وحرم تبارك الذى أعطاه الملك وعلم بالقلم ورتل القرآن ترتيلا، وعن علم الحاقه كم سأل سائل فسأل الإيمان، ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان، وأتت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن فأنزل عليه: يا أيها المزمل، قم الليل إلا قليلا، فكم من مدثر يوم القيامة شفقة على الإنسان إذا أرسل مرسلات الدمع فعم يتساءلون أهل الكتاب، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عبس عليهم مالك وتولاهم بالعذاب، وكورت الشمس وانفطرت السماء وكانت الجبال كثيبا مهيلا، فويل للمطففين إذا انشقت السماء بالغمام، وطويت ذات البروج وطرق طارق الصور بالنفخ للقيام، وعز اسم ربك الأعلى لغاشية الفجر فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويلا، فطوبى للمصلين الضحى عند انشراح صدورهم إذا عاينوا التين والزيتون وأشجار الجنة فسجدوا باقرا باسم ربك الذى خلق هذا النعيم الأكبر لأهل هذه الدار ما أحيوا ليلة القدر وتبتلوا تبتيلا، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا حميم، وتسوقهم كالعاديات إلى سواء الجحيم، وزلزلت بهم قارعة العقاب وقيل لهم: ألهاكم التكاثر، هذا عصر العقاب الأليم، وحشر الهمزة وأصحاب الفيل إلى النار فلا يظلمون فتيتا، وقالت قريش:

ما أنتم من هول المحشر، أ رأيت الذى يكذب بالدين كيف طرد عن الكوثر، وسيق الكافرون إلى النار وجاء نصر الله والفتح فتبت يدا أبى لهب إذ لا يجد إلى سورة الإخلاص سيلا، فنعوذ برّب الفلق من شرّ ما خلق، ونعوذ برّب الناس ملك الناس إله الناس من شرّ الوسواس الخناس الذى فسق، وتوب إليه، وتوكل عليه، وكفى بالله وكيفا؛ انتهى.

ومن إنشاء الفقيه الجليل الشريف الكامل أبى المجد عبد المنعم ابن الشيخ الفقيه العدل أبى جعفر أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمى الطنجالى رحمه الله تعالى ونفعنا به وبسلفه الطاهر:

[من نظم ابن جابر و فى معناه لشمس الدين الدمشى]

و من نظم ابن جابر المذكور قوله: [الكامل]

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر نور النبوة فى كريم وجوههم يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٨٢

و في هذا المعنى يقول شمس الدين الدمشقي: [الكامل]
 أطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام على الأشراف
 و الأشراف السلطان خضهم بها شرفا لتفرقهم من الأطراف
 و الأشراف المذكور هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحى الألفى، رحمهم الله تعالى!
 و قال الرحالة ابن بطوطة في رحلته عند ذكر سلطان ماردين ابن الملك الصالح ابن الملك المنصور ما نصّه: و له المكارم الشهيرة، و
 ليس بأرض الشام و العراق و مصر أكرم منه، يقصده الشعراء و الفقراء فيجزل عطاياهم جريا على سنن أبيه. قصده أبو عبد الله محمد
 بن جابر الأندلسى الهوارى الكفيف مادحا فأعطاه عشرين ألف درهم؛ انتهى.

[من شعر ابن جابر أيضا]

و من شعر ابن جابر رحمه الله تعالى: [البسيط]
 و في الخيام و من لى بالخيام رشا لا أحسب البدر فى حسن يقاومه
 مثل الغزاة إن تاهت و إن طلعت فكيف يصرف عنه الصبّ لائمه
 و قوله رحمه الله تعالى: [البسيط]

فى القلب من حبكم بدر أقام به فالطرف يبصر نورا حين يبصره
 تشابه العقد حسنا فوق لبته و الثغر نظما إذا ما لاح جوهره
 و قوله: [الكامل]

ردف أقام لنا بها فتن الهوى و إذا أتت لتقوم قال لها اقعدى
 أبصرتها ما بين ذاك و بين ذا فوقعت منها فى المقيم المقعد
 و قوله: [السريع]

سامح بالوصل على بخله و قال لى أنت بوصلى حقيق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٨٣
 فقلت ما رأيك فى نزهة ما بين كاسات و روض أنيق
 فقال يعنى خده و اللّمي: هذا هو الروض و هذا الرحيق
 فبتّ من دمعى و من خده ما بين نعمان و بين العقيق
 و إذ تدلّلت على حبه قال: أما تخشى؟ أما تستفيق؟
 قدّى و خدى خفهما يا فتى هذا هو الرمح و هذا شقيق
 و قوله: [الخفيف]

وقفت للوداع زينب لَمّا رحل الركب و المدامع تسكب
 مسحت بالبنان دمعى، و حلو سكب دمعى على أصابع زينب

[رجع لأولاد لسان الدين، من ترجمة على بن لسان الدين]

رجع إلى أولاد لسان الدين رحمه الله تعالى.

و من قصيدة موشحة لابن زمرك يخاطب بها شيخه و مخدومه الوزير لسان الدين بن الخطيب قبل أن يظلم الجوّ بينه و بينه، جوابا عن رسالة خاطب بها لسان الدين بن الخطيب أولاده صدر نظم له لم يحضرني ذلك الآن قوله: [مخلع البسيط]

ما لى بحمل الهوى يدان من بعد ما أعوز التدانى

أصبحت أشكوه من زمان ما بتّ منه على أمان

ما بال عينيك تسجمان و الدمع يرفض كالجمان

ناداك و الإلف عنك و ان و البعد من بعده كوانى

يا شقّة النفس من هوان لّجج فى أبحر الهوان

لم يثنه عن هواك ثان يا بغيّة القلب قد كفانى

و قال بعض الحفاظ فى ترجمة أبى الحسن على بن لسان الدين بعد أن ذكر روايته عن أبيه و ابن الجياب و ابن مرزوق: إنه أخذ عن جماعة غيرهم، كالشريف القاضى الفقيه أبى على الحسن بن يوسف بن يحيى بن أحمد الحسنى السبتي نزيل تلمسان، و الفقيه الإمام العلامة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٨٤

قاضى الجماعة بفاس و كبير العلماء بالمغرب أبى عبد الله محمد المقرئ التلمسانى القرشى، و الشريف العالم أبى القاسم محمد بن الفقيه العالم المعلم لكتاب الله تعالى أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن على بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن الحسن بن إدريس بن الحسن بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم، و ليس إدريس المذكور هنا بملك المغرب و جدّ الأدارسة.

قال: و روى أيضا عن القاضى ابن شبرين الإشبلى ثم السبتي نزيل غرناطة، و القاضى أبى البركات البلفيقي، و الكاتب صاحب القلم الأعلى أبى جعفر بن صفوان القيسى المالكي، و ابن خاتمة، و الفقيه الحاج أبى القاسم محمد ابن الفقيه الصالح العالم أبى عمرو يحيى ابن الفقيه الصالح أبى القاسم محمد الغسانى الرحبي نزيل فاس، و غيرهم ممن يطول تعدادهم من الأئمة الأعلام، نجوم الإسلام؛ انتهى.

[خطبة الكفعمى فى التنويرية بسور القرآن الكريم]

و قد وقفت للكفعمى رحمه الله تعالى فى شرح بديعته على خطبة و قصيدة من هذا النمط. قال رحمه الله تعالى ما نصّه:
و لنختم الخاتمة بخطبة و جيزة، فى فتها عزيزة، و جعلناها فى مدح سيد البرية، و تورياتها فى السور القرآنية، فكن لسورها قاريا، و لمعارجها راقيا، و علّ و انهل من شرابها السكرى، و فكه نفسك بتسجيها العبرى، و هى هذه:

الحمد لله الذى شرف النبى العربى بالسيح المثانى و خواتيم البقرة من بين الأنام، و فضل آل عمران على الرجال و النساء بما وهب لهم من مائدة الأنعام، و منحهم بأعراف الأنفال و كتب لهم براءة من الآثام، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى نجى يونس و هودا و يوسف من قومهم برعد الانتقام، و غذى إبراهيم فى الحجر بلعاب النحل ذات الإسراء فضاهى كهف مريم عليها السلام، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله الذى هو طه الأنبياء و حجّ المؤمنين و نور فرقان الملك العلام، فالشعراء و النمل بفضلته تخبر، و لقصص العنكبوت الروم تذكر، و لقمان فى سجده يشكر، و الأحزاب كأيدى سبا تقهر، و فاطر يس لصافاته ينصر، و صاد مقله زمرة تنظر الأعلام، قال حم بقتال فتحه فى حجرات قافه قد ظهرت، و ذاريات طوره و نجمه و قمره قد عطرت، و بالرحمن واقعه حديده يوم المجادلة قد نصرت، و أبصار

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٨٥

معانديه في الحشر يوم الامتحان حسرت، و صفّ جمعته فائز إذ أجساد المنافقين بالتغابن استعرت، و له الطلاق و التحريم و مقام الملك و القلم فناهيك به من مقام، و في الحاقه أعلى الله له المعارج على نوح المتطهر، و خصّه من بين الإنس و الجنّ بيا أيها المزمّل و يا أيها المدّثر، و شفّعه في القيامة إذا دموع الإنسان مرسلات كالماء المتفجّر، و وجهه عند نيا النازعات و قد عبس الوجه كالللال المتنور، و يوم التكوير و الانفطار و هلاك المطففين و انشاق ذات البروج بشفاعته غير متضجر، و قد حرست لمولده السماء بالطارق الأعلى و تمت غاشية العذاب إلى الفجر على المردة اللثام، فهو البلد الأمين و شمس الليل و الضحى المخصوص بانسراح الصدر، و المفضل بالتين و الزيتون المستخرج من أمشاج العلق الطاهر العلى القدر، شجاع البرية يوم الزلزال إذ عاديات القارعة تدوس أهل التكاثر و مشركى العصر، أهلك الله به الهمزة و أصحاب الفيل إذ مكروا بقريش و لم يتواصوا بالحقّ و لم يتواصوا بالصبر، المخصوص بالدين الحنيفى و الكوثر السلسال و المؤيّد على أهل الجحد بالنصر، صلّى الله عليه و على آله و أصحابه ما تبّت يدا معاديه، و نعم بالتوحيد مواليه، و ما أفصح فلق الصبح بين الناس و امتدّ الظلام.

[قصيدة في نسق سور القرآن للكفعمي أيضا]

و لنشفع هذه الخطبة بقصيدة على سور القرآن، في مدح سيد ولد عدنان، يحسن هنا أن ننضى عن فرائد نفائسها لطلابها، ما أعدف من خمرها و ستورها، و نجلى عن خرائد عرائسها لخطابها، ما أسدف من غررها في خدورها، فانظر إلى سور أبياتها و صور تورياتها، ثم ادعهنّ يأتينك سعيًا، فحفظا لها و وعيا، و هى هذه: [الكامل]

يا من له السبع المثاني تنزل و خواتم البقره عليه أنزل
 فى آل عمران النساء لم يلدن نظيره أعياد ذلك تفعل
 مولى له الأنعام و الأعراف و ال أنفال و الحكم التى لا تجهل
 بعلاه توبه يونس قبلت كذا هود و يوسف رعدهم يتجلجل
 و كذاك إبراهيم فى حجر له و النحل فى الإسرا عليه تعول
 يا كهف مريم أنت طه الأنبيا و الحج ثم المؤمنون الأفضل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٨٦
 يا نور يا فرقان يا من مدحه نطقت به الشعراء و هو المرسل
 و النمل فى قصص الحديث به دعت و عليه نسج العنكبوت يهدل
 و الروم تتلو اسمه و لكم به لقمان حقًا فى المضاجع يسأل
 و بعزمه الأحزاب جمعهم سبا و به الملائكة الكرام تفضل
 يس سماء الإله بذكره و كواكب بسعوده لا تأفل
 يا ليتنى صاد شربت بكأسه و عليه فى زمر وردت فأنهل
 كم مؤمن قد فصلت أعلامه من زخرف بجدها يا من يعقل
 و دخان جاثية على أحقادها بقتاله أطفى و فتح أدخل
 حجرات قاف ذاريات سمائه فى طورها نجم منير يكمل
 و دنا له القمر المنير و شقه الرحمن واقعه له لا تجهل
 زغف الحديد بحربه أصواتها رعد مجادلة لقوم أبسلوا
 و له لدى الحشر العظيم شفاعه فى أمه بالامتحان تسربلوا

عن صفّ جمعته المنافق نائيا يوم التغابن من حديد ينعل
يا من به شرع الطلاق و من له ال تحريم و الملك العظيم الأجل
يا من به ذو النون لاذ بيمنه لَمَا أُصِيبَ بِحَاقَةِ لَا تُعَدَلُ
يا من سأل نوح بطاهر اسمه يا من أتته الجنّ يا مزمل
مدّثر يوم القيامة شافع و مخلص الإنسان و هو الموثل
يا من نزول المرسلات بيعته يا أيها النبأ العظيم الأكل
و النازعات نزعن نفس عدوّه هذا، و قد عبس الجبين و أذهلوا
و هو الشفيح إذا المنيرة كوّرت و الانفطار من السماء يعجل
ولدى ذوى التطفيف ويل و السما فى الانشقاق إذا البروج تبدل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٨٧
و الله قد حرس السماء بطارق لولادة الأعلى به يتفضل
و أزال غاشية العذاب و نوره كالفجر إذ أنواره تتهلّل
بلد أمين ثم شمس أشرقت و الشعر ضاهى الليل بل هو أليل
شمس الضحى من وجهه و لصدرة الانشراح، و قلبه لا يغفل
يا من أتى فى التين حقًا ذكره فاقراً و لا يرتاب فيه، و أسألوا
يا من ليالى القدر بينة له و عداه بالزلزال منه تزلزلوا
بالعاديات أزال قارعة العدا و بقوله ألهاكم ما تجهل
و لقد أتى من قبل عصر نبينا ويل لأهل الفيل منه و قتلوا
هو صاحب الإيلاف و الدين الذى يسقى غدا من كوثر يتسلسل
و الكافرون لنصره فى جيدهم مسد إذا التوحيد عنه تعدل
يا خاتما فلق الصباح كوجهه و الناس منه مكبر و مهلّل
أبياتها ميقات موسى عدّه و الكفعمى بمدحه يتجمل
صلّى عليه الله مع أصحابه ما زال طير العندليب يعندل

[ترجمة إبراهيم بن على الكفعمى]

و الكفعمى هو إبراهيم بن على بن حسن بن محمد بن صالح نسبة إلى كفر عيما قرية من قرى أعمال صفد، كما تقول فى النسبة إلى
بنى عبد الدار: عبدرى، و إلى حصن كيفا:
حصكفى، و شرحه لبديعته سمّاه «نور حدقة البديع، و نور حديقة الربيع» و ما رأيت مثله فى سعة الحفظ و الجمع.

و من نظمه فى أسماء الكتب: [الخفيف]

يا طريق النجاء بحر فلاح أنت دفع الهموم و الأحزان
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٨٨
أنت أنس التوحيد عدّه داع ثم روح الإحيا و فلك المعانى
نهج حى و نثر درّ نيته و رياض الآداب ذكرى البيان

فائق رائع مسرّة راضٍ منتهى السؤل جامع للأمانى
 نزّهة عدّه ظرائف لطف روضه منهج جنان الجنان
 فصاح الألفاظ فيه تلقى و شذور العقود و المرجان
 و هو قوت القلوب نهج جنان و كنوز النجاح و البرهان

فناسب بين أسماء الكتب، و قصده غير ذلك، و أكثر هذه الكتب التى ورى بها غير موجودة بأيدي الناس، بل و لا معروفة لديهم، و هذا دليل على صحّة اطلاعه.

و من بدائع الكفعمى المذكور رساله كتب بها إلى قاضى القضاة العالم العلامة أبى العباس ابن الفرفورى فى شأن أستاذ قاضى القضاة المذكور الأمير علاء الدين، و يخرج من أثنائها قصيده منها: يقبل الأرض و ينهى (سلام) عبد لكم (محب) و على المقه مكب (لوبدا) للناظرين (عشر) معشار (شوقه) و غرامه (لطبق) ذلك (ما بين) آفاق (السموات) السبع (و الأرض) لشده هيامه (تراه) حقاً (لكم) حافيا (بالأمن) و السرور (و السعد) و الحبور (داعيا) لا جرم (و هذا) الثناء المتوالى و (الدعا) للمقام العالى (لا شك) من لازم (الفرض) ملكه الله تعالى أزميه البسط و القبض (و أنجاك) ربى من المصاعب (فى) دينك و (دنياك) و أنقذك (من) شرّ (كل) صغير (شده) و كبيرها (و أرضاك) و جعلك أمينا (فى) الأرض، إلى (يوم القيامة) و النشور (و العرض، كما أنت) أمن (لى) من المخاوف (و عون) فى كلّ شده (و غوث) و ملجأ (و عدة) و أنجحت آمالى (و وفرت) بإخداكم (لى مالى) و أحسنت قرضى (و وفرت) بإجلالك (لى عرضى، و ينهى) المملوك (إلى) سيده (قاضى القضاة) و كافى الكفاة (بأن) المتولى الأمين (ذا) الفخر المبين (على ابن) المرحوم (فخر الدين) قوله (فى أمركم) العالى (مرضى) و فعله مقضى (و مدحكم) عليه (فرض) واجب (يراه) أبدا (لسانه) و يذكر المناقب (و حبكم) له و اختياركم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٨٩

(إياه) دالّ بأنه أمير حكيم (شاهده) حقاً (يقضى) يجعله على خزائن الأرض إنه حفيظ عليم (حديث) مدح (سواكم) ليس من مدائحه، و (لا- يمرّ) أبدا (بقلبه*) و جوارحه (و إن مرّ) فى خاطره (لا- يحلو) قطعاً (و حكمكم) عليه شرعاً، و مرسومكم (يمضى) و أمركم يقضى (يتيه) سرورا (به) رؤساء الشام، و (من فى القبيبات) من الأنام، (عزّه) و علوا (لخدمته) الشريفة (إياك) و لأنه (يا قاضى) قضاة الدين و (الأرض) لا يريد سواك، (فإن يك) الخادم المذكور (فى) بعض (أفعاله) غافلا (أو) فى (مقاله) غير كامل و (عصاكم) فى بعض الأمر (فعين العفو) و الستر (عن ذنبه) لا جرم (تغضى)، و هو بتوبته إليه يفضى، و (سلام) الله (عليكم) و رحمته لديكم (كلّما) نطق ناطق أو (ذرّ) فى المشارق (شارق) و ما دارت الأفلاك، (و سبحت) بلغاتها (الأملاك، فى) فسيح (الطول و) رحب (العرض)، دوما ما بين السماء و الأرض.

و هذه أبيات القصيدة المتولّدة من هذه الرسالة: [الطويل]

سلام محبّ لو بدا عشر شوقه لطبق ما بين السماوات و الأرض

تراه لكم بالأمن و السعد داعيا و هذا الدعا لا شكّ من لازم الفرض

و أنجاك فى دنياك من كلّ شده و أرضاك فى يوم القيامة و العرض

كما أنت لى عون و غوث و عدّه و وفرت لى مالى و وفرت لى عرضى

هذا، و يصحّ أن يقرأ «عونا» بالنصب على الحالّية، و هو الذى رأيتّه بخطّه، أعنى الكفعمى، ثم قال: [الطويل]

و ينهى إلى قاضى القضاة بأنّ ذا علىّ بن فخر الدين فى أمركم مرضى

و مدحكم فرض قراه لسانه و حبكم إياه شاهده يقضى

حديث سواكم لا يمرّ بقلبه و إن مرّ لا يحلو و حكمكم يمضى

يتيه به من فى القبيبات عزة لخدمته إياك يا قاضى الأرض
فإن يك فى أفعاله أو مقاله عصاكم فعين العفو عن ذنبه تغضى
سلام عليكم كلما ذرّ شارق و سبّحت الأملاك فى الطول و العرض
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٩٠

قلت: و هذه طريقة بديعة، و قد تبارى فيها السلف، فبعضهم يعمد إلى أحاديث أو آيات و ينسج على منواله مثلها، و يفرقها فى أبياته
أو سجعاته، و يكتبها بلون مخالف للأصل، و قد ذكرت فى روضه الورد من «أزهار الرياض» من كلام ابن عاصم ما لا مزيد وراءه،
فليراجع من أراد، و ذكرت فى غيره أيضا نبذة.

[رجع إلى نظم ابن جابر]

رجع إلى نظم ابن جابر- فمن ذلك قوله: [مجزوء الكامل]

ناديت من أسرى به بحياة من أسرى به

سل مدمعا تجرى به بلواه فى تجريبه

و قوله: [الرمل]

أيها العاذل فى حبي له خلّ نفسى فى جواها تحترق

ما الذى ضرك منه بعد ما صار قلبى فى هواه تحت رقّ

و له: [البسيط]

برد الصباح على برد الصبا سحرا ما زال يذكرنى أوقات نعمان

لهفى لعيش قضينا فى معاهدها ما بين حسن من الدنيا و إحسان

و له رحمه الله تعالى من حسناته المقبولة المضاعفة أيضا: [الطويل]

جعلت ملاك العين و القلب فى الهوى بناطقة القرطين صامتة القلب

تصحّف لى ألحاظها لين قدّها و قلبه كيما تصيد به قلبى

قال بعض علماء المشرق: أجاد و الله هذا العالم المغربى المقال، و أراد أن لفظ لين إذا قلب صار نيلا، و إذا صحّف صار نبلا، و هذا
زيادة على ما فيه من التحريف؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٩١

[من شعر أبى جعفر، رفيق ابن جابر]

و قريب منه لرفيق المذكور قوله: [الكامل]

يفتر عن برد يثير ببرده حرّ الغرام و لا سبيل لرشفه

أخذ الرشا من حسنه طرفا لذا نسب الورى طرف الجمال لطرفه

و له: [السريع]

تجرّ فرعيتها على إثرها رافله فى حلال الحسن

فتطلع البدر لنا فى الدّجى و ترسل البدر على الغصن

وله: [الخفيف]

قد نعمنا بجزع نعمان لكن عَقْنَا البعد، و العقوق قبيح

قل لأهل الخيام أمّا فؤادى فجريح لكنّ ودّى صحيح

وقوله: [المنسرح]

مقدّمات الرقيب كيف غدت عند لقاء الحبيب متّصله

تمنعنا الجمع و الخلوّ معا و إنما ذاك حكم منفصله

و له يمدح سيد الخلق و خاتم المرسلين، صلّى الله عليه و عليهم أجمعين: [الرمل]

رحمة أرسله الله لنا و شفيعا قد غدا فينا غدا

وهب المال لمن مال له و فدى من ذنبه من وفدا

ليس يحصى فضله إلّا الذى هو أحصى كلّ شيء عددا

وله: [الرمل]

حسّن التّيه ما اسطعت و لا تتبّع فى الناس أسباب الهوى

إنما الأعمال بالتّيات، من ينو شيئا فله ما قد نوى

وله: [الكامل]

قالت و قد حاولت نيل وصالها من غير شيء لا تجوز المسألة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٩٢

بالله قل لى أين نحوك يا فتى أ رأيت موصولا يجيء بلا صله

[بين ابن عنين و الملك المعظم و مقطعات من شعر ابن جابر أيضا]

و هذا معنى قد تلاعب الشعراء بكرته، و قضيه ابن عنين فى ذلك مع المعظم دالّة على توقّد فكرته، و ما ذاك إلّا أنه مرض فكتب إلى

الملك المعظم: [الكامل]

انظر إلىّ بعين مولى لم يزل يولى الندى، و تلاف قبل تلافى

أنا كالذى، أحتاج ما يحتاجه فاغنم دعائى و الثناء الوافى

فعاده المعظم و أعطاه ألفا، و قيل: ثلاثمائة، و قال له: هذه الصلّة، و أنا العائد.

و قال ابن جابر المذكور: [الكامل]

يا دار ليلى لا صمتك يد البلى و سقاك درّ الغيث كلّ سحاب

أصبو إلىّ تلك الربوع و كيف لا أصبو و هنّ منازل الأحباب

و قال من قصيدة: [الطويل]

و أطلب تشويق الأنام بحسنه فأذكر من أسمائه كلّ طيب

و منها:

و إنى لم أمدحه إلّا تشوّقا و إن كان مشهورا بشرق و مغرب

و قال: [الخفيف]:

شاه وجه الرقيب إذ شاء و صلى قمرى، و الأنام عنّا نيام

زارنى بالنهار فى الليل لكن ليل فرع يحار فيه الظلام

و قال: [السريع]

يا أيها الجائر فى حكمه إنى فيما قد جرى حائر
قدك من أعدل شىء يرى و أنت فى أهل الهوى جائر

و قال: [السريع]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٩٣
قد زعم العاذل لى أنه يهدى لى الرشد بما يصنع
ما هو هاد لى و لكنّه هاذ فسمعى قال لا تسمعوا

و قال: [السريع]

شفى فؤادى من شقا هجره و بت من لقياه فى عيد
و زارنى يحكى غزال النقا فى الحسن لو لا الحلّى فى الجيد

و قال: [الرمل]

سلب القلب غزال قدّه قد حكى البان لنا و السلما

ساحر العين إذا أبصره كاتب ألقى لديه القلما

و قال: [الكامل]

يكفى الأنام بسيفه و بسبيبه عقد المكاره و المكارم دائما

و قال: [الطويل]

تحلّت بما يحكى محاسن ثغرها و حلّت عقود الصبر منى عقودها

ثقيله أرداف فصعب قيامها بما حملت منها و سهل قعودها

و قال: [الطويل]

أبى حسننا إلا افتتان قلوبنا فكم قد أباد الحسن فيها من الناس

و قالت تحمّل طول هجرى إن ترد وصال ذوات الحسن قلت على الراس

و قال: [السريع]

أراد إنسان، أراد الرضا منهم رجا ما ليس بالممكن

سيان أن يعطوا و أن يمنعوا قد ضاع فيهم كرم المحسن

و قال: [البسيط]

يا جيره الحى، حيا الله وادىكم فكم سرور به للقلب قد عرضا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٩٤

فكم أنال حياة أستلذ بها إذا أنا لم أنل من وصلكم غرضا

و قال: [الخفيف]

شبّ حرّ الفؤاد ماء رضاب منه قد حار فيه ماء الغمام

زان بالحلى جيده قلت: ما ذا؟ قال: شىء نظمته من كلامى

و قال: [الخفيف]

صاد قلبي و صدّ عني صدودا و اثنتي يسحب الذوائب سودا
 فرأيت الصباح في الليل يبدو و شهدت الرشا يصيد الأسود
 و قال: [الكامل]

إنّي سئمت من الزمان لطول ما قد صدّ عن حسن الوفاء رجاله
 و من النوادر في زمانك أن ترى خلّا به حمدت لديك خلاله
 و قال: [السريع]

إن قابل الغصن بأعطافه فقلّ أن تبصر من فرق
 قلت قد استعبدت كلّ الوري فقال ذاك البعض من حقّي
 و قال: [الخفيف]

صحّ أنّ الصباح من وجتيتها و غصون الرياض من معطفها
 قاتل الله عاذلي قلّ يوم ليس يسعى بالعدل فيه إليها
 و قال: [البسيط]

شدّوا محاملهم يوم الرحال و قد محاروم اصطباري فقد من رحلا
 هزّوا الغصون على الكشبان حين مضوا و أسبلوا فوق أقمار الدّجي ككلا
 و قال: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٩٥
 خذ ترى الورد بعضا من محاسنه تبارك الله ما يحلى شمائله
 لصارم اللحظ قد أرخى حمائل من عذاره فحمى عنّا خمائله
 و قال: [الخفيف]

قام حادي الركاب ليلا فغنى فاستقام السرى و ثار الغرام
 قيل نام الأنام فاهجع قليلا قلت دون الحبيب لست أنام
 و قال: [الطويل]

ترامى بنا في البيد شوق إلى الحمى ترى عنده الأجنان منهلة الدمع
 فلما رأينا ربع من سكن الحشا نزلنا فقتلنا ترى ذلك الربع
 و قال: [الطويل]

يراودني الواشى على حبّ غيرها و إنّ محالا أن يرى مثل حسنها
 موقرة الأرداف، مهضومة الحشا يريك التفات الطبي فاتر جفنها
 و قال: [البسيط]

سلّت علينا سيوفا من لواظها و ما لنا من سيوف اللحظ من وافي
 أضحت لسفك دم العشاق هادرة فما ترى ديه في قتل عشاق
 و قال: [البسيط]

في خدّها شبه للخال أو شية بما حوى الحسن من الطاف أسرار
 وشى من الحسن لم يحتج لصنع يد تبارك الله هذا صنعة الباري

و قال: [الكامل]

بين الجوانح لو علمت من الجوى نار عليها سكب عيني يهمع
فدع المدامع فى مدى جريانها فالدمع بعد فراقهم لا يمنع
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٩٦

و قال: [البيسط]

قالوا بدارين قد قالوا، و قد وردوا ماء العقيق، و بالزوراء قد باتوا
بانوا عن العين لكن بالقلوب ثووا و فى البعاد عن الأحباب آفات
و قال: [السريع]

مليحة الخدّ به شامة كالورد قد نقت بالغالیه
قلت لها: ما اسمك؟ قولى لنا قالت: فما تعرفنى غاليه
و قال: [السريع]

جارية جارية فى مدى شبابها من أمّ ملح الخلق
ما بين فرق الصبح لَمّا بدا و وجهها للناس من فرق
و قال: [السريع]

لصّبّه منه امتداد النوى فلا يلام الدمع فى صبّه
فى قدّه لين فهلاًّ قضى بقلبه منه إلى قلبه
يريد بالقلب الأول التحويل و النقل: أى فهلاًّ قضى بنقل اللين الذى فى قدّه إلى قلبه.
و قال: [البيسط]

يا لابس اللام و الأسياف عارية قد انعطفت على الأعطاف و اللام
و يا ضجيج رماح الخطّ يرسلها فى كلّ هام لها باللحظ فى الهام
الهام الأول: جمع هامة، و الثانى اسم فاعل من همى يهمى.
قال رفيقه: لو قال «من الهام» لكان أليق بالمعنى و أطف.
و قال: [السريع]

من مال يبغي كسب مال له من حرمه إن جاء أو حلّه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٩٧
فلا تثق يوماً به و احترز منه فما يبقى على خله
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٩؛ ص ١٩٧
قال يتشوّق إلى وطنه بالمرية: [الكامل]

لله عيش بالمرية قد ذهب أخباره بالحسن تكتب بالذهب
وهبت لنا تلك الليالى مده ثم استردّ الدهر ممّا ما وهب
و قال: [الخفيف]

أنّ من شوقه فتار الضّرام و درى الناس أنه مستهام
لا تسل ما جرى من الدمع لَمّا قيل هذى النقا و هذى الخيام

و قال: [الطويل]

صلاة إله العالمين على الذى أقلّ العطايا منه واد من النعم
يجود على الراجى و إن كان مذنباً و ما قوله للسائلين سوى نعم

و قال: [الرملى]

قد سبا قلبى غزال فاتن سل به كيف اعتدى فى سلبه
أنا لا أعتب فيما قد جرى صفح الله له عن ذنبه

و قال: [المتدارك]

صبرت له فتمادى به هواه، فكانت هى الفاصله
و أنكر بڑى و يا طالما أتانى يوماً فألفى صله

و قال: [الرجز]

و ليل نظمنا به شملنا كما انتظم البيت بالقافية

و فرقتنا الدهر من بعد ذا فلست من اليوم ألقى فيه

أى فئه، و لم يكمل التجنيس فيه إلا بتسهيل الهمزة كما قال رفيقه، و لما أنشده قال:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٩٨

و من هذا النوع قول بعض الأندلسيين: [السريع]

و قائل قال ألا صف لنا بستاننا هذا و نارنجنا

قلت لهم بستانكم جئته و من جنى النارنج نارا جنى

و قال ابن جابر المذكور: [الخفيف]

قل بحق الهوى سمحت بوصل ربّ القلب أم نهاك الرقيب

رمت نيل الوصال منها فقالت لك وصل غدا فقلت: قريب

و قال: [الخفيف]

زین الخدّ منه صدغ كنون قد بدا تحته عذار كلام

قلت هذى محاسن ابن هلال فانتنى و هو ضاحك من كلامى

و قال: [الوافر]

لها حسن لها عن كلّ واش به قلبى فما أنا أستفيق

على وجناتها نعمان يبدو لنا و شفاهها هنّ العقيق

و قال: [البسيط]

يمرّ بى ذكركم، و الله أحيانى و لو سرى طيفكم ليلا لأحيانى

لا يعذب العيش لى بعد العذيب و لا نعيم مثل ليالينا بنعمان

و قال: [الطويل]

مدارة هذا الخلق أوليك بينهم صفات هى الأقمار و النظم دارات

و اشارات حمد المرء أن لا ترى له على الناس ممّا لازم الحلم دارات

و قال: [الطويل]

أراني كم أسعى إلى خامل، و لو أراك مدى في فرقد بلغ السها
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ١٩٩
 و ما الخير يوما من لثيم بممكن و إن كان منه الخير يوما فقد سها
 و قال: [الطويل]

أرى حيدى عن كل طارىء نعمه أراح يدي من أن يقيدها الدل
 فمن أخذ المعروف من غير أهله تروح الليالى و هو فى عنقه غل
 و قال: [الطويل]

شبا لحظها الماضى و حسن شبابها هما حملا نفسى من الوجد ما بها
 كتيب النقا من ردفها، و قضيبه لمعطفها، و البدر تحت نقابها
 و قال: [الرملى]

حل عقد الصبر متى عقدها إذ سبت قلبى بما فى قلبها
 تحسب الدر على لبتها أنجما قد كلل البدر بها
 و قال: [الرملى]

شعر كالليل يبدو تحته قمر قد حار شعرى فى صفاته
 نقل المسواك عن مبسمه أن ماء الورد يجرى من لثاته
 و قال: [المنسرح]

من سن تلك اللحاظ فاتبت من سنه الحب كل متبع
 تقتل عشاقها بلا سبب و ذاك فى الحب غير مبتدع
 و قال: [الطويل]

و ما شجو صال لوعه الهجر قد قضى زمان وصال لم تكدر مشاربه
 كشجو محب لم يذق لذة الرضا و لا بات و الغيد الحسان تلاعبه
 و قال: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٠٠
 سرت فى رحال العيس منه أهله فأيسر حال أن أزودها قلبى
 بعيشك قل لى هل دروا كيف علتي و فيض دموى بعد منصرف الركب
 و قال: [الخفيف]

من جنى باللحاظ زهر المعانى من جناب الحمى إذا الناس ناموا
 هو قد نال كل ما يتمنى و سعت فى مراده الأيام
 و قال: [الوافر]

لطائف حسنها بر بوع قلبى لطائف ألجأتنى للغرام
 تريك تكاسلا فى اللحظ منها لتحسبه تتبه من منام
 و قال: [الطويل]

إذا زرت حيا بالعقيق فحيهم و ذكرهم عهدى و حق و دادي

حرام فراق العيس حتى تحلنى بواديه من تلك الوجوه بوادى
و قال: [السريع]

من فرط ما فى الطرف من فتنه قد غلب الحب على الناس
قالت نسيت العهد قلت اكفى عنى فما عبدك بالناسى
و قال: [الرملى]

بين نعمان و سلع مالا ليس منهم لمحبت ألم
كلفى منهم بيدر حل فى فلك العليا فاعرف من هم
و قال: [الوافر]

أراقبها و حين أرى سبيلا أقاربها فتنفّر كالغزال
و قالت أنت مرتقب لماذا فقلت لها: ارتقابى للهلل

[قصيدة لابن جابر فى فضائل الصحابة]

و له من قصيدة مطولة فى فضائل الصحابة العشرة و أهل البيت، فمما يختصّ منها بأبى بكر رضى الله تعالى عنه قوله: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٠١
فمنهم أبو بكر خليفته الذى له الفضل و التقديم فى كل مشهد
و صدّيق هادى الخلق و المؤثر الذى لإنفاقه للمال فى الله قد هدى
و صهر رسول الله، و ابنته التى يبرئها آى الكتاب الممجد
و صاحبه فى الغار إذ قال لا تخف فتالثننا ذو العرش أوثق منجد
و سدّ على المختار مخرج حيه هناك برجل منه فازت بأسعد
و فيه و فى خير الأنام تسامعوا بمكّه صوت الهاتف المتقصد
(جزى الله ربّ الناس خير جزائه رفيقين حلّا خيمتى أمّ معبد)
و عتق بلال حسبه، فهو سيّد تأثّل فى الإسلام، إعتاق سيد
و قال رسول الله إنّ أمنكم علىّ أبو بكر و أوفى بموعده
فصدّق إذ كذبتهم، و أطاع إذ عصيتهم، و وافانى موافاة مسعد
و لو أننى من أمتى كنت آخذنا خليلا تولّى خلّتى و تودّدى
لكان أبو بكر، و لكن أخوة فى الاسلام مهما تنقص الناس تزدد
فلما أراد الله قبض نبيّه و صار إلى دار النعيم المخلد
تقدّم فى نيل الخلافة بعده بإجماعهم لا بالحسام المهند
و قد فارقت يوم السقيفة فرقة فلما رأته الحقّ لم تتردّد
و قام علىّ بعد ذاك مبايعا فأثنى ثناء المخلص المتودّد
و أظهر عذرا فى تأيئه صادقا و بايع طوعا لا لفقدان مسند
فآب بحمد منهم غير قاصر و من يتبع الإنصاف و الحقّ يحمد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٠٢

و ما أشبه الصديق في الفضل مشبه و لا أحصيت أوصافه بتعدد
و مما يختص بعمر رضى الله تعالى عنه قوله من هذه القصيدة:
و يتبعه في فضله عمر الذى روى عن قسى الصدق قوس مسدد
و ما كل من رام السعادة نالها و لكنه من يسعد الله يسعد
هو المرء لم يترك له الحق صاحباً و لا قعد الشيطان منه بمقعد
و لا سلك الشيطان فجاً قد اغتدى له سالكا من خوفه المتريد
و من ظله قد كان ينفر هيبه له حيثما أضحي يروح و يغتدى
و قد جاء عنهم: ما برحنا أعزّه بإسلامه فانكف من كان يعتدى
و من فضله رعى النبى بغيره له فانشى عن قصره المتشيد
و قد قيل للفاروق: هذا، و من به فأنباه عن هذا النعيم المؤبد
فأقبل يبكى قائلاً كيف غيرتى عليك، و لو لا أنت ما كنت أهتدى
و رؤيا رسول الله للقدح الذى تناول من درّ به ريه الصدى
و ناوله الفاروق من بعد ما ارتووا إلى أن غدا من ظفره الرى يبتدى
فأوله العلم الذى منه ناله و أول رؤيا الدلو حسن التأيد
فصارت له غرباً فأروى بها الورى فكان افتتاح الأرض فتح ممهد
و رؤياه أيضاً فى قميص يجره و للناس قمص بعضها يبلغ التدى
فأول خير الخلق طول قميصه بما حاز فى إيمانه من تشيد
و تفريقه ما بين حقّ و باطل بيوم سقى الكفار أفضع مورد
و سمى بالفاروق من أجل هذه و ما زال فى نصّ الهدى ذا تجلّد
و حسبك أن الله وافق رأيه لدى يوم بدر إذ رأى قتل من فدى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٠٣
كذا فى أذان و الحجاب و جعلهم مصلى مقاما للخليل بمسجد
شديد على أهل الهوى رحمة لمن عن الحق لم يجنح و لم يتحيد
و ما قد روي إن كان فى أمة فتى يحدث الفاروق من ذاك فاعد
و ما أبغض الفاروق إلّا مفارق لدين الهدى ذو مذهب لم يسدد
و مما يختص بعثمان رضى الله تعالى عنه قوله:
و حسبى عثمان بن عفان أنه عليه اعتمادى و هو سؤلى و مقصدى
إمام صبور للأذى و هو قادر حلیم عن الجانى جميل التعود
هو الجامع القرآن و القانت الذى إذا جنّ ليل ليس يأوى لمرقد
و يقطع بالصوم النهار و ينشئ مدى ليله فى خشية و تهجد
و قال رسول الله فى بئر رومه أما مشترى بها الأجر فى غد
له الجنة العليا بذلك فاشترى و تجهيز جيش العسرة اذكر و عدّد
فقال رسول الله إذ جاءه بما قد احتاج من مال و ظهر و أعبد

هنيئا لعثمان بن عفان فعله و ما ضرّه ما بعد مع هذه اليد
و قول ألا أبدى حياء لمن له قد استحيت الأملاك أشرف محتد
و بلغ بشرى الهاشمي بأنه من الجنة العليا بأكرم مقعد
و لم يرض، صونا للدماء، بحربهم و كان متى يستجد القوم ينجد
فمات شهيدا صابرا فهو خير من على نفسه في غير حقّ قد اعتدى
على بنتي المختار أرخى ستوره فناهيك من مجد و عزّ مجدّد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٠٤
و لم يدع ذا النورين إلا لأنه حوى بيته نورين من نور أحمد
و إنّ لعثمان بن عفان رتبة من المجد تسمو عن سماك و فرق
و ممّا يختصّ بعلي رضي الله تعالى عنه قوله:
و إنّ عليا كان سيف رسوله و صاحبه السامي لمجد مشيد
و صهر النبيّ المجتبي و ابن عمّه أبو الحسين المحتوي كلّ سؤدد
و زوجه ربّ السما من سمائه و ناهيك تزويجا من العرش قد بدى
بخير نساء الجنة الغرّ سؤددا و حسبك هذا سؤددا لمسود
فباتا و جلّ الزهد خير حلاهما و قد آثرا بالزاد من كان يجتدى
فآثرت الجنات من حلال و من حلى لها رعا لذاك الترهّد
و ما ضرّ من قد بات و الصوف لبسه و في السندس الغالي غدا سوف يغتدى
و قال رسول الله إني مدينة من العلم و هو الباب، و الباب فاقصد
و من كنت مولاة عليّ و لئيه و مولاك فاصدق حبّ مولاك ترشد
و إنك مني خاليا من نبوة كهارون من موسى و حسبك فاحمد
و كان من الصبيان أوّل سابق إلى الدين لم يسبق بطائع مرشد
و جاء رسول الله مرتضيا له و كان عن الزهراء بالمشرد
فمسح عنه التراب إذ مسّ جلده و قد قام منها ألفا للتردد
و قال له قول التلطّف «قم أبا تراب» كلام المخلص المتودّد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٠٥
و في ابنه قال المصطفى ذان سيّدا شبابكم في دار عزّ و سؤدد
و أرسله عنه الرسول مبلّغا و خصّ بهذا الأمر تخصيص مفرد
و قال هل التبليغ عنى ينبغى لمن ليس من بيتي؟ فبالقوم فاقتد
و قد قال عبد الله للسائل الذي أتى سائلا عنهم سؤال مشدّد
و أمّا عليّ فالتفت أين بيته و بيت رسول الله فاعرفه و تشهد
و ما زال صواما منيبا لرّبّه على الحقّ قواما كثير التعبد
قنوعا من الدنيا بما نال، معرضا عن المال، مهما جاءه المال يزهد
لقد طلق الدنيا ثلاثا، و كلّما رآها و قد جاءت يقول لها ابعدي

و أقربهم للحقّ فيها و كلّهم أولو الحقّ لكن كان أقرب مهتد
و منها فى ذكر الشّبطين رضى الله تعالى عنهما:
و بالحسين السّيدين توّسلى بجدّهما فى الحشر عند تفرّدى
هما قرّتا عين الرسول و سيّدا شباب الورى فى جنّته و تخلّد
و قال: هما ريحانتاى، أحبّ من أحبّهما، فاصدقهما الحبّ تسعد
هما اقتسما شبه الرسول تعادلا و ما ذا عسى يحصيه منهم تعدّدى
فمن صدره شبه الحسين أجله و للحسن الأعلى و حسبك فاعدد
و للحسن السامى مزايا كقوله هو ابنى هذا سيد و ابن سيد
سيصلح ربّ العالمين به الورى على فرقة منهم و عظم تبدد
و إن تطلبوا ابنا للنبي فلن تروا سواى: مقال منه غير مفنّد
بدا سيّدا ظهر الرسول قد ارتقى فقرّ و لم يعجله و هو بمسجد
فقالوا له طال السجود فقال لا و لكنما ابنى خفت إن قمت يشرد
و كان الحسين الصّارم الحازم الذى متى يقصر الأبطال فى الحرب يشدد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٠٦
شبيهه رسول الله فى البأس و الندى و خير شهيد ذاق طعم المهنّد
لمصرعه تبكى العيون و حقّها فلله من جرم و عظم تمرّد
فبعدا و سحقا لليزيد و شمرة و من سار مسرى ذلك المقصد الردى
و منها فى ذكر حمزة رضى الله تعالى عنه:
و من مثل ليث الله حمزة ذى الندى مبيد العدا مأوى الغريب المطرّد
فكم حزّ أعناق العداة بسيفه و ذبّ عن المختار كلّ مشدّد
فقال رسول الله: هذا أمرته ولى أسد ضار لى كلّ مشهد
و قال أبو جهل: أجبّت محمدا لما شاءه فاهترّ هزّة سيّد
و أهوى له بالقوس ما بين قومه، و قال: و أخرى بالحسام المهنّد
و قال له: إنى على دينه فإن أطقت فعرج عن طريقى و اردد
فذلّ أبو جهل و أبدى تلّظفا مقرا بقبح السّب فى حقّ أحمد
فعاد و قد نال السعادة و اهتدى و أضحى لى الله أكرم مسعد
و فى يوم بدر حتّ عند سؤالهم لما شهدوا من بأسه المتوقّد
لمن كان إعلام بريش نعامه يشردنا مثل النعام المشرد
فذاك الذى و الله قد فعلت بنا أفاعيله فى الحرب ما لم نعوّد
و فى أحد نال الشهادة بعد ما أذاق سباعا للردى شرّ مورد
فهاز و أضحى سيّد الشهداء فى ملائكة الرحمن يسعى و يغتدى
و صلّى رسول الله سبعين مرّة عليه إلى ثنتين عند التعدّد
و قال: مصاب لن نصاب بمثله و إن كان لى يوم سأجزى بأزيد

و زاد إلى فضل العمومة أنه أخوه رضاعا هكذا المجد فاشهد
و ما زال ذا عرض مصون عن الأذى و مال مهان في العطايا مبدد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٠٧
كريم متى ما أوقد النار للقرى (تجد خير نار عندها خير موقد)
و منها في ذكر العباس رضى الله تعالى عنه:
و قد بلغ العباس في المجد رتبة تقول لبدر التّم: قصّرت فابعد
ألا إنه فضل السقاية قد حوى فكان لوفد الله أكرم مورد
و كان طويل الباع في البأس و الندى كريما متى يسترفد القوم يرفد
و يوم حنين ليس ينسى ثباته و دعوته مستنجدا كلّ منجد
و قال رسول الله فيه على ما عليه و أيضا مثله في التزيّد
ألا إنّ عمّ المرء صنو أبيه كى يزيدهم فى برّه المتأيد
و بشره أنّ الخلافة فى الورى لأولاده من سيد و مسود
بشيتته استسقوا إذ المحل شامل فجاءهم غيث سقى كلّ فدقد
و هذا ما وقفت عليه من هذه القصيدة الفريدة، و ليس بيدى الآن ديوان شعره حتى أكتبها بكمالها فإنها مناسبة لهذا الباب الذى جعلناه
ختما للكتاب كما لا يخفى.

[مقطوعات من شعر ابن جابر أيضا]

و من مقطوعات ابن جابر: [الطويل]
شغفت بها حيناً من الدهر لم يكن سوى سكب دمعى فى محبّتها كسبى
و ما أصل هذا كلّ غير نظرة إلى مقله منها أضعت لها قلبى
و قال: [السريع]
قد بان عذرى فى مליح له لحظا رشا يلحظ من دعر
إنى على الهجر مطيع له ممثّل فى السرّ و الجهر
و قال: [السريع]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٠٨
هذا الرشا يقنص ليث الشرى بنظرة منه فلا مخلص
لو عارض العاذل يوما له لكان من أول ما يقنص
و قال: [المديد]
ظبية فى ثغرها لعس يجتنى من رشفه عسل
سلك التيه بمقلتها مسلكا قد زانه كسل
و قال: [الخفيف]
رقم الخال خدّها فرأينا قمر الأفق فيه نقطة ليل
قلت: أين الكتيب و الغصن؟ قالت: كلّ ما قد ذكرته تحت ذيلى

و قال: [الكامل]

إن خفت من فتك المهند والقنا فإذا رنت و إذا مشت لا تقرب
في قلب برقعها محاسن أنزلت قمر السماء لنا بقلب العقرب

و قال: [السريع]

رأى عدولى حسنها بعدما حقق كوني للهوى جانحا
فقال إن كنت محبا لها فقد حمدنا رأيك الناجحا

و قال: [الخفيف]

ذكر الله بالمرية عيشا لست عن ذكره الجميل أحول
طال عهدي بها و ما دمت حيا لا يزيد الرجاء بل قد يطول

و قال: [الكامل]

مرت ليال بالمرية طالما قضيت من ليل بهنّ ما ربا
لم أسل عن تلك الديار و إنما جعل القضاء لكل نفس غالبا

و قال: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٠٩
لا تعقني عن العقيق فإني بين أكنافه تركت فؤادي
و على تربه وقفت دموعي و لسكانه وهبت ودادي

و قال: [الخفيف]

عرف المنزل الذي دار فيه زمن الأنس و الشباب النضير
فشجاه قلب التلافي فراقا و انثنى عنه ذا فؤاد كسير

و قال: [مخلع البسيط]

جمال هذا الغزال سحر يا حبذا ذلك الجمال
هلال خديه لم يعيب عني و إن غيب الهلال
غزال أنس يصيد أسدا فاعجب لما يصنع الغزال
دلّاه دلّ كل شوق عليّ إذ زانه الدلال
كماله لا يخاف نقصا دام له الحسن و الكمال
نباله قد برت فؤادي يا حبذا تلکم النبال
حلال وصلی له حرام و حکم قتلی له حلال
زلال ذاك الحمى حياتي و أين لي ذلك الزلال
قتاله لا يطاق لكن يعجبني ذلك القتال

و قال: [الطويل]

إذا جئت نجدا كرم الله عهده فسلم على أهل المنازل من نجد
لئن حال بعد الدار بيني و بينهم فإني لأرعاهم على ذلك البعد

و قال: [الخفيف]

خجلت عند ما نظرت إليها و انشت و هى بين تيه و منع
إنما ورد خدّها زرع طرفى حين مرّوا فكيف أمنع زرعى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢١٠
و قال: [الخفيف]

لك نفسى إذا بدت لك نجد فلقد سرّنى الزمان بنجد
فلتلك الخيام عندى عهد و أبى الله أن أضيّع عهدى
و قال: [الخفيف]

سل عن القوم إن بدت لك سلح ففؤادى عند الذين بسلح
لى على تلکم المعاهد دمع كاد يغنى بها عن اللثّ دمعى
و قال: [الخفيف]

صفحوا عن محبّهم و أقالوا من عثار النوى و متّوا بوصل
لست أستوجب الوصال و لكن أهل تلك الخيام أكرم أهل
و قال: [البسيط]

مال الزمان بهم عنّى و قد بعدوا لم يلهنى عنهم أهل و لا مال
إنى لأخشى و ما الأيام طوع يدى أنى أموت ولى فى القلب آمال
و قال: [الخفيف]

بين وادى النقا و بان المصلّى فتية ألبسوا الوجود جمالا
إن يكن قد نوى لى الدهر قريبا منهم فهو قد كفانى نوالا
و قال: [الكامل]

زرت الديار عن الأخبّة سائلا و رجعت أبكيهم بدمعى سائلا
و نزلت فى ظلّ الأراكة قائلا و الرّبع أحرص عن جواب قائلا
و قال: [الكامل]

لا أوحش الله المنازل منهم غدت تلك الديار حسانا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢١١
فاشكر لدهرك أن أراك بحاجر بان الحمى و أراکه قد بانا
و قال: [الخفيف]

لك يا وادى العقيق علينا كلّ ما شئت من ذمام و ثيق
فمن البرّ أننى أتبرّى من عقوق لمنزل بالعقيق
و قال: [البسيط]

يا أهل ذى سلم بشرى لمستلم ذاك الثرى مقدم فى السير لم ينم
يؤمّ دارا بها خير الورى حسبنا الخاتم الرسل من عرب و من عجم

و لنتقصر من كلام ابن جابر فى هذا الموضع على هذا المقدار، و إنما أطنبت فيه لما تقدّم من الاعتراض على لسان الدين فى عدم
توفيته فى حقّ المذكور و حقّ رفيقه، مع أنه أطال فيمن دونهما من أهل عصره، و أيضا فإنّ كليهما غريب عندنا بالمغرب، لكونهما

ارتحلا قبل أن يشتهرا كلّ الاشتهار، و كان خبيرهما في الشرق أشهر.

[من شعر أبي جعفر، رقيق ابن جابر]

و أما رفيقه شارح بديعته فقد ذكرنا في غير هذا الموضوع بعض حاله و كلامه، و لنزد هنا ما تيسر، فنقول: من نظمه: [الكامل]
لما عدا في الناس عقرب صدغها كفت أذاه من الورى بالبرقع
و الصبح تحت خماتها متستّر عنا متى شاءت تقول له اطلع
و قال: [الطويل]

تجتّ فجنّ في الهوى كلّ عاقل رآها و أحوال المحبّ جنون
و ما وعدت إلّا عدت في مطالها كذلك وعد الغايات يكون
و قال: [المنسرح]

لا تجدوا في الهوى على كلف نظيره في الغرام لن تجدوا
لهفان ما يشتكى إلى أحد ظمآن غير الدموع لا يجد
و قال: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢١٢
ربّ ليل قطعته بالجزيره فتذكرت أهلنا بالجزيره
قصر الأنس ما تطاول منه و كذا أزمّن السرور يسيره
قال: و الجزيرة الأولى المراد بها حمص المحيط بها النهر المسمّى بالعاصي، و الثانية جزيرة الأندلس.
و له أيضا: [الوافر]

و ما لي و التزيّن يوم عيد و جيد صابتي بالدمع حالي
و قد أرسلت أشهبها بريدا و بعد كميتها ينبي بحالي

و المراد بالأشهب الدمع الذي لا يشوبه شيء؛ و بالكميت الدمع المشوب بالدم، في شرح البديعية و قد ذكر العقيق بعد كلام ما نصّه:
قلت: و كان هذا الوادي المبارك زمن عثمان رضى الله تعالى عنه ذا قصور محتفّه، و حدائق ملتفّه، و بنيان مشيد، و نخل طلعه نضيد،
و جنات تؤتى أكلها كلّ حين، و سواق تجرى به بماء معين، ثم لعبت به أيدي السنين، و غيرت معالمه فصار عبرة للناظرين، فلم يبق
من معاهده إلّا آثار تشهد بحسنه، و نضرة نعيم تدلّ على ما سلف من نضارة غصنه؛ و قد خرجنا إلى هذا الوادي أيام مجاورتنا
بالمدينة الشريفة، و هو يتدفّق بمائه، و يعارض بجوهر حبابه أنجم سمائه، و قد سألت شعابه، و فاض عبابه، و الناس تفرّقوا في جهاته،
و افترشوا غضّ نباته، و الشّيح قد توشّح بالندى، و الأنس قد راح به و غدا، و الأصيل مذهّب الرداء، و البيداء مخضرة الأنداء، و بحافتيه
آثار قصور، ليس لها في الحسن قصور، قد بليت و حسنها جديد، و خربت و ربعها بالأنس مشيد؛ انتهى.

و من بديع نظمه قوله: [الكامل]

مهلا فما شيم الوفا منقاداً لمن ابتغى من نيلها أوطارا
رتب المعالي لا تنال بحيلة يوما و لو جهد الفتى أو طارا
و قوله رحمه الله تعالى: [الوافر]

على وادى العقيق سكبت دمعى بلا عين فيبدو كالعقيق
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢١٣

فكم غصن و ريق منه يحكى قوام رشا شهى فم و ريق

و قال: [المتقارب]

سألتك بالله يا من غدا يصزف بالقلب أفعاله

تدارك محبًا بدرياق وصل فإن بعادك أفعى له

و قال: [مجزوء الكامل]

لا تأمنه على القلوب فمنه أصل غرامها

فلحظه هنّ التي رمت الورى بسهامها

و من فوائده، رحمه الله تعالى، فى شرح البديعية ما نصّه: و من غريب ما فى «لدى» أنّ أبا على حكى فى تذكرته عن المفضل أنها

أت بمعنى «هل» و أنشد: [الطويل]

لدى من شباب يشتري بمشيب و كيف شباب المرء بعد ذهاب

رجع- و قال رحمه الله تعالى يتشوق إلى حمراء غرناطة: [الكامل]

ذابت على الحمراء حمر مدامعى و القلب فيما بين ذلك ذائب

طال المدى بى عنهم و لربما قد عاد من بعد الإطالة غائب

و قال: [الكامل]

ما هبّ من نحو السبيكة بارق إلّا غدا شوقى لقلبي سالكا

و الله ما اخترت الفراق لربعها لكن قضاء الله أوجب ذلكا

و قال: [الطويل]

منازل سلمى إن خلت فلطالما بها عمرت فى القلب منى منازل

رسائل شوقى كلّ يوم تزورها و ما ضيّعت عند الكرام الرسائل

و قال: [المتقارب]

بجور الوداع لنا موقف أذاب الفؤاد لأجل الوداع

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢١٤

فما أنا أنسى غداة النوى و حادى الركائب للبين داعى

قال: و جور الوداع موضع بظاهر غرناطة، عادة من سافر أن يودّع هناك.

و قال: [البسيط]

ناولته وردة فاحمرّ من خجل و قال: وجهى يغينى عن الزهر

الخدّ ورد، و عيني نرجس، و على خدى عذار كريحان على نهر

و قال رحمه الله تعالى فى التشريع: [الكامل]

يا راحلا يبغى زيارة طيبة نلت المنى بزيارة الأخيار

حىّ العقيق إذا وصلت وصف لنا وادى منى، بأطايب الأخبار

و إذا وقفت لدى المعرف داعيا زال العنا، و ظفرت بالأوطار

و قال: [الكامل]

يا أولًا فى المرسلين و آخرًا الله خصّك بالكمال ليرضيك

من قبل آدم قد جعلت نبيّه قدما فقدّمك الإله ليعليك
أوحى إليك لكي تكون حبيبه و يتمّ نعمته عليك و يهديك
و قال: [البسيط]

صيرتني في هواك اليوم مشتهدا لا قيس ليلي و لا غيلان في الأول
زعمت أنّ غرامى فيك مكتسب لا و الذى خلق الإنسان من عجل
و قال: [الرمل]

لا تعاد الناس في أوطانهم قلّما يرمى غريب الوطن
و إذا ما شئت عيشا بينهم «خالق الناس بخلق حسن»
و قال: [الخفيف]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢١٥
نسختي اليوم في المحبّة أصل فعليها اعتماد كلّ عميد
نقلوا مرسل المدامع منها و صحيح الهوى بغير مزيد
قد رواها قبلى جميل و قيس حين هاما بكلّ لحظ و جيد
و من فوائده: أنه لما أنشد في «طراز الحلة» قول سعد الدين محمد بن عربى في ابن مالك: [البسيط]
إنّ الإمام جمال الدين فضّله
إلى آخره.

قال ما ملخصه: و لما أوردته الصفدى في «فصّ الختام» قال: هذا في غاية الحسن لو كان الكتاب المذكور يسمى «الفوائد» و إنما هو
«تسهيل الفوائد» فذكر المضاف إليه دون المضاف، و هى تورية ناقصة، قلت: ابن مالك له كتابان: أحدهما «الفوائد» صنعه أولا ثم
صنع «تسهيل الفوائد» بعده، و كأنه سهّل فيه كتاب الفوائد، و كنت وقفت على هذا الكتاب المسمّى بالفوائد ببلدنا غرناطة، فلما وصلنا
إلى هذه البلاد بحثنا عنه فلم نجده، و تمادى الأمر على ذلك إلى سنة ٧٦٠، فوجدناه في حلب، و هو الآن عندنا، و هو عزيز الوجود،
و لذلك خفى على القاضى صلاح الدين؛ انتهى و بعضه بالمعنى.

و قال أبو جعفر أحمد المترجم به: كتبت إلى صاحبنا الشيخ بدر الدين خليل الناسخ:
[المتقارب]

مددت النوى و قصرت اللقا أ ترضى بهذا و أنت الخليل
و تترك أحمد ذا وحشة لديك و أنت له ابن جليل
و قال: [الكامل]

قد كان لى أنس بطيب حديثكم و الآن صار حديثكم برسول
و لقد مددت من النوى مقصوره إنّ الخليل يراه غير جميل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢١٦
و له رحمه الله تعالى: [الكامل]

ما للنوى مدّت و أنت خليلنا؟ و لقبيل قد قصرت برغم الكاشح
أتبع في ذا مذهبا لا يرتضى أبدا و ليس الرأى فيه بصالح
و له: [الطويل]

ولما رأى الحساد منك التفاتة إلى جانب اللهو الذى كان مرفوضا
أضافوا إلى عليك كل نقيصة حقيق لدينا بالإضافة مخفوضا
وله: [السريع]

حسنك ما بين الورى شائع قد عرف الآن بلام العذار
فجاء منه مبتدا للهوى خبره الآس مع الجلنار
ولنقتصر على هذا المقدار إلى هنا.

[عود إلى ذكر على بن لسان الدين]

رجع إلى أولاد لسان الدين رحمهم الله تعالى:
وقد قدمنا أن على بن لسان الدين كان نديم السلطان و خاصيته، كما ذكرنا فى مخاطبته لابن مرزوق فى الباب الخامس قوله:
فالسلطان يرعاه الله تعالى يوجب ما فوق مزية التعظيم، و الولد هداهم الله تعالى قد أخذوا بحظ قل أن ينالوه بغير هذا الإقليم، و
الخاصية و العامية تعامل بحسب ما بلته من نصح سليم، و ترك لما بالأيدى و تسليم، و تدبير عاد على عدوها بالعذاب الأليم، إلا من
أبدى السلامة و هو من إبطان الحسد بحال السليم؛ انتهى.
و لقد صدق رحمه الله تعالى فيما ذكره من النصح و غيره.

[نصيحة من إنشائه كتبها على لسان السلطان، و فيها عجائب مما أوصى به الولاة]

و من نصائحه رحمه الله تعالى ما كتب به على لسان السلطان، و نصه: «من عبد الله أمير المسلمين محمد وصل الله تعالى سعده، و
بلغه من فضله العميم قصده، إلى أوليائنا المخصوصين منا و من سلفنا بدمام الجوار القريب، و المساكنة التى لا يتطرق إلى حقها الذى
بنى استراية المستريب، المعتمدين إذا عدت الرعايا، و ذكرت المزايا، بمزيد الاعتناء و التقريب، من الأشياخ الجلة الشرفاء و العلماء، و
الصدور الفقهاء، و العدول الأذكياء، و الأعيان الوزراء، و حماة المدافعين عن الأرجاء، و الأمانات الأتقياء، و الكافة الذين نصل
إليهم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢١٧

عوائد الاعتناء، و نسير فيهم بإعانة الله تعالى على السبيل السواء، من أهل حضرنا غرناطة المحروسة بفضل الله تعالى و ربضها، شرح
الله تعالى لقبول الحكمة و الموعدة الحسنة صدورهم، و كنف بنتائج الاستقامة سرورهم، و أصلح بعنايته أمورهم، و استعمل فيما
يرضيهم أميرهم و مأمورهم:

«سلام كريم عليكم أجمعين و رحمة الله تعالى و بركاته. أما بعد حمد الله الذى إذا رضى عن قوم جعل لهم التقوى لباسا، و الذكرى
لبناء المتاب أساسا، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد رسوله الذى هدانا إلى الفوز العظيم ابتغاء لرحمته و التماسا، و الرضا عن آله
الذين اختارهم له ناسا، و جعلهم مصابيح من بعده اقتداء و اقتباسا، فإننا كتبنا إليك - كتب الله تعالى إعزازكم! و حرس أحوالكم! و
جعل للعمل الصالح اهتزازكم! و بقبول النصائح امتيازكم! - من مستقرنا بمحروسة الحمراء، حماها الله سبحانه، و لا متعرف بفضل الله
تعالى إلما هداية تظهر على الأقوال و الأعمال، و عناية تحف من اليمين و الشمال، و توكل على الله يتكفل لنا ببلوغ الآمال، و أنتم
أولياؤنا الذين لا ندخر عنهم نصحا، و لا نهمل فى تدبيرهم ما يثمر نجحا، و بحسب هذا الاعتقاد لا نغفل عن نصيحة ترشدكم إذا
غفلتم، و موعظة نقصها عليكم إذا اجتمعتم فى بيوت الله و اختلفتم، و ذب عنكم تارة بسلم نعتدها، و مطاولة نسدها، و تارة بسيوف

في سبيل الله تعالى نحددها، و عساكر للشهادة نرددها، و نفوس بوعد الله نعددها، و نرضى بالسهر لتنام أجفانكم، و بالكّد لتستريح صبيانكم و ولدانكم، و باقتحام المخاوف ليتحصل أمانكم، و لو استطعنا أن نجعل عليكم وقاية كوقاية الوليد لجعلنا، أو يمكننا أن لا تفضلكم رعيةً بصلاح دين أو دنيا لفعلنا، هذا شغل زماننا منذ عرفنا، و مرمى همنا مهما استهدفنا، و قد استرعانا الله تعالى جماعتكم، و ملأنا طاعتكم، و حرّم علينا إضاعتكم، و الراعى إذا لم يقصد بسائمه المراعى الطيبه، و ينتجع مساقط الغمام الصّيبه، و يوردها الماء النмир، و يبتغ لها النماء و التثمير، و يصلح خللها، و يداو عللها، قلّ عددها، و عدمت غلتها و ولدها، فندم على ما ضيّعه فى أمسه، و جنى عليها و على نفسه. و ألفيناكم فى أيامنا هذه الميامن عليكم قد غمرتكم آلاء الله تعالى و نعمه، و ملأت أيديكم مواهبه و قسمه، و شغل عدوّكم بفتنه قومهم فتمتم للعافية فوق مهاده، و بعد عهدكم بما تقدّم من جهد و جهاد،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢١٨

و مخلصه و سهاد، فأشفقنا أن يجركم توالى الرخاء إلى البطر، أو تحملكم العافية على الغفلة عن الله تعالى و هى أخطر الخطر، أو تجهلوا مواقع فضله تعالى و كرمه، أو تستعينوا على معصيته بنعمه، فمن عرف الله تعالى فى الرخاء و جده فى الشدة، و من استعدّ فى المهل وجد منفعة العدة، و العاقل من لا يفتّر فى الحرب أو السلم بطول المدّة، فالدهر مبلى الجدة، و مستوعب العدة، و المسلمون إخوانكم اليوم قد شغلوا بأنفسهم عن جبركم، و سلموا لله فى نصركم، و نشبت الأيدي و لا حول و لا قوة إلا بالله بثغركم، و أهمتهم فتن تركت رسوم الجهاد خالية خاوية، و رياض الكتاب الخضر ذابله ذاوية، فإن لم تشمروا لما بين أيديكم فى هذه البرهه فماذا تنتظرون؟ و إذا لم تستنصروا بالله مولاكم فبمن تستنصرون؟ و إذا لم تستعدّوا فى المهل فمتى تستعدّون؟ لقد خسر من رضى فى الدنيا و الآخرة بالدون، فلا- تأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون [سورة الأعراف، الآية: ٩٩]. و من المنقول عن الملل، و المشهور فى الأواخر و الأول، أن المعصية إذا فشت فى قوم أحاط بهم سوء كسبهم، و أظلم ما بينهم و بين ربهم، و انقطعت عنهم الرحمت، و وقعت فيهم المثلات و النقمات، و شحت السماء و غيض الماء، و استولت الأعداء، و انتشر الداء، و جفت الضروع، و أخلفت الرضوع، فوجب علينا أن نستميلكم بالموعظة الحسنه، و الذكرى التى توقظ من السنه، و نقرع آذانكم بقوارع الألسنه، فأفزعوا الشيطان بوعيتها، و تقربوا إلى الله تعالى برعيها، الصلاة الصلاة فلا تهملوها، و وظائفها المعروفة فكمّلوها، فهى الركن الوثيق، و العلم المائل على جادة الطريق، و الخاصه التى يميّز بها هذا الفريق، و بادروا صفوفها المائله، و أتبعوا فريضتها النافله، و أشرعوا إلى تاركها أسنه الإنكار، و اغتموا بها نواشى الليل و بوادى الأسحار، و الزكاه أختها المنسوبة، و لدتها المكتوبة المحسوبة، فمن منعها فقد بخل على مولاها، باليسير ممّا أولاه، و ما أحقه بذهاب هبة الوهاب و أولاه، فاشتروا من الله تعالى كرائم أموالكم بالصّدقات، و أنفقوا فى سبيله يربحكم أضعاف النفقات، و واسوا سؤالكم كلّما نصبت الموائد، و أعيدت للترفه العوائد، و ارعوا حقّ الجوار، و خذوا على أيدي الدّعة و الفجّار، و أخرجوا الشّنان من الصدور، و اجعلوا صلة الأرحام من عزم الأمور، و صونوا عن الاغتيال أفواهكم، و لا تعوّدوا السفاهة شفاهكم، و أقرضوا القرض الحسن إلهكم،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢١٩

و علّموا القرآن صبيانكم، فهو أسّ المبنى، و ازرعوه فى تراب ترائبهم فعسى أن يجنى، و لا- تتركوا النصيحة لمن استنصح، و ردّوا السلام على من بتحية الإسلام أفصح، و جاهدوا أهواءكم فهى أولى ما جاهدتم، و أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، و ثابروا على خلق العلم و التعلّم، و حفوا بمراقى التكلّم، و تعلّموا من دينكم ما لا- يسعكم عند الله تعالى جهله، و يتبيّن أنكم أهله، فمن القبيح أن يقوم أحدكم على وقاية برّه و شعيره، و رعايه شاته و بعيره، و لا يقوم على شىء يخلص به قاعدة اعتقاده، و يعدّه منجاة ليوم معاده، و الله عزّ و جلّ يقول و لقوله يرحل المنتجعون أفضحبتّم أنما خلقناكم عبثاً و أنكم إلبنا لا تزجّعون [سورة المؤمنون، الآية: ١١٥] و انثفوا من الحوادث الشنيعة، و البدع التى تفتّ فى عضد الشريعة، فقد شنّ علينا الملتبسه بأهل التصوّف الغار، و نال حملتها بل جملتها بإغماضهم الصغار، و تؤوّل المعاد و الجنة و النار، و إذا لم يغر الرجل على دينه و دين أبيه فعلى من يغار؟

فالأنبيا الكرام وورثتهم العلماء، هم أئمة الاقتداء، والكواكب التي عيَّنها الحقُّ للاهتداء، فاحذروا معاطب هذا الداء، و دسائس هذه الأعداء. و أهم ما صرفتم إليه الوجوه، و استفدتم به المكروه، العمل بأمره جلّ و علا في الآية المتلوّة، و الحكمة السافرة المجلّوة، من ارتباط الخيل و إعداد القوّة، فمن كان ذا سعة في رزقه، فليقم لله بما استطاع من حقّه، و ليأخذ فرسا يعمر محلّته بصهيله، و يقتنه من أجل الله و في سبيله، فكم يتحمّل من عيال يلتبس مرضاتهم باتخاذ الزينة، و يتنافس في أن يكون من أشرف المدينة، و مؤونة الارتباط أقلّ، و على الهمة و الدين أدلّ، إلى ما فيه من حماية الحوزة، و إظهار العزّة، و من لم يحسن الرمي فليتدرّب، و باتخاذ السلاح إلى الله فليقترب، و قبل الرمي تراش السهام، و على العباد الاجتهاد و على الله التمام. و السكّة الجارية في حوادث نواديكم، و أثمان العروض التي بأيديكم، من حتف حروفها، و نكر معروفها، أو سامح في قبول زيف، أو مبخوس حيف، فقد أتبع هواه، و خان نفسه و سواه، قال الله عزّ و جلّ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَ زِنُوا بِالْقَيْسِ طَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [سورة الشعراء، الآية: ١٨١-١٨٣] و لتعلموا أن نبيكم صلوات الله عليه إنّما بعثه الله مجاهدا و بالحق قاضيا، و عن الهفوات حلما متغاضيا، فتمسّكوا بحبله، و لا تعدلوا عن سبله، يروكم الله تعالى من سبله، و يراكم من أجله، مراعاة الرجل لنجله، فهو الذي يقول وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَعْفِرُونَ [سورة الأنفال، الآية: ٣٣] و إن كان في وطنكم اليوم سعة، و قد ألحفكم أمن من الله تعالى و دعه، فاحسبوا أنكم في بلد محصور، و بين لحي أسد هصور، و اكتنّفكم بحر يعبّ عابه، و دار بكم سور بيد عدوّكم بابه، و لا يدري متى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٢٠

ينتهي السّلم، و ينشعب الكلم، فإن لم تكونوا بناء مرصوفا، و تستشعروا الصبر عموما و خصوصا، أصبح الجناح مقصوفا، و الرأى قد سلبتة الحيرة، و المال و الحریم قد سلبت فيه الضغانة و الغيرة، و إن شاء الله تهبّ ريح الحمية، و نصره النفوس على الخيالات الوهمية، فإنّ العزّة لله و لرسوله و للمؤمنين، و الله متم نوره على رغم الجاحدين و كره الكافرين، و كم من قلة قليلة غلبت فته كثيرة بإذن الله و الله مع الصّابرين [سورة البقرة، الآية: ٢٤٩]. و اعتقدوا أنّ الله تعالى لم يجعل الظهور مقرونا بعدد كثير، و لو مثل جراد مزرعة أثارها مثير، بل بإخلاص لا- يبقى لغير الله افتقارا، و نفوس توسع ما سوى الحق اقتدارا، و وعد يصدق، و بصائر أبصارها إلى مثابة الجزاء تحديق، و هذا الدين ظهر مع الغربة، و شظف التربة، فلم ترعه الأكاسرة و فيولها، و القياصرة و خيولها، دين حنيف، و علم منيف، من وجوه شطر المسجد الحرام تولى، و آيات على سبعة أحرف تتلى، و زكاة من الصميم تنتقى، و معارج ترتقى، و حجّ و جهاد، و مواسم و أعياد، ليس إلّا تكبير شهير، و أذان جهير، و قوّة تعدّ، و ثغور تسدّ، و فيء يقسم، و فخر يرسم، و نصيحة تهدى، و أمانة تؤدّى، و صدقة تخفى و تبدى، و صدور تشرح و تشفى، و خلق على خلق القرآن تحذى و تقفى، قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم و هذا العقد قد سجّل، و الوعد به قد عجل اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً [سورة المائدة، الآية: ٣] و لا ينقطع لهذا الفرع عادة و صلّه، ما دام شبيها بأصله، و إنما هو حلب لكم زبدته الممخوضة، و خلاصته الممخوضة، و العاقبة للمتقين و لتعلمنّ نبأه بعيد حين [سورة ص، الآية: ٨٨]. و حضرتم اليوم قاعدة الدين، و غاب المجاهدين، و قد اخترعت بنا أيامنا هذه و أيام والدنا المقدّس الآثار الكبار، و الحسنات التي تنقلت بها الأخبار، و أغفلت إلى زمنكم الحسنه المدخورة، و المنقبة المبرورة، و هي بيمارستان يقيم منكم المرضى المطّرحين، و الضعفاء المغتربين منهم و المعترضين في كلّ حين، فأنتم تطؤونهم بالأقدام، على مرّ الأيام، ينظرون إليكم بالعيون الكليله، و يعربون عن الأحوال الدليله، و ضرورتهم غير خافية، و ما أنتم بأولى منهم بالعافية، و المجانين تكثر منهم الوقائع، و تفشو منهم إماتة العهد الذائع، عار تحظره الشرائع، و في مثله تسدّ الذرائع. و قد فضلتم أهل مصر و بغداد، بالرباط الدائم و الجهاد، فلا- أقل من المساواة في معنى، و المنافسة في مبنى، يذهب عنكم لؤم الجوار، و يزيل عن وجوهكم سمات العار، و يدلّ على همّتكم، و فضل شيمتكم، أهل الأقطار، و كم نفقة تلفت على الرجل في مشروع، و حرص اعتراه على ممنوع، فأسرعوا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٢١

فالنظر في هذا المهم خير مشروع، و لو لا اهتمامنا بمرتزقة ديوانكم، و إعدادنا مال الجباية للمجاهدين من إخوانكم، لسبقناكم إلى هذه الزلفة، و قمنا في هذا العمل الصالح بتحمل الكلفة، و مع ذلك فإذا قدناكم إلى الجنة بينائه، و أسهمناكم في فريضة أجره و ثنائه، فنحن إن شاء الله تعالى نعين له الأوقاف التي تجرى عنها المرفقة، و تتصل عليه بها الصدقة، تأصيلاً لفخركم، و إطابة في البلاد لذكركم، فليشاور أحدكم همته و دينه، و يستخدم يساره في طاعة القصد الكريم و يمينه، و نسأله الله تعالى أن يوفق كلاً لهذا القصد و يعينه، و من وراء هذه النصائح عزم ينهيها إلى غايتها، و يجبر الكافة على اتباع رأيها و رايتها، فأعملوا الأفكار فيما تضمنته من الفصول، و تلقوا داعي الله تعالى فيها بالقبول، و الدنيا مزرعة الآخرة، و كم معتبر للنفوس الساخرة، بالعظام الناخرة و إن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك و إلى الله تزعج الأمور [سورة فاطر، الآية: ٥] و أنتم اليوم أحق الناس بقبول الموعظة نفوساً زكية، و فهوما لا قاصرة و لا بطيئة، و موطن جهاد، و مستسقى غمام من رحمة الله تعالى و عهد، و بقايا السلف بالأرض التي فتحوا فيها هذا الوطن، و ألقوا فيها العطن، فإلى أين يذهب حسن الظن بأديانكم، و صحة إيمانكم، و تساوى إسراركم و إعلانكم؟ اللهم إنا قد خرجنا لك فيهم عن العهدة المتحملة، و بلغناهم نصيحتك المكملة، و وعدناهم مع الامتثال رحمتك المؤملة، فيسرننا و إياهم ليسرى، و عرفنا لطائفك التي خفى فيها المسرى، و لا تجعلنا ممن صم عن النداء، و أصبح شماته الأعداء، فما ذل من استنصر بجنابك، و لا ضل من استنصر بسنتك و كتابك، و لا انقطع من توصل بأسبابك، و الله سبحانه يصل لكم عوائد الصنع الجميل، و يحملكم و إيانا من التوفيق على أوضح سبيل، و يصل سعدكم، و يحرس مجدكم، و السلام الكريم يخصكم و رحمة الله تعالى و بركاته؛ انتهى.

[من انشاء على بن لسان الدين أيضا على لسان السلطان]

و من ذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان السلطان بعد كلام:

«الله في الهمم فقد خمدت ريحها، و الله في العقائد فقد خبت مصابيحها، و الله في الرجولية فقد فلّ حدّها، و الله في الغيرة فقد تعسّر جدّها، و الله في الدين فقد طمع الكفر في تحويله، و الله في الحرّيم فقد مدّ إلى استرقاقه يد تأميله، و الله في الملة التي يريد إطفاء سناها، و قد كمل فضلها و تناهى، و الله في الحرّيم، و الله في الدين الكريم، و الله في القرآن، و الله في الجيران، و الله في الطارف و التالد، و الله في

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٩، ص: ٢٢١

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٢٢

الوطن الذي توارثه الولد عن الوالد، اليوم تستأسد النفوس المهينة، اليوم يستنصر الصبر و السكينة، اليوم ترعى لهذه المساجد الكرام الذمم، اليوم يسلك سبيل العزم و الحزم و الشدة و الشّمم، اليوم يرجع إلى الله المصرون، اليوم يفيق من نوم الغفلة المغترون، قبل أن يتفاقم الهول، و يحقّ القول، و يسدّ الباب، و يحيق العذاب، و يسترق الكفر الرقاب، فالنساء تقى بأنفسهن أولادهن الصغار، و الطيور ترفرف لتحمى الأوكار، إذا أحست العيث بأفراخها و الإضرار، تمرّ الأيام عليكم مرّ السحاب، و ذهاب الليالي لكم ذهاب، فلا خبر يقضى إلى العين، و لا حديث في الله تعالى يسمع بين اثنين، و لا كد إلا لزينة يحلّى بها نحر و جيد، و لا سعى إلا متاع لا يغنى في الشدائد و لا يفيد، و بالأمس ندبتم إلى التماس رحمة مسخر السحاب، و استقاله كاشف العذاب، و سؤال مرسل الديمة، و محيي البشر و البهيمه، و قد أمسكت عليكم رحمة السماء، و اغبرت جوانبكم المخضرة احتياجا إلى بلالة الماء و في السماء رزقكم و ما توعدون [سورة الذاريات، الآية: ٢٢] و إليها الأكف تمدون، و أبوابها بالدعاء تقصدون، فلم يصح منكم عدد معتبر، و لا ظهر للإنباء و لا الصدقة خبر، و تتوقون من إعادة الرغبة إلى الولي الحميد، و الغنى الذي إن يئسأ يذهبكم و يأت بخلق جديد [سورة إبراهيم، الآية: ١٩] و ايم الله لو كان لهوا لارتقتب الساعات، و ضاقت المتسعات، و تزاومت على أنديته الجماعات. أ تعززا على الله و هو القوى

العزیز؟ أتلیسا علی الله و هو الذی یمیز الخبث من الطیب و الشبه من الإبریز؟ أمناذة و النواصی فی یدیه؟ أغرورا بالأمل و الرجوع بعد إلیه؟

من یبدأ الخلق ثم یعیده؟ من ینزل الرزق و یفیده؟ من یرجع إلیه فی الملمات؟ من یرجی فی الشدائد و الأزمت؟ من یوجد فی المحیا و الممات؟ أفی الله شکک یخلج القلوب؟ أتم غیر الله یدفع المکروه و یسیر المطلوب؟ تفضلون علی اللجا إلیه موائد الفضل، و نزه الجهل، و طائفه منکم قد برزت إلی استسقاء رحمته تمد إلیه الأیدی و الرقاب، و تستکشف بالخضوع لعظمته العقاب، و تستعجل إلی مواعید إجابته الارتقاب، و كأنکم عن کرمه قد استغنیتم، أو علی الامتناع من الرجوع إلیه بنیتم. أما تعلمون کیف کان نبیکم صلوات الله من التبلیغ بالیسیر، و الاستعداد للرحیل إلی دار الحقّ و المسیر، و مداومة الجوع، و هجر الهجوع، و العمل علی الإیاب إلی الله تعالی و الرجوع: دخلت فاطمة، رضی الله تعالی عنها، و بیدها کسرة شعیر

نفع الطیب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٢٣

فقال: ما هذا یا فاطمة؟ فقالت: یا رسول الله، خبزت قرصة و أحببت أن تأکل منها، فقال: «یا فاطمة، إما إنه أول طعام دخل جوف أیبک منذ ثلاث». و کان صلی الله علیه و سلم، یتسفر فی الیوم سبعین مرة یتمس رحماه، و یقوم و هو مغفور له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخر حتی و رمت قدماه، و کان شأنه الجهاد، و دأبه الجدّ و الاجتهاد، و مواقف صبره تعرفها الرّبا و الوهاد، و مقامات رفقه تحوم علی مراتبها الزهاد، فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون؟ و إذا لم تهتدوا به فبمن تهتدون؟ و إذا لم ترضوه باتّباعکم فکیف تعتزون إلیه و تنتسبون؟ و إذا لم ترغبوا فی الاتّصاف بصفاته غضبا لله تعالی و جهادا، و تقلّلا من العرض الأدنى و سهادا، ففیم ترغبون؟ فابتروا حبال الآمال فکلّ آت قریب، و اعتبروا بمثلات من تقدّم من أهل البلاد و القواعد فذهولکم عنها غریب، و تفکروا فی منابرها التي یعلو علیها واعظ و خطیب، و مطیل و مطیب، و مساجدها المتعدّدة الصفوف و الجماعة، المعمورة بأنواع الطاعة، و کیف أخذ الله تعالی فیها بذنب المترفین من دونهم، و عاقب الجمهور بما أغضوا عنه عیونهم، و ساءت بالغفلة عن الله تعالی عقبی جمیعهم، و ذهبت النعمات بعاصیهم و من داهن فی أمره من مطیعهم، و أصبحت مساجدهم مناصب للصلبان، و استبدلت ما ذنبهم بالنواقیس من الآذان، هذا و الناس ناس و الزمان زمان. فما هذه الغفلة عمّن إلیه الرجعی و إلیه المصیر؟ و إلی متى التساهل فی حقوقه و هو السميع البصیر؟ و حتی متى مدّ الأمل فی الزمن القصیر؟ و إلی متى نسیان اللجا إلی الولی النصیر؟ قد تداعت الصلبان متراکمه علیکم، و تحرّکت الطواغیت من کلّ جهة إلیکم، أفیخذلکم الشیطان و کتاب الله قائم فیکم؟ و ألسنة الآیات تنادیکم، لم تمح سطورها، و لا احتجب نورها، و أنتم بقایا من فتحها من عدد قلیل، و صابر فیها کلّ خطب جلیل، فو الله لو تمحض الإیمان، و رضی الرحمن، ما ظهر التثلیث فی هذه الجزیره علی التوحید، و لا عدم الإسلام فیها عادة التأيید، لكن شمل الداء، و صمّ النداء، و عمیت الأبصار فکیف الاهتداء؟ و الباب مفتوح، و الفضل ممنوح، فتعالوا نستغفر الله جمیعا فهو الغفور الرحیم، و نستقل مقیل العثار فهو الرؤوف الحلیم، و نصرف الوجوه إلی الاعتراف بما قدمت أیدینا فقبول المعاذیر من شأن الکریم، سدّت الأبواب، و ضعفت الأسباب، و انقطعت الآمال إلا منک یا فتاح یا وهّاب یا أيّها الذین آمنوا إن تنصّروا الله ینصّرکم و ینبّئ أقدامکم [سورة محمد، الآیه: ٧] یا أيّها الذین آمنوا قاتلوا الذین یلونکم من الکفار و لیجدوا فیکم غلظة و اعلموا أنّ الله مع المتّین [التوبة: ١٢٣] و لا تهنّوا و لا تحزنّوا و أنتم الأعلىون إن کنتم مؤمنین [سورة آل عمران، الآیه: ١٣٩] یا أيّها الذین آمنوا اصبروا

نفع الطیب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٢٤

و صابروا و رابطوا و اتّقوا الله لعلکم تفلحون [سورة آل عمران، الآیه: ٢٠٠] أعدّوا الخیل و ارتبطوها، و روضوا النفوس علی الشهادة و غبطوها، فمن خاف الموت رضی بالدنیة، و لا بدّ علی کلّ حال من المتیة، و الحیاة مع الدلّ لیست من شیم النفوس السیئة، و اقتنوا السلاح و العدة، و تعرفوا إلی الله تعالی فی الرّخاء یعرفکم فی الشدّة، و استشعروا القوة بالله تعالی علی أعدائه و أعدائکم، و استمیتوا من دون أبنائکم، و کونوا کالبناء المرصوص لحمالات هذا العدوّ النازل بفنائکم، و حوطوا بالتعویل علی الله تعالی وحده بلادکم، و

اشترؤوا من الله جلّ جلاله أولادكم.

«ذكرؤوا أنّ امرأة احتمل السبع ولدها و شكّت إلى بعض الصالحين، فأشار عليها بالصدقة، فتصدّقت برغيف، فأطلق السبع ولدها، و سمعت النداء: يا هذه لقمه بلقمه، و إنّنا لما استودعناه لحافظون.

و اهجروا الشهوات، و استدركوا البقيّة من بعد الفوات، و أفضلوا لمساكينكم من الأقوات، و اخشعوا لما أنزل الله تعالى من الآيات، و خذؤوا نفوسكم بالصبر على الأزمت، و المواساة فى المهمّيات، و أيقظؤوا جفونكم من السيّئات، و اعلمؤوا أنّكم رضعاء ثدى كلمة التوحيد، و جيران البلد الغريب و الدين الوحيد، و حزب التمحيص، و نفر المرام العويص، فتفقّدؤوا معاملاتكم مع الله تعالى، و مهما لقيتم الصدق غالباً، و القلب للمولى الكريم مراقباً، و شهاب البنين ثاقباً، فتقؤوا بعناية الله التى لا يغلبكم معها غالب، و لا ينالكم لأجلها عدوّ مطالب، فإنكم فى الستر الكثيف، و كنف الخبير اللطيف، و مهما رأيتم الخواطر متبدّدة، و الظنون فى الله متردّدة، و الجهات التى تخاف و ترجى متعدّدة، و الغفلة عن الله ملامسها متجدّدة، و عادة دواعى الخذلان دائمة، و أسواق الشهوات قائمة، فاعلمؤوا أنّ الله تعالى منقذ فيكم وعده و وعيده فى الأمم الغافلين، و أنّكم قد ظلمتم أنفسكم و لا عدوان إلّا على الظالمين، و التوبة تردّ الشارد إلى الله تعالى و الله يحبّ التوابين و يحبّ المتطهرين، و هو القائل إنّ الحسيّات يذهبن السيّئات ذلك ذكرى للذّكّرين [سورة هود، الآية: ١١٤].

«و ما أقرب صلاح الأحوال مع الله تعالى إذا صحّت العزائم، و توالى على حزب الشيطان الهزائم، و خملت الدنيا الغربية فى العيون، و صدقت فيها عند الله الظنون يا أيّها الناس إنّ وعيد الله حقّ فلا تغرّنكم الحياة الدنيا و لا يغرّنكم بالله الغرور [سورة فاطر، الآية: ٥] و ثوبوا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٢٥

سراعاً إلى طهارة الثوب، و إزالة الشوب، و اقصدؤوا أبواب غافر الذنب و قابل التوب، و اعلمؤوا أنّ سوء الأدب مع الله تعالى يفتح أبواب الشدائد، و يسدّ طرق العوائد، فلا تمطلؤوا بالتوبة أزمانكم، و لا تأمنؤوا مكر الله فتغشؤوا إيمانكم، و لا تعلقؤوا متابكم بالضرائر، فهو علّام السرائر، و إنّما علينا أن ننصحكم و إنّ كنّا أولى بالنصيحة، و نعتمدكم بالموعظة الصريحة، الصادرة- علم الله تعالى- عن صدق القريحة، و إنّ شاركنكم فى الغفلة فقد سبقناكم إلى الاسترجاع و الاستغفار، و إنّما لكم لدينا نفس مبدولة فى جهاد الكفار، و تقدم قبلكم إلى مواقف الصبر التى لا- ترضى بالفرار، و اجتهاد فيما يعود بالحسنى و عقبى الدار، و الاختيار لله ولى الاختيار، و مصرّف الأقدار، وها نحن نسرع فى الخروج إلى مدافعة هذا العدو و نفدى بنفوسنا البلاد و العباد، و الحريم المستضعف و الأولاد، و نصلى من دونهم نار الجلاّد، و نستوهب منكم الدعاء لمن وعد بإجابته، فإنه يقبل من صرف إليه وجه إنابته، اللهم كن لنا فى هذا الاهتمام نصيراً، و على أعدائك ظهيراً، و من انتقام عبدة الأوثان كفيلاً، اللهم قوّ من ضعفت حيلته فأنت القوى المعين، و انصر من لا نصير له إلّا أنت فإياك نعبد و إياك نستعين، اللهم ثبت أقدامنا و انصرنا عند تزلزل الأقدام، و لا تسلّمنا عند لقاء عدوّ الإسلام، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام، اللهم دافع بملائكتك المسوّمين، اللهم اجعلنا على تيقظ و تذكّر من قال لهمّ الناس إنّ الناس قد جمّعوا لكم فأخشؤهم فزادهم إيماناً و قالوا حسبيّنا الله و نعم الوكيل (١٧٣) فأنقلّبوا بنعمة من الله و فضلٍ لهمّ يسؤهم سوءً و اتّبّعوا رضوان الله و الله ذو فضلٍ عظيم (١٧٤) [سورة آل عمران، الآية: ١٧٣، ١٧٤].

«و قد وردت علينا المخاطبات من إخواننا المسلمين الذين عرفنا فى القديم و الحديث اجتهادهم، و شكرنا فى ذات الله تعالى جهادهم، بنى مرين أولى الامتعاض لله تعالى و الحميّة، و المخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزيّة، بعزمهم على الامتعاض لحقّ الجوار، و المصارحة التى تليق بالأحرار، و النفرة لانهتاك ذمار نبيهم المختار، و حركة سلطانهم بتلك الأقطار و الأمصار، و مدافعة أحزاب الشيطان و أهل النار، فاسألؤا الله تعالى إعانتهم على هذا المقصد الكريم الآثار، و السعى الضمين للعزّ و الأجر و الفخار، و السلام الكريم يخصّكم أيها الأولياء و رحمة الله و بركاته؛ انتهى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٢٦

[كتاب من إنشاء علي بن لسان الدين عن لسان السلطان الغنى بالله]

و مما كتبه ابن لسان الدين رحمه الله تعالى على لسان سلطانه الغنى بالله تعالى و النظر إليهم بعين الشفقة ما صورته: «هذا كتاب كريم أصدرناه بتوفيق الله تعالى شارحا للصدور، مصلحا بإعانة الله تعالى للأمور، ملحفا العدل و الإحسان الخاصية و الجمهور، يعلم من يسمعه أو يقف عليه، و من يقرؤه و يتدبر ما لديه، ما عاهدنا الله تعالى عليه من تأمين النفوس و حقن الدماء، و السير في التجافى عنها على السنين السواء، و رفع التثاور عن البعيد منها و القريب، و المساواة في العفو و الغفران بين البرىء منها و المريب، و حمل من ينظر بعين العدوأة في باطن الأمر محمل الحبيب، و ترك ما يتوجه بأمر المطالبات، و رفض التبعات، مما لا يعارض حكما شرعيا، و لا يناقض سننا في الدين مرعيا، فمن كان رهن تبعه أو طريد تهمة، أو منبوزا في الطاعة بريءه توجب أن نريق دمه، فقد سحبتنا عليه ظلال الأمان و ألحفناه أثواب العفو و الغفران، و وعدناه من نفسنا مواعد الرفق و الإحسان، حكما عامًا، و عفوا تامًا، فاشيا في جميع الطبقات، منسجبا على الأصناف المختلفة، عاملنا في ذلك من يتقبل الأعمال، و لا يضيع السؤال، و استغفرنا عن نفسنا و عمّن أخطأ علينا من رعيتنا ممن يدرأ الشرع غلظته، و يقبل الحق فيأته، من يشتمغفر الله يجد الله عفورا رحيمًا [سورة النساء، الآية: ١١٠] لما رأينا من سر اتفاق الأهواء و الضمائر، و خلوص القلوب و السرائر، في هذا الوطن الذي أحاط به العدو و البحر، و مسه بتقدم الفتنة الضرر، و صلته لما أجراه الله تعالى على أيدينا، و هياه بنا في نادينا، فلم يخف ما سكن بنا من نار فتنة، و رفع من بأس و إحنة، و كشف من ظلمة، و سدل من نعمة، و أصفى من مورد عافية، و أولى من عصمة كافية، بعد ما تخربت الثغور، و فسدت الأمور، و اهتضم الدين، و اشتد على العباد كلب الكافرين المعتدين ذلحك من فضل الله علينا و على الناس [سورة يوسف، الآية: ٣٨] فله الحمد دائبا، و الشكر واجبا، و من الله نسأل أن يتم نعمته علينا كما أتمها على أبونا من قبل إن ربك حكيم عليم. و نحن قد شرعنا في تعيين من ينوب عنا من أهل العلم و العدالة، و الدين و الجلالة للتطوف في البلاد الأندلسية، و مباشرة الأمور بالبلاد النصيرية، ينهون إلينا ما يستطلعونه، و يبلغون من المصالح ما يتعرفونه، و يقيدون ما تحتاج إليه الثغور، و تستوجه المصلحة الجهادية من الأمور، و نحن نستعين بفضلاء رعيتنا و خيارهم، و المراقبين الله تعالى منهم في إيرادهم و إصدارهم، على إنهاء ما يخفى عنا من ظلامه تقع، أو حادث يتبدع، و من اتخذت

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٢٧

بجواره خمر فاشية، أو نشأت في جهته للمنكر ناشية، فنحن نقلده العهد، و نطوقه القلادة، و وراء تنبيهنا على ما خفى من الشكر لمن أهده، و إحماد سعى من أبلغه و أداه، ما نرجو ثواب الله تعالى عليه، و التقرب به إليه، فمن أهدى لنا شيئا من ذلك فهو شريك في أجره، و مقاسم في مثوبته يوم ربح تجره، و حسبنا الله و نعم الوكيل؛ انتهى.

[وصية لسان الدين لأولاده]

و إذ أجرينا طرف القلم ملء عنانه فيما لسان الدين رحمه الله تعالى من النصائح و المواعظ و الوصايا، و ما يرجع بالنفع على الخاصة و جمهور الرعايا، ما كل دون شأوه، و قصر عن أمده مديد خطوه، و قد تقدم في هذا الكتاب من ذلك جملة وافرة، فلتراجع في محالها المتكاثرة، و قد آن أن نسرد في هذا المحل الوصية التي أوصى لسان الدين رحمه الله تعالى بها أولاده، و هي وصية جامعة نافعة، يحصل بها انتعاش؛ لاشتمالها على ما لا بد منه في المعاد و المعاش، و نصّها:

«الحمد لله الذي لا يروعه الحمام المرقوب إذا شيم نجمه المثقوب، و لا يبغته الأجل المكتوب، و لا يفجؤه الفراق المعتوب، ملهم

الهدى الذى تظمن به القلوب، و موضح السبيل المطلوب، و جاعل النصيحة الصريحة فى قسم الوجوب، لا سيما للولى المحبوب، و الولد المنسوب، القائل فى الكتاب المعجز الأسلوب، أم كُتِبْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ [سورة البقرة، الآية: ١٣٣] وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبَ [سورة البقرة، الآية: ١٣٢].

و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب، و أشرف من خلعت عليه حلل المهابة و العصمة فلا- تقتحمه العيون و لا- تصمه العيوب، و الرضا عن آله و أصحابه الثابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب، و الأمل المسلوب، و الاقتداء الموصل [الى] المرغوب، و العز و الأمن من اللغوب.

و بعد، فإنى لما علانى المشيب بقمته، و قادنى الكبير برمته، و اذكرت بعد أمته،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٢٨

أسفت لما أضعت، و ندمت بعد الفطام على ما رضعت، و تأكد و جوب نصحي لمن لزمنى رعيه، و تعلق بعينى سعيه، و أملت أن تتعدى إلى ثمره استقامته و أنا رهين فوات، و فى برزخ أموات، و يأمن العثور فى الطريق التى اقتضت عثارى، إن سلك- و عسى أن لا يكون ذلك- على آثارى، فقلت أخاطب الثلاثة الولد، و ثمرات الخلد، بعد الضراعة إلى الله تعالى فى توفيقهم، و إيضاح طريقهم، و جمع تفريقهم، و أن يمتن على منهم بحسن الخلف، و التلافى من قبل التلف، و أن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف، فهو ولى ذلك، و الهادى إلى خير المسالك.

اعلموا، هداكم الله تعالى الذى بأنواره تهتدى الضمالم، و برضاه ترفع الأغلال، و بالتماس قربه يحصل الكمال، إذا ذهب المال، و أخلفت الآمال، و تبرأت من يمينها الشمال- أنى مودعكم و إن سالمنى الردى، و مفارقكم و إن طال المدى، و ما عدا ممّا بدا، فكيف و أدوات السفر تجمع، و منادى الرحيل يسمع، و لا أقل للحبيب المودع من وصية محتضر، و عجاله مقتصر، و رتيمة تعقد فى خنصر، و نصيحة تكون نشيدة واع مبصر، تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدى، و توضح لكم من الشفقة و الحنو قصدى، حسبما تضمن وعد الله من قبل وعدى، فهى أربكم الذى لا يتغير وقفه، و لا ينالكم المكروه ما رفّ عليكم سقفه، و كأنى بشبابكم قد شاخ، و براحلكم قد أناخ، و بناشطكم قد كسل، و استبدل الصاب من العسل، و نصول الشيب تروع بأسل، لا بل السام من كل حذب قد نسل، و المعاد للحد و لا- تسل، فبالأمس كنتم فراخ حجر، و اليوم أبناء عسكر مجر، و غدا شيوخ مضيعة و هجر، و القبور فاغرة، و النفوس عن المألوفات صاغرة، و الدنيا بأهلها ساخرة، و الأولى تعقبها الآخرة، و الحازم من لم يتعظ به فى أمر، و قال: بيدى لا بيد عمرو، فاقنتوها من وصيته، و مرام فى النصح قصيته، و خصوا بها أولادكم إذا عقلوا، ليجدوا زادها إذا انتقلوا، و حسبي و حسبكم الله الذى لم يخلق الخلق هملا و لكن ليلوهم أيهم أحسن عملا، و لا رضى الدنيا منزلا، و لا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا. و لتلقنوا تلقينا، و تعلموا علما يقينا، أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبي، و يفتش التراب جنبى، و يسح انسكابى، و تهول عن المصلّى ركابى، أحرص منى على سعادة إليكم تجلب، أو غاية كمال بسبيكم ترتاد و تطلب، حتى لا يكون فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٢٩

الدين و الدنيا أورف منكم ظلّا، و لا أشرف محلّا، و لا أغبط نهلا و علّا، و أقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولى الآذان، و تستلمحوا صبح نصحي فقد بان، و سأعيد عليكم وصية لقمان: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و إذ قال لقمان لابنه وَ هُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [سورة لقمان، الآية: ١٣] يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَنه عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اضْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَ لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَ أَقِصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) [سورة لقمان، الآية: ١٧-١٩] و أعيد وصية خليل الله و إسرائيل، حكم ما تضمنه حكم تنزيله يا بنى إن الله اضبطنى لكم الدين فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون [سورة البقرة، الآية: ١٣٢] و الدين الذى ارتضاه و اصطفاه، و أكمله و وفاه، و قرره مصطفاه، من قبل أن يتوفاه، إذا عمل فيه انتقاد، فهو عمل و اعتقاد، و كلاهما

مقرّر، ومستمدّ من عقل أو نقل محزّر، والعقل متقدّم، و بناؤه مع رفض أخيه متهدّم، فالله واحد أحد، فرد صمد، ليس له والد ولا ولد، تنزه عن الزمان والمكان، وسبق وجوده وجود الأكوان، خالق الخلق وما يعملون، الذي لا يسأل عن شيء وهم يسألون، الحيّ العليم المدبّر القدير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [سورة الشورى، الآية: ١١] أرسل الرسل رحمةً لتدعو الناس إلى النجاة من الشقاء، وتوجه الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء، مؤيدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء، ثم ختم ديوانهم بنبيّ ملتنا المرعية الهمل، الشاهدة على الملل، فتلخصت الطاعة، وتعيّنت الإمرة المطاعة، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة، ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان بشرا، وترك دينه يضمّ من الأمة نشرا، فمن تبعه لحق به، ومن تركه نوط عنه في منسبه، وكانت نجاته على قدر سببه، روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «تركت فيكم ما إن تمسّ بكم به لم تضلّوا بعدى: كتاب الله، وسنتي، فعصّوا عليهما بالنواجذ». فاعملوا يا بني، بوصية من ناصح جاهد، ومشفق شفقة والد، واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه، وعوا مرشد هديه فيا فوز واعيه، وصلوا السبب بسببه، وآمنوا بكلّ ما جاء به مجملا أو مفصّلا على حسبه، وأوجبوا التجلّة لصحبه الذين اختارهم الله تعالى لصحبته، واجعلوا محبتكم إياهم من توابح محبته، واشملوهم بالتوقير، وفضلوا منهم أولى الفضل الشهير، وتبرءوا من العصية التي لم يدعكم إليها داع، ولا تع التشاجر بينهم أذن واع، فهو عنوان السداد، وعلامة سلامة الاعتقاد، ثم اسحبوا فضل

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٣٠

تعظيمهم على فقهاء الملة، وأئمتها الجلمة، فهم صقله نصولهم، وفروع ناشئة من أصولهم، وورثتهم وورثة رسولهم. واعلموا أننى قطعت فى البحث زمانى، وجعلت النظر شانى، منذ برانى الله تعالى وأنشانى، مع نبل يعترف به الشانى، وإدراك يسلمه العقل الإنسانى، فلم أجد خابط ورق، ولا مصيب عرق، ولا نازع خطام، ولا متكلّف فطام، ولا مقتحم بحر طام، إلا و غايته التى يقصدها قد نضلتها الشريعة وسبقتها، وفرعت ثنيتها وارتقتها، فعليكم بالتزام جادتها السابله، ومصاحبه رفقتها الكامله، والاهتداء بأقمارها غير الآفله، والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [سورة آل عمران، الآية: ٨٥] وقد علت شرائعه، وراع الشكوك رائعه، فلا تستزلكم الدنيا عن الدين، وابدلوا دونه النفوس فعل المهتدين، فلن ينفع متاع بعد الخلود فى النار أبداً أبدين، ولا يضرّ مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين، ومتاع الحياة الدنيا أحسن ما ورث الأولاد عن الوالدين، اللهم قد بلغت فأنت خير الشاهدين، فاحذروا المعاطب التى توجب فى الشقاء الخلود، وتستدعى شوه الوجوه ونضج الجلود، واستعيذوا برضا الله من سخطه، واربؤوا بنفوسكم عن غمطه، وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم، ولا تحمدوا على جيفة العرض الزائل ائتلافكم، واقتنعوا منه بما تيسر، ولا تأسوا على ما فات وتعدّر، فإنما هى دجته ينسخها الصباح، وشفقة يتعاقبها الخسار والرياح، ودونكم عقيدة الإيمان فشداً بالنواجذ عليها، وكفكفوا الشبه أن تدنوا إليها. واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه عمل، وكل ما سوى الراعى همل، وما بعد الرأس فى صلاح الجسم أمل، وتمسّكوا بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة، واجعلوا حملة على حمل التكليف علاوة، وتفكروا فى آياته ومعانيه، وامتثلوا أوامره ونواهيه، ولا تتأولوه ولا تغلوا فيه، وأشربوا قلوبكم حبّ من أنزل على قلبه، وأكثروا من بواعث حبه، وصونوا شعائر الله صون المحترم، واحفظوا القواعد التى يبنى عليها الإسلام حتى لا ينخرم.

الله فى الصلاة ذريعة التجلّة، وخاصة الملة، وحاقنة الدم، وغنى المستأجر

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٣١

المستخدم، وأمّ العبادة، وحافظه اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة، والناهيّة عن الفحشاء والمنكر وإن عرض الشيطان عرضهما، وطاً للنفس الأمارة سماءهما وأرضهما، والوسيلة إلى بلّ الجوانح ببرود الذكر، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر، وضامنة حسن العشرة من الجار، وداعية للمسالمة من الفجار، والواسمة بسمة السلامة، والشاهدة للعبد برفع الملامة، وغاسول الطبع إذا شانه طبع، و

الخير الذى كل ما سواه له تبع، فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء وإعادة، فالخير عادة، ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية، و تؤثروا على العلية الدنية، فإن أوقات المعينة بالانفلات تنبس، و الفلك بها من أجلكم لا يحبس، و إذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل، و الحكم الذى لا- يغيره الغدو ولا- الأصيل، و الوظائف بعد أدائها لا تفوت، و أين حق من يموت من حق الحى الذى لا يموت؟ و أحكموا أوضاعها إذا أقمتوها و أتبعوها النوافل ما أطقتموها، فبالإتقان تفاضلت الأعمال، و بالمرعاة استحققت الكمال، و لا شكر مع الإهمال، و لا ربح مع إضاعة رأس المال، و ذلك أخرى بإقامة الفرض، و أدعى إلى مساعدة البعض البعض. و الطهارة التى هى فى تحصيلها سبب موصل، و شرط لمشروطه محصل، فاستوفوها، و الأعضاء نظفوها، و مياهاها بغير أوصافها الحميدة فلا تصغوها، و الحجول و الغرر فأطيلوها، و التيات فى كل ذلك فلا تهملوها، فالبناء بأساسه، و السيف بمراسه.

«و اعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة و طهور، و ذكر مجهور و غير مجهور، تستغرق الأوقات، و تنازع شتى الخواطر المفترقات، فلا يضبطها إلّا من ضبط نفسه بعقال، و استعاض صدأه بصقال، و إن تراخى فهقر الباع، و سرقة الطباع، و كان لما سواها أضيع فشمل الضياع.

«و الزكاة أختها الحبيبة، ولدتها القريبة، مفتاح السعادة بالعرض الزائل، و شكران المسؤول على الضد من درجة السائل، و حق الله تعالى فى مال من أغناه، لمن أجهده فى المعاش و عناه، من غير استحقاق ملء يده و إخلاء يد أخيه، و لا علة إلّا القدر الذى يخفيه،
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٣٢

و ما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه. فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها، فى اختيار عرضها و نتاجها، و استحياوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل، و خالفوا الشيطان كلما عدل، و اذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون، و لا تدرون أين تسلكون، فوهب و أفدر، و أورد بفضلها، و أصدر، ليرتب بكرمه الوسائل، أو يقيم الحجج و الدلائل، فابتغوا إليه الوسيلة بماله، و اغتموا رضاه ببعض نواله.

و صيام رمضان عبادة السير المقربة إلى الله زلفى، الممحوضة لمن يعلم السر و أخفى، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام، و القيام بير القيام، و الاجتهاد، و إثارة السهاد على المهاد، و إن وسع الاعتكاف فهو من سننه المرعية، و لواحقه الشرعية، فبذلك تحسن الوجوه، و تحصل من الرقة على ما ترجوه، و تذهب قسوة الطباع، و يمتد فى ميدان الوسائل الباع.
«و الحجج- مع الاستطاعة- الركن الواجب، و الفرض على العين لا يحجبه الحاجب، و قد بين رسول الله صلى الله عليه و سلم قدره فيما فرض عن ربه و سنه، و قال ليس له جزاء عند الله إلّا الجنة.

و يلحق بذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه، و غنى لديه، فكونوا ممن يسمع نفيه و يطيعه، و إن عجزتم فأعينوا من يستطيعه.

«هذه عمد الإسلام و فروضه، و نقود مهره و عروضه، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين، و على من يناويكم ظاهرين، و تلقوا الله لا مبدلين و لا مغيرين، و لا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين.

«و اعلموا أن بالعلم تستكمل وظائف هذه الألقاب، و تجلى محاسنها من بعد الانتقاب، فعليكم بالعلم النافع، دليلا بين يدي السامع، فالعلم مفتاح هذا الباب، و الموصل إلى اللباب، و الله عز و جل يقول قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ [سورة الزمر، الآية: ٩] و العلم وسيلة النفوس الشريفة، إلى المطالب المنيفة، و شرطه الخشية لله تعالى و الخيفة، و خاصة الملاء الأعلى، و صفة الله فى كتبه التى تتلى، و السبيل فى الآخرة إلى السعادة، و فى الدنيا إلى النحلة عادة، و الذخر الذى قليله يشفع، و كثيره ينفع، لا يغلبه الغاصب، و لا يسلبه العدو المناصب، و لا يبتزه الدهر إذا نال، و لا يستأثر به البحر إذا هال، من لم ينله فهو ذليل و إن كثرت آماله، و قليل و إن جم ماله، و إن كان وقته قد فات اكتسابكم، و تخطى حسابكم، فالتمسوه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٣٣

لبنيتكم، و استدرکوا منه ما خرج عن أيديكم، و احملوهم على جمعه و درسه، و اجعلوا طباعهم ثرى لغرسه، و استسهلوا ما ينالهم من تعب من جزاه، و سهر بهجر له الجفن كراه، تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل، و تحلوهم مثابة رفعة لا يحط فارعاها و لا يستنزل، و اختاروا فى العلوم التى يتعقبها الوقت، فلا يناله فى غيره المقت.

«و خير العلوم علوم الشريعة، و ما نجم بمنابتها المريعة، من علوم لسان لا تستغرق الأعمار فصولها، و لا يضايق ثمرات المعاد حصولها، فإنما هى آلات لغير، و أسباب إلى خير منها و خير، فمن كان قابلا للزدياد، و ألفى فهمه ذا انقياد، فليخص تجويد القرآن بتقديمه، ثم حفظ الحديث و معرفة صحيحه من سقيمه، ثم الشروع فى أصول الفقه فهو العلم العظيم المنه، المهدى كنوز الكتاب و السنه، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلة، و التدرّب فى طرق النظر و تصحيح الأدلة، و هذه هى الغاية القصوى فى الملة، و من قصر إدراكه عن هذا المرمى، و تقاعد عن التى هى أسمى، فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب و إحكامه، و ليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه، و إياكم و العلوم القديمة، و الفنون المهجورة الذميمة، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا، و رأيا ركيكا، و لا يثمر فى العاجلة إلا اقتحام العيون، و تطويق الظنون، و تطويق الاحتقار، و سمة الصغار، و خمول الأقدار، و الخسف من بعد الإبدار، و جادة الشريعة أعرق فى الاعتدال، و أوفق من قطع العمر فى الجدال، هذا ابن رشد قاضى المصر و مفتيه، و ملتمس الرشد و موليه، عادت عليه بالسخطه الشنيعة، و هو إمام الشريعة، فلا سبيل إلى اقتحامها، و التورط فى ازدحامها، و لا تخلطوا حامكم بحامها، إلا ما كان من حساب و مساحة، و ما يعود بجدوى فلاحه، و علاج يرجع على النفس و الجسم براحة، و ما سوى ذلك فمحجور، و ضرر مسجور، و ممقوت مهجور. و أمروا بالمعروف أمرا رقيقا، و انهوا عن المنكر نهيا حريّا بالاعتدال حقيقا، و اغبطوا من كان من سنه الغفلة مفيقا، و اجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٣٤

«و أطيعوا أمر من ولّاه الله تعالى من أموركم أمرا، و لا تقربوا من الفتنة جمرا، و لا تداخلوا فى الخلاف زيادا و لا عمرا. و عليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين، و أهم ما أضرى عليه الآباء السنه البنين، و أكرم منسوب إلى مذهبه، و من أكثر من شىء عرف به.

«و إياكم و الكذب فهو العورة التى لا توارى، و السوأة التى لا يرتاب فى عارها و لا يتمارى، و أقلّ عقوبات الكذاب، بين يدي ما أعدّ الله له من العذاب، أن لا يقبل منه صدقه إذا صدق، و لا يعول عليه إن كان بالحقّ نطق.

«و عليكم بالأمانة فالخيانة لوم، و فى وجه الديانة كلوم، و من الشريعة التى لا يعذر بجهلها، أداء الأمانات إلى أهلها، و حافظوا على الحشمة و الصيانة، و لا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة، و لا توجدوا للغدر قبولا، و لا تقرّوا عليه طبعاً مجبولا و أوفّوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤلًا [سورة الإسراء، الآية: ٣٤] و لا تستأثروا بكثر و لا خزن، و لا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين فى سهل و لا حزن، و لا تبخسوا الناس أشياءهم فى كيل أو وزن، و الله أن تعينوا فى سفك الدماء و لو بالإشارة أو بالكلام، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقاليم، و اعلموا أنّ الإنسان فى فسحة ممتدة، و سبل الله تعالى غير منسدة، ما لم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه، و يمس الدم الحرام بيده أو لسانه، قال الله تعالى فى كتابه الذى هدى به سننا قويمًا، و جلى من الجهل و الضلال ليلا بهيما و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها و غصب الله عليه و لعنه و أعدّ له عذاباً عظيماً [سورة النساء، الآية: ٩٣].

«و اجتناب الزنى و ما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه، و امتدّ فى سبيل السعادة باعه، لو لم تلتق نور الله الذى لم يهد شعاعه، فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه، و لا عدم إقناعه، و من غلبت غرائز جهله، فلينظر هل يجب أن يزنى بأهله، و الله قد أعدّ للزنى عذابا و بيلا، و قال: و لا تقرّبوا الزنى إنّه كان فاحشة و ساء سيلاً [سورة الإسراء، الآية: ٣٢].

«و الخمر أم الكبائر، و مفتاح الجرائم و الجرائر، و اللهو لم يجعله الله فى الحياة شرطا، و المحرم قد أغنى عنه بالحلال الذى سوغ و أعطى، و قد تركها فى الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد، و لا لنفوسهم بالمضرة فى مرضاة الأجساد، و الله تعالى قد جعلها

رجسا محرما على العباد، وقرنها بالأنصاب والأزلام في مياينة السداد.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٣٥

«ولا تقربوا الربا فإنه من مناهى الدين، والله تعالى يقول: وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ [سورة البقرة، الآية: ٢٧٨] وقال: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [سورة البقرة، الآية: ٢٧٩] في الكتاب المبين، ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه، وانزعوا الطعم عن ذلك حتى تذهب ريحه، والتمسوا الحلال يسعى فيه أحدكم على قدمه، ولا يكل خياره إلا للثقة من خدمه، ولا تلجئوا إلى المتشابه إلا عند عدمه، فهو في السلوك إلى الله تعالى أصل مشروع، والمحافظ عليه مغبوط، وإياكم والظلم فالظالم ممقوت بكل لسان، مجاهر الله تعالى بصريح العصيان، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصحاح الحسان. والنميمة فساد وشتات، لا يبقى عليه متات، وفي الحديث «لا يدخل الجنة قتات». واطرحوا الحسد فما ساد حسود، وإياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود، والبخل فما رئى البخيل وهو مودود.

وإياكم وما يعتذر منه فمواقع الخزي لا تستقال عثراتها، ومظنات الفضائح لا تؤمن غمراتها، وتفقدوا أنفسكم مع الساعات، وأفشوا السلام في الطرقات والجماعات، ورقوا على ذوى الزمانات والعاهات، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات، وعولوا عليه وحده في الشدائد، واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائد، وتقربوا إليه باليسير من ماله، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله، وارعوا حقوق الجار، واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار، وتعاهدوا أولى الأرحام، والوشائج البادية الالتحام، واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر، وتفسد السر والجهر، والرشا فإنها تحط الأقدار، وتستدعى المذلة والصغار، ولا تسامحوا في لعبة قمر، ولا تشاركوا أهل البطالة في أمر. وصونوا المواعيد من الإخلاف، والأيمان من حث الأوغاد والأجلاف، وحقوق الله تعالى من الأزدراء والاعتساف، ولا تلهجوا بالأمال العجاف، ولا تكلفوا بالكهانة والإرجاف. واجعلوا العمر بين معاش ومعاد، وخصوصية وابتعاد، واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد، وأن الخلق بين زرع وحصاد، وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم، واحذروا القواطع عن السعادة كما تحذر السموم. واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم، وقابلوا بالصبر أذايه المؤذنين، ولا تعارضوا مقالات

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٣٦

الظالمين، فالله لمن بغى عليه خير الناصرين، ولا تستعظمو حوادث الأيام كلما نزلت، ولا تضجوا للأمراض إذا أعضلت، فكل منقرض حقير، وكل منقض وإن طال قصير، وانتظروا الفرج، وانتشقوا من جناب الله تعالى الأرج، وأوسعوا بالرجاء الجوانح، واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبى لعبد إليه جانح، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء، والجنوا إليه في البأساء والضراء، وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذى يقيد به الشارد، ويعذب الوارد، وأسهموا منها للمساكين وفضلوا عليهم، وعينوا الحظوظ منها لديهم، فمن الآثار «يا عائشة، أحسنى جوار نعم الله، فإنها قلما زالت عن قوم فعاتت إليهم». ولا تطغوا في النعم فتقصروا عن شكرها، وتلفكم الجهالة بسكرها، وتتوهموا أن سعيكم جلبها، وجدكم حلبها، فالله خير الرازقين، والعاقبة للمتقين، ولا فعل إلا لله إذا نظر بعين اليقين، والله لا تنسوا الفضل بينكم، ولا تذهبوا بذهابه زينكم، وليتزم كل منكم لأخيه، ما يشتد به تواخيه، بما أمكنه من إخلاص وبرز، ومراعاة فى علانية وسر، وللإنسان مزية لا تجهل، وحق لا يهمل. وأظهروا التعاضد والتناصر، وصلوا التعاهد والتراور، ترغموا بذلك الأعداء، وتستكثروا الأوداء، ولا تتنافسوا فى الحظوظ السخيفة، ولا تتهاوشوا تهاوش السباع على الجيفة، واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان، فإذا أسديتم معروفا فلا تذكروه، وإذا برز قبيح فاستروه، وإذا أعظم النساء أمرا فاحقره.

والله لا تنسوا مقارضة سجلى، وبروا أهل مودتى من أجلى، ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد، الذى لا يصلح لغير الجهاد، فلا يستهلكه أجمع فى العقار، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار، وساعيا لنفسه إن تغلب العدو على بلده فى الافتضاح و

الافتقار، و معوقا عن الانتقال، أمام التوب الثقال، و إذا كان رزق العبد على المولى، فالإجمال فى الطلب أولى، و ازهدوا جهدكم فى مصاحبة أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشرّها، و نفعها لا يقوم بضرّها، و أعقاب من تقدّم شاهدة، و التواريخ لهذه الدعوى عاضدة، و من بلى بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال، و التقلل من المال، و ليحذر معاداة الرجال، و مزلات الإدلال، و فساد الخيال، و مداخلة العيال، و إفشاء السرّ، و سكر الاعتزاز [فإنه دأب الغر]، و ليصن الديانة، و يؤثر الصمت و يلازم الأمانة، و يسر من رضا الله على أوضح الطرق، و مهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحقّ، و ليقف فى التماس أسباب الجلال دون الكمال غير نقصان، و الزعازع تسالم اللدن اللطيف من الأغصان، و إياكم و طلب الولايات رغبة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٣٧

و استجلابا، و استظهارا على الخطوب و غلابة، فذلك ضرر بالمروءات و الأقدار، داع إلى الفضيحة و العار، و من امتحن بها منكم اختيارا، أو جبر عليها إكراها و إيثارا، فليتلّق وظائفها بسعة صدره، و يبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره، فالولايات فتنة و محنة، و أسر و إحنة، و هى بين إخطاء سعادة، و إخلال بعبادة، و توقّع عزل، و إدالة بإزاء بيع جدّ من الدنيا بهزل، و مزلة قدم، و استتباع ندم، و مآل العمر كله موت و معاد، و اقتراب من الله و ابتعاد، جعلكم الله ممّن نفعه بالتبصير و التنبيه، و ممّن لا ينقطع بسببه عمل أبيه.

هذه أسعدكم الله وصيتى التى أصدرتها، و تجارتى التى لربحكم أدرتها، فتلقوها بالقبول لنصحها، و الاهتداء بضوء صبحها، و بقدر ما أمضيت من فروعها، و استغشيت من دروعها، اقتنيت من المناقب الفاخرة، و حصلت على سعادة الدنيا و الآخرة، و بقدر ما أضعت لآلها النفيسة القيم، استكثرتم من بواعث الندم.

«و مهما سئتم إطالتها، و استغزرت مقالتها، فاعلموا أنّ تقوى الله فذلك الحساب، و ضابط هذا الباب، كان الله خليفى عليكم فى كلّ حال، فالدنيا مناخ ارتحال، و تأميل الإقامة فرض محال، فالموعد للالتقاء، دار البقاء، جعل الله من وراء خطته النجاة، و نفق بضائعها المزجاة، بلطائف المرتجاة، و السلام عليكم من حبيكم المودع، و الله سبحانه يلئمّه حيث شاء من شمل متصدّع، و الدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب، و رحمة الله و بركاته».

انتهت الوصية الفريدة فى حسنها، الغريبة فى فتها، المبلغة نفوس الناظرين فيها فوق ظنها، و لأجل ذلك كان شيخ شيوخنا المؤلف الكبير الفقيه الإمام قاضى القضاة العلامة سيدى الشيخ عبد الواحد ابن الشيخ الإمام عالم المالكية صاحب التأليف العديدة ك «المعيار المعرب، و الجامع المغرب عن فتاوى إفريقية و الأندلس و المغرب» - و هو فى ست مجلدات لكان كافيا، و له مصنّفات كثيرة غيره أكثرها فى مذهب مالك، و لم يؤلف فى المذهب مثلها.

[وصية من إنشاء ابن الجيان المرسى، كتبها عن ابن هود ملك الأندلس إلى أخيه]

رجع إلى ما كنّا فيه:

أقول: لم تزل عادة الأكابر من العلماء و الملوك الوصية لأولادهم و عمالهم باقتفاء النهج الذى يرون فيه السلوك، و قد وقفت للفقيه الكاتب أبى عبد الله محمد بن الجيان المرسى الأندلسى رحمه الله تعالى على وصية ضمن رسالة كتبها عن ابن هود ملك الأندلس إلى أخيه اشتملت على ما لا بدّ منه، فرأيت أن أذكرها هنا تيمنا للفائدة، و نصّها بعد الصدر:

«من مجاهد الدين، و سيف أمير المؤمنين، عبد الله المتوكل عليه أمير المسلمين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٣٨

محمد بن يوسف بن هود، أيده الله تعالى بنصره! و أمده بتمكينه! و أعانه على ما ينويه من إحياء معالم دينه! إلى صنونا المبارك، و قسيمنا و أخينا المخصوص بتبجيلنا و تكريمنا، و حسامنا المنتضى المرتضى لإمضاء عزمنا و تصميمنا، الأمير الأعلى، الموقر الأسمى،

الميمون النقيبة المحمود السجية، الأحب التية، الأعز علينا، المتمم بمساعيه الصالحة كل ما نوبنا، أدام الله تعالى تظفيره وإسعاده! و أمضى في الحق قواضيه و سعاده! و والى معونته و إنجاده! و تولى توفيقه و إرشاده!
«سلام طيب كريم زاك يخضكم و رحمه الله تعالى و بركاته.

«أما بعد- فالحمد لله الذى أوضح للحق سبيلا، و مدّ ظلّ رحمته على الخلق ظليلا، و جعل العدل بحفظ نظام الإسلام كفيلا، و نزل الأحكام على قدر المصالح تنزيلا و نصب معالم الهدى علما لمن اقتدى و دليلا و ألهم إلى ما يرضاه عملا و معتقدا و قيلا، و صلواته الطيبة، و بركاته الصيبة، على سيد العالمين، و خاتم النبيين، محمد رسوله الذى فضله بخلته و اصطفاؤه تفضيلا، و بعثه بالحنيفية السمحة فيبينها تبيينا و فصّلها تفضيلا، و ربّتها كما أمره ربّه إباحة و ندبا و تحريما و تحليلا، حتى ثبتت سنّة الله فلنّ تجد لسنّة الله تبيديلا و لنّ تجد لسنّة الله تحويلا [سورة فاطر، الآية: ٤٣] و على آله و صحبه الذين فهموا ما جاءهم به عليه الصلاة و السلام نصا و تأويلا، و أبقوا من سيرتهم الفاضلة، و أحكامهم العادلة، أساسا للمتقين جليلا، و مآثر للمقتفين تسبح الأفهام و الأقلام فى بحارها سبحا طويلا، و أمضوا عزائمهم تنسخ بالحق باطلا- و بالهدى تضليلا، و رضوان الله تعالى يتوالى على خليفته، و حامل أمانته إلى خليفته، الذى كمل الله تعالى له موجبات الإمامة تكميلا، و أناله من هدى النبوة أفضل ما كان للهداة منيلا، سيدنا و مولانا الإمام المنتصر بالله تعالى أبى جعفر المنصور أمير المؤمنين المتبوء من ساحة الشرف و الجلالة محلا شريفا جليلا، و المنتخب من بحوثة بيت الرسالة الذى وجد الوحي عنده معرّسا و مقيلا، و الدعاء له من لدن العزيز القوى بنصر يأتى لإمداده بمدد الملائكة قبيلا، و فتح يولى الآمال من الظهور بغية و تأميلا-.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٣٩

«كتبناه إليكم كتب الله تعالى لكم عزا ما لا يزال عضبه صقيلا، و عزا يروق بإظهار الحق غرة و تحجيلا، و رأيا لقداح السداد و النجاح مجيلا، و سعدا يوصل إلى الإسعاد برضاه توصيلا، من حضرتنا بمرسيه حرسها الله تعالى! و نحن نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو على فضله الذى أنا له جسيما جزيل و نتوكل عليه، توكل من يلجأ من كل أحواله إليه، و كفى بالله وكيلا، و نستعينه على أمور المسلمين التى حملنا منها أمانة كبيرة و عبئا ثقيل، و نقف بالضراعة بين يديه، طلبا لما يخلصنا لديه، عساه أن يجعل لرغبتنا قبولا و توسيلا، و نعوذ به من كل عمل لا يكون حاصله إلا مالا و بيلا، و عرضا من الدنيا قريبا و متاعا قليلا. إننا- و الله المرشد- لنعلم أن هذا الأمر الذى قلّمنا الله تعالى منه ما قلّمه، و أسنده إلينا من أمور خلقه فيما أسنده، قد ألزمتنا من حقوقه الواجبة، و فروضه الراتبه، ما لا يستطيع إلينا من أمور خلقه فيما أسنده، قد ألزمتنا من حقوقه الواجبة، و فروضه الراتبه، ما لا يستطيع إلّا بمعونته أداءه، و لا يستتب إلّا بتوفيق الله تعالى انتهاؤه و ابتداءه، فهو المشكور عزّ وجهه على نعمته، و المستعان على ما يدنى من رضاه و يقرب من رحمته، و أن كل امرئ بشأنه مشغول، و عن خويصه نفسه مشغول، و نحن بما استرعانا الله تعالى مشغولون، و عن الكبير و الصغير مسئولون، و علينا النصيحة لله فى عباده و بلاده، و النظر لهم بمنتهى جدّ المجتهد و اجتهاده، و لا قوة إلّا بالله عليه توكلنا، و به إليه توسلنا، فعينا تسهر لتنام الرعية عيونهم، و تحركنا يتصل ليحصل لهم سكونهم، و أملنا أن لا نقرّ فيهم بحول الله تعال ظلما و لا هضمما، و لانخرم لهم فى إقامة حقوق الله ما استطعنا نظما، و أنى ينصرف عن هذا القصد بعمله و نيته، من يعرف أن الله جلّ جلاله لا يجوز ظلم ظالم فى بريته، و لعلّ الله الذى حملنا ما حملنا، و استعملنا بمشيئته فيما استعملنا، أن يهب لنا توفيقه، و يسلك بنا إلى هذه طريقه.

ألا و إن من وليناه أمرا من أمور المسلمين فهو مطلوب به، و موقوف عليه عند ربّه، فلينظر امرؤ فى جزئية ما نيظ به و كليته، و ليراقب فيما لديه عالم خفيته و جليته، ألا- و كلكم راع و كل راع مسئول عن رعيته، فمن حفظ الله حفظه الله فى نفسه و ماله، و قضى له بالسعادة فى حاله و ماله، و أنجاه يوم عرضه و سؤاله، و الخلق عيال الله فأحبهم إليه أحبهم لعياله. العدل العدل فبه قامت السماوات و الأرض، و بإقامته أقيمت السنّة و الفرض اغدّلوا هو أقرب للتقوى [سورة المائدة، الآية: ٨] و أقوى ما تشتدّ به أركان الدين و تقوى، أما إن الحقّ فى أن لا تتعدى أساليب الشرع و قوانينه، و أن لا يتجاوز فى قضيه من القضايا إفصاحه و تبيينه، و أن

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٤٠

يجازى بحكمه المسيؤون والمحسنون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون. ألا وإننا قد عثرنا لبعض قواد الجهادية و حكامها، على أمور أنكرنا معرفاتها، واستقبحتنا مستوصفاتهما، و برئنا إلى الله تعالى من متغيراتها و محرفاتها، و علمنا أن منهم أقواما لا يتورعون عن الأموال و الدماء، و لا يحذرون فيما يأتون و يذرون جبار الأرض و السماء، فأزلنا بحمد الله ذلك و نحوه، و عجلنا ابتغاء رضاه محقه و محوه، و انبعثنا لنظر جديد، و استئناف لإصلاح أحوال و تسديد، و تغليظ في المحرمات و تشديد، و استقبلنا ما يوسع الأمور ربطا و ضبطا، و يفيض على الأمة بعون الله تعالى عدلا و قسطا، و تعين علينا فيما رأيناه إنفاذ الخطاب إلى كل من استكفينا بالبلاد، و لينا النظر عنا في مصالح العباد، بما يكون إن شاء الله تعالى الاعتماد على فصوله، و الاستناد إلى محصوله، و الاجتهاد بحسب فروعه و أصوله.

فأول ما نوصيكم به و أنفسنا تقوى الله في كل حال، و مراقبة أوامره و نواهيه عند كل انتحاء و انتحال، و الوقوف عند حدود الله التي حدّها، و أرصدها بإزاء موجباته و عدّها، فإنه لا يتعدّها إلّا من رام تعفّى رسمها و طمسها و من يتعدّد حُدودَ الله فقد ظلّم نفسه [سورة الطلاق، الآية: ١] و المحافظة على ما به تحفظ الشريعة، و الملاحظة لما يضمّ الرعايا من حوزة أولى الحياطة المنيعة، و المثابرة على ما تكف به أكفّ الاعتداء، و المبادرة إلى الاهتمام بالسلف الصالح و الاقتداء، و الطريقة المثلى، و آيات الله التي تتلى، و هداياته التي لأبصار البصائر تجلى، و خفض الجناح، و الأخذ بالرفق و الإنجاح، و توخى الحقّ الذي هو أوضح انبلاجا من فلق الإصباح، و الحلم و الأناة، و المذاهب المستحسنات، و الأمور اليبينات.

و الله الله في الدماء فإنها أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فيها، و لا سبيل لاستحلالها إلّا بعد ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل المسلم لأخيه، و قد قال مالك الأمر و الخلق و لا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ [سورة الأنعام، الآية: ١٥١] فتثبتوا فيها فأمرها جليل، و تحريمها لا يدخله تحليل، و إياكم أن تجعلوا فيها لأحد من ولاة الجهاد حكما أو نظرا، أو تكلوا إليهم منها مستكثرا أو مستنزرا، فإنه إذا استبدّ بالقضاء فيها كلّ وال ذهب هدرًا، و استباحها الجاهل و الجائر أشرا و بطرا، و ربما كان فيهم من فى طباعه سبعة فيقتل بها الناس قتلا ذريعا، و يستسهل من ذلك بجوره صعبا و يرتكب بجهله شنيعا، و يذهل عن قول الله تعالى مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا [سورة المائدة، الآية: ٣٢] فأنى تحلّ المسامحة فى هذا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٤١

الشان، أو يحكم به كلّ إنسان فى نفوس أهل الإيمان؟ معاذ الله أن يكون هذا و نحن نعرفه، أو ينصرف إليه نظرنا فلا نزيله و لا نصرفه، فسدّوا هذا الباب سداً، و صدّوا عنه من أمه صدّا، و كفّوا كلّ ما كان من الأيدي للدماء ممتداً، و من وجب عليه القتل شرعا و تعين، و اتضح موجب القصاص فيه و تبين، فليس لكم إلّا القاعدة الكبرى، تتحرّى فيها الأحكام عليه بمحضر القاضى و الشهود كما يجب أن يتحرّى، بعد أن يتثبت فى نازلته و يستحل و يستبرأ، فلا تحلّ القضية إلّا على بصيرة، و حقيقة مستنيرة، فقد يلوح فى اليوم ما خفى بالأمس، و يتعدّر بعد الإفادة إعادة النفس.

و ملاك الأمر فى انتقاء من يتصرّف، و تولية من لا يضيع و لا يتخيف، فتخيروا للأنظار و الجهات، من ترتضى سيرته من الولاة، و لا تستعملوا أهل الفظاظة و الجهالة، و المصرين على الراحة و البطالة، فإنهم إذا استرعوا أضعوا، و إذا دعاهم شيطان الهوى أطاعوا، و إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا، و ميلوا باختياركم إلى المتسمين بالصالح، المرتسمين فى ديوان الكفاة النصح، و أطيلوا مع ذلك التنقيح عنهم و التنقيب، و لا تغفلوا عن التعهد بالبحث البعيد منهم و القريب، و من عثرتم له على منكر من استباحة دم أو مال، و إضاعة للحقوق و إهمال، فخذوا على يده، و جازوه بفاسد مقصده، و أنزلوه بالمنزل الأقصى، و عاملوه معاملة من أوصى بتقوى الله فما استوصى.

و اصرّفوا نظرهم إلى القضاء فإنّ مدار الشريعة إنما هو على ما يستند إليهم، و يقصر من الأحكام عليهم، فإذا كانوا من أهل العلم و الديانة، و ذوى النزاهة و الصيانة، أمسكهم الورع بزمامه، و بلغ العهد بهم غايةً تاممه، و إذا كانوا بضدّ هذا قبلوا الرشوة، و أوطؤوا العشوة، و أطالوا النشوة، و أحلّوا من الدماء و الفروج محرّمها، و طمسوا من السنّة بالميل و المين معلمها، و حكموا بالهواة و الهوى، و طوا من الحقّ ما انتشر و نشروا من الباطل ما انطوى، فاتتقوهم فهم أولى بالانتقاء، و شرّ جاسرهم و جاهلهم أحقّ بالانتقاء، و لا تقدموهم و لا غيرهم بالشفاعات و الوسائل، و لكن قدموهم بتورّعهم فى القضايا و علمهم بالمسائل.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٤٢

و ممّا نوّكد عليهم فيه أمر الشهود؛ فإنّ شهادة الزور هى الداء العضال، و الظلمة التى يتستّر بها الظلمة و الضلّال، و الحجّة الداخضة التى بها يحلّل الحرام و يحرم الحلال، و قد كثر فى هذا الزمان أهل الشهادة الفاسدة، و نفقت بهم سوق الأباطيل الكاسدة، فتقدّموا إلى القضاء و فقههم الله تعالى أن لا يقبلوا إلّا مشهوراً بزكاء و عدل، موفى حظّه من رجاحة و عقل، و من كان مغموراً عليه فى أحواله، منبوزاً بالاستراية فى شهادته و أقواله، فتردّ شهادته على أدراجها، و ليبتل ما يكون من حجاجها. و أكدوا عليهم عند تعارض العقود فى الترجيح، و النظر فى التعديل و التجريح، لتجرى أمور المسلمين على سنن المحقّ المستبين، و تبدو المعدلة مشرقة الغرّة مؤتلفة الجبين.

و ممّا نامرهم به أن تبحثوا عن العمال، و لا تولّوا منهم إلّا الحسن الطريقة المرضي الأعمال، و من لم يكن منهم جارياً على القوانين المرعية، ناصحاً لبيت المال رقيقاً بالرعيّة، و كان فى أمانته حائداً عن الجادة السويّة، قائلاً كما قال قبله ابن اللثبية، فليعوّض منه غيره، و ليرفع عن الجانبين ضيره، فإنه ما كانت الخيانة قطّ فى شيء إلّا أهلكته، و لا وضعت فى إنسان طبيعته سوء إلّا ملكته.

و إنما هو مال الله تعالى الذى يرزق منه الحماة، و به تسدّ الثغور المهمات، فينبغى أن يختار له محتاط فى اقتضائه و قبضه، حافظ لدينه و مروءته فى كلّ و بعضه، فخذوا فى انتقاء هذه الأصناف المسمين، و اطلبوا بهذه الأوصاف المصرفين و المولين، و اجمعوا من الاجتهاد الحميد و القصد و الاعتماد الأثر و العين، و أنصفوا منهم إن تظلم من أحدهم متظلم، و اشفوا شكوى كلّ متشكك و ألم كلّ متألم، و اعلموا أنّ حرمة الأموال بحرمة الدماء لاحقة، و أنّ إحدى القضيتين للأخرى مساوية و لا حقّة، و من أكبر ما ورد فى ذلك و أعظمه، قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه».

و ليكن الناس فى الحقّ سواء لا محاباة و لا مفاضلة، و لا محاوراة فى تغليب قوى على ضعيف و لا محاولة، إنّ هذه أمتكم أمّة واحدة، و إنّ دلائل الشرع بمراد الله سبحانه و تعالى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٤٣

لشاهدة، و لا يؤخذن أحد بجريرة أحد، و لا يجنى ولد على والد و لا والد على ولد، فكتاب الله تعالى أولى بالاتباع و أخرى، لقول الله عزّ و جلّ و لا ترزّ وازرّة و زرّ أخرى [سورة الأنعام، الآية: ١٦٣ و غيرها] اللهم إلّا من آوى محدثاً فإنه مأخوذ بما أجرم، و ملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم. فارفعوا - أعاننا الله تعالى و إياكم! - للعدل بكلّ علم منارا، و اتّخذوا الرفق بالإمامة شعاراً. فقد قال: قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: «إنّ الرفق لا يكون فى شيء إلّا زانه، و لا ينزع من شيء إلّا شانه» و قد نصّ الكتاب و السنّة على مواضع اللين و الاشتداد، و نبها على منازع المقاربة و السداد، فلا غضب لأمر إلّا بما غضب له الله عزّ و جلّ، و لا رضا به إلّا إذا استقرّ فيه رضا الله تعالى و حلّ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «الذى يجلد فوق ما أمر الله تعالى به يقول له الله عزّ و جلّ: عبدى، لم جلدت فوق ما أمرتك به؟ فيقول: ربّ غضبت لغضبك، فيقول: أكان ينبغى لغضبك أن يكون أشدّ من غضبى؟ ثم يؤتى بالمقصر فيقول: عبدى، لم قصّيرت عمّا أمرتك به؟ فيقول: ربّ رحمته، فيقول: أكان ينبغى لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتى؟» قال: فيأمر فيهما بشيء قد ذكره لم يحفظه الراوى، إلّا أنه قال: صيروهما إلى النار، أعادنا الله تعالى منها بفضلها و رحمته! فليوقف بالقضايا حيث وقف بها الشرع، و يحفظ الأصل من هذه الوصايا و الفرع، و احتاطوا فى الرعيّة فإنه رأس المال، و الأمانة التى لا ينبغى

أن يكون فيها شيء من الإهمال، ومع توفيقكم لما سطرناه، في هذا الكتاب و شرحناه، من أبواب الخير المسعد في المآب و المآل، فاستوفوا ضروب الصالحات و استقصوها، و اعملوا أعمال البر و خصوصها، و اذكروا آلاء الله و قصوها، و إن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا [سورة إبراهيم، الآية: ٣٤] و اشتدوا في تغيير المنكرات كلها، و احسموا أدواءها من أصلها، و رغبوا الناس في الطاعات و اندبواهم إليها، و وضخوا لهم أعمالهم و حرضوهم عليها، و انتهوا في كل سعي ناجح، و رأى راجح، إلى أفضل ما ينتهي إليه المنتصحوون، و لَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٤].

و خذوا بعمارة مساجد الله التي هي بيوت الأتقياء، و محلل مناجاة ذى العظمة و الكبرياء، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر و أقام الصلاة و آتى الزكاة و لم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين.

و مروهم بأن يعلموا أولادهم كتاب الله تعالى فإن تعليمه للصغار يطفى غضب الرب

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٤٤

و نعم الشفيق هو يوم القيامة، و المتوسل فيما يتوج القارئ و أباه تاج الكرامة، و أروا للخير ما استطعتم، و اتبعوا سبيله فهو أشرف ما اتبعتم، و الله ولى التوفيق و الإرشاد، و الملجئ بالهداية إلى طريق الفوز و السداد.

و هذه أوامرنا إليكم امتثلنا أمر الله تعالى فامتثلوها، و أحضروها في خواطركم مع كل لحظة و مثلوها، و إننا لما يكون منكم فيها لمستمعون، و لآثاركم فيما يوفيهام لتطلعون، و قد خرجنا لكم عن عهدة لزمنا في التذكير، و نهجنا لكم منها التقديم و التأخير، و الله تعالى يعلم أننا إنما قصدنا ما نرجو الخلاص به يوم الحساب، و أردنا رضاه فيما أوردناه من هذا الحظر و الإيجاب، لنرعى حقه سبحانه فيمن استرعانا، و نسعى في صلاح الأمة عسى الله تعالى أن ينجح فيه مسعانا. اللهم عبدك يضرع إليك، و يخضع بين يديك، في أن تلهمه إلى ما يجمل قصدا و معتمدا، و تهب له من لدنك رحمة و تهيب له من أمره رشدا، اللهم منك المعونة على ما وليت، و لك الشكر على ما أوليت، فالمهدى من هديت، و الخير كله فيما قضيت. اللهم من أعاننا على مرضاتك فكن له معيناً، و أوردته من توفيقك عذبا معيناً، إنك الولي النصير، العلى الكبير.

«و إذا وصلكم كتابنا هذا فقصوه على الناس مفصّلا و مجملا، و أظهروا مضمونه لهم قولا و عملا، و اسلكوا بهم من مرآشده سننا مستجملا، إن شاء الله تعالى، و الله سبحانه يديم علاكم، و يصل إعادتكم في كل محمد و إبداعكم، و يجزل حظوظكم من السعادة و أنصباكم، بمته و كرمه لا رب سواه، و السلام الأكرم الأزكى يخصكم، و رحمه الله تعالى و بركاته. و كتب في الرابع و العشرين لجمادى الأولى سنة أربع و ثلاثين و ستمائة؛ انتهى.

[من شعر ابن الجيان المرسي]

و هذا ابن الجيان له الباع المديد في النظم و النثر، و من شعره رحمه الله تعالى في مرضه الذى توفى فيه، و هو آخر كلامه: [الكامل]

جهل الطيب شكائتي، و شكائتي أن الطيب هو الذى هو ممرضى

فإن ارتضى برئى تدارك فضله و إن ارتضى سقمى رضيت بما رضى

ما لى اعتراض فى الذى يقضى به لكن لرحمته جعلت تعرّضى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٤٥

و من نظمه رحمه الله تعالى ملغزا فى بطيخة: [الطويل]

و حبلى بأبناء لها قد تمخضوا بأحشائها من بعد ما ولدوها

كسوها غداة الطلق بردا معصفرا على يقق أزرارها عقدوها

ولما رأوها قد تكامل حسنها و أبدر منها طالع حسدوها
فقدّوا قميص البدر بالبرق و اجتلوا أهلتها من بعد ما فقدوها
و لو أنصفوا ما أنصفوا بدر تمّها و لا أعدموا الحسنة إذ وجدوها
و قال أيضا ملغزا في الميل، و هو المرود: [المجتث]
مسترخص السوم غال عال له أيّ حظوه
ما جاوز الشبر قدرا لكنه ألف خطوه
و هذا استخدام ما به باس؛ لأنه اكتسى من الحسن خير لباس، و كم لهذا الكاتب من محاسن، ماؤها غير آسن.

[من ترجمة ابن الجيان عن «الإحاطة»]

و قد عرّف لسان الدين في الإحاطة بابن الجيان، و أطال في ترجمته، و نشير إلى بعض ذلك باختصار.
و هو محمد بن محمد بن أحمد، الأنصارى، من أهل مرسية، أبو عبد الله، ابن الجيان.

كان محدّثا راوية ضابطا، كاتباً بليغا شاعرا بارعا، رائق الخطّ، دينا فاضلا، خيرا ذكيا، استكتبه بعض أمراء الأندلس فكان يتبرّم من ذلك و يقلق منه، ثم خلّصه الله تعالى منه، و كان من أعاجيب الزمان في إفراط القماءة حتى يظنّ رائيه الذي استدبره أنه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها، متناسب الخلقه، لطيف الشمائل، و قورا. خرج من بلده حين تمكّن العدو من قبضته سنة ٦٤٠، فاستقرّ بأريولة إلى أن دعاه إلى سبته الرئيس أبو علي بن خلاص، فوفد عليه، فأجلّ وفادته، و أجزل إفادته، و حظى عنده حظوة تامّة. ثم توجه إلى إفريقية، فاستقرّ ببجاية. و كانت بينه و بين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته. و روى ببلده و غيره عن أبي بكر بن خطاب، و أبي الحسن سهل بن مالك، و ابن قطرال، و أبي الربيع بن سالم، و أبي عيسى بن أبي السداد، و أبي علي الشلوبين و غيرهم. و كان له في الزهد و مدح النبي صلى الله عليه و سلم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٤٦

بدائع، و نظم في المواعظ للمذكرين كثيرا؛ انتهى مختصرا، و إلّا فترجمته في الإحاطة متّسعة، رحمه الله تعالى!

و لمّا كتب له أبو المطرف بن عميرة برسالته الشهيرة التي أولها «تحييك الأقلام تحية كسرى، و تقف دون مداك حسرى»، و هي طويلة، أجابه بما نصّه: «ما هذه التحية الكسروية؟

و ما هذا الرأي و هذه الروية؟ أ تكتيك من الأقلام؟ أو تبيكيت من الأعلام؟ أو كلا الأمرين توجه القصد إليه، و هو الحقّ مصدقا لما بين يديه؟ و إلّا فعهدى بالقلم يتسامى عن عكسه، و يترامى للغاية البعيدة بنفسه، فمتى لانت أنايبيه للعاجم، و دانت أعاريبه للأعاجم؟ و اعجبا لقد استنوق الجمل، و اختلف القول و العمل، لأمر ما جدع أنفه قصير، و ارتدّ على عقبه الأعمى أبو بصير، أمس أستسقى من سحابه فلا يسقيني، و أستشفى بأسمائه فلا يشفيني، و اليوم يحلّنى محلّ أنو شروان، و يشكو منى شكوى الزيدية من بنى مروان، و يزعم أنى أبطلت سحره بيثر ذروان، و يخفى في نفسه ما الله مبدية، و يستجدي بالأثر ما عند مستجديه، فمن أين جاءت هذه الطريقة المتّبعة، و الشريعة المبتدعة؟ أ يظنّ أن معماه لا ينفكّ، و أنه لا ينجلى هذا الشكّ؟

هل ذلك منه إلّا إحماض التيه، و إحماض نفتيه، و نشوة من الهزل، و نخوة من ذى ولاية آمن من العزل؟ تالّه لو لا محلّه من القسم، و فضله في تعليم التسم، لأسلمته ما ينقطع به صلفه، و أودعته ما ينصدع به صدفه، و أشرت بطرف المشرفى و مجده، و أشرت إلى تعاليه عن اللعب بجده. و لكن هو القلم الأوّل، فقوله على أحسن الوجوه يتأوّل، و معدود في تهذيبه، كلّ ما لسانه يهذى به، و ما أنساني إلّا

الشیطان أياديه أن أذكرها، و إنما أقول: [البسيط]

ليت التحية كانت لى فأشكرها

ولا عتب إلّا على الحاء، المبرّحة بالبرحاء، فهي التي أقامت قيامتي في الأندية، وقامت عليّ قيام المتعدية، يتظلم وهو عين الظالم، و يلين القول و تحته سمّ الأرقام و لعمر اليراعة و ما رضعت، و البراعة و ما صنعت، ما خامرنى هواها، و لا كلفت بها دون سواها، و لقد نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٤٧

عرضت نفسها عليّ مرارا، فأعرضت عنها ازورارا، و دفعتها عنى بكلّ وجه، تارة بلطف و أخرى بنجه، و خفت منها السامة، و قلت: انكحى أسامة، فرضيت منى بأبى جهل و سوء ملكته، و ابن أبى سفيان و صعلكته، و كانت أسرع من أمّ خارجة للخطبة، و أسمح من سجاح في استنجاح تلك الخطبة. و لقد كنت أخاف من انتقال الطباع في عشرتها، و استئقال الاجتماع من عترتها، و أرى من الغبن و السفاه، أخذها و ترك بنات الأفواه و الشفاه، إذ هي أيسر مؤونة، و أكبر معونة، فغلطني فيها أن كانت بمنزل تتوارى صونا عن الشمس، و من نسوة خفريات لا ينطقن إلّا بالهمس، و وجدت أوطع من البنان للكفّ، و العنان للكفّ، و المعنى للاسم، و المغنى للرسم، و الظلّ للشخص، و المستدلّ للنصّ. فما عرفت منها إلّا خيرا أرضاه، و حسبتها من الحافظات للغيب بما حفظ الله، فعجبت لها الآن كيف زلت نعلها، و نشزت فنشرت ما استكتمها بعلمها، و اضطربت في رأيها اضطراب المختار بن أبى عبيد، و ضربت في الأرض تسعى عليّ بكلّ مكر و كيد، و زعمت أن الجيم خدعها، و ألان أخدعها، و أكبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور، و أحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور. فقد جاءت إفكا وزورا، و كثرت من أمرها منزورا، و كانت كالقوس أرنت و قد أصمت القنيص، و المراودة قالت ما جزاء و هي التي قدت القميص، و ربما يظنّ بها الصدق و ظنّ الغيب ترجم، و يقال: لقد خفّضت الحاء بالمجاورة لهذا الجيم، و تنتصر لها التي خيمت بين النرجسة و الريحانة، و ختمت السورة باسم جعلت ثانياه أكرم نبي على الله سبحانه، فإن امتعضت لهذه التكلمة، تلك التي سبقت بكلمتها بشارة الكلمة، فأنا ألوذ بعدلها، و أعوذ بفضلها، و أسألها أن تقضى قضاء مثلها، و تعمل بمقتضى فابعدوا حكما من أهله و حكما من أهلها [سورة النساء، الآية: ٣٥] على أن هذه التي قد أبدت مينها، و نسيت الفضل بيني و بينها، إن قال الحكمان: منها كان النشوز، عادت حرورية العجوز، و قالت: التحكيم في دين الله تعالى لا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٤٨

يجوز، فعند ذلك يحصص الحق، و يعلم من الأولى بالحكم و الأحق، و يصيها ما أصاب أروى، من دعوة سعديه حين الدعوى، و يا ويحها أرادت أن تجنى عليّ فجنت لي، و أناخت لي مركب السعادة و ما ابتغت إلا ختلي، فأتى شرها بالخير، و جاء النفع من طريق ذلك الضير، أ تراها علمت بما يثيره اعوجاجها، و ينجلي عنه عجاجها، فقد أفادت عظيم الفوائد، و نظيم الفرائد، و نفس الفخر، و نفيس الدر، و هي لا تشكر أن كانت من الأسباب، و لا تذكر إلا يوم الملاحاة و السباب، و إنما يستوجب الشكر جسيما، و الثناء الذي يتضوع نسيما، الذي شرف إذ أهدى أشرف السعادات، و عرف بما كان من انتحاء تلك الحاء المذمومة في الحاءات، فإنه و إن ألم بالفكاهة، بما أمل من البدهاءة، و سمى باسم السابق السكيت، و كان من أمر مداعبته كيت و كيت، و تلاعب في الصفات تلاعب الصفاح و الصّبا بالبانة، و الصّبا بالعاشق ذى اللبنة، فقد أغرب بفنونه، و أغرى القلوب بفتونه، و نفت بخفية الأطراف، و عبث من الكلام المشقّق بالأطراف، و علم كيف يمحض البيان، و يخلص العقيان، فمن الحق أن أشكره على أياديه البيض، و إن أخذ لفظه من معناه في طرف النقيض، تالله أيها الإمام الأكبر، و الغمام المستمطر، و الحبر الذي يشفى سائله، و البحر الذي لا يرى ساحله، ما أنا المراد بهذا المسلك، و من أين حصل ذلك النور لهذا الحلّك؟ و صحّ أن يقاس بين الحدّاد و الملك؟ إنه لتواضع الأعزّة، و ما يكون عند الكرام من الهزّة، و تحريض الشيخ للتلميذ، و ترخيص في إجازة الوضوء بالنبيذ، لو حضر الذي قضى له بجانب الغربيّ أمر البلاغة، و ارتضى ما له في هذه الصناعة، من حسن السبك لجليها و الصياغة، و أطاعته فيما أطلعت طاعة القوافي الحسان، و اتبعته فيما جمعته لكن بغير إحسان، لأذعن كما أذعنت، و ظعن عن محلّ الإجابة كما ظعنت، و أتى يضاهى الفرات بالنغبة، و يباهى بالفلوس من أوتى من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبه، و أى حظّ للكلاله بالنشب، و قد اتّصل للورثة عمود النسب، هيهات و الله المطلب، و شتان الدّرّ و المخشلب، و قد سيم الغلب، و رجع إلى قيادة السلب. و إن كنّا ممّن تقدّم لشدة الظمإ إلى المنهل، و كمن أقدم إلى عين

تبوك بعد النهى للعلل و النهل، فقد ظهرت بعد ذلك المعجزة عيانا، و ملأ ما هنالك جيانا، و ما تعرّضنا بإساءة الأدب و اللوم، و لكن علمنا أنّ آخر الشرب ساقى القوم، و إن أسهبنا فما لنا رتبة ذلك الإيجاز، و إن أعرقنا فهوانا فى الحجاز، فلکم قصيرات الحجال، و لنا قصيرات الخطا فى هذا المجال، و إكثارنا فى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٤٩

قلّة، و جارنا من الفقر فى فقر و ذلّة. و من لنا بواحدة يشرق ضياؤها، و يخفى النجوم خجلها منها و حياؤها؟ إن لم تطل فلأنها للفروع كالأصل، و فى الجموع كليله الوصل، فلو سطع نورها الزاهر، و نورها الذى تطيب منه الأنوار الأزاهر، لسجدت النيران ليوسف ذلك الجمال، و وجدت نفحات رياها فى أعطاف الجنوب و الشمال، و أسرع نحوها النفوس إسراع الحجيج يوم النفر، و سار خبرها و سرى فصار حديث المقيمين و السّيفر، و ما ضرّ تلك الساخرة فى تجليها، الساخرة بتجنيها، أن كانت بمنزلة ربيبتها بل تربها، هذه التى سبقتنى لما سقتنى بسبيها، و وجدت ريحها لما فصلت من مصر غيرها، و حين وصلت لم يدلىنى على ساريتها إلّا عبيرها، و كم رامت أن تستتر عنى بليل خبرها فى هذه المغانى، فأغراني بهاؤها و كل مغرم مغرى بياض صبح الألفاظ و المعانى، و هل كان ينفعها، تلتفحها بمرطها و تلتفحها؟ إذ نادتها المودّة، قد عرفناك يا سودة، فأقبلت على شمّ نشرها و عرفها، و لثم سطرها و حرفها، و قريتها الشاء الحافل، و قرأتها فزّنت بها المحافل، و رمت أمر الجواب، فعزّنى فى الخطاب، لكن رسمت هذه الرقعة التى هى لديكم بعجزى و اشية، و إليكم منى على استحياء ماشية، و إن رقّ وجهها فما رقت لها حاشية، فمنا بقبولها على عللها، و انقعوا بماء سماحتكم حرّ غللها، فإنها وافدة من استقرّ قلبه عندكم و ثوى، و أقرّ بأنه يلقط فى هذه الصناعة ما يلقي للمساكين من التوى. بقيتم سيدى للفضل و الإغضاء، و دتمتم غرّة فى جبين السّمحة البيضاء، و اقتضيتم السعادة المتصلة مدّة الاقتضاء، بيمن الله سبحانه؛ انتهى.

و من نثر ابن الجيان رحمه الله تعالى فى شرف المصطفى صلى الله عليه و سلم: «لمحمد خير الأنام، و لبنه التمام، عليه أفضل الصلاة و السلام، خيرة المفاخر، يتضاءل لعظمتها المفاخر، و المعالى، يتصاغر لعزّتها المعالى، و المكارم، يعجز عن مساجلتها المكارم، و المناقب، لا تضاهى سناها النجوم الثواقب، و المحامد، لا يبلغ مداها الحامد، و المماجد، لا يتعاطى رتبتهنّ المماجد، و المناسب، سمت بجلالهنّ المناصب، و العناصر، طيبتها الشرف المتناصر، و الفضائل، تفجرت فى أرجائهنّ الفواضل، و الشمائل، تأرّجت بعرفهنّ الجنائب و الشمائل، فلا مجارى لسيد البشر، الآتى بالندارات و البشر، فيما حباه الله تعالى به و خصّه، و قصّه علينا من خلقه العظيم و نصّه، عند رسم مدائحه يوجد المعوّل، و فى الثناء عليه يستصر الكلام

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٥٠

المطوّل، هو الآخر فى ديوان الرسالة و الأوّل، و له فى الفضيلة، و قبول الوسيلة، النصّ الذى لا يؤوّل، نوره صدع الظلم، و ظهوره رفع لدين الله تعالى العلم، بدأه الوحى و هو بحراء، و أسرّ إليه سرّ تقدم الإسرائ، حتى إذا نصب له المعراج، و توقد فى منارة السماء ذاك السراج، ناجى الحبيب حبيبه، و جلا- عن وجه الجلاء جلابيه، فتلقّى ما تلقّى، لما علا و ترقّى، ثم صدر عن حضرة القدس، و جبين هدايته يهر سنا الشمس، فشقّ لمعجزاته القمر، و نهى بأمر ربّه و أمر، و أزال الجهالة، و أزاح الضلالة، و كسر منصوب الأوثان، و نصر من قال واحد أحد على من قال ثالث ثلاثة أو ثان، و بنى الملة على قواعد الخمس، و أحيا دين إبراهيم و كان رفاتا بالرمس، فرفلت الحنيفية البيضاء فى برده الجدّة، و بيضت بضياء غرّتها أوجه الأيام المسودّة، و انتشرت الرحمة بنبيها، و مطرت الرحمة من سحب حياها، و افتنت الآيات الباقيات البيئات فى مساقها و أتساقها، و إشراقها فى آفاقها و ائتلافها. و شهد الحجر و الشجر، و الماء من بين البنان يتفجّر، و الظبية و الضب، و الجذع المشتاق الصّب، و الشاء و البعير، و الليث إذا هدا أو سمع منه الزئير، و الحى و الجماد، و القصعة و الزاد، بأنّ محمدا رسول الملك الحقّ، و المبلغ عنه بواسطة الملك إلى الخلق، و صاحب اللواء المعقود، و المقام المحمود، و الحوض المورود، و القول المسموع، و الذكر المرفوع، و الصدر المشروح، و الفخر الباهر الوضوح، و الأنوار المتناقلة، و الآثار المتداولة، و النبوة التى عهدتها تقادم، من قبل خلق آدم، و المزية المعروفة قدرها الجليل، المقبول فيها ما دعا به الخليل، و الرتبة التى

استشرف إليها الكليم، حتى قال له وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ [سورة الأعراف، الآية: ١٤٤] ربّه الكريم، و البشارة التي كان بها يصبح حين يسبح، روح الله تعالى و كلمته عيسى المسيح، و الشفاعة التي يرجوها الرسل و الأمم، و يقرع بها الباب المرتج المبهم، فما لبينا المختار، من علو المقدار، و اصطفاء الجبار، و الاختصاص بالأثرة، و الاستخلاص للحضرة، ذلك الفضل من الله و كفى بالله عليماً.

و حسب هذا الوجود من الفضل الرباني و الجود الذي لم يزل عظيماً، أن بعث الله تعالى فيه رسولا رؤوفا بالمؤمنين رحيمًا، عزيزا على ربّه الكريم كريمًا، بسرّه سجدت الملائكة لآدم تعظيمًا، و بذكره ينظم سلك المادح لحضرتة العلية تنظيمًا، صلى الله عليه و على آله الطيبين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٥١

الطاهرين و سلم تسليمًا، صلاة تتصل ما دار كأس محبته على محبيه فكان مزاجه تسنيمًا، و سلاما ينزل دار دارين فيرسل ببضائعها إلى روضة الرضا نسيمًا).

و من خطبه المرتجلة قوله سامحه الله تعالى:

«الحمد لله الذي حمده من نعمائه، و شكره على آلائه من آلائه، أحمده حمد عارف بحق سنائه، واقف عند غاية العجز عن إحصاء ثنائه، عاكف على رسم الإقرار بالافتقار إليه و الاستغناء به في كل آنائه.

«و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتوحد بعظمته و كبريائه، المتقدس عما يقوله الملحدون في أسمائه.

«و أصلى على سيد ولد آدم و نخبه أنبيائه، محمد المفضل على العالمين باجتماعه و اصطفائه، المنتقى من صميم الصميم و صريح الصريح بجملة آبائه، المرتضى الأمانة و المكانة بإبلاغ أمر الله و أدائه، أرسله الله كافة للناس عموماً لا يتخصيص باستثنائه، و فضله بالآيات الباهرة و المعجزات الظاهرة على أمثاله من المرسلين و نظرائه، و رقيه إلى الدرجات العلى- و أنهاه إلى سدره المنتهى ليلة إسرائه، و حباه بالخصائص التي لا يضاهى بها بهاء كماله و كمال بهائه، و رده رداء العصمة فكانت عناية الله تكفنه عن يمينه و شماله و أمامه و ورائه، و وفاه من حظوظ البأس و الندى ما شهد بمزيتته على اللبث و الغيث في إبانته و انهمائه، صلى الله عليه و على آله مصابيح الهدى و نجوم سمائه، صلاة تتصل ما سمح البدر بائتلاق أنواره و القطر باندقاق أنوائه، و سلم تسليمًا».

[من نثر ابن الجيان رسالة كتب بها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم]

و من نثره رحمه الله تعالى رسالة كتب بها من الأندلس إلى سيد الكونين صلى الله عليه و سلم، و هى:

«السلام العميم الكريم، و الرحمة التي لا تبرح و لا تريم، و البركة التي أولها الصلاة

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٥٢

و آخرها التسليم، على حضرة الرسالة العامة الدعوة و النبوة، المؤيدة بالعصمة و الأيد و القوة، و مثابة البرّ و التقوى فهى لقلوب الطيبين صفا و مروة، مقام سيد العالمين طرًا، و هاديهم عبدا و حرًا، و منقذهم من أشراك الهلاك و قد طالما ألفوا العيش ضنكا و الدهر مرًا، و مقرّ الأنوار المحمدية، و البركات السمرديّة، أمتع الله تعالى الإسلام و المسلمين بحراسه أضوائها، و كلاءة ظلالها العلية و أفيائها، و أقر عين عبدها بلثم ثراها، و الانخراط فى سلك من يراها.

«السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا أبا القاسم، سلام من يمد إليك يد الغريق، و يرجو الإنقاذ ببركتك من نكد المضيق، و يتقطع أسفا و يتنفس صعدا كلما ازدلف إليك فريق، و عمرت نحوك طريق، و لا يفتر صلاة عليك له لسان و لا يجف ريق.

كتبته، يا رسول الله، و قد رحل المجدون و أقمت، و استقام المستعدون و ما استقامت، و بينى و بين لثم ثراك النبوى، و لمح سناك المحمدى، مفاوز لا- يفوز بقطعها إلا من طهر دنس ثوبه، بماء توبه، و ستر و صم عييه، بظهر غييه، فكلمًا رمت المتاب رددت، و كلمًا

يَمَّت الباب صددت، وقد أمرنا الله تعالى بالمجىء إليك، و الوفادة عليك، و من لى بذلك يا رسول الله و الآثام تنئى و تبعده، و الأيام لا تدنى و لا تسعد، و بين جنبى أشواق لا يزال يهزنى منها المقيم المقعد، و لئن كنت ممّن خلفته عيوبه، و أوبقته ذنوبه، و لم يرض للوفادة و هو مدنس، على ذلك المقام و هو المطهر المقدّس، فعندى من صدّق محبتك، و حبّ صحبتك، و الاعتلاق بدمّتك، ما يقدمنى و إن كنت مبطنًا، و يقربنى و إن كنت مخطئًا. فاشفع لى يا رسول الله فى زيارتك فهى أفضل المنى، و توسّل لى إلى مولى بين فضيلتك، و تقبّل وسيلتك، فى النقلة من هناك إلى هنا، و اقبلنى و إن كنت زائفًا، و أقبل علىّ و إن أصبحت إلى الإثم متجانفًا، فأنت عماد أمتك جميعًا و أشتاتًا، و شفيعهم أحياء و أمواتًا. و من نأت به الدار، و قعدت بعزمه الأقدار، ثم زار خطّه و لفظه، فقد عظم نصيبه من الخير و حظّه، و إن لم أكن سابقًا فعسى أن أكون مصليًا، و إن لم أعدّ مقبلًا فلعلى أعدّ مؤليًا، و وحقك و هو الحقّ الأكيد، و القسم الذى يبلغ به المقسم ما يريد، ما وخذت إليك ركاب، إلّا و للقلب أثرها التهاب، و للدمع بعدها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٥٣

سحّ و انسكاب، و يا ليتنى ممّن يزورك معها و لو على الوجنتين، و يحييك بين ركبها و لو على المقلتين، و ما الغنى دونك إلّا بؤس و إقلال، و لا الدنيا و إن طالت إلّا سجون و أغلال، و الله تعالى يمّن على كتابى بالوصول و القبول، و علىّ بلحاقي بركتك و لو بعد طول. ثم السلام و رحمة الله تعالى و بركاته عليك يا سيّد الخلق، و أقربهم من الحقّ، و لمولاه بإحراز قصب السبق، و من طهر الله تعالى مثواه و قدّسه، و بناه على التقوى و الرضوان و أسسه، و آتاه من كلّ فضل نبوى أعلاه و أسنائه و أنفسه، و على ضجيعيك السابقين لمهاجريك و أنصارك، الفائزين بصحبتك العلية و جوارك، و على أهل بيتك المطهّرين أوائل و أواخر، الشهيدين مناقب و مفاخر، و صحابتك الذين عزروك و وقروك، و آووك و نصروك، و قدّموك على الأنفس و الأموال و الأهل و آثروك، و أقرئك سلامًا تنال بركته من مضى من أمتك و غبر، و يخصّ بفضل الله تعالى و جاهك من كتب و سطر، إن شاء الله تعالى. كتبه عبدك المستمسك بعروتك الوثقى، اللائد بحرملك الأمتع الأوقى، المتأخّر جسما المتقدّم نطقًا، فلان، و السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه و سلم تسليمًا كثيرًا و رحمة الله تعالى و بركاته».

و له من خطبة طويلة: «و نشهد أنّ محمدًا عبد الله و رسوله الصفوة المجتبى، الكريم أمّا ظاهرة و أبًا، المختار من الطيبين مباركا طيبًا، المصطفى نبيا إذ كان آدم بين الماء و الطين متقلّبًا، المتقدّم بمقام تأخّر عنه مقام الملائكة المقربين، انتخبه الله و انتجبه، و أظهره على غيب عن غيره حجه، و شرفه فى الملا الأعلى و أعلى رتبه، و خطّ اسمه على العرش سطرًا و كتبه، فهو وسيلة النبيين، و المرشّح أولا لإمامة المرسلين، بعثه ربّه لختم الرسالة، و نعتة بنعت الشرف و الجلالة، و أيده بالحجّة البالغة و الدلالة، و جعله نورا صادعا لظلام الضلالة، و أثنى فى ذكره الحكيم، على خلقه العظيم، فما عسى أن يبلغ بعد ثناء المثنين، بفضل التصريح و إليه الإشارة، و به سبقت من إبراهيم الدعوة و من عيسى البشارة، و عليه راقى من صفة الرؤوف الرحيم الحليّة و الشارة، و هو المخير بين الملك و العبودية فاختار العبودية بعد الاستخارة و الاستشارة، فتباضعه حلّ بمكان عند ذى العرش مكين أسرى به ربّه إليه، و وفده أكرم وفادة عليه، و أدناه قاب قوسين لديه، و وضع إمامة الرسالة العظمى فى يديه، و قال له فاصدّع بما تؤمّر و أعرض عن المشركين [سورة الحجر، الآية: ٩٤] فصدع بأمر الله صدعا، و أوتى من المثانى سبعا، و من الآيات البيّنات آلافا و إن كان أوتى موسى تسعا. فما مشى الشجر إليه يجزّ

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٥٤

عروقه إلّا كرجوع العصا حيّة تسعى، و ما تفجّر الحجر بالماء بأعجب من بنانه نبعت بالعذب الفرات نبعًا، فارتوى منه خمسمائة و قد كان يكفى آلافا فكيف المثين، و كم له عليه الصلاة و السلام من معجزة تبهر، و آية هى من أختها أكبر، رجعت له الشمس و انشق القمر، و كلّمه الضبّ و أخبر به الذئب و سلّم عليه الشجر و الحجر، و كان للجذع عند فراقه إعلانًا بوجوده و اشتياقه أنّه و حين، أعطى من المعجزات ما مثله غبط عليه البشر، و كانت له فى الغار آيات بيّنات خفى بها على القوم الأثر، و ارتج لمولده إيوان كسرى و خمدت نار فارس و كان ضررها يتسرّع، و أتته أخبار السماء فما عمى فى الأرض الخبر، فحدث عن الغيوب و ما هو على الغيب

بضنين، و جعل له القرآن معجزة تتلى، يبلى الزمان و هي لا تبلى، و تعلق كلماتها على الكلم و لا تعلق، و تجلى آياتها فى عين آيات الشمس حين تجلى، فيتوارى منها بالحجاب حاجب و جبين، بهر إعجاز التنزيل العلى، و ظهر به صدق النبى العربى، فكم نادى لسان عزه فى الندى، يا أهل البديهة من الفصحاء و الزوى: قل فاتوا بسورة مثله فلم يكونوا لها مستطيعين. لقد خصّ نبينا عليه السلام بالآيات الكبر، و الدلالات الواضحة الغرر، و المقامات السامية المظهر، و الكرامات المخددة للمفخر، فهو سيد الملا النبوى و المعشر، و حامل لواء الحمد فى المحشر، و صاحب المقام المحمود و الكوثر، و الشفيح المشفع يوم يقوم الناس لرب العالمين، صلى الله عليه و على آله الطيبين، و ذريته المباركين، و صحابته الأكرمين، و أزواجه أمهات المؤمنين، صلاة موصولة تتردد إلى يوم الدين، و تصعد إلى السماوات العلا فتكون كتابا فى عيين، و سلم تسليمًا.

و من نثره فى خطبة قوله: «أيها الناس، رحمكم الله تعالى! أصبحوا أسمعكم لمواعظ الأيام، و اعتبروا بأحاديثها اعتبار أولى النهى و الأحلام، و أحضروا لفهم موادها أوعى القلوب و أصح الأفهام، و انظروا آثارها بأعين المستيقظين و لا تنظروا بأعين النّوم، و لا تخد عنكم هذه الدنيا الدنية بتهاويل الأباطيل و أضغاث الأحلام، و لا تسينكم خدعها المموهمة و خيالاتها

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٥٥

الممثلة ما خلا- من مقالاتها فى الأنام، فهى دار انتياب النوائب، و مصاب المصائب، و حدوث الحوادث و إمام الآلام، دار صفوها أكدار، و سلمها حرب تدار، و أمنها خوف و حذار، و نظمها تفرق و انتشار، و اتّصالها انقطاع و انصرام، و وجودها فناء و انعدام، و بناؤها تضعف و انهدام، ينادى كل يوم بناديتها منادى الحمام، فلا قرار بهذه الغرارة و لا مقام، و لا بقاء لساكينها و لا دوام. فبست الدار دارا لا تدارى، و لا تقيل لعائرها عثارا، و لا تقبل لمعتذر اعتذارا، و لا تقى من جورها حليفا و لا جارا، و ليس لها من عهد و لا ذمام، كم فتكت بقوم غافلين عنها نيام، كم نازلت بنوازلهما من قباب و خيام، كم بدلت من سلامة بدء و من صحة بسقام، كم رمت أغراض القلوب بمصميات السهائم، كم جردت فى البرايا للمنايا من حسام، كم بددت بأكف النائبات الناهبات من عطايا جسام، كم أبادت طوارق حوادثها من شيخ و كهل و غلام. لا تبقى على أحد، و لا ترثى لوالد و لا ولد، و لا تخلد سرورا فى خلد، و لا يمتد فيها لآمل أمد، بينا يقال قد وجد، إذ قيل قد فقد، بعدا لها قد طبعت على نكد و كمد، فالفرح فيها ترح، و الحيرة عبرة، و الضحك و الابتسام، بكاء و أدمع سجام. تفرق الأحبة بعد اجتماعهم، و تسكن الوحشة مؤنس رباعهم، و تستريح بالحمام حمى الأعزة فلا سبيل إلى امتناعهم، و تستحثّ ركائب الخلائق على اختلاف أنواعهم، إلى مصيرهم إلى الله عزّ و جلّ و ارتجاعهم، فيسيرون طوع الزمام، و يلقون مقادة التذللّ و الاستسلام، حتى يلجؤوا بالرّغام، و ينزلوا بطون الرّجام، و يحلّوا الوهد بعد المقام السام، فلا ناج من خطبها العظيم و لا سليم، يتساوى فى حكم المتيّة الأغزّ و البهيم، و الأعزّ و المضيم. و لو أنه ينجو من ذلك مجدّ صميم، و جدّ كريم، و حظّ عظيم، و مضاء و عزيز، و مزية و تقديم، و حديث فى الفضل و قديم، و شرف لسمك السماوات مسام، و علا على ساق العرش المجيد ذو ارتسام، لنجا حبيب الملك العلام، و سيد السادات الأعلام، و صفوة الصفوة الكرام، و خاتم الأنبياء و لبنة التمام، و صباح الهدى و مصباح الظلام، و الأبيض المستسقى به غيث الغمام، ثمال الأرامل و عصمة الأيتام، عليه أفضل الصلاة و السلام، لكن مع قدره الجليل و فضله الجلى، أقدم الموت على جانبه

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٥٦

العلى، و تقدم ملك الموت لقبض روحه القدسى، و تغيب فى الثرى جمال ذلك الوجه البهى، و تغيض ماء السماء و الندى، لملك السماحة النبوية و الندى، و أصيب المسلمون و أعظم بها مصيبة بنيهم العربى، الهاشمى القرشى، فيا له للإسلام، من مصاب أسلمنا للحزن أىّ إسلام، و أسال مياه الدموع عن احتراق للصلوع و اضطرام، و أرانا أنّ الأسى فى رزية لخير البرية واجب، و أنّ التأسى حرام. و هل يسوغ الصبر الجميل، فى فقيد بكته الملائكة و جبريل، و كثر له فى السماوات السبع النحب و العويل؟ انقطع به عن الأرض الوحي الحكيم و التنزيل، و عظمت الرؤية به أن يؤدى حقيقتها الوصف و التمثيل، غداة أقفر منه الرّبع المحيل، و أوحش من أنسه

السفح والنخيل، وكان من تلك الروح الطاهرة الوداع والرحيل، وقامت البتول تندب أباهما بقلب قريح وجفن دام، وتنادت الأمة: مات الرسول، ففى كل بيت بكاء وانتحاب ونوح والتزام، وحارت الألباب والعقول فلا صبر هنالك لقد زلت عن الصبر الأقدام. ولما نعت إليه صلى الله عليه وسلم نفسه، وآن أن تأفل من تلك المطالع شمس، آذن أمته بالفراق وأعلمهم، وناشدهم فى أخذ القصاص وكلمهم، مخافة أن يمضى إلى الملك الحق، وعليه تباعه لأحد من الخلق، وحاشاه عليه الصلاة والسلام، من صفات جائر للأمة ظلام، ولكنه تعريف من نبي الرحمة بما يجب وإعلام، ثم استمر به صلوات الله وسلامه عليه وتمادى، وزاد به السقم المنتاب وتهادى، حتى واره ملحده، وخلا منه ربه و مسجده، فعمّ الحزن والاكتئاب، وتوارى النور فأظلم الجنب، وعاد الأصحاب، وكانما دموعهم السحاب، فقالت فاطمة وقد رابها من دفن أبيها الكريم ما راب: أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب؟

فكان كلامها للقلوب المفجعة كلام، وللعيون المفجرة بالدموع انسفاح وانسجام. وفى مثل هذا الشهر شهر ربيع، المشيد بذكر الأشجان المذيع، كانت وفاة هذا النبي الهادى الشفيق، وانتقاله إلى الملا الأعلى والرفيق الرفيع، حين ناداه ربه إلى قرب، فلبى بشوق قلبه تلبية المهطع المطيع، وحنّ إلى حضرة القدس فاننظم حين حلّ بها ما كان من شمله الصّيديع، وانتظر من صنع الربّ جميل الصنيع، وإنجاز وعد الشفيق فى الجميع، إذا أعطى لواء الحمد وقام محمود المقام، ووقف على الحوض ينادى: هلمّوا إلى أروكم من العطش والأوام. اللهم اسقنا من حوضه المورود، وشرفنا بلوائه المعقود، وشفعه فينا فى اليوم المشهود، وارحمنا به إذا صرنا نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٥٧

تحت أطباق اللّحود، اللهم اجعله لنا تعزية من كلّ مفقود، وأوجد لنا من بركاته أشرف موجود، وجازه عنا بما أنت أهله من فضل وإحسان وجود، وانفعا بمحبته ومحبته آله وصحابته الرّكع السّجود، واجعلنا معهم فى الجنّة دار الخلود ودار السلام. وخصصهم عنا بأكرم تحية وأفضل سلام، وصلّ عليهم صلاة تستلم أركان رضوانك أى استلام، وتنظم له كرامات إحسانك أى انتظام. فصلوات الله عليه، وأطيب تحياته ورحمته تتوالى لديه، وأجزل بركاته، ما تجدد فى ربيع ذكر وفاته، وتمهد كهف القبول لطالبي فضله وعفاته، وتعزى به كلّ مصاب فى مصيابه، وترجى شفاعته كلّ محبّ فيه متبع لهداياته، وتوفرت للمصلين عليه والمسلمين على جنباته، حظوظ من برّ الله تعالى وأقسام إنّ الله وملائكته يصيّلون على النبيّ يا أيّها الذين آمنوا صيّلوا عليه وسيّلوا تسليماً [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦] اللهم صلّ عليه من نبيّ لم يزل بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، اللهم صلّ عليه من نبيّ أوجبت حبه وعظّمته تعظيماً، اللهم صلّ عليه من نبيّ صليت عليه تجلّه وتكرّمت، وأمرتنا بالصلاة عليه إرشاداً وتعليماً، فلنا بأمرك اقتداء واثتمام، وبحمدك على ما هديتنا افتتاح واختتام، وكلامك يا ربنا أشرف الكلام، ولوجهك وحده البقاء والدوام كلّ من عليها فان (٢٦) وَيَقْبَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [سورة الرحمن، الآية: ٢٦-٢٧] هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [سورة غافر، الآية: ٦٥] انتهى.

وترجمة ابن الجيان واسعة جداً، وكلامه فى النبويات نظماً ونثراً جليل، رحمه الله تعالى!.

وقال لسان الدين فى «الإحاطة» بعد أن عرّف به وأورد له الرسالة ما صورته: ومحاسنه عديدة، وآماله بعيدة، ثم قال: إنه انتقل إلى بجاية فتوفى بها فى عشر الخميس وستمائة؛ انتهى.

[ترجمة ابن الجيان عن «عنوان الدراية»]

وقال صاحب «عنوان الدراية» فى حق ابن الجيان المذكور ما ملخصه: الفقيه الخطيب، الكاتب البارع الأديب، أبو عبد الله بن الجيان، من أهل الرواية والدراية والحفظ والإنقان، وجودة الخط وحسن الضبط، وهو فى الكتابة من نظراء الفاضل أبى المطرف بن عميرة المخزومى، وكثيراً ما كانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء، ولا يصل إليه إلا القليل من البلغاء، ونثره ونظمه كلّ حسن، و

نظمه غزير، و أدبه كثير، و من ذلك قصيدته الدالية التي مطلعها: [البسيط]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٥٨
يا حادى الركب قف بالله يا حادى و ارحم صباية ذى نأى و إبعاد
و له أيضا: [مجزوء الكامل]

ترك النزاهة عندنا أدى إلى وصف النزاهه
ما ذاك إلا أنها تدعو الوقور إلى الفكاهه
و إذا امرؤ نبذ الوقار فقد تلبس بالسفاهه

[من بديع نظم ابن الجيان تخميس في مديح النبي صلى الله عليه و سلم]

و من بديع نظم ابن الجيان رحمه الله تعالى هذا التخميس فى مدح سيد الوجود، صلى الله عليه و سلم، و شرف و كرم: [الكامل]

الله زاد محمدا تكريما و جباه فضلا من لدنه عظيما
و اختصه فى المرسلين كريما ذا رأفة بالمؤمنين رحيم
صلوا عليه و سلموا تسليما
جلت معانى الهاشمى المرسل و تجلت الأنوار منه لمجتلى
و سما به قدر الفخار المعتلى فاحتل فى أفق السماء مقيما
صلوا عليه و سلموا تسليما
حاز المحامد و الممادح أحمد و زكت مناسبة و طاب المحتد
و تأملت علياؤه و السؤدد مجدا صميما حادثا و قديما
صلوا عليه و سلموا تسليما
شمس الهداية، بدرها الملتاح قطب الجلالة، نورها الوضاح
غيث السماحة للندى يرتاح يروى بكوثره الظماء الهيما
صلوا عليه و سلموا تسليما
تاج النبوة، خاتم الأنبياء صفو الصريح، خلاصة العلياء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٥٩
نجل الذبيح، سلاله العلماء بشرى المسيح، دعاء إبراهيم
صلوا عليه و سلموا تسليما
فخر لآدم قد تقادم عصره من قبل أن يدرى و يجرى ذكره
سر طواه الطين فهم نشره معنى السجود لآدم تفهيم
صلوا عليه و سلموا تسليما
لله فضل المصطفى المختار ما إن له فى المكرمات مجارى
و لا مبار باختصاص البارى بالحق قدم مجده تقديما
صلوا عليه و سلموا تسليما
أوصاف سيدنا النبي الهادى ما نالها أحد من الأمجاد

فالرسل في هدى و فى إرشاد قد سلموا لنبينا تسليما
صلوا عليه و سلموا تسليما
آياته بهرت سنا و سناء و أفادت القمرين منه ضياء
و علت بأعلام الظهور لواء فهدى به الله الصراط قويما
صلوا عليه و سلموا تسليما
دنت النجوم الزهر يوم ولادته و رأت حليلة آية لسيادته
و تحدت سعد بذكر سعاده فتفاءلوا نعم اليتيم يتيما
صلوا عليه و سلموا تسليما
لما ترعرع جاءه الملكان بالطست فيها حكمة الرحمن
فاستخرجا القلب العظيم الشان منه و طهر ثم عاد سليما
صلوا عليه و سلموا تسليما
كرمت مناشى أحمد خير الورى و جرى له القلم العلى بما جرى
ما كان ذلكم حديثا يفترى لكنه الحق الجلى رسوما
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٦٠
صلوا عليه و سلموا تسليما
ما زال برهان النبى يلوح يغدو به الإعجاز ثم يروح
حتى أتاه بعد ذاك الروح يوحى له وحى الإله حكيم
صلوا عليه و سلموا تسليما
شهدت له بمزيه التفضيل سور و آيات من التنزيل
و صلاة خالقه أدل دليل فافهمه و اسمع قوله تعظيما
صلوا عليه و سلموا تسليما
إن الرسول المعلى المقدار لمؤيد من ربه القهار
بالمعجزات جلت عمى الأبصار و شفت من ادواء الضلال سقيما
صلوا عليه و سلموا تسليما
كم شاهد لمحمد بنبوته فى أيد تأييد الإله و قوته
فبذاك أعلى الله دعوة حجته فمضت حساما صارما و عزيزا
صلوا عليه و سلموا تسليما
البدر شق له ليظهر صدقه و الشمس قد وقفت تعظم حقه
و المزن أرسل إذ توصل ودقه فاخضر ما قد كان قبل هشيم
صلوا عليه و سلموا تسليما
و الماء بين بنانه قد سالا عذبا معينا سائغا سلسالا
كنداه يمنح رفته من سالا و ينيل راجيه النوال جسيما
صلوا عليه و سلموا تسليما

بركاته أربت على التعداد كم أطعمت من حاضرين و بادی
من قصعته أو حثية من زاد رزقا كريما للجيش عميما
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٦١
صلوا عليه و سلموا تسليما
سجد البعير له سجود تذلل و شكا إليه بحرقه و تململ
و الشاة قال ذراعها: لا تأكل مني فإني قد ملئت سموما
صلوا عليه و سلموا تسليما
و الغصن جاء إليه يمشى مسرعا و الصخر أفصح بالتحية مسمعا
و الطيبة العجماء فيها شفا و الضب كلم أحمدا تكليما
صلوا عليه و سلموا تسليما
و الجذع حن له حنين الواله يبدى الذى يخفيه من بلباله
أفلا يحن متيم بجماله يشناق وجهها للنبي و سيما
صلوا عليه و سلموا تسليما
ما بالنا نسلو و حب حيينا يقضى بيت غرامنا و نحينا
لو صح فى الإخلاص عقد قلوبنا لم ننس عهدا للرسول كريما
صلوا عليه و سلموا تسليما
أين الدموع نفيضها هتانا أين الضلوع نقضها أشجانا
حتى نقيم على الأسي برهانا لمتمم إرشادنا تميما
صلوا عليه و سلموا تسليما
أو ليس هاديننا إلى سبل الهدى أو ليس منقذنا من أشراك الردى
أو ليس أكرم من تعمم و ارتدى أو لم يكن أذكى البرية خيما
صلوا عليه و سلموا تسليما
ذاك الشفيق مقامه محمود و لواؤه بيد العلا معقود
فإذا توافت للحساب وفود قالوا: تقدم بالأنام زعيما
صلوا عليه و سلموا تسليما
فيقوم بالباب العلى و يسجد و يقول: يا مولاي آن الموعد
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٦٢
فيجاب: قل يسمع إليك محمد و نريك منا نصره و نعيما
صلوا عليه و سلموا تسليما
أعظم بعز محمد و بجاهه أكرم به متوسلا لاله
شربت كرام الرسل فضل مياهه فغدت تعظم حقه تعظيما
صلوا عليه و سلموا تسليما
يا سامعى أخباره و مفاخره و مطالعى آثاره و ماثره

و مؤملى وافى الثواب و وافره إن شتتمو فوزا بذاك عظيم
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

[قصيدة مخمسة لبعض أهل المغرب]

قلت: و كثيرا ما كنت أنشد هذه القصيدة بالمغرب فى مجالس التدريس، و يضيف إليها قبلها أخرى لبعض أهل المغرب الذين لهم فى منازل الأمداح النبوية مقليل و تعريس، و هى قصيدة ميلادية كأنما لم ينظمها مؤلفها إلا مقدّمة لهذه القصيدة الفريدة، و هى: [الكامل]

اسمع حديثا قد تضمّن شرحه روضا من الإيناس أئنع دوحه
فيه الشفاء لمن تكاثر برحه وافى ربيع قد تطّرفحه
أذكى من المسك الفتيق نسима
شهر حوى بوجود أحمد أسعدا بالمصطفى بين الشهور تفرّدا
يا ما أجلّ سنا علاه و أمجدا لولادة المختار أحمد قد غدا
يزهو به فخرا تراه عظيما
يا من بأدمع مقلتيه يغتذى كم ذا تنادى حسرة: من منقذى
و تقول للزفرات: هل من منفذ بشرى بشهر فيه مولده الذى
سرّ الزمان علوه تعظيما
يا ليلة رفعت بأحمد حجبها لَمَا دنا بعد التباعد قربها
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٦٣
و تطلّعت للسعد فينا شهبها ضاءت لها شرق البلاد و غربها
و تأتقت أرجاءها تنعيما
أسدى إليك الدهر حسن صنيعه و حباك من غصّ الجنى بديعه
وافى هلال محمد بريعه فاعتزّ أمر الله عند طلوعه
و غدا به دين الإله قويما
نظم الزمان بجيد عمر ك درّه فاشكر ماثره و واصل برّه
و افاك بالسرّ المصون فسره و اعرف لهذا الشهر حقّا قدره
فلقد غدا بين الشهور كريما
يا صاح جاءت بالأمانى أسعد و أطلّ بالبشرى الكريمة مولد
هذا ربيع فيه أنجز موعد شهر كريم جاء فيه محمد
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

[قصيدة مخمسة لمؤلف هذا الكتاب]

ثم قلت أنا عند ختم درس «الشفاء»، موطنًا لقصيدة ابن الجيان المذكور و لعذب براعتها مرتشفا، ما نصّه و الأعمال بالتيات:

انشق أزاهر عن فنون رياض للعلم و اكرع من عذاب حياض
واسق الرياض بذكره الفياض و احفظ كلاما للإمام عياض
قد تمت أقسامه تميما

لله روض منه أينع دوحه يجنى به من الكريم و منحه
فهو الشفاء لمن تكاثر برحه مسك الختام به تعطر نفحه
فشذاه في الأرجاء صار شميما

فاضت علينا من هداه عوارف زهر و أنوار و ظل و ارف
و نمارق مصفوفة و مطارف يا حسن ما أبداه فد عارف
درا بأسلاك الحديث نظيما

لم لا و بالملك الشفيح تشرفا خير البرية ركن أرباب الصفا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٦٤
من أسعد الراجي و قصدا أسعفا طه النبي الهاشمي المصطفى
صلوا عليه و سلموا تسليما

[قصيدة في مديح الرسول الأكرم لابن الجيان المرسي]

و قد رأيت بعد وصولي إلى هذا الموضوع من هذا الكتاب أن أذكر قصيدة لابن الجيان المذكور في روى تلك القصيدة غير مخمسة
مستقلة بنفسها، و هي قوله رحمه الله تعالى:

[الكامل]

صلوا على أسنى البرية خيما و أجل من حاز الفخار صميما
صلوا على من شرفت بوجوده أرجاء مكة زمزما و حطيما
صلوا على أعلى قریش منزلا بذراه خيتمت العلا تخيما
صلوا على نور تجلى صبحه فجلا ظلاما للضلال بهيما
صلوا على هاد أرانا هديه نهجا من الدين الحنيف قويما
صلوا على هذا النبي فإنه من لم يزل بالمؤمنين رحيمما
صلوا على الزاكي الكريم محمد ما مثله في المرسلين كريمما
ذاك الذي حاز المكارم فاغدت قد نظمت في سلكه تنظيمما
من كان أشجع من أسامة في الوغى ولدى الندى يحكى الحيا تجسيمما
طلق المحيا ذو حياء زانه وسط الندى و زاده تعظيمما
حكمت له بالفضل كل حكيمة في الوحي جاء بها الكتاب حكيما
و بدت شواهد صدقه قد قسمت بدر الدجى لقسيمه تقسيمما
و الشمس قد وقفت له لما رأت وجهها و سيمما للنبي و سيمما
كم آية نطق تصدق أحمدا حتى الجماد أجابه تكليما
و الجذع حن حنين صب مغرم أضحي للوعات الفراق غريمما

جَلَّتْ مناقب خاتم الرّسل الذي بالنور ختمّ و الهدى تختيما
 و سمت به فوق السماء مراتب بمقام صدق عزّ فيه مقيما
 فله لواء الحمد غير مدافع و له الشفاعة إذ يكون كليما
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٦٥
 نرجوه في يوم الحساب، و إنما نرجو لموقفه العظيم عظيما
 ما إن لنا إلّا وسيلة حبّه و تحيّه تذكو شذى و شميما
 و لخير ما أهدى امرؤ لنبيّه أرج الصلاة مع السلام جسيما
 يا أيّها الراجون منه شفاعة صلّوا عليه و سلّموا تسليما

[قصيدة مخمسة في المديح لإدريس بن موسى القرطبي]

و هذه قصيدة بديعة مخمسة من كلام الشيخ الأستاذ أبي العلاء إدريس بن موسى القرطبي في مدح رسول الله صلى الله عليه و سلم،
 وقف عليها أبو عبد الله بن الجيان المذكور و قرّظها بما سنذكره قريبا بعدها، و هي: [الكامل]
 أهلا بكم يا أهل هذا النادي أهل اعتقاد الوعد و الميعاد
 أهدوا الصلاة إلى النبيّ الهادي و صلوا السلام له مع الآباد
 يندى نسима مذكرا تسنيما
 هو أول الشفعاء يوم المحشر و سواه بين تقدّم و تأخر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٩، ص ٢٦٥
 بهت الحضور لهول ذاك المحضر و الكلّ في الخطب العميم الأكبر
 قد هيّمت ألبابهم تهيمما
 ذاك المقام الأشهر المحمود هو للنبيّ محمد موعود
 فيه الشفاعة ذخرها موجود درك المراد و حوضه المورد
 فضل الكلیم به و إبراهيم
 عيسى و موسى و الخليل مروّع من هول مطّلع هنالك يفتح
 فيقال أحمد قل فإنك تسمع فيقوم يحمد ربّه فيشفع
 فضلا من الربّ العظيم عظيما
 يا أمة المختار أنتم أمة و الهول قد عمّ البسيطة يمه
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٦٦
 و الأنبياء سواه كلّ همّه تخليص مهجته و ليس يهّمه
 من كان في الدنيا عليه كريما
 صلّى الإله على الذي صلّى عليه عشرا بواحدة يزكّيها لديه
 و أراه في الدارين قرّة ناظره يا قاصدين إلى وصولكم إليه
 راجين من أرج القبول نسима
 لولا وصيّة صاحب التنزيل أن لا يقال له غلّ القيل

قول الغلاة لصاحب الإنجيل لغلوت في التعظيم و التبجيل
عظم المكانة يوجب التعظيما
طوبى لقلب قد تلالا إذ صفا بالسّر منه قد تثبت إذ هفا
خطت به آيات حبّ المصطفى فغدا لصاحبه بذلك مصحفا
يهدى إلى نهج النجاة قويا
فاقت علا ذكراه إذ راقت حلا ملاً النبوة أهم حين اعتلى
في ليلة الإسراء أعلى معتلى كتب الإله له التقدّم في العلا
و عليهم التفويض و التسليما
و كذاك يسلم في الشفاعة كلّهم و محلّهم عند الإله محلّهم
ظلّ النبيّ محمد هو ظلّهم يمشون تحت لوائه فيدلهم
يندى عليهم بهجةً و نعيما
أوصافه من كلّ حسن أبهج العرف ينفح و السنا يتبلّج
فتأرج الأرجاء منه و تبهج فاق الزواهر نورها يتوهّج
و الزهر نفّاح النسيم و سيما
طلق المحيّا منهل للنائل أنحى على الدنيا بزهد كامل
هو مثّل الدنيا بظلّ زائل لم ترضه حال النعيم الحائل
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٦٧
ما حاول الترفيه و التنعيما
ما ورث المختار مال مؤمّل إلّا جواهر في الكتاب المنزل
أشهى لقلب الناظر المتأمل و أقرّ إعجابا لعين المجتلى
من كلّ قيمة مقتض تقويما
وفقت يا من لم يخالف نصّه حزت الكمال و ليس تخشى نقصه
نهج الهدى قول النبيّ اقتصّه بالوحي شرفه الإله و خصّه
شرفا على شرف السناء صميما
سبحان موح لا يحدّ له الكلام من قال ذات كلام خلاق الأنام
خلق فذلك آثم كلّ الأثم ذاك الذي في الدين ليس له ذمام
إلّا ذمام لا يزال ذميما
ضلّ الذي يبغي الهدى ممّا سواه و هوى به في كلّ مهواة هواه
من فارق الفاروق قد تثبت يدها حيران لم يهد السبيل إلى هداه
لا يعرف التحليل و التحريما
بالمدمح مجد المصطفى يممته من حلى أوصاف له نظمته
لم أبلغ المعشار إذ أحكمته بعضا نسيت و بعضه ألهمته
قلّده جيد الزمان نظيما

لو فزت بالإحسان من حسان و سحبت أذيالي على سحبان
أو أيدتني لسن كل زمان من كل ذي زعم عظيم الشان
ما كنت بالمعشار منه زعيما
إدريس حفتك الحقوق خفوا هلا خفت إلى الرسول خفوا
وقريت بالعزم الهموم ضيوبا و شدوت أن هال الزمان صروفا
مهلا كفاك معلّمى التعليما
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٦٨
ثقة بفضل الواحد القهار ملك الملوك مصرف الأعصار
جعل النبى مكرم الآثار و أمده بالنصر و الأنصار
و أتم نعمته له تميما
هل أجلون بصرى بكحل سناه يا سعد من كحلت به عيناه
ظفرت يدها، و ساعدته مناه لله ذاك الأفق ما أسناه
كرم المحل فيقتضى التكريما

[تقريظ لابن الجيان على قصيدة إدريس بن موسى السابقة]

و نصّ تقريظ ابن الجيان على هذه القصيدة هو قوله: [المجتث]
ما زال كلّ حليف لله أضحى ولينا
و للعلوم خليلا و عن سواها خليا
يصوغ عقيان مدح للهاشمى حلينا
و يوجب الحقّ فيه إيجابه الأوليا
و يقتفى فى رضاه نهجا جليلا جليا
و الكلّ أحظاه حظّ الفوز يلقى مليا
لكنّ إدريس منهم حاز المكان العليا
و لا يخفاك أنه التزم فى هذه القطعة ما لا يلزم من اللام قبل الياء، رحمه الله تعالى!
و لا بأس أن نورد هنا ما حضر من التخميسات الموافقة لتخميس ابن الجيان المذكور السابق أولا فى البحر و الروى و المنحى الذى لا
يضلّ قاصده، و كيف لا و هو مدح الجناح الرفيع العظيم النبوى.

[قصيدة مخمسة لابن سهل الإشبلى]

فمن ذلك قول أبى إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلى الإشبلى، فإنّ بعضا ذكر أنها من قوله لما أظهر الإسلام، و هى لا تقتضى رفع
الريبة فيه و الاتهام: [الكامل]
جعل المهيمن حبّ أحمد شيمه و أتى به فى المرسلين كريما
فغدا هواه على القلوب تميمه و غدا هداه لهداهم تميما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٦٩

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

أبدى جبين أبيه شاهد نوره سجعت به الكهّان قبل ظهوره

كالطير غرّد معربا بصفيره عن وجه إصباح يطلّ نسيما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

أنس الرسالة بعد شدّة نفرة منجى البريّة و هي في يد غمرة

محيى النبوة و الهدى عن فترة فكأنما كفل الرشاد يتيما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

الله أوضح فضله فتوضّحاً و الله بين حبه في (و الضحى)

و الجذع حنّ هوى له فترنّحا و الماء فاض بكفه تسليما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

فربا الرواية عن رباه زكيه نجواه ربّانية ملكيه

أوصافه علوية فلكيه فأخال شعري عندها تنجيما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

احتثّ في السبع الطباق براقه و الأرض و اجمة تخاف فراقه

سبحان من أدنى سراه فساقه شخصا على ملك الملوك كريما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

فاشتمّ ريحان القلوب الطيبا و دنا فأسمع يا محمد مرحبا

إنى جعلتك جار عرشى الأقربا إن كنت قبلك قد جعلت كليما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

يا ليلة يجرى الزمان فتسبق الحجب فيها و الأرائج تفتق

ما كان مسك الليل قبلك يعبق بشرى محمد استفاد نسيما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٧٠

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

حتى إذا اقتعد البراق لينزلا نادته أسرار السماوات العلا

يا راحلا ودّعه لا عن قلى ما كان عهدك بالغيوب ذميما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صعد النجود و سار فى الأغوار سمك السما طورا و بطن الغار

متقسّما فى طاعة الجبار ما أشرف المقسوم و التقسيما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

الشافع المتوسّل المتقبّل القانت المدّثر المزّقل

وافى و ظهر الأرض داج ممحل فجلا البهيم به و أروى الهيما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

دفعت كرامته الزوج عن الحرم و دعاه جبريل المنزه فى الحرم
و عزت له آيات نون و القلم خلقا به شهد الإله عظيما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
طاو يفيض الزاد فى أصحابه غيث و لكن كان يستصحى به
طابت ضمائر قلبه و ترابه منه بسرّ لم يكن مكتوما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
يا شوقى الحامى إلى ذاك الحمى فمتى أقضيه غراما مغرما
و متى أغانقه صعيدا مكرما بضمير كلّ موحد ملثوما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

[قصيدة مخمسة لبعض الوعاظ]

و من ذلك قول بعض الوعاظ، و أظنه فى أهل المشرق: [الكامل]
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٧١
جلّ الذى بعث الرسول رحيمًا ليردّ عنّا فى المعاد جحيما
و به نرجى جنّة و نعيما أضحى على البارى الكريم كريما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
ما ضلّ عن وحى الإله و ما غوى حاشا رسول الله ينطق عن هوى
الصادق الثقة الأمين بما روى قد نال من ربّ السماء علوما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
وافى له الروح الأمين مبشرا نادى به يا خير من وطئ الثرى
أجب المهيمن يا محمد كى ترى ملكا كريما فى السماء عظيما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
فأجابه المختار حين دعا به ربّ السماوات العلا لخطابه
ركب البراق و قد أتى لجنابه أمسى له الروح الأمين نديما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
فمتى أرى الحادى يبشّر باللقا و يضمّه بان المحصّب و الثقا
و رأى ضريح المصطفى قد أشرقا مولى حليما لن يزال رحيمًا
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
و أقول للزوّار قد نلت المنى يهنيكم طيب المسرّة و الهنا
فاستبشروا من بعد فقر بالغنى فالله زادكم به تكريما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
ثمّ الرضا عن آله الكرماء و كذاك عن أصحابه الخلفاء
فهوهم دينى و عقد ولائى قوما تراهم فى المعاد نجوما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

[قصيدة مخمسة لبعض أهل المغرب]

و منها قول بعض فضلاء المغاربة رحمة الله تعالى: [الكامل]
يا أمة الهادي المبارك أحمد يهنيكم نيل الأمانى فى غد
بمحمد فزتم و من كمحمد إن شئتم أن تدر كوا التتيميا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٧٢
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا
صَلُّوا عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ الزَّاهِرِ صَلُّوا عَلَى الْمَسْكَ الْفَتِيْقِ الْعَاطِرِ
صَلُّوا عَلَى الْغَصَنِ الْبَهِيِّ الْنَاضِرِ وَ تَنَعَّمُوا بِصَلَاتِكُمْ تَنْعِيمًا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا
صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالنَّبْوَةِ زَيْنًا صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالْكَمَالِ تَمَكَّنًا
بِمُحَمَّدٍ فزنا بإدراك المنى فضلا منحنا حادثا و قديما
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا
صَلُّوا عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ اللَّائِحِ صَلُّوا عَلَى الْهَادِي الْحَبِيبِ الْنَاصِحِ
صَلُّوا عَلَى الْمَسْكَ الْفَتِيْقِ الْفَائِحِ لِلرُّشْدِ فَهَمَّ وَ الْهَدَى تَفْهِيمًا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا
صَلُّوا عَلَى مَنْ مَجْدُهُ قَدْ أُسَّسَا وَ الْمَاءُ بَنَى بِنَانَهُ قَدْ بَجَّسَا
وَ أَنْتَ إِلَيْهِ سَرْحَةٌ حَتَّى اكْتَسَى بِفِرْعَوْنِهَا إِذَا خِيَمْتَ تَخِيِيمًا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا
صَلُّوا عَلَى مَنْ كَانَ يَبْصُرُ مِنْ قَفَا وَ عَلَيْهِ سَلَّمَتِ الْجَنَادِلُ وَ الصِّفَا
وَ الذُّئْبُ قَالَ صَدَّقْتَ أَنْتَ الْمَصْطَفَى وَ شَكَا إِلَيْهِ بَازِلٌ قَدْ ضَيِمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا
صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْ شَفَى بِالرِّيْقِ عَيْنَ الضَّرِيرِ وَ لَدَعَهُ الصَّدِيقِ
وَ أَعَادَ طَعْمَ الْمَاءِ مِثْلَ رَحِيقِ إِذْ مَجَّ فِيهِ الْعَنْبَرُ الْمُخْتَوِمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا
صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالْمَلَائِكِ جَيْشَا وَ غَدَتِ تَظَلُّهُ الْعَمَامُ إِذَا مَشَى
حَرَسَتْ سَمَاءَ اللَّهِ لَمَّا أَنْ نَشَا لِيَكُونَ سَرَّ حَبِيبِهِ مَكْتُومَا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٧٣
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا
صَلُّوا عَلَيْهِ كُلَّ حِينٍ تَرْبِحُوا وَ بَهْدِيهِ مَهْمَا اهْتَدَيْتُمْ تَفْلِحُوا
وَ الْأَجْرُ يَشْمَلُكُمْ فَجَدُّوا تَنْجِحُوا وَ إِذَا أُرِدْتُمْ أَنْ يَكُونَ عَظِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صلّوا بجمعكم على شمس الهدى صلّوا على بدر يزين المشهدا
 صلّوا عليه به الرشاد تمهدا و الذكر بين فضله تفخيما
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا بإخلاص على خير البشر صلّوا على من فاق حسنا و اشتهر
 و نمت فضائله و شقّ له القمر و لكم دليل فى علاه أقيما
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على من قد رأى الرحمانا بالقلب أو بالعين منه عيانا
 من قاب أو أدنى مقام كانا فخذ الفوائد كى تفاد علوما
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا عليه كلّكم لا تسأموا و تبرّكوا بصلاته و تنعموا
 فعليه صلّى الأنبياء و سلّموا شرفا لهم إذ أمهم تقديما
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 يا حاضرين بلغتم كلّ المنى عن جمعكم من فضله ذهب العنا
 و إليكم و الله قد وجب الهنا بمحمد كرمتم تكريما
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 قولوا برغم معاندين و حسد كى ترغموا أنفا لكلّ مفند
 صلّى الإله على النبىّ محمد أبدا و زاد لقدره تعظيما
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٧٤
 يا ربّ يا ذا المنّ و الإحسان جد بالرضا و العفو و الغفران
 للوالدين و منشد الأوزان و السامعين أنلهم تنعيما
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّى عليه الله ما اجتمع الملا صلّى عليه الله ما قطع الفلا
 صلّى عليه الله ما انتجع الكلا أبدا و ما رعت السّوام هشيما
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما

[قصيدة مخمسة لمالك بن المرحل المالى السبتي]

و من ذلك قول الإمام العالم الشهير الأديب مالك ابن المرحل المالى ثم السبتي، و هى من غرر القصائد، و فيها لزوم ما لا يلزم من
 ترتيبها على حروف المعجم بجعلها بدأ و رويًا على اصطلاح المغرب: [الكامل]
 ألف: أجلّ الأنبياء نبىء بضياته شمس النهار تضىء
 و به يؤمّل محسن و مسىء فضلا من الله العظيم عظيما
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 باء: بدا فى أفق مكة كوكبا ثم اعتلى فجلا سناه الغيها

حتى أنار الدهر منه و أخصبا إذ كان فيض الخير منه عميما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

تاء: تبيّن الهدى لما أتى فنفى الشريك عن القديم و أثبتا
أحدية من حاد عنها قد عتا و تلا كلاما للكريم كريما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

ثاء: ثوى فى الأرض منه حديث فى كلّ أفق طيبه مبثوث
داع بأنواع الهدى مبعوث يتلو نجوما أو يهزّ نجوما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

جيم: جلا بسراجة الوهاج ما جنّ من ليل الظلام الداجي
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٧٥
و سقى القلوب بمائه الشّجاج فأصارها بعد الغموم غميما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

حاء: حمى دين الهدى بصفائح و سما بشمّ كالجبال أراجح
من كلّ أزهر هاشمى واضح لو لا نداء غدا النبات هشيم
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

خاء: خبت نيران جهل شامخ آيات علم للرسالة راسخ
من مثبت ماح و منس ناسخ قد خصّ بالذكر الحكيم حكيم
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

دال: دعا فأجاب كلّ سعيد و أتى بوعد صادق و وعيد
حتى أقرّ الناس بالتوحيد و تجنّبوا الإشراك و التجسيما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

ذال: ذباب حسامه مشحوذ للناكثين، و عهدهم منبوذ
أما السعيد فبالنبيّ يلوذ فيدال من ذلّ الشقاء نعيما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

راء: رويانا عن ذوى الأخبار أنّ الندى و البأس مع إيثار
بعض صفات المصطفى المختار كم قد تقدّم بالأنام زعيما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

زاي: زعيم بالنزال عزيز و بليغ معنى فى المقال و جيز
فلقوله من فعله تعزيز و لربما عاد الكلام كلوما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

سين: سلام كالنّفيس تنفّسا و قد اجتنى وردا و صافح نرجسا
أهدى إليه فى الصباح و فى المسا بقصائد كادت تكون نسима
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٧٦

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

شين: شمائله الكريمة تعطش من كان من سكر المحبته يرعش

لكن أوضاع العمر فيما يوحش فعدت ندامته عليه نديما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صاد: صفى للإله و مخلص و مقرب و مفضل و مخصص

ذهب سبيك وزنه لا ينقص قد طاب خيما في الورى و أروما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

ضاد: ضمين نصحه ممحوض ضافى القراءة بالعلوم يفيض

إن غاض ماء البحر ليس يغيض لما استمرّ زلاله تسنيمًا

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

طاء: طويل السيف متسع الخطا رحب الذراع و من يمد لهم سطا

يردى العدا و إذا ارتدى متخمطا يبرى عذابا إذ ألام أليما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

ظاء: ظهير للعباد حفيظ حظ له أدب العباد حظيظ

حق له التأبين و التقريظ ميتا و حيا ظاعنا و مقيما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

عين: عزيز ذكره مرفوع فى الأنبياء و قوله مسموع

مشروح صدر، حبه مشروع من لا يدين بذاك كان ذميما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

غين: غزا من زاغ عنه و من طغى و غدا يشب لمن طغى نار الوغى

حتى أقامت من عصى بعد الصغا و تقوّم النار العصا تقويما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٧٧

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

فاء: فواتح سورة الأعراف و براءة و الرعد و الأحقاف

أحظته بالأقسام و الأوصاف فمتى توفى حقه منظوما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

قاف: قوافى النظم عنه تضيق أ يطيقه الإنسان؟ ليس يطيق

فالخلق فى التقصير عنه خليك و لو أنهم ملؤوا الفضاء رقوما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

كاف: كريم العنصرين مبارك متفرد بالجاه ليس يشارك

فهو الذى بمقامه يتدارك و الهول يغدو مقعدا و مقيما

صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا

لام: له عقد اللواء الأحفل و له الشفاعة فى غد إذ تسأل

و إذا دعا فدعاؤه متقبَّل حقَّ الرحيم بأن يرى مرحوما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
ميم: ملائكةُ الإله تسلّم فوجا عليه إذ بدا و تعظّم
و يمرّ جبريل بها يتقدّم فيضاعف التعظيم و التكريما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
نون: نبىّ جاءنا ببيان و بمعجزات أبرزت لعيان
و بحسبه أن جاء بالقرآن يشفى قلوبا تشتكى و جسوما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
هاء: هو الهادى الذى اقتدح النهى فتفكرت فى ملك من رفع السها
و قضى بحدّ للأمر و منتهى فأفادها النظر السديد عموما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
واو: و هى ركن التجلّد، بل هوى لَمّا ثوى فى التراب من بعد التوى
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٧٨
فحوى الضريح الرحب نجما ما غوى أجرى من الدمع السجوم سجوما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
لام: لأجلك فاض دمعى جدولا فاخضرّ آس أساك إذ يبس الكلا
يا خير من كالألكارم و العلا و حمى الحمى و رمى فأعمى الروما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
ياء: يحييه و يسقيه الحيا ربّ العباد مجازيا و موفيا
و مشرفا و مسلما و مصليا يا مسلمين ورثتم التسليما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

[قصيدة مخمسة فى مدح النبى، لأبى العباس أحمد بن محمد المغربى]

و من ذلك قول الفقيه الكاتب أبى العباس أحمد بن محمد بن عباس المغربى حسبما نقلته من المجلد الخامس و العشرين من كتاب
«منتهى السؤل، فى مدح الرسول» للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المغربى الأنصارى رحمه الله تعالى و رضى عنه و
نفعنا بقصده! و هى أيضا مرتبة على حروف المعجم ما عدا الابتداء و بيوت الانتهاء، غير أن ترتيب حروف المعجم فى آخر الأَشْطَار و
لم يلتزم صاحبها الابتداء كما التزم مالك بن المرحل، رحمه الله تعالى: [الكامل]

الله زاد المصطفى تعظيما و قضى له التفضيل و التقديما
و أناله شرفا لديه جسيما فهو المتمّم فخره تميما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

صلّوا على من خصّ بالأنباء و أبوه ما بين الثرى و الماء
ثم استمرّ النور فى الآباء فتوارثوه كريمه و كريما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

صَلُّوا عَلَى بَدْرِ بَدَا مِنْ يَثْرِبِ فَأَضَاءَ بِالْأَنْوَارِ أَقْصَى الْمَغْرِبِ
وَجَلَا عَنِ الدُّنْيَا دِيَاغِي الْغِيْهَبِ فَبَدَا لَنَا نَهْجَ الرَّشَادِ قَوْيَمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمَا

نَفْحِ الطَّيْبِ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٩، ص: ٢٧٩
صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالْشَّرَائِعِ قَدْ أَتَى وَ أَبَادَ أَحْزَابَ الطُّغَاةِ وَ شَتَّتَا
وَ أَبَانَ أَسْبَابَ النِّجَاةِ وَ وَقَّتَا لِلْأُمَّةِ التَّحْلِيلَ وَ التَّحْرِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى مَنْ بِالْغُيُوبِ يَحْدُثُ وَ بِرُوعِهِ الرُّوحَ الْمَقْدُسَ يَنْفُثُ
مُحِبُّونَا وَ شَفِيعِنَا إِذْ نَبْعُثُ فِي يَوْمٍ لَا يَدْرِي الْحَمِيمُ حَمِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى صَبْحِ الْهَدْيِ الْمَتَّبِعِ صَلُّوا عَلَى بَحْرِ النَّدَى الْمَتَمَوِّجِ
صَلُّوا عَلَى رَوْضِ الْجَمَالِ الْمُبَهَّجِ كَيْمَا تَنَالُوا الْفَوْزَ وَ التَّنَعِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى غَيْثِ الْأَنْامِ السَّافِحِ صَلُّوا عَلَى الْمَسْكِ الذَّكِيِّ النَّافِعِ
أَزْرَتِ رَوَائِحِهِ بِكُلِّ رَوَائِحٍ فَالْأَرْضُ طَبَقَهَا شَذَاهُ نَسِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى مَنْ عَهْدُهُ لَا يَفْسُخُ صَلُّوا عَلَى مَنْ شَرَعَهُ لَا يَنْسُخُ
صَلُّوا عَلَى مَنْ حَزْبُهُ لَا يَمْسُخُ نَبَأُ يَفْهَمُ فَضْلَهُ تَفْهِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى مَنْ فِخْرُهُ لَا يَنْفَدُ صَلُّوا عَلَى مَنْ فَضْلُهُ لَا يَجْحَدُ
أَنْتَى وَ كَتَبَ الرِّسْلَ طَرًّا تَشْهَدُ تَنْبِيَّ الْيَهُودِ بِفَضْلِهِ وَ الرُّومَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْ حَمَى عَنَّا الْأَذَى وَ مِنْ الْغَوَايِءِ وَ الضَّلَالَةِ أَنْقَذَا
صَلُّوا عَلَى مَنْ ذَكَرَهُ نَعْمَ الْغَدَا وَ بِمَدْحِهِ نَرَوِي الْقُلُوبَ الْهَيْمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا بِإِخْلَاصٍ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِ مِنْ قَبْلِ نَشْأَتِهِ الْمُبَارَكَةَ اشْتَهَرَ
نَفْحِ الطَّيْبِ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٩، ص: ٢٨٠
كَمْ كَاهِنٌ عَنْهُ أَبَانَ وَ كَمْ خَبِرَ وَ لَكُمْ دَلِيلٌ فِي عِلَاةِ أَقِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى مَنْ جَلَّ مَوْلَدُهُ وَ عَزَّ ضَأَتُ قُصُورِ الشَّامِ لَمَّا أَنْ بَرَزَ
وَ تَدَانَتْ الشُّهْبُ الثَّوَابِقُ كَالْخُرْزُ أَوْ كَاللَّالِكِي نَظَّمَتْ تَنْظِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمَا

صَلُّوا عَلَى مَنْ مَجْدُهُ قَدْ أُسْسَا وَ الْمَاءُ بَيْنَ بَنَانِهِ قَدْ بَجَسَا

و أتت إليه سرحة حتى اكتسى بفروعها إذ خيتم تخيما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
صلّوا على من بالملائك جيشا و غدت تظلل الغمام إذا مشى
حرس سماء الله لما أن نشأ ليكون سرّ حبيبه مكتوما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
صلّوا على من بالتحية خصصا و القلب منه حين شقّ تخلّصا
من حظّ إبليس اللعين و مخصا و أعيد ما إن يشتكى تثليما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
صلّوا على من يوم مولده سطا بجميع آلهة الضلالة و الخطا
و هوى له عرش اللعين و أسقطا و الفرس هدم صرحهم تهديما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
صلّوا على من ليس فظا غالظا لأخيه في الإرضاع كان محاظظا
فاعجب لذلك كيف كان ملاحظا للعدل فينا مرضعا و فطيما
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٨١
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
صلّوا على من كلمته ذراع و بفضلته كفت المئين الصاع
و الجذع حنّ له و ما الأجداع بأرقّ منا أنفسا و فهو ما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
صلّوا على من مدحه لا يفرغ ما ذا عسى مدّاحه أن يبلغوا
فإلهنا يثنى عليه و يبلغ فاقرا تجده محكما تحكيما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
صلّوا على من كان يبصر بالقفا و عليه سلّمت الجنادل و الصفا
و الذئب قال صدقت أنت المصطفى و شكا إليه بازل قد ضيما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
صلّوا على من قد شفى بالريق عين الضرير و لدغة الصديق
و أعاد طعم الماء مثل رحيق إذ مجّ فيه العنبر المختوما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
صلّوا على من شأوه لا يدرك صلّوا على من شأوه لا يشرك
موسى و عيسى و الخليل تبرّكوا بلقائه و عنوا له تسليما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما
صلّوا على من خلفه صلّى الرسل شرف على تمكين عزّته يدل
فإذا فقل هو سيد لهم و دل لا تخش تويخا و لا تحشيما
صلّوا عليه و سلّموا تسليما

صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْ سَرَى نَحْوَ السَّمَاءِ لَيْلًا وَعَادَ وَمَا بَرَحْنَا نَوْمًا
بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ الْمُطَهَّرِ قَدْ سَمَا قَلْبُهُ وَرَاغَمَ مِنْ أَبِي تَرْغِيمًا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٨٢

صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْ رَأَى الرَّحْمَانَا بِالْقَلْبِ أَوْ بِالْعَيْنِ مِنْهُ عَيَانًا
مَنْ قَابَ أَوْ أَدْنَى مَكَانٍ كَانَا فَخُذِ الْفَوَائِدَ وَاحْذَرِ التَّجْسِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صَلُّوا عَلَى مَنْ قَدْ حَبَاهُ إِلَهُهُ بِالْكَوْثَرِ الْمَرُورِيِّ لَنَا أَمْوَاهُ
فِي يَوْمِ حَشْرِ الْخَلْقِ يَظْهَرُ جَاهُهُ إِذْ يَقْدَمُ الرَّسُلُ الْكِرَامُ زَعِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صَلُّوا عَلَى مَنْ خَصَّ بِالْحَوْضِ الرَّوِيِّ وَكَذَاكَ خَصَّصَ بِالْمَقَامِ وَبِاللُّوَا
نُوحَا وَآدَمَ وَالْكَلِيمِ قَدْ احْتَوَى وَابْنَ الْبَتُولِ حَوِيَّ وَإِبْرَاهِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا قَطَعَ الْفَلَاحُ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا اجْتَمَعَ الْمَلَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا انْتَجَعَ الْكَلَا أَبْدَاءَ، وَمَا رَعَتِ السَّوَامُ هَشِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَطَلَ الْحَيَا صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا اجْتَمَعَ الْمَلَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا انْتَجَعَ الْكَلَا أَبْدَاءَ، وَمَا رَعَتِ السَّوَامُ هَشِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَطَلَ الْحَيَا صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا التَّمَعُ الضِّيَا
فَلَقَدْ شَفَى الدُّنْيَا مِنَ الدَّاءِ الْعِيَا وَلَقَدْ حَمَى عَنَّا لَطْفِيَّ وَجْهِمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

لِلَّهِ سَيِّدِنَا النَّبِيِّ الْأَكْمَلِ لِلَّهِ بَرَقَ جَبِينُهُ الْمُتَهَلَّلِ
لِلَّهِ جُودُ يَمِينِهِ الْمُتَهَلَّلِ أَحْيَا وَأَغْنَى بِالنَّوَالِ عَدِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

لِلَّهِ مِنْهُ ذَاتُهُ وَحَقِيقَتُهُ لِلَّهِ مِنْهُ خَلْقُهُ وَخَلِيقَتُهُ
لِلَّهِ مِنْهُ شَرَعُهُ وَطَرِيقَتُهُ فَلَقَدْ جَلَّتْ بِشَمُوسِهَا التَّغْيِيمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

يَا أُمَّهُ الْهَادِي النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى بِاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعَامِلُ بِالْوَفَا
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٨٣

مَتَنَا عَلَيْهِ حَسْرَةٌ وَتَلَهَّفَا حَتَّى نُوَدِّيَ حَقَّهُ الْمَحْتَمَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

مَا كَانَ أَوْلَانَا بِطُولِ نَحْبِنَا مَا كَانَ أَوْجِبْنَا بِفَرْطِ وَجْبِنَا

أفستطيع الصبر عن محبوبنا ما الصبر عن لقياه إلا لو ما

صلّوا عليه و سلّموا تسليما

لم لا نفيض على الدوام دموعنا لم لا نقض من الغرام ضلوعنا

لم لا نخلى أهلنا و ربوعنا حتى نعين من ذراه رسوما

صلّوا عليه و سلّموا تسليما

أو لم يكن يحنو علينا مشفقاً؟ أو لم يكن متعطفا مترقفا

أو لم يعالجنا بأنواع الرقى؟ حتى اغتدى منا العليل سليما

صلّوا عليه و سلّموا تسليما

من مثله ما إن يضّرّ و ينفع من مثله يدرا العذاب و يدفع

من مثله لذوى الكبائر يشفع من مثله بالمؤمنين رحيمًا

صلّوا عليه و سلّموا تسليما

يا ويح نفسى كم أرى ذا صبوّه و مسامعى عن واعظى فى نبوءة

فعمى الرسول يقيلنى من كبوءة فلکم رجاه عاثر فأقيما

صلّوا عليه و سلّموا تسليما

يا ربّ بالهادى الرفيع المحتد اغفر لعبدك أحمد بن محمد

فلقد توّسل إذ رجاك بسيد ما ردّ معتلق به محروما

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٨٤

صلّوا عليه و سلّموا تسليما

ناشدتكم يا سامعى هذا الثنا قولوا متى أسمعتموه تديّنا

اغفر لقاتله المقصر ما جنى بمدىحه خير الورى المعصوما

صلّوا عليه و سلّموا تسليما

قلت: و إني لأسأل الله تعالى بلسان لم أعص به و هو لسان هذا المادح، إذ قال: «يا ربّ بالهادى» فإننى أحمد بن محمد بلّغه الله أمله

من غفرانه بمّنه و كرمه! آمين.

[قصيدة مخمسة فى مدح الرسول الأكرم، لابن القصير]

رجع- و من ذلك قول الفقيه الكاتب الأديب أبى العباس أحمد بن القاسم الإشبلى الشهير بابن القصير، و طريقه هذه مخالفة للطريق

المتقدّمة من بعض الوجوه، رحم الله تعالى الجميع: [الكامل]

الله أكرم أحمدا تكريما فغدا رسولا للعباد كريما

فاشكر غفورا للذنوب رحيمًا أراضى النبيّ بقوله تعليما

صلّوا عليه و سلّموا تسليما

لله منه هدى نبيّ مرتضى بالبعث منه لنا قضى لطف القضا

ملاّت فضائله المهارق و الفضا و دجا الوجود فعند مبعثه أضبا

صلّوا عليه و سلّموا تسليما

عجبت لنا منه ملائكة السما أن كان بالإسراء ليلا قد سما
 و رقى البراق به و جبريل لما قد سرّه سرّا و جهرا سلما
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 أعظم به من مرسل قد بشّرا بوجوده عيسى المسيح و قد سرى
 ليسر فهو أجلّ مبعوث يرى بهداه أمته زهت بين الورى
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 من جاء بالقرآن معجزة له أعياء الورى من بعده أو قبله
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٨٥
 الله كرمه و فضّل فضله و أجلّ منه فرعه و أصله
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 من سبّحت صمّ الحصى فى كفه و البدر شقق نصفه عن نصفه
 ليرى به إعجاز من لم يصفه حزنا بمفخر ذكره أو وصفه
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 يكفيه أن يتلى اسمه و يكرّر مع اسم خالقه إذا ما يذكر
 هذا الذى بمقاله لا يفجر أبدا و لا لخلافه يتصوّر
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 العبد أسرف يا نبىّ الله فى الذنب ساه عن تقاه لاهى
 فاشفع له من مذنب أوّاه يرجو كريما منك جمّ الجاه
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 أنأى الزمان و صوله أو سوله فاستصحب الأبيات منه رسوله
 فأنل بفضلك للمراد حصوله حسبى ثنا وازنت منه فصوله
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 ابن القصير أطال فيك نظامه ليرى بذاك مسلما إسلامه
 و ترى مطاوع أمره و كلامه لا زال يقريك الإله سلامه
 صلّوا عليه و سلّموا تسليما

[لجمال الدين بن جلال الدين الجوزى فى مدح النبى]

و ما أحسن قول جمال الدين بن جلال الدين الجوزى رحمه الله تعالى: [الكامل]

فضل النبيين محمد شرفا يزيد، و زادهم تعظيما
 درّ يتيم فى الفخار، و إنما خير اللآلى، ما يكون يتيما
 ساد النبيين الكرام و كلّهم صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 و الله قد صلّى عليه كرامة صلّوا عليه و سلّموا تسليما

و من ذلك هذا التسديس البديع الذى هو من نظم الإمام العارف بالله تعالى علاء الدين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٨٦

[تسديس في مديح الرسول، لمحمد بن العفيف، الحسنى، الصفوى]

محمد بن العفيف الأبيجى الحسنى الصفوى الزينى - رحمه الله تعالى! - ممّا ربّبه على حروف المعجم و التزم الحرف أول الأَشْطَار الأربعة و آخرها: [الكامل]

الله أحمد أحمد إذ يبرأ أوضى وضىء نوره يتلألأ
أنواره كلّ العوالم تملأ أكوانه لولاه لم تكك تنشأ
إن كنتم انقدتم له تسليمًا صلّوا عليه و سلّموا تسليمًا
بدر بدا من نوره يتطلّب بحر بحور الجود منه تركب
برّ و برهان جلا يتقلّب بالمصطفى ممّن صفا أتقرّب
بادوا بما يجدى لكم تنعيما صلّوا عليه و سلّموا تسليمًا
تالله مثل محمد لا يثبت تم الكلام ببعته و نبوّه
تاج العلا بالمصطفى يثبت تاهت عقول للذى هو ينعت
تحف الصلاة به عليه أديما صلّوا عليه و سلّموا تسليمًا
ثق بالذى يوما يقوم و يبعث ثبه البريّة بالنبيّ تغوث
ثبت الشفاعة للورى يتحدّث ثرة الطوائف للذى يشبّث
ثبت لزام الباب فيه مقيما صلّوا عليه و سلّموا تسليمًا
جاء النبيّ عوالما يتبلّج جاه له من جاءه يتبهج
جاه ينجى من لظى تتوهج جاءت له الأشجار أرضا تفرج
جاور نبيّ الله نلت نعيما صلّوا عليه و سلّموا تسليمًا
حقًا هو الحقّ المبين الأوضح حبّ حياء حبه يترنّج
حسناته حشياته تسترجح حتى القلوب بحبه تترجّج
حوت العلوم لذاته تكريما صلّوا عليه و سلّموا تسليمًا
خير البرايا دينه هو ناسخ خير له خير الخيور رواسخ
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٨٧
خرّ الذى عن دينه هو بازخ خال خلّى عن نقائص باذخ
خذ باتّباع فعالة ترسيما صلّوا عليه و سلّموا تسليمًا
دلّ الأنام على الإله محمد دامت سعادة من بأحمد يسعد
دار له مأوى المحامد تحمد دان الوجود به و من هو أحمد
داوم على باب له تخيما صلّوا عليه و سلّموا تسليمًا
ذكر الحبيب أحقّ ما يتأخذ ذخرا ليوم بالنواصى يؤخذ
ذاك الشفيح لمن به يتعوّذ ذاك الذى بجنابه يستنقذ
ذلّوا له و لبابه تغنيما صلّوا عليه و سلّموا تسليمًا

ربّ النبيّ محمد هو يذكر رتب الحبيب كتابه متذكّر
 رائى محيا أحمد هو ينظر روح القلوب و لاؤه هو ينصر
 روح بذكراه المريح نديما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 زين البرايا بالوجود معزز زان العوالم حسنه يتفوّز
 زن فضله عن كلّهم يتميّز زد ذكره عن زلّه يتحرّز
 زلفى أنله بالمنى تميما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 سبق الأنام بفضله هو أنفس ساد الجميع بسؤدد يترأس
 سبحان من أسرى به يتأنس سرّ الحبيب بسرّه يتقدّس
 سمع الكلام من الإله كليما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 شمس الهدى بدر الدّجى يتبشش شرف الحبيب من الوجوه يفتش
 شكرا لمولانا عليه و أبهش شوقى إليه وافر أ تعطش
 شغل للّبك بالحبيب أديما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صفة الكلام لذاته هو أخلص صفة الكتاب كماله يتلخص
 صفة القلوب بحبه تتخلص صفة صفا صبّ و أنى يخلص
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٨٨
 صل بالصلاة جنابه تكليما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 ضفت الفيوض من الحبيب تفيض ضعفى إليه آملا يتعوض
 ضرى و ضيرى كلّ يتقوّض ضلّ الذى فى بابه لا ينهض
 ضمن الحبيب لذاكريه زعيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 طوبى لمن بحيبه يتنشّط طابت به أحواله و المنشط
 طال اشتياقى طيبة أتبسّط طال الإله علىّ طولاً يبسط
 طوبى بمدحته يطيب نسيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 ظلّ الهدى بهداه قد يتحفّظ ظلمات شرك قد جلت تتدلّظ
 ظلّى لظلّ وداده يتحفّظ ظهريّ ظهيريّ حبه أتحفّظ
 ظلّى به يغدو العقاب عديما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 علت المعالى بالنبيّ و ترفع عزّ علاه للذى هو يتبع
 عمّت عطاياه لكلّ ينفع عرش العظيم قد ارتقى يترفع
 عرج الإله به إليه عليما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 غوث الورى ذا المصطفى هو سابغ غيث الندى هو فى البرايا سائغ
 غمر الندى أقصى النهاية بالغ غزر الحيا شمس و بدر بازغ
 غنما نما بالمؤمنين رحيماً صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 فخر و ذخر بالمفاخر يشرف فرد و حيد فى العوالم أشرف
 فتح الوجود و كلّ كون مردف فاز الفقير بلطفه يتلطف

فاح النسيم من الحبيب جسيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 قسم الإله بعمره فيفوق قسمت وجوه الحسن منه فيسبق
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٨٩
 قمر و شمس نوره متألق فمن بذكراه الدعاء معلق
 قطب لدائرة الوجود كريما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 كتب الإله ثناءه ما يدرك كتب اسمه قرب اسمه يتبرك
 كلّ الكمال له به يستدرك كنه الكمالات التي لا تدرك
 كيف كفى درّ الثناء يتيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 لمعات نور محمد هي تخجل للشمس و البدر المنير فتخجل
 لذات ذكر محمد هي أكمل لذوى الحوائج لاند متكفل
 لذ خذ بحدّ منك تلف حكيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 من مثله في العالمين معظّم من مثله في العالمين مكرم
 من للإله لدى اللقاء يكلم منحا حباه منه قد يتعلم
 منّ الإله لديه صار عميما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 نور له في آدم يتبين نقلا إلى آباءه يتعين
 نأى العوالم إذ أتى متعين نار المجوس تخمدت تتهون
 نعماه جمّت إذ تعمّ كريما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 وجه به كلّ الوجوه إليه هو وجه الوجه بكله يتوجهوا
 و وجاهه وجه المرام فوجهوا وجه إليك نبيّنا فتوجهوا
 وجه إلينا نظرة تكريما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 هو مصطفى عند الإله الأوجه هاد لنا و بوجهه من أوجه
 ها إنه وجهي لهذا أوجه هيه هنيئا وجهه بالأوجه
 هام الفؤاد بحبه تتيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 لا مثل للمختار أعلى من علا لاجيه ناج قد نجا كلّ البلى
 لاذ الصفيّ به يتوب فأقبلا لاقى النبي محمد أن يقبلا
 لازم محبّا للحبيب نديما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٩٠
 يا أكرم الخلق الذي هو ملجئى يأتي محمد العفيفى الذى
 يده يمدّ إليك مرتجيا و فى يقن بصفوته الصفى و يكتفى
 يمنا لذكرك بيتدى تختيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما

[تسدس آخر فى نوح النبي لمحمد ابن العفيف الحسنى الصفى]

وله أيضا رضى الله تعالى عنه قصيدة أخرى على طريقة هذه، وقد نظمها بعدها نفع الله تعالى ببيتته، و بلغه غاية قصده و أمنيته، و هي

هذه: [الكامل]

أحسن بطلعه أحمد هي أضوأ أعلن بلمعته العوالم تملأ
أزين به لما أتى يتلألاً أبين بآيات له فتنبأ
الله قدّمه بها تقديماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
بدأ الإله بنوره فيعقب بدء الذي بالمصطفى يتقلب
فيه لذي الحاجات إذ يتطلب بدء بذكراه به يستوهب
بل هو إلى الأرب انتفع تعميماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
تلت العلامات التي هي تثبت تبّ العدا تبا و عنه تثبت
تمت له الآيات فيك تبكّت توراؤه موسى ناطقا هي تنعت
توقيع حاجات صفوا تسليماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
ثبت الكمال له و منه يورث ثبت الوري لو لم تكن لا تحدث
ثبت بذكرى المصطفى يتحنّث ثبت الذي بجنابه يتشبت
ثبت بذكر قد تراه قديماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
جاء العوالم نوره يتبلج جاد العوالم بحره يتموج
جاز السماوات العلا يتعرج جاب الجميع بسامه يتفرج
جار له جارى له تنعياً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
حار العقول لمدحه إذ يمدح حيا الحياء بريّه يستروح
حى له فضل به يسترجح حى له حامى حمى فتروح
حى الحمى الحامى تصير سليماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
خلق له كلّ به يتشمخ خلق له بالنقص لا يتلطح
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٩١
خلق به أحسن به هو أبذخ خلق يحقّ له الثناء الأرسخ
خلق إلهي بذاك تميماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
دار الحبيب أحقّ ما يتعمد دارت بها كلّ السعادة تسعد
دانت أهاليها بما هو يرشد دار بحسنى طيبة لا تبعد
دارك سكوناً بالسكون مقيماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
ذكر الحبيب محمد هو ينقذ ذكر لما ينسى رسولا ينفذ
ذكر الإله ثناؤه و يلذذ ذكراه تنفع سامعا يتلذذ
ذيل النبي خذ اعتصم تعظيماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
ربّ الورى سبحانه هو أكبر ربّ النبي محمد فيكبر
ربّ الرؤوف حبيبه فيدبر ربي اصطفاه من الورى فأكبر
ربّ ارتجاء للمنى تدويماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
زان العوالم إذ أتاها يبرز زاد الإله عروجه فيبرز

زادت معاليه عروجا ينشز زاد لأخرى حبه يتحرز
 زعم الشفاعة ذاكره زعيما صلوا عليه و سلموا تسليما
 ساد الجميع إذا أتى هو أنفس سار السماوات العلا يستأنس
 سأل الإله و زاد ما يتنافس سامى ذراه للمحب تونس
 سارع إلى ذاك الذرا تخيما صلوا عليه و سلموا تسليما
 شرف لأمته به يتغابش شرق لأشرق شرقه يتفرش
 شرقا و غربا فيه عقل يدهش شوقا إليه قد إليه أجهش
 شكرا على النعمى تزيد نعيما صلوا عليه و سلموا تسليما
 صفة له ذات له هو أخلص صفتا عن الشىء الذى يتنقص
 صفة له حارت عقول تفحص صفة شريعته النقائص تخلص
 صفة له و بره لتديما صلوا عليه و سلموا تسليما
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٩٢
 ضاع المديح لأحمد يتروض ضاع الذى عن ذكره هو يعرض
 ضاف حباه كفه ليفضفض ضاف بذكراه المنى يتعرض
 ضاعف له الآمال صلها مديما صلوا عليه و سلموا تسليما
 طال العوالم إذ أتى هو يقسط طابت مدائحه فطاب المغبط
 طابت به النعمى و طاب المنشط طام له بحر الألى ينتشط
 طالب مطالب كلها تميما صلوا عليه و سلموا تسليما
 ظهر النبى و رب أحمد يلحظ ظهر لأمته ظهير ملحظ
 ظهوروا على الأمم افتخار ملحظ ظل له ظلوا به يتحفظوا
 ظلت الظلال إذا ذكرت نديما صلوا عليه و سلموا تسليما
 عد المحاسن للنبي يستتبع عد له آياته تتنوع
 عداه مولاه إليه فيطلع عد لذكراه غداة يشفع
 عد باب من للمؤمنين رحيم صلوا عليه و سلموا تسليما
 غزرت له الآيات هن نوابغ غزر الحيا عز الورى هو سائغ
 غمر الرذا بحر الندى يترفع غمر البلاد بذكراه يتفرغ
 غمر بذكراه الفؤاد و سيما صلوا عليه و سلموا تسليما
 فاض الجمال و فاض منه يوسف فاز المحب بذكراه لا يوسف
 فاضت عليه فيوضه يتلف فاش له الآيات لا يتكلف
 فاد له كل بهم تقديما صلوا عليه و سلموا تسليما
 قمر بدا من أفته هو فائق قمر يجاب بذكراه و يعلق
 قمقام كل الأنبياء و سائق فمقام جود عم كلاً يرفق
 قم بابه مستنجحا و مقيما صلوا عليه و سلموا تسليما

كلًا به فتح الوجود و يدرك كل الكمالات احتوى لا يشرك
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٩٣
 كل اللسان عن البيان و يمسك كلىء الذى بجانبه يتمسك
 كل مرتجاك إليه ثق تكريما صلوا عليه و سلموا تسليما
 لمحمد هو مصطفى و مؤمل لمحمد بن محمد ما يأمل
 لمحت عليه بروقه يتحمل لمعان نور و دادة يستكمل
 لم لا أصيب من الحبيب شميما صلوا عليه و سلموا تسليما
 من مثل ذاك المصطفى يتعظم من كل وجه للكمال ليعظم
 من علينا من إله أعظم منه العروض إليه و هو يعظم
 من كان للرب العظيم كليما صلوا عليه و سلموا تسليما
 نور الإله حبيبه يتمكن نادى الإله حبيبه يتمكن
 نال نوالا شرحه لا يمكن ناد له طوبى لمن يتمكن
 نادى الحبيب بذكره تكليما صلوا عليه و سلموا تسليما
 و الله مثل محمد لا يشبه و الله مولاه العوالم كيف هو
 وجد الوجود بذاته و به له وجد علا و بوجهه فتوجهوا
 وجدوا و جاد من النجاة مقيما صلوا عليه و سلموا تسليما
 هو أكمل من كل وجه أوجه هو ذا الحبيب القلب منه أوجه
 فأولى طيبه و أوجه حول من الأرض المكثر أوجه
 هانا بنار الشوق صرت سقيما صلوا عليه و سلموا تسليما
 لا ريب لا مثل له و الله لا لاحت له الآيات عرشا قد علا
 لاقى ارتقاء ربّه فتوصلا لاج به نال المنى إلى الألا
 لازم لباب جنبه تقسيما صلوا عليه و سلموا تسليما
 يا أكرما كل إليه يلتجى يأتى محمدك العفيفى الذى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٩٤
 يقنا توسل بالصفى و يحتذى يده إليك يمدّ فقرا ترتجى
 يمن افتتاح باسمه تختيما صلوا عليه و سلموا تسليما

قلت: و إنما أثبت هاتين القصيدتين فى جملة ما سردته، و إن كان فيهما من التكلف ما لا يخفى لأوجه؛ أحدها: أن صاحبهما من الصالحين يسلم له و يتبرك بكلامه، و من اعترض على مثله يخشى عليه من تسديد السهام لملامه، الثانى: أنهما فى مدح النبى صلى الله عليه و سلم و عليه من الله أركى صلاته و أتم سلامه، الثالث: أن المراد جمع ما وقفت عليه فى البحر و الروى و المعنى؛ لأن بعضا من العلماء ذكر لى أنه لم يطلع فى ذلك إلا على قصيدة ابن الجيان، فأحببت أن أتعرض لتعريفه بهذا العدد و إعلامه، على أن القصد الأعظم ما هو إلا التلذذ بذكر أمداح المصطفى صلى الله عليه و سلم، خصوصا المقتبس فيها قوله تعالى: صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا. و قد كنت نويت أن أولف فى ذلك بالخصوص كتابا أسميه «روضه التعليم، فى ذكر الصلاة و التسليم، على من خصه الله تعالى بالإسراء و المعاينة و التكليم» و الله تعالى المسئول فى التيسير، فلنزد عليه يسير.

[تسديس آخر في مدح النبي المصطفى لأبي عبد الله بن العطار، الجزائري]

و من ذلك هذا التسديس الذى وجدته فى كتاب «درر الدرر» للشيخ الإمام أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر العطار الجزائرى من جزائر بنى مرغنه، و هى المشهورة الآن بالجزائر: [الكامل]

أنوار أحمد حسنها يتلألاً المصطفى بحلى الكمال يحلاً
 الشمس تخجل و هو منها أضوأ النور منه مقسم و مجزاً
 قد زان ذاك النور إبراهيماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
 صلّوا على المسك الفتيق الأطيب صلّوا على الورد المعين الأعذب
 صلّوا على نور ثوى فى يثرب صلّوا عليه بمشرق و بمغرب
 ما زال فى الرسل الكرام كريماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
 صلّوا على زهر الكمال الثابت صلّوا على طود البهاء الثابت
 صلّوا على من فاق نعت الناعت خير الورى من ناطق أو صامت
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٩٥
 و أعزّهم نفساً و أطهر خيماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
 صلّوا على طيب يفوح و يمكث صلّوا على من عهده لا ينكث
 صلّوا على من بالهدى يتحدّث عنه المعارف و الحقائق تورث
 أضحى يعلمنا الهدى تعليماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
 صلّوا على من نوره يتبلّج صلّوا على من عرفه يتأرجح
 للحضرة العلياء ليلاً يعرج صلّوا على من حاز مجداً يبهج
 و بها على العرش المجيد مقيماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
 صلّوا على البدر المنير اللائح صلّوا على صبح الرّشاد الواضح
 صلّوا على المسك الذكى الفائح صلّوا على الهادى النبى الناصح
 الرشد فهم و الهدى تفهيماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
 صلّوا على من شرعه لا ينسخ صلّوا على من عهده لا يفسخ
 صلّوا على من بالثناء يضمخ علياًؤه علياً الكمال تؤرخ
 نال المفاخر و الكمال قديماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
 صلّوا على الهادى لأعذب مورد صلّوا على خير الأنام الأوحى
 صلّوا على بدر التمام الأسعد بمحمد فزنا، و من كمحمد
 الله عظم قدره تعظيماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
 صلّوا على من بالنبوة ينفذ صلّوا عليه فللسعادة يجذب
 صلّوا على من حبه لا ينبذ أبصارنا طراً بأحمد لوذ
 فى موقف ينسى الحميم حميماً صلّوا عليه و سلّموا تسليماً
 صلّوا على البدر المنير الزاهر صلّوا على الروض البهى الناضر

صلّوا على مزن العلوم الماطر صلّوا على المسك الفتيق العاطر
 و تنعموا بصلاتكم تنعيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على نور يلوح و يبرز صلّوا على مسك يفوح و يحرز
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٩٦
 بمحمّد حلل الكمال تطرّز و لمجده درر السيادة تفرز
 قد نظمت لكمالته تنظيمًا صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على الدرّ النفيس الأنفس صلّوا عليه فهو روض الأنفس
 صلّوا عليه فهو زين المجلس و منى المجلس و نزهة المتأنّس
 راق النفوس شذا و طاب شميما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على المختار أفضل من مشى صلّوا على النور الذي قد أدهشا
 بمحمد عرف القرنفل قد فشا ورد لظمان إليه تعطشا
 يبرى الضنا أبدا و يروى الهيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على من بالكمال يخصّص صلّوا على من نوره لا ينقص
 صلّوا عليه على الدوام و أخلصوا ظلّ ضفا بالأمن لا يتقلّص
 شمل الورى طرا و طاب عميما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على صبح تبلّج بالرضا و قضى على ليل الضلالة فانقضى
 صلّوا على من بالنجاة تعرّضا صبح تذهب نوره و تفضّضا
 و علا و خيم ضوءه تخيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على من بالبهاء يخطط صلّوا على ورد بمسك يخلط
 للمصطفى بسط الكرامة تبسط و له يواقيت السناء تقسط
 و بنوره أضحي الزمان و سيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على من بالمهابة يلحظ صلّوا على من بالنبوة يلحظ
 صلّوا على من بالهداية يلفظ لعصاته نار الجحيم تغيط
 و رضاه هبّ لنا و طاب نسيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على البدر المنير الساطع صلّوا على الروض الأنيق اليانع
 صلّوا على الصبح المنير اللامع صلّوا على المسك الفتيق الذائع
 و وقاه في وجه الهجير مغيما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٩٧
 صلّوا على الثور الأعمّ السابغ صلّوا على البدر الأتمّ البارغ
 صلّوا على المسك الذكيّ البالغ صلّوا على الورد المعين السائغ
 للواردين به غدا تميميما صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على من بالتقرّب يوصف صلّوا على من بالمحبّة يعرف
 صلّوا على من بالاعلا يتشرّف صلّوا عليه به الكمال يزخرف

المجد فخم ذكره تفخيما صلوا عليه و سلموا تسليما
صلوا على مسك يطيب لناشق صلوا على الروض الأنيق الرائق
إشراقه بمغارب و مشارق صلوا على البدر الأتم الفائق
باد تنسم حسنه تنسيما صلوا عليه و سلموا تسليما
صلوا على من قدره لا يدرك صلوا على من باسمه يتبرك
صلوا على من جسمه لا يترك صلوا على من للهدى يتحرك
و به تحلى ظاعنا و مقيما صلوا عليه و سلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الأكمل صلوا على الروض البهي الأجل
صلوا على الهادي النبي الأحفل المصطفى الأرقى لأنزه محفل
فيه تقدم وحده تقديم صلوا عليه و سلموا تسليما
صلوا على زهر أنيق باسم صلوا على عرف ذكي ناسم
صلوا عليه فهو بدر مواسم من جوده نلنا بخير مقاسم
أنواره قد تمت تميما صلوا عليه و سلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة زينا صلوا على من بالكمال تمكنا
صلوا على هاد أبان و بينا بمحمد فرنا بإدراك المنى
للخلق أرسل رحمة و رحيم صلوا عليه و سلموا تسليما
صلوا على الهادي النبي الأنزه بدر التمام و روضه المتنزّه
في فضله كل الشهادة تنتهي أبدا بلثم ثراه فخر الأوجه
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٩٨
في حبه أضحي الغرام غريما صلوا عليه و سلموا تسليما
صلوا على نور بطيبة قد ثوى فعلا و فاض على البسيطة و احتوى
صلوا عليه فليس ينطق عن هوى صلوا عليه فهو ينجي من هوى
في موقف يذر السليم سليما صلوا عليه و سلموا تسليما
صلوا على نور تالألأ و اعتلى صلوا على صبح مبين يجتلى
صلوا على مسك يخالط مندلا صلوا على درّ تران به الحللى
و به المعالى خيتمت تخيما صلوا عليه و سلموا تسليما
صلوا على من نال مجدا عاليا و سما و حاز مفاخرا و معاليا
صلوا على نور تبدى حاليا و بمدحه الرحمن زين حاليا
و إذا سما المخدوم زان خديما صلوا عليه و سلموا تسليما
و قد توارد في بعض هذا التسديس مع بعض بيوت القصيدة السابقة التي أولها:

يا أمة الهادي المبارك أحمد

حسبما يعرفه المتأمل، و الذي في ظني أن صاحب «يا أمة الهادي» متأخر عن ابن العطار فهو الذي أخذ منه، و الله سبحانه أعلم.
و توارد أيضا في عدة أبيات مع تخميس الكاتب أبي العباس بن جمال الدين المتقدم ذكره و أوله:

اللّه زاد محمدا تعظيما

و هما على منوال واحد، غير أنّ ذلك تخميس و هذا تسديس، و ابن جمال الدين أقدم من ابن العطار تاريخا، فيحتمل أن يكون ألم بكلام ابن جمال الدين، أو ذاك من توارد الخاطر.

[تسديس آخر في مدح الرسول]

و رأيت في هذا الكتاب تسديسا آخر لم يرتبه على حروف المعجم، و جعل روى الشطرين
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٢٩٩
 الأخيرين حرف اللام، فأحببت ذكره هنا زيادة في التبرك بمدح المصطفى عليه أجل الصلاة والسلام، و هو: [الكامل]
 نور النبي المصطفى المختار أربت محاسنه على الأنوار
 مرآه يخجل بهجة الأقمار نور ينجي من عذاب النار
 قد زان ذاك النور إسماعيلاً صلوا عليه و سلموا تسليما
 صلوا على البدر المنير المشرق صلوا عليه بمغرب و بمشرق
 صلوا على غصن الكمال المورق بالمصطفى المختار برق الأبرق
 يهدى غراما للنفوس دخيلا صلوا عليه و سلموا تسليما
 صلوا على من قد تناهى فخره صلوا على من قد تعاضم قدره
 صلوا على من قد تأرج نشره صلوا على من قد تناسق درّه
 عقد الثناء لمجده إكليلا صلوا عليه و سلموا تسليما
 صلوا على خير الأنام المرسل صلوا على البدر المعين السلسل
 صلوا على أسنى سنا المتوسل صلوا على نور الهدى المسترسل
 ظلّ علينا لا يزال ظليلا صلوا عليه و سلموا تسليما
 صلوا على النور الأتم الأكبر صلوا على من فاق عرف العنبر
 صلوا عليه فهو أصدق مخبر كم زان ذكر المصطفى من منبر
 و أراح من دار الضلال عليلا صلوا عليه و سلموا تسليما
 صلوا على النور الأتم الأكبر صلوا على من فاق كل مبشر
 صلوا عليه هديتم من معشر صلوا على بدر يرى في المحشر
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٠٠
 حاز الجمال فلا يزال جميلا صلوا عليه و سلموا تسليما
 صلوا على النور البهيّ المغرب صلوا عليه بمشرق و بمغرب
 صلوا على الورد الشهّي المشرب بالفكر يشرب و يبح من لم يشرب
 منه، و ينقع بالورود غليلا صلوا عليه و سلموا تسليما
 صلوا على من فخره لا ينكر صلوا على من في النجاة يفكر
 صلوا على من بالنبوة يذكر صلوا على من بالهداية يشكر
 شكرا على مّ الزمان حفيلا صلوا عليه و سلموا تسليما

صلّوا على من بالسيادة قد سما صلّوا على من فى الكمال تقسّما
 صلّوا على صبح بدا متبسّما صلّوا على طيب سرى و تنسّما
 و غدا وراح معطّرا و بليلا صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على مسك يخالط عنبرا صلّوا عليه سرى و فاح و ما انبرى
 صلّوا عليه حوى الكمال الأكبر لبس الجمال مطرّزا و محبّرا
 و بذاك قد خصّ الجليل جليلا صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على من بالنبوة توجّجا صلّوا على صبح بدا و تبلّجا
 صلّوا عليه لقد أضاء و أبهجا و محا بروتق نوره ظلم الدّجا
 نور يعود الطرف منه كليلا صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على نور تبلّج لائحا صلّوا على نور تبرّج واضحا
 صلّوا على مسك تأرّج فائحا و بطيبه ملاً الوجود روائحا
 و بحبه يستوجب التبجيلا صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٠١
 صلّوا على من نوره ملاً الفضيا صلّوا عليه لقد أضاء و ما انقضى
 صلّوا على من حفّ حقاً بالرضا لنجاتنا خير الأنام تعرّضا
 و هدى إلى نيل الرشاد سييلا صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على بدر يدوم كماله باق على مرّ الزمان جماله
 صلّوا على من قد تعاضم حاله و دنا إلى ورد الرضا ترحاله
 و إلى الورود به أجدّ رحيلاً صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا بأجمعكم على شمس الهدى صلّوا على بدر يزين المشهدا
 صلّوا عليه فمن رآه تشهدا صلّوا عليه به الرشاد تمهدا
 أرضى النزىل و بين التنزيلا صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على من قد تأثّل مجده فسما به غور الحجاز و نجده
 ما زهره لولاه أو ما وردّه بالمصطفى المختار يعذب وردّه
 فى ترابه ما أعذب التقبيلا صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على محبوبنا مطلوبنا صلّوا عليه فهو روض قلوبنا
 صلّوا عليه فهو عطر جيوبنا صلّوا على مطلوبنا محبوبنا
 لا نرتضى من حبه تبديلا صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على خير الأنام الأطهر صلّوا على النور الأتمّ الأبهر
 صلّوا على الصبح المنير الأشهر صلّوا عليه باتّصال الأشهر
 الله فضّلنا به تفضيلا صلّوا عليه و سلّموا تسليما
 صلّوا على من قد تناهى فى العلا صلّوا على من كان أكمل أجملا
 صلّوا على درّ تزان به الحلّى المجد ألبسه الكمال فأجزلا

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٠٢
والله كتمل مجده تكميلاً صلوا عليه و سلموا تسليمًا
و أظن أني رأيت بعض هذه القصيدة في كتاب العروسي المغربي، و هو متأخر.

[قصيدة في مدح الرسول لابن العطار]

و من قصائد هذا الكتاب قصيدة صرح فيها بابن المغربي، و هي: [الكامل]

أهدت لنا طيب الروائح يثرب فهوبها عند التسم يطرب
رقت فرق من الصباية و الأسي قلب بنيران البعاد يعذب
شوقا إلى أسنى نبي حبه كثر النجاة فنعم هذا المطلب
المصطفى أعلى البرية منصبا قد جل في العلياء ذاك المنصب
فزنا به بين الأنام بديمة أبدا علينا بالأمانى تسكب
حاز السيادة و الكمال محمد فإليه أشتات المحامد تنسب
محبوبنا و نبينا و شفيعنا يدنى إلى روض الرضا و يقرب
بضياته الملتاح أشرق مشرق و بنوره الوضاح أغرب مغرب
و به وردنا الأمن عذبا صافيا و به ترقى في المعالي يشجب
صبح الهدى أنواره بنينا صباحا تروق الناظرين و تعجب
إن طابت الأنفاس من زهر الربا رياه أذكي في النفوس و أطيب
صيرت أمداح النبي المصطفى لي مذهبا يا حباك المذهب
فعلني من أمداح أحمد خلعه موشية و لها طراز مذهب
و بمدحه شمس الرضا طلعت على أفقى تضيء و نورها لا يغرب
أ ترى يبشرني البشير بقربه و أث أشواق الفؤاد و أندب
و يقال لي بشراك قد نلت المنى يا مغربي إلى متى تتغرب
هذا مقر الوحي هذا المصطفى هذا الذي أنواره لا تحجب
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٠٣
رد ورد طيبة و اشف من ألم النوى قلبا على جمر الأسي يتقلب
كم ذا التواني عن زيارة مورد عذب المقام به ولد المشرب
منا السلام على النبي محمد ما أسفرت شمس و أشرق كوكب

[حديث عن كتاب لابن العطار في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم]

و قد سمي هذا الكتاب ب «نظم الدرر، في مدح سيد البشر» و «الورد العذب المعين، في مولد سيد الخلق أجمعين» و ليس هو بابن العطار المشرقي الذي كان معاصرا لابن حجة الحموي، فإن ذلك متأخر عن هذا، و هذا مغربي و ذاك مشرقى، فلم يتفقا لا في زمان و لا في مكان، غير أنهما اشتركا في الشهرة بابن العطار.

و وجدت على ظهر أول ورقة من بعد تسميته السابقة ما صورته: مما أنشأه الشيخ الفقيه القاضي العدل الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف العطار، رواية العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد ابن الأمين الأقسهري، قرأت هذا الكتاب و قصائده على حروف المعجم و قصيدتين غيرها على ناظمها القاضي المذكور قراءة ضبط و تصحيح و رواية مقابلة بأصله بموضع الحكم في مدينة الجزائر من أقصى إفريقية - حرس - في دول متفرقة، و آخرها يوم الثلاثاء ليلة بقيت من ذى القعدة أواخر عام سبعة و سبعمائة، و نص ما كتب على نص قراءة عليه: صحيح ذلك، و كتبه محمد بن عبد الله بن محمد بن العطار، و الحمد لله رب العالمين؛ انتهى.

و رأيت أثر ما تقدم بخط الأقسهري ما صورته: سمع من لفظي جميع «نظم الدرر، في نسب سيد البشر» لجامعه القاضي المذكور أعلاه القاضي شمس الدين محمد بن المرحوم عبد المنعم الشيبى و ولده أبو محمد عبد الدائم و ابن أخيه أبو محمد عبد الباقي بن تاج الدين بن حفص بن أبي بكر البورى و غيرهم، نحو سماعى قراءة منى على مؤلفه أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر العطار سنة سبع و سبعمائة، قاله راسمه الأقسهري؛ انتهى.

و من قصائد هذا الكتاب قوله: [الكامل]

أبدا تشوقك أو تروفقك يثر فإلى متى يقصيك عنها المغرب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٠٤
 هى جنه فى النفس يعذب ذكرها و القرب منها و التدانى أعذب
 المسك معترف بأن نسيمها أسمى و أسرى فى النفوس و أطيب
 و العنبر الوردى دان لطيبها منه التعطر و التارج يطلب
 جيش الصباة شغ غارات الأسى من بعدها فالصبر منها ينهب
 و الشوق يثينا إليها كلما وقف الحمام على الأراكه يخطب
 حتى النسيم إذا سرى من ربعها يثنى من الروض الغصون و يطرب
 حيا فأحيا المستهام بطيبه فنفسنا بهبوه تستطيب
 يا حبذا فى ربع طيبة وقفه بين الركائب و المدامع تسكب
 حتى يرق للوعتى و صبايتى و دموع عيني كل من يتغرب
 شوقا لمن زان الوجود، و حبه يدنى إلى رتب الرضا و يقرب
 ساد الأنام المصطفى بكماله فإليه أجناس السيادة تنسب
 بالنور زاد حلى على آبائه و بحسن ذاك النور أعرب معرب
 الشمس يغرب نورها و ضياؤها أبدا و نور المصطفى لا يغرب
 الله أرسله إلينا رحمة فبجاهه عنا الرضا لا يحجب
 بمحمد فزنا بإدراك المنى فالوقت طاب لنا و طاب المشرب
 خير الورى محبوبنا و نبينا حزنا به الجاه الذى لا يسلب
 روض النفوس محمد و نعيمها و به يفرض حليها و يذهب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ٩؛ ص ٣٠٤
 شرف تقادم قبل آدم عهده للنور أطاب عليه تطب
 مئا عليه مدى الزمان تحية يثنى عليها المندلى و يطب

[من قصائد كتاب ابن العطار في المديح]

و منها قوله رحمه الله تعالى: [الكامل]
 طلعت، و قارنها البهاء، بدور أبدا على قطب السعود تدور
 من نور أحمد يستمد ضياؤها و بهاؤها، يا حَبْدَاك النور
 و يزيد ذاك النور حسنا فائقا يوم القيامة و الأنام حضور
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٠٥
 محبوبنا أسمى البرية منصبا يوم النشور لوائه منشور
 فزنا بخير العالمين محمد و جرى بوفق مرادنا المقدور
 لاحت لنا أنواره فزماننا نور، و أنس دائم و سرور
 بالمصطفى المختار قابلنا الرضا بين الأنام فسعيننا مشكور
 الله فضله على كلّ الورى فهو الحبيب، و فضله مشهور
 القرب خصّصه و عظم قدره فسمما ببهجة نوره ناحور
 خير النبيين الكرام نبينا بالنور فى العرش اسمه مسطور
 يا صاحبى نداء صبّ مغرم قلبى بحبّ المصطفى معمور
 عوجا على بوقفه و بعطفه إني على ألم الفراق صبور
 إن لم أزر بالجسم قبر المصطفى فالقلب من بعد المزار يزور
 نيران قلبى بالبعد توقّدت و مدامعى خدّى بها ممطور
 فمن الفراق الحتم نيران لها لهب، و من فيض الدموع بحور
 فمتى أفوز بوقفه فى طيبة و القلب منى فارح مسرور
 و يقال لى انزل بأكرم منزل و ابشر فأنت على النوى منصور
 إن جاد دهري بالوصول لطيبه بعد المطال فذنبه مغفور
 هى جنّه من حلّها نال المنى و سما و ساد و صافحته الحور
 حتى النسيم إذا سرى من نحوها يصبو إليه المسك و الكافور
 و منها قوله رحمه الله تعالى: [البيسط]

أما النسيم فقد حيّاك عاطره و بارق المنحنى أحيّاك ماطره
 خاطر بروحك فى نيل الوصال فكم من نازح نال طيب الوصل خاطره
 زهر الرّبا باسم تندى كمائمه رقى النسيم بها إذ راق ناظره
 ما حلّ روض المنى الغصّ الجنى دنف فاستضحكت فيه من عجب أزاهره
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٠٦
 و النهر أبرز للبدر الأتم حلى و البدر طرز ماء النهر زاهره
 و الغصن تلعب أنفاس الرياح به و الطلّ قد نثرت منه أزهاره
 و الليل قد رقمت بالشّهب حلّته و البرق يبسم فى الظّلماء ساهره

و النور محض جنى فوق الندى درر و عقدها زَيْن الأَغصان دائره
و ملبس الروض قد زانته خضرته و الليل بالفجر قد شابت غدائره
و الصبح سلّ على جيش الظلام ظبا و عند ما سلّها ولّت عساكره
للزهر سرّ و عرف الروض فاضحه و المسك إن فضّ لا تخفى سرائره
هل زار طيبه ذاك العرف حين سرى؟ فتربها أبدا مسك يخامره
طابت بطيب رسول الله فهى به سمت و فاقت بمن فاقت مفاخره
به معدّ تسامى للعلا، و به حاز المكارم و اعتزّت عشائره
أسنى النبيين قدرا نوره أبدا يزيد حسنا على الأَقمار باهره
و أفضل الخلق من عرب و من عجم أربت على الرمل أضعافا مآثره
إن كان للرّسل عقد و هو آخرهم نظما فقد زان عقد الرّسل آخره
روض من الحلم غصّ راق منظره بحر من العلم عذب فاض زاخره
إن جاد صاح بلقياه الزمان فمل إلى مقام حبيب أنت زائره
وصف له حال صبّ مغرم دنف رام الدنو فأقصته جرائره
و اذكر هناك بعيد الدار غرّبه غرب فما غائب من أنت ذاكره
أهدى السلام بلا حدّ و لا أمد إلى محلّ رسول الله عامره
و منها قوله رحمه الله تعالى: [الطويل]

أ متزلنا جادت تراك السحائب و إلّا فجادته الدموع السواكب
و وشاك و سمى الغمام بدرّه و حلّى محلاّ حلّ فيه الحبايب
و حيا نسيم الريح بالجزع أنسا فما عاب ذاك الأَنس بالجزع عائب
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٠٧

فيا عهدنا بالخيف هل أنت عائد؟ و يا أنسنا بالجزع هل أنت آتب
و هل راجع عصر الشّباب الذى انقضى و قد شبيت سود الشعور الشوائب
و هيهات أن يقضى لنا برجوعه كما كان غصنا مورقا و هو ذاهب
و قد سلب الدهر المفرق أنسنا و أودى به و الدهر للأَنس سالب
فما وهب الأَنفاس إلّا مغالطا و أىّ بخيل للنفائس واهب
أطالب أيام العقيق بعودة و قد عزّ مطلوب له أنا طالب
فيا صاحبي كن مسعدى فى صبايتى و إلّا فما أنت الصديق المصاحب
إذا ما بدا برق الحجاز فأدمعى تفيض إلى الوراد منها المشارب
أعاتب أيام البعاد، و قلما يبّرّد حرّ الشوق بالعتب عاتب
و أبخل بالصبر الجميل، و إنه لينهيه من وارد البين ناهب
و لمّا بدت أعلام طيبة قصّرت من الشوق ما قد طولته السبابس
وقفنا و سلّمنا و فاضت دموعنا و حنّت إلى ذاك الجناب الركائب
نزلنا و قبلنا من الشوق تربها و طابت بذاك الترب ممّا الترائب

فللعين من تلك المعاهد نزهة و للقلب في تلك الرسوم المآرب
 حوت سيد الرسل الذي جلّ قدره له في مقام القرب تقضى المطالب
 به غالب حاز المفاخر سالفا و لا شرف إلّا الذي حاز غالب
 بهادى الورى طرّا مناصبه سمت و راقى بخير الرسل تلك المناصب
 محمد الهادى بإشراق نوره تمزّق من ليل الضلال غياهب
 ترقّى إلى السبع الطباق و ما بدا له في ترقّيه من الحجب حاجب
 و خاطبه في حضرة القدس ربّه و أدناه في حال الخطاب المخاطب
 نبىّ بدت أنواره و تلالأت فمناها تضىء النيرات الثواقب
 لقد أشرقت شمس النهار بنوره و بدر الدّجى لّمّا بدا و الكواكب
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٠٨
 أعللّ قلبى بالوصول لقبره و إن غبت ما قلبى و حقك غائب
 و إنى أناديه و إن كنت نازحا نداء غريب غرّبتة المغارب
 إذا كنت لى يا سيد الرسل شافعا فما أنا من نيل السعادة خائب
 بمدحك يا من جلّ قدرا و حظوة و جاها و تمكيننا تنال المواهب
 فيا معشر الأحباب إنّ نبينا إلى فوزنا داع و ساع و خاطب
 ألا فاذكروه كلّ حين و سلّموا عليه، بذاك الذكر تسم المراتب
 و قوموا على أقدامكم عند ذكره فذلك في شرع المحبّة واجب
 و منها قوله رحمه الله تعالى: [الكامل]

شمس الهدى و ضحت بأشرف مرسل و زجت دجى ليل الضلال المسبل
 من وجه عبد الله كان ظهورها للخلق طرّا في ربيع الأول
 خلعت على الآفاق أشرف ملبس و بدت فأى دجنّه لم تنجل
 فالتيران المشرقان كلاهما للمصطفى اعترفا بعجز مجمل
 فالشمس لّمّا أن بدت أنواره أومت إليه بالسلام الأحفل
 و البدر قابله بحسن كامل فانشقّ للبدر الأتمّ الأكمل
 و لليلة الإسراء أجمل منظر بجمال إسراء الحبيب الأجل
 فضلت على الأيام من شرف لما حازته من شرف النبىّ الأفضل
 و بها بدا نور النبىّ المصطفى و بدت لنا نار الكليم المصطفى
 إذ جاءه الروح الأمين مسلّما و مبشّرا بورود أعذب منهل
 فسرى إلى أسنى محلّ و ارتقى و الجفن منه بنومه لم يكحل
 رفعت له حجب الجلال بأسرها فرأى جلالا لم يكن بممثل
 حتى انتهى الروح الأمين لحده و بحيث يذهل عقل من لم يذهل
 ناداه لّمّا أن ترقّى وحده: لك يا محمد ذا التقرب ليس لى
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٠٩

ارقا إلى الأفق السنّي مشاهدا و اترك حظوظك بالحضيض الأسفل
و اسعد بزورة من تعاضم ملكه و اصعد إلى عرش الحبيب الأول
فسما فشاهد حضرة القدس التي سبحاتها تغشى حجا المتأمل
و بدا الكمال له و نودي مقبلا: أهلا و سهلا بالحبيب المقبل
أنت المراد لسرنا و لو حينا أقبل إلينا يا محمد تقبل
و البس بحضرة قدسنا خلع الرضا منا و جرّ الذيل منها و ارفل
و لك الوسيلة يا محمد عندنا و بها نجيب وسيلة المتوسّل
فاحكم بما يوحى إليك من الهدى و أنزل بأنوار الكتاب المنزل
فيه شفاء للصدور فبرؤها بمفصل منه و غير مفصل
يا نفس هل تشفيك زورة طيبة فرسومها براء لكلّ مقبل
و لى زمانك فى التصابى و المنى فدعى التصابى و الأمانى و ارحلى
يا قلب، روعات الجوى هل تنقضى عنى؟ ولوعات الجوى هل تنجلى
و أزور قبر الهاشمى محمد قبل الرحيل و قبل عدل العذل
إنى و إن بخل الزمان بقربه فبلوعتى و بدمعتى لم أبخل
أسقى الثرى تسكابها، فمعينها يهمى، و نار صبايتى ما تأتلى
لهفى على بعد المزار متى أرى يقضى الزمان بقرب ذاك المنزل
و متى أبشر بالمنى، و يقال لى: يقضى الزمان بقرب ذاك المنزل
و متى أبشر بالمنى، و يقال لى: هذا مقرّ الوحي دونك فانزل
و تهبّ تلقائى نواسم طيبة إنى أجود بها إليك و حقّ لى
فلقد بليت بلوعه و بدمعه و هبوبك الأزكى شفاء المبتلى
خيلت قربك براء داء صبايتى ضنّ البعاد به فطال تخيلى
شوقا إلى خير الأنام بأسرهم سؤلى و أسنى مقصدى و مؤملى
فيه أنا متوسّل فى مقصدى أسنى التوسّل بالرسول المرسل
و بجاهه عند الأنام ما ربي و وسائلى تقضى و إن لم أسأل
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣١٠
و به الأمانى قد حللن بساحتى و حوادث الحدّثان صرن بمعزل
بشراك نفسى فالأمانى أعجلت نحوى تبشّرني بخير معجل
بمديحه أضحى الزمان مسالمتى تندى أسره وجهه المتهلّل
فيه إلهى قد رجوتك راغبا دون الأنام فباب جودك موئلى
و إليك ربي رغبتى و توسّلى و عليك فى كلّ الأمور توكلّى

و ثبت فى آخر هذا الكتاب ما صورته: قال محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن يوسف بن العطار نفعه الله تعالى
بالعلم: كان الفراغ من إكمال هذا الفصل و إتمامه، حسب نثره و نظامه، ضحوة يوم الجمعة الثانى من شعبان المكرم سنة ست و تسعين
و ستمائة، ما عدا أربع قصائد اشتمل عليها، فإنها تقدّمت على إنشائه، أودعتها فيه، و الله سبحانه المستعان، و ذلك بمدينة الجزائر-

جزائر بنى مرغنة- من أقصى إفريقيا من أرض متيجة، صانها الله تعالى! انتهى.
و ثبت في آخره بخط بعض الأكابر ما نصّه: تأليف الفقيه العالم الأديب البارع أبي عبد الله محمد بن العطار الجزائري؛ انتهى.
و هو كتاب نفيس جمع فيه بين حسن النظم و الشتر، فالله تعالى يجازى صاحبه أفضل الجزاء! بمئه و كرمه.

[لابن العريف، في مدح الرسول]

و لا بأس أن نورد هنا من كلام أهل الأندلس بعض الأمداح النبوية زيادة على ما ذكر هنا فنقول:

قال العارف بالله تعالى ابن العريف في كتاب «مطالع الأنوار، و منابع الأسرار»: [الوافر]

و حَقِّكَ يا مُحَمَّدُ إِنَّ قَلْبِي يَحْبِبُكَ قَرْبَهُ نَحْوَ الْإِلَهِ

جرت أمواه حَبِّكَ في فؤادى فهام القلب في طيب المياه

فصرت أرى الأمور بعين حقّ و كنت أرى الأمور بعين ساهى

إذا شغف الفؤاد به و دادا، فهل ينهاه عن ذكره ناهى

يهيم بذكره و يحنّ شوقا حنين المستهام إلى الملاهى

يخامرهِ ارتياح منه حتى يقول أولو الجهالة: ذاك لاهى

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣١١

و ما هو حقّ فضل قد رآه فصار يجدّ في طلب الملاهى

فسوف ينال في الدنيا سرورا و فى الدار الأخيرة كلّ جاه

و يعطى ما تمنى من أمان كما قد حبّ محبوب الإله

و قال أيضا رحمه الله تعالى: [المجتث]

يا عاذلى فى طلابى دعنى من العذل دعنى

سأعمل العيس شوقا بالعزم دون التانى

إلى ضريح رسول مصدّق حسن ظنى

أشدو على كلّ فجّ حين الحمام يغنى

يا أظهر الخلق إنى بذلتى عبد قنّ

فأعتق اليوم رقى و انظر بعطفك منى

فأنت أنت ملاذى إياك إياك أعنى

إن غبت عن عين جسمى ما غبت عن عين ذهنى

لولاك كنّا أناسا أشرّ من كلّ جنّ

فإذ بعثت رسولا فخير فضل و منّ

لله خالص شكرى عساه يصفح عنى

فإننى عبد سوء قلبت ظهر المجنّ

و قال فى خاتمة ذلك الكتاب: [الكامل]

صلّى الإله على النبى الهادى ما لاذت الأرواح بالأجساد

صلّى عليه الله ما اسودّ الدجى فكسا محيا الأفق برد حداد

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا انبَلَجَ السَّنَى فَايْبُضُّ وَجْهَ الْأَرْضِ بَعْدَ سِوَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَمَّعَ الْحَيَا فَسَقَى الْبِلَادَ بَرَائِحَ أَوْ غَادَى
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَفَّتِ الصُّبَا وَشَدَا عَلَى فَنَنِ الْأَرَاكَةِ شَادَى
نَفَحَ الطَّيِّبُ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٩، ص: ٣١٢
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَلْفَ الْكُرَى جَفَنَ فِخَامِرَهُ لِذِيذِ رِقَادِ
صَلَّى عَلَى الْمُخْتَارِ أَحْمَدَ رَبِّهِ مَا اسْتَمْسَكَتْ نَارُ بَطْنِي زِنَادِ
صَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنْامِ مُحَمَّدٍ مِنْ خَصَّهِ بِالنُّورِ وَالْإِرْشَادِ
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى رَسُولِ حَاشِرِ حَشْرِ الْأَنْامِ لَدَيْهِ فِي الْمِيعَادِ
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى رَسُولِ عَاقِبِ فِي الدَّهْرِ وَهُوَ بِفَضْلِهِ كَالْهَادَى
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى رَسُولِ خَاتَمِ خَتَمِ النَّبُوَّةِ بِالْكِتَابِ الْهَادَى
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى الْمُقَفَّى مَا اقْتَفَى بَشَرَ نَبُوَّتَهُ بِغَيْرِ عِنَادِ
صَلَّى عَلَى مَاحِي الضَّلَالِ إِلَهَهُ مَا غَزَدَتْ طَيْرٌ عَلَى الْأَعْوَادِ
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى نَبِيِّ طَالِعِ بِمَلَا حَمٍ قَصَمَتْ فُؤَادَ الْعَادَى
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فَهُوَ نَبِيُّهُ نَادَاهُ بِالْإِرْشَادِ خَيْرِ مَنْادِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فَهُوَ رَسُولُهُ أَعْطَاهُ رَايَةَ عَزْمَةٍ وَرِشَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فَهُوَ خَلِيلُهُ أَسَدَى إِلَيْهِ مِنْهُ كُلُّ سَدَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فَهُوَ صَفِيَّتِيهِ صَفِيَّتِيهِ سِرِيرَتِهِ مِنَ الْأَحْقَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فَهُوَ وَلِيُّهُ وَالْإِلَهَ فِي الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ كُلِّ حَضَارِ الْعِبَادِ وَبَادَى
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُجْتَبَى يَجْبَى إِلَيْهِ الْخَيْرُ دُونَ نِفَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُتَّقَى نُورَ الزَّمَانِ وَوَاحِدَ الْآحَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ مِنْ بَرَاهِ مَطْهَرًا وَاخْتَارَهُ طُودًا مِنَ الْأَطْوَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ مِنْ بَرَاهِ بِفَضْلِهِ وَأَعَادَهُ حَيًّا لِغَيْرِ مَعَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ مِنْ أَرَاهِ جَلَالَهُ وَأَنَالَهُ مِنْ ذَاكَ كُلِّ مَرَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ مِنْ أَحَلِّ فُؤَادِهِ فِي ظِلِّ عَرْشِ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ مِنْ غَذَاهُ بِنِعْمَةٍ فَتَضَاعَفَتْ كِتَضَاعَفِ الْأَعْدَادِ
صَلَّى عَلَيْهِ مِنْ كَسَاهِ عَوَارِفًا وَاخْتَصَّه مِنْهُ بِخَيْرِ أَيَادِ
نَفَحَ الطَّيِّبُ مِنْ غَصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٩، ص: ٣١٣

[لأبي عبد الله بن عمران، في مديح الرسول]

وقال الشيخ أبو عبد الله بن عمران مادحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبا على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب، كما تقدم: [الكامل]

ألف: أيا خير البرية هذى مدحى، و ما أنا فى مقالى هاذى

باء: بها أظهرت صدق محبتي و بذلك الجاه الكريم لياذى
 تاء: اتخذت وسيلة ما حكته و جعلته يوم المعاد عياذى
 ثاء: ثنائى ليس يحصر فضلك ال زاهى و لا يحويه باستحواذ
 جيم: جلالك جلّ طور فخاره عن شبه مثل أو لحاق محاذى
 حاء: حبيت بمعجزات ذكرها يولى ذوى الإيمان كلّ لذاذ
 خاء: خصصت بها بفضل عناية منها لجأت إلى أجلّ ملاذ
 دال: دحضت بحقّها مستقريا إبطال زور مشعوذ بملاذ
 ذال: ذراع الشاة أفصح مخبرا عمّا يحاذر ضرّه بنفاذ
 راء: رميت عصائباً قد ألّبوا فعموا و لّمّا ينصروا بلواذ
 زاي: زعيم بالوجهة أنت إذ كلّ بجاهك عاذ كلّ عياذ
 سين: سبقت بكلّ فضل يغتدى جفن المعالى منه ليس بقاذ
 شين: شأوت مفاخرا كلّ الورى و تركتهم غرقى بلجّة آذى
 صاد: صعدت ذرا لموقف زلفه ترك السعود مقطّع الأفلاذ
 ضاد: ضويت إلى جلال كافل لك بالرضا درّ الجلالة غاذ
 طاء: طلايبك لديك شفاعه فيها بذذت الجمع أىّ بذاذ
 ظاء: ظمأؤهم بحوضك سوّغوا ريا كأنّ به مذاقه ماذى
 عين: علا ذكر افتخارك و ارتقى عن غمر مغتاب وزور الباذى
 غين: غمام قد علاك مظلاً يمشى بمشيك دائماً و يحاذى
 فاء: فصاحتك البليغة أعجزت للقوم من قبرى و من شدّاذ
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣١٤
 قاف: قواعد صرح كسرى زلزلت لولاده أوهت قوى ابن قباذ
 كاف: كفلت بما تلته (و الضحى) لجماعة الجارين باستنقاذ
 لام: لدعوتك المجابهة أسبلت ثروات هتان الحيا بهماذ
 ميم: معين يديك إذ غلب الظما أروى الورى من توأم و فذاذ
 نون: نجارك أصله متخّير من بطن ذات علا و أظهر حاذى
 هاء: هتفت على تنائى شقّتى بعلاك هذى، ما نحتك هذى
 واو: و لو أنى استطعت لسابقت قلمى خطا قدمى بالإغذاذ
 لا: لا أكيف قدر شوق باعث لعزائى مستنهض شخّاذ
 ياء: يمينا لو قدرت إذن لما أخرت سعى مبادر حذحاذ
 دامت عليك صلاة ربّك ما همت ديم بويل هاطل و رذاذ

[مدائح فى رسول الله صلى الله عليه و سلم مما نظمه ابن الجيان المرسى]

رجع إلى الكاتب أبى عبد الله بن الجيان الأندلسى:

قال- تقبل الله تعالى منه!- يمدح النبي صلى الله عليه و سلم: [المجتث]

يا من تقدس عن أن يحيط وصف بذاته

و من تعالى جلالا عن مشبه في صفاته

و من قبول ثنائى إليه أسنى هباته

صل على من تبدى نور الهدى من سماته

و من علا الفخر لما نمى إلى معلواته

محمد خير هاد بحلمه و أناته

محمد خير داع بالصدق من كلماته

محمد خير مبد لنا سنا معجزاته

أكرم به من نبى همت سما مكرماته

أعزز به من رسول سمت علا درجاته

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣١٥

و خصه الله منه بالفضل من تكمماته

لما حباه بأوفى صلواته فى صلواته

و قال: [المجتث]

يا رب بلغ سلامى لأحمد ذى الشفاعة

لخاتم الرسل أعنى إمام تلك الجماعة

لأبهر الخلق مجدا يحكى الصباح نصاعه

لمن صفات علاه تعجز أهل البراعه

لسيد لسناه يزهى السنه و اليراعه

لمرشد بهداه قد فاز عبد أطاعه

و ناظم الحسن نظما قد ضم منه شعاعه

و سر سرك يا من أرى العيون أطلاعه

و من حبا بذكاء خلاله و طباعه

و مد فى كل فضل لصفوة الرسل باعه

فزده يا رب فضلا و زد محبيه طاعه

و قال أيضا غيره: [الوافر]

لقد رفع الإله عن البرايا بعث محمد محن الصروف

أتى و الناس فى الآفاق نهب لسمر الخط أو بيض السيوف

فأنقذهم، و لولاه لكانوا لقي بين الضلالة و الحتوف

نبى لا يغل عليه إلا سخييف العقل ذو رأى مؤوف

كأغمار اليهود أو النصرارى أو الفلكى أو كالفيلسوف

فبعض للتجاهل و التعامى و بعض للتحير و الوقوف

زعانف لا يهلك لها رواء فإنّ الجهل مائحة الظروف
 إذا جرى بمختلّ ضعيف فإنّ صحاحنا فوق الألوف
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣١٦
 فبرهان النبوة مستفيض ندلّ به على رغم الأنوف
 شفوف الرّسل متّضح و لكن لأحمد الشفوف على شفوف
 حروف الخطّ أصل للمعاني و للألف التقدّم للحروف
 و ما أحسن قول القائل: [مجزوء الكامل]
 لو لا النّبىّ محمد هلك الورى فى سوء حاله
 أعلى الورى قدرا و أك رمهم و أظهرهم دلالة
 تم الإله به النبوة و الطهارة و الرسالة
 و اختصّه دون البرية بالمكانة و الجلاله
 بدر الرسالة و الصحابة حول ذاك البدر هاله
 قذف الحصار فى أعين ال كفّار فاعتنقوا الجداله
 و تدرّعوا ثوب الكآبة بعد إظهار الجزاله
 فأصبح إلى أنبائه تعلم بأنّ المنتهى له
 و إذا ابتغيت وسيلة و مدحته و مدحت آله
 فاقطع بأنك آمن يوم القيامة لا محاله

[من شعر أبى القاسم سعد بن محمد و أبى اليمن بن عساكر]

و قال أبو القاسم سعد بن محمد: [الكامل]
 أطلق لسانك بالصلاة على النّبىّ الأبطحى الهاشمىّ محمد
 و اجعل شعارك ذاك تنج به غدا إنّ النجاة بذكر يوم للغد
 و لأبى اليمن بن عساكر [الكامل]
 يا ربّ صلّ على النّبىّ و آله صلواتنا ما دامت الأيام
 و اخصص ختوم سلامنا بجنابه كالمسك يعبق فضّ عنه ختام
 و احرس شريعته و أوضح سبلها تبدو بها للسالك الأعلام
 و أدم كرامته و أعل مناره و أنله أعلى ما لديك يرام
 و ارفع له الدرجات فى رتب العلا فهو الذى للمرشدين إمام
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣١٧
 و أقمه بين يديك زلفى موقف للحمد ما لسواه فيه مقام
 و أنل شفاعته و أورد حوضه من لو أتاه يشتكى منه أوام
 و أتج له ما لا يرام حصوله إلّا ببقياه، و عزّ مرام
 و له عليه فى الأصائل و الضحى تهدى إليه تحية و سلام

و به إلى تقبيل موطئ نعله وجد له بين الضلوع أوام

[قصيدة أخرى لأبي اليمن بن عساكر]

و له أيضا رحمه الله تعالى: [الوافر]
 ألا إن الصلاة على الرسول شفاء للقلوب من الغليل
 فصل عليه؛ إن الله صلى عليه ولا تكونن بالبخیل
 وصل عليه قد صلت عليه ملائكة السماء بجبرئیل
 ألا إن الصلاة عليه نور لدى الظلمات فى اليوم المهول
 و تثقیل لمیزان خفیف و تخفیف من الوزر الثقیل
 إذا صليت صلى الله عشا بواحدة عليك على الرسول
 و تحظى بالشفاعة يوم تضحى و ما لك من مقيل أو منیل
 فأكثر أو أقل فأنت تجزى بذلك من كثير أو قليل
 فصل عليه تجز جزء ضعف و تجز مضاعف الأجر الجزيل
 و أولى الناس أكثرهم صلاة عليه به و أخرى بالقبول
 و أنجاهم من الأهوال عبد بها لهج بدل قال و قيل
 فكن لهجا بذكراه حفيًا بلياه و منصبه الجليل
 و صلّ مدى الزمان على رسول كريم مصطفى برّ وصول
 و صلّ على حبيب فاق فضلا مدى شأو الكلام مع الخليل
 و آتاه الوسيلة مستجيبا و بلغه نهاية كلّ سول
 و أزلفه و شفّعه ليأوى إليه الناس فى ظلّ ظليل
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣١٨
 و أظّد شرعه و حمى حماه و أيّده بواضحة الدليل
 و شرفّه و لم يبرح شريفا فيجمع جملة المجد الأثيل
 و زاد محبّه شرفا و فخرا بتفضيل و تنويل جزيل
 و زاد علاه منه بطول عمر قصي من مواهبه طويل
 و أوردنا عليه الحوض وفدا لنروى بالرّوى من سلسيل
 و له رحمه الله تعالى: [الكامل]

أدم الصلاة على النبى المصطفى تخلص بذاك من الجحيم و نارها
 و تولّ إقبالا عليها كلّما هتف المؤذن مشعرا بشعارها
 فالفخر أجمعه له فتلقه من نوبة الأسحار فوق منارها

فهذه عدة قصائد فى مدحه صلى الله عليه و سلم، أرجو من الله سبحانه أن تكون مكفرة لما ارتكبتة على وجه الفخر و الشهرة من
 الهزل و اللهو، فإنّ ذلك و الله قول لا فعل له، و إنما هو على نهج أهل الأدب كالحافظ شيخ الإسلام ابن حجر و غير واحد ممّن ألف
 فى الأدب و جمعه.

[مقطوعات لابن الجيان المرسي]

و لا بأس أن نرّزها بمقطوعات تكون للتكفير زيادة، و حقّ لمن توسّل بسيد الوجود صلى الله عليه و سلم أن لا تضيع وسائله، و كيف و هو صاحب المقام المحمود و الشفاعة و السيادة، فمنها قول ابن الجيان المذكور آنفا رحمه الله تعالى: [الطويل]

إلى أحمد المختار نهدي تحيةً تفوح روض الحزن بلله المزن
إذا نافحت مغناه زاد تأرجا و إن لثمت يمناه قابله اليمن
أسير أشواقى رسولا بعرفها لتسعدنا منه العوارف و المن
و أرجو إليه الفضل فهو منيله و ما خاب لى فيه الرجاء و لا الظنّ
عليه اعتمادى حين لا لى حيلة إليه استنادى حين ينبو بى الركن
به وثقت نفسى الضعيفة بعد ما أضرب بها من ضعف قوتها الوهن
إليه صلاتى قد بعثت مشفعا سلاما به الإحسان ينساق و الحسن
و قوله رحمه الله تعالى: [الطويل]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣١٩
أ يذهب يوم لم أكفر ذنوبه بذكر شفيح بالذنوب مشفّع
و لم أفض فى حقّ الصلاة فريضة على ذى مقام فى الحساب مرفّع
أرجى لديه النفع فى صدق حبه و من يرتج المختار لا شكّ ينفع
و أهدي إلى مثواه منى تحيةً إذا قصدت باب الرضا لم تدفع
و قوله رحمه الله تعالى: [البسيط]

يا أرحم الخلق يوم الحشر و الندم ارحم عبيدك يا ذا الطول و النعم
إنى توسلت بالمختار سيدنا الطاهر المجتبي من خيرة الأمم
إليك من سيئاتى إنها عظمت يا واحدا لم يزل فردا و لم ينم
عليه منك صلاة كلما طلعت شمس و ما خطّ فى الأوراق بالقلم
فهو الشفيح الذى أرجو النجاة به من الجحيم إذ الكفار كالحمم
و قوله أيضا رحمه الله تعالى: [الخفيف]

بحبيب القلوب معتمد الخلق أبى القاسم النبى الشفيح
قد تشفّعت من ذنوبى إلى ذى ال عزة الواحد العلى السميع
فاشفع اشفع يا خاتم الرسل يوم الح حشر و المشهد العظيم الفظيع
لظلم لنفسه قد تناهى فى الخطايا و كلّ فعل شنيع
فإذا ما تذكّر الذنب فاضت مقلته و اغرورقت بالدموع
لا نخيب رجاءه إنه من ربّه خائف كثير الخشوع
و عليك الصلاة بدءا و عودا ما أضاءت ذكاء عند الطلوع
و قوله أيضا عفا الله تعالى عنه: [البسيط]

يا ربّ إن شفيعى من ذنوبى فى يوم القيامة خير الخلق و النسم

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٢٠
 محمد خاتم الزسل المبلّغ للدين الحنيفي والإسلام للأمم
 عليه منى صلاة كلما سجع ال حمام فوق غصون البان و التسلم
 و بعد ذلك أعداد الجبال و رم ل الأرض و الطير و الحيتان و التعم
 كذاك أيضا سلامي طيب عطر عليه ما قام عبد في دجي الظلم
 لله و هو كتيب خائف و جل من الذنوب حزين القلب ذو ألم

[مقطوعات للإمام أبي زيد الفاززي]

و قول الشيخ الإمام أبي زيد الفاززي رحمه الله تعالى: [الكامل]
 كملت بنعت محمد خير الوري غرر القصائد كلها و حجولها
 و اختصّ دون الأنبياء بدعوة و سع العباد عمومها و شمولها
 فاضت على الثقلين منه أشعته طلعت و ما عقب الطلوع أفولها
 فالإنس تعلم أنه مقصودها و الجنّ توقن أنه مأمولها
 كم آية بالصدق كان ظهورها كم آية بالسبق كان نزولها
 و كفاك هذا الوحي فهو شهادة لمحمد لزم العباد قبولها
 جمع الإله المكرمات لأمة هذا النبي الهاشمي رسولها
 و قوله رحمه الله تعالى: [الرمل]

أي نور كشف الله به سدف الباطل عنّا أجمعين
 ختم الله به أنواره عند ما أكمل سنّ الأربعين
 و أتانا بدليل بين عجرت عنه دواعي المدعين
 فهو للناس جميعا مرشد و هو بالله تعالى مستعين
 تركت دعوته و هو الرضا سائر الخلق إليها مهطعين
 فأعد أنباءه فهو منى أنفس القائل و المستمعين
 و الذي يهدى إلى شرعته فهو مجّاج من العذب المعين
 و الذي يرغب عن سنّته فهو من شيعه إبليس اللعين
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٢١

و قوله و هو كما قبله لزومي: [الطويل]
 أصخ فلخير العالمين مناقب تدلّ على التمكين و الشرف الأسرى
 أتى و الوري أسرى فكان غياثهم بنور سماء ينقلوه عن الإسرا
 و عقى رسوم الكافرين و أهلها فلا قيصر من بعد ذاك و لا كسرى
 تقدّم كلّ العالمين إلى مدى تظّل به الأوهام ظالعة حسرى
 و خصّ بتشريف على الناس كلّهم و من لم يقل هذا تقوله قسرا
 ترقى إلى السبع الطباق ترقيا حقيقا و لم يعبر سفينا و لا جسرا

و بالجسم أسرى الله و هو دلالةً يَمُخَلُّها من لا تيسر اليسرى
فسبحان من أسرى إليه بعبده و بورك في السارى و بورك في المسرى
و كم عجب أوحى إلى عبده به فدونك تجميلا و لا تطلب القسرا
و قوله رحمه الله تعالى: [الرمل]

هاك عن هذا النبى المصطفى خبرا يقبله من سمعه
سيحت صم الحصى فى كفه ثم فى كف الهداة الأربعة
و إذا أبدى نبى عبرة فهو لا ينكر فيمن تبعه
أى نطق قد روى إعجازه عن سماع كل من كان معه
حجج الرسل التى قد سلفت أصبحت فى أحمد مجتمعه
فاعتقد صحتها و اعمل بها فداوى ضدها منقطعه
ممكناات العقل لا يجحدها غير أهل الطبع و المبتدعه
و قوله رحمه الله تعالى: [الوافر]

إذا أمّلت من مولاك قريبا فجدد ذكر خير الأنبياء
و صلّ عليه أول كل قول و آخره بصبح و المساء
فإن محمدا أعلى البرايا محلّا فى السيادة و العلاء
لواء الحمد فى يمنى يديه و كل الناس من دون اللواء
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٢٢
فحدّث عن دلائله فففيها شفاء للنهى من كل داء
و لست بناقل للعشر منها و هل تفنى الزواجر بالدلاء
فقل للسامعين قفوا فهذا محال ليس يحصر بانتها
براهين البسيطة ليس تحصى فدونكم براهين السماء
و قوله رحمه الله تعالى: [مجزوء الكامل]

أما يمين محمد و يساره فهما سماء
كلتاها إن صوح ال مرعى لنا طعم و ماء
و إذا أضرب بنا السقام و غيره فهما شفاء
فاعجب لكف فى الورى فيها عن المزن اكتفاء
فاقطع بأن محمدا فى الخلق ليس له كفاء
فإذا أصخت لآية فالنور فيها و الضياء
هذا الصباح الهاشمى بدا فليس له خفاء
فالأرض قد فتحت بمب عثه و فتحت السماء
و قوله رحمه الله تعالى: [الكامل]

بركات رسل الله غير خفية و محمد خير البرية أبرك
هذا النبى الهاشمى هو الذى هدى الأنام به و بان المسلك

كم آية لمحمد كم حجة عزّ الولي بها و ذلّ المشرك
دعواته مسموعة مرفوعة و الحس ليس يصح فيه تشكك
لا شيء أعجب من دليل واضح يحيا به بعض و بعض يهلك
أمسك بحبل محمد خير الوري تظفر بقصدك أيها المستمسك
و إذا عجبت لغايه في رفعه فمحلّ أحمد غايه لا تدرك
و قوله رحمه الله تعالى: [مجزوء الكامل]

قبح الإله الملحدي ن فإنهم جحدوا الضرورة
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٢٣
و المعجزات تواترت عن أحمد في كلّ صوره
و الله أعلى كعبه في خلقه و أتمّ نوره
كثر الطعام مع الشراب بكفه عند الضروره
و تكففته عناية من ربّه أعلت أموره
نادى البرية فالقلوب إلى أجابته مصوره
و حمى الشريعة بالدليل فدع معاندها و زوره
قل للمشكك حين يب دي في تشككه قصوره
بيني و بينكم الكتاب فدونكم فأتوا بسوره
و قال رحمه الله تعالى: [الطويل]

إذا بهرت للهاشمي دلالة فكم حجج في طيها و دلائل
فكم مرة أتى الغنى كفّ سائل و كم مرة أعطى المنى فكر سائل
له تحت أستار الغيوب شهادة معدّله لم تبق قولاً لقائل
يحدث عمّا كان أو هو كائن فقس آخرا من صدقه بالأوائل
إذا الصدق لم يعوزك في غدواته فلا شكّ في تصديقه بالأصائل
و حسبك في الأنباء بالغيب أنه ستسمعها بالنقل من قول قائل
و قوله رحمه الله تعالى: [البسيط]

يا ذا المعنى بهذا الذكر تسمعه في المدح تأثره في سيد الناس
هذا النبي، و من آيات أثرته في الطيب و الطول لا تجرى بمقياس
قد انقضت معجزات الغيب وافية صحيحة باستفاضات و إحساس
و هاك نوعاً من الإعجاز منتزها عن نقد منتقد أو صفح قرطاس
لا تعدم النقل عن آثار سيدنا فإنما نحن فيها بين أغراس
تنقل الأنف في النوار ينشقه من ياسمين إلى ورد إلى آس
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٢٤
إنّ القلوب إذا اعتلت خواطرها فذكر أحمد فيها المبريء الآسي
و قوله رحمه الله تعالى: [المتقارب]

تأدب إذا ذكر المصطفى بصمت اللسان و غصّ البصر
فإنّ التأدب عند السماع يفهم في النطق أو في النظر
و ردّد أحاديثها إنها دليل على صدق خير البشر
و صلّ عليه مدى ذكره فذلك يفضل ما يدخر
و لا تسترب في براهينه فتسلّك مسلك قوم آخر
فكم آية ظهرت للنبيّ و كم أثر عنده قد ظهر
و من شكّ في نور برهانه على أنّ برهانه قد بهر
فكبر على عقله أربعا و قل فوق طورك هذا الخبر
و قوله رحمه الله تعالى: [مجزوء الكامل]

اعمل بآثار النبيّ فإنها نور المبين
و اقبل نصيحتها ففيها العزّ و الشرف المكين
و اشدّد يمينك بالشرى عهّ إنها السبب المتين
خير البرية أحمد و الحقّ يصحبه اليقين
ذو قوّة عند الإله مقرب منه مكين
زان النبيّون الوريّ و محمد لهم مزين
هاد إلى طرق النجاة مؤيد فيها أمين
و الهج بمدح الهاشميّ فإنه الحصن الحصين
و لئن فعلت فلن تفوتك بعد ذا دنيا و دين
و هذا تسديس جعلته للكتاب مسك الختام: [الطويل]
و للناس أعمال فخير و ضده و ما يحسن الأعمال غير الخواتم
و إلّا فالأمداح النبوية بحر لا ساحل له، و فيها النثر و النظام، زاده الله شرفا و حباه أفضل الصلاة و أزكى السلام!
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٢٥

[تسديس في مدح الرسول من نظم أبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقري الأندلسي]

و هذه القصيدة من نظم الفقيه الأجلّ أبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقري الأندلسي - نفعه الله تعالى بيّته، و بلغه غاية أمنيته! - و ترتيبها على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب فيما عدا الروي فإنه على حرف الميم، و كذا آخر الشطر الذي قبله فإنه ميم أيضا، و هذا نصّه بحروفه ما عدا حرف الواو، فإنني لم أجده و كملته على منواله: [الخفيف]
حلّ في طيبة رسول كريم فعليه الصلاة و التسليم
صفوة الخلق خاتم الأنبياء مرشد الناس للطريق السواء
و العماد الملاذ في اللاواء و شفيع العصاة يوم الجزاء
يوم يبدو لديه جاه عظيم فعليه الصلاة و التسليم
أذهب الغيّ نوره و الغياهب فأضاءت مشارق و مغارب
و غدا الحقّ غالبا للأكاذب و بدت منه للأنام عجائب

صدق أقواله بها معلوم فعليه الصلاة و التسليم
لبراهين صدقه معجزات حيثما حلّ حلّت البركات
و سمت أربع به و جهات فبه قد تعرفت عرفات
و به تاه زمزم و الحطيم فعليه الصلاة و التسليم
لم يزل هاديا صدوق الحديث و وفيا بالعهد غير نكوث
و مجيبا لدعوة المستغيث و كريما نداءه فوق الغيوث
و يدها بالوجود جود سجود فعليه الصلاة و التسليم
بهج الحق أوضح الابتهاج سيد نوره أضواء الديات
خصه الله ليلة المعراج باصطفاء و رفعه و نتاج
و بتكليمه له التكريم فعليه الصلاة و التسليم
مصطفى مجتبي كريم صفوح للنبين جاهه ممنوح
فلاكرامه أجير الذبيح و نجا آدم و خلص نوح
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٢٦
و كذاك الخليل إبراهيم فعليه الصلاة و التسليم
بعثه كان رحمة للعباد دلهم بالهدى طريق الرشاد
و نفى كل باطل و عناد و دعا للإله دعوة هادي
فإذا الحق واضح مستقيم فعليه الصلاة و التسليم
أمه بالشكاه ظبي أخذ مستجيرا بجاهه يستعيد
و به كانت الوحوش تلوذ و له خاطب الذراع الحنيد
لا تذقني فإنني مسموم فعليه الصلاة و التسليم
أشبع الجيش و الطعام يسير و دعا نخلة فجاءت تسير
و همى من يديه عذب نمير و له البدر شقّ و هو منير
معجزات تحار فيها الفهوم فعليه الصلاة و التسليم
حجب النور في السماوات جازا فاحتوى الفضل و العلاء و حازا
فبه في غد نال المفازا و كفى أمه الرسول اعتزازا
أن تمنى يكون منها كليم فعليه الصلاة و التسليم
إنما الحكم منه عدل و قسط لم يجر في القضاء و الحكم قطّ
حبه في بلوغ قصدي شرط و بأمداحه ذنوبي تحطّ
و يزول العنا و تجلى الهموم فعليه الصلاة و التسليم
قد حمى ديننا برعى و لحظ و نفى روعنا بأمن و حفظ
و حباننا بما لدى الربّ يحظى هاديا راحما لنا غير فظّ
مثل ما نصّه الكتاب الكريم فعليه الصلاة و التسليم
نور برهانه جلا كل شرك و هداه أجار من كل هلك

أخير العالمين من غير شكّ فلکم رامة العداة بشكّ
 و هو فى كلّ حالة معصوم فعليه الصلاة و التسليم
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٢٧
 ما لخير الأنام منهم عدیل إنه مجتبی نبی رسول
 ما عسى مادح الشفیع یقول و بأمداحه أتى التنزیل
 و ثناه خلاله مرسوم فعليه الصلاة و التسليم
 نحن لو لا أتباعه لشقینا نور برهانه أرانا یقینا
 و غدا ما نخاف منه یقینا و کؤوسا بحوضه قد سقینا
 من رحیق مزاجه مختوم فعليه الصلاة و التسليم
 أحمد عند ربّه ذو اختصاص جاهه کامل بغیر انتقاص
 عدّه للمسیء یوم القصاص و شفیع لكلّ جان و عاصی
 یوم یجفو الحمیم فیہ الحمیم فعليه الصلاة و التسليم
 یدیه حوائج الكلّ تقضى و یجازى الذى أجاز و أمضى
 و ینادى الحیب أنت المرضی سوف نعطیک ما تحبّ و ترضی
 فتحکم یمضى لك التحکیم فعليه الصلاة و التسليم
 فاق بالمولد السعید ربیع إن فیہ بدا الجلال الرفیع
 من هو الذخر و العماد المنیع فملاذ للمذنبین شفیع
 و رؤوف بالمؤمنین رحیم فعليه الصلاة و التسليم
 أفصح الناس فى حدیث و أبلغ بین الوحى للأنام و بّلع
 طیب الحلّ قد أباح و سوّغ و لكم نعمه من الله سوّغ
 فلا حسانه علینا عمیم فعليه الصلاة و التسليم
 كان بالحقّ و الهدى معروفاً أجود الناس بالندی موصوفا
 شرف الله قدره تشریفا هادیا مرشدا رسولا شریفا
 مجده فى العلاء مجد صمیم فعليه الصلاة و التسليم
 وجهه بالبها أضاء و أشرق مجده فى صمیمه الأصل أعرق
 مسّ فى کفّه قضیبا فأورق بأصبع قد أشار للبدر فانشقّ
 ثم قاد عاد و هو بدر سلیم فعليه الصلاة و التسليم
 جاءه الوحى أنت خیر الناس بّلع الأمر لا تخف من باس
 و خذ العفو للأنام و واس و احمهم من مکاید الوسواس
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٢٨
 فعلیک البلاغ و التعلیم فعليه الصلاة و التسليم
 كان فى الله أثبت الناس جاشا لیس من غیره یخاف و یخشى
 فبکفّ من الحصا فلّ جيشا و عیون العداة بالترب أعشى

فنجنا المصطفى و خاب الظلوم فعليه الصلاة و التسليم
 قد سما قدره بغير تناهى و علا جاهه على كلّ جاه
 أمر بالتقى عن الشرّ ناهى من يطعه ينل ثواب الإله
 و له عنده النعيم المقيم فعليه الصلاة و التسليم
 عمدة الخلق للمفاخر حاوى بحماه يلوذ كلّ و ياوى
 مبلغ المعتفى الذى هو ناوى كيف يحصى ثناء أحمد راوى
 و عليه أثنى الكتاب الحكيم فعليه الصلاة و التسليم
 حسنه كالصباح بل هو أجلى و ندى كفه من الشهد أحلى
 و اعتلا قدره من السبع أعلى مدحه فى الكتاب ما زال يتلى
 فله الفخر و الثناء العظيم فعليه الصلاة و التسليم
 خصّه الله من رسول نبىّ فى جميع الورى بقدر علىّ
 و حباه منه بنور بهىّ فهدى الخلق للصرط السوىّ
 و صراط الهدى سوىّ قويم فعليه الصلاة و التسليم

[خاتمة الكتاب للمقرى]

قال مؤلف هذا الكتاب، العبد الفقير أحمد بن محمد المقرى المالكي - و فقه الله تعالى إلى حسن المتاب، و حباه الدخول فى زمرة من رفع عنهم بشفاعه المصطفى الإصر و العتاب:

هذا آخر ما سمح به الخاطر الكليل، من هذا المقصد الجليل، الذى يكون إلى ما وراءه من الطرف الأدبية خير دليل، و وضعته و القلب حليف شجن و غربه، و الفكر أليف حزن و كربه، و أنا أسأل الله تعالى الذى لا يرجى سواه، أن يجعل بناء ثابتا بحسن التية حيث البناء الذى فيه حظ النفس واه، و أن يكون ما طلبته فيه من الهزل بالجّد المذكور فيه مكفرا، و أن ينفع به من وجه إليه وجهته، فإنى قد جمعت فيه ما يندر جمعه فى غيره و كلّ الصيد فى جوف الفرا:

[المجتث]

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٢٩

يا من عليه اتكالى و من إليه متابى

جد لى بعفوك عنى إذا أخذت كتابى

و اعلم أنّ هذا الكتاب معين لصاحب الشعر، و لمن يعانى الإنشاء و النثر من البيان السحر. و فيه من الوعظ و الاعتبار، ما لم ينكره المنصف عند الاختبار، و كفاه أنه لم ير مثله فى فنه فيما علمت، و لا أقوله تزكية له، و يعلم الله تعالى أنى تبرأت من هذا العارض و منه سلمت، و لو لم يجز من الشرف إلّا ختمه بهذه الأمداح النبوية الشريفة، ذات الظلال الوريقة، لكان كافيا شافيا، وها أنا أجعل آخره

تنبيها للبيب، قول ابن حبيب: [السريع]

يا خير مبعوث له طلعة نور الهدى منها أقرّ العيون

جئت إلى ناديك أرجو القرى من غيث كفيك المغيث الهتون

كن لى شفيعا فارتكاب الهوى أوقعنى بين الشجا و الشجون

صلّى عليك الله سبحانه ما هزّت الريح قدود الغصون

و قال النواجي: [الوافر]

لقد أفرطت في حسن ابتداء و رمت تخلّصى يوم الزحام

فبالمختار أرجو عفو ربّي ليرشدني إلى حسن الختام

و كان الفراغ منه عشية يوم الأحد المسفر صباحها عن السابع و العشرين لرمضان سنه ثمان و ثلاثين و ألف، بالقاهرة المحروسة، و الحمد لله و كفى، و سلام على عباده الذين اصطفى، و ألحقت فيه كثيرا في السنه بعدها؛ فيكون جميعه آخر الحجّه تتمه سنه تسع و ثلاثين و ألف، و صلّى الله على سيدنا محمد، و على آله و صحبه و سلّم، دائما أبدا إلى يوم الدين، آمين.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٣١

فهرس الرسائل و الخطب و الوصايا للجزء التاسع من كتاب نفع الطيب

* ابن بطوطه: قطعه من رحلته ١٨٢

* ابن الجنان، أبو عبد الله: وصيه كتبها على لسان ابن هود ٢٣٧

رسالته إلى أبي المطرف بن عميره ٢٤٦

خطبه له مرتجله ٢٥١

رسالته إلى الرسول صلى الله عليه و سلم ٢٥١

من خطبه له طويله ٢٥٣

* على بن لسان الدين: رساله على لسان سلطانه ٢١٦

رساله أخرى على لسان سلطانه ٢٢١

رساله عن الغنى بالله ٢٢٦ * الكفعمي: رسالته إلى ابن الفرفور ١٨٨

* لسان الدين بن الخطيب

وصيته لأبنائه ٢٢٧

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٣٢

فهرس الجزء التاسع من كتاب نفع الطيب، من غصن الأندلس الرطيب» للمقرى التلمساني و هو آخر جزء من أجزاء الكتاب

الباب السابع من القسم الثاني من الكتاب، في ذكر تلامذه لسان الدين بن الخطيب ٣

الوزير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرک، الصريحى، ترجمه عن «الإحاطه» ٣

نماذج من قصائد ابن زمرک المطول ٥

قصيده له يصف فيها «الزرافه» و قد وفد بها الأحاديث على أبى سالم ملك المغرب ٩

قصيده أخرى لابن زمرک أنشدها السلطان ١٢

من شعره في غير المطولات ١٦

تقريظ لكتاب الشفاء عند ما شرحه ابن مرزوق ١٧

تعليقات من كلام على بن لسان الدين على ما كتبه أبوه في ترجمه الوزير ابن زمرک ١٨ ترجمه ابن زمرک عن الأمير ابن الأحمر ٢٠

قصيده لابن زمرک في التهته بالعيد ٢٦ لابن زمرک في الشكر ٣٢

مقطوعات لابن زمرک في وصف زهر القرنفل ٣٣

- قصيدة له يمدح فيها ابن الأحمر و يهنئه ٣٤
- قصيدة له فى المولد النبوى ٣٥
- قصيدة له فى التهنة، و فيها يصف الجند ٤٠
- قصيدة أخرى فى التهنة، و فيها يصف دار الملك ٤٤
- تخميس له يهنئ فيه ابن الأحمر بعوده من سبته ٥١
- قصيدة لابن زمرك يهنئ فيها بالعيد ٦٤
- قصيدة له فى التهنة أيضا ٦٨ قصيدة له يصف فيها نزهة لابن الأحمر ٧٣
- مقطوعات له فى الشكر ٧٦
- مقطوعات فى معان مختلفة ٨١
- مما أشده على لحد ابن الأحمر ٩٠
- له يستعطف السلطان أبا الحجاج ٩٢
- من شعره فى أبى الحجاج ٩٣
- له يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبى دلامة ٩٤
- موشحة لابن زمرك، يتشوق فيها إلى غرناطة ٩٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٣٣
- موشحة أخرى له ٩٧
- موشحة كتب بها إلى الغنى بالله ٩٩
- موشحة أخرى عارض بها موشحة ابن سهل ١٠١
- من موشحاته فى الصبوحيات ١٠٣
- موشحة له فى مالمقة ١١١
- موشحة أخرى له فى مالمقة ١١٢
- موشحة له فى الشفاء ١١٤
- موشحة له يهنئ فيها السلطان موسى بن أبى عنان ١١٦
- موشحة له أخرى فى وصف غرناطة ١١٧
- ترجمة أبى العباس أحمد بن جعفر، السبتى، الخزرجى، و ذكر بعض أحواله ١١٩
- رجع إلى ترجمة ابن زمرك ١٢٩
- بعض فوائده، عن الشاطبى ١٢٩
- موشحة لابن زمرك فى مدح الرسول ١٢٩
- من تلامذة لسان الدين الطيب ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا ١٣١
- و منهم الأديب أبو بكر بن جزى الكلبي ١٣١
- و منهم أبو عبد الله الشريشى ١٣١ و من تلامذة لسان الدين بن الخطيب القاضى الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة، المحاربى ١٣٢
- و منهم الكاتب أحمد بن سليمان بن فركون ١٣٦ الباب الثامن من القسم الثانى من الكتاب، فى ذكر أولاد لسان الدين ١٣٧

عدة أولاد لسان الدين ١٣٧

- محمد بن لسان الدين - علي بن لسان الدين - عبد الله بن لسان الدين ترجمة بقلم لسان الدين لابنه عبد الله ١٣٧

من شعر عبد الله بن لسان الدين قصيدة في مولد الرسول، سنة ١٣٨٧٦٤

و منه قصيدة يمدح بها السلطان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر ١٤٠

و له في إعدار ابن السلطان ١٤٣

و له، و أنشده السلطان ليلة الميلاد في سنة ١٤٦٧٦٥

بين لسان الدين و ابنه عبد الله ١٤٨

علي بن لسان الدين ١٤٩

تذييلات له علي كتاب «الإحاطة» لأبيه ١٥٠

في ترجمته محمد بن أحمد الهواري، الشهير بابن جابر ١٥٠

من شعر ابن جابر الذي لم يذكره لسان الدين ١٥١

مقصورة عجيبة من شعر ابن جابر رتبها علي حروف المعجم فيما قبل الألف المقصورة، و أتى من كل حرف بعشرة أبيات ١٥٤

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٣٤

قصيدة لابن جابر تتضمن التورية بأسماء سورة القرآن الكريم ١٦٩

معارضة لقصيدة ابن جابر، علي وزنها و رويها ١٧٢

قصيدة للشيخ القلقشندي جرى فيها مجرى ابن جابر ١٧٤

معارضة أخرى لقصيدة ابن جابر ١٧٦

خطبة نثرية للقاضي عياض تتضمن التورية بأسماء السور ١٧٨

خطبة لسعيد بن أحمد المقرئ عم المؤلف عارض بها خطبة القاضي عياض ١٨٠

من نظم ابن جابر ١٨١

و في معناه لشمس الدين الدمشقي ١٨١

من شعر ابن جابر أيضا ١٨٢

رجع لأولاد لسان الدين، من ترجمته علي بن لسان الدين ١٨٣

خطبة الكفعمي في التورية بسور القرآن الكريم ١٨٤

قصيدة في نسق سور القرآن للكفعمي أيضا ١٨٥

ترجمة إبراهيم بن علي الكفعمي ١٨٧

رجع إلى نظم ابن جابر ١٩٠

من شعر أبي جعفر، رفيق ابن جابر ١٩١

بين ابن عنين و الملك المعظم ١٩٢

مقطعات من شعر ابن جابر أيضا ١٩٢

قصيدة لابن جابر في فضائل الصحابة ٢٠١

مقطوعات من شعر ابن جابر أيضا ٢٠٧

من شعر أبي جعفر، رفيق ابن جابر ٢١١

- عود إلى ذكر علي بن لسان الدين ٢١٦
- نصيحة من إنشائه كتبها علي لسان السلطان، وفيها عجائب مما أوصى به الولاة ٢١٦
- و له أيضا علي لسان السلطان ٢٢١
- كتاب من إنشاء علي بن لسان الدين عن لسان السلطان الغنى بالله ٢٢٦
- وصية لسان الدين لأولاده ٢٢٧
- وصية من إنشاء ابن الجيان المرسى، كتبها عن ابن هود ملك الأندلس إلى أخيه ٢٣٧
- من شعر ابن الجيان المرسى ٢٤٤
- من ترجمة ابن الجيان عن «الإحاطة» ٢٤٥
- من نثر ابن الجيان رسالة كتب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٥١
- ترجمة ابن الجيان عن «عنوان الدراية» ٢٥٧
- من بديع نظم ابن الجيان تخميس في مديح النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥٨
- قصيدة مخمسة لبعض أهل المغرب ٢٦٢
- قصيدة مخمسة لمؤلف هذا الكتاب ٢٦٣
- قصيدة في مديح الرسول الأكرم لابن الجيان المرسى ٢٦٤
- قصيدة مخمسة في المديح لإدريس بن
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٩، ص: ٣٣٥
- موسى القرطبي ٢٦٥
- تقريظ لابن الجيان على قصيدة إدريس بن موسى السابقة ٢٦٨
- قصيدة مخمسة لابن سهل الأشيلي ٢٦٨
- قصيدة مخمسة لبعض الوعاظ ٢٧١
- قصيدة مخمسة لبعض أهل المغرب ٢٧١
- قصيدة مخمسة لمالك بن المرحل المالقى السبتي ٢٧٤
- قصيدة مخمسة في مدح النبي، لأبي العباس أحمد بن محمد المغربي ٢٧٨
- قصيدة مخمسة في مدح الرسول الأكرم، لابن القصير ٢٨٤
- لجمال الدين بن جلال الدين الجوزي في مدح النبي ٢٨٥
- تسديس في مديح الرسول، لمحمد بن العفيف، الحسنى، الصفوى ٢٨٦
- تسديس آخر لابن العفيف الحسنى الصفوى ٢٩٠
- تسديس آخر في مدح النبي المصطفى لأبي عبد الله بن العطار، الجزائرى ٢٩٤
- تسديس آخر في مدح الرسول ٢٩٩
- قصيدة في مدح الرسول لابن العطار ٣٠٢
- حديث عن كتاب لابن العطار في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ٣٠٣
- من قصائد كتاب ابن العطار في المديح ٣٠٤
- لابن العريف، في مدح الرسول ٣١٠

لأبي عبد الله بن عمران، في مديح الرسول ٣١٣
 مدائح في رسول الله صلى الله عليه و سلم مما نظمه ابن الجيان المرسى ٣١٤
 لأبي القاسم سعد بن محمد ٣١٦
 لأبي اليمن بن عساكر ٣١٦
 قصيدة أخرى لأبي اليمن بن عساكر ٣١٧
 مقطوعات لابن الجيان المرسى ٣١٨
 مقطوعات للإمام أبي زيد الفازازى ٣٢٠
 تسديس في مدح الرسول من نظم أبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقرى الأندلسى ٣٢٤
 تم فهرس الجزء التاسع من كتاب «نفع الطيب، من غصن الأندلس الرطيب»
 و به تم جميع الكتاب، و الحمد لله رب العالمين

[الجزء العاشر]

[فهارس]

١- فهرس الأعلام

حرف الألف

الآبلى (محمد بن إبراهيم أبو عبد الله) (٦) ١٨٩، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٨٩، ٣٠٥، (٧) ٢٧٨ (٨) ٣١٤.
 ابن آجروم (محمد بن محمد بن داود الصنهاجى) أبو عبد الله (١) ٩٣ (٣) ٢٧٩.
 ابن آجروم، منديل أبو المكارم (٦) ٣٤٦ (٨) ٣٠٤، ٣٠٥.
 الآجرى، أبو بكر (٢) ٢٦٠، ٢٨٧ (٣) ٢٢٨.
 آدم (أبو البشر) (١) ٥٩، ١١١، ١٥١ (٢) ٣٨١، ٤٣٤، ٤٧٠ (٣) ١٣٣ (٤) ٢٠٩، ٤١٢ (٥) ١٩٢، ٢٣٤، ٤٢٠ (٦) ٤١، ٩٦، ١٢٧، ١٣٨، ١٣٩،
 ١٥٥، ٢٦٢، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٨، ٢٦٣، ٣٥٩، (٧) ٢٤، ٢٨، ٣٦، ١٦٤ (٨) ٦٨، ٧١، ٧٤، ١٩٩، ٣١٨، ٣١٩ (٩) ٤٤، ١٦١، ٢١٤، ٢٥٠، ٢٥١،
 ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٨٢، ٣٢٥.
 الأمر بأحكام الله الفاطمى (٢) ٤١٤، ٤١٥.
 آسية (٦) ٢٩٩.
 الآبى (٢) ٢٤٩.
 الحافظ ابن الأبار القضاعى، أبو عبد الله (١) ٢٤٩، ٣٠٧ (٢) ١٩١، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٥٤، ٤١٠، ٤٤١ (٣)
 ١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٩٢،
 ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٠، (٤) ٢٤، ٥٦، ٩٢، ١٢١، ٢٢١، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٧، ٣٩٣، (٥) ٥، ٦، ٨، ٥٥، ٦٠، ٦١، ٦٢، ١٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١١،
 ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٥، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٧٧، ٣٨٢، ٣٨٥، (٦) ٤٣، ٥٩، ٢٠٠، (٧) ٧٦ (٨) ٢٣٠.
 أبان بن عبد الرحمن الأوسط (٤) ٣٤٨.
 إبراهيم (الخليل) (٢) ٢٢٢، ٣٣٨، (٣) ٥٢ (٤) ٦ (٥) ٤١٢ ٢٤٦ (٦) ٢٩، ٧٣، ٩٦، ١٢٧، ١٥٥، ٢٤٥، ٣٢٩ (٧) ١٥١، ٢٤٤، (٨) ٦٧، ١٧١،

- ١٨٨، ١٩٨، (٩) ١٣٩، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٣، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٤، ٣١٧، ٣٢٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤
إبراهيم البدوي (٥) ٢٢٠.
- إبراهيم الرندي (والد ابن عباد) (٦) ٢٨٤.
- إبراهيم المريني (السلطان)، انظر: أبو سالم ابن أبي الحسن المريني.
إبراهيم المصمودي (٦) ٣٥٣.
- إبراهيم الموصلبي (١) ٢٧٠ (٣) ٣٨٤.
- إبراهيم النخعي (٤) ٦٥.
- إبراهيم بن أبي العنيس (٢) ٢١٦.
- إبراهيم بن أبي الفتح الأصلح (٦) ١١٤، ١١٦.
- إبراهيم بن أبي يعمر أبو إسحاق (٩) ١٢٧.
- إبراهيم بن أحمد الباعوني، انظر: الباعوني الدمشقي، برهان الدين.
إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (الأمير) (٣) ٣٩٢.
- إبراهيم بن أحمد بن فتوح، انظر: ابن فتوح أبو إسحاق مفتي غرناطة.
إبراهيم بن إدريس العلوي (٥) ٦٧.
- إبراهيم بن إسحاق بن بدر الدين بن لؤلؤ النوري (٨) ٢٩٣.
- إبراهيم بن أيوب المرسى، أبو إسحاق (٤) ١٢٢.
- إبراهيم بن جعفر، أبو إسحاق (الفقيه) (٢) ٢٥١.
- إبراهيم بن حجاج اللخمي (٣) ٣٩٧.
- إبراهيم بن حزم الغافقي، أبو إسحاق (٣) ٢٠٣.
- إبراهيم بن حكم السلوي، أبو إسحاق (٦) ١٨٤، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢.
- إبراهيم بن حكيم الرندي أبو إسحاق (٣) ٢١٨.
- إبراهيم بن خفاجة، انظر: ابن خفاجة أبو إسحاق (٧) ٤٦.
- إبراهيم بن خلف بن منصور الغساني السهوري، أبو إسحاق (٣) ٣٩٣، ٣٩٤.
- إبراهيم بن الدباغ الإشبيلي، أبو إسحاق (٥) ٣٥٣.
- إبراهيم بن سعيد الحذاء (٤) ٢٢٧.
- إبراهيم بن سليمان الشامي (٣) ٣٨١.
- إبراهيم بن سهل الإسرائيلي، انظر: ابن سهل الإسرائيلي.
- إبراهيم بن صالح القروي، أبو إسحاق (٣) ١٢٠.
- إبراهيم بن طريف، أبو إسحاق (٢) ٢٢١.
- إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي يحيى، أبو إسحاق (٦) ٢٠٠، ٣١٩، ٣٢١، ٣٣٣، ٣٤٢.
- إبراهيم بن عبد الرزاق (٣) ٤٠٠.

إبراهيم بن عبد العزيز الميرني، انظر: أبو سالم ابن أبي الحسن الميرني (السلطان).

إبراهيم بن عبد الله القصار (٢) ٢١٦.

إبراهيم بن عبد الله بن أبي يعمر، أبو إسحاق (٤) ٦١.

إبراهيم بن عبد الله بن الحاج النميري، انظر:

ابن الحاج الغرناطي.

إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم البرناسني، أبو إسحاق (٦) ٢٠٩.

إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الرندي (٦) ١٨١، ١٨٢.

إبراهيم بن عبدون (١) ٤٨.

إبراهيم بن العفيف النابلسي، أبو إسحاق (٣) ٢٧٩.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٥

إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد، انظر:

الكفعمي.

إبراهيم بن علي بن المأمون (٢) ١١٥.

إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي (٣) ١٦٦.

إبراهيم بن عيسى الشيباني (٣) ٢٢٧.

إبراهيم بن عيسى بن مزاحم (١) ٢١٤.

إبراهيم بن فائد (٦) ٣٥٤.

إبراهيم بن الفخار اليهودي (٤) ٣٠٤.

إبراهيم بن قاسم، أبو إسحاق، انظر: الأعلام البطليوسي.

إبراهيم بن القاسم القروي، انظر: ابن الرقيق المؤرخ.

إبراهيم بن قاسم بن هلال (٢) ٣٦٦.

إبراهيم بن مبشر (المقري) (٣) ٤٠٠.

إبراهيم بن محمد الأكرمي الدمشقي (٣) ٦٥.

إبراهيم بن محمد الساحلي أبو إسحاق (٣) ٢٤٦.

إبراهيم بن محمد بن الأفليلي، انظر: ابن الأفليلي.

إبراهيم بن محمد بن يزداد (٣) ٣٣٤.

إبراهيم بن مسعود الإلبيري الزاهد، انظر: أبو إسحاق الإلبيري الزاهد.

إبراهيم بن مسعود الآيلي، برهان الدين (٦) ٣٢٤.

إبراهيم بن منبه الغافقي، أبو أمية (٣) ٢٠٤.

إبراهيم بن المنذر (٢) ١٨٥، ٢١٨ (٣) ١٢٧.

إبراهيم بن المهدي (٨) ١٠٨.

إبراهيم بن موسى (٢) ٢١٩.

إبراهيم بن مزين (أبو إسحاق) (٤) ١٥.

- إبراهيم بن نصر الحموي ثم المصري ابن الفقيه (٢) ٥٥.
- إبراهيم بن هبة الله، أبو طالب (٣) ٢٢٤.
- إبراهيم بن هشام الغساني (٣) ١٢٧.
- إبراهيم بن هلال بن هارون الصابي، انظر:
الصابي، أبو إسحاق.
- إبراهيم بن الهيثم البلدي (٦) ١٩٣.
- إبراهيم بن يعقوب الكاتمي الأسود (٥) ٢٨٣.
- إبراهيم بن يوسف بن تاشفين (٥) ٢٠، ٣٥٠ (٨) ٢٢٠، ٢٣١، ٢٤٠، ٢٤١.
- إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (٤) ١٩٨.
- إبراهيم بن يوسف بن قرقول، انظر: ابن قرقول.
- إبراهيم تلميذ المقرئ (٣) ٧٢.
- أبو إبراهيم (الفقيه) (١) ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥ (٢) ٨٣، ١٩٤.
- أبو إبراهيم الأعرج (صاحب الطرر) (٧) ٢١٣.
- الأبرش الكلبي (٢) ٢٦٠.
- ابن الأبرش، أبو القاسم (٣) ٧ (٥) ٢٣٢ (٦) ٢١٩.
- أبطريقس (قائد) (١) ١٢٣.
- الأبلي (أبو عبد الله) (٦) ١٨٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، (٦) ٢٨٢، ٢٨٥، ٣٠٠.
- الأبهري، أبو بكر القاضي المالكي (٢) ٣٦٥.
- الأبيض أبو بكر (محمد بن أحمد الأنصاري) (٤) ١٠٨، ٢٠٣، ٢٣٧، ٢٤٨.
- الأبي، أبو عبد الله (٧) ٣١٧.
- ابن أبي الأحوص (الحسن بن عبد العزيز) أبو علي (٢) ٣٤٦ (٣) ١٤١، ١٤٦، ١٥٥، ١٦٦، ١٧٨، (٧) ٥٤، ٥٥، ١٣٤.
- ابن أبي الأصعب، زكي الدين (١) ٤٣ (٢) ٣٩٣، ٣٩٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٦
- الأبياني، أبو العباس (٦) ٢٥٣.
- ابن أبي البقاء، أبو عبد الله (٣) ٣٩٦ (٦) ٤٣.
- ابن أبي بكر (عثمان) فخر الدين (٦) ٣٢٤.
- ابن أبي تليد (٣) ٢٣٦.
- ابن أبي تمام (٣) ٢٢٢.
- ابن أبي تميم الفقيه (٣) ٣٦٢.
- ابن أبي جمرة (محمد بن مروان بن خطاب) أبو بكر (٢) ٢٩٦، (٣) ١١٨.
- ابن أبي جمعة الوهراني (محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٩) ١٧٩، ١٨٠.
- ابن أبي الحباب (أحمد بن عبد العزيز) اللغوي (٢) ٩٧، ٩٨.
- ابن أبي حبيب الأندلسي (عبد الله بن عيسى بن عبد الله) أبو محمد (٢) ٢٨٦ (٣) ١٩٨.

- ابن أبي الحديد، أبو الحسن (٣) ٢٢٩ (٨) ٢٤٢.
- ابن أبي الحسين القرطبي (محمد بن علي بن الحسن) أبو عبد الله (٢) ٢٤٣، ٤١٠.
- ابن أبي الحصين (٥) ١١٠.
- ابن أبي حكيم (راشد بن إسحاق الكاتب) (٢) ٣٨٠.
- ابن أبي حلي (٤) ٣٢٩.
- ابن أبي خالد (ثائر ياشيليه) (١) ٣٤٥ (٥) ٨ ٩.
- ابن أبي الخصال الشقوري الكاتب، أبو عبد الله (٤) ٢٥، ٣٢، ٢٥٢، ٢٩٨، ٣٦٦ (٥) ٩٢ (٨) ٢٢٦.
- ابن أبي خيثمة (أحمد بن زهير) (٢) ٢١٦.
- ابن أبي درهم، أبو الحزم (٣) ٢٠٤.
- ابن أبي درهم الوشقي، أبو بكر (٣) ٢٤٢.
- ابن أبي دلامة، (حسين بن صالح) أبو علي (٧) ٧٦.
- ابن أبي دلامة، أبو زكريا (١٠) ٩٤.
- ابن أبي دليم (٢) ٣٥١ (٣) ٢٢٧.
- ابن أبي الدنيا، أبو بكر (٣) ٢٢٣، ٢٢٤.
- ابن أبي دؤاد (كاتب المأمون) (٢) ٢٠٥ (٨) ٢٣٦.
- ابن أبي الدوس، أبو بكر (٤) ٤٠٠.
- ابن أبي الربيع الشاطبي (محمد بن سليمان المعافري) أبو عبد الله (٢) ٣٤٣.
- ابن أبي الربيع الغرناطي، أبو عبد الله (٢) ٢٨٦.
- ابن أبي الربيع النحوي، عبد الله أبو الحسين (٢) ٢٨٩، ٣٤٥ (٥) ٨١ ٨٢ (٦) ١٩٤، ٢٢٥، ٢٩٣، ٣٥٠ (٧) ١٣، ١٤ (٨) ٢٩٥.
- ابن أبي الربيع بن سالم (٦) ١٧٠.
- ابن أبي ركب، أبو الطاهر الجباني (٥) ٥٥، ٩٤، ٢٣٥، ٢٣٦.
- ابن أبي رمانة (محمد بن علي) أبو عبد الله (٦) ١١٩، ٢٩٠ (٧) ١٥١.
- ابن أبي رندقة: انظر: الطرطوشي، أبو بكر.
- ابن أبي روح الجزيري (٢) ٢٥١.
- ابن أبي زمنين (٤) ٣٢٧.
- ابن أبي زيد، أبو محمد (٢) ٢٢٦، ٢٤٧، ٢٦٢، ٢٩٨، ٣٦٨ (٣) ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٥٣ (٦) ٣٢٠.
- ابن أبي السداد الباهلي (عبد الواحد) أبو عيسى (٦) ٣١٩ (٩) ٢٤٥.
- ابن أبي سرح (١) ٢٥٦.
- ابن أبي السعادات المرورودي، أبو محمد (٣) ١٩٨.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٧
- ابن أبي السنان (٢) ٣٠٢.
- ابن أبي شيبه، أبو بكر (٣) ١٢٨ (٤) ١٦.
- ابن أبي سفیان (٩) ٢٤٧.

- ابن أبي الصبر، أبو عبد الله (٤) ٢١٨.
- ابن أبي الصيف اليمنى، أبو عبد الله (٣) ١٢١.
- الأبيض (محمد بن أحمد الأنصارى الإشبيلي) أبو بكر (٤) ٢٧١، ٢٧٢.
- ابن أبي طاهر (٤) ١٩.
- ابن أبي العاصى، أبو إسحاق (٥) ٢٥٣، ٣٩٤ (٧) ٤٠، ٥٣.
- ابن أبي العافية (٢) ٣٦٧.
- ابن أبي العافية، أبو زيد (٤) ٣٨٩، ٣٩٠.
- ابن أبي العافية، أبو القاسم (٤) ٣٨٠.
- ابن أبي عامر، انظر: المنصور بن أبي عامر.
- ابن أبي عصرون، أبو محمد (٣) ١٣.
- ابن أبي عيسى (٤) ٣٢٩.
- ابن أبي العيش (الملحد) (٤) ١٠٥.
- ابن أبي العيش، أبو الحسن (٣) ١٢.
- ابن أبي الفياض (أحمد بن سعيد بن محمد) (٢) ١٨٧ (٤) ٢٤.
- ابن أبي كامل (٣) ٣٣٤.
- ابن أبي كرامة، أبو القاسم (٣) ٣٩٣.
- ابن أبي اللحم، أبو على (٤) ٢٤٦.
- ابن أبي ليلي (٤) ٢٤٤.
- ابن أبي المجد الرعيني (عبد الله بن عبد البر).
- أبو محمد (٤) ٣٨١.
- ابن أبي مدين (٨) ٥١.
- ابن أبي مدين، أبو عبد الله (٥) ٢٩١، ٢٩٦ (٧) ٣٠٨.
- ابن أبي مدين، أبو الفضل (٤) ١٨٦.
- ابن أبي مدين، أبو المجد (٥) ٤٤.
- ابن أبي مدين، أبو يحيى (٤) ٨٥، ٨٦.
- ابن أبي المنصور (٣) ١٥٧.
- ابن أبي الموات (٢) ٢٢٣.
- ابن أبي نسمه (١) ١٢٦.
- ابن الأثير (١) ٨٦ (٢) ٣٩، ٢٦٤ (٥) ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٦ (٤) ١٥.
- أثير الدين أبو حيان النحوى الغرناطى (٢) ٢١٢، ٢١٣، ٢٨١، ٢٩٧، ٣٣٣، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧٠، ٣٨٠، ٣٨٣، ٤٤٢، ٤٤٨ (٣) ٧، ٨، ٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٦، ١٩٧، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٩٩ (٤) ١٧٧، ٢٢٩، ٣٠٤، ٣٩٢ (٥) ٥٣ (٦) ٣٥٣، ٣٤٩ (٦) ١٥، ٧٨، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٩، ٣٢٥، ٣٢٦.

- أبو الأجر الكلابي (جعونة بن الصمة) (٤) ٢١.
- ابن أحبانا، أبو محمد (٥) ٣١٣.
- الأحدب البغدادي (٦) ٢٤٢.
- ابن أحلى (٦) ٣٧.
- أحمد (في الشعر) (٥) ٩٦.
- أحمد الفيلسوف (٢) ٥٨، ٣٤٥.
- أحمد الإشبيلي، أبو العباس (٤) ٢٥٣.
- أحمد أقبغا (٥) ٣٠٢.
- أحمد البزار (٢) ٣٥١.
- أحمد البهنسي (٣) ٧٩.
- أحمد التونسي الشهير بالمصري (٢) ٣٤٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٨
- أحمد الجذامي، أبو جعفر (٣) ٢٧٩.
- أحمد الخزرجي القرطبي، أبو العباس (٤) ٢٢٣.
- أحمد زروق (٢) ٣٢٧ (٦) ١٧٣، ٢٢٩، ٢٥٤، ٢٨٤.
- أحمد السياسي القيسي المري، أبو جعفر (٥) ٢٥٣.
- أحمد الشاهيني (١) ٦٩، ٧٤، (٣) ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٧٤، ٧٩، ٨١.
- أحمد المحاسبي (٦) ٢٣٥.
- أحمد المحدود، أبو جعفر (٦) ١٦٨.
- أحمد المرواني (٤) ٣٥٩.
- أحمد المقريني الشاعر، انظر: الكساد.
- أحمد المثلث، أبو العباس (٦) ١٩٣.
- أحمد المنصور الذهبي، انظر: المنصور الذهبي.
- أحمد اليوناني (٢) ٨٨.
- أحمد بن أبان بن سيد (٤) ١٨، ١٨٢.
- أحمد بن إبراهيم بن كوران المخزومي (٣) ٢٠٢.
- أحمد بن إبراهيم المرادي العشاب (٦) ٣٢٦.
- أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي، انظر: ابن الزبير، أبو جعفر.
- أحمد بن إبراهيم بن صفوان، انظر: ابن صفوان المالقي.
- أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدي الفشتالي، أبو العباس (٣) ٢٧٥.
- أحمد بن أبي بكر الزهري، أبو مصعب (٣) ١٢٠.
- أحمد بن أبي سالم المريني، أبو العباس (٦) ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٨، ٢٨٧ (٧) ١٤٢ (٩) ١٤٩.
- أحمد بن أبي طاهر طيفور (٣) ٣٩١ (٤) ١٣.

- أحمد بن أبي عبد الرحمن يزيد القرشي الزهري (٣) ٣٩٩.
- أحمد بن أبي عبد الله بن أمية البلنسي، أبو العباس (٤) ٧٠.
- أحمد بن أبي عبده (٤) ٣٤٣.
- أحمد بن أبي الفتح نصر الله بن باتكين (٣) ١٥٦.
- أحمد بن أبي الفضل السبتي، أبو العباس (صاحب سبتة) (٢) ٣٨٧.
- أحمد بن أبي القاسم الحسنی، أبو العباس (القاضي) (٧) ٢٥٩.
- أحمد بن أبي الوليد الباجي، أبو القاسم (٢) ٢٣٤ (٣) ٢٤٦.
- أحمد بن أبي يعقوب انظر التيفاشي.
- أحمد بن الأحمر، أبو العباس (١٠) ٥٧.
- أحمد بن إدريس بن سعيد الأندلسي (٣) ٢٧٨.
- أحمد بن إسحاق النيسابوري، أبو نصر (٦) ١٩٣.
- أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني، أبو الخير (٣) ٣٣٦.
- أحمد بن أفلح (٤) ٣٨٥.
- أحمد بن أمية البلنسي (٤) ٢٤٩.
- أحمد بن أيوب اللمائي، انظر: اللمائي أبو جعفر.
- أحمد بن أيوب، أبو الحسن (٤) ١٤١.
- أحمد بن برد القرطبي أبو حفص، انظر: ابن برد القرطبي.
- أحمد بن بلال، أبو العباس (٥) ١٧.
- نعم الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٩
- أحمد بن تليد الكاتب (٤) ٣٨٥.
- أحمد بن الجزائر البطرني، أبو جعفر (٤) ٢٦٩.
- أحمد بن جعفر البغدادي، أبو بكر (٣) ١١٩.
- أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي، أبو العباس (٣) ٢٠٤، ٣٦٣ (٦) ٣٤٥ (٨) ٨٧ (٩) ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨.
- أحمد بن جعفر بن عبد الله بن جحاف البلنسي (أبو عبد الرحمن) (٤) ٣٩٣.
- أحمد بن الحاج، انظر: مدغليس.
- أحمد بن حدير (٤) ٢١.
- أحمد بن الحسن المديوني (٦) ٣٥٦.
- أحمد بن الحسن المستعمل، أبو غالب (٦) ١٩٣.
- أحمد بن حسن الموصلی (٨) ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٩.
- أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعي، أبو جعفر (٣) ١٣.
- أحمد بن الحسن بن الحارث أبو جعفر النخعي، انظر: الأشتر النخعي أبو جعفر.
- أحمد بن حكم، أبو جعفر (٦) ١٦٩، ١٧٠.
- أحمد بن حماد (٢) ٢٢٧.

- أحمد بن حنبل (١) ٩٨ (٢) ٢١٥، ٢١٩ (٣) ٤٠، ٥٣، ٩٦، ١٢٨، ٢٢٧، ٢٧٩، (٤) ١٦، ٤٦، ٣١١ (٥) ٨٢ (٦) ١٠٥، ٢٣٧، ٢٤٧.
- أحمد بن حنون الإشبيلي أبو العباس، انظر:
ابن حنون الإشبيلي.
- أحمد بن خالد (فقيه الأندلس) (٢) ١٩٠، ٢١٨، ٢٩٥، ٢٩٦ (٣) ١٢٦، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٨ (٤) ٦٥.
- أحمد بن خلف الشيرازي، أبو بكر (٣) ٣٣٧.
- أحمد بن الخليل، أبو حامد (٣) ١١٩.
- أحمد بن الخيال الأستبي، أبو جعفر (٤) ٣١٢.
- أحمد بن خليش الزبيري، شهاب الدين أبو العباس (٦) ٣٢٥.
- أحمد بن دحيم (١) ٣٠٧.
- أحمد بن الدودي، أبو جعفر (٥) ٩٢.
- أحمد بن رضى الملقى، أبو جعفر (٤) ١٣٧، ١٩٠.
- أحمد بن رميلة القرطبي، أبو العباس (٥) ٢٧١، ٢٧٤.
- أحمد بن زرياب (٣) ٣٨٢، ٣٨٧.
- أحمد بن زهير، انظر: ابن أبي خيثمة.
- أحمد بن زين الدين (٣) ١٣٦.
- أحمد بن سعد المزدغاني، صفى الدين (٢) ٤٢٠.
- أحمد بن سعيد (عارض الجيش) (٤) ٣٨٥.
- أحمد بن سعيد بن حزم الصدفى (٢) ٢١٩، ٢٩٧ (٤) ١٧.
- أحمد بن سعيد بن محمد، انظر: ابن أبي الفياض.
- أحمد بن سكينه، أبو بكر (٣) ٢٢١.
- أحمد بن سليمان بن أحمد بن عبد الرحمن المرواني (٤) ٣٥٤.
- أحمد بن شاهين انظر: أحمد الشاهيني.
- أحمد بن الشحنة الحجار (٦) ١٩٩.
- أحمد بن الشريف السبتي، أبو العباس (٦) ١٦٨ (٧) ١٨.
- أحمد بن شعيب البنسى (٤) ١٥٢.
- أحمد بن شعيب الجزنائي، أبو العباس (٦) ٢٠٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٠.
- أحمد بن شعيب النسائي، انظر: النسائي.
- أحمد بن الشقاق (٤) ٨٨.
- أحمد بن صابر القيسى، أبو جعفر (٣) ٢٤٤.
- أحمد بن صالح الكوفى (٢) ٢١٨.
- أحمد بن طالب التميمى القاضى (٤) ١٤.
- أحمد بن طاهر الطروشى (٨) ٢٨.

- أحمد بن الطباع الغرناطي، أبو جعفر (٣) ١٤٢، ١٤٦، ١٨٣.
- أحمد بن طلحة الكاتب الوزير، أبو جعفر (٤) ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ٢٧٠، (٥) ٩٠.
- أحمد بن عباس الوزير، أبو جعفر (١) ٣٢٨ (٤) ٣١١.
- أحمد بن عبد ربه، انظر: ابن عبد ربه.
- أحمد بن عبد الرحمن المجاصي، انظر:
المجاصي.
- أحمد بن عبد الرحمن الوقشي، انظر: الوقشي أبو جعفر.
- أحمد بن عبد الرحمن بن جحدر، أبو حفص (٢) ٢٣٥.
- أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجي، أبو العباس (٤) ١٤٥.
- أحمد بن عبد السلام الجراوي، انظر:
الجراوي، أبو العباس.
- أحمد بن عبد السلام المسيلي، أبو العباس (٣) ١٩٨.
- أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب، انظر:
ابن أبي الحباب.
- أحمد بن عبد العزيز بن أبي عمرو (٣) ٩٤.
- أحمد بن عبد القوي بن عبد الله بن شداد الربعي، كمال الدين (ناظر قوص) (١) ٥٥.
- أحمد بن عبد الله بن حميد بن رزيق المخزومي، أبو الحسن (٢) ٣٤٩.
- أحمد بن عبد الله بن علوان، أبو العباس (٢) ٣٠٢.
- أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، انظر:
أبو المطرف بن عميرة.
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي (٣) ١٢٥.
- أحمد بن عبد الله المعيشي (٦) ٣٢٤.
- أحمد بن عبد الملك، أبو صالح (٦) ١٩٥.
- أحمد بن عبد الملك، شهاب الدين أبو العباس، انظر: شهاب الدين العزازی.
- أحمد بن عبد الملك الزهري، أبو مصعب (٣) ٢٢٧.
- أحمد بن عبد الملك بن أبي حمزة، أبو العباس (٢) ٢٨٦.
- أحمد بن عبد الملك بن سعيد، انظر: ابن سعيد، أبو جعفر.
- أحمد بن عبد الملك بن شهيد، انظر: ابن شهيد، أبو عامر.
- أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى، أبو جعفر الضبي (٣) ٢٠٠.
- أحمد بن عبد الملك بن مروان (٤) ٢٢، ٩٧.
- أحمد بن عبد الملك بن هشام، انظر: ابن المكوي.
- أحمد بن عبد المنان، أبو العباس (٨) ٢٩٨.
- أحمد بن عبد الودود بن سمحون (٣) ١٧٩.

- أحمد بن عبد الولي البنسى، أبو جعفر، انظر: ابن البنى، أبو جعفر.
- أحمد بن عثمان المروانى، أبو بكر (٥) ٦٦.
- أحمد بن عدى (٣) ١٩٨.
- أحمد بن العريف انظر العريف.
- أحمد بن على الغافقى، أبو الحسن (٣) ١٧٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١١
- أحمد بن على المقريزى، انظر: المقريزى الحافظ.
- أحمد بن على المليانى المراكشى، أبو العباس (٧) ٣٦٤.
- أحمد بن على بن إبراهيم بن الزبير، انظر:
الرشيد الأسوانى.
- أحمد بن على بن خالص الأنصارى الإشبلى (٣) ١٥٧.
- أحمد بن على بن الطباع (٣) ١٨٦.
- أحمد بن على بن غزلون، انظر: ابن غزلون.
- أحمد بن على بن محمد بن خاتمة، انظر: ابن خاتمة، أبو جعفر.
- أحمد بن على بن محمد بن شكر الأندلسى، أبو العباس (٢) ٢٨٦.
- أحمد بن عمر القرطبى، أبو العباس (٣) ٢١٢، ٣٤٥.
- أحمد بن عمر بن أفرند، أبو العباس (٣) ٢٠٠.
- أحمد بن عمر بن أنس العذرى، انظر:
العذرى.
- أحمد بن عمر بن محمد، انظر: أبو العباس المرسى.
- أحمد بن عمران، أبو العباس (٦) ٢٠٧.
- أحمد بن عمرو البزار (٢) ٢١٧.
- أحمد بن محمد بن أحمد بن عياش الكنانى المرسى، أبو جعفر (٣) ٢٠٢.
- أحمد بن فرج (صاحب كتاب الحدائق) انظر:
ابن فرج الجيانى أبو عمر.
- أحمد بن فرج الإلبيرى (٢) ٤٦.
- أحمد بن فرح أبو العباس، انظر: ابن فرح.
- أحمد بن فضل الله العمري (١) ٤٧.
- أحمد بن القاسم الإشبلى، أبو العباس بن القصير (٩) ٢٨٤، ٢٨٥.
- أحمد بن القاسم الخشاب البغدادى، أبو الفرج (٣) ٢٣٧.
- أحمد بن كمال أبو العباس (٥) ٣٥٢.
- أحمد بن مالك بن سيد أمير اللخمي النشابة، أبو عمرو (٢) ٤٣٩.
- أحمد بن المبارك الحيبى (٥) ٦٦.

- أحمد بن محمد أبو العباس الإشبيلي المصري (٣) ١٢٦.
- أحمد بن محمد الإربلي الشافعي، شمس الدين، انظر: ابن خلكان.
- أحمد بن محمد الإشبيلي (٤) ٢٢٠، ٢٦٧.
- أحمد بن محمد الأصبهاني أبو طاهر انظر:
السلفي.
- أحمد بن محمد البرذعي، أبو العباس (٣) ١٣٧.
- أحمد بن محمد اللخمي الراسي، أبو العباس (٢) ٢٨٩.
- أحمد بن محمد الزيات انظر الزيات.
- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، انظر:
المقرئ المؤلف.
- أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي، أبو جعفر الجنان (٦) ٢٨٩.
- أحمد بن محمد بن أبي عامر، أبو عامر (٣) ١١٢.
- أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري (٦) ٣٢٤.
- أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز، انظر:
ابن الغماز، أبو العباس.
- أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني، انظر الأرجاني أبو بكر.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٢
- أحمد بن محمد بن خشيش (٣) ٤٠٠.
- أحمد بن محمد بن رجاء، أبو حامد (٣) ١١٩.
- أحمد بن محمد بن عباس المغربي أبو العباس (٩) ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٤.
- أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني (٢) ٢٨٦.
- أحمد بن محمد بن علي الأموي، انظر: ابن برطال.
- أحمد بن محمد بن علي بن سعد النصرى (٥) ٤١٠.
- أحمد بن محمد بن عيسى البجائي (٦) ٣٤٧.
- أحمد بن محمد بن فرح (٢) ١٢.
- أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، أبو العباس (٦) ٣٢٢، ٣٤٧، ٣٤٨.
- أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، انظر: ابن العريف، أبو العباس.
- أحمد بن محمد بن موسى (٤) ١٩.
- أحمد بن محمد بن يحيى بن هلال البزار (أبو حامد) (٦) ١٩٥.
- أحمد بن محمد بن يزيد (٣) ٣٣٤.
- أحمد بن مسعود الزهري، أبو بكر (٣) ٣٨١.
- أحمد بن مسلم انظر: التنوخي.
- أحمد بن مطرف (٢) ٩٠.

- أحمد بن معد بن وكيل بن الأقليشي، أبو العباس (٣) ١٢٤، ١٩٩.
- أحمد بن مغيث (٤) ٧٠.
- أحمد بن منصور، أبو بكر (٣) ١٢٠.
- أحمد بن منصور بن خلف المغربي (٣) ١١٩.
- أحمد بن منير الطرابلسي، أبو الحسين (٢) ٢٨٣.
- أحمد بن مهاجر الوادي آشي، شهاب الدين (٣) ٢٤٣.
- أحمد بن نصر (صاحب المساحة) (٤) ٢٠.
- أحمد بن نوار، أبو العباس (٢) ٣٥٥.
- أحمد بن هريرة، انظر: الأعمى التطيلي.
- أحمد بن هشام (المرواني) (٤) ٣٤٣.
- أحمد بن يحيى الضبي، أبو جعفر (٣) ١٢.
- أحمد بن يحيى بن الشاهد (٢) ٢٦٠.
- أحمد بن يحيى بن عبيد الله (٣) ١٦٥.
- أحمد بن يحيى بن مفرج القتنوري القرطبي (٢) ٣٥١.
- أحمد بن يزيد المعلم (٢) ٢١٦.
- أحمد بن يعقوب التائب (٣) ٤٠٠.
- أحمد بن يعلى (١) ٢٩٨.
- أحمد بن يوسف الفهرى اللبلى النحوي، أبو جعفر (٢) ٣٤٣، ٣٤٤ (٣) ١٥٦.
- أحمد بن يوسف بن أحمد بن سليمان بن هود (الملقب بالمستعين) (١) ٣٤١ (٢) ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧.
- أحمد بن يوسف بن صالح (حفيد الولي أبي محمد صالح) (٥) ٣٠٠ (٨) ١٨٠.
- أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي، انظر: أبو جعفر الإلبيري.
- أحمد بن يونس القسطيني (٦) ٣٥٤.
- ابن الأحمر (١) ١٧٨، ١٨٢، ٣٤٥، ٣٤٧ (٤) ٣١٢ (٥) ٢٨٧، ٣٥٣ (٦) ٦٣، ٨٠، ٨١، ٨٤ (١٠) ٢٠.
- ابن الأحمر القرشي (٢) ٢٩٦، ٣٣٣.
- الأحنف (ابن قيس) (٦) ٢١٢.
- ابن أخت غانم (محمد بن عمر أبو عبد الله (٤) ١٩٥، ١٩٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٣
- الإخشيدي (٢) ٤٥٧.
- ابن الأخضر، أبو محمد (٢) ٢١٨، ٣٦٧ (٦) ٢١٩.
- الأخطبي (٢) ١٣٧.
- الأخطل (٢) ٣٧٦.
- الأخفش (علي بن سليمان) أبو الحسن (٢) ٢٩٦ (٣) ١٤٣، ١٦٦، ٢٦٥ (٤) ١٨ (٦) ٢٩٢، ٣١٤.
- الأخنس بن شريق (٦) ٢١٧.

- ابن أخى ربيعة (٣) ٢٧٠.
- أخيل بن إدريس الرندى، أبو القاسم (٥) ١٣٠، ١٣١.
- إدريس (صاحب مالقة) (٢) ٣٢.
- إدريس (النبي) (٧) ٣٠٤.
- إدريس (والى سبتة) (٢) ٢٧.
- إدريس العلوى (١) ١٧٧.
- إدريس بن عبد الله (جد الأدارسة) (١) ٢٣١، ٣٣٣، ٣٤٨ (٢) ٢٣.
- إدريس بن على، أبو العلاء الموحدى (٢) ٤٠١ (٥) ٢٨٦.
- إدريس بن على بن حمود (الملقب بالمتأيد) (١) ٤٣٤.
- إدريس بن موسى القرطبي، أبو العلاء (٩) ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨.
- إدريس بن يحيى بن إدريس (الملقب بالموفق) (١) ٣٣٦.
- إدريس بن يحيى بن على بن حمود (الملقب بالعالى) (١) ١٧٧، ٤٣٤، ٤٣٦ (٤) ١٩٠، ٣٧٦.
- إدريس بن اليمان العبدري، أبو على (٥) ٢٣، ٩١ (٧) ١٣٣.
- ابن أدهم (٥) ١٢٨ (٦) ٢٧٧.
- الأذفونش (١) ٢٠٧ (٢) ٤٥٢ (٣) ٢٩٧ (٥) ٣٥٦.
- الأذفونش الثامن (١) ٣٤٢، (٤) ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٠.
- الأذفونش الجد (أذفونش بن بيطرة) (٥) ٢٦٠، ٢٦١.
- أذفونش السادس (١) ٣٣٢ (٦) ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٧.
- ابن أذفونش (١) ٣٤٠، ٣٤٣.
- أربد (أخو لبيد) (٥) ١٤٨.
- الأرجاني (أحمد بن محمد بن الحسين ناصح الدين) أبو بكر (١) ٨٦ (٧) ٧٥.
- أردشير بن بابك (٦) ٣٠٦.
- أردون بن أذفونش (١) ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦.
- أردون بن رذمير (١) ٢٨٦.
- أرسطوطاليس انظر رسطاليس.
- أرسلان (٣) ٥٧.
- أرطباش (١) ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥.
- ابن أرفع رأسه (محمد) أبو بكر (٥) ٧٣ (٨) ٢٠٧.
- أرقم (المنسوب إلى بنى ذى النون) (٥) ٧٢.
- ابن أرقم، أبو بكر (٤) ١٧٢ (٥) ٤٣٠.
- ابن الأرقم (عبد العزيز) أبو الأصبغ (٤) ٢٥٩.
- الأرقمي (غريز بن طلحة) (٣) ٣٩٧.
- أرمانوس بن قسطنطين (٤) ١٢.

أروى (٩) ٢٤٨.

ابن الأزرق (٦) ٢٣٠، ٢٣١ (٧) ٢٦١، ٢٦٣.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٤

ابن أزرق، أبو بكر (٤) ٢١٥.

ابن أزرق، أبو جعفر (٤) ٢١٥.

ابن أزرق، أبو القاسم (٤) ٢١٥.

ابن أزرق (إدريس) أبو العلاء (٤) ٣٤٢.

ابن الأزرق (محمد بن أحمد بن محمد) أبو بكر (٣) ٣٨١.

ابن الأزرق (محمد بن علي بن محمد) أبو عبد الله (٣) ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦ (٤) ١١٦ (٦) ٢٣١.

ابن الأزرق (هبة الله) أبو الفضل (٦) ١٩٩.

ابن أزهري، أبو بكر (٢) ٢٦٨.

الأزهري (٢) ٣٥٥.

أسامة بن زيد (٩) ٢٤٧.

إسحاق (النبي) (٦) ١٢٧.

إسحاق الختلي، انظر إسحاق بن إبراهيم.

إسحاق الموصلی (٣) ٢٥٣، ٢٦٤، ٢٦٩ (٣) ٣٨٢، ٣٨٣ (٥) ١٩٣.

إسحاق بن إبراهيم الختلي أبو إبراهيم (٣) ١٧٩، ١٨١.

إسحاق بن إسماعيل الطالقاني (٦) ١٩٩.

إسحاق بن سلمة بن إسحاق القيني (٤) ١٩.

إسحاق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك ابن درباس (٣) ١٥٥.

إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين (٦) ١٥٤.

إسحاق بن عيسى بن مزاحم (١) ٢١٤.

إسحاق بن المنادي (٤) ٣٨٥.

ابن إسحاق الخياط (سعيد بن علي) أبو عثمان (٦) ٣٢٦.

أبو إسحاق الإلبيري الزاهدي (٤) ٢٧٣ (٥) ٥٥، ١٥٦، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٥٥.

أبو إسحاق التلمساني (٦) ١٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٣١٩.

أبو إسحاق الحساوي (٧) ٤٤.

أبو إسحاق الخولاني (٤) ٣٦٧.

أبو إسحاق الساحلي، انظر: الطويجن.

أبو إسحاق الكلاعي (٣) ٣٣٤.

أبو إسحاق اليابري (٦) ٥٣، ٦١.

أبو إسحاق إبراهيم انظر: ابن الحكيم.

أبو إسحاق بن حكم السلوي (٦) ١٨٣.

- أبو إسحاق بن عامر الهمداني الطوسي (٣) ١٨٣.
- أبو إسحاق بن يعلى الطرسوني (١) ١٥٣.
- أسد الجهني، أبو محمد (٣) ٣٣٢.
- الأسد بن أبي عبد الله بن مالك، تقي الدين (٢) ٣٦٣.
- أسد بن الفرات القاضي (٤) ١٢.
- أسد بن الليث التميمي (٣) ١٧٩.
- أسد بن معين الدين (٢) ٥٣.
- أسد بن موسى (٣) ٢٢٨.
- أسد الدين يوسف بن داود الأيوبي (٦) ٣٢٥.
- الأسدي الدمشقي (٣) ٢٠٥.
- إسرائيل، انظر: يعقوب (النبي).
- أسعد النحوي، أبو منصور (٦) ١٣٣.
- الأسعد بن بليظة، أبو القاسم (٤) ٤١٨، ٤١٩ (٥) ٤٣، ٤٤.
- أسعد بن سعيد بن روح، أبو الفخر (٣) ١٦٦.
- الإسكندر (١) ٢٤، ١٢٤، ١٣٠، ١٣٣، ١٤٠، ١٤٥، ١٩٨ (٣) ٤ (٤) ٢٩، ٤١١ (٦) ٩٧ (٨) ٨٨.
- أسلم بن عبد العزيز (٢) ٢١٨.
- أسماء العامرية (٥) ٢٠٩.
- أسماء بنت غالب (صاحب مدينة سالم) (١) ٣١١ (٣) ٣٥٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٥
- إسماعيل (ابن إبراهيم الخليل) (١) ٢٣٣ (٣) ٣٤٤ (٩) ٢٤٩.
- إسماعيل الخشني الجياني، أبو الطاهر، انظر:
- ابن أبي ركب.
- إسماعيل (ابن إسحاق) القاضي (٢) ٢١٦ (٣) ٥.
- إسماعيل النابلسي (ابن أحمد بن الحاج إبراهيم) (٣) ٢٥.
- إسماعيل بن أبان بن عبد العزيز بن مروان (٣) ٣٠٧.
- إسماعيل بن أبي الحجاج السلطان النصرى (٦) ٦٧، ٧٠، ٧١، ٨٠، ٨٣.
- إسماعيل بن يوسف بن الأحمر (صاحب نثر الجمان) (٦) ١٤٠، ١٧٢، ٢٢٩، ٢٩٠، (٧) ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٧٣، ١٥١، (٨) ٢٨٤، (٩) ٢٦، ٣٤، ٣٩، ٩٤، ١٣١.
- إسماعيل بن الإسكندراني، أبو الطاهر (٣) ٣٩٩.
- إسماعيل بن خلف، أبو الطاهر (٢) ٢٨٢.
- إسماعيل بن طغتكين (المعز) (٢) ٤١٨.
- إسماعيل بن عباد، انظر: الصاحب بن عباد.
- إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، أبو عثمان (٦) ١٩٣.

- إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي (٣) ٣٣٩.
- إسماعيل بن عزون (٣) ١٣٦.
- إسماعيل بن عيذون القالي أبو علي، انظر:
القالي.
- إسماعيل بن فرج بن نصر، أبو الوليد (الملقب بالغالب بالله) (١) ٣٤٦ (٢) ٤٣ (٦) ٧١، ١١٤، ١١٧ (٨) ٥.
- إسماعيل بن القاسم أبو علي البغدادي، انظر:
القالي.
- إسماعيل بن محمد السلطان الملك الصالح (٥) ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ١٥
- ماعيل بن محمد الشقندي أبو الوليد، انظر:
الشقندي.
- إسماعيل بن محمد الصفار (٢) ٢٩٠، ٢٩٨.
- إسماعيل بن محمد بن أحمد بن أبي طاهر الأصفهاني، انظر: الوثابي.
- إسماعيل بن محمد بن الفضل (٢) ٢٨٧.
- إسماعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري الأبيدي، برهان الدين (٢) ١٩١.
- إسماعيل بن هبة الله المليحي، فخر الدين أبو الطاهر (٣) ١٤٦.
- إسماعيل بن ياسين الجيلي، أبو الطاهر (٣) ١٦٦.
- إسماعيل بن يحيى بن عبد الرحمن السرقسطي انظر: ابن فورثش.
- إسماعيل بن يعقوب الأزرق المدني، أبو الحسن (٢) ٢٣٠.
- إسماعيل بن يوسف النصري (٦) ٦٧.
- إسماعيل بن يوسف ابن السلطان القائم بأمر الله محمد بن الأحمر (٦) ٣.
- إسماعيل بن يوسف بن نصر (١) ٣٤٤.
- الأسود بن سفيان التميمي (٣) ١٧٩.
- الأسود بن قنان (٥) ٤٢٤.
- أسماء (وصيفة لدى المظفر بن المنصور العامري) (٤) ٧١، ٧٢.
- الأسيوطي (٣) ٢٢٦.
- أشبان بن طيطش (١) ١٢٣، ١٢٥، ١٤٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٦
- الأشتر النخعي (أحمد بن الحسن بن الحارث) أبو جعفر (٣) ٣٩٩.
- الأشج (صاحب الصحيفة) (٣) ٣٣٦، ٣٣٧.
- أشرس بن السكون (١) ٢٣٥.
- الأشرف بن العادل بن أيوب (٢) ٤١٩ (٤) ٧٥، ٧٦.
- الأشرف بن الفاضل (٢) ٢١٣.

- الأشرف شعبان (ابن حسين بن الناصر محمد ابن المنصور قلاوون الصالحى) (٦) ٣٣٨، ٣٤٣ (٩) ١٨٢.
- أشعب (١) ٢٣ (٢) ٤٠٢ (٣) ٣٨١.
- أبو الأشعث الكلبى (٣) ٣٢٨.
- الأشعري (٢)، ٤٣٣ (٣) ٩٧، ١٢١.
- ابن الأشقر، أبو العباس (٦) ١٩٢.
- ابن أشقيلولة (١) ٣٤٥.
- أشكتهاده (محمد بن القاسم الكاتب) أبو بكر (٢) ٢٥٢ (٣) ٣١.
- أشهب (الفقيه) (٢) ٢٨٨ (٣) ٢٨٤ (٥) ٩٥ (٦) ٣٤٣.
- أشهب بن العضد الخراسانى (٣) ٣٧٨.
- الأصبغى (٥) ١٣٤.
- ابن أبى الأصبع (١) ٤٣.
- الأصبغ القرشى (٤) ٣٦٠.
- الأصبغ بن سيد، أبو الحسن (٤) ٢٦٨.
- أصبغ بن الفرغ (٢) ٢٩٦، ٣٤٩.
- أصبغ بن الناصر (١) ٢٨٧.
- ابن أصبغ الهمدانى (٢) ٨٩، ١٩٥.
- أبو الأصبغ بن سهل (صاحب النوازل) (٦) ١٠٨.
- أبو ال. صبغ بن سيد (٤) ٢٦٨.
- أم الأصبغ (أخت عبد الرحمن الداخل) (٢) ٧٢ (٣) ٣٠٦.
- الأصبهانى (الإمام) (١) ١٢٩ ٢٤٨ (٣) ١١٥، ١٦٦.
- أصحمة (النجاشى) (٦) ٢٧٦.
- الأصم القرطبى المروانى (٤) ٣٥٨.
- الأصمعى (٢) ٢١٥ (٥) ٢٥ (٦) ١٨٥ (٧) ٣٠٦.
- الأصمعى (الأندلسى)، انظر: الزجالى (محمد ابن سعيد).
- الأصيلى، أبو عبد الله (٣) ١٢.
- الأصيلى، أبو محمد (٢) ٣٦٨ (٣) ٣٣٢.
- ابن أضحى (سعيد) أبو الحسن (٢) ١٦٦، ١٦٧ (٤) ١٥٣ (٥) ٩٧، ٩٩.
- اعتماد الرميكية (١) ٣٤٠ (٢) ١٧٩، ٤٠٨ (٥) ٤٢، ١٣٨، ١٣٩، ١٥٠، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤ (٨) ١٨٧.
- ابن الأعرابى (الراوية) (٢) ١٩٠.
- ابن الأعرابى، أبو سعيد (٢) ٢٦٠، ٢٩٠، ٢٩٨، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٦٧ (٣) ٢٢٧، ٢٤٩ (٦) ٣١٥.
- الأعز بن المؤيد (القاضى) (٤) ١٢٨، ١٦٢ (٥) ١٣٩.
- الأعشى (الكبير) (٣) ١١٣، ٢٤١ (٧) ٢٤١.
- الأعشى الأندلسى، انظر: ابن نجيح.

- الأعلم الإشبيلي (إسماعيل بن حجاج) أبو الوليد (٤) ١٣٠.
- الأعلم البطليوسي (إبراهيم بن قاسم) أبو إسحاق (٤) ٢٤٠، ٣٦١ (٨) ٢٠٧، ٢٠٨.
- الأعلم الشتمري (يوسف بن عيسى) أبو الحجاج (٤) ٢٥، ٤٠١ (٥) ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦.
- ابن الأعلم (٥) ٢٢، ١٦١.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٧
- الأعمى التطيلي، أبو العباس (٤) ٤٣، ٦٩، ١٥٦، ٢٠٢، ٢٨٠، ٢٨١، ٣١٢، (٥) ٩، ٢٣٤ (٧) ٢٤١ (٨) ٢٠٨.
- الأعمش (٣) ٢٢٤ (٦) ١٩٣ (٨) ١٦٧، ١٩٣.
- الأعناقى انظر سعيد بن عثمان.
- الأغصاوى (الشيخ) (٦) ١٤٠.
- أغطش (١) ٢٣٨، و انظر أيضا: غيطش.
- أغلب بن شعيب (٤) ٢٢.
- ابن إفرند انظر: أحمد بن عمر بن إفرند.
- ابن أفيولة (القاسم بن الفتح الحجارى).
- أبو محمد (٤) ٢١٧ (٥) ٢٤٦.
- الأفضل بن أمير الجيوش (٢) ٢٤٦، ٢٤٧.
- الأفضل بن صلاح الدين بن أيوب (٢) ٢٦١، ٤١٧ (٣) ٢٣٣.
- أفضل الدولة (محمد بن الحكم) أبو المجد (٣) ٢٣٢.
- ابن الأفضس (١) ٣٣٢، ٣٣٩.
- ابن الأفليلى أبو القاسم (٣) ٢٢٥ (٤) ١٩.
- إقبال الدولة بن مجاهد العامرى (٤) ٢٠٣.
- ابن إقبال الدولة بن مجاهد (٥) ٢٠٤.
- الأقسرائى (٢) ٣٦٢.
- الأقشتين (محمد بن عاصم النحوى) أبو عبد الله (٤) ٢٠، ٢٢.
- أقليدس (٢) ٧٨ (٣) ٢٦٧.
- ابن الأقليشى انظر أحمد بن معد بن وكيل.
- الأكفانى (هبة الله) أبو محمد (٢) ٢٩٨، ٢٩٩ (٣) ١٧٩، ٢٢٩.
- ألفنش (٣) ٣٦٥ (٦) ١٠٠.
- ابن ألفونش (١) ٣٤٢، ٣٤٤.
- ألمند (١) ٢١٣، ٢١٤.
- الياس بن المدور اليهودى (٤) ٣٠٥.
- إليان، انظر: يليان.
- أليط (ملك الجلالة) (١) ٢٦٧.
- أليون، ملك القسطنطينية (٢) ٥٨.

- ابن الإمام الغرناطي، أبو الحسن (٤) ٣٨٦.
- ابن الإمام (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله) أبو زيد (٦) ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٩، ٢٢٣.
- ابن الإمام (عثمان بن علي بن عثمان) أبو عمرو (صاحب سمط الجمان) (٢) ١٩٩ ٣٨٧ (٤) ٢٥، ٢٢٠، ٢٦٢ (٨) ٢٣٠.
- ابن الإمام (محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن) أبو الفضل (٣) ٢٧٩ (٦) ٣٤٧، ٣٣٣.
- ابن الإمام (عيسى بن محمد بن عبد الله) أبو موسى (٦) ١٨١، ١٨٣، ١٨٦، ٢٤٩.
- أبو أمامة الباهلي (٣) ١٨٣.
- أم العلاء بنت يوسف الحجارية (٥) ١٠٢.
- إمام الحرمين، انظر: الجويني.
- ابن الأمانة، جمال الدين (٣) ٢٧٩.
- ابن أمجوط (٦) ٢٢٤.
- امرؤ القيس (١) ٢٤١، ٢٤٣ (٢) ٣٤٤ (٣) ٢٤٩ (٤) ٣٦، ١١٢، ٢٧٣، ٣١٥، ٤٠٥ (٥) ٢٢٢ (٦) ١٦١، ١٩١ (٧) ٥٧، ٥٩، ٢٤١، ٢٤٧ (٨) ٣٠٨.
- أمة العزيز (الشريفة الحسينية) (٥) ١٠٢.
- الأمين (الخليفة العباسي) (٦) ٣٥ (٨) ٨٨، ٢٨٥.
- ابنة أمين الملك (٤) ٨٢.
- أمية بن أبي الصلت الثقفى (٥) ٧٩.
- أمية بن إسحاق (١) ٢٧٨.
- أمية بن خلف (٦) ٢١٧.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٨
- أمية بن زياد (٣) ٣١١.
- أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (٣) ٣٨١.
- أمية بن عبد العزيز الأندلسي انظر أبو الصلت.
- أمية بن عبد الملك بن قطن (١) ١٩٢ (٣) ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١.
- أمية بن يزيد (٣) ٣٢١.
- ابن الأنباري، أبو بكر (٢) ٢٩٦ (٣) ١٢٠، ٣٤٢.
- أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح (١) ١١٧، ١٩٧.
- أنس بن مالك، أبو حمزة (٣) ١٦٧، ١٦٨ (٤) ١١، ١٣، (٥) ١٢١، (٦) ١٨٤ (٨) ٢١٢.
- أنس القلوب (جارية) (٢) ١٢٤.
- الأنصاري (صاحب الجزء) (٣) ١٦٧.
- ابن الأنقر السرقسطي، أبو القاسم (٥) ٥٦.
- الأنماطي (٢) ٢٠٠ (٣) ٢٤١.
- ابن الأنماطي (زين الدين) أبو بكر (٣) ١٥٥، ١٦٦.
- أنو شروان (٤) ٤١٩ (٧) ١٥٦ (٩) ٢٤٦.

- الأوزاعي (٢) ٢١٤، (٤) ٤٠، ٤١ (٤) ٢٣٩.
- أوقة (ملك الفرنجة) (١) ٢٨٥.
- أويس القرني (٩) ٥.
- ابن إياز (٣) ١٤٣.
- إياس بن معاوية (٢) ٢٠٥ (٤) ٤٢، ٢٤٠، ٢٤٩.
- إيدمر التركي (٢) ٣٩٦، ٤٥٦.
- إيساغوجي (٣) ٢٧٧.
- ابن الأيسر، أبو القاسم (٣) ٢١٥.
- أيمن بن محمد السعدي، أبو البركات (٣) ٢٥٥.
- أيمن بن محمد الغرناطي (٥) ٢٥٠.
- أيمن بن محمد بن محمد بن أيمن التونسي، أبو البركات (٤) ٣٢٤.
- ابن أيمن (محمد بن عبد الملك بن فرج القرطبي) (٢) ٢١٦، ٢١٩، ٢٦٦، ٣٦٧ (٣) ٢٢٨، ٢٤٩ (٤) ١٦.
- أيوب (النبي) (٤) ٢٣٤، ٣٦٣ (٥) ١١٦ (٨) ١٦٨.
- أيوب بن حبيب اللخمي (١) ١٩٠، ١٩١، ٢٣٧ (٣) ٢٩٥.
- أيوب بن سليمان السهيلي المرواني (٤) ١٤٥، ٣٠٦.
- أبو أيوب بن أبي أمية (٢) ١٦٠ (٤) ٣٢٣.
- أبو أيوب الأنصاري (٣) ٢٩١.
- أبو أيوب الزاهد (٣) ١٢٤.

حرف الباء

- ابن باب (٣) ١٤٣.
- ابن باجة (أبو بكر بن الصائغ) (٤) ٢٦، ٣٢، ١٤٥، ١٧٦، ٢٢٦، ٢٥٣، ٣٨٦، (٤) ١١٤، (٨) ٢٠٨، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٩.
- الباجي (الثائر) ٣٤٥ (٢) ٧٩، ٢٩٨ (٤) ١٣٠، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٧، ٢٤٠.
- الباجي، أبو محمد (٢) ٢٢٥، ٢٢٧ (٣) ٢٣٨.
- الباجي، أبو الوليد، انظر: أبو الوليد الباجي.
- باديس بن حبوس الصنهاجي (صاحب غرناطة) (١) ١٣٢، ١٦٤، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩ (٣) ٢٤٧ (٤) ٨٨، ١٩٧، ٣١١، ٣٣٨، ٣٦١ (٥) ٢٦٧، ٢٣٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٩
- ابن الباذش، أبو جعفر (٢) ٢٠٢ (٤) ١٤.
- ابن البارزي (شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم الحموي) (٢) ٣٢٩، ٣٦٣.
- البارودي (٢) ٢٢٣.
- البازي الأشهب (٥) ٦٧، ٦٨.
- الباغوني الدمشقي (إبراهيم بن أحمد) برهان الدين (٧) ١٥٣، ١٥٤، ٢٥٧، ٢٩٦.

ابن باق (محمد بن إبراهيم بن علي) أبو عبد الله (٧) ٣٦١، ٣٦٢.

ابن باقا (٣) ١٤٢.

باقل (مضرب المثل في العي) (٣) ٢٨٦ (٤) ١٩٨.

الباقلاني، أبو بكر بن الطيب (٢) ٢٣٣، (٣) ١٢١ (٦) ٢٤٢، ٢٤٧ (٧) ٢٨.

الباكوري، أبو عبد الله (١) ١٤٢.

البتول، انظر: فاطمة (بنت الرسول).

البتول، انظر: مريم (العدراء).

ابن البتول، انظر: المسيح.

بثينة (في شعر جميل) (٤) ٢٧٤ (٥) ١١٠ (٧) ١٢، ٢٤١.

بثينة بنت المعتمد بن عباد (٥) ٢٠٣.

البحترى (١) ٨٠، ١٠٢ (٢) ٤١ (٣) ٢٣، ٤٠، ٣٩١ (٤) ١٢٣، ١٩٦ (٥) ١٥٤.

أبو بحر الأسدي (٢) ٣٠٢ (٣) ٢٠٤، ٣٣٤ (٤) ٢٠٨.

أبو بحر الأندلسي (٣) ١١٨.

البخاري (١) ٥، ٢٣٣ (٢) ١٩٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٥٠، ٢٥١، ٣٥٤، ٣٥٧ (٣) ١٢، ٥٣، ٥٦، ٥٣، ٥٦، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ١٢١، ١٢٨، ١٦٥، ١٧٧،

١٩٨، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٢٥، ٢٤٢، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٣٦، ٢٩٦، ٤٠٠ (٤) ٢١، ٢٣، ١٥٩، ٢٣٩ (٥) ٧٩، ٣٦١ (٦) ١٨٢، ١٨٨، ١٩٧، ١٩٩،

٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥ (٧) ٢٦، ٥٣، ٢١٣ (٨) ٢٩٧.

بختنصر (١) ١٢٤ (٣) ١٣٠.

أبو بدر (٨) ٢٤١.

بدر (مولي عبد الرحمن الداخل) (١) ٢٦٢، (٣) ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٩.

بدر بن عبد الله الحبشي (٣) ١١٨.

ابن بدر (أبو: ابن برد) (٣) ٣٤٧.

بدر الدين البشتكي (٥) ١٨٤ (٧) ٢٠٧ (٨) ٢٨٦.

أبو البدر انظر ابن مردنيس.

بدر الدين بن جماعة انظر: ابن جماعة.

بدر الدين بن حبيب الحلبي (١) ٧٣، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٦٢ (٣) ١٨، ١٢٦، ١٢٧، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٨٩، ٢٩٢ (٩) ٣٢٩.

بدر الدين خليل الناسخ (٩) ٢١٥.

بدر الدين محمد (بن أبي عبد الله بن مالك) (٢) ٣٦٤، ٣٥٧ (٦) ١٩٠.

بدر الدين محمد بن سلطان البغدادى (٣) ١٤٧.

ابن بدرون (عبد الملك بن بدران) أبو مروان (١) ١٥٦ (٢) ٥٩ (٥) ٢٦٢.

البدرى (صاحب التاريخ) (٣) ٣٦٤.

بديع الزمان (الهمداني) (٣) ٧٢، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٥٩ (٧) ٢٦٧.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٠.

بر بن قيس (٥) ٤٢٥.

- ابن البراء (٣) ١٢٥.
- ابن البراء، أبو القاسم بن علي (٦) ٣٢٦.
- ابن البراء، أبو محمد بن سعد الله بن أبي القاسم (٦) ٣٢٦.
- البراذعي السرقسطي (٤) ٢٣.
- البراض (الكناني) (٦) ٣٠٢.
- ابن البراق (٤) ٢٨٥ (٥) ٢٠٦.
- ابن برأل (٣) ٢٤٠ (٧) ٢٧٨.
- ابن برجان، أبو الحكم (٢) ٣٠٠ (٨) ٢٤.
- البرجي، ابن عبد الحميد (٥) ٥٢.
- البرجي أبو القاسم (٦) ٢١١.
- ابن برد الكاتب (أحمد) أبو حفص (١) ٣٢٩ (٤) ٣٥، ١١٢، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٧٣ (٧) ١٣٣.
- ابن البرزي أبو الحسن (علي بن يحيى الفزاري) (٧) ٢٤٦.
- البرزالي (محمد بن يوسف) علم الدين أبو القاسم (١) ٣٣٢ (٣) ١٣٦، ١٦٤، ١٩٧ (٨) ٢٩٢.
- البرشلوني (١) ٣٤٤، (٥) ٢٨١.
- برصيص (٦) ٣٤.
- ابن برطال (أحمد بن محمد بن علي الأموي) أبو جعفر (٤) ٢٣٨ (٧) ٥٤.
- ابن برطله (عبد الله بن موسى المرسى) أبو محمد (٢) ١١٦ (٣) ١٢٥، ٢٤١، ٢٤٢، (٤) ٥٨، ١٥٥، ٢٤٩، (٥) ٢٢٥، (٦) ٤٣.
- البرغواطي صالح، انظر: ابن طريف.
- ابن برغوث (محمد بن عمر) أبو عبد الله (٣) ١٢٢ (٤) ١٧٨.
- ابن برغوش التلمساني، أبو الحسن (٢) ٣٣٧.
- برقان (٦) ٣٦.
- البرقي (٢) ٢١٨، ٣٥١، ٣٦٦.
- بركات (غلام) (٣) ٢٠٥.
- أبو البركات بن الحاج البلبيقي (محمد بن محمد ابن إبراهيم) (٢) ٥٠، ٣٣٨ (٥) ٨٩ (٦) ١٧٦، ٢١٤، ٢٩٠، ٢٩٦ (٧) ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٧٨، ١٣٦، ١٥٣، ١٦٢، ٢٠٧، ٣٢٦، ٣٦٤، (٨) ١٧٧ (٩) ٥، ٢٣، ١٨٤.
- أبو البركات (الحفيد) (٧) ١٩.
- برمند بن أردون (١) ٣٢٣.
- ابن برنجال (الحسن بن خلف بن يحيى الأموي) أبو علي (٣) ١٢٠.
- برهان الدين الحكري (٦) ٣٢٥.
- برهان الدين الحنفي (٦) ٣٢٥.
- برهان الدين السفاقي (٦) ٣٢٥.
- ابن برون الأكشوني (٤) ٣٦٤.
- ابن بري (٢) ١٩٧ (٣) ١٢، ٢٧٨.

- ابن برى، أبو الحسن (٦) ٢٠٤، ٤٥١.
- ابن برى المصرى عبد الله أبو محمد (٢) ٣٦٧.
- بريان (١) ١٢٤.
- البرياني، أبو عامر (٥) ٥٨.
- بريرة (جارية عائشة) (٦) ٣١٩.
- بسام بن شمعون اليهودى (٤) ٣٠٦.
- ابن بسام الشترينى (١) ٢٨٢ (٢) ٦١، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٥١ (٣) ١١٢، ١١٤، ٢٢٥، ٢٥٣، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٢ (٤) ٦، ٢٤، ٣٢، ٤٠، ٧١، ٧٢، ٨٦، ٨٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢١
- ٨٩، ١٣٨، ١٤٤، ١٥٦، ١٨٢، ٢٤٥، ٢٧٣، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٦ (٥) ١٨٣، ١٨٥، ١٩٣، ٢٧٧، ٢٣٨، ٣٤٠، (٧) ٣٢١ (٨) ٢٢٣، ٢٢٩.
- أبو البسام الكاتب (٣) ٢٣٣.
- البيستى (٧) ٢٦٨.
- البيستى، أبو الفتح (٥) ١٢٤.
- بسظام (بن قيس) (٦) ٣٥.
- بشار (الأديب الأندلسى) (٣) ٣٥١.
- بشار بن برد (١) ٢٤٦ (٤) ٢٢، ٩١.
- ابن بشتغير، أبو خالد (٢) ١٦٠ (٨) ٢٢٦.
- ابن بشتغير، أبو عامر (٤) ٨٤.
- بشر (٧) ٢٨٠، ٢٨١.
- بشر الحافى (٢) ٢٦٧.
- بشر بن حبيب بن دحون الحبيبي (٢) ٨٧ (٣) ١١٧، ٣٩٦.
- بشر بن الحسن المعتزلى (٦) ٢٤٣، ٢٤٧.
- بشر بن صفوان الكلبي (١) ١٩١ (٣) ٢٩٨.
- ابن بشر (أحمد) (٣) ٢٢٢.
- ابن بشر، أبو الحسن (٢) ٢٢٠.
- ابن بشكوال، أبو القاسم (١) ١٣٦، ١٧٠، ١٨٨، ١٩٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ٣٠٧ (٢) ٩، ٥٦، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ١١٥، ١٨٨، ٢٠١، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٨٩، ٣٠٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٦٧ (٣) ١٢٥، ١٩٤، ٢٠٣، ٢٣٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٦٢، ٣٩٦ (٤) ٢٤، ٥٨ (٥) ١٣٥، ٢٤٥ (٦) ٥٣.
- بشير (٦) ٢١٢.
- ابن بشير (صاحب التهذيب) (٦) ١٨٥ (٧) ٢١٣.
- ابن بشير الأنصارى (أحمد) أبو جعفر (٢) ٢٩٣، ٢٩٤.
- ابن بصال (٤) ٤.
- أبو بصير (٩) ٢٤٦.

- البطال، أبو عبد الله (٢) ٤١٣.
- ابن بطال البطليوسي، انظر: المتلمس البطليوسي.
- ابن بطان (الصنهاجي) (٦) ٣٧، (٨) ١٨٧.
- بطرس (راهب) (٣) ٣٥.
- بطليموس (١) ٢٦٣، (٣) ٣٨٥ (٤) ٣.
- بطليوس (٢) ١٤٨ (٥) ٣٥٤.
- البطليوسي أبو محمد (٣) ١٩٩.
- ابن بطوطة (١) ١٣٤، ١٤٨، ١٥٠ (٩) ١٨٢.
- ابن البطي انظر أبو الفتح بن بطي.
- البيع (٨) ٢١٥.
- البعوضة (٣) ١١٤.
- البغل (الفقيه) (٣) ٢٩.
- البغوي (عبد الله بن محمد) (٣) ٣٤٢، (٦) ١٩٩.
- البغيل، أبو جعفر (٥) ٨٩.
- أبو البقاء خالد البلوي انظر: خالد بن عيسى البلوي.
- أبو البقاء (لغوي) (٢) ٢١٨.
- أبو البقاء المصري (٢) ٣٦١.
- البقاعي، برهان الدين (٢) ٣٢٩ (٣) ٢٨٠.
- بقي بن مخلد، أبو عبد الرحمن (٢) ١٨٦، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٧ (٣) ١٢٧، ١٢٨،
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٢
- ١٧٨، (٤) ١٥، ٢١.
- ابن بقي (أحمد) (٢) ١٩٠.
- ابن بقي، يحيى أبو بكر (٢) ١٥، (٤) ٤٥، ١٥٦، ٢٠٣، ٢٣٠، ٢٣٧، ٣٨٦ (٥) ٩٠، ١٦١، ١٦٥، ١٧٨ (٨) ٢٠٨.
- ابن بقي، أبو القاسم (٢) ٢٢٨ (٣) ١٦٨، ١٦٥، (٤) ٥٩ (٦) ٥٧، ١٦٩.
- ابن بقية (١) ٢٨١.
- بكار المرواني (٤) ١٤٦.
- بكر الكنانى (٤) ٥٦.
- بكر بن حماد التاهرتي (٢) ٢١٦، ٢١٧، ٢٩٠، ٢٩٨.
- بكر بن سواده بن ثمامة، أبو ثمامة (٣) ٣٢٩.
- بكر بن عيسى (الشاعر) (٢) ٣٨٦.
- أبو بكر (٣) ٦٢.
- أبو بكر (سمع منه ابن الأقيشى) (٣) ١٩٩.
- أبو بكر (شيخ ابن رشيد) (٥) ٣٧٨، ٣٨٢.

- أبو بكر (قاضي الجماعة) (٦) ٢٤٨، ٢٥١، (٧) ٥٣.
- أبو بكر بن الإشبيلي (٥) ٣٩، ٤٠، ١٩٣.
- أبو بكر الأبيض (٨) ٢٠٨.
- أبو بكر أحمد بن علي (٣) ٢٢٤.
- أبو بكر البصري (٢) ٣٦٨ (٤) ١٧.
- أبو بكر البنسي (٤) ٩٣.
- أبو بكر الخزرجي (محمد بن أحمد بن حسن) (٢) ٣٤٧، (٣) ١٠.
- أبو بكر الخشني (أخو إسماعيل) (٥) ٥٥.
- أبو بكر الداني انظر: ابن اللبانه.
- أبو بكر الزهري (٢) ٢٣٠.
- أبو بكر الدلائي (الحاج الصالح) (٣) ٩٢.
- أبو بكر الشافعي (٣) ٢٢٣، ٢٢٤.
- أبو بكر الصائغ (الفقيه) (٢) ٢٣١، (٨) ٢٨.
- أبو بكر الصحراوي، انظر: ابن تفلويت.
- أبو بكر الصديق (١) ٥٦ (٢) ٣٤٢، ٣٤٤ (٥) ٤٩ (٦) ٢٠، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٦، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٣، ٣٤٣ (٨) ٨٨، ١٩٠، ٢٩٤ (٩) ١٧١، ٢٠٠، ٢٠١.
- أبو بكر العمري (ابن منصور بن بركات) (٣) ٧٠.
- أبو بكر الغساني (محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أسود) (٢) ٢١٩ (٨) ٢٣٩.
- أبو بكر المخزومي (١) ١٣٦، ٢٣١.
- أبو بكر المرواني (٤) ١٤٢، ٣٧٣.
- أبو بكر بن إبراهيم بن تفلويت، انظر: ابن تفلويت.
- أبو بكر بن أيوب (٣) ٢٣٩.
- أبو بكر بن باجه، انظر: ابن باجه، أبو بكر.
- أبو بكر بن ثابت (٣) ١٤١.
- أبو بكر بن بقي (٢) ١٥.
- أبو بكر بن خلف (٢) ٣٠٥.
- أبو بكر بن حبيش (٤) ٢٤٧.
- أبو بكر بن الحارث (٣) ١٧٩.
- أبو بكر بن زهر (١) ١٣٦ (٢) ٩، ٤٧٦.
- أبو بكر بن سعادة (١) ١٣٦.
- أبو بكر بن سليمان بن الناصر (١) ٣٣١.
- أبو بكر بن السراج انظر: ابن السراج.
- أبو بكر الطليطلي (٣) ٣٣٤.

- أبو بكر بن الطيب، انظر: الباقلاني.
- أبو بكر بن عبادة (٤) ٣٩٥.
- أبو بكر بن عبد العزيز (الوزير) (٢) ١٤٢، ١٦٣، (٤) ١٠٩، ٢٤٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣٤٠، ٣٤٢، (٥) ٤.
- أبو بكر بن عبد الله بن محمد القلانسي (٣) ١٧٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٣
- أبو بكر بن علي القرشي (٤) ٣٧٥.
- أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين (الشهير بيكور) (٨) ٢٣٢.
- أبو بكر بن عمر الرندي (٥) ٧٢.
- أبو بكر بن القبطرنة (١) ١٣٦.
- أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر الجياني (٣) ٢٢٣، ٢٢٤.
- أبو بكر بن يوسف (٤) ٢٤٩.
- أبو بكر بن يوسف اللخمي (٤) ٣٨٩.
- أبو بكر عبد المعطي (الأديب) (٥) ١٥٩.
- البكري انظر: أبو عبيد.
- أبو بكره (٤) ١٣ (٧) ٢٨٠.
- بكير الحداد (٢) ٢٦٠.
- ابن بكير (٣) ٢٠٣.
- بلال (المؤذن) (٦) ١٣٧، ٢١٤ (٨) ٦٩، (٩) ٢٠١.
- بلال بن جرير (٤) ١٥١.
- بلال بن عبد الله الحبشي (خادم الشيخ أبي مدين) (٦) ٢٠١.
- بلال بن فروه (٦) ٢٤٠.
- بلال بن مدافع بن بلال الفزاري (٤) ٨١.
- ابن بلال، أبو محمد (٤) ٣٨٩.
- أبو بلال (الوزير) (٤) ٢٨٥.
- بلاي (العلج) (٣) ٢٩٧ (٥) ٢٥٩، ٢٦٠.
- بلج بن بشر القشيري (١) ١٩٢، ١٩٣، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٥٧، (٣) ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٤ (٦) ٦.
- بلعام (٨) ١٨٨.
- البلفيقي، انظر: أبو البركات بن الحاج البلفيقي.
- بلقيس (٣) ٢٣، (٥) ٢٢١ (٧) ٢٤٥، ٣٠٤ (٩) ١٧٢.
- البلقيني، جمال الدين بن سراج الدين (٣) ٢٨٢.
- البلقيني، سراج الدين (٦) ٣٥٣.
- ابن بلقين (صاحب غرناطة) (٤) ٢٠٩.
- البلوطي، أبو الحسن (٦) ٤، ٦.

- ابن البناء (٣) ٢٧٧.
- ابن البناء (محمد بن أحمد)، أبو بكر (٤) ١٢٦، ٢٢٤.
- ابن البناء، أبو العباس (٦) ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٩، ٣٥٥.
- ابن بنت الأعز (٣) ١٨١.
- ابن بنت الأذفونش (٥) ٣٥٢.
- ابن بنت الشاذلي (٦) ٣٢٥.
- ابن بندار (٢) ٢٠٠.
- بنفسج العامرية (٢) ٦١.
- ابن البني، أبو جعفر (٤) ٢٦٩، ٣٩٣ (٥) ١٥٣، ٣٤٦.
- أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان (زوج الوليد ابن عبد الملك) (١) ٢٢٢، ٢٢٧، (٣) ٢٩٠.
- البهاء الدماميني (٦) ٣٥٤.
- بهاء الدين السنجاري (١) ٨٥.
- بهاء الدين (شيخ أبي حيان) (٣) ١٤٧.
- بهاء الدين بن فخر الدين عيسى الإربلي الصاحب (٤) ١٥٧.
- بهاء الدين زهير (٢) ٣٩٦.
- بهاء الدين موسى بن سلامة (٦) ٣٢٤.
- بهار العامرية (٥) ١٥.
- بهلول بن فتح (الأقليشي) (٣) ١١٧.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤
- البوانى، أبو إسحاق (٣) ١١٧.
- بوران بنت الحسن (زوج المأمون) (١) ٣٤٠ (٥) ١٣٤ (٦) ٣٦.
- البورقي (الفتي) (١) ٣١٩.
- البوريني حسن (٣) ٦١، ٦٢.
- بوليش (جاشر) (١) ١٦٩.
- البونى أبو عبد الله (٣) ٢٣٥.
- البياسى المؤرخ (يوسف بن محمد) أبو الحجاج (٤) ٢٣، ١٣١، ١٣٢، ١٩٠، (٨) ٢٣٠.
- البياسى، أبو محمد (الثائر) (٥) ٣٥١.
- البيانى، أبو عبد الله (٧) ٧٨، ٢٥٩.
- بيرس، انظر: ركن الدين بيرس.
- ابن بيش العبدري (محمد بن محمد بن محمد).
- أبو عبد الله (٣) ١٩٩ (٦) ٣١٧ (٧) ٧٨، ١٣٦، ٣٤٣، (٩) ٥، ٢٣.
- ابن البيطار (عبد الله بن أحمد ضياء الدين أبو محمد المالقي) (٤) ٢٦.
- البيع، أبو الرشيد بن خالد (٣) ٣٣٨.

البيهقي (١) ١٢٥، (٢) ٣٦٩ (٣) ٢٠٣.

حرف التاء

تاج الدين الأرموي (٦) ١٩٤.

تاج الدين الأشعري (٦) ٣٢٥.

تاج الدين التبريزي الأصم (٦) ٢٠٩، ٣٢٥.

تاج الدين ابن حمويه، انظر: السرخسي.

التادلي (أبو الحجاج يوسف) (٨) ٣١٦، ٣١٩، ٣٢١ (٩) ١٢٤، ١٢٥.

ابن تاسكورت، أبو البقاء (٧) ١٤٤.

تاشفين بن علي بن يوسف (٦) ١٥٤.

ابن تاشفين انظر: علي بن يوسف.

أبو تاشفين (عبد الرحمن بن أبي حمو) الزياتي (٦) ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٦ (٨) ٢٠٣.

ابن تافراكين، عبد الله أبو محمد (٦) ٨٠، ٣٤٢ (٩) ٥٨.

التاكرني، أبو القاسم (٥) ٧٠ (٧) ٢٥٧.

ابن التاكرني، أبو عامر (٧) ٢٥٧.

التاملي (محمد بن يوسف) (٣) ٩١، ٩٥.

التبريزي (٢) ٢٠٠ (٦) ٢١٢.

التجاني (٥) ٨٤، ١١٠.

التجاني، أبو جعفر (٢) ٢٦٤، ٢٦٥.

التجاني، أبو الحسن (٣) ١٤١.

التجاني، الشهاب بن كحيل (٦) ٣٥٤.

التجاني (محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٥) ٦١، ٦٢ (٦) ١٥٤.

التجيبى (صاحب معجم المشيخة) أبو القاسم (٢) ١١٥، ٣٤٦ (٣) ١١٨، ١٢٢.

تحقون (١) ٦٣.

التجيبى (أبو عبد الله) (٥) ٣٥٦.

أبو تراب جندل (٣) ١٩٩.

الترجالي أبو عبد الله (٦) ٢٠٤.

الترمذي (٢) ١٦٥، ٢٠٦، ٢٥٠، ٣٠٢، ٣٠٣ (٣) ١٩٩، ٢٠٣، ٢٥٣، ٣٩٥ (٤) ٢٣ (٦) ١٧٤، ١٩٥، ٣٥٠ (٧) ٢١٣ (٨) ٣١٦.

التطيلي، الأعمى، انظر: الأعمى التطيلي.

تقية بنت غيث الأرمنازي (٣) ٢٠٢.

تقى الدين الأشموني (٦) ٣٢٥.

تقى الدين الثعلبي (٦) ٣٢٥.

تقى الدين السعدى (٦) ٣٢٥.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٥

تقى الدين بن دقيق العيد، انظر: ابن دقيق العيد.

تقى الدين محمد (الأسد) (٢) ٣٦٣.

ابن تقى انظر: الحسن بن إبراهيم بن محمد بن تقى.

التالسي، أبو جمعة بن علي (٦) ٢٠١.

التالسي، أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة (٨) ٣١١.

التلعفري، الشهاب (٢) ٣٩٧، ٤١٦، ٤١٧.

تليد (الفتى) (١) ٣٠٠، ٣٠٧.

تمام بن علقمة (٣) ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٢٠، ٣٢٤.

تمام بن غالب، أبو غالب، انظر: ابن التياني.

تمام بن محمد (٣) ١١٩.

أبو تمام، والد تمام بن غالب بن عمر، أبو غالب (٣) ٣٩٢.

أبو تمام (الطائي) (٢) ١٤٨، ٣٩٨ (٣) ٢٣، ٤٠، ٧٦، ١٥٥، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٢، ٣٩١، ٣٩٢ (٤) ٢٢، ١٢٣، ١٤٥، ١٨٦، ١٩٥، ٣٥٨، (٥) ٥٥،

٢٢١ (٦) ٨١ (٧) ٢١٨، ٢٦٧، ٣٠٥ (٨) ١٥٦ (٩) ٢١٨.

تميم الداري (١) ٢١٧، ٢٢٨.

تميم بن محمد التميمي (٣) ٢٩٣.

تميم بن مرّ بن الياس بن مضر (١) ٢٣١.

تميم بن المعز (١) ٩٧ (٢) ٤٥٧.

أبو تميم (٦) ٢٠٠.

أم تميم (٨) ٢٣٣.

التنسي، أبو إسحاق (٦) ٣٠٥.

التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل (٣) ١٧٨.

التنسي، أبو عبد الله (٢) ١٧٠ (٣) ٥٦، ٦٣، ١٧٨ (٥) ٢٢١، ٢٣٤ (٦) ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤ (٧) ٢٩٩، ٣٠٥ (٨) ٢٠٣.

التنوخى أحمد بن مسلم أبو طالب (٢) ٣٥٢ (٣) ٥٣، ٨٩، ١٢٠.

التوزري (محمد بن عبد الرحمن) أبو عبد الله (٣) ١٤٠ (٦) ٢٠٩، ٣٢٤.

توما الحكيم (٣) ١٦٩.

توماس (راهب) (٣) ٣٦.

التياري، أبو عامر (٢) ٢٦٤.

ابن التياني، (تمام بن غالب) أبو غالب (٣) ٣٩٢ (٤) ١٨.

ابن تيجان، أبو عبد الله (٦) ٢٠٥.

التيفاشي، أبو الفضل (٢) ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٩.

التيفاشي أبو يعقوب (الأب) (٢) ٤٤٩.

ابن تيفلويت، أبو بكر (٨) ٢٠٨، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٢.

تيمور لنك (٣) ١٣٠، ١٣١ (٧) ٢٩٦.

ابن تيمية (الفقيه) (٣) ١٤٧، ١٨١ (٦) ١٨٢، ٢١٠، ٢٣٠.

حرف الثاء

ثابت (الراوى) (٣) ٢٢٣.

ثابت (المحدث الأندلسى) (١) ٧٠.

ثابت بن أحمد بن عبد الولى الشاطبى، أبو الحسن (٣) ١١٨.

ثابت بن بندار (٢) ٢٩٩.

ثابت بن خيار الكلاعى، أبو المظفر، انظر:

ابن الطيلسان.

ثابت بن قاسم (١) ٣٠٧.

ثابت بن قره (٨) ٢٨.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٦

أبو ثابت بن عبد الرحمن أخو صاحب تلمسان (٦) ٣٤٢ (٨) ٩١، ١١٦.

أبو ثروان (هبنقة القيسى) (٥) ٤١٨.

الثعالبي (عبد الرحمن أبو زيد) (٦) ٢٢٩، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٥٤.

الثعالبي، عبيد (٩) ١٢٩.

الثعالبي، أبو منصور (٢) ٢٦١ (٣) ١١٤، ١١٦، ٢٤٧ (٤) ٣٣.

ثعلب (اللغوى) (٢) ٢١٦، ٣٤٣، ٣٥٤ (٣) ١٤٣ (٣) ٣٩١ (٦) ٢٨١.

ثعلبة بن سلامة الجذامى العاملى (١) ١٩٢، ١٩٣، ٢٣٧ (٣) ٣٠١، ٣٠٢.

ثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامى (٣) ٣٢٠.

أبو ثعلبة الخشنى (٢) ٢٠٨، ٣٦٦.

الثعلبى (المفسر) (٣) ٢٥٣.

ثمامة بن أشرس (٦) ٢٣٧.

أبو الثناء الحرانى (٢) ٣٥٥ (٣) ١٢، ١١٨.

ثوابة بن سلامة الجذامى (١) ٢٣٥، ٢٣٧ (٣) ٣٠٣، ٣٠٤.

ثوابة بن يزيد الجذامى (١) ١٩٣ (٣) ٣٠٢.

ثور بن عفير بن عدى (ابن الحارث) (١) ٢٣٥.

أبو ثور الفهمى (الصحابى) (٣) ٣٢٩.

أبو ثور (الفقيه) (٦) ١٠٥، ٢٣٧.

حرف الجيم

جابر بن أحمد بن عبد الله القرشي الخزرجي، أبو الحسن (٣) ١١٩، (٥) ٣٥٦.

جابر بن حيان (٧) ٣٠٣.

جابر بن خلف الفحصي (٤) ٣٠٩.

جابر بن عبد الغفار، أبو محمد (٦) ٣٢٦.

جابر بن عبد الله (٣) ١٣٧ (٤) ٦٦.

جابر بن العلاء بن شهاب (٣) ٣٢٦.

جابر بن لييد (٥) ١٠١.

ابن جابر الإشبيلي (٢) ٢٩٦ (٣) ٢٦٢، ٣٤١.

ابن جابر الأندلسي (١) ٤٨.

ابن جابر، أبو جعفر (أخو ابن جابر الضرير) (٧) ١٣٦، ٢٠٥ (٩) ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٦٩.

ابن جابر الوادي آشى (محمد بن محمد الهوارى) شمس الدين، أبو عبد الله الضرير (٣) ١٤٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦،

٢٦٧، ٢٦٩ (٥) ١٠٠، ٢٣٤، ٢٣٥ (٦) ١٦٩، ١٧٠، ٣٢٥، (٧) ١٦، ٥٢، ٥٣، ١٣٦، ٣١٥، ٣١٧ (٩) ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٦٩، ١٧٦، ١٨١،

١٨٢، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٧، ٢١١.

الجاحظ (٢) ١٢٧ (٣) ٣٩١ (٤) ٧، ٢٢، ٣٨٠ (٧) ٢١١.

ابن جاح البطليوسى، الصباغ (٤) ٢٤٠، ٣٧٠، ٣٧١ (٥) ١٦٧، ١٦٨.

الجاديرى (٦) ٢٨٧.

ابن جارة (٢) ٣٠٠.

ابن الجارود انظر: عبد الله بن على.

الجارية العجفاء (٣) ٣٩٧، ٣٩٩.

ابن جالوت، أبو الحسن (٣) ١٧٠، ١٧١.

جالينوس (٢) ٣٧٥ (٧) ٣٠٣.

ابن جامع، أبو سعيد (٤) ٥٥.

ابن جامع، أبو العلاء (٢) ٤٠١ (٤) ٢٢٤.

الجاموس الفقيه (٣) ٢٩.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٧

ابن جائة (٩) ١٥١.

الجبان، انظر: عبد الوهاب بن عبد الله الجبان الجبرتي (عبد الوهاب) أبو محمد (٦) ٢٠٩.

جيريل (الملاك) (١) ٥٨، (٢) ٢١٧، (٥) ٣٢٤ (٦) ١٩، ١٠٥، ١٣٦، ١٩٣، ٣٣٠ (٧) ١٩١ (٨) ٦٩، ٣٠٢ (٩) ٦٩، ٢٨٤.

جبله بن الأيهم (٥) ٣٥٨.

ابن جبير الأندلسي، أبو جعفر (٦) ١٣٠.

ابن جبير محمد بن أحمد صاحب الرحلة، أبو الحسين، الفقيه (١) ٢٣١ (٢) ٢٦٨ (٣) ١٢، ١٣، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤،

١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١٤ (٥) ٢٢٠، ٧٦.

ابن جبير اليحصبي (محمد أبو عبد الله) (٥) ٢٢٠، ٢٥٧.

الجبيرى انظر: خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير.

ابن جحاف، أبو أحمد (٥) ٣٤٥.

ابن جحاف، المعافى البلنسى، أبو محمد، انظر: أحمد بن جعفر بن عبد الله بن جحاف.

ابن جحدر الإشبيلي، أبو الحسن (٣) ٢٣٦ (٥) ١٠ (٨) ٢١٤، ٢١٥.

ابن جحش (٧) ٥٨.

ابن الجد، الحافظ، أبو بكر (٢) ٢٢٣، ٣٠٦، ٤٧٦ (٣) ١٩٨، ٢٠٢ (٤) ٣١، ٤٧، ٢٥٤.

ابن الجد، أبو عامر (٤) ٢٣٤ (٥) ١٨.

جدان بن عمرو المذحجي (٣) ٣٠٩، ٣٢١.

ابن جذام (٤) ٢٧٣.

جذيمة الأبرش (١) ١٥٤ (٢) ١٦٧، ٣٧٤ (٥) ٤١.

الجرأوى (أحمد بن عبد السلام الغفجومي) أبو العباس (٣) ١١٦ (٤) ٤٥، ٤٦، ٦٧ (٥) ٣٣.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٢٧.

ن جرج الذهبي، انظر: الذهبي الفيلسوف أبو جعفر.

الجرجاني (٣) ٢٢٧.

الجرجاني (على بن عبد العزيز) القاضي (١) ٣٦.

الجرجاني (٧) ٣٤٤.

الجرجاني، أبو العباس (٢) ٢٤٩.

الجرجاني، أبو الفتوح (٣) ٢٣٨.

الجرجاني، أبو محمد (٢) ٢٤٧.

الجرمي، أبو عمر (٣) ١٦٦.

جرول، انظر: الحطيئة.

جرير (٣) ١٤٩ (٤) ٢١، ٤٠٩ (٥) ٤١، ٨٠ (٧) ٣٤٨.

الجريري، أبو محمد (٦) ٢٠١، ٢٢٠.

الجزار (يحيى بن عبد العظيم) أبو الحسن الشاعر المصري (١) ١٣٢ (٢) ٤٧٨ (٣) ٩.

ابن الجزار السرقسطي، أبو بكر (٤) ٢٥١، ٣٦٣.

ابن الجزري (٣) ٢٧٩.

جزى بن عبد العزيز (٣) ٣٢٢، ٣٢٨.

ابن جزى (١) ١٣٤، ١٥٠ (٣) ٢٧٧ (٥) ٢١٩ (٧) ١٥٩ (٨) ٢٩٩.

ابن جزى الكلبى، أبو بكر (٣) ١٢٤ (٧) ٥٦، ٦٥ (٩) ١٣١.

ابن جزى، أبو جعفر (٦) ٣٧٥.

ابن جزى، أبو القاسم (٦) ٦٣ (٧) ٥٤، ٥٦، ٦٦، ٧١، ٧٨، ١٣٥ (٩) ١٣١.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٨

ابن جزى (محمد) أبو عبد الله (١) ١٣٢، ١٣٤ (٢) ٣١٢، ٢٥٤ (٣) ٢٧٢ (٦) ٥٦، ٥٥، ٦٦، ٧٠، ٧١، ٧٦ (٨) ١٩٤، ٢٩٠، ٢٩١.

- ابن جزى (عبد الله) أبو محمد (٦) ١٦٢، ٢٨١ (٧) ٥٣، ٥٦، ٧٧، ٧٨ (٩) ٢٣.
 بنت جزى (زوج الرهيصي) (٦) ١٠٧.
 الجزولي (عبد الرحمن بن عفان) أبو زيد (٢) ٢١٨، ٢٨٦ (٦) ٢٠٧، ٢١٤.
 الجزولي (محمد بن علي بن عبد الرزاق) أبو عبد الله (٦) ٢٠٠.
 الجزيري الوزير (٢) ٦٠، ٦١.
 الجزيري (٥) ٨٣.
 الجزيري، أبو عبد الله (٥) ١٤.
 الجزيري (عبد الملك) (٢) ١١٢.
 الجزيري المالكي، أبو القاسم (٦) ٢٨٩ (٧) ١٦٩.
 الجزيري أبو مروان (٣) ٣٥٩، ٣٦٠ (٥) ٢٢٢.
 جساس (٦) ٣٠٢ (٧) ٧٢.
 الجعبري، برهان الدين (٦) ٣٢٥.
 الجعدي (مروان بن محمد) (٨) ٨٨، ٢٣٠، ٢٦١.
 الجعدي (٤) ٤١٨ (٧) ٧٧.
 جعفر، انظر: المتوكل العباسي.
 جعفر، البرمكي (١) ٢٣.
 جعفر، خادم المستنصر (٢) ١٩٣.
 جعفر، صاحب الخيل (١) ٣٠١.
 جعفر، الطيار (٩) ١٧١.
 جعفر بن الحاج الميورقي (أبو الحسن) (٢) ٢٦٢.
 جعفر بن ربيعة (٣) ٣٢٩.
 جعفر بن زرياب (٣) ٣٨٤، ٣٨٧.
 جعفر بن عثمان الحاجب المصحفي، انظر:
 المصحفي.
 جعفر بن عبد الله الجحاف (أبو أحمد) (٤) ٣٩٣.
 جعفر بن علي الأندلسي (١) ٣٠٩، ٣١١، ٣١٧ (٤) ٤١١، ٤١٢.
 جعفر بن كلاب (٦) ٣٠٢.
 جعفر بن لب بن محمد بن ميمون اليحصبي (٣) ١١٨.
 جعفر بن محمد (٦) ٢٣٧.
 جعفر بن نسطور، الرومي (٣) ٢٠٤، ٣٣٧.
 جعفر بن يحيى البرمكي (٤) ٢٨٧.
 أبو جعفر بن أبي مروان بن سعيد (٤) ٥١، ٥٢.
 أبو جعفر (قاضى القضاة) (٦) ٣١٣ (٧) ٢٤.

- أبو جعفر الإلبيري (١) ٥٣، ٥٥، ٨٩، ١٦٤، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٣ (٥) ٢٠٧ (٩) ١٥٠، ١٦٩، ٢١٥.
- أبو جعفر الكناني (١) ٢٣١.
- أبو جعفر اللبلي (٣) ١٦٦.
- أبو جعفر بن أمية (١) ٢٤١ (٥) ٣٩١.
- أبو جعفر بن خاتمة (١) ١٤١.
- أبو جعفر بن الطباع انظر: أحمد بن الطباع.
- أبو جعفر بن عباس (٤) ٣٧٣.
- أبو جعفر بن المعتصم بن صمادح (٤) ١٧٤.
- أبو جعفر التميمي (٢) ٢٢٥.
- أبو جعفر الديباجي (٢) ٢٦٤.
- أبو جعفر الغساني (٥) ٩٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٩
- أبو جعفر الكاتب القرطبي الرضوي (٤) ٩٢.
- أبو جعفر المنصور (١) ٢٢٥، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٧ (٣) ٣١٢، ٣٢٧، ٣٣١ (٤) ١٩، ٥٥، ٦٠، ٦٧، ٨٦ (٧) ١٧٨، ٢٩٠، ٣٠٥، ٣٠٧ (٨) ١٧٨.
- أبو جعفر النحوي (٢) ٢٨٩ (٣) ١١٩.
- أبو جعفر (البقيرة) (٥) ٨٠.
- أبو جعفر بن صفوان القيسي المالكي (٩) ١٨٤.
- الجعفي، انظر: المتنبى.
- ابن جعوان (شمس الدين) (٢) ٣٥٧، ٣٥٩.
- جعونة بن الصمة الكلابي، انظر: أبو الأجر الكلابي.
- ابن الجلاب (محمد) الفهري، أبو عبد الله (٤) ٢٦٤ (٥) ١٠٤، ٢٤٦، ٣٥٠ (٧) ٨١.
- جلال الدين الخطيب (٨) ٢٧٣.
- جلال الدين السيوطي، انظر: السيوطي.
- ابن جلال (شيخ المقرئ العم) (٦) ٢٢٦.
- ابن جلجل سليمان (٤) ٢٠.
- الجلياني (عبد المنعم بن عمر) الحكيم الغساني (٣) ٢٢٩ (٥) ٢٤٠.
- الجلياني، أبو عبد الله (٧) ٢٥٧.
- ابن جماعة (بدر الدين) (٢) ٣٥٧ (٣) ١٤٨ (٦) ٢٢٢.
- ابن جماعة (عز الدولة) الكناني (٣) ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠ (٥) ٢٤٧ (٦) ١٨١، ١٩٩.
- ابن جماعة، عمر بن عبد العزيز (٦) ٣٢٤.
- ابن جمال الخلافة (٢) ١٦٥.
- جمال الدين (متولى الجيزة) (٥) ٣٠٢.

- جمال الدين المالكي (٣) ٢٢٣، ٢٨٢.
- جمال الدين اليعمورى (٢) ٣٧٠.
- جمال الدين إبراهيم بن محمود الحلبي (٨) ٢٩٦.
- جمال الدين أبو الحسين الجزار المصرى، انظر: الجزار أبو الحسين المصرى الشاعر.
- جمال الدين محمد الخزر جى السعدى العبادى (٦) ٣٢٣.
- جمال الدين محمد بن أحمد البكرى الشريشى أبو بكر (٣) ٢٢٢.
- جمال الدين محمد بن محمد بن ذى النون (٢) ٢١٣، ٢١٤.
- جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة، انظر:
ابن نباتة.
- جماهر بن عبد الرحمن، الطليطلى، أبو بكر (٢) ٢٢٦.
- جميل بن معمر (٤) ٢٧٤ (٥) ١١٠، ١٣٧ (٧) ١٢ (٩) ٢١٥.
- ابن جميل (٥) ٢٠٤.
- الجنان، الشيخ أبو جعفر (٧) ١٦٧، ١٦٨.
- ابن الجنان (محمد بن المشرف أبى عمرو بن الكاتب) الشاطبي، أبو الوليد (٢) ٢٧٢ (٤) ١٦٠.
- جنكر خان (٣) ١٣١.
- ابن جنى (٦) ٣١٣، ٣١٤.
- الجنيد (محمد بن محمد بن محمد) الصوفى أبو الفتوح (٦) ١٩٤، ١٩٥، ٢٠١، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٣٧ (٨) ٣١٨.
- أبو جهل (٤) ٣١١ (٩) ٢٠٦، ٢٤٧.
- ابن الجهم (عالم القرآن) (٢) ٢١٦.
- ابن الجهم (على) الشاعر (٣) ٣٩١ (٥) ١٣٨ (٧) ٣٤١.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٠.
- أبو جهم العدوى (٢) ٧٨.
- جهور بن خلف بن أبى عمر بن قاسم المعافرى، أبو الحسن (٣) ١١٩.
- جهور بن يوسف بن بخت (٣) ٣٢٥.
- ابن جهور (٢) ٢٩ (٣) ٢٠٢.
- ابن جهور عبد الملك، (وزير الناصر المروانى) (١) ٢٧٩، ٣٠٩ (٤) ٣٧٩.
- ابن جهور (جهور بن محمد أبو محمد) (١) ٣٢٨، ٣٣٨.
- ابن جهور (جهور بن محمد) أبو الحزم (١) ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠.
- ابن جهور، أبو الوليد (١) ٢٣٩.
- ابن جهير، أبو منصور (٢) ٢١٠.
- جؤذر، الفتى (١) ٣٠٨ (٣) ٣٥٣.
- أبو الجود (٣) ١٥٥.
- الجوزقى (٣) ٥٣.

الجوزى (٦) ٢٤٩.

الجوزى (جمال الدين بن جلال الدين) (٩) ٢٨٥.

الجوزى، أبو العباس، الشيخ (٢) ٢٢١.

ابن الجوزى، أبو الفرج (١) ٢٤٨ (٢) ٢٥٩، ٣٠٥ (٣) ٢٠١، ٢٢٧، ٣٣٦ (٤) ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧ (٧) ٢٧٥ (٨) ١٣٠.

جوهره (جارية المعتمد بن عباد) (٥) ٣٨.

الجوهري (صاحب الصحاح) (٢) ٢٠٤، ٧ (٣) ٢٣٧، ٢٠٧ (٤) ٢٢٨، ٢٤٥ (٨) ١٦١، ١٩٧.

الجوهري، أبو الفضل (٢) ٢١٠، ٢١١.

الجويني، أبو المعالي (الإمام) (٣) ٣٣٧.

ابن الجياب، أبو الحسن (٥) ٢٣٨ (٦) ١٦، ٤٣، ٤٧، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ١٠٧، ٣٥٨، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١ (٧) ٣، ٤، ٦، ٩، ١٥، ٢٩، ٤١، ٧٨.

١٨١، ١٨٢، ٢٣٧، ٢٧٠، ٣٥٨ (٨) ١٣٦، ١٩٥، ٢٨٥ (٩) ١٣٧، ١٨٣.

ابن الجيان (محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري)، أبو عبد الله (٨) ١٥٢ (٩) ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٨،

٣١٤، ٣١٨.

ابن الجياب، أبو عبد الله (٦) ٢٠٨.

ابن الجياب بن علي، أبو القاسم (٦) ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦.

الجيار، أبو الحسين (٦) ٢٠٩.

ابن الجيان المرسى (أبو عبد الله، محمد) (٩) ٢٣٧، ٢٩٤.

الجيانى: انظر: ابن فرج الجيانى.

ابن الجيار، أبو العباس (٣) ٣٣٩.

أبو الجيوش (أمير المسلمين النصرى) (٧) ٤٠.

حرف الحاء

حاتم الطائى (١) ١٥٤ (٢) ٢٥٤ (٣) ٤٢، ٤٢ (٤) ٢٩، ٤٢، ٢٩١، ٣٧٣ (٧) ٢١٨، ٣٠٣ (٨) ١٠٨، ١٢٠، ٢٢٩، ٣١١ (١٠) ٤١.

حاتم بن عبد الله البزار (٢) ٢٨٥.

حاتم بن محمد، أبو القاسم (٣) ٣٩٢.

ابن حاتم، أبو القاسم (٥) ٢٢٠.

أبو حاتم (٤) ١٦٦ (٥) ٨١.

أبو حاتم السجستاني (سهل بن محمد بن عثمان) (٢) ٢١٥، ٣٦٦.

أبو حاتم العزفى (٦) ٣٠٩.

الحاتمى، انظر: ابن عربى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣١

ابن الحاج (صاحب قرطبة) (٤) ١٠٧، ٢٤٦.

ابن الحاج (النحوى) (٥) ٨٤.

ابن الحاج الإشبلى، أبو العباس (٣) ٣٣٤.

ابن الحاج البكري الغرناطي، أبو عبد الله (٥) ٢٣٨ (٧) ١٩، ٢١.

ابن الحاج البلبيقي، انظر: أبو البركات بن الحاج البلبيقي ...

ابن الحاج، الغرناطي النميري، أبو إسحاق (٣) ١٤٠ (٧) ٧١، (٨) ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٩.

ابن الحاج، أبو إسحاق (جد أبي البركات) (٧) ١٩، ٢١.

ابن الحاج أبو الحسن (٤) ٨٤، ٢٤٩ (٥) ٤٧، ١٥١.

ابن الحاج، أبو عبد الله (٢) ٣٠٢.

ابن الحاج (ابن عبد الله الأندلسي) أبو عمرو (٨) ٢٨٨.

ابن الحاج (ابن أحمد الهواري) أبو محمد (٢) ٢٣٤.

ابن الحاج، أبو يحيى (٨) ٢٢٧.

ابن الحاجب عثمان بن عمر، أبو عمرو (٢) ١٩٧، ٢٤٧، ٣٥٧ (٣) ١٤٧، ٢٢٢، ٢٥٣، ٢٧٧، ٢٧٨ (٦) ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٧،

٢٠٨، ٢٥٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٥ (٨) ٢٨٣.

الحارث المحاسبي (٢) ٣٣٢.

الحارث بن أبي أسامة (٢) ٢١٦.

الحارث بن أبي شمر الغساني (٣) ٣٢٠.

الحارث بن عباد (٥) ١٦٩، ٤٢٤.

الحارث بن عدى بن الحارث (١) ٢٣٥.

الحارث بن مسكين (٢) ٢١٨، ٣٥٣، ٣٦٨ (٣) ٢٢٨.

الحارث بن مضاخ (٥) ٣٨٣.

الحارث بن هشام (٧) ٢٣٢، ٢٨٤.

الحارث بن يزيد (٣) ٣٣٠.

ابن حارث (٢) ٢٩٥.

حازم بن محمد القرطاجني أبو الحسن (٢) ٣٣٤، ٣٤٤ (٣) ١٥٦، ١٨٦ (٤) ٣٦٣ (٥) ٨٤، ٢٨٥ (٦) ١٦٠ (٧) ٢٤، ٥٩، ٦٣.

الحازمي (١) ٢٣٥، ٢٣٦.

ابن الحاسب (ابن الحسن) أبو الحسن (٥) ٧٦.

حاشد البغدادي (٣) ٣٦١.

الحافظ السلي (٢) ٣٠٥، ٣٠٧.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله (٢) ٢٩٠، ٢٩٨ (٣) ١٣٨، ٣٣٤.

الحاكم بأمر الله، العبيدي (٣) ٢٠٣، ٢٤٧، ٢٤٨.

حام بن نوح (٣) ٢٣٤.

حامد بن العباس، أبو حاتم (٣) ١١٩.

حامد بن سمحون (١) ١٦٥.

ابن حامد، أبو محمد (٦) ٦٠، ٦١، ٦٢.

أبو حامد بن شعيب (الحسين بن علي) (٤) ٢١٧.

- ابن حامل (٦) ٣٢٤.
- الحباب الزهرى (١) ١٩٣، ١٩٤ (٣) ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٠٩.
- حبابه (٢) ١٤٩.
- الحباك (عمر) أبو على (٨) ٣٢١.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٢
- الحبال: مسند مصر (٢) ٢٥٠.
- حبان بن أبي جبلة القرشى، أبو النصر (١) ٢٢٢، ٢٢٩ (٣) ٢٩١، ٣٣٠.
- حبان بن سمح الصدائى (٣) ٣٢٩.
- ابن حبشيه، أبو عبد الله (٧) ٥، ٦.
- حبلاص، الشاعر الرندى (٥) ١٧١.
- حبوس بن ماكسن الصنهاجى (١) ١٣٢.
- ابن حبوس، انظر: باديس بن حبوس.
- حبيب العجمى (٦) ٢٠١، ٢٢٠ (٨) ٣١٨.
- حبيب بن أبى عبيده، الفهرى (٣) ٣٠٣.
- حبيب بن أوس الطائى، انظر: أبو تمام الطائى.
- حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان (٣) ٣٢٨.
- حبيب بن منده المرى (١) ١٩٠.
- حبيب بن الوليد المروانى الداخلى، انظر: دحون.
- ابن حبيب، انظر: بدر الدين بن حبيب.
- ابن حبيب القصرى (٤) ٢٧.
- ابن حبيب (إسماعيل) أبو الوليد (٤) ٢٢٠ (٧) ٦٦.
- الحببى، انظر: بشر بن حبيب بن دحون الحببى.
- ابن حبيش (٣) ٢٠١، ٢٠٤، ٣٣٠، ٣٦٢ (٤) ٥٨ (٥) ٧٨، ٨٢ (٥) ٢٤٥.
- ابن حبيش، أبو إسحاق (٣) ٢٠٠.
- ابن حبيش، أبو بكر، محمد بن الحسن بن يوسف (٤) ٢٥٢، ٣٨٩ (٥) ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧.
- ابن حبيش أبو القاسم (٥) ٣٥٢، ٣٦١ (٦) ٥٣.
- الحجاج (بن يوسف) (٣) ٩٢، ١٣٢، ١٦٣، ٢٩٧ (٥) ٤١٩ (٦) ٢٠٨، ٢٦٧ (٧) ٢١١.
- ابن حجاج (الشاعر) (٥) ٤٢٣.
- ابن حجاج، أبو بكر الغافقى (٤) ٢٦٨ (٥) ٦٥.
- ابن حجاج، أبو الوليد (٨) ٢٢٧.
- أبو الحجاج (يوسف بن عبد الله بن أيوب الفهرى) الأندلسى الدانى (١) ٩١.
- أبو الحجاج الثغرى الغرناطى (٣) ٢٣٦.

- أبو الحجاج، الحافظ (٧) ١٥.
- أبو الحجاج (يوسف بن نصر) السلطان النصرى (٥) ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٩٥، ٣٩٧ (٦) ٣٤٢، ٣٤٠ (٧) ٥٧، ٤٦، ٤٧، ١٤٨، ١٥٤، ٣٧٧ (٨) ٤٦، ١٧٠ (٩) ٢٢، ٥٠، ٥٤، ١٧١، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٩، ٢٩٠.
- أبو الحجاج الساحلى انظر: يوسف بن إبراهيم ابن محمد الفهرى.
- أبو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوى الملقى (١) ١٣٣.
- أبو الحجاج بن الشيخ (٧) ٥٥.
- أبو الحجاج (ابن الغنى بالله النصرى) (٥) ٢١٩ (٩) ٢٢، ٢٤.
- أبو الحجاج (يوسف) الفهرى (٥) ٨٩.
- أبو الحجاج (يوسف بن إسماعيل بن فرج) السلطان (٥) ٤١٠ (٦) ٤٧، ٤٨، ٧٠، ٨٠، ٨٢، ٣٢٢ (٧) ٥٥، ٤٨ (٩) ٢٤، ٩٢.
- أبو الحجاج (يوسف بن عيسى) الأعلم،
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٣
انظر: الأعلم الشتمرى.
- أبو الحجاج (يوسف بن موسى) الجذامى المنتشاقرى، انظر: المنتشاقرى.
- الحجار (محدث) (٦) ١٨٢ (٧) ١٦.
- الحجارى (عبد الله بن إبراهيم) أبو محمد (١) ١١٨، ١١٩، ١٣٥، ١٥٥، ١٦٥، ١٨١، ١٨٧، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٤١، ٣١١، ٣٣٧ (٢) ٤، ٧، ١٤، ٢٣، ٩٢، ١٩٩، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٦٧، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥١، ٥٣ (٣) ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٣١، ٣٤٠ (٤) ٤، ١٦، ٢٥، ٢٦، ١٩١، ١٥٥، ١٨٨، ٢٠٥، ٢١٦، ٢١٩، ٣٠٠، ٣٠٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٥٢ (٥) ١٦، ٢١، ٢٤، ٤٣، ١٨٣، ١٩٦، ٢١٢، ٢٢٩ (٨) ٢٢٩، ٢٣٠.
- الحجارى بن عبد الله بن إبراهيم أبو جعفر (٢) ٤٤٧.
- الحجارى، أبو حاتم (٤) ٢١٦.
- الحجارى (عبد الملك بن غصن) أبو مروان (٤) ١٦٨، ٢١٨.
- الحجارى (محمد بن عبد الله بن إبراهيم) (٢) ٣٨٧، ٤٤٧.
- الحجام (غالب بن رباح) أبو تمام (٤) ٢١١، ٢١٣، ٣٤٩ (٥) ٩٢.
- حجر (١) ٢٤٣.
- ابن حجر، انظر: امرؤ القيس.
- ابن حجر العسقلانى، الحافظ (١) ٦٢ (٢) ١٨٤، ٢٢١ (٣) ٥٠، ٤٦، ١٧٩، ٢١٤، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٣ (٤) ٢٢، ٢٣٩ (٦) ٩٣، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٥٤ (٧) ٥٣، ٢٨٩ (٨) ١٦، ٣١٨.
- الحجرى (عبيد الله) أبو محمد (٢) ٢٨٥.
- ابن حجة الحموى (٩) ٣٠٣.
- ابن الحداد (٧) ٢٩.
- ابن الحداد الخولانى، أبو الحسن (٢) ٢٠٠ (٥) ٨٨.
- ابن الحداد (محمد بن أحمد) الوادى آشى، أبو عبد الله الشاعر (٤) ٨٧، ٢٨٢، ٤١٦، ٤١٧ (٥) ٤، ٤٥، ٣٩١ (٧) ١٥٠، ١٩٧ (٨) ٢٢٣، ٢٨٦.

- ابن حديد (٢) ٤١٥.
- ابن الحذاء (٢) ٣٦٤.
- ابن حذلم (عبد الله بن عبد الله) الفقيه أبو محمد (٦) ١٦٢، ١٦٣، ٣١٥.
- الحذلمى (٣) ١١٢.
- حذيفة بن الأحوص القيسى (١) ١٩١، ٢٣٧ (٣) ٢٩٨.
- حذيفة بن اليمان (٤) ١٣.
- الحر بن عبد الرحمن الثقفى (١) ١٩١، ٢٣٢، ٢٣٧ (٣) ٢٩٥ (٥) ٢٥٩.
- الحرار الأستاذ (٢) ٣١٠.
- الحرانى (على بن أحمد) الأندلسى أبو الحسن (٦) ٢١٦، ٢٥٩.
- أم حرام بنت ملحان (٤) ١١.
- الحرانى، أبو عبد الله (٢) ٣٦٨.
- الحرانى أبو العز (٣) ١٦٥.
- ابن حرب (٤) ٣٨٤.
- ابن حرزهم، أبو الحافظ الحسن (٦) ٢٠٠، ٢٠١، ٢٢٠ (٨) ٣١٧.
- الحرستانى، أبو الفضل (٣) ٢٠٢.
- الحرستانى، أبو القاسم (٢) ٣١٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٤
- ابن الحرستانى (٣) ١٩٧.
- حرقة بنت النعمان بن المنذر (٣) ٣٠٤.
- حرملة بن عمران (٣) ٣٣٣.
- أبو حريث (٦) ٢٠١.
- الحريرى، أبو محمد (١) ٢٤٦ (٢) ٢٦٩، ٣١٣، ٣٣٣، ٣٥٤ (٣) ١٢١، ٢٠٣، ٢٧٨ (٤) ٣٣٦، ٣٩٤ (٦) ٥٩، ٢٨١ (٨) ٢٢٥.
- حريز بن عكاشة (٤) ١٦٤، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣.
- أبو حريش (٦) ٢٤٦.
- ابن حريق، أبو الحسن (١) ١٥٣ (٢) ٢٦٨ (٤) ١٧٥، ٢٠٧، ٢٥٠ (٥) ٥٤، ٦.
- ابن حزب الله، أبو العباس (٦) ٢٠٩.
- ابن حزب الله، أبو عبد الله (٧) ١٣٦.
- ابن حزم (عمرو بن مذحج) أبو الحكم (٢) ١٣٨ (٤) ٢٥٦.
- ابن حزم (أحمد بن سعيد) أبو عمر، والد الفقيه (٢) ٢٤٣، ٢٤٤ (٥) ٢٤٩.
- ابن حزم، الحافظ الظاهرى، أبو محمد (١) ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٦٩، ٣٠٠ (٢) ٢٨، ٥٦، ١٨٧، ٢١٥، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٣٠٧، ٣٦٧ (٣) ٧، ١٢٦، ١٢٨، ١٩٨، ٢٣٩، ٣٢١، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٦٢ (٤) ٤، ٧، ٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٤٦، ١٦٨، ٢٦١، ٣٢٧، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٣، ٣٦٤، ٤١٦ (٥) ٥٩، ٩٤، ٩٥، ٢٢٤، ٢٤٢ (٨) ٢٤٢.
- ابن حزم (عبد الوهاب بن أحمد) أبو المغيرة (٢) ٢٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ٢٥٨ (٤) ٧.

- ابن حزم (محمد بن يحيى) أبو الوليد (٤) ٢٢٧، ٣٢٦ (٨) ٢٣٨، ٢٣٩.
- ابن حزمون المرسى أبو الحسن (٤) ٢٥١ (٨) ٢١٠.
- حسام بن ضرار الكلبي، انظر أبو الخطار حسام.
- حسان، صاحب اليمن، انظر: تبع.
- حسان، أبو العلاء (٣) ٤٠١.
- حسان بن ثابت (٣) ١١٣، ٢٥٨، ٢٦٠ (٤) ١٩٥ (٦) ٢٠، ٣٠، ٩٧ (٧) ٢٦٧ (٨) ١٩٠، ٢٣٧ (٩) ٢٦٧.
- حسان بن مالك بن أبي عبدة (١) ٣٣٧ (٤) ٣٢١.
- حسان بن مالك الكلبي، أبو عبيدة (٣) ٣٠٩.
- حسان بن المصيصي (٥) ٢٢٢.
- ابن حسان، أبو القاسم (٤) ٢٥٨ (٧) ٤٧.
- حسانة بنت أبي المخشي التميمية (٥) ١٠٠، ١٠١.
- ابن حسداى، أبو الفضل (٢) ٦٣، ١٤١ (٤) ٩٠، ١١٣، ٢٠٠ (٥) ٨٧، ٨٨.
- الحسن فى شعر ابن الخطيب (٧) ٢٤١ (٨) ١٦٢.
- حسن (صبي كان يقرأ النحو على ابن الفراء) (٤) ١٨٧.
- الحسن البصرى (١) ٧٠ (٢) ٣٥٢ (٣) ٢٨٢ (٤) ١٧، ٦٥ (٦) ١٣٥، ٢٠١، ٢٢٠، ٢٤٩.
- الحسن البغدادي، أبو على (٢) ٢٨٩.
- الحسن الهوزنى، أبو القاسم (٢) ٢٠٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٥
- الحسن بن إبراهيم بن محمد بن تقي الجذامى المالقى، أبو على (٢) ٤٦٣ (٣) ١٢٠، ١٢١.
- حسن بن إبراهيم، العراف (٥) ٣٩١.
- الحسن بن أبي حفص، خال أبي بكر بن العربى (٢) ٢١٢.
- الحسن بن أحمد الفارسى، أبو على (٣) ٣٦١.
- الحسن بن أحمد المسفيوى المراكشى، أبو محمد (٧) ١٧١.
- الحسن بن البرقعيدى (٤) ١٦٠، ١٦١.
- الحسن بن جعفر القضاعى، أبو على (٣) ١٢٠.
- حسن بن حبيب (٣) ٢٦٢.
- الحسن بن حرب الدانى (٨) ٢٨.
- الحسن بن حفص بن الحسن البهرانى، أبو على (٣) ١١٩.
- الحسن بن خلف بن يحيى الأموى، انظر: ابن برنجال، أبو على.
- الحسن بن رشيق، أبو محمد (٢) ٢٦٠، ١١٩ (٣) ١٢٠، ١٢٣.
- حسن بن زرياب (٣) ٣٨٧.
- الحسن بن زفير، الإربلى المتطبب بدر الدين (٤) ١٥٧.
- الحسن بن سهل (٥) ١٣٤.

- الحسن بن صباح، أبو صادق (٢) ٣٥٥.
- الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة، المغربي (٩) ٢٧٨.
- الحسن بن عبد الله العجمي، مصلح الدين (٦) ٣٢٤.
- الحسن بن علي البطليوسي، أبو علي (٣) ١٢٠، ١٢١.
- الحسن بن علي الحسيني، أبو محمد (٢) ٣٠١.
- الحسن بن علي الواسطي عز الدين أبو محمد (٧) ٣٨٥.
- الحسن بن علي بن أبي طالب (٣) ٢٤٩ (٦) ١٩٤، ٢٣٢ (٩) ٢٠٤، ٢٠٥.
- الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس (٢) ٤١ (٤) ١٣٦.
- حسن بن علي بن عمر الفكون، انظر: ابن الفكون القسنطيني.
- الحسن بن علي بن عيسى بن الحسن اللخمي (٦) ١٩٤.
- حسن بن علي بن القطان، أبو محمد (٣) ٢٠١.
- الحسن بن كان (٦) ٣٥٤.
- الحسن بن كسرين المالقي (أبو علي) (٤) ١٩٨.
- الحسن بن محمد الحافظ الجياني انظر:
الجياني.
- الحسن بن محمد الحافظ الجياني أبو الحسن (٣) ١٨٣.
- الحسن بن محمد بن الحسن الأنصاري، أبو علي، انظر: ابن الرهيبيل.
- الحسن بن محمد بن الربيب القروي، انظر:
ابن الربيب القروي أبو علي.
- حسن بن محمد (٢) ٨٨.
- حسن بن محمد بن عمار الكلاعي الميورقي (٢) ٢٢٥.
- الحسن بن محمد بن محمد البكري، أبو علي (٢) ٣٤٥ (٦) ١٩٤.
- الحسن بن مشاور، ناصر الدين، انظر: ابن النقيب.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٦
- الحسن بن هانيء، انظر: أبو نؤاس.
- حسن بن يوسف، أبو علي (٧) ١٣٦.
- حسن بن يوسف بن يحيى، الحسنى السبتي (٦) ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٣٢٦ (٩) ١٨٣.
- أبو الحسن، صاحب المقرئ الجد (٦) ٣٢٠.
- أبو الحسن الأخفش، انظر: الأخفش.
- أبو الحسن الأشعري (٢) ٢٣٣.
- أبو الحسن الباهلي (٦) ٢٤٧.
- أبو الحسن البجائي (٢) ٣٢٠.
- أبو الحسن التلمساني المسن (٧) ١٣٦.

- أبو الحسن التميمي (٦) ٣٢٥.
- أبو الحسن الخزاعي (٢) ٢٦٠.
- أبو الحسن بن جودي (٤) ١٤٥.
- أبو الحسن الخلعي، القاضي (٢) ٢٥٠، ٢٠٠.
- أبو الحسن الصنهاجي (٩) ١٢٠، ١٢١، ١٢٣.
- أبو الحسن العنسي (٣) ٤٠١.
- أبو الحسن اللخمي (٦) ٢٢٦.
- أبو الحسن اللورقي (٤) ٣٦٢.
- أبو الحسن المحروق (١٠) ٢٣.
- أبو الحسن المريني (السلطان) (١) ٣٤٧ (٢) ١٣، ١٩، ١١٤، ١١٥، ١٧٠، ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٢٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤١٠، ٤١٦ (٦) ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ١٢٩، ١٥٢، ٣٢٦، ٣٤٢، ٣٤٥ (٧) ٦، ١٣، ١٤، ٧٠، ١٣٧، ١٤٦، ٢٠٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، (٨) ٩٠، ٩١، ١١٠، ١١١، ١٧١، ١٨٩، ٣٠٢ (٩) ١٤٩.
- أبو الحسن بن أبي محمد بن الحسن: انظر النباهي.
- أبو الحسن الهمذاني (١) ٨٨.
- أبو الحسن بن حصن الإشبيلي (٤) ٨٩.
- أبو الحسن بن أبي نصر (٢) ٣١٦.
- أبو الحسن بن سليمان، الفقيه القاضي (٦) ٣٢٠ (٧) ١٦.
- أبو الحسن علي (والد الرشيد العطار) (٢) ٣٦٧.
- أبو الحسن علي بن شعيب (٤) ٢١٧.
- أبو الحسن بن عثمان (٦) ١٨٨.
- أبو الحسن بن الفضل (٨) ٢١٠.
- أبو الحسن بن لسان (٦) ١٥٦، ١٥٨.
- أبو الحسن بن ماجه (٣) ١٧٨.
- أبو الحسن بن المنذر الأشبوني (٤) ٢٢٦.
- حسون والد ابن الحاج، صاحب قرطبة (٤) ١٠٧، ١٠٨، ٢٤٦.
- ابن حسون، أبو علي (٤) ١٩٢.
- أبو حسون (علي بن محمد الشيخ بن يحيى) الوطاسي (٥) ٤١٤.
- الحسين الطبري (أبو عبد الله) (٢) ٢٠٠.
- الحسين بن أحمد بن الحسين التجيبي القرطبي (٣) ١٢٢.
- الحسين بن أحمد بن علي بن فطيمه، أبو عبد الله (٣) ١٢٠.
- حسين بن الحسين، أبو علي (٦) ١٨٢، ١٨٩، ٢٠٧.
- حسين بن صالح بن أبي دلامه، انظر: ابن أبي دلامه، أبو علي.
- الحسين بن الضحاك (٤) ٣٨٨.

حسين بن عاصم (٤) ٢٠.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٧

الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص، انظر: ابن أبي الأحوص، أبو علي.

الحسين بن عبد الله المفلح، أبو عبد الله (٣) ١١٩.

الحسين بن علي (بن أبي طالب) (٣) ٣٠٤، ٣٢٦ (٤) ٦٦ (٥) ٥٧، ٢٣٣ (٦) ٥٩، ١٥٦، ٢٥٣ (٩) ٢٠٤، ٢٠٥.

الحسين بن علي الطبري، أبو عبد الله (٣) ١٢٤.

الحسين بن علي بن الحسين، أبو القاسم، انظر: ابن المغربي.

حسين بن محمد بن فيره بن حيون، انظر: ابن سكرة أبو علي الصدفي.

الحسين بن يحيى الأنصاري (الثائر بسرقسطة) (٣) ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٨.

أبو الحسين (من مشايخ فاس) (٤) ١٣٧.

أبو الحسين البلنسي الصوفي (٥) ٩٦.

أبو الحسين التنيسي (٦) ٢٠٢.

أبو الحسين الجزائر المصري (٢) ٣٩٣، ٣٩٥.

أبو الحسين الحرثي (٣) ١٢.

أبو الحسين بن أبي عامر الأشعري (٣) ١٧٩.

أبو الحسين بن التلمساني (٩) ٥.

أبو الحسين بن سراج (١) ١٣٦.

أبو الحسين بن يحيى (٣) ٢٢٤.

الحصار، أبو جعفر (٢) ٢١٧.

الحصري، أبو الحسن (٢) ٢٦٤، ٢٩٩ (٥) ٥٢، ١٦٩، ١٧١.

الحصري، صاحب الزهر (٤) ٢٥، ١٤٢.

الحصني (الشرف) (٢) ٣٥٨.

الحصين بن الدجن (٣) ٣٢٦.

ابن الحصين (٣) ٢٢٣.

الحضرمي (٢) ٨، ٩.

الحضرمي (محمد) أبو عبد الله (٢) ٣٥٢ (٣) ٢٧٩، ٣٣٤ (٧) ٥٤.

ابن حطان (شاعر) (١) ١١٢.

الحطيئة، جرول (٣) ١١٣، (٥) ٧٠ (٦) ١٨٥.

الحفار (محمد بن علي الأنصاري) أبو عبد الله (٣) ٢٧٨ (٦) ٣٥٤ (٧) ٥٣.

أبو حفص الجمحي (٣) ٢٢٨.

أبو حفص الدينوري (٢) ٢٢٨.

أبو حفص بن شراجيل (٣) ١٢١.

أبو حفص بن الطباع (٣) ١٦٥.

أبو حفص عمر بن عبد المؤمن بن علي (٤) ٢٢٠ (٥) ٣٥٢ (٦) ١٥٨.

أبو حفص (عمر بن إسماعيل) (٢) ٣٦٧.

أبو حفص بن عمر، القاضي القرطبي (١) ٢٣٢ (٤) ٤٥، ٧٠ (٥) ٩٦.

أبو حفص (عمر) الوراق (٣) ١٥٦.

أبو حفص (عمر بن أبي يحيى أبي بكر) صاحب تونس (٨) ٢٩٤.

حفصة بنت الحاج الركونية (٤) ٥١، (٥) ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢.

حفصة بنت حمدون (٥) ٢٠٤.

الحكم المستنصر، انظر: المستنصر المرواني.

(الحكم بن عبد الرحمن الناصر).

الحكم بن عبدل، الشاعر (٣) ١١٠.

حكم بن محمد (٣) ١٨٣.

الحكم بن هشام الربضي (١) ١٣٨، ٢٣٧، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، (٢)

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٨

١٠١، ١٠٠ (٥) ٢٩١، ١٨٨، ٤٨.

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل (٢) ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، (٣) ٢٣٣، ٣٨٨.

حكم بن الوليد، أبو العاصي (٨) ٢٥١.

ابن الحكم أبو القاسم (٦) ٣٧٥.

ابن الحكم القبطي، أبو عمرو (٤) ١٢٢ (٥) ١٢.

ابن حكم (الأستاذ) (٦) ٢١٣.

أبو الحكم (عبيد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد) الباهلي (٣) ٢٣٢.

أبو الحكم (عبد المحسن) البلنسي (٥) ٢٤١.

أبو الحكم (عبيد الله) الأموي مولاهم الأندلسي (٥) ٢٥٤.

أبو الحكم بن حجاج (٢) ٢٠٢.

أبو الحكم (مالك بن المرحل)، انظر: مالك ابن المرحل.

الحكيم موفق الدين (٣) ٢٥٣.

ابن الحكيم (محمد بن أبي عبد الله الرندي) أبو بكر (٢) ٢١٦، ٢١٨ (٦) ٣١٢ (٧) ١١، ١٢، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٤٦، ١٣٦.

ابن الحكيم (الوزير) أبو عبد الله (٢) ٣٩٧ (٣) ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١ (٤) ٢٣٨ (٥) ٤٢، (٦) ١٢، ١٨٨، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨،

(٧) ٤٠، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٧٨، ٧٩.

الحلاج (٥) ١٣٢ (٦) ٢١٥، ٢٢٣، ٢٦٠، ٢٧٧، ٣٥٩ (٧) ١٣٠.

حلل (أم ولد) (١) ٢٦٣.

حلول (٣) ٢٧٧.

حليمة السعدية (٩) ٢٥٩.

حماد بن أحمد السلمى (٣) ٢٢٣.

- حماد بن زيد (٣) ١٢٨.
- حماد بن سلمة (٣) ٢٢٣ (٥) ٣٠، ٣١.
- حماد بن الوليد الكلاعي، أبو يوسف (٣) ١٢٢.
- الحمار (سعيد بن فتحون) السرقسطي (٤) ٢٠، ٢٨٣.
- ابن الحمارة (علي) أبو الحسين (٥) ٧٧، ٧٨.
- ابن الحمارة (محمد الغرناطي) أبو عامر (١) ١٧٠ (٤) ٣٦٢، ٣٨٦.
- حمدة (أو حمدونة) بنت زياد المؤدب الوادي آشي (٥) ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨.
- ابن حمدون، أبو أمية (٤) ٣٨٣.
- حمدونة بنت زرياب (٣) ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩.
- ابن حمديس (عبد الجبار) الصقلي (٢) ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٧ (٤) ٣٦٩، ٣٧٨ (٥) ١٧٩، ١٩٢.
- ابن حمدين، القاضي (٢) ٥ (٤) ٣١٣، ٣١٤.
- حمزة (صاحب القراءة) (٢) ٢٣٠ (٣) ١٥٧.
- حمزة (صاحب ابن مثبت الغرناطي) (٦) ٢١٩.
- حمزة الكناني، (محدث) (٢) ٢٩٧.
- حمزة بن الحسن الأصبهاني (٤) ١٤.
- حمزة بن عبد العزيز المهلبی، أبو يعلى (٢) ٣٣٤.
- حمزة بن عبد المطلب (١) ٥٥ (٣) ٢٥٠ (٦) ١٣١، ٢٥٣ (٩) ١٧١، ٢٠٦.
- حمزة بن موسى بن أحمد ابن شيخ السلامية الأحمدی، عز الدين (٥) ٢٩٨.
- حمزة بن يوسف السهمي، أبو القاسم (٦) ١٧٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٩
- أبو حمزة الخولاني (٣) ٣٢٩.
- أبو حمّو (موسى بن يوسف) الزياتي (٦) ١٧٤، ١٨١، ٢٠٢ (٧) ٢٩٩، ٣٠١ (٨) ١٠١، ١٢٨، ١٥١، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٤.
- حمود بن إبراهيم بن أبي بكر الهرغی (٥) ٢٢٢.
- ابن حمود (ممدوح ابن اليمان) (٥) ٢٣.
- ابن حمويه السرخسي، تاج الدين، انظر:
السرخسي.
- ابن حمويه، صدر الدين (٣) ٣٦٤.
- ابن حمويه (عبد الله) أبو محمد (٣) ١١٩.
- حميد الزاهد (٣) ٩، ١٠.
- ابن حميد الدوسي (٣) ١٤٢.
- ابن حميد المرسي النحوي (٣) ٣٦٢.
- ابن حميد، أبو عبد الله (٢) ٣٠١.

- الحميدى (محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي) أبو عبد الله (١) ١٩٤، ١٩٦ (٢) ٩٨، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٥٠، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٨٧، ٢٩٩، ٣٥٢، ٣٦٦ (٣) ١٢٥، ٢٢٤، ٢٩٦، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٥، ٣٦٢، ٣٧٤ (٤) ٥، ٢٢، ٧٤، ٨٤، ٢١٧، ٢١٨، ٤٠٥ (٥) ٢٠٩، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٧.
- ابن الحناط (محمد بن سليمان) القرطبي الأعمى، الشاعر (١) ٢٣٥ (٢) ٢٤ (٤) ١٠٩، ٣٧٣.
- حنش بن عبد الله الصنعاني (١) ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٩ (٢) ٨٣ (٣) ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٣٠.
- حنظلة (غسيل الملائكة) (٦) ١٣١.
- حنظلة بن صفوان (١) ١٩٢، ٢١٤ (٣) ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٣١.
- ابن الحنيفة (٦) ١٣٦.
- ابن حنون (أحمد) الإشبيلي، أبو العباس (٣) ٢٠٢ (٤) ٤٢.
- أبو حنيفة (النعمان) الإمام (١) ٦٨ (٢) ٣٩، ١٨٩، ٢٠٨ (٣) ٥٠، ٢٧٩، ٤٠٣ (٤) ١٤ (٥) ١٧٦، ٣٨٢ (٦) ٢٥٢.
- أبو حنيفة الدينوري (٤) ١٩٧.
- حنين بن إسحاق (٨) ٢٨.
- حواء بنت تاشفين (٥) ١٤٣.
- حواء (أم البشر) (٦) ١٢٧.
- ابن حوط الله (٥) ٢٤٥، ٣٥٢ (٦) ٥٣.
- ابن حوط الله، أبو سليمان (٣) ٢٠١، ٢٣٦، ٣٣٩، ٣٩٣.
- ابن حوط الله (محمد بن أبي سليمان) (٣) ٩٣.
- ابن حوط الله (عبد الله بن سليمان بن داود) أبو محمد (١) ٢٤٨ (٣) ٢٠١، ٢٠٣، ٣٣٩، ٣٦٢ (٥) ٢٤٥.
- الحوفي (٣) ٢٧٧ (٦) ٢٠٠.
- ابن حوقل النصيبى (١) ١٧٤، ١٧٥ (٢) ٤٥٤، ٤٥٦.
- أم الحويرث (في شعر امرئ القيس) (٧) ٦٢.
- حى بن يقظان (٦) ٣٧.
- حيان (المائة الرابعة) (٣) ٢٢٦.
- حيان بن أثير الدين (٣) ١٧٣.
- ابن حيان المؤرخ، أبو مروان (١) ١١٩، ١٢٥، ١٣٥، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢٠٠، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٩، ٢٨٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٠
- ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣١٠، ٣١١، ٣٢٠ (٢) ١٢، ٢٢، ٢٣، ٥٧، ٦٧، ٧٢، ٨٦، ٨٧، ٢٢٦، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٩٥ (٣) ١١١، ١٦٣، ١٧٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٩٩ (٤) ١٩، ٢٣، ٢٣، ١٨٢، ٤٠٥ (٥) ٢٠٨، ٢٦٥، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٤ (٦) ١٠، ١٦٢، ٢٨٩، ٣٥٦.
- أبو حيان (غير النحوى) (٣) ١٨٥.
- أبو حيان النحوى، انظر: أثير الدين أبو حيان الغرناطى النحوى.
- حيدر بن عبد الله المقرئ (٦) ٣٢٤.
- حيدرة (أخو المأمون البطائحي) سلطان الملوك (٤) ٤١٥.

- ابن حيوس (٢) ٢٤٢.
 ابن حيون الوشاح (لعله ابن حنون الإشبيلي) (٨) ٢١٠.
 ابن حيون (محمد بن إبراهيم) أبو عبد الله (٦) ٢٤٠.
 ابن حيون، أبو عبد الملك (٦) ٣٢٤.
 حيوة بن رجاء التميمي (١) ٢٢١، ٢٢٩ (٣) ٢٩٢.
 حيوة بن ملايس الحضرمي (٣) ٣٢٢.

حرف الخاء

- ابن خاتمة (أحمد بن علي بن محمد) أبو جعفر (١) ٣٧، (٢) ٣١٦ (٤) ٢٣١ (٥) ٢١٩، ٢٥٥، ٢٩٦، ٢٩٧ (٧) ٢٤، ٤٠، ٤٤، ٧٥، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ٢٠٧ (٨) ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣١ (٩) ١٨٤.
 خارجه بن حذافة العدوي (٤) ١٣.
 أم خارجه (٩) ٢٤٧.
 ابن خاقان، انظر: الفتح بن خاقان.
 خالد (القائد) (٤) ٣٢٥ (٩) ٣٤.
 خالد بن سعيد (٢) ٢١٩، ٣٤٧، ٣٤٦، ٣٧١.
 خالد بن عبد الله الطواشي، عز الدين (٦) ٣٢٤.
 خالد بن عيسى، أبو يزيد (٣) ١٨٣.
 خالد بن عيسى البلوي، أبو البقاء (٣) ١٣٨، ١٣٩ (٨) ٢٩٤، ٢٩٦.
 خالد بن الوليد (١) ٢٠٢ (٥) ٣٧٨، ٣٨٢ (٨) ٧٢.
 خالد بن يزيد بن معاوية (٣) ٢٤٧.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٤٠.
 خباز، أبو الحسن (٩) ١٢٢.
 ابن الخباز (٣) ١٤٣.
 الختلي انظر: إسحاق بن إبراهيم.
 أبو خدو (٨) ١٨٠.
 خديجة (زوج الرسول) (٥) ٣٨٦، ٣٨٧ (٩) ١٧١.
 الخراز (٢) ٣٢٣.
 ابن الخراز، يحيى بن عبد العزيز (٣) ٢٢٢.
 ابن الخراز البطرني، أبو جعفر (٤) ٢١٠ (و انظر أيضا: ابن الجزار).
 خراش (في شعر السلفي) (٣) ٣٣٧.
 الخرقى (٦) ٣٥٠.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤١.
 الخروف محمد (٣) ٥٤، ٦٥.

- ابن خروف (علي بن محمد) القرطبي أبو الحسن (٢) ٣٠٨ (٣) ١٤٣، ٢٣٣، (٤) ٤١، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٣٨٧.
- ابن خروف النحوي، محمد أبو الحسن (٢) ٣٢٧ (٤) ٢٦، ٢٥٠، (٥) ٣٤.
- خزامة (عتيق رسول الله) (٣) ٢٩٣ (٧) ٢٤١.
- ابن خزر البجائي (٨) ٢١١.
- الخزرجي (علي بن محمد بن يوسف) (٢) ٣٣٣.
- خزرون (١) ٣٣٣.
- الخشروشاھی (٦) ٢٠٠.
- ابن الخشاب (٣) ١٤٣، ٢٧٥.
- خشندش (١) ١٢٦، ١٢٧.
- الخشني (٢) ٢١٩، ٣٥١، ٣٦٦.
- الخصيب بن عبد الحميد (والي مصر) (٢) ٣٩٨ (٥) ١٣٦.
- الخصر (١) ١٢٥ (٢) ٢٢١، ٣٢٣ (٣) ١٨٩، ٢٥١ (٤) ٦٣، ٣٩٩ (٧) ١٧ (٥) ٢١٩ (٦) ٢٤٩.
- الخصر بن عبد الرحمن، أبو عمرو (٣) ٢٣٥.
- ابن خضر، أبو المعالي (٢) ٢٨٩.
- خطاب بن محمد بن مروان بن خطاب، ابن أبي جمرة (٢) ٢٩٦.
- ابن خطاب (عزيز) أبو بكر (١) ١٨٢ (٦) ١٨٦، ٢٩٥ (٩) ٢٤٥.
- أبو الخطاب بن الجميل (٣) ٣٩٣.
- أبو الخطاب بن دحية، انظر: ابن دحية الخطابي أبو سليمان (٢) ٣٧٠ (٣) ٣٣٩، ٣٦١.
- أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي (١) ١٩٢، ١٩٣، ٢١٤، ٢٣٧ (٣) ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤ (٧) ٥٤.
- الخطارة (مضحك) (٤) ٢٤٢.
- ابن خطلخ الفارسي، جمال الدين محمد بن أبي بكر، أبو عبد الله (٢) ٤٤٩.
- الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت) أبو بكر (٢) ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٦٢ (٣) ٥٦، ١٦٥، ٣٣٥.
- الخطيب الحصكفي (يحيى بن سلامة بن الحسين) أبو زكريا (١) ٣٦ (٢) ١٩٨.
- الخطيب الموصلي، أبو طاهر (١) ٣٥.
- الخطيب ابن مرزوق، انظر: ابن مرزوق الخطيب.
- ابن خطيب داريا (محمد بن أحمد بن سليمان الأنصاري) (٢) ٣٦٠.
- ابن الخطيب السلماني، انظر: لسان الدين بن الخطيب.
- ابن الخطيب القسطيني، ابن قنفذ (٦) ١٦٧، ٢٨٢، ٣٢١، ٣٤٣ (٧) ١٤ (٨) ١٨٦، ١٨٧، ٢٨٢، ٣٢١ (٩) ١٢٢.
- ابن خطيب المزنة (٣) ١٤١.
- ابن خطيب المزنة، عبد الرحيم أبو الفضل (٣) ١٦٥.
- ابن خفاجة (إبراهيم أبو إسحاق) (١) ١٤٥، ١٧٤ (٢) ٤١، ٦٤، ٦٥، ١٦٧، ١٧٠، ١٧١ (٤) ٧، ٣٨، ٦٩، ٩٣، ٩٤، ١١٦، ١٢٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٥٣، ١٦٢، ١٧٥، ٢٠٣، ٢١٠، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٧١، ٣٦٦، ٣٩٢ (٥) ٨، ١٠، ٤٩، ٢١٧، ٢٤٠، ٣٤٥، ٣٧٩ (٧) ١٣١ (٨) ٢٧٩، ٣١٥ (٩) ١٩.

- الخفاجي قاضي مصر (٣) ٣٠.
- الخفاف النيسابوري (٢) ٢١٩.
- ابن خفيف الأندلسي، أبو إسحاق (٤) ٣٩١.
- ابن خلاد (٦) ١٩٩.
- ابن خلاص، أبو علي (٩) ٢٤٥.
- الخلال (٤) ٢٢.
- ابن خلدون المؤرخ (ولى الدين عبد الرحمن) (١) ١٣٠، ١٨٩، ١٩٤، ٢٢٥، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٣، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٤٨ (٢) ٩٤، ٩٥، ٢٧٦، ٣٣٨، ٤٤٣ (٣) ١٣٠، ١٣١، ٢٨٣، (٤) ٧٠، ٧١ (٥) ٢٧٨، ٤١ (٦) ٣، ٩، ١٠، ٤٢، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧.
- ابن خلدون (ذو النون) (٤) ٨٨.
- ابن خلدون (يحيى) أبو زكريا (٨) ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٧٨، ٢٠٠، ٢٠٥، ٣١٤، ٣١٥.
- ابن خلدون، أبو مسلم (٤) ١٧٨.
- ابن خلصة الضرير الكاتب، أبو عبد الله (٥) ٤٤، ٩١ (٨) ٢٢٧.
- ابن خلصون (٨) ٧.
- خلف بن خاقان المصري (٢) ٢٨٥.
- خلف بن إبراهيم الطليلي (٢) ٢٨٥.
- خلف بن سعيد بن عبد الله بن زرارة أبو القاسم ابن المرابط، انظر: المبرقع.
- خلف بن عبد العزيز الغافقي القبتوري، أبو القاسم (٣) ١٩٦.
- خلف بن عياش الزهراوي، أبو القاسم (٤) ٢٠.
- خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير، الجبيري أبو القاسم (٣) ١٢٢.
- خلف بن فرج، انظر: السمسير.
- خلف بن فرج بن خلف بن فحلون القنطري، ابن الرويه، أبو القاسم (٣) ١٢٣.
- خلف بن القاسم بن سهل بن الدباغ (الحافظ الأندلسي) (٢) ٢٦٠.
- خلف بن هارون القطيني (٤) ٢٤٦، ٣٢٨.
- خلف بن يحيى بن خطاب الزاهد، أبو القاسم (١) ١٦٢ (٥) ٥٦.
- ابن خلف (الحافظ) (٥) ٣٥٦.
- ابن خلف (مالقي) (٥) ١٤٤.
- ابن خلف الجزائري (٨) ٢١١.
- أبو خلف المعافري (٦) ٢٤٦.
- ابن خلكان (أحمد بن محمد شمس الدين الإربلي الشافعي) (١) ٣٤، ٢١٨ (٢) ٥٦، ١٩٨، ٢٢٢، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٣، ٣٥٥، ٣٦٤، ٣٧٥ (٣) ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٧ (٤) ١٩٩ (٥) ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٨٥ (٨) ٢٣٠، ٢٣١.
- ابن الخليج (أبو الوليد) (٥) ٢٣٩.

خليل (صاحب المختصر) (٣) ٩٤، ٩٨، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٥ (٤) ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٣

خليل (المالكي بالحرم المكي) (٢) ٤١٠ (٤) ٣٤٥.

خليل بن أبي بكر الحنبلي، أبو الصفاء (٣) ٢١٥.

الخليل بن أحمد (١) ٦٦، ١٨٢ (٢) ١٩٥، ٢٥٧ (٣) ٩٧، ١٤٣، ١٥١، ١٦٣، ٢٢٤، ٢٦٥ (٤) ٨٩، ١٧٧، ٢٦٠ (٥) ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣١ (٧)

٧٥، ٧٨، ١٦٦، ٣٤٦ (٨) ١٦١، ٢٣٢.

خليل بن إسحاق (٤) ٢١.

خليل بن أبيك الصفدي، انظر: الصفدي.

خليل بن عبد الله القسطلاني التوزري، أبو الصفاء (٤) ٣٢٤.

ابن خليل (١) ٢٨٢.

ابن خليل السكوني (٥) ٢٢٠.

الخليلي (٢) ١٧٠ (٨) ٢٦٨.

ابن خميس، أبو بكر (٥) ١٦٩.

ابن خميس (منصور بن خميس) أبو علي (٣) ٢٣٥.

ابن خميس التلمساني، أبو عبد الله (٣) ٢٢١ (٤) ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣١٠ (٧) ٢١ (٨) ٣١٢.

ابن خميس الجزائري، أبو عبد الله (٥) ٢٣٦، ٢٧٧.

الخنساء (٥) ٧٩، ٢٠٩.

الخواص (٤) ٢٤٧.

الخوانساري (٣) ١٢٤.

الخونجي (أفضل الدين) (٤) ١٨٥، ١٨٩، ٢٠٥، ٢٣٣، ٢٨١، ٣٤٧، ٣٥٥.

حزام بن خويلد (٥) ٣٨٦.

الخويبي (شمس الدين أحمد) (٢) ٣٠٩، ٣١٩.

ابن خيار الكلاعي (أبو رزين بن ثابت بن محمد) (٢) ٣٥٥.

الخياط (أحمد بن إبراهيم) أبو العباس (٤) ٢٠٢.

الخياط (سعيد بن إبراهيم) أبو عثمان (٤) ٢٠٠، ٢٠٢.

الخياط (محمد بن يوسف بن عبد الله) شمس الدين (٣) ٢١.

ابن الخياط (محمد بن سليمان) القرطبي الشاعر الأعمى (٢) ٣١٦ (٥) ٣٧٣.

ابن الخياط (١) ٩٤.

ابن الخياط (أبو عبد الله) (٢) ٤٠ (٤) ٨٧.

ابن الخيام (عبد الكريم) أبو منصور (٤) ١٩٥.

خيثمة بن سليمان (٢) ٢٩٠، ٢٩٨.

ابن خير، أبو بكر (٢) ٣٠١ (٣) ١٢٣، ١٢٤، ١٩٨، ٣٣٥.

أبو الخير (٤) ١٠٨.

- أبو الخير الكاتب الواسطي (٢) ٢٧٠.
- خيران العامري (١) ١٢٧، ١٤١، ٣٤٠ (٢) ٢٥، ٢٦، ٢٧ (٤) ٣٠.
- ابن خيرة الإشبيلي، أبو محمد (٤) ٢٢٠.
- ابن خيرة، أبو الحسن (٢) ١٩٧.
- ابن خيرة (محمد بن عبد الله بن محمد) أبو الوليد (٢) ٣٦٩ (٣) ١٢٤، ١٩٩.
- ابن خيرة الصباغ (إبراهيم) أبو إسحاق (٤) ٢٦٨.
- ابن خيرون (٢) ١٥٩.
- ابن خيرون (محمد بن محمد) أبو عبد الله (٢) ٢٢٩، ٢٩٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٤
- ابن خيرون، أبو الفضل (مسند بغداد) (٢) ٢٤٩، ٢٨٧.
- ابن الخيمي (شهاب الدين) (٣) ٢١٥.
- ابن الخيمي (محمد بن عبد المنعم) (٣) ١٥٥.
- ابن الخيمي المصري (عمر) أبو حفص (٦) ٢١٤، ٢١٥.

حرف الدال

- ابن داب (٤) ١٦٥.
- دارا بن دارا بن بهمان (٥) ٣٧٣، (٦) ٩٧.
- الدارقطني (٢) ٢٣٣، (٣) ١٢١، ١٥٥، ١٩٨، ٢٣٧، ٣٢٩.
- الدارمي (٣) ٥٣، ١٥٥.
- ابن داره (لقب ابن سبعين)، انظر: ابن سبعين.
- الداني (٦) ١٤.
- دانشمند (٣) ٢١٢.
- ابن دانيال (شمس الدين) (٣) ١٦٣.
- داود (النبي) (٥) ٣٩٣ (٦) ١٢٧ (٨) ١٦٨.
- داود الأنصاري، أبو سليمان (٣) ٣٢٥.
- داود الطائي (٦) ٢٠١، ٢٢٠.
- داود بن عائشة (٥) ٢٧٢.
- داود بن علي الأصبهاني الظاهري، أبو سليمان (٢) ١٩٥.
- ابن داود، أبو جعفر (٧) ٤٧.
- ابن داود الأصبهاني الظاهري الحافظ (٣) ٢٨٦، ٤٠٣، ٤٠٤.
- ابن داود البلوي الأندلسي (٢) ٢٢٢ (٦) ٣٤٧ (٧) ٢٦.
- أبو داود (صاحب السنن) (٢) ٢١٦، ٣٠٢ (٣) ١٢١، ١٤١، ١٤٢، ١٥٥، ١٦٥، ٣٣٩.
- أبو داود المقرئ (٢) ٢٩٠، ٣٠٠.

- أبو داود بن نجاح (٢) ٢٨٥.
- الداودي (٣) ٥٣.
- ابن الدب (عبد الله المعافى) أبو بكر (٣) ٢٧٨.
- ابن الدب، أبو مروان (٤) ٣٢٤.
- الدباج (علي بن جابر) أبو الحسن النحوى (٢) ٣٩٥ (٣) ١٤٣، ١٩٦، (٤) ٢٤٨، ٢٦٢، ٣٠٠ (٨) ٢١٠.
- ابن الدباس (المبارك) أبو الكرم (٣) ١٦٦.
- الدباغ (٦) ٢٠٣.
- ابن الدباغ القيروانى (٨) ٧.
- ابن الدباغ، أبو الفضل (٤) ٢٠٠، ٢٠١.
- ابن الدباغ، أبو المطرف (٥) ٢٢١.
- ابن الدباغ، أبو الوليد (٢) ٢٢٤ (٣) ١٩٩، ٣٣٥.
- أبو دبوس، انظر: الواثق أبو دبوس.
- الديبران (نجم الدين الكاتبى) (٦) ٢٠٤.
- دحون (حبيب بن الوليد بن حبيب الداخل) (٣) ١١٦، ١١٧، ٣٩٦.
- ابن دحون، انظر: بشر بن حبيب بن دحون الحبيبي.
- دحية الكلبى (٢) ٢٥٨.
- دحية بن محمد البلوى (٢) ٨٢.
- ابن دحية (مجد الدين عمر بن الحسن بن على) أبو الخطاب (٢) ٢٣٠، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨١، ٣٨٢ (٣) ٣٩٣، ٣٩٤ (٤) ١٠٨، ١٤٢، ١٤٣، ٢٠٦، ٢٨٥ (٥) ١٠٢، ١٠٥، ١٠٨، ١٣١، ٢٠٩، ٣٥٢ (٦) ٩٦ (٨) ٨٨، ٢٣٠.
- ابن دراج القسطلّى، أبو عمر (٢) ٢٥ (٤).
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٥.
- ٢٢، ٣٣، ٤٢، ١٥١، ٢٣١ (٥) ٨، ٣٣ (٦) ٣٥.
- دارس بن إسماعيل، أبو ميمونة (فقيه فاس) (٣) ٢٢٨.
- أبو الدرداء (٢) ٢٩٩ (٤) ١٣ (٥) ٣١.
- ابن درستويه (٣) ٣٤٢، ٣٤٣.
- ابن درى (القائد) (٤) ٨٨.
- ابن دريد، أبو بكر (٢) ٢٨٤ (٣) ١٤٣، ٣٤٢، ٣٤٢ (٤) ٢٠٢، ٢٦٠.
- ابن دريد الكاتب (٨) ٢٢٧.
- ابن دريدة (٦) ٢٨٧.
- دعبل (٣) ٣٩١ (٧) ٢٤١.
- دعد (فى شعر ابن الخطيب) (٨) ١٤٩.
- دغفل (النسابة) (٤) ٨.
- دفتر خوان (المنتجب أحمد بن عبد الكريم الدمشقى) (٢) ٤٢٠.

- الدقاق (٦) ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٦.
- ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم) (١) ١٦٢ (٨) ٢٨٩.
- ابن دقيق العيد (تقى الدين محمد بن علي بن مطيع) (١) ٧٢ (٢) ٣٤٤ (٣) ١٤٨، ١٦٤ (٦) ١٩٤، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢، ٢٢١، ٣٠٥، ٣٤٦ (٧) ١٣٦.
- الدلاصى، أبو محمد (٦) ١٩٣.
- ابن الدلال، أبو جعفر (٣) ٣٣٩.
- أبو دلامة (١) ٢٣.
- دلف بن جحدر أبو بكر، انظر: الشبلى.
- أبو دلف العجلي (القاسم بن عيسى) (٢) ٣٩٨ (٤) ١٣٥، ١٧١ (٩) ١٣٣.
- الدمياطى (٣) ١٣٦، ١٦٤ (٦) ١٦٩.
- الدمياطى، شرف الدين، انظر: شرف الدين.
- الدمياطى (عبد المؤمن بن خلف).
- الدميرى (٤) ٣٦٣.
- ابن الدمينه (١) ١٠٢ (٥) ٩٧.
- دنه (أيضا دوننه) (٥) ٢٨٧.
- ابن دهاق، أبو إسحاق (٢) ٣٣٩.
- أبو دهبيل (٥) ٧٩.
- أبو دؤاد (٥) ٤٢٤.
- الدؤلى (٣) ٢٨٤.
- الدولعى (٣) ٢٧.
- دون بطره (١) ٣٤٦، ٣٤٧.
- دون جانجه بن دون الفنش (٦) ١٠٠.
- الديباجى (٤) ٢٢.
- ديسقوريدوس (٣) ٢٧٧.
- دينار بن عبد الله (٣) ١٦٨، ٣٣٧.
- ابن دينار (٧) ٥٧.
- ابن الديوانى (محمد) أبو بكر (٤) ٢١٩.
- ابن الديوانى (إسماعيل) أبو محمد (٤) ٢١٩.

حرف الذال

- ذخر الدولة بن المعتضد (٥) ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠.
- أبو ذر (الغفارى) (٣) ٣٣٢ (٦) ٢٥٣ (٨) ٣١٦.
- أبو ذر الحبشى (٣) ١٩٨.

- أبو ذر الخشني (٥) ٣٥، ٩٦.
- أبو ذر الهروي (عبد الرحمن بن أحمد بن محمد) (٢) ٢٣١، ٢٣٤، ٢٨٩ (٣) ١١، ١٢٠، ١٢١، ٢٠٤.
- ابن ذريح (٨) ١٤٧.
- ابن ذكوان القاضي، أبو حاتم (٣) ٣٥٨ (٤) ٧٢، ١٦٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٦
- ابن ذنون (في الشعر)، انظر: المأمون بن ذى النون.
- الذهبي الحافظ (شمس الدين) (٢) ٢٣٩، ٣٠٧، ٣١٩، ٣٢٩، ٣٤٦، ٣٤٦ (٣) ١٣٦، ١٥٧، ٢٢٢، ٢٧٧، ٣٩٤ (٥) ٢٢٤ (٦) ١٣٤ (٨) ٢٩٢، ٢٩٣.
- الذهبي الفيلسوف (أحمد بن عتيق بن جرج) أبو جعفر (٤) ٤٣، ٢٠٨.
- ذو أصبح (١) ٢٣٦.
- ذو رعين (١) ٢٣٥ (٢) ١٥٩.
- ذو الرمة (غيلان بن عقبه المزي) (١) ٢٣، ٢٨ (٢) ٣٢٢، ٣٧٥ (٣) ١٠١ (٤) ١٨٠، ٣٤١ (٥) ١٣٥، ١٤٨ (٦) ٣٩ (٩) ٢١٤.
- ذو القرنين، انظر: الإسكندر.
- ذو القرنين بن حمدان (٣) ٢٥١.
- ذو النون (النبي) (٤) ٣٦٣ (٩) ١٨٦.
- ذونته، انظر: دننه.
- أبو ذؤيب (الهدلي) (٧) ٦٦.
- ابن ذى النون (١) ٣٠٩، ٣٣٢ (٤) ١٦٨، ٢٠٣ (٥) ٧٢، ٧٦، ٢٦٠، ٣٣٩، ٣٤٥.
- ابن ذى يزن، انظر: سيف بن ذى يزن.

حرف الراء

- ابن الرئاس (٨) ٢١٠.
- رابعة (العدوية) (٨) ٢٩٩.
- ابن راجح التونسي الشريف محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله (٣) ١٨٣، ١٨٥ (٧) ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧.
- راح البربرية (١) ٢٦٢.
- الرازي (١) ١٢٧، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢٢١، ٢٢٣ (٢) ٦، ٢٢، ٢٣، ٨٢ (٣) ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٥٣، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٩٩.
- الرازي (أحمد بن إبراهيم) أبو العباس (٢) ٢٥٠، ٢٩٥.
- الرازي (أحمد بن محمد) أبو بكر (١) ١١٩، ١٢٠ (٤) ١١، ١٩.
- الرازي (عبد الرحمن بن أبي حاتم) (٣) ٣٣٤.
- الرازي، أبو عبد الله (٢) ٢٦٩، ٢٧٠، ٣٠٠، ٣٦٥ (٣) ١٦٦، ٢٤١، ٣٣٤.
- الرازي (عيسى بن أحمد) (٥) ٢٦٠.
- الرازي (فخر الدين) (١) ٢٤٨ (٦) ٢٠٤، ٢٢٤، ٢٣٥ (٧) ٢٨٥.

- الرازي (تمام بن محمد) أبو القاسم (٣) ٣٣٤.
- الرازي (محمد بن موسى بن بشير بن جناد) (٣) ٣٧٢، ٣٧٣.
- الراسي: انظر أحمد بن محمد اللخمي.
- راشد بن إسحاق، انظر: ابن أبي حكيمه.
- راشد بن عريف الكاتب (٤) ٢١٥.
- ابن راشد (٤) ٣٢٦.
- ابن راشد الراشدي (عبد الرحمن) أبو الحسن (٤) ٨٧.
- ابن راشد، أبو محمد (٤) ٣٢٦.
- ابن راشد، أبو الميمون (٢) ٢٦٠.
- ابن راشد القفصي (٧) ٨١.
- الراضي (يزيد بن المعتمد بن عباد) أبو خالد (٢) ١٥٧، (٤) ٣٢ (٥) ١٤٤، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩.
- الراعي (الأندلسي) (٤) ٣٠٢.
- الراعي (النميري) (٣) ١١٣.
- الراعي (صاحب كتاب الفتح المنير) (٤) ١٦٨.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٧.
- الراعي (شمس الدين محمد) أبو عبد الله (٣) ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٢.
- رائق (أخو صبح أم المؤيد) (٣) ٣٥٨.
- أم الرباب (في شعر امرئ القيس) (٧) ٦٢.
- رباح (عبد) (١) ٢١٠.
- ابن الربيب القروي (الحسن بن محمد، أو الحسين بن محمد) أبو علي (٤) ٧ (٨) ١٧٧.
- ربيع (الأسقف) (١) ٢٨٥ (٢) ٨٨.
- الربيع بن زياد بن أبي سفيان (٤) ١٣.
- الربيع بن سليمان المؤذن (٣) ٢٢٢.
- ابن ربيع الأشعري، أبو عامر (٧) ٥٤.
- أبو الربيع السرقسطي (سليمان) (٤) ٢٠١.
- أبو الربيع المالقي (٢) ٢٢١، ٢٢٢.
- أبو الربيع الموحدى (سليمان الشاعر) (٣) ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١.
- أبو الربيع بن سالم (الكلاعي) (١) ٢٤٨ (٢) ١٢٤، ٢١٤، ٢٣٥ (٣) ٧، ١٠٥، ١١٨، ٣٣٩، ٣٩٢، ٣٨٢ (٥) ٥٤، ٥٨، ٢٣٨، ٢٤٤، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦٠ (٦) ٤٢، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ١٦٩، ١٩٥ (٧) ٥٥ (٩) ٢٤٥.
- أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن (٢) ٢٥٤، ٢٥٥.
- أبو الربيع بن غالب الداني (٤) ١٢٦.
- أم الربيع (٥) ٢٢٨.
- ربيعه بن قيس الجملي (٣) ٣٢٩.

- ربيعة بن مكرم (١) ٢٢٩ (٢) ١٦٩ (٨) ١٠٥، ٢٣٢ (١٠) ٤١.
- رحامس بن عبد العزيز الكنانى (٣) ٣٢٣.
- رحمون بن (ابن الحاج صاحب قرطبة) (٤) ١٠٧، ١٠٨، ٢٤٦.
- ابن رحيم، أبو بكر (٢) ١٦٥.
- ابن رحيمه الكنانى، أبو عبد الله (٣) ٢١٦.
- رذريق، انظر: لذريق.
- رذريق، انظر: السيد الكنيطور.
- رذمير (١) ٢٧٨.
- رذمير بن أردون (١) ٢٨٤.
- ابن رزق، أبو بكر (٢) ٣٠٠.
- رزق الله بن عبد الوهاب التميمى (٣) ١٧٩.
- رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث، أبو عمر (٣) ٣٧٤.
- رزين بن عمار الأندلسى (٤) ٢٣.
- رزين بن معاوية العبدري، أبو الحسن (٢) ٣٠٠، ٣٠٢ (٣) ١٢٣.
- ابن رزين (٢) ١٤٦، ١٦١ (٤) ١١١، ٢٣٤.
- ابن رزين (حسام الدولة عبد الملك) أبو مروان (٤) ٧٤، ٢٠٥، ٣٣٨.
- رسطاليس (٥) ١٧٦.
- الرشاطى (عبد الله بن على عبد الله الميرى).
- أبو محمد (٢) ٣٠٣ (٣) ٢٠٠، ٢٣٥، ٢٨٨ (٥) ٣٥١.
- ابن رشد (٣) ١٥٧، (٦) ٣٤٩.
- ابن رشد (الجد) أبو الوليد (٢) ٨٠، ٣٠٢، ٣٤٩، ٣٦٩ (٤) ٣١ (٦) ٥٣، ٣٥٠ (٧) ٢٦٤.
- ابن رشد، أبو الوليد (الحفيد) (١) ١٣٦ (٢) ٩ (٤) ٢٣، ٢٦، ٣١، ٥٩، ٢٢٤ (٦) ١٩٨، ٢٨٥ (٧) ٢٨٥ (٨) ٢٨ (٩) ٥٤، ٢٣٣.
- ابن رشد (أحمد) أبو جعفر (٣) ٢٨٩.
- الرشيد الأسوانى (أحمد بن على بن إبراهيم) (١) ٨٧.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٨
- ابن رشيد البغدادى (١) ٥٠.
- الرشيد العطار (٣) ١١.
- أبو الرشيد العطار (٣) ٣٧١.
- الرشيد الموحدى (٥) ٢٨٦.
- الرشيد بن المعتمد بن عباد (عبد الله) (٤) ٣٧٤، ٣٧٥ (٥) ٣٩، ٤٠، ١٧١، ١٧٨، ١٩٣، ٢٧٠، ٢٧٢.
- الرشيد هارون، انظر: هارون الرشيد.
- ابن رشيد الإشبلى، أبو الأصبغ (٥) ٦٥.
- ابن رشيد البغدادى، محمد (٦) ٢٠١.

- ابن رشيد السبتي (محمد بن عمر الفهري) أبو عبد الله (٢) ١١٦، ١٤٣، ٣٣٣، ٣٣٤، (٣) ١٨٤، ١٨٥، ١٩١، ٢١٩ (٤) ٤٢، ٤٣، ٣٠١، (٥) ٢٢٦، ٣٦١، ٣٨٢ (٦) ١٨٨، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٢٥، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٨٢ (٧) ١٦، ٢٤، ٤٠، ٤١، ٥٤، ٢٥٧.
- ابن رشيد (أبو الوليد) (٢) ٣٠٢.
- ابن رشيقي (ملك مرسية) أبو جعفر (٤) ١٣٣، ١٣٤، ٣٤٢.
- ابن رشيقي القلعي، أبو عبد الله (٤) ٣٠٧.
- ابن رشيقي القيرواني (١) ١٧٦ (٢) ٢٨٧، ٣٤٧، ٣٦٧ (٣) ١١٢.
- الرصافي، أبو بكر (٣) ٢٤٣.
- الرصافي، أبو العباس (٥) ٥٣.
- الرصافي البلسي (محمد بن غالب) أبو عبد الله (١) ١٥٣ (٢) ٤٥٢، ٤٦٠ (٤) ٤٠، ٢٠٠، ٢٢٩، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٦٩، ٢٩٢، ٣٨٣، ٣٩٤ (٥) ٧٦، ٩٤، ٩٥ (٦) ٤٨، ٥٣.
- ابن رضا، أبو القاسم (٣) ٢٢٥.
- رضوان (الحاجب) (٦) ٨٠، ٨٢، ٨٣.
- رضوان المخزومي (٢) ٢١٤.
- ابن رضوان، أبو الفضل (٨) ٢٩٩.
- ابن رضوان (عبد الله بن يوسف النجاري) أبو القاسم (٦) ٣٧، ٢٠٦ (٧) ٤٤، ٧١، ١٦٦، ١٦٧، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٥، ٢٣٧ (٨) ١٠٤ (٩) ١٢٧.
- الرضي (شارح الكافية) (٢) ٣٦٤.
- الرضي الشاطبي (محمد بن علي بن يوسف) أبو عبد الله (٢) ٣٥٩ (٣) ٦، ٨، ٩، ١٠، ١٥٥ (٧) ٢٤١.
- رضي الدين القسطيني، أبو بكر (٣) ٢١٥.
- رضي الدين بن برهان (٣) ١٩٦.
- الرعي، أبو الحسن (١) ٢٤٥ (٦) ٤٣، ٤٤.
- الرعي، (مختار) أبو الحسن (٤) ١٧٨، ١٨٣.
- الرعي الغرناطي، انظر: أبو جعفر الإلبيري.
- ابن رغبة (٣) ٢٠٤.
- ابن الرفاء القرطبي الشاعر (٥) ٥١.
- ابن رفاعة الإلبيري (٣) ٣٤٠، ٣٤١.
- رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح (يحيى) أبو زكريا (٤) ١٧٣، ١٧٤.
- ابن الرقام (٦) ١٦٢.
- ابن الرقيق المؤرخ (إبراهيم بن القاسم القروي) أبو إسحاق (١) ١٢٩، ١٦٢ (٢) ٩٤، (٣) ١٥، ١٠٥، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٠٣.
- الرقيقي (علي) أبو القاسم (٣) ١٦٦.
- ركن الدين بيبرس (٨) ٢٢٥.
- الركونية (١) ١٤٩.
- أبو ركوة (الوليد بن هشام) (٣) ٢٣٧، ٢٤٨.

- ابن رماحس (العامل) (٣) ٣٤٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٩
- الرمادى الشاعر (يوسف بن هارون) أبو عمر (١) ٢٣٥ (٣) ١٦٩، ١٧٠، ٢٣٢، ٣٤١، ٣٤٤، (٤) ٤٠٤، (٥) ٢٢، (٧) ١٣٣.
- ابن الرماك، أبو القاسم (٥) ١٣١.
- ابن رمان (محمد بن قاسم بن محمد القرشى الفهرى) أبو عبد الله (٢) ٢٢٧.
- الرمانى، على بن عيسى (٣) ١٦٦، ٣٤٩.
- رميك (مولى المعتمد) (٥) ٤٢.
- الرميكية، انظر: اعتماد الرميكية.
- الريمى (٥) ٣٥٢.
- ابن الريمى (١) ٢٣٨.
- ابن الريمى (محمد بن عبد الله بن أبى يحيى) أبو عبد الله (٥) ٣٥٣.
- ابن الريمى، أبو يحيى (٤) ٣٠٩، ٣١٠، (٥) ٣٥٣.
- الرنداحى (القائد) أبو على (٧) ٢٠٣.
- الرندى (شارح الجمل) (٤) ٢٦.
- الرهاوى، أبو سعيد (٣) ٣٣٤.
- ابن الرهيل (الحسن بن محمد بن الحسن الأنصارى) أبو على (٣) ١٢١.
- أبو رهم (٣) ٣٣٢.
- الرهيصى (٦) ١٠٧.
- ابن رواحة الخزرجى (الفضل بن على) (٣) ١٩٦.
- ابن الروح (٥) ٢١.
- أبو روح، عبد المعز (٣) ٢٢١.
- ابن روذبة (٢) ٢٨١.
- ابن الرومى (على بن العباس) (١) ٢٤٠، ٢٤٦، (٢) ٢٠٥، ٢٦٥، (٤) ٣٧٠، (٥) ٢١٠، (٦) ٢٢٤، ٢٩٧.
- ابن الرومى (أحمد) أبو العباس النباتى (٣) ٤٦، ١٩٧، ١٩٨، ٣٩٣، ٣٩٦، (٤) ٢٦.
- رويفع بن ثابت (٣) ٢٨٩.
- رويم بن أحمد (٤) ٢٢.
- الرياشى (٢) ٢١٥.
- ريحان (غلام هشام بن عبد الرحمن) (٤) ٣٤٧.
- ابن الريفى (زين القضاة) (٢) ٢٧٦.

حرف الزاى

- ابن زاغ، أبو العباس (٣) ٢٧٧.
- زاهر بن طاهر الشحامى، أبو القاسم (٣) ١٢٠، ١٢١، (٦) ١٩٤، ١٩٥.

- زاهر بن رستم (٣) ٤٢١.
- الزباء (٥) ٤١ (٩) ١٦٥.
- الزبرقان (بن بدر) (٣) ١١٣.
- الزبزاری (عبد الرحمن بن داود بن علي) الواعظ، أبو البركات و أبو القاسم (٣) ٣٩٥.
- الزبيدي (أبو عبد الله) (٦) ٢٠٨.
- الزبيدي، حسن (عم الشيخ أبي عبد الله الزبيدي التونسي) (٦) ١٩٩.
- الزبيدي، حسين (والد الشيخ أبي عبد الله الزبيدي التونسي) (٦) ١٩٩.
- الزبيدي (محمد بن الحسن النحوي) أبو بكر (٣) ٢٣٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦ (٤) ٢٤، ٢٦٠، ٢٦١، ٣٨٠، ٣٨١ (٥) ٢٤، ٢٥، ٢٤٤، ٢٥١ (٦) ٢٥٨، ٣٢٦ (٧) ٢١٠ (٨) ١٨٧، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٧٩.
- الزبيدي (عبد الله بن حمود) أبو محمد (٣) ٢٣٨.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٥٠
- الزبيدي (محمد بن الحسن) التونسي، أبو عبد الله (٧) ١٩٨، ٢٥٨.
- الزبير بن أبي صعصعة الأسواني، أبو طلحة (٦) ٣٢٤.
- الزبير بن بكار (٣) ٢٢٧.
- الزبير بن عمر المثلث (أمير قرطبة) (٢) ١٥، ٩٩ (٤) ٢٧٢.
- الزبير بن العوام (٦) ١٣١، ١٣٦.
- ابن الزبير، أبو جعفر (صاحب صلة الصلّة) (٢) ٢٠٢، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٧، ٣٧٩، ٤٦٣ (٣) ١٤٧، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٩، ١٨٣، ٢١٣، ٢٤٤، ٢٨٩، ٢٩٠ (٦) ١٠٥، ٣١٩، ٣٥٨، ٣٨٢ (٧) ٥٤، ١٣٦، ٢١٤، ٣٦٢ (٨) ٢٨٣.
- ابن الزبير (محمد بن أحمد بن إبراهيم) أبو عمرو (٧) ١٣٦، ٢١٤.
- الزبيرى (٢) ٣٥٣.
- الزجاج (٢) ٢٦٨ (٣) ١٦٨ (٦) ٢٨٢، ٣٤٩.
- الزجاجى، أبو إسحاق (صاحب الجمل) (٢) ٢٩٦ (٣) ١٥٥، ٢٣٣، ٢٧٨ (٧) ٥٣.
- الزجالى (٢) ١٨٥.
- الزجالى، حامد (٤) ٣١٤، ٣١٥.
- الزجالى (محمد بن سعيد) الأصمعى (٤) ٣١٤، ٣١٥، ٣٧٥.
- زحكون، محمد بن الأستجى (٤) ٣١٣.
- زخرف (جارية) (١) ٢٦٨.
- زرارة بن محمد بن زرارة الأندلسى (٣) ١٢٣.
- ابن زرزار (الحكيم) (٦) ١٠٠.
- زرعة بن روح الشامى (٣) ٣٣٠.
- أبو زرعة (محدث) (٣) ٢٩٠.
- أبو زرعة بن عبد الحكم، انظر: ابن عبد الحكم الإفريقى.
- أبو زرعة طريف بن مالك المعافى، انظر:

- طريف بن مالك أبو زرعة.
 زرقاء اليمامة (١) ٢١.
 ابن الزرقاء (٥) ١٤٤.
 زرقون (المغني) (٣) ٣٨٨.
 ابن زرقون (٢) ٢٥٩، ٣٠٥، ٣٠٦، (٣) ١٩٨، ٢٠٢ (٤) ٢٣٦.
 ابن زرقون، أبو الطيب (٨) ٢٢٦، ٢٢٧.
 ابن زرقون، أبو عبد الله (٢) ٢٥٩، ٢٦٨ (٣) ٣٩٢، ٣٩٤ (٤) ٢٣٦، ٢٥٩، ٢٩٨ (٥) ٢٣٦.
 الزرناني أبو إسحاق (٢) ٣٤١.
 الزرهوني، أبو زيد عبد الرحمن (٦) ٢٨٧.
 الزروالي، عثمان (٦) ٣٥٤.
 الزروالي التونسي، أبو فارس (٦) ٣٢٥.
 زرياب (علي بن نافع) أبو الحسن (١) ٢٧٠ (٢) ١٨٥، ٣٨٥ (٣) ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠ (٤) ٣٧٧، (٥) ٤٢٩.
 زريق بن حكيم (٣) ٣٣٠.
 ابن زعوفة (مساعد بن أحمد بن مساعد الأصبحي) أبو عبد الرحمن (٣) ٢٣٦.
 الزغاري (١) ٨٩.
 الزغل (محمد بن سعد) أبو عبد الله (٥) ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١٠.
 الزقاق، قاسم بن محمد (٣) ٩٨، ٢٢٢.
 ابن الزقاق البنسي (علي بن عطية) أبو الحسن (١) ٣٠ (٤) ٣٧، ١٠٩، ١٦٢، ٢١٠،
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٥١
 ٢١٤، ٢٥٠، ٣٨٧، ٣٩١ (٥) ٩٣، ٢١٥، ٢٥٠.
 زكريا (أخو نجدة) (٢) ١٩١، ١٩٢.
 زكريا بن خطاب الكلبي التطلبي، أبو يحيى (١) ٣٠٧ (٣) ٢٢٧ (٤) ٣٦٧.
 أبو زكريا التبريزي (٢) ٢٩٩ (٣) ٢٢٧.
 أبو زكريا البرغواطي (٩) ٢٣.
 أبو زكريا الجعدي (٥) ٣٥١.
 أبو زكريا الحفصي (٥) ٢٣٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٣٤٦، ٣٥٢.
 أبو زكريا، سلطان إفريقيا (١) ٣٤٥ (٤) ٢٥٣.
 أبو زكريا الراوية (والد ابن عائذ) (٢) ٢٩٧ (٣) ٢٣٧.
 أبو زكريا الزناتي (٢) ٣٠٣.
 أبو زكريا التطلبي (يحيى بن سليمان) (٣) ٢٤٨.
 أبو زكريا اليفرنى (٥) ٧٨.
 ابن الزكي (٢) ٣٠٨.

- ابن زكي، محيي الدين (القاضي) (٢) ٣١٣.
- زكي الدين إبراهيم الإشبيلي، أبو إسحاق (٣) ١٢٧.
- زليخا (٦) ١٩٥.
- الزمخشري (١) ٨٩ (٢) ٣٥٧ (٤) ٣٠٢ (٦) ١٨٩، ١٩٠، ٢٢١، ٢٤٨، ٣١٤، ٣٤٩، ٣٤٩.
- ابن زمرك (محمد بن يوسف) أبو عبد الله (٦) ٣٨، ٤٢، ٧٦، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١٠٠، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٦٤، ٢٨٠، ٢٩٢ (٧) ٥٣، ٨١، ١٩٥، ١٩٧، ٢٥٩ (٨) ١٩٣ (٩) ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٦، ٣٩، ٩٥، ١١٩، ١٢٩.
- ابن الزملكاني (محمد) كمال الدين (٢) ٣١٨ (٣) ٢٤٣.
- الزموري، أحمد (٨) ٢٦٣.
- الزموري، عبد الله بن إبراهيم، انظر: نقشابو الزناتي (فقيه ادعى على اليكى) (٤) ١٣٧.
- أبو الزناد (٤) ٦٥ (٨) ١٦٠.
- ابن زنون، أبو الحسن (٤) ٣٨٧، ٣٨٨.
- زهر بن عبد الملك، أبو العلاء (٢) ٣٧٢، ٣٧٤ (٤) ٣٢، ٧٤، ٨٥، ١٧٤، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٥٧، ٣٨٦.
- ابن زهر (٨) ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٩٥.
- ابن زهر (محمد بن مروان) (٢) ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤ (٤) ٢٢٤.
- ابن زهر (محمد بن عبد الملك) أبو بكر (٢) ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨ (٤) ٣٢، ٤٧، ٥٤، ٢٢٦، ٢٥٤ (٨) ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩.
- ابن زهر الأصغر، أبو بكر (ابن قسورة) (٤) ٢٥٤.
- ابن زهر (أبو الوليد) (٤) ٢٥٧.
- الزهراء، انظر: فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه و سلم.
- الزهرأوى (٣) ٢٧٦ (٤) ٢٦.
- الزهرأوى، أبو جعفر (٢) ٢٦٠.
- الزهرأوى، أبو الحسن (٤) ١٧٨.
- الزهري (ابن شهاب) (٢) ٣٥٢ (٦) ١٨٨، ٧٤ (٩).
- الزهري، أبو الحسين (خطيب إشبيلية) (٣) ٣٣٥، (٤) ١٨٤، ١٨٥.
- زهير بن أبي سلمى (٤) ٢٧٣ (٧) ٢٤١.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٥٢.
- زهير بن سرد الجشمي، أبو جرول (٣) ١٦٦، ١٦٧.
- زهير الصقلبي (٤) ٣١١، ٣٧٣.
- زهير بن عباد (٣) ١٢٧.
- زهير العامري (١) ٣٤٠ (٤) ١٨٣.
- ابن زهير أبو زكريا (٧) ١٣٦.
- الزهيري (٣) ٣٤٥ (٤) ٣٦٣.
- الزواوي (٧) ٣١٦.
- الزواوي، المقرئ (٧) ٢٧٨.

- الزواوى (محمد بن أبى يوسف يعقوب) أبو عبد الله (٦) ٢٠٧.
- الزواوى (محمد بن يلبخت) أبو عبد الله (٦) ٣٢٦.
- الزواوى (منصور) أبو على (١٠) ٤، ٢٣، ١٥٢.
- الزواوى، نصر (٦) ٣٥٤.
- الزويلى، أبو إسحاق (٥) ٦٦ (٨) ٢٠٩.
- ابن الزيات (٦) ١٧٠ (٩) ١٢٠، ١٢٣.
- ابن الزيات (أحمد) أبو جعفر (٥) ٢٥٣ (٧) ٥٣ (٩) ٢٣، ١٢٠.
- الزيات (أحمد بن محمد) أبو عمر (٣) ١٢٤.
- ابن الزيات البلشى (٥) ٣٩٤.
- زياد (رافق عبد الرحمن الداخل) (١) ٢٦٢.
- زياد، انظر: النابغة الذبياني.
- زياد (ابن أبيه) (٢) ١٥٣.
- زياد بن أفلح (مولى المستنصر) (١) ٣٠٢.
- زياد بن طارق، أبو عمر (٣) ١٦٦.
- زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي، انظر: شبطون.
- زياد بن عمرو اللخمي (٣) ٣٠٠.
- زياد بن نعيم الحضرمي (٣) ٣٢٩.
- ابن زياد، انظر: عبيد الله بن زياد.
- زيادة بن ثعلبة البلوى (٣) ٣٢٩.
- زيادة الله بن عبد الله (آخر ملوك الأغالبة) (٣) ٣٩٢.
- زيان، أبو عبد الله (٦) ١٩٣ (٨) ٩٢.
- زيان بن مردنيش، انظر: ابن مردنيش، زيان ابن أبى الحملات.
- ابن زيان، أبو الفتح (٦) ١٧٤.
- أبو زيان (الزياني) (٦) ٣٠٠.
- أبو زيان المريني (محمد بن أبى عنان فارس) (٧) ٧٣.
- أبو زيان المريني (محمد بن يعقوب بن عبد الرحمن بن أبى الحسن) (٧) ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢ (٨) ٨٩، ٩٠، ٩٢ (٩) ٧.
- الزياني، أبو عبد الله (٥) ١٦٥ (٧) ١٣٧.
- ابن زيتون (٦) ١٩٦.
- ابن زيتون، أبو القاسم (٦) ١٨٥.
- زيد بن ثابت (٢) ١١٥ (٣) ٢٨٤، ٣٣٢ (٤) ٦٥.
- زيد بن الحباب العكلي (٣) ٣٣٠.
- زيد بن الحسن الكندي، انظر: أبو اليمن الكندي.

- زيد بن قاصد السكسكى (١) ٢٢٩ (٣) ٣٣٠.
- زيد بن على (٣) ١٥٧.
- ابن أبى زيد (أبو محمد) (٣) ٩٣.
- ابن زيد (الأسقف القرطبي) (٤) ٢٧.
- أبو زيد بن بكيت (٣) ٣٧٢.
- أبو زيد (اللغوى) (٦) ١٠٧.
- أبو زيد (الأمير) (٦) ٩١.
- أبو زيد القرطبي (الشيخ) (٢) ٢٢١.
- أبو زيد (والد أبى الحسن) (٦) ٢١٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٥٣
- أبو زيد عبد الرحمن العثماني (٥) ١١، ٦٩.
- أبو زيد عبد الرحمن بن أبى عبد الله الموحدى (٣) ١٩٢ (٥) ٣٤٦.
- أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، انظر: ابن خلدون المؤرخ.
- زيدان السعدى (١) ٦.
- ابن زيدون، أبو بكر (الابن) (١) ٢٣١.
- ابن زيدون أبو بكر (والد الشاعر) (٤) ٣٩٥ (٥) ٢٦٧.
- ابن زيدون، أبو الوليد (١) ٢٣١، ٢٦١ (٢) ١٦، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥ (٣) ٣٢١ (٤) ٢٤، ٣٣، ٤٤، ٧٠، ٧١، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠٧، ٣٣٦، ٣٣٧، ٤٣٠ (٥) ٣٦، ٣٩، ٤٣، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣ (٨) ٢٣٢.
- زيرى بن عطية (١) ٣٠٩، ٣١٠.
- ابن زيرى الصنهاجى (المتغلب على غرناطة) (٢) ٢٥، ٢٦، ٢٨.
- زينب (فى شعر لابن الزقاق) (٤) ١٠٩.
- زينب (فى شعر ابن جابر) (٩) ١٨٣.
- زينب المريه (٥) ٢٠٥.
- زينب (أم المؤيد) (٢) ٣٧٠.
- زينب بنت إسحاق النصرانى الرّسغنى (٣) ٨.
- زينب بنت زياد المؤدب الوادى آشيه (٤) ٤٤، ٥١ (٥) ٢٠٨.
- زينب بنت عبد اللطيف البغدادى، أم الفضل (٣) ١٥٦، ٢١٥، ٢١٦.
- الزينبى (٣) ٢٥٢.
- الزينبى (قاضى القضاة) (٣) ٢٢٧.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٥٣
- زينى، رضوان (٦) ٣٥٤.
- زين الدين (الحافظ العراقى) (٦) ٣٥٣.
- زين الدين (محمد) الطبرى (٣) ٢٧٩.

حرف السين

- ابن سابق، سيف الدين (٢) ٣٩٦.
- سابور ذو الأكتاف (٩) ٢٤٧.
- الساحلي الشيخ الولي، أبو عبد الله (٦) ٢٥٦.
- سارة القوطية (١) ٢١٣، ٢١٤.
- ابن سارة، انظر: ابن صارة.
- ساسان (ملك الفرس) (٦) ٢٤.
- سالم (مولى عبد الرحمن الداخل) (٣) ٣٠٦.
- سالم بن عبد الله بن عمر (٦) ٢٠٨.
- سالم بن الفضل البغدادي (٢) ٣٥٠ (٣) ٣٣٩.
- ابن سالم قاضي القدس، شمس الدين (٦) ١٨٢، ٢١٠.
- ابن سالم المالقي، أبو عمرو (٤) ٢٠٢.
- أبو سالم (إبراهيم بن عبد العزيز بن أبي الحسن) المريني السلطان (٢) ٢٧٩ (٦) ٢٦، ٣١، ٧٢، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ١١٩، ١٤٣، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٤٦ (٧) ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٨٩، ٢٢٤، ٢٧٩، ٣٠٧، ٣٢٠ (٨) ٥١، ١٥١ (٩) ٤، ٩، ٢٢، ١٤٩.
- السالمي، أبو الحسن (٤) ٢٤.
- السالمي (محمد بن أحمد بن عامر) أبو عامر (١) ١١٨ (٣) ٣٩٧ (٤) ١٠٨ (٥) ٢٠٥.
- سام بن نوح (٣) ٢٣٤ (٤) ١٥٥ (٦) ٣٤١.
- أبو السائب المخزومي (٣) ٣٩٧، ٣٩٨.
- سبأ الأصغر بن زيد (١) ٢٣٦.
- سبأ بن يشجب (٥) ٣٧٨، ٣٨١.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٥٤
- سبت بن يافث (١) ١١٧.
- السبتي الولي، انظر: أحمد بن جعفر الخزرجي، أبو العباس.
- سبط ابن الجوزي (٢) ٣١٥ (٣) ٣٩٥.
- سبع بن خلف الأسدي، أبو الوحش الشاعر (١) ٦٧ (٢) ٢٨٣.
- ابن سبعين، أبو طالب (أخو الصوفي) (٢) ٣٣٨، ٤٤٣.
- ابن سبعين المتصوف (٥) ٦١.
- ابن سبعين، أبو محمد (عبد الحق) (٢) ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١ (٦) ٣٧، ٢٠٥، ٢٩٦.
- السبكي، قاضي القضاة تاج الدين (٢) ١٩٨ (٣) ٢٦٠.
- السبكي، تقى الدين (٦) ٣٢٥.
- سجاح التغلبية (٩) ٢٤٧.
- السجزي، أبو الوقت الحافظ (٢) ٣٦٤ (٣) ١٦٥، ١٩٨، ٣٣٦، ٣٩٦ (٦) ١٩٩.

- سحبان وائل (٣) ١٩٦، ٢٥٨، ٢٥٩ (٤) ١٩٨ (٥) ٢٢٤ (٦) ١٩، ٢٤، ٤٢ (٧) ١٨٤، ٢٢٩، ٢٤١، ٢٤٧ (٩) ٢٤٧.
- سحنون بن سعيد (٢) ٧٩، ٢٩٦، ٣٤٩ (٣) ٢٢٦ (٧) ٤٢.
- ابن سحنون (محمد) (٤) ٢٢.
- السخاوى (صاحب الضوء اللامع) (٣) ٢١٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٣ (٤) ٣٤٧، ٣٥٤، ٣٥٥.
- السخاوى (على بن محمد بن عبد الصمد) تلميذ الشاطبي، أبو الحسن (٢) ١٩٨، ٣٥٥.
- ابن سدارى الكاتب، أبو بكر (٤) ٢٠٥.
- السدراتى (ابن عبد الجليل) أبو الحسن (٦) ٣٢٠.
- السديد (يحيى بن سعيد) انظر: ابن المرخم.
- السراج الوراق، الشاعر المصرى (٣) ٩.
- السراج، أبو زكريا (٦) ٢٠٣، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤ (٧) ٥٣.
- السراج، أبو محمد (صاحب مصارع العشاق) (٣) ٣٣٤.
- ابن السراج (محمد بن عبد الملك الشتمرى).
- أبو بكر النحوى (٢) ٣٦٧ (٣) ١٤٣، ١٦٦.
- ابن سراج، أبو الحسين (٢) ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ٣٦٩ (٥) ١٥٩، ١٦٠ (٨) ٢٢٦.
- ابن السراج المالقي، أبو عبد الله (٤) ٩٣، ١٩٨، ٣٧٢.
- ابن سراج، أبو القاسم، الغرناطى (٦) ٣٥٥ (٧) ٥٣، ٢٥٩، ٢٦١.
- ابن سراج (عبد الملك) أبو مروان (٤) ١٥٢، ٣٥٥ (٥) ٩٦، ٩٧.
- سرافيل (أحد الملائكة) (٤) ٨٩.
- ابن سراقه (محمد بن سراقه) الشاطبي (٢) ٢٢٨، ٣٢٥.
- السرخسى (عبد الله بن عمر بن على بن حمويه) (٣) ٥٣، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢ (٤) ٦١.
- السرقسطى (شيخ القلصادى) (٣) ٢٧٧.
- السرقسطى (عامر بن خلف) (٤) ١٧.
- ابن سرور، أبو الطاهر (٦) ١٩٦.
- ابن سرور، أبو عامر (٨) ٢٢٧.
- أبو السرور (صاحب ديوان سبتة) (٥) ٧٠.
- السرى (الرفاء) (١) ٢٤٦ (٧) ٢٤١.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٥٥
- السرى السقطى (٦) ٢٠١، ٢٢٠ (٨) ٣١٨.
- ابن السرى (١) ٢٥١ (٤) ٣٢٢.
- السطى (شارح الحوفى) (٧) ٣١٦.
- السطى (محمد بن سليمان بن على) أبو عبد الله (٦) ١٩٣، ٢٠٠ (٧) ٢٧٨.
- سعاد (فى شعر ابن جابر) (٩) ١٥٢.
- سعاد (فى شعر ابن جاج) (٥) ١٦٨.

- ابن سعادة (محدث) (٢) ١٩٧.
- ابن سعادة (يحيى) القرطبي أبو بكر (٣) ٢٢٨.
- ابن سعادة (محمد بن يوسف) أبو عبد الله (٢) ٣٠٢، ٣٥٤ (٣) ٢٠١، ٢٤٢ (٥) ٣٥١.
- سعد (المحدث) (١) ٧٠.
- سعد، النصرى (٥) ١٥٩ (٩) ٤٠، ٥٠، ٨٦، ٨٧.
- سعد بن أبي وقاص (٩) ١٧١.
- سعد بن أحمد بن ليون التجيبي، انظر: ابن ليون التجيبي.
- سعد بن عبادة، الصحابي (١) ٢٣٤، ٣٤٤ (٨) ٥، ٦٢، ٧١، ٧٥ (٩) ٥٦، ٩٨، ١٧١.
- سعد بن عبد الحكم (٢) ٢٧١.
- سعد بن عبد الله الحيدري، أبو عثمان (٣) ٣٣٤.
- سعد بن الغنى بالله النصرى (٨) ٥٧، ٦٢ (١٠) ٨٦، ٨٧، ١١٧.
- سعد بن محمد، أبو القاسم (٩) ٣١٦.
- سعد بن معاذ (٦) ١٣١ (٧) ٢٣١.
- ابن سعد، أبو العباس (٤) ٣٩٢.
- أبو سعد المطرز (٣) ٢٢٧.
- سعد الخير بن محمد بن سعد، البلنسى، أبو الحسن (٣) ٢٢٧.
- ابن سعد الخير (على بن إبراهيم) البلنسى، أبو الحسن (٣) ١٢٤، ٢٤٢ (٤) ١٤٢، ٣٦٦، ٣٦٨ (٥) ٤١٠.
- سعد الدين الحموى، القطب (٢) ٣١٨.
- سعد الدين (محمد بن يحيى الدين بن العربي) (٢) ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣٥٦ (٩) ٢١٥.
- ابن سعد (٤) ٢٥٢.
- سعدى (فى شعر ابن الخطيب) (٨) ١٤٩.
- ابن سعدى (أوس بن حارثة الطائى) (٧) ١٨٥.
- ابن سعدون الكاتب، أبو جعفر (٢) ١٦٢ (٨) ٢٢٦.
- سعدونة (أم السعد بنت عصام الحميرى) (٥) ١٠٠.
- ابن السعوى، أبو العباس (٤) ٣٦٢.
- سعيد (صحابى) (٩) ١٧١.
- سعيد الطليلى، أبو عثمان (٢) ٣٧٢.
- سعيد العقبانى التلمسانى (٦) ٣٥٣.
- سعيد الغسانى، أبو عثمان (٧) ٣٥٩.
- سعيد المقرى (عم المؤلف)، انظر: المقرى العم (سعيد بن أحمد).
- السعيد (الموحدى، أخو الرشيد) (٥) ٢٨٦.
- السعيد (بن أبى فارس) (٦) ٨٨، ٩١.
- السعيد (ابن السلطان أبى عنان المرينى) أبو بكر (٥) ٣٢٣ (٦) ٣٣٤ (٧) ٣٠، ٢٧٩ (٨) ١٨٨.

- السعيد، أبو الحسن (٦) ١٨٨.
- سعيد بن أبي ليلي (١) ٢٦٢.
- سعيد بن أبي هند (٢) ٢١٥.
- سعيد بن أضحى، انظر: ابن أضحى، أبو الحسن.
- سعيد بن جودي (٤) ٣١٣.
- سعيد بن حسان (٢) ٣٤٩ (٣) ١٢٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٥٦
- سعيد بن الحسين الهاشمي، أبو المفاخر (٣) ١٢١.
- سعيد بن حكم القرشي، أبو عثمان (٤) ٢٥٣ (٥) ٣٥٨.
- سعيد بن حميد (الكاتب) (٣) ٢٢٢، ٣٩١.
- سعيد بن خلف (جد ابن سعيد المغربي) (٢) ٤٣٨.
- سعيد بن سالم المجريطي، أبو عثمان (٣) ٢٢٨.
- سعيد بن شمر السبائي (٣) ٣٢٩.
- سعيد بن العاصي (٢) ١١٥.
- سعيد بن عبد الله بن سعيد السلماني (جد لسان الدين الأقراب) (٦) ٤، ٥، ٦.
- سعيد بن عثمان الأعناقى (٢) ٢١٨، ٢١٩ (٣) ٢٢٢، ٢٢٨.
- سعيد بن فتحون السرقسطي، انظر: الحمار السرقسطي.
- سعيد بن فرج (٤) ٣٤٩، ٣٥٠.
- سعيد بن قوشره، أبو عثمان (٤) ٣٩٤.
- سعيد بن محمد الغرناطي (٧) ٢٤٢.
- سعيد بن محمد المرواني (٤) ٣٥٧.
- سعيد بن محمد المسيب (٢) ١٨٤ (٣) ٣٢٩ (٤) ٦٥، ٦٦.
- سعيد بن المنذر بن سعيد البلوطي (٢) ١٩٢ (٤) ١٥٠، ١٥١.
- سعيد بن منصور (٣) ١٢٨ (٤) ١٦.
- سعيد بن نصر (مولى عبد الرحمن الناصر) (٢) ٣٥٣.
- سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون، أبو عثمان (٣) ٢٢٧، ٢٢٩.
- سعيد بن هشام (٣) ١١٧.
- ابن سعيد (أحمد بن عبد الملك) (٤) ٢٥.
- ابن سعيد، أبو بكر (١) ١٦٠، ١٦١، ١٦٢ (٢) ٤٤٨ (٤) ٢٨٦ (٥) ٢١٢.
- ابن سعيد (أحمد بن عبد الملك) أبو جعفر (٢) ٣، ١٧، ١٨ (٤) ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٩ (٥) ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١١٧، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢.
- ابن سعيد (حاتم) (٤) ٢٩١.
- ابن سعيد (حاتم بن حاتم) العنسي (٤) ٢٨٠.

ابن سعيد (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك) (٣) ٣، ٥ (٥) ١١٢.

ابن سعيد، أبو عبد الله بن أبي الحسن (وزير صاحب تونس) (٢) ٤٣٨، (٣) ١٩٣.

ابن سعيد (محمد بن عبد الله) العنسي الغرناطي، أبو عبد الله (٢) ٣٦٨ (٥) ٢٤.

ابن سعيد (عبد الملك) (٢) ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٥٣ (٤) ٢٥، ٣٠٩ (٥) ٦٣، ١١١.

ابن سعيد (علي بن موسى بن عبد الملك) أبو الحسن.

العنسي نور الدين (١) ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٠، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠،

١٧١، ١٧٤، ١٨٣، ٢١٣، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٧٣، ٢٩٠، ٢٩١، ٣١٠، ٣١٣، ٣٢٠ (٢) ٧، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٥٧

١٨، ٢٠، ٢٢، ٥٣، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٨٤، ٩٨، ٩٩، ١٧٠، ١٧٩، ١٨١، ١٩٩، ٢٠١، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٨،

٢٨٦، ٣٩٤، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٨، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٧٧،

٤٧٩ (٣) ٢٠، ٢١، ١٠٧، ١٩٣، ١٩٤، ٢٧٦، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨٨ (٤) ٤، ٥، ٢٠، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٥٥، ٥٦، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣،

١٢٧، ١٣٢، ١٨٠، ٢٠٢، ٢٤٠، ٢٥٨، ٣٠٤، ٣٠٥، ٤٠٥ (٥) ١٧، ٧٢، ١٠٣، ١٠٩، ١١١، ١٣٠، ١٣٢، ١٩٣، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٩، ٣٥٨،

(٦) ٥٨، ٩٠ (٨) ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢٣٠.

ابن سعيد (موسى بن محمد بن عبد الملك).

أبو عمران (١) ١٥٣ (٢) ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٦٤، ٤٧٣ (٣) ٣٩١ (٤) ٢٥، ١٨٠، ٢٨٩، ٣٠٨ (٥) ٢٤، ٧٦، ٧٧.

ابن سعيد، أبو عمرو (٤) ٢٧٨.

ابن سعيد (مالك بن محمد) العنسي (٤) ٢٩١، ٣٣٨.

ابن سعيد (محمد بن عبد الملك) (٢) ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣ (٤) ٢٥.

ابن سعيد (يحيى) (١) ٢٣٠.

أبو سعيد (عثمان بن عبد الرحمن) والي تلمسان (٧) ٤٠٧.

أبو سعيد (الشيخ) (٦) ٢٨٧.

أبو سعيد (فرج النصرى، الأمير) (٦) ٨٣.

أبو سعيد (فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الأحمر) (٣) ٢٤٤.

أبو سعيد الأندلسي (٢) ٢٩٠.

أبو سعيد الخدرى (٤) ٦٦.

أبو سعيد (عثمان بن أبي العلاء) المريني (٦) ٢١٥ (٧) ٤، ٥، ٩، ٣١٥ (٩) ١٢٧.

أبو سعيد بن أبي سعيد السلوى (٦) ٢٨٦.

أبو سعيد بن عبد المؤمن (٢) ١١٦ (٣) ١٣، ١٥ (٥) ١٠٥، ١٠٨، ١١١، ١١٣، ٣٥٢.

سعيد الخير ابن السلطان عبد الرحمن الداخل (٢) ٢٩٣، ٢٩٤.

السفاح، أبو العباس (٣) ١٦٣ (٣) ٣٢٧ (٥) ٤٩ (٦) ٢٢، ٣٥ (٧) ٧٧، ٣٠٧ (٨) ٨٨، ٢٣٠.

ابن سفر المريني (١) ١٣٧، ١٧٣ (٤) ٤٧.

سفر (مولى عبد الرحمن بن معاوية) (٢) ١١.

سفر بن عبيد الكلاعى (٢) ١٢.

- سفيان الثوري (١) ٢٧٠ (٤) ٦٥ (٥) ٤٢٤.
- سفيان بن العاص بن سفيان، أبو بحر (٢) ٢٣٤، ٣٦٩.
- سفيان بن عيينة (٢) ١٨٧، ٢١٥، ٢٢٧ (٦) ١٩٥.
- سفيان بن هانئ الجيشاني (٣) ٣٢٩.
- سفيان بن وهب الخولاني (٣) ٣٢٩، ٣٣٢.
- سفيان بن يزيد التميمي (٣) ١٧٩.
- أبو سفيان (كاتب أندلسي) (٢) ٣٠٣ (٤) ١٣.
- سفين (٣) ٥٠، ٦٤.
- ابن السقاط، أبو القاسم (٢) ١٦٦.
- سقراط (٦) ٢٥٤، ٣٠٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٥٨
- سقوت الحاجب البرغواطي (٤) ٣٠.
- ابن السكاك (٦) ٢٨٤، ٢٨٦.
- ابن سكرة (حسين بن محمد بن فيرة) أبو علي الصدفي (١) ١٩٤ (٢) ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٨٢، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٥٤ (٣) ١٢٠، ١٣٤، ١٦٤، ٢٠٤، ٢٣٦، ٢٤١، ٣٣٧ (٥) ٣٥٠، ٣٦١ (٨) ٢٣٠.
- السكري (٣) ١٤٣، ٣٣٨.
- ابن السكن (محدث) (٢) ٢٢٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٧.
- ابن السكن، أبو علي (٢) ٢٨٩، ٣٤٧، ٣٦٧.
- السكوني (محمد بن علي بن يوسف) أبو عبد الله، انظر: ابن لؤلؤة.
- ابن السكيت (يعقوب) (٤) ٣٨١ (٥) ٢٦.
- سلام بن سلام المالقي، أبو الحسن (٤) ٤٢.
- سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي، أبو الحسن (٥) ٢٤٤.
- ابن سلبطور (محمد بن محمد بن أحمد) (٧) ٢٠٠، ٢٠٢.
- سلطان بن إبراهيم المقدسي، أبو الفتح (٣) ٢٠٤.
- السلفي (أحمد بن محمد الأصبهاني) أبو طاهر (٢) ١٩٧، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٦٩، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٥٢، ٣٦٩، ٤١٩ (٣) ١١، ١٢، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ٢٠١، ٢٢٢، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٩٦، ٣٩٩ (٤) ٥٦، (٥) ٣٥٦ (٦) ١٧٤، ١٩٥ (٧) ٥٥.
- سلمي في شعر أبي بكر الصائغ (٨) ٢١٨.
- سلمي (جارية الزبيدي) (٤) ٣٨١.
- سلمي (في شعر أبي جعفر الإلييري) (٩) ٢١٣.
- سلمي في شعر اليابري (٤) ٢٤٢.
- سلمي (في شعر ابن عبدون) (٤) ١١٢.
- سلمي بنت القراطيسي (٥) ١١٠.

- سلمان الفارسي (٦) ١٦، ٢٢، ٩٦.
- سلمة بن أحمد (٤) ٢٥١.
- سلمة بن شبيب (٢) ٣٦٦.
- ابن سلمة (محمد بن محمد بن يحيى) أبو عبد الله (٦) ٢٠٨ (٧) ٣٦١، ٣٦٢.
- أبو سلمة الخلال (٣) ٣٢٩، ٣٢٩.
- أبو سلمة بن عبد الرحمن (٤) ٦٥.
- ابن سلمون، أبو محمد (٧) ٥٣، ٧٨، ١٣٦.
- ابن سلمون أبو القاسم (٧) ١٣٦.
- سليم خان، السلطان (٢) ٣١٩.
- ابن السليم (محمد بن إسحاق) أبو بكر (٢) ٣٥٣، ٤٢٥ (٣) ٢٢٦ (٤) ٢٥٢.
- سليمي (١) ١٥١ (٢) ٣٧٦ (٣) ٣٦٥ (٤) ٩٣ (٨) ١٧٢.
- سليمان (النبي) (١) ١٢٤، ١٤٠، ٢٠٠، ٢١٢، ٢١٧، ٢٣٠ (٢) ٨٤، ١٤٧، ١٧٨، ١٨٤، ٢٤٦ (٣) ٤٣، ٣٧٩ (٥) ٣٧٣ (٦) ٢٣، ٢٧، ١٢٧، ٢٣٢، ٢٥٩ (٧) ٣٠٤ (٨) ٢٠، ٦٤، ٩٦.
- سليمان (في شعر أبي زكريا بن هذيل) (٧) ٣٣، ٣٤.
- سليمان الكوفي التلمساني، أبو الربيع (٣) ١٥٦.
- سليمان اليازغي (٦) ٢٨٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٥٩
- سليمان بن إبراهيم بن صافي القيساني (٣) ٢٣٢.
- سليمان بن أبي القاسم (٣) ٢٢٩.
- سليمان بن أحمد اليني (٣) ١١.
- سليمان بن أحمد بن يحيى (٣) ١٣٧.
- سليمان بن الأسود (٣) ١٧٩.
- سليمان بن الأشعث السجستاني (٤) ٢١.
- سليمان بن الحكم الأموي (الملقب بالمستعين، بقرطبة) (١) ٢٣٨، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣ (٢) ٢٣، ٢٤.
- سليمان بن داود (٢) ٣٠ (٥) ٧.
- سليمان بن داود المصري (٣) ٢٥٩.
- سليمان بن داود بن اعراب (٦) ٩١، ٩٢، ١٢٧.
- سليمان بن عبد الرحمن الداخل (١) ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥ (٣) ٣٠٥، ٣٢٧.
- سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الموحدى أبو الربيع، انظر: أبو الربيع (سليمان) الموحدى.
- سليمان بن عبد الملك (١) ١٩٠، ١٩١، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧ (٢) ٢٥٣ (٣) ٢٩٤، ٢٩٥ (٤) ١٢، ٣٦٠ (٦) ٢٣٢، ٢٤٢ (٨) ٨٨.
- سليمان بن علي الشلبي، انظر: كثير الشلبي.
- سليمان بن عمر، أبو الربيع (٦) ٢٨٤.

- سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي، انظر:
المتلمس البطليوسي.
- سليمان بن محمد بن هود (الملقب بالمستعين) (١) ٩٠، ٩١ (٢) ١٤٧.
- سليمان بن المرتضى (٢) ٢٨ (٤) ٣٥٦، ٣٥٧.
- سليمان بن مطر اللخمي الطبراني، أبو القاسم (٣) ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨.
- سليمان بن موسى بن سالم، انظر: أبو الربيع بن سالم.
- سليمان بن الناصر (١) ٢٨٧.
- سليمان بن نجاح، أبو داود (٢) ٢٩٨ (٥) ١٠٣.
- سليمان بن وهب (الكاتب) (٣) ٣٩١.
- سليمان بن يحيى المراكشي (السفاح) أبو الربيع (٦) ٣٢٤.
- سليمان بن يقظان الأعرابي الكلبى (٣) ٣١٥، ٣٢٣.
- سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسى (٦) ٢٨٥.
- سليمان (مولى عبد الملك بن مروان) (٣) ٣٤٢.
- أبو سليمان المنطقى السجستاني (محمد بن طاهر ابن بهرام (٣) ١٢ (٦) ٢٣٩، ٢٤٤).
- أبو سليمان بن أبي أمية (الوزير) (٤) ٢٢٣.
- السمار (فتى مشهور) (٥) ١٠٣.
- ابن سماعه (موسى) (٢) ٢٩٢، ٢٩٣.
- ابن السماك (٤) ١٣٠ (٥) ٧٩.
- السمح بن مالك الخولانى (١) ١٩١، ٢٣٧، ٢٦٦ (٢) ٢٢ (٣) ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧.
- ابن السمع (أصبع بن محمد) المهندس الغرناطى، أبو القاسم (٤) ٢٠، ١٨٧.
- ابن السمسار، أبو الحسن (٣) ٢٣١.
- السمعانى (عبد الرحيم بن عبد الكريم) (٣) ٢٠٢، ٣٩٩.
- ابن السمعانى (عبد الكريم) أبو سعد (٢)
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٦٠
- ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٩٠ (٣) ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٤١ (٥) ٣٥١.
- ابن سمعة (سمعت) على أبو الحسن (٣) ٢٨١ (٤) ٣٠٢ (٧) ٢٥٩.
- السمنانى، أبو جعفر (٢) ٢٣٤.
- سمنون المحب (٣) ٣٣٢.
- السموأل (١) ١٥٤ (٢) ٣٩٨ (٣) ٢٤ (٦) ٥٦.
- السميسر (خلف بن فرج) أبو القاسم (٤) ٥٨، ١١٠، ١١٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٤١، ١٩٠، ٢٠٩، ٣٩٢ (٥) ٥١، ٥٨.
- ابن السمينه (يحيى) (٤) ٢١، ١٧٨.
- ابن سناء الملك (٢) ٢٥٥ (٣) ٧٦ (٨) ٢١٤.
- سنمار (٥) ٤٥.

السنوسى (صاحب شرح السنوسية الصغرى) (٢) ٢٢١.

السنوسى (الإمام) (٣) ٢٧٧ (٦) ٣٤٧.

ابن سنون، أبو عامر (٢) ١٦١، ١٦٢.

ابن السننى (٣) ١٤٢.

السهروردى، شهاب الدين (٢) ٢٢٨، ٣٢٣، ٣٢٥.

سهل التستري (٣) ٢٢١.

سهل بن إبراهيم المسجدى، أبو القاسم (٣) ٢٢٣.

سهل بن إبراهيم النيسابورى، أبو القاسم (٢) ٣٠٢.

سهل بن سعد الساعدى (٣) ٣٢٩.

سهل بن على بن عثمان التاجر النيسابورى، أبو نصر (٣) ٣٣٧، ٣٣٨.

سهل بن عمرو بن قيس (١) ٢٣٥.

سهل بن مالك الأزدي، أبو الحسن (٢) ٢٦٦، ٣٩٥ (٣) ١٦٥ (٤) ٣٢، ١٧٥، ٣٦٥، ٣٨٢ (٥) ٢٦٦ (٨) ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٦ (٩) ٢٤٥.

سهل بن هارون (٤) ٢٢.

ابن سهل (إبراهيم) الإسرائيلي، أبو إسحاق (٢) ٤٢٦ (٤) ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤ (٥) ٤٨، ٤٩ (٨) ٢٥٢ (٩) ١٠١، ٢٦٨.

ابن سهل القصرى (٢) ٢٢٨.

أبو سهل (شيخ دار الحديث بالقاهرة) (٤) ١٨١.

السهيلي، أبو جعفر (٢) ٢١٤.

السهيلي (صاحب الروض الأنف) أبو زيد و أبو القاسم (٢) ٢٥٨، ٢٥٩، ٤٥٢ (٣) ٢٣٣، ٣٦٢ (٤) ٢٦، ١٩٩، ٢٠٠ (٥) ٢٤٥، ٣٥٦.

سوار بن طارق (مولى عبد الرحمن بن معاوية) (٢) ٢١٥.

سودة بنت زمعة (٣) ٣٣٩ (٩) ٢٤٩.

ابن سودكين (إسماعيل) النورى (٦) ٢٢٤.

سوسان (٦) ٣٧.

السوسى (المغنى) (٥) ٤٠.

سيويه (١) ١٨٢ (٢) ٢٦٩، ٣٤٤، ٣٥٥، ٣٦١ (٣) ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٥١، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٣، ١٦٦، ١٨١، ١٩٦، ٢٣٣، ٢٣٨، ٣٤٣، ٣٤٦.

٣٩٢ (٤) ٢٦، ٨٤، ٩١ (٥) ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٥٤، ١٣١، ١٧٦، ٢٢٠، ٢٤٥ (٦) ١٨٣، ٢٩٢، ٣١٤، ٣١٦، ٣٥٠.

السيد القنطور (ردريق الطاغية) (٥) ٣٤٥.

ابن سيد (الشاعر)، انظر: اللص.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٦١

ابن السيد (على) البطليوسى، أبو الحسن (٥) ٢٠.

ابن السيد (عبد الله) البطليوسى، أبو محمد (١) ١٥٦ (٢) ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ٣٠٢ (٤) ٢٥، ٢٦، ٣٢، ٥٩، ١٠٧، ٢٤٦، ٢٥٦.

٣٣٧ (٥) ٢٠ (٨) ٢٣١.

ابن سيد بونه (جعفر بن عبد الله بن محمد) الخزاعى، أبو أحمد (٣) ١١٩، ١٧١، ٢١٣.

ابن سيد الناس (٥) ٥٣.

- ابن سيد الناس، شمس الدين، أبو بكر (٦) ٣٢٥.
- ابن سيد الناس (محمد فتح الدين) (٣) ١٩٧ (٦) ٣١٩، ٣٢٥.
- ابن سيده (١) ١٨٥ (٤) ١٨، ٣١، ١٨٢، ٣٩٧.
- سير بن أبي بكر (٥) ١٤٤، ٢٧٥ (٦) ١٥٤، ٢٧٨.
- السيرافي (الحسن بن عبد الله) أبو سعيد (٢) ٣٥١ (٣) ٢٣٨، ٣٤٦، ٣٦١.
- ابن سيرى، أبو حفص (٥) ٣٥٧.
- ابن سيرين (٤) ٦٦ (٦) ٢٢٨.
- سيف بن ذى يزن (١) ٢٣ (٣) ١٨٦ (٥) ١٩٥، ٢٠٤، ٣٧٣ (٦) ٢٨ (٧) ١٧٦ (٨) ٨٨ (٩) ١٦٥.
- سيف بن عمر (١) ١٧٠.
- سيف الدولة (ابن هود) (١) ٣٤١.
- سيف الدولة الحمداني (١) ١٥٥ (٣) ٨٥، ٨٦.
- سيف الدين (شيخ ابن الحاج الغرناطي) (٨) ٢٩٥.
- سيف الدين أرغون (٣) ١٤٧.
- ابن سيناء أبو علي (٢) ٣٢٨ (٣) ١٥ (٦) ٢٧٧ (٩) ٣٣١.
- السيورى (٣) ٩٣.
- ابن السيورى (علي بن الطوسى) الإسكندرى، أبو الحسن (٤) ٨٣.
- السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر) جلال الدين (٢) ٣١٦ (٧) ٣٤٤ (٨) ٢٨٩.

حرف الشين

- الشاذلى (٦) ٢٣٩.
- الشاذلى، أبو الحسن (٢) ٣٣٠ (٦) ٢٦٤، ٢٧٥، ٢٨٤.
- الشاذياخى (الحاكم محمد) أبو عبد الرحمن (٣) ٢٢٣.
- الشارمساحى، أبو محمد (٣) ٣٣٥.
- ابن شأس (٢) ٧٩ (٣) ٢٥٣ (٦) ١٨٥.
- الشاشى، أبو بكر (٢) ٢٠١، ٢٠٨، ٢٣١، ٢٤٧، ٢٥٠، ٣٠١ (٦) ٢٣٣.
- ابن الشاط (٣) ٢٧٨ (٧) ١٣، ٥٤.
- ابن الشاط، أبو القاسم (٦) ١٩٤، ٢٠٥.
- الشاطبى (٦) ٢٢٢.
- الشاطبى (تلميذ أبى العباس الراسى) (٢) ٢٨٩.
- الشاطبى، أبو إسحاق (٢) ٣٥٠ (٦) ١٦٣، ١٦٤، ٢١٨، ٢٨١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٥١ (٧) ٥٣، ٥٤، ١٨٥ (٩) ١٢٩.
- الشاطبى، أبو عبد الله (٤) ٣٩٤ (٥) ٣٥١.
- الشاطبى (محمد بن أبى القاسم) أبو عبد الله
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٦٢

(٢) ١٩٧، ١٩٨ (٥) ٢٣٠.

ابن شاطر السرقسطى (٥) ٥٢.

ابن شاطر (محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٦) ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤.

الشافعى (٢) ٢١٨، ٢٢٥، ٢٩٤، ٣١٨ (٣) ١٥٥، ١٧٣، ٢٢٢، ٢٣٧، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٤، ٣٣٩، ٣٩٦، ٣٩٩ (٤) ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ٦٥، ٣٣٧

(٦) ١٠٥، ١٧٤، ١٨٣، ٢٣٦، ٢٥٢، ٢٨٣.

شاكراً (٤) ٣٠٩.

ابن شاليب (اليهودى) (٥) ١٧٠.

أبو شامة (المؤرخ) (٢) ٤١٩ (٣) ١٢٥، ١٢٦، ١٣٧.

شامية (بنت أبى على الحسن بن محمد بن محمد التيمية) (٣) ١٥٦.

شانجة بن رذمير (١) ٢٨٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٣.

شانجة بن غرسية (١) ٢٨٤.

شانجة بن فرويلة (١) ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٠٤.

ابن شانجة (١) ٣١٤.

ابن شاهين (معاصر الجنيد) (٦) ٣٣٩.

ابن شاهين (أحمد) (١) ٧٤، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠١ (٣) ٨٩، ٩٠، ٩١.

ابن شبرين (القاضى) (٧) ٧٨.

ابن شبرين الإشبلى (٩) ١٨٤.

ابن شبرين (محمد السبتي) أبو بكر (٦) ٣٨٠ (٧) ٧٨، ٨١، ١٣٦، ٣٥٠.

ابن شبرين، أبو عبد الله (٥) ٢٢٤.

شبطون (زياد بن عبد الرحمن) (١) ٢٦٥، ٢٦٧ (٢) ١٨٧، ٢١٤، ٢١٥.

الشبللى (أبو بكر دلف بن جحدر) (١) ٤٩ (٦) ٢٣٤ (٧) ٣٠٤، ٣٦٨.

شبيب (الخارجى) (٣) ٤١ (٨) ١٥٢.

شجاع (مولى المستعين بن هود) (١) ٣١٠.

ابن شجاع (٦) ٣٧.

أبو شجاع (١) ٢٦٢.

ابن الشحنة (٣) ١٣١ (٦) ١٩٩.

شداد (٥) ٣٧٣ (٨) ٨٨.

شداد بن أوس الأنصارى (٢) ٣٤٣.

ابن شداد (بهاء الدين يوسف بن رافع) (٢) ٢٢٨ (٣) ٢٣٤.

الشديد الملقى (محمد بن قاسم) أبو عبد الله (٧) ٢٧٥، ٣٣٦.

ابن شراحيل، عمر (٣) ٣٢١.

الشراز (صاحب الرجز فى الفرائض) (٣) ٢٧٧.

ابن شرف التلمسانى (أبو العباس أحمد بن أبى يحيى) (٣) ٢٨٣.

- ابن شرف القيرواني، أبو الفضل (١) ١٣٣ (٤) ٥٩، ١٤١، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦ (٥) ٥٧.
- ابن شرف (محمد بن أبي الفضل) (٤) ١٧٥ (٨) ٢٠٩.
- شرف الدين الأنصاري (٣) ١٣٦.
- شرف الدين التلمساني (٦) ١٨٣.
- شرف الدين الجزائري (٢) ٣٧٠.
- شرف الدين الدمياطي (عبد المؤمن بن خلف) أبو محمد (٣) ٢١٣، ٢١٥ (٦) ١٩٤، ٣١٩.
- شرف الدين المرسى (٣) ٢٢٢.
- شرف الدين المغيلي (٦) ٣٢٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٦٣
- شرف الدين (عيسى بن عبد الله الحجى) أبو عبد الله (٦) ٣٢٤.
- شرف الدين بن ريان (٣) ٢٥٨.
- شرف الدين بن سليمان الإربلي (٢) ٣٩٧.
- شرف الدين بن محرز الإخميمي (٦) ٣٢٤، ٣٢٥.
- شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي (٦) ٣٢٤.
- شرف الدين عيسى بن محمد بن أبي بكر أيوب (٦) ٣٢٤.
- شرف الدين هارون بن الصاحب محمد الجويني (الملك) (٤) ١٥٧.
- شريح (٣) ٢٢٢.
- شريح بن محمد بن شريح الرعيني، أبو الحسن (٢) ٣٠٥، ٣٠٧ (٣) ١١٩، ٢٢٨، ٢٢٩.
- ابن شريح (٦) ١٤.
- الشريشي (أحمد) أبو جعفر (٢) ٣٨٢ (٥) ١٣.
- الشريشي (كمال الدين أحمد) أبو العباس (٢) ٢٦٨ (٣) ٢٠ (٤) ٢٣٥، ٢٣٦ (٥) ١٣.
- الشريشي، أبو عبد الله (٨) ٢٩١ (٩) ٢٣، ١٣١.
- الشريف الإدريسي (١) ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٤ (٣) ٢٧٦ (٤) ٢٦.
- الشريف الأصم القرطبي (٢) ١٨.
- الشريف الرضى (١) ٨٢ (٢) ٣٩، ٤٠، ١٢٨ (٥) ٤٢٣.
- الشريف الشمس المكي (٢) ٤٧٧.
- الشريف الطليق (٤) ٣٥، ١٨٩، ٣٥٣، ٣٥٤.
- الشريف العقيلي (علي بن الحسين) أبو الحسن (٢) ٤٥٣.
- الشريف الغرناطي، أبو العباس (٣) ٣٦٧ (٤) ٦٨ (٥) ٢٨٥.
- الشريف المدني (٨) ٢٦٨.
- الشريف المرتضى (٣) ١١٥.
- الشريف أبو القاسم (٢) ٣٤٧.
- الششتري (علي بن عبد الله أبو الحسن) (٢) ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٤٠، ٣٤١ (٨) ٢١٦.

- شعبان (الشيخ النحوي) (٣) ٣٦.
- شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون، انظر: الأشرف.
- شعبان بن كوجبا (٣) ٣٩١.
- ابن شعبان، أبو إسحاق (٢) ٢٩٥ (٣) ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٧.
- شعبة (الإمام المحدث) (٢) ٢٦٠.
- ابن شعبة، أبو القاسم (٢) ٢٤٩.
- الشعبي (٤) ٦٥.
- الشعراني، عبد الوهاب (٢) ٣١٩.
- شعيب (٦) ٦٥.
- شعيب (الشيخ) انظر: أبو مدين.
- شعيب بن سبعين الطرطوشي، أبو محمد (٣) ٣٣٤.
- شعيب بن سعيد (٢) ٢٥٠.
- أبو شعيب (الشيخ) (٦) ٢١٢.
- الشعيري، عبد العزيز (٣) ١٢٠.
- ابن شفيع، أبو الحسن (٢) ٣٥٤ (٣) ٢٠٤.
- ابن شق الليل (محمد بن إبراهيم الطليبري) أبو عبد الله (٢) ٢٢٠.
- الشقراطسي (٢) ٣٠٠.
- الشقندي، أبو الوليد (١) ١٣١، ١٣٧،
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٦٤
- ١٤٩، ٣١١ (٢) ٤، ٥٢، ٦٨، ١٩٩ (٤) ٢٧، ٥٥، ٦٦، ١٧٣.
- الشقوري، أبو جعفر (٣) ١٨٣ (٦) ٣١٩.
- ابن شقير، تاج الدين (٢) ٣٩٧.
- ابن الشكاك (٩) ١٢٣.
- ابن شكر (٣) ١٤.
- الشلباني، أبو الحسن (٦) ٢٤٠.
- الشلبية (الشاعرة) (٥) ٢١١.
- الشلوين، أبو علي (١) ١٨٢، ٢٤٨، (٢) ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٦١، (٣) ١٦٦، ٢٢٦ (٤) ٢٦، ٣٢، ٦٨، ٢٧٣، ٣٨٣ (٥) ٣٠٠، ٣٥٩ (٩) ٢٤٥.
- ابن شماسه (عبد الله الفهري) (١) ٢٢٩ (٣) ٢٩٢.
- شمر بن ذى الجوشن (٣) ٣٠٤، ٣٢٦ (٩) ٢٠٦.
- ابن شمر، المنجم، عبد الرحمن (٣) ٣٨٨.
- ابن الشمر، عبد الله (٤) ٣٧٥.
- شمس الدين (في شعر ابن الخطيب) (٨) ١٦١.

- شمس الدين الأسدي الطيبي (١) ٦٨.
- شمس الدين الأسواني (٦) ٣٢٥.
- شمس الدين الأصبهاني (٣) ١٤٧ (٦) ٢٠٤، ٢٠٩.
- شمس الدين البعلبي (٢) ٣٦٠.
- شمس الدين الدمشقي (٩) ١٨٢.
- شمس الدين السروجي قاضي قضاة (٣) ١٧٤.
- شمس الدين بن الكوفي الواعظ (٦) ٤٧.
- شمس الدين الهوارى الضرير، انظر: ابن جابر.
- شمس الدين الورجمي (٦) ٣٢٥.
- شمس الدين بن أبي الفتح (٢) ٣٥٧.
- شمس الدين بن اللبان (٦) ٢٠٩.
- شمس الدين محمد بن التلمساني (٣) ١٦٠، ١٦١.
- شمس الدين محمد بن عبد المنعم (٩) ٣٠٣.
- شمعون (٣) ٣٦.
- الشمني، تقى الدين (٣) ٢٧٨.
- الشتجالي، أبو محمد (٣) ١٢٤.
- ابن شنتفير، أبو عثمان (٤) ٢٠٣، ٢٠٤.
- ابن شنظير، أبو إسحاق (٢) ٢٦٠.
- شهاب الدين (٦) ٣٠٤.
- شهاب الدين البوشي المالكي (٦) ٣٢٥.
- شهاب الدين الحجازي (٣) ٣٠.
- شهاب الدين الحنبلي الزرعي (١) ٩٤ (٦) ٣٢٥.
- شهاب الدين الطبري (٢) ٣٤٣.
- شهاب الدين العزازي (أحمد بن عبد الملك) أبو العباس (٣) ١٥٦ (٨) ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٩.
- شهاب الدين القوصي (٢) ٤١٩، ٤٢٠.
- شهاب الدين المتبولي (٣) ٢٧٩.
- شهاب الدين ابن أبي حجلة التلمساني (٢) ٣٣٧ (٨) ٢٨٤، ٢٨٩.
- شهاب الدين بن فرج، انظر: ابن فرج.
- شهاب الدين أحمد الجوهري الحلبي (٦) ٣٢٥.
- شهاب الدين أحمد بن الحرازي (٦) ٣٢٤.
- شهاب الدين أحمد بن محمد الصنعاني (٦) ٣٢٤.
- شهاب الدين محمود، أبو الثناء (٢) ٣٥٥، ٣٥٧ (٧) ٥١.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٦٥

شهاب الدين يعقوب (ابن أخت نجم الدين) (٤) ١٢٨.

أبو شهاب المالقي (٢) ١٨.

ابن شهاب (٤) ٦٥ (٥) ٩٥.

شهدة بنت الأبري (الكاتبه) (٣) ٣٩٦.

شهيد بن عيسى بن شهيد (٣) ٣٢٠.

ابن شهيد (أحمد بن عبد الملك) أبو عامر (١) ١٣٧، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٦، ٢٩٧، (٢) ٢٨، ٢٩، ٥٧، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٧،

١٣٨، ٢٤٣ (٣) ١١٤، ٣٤٥ (٤) ٢٢، ٣٦، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٣٢٣، ٣٦٣، ٣٧٣ (٧)

١٣٢.

ابن شهيد (عبد الملك بن أحمد) أبو مروان (٢) ١٠٠، ١٠١ (٤) ٨٥، ٨٦.

ابن شودكين (٢) ٣٠٧.

الشوذى الحلوى، أبو عبد الله (٦) ٢١٤.

شيبان بن أمية القتباني (٣) ٣٢٩.

شيبه (في يوم بدر) (٦) ٢٧٤.

ابن الشيخ (٤) ٥٨.

الشيرازي (٦) ٣٥٠.

دأبو الشيص (٧) ٢٤١.

حرف الصاد

ابن الصائغ محمد بن عبد الله القرشي النحوي (٥) ٢٤٧.

ابن صابر المنجنيقي (٦) ١٢٧، ١٢٨.

الصابوني شرف الدين (٣) ٢٠٧.

ابن الصابوني أبو بكر (محمد بن أحمد) (٤) ٢٩٦، ٢٩٧ (٥) ٩٤ (٨) ٢١٠، ٢١١، ٢٤١.

الصابي، أبو إسحاق (إبراهيم بن هلال بن هارون) (١) ٨٤، ٢٤٦ (٢) ٤٠ (٥) ٣٨٥ (٦) ٣٥ (٧) ٢٣٩، ٢٤٧ (٨) ٢٤٠.

الصاحب بن عباد (١) ٢٤٦، ٣٣٤ (٣) ٨٢ (٥) ١٦٦، ٣٨٥ (٧) ٢٣٩، ٢٤٧.

ابن الصاحب (١) ٤٨.

ابن صاحب الأحباس (أبو بكر) (٣) ١٢٠.

ابن صاحب الرد (أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الإشبيلي) (٤) ١٢٣.

ابن صاحب الصلاة (١) ٢٤٨.

ابن صاحب الصلاة في الدولة اللتونية (٤) ٢٤.

ابن صاحب الصلاة البجانسي (٣) ٢٧٥.

ابن صاحب الصلاة (محمد) أبو بكر (٤) ٢٥٥.

ابن صاحب الصلاة (عمر) أبو جعفر (٤) ٢٥٥.

ابن صاحب الصلاة (له كتاب الموحدين) (٢) ٤٥١.

ابن صاحب الصلاة الوليبي (إبراهيم) أبو محمد (٢) ٧٦.

صاحب القبلة (مسلم) أبو عبيدة (٤) ١٧٨.

صارم الدين إبراهيم بن دقماق، انظر: ابن دقماق.

ابن صارة، أبو العباس (٤) ١٦١، ٣٧٩.

ابن صارة الأندلسي، أبو محمد عبد الله الشنتريني (٢) ٣٧، ٢٠٢ (٣) ٢٤٢ (٤) ٥٠، ١٣٢، ١٦١، ٢١٠، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٧٢، ٣٢٦، ٣٣٧.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٦٦

٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٨٠ (٥) ٢١، ٣٣، ٣٧، ٥٩، ٢١٧، ٢٣٧، ٢٥٤.

ابن صارو البعلبي شهاب الدين (٣) ٢٦٥.

صاعد بن أحمد الطليطلي، أبو القاسم (٣) ٢٤٠ (٤) ٤٤.

صاعد بن الحسن البغدادي القاضي (١) ٣١٢ (٢) ١٢٢، ٢٧٩، ٢٨٢، ٣٧٢، ٣٤٤ (٣) ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٩.

٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢ (٤) ١٨، ٧٣.

صاعد اللغوي (صاحب كتاب الفصوص) (٢) ٢٨٢ (٤) ٨٥.

صاعد بن مخلد (١) ٢٧٩.

صالح (النبي) (٦) ١٢٧ (٧) ٢٠٦.

صالح الغنوي (٣) ٣٢٦.

صالح بن شريف الرندي (٣) ٢٧٨ (٤) ١٥٥ (٥) ٨٣، ٣٧٣، ٣٧٥ (٧) ١٣٤.

صالح بن طريف البرغواطى (٤) ٣٠.

صالح بن عبد العظيم بن يونس (٦) ٣٢٥.

الصالح بن الملك الكامل (٢) ٤٥٧.

الصالح بن المنصور (١٠) ١٨٢.

الصالح ابن الناصر قلاوون (٥) ٢٩٨.

الصالح نجم الدين أيوب (٢) ٣٩٠، ٣٩١.

الصالح نور الدين (٢) ٤١٠.

ابن صالح أبو عبد الله (٢) ٢١٤ (٣) ٢٣٥.

ابن صالح الكنانى (٧) ١٤.

ابن الصائغ (النحوى)، انظر: محمد بن عبد الله ابن محمد القرشى النحوى، أبو عبد الله.

ابن الصائغ (١) ٨٨.

ابن الصائغ المقدسى نور الدين (٣) ١٠٢ (٥) ٨٣ (٦) ٣٢٥.

صباح (امرأة لقيها مساعد الأصبهى بالمشرق) (٣) ٢٣٦.

ابن الصباح (١) ٢٥٩.

أبو الصباح بن يحيى اليحصبى (٣) ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥.

ابن الصباغ (أبو الحسن) (٢) ٢٢٨.

ابن الصباغ (٧) ٣٠، ٥٠، ٧٠، ١٥٨، ١٨١، ٣١٦، ٣١٧.

صبح البشكنسية (أم هشام المؤيد) (١) ٣١١ (٢) ١١٣ (٣) ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٨.

صبيح الطواشي (٢) ٤٤٣.

صخر (أخو الخنساء) (٥) ٧٩.

أبو صخر القرطبي (٢) ٣٨.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٦٦

ر الدين الخجندی (٣) ١٢، ١٣.

صدر الدين بن الأدمي (١) ٨٨.

الصدفي أبو علي، انظر: ابن سكرة.

صدقه بن محمد بن مروان الدمشقي (٣) ٣٣٤.

ابن صديق (٦) ٣٥٤.

الصرصري، أبو الحسن (٦) ٢٨٢.

ابن صصري، أبو القاسم (٢) ٢٨٩.

ابن صصري (الحسن بن هبة الله) (٢) ٣٠٢.

ابن سعد التلمساني أبو عبد الله (٨) ١٨٥.

الصغير أبو الحسن (٦) ٢٠٣.

ابن الصفار، أبو سعيد (٢) ٢٥٩.

ابن الصفار، أبو القاسم (٤) ١٧٨.

ابن الصفار، أبو عبد الله (٥) ١٤٣، ٢٢٢.

الصفدي، خليل بن أبيك (١) ٤٧، ٨٦، ٩٤، (٢) ١٩١، ٢٤٧، ٣١٨، ٣٣٠، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٣، ٤٥٨ (٣) ٢١، ١٣٦،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٦٧

١٣٧، ١٤٢، ١٦٤، ١٧٠، ١٧١، ٢٠٠، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٦٩، ٢٧٠، ٣٤٢ (٥) ١٣٥، ١٨٤، ٢٩٤، ٢٩٨، ٢٩٩ (٧) ٢١٥.

صفوان بن إدريس المرسي، أبو بحر (١) ٩٣، ١٤٥ (٤) ٤٥، ٩٣، ١٨٧، ٣٦٥ (٥) ٣٣، ٣٤، ٣٦١، ٣٦٢ (٦) ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٨، ٥٩،

٦٠، ٦٢، ١٦١ (٧) ٧٦، ١٣٣، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٤.

صفوان بن صالح (٣) ١٢٧.

صفوان بن عسال (٣) ٣٠.

ابن صفوان الخطيب (٥) ٢٥٢.

ابن صفوان المالقي (أحمد بن إبراهيم) (٥) ٨٥ (٧) ٢٢، ١٦٣، ١٦٥ (٨) ٢٨٥.

صفى الدين الحسين بن أبي منصور بن الخزرجي (٣) ١٥٥.

صفى الدين الحلبي (٣) ٢٤.

صفى الدين بن شكر (٣) ٦.

صفى الدين بن علي بن ظافر الأزدي (٢) ٣٢٣.

صفى الدين أبو محمد (عبد الله بن علي) (٤) ٧٧.

- ابن الصلاح، أبو عمرو (٣) ٣٩٤ (٤) ٣٥٣.
- صلاح الدين العلاني (٢) ٣١٨.
- صلاح الدين بن أيوب (١) ٣٤٢، ٣٤٣ (٢) ٢٥٥، ٤١٧ (٣) ١٠، ١٣، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٣٣٨.
- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، انظر:
الصفدى.
- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (٢) ٣٥، ٣٦، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣، ٤١٥ (٤) ١١٥، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٤، ١٦٢، ٢٦٣، ٣٩١.
- الصليحي (٤) ١٧٨.
- ابن صمادح، انظر: المعتمم بن صمادح.
- الصميل بن حاتم الكلابي (١) ١٩٣، ١٩٤، ٢١٤، ٢١٥، ٢٥٩ (٣) ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٢٧.
- الصنعاني (أبو الغوث) (٣) ٣٤٦.
- الصنوبري (١) ٢٤٧.
- صهيب (الرومي) (٣) ٢٢٣.
- ابن صواب، أبو القاسم (٢) ٣٠٢.
- ابن الصوفي (٤) ٢٤٤.
- الصولي (٢) ٣٩٨ (٤) ٣٩٧.
- صيدح (١) ٩٦.
- الصيدلاني، أبو جعفر (٢) ٢٥٩.
- ابن الصيرفي الغرناطي (٤) ٢٤.
- ابن الصيرفي، أبو القاسم (٤) ٣٧٦.
- ابن الصيقل (عثمان بن سعيد) أبو سعيد (٣) ٣٩٢.
- ابن الصيقل، أبو مروان (٣) ١٢٤، ٢٣٦.
- ابن الصيقل، النجيب (٣) ١٣٦، ١٩٦.
- ابن الصيقل الشاطبي (محمد بن علي) (٢) ٢٣٤.
- الصيمري (٢) ٢٣٤.

حرف الضاد

- ابن ضابط النحوي المالقي، أبو الوليد (٤) ١٩٧، ٣٧٢.
- ابن الضائع (علي الكتامي) أبو الحسن (٣) ١٥٦، ١٦٦، ٢٨٤.
- الضبي (المنجم) (١) ٢٦٣، ٢٦٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٦٨
- الضحاك (محدث) (٩) ٧٤.
- الضحاك بن قيس الفهري (٢) ١٢٧، (٣) ٣٢٥، ٣٢٦.

أبو الضحاك الفزاري (٢) ٣٠١.

الضراب (٢) ٢٦٦.

ضرغام بن عروة بن حجاج بن أبي فريعة (٣) ٢٣٨.

ضمام بن عبد الله الأندلسي (٣) ٢٣٧.

ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة (٣) ١٢.

الضياء (٣) ٣٩٤.

ابن ضيفون اللخمي (محمد بن عبد الملك) (٢) ٣٦٧.

حرف الطاء

طارق بن زياد (١) ١٠٨، ١٢٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٥٦، ٣٠٨، ٣١٠ (٣) ١٨٩، ٢٩٤، ٢٩٥ (٤) ٧، (٥) ٢١٩.

طارق بن موسى بن يعيش، أبو الحسن، أو أبو محمد (٢) ٢٢٤ (٣) ١٢٤، ١٩٩.

طالب الصوري (٣) ٢٣٢.

ابن طالب (يحيى بن طالب الحنفي) (٨) ٢٣١.

أبو طالب (قاضي الجماعة بقرطبة) (٢) ١٩١.

أبو طالب المكي (٦) ٢٠١.

أبو طالب أحمد بن مسلم التنوخي، انظر: التنوخي.

أبو طالب عبد الجبار، انظر: المتنبى الجزيري.

أبو طالب بن عبد السميع (٣) ٢٢٩.

طالبوت بن عباد بن نصال بن جعفر (٣) ١٨٣.

طالبوت بن عبد الجبار المعافري (الفقيه) (١) ٢٦٦ (٣) ٢٣٣.

طاهر الأندلسي، أبو الحسين المالقي (٣) ١٢٣.

طاهر أبو حسام (والد أبي عبد الله محمد بن طاهر القيسي) (٢) ٣٦٥.

طاهر بن مفوز، أبو الحسن (٢) ٢٣٥ (٣) ١١٨.

طاهر بن هشام، أبو عثمان (٣) ١٢٠.

ابن طاهر (عبد الله) (٢) ٢٥٣.

ابن طاهر، أبو بكر (٤) ٣٩٤ (٥) ٩٦.

ابن طاهر، أبو عبد الرحمن (صاحب المظالم) (٢) ١٤٢، ١٦٣ (٤) ٢٠٧ (٨) ٢٢٧.

أبو طاهر الأصفهاني، إسماعيل بن محمد بن أحمد، انظر: الوثابي.

أبو الطاهر الأندلسي النحوي (٣) ١٢٤.

أبو الطاهر الخشوعي (٢) ٣٥٤ (٣) ١٣، ٢٠٣، ٣٩٣.

أبو طاهر الدهلي (٣) ٢٠٣.

- أبو الطاهر السلفي، انظر: السلفي.
- أبو الطاهر بن عوف (٢) ٢٢٣، ٣٠٣، ٣٥٢ (٣) ١٢، ١١٨، ٢٠١، ٢٤٢.
- أبو الطاهر إسماعيل الخشني الجياني، انظر:
بن أبي ركب.
- أبو الطاهر إسماعيل القرشي العلوي (٣) ٢٠٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٦٩
أبو الطاهر إسماعيل المليحي (٣) ١٥٤.
- طاوس (محدث) (٧) ٣٠٤.
- الطباع الغرناطي، انظر: أحمد بن الطباع الغرناطي، أبو جعفر.
الطبراني (٢) ٢٥٩ (٣) ٥٣، ١٥٥.
- ابن طبرزد (الحافظ) أبو حفص (٢) ١٩١ (٣) ١٤١، ١٦٥، ٢٠٢، ٢٢١.
- الطبري أبو عبد الله الحسن بن علي (٢) ٢٤٩.
- الطبري (محمد بن جرير) (٢) ٤٢٢ (٣) ١٢٨، (٤) ١٦، ٢٤ (٦) ٣٤٣.
- الطني (صاحب مؤلف في التراجم) (٣) ١٢٢، ١٢٤ (٥) ٢٤٤.
- الطّنبى (معاصر ابن شهيد) (٤) ٣٧٣.
- الطنبى (عبد الملك بن زيادة الله) أبو مروان (٣) ١١١، ١١٢، ١١٩، ١٢٢، ٣٣٤ (٨) ٢٤١.
- الطنبى (زيادة الله بن علي التميمي) أبو مضر (٣) ١١١، ١١٢.
- الطحان (الحافظ) أبو القاسم (٢) ٢٢٠.
- ابن الطحان، أبو الأصبح، انظر: عبد العزيز بن علي (ابن الطحان).
الطحطحائي (الطحطاوي) فرج (٣) ٥٤، ٦٥ (٥) ٢٤٢.
- طراد (٣) ٢٢٧.
- طراد الزينبي (٢) ٢٥٠.
- طراد بن مهلهل (٢) ٤١٤.
- ابن الطراح (٥) ٨١، ٨٢.
- ابن الطّراوة سليمان أبو الحسين (٢) ٢٩٠ (٣) ١٤٣ (٤) ٢٦، ٣٢، ١٨٥، ٢٠٠ (٥) ٢٤٣.
- الطرطوشي (٢) ٧٩، ٢١٩ (٣) ٢٤١ (٦) ٢٤٥.
- الطرطوشي، أبو بكر (٢) ٢٠٠، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٥٤ (٣) ١٢١، ١٢٤، ٢٣٦.
- الطرطوشي أبو الحجاج (٦) ٢٠٣، ٢١٢.
- ابن طركاط الأندلسي (٧) ٥٤، ٢٦٣.
- طروب (جارية عبد الرحمن الأوسط) (٤) ٣٧٥.
- الطرياني (موسى) أبو عمران (٥) ١٢، ٧٠.
- طريف الذي سميت به جزيرة طريف (١) ١٤٠.
- طريف البربري (١) ١٨٧.

- طريف بن مالك المعافري، أبو زرعة (١) ١٩٠، ٢٠٤، ٢٠٥.
- ابن طريف (٣) ٢٠٤ (٤) ١٨.
- ابن طريف (الشيخ) أبو الحسن (٢) ٢٢١.
- ابن طريف، أبو الوليد (٢) ٣٠٠، ٣٠٢ (٤) ٢٢٢.
- طغتكين بن أيوب: انظر: ظهير الدين.
- الطغرائي (٣) ١٧٢.
- طفيل بن عاصم (٨) ٢٨.
- الطفيل بن عمرو الدوسي (٧) ٥٨.
- ابن الطفيل العبدى القيسى، أبو بكر (١) ٢١٤ (٣) ٣٠٢.
- ابن طفيل (محمد بن عبد الملك) أبو بكر (٢) ١١٦ (٤) ٣٢ (٦) ٢٢٧ (٨) ٢٨.
- ابن الطفيل (أبو الحسين) (٥) ٢٢٠.
- ابن طفيل (يحيى بن أحمد بن يحيى القيسى) أبو زكريا (٢) ١١٦.
- ابن الطلاء (هشام بن محمد القيسى الشلبي)
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٧٠
- أبو الوليد (٥) ٢٤٤.
- ابن الطلاع (٣) ١٦٥.
- ابن الطلاع (محمد) الفقيه (٥) ٢٦٦.
- طلحة بن عبيد الله (٦) ١٣٦ (٩) ١٧١.
- طلحة بن العنبر (٢) ٤٥٣.
- ابن طلحة (محدث بمكة) (٢) ٢٠٠.
- الظلمنكى أبو عمر (٢) ٣٥٢ (٣) ١٢٤، ٢٠٤ (٤) ١٨١.
- طلویش بن بيطة (١) ١٢٦.
- الطليطلى (٧) ٢١٣.
- الطليق القرشى، انظر الشريف الطليق.
- ابن طملىس (محمد بن القاسم) (١) ٣٠٣، ٣٠٥.
- الطنجالي، أبو جعفر (٧) ١٣٦.
- الطنجالي، أبو عبد الله (٥) ٣٩٤ (٧) ٥٣، ٥٤، ٣٦٢.
- الطنجالي (عبد المنعم بن أبي جعفر أحمد بن عبد الله الهاشمي) أبو المجد (٩) ١٨١.
- الطنجالي الهاشمي (محمد بن أحمد) (٦) ٣٢١.
- الطنجى، أبو عمر (٧) ٢٥٧.
- طه (٩) ١٦٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٥.
- الطوسى (٣) ٣٣٧ (٦) ٢٩٥.
- طوطة (ملكة) (البشكنس) (١) ٢٨٤، ٢٨٦.

- ابن طوفان (٣) ١١٠ (٤) ١٤٣.
- ابن طولون (٢) ٤٥٤.
- الطويجن (أبو إسحاق الساحلي) (٢) ٣٣٢، ٣٣٣.
- ابن الطويل (القائد في بربرشتر) (٥) ٧٩، ٣٤٠.
- ابن الطويل، أبو عامر (٢) ١٤٤.
- الطيبار، أبو إسحاق (٦) ٢١٤.
- ابن الطيب البغدادي أبو القاسم (٢) ٢٨٩ (٦) ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥١.
- أبو الطيب الطبري (القاضي) (٢) ٢٣١، ٢٣٤.
- أبو الطيب بن علوان التونسي المالكي (المصري) (٣) ١٧٠.
- أبو الطيب المتنبى، انظر: المتنبى.
- ابن طيفور، أبو عمرو (٥) ٢٣.
- ابن الطيلسان (٣) ٣٤١ (٥) ٣٩٣.
- ابن الطيلسان (القاسم) (٦) ٢١٧.
- ابن الطيلسان (ثابت بن خيار) أبو المظفر أو أبو الحسن (٢) ٣٥٥، ٣٦١، ٣٦٢.

حرف الظاء

- ظافر الحداد (أبو منصور) (٢) ٤١٥ (٤) ١١٤.
- الظافر بن ذى النون (عبد الرحمن) (٢) ١٤٨، ١٤٩.
- الظافر بن المعتمد بن عباد (٥) ٢٢٢.
- ابن ظافر الأزدي، على (صاحب بدائع البداءة) (٣) ٣٧٤ (٤) ٦٩، ٧٥، ٧٦، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ١٢٨، ١٣٤، ١٦١، ١٦٢، ٢٨١، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٩ (٥) ١٣٩، ١٨٥، ٢٢٢.
- أبو الظافر (ابن ذى النون والد يحيى) (٥) ٧٢.
- الظاهر بن الناصر (٣) ٢٣٣.
- ظفر البغدادي (٣) ٣٧٢.
- ظهير الدين (طغتكين بن أيوب) (٣) ٢٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٧١
- ابن الظهير الحنفي الإربلي (مجد الدين محمد بن أحمد) (٣) ٢١.

حرف العين

- عابد (جد ابن أبي زيد) (٢) ٣٦٨.
- عابدة المدنية (٣) ٣٩٦.
- ابن عات (١) ٢٤٨، ٢٥٦ (٣) ٣٣٧.

- ابن عات أحمد بن هارون أبو عمر (٢) ٣٠٣ (٣) ٢٠١.
- العادل (القائم بلوشة) (٥) ٣٥١.
- العادل بن أيوب (سيف الدين أبو بكر محمد) (٢) ٢٦٠، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١ (٣) ٢١٦ (٤) ٧٦.
- العادل بن المنصور (الموحدى) (٥) ٢٨٦.
- عاشر بن محمد، أبو محمد (٢) ٣٥٤.
- ابن عاشر (أحمد بن عمر بن محمد) أبو العباس (٦) ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩١، (٨) ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧ (٩) ١٢٢.
- عاصم (٣) ١٥٧ (٦) ٣٠.
- عاصم (لغوى) (٢) ٣٦٤.
- عاصم بن مسلم الثقفى (٣) ٣٢٠.
- ابن عاصم (المسؤول عن البناء أيام الناصر) (١) ٢٨٢.
- ابن عاصم (محمد بن محمد) أبو بكر (٦) ١٣ (٧) ٥٣، ٧٨، ٢٦٦ (٨) ٢٩٢ (٩) ٢٥، ١٩٠.
- ابن عاصم، أبو يحيى (٥) ٣٩٤، ٣٩١ (٦) ١٣، ١٥، (٧) ٥٣، ٥٤، ١٥٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦ (٨) ٢٨٦.
- العاصمى (٣) ٣٤٥، ٣٤٦.
- العالى: انظر: إدريس بن يحيى.
- عامر العبدرى (٣) ٣٠٥، ٣٠٩.
- عامر بن ذريح الحميرى (٣) ٣٢٩.
- عامر بن محمد بن على الهنتاتى (٧) ٣١١، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠ (٨) ١١٦، ١٧٦، ٢٧٨.
- عامر بن هشام القرطبى، أبو القاسم (٢) ٦٨ (٤) ٩٢.
- ابنة عامر (٨) ١٧٢.
- أبو عامر (٤) ٢٨٠.
- أبو عامر (ينقل عنه ابن برطله) (٣) ٢٤٢.
- أبو عامر (غلام) (٥) ٢٥١.
- أبو عامر بن عبد شلب (٤) ٢٠٣، ٢٠٤.
- أبو عامر بن مسلمة انظر: (ابن مسلمة).
- أبو عامر بن المظفر بن أبى عامر (٤) ٣٥٥.
- ابن عامر (٣) ١٥٧، ٣٠٩.
- ابن عائش، أبو جعفر (٤) ٢١٦.
- عائشة (أم المؤمنين) (٣) ٢٩٣، ٣٢٨، ٣٣٢ (٦) ١٣٦، ٢٥٣، ٤١٨ (٩) ٢٣٦.
- عائشة الجزيرية (٦) ٢٥٠.
- عائشة بنت أبى عبد الله محمد المغلى (٧) ٢٣، ٢٤.
- عائشة بنت أبى يحيى (٦) ٢٥٠.
- عائشة بنت أحمد القرطبية (٥) ٢٠٨.
- عائشة بنت أحمد بن الحسن المديونى (٦) ٣٥٦.

- ابن عائشة، أبو عبد الله (٤) ٣٨٧.
- عباد بن الحريش (٤) ١٣٥.
- عباد بن القزاز (٨) ٢٠٧.
- عباد بن محمد بن عباد، انظر: المعتضد بن عباد.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٧٢
- ابن عباد (محمد بن إسماعيل) أبو القاسم (والد المعتضد) (٥) ١٥٢، ١٦٦.
- ابن عباد، محمد (٣) ٢٠٠.
- ابن عباد أبو عمر (٣) ٢٠٠، ٢٠١ (٥) ١٦٦.
- ابن عباد (محمد بن إبراهيم بن يحيى الرندي) (٦) ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨ (٨) ١٨٦.
- أبو عباد، انظر: معبد (المغنى).
- عبادة بن الصامت، أبو الوليد (٤) ٢١١، ١٣.
- عبادة بن ماء السماء، أبو بكر (١) ٢٣٤ (٢) ٢٥، ٢٦ (٣) ٣٨٨ (٤) ١٩، ٤٢٠ (٥) ٥٢.
- ابن عبادة القزاز الوشاح (محمد) أبو عبد الله (٣) ٢٢٢ (٤) ٢٠٨، ٢٧٣، ٣٨٦ (٨) ٢٠٧.
- أبو عبادة، انظر: البحترى.
- العبادية (جارية المعتضد بن عباد) (٥) ٢٠٢.
- العباس (في موشحة للموصلى) (٨) ٢٨١.
- العباس (ممدوح ابن بقی) (٨) ٢٨١.
- العباس البقنى (٧) ٧٨.
- العباس بن الأحنف (٤) ٣١.
- عباس بن أصبغ (٣) ٢٢٦.
- العباس بن عبد المطلب (٥) ٤٩ (٦) ٢٠٢ (٩) ١٧١، ٢٠٧.
- العباس بن عبد الملك (٢) ٢٩٥.
- العباس الشاعر (١) ٢٦٩، ٢٧٠.
- عباس بن عمر الصقلی (٣) ٣٧٢.
- العباس بن الفرغ الرياشى (٢) ٣٦٦.
- عباس بن فرناس، أبو القاسم (١) ١٤١ (٣) ٣٩١ (٤) ١٧٧.
- العباس بن محمد الحداد التنيسى (٣) ٣٣٤.
- العباس بن مرداس السلمى (٧) ٢٩.
- عباس بن ناصح الثقفى الجزيرى (١) ٢٦٨ (٢) ٣٨٦ (٤) ٥٦.
- ابن العباس التلمسانى أبو عبد الله (٦) ٣٤٧، ٣٥٤، ٣٥٧.
- أبو العباس بن أبى سالم انظر: أحمد بن أبى سالم المرينى.
- أبو العباس الأشعري (٥) ٢٢٦.
- أبو العباس التندروسى (٦) ٣٥٤.

- أبو العباس الرندي (القاضي) (٦) ١٩٥.
- أبو العباس الشريف الحسنی (٧) ٢٣، ١٥٤، ١٧٠، ١٧١.
- أبو العباس الغساني (٢) ٤١٣ (٣) ١٩٢.
- أبو العباس القسطلاني (٢) ٢٢١.
- أبو العباس المالقي (٤) ٣٩٣.
- أبو العباس المرسي الولي أحمد بن عمر بن محمد (٢) ٣٣٠، ٣٣٢ (٨) ٣١٨ (٩) ٩٥.
- أبو العباس المكناسي (٦) ٢٠٩.
- أبو العباس النباتي العشاب، انظر: ابن الرومية.
- أبو العباس الينشتي (٤) ١٢٥.
- أبو العباس بن أبي يحيى الشريف (قاضي غرناطة) (٦) ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٥٤.
- أبو العباس بن إدريس (٦) ٢١١.
- أبو العباس بن جمال الدين (٩) ٢٩٨.
- أبو العباس بن خليل (٥) ٢٢٩.
- أبو العباس بن رضي الدين الشافعي (٦) ٢٠٩.
- أبو العباس بن صقر الغرناطي (٥) ٢٣٢.
- أبو العباس بن عيسى (٢) ١٩٩، ٢٩٠ (٣) ١٢٣.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٧٣
- أبو العباس بن مضا (٦) ٥٢.
- أبو العباس أحمد الخزرجي القرطبي (٣) ٢١٢.
- أبو العباس أحمد الغساني (٢) ٤٤٩، ٤٧٦، ٤٧٧.
- عبد بن حميد (٣) ١٥٥.
- عبد بن زمعة (٣) ٣٣٩.
- عبد الأعلى بن موسى بن نصير (١) ٢٢٠.
- عبد الباقي بن تاج الدين بن أبي بكر البوري (٩) ٣٠٣.
- عبد البر بن فرسان الغساني الوادي آشي (٣) ٢٠٩، (٤) ٢٨٠، ٣٣٤.
- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله) أبو عمر (١) ٢٢٢، ٢٣٣ (٢) ٤٢، ١٠٩، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٦٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٦٧ (٣) ١٢٠، ١٢٣، ١٢٥، ٢٠١، ٢٦١، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٣٥، ٣٣٩ (٤) ١٦، ٢٤، ٣١، ٦٥، ٦٦ (٥) ١٨٦، ٢٣٩، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٥ (٧) ٨١ (٨) ٢٠٧.
- ابن عبد البر، أبو محمد (ولد الإمام أبي عمر) (٣) ٣٨٩ (٤) ٩، ٣٢، ١١٣، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨ (٥) ٥١ (٧) ١٣١، ١٣٢ (٨) ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤.
- عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف (١) ٢٢٩ (٣) ٢٩٢، ٣٣٥.
- عبد الجبار بن حمديس، أبو بكر، انظر: ابن حمديس الصقلي.
- عبد الجبار بن المعتمد بن عباد (٥) ١٤٤.
- عبد الجبار بن الناصر (١) ٢٨٧.

- ابن عبد الجبار، أبو جعفر (٣) ٣٣٧.
- عبد الجليل بن وهبون، أبو محمد، انظر: ابن وهبون.
- عبد الحق الزهرى، أبو محمد (٤) ١٣٠.
- عبد الحق الصقلى (٣) ٢٥٣.
- عبد الحق المرسى، أبو العلاء (٤) ١٢٦.
- عبد الحق بن إبراهيم بن محمد، انظر: ابن سبعين.
- عبد الحق بن ربيع (٦) ١٩٥.
- عبد الحق بن سعيد بن محمد، أبو محمد (قاضى مكناسة فى المائة الثامنة) (٦) ٢٨٨.
- عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبلى، أبو محمد (٢) ١٢٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، (٣) ١٢٤، ٢٢٩، ٣٣٨، (٤) ٢٣، ٥٩، (٥) ٢٣٠، ٢٤٠، (٦) ١٩٣، ٢٤٨، ٣٤٦.
- عبد الحق بن على بن عبد الله الخطيب (شيخ أبى حيان) (٣) ١٤٦.
- عبد الحق بن محمد الخزرجى أبو القاسم (٣) ٢٣٥.
- ابن عبد الحق الخزرجى القرطبى، أبو جعفر (٢) ٣٠٠، (٤) ٢٤.
- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) (٣) ٣٠٧، ٣٢٩، ٣٣١.
- ابن عبد الحكم (محمد بن عبد الله بن عبد الحكم) (١) ٣٠٠، (٢) ٢١٨، ٢٢٧، ٣٧١، (٣) ٢٢٢، ٢٢٨، (٤) ٢٢.
- ابن عبد الحكم الإفريقى، أبو زرعة (٣) ٣٢٩.
- عبد الحلیم المرینی (الأمیر) (٧) ١٣٩.
- عبد الحميد (الكاتب) (٣) ٧٦، ٢٥٨، ٢٥٩، (٦) ٣٥، (٧) ٢٦٧.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٧٤
- عبد الحميد بن لاطون (٤) ٣٣١.
- عبد الخالق التونسي (٨) ٣٢٠.
- عبد الخالق بن إبراهيم الخطيب، أبو القاسم (٣) ٣٣٦.
- عبد الدائم بن شمس الدين الشيبى، أبو محمد (٩) ٣٠٣.
- ابن عبد الدائم (٣) ١٣٦.
- ابن عبد ربه (أحمد) أبو عمر (١) ٢٧٧.
- ابن عبد ربه المالقى (محمد) أبو عبد الله (٢) ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٧٠، ٢٧١.
- عبد الرحمن (قاضى كورة باغة) (٦) ٥.
- عبد الرحمن الأوسط، انظر: عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط).
- عبد الرحمن الحبلى (٣) ٢٨٨.
- عبد الرحمن الداخل، انظر: عبد الرحمن بن معاوية الداخل.
- عبد الرحمن الربعى، أبو زيد (٣) ١٦٥.
- عبد الرحمن شنجول، انظر: عبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر، أبو المطرف (شنجول).
- عبد الرحمن العمادى مفتى الشام: انظر العمادى.

- عبد الرحمن الناصر، انظر الناصر عبد الرحمن.
- عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرئ (٦) ١٧٢، ١٧٣ (٨) ٣١٤.
- عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن عياش (٢) ١١٦.
- عبد الرحمن بن أبي الفضائل (ابن المغرم) أبو الفضل (٦) ١٩٥.
- عبد الرحمن بن أبي ليلى (٣) ٢٢٣ (٧) ٢٩٤.
- عبد الرحمن بن أبي يفلوسن (٦) ٨٥، ٨٧، ٩٠، ٩١.
- عبد الرحمن بن أحمد البصروي (٣) ٣٣٧.
- عبد الرحمن بن أوس المزني (٣) ٣٢٩.
- عبد الرحمن بن بشير (قاضي قضاة قرطبة) (٢) ٢٤٢ (٧) ١٩٥.
- عبد الرحمن بن حبيب (١) ١٩٣، ٢٥٨ (٣) ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٧.
- عبد الرحمن بن حسان الكلبي (٣) ٣٠٣.
- عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) (١) ١٣٠، ٢٣٧، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، (٢) ٨٣، ٩٤، ١٨٧، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٥ (٣) ١١٦، ٣٢٥، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٥ (٣) ١١٦، ٣٢٥، ٣٨١، ٣٨٨، ٣٨٩ (٤) ٤٩، ٣٤٤، ٣٧٥، ٣٧٧ (٥) ١٠٠.
- عبد الرحمن بن خلف الأقليشي، أبو المطرف (٣) ٢٢٨.
- عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ، انظر:
الزبازي.
- عبد الرحمن بن ذي النون، انظر: الظافر بن ذي النون.
- عبد الرحمن بن رافع (٣) ١٧٨.
- عبد الرحمن بن ربيع الأشعري، أبو الحسن (٢) ١٢٤.
- عبد الرحمن بن رماحس (١) ٢٩٨.
- عبد الرحمن بن زرياب (٣) ٣٨٤، ٣٨٧.
- عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي (١) ٢٢٢ (٣) ١٧٨، ٣٣٠.
- عبد الرحمن بن سبلاق الحضرمي (٤) ٢٦٧.
- عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان (٣) ٢١٦.
- عبد الرحمن بن شماسه بن ذئب المهري، أبو عمرو (٣) ٣٣٢.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٧٥
- عبد الرحمن بن طريف (٣) ٣٢١.
- عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (١) ١٩١، ١٩٢، ٢٣٧ (٢) ٢٣ (٣) ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨.
- عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم، انظر: ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله).
- عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الحلبي (٢) ٣٠٢.
- عبد الرحمن بن عبد الملك (٧) ٢٢٦، ٢٢٧.
- عبد الرحمن بن عثمان القشيري (٢) ٢٨٥.
- عبد الرحمن بن عفان الجزولي، انظر:

الجزولي، أبو زيد.

عبد الرحمن بن علقمة اللخمي (٣) ٣٠١، ٣٠٥.

عبد الرحمن بن علي الدكالي، أبو زيد (٦) ٢٠١.

عبد الرحمن بن عماد الدين العمادي (مفتي دمشق)، انظر: العمادي عبد الرحمن.

عبد الرحمن بن عوف (٣) ٢٩٢، ٣٩٩ (٩) ١٧١.

عبد الرحمن بن الفرфор الدمشقي (القاضي) انظر: ابن الفرפור.

عبد الرحمن بن فطيس (القاضي) (١) ٣١٩.

عبد الرحمن بن القاسم العتقي (٢) ١٨٧.

عبد الرحمن بن القاسم المغيلي، أبو القاسم (٣) ٣٣٦.

عبد الرحمن بن كثير (١) ١٩٣.

عبد الرحمن بن مالك المعافري، أبو محمد (٤) ٦٢.

عبد الرحمن بن محمد (الخليفة الأموي)، انظر: الناصر عبد الرحمن.

عبد الرحمن بن محمد الخزرجي، أبو زيد (٦) ١٦٩.

عبد الرحمن بن محمد النفطي، أبو القاسم (٢) ٣٦٧.

عبد الرحمن بن محمد بن هشام التجيبي (١) ٣١١.

عبد الرحمن المرشدي (٣) ٧٢.

عبد الرحمن بن مروان الجليقي (٤) ١٩.

عبد الرحمن بن معاوية الداخل (١) ١٩٣، ١٩٤، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٢ (٢) ١١، ١٢،

٦٧، ٧١، ٧٢، ٨٢، ٢١٥، ٢٩٣، ٣٨٠، ٤٤٨ (٣) ٢٣٨، ٢٩٤، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦،

٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٨٤، ٣٩٦، ٣٩٩ (٤) ٦٠، ١٢٤، ٣٢١، ٣٧٧ (٨)

٨٨

عبد الرحمن بن مغاور، أبو بكر (٢) ٢٣٥ (٤) ١٤٣.

عبد الرحمن بن مغيث (فاتح قرطبة) (٣) ٢٩٤، ٣٢٠.

عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني، انظر: ابن مقانا الأشبوني.

عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر (المأمون) (١) ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٥٨.

عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، أبو المطرف (شنجول) (١) ٣٣٠ (٢) ٦٠، ٩٣، ٩٤، ١٠٣.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٧٦

عبد الرحمن بن مهند، أبو المطرف (٤) ١٧٩.

عبد الرحمن بن مولود، أبو زيد (٤) ٢٤٢.

عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار، انظر:

المستظهر.

عبد الرحمن بن يعقوب المكتب (٦) ٢٥٩.

عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي، أبو زيد (٦) ٢٠١.

- عبد الرحمن بن يعيش المهري، أبو زيد (٣) ١١٨.
- عبد الرحمن بن يوسف (صاحب الأندلس) (٤) ١٤٥، ٣٠٩، ٣١١.
- عبد الرحمن بن يوسف الحسنى (٩) ١٢٣.
- عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبي، أبو المطرف (٣) ٣٣٠.
- عبد الرحمن بن يوسف بن خطيب المزنة (٣) ١٥٥.
- أبو عبد الرحمن بن الحبلي (عبد الله بن يزيد المعافري) (١) ٢٢٢، ٢٢٩ (٣) ٢٩١، ٣٢٩، ٣٣٠.
- أبو عبد الرحمن بن سليمان اللجائي (٦) ١٩٧.
- عبد الرحيم المغربي (٨) ٣١٨.
- عبد الرحيم بن أحمد بن نصر، أبو زكريا (٣) ٣٣٤.
- عبد الرحيم بن عبد الكريم انظر: السمعاني.
- عبد الرحيم بن علي اليبساني، انظر: القاضي الفاضل.
- عبد الرحيم بن الملجوم، أبو القاسم (٢) ٣٠١.
- ابن عبد الرحيم محدث (٢) ١٩٧.
- ابن عبد الرحيم، أبو عبد الله (٢) ٣٠٠.
- عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢) ٣٦٦ (٣) ١٢٨ (٤) ١٦.
- ابن عبد الرزاق (٦) ٢١١.
- ابن عبد الرزاق (الفقيه) (٧) ١٣.
- ابن عبد الرفيغ (٦) ٣٢٦.
- ابن عبد الرؤوف النحوي، أبو وهب (٥) ٦٦.
- العبدري: انظر علي بن يوسف العبدري.
- ابن عبد الستار، أبو عبد الله (٦) ٢٠٨.
- عبد السلام بن أحمد الشاهيني (٣) ٨٥.
- عبد السلام بن بسيل الرومي (٣) ٣٢٠.
- عبد السلام بن محمد الكومي (٦) ١٥٤.
- عبد السلام بن مزروع (عفيف الدين) أبو محمد (٦) ٣٢٣.
- عبد السلام بن مسلم الأندلسي (٣) ٢٣٧.
- عبد السلام بن يزيد بن هشام (اليزيدي) (٣) ٣٢١.
- أبو عبد السلام صديق أبي عبد الله اليتيم (٧) ٢١٢.
- ابن عبد السلام التونسي (٧) ٣١٧.
- ابن عبد السلام، (قاضي تونس) أبو عبد الله (٦) ٢٠٧، ٣٢٦ (٧) ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٧٨.
- ابن عبد السلام، أبو القاسم (٣) ٣٩٤.
- ابن عبد السلام التونسي (محمد) أبو الفتح (٦) ٢٣.
- عبد شمس (٨) ٨٢.

- عبد شمس بن عبد مناف (٣) ٢٤٧، ٣٨١.
- عبد الصمد بن داود، أبو محمد (٢) ٣٦٨.
- ابن عبد الصمد (أبو بحر) (٥) ١٤٩، ١٨١.
- ابن عبد الصمد السرقسطى (٤) ٢٠١ (٥) ٥٢.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٧٧
- ابن عبد الظاهر، محيي الدين (٣) ٣٢، ١٤٩، ٢٧٤.
- عبد العزيز البطليوسى، أبو الأصبغ، انظر:
القلندر.
- عبد العزيز الشعيرى: انظر: الشعيرى.
- عبد العزيز الكنانى الدمشقى (٣) ١٧٩.
- عبد العزيز الهنتاتى (٨) ١١٦، ١١٧.
- عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن، أبو فارس (٢) ٢٧٩ (٦) ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٢، ٩٩، ١٥٢ (٧) ١٤٢، ٣١٨، ٣٢٠، (٩) ١٢٩.
- عبد العزيز بن أبى بكر (٢) ٣١٦.
- عبد العزيز بن أبى عامر (٥) ٣٣٩.
- عبد العزيز بن أبى ركبون التنسى، أبو فارس (٦) ٣٢٤.
- عبد العزيز بن أحمد الكنانى (٣) ٢٠٣.
- عبد العزيز بن جعفر الفارسى (٢) ٢٨٥.
- عبد العزيز بن جماعة الكنانى عز الدولة، انظر: ابن جماعة، عز الدولة الكنانى.
- عبد العزيز بن الحارث، أبو الحسن (٣) ١٧٩.
- عبد العزيز بن خلف المعافى، أبو الأصبغ (٣) ٢٢٩.
- عبد العزيز بن سلطان الدانى، أبو سلطان (٧) ٤٠.
- عبد العزيز بن شعيب (٤) ١٢.
- عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى المصرى السكرى (٣) ١٥٥.
- عبد العزيز بن عبد القادر الكنانى (٣) ١٥٦.
- عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدى، أبو محمد (٣) ٢٢٩.
- عبد العزيز بن عبد الله بن سعيد بن خلف الأنصارى، أبو محمد (٣) ١١٨.
- عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر، أبو الأصبغ (٣) ١٣٧، ١٣٨.
- عبد العزيز بن عبد المنعم بن على بن نصر الحرانى (٣) ١٥٥، ٢١٥.
- عبد العزيز بن على، أبو الأصبغ (المعروف بابن الطحان) (٣) ٢٢٨، ٢٢٩.
- عبد العزيز بن على الغرناطى بن يشث (٧) ٢٢٧، ٢٢٩.
- عبد العزيز بن محمد الفشتالى، أبو فارس (٦) ١٦ (٧) ١٧١، ١٧٢، ١٨٠ (٨) ٢٥٨، ٢٦٨، ٢٦٩.
- عبد العزيز بن محمد القيروانى، أبو زرهون (٦) ٢٠٩، ٢٥٠.
- عبد العزيز بن محمد بن منصور الشيرازى (أبو المبارك) (٣) ١٧٩.

- عبد العزيز بن محمد بن نباتة، أبو نصر، انظر: ابن نباتة السعدي.
- عبد العزيز بن مروان (١) ١٨٧، ٢٠١، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٥٩ (٣) ٢٩٠ (٤) ٢٠١.
- عبد العزيز بن موسى بن نصير (١) ١٩٠، ١٩١، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٧ (٣) ٢٩٥.
- عبد العزيز بن الناصر، أبو الأصغ (١) ٢٨٧، ٣٠١ (٤) ٣٥١.
- عبد العزيز بن هلال (نجيب الدين) أبو محمد (٣) ٢٢١.
- عبد العزيز بن الهواري، أبو فارس (٤) ٣١٩.
- عبد العليم بن عبد الملك بن حبيب القضاعي الطرطوشي (٥) ٢٤١.
- عبد الغافر (صاحب تاريخ نيسابور) (٢) ٢٣٣.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٧٨
- عبد الغافر بن الحسين بن خلف الألمعي، أبو الفتوح (٤) ١٩٣.
- عبد الغفار بن حميد اليحصبي (٣) ٣٢٢.
- ابن عبد الغفور الإشبيلي، أبو محمد (٤) ١٥٤.
- ابن عبد الغفور الكلاعي، أبو القاسم (٤) ٣٢٥.
- عبد الغنى بن أبي عقيل (٣) ٢٢٢.
- عبد الغنى بن سعيد الحافظ، أبو محمد (٣) ١١، ٣٣٤ (٤) ١٧ (٤) ١٩٩.
- عبد القادر الكيلاني (٨) ٣١٨.
- عبد القادر بن الحنّاط (٣) ٢٠٤.
- عبد القاهر (مؤرخ للبصرة) (٤) ١٤.
- عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن الموصلی (٣) ٣٩٩.
- عبد الكريم (حاجب عبد الرحمن) (١) ٢٧٢.
- عبد الكريم، الحافظ (٢) ٣٤٥، ٣٤٧.
- عبد الكريم الطوسي، أبو محمد (٤) ٣٢٥.
- عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمی، أبو محمد (٣) ٣٣٤.
- عبد الكريم بن عبد الواحد (١) ٢٦٥، ٢٧٠.
- عبد الكريم بن عمران (٣) ٢٣٥.
- عبد الكريم الفكون (٣) ٩٨.
- عبد الكريم بن مهران (٣) ٣٢٠.
- عبد اللطيف بن أبي الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله الهاشمي الصدفي، أبو محمد (٣) ٣٣٦.
- عبد اللطيف بن عبد الله النرسي (٣) ٣٣٦.
- عبد الله التميمي (٣) ١٧٩.
- عبد الله الخزاز (٩) ١٢٦.
- عبد الله الشريف التلمساني (٤) ٣٥٣ (٧) ١٥٢.
- عبد الله الفريسي (الفقيه القاضي) (٤) ٢٨١.

- عبد الله الفشتالي، أبو محمد (٦) ٢٨٢.
- عبد الله اللاردي الأصبحي، أبو محمد (٤) ٢٠٣.
- عبد الله المرواني، أبو محمد (٥) ٦٧.
- عبد الله المعمر (٣) ٣٣٢.
- عبد الله بن إبراهيم الحجاري، انظر:
الحجاري، أبو محمد.
- عبد الله بن إبراهيم الزموري (نقشابو) (٦) ١٨٢.
- عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، أبو العباس (٣) ٣٩٢.
- عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي، أبو محمد (٧) ٢١٧، ٢١٨، ٣٥٤.
- عبد الله بن إبراهيم بن ماس (٣) ١٦٦.
- عبد الله بن أحمد بن إسماعيل التميمي (٣) ١٥٥.
- عبد الله بن أحمد البقني (٣) ٢٨٣.
- عبد الله بن أحمد السرقسطي (٤) ١٧٨.
- عبد الله بن أحمد الطوسي، أبو الفضل (٣) ٣٩٦.
- عبد الله بن أحمد المالقي، ضياء الدين بن البيطار (٣) ٢٧٦ (٤) ١٧٩ (٥) ٢٢٣.
- عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢) ٢١٦، ٢١٩، ٣٩٦ (٣) ٢٢٧.
- عبد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع (٣) ٢١٦.
- عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه الداودي، أبو الحسن (٣) ٣٣٧.
- عبد الله بن أحمد بن معاذ الداراني (٣) ٤٠٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٧٩
- عبد الله بن أحمد بن الملجوم، أبو محمد (٦) ١٩٢.
- عبد الله بن إدريس (٦) ٢٥٠.
- عبد الله بن إسحاق اللغوي (٦) ١٩٣.
- عبد الله بن أسعد الشافعي، أبو محمد (٦) ٣٢٤.
- عبد الله بن بلقين بن حبوس الصنهاجي (٤) ٣٣٨ (٥) ٢٧٨.
- عبد الله بن البياسي أبو محمد (٣) ٢٤٠.
- عبد الله بن التميمي البجائي، أبو محمد بن الخطيب (٣) ١٠٥.
- عبد الله بن حاتم (٢) ٣٠٥.
- عبد الله بن الحسن بن أحمد القرطبي، أبو محمد (٣) ٩، ١٠ (٤) ٥٨.
- عبد الله بن خالد (٢) ٢١٨ (٣) ٢٢٢، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٥.
- عبد الله بن خيار الجياني (٤) ١٣٧.
- عبد الله بن خليفة القرطبي، أبو محمد المصري الحكيم، انظر: الحكيم المصري، أبو محمد.
- عبد الله بن رجاء (٢) ٢٣٠.

- عبد الله بن رشيق القرطبي (٣) ٢٣٩.
- عبد الله بن الزبير (١) ٢٢٤ (٢) ١١٥ (٤) ١٣.
- عبد الله بن زكريا الأنصاري، أبو بكر (٣) ٢٧٩.
- عبد الله بن سعد بن أبي سرح (٣) ٢٩٠.
- عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر (٢) ٤٤٨ (٣) ٣٣٣.
- عبد الله بن سعيد بن علي السلماني (والد لسان الدين) (٤) ٤، ٥، ٦، ١٠، ١٢، ٦٤.
- عبد الله بن السمط (٤) ٣٧٦.
- عبد الله بن السيد البطليوسي، أبو محمد، انظر: ابن السيد البطليوسي.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٧٩
- د الله بن شعبة الوادي آشي أبو محمد (٤) ٢٨٢.
- عبد الله بن طاهر (٢) ٣٨١.
- عبد الله بن طاهر الأزدي، أبو محمد (٢) ٣٥٤ (٦) ٧.
- عبد الله بن عاصم (٤) ٧٤.
- عبد الله بن عباس (١) ٢٢٢ (٢) ٢١٠ (٣) ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩١ (٤) ١٣، ١٤٦ (٦) ٢٢٨، ٢٣٨ (٧) ٧١.
- عبد الله بن عبد البر بن أشعب الرعيني، انظر:
- ابن أبي المجد الرعيني، أبو محمد.
- عبد الله بن عبد الحق (٦) ٢١١.
- عبد الله بن عبد الحكم، انظر: ابن النظام.
- عبد الله بن عبد الخالق، أبو محمد (٦) ٢٣٣.
- عبد الله بن عبد الرحمن الأوسط (٤) ١٥٢، ٣٧٥.
- عبد الله بن عبد الرحمن الداخل (٣) ٣٢٣.
- عبد الله بن عبد العزيز الإشبيلي، انظر: ابن صاحب الرد.
- عبد الله بن عبد العزيز الأموي (الملقب بالحجر) (٤) ١٥٢.
- عبد الله بن عبد الله بن أحمد الجذامي (٥) ٢٢٣.
- عبد الله بن عبد الله بن حذلم، انظر: ابن حذلم الفقيه، أبو محمد.
- عبد الله بن عبد المطلب (والد الرسول) (٩) ٣٠٨.
- عبد الله بن عبد المنعم (أبو عبد الله) (٥) ٢٦٥.
- عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم المجاصي، انظر: المجاصي، أبو محمد..
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٨٠
- عبد الله بن عذرة، أبو محمد (٤) ٢٨٦.
- عبد الله بن العسال الطليطلي (٤) ٤٤، ٥٩ (٥) ٨٣.
- عبد الله بن علي بن أحمد البغدادي أبو محمد (٣) ١٦٦.
- عبد الله بن علي الباجي (٣) ١٢٦.

- عبد الله بن علي المقرئ ابن بنت الشيخ منصور الخياط (٢) ٢٦٩.
- عبد الله بن علي بن الجارود (٢) ٢١٧ (٤) ١٦.
- عبد الله بن علي بن سويده، أبو محمد (٢) ٣٠٢.
- عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الرشاطي، انظر: الرشاطي.
- عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس (١) ٢٥٨ (٣) ٣١٨.
- عبد الله بن عمر بن الخطاب (١) ٢٢٢ (٣) ١٧٨، ٢٩١، ٢٩٦ (٤) ٦٥، ٦٦ (٦) ٢٠٨، ٣٤٣.
- عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، انظر: السرخسي.
- عبد الله بن عمرو الأنصاري (٣) ٢٩١، ٣١١.
- عبد الله بن عمرو بن العاص (١) ٣٢٩ (٣) ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢ (٦) ١٩٥، ٣٤٣.
- عبد الله بن عيسى الشلبي، أبو محمد (٣) ٢٤٠.
- عبد الله بن عيسى بن عبد الله، انظر: ابن أبي حبيب الأندلسي.
- عبد الله بن غالب، أبو محمد (٤) ١١٢.
- عبد الله بن فرج اليحصبي (ابن العسال) (٥) ٢٦٠.
- عبد الله بن قاسم بن هلال (٤) ٢٢.
- عبد الله بن قت الخزرجي، أبو المظفر (٣) ١٧٩.
- عبد الله بن لسان الدين بن الخطيب (٧) ١٦٤ (٩) ١٣٧، ١٣٨، ١٤٨، ١٤٩.
- عبد الله بن لهيعة (٣) ٣٢٩، ٣٣٠.
- عبد الله بن الليث، أبو محمد (٤) ٢٤٤.
- عبد الله بن ماكان (٣) ٣٤٥.
- عبد الله بن المبارك (٣) ١٣٧.
- عبد الله بن محمد الأموي (١) ٢٣٧، ٢٧٦ (٣) ١٨٣.
- عبد الله بن محمد القاضي (٥) ٢٦٧.
- عبد الله بن محمد بن حسن بن عطية (٣) ١٧٩.
- عبد الله بن محمد البغوي، انظر: البغوي.
- عبد الله بن محمد البيضاوي، أبو الفتح (٢) ٣٠٠.
- عبد الله بن محمد الصريحي (ابن مطحنة) أبو محمد (٣) ٢٤٠.
- عبد الله بن محمد القرطبي، انظر: ابن هارون القرطبي، أبو محمد.
- عبد الله بن محمد القيرواني المالكي (صاحب رياض النفوس) (٣) ٣٢٩.
- عبد الله بن محمد بن آدم (القارئ الخراساني) (٣) ٣٩٥.
- عبد الله بن محمد بن إسماعيل (أبو محمد) (٢) ٢٤٩.
- عبد الله بن محمد بن أبي عامر المعافري (٣) ٢٣٨.
- عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الأصبحي، أبو محمد (٣) ٢٤٢.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٨١

- الأصبحى، أبو محمد (٣) ٢٤٢.
- عبد الله بن محمد بن علي (الراوي) (٣) ١٢٥.
- عبد الله بن محمد المرواني (٨) ٢٠٧.
- عبد الله بن مرزوق اليحصبي، أبو محمد (٣) ٢٤٠.
- عبد الله بن مروان (١) ١٩٤.
- عبد الله بن المستورد بن شداد الفهري (٣) ٣٢٩.
- عبد الله بن مسعود (الصحابي) (٢) ٨٠ (٤) ٦٥، ٦٦ (٦) ١٩٣ (٧) ١٣.
- عبد الله بن مسلمة الشاطبي أبو محمد (٥) ٢١١.
- عبد الله بن مطروح البلنسي، أبو محمد (٤) ٣٨٢.
- عبد الله بن معاوية (٣) ٣٢٠.
- عبد الله بن المعتمد بن عباد، انظر: الرشيد بن المعتمد بن عباد.
- عبد الله بن المغيرة الكناني (١) ٢٢٩ (٣) ٣٣٢.
- عبد الله بن مفيد، أبو محمد (٤) ١٣٧.
- عبد الله بن موسى المرسى، انظر: ابن برطلة، أبو محمد.
- عبد الله بن موسى بن نصير (١) ١٩٠، ١٩٤، ٢٢١، ٢٢٣.
- عبد الله بن الناصر (١) ٢٨٧ (٤) ٣٤٩، ٣٥٠.
- عبد الله بن نافع بن عيسى المدني (٢) ٢١٥، ٢٨٨ (٣) ٢٢٦ (٦) ١٩٣.
- عبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان بن فتيان الخزمي (٣) ١٥٥.
- عبد الله بن وهب (٢) ١٨٧، ٢١٥، ٢٢٧.
- عبد الله بن يحيى الحضرمي ابن صاحب الصلاة أبو محمد، انظر: عبدون البلنسي.
- عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطي، أبو محمد (٢) ٢٦٤.
- عبد الله بن يزيد، انظر: أبو عبد الرحمن الحبلي.
- عبد الله بن يزيد (المحدث) (٣) ١٧٨.
- عبد الله بن يزيد بن أسيد (١) ٢٢٧.
- عبد الله بن يوسف القضاعي، أبو محمد (٣) ٢٤٢.
- عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري، انظر:
ابن رضوان، أبو القاسم.
- عبد الله بن يونس (عريف البنائين) (٢) ٨٨.
- عبد الله بن يونس (المحدث) (٢) ٣٦٧.
- أبو عبد الله بن أحمد السبتي (٩) ١٨٤.
- أبو عبد الله الأستجي (٢) ٢١٣.
- أبو عبد الله الأصبهاني (٣) ٢٣٧.
- أبو عبد الله الأيسر (٥) ٣٩٥.

- أبو عبد الله البرجوني (٣) ١٨٤.
- أبو عبد الله البياسي (٤) ١٧٥.
- أبو عبد الله البلنسي (٦) ٢١٨.
- أبو عبد الله التلمساني (الحسنى الشريف) (٦) ٢١٨، ٢٢٤، ٢٨١، ٣٢٦ (٧) ١٥٢ (٩) ٢٣.
- أبو عبد الله الجذامي (الأديب) (٤) ١٩٦، ٢٥١.
- أبو عبد الله الجبلى الطيب (٥) ٥٩.
- أبو عبد الله الحوضى التلمساني (٣) ٣٧٤ (٥) ١٦٥.
- أبو عبد الله الخشنى (٤) ٣٢٩.
- أبو عبد الله الخولانى (٢) ٣٠٠، ٣٠٢ (٦) ١٦٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٨٢
- أبو عبد الله الدباغ الملقى المتطب (٦) ٢٠٣.
- أبو عبد الله الرازى (٣) ١٢٤.
- أبو عبد الله الرندى (٦) ٢٠٠.
- أبو عبد الله السرقسطى (٢) ٢٠٠، ٣٠٠.
- أبو عبد الله الصنهاجى (٢) ٣٤١.
- أبو عبد الله الصيرفى (٢) ٣٥٧.
- أبو عبد الله الطبرى (٣) ٢٣٦.
- أبو عبد الله بن عائد (٣) ٢٩٢.
- أبو عبد الله العربى (٢) ٣١٩.
- أبو عبد الله العلوى التلمساني (٩) ٥.
- أبو عبد الله الغراوى: انظر الغراوى.
- أبو عبد الله الفاسى (٦) ١٩٣.
- أبو عبد الله القرشى الهاشمى الأندلسى (محمد بن أحمد بن إبراهيم) (٢) ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢.
- أبو عبد الله القرطبى (إمام الحرم) (٢) ٣٢٧.
- أبو عبد الله القرطبى (الطيب) (٥) ٢٠٨.
- أبو عبد الله القصرى (٦) ٢٠١.
- أبو عبد الله القضاءى (الحافظ) (٣) ٣٣٠.
- أبو عبد الله الكلاعى (شيخ ابن العربى المعافى) (٢) ٢٠٠.
- أبو عبد الله المرادى (٢) ٢١٧.
- أبو عبد الله المقرى (الجد)، (انظر) المقرى الجد، أبو عبد الله.
- أبو عبد الله المكناسى (٣) ٢٤٠.
- أبو عبد الله المنصفى (١) ١٥٣.
- أبو عبد الله النميرى الحافظ (٢) ٣٠٠، ٣٠١.

- أبو عبد الله اليتيم (محمد بن علي بن محمد العبدري) (٧) ٢١٢.
- أبو عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن بن علي (٣) ١٩١.
- أبو عبد الله بن أبي الخصال، الوزير (٤) ٢٥، ٩١.
- أبو عبد الله بن الخطيب (٧) ١٤٣، ١٥٤، ١٨١.
- أبو عبد الله بن أبي عبد الله الخولاني (٦) ١٦٩.
- أبو عبد الله بن أبي عبد الله الفشتالي (٥) ٣٢٨.
- أبو عبد الله بن أبي عمرو (٦) ١٨٣.
- أبو عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري المالقي (٦) ١٦٩.
- أبو عبد الله بن آجروم (٦) ١٨٨.
- أبو عبد الله بن أبي زرع (٦) ٢١٨.
- أبو عبد الله بن بكر (شيخ لسان الدين) (٦) ٥٧، ٦٣، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، (٧) ٧٨.
- أبو عبد الله بن الحسين (٢) ٣٩٨، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٢.
- أبو عبد الله الحضرمي (٣) ١٢١.
- أبو عبد الله بن خلف (٣) ٤٠٤.
- أبو عبد الله بن سمعون (٦) ٦.
- أبو عبد الله بن سفيان (٣) ٢٣٦.
- أبو عبد الله بن عباس (الوزير) (٤) ٨٥.
- أبو عبد الله بن العباس (تلميذ ابن مرزوق الحفيد) (٦) ٣٤٧.
- أبو عبد الله بن العباس التلمساني (٣) ٢٨٠ (٦) ٣٤٣.
- أبو عبد الله بن عبد الرزاق الكلبي (٣) ٢٢٩.
- أبو عبد الله بن عبد الكريم (الفقيه) (٦) ٢٠٩.
- أبو عبد الله بن عبد العزيز (الوزير) (٤) ٩٤، ٣١٥، ٣١٧.
- أبو عبد الله بن عبد المولى العواد (٦) ٦٣، ٣١٦، ٣١٧ (٧) ١٣٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٨٣
- أبو عبد الله بن عثمان (الفقيه) (٦) ٢١٠.
- أبو عبد الله بن عمر الإشبيلي (٥) ٦٩.
- أبو عبد الله بن عمر التونسي (٨) ٦٥.
- أبو عبد الله بن العواد العدل (٦) ٢١٢.
- أبو عبد الله بن عياش (٢) ١١٦ (٦) ٣١٩.
- أبو عبد الله بن محمد العنسي القرطبي (٣) ١٨٣.
- أبو عبد الله بن مسلم القرشي (٢) ٣٠٣.
- أبو عبد الله بن نوح (٣) ٣٣٩.
- أبو عبد الله الحاكم، انظر: الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله..

- أبو عبد الله محمد القسطلاني (٣) ٣٦٩.
- أبو عبد الله محمد بن نصر (٥) ٢٩٧، ٣٩٥، (٧) ٤٤، ١٣٩، ٢٢٠، ٣١٠.
- أبو عبد الله بن هربة (٦) ١٨٨.
- عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابرى، أبو محمد، انظر: ابن عبدون.
- عبد المعطى بن منجى الخزرجي (٣) ١٥٦.
- عبد المغيث بن زهير، أبو العز (٦) ١٩٤.
- عبد الملك (أمير فاس) (٣) ٩٧.
- عبد الملك (جد المنصور بن أبي عامر) (١) ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١.
- عبد الملك (الشيخ الصوفى) أبو مروان (٦) ٢٨٢.
- عبد الملك المصمودى، أبو مروان (٥) ٢٧٤.
- عبد الملك بن إبراهيم بن بشر، أبو مروان (٣) ٢٧٥.
- عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر (٤) ٣٢.
- عبد الملك بن أبي مسلم النهاوندى، أبو نصر (٢) ٣٠٠.
- عبد الملك بن إدريس الجزيرى، أبو مروان (٢) ١١٢ (٤) ٨٤ (٥) ١٥.
- عبد الملك بن إدريس الخولاني (أبو مروان) (٢) ١٠١، ١٠٢.
- عبد الملك بن بدرون (بدران) أبو مروان، انظر: ابن بدرون.
- عبد الملك بن جهور، انظر: ابن جهور عبد الملك (وزير الناصر المروانى).
- عبد الملك بن حبيب السلمى (١) ٥٤، ٢٣٢ (٢) ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢٨٨، ٣٦٨ (٣) ١٢٩، ٢٨٨ (٤) ٣١، ٤٩، ٥٠.
- عبد الملك بن رزين حسام الدولة، انظر: ابن رزين أبو مروان.
- عبد الملك بن سعيد الخازن (١) ٣٠٦ (٤) ٢٢، ٣١٢.
- عبد الملك بن شهيد (١) ٣١٢.
- عبد الملك بن عبد العزيز (جد أبي مروان بن سماعة) (٣) ١٢٥.
- عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث (١) ٢٦٥، ٢٦٦.
- عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموى (١) ٢٥٩ (٣) ١١٦، ٣١١، ٣٣١.
- عبد الملك بن غصن، أبو مروان، انظر:
الحجاري، أبو مروان.
- عبد الملك بن قطن الفهري (١) ١٩٢، ٢٣١، ٢٣٧ (٣) ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١.
- عبد الملك بن مروان (١) ١٩٤، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧ (٢) ٢٩٥، ٤٧٠ (٣) ١١٣، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٣، ٣٢٠، ٣٤٠، ٣٤٢ (٤) ٦٥، ٣٠٦ (٥) ٤١ (٨) ٨٧.
- عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز (٤) ١١١.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٨٤
- عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر، انظر:
المظفر بن المنصور بن أبي عامر.

- عبد الملك بن موسى بن نصير (١) ٢٢٣.
- عبد الملك بن الناصر (١) ٢٨٧.
- عبد الملك بن نظيف، أبو مروان (٤) ٣١٣.
- ابن عبد الملك العذري، أبو جعفر (٧) ١٦٥.
- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله (١) ١٣٤ (٢) ١١٥، ٣٣٤ (٣) ٢٠١ (٤) ٣٩٥ (٧) ١٣٦، ٢٠٨ (٨) ٢٢٦.
- عبد المنعم بن أبي جعفر أحمد بن عبد الله الطنجالي، انظر: الطنجالي.
- عبد المنعم بن أبي عبد الله بن عبد الرحيم (٢) ٣٠٠.
- عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري (٣) ١٢١.
- عبد المنعم بن عمر الغساني، انظر: الجلياني الحكيم الغساني.
- عبد المنعم بن الفرس، أبو محمد (٣) ٢٣٦ (٤) ١١٤.
- عبد المنعم بن محمد الخزرجي، أبو محمد (٢) ٣٠٦.
- عبد المهيم بن محمد الحضرمي السبتي، أبو محمد (٦) ١٩٠، ١٩٩، ٢١٥، ٢٢٠ (٧) ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ٤١، ٤٤، ٧٥، ٧٨، ١٣٦، ٢٠٤، ٢٧٨.
- عبد المهيم بن أبي سعيد (الحفيد) (٧) ١٥.
- ابن عبد المهيم، أبو سعيد (٧) ١٥.
- عبد المولى بن محمد اللوشي (٤) ٢٨٨، ٢٩٠.
- عبد المؤمن الطليطلي، أبو أحمد (٥) ٧٣.
- عبد المؤمن بن علي (الخليفة الموحد) (١) ١٧٧، ٢٣٨، ٣٤١، ٣٤٢ (٢) ١١٥، ١١٦، ٢٠٠ (٤) ٢٤، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٥٥، ٢٦٩، ٢٨٧، ٢٩٥، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٥٨ (٥) ١٠٤، ١٠٥، ١١١، ١١٢، ١١٩، ١٢٠، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ٢٠٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٦٣، ٣٦٤ (٦) ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.
- ابن عبد المؤمن السلطان الأعظم (٢) ٧.
- عبد المؤمن بن محمد بن موسى الجاناتي الفاسي، أبو محمد (٦) ٢٠٩.
- عبد النصير بن علي المريوطي (٣) ١٤٦.
- عبد النور العمراني، أبو محمد (الفيقيه) (٦) ٢٨١.
- ابن عبد النور (صاحب مختصر الحاوي) (٣) ٢٥٣ (٦) ٣٥٥.
- عبد الواحد بن أبي حفص (سلطان إفريقية) (٥) ١٨.
- عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي، انظر: ابن أبي السداد الباهلي.
- عبد الواحد بن الشيخ الإمام (٩) ٢٣٧.
- عبد الواحد بن برهان الأسدي (٣) ١٦٦.
- عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني، أبو مالك (٨) ١٧٥، ١٧٦.
- عبد الواحد بن عبد الرحمن المقرئ (٦) ١٧٣.
- عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني (٤) ٣١٤، ٣١٥.
- عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن، أبو محمد (٢) ٤٧٣، ٤٧٦ (٥) ٢٨٦.

- ابن عبد الودود (١) ٣٠٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٨٥
- ابن عبد الولي الميورقي (٥) ٣٥٨.
- عبد الوهاب (الحاجب بإفريقية) (٣) ٤٠٣.
- عبد الوهاب (القاضي المالكي) (١) ١٣٤ (٢) ٢٣٢ (٣) ١١٥، ١٢٩.
- عبد الوهاب البقساني، أبو العرب (٢) ٢٣٥.
- عبد الوهاب الكلابي (٣) ٢٠٣.
- عبد الوهاب بن حزم، انظر: ابن حزم عبد الوهاب، أبو المغيرة.
- عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب (١) ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤.
- عبد الوهاب بن سكينه (٣) ٢٢٢.
- عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي أبو الفرج (٣) ١٧٩.
- عبد الوهاب بن عبد الوهاب الجياني، أبو نصر (٣) ٢٠٣.
- عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب، أبو محمد (٣) ٣٣٥.
- عبد الوهاب بن علي المالقي، أبو محمد (٣) ٢٠٧ (٤) ٢٠٢.
- عبد الوهاب بن الفرات، صفى الدين (٣) ١٦٦.
- عبد الوهاب بن محمد القيسي المالقي، أبو محمد (٥) ٢٤٠.
- عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدوس القرطبي، أبو القاسم (٣) ٢٣١.
- العبدري (٣) ١٠٠ (٦) ٢٥٣.
- عبد بن بشر (ابن حبيب الحبيبي) (٣) ١١٧.
- عبد بن الطيب (٣) ٣٤٠.
- أبو عبد (من زعماء الشاميين) (١) ٢١٤.
- أبو عبد (صاحب إشبيلية) (٣) ٣٢٠.
- ابن عبدوس، أبو عامر (٤) ٢٢، ٩٢، (٥) ١٣٥، ١٣٦.
- ابن عبدوس، محمد (٤) ٢٢.
- العبدوسي، (موسى) أبو عمران (شيخ القسطيني) (٦) ٢٨٢.
- عبدون البلنسي ابن صاحب الصلاة الداني، أبو محمد (٤) ٢٣٧ (٥) ٢٥٤ (٨) ٢٢٧.
- عبدون (جد عبد المهيمن الحضرمي) (٧) ١٣.
- ابن عبدون (عبد المجيد الفهرى اليابرى) (١) ١٥٦، ٣٤١ (٢) ١٥٨، ١٥٩، ١٦٥ (٤) ١١٢، ١٩٧، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٦، ٣٧٢ (٥) ١٤، ١٥١، ٢٢١ (٦) ١٢٨.
- ابن عبدون المكناسي (٧) ٣١٣.
- عبدو (والى جباية أنفا) (٨) ١٧٨.
- عبيد (الفقيه) (٧) ٧٢.
- أبو عبيد (القاسم بن سلام) (٢) ٣٦٦ (٣) ٢٢٩ (٤) ١٧.

- أبو عبيد (اللغوى) (٦) ١٠٧.
- أبو عبيد البكرى (١) ١١٨، ٢٣٣ (٢) ٦ (٣) ٢٥٣ (٤) ٢٥، ٢٦ (٥) ٢٥.
- عبيد الله بن أبان (٣) ٣٢١.
- عبيد الله بن إدريس (٥) ٦٦.
- عبيد الله بن البلنسى (١) ٢٧١.
- عبيد الله بن جعفر الإشبلى (٥) ١٠.
- عبيد الله بن الحجاب (١) ١٩٢ (٣) ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩.
- عبيد الله بن رماحس القيسى (٣) ١٦٦، ١٦٧.
- عبيد الله بن زرياب (٣) ٣٨٤، ٣٨٧.
- عبيد الله بن زياد (٩) ١٦٥.
- عبيد الله بن سليمان (٢) ٤١٩.
- عبيد الله الشيعى (٣) ٣١٢.
- عبيد الله بن عثمان، أبو عثمان، (٤) ٣٠٧،
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٨٦
- ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٢.
- عبيد الله بن فرناس (٤) ٣٧٧.
- عبيد الله بن قاسم (مطران طليطلة) (١) ٣٠٣.
- عبيد الله بن محمد المهدي (الأقرع) (٤) ٣٥٥.
- عبيد الله بن محمد بن أدهم، أبو بكر (٥) ٢٦٧، ٢٦٨.
- عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الحكيم (المغربى) أبو الحكم (٢) ٢٨٣، ٢٨٥ (٣) ٢٣١.
- عبيد الله بن الناصر، أبو مروان (١) ٢٩٣، ٣٠١.
- عبيد الله بن هبة الله، أبو غالب (٢) ٣٧٥.
- عبيد الله بن يحيى (٣) ٢٢٢.
- عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثى (٢) ١٩٠، ١٩٥.
- عبيدة بن الحارث (٦) ٢٥٣.
- عبيدة بن عبد الرحمن السلمى (١) ١٩١ (٣) ٢٩٨.
- عبيدة بن عبد الرحمن القيسى (٣) ٢٩٦.
- ابن عبيدة (الوزير) (٤) ١٦٨، ٢١٨.
- ابن عبيدة (شيخ أبي على السبتي) (٦) ١٩٤.
- أبو عبيدة (معمر بن المثنى) (٣) ١٤٣ (٥) ٢٥.
- أبو عبيدة بن الجراح (١) ٢٠٦ (٢) ٨٢ (٤) ١٣ (٩) ١٧١.
- أبو عبيدة مسلم، انظر: صاحب القبلة.
- أم عبيدة (٥) ١٩٩.

- العبيدي (خليفة مصر) (٣) ٣٣٨ (٤) ٤٠٨.
- عتاب بن علقمة اللخمي (١) ٢٥٩.
- ابن عتاب، أبو محمد (٢) ٣٠١، ٣٠٢، ٣٦٩ (٣) ١١٩، ٢٠٤، ٣٣٤.
- العتابي (٦) ٢٣٨.
- أبو العتاهية (٣) ٣٨١ (٤) ٣٧٧ (٨) ٤٤.
- عتبه (جد أبي عبد الله العتبي) (٢) ٣٤٩.
- عتبه (التاجر) (٢) ٣٨١.
- عتبه بن أبي سفيان بن حرب (٢) ٣٤٩.
- عتبه بن أبي يعيش (٢) ٣٤٩.
- عتبه بن ربيعة (٦) ٢٥٣.
- ابن عتبة الإشبيلي (٣) ٢٥٢.
- ابن عتبة الطيب (٤) ٢٩٧.
- العتبي (محمد بن أحمد بن عبد العزيز) أبو عبد الله (٢) ٢١٨، ٣٤٩ (٣) ٢٢٢.
- عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسي (٢) ١٩١.
- عتيق بن عبد الرحمن الأوربولى، أبو بكر (٣) ٢٤١.
- عتيق بن مقدم، أبو بكر (٧) ٢٢٩.
- عثمان (رجل من أهل مصر) (٦) ١٩٩.
- عثمان (أخو كريب) (٧) ٢٧٨.
- عثمان البلطي (٨) ٢٧٤.
- عثمان المصحفي (ابن الحاجب) (٣) ٣٥٥، ٣٥٧.
- عثمان بن أبي نسعة الخثعمي (١) ١٩١، ١٩٢، ٢٣٥، ٢٣٧ (٣) ٢٩٨.
- عثمان بن أحمد المعافري، أبو عمرو (٦) ١٦٩.
- عثمان بن الحسين، أبو عمرو (٢) ٢٥٢.
- عثمان بن دحية، أبو عمرو (٣) ٣٩٤.
- عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولو القرشي (٣) ١٥٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٨٧.
- عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي، انظر: أبو عمرو الداني.
- عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان (٦) ١٨١، ٣٤٢.
- عثمان بن عفان (١) ٥٦، ١٧٠ (٢) ٧٣، ٨٤، ١١٥، ١١٦، ١١٩ (٣) ٢٩٣، ٣٠٧ (٤) ٦٥، ٣٤٨ (٥) ٢٠٢ (٦) ٢٠، ٢٩، ١٣٠، ١٣١، ٢٣٢ (٧) ٣٢٩ (٨) ٧٢، ٨٨، ١٥١، ١٥٣، ١٧٩، ١٩٠ (٩) ١٧١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٢.
- عثمان بن أبي العلاء أبو سعيد المريني (١) ٣٤٦، ٣٤٨.
- عثمان بن علي بن عثمان الإشبيلي، انظر: ابن الإمام أبو عمرو (صاحب سمط الجمان).
- عثمان بن فرج العبدري، أبو عمرو (٣) ٢٤٠.

- عثمان بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٤) ٣٤٨.
- عثمان بن يحيى (الأمير الزياتي) (٦) ١٢٦.
- عثمان بن يحيى بن إبراهيم (القائد) أبو عمرو (٥) ١٥٨، ١٥٧.
- عثمان بن يحيى بن عمر (شيخ الغزاة) (٦) ٤٨، ٨٥.
- عثمان بن يحيى بن عمر بن روح (٨) ١٧٩.
- أبو عثمان (شقيق أحمد بن إبراهيم الخياط) (٦) ٢٣٧.
- أبو عثمان بن إدريس (٢) ٩٣.
- أبو عثمان بن عيسى (٧) ٣٦٢.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، انظر:
الجاحظ.
- العثماني (محدث) (٢) ٣٥٢.
- العجفاء (٤) ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠.
- العجيسى (٢) ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٣ و انظر أيضا: يحيى العجيسى.
- ابن عدلان، شمس الدين (٦) ٢٠٩، ٣٢٥.
- عدى (مهلهل أبو العبادي) (٩) ١٦٥.
- عدى بن حاتم (٢) ٣٠٥.
- عدى بن زيد (٢) ١٥٩.
- ابن العديم (٢) ٤٧٩ (٥) ٢٠٧.
- ابن العديم، افتخار الدين (٢) ٤٧٩.
- ابن العديم، بدر الدين (٢) ٤٧٩.
- ابن العديم كمال الدين (٢) ٢٧٤، ٣٩٦، ٤٤٣، ٤٧٩.
- ابن العديم، مجد الدين (٢) ٢٧٤.
- ابن العديم، ناصر الدين (٣) ٢٤٣.
- عذرة بن عبد الله الفهري (٣) ٢٩٧.
- العذرى (أحمد بن عمر بن أنس بن دهاث) أبو العباس (٢) ٢٤٩، ٣٦٤ (٣) ٣٣٧.
- عرابة الأوسى (٥) ١٧٢.
- العراقي (٣) ٦٣، ١٩٦.
- ابن عرام (سبط الشاذلي) (٢) ٣٣٠.
- أبو العرب الصقلي (٤) ٣٣٩ (٥) ١٨٣.
- ابن العربي (محمد بن عبد الله) أبو بكر (٢) ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٤٥، ٣٠٢، ٣١٦ (٣) ١٧٩، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٤، ٢٣٦، (٤) ٢٣، ٣١، ٢٠٠ (٥) ٣٥٠، ٣٦٢ (٦) ٢٠٠، ٢٠١، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٧٨، ٢٨٨ (٧) ٣٧٣.
- ابن العربي (والد ابن العربي) أبو محمد (٢) ٢٠٢، ٢٠٥.
- ابن العربي (حفيد ابن العربي، محمد بن عبد الله) أبو بكر (٣) ٢٣٥.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٨٨

ابن عربى الصوفى (محيى الدين محمد بن على ابن محمد الحاتمي) (٢) ٥٥، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥ (٥) ٢٢٢ (٦) ٢٠٠، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٧٥.

ابن العرجاء، أبو على (٢) ٣٠٤.

ابن العرجاء، أبو محمد (٣) ٢٣٦.

ابن عرفة (الإمام) (٢) ٧٩ (٣) ٢٧٧ (٦) ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٧.

ابن عرفة، أبو عبد الله (٦) ٣٥٣، ٣٥٤ (٨) ١٨٥.

عرقلة (٣) ٢٣٢.

عرقوب (٢) ٤٠٢ (٦) ٥٦.

العروسى المغربى (٩) ٣٠٢.

عروة بن حزام (٤) ٢٧٣ (٨) ٦.

عروة بن الزبير (٣) ٣٢٩.

عروة بن الوليد (٣) ٣٠٥.

العروضية (مولاة أبى المطرف الكاتب) (٥) ٣٠٤.

عريب بن سعد (القرطبي) (٢) ٣٩٨ (٣) ٣٩٢ (٤) ٢٤.

ابن العريف (٣) ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨ (٩) ٣١٠.

ابن العريف النحوى (٢) ٩٨، ٩٩.

ابن العريف (أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجى) أبو العباس (٢) ٣٠٠ (٣) ١٩٩ (٤) ٦٠ (٥) ٢٤٢ (٧) ١٢٩، ١٣١.

ابن العريف أبو عبد الله (٥) ٢٣٢.

عريم بن زيد بن سهل (ذو رعين) (١) ٢٣٥.

العزازى (١) ٨٤ (٣) ١٨٢.

أبو العز (محدث ببغداد) (٢) ٢٦٩.

العز (٤) ٣٠٠.

العز الموصلى (٣) ٣٠.

عز الدولة (عبد الله) أبو مروان (٨) ٢٣٥.

عز الدين الصائغ (٢) ٣٥٩.

عز الدين بن عبد السلام (٢) ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٨ (٣) ١٣٦، ٢٠٩ (٦) ٢٠٥، ٢٦٤، ٢٦٦.

عز الدين موسك (الأمير) (٢) ١٩٧.

ابن عزرة، أبو الأصبغ (٧) ٢١.

العزفى، أبو العباس (٢) ٢٠٧ (٣) ٢٣٥.

العزفى، أبو عبد الله (٧) ١١٧ (٨) ٢٩٨.

العزفى، أبو القاسم (٦) ١٩٤.

عزّة (صاحبة كثير) (٧) ٢٤١.

عزون بن ابن الحاج (صاحب قرطبة) (٤) ١٠٧، ١٠٨، ٢٤٦.

عزير (عليه السلام) (٦) ٢٣٨.

العزير (والى مصر أيام النبي يوسف) (٢) ٢١١، ٢١٤.

العزير عثمان بن صلاح الدين (٣) ٢٩.

ابن عساكر (٢) ٣٠٥.

ابن عساكر، أبو القاسم (٢) ٢٠١، ٢٥٠، ٢٨٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٥٤، ٣٦٦، ٤١٩ (٣) ٥٦، ١٢٠، ١٢١، ٢٠٣، ٢٢٧، ٢٩٠، ٣٣٥، ٣٩٣.

ابن عساكر (القاسم) أبو محمد (٣) ١٣.

ابن عساكر، المرتضى (٣) ٢٩.

ابن عساكر، أبو اليمن (٣) ١٦٥، ٢١٥ (٦) ١٩٩ (٩) ٣١٦.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٨٩

ابن العسال الطليلي، انظر: عبد الله بن العسال الطليلي.

ابن عسكر (٦) ٤٣.

ابن عسكر، أبو الحسين (٥) ٢٢٦.

ابن عسكر، المالقي (محمد) أبو عبد الله (٢) ٤٦٤، ٤٦٥ (٤) ١٢٧ (٥) ٢٢٦ (٦) ١٠٨.

ابن العشاء، أبو العباس (٦) ١٦٩.

أبو العشاء بن حمدان (٥) ٣٥٤.

ابن عشرة (علي بن القاسم بن محمد) أبو الحسن (٤) ٣٧٤.

أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي (٥) ١١.

ابن عصام، أبو أمية (٥) ٧٢.

ابن عصفور (٢) ٢٨٤، ٣٩٥ (٥) ٨٣ (٦) ٣١٥.

ابن عصفور، أبو الحسن (٢) ٣٤٤، ٣٤٥ (٤) ٢٦.

ابن عصفور (يحيى) أبو زكريا (٦) ٣٢٦.

عضد الدولة (٦) ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨.

عطاء المالقي (الشاعر) (٤) ١٩٨.

ابن عطاء (متصوف) (٢) ٢١١.

أبو عطاء القيسي (٣) ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٢٦.

ابن عطاء الله (٢) ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣٢ (٣) ٢٧٨ (٦) ٢٨١، ٢٨٣.

العطار الأزدي القيرواني (٤) ٨٢.

ابن العطار (تلميذ ابن مالك) (٢) ٣٥٧.

ابن العطار (شيخ ابن الرومية) (٣) ١٩٧.

ابن العطار (فقيه تونسي) (٦) ١٨١.

ابن العطار (معاصر للممادي) (٤) ٢٣٢.

- ابن العطار الإشبيلي، أبو القاسم (٢) ١٤٩ (٤) ٢٤٢، ٣٤٤ (٥) ٥٤، ٢١٨.
- ابن العطار الجزائري، أبو عبد الله (٩) ٢٩٤، ٢٩٨، ٣١٠.
- ابن العطار القرطبي، أبو عبد الله (٢) ٢٧٥ (٤) ٣٨٩، ٣٩١.
- ابن العطار المزني، أبو عبد الله (٧) ٣٣٠.
- ابن العطار المشرقي (٩) ٣٠٣.
- ابن العطار اللياسي، (أبو بكر محمد) (٤) ٣٨٤.
- ابن عطاف (١) ٣٣٤ (٤) ٣٥٥.
- أبو العطاف (٤) ٩٧.
- عطية بن عطية، أبو عقيل (أخو الوزير أبي جعفر) (٦) ١٥٥، ١٥٧.
- عطية بن يحيى بن عبد الله المحاربي (٩) ١٣٢.
- ابن عطية (٢) ٣٣١ (٦) ٢٤٦، ٣٤٩.
- ابن عطية، أبو بكر بن غالب بن عبد الرحمن (٣) ١٣١، ١٣٤، ٢٣٦.
- ابن عطية، أبو جعفر القضاعي (٤) ٢٨٧ (٦) ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧.
- ابن عطية، أبو عبد الله (٦) ٢٠٩.
- ابن عطية الداني، أبو عبد الله (٣) ٢٣٥.
- ابن عطية الصعدي (عثمان) أبو سعيد (٦) ١٩٣.
- ابن عطية الغرناطي، أبو محمد (٤) ٢٣.
- ابن عطية (عبد الحق بن غالب) أبو محمد (٢) ١٢٣، ١٢٤، ١٦٩ (٣) ١٣، ١٣٤، ١٩٩، ٢٣٥.
- ابن عزيمة (محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل).
- أبو الحسن (٢) ٣٠٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٩٠.
- ابن عفير (٣) ١٩٨.
- ابن عفير، أبو أمية (٤) ١٢٧.
- عفيف، أبو عمر (٣) ٢٣٥.
- ابن عفيف (٢) ٣٥٢.
- ابن عفيف، أبو الحسن (٢) ٣٠٢.
- ابن العفيف التلمساني (٧) ٣٤٣، ٣٤٤.
- ابن عفيف الخزرجي (ضياء الدين علي بن محمد ابن يوسف) أبو الحسن (٢) ٣٣٣.
- عفيف الدين المطري (٦) ٣٢٤.
- ابن عفيون (٤) ٣٨٨.
- ابن عقاب (٣) ٢٧٧ (٦) ٣٤٧.
- العقاد (محمد) أبو الفضل (٨) ٢٥٨، ٢٦٨.
- ابن عقال، أبو عامر (٨) ٢٣٩.

- العقباني (قاسم) أبو الفضل (٣) ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩ (٥) ١٠٣ (٤) ٣٤٧، ٣٥٥.
- عقبه بن الحجاج السلولى (١) ١٩٢، (٣) ٢٩٩.
- عقبه بن عامر (٣) ٣٣٠، ٣٣٢ (٧) ٢٦.
- عقبه بن نافع الفهرى (١) ٢٣١ (٣) ٣٠٣ (٤) ١٩٦.
- ابن عقيبة، أبو يحيى (٤) ٣٥٥.
- ابن عقيل، مسلم (٤) ٢٥١.
- عقيل (صديق مالك) (٢) ١٢٧، ١٦٧، ٣٧٤ (٤) ٢٩٨.
- عقيل بن أبى طالب (٩) ١٧١.
- العقيلي (محدث بمكة) (٢) ١٩٠.
- عك بن عدنان (١) ٢٣٤.
- عكاشة بن محسن (٤) ٣٣٠.
- ابن عكاشة (٢) ١٣٠.
- العكبرى، أبو منصور (٣) ٢٢٩.
- عكرمة (٥) ٣٧٨.
- عكراش (٣) ٢٩٣.
- العلاء بن الحضرمى (٧) ١٣.
- العلاء بن عبد الوهاب بن حزم، أبو الخطاب (٣) ٢٢٤.
- أبو العلاء المأمون (٥) ٣٤٦.
- العلاء بن مغيث اليحصبي (١) ٢٦١، ٢٦٢ (٣) ٣١٢.
- أبو العلاء المعرى (١) ١٦٠ (٣) ١٥٥، ٣٣٧ (٤) ٣٢٥ (٥) ٢٠٧، ٢٣٣، ٣٦١ (٤) ١٩٨، ٢٠٤ (٧) ٥٥، ٢١٦، ٢٦٧ (٨) ٢١٩، ٢٩٢.
- أبو العلاء الموحدى، انظر: الواثق أبو دبوس.
- علاء الدين (قاضى القضاة) (٩) ١٨٨، ١٨٩.
- علاء الدين الباجى (٣) ١٤٧.
- علاء الدين القونوى (٤) ١٨٢، ٣٢٥.
- العلائى (٤) ٣٥١.
- ابن علاف (٧) ٥٣.
- ابن علال، أبو الحسن (٢) ٣٤٢.
- ابن علان (٣) ١٣٦.
- أبو علان، الحافظ (٧) ٢٨١.
- علقمة بن تمام بن علقمة (٣) ٣٢٤.
- علقمة بن علاثة (٣) ١١٣.
- ابن علقمة (٥) ٢٦٢.
- علم الدين التبريزى (٤) ٢١٢.

- علم الدين العراقي (٣) ١٤٧.
- علم الدين الفارقي (سليمان بن أبي حرب الحنفي) (٢) ٣٦٠، ٣٦١.
- علم الدين المرسي اللورقي (قاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر) أبو محمد (٣) ١٦٦.
- ابن علوان (٢) ٣٤٤ (٥) ٢٣٣.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٩١
- علوية (والدة القاسم بن حمود) (٢) ٢٥.
- ابن علوان التونسي، أبو الطيب (٢) ٣٢٤.
- علون (المغني) (٣) ٣٨٨.
- علويه (المغني) (٣) ٣٨٩، ٣٩٠.
- علي (السلطان المريني)، انظر: أبو الحسن المريني.
- علي (فتي) (٥) ٩٤.
- علي، (غلام ابن زيدون) (٤) ٤٤.
- علي الحموي الحنفي (٨) ٢٨٩.
- علي التونسي الإيادي (٤) ٣٧٠.
- علي الميورقي، انظر: ابن غانية (علي).
- علي بن إبراهيم الحوفي، أبو الحسن (٢) ٢٨٢.
- علي بن إبراهيم بن علي بن خطاب السكاك (٧) ٣٥٥.
- علي بن أبي الحسن الرندي، أبو الحسن (٦) ٢٨١.
- علي بن أبي حلي المكناسي، أبو الحسن (٤) ٣٢٩.
- علي بن أبي رباح (٣) ٣٣٠.
- علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق المريني، انظر: أبو الحسن المريني.
- علي بن أبي طالب (١) ٥٦، ٢٢٢ (٢) ٨٠، ٣٤٢، ٤٤٨ (٣) ٩٤، ١٠٩، ١٢٣، ١٤٨، ١٧٤، ١٨٤، ٢٧٣، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٣، ٣٣٣ (٤)
- ١٣، (٦) ٢٠، ٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٦، ١٨٦، ٢٠١، ٢٢٠، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٩، ٢٥٣، ٣٧٣، ٣٧٤ (٧) ٢٧٤، ٣١٨، ٣٢٩، (٨) ١١، ٨٨
- ١٥١، ١٥٣، ١٩٠ (٩) ١٧١، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥.
- علي بن أبي العقب (٢) ٢٦٠.
- علي بن أحمد (الشاعر) (٢) ١٥٥.
- علي بن أحمد الحرالي، انظر: الحرالي، أبو الحسن.
- علي بن أحمد الخزاعي، أبو القاسم (٣) ٣٣٤.
- علي بن أحمد الشامي، أبو الحسن (٧) ١٨٠.
- علي بن أحمد القادسي الكناني (٢) ٢٧٥.
- علي بن أحمد بن أبي وهب الأندلسي (٥) ٤٦.
- علي بن أفلح البغدادى (٤) ١٥٨.
- علي بن أيوب، علاء الدين أبو الحسن (٦) ٣٢٥.

- على بن بدر الدين الطوسى بن موسى بن عبد الحق (١) ٣٤٨ (٧) ٢٧٦.
- على بن بدر الدين (شيخ الغزاة) (١) ٣٤٨ (٦) ٨٥.
- على بن بسام الشترينى: انظر: ابن بسام الشترينى.
- على بن بشر الكاتب، أبو الحسين (٤) ١٣٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٩١
- ى بن بدار بن إسماعيل بن موسى اليرمكى (٣) ٣٣٧.
- على بن تميم بن المعز الصنهاجى (٣) ٢٤٠.
- على بن تميم بن المعز العبيدى (٢) ٣٥.
- على بن ثابت (٦) ٣٥٤.
- على بن جابر الدباج، انظر: الدباج، أبو الحسن النحوى.
- على بن جعفر الإسكندراني (٢) ٨٨.
- على بن الجهم (٥) ١٢٠.
- على بن جودى، أبو الحسن (٨) ٢٤٨.
- على بن حرب (٢) ٢٩٨.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٩٢
- على بن الحسين (٦) ٢٣٦.
- على بن الحسين اللغوى، الشريف أبو البركات (٣) ٣٦١.
- على بن الحسين الموصلى الغراف، أبو الحسن (٣) ٣٣٤.
- على بن حصن الإشبلى، أبو الحسن (٤) ٢٢٢.
- على بن حفص الجزيرى أبو الحسن (٥) ١٦.
- على بن الحماره، أبو الحسين، انظر: ابن الحماره، أبو الحسين.
- على بن حمدون، أبو الحسن الحميرى (٣) ٢٠٧.
- على بن حمود الحسنى (الملقب بالناصر) (١) ٢٣٨، ٣٣٣، ٣٣٤ (٢) ٢٣، ٢٤ (٤) ٣٢١.
- على بن حميد الطرابلسى، أبو الحسن (٣) ١٢١.
- على بن خير التطلى (٤) ٢٠١.
- على بن رباح اللخمى، أبو عبد الله (١) ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٩ (٣) ٢٩٠.
- على بن رجاء، أبو الحسن (٤) ٢١٧.
- على بن سعد النصرى (ابن الأحمر) (٥) ٣٩٤.
- على بن سعيد (١) ١٧٥ (٢) ٧ (٣) ٥.
- على بن سليمان الأخفش، انظر: الأخفش، أبو الحسن.
- على بن سليمان المرادى، أبو الحسن (٣) ١٢٠.
- على بن سند بن عياش الغسانى، أبو الحسن (٢) ٣٠٢.
- على بن شلبون المعافرى البلسى، أبو الحسن (٣) ١٩٤.

- على بن صالح الحسنى البهنسى (٣) ١٥٦.
- على بن الضائع الكتامى، انظر: ابن الضائع، أبو الحسن.
- على بن الطوسى، أبو الحسن، انظر: ابن السيورى الإسكندرى.
- على بن عبد العزيز (٢) ٢١٦، ٣٧١ (٣) ٢٢٢، ٢٢٧ (٤) ١٧٨.
- على بن عبد الله الجذامى (٣) ٢٧٩.
- على بن عبد الله الصقلى (٢) ٢٣٤.
- على بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن على (٣) ١٢٦.
- على بن عبد الله بن الحسن: انظر: النباهى.
- على بن عبد الله بن يوسف بن حمزة، أبو الحسن (٣) ٦.
- على بن عبد الواحد الأنصارى (٣) ٩٨.
- على بن عبيد الله الرقيقى، انظر: الرقيقى.
- على بن عتيق بن مؤمن القرطبى الأنصارى، أبو الحسن (٤) ١٣٧.
- على بن عثمان بن خطاب، أبو الحسن (١) ٢٢٩ (٣) ٢٩٣.
- على بن عثمان بن يعقوب المربنى (٦) ٩.
- على بن عقيل، أبو الوفاء (٢) ٢١٠، ٢١١.
- على بن عمر بن إبراهيم القيحاوى، أبو الحسن، انظر: القيحاوى.
- على بن عمر بن عبد المؤمن، أبو الحسن (٣) ٣٧٠.
- على بن فخر الدين (٩) ١٨٨، ١٨٩.
- على بن الفضل، أبو الحسن (١) ٨٧ (٤) ٢٢٣.
- على بن لبال، انظر: ابن لبال، أبو الحسن.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٩٣
- على بن لسان الدين بن الخطيب أبو الحسن (٦) ٨٦، ٣٢٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨ (٧) ٨١، ١٨٥، ٣١٨، ٣٦٢ (٨) ١٧١، ٢٢٤، ٢٨٩ (٩) ١٨، ١٩، ٢٠، ١٣٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٨٣.
- على بن المأمون بن أبى العلاء إدريس بن المنصور (الملقب بالمعتضد) (٢) ١١٥.
- على بن محمد الإيادى التونسى (٥) ٦.
- على بن محمد البسطى، انظر: القلصادى، أبو الحسن.
- على بن محمد الحجار (نور الدين) أبو الحسن (٦) ٣٢٤.
- على بن محمد اللبنان (٦) ١٧٤.
- على بن محمد بن أبى الحسن الكاتب، أبو الحسن (٤) ١٩.
- على بن محمد بن أبى زكريا، يحيى بن زيان الوطاسى، انظر: أبو حسون البازى.
- على بن محمد بن إسماعيل بن بشر الأنطاكى، أبو الحسن التميمى (٣) ٤٠٠.
- على بن محمد بن خروف، انظر: ابن خروف القرطبى، أبو الحسن.
- على بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلى الغرناطى (٦) ١٩٢ (٧) ٣٥٥.

علي بن محمد بن عفيف الخزرجي، انظر:

ابن عفيف الخزرجي، أبو الحسن.

علي بن محمد بن علي اليحصبي، أبو الحسن (٢) ٣٤٥.

علي بن محمد بن علي بن البناء الوادي آشي (٧) ٢٤٢.

علي بن محمد بن علي بن محمد أبو الحسن:

انظر: ابن خروف.

علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي، نظر: ابن الضائع.

علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشني الأبتدي (٣) ١٥٦.

علي بن المديني (٢) ٢٣٠.

علي بن مروان الغرناطي أبو الحسن (٢) ٤٣١، ٤٣٢.

علي بن المظفر الوداعي، انظر: الوداعي.

علي بن المظفر بن القاسم الدمشقي (٦) ١٩٤.

علي بن المفضل المقدسي، أبو الحسن (شرف الدين) (٢) ٢٢٠.

علي بن منصور الشيطمي (٨) ٢٦٦.

علي بن مهلهل الجلياني أبو الحسن (٤) ٢٨٦.

علي بن موسى البحيري، أبو الحسن (٦) ١٩٢، ٢١٣.

علي بن موسى بن سعيد، أبو الحسن العنسي، انظر: ابن سعيد، أبو الحسن.

علي بن موسى بن علي بن محمد الجياني (٤) ٣٦٩.

علي بن المؤيد أبو الحسن (٤) ٢٨١.

علي بن نافع، انظر: زرياب.

علي بن هابيل الأنصاري، أبو الحسن (٣) ٢٠٤.

علي بن هشام، أبو الحسن (٢) ٣٦٧.

علي بن يحيى الفزاري المالقي انظر: ابن البرزي.

علي بن يخلف التنسي، أبو الحسن (٦) ١٨١.

علي بن يوسف بن تاشفين (١) ١٥٩، ٢٣٨ (٢) ٤٤٧، ٤٢، ١٣٧، ٢٦٣ (٥) ٢٨١، ٤١٠ (٦) ١٥٤ (٨) ٢٣٠، ٢٣١.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٩٤

علي بن يوسف بن كماشة الحضرمي، أبو الحسن (٦) ٧٦.

علي بن يونس (٣) ٢٢٩.

أبو علي البغدادي: انظر القالي..

أبو علي الأهوازي (٣) ٢٣١.

أبو علي الصفار (٣) ٢٢٧.

أبو علي الغساني (٢) ٣٠٠، ٣٠١، (٣) ١٣٤.

أبو علي الفارسي (٢) ٣٤٨ (٣) ٢٣٨ (٤) ٤٠٥ (٩) ٢١٣.

- أبو علي حسن المقرئ (٢) ٢٢٤.
- أبو علي بن الحسين السبتي (٢) ٢٣٤.
- أبو علي بن السكن: انظر ابن السكن.
- أبو علي بن سليمان القرطبي (٧) ١٩.
- أبو علي عمر المريني (٦) ٨٧، ١٢٩ (٧) ١٤.
- أبو علي منصور (ولد ابن هديئة) (٦) ١٩٦.
- أبو علي ناصر الدين (٦) ١٨٧.
- أبو علي المنصور (الأمير ابن السلطان) (٥) ٢٢٣.
- أبو علي يونس (٢) ٤٣٩.
- ابن عليم (٥) ٢٠٢.
- ابن عليم، أبو الحزم (٣) ٢٣٩.
- عليه بنت زرياب (٣) ٣٨٧، ٣٨٩.
- عليه بنت المهدي (٥) ١٣٦.
- العماد الأصبهاني (٢) ٢٤٩، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٨٣ (٣) ٢٣٠، ٢٤١ (٥) ١٦٥ (٧) ٦٦.
- عماد الدولة (عبد الملك بن أحمد بن هود) (١) ٣٤١ (٨) ٢٢١.
- عماد الدين الكندي (٨) ٢٩٣.
- عماد الدين بن نجم الدين الدمياطي (٦) ٣٢٥.
- عماد الدين بن النحاس الأطروش (٢) ٣٠٨.
- عماد الدين زنكي بن آق سنقر الأتابكي (٢) ٢٨٤.
- عماد الدين محمد بن محيي الدين بن عربي، أبو عبد الله (٢) ٣١٣.
- ابن عماد الدين (٣) ٣٨، ٥٢.
- ابن عماد الدين الحراني (٢) ٣٥١ (٣) ٢١٥.
- العمادي، عبد الرحمن بن عماد الدين (مفتي دمشق) (١) ٦٨ (٣) ٣٦، ٣٧، ٥٠، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٩، ٨٤، ٨٥.
- ابن العمادي، إبراهيم (٣) ٥٤.
- عمار بن محمد بن مخلد (أبو ذر) (٣) ١٧٩.
- عمار بن ياسر (٢) ٤٤٨ (٣) ٣٣٣ (٦) ١٣١، ٢٥٣.
- ابن عمار الطيب (٨) ٢٩٩.
- ابن عمار الوزير، أبو بكر (١) ١٥٦، ٨٣، ١٥٦، ٢٣٦ (٢) ١٤، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤ (٤) ٣٣، ٧٠، ٧١، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٩، ١٤٠، ٢٣٤، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٧، ٣٧٨ (٥) ٢١، ٣٧، ٦٤، ٦٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٨٢، ١٩٣، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٢٩ (٦) ١٥٣، ١٥٤.
- عمر الزجاج (الفقيه) (٦) ٣٣، ٣٨.
- عمر السهروردي، انظر: السهروردي.
- عمر القاري (٣) ٦٣، ٧٩، ٨٤.
- عمر بن أبان المدني (٣) ١٦٧.

عمر بن إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن، انظر: المرتضى الموحدى.

عمر بن بدر الدين بن جماعة (٣) ١٧٣.

عمر بن أبى خالد، أبو على (شاعر) (٤) ٢٢٣.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٩٥

عمر بن أبى ربيعة (٢) ٣٨ (٤) ٣٦ (٧) ٢٤١.

عمر بن الحسن الهوزنى أبو حفص (٢) ٢٥١ (٣) ٢٢٥.

عمر بن حفصون (٤) ١٩.

عمر بن الخطاب (الفاروق) (١) ٥٦، ٢٢٥، ٢٥٦ (٢) ٨٢ (٣) ١١٣، ٢٦٩، ٢٨٤ (٤) ١٨٧، ١٨٨، (٥) ٤٩ (٦) ٢٠، ٩٧، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦،

٢٠١، ٢٠٢، ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٦٣، ٣٣٠ (٧) ٢٣٣، ٢٤٥، ٢٤٦ (٨) ٧٢، ٨٨، ١١٢، ١١٤، ١٩٠ (٩) ١٧١، ٢٠٢، ٢٠٣.

عمر بن شبة (٤) ١٣، ١٤.

عمر بن شعيب، أبو حفص، انظر: ابن الغليظ.

عمر بن الشهيد (٤) ٢١٠.

عمر بن عبد العزيز (١) ١٣٥، ١٩١، ٢٠١، ٢٢٢، ٢٦٥، ٢٦٦ (٢) ٢٢ (٣) ٢٩١، ٢٩٦، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠ (٤) ٢٣٢، ٢٤٣ (٨) ٨٨

١٨٢.

و انظر أيضا: أشج بنى مروان.

عمر بن عبد الملك (١) ٢٥٩.

عمر بن عبد الله بن على (الوزير) (٢) ٢٧٩ (٥) ٣٠٨ (٦) ٨٤، ٨٥، ٩٢، ٣٤٢، ٣٤٣ (٧) ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٠، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٩٠.

عمر بن عبد الله بن على اليبانى (٧) ١٣٩.

عمر بن عبد الله بن محمد السلمى القرطبي، انظر: أبو حفص بن عمر القاضى.

عمر بن عثمان الخراسانى الباخري (محمد بن أحمد) أبو بكر (٣) ٣٣٦.

عمر بن على (محدث) (٣) ١٧٨ (٦) ٣٧٩.

عمر بن على بن غفرون الكلبى (٧) ٣٥٩.

عمر بن الفارض، انظر: ابن الفارض.

عمر بن فرج الرخجى (٣) ١١٧.

عمر بن قهليل، أبو حفص (٣) ٣٨٩.

عمر بن محمد بن أبى على الوراق (٣) ١٥٦.

عمر بن محمد القلشاني، أبو حفص (٦) ٣٥١، ٣٥٤.

عمر بن محمد بن فرج، أبو حاتم (٥) ٢٤١، ٢٦٧.

عمر بن مروان بن الحكم (١) ٢٥٩.

عمر بن مودود الفارسى البخارى، أبو البركات (٣) ٤٠٠.

عمر بن يوسف ابن الإمام (٣) ٢٢٧.

أبو عمر المرينى (أخو السلطان أبى سالم) (٧) ١٣٩.

أبو عمر الهاشمى (٣) ١٤١، ١٤٣، ١٦٥.

- عمران بن حصين (٤) ١٣.
- ابن عمران، أبو عبد الله (٩) ٣١٣.
- أبو عمران (٢) ٢٩ (٤) ١٢٦.
- أبو عمران بن أبي تليد (٤) ١٣٤.
- أبو عمران الزاهد، انظر: المارتلى (الميرتلى).
- أبو عمران الشولى (٤) ٢١٦.
- أبو عمران الفاسى (٣) ٢٣٩.
- أبو عمران موسى (١) ١٥٤، ٣٥٣.
- أبو عمران بن أبى حفص (الموحدى) (٥) ٣٥٢.
- أبو عمران بن يوسف بن عبد المؤمن بن على (٢) ٢٥٤.
- عمرو (الخارج مع عبد الرحمن الداخل من المشرق) (١) ٢٦٢.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٩٦
- عمرو (فى الشعر) (٦) ٢٩ (٩) ١٦٥.
- عمرو بن أبى غياث (٦) ٤٥.
- عمرو بن الحارث (٣) ٣٢٩.
- عمرو بن حمير (١) ٢٣٥.
- عمرو بن دينار (٦) ١٩٥، ٢٤٧.
- عمرو بن طالوت (٣) ٣٢٢.
- عمرو بن العاص (١) ٢٢٢ (٢) ٤٥٣، ٤٥٤ (٣) ٢٩١، ٣٣٢ (٤) ١٣، ٣٣٥، ٣٨٠ (٦) ٤٢، ١٣٠ (٧) ٣٣٧ (٨) ١٢٨، ٢٤٤.
- عمرو بن عثمان بن قنبر: انظر سيويه.
- عمرو بن عدى (٥) ١٤٠.
- عمرو بن كلثوم (٤) ١٢١.
- عمرو بن معديكرب (٢) ٣٩١ (٥) ٣٨٥ (٦) ١٣١.
- عمرو بن هند (٦) ١٩٨.
- عمرو بن يزيد الأزرق (٣) ٣٠٥.
- ابن عمرو (صاحب أعمال إشبيلية) (٥) ٣٥٤.
- أبو عمرو (فى شعر ابن صمادح) (٨) ٢٣٨.
- أبو عمرو الدانى (عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموى) (٢) ٢٢٦، ٢٨٥، ٢٨٦ (٤) ٢٣، ٣٣١ (٦) ٣١٧ (٧) ١٣٥.
- أبو عمرو الشيبانى (٣) ١٥٧.
- أبو عمرو المقرى (٣) ١٢٢.
- أبو عمرو اليحصبى اللوشى (٤) ٥٧.
- أبو عمرو بن أبى محمد الوزير (٤) ٢٣٥.
- أبو عمرو بن الحاجب، انظر: ابن الحاجب.

- أبو عمرو بن عبد الغنى (٥) ٤١.
- أبو عمرو بن العلاء (٤) ١٧ (٦) ١٨٥.
- أبو عمرو بن غياث (٥) ١٣.
- أبو عمرو بن مالك بن سيدمير (١) ١٥٥.
- أبو عمرو بن المعتمد بن عباد (١) ٣٤٠.
- أم عمرو (مغنية) (٧) ٢٣٧.
- ابن عمروس المالكي (٢) ٢٣٤.
- ابن عمرون (تلميذ يعيش) (٢) ٣٥٥.
- أبو العميتل (٤) ٨.
- ابن العميد، أبو الفضل (٣) ٧٦ (٥) ١٠٠، ٣٨٥.
- العميدى (٦) ٣٥١.
- العميدى (صاحب الإرشاد) (٣) ١٤٧.
- عمير بن سعيد (١) ٢١٤.
- عمير بن ضابىء، البرجمي (٢) ٧٨.
- عمير بن الفيض اللخمي (٣) ٣٢٩.
- أبو عمير الأنصارى (٧) ٣١٦.
- عميرة بن محمد بن مروان بن خطاب (ابن أبى جمرة) (٢) ٢٩٦.
- أبو عميرة الضبى، أبو جعفر (٣) ٣٣٩.
- أبو عميرة المزنى (٣) ٣٢٩.
- أبو عنان المريني (فارس بن أبى الحسن المريني) (١) ٣٤٧ (٢) ١٧٠، ٣١٢ (٥) ٣٠٥، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٥ (٦) ٦٦، ٧٠، ٨٢، ١٧٦، ١٨١، ١٨٥، ٢١١، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٥٤، ٢٩٠، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٤٢ (٧) ١٥، ٥٩، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٩، ٢٢٢، ٢٧٩، ٣١٧ (٨) ١٥٢، ١٥٣، ١٨٥، ١٨٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٩.
- العنبر (أم ولد) (٦) ١٨٨.
- عنبسة بن سحيم الكلبي (١) ١٩١، ٢٣٧ (٣) ٢٩٧، ٢٩٨ (٥) ٢٤٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٩٧
- عنترة (٥) ١٧٢ (٦) ٢٣، ٣٧، ١٩٢.
- ابن عتق الفضه (جعفر) أبو محمد الفقيه السالمي (٤) ٢٠٣.
- ابن عنين (محمد بن نصر الدين الأنصارى) أبو المحاسن (١) ٩٤ (٣) ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٩٤ (٩) ١٩٢.
- عوف بن مالك الأشجعي (٣) ٣٣٢.
- عوف بن محلم (٨) ٢٤٤.
- ابن عوف انظر: أبو الطاهر بن عوف.
- عون الدين العجمي (سليمان بن عبد المجيد) (٢) ٣٩٧ (٣) ٣٥.
- ابن عون الله (٢) ٢٢٥.

- ابن عياش الكاتب (٥) ٩٦.
- ابن عياش (كاتب المنصور الموحدى) (٤) ٦٨.
- ابن عياش (معاصر سهل بن مالك) (٤) ١٧٥.
- ابن عياش (عبد الملك) أبو الحسن (٤) ٢٣٦ (٥) ٢٤٠.
- ابن عياش (على بن عبد الملك) أبو الحسن (٥) ٢٣٩.
- ابن عياش، أبو عبد الله (الشاعر) (١) ١٥٣.
- ابن عياش، أبو عبد الله (الشيخ) (٦) ٢١٧.
- عياض بن عقبه (١) ٢٢٩.
- عياض بن عقبه الفهرى (التابعى) (٣) ٢٩٢.
- عياض بن فروخ (٣) ٣٢٩.
- عياض بن موسى، أبو الفضل (القاضى الإمام المالكى) (٢) ٥٢، ٧١، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٩٤، ٣٦٤، ١٠، ٧٢، ٩٤، ١٠٥، ١٣٥، ١٧٩، ١٩٥، ٢٥٣، ٢٨٢، ٣٣٧، ٣٣٨ (٥) ٦٢ (٦) ١٦٩، ٣٢٠، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠ (٧) ٢١٣، ٢٦٤، ٢٧١ (٨) ٢٢٦ (٩) ١٧، ١٢١، ١٦٩، ١٧٨، ١٧٩، ٢٦٣.
- ابن عياض (ملك شرق الأندلس) (٥) ٣٤٦.
- ابن عيال، أبو الوليد (٤) ٣٣٥ (٨) ٢٤٣.
- عيسى انظر: المسيح.
- عيسى (زوج سارة القوطية) (١) ٢١٤.
- عيسى بن أبى ذر الهروى، أبو مكتوم (٣) ١٢١.
- عيسى بن الحسين (فى رسالة لابن الخطيب) (٥) ٣٣٢.
- عيسى بن خليل النفزى الحميرى التاكرنى (٣) ٢٠٥، ٢٠٦.
- عيسى بن دينار (٢) ١٨٥، ١٨٦، ٢١٥ (٤) ١٥.
- عيسى بن سلامة البكرى (٦) ٣٥٤.
- عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعينى (٣) ١١.
- عيسى بن شهيد (الحاجب) (٤) ٣١٥.
- عيسى بن عمر (٣) ١٤٣.
- عيسى بن فطيس (الوزير) (١) ٣٠١.
- عيسى بن القطاع (٢) ١٠١.
- عيسى بن مزاحم (١) ٢١٤.
- عيسى بن مساور (١) ٢٥٩.
- ابن عيسى، أبو الحسن (شاعر) (٥) ٣٥.
- ابن عيسى (من رجال السند) (٦) ١٦٩.
- ابن عيشون (شيخ صفوان) (٦) ٥٣.
- ابن عيشون، أبو عامر (من رجال القلائد) (٣) ١١٠.

ابن عيشون، أبو العباس (مقريئ إشبيلي) (٣) ٢٢٩.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٩٨
 عين الشمس الثقية (٣) ٢٢١.
 أبو العيناء (٢) ٤١٩.

حرف الغين

غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلوي (٣) ١٥٦.
 ابن غازي (شيخ المقرئ) (٢) ٧٩، ٨٠، ٣٦٠، (٣) ٢٨٤ (٥) ٨٢ (٦) ١٧٣، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٥٧ (٧) ١٥.
 ابن غازي (محمد) أبو عبد الله (٧) ٣١٦، ٣١٧.
 ابن غازي ابن الكاس، أبو بكر (٦) ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ١٣٤، ١٤٠، ١٥٢.
 الغافقي (في الشعر) (٢) ٣٢٧.
 الغافقي أبو عبد الله بن نوح (٢) ٢١٧.
 الغافقي (صاحب كتاب في الأدوية المفردة) (٣) ٢٧٦ (٦) ٥.
 غالب (مولى الحكم المستنصر) (١) ٢٩٨، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١.
 غالب الناصري (صاحب مدينة سالم) (١) ٣٧٢ (٣) ٣٥٥، ٣٥٧.
 غالب بن أمية الموروري، أبو العاصي (٢) ٧٠.
 غالب بن حسن بن سيد بوننة (٣) ١٧٠.
 غالب بن عبد الله الثغري (٤) ٣٨٦.
 أبو غالب اللغوي (٤) ٣٠.
 ابن غالب (صاحب فرحة الأنفس) (١) ١١٧، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦ (٢) ٦، ١١ (٣) ١٣٤ (٤) ٣، ٤، ٥، ١٨، ٢٣، ٢٤، ١٨٧، ٢٠٣، ٢٨٢.
 ابن غالب، أبو الحسن (٢) ٢٢١ (٨) ٣١٧.
 ابن غالب الداني (٤) ١٢٦.
 ابن غالب الشراط (٣) ٣٩٦.
 ابن غالب المالقي (محمد بن إبراهيم بن عبد الله) أبو عبد الله (٢) ٢١٩.
 ابن غالب المرسي، أبو عمر (٦) ٢١٢.
 ابن غالب (تمام) أبو غالب، انظر: ابن التياني..
 الغالب بالله (إسماعيل بن الأحمر)، انظر:
 إسماعيل بن فرج بن نصر، أبو الوليد (الغالب بالله).
 الغالب بالله (محمد، السلطان من بني الأحمر) (٧) ٢٦٦.
 غانم بن الوليد المخزومي المالقي، أبو محمد (٤) ٨٨، ١٩٦، ١٩٧، ٢٣٦، ٣٦١، ٣٧٦، ٣٩٨ (٥) ١٥٢، ٢٤١.
 ابن غانم (شهاب الدين) (٢) ٣٥٥، ٣٥٧.
 ابن غانم، أبو طالب (٢) ١٦٠ (٤) ١٤٠.

- ابن غانية (عبد الله) (٥) ٣٤٦.
- ابن غانية (علي) الميورقي (٣) ٣٦٦ (٤) ٣٣٤.
- ابن غانية (يحيى) الميورقي، أبو زكريا (٢) ١٥، ٢٥٤ (٣) ٢٠٩، ٢١١ (٤) ٣٣٨ (٥) ٢٤، ٣٤٦.
- غاية المنى (جارية) (٥) ٢٠٥.
- الغبريني، أبو العباس (صاحب عنوان الدراية) (٢) ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٤٣ (٣) ٢١٤ (٥) ٢٣٣.
- الغراوى، أبو عبد الله (٣) ١٩٨.
- غريب الثقفي القرطبي، أبو عبد الله (٥) ٢٤٣.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٩٩
- غرسية (١) ٢٧١.
- غرسية (صاحب البشكنس) (١) ٢٨٤.
- غرسية بن أردون بن أذفونش (١) ٣١٤.
- غرسية بن شانجة (١) ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٩ (٣) ٣٥٠.
- غرسية بن وبقة (١) ٢٧٥.
- الغريض (المغنى) (١) ٢٣ (٢) ١٦٢.
- الغزال (يحيى بن حكم الجياني) (١) ٢٢٤، ٢٧٢ (٢) ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦ (٤) ٢٢٩، ٢٢٩.
- ابن غزال بن صدقة المنكبي، أبو محمد (٢) ٣٠٢ (٣) ٢٤٠.
- الغزالي، الإمام أبو حامد (٢) ٢٠١، ٢٠٥، ٢٣٩، ٣٠٣، ٣٥٠ (٣) ١٢٤، ١٤٧، ٢٠٠، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٥٣ (٥) ٢٤٥ (٦) ٢٠٠، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٥١، ٢٨٣، ٢٩٥، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٨٦.
- ابن غزلان، انظر: المطرف ابن الأمير محمد ابن عبد الرحمن الأوسط.
- ابن غزلون (أحمد بن علي) أبو جعفر (٢) ٢٣٤ (٣) ٢٤٢ (٦) ٣٥٨.
- الغزمونى (محمد بن محمد) أبو عبد الله (٦) ٢٠١.
- الغزنوى (٣) ١٢، ٢٢٧.
- الغسانية البجانية (٥) ١٠٣.
- ابن غصن، أبو جعفر (٧) ٣٢٦.
- الغطريفى، أبو أحمد (٣) ٢٠٣.
- ابن غطمش، أبو عمرو (٥) ٢٤.
- ابن غطوس (٤) ٤.
- الغفجومى، انظر: الجراوى.
- ابن الغلاس (١) ١٥٦، ١٥٧.
- غلام البكرى، انظر: حكم بن محمد (غلام أبى عبيد البكرى).
- ابن غلبون (عبد الرحمن) (٥) ١٠٣.
- ابن غلبون، أبو الحسن (٢) ٢٨٥، ٣٤٩.
- ابن غلبون، أبو رجال (٦) ٥٢.

- ابن غلبون، المرسى، أبو الحسين (٦) ٢٠٢.
- ابن غلنדה، أبو الحكم (٤) ٣٦٢.
- ابن الغليظ المالقي (الحسن) (٤) ٩٣، ١٩٨، ٣٧٢.
- ابن الغليظ (عمر بن شعيب) أبو حفص (٤) ١٢.
- الغمارى، أبو البركات (تلميذ ابن مرزوق الحفيد) (٦) ٣٥٤.
- الغمارى، شمس الدين (٦) ٣٥٣.
- الغمارى التونسى، أبو العباس (٦) ١٨٥.
- الغمارى المالكي، صدر الدين (٦) ٢١٠.
- ابن الغماز (أحمد) البلنسى، أبو العباس (٣) ٢١٦ (٥) ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤٩ (٧) ١٤.
- ابن الغماز (أحمد بن محمد بن حسن) الخزرجى، أبو العباس (٦) ١٦٩، ١٩٥.
- الغمر (٢) ١٢٥.
- الغمر بن يزيد بن عبد الملك (٣) ٣١٨.
- أبو الغمر السائب (٥) ٢٨١.
- غنجار (محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٢) ٢٩٠ (٣) ٣٣٤.
- ابن غندشلب ذو الوزارتين، أبو عامر (٢) ٦٣.
- الغنى بالله النصرى (محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر) (١) ٢٥٤ (٢) ٤٨ (٣) ٣٦٣ (٤) ٣٩١ (٥)
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٠٠
- ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٣ (٦) ٤، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧٤، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ١٠١، ١١٣، ١٤٠، ١٦٤ (٧) ١٥٤، ٢٥٨
- (٨) ٥، ٥٤، ٥٧، ٥٩، ٦٢، ٧٢، ١٩٣، ٢١٤، ٢٩٠، (٩) ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠
- ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٧، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٤٠، ١٤٦، ١٤٧، ٢٢٦.
- غياث بن فارس المنذرى، أبو الجود (٢) ٢١٨ (٣) ١٦٥.
- ابن غياث الشريشى، أبو عمرو (٣) ٢٠٦ (٥) ١٤.
- أبو الغياض (٤) ٣٨١.
- غيطش (١) ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، و انظر أيضا: أعطش.
- غيلان المرور (٦) ٢٣٩، ٢٥٠.
- غيلان بن عقبه المرى، انظر: ذو الرمة.
- ابن غيلان (٣) ٢٢٣، ٢٢٤.

حرف الفاء

- الفاثن (فتى المنصور بن أبى عامر) (١) ٣٠٨ (٣) ٣٤٩.
- الفارابى، أبو نصر (٣) ١٥ (٤) ٢٦ (٦) ٢١٦، ٢٧٧.
- فارس (السلطان المرىنى) انظر: أبو عنان المرىنى.
- فارس بن أحمد، أبو الفتح (٢) ٢٨٥.

- أبو فارس (الحفصي) (٨) ٨٩.
- الفارسي (٢) ٢٦٨، ٣٦٤ (٦) ٣١٤، ٣٥٢.
- ابن الفارض، عمر (٢) ٣٠٨ (٣) ٣٢، ٢٠٥ (٦) ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٩ (٧) ٢٩٧.
- الفاروق، انظر: عمر بن الخطاب.
- الغازي (عبد الرحمن) أبو زيد (٢) ٢٧١، ٣٣٣ (٥) ٦٣، ٣٥٥ (٩) ٣٢٠.
- الغازي (محمد) أبو عبد الله (٥) ٣٥٥.
- ابن الفاضل عبد الرحيم (٣) ٧٦.
- فاطمة (شقيقة ابن جماعة) (٣) ١٧٤.
- فاطمة الزهراء (البتول، بنت الرسول) (٢) ٢٥٨، ٤٤٥ (٣) ١٠٩، ١٧٤ (٥) ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٠ (٧) ٢٧٤، ٣٠٢ (٨) ١٩١ (٩) ١٧١، ٢٠٤، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٥٦.
- فاطمة بنت سعد الخير (٣) ٢٢٧.
- فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية (٣) ١٦٦.
- فاطمة بنت محمد بن أبي بكر بن أيوب (٦) ٣٢٤.
- فاطمة بنت محمد الفيومي البكري (٦) ٣٢٥.
- فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر المكية (٦) ٣٢٤.
- فاطمة (ابن ملك الفرنجة) (٥) ٢٦٠.
- الفاكهاني (٦) ٣٤٦.
- فائق (الفتي) (٣) ٣٥٣.
- الفتح بن خاقان، أبو نصر (١) ١٤، ٩٧، ٣٢٦ (٢) ٣٨، ٨٩، ١٠٥، ١١٤، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٩، ١٨٤، ٢٣٦، ٤٣٨ (٣) ١١، ١٣١، ٢٥٣ (٤) ٦٣، ٨٤، ٩١، ١٣٩ (٥) ٢٠، ٩٧.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٠١
- ٩٨، ٩٩، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٠، ١٥٣، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٩، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٢٣ (٦) ٣٥ (٧) ٣٢١ (٨) ٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٦، ٢٨٢.
- الفتح بن عبد القوي (٦) ٣٢٥.
- الفتح بن عبيد الله (٤) ٣٢.
- ابن فتح الأنصاري الثغري، أبو عبد الله بن محمد (شاعر أندلسي) (٥) ٥٦.
- أبو الفتح بن البطي (٣) ١٩٨.
- أبو الفتح بن الزندانقاني (٣) ٢٠٠.
- أبو الفتح السمرقندي (٣) ٣٣٧.
- ابن فتحون، انظر: الحمار السرقسطي.
- ابن فتوح (إبراهيم بن أحمد) أبو إسحاق (مفتي غرناطة) (٣) ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٣.
- ابن فتوح المصري، أبو الفضائل (٤) ٨٣.
- الفحام، أبو جعفر (٢) ٢١٤.

- ابن فحلون القنطري، انظر: خلف بن فرج بن خلف بن فحلون القنطري، ابن الروية.
 الفخار (الفقيه الأندلسي) (٥) ٢٢٠.
- الفخار، أبو عبد الله (تلميذ عياض) (٩) ١٢١، ١٢٣.
- الفخار السلوي، أبو القاسم (٦) ٢٢٤، ٢٢٥.
- ابن الفخار، أبو بكر (٦) ٣١٣.
- ابن الفخار، أبو عبد الله (ابن نصف الربض) (٤) ١٩٢ (٥) ٢٤٥.
- ابن الفخار البيري (اللغوي النحوي) أبو عبد الله (٦) ٦٣، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦ (٧) ٥٢، ١٣٥ (٩) ٤، ٢٢.
- ابن الفخار القرطبي (محمد بن عمر بن يوسف) أبو عبد الله (٢) ٢٢٥.
- فخر الدين (ابن أخي السرخسي) (٣) ٣٧٢.
- فخر الدين (الإمام) (٦) ١٨٢، ١٩٠، ١٩٤.
- فخر الدين الرازي، انظر: الرازي، فخر الدين.
- الفراء (النحوي) (٣) ١٤٣ (٥) ٢٦، ٢٧، ٣١.
- الفراء القرطبي (محمد بن عبد الرحمن) أبو عبد الله (٢) ٢٩٧.
- الفراء الموصلي، أبو الحسن (٢) ٣٦٥.
- ابن الفراء (الأخفش بن ميمون) (٤) ١٤٣، ١٨٨.
- ابن الفراء أبو عبد الله (الفقيه) (٥) ٣٥٠.
- ابن الفراء (محمد بن عبد الله) أبو عبد الله النحوي الضرير (٤) ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧ (٥) ٢٠٥.
- فراء بن محمد (٣) ٢٩١.
- أبو فراس الحمداني (٥) ٣٥٤.
- الفرأوي (منصور بن عبد المنعم) (٢) ٢٥٩، ٣٧٠.
- الفرأوي، أبو عبد الله (٢) ٣٠١ (٣) ١٢١، ٢٢١.
- الفرأوي، أبو المعالي (٣) ٣٩٣.
- الفربري (٣) ٥٣.
- فرتون بن موسى (١) ٢٧١، ٢٧٥.
- ابن فرتون الفاسي (٢) ٢١٩.
- فرج بن برقوق (٣) ١٣٠ (٧) ٢٩٦.
- الفرج بن كنانة (٢) ٢٩٥.
- فرج بن لب، أبو سعيد (٧) ٥٠، ٥١، ٥٣، ٦٥، ٦٦، ٧٨، ١٥٢ (٩) ١٣٨.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٠٢.
- ابن الفرغ (نديم ابن ذي النون) (٥) ٧٣.
- ابن الفرغ، أبو عامر (٤) ٢٠٦.
- ابن فرج، أبو عبد الله (٢) ٣٠٠.
- ابن فرج الجياني، أبو عمر (صاحب كتاب الحدائق) (٣) ٩٥، ١١٥، ١٦٢ (٤) ١٩، ٢٢، ٣٥، ٨٩، ٢٠٤، ٢٢٨، ٤١٥.

- ابن فرج (أحمد بن محمد) (٢) ٤٠، ١١٤.
- ابن فرج السبتى (٧) ٢٦٠.
- أبو الفرج (الوزير) (٤) ٣١٧.
- أبو الفرج الأسفرايينى (٢) ٢٥٠.
- أبو الفرج الأصبهاني (١) ٧١، ٣٠٠ (٣) ٣٤١ (٤) ٢٦.
- أبو الفرج الصوفى (٢) ٢٢٠.
- أبو الفرج بن أبى يحيى الشريف التلمساني (٦) ٣٥٠، ٣٥١.
- أبو الفرج بن الجوزى، انظر: ابن الجوزى.
- أبو الفرج عبد الله بن الطيب البغدادي (٨) ٢٧، ٤٩.
- أبو الفرج عبد الوهاب التميمى (٣) ١٦١.
- ابن فرح (شهاب الدين أحمد) أبو العباس (٣) ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧.
- ابن فرحان، أبو عزيز (٦) ٢٠٧.
- ابن فرحون (٦) ١٩١، ٢٢٩ (٧) ٧٨.
- ابن فرحون (أيمن بن محمد اليعمرى التونسى) أبو البركات (٦) ٣٢٤.
- ابن فرحون، أبو الحسن (٦) ١٨٩.
- فرلند (قومس قشتيلة) (١) ٢٨٥، ٢٨٦.
- فرذند بن غندشلب (١) ٢٩٨.
- الفرزدق (٤) ٢١، ٢٧٢، ٤٠٩ (٥) ١٧٨ (٧) ٤٨، ٣٤٨.
- ابن الفرس، أبو قاسم (٤) ٤٠، ٤١.
- ابن الفرضى (عبد الله بن محمد بن يوسف) أبو الوليد و أبو محمد (١) ٢١٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٣٠٧ (٢) ٦٨، ٧٤، ٨٤، ١٨٨، ٢١٨، ٢١٩، ٢٧٩، ٢٩٨، ٣٥٢، ٣٧١ (٣) ٢٠٠، ٢٣٨، ٢٤٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٣، ٣٣٠، ٤٠٠ (٤) ١٧، ١٨، ٢٤ (٥) ١٠.
- ابن الفرضى النحوى، أبو بكر (٣) ٢٢٦.
- فرعون (٢) ٢٤٠، ٣١١ (٥) ٣٤، ٦٦ (٦) ٩٦، ١١٥، ١٣٥، ٢٤٠ (٧) ٢٨٢، ٣٠١ (٨) ٨٥، ٨٨ (٩) ١٢٦.
- فرغوس بن العباس (٢) ٢١٥.
- ابن الفرفورى (٩) ١٨٨.
- ابن الفرفور (عبد الرحمن الدمشقى) (٢) ٥٣، ٥٤.
- فرقد (صاحب الحدثان) (٣) ٣١٠.
- ابن فرقاجه، أبو زكريا (٧) ١٤٤.
- ابن فرقد، أبو القاسم (٣) ٣٣٦.
- ابن الفرکاح، برهان الدين (٦) ٣٢٥.
- ابن فركون، أحمد (٩) ١٣٦.
- فرويلة بن أذفونش (١) ٢٦٠.
- ابن فشتال، أبو الحسن (٣) ٣٧١.

الفشتالى، انظر: أحمد بن إبراهيم الفشتالى؛ عبد العزيز بن محمد الفشتالى، محمد بن أحمد الفشتالى.

فضل المدني (٣) ٣٩٦.

فضل بن سلمة (٤) ٢٢.

الفضل بن سهل (٦) ١١٨.

الفضل (١) ٧٠.

الفضل (٢) ١٤٤ (٧) ٣٠٣.

الفضل بن صالح (٣) ٢٤٨.

الفضل بن على بن حزم، أبو رافع (٢) ٢٤٣.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٠٣

الفضل بن على بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الخزرجى (٣) ١٥٦.

الفضل بن يحيى البرمكى (١) ٢٣ (٥) ٣١ (٩) ١٦٥.

ابن الفضل (محدث بمصر) (٢) ٢٣٠.

ابن الفضل (أبو الحسن) (٤) ١٧٥ (٥) ٨، ٩.

أبو الفضل (الوزير الكاتب) (٢) ١٤٢.

أبو الفضل البلعمى (٣) ١٧٩.

أبو الفضل السليمانى (٣) ٣٣٤.

أبو الفضل التيفاشى (١) ١٣٦.

أبو الفضل الشيرازى (٥) ٤٢٣.

أبو الفضل المرىنى (٥) ٣١٥، ٣١٧.

أبو الفضل جعفر الهمدانى (٢) ٢٨٦.

أبو الفضل جعفر بن الأعلم (٤) ٤٠٠، ٤٠١ (٥) ٢١، ٢٢، ٣٢.

أبو الفضل عياض، انظر: عياض (القاضى).

أبو الفضل محمد (قريب التجانى) (٥) ٦٢.

أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادى (٣) ٢٢٣.

أبو الفضل بن محمد العقاد انظر: العقاد محمد.

أبو الفضل ابن الإمام التلمسانى (٦) ١٣٧، ١٧٢ (٨) ٢٨٩.

ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد) (٤) ١٥٩.

الفضيل (ابن عياض) (٨) ١٠٥.

ابن فضيلة المعافرى (٦) ٣٨٢.

ابن فضيلة، أبو الحسن (٣) ١٤٧.

ابن فضيلة، أبو الحسين (٦) ٣١٩.

ابن فطيس الوزير (٢) ٢٩٢.

ابن الفقاعى، انظر: محمد بن غازى الموصلى.

- ابن الفكون القسطيني (حسن بن علي بن عمر) (٣) ١٠٠.
- الفكيك، أبو الحسن البغدادي (٣) ٣٧٨.
- فلبش القيصرى (١) ١٢٦.
- فناخسرو بن فيروز، أبو الفخر (٣) ٣٩٣.
- ابن فندله، أبو الحسين (٤) ٢٥٨.
- الفنش (١) ١٧٢.
- ابن فهد (٣) ٢٨٠.
- ابن فهد، أبو مسلم (٤) ٣٨١ (٨) ٢٣٤.
- ابن فورتش، أبو القاسم (٣) ٢٠٤.
- ابن فورك، أبو بكر (٣) ٣٣٤ (٥) ١٧٦.
- الفيروزآبادى (صاحب القاموس) (٢) ٣١٦.

حرف القاف

- القابسى، الإمام أبو الحسن (٢) ٢٨٥، ٢٨٨.
- ابن القابلة (محمد بن يحيى الشلطي السبتي) أبو بكر (٤) ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٧.
- أبو قابوس (مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص) (٦) ١٩٥.
- قاييل (٦) ١٢٧.
- القادر (الخليفة العباسي) (٥) ٤٢٣.
- القادر بن ذى النون (١) ٣٤٠ (٢) ١٤٤ (٤) ٣١٧ (٥) ٣٤٥.
- ابن قادوس، أبو عبد الله (القائد) (٤) ٤٦.
- ابن قادوس الدمياطي، أبو الفتح (٢) ٤٥٧.
- قارله (١) ٢١٩، ٢٦٠.
- قارون (٢) ٦٩ (٥) ٣٧٣ (٨) ٨٨، ١٧٨.
- قاسم العقباني، أبو الفضل، انظر: العقباني.
- قاسم بن أحمد الجهني (٢) ١٩٣.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٠٤.
- القاسم بن أحمد المريني اللورقي، علم الدين (٢) ٢١٧، ٢٨٦.
- قاسم بن أصبغ بن محمد البياني، أبو محمد (١) ٣٠٧ (٢) ٢١٥، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٦٢، ٢٩٠، ٢٩٧، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٦، ٣٦٧ (٣) ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٤٩ (٤) ١٦، ١٩.
- قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي، أبو محمد (٢) ٢١٧.
- القاسم بن حمود (الملقب بالمأمون) (١) ٢٣٨، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٧ (٢) ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.
- القاسم بن حمود (الملقب بالواثق، حفيد المأمون) (١) ٣٣٧.
- القاسم بن خلف الجبيري الفقيه، أبو عبيد (٣) ١٢٢، ١٢٣.

- قاسم بن زرياب (٣) ٣٨٧، ٣٨٨.
- القاسم بن سلام، انظر: ابن سلام، أبو عبيد (القاسم).
- قاسم بن عبود الرياحي (٢) ١٣، ٢٠.
- قاسم بن علي الملقى (٧) ٥٣.
- القاسم بن الفتح، أبو محمد، انظر: ابن أفريلو، أبو محمد.
- القاسم بن محمد (صاحب الوثائق) (٢) ٢٩٢ (٤) ١٨، ٢١.
- قاسم بن محمد بن الجد الفهري (٧) ٣٥٩.
- قاسم بن محمد الحرالي الملقى، أبو القاسم (٧) ٢٤٨.
- القاسم بن محمد الصنهاجي (٦) ٢٠٣.
- القاسم بن محمد بن القاسم بن حمود (الوثائق) (١) ٣٣٧.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ١٠٤
- سم بن محمد المرواني (٤) ٣٥٨.
- القاسم بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٤) ٣٤٨.
- قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار، أبو محمد (٢) ٢١٨.
- قاسم بن مطرف بن ذى النون (١) ٢٩٨.
- القاسم بن نعم الخلف (٣) ٢٣٧.
- ابن القاسم (صاحب المذهب) (٢) ١٨٨ (٣) ٢٨٤ (٤) ١٥، ٥٠، ٢٣٧ (٦) ١٨٣، ٣٤٣، ٣٤٧.
- ابن القاسم، أبو العباس (٤) ٣٨٦.
- ابن قاسم القيسي، أبو العلاء (٥) ٢٣٤.
- أبو القاسم (٤) ٣٠٢.
- أبو القاسم (٦) ١٦٩.
- أبو القاسم البلوى الإشبيلي (٤) ١٣٧.
- أبو القاسم بن حاضر انظر: محمد بن أحمد بن حاضر أبو القاسم الحسنی (٩) ١٣٨.
- أبو القاسم الخولاني (٣) ٣٣٨.
- أبو القاسم الزيدي (٣) ٢٣١.
- أبو القاسم الشاطبي، انظر: أبو القاسم بن فيرة.
- ابن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي.
- أبو القاسم الشحامي (٢) ٣٠١.
- أبو القاسم الشراط القرطبي (٢) ٣٠٥.
- أبو القاسم (محمد بن أحمد بن محمد الحسنی، قاضي الجماعة) الشريف السبتي (٦) ٨٠، ٨٣، ٨٤، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٦، ٢١٨، ٣٦٥ (٧) ٧٨، ٣٠٩، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٠ (٩) ٤، ٢٢.
- أبو القاسم الصفار (٤) ١٧٨.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٠٥

- أبو القاسم الصيرفي (٦) ٢٨٧.
- أبو القاسم القبتوري (٤) ٢٤٩.
- أبو القاسم الوراق (٢) ٢٥٠.
- أبو القاسم (إبراهيم بن محمد بن الإفيلي)، انظر: ابن الإفيلي.
- أبو القاسم بن أبي بكر بن عبد العزيز (٥) ١٤.
- أبي القاسم بن أبي الوليد الباجي (٢) ٢٣١.
- أبو القاسم بن إدريس (٦) ٥٢.
- أبو القاسم بن حبيب النيسابوري (٢) ٢٩٨.
- أبو القاسم بن الحصين (٢) ٢٦٩ (٣) ٢٢٣.
- أبو القاسم بن أبي حفص الهوزني (٣) ٢٢٥.
- أبو القاسم بن حبيش (٥) ٢٠٥.
- أبو القاسم بن خلف (١) ١٦٢.
- أبو القاسم بن رضوان، انظر: ابن رضوان.
- أبو القاسم بن عبد المنعم (٤) ٣٩٤.
- أبو القاسم بن عيسى (٢) ٢٨٦، ٣٣٣.
- أبو القاسم بن غالب (٢) ٢٢٩.
- أبو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي (٢) ١٩٦، ١٩٨.
- أبو القاسم بن محمد الغساني الوزير الطيب (٢) ٣٧٦.
- أبو القاسم بن محمد اليماني الشافعي (٦) ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣.
- أبو القاسم المنيشي (٨) ٢٤٥.
- القاشاني، أبو الحسن (٢) ٣٨.
- القاضي (إسماعيل) (٢) ٣٦٦.
- القاضي عبد الوهاب (٣) ٣٧٣، ٣٧٤.
- القاضي عياض، انظر: عياض (القاضي).
- القاضي الفاضل (١) ٤٦ (٣) ٢٥٩.
- قالون (٧) ٢١١.
- القالى (إسماعيل بن القاسم البغدادي) أبو علي (١) ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٠٠ (٢) ١٢٥، ١٣٧، ١٩٤، ٢١٧، ٢٣٥، ٢٩٧ (٣) ٢٣٨، ٢٥٣، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٦٠ (٤) ١٣، ١٦، ١٨، ٢٥، ٨٦، ٢٦٢ (٥) ٢٥، ١٠٣.
- ابن قانع (٣) ٢٨٩.
- قايتباي (السلطان) (٣) ٢٨٥.
- القائم بأمر الله العباسي (٣) ٣٧٣.
- ابن قباذ (من الأكاسرة) (٩) ٣١٤.
- القبشي (٢) ٢٢٦.

- ابن القبطرنة، أبو بكر (٢) ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠ (٤) ٩١، ٩٣، ١٤١، ١٤٢، ٣٤١، ٣٧٩، ٣٨٠ (٥) ٢٢٧.
- ابن القبطرنة، أبو الحسن (٢) ١٤٠.
- ابن القبطرنة، أبو محمد (٢) ١٣٩، ١٤٠.
- القبنطور (٤) ٣٩٣.
- ابن القبيطي، أبو طالب (٢) ٢٢٨.
- قتادة (المحدث) (٣) ١١٥ (٨) ١٤٠.
- ابن قتيبة (٢) ٢١٦، ٣٥٤ (٣) ١٤٣، ٣٩١ (٥) ٢٤، ٢٥، ٢٠٢.
- قحطان (أبو العرب) (٢) ١٥٥.
- قحطان بن الهميسع (١) ٢٣٣.
- قحطان بن هود (١) ٢٣٣.
- ابن قداح، أبو علي (٦) ٢١٢.
- قدامة بن جعفر (٣) ٢٥٨.
- القدوري (٦) ٣٥٠.
- القرافي (٢) ٢٢٠ (٦) ١٨٤، ١٩٢، ٣٤٩، ٣٥١.
- قراقوش (مملوك بني أيوب) (٣) ٣٤٥ (٥) ٢٨٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٠٦.
- القرطبي المفسر (٢) ٢١٦، ٣٤٥، ٣٤٦ (٣) ٢٧٧، (٦) ٣٤٩.
- القرطبي (محمد بن سعد) أبو بكر (٢) ٢٧٠.
- ابن قرقول (إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم) أبو إسحاق (٣) ٢٥٣، ٣٤٢.
- ابن قرناص (٤) ١٤٢.
- قرّة (محدث) (١) ٧٠.
- أبو قرّة النصراني، انظر: وانوس أبو قرّة.
- القزاز (محدث) (٣) ٢٢٧ (٥) ٤٦.
- ابن القزاز (شيخ القيروان في اللغة) (٢) ٢٤٤.
- ابن قرمان، أبو بكر (٤) ١٨٦، ٣٩٥ (٥) ٢١٣، ٢١٤ (٦) ٣٧ (٨) ٢١٤، ٢١٥.
- القزويني، جلال الدين (٦) ١٨٢، ٣٢٥، ٣٤٩.
- قس بن ساعدة الإيادي (١) ٦٩ (٣) ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨٦ (٥) ٥٨، ٢٢٤، ٣٢٧ (٦) ١٩، ٢٩، ٣٧٣ (٧) ١٨٤، ٢٠٥، ٢٤٧، ٢٣١ (٨) ٢٢٩.
- القسطلي (١) ٣١٦.
- القسطلي الشاعر، انظر: ابن دراج القسطلي.
- قسطنطين بن ليون (صاحب القسطنطينية) (١) ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧.
- قسمنة بنت إسماعيل (٤) ٣٠٤.
- قسي بن منبه بن بكر بن هوازن (١) ٢٣٢.

- ابن قسى (الثائر فى ثورة المردين) (٨) ٢٤.
- القشبرى (عبد الكرىم) أبو القاسم (٢) ٢٢١ (٣) ١٢٨، ٣٣٧ (٦) ٢٣٤ (٨) ٣٢٠.
- القصار التونسى، أبو العباس (٣) ٥٤، ٦٥، ٣٥٣.
- ابن القصار، أبو عبد الله (٦) ٢٠٩.
- قصير (٥) ٤١ (٩) ٢٤٦.
- ابن قصير انظر: أحمد بن القاسم الإشبلى.
- ابن القصيرة، أبو بكر (٥) ٢٦٨، ٢٧٢ (٨) ٢٢٦.
- القضاعى (صاحب الشهاب) (٢) ٣٠١ (٣) ١٩٩ (٦) ٢٨١.
- القضاعى (محدث) (٢) ٢٦٦.
- القضاعى، أبو الحجاج (٣) ٢٣٥.
- ابن القطاع (صاحب الدرّة الخيرة) (٢) ٣٨٧ (٥) ٢٧٧.
- ابن القطاع (صاحب كتاب المقصور و الممدود) (٣) ٣٤٣.
- القطامى (٣) ٢٦٤.
- ابن القطان (٨) ٢٣٦.
- ابن القطان، أبو الحسن (٣) ٣٩٣ (٤) ٢٣ (٥) ٩٦.
- ابن القطان أبو عبد الله (٢) ٣٤٤.
- ابن القطان (هبة الله بن الفضل) أبو القاسم (٢) ٢٨٤ (٣) ٢٥٢.
- قطب الدين الخيزرى الحافظ (٢) ٥٥.
- قطب الدين الشيرازى (٦) ٢٠٤.
- قطب الدين القسطلانى (٦) ٢٠٥.
- قطب الدين عبد الكرىم (٢) ٢٢٤.
- أم القطب القسطلانى (٢) ٢٢١.
- ابن قطبة الفقيه (٧) ٤.
- ابن قطرال (٦) ٢١١ (٩) ٢٤٥.
- ابن قطرال المراكشى، أبو عبد الله (٦) ١٨٥.
- ابن قطرال المغربى (١) ٤٢.
- قطرب (٣) ١٤٣.
- قطن بن عبد الملك الفهرى (١) ١٩٢ (٣) ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١.
- القطنى (مالك بن على بن قطن) (٤) ١٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٠٧.
- القطيعى (محدث) (٢) ٢٨١.
- الققعاع بن شور (٥) ٤٢٤.
- القعنبنى (٣) ٢٠٣.

- ابن قلاقس الإسكندري (عبد الله بن علي) (١) ٧٧ (٤) ٨٠ (٧) ٦٤.
- ابن قلاقس (الأعز) (٤) ٨١، ٨٣.
- قلاوون (الملك المنصور سيف الدنيا و الدين) (١) ٢٥٤ (٥) ٢٨٧، ٢٨٨ (٦) ٧٦.
- القلشاني (٣) ٢٧٧.
- القلصادي (علي بن محمد) أبو الحسن (٣) ٢٧٧ (٧) ٣٥٢، ٣٥٤ (٨) ١٤٣.
- القلفاط (محمد بن يحيى) أبو عبد الله (٤) ١١٣ (٥) ٦٦.
- القلقشندی (٣) ٥٠، ٦٤ (٩) ١٧٣، ١٧٦.
- القلندر (عبد العزيز البطليوسي) أبو الأصبغ (٤) ٢٤٠.
- القماح (محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٦) ٣٢٥.
- القمارشي، أبو زيد (٢) ٢١٤.
- القمجيطه (امرأة أذفونش) (٦) ١٣٦.
- قمر (جارية ابن حجاج) (٣) ٣٩٧.
- القميحي، أبو البركات (٥) ٦٢، ٦٣.
- القنازعي (عبد الرحمن بن مروان) أبو المطرف (٣) ١٢٢.
- القنيطور، انظر: السيد الكنيطور.
- ابن قنغد، انظر: ابن الخطيب القسطيني.
- القواس البغدادي، أبو بكر بن عباس بن غريب (٣) ١٥٥.
- ابن القواس (٣) ١٤٣.
- ابن القويح (محمد بن محمد) ركن الدين (٢) ٣٥٧.
- القورى (٦) ٢٨٤، ٣٥٧ (٧) ٣١٧.
- ابن القوطية (محمد بن عمر بن عبد العزيز) أبو بكر (٣) ٢٩٣، ٣٤٣ (٤) ١٨، ٣٩٦.
- ابن القوق (محمد بن عبد الله الخولاني الباجي) أبو عبد الله (٢) ٣٧١.
- القيجاطي (علي بن عمر بن إبراهيم) أبو الحسن (٦) ٦٣، ٣١٧ (٧) ٤٧، ٤٨، ٥٢، ١٣٥.
- القيجاطي، أبو العباس (٤) ٣٩٣.
- القيجاطي (محمد بن عبد الجليل) أبو عبد الله (٦) ٢٨٠، ٣٥٤.
- القيجاطي، أبو علي (٢) ٣٦٥ (٧) ٥٣، ٣٢٦.
- القيجاطي، أبو المعالي (٤) ١٢٢.
- القيراطي، برهان الدين (٣) ٢٣.
- قيس (٩) ٥.
- قيس (في شعر السلفي) (٣) ٣٣٧.
- قيس بن الخطيم (٣) ٢٦٩.
- قيس بن ذريح (قيس لبي) (٧) ٢٤١.
- قيس بن سعد بن عبادة (١) ٢٣٤ (٣) ٣٢٩ (٧) ٢٤١.

- قيس بن عاصم (٥) ٤١٩، ٤٢٦ (٦) ٩٧، ٢٤١.
 قيس عيلان (١) ٢٣٢ (٨) ٣٠١.
 قيس بن الملوح (المجنون) (٢) ١٩٤، ٣٢٢ (٣) ٧٢ (٦) ٣٩ (٧) ٢٤١ (٨) ٢٩٥ (٩) ٢١٤، ٢١٥.
 قيس بن أبي الحجاج يوسف النصرى (٦) ١١٧، ١١٧.
 القيسراني، (٣) ٢٥٢.
 القيسراني، أبو الرضى (٢) ٣٦٧.
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٠٨.
 القيسى (٣) ٣٣٢.
 قيصر (١) ١٣٧ (٢) ١٤٩، ١٥٣ (٥) ١٢٤ (٦) ٢٠، ٩٥، ٩٧، ٣٣١ (٨) ٧٠، ٧٨، ٨٨، ٢٠١، ٢٦٠ (٩) ١٤٧، ٣٢١، ٣٤٧.
 ابن قيم الجوزية، شمس الدين (٦) ٢١٠، ٢٣٠.

حرف الكاف

- ابن الكازرونى، (المقري) (٢) ٢١٢.
 الكازرينى، أبو العباس (٣) ٢٣١.
 ابن الكاس انظر: ابن غازى بن كاس.
 كافور (غلام صاعد) (٣) ٣٥١.
 الكامل بن العادل بن أيوب (٢) ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٠، ٤١٩ (٣) ١١، ٢٧٧، ٣٩٣، ٣٩٤ (٥) ٢٤٩.
 ابن الكتانى (محمد بن الحسن المذحجى) (٤) ٢٠، ٢٢٤ (٥) ٢٢٤.
 الكتبى (المؤرخ) (٢) ٣٤٦.
 ابن كتشفرى الخطابى الصيرفى، شمس الدين (٦) ٣٢٥.
 الكتندى (٥) ١٠٦.
 الكتندى الشاعر (محمد بن عبد الرحمن) (٤) ٢٧٨، ٢٩٢، ٢٩٣ (٥) ٢١٤.
 ابن كتيلة (٣) ٣٧٣.
 كثير الشلبى (سليمان بن على) أبو الربيع (٤) ٣٣٧.
 كثير عزة (٣) ٨٠.
 ابن كثير (٣) ١٥٧.
 ابن الكثير (محدث بالعراق) (٢) ٢٨١.
 ابن كثير، عماد الدين (٣) ٣٩٥.
 أبو كثير الطريفى (٥) ١٨.
 ابن كحيل التجانى، انظر: التجانى، شمس الدين ابن كحيل.
 أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح (٥) ١٠٣.
 الكرسوطى الفاسى (محمد بن عبد الرحمن) أبو عبد الله (٧) ٢١٣، ٣٧١.
 الكرمانى (عمر) أبو الحكم (٤) ١٧٨.

- الكروخي، (٣) ١٩٩.
- الكروخي، أبو البدر (٣) ١٦٥.
- الكروخي، أبو الفتح (٣) ١٩٩.
- كريمة المروزيه (٢) ٣٠٢ (٣) ٢٠٤.
- الكساد (أحمد المقريني) (٥) ١١، ٦٨.
- الكسائي (٣) ١٤٣، ١٥٧، (٤) ١٨ (٥) ٢٦، ٢٧، ٣١.
- كسرى (١) ٩٩ (٢) ١٤٩، ٤١١ (٥) ١٢٤، ٣٧٣ (٦) ٣٥، ٩٥، ٩٧، ١٤٩، (٧) ٢٢، ٣٧، ٢١١، ٢٢٠، ٣٠٢، (٨) ٣٩، ٧٠، ٧٨، ٨٨، ٨٩، ١٢١، ١٨٢ (٩) ٣١٤، ٣٢١.
- كسرى أنو شروان (٦) ٩٦ (٩) ٢٤٦.
- الكسعي (٧) ٤٨.
- كشاجم (١) ٢٤٧.
- ابن قطبه (٧) ٤.
- كعب بن زهير (٣) ١١٣، ١٧٣، ٢٧٤ (٦) ٣٠ (٨) ١٩٠.
- كعب بن سعد الغنوي (٥) ٧٩.
- كعب بن مامه الإيادي (١) ٢٣ (٥) ٤٢٤ (٧) ١٨٥، ٣٠٣ (٨) ١٠٨، ٢٣٦.
- الكفعمي (إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد) (٩) ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩.
- الكفيف ابن أبي العباس التدرومي (٦) ٣٥٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٠٩.
- ابن كلاب (٦) ٢٤٧.
- الكلاباذي، أبو نصر (٣) ٩٨، ٣٣٤.
- كلثوم بن عياض (١) ١٩٢ (٣) ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٢٦، ٣٠٠.
- كلده (ملك الفرنجة بالشرق) (١) ٢٨٥، ٢٨٦.
- الكلشني، محمد بن سعد (٢) ٣٠٥، ٣١٥ (٣) ٥٧، ٦٦.
- كليب (٦) ٣٠٢.
- كليب بن همام البياسي (٨) ٢٨.
- ابن كليب، أبو الفرج (٢) ٣٤٨.
- ابن الكماد (٧) ٥٤.
- ابن الكماد، أبو عبد الله (٦) ٣١٩.
- ابن كماشه، أبو الحسن (٦) ٢٩٧.
- كمال الدين الأذفوي (٣) ١٤٧.
- كمال الدين الأنصاري (١) ٢٤٨.
- كمال الدين التنوخي (١) ٨٥.
- كمال الدين بن جمال الدين إبراهيم الحلبي (٨) ٢٩٦.

كمال الدين بن خير السكندري (٣) ٢٧٩.

الكميت (الشاعر) (٣) ٣٢٣.

الكميت (البطليوسي) (٤) ٢٤١.

الكندي (٤) ٣٥.

ابن كنعان (٣) ٣٦.

ابن كوثر، أبو الحسن (٣) ١٩٩.

ابن كوثر (يوسف) أبو عمر (٤) ٢٤٦.

الكنيا، أبو الحسن الطبري (٢) ٣٠١.

الكيزاني، أبو عبد الله (٣) ١١٨.

كيسان (النحوي أبو سليمان الهجيمي) (٤) ٣٨١.

حرف اللام

لب، أبو القاسم (٤) ٣٧٩.

لب بن عبد الوارث القلعي، أبو عيسى (٤) ٣٠٨، ٣٠٩.

ابن لب، أبو سعيد (٤) ٢١٨ (٩) ٤.

ابن لبابة (٢) ٢١٩.

ابن لبال، أبو الحسن (٢) ٢٦٨ (٤) ٢٣٢ (٥) ١٣.

ابن اللبانه، أبو بكر (١) ١٤٤ (٢) ١٥٧ (٤) ٣٧، ١٤٤، ١٥٤، ١٧٢، ١٧٣، ٣٧٤، ٤١٧، (٥) ٣٩، ٤١، ٩١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٨، ١٤٥،

١٦٦، ١٧٠، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٩٥، ١٩٩ (٨) ٢٢٦، ٢٣٦.

لبنى (صاحبة قيس بن ذريح) (٨) ١٤٧.

ابن لبون، أبو عثمان (٦) ٢٩٧.

ابن لبون، أبو عيسى (٢) ١٤٨، ١٦٤ (٤) ١٤٤، ٣٦٢ (٥) ٢٢٩.

ابن اللثبية (٩) ٢٤٢.

اللحيانى، أبو الحسن (٦) ٣١٤.

اللخمي (٢) ٣٦٣ (٦) ١٨٤.

لذريق، (رذريق) (١) ١٢٦، ١٣١، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٤،

٢٣٧، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٥ (٥) ٢٦١، ٣٤٥ (٦) ٣٥.

أم لذريق بن بلاشك القومس (١) ٢٩٩.

لسان الدين بن الخطيب (محمد بن عبد الله) أبو عبد الله (١) ١٧، ٢٥، ٦٨، ٧٤، ٧٩، ٨١، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١١٠

١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٧، ١٣١، ١٣٢، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٤، ١٧٩، ١٨٨، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٤، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٤٨ (٢) ٤٢، ٤٣، ٤٧،

٢٧٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٩٤ (٣) ١٣، ٤٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٨٣، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٥٣، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٧٥ (٤) ١٨٤، ٣٣٠، ٣٩١، ٣٩٥ (٥) ٤٢، ٤٣، ٤٣،

١٥٠، ١٥١، ٢١٢، ٢٥٧، ٢٠٣، ٢٣٤، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٦، ٤٠٠، ٤١٠، ٤٣٢ (٦) ٣، ٥، ٧، ١٠،

١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ٢٥، ٣١، ٤٢، ٤٦، ٥٣، ٥٨، ٥٣، ٤٦، ٤٧، ٧٠، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٩، ١٨١، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٥٨، ٣٧٠، ٣٨٠ (٧) ٣، ٤، ٩، ١٥، ١٦، ٢٦، ٣٠، ٣٩، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٦، ٧٥، ٧٨، ٨١، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٥٩، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٤ (٨) ٣، ٣٢، ٣٩، ٤٢، ٤٧، ٤٩، ٥٤، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٧٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٩، ١٧١، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٦، ٢١١، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١١١

٢٩١، ٣١٠، ٣١٥، ٣٥٥ (٩) ٣، ١٢، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٦، ٥١، ١٩٤، ١١٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٨، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٨٣، ٢١١، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٥٧.

الليث (ابن سيد) أبو العباس (٤) ٢٥٨ (٥) ٥٥، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١.

لقمان (٥) ٢٣٤ (٦) ٢٢، ٢٩ (٩) ١٧٠، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٦، ٢٢٩.

ابن اللمائي (أحمد بن أيوب) أبو جعفر (٤) ٣٥، ٣٢٠، ٣٦١ (٥) ٨٩.

أبو لهب (٢) ٢٧٢ (٩) ١٧٨، ١٨١.

ابن اللوشى، أبو عبد الله (٤) ١٥٥ (٦) ٧ (٩) ٥، ٢٣.

ابن لؤلؤة (محمد بن علي بن يوسف السكوني) (٧) ٥٦.

أبو لؤلؤة (٦) ١٣٠.

اللؤلؤى (٣) ١٤١، ١٦٥.

اللؤلؤى، أبو إبراهيم (٢) ١٩٣، ١٩٤.

اللؤلؤى، أبو بكر (٤) ٣٢٨.

لؤى بن غالب (٧) ٢٧٤ (٩) ١٣٥.

الليث بن سعد (١) ١٩٤، ٢٢٢، ٢٢٩ (٢)، ١٨٧، ١٨٨، ٢١٥، ٢٨٨.

الليث بن سليمان (التميمي) (٣) ١٧٩.

ليلى أخت بنى بشر (٨) ٢٦١.

ليلى العامرية (في شعر أبي الحسين سالم بن محمد) (٤) ٥ (٦) ٣٠٠ (٨) ٢١، ٣٣، ٣٨.

ابن ليون التجيبي، أبو عثمان (٧) ٨١، ١٣٥، ١٣٦.

المارتلى (الميرتلى) الزاهد (موسى بن عمران) أبو عمران (٢) ٢٠٠ (٣) ١٠٤ (٤) ٥٧ (٤) ١١٤ (٤) ٤٥.
ماروت (٧) ١٧٩.

ماریة (سریة الرسول) (٢) ٢٩٦.

ماریة (صاحبة القرطین) (٥) ٣٩٣.

المازرى، أبو عبد الله (٢) ٧٩، ٣٠٠، ٣٠٣ (٣) ٢٣٦، ٢٤١ (٤) ٢٥١، ٣٤٩.

المازنى (٣) ١٤٣.

المازنى (محمد بن حازم) (٣) ١٥٥.

المازنى، أبو عثمان (٣) ١٦٦، ٢٤ (٤) ٢٤.

المازونى (٤) ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٦.

ابن ماسای (مسعود) (٤) ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩ (٧) ٢٩٣.

ابن ماكولا (٢) ٢٣١، ٢٦٦، ٢٦٧.

مالك (٧) ٢٢٦.

مالك (صديق عقيل) (٢) ١٢٧، ١٦٧، ٣٧٤ (٤) ٢٩٨.

مالك بن الأشتر (٤) ١٣١.

مالك بن أنس (١) ١٠٤، ٢٣٦، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠ (٢) ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٥، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٥،

٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٦٠، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٦٣، ٤٥١ (٣) ٥٣، ١١٧،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١١٢

١١٧، ١٢٠، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٧، ١٣٨، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٩٦

(٤) ١٥، ١٦، ١٧، ٤٠، ٤١، ٢٣٧ (٥) ٩٠، ٩٥ (٦) ١٠، ١٠٥، ١٧٤، ١٨٣، ١٩٧، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٨٥، ٢٩٤، ٣٥٢ (٧) ٧٤ (٨) ٢١٢،

٢٩٧، ٢٩٨، ٣١٦ (٩) ٢٣٧.

مالك بن عبد الله العتبي (٢) ٣٦٩.

مالك بن مالك (٣) ٢٣٥.

مالك بن المرحل السبتي، أبو الحكم (٢) ٣٦٣ (٣) ١٥٦ (٥) ٨١، ٨٤ (٦) ٢٠٣، ٢٠٤ (٩) ٢٧٨، ٢٧٤.

مالك بن نويرة (١) ١٥١ (٥) ١٨٠ (٨) ١٠٥، ١٦٦.

مالك بن وهيب (٤) ٢٦٣.

ابن مالك الرعيني (الشاعر) (١) ١٤٩.

ابن مالك القطيعي، أبو بكر (٣) ٢٠٣، ٣٦١ (٤) ٢٥٠، ٢٥٢.

ابن مالك (النحوي) أبو عبد الله (٢) ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤ (٣) ٩٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٧، ٢٥٣، ٢٧٨

(٤) ٢٤٣، ٢٤٤ (٤) ١٥، ١٩٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧ (٧) ٣٤٥، ١٥٠، ٢١٥.

ابن مالك (الوزير) أبو محمد (٢) ١٦٦، ١٦٣ (٤) ٦٣.

أم مالك (في شعر ابن زمرك) (٩) ٥.

أم مالك (في شعر علي بن جودي) (٨) ٢٤٩.

المأمون (العباسي) (١) ٢٦٧، ٢٧٢، ٣٤٠ (٢) ١٢٥، ١٢٦، ٢٠٥، ٣٨١، ٤٧٦ (٣) ٩٠، ١٤٣، ٣٨٩، ٣٩٠ (٤) ٢٣٨، ٢٤٧ (٨) ١٠٨، ٢٩٩

(٩) ١٦٥.

المأمون بن البطائحي (الوزير) (٢) ٢٤٧، ٤١٥.

المأمون بن حمود، انظر: القاسم بن حمود (الملقب بالمأمون).

المأمون بن ذى النون (يحيى) (٢) ٥٩، ٦٠، ١٤٣، ١٤٤، (٣) ١٦٩، ٣٧٣، ٣٧٤ (٤) ٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٨، ٣١٧، ٣٣١، ٣٦٢ (٥) ٧٣، ٧٦، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤ (٦) ٣٦ (٨) ٢٠٧.

المأمون بن عبد المؤمن (٢) ٤٧٦ (٥) ٣٥٢.

المأمون بن المعتمد بن عباد (٥) ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩.

المأمون بن المنصور الموحدى (٤) ٢٧، ٢٥٥.

المأمون بن المنصور بن أبي عامر، انظر: عبد الرحمن بن أبي عامر. ابن مامة الإيادي، انظر: كعب بن مامة.

مامية الرومي (محمد بن أحمد بن عبد الله) (١) ١١٣.

ماني (٣) ٣٦.

ابن ماهان (علي بن عيسى) (٢) ٣٦٤ (٦) ٣٥.

مبارك بن إبراهيم (٨) ١٠٤.

مبارك بن سعيد (٣) ٢٢٤.

المبارك بن الطباخ البغدادي، أبو محمد (٣) ١٢١.

المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، أبو الحسين

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١١٣

(٢) ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٩٩.

المبرد (محمد بن يزيد) أبو العباس (٢) ٤٠، ٢١٦، ٢٩٦ (٣) ١٤٣، ١٦٦، ٣٩١ (٤) ١٨، ٢٢، ٢٦٢ (٥) ٧٥، ١٠٣ (٦) ١٦٣.

المبرقع (خلف بن سعيد بن عبد الله بن زرارة) أبو القاسم بن المرابط (٢) ٢٦٠.

مبشر بن سليمان، ناصر الدولة (صاحب ميورقة) (٥) ١٨٢ (٦) ١٥٥.

متعة (جارية زرياب) (٣) ٣٨٩.

المتفتل (٤) ١٤٣.

المتلمس (سليمان بن محمد بن بطال البظليوسي) أبو أيوب (٤) ١١١، ٢٣٩.

متمم بن نويرة (١) ١٥١، (٥) ١٨٠.

المتنبي (١) ١٥٥ (٢) ٣٥٤، ٤٦٨، ٤٧٨ (٣) ٤٠، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ١٥٥، ٣٤١ (٤) ١٩، ٢٢، ٢٥، ٣٣، ٥٤، ٦٤، ٩١، ١٢٣، ١٥٤، ١٨٦، ٢٧٤، ٣٣٥، ٣٤٠، ٤٠٥ (٥) ٤٩، ٨٠، ١٨٣، ١٨٤ (٧) ٢٤١، ٢٦٧، ٣٥٤ (٨) ١٥٦، ٢٤٤.

المتنبي الجزيري (عبد الجبار) أبو طالب (٢) ١٦٣ (٤) ٢٤.

المتوكل الجذامي (محمد بن يوسف) (٥) ٢٨٦.

المتوكل (العباسي) (٢) ١٤١ (٨) ٨٨ (٩) ٧٩.

المتوكل أبو عنان المريني، انظر: أبو عنان المريني.

المتوكل بن الأفضس (عمر بن محمد، صاحب بطليوس) (٢) ١٤٠، ١٥٨، ١٥٩ (٤) ١١٢، ١٤٤، ١٤٥، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٣٧٢، ٣٩٦ (٥)

٩٠، ٢٧١، ٢٧٦.

المتوكل بن هود، انظر: ابن هود الثائر.

المتيطي (٢) ٨٠.

ابن مثبت الغرناطي (محمد بن علي) أبو عبد الله (٦) ٢١٠، ٢١٩، ٣٢٥.

ابن المثنى (عثمان، النحوي) (١) ٢٧٣.

ابن المثنى، أبو المطرف (كاتب ابن ذى النون) (٤) ٣٣١ (٥) ٧٣.

المجاصي، أبو عبد الله (٦) ٢٠٩.

المجاصي (عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم) أبو محمد (٦) ١٩٢، ١٩٤، ٢١٧، ٢٤١، ٣٢٦.

المجاصي المكناسي (أحمد بن عبد الرحمن) (٦) ٢٨٢.

مجاهد (المقري) (٦) ٣٤٩ (٧) ٧١.

مجاهد العامري، أبو الجيش (الملقب بالموفق) (١) ٣٣٢ (٢) ٢٥٣ (٤) ١٨، ٣٠، ١٢٥، ٣٩٧ (٥) ٧٠، ٢٠٢.

ابن مجاهد (٦) ٢٤٢.

ابن مجاهد، أبو بكر (٦) ٢٤٧.

ابن مجاهد، أبو بكر بن يحيى (٢) ٢٩٧.

ابن مجاهد الإشبيلي، أبو عبد الله (٢) ٢٠١.

ابنة مجاهد (٤) ٣٧٥.

ابن مجبر (يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن الفهري) أبو بكر (٤) ٤٣، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩ (٥) ٣٤، ٩٦، ٢٤٦، ٢٨٣.

ابن مجبر، أبو عبد الله (٨) ١٩٧.

أبو المجد (٣) ٥٣.

أبو المجد (قاضي ماردين) (١) ٨٨.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١١٤

مجد الملك بن شمس الخلافة (جعفر بن محمد) (١) ٣٥.

مجد الدين التونسي (٢) ٣٢٩.

مجد الدين عمر بن الحسن بن علي الظاهري، انظر: ابن دحية.

مجنون ليلي، انظر: قيس بن الملوح.

مجير الدين عمر بن الملطي (٣) ١٥٠.

المحاسبى (الحارث بن أسد) (٦) ٢٣٥.

المحاسنى (تاج الدين) (٣) ٥٥، ٨١، ٨٣، ٦٢، ٧٢.

المحاسنى (محمد بن تاج الدين بن أحمد) (٣) ٦١، ٨١، ٨٤.

المحاسنى (يحيى بن أبي الصفا بن أحمد) (٣) ٥٦، ٧٣، ٧٤، ٧٩، ٨٤.

محب بن الحسين (٣) ٢٣٦.

محب الدين الحموي (محمد بن تقي الدين أبي بكر) (٣) ٢٥.

محبوب (الشاعر النحوي) (٤) ١٤٢.

- محمد (مملوك الملك العادل) (٦) ١٩٣.
- محمد البكرى الصديقى (٨) ٢٨٩.
- محمد التطيلي الهذلى (٥) ٨٥.
- محمد الشليبي (أبو عبد الله) (٥) ١٨.
- محمد الصديقى (٢) ٣١٨.
- محمد الصنهاجى البوصيرى، أبو عبد الله (٣) ١٥٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١١٦
- محمد بن الأبار القضاعى البلسنى، انظر: ابن الأبار، أبو عبد الله.
- محمد بن إبراهيم الآبلى، انظر: الآبلى، أبو عبد الله.
- محمد بن إبراهيم الإربلى، أبو عبد الله (٣) ١٢١.
- محمد بن إبراهيم الجحدرى، أبو الفتح (٣) ٣٣٤.
- محمد بن إبراهيم الحضرمى، أبو عبد الله (٦) ٢٩٧.
- محمد بن إبراهيم اليقورى، انظر: اليقورى.
- محمد بن إبراهيم بن أبى الفتح (القائد) أبو عبد الله (٦) ١١٤، ١١٧.
- محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أسود الغسانى، انظر: أبو بكر الغسانى.
- محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقه الشاطبى، انظر: ابن سراقه الشاطبى.
- محمد بن إبراهيم بن حيون، انظر: ابن حيون، أبو عبد الله.
- محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المرى، أبو عبد الله (المعروف بالتتو) (٧) ٣٦٣.
- محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن الإمام، انظر: ابن الإمام أبو الفضل.
- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن غالب، انظر:
ابن غالب المالقى.
- محمد بن إبراهيم بن على بن باق، انظر: ابن باق، أبو عبد الله.
- محمد بن إبراهيم بن مزين الأودى (٣) ١٢٤.
- محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام، انظر: ابن شق الليل الطليبرى.
- محمد بن إبراهيم بن يحيى بن عباد الرندى، انظر: ابن عباد الرندى.
- محمد بن أبى إسحاق بن الحاج (٧) ٢٠، ٢١.
- محمد بن أبى بكر الدلائى (٣) ٩٨.
- محمد بن أبى بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلى التطيلي (٣) ١٥٦.
- محمد بن أبى خالص الرندى، أبو عبد الله (٥) ٣٦.
- محمد بن أبى سعيد الفرج بن عبد الله البزاز (٢) ٢٩٩.
- محمد بن أبى عامر بن حجاج الغافقى الإشبلى (٢) ٢١٣.
- محمد بن أبى عامر (١) ٣٠٨ (٣) ١١١.
- محمد بن أبى عبد الرحمن بن أبى الحسن المرينى (٦) ١٠٠.

- محمد بن أبي العلاء (أثير الدين) أبو الحسن (٣) ٢٢٩.
- محمد بن أبي علاقه البواب (٢) ٢٩٦.
- محمد بن أبي عمرو بن أبي بكر بن الجنان الشاطبي، انظر: ابن الجنان الشاطبي، أبو بكر الوليد.
- محمد بن أبي عيسى (القاضي)، أبو عبد الله (٢) ٨٦.
- محمد بن أبي الفتح، أبو عبد الله (٥) ٣٣١.
- محمد بن أبي الفضل التونسي، أبو عبد الله (٥) ٢٤٢.
- محمد بن أبي الفضل الصباغ، أبو عبد الله (٦) ٢٨٩.
- محمد بن أبي نصر الفتح بن علي الأنصاري (٤) ٣٠٤.
- محمد بن أبي الوليد الباجي (٢) ٢٣٧.
- محمد بن أحمد، أبو النور (٣) ١٩٨.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١١٧
- محمد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي، انظر:
الأبيض، أبو بكر.
- محمد بن أحمد الأنصاري السرقسطي، أبو عبد الله (٢) ٢٩٨.
- محمد بن أحمد الباجي اللخمي، أبو عبد الله (٢) ٣٤٨.
- محمد بن أحمد التجاني، أبو عبد الله، انظر:
التجاني، أبو عبد الله.
- محمد بن أحمد التجيبي، أبو القاسم (٢) ٣٤٦.
- محمد بن أحمد العبدى، أبو يعلى (٣) ٢٢٤.
- محمد بن أحمد غنجار، انظر: غنجار.
- محمد بن أحمد الفريشى أبو عبد الله (٢) ٢٢٩.
- محمد بن أحمد القشتالي، أبو عبد الله (٦) ٢٨٢.
- محمد بن أحمد القيسى القبرى القرطبي، أبو عبد الله (٢) ٣٥٠.
- محمد بن أحمد بن إبراهيم الصدفى (٣) ٢٢٦.
- محمد بن أحمد بن إبراهيم الخزرجي (٢) ٣٠١.
- محمد بن أحمد بن إبراهيم المرادى العشاب (٧) ٣٣٨.
- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطى (٥) ٦٩.
- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، انظر: القرطبي المفسر.
- محمد بن أحمد بن أبي جمعة، انظر: ابن أبي جمعة الوهراني.
- محمد بن أحمد بن أبي عفيف، أبو عبد الله (٦) ٢٨٨.
- محمد بن أحمد بن الأمين الأقسهرى (٩) ٣٠٣.
- محمد بن أحمد بن براجين القشيري (جلال الدين) أبو عبد الله (٦) ٣٢٤.
- محمد بن أحمد بن البناء، انظر: ابن البناء، أبو بكر.

محمد بن أحمد بن جبير، انظر: ابن جبير، أبو الحسين.

محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفي (٤) ٨٦.

محمد بن أحمد بن حاضر الجزيري الخزرجي، أبو القاسم (٢) ٣٤٦.

محمد بن أحمد بن حامد بن الفضل البخاري (٣) ١٧٩.

محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي، انظر: ابن الحداد الوادي آشي، أبو عبد الله الشاعر، أو ابن الحداد بن الوادي آشي، أبو عبد الله المؤرخ.

محمد بن أحمد بن حسن الخزرجي، انظر:

أبو بكر الخزرجي.

محمد بن أحمد بن خليل بن فرج الهاشمي (٢) ٣٤٧.

محمد بن أحمد بن سلمان بن أحمد الزهري الإشبيلي (٢) ٣٤٨.

محمد بن أحمد بن شاطر، انظر: ابن شاطر، أبو عبد الله.

محمد بن أحمد بن عامر السالمي، انظر:

السالمي، أبو عامر.

محمد بن أحمد بن عبد الأعلى بن القاسم القرطبي (المعروف بالورشي) (٢) ٣٤٨.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١١٨

محمد بن أحمد بن عبد الباقي، أبو بكر (٣) ٣٣٤.

محمد بن أحمد بن عبد العزيز القرطبي العتبي، انظر: العتبي، أبو عبد الله.

محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي، أبو مروان (٣) ١١، ١٢٥.

محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي، أبو عبد الله (٦) ١٩٦، ١٩٧.

محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي، انظر: ابن جابر الأندلسي.

محمد بن أحمد بن علي بن محمد القسطلاني (٣) ١٥٥.

محمد بن أحمد بن علي الهواري، انظر: ابن جابر الضرير.

محمد بن أحمد بن فرح القرطبي، انظر: ابن فرح القرطبي.

محمد بن أحمد بن المتأهل العذري، أبو عبد الله (٧) ٣٦٠.

محمد بن أحمد بن محمد العلوي، أبو القاسم (٩) ١٨٤.

محمد بن أحمد بن محمد بن الأزرق، انظر:

ابن الأزرق، أبو بكر.

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكلح، أبو يحيى (٧) ٢١٥.

محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا المعافري، أبو عبد الله (٢) ٣٥٠.

محمد بن أحمد بن محمد بن سهل الأموي الطليطلي، أبو عبد الله (٢) ٣٥٠.

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري.

الشريشي المالكي (٢) ٢٨١، ٢٨٢.

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سجمان (٢) ٣٥١.

- محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني (٣) ١٥٥، ١٦٦.
- محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل (٢) ٣٥٢.
- محمد بن أحمد بن نوح الإشبيلي (٢) ٣٥٣.
- محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القرطبي، انظر: ابن مفرج القرطبي (ابن القتورى).
- محمد بن أحمد بن يزيد القصاص البصرى (٣) ١٦٨.
- محمد بن الأخرم (٣) ٤٠٠.
- محمد بن إدريس القضاعى الأصبطونى (٥) ٨٥.
- محمد بن إدريس بن على (الملقب بالمهدى) (١) ٣٣٦، ٣٣٧.
- محمد بن إدريس بن على، أبو عبد الله (الشاعر)، انظر: ابن مرج الكحل.
- محمد بن أرفع رأسه، انظر: ابن أرفع رأسه، أبو بكر.
- محمد بن أسباط المخزومى القرطبي (٢) ٣٥٣.
- محمد بن إسحاق، أبو بكر، انظر: ابن السليم.
- محمد بن إسماعيل (كاتب المنصور بن أبى عامر) (١) ٣٢٧ (٣) ٣٥٦.
- محمد بن إسماعيل الصائغ (٢) ٢١٦.
- محمد بن إسماعيل بن محمد بن فرج (من بنى نصر) (٦) ٨٠ (٨) ٥٠.
- محمد بن أفلح (مولى الحكم المستنصر) (١) ٣٠٢ (٣) ٣٥٤.
- محمد بن أوس بن ثابت الأنصارى (١) ٢٢٩ (٣) ٣٣٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١١٩.
- محمد بن أيوب المروانى (٤) ١٥٠.
- محمد بن أيوب بن غالب، انظر: ابن غالب (صاحب فرحة الأنفس).
- محمد بن بركات بن هلال النحوى، أبو عبد الله (٢) ٣٦٥.
- محمد بن بشار (٢) ٣٦٦.
- محمد بن البين البطلوسى، أبو عبد الله (٤) ٢٤١.
- محمد بن التلمسانى، أبو عبد الله (٨) ٣١٦.
- محمد بن تميم، أبو العرب (٣) ٢٩١.
- محمد بن تومرت، انظر: المهدي بن تومرت.
- محمد بن ثعلب المصرى (تاج الدين) أبو عبد الله (٦) ٣٢٥.
- محمد بن جابر الغسانى المكناسى (٦) ١٣٩.
- محمد بن جدار (٧) ٧١.
- محمد بن جعفر الجذامى (٤) ١٩٦.
- محمد بن جعفر بن بيان (٣) ٤٠٠.
- محمد بن الجلاب الفهرى، أبو عبد الله، انظر ابن الجلاب.
- محمد بن الحيان المرسى أبو عبد الله (٩) ٢٣٧.

- محمد بن الحارث الخشني (٢) ٢١٩، (٤) ١٩.
- محمد بن حازم المازني، انظر: المازني (محمد ابن حازم).
- محمد بن حزم بن بكر التنوخي (٢) ٢٩٦.
- محمد بن حسان (٣) ٢٢٤.
- محمد بن الحسن (من جدود ابن خلدون) (٧) ٢٧٨.
- محمد بن الحسن الجبلي النحوي (٤) ٣٨٤.
- محمد بن الحسن الزبيدي، انظر: الزبيدي اللغوي، أبو بكر ...
- محمد بن الحسن العمراني (٧) ٣٣٨.
- محمد بن الحسن المذحجي، انظر: ابن الكتاني.
- محمد بن الحسن بن سعيد التجيبي (٣) ١٢٠.
- محمد بن حسون بن أبي العلاء (٨) ١٧٩.
- محمد بن الحسين (المعروف بالميورقي) (٢) ٣٠٠.
- محمد بن الحسين البروني (٦) ١٩٧.
- محمد بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم الداري الخليلي (٣) ١٥٥.
- محمد بن حسين القرشي الزبيدي التونسي، انظر: الزبيدي التونسي.
- محمد بن الخطيب (٦) ٨٧.
- محمد بن حفص بن جابر (١) ٣٢٧، ٣٢٨.
- محمد بن الحماره، أبو عامر، انظر: ابن الحماره، أبو عامر.
- محمد بن حيان الأوسي الأندلسي، أبو عبد الله (٥) ٢٣٤.
- محمد بن الخشاب، أبو القاسم (شيخ ابن مرزوق الحفيد) (٦) ٣٥٤.
- محمد بن خلف بن موسى البيري (٤) ١٦٠.
- محمد بن داود العسقلاني، أبو بكر (٣) ٣٣٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ١١٩
- مد بن داود بن المكتب (٦) ٢١٤.
- محمد بن الربعي المالكي، أبو عبد الله (٨) ٢٨٩.
- محمد بن زرب (القاضي) (١) ٣١٩.
- محمد بن زرياب (٣) ٣٨٧، ٣٨٨.
- محمد بن زكريا بن عبد الأعلى (٢) ٢١٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٢٠
- محمد بن زيدون، أبو بكر (صاحب الزيدوني) (٣) ٢٣٩.
- محمد بن زيري (٢) ٢٧.
- محمد بن سالم القيسي، أبو عبد الله (٥) ٦٩.
- محمد بن سعد، أبو عبد الله النصري، انظر:

الزغل.

محمد بن سعد الأعرج، أبو عبد الله (٢) ٢٨٨.

محمد بن سعد الكلشني الصوفي، انظر:

الكلشني.

محمد بن سعد بن مردنيش، انظر: ابن مردنيش، أبو عبد الله..

محمد بن سعدون الباجي، أبو عبد الله (٢) ٢٨٧.

محمد بن سعدون التميمي الجزيري (٢) ٢٨٨.

محمد بن سعدون القروي (٢) ٢٤٩.

محمد بن سعدون بن مرجى العبدري (الحافظ) (٢) ٢٨٧.

محمد بن سعيد، أبو بكر (٣) ٣٣٣.

محمد بن سعيد الأندلسي (الفقيه) (٥) ٢٢٠.

محمد بن سعيد الأنماطي، أبو عبد الله (المقري) (٢) ٢٣٠.

محمد بن سعيد الرعيني، أبو عبد الله (٣) ١٦٥.

محمد بن سعيد الزجاجي، انظر: الزجاجي.

محمد بن سعيد الصنهاجي الزموري، انظر:

نقشابو.

محمد بن سعيد الطراز، أبو عبد الله (٣) ٣٣٦.

محمد بن سعيد المهدي (٣) ٣٧٠.

محمد بن سعيد بن إسحاق بن يوسف الأموي القرطبي (٢) ٢٨٨.

محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل (القاضي) (٢) ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥.

محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام القرطبي (٢) ٢٨٨.

محمد بن سفر المريني (و لعله: المريني)، أبو عبد الله (١) ١٣٧، (٤) ٣٧.

محمد بن سليمان المعافري الشاطبي، انظر:

ابن أبي الربيع.

محمد بن سليمان بن الحناط الرعيني القرطبي، انظر: ابن الحناط القرطبي الأعمى الشاعر.

محمد بن سليمان بن طرخان (٣) ٢١٦.

محمد بن سليمان بن علي السطبي، انظر:

السطبي، أبو عبد الله.

محمد بن شخيص (٤) ٢٢.

محمد بن شريح الرعيني، أبو عبد الله (٢) ٢٨٩.

محمد بن شرف الجذامي (٤) ١٩٥.

محمد بن شهاب الدين أبي العباس أحمد بن الغرس الحنفي (تقى الدين) (٣) ١٥٠، ٤٠٣.

محمد بن صالح الأنصاري المالقي (٢) ٢٩٠.

- محمد بن صالح الكنانى الشاطبى، أبو عبد الله (٥) ٢٣٠، ٢٥٠.
- محمد بن صالح المعافى (٢) ٢٩٠، ٢٩٨.
- محمد بن الصفار القرطبى، أبو عبد الله (٢) ٢٧١.
- محمد بن طاهر القيسى التدميرى، أبو عبد الله (المعروف بالشهيد) (٢) ٣٦٤.
- محمد بن طاهر بن على بن عيسى الدانى النحوى، أبو عبد الله (٢) ٢٩٠، ٢٩٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٢١
- محمد بن طلحة الإشبلى، أبو بكر (٤) ٢٦٠.
- محمد بن عاصم، أبو عبد الله، انظر:
الأقشيتين.
- محمد بن عباد (٢) ٢٧.
- محمد بن عبادة (٣) ٢٢٢.
- محمد بن عبادة، انظر: ابن عبادة القزاز الوشاح.
- محمد بن عبد الباقي البزار، أبو بكر (قاضى المارستان) (٣) ١٦٦ (٤) ٢٦٩.
- محمد بن عبد البر الكسنيانى (١) ٢٨٧.
- محمد بن عبد الجبار الطروشى (٢) ٢٤٩.
- محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جهور، انظر: القيجاطى، أبو على.
- محمد بن عبد الحق، أبو عبد الله (٦) ١٦٩.
- محمد بن عبد ربه، أبو عبد الله، انظر: ابن عبد ربه الملقى.
- محمد بن عبد الرحمن التجيبى (٢) ٣٠٤.
- محمد بن عبد الرحمن التوزرى، انظر:
التوزرى، أبو عبد الله.
- محمد بن عبد الرحمن الرندى الحكيم، انظر:
ابن الحكيم، أبو عبد الله.
- محمد بن عبد الرحمن الغرناطى (٥) ٢٢٤.
- محمد بن عبد الرحمن القرشى المقرى (٦) ١٩٣.
- محمد بن عبد الرحمن الكتندى، انظر:
الكتندى الشاعر.
- محمد بن عبد الرحمن الكرسوطى، انظر:
الكرسوطى الفاسى، أبو عبد الله.
- محمد بن عبد المخلص، أبو طاهر (٣) ٣٧٣.
- محمد بن عبد الرحمن بن أبى العز الواسطى، أبو الفرج (٦) ١٩٤.
- محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأزدى بن الدهان (٣) ١٥٥.
- محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان (٣) ٣٣٠.

- محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي (الأمير) (١) ٢٣٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧ (٢) ٨٣، ٩٤، ٣٨٠ (٣) ١٢٨، ٣٢٤، ٣٨١، ٣٩٢، ٣٩٩ (٤) ٧٤، ١٧٥، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٨.
- محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل العبدى (٢) ٣٠٠.
- محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله (ابن الناصر) انظر: المستكفى.
- محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد التجيبى (٣) ١٠.
- محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجى الشاطبى (٣) ٢١٣.
- محمد بن عبد الرحيم المازنى الغرناطى، أبو عبد الله أو أبو حامد (٢) ٣٦٥.
- محمد بن عبد الرحيم الوادى آشى (٧) ٣٢٩.
- محمد بن عبد الرحيم بن أبى العيش، أبو عبد الله (٦) ٢٢٥.
- محمد بن عبد السلام الأصبهاني، أبو المعالى (٢) ٢٤٩.
- محمد بن عبد السلام الخشنى، أبو عبد الله (١) ٣٠٧ (٢) ٣٦٦ (٣) ٢٢٨، ٢٤٠.
- محمد بن عبد السيد الطرابلسى (٦) ٢٥٩.
- محمد بن عبد القادر الشلبى، أبو بكر (٥) ٢٠.
- محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن سعيد العنسى أبو عبد الله.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٢٢
- محمد بن عبد الله الأشجعى (١) ١٩١، ٢٣٢، ٢٣٧ (٣) ٢٩٨.
- محمد بن عبد الله الأنصارى (٣) ١٦٦.
- محمد بن عبد الله البنتى الأندلسى الأنصارى، أبو بكر (٢) ٣٧١.
- محمد بن عبد الله الحضرمى (٥) ٥٩.
- محمد بن عبد الله الخولانى الباجى، انظر:
ابن القوق، أبو عبد الله.
- محمد بن عبد الله الشافعى، أبو بكر (٣) ٢٢٢.
- محمد بن عبد الله العربى العقيلى، أبو عبد الله (٥) ٤١٠، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣١.
- محمد بن عبد الله العمري (٢) ٢١٦.
- محمد بن عبد الله اللوشى الطيب، أبو عبد الله (٢) ٣٧١.
- محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدي، أبو عبد الله (٣) ١٧٩.
- محمد بن عبد الله بن الخطيب، انظر: لسان الدين بن الخطيب، أبو عبد الله.
- محمد بن عبد الله بن الدفاع القرطبى، أبو عبد الله (٢) ٣٦٨.
- محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافرى (٢) ٢٦٨.
- محمد بن عبد الله بن عثمان بن هاجد البلنسى أبو عبد الله (٢) ٣٦٨.
- محمد بن عبد الله بن سوار (٢) ٢١٥.
- محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، انظر: ابن عبد الحكم (محمد).
- محمد بن عبد الله بن عبد النور، أبو عبد الله (٦) ١٩٧.

- محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطي، أبو عبد الله (٦) ٢١٢.
- محمد بن عبد الله بن الفراء، انظر: ابن الفراء النحوي الضرير.
- محمد بن عبد الله بن قاسم، أبو عبد الله (٤) ١٠.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة للقرطبي المالكي (٢) ٣٦٩.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمى المرسى (٢) ٣٦٩.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشي النحوي، أبو عبد الله (٤) ٣٦٩.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي المري (٧) ٣٢٥، ٣٢٦.
- محمد بن عبد الله بن مسرة، انظر: ابن مسرة، أبو عبد الله.
- محمد بن عبد الله بن ميمون (٣) ٢٢٢.
- محمد بن عبد الله بن نمير (٣) ١٢٨.
- محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي (٢) ١٨٨، ١٩٠.
- محمد بن عبد الملك التجيبي، أبو عبد الله (٢) ٢٣٦.
- محمد بن عبد الملك الخزرجي السعدي القرطبي، أبو عبد الله (٢) ٣٦٧.
- محمد بن عبد الملك القيسي المنتوري، انظر:
المنتوري، أبو عبد الله.
- محمد بن عبد الملك القيسي الواعظ (٢) ٢١٠، ٢١١.
- محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي، انظر: ابن أيمن.
- محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز، أبو بكر (٥) ١٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٢٣
- محمد بن عبد الملك بن الناصر (٤) ٣٥٢.
- محمد بن عبد الواحد، أبو عبد الله (٦) ٢١١.
- محمد بن عبد الواحد الدارمي البغدادي، أبو الفضل (٣) ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥.
- محمد بن عبد الواحد الرباطي (٦) ٢٥٩.
- محمد بن عبدون الجبلي العدوي الطيب، أبو عبد الله (٢) ٢٩٧، ٢٧١، ٣٧٢.
- محمد بن عبدون القيرواني، أبو العباس (القاضي) (٤) ١٤.
- محمد بن عبيد الله، أبو الفتح (شاعر بغدادي) (٥) ٩٦.
- محمد بن عبيد الله بن خاقان، انظر: الفتح بن خاقان.
- محمد بن عثمان (ابن عم الوزير ابن غازي) (٦) ٨٨، ٨٩، ٩١.
- محمد بن عدى المنقري، أبو بكر (٦) ١٧٤.
- محمد بن عسقلجة (٢) ٩٤.
- محمد بن عسكر، انظر: ابن عسكر.
- محمد بن عفيف الدين الأبجي الزينبي (٩) ٢٨٥، ٢٨٦.
- محمد بن عقيل الفريابي (٤) ٢١.

- محمد بن علي البياسي الغرناطي، أبو عبد الله و أبو سلمة (٢) ٢٢٤.
- محمد بن علي التجيبي الدهان الغرناطي، أبو عبد الله (٢) ٢٢٤.
- محمد بن علي الجوهرى (٢) ٢١٧.
- محمد بن علي الحفار الأنصارى، انظر:
الحفار، أبو عبد الله.
- محمد بن علي السعدى الضرير ابن الفارض (٣) ١٥٥.
- محمد بن علي الشاطبي، انظر: ابن الصيقل الشاطبي.
- محمد بن علي العبدري المالقي انظر: أبو عبد الله اليتيم.
- محمد بن علي الفخار البيرى، انظر: ابن الفخار البيرى.
- محمد بن علي اللوشى، أبو عبد الله (٤) ٢٨٧.
- محمد بن علي الوجدى، أبو عبد الله (٧) ١٨٠.
- محمد بن علي اليحصبي القرمونى، أبو عبد الله (٢) ٢٧٠.
- محمد بن علي بن أبي رمانة، انظر: ابن أبي رمانة.
- محمد بن علي بن جمال الدين، أبو عبد الله (٦) ٢٠١.
- محمد بن علي بن الحاج، أبو عبد الله (الشيخ الصالح) (٧) ٢١.
- محمد بن علي بن الحسن الشريف ابن راجح، انظر: ابن راجح التونسي الشريف، أبو عبد الله.
- محمد بن علي بن الحسن بن أبي الحسين القرطبي، انظر: ابن أبي الحسين القرطبي.
- محمد بن علي بن الحسين العلوى (٦) ١٩٣.
- محمد بن علي بن خلف التجيبي الإشبيلي (٢) ٢٢٣.
- محمد بن علي بن سعد بن يوسف بن الغنى بالله، أبو عبد الله (من بنى نصر) (٦) ٣، ٦٥، ٧٠، ٧١.
- محمد بن علي بن الصباغ العقيلي (٦) ١٦٢، ١٦٣.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٢٤
- محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولى، انظر: الجزولى، أبو عبد الله.
- محمد بن علي بن علاق، أبو عبد الله (٩) ٢٣.
- محمد بن علي بن عمر العبدري التونسي الشاطبي الأصل، أبو عبد الله (٧) ٣٤١.
- محمد بن علي بن عمر القارى (٣) ٦٣، ٦٤.
- محمد بن علي بن عياش بن مشرف الأدمى، أبو عبد الله (٧) ٢١٦.
- محمد بن علي بن مثبت، انظر: ابن مثبت الغرناطي.
- محمد بن علي بن محمد العبدري، انظر: أبو عبد الله اليتيم.
- محمد بن علي بن محمد بن أبي الربيع القرشى (٢) ٢٢٤.
- محمد بن علي بن محمد بن الأزرق، انظر:
ابن الأزرق، أبو عبد الله.
- محمد بن علي بن محمد بن علي بن خاتمة الأنصارى، أبو عبد الله (٧) ٣٣٠.

- محمد بن علي بن محمد بن هذيل (٢) ٢٢٤.
- محمد بن علي بن مسعود (٦) ١١٨.
- محمد بن علي بن مطيع، انظر: ابن دقيق العيد.
- محمد بن علي بن موسى (أمير ميورقة) (٥) ٣٥٦.
- محمد بن علي بن ياسر الجياني، أبو بكر (٢) ٢٢٣.
- محمد بن علي بن ياسر الجياني، أبو عبد الله (٢) ٣٠١.
- محمد بن علي بن يحيى بن علي الغرناطي، أبو عبد الله (٢) ٢٢٥ (٣) ٢٥٠.
- محمد بن علي بن يوسف السكوني، انظر:
ابن لؤلؤة.
- محمد بن علي بن يوسف الشاطبي، انظر:
الرضي الشاطبي، أبو عبد الله.
- محمد بن عمار البرجي، أبو بكر (كاتب ابن هود) (٤) ١٢٢.
- محمد بن عمار الكلاعي الميورقي، أبو عبد الله (٢) ٢٢٥.
- محمد بن عمر، أبو عبد الله (الشاعر)، انظر:
ابن أخت غانم.
- محمد بن عمر الإشبيلي، أبو عبد الله (٤) ٢٦٠.
- محمد بن عمر القرطبي (٢) ١٩٧.
- محمد بن عمر بن برغوث، أبو عبد الله، انظر: ابن برغوث، أبو عبد الله.
- محمد بن عمر بن جبير الجلياني العكي المالكي (٣) ١٥٦.
- محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي الحافظ، انظر: ابن رشيد السبتي.
- محمد بن عمر بن عبد العزيز، انظر: ابن القوطية...
- محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكشي (٧) ٣٣٩.
- محمد بن عمر بن لبابة المالكي، أبو عبد الله القرطبي (١) ٢١٤ (٢) ١٨٥، ١٩٠، ٢١٨ (٣) ٢٣٨ (٤) ٢٢.
- محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار، انظر:
ابن الفخار القرطبي.
- محمد بن عمرو القرطبي، أبو عبد الله (٢) ٢٢٦.
- محمد بن عياض القرطبي، أبو بكر (٥) ٣٦.
- محمد بن عيسى (عمّ ابن لبابة) (٤) ٢٢.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٢٥
- محمد بن عيسى الأعشي (٣) ١٢٧.
- محمد بن عيسى، أبو عبد الله (كاتب سر المنصور الذهبي) (٨) ٢٦٩.
- محمد بن عيسى، أبو عبد الله (من بني يحيى ابن يحيى) (٤) ٣٣٥.
- محمد بن عيسى البخاري، أبو بكر (٣) ١٧٩.

- محمد بن عيسى الداني ابن اللبانه، انظر: ابن اللبانه، أبو بكر.
- محمد بن عيسى القاضي (١) ٢٩٠ (٢) ١٨٨.
- محمد بن عيسى بن بقاء الأنصاري، أبو عبد الله (٢) ٢٩٨.
- محمد بن عيسى بن دينار الغافقي (٢) ٢٩٥.
- محمد بن عيسى بن سوار الأشبوني (٤) ٣٧٤.
- محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيج، انظر: ابن نجيج الأعشى.
- محمد بن غازي الموصلي (المعروف بابن الفقاعي) (١) ٩١.
- محمد بن غالب الرصافي، انظر: الرصافي البلنسي.
- محمد بن فرج (مولى الطلاع) (٦) ١٦٩.
- محمد بن فطيس الغافقي الإلبيري الزاهد، أبو عبد الله (٢) ٢٢٧ (٣) ٢٣٨.
- محمد بن قاسم (الفقيه) (٣) ٢٢٢، ٢٢٨.
- محمد بن القاسم، أبو بكر (الكاتب)، انظر: اشكنهاده، أبو بكر (٢) ٢٧.
- محمد بن قاسم القيسي، أبو عبد الله القصار (٥) ٢٤٢.
- محمد بن قاسم بن أحمد، انظر: الشديد.
- محمد بن القاسم بن حمود (الملقب بالمعتصم) (١) ٣٣٧ (٤) ٢٦٩.
- محمد بن القاسم بن محمد بن قاسم بن سيار (٢) ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٧.
- محمد بن قلاوون (١) ٢٥٤.
- محمد بن لب الشاطبي، أبو عبد الله (٢) ٢٢٨.
- محمد بن لسان الدين بن الخطيب (٩) ١٣٧.
- محمد بن الليث (٤) ١٧٨.
- محمد بن محرز البلنسي الزهري، أبو بكر (٥) ٢٤٩.
- محمد بن محمد السرقسطي، أبو عبد الله (٣) ٢٨٣.
- محمد بن محمد الغزموني، انظر: الغزموني.
- محمد بن محمد الفارقي (بدر الدين) (٦) ٣٢٥.
- محمد بن محمد القوصوني (٨) ٢٨٩.
- محمد بن محمد المكودي، انظر: المكودي، أبو عبد الله (محمد بن محمد).
- محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي، انظر: أبو البركات بن الحاج البلفيقي.
- محمد بن محمد بن إبراهيم بن عيسى الحميري المالقي (٧) ٣٣١.
- محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، انظر: ابن الجنان الأنصاري، أبو عبد الله.
- محمد بن محمد بن جمهور (٦) ٤٦.
- محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، انظر:

ابن آجروم، أبو عبد الله.

محمد بن محمد بن سعدون الفهري الشتمري (٣) ١٥٧.

محمد بن محمد بن صابر بن بندار المالقي (ضياء الدين) أبو جعفر (٢) ٢٣٠.

محمد بن محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني (٢) ٣٧٢.

محمد بن محمد بن عاصم، انظر: ابن عاصم، أبو بكر.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٢٦

محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد العطار الجزائري، انظر: ابن العطار الجزائري.

محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل المالقي (٧) ٣٣٥.

محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (٧) ٢٠٨.

محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوي انظر: أبو يحيى البلوي.

محمد بن محمد بن عتيق بن رشيق (٢) ٣٧٩.

محمد بن محمد بن محمد (جمال الدين) أبو بكر، انظر: ابن نباتة المصري.

محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري، انظر: ابن بيش العبدري، أبو عبد الله (٣) ١٩٩.

محمد بن محمد بن محمد بن زنون المالقي (٣) ١٥٦.

محمد بن محمد بن محمد بن نصر (ثالث سلاطين بني نصر) (٧) ٤٠.

محمد بن محمد بن مخمش الزيادي، أبو الطاهر (٦) ١٩٥.

محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، أبو عبد الله (٦) ٣٤، ٣٤٨، ٤١٣.

محمد بن محمد بن الناصر، أبو عبيد الله (٤) ١٥٢، ٣٥٥.

محمد بن محمد بن نصر (ثاني سلاطين بني نصر) (٧) ٤٠.

محمد بن محمد بن يحيى، انظر: ابن سلمة، أبو عبد الله.

محمد بن محمود، أبو عبد الله (٣) ٤٠٠.

محمد بن مذحج، أبو بكر (٤) ٢٥٧.

محمد بن مروان بن خطاب، انظر: ابن أبي جمرة، أبو بكر.

محمد بن مسعدة السرقسطي (٨) ٢٨.

محمد بن مسعود الغساني البجاني، أبو عبد الله (٤) ١٨٩.

محمد بن مسلمة (٣) ٢٢٣، ٣٥٦.

محمد بن المشرف أبي عمرو بن الكاتب الشاطبي، انظر: ابن الجنان، أبو الوليد.

محمد بن معاوية القرشي (٢) ٢٦٠، ٢٩٧.

محمد بن معمر، انظر: ابن أخت غانم.

محمد بن المكودي (٧) ٣٤٢.

محمد بن المنذر النيسابوري (٢) ١٩٥.

محمد بن منذر بن محمد (الأمير الأموي) (٤) ٣٤٩.

محمد بن المنصور بن الأفتس (٥) ٣٥٤.

- محمد بن منصور بن علي بن هديّة القرشي، انظر: ابن هديّة.
 محمد بن المنكدر (٢) ٢٩٢.
- محمد بن موسى العقيلي البغدادي (٤) ١٧.
- محمد بن ميمون الحسيني، أبو عبد الله (٥) ٥٧.
- محمد بن الناصر (٤) ٣٥١ (٥) ٢٨٥.
- محمد بن ناصر، أبو الفضل (٢) ٢٨٧.
- محمد بن نصر الفقيه (٣) ١٨٦.
- محمد بن نصر الإشبيلي، أبو بكر (٤) ٢٦٧.
- محمد بن نصر الأوسي، أبو بكر (٤) ٢٨٧.
- محمد بن نصر الدين الأنصاري، أبو المحاسن، انظر: ابن عنين.
- محمد بن نصير الكاتب، أبو القاسم (٥) ٥٦.
- محمد بن نوار (٧) ٣١١.
- محمد بن هانيء الإلبيري، انظر: ابن هانيء الإلبيري.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٢٧
- محمد بن هانيء اللخمي السبتي، أبو عبد الله (٧) ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٠.
- محمد بن هشام المرواني (٤) ٣٤٢.
- محمد بن هشام بن عبد الجبار (١) ٣٣٠ (٢) ٩٣.
- محمد بن واسع (٦) ٢٤٠.
- محمد بن وضاح (٢) ١٢٦، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٩٠، ٣٦٦.
- محمد بن يحيى (أخو ابن فورتنش) (٣) ٢٠٤.
- محمد بن يحيى الأندلسي اللبسي (٣) ٢١٤.
- محمد بن يحيى الباهلي، أبو عبد الله، انظر:
 ابن المسفر.
- محمد بن يحيى البرجي، أبو القاسم (٧) ١٨٨، ١٨٩.
- محمد بن يحيى الرياحي (٤) ٢٢.
- محمد بن يحيى الشلطي، انظر: ابن القابلة السبتي.
- محمد بن يحيى العدني (٢) ٣٦٦.
- محمد بن يحيى القرشي، أبو صادق (٣) ٢١٥.
- محمد بن يحيى القلفاط، انظر: القلفاط.
- محمد بن يحيى بن أبي طالب العزفي السبتي، أبو القاسم (٧) ٣٤٢.
- محمد بن يحيى بن حزم، أبو الوليد، انظر:
 ابن حزم، أبو الوليد.
- محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري أبو الحسين (٣) ١٥٥.

- محمد بن يحيى بن على بن النجار، أبو عبد الله ١٩٧، ١٩٨.
- محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة (القاضي) (٤) ١٧.
- محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائذ (٢) ٢٩٧.
- محمد بن يحيى بن محمد الغساني الرحبي (٩) ١٨٤.
- محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن بكر الأشعري، انظر: أبو عبد الله بن بكر.
- محمد بن يحيى بن مفرج القاضي (٤) ١٧.
- محمد بن يحيى بن يحيى الليثي (٢) ٢٩٥.
- محمد بن يزيد (عامل إفريقية) (١) ١٩١.
- محمد بن يزيد المبرد، انظر: المبرد، أبو العباس.
- محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان (٣) ٣٩٦.
- محمد بن يعقوب أبو عبد الرحمن بن على، انظر: أبو زيان.
- محمد بن يعقوب الشافعي (٣) ٢٦١.
- محمد بن يوسف البرزالي، انظر: البرزالي (علم الدين).
- محمد بن يوسف التاملي، انظر: التاملي.
- محمد بن يوسف الثغري، أبو عبد الله (٨) ١٢٧، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧.
- محمد بن يوسف الغزنوي، أبو الفضل (٣) ٣٩٦.
- محمد بن يوسف الوراق (٤) ١٢.
- محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر، انظر: الغني بالله النصرى.
- محمد بن يوسف بن سعادة، انظر: ابن سعادة، أبو عبد الله.
- محمد بن يوسف بن عبد الرحمن، أبو الأسود (٣) ٣١١، ٣١٢.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٢٨.
- محمد بن يوسف بن عبد الله، انظر: ابن الخياط.
- محمد بن يوسف بن كريم الدين الدمشقي (٣) ٥٨، ٦٠، ٦١.
- محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي، انظر: ابن زمرك.
- محمد بن يوسف بن موسى الأندلسي، انظر:
- ابن مسدي (جمال الدين).
- محمد بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي (٨) ٧٥.
- محمد بن يوسف بن هود (١) ٣٤٤ (٤) ١٢٢.
- محمد الشيخ بن يوسف بن نصر بن الأحمر (مؤسس الدولة) (١) ٣٤٤، ٣٤٧.
- محمد الغني بالله بن أبي الحجاج إسماعيل بن نصر، انظر: الغني بالله النصرى.
- أبو محمد الأجمي (٦) ٢٠٨.
- أبو محمد الثغري (٣) ٢٩١.
- أبو محمد الحضرمي، انظر: عبد المهيم بن محمد الحضرمي.

- أبو محمد الدمياطي (٢) ٢٢٤.
- أبو محمد السعدى (٧) ١٣٦.
- أبو محمد الشلبى (٥) ٥٨.
- أبو محمد (صاحب المدونة) (٦) ٢٢٧.
- أبو محمد الطائى القرطبى (٥) ٥٩.
- أبو محمد العثمانى (٣) ١١٩، ٢٤٠ (٣) ٣٣٧.
- أبو محمد الفهرى (٣) ٣٤١.
- أبو محمد القرطبى (٢) ٢٧٥.
- أبو محمد القلنى (٣) ١٢٤.
- أبو محمد الكلاعى الجيانى (٥) ٢٢٤.
- أبو محمد الملقى، انظر: ابن البيطار.
- أبو محمد المحاربى (٥) ٢٤٣.
- أبو محمد المصرى (٢) ٥٩ (٣) ٣٧٨ (٤) ٢٠٦، ٣٦٨ (٥) ٢٠٤.
- أبو محمد المنوفى (٦) ٢٠٩.
- أبو محمد المنذرى (٣) ١٠٥.
- أبو محمد بن أبى جعفر الفقيه (٣) ٢٣٦.
- أبو محمد بن أبى عمر بن عبد البر انظر: ابن عبد البر أبو محمد..
- أبو محمد بن أيوب الملقى (الشيخ المقرئ) (٧) ١٣٦.
- أبو محمد بن داود (٤) ١٩.
- أبو محمد بن سفيان (٥) ٧٢، ٧٣، ٩٣.
- أبو محمد بن عبد الله (٢) ٣٠٦ (٥) ٢٤٥.
- أبو محمد بن عبيد الله (٢) ٣٠١.
- أبو محمد بن المبارك بن الطباخ (٣) ٣٩٦.
- أبو محمد بن عتاب (٣) ١٢٠.
- أبو محمد بن هارون القرطبى (٢) ٢٢٥.
- أبو محمد بن الوليد (٢) ٢٢٥.
- أبو محمد بن الشيخ (٧) ٢٩٧.
- أبو محمد عبد الباقي الزهرى (٣) ١٢٤.
- أبو محمد عبد الرزاق (٨) ٣١٩.
- أبو محمد عبد الله (٨) ٤٩.
- أبو محمد عبد الله (صاحب فاس) (٣) ٣٧١.
- أبو محمد عبد الله بن إسماعيل (٢) ٢٤٩.
- محمود (ممدوح عباس بن فرناس) (٣) ٣٩١.

- محمود الأصبهاني (٤) ٣٢٥.
- محمود بن سليمان الحلبي (٨) ٢٩٦، ٢٩٧.
- محمود بن ملك شاه (السلطان) (٣) ٢٣٢.
- المحياوي، أبو زكريا (٤) ٢٢٠.
- محيي الدين بن عبد الظاهر، انظر: ابن عبد الظاهر.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٢٩
- محيي الدين بن عربي، انظر: ابن عربي محيي الدين.
- المختار بن أبي عبيد الثقفي (٤) ٦٥ (٩) ٢٤٧.
- المخزومي أبو بكر (١) ١٦٠، ١٦١، ١٦٢ (٤) ٤٢ (٥) ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٣٥٦.
- المخزومي (ابن عميرة) (٥) ٣٥٨.
- ابن مخلوف (٤) ٣٠٩، ٣١٠.
- مدثره (جارية) (١) ٢٧٤.
- مدغليس (أحمد بن الحجاج) أبو عبد الله (٣) ١٠٣ (٤) ١٨٦ (٤) ٣٧ (٨) ٢١٥.
- المدنية (راوية عن مالك بن أنس) (٣) ١١٧.
- أبو مدين (شعيب) (٢) ٣٢٦، ٣٣٨ (٣) ١٤٨، ١٧٠، ١٧١، ٢١٣ (٤) ١٧٢، ١٧٣، ١٨١، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٦٠، ٣٤١، ٣٤٥ (٧) ٢٥٧
- (٨) ٢٩١، ٣٠٧، ٣١١، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٢.
- مذلوبه (الشاعر) (٣) ٢٩.
- ابن المرابط (أبو عبد الله) (٢) ٢٤٩.
- ابن المرابط، أبو القاسم، انظر: المبرقع.
- مراجل (أم ولد) (١) ٢٧٢.
- المرادي (٤) ٣٥٥.
- المراغي، أبو الفتح (٣) ٢٧٨.
- المراغي، زين الدين، أبو بكر (٣) ٢٧٩.
- المرتضى المرواني (١) ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٨ (٢) ٢٤، ٢٥، ٢٦، ١٦٥.
- المرتضى الموحدى (عمر بن إبراهيم بن يوسف ابن عبد المؤمن) (٥) ٢٨٦.
- ابن مرتين، أبو بكر (٤) ٢٠٤، ٢٥٩.
- ابن مرج الكحل (محمد بن إدريس بن علي) أبو عبد الله (٤) ٣٦١ (٥) ١٠٤ (٦) ٤٢، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٢.
- مرجانه (زوجة الناصر) (١) ٢٨٢.
- المرجاني (٤) ١٨١.
- المرجاني، أبو محمد (٤) ٢٠٨.
- ابن المرجاني (الشيخ) (٤) ٢٠٨.
- مرحب اليهودي (٣) ٢٧٣.
- ابن المرخم السديد (يحيى بن سعيد) (٢) ٢٨٣، ٢٨٤.

ابن مردنيش (زيان بن أبي الحملات بن أبي الحجاج يوسف بن سعد) (١) ٢٣٨ (٣) ١٩٢ (٤) ٢٧٠ (٥) ٣٤٦.

ابن مردنيش، أبو البدر (٣) ١٠٠، ١٤٦.

ابن مردنيش (محمد بن سعد) أبو عبد الله (١) ٢٣٨، ٣٤١، ٣٤٢ (٤) ٤٦، ١٣٦، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣٣٤ (٥) ١١٢، ١١٣، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٦٤.

ابن المزريان (٢) ٣٤٨ (٤) ٣٧٦.

ابن مرزقان (٤) ٨٨ ٣٧٦ (٥) ٦٤.

ابن مرزوق، أبو بكر (جد ابن مرزوق) (٦) ٣٤١.

ابن مرزوق الحفيد (محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٦) ٢٠١، ٢٨٠، ٣٢٣، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٣ (٧) ٧٨.

ابن مرزوق الخطيب (محمد) أبو عبد الله (٢) ١١٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠ (٣) ٥٦، ٦٣، ١٤١، ١٤٢، ١٧٨، ١٨٢، ٢٧٧، ٢٨٠ (٤) ٣٠١ (٥) ١٠٠، ٢٣٤، ٢٩٩، ٣٠٢ (٦) ٨٣، ١١٩، ١٢٠.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٣٠

١٢٥، ١٢٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٨١، ١٨٦، ١٨٨، ٢٠١، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٦٠، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢

٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٥٨ (٧) ١٣، ١٤، ١٥، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٠٧

٢٠٧، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢١، ٣٠٧، ٣١٧، ٣٥١ (٨) ٩٣، ٩٥، ١٠٤، ١٠٦، ١٢٠، ١٢٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٨، ١٨٩، ٢٨٩، ٣١٤ (٩) ٤، ١٧، ١٩، ٢٢، ١٥٣، ٢١٦.

ابن مرزوق (محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر) (٦) ٢٠١، ٣٤٦.

ابن مرزوق الكفيف (محمد بن محمد بن أحمد) (٣) ٢٧٧ (٦) ٣٤٦، ٣٤٧.

المرشاني، أبو عبد الله بن مالك (٢) ٣٥٣، ٣٥٥.

مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري (٢) ٢٦٩ (٣) ٣٦٥.

المرشدي (٦) ٣٤٤، ٣٤٥.

ابن مرطير، أبو الحجاج (٥) ٨.

ابن المرعزي (٤) ٢٩٩.

مروان بن الحكم (١) ٣١٤، ٣٣٣ (٣) ٣٢٥، ٣٢٦ (٥) ٢٠٩ (٨) ٨٧.

مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر، انظر: الشريف الطليق.

مروان بن عبد العزيز (ملك بلنسية) (٤) ٢٠٥ (٥) ٣٤٦.

مروان بن محمد بن مروان (الخليفة الأموي) (١) ١٩٢، ٢٥٨ (٦) ٣٥.

مروان بن موسى بن نصير (١) ١٩٤.

مروان بن الناصر (١) ٢٨٧.

أبو مروان بن حيان، انظر: ابن حيان المؤرخ.

أبو مروان بن مسرة: انظر ابن مسرة.

المريسي، بشر (٦) ٢٣٤.

مريم (العدراء) (٥) ٢٠٩، ٢١٠، ٣٨٩ (٦) ١٣٦، ١٥٥ (٩) ١٧٢، ١٧٦، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥.

مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري (٥) ٢٠٩، ٣٠٠.

- المريني (أبو سعيد الحفيد) (٢) ٨٠.
- ابن مزاحم، أبو الحسن (٦) ١٩٩، ٢٢٢.
- ابن مزاحم، أبو عبد الله (٣) ٢٣٩.
- المزدفي (القاضي) (٨) ٣١٠.
- ابن مزروع البصري (٦) ٣٢٤.
- مزدلي، أبو محمد (٥) ٣٤٦.
- المزمزم (٦) ٢٦٤.
- ابن مزني، أبو العباس (٨) ٩٥.
- ابن مزني، أبو زكريا (٨) ٩٥.
- المزني (٢) ٢١٨، ٢٩٠ (٣) ٢٢٢ (٤) ٤٢، ١٧٨ (٦) ١٨٣.
- المزى (الحافظ) (٣) ٨ (٨) ٢٩٢، ٢٩٣.
- المزى (زين الدين) أبو بكر (٢) ٣٥٧، ٣٦٠.
- ابن مزين (٢) ٢١٨.
- المزياتي، أبو القاسم (٣) ١٨٦.
- ابن مساعد، أبو بكر (٩) ١٢٢.
- المسترشد بالله العباسي (٤) ١٥٨.
- المستضيء بالله العباسي (٣) ٢٧٥ (٦) ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦.
- المستظهر (عبد الرحمن بن هشام بن عبد
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٣١
- الجبار) (١) ٢٣٨، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨ (٢) ٢٨، ٢٩ (٤) ٣٢٢ (٥) ١٣٥.
- المستعصم العباسي (٢) ٣١١.
- المستعين الأموي (بقرطبة) انظر: سليمان بن الحكم (الملقب بالمستعين).
- المستعين العباسي (٨) ٨٨.
- المستعين أحمد بن هود (أحمد)، انظر: أحمد ابن يوسف بن أحمد بن سليمان بن هود (الملقب بالمستعين).
- المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن (١) ٢٣٨، ٣٣٤، ٣٣٨ (٥) ١٣٣، ١٣٥، ١٩٣.
- ابن المستكفي (٢) ٣٥٤.
- المستنصر الحفصي (محمد أبو عبد الله بن زكريا ابن عبد الواحد بن أبي حفص) (١) ٢٤٩ (٢) ٣٤٤، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣ (٥) ٥٣، ٦١
- (٦) ١٦٠ (٨) ٨٨.
- المستنصر الحمودي (١) ٣٣٤.
- المستنصر العبيدي (٤) ١٧٩.
- المستنصر المرواني (الحكم بن عبد الرحمن الناصر) (١) ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٣ (٢) ١٤، ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ١٠٥، ١٦٩، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٦، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٥٢، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٩٧ (٣) ٢٢٧، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٤

٣٧٢، ٣٨١، ٣٨٣ (٤) ١٢، ١٩، ٢٧، ٤٩، ١٢٦، ٢٥٢، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٨١، ٣٩٧ (٥) ٤١٥ (٦) ١٠٨ (٨) ٨٨ (١) ٣٠٩.

المستنصر المريني، انظر: أحمد بن أبي سالم المريني، أبو العباس.

المستنصر أبو عبد الله (ابن ملك إفريقية) (٢) ٣٣٨، ٣٤٤ (٥) ٥٣.

المستنصر الموحدى (يوسف بن الناصر بن المنصور) (٢) ٢٧١ (٥) ٢٨٥، ٣٠٥.

ابن المستوفى (٣) ٢٠٦.

مسدد (٢) ٢١٦ (٣) ٤٠.

ابن مسدى (محمد بن يوسف) جمال الدين أبو بكر (٢) ٢٦٥، ٣٠٦، ٣٢٤ (٣) ١٩٥ (٥) ٧٨.

مسرة بن مسلم الصدفى، أبو بكر (٣) ١٢٣.

ابن مسرة (محمد بن عبد الله الجبلى) أبو عبد الله (٢) ٢١٦، ٢٩٦ (٤) ٢٢، ٣٢٨، ٣٢٩ (٨) ٢٨.

ابن مسرة، أبو مروان (٣) ١٢٠، ٢٢٩.

ابن مسعدة الأوسى (الحسيب أبو القاسم) (٤) ٢١٤.

ابن مسعدة (ملك وادى الحجارة) (٤) ٢١٧.

ابن مسعود (من الصحابة) (٤) ١٣.

المسعودى (١) ١١٨، ١٢٩، ١٦٦، ١٧٧، ٢٧٨ (٤) ٢٤، (٥) ٢٦٠.

ابن المسفر (محمد بن يحيى الباهلى) أبو عبد الله (٦) ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٢٠، ٣٢٦.

مسلم بن الحجاج النيسابورى (صاحب الصحيح) (٢) ١٩٨، ٢٢٠، ٢٥٠، ٢٨٠، ٣٠٢، ٣١٦، ٣٣٨، ٣٤٥، ٣٥٤ (٣) ١٢، ٥٣، ٦٣، ١٢٨،

١٤١.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٣٢

١٩٨، ٢١٢، ٢٣٦، ٣٩٣، ٣٩٥ (٤) ٢١، ٢٣ (٦) ٥٣، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٧، ٢٣٠، ٢٨١، ٣١٩، ٣٥٠ (٧) ٥٤، ٢١٣، ٣١٧.

مسلم بن الفضل البغدادى، أبو قتيبة (٢) ٢٦٠.

مسلم بن مخشى المدبجى (٣) ٣٢٩.

مسلم بن يحيى (٣) ٣٩٧.

ابن مسلم، شمس الدين (٦) ٣٢٥.

أبو مسلم الكاتب (شيخ أبي عمرو الدانى) (٢) ٢٨٥.

أبو مسلم الكشى البصرى (٣) ١٦٦.

مسلمة بن أحمد المجريطى (٤) ٢٠ (٨) ٢٨.

مسلمة بن زرعة (٣) ٣٣٠.

مسلمة بن عبد الله العريف المهندس (٢) ٨٧.

مسلمة بن عبد الملك (١) ٢٥٨ (٣) ٢٤٧، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٢٧.

مسلمة بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٥) ٣٤٨، ٣٤٩.

مسلمة بن مخلد (٣) ٣٣٢.

ابن مسلمة، أبو عامر (٤) ٩٥، ٩٦، ٢٦٨، ٣١٨، ٣٦٤ (٥) ٤٤.

ابن مسلمة، أبو الوليد (٥) ٥٥.

المسن بن دويده (٢) ١٦.

المسيح ابن مريم (١) ١٢٦، ١٣٣، ١٤٠، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٨٧، ٣٢٢، (٢) ٥٧، ٢١٢ (٣) ١٤، ١٦، ٣٦، ٤٠، ٥٨، ٩٤ (٤) ٤٢ (٥) ١٢٧، ١٨١، ٣٨٢، ٣٩٣، (٦) ٤٠، ١٢٧، ٢٣٩ (٧) ٣٧، ١٧٧، ٢٠٠، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٨٣، (٨) ١٤٧، ٢٠٢ (٩) ١٠، ١٦٩، ١٧٥، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤.

مسيلمه (الكذاب) (٣) ٣٨١ (٦) ٢٤٨.

المشدالي (محمد بن أبي القاسم) أبو عبد الله (٦) ٣٤٧.

المشدالي (منصور) أبو علي (٦) ٢١٣.

المشدالي (ناصر الدين) أبو علي (٦) ٢١٣، ٣٢٦ (٧) ٢٨.

المشدالي، أبو الفضل (٦) ٣٥٤.

المشدالي (عمران بن موسى) أبو موسى (٦) ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨.

ابن مشرف الأنماطي، أبو الحسن (٢) ٣٠٠، ٣٠٣ (٣) ١٢٤، ٣٣٤.

مصايح، (جارية عمر بن قهليل) (٣) ٣٨٩.

ابن مصادق الزندي، أبو عبد الله (٤) ٢٢٧.

مصباح (غلام) (٩) ١٩.

مصباح بن عبد الله الياصوني، أبو الضياء (٦) ٢٠٩.

مصباح بن محمد المسكي (٢) ٣٠١.

المصحفي (جعفر بن عثمان) (١) ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨ (٢) ١٤، ١٠٠، ١٠٥، ١١١، ١١٢،

١١٣، ١٣٧ (٣) ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦ (٤) ٢٢، ٣٨٠ (٧) ١٣٢، ١٣٤.

مصطفى بن محب الدين أحمد بن منصور (٣) ٦٦.

مصعب الزهري (٣) ١٢٧.

مصعب بن الزبير (٢) ٤٧٠.

مصعب بن عمران (٢) ٢٩٥.

أبو مصعب (صاحب الموطأ) (٣) ٣٩٣.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ١٣٣

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٣٣

ابن مصلي (أبو جعفر) (٢) ٣٠٦.

المصمودي (الشيخ) (٦) ٣٥٥، ٣٥٨.

المصمودي (محمد) (٦) ٢٨٥.

المصمودي (موسى) البخاري، أبو عمران.

(٦) ١٩٧.

المصمودي (عيسى) أبو مهدي (٦) ٢٨٢.

ابن المصنف (٧) ١٩٥.

ابن مضاء، أبو العباس (٤) ٣٩١.

- ابن مضاض (٥) ٣٨٣.
- مطر (محدث) (٩) ٧٤.
- مضر الخصى (١) ٢٧٤.
- ابن مطحنه، انظر: عبد الله بن محمد.
- مطرف التجيبي (٥) ٢٨٢.
- مطرف الغرناطي (٣) ٢٠٧.
- المطرف بن عبد الرحمن الأوسط (٤) ٣٤٦.
- المطرف بن عبد الله (١) ٢٧٧.
- المطرف بن عمر المرواني (٤) ١٥١، ١٥٢.
- مطرف بن قيس (٢) ٢١٦.
- مطرف بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٤) ٣٤٨، ٣٤٩.
- مطرف بن مطرف الإشبيلي (١) ١٣٩ (٤) ٢٧.
- ابن المطرف المنجم (٥) ٥٣.
- أبو المطرف الزهري (٤) ٢٣٣.
- أبو المطرف بن عبد العزيز (٢) ١٥٠، ١٥١ (٤) ١٣٩.
- أبو المطرف بن عميرة (١) ٢٤١، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١ (٣) ٤٠١، ٤٠٢ (٤) ٢٧٠ (٥) ٥٣، ٣٧٧، ٣٨٢، ٣٩٠ (٦) ٢٠٥ (٧) ٣٤٥ (٩) ٢٤٦، ٢٥٧.
- ابن مطروح (٢) ٤٤٣.
- ابن مطروح (أيوب) (٤) ٣٣٨.
- ابن مطروح (جمال الدين يحيى بن عيسى) (١) ٦٤، ٣٩٦ (٤) ١٧٣، ٢٨٦ (٥) ٨٨.
- المطلب بن شعيب (٢) ٢١٦، ٣٦٦.
- مظفر الخصى (والى فاس من قبل على بن يوسف المرابطي) (٤) ١٣٧.
- المظفر بن الأفتس (١) ٣٤١ (٤) ٢٣، ٣٢، ٣٤، ١٨٢، ١٩٧.
- مظفر بن سوار اللخمي، أبو المنصور (٢) ٣٠٢.
- مظفر الدين كوكبرى (٢) ٢٥٩.
- المظفر بن المنصور بن أبي عامر (عبد الملك).
- أبو مروان (١) ٣٢٨ (٢) ٩٣، ١٠١، ١٠٣ (٣) ٣٤٥، ٣٥٨، ٣٥٩ (٤) ١٥١ (٨) ٨٨.
- المظفر غازي بن أبي بكر بن أيوب (٢) ٣٠٧.
- المظفر قطز (الملك) (٢) ٤٨٠.
- ابن المظفر (٧) ٥٥.
- أبو المظفر (يروى للسرخسي) (٣) ٣٦٤.
- أبو المظفر الشيباني (٣) ٢٤٠.
- أبو المظفر (ثابت بن خيار)، انظر: ابن الطليسان.

- معاذ (بن جبل) (٤) ١٣.
- ابن معاذ (٦) ٢٤٢.
- أبو المعالي الأبرموى (٣) ١٧٩.
- أبو المعالي الإشبيلي (٥) ٥٦.
- أبو المعالي الجويني، انظر: الجويني.
- أبو المعالي ابن الشريف السبتي (٦) ١٦٧، ١٦٨، ٢٠٠، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٣٥.
- أبو المعالي زيدان بن أحمد المنصور (السلطان) (٣) ٩٧.
- معاوية بن أبي سفيان (١) ١٩٤ (٢) ٢١٩،
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٣٤
- ٤٤٨ (٣) ١٢٣ (٤) ١٣، ٦٥ (٦) ٢١٢، ٢٣٢ (٨) ٨٨ (٩) ١٦٥، ٢٤٧.
- معاوية بن حديج (٤) ٢٩٠، ٣٣٢.
- معاوية بن صالح، أبو عمرو (٢) ٢١٤ (٣) ٣٢١، ٣٣٠.
- معاوية بن مروان بن الحكم (٣) ٣٢٠، ٣٢١.
- معاوية بن هشام (والد عبد الرحمن الداخل) (٣) ٣٢٣، ٣٢٦.
- معبد (المغني) (١) ٢٣ (٢) ١٦٢ (٥) ٤٢٩.
- أم معبد (٣) ٢٧١ (٩) ٢٠١.
- المعتد بن المعتمد (٢) ١٥٧ (٥) ١٧٥، ١٧٨.
- المعتد هشام بن محمد بن عبد الملك (١) ٢٣٨، ٢٣٩، ٣٣٤.
- المعتز (العباسي) (٨) ٨٨.
- ابن المعتز (عبد الله) (١) ٩٧ (٣) ٢٥٩ (٤) ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٧٦، ٣٧٧ (٦) ٢٤٢ (٧) ٢٤١ (٩) ٨٧.
- المعتصم (العباسي) (١) ٢٧٢ (٣) ١١٧ (٨) ٨٩.
- المعتصم بن حمود، انظر: محمد بن القاسم بن حمود.
- المعتصم بن صمادح (١) ٣٣٩ (٢) ١٦٠ (٤) ٨٧، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٠، ١٤١، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٠٩، ٣١٠، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٨٣، ٤٠٠، ٤١٧ (٥) ٦، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٢٠٥، ٢٦٥، ٤١٥ (٨) ٢٠٧، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٨٥.
- المعتضد (العباسي) (١) ١٧٦ (٨) ٨٨.
- المعتضد الباجي (٤) ٢٩٧.
- ٢ المعتضد بن عباد (عباد بن محمد بن محمد بن عباد) (١) ١٧٦، ٢٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٧ (٢) ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٥١، ٢٥٢ (٣) ٢٢٥ (٤) ٣٠، ٤٨، ٩٥، ٢٢٢، ٣١٨، ٣٨٣، ١٩، ٢٣، ٣٩، ١٥٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٨، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٦٨، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٤٤، ٤١٥ (٨) ٨٨.
- المعتلي الحمودي، انظر: يحيى بن علي بن حمود (الملقب بالمعتلي).
- المعتمد بن عباد (١) ١٣٩، ١٤٢، ١٧٦، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٠ (٢) ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٥٦، ١٢٩، ١٣١، ١٤٠، ١٥٢، ١٥٧، ١٧٩، ٢٣٨، ٢٥٢، ٣٠٣ (٣) ١٢٤، ٢٠٠، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٣، ٣٧٩.
- (٤) ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ١٣٣، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٦٢، ٢٧٩، ٢٩٩، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٣ (٥) ١٩، ٢٤، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٥٧، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ١٢١، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨،

- ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤،
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٣٥
- ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٥٥، ٤١٥ (٦) ١٥٣، ١٥٤ (٨) ٨٨، ٢٤٦، ٢٩٩.
- المعتمد على الله أبو الفضل محمد (ابن أخي السلطان عبد العزيز المريني) (٧) ٣٢٠.
- معد بن عدنان (١) ١٩.
- معروف الكرخي (٦) ٢٠١، ٢٢٠.
- المعري، انظر: أبو العلاء المعري.
- المعز (الفاطمي) (٢) ٤٥٨ (٤) ٤١٣.
- المعز بن باديس (٣) ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥.
- المعز بن زيري (١) ٣٢٨.
- أبو معشر الطبري (٢) ٣٠٠.
- ابن معطى (٢) ٣٥١، ٣٦٣ (٣) ٩٦.
- المعظم بن العادل بن أيوب (٢) ٣٩٧، ٤١٩، ٤٢٢.
- ابن المعلم (٦) ٢٥١.
- ابن المعلم الطنجي، أبو يحيى (٤) ٢٧.
- معمر (محدث) (٤) ٣٨٠ (٦) ١٨٨، ١٩٩.
- معن، انظر: المعتصم بن صمادح.
- ابن معيشة الكنانى السبتي، أبو العرب (٤) ١٣٩.
- المعيطي، أبو مروان (٤) ١٧.
- ابن معين (١) ٢٢٢ (٣) ٢٩٠ (٥) ٢٤٨.
- ابن معيoub (٤) ٣٨٦.
- المغامى (الفقيه) (٥) ٣٣٩.
- ابن مغاور أبو بكر (٥) ٢٥٢ (٦) ٥٢.
- المغاورى أبو محمد عبد الله (٢) ٢٢١.
- ابن المغربي، أبو القاسم (الحسين بن على بن الحسين) الوزير (١) ١١٣ (٣) ١١٦ (٦) ٣٧.
- ابن المغلس (٢) ٢٨٢، ٢٨٣.
- أبو المغوار الغنوي (أخو كعب بن سعد) (٥) ٧٩.
- مغيث بن الحارث بن الأيهم الغساني (فاتح قرطبة) (٣) ٣٢٠.
- مغيث (زوج بريرة) (٦) ٣١٩.
- مغيث الرومى (١) ٢١٠، ٢١١، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣ (٣) ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥.
- ابن مغيث (٣) ٢٠٣.
- ابن مغيث، أبو الحسن (٣) ٣٣٥.

- ابن مغيث (عبد الكريم) (١) ٢٦٦، ٢٦٧، (٤) ٧٠.
- ابن مغيث (يونس بن عبد الله) (٤) ٣٩٦ و انظر أيضا: ابن الصفار.
- المغيرة بن أبي بردة الكنانى (١) ٢٢٩ (٣) ٢٩١.
- المغيرة بن الحكم (١) ٢٧٠ (٣) ٣٥٣، ٣٥٦.
- المغيرة بن شعبة (٦) ١٥٦.
- المغيرة بن عبد الرحمن الداخل (٣) ٢٤٧.
- المغيرة بن الناصر (١) ٣٠٨ (٤) ٨٦، ٩٠.
- المغيرة بن الوليد بن معاوية (٣) ٣٢١، ٣٢٧.
- أبو المغيرة (٢) ٢٤٠.
- مفرج (جد القتورى، صاحب الركاب للحكم الأول) (٢) ٣٥١.
- مفرج الأقفالى (٢) ٢٨٥.
- ابن مفرج (الجَدّ) (٣) ٢٣٥.
- ابن مفرج (الحفيد، صاحب كتاب الاحتفال) (٢) ٣٤٦ (٣) ٢٣٥.
- ابن المفرج الصقلى، أبو الحسن (٣) ١٢١.
- ابن مفرج القرطبي (ابن القتورى) (٢) ٢٢٦، ٣٥١.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٣٦
- ابن مفرج، أبو القاسم الفقيه (١) ٢٩٤، ٢٩٥.
- ابن مفرج (أبو عبد الله) (٢) ٣٦٨.
- المفضّل (الضبي) (٩) ٢١٣.
- مفضل القرشى (٣) ٢٢١.
- المفضل بن محمد الجندى (٣) ١٢٠.
- ابن المفضل المقدسى أبو الحسن (٣) ١١٨، ٢٤٢.
- مفلح الرومى (٣) ١٤١، ١٦٥.
- ابن مفلح (١) ١٧٢.
- ابن المفلس، أبو الحسن (٤) ٢٢.
- ابن مفوز، أبو بكر (٢) ٢٤٤ (٣) ٧.
- ابن مفوز، أبو الحسين (٢) ٢٣٤، ٢٣٥.
- ابن مفوز، أبو الحسين (٥) ٣٦، ٦٢.
- ابن مفوز، أبو محمد الشاطبي (٢) ٣٥٤.
- مقاتل (الراوى) (٦) ٣٤٩.
- المقاتلى (٣) ١٣٦.
- ابن مقانا (القاضى) (٢) ١٥٩.
- ابن مقانا الأشبونى، أبو زيد عبد الرحمن (١) ١٧٧، ٣٣٤ (٤) ٨٨.

- ابن مقبل (٤) ٨ (٨) ٢٢٣.
- المقتدر (العباسي) (١) ٢٧٧ (٨) ٨٨.
- المقتدر بن هود (أحمد) (١) ٣٤ (٢) ٦٣، ١٤١، ١٤٣، ٢٣٦ (٣) ٣٨٠ (٤) ٣٢، ٢٠٠، ٢٠٣، ٣٣٣ (٥) ٣٤٤.
- المقتفي (العباسي) (٢) ٢٨٣.
- المقدام بن داود الرعيني (٢) ٣٦٦.
- ابن المقدسي، أبو الحسن (٢) ٢١٩ (٣) ٢٠٢.
- مقدم بن معافى القيرى (٤) ٣١٣ (٨) ٢٠٧.
- المقدمي، أبو بكر (٣) ١٧٨.
- أبو مفرع (٣) ٢٧٨.
- المقري أبو جعفر أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشير (٣) ١٥٥.
- المقري الجَدّ (محمد بن محمد بن أحمد) أبو عبد الله (٢) ٧٩، ٨٠ (٦) ١٣٧، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ٢١٠، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٦٩، ٢٨٠، ٢٨١ (٧) ١٥، ٢٩٧ (٩) ٤.
- المقري محمد بن يحيى (٦) ١٧٣.
- المقري على بن يحيى (٦) ١٧٣.
- المقري عبد الواحد بن يحيى (٦) ١٧٣.
- المقري عبد الرحمن بن يحيى (٩) ١٨٤.
- المقري الجد الأكبر (أبو بكر بن يحيى القرشي) (٦) ١٧٣.
- المقري العم (سعيد بن أحمد) (١) ٥ (٣) ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠ (٩) ١٨٠.
- المقري المؤلف (أحمد بن محمد) أبو العباس (١) ٥، ١٣، ١٧، ٢٧، ١٠٠، ١٠١ (٣) ٧، ٣٧، ٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠ (٦) ١٧٩، ١٢٩، ١٢٦ (٥) ٣٩٥، ١٠٠، ٩٨، ٩٧، ٩٣، ٩٢، ٩١، ٨٧، ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٧، ٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١ (٧) ٧٨، ١٣٦، ١٧٩ (٨) ٩٨.
- المقريزي الحافظ (٢) ٢٢٠، ٢٥٨، ٣٠٨، ٣٤٥، ٤١٦، ٤٥٧، ٤٦٢ (٨) ٤٨٣، ٢٨٩.
- ابن المقفع (٢) ٤٧٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٣٧.
- ابن مقلّة (٢) ٣٩٨ (٣) ١٥٢، ٢٦٨ (٤) ٣٩٥ (٥) ٢٢٠ (٧) ٦٦.
- ابن المقير (٣) ٨، ٥٣.
- ابن المكارم بن الخطير (١) ٤٦.
- مكحول (الدمشقي) (٨) ١٦٧، ١٩٣.
- ابن المكر (٨) ٢٤٧.
- مكرم (محدث) (٢) ٣٥٥.
- مكرم بن أبي الصقر (٢) ٣٥١.
- ابن مكنون، أبو جعفر (٧) ١٩.
- ابن مكنون، أبو العباس (٥) ٦٢، ٦٣.

- المكودي، أبو زيد (٦) ٣٥٣.
- المكودي، أبو عبد الله (محمد بن محمد) (٦) ١٩٦ (٧) ٢٠٨.
- ابن المكوي، أبو عمر (أحمد بن عبد الملك ابن هشام الإشبيلي) (٤) ١٧.
- مكي بن أبي طالب القرطبي، أبو محمد (٤) ٢٣.
- مكي بن حامد الأصبهاني الصفار (٣) ١٥٥.
- مكي بن سواده (٥) ٢٥.
- الملاح، أبو بكر (٤) ٢٩٨، ٢٩٩.
- الملاحى (المؤرخ) أبو القاسم (٣) ٣٣٧، ٣٣٩ (٥) ١٠٩.
- ابن ملاعب (٣) ١٩٧.
- ملاعب الأسنة (عامر بن مالك) (٦) ٩٧.
- الملاى، أبو حفص (٦) ٣٤٣.
- ابن ملجم (عبد الرحمن) (٥) ١٢٤ (٨) ١٦٥.
- ابن الملح، أبو بكر محمد (٥) ١٩، ٨٤.
- ابن الملح، أبو القاسم (٥) ١٩.
- ابن الملقن السراج (٦) ٣٥٣.
- الملك الصالح نور الدين (٢) ٤١٠.
- ابن المليحي (٣) ١٦٥.
- المليلى القاضى (٧) ١٣.
- ابن مماتى، أبو المكارم أسعد بن الخطير (١) ٤٦.
- المنازى (الشاعر) (٢) ٢٢٩ (٥) ٢٠٧.
- ابن المناصف النحوى (٥) ٧٨.
- ابن المناصف، أبو عبد الله (القاضى بيلنسيه) (٥) ٢٢١.
- المنتجب أحمد بن عبد الكريم الدمشقى، انظر: دفتر خوان.
- المنتشاقرى (يوسف بن موسى) أبو الحجاج (٧) ١٣٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٧ (٩) ٣٢٥.
- المنتصر (العباسى) (٨) ٨٨.
- المنتصر، أبو الحسن (٦) ٢٠٨ (٨) ١٨٥.
- المنتفريدى، أبو الحكم بن محمد (٦) ٥.
- المنتورى (محمد بن عبد الملك القيسى) (٣) ٢٧٨ (٧) ٥٣، ٢٥٩.
- ابن المنجى (٢) ٣٥٧.
- ابن المنخل الشلبى، أبو بكر (٤) ٢٩٨، ٢١ (٥) ٥٨.
- ابن المندانى، أبو الفتح (٣) ٢٢١.
- ابن منده (١) ١٩٠، ٢٦٥ (٣) ٥٣.
- منديل بن آجروم، انظر: ابن آجروم، أبو المكارم.

منذر (العامري) (٤) ٣٠.

منذر بن سعيد البلوطي (١) ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٠٣ (٢) ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٩٧ (٣) ١٢٢، ١٢٣، ٣٤٤ (٤) ١٦، ٢٢ (٥) ٢٦٥.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٣٨

المنذر بن عبد الرحمن بن الحكم (٤) ٣٤٤، ٣٤٦.

المنذر بن ماء السماء (٥) ١٥٢ (٨) ٨٨.

المنذر بن محمد (١) ٢٣٧، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٩٢ (٢) ٨٣ (٣) ٣٧٣.

المنذر بن الناصر (١) ٢٨٧.

المنذر بن هشام بن عبد الرحمن (٣) ٢٣٣.

منذر بن يحيى التجيبي الحاجب (صاحب سرقسطة) (٢) ٢٥، ٢٦ (٤) ٨٩.

ابن المنذر، انظر: النعمان بن المنذر.

ابن المنذر (محدث) (٢) ١٩٠.

المنذري، الحافظ عبد العظيم (٢) ٣٠٦، ٣٤٨، ٣٦٥.

المنشي عبد الوهاب أبو محمد الخطيب (١) ١٣٤.

المنصفي (يوسف بن أحمد) أبو الحجاج البلنسي (٤) ٣٦٠ (٥) ٢٤٦، ٢٤٨.

المنصور (العباسي)، انظر: أبو جعفر المنصور.

منصور البرمكي (٢) ١٢٥.

منصور الحلبي (٦) ٢٠٨.

منصور الخصي (من أوائل الحجاب) (٣) ٣٢٠.

المنصور الذهبي (أحمد الشريف الحسن) أبو العباس (٢) ٣٧٦ (٦) ١٦، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٨٨ (٧) ١٧١، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٧ (٨) ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١.

المنصور العبيدي (٢) ٤٥٨.

منصور اليهودي (رسول الحكم إلى زرياب) (٣) ٣٨٤.

المنصور (الصغير) ابن أبي عامر (٢) ١٥٤، ١٥٥ (٤) ٣١٥.

المنصور (الكبير) محمد بن أبي عامر (١) ١٤١، ١٨١، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٦٠، ٣٠٠، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٨ (٢) ٥، ١٤، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٢، ٨٣، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ٢٤٣، ٢٧٢ (٣) ٢٣٨، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٢ (٤) ٢٠، ٢٩، ٤٦، ٥٠، ٧١، ٨٤، ٨٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٩، ٣٢٢، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٥٨ (٥) ١٥، ٣٣، ٧٠، ٧١، ٢٠٨ (٦) ٦٥، ١٠٨، ٨٨.

المنصور بن أعلى الناس (علتاس) (٢) ٣١.

المنصور بن الأفتس (٥) ٢٢٧.

منصور بن خزامه (١) ٢٢٩ (٣) ٢٩٢.

منصور بن الخير الأحذب، أبو علي (٢) ٣٠٠.

منصور بن عبد العزيز (٤) ٣١٥، ٣١٦.

منصور بن عبد المنعم الفراوى، انظر:

الفراوى.

منصور بن لب بن عيسى، أبو على (٣) ٢٣٥.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٣٩

المنصور أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون (١) ٢٥٤.

المنصور محمد بن المظفر تقي الدين (صاحب حماة) (٢) ٢١٤، ٢١٧ (٤) ٨٠.

المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (١) ١٣٥، ١٣٦، ١٧٤، ٣٤٣ (٢) ٩، ٨٤، ٢٢٣، ٣٧٦، ٤٣٨، ٤٥٢ (٣) ٢١١، ٣٣٨، ٣٤٦، ٣٤٧،

٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٩١ (٤) ٤٨، ٤٩ (٥) ٢٨٣، ٢٨٤،

٢٨٥، ٣٥٣ (٨) ٨٨، ٩١، ٣٠٩، ٣٢٠.

أبو منصور الثعالبي، انظر: الثعالبي.

أبو منصور العجمي (٦) ١٩٩.

ابن منظور، أبو بكر (٧) ١٣٦ (٩) ١٢٧.

ابن منظور أبو عمرو (٣) ٢٧٨.

المنفتل (الشاعر) (٤) ١٨٨.

ابن منقذ، شمس الدين (١) ٣٤٢، ٣٤٣.

المنذرى (٢) ٢٠٥.

المنيذر الإفريقي (١) ٢٢١، ٢٢٢ (٣) ٢٨٨، ٢٨٩.

المنيذر الصحابي (١) ٢٢١، ٢٢٢.

ابن المنير الحافظ، أبو محمد (٢) ٢٨٣ (٣) ٧ (٦) ٣٢٥.

مهاجر بن نوفل (٣) ٣٣٠.

المهتدي (العباسي) (٨) ٨٨.

مهجة القرطبية (٥) ٢١٠.

مهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية (٥) ٢٠٦.

المهدى (الإمام المنتظر) (٢) ١٢٣، ٣٣٨، ٤٧٤ (٦) ٣٧٠.

المهدى العباسي (١) ٢٧٠ (٣) ٣٨١، ٣٩٠ (٥) ٤٩ (٦) ٦٧ (٧) ٢٩٠، ٣٠٧ (٨) ٨٨، ١٠٦، ٣٠٩.

المهدى بن تومرت (٢) ١١٨، ١١٩، ٢٠٠ (٤) ٢٦٣ (٥) ٢٠٩، ٢٨١ (٦) ١٥٥، ١٥٦، ٢٠٣، ٢٨٧ (٨) ٣٢١.

المهدى بن عبيد الله (جد المعز) (٢) ٤٥٨.

مهدى بن يوسف الوراق (٣) ١٢٣.

المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار (١) ٢٣٧، ٢٨٠، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٧ (٢) ١٠، ٩٤، ١٠٣، ١٠٤، ٢٨٠.

أبو مهدى (٩) ٢٣.

المهذب (شاعر) (٤) ١٦٠.

المهذب بن أسعد الموصلى (١) ٨٥.

- موسى بن على بن رباح اللخمي (٣) ٢٩٠.
- موسى بن عمران (قاضي مراكش) (٥) ٨.
- موسى بن موسى (١) ٢٧١، ٢٧٤.
- موسى بن نصير (١) ١٠٧، ١٢٤، ١٣٣، ١٤٠، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٤١ (٢) ٨٣ (٣) ١٨٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٣٠، ٣٣٥ (٦) ٢٤٢.
- موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن، انظر: أبو حمو الزياتي.
- أبو موسى الأشعري (٦) ٣١٨.
- أبو موسى الزمن (٢) ٣٦٦.
- أبو موسى المدني (٣) ٢٢٧.
- أبو موسى بن عمران القاضي (٤) ٣٦٣.
- أبو موسى هارون (٦) ٣٢٦.
- الموصلى (أبو الحسن الفراء) (٢) ٣٦٥.
- الموصلى (٤) ١٤.
- الموفق العامري، انظر: مجاهد العامري، أبو الجيش.
- الموفق بن إدريس، انظر: إدريس بن يحيى الملقب بالموفق.
- ابن الموفق (٤) ١٨٢.
- مولاة أبو المطرف (٥) ١٠٣.
- مؤمن بن سعيد (٤) ١٧٧، ٣١٣.
- ابن مؤمن القابسي (٥) ٨٤.
- ابن مؤمن، أبو الحسن (٦) ١٧٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٤١
- مؤنس المظفر (١) ٢٧٧.
- مؤنسة بنت الملك العادل (٣) ١٥٦، ١٦٦.
- ابن موهب، أبو الحسن (٢) ٣٠٣.
- ابن مؤهل (٨) ٢٠٩.
- المؤيد الطوسي، أبو الحسن (٢) ٢٥٩، ٣٧٠ (٣) ٢٢١.
- المؤيد هشام (بن الحكم المستنصر) (١) ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢ (٢) ٢٣، ٢٤، ٩٣، ٩٦، ١٠٤، ١١٣، ٢٩٧، ٣٧٢
- (٣) ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٢ (٤) ٢٦٠ (٨) ٨٨.
- ابن مياح (٢) ٤١٣، ٤١٤.
- الميانشي، أبو حفص (٢) ٢٢٣، ٣٠٢ (٣) ٢٠٣، ٢٠٤.
- ميدمان بن يزيد (٣) ٣٦٢.
- ميسرة البربري (٣) ٢٩٩.

- ميسرة، أبو القاسم (٢) ٢٢٠.
الميكالى (١) ٢٤٦.
ميمون (صاحب غرناطة) (٥) ٢٨١.
ميمون (٦) ٣٦.
ميمون (عم ابن شاطر) (٦) ٢٠٦.
ابن ميمون (القائد) (٤) ٥٣.
ابن ميمون، أبو عبد الله (١) ١٤٣.
ميه (صاحبة ذى الرمة) (١) ٩٦ (٣) ١٠١، ١٣٥ (٧) ٢٤١.
ميه فى شعر للنايغى (٥) ٣٩.
الميورقى (الميرقى)، انظر: ابن غانية.

حرف النون

- نابت بن المفرج بن يوسف الخثعمى (٣) ٢٣٧.
النايغى الجعدى (٤) ٣٠٣ (٧) ٢٤١.
النايغى الذايانى (٢) ٣٤٤ (٣) ١٩٤ (٤) ١٧٠ (٦) ٩٧، ٢٠٢، ٢١٩، ٢٤١ (٨) ٣٠٣.
النايلسى (٣) ١٣٦.
ابن نادر الميورقى، أبو الحجاج (٢) ٣٠٢، ٣٠٣.
أبو الناس بن صالح (١) ٣٢٤.
الناصر (صاحب حلب) (٢) ٣٩٦، ٤١٧.
الناصر (صاحب الشام) (٢) ٢٧٢.
الناصر العباسى (ابن المستضىء) (١) ٣٠٠.
ناصر بن أبى على الطوسى، أبو الفتح (٣) ١٢١.
الناصر بن حمود، انظر: على بن حمود.
الناصر بن قلاوون (٥) ٣٠٠.
الناصر بن المنصور الموحدى (١) ٣٤٣، ٣٤٤، ٢٩٤ (٥) ٢٨٥، ٢٩١ (٨) ٨٨.
الناصر صلاح الدين بن أيوب، انظر: صلاح الدين بن أيوب.
الناصر عبد الرحمن المروانى الأموى (١) ١٤١، ١٧١، ١٧٥، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٣ (٢) ٣٠، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٨، ٧٣، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٠، ١١١، ١٥٧، ١٦٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٦، ٣٨١ (٣) ٣٣، ١٢٣، ٢٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٤٢
٣٤٣، ٣٤٤، ٣٩٩ (٤) ٦٥، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٧٨، ٣٧٩ (٥) ٦٦، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٥، ٤١٥ (٨) ٨٨.
الناصر لدين الله (لقب عبد الرحمن بن المنصور ابن أبى عامر) (٢) ٥٦، ٥٨ (٥) ١٨.
ابن الناصر (٣) ٥٣.

- الملك الناصر (٢) ٤٧٩.
- ناصر الدولة (حاكم ميورقة)، انظر: مبشر بن سليمان.
- ناصر الدولة بن حمدان (٣) ٣٨٠.
- ناصر الدين (صاحب دواوين الإنشاء) (٣) ٢٤١.
- ناصر الدين (٦) ٢٠٤، ٢٠٧ (٨) ١٦٤.
- ناصر الدين (الشيخ) (٦) ٣٤٢.
- ناصر الدين بن شافع (٢) ٣٥٥، ٣٥٧ (٣) ١٥٠.
- ناصر بن عبد المؤمن (٤) ٢٧ (٥) ١٤، ٣٥٤.
- ناصر الدين بن المنير (٦) ٣٢٤.
- نافع (صاحب القراءة) (٢) ٢٣٠ (٣) ١٥٧، ٢٢٢ (٤) ١٧، (٦) ٢٨١، ٢٨٢ (٨) ٢٩٨.
- نافع (القائد) (٨) ٢٩٧.
- نافع بن الأزرق (٨) ١٢٩.
- ابن نافع، أبو بكر (٦) ٢٥٣.
- ناهض بن إدريس (٢) ١٣.
- ناهض بن محمد الأندلسي الوادي آشي (٦) ٥٩، ٦٠.
- ابن ناهض (ناصر الدين) (١) ٤٦.
- ابن نباتة (عبد العزيز بن محمد) السعدي، أبو نصر (١) ٨٦ (٤) ٢٠٨.
- ابن نباتة (محمد بن محمد بن محمد) المصري (١) ٨٧ (٣) ٣٠، ٣٢ (٤) ٣٣٦ (٥) ١٣٥، ٢٩٩ (٧) ١٧٩ (٨) ٢٧٣.
- النباتي انظر، ابن الرومية.
- النباهي، أبو الحسن بن الحسن (٢) ٩٢ (٦) ٨٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٩، ١١٣، ١١٤، ١٨٥، ٢٣٢، ٢٣٣ (٨) ٢٨٥، ٣٢١، ٣٢٣.
- ابن النبيه (٣) ٣٧٨.
- النجار، أبو العباس (٤) ٢٥٨.
- ابن النجار (مؤلف الذيل) (٢) ٢٠٦، ٢٥٩، ٣٤٨، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٠ (٣) ٣٩٣، ٣٩٤.
- ابن النجار، انظر: محمد بن يحيى بن علي النجاشي (٣) ١١٣ (٦) ٢٧٦.
- نجدة (قصة أخيه في المطمح مع الأيتام) (٢) ١٩١، ١٩٢.
- نجم الدين (رجل خاطب شمس الدين السروجي) (٣) ١٧٤.
- نجم الدين الأصفهاني (٢) ٣٢٣.
- نجم الدين الحجازي (٣) ١٣٨.
- نجم الدين الطوفي (٣) ١٥٠.
- نجم الدين الواسطي (٦) ١٩٤.
- نجم الدين بن إسرائيل الدمشقي (٢) ٣٢٥، ٣٩٣ (٦) ٢١٥.
- نجم الدين بن مهذب الدين (٣) ٤٠٠، ٤٠٢.
- نجم الدين إسحاق بن المنى التركي (٣) ١٥٠.

- نجم الدين محمد بن جمال الدين بن عبد الله بن المحب الطبرى (٦) ٣٢٤.
- نجم الدين يحيى الإسكندرى (٣) ١٥٠.
- ابن نجيج (محمد بن عيسى) المعروف بالأعشى (٢) ٢٢٦، (٧) ٢٠٢، ٢٤١.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٤٣
- ابن النجيرمى (يوسف بن خرزاذ) أبو يعقوب (٢) ٢٨٢.
- ابن نجيب الموصلى (٢) ٣٩٧.
- ابن النحاس، أبو جعفر (٢) ١٩٤، ١٩٥، ٣٥٩.
- ابن النحاس، بهاء الدين (٢) ٣٥٣، ٣٦٢، (٣) ١٦٦، ١٨٢ (٥) ٨٢، ٨٤.
- ابن النحاس (محمد) أبو عبد الله (٢) ٣٦١، (٣) ١٥٦، ١٧٤.
- ابن النحاس (خلف) أبو القاسم (٣) ٢٣١.
- ابن النحاس، أبو محمد (٢) ٢٢٠.
- النحلى البطليوسى، أبو الوليد (٤) ٦٣، ٦٤، ١٤٣، ١٤٤، ٢٣٤، ٣٨٣.
- نرجس العامرية (٢) ٦١.
- نزار العبيدى (٤) ٣٣٠.
- ابن نزار الوادى آشى (٤) ٣٦٨.
- ابن نزار، أبو الحسن (٤) ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨.
- نزهون القلعية الغرناطية (١) ١٤٩، ١٦١، ١٦٢ (٤) ٥١ (٥) ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤.
- النسائى (أحمد بن شعيب) (٢) ٢١٨، ٢٢٧، ٣٠٢ (٣) ١٢٨، ١٤٢، ٢٢٩، (٤) ٢١، ٢٣.
- النسائى (عبد الكريم) (٢) ٣٦٧.
- ابن أبى نسعة (عثمان) ٢٣٥.
- نسيم (حظية المنصور الذهبى) (٨) ٢٦٤.
- نسيم الإسرائيلى (٤) ٣٠٠.
- ابن نسيم (٦) ٤٩.
- النشار، أبو على (٤) ٤١.
- نصر (الأمير النصرى) (١٠) ٤٠، ٥٠.
- نصر السمرقندى (٣) ١١٨.
- نصر الهيتى (٣) ٢٣٢.
- نصر بن إبراهيم المقدسى، أبو الفتح (٢) ٢٥٠ (٣) ١٢٠، ٣٣٤.
- نصر بن الحسن، أبو الفتح (٣) ٣٣٧.
- نصر بن على الجهضمى (٢) ٣٦٦.
- نصر بن القاسم، أبو حبيب (٣) ٢٣٧.
- نصر بن مرزوق (٣) ٢٢٨.
- ابن نصر (ممدوح ابن زمرك) (٦) ٤١.

- أبو نصر (١) ٢٢١، ٢٢٣.
- أبو نصر الكسار (٣) ١٤٢.
- أبو نصر الفارابي، انظر: الفارابي.
- أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان، انظر:
الفتح ابن خاقان.
- نصر الله بن عبد الله بن علي الأهوازي، انظر:
ابن قلاقس الإسكندري.
- نصر الله بن محمد، أبو عبد الله (٢) ٣٠١.
- ابن نصف الربض، انظر: ابن الفخار، أبو عبد الله.
نصيب (٢) ٢٥٣ (٧) ٦٦.
- النصيبي (٦) ٢٤٥.
- النصيبي (هبة الله بن محمد) أبو البركات، انظر: هبة الله بن محمد النصيبي الوكيل.
- نصير (والد موسى) (١) ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٢.
- نصير (تنسب إليه منية الحكم المستنصر) (١) ٢٨٦.
- نضار بنت أبي حيان (٣) ١٤٧، ١٦٥.
- النضر بن سلمة (١) ٢٧٦.
- أبو نضرة الغفاري (٣) ٣٣٢.
- النظام (٤) ٣٨٠.
- ابن النظام (عبد الله بن عبد الحكم) (١) ١٢١ (٢) ٢٨٨.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٤٤
النعال، أبو عبد الله (٣) ٢٢٧.
- نعم الخلف بن عبد الله بن أبي ثور (٣) ٢٣٧.
- النعمان، انظر: أبو حنيفة (الإمام).
- نعمان (بن أحمد الشاهيني) (٣) ٨٥.
- النعمان بن الشقيقة (٥) ١٥٠.
- النعمان بن المنذر (١) ٢٣٥ (٢) ٣٩، ٩٩ (٥) ١٧٢ (٦) ٢٧٢ (٨) ٢١٢.
- النعمان بن النعمان المعافري (٣) ٢٣٧.
- ابن النعمة، أبو الحسن (٢) ١٩٧ (٣) ١١٩، ١٢١، ٢١٣، ٣٣٠ (٥) ٥٧.
- ابن نعمة العابد، أبو بكر (٣) ٣٣٤.
- أبو نعيم الأصفهاني (٦) ٣٥٥.
- أبو النعيم رضوان (٨) ٢٩٠.
- ابن نغدة باديس اليهودي (٥) ٢٣٥.
- النفزي، أبو الحسين (٢) ١٩٧ (٥) ٣٦.

- نفظويه، أبو عبد الله (٢) ٢٩٦.
- ابن نفيس (محدث مصر) (٢) ٢٨٩.
- ابن نفيس، أبو العباس (٣) ٢٣١.
- ابن نفيس، أبو عبد الله (٧) ١٦٥.
- نقروز (٧) ٥.
- نقشابو (محمد بن سعيد الصنهاجي) أبو عبد الله (٦) ١٨٢، ٢٨٠.
- ابن نقطة (٢) ٣١٩، ٣٠٢، ٣٧٠ (٣) ٢٠٢، ٢٢١، ٣٩٤.
- نقفور (طاغية النصارى) (٦) ٢٤٠.
- ابن النقيب (الحسن بن شاور ناصر الدين) (١) ٤٧.
- نمرود (٢) ٢٩٩ (٦) ٩٦ (٨) ٨٨.
- النمرى (شاعر) (١) ٢٤٦.
- ابن النن (محمد بن عبد الله بن محمد عمر العنسى) (٣) ١٥٥.
- النواجي (٣) ٣٠.
- نوار (زوجة الفرزدق) (٥) ١٧٨ (٨) ٤٨.
- أبو نواس (الحسن بن هانيء) (٢) ٣٨٥ (٣) ٣٦١، ٣٨١ (٤) ٥٦، ٢١٢، ٢٦٧، ٣٨٨ (٧) ٣٧، ٣٠٨ (٨) ٢٨٥.
- نوح (النبي) (٢) ٥٢، ٦٩، ٨١ (٤) ٢٠٨، ٢٨٥ (٦) ١٢٧، ١٢٨، ١٥٥، ١٩١، ٣٤١ (٧) ٢٧، ٣٦ (٨) ٤٥، ٥٠، ١٠٢، ١٤٦، ٢٥٥ (٩) ١٦٦، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٨١، ١٨٦، ٢٨٨، ٣٢٥.
- نوح بن الفرغاني، أبو عصمت (٣) ١٧٩.
- ابن نوح (١) ٢٤٨ (٦) ٣٤٠.
- نور الدين القصرى (٣) ١٨٢.
- نور الدين العقيلي (٦) ٣٥٤.
- نور الدين المايرقى، أبو الحسن (٣) ٢٥١، ٢٥٢.
- نور الدين بن سعيد، انظر: ابن سعيد، أبو الحسن.
- نوفس (١) ٢٧٢.
- النوى يحيى بن شرف (صاحب الأحاديث الأربعين) (٢) ٣٦٠ (٣) ١٤٧، ٢١٢، ٤٠٤ (٦) ٣٥١.
- النوى محيى الدين (٣) ٥٦، ٥٦.
- النويرى (زين الدين طاهر) (٣) ٢٧٨.
- النويرى (نور الدين) (٦) ٣٥٣.
- النويرى، أبو القاسم (٣) ٢٧٨.

حرف الهاء

- هاويل (٦) ١٢٧.
- الهادى (الخليفة العباسى) (٨) ٨٨.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٤٥

أبو هادي (٦) ٢٥٧.

هاروت (٢) ٤٤٠ (٣) ١٥٩ (٤) ٢٢٤ (٦) ١١ (٧) ٣٧، ١٧٩.

هارون (أخو موسى النبي) (٢) ٣١١ (٩) ٢٠٤.

هارون الرشيد (١) ٢٣، ١٩٧، ٢٤٢، ٣٣٣ (٢) ٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٤٣، ٢١١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٦ (٥) ٣١، ٤٧ (٦) ٢٣٤ (٧) ٢١١، ٣٠٧ (٨)

٨٨، ١٣١، ١٤١، ١٤٢.

ابن هارون، أبو عبد الله (٦) ٢٠٨.

ابن هارون (عبد الله بن محمد) أبو محمد (٣) ١٥٥، ١٧٠ (٤) ١٠٠ (٥) ٢٣٧ (٦) ١٦٩، ١٧٠، ٣١٩.

هاشم بن عبد مناف (٣) ٢٥٠ (٧) ٢٠٥، ٢٥٣.

هاشم بن الحسين بن إبراهيم الطالب (٣) ٣٣٢.

هاشم بن رجاء، أبو خالد (٤) ٣٧٣.

هاشم بن عبد العزيز (الوزير) (٣) ٣٨٨، ٣٨٩ (٤) ١٧٥، ١٧٦.

ابن هاشم، علي (٣) ٣٣٧.

أبو هاشم (المتكلم) (٦) ٢٥١.

أبو هاشم (بن المعتمد) (٥) ١٤٤، ٢٧٢.

هامان (٦) ٣٠، ٣٤، ١٥٥ (٨) ٨٨.

هانئ بن معاوية الصدفى (٣) ٣٢٩.

ابن هانئ (محمد) الشاعر الإلبيري، أبو القاسم (١) ٢٣٣، ٣٠٩، ٣١١ (٤) ١٣، ٤٣، ٢٠٥، ٢٣٣، ٢٤١، ٣٦٩، ٤٠٩، ٤١٥ (٥) ٣٢.

ابن الهبارية (٦) ١٢٨.

هبة الله بن محمد بن عبد الواحد (٣) ٢٢٤.

هبة الله الأكفاني، انظر: الأكفاني، أبو محمد.

هبة الله بن الحسن الفقيه، أبو الحسين (٢) ٢٩٩.

هبة الله بن الحسين المصري، أبو المكارم (٣) ٣٣٨.

هبة الله بن الحصين، أبو القاسم (٢) ٣٠١.

هبة الله بن محمد النصيبى الوكيل، أبو البركات (٤) ١٦٠.

هبيرة الفزارى (٤) ١٢.

ابن هبيرة الفزارى (١) ٢٣٩.

ابن هبيرة المحاربى (٣) ٣٢٦.

أبو هديبة القيسى (٣) ٣٣٧.

هدد بن بدد الكردي (٦) ٩٦.

ابن هديبة (محمد بن منصور بن علي) أبو عبد الله (٦) ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٣٢٦.

هذيل الإشبيلي (٥) ٦٧.

هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر (١) ٢٣١.

- هذيل بن هاشم (١) ٢٩٨.
- ابن هذيل (مقرئ) (٢) ١٩٧، ٣٥٠ (٣) ١١٩، ١٢١.
- ابن هذيل (يحيى) الشاعر الكفيف، أبو بكر (٣) ٣٤٣ (٤) ٤٠٥.
- ابن هذيل، أبو الحسن (المائة السادسة) (٢) ٣٠٣، ٣٠٤ (٣) ١٢٤، ٢٠١، ٢١٣.
- ابن هذيل (يحيى) أبو زكريا (المتفلسف) (٤) ٤، ٩، ١٦٣ (٥) ١٢، ٤٣، ٨٢، ١٠٦ (٧) ٣٠، ٣٩.
- ابن هذيل الفزارى (٤) ٣٩١.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٤٦
- أبو الهذيل العلاف (٥) ٢٤٩.
- الهراس، أبو مسعود (٥) ٢٨٦.
- هرزون (١) ٤١٢ (٣) ٩٩.
- هرقل (١) ١١٨ (٤) ٢٩ (٥) ٣٥٢.
- هرم بن سنان (٥) ٤١٦ (٥) ٩٧.
- هرمس (٣) ٣٦ (٥) ١٧٦ (٧) ٣٥.
- ابن هردوس (أحمد) أبو الحكم (٥) ١٣٠ (٨) ٢٠٩.
- الهروى (صاحب الغريبين) (٢) ٣٥٤، ٣٦٣.
- الهروى (صاحب منازل السائرين) (٧) ٢٩٧.
- أبو هريرة (١) ٣٢٩ (٣) ١٢٩، ٢٩١، ٣٣٠ (٥) ٣٥٧.
- الهزميرى، أبو زيد (٥) ١٩٣، ٢٠٥، ٢١٦.
- هشام الرضى (١) ٢٣٧ (٢) ٨٣.
- هشام المصحفى (١) ٣٧٢ (٣) ٣٥٦.
- هشام بن الحكم المستنصر، انظر: المؤيد هشام.
- هشام بن سليمان بن الناصر (١) ٣٣١، ٣٣٢.
- هشام بن عامر (٤) ١٣.
- هشام بن عبد الرحمن الأوسط (٢) ٢١٤ (٤) ١٥٢، ٣٤٢.
- هشام بن عبد الرحمن الداخل (١) ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦ (٢) ٧١، ٢١٥ (٣) ٣٢٠.
- هشام بن عبد الملك (١) ١٩٢، ٢٠١، ٢١٤، ٢٦٢، ٣١٦ (٢) ١١، ١٢، ١٦١، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٥٥، ٣٥٦ (٥) ٢٣٩ (٨) ٨٨.
- هشام بن عبد مناف (١) ٣٣٨.
- هشام بن عذرة بن عبد الله الفهرى (٣) ٢٩٨.
- هشام بن عروة (٢) ٢٩٢ (٥) ٣٠.
- هشام بن عمار (٣) ١٢٧.
- هشام بن عمرو الغوطى (٥) ٢٣٤.
- هشام بن هذيل (١) ٢٨٥.

- هشام بن واقف المقرئ، أبو الوليد (٢) ٣٣٣.
- ابن هشام (صاحب المغنى) (٦) ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٤.
- ابن هشام (أندلسي، رد على ابن عصفور) (٥) ٨٣.
- ابن هشام القرطبي، أبو القاسم (٢) ١٦ (٤) ٥٩، ٦٥، ٣٩٢ (٥) ٣٥.
- ابن هلال (٤) ٨٠.
- هلال البياني (٤) ٣١٣، ٣١٤.
- هلال الحفار (٣) ٣٣٤.
- هلال بن الطفيل العبدي (٣) ٣٢٦.
- ابن هلاله (١) ٢٣٨.
- همام بن عبد الله (٣) ٢٣٧.
- ابن همشك، أبو إسحاق (١) ٣٤٢ (٤) ١٣٦ (٥) ٧٤، ٢٨١.
- أم الهناء (بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية) (٥) ٢١٠.
- هناد بن السرى الكوفى (٣) ٢٢٣.
- هند (جارية ابن خلدون) (٧) ٢٨٠، ٢٨١.
- هند (جارية عبد الله بن مسلمة الشاطبي) (٥) ٣١١.
- ابن هند الدانى (٤) ٨٩.
- الهناتى (٥) ٢٨١.
- هود (النبي) (٩) ١٦٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥.
- ابن هود (محمد بن يوسف الحاجب) الثائر،
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٤٧
- أبو عبد الله (الملقب بالمتوكل) (١) ١٧٧، ١٨٢، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٥٢، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٥ (٢) ١٤٧، ٣٣٨، ٣٩٣، ٤٤٧ (٣) ١٩٨، ٢٥٢، ٣٧٨ (٤) ١٢٣، ١٢٥، ١٣٠، ١٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣ (٥) ٨٧، ٢٢٩، ٢٨٦، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥ (٦) ٦ (٩) ٢٣٧، ٢٣٨.
- ابن هود (أحمد بن محمد) (٥) ٣٥٩.
- ابن هود أبو جعفر المنصور (٩) ٢٣٨.
- هوذة بن على (٦) ٢٠١.
- هولاكو (٢) ٣١١، ٤٧٩، ٤٨٠.
- الهيثم (الحافظ) (٥) ٢٣.
- الهيثم (الشاعر) (٥) ٣٦.
- الهيثم الصباغ، أبو الفرج (٣) ٤٠٠.
- الهيثم بن أحمد السكونى الإشبلى، أبو المتوكل (٤) ١٨٠ (٥) ٢٤٥ (٧) ١٥.
- الهيثم بن عبد الله التميمى (٣) ١٧٩.
- الهيثم بن عبيد الكلابى (١) ١٩١ (٣) ٢٩٨.
- الهيثم بن عدى الكلابى (١) ٢٣٧.

الهيثم بن كليب (٣) ٣٣٤.

أبو الهيثم (٣) ٢٠٤ (٤) ٢٠.

حرف الواو

الواتعيلي، أبو محمد (٦) ٢٨٢.

الواثق، أبو دبوس (٢) ٢٧١، ٢٧٢ (٥) ٢٨٦.

الواثق بن المتوكل (بن هود) (١) ٣٤٤.

الواثق يحيى بن المعتصم بن صمادح (٤) ٢٠٩ (٥) ٤١٥.

ابن واجب، أبو الخطاب (١) ٢٤٨ (٣) ١٩٨، ٢٩٢.

الوادي آشي (٧) ٢٧٠.

الوادي آشي (محمد بن محمد العراقي) أبو عبد الله (٣) ١٢٩ (٥) ٢٢٨ (٧) ٢١٧، ٢١٨، ٢٧٨.

الواسطي (محدث بدمشق) (٢) ٢٨٩ (٦) ٢٤٠، ٢٤٢.

الواسطي، عز الدين محمد، أبو الحسن بن علي ابن إسماعيل (٦) ٣٢٣.

واصل بن عطاء (٤) ٣٣٦.

ابن واصل الحموي (٣) ٣٩٤ (٨) ٧.

واضح العامري (عامل المنصور على المغرب) (١) ٣١٠، ٣٣١.

الواقدي (١) ١٩٢ (٣) ٩٧.

وانزمار بن أبي بكر البرزالي (١) ٣٢٤.

وانوس، أبو قرّة (١) ٢٤٢ (٦) ٢٣٨.

الوانشريسي، انظر: الونشريسي.

الواني (٣) ٨.

الوأواء (٢) ٢٤٨.

وائل بن حجر (٧) ٢٧٨.

أبو وائل (٦) ١٩٣.

الوثابي (إسماعيل بن محمد بن أحمد الأصفهاني) أبو طاهر (١) ٨٨.

وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي (٨) ٢٩٣.

أبو الوحش (٢) ٢٨٣، ٢٨٤.

وحشي (قاتل حمزة) (٦) ١٥٥.

ابن الوحيد، شرف الدين (٣) ١٤٩.

الوحيدى (عبد الله) أبو محمد (٤) ١٩١، ١٩٢.

وداد (جارية عند المعتمد) (٥) ٣٨.

الوداعي (علي بن المظفر) (١) ٣٣، ٩٣.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٤٨

- الوراد بن عثمان، أبو جعفر (٤) ٤٢.
- ابن ورد، أبو القاسم (٣) ١٩٩، ٢٣٥ (٤) ١٨٥.
- ابن الورد، أبو محمد (٢) ٣٤٧، ٣٥٠.
- ابن الورد، أبو مروان (٥) ٣٥١.
- ابن الورد البغدادي، أبو الحسن (٢) ٢٢٣، ٢٥٠، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٦٧ (٣) ٢٢٦.
- ابن وردان (٢) ٣٦٧.
- ابن الوردى (٢) ٣٦٢ (٤) ١٥٩.
- ورش (٢) ٢٣٠، ٣٤٨ (٣) ٤٠٠ (٧) ٢١١.
- ورقة بن نوفل (٥) ٣٨٨.
- الورياجلى، أبو محمد (٤) ٣٥٣.
- ابن الوزان (٣) ١٤٣.
- ابن الوزير أبو جعفر (٤) ٤.
- ابن وزير ابن أبي بكر (ولد الشاعر) أبو محمد (٥) ٣٥٤.
- ابن وزير بن عبد الله الشلبي، أبو بكر (٥) ٣٥٣.
- ابن وزير الشلبي (أبو عبد الله) (٥) ٢٨٣.
- الوضاح (٢) ١٢٧.
- ابن وضاح (٢) ١٨٥، ١٦٥، ٢٢٧، ٢٩١، ٣٤٩ (٣) ٢٨٩، ٢٩٠ (٤) ٣٧ (٥) ٢٢٥ (٦) ١٩٨.
- ابن وضاح (محمد) (٢) ٢١٩، ٣٠٤ (٣) ١٢٦.
- ابن وضاح، أبو جعفر (٤) ٣٦٥، ٣٦٧.
- ابن وضاح (محمد بن إبراهيم اللخمي) أبو القاسم (٢) ٣٦٦.
- الوضاحي (محمد بن أحمد بن موسى القيسي) أبو عبد الله (٢) ٣٥٢.
- الوضي ء (٤) ١٩٩.
- الوطاسي (الشيخ) (٥) ٤١٠.
- أبو الوفاء المصري (٣) ٣٣٨.
- أبو الوفاء بن عبد الحق (٢) ٢٨٩.
- أبو الوقت السجزي، انظر: السجزي.
- الوقشي (أحمد بن عبد الرحمن) أبو جعفر (٣) ١٠٥ (٤) ١٣٦ (٥) ٧٤، ٣٦٣.
- الوقشي (ابن أبي جعفر)، أبو الحسين (٢) ١٣، ١٦ (٥) ٧٦.
- الوقشي (هشام) القاضي أبو الوليد (٤) ١٧٩ (٥) ٣٥، ٧٥، ٧٦، ٩٦، ٩٧، ٢٢٢.
- ابن الوقشي الطليطلي (٤) ١٧٩.
- وقلة (ابن غيطشة) (١) ٢١٣.
- وكيع بن الجراح (٢) ٢٢٧.
- ابن وكيع (٥) ١٢٤ (٩) ٨٨.

ابن الوكيل (صدر الدين) (٢) ١٣٥ (٣) ١٤٩ (٤) ١٠٠.

ابن ولاد، أبو العباس (٢) ١٩٤، ١٩٥.

ولادة بنت المستكفي بالله (صاحبة ابن زيدون) (١) ٣٣٨ (٣) ١٦، (٤) ٤٤، ٩٧ (٥) ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٩٣، ٢١٠.

ولى الدين ابن خلدون، انظر: ابن خلدون المؤرخ.

الوليد بن أبان (٦) ٢٣٥.

الوليد بن إبراهيم بن يزيد الهمداني (قاضي الري) أبو العباس (٣) ١٧٩.

وليد بن بكر بن مخلد بن زياد العمري (٣) ١١.

وليد بن حيزون (قاضي النصارى) (١) ٣٠٣، ٣٠٤.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٤٩

الوليد بن عبد الرحمن بن غانم (٤) ١٧٥، ١٧٦.

الوليد بن عبد الملك (١) ١٤٠، ١٧٠، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤،

٢٢٧، ٢٢٨ (٢) ٣٠، ٢١٦، ٢١٨ (٣) ١٩، ٩٧، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٣ (٨) ٨٨.

الوليد بن عتبة (٦) ٢٥٣.

الوليد بن معاوية (٣) ٣٢١.

الوليد بن المغيرة (٦) ٢١٧.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١) ٢٥٨ (٣) ٣٠٢، ٣٠٧ (٥) ٧٩ (٨) ٢٨٥.

ابن الوليد (محدث) (٣) ١٣٦.

ابن الوليد، انظر: ابن الخليج.

أبو الوليد السلطان (٦) ٧.

أبو الوليد الباجي (سليمان بن خلف بن سعد التجيبي) (٢) ٢٠١، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٧،

٢٤٩ (٣) ٧، ١٢٥، ١٤٧، ٢٠٤، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٦، (٤) ٢٣، ٣١.

أبو الوليد الحضرمي (٢) ٣٠٦ (٤) ٢٣٨.

أبو الوليد الكناني (١) ٢٣١.

أبو الوليد بن زيدون، انظر: ابن زيدون.

أبو الوليد القسطلي (٥) ١٨.

أبو الوليد بن مذحج (٤) ٢٥٧.

أبو الوليد بن هانيء (٦) ١٩٠.

أبو الوليد إسماعيل بن حبيب، انظر: حبيب.

أبو الوليد بن نصر (٧) ٣٥.

ونزمار بن عريف (٦) ٨٦.

الونشريسي (٦) ١٧٥، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٧٩، ٣٤٧، ٣٥٥.

الونشريسي (أحمد بن يحيى بن محمد) (٦) ١٧٠، ١٧٣ (٧) ٣٧٤.

الونشريسي (يونس بن عطية) (٦) ٢٨٧، ٢٨٨.

- الونشريسي، أبو العباس (٦) ٢٢٩، ٢٨٠.
- الونشريسي (الحسن بن عثمان) أبو علي (٦) ٢٩٠.
- الونشريسي (عمر بن عثمان) أبو علي (٦) ٢٨٩.
- وهب بن مسرة (٢) ٢١٩، ٣٤٧.
- ابن وهب (٣) ٣٥٩.
- ابن وهب (ابن أخي عبد الله بن وهب) (٢) ٢٢٧.
- ابن وهب (عبد الجليل) المرسى.
- أبو وهب الزاهد (٥) ٥٦.
- أبو وهب القرطبي العباسي (٤) ٤٤، ٥٧، ٥٨.
- ابن وهبون (عبد الجليل) أبو محمد (٢) ١٥٤ (٤) ٣٣، ٦٤، ٩١، ١٣٣، ٣٦٩ (٥) ٩، ٣٧، ٤٦، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥.

حرف الياء

- اليابرى (عبد الله بن طلحة) أبو بكر (٣) ٢٣٩.
- اليابرى (الوزير) أبو الحسن (٤) ٢٤٤.
- يأجوج بن يافث بن نوح (١) ١٢٧.
- الياس (٧) ٢٣٥.
- ابن الياسمين (٣) ٢٧٨.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٥٠.
- ياسين النبي (٩) ١٧٠، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٦.
- يافث (ولد نوح) (٢) ٢٣ (٧) ٧٠.
- اليافعى (٢) ٢٢٢، ٣٢٣.
- ياقوب (الحواري) (١) ٣٢٢.
- ياقوت المستعصمي (٥) ٢٢١، ٢٢٢.
- يحيى (خادم أبي البركات البليقي) (٧) ٣٠.
- يحيى (فى شعر ابن الخطيب) (٨) ١٦٣.
- يحيى التطيلي، أبو بكر (٥) ٢٣٩.
- يحيى الجزار (٤) ٢٠٢.
- يحيى الخدج المرسى (٤) ٢٦.
- يحيى الخزرجي (٨) ٢١٠.
- يحيى السرقسطي (٤) ٣٧١ (٥) ٨٧، ٩٣.
- يحيى العجيسى (٣) ٢٧٩ (٨) ٢٩٠.
- يحيى الليثي (٦) ٥.
- يحيى المقدسى بن المصرى (٦) ٣٢٥.

- يحيى الميورقي (٤) ٢٨٠.
- يحيى اليكى (أبو بكر) (٤) ١٣٧.
- يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن شبل (٣) ١٢٢.
- يحيى بن إبراهيم بن مزين (٣) ٢٢٨.
- يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى (٧) ٢٩٧، ٢٩٨.
- يحيى بن أبى بكر المرابطى (الأمير) (٨) ٢٣٦.
- يحيى بن أبى حفص بن عبد المؤمن بن على (١) ٢٤٤.
- يحيى بن محمد بن أبى حفص (أبو زكريا) (٤) ٥.
- يحيى بن إسحاق الوزير (٤) ٢٠.
- يحيى بن بقى (الوشاح) انظر: ابن بقى، أبو بكر.
- يحيى بن بكير (٣) ١٢٧.
- يحيى بن بيدير (٤) ٣٥٤.
- يحيى بن حكم الجيانى، انظر: الغزال.
- يحيى بن خالد (٦) ١١٨ (٨) ١٢٠.
- يحيى بن خالد البرمكى (١) ٢٣ (٥) ٢٧، ٣١ (٨) ١٢٠، ١٧٨.
- يحيى بن ذى النون، انظر: المأمون.
- يحيى بن رحو (٨) ٩٣.
- يحيى بن زرياب (٣) ٣٨٤، ٣٨٧.
- يحيى بن سعادة القرطبي، انظر: ابن سعادة القرطبي.
- يحيى بن سعد بن مسعود القلنى، أبو زكريا (٥) ٢٥٨.
- يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي، أبو بكر (٢) ٢٦٩.
- يحيى بن سعيد القطان (١) ٢٢٧.
- يحيى بن سعيد بن المرخم، انظر: ابن المرخم.
- يحيى بن سلامه بن الحسين، انظر: الخطيب الحصفى.
- يحيى بن سلمه الكلبي (١) ١٩١، ٢٣٧ (٣) ٢٩٧، ٢٩٨.
- يحيى بن سهل اليكى، انظر: اليكى.
- يحيى بن شرف، انظر: النووى.
- يحيى بن صفوان بن إدريس (٤) ١٣٨.
- يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر، انظر: ابن مجبر.
- يحيى بن عبد الحميد الحمانى (٣) ١٢٨.
- يحيى بن عبد الرحمن بن أبى بكر القرشى المقرئ (٦) ١٧٣.
- يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله القيسى الدمشقى، أبو زكريا (٣) ٣٣٨.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٥١

- يحيى بن عبد العظيم أبو الحسين، انظر:
الجزار أبو الحسين الشاعر المصري.
- يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الأنصارى الجزار (٣) ١٥٦.
- يحيى بن عبد الله بن محمد المغيلي، أبو بكر (٣) ٢٤٩.
- يحيى بن عبد الواحد، الحفصي، أبو زكريا (١) ٢٣٩ (٢) ٣٨٧، ٤٤١ (٣) ١٩٢ (٥) ٣٤٨، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨.
- يحيى بن علي القرشي (الحافظ) أبو الحسين (٢) ١٠٥.
- يحيى بن علي بن حمود (الملقب بالمعتلى) (١) ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٨ (٢) ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.
- يحيى بن علي بن رمان (٤) ٤١٣.
- يحيى بن علي بن سلطان اليفرنى، أبو زكريا (٥) ٨٢.
- يحيى بن علي بن القاسم (من بنى عشرة) (٥) ١٦١، ١٦٤.
- يحيى بن عمر شيخ الغزاة، أبو زكريا (٦) ٨٤ (٧) ٣٥٦.
- يحيى بن عمران القرطبي (٨) ٢٨.
- يحيى بن غانية المثلث (٢) ٤٥٢، ٤٥٣.
- يحيى بن قاسم بن هلال، أبو زكريا (٣) ٢٢٦.
- يحيى بن مجاهد بن عوانة، أبو بكر (٣) ٢٢٦.
- يحيى بن محمد الأركشى، أبو زكريا (٥) ١٢.
- يحيى بن محمد التجيبى (١) ٢٩٨.
- يحيى بن محمد المغراوى محيى الدين، أبو زكريا (٦) ٣٢٤.
- يحيى بن محمد بن أحمد بن سليمان (٢) ٣٣٥.
- يحيى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد (٣) ٥، ٦.
- يحيى بن محمد بن الليث (١) ٢٨٦.
- يحيى بن محمد بن يحيى بن عصفور التلمسانى، أبو زكريا (٦) ١٩٣.
- يحيى بن مضر القيسى، أبو زكريا (١) ٢٧٠ (٢) ١٨٧.
- يحيى بن المعتصم بن صمادح، انظر: رفيع الدولة ابن المعتصم.
- يحيى بن معين (٢) ٢٣٠.
- يحيى بن ميمون (٥) ٢٨١.
- يحيى بن الناصر (ابن أخى أبى العلاء المستنصر) (٢) ٢٧٢ (٥) ٢٨٦.
- يحيى بن يحيى الليثى (١) ٢٦٦ (٢) ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢١٤، ٢١٥، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣٤٩، ٣٥٣ (٣) ١٢٧، ١٢٩، ٢٠٣، ٢٢٩ (٤) ٤٩، ٣٣٥ (٦) ٥، ١٠، ١٦٩.
- يحيى بن بيدير (٦) ٣٥٤.
- يحيى بن يزيد اليحصبى (٣) ٣٢١.
- يحيى بن يظفت (٤) ٣٣٣.
- يحيى بن يوسف بن تاشفين (٨) ٢٢٥.

- أبو يحيى بن إبراهيم (٢) ١٧٢.
- أبو يحيى (محمد بن محمد بن عبد الواحد) البلوى المرى (٧) ١٨٢، ١٨٤.
- أبو يحيى التلمسانى الشريف (٢) ٨٠ (٧) ١٥٢.
- أبو يحيى الحضرمى (٢) ١٦.
- أبو يحيى الحفصى (٢) ٤٣٩، ٤٧٦، (٥) ٢٨٤، (٦) ٣٤٢.
- أبو يحيى الشريف (٦) ٢٢٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٥٢
- أبو يحيى أبو بكر (صاحب تونس) (٧) ٢٤٥ (٨) ٢٩٤.
- أبو يحيى بن أبى زكريا (صهر ناصر بن عبد المؤمن) (٤) ٢٧.
- أبو يحيى بن أبى عمران التينملى (٥) ٣٥٦، ٣٥٨.
- أبو يحيى بن أبى يعقوب بن عبد المؤمن (١) ١٣٦ (٢) ٨.
- أبو يحيى صاحب سبتة (١) ١٥٤ (٤) ٢٧.
- أبو يحيى بن عامر الهنتاتى (٨) ١١٨.
- ابن يربوع، أبو العباس (صاحب الحديقه) (٧) ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦.
- يزيد (فى شعر امرئ القيس) (١) ٢٦٣.
- يزيد (فى شعر ابن باجه) (٨) ٢٢١.
- يزيد الأغر (٤) ٢٨.
- يزيد السلمى (٤) ٢٨.
- يزيد بن أبى خالد اللخمى الإشبلى، أبو عمرو (٥) ٥، ٦.
- يزيد بن أبى مسلم (والى إفريقية) (١) ١٨١ (٣) ٢٩٧، ٣٣١.
- يزيد بن أكيمة (٣) ١٧٩.
- اليزيد بن عبد الرحمن بن بقى القاضى، أبو الوليد (٥) ٣٥٦.
- يزيد بن عبد الملك بن مروان (الخليفه) (٢) ١٤٩ (٣) ٣٣١.
- يزيد بن مسروق (١) ٢١٧.
- يزيد بن معاوية (٤) ٦٥ (٦) ٦٠ (٨) ٨٨ (٩) ١٦٥، ٢٠٦.
- يزيد بن المعتمد بن عباد، أبو خالد، انظر:
الراضى، أبو خالد.
- يزيد بن المهلب (١) ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧ (٦) ٢٤٢.
- يزيد (رسول عبد الرحمن بن معاوية) (٢) ١١.
- يزيد بن هارون (٣) ٢٢٣.
- أبو يزيد البسطامى (٦) ٢٥٧، ٢٦٠.
- أبو يزيد بن العاصى (٤) ٣٦٠.
- اليزيدى (٣) ١٤٣.

- اليسر بن اليسر القشيري (٣) ١٥٦.
- أبو اليسر (إبراهيم بن أحمد الشيباني) الرياضي (٣) ٣٩١، ٣٩٢.
- اليسع بن عيسى بن اليسع، أبو يحيى، انظر:
ابن اليسع، أبو يحيى.
- ابن يس (أبو زكريا) (٦) ٣٢٠.
- ابن اليسع (محمد) (٤) ٣٨٥.
- ابن اليسع، أبو الحسن (٢) ١٤٠ (٥) ٥٣، ١٩٨، ٢٢٩.
- ابن اليسع (اليسع بن عيسى)، أبو يحيى (١) ١١٨، ١٤٢، ١٧٣، ٢١٣ (٢) ١٦٤ (٣) ١٠، ١٠٤ (٤) ١٩٧ (٥) ٢٢٩، ٣٤٥.
يشجب (٩) ٣٠٢.
- يعرب (أبو العرب) (٢) ١٥٥.
- أبو يعزى (٨) ٣١٧، ٣١٨.
- يعقوب (النبي) (١) ٩٩ (٤) ٧٨ (٥) ٤١٨، ٢٣٥ (٦) ٧٠، ١٢٧ (٨) ١٧٠، ١٨٨ (٩) ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٧٤.
- يعقوب (مقرئ) (٦) ١٥.
- يعقوب (في شعر ابن الخطيب) (٨) ١٨٠.
- يعقوب الكندي (٨) ٢٧.
- يعقوب الموحدى السلطان، انظر: المنصور الموحدى.
- يعقوب بن سفيان (٣) ٣٣٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٥٣
- يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط (٤) ٣٤٧.
- يعقوب بن عبد الحق المريني، أبو يوسف (١) ٣٤٢، ٣٤٥ (٥) ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٢٣ (٦) ١٠٠، ٢٢٥ (٧) ١٤٣، ١٤٥ (٨) ١٥١، ١٥٣.
- أبو يعقوب (٢) ١١٦ (٦) ٣٤٣.
- أبو يعقوب المريني، انظر: يوسف بن يعقوب ابن عبد الحق المريني.
- أبو يعلى المالكي (٢) ٣٤٩.
- أبو يعلى الموصلى (٣) ٣٤٢.
- يعنم (في شعر للسلفى) (٣) ٣٣٧.
- يعيش بن على النحوى، أبو البقاء (٢) ٣٥١، ٣٥٥.
- ابن يعيش البلنسى، أبو عبد الله (٣) ١٤٣، ٢٤٠.
- ابن يغمور، جمال الدين (٤) ٢٤٥، ٣٩٦، ٤٧٨.
- اليغمورى (الجمال) (٢) ٣٧٠.
- اليفرنى (١) ٣٣٢ (٥) ٨٢ (٦) ١٨١.
- ابن أبى يفلوسن، انظر: عبد الرحمن.
- اليقورى (٢) ٢٢٠.
- اليكى (يحيى بن سهل) أبو بكر (٤) ١٥٤.

يلبغا الخاصكى (٧) ٣٦٨.

يليان النصرانى (١) ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٦.

أبو اليمن الكندى، تاج الدين (٢) ٢١٨ (٣) ١٦٦، ٢٢٧، ٣٩٣.

ابن ينق الشاطبى، أبو عامر (٤) ٣٦١، ٣٨٨ (٥) ٢١١.

يوسف (الصدىق) (١) ٩٩، ١٣٧ (٢) ١٧٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢ (٤) ٧٨، ١١٠، ١٢٩، ١٤٤، ١٨٩ (٥) ٥٤، ٩٣، ١٨١، ٤٣٢ (٦) ٧٠.

١٢٧، ١٣٥، ٢٦٢، ٣٢٧ (٨) ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥.

يوسف البلوطى (٣) ٣٧٢.

يوسف الدمشقى (٣) ٤٠٣، ٤٠٤.

يوسف بن إبراهيم الهمدانى (٢) ٣٠٢.

يوسف بن إبراهيم بن محمد بن قاسم الغرناطى، أبو الحجاج الساحلى (٢) ٣٧٩.

يوسف بن أبى ركانة، أبو الحجاج (٣) ١٧٩.

يوسف بن أحمد الأنصارى المنصفى، انظر:

المنصفى، أبو الحجاج.

يوسف بن إسحاق بن أبى بكر الطبرى المكى (٣) ١٥٦.

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر (٥) ٣١٢، ٤١٠ (٧) ٢٣١ (٨) ٦٩، ٩٢، ١٧٧.

يوسف بن بخت (٣) ٣٠٩، ٣٢٠.

يوسف بن تاشفين اللمتونى (١) ١٥٩، ٢٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٧٣ (٣) ٢٢٦ (٤) ٣٠، ١٨٧، ١٩٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٣٣٨، ٣٤٠ (٥) ٢٠، ٣٩.

١٤٤، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٦، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠.

٢٨١، ٢٨٣، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٦ (٧) ١٦٩.

يوسف بن خرزاذ النجىمى، انظر: ابن النجىمى.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٥٤.

يوسف بن رماح الهمدانى بدر الدين، أبو المحاسن (٣) ١٨٥.

يوسف بن سليمان بن عيسى الشتمرى، انظر:

الأعلم الشتمرى.

يوسف بن سليمان بن هود (٥) ٣٤٠.

يوسف بن عبد الرحمن الفهرى (١) ١٩٣، ١٩٤، ٢٠١، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٥٩، ٢٥٩ (٢) ٤٤٨ (٣) ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩.

٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٣.

يوسف بن عبد الرحمن المزى جمال الدين، انظر: المزى (الحافظ).

يوسف بن عبد الرحيم الأقرى، أبو الحجاج (٣) ١٣٨، ١٣٩.

يوسف بن عبد الصمد، أبو بحر (شاعر المعتمد) (٤) ٣١٠.

يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى، انظر:

ابن عبد البر، أبو عمر.

يوسف بن عبد المؤمن بن على (١) ١٣٥، ١٤٥، ٢٣٨، ٣٤٢ (٤) ٦٧، ١٠٤ (٥) ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٦٤.

- يوسف بن عتبة الإشبيلي، الطيب، أبو الحجاج (٢) ٢٦٥.
- يوسف بن علي الطرطوشي، أبو الحجاج (٦) ٢٠٣، ٢١٢ (٧) ٣٦٠.
- يوسف بن عمر بن أحمد الخالدي الزنجاني (٣) ٣٣٦.
- يوسف بن الغني بالله (٥) ٤١٠ (٨) ٥٨، ٥٩ (٩) ٩٢.
- يوسف بن القاسم (أحد بنى عشرة) (٤) ٣٨٦.
- يوسف بن القاسم الميانجي (٣) ٢٠٣.
- يوسف بن محمد البياسي، انظر: البياسي، أبو الحجاج.
- يوسف بن محمد القيرواني، أبو الحجاج (٣) ٢٤٠.
- يوسف بن مخلوف (٥) ٣٥٢.
- يوسف بن موسى المنتشاقري، انظر:
المنتشاقري.
- يوسف بن نجية (١) ٢٦٥.
- يوسف بن هارون الرمادي، أبو عمر، انظر:
الرمادي.
- يوسف بن هود المؤتمن انظر: المؤتمن بن هود.
- يوسف بن يحيى بن يوسف الأزدي المغامي (٣) ١٢٩.
- يوسف بن يزيد القراطيسي (٣) ١٢٩.
- يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني (٥) ٢٨٧، ٢٩٥، ٣٦٤، (٦) ١٨١، ٢٠١، ٢١٨، ٣٠٧ (٧) ٣، ١٥٤.
- يوسف (في موشح لابن الخطيب) (٨) ٢٥٧.
- أبو يوسف القاضي (٢) ١٨٧ (٤) ١٢، ٦٥.
- أبو يوسف المغني (٢) ١٥٨.
- أبو يوسف يعقوب (خادم أضياف الرسول) (٢) ٢٨٩.
- يوشع (٢) ٣٧٨ (٦) ٤٥، ٤٨.
- يوليش (قيصر) (١) ١٣٧.
- ابن يومور، أبو عبد الله (٢) ٢٥٥.
- يونس (النبي) (٤) ١٣٠ (٥) ٧٨ (٦) ١٥٥، ٢٠٧ (٩) ١٦٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥.
- يونس (٢) ٢٩٠ (٦) ١٦٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٥٥.
- يونس المغربي (٣) ١٨٤، ١٨٥.
- يونس بن حبيب (٢) ٢٩٨ (٣) ١٤٣.
- يونس بن عبد الأعلى (٢) ٢١٨ (٣) ٢٢٢، ٢٢٨.
- يونس بن مغيث (٣) ١٦٥.
- ابن يونس، أبو سعيد (٢) ٢٢٧، ٣٤٩، ٣٥٢ (٣) ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣ (٦) ٢٣١.

اليونيني، أبو الحسن (٢) ٣٠٧، ٣٥٧ (٣) ٨، ١٣٦، ٢٥٢.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٥٦

٢- فهرست الأماكن والمدن

حرف الألف

- آمد (٣) ٢٠٥.
إرم (٥) ٤١٣، ٤١٥ (٦) ١٢٧.
آزمور (٢) ١١٦.
أبان (٢) ٤٠.
أبذة (٤) ٥١، ٢٩٨ (٨) ٨٢.
أبذة (١) ١٤٣ (٢) ١٩١.
الأبرق (٤) ١٩٥، (٧) ٢٠٠.
أبنيون (١) ٢١٩.
أحد (١) ٦٤ (٥) ٣٧٣ (٧) ٢٦، ٢٧، ٣٦ (٩) ٣١، ٤٢، ٢٠٦.
الأحص (٢) ١٣٣.
الأخوين (١) ١٣٧.
أذربيجان (٤) ١٤، ٥٦.
الأربس (١) ٢٤٨.
إربل (٢) ٢٥٩، ٣٥١ (٣) ١١، ٢٠٥.
أربونة (١) ١١٨، ١١٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ٢١٩، ٢٦٥ (٢) ١٠، ٨٣ (٣) ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٥ (٥) ٢٦٠ و انظر أيضا: نربونة.
أرجان (١) ٢٤٧ (٢) ٣٩٧.
أرجدونة (٦) ٣٨١.
أرجونة (١) ١٧٨، ٣٤٤.
الأرحا (٢) ٢٠. و انظر أيضا: السد.
الأردن (١) ١٩٢، ١٩٣ (٢) ١٢.
أرزن (٣) ٢٠٥.
أرغون (١) ١٢٥.
الأرك (غزوة) (١) ٣٤٢، ٣٤٣ (٥) ٢٨٤.
أركش (٥) ١٤٤.
إرم (٥) ٣٧٣.
أرملاط (٤) ٨٥.
أرمينية (٢) ٤٨٠ (٤) ١٤.

أشكر (٧) ٣٥.

أصبهان (١) ١٢٣، ٢٠٧ (٢) ٢١٩، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٨٧، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٤٨ (٣) ٢٢١، ٢٢٧، ٣٩٤، (٤) ١٤، ١٣٥.

أصطبونة (٦) ٢١٠.

اصطخر (٢) ١٨٤.

أطرابلس، انظر: طرابلس.

أطيرة (٥) ٣٠٧ (٨) ٧٩.

أعناق (٣) ٢٢٨.

أغرناطة، انظر: غرناطة.

أغريطة (١) ١٢١.

أغمات (١) ٣٣٩ (٤) ٣٤١ (٥) ٤١، ٤٢، ٤٣، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٧٩، ١٨١، ١٩٤، ٢٠٤، ٢٧٦، (٦) ٢٠٩،

(٨) ١٨٧، ١٨٨.

إفريقية (٥) ٤٠١.

إفريقية (١) ١٢٣، ١٤٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧،

٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٣٤٥ (٢) ٥٧، ٧٤، ٨٨، ١٨٧، ٢٠٣، ٢٣٠، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٩٦، ٣٣٨،

٣٤٣، ٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠١، ٤١٠، ٤٢٨، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٧٦ (٣) ٤، ١٤٦، ١٥٤، ١٥٧، ١٩٤، ٢٤٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠،

٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٢، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٧٣، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠١،

٤٠٢، ٤٠٣ (٤) ٤، ٥، ٩، ١٧، ٢٤، ٢٦، ١٩٥، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٥٠ (٥) ١٨، ٥٣، ٦١، ١٠٤، ٢٣٠، ٢٦٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٠١،

٣٤٦، ٣٥٢، ٣٦٥ (٦) ١٧٣، ١٨١، ٢٠٨، ٢٢٩، ٢٩٠، ٣١٩ (٧) ١٣٦، ٢٧٨، ٣١٦، ٣٤١، ٣٥٨ (٨) ١٧٥، ٢٩١، (٩) ٢٣٧، ٢٤٥، ٣٠٣، ٣١٠.

أقريطش (١) ٢٦٧ (٢) ٢٩٥ (٤) ١١، ١٢ (٦) ١٠.

أقليبية (٢) ٣٩٧.

أقليش (١) ١٣٨، ١٨٦ (٣) ١١٧، ١٩٩ (٥) ١٥٩.

أكشونية (١) ١٢٧، ١٢٨ (٣) ١٢٤.

ألبش (٢) ١٥٩.

إلبنة (٨) ٨٥.

ألبة (١) ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٩٨.

ألبونت (١) ١٢٨، ٣٤٠ (٣) ٢٩٨ (٤) ١٠.

إلبيرة (١) ١٢٨، ١٣١، ١٣٢، ١٩٢، ٢١٠، ٢١٢، ٣٤٥ (٢) ١٩١، ٢٢٧ (٣) ٢٥٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٧٣ (٤) ١٩، ١٨٨ (٥)

١٠١، ٢٣٥، ٣٨٤، ٤٠٠ (٦) ٤٣، ١٣٨ (٩) ١٥٠.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٥٩

الأندلس (١) ٨١، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١،

١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩،

١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤،

١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧،

- ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٨، ٤٢، ٤٦، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٧، ١٥١، ٢١٢، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٥١، ٣١٠، ٣٢٥.
- أم القرى و انظر أيضا: مكة.
- أنتقيرة (٥) ٣٩٧.
- أندرش (١) ١٤٣، (٥) ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٠٩ (٦) ٧١ (٧) ٥٧.
- أندة (١) ١٥٤ (٣) ١٣.
- أنشيان (٣) ١١٨.
- أنطاكية (٣) ٤٠٠.
- أنفا (٨) ١٧٨.
- أنيجة (٥) ٣٥٩، ٣٧٩.
- الأنيعم (٢) ٢٠٦.
- الأهرام (٣) ٤، ٤٠١ (٤) ١٤٤.
- الأهواز (٢) ٣٤٨ (٣) ١١٩، ١٩٧ (٤) ٢٢١ (٥) ٣١.
- أوريوالة (٥) ٣٥١.
- أوريولة (١) ١٤٣، ٢١٢، ٢٣٠ (٢) ٣٠٤ (٣) ٢٣٦، ٢٣٧ (٥) ٢٥٧، ٢٦٠ (٩) ٢٤٥.
- أوطاس (٨) ٦٨.
- أونبة (١) ١٤٤، ٢٣٣ (٤) ٦٧.
- أيلة (موضع) (٣) ١٦٥.
- إيليا (١) ٨٨، ١٢٣، ١٢٥. و انظر أيضا:
- القدس.
- إيوالاتن (٦) ١٧٣.
- إيوان كسرى (٢) ٣٧، ٤٥٩ (٥) ٣٦٩ (٦) ٣٣١ (٧) ٢٩٥، ٣٠٧ (٨) ١٥١ (٩) ٢٥٤.

حرف الباء

- باب أبرز (ببغداد) (٢) ٢٦٧.
- باب ابن عبد الجبار (بقرطبة) (٢) ١٠.
- الباب الأخضر (بالإسكندرية) (٢) ٢٤٨.
- باب إشبيلية (بقصر قرطبة) (٢) ١٠.
- باب البيرة (بغرناطة) (٧) ٣٦٥.
- باب البحر (بالقاهرة) (٣) ١٤٤.
- باب بطليوس (بقرطبة) (٢) ١٠.
- باب بنى شيبه (٩) ١٦٦.
- باب تاغزوت (بمراكش) (٩) ١٢٣، ١٢٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٦٢

- باب الجامع (بقرطبة) (٢) ١٠ (٥) ٣٠٦.
- باب الجزيرة الخضراء (بقرطبة) (٢) ١٠.
- باب الجنان (بقرطبة) (١) ٢٦٥، ٣٠٢ (٢) ١٠.
- باب الجوز (بقرطبة) (٢) ١٠.
- باب الجياد (بتلمسان) (٨) ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٢.
- باب جيرون (٣) ١٧.
- باب الحديد (بقرطبة) (٢) ١٠.
- باب الحنش (بسرقسطة) (٢) ١٦٣.
- باب الدباغين (١) ١٧١ (٨) ٢٣٠.
- باب رومية (بقرطبة) (٢) ١٠.
- باب زويلة (٢) ٤٥٤.
- باب السدة (بقصر قرطبة) (١) ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٠٣.
- باب سرقسطة (بقرطبة) (٢) ١٠.
- باب السمارين بشاطبة (٤) ١٣٤.
- باب الشريعة (٥) ٤١، (٦) ١٢٩.
- باب الصباغين (ياشيلية) (٥) ١٧١.
- باب الصرف (بتلمسان) (٦) ٢٢٩.
- باب الصفا (بمكة) (٣) ١٢٤، ٢٣٦.
- باب الطاق (٣) ١٦.
- باب طليبة (بقرطبة) (٢) ١٠.
- باب طليطلة (بقرطبة) (٢) ١٠ (٥) ٢٨٢.
- باب عامر القرشي (بقرطبة) (٢) ١٠.
- باب العطارين (بقرطبة) (٢) ١٠، ١٣٠.
- باب الفتوح (٦) ٢٨٤ (٨) ٣٠٤ (٩) ٥٨.
- باب الفراديس (٣) ٢٣٢.
- باب الفرج (ياشيلية) (٥) ١٧١.
- باب الفرج (بيسطة) (٨) ١٤٤.
- باب القبة (٨) ١٩٦.
- باب القنطرة (بقرطبة) (٢) ١٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ١٦٢
- ب قورية (بقرطبة) (٢) ١٠.
- باب الكحل (٥) ٣٥٧.
- باب ليون (بقرطبة) (٢) ١٠.

باب المحروق (بفاس) (٢) ٢٠٢ (٦) ١٢٩، ١٣٠.

باب الملعب (بمالقة) (٧) ٣٣٩، ٣٤٠.

باب النصر (بالقاهرة) (٣) ١٤٤.

باب الهدى (٨) ٨٦.

باب الوادي (بقرطبة) (٢) ١٠.

باب اليهود (بسرقتة) (٣) ٢٩٠.

باب اليهود (بقرطبة) (١) ١٣٧ (٢) ١٣٧.

بابرة (١) ١٤٣.

بابل (١) ٤٣، ٢٩١ (٢) ٢١٣ (٣) ١٨، ١٨٨ (٤) ٨٩ (٥) ٣٤٠، ١١٠ (٦) ٢٧٢ (٧) ١٨٢، ٢٣٩، ٣٤٠، ٣٥٤، ٣٦٣.

باجة (١) ١٣٩، ١٨٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢٦٢، ٢٧١ (٢) ٢٣٧، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥ (٣) ١٢٥، ٣١٢، ٣١٥، ٣٢٢، ٣٣٥ (٥) ٢٦٦ (٨) ٢٢٥.

باجة إفريقية (٣) ١١، ٢٧٧.

باجة القيروان (٢) ٢٣٧ (٣) ١٢٥.

باديس (٦) ٣٣٧.

بارق (٢) ١٨ (٣) ٢٥٩ (٥) ٦١ (٧) ٣٢ (٨) ١٧٣ (٩) ٢٧، ٤٥، ١٢٩.

باغة (بيغة) (١) ١٣٢، ١٦٧ (٢) ٣٣٣ (٤) ١٧٣ (٥) ٨٨ (٧) ٢٢٧.

باغية (١) ١٣٢.

باناس (٣) ٣٢.

بيرة (١) ١٢٨.

بيلة (٣) ١٠٠.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٦٣

بجانس (٣) ٢٧٥، ٢٧٦.

بجانة (١) ١٢٨ (٢) ١٩١ (٥) ١٠٣، ٣٥٢.

بجاية (١) ٢٤٨ (٢) ٣١، ٢٠٠، ٢٥٥، ٣٠٠، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٧٦ (٣) ١٢، ١٠١، ١٢٢، ١٦٥، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٣٣٨، ٣٧٠.

٣٧١ (٤) ٥٣، ١٢١، ١٧٢ (٥) ٢٣٠ (٦) ١٦٩، ١٨٢، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١١، ٣٢٦، ٣٤٢، ٣٤٣ (٧) ٢٨، ٢٩ (٨) ٢٩١، ٣٢٠.

٣٢١ (٩) ٢٤٥، ٢٥٧.

البحر الأخضر (١) ١٢٣، ٢٢٠، ٣٢٢ (٤) ٢٩ (٧) ٣٥٨.

بحر البنادق (١) ١٢٥.

بحر تيران (١) ١٢١.

بحر الروم (١) ١٢٢، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٤، ١٦٥ (٢) ٣٢٧.

بحر الزقاق (١) ١١٨، ١١٩، ٢٠١، ٢٠٣ (٥) ١٧٠.

البحر الشامي (١) ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٤٤، ١٨٥.

البحر الشمالي (١) ١٩٦.

البحر المتوسط (١) ١٢١، ١٢٢.

البحر الكبير (١) ٢٩٨.

البحر المحيط (١) ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ٢٢٨، ٣٢٣، (٢) ٤٤٩، ٤٥٨، (٣) ٥٨، ١٥٧ (٥) ٢٥٠.

البحر المالح (١) ١٩٨، ٢٢٨، ٣٢٣.

البحيرة الكبرى (٥) ١٩٩.

بخارى (٢) ٢٢٤، ٢٩٠، ٢٩٨ (٣) ٥، ١٣٨، ١٧٩، ١٨٠، ٢٢٣، ٣٣٤، ٣٣٥.

بدر (٣) ٥٦، ٢٥٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٤ (٥) ٧٩ (٦) ٥٦، ١٤٨، ١٤٧، ١٤٨، ٢٥٣ (٧) ٦٠، ٦٤ (٨) ١٦٦، ٢٦٢ (٩) ٣١، ٤٢، ١٤٢، ١٤١، ١٧٠، ١٧٩، ١٨٢، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٧.

البديع (بقرطبة) (٧) ١٧٠.

براق (٢) ١٨٩.

بربشتر (٥) ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٤.

بربونة (١) ١٢٢.

البرت (١) ٢٠٢، ٢٨٥.

برتقال (١) ١٢٥، ٢٦٠، ٣٢٢.

برج الشهداء (بماردة) (١) ٢١٦.

برج الملاحة (٥) ٤٠٤، ٤٠٦.

برج همدان (٥) ٤٠٥.

برجان (١) ١٢٥.

برجة (١) ١٣٣، ١٥٧ (٢) ١٦١ (٤) ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦ (٥) ٤٠٥ (٦) ٤٣ (٧) ٥٧.

بربونة (١) ١٢١.

برجونة (٣) ١٨٤.

بردى (٣) ٣٢، ٣٤.

برذيل (١) ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢.

برساء، انظر: برصة.

برشانة (٥) ٤٠٦.

برشك (٦) ١٨١.

برشلونة (١) ١١٩، ١٢٥، ١٢٨، ١٩٠، ١٩١، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٩٨، ٢٩٩ (٣) ٢٩١ (٥) ٢٨١، ٣٤٦، ٣٥٦.

برصة (٣) ٢١٥ (٦) ٣٥٨.

برطانية (١) ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٤٤.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٦٤

١٦٥، ٢٦٥، ٢٧١ (٥) ٢٨٤، ٣٤٠.

برغش (١) ٢٨٤.

برقة (٣) ٢٢٦، ٢٤٧، ٣٠٧، ٣٢٤ (٦) ٢٨.

برقة ثممد (١) ٨٥.

- البرقوية (٣) ١٤٧، ١٦٤.
 بركة الحبش (٤) ١٣٦.
 بركة الفيل (٢) ٤٦٠.
 برلس (٣) ٢٤١.
 برنده (١) ٢٥٩ (٣) ٢١٥.
 برين (٤) ٣٤٤.
 بزليطة (١) ١٤٠.
 بسطاسة (٢) ٣.
 بسطة (٣) ٢٧٧، ٣٩١ (٥) ١٤، ٣٦٨، ٣٧٥، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٤ (٨) ١٤٣، ١٤٤.
 بسكرة (٨) ٩٥.
 البشرات (١) ١٢٧، ١٣٢ (٥) ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨.
 البصرة (٢) ٣٦، ٤٠، ١١٥، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٩٧، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٩٧، ٤٥٤ (٣) ١١٣، ١٢٨، ٢٢١، ٢٣٤، ٤٠٣ (٤) ١٣، ٤٥، ٤٦ (٥) ٦٦، ٦٦.
 ٣١ (٤) ٢٣٥، ٢٤٩ (٨) ١٥١.
 البطحاء (٤) ١٨، ٢٧ (٩) ٣٦.
 بطحاء عبدون (٢) ٦٩.
 بطرنة (قرية) (١) ١٢٨، ١٥٣.
 بطروج (٤) ١٢.
 بطليوس (١) ١٤٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٨٤، ٢٣٦، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢ (٢) ٢٣٧، ٢٨٨ (٣) ١٢٣، ٣٣٥ (٤) ٢٤، ٣٣، ١٨٢، ٢٣٦، ٢٤٥، ٣٧٢ (٥) ٩٠، ٢٢٧، ٢٦٧، ٢٧٦، ٣٥٤، ٣٥٥.
 بطن محسر (٤) ٢٠٩.
 بطويه (٤) ٨٧.
 بطياس (٢) ٤٤٥.
 بغداد (١) ٩١، ٢٥٢، ٢٧٩، ٣٠٠، ٣٤٤، ٣٤٥ (٢) ٥، ٦، ٩٥، ١٠٣، ١٤٨، ٢٠١، ٢٠٦، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١١، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٥٠ (٣) ٥، ١٢، ١٣، ١٦، ١٨، ٩٠، ١٠٥، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨، ١٦٥، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٧٩، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٩١، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٢ (٤) ٣، ١٣، ١٤، ١٩، ٢٩، ٤٨، ٥٦، ١٥٧، ١٧٩ (٥) ٣١، ٩٦، ١١٠، ١٤٢، ١٥١، ١٧٨، ٤٢٠، ٤٣٢ (٦) ٢٢، ٩٦، ١٣٧، ٢٣٩، ٢٩٠ (٨) ٢١٤، ٣٢٠ (٩) ٢٢٠.
 البقاع (٣) ٣٦٧ (٥) ٢٨٥ (٧) ٢٩٢.
 بقيع الغرقد (٣) ٢٥١ (٧) ٣٩.
 بلاد الجبل، انظر: الجبال.
 بلاد الجريد (٤) ٣٢٦ (٨) ١٧٦، ٢٥٨.

- بلاد الجوف، انظر: الجوف.
 بلاد السودان (٢) ٣٣٣ (٣) ٣٦٦.
 بلاد العجم، (٣) ٥.
 بلاط الحر (٣) ٣١١.
 بلاط الشهداء (١) ١٩٢ (٣) ٢٩٦، ٢٩٧.
 بلبونة (٥) ٢٦٠.
 بلبيس (٢) ٢١٣ (٣) ١٦٥ (٦) ٣٢٥.
 بلخ (٢) ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٨٦، ٣٠١ (٣) ٢٢٣، ٢٢٤ (٦) ٣٠٨.
 بلد الجزيرة (١) ٢٠٦.
 بلد الخليل، انظر: الخليل.
 بلش مالقة (١) ١٤٣، (٢) ٣٤٦، ٣٤٦ (٣) ١٦٥ (٥) ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣ (٦) ٢١٠ (٧) ٢١٩، ٢٢١، ٢٣٤.
 بلفيق (٥) ٤٠٩.
 بلقين (٣) ٥٣.
 بلكونة (١) ١٤٢ (٢) ٣.
 بلنبو (١) ٣٢٣.
 بلنسية (١) ١٢٥، ١٢٨، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٤، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٠، ٣٣٢، ٣٤٠ (٢) ١٥٤، ١٩٧، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٤٩، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٨٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٤٦، ٣٥٠ (٣) ١٠، ١٢، ١٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٩١، ١٩٢، ١٩٩، ٢١٣، ٢٣٧، ٣٣٩، ٣٩٥ (٤) ٥٤، ٩٤، ١٠٩، ١١١، ١٢١، ١٢٣، ١٤٢، ٢٠٥، ٢٢٤، ٢٧٠، ٣١٥، ٣٨٣، ٣٩٣ (٥) ٤، ٥٦، ٧٠، ١٠٣، ٢٢١، ٢٣٣، ٣٦٩، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٩١ (٦) ٤٦، ١٩٥ (٧) ١٦٥ (٨) ٢١٩، ٢٤٧.
 بليانة (١) ١٤٣.
 بليش (٤) ٥٢.
 بنبونة (١) ٢٠٦.
 بنت (٢) ٣٧١.
 بنيونش (٢) ٤٣٠ (٧) ٣١٢ (٨) ١٩٧.
 بياسة (١) ١٤٣ (٤) ٥١.
 بيانة (١) ١٤٢ (٢) ٤، ٢١٥.
 البيت الحرام (١) ٤٩، ٥١، ٥٩، ١٠٠، ١٤٦، (٣) ١٤، ١٠٨، ١٢٤، ٢٤٥، ٣٦٩ (٥) ٢٩١ (٦) ١٣٧ (٧) ١٦٥، ٣٣٧ (٨) ٢١١، ٢٦٨، ٣١٩ (٩) ١٥٧.
 بيت الحكمة (١) ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠.
 البيت العتيق (٦) ٣١، ٢٢٢ (٩) ٣١، ٤٢، ١٢٤، ١٤٠، ٣٢٢.
 بيت المقدس (١) ٤١، ٤٢، ٤٤ (٢) ١٨٤، ١٩١، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٧٥، ٣٤٣ (٣) ١٢٠، ٢٠٠، ٢٣٠، ٢٨٥، ٣٦٥ (٥) ٢٩٩ (٦) ١٠٣، ١٨٢، ٢١٠، ٢١٥ (٧) ١٧، ١٣٩ (٨) ١٥٦، ١٩٦، ٢٦٨ (٩) ٧٠، ١٤١.
 البيداو (٥) ٣١.

بيرة (من عمل حلب) (١) ١٢٨.

بيروت (٢) ٣٥١.

بيسان (٣) ٢٣٠.

بيش (٥) ٢١٩.

بيغه، انظر: باغه.

بيكند (٣) ٣٣٤.

البيمارستان المنصوري (٣) ٢٤٩ (٩) ٢٢٠.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٦٦

بين القصرين (٢) ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٥٩ (٣) ١٨٢، ٣٩٤.

حرف التاء

تادلا (٣) ١١٦.

تازا (٦) ٨٨، ٨٩، ٢٠٤، ٢٠٩، ٣١٩.

تاقمرت (٦) ١٥٥ (٧) ١٤٣.

تاكرونا (٣) ٢٠٥.

تامسنا (٧) ١٤٥.

تاهرت (١) ٣١٠ (٢) ٢٥٤ (٣) ٣٠٧ (٤) ١٢.

تبوك (٩) ٢٤٨.

تدلس (٧) ٣١٦.

تدمر (١) ٢٦٢ (٣) ٣٢٣.

تدمير (١) ١٢٢، ١٢٨، ١٤٢، ١٤٨، ١٩٣، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٠، ٣٦٤، ٣٦٥ (٣) ١١١ (٤) ٤١٧ (٥) ٥٤، ٣٨١، ٣٨٤ (٨) ٢٤٩.

تربة ابن جعوان (٢) ٣٥٩.

تربة أبي العباس الراسي (٢) ٢٨٩.

تربة أم الصالح (٢) ٢٨١ (٣) ١٣٦.

التربة العادلية (٢) ٣٥٦.

تربة عز الدين بن الصايغ (٢) ٣٥٩.

التربة الفاضلية (٢) ١٩٧.

تربة القائد مظفر (٢) ٢٠٢.

تركش (١) ٣١٠، ٣١١.

ترليانة (٧) ٢٣.

تستر (٢) ١٤٨.

تطاوين (تطوان) (٥) ٤٠٩.

تظيرة (١) ٢١١.

تظيلة (١) ٢٧١ (٣) ٢٢٧ (٥) ٣٤٥.

التكرور (٦) ١٧٣.

تل الزعقة (٢) ٣٧٠.

تلعفر (٢) ٤١٦.

تلمسان (١) ٥، ٨١ (٢) ١١٥، ٣٠٤، ٤٢٢ (٣) ١١، ٧٠، ١٠١، ١١٨، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٧١، ٤٠٤ (٤) ٣٤٣ (٥) ١٦٥، ٢٦٢، ٢٨٦، ٣٠١، ٣٥٦، ٣٩١، ٤٠٦، ٤٠٩ (٦) ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ١٥٢، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨١، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٨٨، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٠، ٣٢٦، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٨ (٧) ١٣٦، ١٤٢، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٩، ١٩٥، ٢٩٩، ٣١٦، ٣١٧، ٣٤٢، ٣٤٤ (٨) ٩٥، ١٠١، ١٢٦، ١٢٧، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٨٦، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢١ (٩) ٣٤، ١٨٠، ١٨٣.

تمر تانسقت (٣) ٣٦٩.

تنبكتو (٢) ٣٣٣.

تهامة (١) ٢٣ (٢) ٢٠٨، ٣٣٩ (٤) ١٣ (٥) ٤٢٢ (٦) ١٧.

تونس (١) ١٦٦، ١٧٣، ١٩٢، ٢٤٨ (٢) ٨٨، ٢٢٥، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٨.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٦٧

٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٧٠، ٣٩٥، ٣٩٩، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٣، ٣٤٥، ٤٤٩، ٤٧٥، ٤٧٩ (٣) ١٦٥، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦، ٢١٦، ٢١٨، ٢٧٧، ٣٠٣، ٣٣٨، ٣٦٦، ٣٩٣، ٤٠٣ (٤) ٥، ١٢، ٢٤، ١٣٢ (٥) ٣٣، ٦١، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٩، ٣٥٠، ٣٦٨، ٤٠٩ (٦) ٢٤، ١٦٩، ١٧٠، ١٨١، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٢، ٣٢٦، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٨ (٧) ١٣، ٢٢٢، ٢٤٤، ٢٧٨، ٢٩٦، ٣١٦، ٣١٧، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٧٣ (٨) ٧، ٤٩، ٥٣، ١٢٠، ٢٩٤ (٩) ١٩.

تيطل (١) ١٥٤.

تيماء (٣) ٨٠ (٧) ١٩١ (٩) ٣٦.

تينملل (٢) ١٢٣.

تيهت، انظر: تاهرت.

حرف الناء

ثبير (٢) ٢٧٨، ٤٧٤ (٤) ٤٧ (٥) ١٧٩، ٢٠٤، ٣٦٩ (٦) ١٢٢ (٧) ١٧٥ (٨) ١٩، ٧٦.

الثريا (قصر المعتمد) (٥) ١٨٩، ١٩٥، ١٩٦.

الثغر (١) ٢٦٩، ٢٧١، ٣٣٨ (٣) ٢٤٢ (٤) ١٩.

الثغر الأدنى (١) ١٤٠.

الثغر الشرقي (٢) ٢٩٨ (٣) ١٢٢.

الثغر الأعلى (١) ١٤٠، ١٤٣، ٢١٨، ٣٤٠.

الثغر الجوفي (٣) ٣٥٤.

ثهلان (٢) ١٤٧ (٥) ٣٧٣ (٦) ١٨ (٩) ٣٧.

حرف الجيم

- جامع إشبيلية (٢) ٤٥٥.
- الجامع الأزهر (٣) ٢٠٥ (٦) ٣٥٣.
- جامع إقليش (١) ١٣٨.
- الجامع الأقرم (٣) ١٦٤.
- جامع البيرة (٣) ٢٩٠.
- الجامع الأعظم (٢) ١٢٠ (٣) ٦٧ (٤) ٦٢ (٥) ٢٦٥، ٣٩٥، (٦) ١١٤، ٣٤٥ (٧) ٤٨، ٥٤، ٦٥ (٨) ١٨٦ (٩) ١٢٦، ١٣٢.
- الجامع الأموي (٢) ٣، ١١٥ (٣) ١٨، ٣٨، ٤١، ٥٦، ١٣٦، ١٤٤ (٥) ٢٩٩.
- جامع بوقير (٦) ٢٠٨.
- جامع الجزيرة الخضراء (٦) ٢٠٦.
- جامع الحمراء (٦) ٣٤٢.
- جامع راشدة (٣) ١٠.
- جامع الزاهرة (٣) ٣٤٦.
- جامع الزهراء (١) ٢٩٠ (٢) ٨٣.
- جامع الزيتونة (٦) ١٩٥.
- جامع العديس (ياشيبيلية) (٣) ٢٣٩، (٤) ٢٦٢ (٥) ٢٢٠.
- جامع عمرو بن العاص (٢) ٣٥٠، ٤٥٣ (٣) ١٢٤، ١٤٠ (٤) ٣٣٥ (٨) ٢٤٤.
- جامع غرناطة الأعظم (٤) ١٧٦ (٦) ٢١٨.
- جامع الفسطاط (٦) ٢١٣.
- جامع قرطبة، انظر: المسجد الجامع بقرطبة.
- جامع القرويين (١) ٦ (٦) ٢٢٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧ (٨) ٣١٠.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٦٨
- جامع لولم (٣) ١٨٤.
- جامع مراکش (٢) ٤٥٥.
- جامع الموحدين (٦) ٣٤٢.
- جامع يلبغا (٣) ١٨.
- الجبال (بلاد الجبل) (٢) ٣٤٨.
- جبال أوبدة (١) ١٢٨.
- جبال حمه (١) ١٢٨.
- جبال الريان (١) ٢٤١.
- جبال غمارة (١) ١٨٩.
- جبل الأغن (١) ١٢٠.

- جبل البرانس (١) ١٢٨.
- جبل البرت (١) ١١٩، ١٢٠.
- جبل البشكنس (٥) ١٢١.
- جبل بللنقة (٥) ٤٠٩.
- جبل الثلج (٣) ٢٠.
- جبل زرهون (٧) ٣١٤.
- جبل سمعان (٣) ٢٧٢، ٢٧٣.
- جبل سهيل (١) ١٤٣.
- جبل شحيران (١) ١٢٨.
- جبل شلير (١) ١٣١، ١٤٩، ١٦٧ (٥) ٤٠٦.
- جبل الشوار (٧) ٢٢٠، ٢٢١ (٨) ١٩١ (٩) ٨٥.
- جبل الطارق (١) ١٢٤، ١٣٩، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٥، ٣٤٧، (٤) ٣٥٨ (٥) ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٧.
- و انظر أيضا: جبل الفتح.
- جبل الطور (٩) ١٨٠.
- جبل فاره (٥) ٤٠٢ (٨) ١٠٩.
- جبل الفتح (١) ١٣١، ١٣٩، ١٨٨، ١٩٠، ٣٤٧ (٤) ٣٥٨ (٥) ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ٢١٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٥ (٦) ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٢ (٧) ٢٥١ (٩) ٣٣. و انظر أيضا:
- جبل طارق.
- جبل قرطبة (٢) ٧٨، ٧٩، ٨٥ (٣) ٣٤٣.
- جبل مراسية (١) ٣٢٣.
- جبل موسى (١) ٢١٥، ٢٢٧.
- الجحفه (٦) ١٨٢، ١٨٣.
- جده (٢) ٣٥١ (٣) ١٦٥، ٢٤٦ (٨) ٩٢.
- جرجان (٤) ١٤.
- جرنده (١) ٢٦٥، ٢٧٢.
- الجزائر (الشرقية) (١) ١٢٥، ٣٣٢ (٤) ٣، ١١٨.
- جزائر (إفريقية) (٣) ١٠١ (٥) ٤٠٩ (٦) ١٨٧، ٣٢٦، ٣٤٢ (٩) ٣٠٣، ٣١٠.
- الجزائر الخالدات (١) ١٤٣.
- جزائر السعادات (١) ١٤٤.
- الجزيرة (الروضة، بمصر) (٢) ٣٢٥، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤١٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٥٦، ٤٥٧ (٣) ١٠، ٣٠، ١٨٢، ٢١٥.
- الجزيرة (العراقية) (٣) ١٥.
- الجزيرة (العربية) (١) ٣٤٥ (٢) ٢٩٨ (٧) ٣٢١.
- جزيرة أجبال (١) ١٢٥.

جزيرة إقريطش، انظر: إقريطش.

جزيرة أنقلطرة (١) ١٢٥.

جزيرة تولى (١) ١٢٥.

الجزيرة بليدة (٢) ٢٦٦.

الجزيرة الخضراء (١) ١٢٤، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٥٥، ١٧٠، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٧.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٦٩

٢١٥، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٦٣، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٤٦، (٢) ١٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٥٤، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٨٦، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٤٧ (٣)

٢٣٨، ٣٠٥، ٣٢٣، ٣٨٣ (٤) ٩٣، ١٣٠، ١٣١، ٢٢٣، ٢٦٩، ٣٨٢ (٥) ١٦، ٥٧، ١٤٤، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٧، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٧،

٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣١٥ (٦) ١٠٧، (٧) ٥ (٨) ٨٤.

جزيرة شقر (١) ١٤٣، ١٧٤، ٢٤٨، ٢٤٩، (٢) ٢٣٤، ٣٠٤، ٣٤٦ (٤) ٢٤، ١٢٣، ٢٧٠ (٤) ٥، ٩٠ (٥) ٣٥٨، ٣٧٩، ٣٨٤ (٦) ٤٢، ٤٦، ٤٩.

الجزيرة الصالحية، انظر: الجزيرة (الروضة).

جزيرة طريف (١) ١٢٤، ١٣٠، ١٤٠، ٢٠٤.

جزيرة قادس (١) ١١٨، ١٤٣، ١٦٩ (٢) ١٠.

جزيرة النساء (١) ١٢٥.

الجسر الأكبر بقرطبة (١) ١٣٤، ١٣٥.

الجعفرى (قصر المتوكل) (٢) ٤١، ١٥٦.

جلق (١) ٩٤، ١٣٣ (٢) ٣١٣ (٣) ١٨، ١٩، ٢١، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤ (٤) ١٩٥. و انظر أيضا: دمشق.

جليانة (١) ١٣٢، ٢٩، ٢٣٠ (٥) ٢٤٠.

جليقية (١) ١٢١، ١٦٩، ١٩٦، ٢١١، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٨، ٢٩٩ (٣)

٢٩٧، ٣٥٧ (٥) ٢٥٩، ٢٦٠.

الجميزة (٣) ٢٠٠.

الجودى (٧) ١٧٩ (٩) ٨٩.

جور الوداع (٨) ١٥٩ (٩) ٢١٣، ٢١٤.

جوسق (٥) ٤٤٥.

الجوف (٤) ١٩.

جيان (١) ١٤٢، ١٤٣، ١٥٩، ١٧٨، ١٩٢، ٢١٠، ٢١٥، ٢٦٤، ٢٨١، ٣٤٥، ٣٤٧ (٢) ٥١، ١٦٨، ٢٢٤، ٣٠١، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢ (٣) ١٠،

٢٢٣، ٢٣٥، ٣١٠ (٤) ٥١، ٨٨ (٥) ٧٤، ٣٧٤، ٣٨٤، ٢٩٢ (٨) ٨٠.

جيحون (٣) ٤٠١.

جيرون (٢) ٦٩ (٧) ٢٩٥.

الجيزة (٢) ٤٥٦، ٤٥٧ (٣) ١٦٥، ٢٤٨.

حرف الحاء

الحاجبية (٢) ٤٢٧.

- حاجر (١) ٣١، ٩١ (٨) ٣١ (٩) ١٣.
- الحاجز (١) ١١٩، ١٤٣.
- الحامة (٦) ٢١٠.
- حبيبة أم يحيى (عين بتلمسان) (٨) ٣١١.
- الحجاز (١) ٦، ٤٩، ٣١٦ (٢) ٢٣٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٨، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٤٨، ٣٦٩ (٣) ١٤، ١٠٤، ١١٢، ١٢٧، ١٤٦، ١٥٤، ١٥٧، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٦٦، ٣٧٠ (٤) ١٣، ٦٥، ١٧٩، ٢٨٠ (٥) ٢٢٥، ٣٢٦ (٦) ٢٠٢، ٢٠٩، ٢٢١، ٢٧٣، ٢٨٧، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٥٨ (٧) ٤٥، ٥١، ١٧٨، ٢١٠، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٠٦، ٣٣٦، ٣٣٩ (٨) ٧٣، ١٠٨.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٧٠.
- ١٢٧، ١٤٦، ١٤٩، ٣١٦ (٩) ٢٧، ٥٠، ١٤٠، ١٤٣، ٢٤٨، ٣٠١، ٣٠٧.
- الحجر الأسود (٢) ٣٦٧.
- الحجر (١) ٥١ (٦) ٣٢٩ (٩) ١٢٠، ١٧٥.
- الحجرة الشريفة (٥) ٢٢١.
- الحجون (٢) ١٠٣ (٣) ٤٠١.
- الحديبية (٢) ٢٣١، ٢٣٤.
- حرالة (٢) ٣٢٧.
- حران (٣) ٢٣١ (٤) ٣٢٧، ٢٣٣، ٣٤٣ (٦) ٢٩.
- الحرم الشريف (٢) ٤١٠ (٣) ١٤٠، ١٩٦، ١٩٧، ٢٢٣ (٥) ٤١٢ (٦) ٣٢٤ (٧) ١٩١ (٨) ٣١٨ (٩) ٤٢، ٢٧٠.
- حرم القدس، انظر: بيت المقدس.
- الحرمان الشريفان (١) ٤٩، ٢٥٤ (٢) ٣٦٤ (٣) ٧٢، ٤٠١ (٤) ١٦٠، ٣٠١ (٥) ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٤، ٣٠٢، ٢٩٦ (٦) ٧٦، ٣٤٢.
- الحسينية (٢) ٣٤٧.
- حصن البونت (١) ١٢٨.
- حصن أندوجر (٢) ٤٦.
- حصن بارو (١) ٢٢٠.
- حصن البراجلة (٧) ٥٤.
- حصن بلفيق (٧) ٢١.
- حصن بليقية (١) ٣٢٣.
- حصن الحائر (٨) ٨٣.
- حصن الحافة (٣) ٣٥٤.
- حصن الحمراء (١) ٣٤٥.
- حصن روطه (٨) ٨٣.
- حصن سبتة (٨) ٢٠٩.
- حصن شلوبانية (٤) ٢٧٣ (٥) ٤٠٥.
- حصن شنت أفرج (١) ١٣٨.

- حصن شنش (١) ١٤٢.
- حصن غرماج (١) ٢٩٨.
- حصن القبذاق (٤) ١٨٨.
- حصن قمارش، انظر: قمارش.
- حصن قنبيل (٥) ٣٩٩.
- حصن كيفا (٢) ٤٢٢ (٩) ١٨٧.
- حصن لك (١) ٢٢٠.
- حصن اللوز (٥) ٣٩٩.
- حصن المتلين (٥) ٤٠٠.
- حصن المدور (١) ١٤٢، ٢٠٩، ٢٣١ (٢) ٤ (٣) ٣١١، ٣٢٤.
- حصن مراد (١) ٢٣٤.
- حصن منت ميور (١) ١٢٨.
- حضر موت (١) ٢٣٦.
- الحطيم (٣) ٢١٠ (٤) ٢٨٠ (٨) ٦٦ (٩) ٢٦٤، ٣٢٥.
- حلب (١) ١٧٣، ١٧٥ (٢) ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٥٢، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١١، ٣١٣، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٩٦، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٠، ٤٧٩، ٤٨٠ (٣) ٤، ٣١، ١٢٧، ١٣٠، ١٩٧، ٢١٤، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٣، ٣٧٣ (٤) ٣٠ (٥) ١٩٥، ٢٠٧ (٩) ١٤٧، ١٥٠، ٢١٥.
- حلوان (٦) ٩٦.
- حمام الشطارة (ياشيلية) (٢) ٦٢.
- حماة (١) ١٧٣ (٢) ٣٢٩، ٣٦٠، ٤١٧، ٤٤٥ (٣) ٢١٤، ٢٦٥ (٤) ٨٠ (٥) ٦٤، ١٥٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٧١
- الحمراء (١) ١٤٩ (٥) ٤٠٧، ٤٠٨ (٦) ٨٠، ٨٣، ١٧٧، ٣٢٧ (٧) ٥، ٧ (٨) ٤٩، ٧٦، ١٤٤، ١٧٣، ١٩٣، ١٩٤ (٩) ٢٧، ٢١٣، ٢١٧.
- حمص (إشيلية) (١) ١٣٤، ١٩٢ (٢) ١٨١ (٤) ١٣١، ١٥٥، ١٩٨، ٢٤٠، ٢٩٧، ٤٠٠ (٥) ١١٧، ١٢٢، ١٤٢، ١٩١، ٣٧٤، ٣٨٤ (٦) ٦ (٨) ٨٠ (٩) ٢١٢.
- وانظر أيضا إشيلية...
- حمص (الشام) (١) ١٣٤، ١٣٨، ١٦٣ (٢) ١٨٢، ٢٠٥، ٤٠٤، ٤١٠، ٤٢٥، ٤٢٦ (٣) ٢٦٢، ٣٧٩.
- حنين (٨) ٢٦٢ (٩) ٣١، ٢٠٧.
- حوز أغريظة (١) ١٣١.
- حوز مؤمل (٢) ١٨ (٤) ٥١، ٢٩٢ (٥) ١٠٩.
- الحوراء (٣) ٣٣٥.
- حوران (٣) ٢٢٩.
- حومل (٣) ٢٧١ (٧) ٥٩.
- حير الزجالي (بقرطبة) (٢) ١٣٧.

الحيرة (١) ٢٣٥ (٢) ٣٩ (٨) ٢٨٥.

حرف الخاء

الخابور (٧) ١٧١.

خانقاه (٨) ٧.

خانقاه سيد السعداء (٩) ١٥٠.

خانقاه قوصون (٦) ٢٠٤ (٩) ١٥٠.

خراسان (١) ٢٥٣ (٢) ٢٢٣، ٢٥٩، ٢٨٦، ٣٠١، ٣٤٨، ٣٦٥، ٣٦٩ (٣) ٢٠٢، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤١، ٣٩٢، ٣٩٥ (٤) ١٤، ٥٤ (٥) ١٥٩ (٦) ٢٢،

٢٣، ٣٥ (٧) ٢٥.

خزانة الكتب النورية (٢) ٣٠١.

الخضراء، انظر: الجزيرة الخضراء.

الخط (٧) ٣٥٥ (٨) ٢٦٧.

الخليل (٦) ٣٢٥.

الخندق (١) ٢٧٧، ٢٨٤.

الخورنق (١) ٢٤، ١٠٠، ١٣٥ (٢) ٣١، ١٤٦ (٤) ٨٣ (٥) ٣٦٩ (٦) ٣٠٩ (٧) ١٧٤ (٨) ٣١٥.

خوزستان (٦) ٩٦.

خولان (٦) ٢٧.

خيبر (٦) ١١٥.

الخييف (١) ٥٠ (٢) ٢٤٤ (٦) ١٨ (٩) ٥.

خيمة أم معبد (٣) ٢٧١ (٩) ٢٠١.

حرف الدال

دار ابن لقمان (٢) ٤٤٣.

دار الأنماط (٤) ٨٢.

الدار البيضاء (٧) ٢٥٨.

دار الحجارة (بدمشق) (٢) ٢٩٨.

دار الحديث (بالقاهرة) (٣) ٣٩٤.

دار الحديث الأشرفية (٨) ٢٩٢.

دار الحديث آباوية (٢) ٢٢٨.

دار الحديث الكاملة (٢) ٢٢٨، ٢٥٢، ٢٥٨.

دار الحديث النورية (١) ١٣٩.

دار السرور (بسرقة) (٢) ٦٣.

دار السلام (٣) ٣٨٤ (٦) ٣٠٦. و انظر أيضا:

بغداد.

دار السلام (بإفريقية) (٣) ١٠٩، ١٨٥ (٥) ٤٢٠.

دار الصدقة (٢) ٧٩.

دار الصفة (٥) ٣٣١.

دار عثمان (٦) ٣٥.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٧٢

دار العدة (٥) ٤٠٠.

دار المدنيات (بقصر قرطبة) (٣) ٣٩٧.

دار الناعورة (١) ٣٠٣.

دار الندوة (١) ٣١٥ (٥) ١٧٤ (٦) ١٥٥.

دار النصرية (٦) ٣٦ (٧) ٥.

دائرة جلجل (٧) ٦٢.

داريا (١) ٨٢.

دارين (١) ٨٢ (٢) ١٦، ٦٩ (٤) ٣٢٣ (٥) ٤٥ (٦) ١٨، ٢٩٩ (٨) ١٢٧ (٩) ١٩٦، ٢٥١.

الدامغان (٣) ٤٠٠.

دانية (١) ١٤٣، ٣٣٢ (٢) ٢٦٠، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٩، ٣٧٢ (٣) ١١٩، ١٢٠، ١٩٩، ٣٥١ (٤) ١٨، ٣٩٧ (٥) ٧٠، ٧٨، ٨٩، ١٠٣، ٢٠٢.

٣٨٤ (٦) ١٥٤.

الذب (٥) ٣٩٨.

دجلة (١) ٩١، ١٧٢ (٢) ١٧٦ (٣) ٣٨٠ (٤) ٩٠ (٦) ٢٤٤.

الدخول (٣) ٢٧١ (٧) ٥٩.

درب الشاكرية (٤) ١٥٨.

درب قسطنطين (١) ٢٩١.

درعة (٦) ٢١٠.

دشنا (٣) ١٦٥.

الدكادك (٨) ٤٧.

دلالية (١) ١٢٧ (٢) ١٦١.

دمخ (٦) ٣٠٧.

دمشق (١) ٢٤، ٦٤، ٦٦، ٦٩، ٧١، ٧٤، ٨٣، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٨، ١١١، ١٣١، ١٣٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٣، ١٩٢، ٢١٣، ٢١٤.

٢٢٤، ٢٢٧، ٢٦٢ (٢) ٧٢، ٨٢، ١١٥، ١٨٣، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠.

٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٥١، ٣٥٣.

٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٩٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٨، ٤٤٨، ٤٧٩ (٣) ٤، ١٣، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤.

٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧٣، ٧٨، ٨١.

٨٨، ٩٠، ٩١، ١٠٢، ١٠٥، ١١٧، ١١٩، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٤، ١٥٠، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٧٧، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٩، ٣٢٣، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٦٤، ٣٧٢، ٣٨٩، ٣٩٠ (٤) ١٨٠ (٥) ٣٤، ٢٩٩ (٦) ٢٣، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٠، ٣٢٥ (٧) ٤٦، ٢٩٥ (٨) ٤٦، ٢٩٢، ٢٩٣. و انظر أيضا:

جلق.

الدمشق (منتزه) (١) ١٨ (٢) ١٤، ١٦٣، ١٦٤.

دمياط (٢) ٣٢٧ (٣) ١٦٥.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٧٣

دويرة (نهر) (١) ٣٢٢.

ديار بكر (٣) ٢٠٥، ٣٤٢ (٤) ٧٤.

ديار ربيعة (٤) ٢١.

ديار مضر (٤) ٢١.

دير حنا (١) ٢٦٢ (٣) ٣٢٣.

دير حنين (٣) ٣٥.

دير الرصافة (٢) ١٦١.

دير عبدون (٦) ١٧.

دير قسطان (١) ٣٢٣.

دير متى (٣) ٣٥.

دير مران (٣) ٣٥.

دير نجران (٦) ١٧.

دير هند (٢) ٣٩.

الدينور (٣) ١١، ٢٠٣.

حرف الذال

ذات الإصا (٢) ١٣٣.

ذات اللوى (٢) ١٨٩.

ذكوان (٥) ٣٩٨.

ذو الحليفة (٣) ٢١٩.

ذو سلم (٢) ٣٣٩ (٩) ٢١١.

حرف الراء

رابطة الغبار (بمالقة) (٤) ٣٧٥.

رأس طمرة (٥) ٣٧٨.

- رأس نيق (٥) ٣٠٦.
- رامة (٢) ١٨٩، ٢٥٦ (٨) ٢٥٤.
- الرباط، انظر: رباط الفتح.
- رباط (أبي سعد (٢) ٢٠٥، ٢١٢.
- رباط الأعجام (٦) ٣٢٤.
- رباط أم الخليفة العباسي (٣) ١٩٩.
- رباط البحر (٢) ٣٤١.
- رباط الخليل (٤) ٢١٣.
- رباط سوار (٢) ٢٨٩.
- رباط الفتح (١) ٢٤٦ (٥) ٣٢٣.
- الرباط الناصري (٢) ٢٨١، ٢٨٢، ٣٥١.
- ربض باب اليهود (بقرطبة) (٢) ١٠.
- ربض البرج (بقرطبة) (٢) ١١.
- ربض بلاط مغيث (بقرطبة) (٢) ١٠.
- ربض البيازين (بغرناطة) (٥) ٣٩٩ (٩) ٣.
- ربض حمام الإلييري (بقرطبة) (٢) ١٠.
- ربض حوانيت الريحان (بقرطبة) (٢) ١٠.
- ربض الرصافة (بقرطبة) (٢) ١١، ٧٠.
- ربض الرقاقين (بقرطبة) (٢) ١٠.
- ربض الزاهرة (بقرطبة) (٢) ١١.
- ربض الزجاجي (بقرطبة) (٥) ١٦٠.
- ربض السجن القديم (بقرطبة) (٢) ١٠.
- ربض شبلاز (بقرطبة) (٢) ١١.
- ربض شقندة (٢) ١٠ (٣) ٢٣٣.
- الربض الغربي (بقرطبة) (١) ٢٨٦.
- ربض فرن بريل (بقرطبة) (٢) ١١.
- الربض القبلي (بقرطبة) (١) ٢٨٦ (٢) ٩١ (٣) ٢٩٩.
- الربض (بقرطبة) (٤) ٣٩٥ (٦) ١٠.
- ربض المدينة العتيقة (بقرطبة) (٢) ١١.
- ربض مسجد أم سلمة (بقرطبة) (٢) ١٠.
- ربض مسجد الروضة (بقرطبة) (٢) ١٠.
- ربض مسجد السرور (بقرطبة) (٢) ١٠.
- ربض مسجد الشفاء (بقرطبة) (٢) ١٠.

- ربض مسجد الكهف (بقرطبة) (٢) ١٠.
- ربض منية عبد الله (٢) ١١.
- ربض منية عجب (٢) ١٠.
- ربض منية المغيرة (٢) ١١، ٢٣٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٧٤
- الربوة (بدمشق) (٢) ٤١٨ (٣) ١٦، ١٨ (٥) ٢٧٤.
- الرصافة (بيغداد) (٧) ٣٤١.
- الرصافة (ببلنسية) (١) ١٥٢ (٥) ٣٧٩، ٣٨٣ (٨) ٢٣٢.
- رصافة الشام (٨) ٦، ٣١٥.
- رصافة (قرطبة) (١) ١٢، ١٥٣ (٢) ١٣، ٦٩، ٧٢، ١٣٣، ١٦٩ (٣) ٣٢٧، ٣٥٦.
- الرصد (٢) ٢٣٨، ٢٤٧.
- رضوى (١) ٦٤، ٣٢٨ (٢) ٢٧٨ (٣) ٨٠ (٥) ١٧٩، ٣٧١ (٦) ٢٧، ٨٤، ٣٧١ (٧) ٢٦٤ (٨) ١٩.
- ر قادة (٢) ٤٥٤ (٣) ٢٣٨.
- الرقمتان (٦) ١٨٩، ٢١٦ (٧) ٢٥٦.
- الركن (١) ٥١ (٢) ١٢٠، ٢٧٣ (٨) ٢٦٨ (٩) ٤٢، ١٦٧، ١٧٥.
- المادة (٤) ٤٠٥.
- رمادة الرمل (٣) ١٦٦.
- الرملة (١) ٣٢٠، ٣٢١ (٢) ٢٢٣، ٣٥١ (٣) ٢٠٣ (٥) ٢٠٦.
- رميمة (٤) ٣١٠.
- رندة (١) ١٤٢، ١٥٤، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٥ (٣) ١٩ (٥) ٧١، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٩، ٢٨٧، ٣٠٢، ٣٩٨ (٦) ٨٤، ١٠٠، ٢٤٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤ (٧) ٥، ٤٠، ٤٦، ١٣٦، ١٨٠، ٢٤٨ (٨) ٧٨، ١٧٣.
- رواق المغاربة (٦) ٢٣٢.
- ردونة (نهر) (١) ١٩٢ (٣) ٢٩٩.
- الروضة، انظر: الجزيرة (الروضة).
- الروضة المعظمة (٣) ١٢٣.
- روضة ابن عبد البر (٢) ٣٠٤.
- روطة (٥) ٢٧٦.
- رومة (رومية) (١) ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧، ١٤٠، ١٦٩، ١٧٠، ٢٧٧، ٢٨٦، ٣٢٢ (٢) ٢٣، ٨٦، ٣٣٨ (٥) ٣٩٥، ٤٠٧، ٤٠٨ (٦) ٢٨ (٧) ٢٨٠ (٨) ٦٧، ١٥٧، ١٥٩ (٩) ٢٠٣.
- الرى (٣) ١٧٩.
- رياض الغزلان (٧) ١٧٧، ٢٢٣.
- ريّة (١) ٨٢، ١٩٢، ٢١٢ (٢) ٨٨ (٣) ٣٩٩ (٤) ١٩ (٥) ٣٨٤ (٩) ٩٤.

حرف الزاي

- الزباب (٤) ٤١١، ٤١٢، ٤١٤ (٤) ٢٢٩، ٣٢٦.
- الزاهر (بقرطبة) (٢) ٣، ١٧٠ (٥) ٢٦٥.
- الزاهر (ياشيلية) (٥) ١٩٦.
- الزاهرة (١) ١٣٥، ١٣٧، ٢٣٧، ٢٨٢، ٣٠٢، ٣٠٩ (٢) ٤، ٩٥، ٩٧، ١٠٠، ١٠٣ (٣) ٣٥١، ٣٥٢ (٥) ١٥.
- الزاهي (٤) ٣٧٤ (٥) ١٩٥.
- الزاوية (٢) ٢٤٣ (٧) ٣١٣، ٣١٥.
- زاوية المحروق (٤) ١٦٨.
- زبيد (٢) ٣٥١، ٣٦٩.
- زرهون (٤) ٨٩.
- زروود (٢) ٣٣٩.
- الزعقة (٢) ٣٧٠.
- الزقاق (١) ١٣٠، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠.
- زقاق الششتری (٢) ٣٢٥.
- الزلاقة (١) ٣٣٩، ٣٤٢ (٥) ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٤.
- زمزم (١) ٥٢، ٦٠ (٢) ٢١١ (٣) ٣٧، ٢٤٧.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٧٥
- (٨) ٦٦ (٩) ٤٢، ١٣٤، ١٤٧، ٢٦٤، ٣٢٥.
- الزهراء (١) ١٣٥، ١٣٧، ٢٣٧، ٢٨٧، ٢٩٣، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣ (٢) ٣، ٤، ٣٠، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١٠٠، ١١١، ١٢٤، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٣ (٣) ٣٥٦ (٤) ٥٠ (٥) ١٣٧، ٢٦٥ (٧) ١٧٣ (٨) ٢٣٢.
- الزوراء (٩) ٣٦.
- زوراء العراق (١) ٦٧ (٢) ١٣٣، ١٥٧ (٧) ١٧١ (٨) ٦ (٩) ٣٥، ١٩٦.
- الزيادة (باب جامع دمشق) (٣) ١٨.
- الزيتون (٤) ٨٩.

حرف السين

- سبتة (١) ١١٧، ١٢٤، ١٣٠، ١٣٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٧٣، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٧، ٢٤٨، ٢٨٤، ٣٣٤ (٢) ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٢٣، ٣٠٦، ٣٤٥، ٣٨٧ (٣) ١٠٥، ١٥٧، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١ (٤) ٢٧، ١٢٥، ٣٨٢ (٥) ٧٠، ٨١، ١٧٠، ٢٤٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٩٢، ٣٥٢ (٦) ٨٦، ٨٨، ١٤٤، ١٦٩، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٩٤، ٣٠٨ (٧) ٩، ١٣، ١٦، ٢٣، ٢٥، ٢٣٢، ٣١٢، ٣٤٣ (٨) ١٩٧، ٢١١ (٩) ٥١، ١١٩، ٢٤٥.
- السيكة (٣) ٢٦٤ (٥) ٣٩٥ (٧) ٣٠٣ (٩) ٢٧، ٩٧.
- سجستان (٢) ٣٤٨ (٤) ١٤.

- سجلماسة (١) ٣١٠ (٣) ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠ (٤) ١٣ (٥) ٣٠٥ (٦) ٨٩، ١٢٩، ١٧٣، ٢٠٣، ٢١٠ (٧) ١٤، ١٣٩، ٣١٧، ٣٧٣ (٨) ٢٥٨.
- السد (٢) ١٨، ١٩، ٢٠.
- السدير (١) ٢٤، ٨٥، ١٠٠، ١٣٥ (٢) ٣١، ١٤٦ (٤) ٨٣ (٥) ٣٦٩ (٦) ١٧٤ (٨) ٢١٨، ٣١٥.
- سرخس (٢) ٢٣٣ (٣) ١١٩، ٢٠٠.
- سردانية (١) ٢٣٠.
- سرقسطه (١) ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٣، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٩٣، ١٩٤، ٢١٨، ٢٢١، ٢٣٨، ٢٩٨، ٣٣٢، ٣٤١ (٢) ١٠، ٢٣، ٢٥، ٤٣، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ٢١٧، ٢٤٧، ٢٤٩ (٣) ١١، ٢٤، ٢٩٠، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٣٧ (٤) ٣٢، ٨٩، ٩٠، ٣٣٣، ٣٧١ (٥) ٢٣٢، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٥٨، ٣٦٣ (٨) ٢٠٨، ٢١٩، ٢٢٥.
- السروات (٢) ٢٣٣.
- سعد السعود (قبه) (٤) ٣٧٤.
- السعداء (بحلب) (٢) ٤٤٥.
- السقيفة (٦) ١٥٥ (٩) ٢٠١.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ١٧٥
- سكة الغراء (بمراسية) (٧) ٦٤.
- سلا (١) ١٤٣، ١٧٣، ٢٤٨ (٢) ٤٥٢ (٣) ٩٨، ١٠١ (٥) ٢٤٥، ٢٨٤، ٤٠٩، ٤٢٦ (٦) ٧٢، ٨٤، ٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٣٩ (٧) ١٣٨، ٢٣٢، ٢٧٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٧٦
- ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٤ (٨) ١٢، ٦٤، ١١٤، ١٧٠، ١٧٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ٢٨٤ (٩) ١٢٢.
- السلطانية (متمزه ياشيلية) (٢) ٤٢٦.
- السلطانية (بالمشرق) (٢) ٢٠٥، ٣٥٩.
- سلع (٢) ٣٣٩ (٧) ٢٥٥ (٨) ٢٥٩ (٩) ٢٠٠.
- سلماس (٣) ١٢٠ (٣) ٤٠٠.
- سمرقند (٣) ٢٢٣، ٢٢٤.
- سموره (١) ٢٦٠، ٢٧٨، ٢٩٩ (٥) ٢٦٠.
- سنت بنجنت (كنيسة بقرطبة) (٢) ٨٢.
- سنجار (٢) ٤١٦.
- السند (٤) ١٤ (٧) ٣٥.
- سنداد (٥) ١٧٢.
- سنهور (٣) ٣٩٣.
- سهرورد (٦) ٣٠٤.
- السهلة (١) ١٤٣، ٣٤٠ (٤) ٢٠٥.
- سهيل (٤) ٥٢.
- السودان (٢) ٣٩٨ (٣) ١٦٥، ١٨٤، ٣٦٨ (٥) ٢٧٣، ٣٠١ (٦) ٢١، ٢٢ (٧) ٢٨٨ (٨) ٩.

السوس (٢) ٢٢٠ (٦) ٢٢، ٢٩٠ (٨) ١٨٣.

السوس الأدنى (١) ١٩٤.

سوق العطارين (بتلمسان) (٦) ٢٢٣.

سوق العرب (مصر) (٣) ٢٠٠.

حرف الشين

شاذمهر (٢) ١٦٧ (٥) ٢٠١.

شاطبة (١) ١٤٣، ١٥٧، ٢٥٢، ١٩٦، ١٩٧، ٢٢٨، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤ (٣) ١٢، ١٠٤، ١١٨، ٢٠١ (٤) ٤٥، ١٣٤، ١٤٣ (٥)

٥٨، ٣٥٩، ٣٧٤.

شالة سلا (٦) ٨٤ (٧) ١٤٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ٣١٧ (٨) ١٨٩.

الشام (١) ٢٠، ٢٥، ٦٥، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٨، ١١٠، ١٢١، ١٢٢، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٨، ١٩٠،

١٩٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٩٧، ٣١٦، ٣٢٢، ١٢ (٢) ١١، ١٢، ٥٨، ٧٢، ٨٢، ٨٨، ١١٥، ١٩٤، ١٩٩،

٢٠١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٨٣، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٤٨،

٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧١، ٤٧٩ (٣) ٤، ١١، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢،

٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٧، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٨٤، ٨٩، ١٠٢، ١١٥، ١٣٠، ١٤٦، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٦، ٢٠٣، ٢١٥،

٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٨٩،

(٤) ٦، ٢١، ٣٣، ٤٨، ٦٠، ٧٧، ٧٩، ٢٢٤، ٢٣٧، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٩، ٤١٠ (٦) ١٥، ١٩، ٢٣،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٧٧

٤٨، ٧٦، ١٦٥، ٢٠٢، ٢١٠، ٢٤٥، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٧٠، ٢٧٤ (٧) ٦١، ١٨٠، ١٨٩، ٢٩٦، ٣٣٨ (٨) ٤٨، ٩٢، ٩٤، ١٠٨، ١٢١، ٢٩٠، ٢٩٢،

٢٩٣، ٣١٦ (٩) ١٨٢، ١٨٩، ٢٨٠.

شيام (٦) ٤٩.

الشحر (٤) ٣٢٣.

شذونة (١) ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٩٣، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٦، ٢٥٩، ٢٧١ (٢) ٢٢٥ (٣) ٣٠٣، ٣٢٤.

شرف إشبيلية (١) ١٣٧، ١٣٩.

شريش (١) ١٤٣، ١٥٥، ١٧٠، ١٩٣، ٢٥٩، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٥ (٢) ٨، ٢٨، ١٣٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨١، ٤٢٤ (٣) ٢٢٣ (٤) ٢٣٥ (٥) ٣٩٥، ٣٩٧،

٤٠٢.

ششتر (٢) ٣٢٥.

الشعب (٧) ٢٩٢.

شعب بوان (٦) ١٧، ٣٥.

شقر، انظر: جزيرة شقر.

شقندة (١) ١٦٩، ١٩٣، ٢٠٧، ٢١٠ (٢) ٤، ١١، ٦٨ (٣) ٣٠٤ (٤) ٥٥.

شقوقية (١) ٣٠٤ (٤) ٥٥.

شقوقية (١) ٢٦٠.

شقورة (١) ٢٣٤ (٢) ٢٢ (٤) ٢٩٨.

شلب (١) ١٤٣، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٤ (٢) ١٥٧ (٣) ٢٤١ (٤) ٦٧ (٥) ٦٣، ٦٤، ٢٨٣، ٣٥٣.

شلطيش (١) ١٤٤، ٢٣٣.

شلوبينه (٢) ٣٤٥.

شليز: انظر: جبل شليز.

شمام (١) ٦٤ (٦) ١٨ (٨) ٧٦.

شنت اشتين (١) ٢٩٨.

شنتيوس (٢) ٤٠٤ (٤) ١٩٠ (٥) ١٢٤، ١٢٧، ٣٣٠.

شنترة (١) ١٤٢.

شنترين (١) ١٢٩، ١٣٤، ١٤٣ (٢) ١٥٩ (٣) ٣٣٨ (٤) ٢٥، ٢٣٦، ٢٤٥ (٥) ٥٤، ٢٨٢.

شنت مريه (١) ١٢١، ١٤٣، ٢٢٢ (٢) ١٤٧ (٣) ٢٩١، ٣٢٢ (٥) ٢٢.

شنت مانكش (١) ٣٢٣.

شنت ياقب (ياقوه) (١) ١٢٠، ١٦٧، ٣٢٢، ٣٢٣ (٥) ٣٦٤.

شنش (١) ١٤٢.

شنيل (نهر) (١) ١٣١، ١٣٢، ١٤٩، ٣١٨ (٢) ٤٠٧ (٦) ٤ (٩) ٩٨.

شوذر (٣) ٣١٠.

الشيخونية (٦) ٣٤٣.

شيراز (٥) ٣١.

شيره (١) ٢٨١.

شيرز (٢) ٢٨٣.

شينيل (٩) ٧٣.

حرف الصاد

الصاره (صحراء) (٣) ٣١٠.

صالحة (١) ٢٣٤.

الصالحيه (بدمشق) (١) ٦٦، ٧٢ (٢) ٣١٣ (٣) ٢٧٩.

صحراء يوشن (٢) ٤٨٠.

الصخره المقدسه (١) ٦٤.

الصخره (٢) ١٩١ (٣) ٢٢٣.

صخره بلاي (١) ٢٢٠.

صخره عباد (٦) ١٠٠.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٧٨

صداء (٣) ٨٠ (٦) ١٨.

- الصرأة (٢) ١٥٤.
- الصرغتمشية (٦) ٣٤٣.
- الصعيد (٢) ٣٦٩، ٤١٣، ٤٧٨ (٣) ٢٠، ٢٣١.
- الصفاء (١) ٣١٦ (٢) ١٠٣، ١٢٠ (٦) ١٨ (٨) ٢٢٢، ٢٥٩ (٩) ٢٥٢، ٢٦٣، ٢٨١.
- صفد (٩) ١٨٧.
- الصفصيف (بتلمسان) (٨) ٣٠٨.
- صفين (١) ١٩٤ (٢) ٢٦٠، ٢٩٣، ٤٤٨ (٣) ٣٣٣ (٦) ٢٥٣.
- صقلية (١) ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٨٤ (٢) ١٦٥ (٣) ١٠٥، ٣٣٥، ٣٦٢ (٤) ١١، ١٢ (٧) ١٩٥.
- الصمادحية (٤) ١٧١، ١٧٢.
- صومعة مراکش (٢) ٨٤.
- صنعاء (الشام) (٣) ٢٨٩، ٢٩٠.
- صنعاء (اليمن) (١) ١٨٥ (٢) ١٤٨، ١٥٩، ٢١٩، ٢٥٧، ٣٥١ (٣) ٥٦، ٦٤، ٢٩٠ (٧) ١٧٦، ٣١٢، ٣٥٤.
- الصهريج (٢) ٣٤١.
- صور (١) ١٣٠ (٢) ٣٥١.
- صيدا (٢) ٣٥١.
- الصين (١) ١٣٣، ١٩٨ (٢) ٥ (٣) ٢٢٧ (٧) ١٧٦.

حرف الطاء

- طابئة، انظر: طيبة.
- طالقة (١) ١٢٣، ١٣٨.
- الطائف (٤) ١٣.
- طبرستان (٤) ١٤.
- طبرنش (١) ١٤٢ (٧) ٣٣٠.
- طبرية (٢) ٣٥١.
- طبيرة (١) ٢٣٨.
- طرابلس الشام (٢) ٣٥١ (٣) ٢٤٣، ٣٣٤.
- طرابلس الغرب (١) ٢٥٨ (٢) ٣٦٧ (٣) ٢٠٣، ٢٣٨، ٣٦٦ (٦) ٣٢٦ (٧) ٦٦، ٣١٦.
- الطراز (اسم موضع) (١) ١١٠.
- طرسوس (٦) ٢٤٧.
- طرسونة (١) ١٤٣، ٢٦٧ (٥) ٣٤٥.
- طرش (٣) ٣٠٩، ٣٢٤.
- طرطوشة (١) ١٢٩ (٢) ١٠١، ٢٤٧، ٢٩٧ (٣) ١٢٢، ٢٣٧ (٤) ٦٢ (٥) ٢٦٠، ٣٥٦ (٦) ١٥٤.
- طركونة (١) ١١٨، ١١٩، ١٦٨، ٢٨٦، ٢٩٩ (٢) ١٠، ٨٨.

طريانة (١) ١٥٤ (٥) ١٢٢، ٢٦٦.

طريف (وقعة) (١) ١٩٠، ٣٤٥، ٣٤٧ (٢) ١١٥ (٥) ١٨٧ (٦) ٤، ٧، ٩، ١١، ١٢، ١١٨، ٣١٩، ٣٤٢ (٧) ٥٦، ٦٦ (٨) ٢٤١.

طشانة (٣) ٣١٠، ٣٢٤.

طليبة (١) ٢١٧ (٢) ٢٢٠، ٣٦٥، ٣٧٢ (٣) ٢٠٠ (٥) ٥٤، ٢٥٢، ٣٥٨.

طلمنكة (١) ١٤٣.

طليظة (١) ١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٩، ١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ١٩٤،

١٩٧، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٧٩

٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٥، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٣، ٣١١، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٦ (٢) ٢٣،

٥٩، ١٤٤، ١٨٨، ١٩١، ٢٩٦ (٣) ١٢٩، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣٧٣، ٣٧٤ (٤) ١٦٤، ٢١١، ٢٨٦، ٣٣٠ (٥) ٢٢٢، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤،

٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٣، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٦٩ (٦) ٥، ١٠ (٨) ٢٠٧، ٢٣٦.

طنجة (١) ١٢٤، ١٣٠، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٢، ٢١٧، ٢٢٣، ٣٣٤ (٣) ٢١٤ (٥) ١٧١، ٣٧١ (٦) ٨٨، ٩١، ٩٢، ٢٨٢.

طندة (٣) ١٠٨.

طهرمس (٣) ١٦٥.

الطور (٢) ٢١٢ (٤) ٣٥٨ (٥) ٣٨٧ (٨) ١٨٣.

طور (سيناء) (١) ٩٥ (٦) ١٧ (٨) ١٥٠ (٩) ١٧٥.

طور زيتا (٢) ٢٠٨.

طيبة (المدينة المنورة) (١) ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٦١، ٦٤ (٢) ٢١٣، ٣٢٥ (٣) ٢٠٨، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٣ (٤) ٣٠١ (٥) ٢٣٩، ٢٥٠ (٦)

٣٩، ١٠٣، ١٨٩، ٣٣٠ (٧) ٥٠، ٥٩، ١٩١، ٢٥٥، ٢٨٧، ٣٣٨ (٨) ١٤٩ (٩) ١٣٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٧، ٢١٤، ٢٨٨، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٧،

٣٠٩.

الطينة (٢) ٣٢٧.

حرف الظاء

ظاهريئة دمشق (٣) ١٢٧، ١٥٧.

حرف العين

عالج (٧) ٢٥٦ (٨) ٢٩٤.

العامرية (منتزه) (١) ١٠٨ (٢) ٣، ٩٧، ٩٩.

عباد تلمسان (٦) ١٨١، ١٨٨، ٢١٤، ٢٢٣، ٢٦٠، ٣٤١، ٣٤٢ (٨) ٣١٣.

عبقر (٢) ١٤٨.

عدن (١) ٦٧، ٣٢٠ (٢) ٣٥١ (٤) ٢٨١ (٥) ١٣١.

العدوة (١) ٨١، ١١٧، ١٢٤، ١٣٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٩، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٣٨، ٢٦٦، ٢٧٧، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣٠٩، ٣٣٣،

٣٣٩، ٣٤٠ (٢) ٣٠، ٧٤، ٩٦، ٢٢٣ (٣) ٤، ١٨٦، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٨٣ (٤) ٤، ٥، ٢٧، ٢٨، ٤٨، ٥٥، ١٨٧، ١٩٠، ٢٥٥، ٣٢٤
 (٥) ١٤٤، ١٤٥، ١٧٠، ١٧٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٤٠٨ (٦) ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١٦٠ (٧) ٦٦،
 ١٥٥، ١٨٩، ٢١٤، ٣١٢، ٢٣٣ (٨) ٢١١.

عدوة الأندلس (١) ١٩٣، ٢٦٠ (٦) ٣٢٠.

العدوة الشمالية (١) ١٣٠.

العدوة الغربية (٧) ١٣٦.

العدوة القصوى (٨) ١٧٩.

عدوة النهر (٢) ١٠.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٨٠

العدوتان (٥) ٣٣٣، ٣٣٤ (٦) ٨٢، ١٥٥، ٣٣٤ (٧) ١٥٢ (٨) ٨٤ (٩) ٢٤، ١٠١، ١٣٧.

العذيب (١) ٧٧، ٨٧ (٢) ١٨ (٣) ٢٥٩ (٤) ٢٨٤ (٥) ١٦١ (٦) ٣٢ (٧) ١٧٣ (٨) ١٢٩، ١٥٢، ١٩٨.

العراق (١) ٢٠، ٣٨، ٧٢، ١٣١، ١٣٦، ١٦٥، ٢٢٢، ٢٧٠، ٢٨٥، ٢٨٨، ٣٠٠، ٣١٥ (٢) ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧،

٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٥٩، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٩٩، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨١، ٣٨٥، ٤٧٦ (٣) ١٥، ٧٤، ١١٥، ١٤٦، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٦، ٢٠٤،

٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٦٦، ٢٩٠، ٣٣٥، ٣٤١، ٣٨٠ (٤) ٦، ٢١، ٦٥، ٨٥، ٩٠، ١٩٦، ٢٢٤، ٣٣٥، ٤٠٩، ٤١٤ (٥) ٤٨،

٢٢٥، ٢٣٧، ٣٢٦ (٦) ٢٢، ٦٨، ١٦٥، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٩١، ٣٧٠ (٧) ٤٣، ١٧٤ (٨) ٧٨، ٩٢، ٢٤٤، ٢٩٠ (٩) ٦٣، ١٨٢.

عراق العجم (٢) ٢٥٩.

العراقان (٢) ١٨٩، ٣٤٨ (٣) ١٧٩.

عرفات (عرفة) (١) ٥٠ (٢) ١٦٨، ٣٣٨ (٣) ١٠٣، ٣٢٦ (٥) ٦١ (٦) ٣٢٩ (٧) ١٧ (٩) ١٢٠، ٣٢٥.

العريش (٤) ٣٧٠.

العزيزية (٢) ٢٨٦.

عسقلان (١) ٢١٤ (٢) ٣٥١ (٣) ١٢٠.

العقاب (موضع) (١) ٣٤٣ (٢) ١٥٦، ١٥٧.

العقاب (وقعة) (٣) ٢٠١ (٥) ٢٨٧، ٢٨٥.

عقبه البقر (١) ٣٣١.

العقيق (١) ٥٢، ٥٣، ٨٧ (٢) ٢١، ١٣٣، ٢٥٦ (٣) ٣٧٩ (٤) ٢٨٤ (٦) ١٨، ٤٠ (٨) ٢٢٢، ٢١٤، ٢٤٧ (٩) ١٢، ١٤٣، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٩، ٢١٢،

٣٠٧.

عكا (٢) ٤١٧ (٣) ١٠٥، ١٢٥، ٢٣١.

عكاظ (٥) ٣٢٧ (٧) ٢٠٥، ٣٤٩.

عمان (٦) ٢٢.

عناق، انظر: أعناق.

عيزاب (٣) ١٦٥، ١٨٤.

عين التمر (١) ٢٠٢.

عين جالوت (٢) ٤٨٠.

عين شمس (٢) ٤٥٣.

عين قنت أوربية (بقرطبة) (٢) ٣٥١.

حرف الغين

غابة الرمان (٦) ١٢٠.

غارتور (٢) ٤٣٤.

غافق (١) ١٤٢ (٢) ٤.

غانة (٣) ٣٦٩.

غدير (٧) ٢٢٣.

غدير الوريث (٦) ٢٢٣.

غار حراء (٩) ٢٠، ٢٥٠، ٢٥٤.

الغرب الأقصى، انظر: المغرب الأقصى.

الغرب الأوسط، انظر: المغرب الأوسط.

غرناطة (١) ٢٤، ١١١، ١٣١، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١، ١٧٨، ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٨١

٢٣٦، ٢٥٥، ٢٥٩، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨ (٢) ١٥، ٢٥، ٤٤، ٤٩، ١٦٦، ١٦٧، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٦٦، ٢٧٧، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٣٣، ٣٣٧، ٤٠٦، ٤١١، ٤٤٨، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٧١ (٣) ١٥، ٢٠، ٢١، ٢١٠، ١٤٦، ١٥٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٨٣، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٦٦، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٨، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٦٢ (٤) ٥١، ٦٢، ٦٣، ٨٨، ١١٤، ١١٥، ١٩٧، ٢٠٩، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٠٤، ٣١١، ٣١٣، ٣٣٨ (٥) ٣٩، ٧٧، ٨٥، ٩٠، ٩٨، ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١٣٠، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٤٥، ٢٦٧، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٧، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٥٣، ٣٧٥، ٣٩١، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٠، ٤٣٠ (٦) ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ١١، ٤٢، ٤٣، ٧٦، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ١٠٠، ١١٠، ١١٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٦، ١٩٠، ٢١٠، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٧٠ (٧) ٣، ١٢، ٤٠، ٤٨، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٦٥، ٧٨، ١٤٢، ١٥٠، ١٦٢، ١٨٩، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٦٣، ٢٦٦، ٣٢٦، ٣٤٤، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٦٩ (٨) ٨٢، ٨٩، ١٠١، ١٧٧، ١٩٣، ١٩٤، ٢١٠، ٢٣٥، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢ (٩) ٣، ٩، ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١١٧، ١١٨، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٨، ١٨٤، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧.

غزة (٢) ٣٥١ (٣) ٣٩٥.

غليسية (١) ٣٢٢.

غمدان (١) ٤٣، ١٣٥ (٢) ٩٨، ١١٧ (٥) ١٩٥، ٢٠١ (٦) ٢٢، ٢٨، ٩٦ (٧) ١٧٦.

الغنداق (نهر) (٦) ٤٣.

الغوطة (١) ٦٥، ٦٦، ٧٤، ١١١، ١٣٣ (٢) ٤١٨.

غوطة أبي نصر (٦) ٢٥٤.

الغويرة (١) ٨٤.

حرف الفاء

فاراب (٦) ٢٧٧، ٣٠٤.

فاس (١) ٥، ٦، ٢٧، ٨١، ١٧٣، ٢٦٦، ٢٨٤، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧ (٢) ٢٣، ٧٩، ٨٠، ١١٥، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٧١، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٤٨، ٤٢٢ (٣) ٥٣، ٩٧، ١٠١، ١١٦، ١٨٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٣٣٨، ٣٥٢، ٣٦٣، ٣٧١ (٤) ٦١، ١٣٧، ١٨٢، ٣١٠، ٣٦٩ (٥) ١٤٦، ١٤٧، ٢٤٢، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣٠١.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٨٢

٣٠٨، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٥، ٣٩٤، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٢ (٦) ٣، ٩، ٣٥، ٧٢، ٨١، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٣، ١٠١، ١٢٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٦، ١٨١، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٨، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٥٠، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٢٠، ٣٢٧، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٥٧ (٧) ٤، ١٦، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٤٧، ٦١، ١٣٨، ١٤٣، ١٥٠، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٥، ٢١٣، ٢٧٤، ٢٩٦، ٣١٤، ٣١٥، ٣٣٨، ٣٥٨، ٣٧٠، ٣٧١ (٨) ٥٤، ١٤٣، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠١، ٢٢٥، ٢٦٨، ٢٩٤، ٣٠٤، ٣١٠، ٣١٦، ٣١٧ (٩) ٥، ١٠٠، ١١٩، ١٤٠، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٨٤.

فج طليارش (١) ٣٢٠.

فج المائدة (٣) ٢٨٩.

فج موسى (١) ٢٢٠.

الفجار (يوم) (٦) ٢٦٩.

فحص شريش (١) ١٩٠.

فدك (٦) ٣٠٢.

الفرات (١) ٤٦، ١٧٢ (٢) ١٥٤ (٣) ١٨، ٣٠، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٣٢، ٣٩٧ (٤) ٣٢٨ (٥) ٢٠٩، ٤٢٣، ٤٢٧ (٦) ٤٣ (٧) ١٧٤.

فرطارش (١) ٣٢٢.

الفرما (٢) ٣٥٢.

فريش (٢) ٢٢٩.

الفسطاط (١) ١٧٣ (٢) ٢٩٧، ٣٦٨، ٤١٤، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٣.

فلسطين (١) ١٩٣، ٢٦٢.

فندق الشماعين (٦) ٢١٨.

الفيوم (٢) ٢٨٦.

حرف القاف

قابس (١) ٢٤٩ (٢) ٣٤١.

قادس (١) ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٤٣، ١٦٨، ١٩٠، ١٩٨ (٥) ٣٩٦.

قاسيون (٢) ٢٧٤، ٢٨٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٣، ٣٥١، ٣٠٥ (٣) ٢٢٣، ٢٥٢.

القاطول (٢) ٤١.

٥٥، ٥٦، ٦٠، ٦٢، ٦٥، ٧١، ٧٤، ٨٧، ٨٩، ٩٢، ١٠٧، ١٠٨، ١٣٠، ١٦٤، ١٧٨، ١٨٢، ٢١٧، ٢٤٦، ٢٧٢، ٣١٠، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٩٥، ٣٩٦ (٥) ١٤، ٢٤، ١٠٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٥١، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٩، ١٩٣، ٢٢٢، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٤، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٧٤، ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٩ (٦) ٥، ١٠، ١٦٩ (٧) ٣٣٨ (٨) ٨٢، ٢٤١، ٢٤٢.

قرقشونة (١) ٢٢٢ (٣) ٢٩١.

قرقوب (٢) ١٤٨.

قرمونة (١) ١٣٨، ١٦٩، ١٩٢، ٢٠٩، ٢١٦، ٣٣٢، ٣٣٤ (٢) ١٠.

قسطله (١) ١٤٣.

قسطنطينية (٣) ١١٩.

القسطنطينية (١) ١٢٥، ١٧٠، ١٩٠، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠ (٢) ٥٨، ٦٨، ٨٦، ٨٨، ٩٥ (٤) ١٢ (٥) ٤١٠.

قسطينية (قسطنطينية) (٣) ٩٨، ١٠٠ (٦) ١٦٩، ٢٠٨.

قشالة (١) ١٢٥، ١٩١، ٢٦٠، ٢٧٧، ٣٣١ (٢) ٧٢ (٥) ٢٦٦، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٦، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٢٢ (٦) ٦، ٧١، ٧٥، ١٠٠، ٣٤٢ (٧) ٥، ١٤٢، ١٩٤، ٢٩٥ (٨) ٥٢.

القصر (بعين شمس) (٢) ٤٥٣.

قصر الآمن (٢) ٤١٤.

قصر أبي دانس (١) ٣٢٢ (٥) ٣٥٤.

قصر أنس (بالبصرة) (٢) ٣٦.

قصر باديس (٨) ١٧١.

قصر البستان (بقرطبة) (٢) ١٣٠.

قصر الجواز (١) ١٢٤.

قصر الخلافة (بالزهراء) (٢) ٥٨.

قصر الرصافة (بقرطبة) (١) ٣٠٥ (٢) ١١، ٢٠، ٢١.

قصر روح (بالبصرة) (٢) ٤٠.

قصر السيد أبي يحيى (بقرطبة) (١) ١٣٣ (٢) ١٣.

قصر الشراحيب (بشلب) (٢) ١٥٧.

قصر شنيل (٩) ٧٣، ٧٤.

قصر طليطلة (٢) ٧٠.

قصر عباسه (٣) ٣٤٧.

قصر الفارسي (بقرطبة) (٢) ١٣٢.

قصر قرطبة (١) ٢٨٧، ٢٩٤، ٣٠٨.

قصر كتامة (٦) ٢٨٨.

قصر المصاره (٦) ٣٠١.

قصر مريبط (٢) ١٦٤.

- قصر مصمودة (١) ١٣٠.
- قصر الناعورة (٢) ٨٥، ٨٦.
- القصير (١) ١٤٢ (٢) ٣.
- قطربل (٤) ٨٥.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٨٥
- قطوية (١) ٢٩٨.
- القلاع (١) ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٥.
- القلزم (٢) ٣٥٢.
- قلعة أسطير (٢) ٤٤٨.
- قلعة أيوب (١) ١٤٣.
- قلعة بني سعيد (١) ٢٣٤، ٢٣٦ (٢) ٤٤٧، ٤٤٨ (٣) ٣٣٣ (٤) ١٨٨. و انظر أيضا:
- قلعة يحصب.
- قلعة الجبل (٢) ٤٦١ (٣) ٢١، ١٤٧.
- قلعة الجزيرة (٢) ٤٦١.
- قلعة حزم (١) ٢١٥.
- قلعة خولان (١) ٢٣٥.
- قلعة خيران (١) ١٤١.
- قلعة رباح (١) ١٤٣، ١٥٩، ٢٣٥ (٣) ٣٥٤ (٤) ١٦٤، ٢١١، ٣٣٠ (٥) ٢٨٤، ٢٨٥.
- قلعة شلوبانية (٥) ٤٠٦.
- قلعة الواد (٨) ٢٢٦.
- قلعة ورد (١) ١٧٠.
- قلعة يحصب (١) ٢٣٦ (٢) ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٤٨.
- و انظر أيضا، قلعة بني سعيد.
- قلنبيرة (٥) ٤٠٠.
- قمارش (١) ٣٣٤، ٣٣٦ (٥) ٤٠٢ (٧) ٥٦.
- قلمرية (١) ٢٩٨.
- قنا (٣) ١٦٥.
- القنت (١) ١٤٣.
- القنبانية، انظر: الكنبانية.
- قنبيل (٨) ٨٣.
- قنتورية (٣) ١٣٩.
- قنسرين (١) ١٩٢ (٣) ٣١٤.
- قنطرة سنان (٢) ٣٠١.

- قنطرة السيف (١) ١٦٩ (٣) ١٢٣.
- قنطرة طليطلة (١) ١٦٩.
- قنطرة قرطبة (١) ١٢٤، ١٩١ (٢) ٢٩٢ (٣) ٢٩٦، ٢٩٩.
- قنطرة ماردة (١) ١٦٩.
- قنطرة الوادي (١) ١٣٥ (٢) ١٢٤.
- قورية (١) ٢٩٨، ٣٢٢.
- قوص (١) ٥٥، ٢٢٤، ٣٤٦، ٣٦٩ (٣) ١٦٥، ٢٠٠.
- قومس (١) ٢٩٨ (٥) ٣٤٢.
- قيجاطة (٢) ٣٦٥ (٤) ٣٨٧.
- القيروان (١) ١٧٠، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ٢٦٢ (٢) ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٦٤، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٦٧، ٣٧٢، ٤٥٤، ٤٥٨ (٣) ١٢٩، ٢٣٦، ٢٣٩، ٣٠٣، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٨١، ٣٩١، ٣٩٢ (٤) ١٢، ١٣ (٥) ٣٤٢ (٧) ٣١٦.
- قيسارية (٢) ٣٥١، ٤٦١.
- قيسانة (من عمل غرناطة) (٣) ٢٣٢.

حرف الكاف

- كاظمة (٢) ٣٣٩ (٣) ٢٧.
- الكاملية (٣) ٣٩٤ (٥) ٣٥٠.
- كتندة (وقعة) (٢) ٢٥١، ٣٥٤ (٥) ٣٥٠.
- كديئة أبي عبيدة (١) ٢٠٦.
- كديئة البراطل (٦) ٢٨٤.
- كديئة العرائس (٦) ٨٩.
- كرتش (١) ١٢٨ (٢) ٣.
- الكرج (٤) ١٣٥.
- الكرخ (٦) ٣٠٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٨٦
- كرمان (٤) ١٤.
- الكعبة (١) ٤٩، ٥٩، ٣٢٢ (٢) ٢٨٠، ٢٨١ (٦) ٣١، ٥٩، ٢٠٩، ٣٢٩، ٣٤٤ (٧) ٥٩ (٨) ٢٢٧ (٩) ١٧٦، ١٢٠، ١٢٦.
- كفرعيما (٩) ١٨٧.
- كلواذا (٤) ٨٥.
- الكنبانية (١) ١٣٥، ٢٨١.
- كندة (٧) ٢٦٧.
- كنيسة الحرقى (١) ٢١١.
- كورة استجة (١) ٤٣٧ (٢) ٤.

- كورة أستبة (٢) ٤.
- كورة أكشونبة (١) ١٥٦.
- كورة البيرة (٣) ٣٢٤.
- كورة باروشة (١) ١٤٣.
- كورة باغة (٦) ٥.
- كورة بريطانيا (١) ١٤٣.
- كورة بشتفير (٣) ١١.
- كورة بلكونة (٢) ٣، ٤.
- كورة تدمير (١) ٢٣١.
- كورة تطيلة (١) ١٤٣.
- كورة رنده (٢) ٤.
- كورة رية (١) ٢٢٠، ٢٥٩ (٢) ١٢ (٣) ٣٢٤ (٦) ٣٨١.
- كورة سرقسطة (٣) ٣٠٥، ٣٠٨.
- كورة غافق (٢) ٤.
- الكورة غافق (٢) ٤.
- الكورة القبرية (٢) ٤.
- كورة القصير (٢) ٣، ٤.
- كورة كزنه (٢) ٤.
- كورة لبله (١) ١٤٤.
- كورة المدور (٢) ٤.
- كورة مراد (٢) ٤.
- كورة وزغه (٢) ٤.
- كورة إيالاتن (٦) ١٧٣.
- كورة اليسانة (٢) ٤.
- كوران (٣) ٢٠٣.
- الكوفة (١) ٢٢٢ (٢) ٨٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٧، ٤٥٤ (٣) ١٢٨، ٣٠٤، ٣٢٦، ٣٩٩ (٤) ١٣، ١٤، ٢٢، ٦٥ (٦) ٢٤٤، ٢٥٢.

حرف اللام

- لاردة (١) ١٤٣، ٣٣٨ (٥) ٣٦٠.
- اللبادين (٢) ٢٨٥.
- لبله (١) ١٢٨، ١٤٣، ٢١٧، ٢٧١ (٢) ٢٤٠، ٢٨٨، ٣٤٤، ٣٥٥، ٣٦٢ (٣) ١٢٤، ٢٠٢، ٢٣٨، ٣٢٢، ٣٣٢ (٥) ٢٦٦ (٧) ٣٠٥ (٨) ١٣٨.
- لبنان (٢) ١٧٨.
- لشانة (٥) ٣٩٨.

لقت (١) ٢١٦ (٢) ٣٠٤، ٣٠٥ (٤) ٧٠.

لك (١) ٢٦٠.

لمتونة (١) ٣٤١ (٤) ٢٤، ٢٧٤ (٥) ١٧٩، ٢٨١ (٦) ١٥٤ (٨) ٨٨.

لودون (١) ٢١٩.

لورقة (١) ١٢١، ١٢٨، ١٤٤، ٣٤٥ (٢) ١٦٤ (٣) ١٣٥، ٢٠٠، ٢٠١ (٤) ٥٥ (٥) ١٧٥، ١٩٩، ٢٢٩ (٧) ٣٢٣.

لوشة (١) ١٣٢، ١٤٣ (٥) ٢١١، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠١ (٦) ٣، ٥، ٧، ٤٢، ٤٣، ٨٢، ١٠٨ (٧) ٢٢٧.

اللوى (١) ٧٢ (٢) ٣٩، ٢٥٦ (٣) ٢١٨، ٢٧١ (٥) ٣٧٩، ٣٨٠ (٦) ١٧، ٣٣.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٨٧

٤٦، ٥٩، ٧٢، ١٣٣، ٢١١ (٨) ٤٧، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٩ (٩) ٤٠، ١٥٥، ١٦٦، ٢٨٢.

ليون (١) ١٢٨، ٢٧١.

حرف الميم

ماردة (١) ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٥ (٢) ٢٣ (٣) ٣٠١، ٣١٠، ٣١١ (٥) ٣٥٤.

ماردين (١) ٨٨ (٩) ١٨٢.

المأزمان (٢) ٢٤٤.

مازونة (٣) ١٠١ (٦) ٣٤٧.

مالطة (١) ٤٥، ١٣٠.

مالقة (١) ١٢٨، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٤، ١٩٣، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٣٤،

٢٥٩، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧ (٢) ٢٧، ٢٨، ٢١٤، ٢١٩، ٢٣٠، ٣٤٢، ٣٤٨، ٣٤٧، ٤٢٧، ٤٦٣، ٤٦٤ (٣) ٩٠، ١٠، ١١، ١٤٦، ١٦٥، ١٧٥، ٣٠٩،

٣٣٧، ٤٠٠ (٤) ٥٢، ٥٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٨٧، ٣٧٦ (٥) ٩٥، ١١٢، ١٣٢، ١٤٤، ٢٢٠، ٢٤٥، ٢٥٣، ٣٦٣، ٣٨٣،

٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٥ (٦) ١٦، ٨٥، ٨٨، ١٠١، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ٢١٠، ٢١٧، ٢٥٦، ٣١٣، ٣١٨ (٧) ١٣٦، ١٦٣، ١٦٤،

٢٠٨، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٥٧، ٢٧١، ٢٧٥، ٣٢٢، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٦١، ٣٦٢ (٨) ٥٨، ٢٨٤ (٩) ٢٤، ٩٤، ١١١، ١١٢.

مالي (٥) ٣٠١.

ما وراء النهر (٣) ٣٣٥.

المبارك (بقرطبة) (٥) ١٨٩، ١٩٥.

مترابيل (٦) ١٠٧.

متيجة الجزائر (٥) ٤٠٩ (٩) ٣١٠.

متيطة (١) ١٥٤.

المجاز (١) ١٢١.

المجلس الشرقي، انظر: المؤنس.

مجلس الناعورة (٢) ١٤٣، ١٤٤.

مجمع البحرين (١) ١٢٠.

محسر (١) ٧٢ (٦) ٢١١.

محصب (٨) ٢٠٠.

المحلة (٣) ١٦٥ (٤) ١٣.

المدائن (٢) ٤٥٩.

المدرسة الإقبالية (بدمشق) (٢) ٢٧٤.

المدرسة الجقمقية (٣) ٣٨.

مدرسة الجديدة (٧) ٣١٥.

مدرسة الشماعين (٦) ٣٣٨.

المدرسة الصالحية (٣) ١٤١، ١٨٣ (٧) ٣٢٦.

المدرسة العادلية (٢) ٢٨٦، ٣٥٥، ٤١٩ (٣) ١٢٥، ٢٤٢.

المدرسة العلمية (٨) ٥.

المدرسة الفاضلية (٢) ١٩٨، ٢٨١، ٣٥١.

المدرسة المنصورية (٣) ١٤١.

المدرسة النصرية (٧) ٥١.

المدرسة النظامية (٢) ٣٦٩ (٣) ٢٢٩.

المدرسة اليعقوبية (٦) ٢٢٤.

المدرسة اليوسفية (٨) ٢٨٦.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٨٨

المدور، انظر: حصن المدور.

المدينة (المنورة) (١) ٥٤، ٧٢ (٢) ١١٥، ٢١٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٩٦، ٢٤٠، ٣٥١ (٣) ١٠٣، ١٢٦، ١٩٦، ٢١٩، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٧٣،

٣٩٦، ٣٩٧ (٤) ١٣، ٦٠، ٦١، ٦٥ (٥) ٢٢٠، ٣٠٢، ٣٥٧ (٦) ٧١، ٧٨، ١٨٢، ١٨٣، ٣٢٣، ٣٢٤ (٧) ٤٥، ٥١، ٣١٣ (٨) ٢٠٩، ٢١١، ١١٤،

٢٦٨ (٩) ١٤٢، ٢١٢. و انظر أيضا: طيبة، يثرب.

المدينة البيضاء (فاس) (٦) ٩١ (٧) ٦٥.

مدينة سالم (١) ١٤٣، ٢٧١، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣ (٣) ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٥٩.

مدينة السلام (٢) ٢١٠، ٢١١. و انظر أيضا:

بغداد.

مراكش (١) ٦، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٧٣، ٢٣٨، ٢٤٨، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٤ (٢) ٦٨، ١٢٣، ١٦٧، ٢٠٢، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٥٦، ٢٧١، ٣٠٨، ٣٢٧،

٣٧٥، ٣٧٦، ٣٩٩، ٤٢٤، ٤٥٢، ٤٧٣، ٤٧٥ (٣) ١٣، ٩١، ٩٢، ٩٤، ١٠٠، ١٠١، ٢٤٦، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٩٣، ٤٠٠ (٤) ٥، ٢٣،

٦٠، ٦٨، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٦٣، ٢٨٦ (٥) ٨، ٣٣، ١٥٠، ٢٤٢، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٨، ٣٠٥، ٣١١، ٣٥٦، ٣٦٤،

٤٠٨ (٦) ٥٨، ٨٤، ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٨٦، ٢٠٥، ٢٨٨، ٢٩٢ (٧) ١٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٧٨، ١٨٠، ٢٠٣، ٣١١، ٣١٧، ٣٦٤،

(٨) ١٧٦، ١٨٠، ١٨٧، ١٩٩، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٥٩، ٢٦٨ (٩) ١٧، ١٠٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧.

المرند (٥) ١٤٨.

مريلة (٥) ٣٣٣ (٦) ٧١.

مربيطر (١) ١٦٩.

- مرج الخز (٢) ١٦، ١٧، ٦٩.
- مرج راهط (٢) ١٢٧ (٣) ٣٢٥، ٣٢٦.
- مرج الصفر (٥) ٣٨٤.
- مرج غرناطة (٥) ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٠ (٦) ٤٢، ٤٣.
- مرج الفضه (ياشيلية) (٢) ٤٢٦.
- المرج النضير، انظر: مرج الخز.
- مرس الشجرة (٥) ١٤٤.
- مرسية (١) ١٢٤، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٦٨، ١٨٢، ٢٣٤، ٢٣٦، ٣٤٤، ٣٤٥ (٢) ٢٢، ١٦٥، ٢١٩، ٢٣٠، ٢٣٩، ٢٥٠، ٢٦٨، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٤٠، ٣٥٤، ٣٦٥، ٣٦٩، ٤٠٦، ٤٧٦ (٣) ٢٠٤، ٢٤١، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٩٥، ٣٩٩ (٤) ١٨، ١٣٣، ١٨١، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣١٢، ٣٩٠، ٣٩٢ (٥) ٦٩، ٨٠، ١٣١، ٢٢١، ٢٤٥، ٢٨٢، ٣٥٣، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٦٤، ٣٩٤ (٦) ٥٣، ٥٩، ٦١ (٧) ٣٦١ (٨) ٢١٠ (٩) ٢٣٩، ٢٤٥.
- مرو (٢) ٤٣٣ (٣) ٢٠٠، ٢٩٨، ٣٦٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٨٩
- المروة (٢) ١٢٠ (٣) ٢٠٢ (٤) ١٨ (٥) ١٥٧، ٢٥٢.
- المرية (١) ١٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٥ (٢) ٢٥، ٢٦، ٥٧، ٢١٩، ٢٣٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٨٣، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣١٦، ٣٥٢، ٣٥٣ (٣) ١٠، ١٢١، ١٦٥، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٥٣، ٣٣٨، ٣٩٩ (٤) ٥٣، ٦٠، ١٣٤، ١٤٠، ١٧١، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٠، ٢٨٤، ٣٠٩، ٣١١، ٣٤٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٨٦، ٤٠٠، ٤١٧ (٥) ٨٩، ٩٠، ١٠٣، ٢١٠، ٢٦٥، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٦، ٣١٤، ٣٣١، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨ (٦) ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٣٥ (٧) ٢١، ٢٤، ٤٠، ٧١، ١٢٩، ١٣٦، ١٥٩، ٢٠٢، ٢٠٧، ٣٢٣، ٣٢٦ (٨) ٩٥، ٢٠٧، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٥ (٩) ٢٥، ١٥٠، ١٩٧، ٢٠٨.
- المرزيب (المرزيب) (١) ٩٤ (٣) ٢١.
- مسجد أمية (٣) ٢٩٩.
- المسجد الأعلى (مالقة) (٧) ٢١٣.
- المسجد الأقصى (١) ٦٢، ٦٤ (٢) ١١٩، ٢٠٨، ٢١٢، ٢٢٣ (٤) ٢١٥ (٥) ٢٤١ (٦) ٢٤١ (٧) ٢٤١.
- مسجد جامع إقليش (١) ١٣٨.
- المسجد الجامع بقرطبة (١) ١٣٥، ٢٥٩، ٢٧٣، ٣١٧ (٢) ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٤، ٨٩، ١٢٣، ١٢٤، ٢٩٨ (٣) ١١٧، ٢٩٠، ٣٢٨، ٣٩٥ (٤) ٨٦، ٨٧ (٥) ١٨٢، ٢٦٥ (٦) ٢١٧.
- المسجد الجامع بمراكش (٢) ١٢٣.
- المسجد الحرام (١) ٦٠، ٢٧٣ (٦) ٢٢٩ (٩) ٢٢٠.
- مسجد رحبة القاضي (٥) ٥٦.
- مسجد الرسول (بالمدينة) (٢) ٣٣٧ (٣) ٢٧٤ (٤) ٢١٥، ٣٢٣.
- مسجد السيدة الكبرى (بقرطبة) (٢) ١٩٦.
- مسجد ابن طولون (٢) ٤٥٣.
- مسجد أبي عثمان (١) ٢٩٤.

مكناسة (١) ٢٥٨، ٣٠٠، ٣٠٩ (٣) ١٠١ (٦) ٢٩٠ (٧) ٣٠٨، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦.

مكناسة الزيتون (١) ٢٤٨ (٦) ١١٨، ٢٨٨، ٢٨٩ (٧) ١٦٨، ١٦٩، ٣١٣، ٣١٤.

مكة (١) ٤٩، ٥٠، ٥١، ٦٠، ٦٤، ٦٨، ٢٦٢ (٢) ١٠٣، ١١٥، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٠، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٩١، ٤٤٣ (٣) ١٤، ٤٩، ٥٢، ٩٢، ١٠٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٧، ١٤٨، ١٦٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٩، ٣١٢، ٣٧٠ (٤) ١٣، ١٧٨، ٣٠١ (٥) ٦١، ١٣٩، ٢٣٩، ٣٠٢، ٣٨٧ (٦) ١٨، ١٠٣، ١٩٢، ١٩٩، ٢٥٩، ٣٢٤، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٤ (٧) ٤٥، ١٥٦، ٣١٣ (٨) ١٥٤، ٢٠١، ٢٦٨، ٢٨٥، ٣٢٠ (٩) ٣١، ٤٢، ١٣٩، ١٥٩، ١٧٧، ٢٠١، ٢٦٤، ٢٧٤.

ملتماس (٧) ٢٣٤.

ملطية (٢) ٣١١.

ملوية (١) ١٩٢ (٦) ٨٩ (٧) ١٤٣.

مليانة (٣) ١٠١.

مليلة (١) ٣٣٧ (٥) ٤٠٨.

مناز جرد (٣) ٣٤٢.

منازل الرمل (٢) ٣٧٠.

منازل الهاشمي (٣) ٣٣٢.

المنبر (منتزة بقرطبة) (٢) ٢٠.

منت فريد، انظر: متفريد.

منت ليون (١) ١٢٨.

منت ميور (٥) ١٤٤، ٣٠٦.

متفريد (٥) ٤٠٠ (٧) ٣٥٩.

المنحنى (٨) ٢٥٤.

منرقة (منورقة) (١) ١١٩، ١٢١ (٤) ٢٥٣ (٥) ٣٥٨.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٩٣

منزل العز (قصر بمصر) (٢) ٤١.

منزل نصر (موقع ببلنسية) (٦) ٢٩٢.

منزل همدان (١) ٢٨١.

المنشأة (حصن) (٥) ٤٠١.

المنصف (١) ١٥٣.

المنصورية (٢) ٤٥٨.

المنكب (١) ١٤٣ (٣) ٣٠٩، ٣٢٤ (٥) ٣١٤، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٩.

منى (١) ٥٠، ٥٣ (٢) ١٦٨، ٢٤٤ (٣) ١٥٣، ٢٧٠ (٥) ١٤٩، ٢٤٢، ٢٩٨ (٦) ١٨، ١٤٨، ٢٠٩، ٣٢٩، ٣٦١، ٣٧١ (٧) ٢٨٧، ٢٩٤ (٨) ١٩٧ (٩) ١٣، ١١٤، ١٤١، ١٦٧، ٢١٤.

منورقة (١) ١٤٤، ١٦٧، ٢١٤.

المنبيح (٣) ٣٧٢.

منية ابن أبي عامر (بيلنسية) (١) ١٥٢.

منية ابن خصيب (بمصر) (٢) ٣٤٥ (٣) ١٦٥.

منية أبي بكر بن عبد العزيز (٥) ٤.

منية البديع (٢) ١٤٠.

منية الرصافة (٢) ١١.

منية الزبير (٢) ١٥، ٩٩.

منية السرور (بقرطبة) (٢) ٩٩، ١٢٤.

المنية العامرية (بقرطبة) (٢) ٩٨.

منية المنصور الأصغر (بيلنسية) (٢) ١٥٤.

منية الناعورة (بظليطة) (٢) ٩٩، ١٤٣، ١٤٤.

المهدية (٢) ٢٠٠، ٢٦١، ٣٠٠، ٣٠٣ (٣) ٢٤٠، ٢٤١، ٣٨١، ٤٥٨ (٤) ١٣٦ (٥) ٥، ١٠٤، ٢٨١، ٢٨٢ (٦) ١٦٩.

مؤتة (٦) ٢٦٩.

موزور (١) ٢٥٩ (٣) ٣٠٢ (٤) ٢٤.

الموصل (٢) ٢٣٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤١٦ (٣) ٥، ١٠٥، ١٩٨، ٢٠٤، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٦٠، ٣٩١ (٨) ٢٩٣.

المؤيدية (٣) ٢٧٩.

المؤنس (٢) ٥٨.

ميرتلة (٥) ٢٤٠.

ميرة (٣) ٣٠٠.

ميورقة (١) ١١٩، ١٢١ (٢) ١٤٤، ٢٢٣، ٢٤٨، ٢٦٧، ٢٨٧ (٣) ١٣١، ١٣٥، ٢٣٧ (٤) ٥٤، ٢٦٩ (٥) ١٥٤، ١٥٥، ١٨٢، ٢٤٥، ٣٥٦، ٣٥٨.

٣٦٣ (٨) ٢١٥.

حرف النون

نارجة (١) ١٥٠.

ناشرة (١) ١٢٨.

نتالة (١) ١٦٨.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ١٩٣

د (١) ٢٣، ٣١، ٣٥، ٧٢، ٧٣، ٨٢، ١٠٢، ١٥٦، ٢٤١ (٢) ١٩٤، ٢٢١، ٢٥٧، ٢٧٥، ٣٣٩، ٣٧٣ (٣) ١٢٧، ٢١٨، ٣٤٠، ٣٧٦ (٤) ٢٩٢ (٥)

١٠٩، ١٦٠، ١٧١، ٣٦١، ٣٦٢، ٤٢٢ (٦) ١٨، ٣٨، ٥٥، ٥٦، ٢١١ (٧) ٧٤، ١٩٩، ٢٠١، ٢٨٩، ٢٩٤، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٦٣ (٨) ١٤٨، ١٤٩، ٢٤٩.

٢٥٠ (٩) ١٢، ١٩٦، ٢١٢.

النجمية (٦) ٣٤٣.

النشارين (٢) ١٩١.

نصيين (٤) ١٦٠.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٩٤

النظامية، انظر: المدرسة النظامية.

نعمان (٦) ١٧، ٣٨ (٩) ١٩٨، ٢٠٠.

نكور (٤) ١٣.

نهر تاجه (١) ١٤٠.

نهر جلق (بسرقسطه) (١) ١٣٣.

نهر العاصي (٣) ٢٦٢ (٩) ٢١٢.

النهر العظيم، النهر الكبير، انظر: الوادي الكبير.

نهر أيلة (١) ٣٢٣.

نهر ردونه (١) ١٩٢.

النهران (٥) ٥.

النيران (٢) ٢٦٩.

نيسابور (٢) ٢٣٣، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٨٦، ٢٩٨، ٣٤٨، ٣٦٩ (٣) ١١٩، ١٢١، ٣٣٧.

النيل (١) ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٩٥، ١٣٧، ١٤٦، ١٧٢، ٣١٦ (٢) ٣٦، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤١٤، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٥٩،

٤٦٠، ٤٦٢ (٣) ٣١، ٣٢، ٣٤، ١٣٠، ٢٣٤ (٤) ٤٨، ٩٠، ٢٨١ (٥) ٥٤ (٧) ١٢، ١٢٦ (٨) ٣١١.

حرف الهاء

هجر (٦) ٤٩ (٨) ١٠٠.

هراة (٢) ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٨٦، ٣٦٩ (٣) ١١٩، ١٢١، ٢٠٢.

هراة بنى شيمانه (٢) ٢٣٤.

همدان (قرية) (٦) ٩٦.

همدان (٢) ٢٩٠ (٦) ١٩٥.

هنتانه (٧) ٣١٧، ٣١٨.

الهند (١) ١٢٠، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٣، ١٦٦، ١٧١، ١٧٢، ٣٦٩ (٣) ١٨٤ (٤) ٣، ١٧٨ (٥) ٢١٩، ٢٧٣، ٣٥٣، ٣٧٤، ٣٩٣، ٤٢٦ (٦) ١٣٦، ٢٩٣

(٧) ٣٥، ١٧٦، ٢١٤، ٢٩٠ (٨) ١٧٥، ١٩٥ (٩) ٩، ٣٠، ٤١، ٨٥.

الهودج (بمصر) (٢) ٤١٤، ٤١٦، ٤٥٧.

أبو الهول (٤) ١٤٤.

هيلانة (١) ٢٤٨.

حرف الواو

وادي آش (وادي الأشات) (١) ١٣٢، ١٤٣، ٢٣٢ (٢) ١٣، ٢٦، ٣٢٥، ٣٥٤ (٣) ٢١٢، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٥، ٢٩٨، ٤٠٣، ٤٠٤ (٤) ٢٧٤، ٢٧٥،

- ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٣٤ (٥) ٩٠، ٢٠٦، ٢٤٠، ٢٥٢، ٣٩١، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٧ (٦) ٦٠، ٧١، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤
 ٣٦٥ (٧) ٤٧، ٥٧، ٣٣٠، ٣٦٠ (٨) ٥٠، ٢٨٦، ٢٩٩ (٩) ١٣٤، ١٣٦.
- وادي إبرة (١) ١٢١.
- وادي إشبيلية (٤) ٥٣، ١٨٤، ١٩٠، ٢٤٢، ٣٦٩ (٥) ٩٤.
- وادي الحجارة (١) ١٤٣، ٢١٢، ٢٦٩، ٢٧٠ (٢) ٢٥٢، ٢١٩ (٤) ١٣، ٢٥، ٢١٥، ٢١٧ (٥) ١٠٢، ٢٠٤.
- وادي حدره (٥) ٣٩٥.
- وادي الحمى (٣) ٢٠٨.
- وادي الدير (٢) ٦٩.
- وادي ردونة (١) ٢١٩.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٩٥
- وادي الرمل (٣) ٣٠٩.
- وادي رنلقاطو (١) ١١٩.
- وادي الزيتون (٢) ٦٣.
- وادي السقائين (٦) ٦٧.
- وادي سليطة (١) ٢٧٥.
- وادي شنجيل، انظر: شنييل.
- وادي شوش (١) ٢١٥.
- وادي طبرنش (١) ١٤٢.
- وادي الطلح (٢) ١٧٩، ٤٠٨.
- وادي طوى (٨) ٢٥٩.
- وادي عذراء (١) ١٣٣.
- وادي العسل (٤) ١٣٢.
- وادي العقيق (بقرطبة) (١) ٤٨ (٢) ٢١، ٦٩ (٩) ٢٧، ٢١١.
- وادي الغضي (٣) ٣٤ (٨) ٢١٢.
- وادي الغيران (٧) ٢٠٢.
- وادي القرى (١) ٢١٧، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨ (٣) ٢٧ (٤) ٢٢٧ (٥) ١٣٧.
- الوادي الكبير (١) ١٣٨، ١٧١ (٢) ٥، ١٠، ١٣، ٣٠، ٥٣، ٤٥ (٥) ٩٥، ٢٦١، ٢٦٦.
- وادي لكه (١) ٢٠١، ٢٠٨ (٣) ٣٠٣.
- وادي ماسه (٦) ١٥٨.
- الوادي المقدس (٤) ٢٨٣ (٦) ١٨، ٢٤، ٢٣٤ (٨) ٢٣٣ (٩) ١٤١.
- وادي المرية (١) ١٤١.
- وادي منيه (١) ٣٢٢.
- وادي النجا (٦) ٨٩.

- وادی النقا (٩) ٢١٠.
 وادی النیرین (٣) ٣٤.
 وادی یسر (٨) ٣٢١.
 واسجۀ (٨) ٨٥.
 واسط (٢) ٢٤٩، ٢٤٦ (٣) ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٩.
 وجرۀ (٨) ٦٦.
 الوحید (٥) ١٩٥.
 وخشمۀ (١) ٢٨٤.
 وشقۀ (١) ١٤٣، ٢٩٨، ٣٤١. وانظر أيضا:
 كورۀ وشقۀ.
 الوریط (بتلمسان) (٩) ٣٦٣.
 وقعۀ البلاط، انظر: بلاط الشهداء.
 وقعۀ الحرۀ (٣) ٣٠٠، ٣٠١ (٥) ٣٧٩.
 وقعۀ الجمل (٣) ٢٩٣.
 وقعۀ الریض (٦) ٥.
 وقعۀ طریف انظر طریف.
 ولبۀ (٧) ٥٤.
 الولجۀ (٦) ٦١.
 وهران (٣) ١٠١ (٤) ١٢ (٥) ٤٠٦، ٤٠٩ (٦) ٢١٤.

حرف الیاء

- یابرة (١) ١٤٣ (٢) ١٦٥ (٣) ٢٣٩.
 یبرین (٢) ٧٠ (٨) ٢٩٤.
 یثرب (٢) ٤٣٢ (٣) ٢١٠، ٢١٩ (٤) ٢٨٠ (٦) ١٨ (٧) ٥٨، ١٥٦ (٩) ٢٧٨.
 یحصب (٨) ٢٢٦.
 یذبل (١) ٦٤ (٨) ٢٣٩.
 الیرموک (١) ٢٢٢ (٣) ٢٩٠ (٥) ٥، ٣٨٢، ٣٨٤.
 یزید (نهر) (٣) ١٨.
 الیسانة (١) ١٤٢.
 یسر (حصن) (١) ٣٤٤.
 نفع الطیب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٩٦
 یقورة (٢) ٢٢٠.
 الیمامة (٣) ٣٠٠ (٨) ٢٣٧.

اليمن (١) ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٥٩، ٣٠٨، ٣٠٩ (٢) ٣٦٧، ٣٦٩، ٤١٦، ٤١٨، ٤٤٨ (٣) ٢٩، ١٢٢، ١٦٦، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٨، ٣٣٤، ٣٣٥ (٤) ٢١، ١٧٨، ١٧٩ (٥) ٢٠١، ٣١٤، ٣٧٣ (٦) ١٥، ١١٢، ١٧٦، ١٨٨، ٣٢٤ (٧) ١٣ (٨) ١٩٥ (٩) ١١٨، ١٦٨.
اليونان (١) ١٩٨، ١٩٩ (٦) ٢٠، ٢٤، ٢٦.
ينبع (٣) ١٦٥.
ينبلونه (١) ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٤.
يومين (٥) ١٣٩.
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٩٧

٣- فهرست القبائل والشعوب والأديان والمذاهب

حرف الألف

آل البيت (٨) ١٤ (٩) ٢٠٠، ٢٥٣.
آل أبي حفص (١) ٢٤٤.
آل أبي طالب (٥) ٣٨٥ (٦) ٢٥٢.
بنو أبي العافية (١) ٣٠٠.
بنو أبي عبيدة (١) ٤٠٤.
الأتراك، انظر: الترك.
بنو الأحمر (١) ٢٣٨، ٢٣٤ (٥) ٢٨٦، ٣٩٤ (٦) ٤، ٩، ٨٢ (٨) ٨٩. وانظر أيضا: بنو نصر.
الأحباش (٩) ١٩.
إخوان الصفاء (٤) ١٧٨.
بنو إدريس (١) ٢٧٧، ٣٠٠.
الأردمليس (٥) ٣٤٠.
الأرمن (٢) ٤٧٩ (٥) ٢٨٩.
الأزارقة (٧) ٢٨٢.
الأزد (١) ٢٣٣، ٢٣٤ (٣) ٣٠٠.
بنو أسد بن خزيمه (١) ٢٣٢.
بنو أسد بن ربيعة (١) ٢٣٢.
بنو إسرائيل (٥) ٢١٣ (٦) ٢٢٨، ٢٣١، ٢٥٣ (٨) ٧٩.
بنو إسماعيل (١) ٢٢١، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٣.
الإشبانيون (١) ١٢٦، ٢٠٧.
أشجع (١) ٢٣٢.
أشرس (١) ٢٣٥.
الأشعرية (٤) ١٦٠.

بنو أشقيلولة (١) ٣٤٤، ٣٤٥.

الأصبحيون (١) ٢٣٦.

بنو الأصفر، انظر: الروم.

بنو أضحى (١) ٢٣٤ (٦) ٦.

الأعياص (٦) ٨٧.

بنو الأغلب (٢) ٤٥٤ (٣) ٣٩٢.

الإفرنج، انظر: الفرنجة.

بنو الأفطس (١) ٣٤١.

الألمان (١) ٢٨٥.

بنو أمية (١) ٢٢، ١٣٠، ١٣٥، ١٤٠، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٣، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٧، ٣٠٠، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٤،

٣٣٧، ٣٤٨ (٢) ٣، ٤، ٧، ١١، ١٢، ١٤، ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٥٦، ٧١، ٨١، ١٠٤، ١٠٥، ١٣٣، ٢٢٧ (٣) ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١١، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٤،

٣٢٥، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٥٢، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٠ (٤) ١٩، ٦٠، ١٤٧، ٣١٠، ٣٥٣ (٥)

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٩٨

٥٩ (٦) ٩٧ (٨) ٢٨٥.

الأندلس (الأندلوش) (١) ١٢٢، ١٣٠.

الأنصار (١) ٥٤، ١٨٨، ٢٠٥، ٢٣٤ (٢) ١٢ (٣) ١٦٧ (٦) ١٣٠، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧ (٧) ٣١٩ (٨) ٥، ٢٤، ٣١، ٩٨، ١٦٠ (٩) ١٤، ٥١، ٦٩،

٧٠، ٧٦، ٧٩، ١٢١، ١٤٢، ١٤٤، ٢٥٣، ٤٢٠.

الأوس (١) ٢٣٤ (٤) ١٤.

أوسلة (١) ٢٣٤.

إياد (١) ٢٣٢ (٦) ١٣٠ (٧) ٢٦٧، ٣٤٨.

بنو أيوب (٢) ٢٥٦، ٣٩١، ٤١٠ (٣) ٣٦٥ (٥) ٢٨٥ (٨) ٨٨.

حرف الباء

بنو الباجي (١) ٢٣٥ (٣) ١٢٥.

بنو باديس (٨) ٨٨.

البرابر، انظر: البربر.

البرامكة (٢) ٤١٥، ٤١٩ (٥) ٣١.

البربر (١) ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٧٧، ٣٠٠، ٣٠٩،

٣١٥، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٣٩، ٤٤٧ (٢) ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ١٥٣، ١٨٦ (٣) ١٢٣، ١٣٠، ٢٤٧، ٢٨٠، ٢٩٩،

٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٠ (٤) ٢٧، ٤٨، ٣٨٣ (٥) ٢٧٨ (٦) ١٠ (٧) ٣٢، ٣١٤، ٢٩٦ (٨) ٣١٥، ٣١٤.

البراهمة (٨) ١٠٧.

البرجلونيون (٦) ٧١.

بنو برزال (١) ٣٠٩.

البيشولات (١) ١٢٦، ١٢٧.

البشكنس (١) ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٦، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣١٤ (٣) ٢٩٧، ٢٩٩.

البصريون (٣) ٣٤٢ (٥) ٣٠.

بكر بن هوازن (١) ٢٣٢.

بكر بن وائل (١) ٢٠٢، ٢٣٣ (٢) ٣٥٠ (٥) ٢٤٣ (٦) ٣٠٢ (٩) ١٦٥.

البلغار (١) ١٢٥.

البلويون (٧) ١٨٥.

بلي (١) ٢٣٦.

بهاء (٣) ١٢٠.

بنو بويه (٨) ٨٨.

حرف التاء

التار (١) ٢٥٤ (٢) ٣٦٨، ٤٧٩، ٤٨٠ (٥) ٢٨٩ (٧) ١٤٧ (٨) ١٣٠.

تجيب (١) ٢٣٥ (٦) ١٣٠.

التجيبون (٤) ١٩.

بنو الترجمان (٨) ١٧٨.

الترك (١) ٢٥٤، ٢٧٧ (٢) ٣٩٦ (٣) ٤٩، ١٨٥ (٤) ٤، ٩، ٤١٠ (٥) ١١٦، ٢٤٤، ٢٨٠، ٢٩٤ (٧) ٢٩٠ (٨) ١٣٠، ٣٧٣.

تغلب (١) ٢٣٣ (٤) ١٢١ (٦) ٣٠٢.

تالمغت (٧) ١٣٨.

تميم (١) ٣١٦ (٤) ٣٤ (٩) ١٦٥.

تنوخ (١) ٢٣٦.

تيم (١) ٣٢٣، ٣٣٨ (٣) ١٥٧، ١٨١.

حرف التاء

ثعل (٨) ٢٧٩.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ١٩٩

ثقيف (١) ٢٣٢.

ثماله (٦) ١٦٣.

ثمود (١) ٢٣٢ (٦) ١٢٧، ١٢٨، ١٥٥.

ثور (٦) ٣٤٥.

حرف الجيم

- بنو جابر (٢) ١٨٩.
- آل جبله بن الأيهم (٥) ٣٥٨.
- بنو الجد (١) ٢٣١ (٣) ٢٩٨، ٣٥٨ (٧) ٣٧٣.
- جدد (٦) ٩٦.
- جديس (٦) ٩٦.
- جذام (١) ٢٣٥.
- الجراكسة (٨) ٨٨.
- جرهم (٦) ٩٦ (٧) ٣٦ (٩) ١٦٥.
- بنو جزى (٩) ١٣١.
- بنو الجعدالة (٦) ٦.
- أولاد جفنة (٦) ٩٧.
- الجلالقة (١) ١٢٠، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٦٧، ١٩١، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٤٣ (٥) ٢٨١، ٢٦٩.
- جمع (١) ٢٣١.
- بنو جهور (١) ٢٣٦، ٢٣٩، ٣٣٩ (٢) ١٦ (٤) ١٣٨ (٥) ١٣٨ (٨) ٨٨.
- جهينة (١) ٢٣٦.
- بنو جودي (١) ٢٣٢.
- بنو الجياب (٦) ٣٧٢.

حرف الحاء

- بنو الحارث بن فهر (١) ٢٣١.
- بنو الحارث بن كعب (٥) ٣٠.
- بنو حام (٣) ١٧٥ (٤) ٢٧٧ (٥) ١١٣، ٤٣١ (٧) ٧٠ (٨) ١٤٣.
- الحبش (٣) ١٥٨.
- بنو حرب ٣٢٥ (٧) ١٠٧، ١٤٧، ٢٠٩ (٨) ١١٧.
- بنو حزم (١) ٢٦٤، ٢٣٢، ٣٠٧.
- بنو حسون (٤) ١٩٢.
- حضر موت بن قيس (١) ٢٣٦.
- الحضرميون (١) ٢٣٦.
- بنو حبيب (٧) ٤٦.
- الحفصيون (١) ٢٤٨ (٦) ٢٤ (٧) ٣٣٨ (٨) ٨٩.
- بنو حمدان (٤) ٣٠، ٣٤ (٥) ١٩٥.
- بنو حمديس (١) ٢٣٣.

- بنو حمود (١) ١٧٧، ٢٣١، ٢٣٢، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨ (٨) ٨٨.
- حمير (١) ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٣١٦ (٦) ٩٦، ٢٩٨.
- الحنابلة (٢) ٢١٠ (٦) ٣٥٠ (٧) ٥٤.
- الحنفية (٢) ١٨٧، ٢٠٨، ٣٤٣ (٣) ٣٧٤، ٤٠٣ (٥) ٣١٢، ٣٢٣، ٣٦٥ (٦) ٥١، ٢٣٠، ٣٥٠ (٨) ٥١، ٦٥، ٦٩ (٩) ٢٥٠.
- الحواريون (١) ١٢٤.

حرف الخاء

- آل خاقان (٣) ١٥٩ (٦) ٢٢.
- خثعم (١) ٢٣٥.
- بنو خزر (١) ٣٠٠، ٣٠٩.
- الخزرج (١) ٢٣٤، ٣٤٤ (٤) ٢١٤ (٦) ٤١ (٨) ٧٣، ١٦٠ (٩) ٤٦.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٠٠
- خزيمة (٥) ٢٢٤.
- خشين (١) ٢٣٦.
- بنو الخطيب (٦) ٥.
- آل خلدون (٨) ١٠١.
- بنو خليف (٤) ٨٢.
- بنو الخليل (٧) ٣٧٣.
- خندف (١) ٢٣١، ٢٣٢ (٦) ٣٠٢.
- الخوارج (١) ١٩٢، ٢٣٨، ٢٥٤ (٣) ٣٦٩ (٦) ٢٥٣ (٧) ٢٨٢ (٨) ١٣٤، ١٣٩.
- خولان (١) ٢٣٥ (٦) ٢٥٣.

حرف الدال

- الدهرية (٦) ٢٣٦.
- الديلم (٣) ٣٦٩ (٦) ٢٤٧ (٧) ٢٩٨، ٣٠٦.

حرف الذال

- ذبيان (٦) ٣٤.
- ذو أصبح (١) ٢٣٦.
- ذو رعين (١) ٢٣٥.
- بنو ذى النون (١) ١٤٠، ٣٤٠ (٤) ٣٠ (٥) ٧٢، ٢٨١ (٨) ٨٨.

حرف الراء

ربيعه بن نزار (١) ٢٣٢، ٢٣٣ (٢) ٦٦ (٣) ٣٠٨.

بنو رزين (١) ٣٤٠.

بنو رستم (٣) ٣٠٧.

بنو رشيق (١) ٢٣٢.

بنو الرميمي (١) ٣٤٥.

الروافض (٦) ١٣٦، ١٣٧، ٢٥١، ٢٥٢.

الروس (١) ١٢٥.

الروم (١) ١٠٥، ١٣١، ١٤٠، ١٩٤، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٦، ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٣، ٣٤٨ (٢) ٩، ٢٣، ٣١، ٨١، ٨٢

٨٨، ١٠٠، ١٠٧، ١١٩، ١٥٦، ١٦٩، ٢٤٧، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣٨٣، ٤٣٢ (٣) ٨٤، ١١٩، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٧٦، ٢٩٣، ٣٥٠، ٣٥٢ (٤) ١٢، ١٠٧، ١٤٠،

١٥٧، ٣٣٠، ٣٩٣، ٣٩٧ (٥) ٥٨، ٦٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٨١، ٣٤١، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٨٣، ٣٨٤ (٦) ٤٦، ٧١،

٧٨، ٩٥، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٨، ٣٥٥ (٧) ١٣٨، ١٤٧، ١٧٣، ٢٩٨، ٣٣٦ (٨) ٥١، ٧٤، ٧٨، ٨٠، ٨٦، ١٥٥، ١٦٠، ١٧٣، ٢٣٢، ٣٢٠ (٩) ١٤٧،

١٧٠، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٦، ٢٧٨، ٢٧٩.

حرف الزاي

زبيد (١) ٢٣٤.

زنانة (١) ٢٥٨، ٢٧٧، ٣٠٠، ٣٠٩، ٣١٠ (٥) ٢٣٠، ٤٢٨ (٦) ٨٧، ٨٩، ٩٢، ١٠٠.

الزنج (٣) ١٨٩ (٥) ٤٤ (٧) ١٧٣، ٢٨١، ٢٩٨ (٨) ١٥٧، ٢٣٦ (٩) ٢٧٠.

بنو زهر (١) ٢٣٣ (٢) ٣٧٤ (٤) ٣٠، ٢٥٧.

بنو زهرة (١) ٢٣١ (٣) ٣٩٧.

الزهريون (٣) ٣٣٥.

بنو زيان (٦) ٢٩، ٣٢٦ (٧) ٣٠١ (٨) ٨٩، ١٠١، ١٥٥، ٢٠٤.

آل زيدان (٦) ٢١.

الزيدية (٩) ٢٤٦.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٠١

حرف السين

بنو ساسان (٥) ٣٧٣ (٦) ٢٠، ٢٤، ٣٣، ٣٤، ١٠٦ (٩) ١٦٥.

بنو سام (٤) ٢٧٧ (٥) ١١٣، ٤٣١ (٧) ٧٠ (٨) ١١٧، ١٤٣.

بنو سامان (٨) ٨٨.

سبأ (١) ٢٣٣، ٢٣٥ (٧) ٣٧ (٩) ١٦٥.

بنو سبعين (٢) ٣٣٦.

- بنو سراج (١) ٢٣٤.
- سعد بن بكر بن هوازن (١) ١٠٠، ٢٣٢ (٦) ١٠ (٩) ٢٥٩.
- آل سعد (الأنصار) (٩) ١٣، ١٤٧.
- بنو سعد (النصريون) (٩) ١١٥.
- بنو سعيد (١) ٢٣٤ (٢) ٣٩٥، ٤٤٨، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٧٥ (٥) ١١١، ١٢٥.
- السكاسك (٦) ٢٩٨.
- بنو سلامان (١) ٢٣٦.
- بنو سلجوق (٨) ٨٨.
- سلول (١) ٢٣٢.
- بنو سلمة (٧) ٣٦١.
- سليم (١) ٢٣٢.
- بنو سماك (١) ٢٣٥.
- السودان (٢) ٢٧، ٢٨ (٣) ٢٩٢.

حرف الشين

- الشاذلية (٦) ٢٨٥.
- الشافعية (٢) ٣١٩، ٤١٩ (٣) ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٧ (٦) ٣٥٠ (٧) ٥٤.
- بنو شهيد (٣) ٣٢٠.
- آل شيبان (٦) ٣٥.
- الشيبيون (٣) ١٢٤ (٩) ١٦٦.
- الشيعة (١) ٣٠٠، ٣٠٩ (٢) ٤٤٨ (٣) ٢٠٣، ٣٨١ (٥) ٣٨٤.

حرف الصاد

- بنو الصاحب (٢) ٣٩٧.
- الصدف (١) ١٩٤، ٢٠٥.
- الصفراء، انظر: الروم.
- أهل الصفة (٦) ٣٣.
- الصقالبة (١) ١٢٥، ١٣٠، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣١١، ٣٢٠ (٢) ٢٤، ٢٩٣ (٣) ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٨.
- بنو صمادح (٤) ١٥٩، ٢٠٨، ٤١٧ (٥) ٢٧٦، ٢٨١ (٨) ٢٢٣.
- صنهاجة (١) ٣٠٩ (٢) ٢٦١ (٥) ٢٦٣، ٢٦٣ (٩) ٨٧.

حرف الضاد

ضبة (١) ٢٣٢.

بنو ضمرة (٢) ٢٠٦ (٣) ١٢.

حرف الطاء

الطالبيون (٣) ٣٣٢.

بنو طاهر (١) ٢٤٧ (٥) ٢٧٦.

طسم (٦) ١٣٠ (٧) ١٤١.

الططر، انظر: التتار.

بنو الطنجالي (٦) ٦.

بنو طولون (٢) ٤٥٣.

بنو الطويل (٤) ١١٩.

طبيء (١) ٢٣٤ (٢) ٤١٤ (٧) ٢١٨، ٢٤١، ٣٤٨.

حرف الظاء

الظاهرية (٣) ١٤٧ (٧) ٢٩٦.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٠٢

حرف العين

عاد (٥) ٣٧٣، ٤١٥ (٦) ٢١، ٩٦، ١٢٧، ١٢٨ (٧) ١٤١ (٩) ١٦٥.

عامر (قبيلة مشرقية) (١) ٣٤٠ (٢) ٩٤، ١٠٣، ٢٠٦ (٥) ٢٠٨، ٣٨١ (٦) ٦٥ (٨) ٢٧٩.

العامريون (١) ٣٣٠، ٣٤٠ (٤) ٢٠، ٣٤.

عاملة (١) ٢٣٥.

بنو عباد (العباديون) (١) ١٣٩، ١٧٦، ٢٣١، ٢٣٥، ٣٣٩ (٣) ٢٢٥ (٤) ٣٠، ٧٠، ١٣٩، ٢٢٢ (٥) ٣٨، ١٤١، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٦٥، ١٦٨،

١٦٩، ١٧٨، ١٨٠، ١٩١، ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٨١ (٧) ٤٠.

بنو العباس (١) ٢٣، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠١، ٢٢٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٧٩، ٣٣٦ (٢) ٢٦٠ (٣) ٣٠٥، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٢٧،

٣٣١، ٣٣٢ (٤) ٦٠، ٢٣٢، ٣٥٣، ٣٩٧ (٥) ١٣٩، ١٤٢، ٢٢٤، ٢٨٦ (٦) ٩٧، ٩٨ (٧) ١٨٦.

بنو عبد البر (١) ٢٣٣.

بنو عبد الحق (٦) ٩٢ (٨) ١٥٣. و انظر أيضا: المرينيون.

بنو عبد الدار (١) ٢٢٢، ٢٣١ (٣) ٣٣٢ (٩) ١٨٧.

بنو عبد السلام (١) ٢٣٥.

بنو عبد شمس (٦) ٢٠٤.

بنو عبد الصمد (٤) ٣١١.

- بنو عبد العزيز (٥) ٤.
- بنو عبد المدان (٦) ٩٧.
- بنو عبد المطلب (٣) ٣١٦ (٦) ٩٧.
- بنو عبد الملك (٣) ٢٩٤.
- بنو عبد مناف (٩) ١٥٦.
- بنو عبد المؤمن (١) ١٥٤، ١٥٦، ١٦٩، ١٧٣، ٢٤٣ (٢) ٨٤، ٣٦٩، ٤٤٧ (٣) ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢ (٤) ٢٦، ٢٧، ٥٤، ١٢٣، ٢٢٤، ٢٤٨، ٣٣٨، ٢٩٧، ٢٩٠، ٢٦٣، ٢٦٢.
- بنو عبد الواد (٦) ١٨٨ (٧) ٣١٦ (٨) ٣١٤.
- بنو أبي عبدة (١) ٢٣٦.
- عبس (٦) ٣٤.
- بنو عبيد (٢) ٢٢٥، ٤٥٨ (٣) ٣٣٩ (٤) ٢٥٣ (٨) ٨٨. و انظر أيضا: الفاطميون.
- بنو عثمان (٢) ٣١٩.
- بنو العجلان (٣) ١١٣.
- العجم (١) ٢٢، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٦٠، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٦١ (٢) ٩٧، ١١٢، ٤٥٠ (٣) ٤٢، ١٣٠، ١٩٩ (٤) ٢٤ (٥) ١٠١، ٢٩٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٤١١ (٦) ١٠، ١٩، ٢٠، ٢٥، ١٠٣، ٣٦٨ (٧) ٢٩٦، ٣٢٠، ٣٥٤ (٨) ٧٤، ١١٢، ١٢١، ٢٠٥، ٢٥٤ (٩) ٤٠، ٢١١، ٢٤٦، ٣٠٦.
- عجم رومة (١) ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧.
- العدنانيون (١) ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣ (٦) ٤١ (٩) ١٨٥.
- عذرة (١) ٢٣٦.
- بنو عذرة (الأندلسيون) (٨) ٢٢.
- بنو العزفي (العزفيون) (٧) ١٤.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٠٣.
- بنو عسكر (٦) ٩١.
- بنو عطية (أعيان غرناطة) (١) ٢٣٢.
- العلويون (٣) ٣٣٢ (٧) ١٧٣.
- العلويون (الحموديون) (١) ٣٣٤ (٤) ١٦٦ (٦) ٢١.
- بنو علي بن إدريس (٢) ٢٣.
- بنو عمار (١) ٤٤٨ (٢) ٤٤٨ (٣) ٣٣٣ (٥) ١٢٣، ١٤٠.
- آل عمران (٩) ١٦٩، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥.
- عملاق (٧) ١٤١.
- بنو عمور (٦) ١١٧.
- عنان (٨) ٦٢.
- عنس بن مالك (١) ٢٣٤.

بنو عيصو بن إسحاق (٢) ٢٣.

بنو عيلان (٢) ١١٩.

حرف الغين

غافق (١) ٢٣٤.

بنو الغرفيين (٦) ٣١٠.

الغز (٣) ٣٩١ (٤) ٣٦٩.

غسان (١) ٢٣٣ (٦) ٩٦، ٩٧، ١٣٠ (٨) ٢٣٧.

بنو غفجوم (٣) ١١٦.

بنو الغلاس (١) ١٥٧.

غيلان (١) ٩٦ (٤) ٢٠٥.

غمارة (٧) ٢٤٢.

حرف الفاء

فارس، انظر: الفرس.

الفاطيون (٢) ٤٥٨.

الفرس (١) ٧، ١٩٧ (٢) ٥، ٣١ (٣) ٣٦، ١٥٨، ٢٣٨ (٥) ٣١، ٣٧٣ (٦) ٩٥، ٩٦ (٧) ٥٩، ١٧٣، ٣٠٢ (٨) ١٣١، ١٥١، ١٥٤، ١٧٣ (٩) ٢٥٤، ٢٨٠.

الفرنجة (١) ١٨٣، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٥٩، ١٨٣، ١٩١، ٢١٩، ٢٢١، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٧، ٣١٣، ٣٤٢، ٣٤٦ (٢) ١٠، ٢٥، ٥٥، ٨٨، ١٠٨، ١١٧، ١١٨، ١٢٨، ١٣٥، ١٤٦، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٤١، ٣٦٥ (٥) ٧٠، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥٣، ٣٠٩، ٣٦٤، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠٦ (٦) ٩٣ (٨) ٢٢٥.

فزارة (١) ٢٣٢، ٢٣٩.

آل فطيس (١) ٣٢٧.

بنو الأفطس (٤) ٣٠ (٥) ٢٨١ (٨) ٨٨.

بنو فندلة (٤) ٢٥٨.

الفهريون (١) ١٩٢، ٢٣١، ٣٤٠، ١٥.

حرف القاف

بنو القاسم: انظر (الفهريون).

بنو القاسم (بنو عشرة) (٣) ٢٩٨ (٨) ٢٠٣، ٢٤٠.

بنو القاسم، انظر: بنو زيان، الزيانيون.

القط (١) ٣٢٣ (٣) ١٨٩ (٥) ٤٤ (٧) ١٧٣ (٨) ١٦٠.

بنو القبطنة (٢) ١٣٩، ١٤٠ (٤) ٩٣ (٥) ١٦١.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٠٤

قحطان (و القحطانية) (١) ٢٣٣، ٣٢٩ (٥) ٣٧٣ (٦) ١٥، ٢١، ٤١، ١٣٠ (٧) ٣٦، ٦٨ (٩) ٦٩ وانظر أيضا: اليمانية.

القدريّة (٦) ٢٠٤.

القرامطة (٣) ١٧١.

قريش (١) ٢٣١، ٢٣٣، ٢٦١، ٣١٥، ٣٢٩، ٣٣٠ (٣) ٢٩١ (٤) ١٤، ١٥، ١٦، ٢٨ (٥) ١٧٤، ٢٢٤، ٣٧٨، ٣٨٢ (٦) ٩٧، ١٥٥، ٢٣٠، ٢٣١ (٧)

٢٧٩ (٨) ٢٠١ (٩) ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٨١، ١٨٥، ٢٦٤.

قريش الطواهر (١) ٢٣١.

قشير (١) ٢٣٢.

قصي (٥) ٢٢٤.

قضاعه (١) ٢٣٥، ٢٣٦ (٣) ١٢٠.

بنو قلاوون (٦) ٢١٠.

القوط (١) ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، ١٤٠، ١٨٧، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٦ (٢) ٩، ٢٣.

قيس (١) ١٩٣ (٢) ٢٠٦ (٣) ٣٠٩، ٣٢٦ (٤) ٣٠٢.

بنو قيس (٤) ١٩.

قيس بن سعد (٨) ٢١٤.

قيس عيلان (١) ٢٣٢.

بنو قبيلة (٧) ٦٨ (٩) ٨.

حرف الكاف

كعب (٣) ١١٣.

كعب بن سليم (٢) ٢٠٣.

كلاب (١) ٢٣٢ (٣) ١١٣.

كلب بن وبره (١) ٢٣٦ (٣) ٣٢٥.

كنانة (١) ٢٣١ (٣) ٣٠٢ (٤) ١٦ (٥) ٢٢٤ (٦) ٥٦ (٨) ٢٧٩.

كندة (١) ٢٣٥، ٢٦٣ (٤) ٤٠٥ (٦) ٥٦، ٩٦، ١٣١.

كهلان (١) ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦ (٦) ٩٦.

الكوفيون (٢) ٣٤٥ (٥) ٢٨، ٣٠.

أهل الكهف (٢) ٥٢.

حرف اللام

لخم (١) ٢٢٣، ٢٣٥ (٥) ١٥٢ (٦) ١٣٠.

اللطينيون (١) ١٣١.

بنو لؤى بن غالب (٢) ٣٩١ (٥) ٣٨٥.

حرف الميم

بنو ماء السماء (٥) ١٩٦ (٨) ٢١٢.

بنو مازن بن الأزد (١) ٢٣٣.

مالك بن أدد (١) ٢٣٤.

المالكية (٢) ١٨٨، ١٨٤، ٢٨١، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣١٩، ٣٤٣، ٣٥٠ (٣) ١٤٠، ٢٨٢، ٤٠٣ (٤) ٢٣، ٥٠ (٦) ١٨٢، ٢٠٩، ٣٢٥، ٣٤٣ (٧) ٥٣، ٥٤،

٢٧٠، ٢٩٦ (٩) ٢٣٧.

مجاشع (٦) ٢٩٨.

المجوس (النورمان) (١) ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٩٨ (٨) ٢٧٩.

المجوس (١) ١٤٤، ٢٧٥ (٢) ٣٨٢ (٣) ٢٨٩، ٣٧٧ (٦) ٢٤٨ (٩) ٢٨٩.

بنو محارب بن عمرو (١) ٢٣٢.

بنو محارب بن فهر (١) ٢٣١.

آل محمد (٣) ١٢٣ (٦) ٢٥٢ (٧) ٢١، ٢٣.

المخزوميون (١) ٢٣١.

مذحج (١) ٢٣٤ (٢) ٤٣٧ (٣) ٢٨٩ (٥) ٣٠.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٠٥

المرابطون (٢) ٦٧، ١٦٦ (٤) ١٧٤، ٤٠٢ (٥) ١٩٧، ٢٦٨، ٣٤٥ (٧) ٥٤. و انظر أيضا: المثلثون.

مراد (٢) ٤ (٦) ١٥.

مراد بن مالك (١) ٢٣٤.

بنو مردنيش (١) ٢٣٥، ٣٤١.

مرة بن أدد (١) ٢٣٥.

مرة بن صعصعة (١) ٢٣٢.

بنو مروان (١) ١٧٤، ١٧٦، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٣٠٠ (٢) ٩، ٢٤، ٢٥ (٣) ١٢٣، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٥٢، ٣٧٣،

(٤) ٦، ٢٨، ٤٩، ١٤٥، ١٥٠، ١٥١، ٣٣٠، ٣٤٢، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٠ (٥) ٣١٤، ٣٨٣ (٦) ٢٢ (٩) ٤٤٤.

بنو مرين (١) ٨١، ٢٤٨، ٣٤٥، ٣٤٩ (٢) ٤٣، ١١٤ (٥) ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٠٥، ٣٩٤، ٤١٣، ٤٢٥ (٦) ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٨،

١٠١ (٧) ٦٦، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٠، ١٩٣، ١٩٤، ٢٥٨، ٢٧٥، ٢٧٩، ٣٠٨، ٣١٥ (٨) ٦١، ٦٣، ٨٩، ٩٠، ٩٣، ١٤٣، ١٧٩، ٣٠١ (٩) ٧، ٢٢٥.

آل مسلمة (بنو الأفتس) (٥) ١٥١.

المسودة (٣) ٣١٨، ٣٣١.

مصمودة (٢) ١٨٦.

مضر (٣) ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٨ (٥) ٢٤٢ (٦) ٩٧، ١٣٠، ٣٣٠، ٣٨٠.

المضرية (١) ١٩٣، ٢٣٢، ٢٣٣، ٣٣٠ (٣) ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١١، ٣١٢.

معاقر (١) ٢٤٢، ٣٠٨، ٣١٦.

المعتزلة (٤) ١٧٨ (٦) ٢١٤، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣ (٧) ٢٨، ٢٩.

معد بن عدنان (١) ٢٣٣ (٦) ١٩.

بنو المعز بن باديس (٣) ٤٠٣.

بنو معن انظر: (بنو صمادح).

مغراوة (١) ٣٠٩، ٣٢٨.

بنو مغيث (٣) ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥.

آل مكحول (٤) ٣٠٠.

بنو الملاح (٤) ٢٩٩.

الملثمون (٢) ٣٠، ٤٤٨ (٤) ٢٨٦ (٥) ٧١، ١١١، ١٩٦، ١٩٧، ٣٦٣، ٣٤٦ (٨) ٢١٤. وانظر أيضا: المرابطون، لمتونة.

بنو الملجوم (٣) ١١٦.

مليلة (١) ٢٥٨.

منبه بن سعد العشيرة (١) ٢٣٤.

بنو المنتصر (١) ٢٣٥.

بنو منذر (٥) ٢٧٧.

بنو منقذ (٢) ٢٨٣.

المهاجرون (١) ١٨٨، ٢٠٥ (٩) ١٢١، ٢٥٣.

مهرة (١) ٢٣٦.

آل المهلب (١) ٦٩، ٢٣٣.

الموحلون (١) ٢٣٥، ٢٤٨، ٢٥٢، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥ (٢) ٣٠، ٦٧، ٦٨، ١٠٤، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ٢١٢ (٣) ٣١٩، ٤٥١، ٤٥٢

(٥) ١٠٤، ٢٠٣، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٥٢، ٣٦٤، ٣٩٣ (٦) ١٣٠، ٢٠٣ (٨) ١١٨، ٢٠٩.

بنو مؤمن (٢) ١٠٤ (٣) ٣٧٢ (٤) ٥.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٠٦

حرف النون

النبيط (٣) ١٨٩.

بنو النجار (٦) ٣٧٠.

نزار (٥) ٧١ (٦) ١٩.

النزارية (٢) ٤١٦.

بنو نصر (١) ٣٤٤، ٣٤٥ (٥) ٢٨٨، ٣٥٠ (٦) ١٥٠، ٣٦٠ (٧) ٤٦، ١٧٣، ١٩٦، ٢٣٧، ٢٥٨، ٢٧٣، ٣٣٧ (٨) ١٧٧، ١٩٥، ٢٥٧، ٢٨٢ (٩) ٣٨،

٤٢، ١١٥، ١٤٢.

بنو النضير (٦) ١١٥.

نقرة (١) ٢٠٥، ٢٥١.

النمر بن قاسط (١) ٢٣٢.

نمير بن عامر (١) ٢٣٢ (٣) ١١٣.

نهشل (٦) ٢٩٨.

النوبة (١) ٣٢٣.

حرف الهاء

بنو هاشم (١) ٢٣١ (٢) ٤٣٤ (٣) ٨، ١٨١، ٢٣١ (٤) ٢٥٨ (٥) ٢٢٤، ٣٨٦ (٦) ٤١، ٢٠٤، ٣٢٢، ٣٦٦ (٩) ٩٢، ١٣٥.

الهدنانية (٦) ٩٦.

هذيل (١) ٢٣١ (٣) ٨.

بنو هلال (٨) ٢٧٩.

همدان (١) ٢٣٤.

هواره (٢) ٣٩٨.

هوازن (١) ٢٣٢، ٢٣٦ (٣) ١٦٦.

بنو هود (١) ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٨، ٣١٠، ٣٤١، ٣٤٥ (٢) ١٤٧، ٤٦٤ (٤) ٣٠ (٥) ٢٧٦ (٨) ٨٨.

الهوزنيون (١) ٢٣٦ (٣) ٢٢٦ (٥) ٥٤.

حرف الواو

بنو واد (١) ٢٣٥.

الوقشيون (١) ٢٣١.

بنو وهب (١) ٢٤٧.

حرف الياء

يحصب (١) ٢٣٦ (٢) ٣٧.

يعرب (١) ٣١٦ (٤) ٣٤.

آل يعقوب (المرينيون) (٥) ٣٠٥ (٦) ٧٣، ٢٨٨، ٣٦٨ (٧) ١٣٩، ١٤٠، ١٩٣، ٢٨٧ (٨) ٦١، ٦٣. وانظر أيضا:

المرينيون.

بنو يفرن (١) ٣٠٩ (٤) ٣٣٣.

اليمانية (اليمانية) (١) ١٩٣، ٢٣٣، ٣٣٠ (٢) ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٣ (٣)

٣٢٦، ٣٣١ (٦) ١٣٠.

اليونان (١) ١١٨، ١١٩، ١٩٥، ١٩٧ (٢) ٦، ٩ (٣) ٢٧٦ (٤) ٤٣.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٠٧.

٤- فهرس القوافي

إشارة

القافية/ البحر/ الشاعر/ الجزء/ الصفحة

الألف المقصورة (ى)

الأكفا/ الطويل/ ابن جابر الضرير/ ٣/ ٢٥٣

الوثقى/ الطويل/ ابن عبد البر/ ٤/ ٣٩٨

أتى/ الكامل/ ابن أبي الفضل المرسى/ ٢/ ٣٧٠

قافية الهمزة (ء)

و ثناء/ الطويل/ ابن الحاج الغرناطى/ ٨/ ٢٩٤

رأى/ الطويل/ أبو المطرف بن عميرة/ ٥/ ٣٧٧

رداءها/ الطويل/ ابن نزار/ ٤/ ٢٧٨

قضاءها/ الطويل/ قيس بن الخطيم/ ٤/ ١٦٩

أضاءها/ الطويل/ قيس بن الخطيم/ ٧/ ٢٨٢

الشقاء/ الوافر/ ابن خفاجة/ ٤/ ١٣٣

هباء/ الكامل/ أبو الحسن بن سعيد/ ٢/ ٣٨٨

الأعداء/ الكامل/ الطغرثي/ ٣/ ١٧٢

رداء/ الكامل/ المعتمد بن عباد/ ٥/ ٢٠٠

و البصراء/ الكامل/ ابن الرومى/ ٦/ ٢٢٤

فداءها/ الكامل/ -/ ٥/ ٣٦٥

فئة/ مجزوء الرمل/ السلفى/ ٣/ ٣٩٩

أساء/ الخفيف/ المعتمد بن عباد/ ٢/ ١٣٠

البقاء/ الخفيف/ الجزار المصرى/ ٢/ ٤٧٨

عطاء/ الخفيف/ أبو عبد الله الحوضى/ ٥/ ١٦٥

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٢٠٧

السناء/ الخفيف/ المعتمد بن عباد/ ٥/ ٢٠١

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٠٨

هواء/ الطويل/ أبو العلاء المعرى/ ٥/ ٢٣٣

أنباء/ الطويل/ ابن خميس/ ٦/ ٣١٠

خفاء/ الطويل/ لسان الدين/ ٦/ ٣٣٨

- شركاء / الطويل / المنتشاقري / ٢٥٥ / ٧
- واطئ / الطويل / ابن الحداد / ٢٨٣ / ٤
- هناؤه / الطويل / أحمد بن صفوان / ١٦٣ / ٧
- و سماؤها / الطويل / ابن زمرك / ٨٧ / ٩
- سراء / البسيط / ابن سفر الميرني / ١٧٣ / ١ ، ١٨٥
- أنداء / البسيط / الأعمى التطيلي / ١٥٧ / ٤
- الداء / البسيط / أبو نواس / ٢٦٤ / ٦
- إحصاء / البسيط / ابن ليون / ٨٢ / ٧
- تطفئه / البسيط / ابن الأبار / ٨ / ٥
- حياء / الوافر / ابن جابر الأعمى / ٢٦٩ / ٣
- المساء / الوافر / ابن خفاجة / ١٣٣ / ٤
- المساء / الوافر / ابن صارة / ١٣٢ / ٤
- يشاء / الوافر / - / ٢٤١ / ٦
- نشاء / الوافر / ابن باجة / ٢١٧ / ٨
- القضاء / الوافر / - / (٦) / ٢٤٣
- النعماء / الكامل / أبو الحسن بن نزار / ١٣٢ / ١
- الأهواء / الكامل / أبو الحسن بن نزار / ١٨٥ / ١
- الأشياء / الكامل / أبو الصلت أمية / ٢٦١ / ٢
- البرحاء / الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ١٨١ / ٢
- الأنداء / الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٣٨٧ / ٢
- و عطاء / الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٣٨٧ / ٢
- غشاء / الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٣٨٨ / ٢
- ظباء / الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٣٨٨ / ٢
- الأعداء / الكامل / - / ٢ / ٤٧٠ ، ٤٦ / ٤
- الأهواء / الكامل / المتنبي / ٨٢ / ٣
- سواء / الكامل / - / ٣٦٧ / ٧
- حسنا / الكامل / ابن عبدون المكناسي / ٣١٤ / ٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٠٩
- و بناؤها / الكامل / - / ١٤٤ / ٨
- سماء / معزوء الكامل / أبو زيد الفازازي / ٣٢٢ / ٩
- داؤها / السريع / ابن ليون / ٩٢ / ٧
- ينشئها / المنسرح / أبو الحسن بن سعيد / ٣٩٥ / ٢
- و الإبداء / الخفيف / - / ٢٧ / ١

- بهاؤه/ الخفيف/ أبو محمد بن القبطرنة/ ٢/ ١٣٩
- خلاء/ المجتث/ دفتر خوان/ ٢/ ٤٢٠
- فاء/ المجتث/ ابن جبير/ ٣/ ١٤
- تشاء/ المجتث/ ابن ليون/ ٧/ ١١٩
- عنائي/ الطويل/ أبو نواس/ ٢/ ٣٨٥
- و حيائي/ الطويل/ الغزال/ ٢/ ٣٨٥
- و إخاء/ الطويل/ ابن برطلة/ ٥/ ٢٢٥
- بسوداء/ الطويل/ أبو حيان/ ٣/ ١٧٣
- بيضاء/ الطويل/ أبو حيان/ ٣/ ١٧٣
- بنائه/ الطويل/ مروان بن عبد العزيز/ ٤/ ٢٠٦
- بدمائه/ الطويل/ ابن فرسان الوادي آشي/ ٣/ ٢١٠
- مواطنه/ الطويل/ ابن صارة/ ٥/ ٢١٧
- جفائها/ الطويل/ أبو جعفر بن سعيد/ ٤/ ٢٩٥
- نوئها/ الطويل/ ابن البني/ ٤/ ٢٧٠، ٣٩٣
- و أعداء/ البسيط/ -/ ١/ ٤٩
- و الماء/ البسيط/ ابن حبيش/ ٥/ ٨٢
- فبالماء/ البسيط/ -/ ٦/ ١٦٤
- بالماء/ البسيط/ -/ ٦/ ٢٣٩
- و الأوداء/ البسيط/ ابن ليون/ ٧/ ١٠٩
- و السماء/ مخلع البسيط/ ابن عربي/ ٢/ ٣٢٤
- حياء/ مخلع البسيط/ ابن جابر الأعمى/ ٣/ ٢٦٩
- الضياء/ الوافر/ -/ ١/ ٧٣
- الضياء/ الوافر/ ابن الأبار/ ٣/ ١٩٣
- ماء/ الوافر/ أبو جعفر بن طلحة/ ٤/ ١٢٤
- الثناء/ الوافر/ المهيريس/ ٤/ ٢٢٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢١٠
- الثناء/ الوافر/ المقرئ الجد/ ٦/ ٢٦٢
- ابن ماء/ الوافر/ ابن دراج/ ٥/ ٨
- البهاء/ الوافر/ الشريف السبتي/ ٦/ ١٦٧
- الأنبياء/ الوافر/ أبو زيد الفازازي/ ٩/ ٣٢١
- ثناء/ الكامل/ أبو محمد بن سفيان/ ٥/ ٧٢
- عناء/ الكامل/ ابن ليون/ ٧/ ١١٦
- سماء/ الكامل/ صفوان بن إدريس/ ٧/ ٣٥٤

- بنائي / الكامل / - / ١٦٩ / ٧
- الماء / الكامل / غلام البكري / ١٥٤ / ٢
- عذراء / الكامل / - / ١٦٤ / ١
- العوجاء / الكامل / أبو المطرف بن عميرة / ٢٤٩ / ١
- النظراء / الكامل / ابن خفاجة / ١٧٥ / ٢
- الوعساء / الكامل / ابن خفاجة / ١٧٨ / ٣
- الحسناء / الكامل / ابن خفاجة / ٣٨ / ٤
- أثناؤها / الكامل / - / ٩٨ / ١
- بالإيماء / الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٣٨٩ / ٢
- الخيلاء / الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٣٨٩ / ٢
- السراء / الكامل / - / ٢٨٤ / ٧
- الأشياء / الكامل / ابن وهبون / ١٨٣ / ٥
- الشرفاء / الكامل / ابن هانيء السبتي / ٣٤٧ / ٧
- الظلماء / الكامل / ابن زمرك / ٣٥ / ٩
- إيذائكا / الكامل / ابن ليون / ١١٨ / ٧
- و بذائه / الكامل / حسام الدولة بن رزين / ٢٢٥ / ٤
- وفائه / الكامل / زهر بن عبد الملك / ٢٢٥ / ١٤
- استرضائه / الكامل / ابن صقر / ٢٣٣ / ٥
- كفنائه / الكامل / الحميدى / ٢٤٧ / ٥
- أعدائه / الكامل / أبو عبد الله بن الحكيم / ٤٦ / ٧
- آلائه / الكامل / ابن زمرك / ٨١ / ٩
- إنائها / الكامل / أبو الصلت أمية / ٢٦١ / ٢
- أثناؤها / الكامل / - / ٩٨ / ١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢١١
- جلسائها / الكامل / ابن الحاج البليقي / ٣٠ / ٧
- الأمراء / مجزوء الرمل / ابن عبد البر / ٦٥ / ٤
- أسمائي / السريع / - / ٢٦٨ / ٦
- مائه / السريع / ابن عبد ربه / ١١٣ / ٤
- أبنائه / السريع / القلقاط / ١١٣ / ٤
- لآبائه / السريع / ابن ليون / ١٠٨ / ٧
- الهواء / الخفيف / ابن العربي / ٢٠٠ / ٢
- غراء / الخفيف / الأعز بن المؤيد / ١٢٩ / ٤
- سخاء / الخفيف / - / ١٦٥ / ٥

دوائى / الخفيف / ابن خاتمة / ٥ / ٢٥٦

و ثناء / الخفيف / - / ٦ / ٢٣٤

الظلماء / الخفيف / ابن صارة / ٤ / ٢٣٢

الظلماء / الخفيف / ابن لسان / ٥ / ١٥٧

تلقائه / الخفيف / ابن عقال / ٨ / ٢٤٠

ماء / المجتث / السمسير / ٤ / ١١٢

قافية الباء (ب)

بالغروب / الطويل / ابن زمرك / ٧ / ٢٠٠

ذهب / الطويل / ابن مالك الرعيني / ١ / ١٤٩

عجب / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٧٧

و الأدب / الطويل / السلفى / ٤ / ٥٦

راتب / مخلص البسيط / أبو عامر بن شهيد / ٤ / ٧٢

للنخب / الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٤٤

القضب / الكامل / ابن دزاج / ٤ / ٣٥

بالذهب / الكامل / ابن جابر / ٩ / ١٩٧

الذنوب / مجزوء الكامل / - / ٥ / ٧١

الوجوب / مجزوء الكامل / ابن الحكيم / ٧ / ٤٥

الطيب / مجزوء الكامل / ابن ليون / ٧ / ١٢٠

تقارب / مجزوء الكامل / سعدونه (أو ابن العميد) / ٥ / ١٠٠

التعب / الرمل / أبو بكر محمد بن القاسم / ٢ / ٢٥٢

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢١٢

بالطرب / الرمل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤١١

الغضب / الرمل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٢٣

و عذب / الرمل / ابن عطية / ٢ / ١٦٩

مذهب / مجزوء الرمل / ابن زمرك / ٩ / ٨٨

عذاب / السريع / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤١٣

صواب / السريع / أبو العباس الغساني / ٢ / ٤١٣

الحبيب / السريع / ابن حجاج الإشبيلي / ٢ / ٢١٣

الرقيب / السريع / ابن عسكر / ٢ / ٤٦٥، ٤ / ١٢٧

مستريب / السريع / ابن حكم / ٥ / ١٢

الغروب / السريع / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١١٥

القلوب / السريع / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١١٨

- نجيب / السريع / حفصة / ٢٠٤ / ٥
- المغيب / السريع / ابن ليون / ١٢٠ / ٧
- الخطيب / السريع / أبو جعفر الجنان / ١٦٨ / ٧
- منتخب / السريع / الشريف الطليق / ٣٥٤ / ٤
- تسكب / الخفيف / ابن جابر / ١٨٣ / ٩
- غريب / مجزوء الخفيف / بكار المرواني / ١٤٨ / ٤
- واجب / المجتث / اللص (و ابن سعيد) / ١٢٧ / ٥
- المعاطب / المجتث / ابن حمديس / ١٩٢ / ٥
- القشيب / المتقارب / ابن زمرك / ١٧ / ٩
- لاحب / المتقارب / أبو القاسم البرجي / ١٩٤ / ٧
- الأدب / المتقارب / - / ٤٩٧ / ٢
- و الأدب / المتقارب / أبو حيان / ٩ / ٣
- الحسب / المتقارب / ابن بسام / ٢٤٥ / ٤
- المنتجب / المتقارب / ابن لسان / ١٥٧ / ٥
- الرتب / المتقارب / أبو زكريا بن خلدون / ٢٠٥ / ٨
- قباها / الطويل / ابن خفاجة / ١٦٨ / ٢
- عقباها / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ١٢٢ / ٥
- عائبا / الطويل / - / ٨٠ / ٣
- و صاحبها / الطويل / ابن أبي يغمور / ٦١ / ٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢١٣
- صاحبها / الطويل / سعد بن ناشب / ١١٩ / ٥
- كاذبا / الطويل / أبو عامر بن شهيد / ١٦٥ / ٤
- و الترائبها / الطويل / غالب الحجام / ٢١٢ / ٤
- و مرجبا / الطويل / ابن جابر / ٢٧٣ / ٣
- المغيبا / الطويل / بشار / ٢٤٢ / ٦
- غيهبا / الطويل / أبو عمرو بن غياث / ١٣ / ٥
- الصبا / الطويل / ابن غياث الشريشي / ٢٠٦ / ٣
- الصبا / الطويل / - / ٢٦٣ / ٦
- ما أصبى / الطويل / - / ١٥١ / ٣
- الحببا / الطويل / أبو عبد الله بن الحكيم / ٢١٩ / ٣
- قربا / الطويل / أبو جعفر الوقشي / ٧٤ / ٥
- الغربا / الطويل / علي بن جودي / ٢٤٩ / ٨
- ركابها / الطويل / أبو الربيع الموحدى / ٣٧٠ / ٣

- جوابها/ الطويل/ ابن نزار/ ٢٧٧/٤
- شنيبا/ المديد/ أبو جعفر الجنان/ ١٦٩/٧
- سحابا/ البسيط/ ابن خفاجة/ ١٧٦/٢
- آبا/ البسيط/ ابن زيدون/ ١٠٤/٤
- انتسبا/ البسيط/ صاعد/ ٩٧/٢
- انتسبا/ البسيط/ ابن البناء الوادي آشي/ ٢٤٤/٧
- كتبا/ البسيط/ -/ ٢٣٢/٢
- احتجبا/ البسيط/ أبو حيان/ ١٥٣/٣
- لالتهبا/ البسيط/ الأبيض/ ٢٧٢/٤
- العجبا/ البسيط/ صالح بن شريف/ ١٥٥/٤
- لبيا/ البسيط/ ابن العطار الياسي/ ٣٨٤/٤
- ذهبا/ البسيط/ أحمد بن أفلح/ ٣٨٥/٤
- الكربا/ البسيط/ الحطيئة/ ٤٢٥/٥
- تعبا/ البسيط/ -/ ٢٨٢/٧
- وجبا/ البسيط/ لسان الدين/ ١٩١/٨
- متتهبا/ البسيط/ لسان الدين/ ١٩٥/٨
- الأعاجيبا/ البسيط/ أبو الحكم البلنسي/ ٢٤١/٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢١٤
- لهبه/ البسيط/ ابن صارة/ ٢٤٣/٣
- مغتصبه/ البسيط/ ابن زمرك/ ١٩٧/٧
- مغتصبه/ البسيط/ لسان الدين/ ١٩٣/٨
- عصبه/ البسيط/ لسان الدين/ ١٦٥/٨
- النجابه/ مخلع البسيط/ والد لسان الدين/ ١١/٦
- السحابا/ الوافر/ عبد الملك بن إدريس الجزيري/ ١٠٢/٢، ٨٥/٤، ١٦/٥
- كلابا/ الوافر/ جرير/ ١١٣/٣
- الشبابا/ الوافر/ ابن الزقاق/ ٢٥٠/٤
- و التهابا/ الوافر/ ابن الحاج الغرناطي/ ٢٩٥/٨
- انسكابا/ الوافر/ عبد الله بن لسان الدين/ ١٤٣/٩
- شيبا/ الوافر/ -/ ١١٢/١
- و القصابه/ الوافر/ ابن حسداي/ ٨٧/٥
- عابه/ الوافر/ يحيى السرقسطي/ ٨٧/٥
- الكتابه/ الوافر/ ابن خاتمة/ ١٥٩/٧
- المصبيه/ الوافر/ لسان الدين/ ١٤٨/٩

- قربا/ مجزوء الوافر/ ابن هارون/ ١٧٠ /٦ /
و الآدابا/ الكامل/ -/ ٢ / ٤٦٨
غضابا/ الكامل/ محمد بن هانىء / ٢٣٤ /٤ /
ركابا/ الكامل/ محمد بن هانىء / ٤١٤ /٤ /
ربابا/ الكامل/ ابن الدودين / ٩٢ /٥ /
كعوبا/ الكامل/ أبو الصلت أمية / ٢٦١ /٢ /
مسكوبا/ الكامل/ ابن خفاجة / ١٣١ /٧ /
تعديبا/ الكامل/ أبو بكر بن عطية / ١٣٣ /٣ /
تذهيبا/ الكامل/ عبد العزيز الفشتالى / ١٧٧ /٧ /
عجائبا/ الكامل/ المقرئ الجد / ٨٠ /٢ /
مما حبا/ الكامل/ لسان الدين / ٨ /٦ /
اللاحبا/ الكامل/ -/ ٢١ /٨ /
مآربا/ الكامل/ ابن جابر / ٢٠٨ /٩ /
أشنببا/ الكامل/ أبو الحسن بن سعيد / ٤٥٨ /٢ /
الصبا/ الكامل/ أبو بكر بن زهر / ٢٥٤ /٤ /
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢١٥
أذنببا/ الكامل/ ابن الأبار الإشبيلي / ٢٦١ /٤ /
أو أبى/ الكامل/ أبو محمد الأزدي / ٧ /٦ /
مجدبا/ الكامل/ لسان الدين / ١٦ /٧ /
و أخصببا/ الكامل/ أبو الحسن الشامي / ١٨١ /٧ /
الربى/ الكامل/ عبد العزيز الفشتالى / ١٧٨ /٧ /
ثياببا/ الكامل/ ابن البراق / ٢٨٦ /٤ /
المذهببا/ الكامل/ المقتدر بن هود / ٣٣٣ /٤ /
المرتببا/ الكامل/ يحيى بن يطففت / ٣٣٣ /٤ /
النجاببا/ مجزوء الكامل/ المقرئ / ٨٣ /٣ /
و نوائببا/ مجزوء الكامل/ ابن أبى أمية / ٣٢٥ /٤ /
ثوبها/ مجزوء الكامل/ ابن زيدون / ٣٩ /٥ /
أشيببا/ الرمل/ ابن مصادق الرندي / ٢٢٧ /٤ /
شبهبا/ الرمل/ ابن عمران (و رفيقان له) / ٩ /٥ /
الصبا/ السريع/ أبو الحسن بن سعيد / ١٧٩ /٢ /، ٤٠٨
الصبا/ السريع/ -/ ٣٤ /١ /
الأغلببا/ السريع/ الغزال / ٣٨٢ /٢ /
أبى/ السريع/ زهر بن عبد الملك / ٢٢٦ /٤ /

- كوكبا/ السريع/ ابن قزمان / ٣٩٥ / ٤
- المغربا/ السريع/ أبو المكارم بن آجروم / ٣٤٦ / ٦
- متعبه/ السريع/ ابن الفراء / ١٨٧ / ٤
- مغلوبا/ المنسرح/ على بن أبي وهب / ٤٦ / ٥
- غصبا/ المنسرح/ عبد الله بن الناصر / ٣٥٠ / ٤
- وجبا/ المنسرح/ أبو حيان / ١٨٢ / ٣
- شبابا/ الخفيف/ أبو الحسن بن سعيد / ٣٩٠، ٤١٠ / ٢
- قرابا/ الخفيف/ ابن ليون / ١٠٩ / ٧
- نصيبا/ الخفيف/ الغزال / ٣٨٢ / ٢
- الكثيبا/ الخفيف/ ابن الأبار الإشبيلي / ٢٦١ / ٤
- شبابه/ الخفيف/ عبد الرحمن بن سعيد / ٣ / ٣
- و غرابه/ الخفيف/ أحمد بن محمد الإشبيلي / ٢٦٧ / ٤
- بالصبايه/ الخفيف/ ابن صارة / ٢٥٤ / ٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢١٦
- خيبه/ الخفيف/ - / ٢٧٤ / ١
- طروبا/ المتقارب/ عبد الرحمن بن الحكم / ٦١ / ١
- مصيبا/ المتقارب/ عبد الرحمن بن الحكم / ٢٧٤ / ١
- مذهبا/ المتقارب/ ابن صارة / ٣٦٧ / ٤
- الخطابه/ المتقارب/ أبو عامر بن شهيد / ٣٧٤ / ٤
- نجه/ المتقارب/ أبو الحسن الزناطى / ٤٢٢ / ٢
- صحاب/ الطويل / - / ٧٤ / ١
- عتاب/ الطويل / ابن خفاجة / ٦٦ / ٢
- نصاب/ الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٢٧٦، ٣٩٠ / ٢
- مصاب/ الطويل / أبو الحسن بن حمدون / ٢٠٧ / ٢
- كذوب/ الطويل / - / ٢٤٦ / ٢
- عذاب/ الطويل / لسان الدين / ١٩٠ / ٨
- هبوب/ الطويل / ابن الأبار / ١٩٣ / ٣
- هبوب/ الطويل / ابن الدمينه / ٩٧ / ٥
- يؤوب/ الطويل / كعب الغنوى / ٧٩ / ٥
- طيب/ الطويل / المقرئ (أحمد بن محمد) / ٤٢ / ١
- تطيب/ الطويل / - / ٥٤ / ١
- و مغيب/ الطويل / حسان بن أبي عبدة / ٣٣٨ / ١
- حبيب/ الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٣٩٨ / ٢

- حبيب / الطويل /- / ٣ / ٣٤٢
- حبيب / الطويل / ابن الغليظ (و ابن السراج) / ٤ / ٩٣ ، ٣٧٢ / ٤
- حبيب / الطويل / أبو الوليد بن حزم / ٤ / ٣٢٦
- ذيب / الطويل / ابن سعد الخير البلنسى / ٤ / ١٤٢
- مصيب / الطويل / ابن برطله / ٤ / ١٥٦
- و مغيب / الطويل / حسان بن أبي عبدة / ٤ / ٣٢٢
- نصيب / الطويل / ابن الزقاق / ٥ / ٢١٥
- نسيب / الطويل /- / ٤ / ٣٢٣
- قريب / الطويل / ابن الجياب / ٦ / ٣٦٧
- قريب / الطويل / أبو زكريا بن هذيل / ٧ / ٣٥
- قريب / الطويل / لسان الدين / ٨ / ٧٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢١٧
- عجيب / الطويل / أبو بكر بن الحكيم / ٧ / ٣٩
- لهيب / الطويل / أبو القاسم بن جزى / ٦ / ٥٦
- واهب / الطويل / الصفدى / ١ / ٨٦
- واجب / الطويل / ابن عيشون / ٣ / ١١١
- طالب / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٦٨
- هارب / الطويل / أبو ركوة / ٣ / ٢٤٨
- جانب / الطويل / ابن خاتمة / ٧ / ١٦٢
- عجائب / الطويل / أبو تمام / ١ / ٧٥
- السحائب / الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٠٣
- الركائب / الطويل / ابن جابر / ٣ / ٢٥٦
- الركائب / الطويل /- / ٥ / ٤٠
- الركائب / الطويل / قيس بن الخطيم / ٣ / ٢٧٠
- تناسب / الطويل /- / ٤ / ٣١
- مضارب / الطويل /- / ٦ / ١٣٢
- خواضب / الطويل / ابن بيش / ٦ / ٣١٧ ، ٣٤٤ / ٧
- المطالب / الطويل / ابن الحاج الغرناطى / ٨ / ٣٠٠
- السواكب / الطويل / ابن العطار الجزائرى / ٩ / ٣٠٦
- كوكب / الطويل / الفتح بن خاقان / ٢ / ١٦٦ ، ٦٢ / ٤
- مجدب / الطويل /- / ١ / ١٥٤
- كوكب / الطويل /- / ٣ / ٧٥
- و يغرب / الطويل / أبو محمد بن مالك / ٢ / ١٦٦

- و يذهب / الطويل / أبو محمد بن مالك / ٤ / ٦٢
تطلب / الطويل / كمال الدين الربعي / ١ / ٥٥
ينهب / الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٠٦
فيغضب / الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٣٩٠
يعذب / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٨٦
يكتب / الطويل / أبو الفضل البغدادي / ٣ / ٣٧٧
أرهب / الطويل / ابن الإمام / ٤ / ٢٦٢
أكعب / الطويل / أبو كثير الطرائفي / ٥ / ١٨
فيعرب / الطويل / عبد الله المرواني / ٥ / ٦٧
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢١٨
أطيب /- / الطويل / أرقم / ٥ / ٧٢
يتقلب / الطويل /- / ٢ / ١١٣
أوجب / الطويل / أبو الحكم الأموي / ٥ / ٢٥٥
تغرب / الطويل / ابن سراقه الشاطبي / ٢ / ٢٢٨
التقرب / الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٠١
و التأدب / الطويل /- / ٢ / ٤٤٧
مغرب / الطويل / الشاهيني / ٣ / ٤٧
مجدب /- / الطويل /- / ١ / ١٥٤
صحب / الطويل /- / ١ / ٧٢
الركب / الطويل / الرعيني الغرناطي / ١ / ٨٩
الركب / الطويل / علي بن جودي / ٨ / ٢٤٩
الغرب / الطويل / أبو محمد بن حزم / ٢ / ٢٤٢
القلب / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٨٥
عرب / الطويل / ابن اللبانة / ٥ / ٩١
رب / الطويل / ابن افریولہ / ٥ / ٢٤٦
خطب / الطويل / أبو البركات بن الحاج / ٧ / ١٩
صاحبه / الطويل / ابن ليون / ٧ / ١١٤
واجهه / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٨١
غالبه / الطويل /- / ٨ / ٤٣
مشاربه / الطويل / ابن جابر / ٩ / ١٩٩
قبابه / الطويل / الناصر داود / ٣ / ٣٣
لهيها / الطويل / أبو الوليد بن حزم / ٤ / ٢٥٧
ارتكابها / الطويل /- / ٦ / ٢٤١

- ارتكابها/ الطويل/ أبو البركات بن الحاج البليقي / ٢٤ / ٧
- تزابها/ الطويل /- / ١٤٧ / ١
- الغريب / المديد /- / ٣٧ / ٨
- و كتاب/ البسيط /- / ٣١ / ٨
- محلوب/ البسيط/ أبو الفضل البغدادي / ٣٧٨ / ٣
- تصعيب/ البسيط/ ابن ليون / ٩٩ / ٧
- العرب/ البسيط /- / ٥٣ / ١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢١٩
- الطلب/ البسيط/ ابن الخيمي / ٣ / ٢١٥، ٦ / ٢١٦
- تلتهب/ البسيط/ غالب الحجام / ٢١٢ / ٤
- الخشب/ البسيط /- / ١٣٦ / ٨
- منسكب/ البسيط/ ابن الملح / ١٨٥ / ٥
- ينسكب/ البسيط /- / ٨ / ٨
- قربوا/ البسيط /- / ٨٩ / ١٠
- رتب/ البسيط /- / ٢٣٥ / ٦
- أدب/ البسيط/ ابن ليون / ١١٢ / ٧
- حاجبه/ البسيط/ المواعيني / ٢٢٠ / ٤
- ذوائبه/ البسيط/ أحمد بن محمد الإشبيلي / ٢٦٧ / ٤
- يعاتبه/ البسيط/ أبو القاسم البرجي / ١٨٩ / ٧
- مطلبه/ البسيط/ ابن الحاج الغرناطي / ٢٩٧ / ٨
- أعجبها/ البسيط/ ابن حذلم / ١٦٣ / ٦
- أجيب/ مخلع البسيط/ أبو بكر بن عطية / ١٣٢ / ٣
- ضريب/ مخلع البسيط/ الأعمى التطيلي / ١٥٦ / ٤
- خطيب/ مخلع البسيط/ أبو القاسم المنيشي / ٢٤٧ / ٨
- التهاب/ الوافر/ الهيثم بن أحمد / ١٨١ / ٤
- الصواب/ الوافر/ سليمان بن عبد الملك / ٣٦٠ / ٤
- أهاب/ الوافر/ غريب الطليطلي / ٢٤٣ / ٥
- العجاب/ الوافر/ الشريف السبتي / ١٦١ / ٦
- العذاب/ الوافر/ أبو عبد الله بن جزي / ١٦٢ / ٦
- الخطوب/ الوافر/ ابن جابر / ٢٧١ / ٣
- قريب/ الوافر /- / ٩٣ / ١
- عجيب/ الوافر/ ابن مسعود القرطبي / ٢١٢ / ٣
- عجيب/ الوافر/ أبو العباس الخزرجي القرطبي / ٢٢٣ / ٤

- اللييب / الوافر / - / ٦ / ٢٤٢
- العجيب / الوافر / أبو منصور ظافر الحداد / ٤ / ١٤٤
- حبيب / الوافر / علي بن جودي / ٨ / ٢٥٠
- نسب / مجزوء الوافر / - / ٣ / ٨٤
- يرتاب / الكامل / أبو المطرف بن عميرة / ١ / ٢٥٠
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٢٠
- كتاب / الكامل / - / ١ / ٣٩
- كتاب / الكامل / ابن خفاجة / ٢ / ١٧٥
- أسباب / الكامل / يوسف بن عتبة / ٢ / ٢٦٥
- الألباب / الكامل / ابن الأبار / ٤ / ١٢١
- تنساب / الكامل / ابن خفاجة / ٥ / ٤٩
- محبوب / الكامل / الهيثم بن أحمد / ٤ / ١٨١
- وحبيب / الكامل / الغزال / ٢ / ٣٨٠
- عجيب / الكامل / ابن الحناط / ٤ / ١٠٩
- و يطيب / الكامل / أبو بكر بن زهر / ٤ / ٢٥٤
- ترتيب / الكامل / ابن خاتمة / ٧ / ٧٥
- ذائب / الكامل / أبو جعفر الإلييري / ٩ / ٢١٣
- و الكوكب / الكامل / - / ٢ / ١٠٥
- كوكب / الكامل / ابن الأبار / ٢ / ٤١٠
- مرغب / الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٣٩٠
- مطلب / الكامل / ابن إدريس العلوي / ٥ / ٦٧
- الثعلب / الكامل / ساعدة الهذلي / ٦ / ٣١٣
- المغرب / الكامل / ابن العطار الجزائري / ٩ / ٣٠٣
- يتقلب / الكامل / المصحفي / ١ / ٣٢٧
- فتلعب / الكامل / ابن خفاجة / ٢ / ١٧١
- و تعذب / الكامل / البدر بن حبيب / ٣ / ١٨
- يرهب / الكامل / القيراطي / ٣ / ٢٣
- و أذهب / الكامل / الفكيك / ٣ / ٣٨١
- تصعب / الكامل / ابن ليون / ٧ / ٩٥
- يطرب / الكامل / ابن المغربي / ٩ / ٣٠٢
- يكتب / مجزوء الكامل / القاسم بن الفتح / ٤ / ٢١٧
- تسكب / مجزوء الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٠٤
- طبيب / مجزوء الرمل / ابن زيدون / ٤ / ١٠٢

- المصيب / مجزوء الرمل / - / ٧ / ٣٩٦
- و الأحياب / السريع / العربي العقيلي / ٥ / ٤٢٨
- مرقوب / السريع / لسان الدين / ٦ / ٧٠ ، ٨ / ١٧٠
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٢١
- عرقوب / السريع / لسان الدين / ٨ / ١٨٨
- واجب / السريع / أبو بكر الطرطوشي / ٢ / ٢٤٧
- الصيب / السريع / أبو جعفر الإلييري / ٣ / ٢٤٣
- طيب / السريع / ابن ليون / ٧ / ١٠٢
- مغرب / السريع / الشيخ العمادي / ٣ / ٣٦
- مذهب / السريع / المقرئ المؤلف / ٣ / ٣٧
- معشب / السريع / أبو العباس أحمد بن محمد الإشبيلي / ٣ / ١٢٧
- يكتب / السريع / أبو الحسن التجاني / ٣ / ١٤١
- يثرب / السريع / ابن الزقاق / ٤ / ١٠٩
- أعجب / السريع / - / ٤ / ١٥٨
- تعتب / السريع / ابن ليون / ٧ / ١٠٢
- طرب / المنسرح / المنذر بن عبد الرحمن / ٤ / ٣٤٦
- مكتتب / المنسرح / ابن ليون / ٧ / ١٠٧
- الشراب / الخفيف / - / ١ / ٧٥
- الثياب / الخفيف / ابن شعيب / ٤ / ٢١٧
- طروب / الخفيف / أبو محمد بن مالك / ٢ / ١٦٦ ، ٤ / ٦٢
- القلوب / الخفيف / كثير الشلبي / ٤ / ٣٣٧
- أثوب / الخفيف / ابن جبير اليحصبي / ٥ / ٢٥٧
- اللييب / الخفيف / منذ بن سعيد البلوطي / ١ / ٢٩٢
- النحيب / الخفيف / ابن زرقون / ٤ / ٢٥٩
- الطيب / الخفيف / ابن جحدر / ٥ / ١١
- قريب / الخفيف / عبد الحق الإشبيلي / ٦ / ٢٦٨
- الرقيب / الخفيف / ابن جابر / ٩ / ١٩٨
- لا يغيب / الخفيف / - / ١ / ٩٩
- و يخبو / الخفيف / ابن سيدمير / ١ / ١٥٥
- يحب / الخفيف / السمسير / ٤ / ١٩٠
- ذنب / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ٩٦
- تصحبه / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ٩٧
- يجيب / المجتث / ابن رشيق القلعي / ٤ / ٣٠٧

- يذيه/ المجتث/ -/ ١٩٢ / ٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٢٢
- عيه/ المجتث/ ابن ليون/ ١١٩ / ٧
- السباب/ المتقارب/ أبو محمد بن حزم/ ٢٤٠ / ٢
- الصواب/ المتقارب/ أبو المغيرة بن حزم/ ٢٤١ / ٢
- العاتب/ المتقارب/ لسان الدين/ ١٦١ / ٨
- شارب/ المتقارب/ ابن الحاج الغرناطى/ ٢٩٧ / ٨
- لاعب/ المتقارب/ ابن الحاج الغرناطى/ ٢٩٧ / ٨
- الأطيب/ المتقارب/ ابن الجوزى/ ١٣٧ / ٦
- ترغب/ المتقارب/ ابن ليون/ ٨٣ / ٧
- شبابى/ الطويل/ ابن خميس/ ٣٠١ / ٦
- اللباب/ الطويل/ أبو البركات بن الحاج البلغىقى/ ٣٠ / ٧
- صحابى/ الطويل/ لسان الدين/ ١٩٩ / ٨
- وركابى/ الطويل/ ابن الحاج الغرناطى/ ٢٩٦ / ٨
- ذهاب/ -/ الطويل/ -/ ٢١٣ / ٩
- غريب/ الطويل/ -/ ٦٥ / ١
- غريب/ الطويل/ ابن جبير/ ١٦ / ٣
- بحسب/ الطويل/ -/ ٤٦٧ / ٢
- بضريب/ الطويل/ المتنبى/ ٣١ / ٣، ٨٤ / ٥
- بحبيب/ الطويل/ أيمن الغرناطى/ ٢٥١ / ٥
- حبيب/ الطويل/ -/ ٤٢ / ٨
- طبيى/ الطويل/ -/ ٣١ / ٨
- كثيب/ الطويل/ ابن عبد ربه/ ٢٤٤ / ٨
- رقيب/ الطويل/ ابن زمرك/ ٨٧ / ٩
- المشارب/ الطويل/ -/ ٦٥ / ١
- ركائبى/ الطويل/ عياض/ ٧١ / ٢
- آقاربى/ الطويل/ أبو الصلت أمية (أو أبو العرب الصقلى)/ ٢٦٣ / ٢
- الترائب/ الطويل/ الحسين بن سعيد/ ٤١٠ / ٢
- الركائب/ الطويل/ قيس بن الخطيم/ ٢٥٦ / ٣
- السواكب/ الطويل/ حسان بن مالك/ ٣٢٣ / ٤
- السواكب/ الطويل/ أبو الحسن بن سعيد/ ٤١١ / ٢
- غارب/ الطويل/ أبو الحسن بن سعيد/ ٣٩١ / ٢
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٢٣

- الكتائب/ الطويل/ عبد الخالق بن إبراهيم/ ٣/ ٣٣٦
- السحائب/ الطويل/ أبو محمد بن عبد الله/ ٣/ ٣٧١
- بسحائب/ الطويل/ أبو تمام/ ٤/ ٣٣٦
- كاذب/ الطويل/ أبو جعفر بن سعيد/ ٤/ ٢٩٤
- وكاعب/ الطويل/ الكتندي/ ٤/ ٢٩٤
- المذاهب/ الطويل/ أبو العرب الصقلي/ ٤/ ٣٣٩
- المواهب/ الطويل/ محمد بن عبد الملك بن الناصر/ ٤/ ٣٥٢
- مناقبي/ الطويل/ ابن الحداد/ ٤/ ٤١٧
- الغياهب/ الطويل/ ابن الملح/ ٥/ ١٨٥
- المناقب/ الطويل/ أبو القاسم بن جزى/ ٧/ ٥٥
- الكواذب/ الطويل/ رفيع الدولة ابن صمادح/ ٨/ ٢٣٧
- المآرب/ الطويل/ عطية بن يحيى المحاربي/ ٩/ ١٣٤
- رطب/ الطويل/ أحمد بن عبد الملك بن شهيد/ ١/ ٢٩٦
- قرب/ الطويل/ ابن الشامي الغرناطي/ ٢/ ٢٢٥
- القلب/ الطويل/ أبو الوليد الباجي/ ٢/ ٢٣٦
- القرب/ الطويل/ الخطيب بن صفوان/ ٥/ ٢٥٢
- الصعب/ الطويل/ أبو الوليد الباجي/ ٢/ ٢٤٤
- و الغرب/ الطويل/ أبو البقاء المصري/ ٢/ ٣٦١
- ندب/ الطويل/ أبو حيان/ ٣/ ١٧٥
- عتب/ الطويل/ عز الدولة ابن صمادح/ ٤/ ١٧٣
- بالعتب/ الطويل/ رفيع الدولة ابن صمادح/ ٨/ ٢٣٨
- الضرب/ الطويل/ نزهون الغرناطية/ ٥/ ٢١٣
- و القلب/ الطويل/ ابن ليون/ ٧/ ١٢٠
- و الغرب/ الطويل/ ابن الحاج الغرناطي/ ٨/ ٢٩٣
- القلب/ الطويل/ ابن جابر/ ٩/ ١٩٠
- قلبي/ الطويل/ ابن جابر/ ٩/ ٢٠٠
- كسبي/ الطويل/ ابن جابر/ ٩/ ٢٠٧
- طيب/ الطويل/ ابن جابر/ ٩/ ١٩٢
- مكاسبه/ الطويل/ ابن عياش/ ٢/ ١١٦
- لنوائبه/ الطويل/ ابن خاتمة/ ٧/ ١٦١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٢٤
- به/ الطويل/ ابن أبي العافية/ ٦/ ٣٨٠
- بطيبه/ الطويل/ ابن شبرين/ ٦/ ٣٨٠

- خصيه/ الطويل/ ابن أرقم/ ٦/ ٣٨١
- عيوبه/ الطويل/ ابن أبي المجد/ ٦/ ٣٨١
- كنصيه/ الطويل/ ابن الجياب/ ٦/ ٣٨٠
- نصيه/ الطويل/ -/ ٨/ ٢٣
- قلبه/ الطويل/ أبو الربيع الموحدى/ ٣/ ٣٧٠
- ذنبه/ الطويل/ لسان الدين/ ٨/ ١٩٨
- ما بها/ الطويل/ ابن جابر/ ٩/ ١٩٩
- و طيها/ الطويل/ أبو محمد الأزدي/ ٧/ ٢١٧
- محجوب/ البسيط/ ابن عبد ربه/ ٤/ ٢٣٤
- مصبوب/ البسيط/ ابن الإمام الغرناطي/ ٤/ ٣٨٦
- التكاذيب/ البسيط/ ابن مسعود البجاني/ ٤/ ١٨٩
- لتعذبي/ البسيط/ أبو المطرف الزهري/ ٤/ ٢٣٣
- يغرى بي/ البسيط/ المتنبى/ ٥/ ١٨٣
- بتعذيب/ البسيط/ ابن شبرين/ ٥/ ٢٤٤
- و تعجيب/ البسيط/ ابن رضوان/ ٧/ ٢٢٥
- و تهذى بي/ البسيط/ لسان الدين/ ٨/ ١٨٢
- العطب/ البسيط/ ابن الصفار/ ٢/ ٢٧٢
- غلب/ البسيط/ أبو الوليد بن الجنان/ ٢/ ٢٧٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٢٢٤
- عذب/ البسيط/ أبو الوليد بن الجنان/ ٢/ ٢٧٤
- العربي/ البسيط/ ابن أبي الربيع القيسي/ ٢/ ٢٨٧
- حلب/ البسيط/ سعد الدين بن عربي/ ٢/ ٣١٣
- و اللعب/ البسيط/ أبو حام الغرناطي/ ٢/ ٣٦٦
- و الرتب/ البسيط/ أبو حيان/ ٣/ ١٧٤
- للقصب/ البسيط/ غالب الحجام/ ٤/ ٢١٣
- ريب/ البسيط/ أبو العباس الإشبيلي/ ٤/ ٢٥٣
- الذهب/ البسيط/ ابن صارة/ ٤/ ٣٦٦
- الطلب/ البسيط/ الأصم مرواني/ ٤/ ٣٥٨
- القشب/ البسيط/ أبو تمام/ ٦/ ١٥٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٢٥
- يغب/ البسيط/ -/ ٦/ ٢٦١
- نصب/ البسيط/ ابن ليون/ ٧/ ٩٩
- سبب/ البسيط/ ابن ليون/ ٧/ ١٠٥

- وصب/ البسيط/ ابن ليون/ ٧/ ١١٥
- و الأدب/ البسيط/ ابن الحاج الغرناطي/ ٨/ ٢٩٣
- مغترب/ البسيط/ الحجاري/ ٤/ ١٥٥
- منتخب/ البسيط/ أبو عبد الله اللوشي/ ٤/ ١٥٥
- هربه/ البسيط/ المعتصم بن صمادح/ ٢/ ١٦٠، ٤/ ١٤١
- بالعجب/ البسيط/ المعتمد بن عباد/ ٥/ ١٩٨
- مطلبه/ البسيط/ أبو عبد الله اليتيم/ ٧/ ٢٠٩
- مناك بها/ البسيط/ -/ ٦/ ١٦٢
- باب/ مخلع البسيط/ ابن الجياب/ ٦/ ٣٦٧
- طبيب/ مخلع البسيط/ أبو بكر اللخمي/ ٤/ ٣٨٩
- و الطيب/ مخلع البسيط/ السميسر/ ٥/ ٥١
- بالحيب/ مخلع البسيط/ الرصافي/ ٥/ ٩٥
- صل بي/ مخلع البسيط/ -/ ٤/ ٣٩٢
- سحابه/ مخلع البسيط/ ابن غصن الحجاري/ ٤/ ٢١٨
- الخطاب/ الوافر/ المستظهر/ ٢/ ٢٩
- و الخطوب/ الوافر/ أحمد بن طلحة/ ٤/ ١٢٥
- الحساب/ الوافر/ صاعد/ ٣/ ٣٤٥
- الصواب/ الوافر/ أبو الحجاج البياسي/ ٤/ ١٣١
- مصاب/ الوافر/ أبو القاسم البلوي/ ٤/ ١٣٨
- اغتراب/ الوافر/ ابن سدرای/ ٤/ ٢٠٥
- الكتاب/ الوافر/ ابن قزمان/ ٤/ ٣٩٥
- الصواب/ الوافر/ الحصري/ ٥/ ٥٢
- حجاب/ الوافر/ الكاتمي/ ٥/ ٢٨٣
- الحساب/ الوافر/ ابن الدباغ الإشيلي/ ٥/ ٣٥٣
- انتخاب/ الوافر/ ابن ليون/ ٧/ ١١٢
- للخراب/ الوافر/ لسان الدين/ ٧/ ١٥١
- القلوب/ الوافر/ النحلي/ ٤/ ٢٣٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٢٦
- و طيب/ الوافر/ -/ ١/ ٧٩
- الرطيب/ الوافر/ للمؤلف/ ٨/ ٢٨٢
- للغريب/ الوافر/ محمد بن القاسم الكاتب/ ٢/ ٢٥٣، ٣/ ٣١
- عجيب/ الوافر/ -/ ٤/ ٢٣١
- حيب/ الوافر/ -/ ٨/ ٣٨

- و غرب / وافر / ابن حريق / ١ / ١٥٣
خطوبه / وافر / ابن حمديس / ٥ / ١٩٢
و الحسب / مجزوء الوافر / ابن خروف القيسي / ٣ / ٢٣٤، ٤ / ٢٥٠
لشبابي / الكامل / الغزال / ٢ / ٣٨٣
خطابي / الكامل / أبو الفضل البغدادي / ٣ / ٣٧٥
الإعجاب / الكامل / ابن فرج الجياني / ٤ / ٨٩
مصاب / الكامل / ابن شاطر السرقسطي / ٥ / ٥٢
ثيابي / الكامل / أبو العباس الملياني / ٧ / ٣٦٥
مناب / الكامل / ابن الحاج الغرناطي / ٨ / ٢٩٦
سحاب / الكامل / ابن جابر / ٩ / ١٩٢
لما بي / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٦٨
و مشوب / الكامل / أبو عامر بن مسلمة / ٤ / ٣١٩
المحبوب / الكامل / لسان الدين / ٨ / ٣٢
هبوب / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٦٥
و حبيب / الكامل / سليمان بن المرتضى / ٤ / ٣٥٦
تأنيب / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٥٢
ديب / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٩٦
و نحبيي / الكامل / ابن خلدون / ٧ / ٢٨٥
بترائب / الكامل / ابن دراج / ٤ / ٣٤
الإرب / الكامل / المقتدر بن هود / ١ / ٣٤١
كالذهب / الكامل / ابن السيد البطليوسي / ٢ / ١٤٥
ذنب / الكامل / ابن ليون / ٧ / ٩٤
النقب / الكامل / دريد بن الصمة / ٨ / ٤٧
حب / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٦٣
كالكوكب / الكامل / ابن السيد البطليوسي / ٢ / ١٤٦
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٢٧
كالكوكب / الكامل / أبو الحسن بن السيد / ٥ / ٢٠
الأشنب / الكامل / أبو الصلت أمية / ٢ / ٢٦٣
المغرب / الكامل / محمد الدمشقي / ٣ / ٥٨
الطّب / الكامل / - / ٢ / ٤٦٩
مذنب / الكامل / الأسعد بن بليظة / ٤ / ٤٢٠
و مذهب / الكامل / - / ٦ / ١٧٥
متجنب / الكامل / المليكي / ٧ / ٣٤٠

- و يثرب/ الكامل / أبو محمد بن فرسان / ٣ / ٢١٠ ، ٤ / ٢٨٠
تتعب/ الكامل / على بن محمد الإيادي / ٥ / ٧
يشرب/ الكامل / أبو بكر بن بقي / ٥ / ٩٠
تقرب/ الكامل / ابن جابر / ٩ / ٢٠٨
منصبه/ الكامل / أبو المطرف بن عميرة / ١ / ٢٥٠
ربابه/ الكامل / المواعيني / ٤ / ٢٢٠
كواكبه/ الكامل / المنصور الذهبي / ٨ / ٢٦٤
صوابها/ الكامل / عبد الرحمن بن الحكم / ١ / ٢٧٣
جلبابها/ الكامل / محمد بن يوسف الثغري / ٨ / ٣٠٦
بها/ الكامل / المنصور الصغير / ٢ / ١٥٥
الحجاب / مجزوء الكامل / ابن الأبار / ٥ / ٦٠
العجيب / مجزوء الكامل // ٥ / ٢٧٠
ربي / مجزوء الكامل /- / ١ / ٤٦
عذابي / مجزوء الكامل // ٤ / ١٤١
مطلوبه / مجزوء الكامل / أبو عامر التياري / ٢ / ٢٦٥
حبيبه / مجزوء الكامل / أبو جعفر التجاني / ٢ / ٢٦٤
به / مجزوء الكامل / ابن جابر / ٩ / ١٩٠
و احربي / الرمل / ابن غندشلب / ٢ / ٦٣
سلبه / الرمل / ابن جابر / ٩ / ١٩٧
قلبها / الرمل / ابن جابر / ٩ / ١٩٩
و قحاب / مجزوء الرمل / أبو محمد عبد المولى / ٤ / ٢٨٨
الغضب / مجزوء الرمل / المعتمد بن عباد / ٥ / ٣٨
غريب / مجزوء الرمل / أبو المعالي الإشبيلي / ٥ / ٥٦
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٢٨
محبك / مجزوء الرمل /- / ٥ / ٩٠
و أوصابي / السريع / السرخسي / ٣ / ٣٧٢
بتجريبي / السريع / شمس الدين بن الخياط / ١ / ٩٤ ، ٣ / ٢١
الصاحب / السريع / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٣٩١
عرب / السريع / أبو الصلت أمية / ٢ / ٢٦٣
الحب / السريع / أم الكرام بنت صمادح / ٥ / ١٠٣
مطلب / السريع / ابن مصادق الرندي / ٤ / ٢٢٨
مذهبي / السريع / ابن طلحة الصقلي / ٤ / ٣٨٧ ، ٧ / ٢٦ ، ١٥٣
و المغرب / السريع /- / ٦ / ١٣٩ ، ١٤٠

- مذهبي / السريع / - / ٢٨٦ / ٦
- حبه / السريع / - / ٣١ / ٨
- صبه / السريع / ابن جابر / ١٩٦ / ٩
- مقلوبها / السريع / - / ٢٠٣ / ٦
- بابها / السريع / ابن قزمان / ٢١٤ / ٥
- الغرب / المنسرح / ابن عنين / ٢٨ / ٣
- أدب / المنسرح / - / ٢٨٥ / ٤
- القضب / المنسرح / ابن وكيع / ١٢٤ / ٥
- بالعجب / المنسرح / المعتمد بن عباد / ١٩٨ / ٥
- واجتنب / المنسرح / ابن ليون / ٩٠ / ٧
- أدبه / المنسرح / أبو تمام / ١٤٥ / ٤
- الألباب / الخفيف / أبو محمد بن حزم / ٢٤٤ / ٢، ٥٩ / ٥
- الحساب / الخفيف / أبو جعفر بن سعيد / ١١٤ / ٥
- والأحساب / الخفيف / ابن ليون / ٩٥ / ٧
- الحروب / الخفيف / ابن جابر / ٢٧٢ / ٣
- وشحوب / الخفيف / الشريف الطليق / ٣٥٤ / ٤
- قريب / الخفيف / أبو حيان / ١٧٧ / ٣
- قريب / الخفيف / المعتمد بن عباد / ٢٠٤ / ٤
- نصيب / الخفيف / ابن غند شلب / ٢٠٤ / ٤
- مغيب / الخفيف / مساعد بن أحمد بن صاعد / ٢٣٦ / ٣
- والتجريب / الخفيف / ابن ليون / ١١٦ / ٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٢٩
- عيب / الخفيف / - / ٢٦٣ / ٤
- بقلبي / الخفيف / المقرئ الجد / ٢٦٦ / ٦
- جنبي / الخفيف / المنصور الذهبي / ٢٦٤ / ٨
- كرب / الخفيف / ابن زمرك / ٨٨ / ٩
- حجابك / الخفيف / عبد الملك بن سعيد الخازن / ٣١٢ / ٤
- و ثيابه / الخفيف / ابن ليون / ١٢٦ / ٧
- وقارب / مجزوء الخفيف / محمد بن عبد الله الحضرمي / ٦٠ / ٥
- وعذابي / المجتث / ابن زيدون / ١٠٢ / ٤
- متابي / المجتث / - / ٣٢٩ / ٩
- خلوب / المجتث / ابن سيد اللص / ١٢٩ / ٥
- خطاب / المتقارب / أبو عمر الطرياني / ٧٠ / ٥

- الكاذب / المتقارب / بديع الزمان / ٢٥٢ / ٦
 بالراغب / المتقارب / ابن ليون / ١١٣ / ٧
 مذهبي / المتقارب / بكار المرواني / ١٤٨ / ٤
 هربه / المتقارب / المعتصم بن صمادح / ١٤١ / ٤
 بابها / المتقارب / الرصافي / ٢٠٠ / ٤
 عذابي / المتقارب / - / ١٤١ / ٤
 و بتأنيها / المتقارب / أبو بكر بن العربي / ٢٠٢ / ٢

قافية التاء (ت)

- نبت / البسيط / أبو جعفر الإلييري / ٢٧٠ / ٣
 المصامت / مجزوء الكامل / ابن خيرة الصباغ / ٢٦٨ / ٤
 الصوامت / مجزوء الكامل / أبو عامر بن مسلمة / ٣١٩ / ٤
 يفوت / السريع / لسان الدين / ١٢ / ٨
 فازت / السريع / لسان الدين / ٢٨٣ / ٨
 صموت / المتقارب / لسان الدين / ٩٣ / ٦
 بيت / المتقارب / ابن الحاج الغرناطي / ٢٩٧ / ٨
 شامتا / الطويل / لسان الدين / ١١٦ / ٨
 تحتها / الطويل / أبو عبد الله التجاني / ١٥٤ / ٦
 تعنينا / البسيط / المعري / ١٩٨ / ٦
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٣٠
 ما رأنا / البسيط / أبو بكر بن زهر / ٣٧٦ / ٢
 رتبته / البسيط / ابن جابر / ٢٧٠ / ٣
 أسأتنا / الوافر / ابن ليون / ٨٨ / ٧
 عرفنا / الوافر / ابن ليون / ١١٨ / ٧
 موقوتا / الكامل / ابن زمر ك / ٧٧ / ٩
 عتا / الكامل / ابن قلاقس / ٨٢ / ٤
 أشتاتا / السريع / السمسيسر / ٥٨ / ٢
 للفتى / السريع / عبادة بن الحريش / ١٣٥ / ٤
 صحبته / السريع / ابن ليون / ١٢٥ / ٨
 قدرتا / الخفيف / ابن ليون / ٩٣ / ٧
 أتى / المتقارب / ابن جبير / ١٠٥ / ٣
 متى / المتقارب / - / ٢٤٢ / ٣
 تعنيتها / المتقارب / ابن حصن الإشبيلي / ٩٠ / ٤

- رايات / الطويل / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٩٩
- شتات / الطويل / أبو عبد الله بن جزي / ٧ / ٧٠
- دارات / الطويل / ابن جابر / ٩ / ١٩٨
- دنت / الطويل / المستنصر / ١ / ٣٠٧
- صمت / الطويل / أبو بكر بن عطية / ٣ / ١٣٣
- الموت / الطويل / - / ٨ / ٣٦
- مصلت / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ٤ / ٢٧٨
- أحببت / الطويل / ابن الزقاق / ٤ / ٣٩١، ٥ / ٢١٧
- ماتوا / الطويل / الجبلى الطيب / ٥ / ٥٩، ١٤٩
- خاتوا / البسيط / ابن اللبانه / ٥ / ٥٩
- غيات / البسيط / الداني / ٥ / ١٧٩
- باتوا / البسيط / ابن جابر / ٩ / ١٩٦
- لامات / البسيط / ابن حسداى / ٢ / ١٤١، ٤ / ١١٣
- مفتات / البسيط / أبو القاسم المنيشى / ٨ / ٢٤٦
- مردات / البسيط / - / ٥ / ٢٦١
- الصوت / البسيط / عبد الحق الإشبلى / ٥ / ٢٣٠
- البيوت / مخلع البسيط / أبو إسحاق الإلبيرى / ٤ / ٢٧٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٣١
- السكوت / الوافر / - / ١ / ١٤٧
- يفوت / الوافر / - / ٦ / ٢٥٤
- لقيت / الوافر / ابن باجئه / ٨ / ٢٢١
- مت / الكامل / المصحفى / ٢ / ١١٣
- تثبت / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٦٨
- كاساته / الكامل / - / ١ / ٣٠
- شرفاته / الكامل / ابن قلاقس / ٤ / ٨١
- الندامات / السريع / ابن ليون / ٧ / ١٠١
- و القوت / السريع / غانم المخزومى / ٥ / ٢٤١
- مقت / السريع / ابن عربى الصوفى / ٢ / ٣٢٤
- العداءة / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ٩٩
- سررت / الخفيف / ابن رشيق القلعي / ٤ / ٣٠٨
- ابتدلت / الخفيف / المنصور الذهبى / ٨ / ٢٦٦
- أملته / المتقارب / لسان الدين / ٨ / ١٦٣
- فارقته / المتقارب / أحد بنى القبطرنة / ٤ / ٩٣

- الخطرات / الطويل / أبو الحسن بن أضحى / ٢ / ١٦٧، ٥ / ٩٨
- الجنبات / الطويل / عبد المنعم الغساني / ٣ / ٢١٢، ٥ / ٢٤٠
- لداتي / الطويل / والد حميد الزاهد / ٣ / ١٠
- غاياتي / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٨٢
- أوقاتي / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٩٤
- ناعت / الطويل / عبد الرحمن بن سعيد / ٣ / ٦
- خطيئتي / الطويل / الراعي الغرناطي / ٣ / ٢٨٠
- سبت / الطويل / - / ٦ / ٩٨
- بالدنية / الطويل / - / ١ / ٧٧
- فاستمرت / الطويل / المصحفي / ٢ / ١٠٦، ١١٤
- تحية / الطويل / محمد التاملي / ٣ / ٩٣
- أجرت / الطويل / ابن الفارض / ٦ / ٢١٥
- حكمتي / الطويل / ابن الفارض / ٦ / ٢٢٣
- بأبوتى / الطويل / ابن الفارض / ٦ / ٢٦٣
- زيتي / الطويل / المقرئ الجدد / ٦ / ٢٦٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٣٢
- بساحتك / الطويل / عبد الله الجذامي / ٥ / ٢٢٣
- صفاته / الطويل / ابن نزار الوادي آشي / ٤ / ٣٦٨
- نعمته / الطويل / حفصة بنت حمدون / ٥ / ٢٠٤
- مرات / البسيط / عبيد الله بن جعفر الإشبيلي / ٥ / ١٠
- المروءات / البسيط / - / ٥ / ٤٠
- المهمات / البسيط / لسان الدين / ٥ / ٤٢، ٨ / ١٨٨
- البريات / البسيط / ابن ليون / ٧ / ٨٦
- الممات / مخلع البسيط / الرضى الشاطبي / ٣ / ٩
- العنكبوت / الوافر / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١١٥
- الحرمان / الكامل / - / ١ / ٥٠
- الفلوات / الكامل / عبد الملك بن حبيب / ١ / ٥٤
- الناسوت / الكامل / ابن عربي الصوفي / ٢ / ٣٠٨
- وهات / الكامل / ابن النبيه / ٣ / ٣٧٨
- الرايات / الكامل / ابن سهل / ٤ / ٣٠١
- صلات / الكامل / أبو بحر بن عبد الصمد / ٤ / ٣١٠
- ذاتي / الكامل / ابن الحاج الغرناطي / ٨ / ٢٩٨
- عزيمة / الكامل / أبو الحسين بن مفوز / ٥ / ٣٦

- و الرقة / الكامل / ابن صارة / ٢٢٩ / ٤
 بدءاتها / الكامل / ابن الصابوني / ٢٩٧ / ٤
 أذاته / مجزوء الكامل / ابن ليون / ٨٦ / ٧
 فتنه / الرمل / ابن ليون / ١٢٥ / ٧
 ضعته / الرمل / ابن ليون / ١١٠ / ٧
 صفاته / الرمل / ابن جابر / ١٩٩ / ٩
 ميت / مجزوء الرمل / لسان الدين / ١٩٣ / ٦ ، ١٧١ / ٨
 العزلة / السريع / - / ١٧٢ / ٦
 أوبتك / السريع / أبو عمران بن سعيد / ٤٦٥ / ٢
 عطستك / السريع / أبو عمرو بن أبي محمد / ٢٣٥ / ٤
 قدرته / السريع / عبد الملك بن حبيب / ١٨٥ / ٢
 قبضته / السريع / بعض الصوفية / ٢٠٩ / ٢
 لحيته / السريع / أبو الوليد بن طريف / ٢٢٢ / ٤
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٣٣
 حرفته / السريع / ابن ليون / ١٠٠ / ٧
 الحسنات / الخفيف / الشاهيني / ٨٨ / ٣
 لهاتي / الخفيف / الشاهيني / ٨٨ / ٣
 حسناتي / الخفيف / الرمادي / ٤٠٧ / ٤
 السكوت / الخفيف / مكى بن سواده / ٢٥ / ٥
 وفاتك / الخفيف / ابن ليون / ١٢٢ / ٧
 و مقتك / الخفيف / لسان الدين / ١٧٠ / ٨
 و صفاته / الخفيف / أبو الوليد الوقشي / ٧٥ / ٥
 القناه / المتقارب / ابن قلاقس / ٨٢ / ٤
 بذاته / المجتث / أبو عبد الله بن الجنان / ٣١٤ / ٩

قافية التاء (ث)

- أكثرث / مجزوء الرمل / أبو الصلت أمية بن عبد العزيز / ١٦٣ / ٤
 نافث / الخفيف / أبو عبد الله بن جزى / ٦٨ / ٧
 نافثا / الطويل / أبو حيان / ١٥٩ / ٣
 البراغيثا / البسيط / لسان الدين / ١٦٩ / ٨
 الغثا / المتقارب / ابن صابر القيسي / ٢٤٥ / ٣
 عابث / الطويل / أبو بكر بن العربي / ١٩٩ / ٢
 ناكث / الطويل / ابن زيدون / ١٠٦ / ٤

- الأخابث / الطويل / ابن مرج الكحل / ٤٥ / ٦
 الحوادث / الطويل / أبو جعفر بن جزي / ٣٧٥ / ٦
 تنكث / الطويل / ابن هند الداني / ٨٩ / ٤
 يتحدث / الطويل / ابن جابر / ٢٦٧ / ٣
 عابث / الكامل / صفوان بن إدريس / ٦٠ / ٦
 حديث / الكامل / ابن شرف القيرواني / ١٤١ / ٤
 و يدمث / الكامل / ابن خفاجة / ٣٨ / ٤
 الخبيث / المتقارب / بشار بن برد / ٢٨١ / ٧
 خبيث / مخلع البسيط / الحصري / ٢٩٩ / ٢
 حادث / الكامل / ابن صارة / ٥٩ / ٥
 المحدث / الكامل / لسان الدين / ١٧٩ / ٨
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٣٤

قافية الجيم (ج)

- و اعتلج / الطويل / ابن حزم / ٣٦٤ / ٤
 الفرج / الكامل / ابن ليون / ٨٥ / ٧
 الثجج / الكامل / ابن ليون / ٢٤٦ / ٧
 المهجج / الكامل / ابن فركون / ١٣٦ / ٩
 مرازج / الخفيف / ابن الحاج الغرناطي / ٢٩٤ / ٨
 سمج / مجزوء الخفيف / عباد بن الحريش / ١٣٥ / ٤
 منهاجا / البسيط / أبو جعفر بن الزيات / ٢٥٤ / ٥
 الرجا / الكامل / - / ٣٤٢ / ١
 نجا / الكامل / أبو الصلت أمية / ٢٦٣ / ٢
 مضرجا / الكامل / أبو الفضل البغدادي / ٣٧٥ / ٣
 مضرجا / الكامل / ابن عبد ربه / ٢٤٤ / ٨
 الوجي / الرمل / أبو جعفر اللمائي / ٣٥ / ٤
 بهجه / المجتث / أبو الفضل بن شرف / ١٣٣ / ١
 صوالج / الطويل / ابن صارة / ٢١٠ / ٤
 نهج / الطويل / ابن خفاجة / ٥٠ / ٥
 مفلج / الطويل / ابن عائشة / ٣ / ٥
 سجسج / الطويل / ابن الرومي / ١٢١ / ٨
 سمج / البسيط / ابن النحاس / ١٨٢ / ٣
 الفرج / البسيط / ابن ليون / ١٢٢ / ٧

- حرج / البسيط / لسان الدين / ١٧٦ / ٨
- مديج / الكامل / حازم القرطاجني / ٦٣ / ٧
- العلاج / مجزوء الكامل / أبو محمد المحاربي / ٢٤٣ / ٥
- تنتهجه / الرمل / ابن الأبار / ٢٣٣ / ٥
- مرتجي / الطويل / القبتوري / ١٩٧ / ٣
- أرتجي / الطويل / - / ٧٦ / ٥
- معرج / الطويل / ابن الجياب / ٣٥٨ / ٦
- الأرج / البسيط / القاضي ابن عباد / ١٥٣ / ٥
- عوج / البسيط / - / ٢٦٦ / ٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٣٥
- بانبلج / الوافر / لسان الدين / ١١٧ / ٦
- مزاج / الكامل / ابن الحاج الغرناطي / ١٤٠ / ٣
- المنهاج / الكامل / ابن غصن الحجاري / ٢١٨ / ٤
- و علاجى / الكامل / ابن الجياب / ٣٥٩ / ٦
- داج / الكامل / أبو عبد الله بن جزى / ٦٦ / ٧
- الأدعج / الكامل / ابن قلاقس / ٦٤ / ٧
- علاجها / الكامل / لسان الدين / ١٩٧، ١٦٧ / ٨
- حرج / الرمل / أبو عبد الله بن الأزرق / ١٤٤ / ٨
- ولج / المنسرح / أبو الوليد بن طريف / ٢٢٣ / ٤
- راجى / الخفيف / - / ٣١٤ / ٦
- انفراج / الخفيف / ابن ليون / ١١٥ / ٧
- ارتجى / مجزوء الخفيف / ابن عبدون (أو ابن السيد) / ٢٥٦ / ٤
- زواج / المجتث / عبد المولى أبو محمد / ٢٩١ / ٤
- لج / المجتث / أبو عمران بن سعيد / ١٣٩ / ١
- سرج / المجتث / أبو الحسن بن سعيد / ١٣٩ / ١

قافية الحاء (ح)

- مطرح / الطويل / بعض المغاربة / ٤٤٧ / ٢
- الصفاح / مخلع البسيط / أبو الحسن بن سعيد / ٤٣٠ / ٢
- و البطاح / مجزوء الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٤٣٠ / ٢
- جحاجح / مجزوء الكامل / أبو الصلت أمية / ٧٩ / ٥
- سمح / مجزوء الكامل / سليمان بن أبي أمية / ٢٢٣ / ٤
- و سبح / مجزوء الرمل / سليمان بن أبي أمية / ٣٦٠ / ٧

- مباح/ السريع/ أبو الحسن بن سعيد/ ٢/ ٤٢٨
الوشاح/ السريع/ أبو الحسن بن سعيد/ ٢/ ٤٣١
الجناح/ السريع/ أبو جعفر بن سعيد/ ٤/ ٢٩٦
صريح/ السريع/ ابن نباتة المصري/ ١/ ٨٧
فصيح/ السريع/ ابن مطروح/ ٢/ ٤٤٣
يروح/ السريع/ لسان الدين/ ٦/ ٣٤٠
قزح/ المنسرح/ ابن الملح/ ٥/ ١٩
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٣٦
سوافح/ الخفيف/ أبو الحسن بن سعيد/ ٢/ ٤٣٦
يلمح/ الخفيف/ -/ ١/ ٩٧
لينصح/ المجتث/ المنذر بن عبد الرحمن/ ٤/ ٣٤٥
الرماح/ المتقارب/ المعتمد بن عباد/ ٥/ ٣٩
أضحى/ الطويل/ ابن زيدون/ ٢/ ١٦، ١٣٢
تمحى/ طويل/ ابن عطية/ ٦/ ١٥٧
صلحا/ طويل/ ابن زمرك/ ٩/ ٨٤
صحا/ طويل/ أبو حيان/ ٣/ ١٥٣
إفصاحه/ طويل/ ابن الحاج الغرناطى/ ٨/ ٢٩٧
لاحا/ المديد/ أبو حفص بن برد/ ٤/ ٣٥
باحا/ البسيط/ ابن العريف/ ٥/ ٢٤٢
ضحى/ البسيط/ ابن الجياب/ ٧/ ٣
و توضحه/ البسيط/ ابن مجبر/ ٥/ ٢٤٦
فناحا/ مخلع البسيط/ أبو الحسن بن سعيد/ ٢/ ٤٢٦
قريحا/ مخلع البسيط/ المعتمد بن عباد/ ٥/ ٣٧
صحيحه/ الوافر/ أبو القاسم بن حاتم/ ٥/ ٢٢٠
سراحا/ الوافر/ النشار/ ٤/ ٤١
الصريحه/ الوافر/ أبو عبد الله اليتيم/ ٧/ ٢١٢
النصيحه/ الوافر/ أبو على بن عبد السلام/ ٧/ ٢١٢
جناحا/ الكامل/ ابن الحناط القرطبي/ ٢/ ٢٥
صباحا/ الكامل/ أبو الحسن بن سعيد/ ٢/ ٤٢٦
صباحا/ الكامل/ ابن زمرك/ ٧/ ١٩٨
وشاحا/ الكامل/ أبو الأصبغ بن الأرقم/ ٤/ ٢٧٩
الطماحا/ الكامل/ حسان بن المصيصى/ ٥/ ٢٢٢
يذبحا/ الكامل/ حبلاص الرندى/ ٥/ ٧١

- و روائحا/ الكامل / ابن الجياب / ٧ / ٤٣٠
- مالحا/ السريع / ابن عائش / ٤ / ٢١٦
- جانحا/ السريع / ابن جابر / ٩ / ٢٠٨
- رائحة/ السريع / لسان الدين / ٧ / ٣٧٤
- صبحه/ السريع / أبو جعفر الإلييري / ٣ / ٢٦٢
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٣٧
- جرحه/ السريع / غالب الحجام / ٤ / ٢١٣
- وضحا/ المنسرح / ابن الزقاق / ٤ / ٣٧
- ربحا/ الخفيف / ابن جبير / ٣ / ١٠٥
- مليحا/ المجتث / ابن ليون / ٧ / ٩٧
- راحه/ المجتث / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١١١
- ساحه/ المجتث / إبراهيم بن الأعلم / ٤ / ٢٤٠
- واضحه/ المتقارب / ابن الجياب / ٦ / ٣٧٨
- وشاح/ الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٣٩١
- ملاح/ الطويل / - / ٦ / ٢٦٠
- ينوح/ الطويل / - / ١ / ٣٩
- واضح/ الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٨٢
- و روائح/ الطويل / حسان بن أبي عبدة / ٤ / ٣٢٢
- فرادح/ الطويل / ابن الزقاق / ٥ / ٢١٥
- اللواقح/ الطويل / ابن خميس / ٨ / ٣١٢
- و أصفح/ الطويل / - / ١ / ٩٥
- تنفح/ الطويل / ابن الطراوة / ٤ / ١٨٦
- و يقبح/ الطويل / عبد المؤمن الطليلي / ٥ / ٧٣
- و أوضح/ الطويل / ابن عمار / ٦ / ١٥٣
- تسبح/ الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٦٣
- تصحح/ الطويل / أبو عبد الله بن جزى / ٧ / ٧٢
- أدواح/ البسيط / ابن خروف القيسي / ٣ / ٢٣٤
- فاتحه/ البسيط / ابن قاسم القيسي / ٥ / ٢٣٤
- يريح/ مخلع البسيط / الأعمى المخرومي / ٤ / ٤٢
- القراح/ الوافر / ابن خفاجة / ٢ / ٤١
- صباح/ الوافر / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٢٥
- راح/ الوافر / ابن الطراوة / ٤ / ١٨٦
- جناح/ الوافر / ابن خفاجة / ٥ / ٨

- يفوح / الوافر / - / ٩٧ / ١
- الصدوح / الوافر / ابن الأبرش / ٢٤٥ / ٤
- صبح / الوافر / أبو بكر عبد المعطى / ١٥٩ / ٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٣٨
- التفاح / الكامل / - / ١٩٠ / ٢
- التفاح / الكامل / - / ٣٣٥ / ٤
- تلتاح / الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٤٢٥ / ٢
- الأرواح / الكامل / - / ٢١ / ٨
- و الممنوح / الكامل / البدر بن حبيب / ١٨ / ٣
- و أنوح / الكامل / أبو الحسين الوقشى / ٧٧ / ٥
- قبيح / الكامل / ابن حنون الإشبيلي / ٤٣ / ٤
- يفلح / الكامل / أبو ركوة / ٢٤٨ / ٣
- يجرح / الكامل / لسان الدين / ١٥٠ / ٧
- روحها / الكامل / ابن ليون / ٩٠ / ٧
- مدحها / الكامل / ابن ليون / ٩٢ / ٧
- الاصطباج / مجزوء الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٤٢٤ / ٢
- فاستراحو / مجزوء الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٤٢٤ / ٢
- جرح / مجزوء الكامل / أبو بكر بن عمار / ١٣٩ / ٤
- يصطبج / الرمل / أبو بكر بن عمار / ٤٢٣ / ٢
- وراح / مجزوء الرمل / ابن رشيق القلعي / ٣٠٧ / ٤
- روح / مجزوء الرمل / ابن خروف القيسي / ٢٣٣ / ٣
- الجموح / مجزوء الرمل / أبو العتاهية / ٤٤ / ٨
- الفتوح / مجزوء الرمل / ابن زمرك / ٨٨ / ٩
- واضح / السريع / - / ١١١ / ١
- ناصح / السريع / ابن جبير / ١٠٨ / ٣
- صبح / السريع / أبو الحسن بن سعيد / ٤٢٣ / ٢
- السماح / الخفيف / أبو بكر بن مغاور / ١٤٣ / ٤
- مبيح / الخفيف / لسان الدين / ١٨٠ / ٨
- قبيح / الخفيف / أبو جعفر الإلبيري / ١٩١ / ٩
- جريحه / الخفيف / الصفدي / ١٥٢ / ٣
- رباح / المجتث / ابن ليون / ٩٠ / ٧
- رماح / الطويل / أبو جعفر بن البني / ١٥٦ / ٥
- نازح / الطويل / ابن راجح / ٢٠٥ / ٧

- الجوارح / الطويل / لسان الدين / ٧ / ٢٠٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٣٩
- المزح / الطويل / هشام بن عبد الرحمن / ٤ / ٣٤٧
- الفتح / الطويل / ابن برطله / ٥ / ٢٢٥
- و القبح / الطويل / ابن ليون / ٧ / ٨٥
- و بالنجح / الطويل / ابن المنى التركي / ٣ / ١٥٠
- المرنح / الطويل / على بن جودي / ٨ / ٤٥٠
- مرتاح / البسيط / ابن مالك / ٢ / ٣٥٧
- للاصطباح / مخلع البسيط / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٢٨
- اقتراحي / مخلع البسيط / أبو يحيى بن هشام القرطبي / ٤ / ٣٩٢
- الرياح / مخلع البسيط / ابن حامد (و صفوان) / ٦ / ٦٢
- اقتراحي / الوافر / ابن زيدون / ٤ / ١٠١
- الفصاح / الوافر / ابن زيدون / ٥ / ٤٣
- السماح / الوافر / ابن زيدون / ٥ / ٤٣
- الجماح / الوافر / ابن إبراهيم الحجاري / ٤ / ٣٤٢
- الفلاح / الوافر / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١١٢
- السماح / الوافر / أبو جعفر بن البني / ٥ / ١٥٥
- بالرياح / الوافر / ابن داود الحميري / ٧ / ٣٣٢
- للنجاح / الوافر / لسان الدين / ٨ / ١٨
- النصيح / الوافر / ابن ليون / ٧ / ١١٧
- الراح / الكامل / ابن سعيد (و ابن سهل) / ٢ / ٤٢٦
- الراح / الكامل / إدريس بن اليمان / ٥ / ٢٣
- الإيضاح / الكامل / ابن صارة / ٥ / ٢١، ٣٢
- صباح / الكامل / ابن الحاج الغرناطي / ٨ / ٢٩٩
- سلاح / الكامل / أبو عبد الله بن جزى / ٧ / ٧٧
- أفراح / الكامل / ابن مرزوق الخطيب / ٧ / ١٨٥
- جناحي / الكامل / لسان الدين / ٧ / ١٧٦
- مراح / الكامل / الفتح بن خاقان / ٨ / ٢٣٠
- مديحي / الكامل / لسان الدين / ٦ / ١٣٨
- التبريح / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٤٦
- صمادح / الكامل / ابن الحداد / ٤ / ٢٨٤
- الكاشح / الكامل / أبو جعفر الإلييري / ٩ / ٢١٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤٠

- الأقاح / مجزوء الكامل / المعتضد بن عباد / ٥ / ١٦٧
 النجاح / مجزوء الكامل / - / ٦ / ٦٦
 النجاح / مجزوء الكامل / - / ٨ / ٢٨
 براح / مجزوء الرمل / - / ٤ / ٣٦١
 نصحي / السريع / أم العلاء الحجارية / ٥ / ١٠٢
 البطاح / الخفيف / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٢٧
 الرياح / الخفيف / ابن الزقاق / ٤ / ٣٨ ، ١٦٢ ، ٢١٠ ، ٣٨٧
 الصباح / الخفيف / ابن الأبار / ٤ / ٢٥٣
 المزاح / الخفيف / - / ٤ / ٣٤٢
 جناح / الخفيف / لسان الدين / ٨ / ٢٠٠
 و افتضاح / الخفيف / أبو زكريا بن خلدون / ٨ / ٢٠٠
 الأقداح / الخفيف / ابن زمرك / ٩ / ٨٨
 الفتوح / الخفيف / أبو المكارم بن آجروم / ٨ / ٣٠٤
 فصاح / المتقارب / ابن عبدون / ٢ / ١٦٥
 الملاح / المجتث / المطرف بن عبد الرحمن / ٤ / ٣٤٦

قافية الخاء (خ)

- شيوخا / الكامل / ابن مرج الكحل / ٦ / ٤٤
 الكرخ / الطويل / ابن خميس / ٦ / ٣٠٦
 يسخو / الطويل / المتشاقري / ٧ / ٢٥٤
 يفسخ / الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٣١
 تفرخ / الطويل / المقرئ المؤلف / ٣ / ٤٠
 يضمخ / الطويل / الشاهيني / ٣ / ٤٠
 يشيخوا / مخلع البسيط / - / ٧ / ١٣٠

قافية الدال (د)

- الأسد / الطويل / أبو عامر بن شهيد / ١ / ٢٨٣
 والحسد / الطويل / حفصة بنت الحاج / ٤ / ٥٢ ، ١٠٩ / ٥
 فقد / الطويل / أبو عبد الله بن الحكيم / ٧ / ٤٣
 و قد / الطويل / - / ٧ / ٤٣
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤١
 غيد / الطويل / ابن الصباغ الغرناطي / ٧ / ٣٥٧

- أوقد / مخلع البسيط / صفوان بن إدريس / ١٣٣ / ٧
- أحد / الكامل / عائشة القرطبية / ٢٠٨ / ٥
- بالحسد / الكامل / ابن ليون / ١٠٤ / ٧
- ازدياد / مجزوء الكامل / أبو موسى بن عمران / ٣٦٣ / ٤
- تكابد / مجزوء الكامل / ابن شبرين / ٣٣٧ / ١
- بالعييد / الرمل / ابن قطرال المغربي / ٤٢ / ١
- البيعد / الرمل / - / ٢ / ٤٤٠
- الصمد / الرمل / - / ٤ / ٣١١
- جمد / الرمل / ابن حمديس (و الحجام) / ٣٦٩ / ٤
- جمد / الرمل / - / ٥ / ١٣٨
- أحد / الرمل / - / ٥ / ٣٨٩
- الكمد / الرمل / ابن ليون / ٨٧ / ٧
- كبد / الرمل / صالح بن شريف / ١٣٤ / ٧
- نهد / الرمل / المنصور الذهبي / ٢٦٧ / ٨
- فقصد / الرمل / - / ٣ / ٣٩٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٢٤١
- بد / الرمل / إمام الدين الخليلي / ٢٦٨ / ٨
- يكابد / مجزوء الرمل / ابن ليون / ٨٩ / ٧
- فؤاد / السريع / ابن جبير / ١٢ / ٣
- واد / السريع / لسان الدين / ١١٨ / ٦
- الخدود / السريع / أمه العزيز / ١٠٢ / ٥
- الخدود / السريع / ابن شرف / ٥٧ / ٥
- الجحود / السريع / قاسم العقباني / ١٠٢ / ٥
- السديد / السريع / - / ٣ / ٨٢
- الشديد / السريع / المقرئ المؤلف / ٨٩ / ٣
- مزيد / السريع / أبو الوليد الوقشي / ٧٥ / ٥، ٢٢٢
- مزيد / السريع / ابن ليون / ١٠٩ / ٧
- حاسد / المجتث / أبو جعفر بن سعيد / ١١٩ / ٥
- تصعد / المجتث / ابن زمرك / ٨٦ / ٩
- العماد / المتقارب / ابن الحاج الغرناطي / ٢٩٣ / ٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤٢
- عيد / المتقارب / ابن حذلم / ٣١٦ / ٦
- وجد / المتقارب / جابر بن خلف / ٣٠٩ / ٤

- البرد/ المتقارب/ أبو بكر عبد المعطى / ٥ / ١٦١
الندى / الطويل / المتنبي / ١ / ٢٢٨
يدا/ الطويل / أبو محمد بن عبد البر / ٢ / ١١٠
يدا/ الطويل / قسمنه / ٤ / ٣٠٧
غدا/ الطويل / ابن أبي الخصال / ٤ / ٢٥٣
برودا/ الطويل / أبو جعفر الوقشى / ٥ / ٣٦٣
طريدا/ الطويل / ابن شبرين / ١ / ١٥٠
فريدا/ الطويل / - / ٢ / ١٩٠
وردا/ الطويل / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٩٩
نجدا/ الطويل / الفتح بن خاقان / ٢ / ٣٧٣
نجدا/ الطويل / أبو الفضل البغدادى / ٣ / ٣٧٦
نجدا/ الطويل / على بن جودى / ٨ / ٢٤٩
يهدا/ الطويل / أبو الحسين الوقشى / ٥ / ٧٧
فقددا/ الطويل / - / ٨ / ١٢
الحقددا/ الطويل / المقنع الكندى / ١ / ٢٢٨
الودا/ الطويل / ابن عسكر / ٢ / ٤٦٤
العهدا/ الطويل / أبو عمران بن سعيد / ٢ / ٤٧٦
العهدا/ الطويل / - / ٥ / ١٢١
و الوجددا/ الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٤٨
فانهدا/ الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٨٣
مزبدا/ الطويل / أبو الصلت أمية / ٤ / ٢٦٥
خالدا/ الطويل / الأقرع المروانى / ٤ / ٣٥٦
و مقعدا/ الطويل / ابن زيدون / ٢ / ١٦٢
تقصدا/ الطويل / أبو عبد الله بن عبد ربه / ٢ / ٢٥٤
تصيذا/ الطويل / المتنبي / ٤ / ٣٤١
محمدا/ الطويل / أبو سعيد محمد / ٦ / ٩٠
تزودا/ الطويل / الأعشى (أو حسان) / ٨ / ٤٨
حده/ الطويل / ابن مرج الكحل / ٥ / ١٠٤
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤٣
سودا/ البسيط / - / ١ / ٣٧
تأييدا/ البسيط / عبد الحق الإشبلى / ٥ / ٥٩
يدا/ البسيط / ابن عبد ربه / ٥ / ٢٣٤
عددا/ البسيط / أبو القاسم بن جزى / ٧ / ٥٥

- رغدا/ البسيط /-/ ١١٢ /١
- وعدا/ البسيط / البحترى / ٢٣ /٣
- الشهدا/ البسيط / المشدّ / ٣٣ /٣
- غدا/ البسيط /-/ ٣٦ /٣
- نردا/ البسيط / سهل بن مالك / ٣٦٥ /٤
- بدا/ البسيط / الأعمى التطيلي / ٢٣٤ /٥
- صفدا/ البسيط /-/ ٢٤٠ /٦
- وجدا/ البسيط / ابن ليون / ٩٣ /٧
- الصفدا/ السريع / أبو جعفر ابن صاحب الصلاة / ٢٥٥ /٤
- حمده/ البسيط / ابن رشيق / ١١٢ /٣
- حميدا/ مخلع البسيط / السمسير / ٣٩٢ /٤
- اجتهاده/ مخلع البسيط / ابن جبير / ١٠٦
- الوفاده/ مخلع البسيط / أبو الفضل بن شرف / ١٩٥ /٤
- سادا/ الوافر / أبو جعفر بن الزيات / ٢٥٣ /٥
- حدادا/ الوافر / السمسير / ١١٠ /٤
- العبادا/ الوافر / ابن هردوس / ١٣٠ /٥
- الموده/ الوافر / ابن ليون / ٩٠ /٧
- سعودا/ الكامل /-/ ٤٣ /١
- قدودا/ الكامل / ابن البين البطليوسي / ٢٠٢ /٤ ، ٢٤١
- عمودا/ الكامل / أبو تمام / ٩٧ /٨
- وعودا/ الكامل / المنصور الذهبي / ٢٦٧ /٨
- واحدا/ الكامل / الياس بن المدور / ٣٠٥ /٤
- شاهدا/ الكامل /-/ ٦ /٨
- الندی / الكامل / الرصافي البلنسي / ٤٥٢ /٢
- الندی / الكامل / أبو الحسن بن لسان الدين / ١٥٦ /٥
- المدى / الكامل / ابن الغماز / ٢٣٤ /٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤٤
- خدا/ الكامل / ابن الأبار / ١٩٣ /٣
- الرشدا/ الكامل / ابن ليون / ١٢٦ /٧
- المقصد/ الكامل /-/ ٥١ /١
- مهندا/ الكامل / سعد الدين بن عربي / ٣١٤ /٢
- فرقدا/ الكامل / ابن خفاجة / ٢٧١ /٤
- مغمدا/ الكامل / المعتمد بن عباد / ٣٧٠ /٤

- خده/ الكامل / أبو الفضل بن الأعلم / ٤ / ٤٠٢ ، ٥ / ٢٢
 خدها/ الكامل / ابن برد / ٤ / ٣٢٠
 بردا/ مجزوء الكامل / المهذب بن الزبير / ٣ / ١٩
 أحمدا/ مجزوء الكامل / ابن زمرك / ٩ / ٨٣
 تالده/ مجزوء الكامل / - / ٣ / ٢٦٠
 الموده/ مجزوء الكامل / ابن ليون / ٧ / ١٠١
 ورودها/ مجزوء الكامل / محمد بن حرب / ٤ / ٣٨٤
 عده/ الهزج / المعتضد بن عباد / ٥ / ١٦٧
 غدا/ الرمل / أبو جعفر الإليبري / ٩ / ١٩١
 جمدا/ الرمل / ابن مالك الرعيني / ١ / ١٤٩
 جلدا/ الرمل / لسان الدين / ٨ / ١٦١
 زندا/ الرمل / أبو عامر بن شهيد / ٤ / ١٦٤ ، ٣٣٣
 للردا/ الرمل / أبو عامر بن شهيد / ٧ / ١٣٢
 الردى/ الرمل / ابن ليون / ٧ / ١١٦
 السعاده/ مجزوء الرمل / ابن زمرك / ٩ / ٨٦
 بروده/ مجزوء الرمل / اللص (و ابن سعيد) / ٥ / ١٢٨
 الندى/ السريع / أبو الصلت أمية / ٢ / ٢٦٤
 أسعدا/ السريع / ابن ليون / ٧ / ١١٥
 صعده/ السريع / أبو الوليد الوقشي / ٥ / ٧٥
 وده/ السريع / ابن ليون / ٧ / ٩٤
 وغدا/ المنسرح / أبو زكريا بن هذيل / ٧ / ٣٦
 سودا/ الخفيف / ابن جابر / ٩ / ١٩٤
 عبيدا/ الخفيف / أحمد بن عباس / ٤ / ٣١١
 و بعدا/ الخفيف / المقرئ المؤلف / ١ / ٩٩
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤٥
 و وجدا/ الخفيف / الخطيب الموصلي / ١ / ٣٥
 ودا/ الخفيف / أخيل الرندي / ٥ / ١٣١
 خدا/ الخفيف / ابن الأبار / ٣ / ١٩٣
 تتمادى / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ١١٣
 المياده/ الخفيف / - / ١ / ٤٠
 رقاده/ الخفيف / سعد الدين بن عربي / ٢ / ٣١٣
 الإراده/ الخفيف / محمد بن سالم القيسي / ٥ / ٦٩
 واعتقاده/ الخفيف / المعتضد بن عباد / ٥ / ١٦٧

- العباده/ الخفيف/ لسان الدين / ٨ / ١٨٩
- لفائدة/ مجزوء الخفيف/ الأمير عبد الله / ١ / ٢٧٦
- وافده/ مجزوء الخفيف/ ابن زيدون / ٥ / ١٨٩
- عقدا/ المجتث/ ابن خفاجة / ٢ / ١٧٥
- خدا/ المجتث/ اللص (و ابن سعيد) / ٥ / ١٢٦
- رفده/ المجتث/ حفصة بنت الحاج / ٥ / ١٠٤
- بليدا/ المتقارب / - / ١ / ٧٩
- أبعدا/ المتقارب/ المصحفي / ٢ / ١٠٧
- أو كدا/ المتقارب/ ابن زيدون / ٥ / ٤٣
- زاد/ الطويل / ابن منذر الأشبوني / ٤ / ٢٤٦
- صدود/ الطويل / ابن قلاقس / ١ / ٧٧
- هجود/ الطويل / ابن هانيء / ٤ / ٤١٢
- جنود/ الطويل / الحميدى / ٥ / ٢٤٨
- يزيد/ الطويل / الحميدى / ٥ / ٢٤٨
- و فريد/ الطويل / الفكيك / ٣ / ٣٧٩
- فيجيد/ الطويل / أبو عامر بن شهيد / ٤ / ١٦٦
- و تعيد/ الطويل / عمرو بن مذحج / ٤ / ٢٥٧
- عديد/ الطويل / ابن وزير الشلبي / ٥ / ٢٨٤، ٣٥٣
- بعيد/ الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٨٤
- واحد/ الطويل / عبد الله بن عيسى الشلبي / ٢ / ٣٧١
- جاحد/ الطويل / - / ١ / ٢٥١
- واحد/ الطويل / أبو بكر البنى / ٣ / ١١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤٦
- العهد/ الطويل / أبو بكر المحزومي / ١ / ١٣٦
- العهد/ الطويل / - / ١ / ١٤٩
- أو نجد/ الطويل / أبو عمران بن الفلاس / ١ / ١٥٦
- العقد/ الطويل / المتنبى / ٢ / ٤٧٨
- نجد/ الطويل / سالم بن محمد / ٣ / ٣٤٠
- الخد/ الطويل / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٤٧
- شدوا/ الطويل / الحطيئة / ٥ / ٤٢٥
- جند/ الطويل / أبو زكريا بن هذيل / ٧ / ٣٥
- الوجد/ الطويل / أبو الحسن القيجاطي / ٧ / ٤٩
- حدّ/ الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٨٠

- مسجد/ الطويل /- / ٢٧٣ /١
- أسعد/ الطويل / أبو بكر بن طفيل / ١١٧ / ٢
- و تسعد/ الطويل / الراعى الغرناطى / ٢٧٩ / ٣
- يحصد/ الطويل / ابن الجزار البطرني / ٢١٠ ، ٢٦٩ / ٤
- و يبرد/ الطويل / ابن سهل / ٣٠١ / ٤
- يقصد/ الطويل / المنذر بن عبد الرحمن / ٣٤٥ / ٤
- مسعد/ الطويل / ابن رضوان / ٢٢٥ / ٧
- يبعد/ الطويل / المنصور الذهبي / ٢٦٤ / ٨
- يتفقد/ الطويل / ابن الفخار اليهودى / ٣٠٤ / ٤
- مبدد/ الطويل / ابن فرج الجيانى / ٤١٥ / ٤
- تبعد/ الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ١١٦ / ٥
- يفند/ الطويل / أبو البركات بن الحاج / ٢٢ / ٧
- تعدد/ الطويل /- / ٣٩٠ / ٥
- استجده/ الطويل / المتنبى / ١١١ / ٢
- قاصده/ الطويل / أبو حيان / ١٦٣ / ٣
- اجتهاده/ الطويل /- / ٢٨٢ / ٧
- عقودها/ الطويل / ابن جابر / ١٩٣ / ٩
- البعاد/ البسيط /- / ٩٠ / ١
- هجود/ البسيط / أبو عامر بن شهيد / ١٣٨ / ٢
- محسود/ البسيط / المتنبى / ٨٠ / ٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤٧
- البلد/ البسيط / منذر بن سعيد البلوطى / ٢٩١ / ١
- ما تجد/ البسيط / أبو حيان / ١٧٧ / ٣
- يجد/ البسيط / صفوان بن إدريس / ٦٢ / ٦
- العدد/ البسيط / ابن السماك / ١٣٠ / ٤
- أجد/ البسيط / زينب المريئة / ٢٠٥ / ٥
- ترد/ البسيط / ابن ليون / ٨٢ / ٧
- تتقد/ البسيط / غالب الحجام / ٢١٢
- تتقد/ البسيط / ابن حامد (و صفوان) / ٦١ / ٦
- فرائده/ البسيط /- / ٢٩ / ٤
- البعاد/ مخلع البسيط /- / ٤٦ / ٥
- معاد/ مخلع البسيط /- / ٩٦ / ٦
- مزيد/ مخلع البسيط / أبو جعفر الإلبيرى / ٢٦٥ / ٣

- رشاد/ الوافر/ أبو حيان/ ٣/ ١٧٥
- زاد/ الوافر/ أبو وهب القرطبي/ ٤/ ٥٧
- الجياد/ الوافر/ أبو بكر القرشي/ ٦/ ٣٧٥
- شهود/ الوافر/ -/ ١/ ٣٣٨
- السعود/ الوافر/ ابن بقى/ ٢/ ١٦
- فريد/ الوافر/ ابن عمار/ ٤/ ١٤٠
- يحيى/ الوافر/ ابن صارة/ ٤/ ٣٣٧
- العبيد/ الوافر/ جرير/ ٥/ ١٢٣
- تزيد/ الوافر/ عائشة القرطبية/ ٥/ ٢٠٨
- تردّ/ الوافر/ ابن مطروح جمال الدين/ ١/ ٦٤
- و الملدّ/ الوافر/ ابن ليون/ ٧/ ١١٢، ١٢٦
- الأشهاد/ الكامل/ أبو عامر بن مسلمة/ ٤/ ٣١٨
- وقاد/ الكامل/ لسان الدين/ ٨/ ١٠٤
- فاسد/ الكامل/ -/ ١/ ٢٤٠
- حائد/ الكامل/ ابن الرومي/ ١/ ٢٤٠
- الجائد/ الكامل/ جهور بن عبيد الله/ ١/ ٢٤٠
- زائد/ الكامل/ لسان الدين/ ٨/ ١٧٨
- جاحد/ الكامل/ لسان الدين/ ٨/ ١٦٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤٨
- وعد/ الكامل/ -/ ٦/ ١٣٧
- يتجلّد/ الكامل/ بهاد الدين السنجاري/ ١/ ٨٥
- و تبلد/ الكامل/ أبو الوليد الباجي/ ٢/ ٢٣٨
- ينتقد/ الكامل/ الغزال/ ٢/ ٣٨٢
- يبعد/ الكامل/ أبو الحسن بن سعيد/ ٢/ ٤٣٢
- يتأود/ الكامل/ أبو الحسن بن سعيد/ ٢/ ٤٣٦
- تغزّد/ الكامل/ أبو الحسن بن سعيد/ ٢/ ٤٦٣
- و أقعد/ الكامل/ ابن وضاح/ ٤/ ٣٧
- يخدد/ الكامل/ ابن مهلهل الجلياني/ ٤/ ٢٨٦
- و يحمد/ الكامل/ أبو زيد الفازازي/ ٥/ ٦٣
- يغمد/ الكامل/ علي بن الجهم/ ٥/ ١٢٠
- يعقد/ الكامل/ النابغة الذبياني/ ٦/ ٢٠٣
- تتوقد/ الكامل/ أبو البركات القميحي/ ٥/ ٦٣
- المورد/ الكامل/ أبو محمد المصري/ ٢/ ٥٩

- الفرقد/ الكامل/ لسان الدين / ٨ / ١٩٣
- استطراد/ الكامل/ ابن زيدون / ٥ / ٤٣
- سعوده/ الكامل/ ابن الجياب / ٦ / ٣٦٨
- و قعوده/ الكامل/ لسان الدين / ٨ / ١٩٠
- قدّه/ الكامل/ ابن حصن الجزيري / ٥ / ١٦
- الفؤاد/ مجزوء الكامل/ ابن زيدون / ٤ / ١٠١
- لا يفيد/ مجزوء الكامل/ ابن شبرين / ٧ / ٣٥٠
- جسده/ الرمل / ابن مجبر / ٤ / ٦٩
- الزاهد/ السريع/ سعد الدين بن عربي / ٢ / ٣١٣
- أحمد/ السريع/ والد الشهاب التلعفري / ٢ / ٤١٦
- ينفذ/ السريع/ ابن جابر / ٣ / ٢٦٨
- يحقد/ السريع/ ابن ليون / ٧ / ١٢٧
- جلمود/ المنسرح/ أبو الصلت أمية / ٤ / ٢٦٤
- أحد/ المنسرح/ منذر بن سعيد البلوطي / ١ / ٢٩١
- أجد/ المنسرح/ أبو جعفر اللمائي / ٤ / ٣٦١
- تجدوا/ المنسرح/ أبو جعفر الإلييري / ٩ / ٢١١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤٩
- الأسد/ المنسرح/ المعتمد (و ابن حمديس) / ٤ / ٣٧٨، ٥ / ١٩٢
- الضرد/ المنسرح/ ابن باجة / ٨ / ٢٢٠
- جواد/ الخفيف/ مطرف الغرناطي / ٣ / ٢٠٧
- أجباد/ الخفيف/ عبد الله بن أبي الحداد / ٥ / ٦
- شديد/ الخفيف/ أبو جعفر الإلييري / ٣ / ٢٦٤
- سعيد/ الخفيف/ أحمد بن عبد الرحمن الناصر / ٤ / ٣٥٥
- بييد/ الخفيف/ ابن صابر المنجنيقي / ٦ / ١٢٧
- و ثمود/ الخفيف / - / ٦ / ١٢٨
- و ودّ/ الخفيف/ أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١٢٣
- المستعد/ الخفيف / - / ١ / ١١٣
- بدّ/ الخفيف/ محمد بن أبي الفضل / ٤ / ١٩٦
- جديد/ المجتث/ ابن عبد ربه / ١ / ٢٧٧
- مزيد/ المجتث / - / ٢ / ٤٧٣
- الهدهد/ المتقارب/ الفكيك / ٣ / ٣٧٩
- الوادي/ الطويل/ أبو جعفر الإلييري / ٣ / ٢٦٤
- عباد/ الطويل/ ابن عبدون / ٥ / ١٥١

- ودادى / الطويل / ابن جابر / ٩ / ٢٠٠
- بعمادى / الطويل / - / ١ / ٥١
- بمرادى / الطويل / على بن الفضل / ١ / ٨٧
- المحامد / الطويل / قاسم بن محمد الحرالى / ٧ / ٢٤٨
- حاسد / الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٠٣
- شاهدى / الطويل / ابن سعد الكلشنى / ٣ / ٦٧
- واحد / الطويل / ابن عيسى الشلبى / ٣ / ٢٤١
- خالد / الطويل / أبو إسحاق الإلبيرى / ٥ / ٥٥
- لحاسد / الطويل / الكتندى / ٥ / ١٠٦
- و قلائد / الطويل / ابن بهلول السرقسطى / ٢ / ٢٦٤
- الفوائد / الطويل / أبو فراس الحمدانى / ٨ / ٣٢
- الندى / الطويل / أحمد بن برد / ٤ / ١١٢، ٣٢٠
- الردى / الطويل / - / ٦ / ١٦١، ٢١٩
- بدّ / الطويل / - / ١ / ٢٤١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٥٠
- مجد / الطويل / ابن السيد البطليوسى / ٢ / ١٤٥
- الورد / الطويل / ابن خفاجة / ٢ / ١٧٨
- الورد / الطويل / ابن جابر / ٩ / ١٥١
- و البعد / الطويل / أبو عبد الله القيجاطى / ٢ / ٣٦٥
- بالبعد / الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٣٩١
- و المجد / الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٣٦
- لمستعدى / الطويل / أبو جعفر الإلبيرى / ٣ / ٢٧٢
- كالعقد / الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٥٦
- ورد / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٥٨
- قصد / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٦٠
- المهدى / الطويل / - / ٤ / ٢٤٨
- الوجد / الطويل / أبو الصلت أمية / ٤ / ٢٦٤
- ندّ / الطويل / الرصافى (و الكتندى) / ٤ / ٢٩٢
- الودّ / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ٤ / ٢٩٣
- السعد / الطويل / ابن الصابونى / ٤ / ٣٠٢
- الرعد / الطويل / ابن سهل / ٤ / ٢٩٦
- جهد / الطويل / أبو العلاء بن أزرق / ٤ / ٣٤٢
- و الجدّ / الطويل / أبو يزيد بن العاصى / ٤ / ٣٦٠

- العقد/ الطويل / أبو الحكم بن غلندة/ ٣٦٣ / ٤
- و بالحمد/ الطويل / أبو الحسن بن أضحى / ٩٧ / ٥
- برد/ الطويل / الداني / ١٧٩ / ٥
- الرغد/ الطويل / صفوان بن إدريس / ٥٥ / ٦
- العهد/ الطويل / أبو البركات بن الحاج / ٢٥ / ٧
- بعد/ الطويل / لسان الدين / ١٥١ / ٧
- الردّ/ الطويل / لسان الدين / ٢٠٤ / ٧
- المجدد/ الطويل / لسان الدين / ١٦١ / ٨
- الرفد/ الطويل / ابن راجح / ٢٠٣ / ٧
- وعد/ الطويل / ابن زمرك / ٨٥ / ٩
- وعد/ الطويل / ابن زمرك / ٩٤ / ٩
- و السعد/ الطويل / ابن زمرك / ٩٥ / ٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٥١
- نجد/ الطويل / ابن جابر / ٢٠٩ / ٩
- يجدى/ الطويل / أبو الربيع بن سالم / ٣٦١ / ٥
- ما عندي/ الطويل / - / ١١١ / ١
- و عسجد/ الطويل / دحية البلوى / ٨٢ / ٢
- المسدّد/ الطويل / الشاهيني / ٣٩ / ٣
- و عسجد/ الطويل / - / ٣٢٨ / ٣
- مقيّد/ الطويل / ابن غصن / ١٦٩ / ٤
- و مولدى/ الطويل / ابن عبادة / ٢٠٨ / ٤
- موقد/ الطويل / ابن سهل / ٣٠١ / ٤
- أغيد/ الطويل / المعتمد بن عباد / ١٥٢ / ٥
- مرفد/ الطويل / ابن الأكلحل / ٢١٥ / ٧
- مولدى/ الطويل / ابن زمرك / ١٧ / ٩
- المردّد/ الطويل / ابن زمرك / ٩٠ / ٩
- مشهد/ الطويل / ابن جابر / ٢٠١ / ٩
- و تغتدى/ الطويل / على بن الفضل / ٨٧ / ١
- اهتدى/ الطويل / - / ٣٠١ / ٤
- عباد/ الطويل / أبى الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي / ١٥١ / ٥
- و يغتدى/ الطويل / على بن الفضل / ٣٩٠ / ٣
- يهتدى/ الطويل / المقرئ المؤلف / ٤٠ / ٣
- أهتدى/ الطويل / ابن سهل / ٦٩ / ٥

معتدى / البسيط / صفوان بن إدريس / ٦٢ / ٦

بشهادة / الطويل / ابن جبير / ١٠٦ / ٣

خده / الطويل / ابن زمرك / ٣٣ / ٩

وعده / الطويل / ابن زمرك / ٨٥ / ٩

بادى / البسيط / ابن عبدون / ١٥١ / ٥

الوادى / البسيط / أبو الصلت أمية / ٣٦ / ٢

و الحادى / البسيط / أبو الصلت أمية / ٢٦٤ / ٢

ميعاد / البسيط / - / ٣٦ / ٢

إيقاد / البسيط / الراضى بن المعتمد / ٣٢ / ٤، ١٧٤ / ٥

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٥٢

و إبعاد / البسيط / عبد الله الحجارى / ٣٤٠ / ٤

و إبعاد / البسيط / أبو عبد الله بن الجنان / ٢٥٨ / ٩

آساد / البسيط / المعتمد بن عباد / ١٩٥ / ٥

لرؤاد / البسيط / حسانة التميمية / ١٠١ / ٥

عتاد / البسيط / ابن اللبانه / ١٤١ / ٥

و الرود / البسيط / أبو حيان / ١٧٢ / ٣

العود / البسيط / لسان الدين / ١٦٨ / ٨

محدود / البسيط / لسان الدين / ١٦٨ / ٨

الغيد / البسيط / أبو حيان / ١٧٥ / ٣

غد / البسيط / عبد الرحمن بن عبد الملك / ٢٢٦ / ٧

أحد / البسيط / ابن عربى الصوفى / ٣١٥ / ٢

أحد / البسيط / ابن عبد ربه / ٣٨٩ / ٣، ٢٤٢ / ٨

و الأحد / البسيط / ابن عبد ربه / ٩٨ / ٦

الجلد / البسيط / بكار المروانى / ١٤٨ / ٤

و الجلد / البسيط / أبو الحسن بن أضحى / ٩٩ / ٥

ولد / البسيط / الرضى الشاطبى / ٩ / ٣

و الولد / البسيط / عبد الحق القرطبى / ١٣٠ / ٤

بعد / البسيط / ابن الدباج الإشبلى / ٢٦٣ / ٤

و العدد / البسيط / أبو جعفر بن سعيد / ٢٩٥ / ٤

بالبرد / البسيط / الوأواء الدمشقى / ٣٦٤ / ٤

جسدى / البسيط / ابن الملح / ١٩ / ٥

الأبد / البسيط / النابغة الذبيانى / ٣٩ / ٥

الأحد / البسيط / نزهون الغرناطية / ٢١٥ / ٥

- خلدى / البسيط / أبو عبد الله بن جزى / ٧٠ / ٧
 تسد / البسيط / ابن ليون / ٨٣ / ٧
 الحسد / البسيط / ابن ليون / ٨٩ / ٧
 الكبد / البسيط / محمد المكودى / ٢٠٨ / ٧
 بلدى / البسيط / لسان الدين / ٢٢٦ / ٧
 و الرشده / البسيط / لسان الدين / ١٦٥ / ٨
 الأسد / البسيط / لسان الدين / ١٩٦ / ٨
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٥٣
 ولد / البسيط / - / ١٢ / ٨
 الجسد / البسيط / ابن عبد ربه / ٢٤٣ / ٨
 و معتمد / البسيط / ابن رشيق القيروانى / ١ / ١٧٦، ٥ / ١٧٨
 متند / البسيط / ابن عيشون / ٣ / ١١٠
 ذا ولد / البسيط / سهل بن مالك / ٢ / ٢٦٦
 يا ولدى / البسيط / ابن الأزرق الغرناطى / ٣ / ٢٨٦
 كبدك / البسيط / الرمادى / ٤ / ٢٣٢
 كمده / البسيط / ابن ليون / ٧ / ٩٦
 القروود / مخلع البسيط / ابن عتبة الإشبلى / ٣ / ٢٥٢
 بعيد / مخلع البسيط / - / ٨ / ٢٦٢
 بعيد / مخلع البسيط / السلطان المنصور / ٨ / ٢٦٢
 الجهاد / مخلع البسيط / أحمد بن طلحة / ٤ / ٢٧١
 بعاد / مخلع البسيط / صفوان بن إدريس / ٦ / ٥٢
 السواد / مخلع البسيط / ابن مرج الكحل / ٦ / ٥٢
 بادی / الوافر / أبو الحسن الهمدانى / ١ / ٨٨
 الفؤاد / الوافر / - / ١ / ١٥٢
 البلاد / الوافر / ابن الزقاق / ١ / ٩٣
 البوادى / الوافر / يوسف بن رماح / ٣ / ١٨٥
 المداد / الوافر / أبو محمد البياسى / ٣ / ٢٤٠
 المداد / الوافر / لسان الدين / ٨ / ١٦٦
 المداد / الوافر / - / ٣ / ٢٤٠
 رماد / الوافر / - / ٤ / ٣١
 البعاد / الوافر / ابن أيوب المرسى / ٤ / ١٢٢
 الرقاد / الوافر / ابن فرج الجيانى / ٤ / ٢٢٩، ٤١٦
 بالبعاد / الوافر / أبو الصلت أمية / ٤ / ٢٦٤

- الجهاد/ الوافر/ ابن عبد الحمى البرجى / ٥٢ / ٥
- بوادى/ الوافر/ حمدة بنت زياد / ٢٠٦ / ٥
- للمعاد/ الوافر/ أبو بكر بن جبير / ٢٥٧ / ٥
- الصدود/ الوافر/ أبو عامر بن شهيد / ٢٩٧ / ١
- الصدود/ الوافر/ أحمد المروانى / ٣٥٩ / ٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٥٤
- الخلود/ الوافر/ إسحاق بن المنادى / ٣٨٥ / ٤
- الوجود/ الوافر/ أبو عبد الله الشوذى / ٢١٤ / ٦
- بعيد/ الوافر/ - / ٤٤٥ / ٢
- عيد/ الوافر/ المتوكل البطلوسى / ٢٣٧ / ٤
- جيدى/ الوافر/ - / ١١٠ / ٥
- عندى/ الوافر/ مالك بن سعيد / ٢٩١ / ٤
- تعدي/ الوافر/ - / ١٠٦ / ٥
- بالأعواد/ الكامل/ - / ٢٨ / ١
- الأجباد/ الكامل/ بثينة بنت المعتمد / ٢٠٣ / ٥
- رماد/ الكامل/ ابن صارة / ٢٠٣ / ٢
- ميعاد/ الكامل/ أبو بكر بن العربى / ٢٠٣ / ٢
- المياد/ الكامل/ ابن الزقاق / ٢١١ / ٤
- المياد/ الكامل/ ابن عياض القرطبى / ٣٦ / ٥
- و النادى/ الكامل/ أبو عمرو بن أبى محمد / ٢٣٥ / ٤
- عوادى/ الكامل/ أبو بحر بن عبد الصمد / ١٥٠ / ٥، ١٨١ / ٦
- للوادى/ الكامل/ ابن جاح الصباغ / ١٦٧ / ٥
- رقادى/ الكامل/ ابن جاح الصباغ / ١٦٨ / ٥
- مراد/ الكامل/ - / ٢١٤ / ٦
- ودادى/ الكامل/ لسان الدين / ١٦٩ / ٨
- فؤادى/ الكامل/ لسان الدين / ١٦٧ / ٨
- فؤادى/ الكامل/ ابن جابر / ١٥٢ / ٩
- بالأجساد/ الكامل/ ابن العريف / ٣١١ / ٩
- مقصود/ الكامل/ أبو سعيد محمد / ٩٠ / ٦
- مفيد/ الكامل/ ابن عبد الظاهر / ١٤٩ / ٣
- مريد/ الكامل/ لسان الدين / ٣١٥ / ٧
- صاعد/ الكامل/ صاعد / ٣٥٩ / ٣
- غد/ الكامل/ - / ٢٣ / ٧

- الجدّ / الكامل / ابن حذلم / ٣١٦ / ٦
- الوجد / الكامل / ابن خلدون / ٢٨٨ / ٧
- أرمد / الكامل / الكمال التنوخي / ٨٥ / ١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٥٥
- أحمد / الكامل / محمد بن علي الغرناطي / ٢٥٠ / ٣
- يعهد / الكامل / ابن ظافر / ٨٠ / ٤
- موردى / الكامل / أبو عبد الله بن جزى / ٧٧ / ٧
- ترشد / الكامل / ابن ليون / ١٢٣ / ٧
- مزبد / الكامل / الحارث بن هشام / ٢٨٤ / ٧
- اقعدى / الكامل / ابن جابر / ١٨٢ / ٩
- محسّد / الكامل / المقرئ المؤلف / ١٠٥ / ١
- مغرّد / الكامل / (أندلسي) / ٦٢ / ٢
- بالإثم / الكامل / ابن الشقاق / ٨٨ / ٤
- بمخلد / الكامل / محمد بن علي الشاطبي / ٦ / ٣
- السيد / الكامل / المهيريس / ٢٢٤ / ٤
- زبرجد / الكامل / التنوّ / ٣٦٣ / ٧
- ممهد / الكامل / - / ٢٧٤ / ٧
- محمد / الكامل / ابن زمرك / ٨٧ / ٩
- محمد / الكامل / سعد بن محمد / ٣١٦ / ٩
- بصائده / الكامل / أبو بكر بن يوسف / ٢٤٩ / ٤
- جدّه / الكامل / المستنصر / ٤٤٢ / ٢
- بعده / الكامل / - / ٤٦٣ / ٢
- وعده / الكامل / ابن جابر / ٢٦٦ / ٣
- وعده / الكامل / ابن زهر / ٢٣٩ / ٨
- بوعده / الكامل / أبو الوليد بن حزم / ٢٣٩ / ٨
- عقده / الكامل / ابن جابر / ٢٥٦ / ٣
- وده / الكامل / ابن خفاجة / ٥٠ / ٥
- برده / الكامل / ابن الزقاق / ٢١٦ / ٥
- أملودها / الكامل / ابن الزقاق / ٢١١ / ٤
- تنضيدها / الكامل / - / ٧٥ / ٣
- خدها / الكامل / أبو حفص بن برد / ٣٢٠ / ٤
- الأيادي / مجزوء الكامل / ابن جابر / ٢٧٣ / ٣
- بسعد / مجزوء الكامل / أبو بكر الطرطوشي و الوأواء / ٢٤٨ / ٢

- الوادي / الهزج / أبو بكر بن المنخل / ٢٩٨ / ٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٥٦
- الهاجد / الرمل / أبو المطرف بن عميرة / ٢٤٣ / ١
- البلد / الرمل / ابن بشير / ٢٩٥ / ٢
- الولد / الرمل / أبو حيان النفزي / ١٧٥ / ٣
- بالكمد / الرمل / لسان الدين / ١٧٠ / ٨، ١٤٩ / ٩
- الأنكد / الرمل / رفيع الدولة بن صمادح / ١٧٣ / ٤
- الأسعد / الرمل / ابن مطروح / ١٧٣ / ٤
- العسجد / الرمل / ابن خاتمة / ١٦٣ / ٧
- عبد الصمد / الرمل / الكساد / ١١ / ٥، ٦٩
- بصدي / الرمل / المستظهر / ٣٣٧ / ١، ٢٩ / ٢
- و خذ / الرمل / أبو الحسن بن سعيد / ٣٩٢ / ٢
- لعبدك / الرمل / أبو الصلت أمية / ٢٦٣ / ٤
- صدّه / الرمل / أبو عامر السالمي / ١٠٨ / ٤
- فادي / السريع / بعض بني عبد المؤمن / ٣٧٢ / ٣
- عيد / السريع / ابن جابر / ١٩٣ / ٩
- واحد / السريع / أبو نواس / ٧١ / ٣
- صاعد / السريع / ابن خفاجة / ٥٠ / ٥
- مشهد / السريع / ابن عربي الصوفى / ٣٢٥ / ٢
- المجدد / السريع / أبو الحسن بن سعيد / ٤٦٤ / ٢
- الوجد / السريع / أبو الحسن بن سعيد / ١٣٢ / ٤
- العهد / السريع / ابن خفاجة / ١٣٣ / ٤
- و الورد / السريع / ابن شعبة الوادي آشى / ٢٨٢ / ٤
- النقد / السريع / ابن سهل / ٣٠٣ / ٤
- ودّ / السريع / عقيل بن عطية / ١٥٧ / ٦
- و ودّ / السريع / ابن ليون / ٩٢ / ٧
- العقد / السريع / أبو عبد الله بن جزى / ٧٤ / ٧
- معتاد / السريع / عبد الله الحجاري / ٣٤١ / ٤
- عبدّه / السريع / أبو الفضل البغدادي / ٣٧٦ / ٣
- خذّه / السريع / الرمادي / ٢٢ / ٥
- عهده / السريع / ابن ليون / ٩٧ / ٧
- ردّه / السريع / محمد بن عبد الملك المراكشي / ٢٠٨ / ٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٥٧

- الخلد/ المنسرح/ ابن السيد البطليوسي / ١٤٤ / ٢
- ما ورد/ المنسرح/ ابن عائشة/ ٩٢ / ٥
- الغيد/ المنسرح/ ابن وهبون / ١٥٤ / ٢
- ويده/ المنسرح/ ابن جابر / ٢٦٩ / ٣
- قده/ المنسرح/ أبو بكر بن مجبر / ٣٤ / ٥
- عبده/ المنسرح/ صفوان بن إدريس / ٣٣ / ٥
- عباد/ الخفيف/ -/ ٢٧٧ / ٥
- فؤادى/ الخفيف/ لسان الدين / ١٦٠ / ٨
- فؤادى/ الخفيف/ ابن جابر / ٢٠٩ / ٩
- الجياد/ الخفيف/ محمد بن يوسف الثغرى / ٣٠٢ / ٨
- الوداد/ الخفيف/ السلطان أبو عنان / ٣٠٢ / ٨
- الجياد/ الخفيف/ محمد بن يوسف الثغرى / ٣٠٢ / ٨
- و تلادى/ الخفيف/ أبو حيان / ١٨٦ / ٣
- بالإسعاد/ الخفيف/ المعرى / ٩١ / ٥
- و عقود/ الخفيف/ -/ ٣٣ / ١
- الخلود/ الخفيف/ المتنبى / ١٩٢ / ٣
- الوجود/ الخفيف/ ابن الجياب / ٣٨١ / ٦
- الوجود/ الخفيف/ ابن أبي المجد / ٣٨١ / ٦
- الوعود/ الخفيف/ ابن زمرك / ٩٣ / ٩
- السعيد/ الخفيف/ الرعيني الغرناطى / ٥٥ / ١
- سعيد/ الخفيف/ شرف الدين التيفاشى / ٤٤٤ / ٢
- الجديد/ الخفيف/ البحرى / ٨٠ / ١
- عميد/ الخفيف/ أبو جعفر الإلبيرى / ٢١٥ / ٩
- وجدى/ الخفيف/ أبو عبد الله بن الحكيم / ٢١٨ / ٣
- لنجد/ الخفيف/ ابن جابر / ٢٥٧ / ٣
- بنجد/ الخفيف/ ابن جابر / ٢١٠ / ٩
- انفرادك/ الخفيف/ المعتمد بن عباد / ٣٨ / ٥
- وداده/ الخفيف/ ابن ليون / ١٠٥ / ٧
- رشاده/ الخفيف/ أبو عبد الله الجليانى / ٢٥٧ / ٧
- مرادى/ المجتث/ أبو جعفر بن سعيد / ١١٤ / ٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٥٨
- عود/ المجتث/ أحمد بن سليمان الأموى / ٣٥٥ / ٤
- شديد/ المجتث/ ابن الإمام / ١٤٦ / ٤

- بحدّ / المجتث / المقرئ المؤلف / ١ / ٦٥
 و صدّ / المجتث / ابن عمار (و ابن جاخ) / ٤ / ٣٧١
 خدك / المجتث / أبو عامر بن الفرّج / ٤ / ٢٠٦
 خدك / المجتث / أبو الفرّج الوزير / ٤ / ٣١٧
 و اعتقاده / المجتث / ابن ليون / ٧ / ١٢٢
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٢٥٨
 بجده / المجتث / ابن خروف القيسي / ٤ / ٢٤٩
 الحداد / المتقارب / أبو الحسن بن الحاج / ٥ / ٤٧
 القيود / المتقارب / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٤١
 الزائد / المتقارب / ابن الأبرش / ٤ / ٢٤٥
 يدى / المتقارب / ابن جاخ البطليوسى / ٤ / ٢٤٠
 و أقصد / المتقارب / ابن الرومى / ٢ / ٢٠٥
 ازدد / المتقارب / ابن الديوانى / ٤ / ٢١٩
 ترقد / المتقارب / اللص / ٥ / ٥٥
 زندى / المتقارب / الصدر الخجندى / ٣ / ١٣
 صده / المتقارب / يحيى بن صفوان / ٤ / ١٣٨
 قصده / المتقارب / محمد بن عمر الإشبيلي / ٤ / ٢٦٠، ٥ / ٦٩
 ردّه / المتقارب / أبو بكر بن عمار / ٥ / ٢١، ٢٢٢
 بعده / المتقارب / ابن باجة (أو ابن الحداد) / ٨ / ٢٢٣

قافية الذال (ذ)

- ليوذى / الكامل / الحصرى / ٢ / ٢٩٩
 الأذى / مجزوء الكامل / ابن عقال / ٨ / ٢٤٠
 الأذى / مجزوء الكامل / الصابى / ٨ / ٢٤٠
 آخذا / مجزوء الكامل / ابن عربى / ٢ / ٣١٠
 جذاذا / الرمل / ابن هذيل الفزارى / ٤ / ٣٩١
 ما ذا / مجزوء الرمل / ابن المرخل / ٥ / ٨٢
 ملاذا / مجزوء الرمل / ابن زمرك / ٩ / ٨٤
 أفذاذا / المنسرح / عبد الملك بن شهيد / ٤ / ٨٥
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٥٩
 غذى / الطويل / حبيب / ٤ / ٢٢١
 لذيد / مخلع البسيط / سعد الدين بن عربى / ٢ / ٣١٢
 النفذ / الكامل / ابن ليون / ٧ / ١١٩

هذى / الكامل / أبو عبد الله بن عمران / ٣١٣ / ٩

كهذه / الكامل / ابن زمرك / ٧٨ / ٩

قافية الرء (ر)

حجر / الطويل / امرؤ القيس / ٢٦٣ / ١

قمر / الطويل / ابن هشام القرطبي / ١٣١ / ٤ ، ٣٥ / ٥

و الخبر / الطويل / أبو عمر بن عبد البر / ٢٣٩ / ٥

و بالكبر / الطويل / أبو الحسن بن عياش / ٢٤٠ / ٥

قصر / الطويل / أبو محمد الأزدي / ٢٢١ / ٧

نصر / الطويل / لسان الدين / ٢٢١ / ٧

اعتبر / الطويل / علي بن عبد الملك بن عياش / ٢٤٠ / ٥

الأثر / الطويل / - / ٢٢١ / ٧

الوطر / الطويل / ابن زمرك / ١٦ / ٩

أظاهر / مخلع البسيط / اللص / ١٢٥ / ٥

الجرائر / الوافر / - / ٢٥١ / ٦

الدفاتر / الكامل / الراضي بن المعتمد / ١٧٧ / ٥

و الحور / الكامل / قسمونة / ٣٠٧ / ٤

الزهر / الكامل / ابن زمرك / ١٤٨ / ٦

البشر / الكامل / ابن خلدون / ٢٠٥ / ٨

خطر / الكامل / ابن زمرك / ٧٣ / ٩

الضمير / مجزوء الكامل / ابن الحداد / ٤١٨ / ٤

فاتر / مجزوء الكامل / - / ٧٦ / ١

تامر / مجزوء الكامل / الحطيئة / ١٨٥ / ٦

العساكر / مجزوء الكامل / المعتمد بن عباد / ١٧٦ / ٥

و النظر / مجزوء الكامل / ابن خفاجة / ١٣٤ / ٤

للنظر / مجزوء الكامل / - / ٢٤٦ / ٦

بهر / مجزوء الكامل / أبو حفص بن برد (و الرمادي) / ٣٢٠ / ٤ ، ١٣٣ / ٧

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٦٠

شرّ / مجزوء الكامل / ابن ليون التجيبي / ١١٦ / ٧

تعسّر / مجزوء الكامل / - / ١٢٢ / ٨

سرور / الرمل / - / ١٨٦ / ١

لا تغور / الرمل / ابن خيرة الصباغ / ٢٦٨ / ٤

ففرّ / الرمل / أبو بكر بن عطية / ١٣٢ / ٣

- كالقمر/ الرمل / نجم الدين الطوفى / ٣ / ١٥٠
 ثمر/ الرمل / ابن جابر الضرير / ٣ / ٢٦٩
 الصّور/ الرمل / ابن زيدون / ٤ / ١٠٣
 قدر/ الرمل / - / ٦ / ٢٤١
 شر/ الرمل / ابن ليون التجيبى / ٧ / ١٠٥
 و النهار/ السريع / مطرف التجيبى / ٥ / ٢٨٢
 الديار/ السريع / ابن شريف الرندى / ٥ / ٣٧٥
 الوقار/ السريع / غانم المخزومى / ٤ / ١٩٨
 الوقار/ السريع / غانم بن الوليد / ٤ / ٣٩٨، ٧ / ١٣٥
 الوقار/ السريع / أبو البركات البلقى / ٧ / ٢٥
 احورار/ السريع / منذر بن سعيد / ٢ / ١٩٦
 المستشار/ السريع / - / ٢ / ١٩٦
 للصدور/ السريع / مهجة القرطبية / ٥ / ٢١١
 الشرور/ السريع / ابن ليون التجيبى / ٧ / ٨٨
 للقبور/ السريع / ابن ليون التجيبى / ٧ / ١١٠
 نضّر/ السريع / محمد بن عباد / ٥ / ١٦٦
 البشر/ السريع / ابن ليون التجيبى / ٧ / ٩٢
 حضر/ السريع / ابن ليون التجيبى / ٧ / ١٠٣
 تناثر/ الخفيف / المصحفى (أو ابن فرج) / ٢ / ١١٤
 و اصبر/ الخفيف / ابن ليون التجيبى / ٧ / ٩٧
 عساكر/ المجتث / ابن خلدون / ٨ / ٢٠٦
 يحشر/ المجتث / نزهون بنت القلاعى / ١ / ١٦١
 و جار/ المتقارب / ابن الشامى الغرناطى / ٢ / ٢٢٥
 الغبار/ المتقارب / ابن سعيد / ٢ / ٤٥٤
 الأوار/ المتقارب / المعتمد بن عباد / ٥ / ٢٧٢
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٦١
 بالزهر/ المتقارب / ابن شرف القيروانى / ١ / ١٣٣
 السّفر/ المتقارب / - / ١ / ١٥٧
 أغر/ المتقارب / أبو حيان / ٣ / ١٧٣
 العفر/ المتقارب / الفكيك / ٣ / ٣٨٠
 قصر/ المتقارب / الفكيك / ٤ / ٦٢
 الخبير/ المتقارب / ابن زيدون / ٤ / ١٠٥
 النظر/ المتقارب / ابن الزقاق / ٤ / ١٠٩

- للشهر / المتقارب / ابن الزقاق / ٢١١ / ٤
- البشر / المتقارب / ابن الزقاق / ٢١٥ / ٥
- كثر / المتقارب / أبو الوليد بن مسلمة / ٥٥ / ٥
- البصر / المتقارب / أبو زيد الفازازى / ٣٢٤ / ٩
- ينتظر / المتقارب / ابن الأفتس / ١٥٨ / ٢
- تنتظر / المتقارب / ابن حزم / ٣٢٦ / ٤
- تنتظر / المتقارب / لسان الدين / ١٩٨ / ٨
- سافرا / الطويل / أبو الحجاج بن أيوب الفهرى الدانى / ٨٩ / ٥، ٩١ / ١
- مجرأ / الطويل / - / ٤٧ / ١
- مجرأ / الطويل / أبو الصلت الأندلسى / ٣٦ / ٢
- شهرأ / الطويل / أبو نواس / ٦٥ / ١
- شهرأ / الطويل / ابن الفرضى / ٢٨١ / ٢
- صدرأ / الطويل / أبو الحسن بن سعيد / ٤٤٠ / ٢
- الزهرأ / الطويل / - / ٤٤٠ / ٢
- الزهرأ / الطويل / ابن جبير / ١٠٩ / ٣
- ضرأ / الطويل / ابن جبير / ١٠٧ / ٣
- العمرا / الطويل / أبو حيان / ١٦٨ / ٣
- شكرا / الطويل / أبو حيان / ١٨٥ / ٣
- الأخرى / الطويل / أبو حيان / ١٧٧ / ٣
- الأخرى / الطويل / لسان الدين / ١٩٣ / ٨
- الحرأ / الطويل / المصحفى / ٣٥٧ / ٣
- جهرأ / الطويل / شعبان الغزى / ٣٩١ / ٣
- خضرا / الطويل / ابن خفاجة / ٣٦٦ / ٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٦٢
- وكرأ / الطويل / أبو عبد الله الرصافى / ٣٨٣ / ٤
- الدهرأ / الطويل / أبو عبد الله الرصافى / ٣١ / ٥
- نثرا / الطويل / صفوان بن إدريس / ٥٣ / ٦
- الفقرا / الطويل / - / ٢٨٤ / ٦
- البشرى / الطويل / ابن الجد الفهرى / ٣٥٩ / ٧
- للكرى / الطويل / - / ٣٤ / ٨
- الأسرى / الطويل / أبو زيد الفازازى / ٣٢١ / ٩
- التفطرا / الطويل / - / ٧٧ / ١
- اشترى / الطويل / طارق / ٢١٣ / ١

- المظفرا/ الطويل / الحكم بن هشام/ ١ / ٢٧٠
- تغيرا/ الطويل / العباس الشاعر/ ١ / ٢٦٩
- و تجبرا/ الطويل / المستعين / ١ / ٣٣٢
- نورا/ الطويل / ابن بقى / ٢ / ١٥ ، ٩٩
- و منظرا/ الطويل / أبو صخر القرطبي / ٢ / ٣٨
- التنكرا/ الطويل / أيوب السهيلي المرواني / ٤ / ١٤٥
- بربرا/ الطويل / امرؤ القيس / ٤ / ٣١٥
- قصرا/ الطويل / - / ٦ / ١٣٧
- تصدرا/ الطويل / - / ٦ / ١٦١
- بلورا/ الطويل / ابن ظافر الأزدي / ٤ / ٣٧٠ ، ١٣٩ / ٥
- ضورره/ الطويل / لسان الدين / ٧ / ٣١٠
- غررا/ المديد/ ابن الرومي / ٦ / ٢٩٧
- و أشجارا/ البسيط / أبو الروح التاكرني / ٣ / ٢٠٥
- أشفارا/ البسيط / غالب الحجام / ٤ / ٢١٢
- أنوارا/ البسيط / أبو عبد الله بن الحداد / ٤ / ٤١٨
- مأسورا/ البسيط / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٩٤
- مذكورا/ البسيط / عبد الملك بن حبيب السلمى / ٢ / ١٨٤
- خنازيرا/ البسيط / المعتمد بن عباد / ٥ / ٥٩
- يرى / البسيط / ابن ليون التحيبي / ٧ / ٩٥
- حضرا/ البسيط / - / ١ / ٩٩
- الأزرا/ البسيط / أبو على القالى / ٢ / ٢٣٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٦٣
- كثرا/ البسيط / ابن بقاء / ٢ / ٢٩٨
- الدررا/ البسيط / ابن حيان النفزي / ٣ / ١٤٢
- و القمررا/ البسيط / أبو الروح التاكرني / ٣ / ٢٠٥
- و القمررا/ البسيط / - / ٦ / ٢٤٥
- ما شعرا/ البسيط / الحكيم موفق الدين / ٣ / ٢٥٣
- عمرا/ البسيط / القلفاط / ٤ / ١١٣
- عمرا/ البسيط / - / ٦ / ٢١١
- قبرا/ البسيط / أبو الربيع الداني / ٤ / ١٢٦
- النظرا/ البسيط / أبو العباس بن السعود / ٤ / ٣٦٢
- أثرا/ البسيط / - / ٥ / ٩٦
- الصبرا/ البسيط / - / ٥ / ٣٨٩

- هجرا/ البسيط/ رفيع الدولة بن صمادح / ٨ / ٢٣٧
 ثمره/ البسيط/ لسان الدين / ٨ / ١٦٩
 بالقره/ البسيط/ ابن جابر / ٩ / ١٦٩
 عطره/ البسيط /- / ٩ / ١٧٢
 فغيره/ البسيط/ أبو الصلت أمية الأندلسي / ٤ / ٢٦٥
 الطهارة/ مخلع البسيط/ ابن الجياب / ٦ / ٣٧٦
 الصغارا/ مخلع البسيط/ إدريس بن اليماني / ٧ / ١٣٣
 كبيراً/ مخلع البسيط/ ابن خميس الجزائري / ٥ / ٢٣٧
 مغرى/ مخلع البسيط/ الصفدى / ٣ / ١٥٢
 خيرا/ مخلع البسيط/ ابن سالم الكلاعى / ٤ / ٣٨٢
 سيرا/ مخلع البسيط/ عبد الله بن مطروح / ٤ / ٣٨٢
 إطرا/ مخلع البسيط/ أبو الحسن بن البيسج / ٥ / ٥٣
 وشكره/ مخلع البسيط/ ابن ليون التجيبى / ٧ / ٨٣
 عارا/ الوافر/ جرير / ٢ / ٤٧٠
 الصغارا/ الوافر/ عبد الملك بن غصن / ٤ / ٢١٨
 قرارا/ الوافر/ أبو الوليد القسطلی / ٥ / ١٨
 أنارا/ الوافر/ أبو العباس الجراوى / ٥ / ٣٣
 البحارا/ الوافر /- / ٨ / ٢٦
 سرورا/ الوافر/ أبو الحجاج الطرطوشى / ٦ / ٢١٢
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٦٤
 الأميرا/ الوافر/ ابن الحداد الوادى آشى / ٤ / ٢٨٣
 الأميرا/ الوافر/ ابن الأبار / ٥ / ٦١
 صفرا/ الوافر/ أبو المطرف بن عميرة / ١ / ٢٥٠، ٤ / ٢٧٠
 ذكرا/ الوافر/ أبو جعفر بن طلحة / ٤ / ١٢٤
 بشرا/ الوافر/ بشير / ٦ / ٢١٢
 جزرا/ الوافر/ لسان الدين / ٨ / ١٩٨
 الجزيره/ الوافر/ عمر بن أبى خالد / ٤ / ٢٢٣
 الحقيره/ الوافر/ ابن صارة / ٥ / ٥٩، ٥٤٤
 غيره/ الوافر/ أبو العباس أحمد الغسانى / ٢ / ٤٧٧
 مضره/ الوافر/ ابن ظافر / ٤ / ٢٨٢
 بزوره/ الوافر/ ابن صارة / ٥ / ٢٣٨
 تره/ مجزوء الوافر/ ابن أبى ركب / ٥ / ٥٦، ٩٤، ٢٣٥
 و سارا/ الكامل/ ابن جابر / ٣ / ٢٥٧

- أوطارا/ الكامل / ابن جابر / ٢١٢ / ٩
- عذارا/ الكامل / عبد الله بن غالب / ١١٢ / ٤
- وطارا/ الكامل / صفوان بن إدريس / ٥٧ / ٦
- جارا/ الكامل / أبو جعفر العذري / ١٦٥ / ٧
- الأقمارا/ الكامل / ابن مقاتل الملقى / ٣٣٥ / ٧
- معمورا/ الكامل / ابن حمديس / ٣١ / ٢
- بدورا/ الكامل / ابن باجة / ٢٥٣ / ٤
- المنشورا/ الكامل / ابن زمرك / ٣٢ / ٩
- منشورا/ الكامل / ابن زمرك / ٧٨ / ٩
- التضريرا/ الكامل / ابن ليون التجيبي / ٨٣ / ٧
- عبيرا/ الكامل / ابن باجة / ٢٢٤ / ٨
- السرى/ الكامل / ابن عمار / ١٥٢ / ٢
- مثمرا/ الكامل / ابن عمار / ٣٣ / ٤
- متحيرا/ الكامل / الششتري / ٣٢٦ / ٢
- معسرا/ الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٣٩٣ / ٢
- القرى/ الكامل / أبو الحسن بن سعيد / ٣٩٦ / ٢
- بالكرى/ الكامل / ابن عنين / ٢٦ / ٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٦٥
- نورا/ الكامل / المتنبي / ٢٥٩ / ٣
- الورى/ الكامل / ابن خميس الجزائرى / ٢٣٧ / ٥
- متحيرا/ الكامل / دحون / ١١٧ / ٣
- متكبرا/ الكامل / على بن سعد الخير / ٢٤٢ / ٣
- تغيرا/ الكامل / ابن سهل الإسرائيلي / ٣٠٢ / ٤
- مقدرا/ الكامل / ابن سهل / ٣٠٢ / ٤
- مختيارا/ الكامل / لب بن عبد الوارث القلعي / ٣٠٩ / ٤
- لتكسرا/ الكامل / أبو بكر بن عمار / ١٥٤ / ٦
- مقدرا/ الكامل / ابن ليون التجيبي / ٨٥ / ٧
- يفتري/ الكامل / - / ٢٦٤ / ٦
- مقصوره/ الكامل / ابن هانيء السبتي / ٣٤٦ / ٧
- ماهره/ الكامل / أبو الوليد الوقشى / ١٧٩ / ٤
- باهره/ الكامل / أبو الوليد الوقشى / ٣٥ / ٥
- ضمائره/ الكامل / أبو جعفر الإليري / ٢٦٥ / ٣
- مبصرة/ الكامل / ابن رضوان / ٢٢٣ / ٧

- ثاره/ الكامل/ ابن سفر/ ١/ ١٣٧، ٢٧/ ٤
- أنهاره/ الكامل/ عبد الله بن الليث/ ٤/ ٢٤٤
- ساخرا/ مجزوء الكامل/ صفوان بن إدريس/ ٦/ ٦٠
- يرى/ مجزوء الكامل/ ابن ليون التجيبي/ ٧/ ١٢٠
- أثرى/ مجزوء الكامل/ -/ ٢/ ٤٧٢
- صخره/ مجزوء الكامل/ الأعمى التطيلي/ ٤/ ٢٠٢، ٢٨١
- يسرا/ مجزوء الكامل/ ابن محرز الزهري/ ٥/ ٢٤٩
- الضروره/ مجزوء الكامل/ أبو زيد الفازازي/ ٩/ ٣٢٢
- نضيره/ مجزوء الكامل/ زرياب/ ٣/ ٣٨٨
- فاخره/ مجزوء الكامل/ -/ ٤/ ١٥٨
- الورى/ الرمل/ ابن جبير/ ٣/ ١٠٤
- خمارا/ مجزوء الرمل/ أبو الفضل الدارمي/ ٣/ ٣٧٦
- نارا/ السريع/ -/ ٣/ ٣٣٩
- حارا/ السريع/ -/ ٨/ ٢٠
- ساترا/ السريع/ ابن ليون التجيبي/ ٧/ ٨٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٦٦
- ذكرا/ السريع/ أبو عمران بن سعيد/ ٢/ ٤٧٦
- الشري/ السريع/ الغزازي/ ٣/ ١٨٢
- بدرا/ السريع/ ابن مرزقان/ ٤/ ٨٨
- صفرا/ السريع/ أبو بحر صفوان/ ٥/ ٣٤
- قدرا/ السريع/ ابن باجة/ ٨/ ٢٢٢
- و استعبرا/ السريع/ الصفدى/ ٣/ ١٤٤
- يهجر ك/ السريع/ ابن ليون التجيبي/ ٧/ ٨٥
- الباصره/ السريع/ -/ ١/ ١١٢
- جوهره/ السريع/ المعتمد بن عباد/ ٥/ ٣٨
- مكره/ السريع/ -/ ٧/ ٢٨٠
- نضره/ السريع/ لسان الدين/ ٨/ ١٧٧
- و الخضره/ السريع/ أبو البركات بن الحاج/ ٨/ ١٧٧
- إيثاره/ السريع/ صالح بن شريف/ ٤/ ١٥٥
- إيثاره/ السريع/ أبو عبد الله بن الحكيم/ ٧/ ٤٣
- أمره/ السريع/ أبو الصلت أمية الأندلسي/ ٤/ ٢٦٤
- نارها/ السريع/ ابن العربى/ ٢/ ٢٠٠
- دارى/ المنسرح/ ابن العربى/ ٢/ ٤٦٨

- يبارى / المنسرح / لسان الدين / ١٦٧ / ٨
- الزهرة / المنسرح / أبو المغيرة بن حزم / ١٢٧ / ٢
- جزا / الخفيف / ابن جابر / ٢٧٢ / ٣
- اقتدارا / الخفيف / أبو جعفر السياسى / ٢٥٣ / ٥
- مقدارا / الخفيف / ابن ليون التجيبى / ١٢٤ / ٧
- أدرى / الخفيف / سعد الدين بن عربى / ٣١٤ / ٢
- نشرا / الخفيف / بهاء الدين بن النحاس / ٣٥٩ / ٢
- فقرا / الخفيف / ابن اللبائنة / ٤١ / ٥
- شهرآ / الخفيف / أبو عبد الله بن جزى / ٧١ / ٧
- أميرا / الخفيف / ابن جبير / ١٠٧ / ٣
- إشاره / الخفيف / الرصافى / ٢٦٩ / ٤
- بالجزيره / الخفيف / أبو جعفر الإلبيرى / ٢١٢ / ٩
- و حمرة / الخفيف / ابن جابر الضرير / ٢٦٧ / ٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٦٧
- نصره / الخفيف / ابن ليون التجيبى / ١٠٤ / ٧
- المسرّه / الخفيف / أبو الحسن المؤيد / ٢٨٢ / ٤
- بذره / الخفيف / ابن ليون التجيبى / ١١١ / ٧
- المضرّه / الخفيف / ابن ليون التجيبى / ١٢٠ / ٧
- النهارا / المجتث / متعة (جارية زرياب) / ٣٨٩ / ٣
- اقتدارا / المجتث / ابن الأفطس / ٣٥٥ / ٥
- قريرا / المجتث / ابن ليون التجيبى / ٩٦ / ٧
- صدرا / المجتث / ابن ليون التجيبى / ١٢٧ / ٧
- و غضاره / المجتث / المقرى / ٦٦ / ١
- حيره / المجتث / لسان الدين / ١٦٦ / ٨
- أسره / المجتث / ابن خلدون / ٢٠٦ / ٨
- عذره / المجتث / - / ٤ / ٨
- كذره / المجتث / ابن ليون التجيبى / ١٢٧ / ٧
- كبارا / المتقارب / المتنبي / ١٥٥ / ١
- أنارا / المتقارب / ابن جبير / ١٠٣ / ٣
- استعارا / المتقارب / المعتمد بن عباد / ١٤٤ / ٥
- أوارا / المتقارب / فرج بن لب / ٥٠ / ٧
- القفارا / المتقارب / الشهاب محمود / ٥١ / ٧
- ناضرا / المتقارب / ابن الحداد / ٨٧ / ٤

- الورى / المتقارب / - / ٨٣ / ٣
- الورى / المتقارب / لسان الدين / ٨ / ١٩١
- القرى / المتقارب / التحلى البطليوسى / ٤ / ٣٨٣
- جوهر / المتقارب / أحمد بن فرج / ٢ / ١٢
- و استعبر / المتقارب / حسان بن مالك / ٤ / ٣٢١
- ظاهره / المتقارب / ابن سعيد / ٢ / ٤٥٩
- زاهرة / المتقارب / - / ٥ / ٢٣٩
- مستبشره / المتقارب / على بن عمر الموحدي / ٣ / ٣٧٠
- و للمعذره / المتقارب / أبو إسحاق بن أبي العاصي / ٥ / ٢٥٣
- أوزارها / المتقارب / ابن جبير / ٣ / ١٠٩
- و نضار / الطويل / محمد بن عبد ربه / ٢ / ٢٥٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٤٨
- بدار / الطويل / ابن الأزرق الغرناطى / ٣ / ٢٨٦
- مدرار / الطويل / الشهاب الحنبلى الزرعى / ١ / ٩٤
- شهور / الطويل / - / ١ / ٢٩
- و غيور / الطويل / ابن نباتة السعدى / ١ / ٨٦
- و بدور / الطويل / ابن دراج القسطلى / ١ / ٣١٦
- قبور / الطويل / ابن دراج القسطلى / ٤ / ٣٣
- هصور / الطويل / ابن دراج القسطلى / ٤ / ٦٢
- أزور / الطويل / ابن أبي ربيعة / ٤ / ٣٦
- تثور / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٩٨
- عسير / الطويل / - / ١ / ٣٠
- يسير / الطويل / ابن سلامة الخطيب / ٢ / ١٩٨
- و يسير / الطويل / ابن خفاجة / ٤ / ٢٧١
- تسير / الطويل / ابن زمرك / ٧ / ١٩٩
- أصير / الطويل / أبو الصلت أمية الأندلسى / ٢ / ٢٦٣، ٤ / ١١٦
- كبير / الطويل / - / ٤ / ٥٠
- و ثبير / الطويل / ابن حمديس / ٥ / ١٧٩
- خوادر / الطويل / - / ١ / ٣١٦
- و سرير / الطويل / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٩٦
- ذاكر / الطويل / - / ١ / ٣١
- ذاكر / الطويل / أبو محمد بن حزم / ٢ / ٢٤٠
- يخاطر / الطويل / منصور بن أبي عامر / ١ / ٣١١

- سامر / الطويل / - / ١٠٣ / ٢
- شاجر / الطويل / أبو المغيرة بن حزم / ٢ / ٢٤١
- زاخر / الطويل / - / ٣ / ٢٦٠
- بيادر / الطويل / - / ٥ / ١٢١
- ساحر / الطويل / ابن هذيل / ٧ / ٣٣
- زاجر / الطويل / النباهي / ٧ / ٢٣٤
- ظاهر / الطويل / النباهي / ٧ / ٢٣٤
- الدوائر / الطويل / محمد بن عبد الملك المرواني / ٤ / ٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٥٢
- الضرائر / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٧٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٦٩
- نهر / الطويل / ابن اللبابة / ٢ / ١٥٧
- النهر / الطويل / ابن طلحة الإشبيلي / ٤ / ٢٦٠
- الأمر / الطويل / ابن سعدون / ٢ / ١٦٢
- الأمر / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٧٠ ، ٩ / ١٤٨
- الزهر / الطويل / لسان الدين / ٦ / ٧٢
- الزهر / الطويل / ابن عبدون / ٤ / ٢٥٦
- الزهر / الطويل / ابن الزقاق / ٥ / ٩٣
- سكر / الطويل / ابن الزقاق / ٤ / ١١٠
- السكر / الطويل / ابن خفاجة / ٤ / ١٦٢
- القطر / الطويل / أبو صخر الهذلي / ٣ / ٧٦
- القطر / الطويل / الشريف العقيلي / ٢ / ٤٥٣
- القطر / الطويل / ذو الرمة / ٤ / ٣٤١
- القطر / الطويل / أبو عبد الله العتاب التونسي / ٧ / ٢٠٧
- سر / الطويل / أبو عامر بن شهيد / ٣ / ١١٤
- الدهر / الطويل / أبو ركوه / ٣ / ٢٤٨
- الدهر / الطويل / - / ٤ / ٣٤٤
- الدهر / الطويل / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٧٣
- العسر / الطويل / ابن الجدي / ٤ / ٢٣٤
- و الزجر / الطويل / الرصافي / ٤ / ٢٤٧
- سحر / الطويل / عمرو بن مذحج / ٤ / ٢٥٦
- النضر / الطويل / ابن وضاح / ٤ / ٣٦٧
- الجمر / الطويل / الرمادي / ٤ / ٤٠٨
- القفر / الطويل / - / ٥ / ٨١

- صفر/ الطويل / الرصافي / ٩٥ / ٥
- الصبر/ الطويل / ابن زيدون / ١٨٦ / ٥
- الثغر/ الطويل / مهجة القرطبية / ٢١٠ / ٥
- القبر/ الطويل / - / ٤٩ / ٦
- ستر/ الطويل / أبو عبد الله بن بيش / ٣١٧ / ٦
- كثر/ الطويل / أبو فراس / ٣٠ / ٨
- البدر/ الطويل / ابن زمرك / ٨٤ / ٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٧٠
- مسفر/ الطويل / - / ٧٣ / ١
- تنظر/ الطويل / أبو بكر الطرطوشي / ٢٤٥ / ٢
- تذكر/ الطويل / أبو بكر محمد بن القاسم / ٢٥٤ / ٢
- تمطر/ الطويل / الفتح بن خاقان / ٢٢٧ / ٨
- تتفجر/ الطويل / أحمد بن مالك اللخمي الشابي / ٤٣٩ / ٢
- و يقنطر/ الطويل / أبو عبد الله بن الحسين بن سعيد / ٤٣٩ / ٢
- يتحدر/ الطويل / سيف الدين المشد / ٣٤ / ٣
- مقصر/ الطويل / - / ٥ / ٤
- أخبر/ الطويل / المطرف بن عمر المرواني / ١٥١ / ٤
- يتذكر/ الطويل / ابن الوردى / ١٥٩ / ٤
- يثمر/ الطويل / عباس بن فرناس / ١٧٧ / ٤
- الخمير/ الطويل / السمسير / ١٤١ / ٤
- فأنشر/ الطويل / عبد الملك الحجاري / ٢١٨ / ٤
- و تحبر/ الطويل / أبو بكر محمد بن نصر الأوسى / ٢٨٧ / ٤
- و أستر/ الطويل / ابن الفخار اليهودى / ٣٠٥ / ٤
- ينكر/ الطويل / ابن عبد الوارث القلعي / ٣٠٨ / ٤
- و كوثر/ الطويل / ابن هانىء / ٤١٢ / ٤
- يقصر/ الطويل / أبو المطرف بن عميرة / ٣٧٩ / ٥
- يقصر/ الطويل / لسان الدين / ١٧٦ / ٨
- ينصر/ الطويل / لسان الدين / ١٦٧ / ٨
- أكثر/ الطويل / - / ١١٥ ، ٣١٤ / ٤
- أكثر/ الطويل / عبد الرحمن الأوسط و محمد الزجالي / ٣٧٥ / ٤
- أسطر/ الطويل / أبو يحيى بن الحاج / ٢٢٧ / ٨
- تغاوره/ الطويل / البحترى / ٤١ / ٢
- محاجر/ الطويل / أبو بكر بن الحجاج / ٢٦٩ / ٤

- يسخره/ الطويل/ ابن هارون القرطبي / ٥ / ٢٣٧
اصطباره/ الطويل/ أبو العلاء بن زهر/ ٤ / ٧٤
عذاره/ الطويل/ أبو محمد بن حامد/ ٦ / ٦١
أواره/ الطويل/ صفوان بن إدريس/ ٦ / ٦١
أزوره/ الطويل/ ابن باجة/ ٨ / ٢٢١
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٧١
و شرّه/ الطويل/ العربي العقيلي/ ٥ / ٤٢٨
مسيرها/ الطويل/ أبو عبد الله المكودي/ ٦ / ١٩٦
تعتذر/ المديد/ أبو بكر بن طاهر/ ٥ / ٩٦
تنتثر/ المديد/ أبو ذر الخشني/ ٥ / ٩٦
معطار/ البسيط/ أحمد المقرئ/ ١ / ٣٨
و أشجار/ البسيط/ ابن خفاجة/ ٢ / ١٧٠
و الغار/ البسيط/ أبو الوليد بن الجنان/ ٢ / ٢٧٣
و إسحار/ البسيط/ الناصر داود/ ٣ / ٣٣
منظره/ البسيط/ أبو عامر بن مسلمة/ ٤ / ٣١٩
أسحار/ البسيط/ أبو بكر بن عطية/ ٣ / ١٣٤
أقمار/ البسيط/ الشقندي/ ٤ / ٥٥
دوار/ البسيط-/ / ٥ / ٣٩١
زوار/ البسيط/ أبو مروان الطنبلي/ ٨ / ٢٤٢
أختار/ البسيط/ ابن خفاجة/ ٨ / ٣١٥
مغفور/ البسيط-/ / ١ / ٤٣
مجبور/ البسيط/ ابن رضوان/ ٧ / ٢٢٣
البصر/ البسيط-/ / ١ / ٩٣، ٥ / ٣٨٨
الخفر/ البسيط/ أبو المطرف بن عميرة/ ١ / ٢٤٩
و النهر/ البسيط/ أبو الحسين الوقشي/ ٢ / ١٧
و ينحدر/ البسيط/ ابن ليون/ ٢ / ١٦٤، ٥ / ٢٢٩
منحدر/ البسيط/ أبو الحسن المايرقي/ ٣ / ٢٥١
البقر/ البسيط/ البحترى/ ٢ / ٣١٨، ٦ / ٢٠٤
و الظفر/ البسيط/ أبو عمران بن سعيد/ ٢ / ٤٧٦
ذخروا/ البسيط/ ابن القبطرنة/ ٢ / ١٤٠
و الحور/ البسيط-/ / ٣ / ٤
يعتذر/ البسيط/ أبو الحسن بن سعيد/ ٢ / ٣٩٢
يعتذر/ البسيط/ المعتمد بن عباد/ ٤ / ٣٢

- يستعر / البسيط / الكمال الشريشى / ٢ / ٢٤٨، ٣ / ٢٠
و ننتظر / البسيط / زهير بن صرد الجمى / ٣ / ١٦٧
ينتظر / البسيط / ابن عبد ربه / ٨ / ٢٤٥
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٧٢
وزر / البسيط / أبو حيان / ٣ / ١٨١
معتكر / البسيط / الفكيك / ٣ / ٣٨٠
و ابتكروا / البسيط / - / ٣ / ٣٨٢
النظر / البسيط / عبد الله بن عبد العزيز الحجر / ٤ / ١٥٢
النظر / البسيط / ابن الطلا / ٥ / ٢٤٤
زهر / البسيط / أبو الوليد بن حزم / ٤ / ٢٢٧
و الزهر / البسيط / الحميدى / ٥ / ٢٤٧
مصطبر / البسيط / خلف القطينى / ٤ / ٢٤٦
تستتر / البسيط / أبو بكر بن حبش / ٤ / ٢٤٧
وطر / البسيط / عمرو بن مذحج / ٤ / ٢٥٧
الذكر / البسيط / أبو الصلت أمية الأندلسى / ٤ / ٢٤٤
الخبر / البسيط / ابن البنى / ٤ / ٢٧٠، ٥ / ١٥٦
أثر / البسيط / الأصم المروانى / ٤ / ٣٥٩
البشر / البسيط / أبو الحجاج النصرى / ٥ / ٢١٩
و الكبير / البسيط / أبو محمد بن صارة / ٥ / ٢٣٧
كثروا / البسيط / - / ٦ / ١٨٨
الحذر / البسيط / ابن ليون التجيبى / ٧ / ٩٣
و القدر / البسيط / ابن عبد ربه / ٤ / ٢٣٦، ٨ / ٢٤٣
غافره / البسيط / - / ٣ / ١١٤
آخره / البسيط / أبو بكر الصوفى الإشيللى / ٣ / ٢٢٦
طائره / البسيط / ابن الجياب / ٧ / ٤١
ناصره / البسيط / ابن البناء الوادى آشى / ٧ / ٢٤٢
ماطره / البسيط / ابن العطار الجزائرى / ٩ / ٣٠٥
خواطره / البسيط / الفيروزابادى / ٢ / ٣١٧
بشائره / البسيط / ابن مهاجر الوادى آشى / ٣ / ٢٤٣
مخبره / البسيط / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٣٩
منظره / البسيط / أبو عامر بن مسلمة / ٤ / ٣١٩
يشهره / البسيط / أبو الروح التاكرنى / ٣ / ٢٠٦
أقدره / البسيط / محمد بن الحداد / ٤ / ٤١٦

- يبصره/ البسيط/ ابن جابر/ ١٨٢ /٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٧٣
- مكرره/ البسيط/ -/ ٧٠ /١
- يكدره/ البسيط/ ابن حبيب الحلبي/ ١٢٦ /٣
- و البهار/ مخلع البسيط/ على بن حصن/ ٢٢٢ /٤
- و جلنار/ مخلع البسيط/ ابن لبال/ ٢٣٢ /٤
- و نار/ مخلع البسيط/ الحلاج/ ١٣٠ /٧
- اعتذار/ مخلع البسيط/ صالح بن شريف/ ١٣٥ /٧
- نظير/ مخلع البسيط/ أبو إسحاق الوزير و صفوان بن إدريس/ ٦١ /٦
- قدر/ مخلع البسيط/ ابن عربي/ ٣٢٤ /٢
- فرار/ الوافر/ ابن جابر/ ٢٧١ /٣
- المزار/ الوافر/ أبو عامر ذو الوزارتين/ ٩٦ /٤
- قرار/ الوافر/ -/ ١٧ /٥
- النهار/ الوافر/ ابن الطراوة/ ٢٤٣ /٥
- ذکور/ الوافر/ ابن مهاجر الوادي آشي/ ٢٤٤ /٣
- ثغور/ الوافر/ -/ ٣٦٩ /٥
- السرور/ الوافر/ أبو جعفر بن سعيد/ ١١٦ /٥
- الضمير/ الوافر/ الرصافي/ ٢٥٣ /٤
- يسير/ الوافر/ ابن رشيد السبتي/ ٢٢٦ /٥
- قصير/ الوافر/ جميل بثينة/ ٣٨٩ /٥
- يستطير/ الوافر/ ابن باجة/ ٢١٨ /٨
- الخبشار/ الوافر/ صاعد/ ٣٤٩ /٣
- آذار/ الكامل/ ابن باجة/ ٦٦ /١
- و تحار/ الكامل/ عبد الملك الجزيري/ ١٥ /٥، ٦١ /٢
- تدار/ الكامل/ ابن خفاجة/ ١٧٤ /٢
- و النار/ الكامل/ ابن خفاجة/ ٣٤٥ /٥
- الأفكار/ الكامل/ أبو الحسن بن سعيد/ ٣٩٢ /٢
- و الأوطار/ الكامل/ أبو الحسن بن سعيد/ ٣٩٢ /٢
- قرار/ الكامل/ أبو الروح التاكرني/ ٢٠٥ /٣
- المقدار/ الكامل/ ابن عبد الغفور الإشبيلي/ ١٥٤ /٤
- و الاضرار/ الكامل/ ابن صارة/ ١٦١ /٤
- الأمطار/ الكامل/ ابن صارة/ ١٦١ /٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٧٤

- النوار/ الكامل/ ابن صارة/ ٤/ ٣٧٩، ٣٨٠
- دار/ الكامل/ ابن حكيم/ ٤/ ٢٣٨
- النوار/ الكامل/ ابن القبطرنة/ ٤/ ١٦١
- و الإضرار/ الكامل/ ابن القبطرنة/ ٤/ ١٦١، ٣٨٠
- الأزهار/ الكامل/ ابن القبطرنة/ ٤/ ١٦٢، ٣٨٠
- جار/ الكامل/ لسان الدين/ ٨/ ١٩٨
- الأنهار/ الكامل/ أبو مدين/ ٨/ ٣٢٢
- مغرور/ الكامل/ الغزال/ ٢/ ٣٨٥
- مقهور/ الكامل/ أبو عامر بن التاكرتي/ ٥/ ٧١
- النور/ الكامل/ أبو حاتم الميرتلي/ ٥/ ٢٤١
- أمور/ الكامل/ المعتمد/ ٥/ ٢٧٧
- منشور/ الكامل/ التيمي/ ٦/ ١٣١
- مجرور/ الكامل/ أبو عبد الله بن جزى/ ٧/ ٧٦
- تدور/ الكامل/ ابن العطار الجزائري/ ٩/ ٣٠٤
- النحير/ الكامل/ ابن عربي/ ٢/ ٣٠٨
- و بصير/ الكامل/ ابن حمدون النحوي/ ٣/ ٢٠٩
- كثير/ الكامل/ أبو الوليد بن حزم/ ٤/ ٢٥٧
- كبير/ الكامل/ أبو جعفر بن سعيد/ ٥/ ١١٨
- العشير/ الكامل/ -/ ٦/ ٩٥
- نضير/ الكامل/ عبد العزيز الفشتالي/ ٧/ ١٧٤
- ظاهر/ الكامل/ ابن جابر الضيرير/ ٣/ ٢٦٦
- عاذر/ الكامل/ حاتم بن سعيد العنسي/ ٤/ ٢٨٠
- آخر/ الكامل/ الحجاري/ ٥/ ٢٤
- حاصر/ الكامل/ لسان الدين/ ٨/ ٨٩
- عسر/ الكامل/ ابن ناصح الجزيري/ ١/ ٢٦٨
- بحر/ الكامل/ أبو نواس/ ٥/ ١٣٦
- الأزهر/ الكامل/ سلمة بن أحمد/ ٤/ ٢٥١
- تذكر/ الكامل/ سعيد بن فرج/ ٤/ ٣٤٩
- تبتختر/ الكامل/ ابن أبي ركب/ ٥/ ٢٣٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٢٧٤
- آخر/ الكامل/ -/ ٥/ ٣٨٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٧٥
- الإسكندر/ الكامل/ ابن اللبائنة/ ١/ ١٤٥

- و مزعفر/ الكامل/ أبو بكر الإشيلى / ٢٦٧ / ٤
- عذاره/ الكامل/ أبو بكر بن القوطية / ٣٩٦ / ٤
- عذاره/ الكامل/ لسان الدين / ١ / ٤٨، ١٩٨
- أخباره/ الكامل/ لسان الدين / ٦ / ٨٤
- تمتاره/ الكامل/ لسان الدين / ٨ / ١٦٧
- و بهاره/ الكامل/ أبو الحسن القيجاطى / ٧ / ٤٨
- أفكاره/ الكامل/ ابن داود الحميرى / ٧ / ٣٣٣
- داره/ الكامل/ ابن داود الحميرى / ٨ / ٩٧
- أميره/ مجزوء الرمل/ ابن ليون التجيبى / ٧ / ١٢٤
- ذكره/ مجزوء الرمل/ ابن ليون التجيبى / ٧ / ٨٧
- أطوار/ السريع/ ابن الصفار القرطبى / ٢ / ٢٧٢، ٥ / ٢٢٢
- زور/ السريع/ المعتمد بن عباد / ٥ / ١٩٠
- محدور/ السريع/ ابن زيدون / ٥ / ١٨٩
- مغفور/ السريع/ ابن زيدون / ٥ / ١٩٠
- عسير/ السريع/ أحمد بن أمية البلنسى / ٤ / ٢٤٩
- الساھر/ السريع/ ابن أبى ربيعه أو وضاح اليمن / ٤ / ٣٦
- طائر/ السريع/ أبو بكر بن أزرق / ٤ / ٢١٥
- حائر/ السريع/ ابن جابر / ٩ / ١٩٢
- خمر/ السريع/ ابن خفاجة / ٤ / ١٧٥
- عمرو/ السريع/ أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١١٩
- يقدر/ السريع/ ابن خفاجة / ٤ / ٦٩
- يزهر/ السريع/ ابن صارة / ٤ / ٣٦٤
- يقبر/ السريع/ الزبيدى / ٥ / ٢٥٢
- يشعر/ السريع/ ابن ليون التجيبى / ٧ / ١٠٦
- عارها/ السريع/ ابن ليون التجيبى / ٧ / ٨٤
- مخمور/ المنسرح/ أبو الحسن بن الحاج / ٥ / ٤٧
- قصر/ المنسرح/ امرؤ القيس / ١ / ٢٦١
- القطر/ المنسرح/ على بن أحمد / ٢ / ١٥٥
- قمر/ المنسرح/ لسان الدين / ٦ / ٨٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٧٦
- ثمار/ الخفيف/ - / ١ / ٨٠
- الأدكار/ الخفيف/ أبو الحسن البرقى / ٨ / ٢٤٧
- وكور/ الخفيف/ عدى بن زيد / ٥ / ٣٠٦

- غرور/ الخفيف/ ابن ليون التجيبى / ١١٤ / ٧
- الأمور/ الخفيف/ ابن ليون التجيبى / ١٢٢ / ٧
- يضير/ الخفيف/ المقرى / ٩٢ / ١
- تصير/ الخفيف/ - / ٢ / ٤٤٣
- و الزمهرير/ الخفيف/ أبو الصلت أمية الأندلسى / ٢٦٥ / ٤
- خطير/ الخفيف/ أبو جعفر بن سعيد / ١٣٠ / ٥
- المطير/ الخفيف/ أبو الحكم بن هرودس / ١٣٠ / ٥
- تكدير/ الخفيف/ - / ٦ / ١٣٣
- و ذخر/ الخفيف/ ابن ليون التجيبى / ٩٨ / ٧
- غزار/ المجتث/ - / ١ / ٨٣
- أخضر/ المتقارب/ مروان بن عبد العزيز / ١ / ١٥٢
- سكر/ المتقارب/ عبد الحميد بن لاطون / ٤ / ٣٣٢
- يشعر/ المتقارب/ العبادية (جارية المعتضد) / ٥ / ٢٠٣
- يصبر/ المتقارب/ المعتضد بن عباد / ٥ / ٢٠٣
- نسر/ المتقارب/ - / ٤ / ٢٨
- ثار/ الطويل/ زينب الوادى آشيه / ٤ / ٤٤
- ثار/ الطويل/ حمدة (أبو حمدونة) بنت زياد / ٥ / ٢٠٦
- القار/ الطويل/ - / ٤ / ١٣١
- بقرار/ الطويل/ صفوان / ٤ / ٣٦٥
- مقدار/ الطويل/ أبو بكر بن جزى / ٧ / ٥٧
- بضّرار/ الطويل/ - / ٧ / ٢٣٣
- مدرار/ الطويل/ ابن الحاج الغرناطى / ٨ / ٢٩٥
- تذكارى/ الطويل/ ابن الحاج الغرناطى / ٨ / ٢٩٩
- موفور/ الطويل/ ابن الأزرق الوادى آشى / ٣ / ٢٨٤
- سرير/ الطويل/ ابن خفاجة / ٤ / ٩٣
- باهر/ الطويل/ ابن قلاقس / ٤ / ٨٢
- طائر/ الطويل/ - / ٥ / ٩٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٧٧
- عامر/ الطويل/ - / ٦ / ٦٥
- ماهر/ الطويل/ لسان الدين / ٧ / ٧٥
- و آمر/ الطويل/ لسان الدين / ٧ / ٣١١
- محاجرى/ الطويل/ ابن الفقاعى / ١ / ٩١
- المنابر/ الطويل/ - / ٤ / ٢٨

- المزاهر / الطويل / - / ٣١٥ / ٤
- الهواجر / الطويل / حسانة التميمية / ١٠١ / ٥
- بالنوادير / الطويل / أبو عبد الله بن جزي / ٧٤ / ٧
- الأباعر / الطويل / أبو مروان الطنبلي / ٢٤١ / ٨
- عمرى / الطويل / - / ٤٢ / ١
- و العمر / الطويل / أبو الصلت أمية الأندلسي / ٢٦٤ / ٤
- الصبر / الطويل / حسان بن عبدة / ٣٣٨ / ١
- مصر / الطويل / أبو الصلت أمية الأندلسي / ٣٦ / ٢ ، ١٤٤ / ٤
- السحر / الطويل / - / ١٢٦ / ٢
- أدرى / الطويل / الراضى بن المعتمد بن عباد / ١٥٧ / ٢
- يدرى / الطويل / ابن حزم / ٢٤٢ / ٢ ، ٣١ / ٤
- تدرى / الطويل / أيمن الغرناطى / ٢٥١ / ٥
- يدرى / الطويل / لسان الدين / ١٩٤ / ٨
- أدرى / الطويل / ابن زمرك / ٧٩ / ٩
- الفخر / الطويل / أبو بكر بن العربى / ٢٠٦ / ٢
- الفخر / الطويل / ابن الحسن النباهى / ٣٢١ / ٦
- القدر / الطويل / (منسوب إلى ابن عربى) / ٣١٠ / ٢
- القدر / الطويل / مختار الرعيني / ١٨٣ / ٤
- الكدر / الطويل / ابن هانىء / ٤١٣ / ٤
- بالنكر / الطويل / أبو إسحاق بن الحاج الغرناطى / ٢٩٤ / ٨
- المزاهر / الطويل / أبو إسحاق بن الحاج الغرناطى / ٣١٥ / ٤
- القدر / الطويل / أبو بكر بن مذحج / ٢٥٧ / ٤
- القدر / الطويل / أبو جعفر الوقشى / ٧٤ / ٥
- القدر / الطويل / لسان الدين / ١٦٦ / ٨
- القدر / الطويل / الفتح بن خاقان / ٢٢٩ / ٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٧٨
- الدهر / الطويل / الششتري / ٣٢٦ / ٢
- الدهر / الطويل / محمد بن رشيق / ٣٧٩ / ٣
- الدهر / الطويل / أبو جعفر الوقشى / ٧٤ / ٥
- دهرى / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ١١٦ / ٥
- الذعر / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ١١٩ / ٥
- الشحري / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ١١٣ / ٥
- الشكر / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ١١٤ / ٥

- بقرى / الطويل / ابن ناصح الثقفى / ٣٨٦ / ٢
- وعر / الطويل / محمد بن سعيد / ٤٥٢ / ٢
- البحر / الطويل / - / ٤٥٨ / ٢ ، ٢٩ / ٤
- بحر / الطويل / أبو بكر البلنسى / ٩٣ / ٤
- البحر / الطويل / أبو الحسين بن فندلة / ٢٥٨ / ٤
- البحر / الطويل / ابن زمرك / ٨٣ / ٩
- البدر / الطويل / - / ٧٩ / ٣
- الكفر / الطويل / ابن الفراء / ١٨٨ / ٤
- هجر / الطويل / أبو الفضل الدارمى / ٣٧٧ / ٣
- الهجر / الطويل / ابن هشام المروانى / ٣٤٣ / ٤
- النهر / الطويل / المعتمد بن عباد / ٣٢ / ٤
- يسرى / الطويل / محمد بن سفر / ٣٧ / ٤
- تجرى / الطويل / بشار بن برد / ٩١ / ٤
- الزهر / الطويل / صفوان بن إدريس / ٩٣ / ٤
- نصرى / الطويل / هاشم بن عبد العزيز / ١٧٦ / ٤
- النصر / الطويل / ابن الحاج الغرناطى / ٣٠٠ / ٨
- الذكر / الطويل / الأخفش القبذاقى / ١٨٩ / ٤
- الذكر / الطويل / ابن الجزار السرقسطى / ٢٥١ / ٤
- الخمير / الطويل / غالب الحجام / ٢١٢ / ٤
- الخمير / الطويل / أبو عبد الله المكودى / ٣٤٣ / ٧
- فقر / الطويل / إبراهيم الحجارى / ٢١٦ / ٤
- الصدر / الطويل / ابن شهيد / ٢٣٠ / ٤
- صدرى / الطويل / نزهون الغرناطية / ٢١٢ / ٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٧٩
- قصرى / الطويل / أبو القاسم بن حسان / ٢٥٨ / ٤
- للسمر / الطويل / ابن عبد الغفور الكلاعى / ٣٢٥ / ٤
- و الفكر / الطويل / الأصبغ القرشى / ٣٦٠ / ٤
- السكر / الطويل / ابن أبى الخصال / ٣٦٦ / ٤
- القبر / الطويل / الخنساء / ٨٠ / ٥
- للسر / الطويل / ولادة / ١٣٤ / ٥
- خبير / الطويل / حفصة الركونية / ١٠٥ / ٥
- الشعر / الطويل / ابن هذيل / ١٢ / ٦
- الأمر / الطويل / ابن زمرك / ١٩٥ / ٧

- أمر/ الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٨١
- القطر/ الطويل / ابن بيش العبدري / ٧ / ٣٤٤
- البذر/ الطويل / - / ٨ / ٢١
- الفجر/ الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٩٥
- فمحسر/ الطويل / ابن دقيق العيد / ١ / ٧٢ ، ٦ / ٢١١
- لزهر ك/ الطويل / ابن عياش أو ابن حريق / ١ / ١٤٨
- نوره/ الطويل / حفصة الركونية / ٥ / ١٠٨
- ضميره/ الطويل / ابن حمديس المغربي / ٢ / ٣٧
- بخيره/ الطويل / - / ٨ / ٦
- محتضره/ المديد/ على العكوك / ٤ / ١٧١
- أمطار/ البسيط / - / ١ / ٣٠
- صدر/ البسيط / عبد الكريم بن عمران / ٣ / ٢٣٥
- و الغار/ البسيط / ابن الحناط الأندلسي / ٢ / ٤٠
- مبار/ البسيط / صاعد / ٣ / ٣٦٠
- عطار/ البسيط / أبو البركات على العلوي / ٣ / ٢٤١
- إضراري/ البسيط / ابن صارة / ٤ / ٢٣٧
- عار/ البسيط / الراضي بن المعتمد / ٥ / ١٧٥
- و أضرار/ البسيط / ابن ليون التجيبي / ٧ / ١٢٦
- أسرار/ البسيط / ابن جابر / ٩ / ١٩٥
- مغفور/ البسيط / عبدون البنسي / ٤ / ٢٣٨
- نور/ البسيط / الرصافي / ٤ / ٢٦٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٨٠
- نور/ البسيط / ابن الحاج البليقي / ٧ / ٢٠
- المقادير/ البسيط / الهيثم بن أبي غالب / ٤ / ١٨١
- المقادير/ البسيط / هيثم السكوني أو عبد المهيمن الحضرمي / ٥ / ٢٤٥ ، ٧ / ١٥
- و الصور/ البسيط / ابن عبدون / ١ / ١٥٦ ، ٥ / ٣٤١ ، ٥ / ١٥١
- الحصر/ البسيط / - / ٥ / ٣٨٩
- بالأثر/ البسيط / ابن زيدون / ٢ / ١٣٤
- و البكر/ البسيط / أبو الفضل بن حسداي / ٢ / ١٤٣ ، ٤ / ٩٠
- السمر/ البسيط / أبو الربيع بن عبد المؤمن / ٢ / ٢٥٥
- الشجر/ البسيط / شرف الدين التيفاشي / ٢ / ٤٤٤
- الزهر/ البسيط / أبو عمران بن سعيد / ٢ / ٤٥١
- صدر/ البسيط / أبو الحسن بن نزار / ٤ / ٢٧٤

- و السير / البسيط / - / ٢٩ / ٤
- بالوتر / البسيط / ابن الزقاق / ١١٠ / ٤
- ضرر / البسيط / ابن بقی / ١٥٦ / ٤
- و النظر / البسيط / ابن شرف / ١٩٦ / ٤
- بالدرر / البسيط / - / ٢٩ / ٨
- للسر / البسيط / ولادة / ١٣٤ / ٥
- حور / البسيط / ابن شرف / ١٦ / ٥
- الحبر / البسيط / حبيب / ٢٢١ / ٤
- بصرى / البسيط / ابن عمار / ٢٣٤ / ٤
- للبصر / البسيط / - / ٢ / ٤٦٠
- البصر / البسيط / ابن ليون التجيبى / ١٢١ / ٧
- و البصر / البسيط / أبو العباس أحمد الغساني / ٤٧٧ / ٢
- و البصر / البسيط / ابن المرعزى / ٣٠٠ / ٤
- بالبصر / البسيط / ابن الرومى / ٢ / ٢٦٥
- للبصر / البسيط / الأعمى التطيلي / ٥ / ٢٣٤
- و طرى / البسيط / الأعمى التطيلي / ٤ / ٤٣، ٦٩
- و الغرر / البسيط / الأعمى التطيلي / ٥ / ٩
- و الغدر / البسيط / الأعمى التطيلي / ١ / ١٥٥
- و المطر / البسيط / الأعمى التطيلي / ٤ / ١٥٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٨١
- المطر / البسيط / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٥٢
- نهر / البسيط / ابن أرفع رأسه / ٥ / ٧٣
- البقر / البسيط / - / ٥ / ٨٠
- الظفر / البسيط / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١١٣
- و الظفر / البسيط / ابن ليون التجيبى / ٧ / ١٠١
- النظر / البسيط / ابن ليون التجيبى / ٧ / ٨٧
- القصر / البسيط / ابن سيد اللص / ٥ / ١٣٢
- القمر / البسيط / أبو عبد الله بن الحكيم / ٧ / ٤٤
- خطر / البسيط / أبو عبد الله بن جزى / ٧ / ٧٠
- العشر / البسيط / المعزى / ٧ / ٢١١
- الخبر / البسيط / - / ٧ / ٢٤٩
- السحر / البسيط / أبو القاسم المنيشى / ٨ / ٢٤٦
- عور / البسيط / ابن الأحمر / ٩ / ٢١

- الزهر/ البسيط/ أبو جعفر الإلبيري/ ٢١٤/٩
- خبري/ البسيط/ ابن نزار/ ٢٧٥/٤
- شز/ البسيط/ المرتضى/ ٢٦/٢
- كبره/ البسيط/ أبو عمران الميرتلي/ ٢٠٠/٢
- بالنهار/ مخلع البسيط/ المعتمد بن عباد/ ٢٢٨/٤
- كالحمار/ مخلع البسيط/ الأعمى التطيلي/ ٣١٢/٤
- باختياري/ مخلع البسيط/ ابن حجاج/ ٤٢٣/٥
- الوقار/ مخلع البسيط/ صفوان بن إدريس/ ١٦١/٦
- الحرير/ مخلع البسيط/ السمسير/ ٢٠٩/٤
- ضميري/ مخلع البسيط/ أبو العباس النجار/ ٢٥٨/٤
- دهري/ مخلع البسيط/ ابن حريق/ ٢٥٠، ٢٠٧/٤
- خسر/ مخلع البسيط/ القاسم بن محمد الأوسط/ ٣٤٨/٤
- جاري/ الوافر/ الصفدي/ ١٦٥/٣
- بالوقار/ الوافر/ أبو عبد الله بن الحكيم/ ٢١٩/٣
- النهار/ الوافر/ أبو جعفر الإلبيري/ ٢٧٤/٣
- النهار/ الوافر/ أبو عبد الله العبدري/ ٣٤١/٧
- الجوار/ الوافر/ ابن زيدون/ ٩٦/٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٨٢
- المزار/ الوافر/ أبو عامر (ذو الوزارتين)/ ٩٦/٤
- الديار/ الوافر/ عبد الله والد لسان الدين/ ١١/٦
- الديار/ الوافر/ -/ ٥٩/٨
- عرار/ الوافر/ -/ ٤٤/٨
- باخضرار/ الوافر/ ابن الحاج الغرناطي/ ٢٩٥/٨
- بالصخور/ الوافر/ الغزال/ ٣٨١/٢
- المستور/ الوافر/ ابن قلاقس/ ٨٣/٤
- بنوري/ الوافر/ غالب الحجام/ ٢١٣/٤
- الشكور/ الوافر/ المعتمد بن عباد/ ٤١/٥
- غدور/ الوافر/ ابن اللبانه/ ٤١/٥
- و البرور/ الوافر/ ابن ليون التجيبي/ ١٠٣/٧
- زور/ الوافر/ ابن يربوع/ ١٣٤/٧
- مسيري/ الوافر/ سعد الدين بن عربي/ ٣١٣/٢
- الخطير/ الوافر/ ابن ليون التجيبي/ ١٠٨/٧
- شعري/ الوافر/ لب بن عبد الوارث القلعي/ ٣٠٨/٤

- در/ الوافر/ أبو الأصبح بن رشيد/ ٥/ ٦٥
 و ظفر/ الوافر/ ابن الحاج الغرناطي/ ٥/ ٢٢٥
 بدر/ الوافر/ ابن الحاج الغرناطي/ ٣/ ١٤١
 ستر/ الوافر/ ابن ليون/ ٧/ ٨٩
 و فكر/ الوافر/ ابن ليون/ ٧/ ١٢٨
 أمرك/ الوافر/ ابن خاتمة/ ٥/ ٢٥٦، ٧/ ١٦١
 بقدرك/ الوافر/ ابن عبد الملك المراكشي/ ٧/ ٢٠٨
 الضرّ/ مجزوء الوافر/ -/ ٤/ ٣٠٩
 الأسحار/ الكامل/ -/ ١/ ٢٨
 الأخيار/ الكامل/ أبو جعفر الرعيني/ ١/ ٥٣
 الأخيار/ الكامل/ أبو جعفر الإلبيري/ ٩/ ٢١٤
 نضار/ الكامل/ -/ ٢/ ٣٧
 بنضار/ الكامل/ ابن خفاجة/ ٤/ ٣٩
 الأزهار/ الكامل/ ابن خفاجة/ ٢/ ١٧١
 الأزهار/ الكامل/ ابن زمرك/ ٩/ ٨٩
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٨٣
 نهار/ الكامل/ ابن خفاجة/ ٢/ ١٧٢
 بعقار/ الكامل/ ابن هبة الله/ ٢/ ٣٧٥
 عقار/ الكامل/ أبو حيان/ ٣/ ١٨٤
 سوار/ الكامل/ أبو تمام/ ٢/ ٤٧٤
 الأبار/ الكامل/ أبو الحسن المعافري/ ٣/ ١٩٤
 فجار/ الكامل/ ابن الأبار/ ٣/ ١٩٤
 دارى/ الكامل/ ابن الأبار/ ٣/ ١٩٤
 قرار/ الكامل/ ابن مجير/ ٤/ ٦٨
 قرار/ الكامل/ لسان الدين/ ٧/ ٣١٨
 المضممار/ الكامل/ لسان الدين/ ٨/ ١٦٥
 النار/ الكامل/ الأبيض/ ٤/ ٢٧٢
 نار/ الكامل/ -/ ٦/ ٢٣٦
 الأبصار/ الكامل/ الهيثم/ ٥/ ٣٦
 الأحرار/ الكامل/ -/ ٥/ ٧١
 عمّار/ الكامل/ ابن عمار/ ٥/ ١٤٠
 الأقمار/ الكامل/ -/ ٥/ ١٩٦
 البلّار/ الكامل/ المعتمد بن عباد/ ٥/ ١٩٩

- الأمصار/ الكامل/ ابن زمرك / ١٤٣ / ٦
- مدرار/ الكامل/ ابن زمرك / ١٢ ، ٩ / ٩
- المقدور/ الكامل/ ابن الرومي / ٢٤١ / ٦
- شورر/ الكامل/ الفشتالي / ١٧١ / ٧
- و الزوار/ الكامل/ ابن جزى / ٧١ / ٧
- الأنوار/ الكامل/ ابن خاتمة / ٧٥ / ٧
- مزارى/ الكامل/ أبو يحيى البلوى / ١٨٣ / ٧
- الأسفار/ الكامل/ التهامي / ٤٣ / ٨
- الفاتر/ الكامل/ - / ٥٤ / ٢
- مناظر/ الكامل/ ابن عنين / ٢٩ / ٣
- ظاهر/ الكامل/ النحلى / ٦٣ / ٤
- بواتر/ الكامل/ المعتمد بن عباد / ٦٣ / ٤
- ناضر/ الكامل/ ابن نزار / ٢٧٦ / ٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٨٤
- بصابر/ الكامل/ ابن حمدين / ٢٤ / ٥
- ناظري/ الكامل/ ابن مهيب / ٢٢٣ / ٥
- الناظر/ الكامل/ المقرئ الجد / ٢٧٩ / ٦
- الصقر/ الكامل/ ابن فرناس / ١٤١ / ١
- النهر/ الكامل/ - / ٢٧٦ / ١
- النظر/ الكامل/ صاعد / ٣٤٥ / ٣
- الشكر/ الكامل/ حاشد البغدادى / ٣٦١ / ٣
- البشر/ الكامل/ ابن ظافر / ٧٥ / ٤
- الزهر/ الكامل/ صفوان بن إدريس / ٦٠ / ٦
- ذعر/ الكامل/ صفوان بن إدريس / ٦٠ / ٦
- صدرى/ الكامل/ أبو محمد بن حامد / ٦٠ / ٦
- المستظهر/ الكامل/ - / ٢٩ / ٢
- مضمر/ الكامل/ - / ٣٧ / ٢
- صرصر/ الكامل/ عبد الملك الخولانى / ١٠١ / ٢
- يعترى/ الكامل/ عبد الملك الخولانى / ١٠٢ / ٢
- الأعور/ الكامل/ أبو مروان الجزيرى / ٢٢٢ / ٥
- تفكر/ الكامل/ سعد الدين بن عربى / ٣١٤ / ٢
- أزهر/ الكامل/ - / ٢٣ / ٣
- المحشر/ الكامل/ أبو عبد الله بن الحجاج المعروف بمدغليس / ١٠٣ / ٣

- المغفر/ الكامل/ ابن مهاجر الوادى آشى / ٣ / ٢٤٣
- كوثر/ الكامل/ الراعى الغرناطى / ٣ / ٢٨٠
- الكوثر/ الكامل/ ابن مرج الكحل / ٦ / ٤٣
- المسفر/ الكامل/ ابن هانىء الإلبيرى / ٤ / ٤٤، ٤١١
- بالمغفر/ الكامل/ ابن عباد / ٣ / ٢٤٣
- البحترى/ الكامل/ ابن أخت غانم / ٤ / ١٩٦
- يقدر/ الكامل/ صفوان / ٤ / ٢٤٨
- عنبر/ الكامل/ ابن المعتز / ٤ / ٣٥٨
- العنبر/ الكامل/ لسان الدين / ٨ / ١٦٣
- تنبرى/ الكامل/ لسان الدين / ٨ / ١٢٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٨٥
- أخضر/ الكامل/ ابن عمار / ٤ / ٣٦٦
- المتعذر/ الكامل/ ابن الأعلم / ٤ / ٤٠٣
- يشعر/ الكامل/ المعتمد بن عباد / ٥ / ٣٨
- تتخير/ الكامل/ ولادة / ٥ / ١٣٣
- المنظر/ الكامل/ ابن بقى / ٥ / ١٦٤
- فتصبر/ الكامل/ أبو بكر بن محرز الزهرى / ٥ / ٢٤٩
- منكر/ الكامل/ شمس الدين الكوفى الواعظ / ٦ / ٤٧
- المنبر/ الكامل/ - / ٦ / ٢٤١
- جوهر/ الكامل/ ابن خميس / ٦ / ٣٠٠
- فكفر/ الكامل/ - / ٦ / ٣٤٩
- الممطر/ الكامل/ الأرجانى / ٧ / ٧٥
- تحفر/ الكامل/ - / ٨ / ٣٣
- يشهر/ الكامل/ ابن جابر / ٩ / ١٨١
- تذكاره/ الكامل/ أبو عبد الله بن الحكيم / ٣ / ٢١٨، ٧ / ٤٦
- وقاره/ الكامل/ الرصافى / ٥ / ٧٦
- عصيره/ الكامل/ ابن شهيد / ٢ / ٥٧
- أمره/ الكامل/ أبو الربيع الينينى / ٣ / ١١
- وهجره/ الكامل/ ابن وهبون / ٥ / ٤٦
- غيره/ الكامل/ لسان الدين / ٨ / ١٨٢
- قصره/ الكامل/ ابن زمرك / ٩ / ٨٠
- ونارها/ الكامل/ ابن الجيان المرسى / ٩ / ٣١٨
- الظهور/ مجزوء الكامل/ ابن الأبار / ٣ / ١٨٤

- النضير/ مجزوء الكامل/ ابن رزين/ ١١١ /٤
- الأسير/ مجزوء الكامل/ أبو الصلت أمية الأندلسي/ ٢٤٥ /٤
- المنير/ مجزوء الكامل/ أبو مروان بن رزين/ ٣٣٨ /٤
- شر/ مجزوء الكامل/ ابن ليون/ ٩٩ /٧
- الضر/ الهزج/ ابن خلف الفحصي/ ٣٠٩ /٤
- العمر/ الرمل/ ابن الأزرق الغرناطي/ ٢٨٧ /٣
- العمر/ الرمل/ القضاعي/ ١٠٨ /٣
- السحر/ الرمل/ أبو الأصبع بن الناصر/ ٣٥١ /٤
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٨٦
- القدر/ الرمل/ ابن الجياب/ ٣٧٩ /٦
- اختبار/ مجزوء الرمل/ ابن حصن الجزيري/ ١٦ /٥
- صبري/ مجزوء الرمل/ أبو عبد الله بن الحداد/ ٤١٨ /٤
- صدرى/ مجزوء الرمل/ لسان الدين/ ١٦٦ /٨
- داره/ مجزوء الرمل/ ابن ليون/ ٨٨ /٧
- سارى/ السريع/ عبد الله بن الشمر/ ٣٧٥ /٤
- الدارى/ السريع/ عبد الرحمن الأوسط/ ٣٧٥ /٤
- سار/ السريع/ أبو جعفر بن سعيد/ ١١٥ /٥
- العذار/ السريع/ أبو جعفر الإلبيري/ ٢١٦ /٩
- الشعير/ السريع/ ابن عتبة الطيب/ ٢٩٧ /٤
- الناضر/ السريع/ الششتري/ ٣٤١ /٢
- ناثر/ السريع/ عمر بن الملطي/ ١٥٠ /٣
- بالصابر/ السريع/ الحناط/ ٨٧ /٤
- قدرى/ السريع/ أبو بكر الطرطوشى/ ٢٤٨ /٢
- العصر/ السريع/ ابن جبير/ ١٤ /٣
- العطر/ السريع/ أبو الفضل الدارمى/ ٣٧٧ /٣
- الخمير/ السريع/ ابن حريق/ ٢٠٧ /٤
- سكر/ السريع/ أبو جعفر بن عائش/ ٢١٦ /٤
- مصر/ السريع/ إبراهيم الحجارى/ ٢١٦ /٤
- الدهر/ السريع/ عبد الله الحجارى/ ٣٤١ /٤
- ذعر/ السريع/ ابن جابر/ ٢٠٧ /٩
- بالقادر/ السريع/ -/ ٢٥٦ /٦
- الأكبر/ السريع/ -/ ١٠٠ /١
- العبقري/ السريع/ ابن العمادى/ ٥٤ /٣

- يضجر/ السريع/ ابن ليون/ ٧/ ١١٥
- تشعر/ السريع/ رفيع الدولة بن صمادح/ ٨/ ٢٣٧
- داره/ السريع/ ابن ليون/ ٧/ ١٠٨
- أسوارها/ السريع/ ابن مرزقان/ ٥/ ٦٤
- الأسارير/ المنسرح/ عبد الواحد المراكشي/ ٢/ ٢٥٥
- الأسارير/ المنسرح/ عصا الأعمى/ ٥/ ١١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٨٧
- الفكر/ المنسرح/ ابن زيدون/ ٤/ ٩٧
- و السفر/ المنسرح/ أبو الصلت أمية/ ٤/ ١٥٥
- حذر/ المنسرح/ أبو الصلت أمية/ ٤/ ٢٦٥
- قصرى/ المنسرح/ المطرف بن عبد الرحمن الأوسط/ ٤/ ٣٤٩
- معتذر/ المنسرح/ لسان الدين/ ٦/ ١١٦
- نظري/ المنسرح/ لسان الدين/ ٨/ ١٦٩
- للقصار/ الخفيف/ -/ ١/ ٧١
- الجارى/ الخفيف/ ابن شهيد/ ١/ ٣١٢، ٢/ ١٠١
- أبكار/ الخفيف/ المنصور بن أبى عامر/ ١/ ٣١٢، ٢/ ١٠٠
- الشفار/ الخفيف/ أبو المغيرة بن حزم/ ٢/ ١٢٥
- سوار/ الخفيف/ أنس القلوب/ ٢/ ١٢٤
- باختبار/ الخفيف/ أبو جعفر الذهبى/ ٤/ ٤٣
- نهار/ الخفيف/ أبو العلاء بن زهر/ ٤/ ٧٤
- نهار/ الخفيف/ زهر بن عبد الملك/ ٤/ ٢٢٥
- النهار/ الخفيف/ أبو العباس أحمد بن محمد الإشبلى/ ٣/ ١٢٧
- نار/ الخفيف/ -/ ٤/ ١٥٩
- الأخبار/ الخفيف/ أبو عامر بن الفرج/ ٤/ ٢٠٧
- باختبار/ الخفيف/ أبو جعفر بن الذهبى/ ٤/ ٢٠٨
- و الجيتار/ الخفيف/ ابن الحاج الغرناطى/ ٧/ ١٦
- يدارى/ الخفيف/ ابن ليون/ ٧/ ٨٥
- و اعتذارى/ الخفيف/ لسان الدين/ ٨/ ١٩١
- و عقار/ الخفيف/ لسان الدين/ ٩/ ١٤٨
- سرور/ الخفيف/ أبو الصلت أمية/ ٤/ ٢٦٦
- شكور/ الخفيف/ أبو منصور النحوى/ ٦/ ١٣٣
- الأمور/ الخفيف/ ابن ليون/ ٧/ ١٢٤
- الصغير/ الخفيف/ عبد الرحمن الناصر/ ١/ ٣٧٨

- النضير/ الخفيف/ ابن جابر/ ٢٠٩ /٩
- طير/ الخفيف/ صفوان بن إدريس/ ٩٣ /١
- سرى/ الخفيف/ أبو الحسن الرباطي/ ٤٢٢ /٢
- مفرى/ الخفيف/ أحمد الشاهيني/ ٣٩ /٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٨٨
- ذكرى/ الخفيف/ المقرئ المؤلف/ ٣٩ /٣
- شهر/ الخفيف/ أبو جعفر الوقشي/ ٧٤ /٥
- نهر/ الخفيف/ -/ ١٩٢ /٤
- و بشر/ الخفيف/ ابن الحاج الغرناطي/ ٢٩٥ /٨
- عمره/ الخفيف/ ابن ليون/ ١٢٣ /٧
- اعتداری/ المجتث/ أنس القلوب/ ١٢٥ /٢
- بالیسار/ المجتث/ مدغليس/ ١٨٦ /٤
- ثاری/ المجتث/ -/ ٣٦ /٨
- و نثر/ المجتث/ -/ ١٦٠ /١
- الدائر/ المتقارب/ ابن جبیر/ ١٣ /٣
- العائر/ المتقارب/ ابن جبیر/ ١٠٦ /٣
- آخر/ المتقارب/ ابن حزمون/ ٢٥١ /٤
- الشاعر/ المتقارب/ الأعمى المخزومي/ ٣١٢ /٤
- أخضر/ المتقارب/ عبد الوهاب المالقي/ ٢٠٧ /٣
- بالمغفر/ المتقارب/ ابن عباد/ ٢٠٢ /٥
- وكره/ المتقارب/ ابن مهيب/ ٢٢٣ /٥
- أخطارها/ المتقارب/ -/ ١٣٥ /١
- سکرها/ المتقارب/ القلندر/ ٢٤٠ /٤

قافية الزای (ز)

- للعجوز/ المتقارب/ -/ ٦ /٣
- جزى/ الطويل/ لسان الدين/ ١٦٥ /٧
- عزّا/ الطويل/ ابن عبد الرحيم الوادي آشي/ ٣٣٠ /٧
- و أنزه/ المجتث/ ابن ليون/ ١٠٨ /٧
- عاجز/ الطويل/ أبو الصلت أمية/ ١٦٢ /٤، ٣٩١
- خزّ/ الطويل/ أبو حيان/ ١٥٩ /٣
- المجاز/ الوافر/ ابن برطله/ ٢٢٥ /٥
- طراز/ الكامل/ ابن صارة/ ٣٧ /٢، ٣٦٥ /٤

- عزوا/ الكامل/ ابن ليون/ ١٠٤/٧
 مجاز/ الطويل/ أبو محمد القرطبي/ ٥٨/٤
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٨٩
 الغمز/ الطويل/ ابن الحداد/ ٢٨٣/٤
 و إنجاز/ البسيط/ سعيد بن حكيم/ ٣٥٨/٥
 يبرز/ الكامل/ أبو عبد الله الرندي/ ٣٦/٥
 إيجازها/ الكامل/ ابن الصباغ الغرناطي/ ٣٥٦/٧
 إنجازها/ الكامل/ لسان الدين/ ٣٥٦/٧
 إحرار/ السريع/ أبو الحسن بن سعيد/ ٤٤٥/٢
 حرير/ الخفيف/ لسان الدين/ ١٨١/٨
 لهزّ/ الخفيف/ -/ ٤٢٧/٥
 العزيز/ المجتث/ رضوان المخزومي/ ٢١٤/٢
 عبد العزيز/ المتقارب/ أبو الحسن بن سعيد/ ٤٢٨/٢

قافية السين (س)

- رأس/ الطويل/ حفصة الركونية/ ١٠٨/٥
 الأندلس/ مجزوء الكامل/ -/ ٢٧٦/١
 النفوس/ الرمل/ ابن ليون/ ٨٤/٧
 جليس/ السريع/ الوداعي/ ٩٣/١
 الحرس/ المتقارب/ أبو عامر بن شهيد/ ٣٦/٤
 عيسى/ الطويل/ أبو زكريا بن هذيل/ ٣٧/٧
 عسى/ الطويل/ ابن سهل/ ٣٠٣/٤
 أسى/ الطويل/ ابن الجياب/ ٣٦٣/٦
 همسا/ الطويل/ عبد المؤمن الطليطلي/ ٧٣/٥
 عسعسا/ الطويل/ ابن سهل/ ٣٠٤/٤
 تنفسا/ الطويل/ أبو زكريا بن هذيل/ ٣٢/٧
 فأفلسا/ الطويل/ -/ ٢٨٤/٧
 درسا/ البسيط/ ابن الأبار/ ١٩٢/٣، ١٢١/٤، ٣٤٦/٥
 عطسا/ البسيط/ الأبيض/ ١٠٨/٤
 مقتبسا/ البسيط/ ابن عبد ربه/ ٢٢٩/٤
 اختلاسا/ مخلع البسيط/ الرصافي البلنسي/ ٩٤/٥
 عبوسا/ الوافر/ ابن خروف القيسي/ ٢٣٤/٣، ٢٠٧/٧
 شموسا/ الكامل/ عبد العزيز الفشتالي/ ١٧٧/٧

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٩٠

عبوسا/ الكامل/ لسان الدين / ٧ / ٢٩٩

بليسا/ الكامل/ أبو تمام / ٣ / ٢٣

و رسيسا/ الكامل/ أبو تمام / ٧ / ٣٠٥

نفيسا/ الكامل/ ابن عبدون / ٥ / ٢٢١

تنسي/ الكامل/ اليكى / ٤ / ١٥٤

الرياسه/ مجزوء الكامل/ ابن ليون / ٧ / ١٢٩

عبسا/ الرمل / أبو بكر بن العربي / ٢ / ١٩٩

ناسا/ مجزوء الرمل / الزبيدي / ٤ / ٢٦٠

أنسا/ مجزوء الرمل / - / ٣ / ٨

و الباسا/ السريع / أبو الصلت أمية / ٤ / ١٣٦

ليسا/ السريع / أبو وهب عبد الرؤوف / ٥ / ٦٦

الأنفسا/ السريع / ابن زيدون / ٤ / ٩٥

الرؤوسا/ الخفيف / - / ٣ / ١٠٨

الخندريسا/ المتقارب / - / ٨ / ٢٨

أنفاسها/ المتقارب / صاعد / ٣ / ٣٤٧

حرّاسها/ المتقارب / ابن بدر (أو ابن برد) / ٣ / ٣٤٧

أقواس / الطويل / ناهض بن إدريس / ٢ / ١٤

عابس / الطويل / أبو زكريا بن هذيل / ٧ / ٣٤

أمس / الطويل / ابن عبد العزيز / ٤ / ١١١، ٢٠٦

الشمس / الطويل / ابن الطراوة / ٤ / ١٨٦

الشمس / الطويل / المعتمد بن عباد / ٥ / ٢٢٨

شمس / الطويل / ابن عمار / ٥ / ٢٢٨

النفس / الطويل / أبو الربيع بن سالم / ٥ / ٢٤٤

الأنس / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ٤ / ٢٩٥، ١١٩

الأنس / الطويل / رفيع الدولة بن صمادح / ٨ / ٢٣٨

أنس / الطويل / محمد بن الحسن الجبلي / ٤ / ٣٨٤

دارسه / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٦٤

و رئيسه / الطويل / - / ٢ / ٢٨٣، ١٥٩

تنفسه / الطويل / ابن زمرك / ٩ / ٣٣

فريسيها / الطويل / ابن بطال البطليوسي / ٤ / ٢٣٩

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٩١

عرس / المديد / ابن الفخار اليهودي / ٤ / ٣٠٥

- الناس / البسيط / ابن أبي يغمور / ٤ / ٦١
 إيناس / البسيط / - / ٧ / ٣٣٤
 عرس / البسيط / السميسر / ٤ / ١٣٥
 دنس / البسيط / ابن جاخ الصباغ / ٤ / ٢٤١
 و الطرس / البسيط / رفيع الدولة بن صمادح / ٨ / ٢٣٨
 الطاووس / الكامل / ابن اللبانه (أو ابن قلاقس أو ابن حمديس) / ١ / ١٤٥، ٨ / ١٤٣، ٣١٠
 رئيس / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٩٦
 النرجس / الكامل / ابن الأزرق / ٧ / ٢٦١
 منعكس / الكامل / الافتخار بن العديم / ٢ / ٤٧٩
 جنس / الهزج / ابن الجياب / ٦ / ٣٦٩
 الناعس / السريع / ابن جابر / ٣ / ٢٥٦
 رمس / السريع / المقدم بن معافى / ٤ / ٣١٣
 يرأس / السريع / أبو الحسن بن سعيد / ٢ / ٣٩٦، ٤٦١
 النفوس / الخفيف / البدر بن حبيب / ٣ / ١٩
 و باس / المجتث / محمد بن عبد الملك بن الناصر / ٤ / ٣٥٢
 أشوس / المتقارب / الصابى / ١ / ٨٥
 مبلس / المتقارب / - / ١ / ٨٤
 الأكوس / المتقارب / ابن زيدون / ٤ / ٩٦
 قرطاس / الطويل / ابن عيشون / ٣ / ١١١
 باس / الطويل / أبو بكر بن عطية / ٣ / ١٣٣
 الراسى / الطويل / ابن صابر القيسى / ٣ / ٢٤٥
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٢٩١
 اسى / الطويل / أبو الحسن بن الحاج / ٥ / ٤٧
 بالناسى / الطويل / أبو عبد الله بن جزى / ٧ / ٧١
 الناس / الطويل / أبو عبد الله بن جزى / ٧ / ٧٢
 الناس / الطويل / ابن جابر / ٩ / ١٩٣
 و بالياس / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٨٤
 باديس / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٧١
 بآيس / الطويل / - / ٣ / ٧٧
 أمس / الطويل / - / ١ / ١٠٣
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٩٢
 نفسى / الطويل / المصحفى / ١ / ٣٢٨
 كيس / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٤٢

- لبس / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٧٤
- الأنس / الطويل / أبو القاسم بن بقى / ٤ / ٥٩
- اللمس / الطويل / أبو الفضل البغدادي / ٤ / ٣٧٥
- اللمس / الطويل / - / ٤ / ١٦١
- و اللمس / الطويل / - / ٥ / ٣٥
- و اللبس / الطويل / أبو بكر الزبيدي / ٤ / ٣٨١، ٨ / ٢٣٤
- غرسى / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٩١
- القدس / الطويل / ابن زمرك / ٩ / ٩٣
- مجلس / الطويل / ابن زمرك / ٩ / ٣٤
- التنفس / الطويل / المصحفى / ٢ / ١٠٦
- تنفسه / الطويل / ابن زمرك / ٩ / ٣٣
- كالقبس / المديد / أبو عبد الله الجذامى / ٤ / ٢٥١
- مياس / البسيط / محمد بن أبى عيسى / ٢ / ١٨٩
- الكاسى / البسيط / الحطيئة / ٣ / ١١٣، ٥ / ٧٠
- ناسى / البسيط / نجم الدين الإسكندرى / ٣ / ١٥٠
- بالياس / البسيط / أبو حيان / ٣ / ١٦٨
- و الباس / البسيط / أبو حيان / ٣ / ١٨٢
- و الباس / البسيط / أبو عبد الله بن الحكيم / ٧ / ٤٧
- الياس / البسيط / النباهى / ٧ / ٢٣٥
- بوس / البسيط / ابن أبى الخصال / ٤ / ٩٢
- أكياس / البسيط / الفقيه الطرائفى / ٧ / ٤٧
- الناس / البسيط / أبو زيد الفازازى / ٩ / ٣٢٣
- تأسيس / البسيط / ابن مرج الكحل / ٦ / ٤٨
- العيس / البسيط / صفوان بن إدريس / ٦ / ٤٩
- القناعيس / البسيط / جرير / ٨ / ٨
- و القبس / البسيط / ابن جبير / ٣ / ١٠٥
- قبس / البسيط / الهيثم بن أحمد / ٤ / ١٨١
- الخلس / البسيط / الوحيدى / ٤ / ١٩١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٩٣
- فرس / البسيط / الحسين بن الضحاك / ٤ / ٣٨٨
- الغلس / البسيط / أبو نواس / ٤ / ٣٨٨
- الغلس / البسيط / أبو عامر بن ينق / ٤ / ٣٨٨
- الغلس / البسيط / ابن زنون / ٤ / ٣٨٩

- و من نفسى / البسيط / ابن العريف / ٤ / ٦٠
 باسه / البسيط / - / ٦ / ١٢٩
 نفسى / مخلع البسيط / ابن غصن الحجارى / ٤ / ٢١٨
 براسى / الوافر / أبو يحيى بن هشام القرطبي / ٤ / ١٣٠
 و كاسى / الوافر / الرمادى / ٤ / ٤٠٦
 كاس / الوافر / المكودى / ٧ / ٣٤٣
 شمسى / الوافر / ابن زيدون / ٤ / ١٠٧
 أنسى / الوافر / يونس بن مغيث / ٤ / ٣٩٧
 آس / الكامل / المهدي / ٢ / ٩٤ ، ١٠٤
 راسى / الكامل / الأعلم الشنتمرى / ٤ / ١٣٠
 الكاس / الكامل / - / ٧ / ١٧٠
 المقياس / الكامل / ابن نباتة / ٣ / ٣٢
 قرطاس / الكامل / أبو جعفر الإلبيرى / ٣ / ٢٦٣
 الأشماس / الكامل / ابن صارة / ٤ / ٢٣٢
 رسيسى / الكامل / ابن خطاب / ٦ / ٢٩٥
 و مجالس / الكامل / ابن خفاجة / ٤ / ١٢٠
 النرجس / الكامل / - / ١ / ٧١
 النرجس / الكامل / الجزيرى / ٢ / ٦١
 مؤسس / الكامل / أبو الصلت أمية / ٢ / ٣٥
 مجلس / الكامل / ابن عمار / ٢ / ١٥١
 الملبس / الكامل / ابن ليون / ٧ / ١٢٧
 لباسه / الكامل / ابن خروف / ٤ / ٤١
 و الباس / مجزوء الكامل / ابن زمرك / ٩ / ٨٢
 أناسك / مجزوء الكامل / أبو جعفر الإلبيرى / ٣ / ٢٦٥
 كاسه / مجزوء الكامل / أبو جعفر الرضى / ٤ / ٩٢
 و أناسها / مجزوء الكامل / الصفدى / ١ / ٤٧
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٩٤
 نفس / الرمل / ابن خفاجة / ١ / ١٤٥ ، ١٧٤ ، ٣٩٢ / ٤
 أشمس / الرمل / ابن زيدون / ٥ / ٤٣
 بأمس / مجزوء الرمل / ابن ليون / ٧ / ١٠٩
 لباس / السريع / ابن خفاجة / ٤ / ٤٠
 لباس / السريع / ابن خفاجة / ٤ / ١٥٤
 الكاس / السريع / أبو عبد الله الشلبى / ٥ / ١٨

- بالناسى / السريع / ابن ليون / ٧ / ١١١
 الناس / السريع / ابن جابر / ٩ / ٢٠٠
 مسى / السريع / عبد الله الحجارى / ٤ / ٣٤١
 بتقديسه / السريع / الرمادى / ٤ / ٤٠٨
 نفسه / السريع / أبو الفضل البغدادى / ٣ / ٣٧٦
 نفسه / السريع / - / ٧ / ٢٨٣
 بوس / الخفيف / أبو بكر بن رحيم / ٢ / ١٦٥
 كؤوس / الخفيف / ابن الزقاق / ٥ / ٢١٧
 آبنوس / الخفيف / ابن زمرك / ٩ / ٨٨
 و جليسى / الخفيف / ابن الحداد / ٥ / ٥٧
 لنفسك / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ١٠٣
 كناسه / الخفيف / سعد الدين بن عربى / ٢ / ٣١٤
 جنسه / الخفيف / لسان الدين / ٨ / ١٦٩
 جنسه / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ١١٦
 نفسه / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ٩١
 و ناسى / المتقارب / ابن الحاج الغرناطى / ٨ / ٢٩٤
 لأنفاسها / المتقارب / المصحفى / ٢ / ١٠٧
 بنفسه / المجتث / ابن ليون / ٧ / ١٠٦

قافية الشين (ش)

- انتشى / الطويل / ابن الخيال الاستبى / ٤ / ٣١٢
 الرشا / الكامل / - / ٣ / ٣٧١
 موحشا / الكامل / ابن حمويه السرخسى / ٣ / ٣٧٠
 موحشا / الكامل / البحيرى / ٦ / ٢١٤
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٩٥
 الأشا / مجزوء الكامل / ابن عبد الرحيم الوادى آشى / ٧ / ٣٣٠
 فرش / الرمل / لسان الدين / ٨ / ١٦٥
 عشوا / البسيط / الرمادى / ٤ / ٤٠٦
 خراش / الطويل / السلفى / ٣ / ٣٣٧
 العطش / المديد / إدريس بن اليمان / ٥ / ٢٣
 الخفافيش / البسيط / - / ١ / ٧٣
 و اعطشى / البسيط / جارية / ٤ / ١٠٧
 فرشى / البسيط / ابن زيدون / ٤ / ١٠٧

دهش / البسيط / المقرئ الجد / ٦ / ٢٧٩

يشى / الكامل / ابن خاتمة / ٥ / ٢١٩

منتشى / الكامل / ابن جزى / ٥ / ٢١٩

غبش / الرمل / المتنبي الجزيري / ٢ / ١٦٣

و الغبش / المنسرح / أبو الصلت أمية / ٤ / ١٣٦

قافية الصاد (ص)

و القنص / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١١١

الفصوص / السريع / صاعد البغدادي / ٣ / ٣٤٦

يغوص / السريع / - / ٣ / ٣٤٦

نقص / المنسرح / أحمد بن أيوب / ٤ / ١٤١

خمائصا / الطويل / الأعشى / ٣ / ١١٣

مخلصا / الطويل / سعد الدين بن عربي / ٢ / ٣١٢

أبرصا / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٦٢

نقصا / البسيط / ابن بقى / ٢ / ١٥، ٩٩

قلصا / البسيط / ابن هانيء السبتي / ٧ / ٣٤٥

نصا / الهزج / أبو بكر بن العربي / ٦ / ٢٧٨

قصا / الهزج / المقرئ الجد / ٦ / ٢٧٩

الخصى / السريع / المخزومي الأعمى / ٤ / ٤٢

لصا / الخفيف / - / ٧ / ١٣١

تنقيص / البسيط / ابن جابر / ٣ / ٢٦٦

خلاص / الكامل / - / ٦ / ٢١٧

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٩٦

خميصه / الكامل / ابن الزقاق / ٤ / ١١٠، ٩٣ / ٥

خالص / السريع / المعتمد بن عباد / ٥ / ٣٨

مخلص / السريع / ابن جابر / ٩ / ٢٠٨

عفص / الخفيف / ابن عبد الجبار الطرطوشي / ٢ / ٢٤٩

الحريص / مخلص البسيط / ابن المرعزي / ٤ / ٢٩٩

النصوص / الوافر / - / ١ / ٧١

مخلصى / الكامل / أبو القاسم الشاطبي / ٢ / ١٩٧

منغص / الكامل / ابن ليون / ٧ / ١٠٨

القاصى / السريع / أبو جعفر الإليري / ٣ / ٢٦٢

قافية الضاد (ض)

- مرض / الطويل / لسان الدين / ٧ / ٣٠٩
 فاغتمض / الرمل / ابن زيدون / ٥ / ١٣٦
 بغيض / السريع / ابن فرفور / ٢ / ٥٤
 مرفوضا / الطويل / أبو جعفر الإلييري / ٩ / ٢١٦
 الغمضا / الطويل / - / ١ / ١٦٤
 تقضى / الطويل / ابن سراقه الشاطبي / ٢ / ٢٢٩
 عرضا / الطويل / ابن رشيق القرطبي / ٣ / ٢٣٩
 و الخفضا / الطويل / ابن سهل / ٤ / ٣٠٣
 و البعض / الطويل / ابن سهل / ٤ / ٣٠٢
 الرضا / الطويل / - / ٧ / ٢٣٩
 عرضا / الطويل / السمسير / ٥ / ٥١
 الأرضى / الطويل / ابن حذلم / ٦ / ٣١٥
 مرضى / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٦٨
 تمضمضا / الطويل / ابن الجياب / ٧ / ٢٣٩
 فقضى / البسيط / - / ٦ / ١٩١
 عرضا / البسيط / ابن جابر / ٩ / ١٩٣
 منقبضه / البسيط / ابن الحاجب / ١ / ٧
 و عرضا / الوافر / أبو عمرو بن الزبير / ٨ / ٢١٤
 غمضا / الكامل / أبو زكريا بن هذيل / ٧ / ٣٤
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٩٧
 القضا / الكامل / المقرئ المؤلف / ١ / ٩٠
 مضى / الكامل / أبو البركات بن الحاج / ٥ / ٨٩
 متعرضا / الكامل المجزوء / - / ٢ / ١٠٤
 المرتضى / الكامل المجزوء / حفصة الركونية / ٥ / ١٠٩
 معرضا / الرمل / أبو بكر بن عطية / ٣ / ١٣٢
 معرضا / الرمل / أبو بكر بن عطية / ٣ / ١٣٢
 نافضا / السريع / لسان الدين / ٨ / ١٨٨
 غيضا / الخفيف / عبادة / ٤ / ٣٩٥
 و القضا / مجزوء الخفيف / ابن رشيق القرطبي / ٣ / ٢٣٩
 قريضا / المجتث / - / ٣ / ٨٠
 قضى / المتقارب / ابن خاتمة / ٥ / ٢٥٦

- الفضا/ المتقارب/ لسان الدين / ٨ / ١٩١
غامضه/ المتقارب /- / ٣ / ١١٤
نقضها/ المتقارب/ أبو الفضل بن شرف / ٤ / ١٩٥
تقبض / الطويل / ابن أبي الدوس / ٤ / ٤٠٠
ناهض / الطويل / ابن الحاج الغرناطى / ٨ / ٢٩٦
غرض / البسيط / الشقندى / ٤ / ٥٥
عوض / البسيط / زهر بن عبد الملك / ٤ / ٢٢٦
البعوض / الوافر / ابن مسعدة الغرناطى / ١ / ١٥٢
نهوض / الوافر / غالب الحجام / ٤ / ٢١٣
متعرض / الكامل / الحكيم الجليانى / ٣ / ٢٣٠
يركض / الكامل / ابن صارة / ٤ / ٢٧٢
و غموض / مجزوء الرمل / الهيثم / ٥ / ٢٣
البعض / السريع / يحيى بن مطروح / ٤ / ٢٨٧ ، ٥ / ٨٨
بارض / المتقارب / ابن الأزرق الغرناطى / ٣ / ٢٨٦
ممرض / المتقارب / ابن المغلس / ٢ / ٢٨٢
قاضى / الطويل / ابن الحاج الغرناطى / ٨ / ٢٩٩
الأرض / الطويل / أبو عامر بن شهيد / ١ / ٢٨٣
الأرض / الطويل /- / ٩ / ١٨٩
مرضى / الطويل /- / ٩ / ١٨٩
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٩٨
بالنبض / الطويل / الحكيم الجليانى / ٣ / ٢٣٠
الغض / الطويل / عبد البر بن فرسان الوادى آشى / ٣ / ٢٠٩
أقضى / الطويل / أبو العباس الملقى / ٤ / ٣٩٣
بعضى / الطويل / أبو جعفر الوقشى / ٥ / ٧٤
العرض / الطويل / ابن ليون / ٧ / ٩٤
إيماضى / البسيط / ابن الأزرق / ٣ / ٢٨٣ ، ٧ / ٢٦٣
بالعرض / البسيط / أبو حيان / ٤ / ٢٢٩
و البياض / الوافر /- / ٢ / ٦٣
ماضى / الوافر / ابن الزقاق / ٤ / ٣٨
ترض / الكامل / ابن ليون / ٧ / ١١٩
تنقضى / الكامل /- / ٥ / ٥٧
رافضى / الكامل / الشافعى / ٦ / ٢٥٢
ممرضى / الكامل / أبو عبد الله بن الجنان / ٩ / ٢٤٤

- لعياض / الكامل / لسان الدين / ٦ / ٣٣٩
 يقضها / الرمل / ابن حطان (أو غيره) / ١ / ١١٢، ٦ / ١٣٣
 ماضى / مجزوء الرمل / - / ١ / ٢٧٢
 رائض / السريع / أبو حيان / ٣ / ١٥٨
 الأرض / السريع / الكساد و الكفعمى / ٥ / ٦٩، ٩ / ١٨٩
 محضه / السريع / ابن حذلم / ٦ / ٣١٦
 عرضه / السريع / لسان الدين / ٨ / ١٩٦
 رياض / الخفيف / الزبيدي / ٤ / ٢٦٠
 لبعضى / الخفيف / عبد الرحمن الداخل / ٣ / ٣١٤، ٣٢٨
 غموضى / المجتث / الحصرى / ١ / ١٥٢، ٤ / ١٤٢

قافية الطاء (ط)

- قط / الرمل / أبو حامد الغرناطى / ٢ / ٣٦٦
 ينحط / مجزوء الرمل / ابن ليون / ٧ / ١٣٠
 فالسقطا / الطويل / حازم القرطاجنى / ٣ / ١٨٦
 سمطا / الطويل / ابن الأبار / ٤ / ١٢١
 و خطا / الطويل / أبو عامر بن شهيد / ٤ / ٢٣١
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٢٩٩
 فاشتطا / الطويل / الأسعد بن بليظة / ٤ / ٤١٩
 الشمطا / الطويل / الأسعد بن بليظة / ٥ / ٤٤
 رقطا / الطويل / ابن الجياب / ٦ / ٣٦٥
 قرطا / الطويل / عبدالعزيز الفشتالى / ٧ / ١٧٢
 محطها / الطويل / أبو الفضل البغدادي / ٣ / ٣٧٧
 فرطا / البسيط / ابن ليون / ٧ / ١١٨
 النياطا / مخلع البسيط / ابن مجبر / ٨ / ١٩٧
 قسطا / الوافر / ابن ليون / ٧ / ٨٦
 القطا / الكامل / ابن الحداد الوادى آشى / ٨ / ٢٢٤
 مغطه / الكامل / ابن الشاط / ٦ / ٢٠٥
 وسطه / الكامل / أبو المطرف بن عميرة / ٦ / ٢٠٥
 مطا / مجزوء الرمل / أبو الأصبع بن الناصر / ٤ / ٣٥١
 انحطا / السريع / - / ١ / ٨٣
 المبسوطه / الخفيف / عبد الله بن جزى / ٧ / ٧٥
 توسط / مجزوء الخفيف / - / ٧ / ١٣٥

- القرط / الطويل / ابن سعيد / ٢ / ٤٥٩
القبط / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٥٧
ربط / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٦٤
يلتقط / البسيط / على التونسي الإيادي / ٤ / ٣٧٠
بسطوا / البسيط / ابن خاتمة / ٥ / ٢٥٥
تنقط / الكامل / أبو العشائر بن حمدان / ٥ / ٣٥٤
تسقط / الكامل / ابن ليون / ٧ / ١٠٧
شطّ / الويل / محبوب النحوى / ٤ / ١٤٢
يخطى / الويل / أبو بكر بن زهر / ٤ / ٢٢٦
تعطى / الويل / لسان الدين / ٦ / ١٢
شرط / الويل / ابن رضوان / ٧ / ٢٢٥
الغلط / البسيط / ابن العسال / ٥ / ٢٦١
باشتطاط / الوافر / ابن جعفر الإشبيلي / ٥ / ١٠
منبسط / الكامل / ابن مصادق الرندى / ٤ / ٢٢٨
يخيطه / الكامل / حازم بن محمد القرطاجنى / ٣ / ١٩١
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٠٠
الشاطى / المنسرح / المنتشاقرى / ٧ / ٢٥٦

قافية الظاء (ظ)

- لحظا / البسيط / أبو عبد الله بن الحكيم / ٦ / ١٨٨
يحفظا / السريع / أبو الصلت أمية / ٤ / ٢٦٦
تفيظ / الطويل / الزبيدى / ٤ / ٣٨١
حافظه / البسيط / ابن الأبار / ٥ / ٦١
الألحاظ / الكامل / أبو حفص بن برد / ٤ / ٣١٩
حافظها / المنسرح / الزبيدى / ٤ / ٣٨٠
و حافظها / المنسرح / المصحفى / ٤ / ٣٨٠

قافية العين (ع)

- تقع / الطويل / - / ٦ / ٣٥٧
صنع / الطويل / - / ٦ / ٣٥٦
رائع / الوافر / ابن قلاقس / ٤ / ٨١
المدامع / مجزوء الكامل / المقرى الجد / ٦ / ٢٧٨

- اقتنع / مجزوء الكامل / ابن ليون / ١٢٦ / ٧
و تدع / الرمل / الكميت البطليوسي / ٢٤١ / ٤
و برع / الرمل / أبو عبد الله بن جزى / ٧٢ / ٧
الطمع / الرمل / ابن ليون / ١١٢ / ٧
الورع / الرمل / لسان الدين / ١٨٥ / ٨
يتمنع / مجزوء الرمل / ابن الفقيه / ٥٥ / ٢
انتفاع / السريع / ابن الجياب / ٣٧٨ / ٦
الطباع / السريع / أيوب المرواني / ٣٠٦ / ٤
المتسع / السريع / لسان الدين / ١٦٨ / ٨
الشاسع / المنسرح / أبو الفضل الدارمي / ٣٧٤ / ٣
يافعا / الطويل / الحكم بن هشام / ٢٦٨ / ١
مولعا / الطويل / الحميدى / ٢٦٧ / ٢
أجمعا / الطويل / الشريف الغرناطى / ٣٣٤ / ٢
جمعا / الطويل / لسان الدين / ١٩٦ / ٨
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٠١
ظلعا / الطويل / أبو القاسم بن عبد الغفور / ٣٢٦ / ٤
فتخدعا / الطويل / ابن الجياب / ٤ / ٧
أربعا / الطويل / أبو القاسم البرجى / ١٩٤ / ٧
مربعا / الطويل / على بن جودى / ٢٥٠ / ٨
ظالعه / الطويل / - / ٩٢ / ١
جامعه / الطويل / ابن الحاج الغرناطى / ٢٩٩ / ٨
نزاعها / الطويل / أثير الدين أبو حيان / ١٥٩ / ٣
قطعا / البسيط / ابن سيد اللص / ١٣٢ / ٥
بدعه / البسيط / ابن الأبار / ٣٦٧ / ٤
موضعه / البسيط / أبو بكر محمد بن ذى الوزارتين / ١٤ / ٥
الشريعة / مخلع البسيط / ابن جبير / ١٥ / ٣
استطاعا / الوافر / - / ٣٤٤ / ٥
نقيعا / الوافر / ابن ليون / ١٢٤ / ٧
ساعه / الوافر / - / ٩١ / ١
إضاعه / الوافر / أبو عبد الله محمد الكنانى / ٢٣٠ / ٥
للوديعة / الوافر / ابن جبير / ١٠٤ / ٣
خضوعا / الكامل / الرمادى / ٤٠٤ / ٤
سميعا / الكامل / أبو الروح التاكرنى / ٢٠٦ / ٣

- معا/الكامل/ابن زيدون/٥/٤٤
 تابعه/الكامل/محمد بن عبد الرحمن الغرناطي/٥/٢٢٤
 الأربعة/الكامل/ابن ليون/٧/١٠٤
 ينعا/الرمل/عدى بن زيد/٢/١٥٩
 نزعا/الرمل/المعتمد بن عباد/٥/٤٠
 الورعا/الرمل/ابن ليون/٧/٨٨
 استودعك/الرمل/ولادة/٥/١٣٤
 معك/الرمل/ابن مرج الكحل/٦/٤٦
 طمعه/الرمل/-/١/٦٢
 سمعه/الرمل/أبو زيد الفزازي/٩/٣٢١
 البديعا/مجزوء الرمل/ابن زمرك/٩/٨٥
 طاعه/مجزوء الرمل/ابن بهيج/٢/٣٥٣
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٠٢
 شمعه/مجزوء الرمل/أبو الصلت أمية/٤/٢٦٦
 موجعا/السريع/-/١/٨٩
 أخشعك/السريع/عبد الله بن محمد/١/٢٧٦
 منزعه/السريع/ابن ليون/٧/٨٥
 لعا/المنسرح/أبو مروان الطنبلي/٣/١١٢
 نفعه/المنسرح/-/٢/٤٧١
 الدموعا/الخفيف/-/١/٤٠
 طلوعا/الخفيف/أبو حيان/٣/١٦٠
 جميعا/الخفيف/-/٣/٢٢٤
 نجيعا/الخفيف/أبو الأصبح بن رشيد/٥/٦٥
 شناعه/الخفيف/-/٦/٢٤٠
 جميعا/المجتث/-/١/٧٨
 الشفاعة/المجتث/أبو عبد الله بن الجنان/٩/٣١٥
 طالعا/المتقارب/أبو عامر بن الفرج/٤/٢٠٦
 يقلعا/المتقارب/ابن الغماز/٥/٢٣٠
 كساعه/المتقارب/أبو الوليد الباجي/٢/٢٣٦
 ساعه/المتقارب/أبو الفضل الدارمي/٣/٣٧٥
 ساعه/المتقارب/-/٨/٦
 اليراعه/المتقارب/أبو القاسم البرجي/٧/١٨٨
 الخديعه/المتقارب/ابن الجياب/٦/٣٦٨

- سراع / الطويل / الوثأبي / ٨٨ / ١
- قطوع / الطويل / عباس بن فرناس / ٣٩١ / ٣
- وقوع / الطويل / ذو الرمة / ٣٩١ / ٣، ١٣٥ / ٦
- طائع / الطويل / - / ١٠٣ / ٦
- رواجع / الطويل / ذو الرمة / ٢٨ / ١
- هوامع / الطويل / ابن دحية / ٢٥٧ / ٢
- الأجارع / الطويل / الكامل بن أيوب / ٢٥٦ / ٢
- المدامع / الطويل / على بن جودي / ٢٤٩ / ٨
- و مدامع / الطويل / ابن جبير / ١٠٢ / ٣
- فواجع / الطويل / أبو الصلت أمية / ٢٦٦ / ٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٠٣
- بلاقع / الطويل / المجنون أو ابن الدمينه / ٣٨٨ / ٥
- المسامع / الطويل / النابغة / ٢١٩ / ٦
- البدائع / الطويل / - / ٢٥١ / ٦
- المضاجع / الطويل / - / ٢٦٥ / ٦
- القطع / الطويل / ابن العطار القرطبي / ٢٧٦ / ٢
- بلقع / الطويل / - / ٥٥ / ٢
- لعلع / الطويل / ابن الأزرق الغرناطي / ٢٨٧ / ٣
- تدمع / الطويل / ابن أبي يغمور / ٦١ / ٤
- أدمع / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ٢٩٦ / ٤
- و ودعوا / الطويل / ابن باجة / ٢٢٥ / ٨
- يتوقع / الطويل / أبو حفص الهوزني / ٢٢٥ / ٣، ٢٥١ / ٢
- و نوضع / الطويل / أبو عمران بن سعيد / ٤٧٦ / ٢
- أتوجع / الطويل / ابن الحمامة / ٣٦٢ / ٤
- يتوجع / الطويل / - / ٣٠٥ / ٥
- يرفع / الطويل / - / ٣٨٩ / ٥
- المودع / الطويل / أبو إسحاق الرندي / ١٨٢ / ٦
- مطالعه / الطويل / ابن هذيل / ٣١ / ٧
- استماعها / الطويل / ابن عبد البر / ٢٣٩ / ٥
- نزوعها / الطويل / ابن زمرك / ١٧ / ٩
- فأطيعها / الطويل / أبو عبد الله بن الحداد / ٤١٨ / ٤
- البدع / البسيط / ابن أبي أمية / ٣٢٤ / ٤
- ابتدعوا / البسيط / - / ٨٠ / ٥

- يتضع / البسيط / ابن ليون / ٧ / ٩٨
يقطعه / البسيط / ابن جبير / ٣ / ١٠٦
جامعها / البسيط / ابن عطية / ١ / ١٣٥
الوداع / مخلع البسيط / ابن سعيد / ٢ / ٣٩٢
يستطاع / الوافر / أبو الحكم الباهلي / ٣ / ٢٣٢
الوداع / الوافر / ابن البني / ٤ / ٢٧٠، ٥ / ١٥٥
انصداع / الوافر / ابن الرميمي / ٤ / ٣١٠
نزاع / الكامل / ابن خاتمة / ٥ / ٢٥٦
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٠٤
يروع / الكامل / الأبيض / ٤ / ٢٧٢
سريع / الكامل / - / ٧ / ١٥٧
يسمع / الكامل / - / ١ / ٤٧
رواجع / الكامل / ذو الرمة / ١ / ٢٨
ترفع / الكامل / - / ٣ / ٣١
يسطع / الكامل / ابن مرج الكحل / ٦ / ٤٨
يقطع / الكامل / أبو ذؤيب الهذلي / ٨ / ٤٧
تقنع / الكامل / لسان الدين / ٧ / ٣١٠
يهمع / الكامل / ابن جابر / ٩ / ١٩٥
يتوقع / الكامل / أبو القاسم السهيلي / ٢ / ٢٥٨
الطلع / الكامل / سليمان الموحدى / ٣ / ٣٦٨
يتوقع / الكامل / الرصافي / ٤ / ٢٢٩
يتدفع / الكامل / الرصافي / ٦ / ٤٨
و يجمع / الكامل / ابن مرج الكحل / ٦ / ٤٥
الجموع / مجزوء الكامل / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٩٧
لماع / السريع / المعتمد بن عباد / ٥ / ٣٧، ١٨٤
يرتاع / السريع / ابن وهبون / ٥ / ٣٧، ١٨٥
تسجع / السريع / المطرف الغرناطى / ٣ / ٢٠٧
يصنع / السريع / ابن جابر / ٩ / ١٩٣
يصنع / مجزوء الخفيف / - / ٧ / ٣٦٧
نزاع / المجتث / العربي العقيلي / ٥ / ٤٣٠
سبع / المجتث / ابن الجياب / ٦ / ٣٧٩
الجامع / المتقارب / - / ٣ / ٣١
دموعى / الطويل / ابن سعيد / ٢ / ٤٤٥

- صنعي / الطويل / أبو مروان بن غصن / ١٦٨ / ٤
- شفيح / الطويل / ابن صارة / ٢٤٦ / ٤
- معي / الطويل / المستنصر / ٣٠٨ / ١
- معي / الطويل / مهيار الديلمي / ٢١ / ٧
- معي / الطويل / - / ٣٦٦ / ٧
- السمع / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ١١٥ / ٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٠٥
- الدمع / الطويل / ابن جابر / ١٩٥ / ٩
- مشفع / الطويل / ابن الجنان / ٣١٩ / ٩
- ترفيح / البسيط / ابن ليون / ١٠٤ / ٧
- مطالعاها / البسيط / ابن سعيد / ٤٦٠ / ٢
- زماع / مخلع البسيط / أبو بكر الزبيدي / ٣٨١ / ٤
- مساءع / مخلع البسيط / أبو بكر الزبيدي / ٢٣٤ / ٨
- الدموع / مخلع البسيط / أبو إسحاق الخولاني / ٣٦٧ / ٤
- بالمطاع / الوافر / ابن فرج الجياني / ٤١٥، ٢٢٨، ٣٥ / ٤
- الربوع / الوافر / ابن الزقاق / ٣٠ / ١
- الربوع / الوافر / - / ٣١ / ١
- الهجوع / الوافر / - / ٩٨ / ١
- دموعى / الوافر / - / ٢٩ / ١
- الدموع / الوافر / أبو عبد الله بن جزى / ٧٢ / ٧
- الربيع / الوافر / - / ٢٨ / ١
- النجيع / الوافر / الشهاب القوصي / ٤١٩ / ٤
- بالجميع / الوافر / - / ١٧٩ / ٤
- بالإجماع / الكامل / ابن الوكيل / ١٤٩ / ٣
- الأسماع / الكامل / الأبيض / ٢٣٧ / ٤
- اسماعى / الكامل / ابن صارة / ٢١٨ / ٥
- بوداع / الكامل / ابن برطال / ٢٣٨ / ٤
- بالمقطوع / الكامل / ابن جابر / ٤٨ / ١
- المسموع / الكامل / ابن الجزار السرقسطي / ٣٦٣ / ٤
- المسموع / الكامل / ابن الجعد القرموني / ١٢ / ٥
- مطيعى / الكامل / ابن صالح المعافري / ٢٩٨ / ٢
- بنجيع / الكامل / الفقيه عبيد شارح الحلبه / ٧٢ / ٧
- شفيح / الكامل / - / ١٥٢ / ٧

- سميع / الكامل / ابن خلدون / ٧ / ٢٩٠
- التوديع / الكامل / ابن جزى / ٧ / ٧٢
- مدامع / الكامل / سعد الدين بن عربي / ٢ / ٣١٢
- قاطع / الكامل / ابن قلاقس / ٤ / ٨١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٠٦
- الرائع / الكامل / ابن خاتمة / ٧ / ١٦٠
- صنائع / الكامل / ابن الحاج الغرناطي / ٨ / ٢٩٨
- المولع / الكامل / - / ١ / ٤٠
- أو يعى / الكامل / المهذب بن أسعد الموصلي / ١ / ٨٥
- يعى / الكامل / - / ٦ / ٢٢٢
- موذعى / الكامل / الأرجاني / ١ / ٨٩
- فتشيعى / الكامل / - / ٣ / ١١٢
- و تمنع / الكامل / أبو الحسن بن الحاج / ٤ / ٨٤
- بالبرقع / الكامل / أبو جعفر الإلبيري / ٩ / ٢١١
- إيناعه / الكامل / عبد الملك الجزيري / ٢ / ٦٢، ٥ / ١٥
- القناع / مجزوء الكامل / أبو الحسن بن الحداد / ٥ / ٨٨
- أسماعى / السريع / لسان الدين / ٧ / ١٥٦
- البارع / السريع / أبو الحكم الباهلي / ٣ / ٢٣٢
- الطالع / السريع / أبو الفضل الدارمي / ٣ / ٣٧٣
- الشارع / السريع / - / ٣ / ٣٧٣
- السامع / السريع / أبو عبد الله التنسي / ٣ / ٣٧٤
- الواسع / السريع / - / ٣ / ٣٧٤
- أضلعى / السريع / ابن غياث الشريشى / ٣ / ٢٠٧، ٧ / ١٣٤
- مقرع / السريع / أبو البركات بن الحاج البلفيقي / ٧ / ٢٢
- أضلعه / السريع / محمد بن هانىء / ٤ / ٣٦٩
- متبع / المنسرح / ابن جابر / ٩ / ١٩٩
- ابتداعى / الخفيف / ابن مفيد / ٤ / ١٣٧
- دموعى / الخفيف / - / ١ / ٨٤، ٨ / ٣٣
- الولوع / الخفيف / ابن زيدون / ٤ / ١٠٥
- ولوعى / الخفيف / لسان الدين / ٨ / ١٩٣
- سريع / الخفيف / ابن جابر / ٣ / ٢٦٦
- المنيع / الخفيف / الغنى بالله / ٣ / ٣٦٣
- ضحيعى / الخفيف / أبو بكر بن هذيل / ٤ / ٤٠٥

- التوديع / الخفيف / - / ٨ / ١١
- الشفيع / الخفيف / ابن الجنان / ٩ / ٣١٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٠٧
- بسمعى / الخفيف / الشريف الرضى / ٨ / ٩
- بسلع / الخفيف / ابن جابر / ٩ / ٢١٠
- و منع / الخفيف / ابن جابر / ٩ / ٢٠٩
- ضلوعى / المجتث / ابن الصفار / ٢ / ٢٧٢
- الرجوع / المجتث / ابن الصفار / ٥ / ٢٢٢
- جمع / المجتث / أبو عمران بن سعيد / ٢ / ٤٧٦
- داعى / المتقارب / ابن شهيد / ٢ / ١٢٨
- للوداع / المتقارب / ابن هشام القرطبي / ٤ / ١٣٠
- الوداع / المتقارب / ابن جابر / ٩ / ٢١٣
- خضوع / المتقارب / عبد المهيمن الحضرمي / ٧ / ١٣
- بالأجرع / المتقارب / صاحب السقط / ٤ / ١٤٧
- مضجعى / المتقارب / ابن حريق / ٤ / ٢٠٧
- مستجمع / المتقارب / مهيار / ٥ / ٤٩

قافية الغين (غ)

- السوايغ / مجزوء الكامل / ابن خميس / ٦ / ٢٩٧
- بزغا / البسيط / - / ١ / ٤٩
- يلبغا / الكامل / البدر بن حبيب / ٣ / ١٨
- تبتغى / السريع / الأصبع بن أسد / ٤ / ٢٦٨
- و بلاغا / الخفيف / عبد الحق الإشبيلي / ٥ / ٢٤٠
- بلاغ / الطويل / أبو البركات بن الحاج / ٧ / ١٨
- فراغ / الطويل / ابن سليمان القرطبي / ٧ / ١٩
- و فراغ / الطويل / أبو القاسم بن جزى / ٧ / ٥٥
- يصاغ / الطويل / ابن لؤلؤة / ٧ / ٥٦
- البليغ / الوافر / ابن الزقاق / ٥ / ٢١٥
- لادغ / الكامل / المصحفى / ٢ / ١٠٦، ١١٤، ١٣٢ / ٧

قافية الفاء (ف)

- طرف / الطويل / المنصور الذهبي / ٨ / ٢٦٤

- تنصف / الوافر / ابن الأبرش / ٥٤ / ٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٠٨
- شغف / الكامل / أبو العباس الرصافي / ٥٣ / ٥
- ألف / مجزوء الكامل / أبو جعفر الإلييري / ٢٧٣ / ٣
- يذرف / مجزوء الكامل / أبو الوليد بن الجنان / ١٦٠ / ٤
- تغترف / السريع / محمد بن عمر الإشبيلي / ٢٦٠ / ٤
- معرف / الخفيف / المنصور الذهبي / ٢٦٧ / ٨
- شرف / المجتث / - / ٨١ / ٣
- تألف / المجتث / القالي / ١٩٥ / ٢
- المتعطف / المجتث / منذر بن سعيد / ١٩٤ / ٢
- عرف / المتقارب / ابن الفراء / ١٨٤ / ٤
- شفى / الطويل / ابن زمرك / ٨٤ / ٩
- و الطرفا / الطويل / ابن سعيد / ٤٤٥ / ٢
- و القصفا / الطويل / ابن مجبر / ٦٧ / ٤
- الأكفى / الطويل / ابن جابر / ٢٥٣ / ٣
- شفا / الطويل / ابن هانىء / ٤١٠ / ٤
- صحفا / الطويل / الخفاجي / ٢١٧ / ٥
- التفا / الطويل / ابن زمرك / ١٦ / ٩
- المصنفا / الطويل / - / ٨ / ٣
- و حرّفا / الطويل / أبو الفضل بن شرف / ١٩٥ / ٤
- وصفه / الطويل / ابن زمرك / ٣٣ / ٩
- خلفه / الطويل / أبو جعفر / ٢٩٤ / ٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٣٠٨
- فا / البسيط / ابن الأبرش / ٥٤ / ٥
- شرفا / البسيط / ابن ليون / ١٠٠ / ٧
- الدفنا / البسيط / أبو زكريا اليفرنى / ٨٣ / ٥
- مخيفه / الوافر / ابن زيدون / ٧١ / ٤
- خليفه / الوافر / ابن خلدون الوزير / ٧١ / ٤
- و جيفه / الوافر / ابن عمار / ٧١ / ٤
- اللطفيه / الوافر / الأبيض / ٢٨٢، ٢٤٨ / ٤
- معروفا / الكامل / ابن جابر / ٣١٥ / ٧
- كفى / الكامل / - / ٣٧ / ٨
- مفوقا / الكامل / ابن ليون / ١٦٤ / ٢

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٠٩

الجفا/ الرمل/ أيدمر التركي / ٤ / ٤٥٦

نشفا/ الرمل/ ابن حريق / ٤ / ٢٠٨

يوسف/ الرمل/ ابن حريق / ٥ / ٥٤

معروفا/ السريع/ ابن ليون / ٧ / ١١٤

الاكتفاء/ السريع /- / ٣ / ٨٧

بالسفه/ السريع/ ابن جبير / ٣ / ١٥

صدفا/ المنسرح/ أبو عامر بن شهيد / ٤ / ٧٢

شغافا/ الخفيف/ ابن اللبانه / ٥ / ١٤٣

و سخفا/ الخفيف/ ابن المواعيني / ٤ / ٢٢٠

الخلافة/ الخفيف/ ابن عبود الرياحي / ٢ / ١٣

يكسفا/ المتقارب/ أبو عامر بن شهيد / ١ / ١٣٧، ٢ / ١٣٧

المصطفى/ المتقارب/ ابن ليون / ٧ / ١١١

خليفه/ المجتث/ ابن الأبار / ٣ / ١٩٢

خفيف/ الطويل/ ابن الحاج الغرناطي / ٨ / ٢٩٤

عارف/ الطويل/ ابن الفرضي / ٢ / ٢٨٠

مخالف/ الطويل/ ابن وكيل الأقليشي / ٣ / ١٩٩

خائف/ الطويل/ صاعد البغدادي / ٣ / ٣٤٨

و تخالف/ الطويل/ أبو جعفر ابن صاحب الصلاة / ٤ / ٢٥٥

عاكف/ الطويل/ ابن الغماز / ٥ / ٢٣٠، ٢٣٥

أنف/ الطويل/ ابن عبدون / ٢ / ١٦٥

الوقف/ الطويل/ ابن سهل / ٤ / ٣٠٢

الحيف/ الطويل/ ابن الحاج الغرناطي / ٨ / ٢٩٥

نتنصف/ الطويل/ الحرقة بنت النعمان / ٣ / ٣٠٤، ٥ / ٤٢١

و ينصف/ الطويل /- / ٤ / ٣١٥

و يكشف/ الطويل/ ابن حسداي / ٤ / ٢٠٠

و يقصف/ الطويل/ أحمد السياسي / ٥ / ٢٥٣

و تهتف/ الطويل/ الرمادي / ٤ / ٤٠٨

تهتف/ الطويل/ أبو بكر الشلبي / ٥ / ٢٠

تكلف/ الطويل/ ابن الحاج الغرناطي / ٨ / ٢٩٦

خلفه/ الطويل/ أبو جعفر بن سعيد / ٤ / ٢٩٤

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣١٠

تقف/ المديد/ ابن الصباغ الغرناطي / ٧ / ٣٥٧

- منزوف / البسيط / ابن الملح / ١٨٥ / ٥
- الخلف / البسيط / أبو الحسين الوقشي / ٧٧ / ٥
- حتف / البسيط / - / ٢٠٨ / ٦
- ينحرف / البسيط / ابن فتح / ٥٦ / ٥
- تعرفه / البسيط / ابن ليون / ٩٠ / ٧
- يضاف / الكامل / أبو المطرف بن عميرة / ٤٠١ / ٣
- و معاطف / الكامل / أبو القاسم بن العطار / ٢ / ١٥٠ ، ٢١٨ / ٦
- المنصف / الكامل / ابن مرتين / ٢٥٩ / ٤
- تصدف / الكامل / أخيل الرندي / ١٣١ / ٥
- تؤلف / مجزوء الكامل / - / ٢٩ / ١
- يألفك / الرمل / ابن ليون / ١٠٧ / ٧
- تسعف / السريع / محمد بن عبد ربه / ٢٥٤ / ٢
- يضعف / السريع / علي بن رجاء / ٢١٧ / ٤
- تصرفها / المنسرح / أبو إسحاق التلمساني / ١٠٠ / ٦
- أوظف / المتقارب / - / ١٨٣ / ٤
- يرشف / المتقارب / ابن الفراء / ١٨٣ / ٤
- متلف / المتقارب / المعتمد بن عباد / ٥ / ٢٠٠
- عطفه / المتقارب / ابن الزقاق / ٥ / ٢١٦
- عارف / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٧٤
- بالخوف / الطويل / أبو البركات بن الحاج / ٧ / ٢٢
- بالجلف / الطويل / أبو عبد الله الوادي آشي / ٧ / ٢١٧
- عطف / الطويل / ابن الحاج الغرناطي / ٨ / ٢٩٥
- منصف / الطويل / عبد المهيمن الحضرمي / ٧ / ١٤
- مرهف / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٧١
- بقرقف / الطويل / المنصور الذهبي / ٨ / ٢٦٥
- لقاطفه / الطويل / أبو عمرو بن أبي محمد / ٤ / ٢٣٥
- كطرفه / الطويل / ابن أبي مدين / ٧ / ٤٤
- و انصاف / البسيط / حازم القرطاجني / ٤ / ٣٦٧
- خفي / البسيط / لسان الدين / ٨ / ١٨٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣١١
- كفي / البسيط / خلف القبتوري / ٣ / ١٩٧
- هدف / البسيط / ابن عبد الغفور الكلاعي / ٤ / ٣٢٦
- للألف / البسيط / ذو القرنين بن حمدان / ٣ / ٢٥١

- للألف / البسيط / القيسراني / ٢٥٢ / ٣
 و انصرف / البسيط / ابن ليون / ١٠٣ / ٧
 و السلف / البسيط / عطية المحاربي / ١٣٣ / ٩
 الأعطاف / الوافر / رفيع الدولة بن صمادح / ٢٣٨ / ٨
 الصروف / الوافر / - / ٣١٥ / ٩
 كافي / الكامل / أبو فراس / ٤٧٣ / ٢
 الأشراف / الكامل / ابن وزير الشلبي / ٣٥٤ / ٥
 نطاف / الكامل / ابن قرمان / ٣٩٦ / ٤
 الإشراف / الكامل / شمس الدين الدمشقي / ١٨٢ / ٩
 تلافى / الكامل / ابن عنين / ١٩٢ / ٩
 القرقف / الكامل / - / ٢٠٧ / ٦
 مخوف / الكامل / ابن ليون / ١١١ / ٧
 خوفه / الكامل / لسان الدين / ١٦٢ / ٨
 لرشفه / الكامل / أبو جعفر الإلييري / ١٩١ / ٩
 بضعفها / الكامل / أبو عبد الله اللوشي / ٢٨٨ / ٤
 طرفك / مجزوء الكامل / أبو محمد بن عبد البر / ٥١ / ٥
 الطرف / الهزج / ابن القبطرنة (و ابن سراج) / ١٤١ / ٢
 الظرف / الهزج / أبو الحسن بن اليسع / ١٤١ / ٢
 النطف / الرمل / ابن مجبر / ٦٩ / ٤
 يصطفيه / مجزوء الرمل / ابن زمرك / ٨٦ / ٩
 و اللطف / السريع / أبو محمد بن جزى / ٧٨ / ٧
 بإسعافه / السريع / المعتمد بن عباد / ٢٠٤ / ٥
 عطفه / السريع / ابن صارو البعلبي / ٢٦٥ / ٣
 الوكف / المنسرح / - / ٨٢ / ١
 و الصلف / المنسرح / عبد الله بن عاصم / ٧٥ / ٤
 و سلاف / الخفيف / البرهان القيراطي / ١٥٩ / ٤
 أنوف / الخفيف / لسان الدين / ١٦٨ / ٨
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣١٢
 وافي / المجتث / أبو الحسن بن اليسع / ٥٣ / ٥
 خسف / المجتث / ابن ضابط (و ابن عبدون) / ١٩٧ / ٤
 عرف / المجتث / ابن عبدون (و المتوكل) / ١٩٧ / ٤، ٣٧٢
 خلف / المجتث / - / ٣٩٠، ٣٧٢ / ٤
 انحراف / المتقارب / لسان الدين / ٣٠٨ / ٧

بمخلفها/ المتدارك/ لسان الدين / ٨ / ٩٨

قافية القاف (ق)

- الحدق/ الطويل/ أبو القاسم بن العطار/ ٢ / ١٥٠
 سبق/ الطويل/ السيد أبو سعيد محمد/ ٦ / ٩٠
 العراق/ البسيط- / ١ / ١٣١
 فائق/ مخلع البسيط/ أبو جعفر بن سعيد/ ٥ / ١٢٠
 يفارق/ الوافر/ ولادة/ ٥ / ١٣٣
 الخلائق/ مجزوء الكامل/ المقرئ/ ١ / ٦٦
 الفرق/ مجزوء الكامل/ ابن رشيق أو ابن بشر الصقلي/ ٤ / ١٣٤
 بسق/ الرمل- / ٥ / ١٨٢
 رمق/ الرمل/ ابن الزقاق/ ٥ / ٢١٦
 تحترق/ الرمل/ ابن جابر/ ٩ / ١٩٠
 الغرق/ السريع/ ابن حبيب السلمى/ ٢ / ١٨٥
 غسق/ السريع/ صفوان بن إدريس/ ٦ / ٥٧
 فانلق/ السريع/ أبو الوليد الوقشى/ ٤ / ١٧٩
 وثيق/ السريع/ الرباطى أبو الحسن/ ٢ / ٤٢١
 العقيق/ السريع/ أبو جعفر بن طلحة/ ٤ / ١٢٤، ٥ / ٩٠
 الصديق/ السريع/ ابن ليون/ ٧ / ٩٥
 حقيق/ السريع/ ابن جابر/ ٩ / ١٨٢
 راشق/ الخفيف/ ابن ليون/ ٧ / ١٢١
 يتألق/ الخفيف/ المقرئ/ ١ / ٩٩
 وراق/ المتقارب/ لسان الدين / ٨ / ١٦٤
 طريق/ المتقارب/ الإمام السهيلي/ ٤ / ١٩٩
 فلق/ المتقارب/ أبو جعفر بن سعيد/ ٥ / ١١٣
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣١٣
 خفاقا/ الطويل/ ابن نزار/ ٤ / ٢٧٦
 الحقا/ الطويل/ لسان الدين / ٣ / ١٣٩
 رقا/ الطويل/ فرج بن لب/ ٧ / ٥٢
 السبقا/ الطويل/ ابن جابر/ ٩ / ١٥٣
 متألقا/ الطويل/ ابن جابر/ ١ / ٦٩
 شيقا/ الطويل/ أبو حيان/ ٣ / ١٧٤
 و توقه/ الطويل- / ٧ / ١٣٥

- الورقا/ البسيط / المقرى الجد / ٦ / ٢٧٩
 و أوراقا/ البسيط / أبو عبد الله بن عبد العزيز / ٤ / ٣١٥
 مشتاقا/ البسيط / المنصور الصغير / ٤ / ٣١٦
 راقا/ البسيط / ابن زيدون / ٥ / ١٣٧
 إقلاقا/ البسيط / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٤٦
 ملتصقه / البسيط / - / ١ / ٨٤
 غدقه / البسيط / ابن عنين / ٣ / ٢٩
 و الحقوقا/ مخلع البسيط / ابن ليون / ٧ / ١٠٣
 و الطريقا/ الوافر / لسان الدين / ٨ / ١٨٤
 الأنيقه / الوافر / - / ٧ / ٣٧١
 الطريقه / الوافر / لسان الدين / ٧ / ٣٧١
 خليقه / الوافر / لسان الدين / ٧ / ٣٧٢
 الأشواقا/ الكامل / - / ٣ / ٧٨
 رفيقا/ الكامل / ابن عبد ربه / ٤ / ٣٣٥ ، ٧ / ١٣١ ، ٨ / ٢٤٤
 مارقا/ الكامل / ابن الحاج البليقي / ٧ / ٢٦
 مغلقه / الكامل / أبو عبد الله بن الأزرق / ٨ / ١٤٤
 و رحيقه / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٩٣
 حقها/ الكامل / أبو العباس الرصافي / ٥ / ٥٤
 مشرقا/ الرمل / الشريف الطليق / ٤ / ٣٥
 حرقا/ الرمل / الشريف الطليق / ٤ / ٣٥٣
 و حديقه / مجزوء الرمل / أبو محمد عبد المولى / ٤ / ٢٨٨
 خفقا/ مجزوء الرمل / الشريف الشمسى المكى / ٢ / ٤٧٨
 مارقا/ السريع / السراج / ١ / ٣٨
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣١٤
 المشوقا/ الخفيف / ابن ظافر / ٤ / ١٢٨
 عقوقا/ الخفيف / - / ٨ / ٢٣
 طريقه / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ١٢٣
 حقيقه / المجتث / ابن ليون / ٧ / ٨١
 رونقا/ المتقارب / - / ٤ / ١٥٩
 المغدقه / المتقارب / أبو مروان الجزيرى / ٣ / ٣٥٩
 آفاق / الطويل / لسان الدين / ٧ / ١٣٩
 و خفوق / الطويل / الأرجانى / ١ / ٨٦
 مشوق / الطويل / ابن هانىء / ٤ / ٤١١

- حريق / الطويل / أبو محمد بن حزم / ٢ / ٢٤٣
- رقيق / الطويل / أبو عمرو المعتضد / ٥ / ١٦٦
- حقيق / الطويل / المجنون / ٥ / ٣٨٧
- ناطق / الطويل / أبو عبد الله بن الحداد / ٤ / ٤١٨
- الورق / الطويل / ابن بقي / ٢ / ١٥
- الشرق / الطويل / ابن زمرك / ٩ / ١٢٩
- تنطق / الطويل / أبو القاسم السهيلي / ٢ / ٢٥٩
- يطرق / الطويل / ابن الظهير الإبلي / ٣ / ٢١
- تشرق / الطويل / محب الدين الحموي / ٣ / ٢٥
- مشرق / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١٢١
- تفرق / الطويل / - / ٣ / ٧٣
- ينفق / الطويل / ابن ضابط / ٤ / ١٩٧
- يحرق / الطويل / ابن زيدون / ٤ / ٤٢٠
- و أوراق / البسيط / صاعد / ٣ / ٣٦٠
- و إسحاق / البسيط / ابن عمار / ٥ / ١٩٣
- أرزاق / البسيط / ابن عبد ربه / ٤ / ٢٢٧
- حدق / البسيط / ابن سعيد / ٢ / ٤٦٠
- حقائقه / البسيط / - / ٦ / ١٥٤
- خلاق / مخلع البسيط / أبو القاسم السميصر / ٥ / ٥١
- مشوق / الوافر / بلال / ٦ / ١٣٧
- الطريق / الوافر / ابن أيوب المرواني / ٤ / ١٥٠
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣١٥
- الصديق / الوافر / ابن ليون / ٧ / ١٢٥
- أستفيق / الوافر / ابن جابر / ٩ / ١٩٨
- الحدق / مجزوء الوافر / ابن الأبار / ٣ / ١٩٣
- النزق / مجزوء الوافر / ابن عبدوس / ٤ / ٩٢
- مفترق / مجزوء الوافر / ابن هارون / ٦ / ١٧٠
- الأسواق / الكامل / - / ١ / ٢٨
- الأسواق / الكامل / - / ١ / ٨٨
- أغلاق / الكامل / لسان الدين / ٦ / ١٣٨
- التفريق / الكامل / الحصري / ٥ / ٥٢
- موتق / الكامل / ابن زهر / ٤ / ٧٤، ١٧٤
- السابق / الكامل / ابن الفرغ / ٤ / ٢٠٦

- السابق/ الكامل / أبو الفرج الوزير / ٣١٨ / ٤
- الورق/ الكامل / ابن حريق / ٢٠٨ / ٤
- يعلق/ الكامل /- / ٩٥ / ١
- يطرق/ الكامل / أبو المطرف / ٢٥٠ / ١
- تنقق/ الكامل / الجزيري / ٦٠ / ٢
- تحلق/ الكامل / ابن سعيد / ٣٩٣ / ٢
- يرزق/ الكامل / أحمد بن عبد الكريم الدمشقي المعروف بدفتر خوان / ٤٢١ / ٢
- مشرق/ الكامل /- / ٢٦٨ / ٦
- المشرق/ الكامل / المتنبي / ٥٥ / ٤
- يعشق/ الكامل / المتنبي / ٨ / ٨
- نتفرق/ الكامل / الشريف الرضي / ٤٢٣ / ٥
- مغلق/ الكامل / أبو إسحاق الغزي / ٧٠ / ٧
- يفرق/ الكامل / ابن عبد القدوس / ١٥٨ / ٧
- منطق/ الكامل / أبو سلطان الغرناطي / ٢٢٩ / ٧
- الأرق/ الرمل / ابن خاتمة / ٣٣٠ / ٧
- وامق/ السريع / الغزال / ٣٨١ / ٢
- الشرق/ السريع /- / ٣٧٤ / ٣
- أحرق/ السريع / الصفدي / ٨٦ / ١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣١٦
- يخلق/ السريع / ابن سعيد / ٤٢١ / ٤
- تعليقه/ السريع / ابن النقيب / ٤٧ / ١
- نطقوا/ المنسرح /- / ٣٩٠ / ٣
- الأفق/ المنسرح /- / ٣٨٨ / ٥
- يطاق/ الخفيف / الغزالي / ٨٤ / ١
- اشتياق/ الخفيف / أبو عبد الله اللوشي / ٢٨٨ / ٤
- الصديق/ الخفيف / ابن ليون / ٨٤ / ٧
- ودق/ الخفيف / ابن قلاقس / ٨١ / ٤
- تلاق/ الطويل / محمد بن أبي عيسى / ١٨٩ / ٢
- الباقي / الطويل / ابن الزقاق / ٢١٤ / ٤
- الباقي / الطويل / لسان الدين / ٢٣٧ / ٧، ١٨٢ / ٨
- الراقي / الطويل / لسان الدين / ١٣ / ٨
- إرهاق/ الطويل / لسان الدين / ١٨١ / ٨
- أوراقى / الطويل / لسان الدين / ١٨٤ / ٨

- ساق / الطويل / ابن الجياب / ٧ / ٢٣٨
- مشوق / الطويل / ابن شهيد / ١ / ٢٩٧
- صديق / الطويل / عبد الملك بن جهور / ١ / ٢٩٧
- عريق / الطويل / أبو بكر التطيلي / ٥ / ٢٣٩
- حقيقى / الطويل / ابن الحاج الغرناطى / ٧ / ٢٥
- بارق / الطويل / أبو بكر يحيى بن بقى / ٥ / ١٦١
- السرادق / الطويل / الأصم القرطبي / ٢ / ١٨
- المفارق / الطويل / ابن حزم / ٣ / ٣٣٨
- لاحقى / الطويل / ابن شهيد / ٤ / ١٦٨
- بما لقى / الطويل / ولادة / ٥ / ١٣٤
- مفارقى / الطويل / أبو الحجاج النصرى / ٥ / ٢١٩
- الخلائق / الطويل / ابن الزقاق / ٥ / ٢٥٠
- لتائق / الطويل / ابن هذيل / ٧ / ٣١
- المفارق / الطويل / أبو عبد الله بن الحكيم / ٧ / ٤٠
- الطوق / الطويل / ابن القبطرنة / ٢ / ١٣٩
- الطوق / الطويل / ابن السيد البطليوسى / ٤ / ٢٥٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣١٧
- و يتقى / الطويل / المتنبي / ٢ / ٢٠٤
- يعشق / الطويل / المتنبي / ٦ / ١١٥
- تلتقى / الطويل / ابن الوحيد / ٣ / ١٥٠
- مورق / الطويل / أبو الحسن المايرقى / ٣ / ٢٥١
- التوثق / الطويل / الرمادى / ٤ / ٤٠٧
- و التفرق / الطويل / ابن زيدون / ٥ / ١٣٤
- عناقه / الطويل / إبراهيم الحجارى / ٤ / ٢١٩
- ميثاقى / البسيط / - / ١ / ٣٥
- واقى / البسيط / ابن جابر / ٩ / ١٩٥
- القلق / البسيط / الخطيب الحصكفى / ١ / ٣٦
- علق / البسيط / - / ١ / ٨٣
- فرق / البسيط / - / ١ / ٩٥
- الفرق / البسيط / أبو الفضل الدارمى / ٣ / ٣٧٥
- الحدق / البسيط / ابن عبد ربه الحفيد / ٢ / ٢٧١
- الحدق / البسيط / المنصور الذهبى / ٨ / ٢٦٣
- الطرق / البسيط / ابن جابر / ٣ / ٢٥٦

- مستيق / البسيط / المتلمس / ١١١ / ٤
- مستيق / البسيط / ابن بطال البطليوسي / ٢٣٩ / ٤
- الحنق / البسيط / المعتمد بن عباد / ٢٢٢ / ٤
- بالفلق / البسيط / مالك بن سعيد / ٢٩٢ / ٤
- بالعقب / البسيط / أبو جعفر بن سعيد / ١١٧ / ٥
- الخلق / البسيط / ابن ليون / ١٠١ / ٧
- بالخلق / البسيط / القلقشندی / ١٧٤ / ٩
- ورقه / البسيط / - / ٢٣٠ / ٤
- درقه / البسيط / ابن بقي / ٢٣٠ / ٤
- طرقه / البسيط / ابن بقي / ٢٣١ / ٤
- حدقه / البسيط / ابن بقي / ٢٣٠ / ٤
- الوثيق / مخلع البسيط / ابن عطية / ١٣٣ / ٣
- ريقي / مخلع البسيط / ابن عبد ربه / ٣٣٨ / ٤
- التلاقي / الوافر / عبد الرحمن بن سعيد / ٣ / ٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣١٨
- النياق / الوافر / ابن عنين / ٢٧ / ٣
- اعتناق / الوافر / ابن شريف الرندی / ٨٣ / ٥
- الحقوق / الوافر / الحمیدی / ٢ / ٢٤٨، ٥ / ٥٥٧
- العقيق / الوافر / صاعد / ٣ / ٣٦١
- كالعقيق / الوافر / ابن جابر / ٩ / ٢١٢
- الشفیق / الوافر / ابن خاتمة / ٥ / ٢٥٦
- شرق / الوافر / مغيث / ٣ / ٢٩٥
- و أحداق / مجزوء الوافر / أبو جعفر الإلبيري / ٣ / ٢٦٧
- للساقى / الكامل / ابن جابر / ٣ / ٢٦٦
- العشاق / الكامل / ابن حصن الجزيري / ٥ / ١٦
- العشاق / الكامل / أبو الحسن البرقي / ٨ / ٢٤٨
- الآفاق / الكامل / أبو محمد غانم / ٥ / ١٥٢
- الآفاق / الكامل / ابن زمرك / ٦ / ١٦٤
- الأشواق / الكامل / لسان الدين / ٦ / ١٧١
- إطراق / الكامل / لسان الدين / ٦ / ٣٧٠
- الباقي / الكامل / لسان الدين / ٧ / ٣٠٧
- البراق / الكامل / ابن الحاج البلفيقي / ٧ / ٣٠
- الآماق / الكامل / ابن لب المري / ٧ / ٣٢٦

- الممشوق / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٨١
- تحريق / الكامل / ابن عبدون / ٤ / ٢٥٦
- لناشق / الكامل / ابن بقى / ٤ / ٤٥
- خافق / الكامل / ابن بقى / ٥ / ٩٠
- بارق / الكامل / ابن بقى / ٥ / ١٦١
- الفائق / الكامل / حبيب / ٤ / ٢٢١
- شقائق / الكامل / ابن برون / ٤ / ٣٦٤
- يحرق / الكامل / الأسعد بن بليظة / ٤ / ٤٢٠
- حاذق / الكامل / - / ٤ / ٣٦٥
- الخلق / الكامل / أبو العباس العزفى / ٢ / ٢٠٧
- أعشق / الكامل / أبو جعفر الإلبيرى / ٣ / ٢٧٥
- واتق / الكامل / ابن الشيخ / ٤ / ٥٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣١٩
- المشرق / الكامل / ابن خفاجة / ٤ / ٢٣٨
- بالمشرق / الكامل / ابن حريق / ٤ / ٢٠٧
- الزورق / الكامل / سعيد المروانى / ٤ / ٣٥٨
- يعشق / الكامل / ابن شهيد و ابن عباس / ٤ / ٣٧٣
- الأزرق / الكامل / ابن وهبون / ٥ / ٩
- أنيق / الكامل / ابن الزقاق / ٥ / ٢١٦
- تغلق / الكامل / ابن هارون القرطبي / ٥ / ٢٣٧
- انتق / الكامل / ابن جزى / ٧ / ٧٧
- عشاقه / الكامل / ابن حجاج / ٥ / ٦٥
- إبريقه / الكامل / أبو الصلت أمية / ٢ / ٢٦٢
- إبريقه / الكامل / ابن حيوس / ٢ / ٢٦٢
- بعقيقه / الكامل / المنتشاقرى / ٧ / ٢٥١
- أذواقها / الكامل / - / ٧ / ٣٣٦
- آفاقها / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٦٤
- المآقى / مجزوء الكامل / السراج / ١ / ٣٨
- الرفاق / مجزوء الكامل / الأصفهاني / ١ / ٧٢
- الفراق / مجزوء الكامل / أبو الفرج بن الجوزى / ٦ / ١٣٣
- كالشقيق / مجزوء الكامل / ابن الصاحب / ١ / ٤٨
- رشائقها / الهزج / ابن الطحان / ٣ / ٢٢٨
- الحمق / الرمل / أبو عبد الله البياسى / ٤ / ١٧٥

- الخلق / الرمل / ابن حريق / ١٧٥ / ٤
- الأرق / الرمل / ابن شرف / ١٩٣ / ٤
- طارق / السريع / ابن الخياط / ٢١ / ٣
- الحقّ / السريع / ابن ليون / ١٢٩ / ٧
- يفرق / السريع / ابن جابر / ١٩٤ / ٩
- الخلق / السريع / ابن جابر / ١٩٤ / ٩
- الأحمق / السريع / ابن ليون / ١١١ / ٧
- أحداقه / السريع / ابن مغيث / ٧٠ / ٤
- ساق / المنسرح / لسان الدين / ١٦٢ / ٨
- أنق / المنسرح / أبو الصلت أمية / ٢٦٢ / ٢
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٢٠
- الأرق / المنسرح / أبو الفضل الدارمي / ٣٧٣ / ٣
- الشفق / المنسرح / ابن لبال / ١٣ / ٥، ٢٩٧ / ٤
- رائقها / المنسرح / مؤمن بن سعيد / ١٧٧ / ٤
- التلاقي / الخفيف / - / ٥٤ / ١
- التلاقي / الخفيف / ابن عبد ربه / ١٣٢ / ٧، ٢٤٣ / ٨
- المآقي / الخفيف / علي الجرجاني / ٣٦ / ١
- اشتياقي / الخفيف / الشبلي / ٥٠ / ١
- النطاق / الخفيف / - / ٨٢ / ١
- المذاق / الخفيف / المرذغانى / ٤٢٠ / ٢
- سياق / الخفيف / ابن سعيد / ٤٤٤ / ٢
- وثاقى / الخفيف / أبو الفضل الدارمي / ٣٧٧ / ٣
- الرقاق / الخفيف / ابن شريف الرندى / ٨٣ / ٥
- راق / الخفيف / المنتشاقري / ٢٥٦ / ٧
- كالرحيق / الخفيف / ابن سعيد / ٤١٦ / ٢
- صديق / الخفيف / ابن ليون / ١٢٤ / ٧
- وثيق / الخفيف / ابن جابر / ٢١١ / ٩
- فراقى / المجتث / أبو جعفر بن سعيد / ١١٤ / ٥
- اشتياقي / المجتث / محمد بن المنذر / ٣٤٩ / ٤
- كالشقيق / المجتث / - / ٤٩ / ١
- صديق / المجتث / أبو بكر بن سعيد / ٢١٢ / ٥
- خالقى / المتقارب / على بن أبى طالب / ٩٤ / ٣

قافية الكاف (ك)

- لك / البسيط / ابن السليم / ٢٥٢ / ٤
عهدك / الكامل / ابن زيدون / ١٠٣ / ٤
قصرك / الكامل / ابن زيدون / ١٠٥ / ٤
الفلك / الكامل / ابن القطان / ٢٨٤ / ٢
الحلك / الكامل / ابن مرزوق الخطيب / ٣٢٧ / ٦
ليرضيك / الكامل / أبو جعفر الإلييري / ٢١٤ / ٩
الملوك / مجزوء الكامل / ابن زمرك / ٧٧ / ٩
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٢١
خلقك / الرمل / أبو بكر الزبيدي / ٢٤٤ / ٥
أناك / السريع / - / ١١٣ / ٢
و انهماك / السريع / ابن ليون / ١١٢ / ٧
الحلك / السريع / ابن عبادة (و ابن القابلة) / ٣٨٧، ٣٧٣ / ٤
عليك / السريع / ابن ليون / ١٠٦ / ٧
بذلك / الخفيف / ابن رضوان / ٢٢٥ / ٧
ملك / مجزوء الخفيف / ابن السمط / ٣٧٦ / ٤
و الفلك / مجزوء الخفيف / أبو قاسم بن الصيرفي / ٣٧٦ / ٤
مالك / المجتث / ابن ليون / ١١٠ / ٧
الباكا / الطويل / ابن مرج الكحل / ٤٥ / ٦
حياكا / الطويل / المنتشاقري / ٢٤٨ / ٧
محياكا / الطويل / لسان الدين / ٢٥٠ / ٧
و آلكا / الطويل / ابن زمرك / ٨١ / ٩
مثواكا / البسيط / ابن أضحى / ٩٩ / ٥
يدعوكا / البسيط / ابن الغماز البلنسي / ٢٥٠ / ٥
يرديكا / البسيط / ابن ليون / ١١٨ / ٧
حاليكا / البسيط / أبو المطرف بن عميرة / ٥٣ / ٥
عينيكا / البسيط / المستنصر الحفصي / ٥٣ / ٥
فبكي / البسيط / - / ١٥٣ / ٤
سبكا / البسيط / أحمد بن عثمان / ٦٦ / ٥
حلكا / البسيط / ابن اللبانه / ١٩٥ / ٥
ذراكا / الوافر / المتنبي / ٥٠ / ٥
إليكا / الوافر / ابن ليون / ١٢٢ / ٧

- سواكا/الكامل/الملك المعظم / ٧٧ / ٤
- الأسلاكا/الكامل/ابن ظافر / ٧٨ / ٦
- الأشراكا/الكامل/- / ٣١٦ / ٧
- الأملاكا/الكامل/ابن زمرك / ٧٦ / ٩
- يجفوكا/الكامل/ابن ليون / ١١٧ / ٧
- مسلوكا/الكامل/لسان الدين / ١٦٦ / ٨
- فيكا/الكامل/لسان الدين / ١٤٩ / ٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٢٢
- دونكا/الكامل/ابن ليون / ٩١ / ٧
- هنالكا/الكامل/أبو بكر بن طاهر / ٣٩٤ / ٤
- كذلكا/الكامل/ابن قوشتره / ٣٩٤ / ٤
- مسالكا/الكامل/الشاطبي / ٣٩٤ / ٤
- و آلكا/الكامل/ابن زمرك / ٨١ / ٩
- حالكا/الكامل/المنتشاقري / ٢٥٦ / ٧
- سالكا/الكامل/أبو جعفر الإليري / ٢١٣ / ٩
- أسلاكها/الكامل/حازم القرطاجني / ٨٤ / ٥
- أفتاكها/الكامل/التجاني / ٨٤ / ٥
- بسلاحكا/مجزوء الكامل / - / ٧٦ / ١
- هجركا/مجزوء الكامل/أبو عبد الله اللوشي / ٢٨٨ / ٤
- ملككا/الرميل/زوجة الأمر / ٤١٤ / ٢
- و احتبكا/الرميل/ابن مياح / ٤١٤ / ٢
- مستهلكا/الرميل/عبد الملك بن شهيد / ٨٥ / ٤
- يهابوكا/مجزوء الرميل/ابن ليون / ١٣ / ٧
- فيكا/مجزوء الرميل/ابن ليون / ١١٧ / ٧
- هجركا/السريع/سعيد المرواني / ٣٥٧ / ٤
- لشكواكا/السريع/أبو الحجاج الساحلي / ٣٧٩ / ٢
- لذاكا/الخفيف/رابعة العدوية / ٢٦٧ / ٦
- ولاكا/الخفيف/ابن الفارض / ٢٦٦ / ٦
- ذاكا/الخفيف/ابن ليون / ٩١ / ٧
- فيكا/الخفيف / ٢٦٦ / ٦
- عليكا/الخفيف/أبو عامر بن الفرج / ٢٠٦ / ٤، ٣١٧ / ٥
- عليكا/الخفيف/ابن ليون / ١٠٩ / ٧
- أراكا/المجتث/نسيم الإسرائيلي / ٣٠٠ / ٤

- ذراكا/ المتقارب/ ابن غصن / ٤ / ١٦٩
- بالكا/ المتقارب/ السمسير / ٥ / ٥٨
- كالبكا/ المتقارب/ المتنبى / ٥ / ٨٠
- نشارك/ الطويل/ ابن عبد الظاهر / ٣ / ٢٧٤
- فارك/ الطويل/ ابن خميس / ٦ / ٢٩٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٢٣
- أهلك/ الطويل/ أبو حيان / ٣ / ١٤٢
- فتكوا/ البسيط/ ابن القوطية / ٣ / ٣٤٣
- فلك/ البسيط/ أبو بكر بن هذيل / ٣ / ٣٤٣
- سمكه/ البسيط/ - / ٢ / ١٠٤
- تدرک/ الوافر/ ابن صارة / ٥ / ٢٥٤
- سالک/ الكامل/ أبو جعفر الإلبیری / ٣ / ٢٦٥
- السالک/ الكامل/ لسان الدين / ٨ / ٢١، ١٠٥
- فلک/ الكامل/ المعتمد بن عباد / ٥ / ٢٠٢
- أبرک/ الكامل/ أبو زيد الفزازی / ٩ / ٣٢٢
- ملکوا/ مجزوء الرمل/ ابن العربي الحاتمی / ٢ / ٢١٣
- أملك/ السريع/ أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١١٦
- شرك/ المنسرح/ ابن أبي تليد / ٣ / ١٦٨
- المشارك/ مجزوء الخفيف/ سعد الدين بن عربي / ٢ / ٣١٣
- لزهرک/ الطويل/ - / ١ / ١٤٨
- سواک/ الطويل/ أبو عبد الله الجذامي / ٤ / ٢٥١
- سواک/ الطويل/ المنصور الذهبي / ٨ / ٢٦٤
- مالک/ الطويل/ - / ٢ / ٣٦٣
- مالک/ الطويل/ أبو الحسن بن الفضل / ٤ / ١٧٥
- و الدکادک/ الطويل/ متمم بن نويرة / ٨ / ٤٧
- بمترک/ البسيط/ ابن حزم / ٢ / ٢٤٢
- و الفلک/ البسيط/ ابن ليون / ٧ / ١٠٢
- و باک/ الكامل/ - / ٥ / ٧٩
- بکاک/ الكامل/ ناهض الوادي آشي / ٦ / ٥٩
- بالمسواک/ الكامل/ غالب الحجام / ٤ / ٢١٢
- فيک/ الكامل/ ابن هانيء / ٤ / ٤١٣
- السالک/ الكامل/ - / ٨ / ٢١
- أملاکه/ الكامل/ ابن سعيد / ٢ / ٤٢٢

و مسك / مجزوء الكامل / - / ٢٧ / ١
 فلك / الرمل / عبادة / ٥٢ / ٥
 و الإفك / السريع / ابن عنين / ٣ / ٣٩٤
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٢٤
 السكك / المنسرح / غالب بن أمية / ٢ / ٧١
 منك / الخفيف / محمد بن هانيء / ٤ / ٤٠٩
 هلو كي / الخفيف / - / ٢ / ١٩١

قافية الالام (ل)

بالأمل / الطويل / ابن إدريس الأصبهوني / ٥ / ٨٥
 قائل / مخلع البسيط / ابن سعد الكلشني / ٢ / ٣٨٧، ٣ / ٦٨
 المغازل / الوافر / ابن قادوس / ٢ / ٤٥٧
 الجليل / مجزوء الكامل / - / ١ / ٨٢
 أقول / مجزوء الكامل / ابن عذرة / ٤ / ٢٨٦
 واصل / مجزوء الكامل / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١٠٧
 اللال / الرمل / ابن عنق الفضة / ٤ / ٢٠٣
 حال / الرمل / ابن ليون / ٧ / ١٠٩
 المحال / الرمل / أبو عبد الله بن الحكيم / ٣ / ٣٧٤، ٧ / ٤٦
 مستحيل / الرمل / ابن هانيء السبتي / ٧ / ٣٤٦
 مبتذل / الرمل / نجم الدين الطوفى / ٣ / ١٥٠
 قتل / الرمل / - / ٦ / ١٣٥
 فسهل / مجزوء الرمل / ابن ليون / ٧ / ٨٣
 تأمل / مجزوء الرمل / ابن زيدون / ٤ / ١٠٦
 الوصال / السريع / ابن جابر / ٣ / ٢٧١
 حلال / السريع / أبو جعفر بن طلحة / ٤ / ١٢٤
 الكمال / السريع / أبو بكر بن حيش / ٤ / ٣٨٩
 الجمال / السريع / ابن الأبرش / ٤ / ٣٠٠، ٥ / ٥٤
 يلال / السريع / - / ٥ / ٢٧٧
 ذبال / السريع / ابن خميس / ٦ / ٢٩٩
 الليال / السريع / مهيار الديلمي / ٦ / ٣٠٠
 لا تبال / السريع / ابن ليون / ٧ / ٨١
 حال / السريع / ابن ليون / ٧ / ١٠٤
 و القبول / السريع / أبو الوليد بن الجنان / ٢ / ٢٧٤

- نزول / السريع / ابن سلبطور / ٧ / ٢٠٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٢٥
- طويل / السريع / ابن صارو البعلی / ٣ / ٢٦٦
- العویل / السريع / أبو بكر بن حجاج / ٤ / ٢٦٨
- سبیل / السريع / سعدونة / ٥ / ١٠٠
- زلل / السريع / ابن لیون / ٧ / ٩٣
- الفضائل / الخفيف / ابن سعد الكلشني / ٣ / ٦٧
- يتدلل / المجتث / علی بن حصن / ٤ / ٢٢٢
- المقال / المتقارب / طراد بن مهلهل / ٢ / ٤١٤
- باللآل / المتقارب / عطاء الملقى / ٤ / ١٩٨
- الفضول / المتقارب / ابن لیون / ٧ / ١٢٢
- سبیل / المتقارب / ابن نزار / ٤ / ٢٧٤
- العلل / المتقارب / ابن جبیر / ٣ / ١٤
- الخلل / المتقارب / ابن جبیر / ٣ / ١٠٧
- المقل / المتقارب / ابن حزم / ٥ / ٩٥
- سأل / المتقارب / - / ٥ / ٩٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٣٢٥
- ل / المتقارب / المعتمد بن عباد / ٢ / ١٥٨
- الأجل / المتقارب / ابن خاتمة / ٧ / ١٦٢
- المنتخل / المتقارب / الأعلم الشتمري / ٥ / ٢٥
- بقل / المتقارب / ابن القبطرنة / ٤ / ٣٦١
- منسفل / المتقارب / ابن خفاجة / ٥ / ٥٠
- تلالا / الطویل / ابن سعید / ٢ / ٣٩٤
- أفولا / الطویل / فرج بن لب / ٧ / ٥٢
- رسولا / الطویل / المليکشی / ٧ / ٣٤١
- الطولا / الطویل / - / ٩ / ١٧٦
- و الجهلا / الطویل / - / ٩ / ١٧٨
- رحيلا / الطویل / ابن خفاجة / ٥ / ٥٠
- ثاڪلا / الطویل / غانم المخزومي / ٥ / ٢٢٩
- راحلا / الطویل / الحجاري / ٥ / ٢٢٩
- وسائلا / الطویل / ابن رضوان / ٧ / ٢٢٢
- رسائلا / الطویل / ابن زمرک / ٩ / ١٦
- البلا / الطویل / ابن شبرين / ٧ / ٧٩

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٢٦

يبلى / الطويل / ابن حمديس / ٢ / ٣٠

عدلا / الطويل / ابن ظافر / ٤ / ٨٠

أولى / الطويل / أبو الربيع بن سالم / ٥ / ٣٦٠

الدلا / الطويل / المقرئ الجد / ٦ / ٢٧٨

استعلى / الطويل / التالسي / ٨ / ٣١١

كخط لا / الطويل / المصحفي / ٢ / ١١٤

تأصلا / الطويل / ابن زكريا المعافري / ٢ / ٣٥٠

مهلا / الطويل / عمر بن أبي ربيعة / ٣ / ٢٧٠

موصلا / الطويل / مالك بن سعيد / ٤ / ٢٩١

سلسلا / الطويل / أبو عمر بن عبد البر / ٤ / ٣٩٩

مؤملا / الطويل / عبدون الداني / ٥ / ٢٥٤

أولا / الطويل / ابن زمرك / ٩ / ٨١

حباله / الطويل / أبو البركات بن الحاج / ٧ / ٢١

أحلها / الطويل / إبراهيم بن سليمان الشامي / ٣ / ٣٨٠

زالا / البسيط / أبو عبد الله بن الحكيم / ٧ / ٤٣

هملا / البسيط / ابن السقاط / ٢ / ١٦٧

نزلا / البسيط / ابن فرج الجياني / ٤ / ٨٩

واعتزلا / البسيط / غالب الحجام / ٤ / ٢١٤

هطلا / البسيط / ابن مصادق الرندي / ٤ / ٢٢٧

حملا / البسيط / أبو العرب الصقلي / ٤ / ٣٣٩، ٥ / ١٨٣

رجلا / البسيط / ابن جابر / ٩ / ١٩٤

رحلا / البسيط / غالب الثغري / ٤ / ٣٨٦

أفلا / البسيط / لسان الدين / ٨ / ١٦٤

تعويلا / البسيط / أبو محمد الأزدي / ٧ / ٣٥٥

شمائله / البسيط / ابن جابر / ٩ / ١٩٥

أهله / البسيط / سعد الدين بن عربي / ٢ / ٣٥٦

الزلالا / مخلع البسيط / ابن البراق / ٤ / ٢٨٦

نصلا / مخلع البسيط / عبد الرحمن الداخل / ٣ / ٣١٤

واضمحلا / مخلع البسيط / عبد الرحمن الداخل / ٣ / ٣١٩

دخاله / مخلع البسيط / لسان الدين / ٧ / ٣١١

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٢٧

مرسلاها / مخلع البسيط / أبو المطرف بن عميرة / ١ / ٢٤٦

- الظلالا/ الوافر/ ابن جابر/ ٣/ ٢٧٢
- ذبالا/ الوافر/ اللص/ ٥/ ٥٥
- السؤال/ الوافر/ اللص/ ٥/ ١٢٩
- القتالا/ الوافر/ اللص/ ٥/ ١٣٢
- شمالا/ الوافر/ ابن البنى/ ٥/ ١٥٥
- ملاالا/ الوافر/ ابن وهبون/ ٥/ ١٨٥
- نمالا/ الوافر/ المعرى/ ٧/ ٢١٦
- الجزيل/ الوافر/ أبو عبد الله القرطبي/ ٤/ ٣٩١
- سيلا/ الوافر/ أبو إسحاق النميرى/ ٨/ ٢٩٥
- ثماله/ الوافر/ المبرد (أو ابن المعذل)/ ٦/ ١٦٣
- عقاله/ الوافر/ ابن خاتمة/ ٥/ ٢٥٦
- البطاله/ الوافر/ ابن ليون/ ٧/ ٨٢
- حمله/ مجزوء الوافر/ ابن خفيف/ ٤/ ٣٩١
- خبالا/ الكامل/ الأخطل/ ٣/ ٣٧٦
- الأمالا/ الكامل/ سليمان بن المرتضى/ ٤/ ٣٥٧
- الأمالا/ الكامل/ ابن زيدون/ ٥/ ١٨٩
- كمال/ الكامل/ ابن زمرك/ ٩/ ٧٨
- رسولا/ الكامل/ أبو بكر بن القبطرنة/ ١/ ١٣٧، ٢/ ١٣٧
- غليلا/ الكامل/ القاضى الفاضل/ ١/ ٤٦
- و غليلا/ الكامل/ أبو عبد الله الاستجى/ ٢/ ٢١٤
- و غليلا/ الكامل/ ابن غالب الكاتب/ ٤/ ١٢٧
- قنديلا/ الكامل/ أبو يحيى بن هشام/ ٤/ ١٣٠
- التأميلا/ الكامل/ ابن اللبانه/ ٤/ ١٤٤
- التفصيلا/ الكامل/ لسان الدين/ ٨/ ١٧٨
- بابلا/ الكامل/ ابن الأبار/ ٣/ ١٩٣
- أناملا/ الكامل/ عمر بن الشهيد/ ٤/ ٢١٠
- بلابلا/ الكامل/ أبو عمران بن سعيد/ ٤/ ٣٣٦
- و بلابلا/ الكامل/ ابن عبد ربه/ ٨/ ٢٤٣
- كملا/ الكامل/ أبو الفضل بن الأعلم/ ٤/ ٤٠٢
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٢٨
- و أكمل/ الكامل/ ابن خفاجة/ ١/ ٤٣، ٥/ ٤٩
- أولا/ الكامل/ المقرئ المؤلف/ ١/ ٦٧
- ذلها/ الكامل/ هاتف فى النوم/ ٢/ ٤٢٠

- سائلا/ الكامل / ابن جابر / ٩ / ٢١٠
- أولا/ الكامل / الحكيم الجلياني / ٣ / ٢٣٠
- و الحلبي / الكامل / ابن نزار / ٤ / ٢٧٦
- تسلسلا/ الكامل / ابن الأبار / ٥ / ٦٠
- و مرسلا/ الكامل / أبو الربيع الموحدى / ٣ / ٣٧٠
- تأولا/ الكامل / عز الدولة بن صمادح / ٨ / ٢٣٦
- المسألة / الكامل / - / ٣ / ٢٥٤
- المسألة / الكامل / أبو جعفر الإلبيري / ٩ / ١٩١
- رجاله / الكامل / ابن جابر / ٩ / ١٩٤
- دلالتها / الكامل / ابن الجياب / ٦ / ٣٦١
- ظلالها / الكامل / ابن رضوان / ٧ / ٢٢٢
- كمالها / الكامل / ابن زمرك / ٩ / ٩٣
- و حجولها / الكامل / أبو زيد الفازازي / ٩ / ٣٢٠
- محالا / مجزوء الكامل / أبو فراس / ١ / ٣٣
- حاله / مجزوء الكامل / - / ٩ / ٣١٦
- ذباله / مجزوء الكامل / أبو جعفر بن سعيد / ٤ / ٢٩٤ ، ٥ / ١٢٢
- شكله / مجزوء الكامل / ابن ليون / ٧ / ١٠٧
- حملة / الهزج / ابن خفيف الأندلسي / ٤ / ٣٩١
- مللا / الرمل / ابن زيدون / ٤ / ١٠٤
- خبالا / مجزوء الرمل / ابن البني / ٥ / ١٥٤
- سيلا / مجزوء الرمل / ابن ليون / ٧ / ٧٦
- خليلا / مجزوء الرمل / ابن ليون / ٧ / ٩٠
- الأثيلا / مجزوء الرمل / ابن ليون / ٧ / ٩٩
- جهلا / مجزوء الرمل / ابن خفاجة / ٤ / ٢٤٧
- ولّى / مجزوء الرمل / القلقاط / ٥ / ٦٦
- قولا / السريع / أبو عبد الله بن جزي / ٧ / ٧٧
- و السهلا / السريع / أبو ركوة / ٣ / ٢٤٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٢٩
- الذلا / السريع / أحمد بن تليد / ٤ / ٣٨٥
- منزلا / السريع / ابن يرطلة / ٤ / ٢٤٩
- خامله / السريع / ابن ليون / ٧ / ١١٧
- نعتله / السريع / اللص / ٤ / ٢٥٨
- أعمله / السريع / أبو الربيع بن سالم / ٥ / ٥٤

- سلسله / السريع / أبو جعفر الوقشي / ٧٥ / ٥
- و الغفله / السريع / ابن ليون / ٩٤ / ٧
- و الغفله / السريع / ابن ليون / ٩٥ / ٧
- أسمالها / السريع / ابن جبير / ١٠٢ / ٣
- فارتجالا / المنسرح / أبو الحكم المغربي / ٢٨٣ / ٢
- انفصلا / المنسرح / لسان الدين / ١٢٤ / ٨
- متصله / المنسرح / أبو جعفر الإلييري / ١٩١ / ٩
- حالا / الخفيف / أبو وهب العباسي / ٤٤ / ٤
- ارتجالا / الخفيف / ابن مجبر / ٦٧ / ٤
- كمالاً / الخفيف / ابن الزقاق / ٢١١ / ٤
- فتعالاً / الخفيف / والد لسان الدين / ١١ / ٦
- جمالاً / الخفيف / ابن جابر / ٢١٠ / ٩
- شمولاً / الخفيف / أبو بكر بن القبطرنة / ١٣٩ / ٢
- و أصيلاً / الخفيف / - / ٣٤ / ١
- قليلاً / الخفيف / ابن عين / ٢٨ / ٣
- جليلاً / الخفيف / - / ٢٥٣ / ٦
- تطيلاً / الخفيف / ابن ليون / ٨٧ / ٧
- تكحيلاً / الخفيف / المنصور الذهبي / ٢٦٣ / ٨
- ثكلاً / الخفيف / المتنبى / ٨٧ / ٣
- الأجلاً / الخفيف / المتنبى / ٨٥ / ٣
- و كلاً / الخفيف / - / ٨٩ / ٥
- فذللاً / الخفيف / ابن ليون / ١٠٣ / ٧
- يتقلًى / الخفيف / ابن العريف / ١٣١ / ٧
- جماله / الخفيف / ابن خلكان / ٣٤ / ١
- جماله / الخفيف / أبو جعفر بن سعيد / ٢٩٤ / ٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٣٠
- لعليله / الخفيف / أبو بكر بن زهر / ٣٧٥ / ٢
- قليله / الخفيف / لسان الدين / ١٦٦ / ٨
- نقله / الخفيف / أبو حيان / ١٥٢ / ٣
- شكله / الخفيف / الصفدي / ١٥٢ / ٣
- سلاً / مجزوء الخفيف / ابن الفراء / ١٨٣ / ٤
- فاعتلى / مجزوء الخفيف / لسان الدين / ١٨٤ / ٤
- و اعتلى / مجزوء الخفيف / - / ٨ / ٨

- جمله / المجتث / ابن ليون / ٧ / ٨٨
- جمال / المتقارب / ابن عمار / ٥ / ١٣٩
- السيولا / المتقارب / - / ٢ / ٤٠١
- العليلا / المتقارب / ابن زيدون / ٤ / ١٠٣
- قليلا / المتقارب / أبو الوليد بن حزم / ٤ / ٢٥٧
- الذابلا / المتقارب / ابن الأرقم / ٤ / ٢٨٠
- شائلا / المتقارب / ابن المعتز / ٤ / ٣٧٧
- زائلا / المتقارب / المعتمد بن عباد / ٤ / ٣٧٧
- بالقلي / المتقارب / ابن نصف الربيض / ٤ / ١٩٣
- أولا / المتقارب / - / ٨ / ٣٧
- أم له / المتقارب / ابن جبير / ٣ / ١٠٤
- سبله / المتقارب / ابن جابر / ٣ / ٢٦٩
- أفعاله / المتقارب / ابن جابر / ٩ / ٢١٣
- أذيالها / المتقارب / المخزومي الأعمى / ١ / ١٦٢
- أذيالها / المتقارب / أبو العتاهية / ٢ / ٤٧٣
- أهوالها / المتقارب / خلف بن هارون / ٤ / ٣٢٨
- ضلال / الطويل / فخر الدين الرازي / ٦ / ١٩٤
- يقول / الطويل / - / ١ / ٣٩
- و يقول / الطويل / ابن حزم / ٢ / ٢٤٣
- عذول / الطويل / ابن عنين / ١ / ٩٤
- و يهول / الطويل / ابن دراج / ٥ / ٣٣
- و قبول / الطويل / عبد الله بن لسان الدين / ٩ / ١٤٠
- سبيل / الطويل / الصفدي / ١ / ٩٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٣١
- قليل / الطويل / - / ٢ / ٥٩
- قليل / الطويل / - / ٥ / ٢٦٢
- قليل / الطويل / - / ٨ / ٨
- ظليل / الطويل / ابن عنين / ٣ / ٢٨
- و تسهيل / الطويل / ابن عبدون / ٤ / ٢٤٢
- و تسهيل / الطويل / ابن مالك / ٤ / ٢٤٣
- سبيل / الطويل / ابن صالح الكناني / ٥ / ٢٥٠
- كليل / الطويل / عبد المهيمن الحضرمي / ٧ / ١٠
- منيل / الطويل / ابن خلدون / ٧ / ٢٩١

- و يحاول / الطويل / - / ٢٩ / ١
- ساحل / الطويل / ابن منقذ / ٣٤٣ / ١
- شمائل / الطويل / أبو الوليد الباجي / ٢٤٤ / ٢
- و الشمائل / الطويل / ابن عبد الصمد / ٥٢ / ٥
- المتطاول / الطويل / المتنبي / ٤٧١ / ٢
- البلابل / الطويل / ابن الأزرق الغرناطي / ٢٨٥ / ٣
- الهواطل / الطويل / ابن الأبار / ٢٥٣ / ٤
- أصائل / الطويل / أبو محمد المصري / ٣٧٨ / ٣
- مقاتل / الطويل / أبو الصلت أمية / ٢٦٦ / ٤
- دلائل / الطويل / ابن الرفاء / ٥١ / ٥
- قابل / الطويل / - / ١٢٣ / ٥
- منازل / الطويل / أبو جعفر الإلبيري / ٢١٣ / ٩
- و البذل / الطويل / زهير بن أبي سلمى / ١٧١ / ٤
- الأصل / الطويل / رفيع الدولة بن صمادح / ١٧٤ / ٤
- الجهل / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ١١٤ / ٥
- كبل / الطويل / المعتمد بن عباد / ١٤٧ / ٥
- الشميل / الطويل / محمد بن الحسن المذحجي / ٢٢٤ / ٥
- عقل / الطويل / ابن الفارض / ٣٢ / ٨
- الهول / الطويل / - / ٤٠ / ٨
- الذل / الطويل / ابن جابر / ١٩٩ / ٩
- و مسلسل / الطويل / شهاب الدين بن فرح / ١٣٦ / ٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٣٢
- يسفل / الطويل / محمد بن أيوب المرواني / ١٥٠ / ٤
- فتقبل / الطويل / أبو البركات بن الحاج البلفيقي / ٢٥ / ٧
- جلاله / الطويل / ابن زمرك / ٨١ / ٩
- المؤمل / الطويل / الأقرع المرواني / ٣٥٥ / ٤
- اعتلاله / الطويل / لسان الدين / ١٨٧ / ٨
- سائله / الطويل / أبو الربيع الموحدى / ٣٦٩ / ٣
- دلائله / الطويل / سلام الملقى / ٢٤٤ / ٥
- اتصالها / الطويل / ابن مماتي / ٤٦ / ١
- إجمال / المديد / ابن المعتز / ٣٧٦ / ٤
- الحال / المديد / غانم المخزومي / ٣٧٦ / ٤
- الرحل / المديد / - / ١٥٧ / ١

- علّ / المديد / أبو حفص الهوزني / ٢ / ٢٥٢
- عسل / المديد / ابن جابر / ٩ / ٢٠٨
- محتمله / المديد / لسان الدين / ٨ / ١٦٤
- يختال / البسيط / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١١٨
- قالوا / البسيط / ابن ليون / ٧ / ٩٦
- إبلال / البسيط / - / ٨ / ٣١
- مال / البسيط / ابن جابر / ٩ / ٢١٠
- محلول / البسيط / - / ١ / ٤٣
- متبول / البسيط / أبو حيان / ٣ / ١٨٤
- مناديل / البسيط / عبدة بن الطيب / ٣ / ٣٤٠
- صول / البسيط / حندج المرى / ٨ / ٩٩
- و العذل / البسيط / ابن بدرون / ١ / ١٥٦
- الطيل / البسيط / القطامي / ٣ / ٢٦٤
- و تتصل / البسيط / أبو أيوب بن أبي أمية / ٤ / ٣٢٤
- الحلل / البسيط / محمد بن هشام المرواني / ٤ / ٣٤٢
- و صلوا / البسيط / ابن عباد الرفدي / ٦ / ٢٨٧
- الطلل / البسيط / - / ٥ / ٣٩
- ينهمل / البسيط / أبو الأصغ بن رشيد / ٥ / ٦٥
- مقل / البسيط / - / ٥ / ٢٢٠
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٣٣
- رجل / البسيط / - / ٦ / ٢١٧
- تمثل / البسيط / المقرئ الجد (أو غيره) / ٦ / ٢٧٩
- بدل / البسيط / أبو محمد الأزدي / ٧ / ٢٢٠
- دول / البسيط / ابن خاتمة / ٧ / ٣٣١
- و الكسل / البسيط / - / ٨ / ٤٨
- العمل / البسيط / لسان الدين / ٨ / ١٢٨
- يكمله / البسيط / أبو الحسين بن مظفر / ٤ / ١٠٨
- و الغزال / مخلع البسيط / أبو بكر بن مالك / ٤ / ٢٥٠
- الجمال / مخلع البسيط / ابن جابر / ٩ / ٢٠٩
- نبيل / مخلع البسيط / أبو عامر بن شهيد / ٤ / ٧٣
- يطول / مخلع البسيط / ابن براق / ٤ / ٢٧٦، ٧ / ٣٦٦
- الكفيل / مخلع البسيط / ابن الجياب / ٦ / ٣٦٧
- عليل / مخلع البسيط / ابن خاتمة / ٧ / ٧٥

- اكتهال/ الوافر/ أبو زكريا بن هذيل / ٣٩ / ٧ /
الضلال/ الوافر/ -/ ٢١ / ٨ /
الرجال/ الوافر/ ابن الحاج الغرناطي / ٢٩٢ / ٨ /
الجمال/ الوافر/ المعزى / ٢٩٢ / ٨ /
الطلول/ الوافر/ ابن فرج الإلبيري / ٤٠ / ٢ /
لا يزول/ الوافر/ أبو بكر بن عطية / ١٣٣ / ٣ /
أفول/ الوافر/ الراضى بن المعتمد / ١٧٤ / ٥ /
الأصيل/ الوافر/ الكتندى / ٢٧٨ / ٤ /
يميل/ الوافر/ حفصة / ١٠٩ / ٥ /
القليل/ الوافر/ ابن قزمان / ٢١٤ / ٥ /
ثقليل/ الوافر/ الحجاري / ٢٢٩ / ٥ /
الرحيل/ الوافر/ الحجاري / ٦٤ / ٥ /
الذميل/ الوافر/ ابن الحاج الغرناطي / ٢٩٣ / ٨ /
صقيل/ الوافر/ ابن عتمه الضبي / ٢١ / ٩ /
منازله/ مجزوء الوافر/ أبو العتاهية / ٤٥ / ٨ /
مكسال/ الكامل/ ابن خفاجة / ٤ / ٣٩ ، ٤ / ١٥٣ /
مقال/ الكامل/ الغزال / ٢٢٩ / ٤ /
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٣٤
ظليل/ الكامل/ ابن خفاجة / ٣٩ / ٤ /
و النيل/ الكامل/ أحمد بن الحسن / ٣٤ / ٣ /
مدخول/ الكامل/ ابن ليون / ٩٧ / ٧ /
الداخل/ الكامل/ عبد الرحمن الداخل / ٣١٨ / ٣ /
باخل/ الكامل/ الفكيك / ٣٨٠ / ٣ /
موكل/ الكامل/ الغزال / ٣٨٤ / ٢ /
يكمل/ الكامل/ الراعى الغرناطي / ٢٨٠ / ٣ /
تتنزل/ الكامل/ الفكيك / ٣٨٠ / ٣ /
أتوصل/ الكامل/ أبو بكر بن زهر / ٢٥٤ / ٤ /
متأمل/ الكامل/ أبو جعفر بن سعيد / ٢٩٥ / ٤ /
تقتل/ الكامل/ ابن مهران / ٣٣٧ / ٤ /
يجهل/ الكامل/ ابن سعيد / ٧٢ / ٥ /
تنتقل/ الكامل/ أبو بكر بن عبد الملك / ٢٢٧ / ٧ /
معدل/ الكامل/ ابن خلدون / ٢٩٣ / ٧ /
ويجمل/ الكامل/ ابن الصباغ / ٣١٦ / ٧ /

- و ضلل / الكامل / - / ٢١ / ٨
- يسأل / الكامل / لسان الدين / ١٧٣ / ٨
- المقتل / الكامل / لسان الدين / ١٩٥ / ٨
- يتهلل / الكامل / ابن زمرك / ٦٤ / ٩
- و مهلل / الكامل / ابن زمرك / ٦٨ / ٩
- المنزل / الكامل / ابن زمرك / ٧٩ / ٩
- أنزل / الكامل / الكفعمي / ١٨٥ / ٩
- حاله / الكامل / سهل بن مالك / ٣٨٢ / ٤
- مفاصله / الكامل / - / ٦١ / ٤
- تستهل / مجزوء الكامل / أبو محمد السراج / ٣٨ / ١
- تغافل / مجزوء الكامل / ابن ليون / ٨٧ / ٧
- ذميل / الرمل / المقرئ / ٩٢ / ١
- و صلوا / الرمل / أبو الوليد بن الجنان / ٢٧٣ / ٢
- أمله / الرمل / غريب الثقفي / ٢٤٣ / ٥
- خبال / مجزوء الرمل / ابن ليون / ١٠٧ / ٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٣٥
- سبيل / مجزوء الرمل / - / ٢٤٣ / ٦
- كماله / مجزوء الرمل / ابن ليون / ١١٤ / ٧
- الطول / السريع / الناصر بن عبد الرحمن / ٣٧٩ / ٤
- الطول / السريع / أبو القاسم لب / ٣٧٩ / ٤
- و مخبول / السريع / عبد الملك بن جهور / ٣٧٩ / ٤
- مجهول / السريع / أبو جعفر بن سعيد / ١١٧ / ٥
- أهل / السريع / عمر بن أبي ربيعة / ٣٨ / ٢
- تمهل / السريع / منذر بن سعيد / ٩٣ / ٢
- و الهزل / السريع / لسان الدين / ٢٧٥ / ٧
- أسفله / السريع / - / ٢٨٣ / ٧
- أفعاله / السريع / ابن الطراوة / ١٨٥ / ٤
- زولوا / المنسرح / ابن عمار (و القصاب) / ٢٠٢ / ٤، ٣٧١
- زوال / الخفيف / مسلمة بن محمد / ٣٤٩ / ٤
- و عويل / الخفيف / المقرئ المؤلف / ٤١ / ١
- يجول / الخفيف / أبو الوليد بن الجنان / ٢٧٣ / ٢
- العذول / الخفيف / إبراهيم الحجاري / ٢١٩ / ٤
- الدليل / الخفيف / الشهرزوري / ٣٦٧ / ٧

- أحول / الخفيف / ابن جابر / ٢٠٨ / ٩
- تقله / الخفيف / أبو الصلت أمية / ٢٦٢ / ٢
- الجمال / المجتث / أبو الفضل البغدادي / ٣٧٧ / ٣
- طويل / المجتث / ابن جابر / ٢٦٦ / ٣
- جميل / المجتث / ابن ليون / ٩٦ / ٧
- يطل / المجتث / علي بن أحمد القادسي الكناني / ٢٧٥ / ٢
- حائل / المتقارب / أبو جعفر بن سعيد / ١١٨ / ٥
- ما يقتل / المتقارب / المتنبى / ٤٧٥ / ٢
- أنزل / المتقارب / أبو عمران المارتلي / ١١٤ / ٤
- تسترذل / المتقارب / ابن ليون / ١١٠ / ٧
- كبول / المتقارب / عز الدولة بن صمادح / ٢٣٥ / ٨
- يسيل / المتقارب / المعتصم بن صمادح / ٢٣٥ / ٨
- الخليل / المتقارب / أبو جعفر الإلبيري / ٢١٥ / ٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٣٦
- عملوا / المتدارك / أبو بكر الطرطوشي / ٢٤٩ / ٢
- شمالي / الطويل / - / ٣٦ / ١
- و عدالي / الطويل / أبو الوليد بن الجنان / ٢٧٥ / ٢
- حال / الطويل / ابن عبدون / ١١٢ / ٤، ٢٤٢
- الخالى / الطويل / امرؤ القيس / ٢٦٤ / ٣
- حال / الطويل / امرؤ القيس / ٣٦ / ٤
- إذلال / الطويل / امرؤ القيس / ٢٨١ / ٧
- البالي / الطويل / أبو بكر بن جزى / ٥٧ / ٧
- بالي / الطويل / - / ٢٨٤ / ٧
- إمهال / الطويل / ابن الحاج الغرناطي / ٢٩٨ / ٨
- نحولي / الطويل / - / ٤١ / ١
- محل / الطويل / القاضى الرشيد / ٦٩ / ١
- أهلى / الطويل / شاعر الحماسة / ٦٩ / ١
- الأهل / الطويل / ابن سعيد (?) / ٢ / ٤٠١
- الوبل / الطويل / - / ١ / ١٥٥، ٧٦ / ٥
- وصل / الطويل / ابن عربى / ٣٠٦ / ٢
- الخصل / الطويل / مصطفى بن محب الدين / ٦٦ / ٣
- النخل / الطويل / عبد الرحمن الداخل / ٣ / ٣٢٩
- العذل / الطويل / الفكيك / ٣ / ٣٧٩

- أحلى / الطويل / عز الدولة بن صمادح / ١٧٢ / ٤
- بالجهل / الطويل / ابن الغماز البلنسى / ٢٥٠ / ٥
- النحل / الطويل / - / ٣٨٦ / ٥
- النمل / الطويل / ابن مرج الكحل / ٤٦ / ٦
- و السهل / الطويل / لسان الدين / ٢٧٩ / ٧
- قبلى / الطويل / جميل بثينة / ٩٧ / ٨
- الشمائل / الطويل / - / ٧٩ / ١
- بمعزل / الطويل / مطرف / ١٣٩ / ١
- و باطل / الطويل / منذر بن سعيد / ٢٩٠ / ١
- المعاقل / الطويل / عبد المنعم الملقى / ٢٥٥ / ٢
- القبائل / الطويل / - / ٣٤١ / ٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٣٧
- كالسجنجل / الطويل / - / ٢٦١ / ٣
- القرنفل / الطويل / امرؤ القيس / ٢٧٠ / ٣
- مزمل / الطويل / امرؤ القيس / ٢٧٠ / ٣
- ترحل / الطويل / امرؤ القيس / ١٦١ / ٦
- و منزل / الطويل / ابن جابر / ٢٧١ / ٣
- و منزل / الطويل / حازم القرطاجنى صاحب المقصورة / ٥٩ / ٧
- مؤمل / الطويل / أبو جعفر بن سعيد / ٥٢ / ٤، ١٠٩ / ٥
- الهبائل / الطويل / ابن الحمامة / ٧٨ / ٥
- المهلل / الطويل / مريم بنت أبى يعقوب الأنصارى / ٢٠٩ / ٥
- عاطل / الطويل / أبو يحيى بن عاصم / ٢٦١ / ٧
- للمتأهل / الطويل / ابن المتأهل العذرى / ٣٦٠ / ٧
- بلابلى / الطويل / التتو / ٣٦٣ / ٧
- و دلائل / الطويل / أبو زيد الفازازى / ٣٢٣ / ٩
- خياله / الطويل / لسان الدين / ١٩٧ / ٨
- رساله / الطويل / النباهى / ٢٣٤ / ٧
- اعتلالها / الطويل / لسان الدين / ١٦٦ / ٧
- منالها / الطويل / ابن رضوان / ١٦٧ / ٧
- بالغالى / البسيط / - / ٧٠ / ١
- و آمالى / البسيط / أبو القاسم القبتورى / ١٩٧ / ٣، ٢٤٩ / ٤
- آمال / البسيط / أبو العباس الشريف / ٢٣ / ٧
- بال / البسيط / ابن وهبون / ٦٤ / ٤

- ترحال / البسيط / أبو البركات بن الحاج البليقي / ٢٣ / ٧
- قال / البسيط / ابن ليون / ٨٤ / ٧
- حال / البسيط / - / ١٥٨ / ٧
- فعل / البسيط / ابن ليون / ٨٣ / ٧
- فقل / البسيط / - / ١ / ١٥٠ ، ٢٧ / ٤
- و الظلل / البسيط / أبين أبي الحباب / ٩٧ / ٢ ، ٩٨
- الدول / البسيط / المعتمد بن عباد / ١٣٠ / ٢
- العسل / البسيط / ابن جبير / ١٠٧ / ٣
- و احتمل / البسيط / ابن حيش / ٥٨ / ٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٣٨
- الحمل / البسيط / الأخفش القبذاقي / ١٨٨ / ٤
- الحمل / البسيط / أبو عامر بن الحماره / ٣٨٦ / ٤ ، ٧٨ / ٥
- أمل / البسيط / ابن نباتة / ٢٠٨ / ٤
- أملى / البسيط / الأعلم الشتمري / ٢٢ / ٥
- البدل / البسيط / ابن سهل / ٣٠٣ / ٤
- و القبل / البسيط / أبو عامر بن الجد / ١٨ / ٥
- البخل / البسيط / ابن خالصه الكفيف / ٤٤ / ٥
- الرسل / البسيط / - / ١٠٥ / ٥
- جبل / البسيط / اللص / ١٢٩ / ٥
- تسل / البسيط / مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري / ٢٠٩ / ٥
- الحلل / البسيط / - / ٢٠٩ / ٥
- مثل / البسيط / ابن وضاح / ٢٢٦ / ٥
- وجل / البسيط / أبو سعيد المخزومي / ٤٢٦ / ٥
- للكحل / البسيط / محمد بن جهور / ٤٦ / ٦
- للكحل / البسيط / ابن مرج الكحل / ٤٦ / ٦
- كالكحل / البسيط / المتنبى / ٨٠ / ٢
- بالعلل / البسيط / المتنبى / ٢٥٨ / ٦
- الهطل / البسيط / المتنبى / ٢٩ / ٨
- بالمقل / البسيط / عبد المؤمن (و ابن عطية) / ١٥٧ / ٦
- الأول / البسيط / أبو عبد الله بن جزي / ٧٦ / ٧
- زلل / البسيط / ابن ليون / ١٠٤ / ٧
- و مرتحل / البسيط / أبو سلطان الغرناطي / ٢٢٧ / ٧
- ولى / البسيط / لسان الدين / ١٨٩ / ٨

- مقتبل / البسيط / أبو زكريا بن خلدون / ٨ / ٢٠٦
- الأول / البسيط / أبو جعفر الإلبيري / ٩ / ٢١٤
- متبذل / البسيط / الرصافي البلنسي / ٤ / ٤٠
- ببالي / مخلع البسيط / المنازي / ٢ / ٢٢٩
- حالي / مخلع البسيط / أبو عمرو القبطلي / ٤ / ١٢٢
- الجلال / مخلع البسيط / أبو الصلت أمية / ٤ / ٢٦٦
- الهزال / مخلع البسيط / لسان الدين / ٨ / ١٧٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٣٩
- مطل / مخلع البسيط / ابن خفاجة / ٥ / ١٠
- زلالك / مخلع البسيط / - / ٤ / ٣٩١
- اعتماله / مخلع البسيط / ابن ليون / ٧ / ١٠٨
- كالخيال / الوافر / ماميه الرومي / ١ / ١١٣
- خيال / الوافر / المتنبي / ٨ / ١٢٢
- للهملال / الوافر / المتنبي / ٣ / ٨٧، ٥ / ٣٨٦
- السجال / الوافر / المتنبي / ٥ / ١٢٠
- بالهملال / الوافر / المعتمد بن عباد / ٤ / ٣٧٥
- وقال / الوافر / الحميدى / ٢ / ٢٦٧
- النوال / الوافر / المستنصر / ٢ / ٤٤٢
- الشمال / الوافر / - / ٣ / ٨٠
- السؤال / الوافر / أبو حيان / ٣ / ١٧١
- بالغوالي / الوافر / أبو جعفر بن طلحة / ٤ / ١٢٤
- الجمال / الوافر / - / ٤ / ١٥٥
- المعالى / الوافر / ابن مرزقان / ٤ / ٣٧٦
- طوال / الوافر / ابن أبي العافية / ٤ / ٣٨٩
- كاللآلى / الوافر / ابن العطار القرطبي / ٤ / ٣٨٩
- جلال / الوافر / ابن عبدون / ٥ / ١٤
- حالي / الوافر / أبو إسحاق الإلبيري / ٩ / ٢١٢
- حال / الوافر / لسان الدين / ٦ / ١٣٨، ٨ / ١٧٠
- حالي / الوافر / لسان الدين / ٨ / ١٩٩
- الحجال / الوافر / أبو فراس الحمداني / ٥ / ٣٥٤
- بالرجال / الوافر / - / ٥ / ٤٢٢
- الرجال / الوافر / ابن جابر / ٣ / ٢٥٧
- كالغزال / الوافر / ابن جابر / ٩ / ٢٠٠

- بالكمال / الوافر / ابن ليون / ٨٩ / ٧
- الجلال / الوافر / ابن زمرك / ٩٢ / ٩
- أسبلى / الوافر / خلف القبتورى / ١٩٦ / ٣
- دليل / الوافر / المتنبي / ٧٨ / ٥، ٣٩٠
- العليل / الوافر / محمد بن عبد الله بن جزى / ٧٨ / ٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٤٠
- العليل / الوافر / - / ١٥٧ / ٧
- الخليل / الوافر / لسان الدين / ١٦١ / ٨
- الغليل / الوافر / أبو اليمن بن عساكر / ٣١٧ / ٩
- بالجميل / الوافر / ابن مرزوق / ٣٤٦ / ٦
- بفضله / الوافر / محمد بن عبد الملك المراكشى / ٢٠٨ / ٧
- الوجل / مجزوء الوافر / - / ٥٥ / ١
- جوال / الكامل / أبو المطرف / ٢٤٩ / ١
- بنوال / الكامل / عبد الملك بن سعيد المرادى / ٣٠٦ / ١
- قتال / الكامل / ابن زيدون / ١٦٣ / ٢
- صالى / الكامل / ابن قلاقس / ٨١ / ٤
- الخال / الكامل / أبو عبد الله بن الحداد / ٢٨٤ / ٤
- بالآمال / الكامل / هلال البيانى / ٣١٤ / ٤
- الجهال / الكامل / أبو إسحاق الإلبيرى / ٣٢١، ٣٢ / ٥
- و وال / الكامل / أيمن بن محمد الغرناطى / ٢٥١ / ٥
- الآل / الكامل / أبو محمد بن هارون / ١٧٠ / ٦
- الأحوال / الكامل / ابن أبي دلامة / ٧٦ / ٧
- كمال / الكامل / ابن مشرف الأسمى / ٢١٧ / ٧
- الأهوال / الكامل / لسان الدين / ٢٧ / ٨
- المال / الكامل / لسان الدين / ١٧٩ / ٨
- العالى / الكامل / - / ٤٨ / ٨
- إسماعيل / الكامل / صاعد بن الحسين / ٣٤٤ / ٣
- برسول / الكامل / أبو جعفر الإلبيرى / ٢١٥ / ٩
- عويلى / الكامل / الرمادى / ٣٤١ / ٣
- شكلى / الكامل / امرؤ القيس / ٣٤٤ / ٢
- الأهل / الكامل / عبد الملك المروانى / ٣٣٢ / ٣
- لم يحلل / الكامل / - / ٢٩ / ١
- صيقل / الكامل / إبراهيم بن عبدون / ٤٨ / ١

- محجل / الكامل / - / ١ / ٧٧
- المقبل / الكامل / أبو الوليد بن الجنان / ٢ / ٢٧٤
- المسبل / الكامل / أبو بكر الرصافي / ٣ / ٢٤٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٤١
- المسبل / الكامل / المزدغي / ٨ / ٣١٠
- المسبل / الكامل / ابن العطار الجزائري / ٩ / ٣٠٨
- الأعزل / الكامل / - / ٣ / ٢٥٩
- مذلل / الكامل / صاعد البغدادى / ٣ / ٣٥٠
- مبدل / الكامل / المطرف المروانى / ٤ / ١٥١
- أفعل / الكامل / جرير / ٤ / ١٥١
- للمتأمل / الكامل / ابن عائشة / ٥ / ٩٢
- السلسل / الكامل / ابن ينق / ٥ / ٢١١
- الأول / الكامل / هند جارية الشاطبي / ٥ / ٢١١
- الأول / الكامل / أبو بكر بن القبطرنة / ٥ / ٢٢٧
- الأول / الكامل / - / ٨ / ١٨
- منزل / الكامل / أبو تمام / ٦ / ٢٥٨
- تتبدل / الكامل / ابن ليون / ٧ / ١٢٩
- و المجتلى / الكامل / محمد بن يوسف الثغرى / ٨ / ٣٠٧
- و حلاله / الكامل / ابن لبال / ٥ / ١٣
- رحيله / الكامل / ابن ليون / ٧ / ١١٩
- خلاخله / الكامل / نزهون / ٥ / ٢١٤
- آمالها / الكامل / أبو القاسم بن العطار / ٢ / ١٥٠
- البال / الكامل / ابن أبي يغمور / ٤ / ٦١
- العقال / الكامل / - / ٢ / ٤٧١
- ببالها / الكامل / ابن خميس / ٦ / ٣٠٣
- بالحمول / مجزوء الكامل / ابن الأثير / ١ / ٨٦
- الطويل / مجزوء الكامل / الوليد بن يزيد / ٥ / ٧٩
- ذباله / مجزوء الكامل / أبو جعفر بن سعيد / ٤ / ٢٩٤
- لجمال / الرمل / - / ٣ / ٧٢
- المحال / الرمل / أبو عبد الله بن الحكيم / ٣ / ٢١٦
- الشمول / الرمل / الرصافي البلبسى / ٤ / ٤١
- جميل / الرمل / ابن الخيمي / ٦ / ٢١٤
- الأمل / الرمل / - / ١ / ١٥٤

- البطلی / الرمل / - / ٢٨٤ / ٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٤٢
- مهله / الرمل / التحلی / ١٤٤ / ٤
- كالجبال / مجزوء الرمل / الغزال / ٣٨٤ / ٢
- جمال / مجزوء الرمل / ابن زمرك / ٨٥ / ٩
- مالی / السریع / - / ١١١ / ١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٣٤٢
- خالی / السریع / الوداعی / ٣٠ / ٣
- الجمال / السریع / ابن سهل / ٣٠٠ / ٤
- و أنذال / السریع / ابن قزمان / ٢١٣ / ٥
- السرراویل / السریع / ولادة / ١٣٣ / ٥
- و بالباطل / السریع / كعب بن زهير / ٤٧٣ / ٢
- الهاتل / السریع / المعتمد بن عباد / ٣٧ / ٥
- الفاضل / السریع / ابن لیون / ١٠٦ / ٧
- الساتل / السریع / - / ٣٣٤ / ٧
- و الفضل / السریع / شمس الدين بن الخياط / ٢١ / ٣
- بالأرجل / السریع / ابن سعيد / ٣٩٥، ٣٩٣ / ٣
- الأكحل / السریع / ابن أبي الإصبع / ٣٩٥، ٣٩٤ / ٣
- بالأسفل / السریع / ابن سعيد / ٣٩٥، ٣٩٤ / ٣
- ذنب لی / السریع / ولادة / ١٣٣ / ٥، ٤٤ / ٤
- مستقبل / السریع / ابن سهل / ٣٠٣ / ٤
- و المدخل / السریع / ابن الریمی / ٣١٠ / ٤
- و المنجلی / السریع / أبو محمد القیسی / ٢٤٠ / ٥
- منزله / السریع / ابن لیون / ١٢٨ / ٧
- حاله / السریع / ابن مجبر / ٢٤٦ / ٥
- حله / السریع / ابن جابر / ١٩٦ / ٩
- منفصل / المنسرح / أبو إسحاق الإلبیری / ٢٣١ / ٥
- مطل / المنسرح / ابن خفاجة / ٣٩ / ٤، ٣٣ / ١
- المفضال / الخفیف / الشریف الحصنی / ٣٥٨ / ٢
- مجال / الخفیف / ابن جابر / ٢٥٦ / ٣
- بشمالی / الخفیف / ابن وهبون / ٩١ / ٤
- للهملال / الخفیف / حفصة / ١١٠ / ٥
- الأبدال / الخفیف / أبو البركات بن الحاج / ١٨ / ٧

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٤٣

ضلال / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ٩٣

خيال / الخفيف / أبو يحيى البلوى / ٧ / ١٨٢

الليالي / الخفيف / لسان الدين / ٨ / ١٧٨

و حال / الخفيف / لسان الدين / ٨ / ١٨٠

الأصيل / الخفيف / حاتم بن سعيد / ٤ / ٢٩١

الجميل / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ١٢٦

محول / الخفيف / لسان الدين / ٨ / ١٦٧، ١٩٣

رجلي / الخفيف / أبو وهب الزاهد / ٥ / ٥٦

و رحلي / الخفيف / - / ٨ / ٣١

ليل / الخفيف / ابن جابر / ٩ / ٢٠٨

بوصل / الخفيف / ابن جابر / ٩ / ٢١٠

لسيله / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ٩٨

المعالى / المجتث / أبو بكر بن سعيد / ٢ / ٤٤٩، ٣ / ٣٣٣

حبالي / المجتث / المقتدر بن هود / ٤ / ٣٣٣

اغتيالى / المجتث / يحيى بن يظفت / ٤ / ٣٣٣

جلال / المجتث / أبو العباس القيجاطى / ٤ / ٣٩٣

جلال / المجتث / ابن المناصف / ٥ / ٢٢١

الهلال / المجتث / ابن زمرك / ٩ / ٨٦

نحولى / المجتث / بكار المروانى / ٤ / ١٤٩

بميل / المجتث / ابن ليون / ٧ / ١٢٧

كمالك / المجتث / أبو جعفر الغسانى / ٥ / ٩٠

النزال / المتقارب / لسان الدين / ٨ / ١٧٥

الذليل / المتقارب / ابن درّاج / ٢ / ٢٥

الخليل / المتقارب / ابن جبير / ٣ / ١٠٣

الطلول / المتقارب / عبد الله بن لسان الدين / ٩ / ١٣٨

بالعاجل / المتقارب / - / ٢ / ٤٦٩

الداخل / المتقارب / ابن عياش الكنانى / ٣ / ٢٠٣

القاتل / المتقارب / أبو الفضل البغدادى / ٣ / ٣٧٨

الهائل / المتقارب / لسان الدين / ٨ / ١٩٤

يشكل / المتقارب / أبو بكر الطرطوشى / ٢ / ٢٤٥

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٤٤

بالمرفل / المتقارب / ابن حبيب / ٤ / ٢٢١

قافية الميم (م)

- انبهم / الطويل / - / ٥ / ٣٥١
- النعم / الطويل / ابن جابر / ٩ / ١٩٧
- بينهم / الطويل / أبو عمرو بن أبي محمد / ٤ / ٢٣٦
- النعائم / مخلع البسيط / أبو الوليد الباجي / ٢ / ٢٣٨
- و لازم / الوافر / ابن ليون / ٧ / ١٠٥
- دم / الوافر / لسان الدين / ٨ / ١٩٩
- الأنام / مجزوء الكامل / - / ١ / ٦٢
- النسيم / مجزوء الكامل / ابن زيدون / ٤ / ٩٤
- الكرم / مجزوء الكامل / ابن ليون / ٧ / ٩١
- عدم / مجزوء الكامل / بكار المرواني / ٤ / ١٤٧
- المعالم / مجزوء الكامل / المقرئ / ٣ / ٤٢
- يقاوم / مجزوء الكامل / ابن شاهين / ٣ / ٤٢
- مظلم / مجزوء الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٦١
- احتكام / الرمل / لسان الدين / ٨ / ١٦٦
- يصم / الرمل / ابن ليون / ٧ / ٩١
- معلم / مجزوء الرمل / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١٢٧
- السلام / السريع / البدر بن حبيب / ١ / ٧٣
- الغمام / السريع / العربي / ٥ / ٤٣١
- السلام / السريع / ابن سبلاق الحضرمي / ٤ / ٢٦٧
- الفئام / السريع / المقرئ / ٣ / ٧١
- الهمام / السريع / عبد الرحمن العمادي / ٣ / ٧١
- الأنام / السريع / الصفدي / ٣ / ١٤٤
- الأنام / السريع / صفوان بن إدريس / ٦ / ٦٢
- الحمام / السريع / ابن مغيث / ٤ / ٧٠
- الظلام / السريع / - / ٨ / ١٩١
- مقيم / السريع / أبو عبد الله المنصفي / ١ / ١٥٣، ٤ / ٣٦٠
- مقيم / السريع / أبو الحجاج المنصفي / ٥ / ٢٤٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٤٥
- مقيم / السريع / الملك الناصر / ٢ / ٤٧٩
- النديم / السريع / أبو المعالي القيجاطي / ٤ / ١٢٢
- الحليم / السريع / ابن مسعود البجاني / ٤ / ١٨٩

- القديم / السريع / ابن الجياب / ٦ / ٣٧٧
 السموم / السريع / ابن ليون / ٧ / ١٠٥
 كريم / السريع / - / ٨ / ٤
 الكرم / السريع / ابن المبارك الحبيبي / ٥ / ٦٦
 يهتضم / السريع / ابن ليون / ٧ / ٩٥
 أعمالكم / السريع / يحيى السرقسطى / ٥ / ٩٤
 عنهم / الخفيف / - / ١ / ٩٣
 لازم / الخفيف / سعيد بن فرج / ٤ / ٣٥٠
 كريم / المجتث / أبو مروان بن نظيف / ٤ / ٣١٣
 الصوارم / المجتث / المقتدر بن هود / ٤ / ٣٣٤
 إليكم / المجتث / ابن الصائغ / ٣ / ١٠٢
 أسلم / المجتث / ابن ليون / ٧ / ٩١
 حرام / المتقارب / أبو جعفر بن عباس / ٤ / ٣١١
 الحرم / المتقارب / ابن خروف / ٢ / ٣٠٨
 تم / المتقارب / - / ٢ / ٤٧١
 العنم / المتقارب / الغسانی و ابن سعيد / ٣ / ٤٧٧
 الهرم / المتقارب / ابن جبیر / ٣ / ١٠٨
 الذمم / المتقارب / الراعى الغرناطى / ٣ / ٢٨٠
 سلم / المتقارب / أبو جعفر اللماثى / ٤ / ٣٢٠
 العدم / المتقارب / القزاز / ٥ / ٤٦
 العدم / المتقارب / القزاز / ٥ / ٤٦
 العدم / المتقارب / ابن مرزوق الخطيب / ٦ / ٣٤٦
 العلم / المتقارب / ابن أضحى / ٥ / ٩٩
 قدم / المتقارب / ابن الجياب / ٦ / ٣٦٧
 زكاما / الطويل / - / ٧ / ٢٨٣
 وصما / الطويل / المتنبى / ٣ / ٨٥
 وصما / الطويل / المنصور الذهبى / ٨ / ٢٦٥
 تقدما / الطويل / - / ١ / ٤٢
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٤٦
 قيما / الطويل / المصحفى / ٢ / ١١٣
 جازما / الطويل / ابن سهل الإسرائيلى / ٤ / ٣٠٣
 همى / الطويل / محمد الكلنشى / ٢ / ٣١٥
 فانهمى / الطويل / ابن سعيد / ٢ / ٣٩٤

- لائما/ الطويل / المرقش الأصغر / ٢ / ٤٧٢
 لأخدا/ الطويل /- / ٢ / ٤٧٤
 تهدما/ الطويل / عبدة بن الطيب / ٣ / ٧٢
 تنضرها/ الطويل /- / ٣ / ٧٧
 تعلما/ الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٧٣
 تعلما/ الطويل / ابن زمرك / ٩ / ١٢
 دائما/ الطويل / ابن زمرك / ٩ / ٩٥
 ظما/ الطويل / ابن فرسان / ٣ / ٢١٠
 ظما/ الطويل / أبو إسحاق الساحلي / ٣ / ٢٤٦
 معلما/ الطويل / ابن خفاجة / ٤ / ٢٣٨
 عوما/ الطويل / يزيد بن أبي خالد / ٥ / ٦
 ملثما/ الطويل / حبلاص الرندي / ٥ / ٧١
 تصرما/ الطويل / أم الصريح / ٥ / ٨٠
 مختما/ الطويل / الداني / ٥ / ١٨٠
 مداكما/ الطويل / ابن حبيش / ٥ / ٢٢٦
 و تكلما/ الطويل /- / ٦ / ١٣٥
 فاطمه/ الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٩١
 كماهما/ الطويل / بهاء الدين الخيمي / ٣ / ١٥٠
 عظامها/ الطويل / ابن هذيل / ٧ / ٣٩
 دما/ البسيط/ المقري / ١ / ٩٠
 دما/ البسيط/ ابن الزقاق / ٤ / ٢١١
 بينهما/ البسيط/ ابن آجروم / ١ / ٩٤
 و الكرما/ البسيط/ ابن اللبائنة / ٤ / ١٧٣، ٨ / ٢٣٦
 عظما/ البسيط/ ابن اللبائنة / ٥ / ٤٢
 السأما/ البسيط/ ابن مرتين / ٤ / ٢٥٩
 حكما/ البسيط/ أبو عامر البرياني / ٥ / ٥٨
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٤٧
 لمى / البسيط / أبو محمد الأزدي / ٧ / ٣٥٥
 علما/ البسيط/ عز الدولة بن صمادح / ٤ / ١٧٣، ٨ / ٢٣٧
 أقدمه/ البسيط /- / ٣ / ٧٣
 نجومما/ مخلع البسيط/ ابن عائشة / ٤ / ٣٨٧، ٥ / ٤، ٩٢
 لئما/ مخلع البسيط/ أبو بكر الزبيدي / ٨ / ٢٣٣
 حساما/ الوافر/ ابن سعيد / ٢ / ٣٩٤

- لناما/ الوافر/ -/ ١٥٧ /٧
- تؤما/ الوافر/ ابن الحاج الغرناطي / ٢٩٦ /٨
- هيما/ الوافر/ أبو أمية بن عفير / ١٢٧ /٤
- الكرامه/ الوافر/ البدر بن حبيب / ١٩ /٣
- السلامه/ الوافر/ -/ ٢٥٢ /٥
- الإقامه/ الوافر/ ابن خاتمه / ٧ /١، ٧ /٢٦
- الغرامه/ الوافر/ ابن ليون / ١٠٠ /٧
- كريمه/ الوافر/ ابن حبيش / ٨٢ /٥
- غماما/ الكامل/ لسان الدين / ١٦٤ /٨
- نجوما/ الكامل/ ابن الأعلم / ٤٠٣ /٤
- عظيما/ الكامل/ عبد الله بن لسان الدين / ١٤٦ /٩
- تعظيما/ الكامل/ جمال الدين الجوزي / ٢٦٨ /٨
- صميما/ الكامل/ ابن الجنان / ٢٨٥ /٩
- تصرما/ الكامل/ الحائك الأمي / ٣٢ /١
- معلما/ الكامل/ المعتمد بن عباد / ٢٧٧ /٥
- أقديما/ الكامل/ المقرئ الجدي / ٢٦٠ /٦
- دائما/ الكامل/ ابن جابر / ١٩٣ /٩
- همه/ الكامل/ ابن ليون / ٨٤ /٧
- جرمها/ الكامل/ إسماعيل اليهودي / ٣٠٦ /٤
- جرمها/ الكامل/ قسمونة بنت إسماعيل / ٣٠٧ /٤
- ملامه/ مجزوء الكامل/ المقرئ / ٢١ /١، ٢٨ /٨
- السلامه/ مجزوء الكامل/ لسان الدين / ١٢٣ /٦
- أماما/ الرمل/ مهيار / ١٦٣ /٤
- الخزامي/ الرمل/ يحيى بن هذيل / ١٦٣ /٤، ٣٢ /٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٤٨
- و السلمما/ الرمل/ ابن جابر / ١٩٣ /٩
- حتمما/ مجزوء الرمل/ ابن ليون / ١١٨ /٧
- السلامه/ مجزوء الرمل/ ابن ليون / ١٠٥ /٧
- لنعمه/ مجزوء الرمل/ ابن ليون / ٨٨ /٧
- إفحاما/ السريع/ سعيد الغرناطي / ٢٤٢ /٧
- دما/ السريع/ أبو الصلت أمية / ٢٦٧ /٤
- ترحما/ السريع/ المعتمد / ١٤٤ /٥
- السما/ السريع/ المنصور الذهبي / ٢٦٢ /٨

- النظما/ السريع / المرتضى المرواني / ١ / ٣٣٢
- النعما/ السريع / يونس المغربي / ٣ / ١٨٥
- ملاّمه/ السريع /- / ٤ / ٣٩٤
- مه/ السريع / ابن الصائغ / ٨ / ٢٢٥
- الحرما/ المنسرح /- / ٣ / ٣٩٨
- تقدمه/ المنسرح / على الوداعي / ١ / ٣٣
- المقاما/ الخفيف / المنصور بن أبي عامر / ١ / ٣١٦
- النياما/ الخفيف / أبو عمرو اليحصبي / ٤ / ٥٧
- مستداما/ الخفيف / ابن ليون / ٧ / ١١٠
- هشيما/ الخفيف /- / ١ / ٨٠
- رحيما/ الخفيف / أبو محمد القرطبي / ٢ / ٢٧٥
- سليما/ الخفيف / أبو عبد الله بن الحداد / ٤ / ٢٨٥
- عموما/ الخفيف / ابن الجياب / ٦ / ٣٧٥
- الحميما/ الخفيف / ابن ليون / ٧ / ٩٢
- قويما/ الخفيف / ابن ليون / ٧ / ٩٤
- سليما/ الخفيف / ابن ليون / ٧ / ١١٢
- شامه / الخفيف / المقرئ / ٩ / ٦٧
- احتشامه / الخفيف / المقرئ / ١ / ٦٧
- المستدامه / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ٨٤
- كرامه / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ١١٥
- السلامه / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ١٢٢
- سهمه / الخفيف / ابن جابر / ٣ / ٢٦٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٤٩
- قلمه / الخفيف / ابن باق / ٧ / ٣٦١
- ثمه / الخفيف /- / ٨ / ١٤٢
- عاتمه / مجزوء الخفيف / لسان الدين / ٧ / ١٥٧
- خاتمته / مجزوء الخفيف / لسان الدين / ٧ / ١٥٨
- أعمى / المجتث / المنفلت / ٤ / ١٨٨
- تمّا / المجتث / ابن طلحة الإشبيلي / ٤ / ٢٦١
- غمامه / المجتث /- / ٢ / ٤٦٤
- الإمامه / المجتث / حفصة الركونية / ٥ / ١٠٦
- علامه / المجتث / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١٠٥
- الكرامه / المجتث / ابن زمرك / ٩ / ٢٣

- بهيما/ المتقارب/ أبو بكر الطرطوشي / ٢ / ٢٤٩
- عمى / المتقارب/ ابن زهر / ٤ / ٧٤ ، ٢٢٥
- مأثما/ المتقارب/ -/ ٥ / ٢٥٣
- يسأما/ المتقارب/ -/ ٥ / ٢٥٢
- و أوام/ الطويل / ابن الحاج / ٤ / ٢٤٩
- مقام/ الطويل / المنصور الذهبي / ٨ / ٢٦٨
- وسيم/ الطويل / -/ ١ / ٣٩
- يريم / الطويل / -/ ١ / ٩٦
- نجوم/ الطويل / ابن العطار / ٢ / ١٤٩ ، ٤ / ٣٤٦ ، ٥ / ٢١٨
- ريميم / الطويل / ابن السيد البطليوسي / ٤ / ٥٩
- مقيم / الطويل / ابن سفيان / ٥ / ٩٣
- كليم / الطويل / ابن مقاتل الملقى / ٧ / ٣٣٦
- كريم / الطويل / -/ ٧ / ٢٤
- غمائم / الطويل / -/ ١ / ٩٧
- يتبسم / الطويل / ابن سعيد و والده / ١ / ١٥٠
- يبسم / الطويل / والد ابن سعيد / ٢ / ١٧
- تتبسم / الطويل / -/ ١ / ٢٥٣
- يسلم / الطويل / أبو جعفر بن صمادح / ٤ / ١٧٤
- سالم / الطويل / ابن أبي بكر الصديق / ٣ / ٨٩
- مراهم / الطويل / أبو حيان الجياني / ٣ / ١٤٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٥٠
- ناعم / الطويل / أبو حيان الجياني / ٣ / ١٥٢
- لديكم / الطويل / ابن إفرند / ٣ / ٢٠٠
- محرم / الطويل / ابن جابر / ٣ / ٢٧٠
- العرموم / الطويل / المتنبى / ٣ / ٣٦٥
- عوم / الطويل / المتنبى / ٤ / ٩١
- يعظم / الطويل / الفكيك / ٣ / ٣٧٩
- المتيم / الطويل / -/ ٤ / ٥
- خيموا/ الطويل / أبو بكر بن هذيل / ٤ / ٦
- و أعظم / الطويل / ابن برطلة / ٤ / ٥٨
- احزم / الطويل / ابن أمية البلنسى / ٤ / ٧٠
- بواسم / الطويل / ابن الزقاق / ٤ / ١١٠
- كواتم / الطويل / ابن شهيد / ٤ / ٢٣٠

- انعم / الطويل / ابن العطار / ٢٦٢ / ٤
- منهم / الطويل / - / ٥٤ / ٥
- تسجم / الطويل / ابن العسال / ٧٣ / ٥
- المكارم / الطويل / أبو عبد الله العبدري / ٣٤١ / ٧
- سالم / الطويل / ابن عمر / ٢٠٨ / ٦
- تختم / الطويل / ابن سلطور / ٢٠٣ / ٧
- خيموا / الطويل / ابن البربري / ٢٤٧ / ٧
- تضرم / الطويل / المنصور الذهبي / ٢٦٣ / ٨
- و رزاهه / الطويل / المتنبى / ٣٣ / ٤، ٦٤
- عالمه / الطويل / ابن ماء السماء / ٤٢٠ / ٤
- دعائمه / الطويل / ابن جزى / ٣٧٢ / ٦
- ابتسامه / الطويل / الحكيم الجلياني / ٢٣١ / ٣
- سهامه / الطويل / غالب الحجام / ٢١٤ / ٤
- نسيمه / الطويل / لسان الدين / ٦٦ / ٨
- تضمه / الطويل / - / ٤١ / ١
- ندم / المديد / أبو الحسين النحوي / ٨١ / ٥
- كرم / البسيط / - / ٩٤ / ١
- أحتكم / البسيط / - / ١٥٥ / ١، ٤٧٤ / ٢
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٥١
- الندم / البسيط / المصحفي أبو محمد بن حيون / ٣١٧ / ١، ١١١ / ٢
- الكرم / البسيط / عبد الملك الجزيري / ١١٢ / ٢
- الكرم / البسيط / المنصور بن أبي عامر / ٣١٧ / ١
- مرادهم / البسيط / ابن جابر / ٢٧٥ / ٣
- الأكم / البسيط / المنصور الموحدى / ٣٦٥ / ٣
- حكموا / البسيط / السميسر / ٢٠٩ / ٤
- الم / البسيط / محمد بن سعيد الأندلسي / ٢٢٠ / ٥
- الندم / البسيط / ابن ليون / ٨٥ / ٧
- ينحتم / البسيط / ابن ليون / ١١٣ / ٧
- الديم / البسيط / حسانه التميمية / ١٠٠ / ٥
- يهتضم / البسيط / ابن ليون / ١١٨ / ٧
- الظلم / البسيط / لسان الدين / ١١٩ / ٨
- يقاومه / البسيط / ابن جابر / ١٨٢ / ٩
- يفهمه / البسيط / ابن ليون / ١٠٧ / ٧

- الظلام/ مخلع البسيط/ ابن سعيد/ ٢/ ٤٦٢
- النجوم/ مخلع البسيط/ ابن عريف/ ٤/ ٢١٥
- الإمام/ مخلع البسيط/ أبو محمد الطائي/ ٥/ ٥٩
- الإمام/ مخلع البسيط/ أبو محمد الكلاعي/ ٥/ ٢٢٤
- نيام/ مخلع البسيط/ ابن المثني/ ١/ ٢٧٣
- مدام/ الوافر/ -/ ١/ ٨٤
- مدام/ الوافر/ ابن مرج الكحل/ ٦/ ٤٤
- اهتمام/ الوافر/ ابن جابر/ ٩/ ١٥٢
- الشآم/ الوافر/ ابن جبير/ ٢/ ٤٧١، ٣/ ١٤
- التمام/ الوافر/ ابن بسام/ ٤/ ٤٠، ٤٤٥
- المدام/ الوافر/ ابن عمر القرطبي/ ٤/ ٤٥، ٧٠
- عظام/ الوافر/ يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط/ ٤/ ٣٤٧
- الكرام/ الوافر/ ابن الجياب/ ٦/ ٣٧٩
- مقام/ الوافر/ الشديد الملقى/ ٧/ ٣٣٦
- الكلام/ الوافر/ -/ ٨/ ٨
- القتام/ الوافر/ المتنبى/ ٨/ ٢٤٠
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٥٢
- يرام/ الوافر/ ابن زمرك/ ٩/ ١٦
- هشيم/ الوافر/ -/ ١/ ٧٦
- الحليم/ الوافر/ -/ ١/ ١٧٨
- مقيم/ الوافر/ ابن حزم/ ٢/ ٢٤٣
- ظلوم/ الوافر/ ابن عمر القرطبي/ ٤/ ٤٥
- تحوم/ الوافر/ أبو حامد بن شعيب/ ٤/ ٢١٧
- النجوم/ الوافر/ ابن زرقون/ ٤/ ٢٣٦
- غيوم/ الوافر/ ابن عياش/ ٤/ ٢٣٦
- علم/ الوافر/ أبو جعفر بن طلحة/ ٤/ ١٢٥
- يعظمه/ مجزوء الوافر/ ابن ليون/ ٧/ ٩٨
- ختام/ الكامل/ -/ ١/ ١٠٣
- الانسام/ الكامل/ ابن العطار/ ٢/ ١٥٠، ٥/ ٢١٨
- و أسام/ الكامل/ ابن صالح الأنصاري الملقى/ ٢/ ٢٩٠
- الأحلام/ الكامل/ أشجع السلمى/ ٤/ ٥٣
- كرام/ الكامل/ السهيلي/ ٤/ ١٩٩
- منام/ الكامل/ ابن الصباغ الغرناطي/ ٧/ ٣٥٨

- فقاموا/ الكامل / أبو العباس بن خليل / ٥ / ٢٢٩
- مقام / الكامل / لسان الدين / ٦ / ٦٨
- ندام / الكامل / لييد / ٦ / ١٨٨
- حرام / الكامل / - / ٦ / ١٩٠
- الأيام / الكامل / ابن عساكر / ٩ / ٣١٦
- نعيم / الكامل / - / ١ / ١٤٥
- ذميم / الكامل / ابن عميرة / ١ / ٢٤٥
- و التكريم / الكامل / الرصافي / ٢ / ٤٥٢
- تحوم / الكامل / - / ٣ / ٧٣
- إبراهيم / الكامل / قمر (جارية ابن حجاج) / ٣ / ٣٩٧
- إبراهيم / الكامل / ابن كسرين المالقي / ٤ / ١٩٨
- و المنظوم / الكامل / الرصافي / ٤ / ٢٥٢
- و تقوم / الكامل / أبو الوليد بن حزم / ٤ / ٢٥٨
- نجوم / الكامل / ابن المرعزي / ٤ / ٣٠٠
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٥٣
- تدوم / الكامل / ابن باجة / ٨ / ٢٢٠
- عنهم / الكامل / الرشيد الأسواني / ١ / ٩٣
- منهم / الكامل / - / ١ / ٤١
- يسلم / الكامل / أبو الوليد الباجي / ٢ / ٢٣٧
- منكم / الكامل / ابن دحية / ٢ / ٢٥٦
- المعلم / الكامل / أبو عمران بن سعيد / ٢ / ٤٧٥
- فيعلم / الكامل / - / ٣ / ٣٩٨
- و المغرم / الكامل / أبو عبد الله الفازازي / ٥ / ٣٥٥
- يتكرم / الكامل / اليكي / ٤ / ٤٢
- هم / الكامل / اليكي / ٤ / ٤٢
- يتوسم / الكامل / الطغمي / ٤ / ٢٤٤
- الديلم / الكامل / ابن حمويه السرخسي / ٣ / ٣٦٩
- يتسنم / الكامل / الطغمي / ٤ / ٢٤٤
- الأعجم / الكامل / - / ٨ / ٢٢
- تقدم / الكامل / - / ٨ / ٢٧
- هواكم / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٩٦
- ضرامه / الكامل / ابن داود الحميري / ٧ / ٣٣١
- الهمم / الزمل / المقرئ الجد / ٦ / ٢٧٨

- ألم / الرمل / ابن جابر / ٢٠٠ / ٩
- يدوم / مجزوء الرمل / ابن العسال / ٤ / ٤٤، ٥٩
- ضحم / مجزوء الرمل / ابن طيفور / ٥ / ٢٣
- الكريم / مجزوء الرمل / الحصرى / ٥ / ١٦٩
- نوم / السريع / ابن عربى / ٢ / ٣١٥
- مظلم / السريع / أبو الوليد بن طريف / ٤ / ٢٢٢
- ميسم / السريع / ابن الصابونى / ٤ / ٢٩٧
- المغرم / السريع / أبو ذر الخشنى / ٥ / ٣٥
- الكاتم / السريع / مهجة القرطبية / ٥ / ٢١٠
- كرم / المنسرح / لسان الدين / ٨ / ١٨٢
- قلمه / المنسرح / والد حميد الزاهد / ٣ / ١٠
- غمام / الخفيف / - / ١ / ٣١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٥٤
- حرام / الخفيف / المجد بن شمس الخلافة جعفر / ١ / ٣٥
- إمام / الخفيف / ابن عربى / ٢ / ٣٠٥
- المدام / الخفيف / ابن خفاجة / ٤ / ٢٧١
- نيام / الخفيف / ابن جابر / ٩ / ١٩٢
- الغرام / الخفيف / ابن خفاجة / ٩ / ١٩٥
- مستهام / الخفيف / ابن خفاجة / ٩ / ١٩٧
- ناموا / الخفيف / ابن خفاجة / ٩ / ٢٠٠
- الأفهام / الخفيف / - / ١ / ٦٣
- الأفهام / الخفيف / لسان الدين / ٨ / ١٩٦
- أروم / الخفيف / المقرئ / ١ / ١٠٥
- مرحوم / الخفيف / أبو حيان / ٣ / ١٧٢
- ريم / الخفيف / أبو حيان / ٣ / ١٨٢
- تهيم / الخفيف / نور الدين القصرى / ٣ / ١٨٢
- الرحيم / الخفيف / أبو القاسم بن الأبرش / ٥ / ٢٣٢
- المشم / الخفيف / ابن عمار أو المصحفى / ٢ / ١٤، ١٦٤
- عظيم / المجتث / أبو جعفر الإلبيرى / ٣ / ٢٧٣
- العالم / المتقارب / النحلى البطلوسى / ٤ / ٣٨٣
- مغرم / المتقارب / الطرطوشى / ٢ / ٢٤٥
- أحلام / الطويل / - / ١ / ١١٢
- كلام / الطويل / ابن مالك / ٢ / ٣٥٧

- حمام / الطويل / عبد الرحمن بن سعيد / ٥ / ٣
- و إمامي / الطويل / ابن فرسان / ٣ / ٢١٠ ، ٣٣٤ / ٤
- إنعام / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٨١
- بسظام / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٨٨
- نسيم / الطويل / - / ١ / ٨٢
- بنجوم / الطويل / الوحيدى / ٤ / ١٩٢
- بملوم / الطويل / السهيلي / ٤ / ٢٠٠
- كريم / الطويل / ابن نصر الأوسى / ٤ / ٢٨٧
- قديمى / الطويل / ابن شهيد / ٤ / ٣٢٣
- و الكرم / الطويل / ابن ناصح الثقفى / ٢ / ٣٨٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٥٥
- للضمّ / الطويل / ابن أبى روح الجزيرى / ٢ / ٢٥١
- سلم / الطويل / - / ٢ / ٤٧٠
- العقم / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٤٨
- عظم / الطويل / ابن مغيث / ٤ / ٣٩٦
- كلم / الطويل / المعتمد بن عباد / ٥ / ٣٩
- و سمى / الطويل / - / ٨ / ١٠٦
- الرسم / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٧٦
- تمائمى / الطويل / محمد بن عمار / ١ / ٣٢
- حالم / الطويل / المقرئ / ١ / ٩٢
- لهاشم / الطويل / زينب بنت الرسعنى / ٣ / ٨
- حاتم / الطويل / ربيعة الرقى / ٤ / ٢٨
- أسحم / الطويل / ابن مجبر / ٤ / ٤٣
- الدم / الطويل / زهير / ٤ / ١٧٣
- الدم / الطويل / أبو البركات بن الحاج البليقى / ٧ / ٢٤
- قشعم / الطويل / مؤمن بن سعيد / ٤ / ١٧٧
- قوائم / الطويل / غالب الحجام / ٤ / ٢١٣
- أسهم / الطويل / مالك بن وهيب / ٤ / ٢٦٣
- أسهم / الطويل / - / ٥ / ٤٢٦
- بقاسم / الطويل / الشلوينى / ٤ / ٢٧٣
- الحمائم / الطويل / زحكون الاستجى / ٤ / ٣١٣
- و للقم / الطويل / محمد بن الناصر / ٤ / ٣٥١
- الغمائم / الطويل / ابن شبرين / ٧ / ٣٥

- السواجم / الطويل / ابن وضاح / ٣٦٥ / ٤
- الجرائم / الطويل / ابن سيد اللص / ١٢٣ / ٥
- قادم / الطويل / ابن سيد اللص / ١٢٥ / ٥
- معصم / الطويل / المعتمد بن عباد / ١٤١ / ٥
- الغمائم / الطويل / أبو بكر عبد المعطى / ١٦٠ / ٥
- الغمائم / الطويل / المنتشاقرى / ٢٥٦ / ٧
- الهمم / الطويل / ابن السماك / ١٣٠ / ٤
- التراجم / الطويل / عبد العليم القضاعى / ٢٤١ / ٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٥٦
- و الصوارم / الطويل / ابن الأبار / ٣٥٩ / ٥
- هاشم / الطويل / المعرى / ٢٠٤ / ٦
- المحرم / الطويل / - / ٢٢٢ / ٦
- الكمائم / الطويل / ابن خميس / ٢٩٦ / ٦
- العمائم / الطويل / - / ٣١٥ / ٦
- المكارم / الطويل / ابن جزى / ٧٦ / ٧
- الرواقم / الطويل / ابن رضوان / ٢٢٥ / ٧
- المكتم / الطويل / لسان الدين / ١٦٥ / ٨
- المتوسم / الطويل / ابن الحاج الغرناطى / ٢٩٨ / ٨
- الخواتم / الطويل / - / ٣٢٤ / ٩
- أديمه / الطويل / ابن زمرك / ٨٣ / ٩
- عدمى / المديد / الحلاج / ١٣٠ / ٧
- نمام / البسيط / - / ٧٢ / ١
- إسلامى / البسيط / ابن جزى / ٣١٢ / ٢
- اللام / البسيط / ابن جابر / ١٩٦ / ٩
- الكلم / البسيط / - / ٨٠ / ١ / ٤٠٤ / ٣
- كلمى / البسيط / عمارة اليمنى / ٧٢ / ٣
- ألم / البسيط / ابن شهيد / ١٢٨ / ٢ / ٢٣٤ / ٤
- ألم / البسيط / ابن الحاج الغرناطى / ٢٩٢ / ٨
- ألمى / البسيط / ابن الحاج الغرناطى / ٢٩٢ / ٨
- علم / البسيط / ابن سبعين / ٣٣٩ / ٢
- علم / البسيط / ابن جابر / ٢٥٦ / ٣
- ينم / البسيط / ابن جابر / ٢١١ / ٩
- الظلم / البسيط / أبو بكر بن عطية / ١٣٥ / ٣

- الظلم / البسيط / الحميدى / ٥ / ٢٤٨
- الحكم / البسيط / عرقلة الدمشقى / ٣ / ٢٣٢
- الذمم / البسيط / أبو عبد الله العربى / ٥ / ٤١٠
- قلم / البسيط / أبو جعفر الإلبيرى / ٣ / ٢٧٣
- النعم / البسيط / أحمد بن رضى الملقى / ٤ / ١٣٧
- أقم / البسيط / أبو بكر بن بقى / ٤ / ٢٣٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٥٧
- بالقلم / البسيط / أبو زكريا بن مطروح / ٤ / ٢٨٧
- قلمى / البسيط / حفصة الركونية / ٥ / ١٠٩
- بدم / البسيط / هلال البيانى / ٤ / ٣١٤
- دمى / البسيط / - / ٦ / ٣٥٣
- دمى / البسيط / إبراهيم بن المهدي / ٨ / ١٠٨
- الهرم / البسيط / المتنبى / ٤ / ٣٤٠
- كرم / البسيط / أبو دهب / ٥ / ٧٩
- تلم / البسيط / أم العلاء الحجارية / ٥ / ١٠٢
- الشمم / البسيط / ابن سيد اللص / ٥ / ١٣١
- بالقدم / البسيط / - / ٦ / ٢٨٣
- قدمى / البسيط / لسان الدين / ٨ / ١٨٤
- متهم / البسيط / ابن ليون / ٧ / ١٠٠
- السقم / البسيط / ابن سلطور / ٧ / ٢٠٣
- النعم / البسيط / ابن الجنان / ٩ / ٣١٩
- النسم / البسيط / ابن الجنان / ٩ / ٣١٩
- المقيم / مخلع البسيط / ابن صارة / ٥ / ٣٧
- الغمام / الوافر / أبو الوليد الباجى / ٢ / ٢٤٤
- الغمام / الوافر / ابن ظافر / ٤ / ٧٦
- للسلام / الوافر / - / ٢ / ٢٤٥
- بابتسام / الوافر / المتنبى / ٢ / ٤٦٨
- المستهام / الوافر / ابن جبير / ٣ / ١٠٨
- الظلام / الوافر / أبو عمران القلقى / ٤ / ١٢٢
- الكرام / مخلع / شداد بن الأسود / ٥ / ٧٩
- اللثام / الوافر / ابن عمار / ٥ / ٢٢٩
- الأنام / الوافر / ابن خميس الجزائرى / ٥ / ٢٣٧
- المدام / الوافر / المظفر بن الأفتس / ٥ / ٣٥٥

- السلام/ الوافر/ المعرى/ ٢١٩ /٨
- للغرام/ الوافر/ ابن جابر/ ٢٠٠ /٩
- الزحام/ الوافر/ النواجي/ ٣٢٩ /٩
- كريم/ الوافر/ ابن حجر العسقلاني/ ٦٢ /١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٥٨
- كريم/ الوافر/ -/ ٢٢٣ /٥
- الأديم/ الوافر/ -/ ٦٥ /١
- الرسوم/ الوافر/ -/ ٧٧ ،٧ /١
- النظيم/ الوافر/ -/ ٧٨ /١
- اللثيم/ الوافر/ ابن عنين/ ٢٧ /٣
- العلوم/ الوافر/ أبو حيان/ ١٦٩ /٣
- الكروم/ الوافر/ أبو جعفر القوشى أو الرصافى أو ابن أم الحور/ ١٣٦ /٤
- البهيم/ الوافر/ أبو القاسم بن أبى بكر/ ١٤ /٥
- حليم/ الوافر/ ابن خروف/ ٣٤ /٥
- لثيم/ الوافر/ -/ ٨٣ /٥
- العميم/ الوافر/ حمدة بنت زياد أو المنازى/ ٢٠٦ /٥
- النعيم/ الوافر/ ابن ليون/ ١٢١ /٧
- تمام/ الكامل/ ابن أبى الفضل المرسى/ ٣٧٠ /٢
- يامام/ الكامل/ منذر بن سعيد/ ١٢٣ /٣
- و الإيهام/ الكامل/ غالب الحجام/ ٢١٣ /٤
- سام/ الكامل/ ابن الدباج/ ٢٤٨ /٤
- و غرام/ الكامل/ أبو العباس بن سعيد/ ٣٩٢ /٤
- بظلام/ الكامل/ محمد التطيلي الهذلى/ ٨٦ /٥
- بظلام/ الكامل/ البستى/ ١٢٤ /٥
- الإظلام/ الكامل/ ابن الزقاق/ ٢١٦ /٥
- رسوم/ الكامل/ أبو عمر بن عبد البر/ ٤٢ /٢
- غفجوم/ الكامل/ أبو العباس الغفجومى/ ١١٦ /٣
- بالمعلوم/ الكامل/ لسان الدين/ ١٩٢ /٨
- الأزم/ الكامل/ الشريف الرضى/ ١٢٨ /٢
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٣٥٨
- نجم/ الكامل/ الرصافى/ ٤٦٠ /٢
- الهم/ الكامل/ -/ ٣٩٨ /٣
- الجسم/ الكامل/ أبو العتاهية/ ٣٧٧ /٤

- النظم / الكامل / عبيد الله بن فرناس / ٣٧٧ / ٤
- تهمى / الكامل / طرفة / ١٣٥ / ٥
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٥٩
- حاتم / الكامل / ابن الخشاب / ٢٧٥ / ٣
- فمى / الكامل / الهيثم بن أبى غالب / ١٨٠ / ٤
- العاتم / الكامل / الأبييض / ٢٣٧ / ٤
- المتحرم / الكامل / قاسم المروانى / ٣٥٨ / ٤
- معظم / الكامل / يزيد بن أبى خالد / ٥ / ٥
- فمى / الكامل / ابن المنخل الشلبى / ٢١ / ٥
- للأمم / الكامل / ابن الأبار / ٦١ / ٥
- المعلم / الكامل / ابن البنى / ١٥٦ / ٥
- الأقوم / الكامل / ابن أبى العاصى / ٢٥٣ / ٥
- المكرم / الكامل / عنترة / ١٩٤ / ٦
- بدرهم / الكامل / - / ٢٦٠ / ٦
- فصم / الكامل / - / ٢٨٦ / ٦
- النادم / الكامل / لسان الدين / ١٩٤ / ٨
- بالدم / الكامل / ابن زمرك / ٤٠ / ٩
- النعيم / مجزوء الكامل / الوزير ابن عمار / ٨٣ / ١
- القديم / مجزوء الكامل / أبو محمد الحجارى / ٤٤٨ / ٢
- تحمى / مجزوء الكامل / البدر بن العديم / ٤٧٩ / ٢
- غرامها / مجزوء الكامل / ابن جابر / ٢١٣ / ٩
- الألم / الرمل / ابن عبد ربه / ١٣٢ / ٧، ٢٤٤ / ٨
- الأجسام / الرمل / - / ٢٣٤ / ٦
- تميم / مجزوء الرمل / أبو بكر الزبيدى / ٢٣٣ / ٨
- بأحكامى / السريع / أبو على بن حسون / ١٩١ / ٤
- أحلام / السريع / عبد الله بن الناصر / ٣٥٠ / ٤
- حمام / السريع / أبو جعفر بن سعيد / ١١٣ / ٥
- الفاحم / السريع / ابن قلاقس / ٣٥٤ / ٢، ٨٢ / ٤
- ظالم / السريع / - / ١٢٤ / ٥
- الدرهم / السريع / ابن ليون / ٨٦ / ٧
- حكيمه / السريع / ابن عشرة و ابن سوار / ٣٧٤ / ٤
- كلمه / السريع / والد لسان الدين / ١١ / ٦
- نظمه / السريع / أبو بكر بن حجاج / ٦٦ / ٥

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٦٠

اللام/ المنسرح/ ابن العطار/ ٥/ ٢١٨

عدمى/ المنسرح/ -/ ٣/ ٨٤

بفم/ المنسرح/ ابن النجار/ ٦/ ١٩٨

الإظلام/ الخفيف/ الوحيدى/ ٤/ ١٩١

الإكرام/ الخفيف/ ابن رجاء/ ٤/ ٢١٧

بسام/ الخفيف/ أبو بكر القزاز/ ٤/ ٢٧٣

الأحلام/ الخفيف/ المطرف بن عبد الرحمن الأوسط/ ٤/ ٣٤٧

أحامى/ الخفيف/ ابن اللبائنة/ ٥/ ٤٦

الكلام/ الخفيف/ -/ ٦/ ٢٤٢

كلام/ الخفيف/ ابن جابر/ ٩/ ١٩٨

الغمام/ الخفيف/ ابن جابر/ ٩/ ١٩٤

اهتضام/ الخفيف/ ابن ليون/ ٧/ ٨٢

النسيم/ الخفيف/ ابن زيدون/ ٢/ ١٣٤

النجوم/ الخفيف/ ابن سعيد/ ٢/ ٣٩٤

حريم/ الخفيف/ -/ ٢/ ٤٧٠

الريميم/ الخفيف/ ابن مغاور/ ٤/ ١٤٣، ٥/ ٢٥٢

النديم/ الخفيف/ ابن ليون/ ٧/ ١٢٨

هم/ الخفيف/ ابن ليون/ ٧/ ٨٤

رسمه/ الخفيف/ لسان الدين/ ٨/ ١٧٥

فمى/ مجزوء الخفيف/ عطاء الملقى/ ٤/ ١٩٩

باسمها/ مجزوء الخفيف/ النواجى/ ٣/ ٣٠

الإنعام/ المجتث/ أبو جعفر بن سعيد/ ٥/ ١١٣

الأعلام/ المجتث/ أبو عبد الله بن المناصف/ ٥/ ٢٢١

كريم/ المجتث/ نزهون/ ٥/ ٢١٣

بسهم/ المجتث/ ابن صاحب الصلاة/ ٤/ ٢٥٥

النعام/ المتقارب/ أبو حيان/ ٣/ ١٥٢

القوام/ المتقارب/ أبو حيان/ ٤/ ٣٩٢

الأقوام/ المتقارب/ أبو الأصغ بن رشيد/ ٥/ ٦٥

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٦١

قافية النون (ن)

عيون/ مخلع البسيط/ أبو القاسم السمسير/ ٥/ ٥١

- منه / الوافر / - / ١ / ٤٧
- غيبين / الرمل / المقرئ / ١ / ١٠٦
- الناظرين / الرمل / ابن مقانا الأشبوني / ١ / ١٧٧
- المعين / الرمل / ابن مقانا الأشبوني / ١ / ٣٣٥
- و سكون / الرمل / أبو عمرو اليحصبي / ٤ / ٥٧
- أجمعين / الرمل / أبو زيد الفازازي / ٩ / ٣٢٠
- و من / الرمل / ابن ليون / ٧ / ١١٠
- الظن / الرمل / ابن ليون / ٧ / ١١٠
- البيان / السريع / ابن الأزرقي / ٣ / ٢٨٥
- الحران / السريع / ابن ليون / ٧ / ١٠٦
- الهوان / السريع / - / ٧ / ١٣٣
- الناظرين / السريع / ابن صاحب الرد / ٤ / ١٢٣
- الأذنين / السريع / أبو الربيع سليمان السرقسطي / ٤ / ٢٠١
- العيون / السريع / ابن نزار / ٤ / ٢٧٦
- العيون / السريع / ابن حبيب / ٩ / ٣٢٩
- المنن / السريع / ولادة / ٥ / ١٣٤
- فتن / السريع / ابن ليون / ٧ / ١٢٨
- الرسن / السريع / لسان الدين / ٨ / ١٦٢
- و أبنه / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ١٠٠
- المحن / مجزوء الخفيف / ابن زيدون / ٤ / ١٠٦
- المتن / مجزوء الخفيف / ابن مفوز / ٥ / ٦٢
- الوتين / مجزوء الخفيف / أبو جعفر الإلبيري / ٣ / ٢٧٤
- الغصون / مجزوء الخفيف / حفصة الركونية / ٥ / ١٠٨
- العرين / مجزوء الخفيف / أبو إسحاق الإلبيري / ٥ / ٢٣٥
- الركون / مجزوء الخفيف / لسان الدين / ٨ / ١٠٣
- حسن / مجزوء الخفيف / - / ٢ / ٢٥٣
- الأذن / مجزوء الخفيف / أبو الحسين النفزي / ٥ / ٣٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٦٢
- معانا / الطويل / ابن اللبابة / ٤ / ٣٧
- أولانا / الطويل / لسان الدين / ٦ / ١٣٨
- كانا / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٩٠
- تحيينا / الطويل / ابن حبيش / ٤ / ٢٥٢
- رقطونا / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٦٩

- الحسنى / الطويل / - / ٧١ / ١
- الأسنى / الطويل / - / ١١٤ / ١
- عدنا / الطويل / الششتري / ٣٢٧ / ٢
- يمنى / الطويل / محمد بن على بن يوسف الشاطبي / ٧ / ٣
- يمنى / الطويل / ابن باجة / ٢٢١ / ٨
- و اليمنا / الطويل / ابن سيده / ٣٩٧ ، ١٨٢ / ٤
- ضنا / الطويل / ابن خلسة الضرير / ٩١ / ٥
- وهنا / الطويل / حفصة الركونية / ١٠٨ / ٥
- ما عنا / الطويل / أبو بكر عبد المعطى / ١٦٠ / ٥
- حنا / الطويل / أبو الحسين بن سراج / ١٥٩ / ٥
- ابنى / الطويل / المقرئ الجد و ابن حكم السلوى / ١٩٠ / ٦
- أدنى / الطويل / - / ٢١ / ٨
- معلنا / الطويل / ابن رزين / ١٦١ / ٢
- الدى / الطويل / ابن عمار / ١٦١ / ٢
- مؤمنه / الطويل / ابن غصن / ١٦٨ / ٤
- حيرانا / البسيط / ابن الصائغ / ٨٨ / ١
- كانا / البسيط / - / ١٢٦ / ٢
- عدوانا / البسيط / الفيروزابادى / ٣١٧ / ٢
- و ريحانا / البسيط / ابن السراج / ١٩٨ / ٤
- إنسانا / البسيط / ابن الغليظ / ١٩٨ / ٤
- تلمسانا / البسيط / المقرئ / ٢٤٣ / ٤
- أوطانا / البسيط / المعتمد بن عباد / ٥٧ / ٥
- إعلانا / البسيط / ابن ليون / ١٢٨ / ٧
- آميننا / البسيط / - / ١٠٨ / ٨ ، ٨١ / ٣
- أحياننا / البسيط / محمد بن شهاب الخيمى / ١٥٠ / ٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٦٣
- حيننا / البسيط / ابن خفاجة / ١٧٧ / ٢
- تلاجينا / البسيط / ابن عينين / ٢٨ / ٣
- يقومونا / البسيط / - / ٢٤١ / ٣
- مآقينا / البسيط / ابن زيدون / ١٣٨ ، ١٣٦ / ٥ ، ٣١ / ٤
- واشينا / البسيط / ابن زيدون / ٣٣ / ٤
- تجافينا / البسيط / ابن زيدون / ٩٧ / ٤
- تلاقينا / البسيط / ابن زيدون / ٣٣٣ / ٧

- اسقينا/ البسيط/ -/ ٥ / ٤٠
- يقومونا/ البسيط/ -/ ٦ / ٢٦١
- الدينا/ البسيط/ ابن ليون/ ٧ / ١١٣
- بنا/ البسيط/ ابن أبي زمين/ ٤ / ٣٢٧
- حسنا/ البسيط/ ابن خميس الجزائري/ ٥ / ٢٣٧
- حسنا/ البسيط/ المقرئ الجدي/ ٦ / ٢٣٢
- علينا/ البسيط/ ابن الأفتس/ ٢ / ١٦٠
- علينا/ مخلع البسيط/ المعتصم بن صمادح/ ٤ / ١٤٠
- علينا/ مخلع البسيط/ ابن الأفتس/ ٥ / ٩٠
- لسانا/ الوافر/ -/ ٤ / ٢٩٠
- لارتدينا/ الوافر/ -/ ١ / ٧٩
- مسلمينا/ الوافر/ ابن عمار الكلاعي/ ٢ / ٢٢٥
- المؤمنينا/ الوافر/ أسماء العامرية/ ٥ / ٢١٠
- الجفونا/ الوافر/ عبد العزيز الفشتالي/ ٧ / ١٧٥
- سكونا/ الوافر/ -/ ٨ / ٣٣
- ألوانا/ الكامل/ ابن معلى الطرسوني/ ١ / ١٥٣
- ألوانا/ الكامل/ -/ ٥ / ٣٤٠
- أذانا/ الكامل/ منذر بن سعيد البلوطي/ ١ / ٢٩٢
- إنسانا/ الكامل/ أبو حيان/ ٣ / ١٤٩
- الإنسانا/ الكامل/ ابن الحاج الغرناطي/ ٨ / ٢٩٦
- السلوانا/ الكامل/ ابن الحاج الغرناطي/ ٨ / ٢٩٣
- جانانا/ الكامل/ -/ ٤ / ٥٣
- أفنانا/ الكامل/ ابن سعد الخير/ ٤ / ٣٦٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٦٤
- طرًا شانا/ الكامل/ لسان الدين/ ٨ / ١٩٧
- الإيماننا/ الكامل/ ابن زمرك/ ٩ / ٧٧
- حسانا/ الكامل/ ابن جابر/ ٩ / ٢١٠
- معينا/ الكامل/ -/ ٤ / ٥٤
- معينا/ الكامل/ جرير/ ٥ / ٨٠
- ميينا/ الكامل/ غالب الحجام/ ٤ / ٢١٤
- العينا/ الكامل/ أبو المغيرة بن حزم/ ٢ / ١٢٧
- الأعينا/ الكامل/ ابن غالب الكاتب/ ٤ / ١٢٧
- الأغصنا/ الكامل/ أبو جعفر بن سعيد/ ٤ / ٢٩٥

- كوصالنا/ الكامل /- / ٨٣ / ٥
- تجمعنا/ الكامل / أبو البركات البلقيني / ٢٣ / ٧
- الثنا/ الكامل / ابن ليون / ١٠١ / ٧
- ما بنى / الكامل / أبو جعفر العذري / ١٦٥ / ٧
- حينا/ مجزوء الكامل / إبراهيم الأكرمي / ٦٥ / ٣
- المؤمنينا/ مجزوء الكامل /- / ١ / ٢٨٢ ، ٣٦٣
- الديانه/ مجزوء الكامل / أبو عمران المارتلي / ١١٥ / ٤
- الفتنا/ الرمل / أبو بكر الطرطوشي / ٢٤٦ / ٢
- منى / الرمل / ابن جبير / ١٠٣ / ٣
- محسنا/ الرمل / الأقرع المرواني / ٣٥٥ / ٤
- سنه / الرمل / ابن خفاجة / ٢٤٠ / ٥
- كامنه / الرمل / المنصور الذهبي / ٢٦٤ / ٨
- محنا/ مجزوء الرمل / ابن ليون / ٣٥٥ / ٤
- المعنى / مجزوء الرمل / يحيى بن صفوان / ١٣٨ / ٤
- يتشنى / مجزوء الرمل / ابن مرتين / ٢٥٩ / ٤
- نتمنى / مجزوء الرمل / يحيى بن سعد القلني / ٢٥٨ / ٥
- منا/ مجزوء الرمل / المقرئ / ٢٥٨ / ٥
- جنه / مجزوء الرمل / ابن ليون / ١٣٠ / ٧
- عصيانا/ السريع /- / ٨ / ٩٦
- العنا/ السريع / ابن زمرك / ٨٤ / ٩
- نارنجنا/ السريع / الأصب المرواني / ٣٥٩ / ٤ ، ١٩٨ / ٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٦٥
- تهنا/ السريع / ابن ليون / ٩٧ / ٧
- منه / السريع /- / ١ / ٣٢٥
- منه / السريع / عبد الملك الجزيري / ١٥ / ٥
- الجنه / السريع / تقيّة الأرمنازي / ٢٠٢ / ٣
- الجنه / السريع / الدميري / ٣ / ٣٤٥ ، ٣٦٣ / ٤
- جنه / السريع / لسان الدين / ١٠٦ / ٨
- يا تينها/ السريع / ابن الشيخ البلوي / ١٣٤ / ١
- زيا تينها/ السريع / الخطيب المنشي / ١٣٤ / ١
- غدرانها/ السريع / ابن خفاجة / ٩٤ / ٤
- برهانها/ السريع / ابن الحاج البلقيني / ٢٥ / ٧
- أنا/ المنسرح / صاعد / ٣ / ٣٦١

- وسنه / المنسرح / ابن أبي الخصال / ٩٢ / ٥
- لدانا / الخفيف / ابن البناء الوادى آشى / ٢٤٣ / ٧
- الحسانا / الخفيف / لسان الدين / ٢٤٣ / ٧
- سنانا / الخفيف / المتنبى / ١٨٣ / ٨
- علينا / الخفيف / أبو الحزن بن جهور / ٥٦ / ٢
- إلينا / الخفيف / - / ١٠٢ / ٣
- فنا / الخفيف / ابن مرتين / ٢٠٤ / ٤
- يعنى / الخفيف / المعتمد بن عباد / ٢٠٥ / ٤
- سئنا / الخفيف / أبو جعفر بن سعيد / ٢٩٥ / ٤
- فحننا / الخفيف / ابن باجة / ٢١٩ / ٨
- جنه / الخفيف / ابن العطار / ٢ / ١٥٠ ، ٥ / ٢١٨
- بنا / مجزوء الخفيف / أبو الصلت أمية / ٢ / ٢٦٢
- الضنى / مجزوء الخفيف / غاية المنى و ابن صمادح / ٥ / ٢٠٥
- الضنى / مجزوء الخفيف / ابن الفراء الخطيب / ٥ / ٢٠٥
- خشكلانا / المجتث / - / ٢ / ٤٤١
- إلينا / المجتث / المقرئ / ١ / ٩٠
- حسنا / المجتث / ابن الجياب / ٦ / ٣٧٦
- يتمنى / المجتث / ابن ليون / ٧ / ١١٤
- السمانا / المتقارب / - / ٤ / ٢٤٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٦٦
- بنا / المتقارب / خليل التوزرى / ٣ / ١٤٠
- أشجاناه / المتقارب / ابن جبير / ٣ / ١٤
- حسان / الطويل / - / ١ / ٩٦
- بان / الطويل / ابن السيد البطليوسى / ٢ / ١٤٦ ، ٥ / ٩٣
- بانوا / الطويل / ابن جبير / ٣ / ١٠٨
- بانوا / الطويل / أبو البقاء خالد / ٣ / ٢١٤
- حران / الطويل / ابن خفاجة / ٤ / ٤٠ ، ٤ / ١٥٣
- ثعبان / الطويل / الجراوى / ٤ / ٤٥
- غربان / الطويل / ابن دراج / ٤ / ٢٣١
- و الجان / الطويل / هشام بن عبد الرحمن الأوسط / ٤ / ٣٤٧
- عنوان / الطويل / ابن عبد الملك بن الناصر / ٤ / ٣٥٢
- فينان / الطويل / الغسانية البجانية / ٥ / ١٠٣
- الخفقان / الطويل / - / ٦ / ١٥٦

- سكان / الطويل / ابن باجة / ٨ / ٢٢٢
- هتون / الطويل / أبو المجد قاضي ماردین / ١ / ٨٨
- فنون / الطويل / - / ١ / ٣٧
- فنون / الطويل / الحاجب المصحفي / ١ / ٣١٣ ، ٢ / ١٠٦ ، ٧ / ١٣٤
- و سكون / الطويل / سليمان الكلاعي / ٥ / ٥٨ ، ٢٣٨
- مبين / الطويل / أبو الربيع بن سالم / ٥ / ٣٦٠
- ظعين / الطويل / النباهي / ٧ / ٢٣٦
- خوون / الطويل / النباهي / ٧ / ٢٣٥
- جون / الطويل / ابن الصباغ الغرناطي / ٧ / ٣٥٧
- جنون / الطويل / أبو جعفر الإلبيري / ٩ / ٢١١
- الحزن / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٧٢
- يمتنّ / الطويل / يوسف بن كوثر / ٤ / ٢٤٦
- المزن / الطويل / ابن الجنان / ٩ / ٣١٨
- أعينها / الطويل / قيس بن الملوّح / ٢ / ١٩٤
- إنسان / البسيط / أبو البقاء الرندي / ٥ / ٣٧٣
- بانوا / البسيط / - / ١ / ٣٠
- ظمانّ / البسيط / ابن شهيد / ٢ / ١٢٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٦٧
- أجفان / البسيط / ابن جابر الضرير / ٣ / ٢٦٨
- أجفان / البسيط / لسان الدين / ٨ / ١٩٥
- شهبان / البسيط / ابن خفاجة / ٤ / ٢٧١
- كهان / البسيط / ابن المطرف المنجم / ٥ / ٥٣
- نقصان / البسيط / ابن ليون / ٧ / ٩٢
- سحنون / البسيط / المقرئ الجد / ٦ / ٢٧٩
- أغتبين / البسيط / ابن لبون / ٤ / ٣٦٢
- الحسن / البسيط / - / ٦ / ٢٦٧
- الحزن / البسيط / لسان الدين / ٨ / ١٨٤
- يكون / مخلع البسيط / أبو بكر محمد بن سعيد / ٢ / ٤٤٩ ، ٣ / ٣٣٣
- حين / مخلع البسيط / أبو القاسم بن أزرق / ٤ / ٢١٥
- و السكون / الوافر / أبو الخير الواسطي / ٢ / ٢٧٠
- سفين / الوافر / أبو الفضل الدارمي / ٣ / ٣٧٨
- المجون / الوافر / أبو جعفر بن طلحة / ٤ / ١٢٥
- شؤون / الوافر / أبو الصلت أمية / ٤ / ٢٦٧

- حصين / الوافر / الأعمى التطيلي / ٣٣٩ / ٤
- رهين / الوافر / ابن حوط الله / ٢٤٥ / ٥
- خانوا / الكامل / أحمد بن الصقر الخزرجي / ١٤٥ / ٤
- لسان / الكامل / ابن الأنقر السرقسطي / ٥٦ / ٥
- مكان / الكامل / أبو إسحاق الإلبيري / ٢٣١ / ٥
- أوطان / الكامل / أبو إسحاق الإلبيري / ٢٥٥ / ٥
- الجنان / الكامل / لسان الدين / ١٦٨ / ٧
- النقصان / الكامل / لسان الدين / ١٩٩ / ٨
- تخون / الكامل / المستنصر / ٤٤٢ / ٢
- المكنون / الكامل / أبو عبد الله بن الحداد / ٤١٧ / ٤
- العين / الكامل / أبو عبد الله بن الحداد / ٤٥ / ٥
- غصون / الكامل / محمد بن هانيء / ٣٢ / ٥
- قرون / الكامل / ابن خلصة الضرير / ٩١ / ٥
- ظنون / الكامل / ابن العريف / ٥ / ٢٣٢، ١٢٩ / ٧
- سيكون / الكامل / - / ٢٤١ / ٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٦٨
- فطن / الكامل / قيس بن عاصم / ٤٢٦ / ٥
- يحسن / الكامل / ابن جابر / ٢٦٨ / ٣
- يتمكن / الكامل / أبو عبد الله بن الحداد / ٢٨٤ / ٤
- الألسن / الكامل / أبو جعفر بن سعيد / ١١٧ / ٥
- لمعانه / الكامل / - / ٧ / ٨
- و سكونه / الكامل / أبو الحسن بن الحاج / ٢٦٣ / ٢
- فنونه / الكامل / أبو بكر بن عطية / ١٣٣ / ٣
- يشينه / الكامل / أبو الحسن بن عيسى / ٣٥ / ٥
- قضبائها / الكامل / أبو زكريا الطليطلي / ٢٤٨ / ٣
- شجون / مجزوء الكامل / الوزير ابن المغربي / ١١٣ / ١
- المبين / مجزوء الكامل / أبو زيد الفازازي / ٣٢٤ / ٩
- الأمن / الهزج / - / ٢٤٢ / ٥
- الزمن / الرمل / أم العلاء الحجارية / ١٠٢ / ٥
- يلين / مجزوء الرمل / - / ٤٧٢ / ٢
- اليقين / مجزوء الرمل / ابن زيدون / ١٠٠ / ٤
- يهون / مجزوء الرمل / السمسير / ٥٨ / ٥
- أوطان / السريع / - / ٣٤٣ / ٣

- إخوان/ السريع/ أبو جعفر بن سعيد/ ٥/ ١١٧
 غدراؤها/ السريع/ ابن خفاجة/ ٤/ ٩٤، ٥/ ٥٠
 حسن/ المنسرح/ الأعمى التطيلي/ ٤/ ١٥٦
 أعوان/ الخفيف/ ابن ليون/ ٧/ ١٠١
 فنون/ الخفيف/ -/ ١/ ٦٩
 العيون/ الخفيف/ إبراهيم الحجاري/ ٤/ ٢١٩
 فلان/ المجتث/ إبراهيم الحجاري/ ٤/ ٢٢٠
 العيون/ المجتث/ ابن عمار/ ٥/ ٢١
 العيون/ المجتث/ ابن يربوع/ ٧/ ١٣٤
 الأزين/ المتقارب/ ابن الأبار/ ٣/ ١٩٣
 كائن/ المتقارب/ ابن جحاف الأندلسي/ ٤/ ٣٩٣
 أفنانه/ المتقارب/ ابن سعد الخير/ ٤/ ٣٦٨
 يلتقيان/ الطويل/ -/ ١/ ٧٢
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٦٩
 أجفاني/ الطويل/ -/ ١/ ١٠٢
 أجفاني/ الطويل/ عبد العزيز الفشتالي/ ٦/ ١٧
 الحدثان/ الطويل/ أبو المطرف/ ١/ ٢٥٠
 الحدثان/ الطويل/ الحسن بن هانيء (أبو ناس)/ ٧/ ٣٠٨
 رضوان/ الطويل/ -/ ٣/ ٤
 القمران/ الطويل/ ابن شهيد/ ١/ ٢٨٣
 ملآن/ الطويل/ ابن خفاجة/ ٢/ ١٧٧
 وعساني/ الطويل/ ابن سهل الإسرائيلي/ ٤/ ٣٠٣
 بالخفقان/ الطويل/ ابن أزرق/ ٤/ ٢١٥
 يدان/ الطويل/ ابن عبد ربه/ ٤/ ٢٢٧
 سلمان/ الطويل/ لسان الدين بن الخطيب/ ٦/ ١٦
 بنان/ الطويل/ ابن شهيد/ ٤/ ٢٣١
 بستان/ الطويل/ -/ ٥/ ٣٤
 رمضان/ الطويل/ ابن أبي ركب/ ٥/ ٢٣٦
 لكفاني/ الطويل/ ابن زرقون/ ٥/ ٢٣٦
 تريان/ الطويل/ -/ ٥/ ٣٣٩
 نيران/ الطويل/ أبو الفتح التونسي/ ٦/ ٢٣
 تلمسان/ الطويل/ لسان الدين/ ٦/ ٢٦
 ألوان/ الطويل/ لسان الدين/ ٦/ ٩٩

- تحاماني / الطويل / لسان الدين / ١١٩ / ٦
- لساني / الطويل / - / ٣٧٠ / ٧
- الشانى / الطويل / لسان الدين / ٦٤ / ٨
- بأثمان / الطويل / لسان الدين / ٩٥ / ٨
- الجديدان / الطويل / عمر الزجال / ٣٤ / ٦
- البان / الطويل / ابن زمرك / ٣٨ / ٦
- طواني / الطويل / ابن عبد ربه / ٢٤٥ / ٨
- فقداني / الطويل / ابن الحاج الغرناطى / ٣٠٢ / ٨
- شؤوني / الطويل / - / ٤٣ / ١
- و جفون / الطويل / أبو جعفر الشريشى / ١٣ / ٥
- يقين / الطويل / ابن رضوان / ٢٢٢ / ٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٧٠
- الحزن / الطويل / - / ٧٦ / ١
- سمطين / الطويل / الزمخشري / ٨٩ / ١
- أذنى / الطويل / أبو بكر بن القاسم / ٢٥٣ / ٢
- الحسن / الطويل / - / ٨٣ / ٣
- غصنى / الطويل / أبو البقاء خالد البلوى / ١٣٩ / ٣
- الغصن / الطويل / ابن الفخار / ١٩٢ / ٤
- للطن / الطويل / لسان الدين / ١٦٣ / ٨
- البين / الطويل / لسان الدين / ١٩٧ / ٨
- البين / الطويل / لسان الدين / ١٦١ / ٨
- البين / الطويل / رفيع الدولة بن صمادح / ٢٣٨ / ٨
- ممکن / الطويل / أيمن الغرناطى / ٢٥٠ / ٥
- سيلانه / الطويل / أبو بكر بن الملح / ١٨٥ / ٥
- بدينه / الطويل / لسان الدين / ١١٤ / ٨
- لجينه / الطويل / ابن الحاج الغرناطى / ٢٩٨ / ٨
- بلبانها / الطويل / أبو الأسود الدؤلى / ١٠١ / ٨
- حسنها / الطويل / ابن جابر / ١٩٥ / ٩
- بدونها / الطويل / ابن حزم / ٢٤٣ / ٢، ٢٤٩ / ٥
- نيسان / البسيط / المقرئ / ٩٠ / ١
- داني / البسيط / الأعمى المخزومى / ١٦٠ / ١
- هجرانى / البسيط / الحكم بن هشام / ٢٦٩ / ١
- وانى / البسيط / ناظر الجيش بن العجمى / ٣٥ / ٣

- سلوانى / البسيط / ابن زيدون / ١٠٥ / ٤
- و سلوان / البسيط / أبو عبد الله بن الحداد / ٢٨٥ / ٤
- تلحانى / البسيط / أبان بن عبد الرحمن الأوسط / ٣٤٨ / ٤
- الشان / البسيط / القاسم بن عبد الرحمن الأوسط / ٣٤٨ / ٤
- نقصان / البسيط / ابن يتق الشاطبى / ٣٦١ / ٤
- إخوانى / البسيط / يحيى الأركشى / ١٢ / ٥
- إحسان / البسيط / ابن لسان / ١٥٨ / ٥
- إحسان / البسيط / - / ٢٨٩ / ٦
- وحدان / البسيط / ابن الجياب / ١٦ / ٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٧١
- الثانى / البسيط / لسان الدين / ١٦ / ٦
- فأحيانى / البسيط / ابن داود الحميرى / ٣٣٢ / ٧
- لأحيانى / البسيط / ابن جابر / ١٩٨ / ٩
- نعمان / البسيط / ابن جابر / ١٩٠ / ٩
- المجون / البسيط / - / ١ / ٣٣٠، ٩٤ / ٢
- السلطين / البسيط / ابن سارة / ٥٠ / ٤
- الصين / البسيط / - / ٥ / ٢
- فغزونى / البسيط / ابن السيد البطلوسى / ١٠٨، ٢٤٦ / ٤
- للمحبين / البسيط / غانم المخزومى / ١٩٧، ١٩٧، ٢٣٦، ٣٦١، ٣٩٨ / ٤
- البساتين / البسيط / ابن أبى أمية / ٣٢٣ / ٤
- الطين / البسيط / ابن حجاج / ٦٦ / ٥
- دين / البسيط / - / ١٨٢ / ٦
- الدين / البسيط / على بن لسان الدين / ١٤٩ / ٩
- الدين / البسيط / ابن ليون / ٨٧ / ٧
- ما حين / البسيط / ابن ليون / ١٠٢ / ٧
- تحينى / البسيط / عامر بن هشام القرطبى / ٦٨ / ٢
- يظمينى / البسيط / ابن خلدون / ٢٩٤ / ٧
- يسينى / البسيط / المستنصر المرينى / ١٤٩ / ٩
- الظعن / البسيط / ابن خلكان / ٣٥ / ١
- بالدين / البسيط / - / ١٦٣ / ١
- حينى / البسيط / الصفدى / ١٥١ / ٣
- إلفين / البسيط / ابن عبد ربه / ٢٣٦ / ٤
- غصن / البسيط / ابن عميرة / ٣٨٣ / ٥

- للسكن / البسيط / ابن أبي الأصعب / ١ / ٤٤
- السنن / البسيط / ابن حبيب السلمى / ٢ / ١٨٦
- تمازحنى / البسيط / ابن عربى / ٢ / ٣٠٩
- ترنى / البسيط / المتنبى / ٣ / ٣٤١
- وطنى / البسيط / ابن مصادق الرندى / ٤ / ٢٢٧
- لليمن / البسيط / أبو يزيد / ٥ / ٢٠١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٧٢
- أبا الحسن / البسيط / أبو على بن أبي سعيد المرينى / ٦ / ١٢٩
- الحسن / البسيط / أبو إسحاق الحساوى / ٧ / ٤٤
- الحزن / البسيط / أبو جعفر بن عطية / ٦ / ١٥٦
- يؤلمنى / البسيط / - / ٦ / ٢٦٠
- ممتهن / البسيط / ابن ليون / ٧ / ٩٢
- الزمن / البسيط / ابن ليون / ٧ / ١٢٨
- محن / البسيط / لسان الدين / ٨ / ١٦٢
- أخبرنى / البسيط / أبو مروان الطنبى / ٨ / ٢٤٢
- بدنك / البسيط / ابن عمران المارتلى / ٤ / ٥٧
- ثانى / مخلع البسيط / - / ٦ / ٣١٧
- ثانى / مخلع البسيط / ابن العفيف التلمسانى / ٧ / ٣٤٣
- مكانى / مخلع البسيط / أبو عبد الله بن بيش / ٦ / ٣١٧، ٧ / ٣٤٣
- التدانى / مخلع البسيط / ابن زمرك / ٩ / ١٨٣
- اليقين / مخلع البسيط / ابن سراقه الشاطبى / ٢ / ٢٢٩
- هجين / مخلع البسيط / الأصب مروانى / ٤ / ٣٥٩
- فاختبرنى / مخلع البسيط / سمنون المحب / ٢ / ٣٣٢
- عين / مخلع البسيط / صفوان بن إدريس / ٦ / ٥٩
- الزمان / الوافر / - / ١ / ٩٥
- الزمان / الوافر / - / ٣ / ٧٧، ٧ / ١٥٧
- يدان / الوافر / محمد بن نصير / ٥ / ٥٦
- و المكان / الوافر / حفصه الركونية / ٥ / ١٠٨
- لسان / الوافر / ابن خميس الجزائرى / ٥ / ٢٣٦
- تلمسان / الوافر / - / ٦ / ٢٨٠
- الحسان / الوافر / عبد العزيز الفشتالى / ٧ / ١٧٦
- شانى / الوافر / - / ٨ / ٨
- جفانى / الوافر / لسان الدين / ٨ / ١٩٥

- باليمين / الوافر / ابن الخياط الصقلي / ٨٣ / ١
- اليمين / الوافر / لسان الدين / ١٦٥ / ٨
- للسكون / الوافر / ابن خفاجة / ٦٥ / ٢
- دينى / الوافر / الحميدى / ٢٥٧ / ٥ ، ٢٦٨ / ٢
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٧٣
- الحزين / الوافر / ابن جزى / ٥٥ / ٧
- سمين / الوافر / ابن رضوان / ٢٢٦ / ٧
- فن / الوافر / - / ٤٠ / ١
- مين / الوافر / ابن رمان / ٢٢٧ / ٢
- مين / الوافر / العز الموصلى / ٣٠ / ٣
- البهجتين / الوافر / - / ٣٦٨ / ٤
- بالرقتين / الوافر / - / ١٨٩ / ٦
- بينى / الوافر / لسان الدين / ١٢٠ / ٨
- وسنى / مجزوء الوافر / الصابونى / ٩٤ / ٥
- الأوطان / الكامل / - / ١٨٦ / ١
- الأجفان / الكامل / المستعين / ٣٣٣ / ١
- أجفانى / الكامل / - / ٢١٠ / ٥
- شاذروان / الكامل / ابن حمديس / ٣٤ / ٣
- النعمان / الكامل / الشريف الرضى / ٣٩ / ٢
- البانى / الكامل / أبو إسحاق الصابى / ٤٠ / ٢
- العرفان / الكامل / أسد بن معين الدين / ٥٣ / ٢
- البنيان / الكامل / الناصر المروانى / ٤٥٨ ، ٩٢ ، ٥٣ / ٢
- معتنقان / الكامل / أبو القاسم السهيلي / ٢٥٩ / ٢
- شيثان / الكامل / أبو القاسم التجيبى / ٢٨ / ٨ ، ٣٤٧ / ٢
- القانى / الكامل / بهاء الدين بن النحاس / ٣٥٩ / ٢
- بأمان / الكامل / - / ١٥٣ / ٣
- الأركان / الكامل / ابن سليمان الشامى / ٣٨٠ / ٣
- الغزلان / الكامل / العطار الأزدي القيروانى / ٨٤ / ٤
- أفنانى / الكامل / ابن السيد البطليوسى / ١٠٨ / ٤
- أضنانى / الكامل / ابن السيد البطليوسى / ٣٣٧ / ٤
- الطوفان / الكامل / ابن حريق / ٦ / ٥ ، ٢٠٨ / ٤
- ألوان / الكامل / ابن حزم / ٢٢٧ / ٤
- بنانى / الكامل / ابن الأعلم / ٤٠٣ / ٤

- الشان / الكامل / أبو جعفر بن سعيد / ٥ / ١٢٠
- فان / الكامل / خالد البلوى / ٣ / ١٣٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٧٤
- الشان / الكامل / يحيى بن مجبر / ٥ / ٢٨٣
- شان / الكامل / ابن رضوان / ٧ / ٢٢٤
- الأبدان / الكامل / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٤٥
- إحسان / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٩٢
- يماني / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٩٥
- مكنون / الكامل / ابن الحمارة / ١ / ١٧٠
- المكنون / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٢٧، ٣١٠
- المفتون / الكامل / لسان الدين / ٧ / ٣١٤
- عرين / الكامل / لسان الدين / ٨ / ١٧٩
- جيني / الكامل / لسان الدين / ٩ / ١١٩
- سكوني / الكامل / ابن شاهين / ٣ / ٤٤
- التحسين / الكامل / ابن جابر / ٣ / ٢٤٨
- الوطن / الكامل / - / ١ / ١٥٤
- بيضتين / الكامل / اليكى / ٤ / ١٣٧
- بالمين / الكامل / - / ٨ / ٣٢
- غالني / الكامل / أبو مروان بن زهر / ٢ / ٣٧٥
- بين / الكامل / ابن جابر / ٣ / ٢٤٩
- تن / الكامل / أخيل الرندي / ٥ / ١٣١
- مؤمن / الكامل / أخيل الرندي / ٥ / ١٣٠
- تبتني / الكامل / ابن زمرك / ٩ / ٩٤
- زمانه / الكامل / أبو عبد الله بن الحداد / ٤ / ٢٨٤
- زمانه / الكامل / ابن اللبائنة (الداني) / ٥ / ١٨٢
- رحمانه / الكامل / المعتمد بن عباد و ابن عمار / ٤ / ٣٧٧
- أوانه / الكامل / أبو جعفر اللمائي / ٥ / ٩٠
- ميزانه / الكامل / ابن افيولئة / ٥ / ٢٤٦
- بدونه / الكامل / ابن الفرضي / ٢ / ٢٨٠
- بيمينه / الكامل / الأصم المرواني / ٤ / ٣٥٩
- عنانها / الكامل / ابن هذيل / ٧ / ٣٥
- فبالستان / مجزوء الكامل / ابن الديواني / ٤ / ٢١٩
- زعفران / مجزوء الكامل / الرمادي / ٤ / ٤٠٦

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٧٥

يراني / مجزوء الكامل / ابن عربي / ٢ / ٣١٠

كلمتين / مجزوء الكامل / ابن نباتة / ٣ / ٣٠

مكتنه / مجزوء الكامل / أبو عبد الله بن الحكيم / ٧ / ٤٤

شاني / الهزج / - / ١ / ١٦٣

الجبان / الرمل / أبو الفرج / ٢ / ٤٧٩

الوطن / الرمل / أبو جعفر الإلييري / ٩ / ٢١٤

حانه / الرمل / لسان الدين / ٨ / ١٧٠

الفلاني / مجزوء الرمل / أبو إسحاق المرسي / ٤ / ١٢٢

اللسان / مجزوء الرمل / حريز بن عكاشة / ٤ / ١٦٤

العيان / مجزوء الرمل / أبو المطرف بن المثنى / ٤ / ١٦٤، ٣٣١

الأمانى / مجزوء الرمل / أبو زيد بن مولود / ٤ / ٢٤٢

الزمان / مجزوء الرمل / حريز بن عكاشة / ٤ / ٣٣١

بالمعاني / مجزوء الرمل / - / ٦ / ٢٣٧

متين / مجزوء الرمل / ابن ليون / ٧ / ١١٤

الثقلين / مجزوء الرمل / حامد الزجالي / ٤ / ٣١٥

أشجاني / السريع / - / ١ / ٨٦

سليمان / السريع / مجاهد العامري / ١ / ٣٣٢

الزمان / السريع / - / ٤ / ٣١٢

الديون / السريع / أبو حيان / ٣ / ١٥٣

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص: ٣٧٥

غبون / السريع / أبو وهب القرطبي / ٤ / ٥٨

بالعين / السريع / - / ١ / ٩٧

عيني / السريع / الصفدي / ٣ / ١٥٢

منى / السريع / المصحفي / ٢ / ١١٤

الشين / السريع / ابن شاهين / ٣ / ٤١

عنى / السريع / ابن مسعود البجاني / ٤ / ١٨٩

باليمن / السريع / أبو محمد عبد المولى / ٤ / ٢٨٩

الغصن / السريع / - / ٥ / ٢٩٨

وهن / السريع / ابن ليون / ٧ / ١٠٢

الحسن / السريع / أبو جعفر الإلييري / ٩ / ١٩١

لين / السريع / الحصري / ٥ / ٢٢٢

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٧٦

- بالممكن / السريع / ابن جابر / ١٣٩ / ٩
شانه / السريع / - / ٤١ / ٨
فاعنه / السريع / لسان الدين / ١٦٢ / ٨
ريحان / المنسرح / ابن جابر / ٢٨٦ / ٣
عرفان / المنسرح / ابن عربي / ٣١١ / ٢
حسن / المنسرح / ابن جابر / ٢٥٧ / ٣
حسن / المنسرح / ابن عميرة / ٤٠٢ / ٣
شيئين / المنسرح / - / ١٦٥ / ٥
إنسان / الخفيف / أبو بكر المصطفى / ١٤ / ٢
زمان / الخفيف / أبو جعفر الألبيري / ٢٦٢ / ٣
الزمان / الخفيف / المعري / ٢٥٨ / ٦
الأزمان / الخفيف / ابن جابر / ٢٧٢ / ٣
البنيان / الخفيف / ابن مفيد / ١٣٧ / ٤
الألحان / الخفيف / أبو الأصبع بن الناصر / ٣٥١ / ٤
يراني / الخفيف / أبو زيد العثماني / ١٢ / ٥ ، ٦٩
كالخيزران / الخفيف / ابن عبد المولى الميورقي / ٣٥٨ / ٥
الهبوان / الخفيف / - / ٢٥٦ / ٦
لسان / الخفيف / ابن ليون / ١٢٧ / ٧
و الأحران / الخفيف / الكفعمي / ١٨٧ / ٩
للمحبين / الخفيف / غانم / ٨٩ / ٤
تعذلوني / الخفيف / محمد بن خلف البيري / ١٦٠ / ٤
كالتنوين / الخفيف / ابن سهل الإسرائيلي / ٣٠٣ / ٤
الدين / الخفيف / لسان الدين / ١٦٢ / ٨
أمين / الخفيف / لسان الدين / ١٨١ / ٨
بثنى / الخفيف / أبو محمد الأزدي / ٢٢٠ / ٧
بينى / الخفيف / أبو محمد الأزدي / ٢١٩ / ٧
بين / الخفيف / لسان الدين / ١٤٨ / ٩
بفته / الخفيف / - / ٢٤ / ٨
المهيمن / مجزوء الخفيف / أبو حيان / ١٥ / ٧
الشيئان / المجتث / - / ١١٢ / ١
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٧٧
المباني / المجتث / ابن العريف النحوي / ٩٨ / ٢
كيوان / المجتث / صاعد اللغوي / ٩٨ / ٢

- حين / المجتث / أبو عبد الله الجزيري / ١٤ / ٥
الثقلين / المجتث / محمد المحاسني / ٦٢ / ٣
مخرجين / المجتث / ابن مهاجر الوادي آشي / ٢٤٤ / ٣
غصن / المجتث / محمد بن هشام المرواني / ٣٤٣ / ٤
عيني / المجتث / أبو جعفر بن سعيد / ١٠٧ / ٥
دعني / المجتث / ابن العريف / ٣١١ / ٩
الحنين / المتقارب / المعتمد بن عباد / ١٤٦ / ٥
زين / المتقارب / ابن الحاج الغرناطي / ٢٩٨ / ٨
يمكن / المتقارب / ابن السيد البطلوسى / ١٥٦ / ١
الأغانى / المتقارب / السمسيسر / ١٤١ / ٤

قافية الهاء (ه)

- أشبه / الطويل / ابن جبير / ١٠٢ / ٣
النيبه / الكامل / ابن الحاج الغرناطي / ٢٩٣ / ٨
سواه / مجزوء الكامل / أبو الفضل بن الأعلم / ٤٠٠ / ٤
قواه / الرمل / المقرئ المؤلف / ٤٢ / ١
هواه / السريع / أبو الحسن بن الحاج / ٤٧ / ٥
إليه / السريع / أبو العلاء المرسى / ١٢٦ / ٤
إليه / السريع / ابن ليون / ٨٢ / ٧
يديه / السريع / ابن عائشة / ٣ / ٥
عراه / المتقارب / ابن فضل الله العمري / ١٥٩ / ٤
إليه / المتقارب / أبو بكر بن زهر / ٢٢٦ / ٤
محيهاها / الطويل / ابن سعيد / ٤٤٦ / ٢
و وجيهاها / الطويل / أبو الحسن الزجاج / ١٦٨ / ٣
عنها / الطويل / الملك الناصر / ٤٨٠ / ٢
اللها / الطويل / ابن وهبون / ٣٣ / ٤ ، ٦٤
انتهى / الطويل / البغيل / ٨٩ / ٥
السها / الطويل / ابن جابر / ١٩٨ / ٩
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٧٨
ولدوها / الطويل / أبو عبد الله بن الجنان / ٢٤٥ / ٩
باريها / البسيط / ابن مفوز / ٢٤٤ / ٢ ، ٧ / ٣
ماضيها / البسيط / - / ٧٤ / ٣
راميها / البسيط / سالم بن محمد / ٣٤٠ / ٣

- بواديها/ البسيط/ ابن زمرك/ ٢٦/٩
- إليها/ مخلع البسيط/ ابن عفير/ ١٢٧/٤
- ملاها/ مخلع البسيط/ ابن الأزرق/ ٢٨٥/٣
- أبرزها/ مخلع البسيط/ الخفاجي/ ٣٠/٣
- وجاهه/ مخلع البسيط/ إبراهيم البدوي/ ٢٢٠/٥
- مرسلاها/ مخلع البسيط/ إبراهيم البدوي/ ٢٤٧/١
- سواها/ الوافر/ إبراهيم البدوي/ ٤٦/٤، ٣٣٤
- علاها/ الوافر/-/ ١٤٩/٥
- كنها/ الوافر/ ابن صارة/ ٢٤٦/٤
- تيها/ الوافر/ ولادة/ ١٣٣/٥
- رباها/ الكامل/ والد لسان الدين/ ١١/٦
- صداها/ الكامل/ ابن خميس/ ٢٩٧/٦
- و هواها/ الكامل/ ابن مرزوق الحفيد/ ٣٥٧/٦
- ريهاها/ الكامل/-/ ٩٩/٨
- انتهى/ الكامل/ أبو إسحاق الإلييري/ ٢٣٢/٥
- انتهى/ الكامل/ المنصور الذهبي/ ٢٦٨/٨
- البيها/ الكامل/ الكرسوطي/ ٢١٣/٧
- التزاهه/ مجزوء الكامل/ أبو عبد الله بن الجنان/ ٢٥٨/٩
- وباها/ الرمل/ ابن الفارض/ ٣٢/٣
- عليها/ مجزوء الرمل/ ابن جبير/ ٢٠/٣
- عنها/ مجزوء الرمل/ ٢٨٩/٤
- فككتاها/ السريع/ السميصر/ ٥٩/٤
- الوجها/ السريع/ أحمد بن شكيل الشريشي/ ١٣/٥
- حياها/ المنسرح/ غالب الحجام/ ٢١١/٤
- فيها/ المنسرح/ أبو جعفر الربضي/ ٩٢/٤
- سواها/ الخفيف/-/ ٧١/١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٧٩
- فتاها/ الخفيف/ ابن الغماز/ ١٩٥/٦
- أذاها/ الخفيف/ ابن ليون/ ١٢١/٧
- أودعوها/ الخفيف/ ابن خاتمة/ ٢٣١/٤
- يصطفيها/ الخفيف/ لسان الدين/ ١١٢/١٠
- لديها/ الخفيف/ ابن عبد الظاهر/ ٣٢/٣
- إليها/ الخفيف/ ابن جبير/ ١٠٤/٣

- تيها/ الخفيف/ حفصة/ ٢٠٤ / ٥
- معطفيها/ الخفيف/ ابن جابر/ ١٩٤ / ٩
- بذويها/ المجتث/ ابن سعيد/ ٤٦٣ / ٢
- اشتهى/ المتقارب/ -/ ٣٦٨ / ٤
- و تهواه/ الطويل/ ابن رشيد البغدادي/ ٥٠ / ١
- محياه/ الطويل/ المقرئ المؤلف/ ٩٢ / ١
- بشكواه/ الطويل/ أبو البركات بن الحاج/ ٢٠ / ٧
- محياه/ الطويل/ -/ ١٩٥ / ٦
- و حياه/ الطويل/ أبو بكر بن مالك/ ٢٥٢ / ٤
- رددناه/ الطويل/ أبو شهاب الملقى/ ١٨ / ٢
- يراه/ الطويل/ المنصور الذهبي/ ٢٦٤ / ٨
- هداياه/ البسيط/ الصفدي/ ٢٧٠ / ٣
- معناه/ البسيط/ ابن جابر/ ٢٦٣ / ٣
- اللّه/ البسيط/ -/ ٤٠ / ٥
- اللّه/ البسيط/ ابن زمرك/ ١٤٢ / ٦
- اللّه/ البسيط/ -/ ٢٣٥ / ٦
- تغشاه/ البسيط/ -/ ١٤٠ / ٦
- عناه/ البسيط/ ابن خميس/ ٢٩٦ / ٦
- فألقاه/ البسيط/ ابن باجة/ ٢١٧ / ٨
- منه/ الوافر/ -/ ٤٧ / ١
- منه/ الوافر/ -/ ١٧٢ / ٦
- تراه/ الكامل/ -/ ٣١٠ / ١، ٢٩ / ٤
- نواه/ الكامل/ الشريف الطليق/ ٣٥٣ / ٤
- رياه/ الكامل/ -/ ٧ / ٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٨٠
- توجه/ الكامل/ -/ ٢٤٤ / ٦
- مشبهوه/ مجزوء الرمل/ النحلي/ ١٤٣ / ٤
- حسدوه/ مجزوء الرمل/ -/ ١٧٠ / ٤
- اللّه/ السريع/ العرقلة الدمشقي/ ٢٣٢ / ٣
- و أغلاه/ السريع/ لسان الدين/ ١٨٧ / ٨
- و أحلاه/ المنسرح/ العربي العقيلي/ ٤٣٢ / ٥
- سماه/ الخفيف/ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي/ ٣٥ / ٢
- هواه/ الخفيف/ أبو حيان/ ١٧٤ / ٣

- و شذاه/ الخفيف/ أبو القاسم بن ورد/ ١٨٥ /٤
- سنه/ الخفيف/ الكساد/ ٥ /١١، ٦٨
- عنه/ الخفيف/ -/ ٣ /٨
- لا هو/ الخفيف/ ابن زيدون/ ٥ /٣٦
- تراه/ المجتث/ المعتمد بن عباد/ ٥ /١٩١
- جلساه/ المجتث/ لسان الدين/ ٨ /١٦٧
- عنه/ المجتث/ ابن ليون/ ٧ /١١٧
- فيه/ الطويل/ -/ ٧ /٣٦٧
- تهى/ الطويل/ لسان الدين/ ٨ /١٩٠
- لديه/ الطويل/ -/ ٣ /٩٠
- الواهى/ البسيط/ أبو حيان/ ٣ /١٥٨
- الزاهى/ البسيط/ ابن جزى/ ٧ /٧٣
- الله/ البسيط/ ابن ليون/ ٧ /١٢٥
- لناصحيه/ البسيط/ ابن زيدون/ ٢ /١٣٥
- تدرية/ البسيط/ الششتري/ ٢ /٣٤٢
- فيه/ البسيط/ ابن حمويه السرخسى/ ٣ /٣٦٤
- تعطيه/ البسيط/ يحيى الأركشى/ ٥ /١٢
- إليه/ البسيط/ ابن رشيق (أو ابن حمديس)/ ١ /٤٤
- عليه/ مخلع البسيط/ ابن جبير/ ٣ /١٥
- إليه/ مخلع البسيط/ ابن فرج الجيانى/ ٤ /٤١٥
- و لاهى/ الوافر/ ابن الأبار/ ٣ /١٩٥
- الإله/ الوافر/ ابن العريف/ ٩ /٣١٠
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٨١
- منتضيه/ الوافر/ -/ ٥ /١٤٢
- إليه/ الوافر/ ابن جبير اليحصبى/ ٥ /٢٢٠
- إليه/ الوافر/ ابن حذلم/ ٦ /٣١٦
- إليه/ الوافر/ أبو الحسن البرقى/ ٨ /٢٤٨
- فيه/ مجزوء الوافر/ المقرئ الجد/ ٣ /٧
- اللاهى/ الكامل/ ابن هشام القرطبى/ ٤ /٩٢
- متناهى/ الكامل/ المعتمد (و الرشيد ابنه)/ ٤ /٣٧٤
- و الجاه/ الكامل/ أبو بكر بن الخطاب/ ٦ /١٨٦
- و نواه/ الكامل/ المنتشاقرى/ ٧ /٢٥٦
- أدرية/ الكامل/ ابن سعيد/ ٢ /٣٨٧

- تحكيه / الكامل / ابن الفارض / ٢٠٥ / ٣
- فيه / الكامل / أبو الروح التاكرني / ٢٠٦ / ٣
- فيه / الكامل / المنصور الذهبي / ٢٦٦ / ٨
- يشفيه / الكامل / سلام الملقى / ٤٢ / ٤
- شبيهه / الكامل / أبو جعفر بن طلحة / ١٢٥ / ٤
- بالتيه / الكامل / أبو القاسم بن هشام / ٣٥ / ٥
- التنويه / الكامل / - / ٦٥ / ٦
- تكفيه / الكامل / لسان الدين / ١٩٥ / ٨
- عليه / الكامل / المعتمد بن عباد / ٣٧ / ٥
- نبيه / مجزوء الكامل / أبو القاسم الشاطبي / ١٩٧ / ٢
- عليه / مجزوء الكامل / ابن قلاقس / ٨٤ / ٤
- لديه / مجزوء الكامل / أبو الحسن (ابن السيوري) / ٨٣ / ٤
- لديه / مجزوء الكامل / أبو الحسن اللورقي / ٣٦٢ / ٤
- فيه / مجزوء الكامل / صاعد البغدادي / ٣٦١ / ٣
- أبيه / مجزوء الرمل / المنفتل / ١٤٤ / ٤
- فيه / مجزوء الرمل / المنفتل / ١٨٨ / ٤
- روضتيه / مجزوء الرمل / محمد بن اليسع / ٣٨٥ / ٤
- أواه / السريع / - / ٣٢٥ / ١
- فيه / السريع / ابن ليون / ٩٧ / ٧
- و تحكيه / السريع / أبو الفضل بن شرف / ١٧٥ / ٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٨٢
- ساهي / المنسرح / صفوان بن إدريس / ٥٧ / ٦
- فيه / المنسرح / أبو جعفر الجنان / ١٦٩ / ٧
- الزاهي / الخفيف / ابن زمرك / ٨٦ / ٩
- بنيه / الخفيف / - / ٨٥ / ٣
- أرتجيه / الخفيف / الشقندي / ٥٦ / ٤
- بالتيه / الخفيف / البياسي / ١٣١ / ٤
- يقتنيه / الخفيف / ابن ليون / ٩٣ / ٧
- التنبيه / الخفيف / ابن ليون / ١١٥ / ٧
- لديه / الخفيف / القاضي الأصبحي / ٢٠٣ / ٤
- تنديه / المجتث / الكيزاني / ١١٨ / ٣
- إيه / المجتث / السمييسر / ١٩٠ / ٤
- تبتغيه / المجتث / ابن ليون / ١٢٦ / ٧

إليه / المجتث / المأمون / ٢ / ١٢٦
 مقلتيه / المجتث / أبو الوليد بن الحضرمي / ٤ / ٢٣٨
 عليه / المجتث / - / ٦ / ١٩٢
 لديه / المتقارب / أبو بكر بن زهر / ٢ / ٣٧٥
 عليه / المتقارب / ابن جبير / ٣ / ١٤
 صفحته / المتقارب / لسان الدين / ٨ / ١٨٨

قافية الواو (و)

يقوى / الطويل / ابن سلمة الغرناطي / ٣ / ٢٤٩
 و الشكوى / الطويل / المليكي / ٧ / ٣٣٩
 الشكوى / الطويل / النباهي / ٧ / ٢٣٥
 السلوى / الطويل / - / ٦ / ١٧١
 و الجوى / الكامل / أبو المطرف بن عميرة / ١ / ٢٤٥
 استوى / مجزوء الكامل / ابن سعيد / ٢ / ٤٥٠
 الهوى / الرمل / أبو جعفر الإلييري / ٩ / ١٩١
 أهوى / المنسرح / أبو عامر بن شهيد / ٤ / ٨٦
 الشكوى / المنسرح / الشريشي / ٥ / ١٣
 الهوى / المتقارب / أبو محمد الأزدي / ٧ / ٢١٩
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٨٣
 حوى / المتقارب / - / ١ / ٩٧
 عداوه / الخفيف / ابن ليون / ٧ / ٩٨
 رخوه / الخفيف / أبو حيان / ٣ / ١٥٨
 الفتوه / الخفيف / لسان الدين / ٧ / ٢٩٨
 للفتوه / الخفيف / لسان الدين / ٨ / ١٦٣
 قهوه / المجتث / ابن شاهين / ٣ / ٤٤
 حظوه / المجتث / أبو عبد الله بن الجنان / ٩ / ٢٤٥
 سهوه / المجتث / المقرئ / ٣ / ٤٤
 زهو / الكامل / ابن ليون / ٧ / ٩٣
 اللهو / الكامل / ابن ليون / ٧ / ٨٢

قافية الياء (ي)

شى / الرمل / الصدر بن الأدمي / ١ / ٨٩

- شى / السريع / الشريف بن راجح / ٣ / ١٨٥
و الدنيا / الطويل / أبو عثمان بن إدريس / ٢ / ٩٣
الأحيا / الطويل / أبو حيان / ٣ / ١٧٢، ٢٤٥
وشيا / الطويل / أبو عبد الله بن الناصر / ٤ / ١٥٣، ٣٥٥
ثنيا / الطويل / ابن الجياب / ٧ / ٣
أحيا / الطويل / ابن الحاج الغرناطى / ٨ / ٢٩٧
حاليا / الطويل / - / ١ / ٩١
حاليا / الطويل / ابن زمرك / ٩ / ٤٤
و ماليا / الطويل / ابن زمرك / ٧ / ١٩٨
باليا / الطويل / ابن زمرك / ٩ / ٥
السواقيا / الطويل / ابن زمرك / ٩ / ٨٣
و السقيا / الطويل / ابن زمرك / ٩ / ٩٢
غاريا / الطويل / المخزومى الأعمى / ١ / ١٦١
الأعاديا / الطويل / أبو حيان النفزى / ٣ / ١٤٢
ماضيا / الطويل / أبو حيان النفزى / ٣ / ١٦٩
مصافيا / الطويل / أبو حيان النفزى / ٣ / ١٧٥
التلاقيا / الطويل / ابن خفاجة / ٤ / ١١٦
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٨٤
و تواريا / الطويل / ابن البناء / ٤ / ١٢٦
راضيا / الطويل / ابن مسعدة الأوسى / ٤ / ٢١٥
الأفاعيا / الطويل / ابن هانىء / ٤ / ٤١٤
باكيا / الطويل / ابن عائشة / ٥ / ٤
تماديا / الطويل / المعتمد بن عباد / ٥ / ١٤٥
باديا / الطويل / المخزومى الأعمى / ٥ / ٢١٣
باديا / الطويل / ينسب لذى الرمة / ٨ / ١١
الدواهيا / الطويل / ابن هدية / ٦ / ١٩٦
راعيا / الطويل / أبو القاسم بن الحكم / ٦ / ٣٧٥
جازيا / الطويل / المتنبى / ٨ / ٩٧
هيا / الطويل / لسان الدين / ٨ / ١٨٣
ليا / الطويل / ابن باجة / ٨ / ٢٢٢
و غراميا / الطويل / أبو الحسن البرقى / ٨ / ٢٤٨
هانيا / الطويل / على بن جودى / ٨ / ٢٥٠
معاويه / الطويل / ابن صابر القيسى / ٣ / ٢٤٥

- داهيه/ الطويل /- / ٢٨٣ /٧
- شيا/ البسيط/ الناصر (أو الحكم) / ٢٩٦ /١
- بقيا/ البسيط/ ابن ليون / ١٢٣ /٧
- العافيه/ البسيط/ ابن ليون / ٩٤ /٧
- العطايا/ مخلع البسيط/ المقرى الجدّ / ٢٦٠ /٦
- الحميا/ مخلع البسيط/ ابن خفاجة / ٣٨٧ /٤
- بنيا/ مخلع البسيط/ ابن الملح / ٨٤ ، ١٩ /٥
- شيا/ مخلع البسيط/ أبو القاسم بن الملح / ٨٤ ، ١٩ /٥
- الروايه/ مخلع البسيط/ ابن الفكون / ٩٩ /٣
- و النهايه/ مخلع البسيط/ ابن باجة / ٢٢٦ /٤
- و القضايا/ الوافر/ ابن الجياب / ٣٧٧ /٦
- رعيا/ الوافر/ شمس الدين الأسدى / ٦٨ /١
- الهنيا/ الوافر/ ابن سعيد / ١٧ /٥
- أريحيا/ الوافر/ أبو العباس بن بلال / ١٧ /٥
- شيا/ الوافر/ أبو الفضل بن شرف / ٥٩ /٤
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٨٥
- الدينه/ الوافر /- / ١١١ /١
- درايه/ الوافر/ أبو بكر الشلطيشى / ٣٨٤ /٤
- لحيه/ الوافر/ أبو حيان / ١٥٨ /٣
- باكيه/ الكامل / الشليبة / ٢١١ /٥
- الولايه/ مجزوء الكامل / ابن ليون / ١٢٣ /٧
- متماديه/ مجزوء الكامل / حفصة / ٢٠٥ /٥
- عاصيه/ مجزوء الكامل /- / ٢١٢ /٥
- السميا/ مجزوء الرمل / ابن سعيد / ١٢٣ /٤
- بلحيه/ مجزوء الرمل / مدغليس / ١٨٦ /٤
- الحجازيا/ السريع / ابن دقيق العيد / ٢٢١ /٦
- لحيه/ السريع / ابن اللبانه / ١٥٤ /٤
- الثانيه/ السريع / ابن زيدون / ٩٦ /٤
- العاليه/ السريع / ابن زيدون / ٤٤ /٥ ، ٤٧٢ /٢
- العافيه/ السريع / ابن ليون / ٨٦ /٧
- بالغاليه/ السريع / ابن جابر / ١٩٦ /٩
- الرزايا/ الخفيف / عبد الملك بن شهيد / ٣١٢ /١ ، ١٠٠ /٢
- جدريا/ الخفيف / أبو يزيد بن العاصى / ٣٦٠ /٤

- رديا/ الخفيف/ ابن ليون/ ٧/ ٩٩
الروايه/ الخفيف/ ابن الأبار/ ٥/ ٦١
غايه/ الخفيف/ التجاني/ ٥/ ٦١
النهايه/ الخفيف/ ابن ليون/ ٧/ ١٢٥
عطريه/ الخفيف/ يحيى السرقسطنى/ ٥/ ٩٣
البريه/ الخفيف/ ابن ليون/ ٧/ ١٢٤
التقيه/ الخفيف/ لسان الدين/ ٨/ ١٨٣
ناحيه/ مجزوء الخفيف/ البياسى/ ٤/ ١٩٠
ساقيه/ مجزوء الخفيف/ أحمد بن رضى/ ٤/ ١٩٠
وليا/ المجتث/ أبو عبد الله بن الجنان/ ٩/ ٢٦٨
تحيه/ المجتث/ ابن سدرائى/ ٤/ ٢٠٥
الثنايا/ المتقارب/ ابن عمار/ ٤/ ١٣٨
عافيه/ المتقارب/ أبو حيان/ ٣/ ١٧٦
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٨٦
ماضيه/ المتقارب/ -/ ٥/ ٢١٢
عاصيه/ المتقارب/ -/ ٥/ ٢١٢
بالقافيه/ المتقارب/ ابن جابر/ ٩/ ١٩٧
سميه/ الطويل/ عبادة/ ٢/ ٢٥
و الندى/ مخلع البسيط/ ابن عمار/ ٥/ ٢٢٨
العشى/ مخلع البسيط/ المعتمد بن عباد/ ٥/ ٢٢٨
غى/ الوافر/ ابن ليون/ ٧/ ٩٦
سعيه/ السريع/ ابن ليون/ ٧/ ٩٨
اللوذغى/ الخفيف/ ابن الشمر/ ٣/ ٣٨٨
حيه/ الطويل/ ابن باق/ ٧/ ٣٦٢
الجلئى/ الوافر/ أبو تمام/ ١/ ٩٨
الخلئى/ الوافر/ أبو تمام/ ٢/ ١٠٩
وعئى/ الوافر/ ابن عنين/ ٣/ ٢٧
الأريحي/ الوافر/ ابن الفكون/ ٣/ ١٠٠
الصبى/ الوافر/ ابن العريف/ ٥/ ٢٤٢
حئى/ الوافر/ ابن العريف/ ٨/ ٤٢
و حليته/ الكامل/ ابن النبى/ ٥/ ١٥٤
العئى/ السريع/ -/ ٦/ ٢٤٠
لحيه/ السريع/ ابن اللبانه/ ٤/ ١٥٤

العشى / الخفيف / ابن صارة / ٣٦٥ / ٤
 الولي / المتقارب / الرصافي البلنسي / ١٥٣ / ١
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٨٧

٥- فهرس الرجز

القافية / الشاعر / الجزء / الصفحة
 وعى / ابن دريد / ١٠٦ / ٨
 رأى / ابن جابر / ١٥٤ / ٩
 ذهاب / ابن ظافر و الأعز / ١٣٩ / ٥
 راغبه / ابن ليون التجيبي / ٨٩ / ٧
 طالبه / ابن ليون التجيبي / ١٢١ / ٧
 ذوائب / المتوكل بن الأفتس / ١٦٠ / ٢
 الثاقب / ابن عبدون / ١٦٠ / ٢
 و الوصب / لسان الدين / ١٩٤ / ٨
 يعقوب / ابن الجياب / ٣٦٨ / ٦
 مصمت / - / ٣٢٢ / ٨
 قدح / - / ٩٦ / ٥
 القبائحا / أبو عبد الله بن الحاج / ٢٣٨ / ٥
 تجد / ابن مفوز / ٦٢ / ٥
 ولد / ابن الهبارية / ١٢٨ / ٦
 يحمد / أبو بكر العمري / ٧٠ / ٣
 تتأود / أبو العباس بن مكنون / ٦٣ / ٥
 المنفرد / البدر بن حبيب / ١٨ / ٣
 يجحد / إمام الدين الخليلي / ٢٦٨ / ٨
 الخدود / ابن سعيد / ٤٣٤ / ٢
 الإسناد / أبو جعفر أحمد بن الحسن / ٥٠ / ٣
 ابتدى / الشراز / ٢٧٨ / ٣
 عندي / الشاهيني / ٨٨ / ٣
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٨٨
 يدى / الشقندي / ٥٦ / ٤
 نجد / ابن المعلم / ٤١ / ١
 بلد / ابن ناهض / ٤٦ / ١
 الأبد / المعتمد بن عباد / ٣٩ / ٥

- جهده/ البدر بن حبيب / ١٩ / ٣
- الزهر/ ابن ظافر / ١٦٢ / ٤
- النضر/ العمري / ٤٧ / ١
- بالغرا/ أبو الحكم المغربي / ٢٨٤ / ٢
- منظرا/ ابن السيد البطليوسي / ١٤٨ / ٢
- الخرأ/ أبو جعفر بن سعيد / ١٠٧ / ٥
- السحره/ أبو عمران الطرياني / ٥ / ١٢ ، ٧٠
- نهر/ ابن سعيد العنسي / ١٢٢ / ٥
- فكره/ لسان الدين / ٢٨٥ / ٨
- بصري/ ابن عربي / ٣٠٩ / ٢
- الخور/ ابن الرومي / ٣٧٠ / ٤
- المشترى / - / ٢٤٣ / ٦
- خبري/ ابن مرزوق الخطيب / ٣٢٧ / ٦
- النجار/ ابن الجياب / ٣٧٠ / ٦
- حمام / - / ٢٤٤ / ٦
- أعجزه/ لسان الدين / ١٧٠ / ٨
- بالأنس/ أبو عبد الله بن جزى / ١٩٤ / ٨
- و لبسه/ ابن ليون التجيبي / ١٠١ / ٧
- عصى/ المعتمد و ابن جاخ / ٣٧٠ / ٤
- العصا/ ابن مالك و ابن أبي خصال / ٢٩٨ / ٤
- اختلط/ سعد الدين بن العربي / ٣١١ / ٢
- اللغظ / - / ٣١ / ٣
- موقظه/ ابن مفوز / ٦٢ / ٥
- البديع / - / ٧٠ / ١
- وعى/ ابن غازي / ٢ / ٣٦٠ ، ٢٩ / ٤
- ودّعه/ أبو الربيع الموحدى / ٣ / ٣٧١
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٨٩
- رفعه/ أبو الحسن الموحدى / ٣ / ٣٧١
- معه/ الغزال / ٢ / ٣٨٠
- المنوعه/ ابن الجياب / ٦ / ٣٧٦
- مجتمعه/ ابن زمرك / ٩ / ٧٩
- بالرابعه/ أبو الفضل بن رضوان / ٨ / ٢٩٩
- القطع/ ابن الجياب / ٦ / ٣٦٩

- الأدمع / صفوان بن إدريس / ٥٨ / ٦
- ارتغا / لسان الدين / ١٨١ / ٧
- و بغى / ابن الجياب / ١٨١ / ٧
- التكليف / ابن الجياب / ٣٧٦ / ٦
- تخفى / ابن فتوح / ٢٧٨ / ٣
- يحترق / الزغارى / ٨٩ / ١
- تفق / ابن ليون التجيبى / ٨٩ / ٧
- برقه / أبو ركوة / ٢٤٧ / ٣
- بالأبرق / ابن سلبطور / ٢٠٠ / ٧
- و مشرق / ابن الجياب / ٣٧٦ / ٦
- السحيق / الشاهينى / ٨٨ / ٣
- دفاقها / أبو الوحش أو الشاغورى / ٦٧ / ١
- المسالك / الأقرانى / ٣٦٢ / ٢
- الأسل / أبو المغيرة بن حزم / ٢٤٠ / ٢
- العمل / ابن ليون التجيبى / ١١١ / ٧
- تحصلا / ابن صفوان المالقى / ٨٥ / ٥
- العلا / أبو جعفر أحمد بن الحسن القضاعى / ٤٨ / ٣
- الفاصله / ابن جابر / ١٩٧ / ٩
- الجمله / الراعى الغرناطى / ٢٨١ / ٣
- عمل / - / ٣٨ / ٨
- تسلسل / الرمادى / ٢٢ / ٥
- أمل / أبو الحجاج البياسى / ١٣٢ / ٤
- العقل / ابن ليون التجيبى / ١٠٢ / ٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٩٠
- خليلى / ابن شهيد / ٧٣ / ٤
- أحواله / عبد المهيمن الحضرمى / ٧٥ / ٧
- القلم / أبو عبد الله العزفى / ٢٩٩ / ٨
- العجم / ابن الجياب / ٣٦٨ / ٦
- الحكيم / ابن الجياب / ٣٧٧ / ٦
- أعلم / السميسر / ٢٠٩ / ٤
- وفتن / السلطان المنصور / ٢٦٨ / ٨
- و فطن / ابن مرزوق الحفيد / ٣٥٨ / ٦
- ثمن / - / ٣١٥ / ٧

- فنون / ابن الجياب / ٣٧٨ / ٦
المولدين / ابن الجياب / ٢٤١ / ٧
يسحرنا / ابن الحاج الغرناطى / ٢٩٤ / ٨
جاهنا / المعتمد بن عباد / ١٣٩ / ٥
بدنه / أعرابى / ٢٣٥ / ٦
دونه / - / ٣٨ / ١
و الزمان / - / ٤٥ / ١
و الزمان / - / ١٥٤ / ٧
بمن / ابن الأزرق / ١١٦ / ٤
الحسن / المعتضد / ١٦٦ / ٥
دجن / ابن مسرة / ٣٢٨ / ٤
لسانى / - / ١٣٥ / ٦
و لو زها / الشهاب الحجازى / ٣٠ / ٣
و فهمها / ابن الوردى / ٣٦٢ / ٢
الله / أبو على الونشريسى / ٢٩٠ / ٦
و يرتجيه / ابن مفوز / ٦٢ / ٥
النوى / ابن جبير / ١٢ / ٣
انطوى / المنصور الذهبى / ٢٦٢ / ٨
عاويه / - / ٢٤٥ / ٣
المصريه / الراعى الغرناطى / ٢٨١ / ٣
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٩١

٦- فهرس الموشحات و الزجل و المسمطات

إشارة

الشاعر / المطلع / الجزء / الصفحة

١- الموشحات

- ابن ارفع رأسه / قد ترنم بأبدع تلحين / ٢٠٧ / ٨
ابن أرقم / مبسم البهرمان فى المحيا الدرى / ٤٣٠ / ٥
ابن باجة / جرر الذيل أيما جر / ٢٠٨ / ٨
ابن بقى / أن جيت أرض سلا / ٣٨٦ / ٤
ابن بقى / عبث الشوق بقلبي فاشتكى / ١٦٢ / ٥

- ابن بقى / خذ حديث الشوق عن نفسى / ١٦٣ / ٥
- ابن بقى / ما ردنى لابس / ١٦٤ / ٥
- ابن بقى / أما ترى أحمد / ٢٠٨ / ٨
- ابن بقى / ما لى شمول إلا شجون / ٢٨٠ / ٨
- ابن حزمون / يا هاجرى هل إلى الوصال / ٢١٠ / ٨
- ابن خزر البجائى / ثغر الزمان موافق / ٢١١ / ٨
- ابن خلف الجزائرى / يد الإصباح قد قدحت زناد الأنوار / ٢١١ / ٨
- ابن زمرك / بالله يا قامة القضيب / ٩٥ / ٩
- ابن زمرك / نسيم غرناطة عليل / ٩٧ / ٩
- ابن زمرك / أبلغ لغرناطة السلام / ٩٩ / ٩
- ابن زمرك / نواسم البستان / ١٠١ / ٩
- ابن زمرك / ريحانة الفجر قد أطلت / ١٠٣ / ٩
- ابن زمرك / قد طلعت راية الصباح / ١٠٦ / ٩
- ابن زمرك / فى كؤوس الثغر من ذاك اللعس / ١٠٨ / ٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٩٢
- ابن زمرك / قد أنعم الله بالشفاء / ١١٠ / ٩
- ابن زمرك / عليك يا رية السلام / ١١١ / ٩
- ابن زمرك / قد نظم الشمل أتم انتظام / ١١٢ / ٩
- ابن زمرك / فى طالع اليمن و السعود / ١١٤ / ٩
- ابن زمرك / وجه هذا اليوم باسم / ١١٥ / ٩
- ابن زمرك / قد نظم الشمل أتم انتظام / ١١٦ / ٩
- ابن زمرك / لله ما أجمل روض الشباب / ١١٧ / ٩
- ابن زمرك / لو ترجع الأيام بعد الذهاب / ١٢٩ / ٩
- ابن زهر الحفيد / ما للموله من سكره لا يفيق / ٣٧٧ / ٢، ٢٠٩ / ٨
- ابن زهر الحفيد / سلم الأمر للقضا / ٣٧٧ / ٢
- ابن زهر الحفيد / صادنى و لم يدر ما صاد / ٢٥٤ / ٤
- ابن زهر الحفيد / هات ابنة العنب / ٢٥٤ / ٤
- ابن سناء الملك / يا حيبى ارفع حجاب النور / ٢١٤ / ٨
- ابن سهل / ليل الهوى يقظان / ٣٠٤ / ٤
- ابن سهل / هل درى ظبى الحمى أن قد حمى / ٢١١ / ٨، ٢٥٢
- ابن الصابونى / قسما بالهوى لذى حجر / ٢١٠ / ٨
- ابن الصابونى / ما حال صب ذى ضنى و اكتئاب / ٢١١ / ٨
- ابن عربى الصوفى / سرائر الأعيان لاحت على الأكوان / ٢ / ٣٢٠

- ابن الفرس / رداء الأصيل تطويه كف الظلام / ٤ / ٤١
- ابن الفضل / أوحسرتى لزمان مضى / ٨ / ٢١٠
- ابن مؤهل / ما العيد فى حلة وطاق / ٨ / ٢٠٩
- ابن نباتة / ما سخ محمر دموى و ساح / ٨ / ٢٧٣
- ابن نزار / نازعك البدر اللياح / ٤ / ٢٧٥
- ابن هرودس / يا ليلة الوصل و السعود / ٨ / ٢٠٩
- ابن الوكيل / غدا منادينا محكما فينا / ٢ / ١٣٥
- أبو الحسن المرينى / فى نغمة العود و السلافة / ٢ / ١٩
- أبو حيان الجيانى / عاذلى فى الأهيف الأنس / ٣ / ١٦٠
- أبو حيان الجيانى / إن كان ليل داج / ٣ / ١٦٢
- أبو الفضل العقاد / ليت شعرى هل أروى ذا الظما / ٨ / ٢٥٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٩٣
- الأعمى التيطلى / ضاحك عن جمان / ٤ / ٢٠٣
- الأعمى التيطلى / كيف السيل إلى صبرى / ٨ / ٢٠٨ ...
- سهل بن مالك / كحل الدجى يجرى / ٨ / ٢٠٩
- سهل بن مالك / إن سيل الصباح فى الشرق / ٨ / ٢١٠
- الشهاب العزازى / يا ليلة الوصل و كأس العقار / ٨ / ٢٧٥
- الشهاب العزازى / ما على من هام وجدا / ٨ / ٢٧٦ ...
- الشهاب العزازى / ما سلّت الأعين الفواتر / ٨ / ٢٧٨
- عبادة القزاز / بدر تم شمس ضحى / ٨ / ٢٠٧ ...
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج ١٠؛ ص ٣٩٣
- أدة القزاز / قد ترنم / ٨ / ٢٠٧ ...
- عثمان الملقى / ويلاه من رواج / ٨ / ٢٧٤
- العربى العقيلى / بدر أهل الزمان / ٥ / ٤٣٠
- العربى العقيلى / بان لى ثم بان / ٥ / ٤٣١
- العربى العقيلى / هل لمراك تان / ٥ / ٤٣١
- العربى العقيلى / هل يصح الأمان / ٥ / ٤٣٠
- لسان الدين / جادك الغيث إذا الغيث همى / ٨ / ٢١١، ٢٦٩
- لسان الدين / رب ليل ظفرت بالبدر / ٨ / ٢٥٦
- لسان الدين / كم ليوم الفراق من غصة / ٨ / ٢٥٧
- لسان الدين / قد حرّك الجلجل بازى الصباح / ٨ / ٢٧٢
- محمد بن عبادة / كم فى قدود البان / ٤ / ٢٠٩
- المنصور الذهبى / ريان من ماء الصبا / ٨ / ٢٦١

- المنصور الذهبي / و ليالى الشعور إذ تسرى / ٢٦١ / ٨
- الموصلى / رنا بأجفانه الفواتر / ٢٧٩ / ٨
- / يا من لعبد به افتقار / ٥١ / ١
- / اشبيليا عروسا / ٢٠٢ / ٤
- / يا عريب الحى من حى الحمى / ٢٥٣ / ٨
- / لا تلمنى يا عذولى تأثما / ٢٥٤ / ٨
- / و اخجلتنا للصبح / ٢٥٩ / ٨
- / عطر الأرجاء لما نسما / ٢٦٩ / ٨
- / بنفسج الليل تذكى وفاح / ٢٧٣ / ٨
- / عقارب الأصداغ / ٢٧٤ / ٨
- نغم الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٩٤

٢- الأزجال

- ابن جحدر / من يعاند التوحيد بالسيف يمحق / ٢١٥ / ٨
- ابن قرمان / و عريش قد قام على دكان / ٢١٥ / ٨
- أبو الحسن الحرالى / جنان يا جنان / ٣٢٩ / ٢
- البعبع / يا ليتنى إن ريت حيبى / ٢١٥ / ٨
- قاسم بن عبود / بالله أين نصيب / ٢٠ / ٢
- لسان الدين / امزج الأكواس و املالى / ٢١٦ / ٨
- لسان الدين / بين طلوع و بين نزول / ٢١٦ / ٨
- لسان الدين / البعد عنك يا ابنى / ٢١٦ / ٨
- مدغليس / ورذاذ دق ينزل / ٢١٥ / ٨
- مدغليس / لاح الضيا و النجوم سكارى / ٢١٥ / ٨
- / بالله يا طير مدلل / ١٩٦ / ٦
- / خلين من واد و من قوارب / ١٩٠ / ٤

٣- الدوبيت

- / قد أصبح آخر الهوى أوله / ٩٦ / ١
- / سلمت لمصر فى الهوى من بلد / ٤ / ٨

٤- أراجيز مزدوجة

- المقرى المؤلف / أحمد من أطار من فى جو العلاء / ٤٨ / ٣

- المقرى المؤلف / أحمد من شيد بالإسناد / ٣ / ٥٠
المقرى المؤلف / أحمد من زين بالمحاسن / ٣ / ٥٥
المقرى المؤلف / أحمد من خصص بالأسرار / ٣ / ٥٧
المقرى المؤلف / أحمد من أطلع شمس الدين / ٣ / ٦٠
المقرى المؤلف / أحمد من أطلع من محاسن / ٣ / ٦٢
المقرى المؤلف / أحمد من زين بالآثار / ٣ / ٦٣

٥- المربعات

- ابن عفيف / أهن لأهل البدع / ٢ / ٣٣٣
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٩٥

٦- الخمسات

- ابن جابر الغساني / يا سائلا لضريح خير العالم / ٦ / ١٣٩
ابن الجيان، أبو عبد الله / الله زاد محمدا تكريما / ٩ / ٢٥٨
ابن خاتمة / أيامنا بالحمى ما كان أحلاك / ١ / ٣٧
ابن زمرك / أرقت لبرق مثل جفنى ساهرا / ٩ / ٥١
ابن سهل / جعل المهيمن حب أحمد شيمه / ٩ / ٢٤٨
ابن الصائغ القرشى / هم الأبى على مقدار منصبه / ٥ / ٢٤٧
ابن القصير / الله أكرم أحمدنا تكريما / ٩ / ٢٨٤
أحمد الزمورى / و رقيب يردد اللحظ ردا / ٨ / ٢٤٣
أحمد بن محمد المغربى / الله زاد المصطفى تعظيما / ٩ / ٢٧٨
إدريس بن موسى القرطبي / أهلا بكم يا أهل هذا النادى / ٩ / ٢٤٥
التاملى، محمد بن يوسف / إذا أزمه نزلت قبلى / ٣ / ٩٤
الصفى الحلى / قبيح بمن ضاقت عن الرزق أرضه / ٣ / ٢٤
على بن جودى / أيا ساكنين بأرض اللوى / ٨ / ٢٥١
القزاز / من لى بمجبول على ظلم البشر / ٥ / ٤٧
مالك بن المرحل / ألف: أجل الأنبياء نبىء / ٩ / ٢٧٤
المقرى المؤلف / أنشق أزاهر عن فنون رياض / ٩ / ٢٤٣
بعض بنى الصباغ / أيا جاهلا عزه ما يفوت / ٦ / ٩٤
- / اسمع حديثا قد تضمن شرحه / ٩ / ٢٤٢
- / يا أمه الهادى المبارك أحمد / ٩ / ٢٧١
- / جل الذى بعث الرسول رحيمًا / ٩ / ٢٧١

-/ أكرم بعيد نحو طيبة مسند / ١ / ٥٧

-/ مَرَّ النسيم بربعهم فتلذذا / ١ / ٥٦

٧- المسدسات

ابن زيدون / ما للأحبة دانوا بالنوى و رأوا / ٤ / ١٠٠

-/ ما للعيون بسهن الغنج تصميها / ٤ / ١٠٠

ابن عفيف الدين الإيجي / الله أحمد أحمد إذ يبرأ / ٩ / ٢٨٦

ابن عفيف الدين الإيجي / أحسن بطلعه أحمد هي أضوأ / ٩ / ٢٩٠

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٩٦

محمد بن محمد بن العطار الجزائري / أنوار أحمد حسنها يتاللاً / ٩ / ٢٩٤

محمد بن محمد بن العطار الجزائري / نور النبي المصطفى المختار / ٩ / ٢٩٩

المتشاقري / حل في طيبة رسول كريم / ٩ / ٣٢٥

٨- المسبغات

ابن جابر / لم يبق في اصطبار / ٣ / ٢٥٤

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٩٧

٧- فهرس التنويهات و المراسيم و الخطب و الرسائل و التوقيعات و الإجازات و الوصايا

* ابن الأبار: رسالته منه إلى أبي المطرف بن عميرة / ٥ / ٣٨٢

* ابن برد الأكبر: عهد أنشأه لعبد الرحمن شنجول على لسان المؤيد / ١ / ٣٢٩

* ابن بطوطة: قطعة من رحلته / ٩ / ١٨٢

* ابن جبير: فصول من رحلته / ٣ / ١٦

* ابن جزى، أبو عبد الله: رسالته إلى السلطان أبي عنان / ٧ / ٩٨

* ابن الجنان، أبو عبد الله: وصية كتبها على لسان ابن هود / ٩ / ٢٣٧

رسالته إلى أبي المطرف بن عميرة / ٩ / ٢٤٦

خطبة له مرتجلة / ٩ / ٢٥١

رسالته إلى الرسول صلى الله عليه و سلم / ٩ / ٢٥١

من خطبة له طويلة / ٩ / ٢٥٣

* ابن الجنان، أبو الوليد: رسالته يستدعى فيها بعض إخوانه / ٤ / ١٦٠

* ابن الجياب: رسالته عن السلطان إلى أبي سعيد المريني / ٧ / ٤

رسالته في العزاء بأبي الحسن المريني / ٧ / ٦

* ابن الحاج، أبو البركات: نبذة من رحلته / ٣ / ١٤٠

- نسخة كتاب طلاق / ٧ / ٢٣
- * ابن حبيش، أبو بكر: رسالة له في «ما ذا» التكتيرية / ٥ / ٢٢٦
- إجازة من إنشائه / ٥ / ٢٢٦
- قطعة من إجازة أخرى / ٥ / ٢٢٧
- * ابن حزم، أبو محمد: رسالته في فضل الأندلس / ٤ / ٧
- * ابن حسداى: جواب منه لابن الدباغ، عن رسالة / ٢ / ٦٣
- * ابن حكم السلوى: رسالته إلى المقرئ الجد / ٦ / ٢١٣
- * ابن الحكيم، أبو عبد الله: بعض رسالة كتبها عن السلطان / ٣ / ٢٢٠
- إجازة من إنشائه / ٧ / ٤٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٩٨
- * ابن خاتمة، أبو جعفر: رسالة إلى لسان الدين / ٧ / ١٥٥
- رسالة إلى ابن جزى / ٧ / ١٥٩
- رسالة أخرى إلى لسان الدين / ٧ / ١٥٩
- رسالة ثالثة إلى لسان الدين / ٧ / ١٦١
- * ابن خفاجه، أبو إسحاق: رسالة في وصف متزه / ٢ / ٦٤
- رسالة إلى صديق ولي حصنا / ٢ / ٦٥
- رسالة يستدعى عود غناء / ٢ / ٦٦
- رسالة إلى من بقل عذاره / ٤ / ٢٤٧
- * ابن داود الحميرى: رسالة من إنشائه / ٧ / ٣٣١
- * ابن دحية، أبو الخطاب: فصل فى الاعتبار / ٦ / ٩٦
- * ابن الربيب القيروانى: رسالته إلى أبى مروان الرباطى / ٢ / ٤٢١
- رسالته إلى أبى المغيرة بن حزم حول إهمال الأندلسيين لتراثهم / ٤ / ٧
- * ابن رضوان، أبو القاسم: جواب على رسالة من لسان الدين / ٧ / ١٦٧
- * ابن زيدون، أبو الوليد. من رسالة له إلى ولادة / ٥ / ١٣٣
- * ابن سبعين رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم / ٢ / ٣٣٨
- * ابن سعيد، أبو الحسن، إجازته للتيفاشى رواية المغرب / ٢ / ٤٤٩
- فصول من رحلته فى الفسطاط و القاهرة / ٢ / ٤٥٣
- تذييله على رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس / ٤ / ٢٢
- * ابن سعيد، أبو عمران: وصيته لابنه أبى الحسن / ٢ / ٤٦٤
- رسالته إلى عبد الواحد الموحدى / ٢ / ٤٧٣
- * ابن سعيد، عبد الرحمن: رسالته إلى أهله من بخارى / ٣ / ٣
- رسالة أخرى تنحو نحو السابقة / ٣ / ٥
- ردّ أهله على رسالته / ٣ / ٥

- * ابن سعيد، عبد الملك: رسالته إلى أبيه حين سجن / ٥ / ١٢٠
رسالته يعتذر عن مجلس أنس / ٥ / ١٢١
جواب على رسالة وصلته من اللص / ٥ / ١٢٣
- * ابن سيد، اللص: رسالته إلى عبد الملك بن سعيد / ٥ / ١٢٢
* ابن شهيد الوزير: رسالته إلى الناصر في ذكر هديته / ١ / ٢٨١
* ابن صاحب الصلاة: رسالته في وصف جامع قرطبة / ٢ / ٧٦
* ابن صفوان: إجازته للسان الدين بن الخطيب / ٧ / ١٦٤
* ابن طفيل، أبو بكر: رسالته في شأن المصحف العثماني / ٢ / ١١٦
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٣٩٩
* ابن عاصم، أبو يحيى: نموذج من نثره / ٧ / ٢٥٨
رسالته إلى ابن طر كاط / ٧ / ٢٦٣
ظهر بتقديمه (لم ينسب لكاتب معين) / ٨ / ٢٦٥
* عبد الرحمن العبادي: رسالته إلى المقرئ / ٣ / ٧١
* ابن عبد الملك الجزيري: رسالة على لسان بنفسج العامرية / ٢ / ٦١
* ابن العربي العقيلي: رسالة على لسان المخلوع النصرى إلى الشيخ الوطاسي / ٥ / ٤١٠
* ابن العربي المعافري: فصل من رحلته / ٢ / ١٩٩
* ابن عسكر، أبو عبد الله: رسالته إلى أبي عمران بن سعيد / ٢ / ٤٦٤
* ابن عطية، أبو جعفر: رسالته إلى الخليفة عبد المؤمن يستعطفه / ٦ / ١٥٥
رسالته عن أبي حفص في موقعة وادي ماسة / ٦ / ١٥٨
* ابن عقال: وصف إجازة إبراهيم اللمتوني البحر / ٨ / ٢٤١
رسالة إلى الحفصي سلطان إفريقية / ١ / ٢٤٨
قطعة من رسالته له / ١ / ٢٥١
قطعة أخرى / ١ / ٢٥٢
من رسالة إلى صاحبين له / ١ / ٢٤٧
رسالة في ضياع بعض المدن الأندلسية / ١ / ٢٥١
رسالة عن أهل شاطبة في تهنئة ابن هود / ١ / ٢٥٢
رسالته إلى ابن الأبار عند سقوط بلنسية / ٥ / ٣٧٧
- * ابن غانم: جوابه على رسالة وصلته من هاشم بن عبد العزيز / ٤ / ١٧٦
* ابن الفخار، أبو عبد الله: خطبته في الدفاع عن القاضي التوحيدى / ٤ / ١٩٢
* ابن الفراء، أبو عبد الله: رسالته إلى يوسف بن تاشفين / ٤ / ١٨٧
* ابن اللمائي: قطعة من رسالته له / ٤ / ٣٢٠
* ابن مرج الكحل: رسالته إلى صفوان بن إدريس / ٦ / ٤٨
* ابن مرزوق الخطيب: رسالة إلى لسان الدين / ٧ / ١٨٥

- * ابن هانئ اللخمي السبتي: رسالة له / ٧ / ٢٤٦
- * أبو إبراهيم الفقيه: ردّه على رسالة وصلته من الحكم المستنصر / ١ / ٢٩٣
- * أبو أمية: رسالة إلى ابن عبد الغفور / ٤ / ٣٢٥
- * أبو بكر اشكناهد: رسالة في التوصية ببعضهم / ٢ / ٢٥٣
- * أبو بكر الطرطوشي: موعظة قالها أمام الأفضل أمير الجيوش / ٢ / ٢٤٦
- * أبو الحجاج المنتشاقري: رسالته إلى لسان الدين / ٧ / ٢٤٨
- * أبو الحسن المريني: رسالة منه إلى الملك الصالح (لم يذكر منشؤها) / ٥ / ٢٨٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٠٠
- * أبو الحسن النباهي: رسالة منه إلى لسان الدين (يكيّل له فيها التهم) / ٦ / ١٠٢
- تعليقه في مدرج طي الرسالة السابقة / ٦ / ١٠٤
- رسالة منه إلى لسان الدين (في المدح) / ٧ / ٢٣٢
- * أبو حفص الهوزني: من رسالة له إلى المعتضد بن عباد / ٢ / ٢٥١
- * أبو حيان أثير الدين النحوي: جواب له عن رسالة من الصفدي / ٣ / ١٥٤
- وصيته لأهله لما ارتحل إلى مصر / ٣ / ١٦٩
- * أبو زيان المريني: ظهير منه لسان الدين (لم يذكر كاتبه) / ٧ / ١٣٧
- * أبو سالم المريني: رسالة منه إلى لسان الدين (لم يذكر كاتبها) / ٧ / ١٤٣
- * أبو العباس الغساني: رسالته إلى أبي الحسن بن سعيد / ٢ / ٤٤٩
- * أبو العباس المقرئ (مؤلف الكتاب): رسالته إلى المفتي العمادي / ٣ / ٧١
- رسالته إلى أحمد الشاهيني / ٣ / ٨٩
- * أبو عبد الصمد: جواب عن رسالة من علي بن خير التطيلي / ٤ / ٢٠١
- * أبو الفضل بن الأعلم: نماذج من نثره / ٤ / ٤٠٣
- * أبو القاسم البرجي: رسالته إلى لسان الدين / ٧ / ١٨٨
- * أبو محمد عبد الرحمن المعافري الوزير: رسالة منه إلى الفتح بن خاقان / ٤ / ٦٣
- * أبو الوليد حبيب: رسالته إلى أبيه / ٤ / ٢٢٠
- * أحمد بن شاهين: مقتطفات من رسالته إلى المؤلف / ١ / ٩٦
- رسالة أخرى منه إلى المؤلف / ٣ / ٧٤، ٨١
- * الأعلم الشنتمري: رسالة في لفظ «المسهب» / ٥ / ٢٤
- رسالة في المسألة الزنبورية / ٥ / ٢٦
- * أيوب المرواني: رسالته إلى بسام بن شمعون الوشقي / ٤ / ٣٠٦
- * تاج الدين المحاسني: رسالته إلى المقرئ مؤلف الكتاب / ٣ / ٧٣، ٧٤
- * (تلميذ لابن سبعين): رسالة له في الانتصار لأستاذه / ٢ / ٣٣٥
- * (الشيخ) الجنان: رسالة منه إلى لسان الدين / ٧ / ١٦٧
- * حريز بن عكاشة: رسالة منه إلى الأذفونش / ٤ / ٣٣١

- مراجعة لابن ذى النون حول رسالة منه / ٤ / ٣٣٢
- * الحكم المستنصر: رسالته إلى الفقيه أبي إبراهيم لتخلفه عن إعدار / ١ / ٢٩٣
- * خالد البلوى: نبذة من رحلته / ٣ / ١٣٨
- * السرخسى: مقتطفات من رحلته / ٣ / ٣٦٢
- * الشقندى: رسالته فى تفضيل الأندلس على بر العدو / ٤ / ٢٧
- * الصفدى، خليل بن أبيك: رسالته إلى أبي حيان / ٣ / ١٥٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٠١
- رسالة إلى أبي حيان يستدعى إجازة / ٣ / ١٥٤
- رسالة عن الملك الصالح إلى أبي الحسن المرينى / ٥ / ٢٩٤
- إجازة برواية رسالته السابقة و الواردة فى أبي الحسن / ٥ / ٢٩٨
- * صفوان بن إدريس، أبو البحر: رسالته فى تنافس مدن الأندلس على أمير موحدى / ١ / ١٤٥
- رسالته إلى ابن مرج الكحل / ٦ / ٤٩
- خطبة نكاح / ٦ / ٥٠
- رسالة عتاب / ٦ / ٥٢
- رسالة تهنئة إلى أبي القاسم بن بقى / ٦ / ٥٧
- * طارق بن زياد: خطبته عند دخول الأندلس / ١ / ١٩٥
- * عبد الرحمن الداخل: توقيع على رسالة سليمان بن يقطان الأعرابى / ٣ / ٣١٥
- رسائل بينه وبين مولاه بدر / ٣ / ٣١٥
- * عبد الرحمن العمادى المفتى: جواب له عن رسالة المقرئ المؤلف / ٣ / ٧١
- * عبد الحميد بن لاطون: رسالة له على لسان حريز بن عكاشة / ٤ / ٣٣١
- * عبد العزيز الفشتالى: رسالته إلى المقرئ مؤلف الكتاب / ٧ / ١٧٨
- * عبد الكريم الفكون: رسالته إلى المقرئ مؤلف الكتاب / ٣ / ٩٨
- * على بن خير التيطلى: رسالته إلى أبي عبد الصمد السرقسطى / ٤ / ٢٠١
- * على بن عبد الواحد الأنصارى: رسالته إلى المقرئ مؤلف الكتاب / ٣ / ٩٨
- * على بن لسان الدين: رسالة على لسان سلطانه / ٩ / ٢١٦
- رسالة أخرى على لسان سلطانه / ٩ / ٢٢١
- رسالة عن الغنى بالله / ٩ / ٢٢٦
- * الفتح بن خاقان: رسالته إلى بعض الملوكة فى وصف نزهة / ٢ / ١٥٦
- رسالته إلى بعض الملوكة مهنتا / ٢ / ١٦٩
- رسالته إلى على بن يوسف فى شأن ابن زهر / ٢ / ٣٧٣
- رسالته فى غريق / ٢ / ٣٧٣
- * الفيروزابادى: رسالته فى حق ابن عربى الصوفى / ٢ / ٣١٦
- * الكفعمى: رسالته إلى ابن الفرفور / ٩ / ١٨٨

- * لسان الدين بن الخطيب: رسالة على لسان السلطان في تفضيل الجهاد على الحج / ١ / ١٥٧
- رسالته عن الغنى بالله إلى المنصور بن قلاوون / ١ / ٢٥٤
- ظهير في تولية على بن بدر مشيخة الغزاة / ١ / ٣٤٨
- رسالة على لسان السلطان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم / ٢ / ٤٢
- رسالة عن الغنى بالله إلى السلطان المريني في وصف بعض الغزوات / ٢ / ٤٣
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٠٢
- رسالة أخرى في منحي السابقة / ٢ / ٤٧
- رسالة إلى أبي فارس المريني في الشفاعة لابن مرزوق / ٢ / ٢٧٦
- رسالة على لسان الغنى بالله إلى ضريح الولي السبتى / ٣ / ٢٦٣
- رسالة على لسان السلطان إلى السلطان المريني / ٥ / ٣٠٣
- رسالة في استنهاض السلطان المريني / ٥ / ٣٠٨
- رسالة إلى سلطان فاس / ٥ / ٣١٢
- رسالة في الاعتذار عن فرار أبي الفضل المريني / ٥ / ٣١٥
- رسالة عن الغنى إلى الأمير السعيد / ٥ / ٣٢٣
- رسالة إلى أبي عنان عن أبي الحجاج / ٥ / ٣٢٥
- رسالة على لسان يوسف النصرى / ٥ / ٣٢٩
- رسالة في حاجة الأندلس إلى بر العدو / ٥ / ٣٣١
- رسالة عن أبي الحجاج إلى الرعايا / ٥ / ٣٣٤
- رسالة توضح ضيق الحال بالأندلس / ٥ / ٣٣٦
- قطعة من رسالة طويلة / ٥ / ٣٣٧
- رسالة إلى السلطان أبي سالم / ٦ / ٣١
- رسالة عن الغنى بالله إلى سلطان مصر ابن قلاوون / ٦ / ٧٥
- مرسوم بتولية النباهى القضاء / ٦ / ١١٠
- مرسوم بتولية ابن زمرك كتابة السر / ٦ / ١١١
- مرسوم بتولية النباهى الخطابة مع القضاء / ٦ / ١١٣
- رسالة في عتاب ابن أبي رمانة / ٦ / ١١٩
- رسالة إلى ابن مرزوق برفض الدنيا / ٦ / ١١٩
- رسالة إلى أبي عنان في الاعتذار عن المقرى الجد / ٦ / ١٨٥
- رسالة في الموضوع السابق / ٦ / ١٨٦
- رسالة إلى ابن مرزوق عند قدومه على المرينيين / ٦ / ٣٣٥
- جواب لسان الدين عن رسالة من أبي سالم / ٧ / ١٤٤
- رسالة إلى أبي سالم / ٧ / ١٤٦
- جوابه عن رسالة ابن خاتمة / ٧ / ١٥٦

- رسالة إلى ابن نفيس / ١٦٥ / ٧
- رسالة إلى ابن رضوان / ١٦٦ / ٧
- جواب عن رسالة من ابن مرزوق / ١٨٦ / ٧
- رسالة إلى أبي عبد الله اليتيم / ٢١٠ / ٧
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٠٣
- رسالة إلى سلطان تونس / ٢٤٤ / ٧
- رسالة إلى المنتشاقري / ٢٥٠ / ٧
- في استدعاء إمداد و حض على جهاد / ٢٧٢ / ٧
- في صداق لكبير الشرفاء بفاس / ٢٧٤ / ٧
- رسالة إلى أبي عبد الله الشديد / ٢٧٥ / ٧
- رسالة إلى علي بن بدر الدين الطوسي / ٢٧٧ / ٧
- رسالة إلى ابن خلدون أبي زيد / ٢٧٩ / ٧
- رسالة مداعبة إلى ابن خلدون / ٢٨٠ / ٧
- رسالة إلى السلطان ابن يغمراسن / ٢٩٩ / ٧
- رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب / ٣٠٧ / ٧
- رسالة إلى ابن أبي مدين / ٣٠٨ / ٧
- رسالة إلى قاضي الجماعة / ٣٠٩ / ٧
- رسالة إلى بعض الفضلاء / ٣١٠ / ٧
- رسالة إلى أبي عبد الله بن نصر / ٣١٠ / ٧
- رسالة لمحمد بن نوار في عرس / ٣١١ / ٧
- رسالة إلى عامر الهنتاتي / ٣١١ / ٧
- وصف سبته من مقامه بلدانية / ٣١٢ / ٧
- وصف مكناسة من نفاضة الجراب / ٣١٣ / ٧
- وصف مكناسة من مقامه بلدانية / ٣١٤ / ٧
- رسالة على لسان السلطان إلى ابن يلغا / ٣٦٨ / ٧
- رسالة على لسان السلطان إلى ابن تفراجين / ٤٩ / ٨
- رسالة على لسان الغنى بالله / ٥٤ / ٨
- رسالة على لسان الغنى بالله إلى سلطان فاس / ٥٤ / ٨
- رسالة على لسان الأمير سعد بن الغنى بالله / ٥٧ / ٨
- رسالة على لسان ولد السلطان من مالقة / ٥٨ / ٨
- ظهير بتولية يوسف مشيخة الغزاة / ٥٩ / ٨
- ظهير بتقليد الأمير سعد مشيخة الغزاة / ٦٢ / ٨
- رسالة إلى الغنى بالله من سلا / ٦٤ / ٨

- رسالة إلى أبي عبد الله بن عمر التونسي / ٨ / ٦٥
- رسالة على لسان أبي عبد الله بن عمر التونسي / ٨ / ٦٦
- رسالة على لسان أبي الحجاج إلى الرسول صلى الله عليه وسلم / ٨ / ٦٦
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٠٤
- رسالة على لسان الغنى بالله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم / ٨ / ٧٢
- قطعه من رسالة في العزاء / ٨ / ٨٧
- رسالة إلى أبي زيان سلطان المغرب / ٨ / ٨٩
- رسالة أخرى إلى أبي زيان / ٨ / ٩٢
- رسالة إلى يحيى بن رحو / ٨ / ٩٣
- رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب في شفاعته / ٨ / ٩٤
- رسالة أخرى إليه في الشفاعه أيضا / ٨ / ٩٥
- رسالة إلى أبي زيد بن خلدون / ٨ / ٩٥
- رسالة إلى أبي زكريا بن خلدون / ٨ / ١٠٠
- رسالة إلى أبي القاسم بن رضوان / ٨ / ١٠٣
- رسالة إلى شيخ العرب مبارك بن إبراهيم / ٨ / ١٠٤
- رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب / ٨ / ١٠٦
- ظهير سلطاني / ٨ / ١٠٩
- رسالة للوزير عمر وزير بلاد المغرب / ٨ / ١١٢
- رسالة أخرى للوزير عمر على أثر فتح / ٨ / ١١٣
- رسالة ثالثة للوزير عمر من سلا / ٨ / ١١٤
- رسالة إلى عامر الهنتاتي / ٨ / ١١٦
- رسالة أخرى إلى عامر الهنتاتي / ٨ / ١١٨
- رسالة إلى شيخ الدولة / ٨ / ١١٩
- رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب / ٨ / ١٢٠
- رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب أيضا / ٨ / ١٢٤
- جواب عن كتاب وصل من سلطان تلمسان / ٨ / ١٢٧
- حديث له في السياسة / ٨ / ١٣١
- رسالة إلى السلطان على لسان جدته / ٨ / ١٤٤
- وصيته لأبنائه / ٩ / ٢٢٧
- * المأمون بن ذى النون: رده على رسالة كتبها عبد الحميد بن لاطون على لسان حريز / ٤ / ٣٣١
- * محمد بن عبد البر: رسالته إلى المنصور الصغير / ٢ / ١٠٩
- * محمد بن يوسف التاملي: رسالته إلى المقرئ مؤلف الكتاب / ٣ / ٩١
- * المنذر المرواني: رسالته إلى أبيه / ٤ / ٣٤٤

- * منذر بن سعيد: خطبته في استقبال وفد الروم / ١ / ٢٩٠
- * خطبته في الترهيد و ذم البنيان / ٢ / ٨٩
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٠٥
- من خطبة في الاستسقاء / ٢ / ٩٠
- * هاشم بن عبد العزيز: رسالته و هو مأسور إلى ابن غانم / ٤ / ١٧٦
- * يحيى بن يطف: رسالته إلى ابن هود / ٤ / ٣٣٣
- * يوسف بن تاشفين: رسالته في الغزاة بأبي جعفر بن الزبير / ٦ / ١٣١
- تقاريط على كتاب نسيم الصبا / ٣ / ٢٥٨
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١٠، ص: ٤٠٦
- الفهرس ١- فهرس الأعلام ٣
- ٢- فهرست الأماكن و المدن ١٥٦
- ٣- فهرست القبائل و الشعوب و الأديان و المذاهب ١٩٧
- ٤- فهرس القوافي ٢٠٧
- ٥- فهرس الرجز ٣٨٧
- ٦- فهرس الموشحات و الزجل و المسمطات ٣٩١
- ٧- فهرس التنويهات و المراسيم و الخطب و الرسائل و التوقيعات و الإجازات و الوصايا ٣٩٧
- الفهرس ٤٠٦

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رَحِمَهُ اللهُ" - كان أحدًا من جهايزة هذه المدينة، الذي قد اشتَهَرَ بِشَعْفِهِ بِأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ (صلواتُ اللهِ عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ)؛ و لهذا أُسِّسَ مع نظره و درايته، في سَنَةِ ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه كم ينطفي مصباحها، بل تتبَعُ بِأَقْوَى و أَحْسَنِ مَوْقِفٍ كُلِّ يَوْمٍ.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سَنَةِ ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دامَ عِزُّهُ - و مع مساعِدة جمعٍ من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافتهم الثقَلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايت المبتدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت

- عليهم السلام - يباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و اغناء اوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشره فى الجامعه، و...
- منها العداله الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزه الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانيه - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزه تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخر

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسه

(ى) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و "مفترق" و "فانى/ " بنايه "القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظه هامه:

الميزانيه الحاليه لهذا المركز، شعبيه، تبرعيه، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متراًداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

